

(١٦٤٢)

الثـأر

في مصنفات الأدب العربي

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٧هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"فيقول لسيف الدولة: رضيت من فرسانك بأن صليت الحرب، فرأوك وشهدوك، وقرعت حبيك بيض الروم بجلادك، فاستمعوا، يشير إلى أنه أقدم وأحجموا، وكر في أعقابهم وانهزموا.

لقد أباحك غشا في معاملة ... من كنت منه بغير الصدق تنتفع

ثم قال يخاطبه: لقد أباحك الغش في معاملته من كذبك عن نفسه، ولبس عليك في أمره، فأراك الشجاعة، والجبن خليقته، وأظهر لك الجلد، والضعف حقيقته، فموه بما لا يبلغه، وتعاطى عندك ما لا يفعله.

الدهر معتذر والسيف منتظر ... وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

المصطاف: موضع الإقامة في الصيف، والمرتبع: موضع الإقامة في الربيع.

فيقول لسيف الدولة: الدهر معتذر مما سمح به للروم في نيلهم من أطراف جيشك، والسيف منتظر لإدراك الثأر فيهم، واستعجال الانتقام منهم، وأرضهم مصطاف لجيوشك، ومرتبع لخيولك، لا تغبهم وقائعك، ولا تنام عنهم عزائمك.

وما الجبال لنصران بحامية ... ولو تنصر فيها الأعصم الصدع." (١)

"فيقول: لقيت بهذا الموضع الفجر لقية على حال من البهجة، وسبيل من الغبطة، شفت كمدي بتطاول الليل، وأظهرتني عليه بالخروج عنه، وهو كالقتيل الذي قد انقضت مدته، وسقطت عمن يحذره مئونته.

ويوما كأن الحسن فيه علامة ... بعثت بها والشمس منك رسول

ثم قال لمحبوبته مخاطبا: ولقيت بهذا الموضع يوما تلا هذه الليلة تناهت بهجته، وراق منظره، حتى كأن حسنه حسن علامة توجهينها، وكأن الشمس فيه رسول يقدم عنك بها، فجعل صفة هذا اليوم سببا للترفع لمحبوبته، وإبانة عن جلالة قدرها، وعلو محلها. وخرج إلى المدح بألطف سبيل، ووصل إليه أحسن وصول.

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

اتأر الرجل: إذا أدرك ثأره، وهو افتعل من الثأر، فأبدل من الثاء تاء لتقارب مخرجهما من الفم، ثم أدغم إحدى التائين في الأخرى، فقال اتأر.

فيقول: وما قبل سيف الدولة، وقبل ما أبداه من الفضل، وأظهره من." (٢)

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول، ابن الإفليلي ٣٦٢/١

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول، ابن الإفليلي ١٤٦/٢

"غرائب الفعل، أدرك عاشق في الحب **ثأره**، ولا طلب عند الليل الطويل ذحله.

ولكنه يأتي بكل غريبة ... تروق على استغرابها وتهول

الهول: المخافة.

ثم قال: ولكن سيف الدولة يأتي بكل غريبة في مجده، وبكل نادرة في كرمه، فيروق ذلك ويعجب، ويهول ويفزع، ويسلي من شهده عما سواه، وينسيه ما لقيه وقاساه.

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدى ... وما علموا أن السهام خيول

الدرب: المدخل إلى أرض العدو، والجرد: الخيل القصيرة شعر الجلود، وذلك فيها من شواهد الكرم.

فيقول: إن سيف الدولة رمى الدرب، درب الروم، مقدما عليهم، وغازيا إليهم، بكتائب خيله، ومواكب جيشه، فسارت كالسهام مسرعة، ونفذت نفاذها مصممة، ولم تعلم الروم قبل ذلك." (١)

"ثم قال: فعد الدهر فعلك في جبر الفقير، واستنقاذ الأسير، نصرة عليه، وتسرعا بالخلاف إليه، فاضطغن ذلك من فعلك، واستكرهه من أمرك، فلما صال على هذه المتوفاة، مختاتلا غير مجاهر، ومخادعا غير مكاثر، رأى نفسه مدركا منك **لثأر** طلبه، ومجازيا بضغن اعتقده.

كذبته ظنونه أنت تبلي ... ه وتبقى في نعمة ليس تبلى

ثم يقول: كذبت الدهر ظنونه، فيما رامك به من الثكل، وعرك له من الحزن، أنت تبليه بطول سلامتك، وتغلبه باتصال سعادتك، ويبقيك الله في نعمة لا تبلي سابغة، ورفعة لا تنتقص نامية.

ولقد رامك العداة كما را ... م فلم يجرحوا لشخصك ظلا

ثم قال، يخاطبه: ولقد رامك أعداؤك بمثل ما رامك به الدهر؛ من التعرض لمساءتك، والإقدام على معارضتك، فعجزوا عن التأثير في ظلك، فضلا على أن ينالوك بذلك في خاصة نفسك.

ولقد رمت بالسعادة بعضا ... من نفوس العدا فأدركت كلا

ثم قال، مخاطبا له: ولقد رمت بسعدك، وما تكفل الله لك به من إعلاء أمرك، بعض نفوس أعدائك، فأدركت كلها، وحاولت خصوصا منها،." (٢)

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفليلي ١٤٧/٢

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الأول، ابن الإفليلي ٣٣٠/٢

"في عظامهم لكثرة الطعن، كقول الآخر:

تعد لكم جزر الجزور رماحنا ... ويمسكن بالأكباد منكسرات

وكقوله:

(إذا اعوج القنا في حامليه ... وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا)

(ونالت ثأرها الأكباد منها ... فأولتها اندقاقا أو صدوعا)

(شديد الخنزوانة لا يبالي ... أصاب إذا تنمر أم أصيبا)

قال أبو الفتح: الخنزوانة: الكبر، وتنمر: أوعد وتهدد، وأراد: أأصاب، فحذف همزة الاستفهام ضرورة أي: إذا أوعد عدوه لم يرجع على ما خيلت.

قال الشيخ: هذا أيضا فاسد عندي كله،." (١)

"(كن حيث شئت تسر إليك ركابنا ... فالأرض واحدة وأنت الأوحد)

قال أبو الفتح: يقول: الأرض واحدة، أي للسفر علينا مشقة لإلفنا إياه.

قال الشيخ: كيف ذهب عليه الشرح على اتضاحه وإسفار صباحه، وليس تبطل مشقة السفر بكون الأرض واحدة، ولا الإلف يبطلها زيادة، وعندي أنه يقول: كن كيف شئت دانيا أو قاصيا أو قريبا أو بعيدا تسر إليك ركابنا فالأرض واحدة، يهون قطعها للقائد، وأنت الأوحد فيها، لا قصد إلا إلى فنائك ولا أمل إلا في جنابك.

(وصن الحسام ولا تذله فإنه ... يشكو يمينك والجماجم تشهد)

قال أبو الفتح: يشكو يمينك، أي: من كثر ما تضرب به، والإزالة ضد الصون وقوله: صنه، أي: به يدرك الثأر، ويحمي الذمار.

قال الشيخ: النصف الأول من تفسيره صحيح، والثاني سقيم، لأن قوله: يدرك الثأر، ويحمي الذمار لا يوجب صيانته، فإن السيف لهما ولمثلهما يراد، وفيهما يذال." (٢)

"أي: بناره قدرت على إدراك ثأري على التبل وطلب الذحل عند ظلامه حين قتله في درب القلة بفجر ناره فطلب ذحلي به من الظلام، وأدركت ثأري من الليل، ومؤيده ما بعد البيت.

---

(١) قشر الفسر، الزوزني، أبو سهل ٥٩/١

(٢) قشر الفسر، الزوزني، أبو سهل ٢٦١/١

تسايره النيران في كل مسلك ... به القوم صرعى والديار طلول

ثم قال:

ويوما كأن الحسن فيه علامة ... بعثت بها والشمس منك رسول

أي: ولقيت بعد هذه اللقية التي شفت كمدي، وبردت كبدي، وأخذت بيدي حتى أدركت ثأري من الليل يوما، هو النهاية في الحسن والطلاقة، كأن الحسن علامة من المعشوق فيه، والشمس رسول، جاءتني برسالته وعلامته، فلم يبق في الحسن غاية ولا لفرجه من الحزن نهاية ولا لاستبشاره وراحته أمدا ولا لابتهاجه وغبطته مثلا إلا جمعها في صفة ذلك اليوم، ومثل ذلك اليوم الذي سفر عنه مثل ذلك الليل الذي وصفه يكون أعجب إليه وأحسن في عينيه من سائر الأيام كما وصفه، وهذا قريب من قوله:

ليلها صبحها من النار والإص ... باح ليل من الدخان تمام." (١)

"ولكن هذه نار القرى، وتلك نار إحراق القرى.

وما قبل سيف الدولة آثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

قال أبو الفتح: يقول لولا سيف الدولة لما وصلت إلى قلة هذا الدرب حتى شفيت نفسي من الليل بملاقاة الفجر.

قال الشيخ: معنى شرحه كما هو، والذي ذكره فاسد، وفساده ظاهر، والمتنبي لو لم يكن بدرب القلة الذي كان وصوله إليه متعذرا لولا سيف الدولة لما كان يلقى الفجر في سائر بسيط الأرض. المتنبي أينما كان من الدنيا ما كان يعوزه ملاقاة الفجر، وما لسيف الدولة في ملاقاته الفجر بدرب القلة أثر، فإن درب القلة في لقاء الفجر وسائر الدنيا شرع، إنما أثره فيه نيرانه التي جعلت الليل نهارا حتى أدرك المتنبي منه ثأرا.

(فخاضت نجيع الجمع حتى كأنه ... بكل نجيع لم تخضه كفيل)

قال أبو الفتح: أي علم من رآها تخوض الدماء العظيمة أنه لا يتعذر عليها خوض دم بعد ذلك، أي: لا تروم قتل عدو فيصعب عليها.

قال الشيخ: ما في البيت وفيما قبله وبعده ذكر من العلم، وعبارة من رآها." (٢)

---

(١) قشر الفسر، الزوزني، أبو سهل ٢/٢٤٠

(٢) قشر الفسر، الزوزني، أبو سهل ٢/٢٤١

"ثبورا واحدا، وادع ثبورا كثيرا. قال الشاعر:

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... يوما على فنن دعوت صباحي

وقد يقال: دعوت فلانا، ودعوت بفلان، ودعوت باسم فلان كما قال الآخر:

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري

وقال الآخر:

تداعين باسم الشيب في متثلم ... جوانبه من نصره وسلام

وقال الآخر:

فمن يرتجيكم بعد نائله التي ... دعت ويلها لما رأت ثأر غالب

وقوله:

جزاك ربك بالإحسان مغفرة ... فحزن كل أخي حزن أخو الغضب

يقول: جزاك الله مغفرة بهذا الحزن الذي أصابك، فقد أثمت به. وقال الله تعالى:." (١)

"وعلى الأرض من دماء الشهيد ... ين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران ... وفي أولياته شفقان

ثبتا في قميصه ليجيء الحشر ... مستعديا إلى الرحمان

ثم جعل الحسن في هذا اليوم كأنه علامة من حبيبته، والشمس كأنها رسول منها بسروره عند مطلع الشمس، وارتياحه بها، وكمال سروره في هذا اليوم. وهو مع ذلك يريد أن يجعل هذا مخلصا من الغزل إلى مدح سيف الدولة. فقال: لم يثأر قبل سيف الدولة عاشق، وقد أثارت وطلبت ذحلي عند الظلام فقتلته. يريد تلك الحمرة التي تظهر من الشفق. فأي مزية من حسن الصنعة ترك هذا الفاضل، أم أي إحسان وإجادة.

ولقد أجاد الشيخ أبو العلاء أيضا إذ نقل هذا المعنى فجعله في مدح أهل البيت عليهم السلام، إلا أن السبق له، ولا زيادة فيما قاله علي أبي الطيب وأما قوله بعدها:

وما قبل سيف الدولة آثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

فإنه يقول إنه يعني سيف الدولة أحرق كثيرا من ديار الروم فأعاد الليل صبحا بالنيران فكأنه قتل الليل ونال ثأر العشاق منه.

---

(١) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٥٢

ولو قال قائل: إنه عنى بالفجر في البيت الأول النار، شبهها بالفجر كان ذلك صوابا ليتفق التفسيران. والتفسير الأول فائدتي من الشيخ أبي العلاء المعري.." (١)

"والدماليج: جمع دملج، وكان يجب أن يقول دمالج؛ فيجوز أن يكون جمعا على غير واحده، ويجوز أن يكون أشبع الكسرة فتولدت منها ياء، ويجوز أن يكون بناه على دملوج، وهو الوجه.

(فذني أرو هامتي في حياتها ... مخافة شرب في الحياة مصرد)

الشرب بكسر الشين، والشرب بضمها: اسمان للمشروب، والشرب بالفتح: مصدر، وقد تكون الثلاثة مصدرا، والمصرد: المقلل والمنغص.

(كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم أن متنا غدا أينا الصدى)

ويروى (إن متنا صدى) أي عطشا، والصدى: العطشان، ويروى (إن متنا صدى أينا الصدى) والمراد بالصدى في هذه الرواية ما كانت العرب تزعمه في الجاهلية أن الرجل إذا قتل ولم يدرك بثأره خرج من رأسه طائر يشبه البوم فيصيح:

(اسقوني، اسقوني) فإذا أخذ بثأره سكن، والصدى في غير هذا قالوا: بدن الميت، والصوت الذي تسمعه من ناحية الجبل ونحوه، وذكر البوم، ويقال: (هو صدى مال) أي الذي يقوم به، وقوله: (يروى نفسه) أراد يروى نفسه من الخمر، ثم حذف لعلم المخاطب، ومن روى (إن متنا صدى)." (٢)

"في الدية لحى كثير، وإنما أراد أن يكثرهم ليكثر العقل، وقوله (يعصم الناس أمرهم) معناه إذا ائتمروا أمرا كان عصمة للناس، وطرقت: أتت ليلا، ومعنى (يعصم) يمنع.

(كرام؛ فلا ذو الضغن يدرك تبله، ... ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم)

ويروى (فلا ذو التبل يدرك تبله لديهم، ولا الجاني عليهم بمسلم) والتبل: الثأر، والجارم: الذي أتى بالجرم وهو الذنب، ويقال: جرم، وأجرم، وأجرم أفصح، ويقال: جرم الشيء؛ إذا حق وثبت، كما قال:

ولقد طعنت أبا عسسنة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

وقال الله عز وجل: (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) أي حق ذلك.

(رعوا ما رعوا من ظمئهم، ثم أور دوا ... غمارا تفرى بالسلاح وبالدم)

---

(١) الفتح على أبي الفتح، ابن فورجة ص/٢٢٩

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٨٥

الظمء في الأصل: العطش، وهو هاهنا ما بين الشربتين، وإنما يريد انهم تركوا الحرب مدة ثم رجعوا فحاربوا، ألا تراه قال (أوردوا غمارا) والغمار: جمع غمر،

وهو الماء الكثير، و (تفرى) تكشف وتفتح، وأصله تتفرى، ويروى:

رعوا ظمأهم حتى إذا تم أوردوا

(فقضوا منايا بينهم، ثم أصدروا ... إلى كلإ مستوبل متوخم)

الكلأ: العشب، والمستوبل: المستثقل، والمتوخم مثله، ومعنى قوله (ثم أصدروا إلى كلإ) أي إلى أمر استوخموا عاقبته، وهذا مثل.." (١)

"مضى، وقوله (على مستكنة) أي على حالة مستكنة، وقوله (فلا هو أبداها) المعنى فلم يبدها: أي لم يظهرها، وقال الله عز وجل: (فلا صدق ولا

صلى) أي لم يصدق ولم يصل، ولا يجيز النحويون (ضربت زيدا لا ضربت عمرا) لئلا يشبه الثاني الدعاء، ولا يجوز أن يكون المعنى ضربت زيدا لم أضرب عمرا؛ لأن هذا إنما يكون إذا كان في الكلام دليل عليه، كما قال الله عز وجل: (ولكن كذب وتولى) فمجيء لكن يدل على أن لا في قوله: (فلا صدق ولا صلى) بمعنى لم يصدق ولم يصل.

(وقال: سأقضي حاجتي ثم أتقي ... عدوي بألف من ورائي ملجم)

يروى (ملجم) و (ملجم) من روى ملجم بفتح الجيم أراد بألف فرس ملجم، ومن روى ملجم بكسر الجيم أي بألف فارس ملجم، والملجم: نعت الألف، والألف مذكر، فإن رأيته في شعر مؤنثا فإنما يذهب بتأنيثه إلى تأنيث الجمع. وحاجته: قتل ورد بن حابس.

(فشد ولم ينظر بيوتا كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم)

ينظر: يؤخر، ويروى (ولم تفزع بيوت كثيرة) أي لم يفزع أهل بيوت، ثم حذف، يقول: شد على عدوه وحده فقتله، ولم يفزع العامة بطلب واحد، وإنما قصد لثأره، وقيل: معنى (ولم تفزع بيوت كثيرة) أي لم يعلموا به، قال أبو جعفر: قوله (ولم ينظر بيوتا كثيرة) معناه لم يؤخر أهل بيت ورد في قتله،." (٢)

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/١١٩

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/١٢١

"لكنه عجل فقتله، ومن روى (ولم تفزع بيوت كثيرة) أراد إنه لم يستعن عليه بأحد، وموضع (حيث) جر بلدي، وأم قشعم وقشعم قيل: هي المنية، وقيل: هي الحرب، ألا ترى إلى قوله (حيث ألقت رحلها) أي موضع شدة الأمر، وقال أبو عبيدة: أم قشعم العنكبوت، والمعنى فشد على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض، وقشعم فعلم، الميم زائدة، هو من قشعت الريح التراب فانقشع، وأقشع القوم عن الشيء، وتقشعوا؛ إذا تفرقوا عنه وتركوه.

(لدى أسد شاكي السلاح مقاذف ... له لبد أظفاره لم تقلم)

ويروى (مقذف) وهو الغليظ اللحم، ومقاذف: مرام، واللبد: جمع لبدة، وهي الشعر المتراكب على زبرة الأسد، وهو ما بين الكتفين من الشعر قد تلبد عليه، وقوله (أظفاره لم تقلم) معناه إنه تام السلاح حديده واللفظ للأسد، والمراد به الجيش، و (شاكي السلاح) معناه سلاحه ذو شوكة وأصل (شاكي) شائك، فقلب كقولهم (جرف هار) أي هائر هذا هو القلب الصحيح عند البصريين، فأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جذب وجبذ فليس بقلب عند البصريين، إنما هما لغتان، وليس بمنزلة شاك وشائك، وإنما يصف شدة الحرب.

(جريء متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعا، وإلا بالظلم يظلم)

ويروى (جريء) أي هو جريء، يعني الأسد، ومعناه أن هذا الجيش." (١)

"لا تنقصه، فكذلك نحن في شدتنا بمنزلة هذا الجبل لا يضرنا تنقص من عدانا، وقيل: معناه أن الشدائد التي نرمى بها لا تنقص، ونحن صابرون عليها.

(أيما خطة أردتم فأدوا ... ها إلينا تمشي بها الأملاء)

الخطة: الأمر يقع بين القوم يشتجرون فيه، وقوله (فأدوها إلينا) معناه فابعثوا ببيان ذلك إلينا مع السفراء، والسفير: المصلح بيننا وبينكم يمشون به إلينا وتشهد به الأملاء، فإن شهدوا وعرفوا ما ادعيتم كان ذلك لكم، وإن ادعيتم ما لا تعرفه الأملاء فليس بشيء، والأملاء: الجماعات و (أي) منصوب بقوله (أردتم) ويروى (تسعى بها الأملاء) والمعنى أردتموها، ثم حذف كما تحذف مع الذي.

(أن نبشتم ما بين ملحة فالصا ... قب فيه الأموات والأحياء)

ملحة: مكان، والصاقب: جبل، وقوله (إن نبشتم) معناه أن أثرتم ما كان بيننا وبينكم من القتل والأسر في الوقع ات التي كانت بين ملحة فالصاقب، أي بين أهل

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/١٢٢

ملحة وأهل الصاقب، ظهر عليكم ما تكرهون من قتلى قتلنا لم تدركوا بثأرهم، وقيل: هذا مثل، ومعناه أن ذكرتم ما قد كففنا عنه فلم نذكره ونبشتموه فلنا الفضل في ذلك، وقيل: معناه إنكم تعتدون علينا بذنوب الأموات وما فعلوا، كما تعتدون علينا بذنوب الأحياء، وجواب الشرط يجوز أن يكون محذوفا لعلم السامع، ويكون المعنى: أن فعلتم هذا فلنا الفضل فيه، ويجوز أن يكون حذف الفاء ويكون المعنى: ففيه الأموات والأحياء، ويجوز أن يكون جواب الشرط فيما بعده لأن بعده.." (١)

"(أو نقشتم فالنقش يجشمه النا ... س، وفيه الصحاح والإبراء)

نقشتم: استقصيتم، يقال: نقشت فلانا، وناقشته، إذا استقصيت عليه وفي الحديث (من نوقش الحساب عذب) ويجشمه الناس: أي يتكلفونه على مشقة (وفيه الصحاح والإبراء) في الاستقصاء صلاح، أي انكشاف الأمر، يقول: أن استقصيتم صرتم من ذلك إلى ما تكرهون، ومن روى (فيه السقام) أراد وفي الناس سقام وبراء، أي لا تأمنوا أن استقصيتم أن يكون السقام فيكم، وسقمهم أن يكونوا قتلوا وقهروا فلم يثأر بهم، وعسى أن يكون الأبراء منا فيستبين ذلك للناس ويصير عاره عليكم في الاستقصاء.

(أو سكتم عنا فكنا كمن أغ ... مض عينا في جفنها أقذاء)

يقول: أن سكتم فلم تستقصوا كنا نحن وأنتم عند الناس في علمهم بنا سواء، وكان أسلم لنا ولكم، على أنا نسكت ونغمض أعيننا على ما فيها منكم، والقذى: الشيء الذي يسقط في العين، ويروى (فكنا جميعا، مثل عين في جفنها أقذاء).

(أو منعتم ما تسألون، فمن حد ... ثتموه له علينا العلاء؟)." (٢)

"ويروى (لبراء)، ويروى (فإنا من غدرهم برآء).

(أم علينا جرى العباد كما ني ... ط بجوز المحمل الأعباء؟)

معناه أن بعض العباد وهم العباديون أصابوا في بني تغلب دماء، فلم يدرك بنو تغلب ثأرهم منهم، فيقول: تريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء وتعلقوه علينا كما علق بوسط البعير الأثقال، ونيط: علق، والأعباء: جمع عبء وهو الثقل، والكاف في موضع نصب.

(أم علينا جرى قضاعة أم لي ... س علينا فيما جنوا أنداء؟)

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٦٣

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٦٤

هذا تعبير منه لبني تغلب لما فعلت بهم قضاعة، يقول: أفعلينا ما جنت قضاعة، وذلك أن قضاعة غزت بني تغلب فقتلوا منهم وسبوا، فيقول: أفتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء التي أذنبوها إليكم وليس علينا فيما جنوا أنداء؟ تريد ليس يندانا مما جنوا شيء، هذا كله تعيير منه لبني تغلب وعمرو بن كلثوم يسمع، والأنداء: اسم ليس، واحدها ندى، ويروى (أو ليس علينا فيما جنوا) والفرق بين أم وأو أن أم تقع للتسوية، نحو قوله عز وجل: (أأنذرتهم أم لم تنذرهم)، وتقع أم لخروج من كلام إلى كلام أيضا، نحو." (١)

"كما يقال: نام ليلك.

(ثم جاءوا يسترجعون، فلم تر ... جع لهم شامة، ولا زهراء)

يعنى بني رزاح، و (يسترجعون) في موضع حال مقدرة، والشامة: السوداء، والزهراء: البيضاء والمعنى: إنه لم يرجع إليهم شيء مما أخذ منهم.

(ثم فاءوا منهم بقاصمة الظه ... ر، ولا يبرد الغليل الماء)

فاءوا: رجعوا، وقاصمة الظهر: الخيبة، وهذا تمثيل، أي صاروا بمنزلة من قصم ظهره، والغليل، والغلة: شدة العطش، والمعنى: أن هذا الغليل من الحزن لا يبرده الماء.

(ثم خيل من بعد ذاك مع الغلا ... ق، لا رأفة، ولا إبقاء)

يقول: ثم أصحاب خيل من بعد بني تميم، والغلاق: من بني حنظلة من تميم، كان على هجائن النعمان، غزا بني تغلب فقتل فيهم وسبي، وقوله (لا رأفة ولا إبقاء) أي ليس لأصحاب الغلاق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم.

(ما أصابوا من تغلبي فمطلو ... ل، عليه إذا تولى العفاء)

(ما) هاهنا للشرط، وهو في موضع نصب بأصابوا، و (مطلول عليه) أي لا يدرك **بثأره**، والعفاء: الدروس أي ينسى فيصير بمنزلة الشيء الدارس.." (٢)

"(إنا نقاتلهم حتى نقتلهم ... عند اللقاء وإن جاروا وإن جهلوا)

ويروى (وهم جاروا وهم جهلوا) ويروى (أنا) بفتح الهمزة على البدل من قوله (فقد علموا أن سوف) والكسر أجود على الابتداء والقطع مما قبله، ويروى (ثمت نقتلهم) و (ثمة نغلبهم) فمن روى (ثمت نقتلهم) أنث ثم لأنها كلمة، وجعل تأنيثها بمنزلة التأنيث الذي يلحق الأفعال ومن قال (ثمة نغلبهم) فهو على تأنيث الكلمة

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٧١

(٢) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢٧٥

إلا إنه ألحق التأنيث هاء في الوقف كما يفعل بالأسماء.

(قد كان في آل كهف أن هم احتربوا ... والجاشرية ما تسعى وتنتضل)

ويروى (إن هم قعدوا)، وآل كهف: من بني سعد بن مالك ابن ضبيعة، يقول: أن قعدوا هم فلم يطلبوا بثأرهم فقد كان فيهم من يسعى وينتضل لهم، والجاشرية: امرأة من إياد، وقيل: هي بنت كعب بن مامة، يقول: قد كان لهم من يسعى لهم فما دخولك بينهم ولست منهم؟

(إني لعمر الذي حطت مناسمها ... تخدي، وسيق إليه الباقر الغيل)

هذه رواية أبي عمرو، وروى أبو عبيدة:

له وسيق إليه الباقر العثل

حطت، قيل: معناه أسرعت، قال الأصمعي: لا معنى لحطت هاهنا، وإنما يقال حطت إذا اعتمدت في زمامها، وقال: الرواية (خطت) أي سفت التراب بمناسمها، والمناسم: أطراف أخفاقها، وتخدى: تسير سيرا شديدا فيه اضطراب لشدته،

والباقر: البقر، والغيل: جمع غيل، وهو الكثير،." (١)

"واحدة فلا بد من قطعها، وأنت الأوحد فلا بد من الوصول إليك، فلا نعدل عنك إلى غيرك.

وقوله: (الكامل)

وصن الحسام فلا تذله فإنه ... يشكو يمينك والجماجم تشهد

قال: يشكو يمينك من كثرة ما يضرب به.

والإذالة: ضد الصون.

وقوله: صنه أي: لا تذله. لأنه به يدرك الثار ويحمى الذمار.

(وأقول): وقال ابن فورجة: كيف أمن أن يقول: ما أذلته إلا لأدرك (ثأري) وأحمي ذماري؟ ثم ذكر وجها من عنده غير حسن!

وأقول: المعنى أن السيف يتنزل من الشجاع منزلة الأخ؛ لطول مصاحبته وملازمته له، وذلك في كلامهم مشهور كقول طرفة: (الطويل)

أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلا قال حاجزه ثدي

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٣٠٤

فيلزمه حينئذ صونه وحفظه؛ لأنه أخوه وصاحبه، وهو قد أذاله بكثرة ضربه للجماجم حتى شكا يمينه لذلك. وجعل الجماجم تشهد لأنها المباشرة له، فجعل السيف." (١)

"شهر الصيام وإن عظمت حرمته ... شهر طويل ثقيل الظل والحركه!

يمشي الهويني وأما حين يدركنا ... فلا السليك يدانيه ولا السلكه

كأنه طالب ثأرا على فرس ... أجد في إثر مطلوب على رمكه

يا صدق من قال: أيام مباركة ... إن كان يكني عن اسم الطول بالبركه

وقوله: الوافر

يحرم أن يمس الطيب بعدي ... وقد عبق العبير به وصاكا

لم يذكر معناه!

وهو من قول امرئ القيس: البسيط

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب." (٢)

"قال: قال ابن جني: صنه فانه به يدرك الثار ويحمى الذمار.

قال ابن فورجة: كيف أمن أبو الفتح أن يقال له: ما أذلته ألا لأدرك ثأري وأحمي ذماري؟ وهذا تعليل، لو سكت عنه لكان أحب إلى أبي الطيب. إنما يعني إنك أكثرت القتل فحسبك واغمد سيفك. فقال: صن سيفك! وإنما يريد أغمده، وهذا كقوله: الكامل

شم ما انتضيت. . . . .

فيقال: كيف أمن ابن فورجة أن يقول له: ما أكثرت إلا قتل من يستحق القتل، ومن يجب عليه؛ فكيف نهيتني عن فعل الواجب؟ وهذا البيت لا يجعل مثل:

شم ما انتضيت. . . . .

ومعناه قد ذكرته في شرح ابن جني.

وقوله: المتقارب." (٣)

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٦٣/١

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٩٧/٣

(٣) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٤٦/٥

"له ولم يحملوه على وجهه! وهم في ذلك كقوله تعالى: (ذلك مبلغهم من العلم). والذي فيه من اللفظ والمعنى قد ذكرته أيضا قبل.

وقوله: المتقارب

إذا طلب التبل لم يشأه ... وإن كان دينا على ماطل

قال: إذا طلب وترة لم تفته، وان مطل بها من يطلب عنده تلك الترة؛ يعني: يدرك **ثأره** وان طال العهد.

وأقول: إن قوله: وإن طال العهد ليس بشيء! والماطل هو الغريم العسر الوفاء، وهو هاهنا كناية عن الشجاع، وذلك إنه لما جعل الترة دينا جعل الماطل بها شجاعا للمناسبة بين الاستعارة، وهما بخلاف الدين والغريم في الدين، فهذا معنى المطل لا ما ذكره وذلك كقوله: الكامل

محك إذا مطل الغريم بدينه ... جعل الحسام لما أراد كفيلا

وقوله: المتقارب

يشمر للج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل." (١)

"تألى ابن أوس حلفة ليردني ... إلى نسوة كأنهن مفائد

يريد: ليردنني. وقوله:

لينجو من ملامتها وكانوا ... إذا شهدوا العظائم لم يليموا

يريد: لينجن.

ومنه: إثبات النون الداخلة على الفعل المضارع للتأكيد وحذف اللام، أنشد يعقوب:

فليأزلن (وبيكؤن) لقاحه ... ويعللن وليده بسمار

يريد: وليبكؤن، وليعللن، وقوله:

ليت شعري وأشعرن إذا ما ... قربوها منشورة ودعيت

يريد: ولأشعرن، وقوله:

وقتيل مرة **أثأرن** فإنه ... فرغ وإن أخاهم لم يقصد." (٢)

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٨٧/٥

(٢) ضرائر الشعر، ابن عصفور ص/١٥٧

"يريد: لأثأرن.

ومنه: حذف همزة الاستفهام إذا أمن اللبس للضرورة، نحو قول امرئ القيس:

أحار ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل

يريد: أترى، وقول الكميت:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

يريد: أو ذو الشيب يلعب، وقول الآخر:

أصبحت فيهم آمنا لا كمعشر ... أتوني وقالوا من ربيعة أو مضر

يريد: أمن ربيعة أو مضر.

وأكثر ما يوجد ذلك مع (أم)، لأن فيها دلالة عليها، نحو قوله:

لعمرك ما أدري، وإن كنت داريا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد: أبسبع، وقوله:." (١)

"وأهنتها ولم تكن تعرف الإهانة؟!

وعلام أرخيت رسنها في ميدان الهوى والهوان، وأعطيتها من طلق الخلاعة فاضل العناء والعنان؟!

كيف نسيت المواعظ التي كنت للناس توردها، والحكم التي كنت تنشدها طورا وتنجدها؟!

فهل صدقت بدواعي الهوى التي كنت تستبعدها، وهل استعبدتك نفس ما برحت تستعبدها؟!

أين مواعظك في كف النظر وإطالته؟! وزواجرك في غض البصر وإجالته؟!

أين تحذيرك من العشق ودواهيه؟! وأين تخويفك من الحب ودواعيه؟!

أين ازدراؤك بالتيم وسقامه؟! أين استهزاؤك بالصب وهيامه؟!

فسقت إلى نفسك بالنظر إلينا تعبا، وحملتها على رغمك وزعمك هما ونصبا، أما علمت أن قتيل الهوى لا قود على قاتله، ولا حرج على متعمده وفاعله، وأن ثأره

لا يطلب، وفاعله لا يدرك ولا يغلب؟! ألم يقل إمامك الشافعي - رضي الله تعالى عنه - في تهويل هذا المقام والتحذير منه:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه ... رماني بسهمي مقلتيه على عمد

---

(١) ضرائر الشعر، ابن عصفور ص/١٥٨

ولا تقتلوه إنني أنا عبده ... وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد؟!

فقلت له: هذا قدر الله وما شاء فعل، وهذا قضاؤه السابق فلا يرد بالحول ولا بالحبل، فانظر إلي بعين الشفقة والرحمة، واجبر كسر قلبي منك بضمة، ولا تتركني مثلا في البرية، ولا لاحقا بوحوش البرية.

فتبسم عن ثنايا فضح رونقها عقود الدرر، ورمقني بلحظ يفتن الحور بالحور، وقال: أعندك بالله من المحبة كما ذكرت، ومن التتيم ما أنهيت." (١)

"متع شبابك واستمتع بخدمته ... فهو الحبيب إذا ما غاب لم يؤب

والهم للنفس شيطان يوسوسها ... فاقذفه من أنجم الصهباء بالشهب

فقلت له: لا أخالفك في أو أمرك ولا أعصيها، وأمضي إلى آرائك فأقضيها ولا أقصيها، فلقد صار المدام عندي قريبا من رضابك، لامتثال أوامرك والرضا بك، لأنني أهواك وأهوى هواك، ولا أطلب غيرك ولا أريد سواك، وأستشهد لك من

الآي والأشعار بالإشعار، بأني سأبيع العقار لحسو العقار:

أحسن الأشعار عندي ... انف بالخمر الخمارا

وألذ الآي عندي ... وترى الناس سكارى

ولم أزل آخذ ملآنا وأعيد فارغا، والقرقف والرضاب قد أسكراني وبالغا، فجنت بأقسام ثلاثة في ذلك المقام، أزالوا العقل فهاج القلب وهام، السرور الزائد والعشق القائد والتزام المدام:

ما أطيب وقتنا وأهنا ... والعاذل غائب وغافل

عشق ومسرة وسكر ... والعقل ببعض ذاك ذاهل

والبدر يلوح من قناع ... والغصن يميس في غلائل

والورد على الخدود غض ... والنرجس في العيون ذابل

والعيش كما أحب صاف ... والأنس بمن أحب كامل

فزحفنا على جيش الهموم بكاسات الراح، فأتى السرور لما هزم الشر وراح، وتذكرت دوسها بالأرجل، فأخذت

---

(١) لوعة الشاكي ودمعة الباكي، الصفدي ص/٢٠

ثأرها من الرؤوس، وكادت تطير لولا شباك الحبيب في رؤوس الكؤوس: وفي هذا المعنى اللطيف، والقول الظريف:." (١)

"وبمهجتي تياه ... من سلالة تكرم

جائر على مضناه ... لا يرق لا يرحم

يا محمد بالله ... كم تجور كم تظلم

خل عن قلوب الناس قد أذبتها عشقا ... وفتكت بالأرواح يا حبيبها رفقا

حسن وجهك الأقمر ... قد سما على البدر

ونسميك الأعطر ... جل عن شذى العطر

وبخدك الأزهر ... روضة من الزهر

سوسن عليه آس خط فأستبى الخلقا ... فإذا بدا أو لاح يسألونك الرفقا

رب غادة حسنا ... شفها تجنيه

وفؤادها مضني ... بغرامها فيه

أبصرته إذ عنا ... فشدت تغنيه

أنت يا أمير الناس أنك السلطان حقا ... أن تعيبك النصاح زدت في عيني عشقا

نام عن لوعة الشجي ... طرف وسنان أدعج

آه من وجد ساحر للنجوم الزواهر ... ليله دون آخر فاطلبوا ثأر ساهر

عند خد مدبج ... بنجيع مضرج

كيف صبري وقاتلي دون حق وباطل ... مستلذ الشمائل جاء من أرض بابل." (٢)

"هذا عتابك إلا أنه مقة ... قد ضمن الدر إلا أنه كلم

وقال يرثي جدته لأمه، وهذه القصيدة قد اشتملت على بدائع الأمثال:

ألا لا أرى الأحداث حمدا ولا ذما ... فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى ... يعود كما أبدى ويكرى كما أرمى

---

(١) لوعة الشاكي ودمعة الباكي، الصفدي ص/٦٤

(٢) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/١٤٢

لك الله من مفجوعة بحبيبها ... قتيلة شوق غير ملحقها وصما
أحن إلى الكأس الذي شربت به ... وأهوى لمثواها التراب وما ضما
بكيت عليها خيفة في حياتها ... وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما
ولو قتل الهجر المحبين كلهم ... مضى بلد باق أجدت له صرما
منافعها ما ضر في نفع غيرها ... تغذى وتروى ان تجوع وان تظما
عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزدني بها علما
أتاها كتابي بعد يأس وترحة ... فماتت سرورا بي فمت بها غما
حرام على قلبي السرور فإنني ... أعد الذي ماتت به بعدها سما
تعجب من خطى ولفظي كأنما ... ترى بحروف السطر أغربة عصما
وتلثمه حتى صار مداده ... محاجر عينيها وأنيابها سحما
رقى دمعها الجاري وجفت جفونها ... وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى
ولم يسلها إلا المنايا وغنما ... أشد من السقم الذي أذهب السقما
طلبت لها حظا ففاتت وفاتني ... وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما
وأصبحت أستسقي الغمام لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما
وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العمى
هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى
وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا أراك به أعمى
فوا أسفي أن لا أكب مقبلا ... لرأسك والصدر الذي مليا حزما
وأن لا ألاقي روحك الطيب الذي ... كأن ذكى المسك كان له جسما
ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها ... لقد ولدت مني لآنافهم رغما
تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما." (١)

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/٢٠٠

"وهذا النوع، يسمى عند أهل البديع بالاكتفاء، وله أيضا:

فدتك وقلت للفدا كل غانيه ... من العين والأرآم يا عين رابيه

وعنك عفا ربي دماء أرقتشها ... ولم تبذلي فيها قصاصا ولا ديه

ولا أشمت المولي بك الناس إنهم ... غدوا في طلاب الثأر منك سواسيه

فمن حسد قتلى وقتلى من الجوى ... فلم يبق جحجاح ولم تبق غانيه

وقد كان سقم الطرف للعين زينة ... ولكنها في أعين الحور خافيه

فأظهرته للناس أنت لكي ترى ... عليك خفايا الحسن تبدو علانيه

لئن صدأت من غضبك اليوم صفحة ... فما في صدى عار على الهنداونيه

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك باقيه

وقال أيضا:

يا معشر البلغاء هل من لوذعي ... يهدي حجاه لمقصد لم يبدع

إني هممت بأن أقول قصيدة ... بكرا فأعياني وجود المطلع

لكم اليد الطولى على إن أنتم ... ألفيتموه ببقعة أو موضع

فاستعملوا النظر السديد ومن يجد ... لي ما أحاول منكم فليصدع

وحذار من خلع العذار على الديا ... ر ووقفة الزوار بين الأربع

وإفاضة العبرات في عرصاتها ... وتردد الزفرات بين الأضلع

وتذاكر السمار بالأخبار من ... أعصار دولة قيصر أو تبع

والفينة الشنبا تجاذب مزهرا ... والقهوة الصهبا بكأس مترع

وتداعى الأبطال في رهج القتا ... ل إلى النزال بكل لدن مشرع

فجميع هذا قد تداوله الورى ... حتى غدا ما فيه موضع إصبع." (١)

"يضربه، فلما طالت أيامه، مله الناس، فغدره أبناء أخيه سيدي المتقدم، الذي كان هو الآخذ بثأره، وبعد قتله، أخذ أخوه سالم بثأره، وتولى مكانه، فلما استتب له الأمر، حاربه ابنه – أي اعل المذكور – فقتله لبغض الناس لأخواله، الذين تقدم أنهم صاروا شؤما عليه، فصار رئيسا، إلا أن الوقت ضاق على رئاسته،

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٢٧٠

بخروج النصارى إلى شنقيط، ثم غدر به أحد أقاربه، فقتله في أثناء مراوغته للنصارى، فانتهى الأمر، أي رئاسة الترارزة.

الكلام على حروب حسان

إن الحرب في حسان، أصل معهود بينهم، فتراهم مرة يحارب أحد أقسامهم

المتقدمة بعضا، كما وقع بين إدوعيش والترارزة، وبين إدوعيش، وأبناء أحمد من دامان، وبين احيي من عثمان، وإدوعيش، وبين الترارزة والبراكنة، وبين البراكنة، وإدوعيش، وقد ينقسم الجنس الواحد منهم إلى قسمين، فيتحارب مع بعضه، كما وقع بين إدوعيش، حيث انقسموا قسمين، وكما وقع بين قبيلتين من قسميهم السابقين كما وقع بين أبناء طلحه، واندايات، وغير ذلك من قبائلهم.

حروب تفرجنت وأبناء بنيوك

هذه الحروب قريبة العهد، ولما اتفق الحيان المذكوران على الحرب، جعل كلهما يرحل إلى الآخر، فاصطفا للقتال وقت الظهر، فجعلوا يتضاربون بالرصاص، ويدنو كل منهم من صاحبه، حتى اختلطوا، فصاروا يتضاربون بالخناجر، فاتفق أن أحدهم ضرب الآخر بخنجره، فعض المضروب إصبعه، وقال للضارب: لو كان عندي خنجر لانتقمت منك. فقال له: خنجري يكفيني وإياك، فجعل أحدهما يضرب صاحبه. ثم يناوله الخنجر حتى ماتا، ولم تزل المعركة مستمرة، حتى انتصف الليل، فتحاجزا، ولم يرتد أحدهما على عقبيه.." (١)

"من المدينة ليلا، وبعث عبده إلى أخته، فدخل عليها خفية، فخرجت إليه وألبسته كساء عندها، فسار بجنبها ولم ينتبه له أحد، فلما دخل زوجها طلب طعامه، فقالت له: عندك ضيف، فقال: أخرجيه إلي، ولم يظن إنه أخوها نفسه، فتباطأت عليه، فقال: هو آمن، ولو إنه فلان. فقالت: هو فلان. فسقط في يديه. فقال له: ما أفعل بهذه الجموع وبقومي، فإنهم موتورون محنقون، فأشار إليه بأن يتمارض، فمكث ثلاثة أيام يدعى المرض، وكان ضيفه خرج إلى رؤساء حسان سرا، وأعطاهم كثيرا من المال، فرجعوا بقومهم، ولما علم به أهل المدينة اخترطوا سيوفهم ليقتلوه، فتلقاهم أبناء أبوهم، ودافعوا عنه، لأن الرئيس الذي آواه منهم، فخيرهم رئيس أهل شنقيط المذكور، بين أن يرجعوا إلى دورهم ونخلهم، وبين أربعين دية، ولا شيء لهم في شنقيط.

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٤٨٥

فاختاروا الديات، وتم الاتفاق بينهم.

حرب أهل شنقيط وأهل وادان

هذه الحرب واقعة بعد التي قبلها، وتقدم أن بين البلدين نحو يوم. وكان سكان وادان، من قبيلة كنته وإدولحاج، وكانوا كالشيء الواحد. فوقعت الحرب بين أهل المدينتين، ومن أصح ما نورد عنها، رسالة حرم بن عبد الجليل العلوي،

وقصيدته. وكان حرم المذكور موجودا إذ ذاك، وموضعه من العلم والورع معلوم، وهذا نصهما:

عفت والعياذ بالله معاهد الإسلام، وغدى المستضيئ بها في أعظم الغياهب والظلام، وصار سلوك مسالك الفسق فخرا بين الأنام، واشتد اشتداد كاهله، وبلغ أشده، وجاوز في كل المواطن حده. وذاع فلم تدرك يد العد عده. ولكن من أعظم ما سمعنا به في الزمان، ما فعلته وندمت عليه أهل وادان، وذلك أنهم مر منهم بأهل شنجيط رجلان، فقتلهما من غير يمالئ رجل قتلوا قبل أباه، وطالب الثأر منا ليس ينساه، فحاولوا ما صميم الشرع يأباه. فقلنا لهم: هذه دية مهذبة الوسط والنواح:." (١)

"الضارب. ومعنى ال صبعين: يعني لم أجعل في بندقيتي غيرهما. وصرت قسم عندهم، كما يقول أهل المشرق، ورأس فلان، قالوا: وكان جعل مع باروده ذلك نواتين، عوضا عن الرصاص. فمات كبادي المذكور من تلك الضربة.

وبعد تلك الواقعة، التي تقدمت هزيمتهم فيها، صالوا على شنقيط أيضا، فذهب إليه أحد علماء أهل شنقيط، ليفاوضهم في الصلح، فقتلوه ومن معه من تلامذته. وكان أهل شنقيط لا يذهبون إليهم، فإذا أتوهم أنذروهم. فإن لم ينتهوا قاتلوهم. فطلب ابن الشيخ المقتول من قومه، أن يأخذوا معه بثأر أبيه. فقالوا: لا نصول عليهم ما لم يوافونا. فرجع القوم، فذهب حتى أتى أهل تيججك. فأخذ شيئا من صعاليكهم، وغزا بهم قتلة أبيه. فوجدوا قافلة عظيمة من إدولحاج خارجة من تيشيت. فقتلوا أهلها عن آخرهم، ونهبوا إبلهم.

ثم أن إدولحاج، جمعوا جموعا كثيرة، وحاصروا مدينة شنقيط. فسافرت بينهم السفراء، ووقع بينهم الصلح، على أن يعطوهم مائة من كل شيء. فتحملوا لهم

ذلك، ورهنوا لهم ما في تنوشرت من النخل. فبقى النخل تحت أيديهم إلى الآن.

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٤٩٧

حرب إدوعل وإدابلحسن

لما اشتدت الحرب بين إدوعل في شنقيط، كان الغاظي: أي القاضي بن الطالب المتقدم، هو أعلم من فيهم، وكان يسعى في الصلح بينهم. فلما اتسع الخرق بينهم، خرج عنهم إلى أرض القبلة، وبقى بعض إخوته مع قومه. فلما وصل إلى أهل القبلة، وجدوه بحرا لا ساحل له. وكان من أولهم إقبالا عليه، إدابلحسن وتاشمشه، كما أشار إليه: محنض باب الديماني، في قوله من قصيدته المتقدمة:

فجدهم أستاذ تاشمش كلهم ... قدار تضعوا من علمه الخلف والضرعا." (١)

"حرب كنته وأولاد بسباع

أي (أبي السباع)

اعلم أن كنته. على ثلاث فرق، فرقة تسكن تكانت وهي معظمها، وفرقة تسكن الحوض، وأخرى في نواحي آدرار. وهي التي تملك سبخة اجل، التي يحمل منها الملح. وهي معظم تجارة أهل تلك البلاد. ما عدا أهل القبلة وتيرس. أما أولاد أبي السباع، فثلاث فرق أيضا. فرقة منهم في حوز مراكش. وأخرى في سوس. وأخرى في تيرس. وهذه الفرقة هي التي حاربت كنته. وكانوا يتحملون الأمور التي تبدو لهم منهم، حتى تفاقم الأمر. وكان أولاد أبي السباع مسلحين بسلاح جيد، يصل رصاصه من مسافة بعيدة، لا يصل منها رصاص غيرهم من أهل تلك البلاد، لأن سلاحهم يأتيهم من سوس. وأما سلاح غيرهم، فإنه رديء يأتيهم من فرانسة. فالتقت القبيلتان بموضع يقال له: ترين، فهزمتهم أبناء أبي السباع، ثم انتصرت أحيي من عثمان لكنته. فهزم الجميع للعلة المتقدمة. فصار أبناء أبي السباع، يغيرون على جميع الناس، لا فرق بين عدوهم وغيره. ولا يعرض أحد دون ماله إلا قتلوه، فآل أمرهم إلى أن اشتبكوا مع الرقيبات، وكانوا متسلحين بسلاح مثل سلاحهم، فضعضعوهم، وألجئوا بقيتهم إلى القائد ابن هاشم في تازروالت، فأجارهم.

ولنتكلم هنا على بعض متعلقات الحرب في أرض شنقيط: أن الحرب في تلك البلاد لا تخلو عن ظلم، فإذا قتل فرد من قبيلة قتيلا من غيرهم، فلا ضابط عندهم في أخذ ثأر المقتول، فربما كان القاتل ملصقا في القبيلة التي هو فيها، فيؤخذ في جريرته الصميم.

وعرب الحجاز في هذا، أضبط خطة من أهل شنقيط، زواياهم وحسانهم. فإن الحجازي إذا قتل قتيلا، لا

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٥٠٢

يخاف أحد من أقاربه، ما دام غير نتغيب، وتمشي بينهم السفراء لإعطاء المهلة، فيمهلونهم شهرا مثلا، أو نحوه. فإذا انقضت المدة، ربما جددوها أيضا. وفي أيام الأمن: أن لقوا القاتل فلا يغيرونه. فإذا تغيب القاتل: لا يؤخذ به من كان يجتمع معه في النسب، فوق الأب الخامس.." (١)

_"

جمع ذحل وهو **الثأر** - قال الراجز:

إن بجيلا كلما هجاني ... ملت على الأغطش أو أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان ... أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلت من أعراضهم كفاني ... وإن سكت عرفوا إحساني

وقال أحد المحدثين:

إني إذا هر كلب الحي قلت له ... إسلم وربك مخنوق على الجرر

وفي مثل اختيار النبيل لتتكافأ الأعراض قول الأخطل:

شفى النفس قتلى من سليم وعامر ... ولم يشفها قتلى غني ولا جسر

ولا جشم شر القبائل إنها ... كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببني ذبيان بلت رماحنا ... لقرت بهم عيني وباء بهم وتري

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي:

أليس من الكبائر أن وغدا ... لآل معذل يهجو سدوسا

هجا عرضا لهم غضا جديدا ... وأهدف عرض والده اللبيسا

وقال آخر:

اللؤم أكرم من وبر ووالده ... واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم إذا جر جاني قومهم أمنوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

اللؤم داء لوبر يقتلون به ... لا يقتلون بداء غيره أبدا

وقال أحد المحدثين هو - دعبل بن علي الخزاعي -:." (٢)

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي ص/٥٠٩

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٣/٢

"نهيهم عن السكون إلى من تقدم منك إليه إساءة

يحكى أن رجلا كان له عبد سندي، فتعرض لامرأته، فعلم الرجل بذلك، فأخذه وجبه، ثم تحوب لذلك، فداواه، فلما برأ اتفق أن غاب الرجل يوما، فعمد السندي المجبوب إلى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور، فلما بصر بالرجل قال: والله إن لم تجب نفسك كما جببتني لأقذفنهما من السور ليموتا، وإن نفسي لأهون من شربة ماء، فلما رأى الرجل منه الجد جب نفسه، فرمى العبد بالابنين من السور وقال: إن جبك نفسك قصاص لما جببتني،

وقتل ابنيك زيادة أعطيتكها. . .

وتزعم العرب: أن أخوين كانا في إبل لهما، فأجدبت بلادهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أني أتيت هذا الوادي المكلئ فرعيت فيه إبلي وأصلحتها؟ فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدا لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته، قال: فوالله لأفعلن، فهبط الوادي ورعى به إبله زمانا، ثم إن الحية نهشته فقتلته، فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير، فلأطلبن الحية ولأقتلنها، أو لأتبعن أخي، فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقتلها طلبا **بثأره**، فقالت له الحية: فهل لك في الصلح، فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت؟ قال أو فاعلة أنت؟ قالت: نعم، قال: إني أفعل، فحلف لها وأعطى المواثيق: لا يضرها، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا؛ ثم إنه ذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا." (١)

"احرص على الموت توهب لك الحياة. وقالوا: من فكر في العواقب لم يشجع.

وقالوا: السلامة في الإقدام، والحمام في الإحجام.

وتقول العرب: الشجاع موقى. أي تتهيبه الأقران فيتحملونه فيكون ذلك وقاية له

واستشير أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لأمرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة وادرعوا الليل فإنه أخفى للويل.

وقال هانئ بن مسعود الشيباني يوم ذي قار يحذر قومه: إن الحذر لا ينجي من القدر، والصبر من أسباب الظفر، والمنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغور النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، وهالك معذور خير من ناج فرور. . . .

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٤٢/٢

وقال أبو مسلم الخراساني لبعض قواده: إذا عرض لك أمر نازعك فيه منازعان، أحدهما يبعث على الإقدام والآخر على الإحجام، فأقدم، فإنه أدرك للثأر، وأنفى للعار.

وقالت الخنساء:

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أوقى لها

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: إنك لتلقي نفسك في المهالك، فقال: إن لم آت الموت مسترسلا، أتاني مستعجلا، إني لست أتي الموت من." (١)

"كانت تحت رجل من قومها، وكان أخوها الريب بن شريق من فرسان بني سعد وأشرافهم، وكانت لها ضرة، ولضرتها ابن يقال له الحميت. فوقع بين تقن وضرتها شر فاستبتا وتراجزتا، فغلبتها تقن وشتمتها شتما قبيحا، فلما سمع ذلك الحميت اخذ الرمح فطعن به في فخذ تقن فأنفذ فخذها، فلما رأى ذلك أبوه - وكره ان يبلغ أخاها - قال: اسكتي ولك ثلاثون من الإبل ولا يعلم بذلك أخوك، قالت: فأخرجها، فأخرجها فوسمتها بمسيم أخيها الريب بن شريق وألحقتها بابلها، فكانت في إبلها ما شاء الله. ثم إن سفيان بن شريق أخا الريب ورد الماء بابله، فلقى الحميت على الماء، فكان بينهما كلام، فضربه الحميت، وكان في عنق سفيان بن ريق قروح فادمى تلك القروح، فأتى سفيان أخاه الريب فذكر له ذلك، فركب الريب فرسا له يقال الهداج ثم لحق الحي وهم سائرون، فقال: من أحس من بكر أورق ضل من إبلي؟ فيقولون: ما رأيناه، ويمضي حتى لحق بالحمىت وهو يسير في أول سلف الحي، فقال: هل أحسست من بكر أورق ضل من إبلي، قال: ما رأيته؛ ثم ان الريب ألقى سوطه كأنه وقع منه، فقال للحميت: ناولني سوطي، فأكب يناوله السوط فقال: أعركتين بالضفير - الضفير: السير المضفور، والضفير موضع، ثم ضربه بالسيف على مجامع كتفيه ضربة كادت تقع في جوفه، ثم مضى على فرسه، فذهب قوله: أعركتين بالضفير مثلا. يقول: أعركتين مرة على أخي ومرة على أختي. وقال الريب بن شريق:

بكت تقن فآذاني بكاها ... وعز علي أن وجعت نساها

سأثأر منك عرس أبيك إني ... رأيتك لا تجأجيء عن حماها

يعني بالعرس هنا تقنا، يقال جأجأ بابله، إذا حثها على الشرب.

دلفت له بأبيض مشرفي ... الم على الجوانح فاختلاها

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢/٢١٣

دلفت: من الدليف وهو مشي سريع في تقارب خطو.
فان يبرا فلم أنفث عليه ... وان يهلك فآجال قضاها
وكان مجربا سيفي صنيعا ... فيا لك نبوة سيفي نباها
رأيت عجوزهم فصددت عنها ... رها رحم وواق من وقاها
وخفت الصرم من حفص بن سود ... وأتبعت الجناية من جناها
الحفص: من قبيلة الحميت، وكان صديقا للريب بن شريق.
زعموا أن مالك بن زيد
مناة بن تميم
كان رجلا أحمق، فزوجه أخوه سعد ابن زيد مناة النوار بنت جد بن عدي بن عبد مناة بن أد ورجا سعد إن يولد لأخيه. فلما كان عند بنائه أدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى اذا كان بباب بيته قال له سعد: لج بيتك، فأبى مالك، فعاتبه مرارا فقال له سعد: لج مال ولجت الرجم - الرجم: القبر - فأرسلها مثلا، ثم إن مالكا دخل ونعلاه معلقتان في ذراعيه فلما دنا من المرأة قالت له ضع نعليك قال: ساعداي أحرز لهما فأرسلها مثلا، ثم أتي بطيب فجعل يجعله في استه فقالوا له يا مالك ما تصنع؟ قال " : استي اخبثي فأرسلها مثلا. فولدت النوار لمالك بن زيد مناة حنظلة ومعاوية وقيسا وربيعة، فقال الشاعر الفرزدق:
ولولا إن يقول بنو عدي ... ألم تك أم حنظلة النوارا
إذن لأتى بني ملكان قول ... إذا ما قيل انجد ثم غارا
ليس في العرب ملكان - بالفتح - إلا ملكان بن هند بن جرم في قضاعة.
زعموا أن أم خارجة بنت سحمة
بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار البجلية - وهي أم عدس كانت تحت رجل من اياد، وكان أبا عذرها، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فخلعها منه دعج بن خلف بن دعج بن سحيمة بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن عبد الله بن سعد بن قذاذ وهو ابن اخيها فتزوجها بعده عمرو بن تميم، فولدت له أسيد بن عمرو بن تميم، والعنبر بن عمرو، والهجيم، والقليب. ثم خلف عليها بعده بكر بن عبد مناة من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فولدت له: ليث بن بكر، والحارث بن

بكر والديل بن بكر؛ ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، فولدت له: غاضرة بن مالك، وعمرو بن مالك، وولدت في قبائل العرب.." (١)

"العبسي مجاور حذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع بن زياد معاذة بنت بدر، فانطلق القوم فالقوا مالكا فقتلوه ثم انصرفوا عنه، فجاءوا عشية وقد اجهدوا أفراسهم، فوقفوا أفراسهم على حذيفة ومعه الربيع بن زياد، فقال حذيفة: أقدرتم على حماركم؟ قالوا: نعم وعقرناه، قال الربيع: ما رأيت كاليوم قط، أهلكت أفراسك من أجل حمار، قال حذيفة لما اكثر الربيع عليه من الائمة وهو يحسب أن الذي أصابوا حمارا: إنا لم نقتل حمارا، ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر قال الربيع: بئس لعمر الله القتيل قتلت، أما والله إني لأظنه سيبلغ ما تكره، فتراجعا شيئا ثم تفرقا، فقام الربيع يطأ الأرض وطأ شديدأ، وأخذ حمل بن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير. فزعموا أن حذيفة لما قام الربيع أرسل أمة مولدة فقال: اذهبي إلى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظري ما ترين الربيع يصنع، فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت فاندست بين ال كفاء والنضد، فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه، فقبض معرفته ومسح متنيه حتى قبض بعكوة ذنبه، ثم رجع إلى البيت ورمحه مركوز بفنائه فهزه هزا شديدا ثم ركزه كما كان، ثم قال لامرأته: اطرحي لي شيئا، فطرحت له شيئا فاضطجع عليه، وكانت قد طهرت تلك الليلة فدنت منه: إليك، قد حدث أمر، ثم تغنى:

نام الخلي وما أغمض حار ... من سيء النبأ الجليل الساري

من مثله تمسي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

معناه أنه إذا نظر إلى النساء وما يصنعن لمقتل مالك علم أن رهطه لا يقرون لذلك حتى يدركوا **لثأرهم**:

يجد النساء حواسرا يندبنهيضربن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تسترافالآن حين بدون للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرىءسهل الخليقة طيب الأخبار

أفبعد مقتل مالك بن زهيرترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهيإلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عذوفايقذفن بالمهرات والأمهار

(١) الأمثال للضبي، ص/٤

ومساعرا صدا الحديد عليهمفكأنما تطلى الوجوه بقار

يا رب مسرور بمقتل مالكولسوف يصرفه بشر محار

قال: فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة فقال: هذا حين استجمع أمر أخيكم، ووقعت الحرب. وقال الربيع لحذيفة – وهو يومئذ جار له – سيرني فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال ووجه معه قوما وقال لهم: إن مع الربيع فضلة من خمر فان وجدتموه قد هراقها فهو جاد، وقد مضى فانصرفوا، وإن لم تجدوه هراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى روضة فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعه القوم فوجدوه قد شق الزق ومضى فانصرفوا. فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير بدرع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يرددها على قيس، فعرض قيس بن زهير لفاطمة بنت الخرشب الانمارية من بني أنمار بن بغيض – وهي أم الربيع بن زياد – وهي تسير في ظغائن من بني عبس، فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع حتى ترد عليه، فقالت: ما رأيت كاليوم قط فعل رجل، أين يضل حلمك؟ أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت بها يمينا وشمالا فقال الناس في ذلك ما شاءوا أن يقولوا، وحسبك من شر سماعه، فأرسلتها مثلا، فعرف قيس ما قالت له فخلى سبيلها وطرد ابلا لبني زياد حتى قدم بها مكة فباعها من عند عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، فقال قيس في ذلك:

ألم يبلغك والأنباء تنميبما لاقت لبون بني زياد

ومحبسها لدى القرشي تشريبأدراع وأسياف حداد

كما لاقيت من حمل بن بدروأخوته على ذات الإصاد

هم فخروا علي بغير فخروردوا دون غايته جوادي

وكنت إذا منيت بخصم سوءدلفت له بداهية نآد

بداهية تدق الصلب منهفتقصم أو تجوب عن الفؤاد

وكنت إذا أتاني الدهر ربقبداهية شددت له نجادي

قال العدوي: ربق وربيق الداهية، وأم الربيق الداهية، والنجاد حمائل السيف.

ألم يعلم بنو الميقاب أنيكريم غير معتلث الزناد

أي ليس بفاسد الأصل. الوقب: الأحمق والميقاب مثله، وقالوا الميقاب: التي تلد الحمقى؛ ومعتلث لا خير فيه.." (١)

"دربخت المرأة: أي جبت له وخضعت وقامت على أربع حتى يأتيها. فمكثوا مع بني عامر، يتجنون عليهم ويرون منهم ما يكرهون، حتى غزتهم بنو أسد ومن تبعهم من بني حنظلة يوم جبلة، فأصابوا يومئذ زبان بن بدر فكانوا معهم ما شاء الله. ثم إن رجلا من الضباب أسرته بنو عبد الله بن غطفان والضبابي هو اخو الحنبص فدفعه الذي أسره إلى رجل من أهل تيماء يهودي، فاتهمه اليهودي بامرأته فخصاه، فقال الحنبص الضبابي لقيس بن زهير: أد إلينا ديته، فإن مواليك بني عبد الله بن غطفان أصابوا صاحبنا، وهم حلفاء بني عبس، فقال: ما كنا لنفعل، فقال: والله لو أصابه مر الريح لوديتموه، فقال قيس بن زهير في ذلك:

لحا الله قوما أرشوا الحرب بيننا ... سقونا بها مرا من الشرب آجنا

وحرملة الناهيهم عن قتالناوما دهره ألا يكون مطاعنا

أكلف ذا الخصيين إن كان ظالما ... وإن كان مظلوما وإن كان شاطنا

خصاه امرؤ من أهل تيماء طابنولا يعدم الإنسى والجن طابنا

فهلا بني ذبيان وسط بيوتهمرهنت بمر الريح إن كنت راهنا

وخالستهم حقي خلال بيوتهموإن كنت ألقى من رجال ضغائنا

إذا قلت قد أفلت من شر حنبصلقيت بأخرى حنبصا متباطنا

فقد جعلت أكبادنا تجتويهم ... كما يجتوي سوق العضاه الكرازنا

العضاة: كل شجر له شوك، والكرازن: المعاول، الواحد كرزين.

تدروننا بالمنكرات كأنما ... تدرون ولدانا ترمي الرهادنا

تدروننا: تختلوننا، والرهادن: جمع رهدن وهو شبيه بالعصفور. فقال النابغة الذبياني جوابا لقيس:

ابك بكاء النساء إنك لنتهبط أرضا تحبها أبدا

نحن وهبناك للحريش وقدجاوزت في الحي جعفرا عددا

وأغار قرواش بن هني العبسي – وبنو عبس يومئذ في بني عامر – على بني فزارة، فأخذه أحد بني العشراء – الأخرم بن سيار أو قطبة بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمي بن مازن بن فزارة – أخذه

---

(١) الأمثال للضبي، ص/١٦

تحت الليل، فقالوا له: من أنت؟ فقال: رجل من بني البكاء، فعرفت كلامه فتاة من بني مازن، وكانت ناكحا في بني عبس، فقالت: أبا شريح أما والله لنعم مأوى الأضياف وفارس الخيل أنت، فقالوا له:ومن أنت؟ قال: قرواش بن هني، فدفعوه إلى بني بدر فقتلوه، وكان قتل حذيفة، ويزعم بعض الناس أنهم دفعوه إلى بني سبيع فقتلوه بمالك بن سبيع، وكان قتل مالك بن سبيع الحكم بن مروان بن زنباغ فقال نهيكة ابن الحارث من بني مازن بن فزارة:

صبرأ بغيض بن ريث إنها رحمقطعتموها أناختكم بجعجاع

فما أشطت سمي أن هم قتلوابني أسيد بقتلى آل زنباع

لقد جزتكم بنو ذبيان ضاحيةبما فعلتم ككيل الصاع بالصاع

قتلا بقتل وتعقيرا بعقركممهلا حميض فلا يسعى بها الساعي

وقال في ذلك عنترة:

هديكم خير أبا من أبيكمأعف وأوفى بالجوار وأحمد

وأحمى لدى الهيجا إذا الخيل صدها ... غداة الصياح السمهري المقصد

فهلا وفي الفوغاء عمرو بن جابربذمته وابن اللقيطة عصيد

سيأتيكم مني وإن كنت نائيادخان العلندى حول بيتي مذود

قصائد من بز امرىء يجتديكموانتم بجسم فارتدوا وتقلدوا

أي يطلب منكم الثأر. وقال قيس بن زهير:

مالي أرى إبلي تحن كأنهانوح تجاوب موهنا أعشارا

نوح: نساء ينحن، والأعشار: جمع عشر وهو إن يرد الماء في اليوم التاسع، وهذا مثل، والموهن: بعد صدر من الليل.

لن تهبطي أبدا جنوب مويسلوقنا قراقرتين فالأمرارا

أجهلت من قوم هرقت دماؤهمبيدي ولم أدهم بجنب تعارا

إن الهوادة لا هوادة بيننإلا التجاهد فاجهدن فزارا

إلا التزاور فوق كل مقلصيهدي الجياد إذا الخميس أغارا

فلا هبطن الخيل حر بلادكملحق الأياطل تنبذ الأمهارا

حتى تزور بلادكم وتروا بهامنكم ملاحم تخشع الأبصارا

وقال قيس بن زهير في مالك بن زهير بن بدر:

أخي والله خير من أخيكمإذا ما لم يجد بطل مقاما

أخي والله خير من أخيكمإذا ما لم يجد راع مساما

أخي والله خير من أخيكمإذا الخفرات أبدين الخداما

قتلت به أخاك وخير سعدفان حربا حذيف وإن سلاما

ترد الحرب ثعلبة بن سعدبحمد الله يرعون البهاما

وكيف تقول صبر بني حجانإذا غرضوا ولم يجدوا مقاما." (١)

"فلما لقيته الخيول وتقوضوا من خلفه عرف الشر وقال لقصير: كيف الرأي؟ فقال له قصير: ببقة صرم الأمر وذهب قوله مثلا. وسار جذيمة حتى دخل عليها وهي في قصر لها ليس فيه إلا الجواري، وهي على سريرها فقالت: خذن بعضدي سيدكن، ففعلن، ثم دعت بنطع فأجلسته فعرف الشر، وكشف عن عورتها فاذا هي قد عقدت استها بشعر الفرج من وراء وركيها، وإذا هي لم تعذر، فقالت: أشوار عروس ترى فأرسلتها مثلا فقال جذيمة: بل شوار بظراء تفلة، فقالت: والله ما ذاك من عدم مواس، ولا قلة أواس، ولكن شيمة من أناس، ثم أمرت برواهشه فقطعت فجعلت تشخب دماؤه في النطع كراهية إن يفسد مقعدها دمه، فقال جذيمة: لا يحزنك دم هراقه أهله فأرسلها مثلا. يعني نفسه. ونجا قصير حين رأى من الشر ما رأى على العصا، فنظر اليه جذيمة والعصا مدبرة تجري فقال: يا ضل ما تجري به العصا، فذهبت مثلا. وكان جذيمة قد استخلف على ملكه عمرو بن عدي اللخمي، وهو ابن اخته، فكان يخرج كل غداة يرجو أن يلقى خبرا من جذيمة، فلم يشعر ذات يوم حتى اذا هو بالعصا عليها قصير، فلما رآها عمرو وقال خير ما جاءت به العصا فأرسلها مثلا، فلما جاءه قصير اخبره الخبر، فقال: اطلب بثأرك قال: كيف أطلب من ابنة الزبا وهي أمنع من عقاب الجو فأرسلها مثلا، فقال قصير: أما اذا أبيت فاني سأحتال لها فاعني وخلاك ذم فأرسلها مثلا، فعمد قصير إلى أنفه فجدعه، ثم خرج حتى أتى بنت الزبا فقيل: لأمر ما حدع قصير أنفه فصارت مثلا. فقيل للزبا هذا قصير خازن جذيمة قد اتاك، قال: فأذنت له وقالت: ما جاء بك؟ قال: اتهمني عمرو في مشورتي على خاله بإتيانك فجدعني، فلا تقربي نفسي مع من جدعني، فأردت أن آتيك فاكون عندك، قالت: فافعل، قال: فان

---

(١) الأمثال للضبي، ص/٢٠

لي بالعراق مالا كثيرا، وإن بها طرائف مما تحبين أن يكون عندك، فأرسليني وأعطيني شيئا بعلة التجارة حتى آتيك بما قدرت عليه وأطرفك من طرائف العراق، ففعلت وأعطته مالا، فقدم العراق فأطرفها من طرائفها، وزادها مالا كثيرا إلى مالها، فقال لها: هذا ربح، فأعجبها ذلك وسرت به، فزادته أموالا كثيرة وردته الثانية، فأطرفها أكثر مما كان اتاها به قبل ذلك، ففرحت وأعجبها، ونزل منها بكل منزلة؛ ولم يزل يتلطف حتى علم مواضع الأنفاق التي بين المدينتين، ثم ردته الثالثة وزادته أموالا كثيرة عظيمة فأتى عمرا فقال: احمل الرجال في التوابيت والمسوح عليهم الحديد حتى يدخلوا المدينة ثم أبادرها انا وأنت إلى موضع النفق فتقتلها، فعمد عمرو إلى ألفي رجل من أشجع من يعلم، ثم كان هو فيهم، فلما دنوا أتاها قصير فقال: لو صعدت المدينة فنظرت إلى ما جئت به فاني قد جئت بما صأى وصمت، فأرسلها مثلا - صأى من الإبل والخيل، وصمت من الذهب وغيره - وكانت لا تخاف قصيرا، قد أمنته، فصعدت المدينة، ورجع قصير إلى العير يحمل كل بعير رجلين دراعين عليهم السلاح كله، فلما رأت ثقل الأحمال على الإبل قالت:

أرى الجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفنا باردا شديدا ... أم الرجال في المسوح سودا

الصرفان: ضرب من التمر، ويقال انه الرصاص. ودخلت الابل كلها فلم يبق منها شيء وتوسطوا المدينة، وكانت افواه الجواليق مربوطة من قبل الرجال، لكنهم حلوها ووقعوا في الأرض مستلئمين، فشدوا عليها وخرجت هاربة تريد السرب، فاستقبلها قصير وعمرو عند باب السرب، وكان لها خاتم فيه سم فمصته وقالت: بيدي لا بيديك عمرو، فذهب قولها مثلا، وضربها عمرو وقصير حتى ماتت: وقالت العرب في أمرها وأمر قصير فأكثروا، فقال عدي بن زيد العبادي يخاطب النعمان:

ألا يا أيها المثري المرجى ... ألم تسمع بخطب الاولينا

القصيدة كلها. وقال نهشل بن حري الدرامي:

ومولى عصاني واستبد بأمره ... كما لم يطع بالبقتين قصير

فلما رأى ما غب أمري وأمره ... وولت بأعجاز المطي صدور

تمنى أخيرا أن يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقال المخبل السعدي:

يا أم عمرة هل هويت جماعكم ... ولكل من يهوى الجماع فراق

بل كم رأيت الدهر زيل بينه ... من لا تزايل بينه الأخلاق." (١)

"واصله أن يسير الرجل في بطون الأودية. يقول: فأحذر فانك لا تدري لعل هناك من لا يؤمن اغتياله.

وقد يقال بالرفع. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في التحذير مما يخاف قولهم: إن السلامة منها ترك ما فيها.

ومثله قولهم: اتق خيرها بشرها، وشرها بخيرها. ويروى هذا المثل عن عبد الله بن عمر إنه قال في اللقطة أو الضالة توجد يقول: دعها ولا تعرض لأخذها. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في التحذير: لا تراهن على الصعبة.

وكان المفضل يحكي هذا المثل عن الحطيئة الشاعر وهو القائل عند موته: ويل للشعر من رواة السوء.

ومن أمثالهم في التحذير قولهم: قد اعذر من أنذر

باب الأمر بحسن التدبير والنهي عن الخرق فيه

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم: وجه الحجر وجهة ماله.

ويقال " وجهة " بالرفع. أي دبر الأمر على وجهه الذي ينبغي أن توجهه عليه.

ومن هذا قولهم: اجر الأمور على أذلالها.

يقول: على وجوهها واستقامته١. وهذا الحرف يروى عن عبد الله بن مسعود في حديث طويل. ومن أمثالهم في هذا قولهم: ول حارها من تولى قارها.

وهذا المثل يروى عن عمر بن الخطاب إنه قاله لعتبة بن غزوان، أو لأبي مسعود الأنصاري. ومن أمثالهم قولهم: السعيد من وعظ بغيرة.

وهذا يروى عن عبد الله بن مسعود في خطبته. وفي بعض **الآثار**.

الرفق يمن والخرق شؤم

ومن أمثالهم في حسن التدبير قولهم: قلب الأمر ظهر البطن وكذلك " ضرب وجه الأمر وعينيه " ومن أمثالهم في التحذير قولهم: رب أكلة تمنع أكلات.

أي فأحذر ذلك

باب الأخذ في الأمور بالمشورة والنظر

قال أبو عبيد: يروي في حديث مرفوع: ما هلك امرؤ عن مشورة.

---

(١) الأمثال للضبي، ص/٣٤

ومن أمثال أكثم بن صيفي: أول الحزم المشورة ويروى عن عمر بن الخطاب: " الرجال ثلاثة، رجل ذو رأي وعقل، ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشدا، ولا يطيع مرشدا " . وقال عمر بن الخطاب أيضا: " شاور في أمرك الذين يخافون الله " وقال الحسن: " إن الله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه) بالمشورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل " وفي حديث آخر " إنه قيل له: ما الحزم؟ فقال: أن تستشير ذا رأي ثم تتبع أمره " .

بسم الله الرحمن الرجيم

ذكر الحوائج وما فيها من الأمثال

باب مثل الإعذار في طلب الحاجة وما يحمد عليه أهله من ذلك

قال أبو عبيد: قال أبن الكلبي وغيره: ومن أمثالهم في هذا قولهم: افعل كذا وكذا وخلاك ذم.

يقول: إنما عليك أن تجتهد في الطلب وتعذر لكي لا تذم فيها وإن لم تقض الحاجة. قال: وهذا المثل لقصير بن سعد اللخمي، قاله لعمر بن عدي حين أمره أن يطلب الزباء بثأر خاله جذيمة بن مالك، فقال: أخاف أن لا أقدر عليها، فقال: أطلب الأمر وخلاك ذم، فذهبت مثلا. قال أبو عبيد: ومن هذا المعنى قول الشاعر، ويقول: إنه لعروة بن الورد:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

و قال بعض الحكماء: إني لأسعى في الحاجة وإني منها ليائس، وذلك للأعذار، لئلا أرجع على نفسي بلوم.

وقال أيضا: صيدك لا تحرمنه.

يضرب للذي يحض على انتهاز الحاجة إذا أمكنته

باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها

قال أبو عبيد: يروى عن أبجر بن جابر العجلي أنه قال فيما أوصى به ابنه حجارا: يا بني، إياك والسآمة في طلب الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها.

فص ومن أمثالهم في قولهم: ليس لهناء بالدس.

يضرب للرجل لا يبالغ في الطلب. واصله أن يجرب البعير في أرفاغه وآباطه، فإذا هنئت تلك المواضع منه قيل: قد دس دسا. يقول: فليس ذلك بشيء، وإنما الهناء أن تهنأ الجسد كله، فكذلك المبالغة في الحاجة والاستقصاء.

ومن أمثالهم إذا أمروا الرجل بالجد في الأمر قالوا: جمع له جراميزك.

قال أبو زيد: ويقال في مثل هذا : قد ضرب عليه جروته.

أي قد وطن عليه نفسه. قال الأصمعي: وكذلك قولهم: شد له حزيمه.

أي تشدد لذلك واستعد له. ومنه الحديث الذي يروى عن علي عليه السلام:

اشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت آتيكا

و مثله قولهم: قرع له ساقه.." (١)

"ويقال: إن اصله كان أن بيهسا الذي يلقب نعامة حين قتل أخوته طلب **بثأرهم**. وكان له خال يكنى أبا حشر، فقال له نعامة: اخرج بنا إلى موضع كذا وكذا، وكتمه ما يريد به، ثم مضى إلى الذين يطلبهم بالذحل، فهجم به عليهم فجاءة، ثم قال إيها أبا حشر، فلما رأى أبو حشر إنه قد نزلت به البلية جعل يذب عن نفسه، ويقاتلهم بهده، فقال الناس: ما أشجعه حين أقدم على هؤلاء! فعندها قال أبو حشر: " مكره أخوك لا بطل " أي ليس هذا بشجاعة مني، ولكن حملت عليه، ومن هذا قولهم: لو ترك القطا لنام.

وهو من أيسر أمثالهم أيضا. واخبرني أبن الكلبي إنه لامرأة عمرو بن أمامة، وكان نزل بقوم من مراد فطرقوه ليلا، فلما رأت امرأته سوادهم أنبهته وقالت: قد أتيت، فقال إنما هذا القطا، فقالت: " لو ترك القطا لنام " فأتاه القوم فبيتوه وقتلوه.

باب الظالم في الإساءة يركبها الرجل من صاحبه يستدل بها على أكثر منها.

قال أبو عبيد: من أمثالهم المعروفة في هذا المعنى: ليس بعد الإسار إلا القتل.

ويقال بعد الأسر وهذا المثل لبعض بني تميم، قاله يوم المقشر، وهو قصر ناحية البحرين.

وكان كسرى كتب إلى عامله عليها أن يدخلهم الحصن فيقتلهم. وذلك لجناية كانوا جنوها عليه، فأرسل إليهم، وأظهر لهم إنه يريد أن يقسم فيهم مالا أو طعاما، فحضروا بالباب، فجعل يدخل منهم رجلا رجلا، فيقتله، فلما رأوا إنه ليس يخرج أحد ممن يدخل علموا أن الدخول إليه إنما هو أسر ثم قتل، فعندها قال قائلهم: " ليس بعد الإسار إلا القتل " فامتنعوا حينئذ من الدخول قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في نحو هذا: سواء علينا قاتلاه وسالبه.

يقول: إذا رأيت رجلا قد سلبه رجل علم إنه لم يسلبه وهو حي ممتنع، فعلم بهذا إنه قد قتله ثم سلبه، فهذا

---

(١) الأمثال لابن سلام، ص/٤٢

جعل السالب قاتلا.

باب الظالم في عقوبة المحسن البريء

قال الأصمعي: من أمثالهم في هذا: مالي ذنب إلا نب صحر.

قال: وصحر اسم امرأة لم يعرف الأصمعي من قصتها غير هذا. وكان المفضل يقتص حديثها يقول: هي صحر ابنه لقمان العادي، وكان أبوها لقمان وأخوها لقيم خرجا مغيرين، فأصابا إبلا كثيرة، فسبق لقيم إلى منزله، فعمدت أخته صحر إلى جزور مما قدم به لقيم فنحرتها وصنعت منها طعاما يكون معدا لأبيها لقمان إذا قدم: تتحف به. وقد كان لقمان حسد ابنه لقيما لتبريزه عليه، فلما قدم لقمان قدمت إليه صحر الطعام، وعلم إنه من غنيمة لقيم، لطمها لطمة قضت عليها: فصارت عقوبتها مثلا لكل من لا ذنب له يعاقب. وفيه يقول خفاف أبن ندبة السلمى:

وعباس يدب لي المنايا ... وما أذنبت إلا ذنب صحر

قال أبو عبيد: وكذلك قولهم في: جزاء سنمار.

وكان حديثه، فيما يحكيه العلماء، إنه كان بناء مجيدا، وهو من الروم، فبنى الخورق الذي بظهر الكوفه للنعمان أبن امرئ القيس، فلما نظر إليه النعمان كره إن يعمل مثله لغيره، فألقاه من أعلى الخورنق فخر ميتا، وفيه يقول الشاعر:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

باب الظلم في عقوبة الإنسان بذنب غيره

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا: جانيك من يجني عليك.

يقول: فلا ينبغي أن تنقل عقوبته إلى غيره. وروينا في حديث مرفوع إنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل وابنه: " لا يجني عليك ولا تجني عليه " وقال الآخر: لا تنجي يمينك على شمالك. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في أخذ البرء بذنب صاحب الجناية قول النابغة الذبياني:

حملت على ذنبه وتركته ... كذى العر يكوى غيره وهو راتع

ومثله قولهم: كالثور يضرب لما عافت البقر.

يعني: عافت الماء. وفيه قال أنس بن مدرك:

إني وقتلي سليكا ثم أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

قال الأصمعي: ومن أمثالهم: كل شاة تناط برجلها.
يقول: فلا ينبغي أن يؤخذ أحد بذنب غيره. قال أبو عبيد: وهذا مثل مقول سائر في الناس.
باب التبرؤ من الظالم والإساءة
قال الأصمعي: من أمثالهم في نفي الذنوب قولهم: لا ذنب لي قد قلت للقوم اسقوا.
قال الأصمعي: ويقال في نحو منه: أنا منه فالج أبن خلاوة.
أي أنا بريء منه. قال أبو زيد: يقال: فلان برئ الساحة.." (١)

"قال: كان لرجل من طسم كلب يسقيه اللبن، ويطعمه اللحم، وكان يأمل فيه أن يصيد به، وأن يحرسه، فضرى الكلب على ذلك فجاع يوما وفقد اللحم، فجاء إلى ربه فوثب عليه حتى قطعه وأكل من لحمه. وإياه عنى طرفة بن العبد بقوله:
ككلب طسم وقد تربيه ... يعله بالحليب في الغلس
ظل علية يوما يقرقره ... إلا يلغ في الدماء ينتهس
قال أبو عبيد: ومن هذا المعنى مثلهم في العالم:
أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
وكان أبو زيد يجعل من هذا الباب قولهم: أحشك وتروثني! يخاطب فرسا له. يقول: أعلفك الحشيش وأنت تروث علي قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في هذا قول أكثم بن صيفي: لو سئلت العارية: أين تذهبين؟ لقالت: اكسب أهلي ذما.
يعني أنهم يحسنون في الإعارة والقروض، ثم يكافئون بالمذمة إذا طلبوها
باب الخطأ في تزيين الكبير بزينة الصغير
قال هشام بن الكلبي: من أمثالهم في هذا قولهم: كبر عمرو عن الطوق.
فاخبرني أبن الكلبي عن أبيه أن صاحب هذا المثل جذيمة الأبرش بن مالك، قال لابن أخته عمرو بن عدي الخمي، وكان له طوق يلبسه في الصغر، فاستهوته الجن دهرا إلى أن وجده مالك وعقيل ابنا فارج من بلقين، وهما ندمانا جذيمة. وقد ذكرنا بعض حديثه في غير هذا الموضع، فأرادت أمه أن تعيد الطوق عليه فقال لها جذيمة: "كبر عمرو عن الطوق " فذهبت مثلا. قال الأموي: ومن أمثالهم في هذا قولهم: جلت الهاجن عن

---

(١) الأمثال لابن سلام، ص/٥١

الولد.

قال أبو عبيد: والهاجن هي الصغيرة، ومنه يقال: اهتجنت الجارية، إذا افترعت قبل الأوان، فقيل في المثل: " جلت الهاجن " وإنما أرادوا " صغرت " وأنا أحسب هذا من الأضداد، لأنهم يقولون للعظيم: جلل، وللصغير: جلل، ومنه قول امرئ القيس في قتل أبيه: " ألا كل شيء سواه جلل " أي حقير هين، وأما الجلل للشيء العظيم فمعروف لا يحتاج فيه إلى شاهد ولا شعر.

باب اختلاط الرأي وما فيه من الخطأ و الضعف

قال أبو عبيد: من أمثال أكثم بن صيفي

العزيمة حزم والاختلاط ضعف.

وقال الأصمعي: ومن أمثالهم في التخليط قولهم: اختلط المرعي منها بالهمل.

قال: واصله أن المرعي هي الإبل التي فيها رعاؤها. والهمل: الإبل المهملة التي لا راعي لها. يضرب مثلا للقوم يقعون في تخايط من أمرهم، لا يمكنهم أن يعتزما فيه على رأي. قال الأصمعي: ومثله قولهم: اختلط الخاثر بالزباد.

قال: وكذلك قولهم: " اختلط الحابل بالنابل " .

قال الأصمعي: وهذا كقولهم: ما يدري أيخثر أم يذيب.

واصله في الزبد يذاب فيفسد على صاحبه، فلا يدري أيجعله سمنا أم يدعه زبدا. ومنه قول بشر بن أبي حازم:

وكنتم كذات القدر لم تدر إذ غلت ... أتنزلها مذمومة أم تذيبها

قال الأصمعي: ومن أمثالهم: قد ترهيأ القوم.

وذلك أن يضطرب عليهم الرأي فيقولوا مرة كذا ومرة كذا.

باب الخطأ في سوء التدبير عند إضاعة الشيء لطلب غيره ثم لا يدركه

قال أبو عبيد: من أمثالهم المعلومة في هذا قولهم: لا ماءك أبقيت ولا درنك أنقيت.

قال: واصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأة، وكانت عاركا، فحضر طهرها ومعها ماء يسير، فاغتسلت به، ثم لم يكفيها لغسلها وقد أنفذت الماء، فبقيت هي وزوجها عطشانين، فعندها قال لها هذه المقالة.

ومن هذا قولهم: نفع قليل وفضحت نفسي.

ومن أمثالهم في نحو هذا قولهم، وليس هو من هذا بعينه: لا أبوك نشر ولا التراب نفد.

وكان الأحمر يذكر أصل هذا أن رجلا قال: لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي، فقيل له هذا المقالة، أي إنك لا تدرك بهذا ثأر أبيك، ولا تقدر أن تنفد التراب. ويروى عن عون بن عبد الله بن عتبة، وكان أحد الحكماء، إنه قال لرجل: " لا تكن مثل من تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن " .

- باب الخطأ في اتهام النصيح قال أبو زيد: من أمثالهم في هذا قولهم: تسقط به النصيحة على الظنة.

أي انك تنصحه فيتهمك. قال أبو عبيد: ومثله قولهم: لا يطاع لقصير أمر.." (١)

"إني وجدت من المكارم حسبكم ... أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

وإذا تذوكرت المكارم مرة ... في مجل أنتم به فتقنعوا

باب موت البخيل وماله وافر لم يعط منه شيئا

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا : مات فلان ببطنته لم يتغضغض منها شيء.

والتغضغض: النقصان، وهذا المثل لعمرو بن العاص، قاله في بعضهم. ويقال في مثله: مات فلان وهو عريض البطان.

يقول: إن ماله جم لم يذهب منه شيء وقد يضرب هذا المثل في أمر الدين، يقول: انك خرجت من الدنيا سليما لم تثلم دينك، ولم يكلمه. ولعل عمرو بن العاص أراد هذا المعنى حين قال هذه المقولة لعبد الرحمن بن عوف: هنيئا لك أبن عوف خرجت من الدنيا ببطنتك.

باب إعطاء البخيل مرة في الدهر الطويل وزهد الناس في البخيل

قال أبو زيد: من أمثالهم في هذا : إنما هو كبارح الأروى.

يضرب للرجل الذي لا يكاد يرى، أو لا يكون منه الشيء إلا في الزمان مرة. وأصل هذا أن الأروى مسكنها من الجبال قنانها، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة. ومن أمثالهم في البخيل يتحاماه الناس: من شر ما طرحك أهلك يقول: لو كان عندك خير ما زهد الناس فيك. ومن أمثالهم في البخيل يعطي مرة ثم لا يعود قولهم: كانت بيضة الديك.

فإن كان يعطي شيئا ثم قطعه قيل للمرة الآخرة: كانت بيضة العقر.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) الأمثال لابن سلام، ص/٥٦

ذكر الأمثال في صنوف الجبن وأنواعه

باب ذكر المثل في الجبان وما يذم من أخلاقه

قال هشام بن الكلبي: من أمثالهم في الجبن: إن الجبان حتفه من فوقه.

قال أبن الكلبي: وأول من قاله عمرو بن أمامة في شعر له، وكانت مراد قتلته فقال هذا الشعر عند ذلك ويحكى عن المفضل أنه كان يخبر بحديثه أيضا وزاد فيه قال: وكان الذي ولي قتله أبن الجعيد، فغزاهم عمرو بن هند طالبا بثأر أخيه فظفر بهم، وأتي بابن الجعيد، فلما رآه قال: بسلاح ما يقتلن القتيل.

فأرسلها مثلا. قال أبو عبيد: وأما قول عمرو بن أمامة " إن الجبان حتفه من فوقه " فإن أوله:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

احسبه أراد أن حذره وجبنه ليس بدافع عنه المنية إذا نزل به قدر الله. قال أبو عبيد: وهذا شبيه المعنى بالذي يحدث به عن خالد بن الوليد، فانه قال عند موته: " لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم هاأنذا أموت حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء " قال أبو عبيد: يقول: فما لهم يجبنون عن القتال ولم أمت أنا به، إنما أموت بأجلي. ومنه الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق:

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

و كذلك قول الأعشى:

أ بالموت خشتني عباد وإنما ... رأيت منايا الناس يسعى دليلها

قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في عيب الجبان قولهم: كل أزب نفور.

أخبرني بعضهم أن المثل لزهير بن جذيمة العبسي، وذلك أن خالد بن جعفر بن كلاب كان يطلبه بذحل، فكان زهير يوما في إبل له يهنوها ومعه أخوه أسيد بن جذيمة فرأى اسيد خالد بن جعفر قد أقبل ومعه أصحابه، فأخبر زهيرا بمكانهم، فقال له زهير: "كأن أزب نفور " وإنما قال له هذا لأن أسيدا كان أشعر، فقال: إنما يكون نفار الأزب من الإبل لكثرة شعره، يكون ذلك على عينيه، فكلما رآه ظن أنه شخص يطلبه فينفر من أجله. ومن أمثالهم في الجبن قولهم: عصا الجبان أطول.

قال أبو عبيد: واحسبه إنما يفعل هذا لأنه من فشله يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها. وقد عاب خالد بن الوليد من الإفراط في الاحتراس نحو هذا وذلك يوم اليمامة، لما دنا منها خرج إليه أهلها من بني

حنيفة، فرآهم خالد قد جردوا السيوف قبل الدنو، فقال لأصحابه: " ابشروا فإن هذا فشل منهم " فسمعها مجاعة بن مرة الحنفي، وكان موثقا في حبسه فقال: كلا أيها الأمير، ولكنها الهندوانية، وهذه غداة باردة، فخشوا تحمها، فأخرجوها للشمس لتلين متونها، فلما تدنى القوم قالوا له: إنا نعتذر إليك يا خالد من تجريد سيوفنا، ثم ذكروا مثل كلام مجاعة.

باب فرار الجبان وخضوعه واستكانته." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٨ """"""""

أخطأه انتشال فجاع طرح نفسه على شاطىء النهر في بعض ضحضاحه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع لأكل ما يؤكل منه . من الطير ما يلقح من هبوب الريح ، لا يحتاج إلى تزاوج ولا إلى سفاد . والخفاش له خصيتان كخصي الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد كأسنان ذوات الأربع ، يرضع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس . العقعق لا يأوي تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهيىء وكره في الواضع المشرفة العالية والعراء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة الزوج ، فإذا باضت الأنثى بيضها حضنته بورق الدلب وغطته كيلا يقربه الخفاش ، فإن مسه مرق البيض من ساعته وفسد . النحل يلد من غير لقاح الذكور . الحية إذا هرمت وكل بصرها واسترخى جلدها دخلت في صدع صفاة ضيق أو جحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدها فتأتي عين الماء فتنغمس فيها حتى يقوى رحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت شابة كما كانت . فإذا أرادتأن تضيء عينها أكلت الرازيانج الرطب فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع الفرار ، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة . إن أنقع الحسك في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جحر الحية فرت من هناك . وإن وضع في جحرها أص حمص رطب فرت أيضا . وإن رأت الحية إنسانا عريانا استحيت منه ولم تقربه . وإن رأته كاسيا حملت عليه بجرأة شديدة ؛ وما أشد طلبها لثأرها ؛ وإن." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣١١ """"""""

فقال – أدام الله دولته ، وكبت أعداءه – : قدم هذا الباب فقد أتى على ما لم أظن أنه يؤتى عليه ويهتدى إليه – إذا شئت ؛ وانصرفت .

---

(١) الأمثال لابن سلام، ص/٦٠

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/١٦٨

الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلة الكلمات القصار التي أومأ إليها ذلك الشيخ ؟ فكان من الجواب : إن هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار . كل عزيز دخل تحت القدرة فهو ذليل . غنم من أدبته الحكمة ، وأحكمته التجربة . التضاغن رائد التباين . المرء ما عاش في تجريب . الدهر يوم ويوم . . . والعيش عذل ولوم وأكثر أسباب النجاح مع الياس من لم يقدمه حزم أخره عجز . كم مستدرج بالإحسان إليه ، ومغتر باليسر عليه . الحرب متلفة العباد مذهبة للطارف والتلاد . ليس المقل عن الزمان براضي من ضاق صدره اتسع لسانه . وحسبك داء أن تصح وتسلما العيال سوس المال . الموت الفادح خير من الزي الفاضح . احذروا نفاد النعم ، فما كل شارد مردود . خير الأمور أوساطها . يكفيك من شر سماعه . الكريم لا يلين على قسر ، ولا يقتسر على يسر . ما أدرك النمام ثأرا ، ولا محا عارا .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١٦ """""""

من لم ينلك البر في حياته . . . لم تبك عيناك على وفاته المال ما تنفق لا ما تجمعه . . . والزرع ما تحصد لا ما تزرعه يا رب هزل كان منه الجد . . . ورب مزح كان منه الحقد البحر مستغن عن الفرات فقال – أدام الله أيامه – هذا فن موف على الغاية .

الليلة السابعة العشرون

وقال – أدام الله أيامه – في ليلة أخرى : كنت أحب أن أسمع كلاما في كنه الاتفاق وحقيقته ، فإنه مما يحار العقل فيه ، ويزل حزم الحازم معه ، وأحب أيضا أن أسمع حديثا غريبا فيه ؛ فكان من الجواب : إن الرواية في هذا الباب أكثر وأفشى من الاطلاع على سره ، والظفر بمكنونه ؛ فقال : هات ما يتعلق بالرواية . قلت : حكى لنا أبو سليمان في هذه الأيام أن ثيودسيوس ملك يونان كتب إلى كنتس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية ؛ فجمع ماله في عيبة ضخمة ، وارتحل قاصدا نحوه ، فلقي في تلك الباديۃ قوما من قطاع الطريق ، فطمعوا في ماله وهموا بقتله ، فناشدهم الله ألا يقتلوه وأن يأخذوا ماله ويخلوه ، فأبوا ، فتحير ونظر يمينا وشمالا يلتمس معينا وناصرا فلم يجد ، فرفع رأسه إلى السماء ، ومد طرفه في الهواء ، فرأى كراكي تطير في الجو محلقة ، فصاح : أيتها الكراكي الطائرة ، قد أعجزني المعين والناصر ، فكوني الطالبة بدمي ؛ والآخذة بثأري . فضحك اللصوص ، وقال بعضهم لبعض : هذا أنقص الناس عقلا ، ومن لا عقل له لا جناح في

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣١١

قتله ؛ ثم قتلوه وأخذوا ماله واقتسموه وعادوا إلى أماكنهم ؛ فلما اتصل الحديث بأهل مدينته حزنوا وأعظموا ذلك ، وتبعوا أثر قاتله واجتهدوا فلم يغنوا شيئا ولم يقفوا على شيء ؛ وحضر اليونانيون وأهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة ، وحضر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٩٠ """""""""

قد جن أضيافك من جوعهم . . . فاقرأ عليهم سورة المائده وقال ابن بدر : ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا . . . من السديف إذا لم يؤنس القزع وننحر الكوم عبطا في أرومتنا . . . للنازلين إذا ما استنزلوا شبعوا وقال آخر : أطعمني بيضة وناولني . . . من بعد ما ذقت فقده قدحا وقال أي الأصوات تسئلني ؟ . . . يزيد ، إني أراك مقترحا فقلت صوت المقلي وجردقة . . . إن خاب ذا الاقتراح أو صلحا فقطب الوجه وانثنى غضبا . . . وكان سكران طافحا فصحا فقلت : إني مزحت ، قال : كذا . . . رأيت حرا بمثل ذا مزحا ؟ قال ابن حبيب : كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنحى ونزل وحده لئلا ينزل به ضيف فيكون صقعا مستحبا . وهذا ضد قول زهير : بسط البيوت لكي تكون مطية . . . من حيث توضع جفنة استرفد فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجدب والجهد ، وإذا أخصبوا أغاروا للثأر لا للسؤال . وقال الشاعر في عبيد الله بن عباس : ففي السنة الجدباء أطعمت حامضا . . . وحلوا وشحما تامكا وسناما." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٣٥ """""""""

أبلغ ، أم الحكاية عن المعتضد أشفى ، أم رواية الشيخ الصوفي أطرف ، وما علمت أن في البحث عن سر الإرجاف هذه اللطيفة الخفية ، وهذه الحجة الجلية ، وكنت أرى أن الصوفية لا يرجعون إلى ركن من العلم ، ونصيب من الحكمة ، وأنهم إنما يهذون بما لا يعلمون ، وأن بناء أمرهم على اللعب واللهو والمجون . فقلت : لو جمع كلام أئمتهم وأعلامهم لزاد على عشرة آلاف ورقة عمن نقف عليه في هذه البقاع المتقاربة ، سوى ما عند قوم آخرين لا نسمع بهم ، ولا يبلغنا خبرهم . قال : فاذكر لي جماعة منهم . قلت : الجنيد بن محمد الصوفي البغدادي العالم ، والحارث بن أسد المحاسبي ، ورويم ، وأبو سعيد الخراز ، وعمرو بن عثمان المكي ، وأبو يزيد البسطامي ، والفتح الموصلي ، وهو الذي سمع وهو يقول : إلى متى ترددني في سكك الموصل ، أما آن للحبيب أن يلقى حبيبه ؟ فمات بعد جمعة . فقال : هذا ءجب . ولقد مر في هذا الفن ما كان فوق

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣١٦

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣٩٠

حسباني وأكثر مما كان في ظني ، وكم من شيء حقير يطلع منه على أمر كبير . وقال : أنشدني شيئا ؛ فأنشدته قول الشاعر : رجعت على السفيه بفضل حلمي . . . وكان تحلمي عنه لجاما وظن بي السفاه فلم يجدني . . . أسافهه وقلت له : سلاما فقام يجر رجليه ذليلا . . . وقد كسب المذلة والملاما وفضل الحلم أبلغ في سفيه . . . وأحرى أن ينال به انتقاما فقال : ما أعجب أمر العرب ، تأمر بالحلم مرة ، والصبر والكظم مرة ، وتحث بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر ، وتذم السفه وقمع العدو وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعني أنها ربما حضت على القناعة والصبر والرضا بالميسور ، وربما خالفت هذا ، فأخذت تذكر أن ذلك فسالة ونقصان همة ولين عريكة ومهانة نفس ؛ وكذلك أيضا." (١)

" نحو الصوت فسمعت قائلا يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم وكان من قصة الحرة ما كان على يده وليس هذا موضعه فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة

حنين أبي قطيفة إلى المدينة وأهلها

صوت من غير المائة فيه لحنان

(بكى أحد لما تحمل أهله ... فكيف بذي وجد من القوم آلف)

(من اجل أبي بكر جلت عن بلادها ... أمية والأيام ذات تصارف)

عروضه من الطويل وفيه ثقيل أول والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل أول بالوسطى ذكر ذلك حماد عن أبيه وذكر أن فيه لحنا آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه قال الهيثم في خبره وقال أبو العباس الأعمى في ذلك

(قد حل في دار البلاط مجوع ... ودار أبي العاص التميمي حنتف)

(فلم أر مثل الحي حين تحملوا ... ولا مثلنا عن مثلهم يتنكف) ." (٢)

" صوت

(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر)

(لحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

(أشارت بمدراها وقالت لأختها ... أهذا المغيري الذي كان يذكر)

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٤٣٥

(٢) الأغاني، ٣٢/١

(فقالت نعم لا شك غير لونه ... سرى الليل يطوي نصه والتهجر)

(رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر)

(أخا سفر جواب أرض تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر)

(وليلة ذي دوران جشمتني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر)

(فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر)

هذه الأبيات جمعت على غير توال لأنه إنما ذكر منها ما فيه صنعة غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن أحمد بن المكي ." (١)

" صوت

(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر)

(بحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

(أشارت بمدراها وقالت لتربها ... أهذا المغيري الذي كان يذكر)

(لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسان قد يتغير)

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة وهما

(وليلة ذي دوران جشمتني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر)

(فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر)

رمل آخر بالوسطى عن عمرو قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال قلت لأعرابي ما معنى قول ابن أبي ربيعة

(بحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

فقال قام كما جلس ." (٢)

" محمد بن مزيد فحدثني حماد قال قال لي أبي اختصر الأصمعي فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه وإلا فكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

---

(١) الأغاني، ٨٩/١

(٢) الأغاني، ١٤٢/١

اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام

وقال إسحاق في خبره كان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغ عنه في حياة هشام فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت إلا من أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال لم تحفظه فقال له يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثأره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا وكتب إليه احبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا ." (١)

" المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب فابتاع له موضع داره بثلثمائة أوقية من الذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهب وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرسا وقينة فمكث في منزل أوس حتى هلك ثم تحول إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها

وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب وثبت أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحملان

مقتل زيد بن أيوب

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمادا فخرج زيد بن أيوب يوما من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه فلقيه رجل من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه فقال له وقد عرف فيه شبه أيوب ممن الرجل قال من بني تميم قال من أيهم قال مرئي قال له الأعرابي وأين منزلك قال الحيرة قال أمن بني أيوب أنت قال نعم ومن أين تعرف بني أيوب واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه فقال له سمعت بهم ولم يعلمه أنه قد عرفه فقال له زيد بن أيوب فمن أي العرب أنت قال أنا امرؤ من طيىء فأمنه زيد وسكت عنه ثم إن الأعرابي اغتفل زيد بن أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه فلم يرم حافر دابته حتى مات فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد

---

(١) الأغاني، ١/٤٠٢

فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ثم غدوا في طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلا فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله فاتبعوه وأغدوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية فصاحوا ". (١)

" أبدا

فلما فرغ عدي بن زيد قام عدى بن مرينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبدا ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد

(ألا أبلغ عديا عن عدي ... فلا تجزع وإن رثت قواكا)

(هياكلنا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم به غناكا)

(فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد سواكا)

(ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا)

قال ثم قال عدي بن مرينا للأسود أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب **بثأرك** من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت أخبرك أن معدا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني قال فما تريد قال أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئا إلا بأمر ابن مرينا وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة والمعدي لا يصلح إلا هكذا

فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه إذا رأيتموني أذكر عديا عند الملك بخير فقولوا إنه لكذلك ولكنه لا يسلم عليه أحد وإنه ليقول إن الملك يعني النعمان عامله وإنه هو ولاه ما ولاه فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه فكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمان له ". (٢)

" ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

---

(١) الأغاني، ٩١/٢

(٢) الأغاني، ١٠١/٢

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر ويكنى قيس أبا يزيد

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم

(بين شكول النساء خلقتها ... حذوا فلا جبلة ولا قضف)

فقال لولا أن أبا يزيد قال حذوا ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع

وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها

خداش بن زهير يساعد قيس بن الخطيم على الأخذ بالثأر

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيي ." (١)

" ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال

كان سبب قتل الخطيم أن رجلا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله وقيس يومئذ صغير وكان عدي أبو الخطيم أيضا قتل قبله قتله رجل من عبد القيس فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره ولم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله وظفر بقاتل جده بذي المجاز فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ولم يكن معه إلا رهط من الأوس فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري فاستنجده فلم ينجده فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي فإذا هو واقف على راحلته في السوق فطعنه قيس بحربة فقتله ثم استمر فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه فقال في ذلك قيس بن الخطيم

(ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشباخ جعلت إزاءها)

(ضربت بذي الزجين ربقة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها)

(وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها) ." (٢)

" (طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)

---

(١) الأغاني، ٣/٣

(٢) الأغاني، ٣/٤

(ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها)

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل

وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلا من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر وكان عالما بحديث الأنصار قال

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر وكان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجارا وجعلت تقول لقيس هذا قبر أبيك وجدك فكان قيس لا يشك أن ذلك على ذلك ونشأ أيدا شديد الساعدين فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر فقال له ذلك الفتى والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك من أن تخرجها علي فقال ومن قاتل أبي وجدي قال سل أمك تخبرك فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه بين ثدييه وقال لأمه أخبريني من قتل أبي وجدي قالت ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء فقال والله لتخبرينني من قتلهما أو ل أتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقالت أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر فقال والله لا أنتهي حتى أقتل ." (١)

" مالا له بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة فرمي من الأطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاءوا فحملوه إلى منزله فلم يروا له كفأ إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل على رأسه فأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال يا قيس قد أدركت بثأرك فقال عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة فقال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وهذا الشعر أعني

(أجد بعمرة غنيانها ...)

فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رواحة وقيل بل قاله في عمرة امرأة كانت لحسان بن ثابت وهي عمرة بنت صامت بن خالد

---

(١) الأغاني، ٥/٣

وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره فكافأه قيس بذلك وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال

مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريس فقال له حسان أظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا وليت شعري ما خلفك وما شأنك أقل ناصرك أم راث رافدك فلم تكلمه وشتمه نساؤها فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه ." (١)

" عندك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال

كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه

(غنني للغريض يابن قنان ...)

فقيل له من ابن قنان هذا لسنا نعرفه من مغني البصرة قال وما عليكم منه ألكم قبله دين فتطالبوه به أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره قالوا ليس بيننا وبينه شيء من هذا وإنما أردنا أن نعرفه فقال هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي فقالوا له إلى متى قال مذ يوم ولد وإلى يوم يموت قال وأنشدنا أيضا في هذه القصيدة

(ووافاني هلال السماء في البردان)

فقلنا يا أبا معاذ أين البردان هذا لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت في بيتي سميته البردان أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة قال حدثني يحي بن الجون العبدي راوية بشار قال

كنا عند بشار يوما فأنشدنا قوله

(وجارية خلقت وحدها ... كأن النساء لديها خدم) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٣/٣

(٢) الأغاني، ١٥٧/٣

" تخوفكم عليه

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة

ولما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ سحره قال سيعلم مصفر الإست من انتفخ سحره أنا أم هو ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيىء الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه

فلما خرج وخرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه

مقتل بعض أعداء النبي

وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا ." (١)

" ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال

لما استمرت الهزيمة بمروان أقام عبد الله بن علي بالرقة وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق وأتبعه جيشا عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قواد خراسان فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير فقتله وذلك يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي فأنفذه عبد الله بن علي

---

(١) الأغاني، ١٩١/٤

إلى أبي العباس فلما وضع بين يديه خر لله ساجدا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني

(لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن يزيد قال ." (١)

" (أحي يتبعون العير نحرا ... أحب إليك أم حيا هلال)

(لعلك قاتل وردا ولما ... تساق الخيل بالأسل النهال)

(ألا يا مال ويح سواك أقصر ... أما ينهاك حلمك عن ضلال)

يوما رحرحان

وأما يوما رحرحان فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم وهذا اليوم الثاني فكان الطماح الحنفي أغار في بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب وبني عبادة بن عقيل وطوائف من بني عبس يقال لهم بنو حذيفة فركبت بنو جعدة وبنو أبي بكر بن كلاب ولم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر فأدركوا الطماح من يومهم فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم

قال وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس فإن كعب الفوارس وهو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء مر على بني نهد وعليه سلاحه فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ثم إن خليفا بعد ذلك بدهر مر على بني جعدة فرآه مالك بن عبد الله بن ." (٢)

" الكرة

فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء

ثم أنشأت تقول

(يا بنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي)

(فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي)

---

(١) الأغاني، ٣٣٧/٤

(٢) الأغاني، ٢٤/٥

(إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي)

(جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي)

(فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي)

(لو بعين فقئت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل)

(تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلي)

(يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل)

(هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول)

(ورماني قتله من كثب ... رمية المصمي به المستأصل)

(يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل)

(خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي)

(ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي)

(يشتفي المدرك **بالثأر** وفي ... دركي **ثأري** ثكل المثكل)

(ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلا منه دما من أكحلي) ." (١)

" وحذق وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة

(أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل)

(أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلي)

(فلا يدعني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل)

(وإلا أنل **ثأري** من اليوم أو غد ... بني عمنا فالدهر ذو متطول)

(أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل)

---

(١) الأغاني، ٦٨/٥

فغني في هذا الشعر لحنين أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه وزاد فيه والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ثم دخل على حمزة فقال له أيها الأمير إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد أعجبني فإن أذن الأمير غنيته فيه قال هاته فغناه ." (١)

" فوجده باطلا فشتم زهيرا وطرده فانصرف إلى بلاد قومه وقدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك وكان شيخا عالما مجربا فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه وبلغ زهيرا مكانه فدعا ابنا له يقال له عامر وكان من فتيان العرب لسانا وبيانا فقال له إن رزاحا قد قدم على الملك فالحق به واحتل في أن تكفينيه وقال له اذممني عند الملك ونل مني وأثر به آثارا فخرج الغلام حتى قدم الشأم فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه فأعجبه ما رأى منه فقال له من أنت قال أنا عامر بن زهير بن جناب قال فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي فقال الغلام نعم فلا حياه الله أنظر أيها الملك ما صنع بظهري وأراه آثار الضرب فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه فبينا هو يحدثه يوما إذ قال له أيها الملك إن أبي وإن كان مسيئا فلست أدع أن أقول الحق قد والله نصحك أبي ثم أنشأ يقول

(فيا لك نصحة لما نذقها ... أراها نصحة ذهبت ضلالا)

ثم تركه أياما وقال له بعد ذلك أيها الملك ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها قال ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع قال أبيت اللعن والله ما قدم رزاح إلا ليثأر بهما فقال له وما آية ذلك قال اسقه الخمر ثم ابعث إليه عينا يأتك بخبره فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له وبعث عليه عيونا فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تسانده فقال

(دعيني من سنادك إن حزنا ... وسهلا ليس بعدهما رقود)

(ألا تسلين عن شبلي ماذا ... أصابهما إذا اهترش الأسود)

(فإني لو ثأرت المرء حزنا ... وسهلا قد بدا لك ما أريد)

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا فأمر بقتل النهدي رزاح ورد زهيرا إلى موضعه ." (٢)

" الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سليط بن يربوع

---

(١) الأغاني، ١١٥/٥

(٢) الأغاني، ١٣١/٥

فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعا من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوما

قال المدائني في خبره وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون لورد فإذا أنا برجل ينادي وأنا واقف في خمس بني تميم فإذا به يعرض علي المبارزة فتغافلت عنه وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خمس إلى خمس وليس يزايلني فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به

قالوا فلما قتل نافع وابن عبيس وولي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوما ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه إني مقتول لا محالة قالوا وكيف ذلك قال إني رايت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني

فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذ قال استشلاه أخذه إليه يقال أستشلاه واشتلاه قال فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس ." (١)

" ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي

(تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرم قليل)

(وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل)

(وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول)

(يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول)

وتغنت الثانية

(وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صرت نهبا مقسما)

(ولا يلبث الحوض الجديد بناؤه ... إذا كثر الوراد أن يتهدما)

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

(فيدرك ثأرا وهو لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

---

(١) الأغاني، ١٥٣/٦

(فلست أرزا بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت)

وغنى الرجل في الدور الثالث

(لحى الله صعلوكا مناه وهمه ... من الدهر أن يلقى لبوسا ومطعما) ." (١)

" (وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل)

(وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول)

(يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول)

عروضه من مقبوض الطويل والشعر للسموءل بن عادياء اليهودي والغناء لحكم الوادي

ومنها

صوت

(وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما)

(ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه ... على كثرة الوارد أن يتهدما)

عروضه من الطويل وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة وفيه لعريب ثقيل أول ومنها

صوت

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

(فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

(فإن طلبوا وترا بدا بترائهم ... ويصبر يحميهم إذا الخيل ولت) ." (٢)

" ذكر الأصوات التي تجمع النغم العشر

منها

صوت

(توهمت بالخيف رسما محيلا ... لعزة تعرف منه الطلولا)

(تبدل بالحي صوت الصدى ... ونوح الحمامة تدعو هديلا)

---

(١) الأغاني، ٣٣٠/٦

(٢) الأغاني، ٣٣٧/٦

عروضه من المتقارب الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف منى بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة والطلول جمع طلل وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار والرسم ما لم يكن له شخص وجسم والصدى ها هنا طائر وفي موضع آخر العطش ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقوني حتى يدرك بثأره قال طرفة

(كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم إن متنا صدى أينا الصدي)

والحمام القماري ونحوها من الطير والهديل أصواتها

الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ونسبه إلى جاريته وكنى عنها فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت وذكر أن طريقته من الثقيل ." (١)

" الأصمعي أمضي فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثأرك وكان عباد فقأ عين مالك يوم المربد

شعره في فتنة مسعود

قال

وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ وهو يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بحيال الأزد ومعه سعد والرباب والأساورة وقال حارثة بن بدر

(سيكفيك عبس أخو كهمس ... مقارعة الأزد بالمربد)

(ويكفيك عمرو واشياعه ... لكيز بن أفصى وما عددوا)

(وأكفيك بكرا إذا أقبلت ... بطعن يشيب له الأمرد)

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب فقال له حارثة إنه والله ما أرسل إليك نظرا لك ولا إبقاء عليك ولكنه أراد أن يغري بينك وبين سعد فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ

أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا عن محمد بن سلام عن أبي اليقظان قال

---

(١) الأغاني، ٣٨٩/٨

مر حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال ما هذه الأحامرة فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول ." (١)

" به عرفوا أن حجرا يقاتلهم وأنه لا بد من القتال فحشد الناس لذلك وبلغ حجرا أمرهم فأقبل نحوهم فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر فلم يلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه وتشاور القوم في قتله فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم أي قوم لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله فدعا غلاما من بني كاهل وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء فقال يا بني أعندك خير **فتثأر** بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك فلم يزل بالغلام حتى حربه ودفع اليه حديدة وقد شحذها وقال ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل **ثأرنا** وفي أيدينا فقال الغلام إنما **ثأرت** بأبي فخلوا عنه وأقبل كاهنهم المزدجر فقال أي قوم قتلتموه ملك شهر وذل دهر أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا

قال ابن السكيت ولما طعن الأسدي حجرا ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له انطلق إلى ابني نافع وكان أكبر ولده فإن بكى وجزع فاله عنه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس وكان أصغرهم فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ." (٢)

" (تطاول الليل على دمون ... دمون إنا معشر يمانون)

(وإننا لأهلها محبون ...)

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم قال

(خليلي لا في اليوم مصحى لشارب ... ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب)

---

(١) الأغاني، ٤٠٩/٨

(٢) الأغاني، ١٠٤/٩

ثم شرب سبعا فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك **بثأره** فلما جنه الليل رأى برقا فقال

(أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل)

(أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل)

(بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل)

(فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول)

(ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون إذا ما أكل)

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاما قد ترعرع وكان في بني حنظلة مقيما لأن ظئره كانت امرأة منهم فلما بلغه ذلك قال

(يا لهف هند إذ خطئن كاهلا ... القاتلين الملك الحلاحلا)

(تالله لا يذهب شيخي باطلا ... ياخير شيخ حسبا ونائلا)

(وخيرهم قد علموا فواضلا ... يحملننا والأسل النواهلا)

(وحي صعب والوشيج الذابلا ... مستثفرات بالحصى جوافلا) ." (١)

" وقال ابن قتيبة في خبره إن القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجارية بن مر قال ويقال بل كانت مع عامر بن جوين الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر وعياله فقام ودخل الوادي ثم صاح ألا إن عامر بن جوين غدر فأجابه الصدى مثل قوله فقال ما أقبح هذا من قول ثم صاح ألا إن عامر بن جوين وفى فأجابه الصدى بمثل قوله فقال ما أحسن هذا ثم دعا ابنته بجذعة من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين فقالت ابنته والله ما رأيت كاليوم ساقي واف فقال وكيف بهما إذا كانتا ساقي غادر هما والله حينئذ أقبح

امرؤ القيس في ديار بكر وتغلب

وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب فسألهم النصر على بني أسد فبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجؤوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث فلما كان الليل قال لهم علباء يا معشر بني أسد تعلمون والله إن عيون امرئ

---

(١) الأغاني، ١٠٦/٩

القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة ففعلوا واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت أبيت اللعن لسنا لك بثأر نحن من كنانة فدونك ." (١)

" ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال في ذلك

(ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا)

(وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب)

(وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب)

يعني ببني أبيهم بني كنانة لأن أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سمعت رجلا سأل يونس عن قوله صفر الوطاب فقال سألنا رؤبة عنه فقال لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن وقال غيره صفر الوطاب أي إنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن

وأدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جامون على الماء فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له قد أصبت ثأرك قال والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا قالوا بلى ولكنك رجل مشؤوم وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه ومضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير ". (٢)

" على تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه

(ألا من مبلغ الحيين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(فإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا رويتم أبدا صديا)

وقال أيضا

---

(١) الأغاني، ١٠٨/٩

(٢) الأغاني، ١٠٩/٩

(ظل وسط الندي قتلى بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

وقال في المتجردة

(ديار للتي قتلتك غصبا ... بلا سيف يعد ولا نبال)

(بطرف ميت في عين حي ... له خبل يزيد على الخبال)

وقال أيضا

(ولقد دخلت على الفتاة ... الخدر في اليوم المطير)

(الكاعب الحسناء ترفل ... في الدمقس وفي الحرير)

(دافعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير)

(ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير)

(ورنت وقالت يا منخل ... هل بجسمك من فتور) ." (١)

" قيدا فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه وعكب رجل من لخم فعذبه حتى قتله

وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه

(ألا من مبلغ الحرين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(وإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا أرويتما أبدا صديا)

(يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا)

قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله

(إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري)

(لا تسألي عن جل ما ... لي واذكري كرمي وخيري)

(وإذا الرياح تناوحت ... بجوانب البيت الكسير)

---

(١) الأغاني، ٨/١٠

(ألفيتني هش الندي ... بمر قدحي أو شجيري)

الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية ." (١)

" الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم

وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش

فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي

(لعمرك إني والخزاعي طارقا ... كنعجة عاد حتفها تتحفر)

(أثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تجزر)

(شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أعسر)

(كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة ... ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر)

(فهلا أباكم في هذيل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوبا وأوتر)

(ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الديل عبد ويعمر)

(وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نحروكم وعقروا)

(عجبت لشيخ من ربيعة مهتر ... أمر له يوم من الدهر منكر)

فأجابه طارق الخزاعي فقال

(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... إلى أي من يظنني أتعذر) ." (٢)

" (فأبت إلى فهم وما كنت آئبا ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر)

(إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر)

(ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مبصر)

(فذاك قريع الدهر ما كان حولا ... إذا سد منه منخر جاش منخر)

(فإنك لو قايست باللصب حيلتي ... بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر)

---

(١) الأغاني، ١٠/١٠

(٢) الأغاني، ٢٧/١٠

قتل هو وأصحابه نفرا من العوص

وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة عن فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك ." (١)

" (وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم)

(نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم)

(ولكن فات صاحب بطن رهو ... وصاحبه فأنت به زعيم)

(أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم)

(ثأرت بها وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم)

(نحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم)

(وإن تقع النسور علي يوما ... فلحم المعنفي لحم كريم)

(وذي رحم أحال الدهر عنه ... فليس له لذي رحم حريم)

(أصاب الدهر آمن مروتيه ... فألقاه المصاحب والحميم)

(مددت له يمينا من جناحي ... لها وفر وكافية رحوم)

(أواسيه على الأيام إني ... إذا قعدت به اللؤما ألوم)

رثاؤه لأخيه عمرو

ذكروا انه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب ." (٢)

(١) الأغاني، ١٥٢/١٠

(٢) الأغاني، ١٦٥/١٠

" تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن أخو سفيان تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل

فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه

وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه

(وحرمت النساء وإن أحلت ... بشور أو بمزج أو لصاب)

(حياتي أو أزور بني عتير ... وكاهلها بجمع ذي ضباب)

(إذا وقعت لكعب أو خثيم ... وسيار يسوغ لها شرابي)

(أظني ميتا كمدا ولما ... أطالع طلعة أهل الكراب)

(ودمت مسيرا أهدي رعيلا ... أؤم سواد طود ذي نقاب)

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي

(لعلك أن تجيء بك المنايا ... تساق لفتية منا غضاب)

(فتنزل في مكرهم صريعا ... وتنزل طرقة الضبع السغاب) ." (١)

" (تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب)

ثم أن السمع بن جابر أخا تابط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر

(بأعلى ذي جماجم أهل دار ... إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا)

(طرقتهم بفتيان كرام ... مساعير إذا حمي المقام)

(متى ما أدع من فهم تجبني ... وعدوان الحماة لهم نظام)

أصابته في غارته غلى الأزد

---

(١) الأغاني، ١٠/١٦٦

ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين

ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا

قال مرة ." (١)

" (فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم ... وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا)

(وأخطأهم قتلى ورفعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل)

(واخطأ غنم الحي مرة بعدما ... حوته إليه كفه والأنامل)

(يعض على أطرافه كيف زوله ... ودون الملا سهل من الأرض ماثل)

(فقلت له هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمنا من نفسه ما يزاول)

(تولول سعدى أن أتيت مجرحا ... إليها وقد منت علي المقاتل)

(وكائن أتاها هاربا قبل هذه ... ومن غانم فأين منك الولاول)

أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم

فلما انقضت الأشهر الحرم وخرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس

فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب بن حدار ابنا جابر أخوا تأبط

فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا

---

(١) الأغاني، ١٦٧/١٠

فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تأبط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال ." (١)

" قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه

اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وترقوس

قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس

قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه

فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ

(ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول لقد أصبحت أشعث أغبرا)

مصرعه على يد غلام

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولادهن حتى أثأر بهم

فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا

قالوا لا والله ما لنا فيه أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها

فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا

فقال له أصحابه ويحك انطلق فو الله ما نرى أن نقيم عليها

قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت ." (٢)

" (ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض)

(ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلا ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض)

(ولكنه قد نازعته مجاوع ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

---

(١) الأغاني، ١٠/١٦٩

(٢) الأغاني، ١٠/١٧٥

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول

(أصبحت موردا فقربوني ... إلى سواد الحي يدفنوني)

(إن زهيرا وسطهم يدعوني ... رب المخاض واللقاح الجون)

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش واصحابه وانقطعت بنوزليفة فنظر الأكنع الثمالي وكان مقطوع الأصبع إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي ." (١)

" (رأيت بني العلات لما تضافروا ... يحوزون سهمي دونهم بالشمائل)

أخبار سائر اخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا

وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك

(لعمرك ساري بن أبي زنيم ... لأنت بعرعر الثأر المنيم)

(تركت بني معاوية بن صخر ... وأنت بمربع وهم بضيم)

(تساقيهم على رصف وظر ... كدابغة وقد حلم الأديم)

رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان

(فلم نتركهم قصدا ولكن ... فرقت من المصالت كالنجوم)

(رأيتهم فوارس غير عزل ... إذا شرق المقاتل بالكلوم)

فأجابه سارية قال ." (٢)

" (لعلك يا أبح حسبت أني ... قتلت الأسود الحسن الكريما)

---

(١) الأغاني، ٢٢٤/١٠

(٢) الأغاني، ٢٢٦/١٠

(أخذتم عقله وتركتموه ... يسوق الظمي وسط بني تميما)

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل

قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله

قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا

وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال

(سدت عليه دولجا ثم يممت ... بني فالج بالليث أهل الخزائم)

الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة

(وقالت له دنخ مكانك إنني ... سألقاك إن وافيت أهل المواسم)

يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه

وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش وأنشأ يقول ." (١)

" (لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل)

(وقالت : أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل)

(فلا تحسبي أني تناسيت فقده ... ولكن صبري يا أميم جميل)

(ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل)

(أبى الصبر أنى لا يزال يهيجني ... مبيت لنا فيما خلا ومقيل)

(وأني إذا ما الصبح آنست ضوءه ... يعاودني قطع علي ثقيل)

قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم إنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا

---

(١) الأغاني، ٢٢٧/١٠

به كلوم فقال له أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا

فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فو الله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك للثأر المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا ." (١)

" (وإن أنتم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل)

(وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل)

(ألا حبذا من عنده القلب في كبل ... ومن حبه داء وخبل من الخبل)

(ومن هو لا ينسى ومن كل قوله ... لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل)

(ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه ... ومن إن دنا في الدار أرصد بالبذل)

(وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال

خبر مصرع السمهري

لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا ." (٢)

" وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسجح في هذا الصوت لمالك ومعبد وابن سريج وابن محرز والغريض وابن مسجح لكلهم فيه ألحان قال فبلغ عمرا خبر المنخل فأخذه فقتله

وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب الثأر به

---

(١) الأغاني، ٢٢٨/١٠

(٢) الأغاني، ٢٣٨/١٠

(طل وسط العراق قتلي بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

رجع الخبر إلى سياقه

قالوا جميعا فلما صار النابغة الى غسان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن خذه ولو بقرطي مارية

وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار

وإياها عنى حسان بقوله في جبلة بن الأيهم

(أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الجواد المفضل) ." (١)

" هند فاستعدوه على بكر وقالوا غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء

وقالت بكر أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعضيهة وسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا

قد سقيناهم إذ وردوا وحملناهم على الطريق إذ خرجوا فهل علينا إذ حار القوم وضلوا ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة

(لم يغروكم غرورا ولكن ... يرفع الآل جرمهم والضحاء)

ابو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد

وقال يعقوب بن السكيت كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول لو قالها في حول لم يلم

قال وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحا وعرض ببعضها لعمرو بن هند فمن ذلك قوله

(أعلينا جناح كندة أن يغنم ... غازيهم ومنا الجزاء)

قال وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث اليهم رجالا من بني تغلب يطالبونهم بذلك فقتلوا ولم يدرك بثأرهم فعيرهم بذلك

هكذا ذكر الأصمعي

---

(١) الأغاني، ١١/١٩

وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأرا قال وهكذا البيت الذي يليه وهو ." (١)

" (أم علينا جرى قضاعة أم ليس ... علينا فيما جنوا أنداء)

فإنه عيره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعل كندة ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأرا قال وقوله

(أم علينا جرى حنيفة أم ما ... جمعت من محارب غبراء)

قال وكانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلة وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة

قال وقوله

(وثمانون من تميم بأيديهم ... رماح صدورهن القضاء)

يعني عمرا أحد بني سعد بن مناة زيد خرج في ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضا تعرف بنطاع قريبة من البحرين فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة فلم يدرك منه بثأر

قال وقوله ." (٢)

" (ثم خيل من بعد ذاك مع الغلاق ... لا رأفة ولا إبقاء)

قال الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر وكان من بني حنظلة ابن زيد مناة تميميا

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان فامتنعوا وقالوا لا نطيع أحدا من بني المنذر أبدا أيظن ابن هند أنا له رعاء

---

(١) الأغاني، ٤٧/١١

(٢) الأغاني، ٤٨/١١

فغضب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحدا فغزاهم فقتل منهم قوما ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم فأمسك عن بقيتهم وطلت دماء القتلى فذلك قول الحارث

(من أصابوا من تغلبي فمطلول ... عليه إذا تولى العفاء)

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكر عنده فقال

(من لنا عنده من الخير آيات ... ثلاث في كلهن القضاء)

(آية شارق الشقيقة إذا جاءوا ... جميعا لكل حي لواء)

(حول قيس مستلئمين بكبش ... قرظي كأنه عبلاء) ." (١)

" مقتل أخيه شأس ومحاولة الثأر من قاتله

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك قال أبو عبيدة

أراه النعمان وكان بينه وبين زهير صهر قال أبو عبيدة ثم حدثني مرة أخرى قال كانت ابنة زهير عنده فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوة مسكا وكسا وقطفا وطنافس فأناخ ناقته في يوم شمال وقر على ردهة في جبل ورياح بن الأسك أحد بني رباع بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلان على الردهة ليس غير بيته بالجبل فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فبتر به صلبه

قال أبو عبيدة وحدثني رجل يخيل إلي أنه أبو يحيى الغنوي قال ورد شأس وقد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب فورد منعجا وعليه خباء ملقى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يهريق عليه الماء والمرأة قريبة منه يعني امرأة رياح فإذا هو مثل الثور الأبيض

فقال رياح لامرأته أنطيني قوسي فمدت إليه قوسه وسهما وانتزعت المرأة نصله لئلا يقتله فأهوى عجلان إليه

فوضع السهم في مستدق الصلب بين فقارتين ففصلهما وخر ساقطا وحفر له حفرا فهدمه عليه ونحر جمله وأكله

قال وقال عبد الحميد أكل ركوبته وأولج متاعه بيته

وقال عبد الحميد وفقد شأس وقص أثره ونشد وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله

---

(١) الأغاني، ٤٩/١١

فقال لهم الملك حبوته وسرحته

فقالوا وما متعته به قال مسك وكسا ." (١)

" ونطوع وقطف

فأقبلوا يقصون أثره فلم تتضح لهم سبيله

فمكثوا كذلك ما شاء الله لا أدري كم حتى رأوا أمرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك فعرفت وتيقنوا أن رياحا ثأرهم

قال أبو عبيدة وزعم الاخر قال نشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على منعج وسط غني ثم أصابت الناس جائحة وجوع فنحر زهير ناقة فأعطى أمرأة شطيها فقال اشتري لي الهدب والطيب

فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح فقالت إن معي شحما أبيعه في الهدب والطيب فاشترت المرأة منها

فأتت المرأة زهيرا بذلك فعرف الهدب

فأتى زهير غنيا فقالوا نعم قتله رياح بن الأسك ونحن برءاء منه

وقد لحق بخاله من بني الطماح وبني أسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان إذا أحس الصبح يرمي الأروى إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تريغه

فركب خاله جملا وجعله على كفل وراءه

فبينا هو كذلك إذ دنت فقالوا هذه خيل عبس تطلبك

فطمر في قاع شجر فحفر في أصل ." (٢)

" سوقه

ولقيت الخيل خاله فقالوا هل كان معك أحد قال لا

فقالوا ما هذا المركب وراءك لتخبرنا أو لنقتلنك قال لا كذب هو رياح في ذلك القاع

فلما دنوا منه قال الحصينان يا بني عبس دعونا وثأرنا فخنسوا عنهما

فأخذ رياح نعلين من سبت فصيرهما على صدره حيال كبده ونادى هذا غزالكما الذي تبغيان

---

(١) الأغاني، ٨٠/١١

(٢) الأغاني، ٨١/١١

فحمل عليه أحدهما فطعنه فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته ورماه رياح موليا فجذم صلبه

قال ثم جاء الآخر فطعنه فلم يغن شيئا ورماه موليا فصرعه

فقالت عبس أين تذهبون إلى هذا والله ليقتلن منكم عدد مراميه وقد جرحاه فسيموت

قال وأخذ رياح رمحيهما وسلبيهما وخرج حتى سند إلى أبان

فأتته عجوز وهو يستدمي على الحوض ليشرب منه وقالت استأسر تحي فقال جنبيني حتى أشرب

قال فأبت ولم تنته

فلما غلبته أخذ مشقصا وكنع به كرسوعي يديها

قال فقال عبد الحميد فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحا ثأره قال يرثي شأسا

قصيدة زهير بن جذيمة في رثاء ابنه شأس

(بكيت لشأس حين خبرت أنه ... بماء غني آخر الليل يسلب)

(لقد كان مأتاه الرداه لحتفه ... وما كان لولا غرة الليل يغلب) ." (١)

" عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظما ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا ما هذا ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة فمر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا القطعتين حتى فعلا ذلك ثلاث مرات فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلم أي أدنى شيء وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم

فقال صاحبه لرياح اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ثم ماض إن تركوني

فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سرته والأخرى على صفنه ثم شد عليهما العمامة ومضى صاحبه حتى لقي القوم فسألوه فحدثهم وقال هذه غني كاملة وقد دنوت منهم فصدقوه وخلوا سربه

فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك فقال لا مكذبة ذلك رياح في الأول من السمرات

فقال الحصينان لمن معهما قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد فمضيا ووقف القوم عنهما

---

(١) الأغاني، ١١/٨٢

قالوا قال رياح فاذا هما ينقلان فرسيهما فما زالا يريغاني فابتدراني فرميت الأول فبترت صلبه وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السرة فأصاب الربلة ومر الفرس يهوي به فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الأوصال وقد بترت صلبيهما

قال أبو عبيدة قال أبو حية بل قال رياح استدبرته بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتها فكأنما نشرت بمنشار

قال عبد الحميد وند فرساهما ." (١)

" فأجابه الحارث بن ظالم

(أتاني عن قييس بني زهير ... مقالة كاذب ذكر التبولا)

(فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتل ثأركم حرزا أصيلا)

(ولكن قلتم جاور سوانا ... فقد جللتنا حدثا جليلا)

(ولو كانوا هم قتلوا أخاكم ... لما طردوا الذي قتل القتيلا)

قال ابوعبيدة فلما منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر

وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم فساروا في عليا هوازن

فلما كانوا قريبا من القوم في أول واد من أوديتهم خرج رجل من بني غني ببعض البوادي فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصرته ومنعه

فانطلق بها الغنوي الى رحله فانسلت في وسط من الليل فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال هي منذرة عليك

فقال له الأحوص ومتى عهدك بها قال عهدي بها والمني يقطر من فرجها

قال وأبيك إن عهدك بها لقريب

وتبع المرأة عامر بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها أخبريني أي قوم أخذوك قالت أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء

قال أولئك بنو عامر

---

(١) الأغاني، ٨٤/١١

قال فحدثيني من في القوم قالت رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه حتى يرفعوا له من حاجبيه

قال ذلك الأحوص بن جعفر

قالت ورأيت شابا شديد الخلق ." (١)

" (لقد ضربوا وجها عليه مهابة ... وما تحفل الصم الجنادل من ردى)

(فلو أنكم كنتم غداة لقيتم ... لقيطا صبرتم للأسنة والقنا)

(غدرتم ولكن كنتم مثل خضب ... أصاب لها القناص من جانب الشرى)

(فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... شريح وأردته الأسنة إذ هوى)

(فإن تعقب الأيام من عامر يكن ... عليهم حريقا لا يرام إذا سما)

(ليجزيهم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماء الحمس يا مال من بوا)

(ولو قتلتنا غالب كان قتلها ... علينا من العار المجدع للعلا)

(لقد صبرت للموت كعب وحافظت ... كلاب وما أنتم هناك لمن رأى)

وقالت دختنوس أيضا

(لعمري لئن لاقت من الشر دارم ... عناء لقد آبت حميدا ضرابها)

(فما جبنوا بالشعب إذ صبرت لهم ... ربيعة يدعى كعبها وكلابها)

(عصوا بسيوف الهند وأعتكرت لهم ... براكاء موت لا يطير غرابها)

براكاء مباركة القتال وهو الجد في القتال

يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابه

وقالت دختنوس ." (٢)

" بقر مكان هنالك فإن ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل

فنظروا فقال قائل أرى رجلا يقود بعيرا كأنه يقوده لصيد

قال توبة ذلك ابن الحبترية وذلك من أرمى من رمى

فمن له يختلجه دون القوم فلا ينذرون بنا قال فقال عبد الله أخو توبة أنا له

---

(١) الأغاني، ١٠٤/١١

(٢) الأغاني، ١٥١/١١

قال فاحذر لا يضربنك وإن استطعت أن تحول بينه وبين أصحابه فافعل

فخلى طريق فرسه في غمض من الأرض ثم دنا منه فحمل عليه فرماه ابن الحبترية قال وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل السهم ساق عبد الله فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فانذرهم فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة

قال وغشيهم توبة ومن معه فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحو وأخذوا سلاحهم ودرقهم وزحف إليهم توبة فارتمى القوم لا يغني أحد منهم شيئا في أحد

ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله قال يا أخي لا تترس لي فإني رأيت ثورا كثيرا ما يرفع الترس عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه

قال ففعل فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه

وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر

ثم إن ثورا قال انتزعوا هذا السهم عني

قال توبة ما وضعناه لننتزعه

فقال أصحاب توبة أنج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشا

قال توبة كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون

فقالوا ." (١)

" فقال ابن جفنة إن هذا لذو دين ثم مال على القيسيين وقال ألا تحدثوني عن هذه الرياح الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء لم سميت بهذه الأسماء فإنه قد أعياني علمها فقال القوم هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال يا خير الفتيان ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف فما هب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب وما هب عن شماله فهي الشمال وما هب من أمامه فهي الصبا وما هب من خلفه فهي الدبور وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء فقال ابن جفنة إن هذا للعلم يابن عبد المدان وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له ما تقول يابن عبد المدان فقال يزيد يا خير الفتيان ليس صغيرا

---

(١) الأغاني، ٢١٨/١١

من منعك العراق وشركك في الشام وقيل له أبيت اللعن وقيل لك يا خير الفتيان وألفى أباه ملكا كما ألفيت أباك ملكا فلا يسرك من يغرك فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة فغضب عامر بن مالك وقال له يابن الديان أما والله لتحتلبن بها دما فقال له ولم أزيد في هوازن من لا أعرفه فقال لا بل هم الذين تعرف فضحك يزيد ثم قال ما لهم جرأة بني الحارث ولا فتك مراد ولا بأس زبيد ولا كيد جعفي ولا مغار طيئ وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء ما قتلنا أسيرا قط ولا اشتهينا حرة قط ولا بكينا قتيلا حتى نسيء به وإن هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم حتى يقتل السمي بالسمي والكني بالكني والجار بالجار وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعرا غدا به على ابن جفنة ." (١)

" فضلا عليك وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهم القوم الذين ثأرك عندهم فكان يسعك السكوت أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف فقال أيها الأمير قد عفوت فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب قال قد فعلت فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقا بالضيافة فقام مسرورا فأدخلنا فأتى بطعام كان قد أعده فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحد منهم إلا في المنزل وهو على ثلاثة فراسخ فنزلت فرحلتهم وأقام عنده إلى العصر ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين وقال له إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم بمكانك فقال فأنا أتجهز وألحق بالأمير ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق فودعه وأقام ببلده

بعض الأشعار التي غنى فيها

فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئا منها قال الغناء للدار الكبيرة وإذا ذكر شيئا من صنعته قال الغناء للدار الصغيرة فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه في شعر أخت عمرو بن عاصية وقيل إنه لاخت مسعود بن شداد فإنه صوت نادر جيد قال أبو العبيس بن حمدون وقد ذكره ففضله جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٢/١٧

(٢) الأغاني، ١٢/١٢٦

" (نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى ... لقوم علينا في مكارمة فضلا)

(وإنا بطاء المشي عند نسائنا ... كما قيدت بالصيف نجدية بزلا)

(نظل غيارى عند كل ستيرة ... نقلب جيدا واضحا وشوى عبلا)

(وإنا لنعطي المال دون دمائنا ... ونأبى فما نستام دون دم عقلا)

قال أبو عمرو الشيباني قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بني عامر كانت بينه وبينهم دماء فأدرك بثأره وزاد وأعطاهم ديات من قتل فضلا على قتلي قومه فقبلوه وصالحوه

وقال أبو عمرو أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر فمرض الأفوه مرضا شديدا فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب فلما التقوا عرف بعضهم بعضا فقال لهم بنو عامر ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين لا والله حتى نأخذ بطائلتنا فقام أخو المقتول وهو رجل من بني كعب بن أود فقال يا بني أود والله لتأخذن ." (١)

" (ودوية قفر يحاربها القطا ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه)

(ليدرك ثأرا أو ليكسب مغنما ... ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه)

(فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه)

(فعش معذرا أو مت كريما فإنني ... أرى الموت لا يبقى على من يطالبه)

صوت

(أصادرة حجاج كعب ومالك ... على كل فتلاء الذراعين محنق)

(أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم ترنق)

عروضه من الطويل الصادر المنصرف وهو ضد الوارد وأصله من ورود الماء والصدر عنه ثم يقال لكل مقبل إلى موضع ومنصرف عنه وكعب من خزاعة ومالك يعني مالك بن النضر بن كنانة وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم ومحنق ضامرة والشيمة الخلق والطبيعة وترنق تكدر والرنق الكدر

---

(١) الأغاني، ١٩٩/١٢

الشعر لكثير عزة يرثي خندقا الأسدي والغناء للهذلي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق وفي الثاني من البيتين ثم الأول ." (١)

" فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له **بثأره** فكره ذلك زفر فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم فقال أين تريدون فأخبروه بما كان من زفر فقال أمهلوني ألق الشيخ فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت والله لئن ظفر بهذه العصابة إنه لعار عليك ولئن ظفروا إنه لأشد قال زفر فاحبس علي القوم وقام زفر في أصحابه فحرضهم ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوسا وسار حتى انتهى إلى **الثرثار** فدفنوا أصحابهم ثم وجه زفر بن الحارث يزيد بن حمران في خيل فأساء إلى بني فدوكس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم فلم يبق في ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حمران فأعاذها وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل وبلغ ذلك بني تغلب واليمن فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالكحيل وهو نهر أسفل الموصل مع المغرب فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم من ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان في دجلة قريبا من رمية سهم فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى اصبحوا فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ففقدوا ." (٢)

" (غداة يقارع الأبطال حتى ... جرى منهم دما مرج الكحيل)

(قبيل ينهدون إلى قبيل ... تساقى الموت كيلا بعد كيل)

وفي ذلك يقول جرير يعير الأخطل

(أنسيت يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا)

(حملت عليك حماة قيس خيلها ... شعثا عوابس تحمل الأبطالا)

(ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلا تكر عليكم ورجالا)

(زفر الرئيس أبو الهذيل أبادكم ... فسبى النساء وأحرز الأموالا)

---

(١) الأغاني، ٢٠٢/١٢

(٢) الأغاني، ٢٣٣/١٢

اغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب

فما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله

(ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر)

(أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي ... عليك بحور طاميات الزواخر)

(تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى ... البحر تزهاه رياح الصراصر)

فوثب الجحاف يجر مطرفه ومايعلم من الغضب فقال عبد الملك ." (١)

" ناقته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه فقال له يا هذا إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل قال له فهي لك فكشف عن الرحل فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا إن أخي في بني عقيل أسير فسر معي بقومك فقال له أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك وإلا فامض راشدا فقال له الجون مس السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك فأنعم له بذلك وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي - السريع -

(لا تشتمونا إذا جلبنا لكم ... ألفي كميت كلها سلهبه) ." (٢)

" سعيه في رد الإبل لطلحة

قال المفضل كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة جارا لبني ربيعة بن عجل بن لجيم فأكلوا إبله فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله فقال

---

(١) الأغاني، ١٢/٢٣٥

(٢) الأغاني، ١٣/٨

له الأسود لست جامعهما لك ولكن اختر أيهما شئت قال أختار أن تسعى لي بإبلي فقال الأسود لأخواله من بني عجل

(يا جار طلحة هل ترد لبونه ... فتكون أدنى للوفاء وأكرما)

(تالله لو جاورتموه بأرضه ... حتى يفارقكم إذا ما أجرما) - طويل -

وهي قصيدة طويلة فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسود ابن يعفر فقالوا أما إذا كنت شفيعه فخذها وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك

إغارته على كاظمة ومرضه

وقال ابن الأعرابي قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله عما لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ ومعه الأسود بن يعفر فالتفت النعمان يوما إلى خالد بن مالك فقال له أي فارسين في العرب تعرف هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل فقال له أبيت اللعن أنت أعلم فقال خالا ابن عمك الأسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليين وائلا وسليطا فتغير لون خالد بن مالك وإنما أراد النعمان أن يحثه على الطلب بثأر عمه فوثب الأسود فقال أبيت اللعن عض بهن أمه ." (١)

" من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال يا بن عم الخمرعلي حرام حتى أثأر لك بعمك قال وعلي مثل ذلك ونهضا يطلبان القوم فجمعا جمعا من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة وأرسلا رجلا من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد بتجسس لهم الخبر فرجع إليهم فقال جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجار وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش فركبت بنو نهشل حتى أتوهم فنادوا من كان حاجا فليمض لحجه ومن كان تاجرا فليمض لتجارته فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا فقتل وائل وسليط قتلهما هزان ابن زهير بن جندل بن نهشل عادى بينهما وادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلا ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال وفي نذرك يا أسود قال نعم أبيت اللعن ثم أقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله ثم مرض مرضا شديدا فبعث النعمان إليه رسولا يسأله عن خبره وهول ما به فقال

(نفع قليل إذ نادى الصدى أصلا ... وحان منه لبرد الماء تغريد)

(وودعوني فقالوا ساعة انطلقوا ... أودى فأودى الندى والحزم والجود)

---

(١) الأغاني، ٢٤/١٣

(فما أبالي إذا ما مت ما صنعوا ... كل امرئ بسبيل الموت مرصود) - بسيط -

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه قال

كان أبو جعل أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعا من ." (١)

" (ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنان وعامل) - طويل -

فمكث في الحبس مدة ثم أخلي سبيله فقال

(سأترك ثغر الري ما كنت واليا ... عليه لأمر غالني وشجاني)

(فإن أنا لم أدرك بثأري وأثئر ... فلا تدعني للصيد من غطفان)

(تمنيتني يا ابن الحصين سفاهة ... ومالك بي يا ابن الحصين يدان)

(فإني زعيم أن أجلل عاجلا ... بسيفي كفاحا هامة ابن قنان) - طويل -

قال فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر ليحدث المغيرة فخرج يوما من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال وخرج من عنده ممسيا يريد داره فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال في ذلك

(من مبلغ قيسا وخندف أنني ... ضربت كثيرا مضرب الظربان)

(فأقسم لا تنفك ضربة وجهه ... تذل وتخزي الدهر كل يمان)

(فإن تلقني تلق امرأ قد لقيته ... سريعاإلى الهيجاء غير جبان) ." (٢)

" (أيزعم أن العامري لفعله ... بعاقبة يرمى به الرجوان)

(ويذكر إن لاقاه زلة نعله ... فجيء للذي لم يستبن ببيان)

(كذبت ولكن بابن علبة جعفر ... فدع ما تمنى زلت القدمان)

(أصيب فلم يعقل وطل فلم يقد ... فذاك الذي يخزى به الأبوان)

(وحق لمن كان ابن أشعر ثائرا ... به الطل حتى يحشر الثقلان)

(ذليل ذليل الرهط أعمى يسومه ... بنو عامر ضيما بكل مكان)

---

(١) الأغاني، ٢٥/١٣

(٢) الأغاني، ١٨٥/١٣

(فلم يبق إلا قوله بلسانه ... وما ضر قول كاذب بلسان)

(هجا نافع كعبا ليدرك وتره ... ولم يهج كعب نافعا لآوان)

(ولم تعف من آثار كعب بوجهه ... قوارع منها وضح وقوان)

(وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفر ... خضاب نجيع لا خضاب دهان)

(فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة ... بسيف ولم يطعنهم بسنان)

(فما لك مهجى يا ابن أشعر فاكتعم ... على حجر واصبر لكل هوان)

(إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمه ... فليس يجلى العار بالهذيان)

(أبي قيس عيلان وعمي خندف ... ذوا البذخ عند الفخر والخطران)

(إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا ... ربيعة لم يعدل بنا أخوان)

(أليس نبي الله منا محمد ... وحمزة والعباس والعمران) ." (١)

" فلما شغل يديها وقع عليها فلا تقدر على الامتناع خوفا من أن يذهب السمن فضربت العرب المثل بها وقالت أشغل من ذات النحيين فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها وأنها ثأرت للنساء ثأرهن من الرجال بما فعلته

الملاءة وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله أن الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة ينشدهم فقالت لجارية من هذا قالت عمر بن أبي ربيعة المتنقل من منزله من ذات وداد إلى أخرى الذي لم يدم على وصل ولا لقوله فرع ولا أصل أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقر منهن بخسف والله لأمة من إمائنا آنف منهن فبلغ ذلك عمر عنها فراسلها فراسلته فقال

(حي المنازل قد عمرن خرابا ... بين الجرين وبين ركن كسابا)

(بالثني من ملكان غير رسمها ... مر السحاب المعقبات سحابا) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٩٧/١٣

(٢) الأغاني، ٢٩٧/١٣

" وعد النوشجاني محمد بن حازم شيئا سأله إياه ثم مطله وعاتبه فلم ينتفع بذلك واقتضاه فأقام على مطله فكتب إليه

(أبا بشر تطاول بي العتاب ... وطال بي التردد والطلاب)

(ولم أترك من الأعذار شيئا ... ألام به وإن كثر الخطاب)

(سألتك حاجة فطويت كشحا ... على رغم وللدهر انقلاب)

(وسمتني الدنية مستخفا ... كما خزمت بآنفها الصعاب)

(كأنك كنت تطلبني بثأر ... وفي هذا لك العجب العجاب)

(فإن تك حاجتي غلبت وأعيت ... فمعذور وقد وجب الثواب)

(وإن يك وقتها شيب الغراب ... فلا قضيت ولا شاب الغراب)

(رجوتك حين قيل لي ابن كسرى ... وإنك سر ملكهم اللباب)

(فقد عجلت لي من ذاك وعدا ... وأقرب من تناوله السحاب)

(وكل سوف ينشر غير شك ... ويحمله لطيته الكتاب)

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال قصد محمد بن حازم بعض ولد سعيد بن سالم وقد ولي عملا واسترفده فأطال مدته ولم يعطه شيئا وانصرف عنه وقال ." (١)

" ونصره له وفيها يقول

(بذي لجب رسول الله فيه ... كتيبته تعرض للضراب)

(ولو أدركن صرم بني هلال ... لآم نساؤهم والنقع كابي)

خبر مقتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب بثأر جاره فقال

(إذا كان با غ منك نال ظلامة ... فإن شفاء البغي سيفك فافصل)

(ونبئت أن قد عوضوك أباعرا ... وذلك للجيران غزل بمغزل)

(فخذها فليست للعزيز بنصرة ... وفيها متاع لامرئ متذلل)

---

(١) الأغاني، ١٠٧/١٤

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى **يثأر** بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله

(أتاني من الأنباء أن ابن مالك ... كفى ثائرا من قومه من تغببا) ." (١)

" ونصره له وفيها يقول

(بذي لجب رسول الله فيه ... كتيبته تعرض للضراب)

(ولو أدركن صرم بني هلال ... لآم نساؤهم والنقع كابي)

خبر مقتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب **بثأر** جاره فقال

(إذا كان باغ منك نال ظلامة ... فإن شفاء البغي سيفك فافصل)

(ونبئت أن قد عوضوك أباعرا ... وذلك للجيران غزل بمغزل)

(فخذها فليست للعزيز بنصرة ... وفيها متاع لامرئ متذلل)

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى **يثأر** بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله

(أتاني من الأنباء أن ابن مالك ... كفى ثائرا من قومه من تغببا) ." (٢)

" خفاف قتلني الله إن رمت حتى **أثأر** به فشد على مالك بن حمار الشمخي وكان سيد بني شمخ بن فزارة فقتله قال وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة فقال خفاف في ذلك - طويل -

---

(١) الأغاني، ٣٠٣/١٤

(٢) الأغاني، ٣٠٨/١٤

(فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عين تيممت مالكا)

يعني مالك بن حمار الشمخي

قال أبو عبيدة فأجمل أبو بلال الحديث

قال وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب فبينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المرية وكانت جميلة وزعم أنها كانت بغيا فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة فقال أما والله لأقارعنه عنك

قالت شأنك وشأنه

فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له فقال هاشم فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده

قال فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية بن عمرو غازيا يريد بني مرة وبني فزارة في فرسان أصحابه من بني سليم حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة والشك من أبي عبيدة دومت عليه طير وسنح له ظبي فتطير منهما ورجع في أصحابه وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال ما منعه من الإقدام إلا الجبن قال فلما كانت السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطير فرجع ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارسا منهم لا يريدون قتالا إنما تخلف عن عظم الجيش راجعا إلى بلاده فوردوا ماء وإذا عليه بيت ." (١)

" الصحيح للجريح ما لك لا تجيبه فقال وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشد أخي عليه فقتله فأينا قتلت أدركت ثأرك إلا أنا لم نسلب أخاك

قال فما فعلت فرسه الشماء قال ها هي تلك خذها

فردها عليه فأخذها ورجع فلما أتى صخر قومه قالوا له اهجهم

قال إن ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكفف نفسي إلا رغبة عن الخنا لفعلت

وقال صخر في ذلك - طويل -

(وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا)

---

(١) الأغاني، ١٥/٨٦

قال أراد تباكره باللوم ولم يرد الليل نفسه إنما أراد عجلتها عليه باللوم كما قال النمر بن تولب العكلي - مديد -

(بكرت باللوم تلحانا ...)

وقال غيره تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم والأضياف والنظر في الحمالات وأمور قومه لأنه قوامهم - طويل -

(تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... وما لي إذ أهجوهم ثم ما ليا)

(أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا)

أي من شمائلي

ويروى من فعاليا

(إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا)

(إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا) ." (١)

" القليب فرجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة فقال أبو سفيان يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك ثأرا ممن أصيب منا

ففعلوا فاجتمعت قريش لحرب رسول الله حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله

وكان أبو عزة عمرو ابن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله يوم بدر وكان في الأسارى فقال يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك

فمن عليه رسول الله فقال صفوان بن أمية يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بنفسك

فقال إن محمدا قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه

فقال بلى فأعنا بنفسك ولك الله إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر

---

(١) الأغاني، ٩٦/١٥

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة وخرج مسافع بن عبدة بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ودعا جبير بن مطعم غلاما يقال له وحشي وكان حبشيا يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق

وخرجت قريش بحدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة ." (١)

" قال ابن حبيب في خبره وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وكانت منازله ما بين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العماليق فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفض جموعه فانفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء وكانت من أحزم الناس فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكرت الفرات في وقت قلة الماء وبنت أزجا من الآجر والكلس متصلا بذلك النفق وجعلت نفقا آخر في البرية متصلا بمدينة لأختها ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت عدوا دخلت النفق

فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم إنك إن غزوت جذيمة فإنه امرؤ له ما يصده فإن ظفرت أصبت ثأرك وإن ظفر بك فلا بقية لك والحرب سجال ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه وسليه أن يجيبك إلى ذلك لأنه إن اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة

فكتبت الزباء في ذلك إلى جذيمة تقول له إنها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وإنها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وإنها لم تجد كفأ غيره وتسأله الإقبال عليها وجمع ملكها إلى ملكه

فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع ." (٢)

" أنها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه فقالت يا جذيم أذات عروس ترى قال بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر

---

(١) الأغاني، ١٥/١٧٥

(٢) الأغاني، ١٥/٣٠٦

ثم قال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى

قالت والله ما ذلك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس

ثم قالت لجواريها خذن بعضد سيدكن

ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه وقالت له يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فإني أريده للخبل

فقال لها وما يحزنك من دم أضاعه أهله وإنما كان بعض الكهان قال لها إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره

فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات

قال والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخبل

قال المتلمس – طويل –

(من الدارميين الذين دماؤهم ... شفاء من الداء المجنة والخبل)

قال وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها ومضى قصير إلى عمرو بن ." (١)

" عبد الحر التنوخي فقال له اطلب بدم ابن عمك وإلا سبتك به العرب

فلم يحفل بذلك فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك فجعل ذلك له فأتى القادة والأعلام فقال لهم أنتم القادة والرؤساء وعندنا الأموال والكنوز

فانصرف إليه منهم بشر كثير فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك بن عمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني في الزباء

فقال وكيف وهي أمنع من عقاب الجو فقال أما إذ أبيت فإني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها فأعني وخلاك ذم

فقال له عمرو وأنت أبصر

---

(١) الأغاني، ١٥/٣٠٨

فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت قال أنا قصير ولا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لخدمته مني ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني فعرفت أني لن أكون مع أحد أثقل عليه منك

فقالت أي قصير نقبل ذلك منك ونصر لك في بضاعتنا

وأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عدي ما ظن أنه يرضيها وانصرف إليها به فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ولم يزل حتى أنست به فقال لها إنه ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقا يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها

فقالت أما أني قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريري هذا يخرج إلى نفق تحت سرير أختي

وأرته إياه فأظهر لها سرورا بذلك وخرج في تجارته كما كان يفعل وعرف عمرو بن عدي ما فعله فركب عمرو في ألفي دارع على ألف بعير في الجوالق حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير يسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها اصعدي في حائط مدينتك فانظري إلى مالك وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء من أعكامنا فإني قد جئت بمال صامت

وقد كانت أمنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه ." (١)

" (فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري)

(فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك في جواري)

فقال حبيب يا غلام هات القوس

فقال له زياد ما تصنع بها قال أرمي جارتك هذه

قال والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير

فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر فقال المهلب علي بأبي بسطام فأتي بحبيب فقال له أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار

فقال أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب

قال أعطه كما آمرك

فأنشأ زياد يقول – طويل –

---

(١) الأغاني، ٣٠٩/١٥

(فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها قرم العراق المهلب)

(رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والسهم يغرب)

(فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب)

(فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جلدي وأقرب)

قال فحمل حبيب إليه ألف دينار على كره منه فإنه ليشرب مع حبيب يوما إذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضغن عليه مما جرى فأمر بشق قباء ديباج كان عليه فقام فقال - طويل -

(لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب)

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال له صدق زياد ما خرقت إلا جلدي تبعث هذا على أن يهجوني ثم بعث إليه فأحضره فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه ." (١)

" قال خالد بن كلثوم

ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

(معاوي إلا تعطنا الحق تعترف ... لحي الأزد مشدودا عليها العمائم)

(أيشتمنا عبد الأراقم ضلة ... وماذا الذي تجدي عليك الأراقم)

(فمالي ثأر غير قطع لسانه ... فدونك من يرضيه عنك الدراهم)

(وأرع رويدا لا تسمنا دنية ... لعلك في غب الحوادث نادم)

(متى تلق منا عصبة خزرجية ... أو الأوس يوما تخترمك المخارم)

(وتلقك خيل كالقطا مسبطرة ... شماطيط أرسال عليها الشكائم)

(يسومها العمران عمرو بن عامر ... وعمران حتى تستباح المحارم)

(ويبدو من الخود الغريرة حجلها ... وتبيض من هول السيوف المقادم)

(فتطلب شعب الصدع بعد انفتاقه ... فتعيا به فالآن والأمر سالم)

(وإلا فبزي لأمة تبعية ... مواريث آبائي وأبيض صارم)

(وأجرد خوار العنان كأنه ... بدومة موشي الذراعين صائم)

---

(١) الأغاني، ٣٧٤/١٥

(وأسمر خطي كأن كعوبه ... نوى القسب فيها لهذمي ضبارم) ." [1]

" الأعراف رمل قال الأثرم الأعراف كل ما ارتفع ومنه قول الله تعالى (ونادى أصحاب الأعراف)

(حتى هوى متزايلا أوصاله ... للحد بين جنادل وقفاف)

(لله در بني علي إن هم ... لم يثأروا عوفا وحي خفاف)

قال الأثرم وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه فقال

(تذكر ليلى حسنها وصفاءها ...)

وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضا

(ألا لله در بني فراس ... لقد أورثتم حزنا وجيعا)

(غداة ثوى ربيعة في مكر ... تمج عروقه علقا نجيعا)

(فلن أنسى ربيعة إذ تعالى ... بكاء الظعن تدعو يا ربيعا)

وقال كعب بن زهير وأمه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة يرثي ربيعة بن مكدم ويحض على بني سليم ويعير بني كنانة بالدماء ." [2]

" التي أدوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية

(بان الشباب وكل إلف بائن ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعن)

(قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... وأراك ذا بث ولست بدائن)

(غضي ملامك إن بي من لومكم ... داء أظن مماطلي أو فاتني)

(أبلغ كنانة غثها وسمينها ... الباذلين رباعها بالقاطن)

(أن المذلة أن تطل دماؤكم ... ودماء عوف ضامن في العاهن)

(أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كلف لهم بظعائن)

(طلبوا فأدرك وترهم مولاهم ... وأبت محاملكم إباء الحارن)

(شدوا المآزر فاثأروا بأخيكم ... إن الحفائظ نعم ربح الثامن)

(كيف الحياة ربيعة بن مكدم ... يغدى عليك بمزهر أو قائن)

---

(١) الأغاني، ٥٣/١٦

(٢) الأغاني، ٦٩/١٦

(وهو التريكة بالعراء وحارث ... فقع القراقر بالمكان الواتن)
(كم غادروا لك من أرامل عيا ... جزر الضباع ومن ضريك واكن)
وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة
(ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سحا ولا عازب لالا ولا راقي)
(أبكي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حزنا بعده باقي) ." [1]
" (إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثأري ذي الخواتم والسوار)
(وما عرفت دمي فتبوء منه ... برهن في حبالي أو ضمار)
(وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصب ذي الجمار)
(من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتمار)
(كذبتم ما السلام بقول زور ... وما اليوم الحرام بيوم ثار)
(ولا تسليمنا حرما بإثم ... ولا الحب الكريم لنا بعار)
(فإن لم نلقكم فسقى الغوادي ... بلادك والرويات السواري)
قال سليمان وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة فودعها وتفرقوا
(يا أحسن الناس لولا أن نائلها ... قدما لمن يبتغي ميسورها عسر)
(وإنما دلها سحر تصيد به ... وإنما قلبها للمشتكي حجر)
(هل تذكرين كما لم أنس عهدكم ... وقد يدوم لعهد الخلة الذكر)
(قولي وركبك قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس الشقوة السفر)
(يا ليت أني بأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلك هذا العام مؤتجر)
(فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا ... بالحج أمس فهذا الحل والسفر)
(ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم ... إلفان ليس لنا في الود مزدجر)
(فكان حظك منها نظرة طرفت ... إنسان عينك حتى ما بها نظر) ." [2]
" (إذا ما منعت المال منكم لثروة ... فلا يهنني مالي ولا ينم لي كسبي)

---

(١) الأغاني، ٧٠/١٦

(٢) الأغاني، ١٢٧/١٦

وقد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب لرجل من مراد يقال له مالك بن أبي كعب وذكر له خبر في ذلك

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس عن مجالد عن الشعبي قال

كان رجل من مراد يكنى أبا كعب وكان له ابن يدعى مالكا وبنت يقال لها طريفة فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب فلم تزل معه حتى مات أبو كعب فقالت الأرحبية لمالك إني قد اشتقت إلى أهلي ووطني ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش فلو ارتحلت بأهلك وبي فنزلت على أهلي لكان عيشنا أرغد وشملنا أجمع فأطاعها وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب فمر بحي كان بينهم وبين أبيه ثأر فعرفوا فرسه فخرجوا إليه وأحدقوا به وقالوا له استسلم وسلم الظعينة فقال أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا وقاتلهم حتى صرع فقال وهو يجود بنفسه

(لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فر عني مالك بن أبي كعب)

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر

قال مؤلف هذا الكتاب وأحسب هذا الخبر مصنوعا وأن الصحيح هو الأول ." (١)

" (ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب)

(لعمري لقد غال التجلد أننا ... فقدناك فقد الغيث والعام جادب)

(فما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب)

(ولا لي من الإخوان إلا مكاشر ... فوجه له راض ووجه مغاضب)

(فقدت فتى قد كان للأرض زينة ... كما زينت وجه السماء الكواكب)

(لعمري لئن كان الردى بك فاتني ... وكل امرىء يوما إلى الله ذاهب)

(لقد أخذت مني النوائب حكمها ... فما تركت حقا علي النوائب)

(ولا تركتني أرهب الدهر بعده ... لقد كل عني نابه والمخالب)

(سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح ... يحل به دان من المزن ساكب)

(إذا بشر الرواد بالغيث برقه ... مرته الصبا واستحلبته الجنائب)

---

(١) الأغاني، ٢٥٤/١٦

(فغادر باقي الدهر تأثير صوبه ... ربيعا زهت منه الربا والمذائب)

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني المبرد قال

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصل بنان له بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره

(وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه)

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن وسأل عن قائله فأخبر به وكلم في أمره وأحسنت الجماعة رفده وقام الفتح بأمره قياما تاما فأمر بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفي يده حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح من سر من رأى فأطلق وأخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سر من رأى إلا بإذنه ثم أطلقه ." (١)

" لأنك كنت صغيرا وقد كبرت الآن فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفا ينشد الناس فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين فقيل إنه مات لوقته وقيل بل سلم تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها على نفسه فجاءه رجل من قومه فصاح به يا مصعب إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان قال نعم فخرج إليه ووضع يده في يده فسلمه إلى السلطان فقذفه في سجن تبالة

قال السكري في خبره ومكث ابن الدمينة جريحا ليلته ومات في غد فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

(هتفت بأكلب ودعوت قيسا ... فلا خذلا دعوت ولا قليلا)

(ثأرت مزاحما وسررت قيسا ... وكنت لما هممت به فعولا)

(فلا تشلل يداك ولا تزالا ... تفيدان الغنائم والجزيلا)

(فلو كان ابن عبد الله حيا ... لصبح في منازلها سلولا)

قال وبلغ مصعبا أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلة فقال يحرض قومه

(لقيت أبا السري وقد تكالا ... له حق العداوة في فؤادي)

---

(١) الأغاني، ١٦/٣٩٨

(فكاد الغيظ يفرطني إليه ... بطعن دونه طعن السداد)

(إذا نبحت كلاب السجن حولي ... طمعت هشاشة وهفا فؤادي)

(طماعة أن يدق السجن قومي ... وخوفا أن يبيتني الأعادي)

(فما ظني بقومي شر ظن ... ولا أن يسلموني في البلاد) ." (١)

" نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

أبو قيس لم يقع إلي اسمه غير ابن الأسلت والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر

وهو شاعر من شعراء الجاهلية وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس واستشهد يوم القادسية

وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم فطلبه **بثأره** هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت ." (٢)

" من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن أعصر وإخوتهم الحارث وهو الطفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر فاستحر القتل بغني وفيهم يومئذ فرسان وشعراء فملأت طيء أيديهم من غنائمهم وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه

ثم إن غنيا تجمعت بعد ذلك مع لف من بني عامر فغزوا طيئا في أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا **ثأرهم** منهم

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها

(وخيبة من يخيب على غني ... وباهلة بن أعصر والكلاب)

فلما أدركوا **ثارهم** أجابه طفيل الغنوي فقال

(سمونا بالجياد إلى أعاد ... مغاورة بجد واعتصاب)

---

(١) الأغاني، ١٠٣/١٧

(٢) الأغاني، ١٢١/١٧

(نؤمهم على وعث وشحط ... بقود يطلعن من النقاب)

وهي طويلة يقول فيها

(أخذنا بالمخطم من أتاهم ... من السود المزنمة الرغاب)

(وقتلنا سراتهم جهارا ... وجئنا بالسبايا والنهاب) ." (١)

" معاوية فأراده على البراءة من علي عليه السلام فامتنع عليه وقال

(يحاولني معاوية بن حرب ... وليس إلى الذي يهوى سبيل)

(على جحدي أبا حسن عليا ... وحظي من أبي حسن جليل)

قال وله أشعار كثيرة

قال أبو عمرو كان لتغلب رئيس يقال له الجرار وأدرك النبي وأبى الإسلام وامتنع منه فيقال إن رسول الله بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام وقال في ذلك

(صبحت حي بني الجرار داهية ... ما إن لتغلب بعد اليوم جرار)

(نحوى النهاب ونحوي كل جارية ... كأن نقبتها في الخد دينار)

قال مؤرج خرج رجل من طيىء يقال له ذؤاب بن عبد الله إلى صهر له من هوازن فأصيب الرجل – وكان شريفا ذا رياسة في حيه – فبلغ ذلك زيدا فركب في نبهان ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر وجعل كلما أخذ أسيرا قال له ألك علم بالطائي المقتول فإن قال نعم قتله وإن قال لا خلى سبيله ومن عليه وأصاب رجالا من بني الوحيد والضباب وبني نفيل ثم رجع زيد إلى قومه فقالوا ما صنعت فقال ما أصبت بثأر ذؤاب ولا يبوء به إلا عامر ابن مالك ملاعب الأسنة فأما ابن الطفيل فلا يبوء به وأنشأ زيد يقول

(لا أرى أن بالقتيل قتيلا ... عامريا يفي بقتل ذؤاب)

(ليس من لاعب الأسنة في النقع ... وسمي ملاعبا بأراب)

(عامر ليس عامر بن طفيل ... لكن العمر رأس حي كلاب)

(ذاك إن ألقه أنال به الوتر ... وقرت به عيون الصحاب) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٢٥٩/١٧

(٢) الأغاني، ٢٦١/١٧

" فقال الملوك لأرياط قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى وقد أبيت إلا حسن الرأي فيه وقد أنصفك وكان أرياط قد عرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلا وكان أبرهة قصيرا دميما قبيحا منكر الجمة فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن فبرز بين الصفين ومشى أحدهما إلى صاحبه وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه ووقع بين رجلي أرياط فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه فسكن الدم والتأم الجرح وأخذ عودا وجعله في فيه وقال أيها الملك إنما أنا شاة فاصنع ما أردت فقد أبصرت أمري ففرح أرياط بما صنع وكان أبرهة قد سم خنجرا وجعله في بطن فخذه كأنه خافية نسر

أبرهة يقتل أرياط

فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه وهو ينظر يمينا وشمالا لئلا تراه ملوك الحبشة استل خنجره فطعنه في فرج درعه فأثبته وخر أرياط على قفاه وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه فسمي أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه

فملك أبرهة عشرين سنة ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن يزن الحميري

تحرك سيف بن ذي يزن

فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري فكلموه في الخروج وقالوا إنا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا أن ندرك بثأرنا فأنعم لهم فخرج إلى قيصر ملك الروم فكلمه أن ينصره على الحبشة فأبى ." (١)

" أدركوا منهم وتجهز على جريحهم

وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء وكان اسم صنعاء أزال فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها فقالت صنعة فسميت صنعاء وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيرا فقال لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب فهدم باب صنعاء ودخل ناصبا رايته وسير بها بين يديه فقال سيف بن ذي يزن ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع إليهم أبدا

فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب إلى كسرى يخبره إني قد ملكت للملك اليمن وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جلود لها رائحة طيبة

---

(١) الأغاني، ١٧/٣٠٨

كسرى يملك سيفا اليمن والحبشة يغتالونه

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفا ويقدم وهرز إلى كسرى

فخلف على اليمن سيفا فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونها حتى أفناها إلا بقايا منها أهل ذلة وقلة فاتخذهم خولا واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه

فمكث كذلك غير كثير وركب يوما وتلك الحبشة معه ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى إذا كان وسطا منهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه حتى قتلوه

وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من ." (١)

" الحبشة فجعلت له حلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الأخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرت يمينه وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة

وكان ملك أرياط عشرين سنة وملك أبرهة ثلاثا وعشرين سنة وملك يكسوم تسع عشرة سنة وملك مسروق اثنتي عشرة سنة فهذه أربع وسبعون سنة

وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين ورسول الله وآله ابن ثلاثين سنة أو نحوها لأن رسول الله ولد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة

ونسخت خبر مديحه سيفا بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه فاعتمدت هذه الرواية قال

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها لتهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد في ناس من وجوه قريش فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٣١١/١٧

(٢) الأغاني، ٣١٢/١٧

" له يقال له غمدان فأخبره الآذن بمكانهم فأذن لهم فدخلوا عليه وهو على شرابه وعلى رأسه غلام واقف ينثر في مفرقه المسك وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول وبين يديه أمية بن أبي الصلت الثقفي ينشده قوله في هذه الأبيات

أمية يمدح سيفا

(لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن ... في البحر خيم للأعداء أحوالا)

(أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا)

(ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا)

(حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا)

(لله درهم من فتية صبروا ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا)

(بيض مرازبة غلب أساورة ... أسد تربت في الغيضات أشبالا)

(فالتط من المسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا)

(واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا)

(تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا)

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء ويسمون باليمن الأبناء وبالكوفة الأحامرة وبالبصرة الأساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة

عبد المطلب يهنىء سيفا وسيف يسر إليه بأمارات ظهور النبي

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام فقال له سيف بن ذي يزن إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته في أكرم موطن وأطيب معدن فأنت - أبيت اللعن - ملك ." (١)

"كسرى لهوذة رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح

---

(١) الأغاني، ٣١٣/١٧

قال هوذة أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت وهم قتلوا أبي فقال كسرى قد أدركت ثأرك فكيف لي بهم قال هوذة إن أرضهم لا تطيقها أساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جندا من أساورتك فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك

ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ثم سرح إلى هوذة فأتاه فقال ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتف وسرح معهم جوار بودار ورجلا من أردشير خره فقال لهوذة سر مع رسولي هذا فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين وهو حصن هجر

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه فدنوا من حيطان المشقر ثم نودي إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا فانصب عليهم الناس وكان أعظم من أتاهم بنو سعد فجعلوا إذا جاؤوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلا رجلا حتى يذهب به إلى المكعبر فتضرب عنقه وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل فيقال له ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر فإذا مر رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء أو رجل يرجوه قال للمكعبر هذا من قومي فيخليه له

فنظر خيبري بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ أسلحتهم ." (١)

" أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

صوت

(أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر)

(وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال أمسى له وفر)

(أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر)

(ترى أن ما أنفقت لم يك ضائري ... وأن يدي مما بخلت به صفر)

عروضه من الطويل

الثراء الكثرة في المال وفي عدد القوم أيضا والوفر الغنى ووفور المال والصدى ها هنا كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائرا يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه فإذا قتل أقبل يصوت على قبره حتى يدرك بثأره والصفر الخالي والصدى العطش والصدى ما يجيب إذا صوت في المكان الخالي وصدأ الحديد مهموز

---

(١) الأغاني، ٣٢١/١٧

الشعر لحاتم الطائي والغناء لإسحاق رمل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر الهشامي أن فيه ثقيلا أول ولمالك خفيفا وذكر حبش أن فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى ." (١)

" فطعنه فقتله وقال

(فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا)

(رفعت له ما جر إذ جر موته ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا)

(أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا)

قال ابن سلام وهو الذي يقول

(يا هند يا أخت بني الصارد ... ما أنا بالباقي ولا الخالد)

(إن أمس لا أملك شيئا فقد ... أملك أمر المنسر الحارد)

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي

خفاف والعباس بن مرداس

أخبرني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الحجاج السلمي قال

كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافا ." (٢)

" بلغني مقالتك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ولا أسب أباك وأمك ولكني رام سوادك بما فيك وإنك لتعلم أني أحمي المصاف وأتكرم على السلب وأطلق الأسير وأصون السبية وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلا اتقيت به وأما استهانتي بسبايا العرب فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلى الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثأرك وأما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه وأما تمنيك موتي فإن مت قبلك فأغن غنائي وإن سليما لتعلم أني أخف عليهم مؤونة وأثقل على عدوهم وطأة منك وإنك لتعلم أني أبحث حمى بني زبيد وكسرت قرني

---

(١) الأغاني، ٣٦٢/١٧

(٢) الأغاني، ٨٢/١٨

الحارث وأطفأت جمرة خثعم وقلدت بني كنانة قلائد العار ثم انصرف فقال خفاف أبياتا لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله

(ولم تقتل أسيرك من زبيد ... بخالي بل غدرت بمستقاد)

(فزندك في سليم شر زند ... وزادك في سليم شر زاد)

فأجابه العباس بقوله

(ألا من مبلغ عني خفافا ... فإني لا أحاشي من خفاف)

(نكحت وليدة ورضعت أخرى ... وكان أبوك تحمله قطاف)

(فلست لحاصن إن لم نزرها ... تثير النقع من ظهر النعاف)

(سراعا قد طواها الأين دهما ... وكمتا لونها كالورس صاف)

قال ثم كف العباس وخفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائبا فقال يا عباس ما نقول فيك إلا خيرا إلا وهو ." (١)

" بعضهم يزيد والصحيح أنه يزيد لأن عباد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد وقال بعضهم بل الذي ولاه معاوية وهو الذي ولى سعيد بن عثمان خراسان

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعبيد الله بن محمد الرازي قالا حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال

دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وأن ينجب ولدها وأما قولك إنك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك وأما قولك إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم عمر فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

---

(١) الأغاني، ٨٤/١٨

هجاؤه بني زياد

قالوا فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية وقال الآخرون إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح يقول له إن ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده فهرب من خراسان إلى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا ." (١)

" بالنعمان فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللزبات فقالوا لم يا أخا كندة قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ثم قام شاعرهم فقال

(إذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلا على من يفاخر)

(فمن قال كلا أو أتانا بخطة ... ينافرنا يوما فنحن نخاطر)

(تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر)

ثم قام بسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا ينقل قالوا ولم يا أخا شيبان قال لأنا أدركهم للثأر وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وألدهم للخصم ثم قام شاعرهم فقال

(لعمري لبسطام أحق بفضلها ... وأولى ببيت العز عز القبائل)

(فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا ... إذا جد يوم الفخر كل مناضل)

(ألسنا أعز الناس قوما وأسرة ... وأضربهم للكبش بين القبائل)

(فيخبرك الأقوام عنها فإنها ... وقائع ليست نهزة للقبائل)

(وقائع عز كلها ربعية ... تذل لهم فيها رقاب المحافل)

(إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها ... وعاذ بها من شرها كل قائل) ." (٢)

" (وإنا ملوك الناس في كل بلدة ... إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل)

---

(١) الأغاني، ١٨/٢٧٠

(٢) الأغاني، ١٩/١٩٨

ثم قام حاجب بن زرارة فقال لقد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها فقالوا له بم ذاك يا أخا بني تميم قال لأنا أكثر الناس إذا نسبنا عددا وأنجبهم ولدا وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ثم قام شاعرهم فقال

(لقد عملت أبناء خندف أننا ... لنا العز قدما في الخطوب الأوائل)

(وأنا هجان أهل مجد وثروة ... وعز قديم ليس بالمتضائل)

(فكم فيهم من سيد وابن سيد ... أغر نجيب ذي فعال ونائل)

(فسائل أبيت اللعن عنا فإننا ... دعائم هذا الناس عند الجلائل)

ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم وأثبتهم في النائبات مقاوم قالوا ولم ذاك يا أخا بني سعد قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثأر وأنا لا ننكل إذ حملنا ولا نرام إذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال

(لقد علمت قيس وخندف كلها ... وجل تميم والجموع التي ترى)

(بأنا عماد في الأمور وأننا ... لنا الشرف الضخم المركب في الندى)

(وأنا ليوث الناس في كل مأزق ... إذا اجتر بالبيض الجماجم والطلى)

(وأنا إذا داع دعانا لنجدة ... أجبنا سراعا في العلا ثم من دعا)

(فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما ... وقيسا إذا مد الأكف إلى العلا) ." (١)

" (مهلا بني عمنا ظلامتنا ... إن بنا سورة من القلق)

(لمثلكم نحمل السيوف ولا ... تغمز أحسابنا من الدقق)

(إني لأنمي إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق)

(بيض سباط كأن أعينهم ... تكحل يوم الهياج بالعلق)

فقلت ما أفحل هذه الأبيات فلمن هي قال لضرار بن الخطاب الفهري قالها يوم الخندق وتمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين والحسين بن علي يوم قتل وزيد بن علي عليهم السلام ولحق القوم ثم مضى إلى باخمرى فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد فتمثل

(نبئت أن بني ربيعة أجمعوا ... أمرا خلالهم لتقتل خالدا)

---

(١) الأغاني، ١٩٩/١٩

(إن يقتلوني لا تصب أرماحهم ... ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا)

(أرمي الطريق وإن صددت بضيقه ... وأنازل البطل الكمي الجاحدا)

فقلت لمن هذه الأبيات فقال للأحوص بن جعفر بن كلاب تمثل بها يوم شعب جبلة وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميما قال وأقبلت عساكر أبي جعفر فقتل من أصحابه وقتل من القوم وكاد أن يكون الظفر له ." (١)

" حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن فقال ابن مسعدة لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير فقال له حسان أجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك وبلغ حميدا قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب إليه من سليم وعامر

فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال بعثني عبد الملك بن مروان مصدقا فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم أو من استطاع منهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحوا من مائة ونيف فقال عويف القوافي

(منا الله أن ألقى حميد بن بحدل ... بمنزلة فيها إلى النصف معلما)

(لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سريجية يعجمن في الهام معجما)

(ألا ليت أني صادفتني منيتي ... ولم أر قتلى العام يا أم أسلما)

(ولم أر قتلى لم تدع لي بعدها ... يدين فما أرجو من العيش أجذما)

(وأقسم ما ليث بخفان خادر ... بأشجع من جعد جنانا ومقدما)

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ ." (٢)

" تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه

(ألا من مبلغ الحيين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

---

(١) الأغاني، ٢٠٤/١٩

(٢) الأغاني، ٢١٦/١٩

(فإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا رويتم أبدا صديا)

وقال أيضا

(ظل وسط الندي قتلى بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

وقال في المتجردة

(ديار للتي قتلتك غصبا ... بلا سيف يعد ولا نبال)

(بطرف ميت في عين حي ... له خبل يزيد على الخبال)

وقال أيضا

(ولقد دخلت على الفتاة ... الخدر في اليوم المطير)

(الكاعب الحسناء تر ... فل في الدمقس وفي الحرير)

(دافعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير)

(ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير)

(ورنت وقالت يا منخل ... هل بجسمك من فتور) ." (١)

" قيدا فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه – وعكب رجل من لخم – فعذبه حتى قتله وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه

(ألا من مبلغ الحرين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(وإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا أرويتما أبدا صديا)

(يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا)

قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله

(إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري)

(لا تسألي عن جل ما ... لي وأذكري كرمي وخيري)

---

(١) الأغاني، ٨/٢١

(وإذا الرياح تناوحت ... بجوانب البيت الكسير)

(ألفيتني هش الندي ... بمر قدحي أو شجيري)

الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية ." (١)

" الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ – ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي

(لعمرك إني والخزاعي طارقا ... كنعجة عاد حتفها تتحفر)

(أثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تجزر)

(شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أعسر)

(كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة ... ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر)

(فهلا أباكم في هذيل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوبا وأوتر)

(ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الديل عبد ويعمر)

(وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نحروكم وعقروا)

(عجبت لشيخ من ربيعة مهتر ... أمر له يوم من الدهر منكر)

فأجابه طارق الخزاعي فقال

(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... ألى أي من يظنني أتعذر) ." (٢)

" (فأبت إلى فهم وما كنت آئبا ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر)

(إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر)

(ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مبصر)

(فذاك قريع الدهر ما كان حولا ... إذا سد منه منخر جاش منخر)

(فإنك لو قايست باللصب حيلتي ... بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر)

---

(١) الأغاني، ١٠/٢١

(٢) الأغاني، ٢٧/٢١

قتل هو وأصحابه نفرا من العوص

وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة من فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك ." (١)

" (وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم)

(نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم)

(ولكن فات صاحب بطن رهو ... وصاحبه فأنت به زعيم)

(أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم)

(ثأرت به وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم)

(نحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم)

(وإن تقع النسور علي يوما ... فلحم المنفي لحم كريم)

(وذي رحم أحال الدهر عنه ... فليس له لذي رحم حريم)

(أصاب الدهر آمن مروتيه ... فألقاه المصاحب والحميم)

(مددت له يمينا من جناحي ... لها وفر وكافية رحوم)

(أواسيه على الأيام إني ... إذا قعدت به اللؤما ألوم)

رثاؤه لأخيه عمرو

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٥٢/٢١

(٢) الأغاني، ١٦٥/٢١

" تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه

(وحرمت النساء وإن أحلت ... بشور أو بمزج أو لصاب)

(حياتي أو أزور بني عتير ... وكاهلها بجمع ذي ضباب)

(إذا وقعت لكعب أو خثيم ... وسيار يسوغ لها شرابي)

(أظني ميتا كمدا ولما ... أطالع طلعة أهل الكراب)

(ودمت مسيرا أهدي رعيلا ... أؤم سواد طود ذي نقاب)

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي

(لعلك أن تجيء بك المنايا ... تساق لفتية منا غضاب)

(فتنزل في مكرهم صريعا ... وتنزل طرقة الضبع السغاب) ." (١)

" (تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب)

ثم إن السمع بن جابر أخا تأبط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر

(بأعلى ذي جماجم اهل دار ... إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا)

(طرقتهم بفتيان كرام ... مساعير إذا حمي المقام)

(متى ما أدع من فهم تجبني ... وعدوان الحماة لهم نظام)

أصابته في غارته على الأزد

---

(١) الأغاني، ٢١/١٦٦

ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا قال مرة ." (١)

" (فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم ... وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا)

(وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل)

(وأخطأ غنم الحي مرة بعدما ... حوته إليه كفه والأنامل)

(يعض على أطرافه كيف زوله ... ودون الملا سهل من الأرض ماثل)

(فقلت له هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمنا من نفسه ما يزاول)

(تولول سعدى أن أتيت مجرحا ... إليها وقد منت علي المقاتل)

(وكائن أتاها هاربا قبل هذه ... ومن غانم فأين منك الولاول)

أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب حدار ابنا جابر أخوا تأبط فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تابط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٦٧/٢١

(٢) الأغاني، ١٦٩/٢١

" قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه

اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وتر قوس قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس

قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه

فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ

(ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول لقد أصبحت أشعث أغبرا)

مصرعه على يد غلام

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثأر بهم فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا قالوا لا والله ما لنا فيه أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا فقال له أصحابه ويحك انطلق فوالله ما نرى أن نقيم عليها قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت ." (١)

" (ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض)

(ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلا ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض)

(ولكنه قد نازعته مجاوع ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول

(أصبحت موردا فقربوني ... الى سواد الحي يدفنوني)

(إن زهيرا وسطهم يدعوني ... رب المخاض واللقاح الجون)

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش وأصحابه وانقطعت

---

(١) الأغاني، ١٧٥/٢١

بنو زليفة فنظر الأكنع الثمالي – وكان مقطوع الأصبع – إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي ." (١)

" (رأيت بني العلات لما تضافروا ... يحوزون سهمي دونهم بالشمائل)

أخبار سائر إخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك

(لعمرك ساري بن أبي زنيم ... لأنت بعرعر الثأر المنيم)

(تركت بني معاوية بن صخر ... وأنت بمربع وهم بضيم)

(تساقيهم على رصف وظر ... كدابغة وقد حلم الأديم)

رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان

(فلم نتركهم قصدا ولكن ... فرقت من المصالت كالنجوم)

(رأيتهم فوارس غير عزل ... إذا شرق المقاتل بالكلوم)

فأجابه سارية قال ." (٢)

" (لعلك يا أبح حسبت أني ... قتلت الأسود الحسن الكريما)

(أخذتم عقلة وتركتموه ... يسوق الظمي وسط بني تميما)

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل

قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا

وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال

---

(١) الأغاني، ٢٢٤/٢١

(٢) الأغاني، ٢٢٦/٢١

(سدت عليه دولجا ثم يممت ... بني فالج بالليث أهل الخزائم)

الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة

(وقالت له دنخ مكانك إنني ... سألقاك إن وافيت أهل المواسم)

يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه

وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش وأنشأ يقول ." (١)

" (لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل)

(وقالت أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل)

(فلا تحسبي أني تناسيت فقده ... ولكن صبري يا أميم جميل)

(ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل)

(أبى الصبر أني لا يزال يهيجني ... مبيت لنا فيما خلا ومقيل)

(وأني إذا ما الصبح آنست ضوءه ... يعاودني قطع علي ثقيل)

قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم أنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا به كلوم فقال له أبو جندب مالك فقال ضربني رجل من جيرانك فأقبل أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا

فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فوالله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك للثأر المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا ." (٢)

" (وإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل)

(وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل)

---

(١) الأغاني، ٢٢٧/٢١

(٢) الأغاني، ٢٢٨/٢١

(ألا حبذا من عنده القلب في كبل ... ومن حبه داء وخبل من الخبل)

(ومن هو لا ينسى ومن كل قوله ... لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل)

(ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه ... ومن إن دنا في الدار أرصد بالبذل)

وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال

خبر مصرع السمهري

لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طي بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا ." (١)

" يقول

(أيا بني الزنية ما غركم ... فلكم الويل بسربال حجر)

ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني أسد غير مدافع

امرؤ القيس يرفض دية أبيه ويهدد بني أسد فينشد عبيد بن الأبرص

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد أو يمهلهم حولا فقال أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر وأما النظرة فلكم ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى أشفي نفسي وأنال ثاري

فقال عبيد بن الأبرص في ذلك

صوت

---

(١) الأغاني، ٢١/٢٣٨

(يا ذا المخوفنا بقتل ... أبيه إذلالا وحينا) ." (١)

" (أناة وحملا وانتظارا بكم غدا ... فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر)

(أظن صروف الدهر و الجهل منهم ... ستحملهم مني على مركب وعر)

فليت شعري أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها أم رام الخلافة أن ينالها وأوشك أن يوهن الله شوكته فاستعن بالله واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

قال مؤلف هذا الكتاب الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي عن احمد بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال

قتلت نهد أخا وعلة الجرمي فاستعان بقومه فلم يعينوه فاستعان بحلفاء من بني نمير و كانوا له حلفاء و إخوانا فأعوناه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك

(سائل مجاور جرم هل جنيت لها ... حربا تزيل بين الجيرة الخلط)

(أم هل علوت بجرار له لجب ... يغشى المخارم بين السهل والفرط)

(حتى تركت نساء الحي ضاحية ... في ساحة الدار يستوقدن بالغبط)

فراره من قيس بن عاصم

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال ." (٢)

" يمشي رويدا وتقدمت إبله فذهبت وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين ثم قال له العديل والله لقد استرخى حقب رحلي أنزل فأغير الرحل وتعينني فنزل فغير الرحل وجعل دابغ يعينه حتى إذا شد الرحل أخرج العديل السيف فضربه حتى برد ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول

(ألم تربي جللت بالسيف دابغا ... وإن كان ثأرا لم يصبه غليلي)

(بوادي حنين ليلة البدر رعته ... بأبيض من ماء الحديد صقيل)

(وقلت لهم هذا الطريق أمامكم ... ولم أك إذ صاروا لهم بدليل)

---

(١) الأغاني، ٨٧/٢٢

(٢) الأغاني، ٢٢٢/٢٢

وقال أبو اليقطان كان العديل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه

(أهاجي بني جلان إذ لم يكن لها ... حديث ولا في الأولين قديم)

فأجابه جرثومة فقال

(وإن امرأ يهجو الكرام ولم ينل ... من الثأر إلا دابغا للئيم)

(أتطلب في جلان وترا ترومه ... وفاتك بالأوتار شر غريم)

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف وطالبه بالقود فيه فهرب العديل من الحجاج إلى بلد الروم فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر فأمنه فقال في الحجاج

(أخوف بالحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض) ." (١)

" أخبار صخر الغي ونسبه

هو صخر بن عبد الله الخيثمي أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل هذا أكثر ما وجدته من نسبه ولقب بصخر الغي لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره

مناسبة قصيدة له

فمن روى هذه القصيدة له ذكر أن السبب فيها أن جارا لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مزينة وقيل إنه كان جارا لأبي المثلم الشاعر وهو أخوهم فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلم إلى قومه وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراك بثأره فبلغ ذلك صخرا فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلم وما فعله فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول

(ولست عبدا للموعدين ولا ... أقبل ضيما أتى به أحد)

(جاءت كبير كيما أخفرها ... والقوم صيد كأنهم رمدوا)

(في المزني الذي حششت به ... مال ضريك تلاده نكد)

(إن أمتسكه فبالفداء وإن ... أقتل بسيفي فإنه قود) ." (٢)

" (ايا ثارات من قتلته سعدى ... دمي لا تطلبوه لها حلال)

(أرق لها وأشفق بعد قتلي ... على سعدى وإن قل النوال)

---

(١) الأغاني، ٣٣٠/٢٢

(٢) الأغاني، ٣٤٧/٢٢

(وما جادت لنا يوما ببذل ... يمين من سعاد ولا شمال)

ومن قوله فيها أيضا

(يا بنت أزهر إن ثأري طالب ... بدمي غدا والثأر أجهد طالب)

(فإذا سمعت براكب متعصب ... ينعي قتيلك فافزعي للراكب)

(فلأنت من بين الأنام رميتني ... عن قوس متلفة بسهم صائب)

(لا تأمني شم الأنوف وترتهم ... وتركت صاحبهم كأمس الذاهب)

(من كان أصبح غالبا لهوى التي ... يهوى فإن هواك أصبح غالبي)

(قالت وأسبلت الدموع لتربها ... لما اغتررت وأومأت بالحاجب)

(قولي له بالله يطلق رحله ... حتى يزود أو يروح بصاحب)

وقال فيها أيضا

(أرق العين من الشوق السهر ... وصبا القلب إلى أم عمر)

(واعترتني فكرة من حبها ... ويح هذا القلب من طول الفكر)

(قدر سيق فمن يملكه ... أين من يملك أسباب القدر)

(كل شيء نالني من حبها ... إن نجت نفسي من الموت هدر)

وقال أيضا ." (١)

" رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا ثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القاتل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا والله بنعمته إخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان شتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون ويزفون

(١) الأغاني، ١٨٣/٢٣

قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون

وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أما إماما جائرا يا أهل المدينة من زعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب

يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم ." (١)

" متعجلا مخفا

ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال إنا لله قتلت والله ابن عطية هو الآن يخرج مخفا متعجلا ليلحق الحج فيقتله الخوارج

فكان كما قال تعجل في بضعة عشر رجلا فلما كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة فمن كان من تلك الجماعة إباضيا عرفه فقال ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ومن لم يكن إباضيا ظنه من الإباضية وأنه منهزم فلما علم أنهم يريدونه قال لهم ويحكم أنا عامل أمير المؤمنين على الحج فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه ونصبت الإباضية رأسه فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته على الحج فأخذوا من الإباضية رأسه ودفنوه مع جسده

قال المدائني خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس في جماعة من قومهما من كندة وعرفه جمانة لما لقيه فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له رمانة وثلاثة من مراد وخمسة من كندة وقد توجه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه

وتوجه باقيهم في طريق آخر فقصدوا حيث توجه ابن عطية ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلا منهم فأدركوهم فقتلوهم وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية فعطف عبد الملك على سعيد فضربه وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ونزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيرا فقال يا عدو الله أترى الله كان يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وأبرهة فقتله وقتل أصحابه جميعا

---

(١) الأغاني، ٢٣/٢٤٩

وبعثوا برأسه إلى حضر موت وبلغ ابن أخيه وهو بصنعاء خبره

فأرسل شعيبا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وأخرب القرى وجعل يتتبع البري والنطف حتى لم يبق أحد من قتله ابن عطية ولا ." (١)

" (وأفلتنا ركضا حميد بن بحدل ... على سابح غوج اللبان مثابر)

(إذا انتقصت من شأوه الخيل خلفه ... ترامى به فوق الرماح الشواجرا)

(لدن غدوة حتى نزلنا عشية ... يمر كمريخ الغلام المخاطر)

وقال عمير

(يا كلب لم تترك لكم أرماحنا ... بلوى السماوة فالغوير مرادا)

(يا كلب أحرمنا السماوة فانظري ... غير السماوة في البلاد بلادا)

(ولقد صككنا بالفوارس جمعكم ... وعديدكم يا كلب حتى بادا)

(ولقد سبقت بوقعة تركتكم ... يا كلب بالحرب العوان بعادا)

وقال زفر بن الحارث

(جزى الله خيرا كلما ذر شارق ... سعيدا ولاقته التحية والرحب)

(وحلحله المغوار لله جده ... فلو لم ينله القتل بادت إذن كلب)

(بني عبد ود لا نطالب ثأرنا ... من الناس بالسلطان إن شبت الحرب)

(ولكن بيض الهند تسعر نارنا ... إذا ما خبت نار الأعادي فما تخبو)

(أبادتكم فرسان قيس فما لكم ... عديد إذا عد الحصى لا ولا عقب)

(بأيديهم بيض رقاق كأنها ... إذا ما انتضوها في أكفهم الشهب)

(فسبوهم إن أنتم لم تطالبوا ... بثأركم قد ينفع الطالب السب)

(وما امتنع الأقوام عنا بنأيهم ... سواء علينا النأي في الحرب والقرب)

وقال عمير ." (٢)

" (لقد هاجني طيف لداود بعدما ... دنت فاستقلت تاليات الكواكب)

---

(١) الأغاني، ٢٣/٢٦٩

(٢) الأغاني، ٢٤/٣٧

(وما في ذهول النفس عن غير سلوة ... رواح من السقم الذي هو غالبي)

(وعندك لو يحيا صداك فنلتقي ... شفاء لمن غادرت يوم التناضب)

(فهل لك طب نافعي من علاقة ... تهيمني بين الحشا والترائب)

(تشكيتها إذ صدع الدهر شعبنا ... فأمست وأعيت بالرقى والطبائب)

(ولولا يقيني أنما الموت عزمة ... من الله حتى يبعثوا للمحاسب)

(لقلت له فيما ألم برمسه : ... هل أنت غدا غاد معي فمصاحبي)

(وماذا ترى في غائب لا يغبني ... فلست بناسيه وليس بآئب)

(سألت مليكي إذ بلاني بفقده ... وفاة بأيدي الروم بين المقانب)

(ثنوني وقد قدمت ثأري بطعنة ... تجيش بموار من الجوف ثاعب)

(فقد خفت أن ألقي المنايا وإنني ... لتابع من وافى حمام الجوالب)

(ولما أطاعن في العدو تنفلا ... إلى الله أبغي فضله وأضارب)

(وأعطف وراء المسلمين بطعنة ... على دبر مجل من العيش ذاهب)

وقال أبو عمرو

بلغ أبا صخر أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال أبو صخر في ذلك ." (١)

" وعلى أن فيك بحمد الله بقية تسر الودود وترغم الحسود

كان له ابنان المسيب وعبد السلام

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال

كان للقتال ابنان يقال لأحدهما المسيب وللآخر عبد السلام ولعبد السلام يقول

(عبد السلام تأمل هل ترى ظعنا ... إني كبرت وأنت اليوم ذو بصر)

(لا يبعد الله فتيانا أقول لهم ... بالأبرق الفرد لما فاتني نظري)

(ألا ترون بأعلى عاسم ظعنا ... نكبن فحلين واستقبلن ذا بقر)

يعير أخواله بفعلتهم

---

(١) الأغاني، ١٠٤/٢٤

وقال أبو زيد عمر بن شبة من رواية ابن داود عنه حدثني سعيد بن مالك قال حدثني شداد بن عقبة قال

اقتتل بنو جعفر بن كلاب وبنو العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة فقتلت بنو جعفر بن كلاب رجلا من بني العجلان قال شداد وكانت جدة القتال أم أبيه عجلانية وهي خولة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان في الطلب **بثأرهم** من بني جعفر وجعل يحضهم ويحرضهم فقال في ذلك وقد بلغه أنهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول فعيرهم بما فعلوا وقال ." (١)

" على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم في قعودهم عن المطالبة **بثأر** لهم قبل بني جعفر بن كلاب

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة عن حميد بن مالك عن أبي خالد الكلابي قال

كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر أسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية والسعدية ماء لعمرو بن سلمة والشقراء ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال فأقطعه إياها فأحماها ابنه جحوش فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدر بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر فأرعاهم فحملوا نعمهم مع خيلهم بغير إذنه فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم منه فقاتلوه فكانت بينهم شجاج بالعصي والحجارة من غير رمي ولا طعان ولا تسايف فظهر عليهم جحوش ثم تداعوا إلى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعا الجراحات فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعيد في حلقه سلعة وهو شنج متنح عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقيه فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحارث فلقيهم قراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك وابن عمه أبو ذر بن أشهل ورجل آخر من الجعفريين فحمل قراد على سعيد فطعنه فقتله فحذف محرز ابن يزيد فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابهم الجعفريين ." (٢)

" وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب في رأس جرعاء طويلة فاجتمعت إليه بنو أبي بكر وخرج قراد هاربا إلى بشر بن مروان وهو ابن عمته حتى إذا كان بالقنان حميت عليه الشمس فأناخ إلى بيت امرأة من بني

---

(١) الأغاني، ١٤٥/٢٤

(٢) الأغاني، ١٥٨/٢٤

أسد فقال في بيتها فبينا هو نائم إذ نبهته الأسدية فقالت له ما دهاك ويحك انظر إلى الطير تحوم حول ناقتك فخرج يمشي إلى ناقته فإذا هي قد خدجت والطير تمزق ولدها فجاء فأخبرها فقالت إن لك لخبرا فأصدقني عنه فلعله أن يكون لك فيه فائدة فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه فقال أخ لي يقال له جبأة وهو أحب الناس إلي

قالت فإنه في أيدي أعدائك فارجع أو امض فخرج لوجهه إلى بشر

قال ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وعيرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر فقال لهم الجعفريون يا قومنا ما لنا في قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة فاقتلوه فرضوا بذلك فأخذوا جبأة فلما صاروا بأسود العين قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعيد

قصيدة تحريض

ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويلة

(فيا لأبي بكر ويا لجحوش ... ولله مولى دعوة لا يجابها)

(أفي كل عام لا تزال كتيبة ... ذؤيبية تهفو عليكم عقابها)

(لهم جزر منكم عبيط كأنه ... وقاع الملوك فتكها واغتصابها) ." (١)

" سوءا فامض لطيتك ولكن الوتر معك فإن لنا فيهم ثأرا فقال فروة فأنا إذا كما قال ابن المراغة

(ما في السوية أن تجر عليهم ... وتكون يوم الروع أول صادر)

فلم يزل يحمي أصحابه وينكي في القوم حتى اضطرهم إلى قتله وكان جمعهم أضعاف جمعه

أخبرني محمد قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال

قيل لعمارة أقتلت فروة فقال والله ما قتلته ولكني أقتلته أي سببت له سببا قتل به

بالغ في وصف كرمه فلامه المأمون

أخبرني محمد قال حدثنا الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثني عمارة قال

رحت إلى المأمون فكان ربما قرب إلي الشيء من الشراب أشربه بين يديه وكان يأمر بكتب كثير مما أقوله فقال لي يوما كيف قلت قالت مفداة ونظر إلي نظرا منكرا فقلت يا أمير المؤمنين مفداة امرأتي وكانت نظرت إلي وقد افتقرت وساءت حالي قال فكيف قلته فأنشدته

---

(١) الأغاني، ١٥٩/٢٤

(قالت مفداة لما أن رأت أرقي ... والهم يعتادني من طيفه لمم)

(أنهبت مالك في الأدنين آصرة ... وفي الأباعد حتى حفك العدم) ." (١)

" يدخل رجليه في يدي سرباله فقال له رجل منهم لم تلبس هذا اللبس وجعل يعلمه كيف يلبس وكان يقال إن به طرقة يعني جنونا فقال

(البس لكل عيشة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها)

فلطمه الرجل الذي كان لطمه مرة أخرى فقال له بيهس لو نكلت عن الأولى لم تعد إلى الثانية فقال بعضهم إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل فخلوا عنه فخلوه فلما أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه فقال يا حبذا التراث لولا الذلة فذهبت مثلا فاجتمع عليه الغم مع ما به من قلة العقل فجعلت أمه تعاتبه ويشتد عليها ذلك منه فقالت لو كان فيك خير لقتلت مع قومك فقال لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا ثم جمع جمعا وغزا القوم الذين وتروه ومعه خال له فوجدوهم في وهدة من الأرض كبيرة فدفعه خاله عليهم وكان جسيما طويلا وإنما سمي نعامة لذلك فقاتل القوم وهو يقول مكره أخوك لا بطل فذهبت مثلا وقتل القوم وأدرك بثأره

وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الأمثال روي مثله عن أبي عبيدة وروى هذا الخبر أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام واللفظ ليعقوب وروايته أتم الروايات قال

كان بيهس وهو رجل من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس من أشجع بن ريث بن غطفان وبينهم حرب وهم في إبلهم فقتلوا ستة نفر منهم وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فأرادوا قتله ثم قالوا ما تريدون من قتل مثل هذا أيحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني أتوصل معكم إلى الحي ." (٢)

" إن الذي قتل طرفة رجل من عبد القيس ثم من الحواثر يقال له أبو ريشة وإن الحواثر ودته إلى أبيه وقومه لما كان من قتل صاحبهم إياه

وقال ابن الكلبي

الحواثر هم ربيعة وجبيل ابنا عمرو بن عوف بن وديعة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس وعمرو بن عوف بن عمرو بن عوف ابن بكر بن عوف بن أنمار

---

(١) الأغاني، ٢٠٧/٢٤

(٢) الأغاني، ٢٢٣/٢٤

وحوثرة هو ربيعة بن عمرو وإنما حضر هؤلاء معه فسموا الحواثر والحوثرة حشفة الرجل وإنما سمي حوثرة لأنه ساوم بقدح بعكاظ أو بمكة فاستصغره فقال لصاحبه لو وضعت فيه حوثرتي لملاته فبذلك سمي حوثرة

ومعبد بن العبد أخو طرفة

وقال ابن الكلبي

كان عمرو بن هند ودى طرفة من نعم كان أصابه من الحواثر

يقول لن يغسل عنكم العار أخذكم الدية دون أن تثأروا به وتقتلوا عمرو بن هند الذي هو كالحمار أعرض جنبه للرمح أي أمكن

وروى أبو عبيدة قبل خطة معصد بالصاد غير المعجمة أي

يفعل به من العصد وهو النكاح يريد به عمرو بن هند

وقال غيرهم

إن عمرو بن هند انتفى من قتل طرفة وزعم أنه لم يأمر الحوثري بقتله فأخذت ديته من الحوثري لأنه قتل بيده فدفعت إلى معبد بن العبد أخي طرفة ." (١)

"بل هناك قبائل متناحرة، وإمارات متناصرة، إذا ارتكب إنسان جريمة في أرضها، وفر إلى أرض أخرى نجا بنفسه، وأمن على حياته هناك ولكنه كان يخشى من شيء واحد،لم يكن لأحد فيه عليه سلطان هو العصبية وسنة الأخذ بالثأر حيث يتعقبه أهل المغدور، فلا يتركون الجاني يهنأ بالحياة، ولو بعد مضي عشرات السنين حتى يقتل، أو يقتل أقرب الناس إليه. وبذلك صارت العصبية ضرورة من ضرورات الحياة بالنسبة لسكان جزيرة العرب لحمايتهم وصيانتهم من عبث العابثين(١) ".

ولكنها إذا جعلت الحق باطلا، والباطل حقا، تصبح غير مقبولة أبدا وهي سمة منبوذة،والحكم الفصل بين الوضع الأول والوضع الثاني. هو موقف الإسلام منها، فقد كثرت الآثار في ذمها، واعتبرتها شيئا خطيرا، وعاملا دائما في زلزلة الجماعة.

ورد عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية(٢) ...")

---

(١) الأغاني، ٢٤٤/٢٤

كما اعتبرها الإسلام أخطر ما يمزق جسم المجتمع، وبين أن القتال تحت رايتها جاهلية عمياء. وأحاديث هذا الموضوع كثيرة، ولكن بعضها يحمل إشارة حمراء تفضح خطر العصبية(٣) .

وتنطلق العصبية من عقال السلبية إذ تصبح مجلس أمن تثار فيه القضايا المصيرية للقبيلة، وتبحث فيه أفضل الحلول المناسبة، وتصبح استشارة أصحاب البيان والرأي في القبيلة أو في غيرها مثار فخر، إذا غاب عن المرء وجه الرأي الصحيح، يقول سعية بن الغريض(٤) :

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي. ج٥ /ص٣٣٤.

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي: ج١٢ – ص ٢٣٨ – ٢٣٩. طبعة القاهرة ١٣٤٩ هـ.

(٣) انظر المصدر السابق: ج١٢ /ص٢٤٠.

(٤) الأصمعيات. ص٨٣، الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٦١. وسعية شاعر متقدم وهو أخو السموءل.." (١)

"لم يكن في المسألة بت، فبعضهم يفجع بقتل أخيه، ولا ينتقم له، فإذا انتقم له عاد ضرر ذلك عليه، لأن الرجل بعشيرته، وإذا صفح وعفا فهو خير له، فالانتقام من عشيرته يوهن عظمه ويضعف قومه. فعوضا عن متابعة طلب الثأر الذي يستدعي بدوره ثأرا آخر تنتهي القضية بالوصول إلى حل مقبول (ثمن الدم) فيتقبل المنتقم ذلك على كره منه لأن شرفه قد مس، ولكن المداخلات التي أملاها الحس السليم، ومراعاة المصالح تتغلب على وساوسه فيرضخ للأمر الواقع بعد مساومات(١) . "وفي هذا يقول الحارث بن وعلة الجرمي(٢) وقد قتل قومه أخاه(٣) :

قومي هم قتلو أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وربما تبادر إلى الذهن أن الخوف كان حائلا دون الانتقام، ولا يستبعد ذلك، ورغم أنه حول الكلام من الإخبار إلى الخطاب فإنه قد أجرى محاكمة عقلية في ذهنه تنم عن إدراك للبيئة وللعادات والتقاليد التي حوله. لكن جلاء الأمر في إطار من الإيجابية يظهر في حادثة قتل أقرب كما في قول أعرابي قتل أخوه ابنا له(٤) :

أقول للنفس تأساء وتعزية ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد(٥)

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٣٧

كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

---

(١) تاريخ الأدب العربي: (بلاشمير. ج١ /٢٩. دمشق ١٩٦٤ منشورات وزارة الثقافة.

(٢) شاعر جاهلي من فرسان قضاعة، وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني.

(٣) حماسة أبي تمام، شرح لاتبريزي: ج١ /ص١٠٠. القاهرة ١٩٥٥. وأميم. مرغم. أميمة.

(٤) المصدر السابق نفسه. والرغم، هو الإذلال.

(٥) التأساء: ما يؤتسى به من الحزن، والتعزية: حسن التصبر. فهو يطلب التأسي وحسن التصبر.." [١]

"يثبت الشاعر في إيجابية فيها تعقل واتزان أنكل واحد من الأخ الواتر والابن المفقود يصلح لأن يكون عوضا من فقدان الآخر، فيطفئ، لهيب القلب على الولد المقتول بهذا الفكر المقلوب بالشعر، مدركا أن الاقتصاص من أخيه يضعف مركزه في القبيلة فيكتفي بمصيبة واحدة.

ومع كثرة النصوص الجاهلية التي تصور التعصب القبلي بأنواعه المختلفة والتي ترفد نهر العصبية الكبير، فإن هناك مواقف أخرى لشعراء من قبائلهم لا تأتي على شاكلة التعصب، وإن هي إلا شكل من أشكال الأنفة والعزة. وهذه من السمات الإيجابية الموفقة التي جاءت في الشعر الجاهلي.

فقتل خادم، أحد أثرياء قبيلة (خزيمة) العربية، يثير نخوة سيده فينتقم من القتلة مع أنهم أولاد عمه، ويفارق أهله من أجلهم.

أنفة فيها بسط الحماية على الخدم والموالي. ولو أدى الأمر إلى فراق القبيلة التي تصبح غادرة باغية كما في قول طرفة الخزيمي(١) :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... بني فقعس قول امرئ ناخل الصدر(٢)

فوالله ما فارقتكم عن كشاحة ... ولا طيب نفس عنكم آخر الدهر(٣)

ولكنني كنت امرا من قبيلة ... بغت وأتتني بالمظالم والفخر

فإني لشر الناس إن لم أتبهم ... على آلة حدباء نائبة الظهر(٤)

ولكن دافع الأنفة مصلحة شخصية دفعته ليأخذ بثأره. ويبقى أن نلاحظ ضمنيا موافقة الطبقة الغنية المتحكمة

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٣٩

برقاب العبيد على تصرف طرفة وأمثاله. ويصبح للمسألة طرف آخر حين نتذكر أن دفاع الأغنياء والمالكين عن عبيدهم يصرف الطاقة الثورية لدى هؤلاء العبيد، وهذا نوع من علم النفس الدعائي يعرفه البدوي بفطرته.

---

(١) شاعر جاهلي من بني خزيمة بن رواحة بن ربيعة.

(٢) ناخل الصدر: صافي القلب غير مناف.

(٣) عن كشاحة: أي عن عداوة.

(٤) حماسة أبي تمام: شرح التبريزي: ج١ /ص٣٠٢. القاهرة ١٩٥٥.." (١)

"وهكذا فالعصبية القبلية في الجاهلية ظاهرة فيها أخذ وعطاء بين السلبية والإيجابية، وربما اتصل السالب فيها بالموجب أحيانا فتكون الإضاءة المقبولة.وأكثر السلبي نجده عند شعراء القبائل التي كانت مشغولة بالحروب دائما.

وقد كانت قانونا تتوارثه أجيال الجاهليين. وعلى العموم فقد كان هذا القانون الصحراوي نفسه موضع التنفيذ أيضا في مدن الحجاز: الطائف، ومكة، والمدينة(١) ".

كما تلخص قوانين العرف المشربة الإيجابية، بأن الغرض منها جعل الحياة ممكنة في الصحراء، ولذلك بالحد من اندفاعات كل فرد من الأفراد، فلكل ذنب قصاص، ويكفي وجود القوة لتطبيق هذا القصاص، ومن هنا تظهر فائدة الثأر المشؤوم بحد ذاته بما يثيره من أحقاد(٢) .

شعر التحريض:

التحريض على القتال: هو الحث والإحماء عليه، وهو الحض فإذا كان القتال في سبيل أرض أو أخلاق أو اقتصاد، أو لرد عدوان، فهو الإيجابي المقبول، و إذا كان لغير ذلك فهو السلبي المذموم.. وسوف نرى أن التحريض أشكال متنوعة مختلفة.

كان الشعر – في بعضه – يستنفر الملوك، ويحرضهم على القتال. فقد يستنفر ملكا على إحدى القبائل قتالا وتحريضا لعداوة موغلة في صدر شاعر، أو يستنفر قبيلة ويحرضها على أخرى، أو فردا يحرضه على آخر فيقتله. ثم تبدأ سلسلة الأخذ بالثأر ويكون سبب هذا القتال والعداوة والبغضاء شاعرا محرضا متخذا المواقف السلبية المؤلمة التي تنخر بجسم الأمة.

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٤٠

(١) تاريخ الشعور الإسلامية: بروكلمان: ص/ ١٩ – ٢٠/ الطبعة الرابعة. بيروت ١٩٦٥م.

(٢) تاريخ الأدب العربي. ر. بلاشير ج١ /ص. /٤٨ – ٤٩/. وزارة الثقافة السورية ١٩٦٤م.." (١)

"ثم أمره بالانصراف إلى أهله، واشتعلت نار الفتنة بين القبيلتين بسبب هذا الشعر، و هو لا شك إيجابي بالنسبة لبني عامر، سلبي على بني عيس. لكنه سلبي بالنسبة للحركة الفكرية العربية عامة وللخط الذي نهجه في هذا البحث. وكفاه سلبية أنه أشعل نار الحرب بين العامريين والعبسيين مدة طويلة راح ضحيتها مئات من العرب، وكثير من المقدرات الاقتصادية والاجتماعية.

وقد اعتمد على تشخيص الحسي فصور مشهدا منفرا جعل الملك يرفض جلوسه معه. كما صور هذا الشعر نفور المجتمع الجاهلي من البرص، الذي لا يزال المجتمع العربي ينفر منه اليوم؛ لكن ربما كان في الجاهلية دليل نحس لعدم وجود الوعي العلمي والمعرفة الطبية، على حين أن الطب الحديث يعرفه مرضا يصيب الدم فيظهر على الجلد.

ومن الشعر ما يكون تهديدا وتلويحا قريبا من التحريض. فقد يكون اختلاف الخلق بين فردين قريبين دافعا لأحدهما للقول، وبيان الـسلبيات التي تضر بالقرابة فتفسدها وينتهي الأمر إلى التشهير والفتنة والعداء، ومن ثمة الحرب والقتال، كما في قول ذي الإصبع العدواني(١) :

لي ابن عم على ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقليني(٢)

أزرى بنا أننا شالت تعامتنا ... فخالني دونه وخلته دوني

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

عني إليك فما أمي براعية ... ترعى المخاض، وما رأي بمغبوني(٣)

وأنتم معشر زيد على مائة ... فاجمعوا أمركم كلا فكيدوني

(١) اسمه حرثان، وسمي ذا الإصبع لأن حية نهشت إبهام قدمه، فقطعها، وقيل لأنه كان له في رجله أصبع زائدة. وهو من قبيلة عدوان التي تنتهي إلى قيس عيلان. شاعر فارس. المفضليات /ص١٦٠.

(٢) يقليني: يبغضني.

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٤١

(٣) الهامة الرأس. يقال: أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني حتى يقتل قاتله.." (١)

"ومن مزاعم العرب الأخرى حية في البطن تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وأنها تعدي، فأبطله الإسلام. وهذا زعم باطل، ولعلهم اعتقدوا ديدان البطن التي تخرج من الإنسان أحيانا نوعا من الحيات خاص بالبطن فيكون القصور وعيا في الطب.

كذلك هناك حديث في الاعتقاد حول ما يسمى بهامة القبر، والهامة عند بعضهم اسم طير(١) . وكانوا يقولون: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. ومعنى هذا الزعم الذي يبررون فيه أخذ الثأر والقتل، أن الإنسان إذا قتل، ولم يطلب بثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، ويظل يصيح على قبره: اسقوني!.. إلى أن يطلب بثأره.

والناتج السلبي في هذا المعتقد التقاؤه مع شعر التحريض من جهة، والقصور في لاوعي من جهة أخرى، وقد كان قاسما مشتركا، وإنذارا للقتال كما في قول ذي الأصبع العدواني(٢) :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي

أضربك حتى تقول الهامة: اسقوني

وحديث الحيوانات وشعرها لون آخر من ألوان الخرافة العربية في الجاهلية. فشعر نسبوه إلى الحيوانات، وآخر إلى الجن فيه معان سلبية.

فقد نسبوا شعرا للضب قاله حين خاصم ضفدعا في الظمأ، أيهما أصبر، وكان للضفدع ذنب،وكان الضب ممسوحا(٣) . فلما غلب الضب أخذ ذنبها، فخرجا في الكلأ فصبرت الضفدع يوما ويوما، فنادت: يا ضب، وردا وردا، فقال الضب:

أصبح قلبي صردا ... لا يشتهي أن يردا(٤)

إلا عرادا عردا ... وصليانا بردا(٥)

فلما كان في اليوم الثالث نادت الضفدع ياضب، وراداد وردا!. قال: فلما لم يجبها بادرت إلى الماء، ثم تبعها

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٤٧

الضب، فأخذ ذنبها(٦) .

---

(١) الحيوان للجاحظ: ج٣ /ص ٤٤٢ وما بعدها. تحقيق عبد السلام هارون.

(٢) النويري، نهاية الأرب ج٣ /ص١٢١.

(٣) المسح: نقص وقصر في ذنب العقاب، ويقال مسحه بالسيف ضربه.

(٤) إذا انتهى القلب عن شيء، صرد عنه.

(٥) العراد: كالشحاب، وآخره دال: حشيش طيب الريح.

(٦) الحيوان للجاحظ: ج٦ /ص ١٢٥ – ١٢٦.." (١)

"لكن حديث خرافة الحيوانات ليس وحيدا، فهناك خرافات أخرى حول البشر. أي نوع من البشر؟.. إنهم الملوك، والأشراف! والحديث يتناول دمائهم التي تشفي من عضة الكلب الكلب، وتشفي من الجنون وهذه نظرية تقدس الملوك والأشراف، وتزعم أنهم مخلوقون من مادة أخرى، والدم الذي يجري في عروقهم غير دماء المملوكين فهم الملوك، دمهم دواء يراه فحول الأطباء فيقفون منه موقف المستسلم كما في قول الشاعر الجاهلي عاصم بن القرية(١) :

وداويته مما به من جنة ... دم ابن كهال والنطاس واقف(٢)

وقلدته دهرا تميمة جده ... وليس لشيء كاده الله صارف

وهذا مفهوم صنعه الملوك والأشراف، يهدف إلى إخضاع الجماهير والتسليم بما للملوك والأشراف من حق إلهي مزعوم في التحكم والحكم.

كما يهدف إلى حفظ دمائهم أن تهدر، مادامت بلسما شافيا من مرضين يهابهما العرب، الجنون الذي يخشون التعاير به، حيث يكون المجنون الواحد من القبيلة مجالا كبيرا لانتقاص قيمتها وهجائها والكلب الذي ينتشر بسرعة بين كلابهم التي لا تفارق موائدهم، ولا دوابهم حراسا أمناء.

وقد كان من المفترض على الشعراء أن يكشفوا زيف هذا المعتقد والهدف الأخير الذي يسعى إليه مشيعوه.

وفيما بعد اصطدم الجاحظ بهذا المفهوم ولم يقبله، ولكنه ذهب إلى تعليل الدم الكريم **بالثأر** الملم(٣) ، بمعنى

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٦٣

أنه لا يشفي مجنون الحي من آلامه على قتلاه إلا معركة يقتل فيها ملوك القوم وأشرافهم ثأرا لقتلى من به جنة، فيشفى.

كذلك إذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره، فذلك هو الشفاء من الكلب، وليس أن هناك دما يشربه.

---

(١) الحيوان للجاحظ ج٢ ص/ ٨ – ٧. طبعة عبد السلام هارون.

(٢) المجنة: الجنون، وابن كهال أحد أشراف العرب في عصر الشاعر.

(٣) الحيوان للجاحظ ج٢ /ص ٧ – ٨ وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب محمود شكري الألوسي، الطبعة الثالثة ج٢. دار الكتب الحديثة القاهر، لا تاريخ.." (١)

"وقد رأينا فيما مضى أن وعي الشاعر لا يكاد ينفصل عن وعي القبيلة، وإذا كانت العلاقات الإنسانية داخل القبيلة قد قامت على التأييد والتضامن، فإنها مع القبائل الأخرى تقوم على التنافس والتناحر. وإذا قامت حرب بين قبيلتين، فإنه من النادر كبح جماحها، ولما كان زعماء القبيلة أنفسهم لا يملكون القوة التنفيذية أيضا، فقد انعدم عند البدو وجود القانون الجنائي وأمسى من الضروري أن يفزع كل فرد إلى استخلاص العدالة من قاتل نسيبه أو سالبه، بالطرق الشخصية.(١)

وصحيح أن من واجب الزعماء في القبيلة أن يعملوا على إيجاد تسوية بين المتخاصمين، من غير أن يملكوا حق فرضها عليهم، ولكن العشائر كثيرا ما لا تنتهي إلى الأخذ بهذه التسويات إلا بعد أن تكون قد تفانت ودقت بينها عطر منشم.(٢)

وإذا كانت الحال هكذا، فإنها بحاجة إلى شاعرية قوية يمتلكها شاعر فيه ميل شديد إلى الخير والمحبة والسلام، يملأ عقول القوم بشعر عظيم فيه تصفية للإحسان والبغضاء وتنقية لقلوبهم من الضغائن والثارات، ويدمل الجراح ويوحد بين الصفوف.

ويلمع بين شعراء الجاهلية زهير بن أبي سلمى يرسى دعائم السلام في أشهر قصائده، وهي معلقته التي نظمها مشيدا بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا بالصلح بين ذبيان وعبس، اللتين خاضتا حربا ضروسا في المذبحة المشهورة بحرب داحس والغبراء.

قد أدرك زهير وظيفته فشذ عن ذوق الجاهليين وأفكارهم التي تطالب بالثأر وتدعو إلى القتال وسفك الدماء،

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٦٥

وقضى يظهر سلبيات الحرب في صور مفزعة مخيفة، لعل الناس يرتدعون عنها وينتهون منها. فهي حينا أسد مفترس، وحينا آخر نار ملتهبة تلتهم الأخضر واليابس، وثالثة رحى تطحن الناس بلا رحمة ولا رأفة، ورابعة حامل تلد ذراري الشؤم.

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٩، طبعة ٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٩.." (١)

"كما أن أهم ما يطلب إلى الجمهور المسلم في المجتمع الجديد السمع والطاعة، ولو استعمل عليهم العبد الحبشي ما أقام كتاب الله فيهم، فلم تعد القيادة محصورة في أبناء طبقة معينة، أو تابعة لعرق معين.

حارب الإسلام نظام القبيلة الذي كان قائما ودعا إلى نظام جماعي يضم كافة القبائل العربية، كما تشير إليه الآية الكريمة، ﴿ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) ، فأصبح محتما على الشعراء أن يدعوا إلى التمسك بأهداب الدين لتبقى الأمة واحدة، الأمة التي يراها الله ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ (٢) يجب أن تحافظ على الحق والعدل وهذا يحتم أن تقاد الأمة للإسلام، الذي حصر حق **الثأر** بالدولة.

وانطلق الإسلام يلملم القبائل، ويكون منها المجتمع الجديد بما رفده من عناصر أخرى، لا يعتبر الفرد منها مؤمنا إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ولا شك أن الوحدة الأساسية في هذا الكتاب الجديد هي الأسرة التي دعا الإسلام إلى تأسيسها بمتانة وصلابة، ثم جعل من مجموعها أمة متعاونة على الخير.

واستمر يقطع أواصر الجاهلية، ويبني الأواصر الإسلامية، فعمل على إذابة الفوارق القبلية والجنسية، وجعل الناس جميعا في الحقوق، والواجبات، وفرض الله تعالى على المسلمين المقتدرين زكاة معلومة(٣) وأكد على ذلك كثيرا، فلم ترد في القرآن آية تدعو إلى إقامة الصلاة إلا مقرونة بالدعوة إلى إيتاء الزكاة، فالزكاة والصلاة دعامتان متينتان بني عليهما الإسلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ (٤) . كما أن المسلم لا تحصل أخوته الدينية للمسلمين إلا بأدائهما، ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (٥) .

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/١٠٢

(١) سورة الأنباء، آية ٩٢.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٣) الزكاة صدقة، والصدقة زكاة، اختلف الاسم واتفق المسمى، الماوردي في أحكامه السلطانية.

(٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٥) سورةا لتوبة، الآية ١١.." (١)

"كما حارب الإسلام الرذائل: كالانقياد لهوى النفس، والكبرياء، والزنا، والخمر والقمار، والكذب ومظاهره، والتجسس، والغيبة والنميمة، والظن السيئ، والغضب، والشراهة، واللغو، والحسد، وما إلى ذلك من سوء الخلق. وكل شعر دار في فلك هذه الرذائل ودعا إلى نموها شعر سلبي فكري. ولا شك أن من أجمل ما جاء به الإسلام، الإيمان بحرية الفكر، فإنه: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (١) .

وقد قبل الإسلام الشعر الذي كان إلى الله وحده. وفيما يلي ندرج أهم المعاني الشعرية التي يقبلها الإسلام وفيها النفس الإيجابي الذي نبحث عنه في المناحي الفكرية الإسلامية:

- أن يكون الشعر قيما روحية، فيها دعوة إلى طهارة النفس، ونبذ لكل فاحش ورذيلة.
- أن يراقب الشاعر ربه في كل ما يأتي به من قول أو فعل.
- ألا يكذب الشاعر في قول يأتيه.
- ألا يعود إلى تمجيد كهانة، أو شعوذة، أو خرافة، أو سحر تشاكلي أو اتصالي.(٢)
- أن يذكر بقدرة الله وتدبيره ووحدانيته.
- أن يدعو الناس إلى التفكير والإمعان والتدبر.
- أن يبصر الناس بالفضائل الكثيرة التي دعا إليها الإسلام.
- أن يبتعد عن الرذائل التي حاربها الإسلام.
- ألا يخوض في غمار العصبية وأن يبتعد عن التنابذ والتنابز.
- ألا يدعو إلى الأخذ **بالثأر**، وأن يجعله من اختصاص الدولة.
- أن يعي دور المال في المجتمع، فيدعو إلى رد مال الزكاة إلى بيت مال المسلمين، لتعود على الفقراء، حقا ثوريا لا استجداء أو استعطافا.

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/١٦٠

- أن يحترم الإنسان وحقوقه عامة مشتقة من هدى القرآن الكريم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) لاحظ الفصل الذهبي، دراسة السحر والدين، سير جيمس فريزر، ج١، ص ١٠٨، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.." (١)

"لقد لاقيتم ذلا وقتلا ... جهيزا نافذا تحت الوريد(١)

وكل القوم قد ولوا جميعا ... ولم يلووا على الحسب التليد

وإذا كان الإسلام قد قضى على العصبية القبلية في وجود الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيا بين ظهراني الأمة، فإن سبيلنا إلى كشفها بعد ذلك أن نتتبع هذا الخط تاريخيا.

فمن الثابت أن الشيخين حاربا العصبية(٢) القبلية، التي لم تلبث أن ظهرت في خلافة عثمان بن عفان، حين حكم الناس بالعصبية الأموية، فاستيقظت الفتنة، وتحرك ما كان كامنا في النفوس من العداوة القديمة الجاهلية(٣) بولادة العصبية من جديد تشوه صفاء الدين، وصارت تولد أحاديث لا أصل(٤) لها، فاعتبر عثمان على أنه أول من فتح أبواب الظلم، وأرتج أبواب الحق(٥) .

ولا شك أن بني أمية قد تعصبوا وتكاتفوا في إطار قبلي، وكأن تعاليم الإسلام لم تقرع آذانهم أو تهز أوتارهم قلوبهم، فبعد مقتل عثمان بن عفان مضى شعراؤهم يحرضون معاوية على الأخذ بثأره، وكان الوليد بن عقبة يكثر من هجاء بني هاشم، ومن هجاء علي بن أبي طالب ويقول في تحريض معاوية مخاطبا بني هاشم(٦) :

وإنا وإياكم وما كان منكم ... كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

---

(١) كأنه يريد فهم المحافظة على النسب، ويعيب عليهم الفرار، وهذا موقف سلبي مشين في علم النفس الحربي، إذ يبعث نار النقمة ويشحن الأعداء بطاقة فعالة.

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/١٦٣

(٢) د. عبد الحسين، طه، أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري/ ١٣ ١٩٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل ج١ ص ٣٦٥، مطبعة الأزهر.

(٤) شرح نهج البلاغة ج٢٠/ ص ٤٦٢.

(٥) الأغاني: ج ١٧/ ص ١٥٢ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م.

(٦) الأغاني: ج٥/ ص ١٢٢، وما بعدها، طبعة دار الكتب والاستيعاب /٦٢٢/ والطبري، ج٣/ ص ٤٤٩.." (١)

"فالذي فهمه من الإسلام كان مشوها جعله يرى الخليفة إمبراطورا ويرى المسلمين مرازبه. ونستطيع أن نلاحظ ارتفاع الخط القبلي بعد مقتل عثمان، ولا شك أن بعض الشعراء كان يقوى نار العصبية بشعر الفتن والعداوة، مما أدى إلى انفجار المنافرات ذات الدافع القبلي بين بني أمية وبني هاشم، ثم تشجعت بعض القبائل الأخرى كما فعل الأنصار، فحسان بن ثابت الذي دعا إلى الأخذ بثأر عثمان، لا يسمح لبني أمية التطاول على المدينيين.

ولا يغيب عن البال بداية العصبية المدينية التي بدأت عقب وفاة الرسول في سقيفة بني ساعدة.

ولا ريب أن تفاخر الأنصار وتعاليهم قد بدأ بعد وفاة النبي كما ذكرناه، وثمة مقطوعة في ديوان حسان تحتوي على فقرة يبدو فيها هذا النوع من الفخر؛ ولا ريب في أن هذا لاحق قليلا لزمن حسان ولعله من زيادات ابنه عبد الرحمن الذي شهد النزاعات بين المدنيين والأمويين(١) ، قال:

وإنك لن تلقى من الناس معشرا ... أعز من الأنصار عزا وأفضلا
وأكثر أن تلقى إذا ما أتيتهم ... لهم سيدا ضخم الوسيعة(٢) جحفلا
وعدا خطيبا لا يطاق جوابه ... وذا أربة في شعره متنخلا(٣)

وبعد ذلك راح إطار القبلية العصبية ينداح حتى وصل أطراف الدولة الإسلامية، فقويت دعوى الجاهلية بالانتماء إلى القبيلة، واستصرافها للهياج والشر، فعاد الناس إلى حيث كانوا قبل الإسلام!!..

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/١٧٢

(١) ديوان حسان بن ثابت، ص ٣٥٢. القاهرة، طبعة عبد الرحمن البرقوقي.

(٢) ضخم الوسيعة: كثير العطاء.

(٣) العد: الماء الدائم الذي لا ينقطع. والعد أيضا البئر القديمة.." (١)

"واعرف لجارك حقه ... والحق يعرفه الكريم

واعلم بأن الضيف يو ... ما سوف يحمد أو يلوم

تضرب الأمثال دائما لأصحاب العقول لتستبين لهم منارة الطريق الحق وضرب الأمثال وسيلة تربوية، بل إنها وسيلة مجردة من وسائل الإيضاح كما أنها نوع من أنواع التربية التجريبية استخدمها القرآن في كثير من المواقف كما في قوله تعالى: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ (١) ،

﴿كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ (٢) ، ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ (٣) ، ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٤) ، ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ (٥) .

والشاعر كذلك يضرب لابنه الأمثال متأثرا بأسلوب القرآن الكريم، وهو يطلب منه أن يحفظ المودة، وأن يحفظ حرمة الجار، وأن يرعى الحق ويقف عنده، ثم يطلب منه أن يكرم الضيف، ويذكره بنتائج زيارته كلام مشاع على ألسنة الن اس بين حمد وذم، الإحسان إليه مجلبة للمدح والمحبة، والتقصير بحقه مدعاة للذم واللوم، ويسجل كل ذلك بمقالته الشعرية، ويتبعها قوله:

والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم

واعلم بني فإنه ... بالعلم ينتفع العليم

إن الأمور دقيقها ... مما يهيج له العظيم

والتبل يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم(٦)

الناس عند الشاعر المربي صنفان في أخلاقهم وأحوالهم، صنف محبوب لبنائه السليم وأخلاقه القويمة، وصنف

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/١٧٣

مذموم لبنائه غير الصحيح ولسيرته السيئة.

والعلم ضرورة لابد منها لبناء الشخصية الإنسانية القوية، والمهم في هذا العلم استعماله في طريقه الصحيح، لأن من يعمل بما يعلم يصبح علمه وبالا عليه. وهذه قيمة تربوية كبيرة يقدمها الشاعر المربي في مجال التربية العلمية بعيدا عن التنظير الذي لا ينفع دون عمل.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ١٤.

(٢) سورة الرعد، الآية ١٣.

(٣) سورة النور، الآية ٤٢.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢٩.

(٥) سورة الحشر، الآية ٥٩.

(٦) التبل: **الثأر**." (١)

"ثم يعلمه الحكمة، ويوقفه على سر اتساع الشر وسرعة انتشاره وهو يسلط الأضواء على صغائر الأمور، وتجري مسحا للأحداث بأنواعها ويرى أن كبار الأمور كانت صغيرة دقيقة ثم كبرت وعظمت واستفحل خطرها.

وينصره حين يأخذ بيده، ويمنعه من اللجوء إلى **الثأر** حين القتل(١) !... لأنه سيجلب **ثأرا** آخر فيصرع أهله، ثم يبين له نهاية كل ظلم، وما نهاية الظلم إلا ظلم وخيم يرتد على أهله الذين سارعوا إليه أولا.

ثم يعلمه شيئا من التربية التجريبية، استقاه من الأيام، وأمورا أخرى، فيقول:

والمرء يكرم للغنى ... ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول النقي ويكثر الحمق الأثيم(٢)
يملى لذاك ويبتلى ... هذا فأيهما المضيم

على المتربي ألا يثق بعهود الأيام والليالي، وألا يركض خلف العصبية كثيرا، فربما كشفت له الأيام عن قطيعة

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٢٧٦

للأخ القريب، وصلة من بعيد فيكون أخا لك لم تلده أمك.

وهذا مفهوم تربوي رفيع المستوى، فيه الوجه الإيجابي المهم إذ يشده إلى الإنسان ليرفع من شأنه، ويحطم الحلقات الضيقة التي تحجز الناس عن بعضهم وهي تحاول حجرهم في حجر الدم و العصبية المقيتة دائما.

ثم يعرج في تعليمه الأصول التربوية إلى الواقع الاقتصادي للمرء، وقيمته في حياة الإنسان، فينهاه عن ضياع المال والتبذير فيه، لأن الناس يكرمون المرء لماله . أو هكذا يرى الشاعر واقع الحال على الرغم أنه عاش في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي- وقيمة مثل هذا الشعر الإيجابي تظهر أيضا في بيان أثر المال ودوره في مجتمع ما زالت تعاليم نبيه ساخنة يشع ريحها ويحلو طعمها في كل بيت، فتظهر أن المرء يكرم للغنى لا لشيء آخر، ويحتقر الفقير لفقره!...

---

(١) هذا رأينا في قوله:

والتبل يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم

(٢) الحول: كثير الحيل للوصول إلى الرزق، ونقس ضرب.." (١)

"ولولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطي عياض بن ناشب

فليت قبورا بالمخاضة أخبرت ... فتخبر عنا الخضر خضر محارب

ردسناهم بالخيل حتى تملأت ... عوافي الضباع والذئاب السواغب

ذريني أطوف في البلاد لعلني ... ألاقي باثر ثلة من محارب

وأنت أمرؤ جعد القفا متعكس ... من الأقط الحولي شبعان كانب

قال

أبو النشناش النهشلي اللص

وسائلة أين الرحيل وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

وداوية يهماء يخشى بها الردى ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه

ليدرك ثأرا أو ليدرك مغنما ... جزيلا وهذا الدهر جم عجائبه

---

(١) الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص/٢٧٧

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح ... سواما ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من قعوده ... فقيرا ومن مولى يدب◌◌ عقاربه

ولم أر مثل الهم ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه

فمت معدما أوعش كريما فإنني ... أرى الموت لاينجو من الموت هاربه

ولو كان شيء ناجيا من منية ... لكان أثير يوم جاءت كتائبه

قال

أمرؤ القيس

ألا يا لهف هند من أناس ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

قال

كعب بن سعد الغنوي

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيوب

هو العسل الماذي حلما ونائلا ... وليث إذا يلقي العدو غضوب

لقد كان أما حلمه فمروح ... علينا وأما جهله فعريب

حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت ... حبا الشيب للنفس المجوج غلوب

هوت أمه م، يبعث الصبح غاديا ... وما ذا يؤدي الليل حين يؤوب

كعالية الرمح الرديني لم يكن ... إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب

أخو شتوات يعلم الضيف أنه ... سيكثر ما في قدره ويطيب

إذا حل لم يقص المحلة بينه ... ولكنه الأدنى بحيث يثوب

حبيب إلى الجناء غشيان بيته ... جميل المحيا شب وهو أديب

يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه ... إذا لم يكن في المنقيات حلوب

إذا نزل الأضياف أو غبت عنهم ... كفا ذاك وضاح الجبين أريب

وداع دعايا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وأرفع الصوت دعوة ... لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه ... بأمثالها رحب الذراع أريب
كأن أبا المغوار لم يوف مرقبا ... إذا ربأ القوم الغزاة رقيب
ولم يدع فتيانا كراما لميسر ... إذا اشتد من ريح الشتاء هبوب
فإني لباكيه وإني لصادق ... عليه وبعض الباكيات كذوب
فتى أريحي كان يهتز بالندى ... كما اهتز من ماء الحديد قضيب." (١)
"غضبان ممتلئا علي إهابه ... إني وربك سخطه يرضيني
يا رب نكس إن أتته منيتي ... فرح وخرق إن هلكت حزين
قصائد لغوية
قال
أبو حزام العكلي
ألزئ مستهنئا في البدئ ... فيرمأ فيه ولا يبذءه
لإهنأه إنني هانئ ... وأحصئه بعد ما أهنئه
وعندي للدهدء النابئين طنئ وخزء لهم أجزءه
وأكدئ نجأتهم بالنسى ... ء ثأثأة أو لهم أرثؤه
وأقضئهم ملبئات المأى ... والبئهم بعد ما البؤه
وعندي زوازءة وأبة ... تزأزئ بالدأث ما تهجؤه
ولا أجذئر ولا أجثئل ... لآد أدا لي ولا أحدءه
ولكن يبأبئه بؤبؤ ... وبأبؤه حجأ أحجؤه
تزءل مضطنئ آرم ... إذا أئتبه الأد لا يفطؤه
مرافئ أحبائه واذئ ... لواذئه آزم محمؤه
وكائن تحلئت عن ماسئ ... وعندي من الذأم ما يذ مؤه
يصأصئ من ثأره جابئا ... ويلفأ من كان لا يلفأه

(١) الأصمعيات، ص/٥

سأنسأ طنئي من طنئه ... وآلي من آله أنسأه
وإني لكيئ عن الموءبات ... إذا ما الرطيء أنمأى مرثؤه
وإني لمزدءب مئرة ... الممائر مؤد لما يكفأه
ولا الطنئ من مربأي مقرئ ... ولا أنا من معبأي مزنؤه
وإني ليد رئ بي مد رئ ... لذي تد رئ مشئز تدرأه
للا نأنأ جبأ كيئة ... علي مآبره تنصؤه
فلما انتتأت لدرئهم ... نزأت عليه الوأى أهذأه
برأم لذأجةالضنىء لا ... ينوء اللتيئ الذي تلتأه
فهاؤو مصئية لم يؤ ... ل بادئها البدء إذ يبدأه
لأرءدها ولزءها ... كشطئك بالعبئ ما تشطأه
وقال:
ألم تزأد لإنعاث الخليط ... ليثعل بالغطاط أو الشميط
على قود تتقتق شطر طنئ ... شأى الأخلام ماط ذي شحوط
بلي زؤدا تفشغ في العواصي ... سأفطس منه لافحوى البطيط
فلا تنحط علي لغفاء دجوا ... فليس مفيئهم أمر النحيط
ولاهم حادجون حراك إلا ... خلاف مجردم واص قميط
فوذح ضنء من رطئت شغارا ... وما شكدت عليه من فسيط
ومن ثهتت به الأرطال حزبا ... إلا ياعسب فاقعة الشريط
أتثلبني وأنت عسيف وغدي ... لحاك الله من قحر قفوط
فلا تؤمر مماءرتي وبؤلي ... فليس يبوء بخس بالشطوط
وندك مفشئ ريخت منه ... نؤورا آض رئيد نؤور عوط
فآصل قد تد خدخ لي وداخت ... فراضخه دءاخ العضرفوط
أما فئأ الورى نفخى شواهم ... وزريهم بأثعل ذي أطيط
وتظييئيهم باللأظ مني ... وذأطيهم بشنترتي ذؤوطي

هيا قز لست أحفل أن تفحى ... نديد فحيح صهصلق ضنوط

سأثأ إن زنأت إلي فارقي ... ببرطيل قتالك فاستميطي." (١)

"وكان الشعراء ينصرون قومهم بسيوفهم وألسنتهم، ومن ذلك قول بشامة بن الغدير مفتخرا بأنه غضب لنسلي مضر: خندف وقيس((١)):

ولقد غضبت لخندف ولقيسها ... لما ونى عن نصرها خذالها

دافعت عن أعراضها فمنعتها ... ولدي في أمثالها أمثالها

إني امرؤ أسم القصائد للعدى ... إن القصائد شرها أغفالها

وكان الأخذ **بالثأر** من الدلالات البارزة على تناصر أبناء النسب الأبوي. **وللثأر** في المجتمع القبلي بعض المنافع (لأنه يكبح من جماح بعض الحمقى الذين تسيرهم شهوات القتل والقسوة) ((٢)). وإدراك **الثأر** يدفع الخزي عن قبيلة القتيل، فحين قتل نعيم بن عتاب عمرو بن واقد الرياحي، وكان لقوم نعيم **ثأر** عند عتاب، قال نعيم((٣)):

ما زلت أرميهم بثغره ... وفارسه حتى **ثأرت** ابن واقد

---

(١) –شرح ديوان الحماسة ١/٣٩٣-٣٩٤. وقال خذالها ولم يقل نصارها لأنه وصفهم بما آل إليه أمرهم. ولدي في أمثالها أمثالها: يريد لدي في أمثال هذه النصرة أمثال هذه القصيدة. وأسم القصائد: أعلمها بما يصير كالسمة عليها، حتى لا تنسب إلى غيري. وشرها أغفالها: يريد شر القصائد مالا ميسم لقائله. وافتخر ابن مقبل العجلاني بأنه رمى أعداء قومه بشعر مؤلم، لم يترك لمجيب منهم مقالا: (انظر ابن مقبل العجلاني، ١٩٦٢، ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ص٢٣١-٣٢٣)، ويرى تأبط شرا أن قومه أهل لغر قصائده (انظر تأبط شرا، ١٩٨٤م، ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٧٥).

(٢) –الحوفي –أحمد محمد، ١٩٧٢م، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت،

---

(١) الأصمعيات، ص/٣٣

ص٢٨٣.

(٣) -أبو عبيدة، معمر بن المثنى، ١٩٠٨-١٩٠٩م، نقائض جرير والفرزدق، دار الكتاب العربي (مصورة عن طبعة ليدن)، بيورت، ٧٣/١.." (١)

"أحاذر أن يخزى قبيلي ويؤثروا ... وهم أسرتي الدنيا وأقرب والدي

والثأر واجب على أقرب الناس للقتيل فقيس بن الخطيم ثأر لأبيه وجده بنفسه، لأن ذلك الثأر مسؤوليته، في ذلك يقول((١)):

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياء جعلت إزاءها

وفي يوم الغدير حارب دريد بن الصمة الجشمي غطفان طلبا بثأر أخيه، فقال((٢)):

فتلنا بعبد الله خير لداته ... وخير شباب الناس لو ضم أجمعا

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ... منيته أجرى إليها وأوضعا

إن تحمل أقرب الناس إلى القتيل واجب الثأر له لا يمنع مشاركة الأباعد من الأقرباء في إدراك الثأر، ففي يوم الغدير أيضا ثأر دريد بن الصمة لأخيه كما ثأر لبني سليم أبناء عمومة قبيلته هوزان، وفي ذلك يقول دريد((٣)):

فأبلغ سليما وألفافها ... وقد يعطف النسب الأكبر

بأني ثأرت بإخوانكم ... وكنت كأني بها مخفر

صبحنا فزارة سمر القنا ... فمهلا فزارة لا تضجروا

وكان أبو ضب أخو بني لحيان الهذليين (لا يقتل من هذيل قتيل إلا قتل قاتله)((٤)) وهذا الخبر، على ما فيه

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٦/١

من تهويل، يبرز أهمية النسب في التناصر. ونجد في الشعر تعظيما لمن يثأر لقومه، كقوله رجل من بني لحيان يذكر فضل أبي ضب المذكور آنفا((٥))

فدى لأبي ضب تلادي فإننا ... تكلنا عليه داخلا ومجاهرا

---

(١) –ديوان قيس ص٤٣. وجعلت إزاءها: جعلت القيم عليها.

(٢) –ديوان دريد ص٩١. وأجرى إليها: قصد إليها. وأوضع: أسرع في سيره. وله فيه (ص٣٦–٣٧) أبيات ذكر فيها ثأره لأبيه من بني يربوع.

(٣) –المصدر السابق ص٧٨: وألفافها: قومها المجتمعون حولها. ومخفر: من أخفرة، نقض عهده.

(٤) –شرح أشعار الهذليين ٢/٧٠٣.

(٥) –المصدر السابق ٢/٧٨٣. وتكلنا: اتكلنا. وداخلا ومجاهرا: سرا وعلانية.." [١]

"وبسبب التعصب الشديد للأقارب برزت ظاهرة المغالاة في الأخذ بالثأر، فكان ذوو القتيل المتعصبون يأبون أخذ الدية، فحين أراد عمرو بن معد يكرب أن يصالح أبناء عمه، ويأخذ منهم دية أخيه عبد الله قالت أخته كبشة((١)):

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فكبشة أهاجت بهذا الشعر أخاها، ودفعته إلى الأخذ بثأر أخيه((٢))، وقد أشارت في البيت الثاني إلى اعتقاد العرب بأن قبر المقتول يضيء إذا ثأر أهله به، فإن أهدر دم القتيل أو قبلت ديته كان قبره مظلما((٣))، وذكر التبريزي في شرح قول ذي الإصبع العدواني يتوعد ابن عم له:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة: اسقوني

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٧/١

إن العرب كانوا يقولون: (إن المقتول إذا لم يدرك **ثأره** يخرج من ر أسه هامة، يصوت على قبره: اسقوني، فإذا قتل قاتله أمسك). وكانوا يذمون من يأخذ الدية((٤))، ويفخرون بإدراك **الثأر**.

---

(١) –شرح ديوان الحماسة ٢١٧/١–٢١٨. والإفال، جمع أفيل، صغار الإبل. وصعدة: مكان باليمن. والمطعم: ما يؤكل.

(٢) –انظر شعر عمرو بن معد يكرب ص٦٨.

انظر شرح ديوان الحماسة ٢١٧/١–٢١٨

(٣) –انظر شرح اختيارات المفضل ٧٤٩/٢.

(٤) –انظر شرح أشعار الهذليين ٦٨/٢، وشرح ديوان لبيد ص٢٢٥، والوحشيات ص٨٠–٨١.." [١]

"وقد أشير آنفا إلى بعض منافع إدراك **الثأر** في المجتمع القبلي الأبوي، ولكن المغالاة في التعصب لأبناء النسب الأبوي دفعت إلى الإمعان في القتل طلبا لشفاء النفوس الموتورة فكان أهل القتيل يعرضون عن القاتل أحيانا، ويتوجهون إلى قتل من يرون أنه كفء لقتيلهم. ولكن ذلك لا ينهي الصراع بل يفتح صفحة **ثأر** جديد؛ فالأعشى تهدد بعض أبناء عمه، وكان لهم **ثأر** عند قومه، بقوله((١)):

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا ... لنقتلن مثله منكم، فنمتثل

وفخر دريد بن الصمة بأن قومه قتلوا بأخيه خير لداته، وخير شباب الناس، وذلك في قوله((٢)):

فتلنا بعبد الله خير لداته ... وخير شباب الناس لو ضم أجمعا
ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ... منيته أجرى إليها وأوضعا

وكان بعض الصرحاء المغالين في التعصب لا يرون لقتيلهم كفئا، فقد قتل عبد الله بن جذل الفراسي الكناني رجلين من سادات بني سليم وجرح ثالثا **ثأرا** لربيعة بن مكدم، ثم قال لهم((٣)):

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٨٤/١

فصبرا يا سليم كما صبرنا ... وما فيكم لواحدنا كفاء

وقتل قوم لبيد بقتيلهم تسعة سادة صرحاء عدا الموالي، وذلك في قوله((٤)):

قتلنا تسعة بأبي لبينى ... وألحقنا الموالي بالصميم

وقتل بنو سليم بعباس بن الأصم الرعلي السلمي سبعين سيدا من خثعم وفي ذلك يقول العباس بن مرداس((٥)):

أبلغ قحافة عنا في ديارهم ... والحرب تكشر عن ناب وأضراس
أنا قتلنا بترج من سراتهم ... سبعين مقتبلا صرعى بعباس

---

(١) -شرح ديوان الأعشى ص٢٨٨. وصددا: مقاربا. ونمتثل: نقتل الأحسن والأمثل.
(٢) -ديوان دريد ص٩١، وأوضع: أسرع.
(٣) -العقد الفريد ١٧٥/٥. وانظر مثل ذلك في ديوان زيد الخيل الطائي ص٣٩.
(٤) -شرح ديوان لبيد ص٢٩٢.
(٥) -ديوان العباس ص١٢٦. وقحافة: حي من خثعم. وترج: موضع في ديار خثعم.." [1]

"وافتخر عامر بن الطفيل بأن قومه قتلوا من أعدائهم مائة بشيخ((١))، وهجا حسان بن ثابت الخزرجي أبناء عمومته الأوسيين بقوله((٢)):

قتلتم واحدا منا بألف ... هلا لله ذا الظفر المبين

وادعى دريد بن الصمة أنه قتل بأخيه قبيلة عبس وإخوتها((٣))، وهذا كلام مجازي، ولكنه ينوء بالمبالغة وكذلك الأرقام، سبعون بواحد، ومائة بواحد، وألف بواحد، فيها مبالغات لا تخفى، ولكنها تبرز الإيغال في

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٨٥/١

التعصب، وبه نفسر قول مهلهل يخاطب بني بكر، معلنا عزمه على إدراك ثأره عندهم((٤)):

ليس أخوكم تاركا وترة ... وليس عن تطلابكم بالمفيق

وقوله معلنا أن من قتل من بكر لايفي بدم كليب إلا أن ينال القتل آل همام، وهم بيت بكر((٥)):

كل قتيل في كليب حلام ... حتى ينال القتل آل همام

وقوله لما أسرف في الدماء ثأرا بكليب معلنا حزنه لذلك مقرونا بعزمه على ملاحقة بني بكر كلهم((٦)):

أكثرت قتل بني بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكي لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم ... حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

والإسراف في القتل طلبا للثأر قاد الجماعات الأبوية إلى ظلم بعضها بعضا وإلى تقطيع أواصر العلاقات الإنسانية التي تشد بعضها إلى بعضها الآخر.

---

(١) -انظر ديوان عامر ص١١٢.
(٢) -ديوان حسان ص٣٢٠.
(٣) -انظر ديوان دريد ص٩٤.
(٤) -جمهرة أشعار العرب ص٢٢٣. والمفيق: المتباطئ المتأني.
(٥) -الأمالي ٢/٩٠. والحلام: فويق الجدي، وهو ليس بوفاء أن يذبح للنسك. وانظر الأغاني ٥/٥٢.
(٦) -العقد الفريد ٥/٢٢٠. وأبهرج: أدعهم بهرجا، لايقتل بهم قتيل، ولا تؤخذ لهم دية.." [١]
"لكل نجيب منجب زخرت به ... مهذبة أعراقها لم ترهق

فالنسب الأبوي لا يكفي وحده لإنجاب الأبناء الكرام بل لا بد له من أمومة طيبة طاهرة.

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٨٦/١

وكان ارتباط بعض القبائل بنسب أبوة وأمومة مشترك ملاذا تؤول إليه إن وقع بينها خلاف، يتذكره العقلاء منهم، فيدعون إلى مراعاته، وإلى وأد الخلافات إجلالا للقرابة النسبية التي تربط بينهم، ولهم في ذلك أشعار تؤكد إعلاءهم لشأن الاشتراك في رابطتي النسب الأبوي والأمي((١)).

لقد تمتعت الأم بمنزلة لا تقل عن منزلة الأب عند أبنائها لأنها أحد أصلين صريحين لا يتحقق النسب الصريح للأبناء إلا بهما معا، ولذلك كانت الأم تشارك في صنع أحداث عامة مهمة، بدفع أبنائها إلى المشاركة فيها؛ فدريد بن الصمة حضته أمه بشعر لها على الطلب بثأر أخيه عبد الله، فقال يخاطب أمه((٢)):

ثكلت دريدا إن أتت لك شتوة ... سوى هذه حتى تدور الدوائر

وشيب رأسي قبل حين مشيبه ... بكاؤك عبد الله والقلب طائر

إذا أنا حاذرت المنية بعده ... فلا وألت نفس عليها أحاذر

وكان بعض الصرحاء لا يجدون غضاضة في تقديم الأمومة على الأبوة؛ فعميرة بن جعل التغلبي، هجا قومه، فاستثنى الأمهات، ورد مخازي قومه إلى آبائهم، وذلك في قوله((٣)):

كسا الله حيي تغلب بنة وائل ... من اللؤم أظفارا بطيئا نصولها

فما بهم ألا يكونوا طروقة ... هجانا، ولكن عفرتها فحولها

ترى الحاصن الغراء منهم لشارف ... أخي سلة، قد كان منه سليلها

(١) -انظر شرح ديوان الأعشى ص٢٦٥، والمعاني الكبير ٥٢٨/١.

(٢) -ديوان دريد ص٨٠.

(٣) -شرح اختيارات المفضل ١١٤٤/٣. والطروقة: الإناث. وعفرتها: ألصقتها بالعفر، وهو التراب. والشارف: المسن من الإبل. والسلة: السرقة.." (١)

"ولذلك كان الأخوال لا يرون غضاضة أن يستغيثوا بأبناء أخواتهم إن أصابهم مكروه، أو تهددهم عدو، فقد استعدت خويلة الرئامية ابن أختها مرضاوي بن سعوة المهري ليثأر لأخواله من أولاد عمومتهم، بني ناعب

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١٠٤/١

وبني داهن، وأنشدته في ذلك شعرا، ومنه قولها(١):

يا خير معتمد وأمنع ملجأ ... وأعز منتقم وأدرك طالب
هذي خناصر أسرتي مسرودة ... في الجيد مني مثل سمط الكاعب
فابرد غليل خويلة الثكلى التي ... رميت بأثقل من صخور الصاقب
وتلاف قبل الفوت ثأري إنه ... علق بثوبي داهن أو ناعب

فحلف لها مرضاوي أن يثأر لها، وقال في ذلك شعرا ، ومنه قوله(٢):

أخالتنا سر النساء محرم ... علي وتشهاد الندامى على الخمر
فواري بنان القوم في غامض الثرى ... وصوري إليك من قناع ومن ستر
فإني زعيم أن أروي هامهم ... وأظمئ هاما ما انسرى الليل بالفجر

ثم خرج في منسر من قومه، فطرق ناعبا وداهنا فأوجع فيهم.
وشد سلمة بن الخرشب الأنماري أزره بابن أخته الربيع بن زياد العبسي، فخاطب قوما أرادوا حربه بقوله(٣):

أتيتم إلينا ترجفون جماعة ... فأين أبو قيس وأين ربيع
وذاك ابن أخت زانه ثوب خاله ... وأعمامه الأعمام وهو نزيع

إن نسب الصريح من جهتي أبيه وأمه أكسبه نفسية متوازنة، عبر عنها بافتخاره بذلك النسب المثالي.

---

(١) الأمالي ١٢٧/١، والسمط: الخيط مادام الخرز ونحوه منظوما فيه.، والصاقب: جبل معروف.
(٢) المصدر السابق ١٢٧/١-١٢٨ ، وصوري : ميلي، وزعيم : ضامن.
(٣) الأغاني ١٨٧/١٧، ونزيع : شريف، ينزع إلى عرق كريم.." (١)

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١٠٨/١

"ومن الدلائل على ترابط الأسرة الزواجية تناصر الإخوة، ويتجلى ذلك واضحا في شعر الرثاء، حي يظهر اعتداد الأخ بأخيه، فيذكر محاسنه، ويتألم لفقده، ويسعى لإدراك ثأره إن مات مقتولا. ومن الشعراء الذين اشتهروا بذلك دريد بن الصمة في رثاء أخيه عبد الله (١)، ولبيد بن ربيعة في رثاء أخيه أربد (٢)، وبشر بن أبي خازم في رثاء أخيه سمير (٣)، وغير ذلك كثير(٤).

ومن ترابط الأسرة أيضا اهتمام الأخوات بشؤون إخوتهم وإظهار الألم لفقدهم، ومن اللواتي اشتهرن بذلك الخنساء، فقد حفل ديوانها برثاء أخويها: صخر ومعاوية ؛ وهند بنت عتبة(٥)، وكبشة بنت معد يكرب (٦)،وغيرهن(٧).

ومن ترابط الاسرة أيضا أن يهتم الأخ بشؤون أخته،كأن ينحصها في أمر زواجها (٨) ويشتاق إليها إن بعد عنها كقول امرئ القيس يدعو لأخته بالسقيا(٩):

فأسقى به أختى ضعيفة إذ نأت ... وإذ بعد المزار غير القريض

***

---

(١) انظر ديوان دريد ص ٦٣-٦٥.

(٢) انظر شرح ديوان لبيد ص ١٥٦-١٥٧و١٥٨-١٦٠و١٧٣.

(٣) انظر ديوان بشر ص ١٢٣و١٥١و١٧١-١٧٤و٢٩٨.

(٤) انظر شرح اختيارات المفضل ١١٦٦/٣، وشرح أشعار الهذليين ٥٩٩/٢، وشعر عمرو بن معد يكرب ص٦٧ وديوان النابغة ص٢١١، والأمالي ٦٢/١، وشعر النمر ص٤٢و ٩٨.

(٥) انظر سيرة ابن هاشم ٢٨٢/٢-٢٨٣.

(٦) انظر الأمالي ٢٢٦/٢.

(٧) انظر ذيل الأمالي ص١٢.

(٨) انظر ديوان امرئ القيس ص١٢٨-١٢٩.

(٩) المصدر السابق ص٧٣ . والضمير في أسقى يعود على المطر. وينسب البيت لابي دؤاد الإيادي.." [١]

"وقد يقترن الإبعاد بإعلان براءة جماعة المبعد من تبعة أعماله، ويسمى الإبعاد آنذاك خلعا(١).

ومن أشهر الخلعاء في الجاهلية البراض بن قيس الكناني الذي خلعه قومه، فارتحل عنهم إلى أماكن كثيرة، منها مكة والحيرة(٢)؛ وكذلك الحارث بن ظالم المري الذي خلعه قومه خوفا من النعمان بن المنذر، فعاش طريدا، ينتقل من مكان إلى آخر، حتى قتل في الشام عند الغساسنة(٣).

---

(١) -المبعد يتمتع بحق حماية جماعة الأبوية له؛ فطرفة أبعده قومه، ولكنهم طالبوا بدمه، وأخذوا ديته حين قتل (انظر الأغاني ٢٤/٢٤٣-٢٤٤). وأما الخليع فمحروم من حماية أهله؛ فهم لايثأرون له إن قتل أو أوهين (انظر الغربة في الشعر الجاهلي ص٨٥).

(٢) انظر العقد الفريد ٥/٢٥٣-٢٥٥.

(٣) - انظر الأغاني ١١/١٠٩ وما بعدها. ومن الخلعاء المشهورين أيضا قيس بن الحدادية(انظر الأغاني ١٤/١٤٢-١٥٨).." [٢]

"لقد اكتسب بعض السادة مزايا مادية بتفوقهم قوة وشجاعة في الحروب، وباستعدادهم لتلقي سهام المخاطر أكثر من غيرهم ؛ فالسيد أول من يتقدم إلى الأعداء، وقد يكون أول القتلى(١):

أطاعت بنو عوف أميرا نهاهم ... عن السلم حتى كان أول واجب

وكان السادة أكثر عرضة للخطر من غيرهم، فقتلهم فخر، يقول بشر بن أبي خازم(٢):

قتلنا الذي يسمو إلى المجد منهم ... وتأوي إليه في الشتاء الأرامل

وأسرهم فخر؛ يقول بن معد يكرب في أسر قومه للأشعث بن قيس الكندي:" وأشعث سلسلوا في غير عقد

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١/١٥٦

(٢) الانتماء في الشعر الجاهلي * د راسة *، ١/٢٥٨

"(٣)، ويقول أيضا(٤):

فشتا وقاظ رئيس كندة عندنا ... في غير منقصة وغير هوان

وبقتل السادة يدرك **الثأر**، يقول عبد الله بن جعده مهددا قتلة خالد بن جعفر:" فلنقتلن بخالد سرواتكم "(٥)، ويقول خفاف بن ندبة حين أدرك **بثأر** معاوية بن عمرو السلمي(٦):

تيممت كبش القوم حتى عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا

ومن الأشعا ر التي تدل على تصميم المحاربين على قتل السادة لا المسودين قول قيس بن الخطيم مفتخرا بأن قومه قتلوا سادة بني الأغر، وعفوا عمن دونهم(٧):

أصابت سراة م الأغر سيوفنا ... وغودر أولاد الإماء الحواطب

---

(١) -ديوان قيس ص٩٠. وأول واجب: أول ميت.
(٢) -ديوان بشر ص١٧٦. وانظر مثل ذلك في ديوان الأفوه ص٢٣، وشعر عمرو بن معد يكرب ص٦١، والعقد ١٥٨/٥، والمعاني الكبير ١٠٠٥/٢، ومعجم البلدان (خو)
(٣) -شعر عمرو بن معد يكرب ص٨٤.
(٤) -المصدر السابق ص١٦٢. وافتخر سلامة بن جندل (ديوانه ص١٧٦) بأن قومه يحتفظون بالرئيس الأسير ذليلا حتى يفتدي نفسه، وبأنهم يطلقون سراح من دون ذلك لهوان أمره.
(٥) - أشعار العامرين الجاهليين ص٧٦.
(٦) -شعر خفاف ص٦٥.
(٧) -ديوان قيس ص٩١.." (١)

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٣٧٦/١

"إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح ... عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته ... فقيرا ومن مولى تدب عقاربه

إن الحياة الكريمة في رأي عروة أن يكون الإنسان ذا مال، وأن تعطف عليه أقاربه وإذا عرفنا أن الفقير يهون على أقاربه، ويبغضونه فسوف نتفهم الدلالة العميقة لحرص عروة على اكتساب الأموال، وهي الرغبة بالعودة الكريمة إلى رحاب الانتماء النسبي، فالجاهلي يبقى بحاجة إلى هذا الانتماء من أجل الحماية الفضلى التي تتحقق ظلال الانتماء النسبي، ولا تتحقق في ظلال الانتماء إلى طبقة الفقراء((١)).
وقبل الانتقال إلى صورة أخرى من صور المستضعفين أود الإشارة إلى أن التمرد على الفقر بالغزو لم يكن خيرا دائما، ويكفي للدلالة على ذلك قول زيد الخيل الطائي((٢)):

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقى ... على الأرض قيسي يسوق الأباعرا

فالغزو لاكتساب الأموال لا يفرق بين غني بخيل وغني كـريم إلا نادرا((٣))، فكان التمرد على الفقر بالغزو سببا في مظالم كثيرة، وفي إشعال حروب كثيرة.

---

(١) أقدم بعض الصعاليك، ولاسيما الخلعاء والأغربة، على غزو قبائلهم التي تنكرت لخلعائها وأغربتها، (انظر الشعراء الصعاليك ص١١٤- ١١٥). ولكن ذلك لا يلغي انتماءهم النسبي، فقيس بن الحدادية خلعه قومه، فأغار عليهم بجمع من الصعاليك، وحين علم بأن هوازن أغارت على قومه ثأر لقومه من هوازن، فأغار عليها، وافتخر بذلك. انظر أخباره وبعض أشعاره الدالة على استمرار ارتباطه وافتخاره به بعد خلعه في الأغاني ١٤/١٤٢- ١٤٩.
(٢) ديوان زيد الخيل ص٦٢.
(٣) انظر الشعراء الصعاليك ص٤٥- ٤٨. وكان عروة إذا شكا إليه فتى من قومه الفقر أعطاه فرسا ورمحا وقال: إن لم تستغن بهما، فلا أغناك الله، يا فتى! (انظر ربيع الأبرار ٥/١٢).." (١)

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١/٤٠٥

"ب- تحالف الأفراد: أسهم الأفراد في تقارب الإنسان مع أخيه الإنسان في المجتمع الجاهلي؛ فثمة أفراد دفعتهم ظروف قاهرة إلى ترك أهلهم ومنازلهم، وإلى النزول في كنف سيد يقبل محالفتهم، فيؤمن لهم الرعاية والحماية من غضبة ملك، أو طالب **ثأر**((١))؛ وثمة أفراد رغبوا بالحلف، فقد دعا حرب بن أمية القرشي أبا مطر الحضرمي إلى النزول في مكة، ومحالفته، حيث يلقى المعاملة الحسنة والعيش الرغد، والأمن، يقول حرب((٢)):

أبا مطر هلم إلى صلاح ... فتكنفك الندامى من قريش
وتأمن وسطهم وتعيش فيهم ... أبا مطر هديت لخير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما ... وتأمن أن يزورك رب جيش

ومن المرجح أن ((دعوة حرب لأبي مطر تنتظم في إطار جذب رؤوس الأموال إلى مكة، وتشجيع الاستثمار فيها))((٣)) وفي ذلك تحقيق لمصالح مشتركة للمتحالفين، فقد كانت المنافع الاقتصادية المتبادلة سببا في تحالف أفراد كثيرين مع رجال من بطون قريش الغنية((٤)).
والتحالف بين الأفراد كان يتم وفق أسس تشبه التحالف بين الجماعات؛ فالأفراد يتحالفون على الوفاء بشروط يتفقون عليها، وكان الوفاء بها حمدا، والرجوع عنها غدرا وعيبا((٥)).

---

(١) انظر الأغاني ٤٦/٣ وكان بعض الأفراد المتحالفين بعيدا عن أهلهم ومنازلهم خلعاء نفتهم قبائلهم ومنهم البراض بن قيس الكناني حليف أبي سفيان بن حرب (انظر الأغاني ٦١/٢٢- ٦١).
(٢) الكامل في اللغة ص٧/٤.
(٣) انظر شعر قريش ص٨٦.
(٤) انظر المصدر السابق ص٢٥.
(٥) انظر أشعار العامريين الجاهليين ص٢٨.." (١)

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٤٦/١

"إن موقف الأحلاف من العهود التي تربط بينهم ليس واحدا؛ فبعض الحلفاء التزموا بما يجب عليهم تجاه أحلافهم، وبعضهم لم يلتزم بذلك؛ ولعل التعصب إلى الانتماء النسبي كان سببا في خذلان الحليف؛ فمحبة أبي سفيان لقريش دفعته إلى مسالمة أقربائه الذين قتلوا حليفه أبا أزيهر الدوسي، فقد أبى أن تضرب قريش بعضها ببعض في رجل من دوس((١)).

ومثلما أطلقت لفظة (المولى) على الحليف وعلى ابن العم، وفي هذا إعزاز وإكرام للحليف، فقد أطلقت أيضاص على العسيف((٢)) (الأجير، والمملوك المستهان به)، وفي هذا احتقار وامتهان للحليف، ففي دلالة لفظة (المولى) على الحليف وابن العم والعسيف ما يدل على اختلاف آراء الجاهليين حول قيمة الحلف ومنزلة الأحلاف، وهذا الاختلاف يمكن إرجاعه إلى تباين منازل الحلفاء؛ فالأصل في الحلف التعاقد على تبادل المصالح، وحين يقدر الحليف على ذلك يكون بمثابة ابن العم، فيحظى بالاحترام والتقدير((٣))، وحين يتلكأ الحليف عن تقديم العون لحليفه، فقد تنفصم عرى التحالف، وأما حين يغدو أحد الحليفين ضعيفا، يحتاج إلى مساعدة حليفه، ويعجز عن مكافأته فإن الحليف الضعيف قد يغدو عسيفا، يستخدمه حليفه مقابل حمايته ورعايته.

***

(١) انظر ديوان حسان ص٣٥٥، ٣٥٧، وسيرة ابن هشام ٢/٤٣- ٤٤ وصلة الحليف، وإن كان داخلا في حلف دون قومه، لا تنقطع بنسبه الأبوي. فقد سعى قوم أبي أزيهر الدوسي إلى الأخذ بثأره حين أعرض عن ذلك حليفه أبو سفيان. انظر أنساب الأشراف ١/١٣٦، وشعر ضرار ص٥٢- ٥٣.

(٢) انظر المعاني الكبير ١/٥٨٥.

(٣) حين قتل أبو أزيهر الدوسي.بعثت قريش أرطأة بن سيحان حليف حرب بن أمية إلى الشراة يحذر من بها من تجار قريش، وقد افتخر ابن سيحان بذلك. ولعل اقتدار ذلك الحليف على مساعدة حلفائه من الأسباب التي جعلت آل سيحان بمنزلة بعض بني حرب بن أمية ((عندهم خاصة، وعند بني أمية عامة))؛ (انظر الأغاني ٢/٢٣٦- ٢٣٧).." (١)

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١/٤٤٨

"تلك صور من الحياة التي تشد الإنسان إلى أخيه الإنسان بعرى الصداقة؛ وهي عرى تبدو من خلال الشعر متينة غالبا؛ وفي تتبع تصوير الشعراء للصداقة الحق تتراءى للمستقصي علاقة الصداقة في نسيج لا يقل متانة عن علاقة النسب. فالصديق لا يهجو صديقه((١))، بل يحافظ على عهده في حضوره وفي غيابه((٢))، والصديق يحلم على صديقه((٣))، ويحسن استقباله((٤))، ويحوطه بالرأفة والرعاية والإكرام((٥))، ويقاتل دفاعا عنه((٦))، ويشركه بماله((٧))، وينجز وعده((٨))، وقد يفديه بنفسه؛ فقد آثر كعب بن مامة رفيق سفره بحصته من الماء، فنجا الرفيق، ومات كعب عطشا((٩)) والصديق يأسى لفقدان أصدقائه((١٠))، ويحرص على الثأر لهم، وعلى تنفيذ وصاياهم، يقول عبد الله بن ثور العامري((١١)):

بان الخليل وأوصاني بأثؤرة ... ألا لأمي إن لم أفعل الهبل

وإلى جانب ذلك ظهر في الشعر الجاهلي حرص الصديق على عرض صديقه وشرفه يقول حاتم الطائي((١٢)):

رب بيضاء، فرعها يتثنى ... قد دعتني لوصلها، فأبيت

---

(١) انظر شعر زهير ص٢٥٦- ٢٥٧، وديوان حسان ص١٧١.

(٢) انظر شعر عبدة ص٨٥.

(٣) انظر ديوان شعر المتلمس ص٢٦٨.

(٤) انظر ديوان ذي الإصبع ص٩٤.

(٥) انظر ديوان شعر حاتم ص١٧٤، وشرح اختيارات المفضل ١٣٦٩/٣، وعيون الأخبار ٣٤٠/١- ٣٤١.

(٦) انظر نسب قريش ص٢١٣، وديوان شعر حاتم ص٢٤٩.

(٧) انظر ديوان شعر حاتم ص٢٨٦، ومعجم الشعراء ص٨٦.

(٨) انظر ديوان الخنساء ص٢١.

(٩) انظر معجم الشعراء ص٤٤١.

(١٠) انظر ديوان دريد ص٣٨، وديوان الطفيل ص٤٠ وديوان النابغة ص٢١١، وديوان تأبط شرا ص٧٨-

.٨٥

(١١) قصائد جاهلية نادرة ص١٥٩.

(١٢) ديوان شعر حاتم ص٢٤٣. والخدن: الصديق الذي يكون معك ظاهرا وباطنا في كل أمر. وافتخر قيس بن الخطيم (ديوانه ص٨٠) بأنه لا يستميل حليلة صاحبه.." (١)

"وأما الظاهرة الأكثر شبها بالجوار فهي الضيافة، ولطالما ربط الشعراء بين الضيافة والجوار((١))، بل إن متمم بن نويرة كان يرى أن الضيافة هي الجوار ذاته، وذلك في قوله. يرثي أخاه((٢)):

وكان إذا ما الضيف حل بمالك ... تضمنه جار أشم منيع

وما ذلك إلا لشدة تقارب الأسباب الموجبة للضيافة والموجبة للجوار، ولتشابه المصالح المحققة في ظل كل منهما.

ولأن الجوار، وشبهه، انتماء اختياري ينعقد برضا الأطراف المشاركة فيه، فإن فك عرى ذلك العقد حق لأي طرف فيه، فالمجير قد يجد أن المجار سيقوده إلى حرب لا يود خوضها، فيؤذنه بفك الجوار؛ فقد طلب حاجب بن زرارة من الحارث بن ظالم وكان في جواره، أن يتنحى عنه، رغبة في تجنب محاربة بني عامر، وكان لهم ثأر عند الحارث، فغضب الحارث، وهجا حاجبا، ولكن حاجبا دافع عن نفسه بأبيات منها قوله((٣)):

لعمر أبيك الخير يا حار إنني ... لأمنع جارا من كليب بن و ائل
ولكنني لا أبعث الحرب ظالما ... ولو هجتها لم ألف شحمة آكل

---

(١) انظر بعض ذلك في ديوان بشر ص٩٠، ٢٨٨- ٢٨٩، ٢٩٥، وديوان حسان ص١٨٣، وديوان الحطيئة ص٤٠، وديوان دريد ص٨٢، وديوان سلامة ص٢٢٦- ٢٢٧، وديوان أبي محجن ص٥٠، وشرح ديون الأعشى ص٢٠٩، وشرح ديوان لبيد ص١٣٦- - ١٣٧، وشعر النمر ص٦٢، والأغاني ٢٨٢/١٧ والأمالي ٦٢/١، وشرح اختيارات المفضل ١٦٤٦/٣، وشرح أشعار الهذليين ١٢٣/١ وقصائد جاهلية نادرة ص١٣٢.

(٢) شرح اختيارات المفضل ١١٩٨/٣. والضيافة تنعقد برضا الضيف والمضيف معا، وذلك بطلب من

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٥١/١

الضيف يلقى قبولا من المستضيف أو بعكس ذلك. انظر ما يدل على ذلك في ديوان حسان ص١٣٣، وديوان الخنساء ص٧٤- ٧٥، وديوان شعر حاتم ص٢٥١، ٢٥٩، ٢٨٥، وديوان شعر المثقب العبدي ص١١٧- ١٢٣، وشرح اختيارات المفضل ٥٩٨/٢- ٦١٠، والعقد الفريد ٢٨٩/١، ومعجم الشعراء ص٢١.

(٣) الأغاني ١٠٥/١١- ١٠٦.." (١)

"وقد يقع شر بين قوم المجير وقوم المجار، فيطلب المجيرون من المجار أن يرحل عنهم((١))، أو يطلب المجار الأذن بالرحيل((٢))، ولكن أمان المجير للمجار لا ينقطع ساعة الإذن بالارتحال بل يمهل المجار ثلاثة ليال وهي خفرة الجار، وبعدها يحق لقوم المجير أن يلحقوا الشر بالمجار إن كان لهم عنده ثأر أو كانوا يخشون أن ينالهم مكروه من قبله((٣)).

---

(١) انظر شرح أشعار الهذليين ٣٩٩/١.

(٢) انظر النقائض ٨٨/١- ٨٩.

(٣) انظر ا لعقد الفريد ١٥٣/٥، والنقائض ٨٨/١- ٨٩، ومهلة الخفرة تنطبق على الجماعة المجاورة أيضا (انظر النقائض ٩٨/١) وقد تكون خفرة الجار في حالات خاصة غير ما ذكر(انظر الأغاني ١٢١/١١). وقد يكون الجوار مشروطا بمدة محددة فينقضي بانقضائها (انظر ديوان حسان ص٢٤٣).." (٢)

"إن وصف جعفر لقومه يسيئون الجوار، وقول الحطيئة ((لا يكاد أخو جوار يحمد)) يظهر أن شيوع الإساءة إلى الجوار في أواخر العصر الجاهلي، ويوحيان بتطامن تلك القيمة آنذاك. فإذا عرفنا أن كثيرا من حوادث الإساءة إلى الجوار ترجع إلى طمع المجيرين في اغتصاب أموال المجارين((١)) فمن الممكن القول بأن ما شهدته الجزيرة العربية من تطور اقتصادي تسبب في بروز القيمة المادية ومزاحمتها لقيم حياة الحل والترحال، ومنها قيمة حسن الجوار، وهي من مكارم الأخلاق الجاهلية التي تتطلب ما يحض الناس عليها، ويلزمهم التمسك بها.

ولكن التطور الاقتصادي ليس سببا وحيدا لضعف قيمة حسن الجوار؛ فالعصبية إلى الانتماء النسبي كانت

---

(١) الان تماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٦٣/١

(٢) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٦٤/١

عائقا يحول دون إقرار بعض الجاهليين بوجوب الإحسان إلى الحوار، فالذين اغتصبوا أموال جيرانهم كانوا يقدمون أنفسهم وأقاربهم على جيرانهم؛ والذين حضوا على قبول دفع الدية لأهل المجارحين يقتل٥ أقارب المجير، وأنكروا الثأر له، كانوا بذلك يقدمون العصبية للانتماء النسبي على الجوار، ومما يدل على ذلك صراحة أن امرأة من أفصى كانت في جوار سلمى بن المقعد الهذلي، فقتلها بعض أقاربه، ثم حضوه على أخذ العقل لأهلها، وعلى ألا يثأر لها، وله يقول قيس بن عيزارة الهذلي((٢)):

بني كاهل، لا تنغلن أديمها ... ودع عنك أفصى ليس منك أديمها

---

(١) انظر بعض الأخبار والأشعار الدالة على ذلك في ديوان أوس ص١١٢، وشرح اختيارات المفضل ١٩٧/١، و١٥٠٦/٣- ١٥٠٩ وشرح أشعار الهذليين ٣٨٥/١، ٣٦٢- ٣٦٥، والمعاني الكبير ٤٠٣/١- ٤٠٤.

(٢) شرح أشعار الهذليين ٦٠٥/٢ وبنو كاهل من هذيل. وبعض المتعصبين للنسب لا ينكرون الثأر من الأقارب للجار الغريب فقط بل ينكرون أيضا دفع العقل لأهله أيضا. انظر شرح أشعار الهذليين ٢٦٠/١- ٢٧٩.." (١)

"إنها دعوة صريحة إلى تقديم الانتماء النسبي على الجوار؛ فمقتل تلك الجارة الغريبة في رأي قيس لا يوجب الثأر لها من الأقارب.

وفي مقابل ذلك كانت صلة المجاور بأهله لا تنقطع، فهو يشتاق إليهم، ويتوق إلى لقائهم((١))، ويتسقط أخبارهم، فيفرح لانتصاراتهم، ويتغنى بها((٢))، ويتألم إن أصابهم مكروه((٣)).وكان الأهل يتتبعون أخبار المجاور منهم في غيرهم، فيغضبون له إن قصر مجيروه في نصرته((٤)). فالصلة بين المجاور وأهله سياج يسهم في حمايته، وفي ردع من يفكر بظلمه، وهي حصن يلوذ به المجارحين يتطاول عليه المجيرون؛ فحين فخر مزرد بن ضرار الذبياني بأن قومه أحلوا كعب بن زهير في ديارهم((٥)) غضب كعب، وانتسب إلى قومه، قائلا((٦)):

هم الأصل مني حيث كنت وإنني ... من المزنيين المصفين بالكرم

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٨٢/١

وكان بعض المجاورين لذلك لا يرتضون التبعية لمجيرهم، فزهير بن أبي سلمى يفخر بأن نزوله في بني سهم الذبيانيين لا يجعله تابعا لهم((٧)) بل يرى أنه ند للذبيانيين إذ يقول((٨)):

لذي الفضل من ذبيان عندي مودة ... وحفظ، ومن يلحم إلى الشر أنسج

(١) انظر ديوان الحطيئة ص١١، وقصائد جاهلية نادرة ص٢٢٠. وكان المجاور يتذكر أهله حين يظلم، ويتشوق إلى نصرتهم له. انظر الأغاني ١٣/١٤، والعقد الفريد ٥/٢٢١- ٢٢٢.

(٢) كان محرز بن المكعبر الضبي مجاورا في بني بكر بن وائل، فبلغه خبر انتصار قومه على مذحج يوم كلاب الثاني، فتغنى بذلك. انظر العقد الفريد ٥/٢٣٢- ٢٣٣.

(٣) انظر النقائض ١/٨٨- ٨٩.

(٤) انظر ديوان العباس ص١٠٠.

(٥) انظر شرح ديوان كعب ص٦١.

(٦) المصدر السابق ص٦٧. وانظر مثل ذلك في ديوان شعر المتلمس ص١٥٩.

(٧) انظر شعر زهير ص٢٧٣.

(٨) المصدر السابق ص٢١٦. ومن يلحم: من اللحمة، وهي ما نسج عرضا. يريد من هجاني هجوته.." [١]

"ولكن تعظيم الحلة للحمس ليس مطلقا، فتأله الحمس هوالسبب الرئيس لتعظيمهم، والتأله يوجب الإحجام عن غزو الناس وقتلهم، فإن كان للحلة ثأر عند الحمس فلا تعظيم للحمس، ولا حرمة لهم، قتل بنوعامر لقيط بن زرارة التميمي، وهو من الحلة، يوم شعب جبلة، قالت ابنته دختنوس ترثيه، وتهدد بني عامر الحمس(١):

فإن تعقب من عامر يكن ... عليهم حريقا لا يرام إذا سما

ليجزيهم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماءالحمس يامال من بوا

وأما الطلس، فهم (سائر أهل اليمن، وأهل حضرموت، وعك، وعجيب، وإياد بن نزار)(٢)، وكانت الطلس

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١/٤٨٣

بين الحلة والحمس (يصنعون في إحرامهم مايصنع الحلة، ويصنعون في ثيابهم، ودخولهم البيت مايصنع الحمس)(٣). ويبدو من شعرلعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وهو من الطلس، أن الطلس كانوا يقرون للحمس بعظمة منزلتهم الدينية، وذلك في قول عمرو مهددا العباس بن مرداس السلمي(٤):

أعباس لو كانت شيارا جيادنا ... بتثليث، مانصايت بعدي الأحامسا

ومن المعروف أن سلما نازعت الأحامس (قريشا) في حروب الفجار (٧)، فكأن عمرا أراد بقوله السابق، ذم سليم لمحاربتها قريشا، بأنه سينتصر الحمس معبرا بذلك عن تعظيم الطلس للحمس.

---

(١) النقائض ٢/٦٦٥.

(٢) المحبر ص ١٧٩

(٣) المصدر السابق ص١٨١

(٤) شعر عمرو بن معد يكرب ص١١١، وشيارا: سمانا، وتثليث: واد بنجد، وناصيت: نازعت وباريت، وقيل في تفسير الأحماس: أراد قريشا.

انظر شعرا لضرار بن الخطاب الفهري(شعره ص٤٧) يدل على ذلك.." (١)

"ويؤكد الالتزام بالسلام داخل الحرم أن رجلين من لحيان كانا يسكنان الحرم، ولا يخرجان منه، فأحس أحدهما تنكرا من جيرانه بني ليث بن بكر، فقال لأخيه جنيدب: (اخرج بنا من وسط بني بكر، فإني والله رأيت شأن القوم يريدون بنا غدرا، فقال جنيدب: والله ماعلينامن بأس، وإنا لفي الحرم، وما أنا بخارج منه.... وقعد جنيدب جارا لدار من بني ليث... ثم إن غيثا وقع المغمس، وراء الحرم بأميال، فقالوا لجنيدب: اخرج معنا إلى هذا الغيث، فقال: والله إني لأكره أن أخرج من الحرم... فقالوا: أمعنا تخاف؟... فخرج معهم، حتى دخل المغمس، فأغاروا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله)(١).

والنظر في الخبرين السابقين يظهر الالتزام بالسلام داخل الحرم، وهذا الالتزام نابع من انتماء ديني يقر بقداسة الكعبة والحرم المحيط بها(٢)، ولم يكن القتل وحده مستنكرا في الحرم بل استنكر الظلم فيه أيضا، يقول قيس

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٢/١٤

بن شيبة السلمي، وقد ظلم في مكة(٣):

يالقصي كيف هذا في الحرم؟

فسارع بعض القرشيين إلنصرة السلمي، وكان ذلك من أساب قيام حلف الفضول.

---

(١) شرح اشعار الهذليين ٢/٧٧٧

(٢) قال النعمان بن المنذر يذكر فضل العرب (العقد الفريد ٢/٧): (وأما دينها وشريعتها، فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما، وبلدا محرما، وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه،وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى).

(٣) الأغاني ١٧/ ٢٨٨، وبنو قصي: بطن كبير في قريش. ولمزيد من ذكر الحرم في الشعر انظر ديوان حسان ص١٣٩، وديوان طرفة ص١١١، وديوان عدي ص ١٧١، وشرح ديوان الأعشى ص ٣٤٩، وشرح أشعار الهذليين ١/٧٩ وعرفت في الجاهلية أحرام أخرى أقل أهمية من حرم مكة، انظر الأصنام ص ١٩، ٦٠ ومعجم البلدان: (بس وسقام) والأصمعيات ص ٩٢.." (١)

"مثل الصلاية متآم إذا ولجت ... في مهبل صادفت داء اللخاقين

وقاسح كعمود الأثل يحفزه ... رجلا حصان ومتن غير معروق

كأن أوداجه منه إذا انشخبت ... حلقوم شيخ من الحرمان مخنوق

وقال في هذا الباب معبد بن شعبة الضبي:

ما كان لو طاعنت عن بكراتها ... لبني البروك مويلد والأعور

ولحق جيش كنت أنت رئيسه ... جلد العظاية أن يجيء بمنكر

فقال الآخر:

فإنك لو أبصرتهن بيترب ... عرفت الأنوف الجثم والأعين الزرقا

وقال الآخر:

قفا حزر عرد تبوأ مجثما ... برابية فيها قناد وشبرم

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٢/٢٠

وقال الشاعر في الرقاب الغلب والأنف الشم، فمما قالوا في مديح الأنوف وغيرها قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه نقية أجسادهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

وقال ابن مقروم الضبي:

وفتية لا يشين الفحش مجلسهم ... شم العرانين لا ميل ولا عرل

وقال ابن قنبر:

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ... ومانع ظهري خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائم

وقال آخر:

وأبغض من قريش كل إزب ... صغير الجسم تحسبه وليدا

كأنهم كلا بقر الأضاحي ... إذا قاموا حسبتهم قعودا

وقال الشاعر:

وقال الناس آل بني هاشم ... هم الأنف المقدم والسنام

وقالوا: كانوا بنو عبد المطلب عشرة يأكل أحدهم جذعة ويشرب فرقا ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم.

وإذا ذكروا إنسانا بالكبر قالوا: كأن أنفه نعرة، وفي أنفه خنزوانة، وإنما أنفه في أسلوب، قال الشاعر:

جاءوا إلينا وهم صيد رءوسهم ... فقد تركنا لهم يوما كأيام

ويقولون: جدع الله أنفه وأرغم الله أنفه، والرغام: التراب، ويقولون: أنف ومرسن ومعطس ونحوه، وربما قالوا: خرطوم، قال الشاعر:

أمسى المضاء ورهطه في هبطة ... ليسوا كما كان المضاء يقول

لا تخرأ الذبان فوق أنوفهم ... فاليوم تخرأ فوقها وتبول

وقال آخر:

يا رب من يبغض أذوادنا ... رحن على بغضائه واغتدين

لو ينبت البقل على أنفه ... لرحن منه أصلا قد أنين

وقال حميد بن ثور الهلالي:

ود الملوك بأشراف مجدعة ... وأن أعينهم مطموسة عور

أن أبانا أبوهم غير منتحل ... إذ جربونا وأن الجد منصور

وفي القرآن: " سنسمه على الخرطوم " ، وقال خليفة الأقطع:

قطعوا منطق الرئيس هريم ... وجذوا مسورا على الخرطوم

وقال الشاعر:

وجدنا بني شيبان خرطوم وائل ... ويشكر خنزير أدن قصير

وقال أبو قيس بن الأسلت في إرغام الأنف:

فتركت سيدهم ينوء بطعنة ... من زاعب في ذي سنان مطرد

رغما لأنفكم رعيي فإنكم ... أهل الجياد الخب قدما فابعدوا

وباب آخر من ذكر الأنوف، وهو قول قائل:

أنوف وآذان وأيد أمدها ... مع القتل هيآت السيوف الصوارم

وقال آخر في عيب الرضا بالديات وترك طلب الثأر:

كلوا أنف حيان بكارا فإننا ... تركناه عن فرط من السن أجدعا

ولذلك قال الشاعر:

معاقيل من أيديهم وأنوفهم ... بكارا وثنيا تركب الحزن ظلعا

وفي الباب الأول يقول الشاعر:

أنت أنف الجود إن زايلته ... عطس الجود بأنف مصطلم

وفي باب آخر ذكر الأنوف، وما يكون فيها من الشعر، قال ذو الرمة:

فلو كان عمران بن موسى أتى بها ... ولكن عمران بن حيداء قصرا

لئن كان موسى لح منك بدعوة ... لقد كان من ثؤلول أنفك أوجرا

وقال عقيل بن علفة يهجو عمار بن عيينة بن حصن:

لم يبق من آل بدر غير أهجنة ... شعر أنوفهم حول ابن عمار

وفزارة تهجي بشعر القفا، ولذلك قال الحارث بن ظالم حيث انتسب إلى قريش وانتفى من بني مرة بن عوف:

فما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعر الرقابا." (١)

---

(١) البرصان والعرجان، ص/٥٦

"وأما مزرد بن ضرار فإنه جعل ذلك مفخرا ومجدا حيث قال:

إلى الفرعين من غطفان أنمي ... وجدك لم يبلغك انتسابي

نجيب بين ثعلبة بن سعد ... وبين فزارة الشعر الرقاب

فما من كن بينهما بنكس ... وجدك في الخطوب ولا بكابي

وإذا عظم الأنف وطال شبهوه بثيل الجمل وعابوه بذلك، قال قعنب ابن أم صاحب:

أتيت الوليد فألفيته ... كما قد علمت عيبا بخيلا

بطي العطا سريع العصا ... لا يفعل الخير إلا قليلا

فقدت الوليد وأنفا له ... كثيل القعود أبى أن يبولا

وقال آخر في مثل ذلك:

وما لمتها لما تبينت وجهه ... وعينا له خوصاء من تحت حاجب

وأنفا كثيل العود يقطر ماؤه ... على لحية شمطاء ذات عجائب

وأنشد أبو الرديني العكلي:

عدمت أنفا ها هنا مستالا ... من امرئ قد عدم الجمالا

وحاجبين عظما وطالا ... وعين سوء تكسر المكحالا

وقال أبو فرعون:

إليك يا محمد بن عمرو ... غوت في الفخر وقبل الفخر

كأن عينيه صرار صبر ... بينهما أنف كثيل البكر

ويزعمون أن معاقرة الشراب تعظم الأنف، وقال حماد بن سابور يهجو حماد بن أبي ليلى الراوية، وذكر معاقرته الشراب، وكذلك عظم أنفه لذلك، فقال:

نعم الفتى لو كان يعبد ربه ... ويقوم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الشمول فأنفه ... مثل القدوم يسنه الحداد

وأبيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

وقال جرير يهجو الأخطل في إكبابه على شرب المسكر وبترك طلب ثأره حتى عظم لذلك أنفه:

قبحت موتورا وطالب دمنة ... بالحضر تشرب تارة وتبول

وشربت بعد أبي ظهير وابنه ... سكر الديان كأن أنفك ثيل

وقال الشاعر في المعنى الأول:

قد علم الناس عند الفخا ... ر أن كنانة أنف العرب

فكذلك يضعون الغلصمة والغلاصم، كما يضربون المثل بالخرطوم والخراطيم بالأنف والأنوف ولذلك قال الشاعر:

فإن تك في الغلاصم من قريش ... فإني من بني جشم بن بكر

وقال شريك بن الأعور:

فإن تك في أمية من ذراها ... فإني من بني عبد المدان

وللخرطوم أيضا أماكن، فمنها قول ذي الرمة:

كأن أنوف الطير في عرصاتها ... خراطيم أقلام تخط وتمصع

وقال أيضا ذو الرمة:

سديس تطاوى البعد أو حد نابها ... صبي كخرطوم الشعيرة فاطر

وقد جعل مسكين الدارمي للبعير خرطوما حيث يقول:

كأن على خرطومه متهافتا ... من القطن هاجته الأكف النوادف

ويوصف الإنسان بأنه أقنى مدح، وكذلك جوارح الطير، قال ذو الرمة:

نظرت كما جلى على رأس مرقب ... من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

ووصف الخريمي المنجنيق فقال – وجعل أنفها في قفاها كما يزعمون أن لجام السفينة في ذنبها – :

ومجانيق تمطر الموت كال ... آطام منصوبة لنا بالفناء

كل وقصاء أنفها في قفاها ... عنتريس أوفت على علياء

فسما أنفها بماضي الحميا ... يتهادى بصخرة صماء

ما يبالي الرامي بها أوليا ... أم عدوا أصاب عند الرماء

فتوارت في الجو ثم تدلت ... بالمنايا كأنها بنت ماء

الشم ودقة الاسترواح يكون للنعامة، قال الراجز:

أشم من هيق وأهدى من جمل

ومن أعاجيب الدنيا شم الفرس لريح الحجر وبينها عدة دور، وشم النملة لما لا رائحة له عند الناس، والسباع توصف بجودة الشم، وفي الناس الأخشم المصمت الذي لا يجد رائحة ألبتة، وإذا كان كذلك لم يجد طعما ألبتة.

قال موسى بن يزيد الصيرفي: ما أفصل بين الخل والعسل، وكذلك كان عيسى بن حطان المروزي الأزرق، وكان صاحب يحي بن خاقان،وكذلك كان خاقان بن صبيح النحوي المتكلم، وكذلك كان عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك صاحب الأندلس.

وأهل البدو أجود شما وألطف حسا من غيرهم، وأولادهم أجود شما منهم، وقال الشاعر:." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٦٧ """"""""

أنشد ماجن : الكامل لا يغضبن منادمي إن نكته . . . إني لنيك منادمي معتاد وكذا النديم إذا أراد ينيكني . . . ولقد علمت كما أكيد أكاد اشترت مدينة من رجل ثوبا في شعبان على أن تسوق إليه الثمن في رمضان ، فقال الرجل : أخاف أن تمطليني ، قالت : لا أمطلك والذي خاتمه على فمي ، قال : وما الخاتم ؟ قالت : علي بقية من رمضان الماضي ، قال : أذهبي ، قد ماطلت ربك سنة فكيف أثق بك ؟ سمعت شيخا نبيلا يقول في مجلس خلوة وأنس : اجتمع بغاء ولوطي ، فشمرخ البغاء أير اللوطي فرأى مثل ذراع البكر ، فقال : يا هذا ، انبسط بنيكي ، بخت أي بخت ؟ قال : وما معنى بخت أي بخت ؟ قال : إما أن تشقني وإما أن يندق أيرك . قال حمل بن بدر بن جؤية بن لوذان : الطويل قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا . . . فإن تطلبوا شيئا سوى الحق تندموا." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٤ """""""""

استللت سخيمة فلان أي استخرجت كامن حقده . وأما الشل فالطرد ، شل النعم والناس إذا ساقهم ، والشلل آفة في اليد الشلاء تعطلها من التصرف ، وهو استرخاء العصب وخدور الدم . وأما الصل فمصدر صل اللحم وأصل إذا أروح وأراح ، أي فسدت رائحته أي أنتن ونتن . ومصدر أضل إضلال . وأما الطل فاضعف المطر ، وهو الندى الغامر من غير وقع المطر ، ويقال طلت الأرض – بفتح الطاء – أي نديت ، هذا الأعرب ، وطل دمه أي بطل ، ولا أدري كيف ينتظم اللفظان على معنى واحد إلا ان يتوهم الضعف في

---

(١) البرصان والعرجان، ص/٥٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١/١٦٧

أخذ الثأر والقصاص كما توهم الضعف في الطل . وأما الطلل فما شخص من آثار الديار ، والرسم مثله ، وإلا أن الطلل أبين ؛ وفلان ذو طلل إذا كان ذا منظر ، ورأيت بدويا بأثال سنة إحدى وستين ، وكان يقال له مطلال ، فقلت له : مم أخذ اسمك ؟ قال : من إطلالي على العدو أي إشرافي عليهم ، فقال له أميرك بن م يكال النيسابوري ، وكان في الصحبة : ولم لا يؤخذ من الندى الذي هو الطل ، كأنك تتندى من الطل على صحبك ؟ فقال البدوي : إن الإطلال على." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٢٩ """"""""

قال بعض الزهاد : من أطعمه التراب أكله التراب . كاتب : عرفني وقتا أوافيك فيه جالسا ، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك ، ولا الأعين على النظر إليك ، لأقضي وطر الود ، وآخذ بثأر الشوق . وصف الخليل بن أحمد أرضا حمد مشتريها رأيه : البسيط ترفعت عن ندى الأعماق وانخفضت . . . عن المعاطش فاستغنت بسقياها فاعتم بالطلح والزيتون أسفلها . . . ومال بالنخل والرمان أعلاها وصار يحسده من كان يعذله . . . ولائم لامفيها قد تمناها أبا معاوية اشكر فضل واهبها . . . وكلما جئتها فاعمر مصلاها قال المبرد ، قال المازني ، قال الأصمعي : رأيت الخليل يأخذ كتب أبي حنيفة فينظر فيها ، فقلت له : كيف تراه ؟ فقال : أراه يأخذ الحق فيمسخه . قد دل الخليل بهذا على اختلاله ، لأن الفقه ليس من شأنه ، وأبو حنيفة يجل عن مثل هذه الحال .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٧٥ """"""""

حين أمره ، حمية للدين ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أرني موضعه في الكتاب ، فأراه ، فمحاه . ٢٥٨ - قال ثعلب : أضاق أبو العالية الشامي فجعل بنو سعد بن مسلم مالا بينهم ودفعوه إليه فقال : أنتم كما قيل في أهليكم : الطويل وفي آل منظور بن زبان فتية . . . يرون بناء المجد سهلا صعابها إذا ما ارتقوا في سلم المجد أصعدوا . . . بأقدام عز لا تزل كعابها ٢٥٩ - قال الأصمعي : لما ولي مروان بن محمد الخلافة أرسل إلى ابن رغبان الذي نسب إليه بعد ذلك مسجد ابن رغبان ليوليه القضاء ، فرأى له سجادة مثل ركبة البعير فقال : يا هذا إن كان ما بك من عادة فما يحل لنا أن نشغلك ، وإن كان رياء فما يحل لنا أن نوليك . ٢٦٠ - وأنشد : الوافر أرى الأيام في صور الأعادي . . . تعاندني فتسرف في عنادي كأن الدهر يطلبني

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٥٤/٢

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٢٩/٣

بذحل . . . وثاري عنده ثار الأعادي يرى همي فيبعث لي شجونا . . . يفل بها يدي عن الأيادي ولو عدل الزمان على كريم . . . لما أدت يداي ولا زنادي ٢٦١ - أشرف قوم في سفينة في بحر على الهلاك فاخذوا يدعون الله." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """"""""

الحمار غير البغال ، كما أن زيدا غير إخوته ، وإذا قلت : زيد خير الإخوة جاز لأنه أحد الإخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا ترى لو أنه قيل لك : من الإخوة ؟ عددته فيهم فقلت : زيد وعمرو وبكر وخالد ، فيكون بمنزلة قولك : حمارك أفره الحمير لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير ، فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول : زيد أفضل رجل ، وحمارك أفره حمار ، فيدل رجل على الجنس ، كما دل حمار على الجنس . وأنشد : الطويل فيا رب حي الزائري كليهما . . . وحي دليلا بالفلاة هداهما فليتهما ضيفان لي كل ليلة . . . مدى الدهر محتوم علي قراهما وليتهما لا ينزلان ببلدة . . . ولا منزل إلا وعيني تراهما قال الناشئ أبو العباس الكبير : أول الشعر إنما يكون بكاء على دمن ، أو تأسفا على زمن ، أو نزوعا لفراق ، أو تلوعا لاشتياق ، أو تطلعا لتلاق ، أو إعذارا إلى سفيه ، أو تغمدا لهفوة ، أو تنصلا من زلة ، أو تحضيضا على أخذ بثأر ، أو تحريضا على طلب أوتار ، أو تعديدا للمكارم ، أو تعظيما لشريف مقاوم ، أو عتابا على طوية قلب ، أو إعتابا من مقارفة ذنب ،." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٧٢ """"""""

جبلا وعرا يستسقون بذلك ، ويدعون الله عز وجل ، هذا إذا أمحل البلد وعز القطر . وكما أن من ولد في القمر رجعت قلفته وكان كالمختون . وكما عقدوا الرتيمة بغصن الشجرة عند السفر وتفقدوها عند الإياب ، فإذا وجدوها على حالها قضوا بأن الحليلة لم تخن ، وإن وجدوها منحلة حكموا بفجورها . وكما زعموا أن الداخل إلى بلد مخوف الوباء يجب أن يقف على أوائل البلد فينهق كما ينهق الحمار ، ومتى فعل ذلك أمن وباءها . وكما زعموا أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن . فأما ما كان مثل إمساكهم عن بكاء

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٥/٧٥

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٥/٢٠٩

القتيل إلى أن يؤخذ بثأره ، فالغرض فيه ظاهر ، والعادة فيه مقبولة ، وهذا الضرب معروف السبب ، صحيح العلة ، وليس من الأول في شيء ، لأن تلك دلت على سفه." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٧ """""""

صادقا فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذبا فبالحري أن لا أغضب . تقدم إلى الشعبي رجلان فقال أحدهما : إني اشتريت من هذا غلاما صبيحا فصيحا صحيحا ، فقال : هذه صفة محمد بن عمير سيد بني تميم . كان على سيف بعض الشراة مكتوبا : ثأر الله من الظالمين . شاعر : الطويل حسام غداة الروع ماض كأنه . . . من الله في قبض النفوس رسول قال رجل لآخر : أتدري لم غلا السعر ببغداد ؟ قال : لا ، قال : لأن كل بلد خبزه أكثر من أهله وبغداد أهله أكثرن خبزه . قيل لأعرابي : أتحن إلى الحاضرة ؟ فقال : البادية أفسح ، والجسم فيها أصح . كاتب : لي حرمة سالفة ، وفيك أمل قديم ، وهما يقتضيانك حقا لا تدفعه ، ويطالبانك بذمام لا تنكره .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٧ """""""

ألف ؟ قال : نعم ، قال : وبها يقضى ذمام رجل له صحبة ؟ قال : نعم . قال : هي لك فما أردت غيرك ، قال : أقلني ، قال : لا فعلت أبدا . قال الأصمعي : دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، والسائب بن الأقرع . قال : لما أتي سليمان بن عبد الملك برأس قتيبة كتب لوكيع بن أبي سود عهده على خراسان ، فقال يزيد بن المهلب لابراهيم بن الأهتم : إن رددت أمير المؤمنين عن رأيه في وكيع فلك مائة ألف ، فقام ابن الأهتم فتكلم بكلام تفرق الناس عن استحسانه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن وكيعا أدرك في الثأر ، وبالغ في الطاعة ، فجزاه الله خيرا ، غير أني لو خفت من إحدى يدي خلافا على أمير المؤمنين لأحببت انبتاها من صاحبتها ، وإن وكيعا لم يملك مائتي عناق قط فحدث نفسه بالطاعة ، فلا تأخذنا بحديث إن كان منه ، فقال سليمان : ويلك فمن لخرسان ؟ قال : العبد في الطاعة ، والأخ في النصيحة ، يزيد ، فولاه . قال بعض جلساء الأمراء : والله لقولة (يا غلام ، هات الطعام) أحب إلي من صوت ابن سريج . قال : كان الحجاز يوضع له في كل يوم ألف خوان لأهل." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٢/٧

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٧/٧

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٧/٩

" وقال الخريمي

(ولم أجزه الا المودة جاهدا ... وحسبك مني ان أود فأجهدا)

وقال الاسدي

(واني احب الخلد لو استطيعه ... وكالخلد عندي ان اموت ولم ألم)

وقال الحادرة

(فأثنوا علينا لا أبا لابيكم ... بإحساننا ان الثناء هو الخلد)

وأنشد الاصمعي للمهلهل

(فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم ... جزاء العطاء لا يموت من اثأر)

وضاف ابو الشليل العنبري بني حكم فخذا من عنزة فقال

(أراني في بني حكم قصيا ... على فتر أزور ولا أزار)

(أناس يأكلون اللحم دوني ... وتأتيني المعاذر والقتار)

وقال اخر

(اذا مد أرباب البيوت بيوتهم ... على رجح الاكفال ألوانها زهر)

(فان لنا منها خباء يحفنا ... اذا نحن امسينا المجاعة والفقر)

وقال اخر وهو ابو المهوش الاسدي

(تراه يطوف الآفاق حرصا ... ليأكل رأس لقمان بن عاد)

وقال أيضا

(وبنو الفقيم قليلة احلامهم ... ثط اللحى متشابهو الالوان)

(لو يسمعون بأكله او شربه ... بعمان اصبح جمعهم بعمان)

(متأبطين بنيهم وبناتهم ... صعر الانوف لريح كل دخان)

وقال اخر

(وجيرة لن ترى في الناس مثلهم ... اذا يكون لهم عيد وإفطار)

(إن يوقدوا يوسعوني من دخانهم ... وليس يبدو لنا ما تنضج النار)

وقال ابو الطروق الضبي في خاقان بن عبد الله بن الاهتم

(وشك الناس في خاقان لما ... أتى لولادة سنة وشهر)

(وقالت اخته اني براء ... الى الرحمن منك وذاك نكر)

(ولم يسمع بحمل قبل هذا ... أتى من دونه دهر ودهر) ." (١)

" انقلب هذا الخطأ كله الى الصواب وجلس مع بعض متعاقلي فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال ليس نحن في تقويم الابدان انما نحن في تقويم الاعضاء ثمن أنف هذه خمسة وعشرون دينارا وثمن أذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها ستة وسبعون وثمن رأسها بلا شيء من حواسها مائة دينار فقال صاحبه المتعاقل ههنا باب هو أدخل في الحكمة من هذا كان ينبغي لقدم هذه ان تكون لساق تلك وأصابع تلك ان تكون لقدم هذه وكان ينبغي لشفتي تيك ان تكونا لفم تيك وان تكون حاجبا تيك لجبيني هذه فسمى مقوم الاعضاء

ومن النوكى كلاب بن ربيعة وهو الذي قتل الخثعمي قاتل أبيه دون أخوته وهوالقائل

(ألم تربي بشيخ صدق ... وقد أخذ الاداوة فاحتساها)

(ثأرت بشيخه شيخا كريما ... شفاء النفس ان شيء شفاها)

ومنهم نعامة وهو بيهس وهو الذي قال مكره أخاك لا بطل واياه يعني الشاعر

(ومن حذر الايام ما حز أنفه ... قصير ولاقى الموت بالسيف بيهس)

(نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس)

وقال الحضرمي اما أنا فأشهد ان تميما اكثر من محارب

وقال حيان البزار قبح الله الباطل الرطب بالسكر والله طيب

وقال ابو الحسن سمعت الصغدي الحارثي يقول كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم لا تدخلوها فلما مات دبوا اليها من قريب

مسعدة بن المبارك قال قلت للبكراوي أبا مرأتك حمل قال شيء ليس بشيء

قال بني عبيد الله بن زياد البيضاء فكتب رجل على باب البيضاء شيء ونصف شيء ولا شيء الشيء مهران الترجمان ونصف الشيء هند ابنة اسماء ولا شيء عبيد الله بن زياد فقال عبيد الله اكتب الى جنبه لولا الذي زعمت انه لا شيء لماكان ذلك الشيء شيئا ولا ذلك النصف نصفا ." (٢)

---

(١) البيان والتبيين، ص/٥٣٦

(٢) البيان والتبيين، ص/٥٦٦

"وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بآخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما باثنين، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقاة ولا يتعارفان فيتواطآ، فعل. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول ربما حرم بعض ما أمل، فافتعل الكتب، وحرض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به، وكذب عليه.

ويقال إن الأسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق، فجاءه برسالة شك في حرف منها فقال له الاسكندر: ويلك! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد، إذا مالت. وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ، بينة العبارة؛ غير أن فيها حرفا ينقضها؛ أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شاك فيه؟ فقال الرسول: بل على يقين أنه قاله.

فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا، ويعاد إلى الملك مع رسول آخر، فيقرأ عليه ويترجم له.

فلما قرىء الكتاب على الملك، فمر بذلك الحرف، أنكره فقال للمترجم: ضع يدي على هذا الحرف فوضعها. فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكينة، فقطع من الكتاب. وكتب إلى الإسكندر: إن رأس المملكة صحة فطرة الملك، ورأس الملك صدق لهجة رسوله، إذ كان عن لسانه ينطق، وإلى أذنه يؤدي. وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا.

فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر، دعا الرسول الأول، فقال: ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الموجه إليه. فقال الاسكندر: فأراك لنفسك لسعيت، لا لنا! فلما فاتك بعض ما أملت، جعلت ذلك ثأرا في الأنفس الخطيرة الرفيعة! فأمر بلسانه، فنزع من قفاه.

احتياط الملك

ومن أخلاق الملك أن يكون لمنامه في ليل ولا نهار موضع يعرف به، ولا حوى يقصد إليه؛ إذ كانت أنفس الملوك هي المطلوب غرتها، والموكل برعاية سنتها، وساعة غفلتها.

ويقال إن ملوك آل ساسان لم يعرف مبيت أحد منهم قط، ولا مقيله.

فأما أردشير بن بابك، وسابور، وبهرام، ويزدجرد، وكسرى أبرويز، وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا، في أربعين موضعا، ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الانفراد، لا يشك أنه فراش الملك خاصة، وأنه نائم فيه. ولعله أن لا يكون على واحد منها، بل لعله ينام على مجلس رقيق، وربما توسد ذراعه، فنام.

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم، وصيانته عن كل عين تطرف، وأذن تسمع، غلا النبي صلى الله عليه

وسلم، فعله، وهو من الله بمكانه المخصوص من كلاءته إياه، وحراسة الروح الأمين له، لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به، ويمتثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل، صلى الله عليهما، عن الله، جل ثناؤه، بذلك، فدعا علي بن أبي طالب عليه السلام، فأنامه على فراشه، ونام هو، صلى الله عليه وسلم، بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه علي، انصرفوا عنه.

ففي هذا أكبر الأدلة، وأوضح الحجة على ما ذكرنا، إذ كانت أنفس الملوك هي الأنفس الخطيرة الرفيعة التي توزن بنفوس كل من أظلت الخضراء، وأقلت الغبراء.

وكانت الأعاجم تقول: " لا ينبغي للملك أن يطلع على موضع منامه إلا الوالدان فقط؛ فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم وأوكد في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهوينا.

معاملة ابن الملك للملك

ومن حق الملك أن يعامله ابنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا عن أذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك وخدمه، لئلا تحمله الدالة على غير ميزان الحق.

فإنه يقال أن يزدجرد رأى بهرام ابنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟ قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطا، ونحه عن الستر. ووكل بالحجابة أرادمرد.

ففعل ذلك بهرام، وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة؛ ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه.

فلما جاء بهرام، بعد ذلك ليدخل، أرادمرد في صدره دفعة وقذه منها، وقال: إن رأيتك بهذا الموضع ثانية، ضربتك ستين سوطا: ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب أمس، وثلاثين لئلا تطمع في الجناية علي.

فبلغ ذلك يزدجرد، فدعا أرادمرد، فخلع عليه وأحسن إليه.." (١)

"إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أبو نواس أحسن رعاية حيث يقول:

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

ومثل الأول قول ذي الرمة:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين وصليك جازر

فإنه لولا هذا الشعر لما ذكر اسمه، ولا عرف رسمه، ولا فاز له قدح، ولا أشرق له صبح، ولكن سار بهذا الشعر

---

(١) التاج في أخلاق الملوك، ص/٢٦

صيته، وعلا صوته، وحي ذكره وإن تقادم موته، وقد كان الأجواد يتغايرون على بنات الأفكار كتغايرهم على البنات الأبكار.

كما حكي أن أبا دلف العجلي كان يساير أخاه فبصرت بهما امرأتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه علي بن جبلة الطوسي:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قالت: نعم فبكى أبو دلف، فقال أخوه: مم تبكي، قال: كوني لم أجاز عليا على شعره، قال: أولم تعطه مائة ألف درهم، قال: بلى ولكني والله نادم إذ لم أجعلها دنانير. أخذتها أنا فقلت:

إنما الدنيا ابن نصر ... ونداه والعطاء

فإذا ولى ابن نصر ... فعلى الدنيا العفاء

وقد كررهما ابن جبلة، فقال:

إنما الدنيا حميد ... وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد ... فعلى الدنيا السلام

ووفد عليه أبو تمام ومدحه بقصيدته التي أولها:

على مثلها من أرسم وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

إذا افتخرت يوما هذيل بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى يقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

مناقب لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

فطرب له، وأحسن صلته، وقال: أنشدني قصيدتك الرائية التي ترثي بها محمد بن حميد فأنشده:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

هذا البيت مأخوذ من النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سرة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبق منهن كوكب

وأخذه النابغة من بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند:

تكاد تميد الأرض بالناس إن رأوا ... لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت ... على كل شمس والملوك كواكب

وقال نصيب:

هو البدر والناس الكواكب حوله ... وهل تشبه البدر المضيء الكواكب

ومثله لصفية الباهلية:

أخنى على واحدي ريب الزمان ولا ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... هو الدجى فهوى من بيننا القمر

نعود إلى خبر أبي دلف، قال: فبكى، وقال: والله وددت أنها في، فقال أبو تمام: بل يطيل الله عمر الأمير، فقال: فإنه لم يمت من قيل فيه مثل هذا الشعر.

فانظر إلى هذه الأنفس الكريمة التي ترغب في الذكر الجميل فتختار الحمام وتصبو إلى ابتناء المجد فتهجر في تحصيله الراحة والمنام.

ولو تصدى متصد لذكر هذا النمط فحسب، لملأ به بطون الدفاتر، واستنفد به أنفاس المحابر، وعطر الآفاق منه بما هو أضوع من أنفاس المجامر. وقد سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، الشعر وأنشد في مجلسه وأجاز عليه، وقصة كعب بن زهير وقصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول." (١)

"ما كنت في الأيام إلا خلسة ... سمحت بها الأيام سمحة غادر

وقال:

---

(١) التذكرة الفخرية، ص/٢

جسد ناحل وقلب قريح ... ودموع على الخدود تسيح

وحبيب جم التجني ولكن ... كل ما يصنع المليح مليح

يا غزالا له الحشاشة مرعى ... لا خزام بالرقمتين وشيح

رق لي من لواعج وغرام ... أنا منها ميت وأنت المسيح

قد كتمت الهوى بجهدي وإن دا ... م علي الهوى فسوف أبوح

وقال، وهما من محاسن شعره:

قلت لمحبوبي وقد مر بي ... محبوبه كالقمر الساري

هذا الذي يأخذ لي طرفه ... من طرفه الفتان **بالثأر**

وقال في قريب منها:

ولما ابتلى بالحب رق لحالتي ... وما كان لولا الحب ممن يرق لي

أحب الذي هام الحبيب بحبه ... ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وقال:

بدا فأرانا الظبي والغصن والبدرا ... فتبا لقلب لا يبيت به مغرى

نبي جمال كل ما فيه معجز ... من الحسن لكن وجهه الآية الكبرى

أقام بـلال الخال من فوق خده ... يراقب من لألاء غرته الفجرا

من الترك لم يترك لقلبي تجلدا ... فتور بجفنيه المراض ولا صبرا

أغالط أخواني إذا ذكروا له ... حديثا كأني لا أحب له ذكرا

وأصغي إذا جاؤوا بغير حديثه ... بسمعي ولكني أذوب به فكرا

أعاذل هل أبصرت من قبل خده ... وعارضه نارا حوت جنة خضرا

أرى العدل موصوفا بكسرى فلم ترى ... ظلمت بأجفان شهدت بها كسرا

البيت الخامس من قول القائل:

أدنو من الرقباء لا من حبهم ... وأصد عنه وليس من بغضائه

ومثله:

فصافحت من لاقيت في البيت غيره ... وكان الهوى مني لمن لم أصافح

وقال، وهي من رقيق الشعر:

شرخ الشباب بحبكم قضيته ... والقلب من ولهي بكم أبليته

وأنا الذي لو مر بي من أرضكم ... داع وكنت بحفرتي لبيته

قالوا حبيبك بالتجني مسرف ... قاس على العشاق قلت فديته

أأروم من كلفي عليه تخلصا ... لا والذي بطحاء مكة بيته

وقال:

نعمت بكم والدهر في غفلاته ... زمانا وشملي آمن من شتاته

ولم أدر ما الأحزان حتى بعدتم ... فقلبي موقوف على حسراته

أأحبابنا بالجزع هل تسمح النوى ... بيوم يكون القرب من حسناته

لقد حكمت فينا الليالي بفرقة ... سلا بعدها المشتاق طيب حياته

يقر بعيني أن يهب نسيمكم ... فأنشق روح القرب من نفحاته

وقال:

إذا بعدت ليلى وشط مزارها ... فلا نار إلا زفرتي واستعارها

ومن لي أن أمسي وأرضي أرضها ... عنادا لواشيها وداري دارها

ويا ليتني جاوزت أرضا تحلها ... فأحظى بما يحظى من القرب جارها

أشبهها بالبدر والغصن والنقا ... وما هي إلا ظبية ونفارها

ولو أن نارا بالمحصب أوقدت ... وليلى بنجد قلت هاتيك نارها

وكيف تفيق النفس من سكرة الهوى ... وأنت حمياها ومنك خمارها

أيا ليل قد أتلفت نفسي ترفقي ... على أن قبل النفس فيك افتخارها

ألا لا أراني الله يا ليل ذا حشى ... يقر من البلوى عليك قرارها." (١)

"فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة ... يهون عليها العتب من كل عاتب

ورده، فحينئذ وقع اليأس من معالجته.

وتزعم الفرس أن كابي كان حدادا بخراسان وقيل بأصفهان في ملك بيوراسب، وأن بيوراسب قتل ابنين له،

---

(١) التذكرة الفخرية، ص/٣٩

فسمت همته إلى أن أخذ النطع الذي يتوقى به من النار فجعله علما، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب، فأجابه خلق كثير لما كان عليه بيوراسب من الجور، وهزم بيوراسب وقتل، وسألوا كابي أن يلي عليهم الملك فأبى حتى ملكوا غيره، وعظموا ذلك النطع ورصعوه بالجوهر وصار علم ملوكهم الأكبر الذي يتبركون به في حروبهم ويسمونه درفش كابيان.

ويقال لا ينبغي للرجل ذي المروءة الفاضلة أن يرى إلا في موضعين ولا يليق به غيرهما: إما مع الملوك مكرما، وإما مع النساك متبتلا.

وممن حركته همته حتى نال أمنيته على بعد مناالها المختار بن أبي عبيد الثقفي، قال بن العرق: رأيت المختار مشتور العين، قلت: من فعل بك هذا، قطع الله يده؟ فقال: ابن الفاعلة عبيد الله بن زياد، والله لأقطعن أنامله وأباجله، ولأقتلن بالحسين عدد من قتل بيحيي بن زكريا عليهما السلام. وحبس في فتنة يزيد فلما هلك اجتمعت الشيعة لإخراجه، فاستأناهم حتى أخرجه عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وهما على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير وكفلاه وحلفاه ألا يخرج ما دام لهما سلطان، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة، ومماليكه ذكرهم وأنثاهم أحرار، فلما عزلا عن الكوفة وبعث ابن الزبير عليها عبد الله بن مطيع أظهر أمره حينئذ، وبلغ من الثأر ما هو مشهور. وكان يقول: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم باليمين، أما يميني بالله فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين ثم رأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفر عن يميني، وأما هدي البدن فأهون علي من بصقة، وما ثمن ألف بدنة مما يهولني! وأما عتق موالي فو الله لوددت أنه قد استتب لي أمري ولم أملك مملوكا أبدا.

ولما حارب المختار مصعبا فل جيش مصعب، وقتل محمد بن الأشعث، وأوغل أصحاب المختار في أصحاب مصعب فظن أنهم انهزموا، فانصرف منهزما إلى القصر بالكوفة، وعاد أصحاب المختار من حملتهم فلم يجدوه، فتبعوه إلى القصر بعد أن تفرق شطرهم وظنوا أنه قد قتل، واجتمعوا في القصر ثمانية آلاف، وحصرهم مصعب فقال لهم: اخرجوا إلى القوم فما بكم من قلة، فجبنوا عن ذلك وضعفوا، فخرج المختار إليهم في تسعة عشر رجلا فقاتلهم حتى قتل ولم يسلم نفسه لهم.

خرج معاوية متنزها فمر بحواء ضخم فقصد لبيت منه، فإذا بفنائه امرأة برزة، فقال لها: هل من غداء؟ قالت: نعم حاضر، قال: وما غداؤك؟ قالت خبز خمير، وماء نمير، وحيس فطير، ولبن هجير، فثنى وركه ونزل، فلما تغدى قال: هل لك من حاجة؟ فذكرت حاجة أهل الحواء، قال: هاتي حاجتك في خاصة نفسك، قالت:

يا أمير المؤمنين إني أكره أن تنزل واديا فيرف أوله ويقف آخره.
قال ابن عامر لأمرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية: إن ولدت غلاما فلك حكمك، فلما ولدت قالت: حكمي أن تطعم سبعة أيام، كل يوم ألف خوان من فالوذج، وأن تعق بألف شاة، ففعل.
قال بعضهم: رحت عشية من طريق مكة مع عبد الله بن الحسن بن الحسن، فضمنا المسير وداود وعبد الله وعيسى بني علي بن عبد الله ابن العباس، فسار عيسى وعبد الله أمام القوم، فقال داود لعبد الله بن الحسن: لم لا يظهر محمد، يعني ابنه؟ فقال عبد الله: لم يأت الوقت الذي يظهر فيه محمد بعد، ولسنا بالذين نظهر عليهم، وليقتلنهم الذي يظهر عليهم قتلا ذريعا، قال: فسمع عبد الله بن علي الحديث فالتفت إلى عبد الله بن الحسن وقال: يا أبا محمد من الوافر
سيكفيك الجعالة مستميت ... خفيف الحاذ من فتيان جرم
أنا والله أظهر عليهم وأقتلهم وأنتزع ملكهم، فكان كما قال.
قال أبو هريرة رأيت هندا يعني بنت عتبة بمكة جالسة وكأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه وقال: إني لأرى غلاما إن عاش ليسودن قومه، فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فلا جبره الله.." (١)

"ومن الحمية والأنف ما رواه أبو رياش يسنده إلى رجل من كندة كوفي قال: كنت أجالس شريحا وهو قاض لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فإني لفي مجلسه ذات يوم إذا أقبل رجل جيدر صعل الرأس ناتىء الجبهة ثط اللحية كأنه محراث، ومعه امرأة كالبكرة العيساء تدير مقلتين نجلاوين كأن هدبها قوادم خطاف، ثم أبرزت كفا كبياض الإغريض، وأنامل كبنات النقا، فقالت: أيها الحاكم هذا بعلي، فقال شريح للرجل: أكذاك؟ فكشر بشفتين بثعاوين عن ثنايا ثعل كأنها سناسن عير فقال: نعم، فقال شريح للمرأة: وما قصتك؟ قالت: إنه ابن عمي، وأنا خولة ابنة مخرمة إحدى نساء بني جرم ابن زبان، وإنه خرج بي وغربني عن بلادي وقومي وذوي قرابتي فصرت لا أنظر إلا إليه ولا أعول إلا عليه، وهو نهم إذا أكل، فلحس إذا سأل، حريص مقفل اليدين بالبخل، مطلق اللسان بالخطل، يأكل وحده، ويخلف وعده، ويمنع رفده، ويضرب عبده، فحاش نجاش، إن سانيت قطب، وإن راشيت غضب، يصون ماله، ويهين عياله، فقال شريح: تالله ما رأيت كاليوم ذما أشنع، أحسني ملأ أيتها الحرة، فإنه بعلك وابن عمك فجثا الرجل على ركبتيه ثم قال: يا للأفيكة أيها الحاكم:

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/١٤٤

من البسيط

سائل سراة بني جرم فانهم ... قد ينبئونك بالجالي من الخبر

هل أترك البكرة الكوماء كائسة ... إذا تلاعبت النكباء بالخطر

للجار والضيف والمعتر قد علموا ... في ليلة تتبع الشفان بالخصر

وأترك الخصم مصفرا أنامله ... دامي المرادغ منكبا على العفر

وأنظر الخصم ذا العوصاء حجته ... حتى يلجلج بين العي والحصر

واسألهم هل رموا بي صدر معضلة ... فلم أكافح شبا أنيابها البتر

واسألهم كيف ذبي عن ذمارهم ... إذا ترامى استعار الحرب بالشرر

إني لأعظم في صدر الكمي على ... ما كان في من التجدير والقصر

حتى يصد لواذا عن مبادهتي ... صد الهجارس عن ذي اللبدة الهصر

تالله تجمع شخصينا ملاءمة ... من بعد ذا اليوم في بدو ولا حضر

فقال شريح: أوضح عن نيتك، عافاك الله. قال: نعم هي طالق ثلاثا وهذا السائب بن عمرو فهو ابن أبي وأمها يقوم بمؤونتها إلى انقضاء عدتها.

المتلمس: من الطويل

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة ... وموتن بها حرا وجلدك أملس

فمن حذر الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم حوله ... تبين في أثوابه كيف يلبس

وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا ... وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا

وقال بيهس نعامة حيث قتل قتلة إخوته: من الرجز

شفيت يا مازن حر صدري ... أدركت ثأري ونقضت وتري

كيف رأيتم طلبي وصبري ... السيف عزي والاله ظهري

أنشد زيد بن علي وقد نهض من عند هشام بن عبد الملك مغضبا لكلام مما دار بينهما: من الخفيف

من أحب الحياة أصبح في قي ... د من الذل ضيق الحلقات

ثم خرج فكان من أمره ما كان.

وفد يحيى بن عروة بن الزبير على عبد الملك، فذكر حاجبه عبد الله بن الزبير فنال منه، فضرب يحيى وجهه حتى أدمى أنفه، فقال له عبد الملك: من فعل بك؟ قال: يحيى، قال: أدخله، وكان متكئا فجلس وقال: ما حملك على ما صنعت بحاجبي؟ قال: يا أمير المؤمنين عمي عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا، والله إن كان ليوصي أهل ناحيته أن لا يسمعوها قذعا، وإن كان ليقول لها: من سب أهلك فسبي أهله، أنا والله المعم المخول، تفرقت العرب عن عمي وخالي، وكنت كما قال الأول: من الطويل

يداه أصابت هذه حتف هذه ... فلم تجد الأخرى عليها مقدما

فرجع عبد الملك إلى متكأه ولم يزل يعرف فيه الإكرام ليحيى، وكانت أم يحيى بنت الحكم ابن أبي العاص عمة عبد الملك.

ثابت قطنة: من الوافر

فما حلموا ولكن قد نهتهم ... سيوف الأزد والعز القديم

وخيل كالقداح مسومات ... يفيض لما مغابنها حميم

عليها كل أبيض دوسري ... أغر تزين غرته الكلوم." (١)

"دخلت ابنة مروان بن محمد على عبد الله بن علي فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: لست به، قالت: السلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، فقالت: ليسعنا عدلك، قال: إذن لا نبقي على الأرض منكم أحدا لأنكم حاربتم علي بن أبي طال ودفعتم حقه، وسممتم الحسن ونقضتم شرطه، وقتلتم الحسين وسيرتم رأسه، وقتلتم زيدا وصلبتم جسده، وقتلتم يحيى بن زيد ومثلتم به، ولعنتم علي بن أبي طالب على منابركم، وضربتم علي بن عبد الله ظلما بسياطكم، وحبستم الامام في حبسكم، فعدلنا ألا نبقي منكم أحدا، قالت: فليسعنا عفوك، قال: أما هذا فنعم، وأمر برد أموالها عليها، ثم قال: من الطويل

سننتم علينا القتل، لا تنكرونه ... فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وقومه وقتلهم المخلوع، عارضه محمد بن يزيد الأموي الحصني، وهو من ولد مسلمة ابن عبد الملك، فأفرط في السب وتجاوز الحد في قبح الرد، وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصب، فكان فيما قال: من المديد

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/١٥٦

يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاذيه سراويل

من حسين من أبوك ومن ... مصعب غالتهم غول

نسب عمرك مؤتشب ... وأبوات أراذيل

قاتل المخلوع مقتول ... ودم المقتول مطلول

وهي قصيدة طويلة. فلما ولي عبد الله مصر ورد إليه تدبير الشام، علم الحصني أنه لا يفلت منه إن هرب، ولا ينجو من يده حيث حل، فثبت في موضعه، وأحرز حرمه، وترك أمواله ودوابه وكل ما يملكه في موضعه، وفتح باب حصنه وجلس عليه، وتوقع الناس من عبد الله بن طاهر أن يوقع به. قال محمد بن الفضل الخراساني: فلما شارفنا بلده وكنا على أن نصبحه دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بت عندي وليكن فرسك معدا عندك لا يرد. فلما كان في السحر أمر أصحابه وغلمانه ألا يرحلوا حتى تطلع الشمس، وركب في السحر و أنا وخمسة من خواص غلمانه معه، فسار حتى صبح الحصن، فرأى بابه مفتوحا ورآه جالسا مسترسلا، فقصده وسلم عليه ونزل عنده وقال له: ما أجلسك ها هنا وحملك على أن فتحت بابك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل، ولم تتنح عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك، ومع ما بلغه عنك؟ فقال له: إن ما قلت لم يذهب علي، ولكن تأملت أمري، وعلمت أني قد أخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرة الحداثة، وأني إن هربت منه لم أفته، فباعدت البنات والحرم، واستسلمت بنفسي وكل ما أملك، فإنا أهل بيت قد أسرع القتل فينا، ولي بمن مضى أسوة، فإني أثق بأن الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى الحرم ولا له فيهن أرب، ولا يوجب جرمي إليه أكثر مما بذلته له؛ قال: فوالله ما اتقاه عبد الله إلا بدموعه تجري على لحيته ثم قال له: أتعرفني؟ قال: لا والله، قال: أنا عبد الله بن طاهر وقد أمن الله روعك، وحقن دمك، وصان حرمك، وحرس نعمتك، وعفا عن ذنبك، وما تعجلت إليك وحدي إلا لتأمن قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي عنك روعة تلحقك؛ فبكى الحصني وقام فقبل رأسه، وضمه عبد الله إليه وأدناه، ثم قال له: إما لا فلابد من عتاب يا أخي، جعلني الله فداك، قلت شعرا في قومي أفخر بهم لم أطعن فيه على حسبك، ولا ادعيت فضلا عليك، وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهم القوم الذين ثأرك عندهم، وقد كان يسعك السكوت أو إن لم تسكت ألا تغرق وتسرف، فقال: أيها الأمير قد عفوت، فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب، قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقا بالضيافة، فقام مسرورا فأدخلنا منزله فأتى بالطعام كأنه قد أعده، فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف

له، وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا ينزل منهم أحد إلا في المنزل، وهو على ثلاثة فراسخ، فنزلت فرحلتهم، وأقام عنده إلى العصر، ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين، وقال له: إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم بمكانك، فقال: أنا أتجهز والحق بالأمير، ففعل ولحق بنا مصر فلم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق، فودعه واقام ببلده.." (١)

"خرج زياد الأعجم إلى المهلب ومدحه وهو بخراسان، فأمر له بجائزة، وأقام عنده أياما، فقال: فإنه لعشية يشرب مع حبيب بن المهلب في دار فيها دلبة وفيها حمامة، فسجعت الحمامة فقال زياد: من الوافر

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي ألا تضاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فاما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب: يا غلام هلم القوس، فأتي به، فنزع لها بسهم فقتلها، فوثب زياد فدخل على المهلب، فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فقال المهلب: علي بأبي بسطام فأتي بحبيب، فقال: أعط أبا أمامة دية جاره ألف دينار، فقال: أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب، فقال أعطه كما آمرك، فأعطاه، فأنشأ زياد يقول: من الطويل

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها قرم العراق المهلب

قضى ألف دينار لجار أجرته ... من الطير حضان على السقب ينعب

رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والشمس تغرب

فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

قال: فإنه لبعد هذا يشرب مع حبيب، وفي قلب حبيب عليه الألف، إذ عربد عليه فشق قباء ديباج عليه فقام وقال: من الطويل

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال: صدق زياد ما خرقت إلا جلدي، تبعث علي هذا يهجوني؟! ثم

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٧٦/١

أحضره وتسلل سخيمته وأمر له بمال وصرفه.

قيل لأعرابي ما يمنعك أن تمنع جارتك فإنه يتحدث إليها فتيان الحي، قال: وهي طائعة أو كارهة؟ قالوا: طائعة، قال: إنما أمنع جاري مما يكره.

قدم الحكم بن عبدل الأسدي على ابن هبيرة واسطا، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال: من الطويل

اتيتك في أمر من آمر عشيرتي ... وأعيا الأمور المفظعات جسيمها

فإن قلت لي في حاجة أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسي وولت همومها

فقال ابن هبيرة: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غرم لزمنا في حمالة، قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مناصفكوها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة، قال: فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع، وإلا فالضرر عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون، فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلنا لك، فجثا بين يديه وقال: امرأته طالق لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان، قال: أعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين، فأخذها وانصرف.

قال الأصمعي: دخلت خضراء روح فإذا أنا برجل من ولده على فاحشة يؤتى، فقلت: قبحك الله، هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي فيه اللهى، وأنت تفعل فيه ما أرى؟! فالتفت إلي من غير أن يزول عنها وقال: الشعر لمعن بن أوس المزني من الوافر

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا

حضر يوما بشر بن هارون وجماعة من الكتاب في دار أبي محمد المهلبي الوزير، وكان المهلبي بحيث يراهم ويسمع كلامهم، وهم لا يشاهدونه، فأنشأ أحدهم يقول: من المتقارب

سبال الوزير سبال كبير

فقال الآخر:

وعقل الوزير فعقل صغير

فقال بشر بن هارون:

زيادة هذا بنقصان ذا ... كما طال ليل النهار القصير

فخرج إليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم وأجاز كل واحد منهم.

نظر أبو الحارث جمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

لو هملج هذا البرذون لم يجعل للرواية، والشعر لمعاوية بن فروة المنقري، وأوله: من الطويل

وإن خفت من أمر هوانا فوله ... سواك وعن دار الأذى فتحول

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل." (١)

"وضد هذا التشفي ما حكي عن محمد بن زيد بن علي بن الحسين في حكاية طويلة رواها القاضي التنوخي قال: كان محمد بن زيد الداعي العلوي بطبرستان إذا افتتح الخراج نظر ما في بيت المال من خراج السنة التي قبلها، ففرق في قبائل قريش قسطا على دعوتهم، وفي الأنصار والفقهاء وأهل القرآن وسائر الناس، حتى يفرق جميع ما بقي، فجلس في سنة من السنين يفرق المال كما كان يفعل، فلما فرغ من بني هاشم دعا بسائر عبد مناف، فقام رجل فقال له: من أي عبد مناف أنت؟ قال من بني أمية، قال: من أيهم؟ فسكت. قال: لعلك من بني معاوية؟ قال: نعم، قال: فمن أي ولده؟ فأمسك، قال: لعلك من ولد يزيد، قال: نعم، قال بئس الاختيار اخترت لنفسك من قصدك بلدا ولايته لآل أبي طالب، وعندك ثأرهم في سيدهم، وقد كانت لك مندوحة عنهم في الشام والعراق إلى من يتوالى جدك ويحب برك، فإن كنت جئت على جهل بهذا منك فما يكون بعد جهلك شيء، وإن كنت جئت لغيره فقد خاطرت بنفسك، قال: فنظر إليه العلويون نظرا شديدا، فصاح بهم محمد وقال: كفوا، كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثأرا بالحسين بن علي، وأي جرم لهذا؟ إن الله جل وعز قد حرم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله لا يعرض له أحد إلا أقدته منه؛ واسمعوا حديثا أحدثكم به يكون لكم قدوة فيما تستأنفون، حدثني أبي عن أبيه قال: عرض على المنصور سنة حج جوهر فاخر فعرفه وقال: هذا جوهر كان لهشام بن عبد الملك وهو هذا بعينه وقد بلغني خبره عند محمد ابنه، وما بقي منهم أحد غيره، ثم قال للربيع: إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلق الأبواب كلها ووكل بها ثقاتك من الشيعة فأقفلها وافتح للناس بابا واحدا وقف عليه، فلا يخرج أحد إلا من عرفته. فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره به وتبين محمد بن هشام القصة، فعلم أنه هو المطلوب وأنه مأخوذ، فتحير، وأقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على تفئة ذلك فرآه

---

(١) التذكرة الحمدونية ، ١/١٨٤

متحيرا وهو لا يعرفه، فقال له: يا هذا أراك متحيرا فمن أنت، ولك أمان الله وأنت في ذمتي حتى أتخلص بك، فقال: أنا محمد ابن هشام بن عبد الملك، فمن أنت؟ قال: أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين، فقال عند ذلك: أحتسب نفسي إذن، قال: لا بأس عليك يا ابن عم، فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك إدراك ثأره، وأنا الآن بخلاصك أولى مني بإسلامي إياك، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به وقبيح أخاطبك به يكون فيه خلاصك، قال: أنت وذاك، فطرح رداءه على رأسه ووجهه، ولببه وأقبل يجره، فلما وقعت عين الربيع عليه لطمه لطمات وجاء به إلى الربيع وقال له: يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جماله ذاهبا وراجعا، وقد هرب مني في هذا الوقت وأكرى بعض القواد الخراسانية، ولي عليه بينة فتضم إلي حرسيين يصيران به معي إلى القاضي ويمنعان الخراساني من إعزازه، فضم إليه حرسيين وقال امضيا معه، فلما بعد عن المسجد قال له: يا خبيث تؤدي إلي حقي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال للحرسيين: انصرفا، فانصرفا وأطلقه، فقبل محمد بن هشام رأسه وقال: بأبي أنت وأمي: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، ثم أخرج جوهرا له قدر وقال: تشرفني بقبول هذا؟ قال: يا ابن عم إنا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك أعظم من ذلك، تركت لك دم زيد بن علي، فانصرف راشدا ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل فإنه مجد في طلبك، فمضى وتوارى.

ثم أمر للداعي الأموي بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف، وضم إليه جماعة من مواليه، وأمرهم أن يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتابه بسلامته، فقام الأموي فقبل رأسه، ومضى معه القوم حتى وصل إلى مأمنه، وجاءوه بكتابه من الري.." (١)

"قال أشعب: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأنكدهم، وأغراهالله بي يطلبني في ليلة ونهاره، فإذا هربت منه هجم على منزلي بالشرط، وإن وأضحكه، ولا أسكت ولا أنام، ثم لا يطعمني ولا يعطيني شيئا، ولقيت منه جهدا عظيما وبلاء شديدا، وحضر الحج فقال لي: يا أشعب كن معي، قلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل وليست لي في الحج نية فقال: عليه وعليه، وقال إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودعنك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرها، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم، ونام حتى تشاغلت أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل منتظرا إلى المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/١٩٨

صائما؟ قال: لا، قلت: أفأطوي أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي رغيفين والملح، فأكلتهما وبت ميتا جوعا، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحما بدرهم، فابتاعه، فقال: كبب لي قطعا، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي مها قطعا ففعل، وأكلها ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل، وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفي اللحم كله قال: يا غلام أطعم أشعب، فرمى إلي برغيفين، فجئت إلى القدر فإذا ليس فيها إلا مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جرابا فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، ولم تكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منه فإذا ضرسي قد انكسرت منها قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجرا أكسر به فوجدته فضربت به لوزة فطفرت علم الله مقدار رمية حجرن وعدوت في طلبها، فبينا أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب، يعني ثابتا وإخوته، يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي، فلما رأوني قالوا: مالك ويلك؟ قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: مالك ويلك؟ قلت: ليس هذا موضع الحديث، زقوني زقوني ما معكم، فقد مت ضرا وجوعا منذ ثلاث، فأطعموني حتى تراجعت نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون فقالوا: ويحك من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدناهم نفسا. فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل.

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود وهو عل ناقة فقال له: غدني فقال: ما يحضرني غداء، قال: فاسقني سويقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذا، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني؟ قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال: اطل وجهك بدبس ثم تحول إلى الشمس فاقعد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه.

قال أبو عمرو بن العلاء: فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق.

قال محمد بن سعد الكراني: كنا في حلقة التوزي، فلما انفضت قلنا: انهضوا بنا إلى محمد بن يسير، فصرنا إليه فلم يكن عنده إلا شاة وبقية خبز له أيام، فقدم ذلك لنا فقلنا: هذا جود الأذواء، أي هو من اليمن فقال: من البسيط

ماذا علي إذا ضيف تأوبني ... ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي

جهد المقل إذا أعطاك مصطبرا ... ومكثر من غنى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوال وإما حسن مردود

فقمنا إلى بيته غصبا فأكلنا من جلة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا الباقي، فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص هزاز مرد: من المديد

يا أبا حفص بحرمتنا ... غبت عنها حين تنتهك

خذ لنا ثأرا لجلتنا ... فبك الأوتار تدرك

لهف نفسي حين تطرحها ... بين أيدي القوم تفترك

زارنا زور فلا سلموا ... وأصيبوا أية سلكوا

أكلوا حتى إذا شبعوا ... أخذوا الفضل الذي تركوا

فأنفذ إلينا فأحضرنا وأغرمنا مائة درهم، وأخذ من كل واحد منها جلة تمر وسلم ذلك إليه.." (١)

"يرى الوحشة الأنس والأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

أراد المجرة وقيل الشمس.

وقال موسى بن جابر الحنفي: من الطويل

ألم تريا أني حميت حقيقتي ... وباشرت حد الموت والموت دونها

وجدت بنفس لايجاد بمثلها ... وقلت اطمئني حين ساءت ظنونها

وما خير مال لا يقي الذم ربه ... ونفس امرئ في حقها لا يهينها

وقال عروة بن الورد: من الطويل

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك إن يلق الكرهية يلقها ... حميدا وإن يستغن يوما فأجدر

وقال عمرو بن كلثوم: من الطويل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٥٢/١

معاذ الإله أن تنوح نساؤنا ... على هالك أو أن نضج من القتل

قراع السيوف بالسيوف أحلنا ... بأرض براح ذي أراك وذي أثل

وقال عبد الله بن سبرة: من الطويل

وإني إذا ضن الأمير بإذنه ... على الإذن من نفسي إذا شئت قادر

وقال تأبط شرا: من الطويل

قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مقنعا

يماصعه كل يشجع قومه ... وما ضربه هام العدى ليشجعا

قليل ادخار الزاد إلا تعلة ... فقد نشز الشرسوف والتصق المعا

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

وإني وإن عمرت أعلم أنني ... سألقى سنان الموت يبرق أصلعا

ومن يغز بالأعداء لا بد أنه ... سيلقي بهم من مصرع الموت مصرعا

وقال معبد بن علقمة: من الطويل

فقل لزهير إن شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتم

ولكننا نأبى الظلام ونعتصي ... بكل رقيق الشفرتين مصمم

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

وأن التمادي في الذي كان بيننا ... بكفيك فاستأخر له أو تقدم

وقال موسى بن جابر الحنفي: من الطويل

وإنا لوقافون بالموقف الذي ... يخاف رداه والنفوس تطلع

وإنا لنعطي المشرفية حقها ... فتقطع في أيماننا وتقطع

تزوج الهذلول بن كعب العنبري امرأة من بني بهدلة، فرأته يوما يطحن وقد نزل به ضيف، فضربت صدرها وقالت: هذا زوجي؟ فقال في ذلك: من الطويل

تقول ودقت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجي وتبيني ... فعالي إذا التفت علي الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه ... وفيه سنان ذو غرارين يابس

وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري ... خلوف المنايا حين فر المغامس
وأقري الهموم الطارقات حزامة ... إذا كثرت للطارقات الوساوس
إذا خام أقوام تقحمت غمرة ... يهاب حمياها الألد المداعس
لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس
وإني لأشري الحمد أبغي رباحه ... وأترك قرني وهو خزيان تاعس
وقال طفيل الغنوي: من الرجز
إذا تخازرت وما بي من خزر ... ثم كسرت العين من غير عور
الفيتني ألوى بعيد المستمر ... ذا صولة في المصمئلات الكبر
أحمل ما حملت من خير وشر ... كالحية الصماء في ظل الحجر
قال آخر ويروى لابن قيس الرقيات: من الطويل
وإني لآبي الشر حتى إذا أبى ... تجنب بيتي قلت للشر مرحبا
وأركب ظهر الأمر حتى يلين لي ... إذا لم أجد إلا على الشر مركبا
وقال آخر: من الطويل
أفر حذار الشر والشر تاركي ... وأطعن في أنيابه وهو كالح
وقال ابن هرمة: من الطويل
إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره ... فناجى ضميرا غير مضطرب العقل
ولم يشرك الأدنين في جل أمره ... إذا انتقضت بالأضعفين قوى الحبل." (١)

"حدث شيخ من أهل مكة قال: لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياما حتى تحدثت به إماء مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم، فنظرت إليه والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقا، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أتراه يهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب فما تراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب، فهو يفظع بذلك، وغير ملوم هو. فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، مالك الدنيا والآخرة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، إلا أنه والله لا يذل من كان الحق معه وإن كان مفدرا ضعيفا، ولا يعز من كان الباطل معه وإن كان في العدد والكثرة. ثم قال: إنه أتانا الخبر

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٢٦٤

من العراق بلد الغدر والشقاق، فساءنا وسرنا، أتانا أن مصعبا قتل، رحمة الله عليه ومغفرته، فأما الذي حزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعد ذوو الرأي والدين إلى جميل الصبر، وأما الذي سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة، وأن الله عز وجل جاعل لنا وله خيرة في ذلك، إن شاء الله. إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره، أسلموه إسلام الجمل المخطم فقتل، ولئن قتل فلقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت حتف أنوفنا، ما نموت إلا قتلا قصعا قصعا بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان، والله ما قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام. وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا ملكه، فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ البطر الأشر، وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر؛ ثم نزل.

قال المفضل الضبي: خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فلما صار بالمربد وقف على دار سليمان بن علي، فأخرج له صبيان من ولده فضمهما إليه وقال: هؤلاء والله منا ونحن منهم، إلا أن آباءهما فعلوا بنا وصنعوا، وذكر كلاما يعتد عليهم فيه بالإساءة، ثم توجه لوجهه وتمثل: من المنسرح

مهلا بني عمنا ظلامتنا ... إن بنا سورة من القلق

لمثلكم تحمل السيوف ولا ... تغمز أحسابنا من الرفق

إني لأنمي إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق

بيض سباط كأن أعينهم ... تكحل يوم الهياج بالزرق

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات، فلمن هي؟ قال: لضرار بن الخطاب، قالها في يوم جزع الخندق في اجتماع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وتمثل بها علي عليه السلام يوم صفين، والحسين بن علي عليهما السلام يوم قتل، وزيد بن علي، ولحق القوم ثم مضى إلى باخمرى، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد فتمثل: من الكامل

نبئت أن بني ربيعة أجمعوا ... أمرا خلا لهم ليقتل خالدا

إن تقتلوني لا تصب أرماحكم ... ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا

أرمي الطريق وإن صددت لضيعة ... وأنازل البطل الكمي الحاردا

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ فقال للأحوص بن جعفر بن كلاب تمثل بها يوم شعب جبلة، وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميما. قال: وأقبلت عساكر أبي جعفر فقتل من أصحابه وقتل من القوم حتى كاد الظفر يكون

له قال المفضل، فقال لي: حركني بشيء فأنشدته هذه الأبيات: من الطويل

ألا أيها الناهي فزارة بعدما ... أجدت أسيرا إنما أنت حالم

أبى كل حر أن يبيت بوتره ... ويمنع منه النوم إذا أنت نائم

أقول لفتيان العشي تروحوا ... على الجرد في أفواههن الشكائم

قفوا وقفة من يحي لا يخز بعدها ... ومن يخترم لا تتبعه اللوائم

وهل أنت إن باعدت نفسك منهم ... لتسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال لي: أعد، فتنبهت فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا أعدها فأعدتها فتمطى في ركابيه حتى خلته قد قطعهما، فطعن رجلا وطعنه آخر فقلت: أتباشر الحرب بنفسك والعسكر منوط بك؟ فقال إليك يا أخا بني ضبة، كأن عويفا أخا بني فزارة كان ينظر إلينا في يومنا هذا حين يقول: من المتقارب

ألمت خناس وإلمامها ... أحاديث نفس وأسقامها

يمانية من بني مالك ... تطاول في المجد أعمامها." (١)

"عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان: كبش مضر، قريعها وفارسها في عصره، قتله وكيع بن أبي سود الغداني بخراسان في الفتنة.

وكيع بن أبي سود الغداني قاتل عبد الله بن خازم: شجاع فاتك أهوج، ولي خراسان لما قتل عبد الله بن خازم ولم يضبط الأمر لهوجه، مات حتف أنفه.

مصعب بن الزبير: شجاع بطل جواد، جاد بماله وبنفسه، عرض عليه الأمان وولاية العراقين وقد خذله أصحابه وبقي في نفر، فأبى أن يقبل وطلب أن يمضي حميدا كريما، قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان في الحرب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان بمسكن.

عبيد الله بن ظبيان قاتل مصعب: بطل فتاك مقدام.

عمير بن الحباب السلمي فارس الإسلام: قتلته بنو تغلب بجانب الثرثار في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس، وفي ذلك يقول الأخطل: من الطويل

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

وفيه قال للجحاف السلمي: من الطويل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٢٧٤

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فحمي الجحاف وجمع فأغار على بني تغلب بالبشر، وهو ماء لهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون النساء، فقال الأخطل: من الطويل

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول

فإن لم تغيرها قريش بحملها ... يكن عن قريش مستراد ومرحل

شعيب بن مليل التغلبي: قتله عمير بن الحباب يوم قتل عمير وقطعت رجله، فقاتل وهو يقول: من الرجز

قد علمت قيس ونحن نعلم ... أن الفتى يفتك وهو أجذم

ولما رآه عمير صريعا قال: من سره أن ينظر إلى الأسد معقورا فلينظر إلى شعيب.

إبراهيم بن مالك بن الحارث: وهو ابن الأشتر الآخذ بثأر الحسين ابن علي، لقي عبيد الله بن زياد في أربعة آلاف رجل، وعبيد الله في سبعين ألفا، فقتله بيده، وهزم جيشه، وحارب مع مصعب حتى لم يبق سواهما، وبذل له الأمان والولاية على أي بلد شاء فلزم الوفاء لمصعب، وقتل أمامه يوم مسكن.

مسلمة بن عبد الملك بن مروان: فحل بني أمية وفارسها وقريعها ووالي حروبها، مات حتف أنفه، جلس يقضي بمصر بين الناس فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت. ما رأيت أقل حياء من هذا قط، فكشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات، فقال لها: هل ترين أثر هذا الطعن؟ والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن، وما منعني من تأخيرها إلا الحياء، وأنت تنحليني قلته.

أحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي.

عبيد الله بن الحر الجعفي: شاعر شجاع فاتك، كان لا يعطي الأمراء طاعة، له وقائع عظيمة هائلة، قتل وقد تفرق أصحابه في بعث وبقي في عشرة، صرعه أبو كدينة الباهلي، ثم إنه ألقى نفسه في سفينة ليعبر الفرات فعالجه الملاح فاتحدا فغرقا جميعا.

جحدر بن ربيعة العكلي: لص فاتك شاعر أعيا الحجاج حتى احتال له فحصل عليه وحبسه، ثم اصطاد سبعا ضاريا وجعله في حفيرة وألقى جحدرا عليه مقيدا وبيده سيف، فقتل الأسد وقال: من الرجز

ليث وليث في مجال ضنك ... كلاهما ذو أنف ومحك

فأطلقه الحجاج، ومات حتف أنفه.

المهلب بن أبي صفرة، واسمه ظالم، وأولاده كلهم أنجاد أبطال، وأشهرهم بالنجدة المغيرة، وكان المهلب يجمع إلى

النجدة والبسالة الرأي والحزم، وله في الحرب مكايد مشهورة، وصبر مسلم إليه غايته، ووقائعه في الخوارج أبادتهم بعد أن كانوا استولوا على المسلمين. وكان سيدا كريما، وهو أزدي عتكي، مات حتف أنفه، وكذلك ابنه المغيرة، وفيه يقول زياد الأعجم: من الكامل

مات المغيرة بعد طول تعرض ... للقتل بين أسنة وصفائح

القتال الكلابي واسمه عبد الله بن المجيب بن المضرحي، يكنى أبا المسيب، وقيل اسمه عبادة، وقيل عتبة: بطل فاتك جنى جناية فخافها، فأقام في عماية، وهو جبل، عشر سنين يأكل من صيده، وألفه نمر هناك فكان رفيقه.

وكان في الخوارج فوارس مشهورون لا تلبث لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أدرناه فمنهم: أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم الفين.." (١)

"وشبيب الخارجي الذي غرق في الفرات وكان أصحابه لا يبلغون ألفا، نذرت امرأته غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في إحداهما البقرة وفي الثانية آل عمران، فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع، ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها، والحجاج بالكوفة في خمسين ألفا.

ومنهم قطري بن الفجاءة المازني: قتل في بعض الوقائع بين الخوارج والمهلب، وكان قطري رأس الخوارج، وخاطبوه بإمرة المؤمنين وعظموه وبجلوه، ويكنى أبا نعامة، وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها.

الدولة الهاشمية: الطبقة الثالثة: معن بن زائدة الشيباني: قتلته الخوارج بسجستان في أيام المهدي.

يزيد بن مزيد الشيباني.

الوليد بن طريف الشيباني الخارجي: قتله يزيد بن مزيد، وخرجت أخته لتثأر به فضرب يزيد قطاة فرسها وقال: اغربي فقد فضحت العشيرة.

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: قتل بباخمرى في الوقعة بينه وبين عيسى بن موسى، والمنصور وراءه، وأتاه سهم غرب بعد أن ظفر وكسر الجيش.

عمر بن حفص هزارمرد، وهو حفص بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب، قيل إنه كان يتصيد فتبع حمار وحش، وما زال يركض إلى أن حاذاه، فجمع جراميزه ووثب من الفرس فصار على ظهره، وما زال يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٨١/١

أو دلف القاسم بن عيسى العجلي: فارس بطل شاعر مغن نديم جامع لما تفرق في غيره، طعن فارسين رديفين فأنفذهما، وقتل قرقورا الشاري، وكان من المشهورين بالشدة، وجاء برمحه يحمله أربعة نفر.

المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد: فارس بني العباس وأشدهم بأسا، طعنه رجل مرة فأمال ظهره في الرمح فقصفه، وكان يسمي ما بين سبابته والوسطى المقطرة، واعتمد به على عضد رجل فكسره، وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها، ويأخذ العمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا في العنق، وهمته في فتوحه تناسب شدته في جبلته.

بكر بن النطاح الحنفي: فاتك شاعر نجد، له خبر مع أبي لف يدل على حميته ونجدته، لم يزل معه يمتدحه ويحارب بين يديه حتى مات.

نوادر هذا الباب قال أبو دلامة: أتي بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الشراة، فلما التقى الجمعان قلت لروح: أم والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه، فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ولآخذنك بالوفاء بشرطك، ونزل عن فرسه فنزع سلاحه ودفعهما إلي، ودعا بغيرهما فاستبدل به، فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع قلت له: أيها الأمير هذا مقام العائذ بك، وقد قلت بيتين فاسمعهما قال: هات، فأنشدته: من الكامل

إني استجرتك أن أقدم في الوغى ... لتطاعن وتنازل وضراب

فهب السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت في الهراب

ماذا تقول لما يجيء ولا يرى ... من بادرات الموت في النشاب." (١)

"ولقد علمت أن مآثرنا ي الجاهلية من سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم، كانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته واحد حي إلا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب. وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث. ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسان جفان عتبة وشيبة، فأذهب عنهما العار والشنار. ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٨٢/١

أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر، فقد مناكم في الكفر وفديناكم في الإسلام من الأسر، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم حيث لم تضعوا أنفسكم؛ والسلام.

قالوا: قدم الزبير بن عبد المطلب من إحدى الرحلتين، فبينا رأسه في حجر وليدة له وهي تدري لمته إذ قالت: ألم يرعك الخبر؟ قال: وما ذاك؟ قالت: زعم سعيد بن العاص أنه ليس لأبطحي أن يعتم يوم عمته، فقال: والله لقد كان عندي ذا حجي، وقد فاض عندي القطر. وانتزع لمته من يدها وقال: علي بعمامتي الطولي، فأتي بها فلاثها على رأسه وألقى صنيفتها قدامه وخلفه حتى لطما قدمه قدمه وعقبه، وقال علي بفرسي، فأتي بها واستوى على ظهرها، ومر بحرف الوادي كأنه لهيب عرفج، فلقيه سهيل بن عمرو فقال: بأبي أنت وأمي يا أبا الطاهر، ما لي أراك متغير الوجه؟ قال: أو لم يبلغك الخبر؟ هذا سعيد بن العاص يزعم أنه ليس لأبطحي أن يعتم يوم عمته. ولم؟ فوالله لطولنا عليهم أظهر من وضح النهار وقمر التمام ونجم الساري. والآن تنتثل كنانتنا فتعجم قريش عيدانها، فتعرف بازل عامنا وثنيانه. فقال له سهيل: بأبي أنت وأمي، فإنه ابن عمك، ولن يعييك شأوه ولن يقصر عنه طولك. وبلغ سعيدا الخبر فارتحل ناقته وأغرز رحله ولجأ إلى الطائف، فقيل، فقيل له: أتريد الجلاء؟ فقال: إني رأيت الجلاء خيرا من الفناء، ومضى قصده.

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم، وهم سبعون أو ثمانون رجلا، فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عيينة بن حصن الفزاري. فلما قدموا المدينة دخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات فنادوا بصوت عال جاف: اخرج يا محمد فقد جئنا لنافخرك، وجئناك بخطيبنا وشاعرنا. فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فجلس، فقام الأقرع فقال: والله إن مدحي لزين، وإن ذمي لشين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك الله عز وجل. فقالوا: إنا لأكرم العرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. فقالوا: إيذن لخطيبنا وشاعرنا. فأذن لهم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فجلس معه الناس، فقام عطارد فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكا، وجعلنا أعز أهل الشرق، وآتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف، وليس في الناس مثلنا. ألسنا رؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنا نستحي من الاكثار فيما خولنا الله وأعطانا، أقول هذا فأتوا بقول أفضل من قولنا، وأمر أبين من أمرنا ثم جلس.." (١)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤١٤/١

"أبوك أوهى النجاد عاتقه ... كم من كمي دمي ومن بطل

يأخذ من ماله ومن دمه ... لم يمس من ثأره على وجل

ركب غيلان بن حرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بن كريز فمرا على نهر عبد الله الذي يشق البصرة، فقال عبد الله: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر؟؟!! قال غيلان: أصلح الله الأمير، يتعلم صبيانهم فيه العوم، وهو لسقائهم ومسيل مياههم، وتأتيهم فيه ميرتهم. ثم مر غيلان بعد ذلك وهو يساير زيادا، وهو مجانب لابن عامر، فقال زياد: ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر. قال غيلان: أجل أصلح الله الأمير، تنز منه دورهم، وتغرق فيه صبيانهم، ومن أجله يكثر بعوضهم. فصرف غيلان لسانه مدحا وذما كما شاء.

ويشبهه أن خالد بن صفوان قال لجاريته: هاتي جبنا فإنه يهيج المعدة ويشهي الطعام، وهو حمض العرب. قالت: قد كان ونفد. قال: لا عليك، فإنه يقدح في الأسنان، ويستولي على البطن، وهو من عمل أهل الذمة.

أثنى رئيس وفد على ملك، فإنه لكذلك إذ أفلتت منه ضرطة، فالتفت إلى استه وقال يخاطبها: مثل هذا الملك يصلح أن يثنى عليه بجميع الجوارح، ولكن إذا رأيت اللسان يتكلم فاسكتي أنت. فضحك الملك وقضى حوائجهم.

حدثني أبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي الشاعر قال: حضرت مرجى بن نبيه خال ابن أبي الخير صاحب البطيحة، وكان هجاء خبيث اللسان، وقد قال لعمر القلانسي وهو أكبر قواد البطيحة: إني قد مدحتك يا أصفهسلار بشعر جيد، فقال: أسمعنيه فقال: من مخلع البسيط

في عمر ألف ألف خير ... تمحو له ألف ألف ذنب

فقال له في النصف الأول: تقول بفضلك هذا، فلما أتم البيت قال له: بشرك الله بخير، فقال مرجى:

واحدة أنه حمار ... بغير مكر وغير خب

فقال له عمر: صدقت، والله ما عندي لا خب ولا مكر، ولو مدحتني بهذا بمحضر الأمير، يعني ابن أبي الخير، لكان أنفع لي وأوقع عندي.

قال ابن كناسة: لما جاءت المسودة سخروا المستهل بن الكميت بن زيد وحملوا عليه حملا ثقيلا وضربوه، فمر ببني أسد فقال: أترضون أن يفعل بي هذا الفعل؟ فقالوا: هؤلاء الذين يقول فيهم أبوك: من الخفيف

والمصيبون باب ما أخطأ النا ... س ومرسو قواعد الإسلام

قد أصابوا فيك فلا تكذب أباك.

سأل رجل أبا أيوب المكي، وهو يتولى ديوان الخراج أيام المنصور، حاجة فمنعه منعا قبيحا، فال له أحد جلسائه: قد وفقت، فإن هذا الرجل قواد، فقال له: وهذا عندك عيب؟! قال: وأي عيب أكبر منه؟ قال أبو أيوب: أتدري ما كانت العرب تسمي القواد وما هو عندهم؟ قال: لا أدري. قال أبو أيوب: كانوا يسمونه الحكيم، وذلك أنه يأتي إلى الصعب يذلله، والحزن يسهله، والبعيد يقربه، والقريب فيباعده، والخائف فيؤمنه، والجازع فيصبره، والآيس فيطمعه، والمغلق فيفتحه، والمتحير فيرشده، والضعيف فيؤيده، يحيي نفسين، ويجمع بين محبين،وله يتطأطأ الممتنع، ويبرز المصون المحتجب، وبه يسهل الصعب المتوعر، وقد مدح عمر بن أبي ربيعة قوادة فقال: من الرمل

فأتتها طبة عالمة ... تخلط الجد مرارا باللعب

تغلظ القول إذا لانت لها ... وتراخي عند سورات الغضب

وقال آخر: من البسيط

في فمها من رقى إبليس مفتاح

وقال ابن الرومي: من الرمل المجزوء

لو يشا ألف ضبا ... حسن تأليف بحوت

ويقود الجمل الصع ... ب بخيط العنكبوت

وقال آخر: من الوافر

يقود من الفراهة ألف بغل ... بها حرن بخيط العنكبوت

وقال الفرزدق: من الطويل

فغلغل وقاع إليها فأقبلت ... تخوض خداريا من الليل أخضرا

لطيف إذا ما انفك أدرك ما ابتغى ... إذا هو للظبي المخوف تقترا

يزيد على ما كنت أوصيته به ... فإن ناكرته لان ثمت أنكرا

قال الأصمعي: كنت بالبادية، فرأيت امرأة تبكي على قبر وتقول: من المتقارب

فمن للسؤال ومن للنوال ... ومن للمقال ومن للخطب

ومن للحماة ومن للكماة ... إذا ما الكماة جثوا للركب
إذا قيل مات أبو مالك ... فتى المكرمات قريع العرب." (١)

"واعتذر كاتب من مكاتبة بعض إخوانه في ظهر فقال: من البسيط
العذر في الظهر عند الحر منبسط ... إذ رأى سطوات الدهر بالنعم
وما أضن بخدي لو جرى قلمي ... عليه طرسا ولو أن المداد دمي

عتب المأمون على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في شيء فكتب إليه رقعة وأوصلها إليه من يده، ففتحها المأمون فإذا فيها: من البسيط
لا شيء أعظم من جرمي سوى أملي ... بحسن عفوك عن جرمي وعن زللي
فإن يكن ذا وذا في القدر قد عظما ... فأنت أعظم من جرمي ومن أملي

فضحك وقال: يا إسحاق، عذرك أعلى قدرا من جرمك، وما جال بفكري، ولا خطر بعد انقضائه على بالي.

لما ركب المأمون إلى المطبق لقتل ابن عائشة، لقيه العباس بن الحسن العلوي عائدا، فقال له: الله الله يا أمير المؤمنين في الدماء التي لا بقية معها ولا عقوبة بعدها؛ والبس رداء العفو الذي ألبسك الله تعالى إياه، وجملك به، وأسعدك باستعماله، فإن الملك إذا قتل أغري بالقتل حتى يصير عادة من عاداته، ولذة من لذاته، فقال: والله يا أبا الفضل لو سمعت هذا منك قبل قتلي لا بن عائشة ما كنت قتلته.

لما دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون عند الظفر به سلم عليه وقال له: يا أمير المؤمنين، ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مدله في الأناة حسن عنده الذنب، وقد جعلك الله فوق كل ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك، فقال المأمون: يا إبراهيم إني شاورت العباس ابني، وأبا إسحاق أخي، في أمرك فأشار علي بقتلك، إلا إنني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حرمتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد نصح المشير بما جرت به العادة في السياسة وحياطة الخلافة، إلا أنك أبيت أن أطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو، فإن عاقبت فلك نظير، وإن عفوت فلا نظير لك، فإن جرمي أعظم من أن أنطق فيه بعذر، وعفو أمير المؤمنين أجل من أن يفي به شكر فقال المأمون: مات الحقد عند هذا العذر. فاستعبر إبراهيم، فقال المأمون: ما شأنك؟ قال: الندم، إذ كان ذنبي إلى

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٤٤٧

من هذه صفته في الإنعام علي. ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه وإن بلغ جرمي استحلال دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه، وإن لي الشفعة: الإقرار بالذنب، وحق العمومة بعد الأب، فلا يسقط عن كرمك عمك، ولا يقع دون عفوك عبدك. فقال: لو لم يكن في حق تسبك حق الصفح عنك لبلغك ما أملت حسن تنصلك، ولطف توصلك، ثم أمره بالجلوس وقال له: ما البلاغة يا إبراهيم؟ قال: أن يكون معناك يجلي عن مغزاك. فقال المأمون: هذا كلام يشذر بالذهب؛ لقد أذهبت به وغرا كان في صدري.

اعتذر كاتب إلى صديق له فأجابه: أنت في أوسع العذر عند ثقتي، وفي أضيق العذر عند شوقي.

كتب أبو علي ابن مقلة إلى أبي الحسن ابن الفرات يستعطفه: اقتصرت – أطال الله بقاء الوزير – على الاستعطاف والشكوى، على تناهي المحنة والبلوى، في النفس والمال، والجسم والحال، إلى ما فيه شفاء للمنتقم، وتقويم للمجترم، وحتى أفضيت إلى الحيرة والتبلد، وعيالي إلى الهلكة والتلدد، وما أقول إن حالا أتاها الوزير أيده الله في أمري إلا بحق واجب، وظن صادق غير كاذب؛ إلا أن القدرة تذهب الحفيظة، والاعتراف يزيل الاقتراف، ورب المعروف يؤثره أهل الفضل والدين، والإحسان إلى المسيء من أفعال المتقين. وعلى كل حالة فلي ذمام وحرمة، وتأميل وخدمة، إن كانت الإساءة تضيعها، فرعاية الوزير تحفظها.

وفد وفد من أهل الشام على المنصور بعد انهزام عبد الله بن علي، وفيهم الحارث بن عبد الله بن ربيعة في عدة منهم، ثم قام الحارث فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، لسنا وفد مباهاة، ولكنا وفد قربة، وإنا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا واستخفت حليمنا، فنحن معترفون، ومما سلف معتذرون، فإن تعاقبنا فقد أجرمنا، وإن تعف عنا فبفضلك علينا. فاصفح إذ ملكت، وامنن إذ قدرت، وأحسن فطالما أحسن الله إليك. فقال المنصور: قد فعلت ذلك بخطيبكم وأمر برد قطائعه.." (١)

"وكيف يتم بأسك في أناس ... تصيبهم فيؤلمك المصاب

ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجاني عتاب

وإنهم عبيدك حيث كانوا ... إذا تدعو لمظلمة أجابوا

وعين المخطئين هم وليسوا ... بأول معشر خطئوا فتابوا

وجرم جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العذاب

اعتذر رجل إلى المنصور فقال: أتراني أتجاوز بك حكم الله حيث يقول: " وليس عليكم جناح فيما أخطأتم

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٤٥٧

به، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما " الأحزاب:٥ ومن كلام روح بن زنباع: لا تشمتن بي عدوا أنت وقمته، ولا تسوءن بي صديقا أنت سررته، ولا تهدمن ركنا أنت بنيته.

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رؤوس الناس، قال: فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا كلاك ولا رعاك يا إبراهيم، فقال له: على رسلك يا أمير المؤمنين فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن عاقبت فبحقك، وإن تعف فبفضلك.

قال: فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال: إن هذين أشارا علي بقتلك؛ فإذا المعتصم والعباس بن المأمون، فقال له: يا أمير المؤمنين أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والرياسة فقد أشارا به عليك، وما غشاك إذ كان مني ما كان، ولكن الله تعالى عودك من العفو عادة جريت عليها، دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله يا أمير المؤمنين.

فتبسم المأمون ثم قال لثمامة: إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه أطلقوا عن عمي قيوده وردوه إلي مكرما. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى الأنس وارجع إلى المنادمة، فلن ترى أبدا مني إلا ما تحب.

وحدث محمد بن الفضل الهاشمي قال: لما فرغ المأمون من خطا به دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول وقال: هو صديقك فخذه إليك، فقال: وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخط عليه؟! أما إني وإن كنت صديقا له لا أمتنع من قول الحق فيه، قال: له: قل فإنك غير متهم، فقال - وهو يريد التسلق على العفو عنه - : إن قتلته، فقد قتل الملوك قبلك أقل جرما منه، وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يعف من قبلك عن مثله. فمكث المأمون ساعة ثم قال: من الكامل المرفل

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

خذه إليك يا أحمد مكرما. فانصرف به. ثم كتب إبراهيم إلى المأمون قصيدته العينية التي يقول فيها: من الكامل

الله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيف راكع

قسما فما أدلي إليك بحجة ... إلا التضرع من مقر خاشع

ما إن عصيتك والغواة تمدني ... أسبابها إلا بنية طائع

يقول فيها:

وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع إليك بشافع

إلا العلو عن العقوبة بعدما ... ظفرت يداك بمستكين خاضع

وجد الرشيد على العتابي، فدخل سرا مع المتظلمين بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد وقال: يا أمير المؤمنين قد أدبني الناس لك ولنفسي فيك، وردني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكرك قناعة بأحد غيرك، ونعم الصائن لنفسي كنت لو أعانني عليك الصبر، ولذلك أقول: من الطويل

أخضني المقام الغمر إن كان غرني ... سنا خلب أو زلت القدمان

أتتركني جدب المعيشة مقترا ... وكفاك من ماء الندى تكفان

وتجعلني سهم المصائب بعدما ... بللت يميني بالندى ولساني

فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة.

وقال العتابي لرجل اعتذر إليه: إن لم أقبل عذرك كنت ألأم منك، وقد قبلت عذرك، فدم على لوم نفسك في جنايتك، تزد في قبول عذرك والتجافي عن زلتك.

وأنكر على صديق له شيئا فكتب إليه: إما أن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفسا بالانتصاف منك فإن الشاعر يقول: من البسيط." (١)

"لو أنهم أموا أبدوا عداوتهملكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا

أليس في ألف شهر قد مضت لكمسقوكم جرعا من بعدها جرع

حتى إذا ما انقضت أيام دولتهممتوا إليكم بالأرحام التي قطعوا

هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهمريا وأن يحصدوا الزرع الذي زرعوا

وقال عبد الرحمن بن دارة الفزاري:

يا راكبا إما عرضت فبلغنمغلغلة عني القبائل عن عكل

لئن أنتم لم تثأروا بأخيكمفكونوا نساء للخلوق وللكحل

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٦٠/١

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدواعن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

وقال الوليد بن عقبة بن أبي ميعط:

ألا أبلغ معاوية بن حربفإنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنتهدر في دمشق ولا تريم

فإنك والكتاب إلى عليكدابغة وقد حلم الأديم

لك الويلات أوردنا عليهوخير الطالبي الترة الغشوم

فلو كنت القتيل وكان حيالشمر لا ألف ولا سؤوم

لما انحازت إياد إلى الفرات مجفلين من كسرى بعث إليهم جيشا فبيتت إياد ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات الغربي، فلم يفلت منهم إلا القليل، وجمعوا جماجمهم وأجسامهم فكانت كالتل العظيم، فلم يفلت منهم إلا دير فسمي دير الجماجم. وبلغ كسرى الخبر فبعث مالك بن حارثة أحد بن كعب بن زهير بن جشم في أربعين ألفا من الأساورة، فكتب إليهم لقيط بن يعمر الإيادي ينذرهم ويحرضهم:

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراعلى نسائكم كسرى وما جمعا

هوا الجلاء الذي تبقى مذلتهإن طار طائركم يوما وإن وقعا

هو الفناء الذي يجتث أصلكمفيمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكمإني أرى الرأي إن لم أقص قد نصعا

وقد بذلت لكم نصحي بلا دخلفاستيقنوا إن خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب:

كتاب في الصحيفة من لقيطإلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكمفلا يشغلكم سوق النقاد

والأبيات العينية هي من محاسن أشعار العرب ومشاهيرها، وفيها حكمة مستفادة، وقد ذكرت شطرها ومختارها في مكان آخر من هذا الكتاب.

لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا، وأخذ من عبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار وقال له: أنا أردها عليك إذا جاءني مال، ولم يتم أمره فاستخفى ثم ظهر ورضي عنه المأمون. فطالبه الناس بأموالهم فقال: إنما أخذتها للمسلمين، وأرد قضاءها في فيئهم، والأمر فيها الآن إلى غيري، فعمل

محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب بها المأمون، ومضى إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة إلى المأمون. فخاف أن يقرأ القصيدة المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به، فقال: خذ مني بعض المال ونجم بعضه علي، ففعل ذلك، بعد أن أحلفه إبراهيم بآكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفى له محمد بذلك، ووفى إبراهيم بأداء الأموال. والقصيدة طويلة ومنها ما هو تحريض بإبراهيم من جملة أبيات كثيرة ألغيتها:

ألم تر أن الشيء للشيء علةتكون له كالنار تقدح بالزند

كذلك جربت الأمور وإنمايدلك ما قد كان قبل على البعد

وظني بإبراهيم أن مكانهسيبعث يوما مثل أيامه النكد

وكيف بمن قد بايع الناس والتقتببيعته الركبان غورا إلى نجد

ومن صك تسليم الخلافة سمعهينادى به بين السماطين من بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسهففارقها حتى يغيب في اللحد

وليس سواء خارجي رمى بهاإليك سفاه الرأي والرأي قد يردي

ومن هو في بيت الخلافة تلتقيبه وبك الآباء في ذروة المجد

فمولاك مولاه وجندك جندهوهل يجمع القين الحسامين في غمد

وقد رابني من أهل بيتك أننيرأيت لهم وجدا به أيما وجد

يقولون لا تبعد من ابن ملمةصبور عليها النفس ذي مرة جلد

فما كان فينا من أبي الضيم غيرهكريم كفى ما في القبول وفي الرد

وجرد إبراهيم للموت نفسهوأبدى سلاحا فوق ذي ميعة نهد

وأبلى ولم يبلغ من الأمر جهدفليس بمذموم وإن لم يكن يجدي

فهذي أمور قد يخاف ذوو النهىمغبته، والله يهديك للرشد

نوادر من الباب." (١)

"ألا أن مصر أصبحت قد فتحت، ألا وأن محمد بن أبي بكر قد أصيب، رحمة الله وعند الله نحتسبه، أما والله إن كان لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدي المؤمن.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٩٤

إني والله لا ألوم نفسي في تقصير ولا عجز؛ إني بمقاساة الحرب جد عالم خبير، وإني لأتقدم في الأمر فأعرف وجه الحزم، وأقوم فيه بالرأي المصيب معلنا، وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولا، ولا تطيعون لي أمرا إلى عواقب الفساد، وأنتم لا تدرك بكم الأوتار، ولا يشفي بكم الغليل.

دعوتكم إلى غياث إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد عدو ولا احتساب أجر، وخرج جيل ضعيف كأنما يساقون إلى الموتوهم ينظرون.

خطب الحسن بن عليهما السلام بعد وفاة أبيه فقال: أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام شدة ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسبقت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع. وكنتم في مبتداكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم ودنياكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا، فصرتم الآن كأنكم علينا، ثم أصبحتم بعد ذلك تعدون قتيلين: قتيلا بصفين تبكون عليه وقتيلا بالنهروان تطلبون **بثأره**. فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر، وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه إليه، وحاكمناه إلى الله تعالى، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا بالرضى. فناداه القوم البقية البقية.

خطب معاوية بالمدينة فقال: أما بعد، فإنا قدمنا على صديق مستبشر، وعلى عدو مستبسر، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ولست أسع الناس كلهم، فإن لم تكن محمدة فلا بد من لائمة، ليكن لوما هونا إذا ذكر غفر، وإياكم والعظمى التي إن ظهرت أوبقت، وإن لم خفيت أوتغت.

خطب معاوية بالمدينة فقال، وكان رقي المنبر فأرتج عليه، فاستأنف فأرتج عليه، فقطع الخطبة، وقال: سيجعل الله بعد عسر يسرا، وبعد عي بيانا، وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال.

فبلغ كلامه عمرو بن العاص فقال: هن مخرجاتي من الشام، استحسانا لكلامه.

وصعد زياد المنبر فلما حمد الله وأثنى عليه أراد الخطبة فأرتج عليه فقال: معاشر الناس إن الكلام يجيء أحيانا وربما كوبر فعسا، وتكلف فأبى، والتعمل لأتيه خير من التعاطي لأبيه، وسأعود فأقول؛ ثم نزل.

وقدم زياد البصرة واليا لمعاوية والفسق فيها ظاهر فاش، فخطب خطبة قال فيها: الحمد لله على إفضاله، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه، اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا.

أما بعد فإن الجاهلية الجهلاء، والضلالة العمياء، وألغي الموفي بأهله على النار، ما أصبح فيه سفهاؤكم ويشتمل

عليه حملاؤكم من الأمور العظام، كأنكم لم تقرؤا كتاب الله عز وجل، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأه ل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول.." (١)

"وقال بعضهم: رأيت أم كلثوم بنت علي عليه السلام بالكوفة، ولم أر خفرة والله أنطق منها كأنها تنطق على لسان أمير المؤمنين، وقد أومأت إلى الناس وهم يبكون على الحسين أن اسكتوا، فلما سكنت فورتهم وهدأت الأجراس قالت: أبدأ بحمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم. أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختر والخذل والختل، ألا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء وغمز الأعداء؟ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة أو كقصعة على ملحودة؟ ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم: أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله، فابكوا، فإنكم والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فقد فزتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا. وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، ومنار محجتكم ومدرة حجتكم، ومفزع نازلتكم؟ فتعسا ونكسا، لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة. لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم بها شوهاء خرقاء طلاع الأرض والمساء. أفعجتم أن قطرت دما؟ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون. فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفزه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثأر. كلا إن ربك لنا ولهم ولكم بالمرصاد.

ثم ولت عنهم فتركت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم. ورأيت شيخا كبيرا من بني جعفر وقد أخضلت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول بصوت حزين: من الطويل

كهولهم خر الكهول ونسلهم ... إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

خطبت حفصة بنت عمر رضوان الله عليها فقالت:." (٢)

"والمثل السائر: مواعيد عرقوب. قالوا: كان عرقوب رجلا من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئا فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتى الرجل أخاه للعدة فقال: دعها حتى تصير

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٢٢٧

(٢) التذكرة الحمدونية، ٢/٢٣٥

بلحا، فلما أبلحت أتاه فقال له: دعها حتى تصير زهوا، فلما أزهت قال: دعها حتى تصير ثمرا، فلما أثمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعط أخاه منها شيئا، وفيه يقول الأشجعي: من الطويل

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

ويقولون في الوعيد: برق لمن لا يعرفك.

ويقولون لمن يعد ولا ينجز وعده ذكر ولا حساس.

ومن أمثالهم في التسويف: إلى ذاك ما باض الحمام وفرخا.

المكر والمداهنة

ومن أمثالهم في ذلك: يسر حسوا في ارتغاء.

أمكر وأنت في الحديد؛ قاله عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد الأشدق عند قتله؛ وخبره معه طويل، وقد ذكر في موضع آخر، وقال له عمرو حين قيده: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن لا تفضحني بأن تخرجني إلى أهل الشام فتقتلني بحضرتهم فافعل؛ وإنما أراد عمرو أن يخالفه فيخرجه، فإذا ظهر منعه أصحابه وحالوا بينه وبين عبد الملك.

ومن أمثالهم: من حفر مغواة وقع فيها.

أعن صبوح ترقق.

أصل المغواة البئر تحفر للذئب ثم يجعل فيها جدي أو غيره، فيسقط الذئب فيها ليأخذه فيصطاد.

والمثل الثاني: قال النمفضل الضبي فيه: كان نزل رجل بقوم أضافوه ليلا وغبقوه فلما فرغ قال لهم: إذا أصبحتموني غدا فكيف آخذ في حاجتي؟ فقالوا له: أعن صبوح ترقق؟ عاد الرمي على النزعة، والنزعة الرماة.

ومن أمثالهم في هذا المعنى: لأمر ما جدع قصير أنفه، وخبر جذيمة يشتمل على هذا المثل وغيره فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

أطرق كرى إن النعام في القرى.

ما زال يفتل في الذروة والغارب، إذا بالغ في الخداع.

الإيناس قبل الإبساس.

إياك أعني واسمعي يا جارة، المثل لسهل بن مالك الفزاري، قاله لأخت حارثة بن لأم الطائي.

ومن أمثالهم في المكر: خامري أم عامر.

ويقارب ذلك قولهم: أمر نهار قضي ليلا.
ويقولون للخب: أروغا ثعالة.
حفظ المودة بالتباعد
من أمثالهم في هذا: فرق بين معد تحاب. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى أن مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، وروي عنه وابن مسعود أنهما قالا: خالطوا الناس وزايلوهم، أي خالطوهم في المعاشرة والأخلاق وزايلوهم بأعمالكم، ويحتمل المباعدة أيضا، ويقارب هذا الكلام قول صعصعة بن صوحان: إذا لقيت المؤمن فخالطه، وإذا لقيت الفاجر فخالفه، ودينك فلا تكلمنه. ويشبه ما روي عن عيسى عليه السلام: كن وسطا وامش جانبا.
ما جاء في الضرورة والمعذرة والاعتذار
أزهد الناس في عالم جاره ويروى أهله.
ومن أمثالهم في ذلك: مكره أخوك لا بطل، خبره في قصة بيهس نعامة، وهو مذكور في مكانه من هذا الكتاب.
لو ترك القطا لنام، هو لامرأة عمرو بن أمامة، وكان نزل بقوم من مراد فطرقوه ليلا فلما رأت امرأته سوادهم أنبهته فقالت: قد أتيت، فقال: إنما هذه القطا، فقالت: لو ترك القطا لنام. فأتاه القوم فبيتوه فقتلوه.
ومن أمثالهم: الشر ألجأه إلى مخ العراقيب، وقد يضرب عند مسألة اللئيم.
ويقولون: الطعن أظأر، يضرب للبخيل يعطي عن ضرورة، يقول: إذا خاف أن يطعنه عطفه ذلك عليه فجاد بماله خوفا منه.
ويقولون: الخلة تدعو إلى السلة، أي الحاجة تدعو إلى السرقة.
ويقولون: لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ولكل صارم نبوة.
ويقولون: ترك الذنب أيسر من الاعتذار.
ومن أمثالهم: حياك من لا خلا فوه، وأصله أن رجلا سلم عليه وهو يأكل فلم يرد السلام، فلما فرغ قال هذه المقالة أي كنت مشغولا.
ومن أمثالهم في لاضرورة: بيتي يبخل لا أنا.
شغلت شعابي جدواي.

بالساعد تبطش الكف في الضرورة، هذا المثل يضرب أيضا في قلة الأعوان.

ومن الأعذار قول قصير بن سعد لعمرو بن عدي حين أمره أن يطلب ثأر خاله جذيمة من الزباء، افعل كذا وخلاك ذم. قال الشاعر: من الطويل

إذا ما شفيت النفس أبلغت عذرها ... ولا لوم في أمر إذا بلغ العذر

ومن أمثال الضرورة: يلبس الخلق من لا جديد له.

تعذر الكمال والمحض

من أمثالهم فيه: أي الرجال المهذب.." (١)

"وقال المسور بن مخرمة: دخلت على معاوية، فقال: ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟ فاستعفيته فأقسم علي؛ فوالله ما تركت عيبا إلا ذكرته. فقال: لا تبرأ من ذنب، فهل لك يا مسور ذنوب تخافها أن تهلك بها إن لم يغفرها الله لك؟ قلت: نعم؛ قال: فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني؟ فكان المسور إذا ذكره استغفر له وقال خصمني.

خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله يقول: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم الحجر: ٢١ ، فما نلام نحن؟ فقام إليه الأحنف بن قيس فقال له: يا معاوية، إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله، وإنما نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه.

خطب المنصور بمكة، وقد أمل الناس عطاءه، فقال: يا أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وخازنه على فيئه، أعمل فيه بمشيئته، وأقسمه بإرادته؛ وقد جعلني الله تعالى قفلا عليه، إذا شاء أن يفتحني فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني. فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه، فقال عز وجل: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا المائدة: ٣، أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم وقسم أرزاقكم فيكم، إنه قريب مجيب.

فقال له ابن عياش المنتوف: أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه تعالى.

قال صالح بن علي بن عبد الله بن عباس لابنه عبد الملك وقد غضب عليه: يا ابن الفاعلة؛ فقال عبد الملك: الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك النور: ٣، وأنشد: من الطويل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٢٢/٢

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فإن الفريقين بالمقارن مقتد
فلم يكلمه صالح حتى مات.

وكانت أم عبد الملك بن صالح جارية لمروان بن محمد، فلما قتله صالح بمصر، اتخذ أم عبد الملك لنفسه. فلما سعى قمامة كاتب عبد الملك به إلى الرشيد واعتزم على حبسه كلمه وأغلظ له، فقال الرشيد: ما أنت منا؛ فقال: والله ما أبالي لأي الفحلين كنت، لصالح بن علي أو لمروان بن محمد.

كلم عروة بن الزبير عبد الملك بكلام غليظ والحجاج قائم على رأسه، فقال: يا ابن العمياء، أتكلم أمير المؤمنين بمثل ما أسمع؟ قال عروة: يا ابن المتمنية، وما ذكرك عجائز الجنة؟ وكانت جدة الحجاج القائلة: من البسيط
هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

وكان عمر بن الخطاب رض الله عنه اجتار بالمرأة وهي تنشد هذا الشعر، فأحضر نصر بن حجاج، وهو شاب جميل ذو وفرة مليحة، فحلق شعره فكان أجمل، فنفاه، وقال: لا أسمع النساء يتمنينك في حجالهن.
فقال عبد الملك: أقسمت عليك إلا أمسكت.

؟قال أبو حاتم: كنت في حلقة أبي عبيدة، فجاء إلينا غلام من آل المهلب وضيء الوجه في منطقه لين، فكأن القوم استقبحوا منطقه. فقال له رجل من آل صباح بن خاقان المنقري: يا غلام ممن أنت؟ قال: من آل المهلب؛ قال: ومن أمك؟ قال: سبية من القندهار، قال: نزعت فيك رخاوة الهند؛ فبعث منه شيطانا؛ فقال: أيها المتكلم فمن أنت؟ قال: من بني تميم؛ قال: أمكنت والله من مقاتلك: أم شبيبكم وفارسكم سوداء، وأم عنترتكم سوداء، وأم ذي الرقيبة سبية من أمانيا، وأم عمرو بن العاص سبية من عنزة، وأم عبيد الله بن زياد بن ظبيان سبية من أصفهان، وأم ابن زياد الذي مزقكم كل ممزق مرجانة، وأم زياد الذي شدخ رؤوسكم سمية، وأم الشعبي من جلولاء، وأم خالد بن عبد الله الذي غمركم نواله سبية من الروم، وأم وكيع ابن الدورقية الذي أدرك ثأركم سبية من دروق، وأم عبد الله بن – خازم الذي أباد غابركم بخرسان سبية، فأيتهن تعيب لا أم لك؟ ثم قام الغلام فما أبقى في الحلقة إلا ضاحكا أو شامتا.." (١)

"فقال أبو موسى: رحمك الله والله ما لي إمام غير علي، وإني لواقف عند ما أرى، ولرضى الله أحب إلي من رضى أهل الشام، وما أنا وأنت إلا بالله.

دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك الرصافة فسلم تسليم الخلافة، ثم مال فجلس، فقال: يا أمير

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٣٤٤

المؤمنين، إنه ليس أحد فوق أن يوصى بتقوى الله وإني أوصيك بتقوى الله، وكفى به جازيا لعباده الصالحين ومثيبا. فظن هشام أنه يريد أن يتظلم، فقال: أنت الراجي للخلافة المنتظر لها، وكيف ترجوها وأنت ابن أمة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أجبت وإن شئت سكت، قال: أجب، قال: إنه ليس أحد أعظم عند الله منزلة من نبي بعثه رسولا، فلو كانت ولادة أم ولد تقصر به عن بلوغ غاية الأنبياء والرسل لم يبعث الله إسماعيل بن إبراهيم، وكانت أمه مع أم إسحاق كأمي مع أمك، ثم لم يمنعه ذلك أن يبعثه الله نبيا، وكان عند ربه مرضيا، وكان أبا العرب وأبا خير البشر وخاتم المرسلين؛ فالنبوة أعظم خطرا أم الخلافة؟ وما عار الرجل بأمه وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن علي بن أبي طالب؟ ثم طفق فخرج.

قال الإسكندر لابنه: يا ابن الحجامة فقال: أما أمي فقد أحسنت التخير، وأما أنت فلم تحسن.

؟وقال أعرابي لابنه: يا بن الأمة فقال: لهي والله اعذر منك حيث لم ترض إلا حرا.

قال رجل لأعرابي: أتجلب التمر إلى هجر؟ قال: نعم إذا أجدبت أرضها وعدم نخلها.

لما بلغ معاوية وفاة الحسن بن علي عليه السلام دخل عليه ابن عباس قبل أن يعلم بها، فقال له: آجرك الله أبا عباس في أبي محمد الحسن بن علي – ولم يظهر حزنا – فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، وغلبه البكاء فرده، ثم قال: لا يسد والله مكانه حفرتك، ولا يزيد موته في أجلك، والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدا فما ضيعنا الله بعده.

قال له معاوية: كم كانت سنه؟ قال: هو أشهر من أن تجهل سنه. قال: أحسبه ترك أولادا صغارا؟ قال: كلنا كان صغيرا فكبر، ولئن اختار الله لأبي محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته، فلقد أبقى الله أبا عبد الله، وفي مثله الخلف الصالح.

لما أهديت بنت عقيل بن علفة إلى عبد الملك بن مروان أو إلى الوليد ابنه بعث مولاة له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل بها. فأتتها فلم تأذن لها وكلمتها فأحفظتها فهشمت أنفها. فرجعت إليه فأخبرته، فغضب من ذلك، فلما دخل عليها قال: ما أردت إلى عجوزنا هذه؟ قالت: أردت والله إن كان خيرا أن تكون أول من لقي بهجته، وإن كان شرا أن تكون أحق من ستره.

أرسل مسلمة بن عبد الملك إلى هند بنت المهلب يخطبها على نفسه، فقالت لرسوله: والله لو أحيا من قتل من أهل بيتي وموالي ما طابت نفسي بتزويجه، بل كيف يأمنني على نفسه وأنا أذكر ما كان منه، وثأري عنده؟ لقد كان صاحبك يوصف بغير هذا في رأيه.

قال بعضهم: رأيت بالمدينة امرأة بين عينيها سجادة وعليها ثياب معصفرة، فقلت لها: ما أبعد زيك من سمتك؟ فقالت بصوت نشيط: من الطويل

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني جانب ونصب

ولست أبالي من رماني بريبة ... إذا كنت عند الله غير مريب

قال بعضهم: خرجت في حاجة فلما كنت بالسيالة، وقفت على باب إبراهيم بن هرمة، فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته، قالت: خرج آنفا؛ قلت: هل من قرى فإني مقو من الزاد؟ قالت: لا والله، قلت: فأين قول أبيك: من المنسرح

لا أمتع العود بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

قالت: فذاك أفناها.

وقيل أنه اجتمع بباب ابن هرمة جماعة من الشعراء فسألوا ابنته عنه فقالت: وما تريدون منه؟ قالوا: جئنا لنهاجيه، قالت: من الطويل

تجمعتم من كل أوب ووجهة ... على واحد لا زلتم قرن واحد

قيل لسعيد بن المسيب وقد كف بصره: ألا تقدح عينك؟ قال: حتى أفتحها على من؟ .

قال رجل لعامر بن الطفيل: استأسر، قال: بيت أمك لا يسعني.

وقف رجل للحجاج فقال: أصلح الله الأمير، جنى جان في الحي فأخذت بجريرته وأسقط عطائي، فقال: أما سمعت قول الشاعر: من الكامل المرفل

جانيك من يجني عليك وقد ... يعدي الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب صديقه ... ونجا المقارف صاحب الذنب." (١)

"وكان الأحنف حليما سيدا، يضرب به المثل، وقد عدت له سقطات. فمن ذلك أنه نظر إلى خيل لبني مازن وقال: هذه خيل ما أدركت بالثار ولا نقضت الأوتار؛ فقال له سعيد بن العلقم المازني: أما يوم قتلت أباك فقد أدركت بثأرها. فقال الأحنف: لشيء ما قيل: دع الكلام حذر الجواب. وكانت بنو قتلت أبا الأحنف في الجاهلية.

ومن سقطاته أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلا يسفهه، فقال: يا أبا بحر من كان أبوك في قومه؟ قال: كان

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٣٥١

من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانية ففطن أنه من قبل عمرو، فقال: ما كان مال أبيك؟ قال: كانت له صرمة يمنح منها ويقري ولم يكن أهتم سلاحا.

ولما خرج الأحنف مع مصعب أرسل إليه بمائة ألف درهم، ولم يرسل إلى زبراء جاريته بشيء، فجاءت حتى تقدمت بين يدي الأحنف ثم أرسلت عينيها، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما لي لا أبكي عليك إذا لم تبك على نفسك؟ أبعد نهاوند ومرو الروذ تجمع بين غارين من المسلمين؟ فقال: نصحتني والله في ديني إذ لم أنتبه لذلك، ثم أمر بفساطيطه فقوضت، فبلغ مصعبا ذلك فقال: ويحكم من دهاني في الأحنف؟ فقالوا: زبراء، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه فقال: ما لك يا زبراء؟ قالت: جئت بإخوانك من أهل البصرة تزفهم كما تزف العروس حتى إذا صيرتهم في نحور أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم، قال: صدقت والله، يا غلام دع الفساطيط، فاضطرب العسكر بمجيء زبراء مرتين فذهبت مثلا.

وأنا أجتنب ذكر ما جاء في هفوات الصالحين والصدر الأول إجلالا لهم عن سوء الظن إلا أن يجيء ما ليس بخطأ على الحقيقة، وإنما اعترفوا به تواضعا، كما جاء عن عمر رضي الله عنه، قال: لا يبلغني أن أحدا تجاوز بصداقه صداق النبي صلى الله عليه وسلم إلا ارتجعته منها. فقامت امرأة فقالت: ما جعل الله تعالى ذلك لك، يا ابن الخطاب، إن الله عز وجل يقول: وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا النساء: ٢٠، فقال عمر: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت؟ ناضلت إمامكم فنضلته، وعمر رضي الله عنه إنما قال ذلك زجرا ليقتدوا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في صدقات النساء ولم يوجبه عليهم، والآية التي احتجت بها المرأة ليست في الصداق.

روى قتادة أن الحسن سئل عن قوله تعالى: قد جعل ربك تحتك سريا مريم: ٢٤، فقال: إن كان لسريا وإن كان لكريما، فقال: من هو؟ قال: المسيح، فقال له حميد بن عبد الرحمن: أعد نظرا إنما السري الجدول فتمعر لونه، وقال: يا حميد، غلبنا عليك الأمراء.

وكان أبو حنيفة يلحن، فسمعه أبو عمرو بن العلاء يتكلم في الفقه ويلحن، فاستحسن كلامه واستقبح لحنه، فقال: إنه لخطاب لو ساعده صواب، ثم قال لأبي حنيفة: إنك أحوج إلى إصلاح لسانك من جميع الناس.

وسأله رجل يوما فقال: ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به؟ فقال: لا ولو ضربه بأبا قبيس.

وقد احتج قوم لأبي حنيفة وزعموا أنه لم يلحن، وقالوا: اسم الجبل هكذا وليس بكنية؛ وروي أن عطاء كذا

كان يقول، وكذاك ابن عباس، ولا يشك في فصاحته، ويحتجون بلغة بلحارث بن كعب، وأنهم يسوون في التثنية بين النصب والجر؛ وينشدون بين المتلمس: من الطويل

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى ... مساغا لناباه الشجاع لصمما

ويقولون: رأيت أباه وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

والأحسن في هذا أن يكون قولهم: أبا قبيس اسما للجبل ليس بكنية، فلا يغير بتغيير العوامل فيه، ويصير كالاسم الواحد.

وكان بشر المريسي يقول لجلسائه: قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها، فسمع قاسم التمار قوما يضحكون من ذلك فقال: هذا كما قال الشاعر: من المنسرح

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

فكان احتجاجه لبشر أعجب من لحنه، وهما متقدمان في أصحاب الكلام.

قال سعيد بن المسيب: ما فاتني الأذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة، ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس يخرجون من المسجد.

وقال قتادة: ما نسيت شيئا قط، ثم قال: يا غلام ناولني نعلي، قال: النعل في رجلك.." (١)

"إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وازداد حرا عجانها

وطء المقاليت: المقلات التي لا يعيش لها ولد، يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا عاش أولادها. قال بشر بن أبي خازم: من الطويل

تظل مقاليت النساء يطأنه ... يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

الهامة: زعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يطلب **بثأره** خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح على قبره: أسقوني إلى أن يدرك **ثأره**، وذلك قول ذي الإصبع: من البسيط

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

الصفر: زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شرسوفه الصفر، وهي حية تكون في البطن، وذلك قول أعشى باهلة، ويروى لأخت المنتشر الباهلي: من البسيط

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٧١/٢

تثنية الضربة: زعموا أن الحية تموت من أول ضربة فإذا ثنيت عاشت، قال تأبط شرا: من الوافر

فقالت عد رويدك قلت إني ... على أمثالها ثبت الجنان

حيض الضبع: يقولون إن الضبع تحيض وإنها تنتاب جيف القتلى فتركب كمرها، وحملوا قول الشاعر على هذا: من المديد

تضحك الضبع لقتلى هذيل ... وترى الذئب لها يستهل

وللعرب أقوال وأفعال تناسب هذه الأوابد وهي دونها في الاشتهار والالتزام.

كانوا يقولون: من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر، وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن.

وقيل لبعضهم: أحق ما يقولون: إن من علق على نفسه كعب أرنب لم يقربه جنان الحي وعمار الدار؟ قال: إي والله وشيطان الحماطة وجان العشيرة وغول القفر وكل الخوافي، إي والله ويطفئ عنه نيران السعالي.

وزعموا أن الإنسان إذا غشي ثم قلي له سنام وكبد فأكله، فكلما أكل لقمة مسح جفنه الأعلى بسبابته وقال: يا سنام وكبد، ليذهب الهدبد ليس شفاء هدبد إلا سنام وكبد، عوفي. والهدبد العشاء.

ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم تشق عليه رداءه ويشق عليها برقعها فسد حبهما، فإذا فعلا ذلك دام حبهما.

ويزعمون أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب الخدر عنه. قالت امرأة من كلاب: من الطويل

إذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب ... فإن قلت عبد الله أجلى فتورها

ويزعمون أن الرجل إذا دخل قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشر كما ينهق الحمار لم يصبه وباؤها. قال عروة بن الورد: من الطويل

لعمري لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إنني لجزوع

ويزعمون أن الحرقوص، وهو دويبة أكبر من البرغوث، يدخل أحراح الأبكار فيفتضهن. وأنشدوا: من الرجز

ما لقي البيض من الحرقوص ... من مارد لص من اللصوص

يدخل بين الغلق المرصوص ... بمهر لا غال ولا رخيص

لوجدان الضالة: يزعمون أن الرجل إذا ضل قلب ثيابه فاهتدى.

ويزعمون أن الذئاب إذا ظهر بأحدها دم أحال عليه صاحبه فقتله.
وكانوا يكرهون نوء السماك ويقولون فيه داء الإبل.
ويزعمون أن الكلاب تنبح السماء في الخصب، وكلما ألحت عليها السماء بالمطر نبحت. قال الشاعر: من الطويل
وما لي لا أغزو وللدهر كرة ... وقد نبحت نحو السماء كلابها
وكانوا إذا نفرت الناقة ذكروا اسم أمها وزعموا أنها تسكن حينئذ.
ويقولون سبب بكاء الحمام أنه أضل فرخا على عهد نوح عليه السلام، فهو يبكيه، وهو الهديل خرزة السلوان:
ولهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر ويسمى السلوان، قال رؤبة: من الرجز
لو أشرب السلوان ما شفيت ... ما بي غنى عنك وإن غنيت
نكاح المقت: ونكاح المقت من سننهم، وهو أن الرجل إذا مات قدم أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال.
ويقولون: إن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولت عنه، وقالت: ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له؟ فجمع الدبران قلاصه يتمول بها، وهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامه، يعنون القلاص.." (١)

"زعموا أن الخطيم بن عدي الأوسي قتله رجل من بني عامر بن ربيعة ابن صعصعة يقال له مالك، وقتل عدي بن عمرو أباه رجل من عبد القيس. فلما شب قيس بن الخطيم بن عدي، رضمت أمه حجارة كهيئة القبر وجعلت تقول: هذا قبر أبيك وجدك، مخافة أن يسمع بقتلهما فيطلب بدمائهما فيقتل، وكان قيس قويا شديدا. وإنه نازع غلاما من قومه فقال له الغلام: أما والله لو ألقيت كرعك - يعني بدنك - وقوتك على قاتل أبيك وجدك لكان أولى بك. فرجع إلى أمه فقال لها: أخبريني عن أبي وجدي. قالت: يا بني ماتا في وجع البطن وهذان قبراهما، فأخذ سيفه فوضع ذبابه بين ثدييه فقال: والله لتخبريني خبرهما أو لأتحملن عليه حتى يخرج من ظهري؟ فقالت له: إن أباك قتله رجل من بني عامر، وإن جدك قتله رجل من بني عبد القيس. فخرج بسيفه حتى أتى ناضحه وهو يسنو، فضرب رشاءه فهوى الغرب في البئر، واختطم البعير فأقبل به عليه

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٩١/٢

فشد جهاره حتى وقف على نادي قومه فقال: أيكم يكفيني مؤونة العجوز بفضل ثمرة مالي، فإن رجعت فمالي لي وإن هلكت فلها حتى تموت ثم المال له. فقال بعضهم: أنا، فدفعه إليه ثم سار، فقالت له أمه: يا بني إن كنت لا بد فاعلا فأت خداش بن زهير فإنه قد كانت لأبيك عنده نعمة، فسله أن يقوم معك. فمضى حتى انتهى إلى مر الظهران، ثم سأل عن مظلة خداش بن زهير فأتاها، فسأل امرأته عنه، فقالت: ليس هو ها هنا، قال: فهل عندك من قرى؟ قالت: نعم، قال: فهلم. فأخرجت إليه قباع تمر فتناول تمرة فأكل نصفها ورد نصفها في القباع، ثم تنحى فنزل في ظل شجرة، فلم ينشب أن طلع خداش. فدخل على امرأته فأخبرته الخبر فقال: هذا رجل متحرم. وركب قيس بعيره ثم أقبل حتى سلم. فقال خداش: والله لكأن قدم هذا الفتى قدم الخطيم صديقي اليثربي. ودخل عليه قيس فانتسب له وأخبره ما الذي جاء به، فقال له: يا ابن أخي قاتل أبيك ابن عمي وإن أردت دفعه إليك لم أقدر مع قومي، ولكن سأجلس العشية إلى قاتل أبيك فأحدثه وأضرب بيدي على فخذه، فإذا رأيت ذلك فشد عليه واقتله فإني سأمنعك. فلما كان العشاء جلس خداش بن زهير فصنع ذلك بالرجل، وأقبل قيس إليه فضربه بالسيف حتى قتله، ووثبوا إليه ليقتلوه فحال بينهم وبينه خداش وقال: إنما قتل قاتل أبيه. قال له: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: الطلب بدم جدي، قال: فأنا معك. وركبا جميعا فسارا حتى أتيا البحرين، فلما دنوا من قاتل جده قال له خداش: إني سأكمن في هذه الدارة من الرمل، فاخرج حتى يأتي الرجل فقل له: إني أقبلت أريد بلادكم فلما كنت بهذا الرمل برح بي لص فسلبني وأخذ متاعي، وقد جئتك لتركب معي لتستنقذ لي ذلك؛ فإن هو أمر ناسا بالركوب معك فاضحك، فإن سألك عن ضحكك فقل له: إن السيد مثلك لا يفعل مثل فعلك، معي لتستنقذ لي ذلك؛ فإن هو أمر ناسا بالركوب معك فاضحك، فإن سألك عن ضحكك فقل له: إن السيد مثلك لا يفعل مثل فعلك، إنما يخرج وحده إذا استعين على شيء حتى يفرغ منه. فخرج قيس حتى أتاه، فأمر ناسا من قومه أن يتهيأوا معه، فضحك قيس فسأله عن ضحكه فقال له الذي أمره خداش، فأحمسه فدعا بفرسه فركب معه وحده حتى أتى خداشا، فنهض إليه خداش فقال: يا ابن أخي إن شئت كفيتكه، فقال قيس: لا بل دعني أنا وإياه فإن قتلني لا يفتك، ونازله قيس فطعنه بحربة معه فقتله. فقال له خداش: إنا إن أخذنا الطريق طلبنا وظفر بنا، ولكن اكمن بنا في هذا الرمل حتى يهدأ الطلب عنا، فكمنا فيه وفقد القوم صاحبهم فخرجوا في طلبه فوجدوه قتيلا، فتفرقوا في كل وجه فلم يظفروا بأحد، فرجعوا وانصرف خداش وقيس راجعين، حتى إذا بلغا مأمنهما أقبل قيس نحو قومه وهو يقول: من الطويل

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وباتت فأمست لا ينال لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ... ولا جارة أفضت إلي حياءها

سرها، ويروى حباءها، يقول: أخبرتني بما تكتم وتسر.

إذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح رشاءها

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها

ويروى ورثت عديا.

ضربت بذي الزرين ربقة مالك ... وأبت بنفس قد أصبت شفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها." (١)

"الشعاع بالفتح المنتشر.

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائما من دونها ما وراءها

يهون علي أن يروع جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وشاركني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها

وكانت شجى في النفس ما لم أبؤبها ... فأبت ونفسي قد أصبت دواءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وإني لدى الحرب العوان موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها

لقد جربت منا لدى كل مأقط ... دحي إذا ما الحرب ألقت رداءها

ونلقحها مبسورة ضرزنبة ... بأسيافنا حتى نذل إباءها

مبسورة: مستكرهة، ضرزنية: شديدة.

وإنا منعنا من بعاث نساءنا ... وما منعت م المخزيات نساءها

وأدرك قيس بن الخطيم الإسلام، وخرج مع قوم من الأنصار إلى مكة بعد العقبة الأولى، فلقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعا قيسا إلى اللإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال له قيس: والله إن حسبك لكريم، وإن وجهك لحسن، وللذي أنت عليه خير من الذي أنا عليه، أفرأيت إن أنا بايعتك أيحل لي الزنا؟ قال: لا، قال:

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٠٨/٢

أفيحل لي الهجاء؟ قال: لا، قال: أفيحل لي القتل؟ قال: لا، قال: ففي نفسي من هذه الخصال شيء، فأنا أرجع إلى بلدي فأقضي أربي، فإذا قدمت اتبعتك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فإن لي إليك حاجة، قال قيس: هي لك، قال: إن امرأتك حواء بنت يزيد مسلمة فلا تؤذها ولا تحل بينها وبين الإسلام، قال: ذلك لك، وما علمت بذلك. وهي أخت رافع بن يزيد الأشهلي، وهو ممن شهد بدرا. ثم رجعوا إلى المدينة وقد فشا الإسلام في الأوس والخزرج، ودخل بعضهم في كفة بعض بعد الحرب المتصلة بينهم. وكان قيس من ذوي البلاء فيها.

فاجتمع ناس من بني سلمة فيهم رجل من بني مازن بن النجار، فقالوا: قد علمتم ما صنعت بكم الأوس يوم بعاث، وقيس بن الخطيم فتى الأوس وشاعرها فتهيأوا لقتله، فإنا إن قتلناه أدركنا ثأرنا. فاجتمع ملأهم على ذلك، وسألوا عنه فقالوا: إنه يخرج في كل عشية فيأخذ على بني حارثة حتى يأتي ماله بالشوط. فخرجوا حتى جاؤوا محيصة وحويصة والأحوص من بني مسعود، وكانت بنو سلمة أخوالهم، فمتوا إليهم بالخؤولة وذكروهم إخراج بني عبد الأشهل إياهم إلى خيبر وما صنعوا بهم في تلك الحروب. وقالوا لهم: إن قيس بن الخطيم يمر على أطمكم كل عشية، وقد أردنا قتله، فإن رأيتم أن تتركونا حتى نمكن له فيكم. فأذنوا لهم في ذلك، فكمنوا له في رأس أطمهم. فلما كان من العشي أقبل يمشي في ثوبين له مورسين، حتى إذا جاء الأطم رموه، فوقعت في صدره ثلاثة أسهم، فصاح صيحة سمعها بنو ظفر. فأقبلوا يسعون إليه فقالوا: ما لك؟ قال: قتلني بنو حارثة بأيدي بني سلمة. فخرجوا يحملونه حتى جاؤوا به منزله. فلما رأته امرأته خرجت تصيح وتولول، قالت: فنظر إلي نظرا علمت أنه لو عاش لقتلني، لا والله ما رأى عندي رجلا قط إلا أنه قد كان يأتي بالأسير فيأمرني فأدهنه وأرجله ثم يقوم إليه فيضرب عنقه. فمكث قيس أياما، ويخرج رجل من قومه حتى أتى بني مازن بن النجار وهم في مجلسهم، فقال: أين ابن أبي صعصعة؟ قالوا: في منزله، فخرج حتى أتاه، فقال: يا عم أخل، فخلا معه في بيت في داره، فحدثه شيئا ثم وثب عليه فضرب عنقه، ثم اشتمل على رأسه فخرج وأجاف الباب عليه. فلما طلع على بني مازن خشي أن ينذروا به فيطلبوه، فقال: قوموا إلى سيدكم يا بني مازن فإنه يدعوكم، فوثبوا وقالوا: هذا أمر حدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورفع الآخر جراميزه حتى انتهى إلى قيس وهو بآخر رمق، فقال: يا قيس قد ثأرت بك. قال: عضضت أير أبيك إن كنت عدوت أبا صعصعة، قال: فإني لم أعده. وأخرج له رأسه فلم يلبث قيس أن مات.

وقال قيس حين رمي وجاءت رزاح من بني ظفر لينظروا إليه، وكان بينه وبينهم شر فقال: من السريع

كم قاعد يحزنه مقتلي ... وقاعد يرقبني شامت

أبلغ رزاحا أنني ميت ... كل امرئ ذي حسب مائت

أيام العرب:." (١)

"وهذا الشعر مزحوف في أصل النسخة، قال: فسمي بيهس نعامة بقوله: فلأبركن بركة النعامة. قال: ثم إنه أخبر أن أناسا من أشجع يشربون في غار. فانطلق بخال له يقال له أبو حشر وقال له: هل لك في غار فيه ظباء؟ قال: نعم، فانطلق حتى قام على فم الغار، ثم دفع أبا حشر فيه، وقال ضربا أبا حشر. فقال بعض القوم: إن أبا حشر لبطل، فقال أبو حشر: مكره أخوك لا بطل، فأرسلها مثلا. وقتل القوم.

قوله: البس لكل حالة لبوسها، إما نعيمها وإما بوسها: يقول: أنتم مسرورون بعرسكم وأنا مهتوك الستر موتور، فأبدي عن دبري حتى أدرك **بثأري**.

وفعل أبو جندب أخو أبي خراش الهذلي مثل ذلك. قتل جيران له كانوا في جواره، فأتى مكة فجعل يطوف بالبيت مكشوف الدبر، فقيل له: ما هذا؟ قال: إني موتور ولا ينبغي لمثلي أن يطوف البيت إلا هكذا حتى يدرك **بثأره**. فأتى بالخلعاء فأغار بهم على الذين فعلوا بجيرانه ما فعلوا حتى انتقم منهم.

خبر طرفة في صحيفته ومقتله ومبدأ أمره: كان المسيب بن علس الضبعي شاعر ربيعة في زمانه، وإنه وقف على مجلس لبني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم شعرا له من الطويل

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

الصيعرية: سمة كان أهل اليمن يسمون بها النوق دون الفحول.

كميت كناز اللحم دون علالة ... إذا انتعلت أخفافهن من الدم

وطرفة يسمع نشيده مع القوم، وهو يومئذ غلام حين قال الشعر، فقال طرفة: نعت جملا أول مرة، ثم إذا هي ناقة، استنوق الجمل فذهبت مثلا. فضحك القوم من قول طرفة، فقال المسيب: ما هذا الغلام ويحكم؟ قالوا: غلام منا وقد قال بعض الشعر، قال: مروه فلينشدني، فأنشده، فقال: يا غلام أخرج لسانك فأخرجه، فإذا فيه خط أسود، فقال المسيب: ويل لهذا من هذا - يريد طرفة من لسانه.

ثم إن طرفة شهر وذكر شعره حتى وفد به إلى الملوك، وقد كان عبد عمرو ابن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ربيعة من أجمل أهل زمانه وأعظمهم، وكان رجلا بضا بادنا جميلا، وكانت أخت طرفة

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٠٩/٢

عنده، فشكت إلى طرفة شيئا من زوجها كرهته، فقال طرفة: من الطويل

أيا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحا إذا قام أهضما

فروي هذا الشعر ورفع إلى عمرو بن هند الملك، وهند أمه بنت الحارث الملك ابن عمرو المقصور. وإنما سمي المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه فلم يتجاوزه عمرو ابن حجر آكل المرار الكندي. وكان عمرو بن هند على الحيرة وعلى ما سقى الفرات مما يلي ملك فارس من أرض العرب، وهو محرق الأحدث، وسمي محرقا لأنه حرق باليمامة قرى كثيرة لبني حنيفة، وكان شمر بن عمرو الحنفي قتل أباه المنذر يوم عين أباغ مع الحارث بن جبلة الغساني. وكان عمرو هذا شديد السلطان والبطش متجبرا قليل العفو، وكانت ربيعة تسميه مضرط الحجارة. وكانت لعبد عمرو منزلة عظيمة من عمرو بن هند. فوافق عنده المتلمس الضبعي، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وقال أبو عبيدة: اسمه جرير بن يزيد وكان ينادم الملك. وكان للملك أخ يقال له قابوس لأبيه وأمه، وكان يحبه ويرشحه للملك بعده. فجعل له صحابة وأمر لهم بمعروف، وأمرهم بلزومه ومجالسته، وكان في من أمر بذلك طرفة والمتلمس. وكان قابوس غلاما معجبا بالصيد، وكان يركب ويركبون معه فيتصيدون يومهم ويركضون حتى يرجعوا وقد ملوا من التعب، ثم يغدون عليه، فيتشاغل عنهم بالسماع والشراب، فيستثقل اجتماعهم عنده، فلا يأذن لهم ولا يصرفهم، فيظلون وقوفا عامة نهارهم. فضج من ذلك طرفة وثقل عليه، وكره مكانه معه، وسأله الملك أن يكون معه فأمره بلزومه، فقال طرفة يهجوه: من الوافر

فليت لنا مكان الملك عمرو ... وغوثا حول قبتنا تدور." (١)

"وقد روي أن أبا براء هو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد لو بعثت رجالا إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك؛ فقال عليه السلام: أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

وروي أنه قال لقومه وهو شيخ كبير: من كان منكم يأتي المدينة فليعرض علي ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعرضوا عليه ما يقول، فقال: كريم الحسب محتنك قد بلغ الأربعين يدعو إلى مكارم الأخلاق ويأمر بها، والله إن هذا لأهل أن يتبع وأن ينصر. وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلي من

(١) التذكرة الحمدونية، ٤١٣/٢

قبلك قوما يفهموننا الذي جئت به وتدعونا إليه.

وأما عمرو بن أمية فإنه لما عاد من المعركة لقي رجلين من بني عامر معهما عقد وجوار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم بذلك عمرو. فنزلا معه في ظل فسألهما: من أنتما؟ فقالا: من بني عامر؛ فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أن قد أصاب ثأره من بني عامر، فلما قدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال له: لقد قتلت اثنين لأدينهما، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها.

وقيل لعامر بن الطفيل: إنك إن أتيت محمدا صلى الله عليه وسلم أمنك على ما صنعت، فأقبل هو وأربد وكان من شأنهما ما تقدم ذكره.

منافرة عامر وعلقمة.

من أخبار العرب المشهورة المنافرة بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. وقد أكثرت الرواة فيها وأطالت، فأتيت منها بأخصر ما يكون ويمكن، وحذفت الفضول.." (١)

"قال النعمان: أصلح الله الملك، حق لأمة الملك منها أن تسموا بفضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها، إلا أن عندي في كل ما نطق به الملك جوابا في غير رد عليه ولا تكذيب له، فإن أمنني من غضبه نطقت به. قال كسرى: قل فأنت آمن. قال النعمان: أما أمتك أيها الملك فليس تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها وأحلامها وبسط محلها وبحبوحة عزها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك، وأما الأمم الذي ذكرت فأي أمة قرنتها بالعرب إلا فضلتها. قال كسرى: بماذا؟ قال النعمان: بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وألوانها وبأسها وسخائها، وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها. فأما عزها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود، لم يطمح فيهم طامع ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الأرض وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر، ثم إن غيرهم من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار. وأما حسن وجوهها وألوانها فقد تعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المحترقة والصين المحسمة والترك المشوهة والروم المقشرة. وأما أنسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولاها وأخراها حتى إن أحدهم يسأل عما وراء أبيه دنية فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس

(١) التذكرة الحمدونية، ٤١٧/٢

أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فأبا، حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه، وأما سخاؤهم فإن أدناهم رجلا للذي عنده البكرة يكون عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالسربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه من أحدوثة السكر وطيب الذكر. وأما حكمة ألسنتها فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم بالإشارة وضربهم الأمثال، وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيول، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم الفضة والذهب، وحجارة جبالهم جبالهم الجزع، ومطاياهم التي تبلغ على مثلها السفر ويقطع بمثلها البلد القفر. وأما دينها وشريعتها فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهرا حراما وبلدا محرما وبيتا محجوبا ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه – وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك دمه – فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله. وأما وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماءة فهي عقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا في يده، فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم يبلغه أن رجلا استجار به، وعسى أن يكون نائبا عن داره، فيصاب فلا يرضى حتى تفنى القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما يخفر من جواره، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث عن غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دونه ماله. وأما قولك أيها الملك إنهم يئدون أولادهم من الحاجة فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج. وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها، فم تركوا ما دونها إلا احتقارا له، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم، مع أنها أكثر البهائم شحوما، وأطيبها لحوما، وأرقها ألبانا وأقلها غائلة، وأحلاها مضغة، وأنه لا شيء من اللحم يعالج بما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه. وأما تحاربهم وقتل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من أنفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف، وإنه إنما تكون المملكة العظيمة لأهل بيت واحد يعرف فضله على سائرهم، فيلقون إليه أمورهم وينقادون إليه بأزمتهم. فأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف. فأما اليمن التي وصفها الملك فإنما أتى الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبشي له على ملك متسق وأمن مجتمع، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا قد

تقاصر عن إيوائه، وصغر في عينه ما شيد من بنيانه، ولولا ما وتر به ممن يليه من العرب لمال إلى محتل، ولو وجد من يجيد الطعان ويعصب الأحرار." (١)

"قد نهى الله عز وجل عن الطيرة، ودل على ذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافرين: " قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون " . وأمر بتركها في قوله تعالى: " وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتى البيوت من أبوابها " . وهذا إخبار عن تطير كانت العرب تعتمده فنهاهم الله عز وجل عنه. قال أكثر أهل التفسير: كان الحمس، وهم قوم من قريش وبنو عامر بن صعصعة وثقيف وخزاعة، إذا حرموا لا يأقطون الأقط ولا ينتفون الوبر ولا يسلأون السمن، وإذا خرج أحدهم في الإحرام لم يدخل من باب بيته. وقيل: كان جماعة من العرب إذا خرج الرجل منهم في حاجة فلم يقضها ولم تيسر له رجع ولم يدخل من باب بيته سنة، يفعل ذلك طيرة. سموا الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي تشددوا، والحماسة الشدة في الغضب وفي القتال وفي كل شيء. قال العجاج: (من الرجز)

وكم قطعنا من قفار حمس

أي شداد.

وجاء في الحديث: " الطيرة والعيافة والطرق من الجبت " وجاء فيه أيضا: " الطيرة شرك وما منا إلا ويجد ذلك في نفسه، ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل " ، وفيه أيضا: " ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة والحسد " . فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامض ولا تنثن.

والفأل جائز ومستحسن؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل، ولما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له: يا يسار يا سالم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رحمه الله: سلمت لنا الدار؛ وقال صلى الله عليه وآله: سموا أولادكم أسماء الأنبياء، فأحسن الأسماء عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها الحارث وهمام وأقبحها حرب ومرة.

وكانت العرب شديدة العناية بالزجر والعيافة، ويرون ذلك حقا ودينا، ولهم فيه مذهب وعادة وسير. وفي هذا الباب من أخبارهم ما يدل على وجه الزجر، وكانوا يتيمنون بالسانح من الطير وغيره وهو ما ولاك ميامنه، ويتشاءمون بالبارح وهو ما ولاك مياسره. ويكرهون الناطح وهو ما يلقاك بجبهته، والكادس ما يجيء من خلفك يقفوك. وكل ما تطير به يسمى طيرة العراقيب، وفيهم من ليس ذلك من رأيه، ولا يعتمد عليه في

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٤٢١

انحائه.

قال طرفة: (من الطويل)

إذا ما أردت الأمر فامض لوجهه ... وخل الهوينا جانبا متنائيا

ولا يمنعنك الطير مما أردته ... فقد خط في الألواح ما كان خافيا

وكانوا يستقسمون بالأزلام، واحدها زلم وزلم، وهي سهام مكتوب على بعضها " أمرني ربي " ، وعلى بعضها " نهاني ربي " . فإذا أراد الرجل سفرا وأمرا يهتم به ضرب بتلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه " أمرني ربي " مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه " نهاني ربي " لم يمض في أمره.

وكان لهم قدح آخر مكتوب عليه " متربص " . ولما أراد امرؤ القيس بن حجر غزو بني أسد ليطلب ثأر أبيه فيهم، نزل بتبالة وبها صنم يسمى ذا الخلصة تستقسم العرب عنده بالسهام. فاستقسم امرؤ القيس فخرج الناهي فرده، ثم عاد فاستقسم فخرج الناهي فأعاده، ثم استقسم فخرج الناهي، فضرب بالسهام وجه ذي الخلصة وقال: عضضت بأير أبيك! لو أبوك قتل ما نهيتني؛ ومضى لوجهه، فأوقع ببني أسد. فلم يستقسم بعد عند ذي الخلصة حتى جاء الإسلام. فهدمه جرير بن عبد الله البجلي.." (١)

"قال: فتطير إبراهيم ووضع القدح من يده وقال: أعوذ بالله من شر ما قلت! فوالله ما سكنت وأخذنا نتلافى إبراهيم حتى دخل علينا حاجبه يعدو، فقال له: ما الخبر؟ قال: خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل على جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه، وقبض على أبيه وإخوته أهله. فقال إبراهيم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ارفع يا غلام. فرفع ما كان بين أيدينا وتفرقنا، ثم ما رأيت عمرا بعدها في داره.

كان عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثقيل الرجل لا يقدم على أحد من أهل بيته إلا مات. فقدم على أخيه سليمان بن علي بالبصرة فمات فصلى عليه. ثم رحل فقدم البصرة بعد مدة محمد بن سليمان صحيح فاضطرب فقال: لأمر ما قدم عمي؛ فاعتل واشتد جزعه ثم عوفي، فتصدق بمائة ألف دينار. لما مات عبد الصمد قال الرشيد: الحمد لله الذي مات عنوان الموت! لا يحمل عمي غيري. فكان أحد حملته إلى حفرته.

وروي أن جعفر بن سليمان مات حين قدم عليه عبد الصمد، وأن عبد الصمد عمي في ذلك الوقت، فقال

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٤٢٨

إسماعيل بن جعفر: أخذنا بعض ثأرنا.
قال البحتري: أنشدت شيئا من شعري أبا تمام فتمثل ببيت أوس بن حجر: (من الطويل)
إذا مقوم منا ذرا حد نابه ... تبين منا حد آخر مقوم
ثم قال: نعيت إلي نفسي فقلت: أعيذك بالله من هذا القول. فقال: إن عمري لن يطول وقد نشأ في طيء مثلك؛ أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب بن شبة وهو من رهطه يتكلم، فقال: يا بني لقد نعى إلي نفسي إحسانك في كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله، فقلت: بل يبقيك الله ويجعلني فداك. قال: فمات بعد سنة.
قال القاضي أبو علي الجويني: حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس، وابنه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه، وقد أتى بديوان أبي نصر ابن نباتة، فتصفحه فوقع في يده وقال يعزي سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه أبا المكارم محمدا، فأخذت المجلد وأطبقته؛ فعاد سيف الدولة فتصفحه ثانيا فخرج ذلك من القصيدة التي غناها قوله: (من الطويل)
فإن بميافارقين حفيرة ... تركنا عليها ناظر الجود داميا
نضمنها الأيدي فتى ثكلت به ... غداة ثوى آمالها والأمانيا
ولما عدمنا الصبر بعد محمد ... أتينا أباه نستفيد التعازيا
شخص أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل، فلما أراد الدخول إليها اندق لواؤه في أول درب منها، فتطير من ذلك وعظم عليه. فقال أبو الشمقمق: (من الكامل)
ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا
فسري عن خالد. وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون فزاده ديار ربيعة، وكتب إليه هذا لتضعيف الموصل متن رمحك. فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.
كان أبو الحسن ابن الفرات في وزارته الأولى يشرب كل يوم ثلاثاء وهو اليوم الذي قبض عليه في غده ويعمل في خلال شربه، إذ مرت به رقعة فيها: (من البسيط)
إن كان ما أنتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما أنا فيه دائما أبدا
لكن سكنت إلى أني وأنكم ... سنستجد خلاف الحالتين غدا

فكأنه اغتم لذلك، ثم أخذ في شأنه، وقال لجارية في المجلس كان يألف غناءها ويتفاءل بما لا تزال تغنيه: غني. فابتدأت وغنت: (من الطويل)

أمغيبة بالبين ليلى ولم تمت ... كأنك عما قد أظلك غافل

ستعلم إن جدت لكم غربة النوى ... ونادوا بليلى أن صبرك زائل

فتنغص ووافته بدعة الصغيرة في ذلك اليوم، فقام إلى دار له جديدة، ودعا بالشراب، وتناول قدحا والتمس من بدعة صوتا، فتطلبت له صوتا يتفاءل به بسبب الدار الجديدة، فغنت: (من المنسرح)

أمرت لي منزلا فأسكنه ... فصرت عنه المبعد القاصي

ولم تحفظ البيت الثاني. فلما كان الغد حدثت عليه الحادثة.." (١)

"والأمور وإن كانت مقدرة، فمن تقدير الله عز وجل. أكثر ما جربناه أن يكون المحتال أقرب إلى المأثور، وأبعد من المحذور، من المفرط في الأمور، والمستسلم للخطوب، المؤخر لاستعمال الحزم.

على أن الخليل بن أحمد قال: من استعمل الحزم وقت الاستغناء عنه استغنى عن الاحتيال في وقت الحاجة إليه.

الأخبار في الحيل كان سعد القرظ زنجيا عبدا لعمار بن ياسر. وكان على نخلة يجتني منها، فسمع الزنج يتكلمون فيما بينهم، فأذن فاجتمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فقال: ما حملك على الأذان؟ قال: خفت عليك، فأذنت ليجتمع أصحابك. فأمره بعد ذلك بالأذان، فكان مؤذنا.

لما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز، قال أبرويز للداخل عليه ليقتله: إني أدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي. قال: ماهو؟ قال: الصندوق الفلاني. فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وإذا فيه رقعة وفي الرقعة حق، وعلى الحق مكتوب: فيه حب م أخذ منه واحدة افتض عشر أبكار، وكان أمره في البه كذا وكذا. فأخذ شيرويه منه حبة كان هلاكه فيها. فكان أول ميت أخذ ثأره من قاتله.

كان الحارث بن مارية الغساني الملك مكرما لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما: سهل وحزن ابنا رزاح، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك ونزلا منه بالمكان الأثير، فحسدهما زهير بن جناب فقال: أيها الملك، هما والله عين لذي القرنين عليك يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر وهما يكتبان إليه بعوزتك وخلل ما يريان منك. قال: كلا. فلم يزل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٥٤/٢

زهير به حتى أوغر صدره. وكان إذا ركب بعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة، فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف، فقال له الآخر: (من الطويل)

فإلا تجللها يعالوك فوقها ... وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه

فركبها مع أخيه ومضي بهما فقتلا، ثم إن الملك بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا، فشتم زهيرا وطرده، فانصرف إلى بلاد قومه. وقدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخا مجربا عالما، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه. وبلغ زهيرا مكانه، فدعا ابنا له يقال له عامر، وكان من فتيان العرب لسانا وبيانا، فقال له: إن رزاحا قدم على الملك، فالحق به، فاحتل في أن تكفينيه. وقال: اذممني عند الملك ونل مني، وأثر به آثارا. فخرج الغلام حتى قدم الشام فتلطف في الدخول على الملك حتى وصل إليه، وأعجبه ما رأى منه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا عامر بن زهير بن جناب. قال: فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي. فقال الغلام: نعم، فلا حياه الله، أنظر أيها الملك ما صنع بظهري، وأراه آثار الضرب. فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه. فبينا هو يوما يحدثه إذ قال: أيها الملك لست أدع أن أقول الحق، وقد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول: (من الوافر)

فيا لك نصحة لما تذقها ... أراها نصحة ذهبت ضلالا

ثم تركه أياما وقال له بعد ذلك: ما تقول أيها الملك في حية قد قطعت ذنبها وبقي رأسها؟ قال: ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع. قال: أبيت اللعن! فوالله ما قدم رزاح إلا لثأر بهما. فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقه الخمر، ثم ابعث عليه عينا يأتيك بخبره. فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له، وبعث عليه عيونا. فلما دخل قبته قامت بنته تسانده فقال: (من الوافر)

دعيني من سنادك إن حزنا ... وسهلا ليس بعدهما رقود

ولا تسليني عن شبليك ماذا ... أصابهما إذا اهترش الأسود

فإني لو ثأرت المرء حزنا ... وسهلا قد بدا لك ما أريد

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النهدي، ورد زهيرا إلى موضعه.." (١)

"جابر بن عبد الله رضي الله عنه: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها كما يمص الصبي، ثم

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٤٩٤

نشرب عليها من الماء، فيكفينا يومنا إلى الليل، وكنا يضرب بعضنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله. فانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا دابة تدعى العنبر، فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفدرة كالثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير منا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ فأرسلنا إليه صلى الله عليه وسلم فأكله.

قال خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وسمعته يقول: هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي، وهذه الشيماء بنت بقيلة على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فقلت: يا رسول الله، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها بما صف، فهي لي، فقال: هي لك. ثم كانت الردة فدخلناها، فكان أول من لقينا الشيماء كما قال صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا خالد بالبينة، فشهد لي محمد بن سلمة ومحمد بن بشير الأنصاري، فدفعها إلي؛ وجاء أخوها عبد المسيح فقال لي: بعينها، فقلت: لا أنقصها والله من عشر مئات شيئا، فأعطاني ألف درهم، فقال لي: لو قلت مائة ألف لدفعتها إليك، فقلت: ما كنت أحسب عددا أكثر من عشر مئات.

قال شيبة بن عثمان طلحة: ما كان أحد أبغض إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكيف لا يكون ذلك وقد قتل منا ثمانية، كل منهم يحمل اللواء. فلما فتح مكة أيست مما كنت أتمناه من قتله، وقلت في نفسي: قد دخلت العرب في دينه فمتى أدرك ثأري منه؟ فلما اجتمت هوازن لحنين قصدتهم لأجد منهم غرة فأقتله، ودبرت في نفسي كيف أصنع؛ فلما انهزم الناس وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النفر الذين بقوا معه، جئت من ورائه، ورفعت السيف حتى إذا كدت أحطه غشي فؤادي فلم أطق ذلك وعرفت أنه ممنوع.

وروي أنه قال: فرفع لي شواظ من نار حتى كاد أن يمخشني، ثم التفت إلي وقال لي: أدن يا شيب فقاتل، ووضع يده في صدري، فصار أحب الناس إلي، وتقدمت فقاتلت بين يديه، ولو عرض لي أبي لقتلته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انقضى القتال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: الذي أراد الله بك خير مما أردته بنفسك، وحدثني بجميع ما زورته في نفسي، فقلت: ما اطلع على هذا أحد

إلا الله، وأسلمت.

لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف، قال عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ائذن لي حتى آتي حصن الطائف فأكلمهم، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءهم فقال: أدنو منكم وأنا آمن؟ قالوا: نعم، وعرفه أبو محجن فقال: أدن. فدخل عليهم الحصن فقال: فداكم أبي وأمي، والله ما لاقى محمد مثلكم، ولقد مل المقام، فاثبتوا في حصنكم، فإن حصنكم حصين، وسلاحكم كثير، ونبلكم حاضرة، وطعامكم كثير، وماءكم واتن لا تخافون قطعه. فلما خرج قالت ثقيف لأبي محجن: فإنا كرهنا دخوله، وخشينا أن يخبر محمد بخلل إن رآه في حصننا. فقال أبو محجن: أنا كنت أعرف به، ليس منا أحد أشد على محمد منه وإن كان معه. فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما قلت لهم؟ قال: قلت: ادخلوا في الإسلام، فو الله ما يبرح محمد عقر داركم حتى تنزلوا، فخذوا لأنفسكم أمانا، فخذلتهم ما استطعت. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، قلت لهم كذا وكذا. وعاتبه أبو بكر على ذلك، فقال: أستغفر الله يا أبا بكر، وأتوب إليه، ولا أعود إليه أبدا.." (١)

"ومولاك، مولاك الذي إن دعوته ... أجابك طوعا والدماء تصبب

فلا تخذل المولى، وإن كان ظالما ... فإن به تثأى الأمور وترأب

قال أبو كدام التيمي:

لله تيم أي رمح طراد ... لاقى الحمام به وفصل جلاد

ومحش حرب مقدم متعرض ... للموت غير معرد حياد

كالليث لا يثنيه عن إقدامه ... خوف الردى وقعاقع الإيعاد

مذل بمهجته إذا ما كذتب ... خوف المنية نجدة الأنجاد

ساقيته كأس الردى بأسنة ... ذلق مؤللة الشفار حداد

فكأنما كانت يدي من حتفه ... لما انثنيت بها على ميعاد

قال شبيل الغزاري، وحاربه بنو أخيه فقتلهم:

أيا لهفي على من كنت أدعو ... فيكفيني وساعده الشديد

وما عن ذلة غلبوا ولكن ... كذاك الأسد تفرسها الأسود

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣/١١٧

قال قطري بن الفجاءة المازني:

ألا أيها الباغي البراز تقربن ... أساقك بالموت الذعاف المقشبا

فما في تساقي الموت في الحرب سبة ... على شاربيه فاسقني منه واشربا

قال وداك بن نميل المازني:

نفسي فداء لبني مازن ... من شمس في الحرب أبطال

هيم إلى الموت إذا خيروا ... بين تباعات وتقتال

حموا حماهم وسما بينهم ... في باذخات الشرف العالي

قال أوس بن ثعلبة:

جذام حبل الهوى ماض إذا جعلت ... هواجس الهم بعد النوم تعتكر

وما تجهمني ليل ولا بلد ... ولا تكاءدني عن حاجتي سفر

قال سوار:

أجنوب إنك لو رأيت فوارسي ... بالسيف حين تبادر الأشرار

سعة الطريق مخافة أن يؤسروا ... والخيل تتبعهم، وهم فرار

يدعون سوارا إذا احمر القنا ... ولكل يوم كريهة سوار

قال أبو حزابة، أو ابن حزابة التيمي:

مشمر للمنايا شوه إذا ... ما ألوغد أسبل ثوبيه على القدم

خاض الردى في العدى قدما بمنصله ... والخيل تعلك ثني الموت باللجم

وهم مئون ألوفا، وهو في نفر ... شم العرانين ضرابين للبهم

قال آخر:

فيا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب

جنيتم وجرتم إذ أخذتم بحقكم ... غريبا زعمتم مرملا غير مذنب

فلم تدركوا ثأرا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب

وما قتل جان غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب

ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب

وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب

قال رجل من بني نمير:

أنا ابن الرابعين من آل عمرو ... وفرسان المنابر من جناب

نعرض للسيوف إذا التقينا ... وجوها لا تعرض للسباب

فآبائي سراة بني نمير ... وأخوالي سراة بني كلاب

قال الهذلول بن كعب الغنوي:

تقول، وصكت نحرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجلي وتبيني ... بلائي إذا ألتفت علي الفوارس

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وغني لأشري الحمد أبغي رباحه ... وأترك قرني وهو خزيان ناعس

وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري ... خلوف المنايا حين فر المغامس

وأقري الهموم الطارقات حزامة ... إذا كثرت للطارقات الوساوس

قال قبيضة بن جابر النصراني الجرمي:

لنا الحصنان من أجأ وسلمى ... وشرقياهما غير انتحال

وتيماء التي من عهد عاد ... حميناها بأطراف القوالي

وعاجمت الأمور وعاجمتني ... كأني كنت في الأمم الخوالي

قال سالم بن وابصة:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به ... أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زلقت، ولا أبليت فاحشة ... إذا الرجال على أمثالها زلقوا

قال عامر بن الطفيل:

قضى الله في بعض المكاره للفتى ... برشد وفي بعض الهوى ما يحاذر

ألم تعلمي أني إذا الألف قادني ... إلى الجور لا أنقاد والألف جائر." (١)

---

(١) التذكرة السعدية، ص/٨

"٧٠١ - وقال الخارج من ضرية يريد مكة، يشرب بالجديلة ثم فلجة، ثم الدثينة، ثم قباء، ثم مران، ثم وجزة، ثم ذات عرق، ثم البستان، ثم مكة. فإن خرج من ضرية يريد البصرة، شرب بطحفة. ثم أمرة، ثم رامضة، ثم الغريش - وبين الغريش - وبين النباج والغريش أربعون ميلا في المنزلين جميعا - ثم العوسجة، ثم النباج، ثم الينسوعة، ثم العشر، ثم ماوية، ٣٢٢ ثم الحفر - حفر أبي موسى - ثم الخرجاء، ثم الشبحى، ثم الرحيل، ثم الحفير، ثم البصرة.

٧٠٢* - وزعم الكلابي: انها بطرف الدو، يعني البصرة، وهضب الردة، عن يمين الجديلة إلى فلجة " : بثلاث أميال أو أكثر، يمين المصعد إلى مكة، وذو سدير عن يسار المصعد فرنة: ٧٠٣* ولصاحب أم عائذ: " الطويل "

١) - جرى لك يالهجران من أم عائذ ... على الفرع صردان بذاك جنوح

٢) - يبشرننا بالصرم من أم عائذ ... أتاح الردى يوما لهن متيح

٣) - فأعرضت من بغضائهن وبالحشا ... وبالنفس مما قد يقلن بريح

٤) - ورحت وما أدري مع الحادث الذي ... يحدثن لأحدثن كيف أروح

٧٠٤* - قال: وأنشدني السروى أحد بني غواية شنوى، لبعض ٣٢٣ غامد في قتل عبد الله بن أبي النعيم الليهي أحد بني رهم والنسبة إليه: غواوي، ولا نظير له وإلى بني حية: حووى. وإلى حي بني سليم: حيوى، وإلى فتية من بني سليم: فتوى، وإلى الصبى من بني كلاب صبوى: " الوافر "

١) - نزعنا قلب لشهب من حشاها ... وألقينا الجحافل والبطونا

٢) - قتلنا يوم ذي غلف فتاهم ... وسيدهم وأصبحهم جبينا

٣) - وأوردهم بنصل السيف صلتا ... وأعجلهم قرى للطارقينا

٤) - وكان هو المحارب إذ دعاهم ... وكان أبوه عرقهم السمينا

٥) - تركناهم كناب أفرقتها ... ولم تعجل شغار الجازرينا

٦) - مخوية على الثفنات منها٣٢٤ سنا سنها عوار قد برينا

٧٠٥* - فأجابه اللهبي: " الوافر "

١) - صدقتم والاله لقد قتلتم ... أخانا أو أخاكم ظالمينا

٢) - فلا وترا بذلكم نقضتم ... ولا ذهب العشيرة سالمينا

٣) – ورب محمد وإله موسى ... لتعترفننا فيه يقينا

٤) – وكم من مثلكم وأشر حربا ... تركناه وقد مرع اللجينا

٥) – نضمن ديننا قسما كراما ... إذا عز القضاء بهم قضينا

٧٠٦* – ولما أدركوا بثأرهم بإبن النعيم اللهبي: قال شاعر لهب وأصابت لهب بن مسروح الغامدي: " الطويل "

١) – شفى لنفس حتى لىس فيها حسانة ... فأمست بيوت الشعر جاد نشيدها

٢) – بعدوة أبطال من أحجن غادرواه٣٢ حليلة مسروح طويلا حدودها

٣) – وكم من فتاة طلقتها سيوفنا ... فأمى يقضى للذهاب عمودها

حدت المرأة تحد حدودا، وأحدت – الألف – .

٧٠٧* – وللهبي يقولها لغامد. " الطويل "

١) – ألا يا بني نعم تركتم أتوركم ... على بطل مستنظر غير حامد

٢) – أبى الضيم منكم وأحتمى دون رأيه ... من أسلم أبطال طوال السواعد

٣) – فنحن إذن مثلان نحن وأنتم ... إذا ما قتلنا آمنا وهو راقد

٤) – متى تغدمنا عصبة لا تورها ... مجربة ضرارابة للمعاضد

٥)بإيمانها خضر تعاشى طبيها ... كما يتعاشى الأرمد المتساند." (١)

"فنذر ابن بلقين دمي ، فخرجت هاربا إلى بلادك فوضع علي من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك ، ويكون الإثم عليك فقال : وما قلت فيه خاصة مضافا إلى ما قلته في عامة قومه ؟ فقال : لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة قلت :

يبني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير (١١) .

وهذا المعنى تداوله عدد من شعراء العربية ، وهذا دليل على شعور واحد تجاه من يهتم بنفسه ويهمل شعبه ، فقد قال أبو تمام : (١٢) .

وإن بين حيطانا عليه فإنما أولئك عقالاته لامعاقله

وقال ابن الرومي : (١٣) .

---

(١) التعليقات والنوادر، ص/٧٧

انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته ... في مطمح النسر أو في مسبح النون
ومن تحصن مسجونا على وجل ... فإنما حصنه سجن لمسجون

ويتابع المقري الخبر بأن (المعتصم استحسن ذلك منه وعفا عنه ، وخبره بين أن يحسن إليه ويخلي سبيله أو يجيره من عبدالله بن بلقين فأجابه السميسر مرتجلا .

خيرني المعتصم وهو بقصدي أعلم
وهو إذ يجمع لي أمنا ومنا أكرم

فأعجب المعتصم بذكائه وسرعة بديهته ، وكان له منه المن والأمان وأقام السميسر بإحسانه بأوطانه حتى خلع عن ملكه وسلطانه) (١٤) .

والملاحظ أن في هاتين الروايتين قاسما مشتركا يجمع بينهما وهو هجاء السميسر لحكام غرناطة ، ونقده لأحوالهم السياسية ثم فراره إلى المرية . وأنهما تختلفان في زمن الفرار ، وما جاء فيهما من أشعار ، وقد اختلف الدارسون المحدثون تبعا لذلك في تاريخ زمن هجرة السميسر إلى المرية فمنهم من اعتمد على رواية السلفي فجعل تلك الهجرة في عهد باديس ابن حبوس (٤٦٦ . ٤٨٣ هـ) ومنهم من اعتمد على رواية المقري فجعلها في عهد الأمير عبدالله (١٥) . وأرجح أن يكون السميسر قد هاجر بسبب هجائه لباديس بن حبوس لأنه كان قد اعتمد في سياسته على اليهود اعتمادا كليا فكان نقد السميسر له من هذه الناحية .." (١)

"وما العرف بالتسويف إلا كخلة ... تسليت عنها حين شط مزارها

فقال البحتري:

وكنت وقد أملت مرا لنائل ... كطالب جدوى خلة لا تواصل

ومما احتذى فيه البحتري أبا تمام، وقدر مثل كلامه فعمل معناه عليه، ما أخذه من قول أبي تمام:

همة تنطح النجوم وجد ... ألف للحضيض فهو حضيض

فقال البحتري:

متحير بعزم قائم ... في كل نازلة وجد قاعد

---

(١) أثر الساسة في شعر السميسر الأندلسي، ص/٤

قال أبو تمام:

متوطئو عقبيك في طلب العلا ... والمجد ثمت تستوي الأقدام

فقال البحتري:

حزت العلا سبقا وصلى ثانيا ... ثم استوت من بعده الأقدام

وقال أبو تمام:

تندى عفاتك للعفاة وتغتدى ... رفقا إلى زوارك الزوار

فقال البحتري على تقديره:

ضيف لهم يقري الضيوف ونازل ... متكفل فيهم ببر النزل

وقال أبو تمام:

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا ... ظلم الستور بنور حور نهد

فقال البحتري:

وبيض أضاءت في الخدور كأنها ... بدور دجى جلت سواد الحنادس

حدثني عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو سعيد النحوي المعروف بصعودا عن أبي تمام الطائي قال: خرجت يوما إلى سر من رأى، حين ولي الواثق، فلقيني أعرابي وقد قربت منها، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها، فخاطبته، فإذا أفصح الناس وأفطنهم، فقلت: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر، قلت: كيف علمك بأمير المؤمنين؟ قال: قتل أرضا عالمها، قلت فما تقول فيه؟ قال: وثق بالله فكفاه، أشجى العاصية، وقمع العادية، وعدل في الرعية، وأرعف كل ذي قلم خيانته. قلت: فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد؟ قال: هضبة لا ترام، وجندلة لا تضام، تشحذ له المدى، وتحبل له الأشراك، وتبغي له الغوائل، حتى إذا قيل كأن قد، وثب وثبة الذئب، وختل ختل الضب. قلت: فما تقول في محمد بن عبد الملك؟ قال: وسع الدانى شره، وقتل البعيد ضره، له كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب، ولا ندب مخلب. قلت: فما تقول في عمرو بن فرج؟ قال: ضخم لهم، مستعذب للذم. قلت: فما تقول في الفضل بن مروان؟ واستعذبت خطابه، قال: ذاك رجل نشر بعد ما قبر، فعليه حياة الأحياء وخفته الموتى. قلت: فما تقول في أبي الوزير؟ قال: كبش الزنادقة الذي تعرف، ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله. سنح ورتع، فإذا هزه أمطر فأمرع؟ قلت: فابن الخصيب؟ قال: أكل أكلة نهم، فذرق ذرقة بشم. قلت: فما تقول في إبراهيم أخيه؟ قال: " أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون " . قلت:

فما تقول في أحمد بن إسرائيل؟ قال: لله دره، أي قلقل هو؟ غرس في منابت الكرم، حتى إذا اهتز لهم حصدوه. قلت: فما تقول في إبراهيم بن رياح؟ قال: أوبقه كرمه، وأسلمه حسبه، وله معروف لا يسلمه، ورب لا يخذله، وخليفة لا يظلمه. قلت: فما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال: لله دره، أي طالب وتر، ومدرك ثأر! يتلهب كأنه شعلة نار، له من الخليفة جلسة تزيل نعما، وتحل نقما. قلت: يا أعرابي، أين منزلك؟ قال: اللهم غفرا، إذا اشتمل الظلام فحيثما أدركني الرقاد رقدت! قلت: فكيف رضاك عن أهل العسكر؟ قال: لا أخلق وجهي بمسألتهم، أوأما سمعت قول هذا الفتى الطائي، الذي قد ملأ الدنيا شعره:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

قلت: فأنا الطائي قائل هذا الشعر! فدنا مبادرا فعانقني وقال: لله أبوك، ألست الذي يقول:

ما جود كفك إن جادت وإن بخلت ... من ماء وجهي إذا أخلقته عوض

قلت: نعم، قال: أنت والله أشعر أهل الزمان. فرجعت بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد، وحدثته بحديثه، فأدخله إلى الواثق، فسأله عن خبره معي، فأخبره به، فأمر له بمال، وأحسن إليه، ووهب له أحمد بن أبي دؤاد، فكان يقول لي: قد عظم الله بركتك علي.

حدثني محمد بن القاسم بن خلاد قال: انصرفت يوما من عند ابن أبي دؤاد، فدخلت إلى محمد ابن." (١)

"الربيع بن زياد، فرسه: اليعبوب، وكان يقال له: فارس يعبوب، قال مروان القرظ:

رددت على عوف خماعة بعدما ... جلاها ذؤاب غير جلوة خاطب

ولو غيره كانت سبية رمحه ... لجاء بها مقرونة بالذوائب

ولكنه ألقى عليها حجابه ... رجاء الثواب أو حذار العواقب

فدافعت عنها ناشبا وقبيله ... وفارس يعبوب وزيد بن قارب

خبطت بني شيبان فيها بنعمة ... يحدث عنها أهل سلى ومارب

سلى ومارب: أرضان الغراب بن سالم العبسي، فرسه: المخ.

ولعبس أيضا: البشير.

خيل بني سليم

فرس عمير بن الحباب: الزعفران، قال فيه:

---

(١) أخبار أبي تمام، ص/٦

فأصبحت قد شارفت أرضا أحبها ... إذا شئت خب الزعفران وقربا

العباس بن مرداس السلمي، فرسه: العبيد، قال فيه:

أتجعل نهب العبي ... د بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع الحرب لا يرفع

وله أيضا: زرة، أخذها سفيان بن عوف النصري فاستنقذت منه.

وله أيضا: صوبة، قال فيها:

أعددت صوبة والصموت ورم ... حي والفضول تلوح كالسحل

فرط العنان كأن ملجمها ... في رأس نائية من النخل

بين الحمالة والقريط لقد ... أنجبت من أم وفحل

القريط، والحمالة: فرسان.

فرس معاوية بن مرداس يقال له: زامل، قال فيه:

لعمري لقد أكثرت تعريض زامل ... لجرح أو ليقدع عائرا

ولا مثل في أيامه وبلائه ... كيوم له بالجر لو كنت خابرا

تشك عوالي السمهري لبانه ... ويرمون فيه بالسهام المفاقرا

يعني فقار عنقه.

فهل يشكرن أبو سلامة نعمتي ... وظني به أن سوف يوجد شاكرا

أبو سلامة: رجل من بني سليم.

ولمعاوية بن مرداس أيضا فرس يقال له: الأدهم، قال فيه:

إن تأخذوا الأدهم لا تشأوني

ساط إذا طوطئ بعد الأين

الساطي: الواسع، طوطئ بعنانه باليد بعدما يكل يسطو.

ملء حزاميه وملء العين

ينفش بعد الربو منخرين

كنفش كيرين بكفي قين

فرس حزن بن مرداس: الحصاء، كان يقال له: فارس الحصاء، قال:

ولولا الله والحصاء فاظت ... عيالي وهي بادية العروق

ولم أر مثل جري ألحقته ... بأوطاس لقافلة عقوق

إذا هوت الرماح لها تدلت ... تدلي لقوة من رأس نيق

قيس بن نشبة السلمي، فرسه: صدام، قال فيه:

يال بكر أصبروها إنني ... أنا قيس وصدام الأسد

الأسد: اسم درعه.

ابن عادية الأسلمي، كان حليفا لبني عصية، اسم فرسه: الورد، قال فيه:

جزاني الورد أشلائي وحشي ... وجل ثناؤه عندي وطابا

كزاز، فرس حصين بن علقمة الذكواني، وهو حصين الفوارس، قال فيها:

عدلت كزاز لصدر اللطي ... م حتى كأنهما في قرن

وأيقنت أني أمرؤ هالك ... فأخطرت نفسي الثناء الحسن

تركت فضالة في معرك ... يعالج أحمر مثل الشطن

وهن بنا شرب في الغبار ... يعدون عدو إفال السنن

الإفال: الفصلان، والسنن: النشاط.

فرس خفاف بن عمير، وهو ابن ندبة: علوى، قال فيها يوم قتل مالك بن حمار الفزاري:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فغمدا على عيني تيممت مالكا

نصبت له علوى وقد خام صحبتي ... لأوثر مجدا أو **لأثأر** هالكا

فقلت له والرمح يأطر متنه ... تأمل رويدا إنني ذالكا

خيل هوازن

بنو هلال لهم: أعوج، ثم لبني المحاربية من بني مناف بن هلال، قال فيهم الشاعر:

أتتك بنات أعوج ملجمات ... بأبناء الحواصن من نزار

الحواصن، قال أبو عبد الله: الذين لهم أزواج، ومثلهم الغواني. عبد الله بن شرحبيل الهلالي فارس الجرادة.

عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارس الضحياء، قال خداش بن زهير:

أبي فارس الضحياء عمرو بن عامر ... أبى الذم واختار الوفاء على الغدر." (١)

"حدثنا يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال أرسل إلى ثمامة يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا، فجيء بإبراهيم في قيد فسلم، فقال له المأمون: لا سلم الله عليك، ولا حفظك فقال: على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي **ثأري**، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مدله في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنى فوق كل ذنب، وعفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تغفر فبفضلك فقال له المأمون إن هذين أشارا علي بقتلك وأومأ إلى المعتصم وإلى ابنه العباس فقال قد أشارا بما يشار بمثله في مثلي، وما غشاك في عظم الخلافة ولكن الله دعوك من العفو عادة، فأنت تجري عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فقال: أطلقوا عمي، فقد عفوت عنه.

فقال بعقب هذا:

وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع إليك بشافع

إلا العلو عن العقوبة بعدما ... ظفرت يداك بمستكين خاضع

فرحمت أطفالا كأفراخ القطا ... وعويل عانسة كقوس النازع

قسما وما أدلي إليك بحجة ... إلا التضرع من مقر خاشع

ما إن عصيتك والغواة تمدني ... أسبابها إلا بنية طائع

وهذه قصيدة طويلة أولها:

يا خير من ذملت يمانية به ... بعد الرسول لآيس أو طامع

وله في عفوه أشعار كثيرة منها قصيدة أولها:

أعنيك يا خير من تعنى بمؤتلفمن الثناء ائتلاف الدر في النظم

أثني عليك بما جددت من نعموما شكرتك إن لم أثن بالنعم

وفيها

رددت مالي ولم تمنن علي به ... وقبل ردك مالي ما حقنت دمي

فنؤت منه وما كافأتها بيد ... هي الحياتان من موت ومن عدم

---

(١) أسماء خيل العرب وفرسانها، ص/٦

البر لي منك وطء العذر عندك ليفيما أتيت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم
تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به ... فلا فقدناك من عاف ومنتقم

حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا عبد الوهاب بن محمد ابن عيسى قال استخفى إبراهيم عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة، وقالت لها: أنت له، فإن أرادك لشيء فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له. فكانت توفيه حقه في الخدمة والاعظام، ولا تعلمه بما قالت لها، فجعل مقدارها في نفسه، إلى أن قبل يوما يدها فقبلت الأرض بين يديه فقال:

يا غزالا لي إليه ... شافع من مقلتيه
والذي أجللت خد ... يه فقبلت يديه
بأبي وجهك ما ... أكثر حسادي عليه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

وعمل بعد ذلك فيه لحنا من طريق الهزج حدثني عبد الله بن محمد بن علي الكاتب قال حدثنا أبو العيناء قال سمعت إبراهيم بن الحسن بن سهل يقول: لم يكن إبراهيم بن المهدي يصدق أن عفو المأمون عنه يدوم، ويرى أنه سيلحق به جملة، فكان يتعهر ويتهتك ويغنى لكل واحد، ولا يخلى المأمون في كل وقت من مدح.

حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي قال حدثنا أبي قال كتب إبراهيم ابن المهدي إلى عمرو بن بانة حين ظهر ورضي عنه المأمون يدعوه فكتب إليه عمرو: أخاف سخط أمير المؤمنين. فكتب إليه إبراهيم: ليس يخلو أمير المؤمنين من أن يكون راضيا عني فما يكره أن تسرني، أو ساخطا فما يكره أن تعزني، وما تخرج عن هاتين.

حدثني الحسن بن يحيى الكاتب قال سمعت هبة الله بن إبراهيم ابن المهدي يقول حين أخذ أبي إبراهيم كتب إلى المأمون رقعة فقرأها قبل أن يراه وهو أول شعر قرأه له:

أيا منعما لم تزل مفضلا ... أدام الضنى سخطك الدائم." (١)

"فقالا: نعم نشفي من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة إلا وقد سقياني
فقالا: شفاك الله والله مالنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص/٦

ثم خفق، فنظرت فإذا في كسر البيت جوز فقلت لها: يا هذه اخرجي إلي هذا الفتى فإني أظنه قد مات. قالت: وأنا أظن ذاك والله ما سمعت منه أنة منذ سنة إلا اليوم فانه قال في أوله: البسيط من كان من أمهاتي باكيا شجني فاليوم إني أراني اليوم مقبوضا

يسمعننيه فاني غير سامعه ... إذا علوت رقاب القوم معروضا

تم خرجت إليه فإذا هو ميت، فغسلته وكفنته ودفنته وصليت عليه ثم قلت للعجوز من هذا؟ قالت: هذا قتيل الحب عروة بن حزام.

اخبرنا الزجاج قال اخبرنا المبرد قال قال رجل من بني مخزوم للأحوص ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الأنصاري: أتعرف الذي يقول: الكامل

الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل

أبقت ريي استه لأسرته ... لؤم الفروع ورقة الأصل

قال: وهذا الشعر لحسان بن ثابت الأنصاري والبيت الذي القاه المخزومي للأخطل، وذلك أن معاوية عتب على قوم من الأنصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال: أ أهجو الأنصار؟ أرادني في الكفر بعد الإسلام ولكني أدلك على غلام من الحي نصراني كأن لسانه لسان الثور يعني الأخطل، فلما قال الأخطل هذا البيت دخل النعمان بن بشير على معاوية فأخذ عمامته من رأسه وقال: يا معاوية أترى لؤما؟ قال: ما أرى إلا كرما. فأنشأ يقول: الطويل

معاوي إلا تعطنا النصف نغترف ... لحى الأزد مشدود عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم صغرا ... فماذا الذي تجدي عليه الأراقم

فما لي ثأر دون قطع لسانه ... فدونك من ترضيه عنه الدراهم

اخبرنا الأخفش قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال غصصت أبو بكر بن عياش وكان رجل من قريش يرمى بشرب الخمر فقال له أبو بكر بن عياش: زعموا أن نبيا يحل الخمر. فقال له القرشي: إذن لا تؤمن به حتى يبرئ الأكمه والأبرص.

اخبرنا الأخفش قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يقال غصصت بالطعام والشراب والريق والكلام وهو الغصص والجأز والحروة بمعنى واحد. وكذلك التحتحة. قال الأخفش: وكان المبرد يحكي عن البصريين هذا بعينه قال: فإذا فصل قيل غصصت بالطعام، وشرقت بالشراب وجرضت بالريق، ومنه المثل السائر " حال

الجريض دون القريضى " . قال الأخفش: يروى عن الخيل انه قال: كان رجل له ابن نبغ يقول الشعر فنهاه عن ذلك فجاش صدره بالشر ومرض فقال لأبيه إن منعتني من قول الشعر تلفت. فلم يأذن له في ذلك حتى ثقل ويئس منه. فما رآه كذلك قال له: ابني قل ما شئت من الشعر، فقال هيهات حال الجريض دون القريض، وأنشد يقول: الوافر

أيأمرني وقد فنيت حياتي ... لأبيات ترجيهن مني

فأقسم لو بقيت لقلت قولا ... أذيل به قوافي كل جني

اخبرنا الأخفش قال حدثنا ثعلب عن الزبير بن بكار قال دخلت ليلى الأخيلية على عبد الملك ابن مروان فقال لها: أقسمت عليك هل كان بينك وبين توبة شيء؟ قالت: لا والذي قبض روحه وهو على روحي قادر ما كان بيننا شيء أنه قدم من بعض أسفاره فأتيته فسلمت عليه فغمز يدي فظننت أن قد خضع لبعض الأمر، فأنشأت أقول: الطويل

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... وليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحب وحليل

قال أبو القاسم: ويروى خليل بالخاء المعجمة وهو الصديق، يقال: خالك الرجل مخاللة وخلالا من المودة ومنه قول أمرئ القيس: الطويل

ولست بمقلي الخلال ولا قال

الخليل أيضا: الرجل المحتل الحال، ومنه قول زهير: البسيط وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول: لا غائب مالي ولا حرم والخليل: الزوج.." (١)

"وهذا مثل يضرب للرجل يأتي الأمر ينسبه إلى غيره ويتهم هو به. وغوير: تصغر غار، وأول من ضرب هذا المثل الزباء الرومية لما جاء قصير ليأخذ بثأر عمرو وكان له حصن منيع فأدخل الرجال في الصناديق وأتى حصنها، وكان لها سرب فأقعد عليه الرجال، فلما أحست بالبلاء همت بالخروج من السرب فتبينت الرجال عليه فقالت: عمن الغوير أبؤسا، أي قد ذهبت من قبل الغار ثم صار مثلا يضرب لكل متهم بأمر. وفي الحديث: أن رجلا وجد ملفوطا فأقي به عمر فقال له عمر: " عسى الغوير أبؤساء " اتهاما له به فأثنى عليه عريف خيرا فقال: ربة ذلك ولا مرة. فإن قدمت إن فقلت: عسى إن يقول زيد، فموضع إن رفع التقدير:

---

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي، ص/٩

قرب قيام زيد. وقال الله: (عسى أن يبعثك ربك) .
هذا حكم عسى، وتقول في سائر أخواتها: جعل زيد يقول كذا وكذا. وكاد زيد يخرج، ولا تقول: جعل زيد إن يقول، ولا كاد إن يخرج إلا في ضرورة شعر.
ومن أمثال العرب: كاد النعام يطير،، وكاد العروس يكون أميرا، لقربهما من تلك الحال، قال الله تعالى: (يكاد لسنا برقه يذهب بالأبصار).
والعلة في استعمال عسى بأن وأخواتها بغير إن جعل كاد وأخذ وما أشبه ذلك لمقارنة الفعل والإشراف على وقوعه وكونه، ألا ترى إنك لا تقول: كدت ادخل المدينة إلا وأنت مشرف عليها، ولا تقول: جعل زيد يقول كذا وكذا إلا لحكاية حاله في القول فهذا لا يحتاج إلى إن لوقوعها على الحال.. وأما عسى فهي كما ذكرت لك تطلب الفعل مستقبلا ومنتظرا فهي لمقاربة اسمه لا ذاته ألا ترى إنك تقول: عمى إن أحج، وأنت ما برحت من موضعك بعد، وهذا بين واضح. ثم قد يجيء في الشعر ضرورة عسى بغير إن، وكاد وأخواتها بأن، مقال هدبة بن الخشوم في عسى بغير إن: الوافر
عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
وقال رؤبة في كاد: الرجز
قد كان من طول البلا إن يمصحا
والأصل ما ذكرت لك.
مسألة في الأسماء لم لم تجزم والأفعال لم لم تخفض
إذا سأل سائل ففال: لم لم تجزم الأسماء؟ ففي ذلك أجوبة، منها ما اعتمد عليه سيبويه ومن تابعه بعده قال: لا تجزم الأسماء لتمكنها ولحاق التنوين بها فلم يكن ليجمعوا عليها ذهابه وذهاب الحركة. وتلخيص ذلك: إن البصريين والكوفيين قد أجمعوا على إن التنوين لازم للأسماء دون الأفعال والحروف، فلو جزم مثل جعفر لوجب إسكان الراء للجزم وبعدها التنوين على الأصل المتفق عليه بينهم فكان يجتمع ساكنان وهما التنوين والراء، وكان لا بد من تحريك أحدهما أو حذفه، وعلى أوضاع كلام العرب إذا اجتمع ساكنان و الأول منهما حرف صحيح ليس بحرف مد ولا لين وجب تحريك الأول منهما كما تقول: اضرب زيدا، ثم تقول: اضرب الغلام، فتحرك الباء لالتقاء الساكنين.
وان كان الأول منهما حرفا من حروف المد واللين وهي الياء والواو والألف حذف الأول حذفا كقولك: زيد

يغزو القوم، وعمرو يقضي اليوم، وزيد يخشى الناس كما قال الله تعالى (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وكقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تسقط هذه الحروف من اللفظ وان ثبتت في الخط إلا إن يلتقي ساكنان صحيحان في المدغم فتحرك الثاني منهما نحو قولك في الأمر: مد وشد لأنه لا سبيل إلى تحريك الأول لأنه إذا تحرك الأول وسكن الثاني ظهر التضعيف كقولك: مددت وشددته وما أشبهه ذلك. فلو حركت الراء من جعفر على هذا القياس بطل الجزم من الكلام لأنك كنت كلما تجزم اسما صحت فتسكن آخره فتحركه لالتقاء الساكنين ولو حذفت الراء لالتقاء الساكنين بطل الاسم لأنه يكمل معناه بتمامه، ولو حذفت التنوين لالتقاء الساكنين فقد حذفت الحركة رجعت إلى قول سيبويه من حذف حركة وتنوين وكنت تجحف بالاسم لذهاب شيئين، ومع ذلك فإن في الأسماء ما يكون قبل آخره ساكن مثل بكر وزيد، فلو جزم مثل هذا على هذا التقدير الذي ذكره كانت تجتمع فيه ثلاثة أحرف سواكن، واجتماع مثلها محال فهذا مذهب سيبويه، وقد بان منه أن دخول الجزم على الأسماء غير سائغ لفظا.." (١)

"اخبرنا نفطوية قال حدثنا يزيد بن هرون عن سليم بن سعيد بن مينا قال: سمعت ابن الزبير وهو على المنبر حين أراد هدم الكعبة وبنيها يقول: حدثتني خالتي عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا عائشة لولا إن قومك قريبو عهد بشرك لهدمت الكعبة ثم لزدت فيها ستة اذرع من الحجر إن قريشا تصر بها حين بنوها النفقة، وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا. قال: فشهدته حين هدمها وزاد فيها من الحطيم ستة اذرع فإذا صخور مثل إعجاز الإبل فجعل لها بابين وفرح بذلك فرحا شديدا. قال نفطويه: فلما قتل: ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين أمر عبد الملك الحجاج على الحجاز فهدم ما كان بناه ابن الزبير ورده إلى حاله الأولى، فهو إلى الآن على ذلك، وفي ذلك يقول جرير: الطويل

أرى الطير بالحجاج تجري أيامنا ... لكم يا أمير المؤمنين واسعدا

رجعت لبيت الله عهد نبيه ... وأصلحت ما كان الخبيان افسدا

قال: كان عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر وأخوه يكنى أبا خبيب فكني بأخيه فقيل: الخبيبان.

اخبرنا نفطويه قال اخبرني ثعلب عن ابن الأعرابي قال: تقول العرب: اجعل هذا الأمر بأجا واحدا، وسماطا واحدا، وبيانا واحدا، وسكة واحدة وأنبوبا ورزدقا وشوكلا وقدة وشراكا ورعبوبا وحنانا ووضاحا ومحجة. كله بمعنى واحد، هكذا الرواية عن ابن الأعرابي. قال: وإنما هذا اتساع وتقارب، والبأج: القرن الواحد وهو فارسي

---

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي، ص/٣٥

معرب، فأما السكة والحنان والوضاح والمحجة فالطريق، وأما السطر والرزدق والسماط فالصف من الناس وغيرها. وأما القدة والشراك فالطريقة.

أنشدنا الأخفش قال أنشدني ثعلب وقرأت على محمد بن الحسن الأحول لتأبط شر ا: الطويل

وقالوا لها: لا تنكحيه فانه ... لأول قرن أن يلاقي مجمعا

يقول: انه يقتل في أول حرب يلقاها لان يتعرض للموت.

فلم تر من رأى فتيلا وحاذرت ... فأيمتها من لابس الليل أروعا

يقول: لم تر من رأى حزم ما يساوي فتيلا في تركها تزوجي. والفتيل: المستطيل في بطن النواة.

قليل غرار العين اكبر همه ... دم **الثأر** أو يلقى كميا مشيعا

الغرار: النوم القليل، والغرار في غير هذا: حد السيف ونحوه. والغرار: المثال، يقال: بيوتهم على غرار واحد أي على مثال واحد. والغرار: كساد السوق، يقال: لسوقنا درة وغرار: أي نفاد وكساد. والكمي: الشجاع سمي بذلك لأنه يتكمى القتال والشر أي يتعمدهما، وقيل سمي بذلك لأنه يتكمي شجاعته أي يسترها. والمشيع: أيضا الشجاع.

يماصعه كل يشجع يومه ... وما ضربه هام العدى ليشجعا

المماصعة: المماكرة بالسيوف وكذلك الصاع. وقوله يشجع يومه الذي يلقى فيه وما لغو، والمعنى: ضربه هام العدى ليوصف بالشجاعة. وقال ثعلب: الأجود أن تكون ما جحد، والمعنى إن خلقته خلقة الشجعان. فشجاعته طبع، وليس ضربه هام العدى ليوصف بالشجاعة ولكن طبعا.

قليل ادخار اللحم إلا تعلة ... فقد نشر الشرسوف والتصق المعا

يقول: لا يعتلف من اللحم إلا بمقدار ما يتعلل به. ونشر الشرسوف يقول: بدا حجم شراسفه لالتقاء العقلب والصفاق، والشرسوف: غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف.

يبيت بمعنى الوحش حتى ألفنه ... فأصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

ولكن أرباب المخاض يشفهم ... إذا ما رأوه حاسرا أو مقنعا

يقول: أن أرباب الإبل هم يحزنون من أجله ويخافونه لأنه يطردها على كل حال حاسرا كان أو ذا سلاح.

والمخاض: الحوامل من الإبل واحدتها خلف من غير لفظها.

وإني وإن عمرت أعلم أنني ... ألاقي سنان الموت يبرق أصلعا

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال حدثني أبي وأخبرنا أبو القاسم الصائغ قال حدثنا ابن قتيبة قال أخبرني السجستاني عن أبي عبيدة في قوله تعالى: (وظل ممدود) قال: دائم لا تنسخه الشمس قال أبو محمد: وفي الأثر (ظل الجنة سجبح) قال معناه لا حر فيه ولا برد. وقال بعض العلماء هو بمنزلة عداوات الصيف قبل طلوع الشمس. ومعنى ظل الجنة إنما هو ومنه قول الناس: فلان في ظل فلان أي في ذراه وكنفه، وظل الليل سواده لأنه يسكن فيستر بظلمته كل شيء، قال ذو الرمة: البسيط." (١)

"٣-١-ب ... / شخصية الأب.. الذي هو الآخر، يحمل نفس الأمنية في أن يقتل الابن شبح// وهم الأم في نفسه. إنه يرغب في أن يجد ابنه رجلا كامل الرجولة، متحررا من هيمنة// سلطة الأم ودلالها ((الزائد)) وأيضا يرغب في قرارة نفسه ألا يساعد أمه عليه في أي أمر يقع بينه وبين الأم. إن دور الرجل// الأب، في العائلة هو دور تسلطي على الأم والأبناء في الوقت نفسه خاصة في مجتمعاتنا الشرقية منذ مئات السنين لأن مجتمعاتنا هي مجتمعات أبوية، وأن المرأة// الزوجة فيها مسلوبة الإرادة ومغلوب على أمرها، هي أداة للمتعة والإنجاب إنها كائن بيتي يعيش في الظلام مما يدفعها إلى احتضان أبنائها الذكور منهم خاصة أنهم يشكلون عندها الجدار الصلب في حمايتها من نزوات الرجل// الزوج المشروعة وغير المشروعة، إن كان ذلك في تركها، أو هجرانها أو طلاقها ... (فمنذ وقت سحيق وحدت الأم وأطفالها الجهود ربما دون وعي وبش كل مبهم للالتفاف حول سلطة الأب الغاشمة بحثا عن التعويض فإلى جانب ما يمثله الأطفال من تأمين للاستقرار وللمستقبل، فهم أيضا بمثابة قرون للاستشعار بالنسبة للأم، والحياة اليومية غنية بأمثلة المشاركة بين الأم وأطفالها في تنفيذ مؤامراتهم الصغيرة.. والطفل يعي جيدا أهمية الخدمات التي يؤديها إلى أمه وعادة ما يكون بارعا في أدائها.. فهو يعلم مقدما قدر العرفان الذي سيلاقيه.. ولكن يظل أبرز ما في الأمر هو شعوره العميق بالالتفاف من حول سلطة الأب، والثأر منه من خلال تلك المؤامرات الصغيرة الآمنة نسبيا) ٥-.." (٢)

"بعد أن تعرفنا على أسطورتي ((أوديب)) و((جودر)) وما تمثلانه من عقدتي (الأب) و(الأم) سنتعرف في السطور القادمة على أسطورة أخرى، فهمت على أنها تشكل عقدة تقف بالنقيض من عقدة ((أوديب)) كما أراد لها التفكير الشعبي الإغريقي، وكما فهمها التحليل النفسي.. هذه الأسطورة، هي أسطورة ((أورست)) كما طرحها (أسخيلوس) في ثلاثيته (أجا ممنون) وماطرحته الأسطورة تلك من عقدة، هي عقدة

---

(١) أخبار أبي القاسم الزجاجي، ص/٣٨

(٢) ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، ص/٦٠

((قتل الأم)). بعد موت ((أثريوس))، قسمت المملكة بين ابنيه: (أجا ممنون) و (مينيلاس) اللذان تزوجا من شقيقتين، هن ((كلايتيمينسترا))، و((هيلين)) وكان (مينيلاس) قد زاره (بارس) ابن ملك طروادة، الذي أحب ((هيلين)) وهرب معها. وكان ذلك السبب في حروب طروادة. وتجمع اليونانيون في (اوليس) تحت قيادة (أجا ممنون). إلا أن مغادرة الحملة تأخرت بسبب هبوب عاصفة. وقد أخبر ((أجا ممنون)) من قبل متنبئه بأن العاصفة لا يمكن تهدئتها إلا بالتضحية بابنته (أفجينيا). فأرسل بطلبها من أمها بدعوى أنها ستتزوج من (أخيلس) وقام بذبحها.. عندها أبحرت الحملة إلى طروادة. بعد أن عرفت الأم بذلك، قامت بإبعاد ابنها((أوريستيس)) وكان صبيا، وتآمرت مع (أجيشوس) ابن ((ثايستيس)) ضد زوجها، وعندما عاد الزوج قتلته بالتواطؤ مع عشيقها (أجيشوس). بعد سنوات يستلم (أورستيس) من كاشف غيب (أبولو) أمر **بالثأر** من قاتل أبيه، فيعود سرا مع صديقه (بيلادس) إلى مدينته ويلتقي بأخته (أيليكترا) وبمساعدتها يقوم بقتل أمه وعشيقها. تعقد محكمة لمحاكمته.. ويبرأ من التهمة٧-.

*** ***

٣-مناقشة الأساطير:-." (١)

"*عدا الزواج فأنا وليد أبي في الحقيقة.

*أثني على الذكور من كل قلبي. ص٣٨١)).

إذن فالأسطورة هي تمجيد لذكورية المجتمع وإعادة المرأة إلى البيت لتبقى تحت سيطرة الرجل //الزوج.

٤-لماذا قتل ((أوريستيس)) أمه؟

من خلال قراءة متأنية للأسطورة يمكننا الوقوف على الدوافع التي تقف وراء قتل (أوريستيس) لأمه.. وهذه الدوافع هي:

٤-أ/ ... قيام الأم بإبعاده (نفيه) وهذا يعني افتقاده لعاطفة الأمومة.

٤-ب/ ... قيامها بقتل أبيه.. ويشكل هذا العمل جريمة (لا مثيل لها في تاريخ الخبث النسوي) ص٣٥٨ ولهذا فإن (أبولو) يدعي (بأنه لما كان قتل أغا ممنون جريمة، فإن إعدام القاتل لم يكن جريمة) ص٣٨٠.

٤-ج/ ... لما كان (أوريستيس) وحيد أبيه فإن ذلك يعني أنه سيرث العرش بعد موت والده، لكن الأم بعد قتلها لأبيه (زوجها) سلبت منه هذا الحق.

---

(١) ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، ص/٦٥

٤-د/ ... إنها قد قتلت أبيه بالاشتراك مع عشيقها. من خلال هذه الدوافع نصل إلى نتيجة مفادها أن قتل (أوريستيس) لأمه كان قتلا مبررا قانونيا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا وقتذاك لأن قتلها جاء:-

أولا: تلبية لنصوص القانون السائد وقتذاك، كما كان قتلها لزوجها حسب اعتقادها تلبية للقانون أيضا.

(إن القانون لا يزال باقيا، مادام زيوس حاكما).

(الآثم يجب أن يعاقب –إنه أمر) ص٣٤٩.

ثانيا: تلبية للأمر الصريح من (أبولو) بأن يثأر لأبيه.. وقد هدده بأقسى العقوبات إن لم يفعل ذلك. وليس له من خيار غير ذلك.

ثالثا: إن قتلهما (الأم وعشيقها) هو تطهير للأسرة من الإثم، لهذا فأنصار (أوريستيس) يعتبرونه (مطهرا أو منقذا عين بصورة إلهية (... .) وعليه، بتطهيره الأسرة، أن يتولى مسؤولية تلوثها بنفسه) ص٣٥٢.

(آه هل يرى بعد أوريستيس نور الحياة).

(فلعله يعود بمؤاتاة الحظ إلى بيته).

(ويبرهن على أنه الملك المنفذ حكم الإعدام بكليهما؟) ص٣٥٠.." (١)

"قال الصولي، فحدثني يموت بن المزرع، قال: حدثني الجاحظ، قال: قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون " وكان كثيرا ما يعارضه بقوله في الإجبار " أسألك عن مسألة؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي! فقال له: أجبه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرضك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها. فقال له ثمامة: حركها من أمه زانية. فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامة: ناقص الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون، وقال له: ألم أقل لك أن تشغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك، فقال لي: يا أبا معن، أما أغناك الجواب عن السفه؟ فقلت: إن من أتم الكلام ما قطع الحجة، وعاقب على الإساءة، وشفى من الغيظ، وانتصر من الجاهل.

" الجمل المصري "

قال يموت بن المزرع: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرضه شعره قال لغلامه: امض به إلى الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، ثم خله، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون، فجاءه الجميل المصري واسمه

---

(١) ألف ليلة و ليلة وسحر السردية العربية، ص/٦٨

حسين فاستأذنه في النشيد فقال له: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، قال: فهات إذن. فأنشده " من الوافر " :

أردنا في أبي حسن مديحا ... كما بالمدح تنتجع الولاة

فقلنا: أكرم الثقلين طرا ... ومن كفاه دجلة والفرات

فقالوا: يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاة

فقلت لهم وما يغني عيالي ... صلاتي إنما الشأن الزكاة

فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتضحي لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر، وقال: من أين لك هذا؟ قال: من قول أبي تمام الطائي " من الكامل " :

هن الحمام فإن كسرت عيافة ... عن حائهن فإنهن حمام

فأعطاه مائة دينار، رحمهما الله تعالى، وعفا عنهم.

" إبراهيم بن المهدي "

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا يموت بن المزرع، عن الجاحظ، قال: أرسل إلي ثمامة يوم جلي المأمون لإبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم، فحضروا، فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك، ولا حفظك، ولا رعاك، ولا كلأك، يا إبراهيم؛ فقال له إبراهيم؛ على رسلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحت ولي ثأري والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل، هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وأن تعف فبفضلك. قال: فأطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: إن هذين أشارا علي بقتلك؛ فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به، وما غشاك إذ كان ما كان مني، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسم المأمون، وأقبل على ثمامة، ثم قال: إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي حديده، وردوه إلي مكرما. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى المنادمة، وارجع إلى الأنس، فلم ترى مني أبدا إلا ما تحب. فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه: " من الكامل " :

يا خير من ذملت يمانية به ... بعد الرسول لآيس أو طامع

وأبر من عبد الإله على الهدى ... نفسا وأحكمه بحق صادع

عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج ... فالموت في جرع السمام الناقع

متيقظا حذرا وما يخشى العدا ... نبهان من وسنات ليل الهاجع

والله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيف راكع." (١)

"فإن لم تعاطوا الحق فالسيف بيننا ... وبينكم والسيف أجور جائر

فتظافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد، فلحقنا بالنمر بن عثمان فو الله ما فت فى أعضادنا، فإنا عنهم ولقد **أثأرنا** صاحبنا وهم راغمون، فوثب طريف بن العاصى من مجلسه فجلس بإزاء الحارث ثم قال: تالله ما سمعت كاليوم قولا أبعد من صواب، ولا أقرب من خطل، ولا أجلب لقدع من قول هذا، والله أيها الملك! ما قتلوا بهجينهم بذجا، ولا رقوا به درجا؛ ولا أنطوا به عقلا، ولا اجتفؤا به خشلا؛ ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم، وأجلاهم عن محلهم؛ حتى استلانوا خشونة الإزعاج، والجؤا إلى أضيق الولاج، قلا وذلا. قال الحارث: أتسمع يا طريف؟ إني والله ما إخالك كافا غرب لسانك، ولا منهنها شرة نزوانك، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك، وترد جماحك، وتكبت تترعك، وتقمع تسرعك؛ فقال طريف: مهلا يا حارث، لا تعرض لطحمة استنانى، وذرب سنانى، وغرب شبابى، وميسم سبابى، فتكون كالأظل الموطوء، والعجب الموجوء؛ فقال الحارث: إياى تخاطب بمثل هذا القول! فو الله لو وطئتك لأسختك، ولو وهصتك لأوهطتك، ولو نفحتك لأفدتك؛ فقال طريف متمثلا:

وإن كلام المرء فى غير كنهه ... لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

أما والأصنام المحجوبة، والأنصاب المنصوبة؛ لئن لم تربع على ظلعك، وتقف عند قدرك، لأدعن حزنك سهلا، وغمرك ضحلا، وصفاك وحلا؛ فقال الحارث: أما والله لو رمت ذلك لمرغت بالحيض، وأغصصت بالجريض؛ وضاقت عليك الرحاب وتقطعت بك الأسباب؛ ولألفيت لقى تهاداه الروامس، بالسهب الطامس؛ فقال طريف: دون ما ناجتك به نفسك مقارعة أبطال، وحياض أهوال، وحفزة إعجال، يمنع معه تطامن الإمهال؛ فقال الملك: إيها عنكما! فما رأيت كاليوم مقال رجلين لم يقصبا، ولم يثلبا، ولم يلصوا، ولم يقفوا.

قال أبو على: المقاول والأقيال: هم الذين دون الملك الأعظم. تشاولا: تضاربا. وعاث: أفسد والعيث: الفساد. ونزرف الرجل إذا سال دمه حتى يضعف. والهجين: الذى أبو عربى وأمه ليست بعربية. والمقرف:

(١) أمالي ابن المزرع، ص/٧

الذى أمه عربية وأبوه ليس بعربى. والصريح: الخالص. والرباء: الزيادة، يقال: أربى فلان على فلان فى السباب يربى إرباء إذا زاد عليه، وأربى من الراب وهو مقصور، والرباء ممدود: الربا أيضا. وتفاقم الأمر: اشتد. والعقل: الدية، يقال: عقلت فلانا إذا غرمت ديته، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جنايته، والمرأة تعاقل الرجل إلى ثلث ديتا، يريد أن موضحتها وموضحته سواء، فإذا بلغ العقل ثلث الدية صارت دية المرأة على النصف من دية الرجل.." (١)

"وقال الأصمعى: سألت أبا يوسف القاضى بحضرة الرشيد عن الفرق بين عقلته وعقلت عنه فلم يفهم حتى فهمته. ويقال للقوم الذين يغرمون دية الرجل: العاقلة: ويقال: بنو فلان على معاقلهم الأولى، يريد على حال الديات التى كانوا عليها فى الجاهلية، واحدها معقلة، ويقال: صار دم فلان معقلة على قومه، أبي غرما يؤدونه من أموالهم. وعقل الظل إذا قام قائم الظهيرة. وعقل الرجل يعقل عقلا، فى العقل. وعقل الظبى يعقل عقولا إذا صعد فى الجبل فامتنع فيه، والمكان الممتنع فيه يسمى المعقل، وبه سمى الرج لمعفلا، ويقال: وعل عاقل إذا عقل فى الجبل فامتنع فيه. وعقل البعير بعقله عقلا إذا ثنى وظيفة مع ذراعه فشدهما جميعا فى وسط الذراع ونحوه، وعقل الطعام بطنه يعقله عقلا إذا شدة، ويقال: أعطنى عقولا أشر به فيعطيه دواء يمسك بطنه، والدهناء خبراء يقال لها: معقلة، سميت بذلك لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن. ويقال: جاء فلان وقد اعتقل رمحه إذا وضعه بين ركابه وساقه، واعتقل شاته إذا وضع رجلها بين ساقه وفخذه إذا حلبها. ويقال: صارع فلان فلانا فاعتقله الشغزبية، وهو ضرب من الصراع، ولفلان عقلة يعقل بها الناس، وذلك إذا صارعهم عقل أرجلهم. ويقال: على بنى فلان عقالان، يريد بذلك صدقة عامين، ويقال: جار عليهم العامل فأخذ منهم النقد ولم يأخذ العقال، أى الفريضة بعينها، ويقال: يكره أن تشترى الفريضة حتى يعقلها الساعى وهو المصدق. والعقال أيضا: الحبل الذى يعقل به البعير. والعقال: هو أن بعض الخيل إذا مشى يظلع ساعة ثم ينبسط. والعقل: التواء فى الرجل، يقال: بعير اعقل وناقة عقلاء. والعقيلة: كريمة الحى وكريمة الإبل. والعقل: ضرب من الوشى، يقال: جللوا هوادجهم بالعقل والرقم. ويقال: ما له جول ولا معقول، أبي عقل يمسكه. وقال الأصمعى: أرهقت الرجل: أدركته، وقال أبو زيد: أرهقته عسرا، أى كلفته ذلك، وأرهقته إثما حتى رهقه. وقال الأصمعى: رهقته، أى غشيته، وفى فلان رهق، أى غشيان للمحارم، والمرهق الذى يغشاه السؤال والأضياف، ويقال: فاد يفود إذا مات، قال لبيد

---

(١) أمالي القالي، ص/٣٤

رعى خرزات الملك عشرين حجة ... وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وفاد يفيد إذا تبختر الملك عشرين حجة ... وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وفاد يفيد إذا تبختر، وكذلك راس يريس وماس يميس وماح يميح. وفت: أوهن وأضعف. **وأثارنا**: افتعلنا من **الثأر**. والخطل: الخطأ. الكلام القبيح، يقال: أقذع له إذا أسمعه كلاما قبيحا. والبذج: الخروف: وهو فارسى معرب، وكذلك البرق فارسى معرب، وهو الحمل.

وأنطوا لغة فى أعطوا، وقرأت على أبي بكر بن دريد فى شعر الأعشى

جيادك فى الصيف فى نعمة ... تصان الجلال وتنطى الشعيرا

واجتفؤا: صرعوا،قال أبو زيد: جفأه: صرعه وخفأه أيضا والخشل والخشل محرك ومسكن، واحدتهما خشلة وخشلة: شجر المقل. وهذه أمثال كلها، يريد أنهم لم ينالوا **ثأره**. والقل: القلة. والذل: الذلة. والنزوان: الوثوب. والتترع: التسرع إلى الشر، يقال: ترع ترعا فهو ترع إذا كان سريعا إلى الشر، ويقال: ترع ترعا إذا اقتحم الأمور مرحا ونشاطا، قال الشاعر

الباغى الحرب يسعى نحوها ترعا ... حتى إذا ذاق منه جاحما بردا

أي ثبت فلم يتقدم، كذا فسره بعضهم وهو صحيح، أي خمدت حدثته فسكن، وهذا مثل. وطحمة السيل وطحمته بالضم والفتح: دفعته. والدرب: الحدة. والأظل: أسفل خف البعير. والعجب: أصل الذنب. ووهصتك: كسرتك، يقال: وهصه ووسطه ووقصه إذا كسره.

وأوهطتك: صرعتك، قال أبو زيد: يقال ضربه فقحزنه وجحدله وأوهطه إذا صرعه، قال الأموى: هو أن يصرعه صرعة لا يقوم منها، وقال غيره: أوهطه: أهلكه، وأنشد:

أوهطته لما علا إيهاطا ... بكل ماض بيتك النياطا

وتربع: تكف وترفق: يقال: ربع يربع ربعا إذا كف ورفق. والظلع: الغمز. والضحل: الماء القليل وكذلك الضحضاح، والفراش أقل منه. والضهل: القليل من الماء، ومنه يقال: ما ضهل غليه منه شيء. والشول: القليل من الماء يكون فى أسفل القربة والسقاء، قال الأعشى:

حتى إذا لمع الربىء بثوبه ... سقيت وصب سقاتها أشوالها

والنزفة: القليل من الماء والشراب أيضا وجمعها نزف، قال ذو الرمة:." (١)

---

(١) أمالي القالي، ص/٣٥

"قال أبو العباس: الخموش: الخدوش، وهذا رجل قتل من قومه قتلى، فكان نساؤهم يخمشن وجوههن عليهم، فأصابوا بعد ذلك منهم قتلى، فصار نساء الآخرين يخمشن وجوههن عليهن.يقول: لما قتلنا منهم قتلى بعد القتلى الذين كانوا قتلوا منا، حولنا الخموش عن وجوه نسائنا إلى وجوه نسائهم. قال وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب.

عجت نساء بنى زبيد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

قال أبو العباس: العجة: الصوت. والأرنب: موضع. والمجلد: جلدة تمسكها النائحة بيدها، وربما أشارت بها إلى وجهها كأنها ت لطمه بها، وأنشد:

وخرجن حريرات وأبدين مجلدا ... ودارت عليهن المقرمة الصفر

قال أبو العباس: حريرات: حارات الأجواف من الحزن. وقوله: دارت عليهن المقزمة الصفر، يقول: سبين فأجيلت عليهن القداح ليؤخذن أسها، قال ويروى: المكتبة الصفر، يعنى السهام التى عليها أسماء أصحابها مكتوبة؛ ولم يفسر أبو العباس مقرمة ولا أبو بكر.

قال أبو على: وأنا أقول مقرمة: معضضة، وذلك أن الرجل كان يعلم قدحه بالعض.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن هشام بن محمد بن أبى مخنف عن أشياخ من علماء قضاعة قالوا: كان ثلاثة أبطن من قضاعة مجتورين بين الشحر وحضرموت: بنو ناعب، وبنو داهن، وبنو رئام، وكان بنو رئام أقلهم عددا وأشجعهم لقاء، وكانت لبنى رئام عجوز تسمى خويلة، وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء، وكان يدخل على خويلة أربعون رجلا كلهم لها محرم، بنو إخوة وبنو أخوات، وكانت خويلة عقيما، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بنى رئام، فاجتمع بنو رئام ذات يوم فى عرس لهم وهم سبعون رجلا كلهم شجاع بئيس، فطعموا وأقبلوا على شرابهم، وكانت زبراء كاهنة، فقالن لخويلة: انطلقى بنا إلى قوسك أنذرهم، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء، فلما أبصرها القوم قاموا إجلالا لها، فقالت: يا ثمر الأكباد، و أنداد الأولاد، وشجا الحساد؛ هذه زبراء، تخبركم عن أنباء، قبل انحسار الظلماء، بالمؤيد الشنعاء، فاسمعوا ما تقول. قالوا: وما تقولين يا زبراء؟ قالت: واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق؛ إن شجر الوادى ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون عنه معلا؛ فوافقت قوما أشارى سكارى؛ فقالوا: ريح حجوج، بعيدة ما بين الشفروج، أتت زبراء بالأبلق النتوج. فقالت زبراء: مهلا يا بنى الأعزة، والله إنى لأشم ذفر الرجال تحت الحديد، فقال لا فتى

منهم يقال له هذيل بن منقذ: يا خذاق، والله ما تسمين إلا دفر إبطيك، فانصرفت عنه وارتاب قوم من ذوى أسنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلا وبقى ثلاثون فرقدوا فى مشربهم، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناغب فقتلوهم أجمعين، وأقبلت خويلة مع الصباح فوقفت على مصارعهم، ثم عمدت إل خناصرهم فقطعتها، وانتظمت منها قلادة وألقتها فى عنقها، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعوة المهرى، وهو ابن اختها، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول:

يا خير معتمد وأمنع ملجإ ... وأعز منتقم وأدرك طالب

جاءتك وافدة الثكالى تغتلى ... بسوادها فوق الفضاء الناضب

غير أنه سرح اليدين شملة ... عبر الهواجر كالهزف الخاضب

هذى خناصر أسرتى مسرودة ... فى الجيد منى مثل سمط الكاعب

عشرون مقتبلا وشطر عديدهم ... صيابة ملقوم غير أشايب

طرقتهم أم اللهيم فأصبحوا ... تستن فوقهم ذيول حواصب

جزرا لعافية الخوامع بعدما ... كانوا الغياث من الزمان اللاحب

فسمت رجال بنى أبيهم بينهم ... جرع الردى بمخارص وقواضب

فأبرد غليل خويلة الثكلى التى ... رميت بأثقل من صخور الصاقب

وتلاف قبل الفوت ثأرى إنه ... علق بثوبى داهن أو ناعب

فقال: حجر عل مرضاوى الأعذبان والأحمران، أو يقتل بعدد رئام من داهن وناعب، ثم قال:

أخالتنا سر النساء محرم ... على وتشهاد الندامى على الخمر." (١)

"كذا وأفلاذ الفئيد وما ارتمت ... به بين جاليها الوثية ملوذر

لئن لم أصبح داها ولفيفها ... وناعبها جهرا بزاغية البكر

فوارى بنان القوم فى غامض الثرى ... وصورى إليك من قناع ومن ستر

فإنى زعيم أن أروى هامهم ... وأظمىء هاما ما انسرى الليل بالفجر

ثم خرج فى منسر من قومه، ناعبا وداهنا فأوجع فيهم.

قال أبو على: المؤيد: الداهية والأمر العظيم. والنفنف واللوح والسكاك والسكاكة والسحاح والكبد والسمهى:

(١) أمالي القالي، ص/٥٩

الهواء بين السماء والأرض، يقال: لأفعلن ذلك ولو نزوت فى اللوح، ولو نزوت فى السكاك، واللوح بفتح اللام: العطش. وقال أبو زيد: أدوت له آدو أدوا إذا ختلته، قال الشاعر:

أدوت له لآخذه ... فهيهات الفتى حذرا

ويقال: دأيت له أيضا ودألت له بمعنى واحد. وحرق أنيابه إذا حك بعضها ببعض، والعرب تقول عند الغضب يغضبه الرجل على صاحبه: " هو يحرق على الأرم " أى الأسنان، والعصل: المعوجة، واحدها أعصل. والمعل: المنجا. واللجحوج: السريعة المر. والأبلق: لا يكون تنوجا، والعرب تضرب هذا مثلا للشىء الذى لا ينال فتقول:

طلب الأبلق العقوق فلما ... فإنه أراد بيض الأنوق

والأنوق: الذكر من الرخم ولا بيض له، هذا قول بعض اللغويين، وعامتهم يقولون: الأنوق: الرخمة وهى تبيض فى مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء، ليراد بهذا المثل أنه طلب ما لا يقدر عليه، فلما لم يناله طلب ما يجوز أن يناهلن هذا على القول الثانى، فأما على القول الأول، فإنه طلب ما لا يمكن، فلما لم يجد طلب أيضا ما لا يكون ولا يوجد. والعقوق: الحامل، يقال: أعقت الفرس فهى عقوق، ولم يقولوا: معق؛ تركوا القياس فيه، وهذا هو قول الأصمعى، وقد قال بعض اللغويين: يقال عقوق ومعق. والذفر يكون فى النتن والطيب، وهو حدة الريح، والدفر بفتح الفاء لا يكون إلا فى النتن، ومنه قيل للدنيا: أم دفر، وللأمة دفار، فأما الدفر بتسكين الفاء: فالدفع، يقال: دفر فى عنقه. وحذاق: كناية عما يخرج من الإنسان، يقال: حذق ومزق وزرق، وهذا قول ابن الأعرابى. والمغالاة: المباعدة فى الرمى. وقال الأصمعى: الناضب: البعيد، ومنه نضب الماء، أى بعد عن أن ينال. وعيرانه: تشبه العير لصلابتا. والسرح: السهلة رجع اليدين. والشملة: السريعة الخفيفة. ويقال: ناقة عبر أسفار إذا كانت قوية على السفر، وعبر الهواجر إذا كانت قوية على الحر، وأصل هذا كأنه يعبر بها الهواجر والأسفار. والهزف والهجف: الظليم الجافى. والخاضب: الذى قد اكل الربيع فاحمرت طنبوباه وأطراف ريشه. والظنوب: مقدم عظم الساق. ومسرودة: مشكوكة. ومقتبل: مستأنف الشباب. وأشايب: أخلاط من النسا. والصيابة: صميم القوم وخالصهم. وأم اللهيم: الداهية. والحواصب: الرياح التى تسفى الحصباء. والجوامع: الضباع. واللاحب: القاشر، لحبت الشىء قشرته. والمخارص، واحدها مخرص وهو سكين كبير مثل المنجل يقطع به الشجر. وخريص البحر: خليج منه كأنه مخروص، أى مقطوع من معظمه. والصاقب: جبل معروف. وحجر: حرام. والأعذبان: النكاح والأكل. والأحمران: اللحم والخمر. والسر:

النكاح، قال الأعشى:

فلا تنكحن جارة إن سرها ... عليك حرام فانكحن أو تأبدا

والأفلاذ، واحدها فلذ، ويقال: أعطيته حرة من لحم وفلذة من لحم وحذية من لحم، كل هذا ما قطع طولا، فإذا أعطاه مجتمعا قبل: أعطاه بضعة وهبرة ووذرة وقدرة. والفئيد: الشواء، وهو فعيل بمعنى مفعول، يقال: فأدت اللحم إذا شويته، والمفأدك السفود. والمفتأد: المشتوى. والجالان: الناحيتان من اعلاهما إلى أسفلهما، يقال: جال البئر، وجول البئر. ويقال: رجل ماله جول ولا معقول إذا كان ضعيف الرأى أحمق. والوثية: القدر العظيمة. وصورى: ميلى. وزعيم: ضامن، وكذلك قبيل وجميل وكفيل ونمين واحد. ويقال من القبيل: قبلت به أقبل قبالة. وقوله أروى هاما، كانت العرب تقول: إذا قتل الرجل فلم يدرك بثأره خرج من هامته طائر يسمى الهامة فلا يزال يقول: اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله فيسكن، قال ذو الإصبع العدوانى:

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصى ... أضربك حيث تقول الهامة أسقونى.." (١)

"وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشي عن العتبي قال: سئل أعرابي عن امرأة فقال: هي أرق من الهواء، وأطيب من الماء، وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء.

وحدثنا قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: العرب تقول: لا ثناء مع الكبر، ولا صديق لذي الحسد، ولا شرف لسيىء الأدب. قال: وكان يقال: شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء.

وحدثني أبو يعقوب وراق أبي بكر بن دريد قال حدثنا أحمد بن عبيد الجوهري قال سمعت أحمد بن عبد العزيز يقول سمعت أبي يقول: قام رجل إلى معاوية فقال له: سألتك بالرحم التي بيني وبينك؛ فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا؛ قال: أفمن سائر العرب؟ قال: لا؛ قال: فأية رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم؛ قال: رحم مجفوة، والله لأكونن من وصلها؛ ثم قضى حاجته.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قيل لأعرابي قدم الحضرة: ما أقدمك؟ فقال: الحين الذي يغطي العين.

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدثنا محمد بن موسى السامي قال حدثنا الأصمعي قال: مات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدين، سها الخدين؛ فاغفر له وإلا فلا.

---

(١) أمالي القالي، ص/٦٠

وحدثنا قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي عن ابن الأعرابي قال: ضلت ناقة أبي السمال فقال: والله لئن لم يردها الله علي لا أصل أبدا؛ قال: فوجدها متعلقة بزمامها بشجرة؛ فقال: علم الله أنها مني صرى، أي عزيمة. وحدثني أيضا قال حدثني أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: قيل لابنه الخس: ما أحد شيء؟ قالت: ضرس جائع، يقذف في معى ضائع.قيل: فما ألذ شيء؟ قالت: قبلة فتاة فتى، وعيشك ما ذقتها. وقرأنا على أبي بكر بن دريد قول الشاعر:

وخمار عانية شددت برأسها ... أصلا وكان منتشرا بشمالها

هذه امرأة فزعة، أخذت خمارها بيدها، فلما أدركها أمنت فاختمرت؛ ونحو منه بيت عنترة:

ومرقصة رددت الخيل عنها ... وقد همت بإلقاء الزمام

مرقصة: امرأة قد ركبت بعيرا فهي ترقصه، أي تنزيه وتحثه، وقد همت أن تلقي زمامها وتستسلم.

" مطلب استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون وعفوه عنه ورد ماله وضياعه إليه " وحدثنا الأخفش قال: بلغني أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ولى **الثأر** محكم في القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرخاء أمن عادية الدهر، وقد جعلك الله فرق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تأخذ فبحقك، وإن تعف فبفضلك؛ ثم قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعلي ... من الكرام فكنه

فقال: القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وعفو الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول؛ يا إبراهيم، لقد حببت إلي العفو حتى خفت إلا أوجر عليه، لا تثريب عليك، يغفر الله لك. وعفا عنه وأمر برد ماله وضياعه؛ فقال:

رددت مالي ولم تخل علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

فأبت منك وما كافأتها بيد ... هما الحياتان من وفر ومن عدم

وقام علمك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

فلو بذلت دمي أبغي رضاك به ... والمال حتى أسل النعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عارية رجعت ... إليك لو لم تهبها كنت لم تلم." (١)

---

(١) أمالي القالي، ص/٩٥

"وكيف تجلد الأقوام عنه ... ولم يقتل به **الثأر** المنيم

وغشوم حين يبصر مستقاد ... وخير الطالبي الترة الغشوم

وأنشدنا أبو بكر بن أبي الأزهر مستملي أبي العباس محمد بن يزيد قال: أنشدنا الزبير لأبي الهيذام المري في أخيه:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإن بها ما يدرك الماجد الوترا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها من جفن مقلته عصرا

وإنا أناس ما تفيض دموعنا ... على هالك منا وإن قصم الظهرا

وأنشدنا ابو بكر بن الأنباري قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى:

ولقد رأيت مطية معكوسة ... تمشي بكلكلها وتزجيها الصبا

ولقد رأيت سبيئة من أرضها ... تسبي القلوب وما تنيب إلى هوى

ولقد رأيت الخيل أو أشباهها ... تثنى معطفة إذا ما تجتلى

ولقد رأيت جوارا بمفازة ... تجري بغير قوائم عند الجرا

ولقد رأيت غضيضة هركولة ... رود الشباب غريرة عادت فتى

ولقد رأيت مكفرا ذا نعمة ... جهدوه بالأعمال حتى قدوني

قال أبو العباس: المطبة المعكوسة: سفينة. والسبيئة من أرضها: خمر. والخيل أو أشباهها عني بها تصاوير في وسائد. وجواريا بمفازة، عني بهن السراب. والغضيضة الهركولة: امرأة. وعادت، من العيادة. ومكفرا ذا نعمة، عني به السيف.

وأنشدنا أبو بكر بن السراج لعلي بن أبي العباس الرومي:

خجلت خدود الورد من تفضيله ... خجلا توردها عليه شاهد

لم يخجل الورد المورد لونه ... إلا وناحله الفضيلة عاند

للنرجس الفضل المبين وإن أبى ... آب وحاد عن الطريقة حائد

فصل القضية أن هذا قائد ... زهر الرياض وأن هذا طارد

شتان بين اثنين هذا موعد ... بتسلب الدنيا وهذا واعد

وإذا احتفظت به فأمتع صاحب ... بحياته لو أن حيا خالد

ينهى النديم عن القبيح بلحظه ... وعلى المدامة والسماع مساعد

أطلب بعيشك في الملاح سميه ... أبدا فإنك لا محالة واجد

والورد إن فتشت فرد في اسمه ... ما في المل ا ح له سمي واحد

هذي النجوم هي التي ربتهما ... بحيا السحاب كما يربي الوالد

فتأمل الأخوين من أدناهما ... شبها بوالده فذاك الماجد

أين الخدود من العيون نفاسة ... ورياسة لولا القياس الفاسد

وأنشدني أبو المياس قال أنشدني الأخيطل لنفسه بواسط:

سقيا لأرض إذا ما شئت نبهني ... بعد الهدوء بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارقة ... على الميادين أذناب الطواويس

وأنشدنا أبو بكر بن أبي الأزهر قال أنشدنا الزبير:

نجوم وأقمار من الزهر طلع ... لذي اللهو في أكنافها متمتع

نشاوى تثنيها الرياح فتنثني ... ويلثم بعض بعضها ثم ترجع

كأن عليها من مجاجة طلها ... لآلئ إلا أنها هي أملع

ويحدها عنها الصبا فكأنها ... دموع مراها البين والبين يفجع

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو عثمان عن سعيد بن سعدة الأخفش قال: اعتذر رجل من العرب إلى بعض ملوكهم فقال: إن زلتي وإن كانت قد أحاطت بح رمتي، فإن فضلك يحيط بها، وكرمك يوفي عليها، ثم قال:

إني إليك سلمت كانت رحلتي ... أرجو الإله وصفحك المبذولا

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي ... فأحط بذنبي عفوك المأمولا

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو عثمان قال خدثنا أبو قلابة الجرمي قال: تخلفت عن حلقة العتبي أياما، فكتب إلي: تركتنا ترك رجل أوحده جرم، أو أغناه علم، فإن كان عن جرم فعن غير إرادة بقلب ولا تعمد بلسان، وإن كان عن علم غنيت به فتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.." (١)

---

(١) أمالي القالي، ص/١٢٧

"وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو عثمان عن التنوزي عن أبي عبيدة قال: قعد المأمون الحارثي في نادي قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا ثم قال: أرعوني أسماعكم، وأصغوا إلي قلوبكم، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد؛ طمح بالأهواء الأشر، وران على القلوب الكدر، وطخطخ الجهل النظر، وإن فيما نرى لمعتبرا لمن اعتبر أرض موضوعة، وسماء مرفوعة؛ وشمس تطلع وتغرب، ونجوم تسري فتغرب؛ وقمر تطلعه النحور، وتمحقه أدبار الشهور؛ وعاجز مثر، وحول مكد، وشاب مختضر، ويفن قد غبر؛ وراحلون لا يؤوبون، وموقوفون لا يفرطون؛ ومطر يرسل بقدر، فيحيي البشر، ويورق الشجر، ويطلع الثمر، وينبت الزهر؛ وماء يتفجر من الصخر الأير، فيصدع المدر عن أفنان الخضر؛ فيحيي الأنام، ويشبع السوام،وينمي الأنعام؛ إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر، البارئ المصور. يا أيها العقول النافرة، والقلوب النائرة؛ أنى تؤفكون، وعن أي سبيل تعمهون، وفي أي حيرة تهيمون، وإلى أي غاية توفضون؛ لو كشفت الأغطية عن القلوب، وتجلت الغشاوة عن العيون، لصرح الشك عن اليقين؛ وأفاق من نشوة الجهالة، من استولت عليه الضلالة.

قال أبو علي: قوله طمح: ارتفع وعلا. وران: غاب؛ قال عبدة بن الطبيب:

أوردته القوم قد ران النعاس بهم ... فقلت إذ نهلوا من جمهه قيلوا

ران بهم: غلب، قال الله تعالى: "كلا بل ران على قلوبهم " . وطخطخ: أظلم. والمختضر: الذي يموت حدثا، وهو مأخوذ من الخضرة، كأنه حصد أخضر.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: كان شاب من العرب يلقى شيخا منهم فيقول: استحصدت يا عماه! فيقول له الشيخ: يا بن أخي وتختضرون، فمات الشاب قبل الشيخ بمدة طويلة. ويفرطون: يقدمون. وقال أبو عبيدة قال الأموي: الحجر الأير على مثال الأصم: الصلب. وتوفضون: تسرعون، يقال: أوفض إيفاضا إذا أسرع، قال الله جل وعز: "كأنهم إلى نصب يوفضون " . فأما يفيضون فيدفعون، قال الأصمعي: يقال أفاض من عرفة إلى منى أي دفع.

" مطلب ما دار بين معاوية بن أبي سفيان وعرابة بن أوس من الحديث " وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا الرياشي عن العتبي عن رجل من الأنصار من أهل المدينة قال: قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري: بأي شيء سدت قومك يا عرابة؟ قال:

وأصبحت في أمر العشيرة كلها ... كذي الحلم يرضى ما يقول ويعرف

وذاك لأني لا أعادي سراتهم ... ولا عن أخي ضرائهم أتتكف

وإني لأعطي سائلي ولربما ... أكلف ما لا أستطيع فأكلف
وإني لمذموم إذا قيل حاتم ... نبا نبوة إن الكريم يعنف

ووالله إني لأعفو عن سفيههم، وأحلم عن جاهلهم، وأسعى في حوائجهم، وأعطي سائلهم؛ فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني، ومن قصر عن فعلي فأنا خير منه؛ فقال معاوية: لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم:

ألوم النائبات من الليالي ... وما تدري الليالي من ألوم
ولكن المنية لو أصيبت ... بمصرعه هي الثأر المنيم
وكان أخي زعيم بني حيي ... وكل قبيلة لهم زعيم
وكنت إذا الشدائد أرهقتني ... يقوم بها وأقعد لا أقوم

وأنشدنا أبو بكر عن أبي حاتم للعجير السلولي:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا ... بمر ومردي كل خصم يجادله
تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... إذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله
فتى قد قد السيف لامتضائل ... ولا رهل لباته وبآدله
إذا القوم أموا بيته فهو عامد ... لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله
جواد بدنياه بخيل بعرضه ... عطوف على المولى قليل غوائله
فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله
إذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطل إن شئت أرضاك باطله." (١)

"وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن أبي زيد قال: سأل الوليد بن عبد الملك أباه عن السياسة، فقال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع؛ فإن شكرها أقرب الأيادي إليها.

---

(١) أمالي القالي، ص/١٣٠

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لبعض الحكماء: ما الداء العياء؟ فقال: حسد ما لاتناله بقول ولا تدركه بفعل.

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال سمعت أعرابيا يقول: من لم يضن بالحق عن أهله فهو الجواد. وسمعت آخر يقول: الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس. وسمعت آخر يقول: سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل.

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: شاور أعرابي ابن عم له فأشار عليه برأي، فقال: قد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره وحزنه بسهله ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره، وقد وعيت النصح منه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لاشك في مودته وصافي غيبه؛ وما زلت بحمد الله إلى الخير منهجا واضحا وطريقا مهيعا.

قال أبو علي: المهيع: الواضح.

" ما كان زياد يقوله للرجل إذا أراد أن يوليه عملا " وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال: كان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له: خذ عهدك وسر إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك: إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك. وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك، وأحسنا على خيانتك أدبك؛ وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك. وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين؛ وإم وجدناك أمينا قويا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كنا ببباب الفضل بن الربيع والآذن يأذن لذوي الهيئات والشارات، وأعرابي يدنو فكلما دنا صرخ به، فقام ناحية وأنشأ يقول:

رأيت آذننا يعتام بزتنا ... وليس للحسب الزاكي بمعتام

ولو دعينا على الأحساب قدمني ... مجد تليد وجد راجح نامي

متى رأيت الصقور الجدل يقدمها ... خلطان من رخم قزع ومن هام

وقرأت على أبي بكر بن دريد رحمه الله لطفيل الغنوي:

وأصفر مشهوم الفؤاد كأنه ... غداة الندى بالزعفران مطيب

تفلت عليه تفلة ومسحته ... بثوبي حتى جلده متقوب

يراقب إيحاء الرقيب كأنه ... لما وتروني أول اليوم مغضب

أصفر يعني قدحا. مشهوم الفؤاد أي كأن فؤاده مذعور من سرعة خروجه. والشهم: الحديد الفؤاد الذكي. وقوله: بالزعفران، أراد: قد أصابه الندى فاصفر كأنه مطيب بالزعفران. وروى الأصمعي: وأصفر مسموم الفؤاد يعني قدحا محزوز الصدر، وكل ثقب فهو سم وسم، فجعل الحز ثقبا وجعل صدر القدح فؤاده. وقوله تفلت عليه، يقول: كان ضرب به فتترب، فتفلت عليه ومسحته بثوبي ليتلمس فيكون أسرع لخروجه. ومتقوب: مقشر، وقوابته قشره. وقوله: يراقب إيحاء الرقيب، يقول: كأن هذا القدح بصير بما يراد منه، فهو يلامح الرقيب، فإذا قيل للمفيض أفضفكأنه يوحي إليه إيحاء. وقوله: لما وتروني، يقول: كأنه مغضب لقهرهم إياي في أول النهار فهو يثأر لي.

" ما قاله بعض العرب يهجو أخاه الشقيق " قال أبو علي: أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيي عن ابن الأعرابي قال قال رجل لأخيه: لأهجونك، قال: وكيف تهجوني وأبونا واحد وأمنا واحدة! فقال:

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه ... ولم يأته من نحو أم ولا أب

قال وقال آخر يهجو أخاه:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن ... تفاضلت الطبائع والظروف

وأمك حين تنسب أم صدق ... ولكن ابنها طبع سخيف

وقومك يعلمون إذا التقينا ... من المرجو منا والمخوف

" قصيدة جميل بن معمر التي أولها:

وقلت لها اعتللت بغير ذنب ... وشر الناس ذو العلل البخيل

قال أبو علي: وقرأت على أبي بكر بن دريد لجميل:." (١)

"فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا عبد الأول قال سمعت الكتنجي يقول: أملقت حتى لم يبق في منزلي إلا بارية، فدخلت إلى دار المتوكل فلم أزل مفكرا فحضرني بيتان، فأخذت فصبة وكتبت على الحائط الذي كنت إلى جنبه:

---

(١) أمالي القالي، ص/١٧٠

الرزق مقسوم فأجمل في الطلب ... يأتي بأسباب ومن غير سبب
فاسترزق الله ففي الله غنى ... الله خير لك من أب حدب
قال: فركب المتوكل في ذلك اليوم حمارا وجعل يطوف في الحجر، ومعه الفتح بن خاقان، فوقف على البيتين وقال: من كتب هذين البيتين؟ وقال الفتح: اقرأ هذين البيتين، فاستخسنهما وقال: ومن كان في هذه الحجرة؟ فقيل: الكتنجي، فقال: أغفلناه وأسأنا إليه، وأمر لي ببدرتين.
قال أبو علي: العوام تقول: بارية وهو خطأ، والصواب باري وبري، قال الراجز:
كالخص إذ جلله الباري
وهو بالفارسية " بوريك " فأعرب على ما أنبأتك به.
وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الأول قال أنشدني حماد قال أنشدني أبي لنفسه:
لما رأيت الدهر أنحت صروفه ... هلي وأودت بالذخائر والعقد
حذفت فضول العيش حتى رددتها ... إلى القوت خوفا أن أجاء إلى أحد
وقلت لنفسي أبشري وتوكلي ... على قاسم الأرزاق والواحد الصمد
فإن لا تكن عندي دراهم جمة ... فعندي بحمد الله ما شئت من جلد
وقرأت على أبي عمر قال أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:
هممت بأمر هم عبدي بمثله ... وخالف زفاف هواي فأبعدا
يقول: رأيت رأي عبد، لأن العبد لا أرى له، وخالف زفاف هواي أي كان رأيه صوابا ولم يرد عبدا له بعينه.
وحدثنا أبو بكر قال حدثنا عبد الأول عن أبيه قال: حضرت مجلس الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة، فجعل الرجل يشكر ويدعو له، فقال الحسن: يا هذا، علام تشكرنا! إنا نرى الشفاعات زكاة مروءتنا.
قال: وحضرته وهو يمل كتاب شفاعة فكتب في آخره: إنه بلغني أن الرجل يسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يسأل عن فضل ماله.
وأنشدنا أبو عبد الله قال أنشدنا أحمد بن يحيى:
فأقسم ما تركي عتابك عن قلى ... ولكن لعلمي أنه غير نافع
وأني إذا لم ألزم الصمت طائعا ... فلابد منه مكرها وغير طائع
ولو أن ما يرضيك عندي ممثل ... لكنت لما يرضيك أول تابع

إذا أنت لم تنفعك إلا شفاعة ... فلا خير في ود يكون بشافع

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي:

قال لي القائلون زرت حسينا ... لا يزار الكريم في جرجان

خالد باللها يجود ويعطي ... وحسين يجود بالحرمان

ضاع مفتاح جوده جوف بحر ... حيث ظل البحران يلتقيان

فسألنا الغواص عنهفقالوا ... صيغ منه قلائد الحيتان

وأنشدنا محمد بن القاسم قال أنشدني أبي قال أنشدني عبد الله الرستمي لعبد الله بن كعب العميري:

أيا نخلتي مران هل لي إليكما ... على غفلات الكاشحين سبيل

أمنيكما نفسي إذا كنت خاليا ... ونفعكما إلا العناء قليل

ومالي شيء منكما غير أنني ... أمني الصدى ظليكما فأطيل

قال وأنشدني أبي:

تبدل هذا السدر أهلا وليتني ... أرى السدر بعدي كيف كان بدائله

وعهدي به عذب الجنى ناعم الذرى ... تطيب وتندى بالعشي أصائله

فمالك من سدر ونحن نحبه ... إذا ما وشى واش بنا لا تجادله

قال أبو علي قال لنا أبو بكر: هذا مثل قول كثير:

فيا عز إن واش وشى بي عندكم ... فلا تكرميه أن تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بعزة عندنا ... لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

" ترجمة امرئ القيس بن ربيعة الملقب بمهلهل أخي كليب وما وقع له من أخذه بثأر أخيه وقصيدته الرائية التي أولها:

أليلتنا بذي حسم أنيري." (١)

"قال أبو علي وقرأت على أبي بكر بن دريد وأملى علينا أبو الحسن الأخفش قال: مهلهل بن ربيعة - ومهلهل لقب - وإنما سمي مهلهلا بقوله:

لما توعر في الغبار هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

---

(١) أمالي القالي، ص/١٩١

هذا قول أبي الحسن وأبي بكر إلا أن أبا بكر روى:
لما توقل في الكراع هجينهم
قال أبو علي: الكراع: أنف الحرة. وقرأت على أحمد عن أبيه: غنما سمي مهلهلا لأنه أول من أرق المراثي، واسمه عدي، وفي ذلك يقول:
رفعت رأسها إلي وقالت ... يا عديا لقد وقتك الأواقي
وقال :
أليلتنا بذي حسم أنيري ... إذا أنت انقضيت فلا تحوري
قال أبو علي: ذي حسم: موضع. وتحوري: ترجعي، يقال: ماله لا حار إلى أهله أي لا رجع إليهم، ويقال: نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة؛ قال أبو علي: الكور مأخوذ من كور العمامة كأنه رجع عما كان أحكمه من الخير وشده. ومثل من أمثالهم: " حور في محارة " يضرب مثلا للرجل ينقص بعد الزيادة. قال ابو علي: وقال أبو عبيدة: الحور: الهلكة.
فإن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد أبكي من الليل القصير
يقول: إن كان طال ليلي بهذا الموضع لقتل أخي فقد كنت أستقصر الليل وهو حي.
وأنقذني بياض الصبح منها ... لقد أنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عوذ ... معطفة على ربع كسير
العوذ: الحديثات النتاج واحدتها عائذ، وإنما قيل لها عوذ، لأن أولادها تعوذ بها. والربع: ما نتج في الربيع، يقول: كأن كواكب الجوزاء نوق حديثات النتاج عطفت على ربع مكسور فهي لا تتركه وهو على النهوض.
كأن الجدى في مثناة ربق ... أسير أو بمنزلة الأسير
المثناة: الحبل. قال أبو علي: والمثناة هاهنا عندي: المثني. والربق: الحبل، والربق: الشد بالربق، فيقول: كأن الجدى قد شد بحبل مثني فهو أحكم لشده، وكان أبو الحسن يقول: المثناة هاهنا: الحبل، والربق: الشد. قال أبو علي: ولا أعرف الربق الشد إلا عنه.
كأن النجم إذ ولى سحيرا ... فصال خلن في يوم مطير
النجم: الثريا، إنما شبهها بالفصال في يوم مطير لبطئها، وذلك أن الفصيل يخاف الزلق فلا يسرع.
كواكبها زواحف لا غبات ... كأن سماءها بيدي مدير

الزواحف: المعييات التي لا تقدر على النهوض. واللواغب: مثلها، كرره توكيدا لما اختلف اللفظ. وكان أبو الحسن يقول: كان يجب أن يقول مزاحف، لأنه جمع مزحف لأنه يقال: أزحف، فإما حذف الزائد وإما جعله كالمنسوب كقولهم: ليل غاض وما أشبهه، أرادوا مغض أو أرادوا ذو غضو، وأنكر زحف. قال أبو علي: زحف صحيح، يقال: زحف المعيي وأزحف أي لم يقدر على النهوض مهزولا كان او سمينا. وقوله: كأن سماءها بيدي مدير، يريد أن سماءها أثقل من أن يديرها مدير، فهو إذا تكلف إدارتها لم يقدر عليها.

كواكب ليلة طالت وغمث ... فهذا الصبح واءمة فغوري

وتسألني بديلة عن أبيها ... ولم تعلم بديلة ما ضميري

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيخبر بالذنائب أي زير

يقال: هو زير نساء، وتبع نساء، وطلب نساء، وحلم نساء، وخلب نساء، إذا كان يتحدث إليهن ويطلبهن ويتبعهن ويهواهن ويخالبهن، والخبر محذوف كأنه قال: أي زير أنا.

بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور

وإني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

الشعثمان: موضع معروف. وبجير بن الحارث بن عباد قتله مهلهل، فلما بلغ خبره أباه قال نعم القتيل قتيلا أصلح بين بكر وتغلب! فقيل له: إن مهلهلا حين قتله قال: بؤ بشسع نعل كليب. قال أبوعلي قوله: بؤ بشسع نعل كليب أمر من قولهم باء الرجل بصاحبه بؤءا إذا قتل به وكان كفأ له أي مت بشسع نعل كليب، فأنت في القود كفء له أي كفء، ويقال: القوم بواء أي أمثال في القود مستوون قالت ليلى الأخيلية:

فإن تكن ،القتل بواء فانكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فحينئذ قال الحارث:." (١)

"والأصل فيه ما أنبأتك، ثم كثر حتى قيل لكل مضياع: مسياع، ولكل مضيع: مسيع. ويقولون: وحيد قحيد، وواحد قاحد، وهو من قولهم: قحدت الناقة اذا عظم سنامها، والقحدو: السنام، ويقال أقحدت أيضا، أنه واحد عظيم القدر والشأن في شيء واحد خاصة. ويقولون: أشر أفر، فالأشر: البطر المرح، وكذلك الأفر عند ابن الأعرابي، فأما الأفر والأفور فالعدو، يقال: أفر يأفر أفرا. ويقولون: هذر مذر، فالهذر: الكثير الكلام، والمذر: الفاسد مأخوذ من قولهم:مذرت البيضة تمذر مذرا اذا فسدت، ومذرت معدته أيضا. ويقولون:

---

(١) أمالي القالي، ص/١٩٢

لحز لصب، فاللحز: البخيل، واللصب: الذي لزم ما عنده، مأخوذ من قولهم: لصب الجلد باللحم يلصب لصبا اذا لصق به من الهزال، وقال أبو بكر بن دريد: لصب السيف يلصب لصبا اذا تشب في جفنه فلم يخرج. ويقولون: حقر نقر، وحقير نقر، وأصل هذا في الغنم والبقر، فالنقر: الذي به النقرة، وهو داء يأخذ الشاة في شاكلتها ومؤخر فخديها، فيثقب عرقوبها ويدخل فيه خيط من عهن ويترك معلقا، وإذا كانت الشاة كذلك كانت هينة على أهلها، قال المرار العدوي:

وحشوت الغيظ في أضلاعه ... فهو يمشي حظلانا كالنقر

الحظلان: أن يمشي رويدا ويظلع، ويقال: قد حظلت تحظل حظلا إذا ظلعت، وقال ابن الأعرابي: شاة حظول إذا ورم ضرعها من علة فمشت رويدا وظلعت، وأصل الحظل المنع، وأنشد يعقوب:

تعيرني الحظلان أم محلم ... فقلت لها لم تقذفيني بدائيا

فإني رأيت الصامرين متاعهم ... يذم ويفنى فارضخي من وعائيا

فلن تجديني في المعيشة عاجزا ... ولا حصرما خبا شديدا وكائيا

الصامرين: المانعين الباخلين، يقال: صمر يصمر صمورا إذا بخل. والحصرم: البخيل أيضا، وأصل الحصرمة شدة الفتل، يقال: حصرم حبله وحصرم قوسه إذا شد وترها. ويقال: حظلت عليه، وحجرت عليه، وحصرت عليه، وقال يعقوب: الحظلان: مشى الغضبان. وقال يعقوب: قال الغنوي: عنز نقرة، وتيسنقر، ولم أر: كبشا نقرا، وهو ظلع يأخذ الغنم، ثم قيل لكل حقير متهاون به: حقر نقر، وحقير نقير، وحقر نقر، ويجوز أن يراد به النقير الذي في النواة ، فيكون معناه حقيرا متناهيا والمذهب الول أجود. ويقولون: ذهب دمه خضرا مضرا، أي باطلا، فالخضر: الأخضر، ويقال: مكان خضر، ويمكن أن يكون مضرلغة في نضر، ويكون معنى الكلام أن دمه بطل كما يبطل الكلأ الذي يحصده كل من قدر عليه، ويمكن أن يكون خضر من قولهم: عشب أخضر اذا كان رطبا، ومضر: أبيض لأن المضر، إنما سمي مضرا لبياضه، ومنه مضيرة الطبيخ، فيكون معناه أن دمه بطل طريا، فكأنه لما لم يثأر به فيراق لأجله الدم بقي أبيض، وقال بعض اللغويين: الخضرة بقيلة، وجمعها خضر، وأنشد فيه بيتا لابن مقبل:

تقتادها فرج ملبونة خنف ... ينفخن في برعم الحوذان والخضر

ويقولون: شكس لكس، فالشكس: السيء الخلق، واللكس: العسير. ويقولون: رطب صقر مقر، فالصقر: الكثير الصقر، وصقره: عسله، والمقر: المنقوع في العسل ليبقى، وكل شيءأنقعته في شيء فقد مقرته

وهو ممقور ومقير، ومنه السمك الممقور وهو الذي قد أنقع في الخل، ويقولون: سغل وغل، قال: السغل: المضطرب الأعضاء السيء الخلق، كذا قال الأصمعي؛ وقال غيره: السغل: السيء الغذاء، فأما الوغل: فالسيء الغذاء لا أعرف فيه اختلافا، والوغل في قول أبي زيد: المقصر، وفي قول الأصمعي: الداخل في قوم ليس منهم. ويقولون: سمج لمج، فاللمج: الكثير الأكل الذي يلمج كل ما وجده أي يأكله، قال لبيد:

يلمج البارض لمجا في الندى ... من مرابيع رياض ورجل

ويقولون: ثقف لقف، وثقف لقف، واللقف: الجيد الالتقاف. ويقولن: وتح شقن، ووتح شقن، ووتيح شقين. فالوتح: القليل والشقن مثله، وتحت عطيته، وشقنت وأشقنتها أنا. ويقولون: عابس كابس، فالعابس من عبوس الوجه، وكابس يكبس. ويقولون: حائر بائر، فالحائر: المتحير، والبائر: الهالك، والبوار: الهلاك، وقال أبو عبيدة: رجل بائر وبور بضم الباء أي هالك، قال ابن الزبعري:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور." (١)

"لا تخافي إن غبت أن نتناسا ... ك ولا إن وصلتنا أن نملا

إن تغيبي عنا فسقيا ورعيا ... أو تحلى فينا فأهلا وسهلا

" جملة من أمثال العرب " قال أبو علي قال أبو زيد: من أمثال العرب: " للأفشنك فش الوطب " يقوله الرجل للاخر إذا رآه منتفخا من الغضب أي لأذهبن إنتفاخك، يقال: فششت الوطب أفشه فشا إذا حللت وكاءه وهو منفوخ فيخرج منه ما فيه من الريح. وقال الأصمعي من أمثالهم: " هما كعكمى عير " يقال للشيئين المستويين، ويقال: " هما كركبتي البعير " وهو مثله، ويقال: " سواسية كأسنان الحمار " مثله، وسواسية: مستوون، ولم يعرف الأصمعي لسواسية واحدا. ويقال: " هم كأسنان المشط " .

قال اللحياني: يقال: إنتقع لونه، وإستفع لونه من السفعة وهي السواد، واهتقع لونه، والتمع لونه،والتمى لونه، وإستقع لونه، والتقع، وإستنقع، وإبتسر، والتهم، وإنتسف، وإنتشف.

" ما يقال في الدعاء على الإنسان " وقال اللحياني: ويقال في الدعاء على الإنسان: ماله عبر وسهر، وحرب وجرب ورجل، قال: ورجل من الرجلة؛ قال أبو علي: وعبر من العبرة، وحرب من الحرب، والحرب: السلب، وكان أبو بكر بن دريد يقول: إشتقاق الحرب من الحرب. وقال اللحياني يقال: آم وعام، فآم: ماتت امراته. قال أبو علي: وعام: إشتهى اللبن، يراد بذلك ذهبت إبله وغنمه فعام إلى اللبن. قال: ويقال: ماله مال وعال،

(١) أمالي القالي، ص/٢٣٠

فمال: جار، وعال: إفتقر. ويقال: ماله شرب بلزن ضاح أي في ضيق مع حر الشمس. قال أبو علي: اللزن: الضيق. والضاحى: البارز للشمس الذي لا يستره شيء. قال ويقال: ماله أحر الله صداه أي أعطش اله هامته. قال أبو علي: ومضى هذا الكلام أي قتل فلم يثأر به لأن العرب تزعم أن القتيل يخرج من هامته طائر يسمى الهامة فلا يزال يصيح على قبره: إسقوني إسقوني حتى يقتل قاتله، ومنه قول ذي الأصبع العدواني:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة إسقوني

يعني رأسه. ويقولون: ماله أبلاه الله بالحرة تحت القرة أي العطش والبرد. قال أبو علي: الحرة: حرارة الجوف من العطش، قال الشاعر:

ما كان من سوقة أسقى على ظمأ ... ماء بخمر إذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب ثم عي به ... زو المنية إلا حرة وقدى

قال أبو علي: يريد عيي به. والزو: الهلاك. قال: ويقولون: ماله وراه الله، والورى: سعال يقيء منه دما وقيحا. والعرب تقول للبغيض إذا سعل: وريا وقحابا، فالقحاب: السعال. وللحبيب إذا عطس: عمرا وشبابا. قال أبو علي: الورى مصدر، والورى الاسم؛ قال اللحياني: وحكى عن أبي جعفر قال: العرب تقول: بقيه لبرى - وهو التراب - وحمى خبيرا - أي خبير - فإنه خسيرا أي ذو خسر.

" وصف أكرم الإبل " قال وحدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: قيل ل إمرأة من العرب: أي الإبل أكرم؟ قالت: السريعة الدرة، الصبور تحت القرة، التي يكرمها أهلها إكرام الفتاة الحرة. قالت الأخرى: نعمت الناقة هذه، وغيرها أكرم منها، قيل: وما هي؟ قالت: الهموم والرموم، القطوع للديموم، التي ترعى وتسوم، أي لا يمنعها مرها وسرعتها أن تأخذ؛ والرموم: التي لا تبقي شيئا، والهموم: الغزيرة.

" وصف سعيد بن العاص لنفسه " قال وحدثنا أبو عبد الله قال حدثنا أحمد بن يحي قال: قال سعيد بن العاص: ما شتمت رجلا مذ كنت رجلا، ولا زاحمته بركبتي، ولا كلفت ذا مسئلتي أن يبذل ماء وجهه فيرشح جبينه رشح السقاء.

" شعر عبد الرحمن بن حسان في رجل سأله حاجة فلم يقضها وقضاها آخر " قال وحدثنا أبو عبد الله قال حدثنا محمد بن عيسى الأنصاري عن ابن عائشة قال: سأل عبد الرحمن بن حسان رجلا حاجة فقصر فيها فسألها غيره فقضاها، فكتب عبد الرحمن إلى الأول:

ذممت ولم تـحمد وأدركت حاجتي ... تولى سواكم شكرها واصطناعها

أبى لك فعل الخير رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا هي حثته على الخير مرة ... عصاها وإن همت بسوء أطاعها

" تعريض بعض الأعراب لإبنه وقد أسر لينجو بعد أن اشتط آسروه في الفداء "." (١)

"فما راعني إلا مناد ترحلوا ... وقد لاح معروف من الصبح أشقر

ولما رأت من قد تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فأثأر

فقالت أتحقيق لما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أهدى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... وما لي من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تجعلا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تذري دمعة تتحدر

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فقامت إليها حرتان عليهما ... كساآن من خز بنفس وأخضر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي ... وبردي وهذا الدرع إن كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا نحن نذكر

ويروى:

ونخرجه من بيننا ساتراته ... فلا سرنا يبدو ولا هو يظهر

فكان من مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... ألم تتقي الأعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

---

(١) أمالي القالي، ص/٢٣٥

فآخر عهد لي بها حيث أعرضت ... ولاح لها خد نقي ومحجر
سوى أنني قد قلت يا نعم قولة ... لها والركاب الأرحبية تزجر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ال ... لذيذ ورياها الذي أتذكر
فقمت إلي حرف تخون نيها ... سرى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بلية لوح أو شجار مؤسر
وماء بموماة قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث له الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوت كأنه ... على طرف الأرجاء خام منشر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فطافت به مغلاة أرض كأنها ... إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصا على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للورد لولا زمامها ... وجذبي به كادت مرارا تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها معصر
قطعت لها من جانب الحوض مشربا ... صغيرا كقيد الشبر أو هو أصغر
إذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قدى الشبر مشبر
ولا دلو إلا العقب كان رشاءه ... إلى الماء نسع والجديل المضفر
فسافت وما عافت وما صد شربها ... عن الري مطروق من الماء أكدر

قصيدة كثير عزة

وحدث الرواة أن كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، دخل على عبد الملك بن مروان، وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازي مجدع مغرور، دعني أصفحه لك يا أمير المؤمنين، فقال كثير: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الأخطل، فقال له كثير: فهلا صفحت الذي يقول:

لا تطلبن خؤولة في تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثالا

فسكت الأخطل وما أجاب بحرف.

قالوا: إن عبد الملك ذكر الشعر يوما، فقال: لو كان قول كثير بن عبد الرحمن:

فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

في الحرب، لكان أشعر الناس، ولو أن بيت القطامي:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة

في وصف النساء لكان أشعر الناس.." (١)

"وبعينيه إذا ينوء بأيدي ... هم ويكبو في صائك كالفصيد

الصائك الدم المتغير.

نظر الليث همه في فريس ... أقصدته يدا نجيد معيد

ساندوه حتى إذا لم يروه ... شد إجلاده على التسنيد

يئسوا ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود

وهم ينظرون لو طلبوا الو ... تر إلى واتر شموس حقود

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد ثناهم بعديد

يا بن حسناء شق نفسي يا لج ... لاج خليتني لدهر شديد

يبلغ الجهد ذا الحصاة من القو ... م ومن يلف واهيا فهو مود

كل عام أرمى ويرمى أمامي ... بنبال من مخطئ أو سديد

ثم أوحدتني وأخلت عرشي ... بعد فقدان سيد ومسود

وثللت عرشي.

من رجال كانوا جبا لا بحورا ... فهم اليوم صحب آل ثمود

خان دهر بهم وكانوا أهم أهل ... عظيم الفعال والتمجيد

مانعي بابة العراق من النا ... س بجرد تعدو بمثل الأسود

كل عام يلثمن قوما بكف الدهر ... حمقا وأخذ حي حريد

وأخذ حي - وخد حي.

جازعات إليهم خشع الأو ... داة تسقى قوتا ضياح المديد

الأوداة جمع واد، ضياح تضيح لها بالماء.

---

(١) أمالي المرزوقي، ص/٦٣

مسنفات كأنهن قنا الهن ... دونسي الوجيف شغب المرود
مسنفات متقدمات، والمسنفات التي قد قلقت سروجها فسنفت إلى صدورها لضمر بطونها حتى لا تقلق حزمها، والمرد المارد، مسنفات ضوامر.
مستقيم بها الهداة إذا يقطعن ... نجدا وصلنه بنجود
فإنا اليوم قرن أعضب منهم ... لا أرى غير كائد ومكيد
غير ما واضع جناحي لقوم ... حين لاح الوجوه سفع الوقود
قال خاضع جناحي أود.
كان عني يرد درؤك بعد ال ... له شغب المستصعب المريد
من يردني بسيئ كنت منه ... كالشجا بين حلقه والوريد
أسد غير حيدر وملد ... يطلع الخصم عنوة في كؤود
وخطيب إذا تمعرت الأو ... جه يوما في مأقط مشهود
ومطير اليدين بالخير للح ... مد إذا ضن كل جبس صلود
أصلتي تسمو العيون إليه ... مستنير كالبدر عام العهود
معمل القدرنا به النار باللي ... ل إذا هم بعضهم بخمود
يعتلى الدهر إذا علا عاجز القو ... م وينمي للمستتم الحميد
يعني أن الدهر يعلو عاجز القوم وينمي للحازم وهو المستتم.
وإذا القوم كان زادهم اللحم ... قصيدا منه وغير قصيد
وقصيد منه وغير قصيد.
وسما بالمطي والذبل الصم ... لعمياء في مفارط بيد
مفارطها أوائلها وما تقدم منها.
مستحن بها الرياح فما يجتا ... بها بالظلام غير هجود
الهجود هاهنا اليقظان، وهو من الأضداد والهجود النائم واليقظان.
وتخال العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مشهود
العزيف صوت الجن، مشهود محضور.

قال سيروا إن السري نهزة الأكيا ... س والغزو ليس بالتمهيد

وإذا ما اللبون سافت رماد النا ... ر قصرا بالسملق الأمليد

قصرا عشيا، والأمليد والأمليس ما اتسع من الأرض، وسافت شمت.

بدل الغزو أوجه القوم سودا ... ولقد أبدأوا ولسن بسود

ويروي: وغزوا حين أبدأوا غير سود.

ناط أمر الضعاف واجتعل الليل ... كحبل العادة الممدود

في ثياب عماد هن رماح ... عند جرد تسمو سمو الصيد

كالبلايا رؤوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود

إن تفتني فلم أطلب عنك نفسا ... غير أني أمنى بدهر كنود

كل عام كأنه طالب ذح ... لا إلينا كالثائر المستقيد

أنشدنا ابن حبيب وأبو العباس الأحول وأحمد بن يحيى لأعشى باهلة وهو عامر بن الحارث ويكنى أبا قحفان يرثي المنتشر بن وهب الوائلي. ويقال أنها للدعجاء أخت المنتشر ترثي أخاها.

إني أتيت بشيء لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

ويروى من علو، ومن عل، ويقال أتيتك من علا، ومن معال، ومن عل، وقوله لا عجب أي ليس ببديع لأن الناس يموتون ويقتلون فلا سخر من ذلك أي لا عجب فيه ولا هزء منه، وروى الأصمعي: قد جاء من عل أنباء أنبؤها.

فظلت مكتئبا حران أند به ... وكنت أحذره لو ينفع الحذر." (١)

"رددن تحية وكنن أخرى ... وثقبن الوصاوص للعيون

بهذا البيت سمي المثقب، كنن سترن.

أرين محاسنا وكنن أخرى ... من اللبات والبشر المصون

ومن ذهب يلوح على رهاب ... كلون العاج ليس بذي غضون

الرهابة العظم الرقيق على طرف المعدة.

وهن على الظلام مطلبات ... طويلات الذوائب والقرون

---

(١) أمالي اليزيدي، ص/٣

علون رباوة وهبطن غيبا ... فلم يرجعن قائلة لحين

الغيب ما اطمأن من الأرض.

فقلت لبعضهن وشد رحلي ... لها جرة نصبت لها جبيني

لعلك إن صرمت الحبل مني ... تكون كذاك مصحبتي قروني

مصحبتي أي منقادة لي.

فسل الهم عنك بذات لوث ... عذافره كمطرقة القيون

كساها تامكا قردا عليها ... سوادى الفرات مع اللجين

تامكا قردا كثير اللحم.

إذا ضمت أشد لها سنافا ... أمام الزور من قلق الوضين

السناف خيط يشد في التصدير إلى الحقب لئلا يميل.

كأن مواقع الثفنات منها ... معرس باكرات الورد جون

يفض تنفس الصعداء منها ... قوى النسع المحرم ذي المتون

ويروى يجذ وهو أجود والنسع المحرم الذي لم يجد دباغة فهو أصلب له.

تقول إذا درأت لها رضيا ... أهذا دينه أبدا وديني

أكل الدهر حل وارتحال ... أما يبقي علي ولا يقيني

إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوه آهة الرجل الحزين

فأبقى باطل والجد منها ... كدكان الدرابنة المطين

كدكان الدرابنة، دربان بواب بالفارسية.

وتسمع للذباب إذا تغنى ... كتغريد الحمام على الودون

تصك الحالبين بمشفتر ... له صوت أبح من الرنين

كأن نفى ما تنفي يداها ... قذاف غريبة بيدي معين

فألقيت الزمام لها فنامت ... لعادتها من السدف المبين

كأن مناخها ملقى لجام ... على معزائها وعلى الوجين

كأن الرحل والأنساع منها ... على قرواء ماهرة دهين

يشق الماء جؤجؤها وتعلو ... غوارب كل ذي حدب بطين

غدت قوداء منشقا نساها ... تجاسر بالنخاع وبالوتين

ورحت بها تعارض مسبطرا ... على صحصاحه وعلى المتون

إلى عمرو ومن عمرو أتتني ... أخي الفعلات والحلم الرصين

فأما إن تكون أخي بحق ... فأعرف منك غثي أو سميتي

يجوز الرفع والنصف في أعرف.

وإلا فاطرحني واتخذني ... عدوا أتقيك وتتقيني

ويروى أتقيه ويتقيني.

فما أدري إذا وجهت وجها ... أريد الخير أيهما يليني

ألخير الذي أنا أبتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

دعى ما قد علمت سأتقيه ... ولكن بالمغيبة خبريني

وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي جاهلي يرثي أخاه كليبا وقتله جساس ابن مرة، ومهلهل هو امرؤ القيس وإنما سمي مهلهلا بقوله:

لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

أليلتنا بذي حسم أنيرى ... إذا أنت انقضيت فلا تحورى

إن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد يبكي من الليل القصير

فأنقذني بياض الصبح منها ... لقد أنقذت من شر كبير

كأن كواكب الجوزاء عوذ ... معطفة على ربع كسير

تلالأ واستقل لها سهيل ... يلوح كقمة الجمل الفدير

الفدير المنقطع من الضراب وإنما خص الفدير لأنه يتنحى عن الشول ناحية وكذلك سهيل هو منفرد من الكواكب وأنشدنا أحمد ابن يحيى للوليد بن يزيد:

ألا ليت أني منكم حيث كنتم ... مكان سهيل من جميع الكواكب

يراهن أصحابا وهن يرينه ... ويسري إذا يسرين غير مصاحب

وتحنو الشعريان إلى سهيل ... كفعل الطالب القذف النعور

ويروى الغبور وهو المتخلف.

كأن النجم إذ ولى سحيرا ... فصال جلن في يوم مطير

أي خرقت لا تبرح.

كأن العذرتين بكف ساع ... ألح على ثمائله ضرير

الثمائل ما بقي في بطون الإبل من العلف.

كأن بنات نعش تاليات ... وفرقدهن مجتنب الأسير

تتابع مشية الإبل الزهاري ... لتلحق كل تالية غبور

كأن الفرقدين يدا مفيض ... ألح على إفاضته قمير

كأن الجدي في مثناة ربق ... أسير أو بمنزلة الأسير." (١)

"سأثأر منك عرس أبيك إني ... رأيتك لا تجأجيء عن حماها يعني بالعرس هنا تقنا، يقال جأجأ بابله، إذا حثها على الشرب.

دلفت له بأبيض مشرفي ... الم على الجوانح فاختلاها دلفت: من الدليف وهو مشي سريع في تقارب خطو.

فان يبرا فلم أنفث عليه ... وان يهلك فآجال قضاها

وكان مجربا سيفي صنيعا ... فيا لك نبوة سيفي نباها

رأيت عجوزهم فصددت عنها ... لها رحم وواق من وقاها

وخفت الصرم من حفص بن سود ... وأتبعت الجناية من جناها الحفص: من قبيلة الحميت، وكان صديقا للريب بن شريق.

- ٩ -

زعموا (١) أن مالك بن زيد مناة بن تميم كان رجلا أحمق، فزوجه أخوه سعد ابن زيد مناة النوار بنت جد (٢) بن عدي بن عبد مناة بن أد ورجا سعد إن يولد لأخيه. فلما كان عند بنائه أدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى اذا كان بباب بيته قال له سعد: لج بيتك، فأبى مالك، فعاتبه مرارا فقال له سعد: لج مال ولجت الرجم - الرجم: القبر - فأرسلها مثلا، ثم إن مالكا دخل ونعلاه معلقتان في ذراعيه فلما دنا من المرأة قالت له ضع نعليك قال: ساعداي أحرز لهما (٣) فأرسلها مثلا، ثم أتي بطيب فجعل يجعله في استه فقالوا له يا

---

(١) أمالي اليزيدي، ص/٢٨

مالك ما تصنع؟ قال " : استي اخبثي فأرسلها مثلا.

---

(١) وردت القصة مع مزيد من التفصيل في جمهرة العسكري ١: ١٣٧ تحت المثل " استي اخبثي " ؛ وذكر أنه كان يلبس نعليه وأن المرأة قالت له: اخلع نعليك، فأجاب: رجلاي أحق بهما؛ وانظر المستقصي: ٦٦ والدرة الفاخرة: ١٤٤.

(٢) العسكري: جل؛ الميداني: حل.

(٣) انظر المثل في الميداني ١: ٢٢٤.." (١)

"من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه (١) نهار معناه أنه إذا نظر إلى النساء وما يصنعن لمقتل مالك علم أن رهطه لا يقرون لذلك حتى يدركوا بثأرهم:

يجد النساء حواسرا يندبنه ... (٢) يضربن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرىء ... سهل الخليقة طيب الأخبار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهى ... إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عذوفا ... (٣) يقذفن بالمهرات والأمهار

ومساعرا صدا الحديد عليهم ... فكأنما تطلى (٤) الوجوه بقار

يا رب مسرور بمقتل مالك ... (٥) ولسوف يصرفه بشر محار قال: فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة فقال: هذا حين استجمع (٦) أمر أخيكم، ووقعت الحرب.

وقال الربيع لحذيفة - وهو يومئذ جار له - سيري فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال (٧) ووجه معه قوما وق ال لهم: إن مع الربيع فضلة من خمر فان وجدتموه قد

---

(١) النقائض: بنصف.

(٢) لم يرد البيت في النقائض.

---

(١) أمثال العرب، ص/٥٧

(٣) اورده ابن منظور في مادة (عدف) ما يذقن عدوفة، (بالدال المهملة) أي ما يذقن شيئا؛ وكذلك عذف (بالذال المعجمة) تعني أصاب شيئا من الطعام؛ وفي طبعة الجوائب: عذوقا.

(٤) النقائض والأغاني: طلي.

(٥) طبعة الجوائب: بشر جار؛ وفي النقائض: لشر محار؛ والمحار: المرجع.

(٦) النقائض والأغاني: اجتمع.

(٧) النقائض والأغاني: ومع الربيع فضلة من خمر، فلما سار الربيع دس حذيفة في أثره فوارس فقال: اتبعوه فإذا مضت ثلاث ليال فان معه فضلة من خمر فان وجدتموه... الخ.." (١)

"الخيل أنت، فقالوا له:ومن أنت؟ قال: قرواش بن هني، فدفعوه إلى بني بدر فقتلوه، وكان قتل حذيفة، ويزعم بعض الناس أنهم دفعوه إلى بني سبيع فقتلوه بمالك بن سبيع، وكان قتل مالك بن سبيع الحكم بن مروان بن زنباغ فقال نهيكة ابن الحارث من بني مازن بن فزارة:

صبرأ بغيض بن ريث إنها رحم ... قطعتموها أناختكم بجعجاع

فما أشطت سمي أن هم قتلوا ... بني أسيد بقتلى آل زنباع

لقد جزتكم بنو ذبيان ضاحية ... بما فعلتم ككيل الصاع بالصاع

قتلا بقتل وتعقيرا بعقركم ... مهلا حميض فلا يسعى بها الساعي وقال في ذلك عنترة (١) :

هديكم خير أبا من أبيكم ... (٢) أعف وأوفى بالجوار وأحمد

وأحمى لدى الهيجا (٣) إذا الخيل صدها ... غداة الصياح السمهري المقصد

فهلا وفي الفوغاء عمرو بن جابر ... (٤) بذمته وابن اللقيطة عصيد

سيأتيكم مني وإن كنت نائيا ... (٥) دخان العلندى حول بيتي مذود

قصائد من بز امرىء يجتديكم ... (٦) وانتم بجسم فارتدوا وتقلدوا أي يطلب منكم الثأر.

وقال قيس بن زهير (٧) :

---

(١) ديوان عنترة: ٢٨٠.

(٢) الهدي: الأسير.

---

(١) أمثال العرب، ص/٨٩

(٣) الديوان: وأطعن في الهيجا.

(٤) الفوغاء: الطويلة الأسنان والثنايا؛ ابن اللقيطة يعني عيينة بن حصن، أو حصن به حذيفة، العصيد: المأتي.

(٥) العلندي: شجر كثير الدخان، يقول سيأتيكم مني هجاء مؤذ كدخان العلندي يذود عني وعن بيتي.

(٦) أي اجعلوا القصائد أردية تلبسونها وقلائد تتقلدونها، وهذا تهكم ووعيد.

(٧) منها بيتان في معجم البلدان ١: ٣٦٠.." (١)

"حتى إذا هو بالعصا عليها قصير، فلما رآها عمرو وقال خير ما جاءت به العصا (١) ، فأرسلها مثلا، فلما جاءه قصير اخبره الخبر، فقال: اطلب بثأرك قال: كيف أطلب من ابنة الزبا وهي أمنع من عقاب الجو (٢) فأرسلها مثلا، فقال قصير: أما إذا أبيت فاني سأحتال لها فاعني وخلاك ذم (٣) فأرسلها مثلا، فعمد قصير إلى أنفه فجدعه، ثم خرج حتى أتى بنت الزبا فقيل: لأمر ما جدع قصير أنفه (٤) فصارت مثلا. فقيل للزبا هذا قصير خازن جذيمة قد اتاك، قال: فأذنت له وقالت: ما جاء بك؟ قال: اتهمني عمرو في مشورتي على خاله بإتيانك فجدعني، فلا تقربي نفسي مع من جدعني، فأردت أن آتيك فاكون عندك، قالت: فافعل، قال: فان لي بالعراق مالا كثيرا، وإن بها طرائف مما تحبين أن يكون عندك، فأرسليني وأعطيني شيئا بعلة التجارة حتى آتيك بما قدرت عليه وأطرفك من طرائف العراق، ففعلت وأعطته مالا، فقدم العراق فأطرفها من طر ائفها، وزادها مالا كثيرا إلى مالها، فقال لها: هذا ربح، فأعجبها ذلك وسرت به، فزادته أموالا كثيرة وردته الثانية، فأطرفها أكثر مما كان اتاها به قبل ذلك، ففرحت وأعجبها، ونزل منها بكل منزلة؛ ولم يزل يتلطف حتى علم مواضع الأنفاق التي بين المدينتين، ثم ردته الثالثة وزادته أموالا كثيرة عظيمة فأتى عمرا فقال: احمل الرجال في التوابيت والمسوح عليهم الحديد حتى يدخلوا المدينة ثم أبادرها أنا وأنت إلى موضع النفق فتقتلها، فعمد عمرو إلى ألفي رجل من أشجع من يعلم، ثم كان هو فيهم، فلما دنوا أتاها قصير فقال: لو صعدت المدينة فنظرت إلى ما جئت به فاني قد جئت بما صأى وصمت (٥) ،

---

(١) المثل في جمهرة العسكري ١: ٢٣٥.

(٢) جمهرة العسكري ٢: ٢٩٣ (دون قصة) والدرة الفاخرة: ٣٨٦ والفاخر: ١٨٨ والميداني ٢: ١٨٥

---

(١) أمثال العرب، ص/١٠٢

والمستقصي: ١٤٨.

(٣) جمهرة العسكري: ١: ٢٣٥ ((فدعني وخلاك ذم)).

(٤) الميداني ٢: ٩٧، ١: ١٥٨ والوسيط: ٢٠٣.

(٥) جمهرة العسكري: ١: ٣٢٠ ((جاء بما صاء وما صمت)) والميداني ١: ١٢١، ١٥٩ والحيوان ١: ٣٣.." (١)

"و قد لهوت بمثل الريم آنسة ... تصبي الحليم عروب غير مكلاح

و يقال أيضا في معنى عروب: عربة بوزن فعلة مكسورة العين، ذكر أبو عبيد، و كون وزنها فعلة يصح أن المصدر العرب محركا، و يكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لكرم أخلاقهم، و اتساع جودهم و بشرهم لعارفيهم سموا بذلك. و قد سموا عرابة، و هو عرابة بن أوس الأوسي، و سنستقصي ذكره عند ذكر الشماخ من كتاب " ذبيان " إن شاء الله. و قد كنوا بأبي عروبة، و في عنزة رجل يقال له أبو عروبة بن شاس من بني جلان و كان شاعرا فاتكا. و أغار الحطم - و اسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة - على بهراء، فأصاب منهم رجلا شريفا فأسره، و كان معه ناس من عنزة، منهم أبو عروبة، فقتل أخ لأبي عروبة، فقالوا لأخيه: ما تدع هذا الأسير؟! آلا تقتله بأخيك؟ فشد عليه أبو عروبة فقتله، فأخذه الحطم فأوثقه في القد فـكان الأسير، فقال في ذلك أبو عروبة.

غادرت ثأري مضرجا بدم ... و لم تغلني مقالة الحطم

و قال في أبيات يهجو بها الحطم:

يبيت يثني أيره فوق فخذه ... إذا فلت أسرى أصبح المرء باركا

واستغاث أبو عروبة و هو في قدة بعباد بن مرثد بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، و عمل إليه أبياتا منها:

يا من لهم يبيت الليل يكلوني ... كأنه موفق بالنبل يرميني

من ذا أعوذ به منه فيمنعني ... و لن أعوذ بذي رجلين ممحون

يعني نفسه - و ممحون محبوس - فلم يصنع شيئا فأتاه أبجر بن جابر العجلي فاشتراه بمائة من الإبل و اعتقه فقال:

---

(١) أمثال العرب، ص/١٤٦

قولا لأبجر و المعروف نافلة ... عندي و عمد بني عمي و أعمامي
رأبت ما لم يكن حي ليرأبه ... إلا الهمام على بوسي و النعام
فالله يجزيك عما لم تجاز به ... و عن شوابك أصهار و أرحام
و قال أبو عروبة أيضا:
رضينا بعجل في اللقاء فوارسا ... إذا أزمات الموت حبت حياتها
يسود عجلا صبرها برمحها ... و يحمدها مضرورها و عنانتها
و قد كان بحران بأخرة رجل محدث من بقية أهل الإسناد يقال له أبو عروبة الحراني، و اسمه الحسين بن محمد بن مودود، و كان أبو الفضل الوزير – رحمه الله – يذكر لنا أن أباه سمع منه شيئا كثيرا، و كان أبو الفضل نفسه – رحمه الله – يروى عنه شيئا كثيرا بالمكاتبة و الإجازة، و قد كان سعيد بن عروبة أحد المصنفين الثقات، و سعيد يكنى أبا النضر، و أسم أبي عروبة مهران مولى بني يشكر. و كان سعيد يروى عن سعيد عن قتادة بن دعامة السدوسي و حدثني الحسن أبن عبد الصمد بن الحسين بن يوسف عن أبيه عن أحمد بن إبراهيم الأشناني عن أحمد بن عبيد النحوي عن الواقدي عن قيس بن ربيع الأسدي عن السدي عن أبي مالك قال: لم يؤمن مع لوط أحد من الناس ألا بنتان له يقال لأكبر هما رية و الصغرى عروبة.
و القول الخامس: انه مشتق من العرب و هو فساد المعدة يقال: عربت معدته نعرب عربا، مثل ذربت تذرب ذربا، ذكره أبن دريد و الجماعة و أنشدوا: لا يشتكي معدته من العرب و يكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لحدة شوكتهم و خشونة ملمسهم و صرامة بأسهم أشجوا جميع الأمم المخالفة لهم، و كانوا فيهم بمنزلة هذا الداء من المعدة في مبالغته أذاها و إضراره بها. و القول السادس: أنه مشتق من العرب و هو الفجور و الفساد، قال أبن الأعرابي أبو عبد الله، و أنشد شاهدا عليه:
فما خلف من أم عمران سلفع ... من السود ورهاء العنان عروب
قال: أراد فاجرة فاسدة، فأما كون مصدره على فعل فليس مما يوجبه القياس إلا أن أبا عمر الزاهد ذكره مسندا عن أبن الأعرابي، و الشعر للأقرع بن معاذ بن سنان بن حزن بن عامر أبن سلمة الخبر بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس، و اسم الأقرع الأشيم و قيل: الأشم و إنما سمي الأقرع بقوله، و أول القصيدة التي البيت الشاهد منها:

ألا حبذا ريح الغضاحين زعزعت ... بقضبانه بعد الطلال جنوب

و قد قال أبو الحسن علي بن حازم النحوي اللحياني: هي العاشق الغلمة.." (١)

"و قد رواه الناس قاطبة بالغين معجمة إلا أن الخليل أورده في باب العين، وقد نوزع فيه، و وجه هذا الاشتقاق أنهم سموا بذلك لنشاطهم إلى إحراز المآثر، و تسرعهم إلى معونة الثائر و إجابة دعاء الجار المجرور، و اشتياقهم إلى اغتنام الثناء، و إدراك مناقب الكرماء، كما قال شاعرهم:

و مستنبح قال الصدى مثل قوله ... حضأت له نارا لها حطب جزل

و قمت إليه مسرعا فغنمته ... مخافة قومي أن يفوزوا به قبل

و القول العاشر: أنه مشق من العرب و هو يبيس البهمى، و أحدتها عربة و قال أبو زياد – و هو يزيد بن عبد الله بن الحارث بن همام بن دهر بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – إن البهمى خير أحرار البقل رطبا و يابسا.

و وجه هذا الاشتقاق أنهم سموا بذلك لأنهم من البشر بمنزلة البهمى من البقل. و يكون فيه وجه آخر أقوى من هذا و هو أن يبيس البهمى هو سفاها، و العرب تضرب به المثل في حدة شوكه، و تذلق غربه، حتى أنهم يسمونه نصالا، قال القحيف العقيلي:

على كل ذيال أطار نسيله ... عياب الحيا و الخصب حتى تفيلا

رعى الروض و القربان حتى إذا رأى ... نصال السفا من حيث ركبن نصلا

و قال الآخر، و أنشده ابن الأعرابي: إذا استنصل الهيف السفا برحت به عراقية الأقياظ نجد المرابع فيكونون سموا بذلك لحدة شجاعتهم، و نفوذ عزائمهم، و قد قيل في العرب إنه بالغينمعجمة، و العين أثبت.

و القول الحادي عشر: أنه مأخوذ من التعريب، و هو الجبه بالغلط و الرد، و منه قول عمر: ما لكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعربوا عليه؟ فقالوا: نخاف لسانه. قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء، رواه أبو عبيد و ابن الأعرابي و غيرهما. و معنى تعربوا عليه أي تردونه، و تدفعون قوله. و قال أوس بن حجر:

ومثل ابن عثم إن ذحول تذكرت ... و قتلي تياس عن صلاح تعرب

ابن عثم: أحد بني جشم بن سعد. و تياس: أرض التقت فيها بنو سعد و بنو عمرو و كانت المعلاة لبني عمرو، قوم أوس يقول: فمثل هذه القتلى يمنع تذكره من الصلح.

---

(١) ادب الخواص، ص/٢١

و يكون وجه هذا الاشتقاق أنهم سموا بذلك لأنهم يردون حكومة الظالم، و يعصون أمر الغاشم.

و القول الثاني عشر: أنه مشتق من العبة، و هو النهر الشديد الجري، عن ابن دريد. و وجه هذا الاشتقاق أنهم شبهوا بالماء الجاري في قوة مسيله. و أعتياص رده و جره ما وجد في جريته.

فأما العربة لهذه المنصوبات على دجلة و الفرات فمولد، إلا أن ثعلبة قد ذكره و صححه و قال: سميت بذلك من العربة و هو الشديد الجري من الأنهار، و لذلك لسرعة مدارها و اتصال جريانها.

و القول الثالث عشر: أنه مشتق من التعريب، و هو مداواة للخيل بالنار، تسمى التبزيغ، و سميت العرب من ذلك لبلوغهم في شفاء الصدور بدرك **الثأر**، و إحكام ما عقدوه من عهد و ذمام مبلغ الكي الذي هو آخر الأدوية و أصعب.

و الأعراب جمع العرب. كالأعزاب جمع العزب، و لكن الشعراء استعملته بعد ذلك على اللفيف و سواد القبائل، ألا ترى إلى قول مكيث بن معاوية الكلبي – و قيل: مكيث بالضم – .

و ما أسل الأعراب أرجو به الغنا ... و لو سلبت مالي سنون سوالب

و قول الأشهب العكلي:

يسموننا الأعراب و العرب اسمنا ... و نحن نسميهم رقاب المزاود

و قال أبو فرعون السائل العدوي من عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة – واسمه شاكر ابن :

و لست بسائل الأعراب شيئا ... حمدت الله إذ لم يأكلوني

و قد كنا ذكرنا مصدر عربي، فأما أعرابي فمصدره الأعرابية، قال بعض الشعراء:

و إني لأهذي بالأوانس كالدمى ... و إني بأطراف القنا للعوب

و إني على ما كان من أجنبيتي ... و لوثة أعرابيتي لأديب

و أذكرني هذان البيتان بيتين لأبي الشغب العبسي:

لعمرك إني يوم راح ابن كوكب ... لصب و إني للهوى لغلوب

و إني على بعض الأناة و رسلتي ... لأبعد ما يرجو الفتى لطلوب

فصل في اشتقاق اللغة." (١)

---

(١) ادب الخواص، ص/٢٣

"و القول السادس: أنها مشتقة من لاغ الشيء يلوغه لوغا إذا أراده في فمه ثم لفظه – عن ابن دريد – و يقال أيضا: سائغ لائغ، و يقال: سيغ ليغ – عن ابن الأعرابي – و يكون وزنها فعلة، و أصلها لوغة، فاستثقلت ثلاث ضمات متتابعات، لأن الواو بمنزله ضمتين، فحذفت إستخفافا، فصار لغة. و وجه هذا الاشتقاق أنها لصحة أوزانها و اعتدال أقسامها، و أصالة آراء الناطقين بها لا تخرج الكلمة منها إلا بعد ترو و نظر و نظر و تفكير، و أنها تلجلج و تردد قبل إرسالها. و تزم عند صحة العزم على إنفاذها، كما قال شداد بن أوس: ما تكلمت بكلمة كذا وكذا حتى أخطمها و أزمها.

فإن قيل: لو كان أصلها لوغة لكان جمعها على لوغ؟! ففي ذلك أجوبة: أولها ما صدرنا به هذا الفصل من الاعتذار لما نرده، و التنبيه على أنه لا بد أن يكون بعضه مخالفا لما قصد به واضعه.

و الثاني : أنه يجوز أ، يكون مجموعا على لغا قياسا به على نظائره في اللفظ، فإن الشيء يحمل على المشاكلة الظاهرة كثيرا، مثل ما قلب الفند الزماني شهل بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال:

أيا تملك يا تملي ... ذريني و ذري عذلي

فثوبان جديدان ... وأرخي شرك النعل

و مني نظرة بعدي ... و مني نظرة قبلي

و نبلي وفقاها ك – عراقيب قطا طحل أراد بفقاها جمع فوقة، و كان ينبغي أن يقول: فوق فقلب كما ترى.

و قال يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الحميري في مثله: لقد نزع المغيرة نزع سوء و عرق في الفقا سهما قصيرا

و الثالث: أن جمع اللغة – فيما ذكره الخليل – لغات و لغين، و لم يأت فيه بلغى، فعدم السماع قد كفانا مؤونة ما يعترض به علينا طريق القياس.

و قال ابن دريد: إن العرب تختار أن تجري الأعراب على التاء من اللغات، و على ذلك قول أهل الكوفة، و ذكر الكسائي أنه سمع العرب تقول: سمعت لغاتهم، و البصريون، يمنعون ذلك أشد المنع و يقولون: إن اطرد هذا في المعتل اطرد في الصحيح، و انتقصت به الأصل.

و القول السابع: أنها مشتقة من الولغ، و هو ورود السبع و الذئب و الكلب الماء. و وجه هذا الاشتقاق أن ولغ الذئب متصل منتظم، و لذلك قال حاجز الأزدي اللص:

بغزو مثل ولغ الذئب حتى ... يبوء بصاحبي ثأر منيم

يبوء بصاحبي أو يقتلوني قتيل ماجد بطل كيم و قال آخر:

نقاذف بالغارات عبسا و طيئا ... و قد هربت منا تميم و مذحج

بغزو كولغ الذئب غاد و رايح و سير كصدر السيف لا يتعوج و قال ثعلب في " أماليه " : يقال هو في خير كولغ الذئب أي دائم متصل انتهى. فكأنها لا تساق نظامها و أتزان ألفاظها تجيء مسرودة منضودة، لا تفصل بينها فترة عي، و لا تنحو بها هجنة هذر، كما أن ولغ الذئب نسق واحد، كعد الحساب السريع، و كحظ الكاتب الوشيك، و وزنها على هذا فعلة، و أصلها ولغة، و هم يستثقلون حركة الواو بالفتح، فيقلبونه، لذلك يقولون في واحد: أحد، و بالكسر فيقلبونها يقولون في وسادة إسادة، و ينتهي بهم استثقال الحركة على الواو أن يسقطوا الكلمة بالواجدة، و يتخذوا غيرها عنها عوضا مثل ما أهملوا الكلام بودد و ودع، و استغنوا عنهما بترك، فكيف إذا اتفق أن حركة الواو بالضمة، و هي أثقل الحركات على جميع الحروف و على الواو خاصة، فنقلوا حركة الواو إلى اللام فبقيت الواو ساكنة، و ليس يبتدأ بساكن، فحذفوها فصار لغة – كما ترى." (١)

"– ٢ – نشأ امرؤ القيس في بيت ملك واسع الجاه، وكان من صباح ذكيا متوقد الذهن فلما ترعرع أخذ يقول الشعر ويصور به عواطفه وأحلامه. نشأ نشأت ترف؛ يحب اللهو ويشبب بالنساء ويقول في ذلك الشعر الماجن. فطرده أبوه وآلى ألا يقيم معه فكان يسير في أحياء العرب، ومعه طائفة من شباب القبائل الأخرى؛ كطيئ وكلب، وبكر بن وائل، يجتمعون على الشراب والغناء عند روضة أو غدير، ويخرج هو للصيد فيصيد ويطعمهم من صيده. وظل كذلك حتى جاءه نعي أبيه وهو بدمون (قرية بالشام وقيل في اليمن)، فرووا أنه قال: "ضيعني أبي صغيرا، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر".

رحل امرؤ القيس يستنصر القبائل للأخذ بثأر أبيه من بني أسد فاستنجد بقبيلتي بكر وتغلب فأعانوه وأوقعوا ببني أسد؛ وقتلوا منهم، واكتفت بكر وتغلب بذلك وقالوا له قد أصبت ثأرك وتركوه. ولكن امرؤ القيس كان يريد التنكيل ببني أسد ويحاول أن يعيد لنفسه ملك أبيه، فلم يقنعه ما فعلت بكر وتغلب، فذهب إلى أهله باليمن يستنصرهم، فأعانوه بجنود ذهب بهم إلى بني أسد، ولكن ملك الحيرة أخذ يؤلب عليه ويدس الدسائس له حتى فشل.. وظل شريدا يتنقل بين أمراء العرب حتى نزل أخيرا على السموءل بتيماء فأجاره. وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث – أمير الغساسنة بالشام – ليوصله إلى قيصر ملك الرومان

---

(١) ادب الخواص، ص/٢٧

ويمهد لامرئ القيس السبيل للسفر إلى القسطنطينية؛ يطلب المعونة منه ليعيد ملكه فأجاب السموءل طلبه فأودعه امرؤ القيس امرأته ودروعا له كان يتوارثها ملوك كندة، ورحل إلى قيصر. وكان ذلك في عهد القيصر (يوستنيانوس).." (١)

"ويرى أن القيصر أحسن وفادته، وكان السبب في ذلك - على ما يظهر - أن امرأ القيس كان طريد اللخميين في الحيرة، وأمراء الحيرة في كنف الفرس. والفرس أعداء الروم. فلعل (يوستنيانوس) أراد أن يعينه ويجعل منه ومن أعوانه جيشا ينتقم بهم من أمراء الحيرة، ويصطنعه كما اصطنع غساسنة الشام.

وقد ذكر بعض مؤرخي الرومان خبر رحلته إلى القسطنطينية، وسموه "قيسا" لا امرأ القيس، وذكروا أن القيصر وعده بإعادة ملكه ثم ولاه فلسطين، ولكن هذا لم يرض امرأ القيس فقفل راجعا.

ولكن مؤرخي العرب يروون أن القيصر قبل وفادته وضم إليه جيشا وفيهم جماعة من أبناء الملك؛ وأن قوما من أصحاب قيصر قالوا له: "إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه".

وآخرون يروون أن بعض العرب ممن كان مع امرئ القيس ذكروا للقيصر أن امرأ القيس قال لقومه إنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، فأرسل قيصر إليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده؛ ومن أجل هذا سمي "ذا القروح" ومات بأنقرة وهو عائد من القسطنطينية. والظاهر أن امرأ القيس أصيب أثناء عودته بمرض جلدي سبب له قروحا.

كان دين امرئ القيس الوثنية وكان غير مخلص لها. فقد روي أنه لما خرج للأخذ **بثأر** أبيه مر بصنم للعرب تعظمه يقال له ذو خلصة. فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربص. فأجالها فخرج الناهي. فعل ذلك ثلاثا فجمعها وكسرها. وضرب بها وجه الصنم. وقال: "لو كان أبوك قتل ما عققتني".

وكان امرؤ القيس يلقب بالملك الضليل؛ وبذي القروح؛ لما أصيب به في مرضه على ما ذكرناه.

- ٣ -

ألوان من حياة امرئ القيس

كان حجر في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة فغبر ذلك دهرا، ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم؛ فمنعوه ذلك - وحجر يومئذ بتهامة - وضربوا رسله؛ وضرجوهم ضرجا شديدا قبيحا.." (٢)

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٢

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٣

"فبلغ ذلك حجرا، فسار إليهم بجند من ربيعة وقبس وكنانة. فأتاهم وأخذ سراتهم. فجعل يقتلهم بالعصا. وأباح الأموال؛ وصيرهم إلى تهامة؛ وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدا؛ وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدي، وكان سيدا؛ وعبيد بن الأبرص الشاعر؛ فسارت بنو أسد ثلاثا.

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي من بني ... أسد فهم أهل الندامة

أهل القباب الحمر والن ... عم المؤبل والمدامة

وذوي الجياد الجرد والأ ... سل المثقفة المقامة

حلا أبيت اللعن حلا ... إن فيما قلت آمة

في كل واد بين يث ... رب فالقصور إلى اليمامة

تطريب عان أو صيا ... ح محرق أو صوت هامة

ومنعتهم نجدا فقد ... حلو على وجل تهامة

برمت بنو أسد كما ... برمت ببيضتها الحمامة

جعلت لها عودين من ... نشم وآخر من ثمامة

إما تركت عف ... وا أو قتلت فلا ملامة

أنت المليك عليهم ... وهم العبيد إلى القيامة

ذلوا لسوطك مثل ما ... ذل الأشيقر ذو الخزامة

فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم فقال لبني أسد: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب؟ هذا دمه ينثعب وهذا غدا أول من يسلب.

قالوا: من هو؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية؛ لأخبرتكم أنه حجر ضاحية.

فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه، وتشاور القوم على قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا رأيهم فيه: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم.

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله، فلما رأى ذلك علباء بن الحارث الكاهلي خشي أن يتواكلوا في قتله،

فدعا غلاما من بني كاهل - وكان ابن أخته - فقال: يا بني، أعندك خير فتثأر بأبيك، وتنال شرف الدهر، وإن قومك لن يقتلوك؟!.." (١)

"فلم يزل بالغلام حتى حربه، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: ادخل عليه مع قومك، ثم اطعنه في مقتله.

فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها، ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها.

فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله؛ فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل: ثأرنا وفي أيدينا!.

فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخلوا عنه.

وأقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، وذل دهر، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا.

ولما طعن الغلام حجرا ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع. وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه؛ واستقرهم واحدا واحدا؛ حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأيهم لم يجزع؛ فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي، وبين في وصيته من قتله؛ وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب فوضعه على رأسه؛ ثم استقراهم واحدا واحدا، فكلهم فعل ذلك؛ حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر، فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس، اضرب فضرب، حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأسد عليك دستك.

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره؛ فقال الخمر علي والنساء حرام، حتى أقل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة.

وكان امرؤ القيس قد طرده أبو حجر، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب: من طيئ وكلب وبكر بن وائل، فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم؛ وخرج للصيد فتصيد فأكل وأكلوا معه. وشرب الخمر وسقاهم. وغنته قيانه.

ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير. ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٤

أرض اليمن. فقال:

تطاول الليل على دمون ... دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون." (١)

"فأحمد الحالات في ذلك: أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتا فقدناه إليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقي قصرته. فيقال: رجل امتحن بهلك عزيز عليه. فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام أو فداء بما يروح على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة وكان ذلك فداء ترجع به القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البراء وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فتسدل الأزر وتعقد الخمر فوق الرايات.

فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع طرفه إليهم فقال قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم وأني لن أعتاض به ناقة أو جملا فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها وإني لن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا.

إذا جالت الخيل في مأزق ... تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار لحرب وبلية، ومكروه وأذية. ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا:

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت ... كتائبنا في مأزق الموت تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه ولكن أستعذبه فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي، إذ كنت نازلا بربعي، ومتحرما بذمامي، ولكنك قلت فأجبت.

قال قبيصة: إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: هو ذاك!.

ثم شرب امرؤ القيس سبعا، فلما صحا آلى ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يصب امرأة حتى يدرك **بثأره**، فلما جنه الليل رأى برقا فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٥

فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول

ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون إذا ما أكل." (١)

"وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرا وتغلب، فسألهم النصر، وبعث العيون على بني أسد، فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد، تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم، ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم، وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام. فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن! لسنا لك بثأر، ونحن من كنانة فدونك ثأرك فاطلبهم؛ فإن القوم ساروا بالأمس.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك؛ فقال:

ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

وأدركهم ظهرا، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون على الماء؛ فنهد إليهم فقالتهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد.

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم؛ وقالوا له: لقد أصبت ثأرك. قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتالهم، وانصرفوا عنه، فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير.

فاستأجر من قبائل العرب رجالا، فسار بهم إلى بني أسد، ومر بتبالة وبها صنم للعرب تعظمه، فاستقسم عنده بقداحة، وهي ثلاثة: الآمر، والناهي، والمتربص. فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها فكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: لو أبوك قتل ما عقني، ثم خرج فظفر ببني أسد.." (٢)

"وفي المعلقة وصف لما يحبه العربي من مظاهر الجمال في المرأة وفي الفرس وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها وفيها نواة للقصص الشعري وخاصة في الغزل، مما نهج نهجه عمر بن أبي ربيعة ثم بشار وأبو نواس.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٧

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٨

وليس فيها أثر للمدح لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته ولهوه وترفه ومجونه، مما يرجع أنها نظمت في أيام صبواته وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بثأر والده، حيث تجدها خالية من ذكر الأحداث التي طافت به بعد ذلك. وتعدد الأعراض والفنون في القصيدة يتفق ونهج العرب والشعراء الجاهليين في صياغة قصائدهم؛ حيث كانوا يروحون عن أنفسهم وسامعيهم بهذا الاستطراد الجميل وبتعدد نواحي القصيدة ومراميها حتى تكون أشد أثرا وسحرا.

وروح الشاعرية في المعلقة متحدة متناسقة إلا في أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهي:

وقربة أقوام جعلت عصامها ... على كاهلي مني ذلول مرحل

وما بعده من أبيات، مما تخالف روحها روح المعلقة. والصحيح أن هذه الأبيات لتأبط شرا وأنكرها الكثير من الرواة، وقيل هي لامرئ القيس في عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة، فهي لا تمثل روحه في فترة شبابه اللاهية الماجنة التي نراها في معلقته.

وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية في كثير من نواحيها المختلفة، كما تصور حياة امرئ القيس وترفه وروحه اللاهي المسرف في العبث والمجون أتم التصوير، فهي صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه، وأثر أدبي كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم.." (١)

"نشأ امرؤ القيس في بيت سؤدد ومجد ونعمة، فخب في سبل اللهو وذاق أفاويق الجمال والحب وقضى أيام شبابه في مغازلة الغيد الحسان؛ فكانت له معهن أيام وذكريات قص الكثير منها في هذه المعلقة، وما برح في لهوه ومجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو حتى قتل أبوه فذهبت سكرته وطالت حسرته، وهب للأخذ بثأره حتى قضى عليه أخيرا إسرافه في الانتقام.

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء في الجاهلية، وحامل لواء الشعر في ذلك العصر البعيد، والمفتن في أبواب الشعر وأغراضه، والمجلى في بيان أسرار الجمال واللهو وفي رقة الأسلوب وسحره، وفي جزالة اللفظ وأسره، وفي روائع التشبيه وبدائع الخيال، وفي ابتداع الكثير من المعاني الشعرية الطريفة التي قلده فيها سواء من الشعراء وتتناول المعلقة كثيرا من فنون الشعر، وتحوي الكثير من الأفكار المنوعة، ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى في بيتين وفيها شرح للهوه وعبثه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربي وزينة المرأة في الجاهلية

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٢٥

ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في عشرين بيتا، وفيها مناجاة الليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ووصف دقيق لفرسه في ثمانية عشر بيتا، وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة في عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد وهي كلها في درجة عالية من الإحسان.

ويقول الزوزني في سبب إنشاد هذه القصة: "السبب في إنشادها هو قصة غدير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم في هذا الغدير مع أتراب لها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات، ثم ذبح لهن ناقته وقسم متاعه عليهن يحملنه وركب مع عنيزة في هودجها".." (١)

"وكانت بلاد غطفان ساحة للعداء الشديد والحرب المستعرة بين قبيلتين من قبائلهما وهما عبس وذبيان، وكانت هذه الحروب وهذا العداء سببا في ثروة أدبية كبيرة من شعر ملئ بالفخر والهجاء والتحريض على القتال والأخذ بالثأر، ومن قصص تدور وقائعها على ما كان بين الفريقين. فكثير من شعر عنترة العبسي مثلا يصف الأطوار الأخيرة لحرب داحس والغبراء الطاحنة، وكان كثير من شعر زهير يدور حول السلم بين القبيلتين والدعوة إليه وإظهار نتائجه، والإعجاب برجلين من رؤساء ذبيان، وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف، سعيا في الصلح بين عبس وذبيان واحتملا ديات القتلى ونشرا السلام في غطفان، فكان هذا داعيا لزهير ليصور حبه للسلام واستفظاعه للحرب وأهوالها، وليمدح هذين العظيمين على ما قاما به من جهود لتوطيد دعائم السلم في هذه الجزيرة العربية المتنافرة المتخاصمة.

وقد مدح هرم بن سنان بمدائح كثيرة، وأجزل هرم له العطاء وله نحو العشرين قصيدة، يمدحه هو والحارث بن عوف بها؛ لسعيه في الصلح بين عبس وذبيان. ومات قبل البعثة بقليل.

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وماتت أمه وهي حامل به. وقالت: إذا أنا مت فشقوا بطني. فإن سيد غطفان فيه، فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا. وفي بني سنان يقول زهير:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قدم بأولهم أو مجدهم قعدوا

جن إذا فزعوا أنس إذا أمنوا ... مرزؤون بهاليل إذا قصدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان:

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٢٦

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب فواصله

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ... ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال زهير أيضا في هرم بن سنان وأهل بيته:

من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم ... يبني لهم في جنان الخلد مرتفق." (١)

"وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومآثم

ثم ندد بالحرب ووصف فظائعها؛ ودعا إلى السلم وأكده وأوجبه على المتحاربين، قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضربتموها فتضرم

ثم ينصح قومه بأن يبقوا على السلم، ويندد بالحصين بن ضمضم وبآثار عمله في تهييج الشر وإعادة نار المحرب، وكان الحصين حين اجتمع القوم للصلح قد حمل على رجل له عنده ثأر في الحرب فقتله، ويعيد التنويه بالرجلين اللذين احتملا ديات القتلى واحدا واحدا على غير جريرة كانت منهما.

ثم ينتقل من هذا المجال الرهيب مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام، إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المجرب للحياة الذي ذاقها وخبرها، وعاش في خضمها، ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها.. قال:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

إلى أن قال:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ويختمها بتأكيد معروف السيدين الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن يكثر التسآل يوما سيحرم

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٨٥

- ٢ - وقال أيضا يمدح سنان بن أبي حارثة المري:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل

وقد كنت من سلمى سبين ثمانيا ... على صبر أمر ما يمر وما يحلو

وكنت إذا ما جئت يوما لحاجة ... مضت وأجمت، حاجة الغد ما تخلو

وكل محب أحدث النأي عنده ... سلو فؤاد غير حبك ما يسلو

تأوبني ذكر الأحبة بعده ما ... هجعت ودوني قلة الحزن فالرمل

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى ... وما سحقت فيها المقادم و القمل

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن ... إلى الليل إلا أن يعرجني طفل." (١)

"فأنت ترى من هذا أنه كان متألها يعبد الله على دين إبراهيم، ويتوقع أن يكون هو صاحب الرسالة الذي بشرت به الكتب التي عكف عليها بالدرس. فلما لم يكن ما خط في سجل القدر موافقا لما وقر في نفسه، غلب جهله على حلمه، وسيطر حسده على فكره، فلم يؤمن بالنبي عليه السلام، ولم ينهل من حياض شريعته. قال ابن عتيبة في طبقات الشعراء: "وكان أمية يخبر أن نبيا يخرج قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به جسدا". ولما بلغه خبر وقعة بدر والذين قتلوا بها من ذوي قرابته قال قصيدته التي يرثي فيها من قتل من قريش ويحرضهم على أخذ **الثأر:**

ألا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولى الممادح

كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك في الغصن الجوانح

ثم أخذ يفيض في وصف قتلى بدر حتى لم يدع مكرمة إلا ألصقها بهم إلى أن قال:

خذلتهم فئة وهم ... يحمون عورات الفضائح

الضاربين التقدمية ... بالمهندة الصفائح

قال ابن هشام بعد رواية هذه القصيدة: "تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب الرسول". وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: "والأخبار مختلفة في موقفه بالنسبة للنبي وللإسلام، ولعل الأرجدح أنه لم يلق النبي وأبى أن يصدق بدعوته، يؤيد هذا ما يتجلى في قصيدته المذكورة من عطف على قريش.. وأيا ما كان من شأن هذه الروايات فقد اتفقت جميعا على أنه مات كافرا ولم يؤمن بالنبي عليه السلام، روى صاحب الأغاني بسنده

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٩٧

قال: "لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربى ومسانا

رب الحنيفة لم تنفد خزائنه ... مملوءة بطبق الآفاق سلطانا

ألاني لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس مجرانا

إلى أن قال:

يا رب لا تجعلني كافر أبدا ... واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا

واخلط به بنيتي واخلط به بشري ... واللحم والدم ما عمرت إنسانا." (١)

"١(صل ذا سقم رجاك أن تبراه ** إن أنت هديته فما أهداه)(في خدك يا مكتم الأهواء ** والريقة من سلافة الصهباء)(أشياء قد اجتمعن في أشياء ** خد وفم ومقلة نجلاء)٤ (كم في طلب الراحة قلبي يتعب **كم في حرم الأمن فؤادي يرعب)٥ (بالجد أدين والهوى بي يلعب **كل صعب وهجركم لي أصعب)٦ (يا صبري حسن غلبة قد غلبك ** يا لي سحر لحظة قد سلبك)٧ (يا قلب على النار هواه قلبك ** أرداك فقل بأي ثأر طلبك)٨ (كم يخلب سحر مقلتيه خلبك ** ما أطيب في لعب هواه غلبك)٩ (ما كنت معرضا لبلوى قلبقك ** لو كنت تطيق حفظه من غلبك)٠ (يا لاح أما مللت من تهذيبي ** قد لاح العذر فكم تهذي بي)

". (٢)

"البحر : طويل (تذكر ليلى حسنها وصفاءها ** وبانت فأمسى ما ينال لقاءها) (ومثلك قد أصبيت ، ليست بكنة ** ولا جارة ، أفضت إلي حياءها) (إذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري ** وأتبعت دلوي في السخاء رشاءها) ٤ (ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ** ولاية أشياء جعلت إزءها) ٥ (ضربت بذي الزرين ربقة مالك ** فأبت بنفس قد أصبت شفاءها) ٦ (وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر ** خداش فأدى نعمة وأفاءها) ٧ (طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ** لها نفذ لولا الشعاع أضاءها) ٨ (ملكت

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٢٠٤

(٢) ديوان عماد الدين الأصبهاني، ص/٤٧٠

بها كفي فأنهرت فتقها ** يرى قائما من خلفها ما وراءها) ٩ (يهون علي أن ترد جراحه ** عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها)٠ (وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ** أسب بها إلا كشفت غطاءها)

." (١)

"أشاقك من عبل الخيال المبهج فقلبك فيه لاعج يتوهج
فقدت التي بانت فبت معذبا وتلك احتواها عنك للبين هودج
كأن فؤادي يوم قمت مودعا عبيلة مني هارب يتمعج
خليلي ما أنساكما بل فداكما أبي وأبوها أين أين المعرج
ألما بماء الدحرضين فكلما ديار التي في حبها بت ألهج
ديار لذت الخدر عبلة أصبحت بها الأربع الهوج العواصف ترهج
ألا هل ترى إن شط عني مزارها وأزعجها عن أهلها الآن مزعج
فهل تبلغني دارها شدنية هملعة بين القفار تهملج
تريك إذا ولت سناما وكاهلا وإن أقبلت صدرا لها يترجرج
عبيلة هذا در نظم نظمته وأنت له سلك وحسن ومنهج
وقد سرت يا بنت الكرام مبادرا وتحتي مهري من الإبل أهوج
بأرض تردى الماء في هضباتها فأصبح فيها نبتها يتوهج
وأورق فيها الآس والضال والغضا ونبق ونسرين وورد وعوسج
لئن أضحت الأطلال منها خواليا كأن لم يكن فيها من العيش مبهج
فيا طالما مازحت فيها عبيلة ومازحني فيها ،الغزال المغنج
أغن مليح الدل أحور أكحل أزج نقي الخد أبلج أدعج
له حاجب كالنون فوق جفونه وثغر كزهر الأقحوان مفلج
وردف له ثقل وقد مهفهف وخد به ورد وساق خدلج
وبطن كطي السابرية لين أقب لطيف ضامر الكشح أنعج

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم، ص/١

لهوت بها والليل أرخى سدوله إلى أن بدا ضوء الصباح المبلج

أراعي نجوم الليل وهي كأنها قوارير فيها زئبق يترجرج

وتحتي منها ساعد فيه دملج مضيء وفوقي آخر فيه دملج

وإخوان صدق صادقين صحبتهم على غارة من مثلها الخيل تسرج

تطوف عليهم خندريس مدامة ترى حببا من فوقها حين تمزج

ألا إنها نعم الدواء لشارب ألا فاسقنيها قبلما أنت تخرج

فنضحي سكارى والمدام مصفف يدار علينا والطعام المطبهج

وما راعني يوم الطعان دهاقه إلي مثل من بالزعفران نضرج

فأقبل منقضاعلي بحلقه يقرب أحيانا وحينا يهملج

فلما دنا مني قطعت وتينه بحد حسام صارم يتفلج

كأن دماء الفرس حين تحادرت خلوق العذارى أو خباء مدبج

فويل لكسرى إن حللت بأرضه وويل لجيش الفرس حين أعجعج

وأحمل فيهم حملة عنترية أرد بها الأبطال في القفر تنبج

وأصدم كبش القوم ثم أذيقه مرارة كأس الموت صبرا يمجج

وآخذ ثأر الندب سيد قومه وأضرمها في الحرب نارا تؤجج

وإني لحمال لكل ملمة تخر لها شم الجبال وتزعج

وإني لأحمي الجار من كل ذلة وأفرح بالضيف المقيم وأبهج

وأحمي حمى قومي على طول مدتي الى أن يروني في اللفائف أدرج

فدونكم يا آل عبس قصيدة يلوح لها ضوء من الصبح أبلج

ألا إنها خير القصائد كلها يفصل منها كل ثوب وينسج." (١)

"يا صاحبي لا تبك ربعا قد خلا ودع المنازل تشتكي طول البلى

واشكو إلى حد الحسام فإنه أمضى إذا حق اللقاء وأفضلا

من أين تدري الدار انك عاشق أو عندها خبر بأنك مبتلى

---

(١) ديوان عنترة بن شداد، /

والله ما يمضي رسولا صادقا إلا السنان إذا الخليل تبدلا

ولقد عركت الدهر حتى إنه لو لم يذق مني المرارة ماحلا

وكذا سباع البر لولا شرها دارت بها في الغاب غربان الفلا

فتحملا يا صاحبي رسالتي إن كنتما عن أرض عبس تعدلا

قولا لقيس والربيع بأنني خط المشيب على شبابي ما علا

بل لو صدمت بهمتي جبلي حرى قسما وحق أبي قبيس تزلزلا

لو لم تكن يا قيس غرك جاهل ما سقت نحو ديار عنتر جحفلا

والله لو شاهدته ورأيته ماكان آخره يلاقي الأولا

يا قيس أنت تعد نفسك سيدا وأبوك أعرفه أجل وأفضلا

فأتبع مكارمه ولا تذري به إن كنت ممن عقله قد أكملا

فاحذر فزارة قبل تطلب ثأرها وتريك يوما ناره لا تصطلا

فدما بني بدر عليك قديمة وبنو فزارة قصدها أن تغفلا

والله ما خليت في أوطانهم إلا النوائح صارخات في الفلا." (١)

"٣(إن الحروب سجال طالما وهبت ** في اليوم فرصتها واسترجعت لغد)(لا يغرر الروم ما نالوا وما فعلوا ** فإن ذلك إملاء إلى أمد)(فللقلوب من الغماء منصرف ** بما تقدم في بدر وفي أحد)٤ (وإن دون طلاب الثأر أسد وغى ** من قومك الغر أو آبائك النجد)٥ (قد أقلعوا كل مشحوذ الغرار إلى ** شن الغوار وسلوا كل ذي ميد)٦ (والعزم باد وصنع الله مرتقب ** والفتح منتظر إن لم يحن فقد)٧ (وعادة النصر لا تستبط مقدمها ** إن لم توافك في سبت ففي أحد)٨ (وهاكها من بنات العرب ساحرة ** هيفاء تختال بين الدل والغيد)٩ (ولست يوما على شعر بمقتصر ** ولا بأبيات منظوم بمنفرد) ٤٠ (وإنما أنا روض والعلوم له ** غيث فأي جنى إن شئته تجد)

(٢) ".

---

(١) ديوان عنترة بن شداد، /

(٢) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٢٧٩

"البحر : رمل تام (سكن الحب فؤادي وعمر ** ونهى الشوق بقلبي وأمر) (وغزت قلبي ألحاظ الظبا ** بظباها أين يا قلب المفر) (بأبي والله لحظ فاتر ** ما جنى في مهجة إلا اعتذر) ٤ (من مجيري من نصيري في الهوى ** ضاع بين الغنج ثأري والحور) ٥ (كنت يا قلبي على طول المدى ** تحذر الحب وهل ينجي الحذر) ٦ (وبنفسي من إذا جن الدجى ** أمسك النوم وأهداني السهر) ٧ (غصن بان وهلال ورشا ** إن تثنى أو تبدى أو خطر) ٨ (لو بدا للحور يوما وجهه ** قلن جل الله ما هذا بشر) ٩ (زار في ليلين ليل للدجى ** حالك الجنح وليل للشعر)٠ (فضممت الغصن من ثوب النقى ** ولثمت الراح من بين الدرر)

---

(١) ".

"٣(لعمري لئن هاجت عزائمك العدا **كما بحثت عن حتفها ربة الظلف)(وغرتهم الحرب السجال وقلما ** يدل غرور القوم إلا على الحتف)(فقد آن أخذ الدين منهم بثأره ** وما كان جفن الدين في مثلها يغف)٤ (ودون مهب العزم كل مهند ** وخطية سمر وفضفاضة زغف)٥ (وأسد غضاب إن تذكرن يومها ** عضضن بأطراف البنان من اللهف)٦ (أمولاي زارتك القوافي كأنها ** هدايا تهادتها القيان إلى الزف)٧ (عليها عقود من ثنائك نظمت ** مناسبة التأليف محكمة الرصف)٨ (أتاك بها النيروز معترفا بما ** لملكك فيه من نوال ومن عرف)٩ (فهنيته والدهر طوعك والمنى ** توافي بما تهواه ضعفا على ضعف) ٤٠ (تمهدت الدنيا بملكك بعدما ** أقامت زمانا لا تفر من الرجف)

---

(٢) ".

"١(ألبسنني سربال ضم ما له ** إلا رؤوس نهودها أزرار)(أجني الرضاب من الغصون وحبذا ** وتلك الغصون وحبذا الأثمار)(في روضة جمعت لمرتاد الصبا ** أمرا يحل لمثله ويسار)٤ (بوجوههن ووشيهن ونورها ** إن الثلاثة عندك النوار)٥ (إن أظلمت قطع الرياض أضالها ** نوارها فكأنها الأنوار)٦ (وتمازجت حتى كأن قطينها ** مما تضمن نبت أرض قار)٧ (من كل بدر يستسر زمانه ** ولكل بدر مطلع وسرار

---

(١) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٤٦٩

(٢) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٦٢٦

)٨ (لا يرتجى درك لثأري عنده ** جرح الحداءة والمهاة جبار)٩ (في طرفها يقضي غرار من كرى ** ولكل ماضي الشفرتين غرار)٠ (أوليت طرفك ناشب أم سائف ** أم نافث للسحر أم خمار)

---

(١) ".

"٤(رأيت الناس مثل كعوب رمح ** فمنهن السوافل والأعالي) ٤(ومن ذا يستطيع وأي قلب ** بجيش الفخر يفخر في مقال) ٤(وحاتم طيء لك عن يمين ** وزيد الخيل منك على الشمال) ٤٤ (وهذان اللذان يقر طوعا ** بفضلهما المخالف والموالي) ٤٥ (وفيك عن القديم غنى ويغني ** ضياء الصبح عن شعل الذبال) ٤٦ (إذا ما جاء شمس الدين غطى ** سناه كل شمس أو هلال) ٤٧ (ثأرت بقاتلي عمرو بن هند ** وما أنساكه طول الليالي) ٤٨ (صفوت خلائقا وندى وأصلا ** فقد أزريت بالماء الزلال) ٤٩ (ولو يحلو كماء المزن خلق ** لما شرق امرؤ فيه بحال) ٥٠ (أرجي في ظلالك أن أرجى ** ويلقي العز قوم في ظلالي)

---

(٢) ".

"البحر : رجز تام (دبوا دبيب النمل لا تفوتوا ** وأصبحوا بحربكم وبيتوا) (حتى تنالوا الثأر أو تموتوا ** أو لا فإني طالما عصيت) (قد قلتم : لو جئتنا فجيت ** ليس لكم ماشئتم وشيت) ٤ (بل مايريد المبي المميت **)

---

(٣) ".

"١(فأطلق من مسدسه رصاصا ** به في الرمى تنخرق الجسوم)(فخر إلى الجبين به (نعيم) كما انقضت من الشهب الرجوم)(فبان مودعا بعد ارتثاث ** حياة لا تناط بها الوصوم)٤ (لئن لم تبك من أسف عليه ** سفاهتنا بكت الحلوم)٥ (ولو درت النجوم له مصابا ** بكته على ترفعها النجوم)٦ (

---

(١) ديوان علي بن محمد التهامي، ص/١٠٨

(٢) ديوان علي بن محمد التهامي، ص/١٨٩

(٣) ديوان علي بن أبي طالب، ص/٦٠

عسى الشهباء تثأره فتبدي ** إلى الزوراء ما يبدي الخصيم)٧ (ولم يقتله ' ابراهيم ' فيما ** ارى بل ان قاتله ' سليم ')٨ (اليس سليم الملعون اغوى (نعيما) فهو شيطان رجيم)٩ (وجاء به الى بغداد حتى ** تخرمه بها قتل أليم)

". (١)

"ينهشنه ويذودهن ويحتمي ... عبل الشوى بالطرتين مولع

فحنا لها بمذلقين كأنما ... بهما من النضح المجدح أيدع

حتى إذا ما الثور أقصد عصبة ... منها وقام شريدها يتضرع

وبدا له رب الكلاب بكفه ... بيض رهاب ريشهن مقزع

فرمى لينقذ فرها فهوى له ... سهم فأنقذ طرتيه المنزع

فكبا كما يكبو فنيق تارز ... بالخبت إلا أنه هو أبرع

فكأن سفودين لما يقترا ... عجلا له بشواء شرب ينزع

فإن سلم من النوابح أخو الربل، فما يؤمنه بعد ذلك من النبل.

قال " زهير " :

فجالت على وحشيها وكأنها ... مسربلة في رازقي معضد

وتنفض عنها غيب كل خميلة ... وتخشى رماة الغوث من كل مرصد

ولم تخش وشك البين حتى رأتهم ... وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد

وثاروا لها من جانبيها كليهما ... وجالت، وإن يجشمنها الشد تجهد

تبذ الألى يأتينها من ورائها ... وإن تتقدمها السوابق تصطد

فأنقذها من غمرة الموت بعد ما ... رأت أنها إن تنظر النبل تقصد

نجاء مجد ليس فيه وتيرة ... وتذبيبها عنها بأسحم مذود

وهذا في شعر العرب أكثر من أن تقام الأدلة عليه.

وإنما جئت به كما يشير المحدث إلى أم شملة، ويريك راكب ليله الساهرة.

---

(١) ديوان معروف الرصافي، ص/٧٨

وأما الجربة من العانات، فما تدفع شرور الصادة بمساناة. بينا هي ترتع في روض أنق وتكرع في غدير ليس برنق، أتيح لها – والقدر أتاحه – فارس يقصر لقاحه، على قباء من الخيل المضمرة، ليست في شرب الرسل بمغمرة يسقيها المحض ويشر السمار، لتقيد له الأوابد ولا ضمار؛ أو سابح في الطلق غمر، أعانت به الأقضية على إدراك الأمر. فربه يهين الإبل ويكرمه، ويحرم عياله ولا يحرمه. وإنما يأمل به أمورا ليس هو إذا بلغها مقمورا: يعده لطلب ثأر يحسب أخذه أسنى الآثار، أو غارة يصبح بها عدوا، فيلطع مع الأشقر غدوا، أو نجاء في المأزق من سيف وسنان، إذا جشأت النفس الكاذبة لرعب الجنان؛ أو صيد يشبع به أطفالا، ولا يوجد رأيه فيما صنع فالا. حتى إذا أنفض عياله وفنى قوته لولا احتياله، عرضت له في آخر السبرة أتن وعلج، وما يطرح بقدره الفلج. فركب فرسه واثقا به فحمله على العير وقبه، فطعنه في الفائل أو القرب، فروى من دمه صادي الترب.

وربما كان ابن أخدر في عذاة قد بعد بها عن الأذاة، حتى إذا العطش حرقه وأمره بالمورد ليطرقه، ورد آملا برد الماء يطفيء به ما استعر من لهب الأظماء. وقد سبقه إلى الشريعة أخو قوس ما يلتمس بها من أوس.." (١)

"فقال: أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيالس؟ قلت: نعم، إنها لحاء الشجر، وليش ثم ثمر ولا عبق. قال لي: صدقت، إني أراك قد ماثلت معي. قلت: كما سمعت. قال: فكيف كلامهم بينهم؟ قلت: ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة. إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط. فصاح: إنا لله، ذهبت العرب وكلامها! ارمهم يا هذا بسجع الكهان، فعسى أن ينفعك عندهم، ويطير لك ذكرا فيهم. وما أراك، مع ذلك، إلا ثقيل الوطأة عليهم، كريه المجيء إليهم.

فقال الشيخ الذي إلى جانبه، وقد علمت أنه صاحب عبد الحميد، ونفسي مرتقبة إلى ما يكون منه: لا يغرنك منه، أبا عيينة، ما تكلف لك من المماثلة، إن السجع لطبعه، وإن ما أسمعك كلفة. ولو امتد به طلق الكلام، وجرت أفراسه في ميدان البيان، لصلى كودنه وكل برذنه. وما أراه إلا من اللكن الذين ذكر، وإلا فما للفصاحة لا تهدر، ولا للأعرابية لا تومض؟ فقلت في نفسي: طبع عبد الحميد ومساقه، ورب الكعبة! فقلت له: لقد عجلت، أبا هبيرة، – وقد كان زهير عرفني بكنيته – إن قوسك لنبع، وإن سهمك لسم، أحمارا رميت أن إنسانا، وقعقعة طلبت أم بيانا؟ وأبيك، إن البيان لصعب، وإنك منه لفي عباءة تتكشف عنها

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج، ص/١٢

أستاه معانيك، تكشف است العنز عم ذنبها. الزمان دفء لا قر، والكلام، عراقي لا شامي. إني لأرى من دم اليربوع بكفيك، وألمح من كشى الضب على ماضغيك. فتبسم إلي وقال: أهكذا أنت يا أطيلس، تركب لكل نهجه، وتعج إليه عجه؟ فقلت: الذئب أطلس، وإن التيس ما علمت! فصاح به أبو عيينة: لا تعرض له، وبالحرا أن تخلص منه. فقلت: الحمد لله خالق الأنام في بطون الأنعام! فقال: إنها كافية لو كان له جحر. فبسطاني وسألاني أن أقرأ عليهما من رسائلي، فقرأت رسالتي في صفة البرد والنار والحطب فاستحسناها.

رسالة الحلواء

ومن رسالتي في الحلواء حيث أقول: خرجت في لمة من الأصحاب، وثبة من الأتراب، فيهم فقيه ذو لقم، ولم أعرف به، وغريم بطن، ولم أشعر له، رأى الحلواء فاستخفه الشره، واضطرب به الوله، فدار قس ثيابه، وأسال من لعابه، حتى وقف بالأكداس وخالط غمار الناس، ونظر إلى الفالوذج فقال: بأبي هذا اللمص، انظروه كأنه الفص؛ مجاجة الزنابير، أجريت على شوابير، وخالطها لباب الحبة، فجاءت أعذب من ريق الأحبة.

ورأى الخبيص فقال: بأبي هذا الغالي الرخيص، هذا جليد سماء الرحمة، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة، يجرح باللحظ، ويذوب من اللفظ. ثم ابيض، قالوا بماء البيض البض، قال غض من غض، ما أطيب خلوة الحبيب، لولا حضرة الرقيب! ولمح القبيطاء، فصاح: بأبي نقرة الفضة البيضاء، لا ترد عن العضة. أبنار طبخت أم بنور؟ فإني أراها كقطع البدور؛ وبلوز عجنت أم بجوز؟ فإني أراها عين عجين الموز. وموشى إليها وقد عدل صاحبها بدرهمين، وانتهشها بالنابين، فصاح: القارعة ما القارعة؟! هية! ويل للمرء من فيه! ورأى الزلابية، فقال: ويل لأمها الزانية، أبأحشائي نسجت، أم من صفاق قلبي ألفت؟ فإني أجد مكانها من نفسي مكينا، وحبل هواها على كبدي متينا، فمن أين وصلت كف طابخها إلى باطني، فاقتطعتها من دواجني؟ والعزيز الغفار، لأطلبنها بالثأر! ومشى إليها، فتلمظ له لسان الميزان، فأجفل يصيح: الثعبان الثعبان! ورفع له تمر النشا، غير مهضوم الحشا، فقال: مهيم! من أين لكم جنى نخلة مريم؟ ما أنتم إلا السحار، وما جزاؤكم إلا السيف والنار. وهم أن يأخذ منها. فأثبت في صدره العصا، فجلس القرفصا، يذري الدموع، ويبدي الخشوع. وما منا أحد إلا عن الضحك قد تجلد. فرقت له ضلوعي، وعلمت أن فيه غير مضيعي. وقد تحمل الصدقة على ذوي وفر، وفي كل ذي كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال منها تجمع أنواعها التي أنطقته وتحتوي على ضروبها التي أضرعته، وجاء بها وسرنا إلى مكان خال طيب، كوصف المهلبي:." (١)

(١) رسالة التوابع والزوابع، ص/٨

"ثم شرب سبعا فلما صحا آلى أن يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك **بثأره**.

فلما جنه الليل رأى برقا، فقال: أرقت لبرق بليل أهل، يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبتهبأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

فأين ربيعة من ربها؟، وأين تميم؟، وأين الخول؟

ألا يحضرون لدى بابه، كما يحضرون إذا ما أكل

طرد أبيه إياه

قالوا: وكان (امرئ القيس) كثير التشبيب بالنساء والتغزل بهن. وكان أبوه (حجر) يسوءه ذلك منه. فلما كان يوم (دارة جلجل) واجتمع بفاطمة، وكان له معها ما كان مما قصه في معلقته، وأنشد فيها قصيدته هذه، غضب أبوه عليه وأرسله مع مولى له. فقال له : خذ "امرأ القيس" واذبحه وائتني بعينيه". فأخذ الغلام وانطلق به. فلما صارا في الصحراء خاف الغلام: إن هو أنفذ أمر أبيه عاودته الشفقة عليه بعد حين فيقتله به. فأطلقه وأخذ جؤذرا وامتلخ عينيه وأتى بهما (حجرا) أباه. فحين رآهما ندم على ما كان منه. فقال الغلام "أبيت اللعن، إني لم أقتله". قال: "فائتني به" فانطلق، فإذا هو قد قال شعرا في رأس جبل، وهو: فلا تتركني يا ربيع لهذه، وكنت أراني قبلها بك واثقا

فرده إلى أبيه. فنهاه عن قول الشعر. فمكث زمنا لا يقوله.ثم إنه قال قصيدته التي مطلعها: ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

ومنها: لقد زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت، وإن لا يحسن اللهو أمثالي

ويا رب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال

تنورتها من أذرعات، واهلها بيثرب، أدنى دارها نظر عال

نظرت إليها والنجوم كأنهامصابيح رهبان تشب لقفال

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو جباب الماء، حالا على حال

فقالت سباك الله، إنك فاضحي: ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت: يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صالي
". (١)

"رجال المعلقات العشر مصطفى الغلاييني الصفحة : ١٩

ثم إن (امرأ القيس) ارتحل يستجيش القبائل. وطاف بين العرب يستنجدهم. حتى نزل (بكرا) و(تغلب). فسألهم النصر على (بني أسد) قاتلي أبيه، فأجابوا. فبعث العيون على (بني أسد). فعلموا بذلك. ولجأوا إلى (بني كنانة) ولما خافوا أن يدركهم فيهم ارتحلوا بليل. وكان الذي أنذرهم أن يرحلوا (علباء بن الحارث الكاهلي). ثم أقبل (امرؤ القيس) بمن معه من (بكر) و(تغلب) حتى انتهى إلى (بني كنانة) – وهو يحسبهم (بني أسد) – فوضع السلاح فيهم، وقال: "يا **لثارات** الملك، يا **لثارات** الهمام". فخرجت إليه عجوز من (بني كنانة) فقالت: "أبيت اللعن. لسنا لك **بثأر**. نحن من (بني كنانة). فدونك **ثأرك** فاطلبهم، فإن القوم قد ساروا بالأمس". فتبع (بني أسد)، ففاتوه ليلتهم تلك. فقال في ذلك: ألا يا لهف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم، وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا، ولو أدركته صفر الوطاب

يعني ببني أبيهم (بني كنانة) لأن (أسدا) و(كنانة) ابني (خزيمة) أخوان.

هم لحقهم وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش. و(بنو أسد) حامون على الماء.فنهد إليهم. فقاتلهم حتى كثرت القتلى والجرحى فيهم. وحجز الليل بينهم. وهرب (بنو أسد). فلما أصبح من معه من (بكر) و(تغلب) أبوا أن يتبعوهم. وقالوا: "لقد أصبت **ثأرك**". قال: "والله ما فعلت ولا أصبت من (بني كاهل) ولا من غيرهم من (بني أسد) أحدا" قالوا: (بلى ولكنك رجل مشؤوم). ثم انصرفوا عنه. ومضى هاربا لوجهه حتى لحق (بحمير) فاستنصر (ازدشنؤة) فأبوا أن ينصروه. فنزل بقيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن الحميري) وكان بينهما قرابة، فاستنصره واستمده على (بني أسد). فأمده بخمس مئة رجل من (حمير). وتبعه شذاذ من العرب. واستأجر من قبائل العرب رجالا. فسار بهم إلى (بني أسد). وظفر بهم.

---

(١) رجال المعلقات العشر للغلاييني، /

مطاردة المنذر لامرئ القيس

". (١)

"ومن عاداتهم السيئة دفن بعض البنات وهن أحياء خشية العار، وقتل الأولاد خشية الفقر، والغلو في أخذ الثأر، حتى أنهم كانوا يشنون الحرب التي تزهق فيها النفوس الكثيرة في سبيل الأخذ بثأر رجل منهم، ومنها المنابزة بالألقاب. والنبز هو اللقب المستهجن القبيح. ومنها التبني "وهو أن يجعل الولد غير الحقيقي الذي يتخذ كالابن بمنزلة الابن الحقيقي يرث ويورث". ومنها عبادة غير الله، وكانت عبادتهم على أنواع مختلفة، ولهم آلهة وأصنام كثيرة: كاللات والعزى وهبل ونسر وسواع ويغوث ويعوق، وغير ذلك. وكان منهم من يعبد النجوم كالشمس والقمر وعطارد والمشتري، وغير ذلك. ومن ذلك أسماؤهم كعبد العزى وعبد يغوث وعبد شمس، ونحوها. وكان في بلادهم كثير من النصارى واليهود والمجوس.

وكانوا قبلا موحدين، يعبدون الله على ملة "إبراهيم الخليل" و"إسماعيل" عليهما السلام. ثم اتخذوا الأصنام لتكون واسطة بينهم وبين الله بزعمهم، إلى أن عبدوها وقدموا لها القرابين، وذبحوا الذبائح على اسمها.

فلما وصلوا إلى هذه الدرجة من الجهل والكفر وعبادة غير الله أرسل لهم رسوله المصطفى ونبيه المرتضى "محمدا" صلى الله عليه وسلم، فأرجعهم إلى الشريعة الحق: شريعة "إبراهيم وموسى وعيسى" والأنبياء من قبلهم، فهداهم بعد الضلال، وأرشدهم بعد الحيرة.

المقدمة الثانية

شذرة في اللغة وآدابها

اللغة

اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عما في ضمائرهم بأساليب خاصة. وهي ضرورية للنوع الإنساني. وتلازمه من لدن دروجه إلى احتضاره. وبها يتميز عن سائر الحيوان.

". (٢)

---

(١) رجال المعلقات العشر للغلاييني، /

(٢) رجال المعلقات العشر للغلاييني، /

"ولما اجتمعت (بنو أسد) بعد (قتلهم حجر بن عمرو) والد امرئ القيس إلى (امرئ القيس) على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه، أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولا - قال لهم امرؤ القيس: "أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم، ولا رأيتهم كفؤا لحجر، وأما النظرة فلكم. ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة، حتى أشفي نفسي، وأنال ثأري".

فلما سمع عبيد كلام امرئ القيس أنشد: يا ذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالا وحينا

أزعمت أنك فاتك بسراتنا، كذبا ومينا

هلا على حجر ابن أم قطام تبكي لا علينا

إنا إذا عض الشقاف برأس صعدتنا لوينا

نحمي حقيقتنا، وبعض القوم يسقط بين بينا

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا؟

أيام نضرب هامهم بنواتر، حتى انحنينا

نحن الألى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا

لا يبلغ الباني ولورفع الدعائم ما بنينا

كم من رئيس قد قتلناه وضيم قد أبينا

إنا لعمرك لا يضام حليفنا أبدا لدينا

ولما عصى بنو أسد حجرا أبا امرئ القيس وامتنعوا عن دفع الإتاوة وضربوا جابيه وأدموه - جاءهم حجر فقتل منهم وأسر سراتهم. وكان في الأسرى عبيد بن الأبرص. وقد أنشد قصيدة كانت سبب عفوه عنهم. ثم قتلوا حجرا، وشدوا على أمواله نهبا. وقد قدمنا تفصيل الخبر والقصيدة.

موت عبيد

." (١)

---

(١) رجال المعلقات العشر للغلاييني، /

"٢(مساجد نسفت في قبرص علنا ** فهل تحرك عند القوم وجدان)(قالوا قد اختلفت ترك ويونان ** لا بل قد اختلفنا كفر وإيمان)(حرب صليبية شعواء سافرة **كالشمس ماعازها قصد وبرهان)٤ (قد غاب عنها صلاح الدين وأسفا ** فراح يفتك بالاسلام مطران)٥ (وحول كشمير قتلى لا عداد لهم ** في كل زاوية رأس وجثمان)٦ (يفدون أرواحهم للدين خالصة ** فما استكانوا ولا ذلوا ولا هانوا)٧ (يستصرخون ذوي الايمان عاطفة ** فلم يغثهم بيوم الروع أعوان)٨ (تألب الكفر واحمرت له حدق ** حقدا لتعبد دون الله ثيران)٩ (وذي فلسطين قد طالت مصيبتها ** وخيمت في سماء القدس أحزان)٠ (ضجت من الضيم وانفتت جلامدها ** تدعو إلى الثأر آكام ووديان)

(١) ".

"البحر : – (أم الربيعين ابسمي وتهللي ** زهوا بتاريخ البطولة وارفلي) (أم الأسود الثأرين تحية ** بدم الشهيد كتاب مجدك سجلي) (أم البطولة والرجولة والابا ** دكي قلاع الظالمين وزلزلي) ٤ (أم الأباه الطيبين مآثرا ** لا زلت للاسلام أمنع معقل) ٥ (يا منبت الأحرار أخوة هاشم ** المستقيم الخاشع المتبتل) ٦ (الراسخ الايمان لم يجزع ولم ** يخضع لجبار ولم يتذلل) ٧ (كالطود تهزأ بالرياح شعافة ** فتحول بين جنوبها والشمأل) ٨ (وكريمة الأنساب ظاهرة الذرى ** سكنت من العلياء أسمى منزل) ٩ (لم تقترف ذنبا سوى إيمانها ** بعدالة الاسلام لا بالمنجل)٠ (يا حفصة الفاروق في أيامنا ** يا مضرب الامثال في المستقبل)

(٢) ".

"٤(تهزنا ذكريات المجد دافقة ** حتى نعود كما كنا عناوينا) ٤(هذي جيوش الهدى تدوي مجلجلة ** تهتز مرعوبة منها أعادينا) ٤(تقدمت ولواء النصر منتشر ** فوق السماكين رمزا عن معالينا) ٤٤ (الحق يدفعها حتى تعيد لنا ** بالعز ثانية بدرا وحطينا) ٤٥ (سارت وللثأر نيران مؤججة ** باتت تحاكي شظاياها البراكينا) ٤٦ (في بأسها من صلاح الدين شدته ** به تدير على الكفر الطواحينا) ٤٧ (ترنوا

(١) ديوان وليد الأعظمي، ص/٩

(٢) ديوان وليد الأعظمي، ص/١٢

إلى المسجد الأقصى تفرسه ** عزائم كاللظى للثأر تحدونا) ٤٨ (نرد كيد العدى في نحرهم ولنا ** حق بأن نجعل الدنيا قرابينا) ٤٩ (حتى نعيد إلى الإسلام هيبته ** ونجعل الحق مرفوع اللوافينا) ٥٠ (ونرجع القبة الشماء ضاحكة ** ونملأ القدس ريحانا ونسرينا)

". (١)

"٤٩ (إن نحن لم نثأر به فاشحذوا ** شفاركم منا لحز الحلوق) ٥٠ (ذبحا كذبح الشاة لا تتقي ** ذابحها إلا بشخب العروق) ٥(أصبح ما بين بني وائل ** منقطع الحبل بعيد الصديق) ٥(غدا نساقي فاعلموا بيننا ** أرماحنا من عاتك كالرحيق) ٥٥ (من كل مغوار الضحى بهمة ** شمردل من فوق طرف عتيق) ٥٧ (سعاليا تحمل من تغلب ** أشباه جن كليوث الطريق) ٥٩ (ليس أخوكم تاركا وتره ** دون تقضي وتره بالمفيق)

". (٢)

"البحر : – (أبا بشر تطاول بي العتاب ** وطال بي التردد والطلاب) (ولم أترك من الأعذار شيئا ** ألام به وإن كثر الخطاب) (سألتك حاجة فطويت كشحا ** على رغم وللدهر انقلاب) ٤ (وسمتني الدنية مستخفا **كما خزمت بآنفها الصعاب) ٥ (كأنك كنت تطلبني بثأر ** وفي هذا لك العجب العجاب) ٦ (فإن تك حاجتي غلبت وأعيت ** فمعذور وقد وجب الثواب) ٧ (وإن يك وقتها شيب الغراب ** فلا قضيت ولا شاب الغراب) ٨ (رجوتك حين قيل لي ابن كسرى ** وإنك سر ملكهم اللباب) ٩ (فقد عجلت لي من ذاك وعدا ** وأقرب من تناوله السحاب).٠ (وكل سوف ينشر غير شك ** ويحماه لطيتهالكتاب)

". (٣)

---

(١) ديوان وليد الأعظمي، ص/٢٢

(٢) ديوان مهلهل بن ربيعة، ص/٣٠

(٣) ديوان محمد بن حازم الباهلي، ص/١٣

"البحر : – (أما لك أن تزور وأنت خلو ** صحيح القلب أخت بني غفار) (فما برحت تعيرك مقلتيها ** فتعطيك المنية في استتار) (و تسهو في حديث القوم حتى ** تبين بعض أهلك ما تواري) ٤ (فمت يا قلب ما بك من دفاع ** فينجيك الدفاع ولا فرار) ٥ (فلم أر طالبا بدم كمثلي ** أود وحسن مطلوب بثار) ٦ (إذا ذكرا بثأري قلت سقيا ** لثأري ذي الخواتم والسوار) ٧ (و ما عرفت دمي فتبوء منه ** برهن في حبالي أو ضمار) ٨ (وقد زعم العواذل أن يومي ** و يومك بالمحصب ذي الجمار) ٩ (من الأعباء ثم زعمت أن لا ** و قلت لذي التنازع والتماري)٠ (كذبتم ما السلام بقول زور ** ولا اليوم الحرام بيوم ثار)

---

(١) ".

"١(باحتيال العقل يحمي نفسه **كل رخو ليس يرجو بأسه)(قوة التدبير في دفع الضرر ** في زمان الضعف أقوى وأمر)(فإذا ما ثار للثأر الجنون ** صار عقل العبد خلاق الفتون)٤ (قال أمر حار فيه العاقل ** بحر عم ليس فيه ساحل)٥ (كيف للضأن قال الأسد ** ساعد رخو وفولاذ يد)٦ (ليس وعظ من بليغ قادرا ** أن يرد الكبش ذئبا كاسرا)٧ (لكن الليث راه حملا ** إن سها عن نفسه أو غفلا)٨ (فادعى في القوم دعوى ملهم ** مرسل للأسد شراب الدم)٩ (قال كل القوم كذاب أشر ** غافل عن يوم نحس مستمر)٠ (جئت للناس بشرع محكم ** إنني النور لطرف مظلم)

---

(٢) ".

"١(تردى رجال قبلنا وتقطرت ** بهم شهبه دون المدى وشاهبه)(و صرح عما ساءهم طول محضه ** خبائث جرتها عليهم أطايبه)(حبائل مكتوب لها نصر كيدها ** من الله لا يمحى الذي هو كاتبه)٤ (فمن مغلق مستعجل أو مؤخر ** مراخيه يوما لا محالة جاذبه)٥ (تصاممت عن داعي المنون مغالطا ** و إني على طول السكوت مجاوبه)٦ (و قدمت غيري جنة أتقي بها ** و من يوق من راميه لا بد صائبه)٧ (أخلاى أيم الله أطلب ثأركم ** من الدهر لو قد أدرك الثأر طالبه)٨ (أفي كل يوم لي قضيب مخالس **

---

(١) ديوان محمد بن بشير الخارجي، ص/١٩

(٢) ديوان محمد إقبال، ص/٣٣

و ذخر نفيس منكم الموت غاصبه)٩ (و كاس من العلياء والحسن يعتدي ** سليما على سيفي وسوطى سالبه)٠ (تطيح به زندي وجهد تحفظي ** بميثاقه في الغيب أني نادبه)

---

(١) ".

"١(بت ورحلي بك ريحانة ** نم عليها الحسن والطيب)(كأنما ذيل الصبا فوقها ** بالقطر أو ذيلك مسحوب)(يا ابنة قوم وجدوا ثأرهم ** عندي بها والثأر مطلوب)٤ (لولاك والأيام دوالة ** ما استعبد الفرس الأعاريب)٥ (أراجع لي بضمان المنى ** ملحوب أو ما ضم ملحوب)٦ (و صالحات من ليالي الحمى ** ما شابها إثم ولا حوب)٧ (لهوى نسك ووجوه الدمى ** تحت دجاها لي محاريب)٨ (و ذاهل عاب حنيني لها ** و لم يعب أن حنت النيب)٩ (قال سفاه ذكر ما قد مضى ** و ظن أن اللوم تأديب)٠ (ما لك لا أحببت إلا ومن ** فوقك سوط العذل مصبوب)

---

(٢) ".

"١٠(و أعوز المقام أن أسطيعه ** و سددت عن سيري المقاصد)٠(أيقتل الزمان مثلي هدرا ** و أنت ثأري والزمان عامد)٠(أنت بفضلي شاهد فلا أمت ** هزلا وتضييعا وأنت شاهد)٠٤ (أكد مع الإثقال نحوي نظرة ** تنعشني لحاظها الردائد)٠٥ (لعلها يا خير من يدعى لها ** تصلح شيئا هذه المفاسد)٠٦ (و ابتع بها الشكر فعندي عوض ** تضمنه القواطن الشوارد)٠٧ (كل مطاع أمرها مسلط ** في الشعر ملقاة لها المقالد)٠٨ (سائرة تنشرها الركبان أو ** عامرة بذكرها المشاهد)٠٩ (ترى الكلام عجزا وطرفا ** و كلها وسائط فرائد)١٠ (إذا رأت عرض كريم عاطلا ** فهي له العقود والقلائد)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٣٠

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/٢٠٩

(٣) ديوان مهيار الديلمي، ص/٥٤٦

"١(لم ينجه البيت المطنب بالكوا **كبو المعمد بالهلال الزاهر)(و النسبة العلياء إن هي شجرت ** زلقت معارجها بكل مفاخر)(و عصائب مضرية قرشية ** خلقوا لحفظ وشائج وأواصر)٤ (يتراكضون إلى تنجز ثأرهم ** و لو أنه عند الغمام السائر)٥ (من كل أبلج منكباه لواؤه ** بضفيرتيه السمهرية ضافر)٦ (برد النسيم إذا تربع عنده ** حر الهجير إذا عرافي ناجر)٧ (أنس بأسباب الطلاب كأنه ** و لو امتطى النكباء غير مخاطر)٨ (كلا ولا أغنته عفة نفسه ** عن عاجل يرضى سواه حاضر)٩ (و لقاؤه شهواته ببصيرة ** معصومة عنها وذيل طاهر)٠ (نرجو لصالحنا تطاول عمره ** تعب رجاء ولادة من عاقر)

---

(١) ".

"٦(غرر في العز حتى نال غايته ** و جانب العز مركوب له الغرر) ٦(لو عيب ما عابه شيء يزن به ** من النقيصة إلا أنه بشر) ٦(حلا له الحمد حتى ما له ثمن ** يغلو عليه وحتى ما له هدر) ٦٤ (لو وهب المرء يوما نفسه سرفا ** لم يهب النفس إلا وهو مختصر) ٦٥ (عجمت أيام دهري صعبة بكم ** فسالمتني وفي أيامها خور) ٦٦ (و كان لي عند حظي قبل ودكم ** ثأر فقمت بكم كالسيف أثئر) ٦٧ (فلتأتينكم عني وبي أبدا ** غرائب وهي في أوطانها فقر) ٦٨ (تسري مراكب للأحساب تعرضها ** على العيون شيات كلها غرر) ٦٩ (إذا تحلت فمعناها قلائدها الن ** ضار أو لفظها أقراطها الدرر) ٧٠ (مما ولدت وإن خالفت منصبها **كسرى أبي وأبوها نسبة مضر)

---

(٢) ".

"البحر : – (إذا رفعت من شراف الخدور ** فصبرك إن قلت إني صبور) (ستعلم كيف يطل القتي ** ل بعد النوى ويذل الأسير) (فإن كنت منتصرا فاستقد ** بثأرك والعيس عجلى تثور) ٤ (و إلا فلن جانبا للفراق ** فما كنت أول جلد يخور) ٥ (ألا تسعداني بعينيكما ** و ما كنت قبل الهوى أستعير) ٦ (فقد حار لحظي بين اثنتين ** هوى منجد وخليط يغور) ٧ (ترى العين ما لا يراه الفؤاد ** فيقصد قلبي

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/٦٤١

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/٦٩٧

وطرفي يجور) ٨ (وقفت وقد فاتني بالحمو ** ل غضبان ليل سراه قصير) ٩ (عنيف إذا ساق لم يلتفت ** لساق تطيح ومخ يرير)٠ (كفاه مع العيس حسن النشاط ** حنيني في إثرها والزفير)

---

(١) ".

"٦(و وراء ثأرك غلمة لسيوفهم ** في الروع من مهج العدا ما اختاروا) ٦(يتهافتون على المنون كأنهم ** حرصا فرا ش والمنية نار) ٦(حلماء في الجلي فإن هم أغضبوا ** طاشوا فحنت فيهم الأوتار) ٦٤ (لو صحت تسمعهم وصوتك في الثرى ** فحصوا عليك وفي السماء لطاروا) ٦٥ (خذلوك مضطرين فيك وجمجموا ** من بعد ما فصحت بك الأخبار) ٦٦ (و تناذروا أن يندبوك قضية ** فالحزن بينهم عليك سرار) ٦٧ (إن يمسكوا فيض الدموع فربما ** فاضت عيون في الصدور غزار) ٦٨ (أو يجلسوا نظرا ليوم تشاور ** فالريث أحزم ما أراب بدار) ٦٩ (و لربما نام الطلوب بثأره ** لغد ولكن لا ينام الثار) ٧٠ (و قد اشتفى بعد البسوس مهلهل ** زمنا وما نسى الدم المرار)

---

(٢) ".

"البحر : - (هل في الشموس التي تحدى بها العير ** قلب إلى غير هذا الدين مفطور) (أم عند تلك العيون المتبلات لنا ** دم على أسهم الرامين محظور) (زموا المطايا فدمع مطلق أمن ال ** عدوى ودمع وراء الخوف محصور) ٤ (فكم نهيت بأولى الزجر سائقهم ** حتى تشابه مهتوك ومستور) ٥ (وفي الخدور مواعيد مسوفة ** لم يقض منهن منذور ومنظور) ٦ (وماطلات ديون الحب تلزمها ** ليا وهن مليات مياسير) ٧ (لا تقتضى بفتى يقتلن عاقلة ** ولا يقوم وراء الثأر موتور) ٨ (يجحدن ما سفكت أجفانهن دما ** وقد أقر به خد وأظفور) ٩ (يا سائق البكرات استبق فضلتها ** على الوريد فظهر العفر معقور)٠ (حبسا ولو ساعة تروى بها مقل ** هيم وأنت عليها الدهر مشكور)

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/٧١٩

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/٧٦٧

(١) ".

"٤(حمى النوم أجفانه أن تلذ ** دون انتهاءش المعالي هجوعا) ٤(وكلف كبرى المساعي فقا ** م يحملها قبل أن يستطيعا) ٤(جرت يده سلسلا في الصدي ** ق عذبا وبين الأعادي نجيعا) ٤٤ (وأعطى وغار على عرضه ** فعد بذاك وهوبا منوعا) ٤٥ (من النفر البيض تمشي النجو ** م حيرى إذا واجهوها طلوعا) ٤٦ (ميامين يعترضون السنين ** عجافا يدرون فيها الضروعا) ٤٧ (إذا أجدبوا خصمهم جدبهم ** وإن أخصبوا كان خصبا مريعا) ٤٨ (طوال السواعد شم الأنو ** ف طابوا أصولا وطالوا فروعا) ٤٩ (رشاق فإن ثأروا مختفين ** رأيتهم يملأون الدروعا) ٥٠ (بنى لهم الملك فوق السماك ** على أول الدهر بيتا رفيعا)

(٢) ".

"١(وكل من فقد الأحباب ناظره ** مسرح الطرف في الآثار نافعه)(وفي الظعائن خلاب بموعده ** خلابة البرق لم تصدق لوامعه)(مقنع لثم الأبطال يحدرها ** ذليلة ما تواريه مقانعه)٤ (ظبي يسد عن المرعى النفوس فقد ** صارت حمى بالدم الجاري مراتعه)٥ (لا يقتضى عنده ثأر ولا ترة ** ولا يعاب بجبن من يقارعه)٦ (إن شاء أنكر أو إن شاء معترفا ** بالقتل لم يتعسفه توابعه)٧ (وكيف يجحد قتلاه إذا شهدت ** خداه بالدم أو باحت أصابعه)٨ (يا تاركي مثلا في الناس منتشرا ** تدور شائعة فيهم وشائعه)٩ (ما سلط الله أجفاني على جلدي ** إلا ومحفوظ سري فيك ضائعه)٠ (من أحدث الغدر دينا فاستننت به ** ومن أباحتك تعذيبي شرائعه)

(٣) ".

"١(أراق دمي الحرام فضول عيني ** فثأرى بين أجفاني وماقي)(أيا ربع الهوى دع لي طريقي ** فلا حبسي إليك ولا اعتياقي)(لك الخلق الحسان إذا تصدت ** ولكن ما لأهلك من خلاق)٤ (وقل لشقيقة

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/٩٤٩

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١١٦٥

(٣) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٢١١

القمرين بيني ** فهذا عنك بيني وانطلاقي)٥ (وإلا تفعلي أنطق بهجر ** يسوء الود يا ذات النطاق)٦ (علقتك صائعا في الحب عزمي ** فكان المجد أولى باعتلاقي)٧ (أنا الجاري إذا الحلبات طالت ** مراكضها على الخيل العتاق)٨ (نفضت طريقها شوطا فشوطا ** وسلم بها قضب السباق)٩ (فمن ذا يبتغي في الفضل سبقي ** وقد يئس السوابق من لحاقي)٠ (بقيت لحر هذا القول وحدي ** فعبدي منه مأمون الإباق)

(١) ".

"٢(ولمستجير والخطوب تنوشه ** مستطعم والدهر فيه آكل)(متلوم العزمات لا هو قاطن ** في داره قفرا ولا هو راحل)(أودى به التطواف ينشد ناصرا ** فيضل أن يلقاه إلا خاذل)٤ (حتى إذا الإقبال منك دنا به ** أنساه عندك عام بؤس قابل)٥ (ولمعشر طرق العلوم ذنوبهم ** في الناس وهي لهم إليك وسائل)٦ (كانوا عن الطلب الذليل بمعزل ** ثقة وأنت بما كفاهم كافل)٧ (قطع الجدا بهم وقد قطع الردى ** بك أن يظن تزاور وتواصل)٨ (وعصائب هي إن ركبت مواكب ** تسع العيون وإن غضبت جحافل)٩ (تفري بأذرعها الكعوب كأنها ** تحت الرماح على الرماح عوامل)٠ (لو كان في ثعل بموتك ثأرها ** ما عاش من ثعل عليك مناضل)

(٢) ".

"٤(وأن ينزع الأمرمن أهله ** لأن عليا له أهلا) ٤(وساروا يحطون في آله ** بظلمهم كلكلا كلكلا) ٤(تدب عقارب من كيدهم ** فتفنيهم أولا أولا) ٤٤ (أضاليل ساقت مصاب الحسين ** وما قبل ذاك وما قد تلا) ٤٥ (أمية لابسة عارها ** وإن خفي الثأر أو حصلا) ٤٦ (فيوم السقيفة يا بن النب ** ي طرق يومك في كربلا) ٤٧ (وغصب أبيك على حقه ** وأمك حسن أن تقتلا) ٤٨ (أيا راكبا ظهر مجدولة ** تخال إذا انبسطت أجدلا) ٤٩ (شأت أربع الريح في أربع ** إذا ما انتشرن طوين الفلا) ٥٠ (إذا وكلت طرفها بالسما ** ء خيل بإدراكها وكلا)

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٣٨٨

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٥١٥

---

(١) ".

"١(وقفنا نقتضي الناىٔ ** ل من يمطلنا الدينا)(ونشكو بارد الصدر ** إذا استقدح قلبينا)(أيا عرب أليس الغد ** ر في دينكم شينا)٤ (أحقا تستقيدون ** من الفرس بنفسينا)٥ (كم الثأر أما ينسى ** دم بين قبيلينا)٦ (ولمياء حذرناها ** فساق القدر الحينا)٧ (فكم ضمت يد الليل ال ** مني تحت إزارينا)٨ (إذا ما بدر الصبح ** حسبناهن يسعينا)٩ (جعلنا أعين الشهب ** على شمس الضحى عينا)٠ (ألا لله صدقي وال ** هوى يوسعني مينا)

---

(٢) ".

"١(فمن المطلوب بيشاط دم ** ثأره مقتسم بين الحلل)(حال يا خنساء حول البين بي ** أفترعين لعهد لم يحل)(قلت صبرا فهبيني فلقة ** من أبان قد أذابتني المقل)٤ (أين بالبطحاء ميثاقكم ** رب آل واسمه فيكن إل)٥ (وسعى الواشي بجمع بيننا ** لا مشت رجلك يا ذاك الرجل)٦ (ظنه حبا مريبا فوشى ** فرأى وصلا كريما فعدل)٧ (لا تخل شرا وسل عن باطن ** عف عن قولك من يسمع يخل)٨ (لم يكن بعدك إلا نظر ** جرح القلب ولو دام قتل)٩ (سافرات بمنى لولا التقى ** خمرتهن شفاه بالقبل)٠ (كل بيضاء تمنى الكحل لو ** أنه ما بين جفنيها الكحل)

---

(٣) ".

"٣(لا يبالونوالمكارم فيهم ** باقيات ما ابتز خطب فأفنى)(ركبوا كل غاية يأخذون الس ** بق حتى ردوا الصرائح هجنا)(وترى كل نافر عندهم يأ ** نس إلا ما كان بخلا وجبنا)٤ (وإذا العام جف مدوا عليه ** أيديا يعصرون منها المزنا)٥ (كل رخو الإزار حتى إذا سا ** ر طوى شملة وقلص ردنا)٦ (لا يهاب السرى وراء المعالي ** واحدا خاض ليلها أو مثنى)٧ (يحمل الطود مستقلا ولا يحم ** ل وزن السفاة

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٥٩٤

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٦٢٤

(٣) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٦٧٤

ثأرا وضغنا)٨ (كعميد الكفاة لا تجد الغي ** بة في جنبه ولا الغمز وهنا)٩ (ساد رطب الشباب مقتبل الشر ** خ كهولا عدوا الحجا والسنا) ٤٠ (أبصر الضيم خطة فأباها ** ورأى العجز حاجة فاستغنى)

". (١)

"٢(أشكو زماني في دماء طلها ** عنتا وثأري عند أهل زماني)(وسيوف أيامي التي أنحي بها ** مسلولة في أيدي الإخوان)(يا صاحبي كم القناعة بالمنى ** والنوم تحت ظلائل الحرمان)٤ (وزعمتما أن المغرر عاثر ** تعد العلا غير الذي تعدان)٥ (لا بد منها وثبة عربية ** يرضى القعود بها عن النهضان)٦ (تدجو الخطوب وليلها مستصبح ** بالغرة البيضاء من عدنان)٧ (تبغي ديونا من بني عوف لها ** عقدت بغير المطل والليان)٨ (حتى تبيت مع الظلام نزيلة ** لأغر كابن أبي الأغرهجان)٩ (واها لها هديا وحسن بصيرة ** في السعي إن بلغت أبا حسان)٠ (تلقى عصاها في بيوتمقلد ** بندى يحل قلائد الأرسان)

". (٢)

"٧(ثم قسمت بالسواء بينهم ** فعظم الخطب عليهم وثقل) ٧(فشحذت تلك الظبا وحفرت ** تلك الزبى وأضرمت تلك الشعل) ٧(مواقف في الغدر يكفي سبة ** منها وعارا لهم يوم الجمل) ٧٤ (يا ليت شعري عن أكف أرهفت ** لك المواضي وانتحتك بالذبل) ٧٥ (واحتطبت تبغيك بالشر على ** أي اعتذار في المعاد تتكل) ٧٦ (أنسيت صفقتها أمس على ** يديك ألا غير ولا بدل) ٧٧ (وعن حصان أبرزت يكشف باس ** تخراجها ستر النبي المنسدل) ٧٨ (تطلب أمرا لم يكن ينصره ** بمثلها في الحرب إلا من خذل) ٧٩ (يا للرجال ولتيم تدعي ** ثأر بني أمية وتنتحل) ٨٠ (وللقتيل يلزمون دمه ** وفيهم القاتل غير من قتل)

". (٣)

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٧٤٦

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٧٧٧

(٣) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٨١٥

"٢(لا تطلبوا الثأر عند غيري ** فإن قلبي قتيل عيني)(لام على عفتي حريص ** والحرص إحدى الشقاوتين)(فظن ماء الحياة عدلا ** لسفك ماء في الوجنتين)٤ (قلتتنفج وكد ذليلا ** يا رب عرض في ماضغين)٥ (أقسمت بالمحرمين شعثا ** بين المصلى والمأزمين)٦ (وما أحلوا وما أهلوا ** بحجة بعد عمرتين)٧ (لا قاد ذل الأطماع رأسي ** ما دام ليذو الرياستين)٨ (أذم لي أن يذال وجهي ** أغلب منه ذو لبدتين)٩ (غيران جاورته فبيتي ** في الأرض بيت في الفرقدين)٠ (زحمت دهري به فأمسى ** جنبي أقوى العريكتين)

(١) ".

"البحر : - (من طالب بي في الظباء العين ** والثأر بين سوالف وعيون) (وسموا بنعمانالأسنة والقنا ** لشقاي باسم كواعب وغصون) (واهتز كل مرنح في رأسه ** لحظ تسيل عليه نفس طعين) ٤ (ضمن الفتور لضعفه فوفت له ** أحشاء كل ممسد ممنون) ٥ (بعنا صلاح قلوبنا بفسادها ** يوم النقا برضا من المغبون) ٦ (وعلى الحمول أهلة شفافة ** عن جوهر من حسنها المكنون) ٧ (شقوا الظلام بكل أبلج واضح ** يزع الظلام بعارض وجبين) ٨ (حر الأديم يعيد لون بياضه ** صبغ الدموع كثيرة التلوين) ٩ (جعلوا صدور العيس قبلة لعلع ** وحنينهن لدى الأراكحنيني)٠ (وتحرفوا ذات اليمين بحاجر ** فصفقت يأسا بالشمال يميني)

(٢) ".

"٢(وهو مغرى بي من بين بنيه ** سفها مالك يا دهر ومالي)(أبثأر ضاع تبغيني لابل ** حسد الفضل وقصدا للكمال)(هل ترى تسطيع أن تأخذ عزي ** وإبائي عند ما تأخذ مالي)٤ (أنا ذاك المخذم القاطع لا ** صدئي نقص ولا فرط انفلالي)٥ (أغر بي ما شئت قد يوغل قطعا ** عاطل الجفن وقد ينكل حالي)٦ (لي في دفعك نفس أي نفس ** ورجال وزر أي رجال)٧ (جنة دوني لا ينفذها ** لك كيد

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٨٢٢

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٨٤٥

بنصال ونبال)٨ (هم لنصري أسرة العز القدامى ** وهم أرباب نعماي الأوالي)٩ (كيفما طوفت بي صدك عني ** بيديه كالئ منهم ووالي)٠ (لم تغير رأيهم في لم شعثي ** غير الدهر وفي سد اختلالي)

---

(١) ".

"١(لا اليأس أبلاه ولا ** طول السقام مله)(جن بكم فما الذي ** به حبستم عقله)(قال تقول ظبية ** عز الهوى أذله)٤ (كان محبا واثقا ** عرضته للخجله)٥ (أنا التي أصابه ** طرفي بأولى نبله)٦ (خدعته وإنما ** خدعة مثلي قتله)٧ (أين بثأري ودمي ** وليه من طله)٨ (يحل قتلي كل يو ** م زمة في حله)٩ (من دونها السمر النحا ** ف والأكف العبله)٠ (وساهر غيران لا ** تطمع فيه الغفله)

---

(٢) ".

"١(كأنا أقسم خبث طينها ** لا يحمل الإنصاف فيما حملا)(وإن أرتك شارة طريرة ** ترضى بها العين ووجها هلهلا)(فغر على المجد وواصل غيرها ** أخرى تليق الفضل والتفضلا)٤ (ولا تكن إلا أخا صريمة ** متى نبت دار به تحولا)٥ (رم العلا بين بيوت أهلها ** مقلبا في طرقها مقلقلا)٦ (فقلما يعدم نجح حاجة ** من يقتني الخيل لها والإبلا)٧ (كم راودت بين بيوت أهلها ** عن ريها فما سقوها بللا)٨ (وفي بني الأصفر أوتار لها ** نام ولي ثأرها وغفلا)٩ (و بالعراق عرب أصفتهم ** مسلفة ثناءها المنخلا)٠ (فما قروها والقرى ميسر ** إلا المنى مكذوبة والأملا)

---

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (يا راكب البكر بين الشيح والغار ** أجارك الله من جور ومن عار) (عرج على الحي من كلب وناد به ** يا للجلاح ، أصيحابي وأنصاري) (لا أوحش الشام من تصهال خيلكم ** ولا أباعركم من دمنة الدار) ٤ (إلام تغفل عن ثأر ابن عمكم ** فعل الحواضر لا يرجون للثار) ٥ (لقد غزته

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٨٨٨

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/١٩٣٦

(٣) ديوان مهيار الديلمي، ص/٢١٢٢

عيون الغر غائرة ** فهل بصرتم بمعقول بأبصار) ٦ (أغصان بان إذا هب النسيم بها ** ترنحت بين كثبان واقمار) ٧ (من كل أشنب ألمى في مراشفه ** ماء العذيب على صهباء خمار) ٨ (يغنيك في كل حربس قوس حاجبه ** عن قوس حاجب في أيام ذي قار)

---

(١) ".

"البحر : طويل (أعاذلتي قومي انظري قد بدا البدر ** ولا تعذليني ، في عذاريه لي عذر) (بمن تحدق الأحداق طر ا إذا مشى ** ويخجل من أعطافه الغصن النضر) (سوى ما يحيك الناس ما بي ، لأجله ** فلا زيد اللاحي عليه ولا عمرو) ٤ (يقول إذا ما رمت ضما وريقة ** متى صيدت العنقاء أو حلت الخمر) ٥ (وكم ليلة قد لاح من صدغه الدجى ** ومن كأسه الجوزا ومن فمه الفجر) ٦ (وكم أخذت أوتاره الثأر من دمي ** سحيرا ، فقال الناس ، هذا هو السحر) ٧ (يشاركني حذقا فمن عنده الغنا ** إذا ما تنادمنا ، ومن عندي الشعر)

---

(٢) ".

" ٪ (وكأس شربت على لذة ٪ وأخرى تداويت منها بها) ٪ | كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال أبو نواس ٪ (وداوني بالتي كانت هي الداء ٪) ٪ فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله كانت هي الداء ، وقال المجنون ٪ (كما يتدواى شارب الخمر بالخمر ٪) ٪ ولا يقع هذا مع قول الأعشى موقعا ، ومثله قول البحتري : ٪ (تدوايت من ليلى بليلى فما اشتفى ٪ من الداء من قد بات بالداء يشتفي) ٪ | ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل ٪ (أناخوا فجروا شاصيات ٪) ٪ وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان : ٪ (ودنان كمثل صف رجال ٪ قد أقيموا ليرقصوا دستبندا) ٪ | وقال العلوي الأصفهاني في الزق : ٪ (عجبت من حبشي لا حراك به ٪ لا يدرك الثأر إلا وهو مذبوح) ٪ ٪ (طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع ٪ رغو الزقاق وطورا وهو مشبوح) ٪ | وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من قول بشار يصف ركب المرأة : ٪ (

---

(١) ديوان عرقلة الكلبي، ص/٦٦

(٢) ديوان عرقلة الكلبي، ص/٦٨

وصاحب مطرق في طول صحبته ٪ لا ينفع الدهر إلا وهو محموم) ٪ | وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذوا الكلامين حذوا واحد . وقال ابن المعتز : ٪ (إن غدا ملآن أمسى فارغا ٪ كأسير الرق أدى فعتق) ٪ | وقال القطامي : ٪ (استودعتها رواقيدا مقيرة ٪ دكن الظواهر قد برنسن بالطين) ٪ ٪ (مكافحات لحر الشمس قائمة ٪ كأنهن نبيط في تبابين) ٪ | وقال آخر : ٪ (تحسب الزق إذا أسندته ٪ حبشيا قطعت منه الشوى) ٪ | وقال العلوي الأصفهاني يصف شرابا في ظرف خزف : ٪ (مخدرة مكنونة قد تكشفت ٪ كراهبة بين الحسان الأوانس) ٪

---

(١) ".

" ٪ (بلاد إذا جن الظلام تقاقرت ٪ براغيثها من بين مثنى وواحد) ٪ ٪ (ديازجة سود الجلود كأنها ٪ نعال بريد أرسلت في المزاود) ٪ | وقلت : ٪ (ومن براغيث تنفي النوم عن بصري ٪ كأن جفني عن عيني قصيران) ٪ ٪ (يطلبن مني ثأرا لست أعرفه ٪ إلا عدواة سودان لبيضان) ٪ | وقد شكاهن الرماح الأسدي فأحسن في قوله : ٪ (تطاول بالفسطاس ليلى ولم يكن ٪ بحنو الفضا ليلى علي يطول) ٪ ٪ (يؤرقني حدب صغار أذلة ٪ وإن الذي يؤذينه لذليل) ٪ ٪ (إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة ٪ علينا ولا ينعي لهن قتيل) ٪ ٪ (ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ٪ وليس لبرغوث إلى سبيل) ٪ | وقال ابن بالمعتز : ٪ (وبراغيث أن ظفرن بجسمي ٪ خلت في كل موضع منه خالا) ٪ | وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم : ٪ (للقمل حول أبي العلاء مصارع ٪ من بين مقتول وبين عقير) ٪ ٪ (وكأنهن إذا علون قميصه ٪ فرد وتوأم سمسم مقشور) ٪ | وقد أبدع جرير في قوله : ٪ (ترى الصيبان عاكفة عليه ٪ كعنفقة الفرزدق حين شابا) ٪ | وقلت في النمل : ٪ (وحي أناخوا بالمنازل باللوى ٪ فصاروا بها بعد القطار قطينا) ٪ ٪ (إذا إختلفوا في الدار ظلت كأنها ٪ تبدد فيها الريح بزر قطونا) ٪ ٪ (إذا طرقوا قدري مع الليل أصبحت ٪ بواطنها مثل الظواهر جونا) ٪ ٪ (لهم نظرة يمنى ويسري إذا مشوا ٪ كما مر مرعوب يخاف كمينا) ٪ ٪ (ويمشون صفا في الديار كأنما ٪ يجرون خيطا في التراب مبينا) ٪ ٪ (ففي كل بيت من بيوتي قرية ٪ تضم صنوفا منهم وفنونا) ٪

---

(١) ديوان المعاني، ٣٢٩/١

(١) ".

" ٪ (كأنه طالب ثأرا على فرس ٪ أجد في إثر مطلوب على رمكه) ٪ ٪ (يا صدق من قال أيام مباركة ٪ إن كان يكني عن اسم الطول بالبركه) ٪ | وقال آخر : ٪ (مضى رمضان محمودا وأوفى ٪ علينا الفطر يقدمه السرور) ٪ ٪ (وفي مر الشهور لنا فناء ٪ ونحن نحب أن تفنى الشهور) ٪ | وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحي قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق : ٪ (هززتك للصبوح وقد نهانا ٪ أمير المؤمنين عن الصيام) ٪ ٪ (وعندي من قنان المصر عشر ٪ تطيب بهن دائرة المدام) ٪ ٪ (فكن أنت الجواب فليس شئ ٪ أحب إلي من حذف الكلام) ٪ | وقال غيره : ٪ (أقول لصاحبي وقد بدا لي ٪ هلال الفطر من تحت الغمام) ٪ ٪ (سنسكر سكرة شنعاء جهرا ٪ ونعر في قفا شهر الصيام) ٪ | وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفري : ٪ (هل لك في صهباء مشمولة ٪ ليست من الدبس الذي ينبذ) ٪ ٪ (فإن شعبان على طيبه ٪ درب إذا فكرت لا ينفذ) ٪ | وقال أحمد بن يزيد : ٪ (ألا سقياني من معتقة الخمر ٪ فلا عذر لي في الصبر أكثر من شهر) ٪ ٪ (وإن كنتما لم تعلما فتعلما ٪ بأن زمان الصوم ليس من العمر) ٪ | وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموج الرازي وقال حدثني أبي قال كتب على بن جبلة إلى أبي دلف يستسقيه نبيذا في يوم عيد الفطر فوجه إليه بما كفاه وبمائتي دينار فقال علي بن جبلة

(٢) ".

" ٪ (وأبيض عجلي رأيت غمامة ٪ وأسيافه تقضي على الحدثان) ٪ ٪ (مددت إليه ذمتي فأجارها ٪ وأغني يدي عن غيره ولساني) ٪ ٪ (شربت ورويت النديم بماله ٪ وأدركت ثأر الراح من رمضان) ٪ ٪ (وكان لشوال على ضمانة ٪ فكانت عطايا جوده بضمان) ٪ | وحدثنا عن الصولي قال

حدثنا أبو ذكوان القسم بن إسماعيل قال

حدثنا التوزي عن أبي عبيدة قال أسلم أعرابي في أول الأسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الأعرابي يذكر ذلك : ٪ (وجدنا دينكم سهلا علينا ٪ شرائعه سوى شهر الصيام) ٪ ٢ (فصل في معان

(١) ديوان المعاني، ٢/١٥٠

(٢) ديوان المعاني، ٢/٢٣٥

مختلفة) | أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوما وهي متغضبة فقال ما شأنك . قالت إنك لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول : ٪ (تمت عبيدة إلا في ملاحتها ٪ والحسن منها بحيث الشمس والقمر) ٪ ٪ (ما خالف الظبي منها حين تبصرها ٪ إلا سوالفه والجيد والنظر) ٪ ٪ (قل للذي عابها من حاسد حنق ٪ أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر) ٪ | وأنشدنا للعديل بن الفرج العجلي : ٪ (هل تقضين لمستهام حاجة ٪ نيطت إليك بها حبال رجائه) ٪ ٪ (أفنى تجلده بقاء دموعه ٪ وأدام عبرته فناء عزائه) ٪ | وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس ابن ثوابة فناظره رجل عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

". (١)

" ٪ (إن الغصون إذا قومتها إعتدلت ٪ ولا يلين إذا قومته الخشب) ٪ | وأجود ما قيل في إزدحام المنتجعين على أبواب المفضلين البيت المشهور : ٪ (من أكثر الإحسان من فعله ٪ وعم بالفضل جميع الأنام) ٪ ٪ (يزدحم الناس على بابه ٪ والمشرب العذب كثير الزحام) ٪ | وقال أبو الهول : ٪ (إذا السماء أبت إلا محاذرة ٪ سحت يد الفضل ياقوتا وعقيانا) ٪ ٪ (ترى الرفاق إلى أبوابه زمرا ٪ ورد القطا أقبلت مثنى ووحدانا) ٪ (معنى آخر) ٪ (ليس جود أعطيته بسؤال ٪ قد يهز السؤال غير جواد) ٪ ٪ (إنما الجود ما أتاك إبتداء ٪ لم تذق فيه ذلة الترداد) ٪ (ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم) ٪ (وخضراء لا من بنات الهديل ٪ يلفف بالسير منقارها) ٪ ٪ (كأن مشق عيون القطا ٪ إذا هن تؤمن آثارها) ٪ | وقال أيضا في الحجامة : ٪ (أما وأبيك لا أنساه تدمي ٪ مضارب سيفه البطل الكميا) ٪ ٪ (وبرقا في أنامله إذا ما ٪ تألق فتح الورد الجنيا) ٪ ٪ (إذا ظمئت فراخ أبيك يوما ٪ سقاها من رقاب الناس ريا) ٪ ٪ (وإن جرح الأخادع مطمئنا ٪ كسا الوجنات ديباجا بهيا) ٪ ٪ (ولم أر مثله يأتي عقوقا ٪ ويدعوه الورى برا تقيا) ٪ | وقال آخر : ٪ (أبوك أوهى النجاد عاتقه ٪ كم من كمى أدمي ومن بطل) ٪ ٪ (يأخذن من ماله ومن دمه ٪ لم يمس من ثأره على وجل) ٪

---

(١) ديوان المعاني، ٢/٢٣٦

". (١)

"البحر : طويل (لو كنت في الثأر الذي كنت طالبا **كفتيان عبس أو شباب صباح) (لأذهبت عنك الخزي في كل مشهد ، ** وأصبحت لا يلحى فعالك لاح) (وآخر ما ألتقت يداك بهذه ** ونحاك إذ حاولت أمرك ناح) ٤ (وما كان إن لم يأخذ الحق منهم ** جراح على مقصوصة بجراح)

". (٢)

"ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

وقال آخر:

ما أحسن العفو من القادر ... لا سيما عن غير ذي ناصر

يا غاية القصد وأقصى المنى ... وخير مرعى مقلة الناظر

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي ... فما له غيرك من غافر

أعوذ بالود الذي بيننا ... أن تفسد الأول بالآخر

كان أبو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله إلى منزله برفق فلما أفاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب إلى المأمون أبياتا منها.

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما ... كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما أن كنت عند خليفة ... وفي مجلس ما أن يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة سر إلينا فقد عفونا عنك فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوي معه أخذه الشاعر فقال:

إنما مجلس الشراب بساط ... فإذا ما انقضى طوينا بساطه

---

(١) ديوان المعاني، ٢/٢٤٤

(٢) ديوان الفرزدق، ص/٢١

وقال ابن سنا الملك: وما ذلك الحبيب فإنه حضر متفضلا وجاء متذللا لا متدللا واستجار بحرم الحرمة وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بأن الإدلال دلاه بغرور وأوقعه في أمور وأخرجه من الظمات إلى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل أمره وثنى عنان القلب إليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جني ريقه مرارة تجنيه.

وذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسته بألف شفيع

وقال الآخر:

وزعمت بأني ظالم فهجرتني ... ورميت في قلبي بسهم نافذ

فنعم ظلمتك فاعذري وتجاوزي ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون:

يا قمرا مطلعه المغرب ... قد ضاق بي في حبك المذهب

ألزمتني الذنب الذي جئته ... صدقت فاصفح إنني المذنب

فإن من أغرب ما مر بي ... أن عذابي فيك مستعذب

وقال آخر:

وما قابلت عفوك باعتذار ... ولكني أقول كما تقول

سأطرق باب عفوك باعتذار ... ويحكم بيننا الخلق الجمول

الباب السادس عشر

إغاثة العاشق المسكين

إذا وصلت العظم السكين

أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة وأغزرهم مروة وأرقهم قلبا وأحسنهم مربى ممن أصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وأمس له بكؤس المحبة ألف سكرة لا جرم أنه أعان ذوي المحبة ووازن بنفسه من في قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى في إصلاح حاله وساواه بنفسه وماله والله القائل في هذا المعنى.

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عذولا فإن كنت خاليا من ذلك كله.

أعني بأطماع كذوب على النوى إذا لم تقاتل يا جبان فشجع قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة مالك والهل القائل في ذلك:

لو تعلم الناس من شوقي ومن كافي ... ما بت أعلمه استسقوا بميعاد

واستشفعوا لي إلى ألفي بأجمعهم ... وجاء عائدهم في ذي قواد

ومن أعجب ما سمعته في إغاثة العاشق والأخذ **بثأره** وما حكاه الجاحظ ق ا ل بلغني أن عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله. وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له سلوة غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالي الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال أني سمعت الله يقول: " ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " أفلا أحيي الناس جميعا.

وحكى الخرائطي أنه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام إليها يوما.

ولقد رأيتك في المنام كأنما ... عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت نومي كله متراقدا ... لأراك في نومي ولست براقدا

فأجابته الجارية:." (١)

"وقال ابن منقذ:

يا ظالما يعرض عني إذا ... دعوت غضبان على ظالمي

أظنه أنت وإلا فلم ... تخشى دعائي دون ذا العالم

يا رب لا تسمعه فيه وإن ... كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر:

قلت لمحبوبي وقد مر بي ... محبوبه كالقمر الساري

هذا الذي يأخذ لي طرفه ... من طرفك الوسنان **بالثأر**

وقال الآخر:

ولما بدا لي أنه غير زائري ... وإن هواه ليس عني بمنجلي

تمنيت أن يهوى سواي لعله ... يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

الباب العشرون

الخضوع وانسكاب الدموع

---

(١) ديوان الصبابة، ص/٥٩

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب ولا إذا تمادى الهجر أو كان عليه بعض حجر هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر وينشد إذا عزم الخليط على السفر:

ومفارق سكن القلوب ... فلا خلت منه الربوع

بعث الرسول وقال لي ... وأنا السميع له المطيع

بالله قل لي ما جرى ... بعدي فقلت له الدموع

وق ال الآخر:

قال لي من أحببت والبين قد جد ... وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت ابكي عليك طول الطريق

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله:

؟؟؟؟؟؟؟؟؟قد استخدمت بالافكار سرى ... وما أطلقت لي بالوصل أجره

ولم أرني على الايام إلا ... عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بادمعي في الشمس عصره وقوله أيضا وهو من نثره الذي أصبح بين النجوم نثره فيصير حتى تنجلي هذه الغمرة وتقلع سحائب هذه السكرة وتجف مناديل الجفون فإنها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفي هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر:

لا تسلني عن اول العشق اني ... أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك أرد ... ت غرامي بمستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله:

أتراها لكثرة العشاق ... محسب الدمع خلقه في المآق

وقوله أيضا:

لاتعذل المشتاق في أشواقه ... حتى يكون حشاك في أحشائه

ان الفتيل مضرجا بدموعه ... مثل الفتيل مضرجا بدمائه

وقوله أيضا:

وهبت السلو لمن لامني ... وبت من الشوق في شاغل

كأن الجفون على مقلتي ... ثياب شققن على ثاكل
وقول الآخر:
شقت عليه يد الأسى ... ثوب الدموع إلى الذيول
وقال الآخر في الخضوع وانسكاب الدموع:
ولم أنس لا أنسى ذاك الخضوع ... وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف إلى خدها ... قياما إلى الصبح لم نرقد
وقال إبراهيم بن المعمار:
وبي غضبان لا يرضيه إلا ... دموع ساكبات مستمرة
فما عطفت معاطفه بوصل ... وفي عيني بعد الهجر قطرة
وقال الآخر:
وقائلة ما بال عينيك مذ رأت ... محاسن هذا الشخص أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظر طلعة ... فحق لها من فيض أدمعها غسل
وقال السري الرفاء:
بروحي من رد التحية ضاحكا ... فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه ... كأن دموع العين تعشقه معي
وقال ابن وكيع:
وسحاب إذا همي الماء فيه ... ألهب الرعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلا ... ظل يذكي على القلوب الحريقا
وقلت من قصيدة حجازية:
خليلي روض الرقمتين طرازه ... إذا لمع البرق الحجازي مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي إذا همت ... فما كل برق لاح للعين خلب
وقلت من أخرى حجازية:

تزنى جفني القريح على الخدين قد وكفا ... فحسبه ما جرى من أدمعي وكفا

إن عز نظم دموعي حين أنثر ... فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا." (١)

"٥(واستعجلا في يدي اليوم ثأركما ** بذلت ما لم أكن فيه ببذال) ٥(قد دغدغ الموت نصاري وحاميتي ** وضعضع الموت أطوادي وأجبالي) ٥(ونالني بالأذى من كان يرمقني ** قبيل هذا الردى بالمربأ العالى) ٥٤ (أصبحت فيك ' أزير الشك ' معرفتي ** عمدا وأصرف ذاك الخبر عن بالي) ٥٥ (وأسأل الركب عندى مثل علمهم ** أرجو تعلة إلباسي وإشكالي) ٥٦ (قبر على الكوفة الغراء نتبعه ** في كل يوم بإرنان وإعوال) ٥٧ (كأنما مسكة في تربة فتقت ** من طيب عرفك أو ناجود جريال) ٥٨ (لم يدفنوك به لكنهم هرقوا ** وما دروا سجل إحسان وإجمال) ٥٩ (وإنني آنف سقي السحاب له ** فتربة أنت فيها غير ممحال) ٦٠ (جادتك من صلوات الله أوعية ** غزيرة ذات إسجام وإسبال)

". (٢)

"٢(وهل نافع أن فرقتنا أصولكم ** أصول لنا نأوي إليها وعنصر ؟)(وعضو الفتى إن شل ليس بعضوه ** و ليس لرب السرب سرب منفر)(ولابد من يوم به الجو أغبر ** وفيه الثرى من كثرة القتل أحمر)٤ (وأنتم بمجتاز السيول كأنكم ** هشيم بأيدي العاصفات مطير)٥ (فتهبط منكم أرؤس كن في الذرا ** و يخبو لكم ذاك اللهيب المسعر)٦ (و يثأر منكم ثائر طال مطله ** و قد تظفر الأيام من ليس يظفر)

". (٣)

"البحر : كامل تام (حتام ذمي عندكم أزماني ** وبحبكم طرق الزمان جناني ؟) (تالله ما أنصفتم في حبكم ** فردا وأنتم والغرام اثنان) (لو أن هذا الحب يظهر شخصه ** لدخلت في أحشائه بسنان) ٤ (لكنه يرمي القلوب ويتقي ** بسوادها من أسهم الشجعان) ٥ (يا ليت شعرى كيف يثأر عاشق ** وعدوه

---

(١) ديوان الصبابة، ص/٦٨

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص/٨٩٥

(٣) ديوان الشريف المرتضى، ص/١١٠٥

في موطن الأخدان ؟) ٦ (يا من يغير على المحب بقلبه ** ألا انفردت له من الأعوان ؟) ٧ (لو كان ذاك لما انفردت بطائل ** ولعدت تسحب بردة الحرمان) ٨ (وأنا الذى راع الليالى بأسه ** فشعارها من أستر الألوان) ٩ (يلقى الردى بعزيمة هو عندها ** والعيش إلا في الذرا سيان)٠ (سل عني الأبطال إذ عممتهم ** بقواضبي بدلا من التيجان)

---

(١) ".

"١(لها اليوم راع لا يراع سوامه ** اذل لها نهج الطريق وعبدا)(إذا طمع الأعداء فيها أجارها ** و ارتعها بين العوالي واوردا)(وإن قوام الدين قد عب بحره ** وعيدا أقام الخالعين وأقعدا)٤ (تقوه فبينا تنظر البحر ساكنا ** إلى ان تراه شائل اللج مزبدا)٥ (أأطمعكم أن الحسام قضى المنى ** ولم يبق عند الدهر ثأرا ، فأغمدا)٦ (و إني ضمين ان تجرد مازق ** لغاو من الايام ان يتجردا)٧ (اما يرهب القطاع الا مجردا ** اما يتقى العسال الا مسددا)٨ (ليهن لليالي والمعالي انها ** اثابة برء عدها المجد مولدا)٩ (على حين طارت بالقلوب مخافة ** اطير فريص الملك منها وارعدا)٠ (و اصبحت الامال غرثى ظمية ** يواعدن من نعماك مرعى وموردا)

---

(٢) ".

"البحر : طويل (أصبت بعيني من أصاب بعينه ** فؤادي ، ولم يعقل دمي يوم طله) (لقد ثأرت عيني بقلبي ولم يكن ** حلالا له من مهجتي ما استحله) (فأهلا بعينيه ، وإن طلتا دمي ** فكم مالك لم يرزق العبد عدله) ٤ (وبعدا لعيني لم أصابته بالأذى ** وألا تلقت واقع السوء قبله) ٥ (فيا ظالما تستحسن النفس ظلمه ** ويا قاتلا يستعذب القلب قتله) ٦ (ليهنك أن النفس تمنحك الهوى ** جميعا وأن القلب عندك كله)

---

(١) ديوان الشريف المرتضى، ص/١٤٩٢

(٢) ديوان الشريف الرضي، ص/٤٢٢

". (١)

"وقال مسلمة بن محارب: قتل معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في الحرب التي كانت بين قتيبة وبين سفيان بن معاوية. فلما ولي سفيان البصرة أرسل إلى خالد بن صفوان أن ابنك قتل، وقتل ابني فأرسلت إليك أتعزى بك وتتعزى بي. فقال: أصلح الله الأمير، أنا وأنت كما قالت الباكية: المجتث

أسعدنني أخواتي ... فالويل لي ولكنه

فقال سفيان: جددت لي حزنا. فقال: أصلح الله الأمير، فليسل عنك ما جددت لك العلم بأنك غير باق.

وقال كليب بن خلف: قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم: كيف كان جزعك على أهل بيتك ؟ فقال: ما ترك حب الغداء والعشاء في قلبي حزنا على أحد.

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة: كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة يقول: إن ابتليت فقد قتل أبي وإمامي عثمان. فصبرت.

وقال قائل لعبد الملك بن مروان: أأدركت قتل أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال: نعم. قال: فكيف كا ن جزعك عليه ؟. قال: شغلني الحنق لأن أدرك بثأره عن الحزن عليه.

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن إسماعيل بن يسار: مات ابن لأرطاة بن سهية المري، من غطفان، يقال له عمرو، فأقام على قبره حولا، يأتيه كل غداة فيقول: يا عمرو، هل أنت غاد معي ؟ فلما كان رأس الحول تمثل قول لبيد: الطويل

إلى الحول ثم أسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد أعتذر

ثم ترك قبر ابنه.

وقال أبو عمرو بن يزيد: مات أخ لمالك بن دينار فبكى وقال: يا أخي لا تقر عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار، ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

وقال مسلمة بن محارب: لما أتت معاوية وفاه زياد استرجع وقال: الطويل

وأفردت سهما في الكنانة واحدا ... سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وقال أبو زكريا العجلاني وغيره أن معاوية نعي إليه سعيد بن العاصي وعبد الله بن عامر فاسترجع وقال: الطويل

إذا مات من خلف امريء وأمامه ... وأفرد من جيرانه فهو سائر

---

(١) ديوان الشريف الرضي، ص/١٣٧٢

وقال عبد الله بن مسلم: بكى رجل على شاة له أصيب بها فأكثر، فرآه رجل من باهلة يقال له الحارث بن حبيب فقال: السريع

يا أيها الباكي على شاته ... يبكي بكاء غير إسرار

إن الرزيئات وأمثالها ... ما لقي الحارث في الدار

دعا بني معن وأشياعهم ... فكلهم يعدو بمحفار

وكان للحارث المذكور عشرة بنين، فحلب يوما في علبة ووضعها فمج فيها أسود سالخ، فبعث بالعلبة إلى بنيه، وهو لا يدري، فشربوها فماتوا جميعا. وقيل: بل كانوا سبعة، فسقط عليهم حائط فقتلهم.

وقال خالد بن يزيد بن بشر: جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن رجلا حدث نفسه بالبقاء لغير جيد الرأي.

وقال صدقة بن عبد الله المازني: مات حنظلة بن عبد الله الأسيدي فجزعت عليه امرأته، فنهتها جاراتها وقلن لها: إن هذا يحبط أجرك، فقالت: السريع

تعجب الدهر لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب

إن تسأليني اليوم ما شفني ... أخبرك قولا ليس بالكاذب

إن سواد العين أودى به ... حزن على حنظلة الكاتب

وكان حنظلة قد كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال إسحاق بن أيوب وعامر بن حفص ومسلمة بن محارب: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه محمد بن عروة فدخل محمد دار الدواب، فضربته دابة فخر ميتا، ووقعت في رجل عروة الأكلة، ولم يدع ورده تلك الليلة. فقال له الوليد: اقطعها، وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير. ولم يمسكه أحد. وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا.." (١)

"فلا والله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

وكانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلق النساء رؤوسهن، ولطمن خدودهن بالنعال.

وقال عبد مناف بن ربيع الهذلي يذكر أختيه: البسيط

---

(١) التعازي والمراثي، ص/١٣

إذا تأوب نوح قامتا معه ... ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

ألا يا لهف نفسي بعد عيش ... تولى بعده عيش أنيق

وإذ يتحاكم الحكام فينا ... إلى أبياتنا وذوو الحقوق

وإذ فينا فوارس كل هيج ... إذا فزعوا وفتيان الخروق

الخروق جمع خرق، وهو المتسع من الأرض، وذلك قول رؤبة ابن العجاج: الرجز

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

أي المتسع. وقال بعض المفسرين في قول الله جل وعز: إنك لن تخرق الأرض قال: تبلغ قطريها. والقول الفاشي إنما هو تنقبها بأجمعها إلى حيث بلغت.

إذا ما الحرب صلصل ناجذاها ... وفاجأها الكماة لدى المضيق

وكان من خبر مقتل معاوية بن عمرو. وكان أخا خنساء لأبيها وأمها، وكان صخرا أخاها لأبيها وكانت بصخر أمس لفضله على معاوية، ولم يكن معاوية متخلفا بل كان لاحقا في السؤدد بأخيه، أو دويبه شيئا. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثني أبو بلال وربما قال: أبو بلال سهم بن أبي بن العباس بن مرداس قال: غزا معاوية بن عمرو بن الشريد، أخو خنساء، مرة وفزارة، ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم ودريد المريان، ابنا حرملة، فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشد عليه الآخر فقتله. فلما تنادوا: قتل معاوية ! قال خفاف: قتلني الله إن رمت حتى أثأر به فشد على مالك بن حمار، سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال: الطويل

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

علوى: اسم فرسه.

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذالكا

فلما بلغ صخرا قتل أخيه، أتى مرة في الشهر الحرام فوقف على ابني حرملة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده، فقال: أيكما قتل معاوية ؟ فسكتا، فقال الصحيح للجريح: مالك لا تجيبه ؟ فقال: وقفت له فطعنني هذه الطعنة، وشد عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فقد أدركت بثأرك، أما إنا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه السماء ؟ قال: ها هي تيك، ردوها عليه، فردوها. فلما أتى صخر قومه قالوا: اهجهم. قال: ما بيننا أجل من القذع، لو لم أكفف عن هجائهم إلا رغبة بنفسي عن الخنا لكففت. وقال: الطويل

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول: ألا تهجو فوارس هاشم ... ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا
إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا
إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا
وهون وجدي أنني لم أقل له ... كذبت، ولم أبخل عليه بماليا
ثم زاد عليها بيتا بعدما أوقع بهم فقال:
وذي إخوة قطعت أرحام بينهم ... كما تركوني واحدا لا أخا ليا
ثم غزاهم في العام المقبل فلما دنا وعلا السماء قال: إني أخاف إذا طلعت أن يعرفوا طلعة السماء، فحمم غرتها، فلما أشرف على أداني القوم قالت امرأة لابنها: هذه، والله، السماء. فنظر إليها فقال: السماء غراء، وهذه بهيم، فلم يشعروا إلا والخيل دوائس، وقتل صخر دريدا وأصابوا في مرة، فقال: الكامل
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس المدبر
ولقد دفعت إلى دريد طعنة ... نجلاء تزغل مثل غط المنخر
قوله: تزغل أي تفيض بسجال الدم. قال ابن أحمر يعني القطاة إذا مجت الماء في حوصلة فرخها: السريع
فأزغلت في جيده زغلة ... لم تخطيء الجيد ولم تشفتر
والإيزاغ مثل الإزغال.." (١)

"وقد وجد الأعداء في الملك مطعنا ... عواقبه قتل يجل عن النشر
فلا هنأ الأعداء عثرة دهرنا ... فقد وأبي قرت عيون ذوي الغمر
رزئنا أمرأ لا نحفل الدهر بعده ... ولا الموت، فلتفر الحوادث ما تفري
فلله عينا من رأى من رزية ... وعثرة دهر أمنتنا من العثر
فواكبدا لو في الوغى كان موته ... بكينا عليه بالردينية السمر
وبالبيض والمرفوعة الزرق دمعها ... دم عاند ينثال بالعلق الحمر
وبالخيل يعلكن الشكيم كأنها ... كواسر عقبان نواهض عن قدر

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٢٧

يخضن نجيعا مائرا بعد جامد ... فلأيا تبين الكمت فيها من الشقر

وأضحى نهار الناس ليلا وألمعت ... كواكبنا بالهندوانية البتر

ولم يغن ضوء الشمس في قسطل الوغى ... فتيلا ونار الحرب ثاقبة الجمر

وأخمدت الأصوات إلا غماغم ال ... كماة ووقع المشرفية بالهبر

وخذها أيا بن الأكرمين وخذ بها ... وأخر وقدم بالوعيد وبالزجر

فمن مقعص يعطو بفضل حشاشة ... وآخر تفريه الحوامي وما يدري

يفرقن أوصالا كراما أعزة ... ويفضخن هاما من جحاجحة زهر

وقمنا إلى الثأر المنيم فلم يئل ... ولو نيط بالعيوق أو نيط بالنسر

فكنا وإن لم نوف من شيخنا دما ... نقر عيونا أو نريغ إلى عذر

ونهدأ نفسا ما تلاقى جفونها ... إذا الليل ألقى ذيل أرواقه الخضر

ولكن وقيناه القنا بنحورنا ... وفات كذا في غير هيج ولا نفر

فيا بن النبي المصطفى وابن عمه ... ويا بن علي والفواطم والحبر

ويا بن اختيار الله من آل آدم ... أبا فأبا طهرا يؤدي إلى طهر

ويا بن علي بعد والحسن الذي ... تلافى عرى الإسلام وابن أبي بكر

ويا بن سليمان الذي كان موئلا ... لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر

ومن ملأ الدنيا بهاء ونائلا ... وروى حجيجا بالملمعة القفر

تعز بما قد نالنا من رزية ... بموتك محبوسا على صاحب القبر

فإن مت في حبس الخليفة صابرا ... أبيا لما يعطي الذليل على القسر

فكم من عدو للخليفة قد هوى ... بكفيك أو أعطى المقادة بالصغر

فلا أورقت شجراء أرض ولا دحا ... من الغيث منهل متى طائر يسري

فقل للمنايا والمتالف اعصفا ... فلم يبق فينا من يريش ولا يبري

وقل للأعادي أعلنوا الآن أو دعوا ... سواء علينا المستسر وذو الجهر

وقال أحمد بن محمد الخثعمي يرثي إبراهيم بن سعيد الحميري: الخفيف

أيها الناعيان من تنعيان ؟ ... وعلى من أراكما تبكيان

انعيا الثاقب الزذناد أبا إس ... حاق رب المعروف والإحسان
ارجعا بي إن لم يكن لكما عق ... ر إلى لحد قبره فاعقراني
فانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دمي من نداه لو تعلمان
فكأنا ولم يطل بك عهد ... ما رأيناك عامر الأعطان
بين أدم تدمى، وركب منيخ ... وعساس ملتوتة وجفان
صلصل الصوت في صفائك بالرو ... ب خفيض الكلام في الصفان ؟
مسمع القدح من خطار وفـ،د ... وعديم الأتباع يوم الرهان ؟
ليت أنا فداك إذ فني الط ... م وفاضت مناهل الحدثان
فغدا ظاعنا يحث به النع ... ش حثيث السرى وليس بوان
سفر شاسع وحاد مجد ... وقعود باق على الرقلان." (١)
"شرب الموت منه محضه دو ... ن حليبها السطور من قحطان ؟
أيها الموت قد نهضت بحملي ... ن من الذم فيه والأضغان
قم بأعلى البقاع من غمدان ... وبسفلى الكثيب من عسفان
هل ترى غير مجلس صخب الأف ... ق بباك ونادب ثكلان
وترى غير ذابل سمهري ... ركد الزج في مكان السنان
وترى غير مقرم ناصل النا ... ب قليل السمو في الهدران
وعديم يعب في قدح الثك ... ل هديم الخباء والبنيان

ومن المراثي المستحسنة المقدمة ونحتاج أن نذكر معها خبرها وهو أن مالك بن زهير بن رواحة بن جذيمة العبسي وكان من أشراف بني عبس، وجذيمة منهم قتل في حرب داحس. وكان جانيها أخوه قيس بن زهير، فنشبت بينهم فيما ذكر أربعين سنة. وتشاءم بهم قومهم، فوجه قيس جاريته لتعلم ما عند الربيع بن زياد العبسي أيغضب لهذا الحديث فيقوى به أو يستهين، فرأت عنده أكثر مما أحب، فرجعت إليه فقالت: سمعت عويلا منه دون نسائه وحركة أكثر من حركة جميع الحي، وهو يقول: الكامل
منع الرقاد فما أغمض حار ... جلل من النما المهم الساري

(١) التعازي والمراثي، ص/٦٨

من مثله تمسي النساء حواسرا ... فتقوم معولة مع الأسحار

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

تأويل هذا البيت أنه إذا رأى ما يضع عليه من الجزع، علم أن ثأر مثله لا يترك.

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يضربن أوجههن بالأسحار

يخمشن حر وجوههن على فتى ... سهل الخليقة طيب الأخبار

قد كن يكنن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

قوله: أفبعد مقتل مالك بن زهير، مزاحف ناقص جزءا. وهذا في هذه العروض جائز، وهي التي يقال لها المقطوعة في الكامل. ونظيره قول حميد بن ثور: الكامل

أبلغ أمير المؤمنين فإنه ... طب يلوم المستليم ويعذر

أني كبرت وأن كل كبير ... مما يظن به يمل ويقبر

رجع ال شعر:

ما إن أرى في قتله لذوي القوى ... إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عدوفا ... يجهضن بالمهرات والأمهار

هذا مثل البيت المزاحف. يقال: ما ذقت عدوفا ولا عدانا، ولا لماظا ولا لماقا. وكل هذا في معنى لم أذق شيئا.

وفوارسا صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طلي الوجوه بقار

ويفوز كل مقلص من خيلنا ... سلس القياد معاقد التكرار

حتى نبير بذي المريقب غدوة ... بدرا ونعذر من بني سيار

بدر: ابن عمرو الفزاري، وبنو سيار بن زبان الفزاري قتلوا ابن عمهم وحاربوهم غدرا بغير دم ولا افقار.

ولرب مسرور بمقتل مالك ... كلا ورب البيت ذي الأسرار

حتى نبير بمالك سرواتهم ... حملا وفارسهم أبا حجار

حمل: ابن بدر وكان من فرسانهم وشجعانهم، وهو الذي يقول فيه القائل في هذه القصة بعد أن قتل: الوافر

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغي مصرعه وخيم

وأبو حجار: مالك بن حمار الشمخي، وبنو شمخ من فزارة، وفزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان.

وبنو عبس ابن بغيض بن ريث، فكان عبس وذبيان أخوين. وكانت حربهم أربعين سنة.
وحرب الأنصار الأوس والخزرج، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر كانت أكثر من هذا فيما ذكرت الرواية وكانت لا تزال تغبر.
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: دربوا لي بالحروب حتى دربوا. وقالت عائشة رضي الله عنها: قدمنا عليهم والجراح تطيف دما من حرب بعاث.
فحرب الأنصار: حرب بعاث، وحرب ابني بغيض: حرب داحس، وحرب بكر وتغلب تسمى: البسوس.." (١)

"إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدام
ولقد وطئن بيوت يشكر وطأة ... أخوالنا، وهم بنو الأعمام
وقال أيضا: المديد
يا لبكر أنشروا لي كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار ؟
تلك شيبان تقول لذهل ... صرح الشر وبان السرار
وبنو يشكر قاموا فقالوا ... قصة عوجاء فيها استتار
وبنو عجل تقول لقيس ... ولتيم اللات سيروا فساروا
وسنملي بعقب ذكر مهلهل هذا خبر وقائعهم ليفهم مجرى هذه المراثي وما يتبعها من أمثالها من لم يفهمه، ليعلم أن هذه الأشعار بنيت على أساسات من حكم العرب، تفيد أمثالا عجيبة ومذاهب غزيرة وأقوالا على أمور ينتفع بها في مثل ما قصدوا له وفي غيره من غير بابه. والحديث ذو شجون. وبالله الحول والقوة.
بكر وتغلب ابنا وائل شعبان ضخمان سادهما جميعا كليب بن ربيعة التغلبي، وهو الذي يقال له كليب وائل، فيضرب به المثل، حتى ادعت ربيعة في كليب أن العرب كلها تنقاد لشرفها. وفيه يقول النابغة الجعدي لرجل من أهله بغى وتعدى يخوفه عدوان الظلم: الطويل
كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... وأهون ذنبا منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستحر بطعنة ... كحاشية البرد اليماني المسهم
وكان سبب قتله على عزة من قومه ولحمته على أنه كان لا يرفع بحضره صوت ولا يسمع في ناديه كلمة خنا.

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٦٩

وفي ذلك يقول المهلهل في مرثيته إياه: الكامل

ذهب الخيار من المعاشر كلهم ... واستب بعدك يا كليب المجلس

وتنازعوا في أمر كل عظيمة ... لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

ومهلهل أخو كليب واسمه عدي، وهما ابنا ربيعة، وكان مهلهل يسفهه كليب ويصفه بالغزل والتحدث إلى النساء يذمره بذلك فيقول: أنت زير نساء.

وكان شرف بكر بن وائل في ولد ذي الجدين وهو عبد الله بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان. وهؤلاء أشراف وأبناء أشراف. وهم بيت بكر بن وائل وشرفها.

وكانت إحدى بنات مرة تحت كليب بن ربيعة، وكان عدي المهلهل آخى همام بن مرة. وكان عاقده وعاهده ألا يكتم أحدهما صاحبه خبرا يقع إليه. فجاءت جارية لهمام فسارته بشيء، فتغير وجهه، فقال المهلهل: ما قالت لك يا أخي ؟ فورى فقال له: العهد ! فقال: خبرتني أن أخي قتل أخاك. فقال له المهلهل: لا ترع، فإن همة أخيك لا تبلغ ذاك.

وسيتصل الخبر مستقصى بوقائعهم إن شاء الله.

وكانت حربهم أربعين سنة في مقتل كليب، وهو موصول بما ابتدأناه بما فيه من مراثيهم وغيرها. فقالت ماوية بنت مرة امرأة كليب، تشتكي ما بها من قتل أخيها زوجها، وهي قصيدة محيطة بالمعنى المقصود، جيدة الكلام بوفرة التشكي: الرمل

يا بنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امريء ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي

قتل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومفن أجلي

لو بعيني فديت عين سوى ... أختها فأنفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم قذى ما تفتلي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته ... وبدا في هدم بيتي الأول

ورماني قتله من كثب ... رمية المصمى به المستأصل

يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل

خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل

ليته كان دمي فاحتلبوا ... دركا منه دما من أكحلي

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتا عما أنجلت أو تنجلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي." (١)

"٢٤ (لقد قصموا عرى الإسلام عودا ** وبدءا في الحسين وفي علي)٥ (ويوم الطف قام ليوم بدر ** بأخذ الثأر من آل النبي)٦ (فتنوا بالإمام أما كفاهم ** ضلالا ما جنوه على الوصي)٧ (وأسرى عن قلوب قاسيات ** بأطراف الأسنة والقسي)٨ (يبيعون الدماء على نتهاك ** المحارم جد مقدام جري)٩ (أطافوا محدقين به وعاجوا ** عليه بكل طرف أعوجي)٠ (بكل مثقف لدن وعضب ** سريجي ودرع سابري)(فأنحوا بالصوارم مسرعات ** على البر النقي ابن النقي)(وجوه النار مظلمة أكبت ** على الوجه الهلالي الوضي)(فيا لك من إمام ضرجوه ** من القاني بخرصان القني)

". (٢)

"البحر : رمل تام (ما على أحسنكم لو أحسنا ** إنما نسأل شيئا هينا) (قد شجانا اليأس من بعدكم ** فغدونا بأحاديث المنى) (وعدوا بالوصل من طيفكم ** مقلة لم تدر فيكم وسنا) ٤ (لا وسحر بين أجفانكم ** فتن الحب به من فتنا) ٥ (وحديث من مواعيدكم ** تحسد العين عليه الأذنا) ٦ (ما رحلت العيس عن أرضكم ** فرأت عيناي شيئا حسنا) ٧ (يا بني عذرة إن ضفناكم ** فدم الهرماس منكم عندنا) ٨ (أخذت سمركم الثأر به ** لست أعني لكم سمر القنا) ٩ (وسللتم فيه ألحاظكم ** فعرفنا بالسيوف اليمنا)٠ (هل لنا نحوكم من عودة ** ومن التعليل قولي هل لنا)

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٧٢

(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي، ص/٤٤٥

". (١)

"١(كففت يد الأشرار من كل وجهة ** فلا ثم منهوب ولا ثم ناهب)(ومن لوزير قلد الأمر ربه ** نظيرك شيخا حنكته التجارب)(بصير بتدبير الأمور وعارف ** بمبدئها ماذا تكون العواقب)٤ (أذل بك الأخطار وهي عزيزة ** فهانت عليه في علاك المصاعب)٥ (تريه صباح الرأي والأمر مبهم ** ألنت له في قسوة البأس جانبا)٦ (فأصبح لم يعرض عن الناس لطفه ** ويحضر فيهم بأسه وهو غائب)٧ (وبأسك لا البيض الصوارم والقنا ** وجودك لا ما تستهل السحائب)٨ (وما زلت حتى يدرك المجد ثأره ** وتشرق في آفاقهن المناقب)٩ (بأيديك سحر الخط لا الخط تنثني ** فتثني عليها المرهفات القواضب)٠ (تخر لك الأقلام في الطرس سجدا ** لما أنت تمليه وما أنت كاتب)

". (٢)

"البحر : كامل تام (إن الكريم إذا رآك ظلمته ** ذكر الظلامة بعد نوم النوم) (إياك من ظلم الكريم فإنه ** مر مذاقته كطعم العلقم) (وجفا الفراش وبات يطلب ثأره ** أسفا وإن أغضى ولم يتكلم)

". (٣)

"٢(هل كان نهدك صنو قلبك تتقي ** عن لمسه في صدرك الأزرار)(ما كنت أحسب غصن بان في نقا ** تشكو أليم القطف منه ثمار)(نصلت سهمي مقلتيك ليصميا ** بنصال سحر الطرف فهي حرار)٤ (وهما المعلى والرقيب وإنما ** فربوعه بالمعتقين أواهل)٥ (لا ثأر يدرك منك في المهج التي ** أرديتها أو منك يدرك ثار)٦ (هلا التفت كما تلفت مغزل ** لترى مكان الخشف وهي نوار)٧ (وبردت حر الشوق بالبرد الذي ** شهد ومسك دونه وعقار)٨ (إني دفعت إلى هواك وغربة ** هتفت بها العزمات والأسفار)٩ (وغرست عمري في الزماع فمررت ** لفمي جناه نجائب وقفار)٠ (وجعلت داري في النوى فمؤانسي ** وحش الفلا ومجالسي الأكوار)

(١) ديوان عبد الله الخفاجي، ص/٢٩٦

(٢) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/١٧

(٣) ديوان عبد الصمد بن المعذل، ص/١٣٣

(١) ".

"البحر : طويل (تقول ابنة العمري ما لك بعدما ** أراك صحيحا كالسليم المعذب) (فقلت لها : همي الذي تعلمينه ** من الثأر في حيي زبيد وأرحب) (إن اغز زبيدا أغز قوما أعزة ** مركبهم في الحي خير مركب) ٤ (وإن أغز حيي خثعم فدماؤهم ** شفاء وخير الثأر للمتأوب) ٥ (فما أدرك الأوتار مثل محقق ** بأجرد طاو كالعسيب المشذب) ٦ (وأسمر خطي وأبيض باتر ** وزعف دلاص كالغدير المثوب) ٧ (سلاح امرىء قد يعلم الناس أنه ** طلوب لثأرات الرجال مطلب) ٨ (فإني وإن كنت ابن فارس عامر ** وفي السر منها والصريح المهذب) ٩ (فما سودتني عامر وراثة ** أبى الله أن أسمو بأم ولا أب). (ولكنني أحمي حماها وأتقي ** أذاها وأرمي من رماها بمقنب)

(٢) ".

"٢(إلى النجم فرع ، لا ينال ، طويل **)(وقصر على الشقراء قد فاض نهره ، ** وفاق على فخر الكواكب فخره)(وقد شاع ما بين البرية شكره ، ** هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره)٤ (يعز على من رامه ويطول **)٥ (إذا ما غضبنا في رضي المجد غضبة ** لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة)٦ (نزيد ، غداة الكر في الموت ، رغبة ، ** وإنا لقوم لا نرى القتل سبة)٧ (غذا ما رأته عامر وسلول **)٨ (أبادت ملاقاة الحروب رجالنا ، ** وعاش الأعادي حين ملوا قتالنا)٩ (لأنا ، إذا رام العداة نزالنا ** يقرب حب الموت آجالنا لنا). (وتكرهه آجالهم ، فتطول **)

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (ما دام وعد الأماني غير منتجز ** فطول مكثك منسوب إلى العجز) (هذي المغانم فامدد كف منتهب ، ** وفرصة الدهر ، فاسبق سبق منتهز) (واغز العدى قبل تغزونا جيوشهم ؛ **

---

(١) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٣٤٩

(٢) ديوان عامر بن الطفيل، ص/٨

(٣) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٣٨

إن الشجاع ، إذا مل الغزاة ، غزي) ٤ (والق العدو بجأش غير محترس ** من المنايا ، وجيش غير محترز) ٥ (لا تترك الثأر من قوم مرادهم ** إخفاء ذكر لنا في الناس منتبز) ٦ (ما عذرنا وبنو الأعمام ليس بها ** نقص ، ولا في صفاح الهند من عوز) ٧ (بل كل منصلت منا ومنصلح ** في كف مرتجل منا ومرتجز) ٨ (وكل ذي صمم في كف ذي همم ، ** وكل ذي ميس في كف ذي ميز) ٩ (فاقمع بنا الضد ما دامت أوامرنا ** مطاعة ، ومعالينا على نشز) ٠ (إن الولاية ثوب قد خصصت به ، ** جاءت كفافا ، فلم تفضل ولم تعز)

---

(١) ".

"٣(وحامل الكأس ساجي الطرف ذو هيف ** صاحي اللواحظ يثني عطف مخمور)(كأنما صاغه الرحمن تذكرة ** لمن يشكك في الولدان والحور)(تظلمت وجنتاه ، وهي ظالمة ، ** وطرفه ساحر في زي مسحور)٤ (يدير راحا يشب المزج جذوتها ، ** فلا يزيد لظاها غير تسعير)٥ (نارا بدت لكليم الوجد آنسها ** من جانب الكأس لا من جانب الطور)٦ (تشعشعت في يد الساقين واتقدت ** بها زجاجاتها من لطف تأثير)٧ (كأنها ، وضيا الكأس يحجبها ، ** روح من النار في جسم من النور)٨ (وللأباريق عند المزج لجلجة ، **كنطق مرتبك الألفاظ مذعور)٩ (كأنها ، وهي في الأكواب ساكبة ، ** طير تزق فراخا بالمناقير) ٤٠ (أمست تحاول منا ثأر والدها ** ودوسه تحت أقدام المعاصير)

---

(٢) ".

"البحر : طويل (إذا ما تراءت لي محاسن شخصكم ** يطالبني قلبي ويمطلني صبري) (فأحجم ، لاخل يعوض عنكم ** لدي ، ولا وعد يقوم به عذري) (فإن سمح الدهر المشت بقربكم ، ** وأصلح ما قد أفسدته يد الهجر) ٤ (أخذت بثأر الدهر من كل كاشح ، ** يقول بأن الغدر من شيم الدهر)

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٦٨

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٢١٤

". (١)

"٤(وأشفي من دماء عداك نفسا ، ** تنوط القول منها بالفعال) ٤(لعل الصالح السلطان يجلو ** بغرة وجهه ظلم الضلال) ٤(ويجريها من الشعبين قبا ، ** إلى الهيجاء تسعى كالسعالي) ٤٤ (يحرضها الطراد على الأعادي ، **كأن الكر يذكرها المخالي) ٤٥ (عليها كل ماضي العزم ذمر ، **كمي في الجلاد وفي الجدال) ٤٦ (ويشفي عند أخذ الثأر منهم ** نفوسا ليس تقنع بالمطال) ٤٧ (وأعلم أن عزمته حسام ، ** ولكن التفاضي كالصقال)

". (٢)

"البحر : طويل (لجيش الحيا في مأقظ الروض معرك ، **كأن له ثأرا على الأرض يدرك) (إذا استل فيه الرعد أسياف برقه ، ** فليس به إلا دم الزق يسفك) (فيا حبذا فصل الخريف ومزنه ، ** وستر السحاب الطلق بالبرق تحبك) ٤ (وللطل في الغدران رقش منمنم ، **كأن أديم الماء صرح مشبك) ٥ (ولم أنس لي في دير سهلان ليلة ، ** بها السحب تبكي والبوارق تضحك) ٦ (وثوب الثرى بالزعرفان معطر ، ** وللريح ذيل بالرياض ممسك) ٧ (وأقبل شماس وقس وأسقف ، ** ومطرانهم مع مقربان وبطرك) ٨ (يحفون بي حتى كأني لديهم ** حبيب مفدى ، أو مليك يملك) ٩ (ويصغون لي علما بأني لبحثهم ** عذيق جناه ، والجذيل المحكك)٠ (وأقبل كل منهم بمدامة ، ** بها كان في تقديسه يتنسك)

". (٣)

"البحر : طويل (أنتم فررتم يوم عدوة مازن ** و قد هشموا أنف الحتاة على عمد) (هم مهدوه رجعه ، بعد رثمه ** وأنتم شهود معصمون على حرد) (تمنون دولات الزمان وصرفه ** إذا ضاق منكم مطلع الورد بالورد) ٤ (وتدعون ماروكا أبا العم ناصرا ** عليهم إذا ما أعصم الوغد بالوغد) ٥ (فلم تدركوا بالعم ثأرا ولم يكن ** ليدرك ثأر بالتنابلة القفد)

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٥٠٠

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٥٥٣

(٣) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٨٧٧

(١) ".

"البحر : بسيط تام (حي المنازل بالأجزاع فالوادي ، ** وداي المنيفة ، إذ تبدو مع البادي) (إذ قربوا جلة فتلا مرافقها ** ميل العرائك إذ هموا باصعاد) (إذا ضرحن حصا معزاء هاجرة ، ** مدت سوالفها في لين أعضاد) ٤ (تأتي الغرى بأيديها وأرجلها ** كأنهن نعام القفرة النادي) ٥ (أنا المحامي إذا ما الخيل شمصها ** وقع القنا بسروج فوق ألباد) ٦ (بكل أسمر خطي تقحمه ** أيدى الكماة بأصدار وإبراد) ٧ (آوى إلى صخرة صماء راسية ** تنبي الصفا حين يردى صخرها الرادي) ٨ (نبئت ظربا معد غلى مراميه ** يا ظرب إنك رام غير مصطاد) ٩ (ما ظنكم ببنيي ميثاء أن فزعوا ** ليلا وشد عليهم حية الوادي)٠ (يعدو على أبو ليلى ليقتلني ** جهلا على ولم يثأر بشداد)

(٢) ".

"البحر : طويل (لقد سرني أن لا تعد مجاشع ** من الفخر إلا عقر ناب بصوأر) (أنابك أم قوم تفض سيوفهم ** على الهام ثنيي بيضة المتجبر) (لعمري لنعم المستجارون نهشل ** وحي القرى للطارق المتنور) ٤ (فوارس لا يدعون يال مجاشع ** إذا برزت ذات العريش المخدر) ٧ (لعمري لقد أردى هلال بن عامر ** بتهنية المرباع رهط المجشر) ٨ (وما زلت مذ لم تستجب لك نهشل ** تلاقي صراحيا من الذل ، فاصبر) ٩ (وعافت بنو شيبان حوض مجاشع ** و شيبان أهل الصفو غير المكدر)٠ (و لو غضبت في شأن حدراء نهشل ** سموها بدهم أو غزوها بأنسر)(و لو في رياح حل جار مجاشع ** لما بات رهنا للقليب المغور)(و ما غرهم من ثأرهم عقد المنى ** و لا عقد إلا عقد جار مشمر)

(٣) ".

(١) ديوان جرير، ص/١١٣

(٢) ديوان جرير، ص/١٣٠

(٣) ديوان جرير، ص/٢٦٣

"البحر : طويل (لو كنت حرا يوم أعين لم تنم ** و ذحلك مطلوب وثأرك سالم) (تنام وما زالت قيون مجاشع ** عن الوتر نواما وأنفك راغم) (ولا يدرك الوتر المراهق فوته ** ضجيع الهوينا المطرق المتناوم) ٤ (فهلا كفعل المازني بن أخضر ** فعلت ، ومن يصدق تهبه المظالم)

(١) ".

"١(أما رأيتم صدأ السيف وقد ** غال الفرند ثم نال الغمدا)(فلا تفرقوا ولا تنازعوا ** أعداؤنا شوس وليسوا رمدا)(أخاف أن نمكنم منا بما ** يقضي لهم ثأرا ويشفي حقدا)٤ (أو أن نقيم حججا دوامغا ** لهم علينا فنجيء إدا)٥ (قد زعموا الشورى لنا مفسدة ** على صلاحها أقالوا جدا)٦ (وهل أزلنا مستبدا واحدا ** عنا كدعواهم لنستبدا)٧ (دعاة الاستثثار إن لم تنتهوا ** وترعووا ساء المصير جدا)٨ (بصحة الشورى نصح كلنا ** فإن أربنا قتلتنا عمدا)٩ (في كل شعب كثرت أجناسه ** لا شيء كالقسط يصون العقد)٠ (تشاركوا في الحكم واختاروا له ** خيار كل ملة يستدا)

(٢) ".

"٣(وأقام أصحاب البلاد مآتما ** وكسوا على القتلى ثياب حداد)(ناحت عرائسهم على أزواجها ** والأمهات بكت على الأولاد)(واشتد حزنهم ولم يك مجديا ** من بعد فقد أحبة وبلاد)٤ (ألحزن يخمد والمذلة جمرة ** لا تنطفي إلا بسيل جساد)٥ (عاد الربيع لهم كسالف عهده ** يزهو على الأغوار والأنجاد)٦ (يا حسنه بلدا خصيبا طيبا ** لكنه نهب الغريب العادي)٧ (تتبسم الأزهار فيه حيثما ** عبس الحمام بهالك الأجناد)٨ (يا خجلة الأحرار من موتاهم ** يثوون حيث المالكون أعادي)٩ (فاستعصموا بالصبر ثم تكاتفوا ** وتحرروا من رق الاستعباد) ٤٠ (وتأهبوا للثأر والأحقاد في ** أكبادهم كالبيض في الأغماد (

(١) ديوان جرير، ص/٥٦٥

(٢) ديوان خليل جبران، ص/٤٦٩

(١) ".

"١(وتركت للأحياء إن قدروا ** أن يثأروا من خطبك المردي)(موت كموت الطاعنين وقد ** مضت السنون بهم إلى الحد)(ما كنت أحسب أن تقر بلا ** شغل ينوط الجفن بالسهد)٤ (ما كنت أحسب أن تبيت بلا ** أمل تؤمله ولا قصد)٥ (لكن جهلنا منك أنك لم ** تك صاخبا في مبتغى مجد)٦ (جزت الجهاد تريد جوهره ** وبلغت عن عرض مدى الحمد)٧ (فلئن رقدت لقد سننت هدى ** لبنيك من شيب ومن مرد)٨ (أخذوا السجية عنك طاهرة ** ونبوا كما تنبو عن الإد)٩ (وتعددوا صورا مجزأة ** عن كامل متعدد فرد)٠ (يتذكرون إمامهم عمرا ** أيام كان فريدة العقد)

---

(٢) ".

"٤(وأي مطلوب عزيز نأى ** لم يدنه الإيمان والصبر) ٤(بغداد عاد العز فيها على ** بدء ولأيا قضي الثأر) ٤(بلغ فيها فيصل سؤله ** واعتذرت أيامه الكدر) ٤٤ (بايعه القوم وما أخطأوا ** في شأنه الحزم وما اغتروا) ٤٥ (وأكد البيعة إيمانهم ** بأنه العدة والذخر) ٤٦ (معجزة جاء بها مقدم ** لا فائل الرأي ولا غمر) ٤٧ (يخال من يقرأ أنباءها ** أن الذي يقرؤه شعر) ٤٨ (أجل هو الشعر ولكنه ** حقيقة تلمس لا سحر) ٤٩ (ما جهلت خيل العدى فيصلا ** والطعن في لباتها هبر) ٥٠ (وما بدت في النقع أسيافه ** إلا وقد بش بها ثغر)

---

(٣) ".

"البحر : سريع (دعاء هذا الكروان الذي ** خلدته في مسمع الدهر) (له صدى في القلب والفكر من ** أشهى متاع القلب والفكر) (لكنه مشج بترجيعه ** لما جرى في ذلك القفر) ٤ (إذ تسكن البيداء وهنا فما ** ينبض إلا مهج السفر) ٥ (والليل في التيه السحيق المدى ** يطبق جفنيه على وزر) ٦ (والطائر المرتاع في جوه ** ينذر بالمأساة في ذعر) ٧ (يرن إرنان سهام رمت ** حيث رمت بالشعل الحمر

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/٥٦٥

(٢) ديوان خليل جبران، ص/٧٣٤

(٣) ديوان خليل جبران، ص/٩٥٤

) ٨ (أسال دمعي خطب مطلولة ** مقتولة في زهرة العمر) ٩ (جنى عليها واهمأنه ** يثأر للعرض وللطهر
)٠ (وخامرتني حسرة خامرت ** شهود ذاك المصرع النكر)

---

(١) ".

"٤(ما علينا من غريم غارم ** إن أزرى الخلق شعب مات صبرا) ٤(ليس بالكفؤ لعيش طيب ** كل من شق عليه العيش حرا) ٤(إن روما جعلت نيرونها ** وهو شر القوم مما كان شرا) ٤٤ (بلغته الملك عفوا فبغى **كل ملك جاء عفوا راح هدرا) ٤٥ (يقدر الشيء معاني كسبه ** فإذا ما هان كسبا هان خسرا) ٤٦ (عاث فيها مستبدا مسرفا ** دائب الإجرام عوادا مصرا) ٤٧ (وهو لا يمنحها من باله ** غير هم الخطر المكسوب قمرا) ٤٨ (ليس في تشنيعه من بدعة ** إن للخامل عند الذكر ثأرا) ٤٩ (لا ولا في ظلمه من عجب ** إن للظالم عند العدل وترا) ٥٠ (بم غر القوم حتى غفروا ** ذلك الذنب له ما شاء غفرا)

---

(٢) ".

"٢(لكن بين أبي الفتاة ** وبينه ثأرا لثائر)(فسعى ليخطبها على ** صلح فعاد بسعي خاسر)(عصفت حميته به ** ناهيك بالصب المخاطر)٤ (فغزاهم برجاله ** وبكل ذي ثار يضافر)٥ (وتقاتلوا يومين لم ** يظهر من للجيشين ظاهر)٦ (حتى اغتدى ذاك العراك **كأنه بعض المجازر)٧ (فدعا مهند للبراز ** وقد تحدى كل حاضر)٨ (ما جال إلا جولتي ** أسد يبربر وهو زائر)٩ (حتى انبرى منهم فتى ** متلثم ضافي الغدائر)٠ (فتجاولا وكلاهما ** متقحم كالصقر كاسر)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/٩٩٩
(٢) ديوان خليل جبران، ص/١٠٣١
(٣) ديوان خليل جبران، ص/١٠٤٩

"٢(سليم بها المصباح صفو ضياؤها ** وما يعتري غير الزجاج التغير)(كذاك أتمت ماريانا حياتها ** وفي شأنها رشد لمن يتبصر)(فلما قضت دال الظلام من السنى ** أجل دال حينا لكن النور يثأر)٤ (فبينا خبت تلك المنارة في الثرى ** إذا هي نجم في السماوات يزهر)

". (١)

"البحر : كامل تام (يان له أوفى مدونة ** في الثورة العربية الكبرى) (أثبت في ذكرى وقائعها ** ما تقتضيك أمانة الذكرى) (تبدي حقائقها فحيث جرى ** منك المداد جلا لنا فجرا) ٤ (وأنار كل خفية عشيت ** عنها الظنون فلم يذر سرا) ٥ (تاريخ قوم جار دهرهم ** فيما استباح فحاكموا الدهرا) ٦ (وشروا لآجلها مواطنهم ** بأعز أثمان بها تشرى) ٧ (فثأرت للقتلى بصونهم ** من أن يضيع مجدهم هدرا) ٨ (وجولت في أبهى تألقها ** أقمار ذاك العهد والزهرا) ٩ (سفر جليل من يطالعه ** لا ينثني أو ينجز السفرا)٠ (تجري حوادثه بأعينه ** ويرى الشخوص وإنما يقرا)

". (٢)

"١(فبان عن ربع شج موحش ** قد كان أنسا لرثاء الراقع)(وعيلة أضحت مثالا لما ** يغضى إليه نكد الطالع)(من غادة سالت غواش الدجى ** بين حواشي صبحها الساطع)٤ (وحذر الحزن أخاديده ** سفعا بذاك الوضح الناصع)٥ (ومن بنات نائحات بما ** يذيب شجوا مهجة السامع)٦ (أصبحن لا ينظرن من حسرة ** شيئا بغير المحجر الدامع)٧ (ومن وحيد ناعم ظفره ** ليس لبؤس عنه من دافع)٨ (ما ضر لو بلغه الدهر في ** ظل أبه زمن اليافع)٩ (فيا فقيدا سيلي ثأره ** ملحقة المتبوع بالتابع)٠ (جرعت في كأس مراراتها ** أمر ما في الكأس للجارع)

". (٣)

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٠٧٦

(٢) ديوان خليل جبران، ص/١٢٥٨

(٣) ديوان خليل جبران، ص/١٣٥٩

"١(يكون في آثاره العلم الذي ** آثاره من رفعة لا تقتفي)(ولئن سفرن ولم يخلن فإنه ** خطب ألان بروعه صم الصفا)(فزع الشباب إلى الشيوخ بثأرهم ** من دمعهم إن خانهم فتكفكفا)٤ (ومن الغضاضة إن دعا داعي العلى ** بعد الفقيد فتى بهم فتوقفا)٥ (جزع النصارى واليهود لمسلم ** هو خير من والى وأوفى من أوفى)٦ (بكوا المرجى في خلاف عارض ** ليزيل ذاك العارض المتكشفا)٧ (واشتد رزء المسلمين وحزنهم ** لما مضيت ولست فيهم مخلفا)٨ (من بعد كاتبهم وبعد خطيبهم ** يعلي لهم صوتا وينشر مصحفا)٩ (من يبرئ الإسلام من تهم العدى ** ويرد نقد الناقدين مزيفا)٠ (يبدي لأعين جاهليه فضله ** ويزيل ما يلد التناكر من جفا)

---

(١) ".

"البحر : بسيط تام (إهنأ برتبتك العليا ويهنئها ** ما أحرزت بك من جاه ومن شرف) (ببعض ما لك من فضل رفعت به ** مكان قومك أي التكرمات يفي) (يا أنبه الخلق في علم وفي عمل ** وأنزه الخلق عن زهو وعن صلف) ٤ (ثأرت للشرق من دهر قضاه ولا ** ذكرى له غير ما يحكى عن السلف) ٥ (وجانب المجد منه قد ألم به ** داء تداركته مستعصيا فشفي) ٦ (حصلت ما لم يحصله النوابغ في ** قوم فجاوزتهم سبقا ولم تقف) ٧ (وما تخيرت بعد الكد تلهية ** إلا ببعث بقايا الفن والتحف) ٨ (من كل مفخرة لو لم تتحك لها ** يد العناية لم تسلم من التلف) ٩ (أما السجايا فقد أوتيت زينتها ** من كل مختلف حسنا ومؤتلف)٠ (يا لطفها في نظام لا ينافسه ** عقد به نظمت شتى من الطرف)

---

(٢) ".

"١(كلا وليست في توخي راحة ** قبل التمام مظنة لكمال)(إني لأستجلي الفلاح فينجلي ** لي عن مثابرة وغر فعال)(مصر تحي فيك ناشر مجدها ** مجد الصناعة في الزمان الخالي)٤ (وهي التي ما زال أغلى إرثها ** من خالد الألوان والأشكال)٥ (لبثت دهورا لا يجدد شعبها ** رسما ولا يعنى برسم بال)٦ (حتى انبرى الإفرنج يبتعثون ما ** دفنته من ذخر مدى أجيال)٧ (وبرزت تثأر للبلاد موفقا ** فرددت

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٣٩٨

(٢) ديوان خليل جبران، ص/١٤٠٨

فيها الحال غير الحال)٨ (أليوم إن سأل المافر عصرنا ** عما أجد ففيه رد سؤال)٩ (أليوم في مصر العزيزة إن يقل ** ما فنها شيء سوى الأطلال)٠ (أليوم موضع زهوها وفخارها ** بجميل ما صنعته كفك حال)

---

(١) ".

"البحر : كامل تام (سجدوا لكسرى إذ بدا إجلالا **كسجودهم للشمس إذ تتلالا) (يا أمة الفرس العريقة في العلا ** ماذا أحال بك الأسود سخالا) (كنتم كبارا في الحروب أعزة ** واليوم بتم صاغرين ضئالا) ٤ (عباد كسرى مانحيه نفوسكم ** ورقابكم والعرض والأموالا) ٥ (تستقبلون نعاله بوجوهكم ** وتعفرون أذلة أوكالا) ٦ (ألتبر كسرى وحده في فارس ** ويعد أمة فارس أرذالا) ٧ (شر العيال عليهم وأعقهم ** لهم ويزعمهم عليه عيالا) ٨ (إن يؤتهم فضلا يمن وإن يرم ** ثأرا يبدهم بالعدو قتالا) ٩ (وإذا قضى يوما قضاء عادلا ** ضرب الأنام بعدله الأمثالا)٠ (يا يوم قتل بزرجمهر وقد أتوا ** فيه يلبون النداء عجالا)

---

(٢) ".

"١(أما نقولا الأخ المفدى ** فآية النبل في الرجال)(ما شئت حدث عن محمدات ** وعن معان وعن معالي)(عن فطنة لا يكاد يخفى ** في الحال عنها وجه المآل)٤ (عن بسطة في السخاء تكفي ** مؤمليه ذل السؤال)٥ (يأخذ للعاثرين جدا ** بالثأر من سطوة الليالي)٦ (يا أصدقائي قروا عيونا ** ولا عداكم رفاه بال)٧ (يهنيء سلمى وزوج سلمى ** ما حل من نعمة الوصال)٨ (وبارك الله في قران ** طالعه في السعود عال)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٦٥٤

(٢) ديوان خليل جبران، ص/١٧٢٧

(٣) ديوان خليل جبران، ص/١٧٤١

"٥(حمى الله أبطالا حمونا فإنهم ** أتوا معجزات في الخصومات تفحم) ٥(محوا بجميل الثأر ما خط مفتر ** علينا وفي كفيه للعار ميسم) ٥(وجاءوا من النصر المبين بآية ** على صفحات الدهر بالتبر ترسم) ٥٤ (منمقة رنانة عربية ** لها كاتب منها وتال مرنم) ٥٥ (إذا طولعت لم تسأم العين حسنها ** وإن أنشدت فالسمع هيهات يسأم) ٥٦ (فهم أولياء الحق مهما يعيروا ** وهم حلفاء الصدق مهما يؤثموا) ٥٧ (إلى هؤلاء الخالصين طوية ** لمصر بنصح خالص أتقدم) ٥٨ (بني خذو عنا نتائج خبرنا ** لتكتسبوا ما فاتنا فتتمموا) ٥٩ (عليكم بأشتات العلوم فإنها ** نجاة فإن شقت فلا تتبرموا) ٦٠ (تقووا فما حظ الضعيف سوى الردى ** وخير القوى للمرء خلق مقوم)

---

(١) ".

""""""""" صفحة رقم ١٢٢ """""""

محمد لن موسى قال : أنشدنا محمد بن القاسم الأنباري قال : أنشدنا عبد الله بن عمرو بن لقيط : يا شوق إلفين حال النأي بينهما . . . فعافصاه على التوديع فاعتنقا . لو كنت أملك عيني ما بكيت بها . . . تطيرا من بكائي بعدهم شفقا . ما لقتيل الحب قود ولي من أثناء قصيدة : وطالب بدمي ثأرا ، فقلت له : . . . هيهات ما لقتيل الحب من قود . لله قلبي لقد أضحى ، غداة غدت . . . حمولهم ، للجوى حلفا وللكمد . الحب حلو ومر أنبأنا الشيخ أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة أن أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزبان أخبرهم إجازة قال : أخبرنا عبيد الله بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال : أنشدني إبراهيم بن عبد الله الوراق لمحمد بن أبي أمية : وضاحك من بكائي حين أبصره . . . لو كان جرب ما جربت أبكاه . لا يرحم المبتلى مما تضمنه . . . إلا فتى مبتلى قد ذاق بىواه . ما أسرع الموت إن تمت غريمتهم . . . على القطيعة إن لم يرحم الله . الحب حلو ومر في مذاقته ، . . . أمره هجركم والوصل أحلاه .." (٢)

"فلم أر مسلوبا له مثل قرضه ... أقل صديقا معطيا أو مؤاسيا

فأين الذين كان يعطي جياده ... بأرسانهن والحسان الحواليا

وأين الذين كان يعطيهم القرى ... بغلاتهن والمئين الغواليا

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٩١٨

(٢) مصارع العشاق، ١٢٢/١

وأين الذين يحضرون جفانه ... إذا قدمت ألقوا عليها المراسيا
رأيتهم لم يشركوا بنفوسهم ... منيته لما رأوا أنها هيا
سوى أن حيا من رواحة أقبلوا ... وكانوا قديما يتقون المخازيا
يسيرون حتى حبسوا عند بابه ... ثقال الروايا والهجان المتاليا
فقال لهم خيرا وأثنى عليهم ... وودعهم وداع أن لا تلاقيا
وأجمع أمرا كان ما بعده له ... وكان إذا ما اخلولج الأمر ماضيا
اخلولج الأمر: شك فيه.
وقال لسنان بن أبي حارثة وللحارث بن عوف المريين:
صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل
وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا ... على صير أمر ما يمر وما يحلو
على صير أمر: على إشراف أمر.
وكنت إذا ما جئت يوما لحاجة ... مضت وأجمت حاجة الغد ما تخلو
يقول: حوائجنا ما تنقضي. ويروى: حمت بالحاء. ما تخلو: أي ما تمضي.
وكل محب أعقب النأي قلبه ... سلو فؤاد غير لبك ما يسلو
يروى: أعقب النأي لبه. قال في أول بيت: صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو؛ أي قد سلا. وقال في هذا البيت: غير لبك ما يسلو. وهذا تناقض في الظاهر. والمعنى: لم يسل في السنين الثماني المواضي.
تأوبني ذكر الأحبة بعدما ... هجعت ودوني قلة الحزن فالرمل
فأقسمت جهدا بالمنازل من منى ... وما سحفت فيه المقاديم والقمل
سحفت: حلقت.
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن ... إلى الليل إلا أن يعرجني طفل
أي إلا أن نضع ناقتي، أو ترمي ما في بطنها؛ فذلك الذي يحبسني.
إلى معشر لم يورث اللؤم جدهم ... أصاغرهم وكل فحل له نجل
تربص فإن تقو المروراة منهم ... وداراتها لا تقو منهم إذا نخل
الدارات: جمع دارة. يقال: دار، ودارة؛ ومنزل، ومنزلة؛ ومكان، ومكانة.

فإن يقويا منهم فإن محجرا ... وجزع الحسا منهم إذا قلما يخلو

محجر: جبل. والجزع: منعطف الوادي. وهو الضوج والثنى.

بلاد بها ناد متهم وألفتهم ... فإن أوحشت منهم فإنهم بسل

بسل: حرام. أي لا يطمع فيهم، يعني أنهم أشداء.

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم ... طوال الرماح لا قصار ولا عزل

العزل: الذين لا سلاح معهم.

بخيل عليها جنة عبقرية ... جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

عبقر: أرض معروفة بالجن، أي خليقون أن ينالوا عدوهم ويعلوا عليه.

عليها أسود ضاريات لبوسهم ... سوابغ بيض ما تخرقها النبل

وإن يقتلوا فيشتفي بدمائهم ... وكانوا قديما من مناياهم القتل

فيشتفي بدمائهم: أي هم أشراف إذا قتلوا رأى قاتلوهم أنهم أدركوا بثأرهم.

وإن لقحت حرب عوان مضرة ... ضروس تهر الناس أنيابها عصل

لقحت: أي هاجت. والحرب العوان: التي كانت قبلها حرب. والضروس. العضوض. وأنيابها عصل، ضربه مثلا. والبعير إذا أسن اعوج نابه.

يقول: هذه حرب قديمة قد أسنت.

قضاعية أو أختها مضرية ... يحرق في حافاتها الحطب الجزل

يعني أن حرب قضاعة ومضر منكرة.

يكونوا على ما كان منهم إزاءها ... وإن أهلك المال الجماعات والأزل

روى الأصمعي: تجدهم على ما خيلت هم إزاءها.

والأزل: الضيق. يقال أزلوا مالهم. إذا حبسوه. يحبسون مالهم من خوف العدو فلا يسرحونه.

يحشونها بالمشرفية والقنا ... وفتيان صدق لا ضعاف ولا نكل

يحشونها: يوقدونها. والنكل: الجبناء.

تهامون نجديون كيدا ونجعة ... لكل أناس من وقائعهم سجل

الكيد: المكر. والنجعة: إتيان الكلإ. السجل: النصيب. ونجد: أسفل مكة مما يلي العراق.

هم ضربوا عن فرجها بكتيبة ... كبيضاء حرس في طوائفها الرجل

حرس: جبل. وبيضاؤه: شمراخ منه.." (١)

"وقالوا: من عشق فكوي بين إليتيه سلا. وكان يفعل ذلك بنو عذرة خاصة، وكان لهم خرزة يقال له السلوان إذا شرب حكاكتها العاشق سلا فيما زعموا. وقال الشاعر:

لو أشرب السلوان ما سليت ... ما بي غنى عنك وما غنيت

وكانوا إذا عض أحدا كلب كلب يسقونه دم كريم، ويقولون إن ذلك يبرئه، ويزعمون أن من لا يطلب بثأره يخرج من قبره هامة فتقول اسقوني إلى أن يدرك ثأره. وقالوا: إن من مات فحفر له قومه حفيرة فأقاموا فيها بعيرا لا يعلفونه ولا يسقونه حتى يموت، يكون ذلك مركبا له إلى عرصات القيامة ولا أحتاج أن يحضر راجلا حافيا، وكان ذلك البعير يسمى بلية. وقال الشاعر:

إحمل أباك على بعير صالح ... يوم القيامة إن ذلك أصوب

لا تتركن أباك يسعى خلفهم ... تعبا يخر على يديه وينكب

ومن علوم العامة:

تزعم العامة أن الفأرة كانت يهودية طحانة تسرق الدقيق، فمسخها الله تعالى فأرة، وسهيل كان عشار فمسخه الله كوكبا، والوزغة كانت تنفخ نار إبراهيم عليه السلام فلعنها الله، والخنزير تولد من عطسة الفيل، والهر تولد من عطسة الأسد. وإذا كسفت الشمس يقولون: يا رب خلصها! وإذا أراد أحدهم أن يبول بالليل بصق أولا، وإذا طنت ذبابة كبيرة قالوا: بشرك الله بخير! وإذا أصلح بزره عض خرقة أو خشبة يقول حتى لا يكذب علي، وإذا دخل الذباب ثياب أحدهم يزعمون أنه يمرض. وإذا احتك طرف أنفه يقولون يأكل اللحم، وإذا احتك وسطه يقولون يأكل السمك. ويقولون: اختلاج العين يدل على رؤية من لم يره منذ حين، وأسفله يدل على البكاء، وهذا باب كبير وكثير منه يجيء مفصلا في أبواب مختلفة.

الحد الثاني

في السيادة والولاية

ما ذكر في حد السيادة والسيد:

قيل لحكيم: ما السؤدد؟ قال: اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة. وقال غيره: حمل المكاره وابتناء المكارم. وقيل:

---

(١) مختارات شعراء العرب، ص/٢٠

بذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القرى. وقيل للأحنف: ما السيد؟ قال: من حمق في ماله وذل في نفسه وعني بأمر عشيرته. وقيل: من إذا حضر هابوه، وإذا غاب ما اغتابوه. وقيل: من أورى ناره وحمى ذماره ومنع جاره وأدرك ثأره.

الأحوال الشاقة التي تبلغ بها الرئاسة:

قال بعضهم لرجل من بني شيبان: بلغني أن السؤدد فيكم رخيص! فقال: أما نحن فلا نسود إلا من أوطأنا رحله، وأفرشنا عرضه، وأخدمنا نفسه، وبذل لنا ماله! فقال: وأبيك إذا فهو فيكم غال! وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إن ما يستحق السيادة من لا يصانع ولا يخادع ولا تغره المطامع. وقيل للأحنف: بم سدت؟ قال: بالخلق السجيح والكف عن القبيح، وتجنب الدني وترك اللسان البذيء. وقال معاوية لعرابة الأوسي: بم سدت قومك؟ فقال: لست بسيدهم، ولكني رجل أعطيت في نائبتهم، وحملت عن سفيههم، وشددت على يد حليمهم، وعطفت على ذي الخلة منهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن قصر عني فأنا أفضل منه، ومن تجاوزني فهو أفضل مني.

وقال الأحنف: من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع، من كان له دين يحجزه وحسب يصونه وعقل يرشده وحياء يمنعه. وقيل: من أحب الرئاسة صبر على مضض السياسة. قال الشاعر:

أترجو أن تسود ولا تعنى ... وكيف يسود ذو الدعة البخيل؟

الخبزارزي:

فقل لمرجي معالي الأمور.. ... بغير اجتهاد طلبت المحال!

جماع أحوال يجب للرؤساء تجنبها وأحوال يلزمهم فعلها:

قال معاوية رضي الله عنه: لا ينبغي للملك أن يكون كذابا لأنه إن وعد خيرا لم يرج، وإن أوعد شرا لم يخف، ولا غاشا لأنه لم ينصح، ولا تصح الولاية إلا بالمناصحة، ولا حديدا لأنه إذا احتد هلكت رعيته، ولا حسودا لأنه لا يشرف أحد فيه حسد ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم، ولا جبانا لأنه يجترىء عليه عدوه وتضيع ثغوره.

وقال بعضهم: أكره المكاره في السيد وأحب أن يكون عاقلا متغافلا كما قال أبو تمام الطائي:

ليس بغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وقال ذو القرنين لأرسطوطاليس لما أراد الخروج: عظني بما أستعين به في سفري. فقال: إجعل تأنيك أمام عجلتك، وحيلتك رسول شدتك، وعفوك ملك قدرتك، وأنا ضامن لك قلوب الرعية إن لم تخرجهم بالشدة

عليهم، ولم تبطرهم بفضل الإحسان إليهم.
الحث على تسويد الكبار:." (١)

"كان جعفر بن أمية خرج مع مصعب بن الزبير، وكان صديقا لعبد الملك، فلما أتي به بعد قتل مصعب قال عبد الملك: لا أنعم الله بك خرجت مع مصعب؟ قال: نعم. قال: ونعم أيضا فلا أنعم الله بك! قال: إني أعرف نفسي بالشؤم فأردت أن أصيب مصعبا بشؤمي! فضحك وخلاه. وأتي الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث فقال له: أفيك خير إن عفوت عنك؟ فقال: لا. قال: ولما؟ قال: لأني كنت خاملا فرفعتني وألحقتني بالناس، فخرجت مع ابن الأشعث لا لدين ولا لدنيا، ومعي الحماقة التي لا تفارقني أبدا، ولا أفلح معها سرمدا! فضحك منه وخلى سبيله.
من توصل إلى العفو بحيلة:
أتي معن بن زائدة بأسرى، فأمر بضرب أعناقهم فقام غلام منهم فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تقتلنا ونحن عطاش! فقال: أسقوهم. فلما شربوا قال: ناشدتك الله إن قتلت ضيفانك! قال: أحسنت! فخلى سبيلهم. هم الأزارقة بقتل رجل فقال: أمهلوني لأركع! فنزع ثوبه واتزر ولبى وأظهر الإحرام، فخلوا سبيله لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام " . ولما غشي أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه عمرو بن العاص طرح نفسه على الدابة وتلقاه بعورته، فأعرض عنه وقال: قبحك الله! ولما أتي عمر رضي الله عنه بالهرمزان أراد قتله، فاستسقى ماء فأتي بقدح فأمسكه بيده فاضطرب وقال: لا تقتلني حتى أشرب هذا الماء، فقال: نعم. فألقى القدح من يده. فأمر عمر رضي الله عنه بأن يقتل، فقال: أو لم تؤمني وقلت لا أقتلك حتى تشرب هذا الماء؟ فقال عمر: قاتله الله! أخذ أمانا ولم نشعر به.
مستعف ذكر فرط خوفه من الوعيد:
مروان بن أبي حفصة:
أبيت وجهي لا يلائم مضجعا ... إذا ما أطمأنت بالجنوب المضاجع
سلم الخاسر:
لقد أتتني من المهدي معتبة ... تظل من خوفها الأحشاء تضطرب
أبو تمام:

(١) محاضرات الأدباء، ٦٨/١

أتاني عابر الأنباء تسري ... عقاربه بداهية نآد

فيا خبرا كأن القلب أمسى ... يجريه على شوك القتاد!

البحتري:

عذيري من الأيام وقفن مشربي ... ولقينني نحسا من الطير اشأما

وألبسنني سخط امرىء بت موهنا ... أرى سخطه ليلا مع الليل مظلما

من هرب خشية العتاب فاعتذر لذلك:

شاعر:

لئن أخفي حذاري عنك شخصك ... لما أرسلت من كفي خيلك

ولم أهرب علي ثقة وعلم ... بأني إن رميت أفوت نبلك

ولكني هربت على يقين ... بأنك معمل في الحكم فضلك!

المتوصل إلى العفو بمغالظة القول:

أتى مخرق بنساء فطلبن أن يعفو عنهن فأبى فقالت امرأة منهن: أطال الله سهادك وأخمد رمادك! فما قتلت إلا نساء أعلاهن ندى وأسفلهن دما، ما أدركت من قتلنا ثأرا ولا محوت عن نفسك به عارا فأمر بتخلية سبيلهن غيرها وقال: إنما لأخشى أن تلد مثلها! وأتى الحجاج بأسارى فقال أحدهم: لا جزاك الله عن السنة خيرا! قال: كيف؟ قال: إن الله تعالى يقول: " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء " . فلا مننت ولا فاديت! فقال الحجاج: خلوا سبيلهم. وقالت امرأة في جملة أسرى: قبحك الله! فلئن أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو! فقال: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمر بتخلية من بقي منهم.

المتوصل إلى العفو بتذكر الله ومناشدته:

غضب رجل على مولاه فقال: أسألك الله إن علمت أني لأطوع لك منك لله فاعف عني عفا ا لله عنك! فعفا عنه. وقال رجل لأمير غضب عليه: أسألك بالذي أنت أذل بين يديه غدا مني بين يديك إلا ما عفوت مني! فعفا عنه: وقال آخر لأمير يضربه: أضرب بقدر ما تعلم أنك تجشمه عند القصاص يوم الجزاء فعفا عنه.

من استعفى واستوهب جميعا:

جنى غلام للحسن بن علي رضي الله عنهما، فأمر بعقابه فقال: يا مولاي إن الله تعالى قد مدح قوما فكن

منهم، فإنه يقول: والكاظمين الغيظ! فقال: خلوا سبيله. قال: وقد قال: والله يحب المحسنين! قال: أنت حر لوجه الله ولك من المال كذا. واستعفى رجل من مصعب بن الزبير فعفا عنه فقال: اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض! فأعطاه مائة ألف، فقال الرجل إني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات بقوله:." (١)

"قيل: لا تشتر عداوة رجل واحد بمودة ألف رجل. وفي كتاب كليلة: لا ينبغي للعاقل أن تحمله ثقته بقوته على أن تجتر العداوة، كما لا يجب لصاحب الترياق أن يشرب السم اتكالا على أدويته. وقيل: توسد النار وافتراش الأفاعي أقل غائلة ممن أوجس عداوتك فيروح بها. وقيل: احذر معاداة الرجال فالناس رجلان: عاقل فاحذر ختله، وأحمق فاحذر حمقه. وقال عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم لابنه: اتق معاداة الرجال فإنك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم. وقيل: الأحقاد مخوفة وأخوفها ما كان في أنفس الكبار، فإنه يرون الطلب بالوتر مكرمة. وقال بعضهم في التحذير من العداوة:

سيعلم إسماعيل أن عداوتي له سم أفعى لا يصاب دواؤها

النهي عن الاعتذار بالعداوة إذا ظهر الود:

قيل: العدو المبطن للعداوة كالنحل تمج الدواء وتجتنب الداء. سديف بن ميمون يحرض بني العباس على بني أمية:

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داء دويا

فخذ السيف واطرح السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها امويا

وله:

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس

ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي

المتنبي:

فلا يغررك ألسنة موال ... تقلبهن أفئدة أعادي

وكن كالموت لا يرثي لباك ... بكى منه ويروي وهو صاد

آخر:

تعلم أن أكثر ما تنادي ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٠٨/١

وفي كتاب كليلة: لا يغر العاقل سكون الحقد في القلب ما لم يجد محركا، كالجمر المكنون ما لم يجد حطبا، والعداوة إذا وجدت فرصة اشتعلت فلا يطفئها شيء دون النفس.

النهي عن السكون إلى من يخافك:

من خاف شرك أفسد أمرك، ومن خاف صولتك ناصب دولتك. معاوية: من خاف إساءتك اعتقد مساءتك.

النهي عن السكون إلى من تقدم منك له إساءة:

قيل: إذا أوحشت الحر فلا ترتبطه، فإذا ارتبطته فلا توحشه. لما قدم عبد الملك المدينة خطب فقال: والله ما تحبونا ولا نحبكم ونحن أصحاب يوم الحرة، وإنما مثلنا كما قال النابغة:

أبى لك قبر لا يزال مواجها ... وضربة فأس فوق رأسي ناقره

وحديث ذلك أن العرب زعمت أن حية كانت في بيت رجل فقتلته، فترصدها أخوه ليقتلها طالبا بثأره، فقالت له الحية: صالحني على أن أؤدي إليك كل يوم دينارا، ففعل فلما كثر ماله تذكر دخله، فأعد فأسا وترصدها فرماها وأشواها فقطع ذنبها، فأفلتت وندم الرجل لما لم ينل ثأره، وفاته ما كان يناله فدعاها يوما إلى المراجعة على أن يصالحها، فقالت: لا يقع الصلح بيننا ما رأيت قبر أخيك وأرى أثر الفأس في ذنبي! وحكي أن رجلا كان له عبد سندي فتعرض لامرأته، فعلم الرجل بذلك فأخذه وجبه، ثم تحوب لذلك فداواه، فلما برأ اتفق أن غاب الرجل يوما، فعمد السندي المجبوب إلى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور؛ فلما بصر بالرجل قال: والله إن لم تجب نفسك كما جببتني لأقذفنهما من السور ليمونا، وإن نفسي لأهون من شربة ماء! فلما رأى الرجل منه جد جب نفسه، فرمى العبد بالابنين من السور؛ وقال: إن جبك نفسك قصاص لما جببتني، وقتل ابنيك زيادة اعطيتكها!

التحذير من عدو قاهر:

قيل: أحذر الناس أن يحذر عدو قاهر وسلطان جائر. وقيل: إياك ومعاداة من أن أرادك بسوء أرداك، وإن أردته بسوء لم توجع إلا حشاك. وقيل: لا تعاد من غيظك عليه غيظ الأسير على القد.

النهي عن الاستعانة بمن ظلمته:

قيل، العدو عدوان: عدو ظلمته، وعدو ظلمك، فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما، فاستعن بالذي ظلمك فإنه أحرى أن يعينك، وإن الذي ظلمته موتور.

النهي عن استصغار العدو:

قيل: لا تستصغرن أمر عدوك إذا جاريته، لأنك إذا ظفرت به لم تحمد، وإن ظفر بك لم تعذر. الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف. وقيل: العدو المحتقر ربما اشتد كالغصن النصر ربما صار شوكا. وقيل: لا تأمنن العدو الضعيف ان تورطك فالرمح قد يقتل به وإن عدم السنان والزنج.

شاعر:

لا تحقرن فربما نفذت ... في ردم يأجوج حيلة الجرذ." (١)

"يأتي الجوانب لا يرجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان

الممدوح بأنواع من المكارم:

قال عمرون بن عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم: إن لقريش درجا يزلق عنه أقدام الرجال، وأفعالا تخضع لها رقاب الأموال، وألسنا تكل عنها الشفار المحددة، وغايات تقصر عنها الجياد المسومة، لو احتفلت الدنيا لم تتزين إلا بهم! وقال عمرو بن معدي كرب في مدح قوم: نعم القوم عند السيف المسلول، والخير المسؤول، والطعام المأكول، وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال: بمثله يدرك **الثأر** وينفي العار، ويؤكد العهد، ويبرم العقد ويسهل الوعر، ويخاص الغمر، ويفل الناب ويفتح الباب. ومدح أعرابي على قبر عامر ابن الطفيل فقال: لقد كنت سريعا إذا وعدت بطيئا إذا أوعدت، وكانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة ا لسهم. وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال: عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وخارجا من سلطان فرجه فلا يستخف له رأيا ولا بدنا.

امرؤ القيس:

أفاد وجاد وساد وقاد ... وذاد وعاد وزاد وأفضل

ديك الجن:

ن العلى شيمي والبأس من نقمي ... والمجد خلط دمي والصدق حشو فمي

مسلم بن عقيل:

يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقع

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/١١٣

يذكرنيك الجود والبخل والنهى ... وقول الخنى والحلم والعلم والجهل

فألقاك على مذمومها متنزها ... وألقاك في محمودها ولك الفضل

تشبيه الممدوح بجماعة مختلفة في معان مختلفة:

قال رجل للمهدي: إنك ليوسفي العفو اسماعيلي الصدق، شعبي الرفق، سليماني الملك، داودي الفضل. وحكة محمد الأنماطي الفقيه يوما قال: قد تغدينا يوما عند المأمون، فكان كلام وضع لون يقول: من به كذا فليأكل هذا، ومن به كذا فليجتنبه. فقال يحيى بن أكثم: لله درك يا أمير المؤمنين! فإنا إن خضنا في الطب فأنت جالينوس، وإن ذكرنا النجوم فأنت هرمس، أو العلم فأنت علي بن أبي طالب، أو السخاء فأنت حاتم، أو الصدق فأنت ذر، أو الكريم فأنت كعب ابن مامة، أو الوفاء فأنت السموأل! فقال المأمون: للإنسان فضل على غيره بالنطق والفهم، ولولا ذلك لم يكن لحمه أطيب لحم.

أبو تمام:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء أياس

قيل: فلان فيه ورع ابن سيري، وعقل مطرف، ودهاء معاوية، وحفظ قتادة! وقيل: له بذل هاشم، وعز كليب، وضبط عائشة، وبر عثمان، وشجاعة عتيبة، ومكر قيصر.

الطائي:

أصبحت حاتمها جودا وأحنفها ... حلما وكيساها علما ودغفلها

الرستمي:

سماحة كعب في رزانة أحنف ... ونجدة عمرو في وفاء ابن ظالم

السري الوفاء:

أوفى وكان محلقا، ومضى وكا ... ن مزلقا، وسطا وكان محرقا

تشبيه الممدوح بأشياء مختلفة في معان مختلفة:

أبو تمام:

له كبرياء المشتري وسعوده ... وسورة بهرام وطرف عطارد

مسلم:

كأنه قمر أو ضيغم هصر ... أو حية ذكر أو عارض هطل

وهب الهمذاني: تلقاه في الظلماء والهيجاء والمحل المجيع كالغيث والليث المحامي والعقيلة والصديع البحتري:

كالغيث في آخذامه والغيث في ... ارهامه والليث في إقدامه

إن كنت تنكر ما أقول فجاره ... أو باره أو حاكمه أو سامه

ابن طباطبا:

كالبدر إذ يجري، وكالليل إذ ... يسري، وكالصارم إذ يفري

محمد بن وهيب:

تحكي أفاعيله في كل نائبة ... والغيث والليث والصمصامة الذكرا

الخوارزمي:

ستلقى به بدرا وبحرا وضيغما ... وسيفا وإنسانا وطودا وفيلقا

أبو طالب المأموني:

جبال الحجا أسد الوغا غصص العدا ... شموس العلا سحب الندى أنجم الفضل

الممدوح بمعنى واحد في أحوال أو جوارح مختلفة:

المتنبي:

طويل النجاد طويل العماد ... طويل القناة طويل اللسان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ ... حديد الحسام حديد الجنان

الخوارزمي:

سريع اللسان سريع السنان ... سريع البنان سريع القلم." (١)

"فقال: اعفيني! فقالت إلى لعنة الله إذا نزلت بقوم فلا تجحد إحسانهم! خرج قتيبة متنزها فلقي أعرابيا فقال له: ممن الرجل؟ فقال: من عبد قيس! فقال: نسب مهزول! فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فقال: من باهلة! فقال: وا ويلاه وا هولاه! أمثلك يقول نسبي مهزول وأنت بين الدعة والخمول؟ فقال له قتيبة: يا أعرابي أيسرك أنك أمير وأنك باهلي؟ فقال: لا ولا خليفة الله في أرضه! فقال: ولك حمر النعم؟ فقال: لا ولا ما طلعت عليه الشمس! فقال: وإنك تدخل الجنة! فأطرق ثم رفع رأسه فقال: إن كان ولا بد فعلي أن لا تعلم بذلك أهل الجنة! فضحك قتيبة ووصله. وسأله أعرابي عن نسبه فقال: من باهلة! فقال: أعيذك بالله! وقال آخر

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٣٨/١

لأعرابي: أن مولى باهلة فأخذ الأعرابي يتمسح به ويقول: ما أبلاك الله بذلك إلا وجعلك من أهل الجنة! وتساب رجلان فقال أحدهما: يا ابن الزانية! فقال الآخر: يا باهلي فقضى له وقيل له ربأت عليه. سأل أعرابي عبد الملك وقد رآه متنكرا: ممن أنت؟ قال: من بني أمية! فقال: أنتم في الجاهلية مربون في التجارة، وفي الإسلام تعادون أهل الطهارة، سيدكم حمار وأميركم حبار، إن نقصكم عن أربعين لم تدركوا **بثأر**، وإن بلغتموه كنتم بشهادة الرسول من أهل النار! وفجر على خالد بن صفوان ناس من بني الحارث بن كعب عند السفاح فقال له السفاح: ألا تتكلم يا خالد؟ فقال: أخوال أمير المؤمنين وعصبته، وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس فرد وراكب عرد؟ دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وغرفتهم فأرة! فقال الجاحظ وقد بلغه مقاله: لئن تفكر في هذا الكلام وأعده إنه لرواية كبير، ولئن حضره حين حرك فما له في العالمين نظير! وقال عمرو ابن عبد العزيز لحميري: قومك الذين قالوا ربان باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم؟ فقال: وقومك الذين قالوا: فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم؟ فتبسم عمر رضي الله تعالى عنه.

من افتخر بنسبه فاعترض عليه بما أخجله:

قال قرشي لشريك: ألا ترى إلى حسن ما قال الله تعالى فينا: وإنه لذكر لك ولقومك؟ فقال شريك: قد قال في موضع آخر: وكذب به قومك وهو الحق! وقال علوي لرجل: إنك تحتاج أن تدعو لي كل يوم خمس مرات تقول: اللهم صلى الله عليه وسلم على محمد وعلى آل محمد؛ فقال: إني أقول معه الطيبين الطاهرين فأخرجك منهم! ودخل رجل من ولد قتيبة الحمام وبشار في الحمام فقال: يا أبا معاذ وددت أنك مفتوح البصر فتى استي فتعلم أنك كذبت في قولك:

إذا أعيتك نسبة باهلي ... فارفع عنه حاشية الازار

على أستاه سادتهم كتاب ... موالي عامر وسم بنار

فقال بشار: فأنت من سادتهم أو من سفلتهم؟ فقال: بل أنا من سادتهم! فقال: أخطأت إنما قلت على أستاه سادتهم وأنت من سفلتهم لا من سادتهم!

من افتخر بأب مطعون فيه فعورض بتعريض أو تصريح:

قال بلال بن أبي بردة لأبي الأسود: أنا ابن الحكمين! فقال: أما أحدهما ففاسق، وأما الآخر فمخدوع مائق! أنشد بلالا ذو الرمة:

وحق لمن أبو موسى أبوه ... يوفقه الذي نصب الجبالا

فقال ابن أبي علقمة: والله ما وفق الله أبا موسى نفسه فكيف يوفق ابنه؟

تفضيل العلوية على سائر الناس:

قال منصور لجعفر بن محمد: نحن وأنتم في رسل الله سواء! فقال: لو خطب إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج منك لجازله، ولا يجوز أن يتزوج منا فهذا دليل على أنا منه وهو منا! وقال المأمون لعلوي: ما فضلكم علينا في العرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إنه عليه الصلاة والسلام يدخل على حرمنا ولا يدخل على حرمك! وقال عمر بن عبد العزيز يوما، وقد قام من عنده علي بن الحسين من أشرف الناس؟ فقيل: أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الإسلام! فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي، فإن أشرف الناس من أحب إنسان أن يكون منه، ولا يحب أن يكون من أحد وهذه صورته.

الممدوح بأنه من عثرة الرسول:

أبو الغمر:

تبوأ من بيت النبوة مفخرا ... علا في السماء فوق قطب الكواكب

يخاطب فيه الروح بالوحي جده ... وقدك هما من مرسل ومخاطب

بشار:

دم النبي مشوب في دمائهم ... كما يخالط ماء المزنة الضرب

عبد الله بن موسى:." (١)

"قيل: قد جمع الله تعالى في قوله: " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين " . جميع ما يحتاج إليه في الحرب. استشير أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لأمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة، وادرعوا الليل فغنه أخفى للويل. وكان عظماء الترك يقولون: ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم: شجاعة الديك، وحذر الغراب، وغارة الذئب. وقال قبيصة بن مسعود يوم ذي قار يحذر بكر بن وائل: الجزع لا يغني عن القدر، والصبر من أبواب الظفر، والمنية لا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، والطعن في الثغر أكرم منه في الدبر، وهالك معذور خير من ناج فرور. وقال أبو مسلم

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٥٦/١

لبعض قواده: إذا عارض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يبعث على الإقدام والآخر يبعث على الإحجام فأقدم، فإنه أدرك للثأر وأنفى للعار.

الحث على استعمال الخديعة والحيلة والتحرز في الحرب:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: الحرب خدعة. وقيل: إذا لم تغلب فأخلب. وقال بعضهم: كن بحيلتك أوثق منك بشدتك، وبحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حرب للمتهور وغنيمة للمتحذر. وقيل: المكر أبلغ من النجدة. ومما كتب معاوية إلى مروان لما بلغه قتل عثمان رضي الله عنه: إذا قرأت كتابي فكن كالفهد لا يصطاد إلا بغليلة، ولا يساور غلا عن حيلة، وكالثعلب لا يغلب إلا روغانا، واخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ رأسه عن لمس الأكف، وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره، وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند نفاسها. وقيل: حازم في الحرب خير من ألف فارس، لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازم قد يقتل جيشا بحزمه وتدبيره.

حث من دعي إلى المبارزة على الإجابة:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لبعض بنيه: لا تدعون أحدا إلى البراز ولا يدعونك أحد إلا أجبته، فالداعي باغ والباغي مصروع.

قال طرفة:

إذا القوم قالوا: من فتى؟خلت أنني ... دعيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال:

إن كان في الألف منا واحد فدعوا ... من فاز خالهم إياه يعنوننا

دعبل:

من معشر إن تدعهم لملمة ... وصلوا الحياة إلى العلى بحديد

المنازل وقت المنازلة:

المهلهل:

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا ... وأخو الحرب من يطيق النزولا

وقال:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اعتنقوا ... ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وقال:

جعلت يدي وشاحا له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

الحث على الثبات والنهي عن الإحجام والفكر في العواقب:

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار: . وقال: " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا " وقيل: السلامة في الإقدام والحمام في الإحجام.

قطري:

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... متخوفا يوم الوغى لحمام

الكلبي:

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت ... حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما لما أخرجه لقتال أهل الردة: احرص على الموت توهب لك الحياة، وقيل: من تفكر في العواقب لم يشجع. ولما أحست امرأة ربيعة بن مكدم بهربه قالت:

مساءة ترك الفتى نساءه ... حتى يبل من دم أنساءه

الحث على التفكر قبل التقدم:

قيل: الإتيان بالتندم لا يغني بعدم التقدم. وقيل: من قاتل بغير نجدة، وخاصم بغير حجة، وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر.

إذا ما أردت الأمر فاذرعه كله ... وقسه قياس الثوب قبل التقدم

لعلك تنجو سالما من ندامة ... فلا خير في أمر أتى بالتندم

المتبجح بثباته:

قيل لأمير المؤمنين رضي الله عنه: أنت محرب مطلوب فلو اتخذت طرفا فقال: لا أفر عمن كر ولا أكر على من فر فالبغلة تكفيني. وقيل لعباد بن الحصين: فأين نطلبك؟فقال: حيث تركتموني. وقيل لبعض بني المهلب: بم نلتم ما نلتم؟قال: بصبر ساعة. وقال هدية:." (١)

"يعقوب بن يوسف:

وخيل تعجز الإرسال عنها ... مزينة بأنواع الجراح

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٨١/١

سلم الخاسر:

ولا خير في الغازي إذا آب سالما ... إلى الحي لم يجرح ولم يتحدد

المتضرج بالدماء:

البحتري:

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ... محمرة فكأنهم لم يلبسوا

آخر:

تضرج مهم كل خد معفر ... وعفر منهم كل خد مضرج

المتلطخ بالدم المتسربل بالغبار:

السري:

مفقودة شية الجواد عليهم ... وحجول أربعة لخوض دمائه

المتنبي:

وعجاجة ترك الحديد سوادها ... زنجا تبسم أو قذالا شائبا

الغبار:

الحجاج: اتقوا الغبار فإنه سريع الدخول بطيء الخروج.

وقال:

غبار كما فارت دواخن غرقد

أوس:

فانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

يخفى وآونة يلوح كما رفع المنير بكفه لهبا

الحروب المشهورة:

الحروب ثلاثة لم يكن للعرب أعظم منهن: حرب بعاث بين الأوس والخزرج، وكانت متصلة إلى أن بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلموا اصطلحوا، وحرب بني وائل بكر وتغلب في مقتل كليب اتصلت أربعين سنة، وحرب ابن بغيض عبس وذبيان في مجرى داحس والغبراء، بقيت أربعين سنة لم تحمل فيها الحمالات، فبعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي من دمائهم شيء على الحارث ابن عوف فاهتدى

للإسلام. وأيام العرب ثلاثة في الجاهلية لم يكن أعظم منهن: يوم جبلة، ويوم كلاب الأخير، ويوم ذي قار، وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة سيف لمشركي العرب وهو قوله تعالى " وقاتلوا المشركين كافة " وسيف لأهل الردة على يد أبي بكر رضي الله عنه وهو " تقاتلونهم أو يسلمون " وسيف لأهل الكتاب على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر " وسيف لأهل القبلة والصلاة على يد علي رضي الله عنه " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

العصا:

تسمى المنسأة قال الله تعالى " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته " وعصا موسى حالها ظاهرة. وقيل: ألقى فلان عصاه إذا نزل، وشق العصا إذا خرج عن الطاعة، وعبيد العصا أي ينقادون بالعصا. وسمي الصغير الرأس رأس العصا. وهو صلب العصا أي قوي. وقولهم: إنك خير من تفاريق العصا فالعصا تقطع ساجورا، ثم يجعل الساجور أوتادا، والأوتاد شظاظا، والشظاظ مهار البخاتي، أو تشق العصا فتجعل قوسا للبندق وتجعل القوس سهاما، والسهام حظاء، والحظاء مغازل، والمغازل قداحا.

الكرة والصولجان:

أبو قريش بن أسوط وكان من بطارقة أرمينية يصف كرة:

يحب دنوها لهفا إذا ما ... دنت منه بكد أي كد

قلاها ثم أتبعها بضرب ... وأعقب قربها منه ببعد

بشار:

كأن فؤاده كرة تنزى ... حذار البين لو نفع الحذار

السيد الحميري:

وكأنها كرة بكف حزور ... عبل الذراع دحا بها في بملعب

البوق:

الببغاء:

ومسمع ليس بذي لسان ... محكم في صمم الآذان

- سر يؤديه إلى إعلان

مما جاء في طلب الثأر والدية

والرخصة في الاقتصاص

قال الله تعالى " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والجروح قصاص، فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل " . وقال صلى الله عليه وسلم " لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده " ، وسوى بين الصريح والهجين، وكانت العرب تهدر دم السنيد وهو الملصق المدعي. وإذا قتل الرجل ملكا أو رجلا من أهل بيت القاتل لم يرضوا حتى يقتلوا رهط القاتل ويحرقوهم بالنار، وإذا كان القاتل هو الملك أو أحد من أهل بيته اهدروا الدم فقالوا: لا عقل ولا قود. قال الجاحظ: كانت الدية والصدقة مما عند الرجل عن تمرا فتمر، وإن شاء فشاء، وكانوا يعيرون من ديته التمر.

قال:

ألا أبلغ بني وهب رسولا ... بأن التمر حلو في الشتاء." (١)

"فعير في هذا بشيئين: بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر. وكانت دية العربي المعم المخول من التمر مائة وسق، ومن الإبل مائة بعير، ودية الهجين على النصف، ودية المولى على الربع، والملك ومن هو في بيته ألف وسق. والإسلام سوى بين الكل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم.

التعيير بترك الثأر والحث على أخذه:

قيل لعرابي: أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثأرا قط؟فقال: بل يسرني أن أدرك الثأر وأنفي العار وأدخل مع فرعون النار. قدم هدبة بن الخشرم العذري ليقتاد بابن عمه، فأخذ ابن المثؤور به السيف، فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم الغلام أن يقبل الدية وقالت: أعطي الله عهدا لئن لم تقتله لأتزوجنه، فيكون قد قتل أباك وناك أمك! عبد الرحمن بن شافع:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل

ونحوه قول عمرة بنت وقدان:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق!

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٩٥/١

التعبير بأخذ الدية وعدمه:

شاعر:

وإن الذي أصبحتم تحلبونه ... دم غير أن اللون ليس بأحمرا

إذا سكبوا في القعب من ذي إنائهم ... رأوا لونه في القعب وردا وأشقرا

آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه:

إذا صب ما في القعب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم يبيل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة كثير التلفت إلى البأس، فواثب فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه، فأخذت أمه ديته، فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه، فأخذت ديته، فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها فأنشدت:

أقسم بالمروة حقا والصفا ... إنك خير من تفاريق العصا

وروي أن أعرابيان أصابهما قحط فانحدرا إلى العراق جائعين، فوطئت رجل أحدهما فرس لفارس فأدمتها وكان يسمى حيدان فتعلقا به وأخذا الدية، وكانا جائعين، فقصدا السوق وابتاعا طعاما فأكلا فقال الآخر:

فلا غرس ما دام في الناس سوقهم ... وما بقيت في رجل حيدان إصبع

تحريم الملاهي على المحارب وطالب الثأر:

روي أن بعض عمال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار، فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجاج بأن عبد الرحمن ابن الأشعث خلعه، فأجاب عن كتابه وجعل يقلب كفيه وقال لها: إن ما دونك منية المتمني. فقالت: وما يمنعك؟قال: بيت الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بإطهار

فمكث ثلاث سنين وخمسة اشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث، فكانت أول امرأة تمتع بها. وكانت العجم إذا حزبهم أمر أمروا أن ترفع الموائد، ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا. وقال معاوية: ما ذقت أيام صفين لحما ولا حلواء، بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت. وأتت امرأة المهلب بمجمرة فقالت له: ضع هذه تحتك؛فكان هذا تعريضا لما أبطأ عن مناهضة الأزد فقال: أست المرأة أحق بالمجمرة.

قيس بن الحطيم:

حرام علينا الخمر إن لم نضارب

الجارح الغطفاني:

لله درك ما ظننت بثائر ... حران ليس على التراث براقد!

أحددته ثم اضطجعت ولم ينم ... أسفا عليك وكيف نوم الحاقد؟

من حل له الطيبات لإدراكه الثأر:

شاعر:

اليوم حل لي الشراب وما ... كان الشراب يحل لي قبل

جابر:

وحل لي التدهين والخمر بعدما ... شفيت غليلي من ثويد المرائد

المتبجح بإدراك ثاره:

المهلهل في إدراك ثار كليب:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أي زير

بأني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عبيد ... وبعض القتل أشفى للصدور

صفية بنت الجذع:." (١)

"وقد قتلنا شفاء النفس لو قنعت ... وما قتلنا به إلا أمرا دونه

زبان، وكان قد هجاه بعض أعاديه فقتله وقطع لسانه ودست في استه وقال:

وإن قتيلا بالهباءة في استه ... صحيفته إن عاد للظلم ظالم

متى تقرأوها تهدكم من ضلالكم ... وتعرف إذا ما فض عنها الخواتم

من نزع ثوب العار وانطلق لسانه:

أخو أساف بن عباد اليشكري:

ألم يأتها أني صحوت وأنني ... شفاني من دائي المخامر شاف

(١) محاضرات الأدباء، ٣٩٦/١

فأصبحت ظبيا مطلقا من أديمه ... صحيح الأديم بعد داء أساف

وكنت مغطى في قناعي خيفة ... كشفت قناعي واعتطفت عطافي

قاتل غالب:

وقد كنت محرور اللسان ومفحما ... فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

من لا يفوته الثأر:

عبد الله بن العتابي:

وقد ضمنت أسيافهم ورماحهم ... لمن جاوروا أن لا يضيع لهم وتر

البحتري:

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

حمية شعب جاهلي وغيرة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

المتنبي:

إذا طلب النيل لم يثأه ... وإن كان دينا على ماطل

من يفيت الثأر ولا يفوته:

الجرعي:

وإذا طلبت الوتر لم تسبق به ... وتفوت مطلوبا به فتبرح

آخر:

تحف أغر لا قود عليه ... ولا دية تساق ولا اعتذار

من قتل بعض ذويه اقتصاصا:

قيس بن زياد:

شفيت النفس من حمد بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

ونحوه للحارث بن وغلة:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فلئن رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

البحتري:

تقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيعها

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

أعرابي:

أقول للنفس: تعزاء وتسلية ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف عن فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

مما جاء في التحذير من الحرب وطلب الصلح

التحذير من تهييج الحرب والحث على الصلح:

قال الله تعالى " وغن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها " . كان سويد بن متحرق خطب خطبة طويلة لصلح أمة فقال له رجل: أنت من اليوم ترعى في غير مرعاك، أفلا أدلك على المقال؟فقال: نعم. قال: أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام. فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتبادلوا الديات. وقيل: الحرب صعبة مرة والصلح أمن ومسرة.

كتب سلم بن قتيبة إلى سعيد المهلبي لما تحاربا بالبصرة:

خذوا حظكم من سلمنا أن حربنا ... إذا زينته الحرب نار تسعر

فإني وإياكم على ما يسؤوكم ... لمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقر

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعادات فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لئيم. وقال زيد بن حارثة: لا تستثيروا السباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا. وقيل: الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها.

زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المترجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضرم إن أضرمتموها فتضرم

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم

كثير:

رميت بأطراف الزجاج فلم يفق ... من الجهل حتى كلمته نصالها

التحذير من صغير يفضي إلى كبير:

من أقوالهم: رب خطوة صغيرة عادت همة كبيرة.

شاعر:

ذروا الأمر الصغير وزملوه ... فتلقيح الجليل من الدقيق

وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة ابيات بني مهيم:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالزندين توري ... وإن الحرب أولها كلام." (١)

"فقيل: في هذا الوقت تقول هذا؟فقال: من مات قبل أجله حتى أكونه؟كتب رجل في السجن إلى الرشيد: ما مر يوم من نعيمك إلا ومر معي يوم من بؤسي والأمر قريب والسلام.

وإن خلاخيل الرجال قيودها

قال العوام بن حوشب: صبحنا إبراهيم التميمي إلى سجن الحجاج فقلنا ما حاجتك؟فقال: حاجتي أن تذكرني إلى الرب الذي فوق الرب الذي أمر يوسف أن يذكر عنده. ولما حبس المأمون إبراهيم بن المهدي في يد أحمد بن أبي خالد أخذ في الصلاة والعبادة، فدخل عليه أحمد فقال: أمجنون تريد أن يقول المأمون هو يتصنع للناس فيقتلك؟قال: فما الرأي؟قال: أن تشرب وتطرب وتحضر القيان. فأخذ في ذلك ثم دخل أحمد على المأمون فقيل له: ما خبر النادر؟قال: أصون سمع أمير المؤمنين أن أخبره بما هو فيه. فقال: ما هو؟قال: مكب على الشرب والجواري وتعاطي الجسارة!فقال: والله لقد شوقتني إليه؛فكان ذلك سببا لرضاه عنه.

وقال علي بن الجهم:

قالوا: ح بست؟فقلت: ليس بضائري ... حبسي وأي مهند لا يغمد؟

أو ما رأيت الليث يألف غيله ... كبرا وأوباش السباع ترد؟

والبدر يدركه السرار فينجلي ... أيامه وكأنه متجدد

ولكل حال معقب ولربما ... أجلى لك المكروه عما يحمد

والحبس ما لم تغشه لدنيئة ... شنعاء نعم المنزل المتودد!

بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحمد

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٩٧/١

أبو فراس:

ولله عندي في الأسار وغيره ... مواهب لم يخصص بها أحد قبلي

فقل لبني عمي وأبلغ بني أبي ... بأني في نعماء يشكرها مثلي

وما شاء ربي غير نشر محاسني ... وأن يعرفوا ما قد عرفت من الفضل

أعرابي حبس:

ولا تحبسا حبس اليمامة دائما ... كما لم يدم عيش بحزن أبان

المكبل الهزلي:

ويمر في العرقات من لم يقتل

أبو تمام:

وللحديد سخاب في مقلده ... وفي مخلد ساقيه خلاخيل

وقيل: فلان راكب أدهم يوسف فيه إذا قيد.

المعدل:

وقد سرني أن بات في الكبل راسفا ... تغنيه في داجي الظلام صلاصله

فإن يظفر الإسلام منه بثأره ... فقدما إلى الإسلام دبت غوائله

معرفة أهل السجون بالأخبار:

حكي أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجون فقال: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تخف عليهم الأخبار؛فببركته عليه السلام هم أعلم الناس بكل خبر في كل بلد.

الهارب من السجن:

كان الكميت في سجن بني أمية، فلما هرب قال:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوائج والمسلي

علي ثياب الغانيات وتحتها ... عزيمة رأي أشبهت سكة النصل

الفرزدق في ابن هبيرة حين نقب سجن خالد بن عبد الله:

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... ولم تر إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما ... ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة ... سوى ربد التقريب من آل أعوجا
استطلاق أسير أو محبوس والرغبة في الحبس:
الحطيئة لما حبسه عمر رضي الله عنه في سبب الزبرقان وهجائه إياه:
ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
حبست كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
الحارثي:
أفكك أسيرك والتمس فكاكه ... حسن الجزاء بصالح الأعمال
الصابي في المطهر لما قيد وحبس:
لساني في نشر المدائح مطلق ... وساقي في قبر المحابس موثق
وحلمك يأبى الجمع ما بين ذا وذا ... فحتى متى بين الفريقين أفرق؟
وأتى المنصور برجل جان فأمر بقتله فقال: إن الله أعظم سلطانا منك وعاقب بالخلود لا بالفناء؛فأمر بحبسه. كتب أبو ثوابة إلى قوقارة يقول: ما رأيك أبقاك الله في المصير إلى الحبس موفق إن شاء الله! فكتب قوقارة تحته: لا رأي لي في ذلك.
تهنئة مطلق من الحبس:
البحتري:." (١)

"وصف الفضل بن عيسى الحمار فقال: هو أقرب الدواب داء وأكثرها دواء وأكبرها جماحا أخفض مهوى وأقرب مرتقى، وقد تواضع راكبه ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهريا وفرسا عربيا، لكنه ركب الحمار أربعين سنة فعارضه أعرابي فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث، لا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يندى به الإناء. ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم. وقرب إلى أبي لجيم حمار له يركبه وهو والي البصرة فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله ايها الأمير من ركوبه فإنه عير والعير عار وشنار، منكر الصوت بعيد الفوت متفرق الصحل متورط في الوحل بسائره مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم: أمصله. فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك فعاد عليه راكبا فلما بصر به قال: ما هذا؟قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٠٧/١

محملج القوائم، يحمل الرجل ويبلغ القعقبة ويمنعني أن أكون جبارا. وقيل: شر المال مالا يزكي ولا يذكى، يعني الحمار لأنها لا تجيب الزكاة في سائمتها. وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: ابعث إلي بشر الطعام على شر الدواب مع شر الناس. فبعث إليه جبنا على حمار مع خوزي. وقيل: أصبر على الذل من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى " إن ا،كر الأصوات لصوت الحمير " وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟قال: إنه عثرة نخرة تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال.

شاعر:

إن الحمار مع الحمار مطية ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذل لصاحبه؟فقال الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلسا أتعب يديك، وإن كان بليدا أتعب رجليك. ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: ما لك اقتصرت على ركوب الحمار لا يساوي ثمن قضيمة؟فأنشأ يقول:

لا تنكرنِي على حمار ... يضيع في مثله الشعير

وكيف لا يمتطي حمارا ... من جل إخوانه حمير

وقال:

ولا عن رضا كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

فضل الفرس:

قال الله تعالى في الامتنان به " ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " . ومن فضيلته أن النبي عليه السلام أسهم له سهمين ولم يجعل لراكبه إلا سهما. وقال عليه السلام: الخيل معقود في نواصيها الخير. وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرئ القيس:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معصوب

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرغ فرسا له ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل. وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث: إذا ولد للرجل ذكر قيل له: ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحي شاعر قيل: ليهنك من يذب عن عرضك، وإذا نتج مهرا قيل له: ليهنك ما تطلب عليه **الثأر**. وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجبا بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي ولو يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي. وعرض الحجاج

أفراسا وجواري بين يديه أعرابي فخيره بين فرس وجارية فقال:

لصلصلة اللجام برأس طرف ... أحب إلي من أن تنكحيني

أخاف إذا حللنا في مضيق ... وجد الركض أن لا تحمليني

الحث على إيثاره والإحسان إليه والتمدح بذلك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قدر على ثمن دابة فليشترها فإنها تعينه على رزقه وتأتيه برزقها. وقال أبو ذر: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه. وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟قال: لمؤدنتها. فقال: تراه خلق عليك رزقه؟وقال مالك بن نويرة:

جزاني دوائي ذو الخمار ومنعتي ... بما بات أطواء بني الأصاغر

رأى أنني لا بالقليل أموره ... ولا أنا عنه في المواساة ظاهر

يزيد العبدي:

قصرنا عليه بالمقيض لقاحنا ... رباعية أو بازلا أو سداسيا

وقال:

مفداة مكرمة علينا ... تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال:." (١)

"حمى وقرى فالموت دون مرامها ... وأيسر خطب يوم حق فناؤها

المرار:

لهم إبل لا من ديات ولم تكن ... مهورا ولا من مكسب غير طائل

مخيسة في كل رسل ونجدة ... وقد عرفت ألوانها في المعاقل

وصفها: أبو جرول:

مخاض كسن الظبي لم أر مثلها ... سناء قتيل أو حلوبة جائع

القطامي:

طوال القنا ما يلعن الضيف أهلها ... إذا هو رغى وسطها بعدما يسري

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١٠٦

جفار إذا صافت هضاب إذا شتت ... وبالصيف يردون المياه على العسر

يعض عليها الحاسدون بنانهم ... وليس بأيديهم غناي ولا فقري

ألوان الإبل وتفضيل بعضها:

قال حنيف الحناتم وكان آبل الناس: الرمكاء بهية تصغير بهية والحمراء صبراء والحمراء غزراء والصهباء سرعاء، وفي الإبل أخرى إن كانت عندي لم أبعها وإن كانت عند غيري لم أشترها لأنه لا يبيعها إلا العيب. وقال أبو نصر النعامي: هجر على حمراء وأسر بورقاء، وصبح القوم على صهباء. قيل ولم ذاك؟قال: لأن الحمراء أصبر على حر الهواجر، والورقاء على السرى، والصهبة أحسن الأوان حين ينظر إليها. وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقاها، والدهم أبهاها، والحمر أضناها أي أكثرها ولدا، والأدم أوضؤها والرمد أوطؤها.

المتشابهة الألوان:

ذو الرمة:

إذا أنتجت منها المثاني تشابهت ... على العود إلا بالأنوف سلائله

أي تشابهت على أمهاتها لكونها على نجاد واحد فلا يعرفن إلا بالشم.

الإبل المختلفة الألوان:

بعض اللصوص يصف إبلا سرقها من أحياء مختلفة:

تسألني الباعة أي دارها ... لا تسألوني وانظروا آثارها

كل نجار في الروى نجارها ... وكل نار العالمين نارها

والنار السمة كردوس المراثي فيها:

أتسألني عن نارها وديارها ... وذلك علم لا يحيط به الطمس

أي الخلق.

الإبل المعلمة:

قال الراجز:

كل علاة توجت بنارها ... قبل تمام القوم في نجارها

ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب. وقيل: بعير محلق وطهور وأحزب. والميسم مباح في لشريعة، كان يسم إبل الصدقة.

وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله صلى الله عليه وسلم موسومتين. ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء. قال:

قد سقيت آبالهم بالنار ... والنار قد تسقى من الأوار

إبل غير معلمة:

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن أغفالها كالعلم لها، أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش إلا كل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوض إذا الحوض شغل ... ومنكباها خلف أوراك الإبل

وقال:

من كل حمارء يفاع المنتمى ... يكرمها أربابها أن توسما

وصف البعير بالسرعة والقوة:

وصف أعرابي ناقة فقال: تقطع الأرض وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضا، سريعة الوثوب بطيئة النكوب، مروح شروب. وقيل لآخر: كيف ناقتك؟فقال: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت. وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمار فصحبت يمنيا على ناقة فوقف بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلا فخفت أن يفوتني الحج، فقال اليمني: أتطيب نفسك عما معك وتردفني؟فقلت: نعم، فنزل وقدم رحله فكاد يضعها على عنقها، ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطلب نفسك عنه. ففعلت وأردفني، فجعلت تعوم بنا عوما كأ، ها ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف فقال: إن لي حاجة إليك أن لا تذكرها، فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا: أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم من صنعاء كل عام.

تحريك الأيدي والأرجل في المشي:

رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع الفرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق

آخر:

يدا سابح في غمرة يتبوع

آخر:

يدا معول خرقاء تسعد مأتما

آخر:

كأنها نائحة تفجع ... تبكي لميت وسواها الموجع

الشماخ:

كأن ذراعيها ذراعا مدلة ... بعيد الشباب حاولت أن تعذرا

القضامي:." (١)

" – إذا جاع جزار فكل ذبيحة ... حلال ولو أن الذريعة عاب

– وإن ثار حر منصفا لحقوقه ... تحداه سوط جامح وعذاب

– ولا ذنب للأحرار إلا إباؤهم ... فأرواحهم جبارة وصلاب

– هو الثأر لا تقدى بنوم عيونه ... له ثورة مرهوبة وحساب

– فويل لأعداء الشعوب إذا انتحت ... وجرد بتار وصب عقاب

السناني ." (٢)

" – ليست النكبة عارا إن تكن ... حافزا للنصر سعيا وعمل

– رب وإن سادر في لهوه ... أيقظته صيحه الثأر بطل

– أخيب الناس تقي خامل ... يذكر الله ويرضى بالكسل

زكي قنصل ." (٣)

" – قال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرا :

– يابد والأمثال يضرب ... ها لذي اللب الحكيم

– دم للخليل بوده ... ما خير ود لا يدوم

---

(١) محاضرات الأدباء، ١١٣/٢

(٢) مجمع الحكم والأمثال، ص/

(٣) مجمع الحكم والأمثال، ص/

- واعرف لجارك حقه ... والحق يعرفه الكريم
- واعلم بأن الضيف يو ... ما (يوما) سوف يحمد أو يلوم
- والناس مبتنيان محمو ... د (محمود) البناية أو ذميم
- واعلم بني فإنه ... بالعلم ينتفع العليم
- إن الأمور دقيقها ... مما يهيج له العظيم
- والثأر مثل الدين تقاضا ... ه (تقاضاه) وقد يلوى الغريم
- والبغي يصرع أهله ... والظلم مرتعه وخيم
- ولقد يكون لك البعي ... د (البعيد) أخا ويقطعك الحميم
- والمرء يكرم للغنى ... ويهان للعدم العديم
- قد يقتر الحول التقي ... ويكثر الحمق الأثيم
- يملى لذاك ويبتلى ... هذا فأيهما المضيم ؟
- والمرء في الحقو ... ق (الحقوق) وللورثة ما يسيم
- وتخرب الدنيا فلا ... بؤس يدوم ولا نعيم
- كل امرئ ستئيم م ... نه (منه) العرس أو منها يئيم
- ماعلم ذي ولد لأيش ... كله أم الولد اليتيم
- والحرب صاحبها الصل ... يب (الصليب) على تلاتلها العزوم
- من لا يمل ضراسها ... ولدى الحقيقة لا يخيم
- واعلم بأن الحرب لا ... يسطيعها المرح السؤوم
- والخيل أجودها المنا ... هب (المناهب) عند كتبها الأزوم

يزيد بن الحكم الثقفي ." (١)

" - إذا استطعت كن إما مسيحا مسامحا ... عداك وإما فارس الحرب عنترا
- فما اللؤم إلا إن حقدت فلم تكن ... كريما فتعفو أو شجاعا فتثأرا

(١) مجمع الحكم والأمثال، ص/

القروي ." (١)

" ٢٧ – إن المقدرة تذهب الحفيظة

المقدرة (ذكر لغتين وترك ثالثة وهي بفتح الميم وسكون القاف ودالها مثلثة) والمقدرة : القدرة والحفيظة : الغضب

قال أبو عبيد : بلغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلا بذحل (الذحل – بفتح الذال وسكون الحاء – الثأر) فلما ظفر به قال : لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك ثم تركه ." (٢)

" ٢٤٣ – إن كنت عطشان فقد أنى لك

يضرب لطالب الثأر أي قد أنى لك أن تنتصر وأنى وآن لغتان في معنى حان ." (٣)

" ٦٧٥ – تطلب ضبا وهذا ضب باد رأسه ؟

ويروى " مخرج رأسه " قال عطاء ابن مصعب : زعموا أن رجلين وترا رجلا وكل واحد منهما يسمى ضبا فكان الرجل يتهدد النائي عنه ويترك المقيم معه جبنا فقيل له : تطلب ضبا يعني الغائب وهذا ضب باد رأسه يعني الحاضر . يضرب لمن يجبن عن طلب ثأره ." (٤)

" ٧٢٨ – تمسك بحردك حتى تدرك حقك

يقال حرد حردا ساكنة الراء والقياس تحريكها وينشد :

إذا جياد الخيل جاءت تردى ... مملوءة من غضب وحرد

وقال ابن السكيت : وقد تحرك ويقال : رجل حارد وحرد وحردان أي غضبان أي دم على غيظك حتى تثئر (تثئر : تأخذ ثأرك وأصله تتثئر) ." (٥)

" ٧٧١ – ثكل أرأمها ولدا

قاله بيهس الملقب بنعامة لأمه حين رجع إليها بعد إخوته الذين قتلوا

---

(١) مجمع الحكم والأمثال، ص/

(٢) مجمع الأمثال، ١/١٤

(٣) مجمع الأمثال، ١/٥٥

(٤) مجمع الأمثال، ١/١٣٥

(٥) مجمع الأمثال، ١/١٤٤

قال المفضل : كان من حديث بيهس أنه كان رجلا من بني فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابع إخوة . فأغار عليهم ناس من أشجع بينهم وبينهم حرب وهو في إبلهم فقتلوا منهم ستة وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فأرادوا قتله ثم قالوا : وما تريدون من قتل هذا ؟ يحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال : دعوني أتوصل معكم إلى الحي فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش ففعلوا فأقبل معهم فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر فقالوا : ظللوا لحمكم لا يفسد . فقال بيهس : لكن بالأثلاث لحما لا يظلل فذهبت مثلا فلما قال ذلك قالوا : إنه لمنكر وهموا أن يقتلوه ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون فقال أحدهم : ما أطيب يومنا وأخصبه فقال بيهس : لكن على بلدح قوم عجفى فأرسلها مثلا ثم انشعب طريقهم فأتى أمه فأخبرها الخبر . قالت : فما جاءني بك من بين إخوتك ؟ فقال بيهس : لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا ثم إن أمه عطفت عليه ورقت له فقال الناس : لقد أحبت أم بيهس بيهسا . فقال بيهس : ثكل أرأمها ولدا أي عطفها على ولد فأرسلها مثلا ثم إن أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخوته فيلبسها ويقول : يا حبذا التراث لولا الذلة فأرسلها مثلا ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه فقلن له : ويحك ما تصنع يا بيهس ؟ فقال :

ألبس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها

فأرسلها مثلا ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاما فجعل يأكل ويقول : حبذا كثرة الأيدي في غير طعام [ص ١٥٣] فأرسلها مثلا فقالت أمه : لا يطلب هذا بثأر أبدا فقالت الكنانية : لا تأمني الأحمق وفي يده سكين فأرسلتها مثلا ثم إنه أخبر أن ناسا من أشجع في غار يشربون فيه فانطلق بخال له يقال له : أبو حنش فقال له : هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها ويروى : هل لك في غنيمة باردة فأرسلها مثلا ثم انطلق بيهس بخاله حتى أقامه على فم الغار ثم دفع إبا حنش في الغار فقال : ضربا أبا حنش فقال بعضهم : إن أبا حنش لبطل فقال : أبو حنش : مكره أخوك لا بطل فأرسلها مثلا قال المتلمس في ذلك :

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس ." (١)

" ٧١٤ - أثأر من قصير

---

(١) مجمع الأمثال، ١/١٥٢

يعنون قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الأبرش ويقال : هو أول من أدرك ثأره وحده ." (١)

" ٩٧٩ - أجسر من قاتل عقبة

قال أبو عمرو القعيني : هو عقبة بن سلم من بني هناءة من أهل اليمن صاحب دار عقبة بالبصرة وكان أبو جعفر وجهه إلى البحرين وأهل البحرين ربيعة فقتل ربيعة قتلا فاحشا قال : فانضم إليه رجل من عبد القيس فلم يزل معه سنين وعزل عقبة فرجع إلى بغداد ورحل العبدي معه فكان عقبة واقفا على باب المهدي بعد موت أبي جعفر فشد عليه العبدي بسكين فوجأه في بطنه فمات عقبة وأخذ العبدي فأدخل على المهدي فقال : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إنه قتل قومي وقد ظفرت به غير مرة إلا أني أحببت أن يكون أمره ظاهرا حتى يعلم الناس أني أدركت ثأري منه فقال المهدي : إن مثلك لأهل أن يستبقى ولكن أكره أن يجترئ الناس على القواد فأمر به فضربت عنقه ويقال : إن الوجأة وقعت في شرجة منطقة عقبة قال : فجعل المهدي يسائل العبدي والعبدي يبكي إلى أن دخل داخل فقال : يا أمير المؤمنين مات عقبة فضحك العبدي فقال له المهدي : مم كنت تبكي ؟ قال : من خوف أن يعيش . فلما مات أيقنت أني أدركت ثأري ". (٢)

" ١٠٩٠ - الحمى أضرعتني لك

قال أبو عبيد : يضرب هذا في الذل عند الحاجة تنزل

ويروى " الحمى أضرعتني للنوم " قال المفضل : أول من قال ذلك رجل من كلب يقال له مرير ويروى مرين وكان له أخوان أكبر منه يقال لهما مرارة ومرة وكان مرير لصا مغيرا وكان يقال له الذئب وإن مرارة خرج يتصيد في جبل لهم فاختطفه الجن وبلغ أهله خبره فانطلق مرة في أثره حتى إذا كان بذلك المكان اختطف وكان مرير غائبا فلما قدم بلغه الخبر فأقسم لا يشرب خمرا ولا يمس رأسه غسل حتى يطلب بأخويه فتنكب قوسه وأخذ أسهما ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هلك فيه أخواه فمكث فيه سبعة أيام لا يرى شيئا حتى إذا كان في اليوم الثامن إذا هو بظليم فرماه فأصابه واستقل الظليم حتى وقع في أسفل الجبل فلما وجبت الشمس بصر بشخص قائم على صخرة ينادي :

يا أيها الرامي الظليم الأسود ... تبت مراميك التي لم ترشد [ص ٢٠٦]

---

(١) مجمع الأمثال، ١/١٥٨

(٢) مجمع الأمثال، ١/١٨٤

فأجابه مرير :

يا أيها الهاتف فوق الصخره ... كم عبرة هيجتها وعبره

بقتلكم مرارة ومره ... فرقت جمعا وتركت حسره

فتوارى الجني عنه هويا من الليل وأصابت مريرا حمى فغلبته عيناه فأتاه الجني فاحتمله وقال له : ما أنامك وقد كنت حذرا ؟ فقال : الحمى أضرعتني للنوم فذهبت مثلا . وقال مرير :

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيت بعدهم جميعا

غزوت الجن أطلبهم بثأري ... لأسقيهم به سما نقيعا

فيعرض لي ظليم بعد سبع ... فأرميه فأتركه صريعا

في أبيات أخر يطول ذكرها (ويروى أن عمر بن معد يكرب الزبيدي قال هذا المثل لأمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب .) ." (١)

" ١١٣٤ - حسبك من إنضاجه أن تقتله

يضرب لمن طلب الثأر

يقول : والله لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال له : لا تعد حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك

ويضرب لمن جاوز الحد قولا وفعلا ." (٢)

" ١٢٥٠ - خطب يسير في خطب كبير

قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له : جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح والعرب تقول للذي به البرص : به وضح تفاديا من ذكر البرص

وكان جذيمة ملك ما على شاطئ الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكانت من أهل باجرمى (في هامش الأصل " هكذا في النسخ ولم أعثر بها في القاموس ولا كتاب تقويم البلدان وإنما الذي وجدته فيهما جاجرم وهي بلدة من خراسان بين نيسابور وجرجان وليحرر ") وتتكلم بالعربية وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها فلما استجمع أمرها وانتظم شمل ملكها أحبت أن تغزو جذيمة ثم رأت أن تكتب إليه أنها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السماع وضعفا في السلطان وأنها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فأقبل إلي

---

(١) مجمع الأمثال، ٢٠٥/١

(٢) مجمع الأمثال، ٢١٢/١

لأجمع ملكي إلى ملكك وأصل بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك تريد بذلك الغدر . فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته إليه ورغب فيما أطمعته فيه فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته إليه وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها وكان فيهم قصير وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما أشاروا به وقال : رأي فاتر وغدر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال لجذيمة : الرأي أن تكتب إليها فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل إليك وإلا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به فقال قصير :

إني امرؤ لا يميل العجز ترويتي ... إذا أتت دون شيء مرة الوذم

فقال جذيمة : لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت كلمته مثلا ودعا جذيمة عمرو بن عدي ابن أخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال : إن قومي مع الزباء ولو قد رأوك صاروا معك فأحب جذيمة ما قاله وعصى قصيرا فقال قصير : لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلا [ص ٢٣٤] واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله وسار جذيمة في وجوه أصحابه فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي فلما نزل دعا قصيرا فقال : ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : " ببقة خلفت الرأي فذهبت مثلا قال : وما ظنك بالزباء ؟ قال : القول رادف والحزم عثراته تخاف فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والألطاف فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : خطب يسير في خطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الجيوش فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك فاركب العصا فإنه لا يشق غباره فذهبت مثلا وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى وإني راكبها ومسايرك عليها فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر إليه جذيمة على متن العصا موليا فقال : ويل امه حزما على متن العصا فذهبت مثلا وجرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له : برج العصا وقالت العرب : خير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فإذا هي مضفورة الاسب فقالت : يا جذيمة أدأب عروس ترى ؟ فذهبت مثلا فقال جذيمة : بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا . ودعت بالسيف والنطع ثم قالت : إن دماء الملوك شفاء من الكلب فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت الخمر منه مأخذها فأمرت براهشيه فقطعا

وقدمت إليه الطست وقد قيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بـدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا في القتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت : لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة : دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وجعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فقال له قصير : أثائر أنت ؟ قال : بل ثائر سائر فذهبت مثلا ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة مع عمرو بن عدي اللخمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي فاختلف بينهما قصير [ص ٢٣٥] حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو ابن عدي فقال قصير لعمرو بن عدي : تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك قال : وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟ فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت : أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين وهو عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن حتفك بـيدك ومن قبله ما يكون ذلك فحذرت عمرا واتخذت لها نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها وقالت : إن فجأني أمر دخلت النفق إلى حصني ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت إليه وقالت : سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنطرا فتخلوا بحشمه وتنضم إليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ثم أثبت لي عمرو بن عدي معرفة فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه فإذا أحكمت ذلك فأقبل إلي فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع إلى الزباء بعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته وعلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عدي : اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك مستحقا عندي فقال قصير : خل عني إذن وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال له عمرو : فأنت أبصر فجدع قصير أنفه وأثر آثارا بظهره فقالت العرب : لمكر ما جدع قصير أنفه وفي ذلك يقول المتلمس :

وفي طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر أن عمرا فعل ذلك به وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها : إن قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فإذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت : ما الذي أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المصير

إليك وغششته ومالأتك ففعل بي ما ترين فأقبلت إليك وعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأي ما أرادت فلما عرف أنها استرسلت إليه ووثقت به قال : إن لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا [ص ٢٣٦] فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزوزها وطرائفها وثيابها وطيبها وتصيبين في ذلك أرباحا عظاما . وبعض ما لا غنى بالملوك عنه وكان اكثر ما يطرفها من التمر الصرفان وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ودفعت إليه أموالا وجهزت معه عبيدا فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو فأخبره الخبر وقال : جهزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك إلى الزباء فأعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصحابك وهيئ الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء من المتاع والطرائف وقال لها : آخر البز على القلوص فأرسلها مثلا وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به وقال لها : جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها فقالت : يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا تارزا شديدا

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبضا قعودا

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها فضرط فقال البواب بالرومية بشنب ساقا يقول : شر في الجوالق فأرسلها مثلا فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله وأرته إياه قبل ذلك وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد النفق فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة التي صورت لها فمصت خاتمها وكان فيه السم وقالت

: بيدي لا بيد ابن عدي فذهبت كلمتها [ص ٢٣٧] مثلا وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجعا إلى العراق

وفي بعض الروايات مكان قولها أدأب عروس ترى " أشوار عروس ترى ؟ " فقال جذيمة " أرى دأب فاجرة غدور بظراء تفلة " قالت : لا من عدم مواس ولا من قلة أواس ولكن شيمة من أناس . فذهبت مثلا ". (١)

" ١٤٣٥ - دماء الملوك أشفى من الكلب

أصل الكلب الشدة وكلبة الشتاء : شدة برده والكلب الكلب : الذي يكلب بلحوم الناس ويروى " دماء [ص ٢٧٢] الملوك شفاء الكلب " تزعم العرب أن من كان به كلب من عض الكلب الكلب - وهو شيء شبيه بالجنون يعترى من عضة ذلك الكلب - ثم إذا سقي دماء الملوك شفي ودفع بعض أصحاب المعاني هذا فقال : معنى المثل أن دم الكريم هو **الثأر** المنيم كما قال القائل :

كلب من حس ما قد مسه ... وأفانين فؤاد مختبل

وكما قيل : كلب بضرب جماجم ورقاب

قال : فإذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك **ثأره** فذلك هو الشفاء من الكلب لا أن هناك دما يشرب في الحقيقة ." (٢)

" ١٧٣٥ - ازددت رغما ولم تدرك وغما

الرغم : الغيظ والوغم : الحقد **والثأر** . يضرب في الخيبة عن الأمل ." (٣)

" ٢٠٣٠ - أشأم من خوتعة

وهو أحد بني غفيلة بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة

ومن حديثه أنه دل كثيف بن عمرو التغلبي [وأصحابه] على بني الزبان الذهلي لترة (الترة - بوزن عدة وصفة - **الثأر** وأصل تائها واو) كانت له عند عمرو بن الزبان وكان سبب ذلك أن مالك بن كومة الشيباني لقي كثيف بن عمرو في بعض حروبهم وكان مالك نحيفا قليل اللحم وكان كثيف ضخما فلما أراد

---

(١) مجمع الأمثال، ٢٣٣/١

(٢) مجمع الأمثال، ٢٧١/١

(٣) مجمع الأمثال، ٣٢٣/١

مالك أسر كثيف اقتحم [ص ٣٧٨] كثيف عن فرسه لينزل إليه مالك فأوجره مالك السنان وقال : لتسأسرن أو لأقتلنك فاحتق فيه هو وعمرو بن الزبان وكلاهما أدركه فقالا : قد حكمنا كثيفا يا كثيف من أسرك ؟ فقال : لولا مالك بن كومة كنت في أهلي فلطمه عمرو بن الزبان فغضب مالك وقال : تلطم أسيري ؟ إن فداءك يا كثيف مائة بعير وقد جعلتها لك بلطمة عمرو وجهك وجز ناصيته وأطلقه فلم يزل كثيف يطلب عمرا باللطمة حتى دل عليه رجل من غفيلة يقال له خوتعة وقد بدت لهم إبل فخرج عمرو وإخوته في طلبها فأدركوها فذبحوا حوارا فاشتووه وجلسوا يتغدون فأتاهم كثيف بضعف عددهم وأمرهم إذا جلسوا معهم على الغداء أن يكتنف كل رجل منهم رجلان فمروا بهم مجتازين فدعوا فأجابهم فجلسوا كما ائتمروا فلما حسر كثيف عن وجهه العمامة عرفه عمرو فقال : ياكثيف إن في خدي وفاء من خدك وما في بكر بن وائل خد أكرم منه فلا تشب الحرب بيننا وبينك فقال : كلا بل أقتلك وأقتل إخوتك قال : فإن كنت فاعلا فأطلق هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب فإن وراءهم طالبا أطلب مني يعني أباهم فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخلاة وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم فجاءت الناقة والزبان جالس أمام بيته حتى بركت فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو وقد أبطأ هو وإخوته فقامت الجارية فجست المخلاة فقالت : قد أصاب بنوك بيض نعام فجاءت بها إليه وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ثم رؤوس إخوته فغسلها ووضعها على ترس وقال : آخر البز على القلوص وقال أبو الندى : معناه هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده فأرسلها مثلا وضرب الناس بحمل الدهيم المثل فقالوا : أثقل من حمل الدهيم فلما أصبح نادى : يا صباحاه فأتاه قومه فقال : والله لأحولن بيتي ثم لا أرده إلى حاله الأول حتى أدرك ثاري وأطفى ناري فمكث بذلك حينا لا يدري من أصاب ولده ومن دل عليهم حتى خبر بذلك فحلف لا يحرم دم غفلى حتى يدلوه كما دلوا عليه فجعل يغزو بني غفيلة حتى أثخن فيهم فبينما هو جالس عند ناره إذ سمع رغاء بعير فإذا رجل قد نزل عنه حتى أتاه فقال : من أنت ؟ فقال : رجل من بني غفيلة فقال : أنت وقد آن لك فأرسلها مثلا فقال : هذه خمسة وأربعون بيتا من بني تغلب بالإقطانتين يعني موضعا بناحية الرقة فسار إليهم الزبان [ص ٣٧٩] ومعه مالك بن كومة قال مالك : فنعست على فرسي وكان ذريعا فتقدم بي فما شعرت إلا وقد كرع في مقراة القوم فجذبته فمشى على عقبيه فسمعت جارية تقول : ياأبت هل تمشي الـخيل على أعقابها ؟ فقال لها أبوها : وما ذاك يا بنية ؟ قالت : رأيت الساعة فرسا كرع في المقراة ثم رجع على عقبيه فقال لها : ارقدي فإني أبغض الجارية الكلوء العين فلما أصبحوا أتتهم الخيل دواس أي يتبع بعضها بعضا فقتلوهم جميعا

قوله " دواس "كذا أورده حمزة في كتابه والصواب " دوائس " يقال : داستهم الخيل بحوافرها وأتتهم الخيل دوائس أي يتبع بعضها بعضا ووجدت في بعض النسخ يقال : دست الخيل تدس دسا إذا تبع بعضها بعضا وأنشد :

خيلا تدس إليهم عجلا ... وبنو رحائلها ذوو بصر

أي ذوو حزم ." (١)

" ٢٠٩٢ - صارت الفتيان حمما

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر وذلك أن بني تميم قتلوا سعد بن هند أخا عمرو بن عبد الملك فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم فجمع أهل مملكته فسار إليهم فبلغهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها : إني لأحسبك أعجمية فقالت لا والذي أسأله أن يخفض جناحك ويهد عمادك ويضع وسادك ويسلبك بلادك ما أنا بأعجمية قال : فمن أنت ؟ قال : أنا بنت ضمرة بن جابر ساد معدا كابرا عن كابر وأنا أخت ضمرة بن ضمرة قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جرول قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : هذه كلمة أحمق لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني قال : وأي رجل هو ؟ قالت : هذه أحمق من الأولى أعن هوذة يسأل ؟ هو والله طيب العرق سمين العرق لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد فقال [ص ٣٩٥] مرو : أما والله لولا أني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك فقالت : وأنت والله لا تقتل إلا نساء أعليها ثدي وأسافلها دمي والله ما أدركت ثأرا ولا محوت عارا وما من فعلت هذه به بغافل عنك ومع اليوم غد فأمر بإحراقها فلما نظرت إلى النار قالت : ألا فتى مكان عجوز ؟ فذهبت مثلا ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد فقالت : هيهات صارت الفتيان حمما ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد حتى إذا كان في آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ إليه فقال له عمرو : من أنت قال أنا رجل من البراجم ؟ قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدخان وكنت قد طويت (طوى - بوزن رضى - جاع)

منذ أيام فظننته طعاما فقال عمرو : إن الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وأمر به فألقى في النار فقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره وإنما أحرق النساء والصبيان وفي ذلك يقول جرير :

---

(١) مجمع الأمثال، ٣٧٧/١

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم ... وأدرك عمارا شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل قال الشاعر :

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر ... أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب الآفاق حولا ... ليأكل رأس لقمان بن عاد ." (١)

" ٢٢٤٧ - أضيع من دم سلاغ

ويروى بالعين غير معجمة قال حمزة : هو رجل من عبد القيس له حديث في مثل آخر " دم سلاغ جبار " قال : وهذان المثلان حكاهما النضر بن شميل في كتابه في الأمثال قال أبو الندى : قتل سلاغ بحضرموت فترك دمه وثأره فلم يطلب فضربت العرب به المثل ." (٢)

" ٣٠٤٥ - كالأرقم إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم

كانوا في الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثأر الجان فربما مات قاتله وربما أصابه خبل وفي حديث عمر رضي الله عنه أن رجلا كسر منه عظم فأتى عمر يطلب القود فأبى أن يقيده فقال الرجل : هو كالأرقم إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم فقال عمر رضي الله عنه : هو كذلك يعني نفسه ." (٣)

" ٣٥٢٧ - لا أبوك نشر ولا التراب نفد

قال الأحمر : أصل هذا أن رجلا قال : لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي فقيل له هذه المقالة أي أنك لا تدرك بهذا ثأر أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب

يضرب في طلب ما يجدى ." (٤)

" ٣٥٣٩ - لا تقسط على أبي حبال

كان حبال بن طليحة بن خويلد لقى ثابت بن الأفرم وعكاشة بن محصن وكان طليحة تنبأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فقتل ثابت وعكاشة حبالا فجاء الخبر إلى طليحة فتبعهما وقتلهما وقال :

---

(١) مجمع الأمثال، ١/٣٩٤

(٢) مجمع الأمثال، ١/٤٢٤

(٣) مجمع الأمثال، ٢/١٤٥

(٤) مجمع الأمثال، ٢/٢١٨

فإن تك أذواد أصبن ونسوة ... فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

وما ظنكم بالقوم إذ تقتلونه ... أليسوا وإن لم يسلموا برجال

عشية غادرت ابن أفرم ثاويا ... وعكاشة الغنمى عنه بحال

فلما رأت بنو أسد صنيع طليحة وطلبه **بثأر** ابنه قالوا : لا تقسط على أبى حبال فذهبت مثلا

يضرب لمن يحذر جانبه ويخشى وتره ." (١)

" ٣٥٤٨ - لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية

قاله عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضي الله عنه فلما يوم الجمل فقئت عين عدى وقتل ابنه بصفين فقيل له : يا أبا طريف ألم تزعم أنه لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية ؟ فقال : بلى والله التيس الأعظم قد حبق فيه قالوا : ولما كان بعد ذلك دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين هجه فإن عنده جوابا فقال معاوية : أما أنا فلا ولكن دونك إن شئت فقال له ابن الزبير : أي يوم فقئت عينك ياعدى قال : قي اليوم الذي قتل فيه أبوك مدبرا وضربت على قفاك مواليا فأفحمه

يضرب المثل في الأمر لا يعبأ به ولا غير له أي لا يدرك فيه **ثأر**

ومثله قولهم : ." (٢)

" ٣٥٦٣ - لا ينام من **أثأر**

أي من طلب **الثأر** حرم على نفسه الدعة والنوم

يضرب في الحث على الطلب ." (٣)

" ٤٣٩١ - أودى درم

هو درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان

قال أبو عمرو : كان النعمان بن المنذر يطلب درما وجعل فيه جعلا لمن جاء به أو دل عليه فأصابه قوم فأقبلوا به إليه فمات في أيديهم قبل أن يبلغوا به إليه فقيل " أودى درم "

---

(١) مجمع الأمثال، ٢/٢٢١

(٢) مجمع الأمثال، ٢/٢٢٥

(٣) مجمع الأمثال، ٢/٢٢٧

يضرب لمن لم يدرك بثأره ." (١)

" ٤٥١٩ – هذا التصافي لا تصافي المحلب

قال أبو عمرو بن العلاء : خرج رجلان من هذيل بن مدركة ليغيرا على فهم على أرجلها فأتيا بلاد فهم فأغارا فقتلا رجلا من فهم ونذر بهما فأخذ عليهما الطريق فأسرا جميعا فقيل لهما : أيكما قتل صاحبنا ؟ فقال الشيخ : أنا قتلته وأنا الثأر المنيم وقال الشاب : أنا قتلته دون هذا الشيخ الهم الفاني وأنا الشاب المقتبل الشباب وأنا لكم الثأر المنيم فقتلوا الشيخ بصاحبهم وطمعوا في فداء الشاب فقال رجل من فهم : هذا التصافي لا تصافي المحلب ويروى " المشعل " وهو إناء ينبذ فيه أي هذه المصافاة لا مصافاة المؤاكلة والمشاربة

يضرب في كرم الإخاء ." (٢)

"البؤرة الرئيسية في هذه المقولة ذات منحى اجتماعي أي ذات بعد واحد يتطرق إليه الخطاب وهو الفعل الاجتماعي السائد القتل والثأر وما يستدعيه هذان الحدثان من توابع اجتماعية أخرى كالتشرد الأسري وكالانفصال العائلي إذا كانت هناك قرابة بين المتقاتلين، ويحاول الخطاب تبئير هذه القضية الإشكالية الاجتماعية من خلال تفجيرها في اللقاء الذي يحدث خارج نطاق الرقابة العشائرية بين لمى عبد الغني وعصام السلمان (اللذين ينتميان إلى عائلة واحدة) في لندن ويعيشان بحرية دون أي عوائق لكنهما عندما يعودان إلى بغداد تحدث الكارثة يكتشفان أنه لايمكن أن يستمرا في علاقتهما ولا يمكنهما أن يتزوجا لأن والد عصام قتل أحد أعمام لمى وتظهر هنا المحاولة من الخطاب عرض القضية في موازنة بين الذات والآخر، ففي لندن موطن الآخر كانت الإمكانيات جميعها متاحة بل تخلص عصام ولمى من كثير من القيود التي يحملانها من موطنهما وتظل المقارنة دائما قائمة بين الذات والآخر وفق معادلة السلب والإيجاب وتظهر مفارقة مأساوية أعمق في حياة الذات.

((المأساة أنهما من عشيرة واحدة وابنا عمومة)).

إذا فالقضية ذات ارتباطات وذات أبعاد أخرى ربما يكون عمقها إلى أبعد من مرحلتها التاريخية وربما تعود إلى أسباب أخرى سياسية وحضارية، على أننا لانجد إشارات إلى الواقع العشائري في المسائل السياسية على الرغم

(١) مجمع الأمثال، ٣٦٩/٢

(٢) مجمع الأمثال، ٣٩١/٢

من أن الواقع السياسي العربي يعاني بشدة من هيمنة العلاقات العشائرية على السياسة ومجريات الحياة السياسية وكذلك غابت المحاورات الفكرية التي تعتمد الرؤية العشائرية والتي رأيناها في (صيادون) بممثلها (توفيق الخلف) وهي في واقع الحياة الفكرية العربية تقود مسيرة التفكير العربي، وهذا ما يمكن أن نطرحه تساؤلا على خطاب (السفينة) الذي تحول من خطاب العشيرة الفكري إلى خطابات أخرى (فوق واقعية).

رؤية الآخر للذات:." (١)

"ونرى أكثر الشخصيات من منظور وديع سواء أكان هو الراوي قائد المصائر أم غيره، وتؤلف الشخصية قاسما مشتركا بين جميع الشخصيات التي تستمد قدرتها في الوجود الروائي من قدرات وديع.

٢- عصام السلمان:

يسند النص إلى هذه الشخصية قيادة مصائر الشخصيات، ونتبين بعد ذلك أن هذه القيادة تنفلت من بين يديه بل يقوم بتسليمها إلى(وديع عساف) وهو كوديع باحث عن خلاصة الفردي، والسمة المهمة التي تميزه الاستلاب فهو مستلب للغرب وخاضع له ومستلب بمعنى الخضوع أيضا للقيم العشيرية، مغترب عن ذاته، عن وطنه، عن حبه، باحث عن الانسلاخ القومي، لأنه لم يجد ذاته في انتمائه، وإذا دققنا في الفعل الذي قام به نجده ثانويا ونجد أنه وظيفي قامت شخصيته بل أوجدت شخصيته لنقل أفكار وقيم والاحتجاج عليها. فهو ليس قدرة فاعلة في أي من الشخصيات سوى شخصية لمى(حبيبته) التي لم يستطع الزواج منها لأسباب اجتماعية تتعلق **بالثأر** والقتل، وكان أقصى مدى للفعل لدى هذه الشخصية أنها كانت- دون إرادة منها- سببا في انتحار(فالح حسيب).

٣- لمى عبد الغني:." (٢)

"سئل الأعشى عن سلبتها جريالها. فقال: شربتها حمراء، وبلها بيضاء. فبقي حسن لونها في بدني. ومعنى " أعطتك ريحانها العقار " ، أي شربتها فانتقل طيبها إليك.

وهكذا قوله:

لا ينزل الليل حيث حلت ... فدخر شرابها نهار

من قول قيس بن الخطيم:

---

(١) مضمرات النص والخطاب، ص/١٧٥

(٢) مضمرات النص والخطاب، ص/٤١١

قضى الله حين صورها ال ... خالق ألا تكنها السدف

وهذا المعنى منقول من الغزل إلى صفة الخمر فهو خفي.

ومن هذا ما نقله من قول أوس بن حجر في صفة الفرس، فجعله في صفة امرأة:

فجردها صفراء لا الطول عابها ... ولا قصر أزرى بها فتعطلا

وقول أبي نواس:

فوق القصيرة والطويلة فوقها ... دون السمين ودونها المهزول

وإن كان أخذه من قول ابن الأحمر:

نفوت القصار والطوال تفتنها ... فمن يرها لم ينسها ما تكلما

أو من قول ابن عجلان النهدي:

ومخملة باللحم من دون ثوبها ... تطول القصار والطوال تطولها

فقد أخذه بلفظه، وأحد هذين أخذه من قول أوس، والإحسان فيه له.

ومما أخذه ونقله من معنى إلى معنى قوله:

كميت جسمها معنا ... ورياها على سفر

وممن أخفى الأخذ أبو تمام في قوله:

جمعت عرى أعمالها بعد فرقة ... إليك كما ضم الأنابيب عامل

قالوا: هو من قول الحبال الربعي:

أولئك إخوان الصفاء رزيتهم ... فما الكف إلا إصبع ثم إصبع

وهكذا قوله وقد نقله من معنى إلى آخر:

مكارم لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

قالوا هو من قول الأخطل:

عروق لحق السائلين كأنه ... بعقر التالي طالب بذنوب

وهكذا قول بشار:

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر ... إلا شهادة أطراف المساويك

من قول سليك:

وتبسم عن ألمى اللثات مفلج ... خليق الثنايا بالعذوبة والبرد

ومن قول الآخر:

وما ذقته إلا بعيني تفرسا ... كما شيم في أعلى السحابة بارق

ومما أخذه وزاد فيه عن الأول قوله:

أفناهم الصبر إذ أبقاكم الجزع

من قول السموءل:

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

أورده أبو تمام في نصف بيت واستوفى التطبيق.

ومن هذا الضرب قوله:

علمني جودك السماح فما ... أبقيت شيئا لدي من صلتك

من قول ابن الخياط:

لمست بكفي كفه أبتغى الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وممن نقل المعنى من صفة إلى أخرى البحتري فإنه قال في المتوكل:

ولو أن مشتاقا تكلف غيرما ... في وسعه لسعى إليك المنبر

أخذه من قول العرحى في صفة نساء:

لو كان حيا قبلهن ظعائنا ... حيا الحطيم وجوههن وزمزم

إلا أنه غير خاف.

وممن أخذ المعنى فزاد على السابق إليه زيادة حسنة أبو نواس في قوله:

يبكي فيذرى الدر من نرجس ... ويلطم الورد بعناب

أخذه من قول الأسود بن يعفر:

يسعى بها ذو تومتين كأنما ... قنأت أنامله من الفرصاد

وأخذ بعض المتأخرين بيت أبي نواس، فزاد عليه زيادة عجيبة، فقال:

وأسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فجاء بما لا يقدر أحد أن يزيد عليه.

ومن ذلك أيضا قوله وقد زاد فيه على الأول:

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

أخذه من قول مسلم:

تجري محبتها في قلب عاشقها ... مجرى المعافاة في أعضاء منتكس

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن:

منع البقاء تقلب الشمس ... وطلوعها من حيث لا تمسى

يجرى على كبد السماء كما ... يجري حمام الموت في النفس

ومن ذلك قول مسلم:

أحب الريح ما هبت شمالا ... وأحسدها إذا هبت جنوبا

راح إذا ما الشيخ والى بها ... خمسا تردى برداء الغلام

أحسن رصفا من قول حسان رضى الله عنه:." (١)

"وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضي أم ضلال وباطل

ومن جياد ابتداءات أهل الجاهلية قول أوس بن حجر:

ولقد أبيت بلية كليالي

ومنها قول النابغة:

دعاك الهوى واستهجلتك المنازل ... وكيف تصابي المرء والشيب شامل

ونحوه قول أمية:

يا نفس مالك بعد الله من واق ... وما على حدثان الدهر من راق

وقالوا: وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدئ بلولا ولا إن رأيت. وقد جعل الناس قول أبي تمام:

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا ... هي الصبابة طول الدهر والسهد

من جياد الابتداءات، وقوله:

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٦٢

سعدت غربة النوى بسعاد ... فهي طوع الإتهام والإنجاد

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع.

لما نظر أبو العميثل في قصيدة أبي تمام:

أهن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أردك الثأر طالبه

استرذل ابتداءها وأسقط القصيدة كلها، حتى صار إليه أبو تمام، ووقفه على موضع الإحسان منها، فراجع عبد الله بن طاهر، فاجازه.

ولأبي تمام ابتداءات كثيرة تجرى هذا المجرى، منها قوله:

قدل أتثب أربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سجرائي

وقوله:

صدقت لهيا قلبك المستهتر ... فبقيت نهب صبابة وتذكر

ومن الابتداءات البديعة قول مسلم:

أجررت ذيل خليع في الهوى غزل ... وشمرت همم العذال في عذلي

وقال أبو العتاهية:

ننافس في الدنيا ونحن نعيبها

والابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مونقين.

وقد استحسن لبعض المتأخرين ابتداؤه:

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر ... بفي برود وهو في كبدي جمر

وله بعد ذلك ابتداءات المصائب، وفراق الحبائب، منها قوله:

كفى أراني ويك لومك ألوما ... هم أقام على فؤادي أنجما

وقوله:

أبا عبد الإله معاذ إني ... خفي عنك في الهيجا مقامي

وقوله:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ... ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

وقوله:

جللا كما بي فليك التبريح ... أغذاء ذا الرشإ الأغن الشيبح

وقوله:

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي

وقوله:

لجنية أم غادة رفع السجف ... لوحشية لا ما لوحشية شنف

وقوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... وحسن الصبر زموا لا الجمالا

وقوله:

في الخد إن عزم الخليط رحيلا ... مطر يزيد به الخدود محولا

وقال إسمعيل بن عباد: لعمري إن المحول في الخدود من البديع المردود.

وقوله:

نهني بصور أم نهنئها بكا ... وقل للذي صور وأنت له لكا

وقوله:

عذيري من عذارى في صدور ... سكن جوانحي بدل الصدور

وقوله:

سرب محاسنه حرمت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها

وقوله:

أيا لائمي إن كنت وقت اللوائم ... علمت بما بي بين تلك المعالم

وقوله:

ووقت وفي بالدهر لي عند واحد ... وفى لي بأهليه وزاد كثيرا

وقوله:

شديد البعد من شرب الشمول ... ترنج الهند أو طلع النخيل

وقوله:

أراع كذا كل الأنام همام ... وسح له رسل الملوك غمام

وقوله:

أوه بديل من قولتي واها ... لمن نأت والبديل ذكراها

فهذه وما شاكلها ابتداءات لا خلاق لها.

وإذا كان الابتداء حسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجئ بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله عز وجل: آلم. وحم. وطس. وطسم. وكهيعص، فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده والله أعلم بكتابه. ولهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبتر " .

فأما الابتداء البارد، فابتداء أبي العتاهية:." (١)

" هذا الشعر لعبيد بن العرندس لا لأبيه كذلك قال محمد بن يزيد وغيره

والذي قال هذا المحال كلابي يمدح غنويا هو أبو عبيدة لا الأصمعي كذلك قال أبو تمام رحمهم الله في الحماسة

وأبو عبيدة هو الذي روى الشعر وكذلك رواه أبو علي عن ابن دريد عن أبي حاتم عنه رحمهم الله فالأولى على هذا أن يكون الأصمعي صاحب تلك المقالة منكرا على أبي عبيدة روايته وإنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا لأن فزارة كانت قد أوقعت ببني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم ففي ذلك يقول طفيل الغنوي ٪ وحي أبي بكر تداركن بعدما ٪ أذاعت بسرب الحي عنقاء مغرب ٪ تداركن يعني خيلهم

وأذاعت فرقت فلما قتلت طيئ قيس الندامى الغنوي وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي استغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم فقعدوا عنهم ولم يجيبوهم فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين وأدرك غنى بثأر قيس الندامى من طيئ وقال في ذلك طفيل ٪ فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ٪ من الغيظ في أكبادنا والتحوب ٪ التحوب الحزن قال ومنه بات بحيبة سوء

(١) كتاب الصناعتين، ص/١٣١

وفي ص ٢٤١ س ١٢ و ١٣ وذكر أبو علي رحمه الله خبر الزيادي عن المطلب بن المطلب ابن أبي وداعة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو ينشد

." (١)

" هكذا ثبتت الرواية عن أبي علي رحمه الله في هذا البيت الآخر حين يصر بفتح الصاد مستفاد بالرفع ولا يتوجه لي معناه

ورواه أبو العباس الأحول رحمه الله غشوم حين يبصر بكسر الصاد مستفادا بالنصب وهذا حسن بين المعنى يريد أنه منتهز للفرصة إذا رأى أنه مستفيد من عدوه فائدة غشم فابتزها أو مدرك فيه بغية وثب فنالها ورواه أحمد بن عبيد رحمه الله حين يبصر مستقادا بالقاف يريد مستقادا منه ومن له عنده ثأر ويقوى هذه الرواية عجز البيت ٪ وخير الطالبي الترة الغشوم ٪ ٪ ورواه الرياشي حين ينصر بالنون مستقادا بالقاف أي مطلوبا بقود

وعبد الرحمن هذا هو أخو زيادة ابنى زيد بن مالك بن عامر بن قرة أحد بني سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة

وكان هدبة بن خشرم قتل زيادة بن زيد فلما لجن هدبة في دمه جعل القرشيون بالمدينة يكلمون عبد الرحمن في أمر هدبة وأضعفوا له الدية حتى بلغت عشرا منهم سعيد بن العاص وعبد الله بن عمرو والحسين بن علي وعمرو بن عثمان ابن عفان رضي الله عنهم أجمعين وهو يردد الإباء فلما أكثروا عليه أنشدهم هذا الشعر المذكور فلما سمعه هدبة قال إن فيه لمطمعا فعاودوه ففعلوا فقال عبد الرحمن حين عاودوه ٪ باست امرئ وآست التي زجرت به ٪ إذا نال مالا من أخ وهو ثائره ٪ ٪ وإني وإن ظن الرجال ظنونهم ٪ على صير أمر لم تشعب مصادره ٪ وهي أبيات فلما أنشدها هدبة قال دعوه فوالله لا يقبل عقلا أبدا جزيتم خيرا فأقام هدبة في السجن ست سنين حتى أدرك المسور بن زيادة ومات عبد الرحمن في خلال ذلك فكان المسور هو الذي تولى قتل هدبة

---

(١) كتاب التنبيه، ص/٧٣

وذكر المدائني أن المسور قد كان اختار العفو وأخذ الدية حتى قالت له أمه والله لئن لم تقتل هدبة لأنكحنه فيكون قد قتل أباك ثم نكح أمك فتسبك بذلك العرب يد المسند فلفته ذلك عن مذهبه ومضى على الاتئار من هدبة وقتله

." (١)

" مسحة ملك

وكان أجمل الناس ولم يكن لخالد أخ يسمى جريرا إنما كان له أخوان أسد وإسماعيل ابنا عبد الله القسري أدرك إسماعيل منهم أبا العباس السفاح وكان يسب عنده بني أمية

والجهة الأخرى أن خالدا لم يدرك شيئا من الدولة الهاشمية وإنما قاله المنصور لمعن بن زائدة لذلك قال المدائني رحمهم الله وجميع الأخباريين وإنما مات خالد في سجن يوسف بن عمر وهو يعذبه وفي عذابه مات بلال بن أبي بردة

وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل خالد بن عبد الله على العراق سنة ست ومائة ثم ولى يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة فسجن خالدا وعذبه حتى مات في سجنه وبقي يوسف واليا على العراق إلى أن بويع يزيد بن الوليد سنة ست وعشرين ومائة فاستعمل منصور بن جمهور على العراق فلما سمع ذلك يوسف هرب إلى الشام فظفر به هناك فسجن فلما مات يزيد بن الوليد واضطرب أمر المروانية بطش يزيد بن خالد بن عبد الله القسري بيوسف بن عمر فقتله في السجن وأدرك **بثأر** أبيه منه

وفي ص ١٢٠ س ٩ وأنشد أبو علي ٪ وما كان ذنب بني عامر ٪ بأن سب منهم غلام فسب ٪ ٪ بأبيض ذي شطب باتر ٪ يقط العظام ويبرى العصب ٪ وقال يريد معاقرة غالب أبي الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحي لما تعاقرا بصوءر فعقر سحيم خمسا ثم بدا له وعقر غالب مائة

هكذا أنشده أبو علي رحمه الله ٪ وما كان ذنب بني عامر ٪ ٪ وإنما هو ٪ وما كان ذنب بني مالك ٪ ٪

---

(١) كتاب التنبيه، ص/٨٤

". (١)

"كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلادتهم وكان – رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه! – غرة الزمان، وعماد الإسلام، ومن سداد الثغور، وسداد الأمور، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها وتفل أنيابها، وتذل صعابها، وتكفي الرعية سوء آدابها. وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء – ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها، ما ينفق لديها. وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول:

ذهب الذين تهزهم مداحهم ... هز الكماة عوالي المران

كانوا إذا امتدحوت رأوا ما فيهم ... ملأ ريحيه منهم بمكان

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كقول أبي الطيب المتنبي:

خليلي إني لا أرى غير شاعر ... فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد

له من كريم الطبع في الحرب منتض ... ومن عادة الإحسان والصفح عامد

ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت أن الدهر للناس ناقد

ومن القصيدة المرموقة:

فلم يبق إلا من حماها من الظبا ... لما شفتيها والثدي النواهد

تبكي عليهن الباطريق في الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

ومن شرف الإقدام أنك فيهم ... على القتل مرموق كأنك شاكد

وأن دما أجريته بك فاخر ... وأن فؤادا رعته لك حامد

---

(١) كتاب التنبيه، ص/١٠٣

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد

فأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد

أحبك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لامني فيك السهى والفراقد

وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلي:

أعزمتك الشهاب أم النهار ... أراحتك السحاب أم البحار

خلقت منية ومنى فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار

تحلي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سور أو سوار

سيوفك من شكاة الثغر برء ... ولكن للعدى فيها بوار

وكفاك الغمام الجون يسري ... وفي أحشائه ماء ونار

يمين من سجيتها المنايا ... ويسري من عطيتها اليسار

حضرنا والملوك له قيام ... تغض نواظرا فيها انكسار

وزرنا منه ليث الغاب طلقا ... ولم نر قبله ليثا يزار

فكان لجوهر المجد انتظام ... وكان لجوهر المدح انتشار

فعشت مخيرا لك في الأماني ... وكان على العدو لك الخيار

فضيفك للحيا المنهل ضيف ... وجارك للربيع الطلق جار

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد:

أشدة ما أراه فيك اليوم أم كرم ... تجود بالنفس والأرواح تصطلم

يا باذل النفس والأموال مبتسما ... أما يهولك لا موت ولا عدم؟

لقد ظننتك بين الجحفلين ترى ... أن السلامة من وقع القنا تصم

نشدتك الله لا تسمح بنفس علا ... حياة صاحبها تحيا بها أمم

إذا لقيت رقاق البيض منفردا ... تحت العجاج فلم تستكثر الخدم." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ٤/١

"ما حث أوتاره في وجهه نائبه ... سرا فيخبر بالنجوى بإظهار

وإن هفا عركت آذانه شفقا ... عليه من وصمة النقصان والعار

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر، وهي مشهورة:

ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا

هممت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا

لأعدت تفاح الخدور بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء:

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا ... بثأري اليوم أذى مسلم

ويا لقومي دونكم شادنا ... معتدل القامة والمبسم

وإن أبى إلا جحودا له ... واكتتم الأمر فلم يعلم

قولوا له يكشف عن وجهه ... فإن فيه نقطة من دمي

وأنشدني المصيصي له:

وجنة من شفني هواه ومن ... أفنيت فيه دموع آماقي

كأنما الصيرفي دنر ما ... نجم منها ودرهم الباقي

ووجدت له من قصيدة:

وما بلد الإنسان إلا الذي به ... له سكن يشتاقه وحبيب

إلى الله أشكو وشك بين وفرقة ... لها بين أحشاء المحب ندوب

ترى عندهم علم وإن شطت النوى ... بأن لهم قلبي علي رقيب

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا

عجيبة في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وآخرنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأفراحنا مآتمنا

وأنشدني المصيصي للأمير تميم:

شربنا على نوح المطوقة الورق ... وأردية الروض المفوفة البلق

معتقة أفنى الزمان وجودها ... فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا ... لنا، وكأن الراح فيها سنا البرق

فبتنا نحث الكأس فينا، وإننا ... لنشربها بالحث صرفا ونستسقي

إلى أن رأيت النجم وهو مغرب ... وأقبلن رايات الصباح من الشرق

كأن سواد الليل والفجر طالع ... بقية لطخ الكحل في الأعين الزرق

أحسن في هذا البيت ما شاء.

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد:

والبدر في جو السماء قد انطوت ... طرفاه حتى عاد مثل الزورق

وتراه من تحت المحاق كأنما ... غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز:

قد أثقلته حمولة من عنبر

قال: وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتابا يسبه ويهجوه فيه. فكتب إليه " أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام " .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست، قال: أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر:

ألسننا بني مروان كيف تبدلت ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟

إذا ولد المولود منا تهللت ... له الأرض واهتزت إليه المنابر

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفا منه على المملكة.

قال: وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي:

يا من أراني بألحاظ يصرفها ... عني الصبا والهوى رشدي وتوفيقي

جمعت فيك غليل العاشقين كما ... جمعت ما تشتهي من كل معشوق

وله أيضا:

لعينيك في قلبي علي عيون ... وبين ضلوعي للشجون شجون

لئن كان جسمي مخلقا في يد الهوى ... فحبك غض في الفؤاد مصون." (١)

"نصيبي من الدنيا هواك، وإنه ... عذابي ولكني عليه ضنين

وله أيضا في الخمر:

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت ... في الجسم دبت مثل أيم لاذع

لم يحسن في تشبيهه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللاذعة، وقد أحسن في البيت الذي يليه جدا:

خفيت على شرابها فكأنهم ... يجدون ريا من إناء فارغ

قال: وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر:

يا سيدا أرطت بالعبد سطوته ... ما كل رق مغضب حنق

أعتق وإلا فبع، كم ذا تعذبني؟ ... إن العبيد إذا عذبوا أبقوا

وقت مني بأن الحب قيدني ... أجل وحقك إني فوق ما تثق

ومعنى بيته الثني مما زيفه نقدة الشعر المعتزلون ولا يرضونه. وإنما يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر:

لي مولى أقسى البرية قد قا ... سيت الهموم والأشواقا

قلت إذ لج في جفائي واحت ... ج عليه فساق نحوي السياقا

أيهذا المليك رأيك في سو ... ء امتلاكي فلن أروم الفراقا

قال: وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه ك

ثلاثون من عمري مضين فما الذي ... أؤمل من بعد الثلاثين من عمري

أطايب أيامي مضين حميدة ... سراعا ولم أشعر بهن ولم أدر

كأن شبابي والمشيب يروعه ... دجى ليلة قد راعها وضح الفجر

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي:

إذا ما نلت من دنياك حظا ... فأحسن للغني وللفقير

ولا تمسك يديك على قليل ... فإن الله يأتي بالكثير

---

(١) يتيمة الدهر، ٩٦/١

عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء، المجيدين الأدباء، وشعره بديع الألفاظ، حسن المعاني، رائق الكلام، مليح النظام، من محاسن أهل الشام، فمن شعره قوله:

أترى بثأر أم بدين ... علقت محاسنها بعيني

في خصرها وقوامها ... ولحاظها ما في الرديني

وبوجهها ماء الشبا ... ب خليط نار الوجنتين

بكرت علي وقالت اخ ... تر خصلة من خصلتين

إما الصدود أو الفرا ... ق فليس عندي غير ذين

فأجبتها ومدامعي ... منهلة كالمرزمين

يا هذه لا تعجلي ... إن حان بينك حان حيني

فكأنما قلت اذهبي ... فمضت مسارعة لبيني

قال: وأعطاه بعض الأمراء حسنة فلبسها أياما، ثم باعها، ولبس عمامة لطيفة، ومشى، فقال بعض من رآه: ثقلت عليه العمامة فباعها. فقال ارتجالا:

قالوا عسى ثقلت علي ... ه فباعها من غير عدم

والله ما ثقلت عل ... ي عمامتي بل خف كمي

وقوله:

وكم آمر بالصبر لم ير لوعتي ... وما صنعت نار الأسى بين أحشائي

ومن أين صبر وفي كل ساعة ... أرى حسناتي في موازين أعدائي؟

وقوله:

ومعتذر العذار إلى فؤادي ... لجرم سابق من مقلتيه

وكم أعرضت عنه فأعرضت بي ... عن الإعراض خضرة عارضيه

ولما قلت إن الشعر يسعى ... لقلبي في الخلاص سعى عليه

وقوله:

لحظات تترامى ... بي إلى المرمى القصي

طرحني من علي ... بين ألحاظ علي
فادعي رقي وما رق ... ي بدعوى المدعي
أنا عبد المحسن الصو ... ري لا عبد المسي
وقوله:
جنى ما جنى وانصرف ... وأنكر ثم اعترف
وظن بأن القصا ... ص يمنع منه الترف
سلوا صدغه لم جرى؟ ... ولما جرى لم وقف؟
وكان على أنه ... يجوز المدى فانعطف
وقوله:
بالذي ألهم تعذي ... بي ثناياك العذابا
والذي ألبس خدي ... ك من الورد نقابا
والذي صير حظي ... منك هجرا واجتنابا
ما الذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا؟
وقوله:
تعلمت وجنته رقية ... لعقرب الصدغ فما تلسع." (١)

"مزنر شككني في دينه ... حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
لأنه كالحور في تصويره ... والحور لا يسكنها الله سقر
لو لم يكن زناره في وسطه ... يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
وبان منه نصفه عن نصفه ... لكنه جاء له على قدر
إن قلت يحكي قمرا عنفني ... عقل له أعدمه عند القمر
أنى يوازيه وهذا ناطق ... وذاك إن خوطب لم ينطق حصر
يا لك منه منظرا أشهى إلى ... قلبي من جنة عدن أو أسر
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

---

(١) يتيمة الدهر، ٩٧/١

وقال أيضا:

علل فؤادك والدنيا أعاليل ... لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل

ولا يصدنك عن أمر هممت به ... من العواذل لا قال ولا قيل

فخير يوميك يوم أنت فيه إذا ... ميزت في الناس محمود ومعذول

وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا ... فقل لهم إنني عن ذاك مشغول

فإن ذلك أمر مع نفاسته ... ونبله بفناء العمر موصول

وارض الخمول فلا يحظى بلذته ... إلا امرؤ خامل في الناس مجهول

ولا تبع ءاجل الدنيا بآجل ما ... ترجو فذلك أمر شأنه الطول

واسفك دم القهوة الصهباء تحي به ... روحي فإن دم الصهباء مطلول

يا خائف الإثم فيها حين تشربها ... لا تقنطن فعفو الله مأمول

قم فاسقني النض مما حرموه، ولا ... تعرض لما كثرت فيه الأقاويل

من قهوة عتقت في دنها حقبا ... كأنها في سواد الليل قنديل

عروس كرم أتت تختال في حلل ... صفر على رأسها للمزج إكليل

كأنها بأكف القوم إذ جليت ... ذوب من الذهب الإبريز محلول

في فتية جعلوا للهو طاعتهم ... فما لهم عن طريق اللهو معدول

جليسهم ليس يروى من حديثهم ... يوما وبعض حديث القوم مملول

لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ... ففي سكوتهم المأمول والسول

ترى مجالسهم مملوءة لجبا ... وكل ذاك فضول عنك معزول

وقال أيضا:

اشرب فقد طابت العقار ... وابتسم الورد والبهار

من قهوة ما انبرت لهم ... إلا وولى له انشمار

لها جيوش من الملاهي ... للهم قدامها الفرار

لألاؤها في الدجى نهار ... يظلم من نوره النهار

إذا استقرت حشا لبيب ... رأيته ما له قرار

لم يرها ناظر حديد ... إلا ثنى لحظه انكسار

خيالها جسمه لجين ... وجسمها شخصه نضار

كأنها تحته كميت ... عليه من فضة عذار

لها لدى حزن شاربيها ... ثأر وعند الحلوم ثار

فالحزن عن أهلها مطار ... والحلم في إثره مطار

فلا انتصار لذا عليها ... ولا عليها لذا انتصار

يسعى بها جؤذر غرير ... في لحظ أجفانه احورار

يحسن مني الوقار إلا ... فيه فما يحسن الوقار

أغار مني عليه حتى ... عليه من نفسه أغار

كل جمال ترى فمنه ... إذا تأملت مستعار

كأن صدغا له تراه ... وهو على خده مدار

ميدان آس بدا جنيا ... أهلب في جانبيه نار

بيت من الحسن لي إليه ... حج مدى الدهر واعتمار

زيارة البيت كل عام ... ودهر ذا كله يزار

قلت له إذ بدا وقلبي ... من لاعج الشوق مستطار

يا جامع الحسن كل حسن ... للناس من شرطك اختصار

ما فضل الغانيات عندي ... عليك إلا امرؤ حمار

وقوله أيضا:

اشرب فقد طابت المدام ... وافتر عن ثغره الغمام." (١)

"وما أرقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع، ووقفت موقف الساجد والراكع، حتى إذا قضيت من حق الله أمرا، وأتبعت الشفع وترا. جلت في أكنافه، وانعطفت في أعطافه، فإذا أرضه تباهي السماء، وغبراؤه تضاهي الخضراء، زجاجة نورية، كأنها الكواكب الدرية. ورعد قراء لله تعالى وخيرته، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته. فصحت واويلاه، واحر قلباه. أين منك المفر، وأين دونك المقر. لاها الله لا يترك كريم،

---

(١) يتيمة الدهر، ١٢٨/١

ولا يقلاك إلا لئيم، بركا كبرك الجمال، وثباتا كثبات الجبال. ثم خرجت في تتمة من الأصحاب، وثبة من الأتراب، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به، فلما طالعتنا الحلوى صاح: هذا وأبيكم الروض، فناديته اسكت فضحتنا لا أبا لك . فقال: لا وأبيك، قلت: مالك وما تريد، قال: ذلك الشهيد العتيد، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه، وأسال من لعابه، وازور جانبه، وخفق شاربه، ثم نهض في كر، وصدر بحر، ونظر إلى فالوذج، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة الزنابير، حدثت على شوابير، وخالطها لباب الحبة، فجاءت أطيب من ريق الأحبة، ثم نظر إلى الخبيص، فصاح بأبي الغالي الرخيص، أنظر فيه ذا التماع، أكرم به من شعاع. هذا جليد سماء الرحمة، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة، تجرحه اللحظة، وتدميه اللفظة، بماء أبيض؟ قالوا: بماء البيض البض، فقال: غض من غض. أنظروه له إشراق، هذا وأبيكم بقية العشاق. ما أطيب خلوة الحبيب، لولا حضرة الرقيب. ثم نظر إلى الزلابية. فصاح ويل لأمه الزانية، أبأحشاء نسجت. أم صفاق ألفت؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكينا، وجبل هواك على كبدي متينا، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني، فأقطعك مني دواجني، والعزيز الغفار لأطلبن بالثأر، وتلمظ له لسان الميزان، فجعل يصيح الثعبان الثعبان. فلما عاينته قد ألبس، وهو ينظر نظر المفلس، حنت له ضلوعي، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي. وقد تحل الصداقة على ذي الوفر، وفي كل كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التي أنطقته، وتحتوي على ضروبها التي أخرعته. فجاء بها فوضعها بين يديه، فلما عاينها انحنى عليه بليانه، وألقى عليها بجرانه، وجعل يركل برجليه، ويجاحش بفخذيه ممانعا، ومدافعا عنها. فصحت به لا عليك حكمها، فجعل يقطع ويبلع، ويوجر فاه ويدفع. وعيناه تبضان، كأنهما جمرتان، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان، وأنا أقول: على رسلك يا فلان. البطنة تذهب الفطنة. وهو يقول أكلها دائم وظلها حتى التهم جماهرها. وألحق أولها بآخرها. وهبت منه ريح عقيم. أهبا لنا بالعذاب الأليم، وفرقتنا شذر مذر. وسربتنا في كل شعب شغر بغر، فانتحينا منه الطرفان، وصدق الخبر فيه العيان، نفخ ذلك فبدد النعام، ونفح هذا فبدد الأنام، فلم نجتمع بعد هذا والسلام.

وله يصف جارية

أخت نعمة، وربيبة نعمة، كأن شعرها على غرتها الغراء، غراب يسفد حمامة بيضاء. وكان خدها على جيدها المشرق، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بألحاظها، وتأسوك بألفاظها. تقابلك من خدها بوردة، ومن عينها بنرجسة. كأنما من جوهر، وشفتها خيط حرير أحمر، وتقبل إليك بقضيب بان، ثمرته رمانتان، وتنفتل

عليك بكفل مائج، كأنه كثيب عالج، تنطوي بقبطية، وتقوم على أنبوب بردية، أن استقبلها بركان، تضحك لك عن فلقة رمان. أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين. ويتوفاك بكد كالفقيه المشرف على المذاهب، ركبت فيه أخلاق كاتب. فإن كنت شافعيا سددتك، وإن كنت مالكيا قلدتك، المنظر غلام، والمخبر فتاة، إن علوتها تدفعت إليك، أو علتك تداركت عليك، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب، إن شئت قلت خمرة أو رضاب، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها، يصل إليك وصول الإيمان.

فنثره في غاية الملاحة، ونظمه في غاية الفصاحة.

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله:

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا ... وتناسى عهدي ولم أنس عهدا

لا يغرنك ما ترى من ودادي ... فلعلي إن شئت غيرت ودا

لا وحق الهوى وحق ليالي ... هـ ومن صاغ حسن وجهك فردا

ما أطيق الذي ادعيت ولو مل ... كته لم أكن لغيرك عبدا

وله:." (١)

"ملمومة تتبارى في ململمة ... كأنها لاعتدال الخلق أقمار

تفوت بالثأر أقواما وتدركه ... من آخرين إذا لم يدرك الثار

فانصاع ناصر دين الله يقدمهم ... وحوله من جنود الله أنصار

كتائب تتبارى حول رايته ... وجحفل كسواد الليل جرار

وقوله يصف الحرب

ومعترك ضنك تساقت كماته ... كؤوس المنايا من كلى ومفاصل

يديرونها راحا من الراح بينهم ... ببيض رقاق أو بسمر ذوابل

وتسمعهم أم المنية وسطها ... غناء صهيل البيض تحت المناصل

وقوله:

بكل رديني كأن سنانه ... شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع

تقاصرت الآجال في طول متنه ... وعادت به الآمال وهي فجائع

---

(١) يتيمة الدهر، ١٦٩/١

وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه ... فهن ظبات للقلوب قوارع
وذي شطب تقضي المنايا بحكمه ... وليس لما تقضي المنية دافع
فرند إذا ما اعتن للعين راكد ... وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت رائع
وقوله:
بكل منثور على متنه ... مثل مدب النمل بالقاع
يرتد طرف العين عن حده ... عن كوكب للموت لماع
وقوله:
كريم على العلات جزل عطاؤه ... منيل، وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ... ولكن من يعطي بغير سؤال
وقوله:
من يرتجى بعدك أو يتقي ... وفي يديك الجود والباس
إن عشت عاش الناس في نعمة ... وإن تمت مات بك الناس
وقوله في الشيب:
شباب المرء تنفده الليالي ... وإن كانت تصير إلى نفاد
فأسوده يصير إلى بياض ... وأبيضه يعود إلى سواد
وقوله:
قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم ... هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وإن أبدى معاتبة ... فأطيب العيش وصل بين ألفين
واقطع حبائل خل لا تلائمه ... فربما ضاقت الدنيا على اثنين
وقوله يرثي :
بليت عظامك والأسى يتجدد ... والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائبا لا يرتجى لإيابه ... ولقائه حتى القيامة موعد
ما كان أحسن ملحدا ضمنته ... لو كان ضم أباك ثم الملحد

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي ... هيهات أين من الحزين تجلد

وقوله يرثيه

واكبدا قد تقطعت كبدي ... وأحرقته لواعج الكمد

ما مات حي لميت أسفا ... أعذر من والد على ولد

يا رحمة الله جاوري جدثا ... دفنت فيه حشاشتي بيدي

ونوري ظلمة القبور على ... من لم يصل ظلمه إلى أحد

أي حسام أخذت رونقه ... وأي روح نزعت من جسدي

يا قمرا أجحف الخسوف به ... قبل طلوع السواء في العدد

أي حشى لم يذب له أسفا؟ ... وأي عين عليه لم تجد؟

لا صبر لي بعده ولا جلد ... فجعت بالصبر فيه والجلد

يا لوعة لا يزال لاعجها ... يقدح نار الأسى على كبدي

وقوله:

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحا إلا امتلا حزنا

لهفا على ميت مات السرور به ... لو كان حيا لأحيا الدين والسننا

واها عليك أبا بكر مردة ... لو سكنت والها أو فترت شجنا

إذا ذكرتك يوما قلت واحزانا ... وما يرد عليك القول واحزنا

يا سيدي ومزاج الروح في بدني ... هلا دنا الموت مني حيث منك دنا

يا أطيب الناس روحا ضمه بدن ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا

لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله في التحبب للناس:." (١)

"كأن سيوف الهند بين رماحه ... جداول في غاب سما فتأشبا

وقال في معناه:

أسد لها من بيضها وسمرها ... جداول مطردات وأجم

---

(١) يتيمة الدهر، ١٧٨/١

وقال في وصف شعره:

إليك زففتها عذراء تأوي ... حجاب القلب لا حجب القباب

أذبت لصوغها ذهب القوافي ... فأدت رونق الذهب المذاب

وقال في معناه:

وخذها كالتهاب الحلى تغني ... عن المصباح في الليل التهابا

مشعشعة كأن الطبع أجرى ... على صفحاتها الذهب المذابا

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلا، لفرط استحساني جودة وصفه لي، وموافقته الموصوف. قال في وصف شعره من قصيدة:

وما زالت رياح الشعر شتى ... فمن ريا الهبوب ومن سموم

تحيي الصاحب الطلق المحيا ... وتعلن شتم ذي الوجه الشتيم

منحتك من محاسنها ربيعا ... مقيم الزهر سيار النسيم

وقال من أخرى:

قل للعدو إليك عن ذي عدة ... ما ثار إلا نال أبعد ثأره

صل القريض إذا ارتوت أنيابه ... من سمه قطرت على أشعاره

لو أنه جارى عتيقي طيء ... في الحلبتين تبرقعا بغباره

وقال من أخرى:

شغلتك عن حسن السماع مدائح ... حسنت فما تنفك تطرب سامعا

طلعت عليك أبا الفوارس أنجم ... منهن يخجلن النجوم طوالعا

زهر إذا صافحن سمع معاند ... خفض الكلام وغض طرفا خاشعا

جاءتك مثل بدائع الوشي الذي ... ما زال في صنعاء يتعب صانعا

أو كالربيع يريك أخضر ناضرا ... وموردا شرقا وأصفر فاقعا

وقال من أخرى:

وكم مدحة غب النوال تبسمت ... كما ابتسم النوار غب حيا أروى

وما ضر عقدا من ثناء نظمته ... وفضلته أن لا يعيش له الأعشى

وقال من أخرى:

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها ... حسنا وتزري بما قالوا وما نظموا

والشعر كالروض ذا ضام وذا خضل ... وكالصوارم ذا ناب وذا خذم

أو كالعرانين هذا حظه خنس ... مزر عليه وهذا حظه شمم

وقال:

وفكر خواطره ألبست ... علاك من الحمد ثوبا خطيرا

محاسن لو علقت بالقتير ... لحسن عن الحسان القتيرا

إذا ما جفت خلع المادحين ... عليهن رقت فكانت حريرا

وقال:

وخلعة من ثناي دبجها ال ... فكر ففاقت بحسها البدعا

وقرب الحذق لفظها فغدا ... من قربها مطمعا وممتنعا

وقال:

سأبعث الحمد موشيا سبائبه ... إلى الأمير صريحا غير مؤتشب

إن المدائح لا تهدى لناقدها ... ألا وألفاظها أصفى من الذهب

كم رضت بالفكر فيها روضة أنفا ... تفتح الزهر عن جنى الأدب

لفظ يروح له الريحان مطرحا ... إذا جعلناه ريحانا على النجب

وقال:

أتتك يجول ماء الطبع فيها ... مجال الماء في السيف الصقيل

قواف إن ثنت للمرء عطفا ... ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال:

شرقت بماء الطبع حتى خلتها ... شرقت لرونقها بتبر ذائب

ويقول سامعها إذا ما أنشدت ... أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال:

والبس غرائب مدحة دبجتها ... فكأنما دبجت منها مطرفا

من كل بيت لو تجسم لفظه ... لرأيته وشيا عليك مفوفا

وقال:

ألفاظه كالدر في أصدافه ... لا بل يزيد عليه في لألائه

منكل رائقة الجمال كأنها ... جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال:

والشعر بحر نلت أنفس دره ... وتنافس الشعراء في حصبائه

وقال:

وغرائب مثل السيوف إضاءة ... وجدت من الفكر الدقاق صياقلا

فلو استعار الشيب بعض جمالها ... أضحى إلى البيض الحسان سائلا

جاءتك بين رصينه ودقيقه ... تهدي إليك مطارفا وغلائلا." (١)

"بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء، وهي في ابن بقية لما قتل وصلب، وقد أثبتها كما هي:

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصلات

وأخذه من قول ابن المعتز:

وصلوا عليه خاشعين كأنهم ... وفود وقوف للسلام عليه

رجع:

كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفالا ... كمدها إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات

وتشعل عندك النيران ليلا ... كذلك كنت أيام الحياة

---

(١) يتيمة الدهر، ٢٠١/١

ركبت مطية من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تأس ... تباعد عنك تعيير العداة

ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات

أسأت إلى النوائب فاستشارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فعاد مطالبا لك بالترات

وصير دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات

وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات

غليل باطن لك في فؤادي ... حقيق بالدموع الجاريات

أخذه من قول ابن الرومي:

لم يظلم الدهر أن توالى ... فيكم مصيباته دراكا

كنتم تجيرون من يعادي ... منه فعاداكم لذاكا

عاد:

ولو أني قدرت على قيامي ... بفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات

ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة

ومالك تربة فأقول تسقي ... لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

?أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين، ولم أسمع له إلا ملحا نادرة، كقوله في خط العذار، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته:

لي حبيب يزهى بحسن عجيب ... وبقد مثل القضيب الرطيب

أحرقت بالسواد فضة خدي ... ه فقد أحرقت سواد القلوب

وقوله في وصف التمر:

أما ترى التمر يحكي ... في الحسن للنظار

مخازيا من عقيق ... قد قمعت بنضار

كأنما زعفران ... فيه مع الشهد جاري

يشف مثل كؤوس ... مملوءة من عقار

وقوله في الباقلاء الرطب:

فصوص زبرجد في غلف در ... بأقماع حكت تقليم ظفر

وقد صاغ الإله ثيابا ... لها لونان من بيض وخضر

ربيع للقلوب بكل أرض ... ونقل ما يمل لشرب خمر

وله في الرمان:

ورمان رقيق القشر يحكي ... ثدي الغيد في أثواب لاذ

إذا قشرته طلعت علينا ... فصوص من عقيق أو بخاذ

أبو محمد بن زريق الكوفي

الكاتب رحمه الله تعالى

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان، قال: أنشدني أبو سليمان المنطقي ببغداد، قال: أنشدني ابن زريق لنفسه:

سافرت أبغي لبغداد وساكنها ... مثلا فحاولت شيئا دونه الياس

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها ... عندي. وسكان بغداد هم الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي:

د ا ري بلا خيش ولكنني ... عقدت من خيشي طاقين

دار إذا ما اشتد حر بها ... أنشدت للصولي بيتين

وله أيضا في العيادة:

يا مريضا بسقمه ... مرض الحلم والوفا

لم يكن تركي العيا ... دة هجرا ولا جفا

لم أطق أن أراك يا‌أكرم الناس مدنفا

طال خوفي عليك فا ... لحمد لله إذا كفى." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ١/٢٩٠

"هاتها لا عدمت مثلي نديما ... قهوة تنتج السرور العقيما
قد أطعت الأمير إذ سامني الشر ... ب ولم أعص أمره المحتوما
وتخطيت توبتي في هواه ... فوصلت التي هجرت قديما
قرقفا تنتمي إلى الشمس لا تعر ... ف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنها الغليظ فرقت ... واستفادت من السموم نسيما
كرمت عنصرا فلو مت فيها ... أبخل الناس غادرته كريما
وكأني لما رجعت إليها ... كنت من كل لذة محروما
كم عقار صليت منها بنار ... فحكيت الخليل إبراهيما
وكؤوس شربت منها سرورا ... كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميما ... ووجدت الخسيف عاد حموما
شافهت بي مناي بالقرم فخر ال ... دولة اليوم جنة ونعيما
وبلغت الذي تمنيت واستخدم ... ت فاخترت مجلسا مخدوما
ورآني الأمير أيده الل ... ه لبيبا فقال كن لي نديما
جل الرزق موضعي ورأى آ ... ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إلي كف كريم ... ألزمته أن لا يكون لئيما
وكان قد نادم أخاه عضد الدولة، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق إلى مثلها، وه نهاية في الحسن والظرف، فمنها:
لي فؤاد لو أنه لي غريم ... كان عذري لديه أني عديم
وأنا مبتلى بقلبي الذي أقع ... د فيما يسومني وأقوم
ليس يدري لجهله وهو يقضي ... أن كلي بما جناه زعيم
غصبتني عليه خود وقالت ... أنا من قد عرفت واسمي ظلوم
هو ثأر نالته يمناي فاطلب ... ه بحرب يشيب فيها الفطيم
وانثنت بي إلى مجال فسيح ... تدمن الركض فيه زنج وروم
فأقمنا صدور فرسان حرب ... خلف رجالة لها لا تريم

وإذا استقدمت تقدمت الخي ... ل وطاب الطراد والتصميم
فالتقى العسكران في حومة النق ... ع أسود على أسود تحوم
كل فيل نجت من الصلم أذنا ... ه وأودى ناباه والخرطوم
وطمر إذا علته العوالي ... غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال في الحرب فرزا ... ني وقال الكمي من لا يخيم
ثم نادى شاهي برخيه كرا ... ليس بعد الوقوف إلا الهجوم
فأحاطا بشاهنا في مضيق ... ضاق ذرعا بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلي فولى ... مستكينا كما يولي اللئيم
وكشفت العراء عن وجه رخي ... فعراه الحمام وهو مليم
فتخفت من الحياء وغطت ... ورد خد كأنه ملطوم
ثم قالت خذ الفؤاد سليما ... إن حبس المرهون عار ولوم
ولشتان بين خيلي في الغ ... ي وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو ... لة حتى انتهى إلى ما يروم
فأباد العدا وقلم به الدي ... ن وركن الخلافة المهدوم
وستقرت به زلازل بغدا ... د وعاد الخليفة المظلوم
ومن غرر قصائده في فخر الدولة:
لو عاينت عيناك بركة زلزل ... ونزلت من عرصاتها في منزل
عمرت دور قيانها بك جامعا ... بين الغزالة والغزال الأكحل
وبسطت كفي باذل متخرق ... فأقمت غير محلىء عن منهل
وسمعت ما يدعو النفوس إلى الهوى ... طربا ويفتح كل قلب مقفل
وشربت صافية كأن شعاعها ... لهب الحريق من الرحيق السلسل." (١)
"وغدوت مخمورا جنيب هوى إلى ... حجر الجواري غدوة المتغزل
فسرحت بين قدودها وخدودها ... ونهودها طرف الشجي المتأمل

(١) يتيمة الدهر، ٤٣٩/١

وملكت منهن التي لو أنها ... طيف لفزت بقربه المتخيل

وثويت في قفر بشاطئ دجلة ... ما بين مزمار وعود معمل

متنقلا من روضة مهضوبة ... حلت إلى الروض الذي لم يحلل

ورقدت بالنجمي رقدة شارب ... تحت الغصون وحملها المتهدل

وسباك صوت خرير ماء سائح ... وشجاك تغريد الحمام المهدل

وسعيت سعيا في البطالة والصبا ... لم يدر دمعك في محل محول

ولقت واأسفا على القصف الذي ... لم أجنه بالقفص أو قطربل

لا أتبع الأعراب إن هم قوضوا ... من مجهل حتى أحط بمجهل

وصرير أرجاء السرير بمسمعي ... أحلى بقلبي من صرير المحمل

فالكرخ دار اللهو أعذب مشرعا ... من مشرع يختص دارة جلجل

لا در در العيش في متربع ... بمخيم بين الدخول فحومل

خفض عليك وكل خفض إنما ... أوقاته فرص تعن لمعجل

والعيش عندي ما حييت بدره ... في ظل مغشي الجناب مؤمل

قد ألقت الدنيا أزمتها إلى ... ملك الملوك علي بن أبي علي

فاطرب سرورا بالزمان وحسنه ... واشرب على إقبال دولة مقبل

وقوله من نيروزية:

بي سكر ما ولدته العقار ... لي جسم للعين عنه ازورار

أنا من غادرته أيدي المطايا ... والرزايا شعاره والدثار

أيها الليل عقهم بدياجي ... ك وهيهات ذاك فيهم نوار

غادة ما دجا عليها ظلام ... قط إلا ليل علاه خمار

يا ربيع الربيع للعيش من بع ... د اصفرار براحتيك اخضرار

لا يحول الذي بكفك يسقي ... بل يحول الذي سقاه القطار

فهنيئا بطيب فصل ويوم ... زار فيه نيروزك الزوار

يخصب المجد في ذراك وتخض ... ر الأيادي وتورق الأخبار

وتغنيك في الندي طيور ... أنا وحدي من بينهن الهزار

ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة:

وليل دعاني فجره فلقيته ... بمجلس طلق الوجه سهل التخلق

إذا شئت خضنا في حديث منمنم ... وإن شئت عمنا في رحيق معتق

يرد شبابي وهو عني شاسع ... ويدني التصابي بعد ما شاب مفرقي

ومنها في المدح:

لقد أعتقتني نعمة لك أطلقت ... يميني بعد اليأس من قد موثق

فإن أنتسب كان انتسابي إلى أبي ... وكان ولائي بعد ذاك لمعتقي

ومن أخرى:

وصرت إلى الباب الذي ليس دونه ... حجاب ولا كف ترد من اجتنى

فما شمت إلا بارقا كان صادقا ... ولا رحت حتى عمت في أبحر الغنا

وقوله من أخرى:

مسدد ضربت أيام دولته ... على عيون أعاديه بأسداد

هدى إلى الحق وانهلت يداه ندى ... فهو الدليل يعين السفر بالزاد

لي عند جرجان ثأر سوف أطلبه ... بكل رحب القرى أو مشرف الهادي

حتى أراه فأستغني برؤيته ... عما رويناه عن قوم بإسناد

وقوله فيه، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة:

يا شوق قد قرب السفر ... ودنا الرحيل المنتظر

وغدا بإذن الله أو ... تاليه يظهر ما استتر

ويسير بي التيسير في ... زمر بأيديهم زبر

وسيرا يبشر بالسعا ... دة والسلامة والظفر

سينيف بي الفرس الأغ ... ر غدا على الملك الأغر." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ١/٤٤٠

"وقلت للسفر قد وصلت إلى ... مناي، رحلي، وناقتي لكم
أكرم بحظي لقد أتى فمحا ... ما خطه في جبيني العدم
وله من قصيدة في الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراغيثها وبقها ويستأذن للعود إلى أصفهان:
ألا يا حي جادتك الغوادي ... مجللة العزالى والمزاد
ولا زالت رباك تفوح مسكا ... يضوع نسيمه في كل نادي
فإنك جنة الدنيا لثاو ... أقام بخير أمصار البلاد
وأم للغريب فكل آت ... نظير بنيك عندك في الولاد
فواأسفي على زمن جنى لي ... ودادك واجتنى لك من ودادي
كذا الملك ابن عباد عماد ال ... هدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى ... فأصلح بين غيك والرشاد
وجاد فكان أجرى من سحاب ... سقى زهر الروابي والوهاد
وقد أصبحت بعدك في بليد ... درية كل داهية نادي
ولولا أن سيدنا به لم ... تكن جرجان تثنى من قيادي
أقمت بها أعالج كل بؤس ... من الأعلال لا العيش المهاد
تحدثني بحمى ذو تبدت ... بخيبر ألحقتها بالبوادي
ملازمة إذا لسعت شقيا ... فكل زمانها وقت العداد
تعاونها علي سموم صيف ... بلفح من لظاه واتقاد
وذبان أشردها فتأبى ... وترجع كالمراغم ذي الكياد
كأني حين أطردها وتأبى ... أفرق بين ذي سغب وزاد
ويا ويلي من الليل الموافي ... فإني حين يطرق في جهاد
له جيشا براغيث وبق ... يطل علي إطلال الجراد
ولي فرش هي الميدان فيه ... براغثه وخمشي في طراد
وبق فعله في كل عضو ... فعال النار في يبس القتاد

عصائب ينتحين على عروقي ... بعوج كالمباضع في الفصاد

فتروى ثم ترجع عاطفات ... علي وهن كالهيم الصوادي

وأنقف بعضهن وفي حشاها ... دمى فأنال ثأرا من أعادي

تفرق بين جنبي والحشايا ... وتجمع بين جفني والسهاد

ولو أني ثملت وملت سكرا ... لحالت بين طرفي والرقاد

واستر دونها وجهي بكفي ... وعطف الردن وهو لهن بادي

وأظهر في صباحي كل يوم ... بوجه مجدر قلق الوساد

وأدمن حك ما تركت بجسمي ... فيحسبني جربت ذوو عنادي

وقد وقف الوزير على بلائي ... بما ضاقت به حيلي وآدي

وإني لا نهار أقر فيه ... ولا ليل يقيني منه فادي

صديقي في دجا ليلي عدوي ... وعبدي لا يجيب إذا أنادي

وأترك في ظلام دجاه وحدي ... فأذكر ضيق لحدي وانفرادي

وفي يمناي مروحة فطورا ... أذود بها وما يغني ذيادي

وطورا أستريح إلى انتصابي ... وطورا أنثني ويدي اعتمادي

وعلمني البعوض بلطم خدي ... خلائق لسن من شيمي وعادي

فهل للصاحب المأمول عطف ... على عجزي عن الكرب الشداد

بإذن لست أسأله اختبارا ... ولكن اضطراري في ازدياد

شقاء لا يعاقبه رخاء ... وبلوى تستنيم إلى التمادي

وسيدنا أدق الناس حدسا ... وأعرفهم بدخلة من يصادي

وحسبني ما بلاه في اختياري ... وشاهد من ولائي واعتقادي

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي، قال: أنشدني الزعفراني لنفسه:

لي لسان كأنه لي معادي ... ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٤٢/١

"أبو زيد فتى حر، ولكن ... لنا في أمر ذاك الحر ظنه
أراه يشتري الغلام سودا ... عفاريت فيوهمني بأنه
وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لمحاربته من الرجز:
قد خطب الصفع قفا الخصي ... فمرحبا بالخاطب الكفي
ورحل البار إلى الكركي ... فأبشروا بلحمه الطري
وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد:
ولما أن رأيت ابني وليد ... وبينهما اختلاف في الفعال
وهبت قبيح ذا الجميل هذا ... وأسلفت العواقب والليالي
إذا اليد أحسنت منها يمين ... فسوغنا لها ذنب الشمال
وله في رجل جليت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر:
يا جالي البنت بعد ما ثقبت ... تبزر القدر بعد ما قلبت
هذا كما قد يقال في مثل ... جصصت الدار بعد ما خربت
وهذه فقر وظرف له في فنون مختلفة قال من قصيدة:
لا يصغر الرجل الكبير ... بعشرة الرجل الصغير
بل يكبر الرجل الصغير ... بخدمة الرجل الكبير
ويركب التبر النفيس على الدني من السيور
ماذا يضر البدر قر ... ب النجم منه المستنير
بل ما يضر السيل مجراه على الأرض الحدور
بل ما عسى صغر السفين يغض من عظم البحور
قد زادني شرفا ولم ... ينقصه من شرف حضوري
كالنار ليس بناقص ... منها اقتباس المستعير
تلقي الفتى سهل الشريعة للجليس وللعشر
أو ما رأيت البحر يغرق ... منه بالخطب اليسير
والناس مثل الجسم يعتمد ... القبيل على الدبير

يتحامل العضو الخطير ... بقوة العضو الحقير

كتحامل الرمح الطويل ... بزجه ذاك القصير

ومن أخرى:

يا أيها الخاطب مدحي وهل ... يورد من غيري رشاء قليب

شيئان لم يجتمعا لأمرىء ... حب الدنانير وحب الحبيب

ومن أخرى:

ولي والله إخوان كثير ... نصيبي من فعالهم سواء

ولكني رأيتك من أناس ... إذا لم يحسنوا فلقد أساءوا

ومن أخرى:

ومتى شتمت الدهر تشتم صابرا ... تبكي ويضحك ذلك المشتوم

لا ومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش:

فإن ردني دهري ع\ليك طريدة ... فلا غرو أن يسترجع القوس حاجب

هو الوكر طرنا والريش وافد ... وعدنا إليه الآن والريش ذاهب

ومنها:

جزى الله عني أهل سامان ما أتوا ... وفي الله **للثأر** المضيع طالب

هم زوجوني لهم بعد طلاقه ... وذلك عرس للمآتم جالب

هم اعطشوا زرعي فشمت سحابئا ... غرائب لما أخلفتني القرائب

فأنحوا لزرعي بالحصاد وأنضبوا ... مياها لها أيدي سواهم مذانب

أتحصد أيديكم ويزرع غيركم ... فأنتم جراد والملوك سحائب

أخذه من قول ابن عيينة:

أبوك لنا غيث نعيش بظله ... وأنت جراد لست تبقي ولا تذر

رجع:

إذا طمع السلطان فيما كسبته ... بشعري فالسلطان بالشعر كاسب

فأنتم مدحتم آل بواب لا أنا ... وأمدح من لفظ اللسان حقائب

ومن أخرى:

لاحت لوجهي أنجم ... للشيب عدن به طوالع

أودعت منهن الصبا ... من لا يرى رد الودائع

فقصصتهن وإنما ... دهري بمقراضي أخادع

وإذا عدوك كان بعض ... في الخطوب من تقارع

ومن أخرى:

خضبتني الأيام لون بياض ... وخضاب الأيام ليس نباضي

وتخطتني المنون إلى شعري ... فأضحى مكفنا ببياض

ولعمري إني لغير لبيب ... في قتال الأيام بالمقراض

ومن أخرى:

وارك تشكو الشيب تظلمه ... والشيب زرع بزره العمر

كالخمر يجلبها الخمار وقد ... يهجى الخمار ويمدح الخمر

وله في تلميذ عاق:." (١)

"ارى ما اشتهيه يفر مني ... وما لااشتهيه إلي يأتي

ومن أهواه يبغضني عنادا ومن أهواه شص في لهاني

كأن الدهر يطلبني بثأر ... فليس يسره إلا وفاتي

وهو القائل:

وهل يذخر الضرغام قوتا ليومه ... إذا اذخر النمل الطعام لعامه

هذا البيت لأبي العلاء المعري. أبو القاسم علي بن مسرة البغدادي يقول:

زعمت أنما هواي محال ... أتراها ظنت نحولي انتحالا

ولقد زارني الخيال فماصا ... دف مني الخيال إلا خيالا

بت أرعى النجوم فيها وباتت ... من وراء السجوف تنعم بالا

وشكوت الهوى إليها فقالت ... حضري ينمق الأقوالا

---

(١) يتيمة الدهر، ٥٧/٢

وقوله:

الف الحوادث مهجتي فالفتها ... بعد التنافر والكريم الوف

ليس البلاء علي صنفا واحدا ... لكن علي اليوم منه صنوف

محمد بن أحمد الشيرجي أديب فقيه ظريف شاعر خليع يقول:

يا خليلي عرجا بي إلى القف ... ص وحطا الرحال بالبردان

واتركاني من التفقه في الدي ... ن فحسب تعلمي ما كفاني

واسقياني علىى وجوه الغواني ... واصطفاق النايات والعيدان

ويقول:

الق الدساكر والمعاصر والسواحر والزوامر

ودع الدفاتر والمحابر والقماطر والمساطر

وكتب إلى صديق له يستذيره:

اليوم يوم انجحار ... ويوم إيقاد نار

ويوم عزف وقصف ... ويوم شرب عقار

وكل هذا لدينا ... فاحضر مع الحضار

وكان كثيرا ما يقول لأخوانه: أنعم الله صباحك وأدام لرأسك الخضرة ولوجهك الحمرة ولوجه حاسدك الصفرة

ابو الفضل أحمد بن محمد الكاتب: ثقيل وزن الفضل خفيف روح الشعر يقول:

دخلت إلى النحاس يوما وعنده ... غلام صبيح الوجه أتلع أحور

فقلت له هذا الغلام تبيعه ... فقال به عيب وذلك يستر

فقلت فأظهره فقال اباقه ... فقلت رضى بالعيب فالظبي ينفر

ويقول:

قد قلت والصدغ على خده ... كالليل يبدو تحته الفجر

البدر من ابراجه ... عقرب فصار برج العقرب البدر

ابو المظفر عبد الجبار بن الحسن البيهقي الجمحي: كثير المحاسن حلو الأدب مليح الشعر يءيش في ظل الكفاية ويخدم السلطان ويعاشر الأخوان ويقول مثل قوله في بعض الصدور

وإن أبا سعد لعائن ربنا ... عليه لشيخ حامض في المشايخ

فلو أنني وليت شغل وكالة ... لوفرت في خديه خل المطابخ

وقوله:

وجه أبي العباس ما اصلده ... نعم ويوم البعث ما اسوده

يخيب من يرجوه في يومه ... ثم مع الخيبة يخشى غده

قل لمليك الشرق هذا الذي ... يكتب في الديوان ما ابرده

إن شئت أن تبسط بين الورى ... عدل أنوشروان فاقبض يده

وقوله:

دخلت على أبي سعد وإني ... اداخله على ود سقيم

رأيت لديه كتابا ظرافا ... حيارى حول محزون كظيم

تصور لي ملائكة كرام ... قعود حول شيطان رجيم

ففي ديوانه كرم ولكن ... مدارعه تزر على لئيم

يعز علي أن يلقاه شتمي ... بلا ضرب أكرره اليم

وقوله في قصيدة

عبق بكفي من خيال طارق ... عند الكرى متصافح متعانق

فأبيت أضحك من وصال كاذب ... وأظل ابكي من فراق صادق

إني اصافحه بكفي صائن ... لـكن ألاحظه بعيني فاسق

ما للهموم ألفن كل متيم ... اعشقن مهجة كل صب عاشق

ابو منصور على بن أحمد الحلاب: شاب كان متقدم في الفضل والأدب كتب في ديواني الرسائل بنيسابور والري وبرع وخدم وخدم وقد ذكرت له ابياتا في مرثية صديقه أبي بكر الصبغي وكتبت الآن ما أنشدني لنفسه قوله في خط العذار:

كم سقيت الدموع عارض حتى ... اشتهي خطه على غير حين

فتباطى النبات حتى إذا ما ... رويت خده وجفت شؤوني." (١)

(١) يتيمة الدهر، ٢/٢٢٠

"قال: فلما سمع أخوه ... . بن معديكرب شعر أخيه الأسود بن معديكرب وما رد فيه على أبيه وما تقدم من يمينه، آلى يمينا كألية أخيه أو أوكد منها على أنه لا يمنع أحدا شيئا من ماله ولا ما سأل، وأنه لا يتكلم بالخنى ما بقي، وأنه لا يهم برأيه ما عاش، وأنه لا يغدر، ولا يخون، ولا ينطق إلا بما لا يرد عليه، وأنه لا يرهب في جميع الأمور إلا الله وحده لا شريك له. ثم أنشأ يقول: " من الرجز "

أيا ابن معديكرب خير البشر ... فينا ابتني الخير مع الشر الشمر

نخلو إذا شئنا وإن شئنا نمر ... إني ورب المثبتات للشحر

المسبلات بالسحاب المنهمر ... لآخذ بما به الآن شعر

وما به الأسود في القول نشر ... من تركي الريبة والأمر النكر

وتركي الغدر وما لا يشتهر ... عند نداء البدو منا والحضر

وصمتي الدهر عن القول الهتر ... وبذ ي المال لسؤال العشر

للمترب الداني وللنائي الهكر ... حتى أحوز منتهى شأو الغرر

آليت إن طال بقائي أو قصر ... لا أنتوي الغدر إذا غيري غدر

ولا أخون أحدا من البشر ... هاتيك ناري في البقاع تستعر

لطارق الليل إذا الليل انعكر ... من شاء فضلي فإلي يبتدر

ولست أخشى أحدا ممن كبر ... في باطن الملك ولا فيما ظهر

إلا المليك المستعان المقتدر ... مسخر الشمس لنا مع القمر

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إنهما لم يزالا على ما وصفا به أنفسهما، وأنهما ما سئلا قط شيئا مما يسأل إلا جادا به وبذلاه لسائلهما. وفيهما الأشعار الكثيرة للأعشى وغيره، ملنا عنها في خبرهما وخبر أبيهما إلى التخفيف. وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حجر بن عمرو المفضور بن الحارث آكل المرار دخ ت عليه كاهنة ذات يوم، فقالت له: أتأذن لي معك أتكلم أيها الملك؟. فقال لها: قولي ما علمت. فقالت له: والسماء ذات البروج، والأرض ذات المروج وما اشتملت عليه أرحام ذات الفروج لقد نبئت نبأ، وعلمت خبرا بأن أعظمها خطرا وأبعدها نظرا وأكثرها نفعا وضرا، يسفك دمك شرها أناسا، وأرثها لباسا وأغشها كناسا، فاظعن أيها الملك العظيم عن ساحة الأرذلين، أسد وتميم. قال: فأطرق حجر بن عمرو المفضور بن الحارث بن آكل المرار الكندي قليلا، ثم رفع رأسه وأنشأ يقول: " من المنسرح "

من يأمن اليوم أو يعيش غدا ... أم من يرجي خلوده أبدا
ينفد ما نحن فيه عن كثب ... في إثر من قد مضى ومن نفدا
حدثت عن آكل المرار أبي ... عمرو وعمرو مضى وما خلدا
بأنه قد رأى ثمانية ... قد ملكوا الأرض كلها عددا
وشاهدين الخليل يتلو على ... جدهم وحيا منزلا وهدى
وقد رأى من رأى زهيرا ... ومن أخبره أنه رأى أددا
والمرء همدان إن سمعت به ... شاهده وهو يحمل اللبدا
فهل ترى من أولاك كلهم ... فيمن عليها مخلدا أحدا
إن كل سمعي ورابني بصري ... فكل شيء إلى انقضاء مدى
فقد ملكت الخليط من مضر ... ومن تميم والحي من بعدها أسدا
وعامرا لم أدع لهم لبدا ... يقيهم سطوتي ولا سندا
وأيما معشر سمعت بهم ... لما ندس عنوة لهم بلدا
إن قتلوني ففي امرئ القيس أن ... يجتاح بالخيل والرجال غدا
يتركها حيث لا تنبت ولا تصبح ... إلا طرائقا قددا

ويقال: إن حجر بن عمرو المفضور ما لبث إلا قليلا بعد ذلك حتى قتله بنو أسد، فكان من امرئ القيس ما كان في قتله إياهم طلبا بثأر أبيه في ذلك، وفي ذلك قوله: " من السريع "

يا دار ماوية بالحائل ... فالخبت فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل
قولا لدودان عبيد العصا ... ما غرهم بالأسد الباسل." (١)

"انظر كيف تعلقت هذه البنت وعمرها سنتان، في عنق هذا الولد الذي كان من سنتين ابن سنتين١، لا أراني أحمل في عربتي أطفالا كالأطفال الذين تحملهم العربات إلى أبواب دورهم؛ فإن هؤلاء اللقطاء يحملون إلى باب الملجأ، وهو باب للحارات والسكك لا يأخذ إلا منها، فلا يرسل إلا إليها.

أنا -والله- يا أبا هاشم، ضيق الصدر، كاسف البال من هذه المهنة؛ ويخيل إلي أني لا أحمل في عربتي إلا

---

(١) وصايا الملوك، ص/٣٨

الجنون والفجور والسرقة والقتل والدعارة والسكر وعواصف وزوابع.

---

١ تعبير بالنكتة على طريقة ظرفاء البلديين من أمثال "أبي علي"، والمراد أنه ابن أربع سنوات.

قال أبو هاشم: ولكن هؤلاء الأطفال مساكين، ولا ذنب لهم.

قال الحوذي: نعم لا ذنب لهم، غير أنهم هم في أنفسهم ذنوب؛ إن كل واحد من هؤلاء إن هو إلا جريمة تثبت امتداد الإثم والشر في الدنيا؛ ولدتهم أمهاتهم لغية١.

فقطع صاحبه عليه وقال: هل ولدتهم إلا كما تلد سائر الأمهات أولادهن؟

قال: نعم، إنه عمل واحد، غير أن أحواله في الجهتين مختلفة لا تتكافأ؛ وهل تستوي حال من يشتري المتاع، ومن يسرق المتاع؟

ههنا باعث من الشهوة قد عجز أن يسمو سموه -وما سموه إلا الزواج- فتسفل وانحط، ورجع فسقا، وعاد أوله على آخره. كان أوله جرما فلا يزال إلى آخره جرما، ولا يزال أبدا يعود أوله على آخره؛ فلما حملت المرأة وفاءت إلى أمرها، وذهب عنها جنون الرجل والرجل معا؛ انطوت للرجال على الثأر والحقد والضغينة؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الشرور أيضا.." (١)

"إحياء لهذين المعنيين: لقد فقدت الفضيلتان وأضلهما الناس ولكن الشاعر يعرف إنسانا واحدا لا يزال وحده يحتفظ بهما، فإذا تعب الباحث عنهما وأخبره الشاعر بمكانهما أفما دله على شيء ثمين؟

وأساليب الشاعر التي تسهم في بحث المعاني الهامدة عديدة: منها الدعاء في قوله:

٣ - رب ممشى منها إلينا على رغ ... م إزاء لا طاب عيشي إزاء

والاستغاثة في قوله:

٨ - ثم صدت لقول حماء فينا ... يا لقومي دمي على حماء

وفي الدعاء على الرقيب أو الواشي محتوى نفسي كبير: مكابدة ذاتية أو ضيق يعانيه الشاعر ممن يرقبه ويفسد عليه صفاء وصاله، فاستحق الرقيب أن يدعى عليه بمثل ما جنى. وليست الجدة في تركيب الدعاء الثابت الإطار وحده ولكن في مادة المضمون الموافقة للموقف أيضا: "لا طاب عيشي إزاء".

ولو أن تركيب الاستغاثة في البيت عراه تعديل طفيف لخبا الإيحاء المعنوي الواسع الطيف: إنه استعدى قومه

---

(١) وحي القلم، ص/٣٠٨

"يا رقومي دمي على حماء" – وههنا جوهر الفن: فلو استعدى فردا: صديقا أو قريبا، لكان محتوى الاستغاثة غير مليء ولا مشع، ولكن الاستغاثة بقومه جميعا، يحملهم عبء دمه المراق أحيت تلك الصورة الجماعية التاريخية الصاخبة، صورة القبيلة قاطبة يستفزها الصريخ على نبأة **الثأر**، فتهب بالضجيج والعجيج والغضب. فأي حدث خطير، وأي ضحية بريئة، وأي هول مشتعل ينشره تركيب الاستغاثة بمضمونه هذا !

إنها الأساليب التي بها ينفخ الشاعر العبقري روح الحياة والجدة في المعاني واللغة!

(١١) الخيال:

عدد الصور الخيالية في القصيدة دون عدد نصف أبياتها، أكثرها التشبيه وأقلها الاستعارة، ولا تخلو من الكنايات. والفحص المدقق لمفردات تلك الصور يهدي إلى مصادرها فهي من الموروث الشائع قديمه وحديثه، والاستعارة في قوله:

٢ – إن في عينها دواء وداء ... لملم والداء قبل الدواء." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٦ """""""

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية " على صاحبها أفضل الصلاة والسلام " أن أول من نسأ الشهور على العرب ، وأحل منها ما أحل ، وحرم ما حرم القلمس . وهو حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة .

ثم قام بعده ولده عباد ، ثم قام بعد عباد ابنه قلع ، ثم قام بعد قلع ابنه أمية ، ثم قام بعد أمية ابنه عوف ، ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جناده ، وعليه ظهر الإسلام .

فكانت العرب إذا فرغت من حجها ، اجتمعت عليه بمنى ، فقام فيها على جمل ، وقال بأعلى صوته : " اللهم إني لا أخاف ولا أعاف ، ولا مرد لما قضيت اللهم إني أحللت شهر كذا " ويذكر شهرا من الأشهر الحرم ، وقع اتفاقهم على شن الغارات فيه " وأنسأته إلى العام القابل " أي أخرت تحريمه " وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقي " وكانوا يحلون ما أحل ، ويحرمون ما حرم .

وفي ذلك يقول عمرو بن قيس بن جذل الطعان ، من أبيات يفتخر : ألسنا الناسئين على معد . . . شهور الحل ، نجعلها حراما ؟

وحكى السهيلي في كتابه المترجم بالروض الأنف أن نسيء العرب كان على ضربين : أحدهما تأخير المحرم إلى

---

(١) همزية بشار بن برد، ص/٣٥

صفر لحاجاتهم إلى شن الغارات وطلب الثأر ، والثاني تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية . فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور في ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته . فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه فوافق حجه في ذي القعدة ، ثم حج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العام القابل فوافق عود الحج إلى وقته في ذي الحجة كما وضع أولا . فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجه ، خطب فكان." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٧ """""""""

وهذا الأوان وسط زمان الخريف ، وفيه يقول بعض الشعراء :

أحب المهرجان لأن فيه . . . سرورا للملوك ذوي السناء ،

وبابا للمصير إلى أوان . . . تفتح فيه أبواب السماء .

وهو ستة أيام . ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر . قال المسعودي : وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم ، أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم . وكان لهم ملك يسمى مهر ، يسير فيهم بالعنف والعسف . فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهر ماه ، فسمي ذلك اليوم مهرجان . وتفسيره نفس مهر ذهبت وهذه لغة الفرس الأول . وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح .

وقد نظم عبيد الله بن عبد الله بن ظاهر ذلك ، فقال :

إذا ما تحقق بالمهرجا . . . ن من ليس يعرف معناه ، غاظا .

ومعناه أن غلب الفرس فيه . . . فسموه للروح حقا حفاظا .

ويقال إنه إنما عمل في عهد أفريدون الملك ، وأن معنى هذا الاسم إدراك الثأر وسبب اتخاذهم له ، أن بيوراسف " وهو الضحاك " ، ويقال له أزدهاق ذو الحيتين والأفواه الثلاثة والأعين الستة ، الداهي الخبيث المتمرد ، لما قتل جمشاد ، وملك بعده ، غير دين المجوسية . وجاء إبليس في صورة خادم ، فقبل منكبيه ، فنبت فيهما حيتان ، فكان يطعمهما أدمغة الناس . فأجحف ذلك بالرعية ، فخرج رجل بأصبهان ، يقال له كابي ، ويقال فيه كابيان . ودعا الناس إلى قتاله ، فاجتمع له خلق كثير . فشخص الضحاك لقتاله ، فهاب كثرة

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥٦/١

جمعه وفر منه . فاجتمع الناس على كابي ليملكوه عليهم ، فأبى ذلك وقال : ما أنا من أهل الملك ، وأخرج صبيا من واد جمشاد ، يسمى أفريدون وملكه ، فأطاعه الناس فيه وملكوه عليهم .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٧٨ """"""""

وخرج أفريدون في طلب الضحاك ليأخذ ثأر جده فظفر به ، وجعل ذلك اليوم عيدا ، وسماه المهرجان . ويقال أن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس أردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إن الفرس تعلم إنه . . . لأطيب من نيروزها مهرجانها :

لإدبار أيام يغم هواؤها . . . وإقبال أيام يسر زمانها .

وكان مذهب الفرس فيه أن يدهن ملوكهم بدهن البان تبركا ، وكذلك عوامهم ، وأن يلبس القصب والوشى ، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس وحجلتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليه الموبذان بطبق فيه أترجة ، وقطعة سكر ، ونبق ، وسفرجل ، وعناب ، وتفاح ، وعنقود عنب أبيض ، وسبع طاقات آس قد زمزم ثم يدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك .

وكان أردشير ، وأنوشروان يأمران بإخراج ما في خزائنهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفرش ، فتفرق كلها في الناس على مراتبهم ، ويقولان : إن الملوك تستغني عن كسوة الصيف في الشتاء ، وعن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاقهم أن يخبؤوا كسوتهم في خزائنهم ويساووا العامة في فعلها .

وزعم بعض أصحاب التاريخ أن النيروز عملته الفرس قبل المهرجان بألفي سنة وخمسمائة سنة .

وأما السدق ، فإنه يعمل من شهر بهمن ماه . ويسمى هذا اليوم عندهم أبان روز ، لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسما .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٥ """"""""

وقال في أخرى : نشرت ثلاث ذوائب من شعرها . . . في ليلة ، فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ، . . . فأرتني القمرين في وقت معا

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١/١٧٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١/١٧٨

سقتني في ليل شبيه بشعرها . . . شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى ، . . . وشمسين من خمر وخد حبيب

وقال ابن المعتز :

فلما أن قضت وطرا وهمت . . . على عجل بأخذ للرداء ،

رأت شخص الرقيب على تدان . . . فأسبلت الظلام على الضياء .

وغاب الصبح منها تحت ليل ، . . . وظل الماء يقطر فوق ماء .

وقال ابن لنكك :

هل طالب ثأر من قد أهدرت دمه . . . بيض ، عليهن نذر قتل من عشقا ؟

من العقائل ما يخطرن عن عرض . . . إلا أرينك في قد قنا ونقا .

رواعف بخدود زانها سبج . . . قد زرفن الحسن في أصداغها حلقا .

نواشر في الضحى من فرعها غسقا ، . . . وفي ظلام الدجى من وجهها فلقا .

أعرن غيد ظباء روعت غيدا ، . . . والورد توريد خد ، والمها حدقا .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٦ """""""

وقولهم : " حسبك من إنضاجه أن تقتله " : يضرب لطالب الثأر فيقول : لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال : لا تعد ، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك : ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

قولهم : " خير حالبيك تنطحين " : يضرب لمن يكافىء المحسن بالإساءة ، ومثله : خير إناءيك تكفئين .

وقولهم : " خامري أم عامر " معناه استترى ، وأم عامر : الضبع ، يشبه بها الأحمق ، ومثله : خامري حضاجر ، أتاك ما تحاذر : وهو اسم للذكر والأنثى من الضباع .

وقولهم : " خلا لك الجو فبيضي واصفري " قاله طرفة بن العبد ، وكان في سفر مع عمه فنصب فخا للقنابر ونثر حبا فلم يصد شيئا ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذي نثره لهن ، فقال في ذلك

يا لك من قنبرة بمعمر . . . خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري . . . قد رحل الصياد عنك فابشري

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢/٢٥

ورفع الفخ فما ذا تحذري . . . لا بد من صيدك يوما فاصبري

يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها .

وقولهم : " خلع الدرع بيد الزوج " المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : اخلعي ، فقالت : خلع الدرع بيد الزوج . فقال : اخلعيه لأنظر إليك ، فقالت : التجرد لغير النكاح مثلة ، فذهبت كلمتاها مثلين يضربان في وضع الشيء في غير موضعه .

وقولهم

خل سبيل من وهى سقاؤه . . . ومن هريق بالفلاة ماؤه

يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك .

وقولهم : " خمر أبي الروقاء ليست تسكر " : يضرب للغني الذي لا فضل له على أحد .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٦ """""""

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السلع والعشر : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا ، فإذا بلغت ضن بها ، وعمد إلى الظباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر ، قال الشاعر

عنتا باطلا وزورا كما يع . . . تر عن حجرة الربيض الظباء

ومنها : " حبس البلايا : كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ، ويعكسون رأسها إلى ذنبها ، ويغطون رأسها بولية وهي البردعة ، فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ، ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشي ، قال أبو زبيد :

كالبلايا رءوسها في الولايا . . . مانحات السموم حر الخدود

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان إذا قتل ، ولم يطالب بثأره ، خرج من رأسه طائر يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : اسقوني اسقوني إلى أن يطلب بثأره ، قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي . . . أضربك حتى تقول الهامة : اسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة ، عمد إلى البعير الذي أمات به ، فأغلق ظهره

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٦/٣

لئلا يركب ، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره ، وإغلاق ظهره أن ينزع سناسن فقرته ويعقر سنامه .
ومنها : التعمية والتفقئة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر :

وهبتها وأنت ذو امتنان . . . تفقأ فيها أعين البعران

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى ، فهو التعمية .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١١٧ """""""

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يدرك بثأره ، وإذا أدرك بثأره بكينه ، قال الشاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالك . . . فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه . . . يلطمن حر الوجه بالأسحار

ومنها : رمي السن في الشمس : يقولون : إن الغلام إذا ثغر ، فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال : أبدليني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والفلج ، والثعل ، قال طرفة

بدلته الشمس من منبته . . . بردا أبيض مصقول الأشر

ومنها : خضاب النحر : كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كأن دماء العاديات بنحره . . . عصارة حناء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق : كانوا إذا ضل الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومىء إلى إنسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا ، هيكل ، الساعة الساعة ، إلي إلي ، عجل ، ثم يحرك الناقة فيهتدي ، قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنه . . . فلم يدر من أي اليدين جوابها

يعني : يسوء ظنه بنفسه إذا ضل .

ومنها : جز النواصي ، كانوا إذا أسروا رجلا ، ومنوا عليه فأطلقوه ، جزوا ناصيته ووضعوها في الكنانة ، قال الحطيئة :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣/١١٦

قدنا سلول فسلوا من كنانتهم . . . مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

يعني بالنبل : الرجال ، وقالت الخنساء

جززنا نواصي فرسانهم . . . وكانوا يظنون أن لا تجزا." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٢٣ """""""

ومما وصفت به زقاق الخمر ، فمن ذلك قول الأخطل :

أناخوا فجروا شاصيات كأنها . . . رجال من السودان لم يتسربلوا

وقال أبو الهندي وأجاد في شعره :

أتلف المال وما جمعته . . . طلب اللذات من ماء العنب

واستباء الزق من حانوتها . . . شائل الرجلين معضوب الذنب

كلما كب لشرب خلته . . . حبشيا قطعت منه الركب

وقال ابن المعتز :

وتراها وهي صرعى . . . فرغا بين الندامى

مثل أبطال حروب . . . قتلوا فيها كراما

وقال العلوي الأصفهاني :

عجبت من حبشي لا حراك به . . . لا يدرك الثأر إلا وهو مذبوح

طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع . . . رخو الصفاق وطورا وهو مشبوح

ومما وصفت به الأباريق ، فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل :

كأن أباريق الشمول عشية . . . إوز بأعلى الطف عوج الحناجر." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٦٧ """""""

الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئا ولا يريم موضعه ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئا فتضربه ، وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد فيؤديها نغما بغير لفظ . وجعل حمزة كلما غدا أو راح رآه ملازما لبابه ؛ فقال لغلامه يوما : أدخل هذا الغلام إلي فأدخله الغلام إليه ؛ فقال له حمزة : من أنت ؟ قال : غلام من

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١١٧/٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٢٣/٤

طيء أصابتنا حطمة بالجبلين فهبطنا إليكم ومعي أم لي وإخوة ، وإني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتا أعجبني ولزمت بابك من أجله . قال : فهل تعرف منه شيئا ؟ قال : أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر . فقال : إن كنت صادقا إنك لفهم . ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتا فغناه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم . قال : هاته ؛ فأندفع فغناه فأدى نغمه بغير شعر ، يؤدي مداته ولياته وعطفاته ونبراته ومتعلقاته لا يخرم منه حرفا . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرجه فليكونن له شأن . قال معبد : ولم أفعل ذلك ؟ قال : لتكون محاسنه منسوبة إليك وإلا عداك إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه . فقال معبد : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتني به . قال حمزة لمالك : كيف وجدت ملازمتك لبابنا ؟ قال : أرأيت إن قلت فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال لا . قال : وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل ؛ قال نعم . قال : فوالله ما شبعت على بابك شبعة قط ، ولا أنقلبت إلى أهلي منه بخير . فأمر له ولأمه ولإخوته بمنزل وأجرى عليهم رزقا وكسوة وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء ، وأجلس مالكا معه في مجالسه ، وأمر معبدا أن يطارحه فلم ينشب أن مهر . فخرج مالك يوما فسمع أمرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم والشعر لأخي زيادة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب . . . رهينة رمس ذي تراب وجندل

أذكر بالبقيا على من أصابني . . . وذلك أني جاهد غير مؤتلي

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك . . . لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

وإلا أنل ثأري من اليوم أو غد . . . بني عمنا فالدهر ذو متطول

أنختم علينا كلكل الحرب مرة . . . بني عم ؟ نا منيخوها عليكم بكلكل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٢ """""""""

أو كان يدرك ثأر من أودى به . . . ريب المنون لكنت أول ثائر

لكنه الموت الذي قهر الورى . . . من حيث لا تثنيه قدرة قادر

وقال كمال الدين بن النبيه يرثي علي ابن الخليفة الناصر لدين الله :

الناس للموت كخيل الطراد . . . فالسابق السابق منها الجواد

والله لا يدعو إلى داره . . . إلا من استصلح من ذي العباد

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٤/٢٦٧

والموت نقاد ، على كفه . . . جواهر يختار منها الجياد

والمرء كالظل ولا بد أن . . . يزول ذلك الظل بعد امتداد

لا تصلح الأرواح إلا إذا . . . سرى إلى الأجسام هذا الفساد

أرغمت يا موت أنوف القنا . . . ودست أعناق السيوف الحداد

كيف تخيرت أميرا وما . . . أنجده كل طويل النجاد

مصيبة أذكت قلوب الورى . . . كأنما في كل قلب زناد

نازلة عمت فمن أجلها . . . سن بنو العباس لبس السواد

مأتمة في الأرض لكن لها . . . عرس على السبع الطباق الشداد

طرقت يا موت كريما فلم . . . يقنع بغير النفس للضيف زاد

قصمته من سدرة المنتهى . . . غصنا فشلت يد أهل العناد

يا ثالث السبطين خلفتني . . . أهيم من همي في كل واد

يا نائما في غمرات الردى . . . كحلت أجفاني بميل السهاد." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩١ """""""

الضليل الذي أشار إليه هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو ، والحارث هو آكل المرار ، وسمي لمرؤ القيس بالضليل لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد . وإشارته إلى الصحة لقول امرئ القيس في قصيدته السينية :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة . . . لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه . . . ليلبسني من دائه محمد ما تلبسا

والطماح رجل من بني أسد أرسله قيصر إلى امرئ القيس بحلة مسمومة ، فلم البسها تقطع ومات بأنقرة .

وإشارته إلى أسد لأن بني أسد كانوا قتلوا حجر ابن الحارث يوم ماقط .

ودوخت آل ذبيان وإخوتهم . . . عبسا وعضت بني بدر على النهر

أشار إلى ما كان بين عبس وذبيان من الحروب بسبب داحس والغبراء . وسيرد ذلك في وقائع العرب إن شاء الله تعالى .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٨٢/٥

وألحقي بعدي بالعراق على . . . يد ابنه أحمر العينين والشعر

أراد عدي بن أيوب بن زيد مناة بن تميم الشاعر . وأحمر العينين والشعر هو النعمان بن المنذر . وكان عدي هذا ترجمانا لأبرويز وكاتبه بالعربية ، فلما مات قابوس بن المنذر تلطف عدي وتحيل على أبرويز حتى ولى النعمان إمرة العرب وقدمه على إخوته وكان أدمهم ، ثم اتهمه النعمان أنه وشى به فاحتال عليه حتى ظفر به وحبسه ثم قتله بالعراق ، فتلطف ابنه زيد بن عدي وتوصل حتى خدم أبويز على عادة أبيه ، وأوقع بين أبرويز والنعمان حتى قتله أبرويز ، على ما يرد إن شاء الله تعالى في التاريخ . والله أعلم .

وأشرفت بخبيب فوق فارعة . . . وألصقت طلحة الفياض بالعفر

أشار إلى خبيب بن عدي الأنصاري وهو بدري وأسر في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد فانطلق به المشركون إلى مكة واشتراه حجر بن إهاب التميمي." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٥٦ """"""""

فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : أقول : إن الله تعالى لا يزيدك بحسن العفو إلا عزا ؛ فعفا عنه . وكان المأمون مؤثرا للعفو كأنه غريزة له ؛ وهو الذي يقول : لقد حبب إلي العفو حتى إني أظن أني لا أثاب عليه . وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ، فقال له المأمون : أنت الذي فعلت كذا وكذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك ؛ فعفا عنه .

قال : ولما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أمر بإدخاله عليه ، فلما مثل بين يديه قال : ولي الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، والقدرة تذهب الحفيظة ، ومن مد له الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على التلف ، وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك ، فإن صفحت فبكرمك ، وإن أخذت فبحقك ؛ قال المأمون : إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك فأشارا علي به ؛ قال : أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك ولما جرت عليه السياسة فقد فعلا ، ولكن أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله ، ثم استعبر باكيا ؛ فقال له المأمون : ما يبكيك ؟ قال : جذلا إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته ، ثم قال : إنه وإن كان جرمي بلغ سفك دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلغاني عفوه ، ولي بعد هذا شفعة الإقرار بالذنب وحرمة الأب بعد الأب ؛ قال المأمون : لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك إليه حسن تنصلك .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٩١/٥

فكان تصويب إبراهيم لرأي أبي إسحاق والعباس ألطف في طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما . ثم قال المأمون لإسحاق بن العباس : لا تحسبني أغفلت إجلابك مع ابن المهدي وتأييدك لرأيه وإيقادك لناره ؛ فقال : والله لإجرام قريش إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعظم من جرمي إليك ، ولرحمي أمس من أرحامهم ، وقد قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما قال يوسف لإخوته " لا تثريب ع‍ليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٢ """""""""

الحبس ممن يؤمن شره غيرهما فليفرج عنه ودعهما في موضعهما ، فإنه من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما في فعلهما .

وكتب رجل إلى المأمون - وكان قد طال حبسه - : أغفلت يا أمير المؤمنين أمري ، وتناسيت ذكري ، ولم تتأمل حجتي وعذري ، وقد مل من صبري الصبر ، ومسني في حبسك الضر ؛ فأجابه المأمون : ركوبك مطية الجهل ، صيرك أهلا للقتل ، وبغيك علي وعلى نفسك نقلك من سعة الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء ، ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن ، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك ، على قدر صبرك على كثير جناياتك ؛ فإن حصل في نفسك كف عن معصيتي ، وعزم على طاعتي ، وندم على مخالفتي ، فلن تعدم مع ذلك جميلا من بيتي والسلام .

وقيل لأعرابي : أ يسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك ؟ قال : بل يسرني أن أدرك الثار وأدخل النار .

قال البحتري :

ت‍ذم الفتاة الرؤد شيمة بعلها . . . إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

ويقال : إنما هو مالك وسيفك ، فازرع بمالك من شكرك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قال الشاعر :

قط العدا قط اليراع وانتهز . . . بظبا السيوف سوائم الأضغان

إن البيادق إن توسع خطوها . . . أخذت إليك مآخذ الفرزان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٦/٥٦

وقالوا : العفو يفسد من اللئيم ، بقدر ما يصلح من الكريم .

وقال معاوية ابن يزيد بن معاوية لأبيه : هل ذممت عاقبة حلم قط ؟ قال : ما حلمت عن لئيم وإن." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٨ """""""

وكقول أبي ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها . . . ألفيت كل تميمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد ، والمنية سبع ، والعالم بحر ، وهذا وإن كان يشبه الاستعارة المجردة إلا أنه أغرب وأعجب ، ويقرب منه قول زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه . . . يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصلح رضى بأحكام الحرب ، وذلك أنهم كانوا إذا طلبوا الصلح قلبوا زجاج الرماح وجعلوها قدامها مكان الأسنة ، وإذا أرادوا الحرب أشرعوا الأسنة وقد يسمى هذا النوع المماثلة أيضا .

قال : وقد يزلون الاستعارة منزلة الحقيقة وذلك أنهم يستعيرون الوصف المحسوس للشيء المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة وأن الاستعارة لم توجد أصلا مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علو مكانيا كقول أبي تمام :

ويصعد حتى يظن الحسود . . . بأن له حاجة في السماء

وكقوله أيضا :

مكارم لجت في علو كأنما . . . تحاول ثأرا عند بعض الكواكب ولذلك يستعيرون اسم شئ لشيء من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون إلى حيث يعتقد أه ليس هناك استعارة كقول ابن العميد :

قامت تظللني من الشمس . . . نفس أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب . . . شمس تظللني من الشمس

وكقول آخر :

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٦٢/٦

أيا شمعا يضئ بلا إنطفاء . . . ويا بدرا يلوح بلا محاق

فأنت البدر ما معنى انتقاصي . . . وأنت الشمع ما معنى احتراقي ؟." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٣١ """""""

ومنه قول الحيص بيص :

إلام يراك المجد في زي شاعر . . . وقد نحلت شوقا فروع المنابر

كتمت بصيت الشعر علما وحكمة . . . ببعضهما ينقاد صعب المفاخر

اما وأبيك الخير إنك فارس ال . . . الكلام ومحيي الدراسات الغوابر

وأما التكميل – فهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلم وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، كمن أراج مدح إنسان بالشجاعة ، ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلا غير كامل أو بالبأس دون الحلم ، ومثال ذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

حليم إذا ما الحلم زين أهله . . . مع الحلم في عين العدو مهيب

قوله : " إذا ما الحلم زين أهله " احتراس لولاه لكان المدح مدخولا ، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز وإنما يزين الحلم أهله إذا كان قدرة ، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه فقال : " في عين العدو مهيب " ، ومنه قول السموءل بن عادياء :

وما مات منا سيد في فراشه . . . ولا طل منا حيث كان قتيل

لأن صدر البيت وإن تضمن وصفهم بالإقدام والصبر وربما أوهم العجز لأن قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكمله بأخذهم للثأر ، وكمل حسنه بقوله : " حيث كان " فإنه أبلغ في الشجاعة ؛ ومن ذلك في النسيب قول كثير :

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى . . . في الحسن عند موفق لقضى لها

لأن قوله : " عند موفق " تكميل للمعنى ، إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقا ؛ ومنه قول المتنبي :

أشد من الرياح الهوج بطشا . . . وأسرع في الندى منها هبوبا." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٤٨/٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٣١/٧

"""""""" صفحة رقم ١٣٩ """"""""

ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم . . . قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد

ورب كندية قالت لجارتها . . . والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية . . . عن ثأره وصفات النؤى والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عنوانات : منها قصة قتل محمد بن أبي بكر ، وقتل حجر أبي امرئ القيس ، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من أراد هجوه ، وعير المهجو بما أشر إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته ؛ ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قدمه :

رفدوك في يوم الكلاب وشققوا . . . فيه المزاد بجحفل غلاب

وهمو بعين أباغ راشوا للعدا . . . سهميك عند الحارث الحراب

وليالي الثرثار والحشاك قد . . . جلبوا الجياد لواحق الأقراب

فمضت كهولهمو ودبر أمرهم . . . أحداثهم تدبير غير صواب

وقال بعد ذلك :

لك في رسول الله أعظم أسوة . . . وأجلها في سنة وكتاب

أعطى المؤلفة القلوب رضاهمو . . . كملا ورد أخائذ الأحزاب

والجعفريون استقلت ظعنهم . . . عن قومهم وهمو نجوم كلاب

حتى إذا أخذ الفراق بقسطه . . . منهم وشط بهم عن الأحباب

ورأوا بلاد الله قد لفظتهمو . . . أكنافها رجعوا إلى جواب

فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا . . . عن ذكر أحقاد وذكر ضباب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """"""""

مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ؛ وشيرين نافست بوران فيك ؛ وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة إنما ردف لك ؛ وعروة بن جعفر إنما رحل إليك ؛ وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك ؛ وجساسا إنما قتله بأنفتك ؛ ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك ؛ والسموءل إنما وفى عن عهدك ، والأحنف إنما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٣٩/٧

احتبى في بردك ؛ وحاتما إنما جاد بوفرك ، ولقي الأصناف ببشرك ؛ وزيد بن مهلل إنما ركب بفخذيك ، والسليك بن السلكة." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٥ """""""""

اشتد عليه الحر هلك .

ومن جناس الكلام فيه قولهم : أذى البراغيث إذا البرى غيث . يعنون بالبرى التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوث يكمن بالنهار ويظهر بالليل . ويشتد أذان للإنسان إذا أخذ مضجعه . وهو يطول لبثه بمصر ؛ ولا يوجد في البلاد الحارة مثل صعيد مصر ولا في البلاد الشديدة البرد .

وقد أكثر الشعراء في وصف البراغيث وأفعالها ؛ فمن ذلك قول أبي الرماح الأسدي وكان قد سكن مصر :

تطاول بالفسطاط ليلي ولم أكن . . . بحنو الغضى ليلي علي يطول

يؤرقني حدب صغار أذلة . . . وإن الذي يوقظنه لذليل

إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة . . . علينا ولا ينعى لهن قتيل

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة . . . وليس لبرغوث إلي سبيل

وقال العسكري من أبيات :

ومن براغيث تنفى النوم عن بصري . . . كأن جفني عن عيني قصيران

يطلبن مني ثأرا لست أعرفه . . . إلا عداوة سودان لبيضان

وقال أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي :

لا أعذل الليل في تطاوله . . . لو كان يدري ما نحن فيه نقص لي في البراغيث والبعوض إذا . . . يلحفنا حندس الظلام قصص

إذا تغنى بعوضه طربا . . . ساعد برغوثه الغنا فرقص

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني :

بات البراغيث في الفراش معي . . . تقسمني قسمة المواريث

أكلنني بعد ما شربن دمي . . . فمن مغيثي من البراغيث

وقال أيضا فيها :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠٩/٧

إن البراغيث إذا ساورت . . . من كنها ترقص أو تقرص

وكلما غنت بعوض لها . . . فهي على شرب دمي أحرص." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """""""""

وأتى على صوتها حبرج تسبق همته جناحه ، ويغلب خفق قوادمه صياحه ؛ مدبج المطا ، كأنما خلع حلة منكبيه على القطا ؛ ينظر من لهب ، ويخطو على رجلين من ذهب .

يزور الرياض ويجفو الحياض . . . ويشبه في اللون كدر القطا

ويهوى الزروع ويلهو بها . . . ولا يرد الماء إلا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه ، وأعان قوسه بامتداد باعه ؛ فخر على الألاءة كبسطام بن قيس ، وانقض عليه راميه فخصله بحذق وحمله بكيس .

وتذر على السابع مرامه ، ونبا به عن بلوغ الأرب مقامه ؛ فصعد هو ترب له إلى جبل ، وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتهما قبل . فعن له نسر ذو قوادم شداد ، ومناسر حداد ، كأنه من نسور لقمان بن عاد ؛ تحسبه في السماء ثالث أخويه ، وتخاله في الفضاء قبته المنسوبة إليه ؛ قد حلق كالفقراء راسه ، وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه ؛ واشتمل من الرياش العسلي إزارا ، واختار العزلة فلا يجد له إلا في قنن الجبال الشواهق مزارا ؛ قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشب ، ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب .

مليك طيور الأرض شرقا ومغربا . . . وفي الأفق الأعلى له أخوان

له حال فتاك وحلية ناسك . . . وإسراع مقدام وفترة وان

فدنا من مطاره ، وتوخى ببندقه عنقه وفوقع في منقاره ؛ فكأنما هد منه صخرا ، أو هدم بناء مشمخرا ؛ ونظر إلى رفيقه ، مبشرا له بما امتاز به عن فريقه .

وإذا به قد أظلته عقاب كاسر ، كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر ؛ إن حطت فسحاب انكشف ، وإن قامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف ؛ بعيدة ما بين المناكب ، وإذا أقلعت لجت في علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب .

ترى الطير والوحش في كفها . . . ومنقارها ذا عظام مزاله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٠/١٨٥

فلو أمكن الشمس من خوفها . . . إذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحه، ورماها بأول بندقة فما." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٢ """""""

وقال الكلبي : قتله ابن أخيه لينكح ابنته ، فلما قتله حمله من قريته إلى قرية أخرى وألقاه هناك .

وقيل : ألقاه بين قريتين .

وقال عكرمة : كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا ، لكل سبط منهم باب ، فوجد قتيل على باب السبط ، وجر إلى باب سبط آخر ، فاختصم السبطان فيه .

وقال ابن سيرين : قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يطلب بثأره ودمه ويدعيه عليه .

قالوا : فجاء أولياء القتيل إلى موسى – عليه السلام – وأتوه بأناس وادعوا عليهم القتل ، وسألوه القصاص ؛ فسألهم موسى عن ذلك ، فجحدوا ، فاشتبه أمر القتيل على موسى – عليه السلام – ووقع بينهم خلاف .

قال الكلبي : وذلك قبل نزول القسامة في التوراة ، فسألوا موسى – عليه السلام – أن يدعو الله ليبين لهم ذلك ؛ فسأل موسى – عليه السلام – ربه عز وجل ؛ فأمرهم بذبح بقرة ؛ فقال لهم موسى ما أخبر الله تعالى به في قوله : " وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " ، أي تستهزئ بنا حين نسألك عن القتيل وتأمرنا بذبح البقرة ؛ وإنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين في الظاهر ، ولم يدروا ما الحكمة فيه . قال موسى : " أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " ، أي من المستهزئين ؛ فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل ، سألوه الوصف ، فذلك قوله تعالى : " قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي " .

قال : ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ؛ وإنما كان تشديدهم تقديرا من الله – عز وجل – وحكمة .

قال : ومعنى " ادع لنا ربك " ، أي سل ؛ وهكذا في مصحف عبد الله : " سل لنا ربك يبين لنا ما هي وما سنها " . قال موسى : إنه – يعني الله عز وجل – يقول : " إنها." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٠٥/١٠

(٢) نهاية ال أرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢١٢/١٣

"""""""""" صفحة رقم ٢١ """"""""

طلب إلياس ، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته ، فقالت : إني قد فجعت بموت ابني بعدك ، فعظمت فيه مصيبتي ، واشتد لفقده بلائي ، وليس لي ولد غيره ، فارحمني وادع ربك جل جلاله فيحي لي ابني ، ويجبر مصيبتي ، وإني قد تركته مسجى لم أدفنه ، وإني قد أخفيت مكانه . فقال لها إلياس : ليس هذا مما أمرت به ، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني به ربي ، ولم يأمرني بهذا . فجزعت المرأة وتضرعت ، فعطف الله سبحانه وتعالى قلب إلياس عليها ، فقال لها : ومتى مات ابنك ؟ قالت : منذ سبعة أيام . فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما ، فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس . فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وعاد إلى موضعه . والله أعلم .

ذكر دعاء إلياس على قومه ، وما حل بهم من القحط وخبر اليسع حين اتبع إلياس

قال : ولما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك درعا وأجهده البلاء ، فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود : يا إلياس ، ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أمين على وحيي ، وحجتي في أرضي ، وصفوتي من خلقي فسلني أعطك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم . قال : تميتني فتلحقني بآبائي ، فإني قد مللت بني إسرائيل وملوني ، وأبغضتهم فيك وأبغضوني . فأوحى الله تعالى إليه : يا إلياس ، ما هذا باليوم الذي أعرى منك الأرض وأهلها ، وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك إن كنتم صبرتم قليلا ، ولكن تسألني فأعطيك قال إلياس : فإن لم تمتني يا إلهي فأعطني ثأري من بني إسرائيل . قال الله تعالى وأي شيء تريد أن أعطيك يا إلياس ؟ قال : تمكنني من خزائن السماء سبع سنين ، فلا تنشئ عليهم سحابة إلا بدعوتي ، ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي ، فإنهم لا يذلهم إلا ذلك . قال الله تعالى : يا إلياس ، أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين . قال : ست سنين . قال : أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين . قال : فخمس سنين . قال : أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين ، ولكني أعطيك ثلاث سنين." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤١ """"""""

هابيل لأخيه قابيل : " لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢١/١٤

العالمين " . قال داود : قد عفوت عنك لوجه الله تعالى . فلبث طالوت زمنا يريد قتل داود ، فعزم على أن يأتيه ويغتاله في داره ، فأخبر بذلك بنت طالوت رجل يقال له : ذو العينين ، فقالت لداود . إنك مقتول الليلة ؛ قال : ومن يقتلني ؟ قالت : أبي ، وأخبرته الخبر وقالت : لا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك . فأخذ داود زق خمر فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير ودخل طالوت نصف الليل ، فعمد إليه فضربه ضربة بالسيف فسالت الخمر ، فلما وجد ريحها قال : رحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر ، وخرج ، فلما أصبح علم أنه لم يصنع شيئا ، فقال : إن رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ألا يدعني حتى يطلب مني ثأره ؛ فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه الأبواب ، فأتاه داود ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله الحجاب عنه وفتح له الأبواب ، ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج . فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها ، فقال : رحم الله داود فهو خير مني ، ظفرت به فقصدت قتله ، وظفر بي فكف عني ، لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه . فلما كانت الليلة القابلة أتاه ثانية ، وأعمى الله الحجاب ، فدخل وهو نائم ، فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ به وكوزه الذي يشرب منه ، وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ، ثم خرج وهرب وتوارى ؛ فلما أصبح ورأى ذلك نصب على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ، ثم ركب طالوت يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال : اليوم أقتل داود ، وكان داود إذا فر لم يدرك ، فركض داود حتى دخل غار ، فأمر الله العنكبوت أن تنسج ، فنسجت عليه بيتا ، وجاء طالوت إلى الغار فنظر إلى بيت العنكبوت فقال : لو كان هاهنا لخرق بيت العنكبوت ، فتركه ومضى ، وانطلق داود إلى الجبل ومعه المتعبدون ، فجعل يتعبد فيه .

وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن داود إلا قتله . وأغرى بقتل العلماء ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم ويطيق قتله إلا قتله ولم يكن طالوت يحارب جيشا إلا هزمه ، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر جباره بقتلها ، فرحمها الجبار وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٩ """""""

ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقلدت عمتها دليفة بنت ملموم ، وكانت

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٤١/١٤

عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فعهدت إليها وأخذت لها المواثيق على أهل مصر ألا يسلموها وأن يتبعوا أمرها ، وسلمت إليها مفاتيح خزائنها ، وأطلعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمد جسدها بالكافور وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقلت إليه أصنام الكواكب ، وزينته بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من العمارة إلى أن خربها بختنصر وحمل بعض كنوزها .

وجلست دليفة بنت مأمون على سرير الملك بعد وفاة حوريا ، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنت إلى الناس ووضعت عنهم خراج سنة . وقام عليها أيمين يطلب **بثأر** خاله أنداخس ، واستنصر بملك العمالقة فوجه معه قائدا من قواده في جيش كثيف ، فأخرجت إليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش ، وجل سحرة الفريقين يظهرون التخاييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التي تقرع الأسماع وتؤلمها ، فأقاموا مدة يتكافئون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب دليفة إلى منف وسار أصحاب أيمين في **آثارهم** ، ومضت دليفة في جمع من جيوشها إلى ناحية الصعيد فنزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وخلى أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم ، واستنجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمين حتى أزالوهم عن منف ، وكانوا قد ضفروا بها وعاثوا فيها ، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا إلى ناحية الحوف ، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة ، فلما." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٧ """"""""

وهي كلمة يراد بها التنزيه ؛ أي روحاني منزه متصل بالروحانية . وهو أول من ذلل الفيلة وقاتل بها الأعداء . قال : وكان لأفريذون ثلاثة أولاد وهم : سرم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإيرخ وقيل فيه إيران ؛ فخشي أفريذون ألا يتفقوا بعده وأن يبغي بعضهم على بعض ، وظن أنه قسم الملك بينهم في حياته بقي الأمر بعده على انتظام واتساق فقسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإيرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففي ذلك يقول شاعرهم :

وقسمنا ملكنا في دهرنا . . . قسمة اللحم على ظهر الوضم

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٨٩/١٥

فجعلنا الروم والشام إلى . . . مغرب الشمس إلى الملك سرم

ولطوخ جعل الترك له . . . فبلاد الصين يحويها ابن عم

ولإيران جعلنا عنوة . . . فارس الملك وفرنا بالنعم

فلما مات أفريذون وثب طوخ وسرم بأخيهما إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما ، ولذلك نشأت العداوة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيهما وتغلبهما على ملكه أن نشأ ابن لإيران أفريذون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منواشجهر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشا ابن لطوخ التركي فنفى منوجهر عن بلده وجرت بينهما حروب ، ثم ظفر منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته .

ويقال : إنه أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة ، وجعل لكل قرية دهقانا ، وجعل أهلها عبيدا وخولا وألبسهم لباس المذلة . ولما قوي أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه فقتل عميه اللذين قتلا أباه ، وأدرك ثأره وانصرف إلى بلاده .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٢٠ """"""""

وزوجته ، فأشفق سياوخش على نفسه وخشي عاقبة أبيه فتلطف في البعد عنه ، فسأل رستم أن يشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت بين فراسياب وكيقابوس حشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضم إليه جندا كثيفا وأشخص سياوخش إلى بلاد الترك ، فسار حتى التقى بفراسياب فانتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب سياوخش إلى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والاتفاق ، فكتب إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناهضته ومناجزته الحرب ، فرأى سياوخش أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب ونقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب نقضها ، يكون ذلك عارا عليه ومنقصة ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على الهرب منه ، فكتب إلى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه ، وعرفه أنه آثر اللحاق به فأجابه إلى ذلك . وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران . فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وانصرف

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١١٧/١٥

من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه . قال : ولما وصل سياوخش إلى راسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته ، وهي أم كيخسرو الذي ملك الفرس . ولم يزل على إكرامه إلى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته ، وجميل تلطفه ما أشفق منه وخشي على ملكه لميل الناس إليه فقتله . وكانت ابنة الملك قد اشتملت من سياوخش على حمل ، فقصد أن يسقطه وتحيلوا في ذلك فلم تسقط ؛ ثم جاء قيران ، وهو الذي كان السفير في الصلح بين الترك وسياوخس ، وأنكر ما كان من فعل الملك وحذره عاقبة الغدر والطلب **بالثأر** ، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده إلى أن تضع وقال : إذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله ؛ فأجابه الملك إلى ذلك وسلم إليه ابنته ، فكانت عنده إلى أن وضعت كيخسرو ؛ فلما وضعته امتنع قيران من قتله وستر أمره ، فكان عند ثيران حتى بلغ ، ثم احتال جده كيقابوس إلى أن أخرجه هو وأمه من بلاد الترك . قال أبو علي أحمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم : وللفرس في أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها : انهم يزعمون أن الشياطين مسخوه ، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك في خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة : من الصعود إلى السماء ، وبناء مدينة كنكر بأسوار من ذهب وفضة وحديد ونحاس وانهار ، وأنها ما بين السماء والأرض ؛ وأشباه ذلك مما تحيله العقول السليمة ؛ لأن ذلك في قدرة البشر .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢٤ """""""

الأخر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقي من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكرين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه الحرب معه ، ثم أقبل فراسياب في جمع عظيم من الأتراك والتقى هو وكيخسرو ونشبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وانهزم فراسياب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به واستوثق منه بالحديد ووبخه على ما كان منه من قتل سياوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم انصرف . وقد غنم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك **بثأره** .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكبر مملكته أنه قد عزم على التخلي والانفراد وترك الملك ، فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥/ ١٢٠

فأبى عليهم . فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب في الملك من يراه له أهلا ، فأشار بيده إلى لهراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل لهراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وفقد كيخسرو . فمنهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تعلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده لهراسف ؛ وقيل فيه بهراسف بن تنوفي بن كيمش وهو ابن أخي كيقابوس ويلقب بكى لهراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكللا بالجوهر للجلوس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة ، وسماها بلخ الحسناء .

قال : وهو أول من دون الدواوين ، وقوى ملكه بانتخاب الجنود ، وعمر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فنزل بلخ لمقاتلتهم ، ووجه بختنصر أصبهبذا ما بين الأهواز إلى أرض الروم ، من غربي الفرات . وسنذكر أخباره إذا انتهت أخبار لهراسف .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٢٩ """""""

ثم ملك بعده أبو كرب شمر بن إفريقش ، ويسمى يرعش لارتعاش كان به . قال : وخرج نحو بعض العراق في زمن بستاسف أحد ملوك الفرس فأعطاه بستاسف الطاعة ، وسار نحو الصين حتى نزل في طريقه ببلاد الصغد ، فاجتمع أهل تلك الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وافتحها عنوة وأسرف في القتل وخرب المدينة وهدمها فسميت شمركند ، وعربت بعد ذلك فقالوا : سمرقند . ومعنى شمركند أي خربتها شمر . وفيه يقول دعبل بن علي يفتخر باليمن من قصيدة :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو . . . وباب الشاش كانوا كاتبينا

وهم سموا بشمر سمرقندا . . . وهم غرسوا هناك التبيتنا قال : ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار ، فاحتال وزير له بأن جدع أنفه وأتى إلى شمر ، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر مراحل ، ومت إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر وخالف رأيه ، فسأله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث مراحل ، فتزود لثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره مات هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتيبة : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي : ثلاثا وخمسين سنة .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٢٤/١٥

ثم ملك بعده ابنه أبو ملك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بثأر أبيه فبلغه أن بالمغرب واديا من الزبرجد ، فحمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه .

ثم ملك بعده ابنه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب ثأر جده وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها ، ثم أتى الصين وأخرب مدينتها وابتنى هناك مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة : هم إلى." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٣٥ """""""""

ورئيسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب بنوائل ، واجتمعت ربيعة ومضر والرياسة على الحيين لكليب ؛ فقاتلوا صهبان وعظماء قومه ، وهو اليوم المشهور في العرب ، فقتل صهبان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خزاز . . . رفدنا فوق رفد الرافدينا

فكنا الأيمنين إذا التقينا . . . وكان الأيسرين بنوا أبينا

فآبوا بالنهاب والبالسبايا . . . وأبنا بالملوك مصفدينا

قال : ولما قتل صهبان بن محرث ملك بعده الصباح بن أبرهة بن الصباح .

قال : وكان نجدا نجدا ، فسار إلى معد في مئتي ألف يطلب ثأر صهبان . قال : وتجمعت معد ورئيسهم كليب أيضا ، وكانت الحرب بينهم بموضع يسمى الكلاب ، فانهزمت اليمن . وهذان اليومان من مفاخر نزار على اليمن ، وامتنعت معد بعد ذلك على اليمن حتى قتل كليب بن ربيعة .

قال : ولما مات الصباح ملك بعده ابن عم له فاسق ، وقيل : إن الذي ملك لخنيعة ذو شناتر ، قال : ولم يكن من أهل بيت الملك ، فاغري بحب الأحداث من أبناء الملوك ، فكان يطالبهم بما يطالب به النسوان ، وكان لا يسمع بأحد من فتيان العرب وأولاد الملوك حسن الصورة إلا استدعاه وطالبه بهذا الفعل القبيح ، ولم يزل على هذه الطريقة المذمومة حتى نشأ غلام من أبناء ملوك حمير اسمه زرعة . ابن كعب ويدعى ذا نوس ؛ سمي بذلك لأنه كان له ذؤابتان تنوسان على عاتقه ، وكان وضيئا فاستدعاه لمثل ما كان يدعو إليه غيره ،

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٢٩/١٥

فجعل تحت إخمصه سكينا ، فلما خلا له الملك واثبه ذو نواس فقتله ثم حز رأسه ، وكان له كوة يشرف منها على عبيده إذا قضى حاجته من الغلام الذي يكون عنده ويضع مسواكا في فيه ، فلما قتله." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٥ """""""

استهوته الجن دهرا طويلا ثم رجع ؛ فبينما مالك وعقيل ابنا فارح وفيل – قالح – يقصدان جذيمة الملك بهدية إذا نزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها : أم عمرو ، فتعرض لهما عمرو ، وقد طالت أظفاره وشعره وساءت حالته وهيئته ، فجلس إليهما – وكانا يأكلان – فمد إليهما يده مستطعما فناولته تلك الجارية طعاما فأكله ، ثم مد يده ثانية فقالت : إن يعط العبد كراعا يتبع ذراعا ؟ ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت سقاءها ، فقال عمرو :

صددت الكأس عنا أم عمرو . . . وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو . . . بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقالوا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ففرحا به وأقبلا على خاله – وقد كان جعل الجعئل لمن يأتيه به – فلما أتياه به قال جذيمة لهما : لكما حكمكما . فقالا : منادمتك . فكانا كما اختارا ، وسار بهما المثل ، ويقال : إنهما نادماه أربعين سنة ، فما أعادا عليه حديثا مما حدثاه به مرة أخرى ، بل كانا يحدثانه بحديث جديد لم يسمعه منهما قبل .

وعمرو هذا هو الذي اخذ بثأر خاله جذيمة من الزباء وقتلها . وذلك أن قصير ابن سعد كان من غلمان جذيمة قال لعمرو : اضرب ظهري واقطع أرنبة أنفي واتركني والزباء ، فإني سأحتال لك عليها ، ففعل به ذلك ، ففر قصير إلى الزباء وصار في جملة رجالها وأراها النصح والاجتهاد في حوائجها ، وأنه غاش لعمرو ابن عدي ؛ وجعل يتجر لها ويذهب لعمرو في السر فيعطيه الأموال فيأتيها بها ، كأن ذلك من اجتهاده وحذقه في التجارة حتى اطمأنت له ؛ فذهب إلى عمرو وأخذه واخذ معه ألفي رجل وجعلهم في جوالق على ألف جمل ، ومعهم دروعهم وسيوفهم وجاء على طريق يقال له الغوير ، ولم يكن يسلكه قبل ذلك ، فلما قرب من حصنها تقدم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بمال صامت ، فأشرفت من أعلى قصرها تنظر إلى الجمال ، فرأتها." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٣٥/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٤٥/١٥

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٣ """"""""

وغوروا كل ماء دون منزلهم . . . فليس من دونه نحس ولا ضرر

أو عاجلوا القوم عند الليل إن رقدوا . . . ولا تخافوا لها حربا وإن كثروا

فلما كان حسان على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صحبهم فاستباح اليمامة قتلا وسبيا ، وهرب الأسود حتى نزل بطئي فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه . وقبيلته في طيء مذكورة . ثم إن حسانا أمر باليمامة فنزع عينيها فإذا في داخلها عروق سود ، فسألها عن ذلك فقالت : حجر أسود كنت اكتحل به يقال له الإثمد فثبت لي بصري . وقيل : إنها أول من اكتحل بالإثمد ، فأمر بها فصلبت على باب جو . وقيل : سمى جو باليمامة من ذلك الوقت . وفي ذلك يقول رياح بن مرة لما أخذ بثأره :

غدر الحي من جديس بطسم . . . آل طسم كما تداني تديني

قد أتيناهم بيوم كيوم . . . تركوا فيه مثل ما تركوني

ليت طسما على منازلها تع . . . لم أني قضيت عني ديوني

وقد كررت الشعر اء قصة هذه المرأة وجو . فمن ذلك قول الأعشى على رواية ابن قتيبة :

قالت أرى رجلا في كفه كتف . . . أو يخصف النعل لهفي آية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي السم والسلعا

فاستنزلوا آل جو من مساكنهم . . . وهدموا رافع البنيان فاتضعا

وروى ابن إسحاق :

كوني كمثل التي إن غاب واحدها . . . أهدت له من بعيد نظرة جزعا

ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المسيب بن علس :

لقد نظرت عين إلى الجزع نظرة . . . إلى مثل موج المفعم المتلاطم." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٤ """"""""

إلى حمير إذ وجهوا من بلادهم . . . تضيق بهم لأيا فروج المخارم

وفيها يقول النمر بن تولب :

وفتاتهم عنز غداة تبينت . . . من بعد مرأى في الفضاء ومسمع

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. موافق للمطبوع، ٢٦٣/١٥

قالت أرى رجلا يقلب نعله . . . تقليب ذي وصل له ومشسع

ورأت مقدمة الخميس ودونها . . . ركض الجياد إلى الصباح يتبع

ذكر حروب قيس في الجاهلية يوم منعج لغني على عبس

يوم منعج . هو يوم الردهة وفيه قتل شأس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ؛ قتله رياح بن الأشل الغنوي . وذلك أن شأسا اقبل من عند النعمان بن المنذر وقد أجزل حباءه . وكان من حبائه قطيفة حمراء ذات هدب وطيب ؛ فورد منعجا - وهو ماء لغني - فأناخ راحلته إلى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الأشل ، وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر إليه ، وهو كالثور الأبيض ، فانتزعه رياح بسهم فقتله ، وضم متاعه ونحر ناقته وأكلها وغيب أثره . وفقد شأس بن زهير ، حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد باعتها امرأة رياح ، فعلموا أن رياحا صاحب ثأرهم ، فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا قودا أو دية ، مع الحصين بن زهير ابن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح : انج ، لعلنا نصالح القوم على شيء أو نرضيهم بدية . فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب ، وهما بظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم ؛ فمر صرد على رءوسهما فصرصر ، فما راعهما إلا خيل بني عبس ، فقال الكلابي لرياح : انحدر من خلفي والتمس نفقا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٦٥ """""""""

في الأرض فإني شاغل القوم عنك ، فانحدر رياح من عجز الجمل حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب وولج فيه ، ومضى صاحبه ، فسألوه فقال : هذه غني جامعة ، وقد استمكنتم منهم ، فصدقوه وخلوا سبيله ، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا : من الذي كان خلفك ؟ فقال : لا كذب رياح بن الأشل ، وهو في أولئك الصعدات . فقال الحينان لمن معهما : قد مكننا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا فيه أحد ، فوقفوا عنهما ، ومضيا فجعلا يريغان رياحا بين الصعدات ، فقال لهما : هذا غزالكما الذي تربغانه ، فابتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده ، فطعنه الآخر فأخطأه ، ومرت به الفرس ، فاستدبره رياح بسهم فقتله قم أتى قومه . ففي ذلك يقول الكميت بن زيد الأسدي ، وكانت له أمان من غني :

أنا ابن غني والداي كلاهما . . . لامين منهم في الفروع وفي الأصل

هم استودعوا زهر نسيب بن سالم . . . وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٦٤/١٥

وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا . . . أباه زهيرا بالمذلة والثكل

يوم النفراوات لبني عامر على بني عبس

فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . وكانت هوازن تؤدي إليه إتاوة ، فأتته عجوز رهيش من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي ، وشكت سنين تتابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها بقوس في يده عطل في صدرها ، فاستقلت على قفاها منكشفة ، فتألى خالد بن جعفر وقال : والله." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٩ """""""""

يوم النتاءة لعبس على بن عامر

يقال : خرجت بنو عامر تريد أن تدرك **بثأرها** يوم الرقم ، فهجموا على عبس بالنتاءة وقد أنذروا بهم ، فالتقوا ، وكان على بني عامر : عامر بن الطفيل ، وعلى بني عبس . الربيع بن زياد ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر ، وقتل منهم هزار بن مرة ، قتله الأحنف بن مالك ، ونهشل بن عبيدة بن جعفر ، قتله أبو زغبة ابن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد ، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة .

يوم شواحط لبني محارب على بني عامر

غزت سرية من بني عامر بن صعصعة بلاد غسان ، فأغاروا على بابل لبني محارب بن خصفة ، فأدركهم الطلب ، فقتلوا من كلاب تسعة نفر وارتدوا إبلهم فلما رجعوا وثبت بنو كلاب على جسر - وهم من بني محارب ، وكانوا حاربوا إخوتهم ، فخرجوا من عندهم فخالفوا بني عامر بن صعصعة - فقالوا : نقتلهم بقتل بني محارب من قتلوا منا ، فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك وقال :

أيا راكبا إما عرضت فبلغن . . . عقيلا وأبلغ إن لقيت أبا بكر

فيا أخوينا من أبينا وأمنا . . . إليكم لا سبيل إلى جسر

دعوا جانبي إني سأترك جانبا . . . لكم واسعا بين اليمامة والقهر

أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر . . . أبى الذم واختار الوفاء على الغدر

يوم حوزة الأول لسليم على غطفان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥/٢٦٥

قال أبو عبيدة . كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مرة – مرة غطفان – كلام بعكاظ ، فقال معاوي : والله لوددت أني قد سمعت." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٠ """""""""

بظعائن يندبنك ، فقال هاشم : والله لوددت أني قد بريت الرطبة – وهي جمة معاوية ، وكانت الدهر تنظف ماء ودهنا وإن لم تدهن – فلما كان بعد حين تهيأ معاوية ليغزو هاشما ، فنهاه أخوه صخر ، فأبى وغزاهم يوم حوزة ، فرآه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية ، وكان هاشم ناقها من مرض أصابه ، فقال لأخيه دريد بن حرملة : إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي ، وأنا حديث عهد بشكية ، فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك ، ففعل ، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم ، فاختلفا طعنتين فأردى معاوية هاشما عن فرسه الشماء ، وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية ، وكر عليه دريد وظنه قد أردى هاشما ، فضرب معاوية بالسيف فقتله ، وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاري فقتله . قال : وغارت الشماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا أنها فرس الفزاري الذي قتله خفاف ، ورجع الجيش ، فلما دنوا من صخر أخي معاوية قال لهم : ما صنع معاوية ؟ قالوا قتل قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا صاحبها قال : إذا قد أدركتم ثأركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام ، فأتى بني مرة ، فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا ، وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية ، فقال : من قتل أخي ؟ فسكتوا ، فقال : لمن هذه الفرس التي تحتي ؟ فسكتوا . فقال هاشم : هلم أبا حسان إلى من يخبرك قال : من قتل أخي ؟ فقال هاشم : إذا أصبتني أو دريدا فقد أصبت ثأرك فقال : هل كفنتموه ؟ قال : نعم ، في بردين : أحدهما بخمس وعشرين بكرة وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كأنكم ما رأيتم من جزعي ، فوالله ما بت منذ عقلت إلا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية ، فما ذقت طعم نوم بعده .

يوم حوزة الثاني

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٧٩/١٥

قال : ثم غزا صخر فلما دنا منهم مضى على الشماء ، وكانت غراء محجلة ، فسود غرتها وتحجيلها ، فلما رأته بنت هاشم قالت لعمها دريد : أين." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٦ """""""

عبس ، أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا ، فالتقوا بالصلعاء فاقتتلوا ، فكان الظفر لهوازن على غطفان ، وقتل دريد ذؤاب بن زيد بن قارب .

ذكر حرب قيس وكنانة يوم الكديد لسليم على كنانة

فيه قتل ربيعة بن مكدم فارس بني كنانة ، وهو من بني فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة ، وهم أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم ، وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره ، وقتلته بنو سليم يوم الكديد ، ولم يحضر يوم اديد أحد من بني الشريد .

يوم فزارة لكنانة على سليم

قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة ورجعوا ، قاموا ما شاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد – واسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سليم قد تؤجوا مالكا وأمروه عليهم – فغزا بني كنانة ، فأغار على بني فراس ببزرة ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جذل ، فدعا عبد الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد ، قال عبد الله ؛ أخوك أسن منك ، يريد مالك ابن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشد عبد الله على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشد عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر ، فتجالدا طعنتين ، فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا .

يوم الفيفاء لسليم على كنانة

قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من كنانة ، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس ، فقتل منهم نفرا ؛ منهم : عاصم بن المعلي ، ونضلة ، والمعارك ، وعمرو ابن." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٨٠/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٨٦/١٥

"""""""""" صفحة رقم ٢٨٧ """"""""

مالك ، وحصن ، وشريح ؛ وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة ، فقال عباس بن مرداس في ذلك :

ألا أبلغن عني ابن جذل وهطه . . . فكيف طلبناكم بكرز ومالك غداة فجعناكم بحصن وبابنه . . . وبابن المعلى عاصم والمعارك

ثمانية منهم ثأرناهم به . . . جميعا وما كانوا بواء بمالك

نذيقكم والموت يبني سرادقاعليكم شبا حد السيوف البواتك

تلوح بأيدينا كما لاح بارق . . . تلألأ في داج من الليل حالك

ذكر حرب قيس وتميم يوم السؤبان لبني عامر على بني تميم

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيس ضبة حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأمه ، فأسره يزيد بن الصعق ، وانهزمت تميم ؛ فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشد على ضرار بن عمرو الضبي ، وهو الرديم ، فقال لابنه : إذا هم أغنه عني ، فشد عليه فطعنه ، فتحول عن سرجه إلى جنب أبدانه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيه : أغنه عني ؛ ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لابن له آخر ، ففعل مثل ذلك ، فقال : ما هذا إلا ملاعب الأسنة فسمى عامر من يومئذ ملاعب الأسنة فلما دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٨ """"""""

يوم قضة

قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر وقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليبا ، وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب ، حتى قتل ابنه بجير بن الحارث بن عباد ، فلما بلغه قتله قال : نعم القتيل أصلح بين ابني وائل ، وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله مفؤا له ، فقيل له : إنما قتله بشسع نعل كليب . وكان المهلهل قال لما قتل بجير بن الحارث : بؤ بشسع نعل كليب ، فلما سمع الحارث ذلك غضب ، وكان له فرس يقال له النعامة ، فركبها وتولى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة فيه على تغلب ، فتفرقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عباد : قوبا مربط النعامة مني . . . لقحت حرب وائل عن حيالي

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥/٢٨٧

قربا مربط النعامة مني . . . شاب رأسي وأنكرتني رجالي

لم أكن من جناتها علم الل . . . ه وإني بحرها اليوم صا ل

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كرر فيها : قربا مربط النعامة مني في خمسين بيتا وكان أول يوم شهده الحارث يوم قضة ، وهو يوم تحلاق اللمم ، وفيه يقول طرفة :

سائلوا عنا الذي يعرفنا . . . بقوانا يوم تحلاق اللمم

يوم تبدي البيض عن أسوقها . . . وتلف الخيل أعراج النعم

يوم تحلاق اللمم

ويوم تحلاق اللمم ، إنما سمي بذلك لأن الحارث بن عباد لما تولى الحرب قال لقومه : احملوا معكم نساءكم يكن من ورائكم ، فإذا وجدن جريحا منهم قتلوه ، وإذا وجدن جريحا منا سقينه وأطعمنه ، فقالوا : ومن أين يتميز لهن ؟ فقال : احلقوا رءوسكم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١٤ """""""""

قال أبوعبيدة : انتهى عصمة بن أبير إلى مصاد فوجده صريعا ، وكان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا في يديه ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فاقتص أثره فلحقه وقال : ويحك إني رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال : ومن أنت ؟ قال : عصمة بن أبير ، فانطلق به عصمة حتى جثاه عند الأهتم على أن جعل له من فدائه جعلا ، فتركه الأهتم عند امرأته العبشمية ، فأعجبها جماله وكمال خلقته ، وكان عصمة الذي أسره غلاما نحيفا ، فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم ، فضحكت وقالت : قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا ، ففي ذلك يقول عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية . . . كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب إلىالاهتم وقالت : ثأرنا عندك ، وقد قتل مصاد والنعمان فأخرجه إلينا ، فأبى الأهتم أن يخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيين : الرباب وسعد ، فتنة حتى أقبل قيس بن عاصم المنقري فقال : أيؤتى قطع حلف الرباب من قبلنا ؟ فضرب فاه بقوس فهتمه ، فسمى الأهتم ، فقال الأهتم : إنما دفعه إلى عصمة ابن أبير ، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلي ، فليجئ فيأخذه ، فأتوا عصمة فقالوا : يا عصمة ، قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد ، وثأرنا أسيرك ، فما كان ينبغي لك أن تستحييه فقال : إني ممعل وقد أصبت الغني

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٠٨/١٥

، ولا تطيب نفسي على أسيري ، فاشتراه بنو جساس بمائة بعير ، فدفعه إليهم ، فخشوا أن يهجرهم ، فشدوا على لسانه تسعة ، فقال : إنكم قاتلي لا محالة ، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي فقالوا : إنك شاعر ونخاف أن تهجونا ، فعقد لهم ألا يفعل ، فأطلقوا لسانه ، فقال قصيدته التي أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا . . . فما لكما في اللوم خير ولا ليا

ومنها : أقول وقد شدوا لساني بنسعة . . . أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجعوا . . . فإن أسارى لم يكن من توانيا

وقد علمت عرسي مليكه أنني . . . أنا الليث معديا عليه وعاديا." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٨ """""""

قال حسان : فسمعته يقول : هذا كوكب أحمر قد طلع ، وهو كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد ، قال حسان : فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما أتي به ، قال : وكا أبو قيس أحد بني عدي بن النجار قد ترهب ولبس المسوح ، فقيل له يا أبا قيس انظر ما قال هذا اليهود قال : صدق وا انتظار أحمد هو الذي صنع به ما صنع ، ولعلي ان أدركه فأومن به ، فلما بلغه ظهور النبي (صلى الله عليه وسلم) بمكة آمن به ، وقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة وقد نالت السن من أبي قيس .

وقد أشرنا إلى خبر حسا هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . والأخبار في هذا الباب كثيرة ، فلا نطول بسردها . وأما من بشر به صلى الله عليه بعد مولده في حال طفوليته وحداثة سنه .

فمن ذلك خبر سيف بن ذي يزن ، وقصته مع عبد المطلب ؛ وكا من خبره ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بدلائل النبوة قال : أخبرنا أبو سهل محمد بن نصرويه بن أحمد المروزي بنيسابور ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري ، قال : حدثنا أبو يزن الحميري إبراهيم ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن ، قال : حدثني عمي أحمد بن حبيش بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي عفير ، قال : حدثني أبي زرعة بن سيف بن ذي يزن ، قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسنتين أتته وفود العرب وأشارفها وشعراؤها لتهنئته ، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، وأتاه وفد قريش ، منهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله ابن جذعان ، وأسد بن عبد العزى ، ووهب

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣١٤/١٥

بن عبد مناف ، وقصي بن عبد الدار ، فدخل عيلان ذنه وهو في قصر يقال له عمدان ، والملك مضمخ بالعبير ، وعليه بردا أخضران ، مرتد بأحدهما متزز بالآخر ، سيفه بين يديه ، وعن يمينه وشماله الملوك ، فأخبر بمكانهم فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فدتا منه عبد المطلب فاستأذنه في الكلام ، فقال : اكنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال : الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٨ """""""""

ليهود بني عوف ، وا ليهود بن الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وا ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وا ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وا ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وا ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بن عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وا جفنة بطن من بني ثعلبة كانفسهم ، وا بطانة يهود كانفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وانه لا ينحجز على ثأر جرح ، وانه من قتل فبنفسه فتك ، وأهل بيته إلا من ظلم ، وا الله على أبر هذا وا على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وا بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وا بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وا النصر المظلوم ، وا اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وا يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وا الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فا مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وا الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وانه لاتجار قريش ولا من نصرها وا بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وا يهود الأوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة - ويقال مع البر المحسن - وا البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وا الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وانه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وا الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله . وا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وا يهود الأوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة - ويقال مع البر المحسن - وا البر

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٩٨/١٦

دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وا الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وانه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وا الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله .

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما انزل فيهم من القران

وقد رأيت ان أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين ، وأضم بعضه إلى بعض ، وأورده جملة واحدة ، فا ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة بعينها بل أورده أهل السير بحسب ما وقع ، وفرقوه في الغزوات وغيرها فآثرت جمعه في هذا." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ؛ فأتى عتبة بن ربيعه فقال : يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، على عقلة ؛ فأت أبن الحنظلية ، يعنى أبا جهل بن هشام ، قال : فأتيته فقلت : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عتبة بكذا وكذا ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، ثم بعث إلى عامر الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل أخيك . فقام عامر فأكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس ، وأستو سقوا على ماهم عليه من الشر . قال : فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه ، أو أموتن دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمرة فأطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعه ، بين أخيه شيبة بن ربيعه ، وأبنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ، وهم : عوف ومعوذ أبناء الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ؛ قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمه حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٤٨/١٦

أبي طالب ، وعبيد بن الحارث ، فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فسمى كل رجل منهم نفسه ، قالوا : نعم أكفاء كرام ؛ فبارز عبيدة – وكان أسن القوم – عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فأما حمزة وعلى فانهما لم يمهلا مبارزيهما أن قتلاهما ، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٢ """""""

لا أرسلك حتى تحسن في المولى ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دراع ، قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إنى والله آمرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هم لك .

وحكى أيضا قال : كان لنبى قينقاع من عبادة بن الصامت من الخلف مثل الذي لهم من عبد الله بن أبى ، فمشى عبادة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار و ولايتهم . فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبى : " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين " إلى قوله : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لعبادة بن الصامت .

قال محمد بن سعد : وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سلاحهم ثلاث قسى ، منها : الكتوم ، كسرت بأحد ، والروحاء ، والبيضاء ، وأخذ درعين : الصغدية ، وأخرى فضة ؛ وأخذ ثلاثة أسياف : سيف قلعى ، وسيف يقال له : بتار ؛ وسيف آخر ؛ وثلاثة أرماح ، ووجد في حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصياغة ، فأخذ (صلى الله عليه وسلم) صفيه والخمس ، وفض أربعة أخماس على أصحابه ، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة .

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد : خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المدينة لخمس خلون من ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره ، وآستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، وذلك أن أبا سفيان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠/١٧

بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه .

قال ابن إسحاق : نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا (صلى الله عليه وسلم) .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٧ """"""""

فرموه بالحجارة حتى قتلوه ؛ فقبر هناك . وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة ، فأباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيبا حجر بن أبي إهاب التميمي ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث ابن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه . وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ، ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وبعثه مع مولى له يقال له : نسطاس ؛ إلى التنعيم ، فأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ؛ ثم قتله نسطاس .

وأما خبيب بن عدى فروى عن ماوية مولاة حجر بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب قد حبس في بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل ، قالت : وقال لي حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ؛ فأعطيت غلاما من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ؛ قالت : فو الله ما هو إلا أن قد ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ما صنعت أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أمك غدرتى حتى بعثتك بهذه الحديدة ثم خلى سبيله . ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ركعتين . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لا ستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبته ، فلما آوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥٢/١٧

رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ؛ ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه ، رحمة الله ورضى عنه .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٣٢ """""""""

جفاة مكة الهزيمة ، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه في كنانته ، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فو الله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن ؛ وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة : اليوم أدرك ثأرى من محمد – وكان أبوه قتل يوم أحد – اليوم أقتل محمدا . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شئ حتى غشى فؤادى ، فلم أطلق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني . وفي رواية أخرى ، قال شيبة بن عثمان : استدبرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة ، فأطلع الله رسوله على ما في نفسى ، فآلتفت إلى وضرب في صدرى وقال : أعيذك بالله يا شيبة ، فأرعدت فرائصى ، فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعى وبصرى فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما في نفسى .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال : إني لمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آخذ بحكمة بغلته البيضاء وقد شجرتها بها ، وكنت آمرأ جسيما شديد الصوت ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ، فلم أر الناس يلوون على شئ ، فقال : يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرة قال : فأجابوا لبيك لبيك ، قال : فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك ، ويأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله ، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حتى إذا آجتمع إليه منهم مائة آستقبلوا الناس فآقتتلوا ؛ فأشرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ركائبه ، فنظر إلى مجتلد القوم ، فقال : ألان حمى الوطيس .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٥١ """""""""

ولم يتجبرا ، وأخرجا الصدقات واستقبلابها خالد بن الوليد ، فقال خالد : ما حملكما على موادعة هؤلاء

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٧/٩٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٧/٢٣٢

القوم ؟ فقالا : ثأركنا نطلبه في بني ضبة فسار خالد يريد البطاح دون الحزن ، وعليها مالك بن نويرة ، وقد ترددت الأنصار على خالد ، وتخلفت عنه . وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ، إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا ؛ فقال خالد : إن يك عهد إليكم هذا ، فقد عهد إلي أن أمضى ، وأنا الأمير ، وإلي تنتهي الأخبار ، ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها ، وكذا لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ثم نعمل به ، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا ، وأنا قاصد له ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ، ولست أكرهكم .

ومضى خالد ، وندمت الأنصار وتذامروا ، وقالوا : إن أصاب القوم خيرا ، إنه لخير حرمتوه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس ، فاجمعوا اللحاق بخالد ، وجردوا إليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لحقوا به ، ثم سار ح . تى لحق البطاح ، فلم يجدوا به أحدا . ووجد مالك بن نويرة قذفرقهم في أموالهم ، ونهاهم عن الاجتماع حين تردد عليه أمره ، وقال : يا بني يربوع ، إنا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الأمر فوجدت الأمر لا يتأنى لهم بغير سياسة ، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم ، فتفرقوا إلى دياركم ، وادخلوا في هذا الأمر . فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم .

وخرج مالك بن نويرة حتى رجع إلى منزله . فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وامرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكل من لم يجب ، وإن امتنع أن يقتلوه . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، من عاصم وعبيد ، وعرين وجعفر ، فاختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة – وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا – فلما اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلت تزداد بردا ، فامر خالد مناديا فنادى : أدفئوا أسراكم . وكانت في لغة كنانة إذا قالوا : دثروا الرجل فأدفئوه ، كان دفؤه قتله ، فظن القوم – وهي لغتهم القتل – أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكا ، وسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فرغ منهم فقال : إذا أراد الله أمرا أصابه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٥ """""""

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عكرمة : يا بن أم عكرمة ؛ لا أرينك ولا تراني على حالها ، ولا ترجع فتوهن الناس ، امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة ، فقاتل معهما أهل عمان ومهرة ، وإن شغلا فامض

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥١/١٩

أنت ، ثم يسير ويسير جندك ؛ تستبرئون من مررتم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت .

وكتب إلى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب إليه قبل ان يوجه خالد بن الوليد بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالد ثم فرغتم – إن شاء الله – فالحق بقضاعة حتى تكون ا ، ت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف .

فلما قدم خالد على أبي بكر الصديق رضي الله عنه من البطاح رضي عنه ، وقبل عذره كما ذكرنا ، ووجهه إلى مسيلمة ، وأوعب معه الناس ، وجعل على كل قبيلة رجلا ، وجعل على المهاجرين أبا حذيفة بن عتبة ، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس ، وتعجل خالد حتى قدم عل أهل العسكر بالبطاح ، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة ، وبنو حنيفة يومئذ تزيد عدتهم على أربعين ألف مقاتل . وعجل شرحبيل بن حسنة ، وبادر بالقتال قبل وصول خالد كما فعل عكرمة ، فنكب كما نكب ، فلما قدم خالد لأمه ، وسار خالد حتى إذا أطل على بني حنيفة أسند خيولا لعقة والهذيل وزياد ، وقد كانوا أقاموا على خرج أخرجه لهم مسيملة ليلحقوا به سجاح ، وإنما أسند خالد تلك الخيول مخافةن أن ياتوه من خلفه ، وأمد أبو بكر رضي الله عنه خالدا بسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري القرشي ليكون ردءا له من أن يأتيه أحد من خلفه ؛ فخرج .

فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرقوا فهربوا ، فكان منهم قريبا لهم ، وأما مسيلمة فإنه لما بلغه دنو خالد بن الوليد منه عسكر بعقرباء ، واستنفر الناس ، فجعل الناس يخرجون إليه ، وخرج مج اعة بن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامى – وكان رئيسا من رؤساء بني حنيفة – في سرية يطلب بثأر له في بني عامر وبني تميم ، فلما كان خالد من عسكر مسيلمة على ليلة ، إذا مجاعة." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٥٦ """""""

وأصحابه وقد غلبهم الكرى – وكانوا راجعين من بلاد بني عامر – فعرسوا دون ثنية اليمامة ، فوجدوهم نياما وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم ، ولا يشعرون بقرب الجيش منهم ، فانبهوهم ، وقالوا : من أنتم ؟ قالو : مجاعة ، وهذه حنيفة ، فأوثقوهم ، وأقاموا إلى أن جاءهم خالد فأتوه بهم ، فظن أنهم جاءوه ليستقبلوه ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ قالوا ما شعرنا بك ، إنما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بني عامر وتميم ، فأمر بهم

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥٥/١٩

أن يقتلوا ، فقالوا : إن كنت تريد بأهل اليمامة غدا خيرا أو شرا فاستبق هذا ، ولا تقتله – يريدون مجاعة – فقتلهم كلهم دونه ، وكانوا ثلاثة وعشرين راكبا – وقيل : أربعين . وقيل : ستين – وصبر مجاعة ، وسار اليمامة ، فخرج مسيلمة وبنو حنيفة ، فنزلوا بعقرباء ، وهي طرف اليمامة ؛ دون الأموال ، وريف اليمامة وراء ظهورهم .

وقال شرحبيل بن مسيلمة : يا بني حنيفة ، اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستردف النساء سبيات ، وينكحن غير حظيات ، فقاتلوا عن احسابكم ، وامنعوا نساءكم .

فالتقوا بعقرباء واقتتلوا ، وكانت راية المهاجرين يومئذ مع سالم مولى أبي حذيفة . وقيل : بل كانت مع زيد بن الخطاب ، فلما قتل أخذها سالم ، فقالوا له : تخشى علينا من نفسك شيئا ؟ فقال : بئس حامل القرآن إنا إذا وكانت راية الأنصار مع ثابت ابن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها ، وسجاعة في الأسر مع أم تميم زوجة خالد في فسطاطها ، واقتتل الناس أشد قتال ، ولم يلق المسلمون حربا مثلها ، فانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى خالد ، فزال عن الفسطاط ، ووصلوا إليه وقطعوه ، ودخل أناس من بني حنيفة على أم تميم ، فأرادوا قتلها ، فمنعها مجاعة . وقال : أنا لها جار ، فنعمت الحرة فدفعهم عنها .

ثم أن المسلمين تداعوا ؛ فقال ثابت بن قيس : بئسما دعوتم أنفسكم إليه يا معشر المسلمين ، اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء – يعني أهل اليمامة – وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء – يعني المسلمين – ثم قاتل حتى قتل ، قطعت رجله فرمى بها قاتله فقتله .

وله رضى الله عنه خبر عجيب نذكره إن شاء الله تعالى في آخر هذه الوقعة –." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥ """""""

وأما عمارة فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد ، وكان قد خرج يطلب بثأر عثمان ، فقال له : ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا ، فإن أبيت ضربت عنقك . . . فرجع إلى علي .

وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل ، فقالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد . قالوا امض . فمضى حتى دخل مصر ، فافترق أهل مصر فرقا : فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه ، وفرقة اعتزلت بخربنا ، وقالوا : " إن قتل قتله عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا " ، وفرقة قالت نحن مع علي ما لم يقد من إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة . . . فكتب قيس إلى علي

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥٦/١٩

بذلك .

وأما عثمان بن حنيف فسار حتى دخل البصرة ، ولم يرده أحد ولا وجد لابن عامر في ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب ، وافترق الناس بها : ففرقة دخلت في الجماعة ، وفرقة اتبعت القوم ، وقالت فرقة " ننظر ما يقول أهل المدينة فنصنع ما صنعوا " .

وأما عبيد الله بن عباس فانطلق إلى اليمن ، فخرج يعلى بن منية بعد أن جمع المال – ولحق بمكة ، وأنفق المال في حرب الجمل .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩ """""""

أصلح الله الأمر كان الذي أردنا ، وإلا دفعنا عن هذا الأمر بجهدنا ، حتى يقضي الله ما أراد " . فأجابتهم إلى ذلك . ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم ، فأبى ، وقال : " أنا رجل من أهل المدينة ، أفعل ما يفعلون " . فتركوه . وكان أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) مع عائشة على قصد المدينة ، فلما تغير رأيها إلى البصرة تركن ذلك . وأجابتها حفصة على المسير معها ، فمنعها أخوها عبد الله . وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير ، وجهزهم ابن عامر بمال كثير . ونادى مناديها : " إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب ولا جهاز فليأت " . فحملوا ستمائة على ستمائة بعير ، وساروا في ألف – وقيل في تسعمائة – من لأهل المدينة ومكة ، وتلاحقت بهم الناس ، فكانوا في ثلاثة آلاف رجل . وأعان يعلى بن منية الزبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين من قريش ، وأعطى عائشة جملا ، اسمه " عسكر " ، واشتراه بمائتي دينار ، وقيل : بثمانين دينارا ، وقيل : كان لرجل من عرينة ، فابتيع منه بمهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة درهم .

وخرجت عائشة من مكة ومعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق فبكوا على الإسلام ، فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم ، وكان يسمى " يوم النحيب " . . .

وكتبت أم الفضل بنت الحارث أم عبد الله بن عباس إلى علي بالخبر .

ولما خرجت عائشة من مكة أذن مروان بن الحكم ، ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال : على أيكم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥/٢٠

أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير : على أبي عبد الله يعني أباه . وقال محمد ابن طلحة : على أبي محمد يعني أباه . فأرسلت." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""""

عائشة إلى مروان فقالت : أتريد أن تفرق أمرنا ، ليصل بالناس ابن أختي تعني عبد اله بن الزبير . وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل .

ولما انتهوا إلى ذات عرق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه فقال : أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم ؟ يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم فقالوا نسير فعلنا نقتل قتلة عثمان . . فخلا سعيد ابن العاص بطلحة والزبير ، فقال : اصدقاني إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ قالا نجعله لأحدنا أينا اختاره الناس . قال : بل تجعلونه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم قال : فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني مناف فرجع ، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد فقال المغيرة بن شعبة : " الرأي ما قال سعيد ، من كان ها هنا من ثقيف فليرجع " ، ورج ع . ومضى القوم ، ومعهم ابان والوليد ابنا عثمان ، وكان دليلهم رجلا من عرينة ، وهو الذي ابتيع منه الجمل على أحد الأقوال ، قال العرني : فسرت معهم ، فلا أمر على واد إلا سألوني عنه ، حتى طرقنا الحوأب – وهو ماء – فنبحتنا كلابه فقالوا : أي ماء هذا ؟ قلت : هذا ماء الحوأب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها ، واسترجعت مقالت : إني لهيه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لنسائه : " ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب " ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، وقالت : " ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب " فأناخوا حولها يوما وليلة ، فقال لها عبد الله بن الزبير : " إنه كذب ، وليس هو ماء الحوأب " ولم يزل بها وهي تمتنع حتى قال لها : النجاء النجاء قد أدرككم علي بن أبي طالب . " فارتحلوا نحو البصرة ، فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي فقال : يا أم المؤمنين ، أنشدك الله أن تقدمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحدا ، فعجلي ابن عامر فإن له بها صنائع ، فليذهب إليهم " فأرسلته .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""""

الكبير " قالت عائشة فما تقول أنت قال " إن هذا الأمر دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٠/٢٠

بايعتمونا فعلا خير وتباشير رحمة ودرك بثأر ، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم ، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا وإياكم ، وايم الله إني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا : " قد أصبت وأحسنت ، فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر " .

فرجع إلى علي ، فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضيه .

وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو علي بذي قار ، قبل رجوع القعقاع ، لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أي حال نهضوا إليهم ، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ، ولا يخطر لهم قتالهم على بال .

فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم ، وأدخلوهم على علي فأخبروه بخبرهم .

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة ، ورجع القعقاع من البصرة .

فقام علي رضي الله عنه خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الجاهلية وشقاءها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة والجماعة بالخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا وحسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة التي من الله بها ، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره .

ثم قال : ألا وإني راحل غدا ، فارتحلوا ، ولا يرتحل معنا أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عني أنفسهم . والله أعلم بالصواب .

ذكر اجتماع قتلة عثمان بذي قار وتشاورهم وما اتفقوا عليه من المكيدة التي اقتضت نقض الصلح ووقوع الحرب

قال : ولما قال علي رضي الله عنه مقالته بذي قار ، وأمر أن لا يرتحل معه أحد." (١)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٤/٢٠

""""""""" صفحة رقم ٥٢ """""""

وهو رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عنهم راض .

وآخى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين كعب بن مالك حين آخى بين المهاجرين والأنصار ، وقسم له سهمه وأجره يوم بدر . وقد تقدم خبره في ذلك .

ثم شهد أحدا وما بعدها ، وأبلى يوم أحد بلاء حسنا ، ووقى رسول الله عليه الصلاة والسلام بنفسه ، اتقى عنه النبل بيده حتى شلت إصبعه وضرب في رأسه ، وحمل رسول الله عليه الصلاة والسلام على ظهره حتى صعد الصخرة ، فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه : " اليوم أوجب طلحة يا أبا بكر " .

ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نظر إليه فقال : " من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة " .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله فقال : زعم بعض أهل العلم أن علياً رضي الله عنه دعاه يوم الجمل ، فذكره أشياء من سوابقه وفضله ، فرجع طلحة عن قتاله ، على نحو ما صنع الزبير واعتزل في بعض الصفوف ، فرمى بسهم ، فقطع من رجله عرق النسا ، فلم يزل دمه ينزف حتى مات . ويقال : إن السهم أصاب ثغرة نحره ، وغن الذي رماه مروان بن الحكم وقال : لا أطلب بثأري بعد اليوم . وذلك أن طلحة – فيما زعموا – كان ممن حاصر عثمان واشتد عليه .

قال ابن عبد البر : ولا يختلف العلماء في أن مروان بن الحكم قتل طلحة يومئذ ، واستدل على ذلك بأخبار رواها من قول مروان تدل على أنه قاتله .

قال : وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : والله لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تبارك وتعالى فيهم : ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٦٨ """""""

فقال شبث وزياد بن خفصة جوابا واحدا : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا ينفع ، وأجبنا فيما يعم نفعه . وقال يزيد بن قيس : إنا لم نأت إلا لنبلغك ما أرسلنا به إليك ونؤدي عنك ما سمعنا منك ، ولم ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما تكون به الحجة عليك ، ويرجع إلى الألفة والجماعة ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥٢/٢٠

إن صاحبنا من قد عرف المسلمون فضيله ، ولا يخفى عليك ، فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه ، فإنا والله ما رأينا في الناس رجلا قط أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه " .

فحمد الله معاوية ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فنعما هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ، لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لا نرد عليه ذلك ، فليدفع إلينا قتلة صاحبنا لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال شبث بن ربعي : يا معاوية أيسرك أن تقتل عمارا ؟ قال " وما يمنعني من ذلك ؟ والله لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان " فقال شبث : " والذي لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك " فقال معاوية : " لو كان كذلك لكانت عليك أضيق " . وتفرق القوم .

وبعث معاوية إلى زياد بن خفصة ، فخلا به ، وقال له : " يا أخا ربيعة ، إن عليا قطع أرحامنا ، وقتل إمامنا ، وآوى قتلة صاحبنا ، وإني أسألك النصر عليه بعشيرتك ، ثم لك عهد الله وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت " . فقال زياد : " أما بعد ، فإني على بينة من ربي ، وبما أنعم الله علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين " وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص : ليس نكلم رجلا منهم فيجيب إلى خير ، ما قلوبهم إلا كقلب واحد .

وبعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""

ويقدمها في الموت حتى يزيرها . . . حياض المنايا تقطر الموت والدما

أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا . . . بأسيافنا حتى تولى وأحجما

جز الله قوما صابروا في لقائهم . . . لدى الموت قوما ما أعف وأكرما

وأطيب أخبارا وأكرم شيمة . . . إذا كان أصوات الرجال تغمغما

ربيعة أعني أهل بأس ونجدة . . . إذا ما هموا لاقوا خميسا عرمرما

قال : ومر الأشتر بعلي وهو يقصد الميسرة ، والأشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة ، فقال له علي : إيت

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٦٨/٢٠

هؤلاء القوم فقل لهم " أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم ؟ " . فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين ، فقال لهم ما قال علي ، ثم قال : " أيها الناس أنا الأشتر ، إلي أنا الأشتر ، إلي أنا الأشتر " ، فأقبل إليه بعضهم وذهب البعض ، فنادى : " أيها الناس ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم أخلصوا إلي مذحجا " فأقبلت مذحج إليه ، فقال لهم : " ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتم له في عدوكم ، وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصياح ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران ، ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم ، ولا تطل دماؤهم ، وما تفعلون هذا اليوم فإنه مأثور عنكم بعده ، فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء ، فإن الله مع الصادقين ، والذي نفسي ما من هؤلاء – وأشار إلى أهل الشام – رجل على مثل جناح بعوضة من محمد ، اجلوا سواد وجهي يرجع فيه دمه ، عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه " .

قالوا : تجدنا حيث أحببت . فقصد نحو عظمهم مما يلي الميمنة يزحف إليهم ويردهم .

واستقبله شباب من همدان ، وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ ، وكانوا صبروا في الميمنة حتى أصبب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيسا : كان أولهم." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢٠ """""""

.

وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم ، وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا أقل ما قيل فيه ، وقيل : ثلاثمائة وخمسين سنة ، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام . وفيها استعمل علي رضي الله عنه على الري يزيد بن حجية التيمي تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين ألفا ، فكتب إليه علي يستدعيه ، فحضر فسأله عن المال ، وقال : أين ما غللته من المال ؟ فقال : ما أخذت شيئا ، فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ، فوكل له سعدا مولاه فهرب منه يريد الشام ، فسوغه معاوية المال ، فكان ينال من علي ، وبقي بالشام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية ، فسار معه إلى العراق فولاه الري . وقيل : إنه شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان ، ثم ولاه بعد ذلك الري وهو الصحيح .

سنة سبع وثلاثين

فيها بعث علي رضي الله عنه جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان بعد عودته من صفين ، فانتهى إلى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٧٧/٢٠

نيسابور ، وقد كفروا وامتنعوا فرجع إلى علي ، فبعث خليد بن قرة اليربوعي ، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو .

سنة ثمان وثلاثين

في هذه السنة ملك عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر على ما نذكر ذلك عن شاء الله تعالى في أخبار معاوية .

ذكر خبر عبد الله بن الحضرمي حين بعثه معاوية إلى البصرة وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر بعث معاوية عبد الله ابن عمرو الحضرمي إلى البصرة ، وقال له : إن جل أهلها يرون رأينا في عثمان ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بثأرهم ودم إمامهم ، فانزل في مصر وتودد للأزد فإنهم كلهم معك ، وادع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم ، لأنهم ترابية كلهم وأحذرهم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٠ """""""

وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يف له به أيضا . فأما خراج دار بجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا : هو فيئنا ، لا نعطيه أحدا . وقيل : كان منعهم بأمر معاوية أيضا .

وقيل : إن معاوية أجرى على الحسن رضي الله عنه بعد ذلك في كل سنة ألف ألف درهم .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل : في شهر ربيع الآخر . وقيل : في جمادى الأولى في النصف منه .

وقيل : إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية ؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : " إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع ، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أما دنياكم ، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيل بصفين تبكون له ، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره ، وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي فثائر ، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه ، فإذا أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف ، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا . "

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠/١٢٠

فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ، فأمضى الصلح . فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال : " أيها الناس ، إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن أهل بيت نبيكم عليه الصلاة والسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه ، وأرسل إلى معاوية وسلم إليه الأمر .

فكانت خلافة الحسن على قول من يقول " سلم الأمر في ربيع الأول " خمسة أشهر ونصف شهر ، وعلى قول من يقول " في ربيع الآخر " ستة أشهر وأياما ، وعلى قول من يقول " في جمادى الأولى " سبعة أشهر وأيام١ .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله أن الحسن رضي الله عنه لما قتل أبوه بايعه أكثر من أربعين ألفا ، كلهم قد كانوا بايعوا أباه عليا قبل موته على الموت ، ثم خرج لقتال معاوية وخرج معاوية لقتاله ، فلما تراءى الجمعان - وذلك بموضع يقال له." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٧ """""""

وقام في الناس خطيبا فقال : " ألا إن مصر قد افتتحتها الفجرة أولو الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله ، وبغوا الإسلام عوجا ، ألا وإن محمد بن أبي بكر استشهد ، فعند الله نحتسبه ، أما والله إنه كان - ما علمت - لمن ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويبغض شكل الفاجر ، ويحب هدي المؤمن ، والله لا ألوم نفسي على تقصير ، وإني بمقاساة الحرب لجد خبير ، وإني لأقدم على الأمر ، وأعرف وجه الحزم ، وأقوم فيكم بالرأي المصيب ، وأستصرخكم معلنا ، وأناديكم نداء المستغيث ، فلا تسمعون لي قولا ، ولا تطيعون لي أمرا ، حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ، ولا تنقص بكم الأوتار ، ودعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع مخمسين ليلة ، فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلي منكم جنيد متثائب ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، فأف لكم " . ثم نزل رضي الله عنه .

ذكر سرايا معاوية إلى بلاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لما كان من أسر الحكمين ما ذكرنا ، وملك معاوية مصر ، استشرفت نفسه إلى غير ذلك ، فلما كان في سنة تسع وثلاثين بث سراياه في أطراف بلاد علي رضي الله عنه .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤٠/٢٠

فبعث النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل ، وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ، ولم يبق." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٨ """""""""

سنة ست وأربعين

ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام ومالوا إليه لغنائه بالروم ولآثار أبيه ، فخافه معاوية ، فأمر ابن أثال النصراني أن يحتال في قتله ، ضمن له أن ويضع عنه خراجه مال عاش ، ويوليه خراج حمص .

فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه ، فشربها ، فمات بحمص ، فوفى له معاوية .

ثم قدم خالد بن عبد الرحمن المدينة ، فجلس يوما إلى عروة بن الزبير فقال له عروة : ما فعل ابن أثال ؛ فقام من عنده وسار إلى حمص فقتل ابن أثال ، فحمل إلى معاوية فحبسه أياما وغرمه ديته ، ورجع إلى المدينة فأتى عروة فقال له ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيتكه ولكن ما فعل ابن جرموز ؟ يعني قاتل الزبير فسكت عروة .

وقد روى في خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال : " يا أهل الشام ، إني قد كبرت سني وقرب أجلي ، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاما لكم ، وإنما أنا رجل منكم ، فارتؤا رأيكم " . فأصفقوا واجتمعوا . وقالوا : رضينا عبد الرحمن بن خالد . فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه ، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيبا عنده مكينا أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات . ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفيا ، هو وغلام له ، فرصدا ذلك اليهودي ، فخرج ليلا من عند معاوية ، ومعه قوم ، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر .

وقد قيل إن الذي قتل ابن أثال أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد ، وأن عروة بن الزبير ، كان يعيره بترك

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٥٧/٢٠

الطلب بثأر عمه ، فخرج خالد ونافع ملاه من المدينة حتى أتيا دمشق ، فرصد الطبيب ليلا عند مسجد دمشق ، وكان يسهر عند معاوية ، فلما." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩٩ """""""

انتهى إليهما ومعه قوم من حشم معاوية حملا عليه ، فانفرجوا ، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله ، ثم انصرف إلى المدينة ، وقال لعروة بن الزبير :

قضى لابن سيف الله بالحق سيفه . . . وعري من حمل الذحول رواحل

سل ابن أثال هل ثأرت ابن خالد ؟ . . . فهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله ؟

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان .

سنة سبع وأربعين

في هذه السنة عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، واستعمل عليها معاوية ابن حديج وكان عثمانيا ، فمر به عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال : " يا معاوية ، قد أخذت جزاءك من معاوية ، قد قتلت أخي محمدا لتلي مصر فقد وليتها " . فقال : ما قتلت محمدا إلا بما صنع بعثمان ، فقال عبد الرحمن : فلو كنت إنما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع ، حيث عمل عمرو بالأشعري ما عمل ، فوثبت أول الناس فبايعته .

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان ، وقيل عنبسة ابن أبي سفيان .

سنة ثمان وأربعين

في هذه السنة استعمل زياد غالب ابن فضال الليثي على خراسان وكانت له صحبة . وحج بالناس مروان بن الحكم وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه ، وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له .

سنة تسع وأربعين

في هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة ، في شهر ربيع الأول ،." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٩ """""""

فلما نزل بزرود أتاه خبر بقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ، فاسترجع مرارا ، فقال له عبد الله بن سليم

---

(١) نهاية ا لأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩٨/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٩٩/٢٠

والمذري بن المشمعل الأسديان ، وكانا قد لحقاه حين قضيا حجهما : " ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل نتخوف أن يكونوا عليك " فوثب بنوا عقيل فقالوا لا : والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا . فقال الحسين رضي الله عنه : لا خير في العيش بعد هؤلاء . فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . فانتظر الحسين حتى إذا كان السحر لفتيانه وغلمانه : أكثروا من الماء . فاستقوا فأكثروا ، ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة .

وقيل : كان الحسين لا يمر بماء إلا اتبعه أهل ذلك الماء ، حتى إلى زبالة فأتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر ، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق ، وهو لا يدري أنه أصيب فأخذه الحصين بالقادسية ، فبعث به إلى زياد فقال له : اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي ، فصعد فلما أشرف على الناس قال : " أيها الناس ، إني رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليكم ، لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدعي " فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق ، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ، فلما عيب عليه ذلك قال : إنما أردت أن أريحه .

فلما بلغ الحسين الخبر قال لأصحابه : من أحب منكم الإنصراف فلينصرف غير حرج ، ليس عليه منا ذمام ، فتفرق الناس عنه حتى بقي في أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة .

قال : وإنما فعل ذلك لأنه علم أن الأعراب ظنت أنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله ، فأراد أن يعلموا علام يقدمون . قال ثم ارتحل الحسين وسار حتى مر ببطن العقبة فنزل بها ، فأتاه بعض." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠١ """"""""

الأفضل – إلى القاهرة ، فكان وصوله إليها في يوم الأحد ، ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان قد سير أحد الأستاذين الخواص لتلقيه إلى مدينة تنيس ، فوصل في عشارى من عشاريات الخدمة ، ودخل فيه إلى خليج القاهرة ، وأدخل من باب البستان المعروف بالكافوري ، في ليلة الاثنين التاسع من الشهر ، وسلك به إلى القصر الغربي إلى أن وصل إلى القصر الشرقي ، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن حدث من عباس وابنه ما حدث ، من قبل الظافر وإخوته وابن أخيه ، على ما نذكر إن شاء الله في كتابنا هذا ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٥٩/٢٠

فلما نهض الصالح بن زريك في الطلب بثأرهم ، وولي الوزارة ، لم يقدم شيئا على الشروع في بناء المشهد بالقصر ، في الموضع المعروف بقبة الخراج من دهاليز باب الديلم وكمل المشهد ، فلما كان في ليلة يسفر صباحها عن تاسع المحرم خمس وخمسين وخمسمائة ، خرج ابن رزيك من داره راجلا إلى الإيوان ، فأخرج الرأس فحمله خاشعا مستكينا إلى أن أحله بالضريح ، ومدحه الشعراء ، فمن ذلك قول أحدهم :

أدركت من عباس ثأرا دونه . . . ما أدرك السفاح من مروان

وحقرت ما فخر بن ذي يزن به . . . لما أقر الملك في غمدان

وجمعت أشلاء الحسين وقد غدت . . . بددا فأضحت في أعز مكان

وعرفت للعضو الشريف محله . . . وجليل موضعه من الرحمن

أكرمت مثواه لديك وقبل في . . . آل الطريد غدا بدار هوان

وقضيت حق المصطفى في حمله . . . وحظيت من ذي العرش بالرضوان

ونصبته للمسلمين تزوره . . . مهج إليه شديدة الهيمان

أسكنته في خير مأوى خطه . . . أبناؤه في سالف الأزمان ولو استطعت جعلت قلبك لحده . . . في موضع التوحيد والإيمان

حرم تلوذ به الجناة فتنثني . . . محبوة بالعفو والغفران

قد كان مغتربا زمانا قبل ذا . . . فالآن عدت به إلى الأوطان

وأما من قال : إنه بالمدينة ، فيقول : إنه لما نصب بدمشق وطيف به ، أمر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٢ """"""""

فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن ابنة نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله ، وأعذر إلينا فسألنا نصره عودا وبدءا ، وعلانية وسرا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جدلنا عنه بألستنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا ، فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا ، وقد قتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن ، أيها القوم ، ولوا عليكم رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه ، وراية تحفون بها .

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٠١/٢٠

فقام رفاعة بن شداد فقال : أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول ، وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموع منك مستجاب إلى قولك ، وقلت : ولوا أمركم رجلا تفزعون إليه وتحفون برايته ، وقد رأينا مثل الذي رأيت ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا مستنصحا وفي جماعتنا محبا ، وإن رأيت ورأى ذلك أصحابنا ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه .

وتكلم عبد الله بن وأل وعبد الله بن سعد بنحو ذلك ، وأثنيا على سليمان والمسيب ، فقال المسيب : قد أصبتم فولوا أمركم سليمان بن صرد .

فتكلم سليمان بن صرد بكلام كثير حضهم فيه على القيام وطلب ثأر الحسين وقتل قتلته أو القتل دون ذلك .

وكتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم هو ومن معه من الشيعة بالمدائن ، فقرأ سعد الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك .

وكتب سليمان أيضا إلى المثنى فأجابه : إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ، ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت .

قال وكان أول ما ابتدءوا به أمرهم بعد قتل الحسين في سنة إحدى وستين ، فما زالوا في جمع آلة الحرب ودعاء الناس ، في السر إلى أن هلك يزيد بن معاوية في سنة أربع وستين ، فجاء إلى سليمان أصحابه فقالوا : قد مات هذا الطاغية ، والأمر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٣ """"""""

ضعيف ، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث – وكان خليفة ابن زياد على الكوفة – ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ثم ندعو الناس إلى أهل هذا البيت . فقال لهم سليمان : لا تعجلوا ، إني قد نظرت فيما ذكرتم ، فرأيت قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب ، ومتى علموا ذلك كانوا أشد عليكم ، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزرا لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا إلى أمركم . ففعلوا فاستجاب لهم ناس كثير . ثم إن أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير ، فلما مضت ستة أشهر من وفاة يزيد قدم المختار بن أبي عبيد إلى الكوفة في النصف من

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٣٢/٢٠

شهر رمضان ، وقدم عبد الله بن زيد الخطمي الأنصاري أميرا على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير لثمان خلون من شهر رمضان ، وقدم إبراهيم بن محمد بن طلحة معه على الخراج .

فأخذ المختار بن أبي عبيد يدعو الناس إلى قتال قتلة حسين ويقول : جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية وزيرا أمينا ، فرجع إليه طائفة من الشيعة ، وكان يقول : إنما يريد سليمان أن يخرج فيقتل نفسه ومن معه ، وليس له خبرة بالحرب .

وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد أن سليمان يريد الخروج بالكوفة عليه ، وأشير عليه بحبسه ، وخوف عاقبة أمره إن تركه ، فقال عبد الله إن هم قاتلونا قاتلناهم ، وإن تركونا لا نطلبهم ، إن هؤلاء القوم يطلبون قتلة الحسين ، ولست ممن قتله ، لعن الله قاتله ، ثم صعد إلى المنبر فقال بلغني أن طائفة منكم أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عنهم فقيل إنهم يطلبون بدم الحسين ، فرحم الله هؤلاء القوم ، فقد والله دللت على مكانهم ، وأمرت بأخذهم ، فأبيت ، وقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وعلام يقاتلوني ؟ فوالله ما أنا قتلت حسينا ، ولقد والله أصبت بمقتله رحمة الله عليه ، وإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ظاهرين ، وليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم – يعني عبيد الله بن زياد – فأنا لهم ظهير ، هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأمثالكم ، فقد توجه إليكم وقد فارقوه على ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضا ، فيلقاكم عدوكم وقد رققتم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥ """""""

فبايعه إسماعيل بن كثير وأخوه ، وعبيدة بن عمرو ، وكانوا أول من أجابه ، وبعث إلى الشيعة وقد اجتمعوا عند ابن صرد ، وقال لهم نحو ذلك ، وقال : إن سليمان ليس له تجربة بالحرب ولا بالأمور ، إنما يريد أن يخرجكم وفيقتلكم ويقتل نفسه ، وأنا أعمل على مثال مثل لي ، وأمر بين لي ، فيه عز وليكم ، وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا قولي ، وأطيعوا أمري ، ثم ابشروا .

فمازال بهذا ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة ، فكانوا يختلفون إليه ويعظمونه ، وأكثر الشيعة مع ابن صرد ، وهو أثقل خلق الله على المختار .

فلما خرج سليمان بن صرد على ما قدمناه قال عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي ، ويزيد بن الحارث بن رويم لعبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة : إن المختار أشد عليكم من سليمان ، إن سليمان إنما خرج

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٣٣/٢٠

يريد قتال عدوكم ، والمختار يريد أن يثب عليكم في مصركم ، فأتوه ، وأخذوه بغتة ، وحملوه إلى السجن ، فكان يقول في السجن : أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامة ، والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كل جبار ، بكل لدن خطار ، ومهند بتار ، وجموع الأنصار ، وليسوا بميل أغمار ، ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، ورأبت شعب صدع المسلمين ، وشفيت غليل المؤمنين ، وأدركت بثأر النبيين ، لم يكبر على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا أتى .

و قيل في خروج المختار إلى الكوفة غير ما تقدم ، وهو أنه قال لعبد الله بن الزبير وهو عنده : إني لأعلم قوما لو أن لهم رجلا له علم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا يقاتل بهم أهل الشام . قال : من هؤلاء ؟ قال : شيعة علي " رضي الله عنه " بالكوفة ، قال : فكن أنت ذلك الرجل ؛ فبعثه إلى الكوفة ، فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى ألفه الناس وأحبوه ، فنقلوه إلى وسط الكوفة ، وأتاه منهم بشر كثير " والله أعلم "

ذكر وثوب المختار بالكوفة

كان وثوب المختار بالكوفة في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة " ٦٦ هـ " ست وستين ، وكان سبب ذلك أنه لما قتل سليمان بن صرد قدم من بقي من أصحابه إلى الكوفة ، وكان المختار محبوسا كما ذكرنا ، فكتب إليهم من السجن يثني عليهم ، ويمنيهم." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦ """"""""

الظفر ، ويعرفهم أن محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أمره بطلب الثأر ، فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدي ، وسعد بن حذيفة بن اليمان ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط ، وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل . فلما قرؤوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون : إننا بحيث يسرك ، فأن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا ، فقال : إني أخرج في أيامي هذه . وكان المختار قد أرسل إلى عبد الله ابن عمر يقول : إني حبست مظلوما ، وطلب " منه " أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة .

فكتب ابن عمر إليهما في أمره ، فشفعاه فيه ، وأخرجاه من السجن ، وحلفاه أن لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما مادام لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ، ومماليكه أحرار .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢١/٥

فلما خرج نزل بداره ، وقال لمن يثق به : قاتلهم الله ، ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم ، أما حلفي بالله فإنني إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها أكفر عن يميني ، وخروجي عليهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي البدن ، وعتق الممليك ، فهو أهون علي من بصقة ، ووددت أني تم لي أمي ، ولا أملك بعده مملوكا أبدا .

ثم اختلفت إليه الشيعة ، واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ، حتى عزل عبد الله بن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد ، واستعمل عبد الله بن مطيع عل عملهما بالكوفة .

و قدم ابن مطيع الكوفة لخمس بقين من شهر رمضان سنة " ٦٥ هـ " خمس وستين ، ولما قدم صعد النبر ، فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فيئكم وألا أحمل فضلة عنكم إلا برضا منكم ، وأن أتبع فيكم وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وسيرة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، فاتقوا الله و استقيموا ، ولا تختلفوا علي ، وخذوا على أيدي سفهائكم ، فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم . فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : أما حمل فينا برضانا فإنا نشهد ألا نرضى أن تحمل عنا فضلة وألا تقسم إلا فينا ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦ """"""""

ومالك بن المنذر على عبد القيس ، والأحنف بن قيس على تميم ، وزياد بن عمرو العتكي على الأزد ، وقيس بن الهيثم على أهل العالية ، وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فندبهم إلى الخروج مع الأحمر بن شميط ، ودعا رءوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع ابن شميط ، فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري ، فوصلوا إلى المذار ، وأقبل مصعب فعسكر بالقرب منه ، وعبأ كل واحد منهما جنده ، فتقدم عباد بن الحصين إلى أحمر وأصحابه ، وقال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، فقال الآخرون : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار ، وأن نجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فرجع عباد وأخبر مصعبا ، فقال : ارجع فأحمل عليهم ، فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه ، وحمل المهلب على ابن كامل حملة بعد أخرى ، فهزمهم ، وثبت ابن كامل ساعة في رجال من همدان ، ثم انصرف ، وحمل الناس جميعا على ابن شميط ، فقاتل حتى قتل ، وانهزم أصحابه ، وبعث مصعب عبادا على الخيل ، وقال له : أيما أسير أخذته فأضرب عنقه ، وسرح محمد بن الأشعث في

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٦/٢١

خيل عظيمة من أهل الكوفة ، وقال : دونكم ثأركم فكانوا " حيث انهزموا " أشد على المنهزمين من أهل البصرة ، فلم يدركوا منهزما إلا قتلوه ، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل .

ثم أقبل مصعب حتى قطع من تلقاء واسط ، " القصب " ، ولم تكن " واسط " قد بنيت بعد ، فأخذ في كسكر ، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن ، فأخذوا في نهر خرشاذ ، ثم خرجوا إلى نهر قوسان ، ثم خرجوا إلى نهر الفرات ، وأتى المختار خبر الهزيمة والقتلى ، فقال : ما من الموت بد ، وما من ميتة أموتها أحب إلي من أن أموت مثل ابن شميط . و لما بلغه أن مصعب قد أقبل إليه في البر والبحر سار حتى نزل السيلحين ، ونظر إلى مجتمع الأنهار ، نهر الخريدة ، ونهر السيلحين ، ونهر القاددسية ، ونهر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٨ """""""

أمامكم ، وإن شئتم كنت خلفكم ، فأبوا عليه ، فقال سأريكم ؛ ثم خرج هو ورقبة بن الحر وغلام تركي وابن ظهير ، فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم ، فمضوا . فأما زهير فرجع إلى من بالقصر ونجا أصحابه ، فقال زهير لمن بالقصر : قد رأيتم ، أطيعوني ، فقالوا : إنا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة ، فقال : والله لا أكون أعجزكم عند الموت ، فنزلوا على حكم ابن خازم ، فأرسل إليهم فقيدهم ، وحملوا إليه رجلا رجلا ، فأراد أن يمن عليهم ، فأبى عليه ابنه موسى ، وقال له : إن عفوت عنهم قتلت نفسي ، فقتلهم إلا ثلاثة ، أحدهم الحجاج ابن ناشب ، شفع فيه بعض من معه فأطلقه ، والآخر جيهان بن مشجعة الضبي ، وكان قد منع القوم من قتل محمد عبد الله ، ورمى نفسه عليه ، فأبوا ، فتركه لذلك ، والآخر رجل من بني سعد من تميم ، وهو الذي رد الناس عن ابن خازم يوم لحقوه ، وقال : انصرفوا عن فارس مضر .

قال : ولما أرادوا حمل زهير بن ذويب وهو مقيد أبى ، واعتمد على رمحه ، فوثب الخندق ، ثم أقبل إلى ابن خازم يحجل في قيوده ؛ فقال له ابن خازم : كيف شكرك إن أطلقتك وأطعمتك ميسان ؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دمى لشكرتك ، فلم يمكنه ابنه موسى من إطلاقه ، فقال له أبوه : ويحك ، تقتل مثل زهير ، من لقتال عدو المسلمين ، من لنساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت في دم أخير لقتلتك ، فأمر بقتله ، فقال زهير : إن لي حاجة ، لا تقتلني وتخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام ، فقد نهيتهم عما صنعوا ، وأمرتهم أن يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين ، وأيم الله لو فعلوا لذعروا بنيك هذا . وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه ، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٦/٢١

سنة سبع وستين

في هذه السنة استعمل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا على البصرة ، فقتل المختار كما تقدم ، ثم عزله عن العراق ، واستعمل ابنه حمزة بن عبد الله . وكان حمزة جوادا مخلطا ، يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه ، ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خفة وضعف ، فكتب الأحنف إلى أبيه ، وسأله أن يعزله عنهم ، ويعيد مصعبا ، فعزله ، فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة ، فعرض له مالك ابن مسمع ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٥ """""""

أريني سلاحي لا أبالك إنني . . . أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

أتاني عن مروان بالغيب أنه . . . مقيد دمى أو قاطع من لسانيا

ففي العيش منجاة وفي الأرض مهرب . . . إذا نحن رفعنا لهن المثانيا

فلا تحسبوني إن تغيبت غافلا . . . ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى . . . وتبقى حزارات النوس كماهيا

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط . . . لحسان صدعا بيننا متنائيا

فلم ترمني نبوة قبل هذه . . . فراري وتركى صاحبي ورائيا

عشية أدعو بالقران فلا أرى . . . من الناس إلا من على ولاليا

أيذهب يوم واحد إن أسأته . . . بصالح أيامي وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا . . . ويثأر من نسوان كلب نسائيا

فأجابه جواس بن القعطل :

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط . . . على زفرداء من الداء باقيا

مقيما ثوى بين الضلوع محله . . . وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

تبكي على قتلى سليم وعامر . . . وذبيان معذورا وتبكي البواكيا

دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى . . . سوف جناب والطوال المذايا

عيها كأسد الغاب فتيان نجدة . . . إذا أشرعوا نحو الطعان العواليا

ذكر مسير مروان إلى مصر واستيلائه عليها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٨/٢١

قال : ولما قتل الضحاك واستقر الشام لمروان سار إلى مصر فقدمها ، وعليها عبد الرحمن بن حجدر الفهري يدعو لابن الزبير ، فخرج إلى مروان فيمن معه ، وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه ، حتى دخل مصر ، فقيل ذلك لابن حجدر ، فرجع فبايع الناس مروان ، وجاء مروان إلى مصر ، ودخل الدار البيضاء ، ثم سارعنها واستعمل عليها ابنه عبد العزيز ابن مروان ، واستقر مروان بدمشق .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٢ """""""""

قال : وأخرج عبد الملك سريره إلى المسجد ، وخرج ، فجلس عليه ، وفقد الوليد ابنه ، فقال : والله ، لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عربي الكناني ، فقال : الوليد عندي وقد جرح ، وليس عليه بأس .

وأتى عبد الملك بيحيي بن سعيد فأمر أن يقتل ؛ فقام إليه عبد العزيز ابن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ، أتراك قاتل بني أمية في يوم واحد ، فأمر بيحيي فحبس ، وأراد قتل عنبسه بن سعيد ، فشفع فيه عبد العزيز أيضا ، وشفع في عامر بن الأسود الكلبي ، وأمر ببني عمرو بن سعيد فحبسوا ؛ ثم خرجوا مع عمهم يحيي ، فألحقهم بمصعب . ثم بعث عبد الملك إلى امرأة عمرو الكلبية : ابعثي إلى الصلح الذي كتبت لعمرو . فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أن ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك به عند ربه .

قال : ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير دخل أولاد عمرو عليه وهم أربعة : أمية ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ؛ فلما نظر إليهم عبد الملك قال : إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثا ، بل كان قديما في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية . فلم يقدر أمية أن يتكلم . وكان الأكبر من أولاد عمرو ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تنعى علينا أمرا في الجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك ، ووعد جنة ، وحذر نارا ، وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإنه كان ابن عمك وأنت أعلم وما صنعت . وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفى بالله حسيبا ؛ ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها ، فرق لهم عبد الملك وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم ، وأحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم .

وقد قيل في سبب قتله : إنه قال لعبد الملك حين سار إلى العراق لقتال مصعب : إنك تخرج إلى العراق ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥٥/٢١

وقد كان أبوك جعل لي الأمر بعده ، وعلى ذلك قاتلت معه ، فاجعل هذا الأمر لي بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق ، وكان من أمره ما تقدم .

وقيل : بل كان عبد الملك قد استخلفه على دمشق ، فوثب بها .

وقيل : إن عبد الملك لم يقتل عمرو بن سعيد بيده ، وإنما أمر غلامه ابن الزعيزعة ، فقتله وألقى رأسه إلى الناس ورمى يحيى بصخرة في رأسه ، وكان مقتله في سنة تسع وستين . وقيل : في سنة سبعين . والله أعلم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧٠ """""""

ذكرالحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمي

قال : ولما قتل عمير أتى ابنه تميم زفر بن الحارث ، فسأله الطلب بثأره ، فامتنع فقال له ابنه الهذيل بن زفر : والله لئن ظفرت بهم تغلب إن ذلك لعار عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم إن ذلك لأشد ، فاستخلف زفر على قرقيسياء أخاه أوس بن الحارث ووجه زفر خيلا إلى بني فدوكس ، وهم بطن من تغلب ، فقتل رجالهم ، واستبيحت الأموال والنساء حتى لم يبق منهم غير امرأة واحدة استجارت ، فأجارها يزيد بن حمران ، ووجه ابنه الهذيل في جيش إلى بني كعب بن زهير ، فقتل فيهم قتلا ذريعا ، وبعث أيضا مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم من تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل ، فلما أحسوا به ارتحلوا يريدون عبور دجلة ، فلما صاروا بالكحيل وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي ، فلحقهم زفر بن الحارث به في القيسية ، فاقتتلوا قتالا شديدا ؛ وترجل أصحاب زفر كلهم ، وبقي زفر على بغلة له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم ، وغرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف ، وأتى فلهم لبي فوجه زفر ابنه الهذيل فأوقع بهم إلا من عبر فنجا ، وأسر منهم زفر مائتين فقتلهم صبرا ، فقال في ذلك زفر :

ألا يا عين بكى بانسكاب . . . وبكى عاصما وابن الحباب

فإن تك تغلب قتلت عميرا . . . ورهطا من إن غني في الحراب

فقد أفني بني جشم بن بكر . . . ونمرهم فوارس من كلاب

قتلنا منهمو مائتين صبرا . . . وما عدلوا عمير بن الحباب

وأسر القطامي التغلبي في يوم من أيامهم ، وأخذ ماله ، فقام زفر بأمره حتى رد عليه ماله ووصله ، فقال فيه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٦٢/٢١

:

إني وإن كان قومي ليس بينهمو . . . وبين قومك إلا ضربة الهادي

مثن عيك بما أوليت من حسن . . . وقد تعرض مني مقتل بادي." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٤٠ """""""

وحج بالناس في هذه السنة . أبان بن عثمان ، وكان العمال من ذكرنا ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس .

سنة تسع وسبعون

في هذه السنة استعفى شريح بن الحارث من القضاء فأعفاه الحجاج ، واستعمل على القضا ، أبا بردة بن أبي موسى .

وحج بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة .

سنة ثمانون

في هذه السنة حج بالناس أبان بن عثمان ، وفيها توفي أبو إدريس الخولاني ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وقيل سنة أربع وثمانين ، وقيل سنة خمس . وقيل سنة ست . وقيل سنة تسعين . والله أعلم .

وفيها توفي محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وهو ابن الحنفية ، ومات جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

ذكر مقتل بحير بن ورقاء

سنة واحد وثمانون بشر القاتل بالقتل لأنه كان سببا وباعثا لقتل بكير بن وساج في هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمي . وكان سبب قتله أنه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما كان تميميا – قال عثمان بن رجاء ابن جابر أحد بني عوف بن سعد من الأبناء ، والأبناء عدة بطون من تميم ، يحرض بعض آل بكير من الأبناء على الطلب بثأره :

العمري لقد أغضيت عينا على القذى . . . وبت بطينا من رحيق مروق

وخليت ثأرا طل واخترت نومة . . . ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة . . . تركت بحيرا في دم مترقرق

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢١/٧٠

فقل لبحير نم ولا تخش ثائرا . . . ببكر فعوف أهل شاء حلبق

دع الضأن يوما قد سبقتم بوتركم . . . وصرتم حديثا بين غرب ومشرق." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤١ """""""

وهبوا فلو أمسى بكير كعهده . . . لغاداهمو زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا :

فلو كان بكر بارزا في أداته . . . وذي العرش لم يقدم عليه بحير

ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب . . . وفي الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرا أن رهط بكير من الأبناء يتوعدونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلا كأنما . . . يرون فنائي مقفرا من بني كعب

رفعت له كفى بعضب مهند . . . حسام كلون الملح ذي رونق عضب فتعاقد سبعة عشر من بني عوف على الطلب بدم بكير ، فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان ، فرأى بحيرا واقفا ، فحمل عليه فطعنه فصرعه ، وظن أنه قتله ، وركض ، فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل . وخرج صعصعة بن حرب العوفي من البادية ، ومضى إلى سجستان ، فجاور قرابة لبحير مدة ، وادعى أنه من بني حنيفة من اليمامة ، وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ، ثم قال لهم : إن لي بخراسان ميراثا فاكتبوا لي إلى بحير كتابا ليعينني على حقي . فكتبوا له ، وسار فقدم على بحي فأخبره أنه من من بني حنيفة وأن له مالا بسجستان وميراثا بمرو ، وقدم ليبيعه ويعود إلى اليمامة . فأنزله بحير ، وأمر له بنفقة ، ووعده المساعدة .

وكان بحير قد حذر ، فلما قال له : إنه من بني حنيفة أمنه ، وكان إذ ذاك في الغزو مع المهلب . فقال له : أقيم معك حتى ترجع إلى مرو ، فأقام شهرا يحضر معه باب المهلب ، فجاء صعصعة يوما وبحير عند باب المهلب وعليه قميص ورداء ، فقعد خلفه ، ودنا منه كأنه يكلمه ، فوجأه بخنجر معه في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، ونادى يا لثارات بكير فأخذ وأتي به المهلب ، فقال له : بؤسا لك ما أدركت بثأرك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس فقال : لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا . ولقد وجدت ريح بطنه في يدي . فحبسه المهلب ، ومات بحير من الغد ، فقال صعصعة : اصنعوا الآن ما شئتم ، أليس قد خلت خدور نساء

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤٠/٢١

بني عوف ، وأدركت بثأري . والله لقد أمكنني منه ما صنعت . خاليا غير مرة ، فكرهت أن أقتله سرا .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٢ """"""""

فقال المهلب : ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت من هذا ، وأمر بقتله ، فقتل .

وقيل : إنه بعثه إلى بحير قبل أن يموت فقتله ، وغضبت عوف والأبناء وقالوا : علام قتل صاحبنا ، وإنما أخذ بثأره ، فنازعتهم مقاعس والبطون ، وكلهم بطون من تميم ، حتى خاف الناس أن يعظم الأمر ، فقال أهل الحجا : احملوا دم صعصعة ، واجعلوا دم بحير بواء ببكير ، فودوا صعصعة ، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة :

لله در فتى تجاوز همه . . . دون العراق مفاوزا وبحورا

ما زال يدئب نفسه وركابه . . . حتى تناول في الحزون بحيرا

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وما كان بينهما من الحروب

كان ابتداء خلافه على الحجاج في هذه السنة ، واستمرت الوقائع التي نذكرها بينهما إلى سنة ثلاث وثمانين ، وقد رأينا أن نجمع أخباره بجملتها في هذا الموضع ، ولا نقطعها بغيرها ، ونميز كل وقعة منها بتاريخها .

وكان سبب خلافه أن الحجاج لما بعثه في الجنود إلى بلاد رتبيل في سنة ثمانين كما ذكرنا في الغزوات ، وملك ما ملك من من حصون رتبيل ، واستولى على ما استولى عليه من بلاده ، وأقام ، وكتب إلى الحجاج يعرفه أنه رأى التوغل في بلاد رتبيل حتى يعرفوا طرقها ويجبوا خراجها .

فلما ورد كتابه على الحجاج كتب إليه : إن كتابك كتاب امريء يحب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، فامض إلى ما أمرتك من الوغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك ، وفيه : أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا ويقيموا بها ، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٨٦ """"""""

وعظمت فتوحاته ، فنظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر ، فكانت ستين ألف ألف درهم ، ونظر إلى الذي

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٤١/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٤٢/٢١

حمل إليه منه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف ، فقال : ربحنا ستين ألف ألف ، وأدركنا ثأرنا ورأس داهر .

قال : واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج في سنة خمس وتسعين ، فأتاه الخبر وهو بالملتان فرجع إلى الرور والبغرور ، فأعطى الناس ، ووجه إلى البيلمان جيشا ، فأعطوا الطاعة من غير قتال ، وسالمه أهل شرشت ، ثم أتى محمد الكيرج ، فخرج إليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر . وقيل : بل قتل ، فنزل أهل المدينة على حكم محمد ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ؛ فقال شاعرهم :

نحن قتلنا داهرا ودوهرا . . . والخيل تردى منسرا فمنسرا

قال : ولما مات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان عزل محمد بن القاسم عن السند ، واستعمل يزيد بن أبي كبشة السكسي على السند ، فأخذ محمدا وقيده وحمله إلى العراق ، فقال متمثلا :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا . . . ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل السند .

ولما وصل إلى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها . . . رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب قينة فارس قد رعتها . . . ولرب قرن قد تركت قتيلا

قال : فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم ، فقال حمزة بن بيض يرثى محمدا :

إن المروءة والسماحة والندى . . . لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة . . . يا قرب ذلك سؤددا من مولد

قال : وأما يزيد بن أبي كبشة فإنه مات بعد مقدمه إلى السند بثمانية عشر يوما ، فاستعمل سليمان على السند حبيب بن المهلب ، فقدم السند وقد رجع الملوك إلى ممالكهم ، ورجع حيسبة بن داهر إلى برهمنا باذ ، فنزل حبيب على شاطيء مهران ، وحارب قوما فظفر بهم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """"""""

فكتب يزيد إلى سليمان وأعلمه بحال العراق ، وأثنى على ابن الأهتم وذكر علمه بها ، وسيره على البريد ؛ فأتى ابن الأهتم سليمان فقال له : إن يزيد كتب إلي يذكر علمك بالعراق ، فكيف علمك بخراسان ؟ قال :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٨٦/٢١

أنا أعلم الناس بها ، ولدت بها ونشأت ، ولي بها وبأهلها خبر . قال : فأشر علي برجل أوليه خراسان . قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد ، فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه ، فسمى رجلا من قريش ، فقال : ليس من رجال خراسان . قال : فعبد الملك بن المهلب . فقال : لا يصح ، فإنه يضيق عن هذا ، وليس له مكر أبيه ولا شجاعته ، حتى ذكر رجالا ، وكان آخر من ذكر وكيع ابن أبي سود ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام ، وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع ، لقد أدرك **بثأري** وشفاني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا ، والنصيحة له تلزمني ، إنه وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة ، خامل في الجماعة ، نابه في الفتنة .

قال : فمن لها ويحك قال : رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين . قال : فمن هو ؟ قال : لا أذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك ، وأن يجيرني منه إن علم . قال : نعم ، قال : يزيد بن المهلب . قال : العراق أحب إليه من خراسان ؟ قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن تكرهه فيستخلف على العراق رجلا ويسير هو إلى خراسان . قال : أصبت الرأي .

فكتب عهد يزيد على خراسان ، وسيره مع ابن الأهتم ، فأتى يزيد ، فأمر بالجهاز للمسير من ساعته ، وقدم ابنه مخلدا إلى خراسان من يومه ؛ ثم سار يزيد بعده ، واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي ، وعلى البصرة عبد الله بن هلال الكلابي ، وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة ، واستخلف على الكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهرا ، ثم عزله ، وولي بشير بن حيان النهدي ، وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع ، فأمر سليمان يزيدا أن يسأل عن ذلك . فإن أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فنقيد وكيعا به ، فلما وصل مخلد بن يزيد مرو أخذه وكيع فحبسه وعذبه ، وعذب أصحابه قبل قدوم أبيه ، فكانت ولاية وكيع خراسان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد خراسان فآذى أهل الشام وقوما من أهل خراسان ، فقال نهار ابن توسعة رحمه الله :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٢٤ """"""""

قيل : كان عدد القتلى سبعمائة ، وكانت هذه الوقعة لسبع مضين من صفر سنة ثلاثين ومائة . والله أعلم .

ذكر دخول أبي حمزة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

قال : ودخل أبو حمزة المدينة في ثالث عشر صفر ، ومضى عبد الواحد إلى الشام .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠٩/٢١

ولما دخل أبو حمزة رقي المنبر فخطب ، وقال : يأهل المدينة ، مررت زمان الأحول – يعني هشام بن عبد الملك – وقد أصاب ثماركم عاهة ، فكتبتم إليه تسألونه أ ، يضع عنكم خرصكم . ففعل فزاد الغني غنى والفقير فقرا ، فقلتم له : جزاك الله خيرا ، فلا جزاكم الله خيرا ، ولا جزاه . واعلموا يأهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا أشرا ولا بطرا ، ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا ، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنف القائل بالحق ، وقتل القائم بالقسط – ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعيا يدعو إِلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ؛ فأقبلنا من قبائل شتى ، ونحن قليلون مستضعفون في الأرض ، فآوانا وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا . ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان ، فشتان – لعمر الله – ما بين الغي والرشد . ثم أقبلوا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ، وغلت بدمائهم مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله تعالى كتائب بكل مهند ذي رونق ، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون .

وأنتم يأهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين .

يأهل المدينة ؛ أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يأهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي والضعيف ، فجاء تاسع ليس له فيها سهم ، فأخذها لنفسه مكابرا محاربا ربه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥ """""""

أهل خراسان والعراق عند ترددهم إليه ، أن الأمر صائر إلى ولده محمد بن علي ، وأمرهم بقصده بعده ، فلما مات أبو هاشم قصدوا محمدا وبايعوه ، وعادوا فدعوا الناس إليه فأجابوهم ، وكان الذين سيرهم إلى الآفاق جماعة ، فوجه ميسرة إلى العراق ، ومحمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج – وهو أبو محمد الصادق – وحيان العطار – خال إبراهيم بن سلمة – إلى خراسان ، وعليها يوم ذاك الجراح الحكمي ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب إلى محمد بن علي فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها إلى محمد ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيبا ، منهم سليمان بن كثير الخزاعي ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى ابن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٢٤/٢١

بني شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى أبي معيط ، ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة مولى خزاعة ، وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار سبعين رجلا فكتب إليهم محمد بن علي كتابا ، ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها ، وذلك في سنة مائة من الهجرة .

ذكر مولد أبي العباس السفاح

قال : كان عبد الملك بن مروان قد منع محمد بن علي على أباه من زواج أمه ، وهي ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، ثم منعه الوليد وسليمان بعده لأنهم كانوا يرون أن ملكهم يزول على يد رجل من بني العباس يقال له ابن الحارثية ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكى محمد بن علي ذلك ، وسأله ألا يمنعه من زواجها وكانت بنت خاله ، فقال له عمر : تزوج من شئت فتزوجها ، فولدت له أبا العباس السفاح في شهر ربيع الآخر سنة أربع ومائة ، ووصل إلى أبيه محمد بن علي أبو محمد الصادق من خراسان في عدة من أصحابه ، فأخرج إليهم أبا العباس في خرقة وله خمسة عشر يوما ، وقال لهم هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يديه ، فقبلوا أطرافه ، وقال لهم : والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم .

وفي سنة خمس ومائة : قدم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ، فلما عزل الجنيد قدم بكير إلى الكوفة ، ومعه أربع لبنات من فضة." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١ """""""

بإرسال صالح بن علي في طلب مروان ، فسار صالح في ذي القعدة ، ومعه ابن فتان ، وعامر بن إسماعيل الحارثي ، وأبو عون – فبلغوا العريش ، وأحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام وهرب إلى جهة مصر ، وسار صالح فنزل النيل ، ثم نزل الفسطاط ، ثم سار ونزل موضعا يقال له ذات الساحل ، وهرب مروان إلى الصعيد ، وقدم صالح أبا عون ، وعامر بن إسماعيل الحارثي وشعبة بن كثير المازني – فساروا ، فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالا ، فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم فأمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلا في كنيسة ببوصير فقاتلوه ليلا ، وكان أصحاب أبي عون قليلا ، فقال لهم عامر بن إسماعيل : إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ، فكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله ، وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا ، وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه فصرعه ، وصاح صاحل جرح أمير المؤمنين فابتدروه ، فسبق إليه

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٥/٢٢

رجل من أهل الكوفة – كان يبيع الرمان – فاحتز رأسه ، فأخذه عامر بن إسماعيل فبعث به إلى أبي عون ، وبعثه أبو عون إلى صالح ، فلما وصل إليه أمر أن يقص ويقطع لسانه فأخذته هرة ، فقال صالح : لو لم ترنا الأيام من عجائبها إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ، وقيل : إن عبد الله بن علي هو الذي قال هذا ، قال : وسيره صالح إلى عبد الله فبعثه إلى السفاح ، وكان قتله لليلتين من ذى الحجة ، ورجع صالح إلى الشام ، وخلف أبا عون بمصر . ولما وصل الرأس إلى السفاح كان بالكوفة ، فلما رآه سجد ثم رفع رأسه ، فقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك ، وأظفرني بك ، ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ، ثم تمثل : لو يشربون دمي لم يرو شاربهم . . . ولا دماؤهم للغيظ ترويني قال : ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التي فيها حرم مروان ، وكان قد وكل بهن خادما له ، وأمره أن يقتلهن بعده ، فأخذه عامر وأخذهن ، وهن نساء مروان وبناته ، فسيرهن إلى صالح بن علي ، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥٣ """""""""

ذكر ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أخذ إبراهيم بن المهدي ، وهو متنقب في زي امرأة بين امرأتين ، أخذه حارس أسود ليلا وقال له ولهن : أين تردن في هذا الوقت ؟ فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان في يده ، فاستراب منه الحارس ورفعهن إلى صاحب المسلحة ، فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن ، فامتنع إبراهيم فجذبه فبدت لحيته ، فدفعه إلى صاحب الجسر فعرفه ، فذهب به إلى المأمون وأعلمه به ، فأمره بالاحتفاظ به إلى باكر النهار ، فلما كان الغد أقعد إبراهيم في دار المأمون . والمقنعة في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ ، ثم حوله إلى أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده ، ثم شفع فيه الحسن بن سهل – وقيل ابنته بوران لما بنى بها المأمون . وقيل إن إبراهيم لما أخذ حمل إلى دار أبي إسحاق المعتصم ، وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديفا لفرج التركي ، فلما دخل على المأمون قال له : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين ولي الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الأغترار – بما مد له من أسباب الشقاء – أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك ، فقال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبر وسجد . وقيل بل كتب إبراهيم هذا الكلام إلى المأمون وهو مختف ، فوقع المأمون في رقعته : القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣١/٢٢

وبينهما عفو الله عز وجل ، وهو أكبر ما نسأله ، فامتدحه إبراهيم بن المهدي بقصيدته التي هي :

يا خير من رفلت يمانيه به . . . بعد النبي لآيس أو طامع

وأبر من عبد الإله على التقى . . . غيبا وأقوله بحق صادع

عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج . . . فالصاب يمزج بالسمام الناقع

متيقظا حذرا وما تخشى العدى . . . نبهان من وسنان ليل الهاجع

ملئت قلوب الناس منك مخافة . . . وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع

بأبي وأمي فدية وبنبهما . . . من كل معضلة وريب واقع." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٥٥ """""""

ورحمة الله وبركاته ، فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا كلأك ولا رعاك يا إبراهيم ، فقال له : على رسلك يا أمير المؤمنين ، فلقد أصبحت ولي ثأري ، والقدرة تذهب الحفيظة ، ومن مد له الأغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف ، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذي ذنب ، كما أن عفوك فوق كل ذي عفو . ومن رواية أخرى أنه قال : وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب ، كما أصبح كل ذي عفو دونك ، فإن عاقبت فبحقك وإن تعف فبفضلك ، قال : فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال : إن هذين أشارا علي بقتلك ، فالتفت فإذا العباس بن المأمون والمعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به ، وما غشاك إذ كان مني ما كان ، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها ، دافعا ما تخاف بما ترجو ، فكفاك الله يا أمير المؤمنين ، فتبسم المأمون ثم أقبل على ثمامة فقال : إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر ، وإن كلام عمي منه ، أطلقوا حديده وردوه إلي مكرما ، فلما رد إليه قال : يا عم ، صر إلى المنادمة وارجع إلى الأنس ، فلن ترى مني أبدا إلا ما تحب ، فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه هذه القصيدة التي تقدم ذكرها ، لكن اختصرها أبو الفرج فذكر بعضها ، فلما قرأها المأمون بكى وقال علي به فخلع عليه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ودعا بالفراش فقال له : إذا رأيت عمي مقبلا فاطرح له متكأ ، وكان ينادمه لا ينكر منه شيئا . قال أبو الفرج : وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي ، فقال فيه : لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول ، وقال : هذا صديقك فخذه إليك ، قال : وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخط عليه ، أما إني - وإن كنت صديقا له - لا أمتنع عن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب. موافق للمطبوع، ١٥٣/٢٢

قول الحق فيه ، قال له : قل فإنك غير متهم ، فقال – وهو يريد التسلق على العفو عنه : إن قتلته فقد قتلت الملوك قبلك أقل جرما منه وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يعف قبلك عن مثله ، فسكت المأمون ساعة ثم تمثل

قومي هم قتلوا أميم أخي . . . فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا . . . ولئن سطوت لأوهنن عظمي

خذه إليك يا أحمد مكرما ، فانصرف به ثم كتب إلى المأمون قصيدته المذكورة ، فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله ، ورد ما قبض من أملاكه وماله . وفي خبر عن أبي داود أن المأمون تقدم إلى محمد بن يزداد – لما أطلق إبراهيم – أن يمنعه من داري." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٦ """""""

حمدان ، فقال القاهر لنازوك : أخرج إليهم فسكنهم وطيب قلوبهم فخرج إليهم نازوك وهو مخمور قد شرب طول ليلته ، فلما رآه الرجالة تقدموا إليه ليشكوا إليه حالهم بسبب أرزاقهم فخافهم على نفسه وهرب منهم ، فطمعوا فيه وتبعوه ، فانتهى به الهرب إلى باب كان هو سده بالأمس فقتلوه عنده ، وقتلوا خادمه عجيبا وصاحوا : مقتدر يا منصور فهرب كل من كان في الدار من الوزير والحجاب وسائر الطبقات وبقيت الدار فارغة . وصلبوا نازوك وعجيبا بحيث يراهما من على شاطئ دجلة ، ثم صار الرجالة إلى دار مؤنس يصيحون ويطالبونه بالمقتدر بالله . وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخلافة وكانوا جميعا خدم المقتدر ومماليكه وصنائعه وأراد ابن حمدان الخروج من الدار فتعلق به القاهر وقال : أنا في ذمامك فقال : والله لا أسلمك أبدا وأخذ بيده وقال : قم بنا نخرج جميعا ، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون دونك فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقة ومعها فائق المعروف بوجه القصعة ، فأشرف القاهر من سطح فرأى كثرة الجمع ، فنزل هو وابن حمدان وفائق فقال ابن حمدان للقاهر : قف حتى أعود إليك ونزع سواده وثيابه وأخذ جبة صوف لغلام هناك فلبسها ومشى نحو باب النوبي فرآه مغلقا والناس حوله . فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة ، وأمر من معه من الخدم بقتلهما وأخذ بثأر المقتدر وما صنعا به ، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح ، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده فقاتلهم فقتلوه ، وهرب القاهر إلى آخر البستان واختفى .

وأما الرجالة فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال : ما الذي تريدون ؟ قالوا : نريد المقتدر فأمر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٥٥/٢٢

بتسليمه إليه فامتنع المقتدر من ذلك وخاف أن تكون حيلة ، فحمل وأخرج إليهم فحملوه على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة . فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأن وجلس وسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل إنهما حياة فأمنهما بخطه ، وأمر خادما بالسرعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على أبي الهيجاء حادث ، فمضى بالخط إليه فلقيه خادم ومعه رأسه فرجع به إلى المقتدر ، فلما رآه استرجع وقال : ما كان يدخل إلي ويسليني ويطهر لي الغم غيره ثم أخذ القاهر واحضر إلى المقتدر فأجلسه إلى جانبه وقبل جبينه وقال : قد علمت أنك لا ذنب لك وأنك قهرت ولو لقبوك بالمقهور كان أولى بك من القاهر والقاهر يبكي ويقول : يا أمير المؤمنين نفسي نفسي اذكرن الرحم التي بيني وبينك فحلف له أنه لا يناله أبدا ، فسكن .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٠٣ """""""

ذكر عبور الصقلبي إلى الأندلس وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي سنة إحدى وستين ومائة وقيل سنة ستين عبر عبد الرحمن ابن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي - ولم يكن صقلبيا وإنما سمي بذلك لطوله ورقته وشقرته - من أفريقية إلى الأندلس ليحارب عبد الرحمن ويدعوه إلى طاعة المهدي بن أبي جعفر المنصور . وكان عبوره في ساحل تدمير ، وكانت سليمان بن يقظان بالدخول معه ، فيمن معه من البربر . فقصد سليمان والتقوا واقتتلوا ، فهزمه سليمان ، فعاد الصقلبي إلى تدمير ، وجاء عبد الرحمن نحوه وأحرق السفن ليمنعه من الهرب ، فقصد الصقلبي جبلا منيعا بناحية بلنسية . فبذل عبد الرحمن ألف دينار لمن يأتيه برأسه فاغتاله رجل من البربر وحمل رأسه إلى عبد الرحمن ، فأعطاه ألف دينار ، وكان قتله في سنة اثنتين وستين ومائة .

وفي سنة اثنتين وستين ومائة أرسل عبد الرحمن شهيد بن عيسى إلى دحية الغساني وكان عاصيا في بعض حصون إلبيرة ، فقتله وسير بدرا مولاه إلى إبراهيم بن شجرة وكان قد عصى عليه فقتله . وسير تمام بن علقمة إلى العباس البربري - وهو في جمع البربر وأظهر العصيان - فقتله وفرق جموعه .

وفيها سير جيشا مع حبيب بن عبد الملك القرشي إلى القائد السلمي ، وكان حسن المنزلة عند عبد الرحمن . فشرب ليلة وقصد باب القنطرة ليفتحه على سكر ، فمنعه الحرس فعاد . فلما صحا من سكره خاف فهرب إلى طليطلة واجتمع إليه كثير ممن يريد الخلاف والشر فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش ، فحصره في مكان كان قد تحصن به ، فطلب السلمي البراز فبرز إليه عبد أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين وماتا جميعا .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٤٦/٢٣

وفي سنة ثلاث وستين ومائة ظهر الأمير عبد الرحمن التجهز إلى الخروج لقصد الشام لطلب الثأر من بني العباس فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيي بن." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧ """""""

فعزم زهير بن قيس على قتال البربر فخالفه بعض أصحابه ففارق القيروان ، وسار إلى برقة وأقام بها . وتبعه أكثر الناس . وأما كسيلة فاجتمع إليه جمع كبير فقصد القيروان وبها أصحاب الأثقال والذراري من المسلمين . فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم . ودخل القيروان واستولى على إفريقية . وأقام بها إلى أن قوي أمر عبد الملك بن مروان . فذكر عنده أمر القيروان ومن بها من المسلمين . فأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إليها . ليستنقذها من يد كسيلة . فاستعمل عليها زهير بن قيس .

ذكر ولاية زهير بن قيس البلوى وقتل كسيلة البربري

قال : ولما أشير على عبد الملك بن مروان بإرسال الجيش إلى إفريقية ، قال : لا يصلح للطلب بثأر عقبة بن نافع من المشركين إلا من هو مثله في دين الله عز وجل . فاتفق رأيهم على زهير بن قيس ، وقالوا : هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وأولادهم بطلب ثأره . وكان زهير ببرقة مرابطا منذ قفل من إفريقية . فكتب إليه عبد الملك بالخروج على أعنة الخيل إلى إفريقية . فكتب إليه زهير يستمده بالرجال والأموال . فوجه إليه بالأموال ووجوه أهل الشام .

فلما وصل ذلك إليه أقبل إلى إفريقية في عسكر عظيم ، وذلك في سنة تسع وستين . فبلغ خبره كسيلة فجمع البربر وتحول عن القيروان إلى ممش . وجاء زهير فأقام بظاهر القيروان ثلاثة أيام حتى استراح وأراح . ثم رحل إلى كسيلة . والتقيا واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين . فأجلت الحرب عن قتل كسيلة وجماعة من أصحابه . وانهزم من بقي منهم . فتبعهم الجيش فقتلوا من أدركوه .

وعاد زهير إلى القيروان . فرأى ملك إفريقية ملكا عظيما ، فقال : إنما أحببت الجهاد ، وأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك . وكان عابدا زاهدا . فترك بالقيروان عسكرا ورحل في جمع كبير يريد المشرق . وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسيره من برقة إلى إفريقية وخلوها ، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة من جزيرة صقلية . فأغاروا على برقة وقتلوا ونهبوا . ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية فقاتلهم بمن معه أشد قتال . وترجل هو

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠٣/٢٣

ومن معه وقاتلوا فعظم الخطب . وتكاثر الروم عليهم فقتل زهير وأصحابه ، ولم ينج منهم أحد . وعاد الروم بما غنموه إلى القسطنطينية .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٧ """""""

وانصرف إلى القيروان فبلغه عن حبيب أخبار كرهها . فأغرى إلياس به ، وأرسل إليه من زين له الخروج إلى الأندلس ، ففعل . وجهزه إلياس في سفينة . فتعذرت عليهم الريح . فكتب إلى إلياس أن الريح قد ردته ، وأن المسير بن زياد الرعيني يحذره أمره .

فاجتمع إلى حبيب موالي أبيه ، فأسروا سليمان بن زياد وشدوه وثاقا وكان معسكرا يحارس حبيبا . وأخرجوا حبيبا إلى البر وأظهروا أمره . فتوجه إلى الأربس فأخذها .

وبلغ خبره إلياس فتوجه إليه . واجتمع لكل واحد منهما جماعة . فلما التقيا ، قال حبيب لعمه إلياس : لم نقتل موالينا وصنائعنا بيننا وهم لنا حصن ؟ ولكن أبرز أنت وأنا ، فأينا قتل صاحبه استراح منه : إن قتلتني ألحقتني بأبي ، وإن قتلتك أدركت ثأري منك . فارتاب إلياس ساعة . فنادى الناس : قد أنصفك فلا تجبن ، فإن ذلك سبة عليك وعلى ولدك من بعدك . فخرج كل منهما إلى صاحبه والتقيا ساعة . فضرب إلياس حبيبا فأعمل السيف في ثيابه ودرعه ووصل إلى جسمه ، فعطف حبيب عليه وضربه بالسيف ضربة سقط بها عن فرسه إلى الأرض . فألقى حبيب نفسه عليه فحز رأسه ثم أمر برفعه على رمح . وهرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه إلى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة ودخل حبيب القيروان وبين يديه رأس إلياس ، ورأس محمد بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع عم أبيه ، ورأس محمد بن المغيرة بن عبد الرحمن القرشي . وجاءه محمد بن عمرو بن مصعب الفزاري وهو زوج عمة أبيه مهنئا له ، فضرب عنقه . وكان ذلك كله في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين ومائة . قال : ولما وصل عبد الوارث بن حبيب ومن معه إلى ورفجومة نزلوا على عاصم بن جميل الورفجومي . فكتب إليه حبيب يأمره أن يوجه بهم إليه ، فلم يفعل ، فنهد إليه حبيب . ولقيه عاصم واقتتلوا فانهزم حبيب . وكان قد استخلف على القيروان أبا كريب جميل بن كريب القاضي . فقوي أمر ورفجومة ، وكاتبهم بعض وجوه القيروان خوفا منهم على أنفسهم . فزحف عاصم بن جميل وأخوه مكرم بالبربر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٧/٢٤

وبمن لجأ إليهم وصاروا بناحية قابس . فلما قربوا من القيروان ، خرج إليهم أبو كريب القاضي بأهل القيروان . . حتى إذا دنوا من بعضهم ، خرج من عسكر عاصم جماعة من." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٣ """""""""

وأمر بتسليمه إلى راشد – وهو أحد المتعصبين عليه – فضربي عنقه بيده . وتلاعب الصبيان برأسه حتى وقع في قناة حمام . وحكي عن الشيعي أنه قال : " والله ما كاتبني قط " . قال : وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوما وخرج منها يريد مصر . وكان قد نقم على إبراهيم بن أبي الأغلب لما أراده من العقد لنفسه بمدينة القيروان ، فاطرحه وأعرض عنه وعن أبي المصعب بن زرارة . وسعي بهما عنده أنهما يقعان فيه وينالان منه ، وقيل له : هذا قولهما فيك وهما معك وفي قبضتك ، فكيف إذا وصلا إلى مصر ؟ فعزم على قتلهما . فهربا إلى الإسكندرية واستجارا بعاملها . فأجارهما ووجه بهما إلى مصر . فدخلا قبل زيادة الله ، واجتمعا بعيسى النوشري عاملها ، ووقعا عنده في زيادة الله ، وذكروا سوء فعله وأنه يطمع نفسه بمصر . فهم النوشري أن يصد زيادة الله عن مصر إلى أن يكتب إلى بغداد . فأتي زي ادة الله الخبر من عيون كانت له بمصر ، فأرسل ابن القديم بكتاب إلى النوشري ، يبجله فيه ويسأله أن ينظر له دارا ينزل فيها ، ويخبره أنه يقيم إلى أن يصل إليه الرسول . ثم سار زيادة الله في أثر ابن القديم وجاء إلى مصر . فأنزله النوشري في دار ابن الجصاص ، وأنزل رجاله في دور كثيرة .

وأقام بمصر ثمانية أيام ثم خرج يريد بغداد . فتخلف عنه بمصر جماعة ممن كان معه ، فسار حتى وصل إلى الرملة ففقد وجوه رجاله ، فوجدهم هربوا عنه . وهرب له غلام بمائة ألف دينار ، وصار إلى النوشري والتحق بغلمانه . فكتب زيادة الله إلى بغداد بذلك . فورد الجواب إليه ، وإلى النوشري يؤمر فيه أن يبعث إليه بكل من تخلف عنه . ففعل النوشري ورد غلمانه وأصحابه إليه .

وسار زيادة الله حتى وصل إلى الرقة . وكتب إلى ابن الفرات الوزير أن يستأذن له المقتدر بالله في الدخول إلى الحضرة . فأتاه كتاب يؤمر فيه بالإقامة في الرقة حتى يأتيه رأي المقتدر . فأقام بها سنة فتفرق عنه رجاله وتشتت أمره . وباع عليه قاضي الرقة بعض خصيانه ، وذلك أنه كان معه خصيان لهم وضاءة وجمال . فلما أقام بالرقة أدمن شرب الخمر وسماع الملاهي . فاحتسب عليه محتسب عند القاضي ، وأقام بينة شهدت عليه أنه يفجر بأولئك الصقالية . فباعهم عليه . وتلطف زيادة الله في الدخول على المقتدر بالله فلم يؤذن له .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٧/٢٤

وصرفه إلى النوشري وابن بسطام بمصر . وكتب المقتدر إليهما بتقويته بالرجال وأن يعطي من خراج مصر ما يقيم أود عسكره حتى يعود إلى المغرب ويطلب بثأره ويسترجع دولته .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٣٠ """""""

وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، فتح تميم جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس . وكان بإفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس . وفي سنة ثلاث وتسعين ، فتح تميم مدينة سفاقس . وخرج منها حمو بن مليل هاربا فقصد مكن بن كامل الدهماني ، فأحسن إليه وأقام عنده حتى مات . وكان حمو قد تغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده من كتاب المعز حسن الرأي والتدبير والسياسة ، فاستقامت به دولته وعظم شأنه فأرسل إليه تميم وبالغ في استمالته ووعده بكل جميل فلم يقبل . فاشتد أمره على تميم فسير جيشا إلى حصار سفاقس . وأمر مقدم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الأشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير ، فإنه لا يتعرض إليه ويبالغ في صيانته ، ففعل ذلك . فلما رأى حمو ذلك اتهمه وقتله . فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم البلد .

وفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، مات المنصور بن الناصر بن علناس ، وولي بعده ولده باديس . ثم مات بعد يسير فولى أخوه العزيز بالله .

ذكر وفاة تميم بن المعز

كانت وفاته في شهر رجب سنة إحدى وخمسمائة ، وله من العمر تسع وسبعون سنة ، ومدة ولايته سبع وأربعون سنة وعشرة أشهر وعشرون يوما .

وكان شهما شجاعا كريما حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة ذكيا حسن الشعر . فمن شعره ما قاله وقد وقع حرب بين طائفتين من العرب ، وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه ، وكان صلحهم مما يضر بتميم وبلاده ، فقال أبياتا يحرض فيها على الطلب بدم المقتول ، وهي :

متى كانت دماؤكم تطل . . . أما فيكم بثأر مستقل

أغانم ثم سالم إن فشلتم . . . فما كانت أوائلكم تذل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٨٣/٢٤

ونمتم عن طلاب الثأر حتى . . . كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي . . . ولا بيض تفل ولا تسل." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٣٧ """""""

قوصرة – وهي بين المهدية وصقلية – فصادفوا بها مركبا وصل من المهدية . فأخذ أهله وأحضروا بين يدي جرجي مقدم الأصطول ، فسألهم عن حال إفريقية . ووجد في المركب قفص حمام . فأمر الرجل الذي كان الحمام صحبته أن يكتب بخطه : إننا لما وصلنا إلى قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية . فسألناهم عن الأسطول المخذول ، فذكروا أنه أقلع إلى القسطنطينية . وأطلق الحمام فوصل إلى المهدية فسر الأمير والناس ، وأراد جرجى بذلك أن يصل بغتة .

ثم سار الأصطول من قوصرة إلى المهدية في ثاني صفر فأرسل مقدم الأسطول إلى الحسن يقول : إنا لم نأت إلا طلبا بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها . وكان قد أخرج منها وبينه وبين الفرنج مودة ومصالحة . وأما أنت فبيننا وبينك عهود ومواثيق إلى مدة ، ونريد منك عهودا ومواثيق إلى مدة . ونريد منك عسكرا يكون معنا .

فجمع الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم . فقالوا : نقاتل عدونا فإن بلدنا حصين . فقال : نخشى أن ينزلوا إلى البر ، ويحصرونا برا وبحرا ، وتنقطع الميرة عنا وليس عندنا ما يقوم بنا شهرا واحدا . وأنا أرى سلامة المسلمين ، من القتل والأسر خيرا من الملك . وقد طلب مني عسكرا إلى قابس ، فإن فعلت فما يحل إعانة الكفار علىالمسلمين ، وإن امتنعت يقول : انتقض ما بيننا من الصلح . وليس لنا بقتاله طاقة . والرأي عندي أن نخرج بالأهل والولد ، ونترك البلد . فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا . وأمر في الحال بالرحيل وأخذ معه ما خف حمله وخرج ، وتبعه الناس على وجوهم بأهلهم وأولادهم وما خف من أموالهم وأثاثهم . ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي الكنائس هذا والأسطول في البحر يمنعه الريح من الوصول إلى المدينة . فما مضى ثلثا النهار حتى لم يبق بالبلد ممن عزم على الخروج أحد .

ودخل الفرنج البلد بغير مانع ولا مدافع . ودخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ منه الحسن شيئا إلا ما خف من ذخائر الملوك . ووجد فيه عدة من حظاياه . ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة ، ومن كل شيء غريب فختم عليه . وجمع سراري الحسن في قصر . ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ثم نودي

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٣٠/٢٤

بالأمان . فخرج من كان مستخفيا . وأصبح جرجي من الغدر ، فأرسل إلى من قرب من العرب فدخلوا البلد . فأحسن إليهم وأعطاهم أموالا جزيلة . وأرسل أمانا إلى من خرج من المهدية ، ودواب يحملون عليها الأطفال فرجعوا .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩ """""""

فكيف يورث بها ، ولقد طلبها أبوك بكل وجه ، فأخرج فاطمة رضي الله عنها نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا ، فأبى الناس إلا الشيخين ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين : أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يورثون ؛ وأما ما فخرت به من على وسابقته ، فقد حضرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الوفاة فأمر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في السنة فتركوه كلهم دفعا له ، ولم يروا له حقا فيها ؛ وأما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته وأغلق بابه دونه ، ثم بايع معاوية بعده ؛ ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضي بهما ، وأعطاهما عهد الله وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز واسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير حله ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ؛ ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوه رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحملوكم بلا وطاء في المحامل ، كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم وطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنينا سلفكم وفضلناه فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له ، على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما الكفر في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا عليهم وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين اخوته ، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٣٧/٢٤

، وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) غيره ، فكانت وراثته من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبي (صلى الله عليه وسلم) له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام – في دنيا ولا آخرة – إلا والعباس وارثه وموروثه . أما ما ذكرت من بدر فإن الإسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدا عقيلا يوم بدر ، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا **بثأركم** فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله . لاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما الكفر في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا عليهم وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين اخوته ، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) غيره ، فكانت وراثته من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبي (صلى الله عليه وسلم) له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام – في دنيا ولا آخرة – إلا والعباس وارثه وموروثه . أما ما ذكرت من بدر فإن الإسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ، ولولا العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدا عقيلا يوم بدر ، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا **بثأركم** فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٩/٢٥

وكان محمد قد استعمل الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على مكة ، والقاسم بن إسحاق على اليمن ، وموسى ابن عبد الله على الشام ، فأما الحسن والقاسم فسارا إلى مكة ، فخرج إليها السري بن عبد الله ، عامل المنصور على مكة ، فلقيهما ببطن أذاخر فهزماه ، ودخل الحسن مكة فأقام بها يسيرا ، فأتاه كتاب محمد بن عبد الله يأمره بالمسير إليه فيمن معه ، ويخبره بمسير عيسى ابن موسى إليه ليحاربه ، فسار إليه من مكة هو والقاسم ، فبلغة بنواحي قديد قتل محمد ، فهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، فلحق الحسن بإبراهيم فأقام عنده حتى قتل إبراهيم ، واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له ابنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر امرأة عيسى الأمان له ولإخوته معاوية وغيره ، وأما موسى بن عبد الله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسري ، فانسل منه رزام بتيماء ، وسار إلى المنصور برسالة من مولاه محمد القسري ، فظهر محمد بن عبد الله على ذلك فحبس محمد القسري ، ووصل موسى إلى الشام فرأى منهم سوء رد غليه وغلظة ، فكتب إلى محمد : أخبرك أني لقيت الشام وأهله ، فكان أحسنهم قولا الذي قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا أو أمسينا من غد ليرفعن أمرنا ؛ فكتبت إليك ، وقد غيبت وجهي ، وخفت على نفسي .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨١ """""""

ذكر دخول الزنج رامهرمز

وفي سنة ست وستين ومائتين دخل علي والزنج رامهرمز ، وسبب ذلك أن محمد بن عبيد الله يخاف علي بن أبان ، لما في نفس علي منه لما ذكرناه ، فكتب إلى انكلاي ابن صاحب الزنج ، وسأله أن يسأل أباه ليرفع يد علي عنه ويكون إلى نفسه ، فزاد ذلك غيظ علي منه ، وكتب إلى صاحب الزنج بالإيقاع بمحمد ، ويجعل ذلك الطريق إلى مطالبته بالخراج ، فأذن له فكتب إلى محمد يطلب منه حمل الخراج ، فمطله ودافعه فسار إليه علي وهو برامهرمز ، فهرب محمد عنها ودخلها علي والزنج فاستباحها ، ولحق محمد بأقصى معاقلة ، وانصرف علي غانما ، وخاف محمد فكتب إليه يطلب المسالمة ، فأجابه إلى ذلك على مال يؤديه إليه ، فحمل إليه مائتي ألف درهم فأنفذها إلى صاحب الزنج ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وأعماله .

وفيها كانت وقعة للزنج انهزموا فيها ، وكان سببها أن محمد بن عبيد الله كتب إلى علي بن أبان بعد الصلح

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠/٢٥

يسأله المعونة على طائفة من الأكراد ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم ، فكتب علي إلى صاحبه يستأذنه ، فكتب إليه أن : وجه إليه جيشا وأقم أنت ، ولا تنفذ حتى تستوثق منه الرهن ، ولا تأمن غدره والطلب بثأره ، فكتب علي إلى محمد يطلب منه اليمين والرهائن ، فبذل له اليمين ومطلة بالرهائن ، فلحرص علي على الغنائم أنفذ إليه جيشا ، فسير محمد معهم طائفة من أصحابه إلى الأكراد ، فخرج إليهم الأكراد فقاتلوهم ونشبت الحرب ، فتخلى أصحاب محمد عن الزنج فانهزموا ، وقتلت الأكراد منهم خلقا كثيرا ، وكان محمد قد أعد لهم من يتعرض لهم إذا انهزموا ، فأوقعوا بهم وسلبوهم وأخذوا دوابهم ، ورجعوا بأسوأ حال ، فكتب علي إلى صاحب الزنج يعرفه فقال : ضيعت أمري في ترك الرهائن ، وكتب إلى محمد يتهدده فخاف محمد ، وكتب يخضع ويذل ورد بعض الدواب ، وقال : إنني كبست من كانت عندهم وخلصت هذه منهم ، فأظهر صاحب الزنج الغضب عليه ، فأرسل محمد إلى بهبوذ ومحمد بن يحيي الكرماني ، وكان أقرب الناس إلى علي ، فضمن لهما مالا إن أصلحا له عليا وصاحبه ففعلا ذلك ، وأجابهما صاحب الزنج بالرضا عن محمد ، على أن يخطب له على منابر بلاده ، فأعلما محمدا ذلك فأجابهما إلى جميع ما طلبا ، وجعل براوغ في الدعاء له على المنابر ، ثم إن عليا استعد لمتوث وسار." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٤ """"""""

ذكر وفاة يعقوب بن الليث وولاية أخيه عمرو

كانت وفاته من تاسع عشر شوال سنة خمس وستين ومائتين بجند يسابور من كور الأهواز ، وكانت علته القولنج فأمره الأطباء بالاحتقان بالدواء ، فامتنع واختار الموت على ذلك ، وكان المعتمد على الله قد أنفذ إليه رسولا وكتابا يستمليه ويسترضيه ، وقلده أعمال فارس ، فوصل الرسول ويعقوب مريض فجلس له ، وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار وبصلا ، وأحضر الرسول وسمع رسالته وقال له : قل للخليفة إنني عليل ، فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني ، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا هذا السيف حتى آخذ بثأري أو تكسرني وتعقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول ، فلم يلبث يعقوب أن مات .

وكان الحسن بن زيد العلوي – صاحب طبرستان – يسمى يعقوب السندان لثباته ، وكان يعقوب قد افتتح الرخج وقتل ملكها البتبر وكان هذا الملك يحمل على سريره من ذهب يحمله اثنا عشر رجلا ، وابتنى بيتا على

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٨١/٢٥

جبل عال سماه مكة ، وكان يدعى الإلهية فقتله يعقوب ، وافتتح الخلجية وزابل وغير ذلك ، وكان عاقلا حازما وكان يقول : كل من عاشرته أربعين يوما فلا تعرف أخلاقه لا تعرفها في أربعين سنة .

ذكر ولاية عمرو بن الليث

كانت ولايته بعد وفاة أخيه يعقوب في تاسع شوال سنة خمس وستين ومائتين ، ولما ولي كتب إلى الخليفة بطاعته ، فولا الموفق خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأشهد عليه بذلك وسير إليه العهد والخلع ، فاستحلف عمرو بن الليث ، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على الشرطة ببغداد وسامرا في صفر سنة ست وستين ، وخلع عليه الموفق أيضا ، ولم يزل عمرو في هذه الولايات إلى أن عزله المعتمد في شهور سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وأدخل عليه حاج خراسان وأعلمهم أنه عزل عمرو بن الليث عما كان قلده ، ولعنه بحضرتهم وأعلمهم أنه قد قلد خراسان لمحمد ابن طاهر ، وقد يلعن عمرو على المنابر فلعن .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٩ """""""""

من نبغ وظهر اسمه الحسين بن الحسين بن الحسن . وكان قد ملك قبله بلاد الغور محمد بن الحسين ، وكان قد صاهر بهرام شاه صاحب غزنة ، فعظم شأنه بمصاهرته وعلت همته ، فجمع جموعا كثيرة ، وسار إلى غزنة ليملكها ، واظهر الخدمة والزيارة لبهرام شاه وهو يريد المكر فعلم به بهرام شاه ، فقبض عليه وسجنه ثم قتله ، فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الأخذ بثأره لتمكن الدولة الغزنوية ، ثم ملك بعد محمد أخوه سام بن الحسين ، فمات بالجدري ، وملك بعده محمد أخوه سام بن الحين بلاد الغور ، وقوي امره ، وتمكن في مملكته ، فجمع العساكر ، وسار إلى غزنة طالبا لثأر أخيه محمد ، فلما وصل إليها وملكها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، فارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند ، وجمع جموعا كثيرة ، وعاد إلى غزنة ، وكان عسكر غزنة الذين أقاموا مع سوري قلوبهم مع بهرام شاه ، فلما التقوا انضم عسكر غزنة إلى بهرام وسلموا إليه سوري وذلك في المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فصلبه بهرام شاه ، وكان سوري هذا من الملوك الأجواد الكرام ، حتى إنه كان يرمي الدرهم بالمقاليع ليتوصل بذلك إلى راحة الفقراء ، ثم ملك بعده أخوه الحسين ابن الحسين هذا بلاد الغور ومدينتها فيروز كوه ، فسار في سنة خمس وأربعين إلى مدينة هراة وحصرها ، وكان أهلها قد كاتبوه ، وطلبوه ليسلوها له هربا من ظلم الأتراك ، فلما حاصرها امتنع أهلها عليه ثلاثة أيام ، ثم سلموها له

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٥/٢٣٤

، فدخلها واظهر طاعة السلطان سنجر ابن ملكشاه السلجقي .

ذكر الحرب بينه وبين السلطان سنجر

وفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة كانت الحرب بين علاء الدين الحسين صاحب الغور وبين السلطان سنجر السلجقي ؛ وسبب ذلك أن علاء الدين هذا قوي أمره ، فكثرت أتباعه ، وتلقت وتعرض إلى أعمال غزنة ، وسار إلى بلخ ، فملكها ، فسار إليه السلطان سنجر فثبت له ، واقتتلوا ، فانهزمت الغورية ، وأسر علاء الدين ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، واحضر بين يدي السلطان ، فقال له : ياحسين لو ظفرت بي ما كنت تصنع ؟ فأخرج له قيدا من الفضة ، فقال له : كنت أقيدك بهذا ، وأحملك إلى مدينة فيروزكوه . فخلع السلطان عليه ، ورده إلى فيروزكوه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٤ """""""""

إدلال جنده عليه ، واطراحهم لجانبه ، وشغبوا عليه مرة بعد مرة ، فتعذر عليه الفرار ، ولم يجد وزيره جهة يحتال منها ، فتوجه إلى الموصل في هذه السنة ، ليستولي عليها من أبي تغلب بن حمدان ، فلم يفتح عليه بطائل ، ولم يحصل له من المال ما يسد به الخلة ، فرجع ، وقصد الأهواز ليتعرض إلى واليها بختكين أزاذرويه ، ويعمل له حجة يأخذ منه مالا ومن غيره ، فسار بختيار ، وتخلف عنه سبكتكين ببغداد ، فلما وصل إلى الأهواز خدم واليها بختيارا ، وبذل من نفسه الطاعة ، وحمل إليه أموالأ حليلة ، وبختيار ، وتخلف عنه سبكتكين ببغداد ، فلما وصل إلى الاهواز خدم واليها بختيارا ، وبذل من نفسه الطاعة ، وحمل إليه أموالا جليلة ، وبختيار مع هذا يفكر في طريق يأخذه بها ، فاتفقت فتنة الأتراك والديلم ، وكان سببها أن بعض الديلم نزل دارا بالأهواز ، ونزل بعض الأتراك بالقرب منه ، وكان هناك لبن موضوع ، فأراد غلام الديلمي ، أن يبني به معلفا للدواب ، فمنعه غلام التركي ، فتضاربا ، وخرج كل من الديلمي ، أن يبني به معلفا للدواب ، فمنعه غلام التركي ، فتضاربا ، وخرج كل من الديلمي والتركي لنصرة غلامه ، فضعف التركي عنه ، فركب ، واستنصر بالأتراك ، فركبوا ، وركب الديلم ، وأخذوا السلاح ، فقتل بعض قواد الأتراك ، فطلب الأتراك بثأر صاحبهم ، وقتلوا من الديلم قائدا ، وخرجوا ظاهر البلد ، واجتهد بختيار في تسكين الفتنة ، فعجز عن ذلك ، فجمع الديلم ، واستشارهم فيما يفعله ، وكان أذنا ، فأشاروا عليه بقبض رؤساء الأتراك ، فأحضر أزاذرويه ، وكاتبه سهل بن بشر ، وسباشي الخوارزمي ، وبكتيجور ، وكان حموا لسبكتكين ، فقيدهم ، وأطلق أيدي الديلم في

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٤٩/٢٦

الأتراك ، فنهبوا أموالهم ودوابهم ، وقتل بينهم قتلى ، فهرب الأتراك ، وأخذ بختيار أقطاع سبكتكين ، وأمر فنودي في البصرة بإباحة دم الأتراك . والله أعلم بالصواب .

ذكر حيلة لبختيار عادت إليه

كان بختيار قد واطأ والدته ، وإخوته أنه إذا كتب إليهم بالقبض على الأتراك يظهرون أن بختيارا قد مات ، ويجلسون للعزاء ، فإذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه ، فلما قبض على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور بذلك ، عندها أوقفوا الصراخ في داره ، وأشاعوا موته ظنا منهم أن سبكتكين يحضى إلى عندهم ساعة يصل إليه الخبر ، فلما سمع الصراخ أرسل يتعرف الخبر ، فأعلموه ، فأرسل يسأل عن الذي أخبرهم ، وكيف أتاهم الخبر ، فلم يجد نقلا يثق القلب به ، فارتاب لذلك ، ثم وصلت رسل الأتراك بما جرى عليهم ، فعلم أن ذلك مكيدة ، ودعاه الأتراك إلى أن يأتمر عليهم فتوفق ، وأرسل إلى أبي إسحاق إبراهيم بن معز الدولة يعلمه أن الحال قد فسد بينه ، وبين أخيه ، فلا يرجى صلاحه ، وأنه لا يرى العدول عن طاعة والدته ، فمنعته منه ، فركب سبكتكين في الأتراك ، وحصر ديار بختيار يومين ، ثم أحرقها ودخلها ، وأخذ أبا." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٥٦ """""""

داود ، أنهما لا يجتمعان عند بغراخان ، وإنما يحضر أحدهما ، ويقيم الآخر في أهله ؛ خوفا منه أن يقبض عليهما معا ، فاجتهد بغراخان في اجتماعهما ، فلم يتهيأ له ، فقبض على طغرلبك ، فسار داود في عشائرها ومن معه ، وقصد بغراخان وقاتله وهزمه ، وخلص أخاه وانصرفوا إلى جند ، وهي بقرب بخارى .

وأما ارسلان بن سلجق أخو ميكائيل فإن ميكائيل فإن إيلك خان لما ملك مملكة السامانية ، بما وراء النهر ، ومنها بخارى ، أعظم محل أرسلان ، وكان على تكين في جيش أرسلام خان أخو إيلك خان ، فهرب ولحق ببخارى ، واستولى عليها ، واتفق مع أرسلان بن سلجق ، وقوي أمرهما ، فقصدهما إيلك خان أخو أرسلان خان ، وقاتلهما ، فهزماه ، وبقيا ببخارى ، وكان علي تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكتين ، فيما يجاوره من البلاد ، ويقطع الطريق على رسله إلى ملوك الترك ، فلما عبر محمود نهو جيجون هرب على تكين من بخارى ، ودخل أرسلان بن سلجق وجماعته إلى المفازة ، فكاتبه محمود واستماله ورغبه ، فأتاه ، فقبض عليه لوقته ، وسجنه ونهب خركاهاته ، واستشار فيما يفعل بقومه وعشيرته ، فأشار أرسلان الجاذب بقطع أباهيمهم حتى لا يرموا النشاب ، أو يغرقوا في نهر جيحون ، وفرقهم في نواحي خراسان ، ووضع عليهم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١١٤/٢٦

الحرج ، فجار العمال عليهم ، وامتدت الأيدي إلى أموالهم وألادهم ، فانفصل منهم ألفا رجل ، وساروا إلى كرمان ، ومنها إلى أصفهان ، وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب ، فساروا من أصفهان إلى أذربيجان . هؤلاء جماعة أرسلان ، وأما أولاد أخوته : فإن تكين صاحب بخارى أعمل الحيلة في الظفر بهم ؛ فراسل يوسف بن موسى بن سلجق وهو ابن عم طغرلبك ، واستماله ، وطلب منه الحضور عنده ، فأتاه ، ففوض إليه تكين التقدم على جميع الأتراك الذي في ولايته ، وأقطعه إقطاعا كبيرا ، ولقبه بالأمير اينانج بيغو وقصد بذلك أن يعينه على أولاد عمه وأن يأخذ بعضهم ببعض ، فعلم يوسف مراده ، فلم يطعه في ذلك ، فلما رأى أن مكيدته لم تؤثر ، ولا يبلغ بها غرضا ، أمر بقتله ، فعظم ذلك على طغرلبك ، وداوود وعشائره ، فلبسوا ثياب الحداد ، وجمعا من الأتراك ما قدرا على جمعه ، لطلب ثأر ابن عمهم ، وجمع على تكين ، وذلك في سنة عشرين." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٦ """""""

ذكر انهزام بركياروق منه

قال : ولما سار تتش إلى أذربيجان كان بركياروق بنصيبين فبلغه الخبر ، فسار إلى قتاله ولم يكن معه غير ألف رجل ، وعمه في خمسين ألفا . فجهز إليه عمه بعض الأمراء فكسبه وهزمه ونهب سواده ، فسار إلى أصفهان على ما ذكرناه في أخباره وخطب للسلطان تاج الدولة ببغداد .

ذكر قتل تاج الدولة تتش

قال : ولما هزم بركياروق سار من موضع الوقعة إلى همذان ، ثم سار إلى الري وكاتب الأمراء الذين بأصفهان يدعوهم إلى طاعته ، ويبذل لهم الأموال الكثيرة . وكان بركياروق مريضا بالجدري ، فأجابوه يعدونه أنهم ينحازون إليه ، وهم ينتظرون ما يكون من صاحبهم . فلما عوفي بركياروق أرسلوا إلى تتش أنه ليس لك عندنا إلا السيف ، وخرجوا له والتقوا بموضع قريب من الري ، وقد كثرت جموع بركياروق ، فانهزم أصحاب تتش وثبت هو في القلب فقتله أصحاب قسيم الدولة بثأر صاحبهم . والله أعلم .

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما تتش

قال : كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان . وكتب." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٥٦/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٤٦/٢٧

"""""""""" صفحة رقم ٩٥ """"""""

وأما عماد الدين فإنه فارق حمص وسار إلى سلمية فنزلها ، وعبر ثقله الفرات إلى الرقة ، وأقام جريدة . وقصد الروم شيزر ، وهي من أمنع الحصون وكانت للأمير أبي المعالي سلطان بن علي بن منقذ الكناني ، فنازلوها وحاصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا فأرسل صاحبها إلى عماد الدين يستنجده ، فسار إليه ونزل على نهر العاصي بينها وبين حماه ، فكان يركب بعسكره إلى شيزر ويقفون حيث يراهم الروم ، ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم . ثم أرسل إلى ملك الروم يقول : إنكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال ، فانزلوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي ، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وإن ظفرتم بي استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها . ولم تكن له بهم قوة ، وإنما كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه ، فأشار فرنج الشام على ملك الروم بقتاله وهونوا عليه أمره ، فلم يفعل ، وقال : أتظنون أن ليس لهم من العسكر إلا ما ترون ، إنما هو يريد أن تلقوه فيأتيه من نجدات المسلمين ما لا يحد وكان عماد الدين يرسل إلى ملك الروم يقول إن فرنج الشام خائفون منه ، ولو فارق مكانه لتخلفوا عنه . ويرسل إلى الفرنج فيقول : إن ملك ملك الروم من الشام حصنا واحدا ملك الروم من شيزر في شهر رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار كما هي ، فسار عماد الدين يتبع ساقة العسكر ، فظفر بكثير منهم ممن تخلف .

ذكر ملك عماد الدين بعلبك

وفي ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية ملك عماد الدين زنكي مدينة بعلبك وهي لصاحب دمشق . وسبب ذلك أن شهاب الدين محمود صاحب دمشق قتله غلمانه في هذه السنة كما ذكرنا ، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد . وكانت والدة محمود زوجة عماد الدين بحلب ، فوجدت لذلك وجدا عظيما وحزنت حزنا شديدا وكتبت إلى أتابك زنكي وهو بالجزيرة تعرفه بالحادثة ونطلب أن يقصد دمشق ويطلب ثأر ولدها . فبادر إلى ذلك ولم يتوقف وعبر الفرات عازما على قصد دمشق . فبلغ ذلك صاحبها فاحتاط واستعد ، وسار عماد الدين إلى بعلبك فوصل إليها في العشرين." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١١٣ """"""""

ذكر فتح صافيثا وعريمة

وفي سنة اثنتين وستين وخمسماية جمع نور الدين العساكر وسار إليه أخوه قطب الدين من الموصل واجتمعا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٩٥/٢٧

على حمص ، فدخل بالعساكر إلى بلاد الفرنج بالساحل واجتاز على حصن الأكراد ، فأغاروا ونهبوا وسبوا . وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها ، وحصروا حلبة وأخذوها وخربوها . وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب ، وفتحوا العريمة ، وصافيثا ، وعادوا إلى حمص فصاموا بها شهر رمضان ، وكان الفرنج في سنة ثمان وأربعين قد كبسوا عسكر نور الدين بالبقيعة على حين غفلة من العسكر ، فنالوا من المسلمين منالا عظيما ، فجعل نور الدين في مقابلة ذلك فتح حارم وبانياس والمنيطرة وصافيثا وعريمة وتخريب بلادهم ، وأدرك ثأره عن غير بعد .

ثم سار بعد شهر رمضان إلى بانياس ، وقصد العبور إلى بيروت ، فجرى بين العسكر اختلاف أوجب رجوعه . وأعطى قطب الدين في هذه السنة الرقة ، وأعاده إلى بلده . هذا ما فتحه رحمه الله من بلاد الفرنج ، فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية .

ذكر ما استولى عليه نور الدين من البلاد الاسلامية

في سنة أربع وأربعين وخمسماية ، استولى الملك العادل نور الدين على سنجار ، وكانت بيد أخيه قطب الدين ، ملكها بعد وفاة سيف الدين غازي ، ثم حصل الاتفاق بينهما على أن يكون نور الدين صاحب حلب وحمص والرحبة والشام ؛ وقطب الدين بالموصل وديار الجزيرة ، وسلم سنجار لأخيه قطب الدين ، وأخذ نور الدين ما كان من الذخائر بسنجار ، وكانت كثيرة جدا ، وعاد إلى حلب وقد حصل الاتفاق بينه وبين أخيه." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """""""""

جلال الدين وطلب ثأر ابنه . واتفق اختلاف المسلمين ، ومفارقة العساكر الخلجية صحبة سيف الدين بغراق وأعظم ملك ومظفر ملك للسلطان جلال الدين بسبب ما وقع منهم عند قسم الغنيمة على ما بيناه في أخبار جلال الدين واجتهد جلال الدين في ردهم فعجز ، ودهمه وصول جنكزخان ، ففارق غزنة وتوجه صوب السند ، فأدركه جنكزخان قبل عبوره ماء السند فاضطر جلال الدين إلى القتال فكان من أمره وانهزامه وعبوره إلى بلاد الهند ما قدمناه في أخباره . ولما فارق جلال الدين البلاد رجع جنكزخان إلى غزنة فملكها من غير مدافع ولا ممانع لخلوها من العساكر فقتل التتار أهلها ونهبوا الأموال وسبوا الحريم وألحقوها بخراسان . . .

ذكر ملكهم مدينة خوارزم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١١٣/٢٧

قال شهاب الدين المنشي : كان حصار خوارزم في ذي القعدة سنة عشرين وستماية ، واستيلاؤهم عليها في صفر . قال : لما انفصل جلال الدين وإخوته عن خوارزم كما ذكرناه في أخباره ، وافى التتار تخومها ، وأقاموا بالبعد منها حتى تكاملت عدتهم وآلات الحصار ، ثم تقدموا إليها . فأول من وصل إليها منهم باجي ملك في عسكر كثيف ثم بعده أوكتاي بن جنكزخان وهو الذي انتهت إليه القانية فيما بعد ثم سير جنكزخان بعدهم حلقته الخاصة ومقدمها بقرجن نوين وأردفهم بابنه جغطاي ومعه طولن نوين واستون نوين وقاضان نوين في مائة ألف فارس . وطفقوا يستعدون للحصار ويستعملون آلاته من المجانيق والدبابات وغير ذلك . ولما رأوا خوارزم وبلدها خالية من حجارة المنجنيق وجدوا هناك من أصول التوت الغلاظ ما استعملوه بدلا من الحجارة ، فكانوا يقطعونها وينقعونها في الماء فتصير كالحجارة ثقلا وصلابة ، فتعوضوا بها عن الحجارة .
ثم وصل دوشي خان بن جنكزخان إلى بلاد ما وراء النهر فراسلهم في الأمان وقال : إن جنكزخان قد أنعم عليه بها وأنه لا يؤثر تخريبها ويضن به ويحرص على عماراتها . قال : ومما يدل على ذلك أن العساكر مدة مقامهم بالقرب منها ما تعرضوا إلى الغارات على رساتيقها فمال ذووا النباهة من أهلها إلى المسالمة ، فغلب عليهم السفلة وامتنعوا ، فعند ذلك ساق إليها دوشي خان ، وأخذ يطويها محلة محلة ، فكلما." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥٢ """""""

ولما أقام جكا ببلاد آص تسلل إليه كثير من عسكره ، فكثرت بهم عدته ، وسار لحرب طنغر وطاز بن منجك ، والتقوا واقتتلوا فاستظهر جكا عليهما وأسروا بيوتهما به . وكانت أخته طقلجا تقاتله بنفسها في هذه الوقعة . فلما انكسر زوجها ومن معه ، كاتبوا طقطا يستمدونه ، فأمدهم بجيش صحبة أخيه برلك بن منكوتمر . . فلما جاءهم المدد والتقوا للقتال لم يكن لكيجا بهم قبل ، فهرب إلى بلاد أولاق ، وكان ملكها والحاكم عليها صروجا أحد أقارب جكا فآوى إليه ، فاجتمع أصحابه وقالوا : هذا عدو طقطا ، ولا نأمن أنه إذا بلغه أنه انحاز إلينا يقصدنا بجيوشه ولا قبل لنا به . فأمسكه دعوقه في قلعته واسمها تزنوا وطالع طقطا بأمره فأمره بقتله ، فقتله في هذه السنة وهي سنة سبعمائة ، ودخلت مملكة الملك طقطا ممن يساويه ، واستقر يزلك بن منكوتمر في مقام نوغيه من قبل أخيه طقطا . ولم يبق من أولاد نوغيه إلا أصغرهم وهو طراي . ورتب طقطا بيجي بن قرمسي يرصع أباجي أخاه . وجهز ولديه يكل بغا وأربصا إلى بلاد نوغيه ، فاستقر يكل بغا في صنعجي ونهر طنا وتايل باب الحديد ، وهي منازل نوغيه . وأقام ايربصا ، بنق ورتب أيضا أخاه صراي بغا .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٧/٢٢٦

ذكر ما اتفق طراي بن نوغيه وصراي بغا بن منكوتمر من الخروج عن طاعة الملك طقطا وقتلهما

وفي سنة إحدى وسبعمائة تحرك طراي بن نوغيه في طلب ثأر أبيه وأخيه من طقطا ، ولم يكن له قوة بنفسه ، فجاء إلى صراي بغا ابن منكوتمر . وكان أخوه طقطا قد رتبه في مقام نوغيه فتوصل طراي إليه ولازمه ، ولم يزل يلاطفه حتى حسن له الخروج على أخيه طقطا وأن يستقل بالملك ، فوافقه صراي بغا ومال إليه وركب بتمانه وعبر نهر اتل ، وترك العسكر ، وتوجه جريدة ، اجتمع بأخيه برلك ، وعرفه ما عزم عليه وطلب منه الموافقة فأجابه إلى ما طلب . ثم بادر برلك بالاجتماع بأخيه طقطا ، وعرفه الصورة وما هم به صراي بغا وطراي بن نوغيه . فركب طقطا لوقته في خواصه وجهز إليهما من أحضرهما ، فقتلا بين يديه ، ورتب ولده في المكان الذي كان قد رتب فيه صراي بغا . ولما قتل طقطا طراي هرب قراكشك بن جكا بن نوغيه ، وهرب معه اثنان من أقاربه وهما جركتمر ويلتطلوا . – وكان بزلك قد أرسل في طلبه –." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١١ """""""

علي الصالح ، وجمع جمعا (صلى الله عليه وسلم) صالحا ، فأخرج إليه الصالح عسكرا ، فالتقوا واقتتلوا ، فقتل تميم في سابع عشر رجب .

وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة انفسخت الهدنة بين الصالح بن رزيك والفرنج ، فجهز الصالح الجيوش والسرايا إلى بلاد الفرنج . فوصل سرية إلى عسقلان وغنمت وعادت سلمة . وجهز المراكب في البحر إلى نحو بيروت ، فأوقعت بمراكب الفرنج . وجهز سرية إلى جهة الشوبك فعانوا في تلك النواحي ، وعادوا سالمين بالغنائم والأسرى . وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين قبض الصالح ابن رزيك على الأمير ناصر الدولة ياقوت وأولاده واعتقلهم ، وسبب ذلك أنه بلغه أنه كاتب أخت الظافر وقصد القيام على الصالح ، وكان واليا عاملا على الأعمال القوصية ، وهو بالقاهرة . ولم يزل في حبسه إلى أن توفي في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين .

وفي سنة أربع وخمسين ثار علي الصالح طرخان بن سليط بن ظريف ، متولي الإسكندرية ، وجمع جموعا من العربان وغيرها ، وتقدم بها لحره ، فندب الصالح إليه الأمي عز الدين حسام بن فضة بعسكر ، فالتقوا واقتتلوا ، فهزم حسام جيوشه وظفر به ، فاعتقله الصالح .

فلما كان في المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه إسماعيل طلبا لثأره ، وتلقب بالملك الهادي ، فندب الصالح

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٥٢/٢٧

إليه الجيوش . فلما هجمت عليه هرب وأتى الجيزة ، واستتر عند بعض العربان . فلما كان في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر هرب طرخان من الاعتقال هو والموكل به ، فقبض عليه في السادس من الشهر وصلب على باب زويلة ، ورمي بالنشاب ، ثم مسك أخوه إسماعيل وصلب إلى جانبه بعد أن ضرب عنقه .

وفي سنة أربع وخمسين بنى الصالح حصنا من اللبن على مدينة بلبيس .

ذكر وفاة الفائز بنصر الله

كانت وفاته في ليلة الجمعة السابع عش رمن شهر رجب سنة خمس وخمسين." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٧٩ """""""""

ذكر مسير الفرنج إلى عكا ومحاصرتها

قال المؤرخ : لما كثر جمع الفرنج بصور ، على ما ذكرناه من أن السلطان كان لكما فتح حصنا أو مدينة بالأمان سار أهلها إلى صور بأموالهم وأهلهم ، اجتمع بها منهم عالم كثير لا يحصون ، وأموال كثيرة ، ثم أن الرهبان والقسوس لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج بيت المقدس منهم ، وتابعهم جماعة من المشهورين ، فأخذهم البطرك ودخل بهم إلى بلاد الفرنج يطوفها بهم ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ، ويحثونهم على الأخذ بثأر البيت المقدس وصوروا صورة المسيح عليه السلام وصورة رجل أعرابي والعربي يضربه بين جماعة ، وقالوا : هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين ، وقد جرحه وقتله .

فعظم ذلك على الفرنج وحشدوا ، حتى النساء فإنهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأقران ، ومن لم يستطع أن يخرج استأجر عنه أو يعطيهم مالا ، فاجتمع لهم من الرجال والأموال ما لا يحصى كثرة .

واجتمعوا بصور والبحر يمدهم بالأموال والأقوات والعدد والذخائر ، فضاقت عليهم مدينة صور ، باطنها وظاهرها ، فأرادوا قصد صيدا ، فكان من ردهم ما ذكرناه .

فاتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ؛ فساروا إليها بفارسهم وراجلهم ، ولزموا البجر في مسيرهم ، لا يفارقونه في السهل والوعر ، ومراكبهم تسايرهم وفيها السلاح والذخائر . فكان رحليهم من مدينة صور في ثاني شهر رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ونزولهم على عكا في منتصف الشهر ، فتخطف المسلمون منهم في مسيرهم واخذوا من انفرد .

وجاء الخبر إلى السلطان برحيلهم ، فسار حتى قاربهم . ثم نزلوا على عكا قبل وصوله إليها ، ونازلوها من سائر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢١١/٢٨

جهاتها برا وبحرا فلم يبق للمسلمين إليها طريق . ونزل السلطان عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته إلى تل العياضية." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """""""

أود . واستغنى في تدبير سلطانه العظيم عن وزير به يعتضد .

أحمده على نعم سهلت صعبا . وسقت على ظمأ باردا عذبا . ورجع بها ما ضاق من الأمور واسعا رحبا . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أضحى به معهد الإيمان معهودا . ونظام المكرمات منضودا . وعلى آله وأصحابه ، الذين كان سعيهم في الإسلام محمودا ، وأنوار مناقبهم متوقدة لا تعرف خمودا .

وبعد ، فلما كان المجلس السامي ، الصاحب الأجل ، الصدر الكبير ، الإمام العالم ، الوزير الكامل ، المجتبى المختار ، تاج الدين ، بهاء الإسلام ، مجد الأنام ، شرف الوزراء زين الفضلاء ، رئيس الأصحاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، مفتي الفرق ، خالصة أمير المؤمنين : عبد الوهاب ابن القاضي الأعز خلف - أدام الله سعادته ، وقرن بالتأييد بدأه وإعادته - ممن سلكت به التجربة حزنا وسهلا ، وراض جامح الأمور ناشئا وكهلا ، وتمت كلمات تفضيله بفضائله صدقا وعدلا ، وجددت له مساعيه الحميدة ملابس ثناء لا تبلى . وأجلى من أبكار معانيه بدورا لا تعرف أفولا ولا كسوفا ، واستل من آرائه شعلا ، فلو طبعت لكانت سيوفا . واتسق نظام بلاغته ، فكأنه نظام فريد . واستعيدت ألفاظه فما أخلقها العود على المستعيد . وحلى بدرر مساعيه جيدا من الملك عاطلا ، وعاد ربع المكارم بمناقبه عامرا آهلا .

رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني ، الملكي المنصوري النوري - شرفه الله وأعلاه ، وأنفذه وأمضاه - أن يفوض إليه أمر الوزارة ، لما علم فيه من السودد الذي اقتاد به صعب المكارم والمفاخر ، التي حاز منها ما لم يحزه الأوائل ، وإن جاء في الزمن الآخر . والفضائل التي فاز منها بقصب السبق ، والأحكام التي تحلى فيها بدر الأناة والرفق . والسياسة التي سلك بها نهج السبيل إلى الحق . والمعالي التي أبدى في كسبها ما أبداه ، من ثغره الضاحك ووجهه الطلق . والنزاهة التي أهلته لأشرف المناصب ، وقضت له بسلامة العواقب ، والصنايع التي غذت معارفه عند مناكرة النوائب ، والمكارم التي لحت في العلو ، فكأنها تحاول أخذ ثأر من الكواكب .

ولقد أمعنا النظر في إرتياده . وانتقدناه من بين الناس ، فلم نأل جهدا في انتقاده . وخطب لهذه الرتبة الرفيعة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٧٩/٢٨

لما أوراه في المكرمات من زناده . وأهل لهذا المنصب الشريف الذي يدع الآباء والأبناء من حساده . فليتول ما وليناه من أمر الوزارة ، فهو لها من الأكفاء . وما اصطفيناه إلا هو جدير." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """""""""

وأعطاه خمسمائة دينار ، ورتب له راتبا جيدا .

قال الشيخ شمس الدين : وقد حكى لي ولوالدي ، هذه الحكاية عنه . هذا معنى كلامه ولفظه . ومما يؤيد هذه الحكاية أيضا - ويشهد لها - ما حكاه الشيخ شمس الدين - المذكور - عن والده ، قال : حكى لي الحاج أبو بكر بن الدريهم الإسعردي ، والحاج زكي الدين إبراهيم الجزري - المعروف بالجبيلي ، أستاذ الفارس أقطاي - قالا : كنا عند الأمير سيف الدين قطز في أول دولة أستاذه : الملك المعز ، وقد حضر عنده منجم ورد من بلاد المغرب - وهو موصوف بالحذق في علم الرمل والفلك . فأمر قطز أكثر من عنده من حاشيته بالانصراف ، فانصرفوا . وهممنا بالقيام ، فأمرنا بالجلوس ، فجلسنا . وما ترك عنده إلا من يثق به من خواصه . وقال للمنجم : اضرب الرمل . ففعل . وحدثه بأشياء كثيرة ، مما كان في نفسه .

وكان آخر ما قال له : اضرب وانظر من يملك بعد أستاذي ، ومن يكسر التتار ؟ فضرب ، وحسب حسابا طويلا ، وبقي يفكر ويعد أصابعه . وقال : قد طلع معي خمس حروف بغير نقط ، وأبوه أيضا خمس حروف بغير نقط . وأنت اسمك ثلاث حروف ، وابن السلطان كذلك . فقال له : لم لا تقول : محمود بن ممدود ؟ فقال المنجم : لا يقع غير هذا الاسم . فقال قطز : أنا محمود بن ممدود . وأنا أكسر التتار ، وآخذ بثأر خالي خوارزم شاه . ثم استكتمنا هذا الأمر . وأنعم على المنجم بثلاثمائة درهم ، وصرفه .

وحكى عن المولى المرحوم تاج الدين أحمد بن الأثير - رحمه الله تعالى - ما معناه : أن الملك صلاح الدين يوسف صاحب الشام - رحمه الله تعالى - لما كان على برزة ، في أواخر سنة سبع وخمسين وستمائة - وصل إليه قصاد من الديار المصرية ، بكتب ، تتضمن أن قطز قد تسلطن وملك الديار المصرية ، وقبض على الملك المنصور بن أستاذه الملك المعز . قال القاضي تاج الدين : فطلبني السلطان - رحمه الله - فقرأت عليه الكتب .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٩/٢٩٦

فقال لي : خذ هذه الكتب ، وتوجه إلى الأمير ناصر الدين القيمري ، والأمير جمال الدين بن يغمور ، وأوقف كلا منهما عليها . قال : فأخذتها وخرجت من عنده . فلما." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٣١ """""""""

كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلت . . . حواسه فغدا كالمنزل الخرب

كأنه وسنان الرمح يطلبه . . . برج هوى ووراه كوكب الذنب

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت . . . بك الممالك واستعلت على الوثب

ما بعد عكا ، وقد لانت عريكتها . . . لديك شيء تلاقيه على تعب

فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها . . . مدت إليك نواصيها بلا نصب

كم قد دعت ، وهي في أسر العدا زمنا . . . صيد الملوك فلم تسمع ولم تجب

لبيتها يا صلاح الدين معتقدا . . . بأن ظن صلاح الدين لم يخب

أسلت فيها كما سالت دماؤهم . . . من قبل إحرازها بحرا من الذهب

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت . . . منه لسر طواه الله في الكتب

وجئتها بجيوش كالسيول على . . . أمثالها بين أجام من القضب

وحطتها بالمجانيق التي وقفت . . . أمام أسوارها في جحفل لجب

مرفوعة نصبوا أضعافها قبلت . . . للجزم والكسر منها كل منتصب

ورضتها بنقوب ذلك شمما . . . منها وأبدت محياها بلا نقب

وبعد صحبتها بالزحف فاضطربت . . . رعبا وأهوت بخديها إلى الترب

وغنت البيض في الأعناق فارتقصت . . . أجسادها لعبا منها مع اللعب

وخلقت بالدم الأسوار فابتهجت . . . طيبا ولولا دماء القوم لم تصب

وأبرزت كل خود كاعب نثرت . . . لها الرؤوس وقد زفت بلا طرب." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٨ """""""""

حلك السحب برق ثغرها المفتر .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٠٧/٢٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١٣١/٣١

وهو حصن صاعد منحدر ، بارزه مستدير ، لا يطأ إليه السالك إلا على المحاجر ، ولا تنظره العيون حتى تبلغ القلوب الحناجر ، كأنه في ضمائر الجبال حب يقتل وهو كامن ، ويجرف الظاهر وهو باطن . قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها ، ومدت عليه الغمائم أطنابها ومضاربها . وقد تنافست فيه الرواسي الرواسخ فأخفاه بعضها عن بعض وتقاسمته العناصر فهو للنكاية والرفعة والثبات ومجاورة الفرات مشترك بين النار والهواء والماء والأرض . وقد امتدت الفرات من شرقيها كالسيف في كف طالب ثأر ، واكتنفها من جهة الغرب نهر آخر استدار نحوها كالسور وانعطف معها كالسوار . وفي قنة قلتها جبل يرد الطرف وهو كليل ، ويصل النظر إلى تخيل هضابه فلا يهتدي إلى تصورها بغير دليل ، وكذلك من شرقها وغربها ، فلا تنظرها الشمس وقت الشروق ، ولا يشاهدها القمر وقت الأصيل . وحولها من الأودية خنادق لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه ، ولا الشهر إلا بنصفه . وأما الطريق إليها فيزل الذر عن متنها . ويكل طرف الطرف عن سلوك سهلها فضلا عن حزنها . وبها من الأرمن عصب جمعهم التكفور ، ومن التتار فرق زيادتهم للتغوير ، قد بذلوا دونها النفوس ، وتدرعوا للذب عنها لبوس . وأقدموا على شرب كأس الحمام ، خوفا أن يكفرهم التكفور ؛ ويحرمهم خليفتهم الحاكم بها ، كتبغا نميكوس . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وفسح في ميدان الضلالة آمالهم ، فلما تراءت الفئتان ، نكص على عقبية ، وترك كلا منهما يعض من الندم يديه . وحين أمر مولانا السلطان ، خلد الله سلطانه ، الجيوش المنصورة بالنزول عليها ، والهجوم من خلفها ومن بين يديها ، ذللت مواطئ جيادها صهوات تلك الجبال . وأحاطت بها من كل جانب إحاطة الهلال بالهلال . وسلكوا إليها تلك المخارم ، وقد تقدمهم الرعب هاديا وأقدموا على قطع تلك المسالك والمهالك ، بالأموال والأنفس ، ثقة بأنهم لا ينفقون." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٢ """"""""

تسكن هذه الفتنة ، وتستقر القاعدة . فقال هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا . فكيف نختاره لأنفسنا ، واستمر على ذلك خمسة أيام .

وكانت رسالة دور السلطان الملك الأشرف قد خرجت إلى الأمير زين الدين كتبغا ، مضمونها الشفاعة في أمره ، وأنه لا يؤذى . وذكروه بمحبة السلطان له . وأنهم إنما قاموا في طلب ثأر السلطان ، وقتل أعدائه . وأما هذا فهو أخلص أولياء السلطان بخدمته ، وأدومهم على طاعته - هذا للفظ أو معناه ؟ " ، فسكن أمره في هذه الأيام الخمسة الماضية . فغضب الأمير علم الدين الشجاعي ، واجتمع بالأمير زين الدين كتبغا نائب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤٨/٣١

السلطنة وغيره من أكابر الأمراء . وقال : هذا الصاحب هو الذي أوقع بين السلطان ومماليكه وأمرائه ونائبه . وإنما قتل السلطان بسبب هذا ، فاتبع رأيه فيه .

فلما كان في اليوم السادس ، وهو اليوم الثاني والعشرين من المحرم ، طلع الصاحب شمس الدين بن السلعوس إلى قلعة الجبل ، فحضر إلى الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة ، فسلمه للأمير علم الدين الشجاعي ، فسلمه الشجاعي للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري ، وكان من أعدائه ، ليطالبه بالأموال فضربه ضربا شديد . فأنكر عليه الأمير علم الدين . ثم سيره إلى الأمير بدر الدين المسعودي ، شاد الدواوين ، وهو نشو ابن السلعوس . فإنه كان قد طلب من دمشق للمصادرة ، لما قتل مخدومه الأمير حسام الدين طرنطاي ، وكان يتولى ديوانه بالشام . فأحسن الصاحب إليه ، وأفرج عنه ، وولاه شد الدواوين بالديار المصرية . فلما سلم إليه ، عاقبه واستصفى أمواله . وكان يجلس لمصادرته وعقوبته في المدرسة الصاحبية التي بسويقة الصاحب بالقاهرة . ولم يزل يعاقبه إلى أن مات تحت الضرب ، وقيل إنه ضرب بعد موته ، ثلاثة عشر مقرعة ، ولم يعلم أنه مات . وكانت وفاته في يوم السبت عاشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ودفن بالقرافة .

ذكر الخلف الواقع بين الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزين الدين كتبغا ، ومقتل الشجاعي

كان الأمير علم الدين الشجاعي قد استمر في الوزارة وتدبير الدولة ، وأحكم." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """"""""

يقول : " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " .

وحيث جعلتم هذا ذنبا ، موجبا للحمية الجاهلة ، وحاملا على الانتصار ، الذي زعمتم أن همتكم به ملية ، فقد كان هذا القصد ، الذي ادعيتموه ، يتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف ، التي أوجب ذلك فعلها ، والاقتصار على أخذ الثأر ممن ثار اتباعا لقوله تعالى : " وجزاء سيئة سيئة مثلها " ، لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفقة ، على اختلاف الأديان ، وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان ، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس ، الذي هو ثاني بيت الله الحرام ، وشقيق مسجد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام . وإن احتججتم أن زمام الغارة بيدنا ، وسبب تعديهم من سنتنا . فقد أوضحنا الجواب عن ذلك ، وأن عدم الصلح والموادعة ، أوجب سلوك هذه المسالك . وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين واقتفاء آثار المتقدمين ، في إنفاذ الرسل أولا ، فقد تلمحنا هذه الصورة ، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة ، والجواب عن ذلك أن هؤلاء الرسل ما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٧٢/٣١

وصلوا إلينا إلا وقد دنت الخيام من الخيام ، وناضلت السهام السهام ، وشارف القوم القوم . ولم يبق للقاء إلا يوم أو بعض يوم ، وأشرعت الأسنة من الجانبين ، ورأى كل خصمه رأي العين . وما نحن ممن لاحت له رغبة راغب ، فتشاغل عنها ولهى ، ولا ممن يسالم فيقابل ذلك بجفوة النفار ، والله تعالى يقول : " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها " . كيف والكتاب بعنوانه . وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، يقول : " ما أضمر إنسان شيئا إلا ظهر ، في صفحات وجهه وفلتات لسانه " .

ولو كان حضور هؤلاء الرسل والسيوف وادعة في أغمادها ، والأسنة مستكنة في أعوادها ، والسهام غير مفوقة ، والأعنة غير مطلقة ، لسمعنا خطابهم وأعدنا جوابهم .

وأما ما أطلقوا به لسان قلمهم ، وأبدوه من غليظ كلمهم في قولهم : فصبرنا على تماديكم في غيكم ، وإخلادكم إلى بغيكم . فأي صبر ممن أرسل عنانه إلى المكافحة ، قبل إرسال رسل المصالحة ، وجاس خلال الديار قبل ما زعمه من الإنذار والأعذار وإذا فكروا في هذه الأسباب ، ونظروا فيما صدر عنهم من خطاب ، علموا العذر في تأخير الجواب ، وما يتذكر إلا أولو الألباب .

وأما ما تحججوا به مما اعتقدوه من نصره ، وظنوه من أن الله جعل لهم على حزبه الغالب في كل كرة الكرة . فلو تأملوا ما ظنوه ربحا ، لوجدوه هو الخسران المبين .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١ """""""

حوافل ، وربوع البغي أواهل . فلم يزل يجرد الصفاح من مقرها ، ويطلق جياد الغرم في مجراها وصعاد الحزم في بحرها ، إلى أن أخمد نار الشرك والنفاق ، وظهرت معجزاته بإظفار نار فارس بالعراق ، صلى الله عليه وعلى آله الذين جردوا بين يديه سيوف الحتوف ، فاستغلقت الأعمار ، وهاجروا إليه ونصروه فسموا المهاجرين والأنصار ، وبعد : فإن الوقائع التي عظمت آثارها في الآفاق ، وحفظت بها دماء المسلمين من أن تراق ، وبقي بها الملك والممالك ، وأشرق بها سواد الخطب الحالك . وسطرها الله تعالى في صحائف مولانا السلطان الملك الناصر ، وآتاه فيها من الملك ما لم يبلغه أحد ، فأورثه به ظفرا مخلدا لا يفنى وإن طال المدار والأمد ، وأشبه في ثباته ووثباته بها أباه رضي الله عنه ، والشبل في المخبر مثل الأسد ، واستقر

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٦٨/٣١

بها الملك في مهاد السكون بعد القلق ، وتبدلت بها الملة الإسلامية الأمن بعد الفرق ، وأضحى بها وجه الإسلام سافرا بعد تقطيبه ، وطلع بها بدر السرور كاملا بعد مغيبه ، وعمت الأيام إحسانا من الملك وحسنى وعلم المؤمنين بها تحقيق قوله عز وجل :
) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ([النور : الآية ٥٥] حقها أن يسطر فيها ما يعمر ربوع السرور ويؤنس معاهده ، ويقف عليه الغائب فيكون كمن شاهده ويذيع أنباء هذه النصرة في الأقطار ، ويتحقق أهل الإسلام أن لهم ملكا يناضل عن دين الله بالسمر الطوال والبيض القصار ، وسلطانا ما أغمد سيفه في جفنه إلا ليستجم لأخذ الثأر ممن ثار .
ولما كانت هذه الغزاة المبرورة ، والحركات التي عدت حسناتها في صحائف القبول مسطورة ، والسفرة التي أسفرت بحمد الله عن الغنيمة والسلامة ، وأعلمت الأمة بركة قوله [ ] : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة " . وكنت ممن شملته نفحات الرحمة فيها ، وهبت عليه رياح النصر التي كانت ترجيها ، وشاهدت صدق العزائم الملكية الناصرية ، التي طلعت في سماء النقع نجوما وقادة ، وشهدت في محضر الغزو على إقرار العدى بالعجز ، وكيف لا وذاك المواطن محل الشهادة ، ورأيت كيف أثبت السيف لنا الحق لأنه القاضي في ذلك المجال ، وكيف نفذت السهام لأجل تصميمه في الحكم ، فلم تمهل حتى أخذت دين الآجال وهو حال ، وقد أحببت أن أذكر من أمرها ملحة تنشرح منها الصدور ، وآتي بلمعة تعرب عن ذلك النور ، وها أنا أذكر نبأ السفر من افتتاحه ، وأشرح حديث هذه الغزاة من وقت صباحه ، فأقول :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣ """""""

أبي عبد الله بن محمد بن عبد الواحد بن محمد التبريزي الشافعي قاضي عجلون وخطيبها وهي : [من البسيط]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢١/٣٢

الله أكبر جاء النصر والظفر

والحمد لله هذا كنت أنتظر

وأبرز القدر المحتوم بارئه

سبحانه بيديه النفع والضرر

وهون الصعب بالفتح المبين لكم

رب يهون عليه المقفل العسر

ولم تزل شرعة الإسلام ظاهرة

أجزم به فبهذا صحح الخبر

أين النجوم وتأثير القران وما

تخرصوا فيه من إفك وما زجروا

قد دبر الله أمرا غير أمرهم

وخاب ما زخرفوا فينا وما هجروا

وأقبل العسكر المنصور يقدمه

من الملائك جند ليس تنحصر

وقد أحفوا به والأرض من زجل

ترتج إن سبحوا لله أو ذكروا

كنانة الله مصر جندها ثبتت

لا ريب فيه وجند الله تنتصر

ثاروا سراعا إلى إدراك **ثأرهم**

وهجروا في طلاب المجد وابتكروا

وأسهروا أعينا في الله ما رقدت

أكرم بقوم إذا نام الورى سهروا

لله كم دينوا في نصر دينهموا

وأنفقوا في سبيل الله ما ادخروا

صانوا الجياد وسنوا كل ذي شطب

وجددت للقسي النبل والوتر

حماهم الله كما حاموا وكم منعوا

وكم أغاثوا وكم آووا وكم نصروا

وخلفوا خلفهم لذات أنفسهم

وهاجروا ولذيذ العيش قد هجروا

وأوجفوا نفرا بالخيل ملجمة

وبالركاب وما ملوا ولا فتروا

حتى أتوا جلقا في يوم ملحمة

فيه الأسود أسود الغاب تهتصر

لها السنابك في الميدان قد حنيت

صوالجا ولها روس العدا أكر

والجو أغبر والتاتار زاحفة

مثل الجراد على الدنيا قد انتشروا

وددت لو كنت بين الصف منجدلا

قد ارتوت من دمى الخطية السمر

وكوثر الحرب قد راقت مشاربه

تحت العجاجة والأبطال تعتكر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٥ """""""

كم كابروا الحس في قصد الشام وكم

قد جربوا حظهم بالشام واختبروا

فقاتلوهم جميعا إنهم تتر

كم أرسلوا رسلهم تترى وكم مكروا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٣/٣٢

هبوا إلى سيس من أحلام رقدتكم
وسارعوا في طلاب الثأر وابتدروا
بكل غيران أخذ الروح همته
في غير نفس المردى ماله وطر
أيرقد الليل في أمن وفي دعة
عن كيد قوم لهم في شأنكم سهر
إن تتركوهم فإن القوم ما تركوا
يوما عليكم ولا أبقوا ولم يذروا
أما رأيتم وعاينتم وقد فعلوا
في الصالحية ما لا تفعل التتر
اشفوا صدوركم إن كنتم غيرا
على نسائكم يا قوم وادكروا
كم من عجوز ومن شيخ ومكتهل
ومن فتاة نماها الحسن والخفر
بيضاء خرعوبة بكر محجبة
لا الشمس تنظرها صونا ولا القمر
وذات بعل مخباة مخدرة
من دونها تضرب الأستار قد أسروا
ومطفل أثكلوا وجدا بمخولها
وحامل أجهضت خوفا وقد ذكروا
ومربع أقفروا من بعد ساكنه
وعقد شمل نظيم جامع نثروا
وكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا
وكم تملوا بما نالوا وكم فجروا

وحرقوا في نواحيها فوا حربا

وخربوا الشامخ العالي وكم دثروا

وجامع التوبة المحروق مهجته

يشير لا توبة للقوم إن ظفروا

إشارة تترك الأنفاس صاعدة

لها الدموع من الآماق تنحدر

لهم حزازات في قلبي مخبأة

تكاد من حرها الأكباد تنفطر

فما يثبطكم عن أخذ ثأركم

هبوا سراعا وخافوا اللوم يا غير

وفوهم الحرب إنصافا ومعدلة

وحرروا نوب الأيام واعتبروا

لا يظلمن بعضكم بعضا بخردلة

ولا يدع عنده حقا ولا يذر

وسارعوا واقتلوهم إنهم قتلوا

وبادروا وأسروهم مثلما أسروا

جوسوا ديارهم واسبوا حريمهم

وأوقروا ضعف ما أوعوا وما وقروا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٤١ """""""""

الفرسان جماعة رجال أنجاد نحو خمسة آلاف رجل من أهل غرناطة وسلكوا مع الشيخ أبي سعيد طريق الجبل لكونه أمنع ، وأوصاهم ، أن يكونوا بموضع عينه لهم ووصل فرسان المسلمين الثالثة من النهار إلى قرب الجيش فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من إقدامهم عليهم مع قلتهم بالنسبة إلى كثرة الفرنج ، وخرج إليهم وزير

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٥/٣٢

ملك الفرنج ، فقال ما هذا الذي فعلتموه ، وكيف أتيتم والملك في يوم عيده ؟ فارجعوا وابقوا على أنفسكم فإنه إن علم بكم ركب لقتالكم ولا ملجأ لكم منه فعند ذلك حصل للشيخ أبي سعيد حال أخرجه عن عقله فنزل عن فرسه باكيا متضرعا إلى الله تعالى ، وارتفعت أصوات المسلمين بالدعاء لهم ثم أتاهم من كان قد بقي بأغرناطة من فرسان المسلمين يتبعون آثارهم فحرض الشيخ أبو سعيد المسلمين على قتال عدوهم ، وصلى ودعا وبينما هو في صلاته ركب العدو بجملتهم وحملوا على المسلمين – ولم يعلموا برجال المسلمين التي وصلت من أغرناطة فنزلوا بجهة العلياء من المنزلة الخالية ، وقصدوا المسلمين فلم ترعهم كثرتهم واستمر الشيخ أبو سعيد في صلاته حتى أكملها ، ووقف المسلمون ينتظرون ركوبه ، ولما رأى العدو ثباتهم توقفوا وتهيؤوا وخرج من الفريقين فرسان يحركون القتال فاستشهد أمير رندة فاجتهد أقرباؤه في أخذ ثأره وأمر الشيخ أصحابه أن يقصدوا طرف المحلة ففعلوا فأفادهم ذلك ، ومال الروم إلى جهة المحلة بجملتهم ، فألقى الله الرعب في قلوبهم فانهزموا أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف الإسلامية فما زال المسلمون يقتلونهم من الساعة السابعة إلى الغروب ، ولما أظلم الليل أخذ الفرنج في الهرب وتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون ، وغاب الجيش عن أغرناطة ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة بجمع الأموال وأخذ الأسرى ، فاستولوا على الأموال وأسروا وسبوا ما يزيد على خمسة آلاف من الرجال والنساء والأولاد ، وأحصي من قتل من العدو فزادوا على خمسين ألفا ، ومنهم من قال ستين ألفا ، ويقال إنه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لقلة معرفتهم به وثقلهم بالعدد ولم تبلغ القتلى من المسلمين بالمحلة عشرة وأما الذين قتلوا بالجبال والشعارى وسائر بلاد المسلمين من العدو فلا يحصى عدده كثرة ووجد الملوك الخمسة والعشرون بالمحلة قتلى ، منهم دون بطره وعمه دون جوان وعلق دون بطره على باب الحمراء بأغرناطة وأما عمه وكان ممن يخدم المسلمين ففديت جثته بشيء كثير وأسارى وأسر من العدو في بقية الشهر خلق كثير فكان

المسلمون يحتاجون في كل يوم لقوت الأسرى وقوت من يحرسهم ويحفظ الدواب خمسة آلاف درهم قال : وزعم الناس أن الذي وجد من الذهب والفضة بالمحلة." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٦ """""""""

بعض عبيد الأشراف ببعض حاج العراق ، الذين حضروا في الركب العراقي ، وتخطفوا شيئا من أموالهم ، والشريف عطيفة بن أبي نمي أمير مكة جالس إلى جانب أمير الركب ، فاستصرخ الناس ، واستغاثوا بالأمير سيف الدين الدمر أمير جاندار ، فنهض وتقدم لمنعهم ، وتقدمه ولده خليل وضرب بعض العبيد ، فطعن بحربة ، فمات ، فاحتد والده ، وبادر لطلب ثأره ، فقتل أيضا بحربة ، وقتل معه أحد أولاد الأمير ركن الدين بيبرس التاجي - متولي القاهرة كان - فوثب الأمير عطيفة ، وجرد سيفه ، وتوجه نحو العبيد ليردهم ، فلم يصنع شيئا ، وظهر من ذلك أن إثارة هذه الفتنة كان برأيه وأمره ، وذكر أن الذي قتل الدمر هو مبارك بن عطيفة ، وثارت الفتنة ، فعجل الخطيب الصلاة ، وخرج الناس من المسجد الحرام إلى رحالهم وخيامهم ، واستحل الحرم في هذا اليوم ، وتلطف أمير الركب في الخروج بالناس إلى خيامهم ، ووقف في وجوه القوم من الأشراف والعبيد ، فمنعهم من التعرض إلى الحاج ، ومن غريب ما وقع في هذه القضية أنه شاع بالقاهرة المعزية الخبر بقتل الدمر في يوم مقتله وهو يوم الجمعة المذكور ، وسمعت أنا بعض الناس يتحدث بذلك بعد صلاة العصر من يوم الجمعة المذكور ورددت القول على ناقله .

وكان الركب العراقي قد حضر في هذه السنة إلى مكة شرفها الله تعالى وأحضر متوليه المندوب من جهة الملك أبي سعيد بن خربندا معه فيلا صغيرا ، وشهد به الموقف بعرفة ، فتطاير الناس ، وتشاءموا بمقدمه ، وقال بعضهم : " هذا عام الفيل " فوقع ما وقع ، فلما رجعوا به ، وقربوا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وانتهوا إلى الفرش الصغير قبل البيداء الذي ينزل منها إلى ذي الحليفة ، وقف الفيل وتقهقر ، وكلما أرادوه على التقدم تأخر ، فضربه الموكلون به ، وبقي يرجع

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٤١/٣٢

إلى ورائه القهقرى ، فلم يزل على ذلك إلى أن سقط على الأرض ميتا ، وذلك في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة ، ويقال : أنه صرف على كلفة هذا الفيل منذ جهز من العراق إلى أن مات زيادة على ثلاثين ألف درهم ، وما علم مقصد الملك أبي سعيد في إرساله إلى مكة شرفها الله تعالى .

ذكر متجددات كانت بدمشق المحروسة في سنة ثلاثين

وسبعمائة مما نقلته من تاريخي البرزالي ، والجزري

في هذه السنة في مستهل شهر ربيع الأول حضر نائب السلطنة بالشام الأمير سيف الدين تنكز إلى الجامع الأموي بدمشق وصحبته قاضي القضاة علم الدين." (١)

"وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوعب زهير، في أبياته هذه، المدح بالأربع الخصال التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزاد في ذلك الوفاء، وهو وإن كان داخلا في هذه الأربع، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها، حيث قال: أخي ثقة، صفة له بالوفاء، والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها.

وقد يتفنن الشعراء في المديح بأن يصفوا حسن خلق الإنسان، ويعددوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال على الانفراد أو بالتركيب، إلا أهل الفهم، مثل أن يذكروا من أقسام العقل: ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى.

ومن أقسام العفة: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه.

ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران، والسير في المهامه الموحشة والقفار، وما أشبه ذلك.

ومن أقسام العدل: السماحة، ويرادف السماحة: التغابن، وهو من أنواعها، والانظلام، والتبرع بالنائل، وإجابة السائل، وقرى الأضياف، وما جانس ذلك.

وأما تركيب بعضها مع بعض، فيحدث منه ستة أقسام: أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة: فالصبر على الملمات، ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٣٦/٣٣

وعن تركيب العقل مع السخاء: البر، وإنجاز الوعد، وما أشبه ذلك.

وعن تركيب العقل مع العفة: التنزه، فالرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك.

وعن تركيب الشجاعة مع السخاء: الإتلاف والإخلاف، وما أشبه ذلك.

وعن تركيب الشجاعة مع العفة: إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم.

وعن السخاء مع العفة: الإسعاف بالقوت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك.

وجميع هذه التركيبات قد يذكرها الشعراء في أشعارهم، وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صدرا إن شاء الله تعالى، إلا أني أبدأ قبل ذلك فأقول: إن كل واحدة من هذه الفضائل الأربع ذكرها، وسط بين طرفين وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوما بالإفراط في هذه الفضائل، حتى زال الوصف إلى الطرف المذموم، وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه في باب الغلو في الشعر من أن الذي يراد به إنما هو المبالغة والتمثيل لا حقيقة الشيء.

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها في هذا الموضع وشرح الحال فيها، ليكون ذلك مثالا يبنى الأمر عليه. ويعلم به ما يأتي من مثله. أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان قوله فيه:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستطلع القرم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك، حيث يقول له:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال: يا أمير المؤمنين، وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق.

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظرا من كثير. إلا أن يكون كثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافه، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الأوسط ما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، لا أن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصر عن الوصف.

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين، ثم نأتي بعد ذلك بصدر يشتمل على افتنانهم في المدح؛ ليكون مثالا

لما تقدم الإخبار عنه، وعبرة في اختيارات المدائح، فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

يطلب شأو امرأين قدما حسنا ... نالا الملوك وبذا هذه السوقا

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا." (١)

"والرند، وأقشع الشؤبوب،وركد ما كان يظن به الهبوب، فالقلم دفين لا يحشر، وميت لا ينشر، وبالطبع قد نكص القهقرى،وقل منزله أن يدعى له النقرى، فها هو لا يملك مبيتا، ولا يجد لقلمه تثبيتا، وأنت – أبقاك الله عز وجل – بمقتبل الآداب، طائر ميعة (١) الشباب، وأين سن السمو من سن الانحطاط، ووقت الكسل من وقت النشاط، وقد راجعتك لا داخلا في حلبتك، بل قاضيا حق رغبتك، والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا، وبجنة الطاعة متوقيا، ولهناء الأنفس مستقبلا ومتلقيا، بمنه، والسلام، انتهى.

وكتب رحمه الله (٢) إلى سلطان إفريقية الوارث ملك بني عبد المؤمن بتلك النواحي، المستولي على البلدان والضواحي، وقد كان لأهل الأندلس أمل في أخذه بثأرهم، وضم انتثارهم، ما صورته:

شاقه غب الخيال الوارد ... بارق هاج غرام الهاجد

صدقا وعد (٣) التلاقي ثمما ... طرقا إلا بخلف الواعد

وكلا الزورين من طيف ومن ... وافد تحت الدياجي وارد

لم يكن بعد السرى مستمتع ... فيه للرائي ولا للرائد

وشديد بث قلب هائم ... يشتكيه عند ربع هامد

بالأمير المرتضى عز الهدى ... وثنى عطف الملي الواجد

وبه أصحب ما كان يرى ... حاملا أنف الأبي الشارد

إنما (٤) الفخر لمولانا أبي ... زكرياء بن عبد الواحد

ملك لولا حلاه الغر لم ... يجر بالحمد لسان الحامد (٥)

---

(١) في الأصول: هيعة.

(٢) أورد ستة من الأبيات في المقتطفات: (الورقة: ٨٢).

(٣) في الأصول: صدق وعد؛ صدق الوعد؛ صدى عند.

---

(١) نقد الشعر، ص/١١

(٤) ط: أيها.

(٥) هذا البيت والذي بعده سقطا من ط.." (١)

"فلما بلغه الخبر اضطرب، وثار عليه أهل قرطبة، ونقضوا طاعته، وخرج فحاصرهم فدافعوه،ولحق بإشبيلية فمنعوه، وكان بها ابنه فأخرجوه إليه، وضبطوا بلدهم، واستبد ابن عباد بملكها،ولحق المأمون بشريش، ورجع عنه البربر إلى يحيى المعتلي ابن أخيه، فبايعوه سنة خمس عشرة، وزحف إلى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند إخيه إدريس بمالقة إلى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين، وقيل: إنه خنق كم سيأتي، واستقل المعتلي بالأمر، واعتقل ابني (١) عمه القاسم.

وكان المستكفي من الأمويين استولى على قرطبة في هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية، ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الأموي سنة ست عشرة، وصاروا إلى طاعة المعتلي، واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله، ثم نقضوا سنة سبع عشرة، وصرفوا عاملهم، وبايعوا للمعتد الأموي أخي المرتضى، وبقي المعتلي يردد لحصارهم العساكر إلى أن اتفقت الكلمة على إسلام الحصون والمدائن له، فعلا سلطانه، واشتد أمره إلى أن هلك سنة تسع وعشرين، اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر بإشبيلية، فاستدعى أصحابه أخاه إدريس ابن علي [بن حمود] من سبتة وملكوه، ولقبوه المتأيد، وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء، وبعث عساكره لحرب أبي القاسم إسماعيل ابن عباد والد المعتضد بن عباد، فجاءوه برأسهبعد حروب، وهلك ليومين بعد ذلك سنة إحدى وثلاثين، وبويع ابنه يحيى، ولم يتم له أمر، وبويع حسن المستنصر بن المعتلي، وفر يحيى إلى قمارش (٢) فهلك بها سنة أربع وثلاثين، ويقال: إنه قتله نجا، وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه إدريس، ثارت منه بأخيها، وكان إدريس بن يحيى المعتلي معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها، فأطاعته غرناطة وقرمونة، ولقب العالي، وهو الممدوح بالقصيدة

---

(١) في الأصول: بني.

(٢) قمارش (Comares).." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٣٠٨

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٤٣٢

"وعادت إلى الفرقة بعض الشيء، ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب منها ما حصل بن عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك (١) بفحص غرناطة، وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين، فهزمهم عبد المؤمن، وقتلهم أبرح قتل، واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش.

[غزوة الأرك]

وولي الأمر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف، وأجاز إلى الأندلس، وكانت له مواقف في جهاد العدو، وولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت، وكانت له في النصارى بالأندلس نكاية كبيرة، ومن أعظمها غزوة الأرك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد، والأرك: موضع بنواحي بطليوس، وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة،وغنم المسلمون ما عظم قدره، وكان عدة من قتل من الفرنج – فيما قيل – مائة ألف وستة وأربعين ألفا، وعدة الأسارى ثلاثين ألفا، وعدة الخيام مائة ألف وستة وخمسين ألف خيمة ، والخيل ثماني ألفا، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفر لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم، وأما الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع، ونجا الفنش ملك النصارى إلى طليطلة في أسوأ حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكس صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء،ولا يركب فرسا ولا دابة، حتى يأخذ بالثأر، وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد، ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه إلى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها، ولم

---

(١) ق ك ط: همشكه.." (١)

"[الفتنة البربرية والنزاع بين الحموديين والأمويين]

ومن الأسباب في سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها في دخولهم مع سليمان المستعين الأموي حين استولى على قرطبة في دولته التي افتتحت بالقهر وسفك الدماء، وكان من أمراء البربر المعارضين لسليمان علي بن حمود من بني علي بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم أجمعين – وجده إدريس هرب من هرون الرشيد إلى البربر، فتبربر ولده، وبنى ابنه إدريس مدينة فاس،وكان

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٤٣/١

المؤيد هشام يشتغل بالملاحم، ووقف على أن دولة بني أمية تنقرض بالأندلس على يد علوي أول اسمه عين، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم علي بن حمود، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس إليه أن الدولة صائرة إليك، وقال له: إن خاطري يحدثني أن هذا الرجل يقتلني، يعني سليمان، فإن فعل فخذ بثأري، وكان هذا الأمر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الإمامة، وحمله على الأخذ بثأر هشام المؤيد، فكان المؤيد أحد من أخذ بثأره بعد موته.

وتولى بعد ذلك علي بن حمود (١) ، وبويع بقرطبة في قصرها في اليوم الذي قتل فيه سليمان المستعين (٢) ، وأخذ الناس بالإرهاب والسطوة، وأذل رؤوس البربر، وبرقت للعدل في أيامه بارقة خلب لم تكد تقد حتى خبت، وجلس للمظالم، وقدمت له جماعة من البربر في إجرام فضرب رقابهم، وأهلهم وعشائرهم ينظرون، وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وأمامه حمل عنب، فاستوقفه وقال له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته كما يأخذ الناس، فأمر بضرب عنقه، ووضع رأسه وسط الحمل، وطيف به في البلد،

---

(١) انظر تفصيل الخبر عن ولاية علي بن حمود في الذخيرة ١/١: ٧٩ نقلا عن ابن حيان، وهذا الذي أورده المقري تلخيص لما جاء هنالك.

(٢) وبويع... المستعين: سقطت هذه العبارة من ق.." (١)

"بعزمة شيحان الفؤاد مصمم ... يقوم به أقصى الوجود ويقعد

مشيئته ما شاءه الله، إنه ... إذا هم فالحكم الإلهي يسعد

كتائبه مشفوعة بملائك ... ترادفها في كل حال وترفد

وما ذاك إلا نية خلصت له ... فليس له فيما سوى الله مقصد

إذا خطبت راياته وسط محفل ... ترى قمم الأعداء في الترب تسجد

وإن نطقت بالفصل فيهم سيوفه ... أقر بأمر الله من كان يجحد

معيد علوم الدين بعد ارتفاعها ... ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد

وباسط أنوار الهداية في الورى ... وقد ضم قرص الشمس في الغرب ملحد

وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها ... يغان بأكنان الضلال ويغمد

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٤٨٢

فما زال يجلو عن مطالعها الصدا ... ويبرزها بيضاء والجو أسود
جزى الله عن هذا الأنام خليفة ... به شربوا ماء الحياة فخلدوا
وحياه ما دامت محاسن ذكره ... على مدرج الأيام تتلى وتنشد
بمصحف عثمان الشهيد وجمعه ... تبين أن الحق بالحق يعضد
تحامته أيدي الرزم بعد انتسافه ... وقد كاد ولولا سعده يتبدد
فما هو إلا ان تمرس صارخ ... بدعوته العليا فصين المبدد
وجاء ولي الثأر يرغب نصره ... فلباه منه عزمه المتجرد
رأى أثر المسفوح في صفحاته ... فقام لأخذ الثأر منه مؤيد
وشبهه بالبدر وقت خسوفه ... فلله تشبيه له الشرع يشهد
زمان ارتفاع العلم كان خسوفه ... وقد عاد بالمهدي والعود أحمد
أتتك أمير المؤمنين ألوكة ... من الحرم الأقصى لأمرك تمهد
سيوف بني عيلان قامت شهيرة ... لدعوتك العلياء تهدي وترشد
وطافت ببيت الله فاشتد شوقه ... إليك ولبى منه حجر ومسجد
وحج إليك الركن والمرو والصفا ... فأنت لذاك الحج حج ومقصد." (١)

"باتت له النوائب بمرصاد، ورمته بسهام ذات إقصاد [وضيم من عهد الأحص إلى ذات الإصاد] (١) فقال (٢) :

الهوى في طلوع تلك النجوم ... والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي ... لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى إلى أن تقضى ... زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذني بظلم الليالي ... ليس يومي بواحد من ظلوم
ما ترى البدر إن تأملت والشم ... س هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيم وقال الفتح أيضا في شأن ابن زيدون، ما صورته (٣) :

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٦١٠

ولما تعذر انفكاكه (٤) ، وعفر فرقده وسماكه، وعادته الأوهام والفكر، وخانه من أبي الحزم الصارم الذكر، قال يصف ما بين مسراته وكروبه، ويذكر بعد طلوع أمله (٥) من غروبه، ويبكي لما هو فيه من التعذير، ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير، ويتعزى بإنحاء (٦) الدهر على الأحرار، وإلحاحه على التمام بالسرار، ويخاطب ولادة بوفاء عهده، ويقيم لها البراهين على أرقه وسهده (٧) :

(١) ما بين معقفين زيادة ليست في ق ك؛ والذي ضيم في الأحص وذات الأصاد هم بنو مرة أولا ثم ثأروا بقتل كليب.

(٢) ديوان ابن زيدون: ٢٧٨.

(٣) القلائد: ٧٦.

(٤) القلائد: فكاكه.

(٥) ك: سعده.

(٦) ك: باخناه.

(٧) القلائد: ٧٧ وديوان ابن زيدون: ٢٥٠.." (١)

"فلا زلت يا خير الكرام مهنأ ... فعيشي منه الموت أشهى وأطيب

وصانك من قد صنت في حقه دمي ... وغيرك ن ثوب المروءة يسلب ولم يزل الوزير - لا أزال الله عنه رضاه - يحمي جانبي، إلى أن أصابتني فيه العين، فأصابه الحين، فقلت في ذلك:

وطيب نفسي أنه مات عندما ... تناهى ولم يشمت به كل حاسد

ويحكم فيه كل من كان حاكما ... عليه ويعطي الثأر كل معاند وقلت أرثيه:

بكت لك حتى الهاطلات السواكب ... وشقت جيوبا فيك حتى السحائب

فكيف بمن دافعت عنه ومن به ... أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب

ألا فانظروا دمعي فأكثره دم ... ولا تذهبوا عني فإني ذاهب

وقولوا لمن قد ظل يندب بعده ... وفاؤك لو قامت عليك النوادب (١)

لعمرك ما في الأرض واف بذمة ... أيصمت إدريس ومثلي يخاطب

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٦٣٠

دعوتك يا من لا أقوم بشكره ... فهل أنت لي بعد الدعاء مجاوب

أيا سيدا قد حال بيني وبينه ... تراب حوت ذكراك منه الترائب

لمن أشتكي إن جار بعدك ظالم ... علي وإن نابت جنابي النوائب

لمن أرتجي (٢) عند الأمير بمنطق ... تحف به حولي المنى والمواهب وهي طويلة، ومنها قبيل الختم:

وقد كنت أختار الترحل قبل أن ... يصيبك سهم للمنية صائب

ولكن قضاء الله من ذا يرده ... فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

---

(١) دوزي: النوائب.

(٢) دوزي: أشتكي.." (١)

"[قلعة بني سعيد]

والقلعة التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها: قلعة بني سعيد، وكانت تعرف قبل بقلعة أسطلير، وهو عين لها، وقال الملاحي في تاريخه: إنها تعرف بقلعة يحصب، قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس، وبها كما مر صنف الحجاري كتاب " المسهب " لصاحبها عبد الملك بن سعيد.

وفي بني سعيد يقول الحجازي:

قوم لهم في فخرهم ... شرف الحديث مع القديم

ورثوا الندى والبأس وال ... عليا كريما عن كريم

من كل وضاح به ... يجلى دجى الليل البهيم [أولية بني سعيد]

وكان أول من دخل الأندلس (١) من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعد بن عمار، وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه، وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الأندلس آخر دولة بني أمية بالمشرق كتب إليه أن يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للأندلس، وكان إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق، وإنما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه، وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٢٨٠

(١) قارن بما ورد في المغرب ٢: ١٦١.." (١)

"إذا ما غضبنا في رضا المجد غضبة ... لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة ... نزيد غدة الكر في الموت رغبة ... وإنا لقوم لا نرى الموت سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول وكتب الشيخ محب الدين الحموي في ترجمة الشيخ (١) إسماعيل النابلسي شيخ الإسلام من مصر (٢) :

لواء التهاني بالمسرة يخفق ... وشمس المعالي في سما الفضل تشرق

وسعد وإقبال ومجد مخيم ... وأيام عز بالوفا تتخلق

فيا أيها المولى الذي جل قدره ... ويا أيها الحبر اللبيب المدقق

أرى الشام مذ فارقتها زال نورها ... وثوب بهاها والنضارة يخلق

إذا غاب عنها غب عنها جمالها ... ونفس بدون الروح لا تتحقق

وإن عدت فيها عاد كمالها ... وصار عليها من بهائك رونق

فيا ساكني وادي دمشق مزاركم ... بعيد وباب الوصل دوني مغلق

وليس على هذا النوى لي طاقة ... فهل من قيود البين والبعد أطلق

وإني إلى أخباركم متشوف ... وإني إلى لقياكم متشوق

أود إذا هب النسيم لنحوكم ... بأني في أذياله أتعلق

وأصبو لذكراكم إذا هبت الصبا ... لعلي من أخباركم أتنشق

---

(١) ق: ترجمة للشيخ، وسقطت " في " من ق ج.

(٢) هو إسماعيل بن أحمد ابن الحاج إبراهيم النابلسي (٩٣٧ - ٩٩٣) شيخ الإسلام، وصاحب الفتاوي وصدر دمشق في عصره (انظر ترجمته في الكواكب السائرة ٣: ١٣٠). وأما محب الدين الحموي فهو محمد بن تقي الدين أبي بكر ابن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق المحبي (٩٥١ - ١٠٦١)، وهو صاحب تنزيل

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٣٣٠

الآيات على الشواهد من الأبيات المعروف بشواهد الكشاف وغيره من المؤلفات (خلاصة الأثر ٣: ٣٢٢).." (١)

"لبلج وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت، فأسرعوا إلى إجابته، وكانت أمنيتهم، فأحسن إليهم، وأسبغ النعم عليهم، وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن، فإذا فرغوا له من البربر جهزهم (١) إلى إفريقية، وخرجوا له عن أندلسه، فرضوا بذلك، وعاهدوه عليه، فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وامية، والبربر في جموع لايحصيها غير رازقها، فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام، إلى أن كانت الدائرة على البربر، فقتلتهم العرب بأقطار الأندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور، وخفوا عن العيون، فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم، فاشتدت شوكتهم، وثابت همتهم، وبطروا، ونسوا العهود، وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس إلى إفريقية، فتعالوا عليه، وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة، وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة، فخلعوه، وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر، وتبعه جند ابن قطن، وحملوا عليه في قتل ابن قطن، فأبى **فثارت** اليمانية وقالوا: قد حميت لمضرك، والله لا نطيعك، فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج إليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة، فجعلوا يسبونه، ويقولون له: أفلت من سيوفنا يوم الحرة، ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا، فقتلوه وصلبوه كما تقدم، وكان أمية وقطن ابناه عندما خلع قد هربا، وحشدا لطلب **الثأر**، واجتمع عليهما العرب الأقدمون والبربر، وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند، وكان في أصحاب بلج، فلما صنع بابن عمه عبد الملك ماصنع فارقه، فانحاز فيمن يطلب **ثأره**، وانضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة، وكان فارس الأندلس في وقته، فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون، وبلج قد استعد

(١) ق: همزمهم؛ وانظر أخبار مجموعة: ٣٩.." (٢)

"لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين، فاقتتلوا، وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط، وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي: أروني بلجا، فو الله لأقتلنه أو لأموتن دونه،

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٣٩٩

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣/٢١

فأشاروا إليه نحوه، فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون، والراية في يده، فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك في أيام قلائل، ثم إن البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة، واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون، فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره، وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة، وكانت مدته أحد عشر شهرا، وسريره قرطبة، والعرب الشاميون الداخلون معه إلى الأندلس يعرفون عند أهل الأندلس بالشاميين، والذين كانوا في الأندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين.

ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي، وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك، فسار فيهم بأحسن سيرة، ثم إن أهل الأندلس الأقدمين من العرب و البربر سموا بعد الوقعة لطلب الثأر، فآل أمره معهم إلى أن حصروه بمدينة ماردة، وهم لا يشكون في الظفر، إلى أن حضر عيد تشاغلوا به، فأبصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء، فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون، فهزمهم هزيمة قبيحة، وأفشى فيهم القتل، وأسر منهم ألف رجل، وسبى ذريتهم وعيالهم، وأقبل إلى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون، حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الأسارى على السيف بعد صلاة الجمعة. وأصبح الناس منتظرين لقتل الأسارى، فإذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب، فنظروا فإذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الأندلس، وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي. وذكر ابن حيان أنه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية، والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة، بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة، قال: وكان." (١)

"فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما لئلا أغركما من نفسي، فإني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي، فبارك الله لكما في رأيكما، فقالا له: ما لنا رأي إلا رأيك، ولا مذهب لنا عنك. ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره إن طلب غير السلطان، وانصرفا عنه إلى إلبيرة عازمين على التصميم في أمره، ويئسا من مضر وربيعة، ورجعا إلى اليمانية، وأخذا في تهييج أحقاد أهل اليمن على مضر، فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم، يتمنون شيئا يجدون به السبيل إلى إدراك ثأرهم، واغتنما بعد يوسف صاحب الأندلس في الثغر، وغيبة الصميل، فابتاعا مركبا ووجها فيه أحد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول، وفيهم تمام بن علقمة وغيره، وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه إلى مواليه، فكتبوا تحت ختمه إلى من يرجونه في طلب الأمر، فبثوا من ذلك في الجهات مادب به أمرهم، ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٢/٣

بلاد البربر، وهو يصلي، وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله، فبشره بدر بتمكن الأمر، وخرج إليه تمام مكثرا لتبشيره، فقال له عبد الرحمن: ما اسمك قال: تمام، قال: وما كنيتك قال: أبو غالب، فقال: الله أكبر! الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته، وأدنى منزلة أبي غالب لما ملك، ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن. وبادر عبد الرحمن بالدخول إلى المركب، فلما هم بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه، ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلات على أقدارهم، حتى لم يبق أحد حتى أرضاه، فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيئا فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب، فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف، فقطع يد البربري، وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم، حتى حلوا بساحل إلبيرة في جهة المنكب، وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨، فأقبل إليه نقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد، فنقلاه إلى." (١)

"قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من خنقه، فأصبح ميتا، فدخل على مشيخة المضرية في السجن، فوجدوه ميتا وبين يديه كأس ونقل، كأنه بغت على شرابه، فقالوا: والله إنا لنعلم يا أبا جوشن أنك ما شربتها ولكن سقيتها.

ومما ظهر من بطش الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه بإحدى دعائم دولته رئيس اليمانية أبي الصباح يحيى (١) ، وكان قد ولاه إشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به. ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي إذ ثار بباجة، وكان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس، فدخل في ناس قليلين، فأرسى بناحية باجة، ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير، إلى أن لقيه عبد الرحمن بجهة إشبيلية فهزمه، وجيء به وبأعلام أصحابه، فقطع يديه ورجليه، ثم ضرب عنقه وأعناقهم، وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم، وأودعت جوالقا محصنا، ومعها اللواء الأسود، وأنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته، وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم، ففعل، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج، فوضعه على باب سرادقه، فلما كشفه ونظر إليه سقط في يده، واستدعى عبد الرحمن وقال: عرضنا هذا البائس - يعني العلاء - للحتف، ما في هذا الشيطان مطمع، فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه.

ولما أوقع عبد الرحمن باليمانة الذين خرجوا في طلب ثأر رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم، استوحش من العرب قاطبة، وعلم أنهم علي دغل وحقد، فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك، فوضع يده في الابتياع، فابتاع موالي الناس بكل ناحية، واعتضد أيضا بالبرابر، ووجه عنهم إلى بر العدوة فاحسن لمن وفد

---

(١) نفح ا لطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣١/٣

عليه إحسانا رغب من خلفه في المتابعة، قال ابن

---

(١) ق والمقتطفات: ابن يحيى.." (١)

"وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري (١) وعقبة بن عامر الجهني وعوف ابن مالك الأشجعي، ومعاوية ابن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وسماه ابن بشكوال في الداخلين الأندلس من التابعين، وروى ذلك عن الحميدي، قاله ابن الأبار؛ وقال ابن يونس: وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران.

٤٥ - ومن الداخلين إلى الأندلس من المشرق عبد الله بن سعد ابن عمار ابن ياسر (٢) ، رضي الله تعالى عنه، وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه، وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للأندلس، وكان المذكور إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق، وإنما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمار بصفين، وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي، كرم الله وجهه.

وهذا عبد الله بن سعد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء، ومنهم صاحب " المغرب " وغير واحد ممن عرفنا به في هذا الكتاب، ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد ابن خلف ابن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين، قال: وهو القائل يفتخر (٣) :

إن لم أكن للعلاء أهلا ... بما تراه فمن يكون

فكل ما أبتغيه دوني ... ولي على همتي ديون

ومن يرم ما يقل عنه ... فذاك من فعله جنون

---

(١) التكملة: أبي بصرة؛ وذكر صاحب الأغاني أن أبا بصرة الغفاري المحدث هو والد عزة صاحبة كثير؛ قال: واسمه صميل بن وقاص (٩: ٢٤).

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣/٣٦

(٢) انظر ما تقدم: ج ٢: ٣٣٠.

(٣) مرت هذه الأبيات والتي تليها؛ ج ٢: ص ٣٣١ من هذا الكتاب.." (١)

"فالتفت إلى ابنه الواثق يحيي ولي عهده وقال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمه إليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به، ونبهني إليه كل وقت، فأقام نديما لولي العهد المذكور.

وله فيهما الموشحات المشهورة، كقوله (١) :

كم في قدود البان ... تحت اللمم من أقمر عواطي

بأمل وبنان ... مثل العنم لم تنبري للعاطي ٢٠٥ - ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه حتى حصل في قبضته، ثم قال له: أنشدني ما قلت في، فقال له: وحق من حصلني في يدك ما قلت شرا فيك، وإنما قلت:

رأيت آدم في نومي فقلت له: ... أبا البرية إن الناس قد حكموا

أن البرابر نسل منك، قال: إذن ... حواء طالقة إن كان ما زعموا فنذر ابن بلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت هاربا إلى بلادك فوضع علي من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك، ويكون الإثم عليك، فقال: وما قلت فيه خاصة مضافا إلى ما قلته في عامة قومه فـقال: لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي فيها بغرناطة قلت:

يبني على نفسه سفاها ... كأنه دودة الحرير فقال له المعتصم: لقد أحسنت في الإساءة إليه، فاختر: هل أحسن إليك وأخلي سبيلك أم أجيرك منه فارتجل:

خيرني المعتصم ... وهو بقصدي أعلم

---

(١) انظر هذه الموشحة في دار الطراز: ٦٠.." (٢)

"تنفس بالحمى مطلول أرض (١) ... فأودع نشره نشرا شمالا فصبحت العيون إلي كسلى تجرر فيه أردانا خضالا

أقول وقد شممت الترب مسكا بنفحتها يمينا أوشمالا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٦١/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤١٢/٣

نسيم جاء يبعث منك طيبا ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر، وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر، أخرجه من بلده ونفاه، وطمس رسم فسقه وعفاه، فأقلع إلى المشرق وهو جار، فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار (٢) ، نشأت له ريح صرفته عن وجهته، إلى فقد مهجته، فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة إماحته، وأخذ ثأر الدين منه وإراحته، ثم آثر صفحه، وأخمد ذلك الجمر ولفحه، وأقام أياما ريحا علها تزجيه، ويستهديها لتخلصه وتنجيه، وفي أثناء بلوته، لم يتجاسر أحد على إتيانه من إخوته، فقال يخاطبهم:

أحبتنا الألى عتبوا علينا فأقصرنا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا فهل في العيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم أشوق بالسفينة أم نزاع

إذا طارت بنا حامت عليكم كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل:

بني العرب الصميم ألا رعيتم مآثركم بآثار السماح

رفعتم ناركم فعشا إليها بوهن فارس الحي الوقاح

فهل في القعب فضل تنضحوه به من محض ألبان اللقاح

لعل الرسل شابته الثنايا بشهد من ندى نور الأقاح

---

(١) م: روض.

(٢) المطمح: جوار.." (١)

"معصفر الحسن للأبصار ناصعه كأنه فضة شيبت بعقيان

نبئت عنه بأنباء إذا نفحت تعطلت نفحات المسك والبان

قامت عليه براهين تصدقها كالشكل قام عليه كل برهان

قد زادها ابن عبيد الله من وضح ما زادت الشمس نور الفجر للرائي

بالله بلغه تسليمي إذا بلغت تلك الركاب وعجل غير ليان

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٣٠/٤

وليت أني لو شاهدت أنسكما على كؤوس وطاسات وكيزان

فألفظ الكلم المنثور بينكما كأنما هو من در ومرجان

لله درك يا ذا الخطتين لقد خططت بالمدح فيه كل ديوان

كلاكما البحر في جود وفي كرم أو الغاماة تقي كل ظمآن

إن كان فارس هيجاء ومعترك فأنت فارس إفصاح وتبيان

فاذكر أبا نصر المعمور منزله بالرفد ما شئت من مثني ووحدان

قصائدا لأخي ود وإن نزحت بك الركاب إلى أقصى خراسان

٣ - ترجمة عبد المعطي من المطمح

وقال في ترجمة الأديب أبي بكر عبد المعطي (١) : بيت شعر ونباهة، وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه، وله أدب باهر، ونظم كما سفرت أزاهر، وقد أثبت له جمالا، يبلغ آمالا، فمن ذلك قوله، وقد اجتمنا في ليلة لم يضرب لها وعد، ولم يعزب عنها سعد، وهو قعدي، وقد شب عن طوق الأنس في الندي، وما قال خالي عمرو ولا عدي (٢) ، والكهولة قد قبضته، وأقعدته عن ذلك وما أنهضته:

---

(١) المطمح: ٩٦.

(٢) في الأصول والمطمح: وما قال خلا عمرو ولا عدا؛ والإشارة هنا إلى المثل " شب عمرو عن الطوق " وهو عمرو بن عدي، الذي ثأر لجذيمة.." (١)

"ملك يروعك في حلى ريعانه راقت برونقه صفات زمانه

وأين هذا من أمداحه في المعتمد

وتذكرت هنا من أحوال الداني أنه دخل على ابن عمار في مجلس، فأراد أن يندر به وقال له: اجلس ياداني، بغير ألف، فقال له: نعم يا ابن عمار، بغير ميم، وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والأخذ بالثأرفي المزاح.

ونظيره - وإن كان من باب آخر - أن المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية، فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط، فكشفت وجهها، وتكلمت بكلام لايقتضيه الحياء، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون به الجبس والجيارين الصانعين للجير، بإشبيلية، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين، وقال: يا ابن

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٣٤/٤

عمار الجيارين، ففهم مراده، وقال في الحال: يا مولاي والجباسين، فلم يفهم الحاضرون المراد، وتحيروا، فسألوا ابن عمار، فقال له المعتمد: لاتبعها منهم إلا غالية، وتفسيرها أن ابن عباد صحف " الحيا زين " بقوله الجيارين إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت، فقال له والجباسين وتصحيفه " والخناشين " أي: هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها، وهذا شأو لا يلحق.

ومن أخبار المعتمد أنه جلس يوما والبزاة تعرض عليه، فاستحث الشعراء في وصفها، فصنع ابن وهبون بديها:

للصيد قبلك سنة مأثورة لكنها بك أبدع الأشياء

تمضي البزاة وكلما أمضيتها عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما، وأسنى جائزته.

وذكر ابن بسام أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل إليه حمولة وافرة من قراريط الفضة، فأمر له بسكين منها، وكان بين يديه تماثيل." (١)

"وتجهيزا لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود، فهذا أمر ضروري التدبير سروري التثمير، لأن النفوس تمل وثير المهاد، فكيف ملازمة صهوات الجياد، وتسأم من مجالسة الشرب، فكيف بممارسة الحرب، وتعرض عن دوام اللذة، فكيف بمباشرة المنايا الفذة، وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم، وساق هدي هديته إليكم، لعله يكون سببا إلى ارتجاع ما شرد، وحسما لها الطاغية الذي مرد، وردا لهذا التنازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد، فعادة الألطاف الإلهية بكم معروفة، وعزماتكم إلى جهات الجهاد مصرفة، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق، وجبل يعصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمرق.

وأما ما منحتموه من الخيل العتاق، والملابس التي تطلع بدور الوجوه مشارق الأطواق، والأموال زكت عند الله تعالى ونمت على الإنفاق، فعلى الله عز وجل خلفها، ولكم في منازل الدنيا والآخرة شرفها، وإليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها، وإذا وصل وفدكم الحاج، وأنار له بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا، وشمول إسعافنا لهم وإنعامنا، يتخولون تحفا أنتم سببها، ويتناولون طرفا في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حببها، وإذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحنا لهم الطريق، وسهلنا لهم الرفيق، وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى، وسولهم ممن إذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العنا، وفازوا بالغنى، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب، ويخيل إليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤/٢٦٠

وغمرناهم بالإحسان في العود إليكم، وأمرناهم بما ينهونه شفاها لديكم، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم، وتوفر لأخذ الثأر حماتكم، وتخصكم بتأييد تنزلون روضة الأنضر، وتجنون به النصر اليانع من ورق الحديد الأخضر، وتتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه، وعز لا يمحو شبابه مشيبه، وتحيته الم باركة تغاديكم وتراوحكم، وتفاوحكم أنفاسها المعنبرة وتنافحكم، بمنه وكرمه؛ انتهى.." (١)

"قالوا لملكهم وهو من ذرية أذفونش: كيف يرضى الملك بهذا الأمر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك، وجمع عشرين ألفا من أهل البلاد، وجهز في البحر ستة عشر ألفا، وشرط عليهم حمل السلاح، وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي، وميز نيفا على ألف فارس من فرسان الحضر والرعية مثلهم، ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة، ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر، فساقهم وضرب أعناقهم، وكان فيهم ابنا خاله، وخالهما أبو حفص ابن سيري ذو المكانة الوجيهة، فاجتمعت الرعية إلى ابن سيري، فأخبره بما نزل، وعزوه فيمن قتل وقالوا: هذا أمر لا يطاق، ونحن كل يوم إلى الموت نساق، وعاهدوه على طلب الثأر، وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال، والناس من خوفه في أهوال، ومن أمر العدو في إهمال، فأمر صاحب شرطته بإحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم، وإذا بفارس على هيئة النذير دخل إلى الوالي، وأخبره بأن الروم قد أقبلت، وأنه عد فوق الأربعين من القلوع، وما فرغ من إعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال: إن أسطول العدو قد تظاهر، وقال: إنه عد سبعين شراعا، فصح الأمر عنده، فسمح لهم بالصفح والعفو، وعرفهم بخبر العدو، وأمرهم بالتجهز، فخرجوا إلى دورهم، كأنما نشروا من قبورهم، ثم ورد الخبر بأن العدو قرب من البلد، فإنهم عدوا مائة وخمسين قلعا، ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول، فباتوا على المرسى في الرجل والخيل، وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف، وانهزم المسلمون، وارتحل النصارى إلى المدينة، ونزلوا منها على الحريبة الحزينة من جهة باب الكحل، ولم يزل الأمر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد، ولما رأى ابن سيري (١) أن العدو قد استولى على البلد خرج

---

(١) ق: ابن شيري.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٩٨/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٧٠/٤

"فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وأعمالها وما انضاف إليها، فحمل على قلبه فمرض ومات، وشرع السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج، فاتسعت مملكته في الأندلس، وأغارت سراياه على طليطلة إذ هي قاعدة ملكهم، ثم إنه حاصرها فاجتمعت الفرنج عليه، واشتد الغلاء في عسكره، فرحل عنها وعاد إلى حضرة ملكه مراكش المحروسة.

قصيدة في استنهاض الحفصي بعد سقوط بلنسية

ولم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى - دمرهم الله تعالى - على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ **الثأر**، بالنظم **والنثار**، فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق، وأعضل الداء أهل الغرب والشرق، فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب إفريقية أبا زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص:

نادتك أندلس فلب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

صرخت بدعوتك العلية فاحبها من عاطفتك ما يقي حوباءها

واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها تردد على أعقابها أرزاءها

هي دارك القصوى أوت لإيالة ضمنت لها مع نصرها إيواءها

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى سبل الضراعة يسلكون سواءها

خلعت قلوبهم هناك عزاءها لما رأت أبصارهم ما ساءها

دفعوا لأبكار الخطوب وعونها فهم الغداة يصابرون عناءها

وتنكرت لهم الليالي فاقتضت سراءها وقضتهم ضراءها

تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا لم يضمن الفتح القريب بقاءها

رش أيها المولى الرحيم جناها واعقد بأرشية النجاة رشاءها." (١)

"وكانت دار إيمان وعلم معالمها التي طمست تنير

فعادت دار كفر مصطفاة قد اضطربت بأهليها الأمور

مساجدها كنائس، أي قلب على هذا يقر ولا يطير

فيا أسفاه يا أسفاه حزنا يكرر ما تكررت الدهور

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٧٩/٤

وينشر كل حسن ليس يطوى إلى يوم يكون به النشور

أديلت قاصرات الطرف كانت مصونات مساكنها القصور

وأدركها فتور في انتظار لسرب في لواحظه فتور

وكان بنا وبالقينات (١) أولى ... لو انضمت على الكل القبور لقد سخنت بحالتهن عين وكيف يصح مغلوب قرير

لئن غبنا عن الإخوان إنا بأحزان وأشجان حضور

نذور كان للأيام فيهم بمهلكهم فقد وفت النذور

فإن قلنا العقوبة أدركتهم وجاءهم من الله النكير

فإنا مثلهم وأشد منهم نجور وكيف يسلم من يجور

أنأمن أن يحل بنا انتقام وفينا الفسق أجمع والفجور

وأكل للحرام ولا اضطرار إليه فيسهل الأمر العسير

ولكن جرأة في عقر دار كذلك يفعل الكلب العقور

يزول الستر عن قوم إذا ما على العصيان أرخيت الستور

يطول علي ليلي، رب خطب يطول لهوله الليل القصير

خذوا ثأر الديانة وانصروها فقد حامت على القتلى النسور

ولا تهنوا وسلوا كل عضب تهاب مضاربا له النحور

وموتوا كلكم فالموت أولى بكم من أن تجاروا أو تجوروا

أصبرا بعد سبي وامتحان يلام عليها القلب الصبور

---

(١) ص: وبالفتيات.." (١)

"غريب يرجي منك ما أنت أهله ... فإن كنت تبغي الفجر قد جاءك الفجر

ففز يا أمير المؤمنين ببيعة ... موثقة قد حل عروتها الغدر

ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بيا لمرين جاءه العز والنصر

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤/٤٨٤

وخذ يا إمام الحق بالحق ثأره ... ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر

وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم ... بحق فما زيد يرجى ولا عمرو

فإن قيل مال، مالك الدثر وافر ... وإن قيل جيش، عندك العسكر المجر

يكف بك العادي، ويحيا بك الهدى ... ويبني بك الإسلام ما هدم الكفر

أعده إلى أوطانه عنك راضيا ... وطوقه نعماك التي ما لها حصر

وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها ... فقد صدهم عنه التغلب والقهر

وهم يرقبون الفعل منك وصفقة ... تحاولها يمناك ما بعدها خسر

مرامك سهل لا يؤودك كلفة ... سوى عرض ما إن له في العلا خطر

وما العمر إلا زينة مستعارة ... ترد، ولكن الثناء هو العمر

ومن با ع ما يفنى بباق مخلد ... فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر

ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى (١) ... جياد المذاكي والمحجلة الغر

وراد وشقر واضحات شياتها ... فأجسامها تبر وأرجلها در

وشهب إذا ما ضمرت يوم غارة ... مطهمة غارت بها الأنجم الزهر

وأسد رجال من مرين مخيفة ... عمائمها بيض وآسالها سمر

عليها من الماذي كل مفاضة ... تدافع في أعطافها اللجج الخضر

هم القوم إن هبوا لكشف ملمة ... فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر

إذا سئلوا أعطوا، وإن نوزعوا سطوا ... وإن واعدوا وفوا، وإن عاهدوا بروا

وإن مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم ... نشاوى تمشت في معاطفهم خمر

وإن سمعوا العوراء فروا بأنفس ... حرام على هاماتها في الوغى الفر

---

(١) اللمحة: العلى.." (١)

"هو الموت عم فما للعدا ... يسرون بي حين ذقت الردى

ومن فاته اليوم يأتي غدا ... سيبلى الجديد إذا ما المدى تتابع آحاده والسبوت ...

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥/٨٨

أخي توخ طريق النجاة ... وقدم لنفسك قبل الممات

وشمر بجد لما هو آت ... ولا تغترر بسراب الحياة فإنك عما قريب تموت ... وقد ذكرني قوله رحمه الله تعالى " فمن كان يفرح منهم له – إلى آخره " قول بعض العلماء الشاميين:

يا ضاحكا بمن استقل غباره ... سيثور عن قدميك ذاك العثير

لا فارس بجنودها منعت حمى ... كسرى، ولا للروم خلد قيصر

جدد مضت عاد عليه وجرهم ... وتلاه كهلان وعقب حمير

وسطا بغسان الملوك وكندة ... فلها دماء عنده لا تثأر

لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا ... ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا [فصل في الاعتبار لابن دحية]

وما أحسن قول أبي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته (١) : وأخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان، وقاسيت من الغربة أصناف الألوان، ومررت على مدائن كسرى أنوشروان، وزرت بها قبر صاحب النبي، صلى الله عليه وسلم، الزاهد العابد المعمر سلمان، وأعملت بها السير والإغذاذ، إلى مدينة بغذاذ، فنظرت إليها معالم وربوعا، وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا، وأنا ابدي في ندائهم وأعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، وأسأل عن الخلفاء الماضين وأنشد، ولسان الحال يجاوبني وينشد:

(١) انظر كتاب النبراس: ١٦٨.." (١)

"أما هذه الأشجار تحمل أكلها ... وتسقط منه كل ما طاب وانتهى [نكبة أبي جعفر ابن عطية]

وحكى غير واحد من مؤرخي الأندلس أن الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر ابن عطية القضاعي (١) لما تغير له عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة، قال: ما كان المعتمد إلا قاسي القلب حيث لم تعطفه هذه الأبيات إلى العفو، ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار، واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى، ولنلم بذلك فنقول:

كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش، وأصله القديم من طرطوشة، ثم بعد من دانية، وهو ممن كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة، وعن ابنيه تاشفين وإسحاق، ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن علي، وأسند إليه وزارته، فنهض بأعبائها، وتحبب إلى الناس بإجمال السعي والإحسان فعمت صنائعه،

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١١٥/٥

وفشا معروفه، وكان محمود السيرة، مبخت المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المآخذ، ميسر المآرب، وكانت وزارته زينا للوقت، وكمالا للدولة، وفي أيام توجهه للأندلس وجد حساده السبيل إلى التدبير عليه والسعي به، حتى أوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه، فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومي، وانبرى لمطالبة ابن عطية، وجد في التماس عوراته، وتشنيع سقطاته، وطرحت بمجلس السلطان أبياتا منها:

قل للإمام أطال الله مدته ... قولا تبين لذي لب حقائقه

إن الزراجين (٢) قوم قد وترتهم ... وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه

---

(١) انظر الخبر عن أبي جعفر ابن عطية في المعجب: ٢٦٧ والإحاطة ١: ١٣٢ (ط. السلفية) وقد نقل المقري ما جاء في المصدر الثاني، حتى آخر رسالة ابن عطية؛ وإعتاب الكتاب: ٢٢٥.

(٢) الزراجين: لقب أطلقه الموحدون على الملثمين تشبيها لهم بطائر أسود البطن أبيض الريش يقال له الزرجان (نظم الجمان: ٨٥).." (١)

"صدق الله وهو للصدق أهل ... وتعالى ربي وكان جليلا

رب عجل شهادة لي بقتل ... في الذي قد أحب قتلا جميلا ومنه: العبدري: قتل الحسين دعا إلى حرب، وأخذ بثأره كذاب ثقيف، ونوه باسمه أعداء ملة جده بنو عبيد ليقتص من قضية بمثلها، فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة، ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب، فيعلم أن الكل آلات مستعملات، حسبما اقتضاه العلم القديم.

ومنه (١) : أبو العباس الأبياني: ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، اتزع لا تتسع.

ومنه: كانت سكينة بني إسرائيل في التابوت، فغلبوا عليها، وسكينة هذه الأمة في القلوب، فغلبوا بها، استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه، وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومنه: في الصحيح: كان أبو ذر يقسم قسما أن " هذان خصمان اختصموا في ربهم " نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد، قلت: ففي الآية شهادة من الله تعالى لعلي بالجنة والشهادة، أما الجنة فبنصها، وأما الشهادة فلأنه وصاحبيه استشهدوا (٢) ، وخصمهم قتلوا، فهي رادة على الخوارج

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٨٣/٥

قطعا.

ومنه: جاز أبو بكر ابن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض، فقالت له امرأة: سيدي أبا بكر، فقال: لبيك يا عائشة، فقال له: متى كان اسمي عائشة فقال أيقتلونني وتخلصين

وفي آخر هذا الكتاب ما صورته: فهذه جملة تراجم، وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة، وكان الفراغ من جمعها في آخر

---

(١) ق: قال.

(٢) ق ص: فلأن صاحبيه استشهدا.." (١)

"والزهر ما أهداه غصن براعتي ... والمسك ما أبداه نقس كتابي

فالمجد يمنع أن يزاحم موردي ... والعزم يأبى أن يضام جنابي

فإذا بلوت صنيعة جازيتها ... بجميل شكري أوجزيل ثوابي

وإذا عقدت مودة أجريتها ... مجرى طعامي من دمي وشرابي

وإذا طلبت من الفراقد والسها ... ثأرا فأوشك أن أنال طلابي وفاته - توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ودفن بجبانة باب إلبيرة، تجاوز الله تعالى عنه؛ انتهى.

رجع إلى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى:

٧١ - فمن ذلك قوله في الروضة في ترجمة ضخام الغصون من شجرة السر المصون ما صورته: وهي أفاءت الظل الظليل، وزانت المرأى الجميل، وتكلفت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل، وتتعدد إلى غصون المحبوبات، وأقسام موضوعاتها المكتوبات، وغصن المحبين، أصنافهم المرتبين، وغصن علامات المحبة، وشواهد النفوس الصبة، وغصن الأخبار المنقولة، عن ذوي النفوس المصقولة، وعند تعين هذه الأغصان المقسومة، كمل شكل الشجرة المرسومة، والسرحة الموصوفة الموسومة، ففاءت الظلال، وكرمت الخلال، فحيي من تفرد وتوحد، واستظل من استهدى واسترشد، ووقف الهائم فخطب وأنشد (١) :

يا سرحة الحي يا مطول ... شرح الذي بيننا يطول

عندي مقال فهل مقام ... تصغين فيه لما أقول

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥/٣٠٩

ولي ديون عليك حلت ... لو أنه ينفع الحلول

---

(١) أورد منها بيتين في النفح ٣: ٥٠٦ ونسبهما لابن براق.." (١)

"وصار يصرف أغراضه، ويظهر أحقاده، بين إفصاح بما كان الإعجام خيرا من إلقائه، وإن عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقائه، إلى مجاهرة عهد منه أيام شبيبته نقيضها، وانعكس في شاخته تصريحها المنغص وتعريضها، لا يريح نفسه من جهد، ولا يقف من اللجلجة عند حد، وقد كان ثقل سمعه فساءت إجابته، وطغت أخلاقه فسئم الناس وساطته، وربما استحلف فلم يكن بين اللازمة واللازمة إلا الحنث عن قصد وغير قصد، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعد، وأن يقيض الله له ولهم قاتل عمد، فسبحان القاهر فوق عباده، الرحيم بهذا الشخص وبالأموات من شيعته وأولاده، فاستمر على ذلك إلى إحدى الليالي، فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدومه، تلقاه - زعموا - عند الدخول عليه، وهو بالمصحف رافع يديه (١) ، فجدلته السيوف، وتناولته الحتوف، فقضي عليه، وعلى من وجد من خدامه وابنيه، كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته، ولم يتقوا الله فيه حق تقاته، فكانت أنكى الفجائع، وأفظع الوقائع، وساءت القالة، وعظم المصاب، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب. انتهى كلام ابن الأحمر في مقدمة كتابه (٢) .

وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك، وقتله على الوجه الذي يعلم منه أن ثأر لسان الدين ابن الخطيب لديه لا يترك، بل قتلته أفظع من قتلة لسان الدين، لأن هذا قتل بين عياله وأهله، وقتل معه ابناه ومن وجد من خدمه، ولسان الدين رحمه الله تعالى خنق بمفرده، وعند الله تجتمع الخصوم، وهو العفو الغفور.

وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبعمائة، ولم أقف من أمره على غير ما تقدم.

---

(١) ق: رافعا به.

(٢) سمى هذا الكتاب " البقية والمدرك من شعر ابن زمرك " .." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢٦٨/٦

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٧٠/٧

"وسمي حرف الروي رويا لأنه من الرواء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والماع ليضمها. وروى في كلامهم للضم والجمع والاتصال، وكذلك حرف الروي، تنضم وتجتمع إليه جميع حروف البيت. فالقوافي على ذلك خواتيم على عنوان الشعر جامعة لأطراف معانيه، قابضة على أزمة مهاريه.

٨ - وأما الألقاب، فإنها تنقسم الى أقسام ولكل قسم منها باب، فمنها:

باب الإشارة

والإشارة من محاسن البديع، ومعناه اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة وإن كان بأدنى لمح يستدل على ما أضمر من طويل الشرح كقول امرئ القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كز ولا وان

تأمل ما تحت لفظة أفانين، وما اقترن بها من جميع أصناف الجودة، ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر معايب الخيل.

وقال زهير:

فلو أني لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفيل

فهذا لفظ قليل يدل على معنى كثير. وكما قال بعض الأعراب:

جعلت يدي وشاحا له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

قوله: جعلت يدي وشاحا له، إشارة بديعة الى المعانقة بغير لفظها وهي دالة عليها.

وقال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل

أشار بذلك الى دقة الخصر والرشاقة والهيف لأن حركة الوشح تدل على ذلك. فأما الخلاخل والأسورة والبرى، فإنها توصف بالصمت والخرس. وفي البيت إشارة أخرى الى شدة الحركة وهي قوله، كما استعان بريح عشرق زجل، وذلك أن العشرق وهو شجر شديد الحركة في ضعف النسيم، فكيف إذا استعان بريح.

وقالت الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

إشارة حسنة الى وقت الغارة، ووقت الميسر وإطعام الضيف.

وقال القحيف:

أتاني بالعقيق دعاء كعب ... فحن النبع والأسل النهال

إشارة حسنة الى إغاثته بالجيش. وقال آخر:

وزيد ميت كمد الحبارى ... لأن ظعنت سكينة والرباب

إشارة حسنة الى شدة الهم وذلك أن الطير تجتمع في مواضع بعيدة من الأناسي فتطرح ريشها هناك وفيها الحبارى، ثم ترتعي الى أن ينبت ريشها، فإذا نبت ريش تلك الطير كلها تخلف الحبارى عنها لأن ريشها بطيء الطلوع فينهض جميع الطير وتبقى الحبارى فيموت أكثرها كمدا.

وأنشد ابن الأعرابي:

مشينا فسوينا القبور بعاقل ... فقد حسنت بعد القبوح قبورها

أي قتلنا بقتلانا فاستوى عدد قتلانا وقتلاهم. وهذه إشارة عجيبة لطيفة الى أخذ **الثأر**. وفي هذا الباب سعة وجهدنا أن نختصر.

وقريب من معنى الإشارة وإن تغايرت العبارة:

باب الكناية

وربما سماها قوم التتبيع لأن الشاعر يقول معنى ويأتي بلفظ تابع له، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع. فمن ذلك قوله تعالى: (وبلغت القلوب الحناجر)، كناية عن شدة الأمر والحرب، ومعنى ذلك أن القلوب ارتفعت عن مواضعها فنفرت كأنها تريد الخروج عن الأجسام مفارقة لها. وقوله تعالى: (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام). في ضمن هذا الكلام كناية عن الشرب ولم يذكر لدلالة الأكل عليه، وكناية عن النجو والبول لأن من أكل احتاج أن يشرب، ومن أكل وشرب احتاج أن ينجو ويبول.

وأنشد المبرد:

تقول وقد أبدى البكاء بعينه ... ندوبا: ألا داويت عينك بالكحل

فقد رأيت الكحل يشغل قدره ... من العين قدرا لم يكن عنك في شغل

كناية عن أنه لا يحب أن يشغل عينه عن النظر إليها، لأن الزمان الذي يذهب في الاشتغال بالكحل لم يكن قبل الكحل مشغولا بغير النظر إليها فهو يكره أن لا يكون على ما كان عليه من تلك الحال.

وقال بلعاء بن قيس الكناني:

معي كل مسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى في أخمص الرجل ظالع

كناية عن الترف والنعمة. وقال المنهال:." (١)

"ومما يجوز للشاعر المولد استعماله عند الضرورة في شعره الخرم، بخاء معجمة وراء غير معجمة، وهو حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت، والوتد المجموع حرفان متحركان بعدهما ساكن مثل: غزا، رمى، ولا يدخل الخرم على بيت أوله سبب أو فاصلة، وأكثر ما يجيء في أول البيت من القصيدة وربما جاء في غيره من الأبيات. قال الشاعر:

كنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... ليالي لاقينا جذام وحميرا

أراد أن يقول: وكنا فحذف الواو. وقال الآخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء

وأكثر ما يحذف للخرم حروف العطف مثل الواو وأخواتها وإن كان الخرم يجيء بغير ذلك. وقد أجاز بعض العروضيين الخرم في أول النصف الثاني من البيت وشبهه بأول البيت وأنشد عليه قول امرئ القيس:

وعين لها حدرة بدرة ... شقت مآقيها من أ ◌خر

أراد أن يقول: وشقت. وأنشدوا في خرم أول البيت وفي أول النصف الثاني منه، وهو غير مستحسن ولا ينبغي العمل به، قول الشاعر:

أبدلني بتيم اللات ربي ... حنظلة الذي أحيا تميما

أراد أن يقول: وأبدلني بحنظلة فحذف الواو من أول النصف الأول، والباء من أول النصف الثاني.

وحديث أبي تمام مع أبي سعيد المكفوف، لما عرضت عليه قصيدته البائية التي مدح بها عبد الله بن طاهر، وإنكاره الخرم في أول البيت منها معروف لأن العلماء بالشعر لا يستحسنونه وإن كان مجوزا مستعملا وهو قوله:

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

وأما الخزم بخاء معجمة وبراء معجمة فما يجوز للشاعر المولد استعماله ولا يسوغ له تعاطيه أبدا، وهو زيادة كلمة يأتون بها في أوائل الأبيات يعتد بها في المعنى ولا يعتد بها في ا لوزن، وإذا أريد تقطيع البيت حذفت تلك الكلمة الزائدة وهي تستعمل في جميع البحور كما قال الشاعر:

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٨

أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا

والبيت من الهزج ولا يستقيم إلا بإسقاط أشدد. وقال الآخر:

المسيب بن شريك اليوم عالم من العلماء

لا يستقيم تقطيعه حتى يحذف من أوله المسيب.

وربما كان الخزم في أول البيت حرفا أو حرفين كما قال الكندي:

وكأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل

ألا ترى أن الوزن لا يستقيم حتى تسقط الواو، وعلى ذلك يروى. والأصل في الرواية الصحيحة ثبوت الواو، وكذلك أنشده العروضيون واحتجوا به. وقد جاء من طريق الشذوذ الخزم في نصف البيت كقول الشاعر:

يا نفس أكلا واضطجا ... عا يا نفس لست بخالدة

والبيت من مجزوء الكامل متفاعلن أربع مرات ولا يصح إلا بإسقاط يا من نصف البيت ويجتزأ بحرف النداء في أول البيت فاعرف ذلك. وقد جوزوا أن تحذف من القافية الياء في مثل قول الشاعر:

وقبيل من لكيز شاهد ... رهط مرجوم ورهط ابن المعل

وهو يريد المعلى. وقد جوزوا أيضا تخفيف المشدد في مثل قول الشاعر:

دعوت قومي ودعوت معشري ... حتى إذا ما لم أجد غير الشر

كنت امرءا من مالك بن جعفر

فخفف الراء من الشر. وقال المبرد: لم يرد الشر وإنما أراد السري بسين غير معجمة وهو اسم رجل شبه بالسري وهو نهر فحذف إحدى الياءين فبقي السري فخفف الياء.

فهذه نبذة في هذا الفصل يستغنى بها عن غيرها، ولمعة يكتفى بها عن سواها، فرب قبس أغنى عن مصباح، وغلس اجتزئ به عن صباح.

الفصل الثالث

في فضله ومنافعه وتأثيره في القلوب ومواقعه." (١)

"وشكا إليه الناس الجدب فاستسقى لهم فسقوا، فلما كان الجمعة الثانية جاءه رجل يسعى فقال: يا رسول الله تهدمت الدور وسقطت الجدر، فتبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا من قوله، وقال: أيكم يروي

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٥١

كلمة عمي أبي طالب؟ فقام أبو بكر فقال: أنا يا رسول الله، قال: أنشد، فأنشده:

كذبتم وبيت الله يبزى محمد ... ولما نصرع حوله ونقاتل

فلما انتهى الى قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... غياث اليتامى عصمة للأرامل

فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهلل وجهه. ولما قتل هشام بن الوليد بن المغيرة أبا أزيهر الدوسي بذي المجاز، وكانت في هشام عجلة، اجتمع الناس وتهيئوا للقتال، فجاء أبو سفيان فقال: ما أسرع الناس الى دماء هذا الحي من قريش! وقال لأصحابه: لا تشاغلوا بالحرب بينكم عن حرب محمد، يريد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله لحسان بن ثابت: حرض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال حسان من أبيات:

كساك هشام بن الوليد ثيابه ... فأبل وأخلف مثلها جددا بعد

قضى وطرا منه فأصبح ماجدا ... وأصبحت رخوا ما تخب وما تغدو

فما منع العير الضروط ذماره ... وما منعت مخزاة والدها هند

فلو أن أشياخا ببدر تشاهدوا ... لبل نعال القوم معتبط ورد

وإنما أراد صلى الله عليه وسلم أن ينتخي أبو سفيان ويهزه الشعر على عادة العرب فيتشاغل عن حربه بحرب بني مخزوم ويقع الخلاف بينهم فيقوى أمره صلى الله عليه وسلم ويضعفون عنه في عادة العرب في الحمية. ألا ترى أن جساس بن مرة قتل كليب وائل في غرة بناقة جار خالته لأبيات قالتها وهي:

لعمر أبي لو كنت في دار منقر ... لما ضيم سعد وهو جار◦ أبياتي

ولكنني أصبحت في دار غربة ... متى يغد فيها الذئب يغد على شاتي

فيا سعد لا يغررك قومي وارتحل ... فإنك في حي عن الجار أموات

ودونك أذوادي فسقها فإنني ... لخائفة أن يغدروا ببنياتي

فلما سمع جساس الأبيات حركته وهزته وأغضبته وقال أقلي عليك أيتها العجوز فلأقتلن بناقة جارك أعظم فحل للعرب، فظنته يقتل بعض إبل كليب، فخرج من وقته فطعن كليبا فقتله. ولكن أبا سفيان لما سمع أبيات حسان، وكان خبيثا ترك حرب مخزوم خوفا مما حسبه النبي صلى الله عليه وسلم وحاوله.

وقالت صفية بنت عبد المطلب تحض أبا سفيان على أخذ ثأر أبي أزيهر من بني مخزوم، وتعرض له بالنار التي أوقدت له بالغدر، وذلك أن العرب كانت إذا غدر الرجل أوقدوا له نارا على جبل، وقيل: هذه غدرة فلان،

فلما قتل أبو أزيهر وهو صهر أبي سفيان فلم يأخذ بثأره أوقدت النار على أبي قبيس بالموسم وقيل: هذه غدرة أبي سفيان، وهي أبيات منها:

ألا أبلغ بني عمي رسولا ... ففيم الكيد فينا والأمار

وسائل في جموع بني علي ... إذا كثر التناشد والفخار

تريد بني علي بن بكر بن كنانة، منها:

ونحن الغافرون إذا قدرنا ... وفينا عند غدوتنا انتصار

ولم نبدأ لذي رحم عقوقا ... ولم توقد لنا بالغدر نار

فلم يحركه ذلك لما كان في نفسه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أن معاوية قال لعروة بن الزبير: أتنشد قول جدتك صفية:

خالجت آباد الدهور عليكم ... وأسماء لم تشعر بذلك أيم

فلو كان زيرا مشركا لعذرته ... ولكنه قد يزعم الناس مسلم." (١)

"وخرج الجحاف الى قومه وقال لهم: إن عبد الملك قد ولاني بلاد بني تغلب. وزور كتابا، وحشا جربا ترابا، وزعم أنه مال، ورحل بهم متأهبين فلما أشرف على بلاد بني تغلب خبرهم بحقيقة الأمر وأنشدهم بيت الأخطل وقال: إنما غضبت لكم فاثأروا بقومكم. فشدوا على بني تغلب بالبشر ليلا وهم غارون غافلون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب الأخطل من ليلته مستغيثا بعبد الملك فلما دخل عليه أنشده:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... الى الله منها المشتكى والمعول

فإلا تغيرها قريش بملكها ... يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال له عبد الملك: الى أين يا بن اللخناء؟ فقال: الى النار يا أمير المؤمنين، فقال: والله لو قلت غيرها قطعت لسانك. ثم إن الجحاف لقي الأخطل بعد ذلك فقال:

أبا مالك هل لمتني إذا حضضتني ... على القتل أم هل لامني لك لائم

فهذا ما استجلبه الأخطل على قومه وجناه عليهم بكلمة ما كان أغناه عنها وأقدره على تركها. ومن كان عنده من القوة أن يحرض بما حرض به ما كان يليق أن يكون عنده من الخور ما يوجب قوله: لقد أوقع الجحاف... البيت.

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٥٦

ولما أنشد جرير عبد الملك قوله:

أتصحو أم فؤادك غير صاح

قال له: بل فؤادك يا بن اللخناء. فلما بلغ قوله:

تشكت أم حرزة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح

قال له: لا أروى الله عيمتها ثم أخرجه خائبا، وكان سببه ما بدأ به.

وينبغي للشاعر ألا يسيء أدبه في خطاب الممدوح ويتجنب ما تسبق إليه الظنة في مثل قول أبي نواس:

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد ... هواها لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل: ويلك أما وجدت غيري يجمع بينكما؟، فقال: يا مولاي إنما و جمع تفضل لا جمع توصل. ولعمري إن له وجها يعلل به، ولقد كان عن التهمة فيه غنيا. وتبعه فيه أبو الطيب فجعل مكان الجمع الشفاعة. والجمع قد يكون بصلات الممدوح، والشفاعة فلا تؤول بذلك، ففسد عليه المعنى بلفظة الشفاعة.

ومدح جرير بشر بن مروان بقصيدة منها:

يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير؟

فقال له بشر: قبحك الله يا بن المراغة، أما وجدت رسولا غيري؟! وقد أخذ بلال على ذي الرمة كلمة هي دون هذا المأخذ لما أنشده:

سمعت: الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

تناخي عند خير فتى يمان ... إذا النكباء ناوحت الشمالا

صيدح اسم ناقته. فقال بلال: يا غلام مر لـها بالقت والنوى يريد أن ذا الرمة لا يحسن المدح. وأقول: إنه لم ينصف ذا الرمة في ذلك؛ لأن الكلام يحتمل أنه أراد: فقلت لصاحب صيدح، ويريد نفسه، كما قال الحارثي:

وقفت على الديار فكلمتني ... فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحب القلوص وعنى نفسه قال الله تعالى: (واسأل القرية) أي أهل القرية. وإذا كان هذا التأويل ممكنا فلا نقص على ذي الرمة بإنكار بلال.

ولقائل أن يقول: فهلا اعتذر ذو الرمة عن نفسه وقد قابله بلال برده؟ والجواب عن ذلك أن الحاكي لم يقل:

إن ذا الرمة ما اعتذر عن نفسه ولا منع من ذلك، وإنما كان قصده حكاية قول بلال. ويجوز أن يكون ذو الرمة قد اعتذر الى بلال بذلك أو بغيره وافلج بحجته. ويمكن أنه لم يفهم مقصد بلال بالقت والنوى حتى يجيب عنه، لأنه بدوي لا يعرف لحن كلام الحضريين. والمقصود أنه لم يكن جاهلا مقدار ما ذكرناه، ولا هو ببعيد عنه. وأما قوله: سمعت الناس برفع سين الناس فإنه رفع على الحكاية، أي سمعت قائلا يقول: الناس ينتجعون، كما قال الآخر:." (١)

"أقول: ما أدري ما معنى هذا. فإن الماء إذا انحرف عن مكان، إنما ينحرف باستفال الموضع الذي انحرف إليه عن الموضع الذي انحرف عنه. إما بأخدود يحفر، أو بتهدم من نفس الأرض. وحينئذ يرجع الماء القهقرى وينعطف عن المرتفع، وينحدر إلى المنخفض. هذا الذي يفهم من لفظة انحرف الماء. ومتى كان الأمر كذلك فلا يعود الماء إليه، اللهم إلا أن يدعي أن مدد الماء يقوى دفعه فيزيد إلى أن يعلو المنخفض، ولم يجد له حيزا يشغله غير ذلك الذي انحرف عنه. وهذا غير مفهوم من مجرد كلامه.

ولو قال: فإن الغيث إن أقلع صوبه عن مكان، فلا بد وأن يعود في وقت إلى ذلك المكان. أو فإن الماء إذا جفا موضع جريته في وقت، فلا بد أن ينعطف على ذلك المكان. أو إذا قطعت سقياه عن مكان أو ما ناسب ذلك، غير لفظة انحرف.

وما أحلى قول القاضي الفاضل: وقد يعود الماء إلى مشرعه، والكوكب إلى مطلعه.

وما أحسن قول القائل في معنى قول ابن الأثير:

سأصبر صبر الحر من غير قدرة ... على الصبر لكن من طريق التجمل

لعلك يوما أن تردك رحمة ... علي فتلقاني بوجه التفضل

مناقشة مثال آخر لابن الأثير

قال: ومن ذلك ما ذكرته في وصف الخمر وهو: الخمر لا تفي لذة إسكارها بتنعيص خمارها، فهي خرقاء البنان، بذيئة اللسان، وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والأديان. وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها، ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤوس بجناية أقدامها. وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف، لأنه قال:

ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت ... زمنا تداس بأرجل العصار

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٨١

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت ... منهم فصاحت فيهم بالثار

أقول: أما إضافة البنان واللسان والعقل والدين إلى الخمر، فإنه من الغريب وأغرب من ذلك أن جعل للرؤوس أقداما، وأغرب من هذين كونه يدعي أن كلامه ألطف وأحسن وأغرب من قول الشاعر، والفرق مثل الصباح ظاهر. وكأنه أراد أن يد معاقرها خرقاء، ولسانه بذيء، وعقله ودينه ناقصان ولو نسب ذلك إلى الندمان في ذم الخمر لكان قادحا فيها. وإنما إضافة الجوارح والعقل والدين إليها فغير جائز إلا بتأويل بعيد إلى الغاية.

وما أحسن قول أبي تمام:

خرقاء يلعب بالعقول حبابها ... كتلاعب الأفعال بالأسماء

وقول القائل:

وصف المدامة شاربوها أنها ... تحوي السرور وتطرد الهما

صدقوا هفت بعقولهم وبدينهم ... أرأيت عادم دين مغتما

وقول ابن سناء الملك:

عروسكم يا أيها الشرب طالق ... وإن فتنت من حسنها كل مجتلي

دفعت لها مالي وعقلي معجلا ... فقالت وجنات النعيم مؤجلي

قيل: إن سليمان بن عبد الملك ناول نصيبا قدحا . فقال. يا أمير المؤمنين، إنما وصلت إليك بعقلي فإن رأيت أن لا تفرق بين عقلي وبيني فعلت وقول السراج الوراق.

شؤم أم الخبائث الخمر شوم ... جاوز الحد فاستمع ما يعد

فلها في الدنان حبس وللرا ... ووق صلب وللمعاقر جلد

وأما قوله: فاستثأرت من الرؤوس بجناية أقدامها. الضمير لا يخلو: إما أن يعود إليها أو إلى الرؤوس وكلاهما غير جائز.

وما أحسن قول ابن زهر إلا شبيلي:

وموسدين على الأكف خدودهم ... قد غالهم في السكر ما قد غالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالني

والكأس تعلم كيف تأخذ ثارها ... إني أملت إناءها فأمالني

وقال أبو تمام من قصيدة:

إذا اليد نالتها بوتر توقرت ... على ضغنها حتى استقادت من الرجل
وتصرع ساقيها بإنصاف شربها ... وصرعهم بالجور في صورة العدل
وأما قوله: وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والأديان. ما أحسن ما استعمل المتنبي هذا في وصف الدنيا فقال:
شيم الغانيات فيها فما أد ... ري لذا أنث اسمها الناس أم لا." (١)

"وقوله: كتاب كريمي من حيث نسبته إليه، كليمي من حيث نسبته إلى اليد لبيضاء من يديه، مسيحي من حيث أن أحيي موات الأنس، محمدي من حيث كاد يكون بما نفثه في روعي روح القدس، فلا عدمت مخاطبته التي تخلع على الأيام يوم العيد، وعلى الليالي ليلة العرس. فأبقاه الله للسان العربي فلولاه كان مزويا لا مرويا ، مدحورا لا مدخورا ، ولولاه لحالت أحرفه عن حالاتها، وأبت الفصاحة أن تكون قوائم الأحرف من آلاتها. فكانت تقعد ألفه القائمة، وتموت باؤه النائمة، ويزيد حني ظهر داله حتى يلحق بالرغام خدها ويغض، وحتى تدرد أسنان سنه فلا يبقى لها ناجذ عليه تعض.
وقوله: وقف عليه والشكر عن المنعم به غير واقف بل وقف، واستمطر منه صوب الغمام فما انقطع له ولا كف وكف، ورأى بنيان تبيان لو رأته المجارون لأتي بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف، فلله هو من بليغ إن قال فالقول عنده أكثر يوم البين من ماء الطرف، وإن رام القول غيره فهو أقل عنده يوم الحسين من ماء الطف.
وقوله في جواب كتاب للشيخ تاج الدين الكندي: وظننته وحقق الله فيه الظن وقد ارتقى الأسباب وأخذ اللفظ من القطر والقرطاس من السحاب، وآمنت بصحة رقيه، وتبينت التقاطه للنجوم حين أوردها في بارع اللفظ ونقيه، وقلت للجماعة: كلام التاج تاج الكلام، والملك في كندة وكانت أقلامها سيوفا وسيوفها الآن أقلام.
وقوله: فوقفت منه على ظرف الظرف، وتحفة الطرف، وكدت أعبده منه على حرف، وكل حرف ذلك الحرف. ولولا إشفاقي أن يفطن الدهر لمكانه من قلبي، وخوفي أن أعرفه بحسنته منه فأغريه منها برفع أوزار حربي، لقلت قولا يغض الأولين والآخرين من هذه الصناعة، وأنفذت فيهم سهاما لا تحمي شاعرا منها صخرة وجه ولا كاتبا درع دراعة. وما هي إلا آيات كل واحدة أكبر من أختها، وفكر مرزوقة في أيام الجمعة كلها إذا أتت

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٢٢

الفكر أرزاقها يوم سبتها.

وقوله: كتب كريمة كادت ألفاظها تتبسم، ومعانيها تتكلم، وكادت حروفها تكون أناسي لعين المسار، وكادت سطورها تجلي عرائس وعليها من الشكل حلي ومن النقط نثار.

وقوله: كتاب سني المعاني سيني القوافي، وحق سينه أن يخلص لها الإقبال، والسين تصحب الفعل فتخلصه للاستقبال، وهذا أفق لامطار فيه إلا للعقاب وابنه، وبحر لا سبح فيه إلا لمن يخرج الدر من فيه ويدخل البحر في ردنه، وما عنيت ها هنا بالبحر إلا يده الكريمة فأما البحر فلم أعنه.

وقوله: كتب المجلس روح الله قلبه، وأتاح قربه، ولا برحت أقلامه سلاح أوليائه على الزمن إذا خافوا حربه، تؤنس راجيها، وتؤيس مجاريها، ويخصب بها السمع، ويتظاهر بها النفع، لولا أنها تغير علينا شيمنا فتخلق فيها الحسد، وتشد أيدينا إذا تعاطينا المجاراة بحبل من مسد.

وقوله: وسيدنا ما بعد بيانه بيان، وبين فكيه سيف وبين فكي كل إنسان لسان، فقولي يا أقلامه فقد خرست في الغمود المناصل، وتبختري يا تغلب ابنة وائل فقد أعطي من البلغاء التقدمة وهم صارغون، وأفلح المعترف بفضله وقد علم أنه لا يفلح الكافرون.

وقوله: ووقف على الميمية فأطاف به منها الطوفان، وحياة منها الروح والريحان، وهي مما أملاه ملك إن كان يملي الأشعار شيطان، وعجبت لاطراد تلك القوافي، ورأيت الشعراء أتت بما ألفت في ضيق الأودية وخاطره وقلمه أتيا بما ألقيا في الفيافي، وكل بيت منها بديوان، كما أن قائلها إنسان يفدى بألف إنسان، كما أن قلمه قصير فما جدع أنفه إلا ليأخذ ثأر القلم من السنان.

قلت: وعلى ذكر الفيافي في قول القاضي الفاضل، وما ركبه في هذه السجعة من الجناس المليح، فكنت كتبت إلى شيخنا الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس أبياتا ، وأجابني عنها بنظم ونثر. من جملة النثر: بل ذلك السحر الحلال الشافي، بل تلك القوى في القوافي، بل تلك المقاصد التي أقصدت المنى في المنافي.

فكتبت الجواب إليه ومنه: وعكف منه على كعبة البلاغة، فيا حسن ما نشر في استلامي وطوى في طوافي، وأراد طائر القلب أن ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم، وظهر الخوى في الخوافي. رجع إلى كلام الفاضل.." (١)

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٢٨

"""""""" صفحة رقم ٣٠٢ """"""""

أما أمير المؤمنين فقد أسف بكم إلى التوبة ، وغفر لكم الزلة ، وبسط لكم الإقالة بفضله . فليفرج روعكم ، وليعظكم مصارع من كان قبلكم . فهذه الحتى منكم مضرعة ، وبيوتهم خاوية بما ظلموا ، والله لا يحب الظالمين . ثم نزل عن المنبر ، وصعد صالح بن علي بعده فقال : يا أهل النفاق ، وعمد الضلالة ، أعزكم لين الإبساس وطول الإيناس ، حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حد ، وخور قناة . فإذا استوبأتكم العافية فعندي نكال وفطام ، وسيف يعض بالهام . ومن خطب داود : أيها القوم . حتى متى يهتف بكم صريخكم ؟ أما آن لراقدكم أن يهب من رقدته ؟ بلى و 'كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ' . طال الإمهال حتى حسبتموه الإهمال . هيهات كيف يكون ذلك والسيف مشهور ؟ لا والله ، حتى يجوسكم خلال الديار . حتى تبيد قبيلة وقبيلة . . . ويعض كل مهند بالهام ويقمن ربات الخدور حواسرا . . . يمسحن عرض ذوائب الأيتام ولما خرج داود إلى مكة واليا حم في بعض طريقه ، فكان يدعو الله ويقول : يا رب . الثأر ثم النار . قال عبد الصمد بن علي : كنت عند عبد الله بن علي في عسكره بالشام لما خالف المنصور ودعا إلى نفسه ، وكان أبو مسلم بإزائه يقاتله ، فاستؤذن لرسول أبي مسلم عليه ، فاذن له ، فدخل رجل من أهل الشام فقال له : يقول لك الأمير : علام قتالك إياي وأنت تعلم أني أهزمك ؟ فقال له : يا بن الزانية ، ولم تقاتليني عنه وأنت تعلم أنه يقتلك ؟ قال العباس بن محمدل بن علي للرشيد : يا أمير المؤمنين . إنما هو سيفك ودرهمك ، فازرع بهذا من شكرك ، واحصد بهذا من كفرك .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١٥ """"""""

فكان إذا عاودناه في شيء قال لنا : فلست إذا كما قال ابنهرمة ، وأنشد هذا البيت ، وكان يشاورنا في اموره إلى أن قال ابنهرمة : إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره . . . فناجى ضميرا غير مضطرب العقل ولم يشرك الدنين في جل رأيه . . . إذا اضطربت بالحائرين قوى الحبل فخضنا بالقول في ألا يشاورنا ، فكان لا يشاورنا بعد ذلك . كان عبد الصمد بن علي ثقيل الرجل ، لا يقدم على أحد من أهل بيته إلا مات ، فقدم على أخيه سليمان بن علي بالبصرة ، فاعتل ومات ، فصلى عليه ، ثم رحل ، وقدم البصرة بعد مدة ومحمد بن سليمان صحيح ، فاعتل يوم قدومه ومات ، فصلى عليه ، ثم قدم وجعفر بن سليمان صحيح ، فاضطرب وقال : لأمر ما قدم عمي ، فاعتل ، واشتد جزعه ، ثم عوفي ، فتصدق بمائة ألف دينار . ولما مات عبد الصمد قال

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٣٠٢/١

الرشيد : الحمد لله الذي أمات عنوان الموت . لا يحمل عمي غيري . فكان أحد حملته إلى حفرته . وقد روى أيضا أنه مات جعفر ، وقد قدم عليه عبد الصمد وأن إسماعيل ابن جعفر كان يقول : ما رأيت أشأم منه ، وإنه عمي في ذلك الوقت . فقال إسماعيل : أخذنا بعض ثأرنا . وولى عبد الرحمن بن جعفر اليمن ، وكان وعد أبا زيد ، عمر بن شبة أن يحسن إليه إذا ولي . فلما ولي قال : يا أبا زيد ، ليس بعد اليمن شيء وكان يرسل بالبرود وغيرها ، فيقال له : اذكر أبا زيد . فيقول : أبو زيد إلى الدنانير." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""

على راحلة له ، ومعه غلمان له وزوامل . فقال له عثمان : سر يا أبا عبد الله ، فقال : سيكفيني القضم من خضمكم ، والعنق من نصكم . قال يوم الشورى لما تكلم عبد الرحمن بن عوف ، وأخرج نفسه من الشورى ليقلد من يرضاه : ' أما بعد ، فإن داعي الله لا يجهل عند تفاقم الأهواء ولي الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوي ، ولن يترك ما قلت إلا شقي ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض له حدت ، تراح على أهلها ، وتحيا لا تموت ، لكان الفرار من الولاية عصمة ، ولكن لله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة لئلا نموت ميتة عمية ، ولا نعمى عمى جاهلية ، والأمر لك يا ابن عوف . ذكر أن أول من سل سيفا الزبير ، سمع أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل ، فخرج بيده السيف ، فتلقاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كفة كفة ، فدعا له بخير . أرسل علي عليه السلام عبد الله بن عباس ، فقال : إيت الزبير ولا تأت طلحة ، فإن الزبير ألين ؛ وإنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه . يركب الصعوبة ويقول : هي أسهل . فأقره السلام ، وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز ، وأنكرتني بالعراق ، فما عدا ما بدا ؟ . قال : فأتيته فقال : مرحبا بابن لبابة . أزائرا جئت أم سفيرا ؟ قلت : كل ذلك . وابلغته الرسالة فقال : ابلغه السلام وقل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ، ونشر المصاحف فنحل ما أحلت ، ونحرم ما حرمت . فلما كان الغد حرش بين الناس غوغاؤهم ، فقال الزبير : ما كنت أرى أن ما جئنا فيه يكون فيه قتال .

عبد الرحمن بن عوف

قال عبد الرحمن يوم الشورى : يا هؤلاء ، إن عندي رأيا ، وإن لكم نظرا ، إن حابيا خير من زاهق ، وإن

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٣١٥/١

جرعة شروب أنفع من عذب موب . إن الحيلة بالمنطق أبلغ من السيوب في الكلم . فلا تطيعوا الأعداء وإن قربوا ، ولا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثأركم ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٠ """""""""

قال السري بن عبد الله : إني لبمكة مع أبي جعفر المنصور والناس يذكرون معنا ، وإراقته الدماء باليمن ، فقلت : يا أمير المؤمنين غلام من غلمان بني شيبان ، ماله عندك يد تأصرك عليه ، ولا رحم يعطفك عليه ، قال : فبسر في وهي بسرة تمنيت أن الأرض انشقت لي فدخلت فيها . قال : فمكثت أياما ثم أتيته ، فسألني عن عن تخلفي ، فاعتذرت إليه ، فقال لي : أتعرف رجلا كان يصلي عن يمين منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فأخبرته به ، ونسبته إلى عثمان ، فقال : ما فعل ؟ قلت : قتل بقديد . قال : فآخر كان يصلي قريبا منه ؟ قلت : نعم ، ذاك ابن أخيه . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم قديد . قال : فآخر كان يصلي في موضع كذا ؟ قلت : نعم . ونسبته إلى الزبير . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم قديد ، فما زال يقترع المجالس يذكر فيها رجلا قريعا ، ويسألني عنه ، فأقول : قتل يوم قديد ، فقال لي : لا أكثر الله في عشيرتك مثلك . عجزت عن ثأرك أن تطلب به ، حتى إذا قام هذا الغلام الشيباني ، فإذا بك تنفس عليه الرفعة . قيل : وكان معن يبسط الأنطاع باليمن ، ثم يدعو بأبناء اليمانية الذين حضروا قديدا ، فيضرب أعناقهم . وكلما ندر رأس عن رقبته قال : يا لثارات قديد . كان المنصور يقول : الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك . وقال : إذا مد عدوك يده إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلا فقبلها . وخطب بمكة وقد أمل الناس عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وخازنه على فيئه ، أعمل فيه بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل قفلا عليه ، إذا شاء أن يفتحني فتحني ، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال جل اسمه : ' اليوم أكملت لكم." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٦١ """""""""

دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ' ، أن يوفقني للصواب ، ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحني لأعطياتكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب . فقال ابن

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٧٧/٢

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٦٠/٣

عياش المنتوف : أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه . خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أذكرك من تذكر به . فقال المنصور : سمعا سمعا لمن فهم عن الله ، وأعوذ بالله أن أذكر بالله وأنساه ، وأن تأخذني العزة بالإثم : ' قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ' . وأنت والله ما الله أردت بذلك ، ولكن حاولت أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، وأهون بها وبقائلها ولو صمت لكان خيرا له ، فاهتبلها إذا غفرتها ، وإياكم وأخواتها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، ومن عندنا انبثت ، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . ورجع إلى خطبته . كان يقول : الخلفاء أربعة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على ما نال من عثمان ، ومانيل منه أعظم ، ولقد كان عمر بن عبد العزيز إمرأ صدق ، والملوك أربعة : معاوية وكفاه زياد ، وعبد الملك وكفاه حجاجه ، وهشام وكفاه مواليه ، وأنا ولا كافي لي . وكان معاوية للحلم والأناة وعبد الملك للإقدام والإحجام ، وهشام لوضع الأمور مواضعها ، ولقد شاركت عبد الملك في قول كثير : رحمة للناس . أتي المنصور برأس بشير الرحال ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله – رضي الله عنه – فقال له : رحمك الله ، لقد كنت أسمع لصدرك همهمة لا يسكنها إلا برد عدل ، أو حر سنان . ولما احتضر قال : يا ربيع ، بعنا الآخرة بنومة . قال الربيع : لقب أبو جعفر بأبي الدوانيق ، لأنه لما أراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كل رجل منهم دانق فضة ، وأخذه ، وصرفه في ذلك ، وقيل غير هذا . وقال للمهدي : ليس العاقل من يتحرز من الأمر الذي يقع فيه ، حتى يخرج منه ، إنما العاقل من يتحرز من الأمر الذي يخشاه ، حتى لا يقع فيه . وقال : عقوبة الحكماء التعريض ، وعقوبة السفهاء التصريح . كان لسوار القاضي كاتبان : رزق أحدهما أربعون درهما ، والآخر عشرون درهما ، فكتب إلى المنصور يسأله أن يلحق صاحب العشرين بالأربعين ، فأجاب بأن يحط من الأربعين عشرة ويزيدها صاحب العشرين حتى يعتدلا . قال السري بن عبد الله : إني لبمكة مع أبي جعفر المنصور والناس يذكرون معنا ، وإراقته الدماء باليمن ، فقلت : يا أمير المؤمنين غلام من غلمان بني شيبان ، ماله عندك يد تأصرك عليه ، ولا رحم يعطفك عليه ، قال : فبسر في وهي بسرة تمنيت أن الأرض انشقت لي فدخلت فيها . قال : فمكثت أياما ثم أتيته ، فسألني عن عن تخلفي ، فاعتذرت إليه ، فقال لي : أتعرف رجلا كان يصلي عن يمين منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فأخبرته به ، ونسبته إلى عثمان ، فقال : ما فعل ؟ قلت : قتل بقديد . قال : فآخر كان يصلي قريبا منه ؟ قلت : نعم ، ذاك ابن أخيه . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم

قديد . قال : فآخر كان يصلي في موضع كذا ؟ قلت : نعم . ونسبته إلى الزبير . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم قديد ، فما زال يقترع المجالس يذكر فيها رجلا قريعا ، ويسألني عنه ، فأقول : قتل يوم قديد ، فقال لي : لا أكثر الله في عشيرتك مثلك . عجزت عن ثأرك أن تطلب به ، حتى إذا قام هذا الغلام الشيباني ، فإذا بك تنفس عليه الرفعة . قيل : وكان معن يبسط الأنطاع باليمن ، ثم يدعو بأبناء اليمانية الذين حضروا قديدا ، فيضرب أعناقهم . وكلما ندر رأس عن رقبته قال : يا لثارات قديد . كان المنصور يقول : الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك . وقال : إذا مد عدوك يده إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلا فقبلها . وخطب بمكة وقد أمل الناس عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وخازنه على فيئه ، أعمل فيه بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل قفلا عليه ، إذا شاء أن يفتحني فتحني ، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال جل اسمه : ' اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ' ، أن يوفقني للصواب ، ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحني لأعطياتكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب . فقال ابن عياش المنتوف : أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه . خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أذكرك من تذكر به . فقال المنصور : سمعا سمعا لمن فهم عن الله ، وأعوذ بالله أن أذكر بالله وأنساه ، وأن تأخذني العزة بالإثم : ' قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ' . وأنت والله ما الله أردت بذلك ، ولكن حاولت أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، وأهون بها وبقائلها ولو صمت لكان خيرا له ، فاهتبلها إذا غفرتها ، وإياكم وأخواتها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، ومن عندنا انبثت ، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . ورجع إلى خطبته . كان يقول : الخلفاء أربعة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على ما نال من عثمان ، ومانيل منه أعظم ، ولقد كان عمر بن عبد العزيز إمرأ صدق ، والملوك أربعة : معاوية وكفاه زياد ، وعبد الملك وكفاه حجاجه ، وهشام وكفاه مواليه ، وأنا ولا كافي لي . وكان معاوية للحلم والأناة وعبد الملك للإقدام والإحجام ، وهشام لوضع الأمور مواضعها ، ولقد شاركت عبد الملك في قول كثير : يصد ويفضي وهو ليث عرينة . . . وإن أمكنته

فرصة لا يقيلها وقال للمهدي ابنه : يا أبا عبد الله ، لا تبرمن أمرا حتى تفكر فيه ، فإن فكرة العاقل مرآة تريه قبيحه وحسنه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٧٠ """""""

أنشد النميري الرشيد شعرا يقول فيه : ليس كأسياف الحسين ولا بني . . . حسن ، ولا آل الزبير الكلل فقال له الرشيد : وما تولعك بذكر القوم لا ينالهم ذم إلا شاطرتهم إياه . قرر ابني هذا منك وفيك ، فلا تعدله ، فإنما نفارقهم في الملك وحده ، ثم لا افتراق في شيء بعده . ماتت أمه الخيزران بعد ثلاث سنين من خلافته ، وكان غلتها يوم ماتت مائتي ألف ألف ، وستين ألف درهم كل سنة ، فاتسع الرشيد بذلك ومات في اليوم الذي ماتت فيه محمد بن سليمان بالبصرة ، وقبض الرشيد ما خلفه من الصامت ، فكان ثلاثة آلاف ألف دينار ، ولم يعرض لغير ذلك من أصناف المال . قال الرشيد يوما : بلغني أن العامة يظنون بي بغض علي بن أبي طالب . والله ما أحب أحدا حبي له ، ولكن ولده هؤلاء أشد الناس بغضا لنا ، وطعنا علينا ، و سعيا في إفساد ملكنا ، بعد أخذنا بثأرهم ، ومساهمتنا إياهم ماحوينا ، حتى إنهم لأميل إلى بني أمية منهم إلينا ، فأما علي وولده لصلبه ، وأولاد أولاده ، فهم سادة الأهل ، والسابقون إلى الفضل ، ولقد حدثني أبي المهدي عن أبيه المنصور بن محمد بن علي عن أبيه عن ابن العباس أنه سمع النبي - (صلى الله عليه وسلم) - يقول في الحسن والحسين : ' من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني ' . وسمعته (صلى الله عليه وسلم) يقول في فاطمة - رضي الله عنها - : ' فاطمة سيدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم ' . قال يزيد بن مزيد : قال لي الرشيد : ما بقي في العرب من يفتك قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رجل يقتل لي يحي بن خالد . قال : قلت له : فأنا أقتله وآتيك برأسه . قال : ليس كذا أريد . إنما أريد أن يقتله رجل فأقتله به . قال : فحدثت به الفضل بن سهل بمرو ، فوجم واغتم . قال الأصمعي قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه على تأنيسي : يا عبد الملك ، أنت أحفظ منا ، ونحن أقل منك . لا تعلمنا في ملا ، ولا تسرع." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٠٠ """""""

فصل آخر

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٦١/٣

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٧٠/٣

وما الحق إلا حق الله ، فمن أداه فلنفسه ، ومن قصر عنه فعليها . نسأل الله أن يعمرنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ويخصنا بالتقوى .

فصل آخر له

وصلني كتابك السار المؤنس ؛ فكان أسر طالع إلي ، وأحسنه موقعا مني ، إذ كنت أستعلي بعلوك ، وأرى نعمتك تنحط إلي ، ويتصل بي منها ما يتصل بالأدنين من لحمتك ، وحملة شكرك ومظان معروفك ، والمقيمين على تأميلك ، فلا أعد مني الله ما منحني منك ، ولا أزال عني ظلك ، ولا أفقدني شخصك . وكتب إلى المأمون : لولا أن يدي أشجع عليه من لساني لشافهته بحاجتي . ولما أدخل على المأمون عند الظفر به سلم عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، ولي الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن مد له في الأناة حسن عنده الذنب ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . فقال المأمون : يا إبراهيم ، إني شاورت العباس ابني ، وأبا إسحاق أخي في أمرك ، فأشارا علي بقتلك إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك ، فكرهت القتل للازم حرمتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد نصح المشير لما جرت به العادة في السياسة ، وحياطة الخلافة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو ، فإن عاقبت فلك نظير ، وإن عفوت فلا نظير لك ، فإن جرمي أعظم من أن أنطق فيه بعذر ، وعفو أمير المؤمنين أجل من أن يفي به شكر . فقال المأمون : مات الحقد عند هذا العذر . فاستعبر إبراهيم ، فقال المأمون : ما شأنك ؟ قال : الندم ، إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام علي ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنه وإن بلغ جرمي." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""""

عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون ؟ إي والله ، فابكوا ؛ فإنكم والله أحرياء بالبكاء ، فابكوا كثيرا ٣٥٥ واضحكوا قليلا ، فلقد فزتم بعارها ، وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا ، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب الجنة ، ومنار محجتكم ، ومدرة حجتكم ، ومفزع نازلتكم ؟ فتعسا ونكسا لقد خاب السعي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة . ' لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ' . ما تدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه فريتم ، وأي كريم له أبرزتم ، وأي دم له سفكتم . لقد جئتم بها شوهاء خرقاء طلاع

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٣/١٠٠

الأرض والسماء ، أفعجبتم أن قطرت السماء دما ، ' ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ' فلا يستخفنكم المهل ، فإنه لا تحفزه المبادرة ، ولا يخاف عليه فوت الثأر كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد . ثم ولت عنهم . قال : فرأيت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخا كبيرا من بني جعفي وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه ، وهو يقول : كهولهم خير الكهول ونسلهم . . . إذا عد نسل ل يبور ولا يخزي

حفصة أم المؤمنين خطبتها عن عمر

خطبت حفصة بنت عمر فقالت : الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٤ """""""""

وأبقى لأنفس الرجال . وبحق أقول . لقد صدعت بحكم ، وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم . وقال المدائني : لما أهديت بنت عقيل بن علفة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعث مولاة له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل بها ، فأتتها فلم تأذن لها ، أو كلمتها فأحفظتها فهشمت أنفها ، فرجعت إليها فأخبرته ، فغضب من ذلك ، فلما دخل عليها قال : ما أردت إلى عجوزنا هذه ؟ قالت : أردت والله إن كان خيرا أن تكون أول من لقي بهجته ، وإن كان شرا أن تكون أحق من ستره . لما انهزم الناس عن المختار مر أبو محجن الثقفي بأمة واسمها دومة فقال : يا دومة ارتد في حلفي . قالت : والله لئن يأخذني هؤلاء أحب إلي من أن أرى خلفك . كانت رقاش بنت عمرو عند كعب بن مالك فقال لها يوما : اخلعي درعك قالت : خلع الدرع بيد الزوج . قال : اخلعيه لأنظر إليك قالت : التجرد لغير نكاح مثلة . كان تميم الداري يبيع العطر في الجاهلية وكان من لخم ، فخطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكسهم في المهر فلم يزوجوه . فلما جاء الإسلام جاء بعطر يبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له : طالما ضرك مكاسك ، فلما عرفها استحيا وسامحها في بيعه . أرسل مسلمة بن عبد الملك إلى هند بنت المهلب وخطبها على نفسه ، فقالت لرسوله : والله لو أحيا من قتل من أهل بيتي وموالي ما طابت نفسي بتزويجه بل كيف يأمنني على نفسه ، وأنا أذكر ما كان منه وثأري عنده . لقد كان صاحبك يوصف بغير هذا في رأيه . وخطب عبد الملك بن مروان رملة بنت الزبير بن العوام فردته وقالت لرسوله : إني لا آمن نفسي على من قتل أخي . وكانت أخت مصعب لأمه . كانت أمهما الكلبية .." (٢)

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٢٠/٤

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٦٤/٤

"""""""" صفحة رقم ٩٦ """""""

القيان . فأخذ في ذلك ودخل أحمد على المأمون فقال له : ما خبر الغادر ؟ فقال : أصون سمع أمير المؤمنين عما هو فيه من الخسارة والشرب . فقال : والله لقد شوقتني إليه . وصار ذلك أحد أسباب الرضا عنه . قيل : إن المعذل مر بقوم وسلم فلم يجيبوه . فقال : لعلكم تظنون ما يقال من الرفض . اعلموا أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا من تنقص واحدا منهم فهو كافر وامرأته طالق . فسر القوم ودعوا له . فقال بعض أصحابه : ويحك ما هذه اليمين ؟ فقال : إني أردت بقولي واحدا منهم علي بن أبي طالب وحده .

انتقام كسرى من قاتله

لما أراد شيرويه قتل أبيه وجه إليه من يقتله فلما دخل عليه قال له كسرى : إني أدلك على شيء لوجوب حقك علي يكون فيه غناك . . قال : ما هو ؟ قال : الصندوق الفلاني . فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر فأخرج الصندوق ٣٩٩ فإذا فيه ربعة وفي الربعة حق وعلى الحق مكتوب : فيه حب من أخذ منه واحدة افتض عشرة أبكار ، وكان أمره في الباه كذا وكذا . فأخذ شيرويه منه حبة كان هلاكه منها . فكان أول ميت أخذ ثأره من قاتله .

حيلة مولى لسعيد بن العاص

ومرض مولى لسعيد بن العاص . ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره ، ولا يجد أيضا ما يحتاج إليه . فبعث إلى سعيد ، فلما أتاه قال له : إنه ليس لي وارث غيرك ، وها هنا ثلاثون ألف درهم مدفونة ، فإذا مت فخذها بارك الله لك فيها . فقال سعيد حين خرج من عنده : ما أرانا إلا وقد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده وهو من شيوخ موالينا . فبعث إليه وتعاهده ووكل به من يخدمه . فلما مات كفنه وشهد جنازته فلما رجع إلى البيت أمر بأن يحفر الموضع فلم يجد شيئا . وجاء صاحب الكفن فطالب بالثمن فقال : والله لقد هممت أن أنبش عن ابن الفاعلة . بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عضاه الأشعري إلى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال ابن الزبير : إنه ليست ليزيد في عنقي." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧٣ """""""

قالوا : عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان . كان الفضل بن الربيع يقول : مساءلة الملوك عن أحوالهم من كلام النوكى فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالكرامة . وإن

---

(١) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٩٦/٤

أردت أن تقول كيف يجد الأمير نفسه ؟ فقل : وهب الله الأمير العافية ونحو هذه الأشياء فإن المساءلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن جابك اشتد عليه . قيل لابن عباس : إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر . قال : بالله الذي لا إله إلا هو للجور أشب للشر ، والعدل أطفأ للجور . وفي العدل كفاية ، وإليه انتهت السياسة . وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم ؛ فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرهبة والأمانة والنصيحة . وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه ، والجزاء لمن أبلاه ، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه ، والتنكيل بمن تعدى أمره . فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلى منهم بأربع : بالغش والخذلان والخيانة والنكد . قيل : ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان وهو دني الأصل أنه ثأر الأشراف ، وأنه لا نجاة له منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم . إذا كان الملك ضعيفا ، والوزير شرها ، والقاضي كذوبا فرقوا الملك شعاعا . ملك عسوف أجدى على الرعية من ملك مقتصد السيرة ضعيف ؛ لأن العسوف القوي قد يدفع عن البيضة بقوته ، ومعه أنفة يحمي بها حوزته ، والضعيف لا يستقصي حقة ، ولا يأخذ حقوق رعيته ، ولا قوة به على دفع عدوه وعدوهم . إذا قنع الملك بإفساد دينه لم تقنع رعيته إلا بإزالة ملكه . ظلم الرعية استجلاب البلية . أحزم الملوك من ملك جده هزله ، وقهر رأيه هواه ، وعبر عن ضميره فعله ، ولم يخدعه رضاه عن حظه ، ولا غضبه عن كيده .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """"""""

يا سناما وكبد . . . ليذهب الهدبد ليس شفاء الهدبد . . . إلا السنام والكبد عوفي صاحب العشي منه . والهدابد : العشي . الطارف والمطروف ويزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه فهاجت ، فمسح الطارف عين المطروف سبع مرات وقال في كل مرة : بإحدى جاءت من المدينة ، باثنتين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع ، سكن هيجانها . بكاء المقتول كان النساء لا يبكين المقتول إلى أن يدرك ثأره ، فإذا أدرك بكينه ، قال : من كان مسرورا بمقتل مالك . . . فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه . . . يلطمن حر الوجه بالأسحار وطء المقاليت يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا بقي أولادها ، قال بشر بن أبي خازم : تظل مقاليت النساء يطأنه . . . تقلن : ألا يلقى على المرء مئزر ؟ تعليق الحلي على السليم يزعمون أن السليم إذا علق عليه الحلي أفاق فيلقون عليه الأسورة والرعاث." (٢)

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ١٧٣/٤

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٢٢٦/٦

"""""""" صفحة رقم ٢٢٩ """"""""

سن هرة أو غير ذلك أمن ، فإن الجنية إذا أرادته لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك . قالت : كانت عليه نغرة . ثعالب وهره . والحيض حيض السمره . أعوان السنة يزعم أنه قيل للسنة أنك مبعوثة ، فقالت : ابعثوا معي أعواني : الحصبة والجدري والذئب والضبع . حبس البلايا كانوا إذا مات الميت يشدون ناقته إلى قبره ، ويعكسون رأسها إلى ذنبها ، ويغطون رأسها بولية - وهي البرذعة - فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ليركبها صاحبها في المعاد ليحشر عليها كي لا يحتاج أن يمشي ، قال علي أبو زبيد : كالبلايا رءوسها في الولايا . . . مانحات السموم حر الخدود خروج الهامة زعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يطلب بثأره ، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح على قبره : اسقوني اسقوني إلى أن يطلب بثأره ، قال ذو الإصبع : يا عمرو إلا تدع شمي ومنقصتي . . . اضربك حتى تقول الهامة : اسقوني الحرقوص." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٥٨ """"""""

الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع سره ، واستودعك الله فإنه ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف ، وما خف من المنطق ، وقل من الخطبة أحب إلى أبيك . وأوصى المنذر بن مالك البجلي بنيه وكان قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال ابن عامر ، فلما حضره الموت جمع بنيه فقال : باسمك اللهم ، يا بني احفظوا أدبي يكفكم وابتغوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ، فإني لم أكلكم إلى أديب حي ، والمعنى بكم غائب عنكم ، آثروا ما يجمل ، واقنوا أخياركم ، وأطيعوا ذوي الرأي منكم ، وأجلوا ذوي أسنانكم ، ولا تعطوا الدنية ، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم ، وتناصروا تكونوا حمى ، وإذا قدمتم على قومكم فلتكن خلتكم واحدة ، ولا تستثيروا دفين داء لم يدرك مثله ، يقطعوا عنكم النار ، وتعدموا بقومكم غيرهم ، ولا تدبروا أعجاز ما قد أودت صدوره فتفشلوا ، وعفوا عن الدناءة ، ووقروا أهل الكفاية ، ولا تواكلوا الرفد والنجدة فتجدي عظتكم ، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حاجزا تكفوها ، ولا تفيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم ، وأطيلوا الصمت ، إلا من حق تسبقوا : والزموا الأناة تقر قدمكم ، واغتنموا الفرصة تظفروا ، وعجلوا تحمدوا ، ولا تأخذوا حبلا من قليل فإن القليل ذليل ، وخذوا الحبل من ذي المرة الكاثر ، وشمر لدرك الثأر ، ومنعة الجار ، واظعنوا في الشهر الأصم تبلغوا دار قومكم سالمين ، واوفوا بالعهد ، واتقوا الغدر ، فشؤم النساء والغدر

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٦/٢٢٩

أورثاني دار الغربة . وأوصى عمر بن يشكر البجلي فقال : يا بني إذا غدوتم فكبروا ، وإذا أرحتم فهجروا ، وإذا أكلتم فأوتروا ، وإذا شربتم فأسئروا أوتروا ، أي كلوا بثلاث أصابع . أوصى مصعب بن يشكر فقال : يا بني أوسعوا الحبا ، وحلوا الربا ، وكونوا أسى تكونوا حمى .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٩٠ """""""""

أنا ابن وقاص وسيفي القلزم . . . كم من كمي بطل مسوم تركته يحكو مكاء الأعجم سيف الأشعث بن قيس ، التمثال . سيف أبرهة بن الصباح الحميري ، العمار ، مكتوب فيه : أنا العمار ، أضرب بي ، ولا تمار سيف ابن مرثد بن عبس ، ذي جدن ، مكتوب فيه : أنا برثن الأسد ، المفرق بين الوالد والولد . سيوف المنذر : القحزنات قال الغوي حين قتله المنذر عبيد بن الأبرص الأسدي : دعا أسدا والقحزنات تنوشه . . . ومن دونه هضب الرجام فالعنق سيف ابن ذي يرحم مكتوب فيه : أنا ثأر الله من الظالمين . سيف شرحيل ، الصقل . سيف عمرو بن الحي الكلاعي الحبحاب قال فيه : مقتدار فما قضا . . . ك للحبحاب إذ وقعا سيف عمرو أبي سلمة ، الملواح ، قال سراقة البارقي : إذا قبضت أنامل كف عمرو . . . على الملواح واحتدم اللقاء سيف قيس بن الخطيم ، ذو الخرصين ، قال : ضربت بذي الخرصين رقبة مالك . . . فأنت نفس قد أصبت شفاءها سيف مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي ، البانك ، قال : أنا أبو حارث واسمي مالك من أرحب في العدد الضبارك." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٩١ """""""""

أمهى غرابيه لنا ابن فاتك سيف مالك بن العجلان الأنصاري ، المسنون ، قال : أنا ابن عجلان زعيم الحبين . . . علوت بالمسنون رأس البطين سيف أبي دجانة سماك بن حرب الساعدي ، الحت . أنا سماك وقبيلي ساعدة . . . وسيفي الحت ودرعي الزائدة سيف أبي قتادة الأنصاري الهجوم ، وقال : إذا كان الهجوم ضجيع جنبي . . . ورمحي والهراء من العوالي سيف أسيد بن الحضير الأشهلي الأزرق قال : أنا أبو يحي وسيفي الأزرق . . . كم قط من جماجم وأسوق سيف ثابت بن قيس بن شماس ، الملوح ، قال : فمن يك لائما للسيف منكم . . . فما كان الملوح بالملوم سيف عامر بن يزيد بن عامر الكناني ، القراقر ، لقيه مكرز بن حفص من بني معيص وكان عامر قد قتل أخاه فابتدره بالسيف فأخذه وعلاه به حتى قتله وقال : وأيقنت أني إن أجله

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٦/٢٥٨

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٦/٢٩٠

بضربة . . . متى ما أصبه بالقراقر يعطب سيف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذو الوشاح ، أخذه من ابنه عبد الله بصفين يوم قتل وفيه قال : إذا كان سيفي ذا الوشاح ومركبي . . . الظليم فلم يطل دم أنا طالبه سيف زمعة بن الأسود بن المطلب ، لسان الكلب ، صار لابنه عبد الله وبه قتل هدبة بن خشرم ، وقال المسود بن الوباك لما قتله : لسان الكلب قطع ويل ثأري . . . فأذهب غلي ، وشفيت نفسي سيف زيد بن الحارثة الكلبي الغريف قال فيه : سيفي الغريف وفوق جلدي نثرة . . . من صنع داود لها أزرار." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """""""""

قيل لآخر : هل في بيتك دقيق ؟ فقال : لا . والله ، ولا جليل . قيل لأعرابية : ما صفة الأير عندكم ؟ فقالت : عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها . وشربت أعرابية نبيذا ، فسكرت ، وقالت : لبعض الحاضرين : أيشرب هذا نساؤكم . ؟ قال : نعم ، قالت : لئن صدقت ، ما يدري أحدكم من أبوه . قال بعضهم : سألت أعرابيا عن شهر رمضان ، كيف صاموه . فقال : تجرد منا ثلاثون رجلا ، وأنذرناه في يوم واحد . مات لأعرابي ابن صغير فقيل : هذا شفيعك يوم القيامة فقال : هلكنا والله ، هو أضعفنا حجة ، وأقطعنا لسانا ، وليته يقوم بأمر نفسه . شرب أعرابي لبنا ، وابنه على يساره ورجل آخر عن يمينه ، فسقى ابنه قبل الرجل ، فقيل له : السنة أن تسقي من عن يمينك فقال : قد علمت أنه أحب إلي من السنة . قيل لأعرابي أتخاف أحدا قال : نعم ، الذئب في البادية ، والشرطي في الحضرة . صلى أعرابي خلف إمام قرأ : ' قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي ' فقال : أهلكك الله وحدك ما ترد إلا من معك . قيل لآخر : مالك لا تغزو الروم ؟ قال : أخشى أن أقتل ولا يطلب بثأري . سقط أعرابي عن بعيره فانكسر بعض أضلاعه ، فأتى الجابر يستوضفه فقال : خذ تمر شهرين فانزع أقماعه ونواه واعجنه بسمن ، واضمد عليه ، فقال الأعرابي : تمن ؟ قال : خباء خلق في أرض قفر وجله ، في أسفلها تمر ، وكلب إذا أمطرت السماء يزاحمني في البيت . قيل لأعرابي : كيف أكلك ؟ قال : كما لا يحب البخيل . سأل رجل من بني تميم عن رجل فقيل له : دعاه ربه ، فأجاب ، فقال : ولم أجاب ؟ لا أجاب ، أما علم أن الموت إحدى المهالك ؟ .." (٢)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٢٩١/٦

(٢) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٣٠٧/٦

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"والآل والصحب ثم التابعين فهم أهل التقى والنقا والحلم والكرم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر إلهي لكل المسلمين بما يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم

وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفي ختم

أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

****

الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق يلقى ... من الأعداء في الدنمرك نابا

وأمته الجريحة في شتات ... تراه على صحيفتهم سبابا

فلا تقوى على التأديب ثأرا ... سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا

التجهم من حديث ... ولكن حبذا الأقوى اقتضابا

تفطرت السماء وخر صخر ... وأرعدت الغيوم صدى غضابا

وهم الأخشبان بدك قوم ... أساؤوا للحبيب هوى كذابا

فلو فعلوا الذي فعلوه قدما ... وكان العهد في الماضي مهابا

رأيت الأسد في البيداء هبت ... ترد العز للهادي غلابا

هنالك سهم حمزة صار برقا ... وسيف ابن الوليد غدا لهابا

وثمة رمح وحشي قنيص ... لمن شتم الرسول عدا وعابا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/١

أيغدو الوهن فينا اليوم يسري ... وقد أغثى بنا الوادي حبابا
فنلقى العجم في ختر و وجر ... أهانوا الدين والنسل العرابا
وهموا بالرسول ولم ينالوا ... سوى الآثام تمحقهم يبابا
ترى ماذا جنى المختار طه ... إزاء الناهشين له عقابا ؟!
ألم يك في البرية خير إنس ... رحيم عادل يتلو الكتابا ؟
ويعفو في سماح عن أناس ... له كانوا خصوما أو ذئابا !!
ويرفق بالأسارى ..لو سألتم ... هدى التاريخ تلقون الجوابا
هلموا للزمان سلوه حقا ... عن الأخلاق والتزموا الصوابا
شمائله الزكية قد تسامت ... إلى العلياء تخترق السحابا
وناطحت النجوم هدى وصارت ... ثريات جميلات شهابا
وأخرجنا من الظلمات طرا ... إلى الأنوار حيث الأنس طابا
كفاك صحيفة الدنمرك هزءا ... وحسبك ما فتحت اليوم بابا." (١)

"نبي الهدى يفديك كل رجالنا ... وتفديك منا ناعمات iiالخرائد
رؤوف رحيم فوق كل iiعبارة ... بمدح له بل فوق كل iiالمساند
فمن يقترب من حوض طهرك iiيلقنا ... رجال الحمى صدق الوغى iiوالتجالد
فيا أمة الإسلام يكفينا iiفرقة ... وزاد الذي فينا افتراء iiملاحد
فإن هان قوم في عرين iiبلادهم ... لهانوا بعين الحاقدين iiالأباعد
وما اللوم إلا أن قومي iiعالة ... على القوم في إنتاجهم والمقاصد
ونستورد الأجبان واللحم iiوالدوا ... وفيها الذي نخشاه من جلب iiفاسد
وفي أرضنا مخزون خير iiوثروة ... وفيها بحار النفط جار iiوخامد
تلال من الغلات لا يحصى iiعدها ... وأنهار ماء رافد إثر iiرافد
ونحن توسطنا من الأرض iiقبلة ... ونحن شهود الله يوم iiالتوافد
إلام يظل الغرب يملك iiأمرنا ... بكل الذي نحتاجه من iiموارد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢٨/١٠٢٤

فهلا إلى أمجاد ماض iiنعيدها ... خطى نقتفيها في جميع iiالمشاهد

ونعلي لواء الحق في كل iiوجهة ... من الأرض في أتلاعها iiوالمراصد

عسى الله رب الكون يجبر iiكسرنا ... ويشفع فينا المصطفى في الشدائد

ونثأر لا بالقول ممن iiأساءنا ... ولكن بصدق الفعل من كل iiواحد

ونرقى إلى العلياء منا iiبهمة ... ترد لنا روحا من المجد iiخالد

****

في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية ... نظمها الدكتور يوسف القرضاوي في ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٠هـ ،١٩٥٠ م في القاهرة .. وقد نشرت في مجلة الدعوة التي كانت تصدر في القاهرة ... وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتا .

هو الرسول فكن في الشعر حسانا وصغ من القلب في ذكراه ألحانا

ذكرى النبي الذي أحيا الهدى وكسا بالعلم والنور شعبا كان عريانا

أطل فجر هداه والدجى عمم بات الأنام وظلوا فيه عميانا

هذا يصور تمثالا ويعبده وذاك يعبد أحبارا وكهانا

الكون بحر عميق لا منار به لم يدر فيه بنو الإنسان شطئانا

ويل الصغير !وقد صار الورى سمكا يسطو الكبير عليه غير خشيانا !." (١)

"أو أن يقام له من دون جمعهم

وكان يخدم أهليه ويكرمهم

ولا يصول ولا يمتاز بالقدم

قضى على كل ذي كبر وغطرسة

وحارب الشرك والطاغوت مع صنم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤٩/١٠٢٤

قاسى الأمرين من أقوامه فدعا
له بهدى ولم يثأر ولم يلم
وظل يدعو إلى التوحيد فانتظمت
من حوله الصحب والأنصار كالرجم
من كل أروع لا يخشى منيته
يلقى الحروب بثغر منه مبتسم
جادوا بأرواحهم لله فاجتهدوا
أن يسلموها له عن طيب نفسهم
تمسكوا بكتاب الله واتبعوا
محمدا فغدوا في موضع السنم
أعلى بهم كلمة المولى ودك بهم
معاقل البغي والأنصاب والزلم
ضحى بكل عزيز عنده لرضا
مولاه وهو كثير الخوف والعشم
وناوأ الدين أعداء فبددهم
واجتث دابرهم بالصارم الخذم
وكان يغضب للمولى ويفرح من
رضائه وله قد دان بالعظم
يقضي النهار بذكر الله يرقبه
في كل شيء ويحيي الليل لم ينم
وكان أنقى الورى قلبا وأطهرهم
نفسا أحفظهم للعهد والذمم
ما جاءه ظالم مستغفرا ندما
إلا تقبله مولاه بالكرم

فكيف حال فتى أضحت محبته
لله ثم لهذا السيد السنم
قد جاء بيتك ربي وهو مفتقر
للجود مستغفر مع شدة الندم
حاشا يخيب إله العرش صبكما
أو أن أضام وأنت اليوم معتصمي
ومن تكن أنت يا مولاي حافظه
فلن يهاب من الأرزاء والصلم
يا مالك الملك مالي قط معتمد
إلاك عند اشتداد الخطب والإزم
ولن تضيق بمثلي يا كريم وما
أعياك خلق الورى من سابق العدم
فإن لي ذمة مذ كنت (عبد) ك يا
(حميد) والعبد أحرى الناس بالنعم
إني (خطيب) الرضا والعفو ملتجىء
بباب جودك فاقبلني وقل نعم
أستغفر الله من جرمي ومعصيتي
ومن ذنوب غدت في منتهى العظم
أستغفر الله مما قد جنته يدي
وما خطت قدمي سعيا إلى الحرم
أستغفر الله من عيني وما نظرت
وما نقضت من التوبات والذمم
وما أسأت به للناس قاطبة
وما بنفسي من الطغيان والوهم

أستغفر الله مما لست أذكره
وما نطقت به من فاحش الكلم
أستغفر الله مما قد أضعت من الأ
وقات في اللهو واللذات واللمم
أستغفر الله من فرض أتيت به
والقلب يسبح في بحر من الغمم." (١)

"و كنا عهدنا الدار و الدار مرة هي الدار إذ حلت بها أم يعمرا
ذكرت بها عهدا على الهجر و البلى و لا بد للشعوف أن يتذكرا
أجن الهوى ما أنس لا أنس موقفا عشية جرعاء الصريف و منظرا
تباعد هذا الوصل إذ حل أهلها بقو و حلت بطن عرق فعرعرا
ليالي تسبي القلب من غير ريبة إذا سفرت عن واضح اللون أزهر
أتى دون هذا الهم هم فأسهرا أراعى نجوما تاليات و غورا
أقول لها من ليلة ليس طولها كطول الليالي ليت صبحك نورا
أخاف على نفس ابن أحوز إذ شفى و أبلى بلاء ذا حجول مشهرا
شديدا من الأثار خولة بعدما دعت ويلها و استعجلت أن تخمرا
ألا رب سامي الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا
أتنسون شدات ابن أحوز إنها جلت كل وجه معد فأسفرا
و أدرك ثأر المسمعين بسيفه و أغضب في شأن الخيار فنكرا
جعلت بقبر للخيار و مالك و قبر عدي في المقابر أقبرا
و غرقت حيتان المزون و قد لقوا تميما و عزا ذا مناكب مدسرا
و أطفأت نيران النفاق و أهله و قد حاولوا في فتنة أن تسعرا
فلم تبق منهم راية يرفعونها و لم تبق من آل المهلب عسكرا
فأن لأنصار الخليفة ناصرا عزيزا إذا طاغ طغى و تجبرا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٠٣٦/٨

فذو العرش أعطانا الكره و الرضا إمام الهدى ذا الحكمة المتخيرا
فأضحت راوسي الملك في مستقرها لمنجب من آل مروان أزهرا
و إن الذي أعطى الخلافة أهلها بنى لي في قيس و خندف مفخرا
منابر ملك كلها مضربة يصاى علينا من أغرناه منبرا
أنا ابن الثرى أدعو قضاعة ناصري و أل نزار ما أعز و أكثرا
عديدا معديا له ثروة الحصى و عزا قضاعيا و عزا تنزرا
نزار إلى كلب و كلب اليهم أحق ز أدنى من صداء و حميرا
و أي معدي يخاف و قد رأى جبال معد و العديد المجمهرا
و أبناء إسحق الليوث إذا ارتدوا محامل موت لابسين السنورا." (١)

"عرس المجد

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٤٠

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك المكتئب

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى **الثأر** من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"قصيدة أمتي

عمر أبو ريشة

١.-أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم
٢.-أتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم
٣.-ويكاد الدمع يهمي عابثا ببقايا كبرياء الألم
٤.-أين دنياك التي أوحت إلى وتري كل يتيم النغم
٥.-كم تخطيت على أصدائه ملعب العز ومغنى الشمم
٦.-وتهاديت كأني ساحب مئزري فوق جباه الأنجم
٧.-أمتي كم غصة دامية خنقت نجوى علاك في فمي
٨.-أي جرح في إبائي راعف فاته الآسي فلم يلتئم
٩.-ألإسرائيل تعلو راية في حمى المهد وظل الحرم !؟
١٠.-كيف أغضيت على الذل ولم تنفضي عنك غبار التهم ؟

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٧٥

١١.-أوما كنت إذا البغي اعتدى موجة من لهب أو من دم !؟
١٢.-كيف أقدمت وأحجمت ولم يشتف **الثأر** ولم تنتقمي ؟
١٣.-اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسمي
١٤.-ودعي القادة في أهوائها تتفانى في خسيس المغنم
١٥.-رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه البنات اليتم
١٦.-لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
١٧.-أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم
١٨.-لايلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم
١٩.-فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم
٢٠.-أيها الجندي يا كبش الفدا يا شعاع الأمل المبتسم
٢١.-ما عرفت البخل بالروح إذا طلبتها غصص المجد الظمي
٢٢.-بورك الجرح الذي تحمله شرفا تحت ظلال العلم." (١)

"يا عروس المجد تيهي

١. يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٨٣

٦. من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك المكتئب

١٨. قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. أترى كيف اشتفى **الثأر** من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"يا عيد

عمر أبو ريشة

يا عيد ما افتر ثغر المجد ياعيد فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريد
وكيف ينشق عن أطياف أمتنا حلم وراء جفون الحق موؤود

طالعتنا وجراح البغي راعفة وما لها من أساة الحي تضميد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٩٧

فللفجيعة في الأفواه غمغمة وللرجولة في الأسماع تنديد

فتلك راياتنا خجلى منكسة فأين من دونها تلك الصناديد

ما بالها وثبت **للثأر** وانكفأت وسيفها في قراب الذل مغمود

يا للشعوب التي قادت أزمتها على الليالي عبابيد رعاديد

يا عيدكم في روابي القدس من كبد لها على الرفرف العلوي تعييد

سالت على العز إرواء لغصته والعز عند أباة الضيم معبود

هيهات لن يشتكي ما طل من دمها فالحقد مضطرم والعزم مشدود

سينجلي ليلنا عن فجر معترك ونحن في فمه المشبوب تغريد." (١)

"الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر
amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق iiيلقى ... من الأعداء في الدنمرك iiنابا
وأمته الجريحة في iiشتات ... تراه على صحيفتهم سبابا
فلا تقوى على التأديب ii**ثأرا** ... سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا
التجهم من حديث ... ولكن حبذا الأقوى اقتضابا
تفطرت السماء وخر iiصخر ... وأرعدت الغيوم صدى iiغضابا
وهم الأخشبان بدك iiقوم ... أساؤوا للحبيب هوى iiكذابا

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٩٨

فلو فعلوا الذي فعلوه iiقدما ... وكان العهد في الماضي iiمهابا
رأيت الأسد في البيداء هبت ... ترد العز للهادي iiغلابا
هنالك سهم حمزة صار iiبرقا ... وسيف ابن الوليد غدا iiلهابا
وثمة رمح وحشي iiقنيص ... لمن شتم الرسول عدا iiوعابا
أيغدو الوهن فينا اليوم iiيسري ... وقد أغثى بنا الوادي iiحبابا
فنلقى العجم في ختر و وجر ... أهانوا الدين والنسل iiالعرابا
وهموا بالرسول ولم iiينالوا ... سوى الآثام تمحقهم iiيبابا
ترى ماذا جنى المختار iiطه ... إزاء الناهشين له عقابا ii؟!
ألم يك في البرية خير iiإنس ... رحيم عادل يتلو الكتابا ii؟
ويعفو في سماح عن أناس ... له كانوا خصوما أو ذئابا ii!!
ويرفق بالأسارى ..لو iiسألتم ... هدى التاريخ تلقون iiالجوابا
هلموا للزمان سلوه iiحقا ... عن الأخلاق والتزموا الصوابا
شمائله الزكية قد تسامت ... إلى العلياء تخترق السحابا
وناطحت النجوم هدى iiوصارت ... ثريات جميلات iiشهابا
وأخرجنا من الظلمات iiطرا ... إلى الأنوار حيث الأنس iiطابا
كفاك صحيفة الدنمرك iiهزءا ... وحسبك ما فتحت اليوم iiبابا
سننفذ منه في ألم iiوحنق ... ببركان سنسكبه iiانسكابا
أراك الآن في ضحك iiوزهو ... وقهقهة تنادين iiالشرابا
مه " يولاند " رب البيت iiيصغي ... ويمهل ما اجترحت غدا iiحسابا
ستلقين الجزاء المر دهرا ... فتحترمي المآذن iiوالقبابا
كذاك القول للنرويج iiمثل ... " مغازينات " لم ترع iiالجنابا." (١)
"نهضة العز

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٤٠١

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر
" ممرض هاو للشعر"
amartharrafi@yahoo.fr
دوي الرصاص ...
يلعلع في خيمة الباديه
ولغم القصاص
تخبئه في السجون الضباع
ويحرسه الجند خوف الضياع
بعد النجوم !!
ومن يقترف يلق حتفا يحوم
تسلل يوما فتى تحت جنح الظلام
على حين غفلة أهل الغرام
لبنت الدنان
وقام بشق الثرى خندقا للدخول
وعاد وفي بطنه اللغم
قد لفه بالنطاق...
أخيرا .. بدا قنس رأس الهمام
تلاه القفا مشرئبا من الفوهة الخانقه
ولكن ...
أظافر كف مباغتة طوقت جيده
تلف بإحكام قبضتها لحده
أدار محياه صوب الحراك
و زمجر ينوي نشوب العراك
فألفى الضباع بتيجانها
تحملق فيه بنار الغضب

. إلى أين تأخذ لغم القصاص ؟

تكلم ..

سنخنق أنفاس إرهابك الآن

هيا تكلم ..

ولا ملجأ اليوم منا

ولا من مناص

أجاب الهمام :

. إلى حيث أثأر للشرف اليعربي

فأنصر ديني وقوميتي

أما قد رأيتم جسوم العروبة عارية تغتصب ؟ !!

أما عاين الضبع منكم كتاب الجليل

يدنس في قرية العالم المطبقه

إلام السكوت ؟ !

متى سوف نكسر صمت المرايا ؟

ونحن عرايا !!

ونحن نذ ل لهم في قنوت ؟ !

متى تضبح العاديات لتجلب نصر الشروق ؟

ويلمع في أفق الكون برق السيوف ؟

متى تطلع الشمس فوق المرابع

في أرضنا ؟

فيخضر زرع

ويحلب ضرع

وينتشر العطر من زهرة الياسمين .

متى سوف نلقى نوارس شطآن ضاد العروب ؟

ضمئت إلى نسمة البحر من خدرها
ورعشة جسمي على العوم في مائها
وشوقي إلى الغوص في عمقها
لأجمع منها لآلي المحار
ضمئت إلى كحل عيني
بتبر السنابل و الإزهرار
وحنت مسامع قلبي
لنغم الهزار
لماذا اختفت قدس شمس الشموس ؟
وأين عراق القمر ؟
أجيبوا برب السماء ؟
أما اغتالهم بالغيوم الظلام ؟ !!
فلم تتكلم شفاه الضباع
ولكن حب الرياسة و الجبروت
تململ في صدرهم أجمعين
فقالوا :
. علمت بأنا عشقنا الكراسي
لحد الجنون
ومرماك يا لعنة الدهر حتف الملوك
خذوه فغلوه." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٤١٣

هنئيا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، **ثأرك** يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

****

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/١٧٧

****

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"لامني فيهم أشد الملام

وانقطاعي إذا هم خاصموني

وتولى النبي عنهم خصامي

مثلوا قوله لكم أيها النا

س إذا لامكم مع اللوام

أمتي أين كنتم إذ دعتني

حرة من كرائم الأقوام

صرخت يا محمداه فهلا

قام فيها رعاة حقي مقامي

لم أجبها إذ كنت ميتا فلولا

كان حي أجابها عن عظامي

بأبي تلكم العظام عظاما

وسقتها السماء صوب الغمام

وعليها من المليك صلاة

وسلام مؤكد بسلام

انفروا أيها الكرام خفافا

وثقالا إلى العبيد الطغام

أبرموا أمرهم وأنتم نيام

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٢٣٠

سوءة سوءة لنوم النيام

صدقوا ظن إخوة أملوكم

ورجوكم لنبوة الأيام

أدركوا **ثأرهم** فذاك لديهم

مثل رد الأرواح في الأجسام

لم تقروا العيون منهم بنصر

فأقروا عيونهم بانتقام

أنقذوا سبيهم وقل لهم ذا

ك حفاظا ورعية للذمام

عارهم لازم لكم أيها النا

س لأن الأديان كالأرحام

إن قعدتم عن اللعين فأنتم

شركاء اللعين في الآثام

بادروه قبل الروية بالعز

م وقبل الإسراج بالإلجام

من غدا سرجه على ظهر طرف

فحرام عليه شد الحزام

لا تطيلوا المقام عن جنة الخل

د فأنتم في غير دار مقام

فاشتروا الباقيات بالعرض الأد

نى وبيعوا انقطاعه بالدوام." (١)

"أخي أنت حر بتلك القيود

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣/٢٤٣

أخي أنت حر وراء السدود
أخي أنت حر بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصما
فماذا يضيرك كيد العبيد

أخي ستبيد جيوش الظلام
ويشرق في الكون فجر جديد

فأطلق لروحك إشراقها
ترى الفجر يرمقنا من بعيد

أخي قد أصابك سهم ذليل
وغدرا رماك ذراع كليل

ستبتر يوما فصبر جميل
ولم يدم بعد عرين الأسود

أخي قد سرت من يديك الدماء
أبت أن تشل بقيد الإماء

سترفع قربانها للسماء
مخضبة بدماء الخلود

أخي هل تراك سئمت الكفاح
وألقيت عن كاهليك السلاح

فمن للضحأيا يواسي الجراح
ويرفع راياتها من جديد

أخي هل سمعت أنين التراب
تدك حصاه جيوش الخراب

تمزق أحشاءه بالحراب
وتصفعه وهو صلب عنيد

أخي إنني اليوم صلب المراس
أدك صخور الجبال الرواس

غدا سأشيح بفأس الخلاص
رءوس الأفاعي إلى أن تبيد

أخي إن ذرفت على الدموع
وبللت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع
وسيروا بها نحو مجد تليد

أخي إن نمت نلق أحبابنا
فروضات ربي أعدت لنا

وأطيارها رفرفت حولنا
فطوبى لنا في ديار الخلود

أخي إنني ما سئمت الكفاح
ولا أنا أقيت عني السلاح

وإن طوقتني جيوش الظلام
فإني على ثقة ... بالصباح

وإني على ثقة من طريقي
إلى الله رب السنا والشروق

فإن عافني السوق أو عقني
فإني أمين لعهدي الوثيق

أخي أخذوك على إثرنا
وفوج على إثر فجر جديد

فإن أنا مت فإني شهيد
وأنت ستمضي بنصر مجيد

قد اختارنا الله في دعوته
وإنا سنمضي على سنته

فمنا الذين قضوا نحبهم
ومنا الحفيظ على ذمته

أخي فامض لا تلتفت للوراء
طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هناك

ولا تتطلع لغير السماء

فلسنا بطير مهيض الجناح

ولن نستذل .. ولن نستباح

وإني لأسمع صوت الدماء

قويا ينادي الكفاح الكفاح

سأثأر لكن لرب ودين

وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام

وإما إلى الله في الخالدين." (١)

"الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق iiيلقى ... من الأعداء في الدنمرك iiنابا

وأمته الجريحة في iiشتات ... تراه على صحيفتهم سبابا

فلا تقوى على التأديب iiثأرا ... سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا

التجهم من حديث ... ولكن حبذا الأقوى اقتضابا

تفطرت السماء وخر iiصخر ... وأرعدت الغيوم صدى iiغضابا

وهم الأخشبان بدك iiقوم ... أساؤوا للحبيب هوى iiكذابا

---

(١) موسوعة ال شع ر الإسلامي، ١/٢٥٥

فلو فعلوا الذي فعلوه iiقدما ... وكان العهد في الماضي iiمهابا
رأيت الأسد في البيداء هبت ... ترد العز للهادي iiغلابا
هنالك سهم حمزة صار iiبرقا ... وسيف ابن الوليد غدا iiلهابا
وثمة رمح وحشي iiقنيص ... لمن شتم الرسول عدا iiوعابا
أيغدو الوهن فينا اليوم iiيسري ... وقد أغثى بنا الوادي iiحبابا
فنلقى العجم في ختر و وجر ... أهانوا الدين والنسل iiالعرابا
وهموا ب ال رسول ولم iiينالوا ... سوى الآثام تمحقهم iiيبابا
ترى ماذا جنى المختار iiطه ... إزاء الناهشين له عقابا ii؟!
ألم يك في البرية خير iiإنس ... رحيم عادل يتلو الكتابا ii؟
ويعفو في سماح عن أناس ... له كانوا خصوما أو ذئابا ii!!
ويرفق بالأسارى ..لو iiسألتم ... هدى التاريخ تلقون iiالجوابا
هلموا للزمان سلوه iiحقا ... عن الأخلاق والتزموا الصوابا
شمائله الزكية قد تسامت ... إلى العلياء تخترق السحابا
وناطحت النجوم هدى iiوصارت ... ثريات جميلات iiشهابا
وأخرجنا من الظلمات iiطرا ... إلى الأنوار حيث الأنس iiطابا
كفاك صحيفة الدنمرك iiهزءا ... وحسبك ما فتحت اليوم iiبابا
سننفذ منه في ألم iiوحنق ... ببركان سنسكبه iiانسكابا
أراك الآن في ضحك iiوزهو ... وقهقهة تنادين iiالشرابا
مه " يولاند " رب البيت iiيصغي ... ويمهل ما اجترحت غدا iiحسابا
ستلقين الجزاء المر دهرا ... فتحترمي المآذن iiو ال ق بابا
كذاك القول للنرويج iiمثل ... " مغازينات " لم ترع iiالجنابا." (١)

"قال ابن قتيبة : هو من أهل نجد من الطبقة الاولى٢٨ .كان يعد من عشاق العرب ، وكان يشبب بنساء منهن فاطمة بنت العبيد العنزية التي يقول لها في معلقته :

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٣٢٠

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

وقد طرده أبو ه على أثر ذلك . وظل امرؤ القيس سادرا في لهوه إلى أن بلغه مقتل أبيه وهو بدمون فقال : ضيعني صغيرا ، وحملني دمه كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغدا أمر ، ثم آلى أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يثأر لأبيه٢٩ .

إلى هنا تنتهي الفترة الاولى من حياة امرئ القيس وحياة المجون والفسوق والانحراف ، لتبدأ مرحلة جديدة من حياته ، وهي فترة طلب الثأر من قتلة أبيه ، ويتجلى ذلك من شعره ، الذي قاله في تلك الفترة ، التي يعتبرها الناقدون مرحلة الجد من حياة الشاعر ، حيكت حولها كثير من الأساطير ، التي اضيفت فيما بعد إلى حياته . وسببها يعود إلى النحل والانتحال الذي حصل في زمان حماد الراوية ، وخلف الأحمر ومن حذا حذوهم . حيث أضافوا إلى حياتهم ما لم يدل عليه دليل عقلي وجعلوها أشبه بالأسطورة . ولكن لا يعني ذلك أن كل ما قيل حول مرحلة امرئ القيس الثانية هو اسطورة .." (١)

"والمهم أنه قد خرج إلى طلب الثأر من بني أسد قتلة أبيه ، وذلك بجمع السلاح وإعداد الناس وتهيئتهم للمسير معه ، وبلغ به ذلك المسير إلى ملك الروم حيث أكرمه لما كان يسمع من أخبار شعره وصار نديمه ، واستمده للثأر من القتلة فوعده ذلك ، ثم بعث معه جيشا فيهم أبناء ملوك الروم ، فلما فصل قيل لقيصر : إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلا من العرب وهم أهل غدر ، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوه غزاك . فبعث إليه قيصر مع رجل من العرب كان معه يقال له الطماح ، بحلة منسوجة بالذهب مسمومة ، وكتب إليه : إني قد بعثت إليك بحلتي التي كنت ألبسها يوم الزينة ليعرف فضلك عندي ، فإذا وصلت إليك فالبسها على اليمن والبركة ، واكتب إلي من كل منزل بخبرك ، فلما وصلت إليه الحلة اشتد سروره بها ولبسها ، فأسرع فيه السم وتنفط جلده ، والعرب تدعوه : ذا القروح لذلك ، ولقوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك نعمى قد تحول أبؤسا

ولما صار إلى مدينة بالروم تدعى : أنقرة ثقل فأقام بها حتى مات ، وقبره هناك .

وآخر شعره :

رب خطبة مسحنفره وطعنة مثعنجره

وجعبة متحيره تدفن غدا بأنقرة

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٨/٣٣٥

ورأى قبرا لامرأة من بنات ملوك العرب هلكت بأنقره فسأل عنها فاخبر ، فقال :

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب٣٠

وقد عد الدكتور جواد علي والدكتور شوقي ضيف وبروكلمان وآخرون بعض ما ورد في قصة امرئ القيس وطرده ، والحكايات التي حيكت بعد وصوله إلى قيصر ودفنه بأنقرة إلى جانب قبر ابنة بعض ملوك الروم ، وسبب موته بالحلة المسمومة ، وتسميته ذا القروح من الأساطير .

قالوا فيه :

١ . النبي(صلى الله عليه وآله) : ذاك رجل مذكور في الدنيا ، شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار٣١ .." (١)

"فكم أباطيل للمصري روجها ... ... بلا حياء لأن الغاية الصرر(١)

قال البيان فتاوى فيه جائرة ... ... وأن من وقعوا في الهجر قد خسروا

وما الخلاف الذي قد صار بينهم ... ... يردي أبا حسن كل له نظر

أما المخازي التي في وسط سبعته(٢) ... ... فإنها الحق والزلات تغتفر

فهكذا من أراد الله فتنته ... ... لا يملكون هداه من به وتروا

نقول هذا دليل قال إنكم ... ... مقلدون فمن ذا شيخكم عمر

هذي البراهين للرائين واضحة ... ... وهذه الشمس تجلي الشك والقمر

فما المقلد إلا من غدا ذنبا ... ... لمصطفاه الذي تقليده غرر

فذا ابن منصور ذيل الغي متصل ... ... لكنه عن هدى المختار منبتر

قد كان صلبا ولكن ذاب في تفه ... ... كمثل شمع إذا ما حم ينصهر

أغتاظ لما رأى إخوانه زهدوا ... ... فيه وقد ثأروا للحق وانتصروا

فمت بغيظك أو ذق علقما صبرا ... ... إن كان قلبك من ذا الغيظ يستعر

فما العدين ستبكي عنك إن بها ... ... حماة دين إذا ما واجهوا صبروا

فلا يغرك أوباش قد انخدعوا ... بما انخدعت فهم أذنابك الغمر

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٩/٣٣٥

وما ابن راجح(٣)إلا طفل ليلته ... ... يغره أي شيء شكله نضر

قد كان من قبل للمهدي معترضا ... ... واليوم ليس له من لؤمه ضرر

تشابهت عندما زاغت قلوبهم ... ... كما تشابهت الأشكال والصور

محمدان هما لا فرق بينهما ... ... فالجرح ملتئم والكسر منجبر

هما رفيقان في درب الغوا اتفقا ... ... أشقاهما مبتدأ والآخر الجبر

جمعية ترضع الوغدين واحدة ... ... أصولها والفروع الجبن والخور

والإنتماء لزيد أو لعمرهم ... ... والشحذ والسحت والتزوير والشطر

وضل يحياهم الشامي حين رأى ... ... تلك الدراهم فيها ليس تنحصر

---

(١) جمع صرة وهي ما تصر فيها النقود

(٢) أي أشرطته السبعة المسماة بالقول الأمين وهي ليست كذلك

(٣) هو المدعو محمد بن راجح أبو الفاروق وقد كان شديدا على جمعية الحكمة ورجالها وهو الآن متراجع عن ذلك المعروف والحق الذي كان فيه." (١)

"وقاتلت معنا الأملاك في أحد تحت العجاجة ما حادوا وما انكشفوا

سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا إياك نعبد من سلسألها رشقوا

أملاك ربي بماء المزن قد غسلوا جثمان حنظلة والروح تختطف

وكلم الله من أوس شهيدهم من غير ترجمة زيحت له السجف

****

وقال آخر:-

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون كفعلهم وإن حاولوا في النازلات وأجملوا

****

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٥/٣٣٦

وقال آخر:-

روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل ... إذا نحن فضلنا عليا فإننا

رميت بنصب عند ذكري للفضل ... وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته

بحبيهما حتى أوسد في الرمل ... فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما

وقال آخر:-

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال آخر:-

أنا مسلم وأقولها ملء الورى وعقيدتي نور الحياة وسؤددي

سلمانفيه، مثل عمر لا ترى جنسا على جنس يفوق بمحتدي

وبلال بالإيمان يشمخ عزة ويدق تيجان العنيد الملحد

وخبيب أخمد في القنا أنفاسه لكن صوت الحق ليس بمخمد

ورمى صهيب بكل مال للعدا ولغير ربح عقيدة لم يقصد

إن العقيدة في قلوب رجالها من ذرة أقوى وألف مهند

****

ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن ابو بكر قال لما

قتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنئيا زادك الرحمن خيرا ... ... فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا ... ... غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى ... ... تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي ... ... جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... ... على كل دين قبل ذلك حائد." (١)

"بغداد ماذا أرى في حالك الظلم

بغداد ماذا أرى في حالك الظلم نجما يلوح لنا أم لفحة الحمم

أرى النواحي وضوء النار يلفحها فكيف تجتمع النيران بالظلم؟

بغداد لا تسكتي ردي على طلبي وامحي سؤالي الذي أحكيه ملء فمي

بغداد أين زمان العز في بلد كان السلام به أسمى من العلم؟

دار السلام أيا بغداد، هل بعدت عنك الجحافل في يوم الوغى النهم

بغداد أين سحاب المزن إذ حكمت يد الرشيد بعدل الله في الأمم؟

يقول أنى سكبت المزن سوف أرى منه الخراج ويأتيني بلا غرم

أين الجحافل يا بغداد عن زمن تخاذل العرب عن أفعال معتصم ؟

قاد الجحافل لم يهنأ بشربته حتى أتى **ثأره** في الأنجم الحرم

بالله لا تخجلي واحكي حقيقتنا ولتكشفي حالنا حال من السدم

بالله يا نخلة مدت جذائرها بين الفراتين في شط من السقم

هل روعتك المآسي فوق طينتها؟ وهل سقتك دما تجريه بعد دم ؟

وهل ستأتي أسود العرب يدفعها نبض الكرامة في قلب لها هرم

النار نارك يا بغداد فاصطبري فما يفيدك بعد الحرق من ندم

واستنجدي ببني الإسلام إنهمو أسد الوغى وأسود الشرك كالعدم

بالله قولي أيا بغداد ما فتئت يد المغول تزيد الجرح بالكلم

مرت قرون ثمان والجراح بنا تغور من رجس ما صبوه من نقم

تبا لمستعصم لم يحم دولته فاستهدفتها عبيد الرجس والصنم

تبا لمستعصم كانت بطانته تزيغه عن طريق الحق والقيم

تبا لمستعصم أمست حواشيه تشارك الناس في الأرزاق واللقم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢٠/٣٣٩

تبا لمستعصم أفنى خزينته على الغواني وأهل الرقص والنغم

تبا لمستعصم يخشى رعيته وآمن بين أعداء على الحرم

تبا لمستعصم لا يستحي أبدا ينقاد ذلا من الأعداء كالبهم

تبا لمستعصم أبدى شجاعته على الرعية بالتنكيل والتهم." (١)

"دموع في مآقي الزمن

(قصيدة رثاء لشهداء الحرب الصليبية في أفغانستان)

مولوي/ محب الله القندهاري

فما لامرئ نهي على الدهر أو أمر ... هو الدهر والأقدار يجري بها الدهر

وإن جل خطب الدهر، واستفظع الأمر ... فصبرا ، ولا تجزع لما فعل القضى

فإن جميل الصبر يتبعه اليسر ... إذا حل عسر فاصبرن لزواله

تصبر، فإن الصبر يأتي به الصبر ... وإن لم تطق صبرا بأول صدمة

مصابك هذا قد يكون له عذر ... تصبر، ولو أن الذي عال صبره

على عتبات الكفر ينحرها الكفر ... مصاب به هانت مصائب أمة

وتنتحب الأرضون والبر والبحر ... مصاب بمن من فقدهم تذرف السما

لديها دليل بيننا ولها وتر ... كأن المنايا إذ تغير وتنتقي

كأن لها ثأرا ، وليس لها ثأر ... فسبحان من أغري المنايا بأهله

له الحكمة العليا ، له النهي والأمر ... ليختار من يختار منهم ويصطفي

خيارا كراما مثلما ينتقى التبر ... توخي الردى فاختار في الناس و انتقى

يوحدهم دين ، ويجمعهم فكر ... عصائب نزاع من الأرض كلها

ولا نسب غير العقيدة أو صهر ... توحدهم في الله أقوى عقيدة

وما ضمهم حي ، ولم يحوهم قطر ... فما جمعتهم في الأصول قبيلة

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٣٧٢

فطاروا سراعا ما لهم دونها صبر ... دعتهم ثغور العز من كل موطن

يوحدهم هم ، وأوطانهم كثر ... ثبات ، ووحدانا من الأرض كلها

فأبدانهم شعث ، وأثوابهم غبر ... نفى عنهم هم التنعم همهم

وتحمد عند الطعن شعث القنا السمر ... نحافا وسمرا كالرماح تراهم

. ويحسن في الخيل المسومة الضمر ... ويحمد في العضب البلى وهو قاطع .

ولوأن طعم الموت مستثقل مر ... مضوا يشربون الموت كأسا شهية

لمن أ شرب الإيمان ، يستعذب الصبر ... ولكن في ذات الإله ودينه

تحكم فيه الظلم ، واستحكم الكفر ... أبوا أن يعيشوا كالعبيد بعالم

ولا يقبل الإذلال في دينه حر ... فليست تطيق الضيم نفس أبية

وفي الموت منأى عنه إن لزم الأمر ... ففي الأرض م نأى للكريم عن الأذى

ولو طال ذاك العيش ما بقي الدهر ... فما عاش من عاش الحياة بذلة

حياتهم من حيثما ينتهي العمر ... وما مات من في الله ماتوا ، فمبتدا." (١)

"ولا فعلة في الكفر كانت كفعله ... ولا فتكة فيه عوان ولا بكر

نطحتم بعزم هامة الكفر نطحة ... تهشم منها الرأس ، وانقصم الظهر

فخرت قلاع الكفر للأرض بعدما ... تبخر منه الشطر واشتعل الشطر

فقامت من الهول الرهيب قيامة ... تحير في أوصافها الفكر والشعر

وأضحى حمى الأعداء للنار مرتعا ... وكان حمى حظرا وما نفع الحظر

ففروا فرارا ، يجمحون كأنهم ... من الذعر فئران تملكها الذعر

فأدركتم ثأرا من الكفر ضائعا ... بثأر كهذا الثأر فاليدرك الثأر

فأنهلتم منه الردى ثم فارتوى ... وعل ولم يعجله عن عله صدر

شفيتم صدورا ملؤها الغيظ قبلكم ... ألا بعد طول الغيظ قد شفي الصدر

وأيقظتم التاريخ بعد سباته ... فقد نهضت حطين ، واستيقظت بدر

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤١٤

كتبتم نشيدا خالدا بصنيعكم ... تغني به الدنيا وينشده الدهر
سنبقى كما كنا على العهد بيننا ... غزاة بنا يشقى وقد شقي الكفر
نذلل سبل المجد بالبذل والعطا ... و بالصبر للأعدا إذا جزع الصبر
عن الدرب ماحدنا ، على العهد لم نزل ... إلى أن يحين الحين أو يسعف النصر
إذا ما نزلنا ساحة الكفر في الوغى ... تفشى هناك الموت وانتشر الذعر
فإن نحن نلنا ما نريد ونبتغي ... فذاك ، وإلا كان في موتنا عذر

يذكرنيكم كل حزن يصيبني ... وكل سرور لي بكم عنده فكر
ولا عجب ، إن الشجى يبعث الشجى ... وكل سرور منه في جنسه ذكر
إذا طلعت شمس النهار ذكرتكم ... وأذكركم ذكرا إذا طلع البدر
وإن جن جنح الليل جدد ذكركم ... وجدده فجري إذا طلع الفجر
ففيكم ولو سطرت كل قصائدي ... لما بلغت في القدر ما أوجب القدر
يعزي أخاكم أنه لاحق بكم ... وإن مد في الآجال وانفسح العمر

والله الموفق." (١)

"فدقة القلب سلاح بارد
يتركه الشجاع بعد موته
تحت يد الجبان
لكى يدارى ضعفه
بأضعف الايمان !

=======================

إذا الضحايا سئلت
طالعت فى صحيفة الرحيل

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣/٤١٤

قافلة تائهة
دليلها يستر قبح فعله
بصبرها الجميل .
رأيتها تغرق فى دمائها
والدمع و العويل
لكنها
رغم الضياع و الردى
تعد من نعوشها سفينة
تخيط من أكفانها أشرعة
كى تنقذ الدليل !
وقيل إن الدم لا يصبح ماء ،
هزلت
فالدم أصبح ماء نيل
والدم قد أصبح ماء زمزم
وكأس زنجبيل
في صحة الأموات من أحيائنا
يشربه القاتل ما بين يدي
ممثل القتيل !
* * ...
إذا الضحايا سئلت
بأي ذنب قتلت ؟
لانتفضت أشلاؤها وجلجلت :
بذنب شعب مخلص
لقائد عميل !

==========================

الرماد والعواصف

مضى عقد على قطع الجذور

ولم يزل رأسي

يصارع بالرماد عواصف اليأس !

ومازالت حبال الشوق تشنقني

على بوابة الزمن

فألمح في الأسى نفسي

خيوطا من دم تنثال في كأسي

وألمحها بأيديكم .. بأيديكم

تجرعني

فراق الأم مزدوجا

.. فراق الأم و الوطن !

... * *

على أبواب حضرتكم

جلالتكم

سيادتكم

معاليكم

سأطرح رأسي الذاوي

وأطلق صوتي الداوي :

) أريد الله يبين حوبتي بيكم

أريد الله على الفرقه يجازيكم)* !

---

* أغنية من الفولكلور العراقي معناها : أريد من الله أن يأخذ منكم بثأري ويعاقبكم لأنكم سبب الفراق.

==========================

النبات

أنا ليس لى علم الحواة

كى أخرج الجبل العظيم من الحصاة

وأجر آلاف الفوارس كالأرانب

من بطون القبعات .

أنا ليس لى علم

بتعبئة الشجاعة في القناني

أو فن تحويل الخروف إلى حصان !." (١)

"بأي ذنب قتلت ؟

لانتفضت أشلاؤها وجلجلت :

بذنب شعب مخلص

لقائد عميل !

==========================

الرماد والعواصف

مضى عقد على قطع الجذور

ولم يزل رأسي

يصارع بالرماد عواصف اليأس !

ومازالت حبال الشوق تشنقني

على بوابة الزمن

فألمح في الأسى نفسي

خيوطا من دم تنثال في كأسي

وألمحها بأيديكم .. بأيديكم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١١/٤١٥

تجرعني

فراق الأم مزدوجا

.. فراق الأم و الوطن !

... * *

على أبواب حضرتكم

جلالتكم

سيادتكم

معاليكم

سأطرح رأسي الذاوي

وأطلق صوتي الداوي :

) أريد الله يبين حوبتي بيكم

أريد الله على الفرقه يجازيكم)* !

---

* أغنية من الفولكلور العراقي معناها : أريد من الله أن يأخذ منكم بثأري ويعاقبكم لأنكم سبب الفراق.

=========================

النبات

أنا ليس لى علم الحواة

كى أخرج الجبل العظيم من الحصاة

وأجر آلاف الفوارس كالأرانب

من بطون القبعات .

أنا ليس لى علم

بتعبئة الشجاعة في القناني

أو فن تحويل الخروف إلى حصان !

أنا لست إلا شاعرا

أبصرت نار العار
ناشبة بأردية الغفاه
فصرخت .. هبوا للنجاه .
فإذا أفاقوا للحياة
ستحتفى بهم الحياة
وإذا تلاشت صرختى
وسط الحرائق كالدخان
فلأن صرخة شاعر
لاتبعث الروح الطليقة فى الرفات !
... * *
أنا شاعر حر أعانى
من حرقة الآباء أقتبس المعانى
ومداد أشعاري تقاطر
من دموع الأمهات .
فمتى ستوحى بالهوى شفة الهوان ؟
ومتى ستطلع وردة الآمال
فى تلك الدواة ؟
... * *
شعرى عصارة عصرنا
لاتطلبوا منى اصطناع المعجزات .
أوطاننا رهن المنية . .
والبقية فى حياة الصولجان .
ورقابنا تحت السيوف

وحتفنا فوق اللسان

ودماؤنا .. تجرى دراهم." (١)

"وقدمنا ضحايا يومنا نذرا ،

لنلقى في غد نصرا ،

ويمنا إلى المسرى،

وكدنا نبلغ المسرى ،

ولكن قام عبدالذات يدعو قائلا: "صبرا" ،

فألقينا بباب الصبر قتلانا ،

وقلنا إنه أدرى ،

وبعد الصبر ألفينا العدى قد حطموا الجسرا ،

فقمنا نطلب الثأرا ،

ولكن قام عبدالذات يدعو قائلا: "صبرا" ،

فألقينا بباب الصبر آلافا من القتلى،

وآلافا من الجرحى ،

وآلافا من الأسرى ،

وهد الحمل رحم الصبر حتى لم يطق صبرا ،

فأنجب صبرنا صبرا ،

وعبدالذات لم يرجع لنا من أرضنا شبرا،

ولم يضمن لقتلانا بها قبرا ،

ولم يلق العدا في البحر، بل ألقى دمانا وامتطى البحرا،

فسبحان الذي أسرى بعبدالذات من صبرا إلى مصرا،

.وما أسرى به للضفة الأخرى

رقاص الساعة

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢٨/٤١٥

منذ سنين،
يترنح رقاص الساعة ،
يضرب هامته بيسار، يضرب هامته بيمين ،
والمسكين ، لا أحد يسكن أوجاعه ،
لو يدرك رقاص الساعة، أن الباعة
يعتقدون بأن الدمع رنين ،
وبأن استمر ا ر الرقص دليل الطاعة ،
لتوقف في أول ساعة ،
عن تطويل زمان البؤس، وكشف عن سكين ،
يارقاص الساعة ،
دعنا نقلب تاريخ الأوقات بهذي القاعة ،
وندجن عصر التدجين ،
ونؤكد إفلاس الباعة ،
قف وتأمل وضعك ساعة ،
لا ترقص، قتلتك الطاعة ،
.قتلتك الطاعة
أحمد مطر

إنى المشنوق أعلاه

الموجز

ليس فى الناس أمان .
ليس للناس أمان .
نصفهم يعمل شرطيا لدى الحاكم

.. و النصف مدان !

أحمد مطر

ما قبل البداية

كنت فى (الرحم) حزينا

دون أن أعرف للأحزان أدنى سبب !

لم أكن أعرف جنسية أمى

لم أكن أعرف ما دين أبى

لم أكن أعلم أنى عربى !

آه .. لو كنت على علم بأمرى

كنت قطعت بنفسى (حبل سرى)

كنت نفست بنفسى و بأمى غضبى

خوف أن تمخض بى

خوف أن تقذف بى فى الوطن المغترب

خوف أن تحبل من بعدى بغيرى

ثم يغدو – دون ذنب –

عربيا .. فى بلاد العرب !

علامة الموت

يوم ميلادى." (١)

"الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق iiيلقى

وأمته الجريحة في iiشتات

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤١٥/٤٥

فلا تقوى على التأديب iiثأرا
التجهم من حديث
تفطرت السماء وخر iiصخر
وهم الأخشبان بدك iiقوم
فلو فعلوا الذي فعلوه iiقدما
رأيت الأسد في البيداء هبت
هنالك سهم حمزة صار iiبرقا
وثمة رمح وحشي iiقنيص
أيغدو الوهن فينا اليوم iiيسري
فنلقى العجم في ختر و وجر
وهموا بالرسول ولم iiينالوا
ترى ماذا جنى المختار iiطه
ألم يك في البرية خير iiإنس
ويعفو في سماح عن أناس
ويرفق بالأسارى ..لو iiسألتم
هلموا للزمان سلوه iiحقا
شمائله الزكية قد تسامت
وناطحت النجوم هدى iiوصارت
وأخرجنا من الظلمات iiطرا
كفاك صحيفة الدنمرك iiهزءا
سننفذ منه في ألم iiوحنق
أراك الآن في ضحك iiوزهو
مه " يولاند " رب البيت iiيصغي
ستلقين الجزاء المر دهرا

كذاك القول للنرويج iiمثل
وأيم الدهر يأتي اليوم iiغر
من الأعداء في الدنمرك iiنابا
تراه على صحيفتهم سبابا
سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا
ولكن حبذا الأقوى اقتضابا
وأرعدت الغيوم صدى iiغضابا
أساؤوا للحبيب هوى iiكذابا
وكان العهد في الماضي iiمهابا
ترد العز للهادي iiغلابا
وسيف ابن الوليد غدا iiلهابا
لمن شتم الرسول عدا iiوعابا
وقد أغثى بنا الوادي iiحبابا
أهانوا الدين والنسل iiالعرابا
سوى الآثام تمحقهم iiيبابا
إزاء الناهشين له عقابا ii؟!
رحيم عادل يتلو الكتابا ii؟
له كانوا خصوما أو ذئابا ii!!
هدى التاريخ تلقون iiالجوابا
عن الأخلاق والتزموا الصوابا
إلى العلياء تخترق السحابا
ثريات جميلات iiشهابا
إلى الأنوار حيث الأنس iiطابا
وحسبك ما فتحت اليوم iiبابا

ببركان سنسكبه iiانسكابا

وقهقهة تنادين iiالشرابا

ويمهل ما اجترحت غدا iiحسابا

فتحترمي المآذن iiوالقبابا

" مغازينات " لم ترع iiالجنابا." (١)

"شرح المعلقات العشر

معلقة امرئ القيس

أمرىء القيس ...

هذه المعلقة هي الأولى في المعلقات و هي من أغنى الشعر الجاهلي و قد أولاها الأقدمون عناية بالغة ، و جعلها رواة المعلقات فاتحة كتبهم ، كما جعلها رواة الديوان القصيدة الأولى فيه ، و عني بها الدارسون المحدثون من عرب و مستشرقين ، فترجموها إلى عدة لغات أجنبية . و أما الشاعر امرؤ القيس فهو امرؤ القيسبن حجر بن الحارث من قبيلة كندة القحطانية ، ولد بنجد ، كان أبوه ملكا من سلالة ملوك ، و ابن عمته عمرو بن هند ملك الحيرة ، و أمه فاطمة أخت مهلهل و كليب من سادة تغلب . ما كاد الشاعر يشب و يصلب عوده حتى انطلق لسانه بالشعر متأثرا بخاله مهلهل ، و كان يهوى التشبيب في شعره ، حتى قيل إنه شبب بزوجة أبيه ، فما كان من أبيه إلا أن نهاه عن النسيب ثم طرده من كنفه حين لم ينته عن قول الشعر البذي ، فلحق الشاعر بعمه شرحبيل ، و إذا بابنة ءمه فاطمة المعروفة بعنيزة ، تمد شاعريته و تخصبها حتى تكون المعلقة إحدى ثمار هذا المد . و قد كان حجر والد الشاعر ملكا على بني أسد و غطفان و قد نقم أهلها عليه فقتلوه و أوصى رجلا أن يخبر أولاده بمقتله ، و قد بلغ الخبر امرأ القيس و أقسم أن **يثأرلأبيه** ممن قتلوه . بلغ شعر امرىء القيس الذي وصل إلينا زهاء ألف بيت منجمة في مائة قطعة بين طويلة و قصيرة نجدها في ديوانه ، و من يستعرض هذا الديوان يجد فيه موضوعات كثيرة أبرزها الغزل ، و وصف الطبيعة و الظعائن ، ثم الشكوى و المدح و الهجاء و الرثاء إلى جانب الفخر و الطرد . منزلته الشعرية : أجمع الأقدمون على أن امرأ القيس واحد من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي و هم زهير و النابغة و الأعشى و امرؤ القيس

(١) موسوعة الشعر ال إ سلامي، ١/٤٢٢

و قد شهد له بالسبق نقاد و رواة و شعاء و بلغاء ، لأن خصائصه الفنية جعلته يفوق سواه . و أخيرا توفي امرؤ القيس في الطريق قريبا من أنقرة بقروح تشبه الجدري ...." (١)

"الردى : الرمي ، والفعل منه ردي يردى . قوله : بنا ، أي تردينا ، الأرعن : الجبل الذي له رعن ، الجون : الأسود والأبيض جميعا ، والجمع الجون ، والمراد به الأسود في البيت ، الانجياب : الانكشاف والانشقاق ، العماء : السحاب يقول : وكأن الدهر برميه ايانا بمصائبه ونوائبه يرمي جبلا أرعن أسود ينشق عنه السحاب ، أي يحيط به ولا يبلغ أعلاه .. يريد أن الزمامن وطوارق الحدثان لا تؤثر فيهم ولا تقدح في عزهم كما لا تؤثر في مثل هذا الجبل الذي لا يبلغ السحاب أعلاه ، لسموه وعلوه ٢٥

الاكفهرار : شدة العبوس والقطوب ، الرتو : الشد والإرخاء جميعا ، وهو من الأضداد ، ولكنه في البيت بمعنى الارخاء ، المؤيد : الداهية العظيمة ، مشتقة من الأيد وا لادوهما القوة ، الصماء : الشديدة ، من الصمم الذي هو الشدة والصلابة ، والبيت من صفة الأرعن يقول : يشتد ثباته على انتياب الحوادث ، لا ترخيه ولا تضعفه د ا هية قوية شديدة من دواهي الدهر . يقول : ونحن مثل هذا الجبل في المنعة والقوة ٢٦

الخطة : الامر العظيم الذي يحتاج الى مخلص منه ، أدوها : فوضوها ، الأملاء : الجماعات من الاشراف ، الواحد ملأ ، لأنهم يملأون القلوب والعيون جلالة والعيون جلالة وجمالا يقول : فوضوا الى آرائنا كل خصومة أردتم تشفي بها جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها اذ لا يجدون عنها مخلصا ، يريد أهم أولو رأي وحزم يشفى به ويسهل عليهم ما يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات في رواية أخرى : تسعى ، وفي رواية التبريزي : تمشي ، والشروح مختلفة عما هي عليه هنا ٢٧

يقول أن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى ثئر بها ، فسمى الذين لم يثأر بهم أمواتا ، والذين ثئر بهم أحياء لأنهم لما قتل بهم من أعدائهم كأنهم عادوا أحياء اذ لم تذهب دماؤهم هدرا ، أي أنهم ثاروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاها ٢٨." (٢)

"الجناح . الأثم يقول : أعلينا ذنب كندة أن يغنم غانمهم منكم ومنا يكون جزاء ذلك ؟ يوبخهم ويعيرهم أن كندة غزتهم فغنمت منهم وقومه لا يلزمهم جزاء ذلك ٤٤

الجراء والجري ، بالمد والقصر : الجناية ، النوط : التعليق ، الجوز الوسط ، والجمع الأجواز ، العبء : الثقل

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤٦٥

(٢) موسوعة الشعر الإسلامي، ٥٩/٤٦٥

يقول : أم علينا جناية إياد ؟ ثم قال : الزمتمونا ذلك كما تعلق الأثقال على وسط البعير المحمل ٤٥

يقول : أم علينا جناية قضاعة ؟ بل ليس علينا في جنايتهم ندى أي لا تلحقنا ولا تلزمنا تلك الجناية ٤٦

يقول : أم علينا جنايا بني عتيق ؟ ثم قال : إن نقضتم العهد فإنا براء منك ٤٧

القضاء : القتل يقول : وغزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل ، أي القاتلة وصدر كل شيء : أوله ٤٨

يقول : ثم جاؤوا يسترجعون الغنائم فلم ترد عليهم شاة زهراء ، أي بيضاء ، ولا ذات شامة ، هذه الأبيات كلها تعيير لهم وإبانة عن تعديهم وطلبهم المحال لأن مؤاخذة الإنسان بذنب غيره ظلم صرا ح ٤٩

يقول : هؤلاء المضربون ليسوا منا ، عيرهم بأنهم منهم ٥٠

التلحيب : التقطيع ، الأوب والإياب : الرجوع يقول : تركت بني تميم هؤلاء القوم مقطعين بالسيوف وقد رجعوا إلى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك إلى كثرتها ٥١

يقول : أم علينا جناية بني حنيفة أم جناية ما جمعت الأرض أو السنة الغبراء من محارب ٥٢

أحللته : جعلته حلالا يقول : ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم وما كان منهم دعاء على قومنا يعريهم بأنهم أحلوا محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم ٥٣

الفيء : الرجوع ، والفعل فاء يفيئ يقول : ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم ، وغليل الجوف لا يسكنه شرب الماء لأنه حرارة الحقد لا حرارة العطش ، يريد أنهم فاؤوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم ٥٤." (١)

"طل دمع وأطل : أهدر ، العفاء : الدروس ، وهو أيضا التراب الذي يغطي الأثر يقول : ما قتلوا من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنهم غطيت بالتراب ودرست ، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماءهم تهدر بل يدركون ثأرهم ٥٥

التكاليف : المشاق والشدائد يقول : هل قاسيتم من الشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم ؟ وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه ؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب وعيرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك ٥٦

ميسون : امرأة يقول : وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك ٥٧

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤٦٥/٦٢

القرضوب والقرضاب : اللص الخبيث ، والجمع القارضبة ، التأوي : التجمع ، الألقاء لقوة وهي العقاب يقول : تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم ٥٨

الاسودان : الماء والتمر ، هداهم أي تقدمهم يقول : وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر ، وقد يكون هدى بمعنى قاد ، والمعنى : فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ، ثم قال : وأمر الله بالغ مبالغة يشقى به الأشقياء في حكمه وقضائه ٥٩

الأشر : البطر ، الأشراء : البطرة يقول : حين تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اغترارا بشوكتكم وعدتكم فساقتهم إليكم أمنيتكم التي كانت مع البطر ٦٠

الآل : ما يرى كالسراب في طرفي النهار ، الضحاء : بعيد الضحى يقول : لم يفاجئوا مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم لكم ٦١

يقول : أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو بن هند الملك ألا تنتهي عن تبليغ الأخبار الكاذبة عنا ؟ فلنا عنده أفضال كلها خبرة صادقة ٦٣-٦٢

الإقساط : العدل يقول : هو ملك عادل وهو أفضل ماش على الارض ، أي أفضل الناس والثناء قاص عما عنده ٦٤." (١)

"الجبة : أعنف الردع ، والفعل جبه يجبه ، النهز : التحريك ، الجمة : الماء الكثير المتجمع ، الطوي : البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن يقول : منعناهم أشد منع وأعنف ردع فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة ٧٢

حان : تعرض للهلاك ، وحان : هلك ، يحين حينا يقول : فعلنا بهم فعلا بليغا لا يحيط به علما إلا الله ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك أو الهالكين ، أي لم يطلب بثأرهم ودمائهم ٧٣

يقول : ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ . وقيل بل أراد : وله دروع فارسية خضراء لصدئها ٧٤

الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، الهمس : صوت القدم . وجعل الأسد هموسا لأنه يسمع من رجليه في مشية صوت ، شمرت : استعدت ، الغبراء السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها يقول : كان حجرا أسدا في الحرب بهذه الصفة ، وكان للناس بمنزلة الربيع اذا تهيأت واستعدت السنة الشديدة للشر ، يريد أنه كان ليث

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤٦٥/٦٣

الحرب غيث الجدب ٧٥

يقول : وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعدما طال عليه ٧٦

أقدته : أعطيته القود يقول : وأعطيناه ملك غسان قودا بالمنذر حين عجز الناس عن الاقتصاص وارداك **الثأر** ، وجعل الدماء مستعارا للقصاص ٧٧

يقول : وأتيناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم ، الأسلاب : جمع السلب وهو الثياب والسلاح والفرس ٧٨

يقول : وكانت مع الجون كتيبة شديدة العناد كأنها في شوكتها وعدتها هضبة دفئة . والجون الثاني بدل من الأول ، والأول في التقدير محذوف كقوله تعالي : "لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات" ٧٩

العجاجة: الغبار ، تلظى . تلهب ، الصلاء والصلي . مصدر صليت حين تلهب نار الحرب ٨٠

يقول : وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما أتانا الحباء ، أي زوجنا أمه من أبيه لما أتانا مهرها ، يريد أنا أخوال هذا الملك ٨١." (١)

"١) ... تهذيب اللغة (٨/٤١٩) .

١٤- ما لامرء القيس المضلل لوثه **** فيها ولا الأعشى ولا القباني

لما ذكر الناظم أن قصيدته مأخوذة من قبس القرآن معنى ومن فيض حسان نظما؟

أراد أن ينفي أي لوثة لشعراء الضلال فيها .

فإن قيل ألا يكفي البيت السابق في إثباته أنها من القرآن ؟

فالجواب :

ان الإثبات لا يمنع غيره بخلاف الجمع بين النفي والإثبات (١). ، ولأنها نظم فشابهت ما وقع في النظوم فأبان اختلافها في غرضها وما اشتملت عليه عن أغراض الشعراء المقوتة الذي جاء فيها قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فكأنها ثبت لها وصف الحكمة الثابت في قوله " إن من الشعر لحكمة " وانتفى عنها وصف الضلالة الثابت في الآية السابقة وأتى تأكيدا للنفي بمخالفة هدى كبرائهم .

ثم ذكر ثلاثة من الشعراء اشتهروا بالمجون والضلالة وهم :

أ ... امرؤ القيس (٢)من ٤٩٧م إلى ٥٤٥م وهو :

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦٥/٤٦٥

(١) ... انظر تقريب التدمرية للعلامة لعثيمين ص٢٠ .

(٢) ... الشعر والشعراء لابن قتبة (١/١٠٧) ، الأعلام للزركلي (٢/١١) ، وأدباء العرب لبطرس البستاني (١/٩٧) ، الأغاني (٩/٨٤) .

كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمرا وغدا أمر ! ، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد ، وقال في ذلك شعرا كثيرا .

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، مولده بنجد ، أو بمخلاف السكاسك باليمن ، اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، ثم جعل ينتقل في أحياء العرب ،يشرب ويطرب ويغزو ويلهو ، إلى ان ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه ، فبلغ ذلك امرأ القيس

وهو جالس للشراب فقال : رحم الله أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه." (١)

"وكانت حكومة فارس ساخطة على آباء امرئ القيس فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس ، فطلبه ، فابتعد وتفرق عنه أنصاره ؛ فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره ، فمكث عنده مدة ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس فقصد الحارث بن ابي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم في القسطنطينية فوعده ومطله ثم ولاه إمرة فلسطين ولقبه بالوالي (١).

ووصف الناظم امرىء القيس بالمضلل لأنه لقبه ، ولقب بذلك لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد وقد قال الشاعر:

ولم ترد على الضليل صحته **** ولا ثنت أسدا على ربها حجر

(١) ... وإذا أطلق فإنه ينصرف إلى الكندي ، وهناك امرؤ القيس الأول والثاني والثالث ، فانظر ترجمتهم في الأعلام (٢/١٢) .

قال النويرى: الضليل الذي أشار إليه هو امرؤ القيس ، ثم ذكر سبب لقبه(١).

أما الأعشى ت سنة ٦٢٩م فهو :

(١) موسوعة الشعر الإسلام ي، ٣١/٤٦٦

ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر ، يسلك فيه كل مسلك ، وليس لأحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه ، وكان يغنى بشعره فسمي " صناجة العرب " .

قال البغدادي : كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره .

عاش عمرا طويلا ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ولقب بالأعشى لضعف بصره(٢). وعمي في أواخر عمره .

مولده ووفاته في قرية " منفوحة " باليمامة قرب مدينة " الرياض " وفيها داره ، وبها قبره ، أخباره كثيرة ، ومطلع معلقته :

ما بكاء الكبير بالأطلال **** وسؤالي وما ترد سؤالي (٣).." (١)

"

---

(٢) ... تهذيب اللغة (٤١٩/٨) .

١٤- ما لامرء القيس المضلل لوثه ... **** ... فيها ولا الأعشى ولا القباني

لما ذكر الناظم أن قصيدته ماخوذة من قبس القرآن معنى ومن قبض حسان نظما ؟

أراد أن ينفي أي لوثة لشعراء الضلال فيها .

فإن قيل ألا يكفي البيت السابق في إثباته أنها من القرآن ؟

فالجواب :

ان الإثبات لا يمنع غيره بخلاف الجمع بين النفي والإثبات (١) . ، ولأنها نظم فشابهت ما وقع في النظوم فأبان إختلفها في غرضها وما اشتملت عليه عن أغراض الشعراء الممقوتة الذي جاء فيها قوله تعالى والشعراء يتبعهم العادون فكأنها نظم لها وصف الحكمة الثابت في قوله " إن من الشعر لحكمة " وانتفى عنها وصف الضلالة الثابت في الآية السابقة وأتى تأكيدا للنفي بمخالفة هدى كبرائهم .

ثم ذكر ثلاثة من الشعراء اشتهروا بالمجون والضلالة وهم :

ب ... امرؤ القيس (٢) من ٤٩٧م إلى ٥٤٥م وهو :

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣٢/٤٦٦

امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث الكندي (٣) ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، مولده بنجد ، أو بمخلاف السكاسك باليمن ، اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر ، ثم جعل ينتقل في أحياء العرب ،يشرب ويطرب ويغزو ويلهو ، إلى ان ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه ، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال : رحم الله أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه

(٣) ... انظر تقريب التدمرية للعلامة لعثيمين ص٢٠ .

(٤) ... الشعر والشعراء لابن قتبة (١٠٧/١) ، الأعلام للزركلي (١١/٢) ، وأدباء العرب لبطرس البستاني (٩٧/١) ، الأغاني (٨٤/٩) .

كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمرا وغدا أمر ! ، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد ، وقال في ذلك شعرا كثيرا .." (١)

"وكانت حكومة فارس ساخطة على آباء امرئ القيس فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس ، فطلبه ، فابتعد ، وتفرق عنه أنصاره ؛ فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره . فمكث عنده مدة ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس فقصد الحارث ابن ابي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم في القسطنطينية فوعده ومطله ثم ولاه آمرة فلسطين ولقبه بالوالي (١) .

ووصف الناظم امرىء القيس بالمضلل لأنه لقبه ولقب بذلك لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد وقد قال الشاعر :

ولم ترد على الضليل صحته **** ولا ثنت أسدا على ربها حجر

قال النويرى : الضليل الذي أشار إليه هو امرؤ القيس ثم ذكر سبب لقبه (٢) .

أما الأعشى ت سنة ٦٢٩هـ فهو :

ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر ، يسلك فيه كل مسلك ، وليس لأحد ممن

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦٢/٤٦٦

عرف قبله أكثر شعرا منه . وكان يعني بشعره فسمي " صناجة العرب " .

(٢) ... وإذا أطلق فإنه ينصرف أبى الكندي ، وهناك امرؤ القيس الأول والثاني والثالث ، فانظر ترجمتهم في الاعلام (١٢/٢) .

(٣) ... نهاية الأرب للنويرى (١٩٠/٥) ، معجم ألقاب الشعراء للعاني ص٢٢٦

قال البغدادي : كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره .

عاش عمرا طويلا ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ولقب بالعشى لضعف بصره وعمي في أواخر عمره .

مولده ووفاته في قرية " منفوحة " باليمامة قرب مدينة " الرياض " وفيها داره ، وبها قبره . أخباره كثيرة ، ومطلع معلقته :

ما بكاء الكبير بالأطلال **** وسؤالي وما ترد سؤالي (١)." [١]

"ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي ، والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال : أن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت ، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية وكان النصير وزيرا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦٣/٤٦٦

بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه خافوا أن يؤخذ **بثأره** فيما قيل لهم ، وقيل : بل خنق ، ويقال : بل أغرق فالله أعلم فباءوا بإثمه وإثم من كان من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاده – وستأتي." (١)

"عروس المجد

عمر أبو ريشة

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢٠٣/٤٦٦

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك المكتئب

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الواثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى **الثأر** من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"رقيت مقاما عالي القدر iiشأنه ... بسوء وبهتان وخبث iiالجرائد

نبي الهدى يفديك كل رجالنا ... وتفديك منا ناعمات iiالخرائد

رؤوف رحيم فوق كل iiعبارة ... بمدح له بل فوق كل iiالمساند

فمن يقترب من حوض طهرك iiيلقنا ... رجال الحمى صدق الوغى iiوالتجالد

فيا أمة الإسلام يكفينا iiفرقة ... وزاد الذي فينا افتراء iiملاحد

فإن هان قوم في عرين iiبلادهم ... لهانوا بعين الحاقدين iiالأباعد

وما اللوم إلا أن قومي iiعالة ... على القوم في إنتاجهم والمقاصد

ونستورد الأجبان واللحم iiوالدوا ... وفيها الذي نخشاه من جلب iiفاسد

وفي أرضنا مخزون خير iiوثروة ... وفيها بحار النفط جار iiوخامد

تلال من الغلات لا يحصى iiعدها ... وأنهار ماء رافد إثر iiرافد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٥٠٧

ونحن توسطنا من الأرض iiقبلة ... ونحن شهود الله يوم iiالتوافد

إلام يظل الغرب يملك iiأمرنا ... بكل الذي نحتاجه من iiموارد

فهلا إلى أمجاد ماض iiنعيده ا ... خطى نقتفيها في جميع iiالمشاهد

ونعلي لواء الحق في كل iiوجهة ... من الأرض في أتلاعها iiوالمراصد

عسى الله رب الكون يجبر iiكسرنا ... ويشفع فينا المصطفى في الشدائد

ونثأر لا بالقول ممن iiأساءنا ... ولكن بصدق الفعل من كل iiواحد

ونرقى إلى العلياء منا iiبهمة ... ترد لنا روحا من المجد iiخالد." (١)

"والنفس فى طهر لها وصفاء

حاشا فما مالت إلى أهواء

عند الشدائد عند كل بلاء

فى خسة نالت من الأحشاء

حتى نرد وقاحة الجبناء

فالروح نرخصها ليوم فداء

أو أن نعيش بعزة وإباء

وكذا بني ، عشيرتى ودمائى

ملكت يمين الحر من أشياء

يا سيد الثقلين بعض وفاء

من أجل إسلام لنا ولواء

غابت مع التدليس والغوغاء

ضعة وآذت أنفس الشرفاء

والله ناصرهم بصدق أداء

خوف عليهم من شديد عداء

يرمى بجند ضارب الأعداء

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣/٥٣١

فاحفظ لقولى يوم رد جزاء
وانصر رسولك دونما إبطاء
فاغفر وجنبنى عن الأخطاء
وافتك بمن عادى بلا استثناء
لتعود فى سجيلها الرماء
نصرا لنا فى كافة الأنحاء
وارحم بريئا من عنا وشقاء
فى صدرنا ينأى عن الضغناء
أنت العليم بظاهر وخفاء
للجمر فى صبر ليوم لقاء
ومصاعب شتى وصعب قضاء

مبتور عدوك
رسول الله حرمتكم تصان
ومبتور عدوك دون شك
أتى بكتاب ربى كل حق
تطاول فى رحابك بعض فدم
بأرواح لنا وبكل ابن
بأعمام وأخوال كرام
تحول ودون **ثأرهم** حدود
لدينك تضرب الأعناق ضربا
فما فى غير دينك من خلاص
بأمر الله نهدم من حصون
محمد خير من جاءوا بخير

ولكنى أرد على عدو
وقد أكلوا لخنزير فصاروا
فلا شرف لهم لا من حياء
بحق رسولك المختار ربى
ولا تترك لهم أبناء كفر
فما يرضيك فى المختار ذم
ويا أحرار هذا الكون هبوا
كما كنا نكون ولا نبالى
ويا ربى دعوتك فى صدوق
وأنت العالم الخلجات فينا
فمكن أمة الإسلام تصحو
تنال بسيد الثقلين عزا

دماء المسلمين لها ضمان
وشانئكم له الذل الهوان
إلى يوم القيام لنا أمان
ونحن فداك ما بقي الزمان
إذا دعت الشدائد والطعان
لهم عزم فما وهنوا ولانوا
وأعراف بها قيد جبان
وحتى يستقيم لنا العنان
وإن عاقت لنا القطط السمان
وتقوى الله فى صدرى لسان
ومعصوم لكم ذكر وشان
أبان الحقد حلوف مهان

ديوسا ليس يعصمهم جنان

وهم فى طبعهم صلف حطان

تؤاخذهم ويخلوهم مكان

وعذب من قلوب ذات ران

وتبت ريشة فيها هوان." (١)

"قتيل ثأر النائبات

لأبي الحسن الأنباري

قال أبو الحسن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ هذه القصيدة يرثي بها أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة ؛ لما قتل وصلب . وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب ، حتى إن عضد الدولة الذي صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه.

علو في الحياة وفي الممات ******** بحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ******** وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا ******** وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء ******** كمدهما إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ******** يضم علاك من بعد الوفاة

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ******** عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ******** بحراس وحفاظ ثقات

وتوقد حولك النيران ليلا ******** كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد ******** علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تأس ******** تباعد عنك تعيير العداة

ولم أر قبل جذعك قط جذعا ******** تمكن من عناق المكرمات

أسأت إلى النوائب فاستثارت ******** فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجيرنا من صرف دهر ******** فعاد مطالبا لك بالثرات

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣/٥٣٦

وصير دهرك الإحسان فيه ******** إلينا من عظيم السيئات

وكنت لمعشر سعدا فلما ******** مضيت تفرقوا بالمنجسات

غليل باطن لك في فؤادي ******** يخفف بالدموع الجاريات

ولوأني قدرت على قيام ******** بفرضك و الحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافي ******** ونحت بها خلاف النائحات

ولكني أصبر عنك نفسي ******** مخافة أن أعد من الجناة

ومالك تربة فأقول تسقى ******** لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ******** برحمات غواد رائحات." (١)

"والآل والصحب ثم التابعين فهم أهل التقى والنقا والحلم والكرم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر إلهي لكل المسلمين بما يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبة حرم واسمه قسم من أعظم القسم

وهذه بردة المختار قد ختمت والحمد لله في بدء وفي ختم

أبياتها قد أتت ستين مع مائة فرج بها كربنا يا واسع الكرم

****

الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر
AMARTHARRAFI@YAHOO.FR

رسول الله خير الخلق يلقى ... من الأعداء في الدنمرك نابا

وأمته الجريحة في شتات ... تراه على صحيفتهم سبابا

فلا تقوى على التأديب ثأرا ... سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا

التجهم من حديث ... ولكن حبذا الأقوى اقتضابا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٥٤٩

تفطرت السماء وخر صخر ... وأرعدت الغيوم صدى غضابا
وهم الأخشبان بدك قوم ... أساؤوا للحبيب هوى كذابا
فلو فعلوا الذي فعلوه قدما ... وكان العهد في الماضي مهابا
رأيت الأسد في البيداء هبت ... ترد العز للهادي غلابا
هنالك سهم حمزة صار برقا ... وسيف ابن الوليد غدا لهابا
وثمة رمح وحشي قنيص ... لمن شتم الرسول عدا وعابا
أيغدو الوهن فينا اليوم يسري ... وقد أغثى بنا الوادي حبابا
فنلقى العجم في ختر و وجر ... أهانوا الدين والنسل العرابا
وهموا بالرسول ولم ينالوا ... سوى الآثام تمحقهم يبابا
ترى ماذا جنى المختار طه ... إزاء الناهشين له عقابا ؟!
ألم يك في البرية خير إنس ... رحيم عادل يتلو الكتابا ؟
ويعفو في سماح عن أناس ... له كانوا خصوما أو ذئابا !!
ويرفق بالأسارى ..لو سألتم ... هدى التاريخ تلقون الجوابا
هلموا للزمان سلوه حقا ... عن الأخلاق والتزموا الصوابا
شمائله الزكية قد تسامت ... إلى العلياء تخترق السحابا
وناطحت النجوم هدى وصارت ... ثريات جميلات شهابا
وأخرجنا من الظلمات طرا ... إلى الأنوار حيث الأنس طابا
كفاك صحيفة الدنمرك هزءا ... وحسبك ما فتحت اليوم بابا." (١)

"نبي الهدى يفديك كل رجالنا ... وتفديك منا ناعمات iiالخرائد
رؤوف رحيم فوق كل iiعبارة ... بمدح له بل فوق كل iiالمساند
فمن يقترب من حوض طهرك iiيلقنا ... رجال الحمى صدق الوغى iiوالتجالد
فيا أمة الإسلام يكفينا iiفرقة ... وزاد الذي فينا افتراء iiملاحد
فإن هان قوم في عرين iiبلادهم ... لهانوا بعين الحاقدين iiالأباعد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢٨/٥٦٠

وما اللوم إلا أن قومي iiعالة ... على القوم في إنتاجهم والمقاصد

ونستورد الأجبان واللحم iiوالدوا ... وفيها الذي نخشاه من جلب iiفاسد

وفي أرضنا مخزون خير iiوثروة ... وفيها بحار النفط جار iiوخامد

تلال من الغلات لا يحصى iiعدها ... وأنهار ماء رافد إثر iiرافد

ونحن توسطنا من الأرض iiقبلة ... ونحن شهود الله يوم iiالتوافد

إلام يظل الغرب يملك iiأمرنا ... بكل الذي نحتاجه من iiموارد

فهلا إلى أمجاد ماض iiنعيدها ... خطى نقتفيها في جميع iiالمشاهد

ونعلي لواء الحق في كل iiوجهة ... من الأرض في أتلاعها iiوالمراصد

عسى الله رب الكون يجبر iiكسرنا ... ويشفع فينا المصطفى في الشدائد

ونثأر لا بالقول ممن iiأساءنا ... ولكن بصدق الفعل من كل iiواحد

ونرقى إلى العلياء منا iiبهمة ... ترد لنا روحا من المجد iiخالد

****

في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية ... نظمها الدكتور يوسف القرضاوي في ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٠هـ ، ١٩٥٠ م في القاهرة .. وقد نشرت في مجلة الدعوة التي كانت تصدر في القاهرة ... وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتا .

هو الرسول فكن في الشعر حسانا وصغ من القلب في ذكراه ألحانا

ذكرى النبي الذي أحيا الهدى وكسا بالعلم والنور شعبا كان عريانا

أطل فجر هداه والدجى عمم بات الأنام وظلوا فيه عميانا

هذا يصور تمثالا ويعبده وذاك يعبد أحبارا وكهانا

الكون بحر عميق لا منار به لم يدر فيه بنو الإنسان شطئانا

ويل الصغير !وقد صار الورى سمكا يسطو الكبير عليه غير خشيانا !." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤٩/٥٦٠

****

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"مقتل بزر جمهر

لخليل مطران

سجدوا لكسرى إذ بدا إجلالا ******كسجودهم للشمس إذ تتلالا

يا أمة الفرس العريقة في العلى ****** ماذا أحال بك الأسود سخالا ؟

كنتم كبارا في الحروب أعزة ****** واليوم بتم صاغرين ضئالا

عباد "كسرى" مانحيه نفوسكم ****** ورقابكم والعرض والأموالا

تستقبلون نعاله بوجوهكم ****** وتعفرون أذلة وصغارا

التبر "كسرى" وحده في فارس ****** ويعد أمة فارس أرذالا

شر العيال عليهم وأعقهم ****** لهم ويزعمهم عليه عيالا

إن يؤتهم فضلا يمن وإن يرم ****** ثأرا يبدهم بالعدو قتالا

وإذا قضى يوما قضاء عادلا ****** ضرب الأنام بعدله الأمثالا

****

يا يوم قتل " بزرجمهر " وقد أتوا ****** فيه يلبون النداء عجالا

متألبين ليشهدوا موت الذي ****** أحيا البلاد عدالة ونوالا

يبدون بشرا والنفوس كظيمة ****** يجفلن بين ضلوعهم إجفالا

تجلو أسرتهم بروق مسرة ****** وقلوبهم تدمى بهن نصالا

وإذا سمعت صياحهم ودويهم ****** لم تدره فرحا ولا إعوالا

****

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٦٤٥

ويلوح " كسرى " مشرفا من قصره ****** شمسا تضيء مهابة وجلالا

شبحا " لأرموز " العظيم ممثلا ****** ملكا يضم رداؤه رئبالا

يزهو به العرش الرفيع كأنه ****** بسنا الجواهر مشعل إشعالا

وكأن شرفته مقام عبادة ****** نصب التكبر في ذراه مثالا

وكأن لؤلؤة بقائم سيفه ****** عين تعد عليهم الآجالا

****

ما كان " كسرى " إذ طغى في قومه ****** إلا لما خلقوا به فعالا

هم حكموه فاستبد تحكما ****** وهم أرادوا أن يصول فصالا

والجهل داء قد تقادم عهده ****** في العالمين ولا يزال عضالا

لولا الجهالة لم يكونوا كلهم ****** إلا خلائق إخوة أمثالا

لكن خفض الأكثرين جناحهم ****** رفع الملوك وسود الأبطالا

وإذا رأيت الموج سفل بعضه ****** ألفيت تاليه طغى وتعالا." (١)

"أو أن يقام له من دون جمعهم

وكان يخدم أهليه ويكرمهم

ولا يصول ولا يمتاز بالقدم

قضى على كل ذي كبر وغطرسة

وحارب الشرك والطاغوت مع صنم

قاسى الأمرين من أقوامه فدعا

له بهدى ولم يثأر ولم يلم

وظل يدعو إلى التوحيد فانتظمت

من حوله الصحب والأنصار كالرجم

من كل أروع لا يخشى منيته

يلقى الحروب بثغر منه مبتسم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٦٦٦

جادوا بأرواحهم لله فاجتهدوا
أن يسلموها له عن طيب نفسهم
تمسكوا بكتاب الله واتبعوا
محمدا فغدوا في موضع السنم
أعلى بهم كلمة المولى ودك بهم
معاقل البغي والأنصاب والزلم
ضحى بكل عزيز عنده لرضا
مولاه وهو كثير الخوف والعشم
وناوأ الدين أعداء فبددهم
واجتث دابرهم بالصارم الخذم
وكان يغضب للمولى ويفرح من
رضائه وله قد دان بالعظم
يقضي النهار بذكر الله يرقبه
في كل شيء ويحيي الليل لم ينم
وكان أنقى الورى قلبا وأطهرهم
نفسا أحفظهم للعهد والذمم
ما جاءه ظالم مستغفرا ندما
إلا تقبله مولاه بال كرم
فكيف حال فتى أضحت محبته
لله ثم لهذا السيد السنم
قد جاء بيتك ربي وهو مفتقر
للجود مستغفر مع شدة الندم
حاشا يخيب إله العرش صبكما
أو أن أضام وأنت اليوم معتصمي

ومن تكن أنت يا مولاي حافظه

فلن يهاب من الأرزاء والصلم

يا مالك الملك مالي قط معتمد

إلاك عند اشتداد الخطب والإزم

ولن تضيق بمثلي يا كريم وما

أعياك خلق الورى من سابق العدم

فإن لي ذمة مذ كنت (عبد) ك يا

(حميد) والعبد أحرى الناس بالنعم

إني (خطيب) الرضا والعفو ملتجىء

بباب جودك فاقبلني وقل نعم

أستغفر الله من جرمي ومعصيتي

ومن ذنوب غدت في منتهى العظم

أستغفر الله مما قد جنته يدي

وما خطت قدمي سعيا إلى الحرم

أستغفر الله من عيني وما نظرت

وما نقضت من التوبات والذمم

وما أسأت به للناس قاطبة

وما بنفسي من الطغيان والوهم

أستغفر الله مما لست أذكره

وما نطقت به من فاحش الكلم

أستغفر الله مما قد أضعت من الأ

وقات في اللهو واللذات واللمم

أستغفر الله من فرض أتيت به

والقلب يسبح في بحر من الغمم." (١)

"يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا

لبدوي الجبل

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا ***** رق الحديد وما رقوا لبلوانا

خل العتاب دموعا لا غناء بها ***** وعاتب القوم أشلاء ونيرانا

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا ***** وأبعد الله إشفاقا وتحنانا

ويل الشعوب التي لم تسق من دمها ***** ثاراتها الحمر أحقادا وأضغانا

ترنح السوط في يمنى معذبها ***** ريان من دمها المسفوح سكرانا

تغضي على الذل غفرانا لظالمها ***** تأنق الذل حتى صار غفرانا

ثارات يعرب ظمأى في مراقدها ***** تجاوزتها سقاة الحي نسيانا

ألا دم يتنزى في سلافتها ***** أستغفر الثأر بل جفت حميانا

لا خالد الفتح يغزو الروم منتصرا ***** ولا المثنى على رايات شيبانا

أما الشآم فلم تبق الخطوب بها ***** روحا أحب من النعمى وريحانا

ألم والليل قد أرخى ذوائبه ***** طيف من الشام حيانا فأحيانا

حنا علينا ظماء في مناهلنا ***** فأترع الكأس بالذكرى وع ا طانا

تنضر الورد والريحان أدمعنا ***** وتسكب العطر والصهباء نجوانا

السامر الحلو قد مر الزمان به ***** فمز ق الشمل سمارا وندمانا

قد هان من عهدها ما كنت أحسبه ***** هوى الأحبة في بغداد لا هانا

فمن رأى بنت مروان انحنت تعبا ***** من السلاسل يرحم بنت مروانا

أحنو على جرحها الدامي وأمسحه ***** عطرا تطيب به الدنيا وإيمانا

أزكى من الطيب ريحانا وغالية ***** ما سال من دم قتلانا وجرحانا

هل في الشآم وهل في القدس والدة ***** لا تشتكي الثكل إعوالا وإرنانا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٨/٧١٢

تلك القبور فلو أن ألم بها ***** لم تعد عيناي أحبابا وإخوانا
يعطي الشهيد فلا والله ما شهدت ***** عيني كإحسانه في القوم إحسانا
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه ***** عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا." (١)

"يا عيد

عمر أبو ريشة

يا عيد ما افتر ثغر المجد ياعيد فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريد
وكيف ينشق عن أطياف أمتنا حلم وراء جفون الحق موؤود

طالعتنا وجراح البغي راعفة وما لها من أساة الحي تضميد

فللفجيعة في الأفواه غمغمة وللرجولة في الأسماع تنديد

فتلك راياتنا خجلى منكسة فأين من دونها تلك الصناديد

ما بالها وثبت للثأر وانكفأت وسيفها في قراب الذل مغمود

يا للشعوب التي قادت أزمتها على الليالي عبابيد رعاديد

يا عيد كم في روابي القدس من كبد لها على الرفرف العلوي تعييد

سالت على العز إرواء لغصته والعز عند أباة الضيم معبود

هيهات لن يشتكي ما طل من دمها فالحقد مضطرم والعزم مشدود

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٧٧٥

سينجلي ليلنا عن فجر معترك ونحن في فمه المشبوب تغريد." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنئيا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، **ثأرك** يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٧٨١

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"أمتي هل لك بين الأمم

أمتي هل لك بين الأمم ... منبر للسيف أو للقلم

أتلقاك وطرفي ..... مطرق ... خجلا من أمسك المنصرم

ويكاد الدمع يهمي عابثا ... ببقايا ..... كبرياء ..... الألم

أين دنياك التي أوحت إلى ... وتري كل يتيم النغم

كم تخطيت على أصدائه ... ملعب العز ومغنى الشمم

وتهاديت كأني ..... ساحب ... مئزري فوق جباه الأنجم

أمتي كم غصة دامية ... خنقت نجوى علاك في فمي

أي جرح في إبائي راعف ... فاته الآسي فلم يلتئم

ألاسرائيل ..... تعلو ..... راية ... في حمى المهد وظل الحرم !؟

كيف أغضيت على الذل ولم ... تنفضي عنك غبار التهم ؟

أوما كنت إذا البغي اعتدى ... موجة من لهب أو من دم !؟

كيف أقدمت وأحجمت ولم ... يشتف الثأر ولم تنتقمي ؟

اسمعي نوح الحزانى واطربي ... وانظري دمع اليتامى وابسمي

ودعي القادة في أهوائها ... تتفانى في خسيس المغنم

رب وامعتصماه انطلقت ... ملء أفواه البنات اليتم

لامست أسماعهم ..... لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم

أمتي كم صنم مجدته ... لم يكن يحمل طهر الصنم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٨٧

لايلام الذئب في عدوانه ... إن يك الراعي عدو الغنم
فاحبسي الشكوى فلولاك لما ... كان في الحكم عبيد الدرهم
أيها الجندي يا كبش الفدا ... يا شعاع الأمل المبتسم
ما عرفت البخل بالروح إذا ... طلبتها غصص المجد الظمي
بورك الجرح الذي تحمله ... شرفا تحت ظلال العلم." (١)
"عرس المجد

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٢٢

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك المكتئب

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى **الثأر** من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"قصيدة أمتي

عمر أبو ريشة

١.-أمتي هل لك بين الأمم منبر للسيف أو للقلم

٢.-أتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم

٣.-ويكاد الدمع يهمي عابثا ببقايا كبرياء الألم

٤.-أين دنياك التي أوحت إلى وتري كل يتيم النغم

٥.-كم تخطيت على أصدائه ملعب العز ومغنى الشمم

٦.-وتهاديت كأني ساحب مئزري فوق جباه الأنجم

٧.-أمتي كم غصة دامية خنقت نجوى علاك في فمي

٨.-أي جرح في إبائي راعف فاته الآسي فلم يلتئم

٩.-ألإسرائيل تعلو راية في حمى المهد وظل الحرم !؟

١٠.-كيف أغضيت على الذل ولم تنفضي عنك غبار التهم ؟

١١.-أوما كنت إذا البغي اعتدى موجة من لهب أو من دم !؟

١٢.-كيف أقدمت وأحجمت ولم يشتف **الثأر** ولم تنتقمي ؟

١٣.-اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسمي

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٤٠

١٤.-ودعي القادة في أهوائها تتفانى في خسيس المغنم

١٥.-رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه البنات اليتم

١٦.-لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

١٧.-أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم

١٨.-لايلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

١٩.-فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم

٢٠.-أيها الجندي يا كبش الفدا يا شعاع الأمل المبتسم

٢١.-ما عرفت البخل بالروح إذا طلبتها غصص المجد الظمي

٢٢.-بورك الجرح الذي تحمله شرفا تحت ظلال العلم." (١)

"يا عروس المجد تيهي

١. يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٥١

٨. وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك المكتئب

١٨. قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"يا عيد

عمر أبو ريشة

يا عيد ما افتر ثغر المجد ياعيد فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريد
وكيف ينشق عن أطياف أمتنا حلم وراء جفون الحق موؤود

طالعتنا وجراح البغي راعفة وما لها من أساة الحي تضميد

فللفجيعة في الأفواه غمغمة وللرجولة في الأسماع تنديد

فتلك راياتنا خجلى منكسة فأين من دونها تلك الصناديد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٦٩

ما بالها وثبت للثأر وانكفأت وسيفها في قراب الذل مغمود

يا للشعوب التي قادت أزمتها على الليالي عبابيد رعاديد

يا عيدكم في روابي القدس من كبد لها على الرفرف العلوي تعييد

سالت على العز إرواء لغصته والعز عند أباة الضيم معبود

هيهات لن يشتكي ما طل من دمها فالحقد مضطرم والعزم مشدود

سينجلي ليلنا عن فجر معترك ونحن في فمه المشبوب تغريد." (١)

"الصارم المسلول لشاتمي الرسول

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر
amartharrafi@yahoo.fr

رسول الله خير الخلق iiيلقى ... من الأعداء في الدنمرك iiنابا

وأمته الجريحة في iiشتات ... تراه على صحيفتهم سبابا

فلا تقوى على التأديب iiثأرا ... سوى التنديد بالأقوال نابا وما عبنا

التجهم من حديث ... ولكن حبذا الأقوى اقتضابا

تفطرت السماء وخر iiصخر ... وأرعدت الغيوم صدى iiغضابا

وهم الأخشبان بدك iiقوم ... أساؤوا للحبيب هوى iiكذابا

فلو فعلوا الذي فعلوه iiقدما ... وكان العهد في الماضي iiمهابا

رأيت الأسد في البيداء هبت ... ترد العز للهادي iiغلابا

هنالك سهم حمزة صار iiبرقا ... وسيف ابن الوليد غدا iiلهابا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٧٠

وثمة رمح وحشي iiقنيص ... لمن شتم الرسول عدا iiوعابا

أيغدو الوهن فينا اليوم iiيسري ... وقد أغشى بنا الوادي iiحبابا

فنلقى العجم في ختر و وجر ... أهانوا الدين والنسل iiالعرابا

وهموا بالرسول ولم iiينالوا ... سوى الآثام تمحقهم iiيبابا

ترى ماذا جنى المختار iiطه ... إزاء الناهشين له عقابا ii؟!

ألم يك في البرية خير iiإنس ... رحيم عادل يتلو الكتابا ii؟

ويعفو في سماح عن أناس ... له كانوا خصوما أو ذئابا ii!!

ويرفق بالأسارى ..لو iiسألتم ... هدى التاريخ تلقون iiالجوابا

هلموا للزمان سلوه iiحقا ... عن الأخلاق والتزموا الصوابا

شمائله الزكية قد تسامت ... إلى العلياء تخترق السحابا

وناطحت النجوم هدى iiوصارت ... ثريات جميلات iiشهابا

وأخرجنا من الظلمات iiطرا ... إلى الأنوار حيث الأنس iiطابا

كفاك صحيفة الدنمرك iiهزءا ... وحسبك ما فتحت اليوم iiبابا

سننفذ منه في ألم iiوحنق ... ببركان سنسكبه iiانسكابا

أراك الآن في ضحك iiوزهو ... وقهقهة تنادين iiالشرابا

مه " يولاند " رب البيت iiيصغي ... ويمهل ما اجترحت غدا iiحسابا

ستلقين الجزاء المر دهرا ... فتحترمي المآذن iiوالقبابا

كذاك القول للنرويج iiمثل ... " مغازينات " لم ترع iiالجنابا." (١)

"نهضة العز

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

" ممرض هاو للشعر"

amartharrafi@yahoo.fr

دوي الرصاص ...

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٧٣

يلعلع في خيمة الباديه
ولغم القصاص
تخبئه في السجون الضباع
ويحرسه الجند خوف الضياع
بعد النجوم !!
ومن يقترف يلق حتفا يحوم
تسلل يوما فتى تحت جنح الظلام
على حين غفلة أهل الغرام
لبنت الدنان
وقام بشق الثرى خندقا للدخول
وعاد وفي بطنه اللغم
قد لفه بالنطاق...
أخيرا .. بدا قنس رأس الهمام
تلاه القفا مشرئبا من الفوهة الخانقه
ولكن ...
أظافر كف مباغتة طوقت جيده
تلف بإحكام قبضتها لحده
أدار محياه صوب الحراك
و زمجر ينوي نشوب العراك
فألفى الضباع بتيجانها
تحملق فيه بنار الغضب
- إلى أين تأخذ لغم القصاص ؟
تكلم ..
سنخنق أنفاس إرهابك الآن

هيا تكلم ..

ولا ملجأ اليوم منا

ولا من مناص

أجاب الهمام :

. إلى حيث أثأر للشرف اليعربي

فأنصر ديني وقوميتي

أما قد رأيتم جسوم العروبة عارية تغتصب ؟ !!

أما عاين الضبع منكم كتاب الجليل

يدنس في قرية العالم المطبقه

إلام السكوت ؟ !

متى سوف نكسر صمت المرايا ؟

ونحن عرايا !!

ونحن نذ ل لهم في قنوت ؟ !

متى تضبح العاديات لتجلب نصر الشروق ؟

ويلمع في أفق الكون برق السيوف ؟

متى تطلع الشمس فوق المرابع

في أرضنا ؟

فيخضر زرع

ويحلب ضرع

وينتشر العطر من زهرة الياسمين .

متى سوف نلقى نوارس شطآن ضاد العروب ؟

ضمئت إلى نسمة البحر من خدرها

ورعشة جسمي على العوم في مائها

وشوقي إلى الغوص في عمقها

لأجمع منها لآلي المحار
ضمئت إلى كحل عيني
بتبر السنابل و الإزهرار
وحنت مسامع قلبي
لنغم الهزار
لماذا اختفت قدس شمس الشموس ؟
وأين عراق القمر ؟
أجيبوا برب السماء ؟
أما اغتالهم بالغيوم الظلام ؟ !!
فلم تتكلم شفاه الضباع
ولكن حب الرياسة و الجبروت
تململ في صدرهم أجمعين
فقالوا :
. علمت بأنا عشقنا الكراسي
لحد الجنون
ومرماك يا لعنة الدهر حتف الملوك
خذوه فغلوه." (١)

"فلولا قريش ملكها ما تعرضت ... لي الجن بله الإنس قد علمت قدري
وما ابن مراس حين جئت مطردا ... بذي علة دوني ولا حاقد الصدر
عشية أعطاني سلاحي وناقتي ... وسيفي جدا من فضل ذي نائل غمر
خليلي الفتى العكلي لم أر مثله ... تحلب كفاه الندى شائع القدر
كأن سهيلا ناره حين أوقدت ... بعلياء لا تخفى على أحد يسري
وتيهاء مكسال إذا الليل جنها ... تزمل فيها المدجون على حذر

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٨٥

بعيدة عين الماء تركض بالضحى ... كركضك بالخيل المقربة الشقر

فلاة يخاف الركب أن ينطقوا بها ... حذار الردى فيها مهولة قفر

سريع بها قول الضعيف ألا اسقني ... إذا خب رقراق الضحى خبب المهر

سمت لي بالبين اليماني صبابة ... وأنت بعيد قد نأيت عن المصر

أتيح لذي بث طريد تعوده ... هموم إذا ما بات طارقها يسري

بنجران يقري الهم كل غريبة ... بعيدة شأو الكلم باقية الأثر

يمثلها ذو حاجة عرضت له ... كئيب يؤسى بين قرنة والفهر

فقال وما يرجو إلى الأهل ردة ... ولا أن يرى تلك البلاد يد الدهر

لعمرك أني يوم نعف سويقة ... لمعترف بالبين محتسب الصبر

غداة جرت طير الفراق وأنبأت ... بنأي طويل من سليمى وبالهجر

ومرت فلم يزجر لها الطير عائف ... تمر لها من دون أطلالها تجري

سنيحا وشر الطير ما كان سانحا ... بشؤمى يديه والشواحج في الفجر

فما أنس مل أشياء لا أنس طائعا ... وإن أشقذتني الحرب إلا على ذكر

عيوف الذي قالت تعز وقد رأت ... عصى البين شقت واختلافا من النجر

عليك السلام فارتحل غير باعد ... وما البعد إلا في التنائي وفي الهجر

وعفت لجفن العين جائل عبرة ... كما ارفض نجم من جمان ومن شذر

تهلل منها واكف مطرت به ... جموم بملء الشأن مائحة القطر

وقالت تعلم أن عندي معشرا ... يرونك ثأرا أو قريبا من الثأر

فقلت لها إني ستبلغ مدتي ... إلى قدر ما بعده لي من قدر

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بأعلى بلي ذي السلام وذي السدر

وهل أهبطن روض القطا غير خائف ... وهل أصبحن الدهر وسط بني صخر

وهل أسمعن يوما بكاء حمامة ... تنادي حماما في ذرى تنضب خضر

وهل أرين يوما جيادي أقودها ... بذات الشقوق أو بأنقائها العفر

وهل تقطعن الخرق بي عيدهية ... نجاة من العيدي تمرح للزجر

طوت لقحا مثل السرار وبشرت ... بأصهب خطار كخافية النسر

هبوع إذا ما الريم لاذ من اللظى ... بأول فيء واستكن من الهجر

وباشر معمور الكناس بكفه ... إلى أن يكون الظل أقصر من شبر

وقد ضمرت حتى كأن وضينها ... وشاح عروس جال منها على خصر

حديثة عهد بالصعوبة ديثت ... ببعض الركوب لا عوان ولا بكر

تخ ال بها غب السرى عجرفية ... على ما لقين من كلال ومن حسر

ولو مر ميل بعد ميل وأصبحت ... عتاق المطايا قد تعادين بالفتر

وهل أرين بين الحفيرة والحمى ... حمى النير أو يوما بأكثبة الشعر

جميع بني عمي الكرام وإخوتي ... وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر

أخلاي لم يشمت بنا ذو شناءة ... ولم تضطرب مني الكشوح على غمر

ولا منهم حتى دعتنا غواتنا ... إلى غاية كانت بأمثالنا تزري

أتيناهم إذ أسلمتهم حلومهم ... فكنا سواء في الملامة والعذر

فلأيا بلأي ما نزعتا وقبله ... مددنا عنان الغي متسقا يجري

فكنا لأقوام عظات وقطعت ... وسائل قربى من حميم ومن صهر

لحى الله من يلحى على الحلم بعدما ... دعتنا رجال للفخار وللعقر

وجاؤوا جميعا حاشدين نفيرهم ... إلى غاية ما بعدها ثم من أمر." (١)

"ولو يدعني باسمي كررت عليهم ... خيول كرام الضرب أكثرها الوجي

ولا غرو إلا قول سلمى ظعينتي ... أما أنت يا ابن الحر بالمتحرج

دع القوم لا تقتلهم وانج سالما ... وشمر هداك الله بالخيل واخرج

وإني لأرجو يا ابنة الخير أن أرى ... على خير أحوال المؤمل فارتجي

ألا حبذا قولي لأحمر طيىء ... ولابن خليد قد دنا الصبح فادلج

وقولي لذا أقضم وقولي لذا ارتحل ... وقولي لذا من بعدها ذاك أسرج

وسيري بفتيان كرام أحبهم ... مغذا وضوء الصبح لم يتبلج

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٠٩

يطيعون متلافا مفيدا معذلا ... به يرتجي عفو الغنى كل مرتجي

وقال عبيد الله بن الحر أيضا في حبس مصعب:

من مبلغ الفتيان أن أخاهم ... أتى دونه باب منيع وحاجبه

بمنزلة ما كان يرضى بمثلها ... إذا قام غنته كبول تجاوبه

على الساق فوق الكعب أسود صامت ... شديد يداني خطوه ويقاربه

وما ذاك من جرم أكون اجترمته ... ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه

وقد كان في الأرض العريضة مسلك ... وأي امرء أعيت عليه مذاهبه

دعاني إليه مصعب فأجبته ... نهاري وليلي كله أنا دائبه

أروح وأغدو دائما وكأنما ... أبادر غنما في الحياة أناهبه

فكان حبائي إذ أنخت ببابه ... حجول وأحراس وصعب مراتبه

فإني لم أنكث لهم عهد بيعة ... ولم آت أمرا محدثا أنا راهبه

فأني لكم مثلي يذبب عنكم ... إذا الصف دارت للقراع كتائبه

وإني من قوم سيذكر فيهم ... بلائي إذا ما غص بالماء شاربه

كأن عبيد الله لم يمس ليلة ... موطنة تحت السروج جنائبه

ولم يدع فتيانا كأن وجوههم ... مصابيح في داج توارت كواكبه

لعمرك إني بعد عهدي ونصرتي ... لكالسيف فلت بعد حد مضاربه

وقد علم المختار أني له شجى ... إذا صد عنه كل قرن يكالبه

أكر عليه الخيل تدمى نحورها ... أطاعنه طورا وطورا أضاربه

فكم من صريع قد تركت بمعزل ... عكوفا عليه طيره وثعالبه

وحصن منيع قد صبحت بغارة ... وأهل نعيم يضرب الطبل لاعبه

وقال أيضا وهو في السجن:

لنعم ابن أخت القوم يسجن مصعب ... لطارق ليل خائف ولنازل

ونعم الفتى يا ابن الزبير سجنتم ... إذا قلقت يوما ضفور الرحائل

فلو مت في قومي ولم آت عجزة ... يضعفني فيها امرؤ غير عادل

لأكرم بها من ميتة إن لقيتها ... أطاعن فيها كل خرق منازل

وما كنت أخشى أن أراني مقيدا ... على غير جرم وسط بكر بن وائل

وألفيتني يا ابن الزبير كأنما ... رميت بسهم من سهامك ناصل

فإن أنفلت لا تجمع الشمس بيننا ... ولا الليل إلا في القنا والقنابل

متى أدع فتيان الصعاليك يركبوا ... ظماء الفصوص نائمات الأباجل

تشبهها الطير السراع إذا اغتدت ... بفرسانها في السبسب المتماحل

تطير مع الأيدي إذا ارتفعت لها ... شمائلها ألحقنها بالمساحل

يقود رعان الخيل بي وبصحبتي ... كميت الأعالي بربري الأسافل

علينا دلاص من تراث محرق ... وترك جلا عنها مداس الصياقل

ومطردات من رماح ردينة ... وأتراس جون علقت بالشمائل

فلو شئت لم تسجن صديقا ولم تهب ... إليك بصقعاء المناكب بازل

من الجرب يمريها ودرتها دم ... إذا أمتريت أخلافها بالمناصل

أنا ابن أبي قيس فإن كنت سائلا ... بقيس تجدهم ذروة في القبائل

ألم تر قيسا قيس عيلان برقعت ... لحاها وباعت نبلها بالمغازل

ومازلت أرجو الأزد حتى رأيتها ... تقصر عن بنيانها المتطاول

ومقتل مسعود ولم **يثأروا** به ... وصارت سيوف الأزد مثل المناجل

وما خير عقل أورث الأزد ذلة ... تسب به أحياؤهم في المحافل." (١)

"فقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

فقلت كذاك الحب قد يحمل الفتى ... على الهول حتى يستقاد فينحر

فو الله ما أدري أتعجيل راحة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الحب والهوى ... إليك وما نفس من الناس يشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١١٧

فأنت أبا الخطاب غير منازع ... علي أمير ما مكثت مؤمر

فبت قرير العين أعطيت حاجتي ... أقبل فاها في الخلاء فأكثر

فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ... نقي الثنايا ذو غروب مؤشر

يرف إذا تفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد تحملوا ... وقد شق معروف من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فأما أفوتهم ... وأما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيق كما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... وما بي من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تبغيا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تدني عبرة تتحدر

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي ... ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... أما تتقي الأعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تبصر
على أنني قد قلت يا نعم قولة ... لها والعتاق الأرحبية تزجر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ... اللذيذ ورياها الذي أتذكر
فقمت إلى حرف تخون نيها ... سرى الليل حتى لحمها يتحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بلية لوح أو شجار ومؤسر
وماء بموماة قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث بها الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوت كأنه ... على شرف الأرجاء خام منشر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فطافت به مغلاة أرض تخالها ... إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصا على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للورد لولا زمامها ... وجذبي لها كانت مرارا تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها معصر
قصرت لها من جانب الحوض منشأ ... صغيرا كقيد الشبر أو هو أصغر
إذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قدى الكف مسأر
ولا دلو إلا القعب كان رشاءه ... إلى الماء نسع والجديل المظفر." (١)

"يقول لي الأصحاب هل أنت لاحق ... بأهلك إن الزاهرية لاهيا
لحقت وأصحابي على كل حرة ... وخود تباري الأحبشي المكاريا
ترامين بالأجواز في كل صفصف ... وأدنين من خلج البرين الذفاريا
إذا بلغت رحلي رجيع أملها ... نزولي بالموماة ثم ارتحاليا
مخففة يسري على الهول ركبها ... عجالا بها ما ينظرون التواليا
تخال بها ميت الشخاص كأنه ... قذى غرق يضحي به الماء طافيا
يشق على ذي الحلم أن يتبع الهوى ... ويزجر من أدناه أن ليس لا قيا
وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريع إذا لم أرض داري احتماليا

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٥١

وإني لأستحييك والخرق بيننا ... من الأرض أن تلقى أخا لي قاليا
وقائلة والدمع يحدر كحلها ... أبعد جرير تكرمون المواليا
فردي جمال الحي ثم تحملي ... فما لك فيهم من مقام ولا ليا
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت فإنني لا أبا ليا
بأي نجاد تحمل السيف بعدما ... قطعت قوى من محمل كان باقيا
بأي سنان تطعن القوم بعدما ... نزعت سنانا من قناتك ماضيا
ألم أك نارا يصطليها عدوكم ... وحرزا لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه ... وقابض شر عنكم بشماليا
ألا لا تخافا نبوتي في ملمة ... وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
إذا سركم أن تمسحوا وجه سابق ... جواد فمدوا وابسطوا من عنانيا
أنا ابن صريحي خندف غير دعوة ... تكون مكان القلب منها مكانيا
وليس لسيفي في العظام بقية ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا
جريء الجنان لا أهال من الردى ... إذا ما جعلت السيف من عن شماليا
أبالموت خشتني قيون مجاشع ... وما زلت مجنيا علي وجانيا
وما مسحت عند الحفاظ مجاشع ... كريما ولا من غاية المجد دانيا
دعوا المجد إلا أن تسوقوا كزومكم ... وقينا عراقيا وقينا يمانيا
تراغيتم يوم الزبير كأنكم ... ضباع بذي قار تمنى الأمانيا
وقال جرير يجيب الفرزدق:
لمن الديار كأنها لم تحلل ... بين الكناس وبين طلح الأعزل
ولقد أرى بك والجديد إلى بلى ... موت الهوى وشفاء عين المجتلي
نظرت إليك بمثل عيني مغزل ... قطعت حبالتها بأعلى يليل
وإذا التمست نوالها بخلت به ... وإذا عرضت بودها لم تبخل
ولقد ذكرتك والمطي خواضع ... وكأنهن قطا فلاة مجهل
يسقين بالأدمى فراخ تنوفة ... زغبا حواجبهن حمر الحوصل

يا أم ناجية السلام عليكم ... قبل الرواح وقبل لوم العذل

وإذا غدوت فباكرتك تحية ... سبقت سروح الشاحجات الحجل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

أو كنت أرهب وشك بين عاجل ... لقنعت أو لسألت ما لم أسال

أعددت للشعراء سما ناقعا ... فسقيت آخرهم بكأس الأول

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا ... وبنى بناءك بالحضض الأسفل

بيتا يحمم قينكم بفنائه ... دنسا مقاعده خبيث المدخل

ولقد بنيت أذل بيت يبتنى ... فهدمت بيتكم بمثلي يذبل

إني بنى لي في المكارم أولي ... ونفخت كيرك في الزمان الأول

أعيتك مأثرة القيون مجاشع ... فانظر لعلك تدعي من نهشل

وامدح سراة بني فقيم إنهم ... قتلوا أباك وثأره لم يقتل

ودع البراجم إن شربك فيهم ... مر عواقبه كطعم الحنظل

إني انصببت من السماء عليكم ... حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

من بعد صكي للبعيث كأنه ... خرب تنفج من حذار الأجدل

ولقد وسمتك يا بعيث بميسمي ... وضغا الفرزدق تحت حد الكلكل." (١)

"ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأقوام

ضربت معارفها الروامس بعدنا ... وسجال كل مجلجل سجام

ولقد أراك وأنت جامعة الهوى ... نثني بعهدك خير دار مقام

فإذا وقفت على المنازل باللوى ... فاضت دموعي غير ذات سجام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لوصلت ذاك فكان غير رمام

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١١٨

إني أواصل من أردت وصاله ... بحبال لا صلف ولا لوام
ولقد أراني والجديد إلى بلى ... في فتية طرف الحديث كرام
طلبوا الحمول على خواضع كالبرى ... يحملن كل معذل بسام
لولا مراقبة العيون أريننا ... مقل المها وسوالف الأرآم
ونظرن حين سمعن رجع تحيتي ... نظر الجياد سمعن صوت لجام
كذب العواذل لو رأين مناخنا ... بحزيز○ رامة والمطي سوام
والعيس جائلة الغروض كأنها ... بقر جوافل أو رعيل نعام
نصي القلوص بكل خرق مهمه ... عمق الفجاج مخرج بقتام
يدمى على خدم السريح أظلها ... والمرو من وهج الظهيرة حام
بات الوساد على ذراع شملة ... وثنى أشاجعه بفضل زمام
إن ابن آكلة النخالة قد جنى ... حربا عليه ثقيلة الأجرام
خلق الفرزدق سوءة في مالك ... ولخلف ضبة كان شر غلام
مهلا فرزدق إن قومك فيهم ... خور القلوب وخفة الأحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم ... والنازلون بشر دار مقام
لو غيركم علق الزبير وحبله ... أدى الجوار إلى بني العوام
كان العنان على أبيك محرما ... والكير كان عليه غير حرام
عمدا أعرف بالهوان مجاشعا ... إن اللئام علي غير كرام
تلقى الضفنة من بنات مجاشع ... تهذي استها بطوارق الأحلام
وقال جرير يجيب الفرزدق ويجمع معه البعيث والأخطل:
زار الفرزدق أهل الحجاز ... فلم يحظ فيهم ولم يحمد
وأخزيت قومك عند الحطيم ... وبين البقيعين والغرقد
وجدنا الفرزدق بالموسمين ... خبيث المداخل والمشهد
نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... بحقك تنفى عن المسجد
وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا ضللت ولم تهتد

وقد أجلوا حين حل العذاب ... ثلاث ليال إلى الموعد

وشبهت نفسك حوق الحمار ... خبيث الأواري والمرود

وجدنا جبيرا أبا غالب ... بعيد القرابة من معبد

أتجعل ذاك الكير من مالك ... وأين سهيل من الفرقد

وعرق الفرزدق شر العروق ... خبيث الثرى كابي الأزند

وأوصى جبير إلى غالب ... وصية ذي الرحم المجهد

فقال ارفقن بلي الكتيف ... وحك المشاعب بالمبرد

وجعثن حط بها المنقري ... كرجع يد الفالج الأحرد

تثاءب من طول ما أبركت ... تثاؤب ذي الرقية الأدرد

فهلا **ثأرت** ببنت القيون ... وتترك شوقا إلى مهدد

وهلا **ثأرت** بحل النطاق ... ودق الخلاخل والمعضد

فأصبحت تفقر **آثارهم** ... ضحى مشية الجاذف الأعقد

كليلا وجدتم بني منقر ... سلاح قتيلكم المسند

تقول نوار فضحت القيون ... فليت الفرزدق لم يولد

وفات الفرزدق بالكلبتين ... وعدل من الحمم الأسود

فرقع لجدك أكياره ... وأصلح متاعك لا يفسد

وأدن العلاة وأدن القدوم ... ووسع لكيرك في المقعد

قرنت البعيث إلى ذي الصليب ... مع القين في المرس المحصد

وقد قرنوا حين جد الرهان ... بسام إلى الأمد الأبعد

يقطع بالجري أنفاسهم ... بثني العنان ولم يجهد." (١)

"فإنا أناس نحب الوفاء ... حذار الأحاديث في المشهد

ولا نحتبي عند عقد الجوار ... بغير النجاد ولا نرتدي

شددتم حباكم على غدرة ... بجيشان والسيف لم يغمد

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٨٤

فلما احتبيت وأنت الذليل ... قعدت على است لدى قعدد

فبعدا لقوم أجاروا الزبير ... وأما الزبير فلم يبعد

أعبت فوارس يوم الغبيط ... وأيام بشر بني مرثد

ويوما ببلقاء يا ابن القيون ... شهدنا الطعان ولم تشهد

فصبحن أبجر والحوفزان ... بورد مشيح على الذود

ويوم البحيرين ألحقننا ... لهن أخاديد في القردد

نعض السيوف بهام الملوك ... ونشفي الطماح من الأصيد

وقال جرير للفرزدق لما تزوج حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان أبوها نصرانيا، وأراد الفرزدق أن يغيظ النوار بنت عين بن صنيعة بن ناجية بن عقال وكان الفرزدق تزوجها أعني النوار فأخبرت النوار جريرا بذلك وشكت الفرزدق إليه، فقال: أنا أكفيكه وقال:

لست بمعطي الحكم من شف منصب ... ولا عن بنات الحنظلين راغب

أراهن ماء المزن يشفى به الصدى ... وكانت ملاحا غيرهن المشارب

لقد كنت أهلا أن تسوق دياتكم ... إلى آل زيق أن يعيبك عائب

وما عدلت ذات الصليب ظعينة ... عتيبة والردفان منها وحاجب

ألا ربما لم نعط زيقا بحكمه ... وأدى إلينا الحكم والغل لازب

حوينا أبا زيق وزيقا وعمه ... وجدة زيق قد حوتها المقانب

ألم تعرفوا يا آل زيق فوارسي ... إذا اغبر من كر الطراد الحواجب

حوت هانئا يوم الغبيطين خيلنا ... وأدركن بسطاما وهن شوازب

صبحناهم جردا كأن غبارها ... شآبيب صيف يزدهين حاصب

بكل رديني يطارد متنه ... كما اختب سيد بالمراضين لاغب

جزى الله زيقا وابن زيق ملامة ... على أنني في ود شيبان راغب

أأهديت يا زيق بن زيق غريبة ... إلى شر من تهدى إليه الغرائب

فأمثل ما في صهركم أن صهركم ... مجيد لكم لي الكتيف وشاعب

عرفناك من حوق الحمار لخبثة ... وكان لضمات من القين غالب

بني مالك أدوا إلى القين حقه ... وللقين حق في الفرزدق واجب

أثائرة حدراء من جر بالنقا ... وهل في بني حدراء للوتر طالب

أتثأر بسطاما إذا ابتلت استها ... وقد بولت في مسمعيه الثعالب

ذكرت بنات الشمس والشمس لم تلد ... وأيهات من حوق الحمار الكواكب

ولو كنت حرا كان عشر سياقة ... إلى آل زيق والوصيف المقارب

وقال يجيب الفرزدق:

أقمنا وربتنا الديار ولا أرى ... كمربعنا بين الحنيين مربعا

ألا حب بالوادي الذي ربما نرى ... به من جميع الحي مرأى ومسمعا

ألا لا تلوما القلب أن يتخشعا ... فقد هاجت الأحزان قلبا مفزعا

وجودا لهند بالكرامة منكما ... وما شئتما أن تمنعا بعد فامنعا

وما حفلت هند تعرض حاجتي ... ولا نوم عيني الغشاش المروعا

بنفسي من جار على غربة النوى ... أراد بسلمانين بينا فودعا

كأن غماما في الخدور التي غدت ... دنا ثم هزته الصبا فترفعا

فليت ركاب الحي يوم تحملوا ... بحومانة الدراج أصبحن ظلعا

بني مالك إن الفرزدق لم يزل ... فلو المخازي مذ لدن أن تيفعا

رميت ابن ذي الكيرين حتى تركته ... قعود القوافي ذا علوب موقعا

وفقأت عيني غالب عند كيره ... وأقلعت عن أنف الفرزدق أجدعا

مددت له الغايات حتى نخسته ... جريح الذنابى قانيء السن مقطعا

ضغا قردكم لما اختطفت فؤاده ... ولابن وثيل كان خدك أضرعا." (١)

"وإنك قد أعطيت نصرا على العدا ... ولقيت صبرا واحتساب المجاهد

إذا جمع الأعداء أمر مكيدة ... لغدر كفاك الله كيد المكايد

وإنا لنرجو أن ترافق عصبة ... يكونون للفردوس أول وارد

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٨٥

تمكنت من حيي معد من الذرى ... وفي اليمن الأعلى كريم الموالد
وما زلت تسمو للمكارم والعلا ... وتعمر عزا مستنير الموارد
إذ عد أيام المكارم فافتخر ... بأيامك الشم الطوال السواعد
وكم لك من بان رفيع بناؤه ... وفي آل صعب من خطيب ووافد
يسرك أيام المحصب ذكرهم ... ويوم مقام الهدي ذات القلائد
بنيت المنار المستنير على الهدى ... فأصبحت نورا ضوؤه غير خامد
بنيت بناء لم ير الناس مثله ... يكاد يوازى سوره بالفراقد
وأعطيت ما أعيي القرون التي مضت ... فنحمد مولانا ولي المحامد
لقد كان في أنهار دجلة نعمة ... وحظوة ﭽد للخليفة صاعد
عطاء الذي أعطى الخليفة ملكه ... ويكفيه تزفار النفوس الحواسد
فإن الذي أنفقت حزما وقوة ... تجيء بأضعاف من الربح زائد
جرت لك أنهار بيمن وأسعد ... إلى زينة في صحصحان الأجالد
ينبتن أعنابا ونخلا مباركا ... وحبا حصيدا من كريم الحصائد
إذا ما بعثنا رائدا يطلب الندى ... أتانا بحمد الله أحمد رائد
فهل لك في عان وليس بشاكر ... فتطلقه من طول عض الحدائد
يعود وكان الحنث منه طبيعة ... وإن قال إني معتب غير عائد
فلا تقبلوا ضرب الفرزدق إنه ... هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد
ندمت وما تغني الندامة بعدما ... تطوحت من صك البزاة الصوائد
فكيف نجاة للفرزدق بعدما ... ضغا وهو في أشداق أغلب حارد
يلوي استه مما يخاف ولم يزل ... به الحين حتى صار في كف صائد
بني مالك إن الفرزدق لم يزل ... كسوبا لعار المخزيات الخوالد
وإنا وجدنا إذ وفدنا عليكم ... صدور القنا والخيل أنجح وافد
ألم تر يربوعا إذا ما ذكرتها ... وأيامها شدوا متون القصائد
فمن لك إن عددت مثل فوارسي ... حووا حكما والحضرمي بن خالد

وقال جرير يمدح هلال بن أحوز المازني، ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ويهجو الفرزدق وبني طهية:

أمن ربع دار هم أن يتغيرا ... تراوحه الأرواح والقطر أعصرا

وكنا عهدنا الدار والدار مرة ... هي الدار إذ حلت بها أم يعمرا

ذكرنا بها عهدا على الهجر والبلى ... ولا بد للمشعوف أن يتذكرا

أجن الهوى ما أنس لا أنس موقفا ... عشية جرعاء الصريف ومنظرا

تباعد أهل الوصل مذ حل أهلنا ... بقو وحلت بطن غول فعرعرا

عشية تسبي القلب من غير ريبة ... إذا سفرت عن واضح اللون أزهرا

أتى دون هذا النوم ٥م فأسهرا ... أراعي نجوما تاليات وغورا

أقول لها من ليلة ليس طولها ... كطول الليالي ليت صبحك نورا

حذارا على نفس ابن أحوز إنه ... جلا كل وجه من معد فأسفرا

أخاف عليه أنه قد شفى جوى ... وأبلى بلاء ذا حجول مشهرا

ألا رب سامي الطرف من آل مازن ... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أتنسون شدات بن أحوز معلما ... إذا الموت بالموت ارتدى و تأزرا

فأدرك ثأر المسمعين بسيفه ... وأغضب في يوم الخيار فنكرا

جعلت بقبر للخيار ومالك ... وقبر عدي في المقابر أقبرا

شفيت من الآثار خولة بعدما ... دعت لهفها واستعجلت أن تخمرا

وغرقت حيتان المزون وقد رأوا ... تميما وعزا مناكب مدسرا

فلم تبق منهم راية يرفعونها ... ولم تبق من آل المهلب عسكرا." (١)

"نور أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدي

يا رب فاجمعنا معا ونبينا ... في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس واكتبها لنا ... يا ذا الجلال وذا العلى والسؤدد

والله أسمع ما حييت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٩٦

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم تجحد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد
فرحت نصارى يثرب ويهودها ... لما توارى في الضريح الملحد
وقال حسان يرثي حمزة بن عبد المطلب: السريع
هل تعرف الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السراديح فأدمانة ... فمدفع الروحاء في حائل
سألتها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشيزى إذا أعصفت ... غبراء في ذي السنة الماحل
التارك القرن لدى قرنه ... يعثر في ذي الخرص الذابل
واللابس الخيل إذا أحجمت ... كالليث في غاباته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل
ما لشهيد بين أرحامكم ... شلت يدا وحشي من قاتل
إن امرءا غودر في ألة ... مطرورة مارنة العامل
أظلمت الأرض لفقدانه ... واسود نور القمر الناصل
صلى عليك الله في جنة ... عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزا لنا ... من كل أمر نائب نازل
وكان في الإسلام ذا تدرإ ... لم يك بالواني ولا الخاذل
لا تفرحي يا هند واستحلبي ... دمعا وأذري عبرة الثاكل
وابكي على عتبة إذ قطه ... بالسيف تحت الرهج الجائل
إذ خر في مشيخة منكم ... من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أسرة ... يمشون تحت الحلق الذابل
غداة جبريل وزير له ... نعم وزير الفارس الحامل

قيس بن الخطيم

وقال قيس بن الخطيم بن عبد بن عمرو بن سوادة بن ظفر الأنصاري: الطويل

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وبانت فأمسى ما ينال لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ... ولا جارة أفضت إلي خباءها

إذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح رشاءها

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

ضربت بذي الزرين ربقة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائما من دونها ما وراءها

يهون علي أن ترد جراحه ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها

وإني في الحراب الضروس موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها

إذا سقمت نفسي إلى ذي عداوة ... فإني بنصل السيف باغ دواءها

متى يأت هذا الموت لم تلق حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وكانت شجا في الحلق ما لم أبؤ بها ... فأبت بنفس قد أصبت دواءها

وقد جربت منا لدى كل مأقط ... دحي إذا ما الحرب ألقت رداءها

وإنا إذا ما ممترو الحرب بلحوا ... نقيم بآساد العرين لواءها

ونلحقها مبسورة ضيزنية ... بأسيافنا حتى نذل إباءها

وإنا منعنا في بعاث نساءنا ... وما منعت مل مخزيات نساءها

وقال قيس:

أجد بعمرة غنيانها ... فتهجر أم شأننا شأنها." (١)

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٢٨٠

"لم يدركوها وألهتهم أناتهم ... حتى أتى دونها سلمان أو أقر
فأصبحت في بني شيبان مسلحة ... يعيرهم بعضهم بعضا وتؤتجر
حتى أتيتكم من بعد مخلفها ... بعد السفاد وحبلاهن تنتظر
جزت نواصيها بيض غطارفة ... من وائل أن نعمى سيبهم درر
بكر وتغلب ساموك التي جعلت ... لون التراب على خديك يا كفر
الواهبون لكم أطهار نسوتكم ... لم يجزها منكم نعمى ولا أثر
يا بن المراغة لم تفخر بمفخرة ... بعد الرداف من المسبية العقر
أنا ابن جلهم يا ابن الأخبثن أبا ... وابن جساس وتيم حين أفتخر
المصدري الأمر قد أعيت مصادره ... والمطعمي الشحم حتى يرسل المطر
وقادة اليمن والمجسور أثرهم ... يوم المهمة والجلى إذا جسروا
والوالدين ملوكا كنت تعبدهم ... من قبل سجحة في علياتك السخر
والمانعين بإذن الله محمية ... بني تميم ونار الحرب تستعر
قدنا تميما لأيام الكلاب معا ... فاستعثروا جد أقوام وما عثروا
ويوم تيمن نحن الناحرون بها ... جبار مذحج والجبار ينتحر
هلا سألت بنا حسان يوم كبا ... والرمح يخلجه والخد منعفر
وإذ أغار شميط نحو نسوتنا ... غرنا عليهن إنا معشر غير
ذدنا الخميس ولم نفعل كفعلكم ... بالضرب شذبت الهامات والقصر
فأصبحوا بين مقتول ومؤتسر ... شدت يداه إلى الليتين تؤتسر
ويوم سخبان أبرمنا بواحدة ... للناس أمرهم والأمر منتشر
ويوم دجلة أكداس يجرعها ... كأس الفطيمة فيها الصاب والمقر
ويوم سعد وصحنى قرقرى لحقت ... منا فوارس لا ميل ولا ضجر
يوم اعتنقنا سويدا والقنا قصد ... والخيل تعدو عليها عثير كدر
ولم تزل كمكان النجم نسوتنا ... إذ مردفاتك تسبى ما لها مهر
نغزو فنسبي ولا تسبى حلائلنا ... إن القتال لتيم طائر أمر

إنا لبطن حصان غير ضائعة ... يا بن التي حملته وهي تمتذر

لم يخزنا موقف كنا نقوم به ... ولا يجير علينا ثأرنا الغير

ما نالنا الضيم إنا معشر شمس ... من دون أحسابنا والموت محتضر

وإن نبعتنا صلب مكاسرها ... فلا نخور إذا ما خارت العشر

أخطار صدق إذا قمنا نقوم بها ... وابن الأتان جرير ماله خطر

دع الرباب وسعدا لست نائلها ... هيهات هيهات منك الشمس والقمر

هم أسرع الناس إدراكا إذا طلبوا ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

مدوا بسيل أتي لست حابسه ... وليس سيلهم يلفى إذا زخروا

كانوا قديما أشد الناس معتمدا ... في الأولين وفي الحلف الذي غبروا

ولو يشاؤون ماتت من مخافتهم ... أدنى الأسود وأقصاهم إذا زأروا

كانوا إذا الأمر أعيتكم مصادره ... يكفونه وإذا ما هبتم جسروا

قد علمت يومها هذا بنو الخطفى ... إني مرافعتي فوق الذي قدروا

سيعلمون إذا ما قيل أيهما ... يا بن المراغة إني سوف أنتصر

وصرح الأمر عن بيض مشهرة ... مني سوابق في أعناقها البشر

بالنصر والله لم ينصر بني الخطفى ... والمؤمنون إذا ما استنصروا نصروا

ما زال حين جرير عن بني الخطفى ... يغشى بني الخطفى موج وما مهروا

حتى التقى ساحل التيار فوقهم ... لا بحر إلا لغاشي موجه جزر

أمسى كفرعون إذا يقتاد شيعته ... يرجو الجسور فما كروا وما جسروا

فما حمى ناكح الموتى بني الخطفى ... حتى يفرعهم مني الذي حذروا." (١)

"وذد عن حماه ما عقدت حباله ... بحبلك واستره بما لك من ستر

وخالي ابن جواس سعى سعي ماجد ... فأدى إلى حيي قضاعة من بكر

لعمري لقد أعطى ابن ضمرة ماله ... رفاقا من الآفاق مختلفي النجر

قرى مائة أحمى لها ونفوسها ... على حين لا يعطي الكريم ولا يقري

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٣٢٤

ألا إن قومي راكزون رماحهم ... بما بين فلج والمدينة من ثغر
يذودون كلبا بالرماح وطيئا ... وتغلب والصيد النواظر من بكر
ألا إن قومي لا يجن بيوتهم ... مضيق من الوادي إلى جبل وعر
ونحن منعنا بالتناضب قومنا ... وبتنا على نار تحرق كالفجر
تضيء على القوم الكرام وجوههم ... طوال الهوادي من وارد ومن شقر
نقائذ أمثال القنا أعوجية ... وجردا تداوى بالغريض وبالنقر
نعودها الأقدام في كل غمرة ... وكرا بأيد لا قصار ولا عسر
ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يريح وإنما ... تفرج أيام الكريهة بالصبر
كأن رماح القوم في غمراته ... نواشط فراط نواضح في بئر
ونحن فلينا لابن طيبة رأسه ... على مفرق الغالي بأبيض ذي أثر
ونحن خضبنا للخطيم قميصه ... بدامية نجلاء من واضح النحر
وحي سليط قد صبحنا ووائلا ... صبوح منايا غير ماء ولا خمر
وليلة زيد الخيل نالت جيادنا ... مناها وحظا من أسارى ومن ثأر
ونحن ثأرنا من سمي ورهطه ... وظبيان ما في حي ظبيان من وتر
وقاظ ابن ذي الجدين وسط بيوتنا ... وكرشاء في الأغلال والحلق السمر
ونحن حبسنا الخيل أن يتأوبوا ... على شجعات والجياد بنا تجري
حبسناهم حتى أقروا بحكمنا ... وأدي أثقال الخميس إلى صخر
أبي فارس الجونين قد تعلمونه ... ويوم خفاف سار في لجب مجر
ونحن رأبنا بين عمرو ومالك ... كما شد أعضاد المهيضة بالجبر
مئين ثلاثا بعدما انشقت العصا ... وقد أسلم الجاني وأتعب ذو الوفر
ولما رأى الساعون زلخا مزلة ... وسد الثنايا غير مطلع وعر
نهضنا بأثقال المئين فأصبحت ... عشيرتنا ما من خبال ولا كسر
بعرج يصم الراعيين حنينه ... ويجهد يوم الورد ثائبة الجفر

ومنا الذي أدى من الملك مازنا ... جميعا فنجاها من القتل والأسر

ونحن حوينا بالقنا يوم عانط ... طريفا ومولاها طريف بني عمرو

ومولى تداركناه من سوء صرعة ... وقد قذفته الحرب في لجج خضر

كما انتاش مغمورا من الموت سابح ... بأسباب صدق لا ضعاف ولا بتر

لنا هضبة صماء من صلب مالك ... وأسد فراء لا توزع بالزجر

إذا نهشل ثابت إلي فما بنا ... إلى أحد إلا إلى الله من فقر

يعارض أرواح الشتآن جابر ... إذا أقبلت من نحو حوران أو مصر

وقد علمت جمخ القبائل أنني ... إذا ما رميت القوم أسمع ذا الوقر

برجم قواف تخرج الخبء في الصفا ... وتنزل بيضات الأنوق من الوكر

وقال نهشل يرثي كثير بن الصلت الكندي، وكتبتها لجودتها، وهي قطعة ولم أدخلها في القصائد لأن شرطي القصائد:

حلفت فلم افجر بحيث ترقرقت ... دماء الهدايا من منى وثبير

لنعم الفتى عالى بنو الصلت نعشه ... وأكفانه يخفقن فوق سرير

كأنك يا بن الصلت لم تحم مجحرا ... مضافا ولم تجبر فناء فقير

ولم تقض حاجات الوفود ولم تقل ... لبيض مصاليت ارحلوا بهجير

رأى في المطايا ذات أشعب تامك ... فكاست برجل في المناخ عقير

فظلت عتاق الطير تعفو مناخة ... على سقط من لحمها وبقير." (١)

"فقال تعالي نجعل الله بيننا ... على مالنا أو تنجزي لي آخره

فقالت يمين الله أفعل إنني ... رأيتك مسحورا يمينك فاجره

أبى لي قبر لا يزال مقابلي ... وضربة فأس فوق رأسي فاقره والقصة في الأساطير العربية أن أخوين خربت بلادهما فأرادا انتجاع مرعى، وكان في جوارهما واد فيه حية قد حمته، فنزلاه، فعدت الحية على أحدهما فقتلته، فحلف أخوه ليأخذن **بثأره**، فلما لقيها ليقتلها عرضت عليه الصلح وأن تعطيه دية أخيه، كل يوم دينارا، وحلف كلاهما للآخر، حتى كان أن تذكر الرجل أخاه، وكأنه وجد من العار أن يقبل الدية بديلا عن **الثأر**،

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٣٥٠

فلما حاول قتلها أخطأها، وأصاب صفاة كانت عند جحرها، ثم ندم لما فاته الذحل ؟كما يقول النابغة – فأراد أن يتعاهدا ثانية، فأبت الحية ذلك، وقالت له: "كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " ؟.

أما في خرافات إيسوب فخلاصة القصة أن حية قتلت ابنا لأحد المزارعين، فغضب، وحمل فأسه وذهب إلى وكر الحية ولبث يترقب ظهرها ليضربها حالما تبرز، فلما أخرجت الحية رأسها أهوى عليها المزارع بفأسه ولكنه أخطأها وأصاب صخرة كانت هنالك، ثم عرض على الحية نوعا من التسوية والمصالحة، فقالت له الحية: لا، لأني لا أستطيع أن أحس بمشاعر الصداقة نحوك بعد أن رأيت أثر فأسك في الصخرة، وأنت لا تستطيع أن تنسى حين تنظر إلى قبر ابنك (١) . والمقتول ؟حسب الرواية العربية – أخ لا ابن، كما أن هناك عنصرا هاما قد حذف من الرواية اليونانية وهو الذهب، فالحية حسب الرواية العربية قبلت المصالحة، وأخذت تعطي الرجل كل يوم دينارا، فلما استشعر الغنى رأى أنه لم يعد بحاجة إلى الحية، وأخذ يتذكر ما كان من فقد أخيه، ولكن للقصة رواية لاتينية لا تتحدث أولا عن مقتل ابن أو أخ، وإنما عن صداقة عقدت بين رجل وحية، يقدم الرجل بموجبها اللبن للحية وتقدم الحية إليه ذهبا، وأن زوجة الرجل أشارت عليه بقتل الحية، بعد إذ أصبح الذهب لديه وفيرا، وحين أخطأ الرجل الحية وأثرت ضربته في الصخر، هاجمت الحية غنمه وقضت على عدد كبير منها، ثم قتلت ابنه فأشارت عليه زوجته مرة أخرى أن يصالح الحية، وحين حاول الرجل ذلك وأخذ قعبا من لبن

(١) دالي رقم: ٥١، ص: ١١٥ وملحق بابريوس رقم: ٥٧٣ ص: ٥٢٩.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٣ """""""""

والشر ، وتوبس الأرحام المبلولة بالبر . وهي أم من أمهات الآثام نثور غير نزور ولادة بنات كلهن نثور ، فعليك أن تمحض منها التوبة . وتذكر ما جرى بين ثور وتوبه حين استعر بينهما اللحاء وجرد العوفي للخفاجي العصا على اللحاء . فثار عليه بفظاظته وعنفه ، وجرحه تحت البيضة بجرزه على انفه واستجر بذلك على حلمة ثديه تحت مرفع ترسه رشقة خفاجية أتت على نفسه ، ثم ركب السليل سليل بن أبي سمعان

(١) ملامح يونانية في الأدب العربي، ص/٧٤

، الفتى السياف الطعان ، وهو يمسح بحوافر خيله نجدا بعد غور . طلابا لثأر أبيه ثور ، حتى أصاب ببيت هند." (١)

"يقول: أتنمعم علي هذه المحبوبة التي كالظبية بالعودة الثانية إلى الوصال، التي كان إعطاؤها مرة واحدة لا ثاني لها؟ فكان وصلها كالوسمي الذي لا يتبعها الولي. فجعل الوسمي مثلا للأول، والولي مثلا للعودة.

ترشفت فاها سحرة فكأنني ... ترشفت حر الوجد من بارد الظلم

إنما خص السحرة، لأنه وقت تغير الأفواه ونكهاتها، والظلم: ماء الأسنان، وبريقها.

يقول: مصصت فاها وقت السحر، فكأنني مصصت حر الوجد من أسنان بوارد. يعني: لما استعذبت ازددت عشقا، فازداد بذلك وجدي، وحصل حر الوجد في قلبي، والبرودة في فمي، كما قال في موضع آخر وهو:

بفي برود وهو في كبدي جمر!

فتاة تساوي عقدها وكلامها ... ومبسمها الدري في الحسن والنظم

يقول: تشابهت منها ثلاثة أشياء وهي: عقدها المنتظم من الدر، وكلامها الشبيه: الدر، وثغرها الذي تبسمت عنه كالدر فهي مشابهته في حسنها ونظامها وهو أبلغ من قول البحتري:

فمن لؤلؤ تبديه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

لأنه زاد عليه ذكر العقد.

ونكهتها والمندلي وقرقف ... معتقة صهباء في الريح والطعم

المندلي: أراد به العود. والقرقف: الخمر. والصهباء: البيضاء المشربة حمرة، وهي صفة الخمر.

يقول: هذه الثلاثة أيضا متشابهة وهي الرائحة: فمنها العود الذي يبخر به، ومنها الخمرة الصافية فهي متشابهة في الريح والطعم فللعود نكهتها، وللخمر طعمها، ورائحة فمها.

جفتني كأني لست أنطق قومها ... وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

الشهب: الخيل البيض. والدهم: السود.

يقول جفتني هذه المرأة كأني لست أنطق قومها نظما ونثرا، وكأني لست أطعنهم إذا إلا على خيل دهم وشهب، وعذار قد اسودت فكأنها دهم، فكأنه يقول: لست ذليلا في قومها مذموما جبانا حتى تجفوني.

يحاذرني حتفي كأني حتفه ... وتنكزني الأفعى، فيقتلها سمي

---

(١) مقامات الزمخشري، ص/٢٧٣

النكرة: الغرزة بشيء مثل الإبرة. يقال: نكزته الأفعى: إذا غرزته ولم تعضه يقول: يخاف من موتي كأني موت للموت! وتنكزني الأفعى فتموت! فكأني قتلتها بسمي، حتى كأني دونها، وكل ذلك إشارة إلى قوته وشجاعته.

طوال الردينيات يقصفها دمي ... وبيض السريجيات يقطعها لحمي

الردينيات: الرماح والسريجيات: السيوف. ويقصفها: يكسرها.

يقول: إن الرماح والسيوف لا تؤثر في أبدا، ولحمي ودمي يؤثران فيها، ويكسرانها ويقطعانها. وقيل: أراد: أني عزيز في قومي. فمن أراد قتلي كثر الضرب والطعن عليه، في طلب **ثأري**، حتى تكسر الرماح والسيوف عليه.

برتني السرى برى الدى فرددنني ... أخف على المركوب من نفسي جرمي

السرى: مؤنثة، وقد جعلها جمعا للسرية؛ فلذلك قال: رددنني، والأولى في أخف الرفع؛ لأنه وما بعده جملة من مبتدأ وخبر، فهو وإن وقع موقع الحال فلا يتغير الإعراب من حيث الصورة، ويجوز فيه النصب على بعض الوجوه.

يقول: أنحفتني السرى حتى قطعتني كقطع السكاكين فتركتني خفيفا غاية الخفة، حتى كأني على المركوب أخف جرما من نفسي؛ لأنه من أخف الأشياء.

وأبصر من زرقاء جو لأنني ... إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

زرقاء جو: هي زرقاء اليمامة، وكانت موصوفة بحدة البصر وقد روى شأواهما علمي: وهي تثنية الشأو، وهو الغاية. أي غايتهما علمي والتثنية للعينين أي سابقهما وهو فاعل من شاء إذا سبق وروى سأواهما علمي يقول ردني السرى خفيفا بصيرا أبصر من هذه المرأة؛ لأنها أبصرت بعينها، وأنا أبصر بالقلب والعلم. علمي يسبق نظر عيني فقبل إبصار العينين تبصر عيني كما هو عليه.

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها ... كأني بني الإسكندر السد من عزمي

يقول: كأنني من خبرتي، ومعرفتي بالأرض، دحوت الأرض لكثرة ترددادي بها، وكأن الإسكندر بنى سد يأجوج ومأجوج من عزمي؛ لقوته، ورفعته، ومضائه في الأمور.

لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه ... فأبدع حتى جل من دقة الفهم

أي كأن الإسكندر بنى السد من عزمي الذي صممته على قصد ابن إسحق وكأني دحوت الأرض من خبرتي

بها لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه وعظم إبداعه حتى ارتفع أن يوصف بدقة الفهم. وهو المراد بقوله: حتى جل عن دقة الفهم. وقيل: برتني السرى بري المدى لألقى هذا الرجل.." (١)

"فليس بواهب إلا كثيرا ... وليس بقاتل إلا قريعا

القريع: السيد الشريف.

يقول: إن الممدوح لا يهب إلا كثيرا، وإذا قتل، لا يقتل إلا سيدا شجاعا كريما مقارعا.

وليس مؤدبا إلا بنصل ... كفى الصمصامة التعب القطيعا

كفى: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما التعب، والثاني القطيع، وهو السوط. تقديره: كفى الصمصامة القطيع التعب.

يقول: إنه لا يؤدب إلا بسيف فيقيمه في التأديب مقام السوط، فيكفي السوط التعب والعناء.

علي ليس يمنع من مجيء ... مبارزه ويمنعه الرجوعا

يقول: إنه لا يمنع مقاتله من المجيء إلى قتاله ونزاله، ولكنه إذا أراد أن ينصرف، منعه من الانصراف بقتله، فينتفي الرجوع.

علي قاتل البطل المفدى ... ومبدله من الزرد النجيعا

المفدى: الذي يفديه كل واحد من الناس، لشجاعته. والزرد: الدرع. والنجيع: الدم الطري. وقيل: دم الجوف.

يقول: إنه يقتل البطل الذي يفديه الناس لشجاعته، ويسلبه درعه ويلبسه بدل الدرع الدم الطري، الذي يخرج منه بالضرب والطعن.

إذا اعوج القنا في حامليه ... وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا

في حامليه: يجوز أن يريد به، المطعونين. ومعناه: إذا صارت الرماح معوجة في المطعونين، ونفذ ذلك الرمح من ضلع إلى ضلع آخر، أي يخرج من جانب إلى جانب آخر، من هذا المطعون إلى مطعون آخر، وجواب هذا الكلام، بعد البيت الذي يليه. ويجوز أن يريد بحامليه: أعداء الحاملين للرمح. وإنما خص الرمح؛ لأن طعن الرمح أدل على الفروسية والشجاعة، لأنه يقابل مثل سلاحك.

ونالت ثأرها الأكباد منه ... فأولته اندقاقا أو صدوعا

الهاء: في منه ترجع إلى لفظ القنا وكذلك أولته. وفي ثأرها للأكباد.

---

(١) معجز أحمد، ص/٦٧

يقول: إذا اعوج القنا، وانصدع واندق في الأكباد، فكأن الأكباد نالت **ثأرها** من الرماح بهذا الاندقاق فأعطت الأكباد القنا اندقاقا أو صدوعا.

فحد في ملتقى الخيلين عنه ... وإن كنت الغضنفرة الشجيعا

إن اسِ تجرأت ترمقه بعيدا ... فأنت اسطعت شيئا ما استطيعا

وروى: الخبعثنة فحد: أمر حاد يحيد، إذا تأخر عن المحاربة: والهاء في عنه: للممدوح، والغضنفرة: من صفات الأسد.

يقول: إذا اشتدت الحروب، واعوج القنا، ونالت الأكباد **ثأرها** من الرماح، فحد عنه، يا من يريد مبارزته عند التقاء الجيشين، وإن كنت أسدا شديدا شجاعا، فإنه يقتلك لا محالة فتهلك.

وإن ماريتني فاركب حصانا ... ومثله تخر له صريعا

أي: إن خاصمتني، أو شككت في قولي روى: حصانا وجوادا وصريعا نصب على الحال.

يقول: إن خاصمتني أو شككت في إخباري من حال هذا الممدوح، فاركب فرسا جوادا ومثله في قلبك نصب عينيك، وإن كان غائبا عنك فإنك تسقط من هيبته هالكا.

غمام ربما مطر انتقاما ... فأقحط ودقه البلد المريعا

البلد المريع، والممرع: هو الخصيب والمخصب وزنا ومعنى.

يقول: إنه غمام يمطر خيرا ونعمة إلا أنه ربما يمطر انتقاما فيقحط قطره البلد الخصيب.

رآني بعد ما قطع المطايا ... تيممه وقطعت القطوعا

رأى: فعل الممدوح، وتيممه: فاعل قطع. والمطايا: مفعوله. وقطعت: فعل المطايا. والقطوع: مفعوله. وهو جمع القطع، وهو الطنفسة على ظهر البعير.

يقول: رآني الممدوح، بعد ما قطع المطايا، وأتبعها سيري إلى الممدوح وقصدي إياه، وقطعت المطايا الطنافس التي عليها؛ لطول ملازمتي لها؛ وكل ذلك لطول الطريق وبعد المسافة ومقاساة الشدائد. يذكر ذلك توصلا إلى فضل عطاياه.

فصير سيله بلدي غديرا ... وصير خيره سنتي ربيعا

يقول: لما رآني أعطاني إعطاء واسعا، حتى جعل سيله بلدي غديرا: وهو مقر الماء. وصير خيره سنتي كلها ربيعا؛ لأنه أفضل فصول السنة.

وجاودني بأن يعطي وأحوى ... فأغرق نيله أخذي سريعا

جاود: فاعل من الجود.

يقول: جاد علي بالعطاء وجدت عليه بالاحتواء والأخذ فجعل أخذه منه جودا، لأنه كان يعد أخذه نعمة من جملة النعم عليه. فأغرق نيله وإعطاؤه أخذي بسرعة: أي لم يبلغ أخذي عطاؤه، فكأنه غرق أخذي.

أمنسي السكون وحضرموتا ... ووالدتي وكندة والسبيعا." (١)

"المعنى: لهذا الممدوح، أو لقومه محامد ومفاخر، قد استفرغت شعري في وصفها ليملأها شعري، فآل عن أجزاء ما امتلأت المحامد منه، ولا فني شعري أيضا فأنا أبدا أمدحهم، فلا شعري ينفد، ولا هو يبلغ كنه وصفهم.

مكارم لك فت العالمين بها ... من يستطيع لأمر فائت طلبا

فت: أي سبقت.

يقول: لك مكارم سبقت جميع الخلق بها فلم يدركوا فيها شأوك، ولا يقدر أحد على رده ولا طلبه.

لما أقمت بأنطاكية اختلفت ... إلي بالخبر الركبان في حلبا

أنطاكية على مسيرة يومين من حلب.

يقول: لما أقمت بأنطاكية تزودت الركبان بالخبر من عندك، وأنا بحلب، فذكروا وصولهم إلى النعم الجزيلة والأيادي الجميلة.

فسرت نحوك لا ألوي على أحد ... أحث راحلتي: الفقر والأدبا

نصب الفقر والأدب؛ لأنهما بدل من راحلتي.

يقول: لما عرفت الحال سرت نحوك غير ملتف إلى أحد من الناس دونك، وحثثت نحوك راحلتين: وهما الفقر والأدب، لتزيل عني الفقر وتشرفني بالإكرام لأجل الأدب.

أذاقني زمني بلوى شرقت بها ... لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

الانتحاب، والنحيب: تردد البكاء في الصدر، والهاء في بها وذاقها: للبلوى. وبكى، وعاش، وانتحب: فعل الزمن.

يقول شاكيا من زمانه: إنه أذاقني من بلاه ومحنه ما نشب في حلقي فشرقني، ولو ذاق الزمان ما أذاقني، لبكى

---

(١) معجز أحمد، ص/٧٦

وانتحب ما عاش!

وإن عمرت جعلت الحرب والدة ... والسهمري أخا والمشرفي أبا

يقول: إن طال عمري جعلت الحرب والدتي؛ فأعتني بأمرها كما يعتني الرجل بأمر والدته، والرمح أخا والسيف أبا: يعني لازمت الحرب، والرمح والسيف، كما يقال: فلان ابن بجدة هذا الأمر، وفلان أخو فلوات، وأراد: في إدراك ثأري من الزمان وأهله.

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما ... حتى كأن له في قتله أربا

الأرب: الحاجة. وبكل رجل أشعث: أي أغبر معاود للحرب، يلقى الموت وهو ضاحك، حتى يظن أن له حاجة في أن يقتل. والمراد بالموت: علاماته. ومثله لأبي تمام:

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

قح يكاد صهيل الجرد يقذفه ... عن سرجه مرحا بالعز أو طربا

القح: الخالص من كل شيء، والجرد: جمع أجرد، وجرداء: وهو القصير الشعر، وقيل: هو الذي يتجرد من الخيل ويسبقها.

يقول: بكل أشعث خالص في نسبه عربي يكاد يرميه صهيل الخيل عن سرجه مرحا وشوقا إلى الحرب، سرورا بالموت.

الموت أعذرلى، والصبر أجمل بي ... والبر أوسع، والدنيا لمن غلبا

يقول: إن الموت يعذرني إذا قتلت شوقا إليه، والصبر أجمل بالحر من احتمال الضيم، والبر أوسع بمن يريد العز إن لم يكن في هذا الموضع يطلبه في موضع آخر، والدنيا لمن غلب. وجميع البيت مثل ضربه.

وقال أيضا يمدحه ويذم الزمان:

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما يهب اللئام

فؤاد: خبر ابتداء محذوف، وتقديره: فؤادي فؤاد، وهذا فؤاد، وكذلاك في قوله: وعمر. وما الأولى للنفي، والثانية: بمعنى الذي. واللئام: جمع لئيم، وهو من يجمع ثلاثة أحوال: البخل، ومهانة النفس، والدناءة في الأصل.

يصف بعد همته وعلو قدره وعزة مطلبه فيقول: إن فؤادي لا يغلبه شرب الخمر، ولا يسليه السكر عما يطلبه من الشرف والعلو، ولي عمر منكد منغص مثل هبة اللئيم التي تكون منغصة حقيرة؛ فلقصر عمر أخاف ألا

أدرك مطلوبي وقيل غرضه في ذلك شكاية حاله، وضيق صدره، وقصر عمره، وتنغيص حياته، وإنه صار إلى حد لا يسليه الشراب. هذا مثل قصار الهمم، وإن كانوا طوال العمر.

ودهر ناسه ناس صغار ... وإن كانت لهم جثث ضخام

الجثث: جمع الجثة، وهي شخص الإنسان ما دام حيا جالسا أو نائما، فإذا كان قائما فهو قامة.

يذم أهل الدهر فيقول: إن الدهر دهر، أو هذا دهر، أهله صغار، ليس لهم همة مع عظم أجسامهم، التي هي مثل: جسم البغال وأحلام العصافير وهذا مثل.

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

الرغام والرغام: التراب.." (١)

"أحامقه حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وكلمة في طريق خفت أعربها ... فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن

اللحن بالسكون: العدول بالكلام عن ظاهره. كقوله تعالى: " ولتعرفنهم في لحن القول " أي بتعريضهم في القول. واللحن بالتحريك: الخطأ في الإعراب.

يقول: رب كلمة خفت في إظهارها، فلم أقدر على أن ألحن فيها؛ لأني مطبوع على الصواب في الإعراب.

قد هون الصبر عندي كل نازلة ... ولين العزم حد المركب الخشن

يقول: قد جعل الصبر كل بلية تنزل بي خفيفة هنية، وأمضيت عزمي فيما أردت، فلين لي كل صعب خشن.

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة ... وقتلة قرنت بالذم في الجبن

القتلة بالفتح: المرة الواحدة. وبالكسر: اسم للحالة. والفتح الوجه الوجيه ها هنا.

يقول: كم شجاع خاض الهلاك فتخلص منه، واكتسب علا وذكرا حسنا، وكم جبان في الحرب لم ينفعه حذره، فقتل واكتسب به مع قتله ذما.

لا يعجبن مضيما حسن بزته ... فهل يروق دفينا جودة الكفن

المضيم: الذي أصابه الضيم. والبزة: اللباس.

يقول: إن الذليل لا يعجبه حسن لباسه، مع كونه ذليلا، فإنه بمنزلة الميت المكفن في ثياب جيدة، كما أنه لا ينفع الميت جودة الكفن وحسنه، فكذلك لا ينفعه حسن بزته.

---

(١) معجز أحمد، ص/٨٥

لله! حال أرجيها وتخلفني ... وأقتضي كونها دهري ويمطلني

رجوت الأمر ورجيته بمعنى. ولله!: تعجب. ودهري: مفعول أقتضى.

يقول: ما أعجب حالا لا أزال أرجوها، فلا أصل إليها، وهي تخلفني وأنا أقتضي أبدا بكونها، وأطالب بحصولها، والدهر يدافعني بها ويمنعني عنها.

مدحت قوما وإن عشنا نظمت لهم ... قصائدا من إناث الخيل والحصن

الحصن: جمع حصان، وهو الكريم من الفرس الذكر. وروى: من حجور الخيل: وهي الفرس الأنثى الكريمة.

يقول: مدحت قوما رجاء في العطاء، فلو عشت نظمت لهم قصائد من الخيل. وأراد به جمع الجيوش، ولما جعلها قصائد قال: نظمت.

تحت العجاج قوافيها مضمرة ... إذا تنوشدن لم يدخلن في أذن

المضمرة: الخيل الخفيفة اللحم. وأراد بالقوافي: الخيل؛ فلذلك قال: مضمرة وبين أنها تخالف سائر القوافي، لأنها لا تدخل في الأذن.

فلا أحارب مدفوعا إلى جدر ... ولا أصالح مغرورا على دخن

الدخن: الدخان، وأراد به الغش. ومدفوعا ومغرورا: نصب على الحال من أحارب، وأصالح.

يقول: لا أحارب منهم، وأنا مدفوع إلى حصن، وملتجىء بدار، بل أحاربه في الفضاء، وإن صالحت أحدا منهم لا أصالحه إلا بعد الثقة، فلا أصالحه وأنا مغرور بظاهره حتى أعلم حقيقة أمره، وأن باطنه كظاهره.

والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم " هدنة على دخن " وقيل: أراد لا أترك شيئا في صدري ولا أقعد عن ثأري، ولا أبقى غاية من التشفي إلا بلغتها.

مخيم الجمع بالبيداء يصهره ... حر الهواجر في صم من الفتن

خيم بالمكان: إذا ضرب خيامه فيه. وصهرته الشمس وصهدته وصفرته: إذا أذابت دماغه. وقيل: إذا أحرقته. والهاجرة: عند انتصاف النهار في الصيف ومخيم: نصب على الحال. أي أفعل ذلك في هذه الحالة. والصم: جمع أصم، وهو الصلب، وأراد بالفتن: الحروب.

يقول: إني أحارب من أحارب في فضاء، وأضرب خيمي بها، وأقاسي حر الشمس، وأثير الفتن الشدائد. والضمير في يصهره: للجمع.

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم ... على الخصيبي عند الفرض والسنن

الأولى: بمعنى الذين.

يقول: إن الكرام الذين ماتوا تركوا مكارمهم على الممدوح، فمكارمهم موجودة فيه وهو يتصرف فيها كما يشاء.

فهن في الحجر منه كلما عرضت ... له اليتامى بدا بالمجد والمنن

يقول: إن المكارم صارت في حجره، لما مات عنها الكرام فتكفل هو بحفظها، فكلما عرضت له اليتامى، وهي التي في حجره لينظر فيها، بدأ بالمجد: وهو الكرم والمنن، فقدم النظر في مصالح اليتامى التي مات عنها الكرام، وألقوها عليه.

قاض إذا التبس الأمران عن له ... رأي يخلص بين الماء واللبن

قاض: في موضع رفع، أي هو قاض. وعن: أي ظهر.

يقول: إذا التبس الأمر واختلط، ظهر له رأي نافذ، بحيث يمكن أن يفصل بين الماء واللبن.

غض الشباب بعيد فجر ليلته ... مجانب العين للفحشاء والوسن." (١)

"منافعها ما ضر في نفع غيرها ... تغذى وتروي أن تجوع وأن تظما

تقدير البيت: منافعها ما ضرها في نفعها، غير محذوف العائد إلى ما وأضاف المصدر إلى المفعول. وحذف الفاعل كقوله تعالى: " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير " . أي من دعائه الخير، وقوله: " بسؤال نعجتك " . أي سؤاله نعجتك.

يقول: إن منافع هذه المرأة فيما يضرها عند نفع غيرها. يعني: أنها كانت تضر بنفسها لتنفع غيرها، وإن ذكل كان نفعا لها، لأنها كانت تؤثر غيرها على نفسها فتجوع وتظمأ، فكأن جوعها إذا أشبعت غيرها يقوم لها مقام غذائها، وكذلك عطشها إذا أروت غيرها يقوم مقام ارتوائها. والمصراع الثاني تفسير الأول.

وقال ابن جنى: إن الهاء في منافعها للأحداث أي منافع الأحداث فيما يضر غيرها وبأن تجوع وتظمأ، وهذا ضار لغيرها. يعني: أنها تريد أن تهلك الناس فتخلوا منهم الدنيا. كما قال:

كالموت ليس له ري ولا شبع

وقيل: إن في بمعنى اللام، أو بمعنى مع.

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزدني بها علما

---

(١) معجز أحمد، ص/١٤٦

ما بمعنى المصدر: أي قبل صنعها بنا. وقيل: بمعنى الذي.

يقول: كنت عرفت الليالي وسوء صنيعها قبل وقوع ما أوقعت، فلما أوقعت ما أوقعت، وابتلتنا بموت الجدة، لم تصبني الليالي بشيء لم أعرفه من أحوالها، ولم تزدنا علما بسوء تصرفها.

أتاها كتابي بعد يأس وترحة ... فماتت سرورا بي، فمت بها غما

نصب سرورا وغما على المفعول له.

يقول: إن كتابي أتاها بعد ما يئست مني، وحزنت على فراقي، فماتت سرورا بي ومت من الغم الذي حصل لي بموتها.

حرام على قلبي السرور فإنني ... أعد الذي ماتت به بعدها سما

يقول: إن السرور حرام على قلبي؛ لأن موتها كان بالسرور! وذلك عندي كالسم. لما كان سبب موتها هو السرور، ولا ينبغي لأحد أن يقرب السم من قلبه.

تعجب من خطي ولفظي كأنها ... ترى بحروف السطر أغربة عصما

العصم: جمع أعصم، وهو الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وقيل: هو الذي إحدى رجليه بيضاء، وذلك لا يكاد يوجد.

يقول: إنها تعجبت من كتابي! وكانت تنظر إليه وتكرر النظر اشتياقا إلي واستعجابا؛ لأن عندها أني قد مت، فكأنها ترى غرابا أعصم؛ لفرط التعجب.

وتلثمه حتى أصار مداده ... محاجر عينيها وأنيابها سحما

السحم: السود. والمحاجر: ما حول العينين.

يعني: أنها لم تزل تقبله وتمسح به على وجهها وعينيها وهي تبكي، حتى اسودت أنيابها ومحاجرها.

رقا دمعها الجاري وجفت جفونها ... وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى

رقا: أي انقطع.

يعني: أنها كانت تبكي علي وتحزن بسببي، فأراحها الموت من البكاء علي والوجد بي، فجفت دموعها وفارق حبي قلبها بموتها بعد ما كان جرحه وأسال دمه.

ولم يسلها إلا المنايا، وإنما ... أشد من السقم الذي أذهب السقما

يقول: لم يصبرها عني إلا الموت، الذي هو أشد من السقم الذي كان بها؛ لأن السقم يزيل الصحة، والموت

يزيل الحياة ويبطلها.

طلبت لها حظا، ففاتت وفاتني ... وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

يقول: طلبت لها حظا بالعود إلى العراق، واستدعائها إلي حيث كنت.

وقيل: طلبت لها بالمفارقة والغربة حظا من الدنيا، فقد ماتت هي وفاتني ذلك الحظ المطلوب! الذي هو لقاؤها أو غيره. وقد كانت راضية من الدنيا كلها بمقامي عندها، لو كنت أرضى لها بذلك القسم، لكن لم أرض لها بما رضيت لنفسها.

وقد روى: لو رضيت بضم الراء: ومعناه أنها كانت راضية بي لو رضي الله تعالى بي لها، وأن أكون عندها، ولكنه لم يرض بذلك.

فأصبحت أستسقيي الغمام لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

يقول: كنت قبل موتها أطلب لها الحظ بالقنا والحرب، وأدفع بالقتال والقوة والشجاعة، وكنت أدعو القنا لصب الدماء، فلما ماتت! عدت أدعو لقبرها وأستسقي الغمام له. على ما جرت به عادة العرب.

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

يقول: كنت أستعظم النوى. أي فراقها، وهي سالمة، فالآن صار النوى الذي كنت أستعظمه صغرى، من حيث الموت.

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى؟." (١)

"يقول: لو كان موتك على يد عدو، لكنت آخذ الثأر منه، ولكنني لا أقدر على أخذ الثأر من الحمى التي قتلتك.

وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا أراك به أعمى

يقول: ما انسدت الدنيا علي لضيقها، ولكن بسبب فقدك، والعين التي لا أراك بها عمياء، فلذلك انسدت علي الدنيا وضاقت

فوا أسفا ألا أكب مقبلا ... لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما

أراد باللذي: اللذين، فحذف النون لطول الاسم. وهو مثل قول الأخطل:

أبني كليب إن عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا

---

(١) معجز أحمد، ص/١٤٩

وأكب: إذا أقبل على الشيء.

يتأسف على فوته الانكباب على رأسها وصدرها مقبلا ووصفها بأنها كانت ذات حزم ورأى، والحزم: جودة الرأي.

وألا ألاقي روحك الطيب الذي ... كأن ذكي المسك كان له جسما

أصله: أن لا ألاقي، فسكن ضرورة. والروح: يذكر في الأغلب وقد يؤنث. والذكي: الذي رائحته حادة.

يتأسف على فوته الملاقاة بها ليلقى روحها، ثم وصف الحب الذي هو قالب الروح بأنه كان من ذكي المسك.

وقيل: تأسف أنه لم يمت فيلقى روحها في الأرواح.

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

الضخم: هو الشريف العظيم القدر.

يقول: لو لم يكن لك أب شريف، لكان كونك لي أما يشرفك، ويغنيك عن شرف الآباء.

لئن لذ يوم الشامتين بموتها ... فقد ولدت مني لآنفهم رغما

يقول: لئن سرت الأعداء بموتها. أي يوم موتها فإن لقائي سيفهم، لأنها ولدت رجلا يرغم أنفهم ويذلهم.

تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما

يذكر نفسه ويقول: إنه تغرب، لا يستعظم أحدا إلا نفسه!! ولا يرى أحدا فوقه! ولا يرضى بحكم أحد إلا بحكم الله تعالى.

ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة ... ولا واجدا إلا لمكرمة طعما

يقول: لم يزل في تغربه سالكا، وسط غبار الحرب، ولا يلتذ بطعم شيء إلا طعم المكرمة، وليس تغربه لجمع المال مع الذي والهوان!!

يقولون لي: ما أنت؟ في كل بلدة ... وما تبتغي؟ ما أبتغي جل أن يسمى

ما الأولى: استفهام. أي: على أي صفة أنت؟ وكذلك الثانية. والثالثة: بمعنى الذي.

يقول: كل بلدة دخلتها فأهلها يستعظمون حالي، ويسألون عن مرامي، وأنا لا أخبرهم بحالي، فإنها أعظم من أن تسمى.

وقيل: أراد أنهم إذا سألوني: ما الذي تبتغي؟ فجوابي: ما أبتغيه جل أن يسمى! كأنه أراد: الملك، أو النبوة، أو الإمامة.

كأن بنيهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما

الكناية في بنيهم: للشامتين. والهاء في معادنه: لليتم، غير أنه قدمه في اللفظ، وهو مؤخر في المعنى.

يقول: إن أبناء أعدائي يفرون مني! فكأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتم من معادنه، بأن أقتل أباءهم فأؤتمهم! وكثرة سؤالهم تدل على ذلك.

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

يقول: إن الجمع بين الماء والنار في موضع واحد، ليس بأصعب من الجمع بين البخت والعلم!! فهما منزلان في الاستحالة منزلة واحدة.

ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به الغشما

أراد بالذباب: السيف، فأضمره، وذبابه: حده. والغشم: الظلم. يقول: إني وإن لم تساعدني الأيام، أطلب النصر بالسيف، وأرتكب الظلم، حتى أنال به ما أريد أخذه. من قول عمرو بن معد يكرب.

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

وجاعله يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما

القرم: السيد الرئيس.

يقول: أعدائي يوم الحرب، ضربت وجوههم بالسيف، وأقمته مقام التحية وإن لم أفعل فلست بسيد شجاع، ولا كريم مطاع.

إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما

قوله: خوف: فاعل فل. وعزمي: فاعله.

يقول: إذا كسر عزمي؛ مخافة بعد المدى. يعني: كلما رمت أمرا بعيدا فأكسر عزمي خزفا من بعده، فلم أظفر بمطلوب أبدا، فإنه إنما يدرك بصحة العزم، وأقرب الأشياء تناولا إذا لم يكن عزم على تناوله فهو أبعد الأشياء.." (١)

"كأن السماني إذا ما رأتك ... تصيدها، تشتهي أن تصادا

أي قد صدتها في أسرع وقت، فكأنها كانت تشتهي أن تصيدها، فمكنت الباشق من نفسها محبة لك.

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثار بعض الغلمان خشفا فالتقفته الكلاب فقال يصف صيد كلاب ابن

---

(١) معجز أحمد، ص/١٥٠

طغج: !وشامخ من الجبال أقود

فرد كيافوخ البعير الأصيد

شامخ: أي مرتفع. والأقود: قيل الطويل، وجمع بينهما في الوصف بالعلو. وقيل الأقود: الممتد على وجه الأرض، شبهه بيافوخ البعير الأصيد، لا عوجاجه وعلوه، ليكون متضمنا مع الارتفاع الاعوجاج.

يسار من مضيقه والجلمد

في مثل متن المسد المعقد

شبه ضيقه وخشونته؛ لما فيه من الحجارة بحبل من ليف، عليه عقد كثيرة؛ وذلك لما فيه من الالتواء والخشونة

زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

النزهة: الخروج إلى الخضرة والبساتين للراحة. والتمرد: اللعب والطرب ها هنا. روى: لم يعهد أي هذا الشامخ لم يعهد.

يقول: زرنا هذا الجبل الذي لم يعهد جبل مثله، لأنه لم يصد فيه أحد؛ لعلوه، إلا هذا الأمير، وذلك الأمر هو الصيد والنزهة واللهو، وليس هذا موضعا لهذه الأمور، فلهذا قال: لم يعهد.

وروى أبو الفتح: أي أن الأمير لم يعهد على ذلك، لأن عادته الاشتغال بالجد والتشمر دون اللهو واللعب والطرب.

بكل مسقي الدماء أسود

معاود مقود مقلد

يقول: زرنا هذا الجبل بكل كلب أسود، قد سقى الدماء من الصيد، وهو معود للصيد ضار، وفي عنقه مقود: أي عليه قلادة.

بكل ناب ذرب محدد

على حفافي حنك كالمبرد

الذرب: المحدود. والحفافان: الجانبان يقول: له ناب حاد، وهذا الناب على جانبي حنك صلب خشن كأنه مبرد.

كطالب الثأر وإن لم يحقد

يقتل ما يقتله ولا يدري

يقول: إنه لحرصه على الصيد كأن له عنده ثأرا، وإن لم يكن له حقد، وإنه إذا قتل صيدا لم يخف أن يطالب بديته فلا تجب عليه ولا يبالي لذلك.

ينشد من ذا الخشف ما لم يفقد

فثار من أخضر ممطور ندي

يقول: الكلب يطلب هذا الخشف كأنه قد فقده، وليس الأمر كذلك. فثار: أي ظهر الخشف لما رأى الكلب يطلبه من بين روض أخضر قد أصابه المطر فهو ندي من المطر والروائح الطيبة.

كأنه بدء عذار الأمرد

فلم يكد إلا لحتف يهتدي

يقول: كأن هذا الروض الأخضر ابتداء عذار الأمرد حين خروجه. ثم يقول: إن الخشف لم يكد يهتدي إلا لما فيه هلاكه؛ لأن ثورانه كان سببا لهلاكه.

ولم يقع إلا على بطن يد

ولم يدع للشاعر المجود

وصفا له عند الأمير الأمجد

الملك القرم أبي محمد

يقول: لم يقع هذا الخشف إلا على بطن يد. وقيل: أراد أنه لم يقع على الأرض إلا اختطفوه في الحال، فلم يقع إلا على أيديهم.

ولم يدع هذا الغزال للشاعر الجيد الشعر وصفا له! إنه صار عاجزا من بين الغزلان. وقيل: إن الكلب بالغ في صيده حتى فاق الوصف، وأعجز كل شاعر عن وصفه عند الأمير.

والهاء في له للغزال وللكلب. وقيل: للشاعر.

القانص الأبطال بالمهند

ذي النعم الغر البوادي العود

يقول: هو الملك السيد الذي يصيد الشجعان بالسيف المهند، وهو ذو النعم الظاهرة المشهورة، يبتدىء بها ويعيد، فهي متتابعة.

إذا أردت عدها لم أعدد

وإن ذكرت فضله لم ينفد

يقول: إذا أردت إحصاء نعمه لم أجد لها عددا لكثرتها، وإن أردت وصف فضله لم ينفد ولم ينقطع.

وقال وقد استحسن عين باز في مجلسه فقال يصفها:

أياما أحيسنها مقلة ... ولولا الملاحة لم أعجب

الأصل: ما أحسنها مقلة! فصغر فعل التعجب لنا للتعظيم أو للتلطف.

وإنما جاز تصغيره مع أنه فعل، لأنه أشبه الأسماء فلا ينصرف فأعطى بعض الأحكام.

يقول: ما أحسن هذه المقلة! ولولا ملاحتها ما عجبت منها. ولكن ملاحتها حملتني على التعجب.

خلوقية في خلوقيها ... سويداء من عنب الثعلب

خلوقية: خبر ابتداء محذوف، أي هي خلوقية. وهو ضرب من الطيب أحمر يميل إلى الصفرة.

يقول: إن عينها الموصوفة بالحسن خلوقية أي تشبه لون الخلوق. لونها: حبة سوداء كأنها من عنب الثعلب. وأراد بها الحدقة.

إذا نظر الباز في عطفه ... كسته شعاعا على المنكب." (١)

"ولا يستغيث إلى ناصر ... ولا يتضعضع من خاذل

تضعضع البناء: إذا انهدت أركانه أي لا يتذلل هذا الفتى، ولا يستعين بناصر ينصره، ولا يضعف إن خذله أصحابه، لأنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى أحد.

ولا يزع الطرف عن مقدم ... ولا يرجع الطرف عن هائل

يزع: أي يكف. ومقدم: أي الإقدام.

يعني: أنه لا يرد فرسه عن الإقدام، ولا يرد طرفه أي عينه عن أمر مخوف ومنظر هائل.

إذا طلب النبل لم يشأه ... وإن كان دينا على ماطل

النبل: الحقد. يقول: إذا طلب ثأرا أدركه، فلم يفته وإن كان ثأره عند من لا يدرك لديه ثار. فشبه هذا الثأر بدين على ماطل.

خذوا ما أتاكم به واعذروا ... فإن الغنيمة في العاجل

---

(١) معجز أحمد، ص/١٨٥

يقول للخارجي وجماعته الذين كانوا ينتظرون الفداء هزءا بهم: خذوا ما أتاكم به سيف الدولة من الفداء، واعذروه في هذه الغنيمة المعجلة، فاغتنموا ذلك فإن الغنيمة في العاجل.

وإن كان أعجبكم عامكم ... فعودوا إلى حمص في القابل

يقول: لئن كان أعجبكم ما ملكتم في هذا العام من الخير، فعودوا في العام القابل إلى حمص، حتى تروا ما يزيد على ذلك فترضوا به.

فإن الحسام الخضيب الذي ... قتلتم به في يد القاتل

يقول: السيف المخضب بدمائكم في يد القاتل، وهو سيف الدولة، فمتى شئتم فتعالوا إليه.

وقال ابن جني: أراد بالسيف. سيف الدولة. والخضيب: هو الخاضب اللحي بالدماء. والقاتل: هو الخليفة الذي ينصر سيف الدولة ويقاتل عنه.

يجود بمثل الذي رمتم ... فلم تدركوه على السائل

أي يجود على السائل بمثل المال الذي رمتم، فلم تدركوه على السائل: يعني أنه يعطي سائله مثل ما طلبتموه، وإنما لم يعطكم أنفة، من أن تأخذوه قهرا.

أمام الكتيبة تزهى به ... مكان السنان من العامل

أمام: نصب على الظرف. وتزهى به: أي تفتخر به. والتاء: ضمير الكتيبة والهاء: ضمير سيف الدولة. وعامل الرمح: قدر ذراعين من أعلى الرمح.

أي أن سيف الدولة يكون أبدا أمام الكتيبة، كما يتقدم السنان على الرمح وأن الكتيبة تفتخر به، إذ لا غناء لهم عنه كما لا غناء للرمح عن السنان.

وإني لأعجب من آمل ... قتالا بكم على بازل

البازل: البعير الذي دخل في السنة التاسعة. وكان الخارجي حينئذ على ناقة يومئ بكمه على أصحابه؛ يحرضهم على قتال سيف الدولة.

يقول: إني أعجب من ضعف رأي من يقاتل بكم على ناقة بازل.

أقال له الله: لا تلقهم ... بماض على فرس حائل ؟

الهاء في له للخارجي وفي لا تلقهم لأصحاب سيف الدولة. بماض: أي بسيف ماض. والحائل: خلاف الحامل، وخص الحائل لأنها تكون أشد على العمل، وأصبر على الشدة، وهم لا يركبون يوم القتال إلا الفرس

الأنثى الحائل.

يقول: كأن الله تعالى قال له. لا تلق جيش سيف الدولة بسيف ماض على فرس حائل ! فلهذا ركب الناقة وأشار بكمه بدل السيف !

إذا ما ضربت به هامة ... براها وغناك في الكاهل

الكاهل: أعلى الكتف بين المنكب والعنق. والهاء في به للسيف الماضي. أي كأن الله تعالى قال: لا تلقهم بسيف ماض، إذا ضربت به رأسا قطعه ووصل إلى العنق، وهامة قطعها، وسمعت له صليلا كالغناء.

وقيل: معناه: قال الله لهذا الخارجي. لا تحارب بسيف ماض مثل سيفك الماضي يا سيف الدولة، الذي إذا ضربت به رأسا تجاوزها وغنى لك في الكاهل.

وليس بأول ذي همة ... دعته لما ليس بالنائل

يقول: إن الخارجي ليس بأول من لم يدرك مراده، وما دعته إليه همته، وقد خرج قبله كثير من الخوراج وطلبوا مثل ما طلب فقتلوا كما قتل.

يشمر للج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل

يقول: إن الخارجي كان يشمر عن ساقه؛ ليخوض لجة البحر، وقد علاه الموج في ساحل هذه اللجة.

أي قد تأهب لجيش سيف الدولة الذي هو كالبحر العظيم، والموج يغرقه في الساحل ! أي أنه لقي مقدم عسكر سيف الدولة فهزموه، فكيف إذا لقي معظم عسكره ؟! وقال ابن جني: إنه يصف تمويه الخارجي على الأعراب وادعاءه النبوة فيهم فكان يحسر عن ساقه عند الماء ليرى الناس أنه يخوضه تمويها ومخرقة، ومع ذلك قد غمره الموج وهو على الساحل.

أما للخلافة من مشفق ... على سيف دولتها الفاصل ؟!." (١)

"يوما: نصب عطفا على قوله: لقيت بدرب القلة الفجر لقية ويوما.

وجعل حسن اليوم الذي ظفر فيه الممدوح بالروم، كأنه علامة من محبوبته، وجعل الشمس كأنها رسولها، وذلك لسروره في هذا اليوم، وسروره بطلوع الشمس فيه.

وقيل: إنه إنما استحسن هذا اليوم، وطلوع الشمس فيه؛ لزوال الليل واستراحته بالنهار من السهر والحزن.

وقيل: معنى البيت أن الحسن في ذلك كان خفيا لشدة الحرب، وإظلام الجو باقتام، وأن الشمس كانت تبدو

---

(١) معجز أحمد، ص/٢٢٥

مرة وتختفي أخرى لتكاثف الغبار، فشبهه برسول يأتي من عند حبيبته، فهو إذا رأى رقيبا توارى، وإذا صادف خلوة بدا، وشبه حسن ذلك اليوم: وهو النصر والظفر بالاعداء في حقائقه – بعلامة تكون بين المحب وحبيبه، لا يعلمها أحد سوهما، وفيه إشارة إلى أن الحرب كانت قد اشتدت في ذلك، حتى خفيت علامة النصر، إلا على سيف الدولة، فإنه كان عالما بالظفر، كما يعلم المحب العلامة التي بينه وبين حبيبته وهذا من لطائف أبي الطيب.

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

اثار: افتعل من الثأر. أي أدرك ثأره، يقال: اثار وثار بمعنى. والذحول: جمع ذحل وهو الحقد في القلب. فذكر أن الليل صار قتيلا، ثم قال: إن القاتل هو سيف الدولة.

وقال: لولا سيف الدولة لم يقدر عاشق على أخذ الثأر من الليل، وما أدرك عاشق ثاره قبل حصول سيف الدولة بدرب القلة، ولم يطلب أحد عند الليل ذحلا وثأرا قبله وهذا ضد قوله في بدر:

حدق يذم من القواتل غيرها ... بدر بن عمار بن إسماعيلا

ولكنه يأتي بكل غريبة ... تروق، على استغرابها، وتهول

تروق: تعجب بحسنها، وتهول: تخوف.

يقول: إن قتله الليل وإدراك ثأره منه أمر عجيب ! وشيء عجيب ! لكن سيف الدولة لا يزال يأتي بكل فعل غريب ! كل من رآه راقه حسنه، ويهول القلوب لعظمه، فليس هذا منه ببديع.

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا ... وما علموا أن السهام خيول

الدرب: ها هنا، موضع معروف من بلاد الروم. يقول: رمى درب الروم، كما يرمي لغرض بالسهام، ولم يعلم الروم أن الخيل في السرعة تقوم مقام السهام. شبه خيله بالسهام في إقدامها وسرعتها.

شوائل تشوال العقارب بالقنا ... لها مرح من تحته وصهيل

الشوائل: جمع شائلة، وعداها إلى القنا بالباء. والتشوال: مصدر شول. والمرح: النشاط. والشوائل: نصب على الحال. وقوله: لها مرح إلى آخره نصب على الحال. والهاء في تحته للقنا، راجع إلى اللفظ.

يقول: رمى الدرب بالخيل رافعة رماحها، كما رفعت العقارب أذنابها، وكان لهذه الخيل مرح تحت القنا وصهيل، يعني بأن الركض لم يذهب مرحها. وهذا قول بشار:

والخيل شائلة تشق غبارها ... كعقارب قد رفعت أذنابها

غير أنه زاد عليه في التشبيه، فبشار شبه الخيل الرافعة لأذنابها بالعقارب، رافعة أذنابها، فالتشبيه واقع على وجه واحد، وهو أوقع التشبيه من وجهين: أحدهما: أنه جعل الخيل شائلة بالقنا، كما تشول العقارب بأذنابها. والثاني: أنه شبه أطراف الرماح بأذناب العقارب، وأن لها من الطعن مثل ما للعقارب من اللسع، فأخذ معنى بشار، وضم إليه هذه الزيادة، فكان هو أولى به من بشار.

وما هي إلا خطرة عرضت له ... بحران لبتها قنا ونصول

وما هي: أي الغزاة. وحران: مدينة بالشام، والضمير في له للمدوح، وفي لبتها للخطرة، والتاء: للقنا، والنصول: للسيوف، وعرضت: أي ظهرت.

يقول: لم تكن هذه الغزاة عن تأهب واستعداد، ولكن خطر بقلبه وهو بحران أن يقصد بلاد الروم، فأجابته الرماح والسيوف، فسار إليهم غير محتفل.

همام إذا ما هم أمضى همومه ... بأرعن، وطء الموت فيه ثقيل

الهموم: بمعنى الهمم. والأرعن: الجيش العظيم.

يقول: هو عظيم الهمة إذا هم بشيء وعزم على أمر أمضاه. بجيش عظيم، كأنه لا يمر على ناحية إلا أنكى فيها وأكثر القتل فيها، وهو في معنى قوله: وطء الموت: وقعه، يعظم ويكثر من هذا الجيش، أو يشتد وطء هذا الجيش ويعز عليه.

وخيل براها الركض في كل بلدة ... إذا عرست فيها فليس تقيل

وخيل: عطف على أرعن. والتعريس: النزول آخر الليل.." (١)

"يقول: إن كمك وتقبيله، مكان تتمنى الشفاه الوصول إليه، وتريد الملوك تقبيله ولكنهم لا يصلون إليه.

فما بلغته ما أراد كرامة ... عليك، ولكن لم يخب لك سائل

كرامة: فاعل بلغته، والمفعول الأول الهاء والثاني ما.

يقول: لم يبلغ الرسول إلى ما بلغه من تقبيل كمك كرامته عليك؛ لأنه كافر وأنت تبغضه وتستخف به، ولكن لما سألك أن تمكنه من ذلك لم تخيبه، إذ عادتك ألا تخيب سائلك.

وأكبر منه همة بعثت به ... إليك العدى واستنظرته الجحافل

روى: أكبر بالرفع والنصب.

---

(١) معجز أحمد، ص/٢٩٩

فالرفع: على أنه اسم المبالغة والمعنى: على أن همة الرسول وإن كانت كبيرة في قدومه عليك، فأكبر همة منه، العدى حيث بعثوا به إليك، وسألوه أن يؤخر عنهم القتال؛ لشغله إياك عنهم، والاستنظار: طلب النظر، وهو التأخير.

والنصب: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون اسما كالأول ومعناه: رب رسول أكبر من هذا الرسول همة، وأعلى منه قدرا، جاءك رسولاً، واستنظرته الجحافل، كما استنظرت هذا الرسول، ثم رجع إليهم وهو يعذلهم على مخالفتهم أمرك. فعلى هذا يكون البيت الذي بعده من تمامه.

والمعنى الثاني: أن يكون أكبر فعلا ماضيا، وفاعله العدى وهمة مفعوله. والمعنى: أن العدى أكبروا واستعظموا همة بعثت هذا الرسول إليك، وأقدمته على الدنو منك، واستنظرت هذا الرسول الجحافل على ما بيناه

فأقبل من أصحابه وهو مرسل ... وعاد إلى أصحابه وهو عاذل

يقول: هذا الرسول جاء من أصحابه رسولا، ثم عاد إليهم يعذلهم على ترك طاعتك؛ لما رآه من عظم شأنك.

تحير في سيف ربيعة أصله ... وطابعه الرحمن والمجد صاقل

ربيعة: ابن نذار، وإليه ينسب سيف الدولة.

لما رآك تحير فيك؛ لأنه رأى سيفا لا كالسيوف، إذ السيف أصله الحديد، وطابعه الحداد، وصاقله الصيقل، وأنت أصلك من ربيعة، والرحمن طابعك، والمجد صاقلك.

وما لونه مما تحصل مقلة ... ولا حده مما تجس الأنامل

يقول: لون هذا السيف لا يدركه النظر، ولا تحققه المقلة، ولا يمكن الناظرين أن يملئوا أعينهم منه، هيبة له، وكذلك ليس حده مما يمكن أن يختبر باللمس كما يحس ويضبط سيف الحديد. فتحير هذا الرسول في سيف هذه صفته.

إذا عاينتك الرسل هانت نفوسها ... عليها وما جاءت به والمراسل

المراسل: ملك الروم. والرسل: الرسل. وما جات به: الرسالة.

يقول: إذا رأتك الرسل استحقروا أنفسهم، واستحقروا ما جاءوا به من الرسالة، واستحقروا صاحبهم الذي أرسلهم إليك؛ لما يرون من هيبتك وعلو شأنك.

رجا الروم من ترجى النوافل كلها ... لديه وما ترجى لديه الطوائل

النوافل: العطايا، واحدتها نافلة. ومن ترجى: هو سيف الدولة يرجى منه كل عطية وصلة، ويوصل إلى كل

مراد، إلا إدراك الثأر، فإنه لا يوصل إليه منه.

فإن كان خوف القتل والأسر ساقهم ... فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعل

يقول: إن كان الذي ساقهم إليك لطلب الصلح والأمان، هو الخوف من القتل والأسر، فقد فعلوا في مجيئهم إليك ما يفعله الأسر والقتل، من الذل والاستكانة؛ لأنهم إنما جاءوك خوفا، فصاروا مقتلين مأسورين.

فخافوك حتى ما لقتل زيادة ... وجاءوك حتى ما تزاد السلاسل

ما نفي في الموضعين.

يقول: خوفهم منك قام لهم مقام القتل، فليس للقتل زيادة على ما أصابهم، وكذلك جاءوك مستسلمين في أمرهم طائعين كالأسارى، حتى لا يحتاج معهم إلى السلاسل؛ لأن الأسير إنما يشد إذا خيف عليه الهر.

والمصراع الأول مثل:

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فإن الخوف لا شك قاتله

أرى كل ذي ملك إليك مصيره ... كأنك بحر والملوك جداول

يقول: كل ملك يصير إلى حضرتك، وينضاف ملكه إلى مملكتك، فكأنك بحر وهم جداول تنصب إلى البحر.

إذا مطرت منهم ومنك سحائب ... فوابلهم طل وطلك وابل

الوابل: أشد المطر. والطل: أضعفه.

يقول: إنك تزيد على الملوك في كل حال، فكثير عطاياهم إذا قيست إلى عطاياك قليل، بمنزلة الطل من الوابل، وقليلها منك إذا قيس إلى عطاياهم كثير، كالوابل من الطل.

كريم متى استوهبت ما أنت راكب ... وقد لقحت حرب، فإنك نازل

لقحت حرب: اشتدت.." (١)

"يقول: إن هذا الجيش يحف أغر: أي يحيط به من جميع جهاته، وإذا قتل إنسانا لا يقتل به قودا؛ لعزته ومنعته، أو لأنه لا يقتله إلا بحق، ولا يطالب أيضا بديته، ولا يعتذر عما فعله؛ للوجهين اللذين ذكرناهما. وهو من قوله تعالى: " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " .

تريق سيوفه مهج الأعادي ... وكل دم أراقته جبار

المهجة: دم القلب، وهي النفس أيضا. والدم الجبار: الباطل.

---

(١) معجز أحمد، ص/٣١٤

يقول: كل دم تريق سيوفه من دم الأعادي، ذهب هدرا لا يدرك له ثأر.

فكانوا الأسد ليس لها مصال ... على طير وليس لها مطار

المصال: مصدر صال، والمطار: من طار.

يقول: إنهم كانوا أسودا في أنفسهم بشجاعتهم وإقدامهم، وكانت خيلهم كالطيور سرعة، ولكن لما رأوك تحيروا وتحيرت أفراسهم هيبة لك، فلم يكن لهم مصال مع كونهم أسود، ولا لخيلهم مطار مع كونها في السرعة كالطير.

وقيل: المعنى أنهم كانوا قبل ذلك مثل ال أسود، والآن لما غضبت عليهم ليس لهم مصال على طير لضعفهم وقلتهم، وليس لهم أيضا مطار؛ لأنك قد أهلكتهم بالقتل والأسر. وأراد بالمصال على طيران الأفراس: كالطير لخفتها، فكأنه قال: ليس لها مصال على غيرهم من الفرسان لضعفهم، فشبه خيل المخالفين لهم بالطير.

إذا فاتوا الرماح تناولتهم ... بأرماح من العطش القفار

يقول: إن فاتوا رماحك ودخلوا البر هلكوا من العطش، وكأن العطش رماح القفار، قتلتهم بها.

يرون الموت قداما وخلفا ... فيختارون، والموت اضطرار

يقول: قد أحاط بهم الموت من قدامهم وخلفهم فقدامهم العطش، ووراهم الرماح، فكانوا بين موتين، فيختارون أحدهما، وإن هذا الموت ليس باختيار، بل هو اضطرار.

وقيل: معناه يختارون أحد الموتين، فأما الموت فهو نازل بهم لا محالة ولا محيص لهم عنه، وإنما يختارون أحد الموتين.

إذا سلك السماوة غير هاد ... فقتلاهم لعينيه منار

الهادي: الدليل، وقيل: هو العارف بالطريق، وهو في معنى المهتدي. والمنار: العلامات التي تبنى على الطريق، ليهتدي بها، والواحدة: منارة.

يقول: إنهم دخلوا السماوة فرارا من سيف الدولة، وتبعهم فقتلهم في كل مكان، وبقيت جثثهم مطروحة على الطرق حتى لو سلك السماوة من لا يهتدي فيها، لكانت جثثهم تدله على الطريق، وتقوم له مقام المنار.

وقيل: أراد أنهم ماتوا عطشا هناك وبقيت جثثهم دالة للمار بها.

ولو لم يبق لم تعش البقايا ... وفي الماضي لمن بقي اعتبار

يقول: لو لم يعف عنهم سيف الدولة لهلكوا عن آخرهم، ولم يعش الباقي منهم، ومن بقي منهم يعتبر حاله بحال من مضى.

والماضي: هو المقتول، والباقي: الذي بقي بعدهم.

إذا لم يرع سيدهم عليهم ... فمن يرعى عليهم أو يغار ؟!

أرعى فلان على فلان: إذا كف عنه ورق له.

يقول: إذا لم يرحمهم سيدهم فمن الذي يرحمهم ويغضب لهم ؟!

تفرقهم وإياه السجايا ... ويجمعهم وإياه النجار

هولاء من أصل واحد، لأنهم جميعا من نزار، وسجاياهم متفرقة. والنجار. الأصل.

يقول: خليقة سيف الدولة وخلائقهم مختلفة؛ لأن خليقة سيف الدولة الكرم والعفو، وخلائقهم العصيان والنزق، فبينهما فرق من هذه الجهة.

ومال بها على أرك وعرض ... وأهل الرقتين لها مزار

الهاء في بها للخيل. وأرك وعرض: موضعان. والرقتان: مدينتان من ديار بكر.

يقول: لما فرغ من بني كعب، عطف بخيله على أهل أرك وعرض، وقرب من أهل الرقتين، حتى لو شاء أن يزورهما بخيله، لم يبعد عليه.

وقيل: مال بالخيل على أرك وعرض، لطلب بني كعب.

وقيل: معناه عدل بجيشه على أهل أرك وعرض، مع بعدهما عن مقصده؛ لأنه كان قد توجه إلى الرقتين وأرك وعرض بعيدان عن الرقتين.

وأجفل بالفرات بنو نمير ... وزأرهم الذي زأروا خوار

أجفل: أسرع هاربا مذعورا. والزأر والزئير: صوت الأسد. والخوار: صوت الثور.

يعني: أن بني نمير فروا من الفرات، خوفا منه، وكانوا قبل ذلك يزأرون كالأسود، ويرعدون بالحرب، فلما رأوه ذلوا وصار زئيرهم خوارا: أي بعد أن كانوا أسودا في الشدة صاروا مثل البقر في الذلة.

فهم حزق على الخابور صرعى ... بهم من شرب غيرهم خمار." (١)

"والمعنى: أن هذه الرقة لو كانت لضعف قلبك للحقتك أيضا في الحرب، ولكنه وفاء ورعاية، فأنت تستعمل كل واحد منهما في موضعه، حيث تحمده وتستحسنه العقول، ولا تضعه في غير موضعه.

أين خلفتها غداة لقيت الر ... وم والهام بالصوارم تفلى

---

(١) معجز أحمد، ص/٣٣٧

تفلى: من فليت رأسه، إذا فتشته لتخرج منه القمل.

معناه: يضرب بالسيوف من كل جهة، كما أن الفالي يعم الرأس.

يقول: أين تركت هذه الرقة غداة محاربتك الروم فيما كنت تضرب رءوسهم بالسيوف الصوارم.

قاسمتك المنون شخصين جورا ... جعل القسم نفسه فيه عدلا

أنت المنون على معنى المنية. والهاء في فيه ترجع إلى الجور.

يقول: قاسمتك المنون على أختيك ظلما وجورا منها في هذه المقاسمة؛ لأنها ليس لها الحق في واحدة منهما، غير أن هذه القسمة جعلت نفسها في الجور الذي حصل من المنون عدلا؛ لأنها أخذت الصغيرة وتركت الكبيرة.

وقال ابن جني: يجوز فيك: فيكون المعنى: أن المنون جارت في فعلها، إلا أنك إذا كنت البقية فجورها عدل. أو يقال: إن هذه القسمة نفسها في حقك عدل، وإن كان قاسمها ظالما.

فإذا قست ما أخذن بما أغ ... درن سرى عن الفؤادي وسلى

أغدرن: أي تركن. وسرى: أي كشف. وسلى: من التسلية. وروى أغبرن مكان أغدرن والفاعل ضمير المنون، وأراد بها المنايا.

يقول: إذا قست ما أخذته المنية بما تركته، كشف بقاء الباقية منهما هذا الحزن عن قلبك.

وتيقنت أن حظك أوفى ... وتبينت أن جدك أعلى

يقول: إذا قست سهمك بسهم المنية علمت أن حظك أكثر، وأن جدك أعلى؛ لأن الكبرى خير من الصغرى.

ولعمري لقد شغلت المنايا ... بالأعادي، فكيف تطلبن شغلا ؟

يقول: شغلت المنايا بقبض أرواح الأعادي، فكيف تطلب المنايا شغلا ؟! لأن لها شغلا بالأعداء، لا تتفرغ عنه إلى شغل آخر.

وكم انتشت بالسيوف من الده ... ر أسيرا وبالنوال مقلا

انتشت: أي دفعت، والانتياش: افتعال من النوش والمقل: الفقير.

يقول: كم أنقذت كثيرا من الأسرى من أسر الدهر بسيوفك، ومن الفقر بجودك، ونائلك، فأغنيتهم بعطاياك، ورفعتهم من الذل والصغار.

عدها نصرة عليه فلما ... صال ختلا رآه أدرك تبلا

الهاء في عدها ضمير الحالة: أي عد الدهر هذه الحالة التي هي إنقاذ الأسير من يده، ورآه: أي رأى نفسه ويجوز ذلك في الرؤية: بمعنى العلم: وسائر أفعال الشك، واليقين.

يقول: لما رآك الدهر تنقذ أساراه حقد عليك، وعد فعلك نصرة لعيه لمن خاصمه فلما صال مخادعة، وأخذ أختك مسارقة، حسب أنه أدرك **ثأره**.

كذبته ظنونه؛ أنت تبلي ... ه وتبقى في نعمة ليس تبلى

يقول: كذب الدهر ظنه أنه يقدر على أخذ **ثأره** عندك، فإنك تجعل الدهر باليا ! وتبقى أنت في نعمة لا تبلي.

وقيل: إن قوله أنت تبليه دعاء له بطول البقاء فكأنه يقول: أبقاك الله في نعمة دائمة حتى تبلي الدهر وتفنيه.

ولقد رامك العداة كما را ... م فلم يجرحوا لشخصك ظلا

يقول: طلب أعداؤك أن يدركوا **ثأرهم** عندك - كما طلب الدهر - فلم يقدروا أن يجرحوا ظل شخصك؛ لاتصاله بك.

ولقد رمت بالسعادة بعضا ... من نفوس العدا فأدركت كلا

قوله: بالسعادة متعلق بقوله: فأدركت كلا يعني: أنك رمت بعض أعدائك فأدركت الكل بسعادة جدك، وهو متصل بما قبله.

قارعت رمحك الرماح ولكن ... ترك الرامحين رمحك عزلا

الرامح: صاحب الرمح. والعزل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

يقول: قد حاربك الأعداء فعجزوا، فصار الرمح منه أعزل.

لو يكون الذي وردت من الفج ... عة طعنا أوردته الخيل قبلا

القبل: جمع أقبل: وهو مثل الأحول، والخيل تفعل ذلك لعزة أنفسها، وليس بخلقه.

يقول: لو لقيت مكان هذه المصيبة طعنا وكان مجيئها إليك محاربة؛ لأوردت خيلك، ودفعت عن نفسك بشجاعتك. والهاء في أوردته للطعن.

وقيل: معناه لو كنت تلقى بدل هذه المصيبة طعنا لأوردته الخيل ورددته بشجاعتك.

ولكشفت ذا الحنين بضرب ... طالما كشفت الكروب وجلى

الحنين: رقة الحزن، وهو أيضا الصوت الضعيف كالأنين، وقد يراد به الاشتياق. وجلى: أي كشف، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.." (١)

"يقول: ما زلت تضربهم ضربا في إثر ضرب، متواليا من دون أن يتخللها، فكأنك تضربهم بسيفين.

وقيل: ما زلت تضربهم ضربة تعمل عمل ضربتين. يعني: كأن السيف الواحد سيفان، والهاء في فيه راجع إلى الضرب.

خص الجماجم والوجوه كأنما ... جاءت إليك جسومهم بأمان

خص السيف، أو الضرب رءوسهم ووجوههم دون أجسامهم، حتى كأنك أعطيت أجسامهم أمانك ألا تمسها بضرب.

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا ... يطئون كل حنية مرنان

روى يطئون من الوطء بالرجل، وروى: يطوون من طويته. والحنية: القوس. والمرنان: الكثير الرنة. وما يرمون عنه: هو القسي التي كانوا يرمون عنها.

يقول: رموا قسيهم وانهزموا يطئون قسيهم المطوية عند الرمي.

يغشاهم مطر السحاب مفصلا ... بمهند ومثقف وسنان

قيل: أراد بالمطر: المطر الحقيقي. والمعنى: أصابهم المطر النازل من السحاب، مفصلا بالسيوف والرماح، كما يفصل العقد بالدر والذهب.

يعني: كما هزمهم السلاح هزمهم أيضا المطر.

وقال ابن جني: أراد بالسحاب: جيش سيف الدولة. شبهه بالسحاب لكثافته، ولما جعله سحابا جعل مطره الرماح والسيوف.

حرموا الذي أملوا وأدرك منهم ... آماله من عاد بالحرمان

يقول: حرموا ما كانوا يؤملونه من الظفر بك، وانهزموا، فمن كان منهم محروما من أمله الأول أدرك أمله الثاني، من العود إلى أهله، والسلامة من القتل والأسر، وهذا مثل قولهم: من نجا برأسه فقد ربح.

وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر ... شغلته مهجته عن الإخوان

يقول: إنهم جاءوا يطلبون بثأر من قتلت منهم، فلما وقعت الرماح في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم

---

(١) معجز أحمد، ص/٣٤١

الذين يطلبون ثأرهم. وهذا من قول الله تعالى " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " .

هيهات ! عاق عن العواد قواضب ... كثر القتيل بها وقل العاني

العواد: الرجوع، وهو مصدر عاود يعاود معاودة وعوادا وهي ها هنا من: عاود. وروى مكانه: الرجوع والعاني: الأسير.

المعنى كما قال: وأدرك منهم آماله من عاد بالحرمان فقال: ما أبعد عليهم الرجوع ! وقد عاقهم عن ذلك سيوفك التي كثرت القتل فيهم، فكان من قتل منهم أكثر ممن أسر.

ومهذب أمر المنايا فيهم ... فأطعنه في طاعة الرحمن

ومهذب: هو سيف الدولة، عطف على قواضب.

يقول: منعهم عن الرجوع إلى ديارهم رجل مهذب صفي من كل عيب، أمر الموت بقبض أرواحهم فأطاعه الموت في طاعة الله تعالى؛ لأن قتلهم طاعة، وفيه رضى الله تعالى.

قد سودت شجر الجبال شعورهم ... فكأن فيه مسفة الغربان

الهاء في فيه للشجر. والمسفة: الدانية من الأرض.

يقول: إن شعورهم سودت أشجار الجبال؛ لأنها متعلقة بها، فكأن عمومها الأشجار، غربان دانية من الأرض، واقفة على الأشجار.

وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنه النارنج في الأغصان

يقول: جرى دمهم على الأوراق، فثمرت به، فأشبه الدم عليها، النارنج على الأغصان.

والمعنى: أن الشعور تعلقت بالشجرة فأشبهت الغربان على الأشجار، والدماء تطايرت فخضبت ورق الأغصان.

إن السيوف مع الذين قلوبهم ... كقلوبهن إذا التقى الجمعان

يقول: إن السيوف، إنما تعمل إذا كانت مع الشجعان الذين قلوبهم في المضاء كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين.

تلقى الحسام على جراءة حده ... مثل الجبان بكف كل جبان

التاء: للخطاب، ومعناه: تلقى أيها السامع السيف القاطع مع جراءته في الحد، غير عامل، إذا كان في يدي الجبان، حتى كأنه جبان مثله.

وقيل: التاء ضمير السيوف.

يعني: أن السيوف التي في أيدي أصحاب سيف الدولة، الذين قلوبهم كقلوبها، تلقى سيوف الروم – مع جراءة حدها – غير قاطعة، فكأنها جبان مثل أصحابها الحاملين لها، وجبن السيوف: قلة المضاء.

رفعت بك العرب العماد وصيرت ... قمم الملوك مواقد النيران

العماد: عماد البيت، ويعبر به عن الشرف؛ لأن الرجل إذا كان شريفا، كان عماد بيته رفيعا. ومنه يقال في المدح: هو رفيع العماد، أي شريف، كثير الرماد. والقمم: جمع قمة، وهي وسط الرأس.

يقول: إن العرب تشرفت بك، وقتلت الملوك، فجعلوا هامهم أثافي لقدورهم.." (١)

"وإذا رآه بعض غلمان أبيه أو غيرهم أسرع هاربا لئلا يقال: إنه كلمه ! فمن كلمة أتلفه الأسود، فلما كبر الصبي وتبين ما هو فيه، وجعل يبوح بما في نفسه في بعض الأوقات على الشراب، وكل من معه عين عليه، فقدم الأسود فسقاه سما فقتله، وخلت له مصر وهان عليه أخوه الأصغر وغيره.

فلما ورد كتاب الأسود على أبي الطيب بالرملة، لم يمكنه إلا المسير إليه، وظن أنه لا يسومه سوم غيره. من أخذ ماله، وإضعاف حاله، ومنعه من التصرف في نفسه. وهذه فعال الأسود بكل حر له محل، يحتال عليه بالمكاتبة والمواعيد الكاذبة، حتى يصير إليه، فإذا حصل عنده أخذ عبيده وخيله وأضعفه عن الحركة، ومنعه منها، وبقي مطرحا يشكو إليه ويبكي بين يديه ولا يعينه على المقام، ولا يأذن له في الرحيل، وإن رحل عن غير إذنه غرقه في النيل، ولا يصفو قلبه إلا لعبد، كأنه يطلب الأحرار بحقد.

فلما قدم عليه أبو الطيب اخلى له دارا ووكل به. وأظهر التهمة له، وطالبه بمدحه، وخلع عليه، وحمل إليه آلافا من الدراهم وغيرها.

فقال أبو الطيب يمدحه لما وفد عليه في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة ويعرض بسيف الدولة

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

الباء في بك زائدة، والتقدير: كفاك داء، وليست هذه الباء مثلها في قوله تعالى: " وكفى بالله شهيدا " " وكفى بنا حاسبين " لأن، ها هنا زيدت الباء على المفعول، وفي الآية زيدت على الفاعل، والفاعل في البيت قوله: أن ترى وداء نصب على التمييز. والأماني أصلها التثقيل، والتخفيف جائز.

يقول: كفاك من الداء وأذية الزمان، ما تستشفى منه بالموت ! وما تتمنى معه الموت ! إذ الموت غاية الشدائد،

---

(١) معجز أحمد، ص/٣٥٣

فإذا تمناه المرء فقد تمنى كل شدة.

تمنيتها لما تمنيت أن ترى ... صديقا فأعيا، أو عدوا مداجيا

يقول: تمنيت الموت، لما تمنيت أن ترى صديقا مخلصا في صداقته، أو عدوا مساترا للعداوة فأعيا عليك وجود ذلك، فلما لم تجد إلا صديقا غير مخلص وجدت عدوا مظهرا للعداوة، تمنيت الموت.

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة ... فلا تستعدن الحسام اليمانيا

استعد وأعد بمعنى.

يقول: إذا رضيت بالذل، وصبرت على الضيم، فلا معنى لاستعداد السيف، لأن السيف يراد لدفع الضيم.

ومثله لأبي العتاهية:

فصغ ما كنت حلي ... ت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسي ... ف إذا لم تك قتالا ؟

ومثله لعبد الرحمن بن دارة:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا بغايا للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالخمر واقعدوا ... على الذل وابتاعو المغازل بالنبل

ولا تستطيلن الرماح لغارة ... ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

لا تستطيلن: أي لا تطلب طولها، وكذلك لا تستجيدن: أي لا تطلب جودها.

يقول: إذا رضيت بالذل فلا تطلب الرمح الطويل، والخيل الجياد، فإنك لا تحتاج إليها بعد أن رضيت بالذل واحتمال الضيم.

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ... ولا تتقي حتى تكون ضواريا

يقول: إن الحياء لا ينفع الأسد من الجوع ولا يشبعه، ولا يخشى منه إلا إذا كان ضاريا جريئا.

يعني: أن الإنسان إنما يبلغ مراده إذا اطرح قناع الحياء عن وجهه، واتكل على إقدامه.

حببتك قلبي قبل حبك من نأى ... وقد كان غدارا فكن لي وافيا

حببته وأحببته: لغتان: وقلبيك منادى، أي يا قلبي، ومن في موضع نصب بالمصدر الذي هو حبك.

يقول: يا قلبي أحببتك قبل أن تحب الحبيب الذي نأى عنك وغدر بك، فأنكرت غدره فلا تصنع معي من الغدر مثل ما صنع بك حبيبك، فتكون قد فعلت ما كرهته من غيرك.

وجعل حنين قلبه إلى الحبيب غدرا منه، لأنه يؤلمه ويؤدي إلى تلفه، فتقع المفارقة بينه وبين قلبه ! وهي التي ذاقها من حبيبه. وهذا تعريض منه بسيف الدولة.

وأعلم أن البين يشكيك بعده ... فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا

يقول: يا قلبي، أعلم أن البين يحوجك إلى الشكوى، ويؤثر فيك، وإن فعلت ذلك تبرأت منك، ونفيت أن تكون قلبي، لأنك غدرت بي.

فإن دموع العين غدر بربها ... إذا كن إثر الغادرين جواريا

روى: غدرا فيكون مصدرا في معنى غادر فلا يثنى ولا يجمع، ولا يؤنث، وروى غدر وهو جمع غدور.." (١)

"يقول: رأت الأعداء كل من يغدر بك مغدورا به، إما من جهة الحياة بالموت أو من جهة الزمان بالذل.

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان

علات الدهر: حوادثه.

يقول: إن السيف فارق شبيبا على رغم منه، بعد أن كان لا يفارقه فقتل بسيفه على ما يقال.

كأن رقاب الناس قالت لسيفه: ... رفيقك قيسي وأنت يماني

قيس: من عدنان. واليمن: من قحطان. وبينهما عداوة قديمة وتارات وكيدة وهذا الرجل كان من قيس عيلان، والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن.

يقول: كأن رقاب الناس لما تبرمت بقطع شبيب لها، أغرت بينه وبين سيفه ليقتله حتى تسلم الرقاب من شره فقالت له: لم تصحبه ؟! وأنت يماني وهو قيسي، وبين قيس واليمن تلك الحروب والتارات، فبان من يده وضرب عنقه وأخذ منه ثأر اليمن عند قيس.

وأراد أن يذكر سبب قتله بسيفه فعبر عنه بأحسن عبارة.

فإن يك إنسانا مضى لسبيله ... فإن المنايا غاية الحيوان

اسم كان مضمر: أي إن كان شبيب إنسانا مات، فالموت غاية كل حي، فضلا عن كل إنسان.

فهذا كالمرثية له.

وما كان إلا النار في كل موضع ... يثير غبارا في مكان دخان

يقول: كان في أيام حياته نارا في المواقع، وكان يثير الغبار بدل الدخان. جعله نارا وغبار المعركة دخانا.

---

(١) معجز أحمد، ص/٣٧١

فنال حياة يشتهيها عدوه ... وموتا يشهي الموت كل جبان

يقول: عاش في حياة نكدة منغصة يشتهيها كل عدو له، ومات موتة قبيحة تمنى الجبان أن يموت قبل أن يصير إلى مثل حاله.

قيل: قنطر به فرسه. وقيل: إن امرأة رمته بجرة ملآنة عذرة.

وقيل: إن هذا البيت مرثية له.

يقول: إنه عاش في عز وعلاء يتمناه العدو لنفسه، ومات موتا يشجع الجبان؛ لأنه إذا علم أن الموت لا محيص عنه، وأن تحرزه لا ينجيه منه، اشتهى الموت في القتال.

نفى وقع أطراف الرماح برمحه ... ولم يخش وقع النجم والدبران

يقول: دفع رماح الأبطال عن نفسه برمحه، لما خشى أن يصل إليه من جهتهم قتل أو جرح، ولم يخش أن ينزل إليه الموت من السماء.

يعني: استبعد الموت من الجهة التي أتاه منها، كما يستبعد وقع النجوم من السماء. وذلك أن امرأة دلت على رأسه حجرا من سور دمشق، وقيل: سقطت به فرسه. يعني لم يكن يخشى ذلك.

ولم يدر أن الموت فوق شواته ... معار جناحي، محسن الطيران

شواته: أي جلدة رأسه.

يقول: لم يعلم أن الموت نجم أعير جناحا طائر، وأنه يعلم الطيران فيهتدي إليه.

وقد قتل الأقران حتى قتلته ... بأضعف قرن، في أذل مكان

يقول: لم يزل يقتل الأبطال حتى قتلته الأقران بأضعف قرن في أخس مكان وأذله. يعني: المرأة التي دلت عليه الرحى.

أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان

يقول: أتاه الموت من حيث لا يشعر به هو ولا أصحابه فكأنه جاء في طريق خفي على كل أحد ممن حوله.

ولو سلكت طرق السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

الجنان: القلب. والهاء في ردها للمنايا.

يقول: لو جاءته المنايا من طريق الحرب لردها عن نفسه بطول يمينه وسعة قلبه.

تقصده المقدار بين صحابه ... على ثقة من دهره وأمان

تقصده: قيل: قصده، وقيل: قتله.

يقول: قصد موته أو أجله القدر. وهو بين أصحابه، واثق من دهره آمن من صروفه.

وهل ينفع الجيش الكثير التفافه ... على غير منصور وغير معان ؟

التفافه: أي اجتماعه.

يقول: إذا لم يكن الإنسان منصورا من جهة الله تعالى، فلا ينفعه كثرة جيشه واجتماعه.

ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه ... ولم يده بالجامل العكنان

ودى: أي أعطى الدية. وفاعله: ضمير شبيب. وما جنى مفعوله. والجامل: اسم موضع لجماعة الجمال. مثل الباقر: لجماعة البقر. والعكنان: الكثير.

يقول: أعطى دية من قتله من الأقران قبل دخول الليل بنفسه ولم يعط ديتهم بالإبل الكثيرة.

أتمسك ما أوليته يد عاقل ... وتمسك في كفرانه بعنان ؟

يقول: كيف تمسك يد العاقل إحسانك ثم يكفره ؟! وتمسك يده العنان لمحاربتك ! يعني لا يفعل هذا عاقل، وإن رامه خذلته يده.

وعطف تمسك على تمسك ولو نصب الثاني لجاز. كقولك: أتأكل السمك وتشرب اللبن.." (١)

"فولت تريغ الغيث والغيث خلفت ... وتطلب ما قد كان في اليد بالرجل

يقول: ولت بنو كلاب لما قصدهم دلير، وذهبت بالوادي تطلب الغيث لإبلها، وخلفت الغيث: وهو طاعة السلطان.

يعني: أنها تركت ما كانت فيه من الأمن والخصب، لما خرجت من طاعة السلطان، ورجعت إلى البوادي تطلب مساقط الأمطار.

تحاذر هزل المال وهي ذليلة ... وأشهد أن الذل شر من الهزل

وهي ذليلة: يعني بنو كلاب.

يقول: خافت أن تهزل أموالها، فخرجت تنتجع الأمطار والمراعي. وما لحقها من الذل شر من هزال المال.

وأهدت إلينا غير قاصدة به ... كريم السجايا يسبق القول بالفعل

غير قاصدة نصب على الحال، ونصب كريم لأنه مفعول أهدت وهو فعل بني كلاب، وبه يرجع إلى كريم

---

(١) معجز أحمد، ص/٣٩٨

السجايا وهو مقدم في المعنى.

يقول: كان سبب مجيء دلير إلينا، مجيء بني كلاب، فكأنها أهدته لنا وإن لم تقصد ذلك، وهو يبتدئ بالنوال قبل الوعد بالسؤال.

تتبع آثار الرزايا بجوده ... تتبع آثار الأسنة بالفتل

الفتل جمع فتيلة.

يقول: جر بجوده كل مصيبة أصابتنا، في نفس أو مال. وأصلح حالنا، كما تصلح الجراح بالفتل عند المعالجة.

وروى بالقتل يعني: أتى على المصائب بعطاياه، كما يأتي بالقتل على آثار الأسنة: أي لا يحتاج مع القتل إلى معالجة آثار الأسنة.

شفى كل شاك سيفه ونواله ... من الداء حتى الثاكلات من الثكل

يقول: شفى كل إنسان مما كان يشكوه، فشفى الفقر بنواله، والجور بسيفه، وأخذ للثاكلات بثأرهن؛ فشفاهن من الثكل.

عفيف تروق الشمس صورة وجهه ... ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل

شوقا مفعول له.

يقول: هو مع عفته قد عشقته الشمس، فلو نزلت من شوقها إليه، لعدل عنها إلى الظل لعفته.

شجاع كأن الحرب عاشقة له ... إذا زارها فدته بالخيل والرجل

يقول: تسلم إليه الحرب من شاء قتله أو سبيه، فكأنها عاشقة له، وتفديه بهم.

قال ابن جني: هذا من بدائع معانيه.

وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه ... وعطشان لا تروى يداه من البذل

يقول: لا يرغب في الشراب؛ لما فيه من الإثم، فهو ريان عنه، ولا يفتر عن البذل؛ لما فيه من الحمد، فهو عطشان إليه.

فتمليك دلير وتعظيم قدره ... شهيد بوحدانية الله والعدل

يقول: تمليك الله تعالى إياه، وتعظيمه لقدره، دليل على التوحيد والعدل؛ لأن توليته إياه حكمة وصواب، ووضع للحق في موضعه.

وما دام دلير يهز حسامه ... فلا ناب في الدنيا لليث ولا شبل

يعني: أن أنياب الأسود لا تعمل عمل سيفه، فكأنها في جنب سيفه معدومة.

وما دام دلير يقلب كفه ... فلا خلق من دعوى المكارم في حل

أي ما دام هو يقلب كفه بالعطاء وقتل الأعداء فليس لأحد ادعاء المكارم، لأنه قد ملك المكارم.

فتى لا يرجى أن تتم طهارة ... لمن لم يطهر راحتيه من البخل

يقول: هو فتى يعتقد أن الطهارة من الأنجاس لا تتم إلا بتطهير الراحة من البخل، فكما أن الطهارة من الأنجاس واجبة، كذلك اجتناب البخل واجب.

وقيل: أراد بالطهارة: الختان، أي أن طهارة الختان لا تتم إلا بإزالة البخل.

فلا قطع الرحمن أصلا أتى به ... فإني رأيت الطيب الطيب الأصل

يقول: هو طيب وأصله الذي أتى به طيب إذ الطيب لا يأتي إلا من أصل طيب، فلا قطع الله تعالى أصلا جاء بمثله.

العميديات

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد، حين ورد عليه بأرجان في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

باد هواك صبرت أم لم تصبرا ... وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

باد أي ظاهر، وهواك: رفع بالابتداء وباد خبره مقدم عليه عند سيبويه.

وعند الأخفش: باد مبتدأ وهواك مرتفع به كما يرتفع الفاعل، وقد سد مسد المبتدأ.

وقوله: أو لم تصبرا في موضع جزم، وأصله: تصبرن بالنون الخفيفة للتأكيد، فأبدل عنها ألفا في الوقف، كقوله تعالى: " لنسفعا " وقول الأعشى:

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

هذا قول البصريين. وفي قول البغداديين: أنه خاطب الواحد الاثنين كقول الآخر:

فإن تزجراني بابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا." (١)

"يقول: صفت وشتوت على هذه الحال، وكنا أهل عز ومنعة، فكلما سمعنا بروضة كثيرة العشب قصدنا إليها، ورعينا إبلنا فيها، وإذا علمنا بحلة غزوناها وأغرنا عليها واغتنمنا أموالها.

---

(١) معجز أحمد، ص/٤٣١

أو عرضت عانة مفزعة ... صدنا بأخرى الجياد أولاها

العانة: قطعة من حمر الوحش. ومفزعة: أي مسرعة، لأنها إذا فزعت أسرعت في العدو.

يقول: كنا في تلك الناحية إذا عرضت عانة من الحمير صدنا بأخرى الجياد أي بأردئها: التي تكون متأخرة عن صواحبها في الجودة، أولى حمير الوحش: وهي السوابق منها.

أو عبرت هجمة بنا تركت ... تكوس بين الشروب عقراها

الهجمة: القطعة العظيمة من الإبل. قال الأصمعي: ما بين الأربعين إلى المئة. وتكوس: أي تمشي على ثلاث قوائم عندما عقرناها. والشروب: جمع شرب والشرب: جمع شارب. والعقري: جمع عقير.

يقول: إذا عبرت بنا قطعة من الإبل عقرنا الأدبار، فتكوس بين الشاربين.

والخيل مطرودة وطاردة ... تجر طولى القنا وقصراها

قوله: والخيل مطرودة وطاردة: أي لم تنفك غارة، ومطاردة، فتارة لنا وتارة علينا. والطولى: تأنيث الأطول: والقصرى: تأنيث الأقصر.

يعجبها قتلها الكماة ولا ... ينظرها الدهر بعد قتلاها

ينظرها: يؤخرها.

يقول: يعجب الخيل قتلها الكماة، ثم لا تلبث أن تقتل بعدها طلبا **للثأر.**

وقيل: أراد بالخيل أصحابها.

والمعنى: أنها إذا قتلت أعداءها أعجبها ذلك، وهي بعد ذلك لا يمهلها الدهر بعد من قتلت. أي: أصحاب الخيل، لأن العاقبة إلى الفناء.

وقد رأيت الملوك قاطبة ... وسرت حتى رأيت مولاها

يقول: رأيت الملوك كلهم، والآن رأيت عضد الدولة الذي هو سيد الملوك.

قال ابن جني: بلغني أن سيف الدولة قال لما سمع هذا البيت: أترى نحن في الجملة ؟!

ومن مناياهم براحته ... يأمرها فيهم وينهاها

يقول: إن الموت تحت يده وطاعته ! فهو متى شاء يأمر ملك الموت في الملوك وينهاه عنهم ! أي يملك أرواح الملوك إن شاء أهلكهم وإن شاء أمهلهم.

أبا شجاع بفارس عضد ال ... دولة فناخسرو شهنشاها

هذه الأوصاف، والكنية، والاسم، نصب بدلا من مولاها ومن روى: أنه منادي قال: أبو شجاع كنيته، وشهنشاه لقبه، وفناخسرو اسمه، وفارس مقره. أي: لقيته بفارس.

أساميا لم تزده معرفة ... وإنما لذة ذكرناها

نصب أساميا بفعل مضمر. أي ذكرت أساميا.

يقول: لم أذكر هذه الأسامى لزيادة معرفة بها، إذ هو بذاته وصفاته مشهورة، وإنما ذكرناها التذاذا بذكرها.

تقود مستحسن الكلام لنا ... كما تقود السحاب عظماها

عظماها أي معظمها. والهاء للسحاب وتقود فاعله ضمير الأسامى.

يقول: إن أساميه المذكورة، ومساعيه المشهورة، تقود لنا مستحسن الكلام في مدحه، كما يقود السحاب بعضه بعضا وينضم إلى معظمه. وهذا كقول الآخر:

إذا امتنع الكلام عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا

هو النفيس الذي مواهبه ... أنفس أموالہ وأسناها

يقول: هو كريم شريف الخطر، فلا يهب إلا أنفس أمواله، وأكرم ذخائره. وروى عن عبد الصمد أحد خزان عضد الدولة أنه أمر لأبي الطيب بألف دينار عددا، وزن سبع مئة، فلما أنشد هذا البيت تقدم إلي بأن أبدلها بألف وازنة.

لو فطنت خيله لنائله ... لم يرضها أن تراه يرضاها

يقول: إذا رضى فرسا، وهبه لقاصده، فلو فطنت خيله لهذا الرضا منه، لم يسرها أن تراه راضيا بها؛ لأنه إذا رضيها وهبها، وهي لا تحب الانتقال عنه.

لا تجد الخمر في مكارمه ... إذا انتشى خلة تلافاها

خلة نصب بتجد.

يقول: إن الخمر لا تجد في أخلاقه الكريمة خللا قبل السكر، حتى إذا شربها تلافته وأزالته.

تصاحب الراح أريحيته ... فتسقط الراح دون أدناها

الأريحية: الاهتزاز للكرم.

يقول: إن أريحيته تهزه للكرم وتعينها الراح، غير أن أدنى تأثير أريحيته، يزيد على أثر فعل الراح فيه.

تسر طرباته كرائنه ... ثم يزيل السرور عقباها

الكرائن: جمع كرينة، وهي الجارية العوادة، والهاء في عقباها للطربات.." (١)

"فقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتا مقلتيك أصاب عود

قوله استقلوا يقول لما احتمل من يحب على الابل سايرين والصهب الابل البيض يضرب بياضها إلى الحمرة والهوادي الأعناق والقود الطوال كتمت عواذلي مافي فؤادي أي أخفيت عنهن ما أجده من الوجد بالمتحملين وأظهرت لهن السرور ببعدهم خوفا من لائمتهن وبعيد يقع للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد وكذلك قريب قال الله تعالى " وما هي من الظالمين ببعيد " والمعنى مكان بعيد وقريب ومن بناه على قرب وبعد ولم ينو المكان ثنى وجمع وأنث . وقوله وفاضت عبرة أشفقت منها أي خفت من ظهورها وتجود تأتي بدمع غزير والوابل أكثر منه وأصلهما في المطر والفريد جمع فريدة وهي الشذرة من الفضة كاللؤلؤة وقوله كلا ليس الأمر كما زعمتن ومعناها الردع والزجر والجليد الجلد يقول لم أبك ولكن أصاب عيني عود أقذاها فجرى دمعها فقالوا أي قال العاذلون والعاذلات فلذلك أتى بالواو ما لدمعهما سواء أي فما أجرى دمع الأخرى وإنما قالوا ذلك تكذيبا له وكلتا اسم لتثنية المؤنث كما أن كلا للمذكر وألفها للتأنيث وتاؤها منقلبة عن الوار وأصلها كلوى.

وقوله من ذلك الحشمة . الحشمة في اللغة لها موضعان أحدهما الغضب والآخر الحياء وقيل للمبرد الحشمة الغضب والحشمة الحياء ما معنى ذلك فقال الغضب والحياء كلاهما نقصان يلحق النفس فكان مخرجهما واحدا وسمي حشم الرجل حشما لأنهم يغضبون لغضبه .

وأما زكنت الأمر فقال ابن درستويه معناه حزرت وخمنت وقال وأهل اللغة يقولون معناه علمت ويستشهدون عليه ببيت قعنب وليس فيه دليل على تفسيرهم أنما معناه خمنت على مثل ما خمنوا عليه من سوء الظن والعرب تقول فلان صاحب أركان وليس يعنون به صاحب علم ولكن صاحب حزر وأنشد أبو محمد بيت قعنب:

ولن يراجع قلبي حبهم أبدا ... زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

يقول قد علمت من بغضهم لي مثل ما علموا من بغضي لهم فقلبي لا يودهم أبدا لذلك يعني بني ضب وبني وهب وهم بنو أعمامه من بني عبد الله بن غطفان وكانوا يحسدونه ويروى زكنت من بغضهم .

وقوله أن القافلة لا تسمى قافلة حتى يصدروا . فقال الأزهري هذا غلط ما زالت العرب تسمي الناهضين في

---

(١) معجز أحمد، ص/٤٤٥

ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلا بأن ييسر الله لها القفول وهو شائع في كلام فصحائهم والذي قال الأزهري هو قول ابن الأعرابي .

وأما المأتم فأصله من الجمع وهو الأتم في الخرز وهو أن ينفتق خرزتان فتصيرا واحدة وأمرأة أتوم إذا التقى مسلكاها والفعل منه أتم يأتم وأتم يأتم ومأتم من أتم يأتم وقال أبو عطاء السندي وكان فصيحا واسمه مرزوق:

ألا أن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود

عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدي مأتم وخدود

يرثى ابن هبيرة وكان المنصور قتله بعد أن أمنه وسبب ذلك أنه دخل على المنصور يوما فقال له حدثنا فقال له يا أمير المؤمنين إن سلطانكم حديث وإمارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فو الله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأثأره المنصور بصره وقال لا يعز ملك فيه مثل هذا ثم قتله فلما حمل رأسه إليه قال للحرسي أترى إلى طينة رأسه ما اعظمها فقال الحرسي طينة أمانه أعظم من طينة رأسه. قوله لم تجد لم تسمح بالبكاء وجمود قليلة الدمع يقال عين جامدة وجمود وسنة جماد قليلة القطر وعشية بدل من قوله يوم واسط وأسماء الزمان تضاف إلى الأفعال وهو تحديد وتوقيت ومعنى قيام النائحات تهيؤها للنوح كما تقول قامت السوق والجيوب جمع جيب والفعل منه جبت القميص إذا قورت جيبه وجيبته إذا عملت له جيبا وقال سلمت جبت القميص وجبته وأنشد لأبي حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع:

رمته أناة من ربيعة عامر ... نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

فجاء كخوط البان لا متتابع ... ولكن بسيما ذي وقار وميسم

فقلن لها سرا فديناك لا يرح ... صحيحا وإلآ تقتليه فألمي

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين كف ومعصم

وقالت فلما أفرغت في فؤاده ... وعينيه منها السحر قلن له قم." (١)

"قال الزجاج السنة أربعة أجزاء لكل ربع منها سبعة أنواء كل نوء منها ثلاثة عشر يوما ويزاد فيها يوم واحد لتكمل أيام السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وهذا ما تقطع به الشمس بروح الفلك كلها فإذا نزلت الشمس يوما من هذه المنازل سترته لأنها تستر ثلاثين درجة خمس عشرة درجة خلفها وخمس عشرة درجة

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٤٩

أمامها فإذا انتقلت عنه ظهر فإذا اتفق أن يطلع منزل من هذه المنازل مع الغداة ويغرب رقيبه فذلك النوء وهو مأخوذ من ناء ينوء إذا نهض متثاقلا والعرب تجعل النوء للغارب لأنه ينهض للغروب متثاقلا على ذلك أكثر أشعارها وبعضهم يجعله للطالع وهو مذهب المنجمين لأن الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط ولا قوة وقال الحربي جعلوا النوء للساقط من المغرب لما كان لا يطالع نجم أبدا إلا بسقوط نظيره نقلوه من الطالع فجعلوه للذي يغرب وهذه المنازل كلها تقطع من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة وهو دور الفلك ولكن النوء ينسب إلى المنزل الذي يظهر من تحت الشعاع ويتفق طلوعه مع الغداة كما ذكرت لك ولا يتفق ذلك لكل واحد منهما إلا في السنة مرة.

فالربع الأول ابتداؤه في تسعة عشر يوما من آذار وبعضهم يقول في عشرين يوما وفيه إستواء الليل والنهار يطلع يوم العشرين مع الغداة فرغ الدلو الأسفل ويسقط العوا والعرب تنسب نوءه إلأى العوا وهو الغارب وكذلك سائر الأنواء فنذكرها على مذاهبهم والعواء تمد وتقصر وهي خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب ولذلك سميت العواء للانعطاف الذي فيها يقال عويت الشيء إذا عطفته وقال بعضهم سميت العواء كأنها خمسة كلاب تعوي خلف الأسد وهي في برج السنبلة. والثاني السماك وهما سماكان الأعزل والرامح فالأعزل كوكب يقدمه يقال هو رمحه وهو في برج الميزان وسمي الآخر أعزل لأنه لا كوكب معه شبه بالرجل الأعزل وهو الذي لا رمح معه وقيل سمي أعزل لأن القمر لا ينزل به وسمى سماكا لارتفاعه وعلوه وهو اسم خص به ولا يقال لغيره من الأشياء إذا علا سماك والسماك الرامح لا نوء له. والغفر ثلاثة كواكب غير زهر منها كوكبان قدام الزبانيين والزبانيان قرنا العقرب وإنما سمى الغفر من الغفرة وهو الشعر الذي في طرف ذنب الأسد وقيل إنما سمى الغفر لأنهما كأنهما ينقصان بنقصان ضوئها من قولك غفرت الشيء إذا غطيته لأنه لما خفى صار كالمغفرة وقال أبو عبيدة الغفر شعر صغار دون الكبار وريش صغار دون الكبار سمى بذلك لأنه يغطي الجلد لأنه دون ما فوقه والغفر النكس في المرض وسمى النكس غفرا لتغطيته العافية. والزباني كوكبان مقتونان وهما قرنا العقرب وبعضهم يسميها يدي العقرب واشتقاقها من الزبن وهو الدفع لأن كل واحد منهما مرتفع مندفع عن صاحبه غير مقارن له. والإكليل ثلاثة كواكب مصطفة على رأس العقرب فلذلك سميت الإكليل والقلب وهو كوكب أحمر نير وسمى بذلك لأنه في قلب العقرب. والشولة كوكبان مقترنان أحدهما مضيء سمى بذلك لأنه ذنب العقرب وذنب العقرب شائل أي مرتفع ومنه يقال شال الميزان أي ارتفع وأهل الحجاز يسمون الشولة الإبرة وهي التي تسميها العامة أرق الشعر فغير صحيح وأخبرني ابن أيوب بإسناده عن

ابن الكلبي أنه قال إنما سمي مهلهلا ببيت قاله وهو:
لما توقل في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا
وكان مهلهل جاهليا. قال أبو محمد " حفص زبيل من جلود " لم يسم الرجل حفصا بالزبيل وإنما سمى باسم الأسد لأنه يدعى حفصا كما يسمى أسدا وبه كني عمر رضي الله عنه قال ثعلب ومدح رجل رجلا فقال " وإن حفصا كحفص الضيغم العادي " قال أراد كحفص فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويقال لولد الأسد حفص. الأخطل سمي بذلك من قولك خطل في كلامه يخطل خطلا إذا كان مضطرب الكلام مفوها لا من الخطل الذي هو استرخاء الأذن كما ذكر أبو محمد. وقريش قيل سميت قريشا لتقرشها أي لتجمعها إلى مكة من حواليها حين غلب عليها قصي ابن كلاب وقيل سميت قريشا لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع والقرش الكسب وروى عن ابن عباس أنه قال قريش دابة تسكن البحر وأنشد في ذلك:
وقريش هي التي تسكن البح ر بها سميت قريش قريشا." (١)

"عيناء بقرة وصفت بذلك لسعة عينيها وتزجى تسوق والبحزج ولدها والارندج جلود سود يقول كأنه قد ألبس سراويل من الارندج لسواد قوائمه والناعجات البقر لبياضهن والملاء جمع ملاءة وهي الريطة وقال
فهن يعكفن به إذا حجا ... عكف النبيط يلعبون الفنزجا
يوم خراج يخرج السمرجا يعكفن أي يقبلن عليه والعكف إقبالك على الشيء لا تصرف عنه وجهك وحجا وقف يقول هذا البقر يقبلن على الثور إذا وقف لا يصرفن وجوههن عنه والنبيط النبط وقال ابن الأعرابي الفنزج لعب النبيط إذا بطروا وقال الأصمعي الفنزج النزوان. وقال:
مياحة تميع مشيا رهوجا ... تدافع السيل إذا تعمجا
يصف امرأة والمياحة التي تختال في مشيتها وتتثنى والرهوج السهل من المشي والتعمج التلوي يقول هي تتلوى وتتثنى كما يتلوى السيل ونصب مشيا على المصدر لأن يمتج بمعنى تمشي مشيا سهلا مثل تدافع السيل متلويا. وقال:
وصاح خاشى شرها وهجهجا ... وكان ما اهتض الجحاف بهرجا
يصف حربا يقول صاح من خشي هذه الحرب جنبا وفرقا وقوله هجهجا أي زجر واهتض كسر والجحاف والتجاحف في القتال تناول القوم بعضهم بعضا بالسيوف والعصي يقول كان ما كسرت المجاحفة في الحرب

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٦٧

من القتل وغيره بهرجا أي باطلا لا يثأر من قتل.
وأنشد للنابغة الذبياني ويروى لأوس بن حجر:
هل تبلغينهم حرف مصرمة ... أجد الفقار وإدلاج وتهجير
قد عربت نصف حول أشهرا جددا ... يسفى على رحلها بالحيرة المور
وقارفت وهي لم تجرب وباع لها ... من الفصافص بالنمي سفسير
الحرف الناقة الضامر شبهت بحرف الكتابة وقيل شبهت بحرف الجبل وقيل سميت حرفا لانحرافها من السمن إلى الهزال والمصرمة التي لا لبن بها وإذا لم يكن بها لبن كان أقوى لها وإلا جد الموثوقة الخلق والفقار خرز الظهر الواحدة فقارة والأدلاج سير الليل والتهجير سير نصف النهار وعربت تركت من الركوب ويروى وقد ثوت نصف حول أي أقامت والجدد التامة والمور التراب الدقيق ويسفى تحمله الرياح حتى تصيره عاليا على الرحل وقارفت دنت من الجرب ولما تجرب بعد وإنما دنت من الجرب لأنها أقامت في الريف ويقال معناه دانت الجربى وباع لها اشترى لها والفصافص الرطبة والنمي الفلوس الواحدة نمية ونمية والسفسير الخادم وقيل السفسير الذي يقوم على الناقة يصلح شأنها والجمع السفاسرة يصف طول مقامه بالريف وما يقرب منه حتى خشي على ناقته من الجرب لأن الجرب عندهم يكثر بالريف وصارت تعتلف الرطبة وألقت علف الأمصار يهجو بذلك حيا من إياد يقال لهم برد يريد أنه أطال المقام عندهم فلم يصنعوا به خيرا.
قال أبو محمد " والمقمجر القواس وهو بالفارسية كما نكر " وأنشد للحماني:
وقد أقلتنا المطايا الضمر ... مثل القسي عاجها المقمجر
أقلتنا حملتنا والمطايا جمع مطية والضمر جمع ضامر والضمر الهزال لأنها إذا ضمرت بدت ضلوعها وهي معوجة فشبهها بالقسي وعاجها عطفها. قال وقال الأعشى:
وبيداء تحسب آرامها ... رجال إياد بأجيادها
البيداء الفلاة سميت بيداء لأن الأشياء تبيد فيها أي تهلك لسعتها كما سميت مفازة من قولهم فوز الرجل إذا هلك والآرام الأعلام الواحد إرم وإرمى ويرمي وإيرمي وشبهها برجال إياد إذا لبسوا الأجياد وهي جمع جيد وهي مدرعة من صوف وإياد توصف بعظم الأجسام وقيل بأجيادها أي بأعناقها في طولها ويروى بأجلادها والأجلاد الأجسام.
وأنشد أبو محمد علي القيروان قول امرئ القيس:

وغارة ذات قيروان ... كأن أسرابها الرعال

الأسراب جمع سرب وهو القطيع من البقر والظباء والنساء والقطا والخيل شبه أسراب الخيل برعال النعام والرعلة النعامة سميت بذلك لأنها لا تكاد ترى إلا سابقة للظليم. قال أبو محمد قال الأعشى وذكر الخمار:

فقلت لمنصفنا اعطه ... فلما رأى حضر إشهادها

أضاء مظلته بالسرا ج والليل غامر جدادها." (١)

"حيث في موضع نصب يريد أضرب من رأسك ذلك الموضع وكانوا يقولون أن المقتول إذا لم يدرك بثأره خرج من رأسه هامة تقول اسقوني اسقوني فإذا قتل قاتله أمسكت وقيل معناه ألا تدع شتمي أضربك على هامتك حيث تعطش والعرب تقول العطش في الرأس قال قد علمت إني مروى هامها وقوله لاه ابن عمك فحذف لام الجر ولام التعريف وابن عمك مبتدأ ولله خبره والكلام تعجب وتفخيم ولا أفضلت في حسب أي لم تفضلني في حسب فتستطيل علي ويقال أفضل عليه إذا ناله من فضله وأحسن إليه وأفضل من كذا ترك منه شيئا وأفضل عنه أتى بفضل دونه وذاهبا عنه وإنما قيل هذا لأن عن لما عدا الشيء منصرفا عنه وقوله ولا أنت دياني فتخزوني أي ولا أنت مالك أمري فتسوسني يقال دنته أي ملكته وخزوته سسته وقهرته وروى أحمد بن عبيد لاه ابن عمك على الخفض وقال هو قسم المعنى ورب ابن عمك وقوله لا أفضلت جواب القسم. وأنشد لقيس بن الخطيم:

صبحناهم الآطام حول مزاحم ... قوانس أولى بيضنا كالكواكب

لو أنك تلقي حنظلا فوق بيضنا ... تدحرج عن ذي سامه المتقارب

صبحناهم أي غاديناهم ويروى الآجام جمع أطم وأجم وهو الحصن وقيل هو كل بيت مربع.

يقول لما أطلعنا عليهم كانت قوانس كالنجوم لبريقها وخص أولى البيض لأن الرؤية عليها تقع أولا ولأن ما وراءها يستره الغبار وقوله لو أنك تلقى حنظلا فوق بيضنا لم يسقط إلى الأرض لشدة تراصنا وانضمام بعضنا إلى بعض وذلك من كثرتهم وذو السام البيض المطلى بالذهب ويقال أن السام في البيت خطوط ذهب والسام عروق الذهب الواحدة سامه. قال أبو محمد عن مكان بعد وأنشد بعض بيت للحارث بن عباد قبله:

لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٢٥

بجير هو بجير بن عمرو بن مرة بن عباد وكليب هو كليب بن وائل بن الحارث بن عباد اعتزل الفريقين حتى قتل مهلهل بجيرا وقال بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحارث حينئذ وقال هذا الشعر وقوله تزاجروا أي زجر بعضهم بعضا والنعامة اسم فرس الحارث بن عباد والمربط الموضع الذي تربط فيه واللقاح الحمل والحيال ضده وإذا بقيت الناقة أعواما لم تلقح ثم ألقحت كان أقوى لولدها كما أن الأرض إذا لم تزرع أعواما كان أكثر لنباتها لأن النتاج بمنزلة الحرب عندهم وهذا مثل ضربه لشدة الحرب. وأنشد أبو محمد لامرئ القيس:

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

يضحى أي يدخل في الضحاء وهي ههنا تامة لا خبر لها وفتيت المسك ما تفتت منه أي تحات عن جلدها في فراشها وقيل كأن في فراشها مسكا من طيب جسدها كما قال:

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

ونؤوم الضحى منصوب على أعني وفيه معنى المدح ولا يجوز نصبه على الحال لأن الفعل لم يعمل في المضاف إليه شيئا وقد روى نؤوم الضحى على معنى هي نؤوم الضحى ويجوز نؤوم الضحى بالجر على البدل من الهاء والألف في فراشها والضحى مؤنثة وتصغيرها والقياس ضحية ولم يقولوه لئلا يلتبس بتأنيث ضحوة والانتطاق الانبراز للعمل والتفضل أن تبقى في ثوب واحد. وأنشد أبو محمد للعجاج.

ومنهل وردته عن منهل ... قفرين هذا ثم ذا لم يؤهل

المنهل المورد يريد رب مورد وردته بعد مورد آخر نزلته قفرين لم يردهما أحد خاليين يعني المنهلين لم يؤهل لم يحل به قوم فيكون أهله.

وأنشد أبو محمد للجعدي:

وأسأل بهم أسدا إذا جعلت ... حرب العدو تشول عن عقم

شالت الناقة إذا رفعت ذنبها عند اللقاح فاستعاره للحرب والعقم مصدر قولك عقمت المرأة وعقمت الرحم إذا لم تقبل الولد وإذا لقحت الناقة بعد ذلك كان أقوى لولدها وهذا كقوله لقحت حرب وائل عن حيال.

قال أبو محمد عن مكان من أجل قال لبيد يصف الحمار والاتن:

وأقبلها النجاد وشايعته ... هواديها كأنضية المغالي

لورد تقلص الغيطان عنه ... يبذ مفازة الخمس الكمال." (١)

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٣٣

"وهو إذا ما هز للتقدم ... ليوم روع أو فعال مكرم

يصف رجلا بالشجاعة والجود يقول إذا ما هز في يوم فزع ليتقدم تقدم وقاتل وكذلك إن هز في يوم عطاء وجود أعطى وجاد. وقال الآخر:

بثين الزمي إلا أن لا أن لزمته ... على كثرة الواشين أي معون

بثين ترخيم بثينة يريد يا بثينة وبثينة تصغير بثنة ومعناها في اللغة الزبدة والبثنة أيضا الرملة اللينة والبثنة النعمة في النعمة يقول ردي على الواشين قولهم وإذا سألوك فقولي لا فانهم إذا عرفوا منك ذلك انصرفوا عنك وتركوك فيكون لزوم لا عونا لك عليهم.

قال أبو محمد قد جاء فعلول في حرف واحد نادر قالوا بنو صعفوق لخول باليمامة قال العجاج:

هافهوذا فقد رجا الناس الغير ... من أخذهم على يديك والثؤر

من آل صعفوق واتباع آخر

قوله فهو ذا أي الأمر هو الذي ذكرته من مدحي لعمر بن عبد الله بن معمر التيمي ورجا الناس أن يتغير أمرهم من فساد إلى صلاح ومن شر إلى خير بإمارتك ونظرك في أمورهم ودفع ما دهمهم من أمر الخوارج والثؤر جمع ثؤرة وهي الثأر أي آملون أن يثأر بمن قتلت الخوارج من المسلمسن وآل صعفوق من الخوارج وأشياعهم أتباعهم ويقال لبني صعفوق الصعافقة وصعفوق لا ينصرف لأنه أعجمي وقد تكلمت به العرب مفتوح الأول.

قال أبو محمد قال سيبويه قد جاء فعلاء بفتح العين في الأسماء دون الصفات قالوا قرماء وجنفاء وهما مكانان وأنشد:

رحلت إليك من جنفاء حتى ... أنخت فناء بيتك بالمطالي

وأنشد: كأن حوافر النحام لما تروح صحبتي أصلا محار

على قر ماء عالية شواه ... كأن بياض غرته خمار

المطالي قال أبو علي واحدها مطلاء زعموا قال وهذا في الأماكن مثل قولهم محلال والمطالي إلى جنب النباج وقال غيره إنما أراد المطلاء فجمعها بما حولها وهو واد في بلاد بني أبي بكر بن كلاب. وقول الآخر كأن حوافر النحام هو سليك بن السلكة السعدى والنحام اسم فرسه وكان فرسه مات في هذا الموضع وانتفخ فشخصت قوائمه أي ارتفعت فشبهها بالمحار وهي الصدف وشبه غرته بالخمار ويروى عالية شواه وهما مبتدأ وخبر ويروى عاليه شواه وشواه قوائمه.

قال أبو محمد وقال سيبويه قد جاء فعلاء في حرف واحد وهو صفة قالوا للأمة ثأداء بتسكين الهمزة وثأداء بفتحها وأنشد للكميت:

وما كنا بني ثأداء لما ... شفينا بالأسنة كل وتر

أي لم نكن هجناء أولاد أماء وأولاد الإماء يعيرون أمهاتهم يقول لو كنا بني أماء لما شفينا نفوسنا ولا أدركنا ثأرنا من أعدائنا والوتر الذحل.

قال أبو محمد قال سيبويه وهبلع وهو صفة قال وأنشد غيره:

فشحا جحا فله جراف هبلع

البيت لجرير وأوله:

وضع الخزير فقيل أين مجاشع ... فشحا جحا فله جراف هبلع

الخزير أن يقطع اللحم صغارا وتغلى بماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق وقيل هو الحساء من الدسم والدقيق وبنو مجاشع يعيرون الخزيرة فشحا أي يفتح فمه والجحفلة من الفرس بمنزلة الشفة من الإنسان فاستعارها هنا لمجاشع تقبيحا والجراف الكثير الأكل والهبلع الشديد البلع.

قال أبو محمد ولم يأت على فعلان إلا حرف واحد قال:

ألا يا ديار الحي بالسبعان

الشعر لابن مقبل تميم بن أبي وعجز البيت:

أمل عليها بالبلى الملوان

السبعان جبل في قبل فلح والملوان الليل والنهار ولا يفرد واحد منهما يريد أن الليل والنهار أملا عليها أسباب البلى فزاد الباء كما قال لا يقرأن بالسور وهو من أمللت الكتاب أمله وخاطبها ثم خرج من خطابها إلى الأخبار عن الغائب وقيل يجوز أن يكون أمل عليها من قولك أمللت الرجل إذا أضجرته وأكثرت عليه مما يؤذيه كأن الليل والنهار أملاها بكثرة ما فعلا بها من البلى.

قال أبو محمد ولم يأت فيعل إلا في المعتل نحو سيد وميت غير حرف واحد جاء نادرا قال رؤبة:

ما بال عيني كالشعيب العين

الشعيب المزادة وهي في الأصل صفة غالبة فعيل في معنى مفعول والعين التي فيه، عيون فهي تسيل وهم يشبهون خروج الدمع من العين بخروج الماء من خرز المزادة كما قال كأنهما مزادتا متعجل يعني عينيه يروى

العين والعين بالفتح والكسر.

شرح ما في شواذ الأبنية من الأمثلة الغريبة." (١)

"يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضا:

ظفرت بقبلة منه اختلاسا ... وكنت من الرقيب على حذار

ألذ من الصبوح على غمام ... ومن برد النسيم على خمار

وقال تميم:

إذا رحت من سكر غدوت إلى سكر ... وأنفقت في لهوي وفي لذتي عمري

ولم لا أجر الذيل في ساحة الصبا ... وشرخ شبابي قائم لي بالغدر

ومهتزة الأعطاف، تهتز للصبا ... كما اهتز غصن البان في الورق الخضر

مهفهفة صفراء، إلا لآلئا ... إذا ابتسمت بيضا يلحن من الثغر

قطعت بها ليل التمام وبدره ... إذا ما رآها ظنها غرة البدر

وقال:

وقهوة في كأسها تزهر ... يفوح منها المسك والعنبر

وردية يحتثها أحور ... كأنها من خده تعصر

مهفهف لم يبتسم ضاحكا ... مذ كان، إلا كسد الجوهر

وقال أبو العتاهية:

لهفي على الزمن القصير ... بين الخورنق والسدير

إذ نحن في غرف الجنان نعوم في بحر السرور

في فتية ملكوا عنان الدهر أمثال الصقور

يتعاورون مدامة ... صهباء من حلب العصير

عذراء رباها شعاع الشمس في حر الهجير

ومقرطق يمشي أمام القوم كالرشأ الغرير

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٤٦

بزجاجة تستخرج السر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدري في كف المدير
وقال ايضا:
أحل العراقي النبيذ وشربه ... وقال: الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد ... فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها، لا فارق الوازر الوزر
وقال تميم:
السكر في أسكر عندي وقار ... فاخلع بها للهو عنك العذار
ولا تطع في نشوة لائما ... إن قبول اللوم في السكر عار
وهاكها تسلب عقل الفتى ... وحلمه في لطف واختصار
حمراء في الكأس فإن شعشعت ... ولد قرع الماء فيها اصفرار
في قدح ليس له مشبه ... إلا صفا الماء وضوء النهار
كأنما الساقي إذا مجه ... في صفوها يجمع ثلجا ونار
فرح صريع الكأس إن كنت من ... أبنائها واغد خليع العذار
أما ترى النيل وريح الصبا ... تنظم فيه زردات صغار
لا سيما إن غرد الناي أو ... ناولك الكأس صموت السوار
وبت تجني لعسا أشنبا ... مستعذب الظلم برود القطار
ومقلة مضمرة فتكة ... ووجنة منبتة جلنار
كأن لام الصدغ في عاجها ... ليل تبدى جنحه في نهار
وقال أيضا:
رب صفراء عللتني بصفراء وجنح الظلام مرخى الإزار
بين ماء وروضة وكروم ... ورواب أنيقة الأزهار
تثنى بها الغصون علينا ... ويجيب القيان فيها القماري
وكأن الدجى غدائر شعر ... وكأن النجوم فيها مداري

وانجلى الغيم عن هلال تبدى ... في يد الأفق مثل نصف سوار

فأسقياني فأنني أطلب المجد بثأر والحادثات بثار

وندامى لو لم يكونوا من الإنس لما ناسبوا سوى الأقمار

بت أسقيهم ويسقونني الراح على طيب رنة الأوتار

وبساط من الحديث شهي ... كنبات النسرين بين البهار

لم نزل نلثم الكئوس إلى أن ... دفن الليل في فؤاد النهار

وقال عبد الله بن المعتز:

وقد يباكرني بالراح صافية ... كأنها قبس بالكف مشهور

يريق في كأسها من صوب غادية ... فالخمر ياقوتة والماء بلور

وقال صريع:

وبنت يهودي حضرت زفافها ... وقد حليت درا تزين به النحرا." (١)

"ما طرد الهم مثل كاس ... ترقص [في] قعرها الشمول

جوهرة طوقت ببدر ... فهي رحيق وسلسبيل

وقال ابن المعتز:

لا تقف بي في دارس الأطلال ... شغل فعلي بها وشغل مقالي

إن دمعي لضائع في رسوم ... وسؤالي محيلة من محال

فاسقني القهوة التي تصف العتق بلون صاف وطعم زلال

طعنت نحرها الأكف ولكن ... تأخذ الثأر من عقول الرجال

حلف العلج أنهم طبخوها ... فرضينا ولو بعود خلال

فأدرنا رحى السرور عليها ... بحرام مشبه بحلال

وقال:

أحسن من وقفة على طلل ... ومن بكائي في إثر محتمل

كأس صبوح أعطتك فضلتها ... كف حبيب والنقل من قبل

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/١٣٥

في مجلس جالت الكئوس به ... فالقوم من مائل ومنجدل
يطوف بالراح بينهم رشأ ... محكم في القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا ... يسفك من خده دم الخجل
وقال:
لا تلمني يا عذوليفي هوى الخمر الشمول
قهوة تذهب عنا ... بهموم وعقول
خدرت من بعد نار الشمس في ظل ظليل
بين أنهار وجنات وكرم ونخيل
فاستعن بالراح يا صاح على الليل الطويل
ويح نفسي من حبيب ... خائن العهد ملول
وقال آخر:
وكأس كمعسول الأكاني شربتها ... ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها ... لهيبا كوقع النار في الحطب الجزل
إذا [هي] دبت في الفتى خال جسمه ... لما دب فيه قرية من قرى النمل
إذا ذاقها وهي الحياة رأيته ... يعبستعبيس المقدم للقتل
إذا اليد نالتها بوتر توقرت ... على ضعفها ثم استقادت من الرجل
وقال ابن الرومي:
وقهوة صهباء مشمولة ... إحدى السبايا من قرى بابل
ما نزلت بالهم إلا دعا ... للآهل الويل من النازل
وقال ابن وكيع:
نادم مدامك دون الناس كلهم ... فردا وحيدا ففيها عنهم شغل
مات الذين إذا حدثتهم فرحوا ... بما تقول وإن خاطبتهم عقلوا
لم يبق إلا أناس فاض عيبهم ... فجملة الأمر فيهم أنهم سفل
إن حدثوا كذبوا أو حدثوا عرضوا ... أو موزحوا سخفوا أو جولسوا ثقلوا

وقال كشاجم:

حي الربيع تحية المستقبل ... أهدى السرور لنا بغيث مسبل

جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت ... بالخصب أنواء السماك الأعزل

فاعرف له حق القدوم بقهوة ... عذراء تمزج بالزلال السلسل

صفراء تجلى في الزجاج ويتقى ... منها أليم القتل إن لم تقتل

كالخد لاقته العيون فعصفرت ... مبيض وجنته بلحظ مخجل

من كف مياس القوام كأنه ... ريحانة ريانة لم تذبل

وقال ابن المعتز:

قم فاسقني يا خليلي ... من المدام الشمول

أولى الشهور بقصف ... شعبان في أيلول

قد زاد في الليل ليل ... وطاب برد المقيل

حرف الميم

قال أبو نواس:

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلي ولم أنم

فاسقني البكر التي اعتجرت ... بخمار الشيب في الرحم

عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأمم

قرعتها بالمزاج يد ... خلقت للسيف والقلم

في ندامة سادة زهر ... أخذوا اللذات من أمم

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم." (١)

" (فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول لو نفع اليقينا)

فلما صار جذيمة في بلاد الزبى قال لقصير : ما الرأي قال (ببقة تركت الرأي) فذهبت مثلا

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/١٥١

وقال له : ستلقاك الخيول فإن صارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أحاطت بك فالقوم غادرون فاركب العصا (فإنه لا يشق غباره) فإني راكبه ومسايرك عليه فلقيته الخيول والكتائب فأحاطت به وحالت بينه وبين العصا ونظر الأبرش إلى قصير على ظهر العصا فقال (ويل امه حزما على ظهر العصا) فأرسلها مثلا فلما وصل جذيمة إلى الزبى كشفت له عن شوارها وقد ضفرت شعرته فقالت : يا جذيمة أشوار عروس ترى قال : ما أرى إلا شوار لخناء

فأمرت الزبى بفصاده في طست ذهب تفاؤلا أن ثأره قد ذهب وقد قيل لها : إن سقط من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه فلما ضعفت يده سقطت فقطر دمه في غير الطست

وقال سويد بن أبي كاهل :

(وأبو مالك الملك الذي ... قتلته بنت عمرو بالخدع)

وخلف جذيمة في ملكه عمرو اللخمي ابن أخته ولم يكن لجذيمة ولد وهو الذي يقال له فيه (شب عمرو عن الطوق) فانتقل ملك الحيرة من الأزد إلى لخم فقال قصير لعمرو تأهب واستعدد ولا تطل دم خالك

ولم يزل قصير يعمل الحيلة ويزاول المكيدة في خبر طويل حتى أدرك عمرو بثأر خاله

والزبى على وزن فعلى مقصور وقد رد العلماء فيه المد لأنه تأنيث زبان الإسم المستعمل فأما زباء ممدود فإنما هو تأنيث أزب ولم يستعمل اسما وإنما هو صفة للكثير شعر البدن وإذا وصفت الداهية بالشدة قيل داهةي زباء

والشاهد لما ." (١)

" ١٩٠ - باب الخطإ في سوء التدبير

قال أبو عبيد : من أمثالهم في نحو هذا وليس هو منه بعينه قولهم : (لا أبوك نشر ولا التراب نفد)

وكان المفضل يذكر أصل هذا أن رجلا قال : لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي فقيل له هذه المقالة أي أنك لا تدرك بذلك ثأر أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب

ع : انظر كيف جعل تفسير قولهم في المثل : لا أبوك نشر : أي أنك لا تدرك بذلك ثأر أبيك وذلك أن العرب كانت ترى أن المقتول إذا أدرك بثأره فكأنه قد أحيي ولذلك قال جرير :

(إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا)

---

(١) شرح كتاب الأمثال، ص/١٢٥

يريد أن الثأر لا يؤخذ منهن ولا يدين من قتلنه ولولا هذا التأويل لم يكن لقوله (ثم لم يحيين قتلانا) معنى

وقال الأخطل :

(وكم قتلت أروى بلا دية لها ... وأروى لفراغ الرجال قتول)

والقول الصادع في هذا قوله سبحانه (ولكم في القصاص حياة) ." (١)

"وصب ماء الرقاب يخمدها

أي أنها تصير إلى الأرض لشدة الضرب فتوري النار ويخمدها ما ينصب من الدماء عليها

إذا أضل الهمام مهجته

يوما فأطرافهن منشدها

معنى اضلال الهمام المهجة أن يقتل ولا يدري قاتله أي إنما تطلب مهجته من أطراف سيوفه لانها قواتل الملوك والمنشد موضع الطلب ويروي تنشدها أي أنها تطلب ثأر الملوك ويروى تنشدها والانشاد تعريف الضالة أي أن أطرافهن تعرفها وتقول عندي مهجة فمن صاحبها ويروي فأطرافهن بالنصب وينشدها بالياء يعني الهمام يطلب مهجته في أطرافهن ونصب أطرافهن ينشد مؤخرا كما تقول زيدا ضربته

قد أجمعت هذه الخليقة لي

أنك يا ابن النبي أوحدها

يقول اجمعت هذه الخليقة موافقة لي أنك أوحدهم ويجوز أن يكون على التقديم والتأخير أي أوحدها لي أي أوحدها إحسانا إلي وإفضالا علي ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون المعنى أجمعت فقالت لي والقول يضمر كثيرا في الكلام والاول أوجه

وأنك بالأمس كنت محتلما

شيخ معد وأنت أمردها

يريد أنك بالتشديد فخفف مع المضمر ضرورة كما قال آخر، فلو أنك في يوم الرخاء سألتني، فراقك لم أبخل وأنت صديق، وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقول الشاعر، وصدر مشرق النحر، كأن ثدييه حقان، لان الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها ويروى وأنت بالأمس على استئناف الكلام يقول بالأمس كنت في حال

(١) شرح كتاب الأمثال، ص/٤٢٣

احتلامك ومرودتك شيخ معد فكيف بك اليوم مع علو السن وهذا في ضمن الكلام وفحوى الخطاب والواو في وأنت أمردها عطف على الحال يقول كنت شيخ معد محتلما.

وكم وكم نعمة مجللة

ربيتها كان منك مولدها

الوجه أنه أراد بكم الخبر عن كثرة ما له من النعم عنده وإن أراد الاستفهام لم يجز في نعمة إلا النصب والمجللة المعظمة ومعنى ربيتها حافزت عليها بأن قرنتها بأمثالها وكان منك ابتداءها أي أنت ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها ولم تكن واحدة تنسى على طول العهد.

وكم وكم حاجة سمحت لها

أقرب مني إلي موعدها." (١)

"ها تنبيه ويجوز أن يكون اشارة يقول ها أنا ذا فانظري إلي أو فكري في أن لم تنظري فظني بي أي فاستعملي في الرؤية أو الروية ترى بي حرقا من حبك من لم يجرب القليل منها فقد نجا من بلاء الحب يقال وأل يئل وألا إذا نجا والنصف الآخر من البيت وصف لما ذكر من الحرق وقد أجمل المتنبي ما فصله البحتري في بيتين من قوله، أعيدي في نظرة مستثيب، توخي الأجر أو كره الأثاما، ترى كبدا محرقة وعينا، مؤرقة وقلبا مستهاما،

عل الأمير يرى ذلي فيشفع لي

إلى التي تركتني في الهوى مثلا

عل بمعنى لعل ويشفع بالرفع عطف على يرى وبالنصب على جواب التمني يقول لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعا لي إلى الحبيبة التي جعلتني يضرب بي المثل في العشق لتواصلني بشفاعته والمعنى من قول أبي نواس، سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد، هواها لعل الفضل يجمع بيننا، وهذا احسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته والشفاعة تكون باللسان وذلك نوع من القيادة على أني سمعت العروضي يقول سمعت الشعراني يقول لم اسمع المتنبي ينشده إلا فيشفعني من قولهم كان وترا فشفعته بآخر وإلى آخر أي صيرته شفعا فيكون كما قال أبو نواس.

أيقنت أن سعيدا طالب بدمي

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ١٨/١

لما بصرت به بالرمح معتقلا

يقول علمت يقينا أنا الممدوح يطلب بدمي إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأري لما رأيته قد حمل رمحه معتقلا عند توجهه إلى قتال الاعداء يعني أنه يدرك ثأر أوليائه ولا يضيعه والاعتقال أن يحمل الرمح بين ساقه وركابه وهذا من قول المؤمل بن أميل، لما رمت مهجتي قالت لجارتها، لقد قتلت قتيلا ما له خطر، قتلت شاعر هذا الحي من مضر، والله ما ترضى به مضر،

وأنني غير محص فضل والده

ونائل دون نيلي وصفه زحلا." (١)

"قال ابن جنى صنه لأن به يدرك الثأر ويحمى الذمار قال ابن فورجة كيف أمن أن يقول ما أذلته إلا لأدرك به ثأري وأحمي ذماري وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبي الطيب وإنما يعني أنك قد أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك فقال صن صيفك وإنما يريد اغمده وهذا كقوله، شم ما انتضيت، البيت

يبس النجيع عليه وهو مجرد

من غمده وكأنما هو مغمد

يقول أن الدم الجاسد عليه صار كالغمد له حتى يرى مجردا كالمغمود وهذا من قول البحتري، سلبوا وأشرقت الدماء عليهم، محمرة فكأنهم لم يسلبوا، وهو من قول الآخر، وفرقت بين أبني هشيم بطعنة، لها عاند يكسو السليب إزارا،

ريان لو قذف الذي أسقيته

لجرى من المهجات بحر مزبد

من نصب ريان كان حالا من يبس ويريد بالمهجات دماء قلوب الاعداء يقول لو قاء ما سقيته لجرى منه بحر ذو زبد والمعنى أنك أكثرت به القتل

ما شاركته منية في مهجة

إلا وشفرته على يدها يد

يقول لم يشارك الموت سيفه في سفك دم إلا استعان بسيفه فكان كاليد للمنية واستعار للموت والسيف اليد لأن العمل بها يحصل من الحيوان والمعنى أن لسيفه الأثر الاظهر الاقوى في القتل

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٣١/١

إن الرزايا والعطايا والقنا

حلفاء طي غوروا أو أنجدوا

يقول لا تفارقهم هذه الإشياء أينما كانوا وذهبوا أي إنهم حيث ما كانوا كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم وعطايا لأولياءهم وهذا من قول الطاءي، فإن المنايا والصوارم والقنا، أقاربهم في الروع دون الأقارب،

صح يال جلهمة تذرك وإنما

أشفار عينك ذابل ومهند." (١)

"أتار افتعل من الثأر وأصله الهمز أثأر يتثر اثئارا إذا أدرك الثأر قال ابن جنى يقول لولا سيف الدولة لما وصلت إلى درب القلة حتى شفيت نفسي من الليل بملاقاة الفجر قال ابن فورجة هذه الابيات من محاسن هذه القصيدة وإذا توبع فيها أبو الفتح ضاعت وبطلت افترى أبا الطيب لولا سيف الدولة لما اصبح ليله ولما لقي الفجر ولو لم يصل إلى درب القلة لما شفى عشقه واي فائدة للعاشق في الوصول إلى درب القلة وقد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيبا بتقريظ وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى وأراد بقوله والليل فيه قتيل حمرة الشفق وأنه كدم على صدر نحير ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من همه وجعل حسن اليوم وهو ظفر سيف الدولة لسروره أنه قتل الليل واتار لأبي الطيب على ما جرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال يدل على هذا قوله

ولكنه يأتي بكل غريبة

تروق على استغرابها وتهول

على استغرابها معناه على استغراب الناس أياها وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدى

وما علموا أن السهام خيول

أي رماهم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا أن خيلا تسرع إسراع السهام

شوائل تشوال العقارب بالقنا

لها مرح من تحته وصهيل

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ١/٩٠

أراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها شبه الرماح مع الخيل بأذناب العقارب إذا شالت بها يقال شال الشيء إذا ارتفع

وما هي إلا خطرة عرضت له

بحران لبتها قنا ونصول

هي كناية عن الرمية التي دل عليها قوله رمى الدرب يقول لم تكن إلا خاطرا عرض له فأجاب خاطره الرماح والسيوف

همام إذا ما هم أمضى همومه

بأرعن وطأ الموت فيه ثقيل

يعني أن وطأ الموت في جيشه ثقيل على من يحاول موته من أعدائه

وخيل براها الركض في كل بلدة

إذا عرست فيها فليس تقيل." (١)

"يقول ليس كما ظن الزمان أنه أدرك منك تبلا لأنك تبلى الزمان وتبقى أنت وإذا كان الأمر كذلك لم يقدر الزمان على ادراك **الثأر** منك

ولقد رامك العداة كما را

م فلم يجرحوا لشخصك ظلا

يقول الأعداء طلبوا أن ينالوا منك كما طلب الزمان فلم يقدروا أن يصيبوا ظل شخصك فمتى يقدرون أن يصيبوا شخصك والمعنى لم يقاربوك بسوء وذلك أن ظله يقرب منه

ولقد رمت بالسعادة بعضا

من نفوس العدى فأدركت كلا

أنت طلبت البعض منهم فأدركت الكل بما أعطيت من السعادة في الظفر بالأعداء

قارعت رمحك الرماح ولكن

ترك الرامحين رمحك عزلا

أي غلبتهم حتى سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٤٦/٢

لو يكون الذي وردت من الف

جعة طعنا أوردته الخيل قبلا

يقول لو كان الذي أصابك من الرزية طعانا لأوردته خيلك قبلا وهي التي تقبل بإحدى عينيها على الأخرى عزة وتشاوسا

ولكشفت ذا الحنين بضرب

طالما كشف الكروب وجلى

أي ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب كشف الكرب من أولياءك وجلاها عنهم كثيرا قديما

خطبة للحمام ليس لها ر

د وإن كانت المسماة ثكلا

يريد أن الموت يجري مجرى الخطبة من الحمام للميت وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا هذا إذا ننصبت المسماة على خبر كان وانتصبت ثكلا بالمسماة على معنى أن الخطبة سميت ثكلا وإن رفعت المسماة فالمعنى وإن كانت هذه التي سميتها يعني ذكرتها ثكلا وانتصب ثكلا بخبر كان

وإذا لم تجد من الناس كفوا

ذات خدر أرادت الموت بعلا

يقول المرأة الشريفة إذا لم تجد لها كفوا من الناس أرادت ان يكون الموت لها كالبعل لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة

ولذيذ الحيوة أنفس في النف

س وأشهى من أن يمل وأحلى

يريد أن الحياة لا تمل وأنها أعز وأحلى من أن يملها صاحبها

وإ ا الشيخ قال أف فما م

ل حيوة وإنما الضعف ملا." (١)

---

(١) شرح ديوان المتنبي، ٢/ ١١١

"فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجو أخاها عمرا أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثأر أخيه، وعمر هو الذي كان يعد بألف فارس، ولكن مرادها بعثه وتهييجه. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقتهما هضيمة من أجنبي: لو كنا في خدمة فلان عمك أو أخيك لما جسر هذا أن ينالنا بمكروه! ولا يجوز أن يقال إنهما هجوا سيدهما أو فضلا غيرهما عليهما، ولكن المراد تحريكهما لهما، وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن يؤكد ما قلته قوله:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

لأنه لا يقال لمن يمسك عجزا عن الانتصار إنه غفر، ولا لمن يقدر على جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان.

فإن قيل: أليس قد قال:

ليسوا من الشر في شيء وإن هانا .

وقال أيضا:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

قلت: ليس يزيد شيء مما قاله على قول كبشة:

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم .

وإذا كانت أبياتها باتفاق من أصحاب المعاني لا تكون هجوا، فكذلك أبيات هذا العنبري. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها ويؤيدها، أن في جملة أبياته التي وصف فيها قومه:

لاخبون نيرانهم حتى إذا خمدت ... شبوا لموقد نار الحرب نيرانا

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال:

أفر من الشر في رخوة ... فكيف الفرار إذا ما اقترب

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا اهتاجوا زادوا على كل هائج. ألا ترى أنه قال:

شبوا لموقد نار الحرب نيرانا

ومعنى البيت لو كنت مازنيا لم تغر بنو اللقيطة على إبلي.

ولقيطة ألحق بها الهاء وإن كان فعيلا في معنى مفعولة، لأنه أفرد عن الموصوف به وجعل اسما. وهذا كما يقال النشيطة والذبيحة، والبنية في الكعبة.

فأما الاستباحة، فقد قيل هي في معنى الإباحة، وقد قيل: إن الإباحة هي التخلية بين الشيء وبين طالبه،والاستباحة اتخاذ الشيء مباحا للنفس. وكأن الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناوله من شاء ومنه باح بسره بوحا وبؤحا. والمازن في اللغة: بيض النمل، ويقال: هو يتمزن على أصحابه، كأنه يتفضل عليهم. وذهل من ذهلت عن الشيء.

إذا لقام بنصرى معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

اللام في لقام جواب يمين مضمرة، والتقدير إذا والله لقام " بنصرى " .." (١)

"النطق استعمل في الكلام وغيره، ولذلك قيل منطق الطير، ثم توسعوا فقالوا: نطق الكتاب بكذا. يقول: لو أن قومي أبلوا في الحرب واجتهدوا لافتخرت بهم، وذكرت بلاءهم، ولكن رماحهم أجرت لساني، كما يجر لسان الفصيل. وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها. والإجرار: أن يشق لسان الفصيل للرماح فيجعل فيه عويد لئلا يرضع أمه. وقد استعمل الإجرار في الرمح إذا تكسر في المطعون. قال:

أجره الرمح ولا تهاله

وفي طريقه قوله: أنطقتني رماحهم قول الآخر :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

لأن المعنى أحسنوا إلي ينطلق لساني بشكركم.

؟سيار بن قصير الطائي

لو شهدت أم القديد طعاننا ... بمرعش خيل الأرمني أرنث

جواب لو، أرنت . يقال رن وأرن بمعنى واحد. ومرعش من ثغور أرمينية. وأم القديد، قيل هي امرأته. والخيل ينتصب من قوله طعاننا . ومعنى البيت: لو حضرت هذه المرأة مطاعنتنا بمرعش خيل هذا الرجل الأرمني لولولت وضجت، إشفاقا علينا، لكثرتهم وقلتنا. والباء من قوله بمرعش تعلق بطعاننا، وهو ظرف مكان له قد عمل فيه. وإنما قلت هذا لئلا يتوهم أنه تعلق بشهدت، وأنه في موضع الحال للخيل أو للمطاعنين، فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول، وهما طعاننا وخيل الأرمني.

عشية أرمي جمعهم بلبانه ... ونفسي وقد وطنتها فاطمأنت

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢/١

لبان الفرس: صدره. ويقال: وطنت نفسي على كذا فتوطنت، أي حملتها عليه فذلت. وانتصب عشية على أنه ظرف لطعاننا. ويجوز أن يكون ظرفا لشهدت، ولا يجوز أن يكون ظرفا لأرمي؛ لأن أرمي أضيفت عشية إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ومعنى البيت: عشية أحمل على القوم ولا أبالي إن كانت علي أو لي، لأني وطنت نفسي على الشر فألفته وسكنت إليه. فمن روى: ونفسي قد وطنتها يكون الواو للحال، ونفسي يرتفع بالابتداء، ووطنتها في موضع الخبر. ومن روى: ونفسي وقد وطنتها فإن نفسي يكون في موضع الجر عطفا على بلنانه، أي أرمي جيشهم بنفسي وفرسي، ويكون قد وطنتها في موضع الحال. وتحقيق الكلام: وقد وطنتها على الشر فسكنت إليه، ورضيت به. ومثله قول عنترة:

ما زلت أرميهم بقرحة مهري ... ولبان لا وكل ولا هياب

وقول الآخر :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... وفارسه حتى ثأرت ابن واقد

ولاحقة الآطال أسندت صفها ... إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

إنما نكر قوله عدى لينبه به على اختلافهم وكثرتهم، وأن ذلك لتوفر فضائلهم، وتظاهر عزهم ورياستهم، إذ كان الحسد يتبع ذلك، ولأنهم يترون من لا يذل لهم، ولا يهوى هواهم. يقول: ورب خيل قد لحقت بطونها بظهورها ، وارتفعت جنوبها إلا متونها، أنا أملت صفها إلى صف خيل مثلها من الأعداء، فخافت لقلتنا وكثرتهم. وأصل الاقشعرار تقبض الجلد وانتصاب الشعر، وقد تكلم الناس في قول امرئ القيس:

والقلب من خشية مقشعر

فقال بعضهم: الاقشعرار لا يصح في القلب، لأنه يخبر به عما عليه شعر، ولا شعر على القلب. وقال غيره: إنما هو كناية عن الوجل، ولما كان الاقشعرار يقع عنده كني به عنه. وإذا كان كذلك فكأنه قال: والقلب من خشية وجل.

بعض بني بولان من طيئ

بولان فعلان، من قولهم رجل بولة، إذا كان كثير البول. والبوال: داء يصييب الغنم فيبول حتى يموت.

نحن حبسنا بني جديلة في ... نار من الحرب جحمة الضرم

جديلة من الجدل، وهي فيما زعموا أمهم. والجدل: الفتل. قال الدريدي: جديلة من قولهم امرأة مجدولة، إذا كانت قضيفة. ويقال ضرمت النار، إذا التهبت، تضرم ضرما. ولهذا ما تلتهب به النار سريعا من الحطب قيل

له الضرام. فيقول: حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الالتهاب. والجحمة: مصدر جحمت النار فهي جاحمة، إذا اضطرمت؛ ومنه الجحيم. قال: وصفت النار بالجحيم لحمرتها، ولذلك سميت عين الأسد جحمة، لأنها تتراءى بالليل كأنها نار. وقال الدريدي: الجحمة العين، لغة يمانية. وعين الأسد خاصة في كل اللغات الجحمة.

نستوقد النبل بالحضيض ونص ... طاد نفوسا بنت على الكرم." (١)

"هذا الكلام بعث وتحضيض لأبناء حصن. والغشمشم: الذي يركب رأسه ولا يهاب الإقدام على شيء. والكلام لفظة استفهام، والمعنى معنى التمني، كأنه يبعث ويحضض من يطلب دمه إذ فات نصرته حيا. فيقول: أما في هذه القبيلة ابن حرب متناه في طلب الدم وإدراك **الثأر**، ظلوم غشوم، يركب الكرائه والأمور الصعبة، غير مرعو ولا منقبض.

فيقتل جبرا بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم

جبر هو القاتل لولي هذه المرأة. ويقال: باء فلان بفلان يبوء بواء، إذا ارتضى لقتله بدلا منه. وأبأت فلانا بفلان، أي قتلته. وانتصب يقتل على أنه جواب التمني بالفاء، والعامل في الفعل أن مضمرة، أي أما فيهم رجل هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرا، فيكون في دمه وفاء بدمه، ولكن سقطت المكايلة في الدماء منذ جاء الإسلام، فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد، شريفا كان أو وضيعا.

وقال بعض بني فقعس

رأيت موالي الأولى يخذلونني ... على حدثان الدهر إذ يتقلب

الموالي ها هنا: أبناء العم.والأولى في معنى الذين، ويخذلونني من صلته. يقول: رأيت أبناء عمي هم الذن يقعدون عن نصرتي على تقلب الزمان، وتصرف الحدثان. وقوله على حدثان الدهر في موضع الحال، أي يخذلونني مقاسيا لما يحدث في الدهر أوان تقلبه وتغيره.

فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب

قوله: تفاقدوا دعاء، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره، ولكنه أكد مايقتصه فصلح لذلك. يقول: هلا جعلوني عدة لرجل مثلي، فقد بعضهم بعضا وقد جاءهم الخصم متأخر العجز مائل الرأس منحرفا. وهذا تصوير لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده،وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه، ومثله قول الآخر :

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٧/١

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ألا ترىأنه صور لون المذق لما قال: هل رأيت الذئب قط؟ وقوله: إذا الخصم هو حكاية الحال المتوهمة،وهو الرواية المختارة. وقد روي: إذا الخصم والجملة التي تبين بها إذا هذه يجب أن يكون فيها فعل، وقد عريت منه ها هنا، وأظن أن الأخفش جوز مثله. والمعنى: لم أفاتوني أنفسهم، وهلا ادخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا. وأراد بالخصم الجنس. وقال الأصمعي: البزي: تأخر العجز. وقال غيره: هو إشراف وسط الظهر على الإست. والبيت يشهد للأصمعي. والنكب: شبه الميل في المشي ومنه الأنكب من الإبل، وهو الذي يمشي في شق.

وهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... وفي الأرض مبثوث شجاع وعقرب

الكلام في تفاقدوا وأنه دعاء واعتراض، على ما مر. وإنما وكرر ما كره على وجه التأكيد، وتفظيعا للأمر. والمعنى: هلا جعلوني عدة لرجل مثلي في البأس، فقد بعضهم بعضا. وقد انتشر في الأرض أعداء كثيرة، وأنواع من الشر فظيعة. والشجاع: الحية. وكنى بالعقرب وبه عن الأعداء والشر. وارتفاع شجاع، يجوز أن يكون على البدل، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبثوث خبر له قدم عليه، ويجوز أن ينصبمبثوث على الحال، ويجعل في الأرض الخبر . ولم يثن مبثوث لأن القصد بالشجاع والعقرب إلى خيل الأعداء والشر، فكأنهما شيء واحد.

فلا تأخذوا عقلا من القوم إنني ... أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

لك أن ترفع المعاقل على الاستئناف، ولك أن تحمله على ما قبله فتطفه على العار. يقول: لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عار، والعار يبقى أثره، والأموال تفنى. والمعاقل: جمع المعقلة. والمعقلة والعقل: الدية، وأصله الإبل كانت تعقل بفناء ولي المقتول، وهو مصدر وصف به. وحكى الأصمعي: صار دمه معقلة على قومه، أي صاروا يدونه.

كأنك لم تسبق من الدهر ليلة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

يقول: من أدرك ما طلبه من الثأر فكأنه لم يصب ولم يوتر. وهذا بعث وتحضيض على طلب الدم والزهد في الدية. وفي طريقته قول الآخر :

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

لكن هذا بعث على طلب المال.

وقال آخر:

فلو أن حيا يقبل المال فدية ... لسقنا لكم سيلا من المال مفعما." (١)

"انتصب فدية على الحال من المال، والمراد به الإبل لا غير، ونكر قوله حيا وهو يقصد به قصد حي بعينه، لأن المراد كان مفهوما عند من عرف القصة، فجعله كالتعريض. وقوله سيلا مفعما والسيل يفعم به الشيء، يجوز أن يكون من باب هم ناصب وما أشبهه، ويكون المعنى سيلا ذا إفعام، ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل، كطالق ومرضع. ومثله قولهم نخلة موقر. ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مفعم كما عبر في قولهم شعر شاعر وموت مائت عن التناهي بلفظ فاعل، وإن كان الموت لا يموت، والشعر لا يشعر، كما أن السيل لا يفعم. وقد قيل امرأة فعمة المخلخل، أي غليظة كثيرة اللحم عليه. والمعنى: لو كانت معاملتنا مع حي يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير.

ولكن أبى قوم أصيب أخوهم ... رضى العار واختاروا على اللبن الدما

يقول: ولكن امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالدنية، وآثروا طلب الدم على قبول الدية. وجعل اللبن كناية عن الإبل تؤدي عقلا، لأنه منها، وكما نكر حيا في البيت الأول نكر أيضا في الثاني قوله أبى قوم ، والغرض بهما على حد واحد، ولا يجوز أن يكون يقبل المال فدية صفة لقوله حيا، لأنه يبقى أن بلا خبر. فأما قوله أصيب أخوهم فهو صفة لقوله قوم. وقوله رضى العار العار في موضع المفعول، أي أبوا أن يرضوا العار خطة لأنفسهم.

وقالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

الشعر لكبشة أخت عبد الله . والكلام بعث وتهييج. وإنما تكلمت به على أنه إخبار عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة، فتقول: راسل عبد الله بن معد يكرب لما دنا أجله قومه وذويه، بأن لا يعقلوا دمي. وإن كانت آمنة من ميلهم إلى قبول الدية، فغلظت القول لتهتاج حميتهم. ويقال عقلت فلانا، إذا أعطيت ديته. وجعل هذا المفعول الدم لأن المراد مفهوم، كأنه قال: لا تأخذوا بدل دمي عقلا. ويقال عقلت عن فلان، إذا غرمت عنه دية جنايته أو أرشها.

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

(١) شرح ديوان الحماسة، ٦٣/١

الإفال: جمع وواحده أفيل، وهي صغار الإبل، والأبكر: جمع البكر، وهو الفتى منها. يقول: لا تأخذوا من قتلتي صغار الإبل وبكارتها، فتتركوني في قبر مظلم بصعدة؛ وهو مكان باليمن. وإنما جعل قبره هكذا، لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته بقي قبره مظلما. فإن قيل: لم ذكر الإفال والأبكر وما يؤدي في الديات لا يكون منهما؟ قلت: أراد تحقير الديات، وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر خلعة خاز بها إنسان: إنما أعطي خرفا وفلوسا! وإن كانت الثياب المعطاة كسوة فاخرة، والمال الموفر جائزة سنية. وانتصب وأترك بإضمار أن وهو جواب النهي بالواو.

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو وغير شبر لمطعم

عمرو هو أخوها، وكان يعد بألف فارس،ولم يكن ممن يسالم ولا سيما في طلب دم أخيه. وإنما رمته بهذا الكلام لتهيج منه وتبعثه على التعجل في درك الثأر والتسرع في الانتقام. وقوله: " وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم " تزهيد في الدية، وهذا كما روي في الخبر: " وهل بطن ابن آدم إلا شبر في شير " لما أريد تزهيده في الدنيا وحطامها. أي ما يصنع بالمال وجوفه يمتلئ باليسير. وعمرو لم يكن ممن يميل إلى الدية، كما لم يكن يميل إلى المسالمة، ولكن المراد ما ذكرناه من التحضيض والحث.

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم." (١)

"ينتصب قوله " نزارا " على أنه صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: نكلمهم كلاما نزرا. والمعنى لا يستخفنا التكبر إلى أن نتعلى عليهم، ونقلل الكلام معهم ترفعا عن مساواتهم، بل نباسطهم ونكاثرهم في القول والسؤال، إيناسا لهم وتسكينا منهم. ويقال: زهاه وازدهاه بمعنى. والأصل في ازدهى: ازتهى، لأنه افتعل من الزهو، لكنه أبدل من التاء دالا تقريبا للحرف من الزاي. وقوله " أن نكلمهم " أراد لأن نكلمهم، فحذف حرف الجر. و " أن " يفعل به ذلك كثيرا.

وقال ابنه مسور

حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات بأبيه فأبى. ويقال: هي لعمه:

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل

ألف الاستفهام دخل ها هنا على معنى الإنكار، وتناول الفعل الذي في صدر البيت الثاني، لأن ألف الاستفهام يطلب الأفعال. والمعنى: أذكر بالإبقاء بعد المدفون بنعف هذا الجبل - وهو ما استقبلك منه -

(١) شرح ديوان الحماسة، ٦٤/١

المرهون في قبر ذي تراب وحجارة. والنعف، اشتق منه انتعف له، أي تعرض. والمناعفة: المعارضة من رجلين في طريقين يريد كل واحد سبق الآخر. وقيل النعف: المكان المرتفع في اعتراض. وقوله " رهينة " جعله اسما فلهذا ألحق الهاء بها. والرمس: القبر. ويقال رهنته رهنا بمعنى رهنت عنده، وأصله من اللزوم والدوام ويقال هذا لك راهن. والأصل في الرمس: التغطية، يقال رمسته بالتراب؛ ومنه الرياح الروامس.

أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتل

يقول: أأسأم الإبقاء على من وترني؟ إبقائي عليه أني أجتهد في قتله، ولا أقصر. والإبقاء لا يكون الجهد، ولكن المعنى: يكون هذا مني عوضا من ذاك. ومثله قول الآخر :

تحية بينهم ضرب وجيع

والبقيا: اسم على فعلى، مبني من الإبقاء وفي معناه، والواو منه واو الحال، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والإنقطاع مما قبله. ويقال: لا آلو في كذا ولا آتلي، أي لا أقصر، ولا آلو كذا، أي لا أستطيعه.

فإلا أنل ثأري من اليوم أو غد ... بني عمنا فالدهر ذو متطول

يقول مخبرا عن صبره وحسن رفقه في طلب الأمور، وأنه لا يتسلط عليه الملال وإن تراخى المطلوب، وتدافع الوقت في الحصول، فيقول: إن لم أدرك ثأري قريبا يا بني عمنا ففي الدهر تطاول، والزمان بتبديل الأبدال وتحويل الأحوال كافل، وله ضامن، وما يتعسر في وقت يتيسر في آخر. وذكر اليوم والغد إشارة إلى تقريب الوقت في المستقبل، كما يقال في الماضي: كان بالأمس يفعل كذا. ومتطول: مصدر مثل تطول.

فلا يدعني قومي ليوم كريهة ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

جزم " يدعني " بلا على أنه دعاء، والمعنى: لا دعيت لكشف مكروه، ولا للدفع عن مظلوم، إن لم أعجل ضربة لمن وترني، أو يعجلها لي. والمعنى: إن لم أقتله أو يقتلني. وهذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الدعاء فالمعنى معنى القسم. وقوله: " أو أعجل " أراد: أو لم أعجل لمثلها، فحذف. وفي هذا بيان للتوعد بالإقدام، والتسرع إلى القتل أو الاستقتال بعد الإمكان.

أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل

هذا الكلام تهدد، وضمان في أنه سيكافئهم على ما بدأوا. والمعنى: سنؤثر فيكم كما أثرتم فينا، وننزل الحرب بكم كما أنزلتموها بنا. ويقال: أنخت البعير فاستناخ وبرك. ولا يقال فناخ. وتقول في شدة التأثير: برك عليهم الدهر بكلكه، ووطئهم بمناسمه، وأنخى عليهم بجرانه. وهذا جعل الكلكل هو المناخ في صدر البيت، وفي العجز

جعل الحرب مناخة بكلكلها. وكل ذلك أمثال، والمعنى من جميعها ظاهر.
وقال بعض بني جرم من طيئ
إخالك موعدي ببني جفيف ... وهالة، إنني أنهاك هالا
في قوله " إخال " ضرب من الاستهانة، يقول: أحسبك تهددني ببني جفيف وبهالة. ثم أقبل على هالة فقال: إني أزجرك عن التحكك بنا، ونصرة من ينابذنا. ومثل هذا الكلام يسمى التفاتا. والعرب قد تجمع في الخطاب أو الإخبار بين عدة، ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم، أو أحسنهم سماعا لما يلقى إليه، أو أخصهم بالحال التي تنطق بالشكوى بينهم، فتفرده بكلام. على هذا بيت الهذلي :
أحيا أباكن يا ليلى الأماديح." (١)
"فقال أباكن، ثم قال يا ليلى. ويقال: خلت أخال، وإخال طائية، فكثر استعمالها في ألسنة غيرها، حتى صار أخال كالمرفوض. والهالة: الدارة حول القمر، في اللغة، وإذا أنث خطابها فإنه جعلها قبيلة، وإذا ذكرها فعلى إرادة رجل هو أبو القبيلة، وإذا جمع فعلى المعنى. وفي جميع ذلك قد صرف كلامه.
فإلا تنتهي يا هال عني ... أدعك لمن يعاديني نكالا
يقول: إن لم تنزجري عني ولم ترتدعي بكلامي، أجعلك لأعدائي عبرة رادعة، وعقوبة زاجرة. والنكال: اسم لما يجعل عبرة للغير، ويقال نكل ينكل، ونكل ينكل لغتان، الأولى تميمية والأخرى حجازية.
إذا أخصبتم كنتم عدوا ... وإن أجدبتم كنتم عيالا
يصفهم بالأشر والبطر وسوء الحفاظ، والتعجل إلى الشر، فيقول: إذا نلتم الخير وطاوعكم الوجد خرجتم لنا أعداء، ثم إن أثر فيكم الدهر، أو ضغطكم البؤس والضر، أويتم إلينا، ولحقتم بجملتنا، فاحتجنا إلى أن نمونكم.
وقال آخر :
اللؤم أكبر من وبر ووالده ... واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
فضل اللؤم في اللفظ عليهم وعلى أسلافهم، والقصد به إلى تفضيله على أخلاقهم وأفعالهم وطباعهم، لأن الشرط تشبيه الأحداث بالأحداث، والذوات بالذوات. وإذا كان كذلك فقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كأنه قال: اللؤم أكرم من أخلاق وبر وأخلاق والده، وقوله " ووالده " دخل فيه كل أب لهم، كما دخل في قوله " وما ولدا " كل ولد لهم. واللؤم: خصال منكرة، إذا اجتمعت سميت لؤما، كدناءة النفس

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٧٣/١

والآباء والبخل مرددا فيهم، والنظر في الأمور التافهة المخزية.ووبر في اللغة: دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون ترجن في البيوت ، وجمعه وبار. ويسمى بهان ثم جعلت للقبيلة . فإن قيل: لم لم يقلك ومن ولدا؟ قلت: أشار إلى الجنس وما يقع للأجناس.

قوم إذا ما جنى جانبهم أمنوا ... من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

يقول: هم قوم إذا جر واحد منهم جريرة أمن ج‍ميعهم، لدقة أصولهم، ولؤم أحسابهم، أن يؤاخذوا كلهم بها، فكيف الواحد منهم. كأن القبيلة بأسرها لا يعدون بواء لقتيل فيقتلوا به، فالأمن الذي شملهم عند اتفاق الجنايات منهم لهذا. والقود: أن يقتل القاتل بالقتيل، فيقال: أقدته به. وإذا أتى الرجل صاحبه بمكروهة فانتقم منه بمثلها، قيل: استقادها منه، وهذا كما قال الآخر:

من ذا يعض الكلب إن عضا

ونقله أبو تمام فقال:

أما الهجاء فدق عرضك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض عززت به وأنت ذليل

اللؤم داء لوبر يقتلون به ... لا يقتلون بداء غيره أبدا

أشار بهذا إلى أن مطامعهم الخسيسة ترديهم، وإسفافهم لها يعرضهم للقتل ويهلكهم، فقال: هذا داؤهم لا يقتلون إلا به، ولأن حين كان حائن فيما يغلب به وعليه. ويجوز أن يريد أنه لما ترفع القصاص عنهم عند وقوع الجرائر منهم، كانت القتلة الكريمة فيهم أزهد، وعنهم أبعد، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم. والموت قد يسمى قتلا. وإنما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله " قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا " فلما ذكر من يجتهد في إدراك الثأر من جهته تيسر أو تعسر، ذكر أيضا ما يضاده ممن يرغب عنه ويزهد في النيل منه، ترفعا عن مكافأته. وهذا عادته في إتباع الشيء بضده، فأعلمه.

وقال آخر:

ألا أبلغا خلتي راشدا ... وصنوى قديما إذا ما اتصل

قديما، انتصب على الظرف لقوله خلتي. والمراد: أبلغا خليلي قديما راشدا، وصنوى إذا ما انتسب. والصنوان: الفرعان يخرجان من أصل واحد. ويقال للأخوين هما صنوان، تشبيها بذلك، ولعم الرجل صنو أبيه. ويقال صنو، وصنوان في التثنية، وصنوان في الجميع، ولا يعرف له نظير إلا قنو. فيقول: راشد خليلي القديم، ونسيبي

القريب، فأبلغاه عني رسالة. وفي جمعه بين خلتي وصنوي، وتأخيره قديما إذا ما اتصل، ما ذكره أبو العباس المبرد رحمه الله، من أن العرب تلف الخبرين لفا، ثم ترمى بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل ما له.

بأن الدقيق يهيج الجليل ... وأن العزيز إذا شاء ذل." (١)

"يقول: مرارا كثيرة فاجأتني خطوب شديدة، ونزلت بي، فحبست نفسي عليها، وتجلدت لها، فلم يظهر في مناظري خشوع، ولا بدا من جوارحي خضوع. وموضع كم على هذا التأويل ظرف. " ومن " على طريقة الأخفش تكون زائدة، لأنه يجوز زيادة " من " في الواجب، ويستدل من المسموع بقول بعضهم: " قد كان من مطر فخل عني " وبغيره. فكأنه قال: كم مرة دهمتني خطوب كثيرة. ويكون قوله صبرت عليها صفة للخطوب. ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء، ومن خطوب هو بيان له، وقد فصل بينهما بخبره، وهو دهمتني، وتقديره كم من خطوب دهمتني، أي كثير من الخطوب. فأما فائدة العطف بثم من قوله " ثم لم أتخشع " فهو إبانة الاستمرار في الصبر، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفرجت. ومعنى دهمتني: فاجأتني، ومنه الدهم ودهماء الناس.

فأدركت ثأري والذي قد فعلتم ... قلائد في أعناقكم لم تقطع

يقول: أصبت ما طلبته، وتقاضيت به ممن كان لي عنده ثأر أو وتر، فاستنزلته عنه، وما فعلتم من القعود عن نصرتي، وخذلاني فيما نابني لزمكم، فكأنها قلائد وأطواق لا تنحل عنكم ولا تنقطع. وهذا تحقيق للزوم العار لهم فيما أتوا. ومثله قول بشر:

وقلدها طوق الحمامة جعفر

يصف غدرة ارتكبوها. ومثله القرآن: " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة "

وقال عويف القوافي

ذهب الرقاد فما يحس رقاد ... مما شجاك ونامت العواد

يقول: طار النوم فلا يعرف له أثر، مما دهاك وحزبك، ونام الذين كانوا يعودونك ولم يسهروا لك. والمعنى: إني اختصصت فيك بما عرى منه عوادك، وتحملت من الجزع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد والرقود: النوم بالليل، وعرف الأول تعريف الجنس، ونكر الثاني لأنه أراد نوعا من الجنس، كأن المراد: ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختص أثر.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٧٤/١

لما أتاني عن عيينة أنه ... أمست عليه تظاهر الأقياد

قوله " لما أتاني " ظرف لقوله " نخلت له نفسي " لن لما إذا وليه الفعل الماضي، كان علما للظرف، وفسر بحين. والمعنى: حين تساقط إلى عن هذا الرجل وتأدى أنه أسر وقيد بقيد بعد قيد، فارقني ما كنت أخامره وأنطوي عليه من التنكر له، وأزلت عن نفسي ما استجفيته فيه، لأن الكريم يرق لمثله من الكرام عند النوازل. ومعنى التظاهر: أن يصير الشيء فوق الشيء فيقوى. ويقال: ظاهر بين ثوبين، إذ لبس أحدهما فوق الآخر. وقوله تعالى: " وإن تظاهرا عليه " معناه تعاونا، ومنه قولهم: هو ظهر ظهير، أي قوي في الاستغاثة.

نخلت له نفسي النصيحة إنه ... عند الشدائد تذهب الأحقاد

يقول: أصفت عند ذلك نفسي له النصح، لأن الضغائن تفارق عند الشدائد. وهذا الكلام هو بيان علة مفارقة ضغنه ورجوعه إلى سلامة الصدر له. وقد ذكر فيمابعده ما يدل على حسن الإنصاف من النفس، والاعتراف بالفضل للغير. ويجوز أن يروى " أنه " بفتح الهمزة، والمعنى لأنه عند الشدائد. وإذا روي بالكسر يكون على الاستئناف.

وذكرت أي فتى يسد مكانه ... بالرفد حين تقاصر الأرفاد

مصدر ذكرت في هذا الذكر بضم الذال، لأنه بالقلب. وقوله " بالرفد " ، يريد ببذل الرفد، فحذف المضاف. يقول: أجلت في فكري، وقلت في حديث نفسي: لو خلى مكانه من كان يسد مسده، ومن يعطي عطاءه عند تقاصر العطايا وتراجع المعونات. وهذا إشارة إلى زمان الجدب والقحط وقت تنافس الناس في المتملكات، والدفع عنها بإعداد العلات. والمعنى: إن مثله لا يوجد ولا يظفر به في مثل ذلك الوقت، فإذا كان كذلك فكيف يسمح المنصف به لدهره، أو كيف ينطوي الصدر على السلو عنه والخلو منه، مع شدة الحاجة إليه. ويقال: رفدت الرجل رفدا إذا أعطيته، ثم سمي العطية رفدا بكسر الراء، وجمعه الأرفاد. وأرفدته محكي لكنه ليس بالمتخير. وتقاصر، أصله تتقاصر فحذف إحدى التاءين تخفيفا، وهو في موضع الجر بإضافة حين إليه.

أم من يهين لنا كرائم ماله ... ولنا إذا عدنا إليه معاد." (١)

"وقوله لا جزع اليوم يقول: استقلتنا يومنا، فلا نجزع على دنو الأجل فيه إن دنا، لأن الموت إذا غشينا فيما نطلبه، أحلى طعما عندنا من طعم العسل، وقوله " اليوم " ظرف لقرب الأجل، وعلى قرب الأجل، خبر للا. ويجوز أن تجعل اليوم خبرا على قرب الأجل تبيينا له أو حالا. وإن جعلته خبرا بعد خبر، كما نقول: هذا

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٧٨/١

حلو حامض، جاز أيضا. وذكر بعض المتأخرين أنه لا يجوز أن يكون معنى على هنا معناها في قولك جزعت على كذا، أي أشفقت عليه، لأنه غير الغرض المقصود. ألا ترى أن معناها لا جزع اليوم من الموت على أن الأجل قريب منا، فإذا قرب منا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بعد عنا. وأنا أقول: وإن من البيان لسحرا، وإن من الغوص على المعاني لمثله درا.

ردوا علينا شيخنا ثم بجل

نحن بني ضبة أصحاب الجمل

ننعي ابن عفان بأطراف الأسل

يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه. المعنى: إنا طالبون بدمه، فإذا أدركنا ث أره فحسبنا ذاك. وهذا معنى قوله ثم بجل. وموضع بجل رفع على الابتداء وخبره مضمر، كأنه قال: ثم بجلنا ذلك، أي حسبنا ذلك. وثم عاطفة لجملة على جملة. وقال لبيد:

بجلي الآن من العيش بجل

وحكى الأخفش أن بجل ساكنة أبدا. يقولون بجلك، كما يقولون قطك وقدك، إلا أنهم يقولن بجلى ولا يقولون بجلني كما يقولون قطني وقدني، وهو القياس مع مجيئه على السكون. وانتصاب بني ضبة بفعل مضمر، والقصد فيه المدح والاختصاص. وخبر المبتدأ الذي هو نحن أصحاب، والتقدير: نحن - أذكر بني ضبة - أصحاب الجمل. وهذا الكلام ينبه به على أنهم مجدون في طلب دم عثمان رضي الله عنه، لأن الذين خرجوا مع عائشة رضي الله عنها وقاتلوا يوم الجمل كان دعواهم طلب الثأر. ولو قال نحن بنو ضبة لكان يسقط فخامة المدح وتعظيمه، وكان يصير أصحاب صفة وبنو خبرا، وكان يجوز أن يكونا جميعا خبرين، ويجوز أن يكون أصحاب بدلا من بنو. وقوله ننعي ابن عفان كان عادتهم إذا مات رئيس فيهم عظيم الشأن والمحل أن يطوف واحد منهم على القبائل، ويصعد الروابي المطلة عليهم، والآكام المرتفعة بمحالهم ويقول: نعاء فلانا؟! يريدون تشهير أمره، وتعظيم الفجع به، وربما أرخوا بموته. فيقول: نحن نجعلا بدل هذا الفعل أن نطلب دمه بأطراف الرماح. وهذا معنى حسن.

؟وقال آخر:

داو ابن عم السوء بالنأي والغنى ... كفى بالغنى والنأي عنه مداويا

يقول: عالج ما بينك وبين ابن عم السوء من التضاغن والتباين، والتغابط والتحاسد، بالبعد منه، والاستغناء

عنه. ثم قال: وكفى بهما من مداو معه. وهذا يجري مجرى الالتفات، وهو تنبيه على أنهما الغاية فيم يحسم به شره، ويدفع به ضيره. وموضع بالغنى رفع بكفي. ومداويا يجوز أن يكون حالا ويجوز أن يكون تمييزا، وهو أحسن، ومثله: "كفي بالله شهيدا " . والكلام يجري أيضا مجرى التأكيد فيما دعا إليه، والتحقيق لغناء ما أشار به.

جزى الله عنا محصنا ببلائه ... وإن كان مولاي القريب وخاليا

محصن المذكور، هو ابن عمه الذي تأذى به فدعا عليه. يقول: جزاه الله بفعله فينا، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا، وإن كان متصل النسب بطرفي أبي وأمي.

يسل الغنى والنأي أدواء صدره ... ويبدي التداني غلظة وتقاليا

السل: النزع. والأدواء: جمع الداء. وهذا مثل ما روى: " أن مر ذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا " ، وزاد عليه أيضا بما شفع النأي به من ذكر الغنى. ونبه أيضا على أن في التداني تحاسدا يبدو معه القلى والقسوة لأن الكلام كالتعليل للأمرين اللذين رغب في أحدهما وزهد في الآخر، وهما التداني والتنائي. والمثل السائر: " فرق بين معد تحاب " مثل البيت.

أعان على الدهر إذ حك بركه ... كفى الدهر لو وكلته بي كافيا." (١)

"يقول: لما مللنا الطراد والرماء، بإفناء النبال وتعطيل القسى لانقطاع الأوتار، مشى بعضنا إلى بعض للكفاح والجلاد، طلبا للاشتفاء، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه، حتى بلغوا أعلاها وأصعبها، وأولاها بدرك الثأر وأحقها. ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن أنواع السلاح، وانتهى إلى ذكر السيف، قال " عنده تثكل الأمهات " . وانتصب " تلألوء مزنة " على أنه مصدر مما دل عليه " مشينا نحوهم ومشوا إلينا " ، لأن في ذلك تلألوء السلاح من الجانبين جميعا، ووميض كل واحدة من الطائفتين جميعا للأخرى. وقوله " إذا حجلو بأسياف ردينا " ، أي إذا كان مشيهم إلينا حجلا كان مشينا إليهم رديانا. والرديان فوق الحجلان، لأنه مشي الحمار بين آريه ومتمعكه، فهو أسرع من الحجلان، إذ كان في الحجلان تقارب الخطو كمشي المقيد ووثبته. فيقول: تلألأنا لوفور أسلحتنا، وبريق دروعنا وبيضنا، وإيماض أعيننا، تلألؤ سحابة برقت لسحابة أخرى قابلتها. وقال أبو زيد: هذا من رديان الجواري إذا لعبن ترفع إحداهن رجلا وتخطو بأخرى خطوتين، ثم تضعها وترفع الأخرى، تفعل ذلك مرارا. قال: والغراب يردي ويحجل.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٨٧/١

شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا ... بأرجل مثلهم ورموا جوينا

يقول: حملنا عليهم حملة منكرة، فأصبنا منهم ثلاثة من الفتيان، وقتلت قينا. وقين: اسم رجل كان مشهورا فيهم بالبأس والنجدة، فلذلك عين عليه. وقوله " ثلاثة فتية " فتية من أبنية القليل، كغلمة وصبية، ولذلك أضاف الثلاثة إليها. وبناء الكثير الفتيان. و " شدوا شدة أخرى " ، يقول: وحملوا حملة فأصابوا منا مثل ما أصبنا منهم، وارتث من قتلانا مثل ما ارتث من قتلاهم، ورموا جوينا أخى. قوله " بأرجل مثلهم " لو قال أمثالهم لجاز، وفي القرآن: " ثم لا يكونوا أمثالكم " ، وفي موضع آخر: " يرونهم مثليهم رأي العين " ، وفي موضع آخر: " إنكم إذا مثلهم " . وهذه الأبيات تسمى المنصفة، لما تقابل فيها من صفات الجيشين على وجه التعادل، وسنن التصادق. إن قيل ما فائدة قوله " شدة أخرى " ، ولم يكن قد تقدم لهم أولى؟ قلت: يجوز أن يكون أراد توالي بيننا حملتان: الأولى منا، والأخرى منهم، لأن قصده اقتصاص الحال الدائرة بينهم. ويجوز أن يكون أراد أن يبين أنهم كانوا السابقين والمبتدئين، فوصف شدتهم بالأخرى ليعلم أن المتقدم في الذكر كانت الأولى.

وكان أخي جوين ذا حفاظ ... وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسرات ... وأبنا بالسيوف قد انحنينا

نبه على أنه بحسن محافظته على الشرف، وجميل مدافعته دون العشيرة ثبت حتى قتل، وأن قتله كانت قتلة محمودة تزين ولا تشين. وقوله: فآبوا بالرماح مكسرات، وأبنا بالسيوف منحنيات، جعل فيه أعلى الصفتين لنفسه وذويه، وإن كان الظاهر من قصده في الوصف الجري على سنن النصف، يشهد لذلك ما رتبه زهير في قوله:

بطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ... ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

ألا ترى أنه جعل الطعن فوق النضل، والضرب فوق الطعان، والعناق فوق الكفاح. وكذلك فعل في الرديان والحجلان، وفي وصف أخيه بحسن الحفاظ عند قوله " ورموا جوينا " في مقابلة " وقتلت قينا " . وأما قول الآخر.

نطاردهم نستنقذ الجرد كا لقنا ... ويستنقذون السمهري المقوما

فليس من التناصف في شيء؛ إذ كان المعنى: إنا عند الطعان نذويهم عن ظهور الدواب، فنغنم دوابهم ونفوز

بها، وهم يستنقذون رماحنا لأننا نكسرها فيهم إذا طعناهم، ونجرها إياهم فيفوزون بها. فيقول: انصرفوا وقد تكسرت رماحهم بالإجرار، ورجعنا وقد تثنت سيوفنا بإعمالنا إياها في البيض والدروع وقت الجلاد.

فباتوا بالصعيد لهم أحاح ... ولو خفت لنا الكلمى سرينا." (١)

"يقول: لم تر هذه المرأة من الرأي لما قبلت مشورة الناس وتمنعت من مناكحتي ما يوازي فتيلا، أي ما يغني غناء فتيل. وقد حذرت بقاءها أيما من رجل ركاب الليل لا يفارقه فيما يهمه، فكأنه لبأسه ذكي القلب شهم. والقتيل والنقير والقطمير يضرب المثل بها في حقارة الشيء. والأروع يكون الحديد القلب المروع الفؤاد، ويكون الجميل. وقوله " وحاذرت " في موضع الحال والأجود أن يضمر معها " قد " أي لم تر فتيلا من الرأي محاذرة.

قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

هذا من صفة لابس الليل. فإن قيل: ما معنى قليل غرار النوم؟ وإذا كان الغرار القليل من النوم، بدلالة قولهم ما نومه إلا غرارا، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم، وأنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يراد بالقليل النفي لا إثبات شيء منه، والمعنى: لا ينام الغرار فكيف ما فوقه؟ ويجوز أن يكون المعنى نومه قليل ما يقل من النوم، أي نومه قليل القليل، يريد به أنه مسهد، وأن أكابر ما يهتم له طلب دم الثأر، أو ملاقاة كمي مسفع الوجه، لدوام تبذله للسمائم، وتسياره في الهواجر. والكمي: الذي يكمي شجاعته لوقت الحاجة إليه، وقيل هو الذي يتكمى في سلاحه، وقوله " أو يلقى " أن مضمرة بين أو والفعل، ولولا ذلك لم يجز عطف الفعل على الاسم، لاختلافهما. وإذا أضمر " أن " يصير حرف العطف ناسقا اسما على اسم، والتقدير: أكبر همه دم الثأر أو لقاء كمي. ومثل هذا قوله تعالى: " ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا " ، والتقدير: أو أن يرسل رسولا، حتى يكون أن مع الفعل في تقدير مصدر منسوق على قوله وحيا، إذ قد امتنع أن يحمل على أن يكلم.

يماصعه كل يشجع قومه ... وما ضربه هام العدى ليشجعا

يجوز أن يكون قوله " يماصعه " صفة لكميا مسفعا؛ لأن مثله من الأفعال يكون صفة للنكرة وحالا للمعرفة، ويكون الثناء على خصمه الذي همه ملاقاته، كالثناء عليه. ويجوز أن يكون راجعا إلى الأول، وداخلا في صفاته فيتبع قوله قليل غرار النوم. ومعنى يماصعه: يقاتله. وأصله الضرب بالسيف والرمي. ويقال مصع بذنبه،

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٣٦/١

إذا حركه. ومصع الطائر بذرقه، إذا رمى به. وقوله " كل " أي كل واحد من الناس، فأفرد وهو في النية مضاف. ومعنى البيت: إن كل من قاتل هذا الرجل قاتله طمعا في أن ينسبه قومه إلى الشجاعة، وليتبجح به عند أقرانه، ويذهب به صيته في الناس. وليس قتله للشجعان وضربه هام الأعداء لمثل ذلك، لكنه طبع منه، وجري على عادته. وقوله " يشجع قومه " أي لأن يشجعه قومه، والمفعول محذوف بدلالة قوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

يريد أن أحضر، يدل على هذا ما بعده، وهو:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

قليل ادخار الزاد إلا تعلة ... فقد نشز الشرسوف التصق المعا

قوله " إلا تعلة " من عللته بكذا، فهو كالتقدمة من قدمت. والشراسيف: مقاط الأضلاع، ولا ينشز إلا للهزال. وذكر القلة ها هنا مقصود به إلى النفي لا غير، بدلالة مجيء الاستثناء بعده، وإذا كان كذلك لم يثبت القليل به. والمعنى: ما يذخر من الزاد إلا قدرا يتعلل به، فقد أثر الطوى فيه حتى هزل، فترى رءوس أضلاعه شاخصة، وأمعاءه بجنبه ملتصقة، لقة طعمه، واتصال ممارسته للشدائد. وعلى هذا قول الله عز وجل: " قليلا ما تؤمنون " و " قليلا ما تذكرون " .

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا

قوله " يبيت بمغنى الوحش " ، أي استمرت هذه الحالة به، واتصلت منه ودامت، لأن الأماكن سواه ضاقت عنه، ومجامع الإنس تكرهته فلفظته، فألف القفار ولزم مرابع الوحش ومساكنها، حتى أنست به وسكنت إليه، وعدته واحدا منها، وصار هو أيضا على تعاقب الزمان وتصرف الأحوال لا يحمي من أجلها مرعى، ولا يراعي من مرادها مأوى، لأن همته مصروفة إلى غيرها، ونفسه مشغولة بسواها، فلا نفرتها منه تقبضها عنه، ولا صيده لها يجعلها من همه. ومثل هذا قول الآخر:

علام ترى ليلى تعذب بالمنى ... أخا قفرة قد كان بالغول يأنس

وأضحى صديق الذئب بعد عداوة ... وبغض وربته القفار الأمالس." (١)

"قوله " فتدافعت " هو مطاوعة دافعت، ومطاوعة دفعت اندفعت، إلا أنه يوضع كل موضع صاحبه. فيقول: هززتها لمساعدني، وبعثتها لتسعى معي فانبعثت واسمحت وهي تمشي مشي القطاة إذا وقعت على

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٤٩/١

الغدير، ومشت نحو الماء. وهذه المشية فيما يقال أحسن المشي، لأمنها وسرورها بالورود، وعجبها بالخلاء، وانتصب " مشي " على أنه مصدر من غير لفظه لأن معنى تدافعت مشت، والقصد إلى التشبيه لأن المعنى مشت مشية تشبه تلك المشية. وسيبويه يضمر في مثل هذا الموضع فعلا من لفظ المصدر إن وجده، وإلا قدره، ويجعل الظاهر دليلا عليه. وقوله " ولثمتها " يريد. وقبلتها فتنفست. ومنه اللثام، لأنه في الفم كاللثام في الأنف. والمعنى أني لثمتها فلحقها من ذلك تعب، فتنفست له تنفسا كتنفس الظبي إذا عقر. ويقال إنه في تلك الحالة يتنفس تنفسا ممتدا طويلا؛ فشبه تنهدها به. ويروى. "كتنفس الظبي البهير " ، والمعنى قريب، لأن البهر: النفس العالي. وفي طريقة قوله " ولثمتها فتنفست " قول طرفة العبدي.

تحسب الطرف عليها نجدة ... يا لقوز للشباب المسبكر

لأن المعنى في الموضعين التنبيه على تناهي الموصوف في النعمة والرقة.

فدنت وقالت يا من ... خل ما بجسمك من حرور

ما شف جسمي غير ح ... بك فاهدئي عني وسيري

وأحبها وتحبني ... ويحب ناقتها بعيري

قوله " فدنت " أراد به دنو الشفقة، والتقرب بحسن العطفة، لا قرب المسافة. والمعنى: تأملت تغير لوني ونحولي، فاعتقدت أنه من ملازمة تبذل، ومقاساة تعمل، فأعارتني شفقتها وقالت: ما الذي بجسمك من حرور، أي من أثر الحرور. وقد اختلف في السموم والحرور، فمنهم من جعل السموم بالنهار والحرور بالليل، ومنهم من يقول على العكس مما ذكرت. وقال الخليل: السموم الريح الحارة، ليلا هبت أو نهارا. والحرور: حر الشمس. وقوله " ما شف جسمي " يقول: أجبتها مبطلا اعتقادها، ومكذبا ظنها، وراجعا بالعتب عليها. وقلت: ما أنحل جسمي ولا أثر في لوني إلا حبك، فاسكني عني وسيري. ومعنى سيري هوني عليك الأمر. وعلى نحو من هذا يحمل قول الله تعالى: " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم " إذ لم يكن ثم مشى ولا انطلاق. ويجوز أن يكون سيري أمرا بالسير، فقد قال فيما تقدم:

فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير

وقوله: وأحبها وتحبني، هو بيان تطاول الألفة بينهما، وتواصل الصحبة في أيامهما، حتى صارت لامتداد الملازمة كما حصل التحاب بينهما حصل التألف بين بعيريهما، فإذا اتفق التباعد والافتراق، وتسلط على كل واحد منهما الاشتياق، أقبل البعيران يتحابان، ويتجاذبان الوجد والنزاع كما يفعل المتحابان.

وقال باعث بن صريم

سائل أسيد هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها

إذ أرسلوني مائحا بدلائهم ... فملأتها علقا إلى إسبالها." (١)

"أسيد أراد به قبيلة، ولما منعه الصرف. وهذا الاستشهاد هو تصوير للحال وتطرق إلى الإخبار. وإنما يفتخر بأنه قتل قاتل وائل، وأدرك ثأره، لما اعتمد في طلب دمه، واعتقد أن إدراك شفاء النفوس من جهته وبه. والبلبال: الحزن. وقوله " أم هل " الاستفهام بأم دون هل، لأن أم هذه هي المنقطعة، ولا يجوز أن يكون العاطفة. لأن تلك تجيء عديلة الألف. وقوله " شفيت النفس " يجوز أن يريد به نفسه، ويجوز أن يريد به الكثرة والجنس، كأنه يريد أنه شفى الموتورين فيه، وأزال ما خامرهم من لذع المصيبة، وألم الفجيعة. وقوله " إذ أرسلوني " إذ ظرف لقوله ثأرت، أو لقوله شفيت. والمائح: الذي يدخل البئر فيملأ الدلو عند قلة الماء فيها، والحاجة إلى الغرف من قعرها. وإنما جعل نفسه مائحا لينبه على أن طلب دم الواترين كان متعسرا متعذرا، كما أن الاستقاء على الوجه الذي ذكره يكون شاقا متعبا. فهذا وجه عدوله عن المتح إلى الميح. وقوله " فملأتها علقا إلى أشبالها " ، انتصب علقا على التمييز. وأسبالها: أعاليها، ومثله الأصبار، وسبلة الرجل منه. واختار بعضهم أن يرويه " إلى إسبالها " بكسر الهمزة، مصدر أسبل، وليس بشيء. والمعنى: ملأت دلاءهم من دمك واتريهم. وجعل لهم دلاء لاشتراكهم في الدم وطلبه، ولنيابته عن كل أوليائه. ولما استعار الدلاء والميح لما ذكرته كنى عن فعله وتصرفه بالملء.

وذكر بعضهم أن وائلا المقتول هو وائل بن صريم الغبري أخو باعث الشاعر، وله قصة. وهي أن عمرو بن هند بعثه ساعيا على بني تميم، فكان جالسا على شفير بئر يجمع الصدقات، فدفعوا في صدره وأسقطوه في البئر، ثم رجموه بالحجارة حتى قتلوه، وأخذوا يرتجون على طريق التهكم والاستهزاء:

يأيها المائح دلوى دونكا

فاتصل خبره بأخيه باعث، فسار في بني غبر وآلى أنه لا يمسك عن مقاتلتهم حتى يملأ دلوا من دماء بني تميم! ففعل، حتى كانت المرأة تقول: " تعست غبر، ولا سقيت المطر، ولا لقيت الظفر " . قال: فهذا معنى " إذ أرسلوني مائحا بدلائهم " ، وهذا حسن، والأول محمول على طرقهم وعاداتهم. ومثله قول الآخر:

مخضت بدلوه حتى تحسى ... ذنوب الشر ملأى أو قرابا

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/١٦٠

إني ومن سمك السماء مكانها ... والبدر ليلة نصفها وهلالها

آليت أثقف منهم ذا لحية ... أبدا فتنظر عينه في مالها

أقسم بمن سمك السماء، وهو الله عز وجل. ومعنى سمك رفع، ومنه سمي عمود البيت المسماك. وجواب القسم في آليت أثقف، وهو خبر إن أيضا. وقوله " ليلة نصفها " أضاف النصف إلى السماء لما كان استكمال البدر عند انتصاف الشهر في السماء، فلاجتماعهما في ظهور البدر كاملا في السماء ساغت الإضافة بينهما، على عادتهم في إضافة الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة تحصل بينهما. وعلى هذا قول الآخر:

ضوء برق ووابله

إذ كان أضاف الوابل إلى البرق لاصطحابهما. وأبعد منه قول الآخر:

نحن صبحنا عامرا في دارها ... عشية الهلال أو سرارها

وأضاف السرار إلى العشية لاعتقاده أن استسرار القمر في العشيات، كما أن طلوعه فيها. وعلى هذا الكلام في إضافة قوله " وهلالها " وإن كان إضافة الهلال إلى السماء أبين أمرا، وأقرب متصورا. فالتقدير ليلة كماله في نصف الشهر، وليله إهلاله. و " مكانها " انتصبت على الظرف، والمعنى حلفت بالله الذي رفع السماء في مكانها بلا عمد - وجعل البدر فيها كاملا عند انتصاف الشهر، وهلالا عند أوله في ليلتيهما - إني لا أثقف من هؤلاء القوم ملتحيا أبدا ناظرا عينه في ماله، وراجعا من مقصده إلى أهله وداره. أي إذا ثقفته قتلته حتى لم تنظر عينه في ماله، ولم يستقر بعده في داره وقراره. وقوله " أثقف " هو الجواب، وحذف معه لا لأنه أمن التباسه بالواجب، إذ لو أراد الواجب لقال لأثقفن، فلما كانت صيغة الواجب بما يلزمها من اللام وإحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة لم يبال بحذف حرف النفي. ومثله قول الآخر:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... وإن ضربوا ...." (١)

"هذا الكلام تسل عن العيش بعد قضاء حاجته، وإدراك ثأره، وإرغام عدوه، ولولا ما تيسر له من ذلك وتسهل لكان لا يسهل عليه انقطاع العمر، ولو مات مات بغصة. فيقول: إن أمت فرب رجل ذي غيظ وغضب تكاد نار عداوته تتوقد توقدا، أنا فعلت به كذا. وقوله " لظاه " في موضع المبتدأ، و " يكاد يلتهب " في موضع الخبر، والجملة في موضع الصفة لذي حنق، وانجر ذي حنق بإضمار رب، والمجرور برب يقع موصوفا في الأكثر وجواب رب فيما بعده، والفاء من وقوله " فذي حنق " مع ما بعده جواب الجزاء. فإن

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/١٦١

قيل: إن الفاء في جواب الجزاء إنما يجيء إذا خالف الجملة التي تكون جزاء الجملة التي تكون شرطا بأن تكون مبتدأ وخبرا، فكيف يكون تقديرهما بعد الفاء ها هنا؟ قلت: يكون التقدير: إن أهلك فالأمر والشان رب ذي حنق بهذه الصفة فعلت به كذا. فقوله طرب ذي حنق " خبر للمبتدأ الذي أظهرناه.

مخضت بدلوه حتى تحسى ... ذنوب الشر ملأى أو قرابا

هذا جواب رب. فيقول: رب إنسان هكذا، أنا حركت بدلوه التي أدلاها في الأمر الذي خضنا فيه، حتى ملأتها. وجعل الدلو كناية عن السبب الذي جاذبه فيه، والطمع الذي جرأه عليه، قال: فتحسى دلو الشر مملوءة أو قريبة من الامتلاء. وقراب الملء: أن يقارب الامتلاء، ويقال قراب بكسر القاف وقراب بضمها. والمعنى: جعلت شربه من الشر شربا مرويا.

وقد استعمل أبو تمام الدلو على الطريقة التي استعملها ربيعة فقال:

ألقوا دلاء في بحورك أسلمت ... ترعاتها الأكراب والأوذام

واستعمل غيره دلوت في معنى الاستخراج فقال:

قد جعلت إذا ما حاجتي نزلت ... بباب دارك أدلوها بأقوام

فكأن المراد أن هذا المعادى الممتلئ غيظا لما ألقى دلوه يستقي بها الماء من بئر ملأتها شرا وجعلته سقياه.

وقال سلمى بن ربيعة

حلت تماضر غربة فاحتلت ... فلجا وأهلك باللوى فالحلت

تماضر: امرأته وكانت قد فارقته عاتبة عليه في استهلاكه المال، وتعريضه النفس للمعاطب فلحقت بقومها، وأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر في أثرها وأثر أولاده منها، فيقول: نزلت هذه المرأة بعيدة منك، فاحتلت فلجا وأهلك نازلون بين هذين الموضعين. وهذا الكلام توجع. وفلج على طريق البصرة، والحلة: موضع من الحزن ببلاد ضبة، واللوى: رمل متصل به رقيق. وبين المواضع الذي ذكرها تباعد. إن قيل لم قال حلت، ثم قال احتلت، وهلا اكتفى بأحدهما؟ قلت: نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه، وبالثاني الاستقرار، فكأنه قال: نزلت في هذه الغربة فاستوطنت فلجا. وفلج بفتح اللام: موضع. وفلج بسكون اللام: ماء.

وكأن في العينين حب قرنفل ... أو سنبلا كحلت به فانهلت

يقول: ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعهما غزيرا متحلبا، واكفا منهملا، فكأن في عيني أحد هذين المهيجين الحاليين للعيون. وقوله "كحلت " إخبار عن إحدى العينين، وساغ ذلك لما في

العدم من أن حالتيهما لا تفترقان. وعلى العكس من هذا قول امرئ القيس:

وعين لها حدرة بدرة ... شقة مآقيهما من أخر

لأن امرأ القيس وحد في الابتداء ثم ثنى عند رد الضمير، على أنه متى اجتمع شيئان في أمر لا يفترقان فيه اجتزى بذكر أحدهما عن الآخر. وفي طريقة هذا البيت قول ابن هرمة:

وكأنما اشتملت مواقي عينه ... يوم الفراق على يبيس الخمخم

زعمت تماضر أنني إما أمت ... يسدد أبينوها الأصاغر خلتي." (١)

"يقول: ما شاهين واقع على محرسة ذكى شهم النفس، بعيد النظر حديد العين، سريع الإدراك، رأى أرنبا سنحت. ومعنى سنحت عرضت، يقال منه سنحت الحاجة. والأرنب: الأنثى من الأرانب. والذكر خزز. والكلام بعد مشغول بصفة السوذنيق. أي رأى أرنبا اتفقت بالعراء واعترضت فسابقها إلى مداخل الخمر، ثم رجع عليها في طريقها لئلا تفوته بأسرع من فرس. والولجات: جمع ولجة، وهي موضع الولوج، وموضع ولجات نصب على أن يكون مفعول بادرها. والخمر: ما واراك من الشجر. ويقال: بادرت مكان كذا، وإلى مكان كذا.

بأسرع منها ولا منزع ... يقمصه ركضه بالوتر

قوله " بأسرع " خبر " ما " . يقول: ما سوذنيق هذا وصفه بأسرع من فرس، ولا سهم بنزيه ركض الوتر به. والمنزع: السهم. ويقال: نزعت في القوس نزعا، وانتزعت له بمنزع، ونزعت، أي بسهم. وفي المثل: " عاد السهم إلى النزعة " في معنى رجع الحق إلى أهله. ويقمص، أي يحرك. ويقال قمص البحر بالسفينة، إذا حركها بالموج، حتى كأنها بعير يقمص. قال:

يقمص بالبوصي معرورف ورد

وإنما جعل الركض للوتر لأنه هو الذي يزج بالسهم ويدفعه فكأنه يركضه، وهذا يشبه القلب لأن الركض للوتر وقد جعله للسهم، فهو كقول الآخر:

ما أمسك الحبل حافره

وما أشبهه. ويمكن أن يترك على ظاهره، فيجعل السهم راكضا من حيث كان راكبا للوتر. والركض: تحريك الفارس رجليه على الفرس عند الاستحثاث، وإذا كان كذلك فكأن السهم هو الذي يركض الوتر وإن كان

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٦٥/١

الحفز للوتر.

وقال زيد الفوارس

نألى ابن أوس حلفة ليردني ... على نسوة كأنهن مفائد

آلى الرجل وائتلى وتألى بمعنى واحد. وهذه الأبنية من الألية، وهي اليمين. و " حلفة " انتصب على أنه مصدر من غير لفظه. وقوله " ليردني " يروى بفتح اللام وضم الدال، على أن يكون اللام لام اليمين. وذكر سيبويه أن لام القسم يلزمها إحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة، وقال أيضا وقد يحذف ارنون في الشعر. وهذا الموضع بالرواية الثانية جاء على ما سوغه. وقد جاء أعجب من هذا وأبعد في الاستعمال، وهي حذف اللام وإثبات النون. قال:

وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرغ وإن أخاهم لم يقصد

والمفائد: جمع المفأد، وهي المساعير والسفافيد. والفأد في اللغة: التحريك، وقيل إن الفؤاد منه اشتق، لأنه ينبض. ومعنى البيت: حلف الرجل حلفة ليأسرنني ثم يمن علي فيردني على نسوة كأنهن مساعير، لاحتراقهن وجدا بي وغما علي، ففعلت أنا به مثل ما هم به في. وقد قيل: إن ابن أوس كان مأسورا فحلف أنه ينجيه زيد الفوارس ويفك أسره، ويرده على نساءهن من الوجد به بهذا المحل، فاقتص ابن أوس قصته فيما كان يرجوه من جهته. ثم ذكر أنه كان عند الظن به، وأنه حقق أمله. ويمكن الاستشهاد للخبرين والمعنيين على اختلافهما مما يشتمل عليه الأبيات التي بعده . وقد قيل في الوجه الأول أنه أراد بالنسوة حرم ابن أوس، وأنه شبههن بالسفافيد لسوء أحوالهن، وتأثير الضر والجهد فيهن، وعلى هذا يكون هجوا وتعبيرا لابن أوس، وأن أهله وأولاده من الفقر بهذا المحل. فأما من روى " ليردني " فالمعنى حلف لهذا الأمر، وجواب القسم يكون محذوفا مقدرا، ويستدل عليه بما ذكره. وقال بعض المتقدمين: تقول حلف ليفعلن، فإذا حذفت النون كسرت اللام وأعملتها إعمال لام كي، والموضع موضع القسم والمعنى معناه. وأنشد:

إذا قلت قدني قال بالله حلفة ... لتغني عني ذا إنائك أجمعا

وقيل مثل تألى ليردني: أراد ليفعل كذا. وفي القرآن: " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم " ، كأن الفعل دل على المصدر، واللام مع الاسم المجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ، كأنه إرادتي كذا.

قصرت له من صدر شولة إنما ... ينجى من الموت الكريم المناجد." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١٦٩/١

"وقال: أراد كوني تذكريني، فوضع ذكريني موضع تذكريني. ومرجع هذا الذي قاله إلى مثل ما بيناه. وكما أن خبر إن فيما بيناه فكذلك جواب إذا، فافهمه. وما من قوله ما القوم زائدة. وأنجية: جمع نجي، والنجي يقع للواحد والجمع. وفي القرآن: " خلصوا نجيا " . ومعنى كانوا أنجيه، أي صاروا فرقا لما حزبهم من الشر، ودهمهم من الخوف، يتناجون ويتشاورون.

وقوله واضطرب القوم أي أخذهم القيام والقعود، وفارقهم القرار والهدو، فأقبل بعضهم يمشي إلى بعض، متعاونين في التهيؤ والارتحال، ومتساعدين على التيسر للانتقال. فشبه ميلانهم وترجحهم في اختلافهم، بترجح الأرشية عند الاستقتاء عليها من الآبار البعيدة القعر، وميلانها.

وقوله وشد فوق بعضهم بالأرويه، يعني أنهم ركبوا الليل وداوموا السير، فغلب النعاس على طائفة منهم حتى خيف عليهم السقوط، لضعف استمساكهم، فشدت الحبال فوقهم. والأروية: جمع الرواء وهو الحبل الذي يروى به، أي يستقى. ومنه قيل الراوية، ويجوز أن يكون الاضطراب الذي ذكره لاتصال التسيار وغلبة النوم، للإخلال بالنزول والقرار أيضا. وصرفه إلى الأول أحسن.

وقوله هناك أوصيني، هناك يشار به إلى الزمان والمكان معا، وموضعه نصب على الظرف، والكاف منه كاف الخطاب، والعامل فيه أوصيني. والمعنى: في ذلك الوقت يوجد الغناء والكفاية عندي، ويحصل الصبر والمداومة مني، فاجعلي وصاتك إلي لا بي، واعتمدي علي لا على غيري. وقال بعض القدماء: معنى كانوا أنجيه، يريد قوما ناموا على رواحلهم فرأوا في منامهم كأنهم يتناجون. والصواب عندي ما قدمته.

وقال المتلمس

ألم تر أن المرء رهن منية ... صريع لعافي الطير أو سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة ... وموتن بها حرا وجلدك أملس

قال هذا فيما كان بين ضبيعة وبكر بن وائل، ومعنى ألم تر اعلم. يقول: الإنسان مرتهن بأجله، فإما أن يموت حتف أنفه فيدفن، وإما أن يقتل في معركة فيترك لعوافي السباع والطير. وجعل رهن منية وصريع لعافي الطير جميعا خبرين لأن، ثم أتي بأو الإباحة. ويجوز أن ينتصب صريع على الحال، وفي رفعه وجه آخر، وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه هو صريع. وإن جعلت أو التي تكون للشك يكون الكلام مبنيا على اليقين ثم يعترض فيه الشك. والأصلح في مثل هذا أن يجعل بإما، ليكون بنية الكلام على الشك، إذ كان واحد من الأمرين لا يتيقن.

وقوله فلا تقبلن ضيما يقول: أدفع عن نفسك خطة الضيم والهضيمة، ولا تلتزم العار والدنية، إشفاقا من المنية. وانتصب مخافة على أنه مفعول له. وقوله وموتن بها، الضمير من بها يرجع إلى المخافة، أي مت بتلك المخافة حرا لم يستعبدك الخصم، ولم يستوطئك الظلم، وجلدك نقي من العيب، سليم من العار والشين. ويروى " واحين بها حرا وجلدك أملس " والرواية الأولى أحسن، ويكون واحين أمرا بالحياة وقد أدخل عليه النون الخفيفة. ومعنى يرمس: يدفن. والرمس: الدفن. والرياح الروامس منه، وتوسعوا في الدفن فقيل ارمس هذا الحديث، كما يقال ادفن. وعافي الطير: ما يعتري منه. ويقال فلان كثير العافية والعفاة، ويراد الزوار والمجتدون.

فمن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس

قصير: صاحب جذيمة الأبرش. وقصة جذيمة وزباء الرومية مشهورة. وإن قصيرا توصل بأن جدع أنف نفسه، إلى أن استخدمته زباء ثم استخلصته حتى تمكن فأدرك ثأره منها. وبيهس هو الذي يلقب نعامة، وهو رجل من بني غراب بن فزارة، وكان يحمق، فقتل له سبعة إخوة فجعل يلبس القميص مكان السراويل، والسراويل مكان القميص، فإذا سئل عن ذلك قال:

البس لكل عيشة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته. وحديثه مشهور أيضا. وكلام المتلمس بعث وتحضيض على دفع الضيم، وركوب الإباء من التزام العار، فلذلك أخذ يذكر بحال من استضعف. فلم يزل يحتال حتى أدرك مباغيه من أعدائه.." (١)

"قوله " يكون نذير " قيل فيه هو نذير بن بهثة بن وهب بن حرب. وقيل أراد بالنذير المنذر. والمعنى: إني أرصد لهم من ينذرني بهم فيخبرني بمجيهئهم إذا هموا به، فأتقي وأستجن وأتحرز. وجلي وأحمس من ضبيعة بن ربيعة بن نزار يقول: وإذا جاء وقت التجاذب والتدافع قام بنصري هذان البطنان. وقوله وجمع بني قران النصب فيه على إضمار فعل، كأنه قال: سم جمع بني قران، ويكون الفعل الظاهر تفسير المضمر؛ والرفع على الابتداء. ومعنى البيت: أجرونا مجرى نظرائنا فإنا نرضى بهم قدوة، واعرضوا ما تسوموننا على بني قران، فإن وجدتموهم يتلقونه بالقبول، ويوطنون أنفسهم عليه، فلنا بهم أسوة، وإلا فالامتناع منه واجب. وقوله هاتا التي نحن نوبس أي هذه الخطة التي نكره عليها. والأبس: القهر. وقال ابن الأعرابي: أبست الرجل، إذ لقيته بما

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٠١/١

يكره؛ وأبست منه، إذا وضعت منه باستخفاف به وإهانة له. وجواب الجزاء لم يجيء بعد.

فإن يقبلوا بالود نقبل بمثله ... وإلا فإنا نحن آبى وأشمس

وإن يك عنا في حبيب تثاقل ... فقد كان منا مقنب ما يعرس

قوله فإن يقبلوا بالود أعاد به الشرط، وذاك أنه قال في البيت الذي قبله فإن يقبلوا هاتا التي نجن نوبس، ولم يأت للشرط بجواب، ثم قال فإن يقبلوا بالود نقبل بمثله، فاكتفى بجواب واحد لاشتماله على ما يكون جوابا لهما، فكأنه قال: إن قبلوا ما نوبس نقبل مثله، وإن أقبلوا بعد ذلك وادين وامقين أقبلنا بمثله، وإلا فنحن أشد إباء، وأبلغ شماسا، وأحمى أنفا وأعز جانبا، والشماس: الامتناع، ومنه شماس الدابة، وهو أن لا يمكن من الإسراج والإلجام. وكانت بنو ضبيعة حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، فوقع بينهم نزاع، فعاتبهم المتلمس. وقوله وإن يك منا في حبيب تثاقل فإنه أراد حبيب فخفف، وهو حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل. يقول: إن تكاسل بنو حبيب عن طلب دمائنا، وتثاقلوا عن إدراك ثأرنا، فقد كان منا من يدأب ويسهرن فلا يرى تعريسا وتلوما وتعريجا في ذلك. والمقنب: زهاء ثلاثمائة من الخيل. والتعريس: نزول في آخر الليل.

وقال سعد بن ناشب

تفندني فيما ترى من شراستي ... وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها إن الحليم وإن حلا ... ليلفي على حال أمر من الصبر

تفندني أي تجهلني. والفند: إنكار العقل من هرم. يقال شيخ مفند. وفي القرآن: " لولا أن تفندون " ، أي تجهلوني، وفسر على تكذبوني أيضا. والشراسة: صعوبة الخلق وخشونة الجانب. فيقول: تعيبني هذه المرأة على ما ترى من عسر الخلق وإباء النفس وفظاظة القلب، جاهلة بأحوال الرجال، والفصل بين أوقات الجد والهزل، والشدة والليان، فأجبتها وقلت: إن الرجل الحليم وإن لان عطفه وسهل خلقه فقد يوجد في وقت الغلظة وعند حالة القسوة أمر مرارة من الصبر، وأشد صلابة من الحجر. وقوله وما تدري في موضع الحال. وفي هذه الطريقة قول الآخر:

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ... ومر إذا نفس العزوف اقشعرت

وفي اللين ضعف والشراسة هيبة ... ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

الواو من قوله والشراسة عاطفة لجملة على جملة، ولا يجوز أن يجر الشراسة على أن يكون معطوفا على في

اللين، لما فيه من العطف على عاملين بحرف واحد. ومعنى البيت أن من استلين جانبه في كل حال استضعف واهتضم، ومن استخشن خلقه هيب وتحومي.

وما بي على من لان من فظاظة ... ولكنني فظ أبي على القسر

في هذه الطريقة قول الآخر:

أبي لما آلى سريع مباءتي ... إلى كل نفس تنتحي في مسرتي

يقول: أضع كل واحد من الفظاظة والسهولة، والشراسة والسلاسة، في موضعه، وأستعمله مع من يستحقه، فمن جرى معي وانقاد لي لنت له، وقابلته بمثل فعله، ومن تأبى علي وطلب مني متابعته والجري مع هواه أبيت عليه، وخالفته فيما يبتغيه. والقسر: القهر على الكره، ويقال قسرته واقتسرته، ومنه قيل للأسد قسورة.

أقيم صغا ذي الميل حتى أرده ... وأخطمه حتى يعود إلى القدر

فإن تعذليني تعذلي بي مرزأ ... كريم نثا الإعسار مشترك اليسر." (١)

"مفعول أقول أول البيت الذي بعده، وهو قوله بك الوسبة. وقال في مفارق لأنه جمعه على ما حوله، كما يقال بعير ضخم العثانين، كأنه جعل كل قطعة مما يلي المفرق مفرقا فجمعه. ومعنى خر سقط، ومصدره الخرور. والسحوق من النخل والحمر: الطويل. يقال: أتان سحوق، نخلة سحوق. يقول: لما تمكنت من أغلب قنعته بسيفي فسقط، فقلت متشفيا ومستهينا: أناخت الوجبة بك لا بمن كنت تطلبه لها، وهذا كما يقال: لليدين وللفم. وقوله كالجذع في موضع الحال، والعامل فيه خر، وتشبيهه إياه بالجذع من قديم التشبيه، وفي القرآن: "كأنهم أعجاز نخل خاوية " . زدهلخ كشذبا ليكون طوله أظهر.

بك الوجبة العظمى أناخت ولم تنخ ... بشعبة فابعد من صريع ملحب

أراد بالوجبة العظمى المنية. وفي القرآن: " فإذا جبت جنوبها " . أي مزل بك المكروه الأعظم، والبلاء الأفظع، لا بشعبة. كأن هذا المصروع كان يتوعد شعبة بالقتل ، أو يريده له ويتمناه ، فما ائتمره به أصابه وحق عليه. وقوله فابعد دعاء عليه على طريق الاستهانة بما حل به. والملحب: المذلل، ومنه طريق لاحب أي واضح. ويجوز أن يكون معنى ملحب مجروح مقطع يقال لحبت اللحم إذا قطعته طولا.

سقاه الردي سيف إذا سل أو مضت ... إليه ثنايا الموت من كل مرقب

هذا مثل قول تأبط شرا.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٠٣/١

إذا هزه في عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك

وإن كان هذا أبلغ؛ جعل ضحك الموت تألق السيف إذا جرد من الغمد سرورا به، وذلك جعله إلى المضروب به ثقة بكونه له. ويقال أومض وومض، إذا لمع. ورواه بعضهم: " أومضت إليه منايا الموت " ، وهو تصحيف.

ويا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب

جنيتم وجرتم إذا أخذتم بحقكم ... زعمتم غريبا مرملا غير مذنب

قوله عجل القاتلين و إضافة البعض إلى الكل، وكرره توكيدا. ولك أن تضم عجل الأول وتنصب الثاني على البدل، أو على عطف البيان. وبنو عجل كانوا موتورين بما ارتكب منهم قبيلة الشاعر، وهم بنو مازن، فلم يطلبوا ذخلهم من وجهه، ولا أدركوا الثأر من كاسبه، لكنهم أخذوا غريبا كان جاور بني مازن فقتلوه، فقال هذا الشاعر في مخاطبتهم معيرا، وهازئا متهكما: يا عجل القاتلين بوترهم غريبا كان عندنا من بني يحصب، لم يسع في اكتساب الثأر الذي تدعونه، ولا أعمل فيه يداه وسنانه حتى جنيتم وعدلتم عن طريق الرشاد، إذ أخذتم بحقكم على زعمكم غير واتركم. فقوله: إذ أخذتم بحقكم زعمتم يجوز أن يضعف بالزعم دعواهم الحق المشار إليه، ويجوز أن يضعف ما توهموه من درك الثأر بما فعلوه. ويجوز أن يضعف الأمرين جميعا، وهو الأشبه. فإن قيل: أين مفعولا زعمتم، وكيف ساغ حذفهما؟ قلت: الحذف هنا كالحذف في قوله تعالى: " أين شركائي الذين كنتم تزعمون " . وكالحذف في قول الكميت:

بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارا عليك وتحسب

فكما حذف مفعولا تحسب في بيبت الكميت، ومفعولا تزعموت في الآية، كذلك حذف مفعولا زعمتم من هذا البيت، ويكون التقدير: إذ أخذتم بحقكم زعمتموه مأخوذا رجلا هذا صفته، وبحقكم زعمتموه ثاناي، فحذف ذكر الحق لما تقدم من ذكره، ولما حذف المفعول الأول جاز حذف الثاني، وهذا كما يحذف المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب، وهي متى ظننت أو قلت زيدا منطلقا. إذا أعملت الفعل الأول ساغ ذلك، لأن الفعل الثاني نقيضهما، وقد حصل في الكلام ذكرهما. فاعلمه. والمرمل: الفقير.

وما قتل جار غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب

فلم تدركوا ذحلا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب

يقول: الوتر مقيم في موضعه ثابت على حاله، لم تزيلوه ولم تظعنوه عن محله، لأن قتل جار للواتر غائب عن نصاره، بعيد عن أرضه ودياره، لطالب الثأر ليس بطريق يؤديه إلى نيل مراد، ولا بسبب يوصله إلى اشتفاء من

داء، فأنتم لم تصيبوا نجحا في فعلكم، ولا سلمتم فيما أتيتم من عار يلحقكم.

ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب

وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب." (١)

"قد مضى الكلام في حذف النون من يك في غير موضع. ومراد كنزة من الكلام أن تجعل التقصي في مجاهدة القوم، وبلوغ أبعد الغايات في طلب الثأر من ابنها ببال، فأقبلت تقول: ظني بابني كيت وكيت، مذكرة وموصية. والذي زعمت أنه في ظنها، ومن أحاديث نفسها، هو ما تقترحه على ابنها، وتتمنى أن يحتفظ به من وصاتها. وقولها " وهو " يجوز أن يكون للظن، والمعنى: إن كنت ألمعيا، فظني بشملة يصدقني لا محلة، فإنه يفعل كذا. والباء من قولها بشملة يجوز أن يكون متعلقا بصادقي، أي وهو يصدقني بسبب شملة، وإن شئت يتعلق بظني. ويجوز أن يكون " هو " ضمير ابنه شملة والمعنى: وهو فيما أتفرس فيه وأعتقده من غنائه، يصدقني ويكون بشملة تبيينا لا صلة، كما يكون بك بعد مرحبا تبيينا بحبس القوم بتلك المعركة محبسا ضيقا. ويقال أزلوا ما لهم يأزلونها أزلا، إذا حبسوها في المرعى، مخافة الأعداء عليها. فالأزل مصدر وصف به.

فيا شمل شمر واطلب القوم بالذي ... أصبت ولا تقبل قصاصا ولا عقلا

هذا يدل على ما قدمناه في البيت قبله، فإنها رجعت إلى مخاطبة ابنها بعد ما ذكرت هواجس ظنونها، وجردت القول له بمرادها منه، وأمرته بالتشمير في طلب القوم كلهم بمن أصيب به، واطراح التقصير فيما جعل له من سلطانه في حقه، وبأن لا يقبل الدية وإن غالوا بها، ولا يرضى بالقصاص منهم وإن مكنوا من الجاني عليه أيضا، بل يعم القوم كلهم بالقتل، فإنه حينئذ يكون مدركا تبله، وناقضا وتره، وقاضيا حق صاحبه. والقصاص: أخذ الشيء بالشيء، وأصله من القص: القطع.

وقالت أيضا:

لهفي على القوم الذين تجمعوا ... بذي اليد لم يلقوا عليا ولا عمرا

فإن يك ظني صادقا وهو صادقي ... بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا

قد تقدم القول في لهفي، وكما يجوز فيه من نية الإفراد والإضافة.. وإنما تحسرت الشاعرة على ما فات عليا وعمرا من ملاقاة القوم المجتمعين بذي السيد المتخلفين للقتال. وإنما تلهفت لما كانت تؤمل من تأثيرهما فيهم. وموضع لم يلقوا نصب على الحال، والعامل فيه تجمعوا. ثم قالت كالمستدرك برجائه. إن كنت صادقة الظن

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢١٢/١

بابني شملة وهو يصدقني لا محالة فإنه يحبس القوم بتلك المعركة محبسا صعبا. تريد أن ما فات المذكورين سيتلافاه، فيما يعدها به ظنها وأملها فيه. والقول في إن يك ظني صادقا على ما تقدم. والصدق والكذب أصلهما في الكلام، وتوسع فيهما فقيل برد صادق، والفجر الصادق والكاذب، وهو فتى صدق، وصدقوهم القتال. ويقال: طريق وعر: بين الوعورة والوعارة، أي غليظ. وقد توعر ووعر.

وقال شبرمة بن الطفيل

لعمري لريم عند باب ابن محرز ... أغن عليه اليارقان مشوف

أحب إلينا من بيوت عمادها ... سيوف وأرماح لهن خفيف

الأصل في الرئم: الظبي الخالص البياض. وهذا الكلام يخص به الشاعر واحدا معينا كان يقصر في طلب الوتر، ويشتغل عنه بالصبا واللهو، ويؤثر المقام بـأطيب المنزلين من البدو والحضر، لا يهمه إلا الرقاعة والخلاعة، وخاليتين من التعب والنصب، فأخذ يعرض به ويقول على وجه التهكم والسخرية منه: وبقائي، للقاء امرأة كأنها ظبية مسكنها في جوار هذا الرجل في صوتها غنة، محلاة بيارقين، مجلوة الوجه، أحب إلينا من الأوى إلى بيوت مستحدثة بنيت على عمد متخذة من رماح وسيوف. وهذه البيوت للغزاة والمتصيدة أكثر ما تكون. ألا ترى قول امرئ القيس بعد فراغه من الصيد:

ورحنا إلى بيت بعلياء عردح ... سماوته من أتحمي مشرعب

وأوتاده ماذية وعماده ... ردينية فيها أسنة قعضب

وفي هذه الطريقة قول الآخر:

والله للنوم على الديباج ... على الحشايا وسرير العاج

مع الفتاة الطفلة المغناج ... أهون يا عمرو من الإدلاج

وزفرات البازل العجعاج

وقوله مشوف من الشوف، وهو التجلية، يقال تشوفت المرأة، إذا تزينت وطرت، وشفتها وهي مشوفة. وقوله لهن حفيف، فالحفيف: صوت طيران الطائر وصوت الرمية.

أقول لفتيان ضرار أبوهم ... ونحن بصحراء الطعان وقوف

أقيموا صدور الخيل إن نفوسكم ... لميقات يوم ما لهن خلوف." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢١٦/١

"يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

نبه بقوله فيشتفى بنا أنهم الثأر المنيم، فإذا أصيبت دماؤهم كان فيها للأعداء الشفاء. وانتصب على الحال من الضمير في علينا. وقوله أو نغير على وتر، يريد على وتر لنا عندهم، فكأنه قال: أو نغير على واترين لنا. وقد سلك الأعشى هذه الطريقة، فلم يوف القسمة حقها كما فعل هذا؛ لأنه قال:

فأظعنت وترك من دارهم ... ووترك من قبلهم لم يقم

والمعنى أزعجت الوتر الذي كان لك عندهم من دارهم، على عادتك مع سائر الناس من قبل في إدراك الثأر سريعا؛ لأن قوله ووترك من قبلهم لم يقم إشارة إلى أنه لا يمهل ولا يهمل فوتره لا يتلوم عند الأعداء.

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر

أشار بقوله ذاك إلى ما تقدم ذكره من تردده في مجاذبة الأعداء طالبين مرة، ومطلوبين أخرى. وانتصب شطرين على المصدر، كأنه قال: قسمنا الدهر قسميىن. ويجوز أن يكون حالا على معنى قسمناه مختلفا؛ فوقع الاسم موقع الصفة لما تضمن معناه، كما تقول: طرحت متاعي بعضه فوق بعض، كأنك قلت متفرقا. والمراد: جعلنا أوقات الدهر بيننا وبين أعدائنا مقسومة قسمين، فتراها لا ينقضي شيء منها إلا ونحن فيه على أحد الحدين. إما أن تكون لنا الكرة عليهم فننال منهم. وإما أن تكون لهم الجولة علينا فينال منا.

وقال تأبط شرا

وذكر أنه لخلف الأحمر، وهو الصحيح.

إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل

يجوز أن يكون ذكر الشعب الموصوف لأن قبر ذلك القتيل كان فيه، ويجوز أن يكون ذكره لأنه قتل عنده، وهو في اللغة ما انفرج بين جبلين ونحوهما. والسلع بفتح السين وكسرها: شق في الجبل، ومنه سلعت رأسه، أي شققته. وقولهم هاد مسلع، أي يشق أجواز الفاة. وقوله دمه ما يطل من صفة القتيل، والمعنى أني في طلب ثأره، فدمه لا يذهب هدرا. والطل: مطل الدم والدية وإبطالهما. وقال:

أزهير ليس أبوك بالمطلول

خلف العبء علي وولى ... أنا بالعبء له مستقل

أراد بالعبء طلب دمه والنيل من عدوه. وقوله أنا بالعبء له مستقل تحقيق للوعد بإدراك الثأر، وإظهار اقتدار على النكاية في الأعداء. وقوله له أي من أجل المرثي، وإنما سمي الثقل عبئا لأنه من عبأت المتاع أعبؤه

عبئا، ثم يسمى المتاع عبئا، فهو كالنقض والنقض. وكثر استعماله حتى تسمحوا به فيما يدخل من الثقل على القلب ولا يحمل على الظهر.

ووراء **الثأر** مني ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل

أعطى فيما اجتمع من الوصف الترتيب حقه، وذلك لأنه اجتمع مفرد وجملة في صفة ابن أخت فقدم المفرد على الجملة، وهذا وجه الكلام وحقه؛ لأن الجملة إنما وصف بها لوقوعها موقع المفرد، فإذا صاحبها مفرد كان الأولى تقديمه، وإذا كان كذلك فعقدته ارتفع بالابتداء، وما تحل خبره. والمصع: الشديد المقاتلة الثابت فيها. ويعني بوراء ها هنا الخلف، وإن كان يصلح للقدام. وفي هذا الكلام ضرب من الوعيد، كأنه يجري مجرى قول القائل: الله من ورائك. ويريد: وفي طلب **الثأر** من جهتي ابن أخت هذه صفته، ويعني به نفسه. ويجري هذا المجرى قول الشنفري:

هممت وهمت وابتدرنا وأسدلت ... وشمر مني فارط متمهل

والفارط المتمهل هو الشنفري. وقوله عقدته ما تحل يجوز أن يريد ما يعقده برأيه أو يحكمه لا ينقض. ويجوز أن يريد به قوته وجلادته، وتكون العقدة راجعة إلى استحكام خلقه وصبره في الشدائد.

مطرق يرشح موتا كما أط ... رق أفعى ينفث السم صل." (١)

"شبه نفسه في إطراقه وسكونه، منتظرا لفرصة ينتهزها في إدراك **ثأره** بالحية، وأنه في إمساكه يرشح بالموت لعدوه كما أن الحية إذا أطرق نفث بالسم. والرشح كالعرق، والنفث، كالقذف. والصل من صفة الأفعى، ويوصف به الداهية وكل خبيث، يقال: هو صل إصلال، كما يقال داهية دواه. وأسماء الحيات وصفاتها تستعار في الدواهي كثيرا. والأفعى مؤنثة، وذكرها الأفعوان. وقال الخليل: الأفعى حية قصيرة عريضة الرأس. وبنون فيقال أفعى، وبعض طيئ يقلب ألفه واوا فيقول أفعو، وبعض قيس يقلبها ياء فيقول أفعى. ومنه تفعى فلان، إذا ساء خلقه. وقال سيبويه: صرفه أكثر وأجود. ويصلح للذكر والأنثى. والأفعوان الذكر لا غير.

خبر ما نابنا مصمئل ... جل حتى دق فيه الأجل

بزني الدهر وكان غشوما ... بأبي جاره ما يذل

يعني بالخبر نعي المتوفي؛ وقد استعظمه وجعله داهية منكرة حتى علا شأنه وجل عن أن يضبط بوصف، أو يحد بنعت، فلذلك قال جل حتى دق فيه الأجل. ويقال داهية مصمئلة، إذا اشتدت. والأجل تأنيثه الجلى،

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٥٧/١

والألف واللام فيه بدل من الإضافة النائبة عن من في قولهم: هو أجل من كذا، ومعناه الجليل. وقوله بزني الدهر أي غلبني واستلبني. وقوله بأبي الباء دخلت للتأكيد زائدة، كأنه قال: بزني الدهر أبيا. ومثله قول الآخر:

سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ويجوز أن يكون عدى بزني بالباء لما كان معناه فجعني، ويكون من باب ما عدي بالمعنى دون اللفظ، كقوله:

إذا تغنى الحمام الوزق هيجني ... ولو تعزيت عنها أم عمار

وقوله جاره ما يذل من صفة الأبي. والأبي المتصعب المتمنع. والغشم: الظلم والقهر. وقوله وكان غشوما يعني به الدهر، وهو اعتراض بين الفاعل والمفعول، ومثله يتأكد به الكلام. وقوله يذل يروى بفتح الياء، ويذل على ما لم يسم فاعله، والمعنى ظاهر، وصفه بأنه كان عزيز الجار محمي الفناء، وأنه كان له عدة على الدهر، وسلاحا معه فاستلبه منه.

شامس في القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل

يابس الجنبين من غير بوس ... وندي الكفين شهم مدل

وصفه بأنه كان ينتفع به في كل حال وزمان، وأنه كان غياثا للناس في حالتي السراء والضراء، فكان الشمس عند البرد، والظل عند الحر. يقال: ذكت النار تذكو، وأذكيتها، وكذلك أذكيت الحرب. ونوء الشعرى بشدة الحر يجيء. ويقال للشمس ذكاء من ذلك. وقد جاء مثل هذا في النسيب، يقول ابن الرقيات:

سخنة في الشتاء باردة الصيف هلال في الليلة الظلماء

والمعنى أنها للضجيع في الصيف هكذا، وفي الشتاء هكذا. وقد أتى الأعشى بهذين المعنيين في بيتين، وابن الرقيات أتى بهما مع ثالث لهما في بيت واحد. وبيت الأعشى:

وتبرد برد رداء العرو ... س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

وتسخن ليلة لا يستطي ... ع أن ينبح الكلب إلا هريرا

وأما قوله يابس الجنبين من غير بوس يريد أنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه. وعادتهم التمدح بالهزال، فهو كقول الآخر:

تراه خميص البطن والزاد حاضر ... عتيد ويغدو في القميص المقدد

وقوله ندي الكفين، أراد أنه سخي. ويقال: هو يتندى على أصحابه، أي يتسخى. والشهم: الذكي الحديد، ومنه قيل للقنفذ الشيهم. والمدل هو الواثق بنفسه وبآلاته وعدته.

ظاعن بالحزم حتى إذا ما ... حل حل الحزم حيث يحل

غيث مزن غامر حين يجدي ... وإذا يسطو فليث أبل." (١)

"وبما أبركهم في مناخ ... جعجع ينقب فيه الأظل

يقول: إن كان هذيل قد تمكنت منه فكسرت حده وأتعست جده، فهو بما كان يؤثر من قبل في هذيل فيطأ حريمها، ويكثر قتيلها. والعرب تقول: هذا بذاك، أي هو عوض منه. واللام من قوله لئن موطئة لقسم مضمر، والتي في قوله لبما جواب ذلك القسم. والشباة حد الشيء. ويقال: أشبي الرجل، إذا أتى بأولاد نجباء يصير له بهم حد حديد كشبا الأسنة. ويقال أيضا: أشبيت الرجل، أي وجدت له شباة. حكاه أبو عمرو. ويجوز أن يكون شبوة وهو اسم العقرب، من الشبا، لإبرتها.

وقوله وبما أبركهم معطوف على لبما كان. والجعجع: مناخ سوء، وهو الأرض الغليظة. والأظل: باطن خف البعير. ومعنى ينقب أي يحفى. والمراد: وبما كان ينال منهم ويحملهم فيه على المراكب الصعبة، وينزلهم له بالمنازل الحزنة، التي تؤثر في أنفسهم وأموالهم. وهم يجعلون مثل هذا الكلام كناية عن التأثير القبيح. ويشبهه قول الآخر:

من يذق الحرب يجد طعمها ... مرا وتبركه بجعجاع

وقول الآخر:

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا ... على يابس السيساء محدودب الظهر

وقول الآخر:

وحملناهم على حزن ثهلا ... ن شلالا ودمي الأنساء

صليت مني هذيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا

ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل

يقول: ابتليت هذيل من جهتي برجل كريم يتخرق في العرف مع الأولياء، وبالنكر مع الأعداء، لا يفتر عن النكاية فيهم، وعن الإغارة عليهم ما دام لهم ثبات وكان للجزاء عليهم محمل. وقوله حتى يملوا يريد حتى يملوه، و ليس المراد قعودهم عن مكافأته، ومتاركتهم لهيجه، وإنما يريد أنه لا يكف عن الإيقاع بهم، ولا يمسك عن التأثير فيهم، حتى يبشموا الشر وحتى لا تبقى فيهم قوة ولا نهوض فيراصدوا أو يناكدوا.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٥٨/١

وقوله ينهل الصعدة يريد الإبانة عن الحال التي أشار إليها من دوام الحرب، وبسط القتل، فيقول: يروي الرمح من دمائهم بالسقية الأولى، فإذا ما رويت لم يرضه ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية. والمعنى اتصال الوقعات، وامتداد البلاء منه في صب الغارات. والصعدة: القناة تنبت مستوية، وجمعها صعدات بفتح العين، لأنه اسم. ثم قيل في المرأة المستوية القامة، والأتان الطويلة: صعدة، وهي وصف لهما، ويجمع حينئذ على صعدات بسكون العين، لكونها صفة.

وقوله صليت مني هذيل بخرق، مثل قوله من قبل: ووراء الثأر مني ابن أخت في أن الخرق هو هو لا غيره. ويقال صليت بكذا أي ابتليت به ومنيت، وأصله من صلاء النار، يقال صليت أصلى صلاء، واصلطليت أصطلي اصطلاء.

تضحك الضبع لقتلي هذيل ... وترى الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تهفو بطانا ... تتخطاهم فما تستقل

استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب. وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصياح، والمراد رغد العيش لهما، واتصال طعمهما باتصال قتله في هذيل. وليس قول من قال معنى تضحك: تحيض، بشيء. وقوله وعتاق الطير تهفو بطانا مثل قول الآخر فيما تقدم:

وعبد يغوث تحجل الطير حوله

ويعنى بالعتاق آكلة اللحمان وعافية الجيف منها. وقوله تهفو بطانا أي إنها قد زورت، وامتلأت حواصلها فثقلت، فإذا طارت تخطنهم في الطيران فلا ترتفع في الجو، بل تسف لثقلها. وبطان: جمع بطين. وتهفو: تطير؛ يقال: هفت الصوفة في الهواء، أي ارتفعت. قال الخليل: ويقال لرفارف الفسطاط إذا تحركت: تهفو بها الريح. ثم توسع فيه، فيقال: هفا الظليم، وهفا قلب فلان في إثر كذا.

حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأي ما ألمت تحل

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل." (١)

"هذا على عادتهم في تحريم الخمر وما يجري مجراها في ولوع النفس به والميل إليه إذا قتل لهم قتيل، حتى يدركوا ثأره، أو حزبهم أمر عظيم يحتاجون فيه إلى مناهضة ومزاولة. وربما كانوا يحرمون على أنفسهم تنظيف البدن والأخذ من الشعر وما شاكله، وذلك على حسب ميل الطباع وإيثار فطم النفس عن الشيء الذي لا

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٢٦٠

مترك له عندها. والقصد في جميعه حبس النفس عن المطلوب وتذكيرها بالمفقود، لئلا تتناساه أو تتشاغل عنه. فيقول: أدركت الثأر فحلت الخمر بعد أن كانت محرمة بالنذر علي، وبجهد ألمت حلالا، إشارة منه إلى ما قاساه في طلب دمه. ومعنى بلأي: بعد جهد وبجهد. على ذلك قوله:

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا

وفي هذه الطريقة لامرئ القيس:

حلت لي الخمر وكنت امرأ ... عن شربها في شغل شاغل

وقول الآخر:

فيا ليل إن الغسل ما دمت أيما ... علي حرام لا يمسني الغسل

وقوله ما ألمت يجوز أن يكون ما صلة، ويجوز أن مع الفعل بعده في تقدير المصدر. يريد: وبلأي ألمت حلالا. والإلمام أصله في الزيارة الخفيفة، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندي. وقوله:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل

أظهر التشفي بما ناله من الأعداء حتى دعا من خاطبه إلى ما كان يتشوفه من سقيه له، كما أظهر التوجع لفقده من أصيب به بقوله إن جسمي بعد خالي لخل. والخل: المهزول. وقوله يا سواد بن عمرو جعل سواد – وقد رخمه عن سوادة – بمنزلة ما جاء تاما ولم يحذف منه شيء فجعل سواد وابن بمنزلة شيء واحد، وبناه على الفتح. فالفتحة في ابن للإعراب، والفتحة في سواد للبناء. ولك أن ترويه: يا سواد بن عمرو والضمة فيه ضمة المنادي المفرد، فيكون كقولك: يا زيد بن عمرو ويا زيد بن عمرو، فاعلمه.

وقال سويد المراثد الحارثي

لعمري لقد نادى بأرفع صوته ... نعي سويد أن فارسكم هوى

أجل صادقا والقائل الفاعل الذي ... إذا قال قولا أنبط الماء في الثرى

يروى: أن صاحبكم هوى، ومعنى صاحبكم رئيسكم، كما أن معنى فارسكم أفرسكم، ولهذا أقسم وعظم الحال في نعي الناعي حتى جعله ينادي بأرفع صوته فعل النادب المتحسر، ثم صدقه في ثنائه وخبره فقال: أجل صادقا أي قلت صادقا. وأجل هو لتحقيق الإخبار، كأنه لما قال: إن صاحبكم أو فارسكم سوى، قال: أجل أنت مصدق، ثم زاده ثناء فقال: وإن القائل الفاعل الذي إذا قال قولا أنبط الماء في الثرى. وقوله " أن " صاحبكم، أراد بأن صاحبكم، فحذف الباء ووصل الفعل. وانتصب صادقا على الحال، والعامل فيه ما دل

عليه الكلام من معنى قلت. والقائل الفاعل عطفه على صاحبكم، ويجوز أن ترفعه، كأنه قال: وهو القائل الفاعل؛ والنصب أحسن وأجود، ومعنى أنبط الماء في الثرى: وصل القول بالفعل الجالب للخير، وقرب الغناء من العناء االلاحق في الأمر، وهو بعد ذلك مثل لتحقيق قوله، وصلة النجاز بوعده. ومعنى أنبط الماء: أخرجه. ويقال نبط أيضا، فإن قيل: هل يجوز أن يكون التصديق منه للناعي في قوله هوى لا غير لأنه هو الخبر، ويكون هذا كما قال دريد: أعبد الله ذلكم الردى جوابا لقوله أردت الخيل فارسا؟ قلت لا يجوز ذلك، بدلالة قوله والقائل الفاعل الذي، لأن هذا العطف لا يكون إلا على صاحبكم. فكأنه صدقه في الأمرين جميعا، وزاده من بعد ما زاده. وكذلك قول دريد، لا يمتنع أن يثبت الفروسية له مع الإرداء أيضا في استثباته إياهم لما قالوا: أردت الخيل فارسا.

فتى قبل لم تعبس السن وجهه ... سوى خلسة في الرأس كالبرق في الدجى

وصفه بأنه مقتبل الشباب لم يمسه أوائل الكبر، وأن السن لم تنقص رونق شبابه، ولم ترنق ماء بشرته، فهو طلق الوجه غير عابس. والعبوس: ظهور الغضب في الوجه. ويقال منه: يوم عبوس، أي شديد. وقوله سوى خلسة في الرأس استثناء منقطع، ويعني أنه ظهر من الشيب في رأسه شعلة، فهو كالبرق يلمع في سواد الليل. والخلسة: بياض في سواد، وقد أخلس رأسه، وشعر خليس، ومنه قيل للمولود بين الأسود والبيضاء، والأبيض والسوداء: خلاسي.

أشارت له الحرب العوان فجاءها ... يقعقع بالأقراب أول من أتى." (١)

"والعرشان: لحمتان مستطيلتان من جانبي العنق، وفيهما الأخدعان. وقوله إن يقتلوك وقد كانوا قتلوه يريد إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفرحون به، فقد أثرت في عزهم، وهدمت أساس مجدهم بما نلت من رئيسهم عتيبة ابن الحارث. وقوله بأشدهم كلبا جعله بدلا من قوله بعتيبة، وقد أعاد حرف الجر فيه، وقد مضى مثله، وذكرنا الشاهد فيه من قوله تعالى: " وقال، الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم " ومعنى أشدهم كلبا أشدهم تأثيرا ونكاية في الأعداء. ومن كلام الحسن: " إن الدنيا لما فتحت على أهلها كلبوا عليها أشد الكلب " ، أي حرصوا أشد الحرص. ويقال: دهر كلب، أي ملح على أهله بما يسوؤهم. وقولهم كلب كلب يأكل لحوم الناس فيأخذه منه شبه جنون. وقوله وأعزهم فقدا على الأصحاب يريد وأشدهم، ومنه استعز اللحم، إذا صلب؛ ويعز علي أن أرى كذا، أي حق واشتد. ويقولون: أتحبني؟ فيقال: لعز ما، أي لحق

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٦١/١

ما.

وقال الحريث بن زيد الخيل

ألا بكر الناعي بأوس بن خالد ... أخي الشتوة الغبراء والزمن المحل

فإن تقتلوا بالغدر أوسا فإنني ... تركت أبا سفيان ملتزم الرجل

أبو سفيان مصدق ورد حيهم لاستيفاء الصدقة عليهم، فاتهم أوس بن خالد بأنه ستر بعض ماله طمعا فيما يلزمه من الصدقة فيه، واقتطاعا من الواجب عليه، فأخذه أبو سفيان يضربه، وارتقى ما بينهما إلى أن أدى إلى قتله، فصاحت أم أوس فأغاثها قائل هذه الأبيات، ورمى أبا سفيان بسهم نفذ فيه فقتله.

وقوله بكر الناعي، يجوز أن يكون معناه ابتدأ ينعاه لأن البكور أصله ذلك، ولذلك قيل في أول النهار: بكرة. ويجوز أن يكون بمعنى جاء بكرة. فيقول: ابتكر المخبر بقتل أوس بن خالد ملجأ الضعفاء، وثمال الأيتام، في الشتوة الغبراء، القليلة الأمطار، الشديدة الإمحال. والمحل: يبس الأرض. ويقال زمن ماحل ومحل، وقد أمحل الناس إذا أسنتوا. وقوله فإن يقتلوا بالغدر أوسا يريد أن أبا سفيان هذا كان انطوى على غل لأوس، وعداوة كامنة له، فتوصل بما ادعى من خيانته في مال الصدقة إلى ضربه وقتله، لذلك قال: إن تقتلوا بالغدر. وقوله فإنني تركت أبا سفيان ملتزم الرحل، يريد: إني اثأرت من أبي سفيان وجعلته ملتزما لرحله لا حراك به، أي قتلته بدلا من صاحبه.

فلا تجزعي يا أم أوس فإنه ... تصيب المنايا كل حاف وذي نعل

أخذ بعد اقتصاص الحال يسلي أم أوس عن ابنها، وبطيب قلبها، ويعرفها أن الموت طريق يسلكه الناس على اختلاف طبقاتهم، وأنه لا محيد عنه ولا معدل. وحسن ذلك منه لأنه كان قد أدرك الثأر لها، وشفى نفسها من داء مصيبتها، فأقبل يبرد غليلها بوعظه، زيادة في الاهتمام لها والتوفر عليها.

وكان يجب أن يقول: كل ذي حفى وذي نعل، أو كل حاف وناعل، لكنه لما وجد اسم الفاعل ينوب مناب ذي كذا، لم يبال أن يكون أحدهما بذي. وهذا يبين ما يسلكه أصحابنا البصريون في مثل قولهم: طالق وحائض، أنه على طريق النسبة وفي معنى ذات طلاق وذات حيض، ويؤكد صحته.

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة ... كراما ولم نأكل بهم حشف النخل

ولولا الأسى ما عشت في الناس بعده ... ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي

في هذا الكلام دلالة على استفحال الشر بينهم حتى قتل من الجانبين عدة، لذلك قال: قتلنا بدل قتلانا من

القوم عصبة يرجعون إلى كرم. والعصبة: العشرة من الرجال، وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة من الناس والطير والخيل. وهذا تنبيه على أن الثأر الذي أدركه منهم كان منيما، والاشتفاء من دائه به كان مجيبا. وقوله ولم نأكل بهم حشف النخل يريد: لم نشتغل عن طلب دمهم بالأكل. وذكر الحشف إزراء بذلك الطعام لو صرفت النفوس إليه مع تضايق الوقت في طلب الدم. ويجوز أن يريد: لم نأخذ ديتهم. وجعل التمر حشفا كما قال غيره.

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم." (١)

"وقوله على كل الرزايا، على تعلق بقوله أمنا، يقال هو آمن على كذا، وقد أمنت على مالي عند فلان من امتداد الأيدي إليه، أي لا تمتد، كذلك أمنا على كل الرزايا من الجزع، أي لا نجزع. وأتى بلفظة العموم فيه، وهو كل، إيذانا بتساوي الخطوب عنده، وانحطاطها عن درجة المصاب به وفيه، حتى لا جزع يتجدد بعده لحادث يحدث ولا يجوز أن يتعلق قوله على كل الرزايا بقوله: من الجزع، لأنه لو كان كذلك لكان في صلته، والصلة لا تتقدم على الموصول.

وقال بعض بني أسد

بكى على قتلي العدان فإنهم ... طالت إقامتهم ببطن برام

كانوا على الأعداء نار محرق ... ولقومهم حرما من الأحرام

يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة، فيقول: أكثري البكاء على المقتولين بهذا المكان – وقيل العدان ساحل من سواحل البحر – والمدفونين ببطن برام، فقد طالت إقامتهم. والمراد أن اليأس منهم قد حصل وقوي ، وأن غيبتهم اتصلت فرفعت الأطما ع من عودهم والاجتماع معهم . ثم أخذ بصفهم فقال: كانوا على المنابذين والمخالفين كنار هذا الملك، لا تبقى ولا تذر – ومحرق هو عمرو بن هند، وكان نذر أن يحرق مائة نفس، ففعل، فضرب المثل بناره – وكانوا لقومهم حرما من الأحرام، لا مخافة فيهم ولا هضيمة. يريد أن قومهم يأمنون نزول النوائب بهم في فنائهم، فكانوا كمن حصل في الحرم، وأن أعداءهم كانوا يحترقون بنكايتهم فيهم، فكانوا عليهم كنار هذا الملك.

وقوله محرق وإن كان صفة في الأصل، فصار بالاشتهار في رجل واحد كالعلم له. وعلى هذا جاء في قوله:

عليهن فتيان كساهم محرق

---

(١) شرح دي وان الحماسة، ٢٦٣/١

وقوله:

إليك ابن ماء المزن وابن محرق

وقوله حرما من الأحرام نكره لاختلاف الأحرام. وهي حرم الله تعالى بمكة والشام، وحرم الرسول عليه السلام بالمدينة.

لا تهلكمي جزعا فإني واثق ... برماحنا وعواقب الأيام

هذا الكلام تسلية لها وإن كان أمرها بالبكاء، وإيذان أنه سيدرك **الثأر**، فهو ينتظر عقب الأيام وانتهاز الفرص. ونبه بقوله واثق برماحنا على الغناء عندهم، وأن العناية متوفرة من جهتهم. وانتصب جزعا على أنه مصدر لعلة، ولا يمتنع أن يكون في موضع الحال يريد جازعة، وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده، وإنما يريد الحزن لسلامة الواتر على مر الأيام لا غير. ألا ترى أنه قال: فإني واثق برماحنا. وقوله عواقب الأيام يشير فيه إلى تغير الزمان واختلاف الحدثان، وأن الدهر كما يعطى يرتجع. وكما يولى ينتزع، فغيره لا تؤمن، وأحداثه على حالة واحدة لا تقف.

وقال آخر:

نعى لي أبا المقدام فاسود منظري ... من الأرض واستكت على المسامع

وأقبل ماء العين من كل زفرة ... إذا وردت لم تسطعها الأضالع

يقول: خبر الناعي بموت أبي المقدام فدير بي، وأصبحت الدنيا مظلمة في عيني، وأورث خبره صمما في أذني، فلا الأذن تأذن للكلام على ما كانت تعمل، ولا العين تدرك المرئيات إدراكها من قبل، كل ذلك لتأثير نعيه في الحواس التي هي طرق العلوم وتبين المشاهدات. وبعد ذلك أقبل الدمع يسيل في إثر زفرات اتصلت وتعاقبت، وكل واحدة منها لامتلاء الصدر بها كادت الضلوع تستقيم لورودها. والزفرة: أن يتردد النفس في الصدر ثم يمتلىء منه ويزفر به، أي يرمى. وقد أومأ أبو تمام إلى هذا المعنى وإن يصرح تصريحه في قوله:

وما للدار إلا كل سمح ... بأدمعه وأضلعه سخى

فأما أبو عبادة ففي قوله:

ووراءهم صعداء أنفاس إذا ... ذكر الفراق أقمن عوج الأضلع

قد بالغ في الإبانة كل المبالغة. وقوله استكت على المسامع فالمسامع: جمع المسمع بكسر الميم، وهو الأذن. والمسمع، بفتح الميم: موضع السماع وقوله استكت من قولهم بئر سكوك، إذا كانت ضيقة الخرق. فإذا أريد

الصمم وقيل استكت أذنه فحيقتة ضاق صماخا، وهو الخرق الباطن المفضى إلى الرأس.
وقال آخر:
قد كان قبلك أقوام فجعت بهم ... خلى لنا هلكهم سمعا وأبصارا
أنت الذي لم يدع سمعا ولا بصرا ... إلا شفا فأمر العيش إمرارا." (١)
"وأبكيكما حتى الممات وما الذي ... يرد على ذي عولة أن بكاكما
قوله وما الذي يرد على ذي عولة يجري مجرى الالتفات. وقوله إن بكاكما إذا فتحت الهمزة يكون موضعه من الإعراب الرفع على أن يكون فاعل يرد، لأن أن مع الفعل في تقدير المصدر، وإن رويت إن بكسر الهمزة كان شرطا وجوابه يدل عليه ما تقدمه، وفاعل يرد ما يدل عليه أبكيكما من مصدره، كأنه قال: وما الذي يرد البكاء على ذي عولة إن بكاكما. على ذلك قولهم: من كذب كان شرا له، ومن صدق كان خيرا له يريدون كان الكذب شرا له والصدق خيرا له. والمعنى: أبكيكما ما اتصل عمري. ثم قال كالملتفت إليهما على طريق اليأس: وما يغني البكاء عن المعول إن بكاكما. فقوله " ما " استفهام ومعناه للإنكار. والعويل: صوت الصدر، ومنه العولة، وقد أعولت المرأة.
وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي
إني لأرباب القبور لغابط ... لسكني سعيد بين أهل المقابر
وإني لمفجوع به إذ تكاثرت ... عداتي ولم أهتف سواه بناصر
قوله سكني أن تسكن إنسانا منزلا بلا كراء، والمنزل سكن ومسكن؛ وهو مصدر كعذرى وبشرى. ومعنى البيت: إني أغبط الموتى لحصول سعيد فيما بينهم، فإن الجمال الذي كان للأحياء بمقامه فيهم كأنه انتقل إلى الأموات عنهم؛ وإني لمتبين تأثير الفجع به، وشدة فاقتي إليه، إذا تزاحم الأعداء وتبالغوا في قصدي، ولا يكون لي من أستنصره عليهم غيره. وقوله سواه في موضع النصب على أنه استثناء مقدم. ويقال هتف هتفا وهتافا. والهتف: الصوت الشديد، وقوس هتفي، والحمام تهتف .وهتف به وصاح به، إذا دعاه.
فكنت كمغلوب على نصل سيفه ... وقد حز فيه نصل حران ثائر
النصل: اسم حديدة السيف، لذلك صلح إضافته إلى سيفه وإن كان قد يستعمل استعمال السيف. ألا ترى أنه قال: وقد حز فيه نصل حران. يقول: كان عدني على الدهر وسلاحي على أعدائي، فلما فقدته والأعداء

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٦٩/١

بالمرصاد لي، صرت كان ءلب على سيفه وسيف عدوه قد خرج عليه كطالب ثأر وكبده حرى، لشدة عداوته واستحكام غيظه يعمل فيه، وينفذ في الضريبة منه، والمراد: كنت كمن غلب على عدته أشد ما كان حاجة إليها، وحين تمكن العدو وهو تام الآلة، مكين القوى في المنازلة.

أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر

وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر

يقول: جئناه زائرين فوسع قرانا من الحزن والداء المتمكن من القلب، المخامر له. والمخامر مأخوذ من الخمر، وهو ما واراك من الشجر وغيره. وإذا كان كذلك فهو أبلغ من قوله الدخيل، لأنه يفيد في الموصوف فائدة أكثر من الدخول، إذ كان المراد به دبيبه في أثناء القلب وأطباقه، وذهابه في أجزائه وأضعافه، وليس في الدخيل هذا المعنى. ويقال أمجدت الدابة العلف، إذا أكثرت له.

وقوله وأبنا بزرع قد نما في صدورنا نبه بهذا الكلام على أن حزنه يزيد على مر الأيام، فهو كالزرع النامي، وأن سقياه الدموع. ومعنى البوادر المستبقة لكثرتها وغلبتها. وأصل الزرع الإنبات. والزرعة: البذر. لذلك قال الله عز وجل: " أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " . وازدرع، إذا زرع أو أمر به لنفسه خاصة. ويقال: زرع لفلان بعد شقاء، إذا أصاب مالا بعد الحاجة. فإن قيل: كيف قال أمجدنا قرى والميت لا يعمل شيئا؟ قلت: لما جعله مزورا أقام له قرى لزائره على عادته وهو حي. وهذا المعنى من كلامه أبين وأظهر من كلام عبدة بن الطبيب لما قال:

إذا زار عن شحط بلادك سلما

ولما حضرنا لاقتسام تراثه ... أصبنا عظيمات اللهى والمآثر

وأسمعنا بالصمت رجع جوابه ... فأبلغ به من ناطق لم يحاور." (١)

"وروى الأثرم هذه الأبيات عن أبي عبيدة للنابغة الذبياني، وأثبتها في ديوانه وقد غير أبياته ترتيبا ولفظا، وقال: إنما هو زياد بن عمرو؛ لأن اسم النابغة زياد، وزعم أنه قالها في وقعة طيئ يوم شراف، غزاهم حصن بن حذيفة ومعه النابغة، فالتفوا بشراف. والناسبون كالكلبي والشيباني واليربوعي والأصمعي، ذكروا أن النابغة هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع ابن غيظ بن مرة. وأبو تمام نسبها إلى يزيد بن عمرو الطائي. وفي ألفاظ هذه الأبيات على ما رواه أبو تمام شاهد صدق على أنه ليزيد لا للنابغة. والله أعلم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٧٣/١

ومعنى البيت: رب امرأة قالت متوجعة متحسرة: من قصد هؤلاء المقتولين، ووفق في الاهتداء فقد أطيل ليله، لأنه يرد منهم على ما يجرح القلب ويطيل السهر. ثم قال يزيد بن عمرو: أنا الشقي الذي أمها واهتدى لها، مجيبا للقائلة. وفائدة اهتدى أن الموضع الذي قتلوا فيه كان كالملتبس عليهم، فصار هو الطالب له، والمهتدي إليه، والمنبه عليه. وانجر وقائلة بإضمار رب، وجوابه من أمها، والجملة في موضع المفعول لقائلة. وقد تعرى قائلة من صفة لها، وأكثر ما يجيء المجرور برب يجيء موصوفا.

وقال قسام بن رواحة السنبسي

لبئس نصيب القوم من أخويهم ... طراد الحواشي واستراق النواضح

وما زال من قتلى رزاح بعالج ... دم ناقع أو جاسد غير ما صح

أخويهم يريد صاحبيهم. والعرب تقول: يأخا بكر، يريد واحدا من بني بكر. والحواشي: صغار الإبل ورذالها. والنواضح: التي يستقى عليها الماء، واحدتها ناضحة. وسميت بذلك لأنه جعل الفعل لها كأنها هي التي تنضح الزراعات والنخيل. وهم يسمون الأكار النضاح. على ذلك قول الهذلي:

هبطن بطن رهاط واعتصبن كما ... يسقى الجذوع خلال الدور نضاح

فيقول: مذموم في أنصباء القوم من صاحبين لهم يقتلان طرد الإبل وسوقها، وسرقة البعران التي يستقى عليها. وإنما جعل الطرائد حواشي الإبل ونواضحها إزراء بها، كما قالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب:

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا

يعني في الدية. وهذا تعريض بمن وجب عليه أن يهمه طلب دم صاحبهم فاقتصر من الأعداء على الغارة عليهم، وسرقة الإبل منهم. وفيه هزؤ أيضا، وبعث على طلب الدم.

وقوله وما زال من قتلى رزاح بعالج دم ناقع فالناقع: الثابت، مصدره النقوع. والماصح، قال الخليل: هو الراسخ في الثرى، وهو ها هنا الذليل، والدارس. يقال مصحت الدار إذا درست، ومصح الظل، إذا قصر.

قال الأعشى:

إذا الآل مصح

وهذا الكلام تذكير بدماء قتلاهم. ورمل عالج: موضع معروف. ورزاح: قبيلة. فيقول: ولا يزال من مقتولي هذه القبيلة بهذا المكان دم ثابت، أو يابس غير زائل. والمعنى أن دماءهم بحالها ما لم يثأروا بهم؛ لأن غسل تلك الدماء إنما يكون بما يصب من دماء أعدائهم.

دعا الطير حتى أقبلت من ضرية ... دواعي دم مهراقه غير بارح

لم يرض بما ذكره في البيت المتقدم من التذكير بدماء المقتولين حتى بسط القول فيه وجنحه بأن قال: دعا دواعي دمائهم طيور الأماكن النائية والجبال المطلة، حتى أقبلت من ضرية وهو اسم بلاد تشتمل على جبال عوافي سباعها وطيورها تستدل بها، فوقعت عليها تأكل من جيفها. ويجوز أن يريد بالدواعي الرياح الذاهبة في الأقطار. وقوله مهراقه غير بارح أي هو مصبوب موضعه لم يحل ولم يزل.

أعاد المعنى تفظيعا، ويجوز أن يريد بقوله مهراقه الموضع المصبوب فيه الدم، كأنه يستشهد به فقال: هو غير بارح. وقال مهراقه والأصل مهراق فيه. وإنما قلنا هذا ليكون بين هذا وبين قوله دم ناقع أو جاسد غير ما صح فصل. والكلام يشتمل على ما يطرى المصيبة ويهيج الفجيعة، ويصور مصرع القوم بما يأتيه من عوافي الطير. وفيه بعث شديد وحض بليغ على طلب الدم.

عسى طيئ من طيئ بعد هذه ... ستطفى غلات الكلى والجوانح." (١)

"عسى لفظه ضعت للترجي والتأميل، إلا أنها تؤذن بأن الفعل مستقبل مطموع فيه، فيجب أن يستأنى له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يبين عن لفظة كاد لأن كاد لمشارفة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، يدلك على هذا أنه كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، يدلك على هذا أنه قال ستطفئ غلات الكلى والجوانح. لما كان من شرط عسى أن يجيء بعده أن إيذانا بالاستقبال جعل هذا بدل أن السين، لأنه أشهر في الدلالة على الاستقبال، وإنما قال عسى طيئ من طيئ لأن الجذاب الذي أشار إليه والقتال، كان بين بطنين منهما. وقوله بعد هذه أشار إلى الحالة الحاضرة، الجامعة لكل ما ذكره. والجوانح: جمع جانحة، وهي الضلوع القصار. والمعنى: المطموع فيه من أولياء الدم أن يطلبوا الثأر في المستقبل، وإن كانوا أخروه إلى هذه الغاية، فتسكن نفوس وتبرد قلوب. وقد آلم بهذا الكلام كل الإيلام، لما ختم به كلامه المتقدم.

وأبلغ من هذا قول الآخر، وهو في طريقته:

وإني لراجيكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

وقال سليمان بن قتة العدوي

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٩٧٢/١

فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلت

الآل عند أصحابنا البصريين والأهل واحد ، ويدل على ذلك أن تصغير الآل أهيل، كما أن تصغير الأهل أهيل. وأخبرنا الفراء عن الكسائي أنه قال: سمعت أعرابيا فصيحا يقول: أهل وأهيل، وآل وأويل، قال أبو العباس ثعلب: فقد صار أصلين لمعنيين، لا كما قال أهل البصرة؛ وحكى أبو عمر الزاهد عن ثعلب أن الأهل القرابة، كان لها تابع أو لم يكن، والآل: القرابة بتابعها. قال: ولهذا أجود الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد: وقد ورد فيه التوقيف. روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل النبي صلوات الله عليه: كيف الصلاة عليك؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد " .

وقوله فلم أرها أمثالها يوم حلت، يريد أنها قد ظهر عليها من آثار الفجع والمصيبة ما صارت له وحشا، فحالها في ظهور الجزع عليها ليست كحالها في السرور أيام حلوها. فهو مثل قول الآخر:

بكت دارهم من فقدهم فتهللت ... دموعي فأي الجازعين ألوم

أمستعير يبكي من الهون والبلى ... أم آخر يبكي شجوه ويهيم

وقد سلك محمد بن وهيب مثل هذا في مديحة في المأمون أولها:

طللان طال عليهما الأمد ... درسا فلا علم ولا نضد

لبسا البلى فكأنما وجدا ... بعد الأحبة مثل ما أجد

وسلك أبو تمام هذا المسلك فزاد عليهم كلهم، لأنه قال:

قد أقسم الربع أن البين فاضحه ... أن لم تحل به عفراء عن عفر

وقوله فلا يبعد الله الديار وأهلها فيه دلالة على أنه جعل الدار وحالها كالمفقودين وأحوالهم، إذ كانت لفظة لا نبعد ولا يبعد الله يستعمل في الفائت. وقوله وإن أصبحت منهم برغمي تخلت تحسر على أهل الدار والدار جميعا.

ألا إن قتلى الطف من آل هاشم ... أذلت رقاب المسلمين فذلت

وكانوا غياثا ثم أضحوا رزية ... ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

قتلى الطف: الحسين ومن معه من ذويه عليه السلام. وقوله أذلت رقاب المسلمين فذلت كأنها لما أذلت، بأن بغى لعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وولده عليه السلام الغوائل، واستحل منهم المحارم، ونيل منهم ما

كان محظورا من غيرهم من المسلمين، فكيف منهم، وقهروا على حقوقهم واستبيحت دماؤهم وحرمهم التزمت رقابهم ذلك الذل فأقرت به وخضعت، ولبسته لبسة من كان ذلك نصيبه من مواليه، فصاروا كالراضين به وإن لم يكن ذلك رضا. وقوله وكانوا غياثا يريد أنهم كانوا للمسلمين غوثا عندما ينزل بهم فلا يرجون لملمهم دينا ودنيا غيرهم، فلما نيل منهم ما نيل صاروا رزيئة لهم كلهم، لأنه بحسب رجائهم كان فيهم. وعلى مقدار مكانتهم من قلوبهم صار نوازل الغم تنكى فيهم، وفواقر الرزء تكسر ظهورهم.." (١)

"قوله لا تخبروا الناس إلا تهكم وسخرية، يشوبه تعيير شديد. أي قد ارتكبتم أمرا عظيما بتسليمكم سيدكم، فاستروا أمركم ولا تنبئوا الناس به. وهذا مخاطبة لقوم خذلوا رئيسهم ولم يثبتوا معه، حتى قتل. فيقول: لو ثبتوا وتابعوا الدافع عن نفسه وعنهم. وقوله إلا أن سيدكم إلا بمعنى غير، فهو منقطع مما قبله. وهذا الاستثناء من المعنى، كأنه قال: سلمتم إلا أن سيدكم أسلمتم.

وقولها أنعى فتى لم تذر الشمس طالعة انتصب طالعة على الحال المؤكد لما قبله. والكوفيون يقولون في مثله: انتصب على القطع. وكما أن الحال يجيء مؤكدا لما قبله تجيء الصفة أيضا مؤكدة لما قبلها. ومثال الحال: رأيته في الحمام عريانا، فعريان حال مؤكدة. ومثال الصفة أن تقول: فعلت كذا أمس الدابر. وذرور الشمس: انتشارها في الجو. والمعنى: أذكر موت فتى لم تطلع الشمس يوما من أيام الدهر عليه إلا وهو ضار لأعدائه ناك فيهم، أو نافع لأولي ائه مسد إليهم. وفي هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدي:

إذا أنت لم تنفع بودك أهله ... ولم تنك بالبوس عدوك فابعد

وقالت امرأة من بني أسد

خليلي عوجا إنها حاجة لنا ... على قبر أهبان سقته الرواعد

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعرج على قبر أهبان زائرين له، ومجدين العهد به. وقوله سقته الرواعد دعاء للقبر بالسقيا. والرواعد: السحاب التي فيها الرعد. وقولها إنا حاجة لنا حشو واعتراض، وقد وقع موقعا حسنا، وفيه استعطاف للمخاطبين واستلطاف فيما تكلفهما. ويقال: ما عند فلان تعويج عليهم، أي تعريج. وعجنا بالمكان أشد العياج والعوج، أي عطفنا.

فثم الفتى كل الفتى كان بينه ... وبين المزجى نفنف متباعد

قولها كل الفتى مفيد للتأكيد، وجامع أسباب الفتوة كلها للموصوف، فكأنها قالت: ثم الفتى التام الفتوة حتى

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٩٨/١

لم يغادر شيئا من علائقها وأسبابها. وقولها كان بينه وبين المزجى، والمزجى: الضعيف، كأنه يزجى الوقت في الاعتداد به بين الفتيان. ويجوز أن يكون سمى الضعيف مزجى لتأخره وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يعن. وهذا كما قيل المركب في الضعيف الفروسية. والنفنف: المهواة بين الجبلين، والأرض بين الأرضين. وهذا كما يقال: بين هذا وبين كذا بون بعيد. فتقول: بين هذا الفتى وبين من يزجى في الفتيان مهواة بعيدة، حتى لا التقاء ولا تداني.

إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولا عبئا على من يقاعد

أصل الانتضال والنضال في الرماء، ثم يستعمل توسعا في المفاخرة وقت المنافرة، ومجاثة الخصوم لدى المناقرة. ألا ترى لبيدا يقول:

فانتضلنا وابن سلمى قاعد ... كعتيق الطير يغضى ويجل

ثم قال:

فرميت القوم رشقا صائبا ... ليس بالعصل ولا بالمفتعل

فيقول: إذا تجاذب القوم أطراف السمر والأخبار، وتنازعوا قصص الفرسان والأيام، ودسوا في أثناء المسارة روائع التبجح والمكاثرة، لم يكن حاجزا فيما بينهم فدما، ولا ضعيف التصرف بكيا، ولا كان ثقيلا على جلسائه، سيئ العشرة لخلطائه، بل كان حسن المجلس معهم، مستحلى المنادمة بينهم، خفيف الوطأة عليهم. ومن روى: ولا ربا على من يقاعد فإنه يريد: لا متكبرا على جليسه فعل ذي الملكة والسلطان؛ والآخذ على مصطنعه بالاعتلاء والامتناع.

وقال كعب بن زهير

لقد ولى أليته جوى ... معاشر غير مطلول أخوها

كان جوى على ما دل عليه الكلام حلف في وجوه ناكبيه والعازمين على قتله، أنهم لا يستمرئون فعلهم ذلك، وأن عشيرته وأصحابه سيطلبون دمه ويدركون ثأره، فكانوا عند ظنه بهم من غير إهمال ولا تضجيع. فيقول: جعل جوى ولاية يمينه التي أقسم بها إلى معاشر لا يبطل دم صاحبهم ولا يهدر، بل لا ينامون ولا ينيمون حتى ينالوا الوتر. وقوله غير مطلول أخوها أي دم أخيها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. قال:

دماؤهم ليس لها طالب ... مطلولة مثل دم العذره

وقال:

تلكم هريرة لا تجف دموعها ... أهرير ليس أبوك بالمطلول

أي لا ينسى دمه ولا يطل ديته. والألية: اليمين، وجمعها ألايا. والفعل منه آليت أولى إيلاء، وائتلى. وفي بعض اللغات يقال الألوة.." (١)

"يقول: لما تساقط الخبر الموجع الساري بليل، والعظيم في شأنه، الفظيع عند وقوعه إلى، سهرت فلم أغمض يا حار. كأنه ذكر ابتداء حاله لابتداء نعيه. والأرق: السهر. ويقال غمضت عيني بالتشديد، وغمضتها، واغتمضت. وأضاف السيئ إلى النبأ لأنه جعل النبأ للجنس، فهو كإضافة البعض إلى الكل. ويقال: أساء ما صنع، فهو سيئ، وساءني الشيء مساءة، وسؤتني بما فعلت مساءة ومسائية. ويقال السيئ والسيئة والسوءى. والسيئة كالخطيئة، وهو بإزاء الحسنة، والسوءى بإزاء الحسنى. والسوء: الاسم الجامع للآفات والأدواء. وقوله من مثله تمسي النساء حواسرا أي يأتي عليهن المساء وقد طرحن خمرهن فهن كاشفات الرءوس، مسبلات الشعور، لا يكتسين ولا يستترن، ويقمن مع السحر صائحات عائدات إلى عادتهن من النياحة والبكاء. وقيل الإمساء من الظهر إلى المغرب، وقيل بل إلى نصف الليل من الإمساء. وروى بعضهم: " تمشي النساء " أي يمشين متبرزات لا يدفعهن عن ذلك حشمة ولا يحجزهن رقبة. والأول أجود، حتى يكون المساء في مقابلة الصباح، ويكون الشاعر قد ذكر طرفي النهار من أوقاتهن.

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي القوى ... إلا المطي تشد بالأكوار

هذا فيه ما في قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

وإلى هذا أشار أبو تمام في قوله:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

وقوله أفبعد لفظه لفظ الاستفهام، والاستفهام يطلب الفعل، فكأنه قال: أترجو النساء عواقب الأطهار بعد مقتل مالك؟ وهو ينكر أن يكون ذلك أو يستجاز وقوعه. والمراد بعواقب الأطهار مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء بعقب أطهارهن والتمتع بهن. والمعنى أن الأمر أفظع من أن يتوهم ذلك، والخطب في المصاب به أنكى

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٠٣/١

في القلوب والنفوس من أن يتذكر لذات، أو يتحدث بتناسل وولادات. وقوله ابن زهير جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة، ولو قال زهير لاستفام له وكان يكون متفاعلن. وهم يدخلون على الأعلام التغيير كثيرا، لكنه مال إلى هذا وجعله فعلاتن. وقد فعل في أول المقطوعة مثل ذلك، لكنه في ذلك أعذر لأنه جعلها مصرعة، ولم يرض بأن جعله فعلاتن حتى سكن العين منه وجعل مفعولن، ويسمى مقطوعا مضمرا.

وفعل أيضا مثله في قوله:

ومجنبات ما يذقن عذوفا

والعذر فيه كالعذر في قوله " أفبعد مقتل مالك بن زهير " ولو قال " عذوفة " لاستقام له. وربما مالوا إلى المزاحف من غير ضرورة. على ذلك قول المتنخل في الطائية:

أبيت على معار فاخرات ... بهن ملوب كدم العباط

رووا أن كل العرب ترويه معار فاخرات بالتنوين، وإنما هو من الضرب الأول من العروض الأولى من الوافر: مفاعلتن مفاعلتن فعولن، فجعل مفاعلتن الثاني مفاعلين بالعصب، وهو في زحاف هذا البحر جائز، لكنه لو روى معارى بفتح الي اء لسلم، ولم يفعل. وقوله " ما إن أرى في قتله لذوي القوى " أضاف المصدر إلى المفعول والمراد في قتلهم لمالك، ويعنى بذوي القوى ذوي الرأي والفعل، والعدد والعدة، فيقول: لا أرى لمن كان هكذا من أولياء دمه وطلاب ثأره، إلا امتطاء الإبل وتجنيب الخيول، وركوب كل صعب وذلول، إلى أن ينال من العدو مثل ما ناله منهم، فإن في ركوب الجد مساعدة من الجد، ولن ترى العزم أصرخ بالفعل إلا وثم مطاوعة من القدر. وقوله تشد بالأكوار يريد تشد الأكوار عليها، فرمى بالكلام.

ومجنيات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار

ومساعرا صدا الحديد عليهم ... فكأنما تطلى الوجوه بقار

عطف قوله ومجنبات على إلا المطي والمراد أرى لهم أعدادهم مطايا مرحولة، وخيلا مجنوبة. وكذا كانت عادتهم في مقصدهم الغارات، وركوبهم إلى الوقعات، أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة، أو ملتقى القوم للمحاربة. فحينئذ ينيخون الإبل ويركبون الخيل وهي وادعة لم يلحقها كبير تعب، ولم يمتلكها سآمة ضجر، فيعلمونها كما يحبون.

وهذا كما قال النابغة يصف خيل عمرو بن هند:

مقرنة بالأدم والعيس كالقطا ... عليها الخبور محقبات المراجل." (١)

"ويقذفن بالأولاد في كل منزل ... تشحط في أسلائها كالوصائل

ومعنى ما يذقن عذوفا أي أدنى ما يؤكل. وقال الخليل: يستعمل في الطعام والشراب. ويقال: ما ذقت عذفا ولا عذوفا ولا عذوفة ولا عذفا أي ذواقا. والفعل منه قد يبنى فيقال تعذفت عذوفة. وقوله بالمهرات والأمهار أي لما يلحقهن من الكلال، والتحامل عليه في طي المنازل بها والترحال والمساعر: جمع المسعر، وهو كأنه آلة في إسعار نار الحرب وإيقادها. وإنما قال صدأ الحديد عليهم لاتصال لبسهم الدروع، وكأنما تطلى الوجوه بقار لأن المراد أن السموم والحرور قد لفحت وجوههم، وغيرت ألوانهم، لأنهم تعودوا قصد الغارات، وقطع المشاق. وجعل الخيل كالفرسان والفرسان كالخيل في الصبر والثبات.

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت ساحتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالأسحار

كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتيل أو يدرك ثأره. فيقول: من كان فرحا بمقتل مالك، شامتا بأوليائه، فلينزع ملابس المسرة وليطرح أردية الشماتة، فقد أدركت الأثار وأريقت الدماء، وشفيت الأدواء، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليرى أن ما كان محرما من الرثاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببكائه قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرءوس يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومحاله، فإن ذلك متصل من فعلهن غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والآصار والأسحار، وبعضهم يرويه:

من كان محزونا بمقتل مالك

والمراد الموالون، كما كان المراد بالأول المنابذين. وأكثر من رأيناه كان يروى فليأت نسوتنا ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل ابن العميد يقول: إني لأتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات، وغسله من درن بشع الألفاظ، كيف ترك تأمل قوله فليأت نسوتنا. وهذه لفظة شنيعة. وكيف ذهب عليه تأمل قوله:

قلت لقوم في الكنيف تروحوا ... عشية بتنا عندما وان رزح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم ... إلى مستراح من حمام مبرح

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٠٨/١

حتى جمع بين كنيف ومستراح في بيتين. وتأمل أمثال ما ذكره وبينه من شرائط الاختيار.

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم قد أبرزن للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار

يصفهن بأنهن ابتذلن أنفسهن للمصيبة وقد كان من قبل ستر الصيانة مسبلا عليهن، لا يظهرن المعاري من الوجوه وسائر الأعضاء لأحد من الناس، لتسترهن وارتفاع محالهن ومناصبهن عن التبرز والتبرج، إذ كن بيضات خدور وربات حجال وستور. وقوله فاليوم قد أبرزن للنظار يريد الوجوه. وهن وإن رمين قناعهن، وأظهرن محياهن فإن أحدا لا يطمع في الدنو منهن، والنظر إليهن، فيخرج إلى حد المنكر. وقوله يضربن حر وجوههن على فتى يريد ما ينلن من أنفسهن بالضرب والإهانة، إجلالا للرزيئة، وافتداء للمرثى. والعف: العفيف، ومصدره العفة والعفاف. والشمائل: خليقة الرجل وطبيعته، واحدها شمال. وقوله طيب الأخبار أي حديثه حسن في الناس لا يؤبن بدنية، ولا يوسم بنقيصة.

وقال كعب بن زهير

لعمرك ما خشيت على أبي ... مصارع بين قو فالسلى

ولكني خشيت على أبي ... جريرة رمحه في كل حي

من الفتيان محلول ممر ... وأمار بإرشاد وغي

ألا لهف الأرامل واليتامى ... ولهف الباكيات على أبي

قوله لعمرك مبتدأ وخبره مضمر، وفيه معنى اليمين، وجوابها ما خشيت. فكأن هذا المتوفي مضى لسبيله لعارض عرض له بين قو والسلى . وإنما قال " مصارع " لأنه جعل كل قطعة مما بين هذين الموضعين كالمصرع لواحد من الناس. فيقول توجعا: وبقائك ما خشيت على هذا الرجل أن يصرع بين هذين الموضعين، ولكني كنت أخشى عليه جرائره في الأحياء، وتراته في القبائل. وعلى ما يدل عليه كلامه كان مات هذا المرثي حتف أنفه، فلهذا قال: لم أختش عليه القدر ين هذين المكانين ما خشيت عليه من جرائر رمحه في الأحياء.." (١)

"وقوله (ومرجم عنك الظنون) وصفه بأن الآفاق على بعدها كانت قريبة عليه لما أيد به من العزم وتسهل له وفي نفسه من وعورة السير، فيقول: رب مكاشح لك كان على تنائيه عنك، وتحزمه معك، واستظهاره بإبعاد الدار منك، يرجم الظن فيك، ويوسوسإليه ما يعرفه من إبعادك في الغزو، وقلة احتفالك فيما تركبه

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٠٩/١

بلواحق التعب، وعوارض الخطر - أنك تقصد وتوقع به آمن ماكان منك، وهو فيه وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع في خلده، ولا بالكشف عما ارتاب له، إذ أنت أتيته من حيث لا يحتسبه، واستبحت حريمه، واستغنمت. وقوله(قبل تأمل المرتاب) يجوز أن يريد به قبل تأمله، فيكون المرتاب هو المرجم المكاشح. ويجوز أن يكون جعله مثلا.

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله:

أسرت لك الآفاق عزمة همة ... جبلت على أن المسير مقام

فأفأت أدما كالهضاب وجاملا ... قد عدنا مثل علائف المقصاب

لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم تأتكم خيل ذوو أحساب

يقول: غزوته فجعلت ماله فيئا وغنيمة: نوقا كالجبال سمانا، وذكورة عظاما ضخاما، عدنا كالتي يسمنها الجزار للنحر.

وقوله: (لكم المقصص لا لنا) يقول: إن لم تأتكم خيل إذا طلبوا الثأر طلبوه عن إمتعاض وشدة أنفة، وجد في الأمر واجتهاد، فعل الحسيب الكريم الذي لا يغمض عن قذى، ولا يصبر فيما يحق له على أذى، فأنتم أولياء دمه من دوننا، والمالكون له سوانا. وقد تركنا لكم، وفزتم بما أصبتموه، واستمرأتم ما طعمتموه. وقوله (أفأت) من الفيء: الغنيمة، لا من الفيء الرجوع. والجامل موحد اللفظ مصوغ للجمع ، ويراد به الإبل، لكنه مشتق من لفظ الجمل كالباقر من البقر. والعلائف: جمع العلوف، وهو ما يسمن في البيوت. ويقال: شاة معلفة، أي مسمنة. والمقصاب، بناه بناء مايكون آلة، فهو كالمفتاح، لا بناء ما يكون الحرفة والمزوالة. والواجب أن يكون (القصاب)، وهو من القصب: القطع والفصل، لأنه يقصب الشاة أي يقطعها.

وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بمكلىء معشاب

فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب

قوله (و أبة اليتامى) أي كان يكفلهم و يعولهم، ويشفق عليهم ويتحدب، حتى كأنه ابوهم. وارتفع (أو) كأنه خبر ابتداء محذوف كأنها قالت: وهو لليتامى أب. ومعنى (ينبتون ببابه) يروى (فناءه) ، وانتصابه على أنه أخرجه الى باب الظروف، كما فعل ذلك بمقعد القابلة، ومناط تاثريا وما أشبههما. و المعنى أنهم يتربون في فنائه و يتنعمون، تري فراخ الطير بمكان كثير العشب و الكلأ. ويقال: أكلأ الموضع، اذا صار ذا كلإ وعشب. و المعشاب: الكثير العشب.

وقوله (فكه الى جنب الخوان) فالفكه: الكثير المزاح واللعب، تأنيسا للضيف وبسطا منه، كما قال الآخر:
أحدثه إن الحديث من القرى

وقوله (اذا غدت) ظرف للفكه. يريد: يفاكه الضيف عند الأكل بملح الكلام، كي يستأنس ويتسع الوقت له فيستوفى. والـى من قوله(إلى جنب الخوان) تعلق بفعل مضمر دل عليه فكه، كانه مع قرب الخوان يفكه. و (اذا غدت نكباء) يريد البرد و هبوب الريح الباردة المزعزعة للبيوت، القالعة لأوتادها وحبالها. وأطناب البيوت: حبالها. ومنه إطنابة الحزم و القسى. و الجميع الأطانيب . قال:
يركضن قد قلقت عقد الأطانيب

وقالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها عباسا

أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهروالأيام أن تتصبرا

و ما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير اذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخى مهابة ... وليس الجليس عن أخى تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخى مهابة ... وليس الجليس عن أخى بأزورا

تقول: يا عيني لاأقول إنكما لم تجزعا ولم تذرفا، ولم تخلطا بدمع دما ، فاكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما. وكيف لا تكونان كذلك والأيام و الليالي امتنعت عليكما أن تتصبرافيها، اذ كانت حملتكما من أعباء الرزية ما استنفد وسعكما، واستغرق طوقكما، حتى نزفت دموعكما، و توقفت عن الإجابة شؤونكما، فما بقي منكما إلا شفا.." (١)

"حذف الياء من (يارب) لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء، البتة، وهو التنوين، ولأن الكسرة تدل عليه، وإن باب النداء باب حذف وإيجاز، لكثرة تردده في الكلام، وقوله (أمت) جواب الشرط. وقوله (لا قبر أعطش من قبري) الجملة في موضع الحال. وقد روى: (ترو) بفتح التاء ويكون الفعل للهامة، (وترو) بضم التاء والفعل لله عز وجل. فيقول متألما من برح الصبابة، وعطش الاشتياق، ومتشكيا إلى الله تعالى: يا رب إن مت ولم أنل شفاء من دائي ، وريا من عطشي إلى هذه المرأة مت ولا قبر لعاشق أشد عطشا من قبري. وإنما قال: لم ترو هامتي، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هاما فتطير. والأصلح في هذا المكان أن يكون جعل نفسه مقتتلا لحبها. ومعنى (ترو هامتي) لم تطلب دمي من قاتلي، تبق هامتي أعطش من كل

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٣٨/١

هام. وكانوا يقولون: إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول: اسقوني اسقوني! إبى أن يدرك ثأره.

إنما آثرت هذا لتوحيده هامة. والرقايتان في ترو وترو معنياهما ظاهران وقوله (وإن أك عن ليلى سلوت) قد تقدم القول في حذف النون من أكن. وجواب الشرط قزله (فإنما) بما بعده والمعنى: إن اك في الظاهر حصل لي سلو عنها لمن يتأمل حالي، فإنما تكلفت ما ظن مني سلوا لغلبة اليأس منها على، فأما نفسي فهي كما كانت، ذهابا فيها وولوعا بها. وقوله (سلوت) مهناه طبت نفسا. وتسليت معناه تكلفت ذلك، والتفعل لا يكون إلا عن تكلف في أكثر الأحوال، وكذلك التفاعل، فأتى بسلوت بناء على ظنهم واعتقادهم، وتسليت بناء على حاله.

وقوله (وإن يك عن ليلى غنى) يريد: وإن كان ظاهر أمري أني استغنيت عنها بخلو قلبي من حبها، أو أني أتجلد للوهن العارض في الإشتياق إليها، فرب غني نفس يقرب من الفقر، والمعنى أن باطن أمري بخلاف ظاهره. وإنما يتصور مني غنى يقرب من الفقر إذا حصل وتؤمل. ومن روى (أمر من الفقر) فالمعنى ظاهر والفاء من فرب بما يعده جواب للشرط. وفائدة رب التقليل، كأنه استقل الحالات التي تشبه حاله، فلذلك أتى برب.

وقال آخر:

يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي ... والعقل متله والقلب مشغول

ثم انصرف إلى نضوى لأبعثه ... إثر الحدوج الغوادي وهو معقول

انتصب (يوم) بإضمار فعل، كأنه أراد: أذكر يوم هذا الأمر والشأن. وأضاف اليوم إلى الفعل تشيهرا له وتعظما لما اتفق فيه. وذلك أنه باغته حديث الفراق وما هم به المجتمعون معه في النجمة من الارتحال، فلما ورد عليه مالم يحسبه ولم يحدث نفسه به تولة وخولط، حتى صار لا يدري ماذا يأتي عندما هم به من تشييعهم، والتهيؤ للكون معهم، فقال: أذكر يوم أقبلت أضع الرحل على الناقة قبل البرذعة، وعقلي فاسد وقلبي مشغول بما دهمه من الحال. وقوله (متله) هو مفتعل من الوله، وأصله مؤتله، فأبدل من الواو تاء كما تقول في اتقى واتجه وما أشبههما، ثم أدغم إحدى التاءين في الأخرى. ويروى: (مختبل) والخبل: الفساد.

وقوله (ثم انصرفت إلى نضوى) تتميم لبيان حاله فيما انعكس عليه من قصده، وفسد من همه، فقال: ثم رجعت إلى بعيري لأقيمه في إثر الظغائن الباكرة، وهو مشدود بعقالة لم أحله. وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة، واسترخاء المسكة، وسوء الضبط وانقلاب القلب. ومعنى أبعثه أهيجه. والنضو: البعير المهزول.

والحدوج: مراكب النساء الظاعنة. وانتصب إثر على الظرف.

وقد سلك أبو تمام هذا المسلك فقال:

أصمني سرهم أياهم فرقتهم ... هل كنت تعرف سرا يورث الصمما

نأوا فظلت لوشك البين مقلته ... تندى نجيعا ويندى جسمه سقما

أظله البين حتى إنه رجل ... لو مات من شغله بالبين ما علما

وقال جران العود

أيا كبدا كادت عشية غرب ... من الشوق إثر الظاعنين تصدع

عشية ما فيمن أقام بغرب ... مقام ولا فيمن مضى متسرع." (١)

"ومعنى الأبيات: هلا إذ كنت سفيه العشيرة لئيم الفصيلة، أمسكت عن الحنا والفحش، وصنت نفسك ولم تعرضها للهجاء الممض: هذا وما كنت إلا حقيرا قليلا؛ قميئا صغيرا، رق له أقاربه بعد كا كانوا ينفونه ويتبرمون منه، فألصقوه بأنفسهم، فطغى من ذلك واستلى. وأما علمت أنك وحملك الهجاء إلينا في الندم والخسران، وسوء العاقبة، كمن حمل التمر إلى خيبر يتجر فيه، فرجع نادما، وحصل خاسرا.

عمارة بن عقيل

بنى منقذ لا آمن الله خوفكم ... وزادكم ذلا ورقة جانب

فمن يرتجيكم بعد نائلة التي ... دعت ويلها لما رأت ثأر غالب

دعته وفي أثوابه من دمائها ... خلبطا دم من ثوبه غير ذاهب

نائله: امرأة زوجت قاتل أبيها أو أخيها، فجعل عمارة يعيرهم ذلك.

والعرب تقول: دم فلان في ثوب فلان، إذا كان قاتله.

قال أوس بن حجر:

نبيت أن دما حراما نلته ... فهريق في ثوب عليك محبر

وقال الفرزدق:

تمشي حرام بالبقيع كأنها ... نشاوي وفي أثوابها دم سالم

فيقول: أبدلكم الله يا بني منقذ بالأمن خوفا لا يفارقكم، وزادكم على مر الأيام ذلا وخضوعا، ولين مجس

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٧٦/١

وسقوطا، فإنه لا يعلق الرجاء بكم، ولا يستنم أحد إليكم؛ بعد نائلة التي دعت بالويلات لما رأت ثأر غالب أخيها أو أبيها، وقد ملكتموه أمرها، وجعلتموه بالتزويج قيمها، ثم قال: دعت نائلة الويل وفي أثواب زوجها لها خليطا دم هما دم أبيها أوأخيها، بقتله له؛ والثاني دم عذرتها، لتزوجه بها، فهما لازمان لثوبه لا يفارقانه. ويروى شريجا دم. وكل لونين اجتمعا فيهما شريجان. وقوله غير ذاهب، غير صفة لدم، ويروى: مهرقاة غير ذهب، ويكون الجملة صفةلدم أيضا. وقوله من يرتجيكم استفهام على طريق التقريع، وفيه معنى النفي، أي لا يرجوكم أحد. ومعنى دعت ويلها صاحت بالويل لي. وفي القرآن: " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " .

وقال طرفة بن العبد

وفرق عن بيتيك سعد بن مالك ... وعمرا وءوفا ما تشى وتقول

وأنت على الأدنى شمال عرية ... شامية تزوى الوجوه بليل

وأنت على الأقصى صبا غير قرة ... تذاءب منها مرزغ ومسيل

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

قوله ما تشى في موضع الفاعل لفرق. وما إن شئت جعلته بمعنى الذي، وصلته تشي، والضمير العائد من الصلة إليه محذوف كأنه قال: ما تشيه وتقوله. وإن شئت جعلت ما حرفا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر، ولا يحتاج إلى ضمير من الصلة يعود إليه لكونه حرفا، ويكون التقدير وشايتك وقولك. ويعني ببيتيك: أخواله وأعمامه. فيقول: فرق عن بيتي أهلك وذويك من قبل أبيك وأمك ما تأتيه من إبلاغات تتقولها، ونمائم تختلقها وتصنفها: سعد بن مالك وعمرا وعوفا؛ وإنما يعني بهم أفخاذا وبطونا كان ضلعهم معهم، فلم يزل يسعى بالتحريش، ويمشي بالنميم، حتى فرق جمعهم، بما أوقع من الشر فيهم. وقوله وأنت على الأدنى شمال عرية، فالعرية: الباردة، ومنه قولهم: عرواء الحمى. فيقول: أنت على أقاربك في سوء اعتقادك لهم، وسوقك الشر إليهم، وجرك الجرائر عليهم، بمنزلة الريح الشمال الباردة، المرقة للوجوه، إذا هبت في الشتاء، ويصحبها بلل من المطر، وندى يقبض الجلد، ويجفف المفصل والوجه. وإنما قال شآمية، وإن كان الشمال لا تهب إلا من ناحية الشأم تأكيدا. وللصفات كما تجيء مفيدة مميزة تجيء أيضا مؤكدة لا تفيد في الموصوف أكثر مما عرف فيه. وعلى هذا قد تجيء الأحوال أيضا، لكونها صفات في الأصل.." (١)

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٤١/١

"لأن السلاسل لس من كسوة الوجوه، فكأنه قال: ما إن كساكم غضة ولا قلدكم إذا غلكم سلاسل تبرق في أسناقكم. وقوله يثنين نعناه يعطفن ويلوين. وإذا لقطع تلكم الأقرانا فالأقران الحبال، والواحد قرن. وإذا رويت يبرقن فالمعنى ظاهر. ويشير إلى ما لحقهم من جهة عمرو بن هند. وقوله إذا أجاب لو بإذا كما أجابه باللام من قوله لكسا وبما على الأصل الأول. ومعنى لقطع تلم الأقرانا أي لو كنتم مأسورين لكان يفكم، ويقطع تلك الحبال التي صارت إسارا لكم. وإذا روى وإذا لقطع منكم الأقرانا كان معنى البيت: يشدكم في السلاسل ويبدد جمعكم. وقوله ولكان عادته على جيرانه، يريد أنه يفعل خلاف ما فعله عمرو بن هند، لأن عادته في الجيران أن يمولهم ويصلهم، ويبرهم ويخلع عليهم، ويقريهم ويمونهم. وعلى الرواية الثانية يرميه ويقذفه بالجارات، ومعنى ذلك ظاهر. والرادع: المتغير اللون بالطيب والخلوق. ويقال: تردع بالخلوق، إذا تلطخ.

وقال آخر:

زعمتم أن إخوتكم قريش ... لهم إلف وليس لكم إلاف

أولئك أومنوا جوعا وخوفا ... وقد جاعت بنو أسد وخافوا

يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش، وتنسهم بالقربى والقرابة منهم، فقال: ادعيتم أن قريشا إخوتكم، وسيماء الكذب ظاهرة علة هذه الدعوى، لأن لقريش إيلافا في الرحلتين المعروفتين للتجارة، وليس لكم ذا؛ وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف، وأنتم خائفون جائعون. وإنما يشير إلى السورة المنزلة: لإيلاف قريش إيلافهم. رحلة الشتاء والصيف... إلى آخرها. ويقال: ألف يألف إلفا وإلافا، وآلف يولف إيلافا.

وقال آخر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا ذكرت به ... وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

جهلا علي وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

انتصب فرحا على انه مفعول له، وكان الواجب أن يقول: يطيروا بها فرحا، لأنه لا يجوز أن يعمل حرف الشرط في الشرط بالجزم ويجعل الجواب فعلا ماضيا في الكلام، وإن كان يجوز في الشعر. ومعنى البيت الأول أنهم إذا رأوا حسنة كتموها، وإذا رأوا سيئة أظهروها. وقوله مني أراد من جهتي. ومعنى طاروا بها أي كثروها في الناس وأذاعوها، ووصلوا القيام بالقعود في نشرها. وهذا ما ذكره من الدفن في قوله وما سمعوا من صالح دفنوا

في المعنى. وقوله صم إذا خيرا ارتفع صم على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم صم، أي يتصاءمون عما أنسب إليه من الخصال الصالحة. ويقال للمعرض عن الشيء: هو أصم عنه. على ذلك قوله:

أصم عما ساءه سميع

قال: ومتى ذكرت بشر أدركوه وعلموه. ويقال: أذن يأذن أذنا. قال:

بسماع يأذن الشيخ له

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة. وانتصب جهلا لأنه مصدر لعلة. ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم ومعهم، وأنهم جبناء عن الأعداء ضعفاء عجزة إذا طلب كفايتهم، لا يصلحون لدفع مكروه، ولا لجلب محبوب. ثم سوأ عليهم فعلهم فقال بئست الخصلتان جهلهم على أقاربهم، وجبنهم عن أعاديهم. وهذا تأكيد في التعبير، ومبالغة في التقريع.

وقال منصور بن مسجاح

ثأرت ركاب العير منهم بهجمة ... صفايا ولا بنيا لمن هو ثائر

من الصهب أثناء وجذعنا كأنها ... عذارى عليها شارة ومعاصر

قوله ركاب العير يروى ركاب القوم. وأراد بالعير السيد، وكان استيق لرئيسهم إبل فارتجع بدلا منها على ما وصفه. ومعنى ثأرت ركاب العير أي أدركت الثأر فيها منهم بأن أخذت هجمة من الإبل – وهي المائة وما داناها – غزارا سمينات، والثأثر ليس من حقه أن يبقى، والأصل في الثأئر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم. يقال: ثأرت فلانا وثأرت بفلان، إذا قتلت قاتله. وقوله من الصهب أثناء وجذعنا، هذا تفسير للهجمة، وتفصيل للجملة، يريد: من الإبل الصهب. والصهبة: حمرة يعلوها بياض. وتعلق من بقوله هجمة. وأثناء: جمع ثني. والجذع: جمع جذع، وهو كخشب وخشب. والحجة في أن العير السيد قوله:

زعموا أن كل من ضرب العي ... ر موال لنا وأنا الولاء." (١)

"يقول: أد إلى بني عدي رسالتي حيث استقرت بها النوى بأن زمن طلاب الأوتار فيما عليهم من إدراك الثأر قد اتصل وامتد، فليس ينقطع لكسلهم عن السعي في رد المغار عليه، واستيطائهم مراكب العجز عن نصرته، غير مواعيد خالية من الفعل يقربونها، وأقوال مزخرفة عند الالتقاء يبذلونها، إذا اعتمدها الموتور انصرف بها مغرورا، فكانت عند السامعين لها ضلالا وبورا، وعناء للقلوب والجوارح، لا يحلى منه بطائل، ولا يرجع

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٤٤/١

على أحد بعائد. هذا وأنا أحسن أمركم، وأقول لمن يسأل عن أخبارنا وأخباركم: إنهم قد وفوا بالعهد، وأدوا مالزمهم من النصرة بحق الجوار والعقد، لكن للأمور أوقات، وللأقضية آجال وآماد، فينثنى الذم عنكم، وينحط العار دون فنائكم، ولو شئت لقال السائل والسامع: أساؤا حين بدلوا الخفارة بالإخفار، وضيعوا الحقوق بالتقصير والإقصار: وقوله أن قد وفيتم أن فيه مخففة من الثقيلة واسمه مضمر، وهو ضمير الأمر، والجملة في موضع الخبر. وقوله غير منطق انتصب على أنه استثناء خارج. ويلهى به من لهوت عن كذا ولهيت، ألهو لهوا، وألهى لهيا، إذا انصرفت عنه. والمتبول: المصاب بذحل وتبل.

لهم رثية تعلو صريمة أمرهم ... وللأمر يوما راحة فقضاء

وإني لراجيكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

الرثية: الضعف. والصريمة: ما يقطع من العزيمة ويجزم إمضاؤه بعد العقيدة، فيقول مصورا حالهم في التفريط والإهمال: متى هموا بإنفاذ عزائمهم، وتشديد شكائمهم، وإنجاز ما يتنجز عليهم من مواعدهم، أو يهتمون لرحض درن العار عن شيمهم وأخلاقهم، ولسد طريق العار والتعبيرعن مذاهبهم وأفعالهم، علا هممهم وهمتهم وهن وفشل، وملك قيادهم ومقودهم ضعف وكسل. ثم أخذ يتهكم ويهزأ فقال: والمرء في أمره يمضي يوما ويكف يوما، فما يجبر كسر التعب إلا التعب ما يتعقبه من الراحة. وقوله فإني لراجيكم على بطء سعيكم، يريدأنهم على تباطئهم وتأخر فعالهم عن مقالهم مرجوون، كما أن الحاملات على تأخر وضعهن مرجوات، فأنا ناظر في أعقاب الأمل متى يتحقق. وقوله فقضاء أي فقضاء يوما آخر. وقوله كما في بطون الحاملات رجاء أي أرجوكم مثل ذلك الرجاء.

فهلا سعيتم سعى عصبة مازن ... وهل كفلائي في الوفاء سواء

لهم أذرع باد نواشر لحمها ... وبعض الرجال في الجروب غثاء

كأن دنانيرا على قسماتهم ... وإن كان قد شف الوجوه لقاء

هذا الكلام بعث وتحضيض. وهلا: حرف إغراء وتحضيض. وذكر بني مازن تحريكا منهم، وليوجعهم بتفضيل غيرهم عليهم. وقوله وهل كفلائي، فالكفيل: الضامن للشيء: وهذا المصراع التفات، كأنه لما هجن فعلهم وقرعهم، وأطرى غيرهم مؤثرا عليهم. التفت إلى من حوله فقال: وهل ضمنائي مستوون في الوفاء فأجريهم مجرى واحدا. وهذا أبلغ من كل نكير، ومن كل هجو فظيع. وسواء وإن كان في الأصل مصدرا؛ فقد صار هنا كأسماء الفاعلين لنيابته عنها، لذلك صح أن يعمل في الظرف قبله وهو قوله في الوفاء، لأن المصادر لا

تعمل فيما قبلها إلا إذا أمر بخا، كقولك: صربا زيدا، أو إذا أجرى هذا المجرى. وقوله لهم أذرع صفة للعصبة المازنية. وهم يتمدحون بالهزال. والنواشر: عروق ظاهر الذراع. وقوله وبعض الرجال في الحروب غثاء، تعويض بالآخرين، وهم بنو عدى. والغثاء: ما يعلو السيل من الغثر والزبد. والمعنى: بعضهم لاغناء عنده ولا كفاية، كيبيس النبات وقد احتمله الماء.

وقوله كأن دانيرا على قسماتهم، القسمات: الوجوه، وقيل هي مجاري الدموع. ويقال: وجه مقسم، أي حسن، والقسامة: الحسن. ومرجعه إلى القسمة، كأنه مسح كل جزء من الوجه بقسم من الجمال، فتعادلت الأجزاء وحسنت. وقوله وإن كان قد شف الوجوه لقاء تعريض أيضا، والمعنى أن وجوههم تشرق في الحرب وتضيء، إذا صارت وجوه غيرهم مشفوفة متغيرة. ويقال: شفة المرض، إذا أذابه وهزله. وذكر الدنانير في إثبات ماء الوجه ونضارة الحسن قد جاء في النسيب، ألا ترى قوله:

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكف عنم

وقال شمعلة بن الأخضر

وضعنا على الميزان كوزا وهاجرا ... فمالت بنو كوز بأبناء هاجر

ولو ملأت أعفاجها من رثيئة ... بنو هاجر مالت بهضب الأكادر." (١)

"ولما قال: أعلى يدي فعلت، كان الأحسن في مقابلته أن يقول: ونزة قدري فنزه. ويقال: فلان نزيه كريم، إذا كان بعيدا من اللؤم. وقوله ألا يضيق لك أنن ترفعه وأن تنصبه، فالنصب على أن يكون أن الناصبة للأفعال، والرفع عل أن تكون أن مخففة من الثقيلة، ويكون اسمه مضمرا، كأنه قال: أنه لا يضيق، والجملى خبره. والعافية: مصدر كالعاقبة، ومثله ما أباليه بالية، وقم قائما؛ لأنه لا خلاف أن اسم الفاعل يكون اسما للمصدر وإن اختلفوا في بناء المفعول. وموضع ألا يضيق نصب بكونه بدلا من قوله عافية. وانتصب خلوا على الحال. وجملة المعنى: أنه لم يفتني إحسان رجل لم يلزمني له شكر إفضال، ولم يجب بفعله بي علي اعتداء. قال ابن عبدل الأسدي

أضحى عراجة قد تعوج دينه ... بعد المشيب تعوج المسمار

وإذا نظرت إلى عراجة خلته ... فرجت قوائمه بأير حمار

أراد أن يظهر أنه يجسر على تشبيهه بالسوءة. وضرب الخنا والفحش مثـالا له في هجوه، فأما المعنى فظاهر،

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٤٦/١

وإنما شبه تعوج دينه على كبرته وسنه بتعوج المسمار في العمل، وقد عجز عما حمل، فإن أكره على النفاذ انكسر؛ وإن طلب نزعه ليجعل أقوى منه بدله تعسر، فكذلك عراجة في اعوجاج دينه والتوائه، لا صرفه وردعه ممكن، ولا احتماله عليه مسوغ.

وقالت أم عمرو بنت وقدان

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق

ألهاكم ان تطلبوا بأخيكم ... أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

تقول: إن ضيعتم دم أخيكم، وقعدتم عن الانتقام له، لتقصيركم في طلب ثأره، فضعوا السلاح واطرحوه بالأبرق. ويقال: وحش بثوبه وبسيفه، إذا رمى به بعيدا. وفي الحديث: " وحشوا برماحهم " ، أي رموا بها. ويجوز أن تريد توحشوا، أي صيروا مع الوحش حياء من فعلكم، وهاجروا الناس وحانبوهم. والعرب تقول: إذا أظلم الليل تأنس كل وحشي، وتوحش كل إنسي. يريدون بتأنس استأنس، وبتوحش استوحش. ومثل وحش بمعنى توحش قدم بمعنى تقدم، ونبه بمعنى تنبيه. وعلى هذا يحمل قول امرىء القيس:

وأنا المنبه بعد ما قد نوموا ... وأنا المعالن صفحة النوام

لأنه لم يجعل منبه بمعنى متنبه يصير عجز البيت كصدره في أنهما بمعنى واحد. وقال بعضهم: وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوته. وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم. وخصت الأبرق لأنه كان مما وليهم، وهو المكان فيه حجارة سود وبيض. ويقال: جبل أبرق، إذا كانت طاقاته سودا وبيضا.

وقولها وخذوا المكاحل، تريد: اجعلوا بدل السلاح آلات النساء: والمجاسد: جمع المجسد، وهو الثوب المشبع صبغا. والجساد: الزعفران. والنقب: جمع نقبة، وهي إزار تجعل له حجزة كحجزة السروايل تلبسه المرأة. قال:

بيضاء مثل القلب ... في نقبة وإنب

والإنب: القميص.

والمعنى: إن لم تثأروا لصاحبكم فتزيزا بزي النساء فإنكم إناث، وبئس رهط المرهق: المضيق عليه أنتم. وحذف المذموم ببئس، وهو أنتم، لأن المراد مفهوم. وهذا الكلام بعث وتحضيض على طلب الدم، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمرا على طلب دم أخيه عبد الله فقالت:

فإن أنتم لم **تثأروا** بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم

وقولها ألهاكم أن تطلبوا تهييج وإغراء. والخزير: حساء يحسى. والأجرد: الأمحق، يراد به نحي أو زق دبي. والأمحق: القليل، كأنه يصير لكم محقا لا يبارك الله فيه، وأمحق من باب أفعل الذي لا فعلاء له واللعق، هو لما في النحي لا له، فتوسع فيه.

وقالت امرأة من طيىء

فلو أن قومي قتلتهم عمارة ... من السروات والرءوس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ... ولكنما **إثآرنا** في محارب

قبيل لئام إن ظفرنا عليهم ... وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب." (١)

"العمارة: الحي العظيم يطيق الانفراد، وقد يفتح العين منه فيقال: العمارة، لغة. ومثله العميرة، وقيل: هما جميعا البطن. والسروات: الرؤساء. والذوائب: الأعالي، وهو جمع ذوابة، واستعملوا الذنائب في خلافه، وهو جمع ذنابة، وهما اسمان في الأصل وصف بهما. **وأثار**: جمع **الثأر**. يقول: هم الذين أصابوبنا عن ذلتهم وخستهم، فالبلاء أعظم، وقرح القلب أوجع، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر، والصبر عليه أوسع. وهذا كما يقال في المثل السائر: " و ذات سوار لطمتني " . وقولها قبيل لئام، هو تفصيل ما أجمله. وقولها إن ظفرنا عليهم عدي ظفرنا تعدية علونا، لأنه في معناه، وهم يحملون الضمير على الضمير. والمعنى: لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نيلوا، ولا ينيمون طلاب الأوتار إذا **ثأروا**. وجواب الشرط، وهو قوله إن ظفرنا، متقدم يشتمل عليه قوله قبيل لئام، لأن فيه معنى الفعل.

ومثل قولها وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب قول امرىء القيس:

ولم يغلبك مثل مغلب

إلا أنه السبب.

وقال آخر:

إذا ما الرزق أحجم عن كريم ... فألجأه الزمان إلى زياد

تلقاه بوجه مكفهر ... كأن عليه أرزاق العباد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٧٣/١

الإحجام: النكوص عن القرن هيبة له. وقد توسع به هنا. وضده الإقدام. ويقال: نكص على عقبيه. والمكفهر: المستقبل بكراهة وتغضن وجه. ويقال: سحاب مكفهر، إذا تراكم، ووجه مكفهر. ويروى: بوجه مقشعر، والأصل في الإقشعرار تقبض الجلد وانتصاب الشعر، ثم يتوسع فيه فيقال: اقشعرت الأرض والنبات والسنة. والمعنى ظاهر، وهو أن العافي إذا ورد عليه تلقاه بعبوس، كأنه اجتمع عليه لورود واحد من الناس أرزاق الخلق كلهم. وجواب إذا تلقاه.

وقال أبو محمد اليزيدي

عجبا لأحمد والعجائب جمة ... أبي يلوم على الزمان تبذلي

إن العجب لما أبثك أمره ... من كل مثوج الفؤاد مهبل

وغد يلوك لسانه بلهانه ... وترى ضبابة قلبه لا تنجلي

متصرف للنوك في غلوائه ... زمِر المروءة جامح في المسحل

وإذا شهدت به مجالس ذي النهى ... وبلت سحابته بنوك مسهل

غلب الزمان بجده فسما به ... وكبا الزمان لوجهه والكلكل

قوله والعجائب جمة اعتراض بين أحمد وقصته التي عجب منها. ويقال: أمر عجب وعجاب وعجيب وعاجب. وأبلغ هذه الأبنية العجاب. وانتصب عجبا على المصدر. يقول: أتعجب لأحمد كيف أنكر خلقي وطريقتي، حتى لامني في تبذلي على تنكر الأيام وتغيرها، ومن أين استطرف ما رأى من حالي وقصتي، ومقتضى الوقت وموجب حكمه لا يدعوان إلى غيره. ثم أقبل يخاطب أحمد بعد الإخبار عنه فقال: إن العجب ما أطلعك عليه وأباثك فيه، وأكشف لك مستوره وخافيته، من كل رجل بطيء الفهم، ميت الخاطر، مدعو عليه بالهبل لثقله وعجزه غبي، إن حدث أدار لسانه في فيه يمضخ كلامه، وإن أئتمن خان، وكان ذا لونين لنفاقه، وكأن قلبه قد رين عليه لما يضمره من غل، فعليه لكل أحد ضبابة، فلا تصفو نيته، ولا تخلص طويته، متصرف في غلواء الحمق وارتفاعه وانتهائه، قليل المروءة، وزمر الحمية، يركب رأسه فيما يعن، ويغفل عن القصد فيما فيه يجد، ويمضي قدما في الشر فلا يرتدع، ويعلو على زاجره فلا يرجع، ولا يقف وإن كبح بلجام المنع، ولا يرعوى وإن أوذن بالهلك؛ ثم إن حضرت به مجالس الفضل والعقل، سالت سحابة جهله بحمق تلتطم أمواجه، وتتدافع بصوبه أركانه؛ وعلى ما به من النذالة والجهالة رزق جدا فحظي، وغلب على أهل زمانه بما قسم له فعلى، وذل له الدهر فكبا لصدره ووجهه ضارعا، وانقاد لأمره ونهيه صاغراص، حتى أدرك ما شاء ممتدا ي شأوه،

مشترفا في شأنه، آخذا قصب السبق في ميدانه، فإن تعجبت فالعجيب هذا، وإن استنكرت فالنكير هذا. ويروى:

غلب الزمان بجده وسما به ... فكبا الزمان..................." (١)

"الطارق: الآتي ليلا. وسلى أصله أسألي فحذفت الهمزة وألقي حركتها على السين ثم استغنى عن الهمزة المجتنبة، لتحرك السين بالفتحة، فحذفت. والمعتر: المتعرض ولا يسأل. يقال: عره واعتره بمهنى. وفسر في التنزيل قوله تعالى: " فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر " على ذلك، لأن القانع قيل هو السائل، والمعتر الذي يتعرض ولا يتكلم. وقال الأصمعي: عراه واعتراه وعره واعتره، إذا أتاه طالبا لمعروفه. وقوله إذا ما أتاني بين قدري ومجزري يريد إذا أتاني في موضع الضيافة ودارها بين مسقط الجزر ومنصب القدور. والمعنى: سلي أضيافي عن أخلاقي معهم، وكيفية إكرامي لهم في مثواهم، وهل أتدرج في مدارج الخدمة وأتوصل بأنواع التودد والقربة من ابتداء نزولهم، إلى انتهاء ذهابهم عني وخفوفهم. وإنما خاطب امرأة على عادتهم في نسبة الملامات بسبب التبذير والإسراف والتوسع في الإنفاق إليهن، وإقامة الحجاج والجدال في الانصباب إلى جوانب الخسارات معهن. ويجوز أن يكون التبجح عندها بما يحمد من خصاله، فلذلك خصها بالخطاب.

وقوله أيسفر وجهي ي موضع المفعول الثاني لسلي، وقد اكتفى به لأن في الكلام إضمار أم لا. وساغ حذفه لما يدل عليه من قرائن اللفظ والحال. وقال سيبويه: لو قلت علمت أزيد في الدار لاكتفى به من دون إضمار. ولو قلت: سواء علي، أو ما أبالي، لم يكن بد من ذكر أم لا بعدهما. ومعنى قوله أنه أول القرى، يريد أن إظهار البشاشة للضيف وتطلق الوجه معه، وإظهار السرور بقصده ومثواه من أوائل قراه. ثم الترجيب به وإيناسه من بعد حتى كان ينتظر كما ينتظر الغائب الآيب، ثم المبالغة في الإنزال وحط الأثقال، وإظهار سعة الرحل والمكان إلى غير ذلك – مما يبسط منه، ويزيل الحشمة والانقباض عنه؛ لذلك قال:

وأبذل معروفي له دون منكري

لأن قوله معروفي دخل تحته كل محمود من الأفعال والرسوم، كما أن قوله دون منكري اشتمل على نفي كل مذموم من الخصال والأمور. وقيل: إن المنكر هو أن يسأل عن حاله ونسبه، وقصده في صفره، وكيفية مأتاه حين نزل به؛ لأن جميع ذلك مما يجلب عليه حياء، ويوسعه نفورا وإمساكا. والضمير من قوله أنه أول القرى لما يدل عليه قوله أيسفر وجهي؛ لأن الفعل يدل على مصدره. والمراد أن الإسفار أول القرى، وعلى هذا

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٧٤/١

قولهم: من كذب كان شرا له، وما أشبهه.

آخر:

وإنا لمشاؤون بين رحالنا ... إلى الضيف منا لاحف ومنيم

فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه ... وذو الجهل منا عن أذاه حليم

قوله إنا لمشاؤون إبانة عن حسن خدمتهم للضيف، وعن قرب محطه من رحالهم ومقارهم. وقوله منا لاحف ومنيم يريد: ومنامنيم، فحذف لأن المراد مفهوم. وفي القرآن : " منها قائم وحصيد " . واللاحف والمنيم إنما ينهضان بعد تقضي الإطعام والإيناس. ألا ترى قول الآخر:

أحدثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وقوله فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه في هذا البيت بعض ما في قول الآخر:

وأبذل معروفي له دون منكري

وإنما يتجاهل الحليم دون ضيفه إذا أوذى عند طلب ثأر من جهته أو تخشين جانب له بكلام أو فعال. وقوله: وذو الجهل منا عن أذاه حليم، يريد به وإن أخذ الضيف يؤذينا ترى الجهول يحتمله، ويغفر زلته، ولا يطلب مؤاخذته ومكافأته.

وقال ابن هرمة

أغشى الطريق بقبتي ورواقها ... وأحل في نشر الربى فأقيم

إن امرأ جعل الطريق لبيته ... طنباص وأنكر حقه للئيم

يقارب ما قاله قول الآخر:

يسط البيوت لكي يكون مظنة ... من حيث توضع جفنة المسترفد

وقول الآخر:

ويأبى الذم لي أني كريم ... وأن محلي القبل اليفاع

وذاك أن الكرام ينزلون الروابي والإكام، ويتوسطون الناس في أيام الجدب، وعند اشتمال القحط، لكي تهتدي إليهم السابلة والمارة، ويشترك في خيرهم الداني والقاصي. واللئام ينزلون الأهضام وبطون الأودية، ويتفردون عن الناس إبقاء على زادهم، وضنا بطعامهم، وتفاديا من أن تعرف أماكنهم فيكثر قصد أبناء السبيل لهم، ووطوهم

إياهم، وتنضم الطوائف والفرق إليهم. لذلك قال المرقش:
وعاد الجميع نجعة للزعانف." (١)

"سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى زلتي من حيث يخفي مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

يقول: إني سأنشر آلاء عمرو ونعمه عندي إن نفس من عمري، وتراخت غاية المقدار من منيتي، فإنها صافية من المن والأذى على جلالتها وفخامتها. وقوله لم تمنن يجوز أن يكون المراد ولم تقطع وإن عظمت، وقال ذلك لأن الأيادي السنية لا تكاد تتناسق. ويقال: حبل منين وممنون. وفي القرآن: " لهم أجر غير ممنون " . ويجوز أن يكون المراد به لم يخلط بمن.

وقوله فتى غير محجوب الغنى، أخذ يصفه. وارتفع فتى على أنه خبر مبتدأ محذوف، والمعنى هو يشرك صديقه في غناه مدة مساعدة الزمان له، فإن تولى الأمر وزلت النعل تراه لا يتشكى ولا يتألم. وهذا مثل قول الآخر:

أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

ويقال في الكناية عن نزول ا-شر وامتحان المرء: زلت القدم به، كما يقال: زات النعل به.

وقوله رأى خلتي من حيث يخفى مكانها زائد على ما تقدم من قول ابن عنقاء الفزارى، وهو:

رآني على ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي أسر كما جهر

وذاك لأن هذا قال: رأى خلتي من حيث يخفى مكانها، فكأنه أدرك الحال، من طريق الاستدلال، والاهتمام المبعوث من جودة التفطن، وإن كان صاحبه يتعفف عن السؤال ويتجمل، وابن عنقاء شاهد الحال عيانا، فاشتكى إلى ماله سرا وجهرا، وقال هذا بإزاء الاشتكاء: فكانت قذى عينيه، أي من حسن الاهتمام ما جعله كالداء الملازم له، حتى تلاقاه بالإصلاح، وإذا كان كذلك فموضع الزيادة في كلامه وقصده ظاهر.

آخر:

إن أجز علقمة بن سيف سعيه ... لا أجزه ببلاء يوم واحد
لأحبني حب الصبي ورمني ... رم الهدي إلى الغنى الواجد
ولقد نضحت مليلتي فتميثت ... عن آل عتاب بماء بارد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٨٢/١

يقول: إن رمت القيام بواجب سعى علقمة لي، وأديت المفروض لحسن بلائه عندي، لم أقابله على صنيعة واحدة، ولا جازيته لبلاء معمة فاردة، لأن أياديه عندي كثيرة متظاهرة ، وآلاءه لدى متواترة متناصرة، فوالله لقد أحبتني كما يحب الصبي، وأصلح من أموري ما يصلح من شأن العروس إذا زفت إلى الموسر الغنى، فتضاعف مؤنها، وتزايد التكاليف في هدائها وتحويلها. فقوله لأحبني، اللام جواب يمين مضمرة، وغنما قال: حب الصبي لأنه يخلط بمحبته زيادة الشفقة، وكفالة الترفرف عليه والمرحمة.

وسئل بعض حكماء العرب عن أحب أولاده إليه فقال: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والعليل حتى يبرأ. وإذا تأملت وجدت حال الغائب والعليل كحال الصغير فيما ذكرت، فلذلك جمعها في قرن الذكر. وقوله: ولقد نضحت مليلتي يريد. ولقد رششت غليلي من آل عتاب وما امتله نار وجدي من أحشائي وصدري بماء بارد، فكنت وزال حميمها، حتى كأنها لم تكن. وإنما قال ذلك لأن آل عتاب كانوا وتروه فاشتد برح حميه واتسع قرح وتره، فأعانه على إدراك الثأر علقمة بن سيف، وشفاه من دائه. وإذا تؤمل ما عدده من أياديه لديه حصل فيه الميل والإكرام، والبر والإنعام، وإصلاح الحال، والمؤاساة بالمال، والشفاء من الداء، والانتقام من الأعداء، وذلك مالا مزيد عليه. ومعنى تميثت تذللت وتذوبت. ويقال: ميثت الشيء، إذا مرسته. والنضخ بالخاء المعجة ابلغ من النضح .

وقال أبو زياج الأعرابي

له نار تشب بكل واد ... إذا النيران ألبست القناعا

ولم يك اكثر الفتيان مالا ... ولكن كان أرحبهم ذراعا." (١)

"قوله: سعاة على أفناء كر " السعي يستعمل على وجوه، وكذلك السعاية. ويقال للمصدق الساعي، والمصدر السعاية. وهو يسعى على قومه، إذا قام بأمورهم. والمسعاة في الكرم والجود. والشاعر يرد أنهم يذبون عنها ويسعون في مصالحهم وحفظ ذممهم. وقوله " وتبل أقاصي قومهم " تبل يؤكد مات قبله. والمعنى ذحل الأباعد من قومهم كذحل المختص بهم، لأنهم يتشمرون في الانتقام والانتصار فيهما على حد واحد .

وقوله " إذا طلبوا ذحلا فليس بفائت " ، يقال: طلبت عند فلان ذحلا، إذا رمت مكافأته على عداوة منه أو جناية. وأراد أنهم إن وتروا لا يفوتهم إدراك الوتر، وإن وتروا غيرهم من أكفائهم وظلموهم لم ينتصف منهم، ولم يدرك الثأر من جهتهم .

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٨٦/١

وقوله " مواعيدهم فعل " ، أراد أنهم ينجزون الوعد ويصدقون الأقوال بالفعل، وأن هذا دأبهم في الخصال التي إذا سميت موعودا بها وذكرت، قال الناس يجب مع القول فعلها، استبعادا للوفاء .

وقوله " بحور تلاقيها بحور غزيرة " ، يريد أنهم في أنفسهم كالبحور كثرة وسماحا، واتساعا وعزة، فإذا لاقتها بحور قيس وذهل زاخرة فقد كمل الأمر وتناهى العز، واطرد الماء، وطما التيار حتى لا يطاق .

وقال آخر :

عادوا مروءتنا وضلل سعيهم ... ولكل بيت مروءة أعداء

لسنا إذا ذكر الفعال كمعشر ... أزرى بفعل أبيهم الأبناء

يشبهه قول الآخر :

لا يملكون عداوة من حاسد ... وحذاء كل مروءة حسادها

وقول الآخر :

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا

وقوله " وضلل سعيهم " أي نسب إلى الضلال لما لم يلحقوا شأوهم .

وقوله " لسنا إذا ذكر الفعال كمعشر " يريد: لا نعتمد على مناسبنا، وعلى ما قدمه أسلافنا من المفاخر والمساعي، لكنا نعمر ما شيدوه، ونستحدث بأفعالنا ما يقويه ويكثره، ولا يصير مزريا به .

وقال أعشى ربيعة

يمدح عبد الملك بن مروان : ويقال إنه دخل عليه فقال: يا أبا المغيرة، م ا بقي من شعرك ؟ فقال: لقد بقي منه وذهب. على أني أنا الذي أقول. ثم أنشد هذه الأبيات :

وما أنا في حقي ولا في خصومتي ... بمهتضم حقي ولا قارع قرني

ولا مسلم مولاي عند جناية ... ولا خائف مولاي من شر ما أجني

قوله " في حقي " أي فيما استحقه من الناس كافة، من الصيانة والتمييز، لما توحدت به من فضل ومزية. وقوله " بمهتضم حقي " يريد به حقوقه عند الناس. فيقول: إني فيما أجاذب فيه الغير وأنازعه، وفي طلب حقوقي إذا حلت لي عندهم، وفيما يجب لي عند المزاولات والمحاكمات من التبجيل عليهم، لا أبخس ولا أظلم، ولا أدفع ولا أهان. وقوله. " ولا قارع قرني " ، ويريد أنه لا يأمنني فيشتغل عني بأسبابه ومصارفه، ولكن يكون أبدا خائفا مني، ومشغولا بي وحذرا من الإيقاع به .

وقوله " ولا مسلم مولاي عند جناية " يريد بقوله مولاي أجناس ما يسمى مولى من حليف ونسيب، ومنتم بولاء بعيد أو قريب. فيقول: إني لا أخذل أحدا منهم عند جناية يجتنيها، أو جريمة يجترمها، بل أنصره وأستنقذه كيف ما أمكن، سهل أو تعذر، ثم إني لا أجر الجرائر عليهم فيؤاخذوا بي وبما تكتسبه يدي، لأن ما يرجع إلي من النوائب أقوم في وجهه، وأحتال في نقضهودفعه، سواء على حق ذلك في مالي أو في نفسي .

وإن فؤادا بين جنبي عالم ... بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

وفضلني في الشعر واللب أنني ... أقول على علم وأعرف من أعني

وأصبحت إذ فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير أب وابن." (١)

"ويروى إن هم قعدوا، ولم يطلبوا بثأرهم، فقد كان فيهم من يسعى، وينتقم لهم والجاشرية امرأة من إياد. وقيل بنت كعب بن مامة يقول قد كان لهم من يسعى فما دخولك بينهم، ولست منهم؟

إني لعمر الذي حطت مناسمها ... تخذى وسبق إليها الباقر الغيل

هذه رواية أبي عمرو، ويروى أبو عبيدة "مناسمها له وسيق إليها الباقر العثل" حطت اعتمدت في زمامها، قال حطت معناه أسرعت، وسيقت بمناسمها التراب، وتخذى تسير سيرا شديدا فيه اضطراب لشدته، والباقر: البقر، والغيل جمع غيل: وهو الكثير وقيل جمع غيول، والعثل الجماعة يقال عثل له مهرها إذا كثر.

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا ... لنقتلن مثله منكم فنمتثل

الصدد: المتقارب، فنمتثل أي نقتل الأمثل فالأمثل، وأماثل القوم خيارهم.

لئن منيت بنا عن غب معركة ... لا تلفنا من دماء القوم ننتقل

ويروى وننتقل أي ننتقي، ومنيت: ابتليت، والانتقال: الجحود. أي لم ننتقل من قتل قومك ولم نجحد، ويروى وإن منتت.

لا تنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يهلك فيه الزيت والفتل

ويروى أتنتهون؟ وهل تنتهون؟ الشطط: الجور والفعل منه أشط ويهلك فيه الزيت أي يذهب فيه لسعته.

المعنى لا ينهى أصحاب الجور مثل طعن جائف يغيب فيه الزيت والفتل.

حتى يظل عميد القوم مرتفقا ... يدفع بالراح عنه نسوة عجل

العجل جمع عجول، وهي الثكلى، أي حتى يظل سيد الحي تدفع عنه النسوة بأكفهن لئلا يقتل لأن من يدفع

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢/٤٥

عنه من الرجال قتل.

وقيل تدفعن لئلا يوطأ بعد القتل.

أصابه هندواني، فأقصده ... أو ذابل من رماح الخط معتدل

قصده أي قتله مكانه.

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم ... إنا لأمثالكم يا قومنا قتل

قتل: جمع قتول.

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية ... جنبي فطيمة لا ميل ولا غزال." (١)

"كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي؟

ويروى إذا متنا صدى أي عطشا، والصدي العطشان، ويروى صدى بفتح الصاد ويروى صدا، والمراد بالصدي في هذه الرواية، ما كانت العرب تزعمه في الجاهلية: إن الرجل إذا قتل، ولم يدرك **بثأره**، خرج من رأسه طائر يشبه البوم، فيصيح اسقوني، فإذا أخذ **بثأره** سكن، والصدى في هذا قالوا بدن الميت، والصوت الذي يسمعه من ناحية الجبل ونحوه.

وذكر البوم، ويقال له هو صدي مال أي الذي يقوم به، وقوله يروي نفسه أي من الخمر ثم حذف ليعلم المخاطب، ومن روى صدى بالإضافة أراد الصدى أينا العطشان والصدى أيضا حشوة الرأس، وكانوا في الجاهلية يقولون إذا مات الميت خرجت من قبره هامة تزقو عليه، وكانوا يسمون الصوت الصدى، فأبطل ذلك الإسلام، فقال عليه السلام: لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد

النحام: الزحار عند السؤال؛ البخيل. يقول هذا الشحيح بماله، عند أداء الحق وعند السؤال، وعند لذاته، وهذا المبذر لماله في قضاء حقوقه، وحقوق أصحابه، واستمتاعه بلذاته، وفضله على من ينفق عليه يصيران إلى الموت، فلا ينتفع الشحيح بماله ولا يضر هذا ما أنفقه في أوطاره، والغوي الجاهل والغوي الذي يتبع هواه، ولذاته.

ترى حثومتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح منضد

والجثوة التراب المجموع، يقال للرجل: إنما هو جثوة اليوم أو غد، ويقال لكل مجتمع جثوة، والجمع جثي. وفي

---

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٩

الحديث (من دعاء دعاء الجاهلية فإنه من جثى جهنم) أي من جماعات جهنم.

ويروى من جثي وهو جامع جاث، والصفائح صخور عريضة رقاق، الصم: المصمتة والمنضد الذي نضد بعضه على بعض.

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدد." (١)

"وقربة أقوام جعلت عصامها ... على كاهل في ذلول مرجل

عصام القربة: الحبل الذي تحمل به، ويضعها الرجل على عاتقه وعلى صدره والكاهل موصل العنق والظهر يصف نفسه أنه يخدم أصحابه.

وواد كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوي كالخليع المعيل

فيه قولان: أحدهما أن جوف العير لا ينتفع منه بشيء، يعني العير الوحشي. والقول الثاني: إن العير ها هنا رجل من العمالقة كان له بنون، وواد خصب، وكان حسن الطريقة، فسافر بنوه في بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله، وقال: لا أعبد ربا أحرق بني، وأخذ في عبادة الأصنام. فسلط الله على واديه نارا والوادي بلغة أهل اليمن: الجوف فأحرقته فما أبقى له شيئا، وهو تضرب به الأمثال فيما لا بقير فيه. والخليع المقامر، وقيل هو الذي قد خلع عذاره، فلا يبالي بما ارتكب، وقيل الخليع المخلوع الذي خلعه قومه، إذا قتل لا يطلب بنو عمه **بثأره**، وإذا قتل لا يطالب بنو عمه **بثأر** من قتل، والمعتل الكثير الخطأ، والكاف منصوب بيعوي.

فقلت له لما عوى إن شأننا ... قليل الغنى إن كنت لما تمول

أي أن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك، وقوله إن شأننا قليل الغنى أنا لا أغنى عنك، وأنت لا تغني عني، أي أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له ومن رواه طويل الغنى أراد همتي تطول في طلب الغنى.

طرحت له نعلا من السبت طله ... خلاف ندى من آخر الليل مخضل]

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ... ومن يحترث وحرثك يهزل

أي إذا نلت شيئا أفته وكذلك أنت إذا أصبت شيئا أفته، ومن يحرث حرثي وحرثك أي يطلب مني ومنك لم يدرك مراده.

وقال قوم: من كان هذا فيه وطلبته مثل طلبتي وطلبتك في هذا الوضع مات هزالا لأنهما كانا بواد لا نبات

---

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٢٩

فيه ولا صيد فهذه الأبيات الأربعة من الزيادات فيها.

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل." (١)

"الجبة : أعنف الردع ، والفعل جبه يجبه ، النهز : التحريك ، الجمة : الماء الكثير المتجمع ، الطوي : البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن يقول : منعناهم أشد منع وأعنف ردع فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة ٧٢

حان : تعرض للهلاك ، وحان : هلك ، يحين حينا يقول : فعلنا بهم فعلا بليغا لا يحيط به علما إلا الله ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك أو الهالكين ، أي لم يطلب بثأرهم ودمائهم ٧٣

يقول : ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ . وقيل بل أراد : وله دروع فارسية خضراء لصدئها ٧٤

الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، الهمس : صوت القدم . وجعل الأسد هموسا لأنه يسمع من رجليه في مشية صوت ، شمرت : استعدت ، الغبراء السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها يقول : كان حجرا أسدا في الحرب بهذه الصفة ، وكان للناس بمنزلة الربيع اذا تهيأت واستعدت السنة الشديدة للشر ، يريد أنه كان ليث الحرب غيث الجدب ٧٥

يقول : وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعدما طال عليه ٧٦

أقدته : أعطيته القود يقول : وأعطيناه ملك غسان قودا بالمنذر حين عجز الناس عن الاقتصاص واردك الثأر ، وجعل الدماء مستعارا للقصاص ٧٧

يقول : وأتيناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم ، الأسلاب : جمع السلب وهو الثياب والسلاح والفرس ٧٨

يقول : وكانت مع الجون كتيبة شديدة العناد كأنها في شوكتها وعدتها هضبة دفئة . والجون الثاني بدل من الأول ، والأول في التقدير محذوف كقوله تعالي : "لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات" ٧٩

العجاجة: الغبار ، تلظى . تلهب ، الصلاء والصلي . مصدر صليت حين تلهب نار الحرب ٨٠

يقول : وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما أتانا الحباء ، أي زوجنا أمه من أبيه لما أتانا مهرها ، يريد أنا

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٦٨

أخوال هذا الملك ٨١

." (١)

"طل دمع وأطل : أهدر ، العفاء : الدروس ، وهو أيضا التراب الذي يغطي الأثر يقول : ما قتلوا من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنهم غطيت بالتراب ودرست ، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماءهم تهدر بل يدركون ثأرهم ٥٥

التكاليف : المشاق والشدائد يقول : هل قاسيتم من الشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم ؟ وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه ؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب وعيرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك ٥٦

ميسون : امرأة يقول : وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك ٥٧

القرضوب والقرضاب : اللص الخبيث ، والجمع القارضبة ، التأوي : التجمع ، الألقاء لقوة وهي العقاب يقول : تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم ٥٨

الاسودان : الماء والتمر ، هداهم أي تقدمهم يقول : وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر ، وقد يكون هدى بمعنى قاد ، والمعنى : فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ، ثم قال : وأمر الله بالغ مبالغة يشقى به الأشقياء في حكمه وقضائه ٥٩

الأشر : البطر ، الأشراء : البطرة يقول : حين تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اغترارا بشوكتكم وعدتكم فساقتهم إليكم أمنيتكم التي كانت مع البطر ٦٠

الآل : ما يرى كالسراب في طرفي النهار ، الضحاء : بعيد الضحى يقول : لم يفاجئوا مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم لكم ٦١

يقول : أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو بن هند الملك ألا تنتهي عن تبليغ الأخبار الكاذبة عنا ؟ فلنا عنده أفضال كلها خبرة صادقة ٦٣-٦٢

الإقساط : العدل يقول : هو ملك عادل وهو أفضل ماش على الارض ، أي أفضل الناس والثناء قاص عما

---

(١) شرح المعلقات العشر، /

عنده ٦٤

". (١)

"الجناح . الأثم يقول : أعلينا ذنب كندة أن يغنم غانمهم منكم ومنا يكون جزاء ذلك ؟ يوبخهم ويعيرهم أن كندة غزتهم فغنمت منهم وقومه لا يلزمهم جزاء ذلك ٤٤

الجراء والجري ، بالمد والقصر : الجناية ، النوط : التعليق ، الجوز الوسط ، والجمع الأجواز ، العبء : الثقل

يقول : أم علينا جناية إياد ؟ ثم قال : الزمتمونا ذلك كما تعلق الأثقال على وسط البعير المحمل ٤٥

يقول : أم علينا جناية قضاعة ؟ بل ليس علينا في جنايتهم ندى أي لا تلحقنا ولا تلزمنا تلك الجناية ٤٦

يقول : أم علينا جنايا بني عتيق ؟ ثم قال : إن نقضتم العهد فإنا براء منك ٤٧

القضاء : القتل يقول : وغزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل ، أي القاتلة وصدر كل شيء : أوله ٤٨

يقول : ثم جاؤوا يسترجعون الغنائم فلم ترد عليهم شاة زهراء ، أي بيضاء ، ولا ذات شامة ، هذه الأبيات كلها تعيير لهم وإبانة عن تعديهم وطلبهم المحال لأن مؤاخذة الإنسان بذنب غيره ظلم صرا ح ٤٩

يقول : هؤلاء المضربون ليسوا منا ، عيرهم بأنهم منهم ٥٠

التلحيب : التقطيع ، الأوب والإياب : الرجوع يقول : تركت بني تميم هؤلاء القوم مقطعين بالسيوف وقد رجعوا إلى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك إلى كثرتها ٥١

يقول : أم علينا جناية بني حنيفة أم جناية ما جمعت الأرض أو السنة الغبراء من محارب ٥٢

أحللته : جعلته حلالا يقول : ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم وما كان منهم دعاء على قومنا يعريهم بأنهم أحلوا محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم ٥٣

الفيء : الرجوع ، والفعل فاء يفيئ يقول : ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم ، وغليل الجوف لا يسكنه شرب الماء لأنه حرارة الحقد لا حرارة العطش ، يريد أنهم فاؤوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم ٥٤

". (٢)

(١) شرح المعلقات العشر، /

(٢) شرح المعلقات العشر، /

"الردى : الرمي ، والفعل منه ردي يردى . قوله : بنا ، أي تردينا ، الأرعن : الجبل الذي له رعن ، الجون : الأسود والأبيض جميعا ، والجمع الجون ، والمراد به الأسود في البيت ، الانجياب : الانكشاف والانشقاق ، العماء : السحاب يقول : وكأن الدهر برميه ايانا بمصائبه ونوائبه يرمي جبلا أرعن أسود ينشق عنه السحاب ، أي يحيط به ولا يبلغ أعلاه .. يريد أن الزمامن وطوارق الحدثان لا تؤثر فيهم ولا تقدح في عزهم كما لا تؤثر في مثل هذا الجبل الذي لا يبلغ السحاب أعلاه ، لسموه وعلوه ٢٥

الاكفهرار : شدة العبوس والقطوب ، الرتو : الشد والإرخاء جميعا ، وهو من الأضداد ، ولكنه في البيت بمعنى الارخاء ، المؤيد : الداهية العظيمة ، مشتقة من الأيد وا لادوهما القوة ، الصماء : الشديدة ، من الصمم الذي هو الشدة والصلابة ، والبيت من صفة الأرعن يقول : يشتد ثباته على انتياب الحوادث ، لا ترخيه ولا تضعفه دا هية قوية شديدة من دواهي الدهر . يقول : ونحن مثل هذا الجبل في المنعة والقوة ٢٦

الخطة : الامر العظيم الذي يحتاج الى مخلص منه ، أدوها : فوضوها ، الأملاء : الجماعات من الاشراف ، الواحد ملأ ، لأنهم يملأون القلوب والعيون جلالة والعيون جلالة وجمالا يقول : فوضوا الى آرائنا كل خصومة أردتم تشفي بها جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها اذ لا يجدون عنها مخلصا ، يريد أهم أولو رأي وحزم يشفى به ويسهل عليهم ما يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات في رواية أخرى : تسعى ، وفي رواية التبريزي : تمشي ، والشروح مختلفة عما هي عليه هنا ٢٧

يقول أن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى ثئر بها ، فسمى الذين لم يثأر بهم أمواتا ، والذين ثئر بهم أحياء لأنهم لما قتل بهم من أعدائهم كأنهم عادوا أحياء اذ لم تذهب دماؤهم هدرا . أي أنهم ثاروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاها ٢٨

(١) ".

"شرح المعلقات السبع

تصعلكه

بني أسد ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل من بني عجل، يقال له عامر الأعور، وقال له: انطلق إلى ابني نافع، فإن بكى وجزع، فاله عنه واستقر أولادي، واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس، وكان أصغرهم، فإن

---

(١) شرح المعلقات العشر، /

لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب، فوضعه على رأسه، ثم استقراهم واحدا واحدا، فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس، فوجده في دمون مع نديم له يشرب ويلاعبه بالنرد، فقال له: قتل حجر.

فلم يلتفت إلى قوله وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك.

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال:

تطاول الليل علينا، دمون دمون! إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

وقال أيضا:

خليلي ما في الدار مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان مشرب

ثم قال: ضيعني أبي صغيرا وحملني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر١. اليوم قحاف، وغدا نقاف٢.

فذهب القولان مثلا:

ثم شرب سبعا. فلما صحا آلى أن لا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يلهو بلهو، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك **بثأر** أبيه فيقتل من بني آله مائة ويجز نواصي مائة، وفي ذلك يقول:

---

١ قال الميداني: أي يشغلنا اليوم خمر وغدا يشغلنا أمر الحرب. ومعناه اليوم خفض ودعة. وغدا جد واجتهاد وهو يضرب للدول الجالبة للمحبوب والمكروه. وقد روي المثل على لسان المهلهل.

٢ القحاف، الواحد قحف: وهو إناء يشرب فيه. النقاف: المناقفة: أي اليوم شرب بالقحاف، وغدا نضرب هامة العدو.

٢٢ ٢٨٨." (١)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

"شرح المعلقات السبع

تأهبه للأخذ بالثأر

تأهبه للأخذ بالثأر:

ثم أخذ يعد العدد ويجهز الأسلحة لمحاربة بني أسد. فبلغ بني أسد ما يعده فأوفدوا عليه رجالا من قبائلهم كهولا وشبانا، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيما، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصدارا، يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب. فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثا. فسألوا من حضرهم من رجال كندة. فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن أبيه حجر من السلاح والعدة.

فقالوا: اللهم غفرا. إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به ما فرط فليبلغ ذلك عنا.

فخرج عليهم في قباء٧، وخف وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم بالسواد

---

٧ القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، وهو ما نسميه القنباز.

٢٣ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

تأهبه للأخذ بالثأر

إلا في الترات١. فلما نظروا إليه قاموا له وبدر إليه قبيصة: إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر، وما تحدثه أيامه، وتتنقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مجرب، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك، وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة ورجوع عن هفوة. ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك. فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل، الذي عمت رزيته نزارا واليمن، ولم تخصص كندة بذلك دوننا، للشرف البارع.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم، وإخاء الحمد وطيب الشيم، ولو كان يفدى هالك بالأنفس بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه. ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه، ولا يلحق أقصاه أدناه، إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بنسعه٢ يذهب مع شفرات حسامك فيقال: رجل امتحن بهلك عزيز، فلم تستل سخيمته٣ إلا بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح من بني أسد من نعمها، فهي ألوف تجاوز الحسبة، فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها٤، لم يردده تسليط الإحن على البراء٥، وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر، ونعقد الخمر فوق الرايات.

فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به جملا أو ناقة، فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد. وأما النظرة، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سببا، وستعرفون طلائع كندة، من بعد ذلك، تحمل القلوب حنقا، وفوق الأسنة علقا٦.

---

١ التراث: الواحدة ترة: الانتقام.

٢ النسعة: سير يشد به الخف في الرجل.

٣ السخمة: الضغينة.

٤ القضب: السيوف. أجفانها: أغمادها.." (١)

"شرح المعلقات السبع

تأهبه للأخذ بالثأر

إذا جالت الخيل في مأزق تدافع فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار١، لمكروه وأذية وحرب وبلية، ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا:

لعلك أن تستوخم الموت، إن غدت كتائبنا في مأزق الموت، تمطر٢

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

فقال امرؤ القيس: لا والله لا استوخمه، فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنت نازلا بربعي، ولكنك قلت، فأجبت.

فقال قبيصة: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب.

قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

---

١ الاجترار، من اجتر الشيء: جره.

٢ تستوخم الموت: تجده وخيما.

٢٥ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

إيقاعه ببني أسد

إيقاعه ببني أسد:

ثم ارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرا وتغلب، وعليهم إخوته شرحبيل وسلمة، فسألهم النصر على بني أسد. ثم بعث عليهم فنذروا بالعيون٣، ولجئوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن لسنا لك بثأر، نحن من كنانة فدونك ثأرك، فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال في ذلك:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

٣ نذروا بالعيون: علموا بالجو ا سيس، فحذروهم واستعدوا.

٢٥ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

إيقاعه ببني أسد

ألا يا لهف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا١

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب٢

وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركنه صفر الوطاب٣

ثم سار وراء بني أسد سيرا حثيثا إلى أن أدركهم، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون٤ على الماء. فنهد إليهم٥، فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم. وهربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوه وقالوا له: قد أصبت **ثأرك**.

قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل، ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى ولكنك رجل مشئوم. وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه.

---

١ هند: هي ابنة امرئ القيس.

٢ يعني ببني أبيهم: بني كنانة، لأن أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان. وقوله: بالأشقين ما كان العقاب: أدخل ما صلة وحشوا ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر على تقدير: وبالأشقين كون العقاب.

٣ قوله: أفلتهن يعني الخيل، أي: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن. وقيل: صفر الوطاب أي: أنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن.

٤ جامون: مستريحون.

٥ نهد إليهم: أسرع إليهم.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

٢٦ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

استنصاره اليمن

فأنفذ له ذلك الجيش. وتبعه شذاذ من العرب واستأجر من القبائل رجالا فسار بهم إلى بني أسد، ومر بتبالة وبها للعرب صنم تعظمه يقال له ذو الخلصة. فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة: الآمر، والناهي، والمتربص، فأجالها، فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي. ثم أجالها، فخرج الناهي فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: ويحك لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد، وقال في نيله منهم ما أراد من ثأره، أبياتا مطلعها:

يا دار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل

٢٧ ٢٨٨." (٢)

"شرح المعلقات السبع

معلقة الحارث بن حلزة

الحزم: أغلظ من الحزن١. ثهلان: جبل بعينه. الشلال: الطراد. الأنساء: جمع النسا وهو عرق معروف في الفخذ. التدمية والإدماء: اللطخ بالدم.

يقول: ألجأناهم إلى التحصين بغلظ هذا الجبل والالتجاء إليه في مطاردتنا إياهم وأدمينا أفخاذهم بالطعن والضرب.

٥٤-

وجبهناهم بطعن كما تنهز في جمة الطوي الدلاء

الجبه: أعنف الردع، والفعل جبه يجبه. النهز: التحريك. الجمة: الماء الكثير المجتمع. الطوي: البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

يقول: منعناهم أشد منع وأعنف ردع، فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة.

٥٥-

وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للحائنين دماء

حان: تعرض للهلاك، وحان: هلك، يحين حينا.

يقول: وفعلنا بهم فعلا بليغا لا يحيط به علما إلا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك أوالهالكين، أي لم يطلب بثأرهم ودمائهم.

٥٦-

ثم حجرا أعني ابن أم قطام وله فارسية خضراء

يقول: ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ، وقيل: بل أراد وله دروع فارسية خضراء لصدئها.

٥٧-

أسد في اللقاء ورد هموس وربيع إن شمرت غبراء

الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. الهمس: صوت القدم. وجعل الأسد هموسا؛ لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت. شمرت: استعدت. الغبراء: السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها.

يقول: كان حجر أسدا في الحرب بهذه الصفة، وكان للناس بمنزلة الربيع إذا

---

١ الحزن: ما غلظ من الأرض.

٢٨١ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

معلقة الحارث بن حلزة

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

يقول: ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم وغليل أجواف لا يسكنه شرب الماء لأنه حرارة الحقد لا حرارة العطش، يريد أنهم فاءوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم.

٨١-

ثم خيل من بعد ذاك مع الغلا ق لا رأفة ولا إبقاء

يقول: ثم جاءتكم خيل من الغلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم، ولم تبق عليكم.

٨٢-

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء

يقول: وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء، أي قد بلغ الغاية، يريد عمرو بن هند فإنه شهد عناءهم هذا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢٨٦ ٢٨٨." (١)

"الرجاء الانتظار·····

تحديث

X

شرح المعلقات السبع

مقدمة

مدخل

امرئ القيس

ترجمة امرئ القيس

نسبه

سبب ملك آبائه

مقتل والد امرئ القيس

حياته

أسطورة أمر أبيه بذبحه

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

معلقة عمرو بن كلثوم

عنترة بن شداد

مدخل

ترجمة عنترة بن شداد

نسبه

مولده

نشأته

حريته

فروسيته

زواجه

وفاته

شعره

معلقة عنترة بن شداد

الحارث بن حلزة

مدخل

معلقة الحارث بن حلزة

الفهارس." (١)

"شرح المعلقات السبع

معلقة الحارث بن حلزة

-٣٨

ليس ينجي الذي يوائل منا رأس طود وحرة رجلاء

وأل، وواءل: أي هرب وفزع. الرجلاء: الغليظة الشديدة.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

يقول: لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبل ولا بالحرة[1] الغليظة الشديدة.

-٣٩

ملك أضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاء

أضرع: ذلل وقهر ومنه قولهم في المثل: الحمى أضرعتني لك. الكفاءة والمكافأة: المساواة.

يقول: هو ملك ذلل وقهر الخلق فما يوجد فيهم من يساويه في معاليه. والكفاء بمعنى المكافئ، فالمصدر موضوع اسم الفاعل.

-٤٠

كتكاليف قومنا إذ غزا المنـذر هل نحن لابن هند رعاء

التكاليف: المشاق والشدائد.

يقول: هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم؟ وهل كان رعاء[2] لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب، وعيرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك.

-٤١

ما أصابوا من تغلبي فمطلو ل عليه إذا أصيب العفاء

طل دمه وأطل: أهدر. العفاء: الدروس، وهو أيضا التراب الذي يغطي الأثر يقول: ما قتلوه من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب ودرست، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماؤهم لا تهدر بل يدركون **ثأرهم**.

-٤٢

إذ أحل العلياء قبة ميسو ن فأدنى ديارها العوصاء

ميسون: امرأة.

يقول: وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك.

---

١ الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

٢ الرعاء: جمع الراعي.

٢٧٨ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

معلقة الحارث بن حلزة

الخطة: الأمر العظيم الذي يحتاج إلى مخلص منه. أدوها أي فوضوها. الأملاء: الجماعات من الأشراف، الواحد ملأ، لأنهم يملأون القلوب والعيون جلالة وجمالا.

يقول: فوضوا إلى آرائنا كل خصومة أردتم تشفى بها جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها إذ لا يجدون عنها مخلصا، يريد أنهم أولو رأي وحزم يشفى به ويسهل عليهم، ما يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات.

-٣٠

إن نبشتم ما بين ملحة فالصا قب فيه الأموات والأحياء

يقول: إن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى قد ثئر بها، فسمى الذي لم يثأر بها أمواتا، والذي ثئر بهم أحياء؛ لأنهم لما قتل بهم من أعدائهم كأنهم عادوا أحياء إذ لم تذهب دماؤهم هدرا، يريد أنهم ثأروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاهم.

-٣١

أو نقشتم فالنقش يجشمه النا س وفيه الإسقام والإبراء

الإسقام: مصدر، والأسقام جمع سقم وسقم. الإبراء: مصدر، والأبراء: جمع برء. النقش: الاستقصاء، ومنه قيل لاستخراج الشوك من البدن نقش. والفعل منه نقش ينقش.

يقول: فإن استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال، فهو شيء قد يتكلفه ويتبين فيه المذنب من البريء، كنى بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة، يريد أن الاستقصاء فيما ذكر يبين براءتنا من الذنب والذنب ذنبكم.

-٣٢

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

أو سكتم عنا فكنا كمن أغ ـمض عينا في جفنها الأقذاء
الأقذاء: جمع القذى، والقذى جمع قذاة.
يقول: وإن أعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع إضمارنا الحقد عليكم كمن أغضى الجفون عن القذى.
-٣٣
أو منعتم ما تسألون فمن حد ثتموه له علينا العلاء
٢٧٦ ٢٨٨." (١)
"شرح المعلقات السبع
معلقة زهير

عقلت القتيل: وديته، وعقلت عن الرجل أعقل عنه أديت عنه الدية التي لزمته، وسميت الدية عقلا لأنها تعقل الدم عن السفك أي تحقنه وتحبسه، وقيل بل سميت عقلا؛ لأن الوادي كان يأتي بالإبل إلى أفنية القتيل فيعقلها١ هناك بعقلها، فعقل على هذا القول بمعنى المعقول، ثم سميت الدية عقلا وإن كانت دنانير ودراهم، والأصل ما ذكرنا. طلعت الثنية وأطلعتها: علوتها. المخرم: منقطع أنف الجبل والطريق فيه، والجمع المخارم.
يقول: فكل واحد من القتلى أرى العاقلين يعقلونه بصحيحات إبل تعلو في طرق الجبال عند سوقها في أولياء المقتولين.
-٤٤
لحي حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم
حلال: جمع حال مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم وقيام، يعصم: يمنع. الطروق: الإتيان ليلا، والباء في قوله بمعظم يجوز كونه بمعنى مع وكونه للتعدية. أعظم الأمر أي سار إلى حال العظم، كقولهم: أجز البر وأجد التمر وأقطف العنب، أي: يعقلون القتلى لأجل حي نازلين يعصم أمرهم جيرانهم وحلفاءهم إذا أتت إحدى الليالي بأمر فظيع وخطب عظيم، أي إذا نابتهم نائبة عصموهم ومنعوهم.
-٤٥
كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

الضغن والضغينة واحد: وهو ما استكن في القلب من العداوة ، والجمع الأضغان والضغائن. التبل: الحقد، والجمع التبول، الجارم والجاني واحد والجارم: ذو الجرم، كاللابن والتامر بمعنى ذي اللبن وذي التمر. الإسلام: الخذلان.

يقول: لحي كرام لا يدرك ذو الوتر٢ وتره عندهم ولا يقدر على الانتقام منهم من ظلموه وجنى عليهم من فتيانهم وحلفائهم وجيرانهم.

٤٦-

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

---

١ يعقلها: يربطها لتبقى باركة.

٢ الوتر: الثأر.

١٤٨ ٢٨٨." (١)

"شرح المعلقات السبع

اسمه ونسبه

[ترجمة لبيد بن ربيعة١

١- اسمه ونسبه: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري٢. ويكني أبا عقيل وكان يقال لأبيه: ربيعة المقترين؛ لجوده وسخائه. وقتله بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومه٣.

وقيل: قتله منقذ بن طريف الأسدي. وقيل: قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، قيل: ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا. وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله٤.

وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه:

---

١ من أراد الاستزادة والفائدة فليراجع:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

- أبا زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٦٩- ٧١.
- ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص٤٣، ٤٨، ٤٩.
- ابن قتيبة، الشعر، والشعراء، ج١، ص٢٨٠- ٢٩١.
- الأصبهاني، الأغاني، ج١٥، ص٢٨٩- ٣٠٦.
- الجاحظ، الحيوان، مواضع عديدة في الأجزاء : ١- ٧.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ١٤٥- ١٤٧.
- الزركلي، الأعلام، ج٥ ص٢٤٠.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، ص ١٠٧، ١٠٩.
- البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص٣٣٤- ٣٣٩.
٢ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٨٠.
٣ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج١٥، ص٢٩١.
٤ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٨٠.

١٥٥ ٢٨٨." (١)

"١- أسمر عيل الصبر في حبه ... ليس له في الحسن من مشبه
٢- إن شئت أن تعرفه باسمه ... أفرده من رابع حرف به
٣- طوبى لمن بات له ليلة ... عكس أبيه لهوى قلبه

التخريج:
الخريد: ٤٨٩.
ذكر العماد أن ابن رواحة قال هذه الأبيات في إسماعيل بن بكار
المصدر السابق: ١: ٤٨٩

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

-٤٠-

وقال:

١- من نال من يحيى اسم والده ... أيقنت حقا أنه يحيا

٢- ومن ابتلاه بطول هجرته ... وجفا عليه فليس في الأحيا

التخريج:

الخريد: ١: ٤٨٩.

-٤١-

وقال:

١- لا تلوموا عليه قلب محب ... فجميع القلوب طوع يديه

٢- لا تظنوا عذاره طرز الخ ... د فما كان ذا افتقار إليه

٣- انما لحظه أراق دماء ... وبدا أثرها على وجنتيه

٤- فرأى وردها بقتلي نما ... ما فأولى بنفسجا عارضيه

٥- فتيقنت أنني ضاع **ثأري** ... حين لم يبق شاهد لي عليه

التخريج:

الخريد: ١: ٤٨٦

قال العماد: أنشدني لنفسه في العذار.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

١- تاريخ مدينة دمشق – الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله المعروف بابن عساكر – صورة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق– دار البشير.

٢- صحائف الحسنات – النواجي – الجامعة الأردنية – ميكروفيلم رقم ٧٦٧.

٣- عقد الجمان على ذيل ابن خلكان – بدر الدين الزركشي – الجامعة الأردنية– مركز الوثائق – ميكروفيلم رقم ١٨٤٣.

٤- عيون الروضتين في أخبار الدولتين – شهاب الدين محمد المقدسي–ميكروفيلم رقم ١٨٥٦.

٥- قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان – ابن الشعار الموصلي – نسخة مصورة – إصدار فؤاد سزكين – معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية– ألمانيا ١٩٩٠.

ثانيا: الكتب المطبوعة

٦- الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ – ١٩٧٩.

٧- البداية والنهاية – الحافظ بن كثير الدمشقي – مكتبة المعارف – بيروت.." (١)

"ولو تقصيت هذا لطال الكلام، لن في مثله يطول المثال.

وله ايضا:

(وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء)

أكثر الموت الواقع في البهائم، إنما هو عند الرعاء بطلوع سهيل، فعد أضداده من جهلهم. بهائم يميتهم سهيل. قال:

وكان أضر فيهم من سهيل ... إذا أوفى وأشأم من قدار

وقال المنجمون: طلوع سهيل طلوع ضر وويل. فيقول هو: طلوعي ضرر على أولاد الزنا. ولم يعن بذلك أنهم لزنية في أنسابهم، إنما أراد أنهم يعتزون إلى الفضل وليسوا منه، كما ينتسب بنو الزنا إلى غير آبائهم. وسهيل:

---

(١) شعر ابن رواحة الحموي الشاعر، ص/٢٣

اسم جاء على بناء التصغير وله ايضا:

(ملام النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذي بي من سقم)

أي أن ملامي للنوى في ظلمها لي، واستئثارها بمحبوتي غاية الظلم، لأن في الإمكان، وطبيعة تأثير الزمام أن تكون النوى عاشقة لهذا المحبوب كعشقي، فيورثها ذرك سقما كسقمي، فالحكم ألا ألومها، لأن من لم يؤثر عليك إلا نفسه فليس بمؤثر عليك أحدا.

وبالغ بقوله: غاية الظلم، مدرا أن بالنوى من الوجد مثل ما به. وذكر السقم ولم يذكر العشق استغناء بذكر المسبب عن السبب. واراد ملامي للنوى، فأضاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى:(لايسأم الإنسان من دعاء الخير).

(طوال الردينيات يقصفها دمى ... وبيض السريجيات يقطعها لحمى)

إن شئت قلت: إن دمه يقصف الرمح بحدته وقوته، أي أنه أقوى من الرمح. (وبيض السريجيات يقطعها لحمى): أي أنه احد من السيف، فهويؤثر في السيف تأثير السيوف في غيره.

وقد يكون أن الرماح والسيوف تنبو عنه، ولا تؤثر فيه البته. فكأن دمه كسر الرمح، وكان لحمه قطع السيف.

وقد يجوز أن يهنى أنه من نفسه وعشريته في منعة. فإذا أصابه طعن أو ضرب، أكثر الطعن في طلب ثأره، حتى تتقصف الرماح، وتتقطع السيوف.

(مذل الاعزاء المعز وإن يئن ... به يتمهم فالموتم الجابر اليتم)." (١)

"وعوار: جمع عار، لا جمع عريان فعلان لا يكسر على (فواعل) (دمها الحال): أي أنها مستحلة للدماء، على أن زيها الإحرام: أي أنها مجردة أبدا كالحرم والمحرم لا يسفك الدماء. فقد اجتمع في هذه السيوف طبيعة الحل وزي الإحرام.

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ص/٣٢

(ومن الرشد لم أزرك على القر ... ب على البعد يعرف الإلمام)

كأن قريبا منه فلم يزره، ثم بعد فزاره، ليكون ذلك أدل على إجلاله وإعظامه له، فأوجبه. وأراد: من الرشد أني لم أزرك. وقوله (على البعد): متعلق بيعرف. وعلى القرب متعلق بأزرك.
وله ايضا:

(تخلو الديار من الظباء وعنده ... من كل تابعة خيال خاذل)

كنى بالظباء عن الحسن. أي تخلو الديار ممن كان بها. والخيال غير مفارق لي. وكنى بالتابعة عن صغارها، لأن الجداية وهي الصغيرة من الظباء تتبع إمها. ولما جعل المراة غزالة جعل الخيال خاذلا، كما تخذل الظبية عن القطيع، أي تتأخر.
وإن شئت قلت: جعل الخيال بمنزلة ولد والغزال، وربة الخيال بمنزلة الغزال. فتابعة بمعنى متبوعة على هذا القول. وجعلها الخيال بمنزلة الولد لها تعسف لأن الخيال روحاني، فهو ألط من رؤية الخيال كما أن الصغير الجسم ألطف من الكبير. وخاذل: أي خذلها وزاربي. فمن - على هذا - تكون للتبعيض وللجنس، فتفهمه.

(كفأننا عن شبههن من المها ... فلهن في غير التراب حبائل)

كافأننا: من الكفؤ، وهو المثل، والمها: بقر الوحش: يشبه النساء بهن في سواد الحدق. والحبائل: الشرك، واحدتها: حبالة، لي صدنا المها وهن أشباه النساء، بحبائل منصوبة لهن في التراب، فكافأننا عن فعلنا بأشباههن بأن صدننا كما صدناهن، طلبا بثأرهن، إلا أن النساء صدننا بحبائل لم تنصب لنا في التراب وهي الأعين والخدود وغيرها من المحاسن الظاهرة، كالمباسم والأعطاف والقدود، وكلهن حبائل إلا ا نها لا تثبت في التراب.

." (١))

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ص/٦١

"الحشاشة: النفس. وقيل، بقيتها. والباترات: السيوف القاطعة. والأمين هنا: القيد ونفى الورع عنه إغرابا بأمين لا ورع له. وانما سماه أمينا لحفظه على السيف ما استودعته إياه من الأسارى؛ حتى يردهم إليه عند القتل فهو أمين لذلك. وليس له ورع. لأن الورع إنما يكون عن قصد، والقصد إنما يكون لذى العقل. وكذلك أمانته غير حقيقة. ولو كان أمينا عاقلا لكان ورعا إذا لا أمانة إلا بورع.

(يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ... ويطرد النوم عنه حين يضطجع)

أي تقصر خطا هذا الأسير بضيق القيد، إذا اراد أن يخطو. ويطرد النوم عنه ترنم حلقه كقول أبى نواس:

إذا قام غنته على الساق حلقة ... لها خطوه عند القيام قصير

والمقاتلة والطراد في هذا البيت مستعاران.

(قل للدمستق إن المسلمين لكم ... خانو الأمير فجازاهم بما صنعوا)

خيانهم اياه: خلافهم له؛ بسعيهم إلى النهب وأسلاب العدو المفزوعين. وإسلامه إياهم له: تركه الطلب بثأرهم؛ أو رضاه لهم ماحل بهم.

(وجدتموهم نياما في دمائكك ... كأن قتلاكم إياهم فجعوا)

اي خافوكم؛ فألقوا نفوسهم في دماء قتلاكم: لتحسبوهم منهم، فتتجافوا عنهم؛ وكأنهم هم المجوعون بقتلاكم، يلقون أنفسهم عليها كإلقاء المفجوع نفسه على القتيل تأسفا. وقيل: كان المسلمون يأتون قتلى الروم يتخللونهم؛ فينظرون من به رمق فيقتلونه، فبينما أكب عليهم المشركون فقتلوهم.

(تشقكم بفتاها كل سلهبة ... والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع)

.") (١)

"اي فإذا كان ذلك، قصدهم هذه الروضة التي عندي، فسعدت أنا بقربكم والأول أبلغ، لانه على ذلك القول الأول، يجعل نفسه ذات الروضة؛ ويتمنى الخروج من النوع الحيواني الإنساني إلى النوع النباتي، إيثارا لهواهم، واختيارا لقربهم.

(لقيت بدرب القلة الفجر لقية ... شفت كمدى والليل فيه قتيل)

اي أصبحت في هذا الموضع، أو أفجرت فيه. (شفت دمدى). اي شفت اللقية للفجر بانحار الليل، ما كان من الكمد. (والليل فيه قتيل): اي قد ذهب، واشتمل ضده على محله، فكأن الليل لما عدم أو قارب العدم مقتول.

وإن شئت قلت: طال على الليل بالصبابة، فكأنه وترني، فاستوجب بذلك أن أطلبه بثأري: فأوقد سيف الدولة بالدرب نيرانا، فخالط ضوؤها دخانها، فبدت لي من الضوء المختلط بالدخان، سمرة كسمرة الفجر، قبل أوان الفجر، فكأن هذا الملك قد قتل الليل بإيقاده هذه النيران، التي خلخلت كثافة الظلمة، فأن ا أكنى بذلك عن ثأري، فيشفي كمدي.

وقيل ك الفجر هنا سيف الدولة، أقام غرته مقام الفجر، وبالغ في ذلك، حتى جعله قاتلا ليل، وما طلب عند ليل ذحل، ولا نيل منه ثأر قبل هذا.

(على طرق فيها على الطرق رفعة ... وفي ذكرها عند الأنيس خمول)

رفعتها: أنها أكم وجبال، وخمولها: أنها غير مسلوكة لوعورتها، فهي لذلك خاملة. وقد يجوز أن تكون طرقا لم يسلكها إلا جيش سيف الدولة، لأنها مخوفة فالناس لا يعرفونها لذلك.

(وما شعروا حتى رأوها مغيرة ... قباحا وأما خلقها فجميل)

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ص/١٠٧

أي قباح الأفعال بهم، وإن كانت في خلقتها جميلة، لأن خوفهم لها يقبحها في أعينهم، فيخفى عليهم جمالها. وهذا نحو قوله: حسن في عيون أعدائه اقبح من ضيفه رأته السر فالحسن فيه طبيعية؛ والقبح عرض.

(وأضعفن ما كلفنه من قباقب ... فأضحى كأن الماء فيه عليل)." (١)

"١٢ - حيان بن ظبيان السلمي

- ١٢ -

١ - خليلي ما بي من عزاء ولا صبر ... ولا إربة بعد المصابين بالنهر

٢ - سوى نهضات في كتائب جمة ... إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفري

٣ - إذا جاوزت قسطانة الري بغلتي ... فلست بسار نحوه آخر الدهر

٤ - ولكنني سار وإن قل ناصري ... قريبا، فلا أخزيكما، مع من يسري الأبيات ١ ؟ ٤ في الطبري ٤: ١٣٢ (٢: ١٩)؛ ١ ؟ ٣ في أنساب الأشراف ٤ / ١: ١٤٣؛ ٢: ٥٨ (م) ويبدو أن البلاذري ينسبها إلى سالم بن ربيعة العبسي أحد أصحاب حيان

-

- ١٩ -

١) - الاربة: بكسر الهمزة وضمها، الحاجة.

٢) - قسطانة الري: قرية بينها وبين الري مرحلة ويقال لها كستانة (ياقوت) والشاعر يلمح إلى أنه لن يعود للغزو في جيش الخلافة ولكنه يعد نفسه للخروج طلبا **بثأر** أهل النهر.." (٢)

"٥ - اليوم أقضي في العدو نذري ... ٦ ومدرك ما أرتجي بوتري ... الأشطار ١ ؟ ٦ في فتوح ابن أعثم ٢ / ٧٦ ب (لرجل اسمه معاذ) ١ ؟ ٥ في الأخبار الطوال: ٢٨٥ والأول والثاني في الكامل ٣: ٣٧٦ (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) وشرح النهج ١: ٤٥٤ (٤: ١٩٣) لغلام من الخوارج.

٥٠ - ؟ عبيدة بن هلال اليشكري

- ٧٩ -

---

(١) شرح المشكل في شعر المتنبي، ص/١٤٦

(٢) شعر الخوارج، ص/٤٤

بعد أن قتل الخوارج ابن أخضر (عباد بن علقمة) قاتل أبي بلال تصدى أخوه علقمة لقتالهم فقتل من لقيه منهم ولم ينج إلا عبيدة، ولقيه شرطي اسمه يحيي وتهدده فقال عبيدة:

١ - قولوا ليحيي يستعد كتيبة ... تجالد عن حوبائه حين يحضر -

٥) - ابن أعثم: في الدماء.

٦) - الوتر: **الثأر**.

- ٧٩ -

١) - الحوباء: النفس.." (١)

"البيان والتبيين ٣: ١٢١.

تفسير الطبري ١٩: ٢٠ ؟ ٢١ وانظر قولا آخر له في البيان والتبيين ١: ٤٣.

أغاني ٢٠: ١١١.

أغاني ٢١: ٥.

إن من يقرأ فتوح ابن أعثم لا يخطئ هذه الروح القصصية في إسباغ صفة " المنقذ " على المهلب وأبنائه، وهذا أمر يتطلب درسا دقيقا للرواية التاريخية، والكشف عن سبب هذه العصبية " الأزدية " .

انظر الحديث عن أثر أبي بلال في نفسية عمران في كتاب: أدب الخوارج: ٨٩.

المؤتلف والمختلف رقم: ٢٤٥، ص: ٩١.

تاريخ الطبري ٥: ١٥ ؟ ١٦.

انساب الاشراف ٧: ٩٩، وياقوت (كسكر).

كان زعيما للخوارج ثم عدلوا عنه إلى عبد الله بن وهب الراسبي لما سمعوه يقول " سلام على من بايع... البيت " وقالوا له: خالفت لأنك برئت من القعد.

كان هو وحرقوص بن زهير زعيمي الخوارج الذين انشقوا على علي بن أبي طالب،

وكان موصوفا بحسن الرأي والعبادة، يجتهد فيها حتى دبرت جبهته وركبتاه وسمي " ذا الثفنات " ، وقد قتل يوم النهروان.

كذلك ورد اسمه في تذكرة الصفدي (١: ٣٩) والتاج (أجأ) والطبري ٦: ٥٠، وورد في ابن أعثم: الأخنس

---

(١) شعر الخوارج، ص/٩١

العيزارا، وفي شرح النهج: الأخنس بن العزيز؛ وكان من أشد فرسان الخوارج وممن شهد يوم صفين وقاتل فيه، وقتل يوم النهروان.

قد يكون هذان البيتان جزءا من مطلع القصيدة السابقة.

هو قاتل علي (رض) بتحريض من قطام بنت الأصبغ التميمي (ويقال: قطام بنت علقمة أوقطام بنت الشجنة)، وبعد أن توفي علي قام الحسن بقتل ابن ملجم، ضربه على رأسه ضربة، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية فقطعوه إربا إربا (ابن أعثم ٤: ١٤٦).

هو أحد بني ثعل، ولاه الخوارج أمرهم بوصية من فروة بن نوفل الأشجعي بعد أن أخذت نوفلا قبيلته وحبسوه في الكوفة، فبايع أصحابه ابن أبي الحوساء، وقد قتل ابن أبي الحوساء سنة ٤١هـ؟ وقتل معه جل أصحابه (الأنساب).

بايعه الخوارج بعد ابن أبي الحوساء، وسار بأصحابه إلى النخيلة، فقال معاوية لأبيه: اكفني ابنك، فكلمه أبوه وناشده فلم يطاوعه، فوجه إليه معاوية جيشا في الفين، وفيهم وداع أبوه، فدعا وداع ابنه للبراز فقال له: يا أبت، لك في غيري من القوم سعة فأعفني، وبارز حوثرة ابن حمر، فقتل حوثرة في جمادى الأولى سنة ٤١، قتله رجل من طيء، وبارز فلما رأى اثر السجود في وجهه ندم على قتله.

اعتزل القتال يوم النهروان في خمسمائة ونزل ناحية البندنيجين والدسكرة ثم أتى شهر زور، فلما بلغه أمر الصلح بين الحسن ومعاوية وولاية معاوية قال لأصحابه:

قد جاء من لا نرتاب بأن الحق في قتاله وأقبل النخيلة، فندب معاوية أهل الكوفة لقتاله، فجاءه قومه وأدخلوه الكوفة وحبسوه ثم هرب من حبسه وخرج على المغيرة ابن شعبة فقاتله وقتل فروة وأصحابه.

كان ممن ارتث يوم النهر وعفا علي عنه، فخرج إلى الري، ولما بلغه مقتل علي، دعا أصحابه للرجوع إلى الكوفة، فلما وليها المغيرة بن شعبة، اجتمع حيان والمستورد بن علفة ومعاذ بن جوين الطائي في منزل حيان، واتفقوا على أن يتولى المستورد أمرهم، وعزموا على الخروج سنة ٤٣، ولكن حال دون ذلك تربص الشرطة بهم، وأمر المستورد أصحابه فتفرقوا وغيبوا السلاح، ثم جرد جيش لحربهم فقتل المستورد وأصحابه، وكان معاذ بن جوين قد أخذ وحبس، وبويع حيان بعد مقتل المستورد، فقتل على يد جيش جهزه لحربهم عبيد الله بن زياد.

هو ممن ارتث يوم النهر، ثم ندم على خذلانه لعبد الله بن وهب الراسي، وخاض معركة النخيلة وسلم، وعاش في الكوفة أثناء ولاية المغيرة، واتفق على الخروج مع حيان والمستورد وغيرهما، ثم حبس، ولما أخرجه المغيرة من

الحبس أقنعه حيان بن ظبيان بالخروج فخرج في ثلاثمائة ببانقيا، وهي في حد الكوفة، فأرسل إليه المغيرة جيشا قتله وأصحابه.

خرج سهم بالبصرة أيام معاوية على عبد الله بن عامر سنة ٤٤هـ؟ في سبعين رجلا فيهم الخطيم الباهلي فقاتلهم ابن عامر وقتل منهم وسلم سهم والخطيم فعرض عليهما الأمان فقبلاه، فلما قدم زياد البصرة سنة ٤٥ خافه سهم والخطيم فخرجا إلى الأهواز، وهناك جدد سهم الخروج، ثم تفرق عنه أصحابه فاستخفى، ودل زيا على موضعه فأخذه وقتله وصلبه.

سيره معاوية إلى مصر فلقي فيها قوما من الخوارج أمالوه إلى رأيهم، فقدم العراق وأورد الخروج على زياد وتأهب لذلك، فطلبه زياد فهرب، ثم كلم فيه معاوية فكتب إلى زياد بالكف عنه، وقتل مع مسلم بن عقبة يوم الحرة.

أدية أمه (وقيل جدة له جاهلية) وأبوه حدير بن عمرو بن عبيد بن كعب التميمي، شهد مع علي صفين فأنكر التحكيم، وشهد مع الخوارج النهروان، ولعله اكبر شخصية أثار فقدها أعمق الأسى لدى الخوارج، وهو عندهم رمز " السلف الصالح " بعد أصحاب النهر والنخيلة، وجميعهم يتولونه، وهو مثال الرجل الزاهد، فقد كان متقشفا صحيح العبادة حسن البصيرة مرهف الإحساس بمعاني الخوف، حتى إنه أصيب بالإغماء حين رأى بدويا يهنا له بعيرا بالقطران، لأنه ذكر به قطران جهنم، وفي مصرعه معنى الاستشهاد المؤلم لسببين:

أولهما: أن أبا بلال لم يخرج كغيره من الخوارج يستعرض الناس فإنه كان لا يدين بالاستعراض، وإنما كان معتزلا ؟ ترك البصرة وانحاز إلى الريف هربا بدينه دون أن يخيف السبيل أو يذعر مسلما؛ ويقترن اعتزاله لحياة البصرة برؤيته البلجاء ؟ إحدى مجتهدات الخوارج ؟ تقتل وتقطع أطرافها ويلقى بها في السوق. وقد كان أبو بلال يقول: " إن الله قد جعل لأهل الإسلام سعة في التقية " ولكن التقية بعده لم تبق مبدأ يعتقده الخوارج.

وثانيهما: أن الطريقة التي تقل بها أبو بلال كانت مريرة مؤلمة، فبعد أن هزم والفئة القليلة من أصحابه جيشا عند آسك، جرد عليهم جيش آخر، وأثناء القتال بين الفريقين غير المتكافئين حان وقت الصلاة فاستأذن أبو بلال وأصحابه في أن يصلوا فأذن لهم، ثم انهال عليهم الجند يقتلونهم وهم بين راكع وساجد. وكان قائد الجيش الذي قضى على تلك الجماعة الصغيرة عباد بن علقمة المعروف بابن أخضر المازني (راجع أسماء المغتالين: ١٨٠).

ولقد رثاه كثير من شعراء هذه الفرقة، كما أن بعض الجماعات الإسلامية تتنافس في انتحال نسبته إليها، فيدعيه المعتزلة وتدعيه الشيعة، ولا يعدل به الخوارج أحدا بعد أصحاب النهر.

هو عروة بن حدير أحد بني ربيعة من حنظلة من تميم، وأخو مرداس، كان له أصحاب وأتابع وقتله زياد في خلافة معاوية صبرا؛ وسيفه أول سيف سل من سيوف الخوارج، وكان شديد العبادة حتى قل مولاه في وصفه: ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط.
سماه المبرد عيسى بن فاتك، وكذلك هو في الوحشيات وشرح النهج ٥: ٨٦ ونسبته مرة " الخطي " ومرة " الحبطي " وقال البلاذري: هو عيسى بن حدير أحد بني وديعة، فهو من بني تيم اللات بن ثعلبة، كان من أصحاب نافع بن الأزرق وقتل بعد خروج الأزارقة، وذكر البلاذري أن له شعرا كثيرا
كان طواف بن علاق يجتمع مع بع الخوارج إلى جدار فيتحدثون فأخذهم عبيد الله بن زياد فحبسهم ثم عرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضا، فكان طواف في من اقترف القتل، وأصابه إثر ذلك ندم ولقي الهثهاث بن ثور السدوسي فقال له: يا ابن عم أما من توبة، فأشار عليه الهثهاث بالجهاد، فخرج هو وأصحابه سنة ٥٨، فسعى بهم رجل إلى ابن زياد فأرسل عليهم الشرط وقتل طواف ومعظم أصحابه.
ورد اسمه أحيانا " الدهين " وفي أنساب الأشراف ٤ / ٢: ٨٨ " الزهير " ؟ مصحفا - ، وهو أحد فقهاء الخوارج ونساكها، كان لا يرى القعود عن الحرب، وكان في الرأي والمعرفة والفقه بمنزلة عمران بن حطان، وله أشعار كثيرة في مذاهبهم.
كان عطية بن سمرة من أصحاب نجدة الخارجي.
من بني حنيفة وقيل بل أقام فيهم فنسب إليهم، وكنيته أبو راشد، حبسه عبيد الله بن زياد وظل محبوسا حتى مات يزيد بن معاوية، فلما بايع أهل البصرة ابن زياد أطلق الخوارج من السجن، فكانوا يذهبون إلى المربد في كل يوم فيخطبون ويعيبون الظلم ويدعون إلى قتال السلطان والجبابرة حتى قتل مسعود الأزدي وحاربت الأزد وبكر بن وائل تميما؛ ثم إن الخوارج أمروا نافع بن الأزرق، فبرز إلى الأهواز، وفي تلك الأثناء مال نافع إلى الاستعراض وقتل الأطفال وضيق التقية، فخالفه مجدة وصار إلى اليمامة، وكتب نافع إلى من بالبصرة من الحرورية يرغبهم في الجهاد فأجابه بعضهم ورفض مقالته الصفرية أصحاب عبيد الله بن الصفار التميمي، ورد رأيه ابن اباض، ولقي مصرعه في دولاب سنة ٦٥، وولي الخوارج عليهم بعده عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي.
من مجتهدي الخوارج، كان يلوم نفسه على القعود ويحض أصحابه على الخروج؛ وقد كان مقتل أبي بلال حافزه على الخروج، وبعد محاورات بينه وبين نافه صمم على الخروج فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج

فشحذه عنده وقتله به وحمل على الناس فهربوا أمامه ثم قبض عليه ابن زياد فصلبه.
كان ثابت عظيم الشأن في الخوارج، ولما سمع المرثية ينشدها الزبير بكى وقال لأصحابه: عليكم السلام، لا والله لا أتأخر عن إخواني بعد يومي هذا، ثم خرج فاعترض الناس فقتل، ولم يدر من قتله لكثرة الناس عليه، ثم صلب.
الزبير بن علي من آل الماحوز أمره قوم من الخوارج بعد مقتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز، فخرج فنزل في تخوم أصبهان ثم تحول إلى السوس فقاتله المهلب ثم أتى تستر فقاتله المهلب أيضا فصار إلى أرجان، وبعد تنقلات كثيرة ومواقعات قتل الزبير في لقاء لجيش بقيادة عتاب بن ورقاء، وولى الخوارج بعده قطري بن الفجاءة وبايعوه قبل مقتل مصعب بأشهر سنة ٧١هـ؟.
استقر رجاء النمري جماعة من الشراة لصد أهل الشام عند توجههم إلى المدينة، فخرج معه ثمانون فيهم نجدة بن عامر وفيهم حجية، إلا أن والد حجية احتال عليه فرده حين أوهمه أن أمه مريضة، فلما قتل رجاء ندم حجية.
كان الحارث مع نافع ثم نجا فأخذه الحجاج بن يوسف من بعد فقطع يديه ورجليه وصلبه، فطرق حرسه الخوارج ليلا فاستنزلوه ولم يعرضوا للحرس فمضوا به فدفنوه.
كان عون ممن شهد النهر فاعتزل، ثم شهد النخيلة فنجا، وقتل مع نافع.
نجدة بن عامر بن عبد الله بن سائر بن المطرح، كان مع نافع بن الأزرق ثم فارقه بعد أن قال بتبرؤه من القعد وتحريمه التقية، وصار نجدة إلى اليمامة، وهنالك كثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم أتى البحرين، ومالت إليه الأزد قائلة " نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور وولاتنا جائرون " ، وأقام بالقطيف، وحاربته عبد القيس فهزمها، فلما قدم مصعب البصرة سنة ٦٩ أرسل إليه جيشا فهزمه نجدة، وبلغ من نفوذه أن بايعه أهل صنعاء، وأرسل أبا فديك إلى حضر موت ليجبي صدقاتها، وخضعت له الطائف وتبالة والسراة، ثم لقي مصرعه على يد أبي فديك، بعد أن دب الخلاف في جماعته، وفارقه من فارقه منهم، لأمور أخذوها عليه.
ليس من المقطوع به أن يكون هذا الرجل خارجيا، ولكنه نزل وقوم من جرم معه قريبا من ذي المجاز، فأغار عليهم بنو قشير فأصابوا لهم أموالا، فلما ظفر نجدة ببني كعب، رد على الجرميين ما أخذ منهم، فلذلك رثاه الجرمي.
كنيته أبو سنان، كان من أصحاب نجدة ثم خالفه إذ أشار عليه حيي بأن يقتل كل من بايعه فنهره نجدة

وشتمه، ثم بعث إليه من ناظره، فقبل ورجع إلى نجدة، وقال أبو زيد الأنصاري إنه أدرك قطري بن الفجاءة الخارجي.

من أصحاب نجدة الحنفي، ولاه على الطائف وتبالة والسراة، فلما كثر الخلاف على نجدة اجترأ الناس على ولاته، فأما الحازوق فطلبوه بالطائف فهرب، فلما كان في عقبة في طريقة إذا قوم يطلبونه، فرموه حتى قتلوه، وهو يقول: أتقتلونني قتلة الزناة؟! ليبارزني منكم من شاء.

هو الزبير بن علي السليطي من آل الماحوز وكان على مقدمة ابن الماحوز وكان عبيد الله ابن الماحوز هو الخليفة والزبير هو الأمير، استولى على أكثر كور الأهواز وهدد البصرة، وقد خاض معارك متعددة ضد المهلب بن أبي صفرة، وقتل في إحدى تلك المعارك، وانظر الأبيات رقم: ٧١ من شعر يزيد بن حبناء، فقد يكون البيتان منها.

عندما تولى المهلب حرب الخوارج (أيام ابن الزبير) هزم الخوارج فصاروا إلى نهر تيرى، وانضموا إلى عبيد الله بن بشير بن الماحوز، ثم توجه المهلب نحو سولاف من مناذر وقد صار الخوارج إليها فقاتلهم، فانكشف جيشه. بعد سولاف لقي المهلب الأزارقة بسلى وسلبرى، وأمر جنده أن يرموا الخوارج بالحجارة لأنها تنفر الخيل وتصرف وجوهها وتحير الرجالة وتعقرهم، وكان الخوارج أحسن سلاحا من جنده؛ وفي هذا اليوم قتل عبيد الله بن بشير بن الماحوز.

كان مسلم من أهل الحجاز، حاول الفتك بأبي فديك لمخالفته إياه في رأيه وقوله بقول نجدة، فوجأه اثنتي عشرة وجأة، ولكن أبا فديك برئ من جراحاته وأخذ مسلم فقتل.

أبو فديك: عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة بن عكاية، خالف نجدة بن عامر فيمن خالفه من أصحابه، وقد كان مركزه في البحرين، وكانت بيعته سنة ٧١هـ؟؛ وقد قوي أمره لانشغال مصعب وعبد الملك بالحرب بينهما، فلما قتل مصعب وجه إليه عبد الملك جيشا قويا بقيادة أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فهزمته الخوارج رغم قلة عددها، ثم قتل على يد جيش بقيادة عمر بن عبد الله بن معمر سنة ٧٤هـ؟.

بنو حبناء ثلاثة اخوة من تميم وهم: يزيد وصخر والمغيرة، والأول منهم كان من الأزارقة أما الاثنان الآخران فكانا أمويي الهوى، ورجح الأخفش (الكامل: ٦١) أن تكون القصيدة التي مطلعها " إني هزئت من أم الغمر " لصخر، وعدة من الأزارقة، ولعل الأصوب نسبتها إلى يزيد، أما المغيرة فمن الثابت أنه لم يكن خارجيا، بل كان في صفوف المهلب يحارب الخوارج ويهجوهم (انظر فتوح ابن أعثم ١: ٢٥١).

من بني سعد بن زيد مناة من تميم، أزرقي حارب مع قطري وعبيدة بن هلال، ثم انحاز إلى عبد ربه الكبير؛ وفي المعركة التي قتل فيها عبد ربه ترجل الخوارج إلا عمرو القنا وأصحابه من العرب، وكانوا زهاء أربعمائة فقد فروا من المعركة؛ حدث الجاحظ عن القريعي قال: قلت لموسى بن حبيب: أين كان عمرو القنا من جذل الطعان وملاعب الأسنة؟ فقال: لا بل أين كان جذل الطعان وملاعب الأسنة من عمرو القنا! ومات موتا ولم يقتل، فقال الحجاج: لا وألت نفس الجبان: هذا عمرو القنا مات حتف أنفه.

عبيدة بن هلال اليشكري، كنيته أبو مالك، وكان في أصحابه من الدين والجهاد بمكان، سألوه أن يتولى أمرهم فأبى، ودلهم على قطري، وأبلى في الحرب ضد المهلب، ولما انقسم الخوارج على أنفسهم قسمة فرقت بين العرب والموالي، ظل عبيدة ينتقل مع قطري (في تلك الحركة التي يسميها الخوارج " الهرب ") وانحاز الموالي إلى عبد ربه الكبير واتهم قطريا وعبيدة بأنهما إنما يتنقلان حرصا على الحياة، ووصف عبيدة بالاختلاط، وقد لقي مصرعه بعد قطري بقليل، وبموتهما ضعف أمر الأزارقة من الناحية الحربية، بعد أن أضعفتهم الانقسامات الكثيرة.

لعل هذين البيتين من القصيدة التالية.

كان من أنجاد الأزارقة، ولهذا جزعت عليه جزعا شديدا في المبارزة، قتله حبيب بن المهلب.

كان حطان الأعسر من أصحاب عبيدة بن هلال اليشكري، ولما قتل عبيدة وبعض من معه استأمن أصحابه، وكان حطان في المستأمنة.

كان من فرسان الأزارقة وشجعانهم ذا بطش شديد، لا يراه أحد إلا هابه وكره نزاله، وقد برز له عباس الكندي فقتله.

قطري بن الفجاءة شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها والخليفة المسمى أمير المؤمنين في أصحابه، كان يكنى في السلم أبا محمد وفي الحرب أبا نعامة، وقد خاض معارك قاسية ضد جيوش الزبيريين أولا ثم الأمويين، ومني بالمهلب بن أبي صفرة القائد المحنك الصبور ذي المكايد، فأخذ يتنقل أمامه من مكان إلى آخر، وحول هذا التنقل الذي سماه الخوارج " الهرب " دار كثير من شعر الخوارج متضمنا النقد، كما أدى ذلك إلى توالي الانشقاق في صفوفهم، وقد حفلت المصادر التاريخية بأخبار حروبه، وترجم له ابن خلكان (٤: ٩٣) ويقال أنه توفي سنة ٧٨ أو ٧٩هـ؟، وجعل الطبري وفاته سنة ٧٧.

انظر ق: ٨٨ في شعر عبيدة بن هلال.

لما سمع الخوارج هذه القصيدة قالوا لقطري: شد ما مدحت الرجل يا أمير المؤمنين، فقال: ما أثنيت عليه بشيء في دينه ولكني ذكرت ما فيه؛ ويمكن أن تعد هذه القصيدة من " المصنفات " .

اسمه في فتوح ابن أعثم " سبرة بن الجعد " وعلى هذا تجيء لفظة " سميره " في البيت الأول بمعنى " من يسمر عنده " وليست علما.

كذا سماه الآمدي في المؤتلف: ٤٣ وهو عند ابن الكلبي (الخيل: ٦١) والبلاذري (الأنساب ٧: ٧٥) قيس بن عسعس، ويلقب بالحسبي (النسخة م: الحشي) وسماه ياقوت: قيس بن الأصم ولعل لفظة " ابن " هنا مزيدة، وقد حارب مع عبيدة بن هلال، ولما قتل عبيدة كان هو في المستأمنة، وعاش حتى كف بصره، وذكر ابن أعثم (٢: ٩١) أنه لم ينج أحد غيره عندما قتل قطري وأصحابه.

ذهب أبو الفرج (والشريشي وابن أبي الحديد نقلا عنه) إلى أنها هي أم حكيم التي ذكرها قطري (ق: ١٠٤) وأنها كانت معه في معسكره، وكانت من أجمل الناس وجها وأشجعهم وأحسنهم بدينها تمسكا، وكان قطري يحبها ويجلها، وأخبر من شاهدها في تلك الحروب أنها كانت ترتجز وتقول " أحمل رأسا.... الخ " والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات.

خطيب الأزارقة ولولا بروز في أسنانه وصفرة تعيبها (ق: ٩٥، ٩٦) لكان في رأي الجاحظ أخطب العرب قاطبة.

هذا الاختلاف الذي يشير إليه جندب هو انشقاق الخوارج على قطري لأسباب منها: أنه أبى أن يدين عبيدة بن هلال حيت أتهم بامرأة رجل حداد، ولأنه أبى أن يقاسم رجلا من الدهاقين ظهرت له أموال كثيرة، ولأنه قال مرة إنه لن يخرج إلى الأعداء ثم خرج فكذب، وحل الخروج عليه. ولما عزم قطري على البيعة للمقعطر العبدي انفصل عنه شطر من الخوارج بقيادة عبد ربه الكبير وجلهم من الموالي والعجم وفيهم ثمانية آلاف من القراء.

من أخوال عمران بن حطان.

انظر القصيدة رقم: ٩١ لعبيدة بن هلال.

ذهب البلاذري ٣: ٢٢ / م إلى أن هذه المرأة هي أم حفص بنت المنذر بن الجارود زوج عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، فتزايد عليها قوم أسلموا من المجوس وصاروا خوارج، ففرض لهم الخوارج في خمسمائة خمسمائة فسموا البنجكية، حتى بلغوا بها سبعين ألفا، فغم ذلك قطري بن الفجاءة وقال: ما ينبغي لرجل من المسلمين

المهاجرين أن يكون له سبعة ألف درهم وإن هذه لفتنة، فضربها أبو الحديد العبدي فقتلها، فأخذوه، فقال قطري: مهيم يا أبا الحديد. قال: يا أمير المؤمنين خشيت الفتنة عليهم في هذه المشركة، قال: أحسنت.

يؤخذ من هذه الأبيات أن الرجل ؟ حسب إقراره ؟ لم يكن خارجيا إن صدق في التعبير عن نفسه، ولعل للخوف من الموت أثره في هذا الموقف، وهذا ما يلحق بما سميته مواقف الخذلان (راجع المقدمة).

عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري التابعي، أو سماك أو أبو شهاب (- ٨٤هـ؟)، أحد رؤوس الخوارج من القعدية، وواحد من أكبر علمائهم وزهادهم، وربما كان أكبر شاعر ظهر فيهم، يقال إنه كان أول الأمر مشمرا في طلب العلم والحديث، وأدرك صدرا من الصحابة وروى عنهم، وروى عنه أصحاب الحديث، ومن المعروف أن الخوارج أصح أهل الأهواء حديثا، وأن عمران كان ثقة في نفسه. وفي تحوله إلى المذهب الخارجي تردد المصادر تأثير جمرة في تحويله إلى ذلك المعتقد، ولعل من الغريب أن يكون عمران من القعدة، وربما كان التعليل الصحيح لذلك أنه قال بالقعود بعد أن كبر في السن. ويتردد في بعض قصائده ما يصور تنقله من مكان إلى مكان، وتقرن المصادر بين هذا الفرار وطلب عبد الملك أو الحجاج له، لأنه مدح ابن ملجم، ولكن ظروف هذا التنقل ودواعيه غير واضحة في قرائنها الزمنية؛ ولشهرة عمران في الشعر نسبت إليه أشعار الآخرين من الخوارج (وانظر المقدمة).

لما توفي عمران جاء سويد بن منجوف يخطب جمرة فقالت له: مكانك حتى أخرج إليك ثم قامت فدخلت إلى مخدع لها فلبست مطرفا لعمران ولفت عمامتها على رأسها وخرجت، فقال لها سويد ما هذا يا جمرة؟ فقالت: إني سمعت خليلي أبا شهاب (عمران) يقول: " وتلبس يوما عرسه... " البيتين فأحببت أن أصدق قول أبي شهاب بلبسي هذا من ثيابه، فانصرف عني من حيث جئت فلا حاجة لي في التزويج بعد أبي شهاب.

خرج يزيد بن بعثر السعدي التميمي بجوخى، فوجه إليه بشر بن مروان خيلا فقتل.

كانت جمرة زوجا لسويد، فسمعت بعمران وعبادته ونسكه، فطلبت إليه أن يخلصها من زوجها، وقالت: قد أحببت أن أكون لك، فإن رأيي رأيك وديني دينك، فأقبل عمران ومعه نفر من الخوارج على سويد، وكلموه في أمرها، فطلقها، وتزوجها عمران؛ وقيل لسويد: أطلقت جمرة خوفا من الخوارج؟ فقال: لا ولكني لا أحب أن يكون عندي من يكرهني.

طلب الحجاج عمران بن حطان حين جاء العراق أشد الطلب فهرب فنزل بالشام على قوم من بني غسان،

فأنكروه فتحول عنهم ونزل على قوم من بني لخم فأنكره رب منزله، فتحول حتى صار إلى روح بن زنباع وغير أسمه ونسبه وذكر أنه من أزد شنوءة، فلما كاد أمره ينكشف ارتحل ونزل على زفر فأقام عنده ثم تحول عنه ومضى إلى بلاد عمان فنزل على قوم من الأزد، فلم يزل بعمان حتى مات الحجاج.
لست مطمئنا إلى صحة نسبة ما أورده صاحب " مضاهاة كليلة ودمنة " من شعر، إذ يتراءى لي أنه منحول. راجع ما قلته في نسبة القطعة رقم: ١٩٣.
تبدو بعيدة عن روح عمران وعن تجنبه للمدح وللعطاء معا.
كذلك ربما كانت نسبة هذه الأبيات إلى عمران مما يستدعي توقفا.
قد مر القول أن عمران بن حطاب هرب من الحجاج وظل مختفيا في عمان حتى مات ذلك الوالي، فقصة القبض عليه ثم إطلاقه تعارض ذلك، ولست أرى هذه الأبيات تتفق وروح عمران وسلوكه عامة، ولعل الصواب أنها كما ذكر ابن عساكر (التهذيب ٤: ٦٦) لبعض الخوارج من اصحاب قطري إذ قال: أن الحجاج أتي بأسارى من أصحاب قطري فقتلهم رجلا رجلا إلا واحدا له عنده يد، وكان قريبا لقطري، فأحسن إليه وخلى سبيله، فصار إلى قطري فقال له: عاود قتال عدو الله، فقال: هيهات غل يدا مطلقها.
ليست نسبتها إليه مؤكدة، لأنها وردت في المصادر ومنها العيون والعقد والأغاني والحماسة البصرية منسوبة لأمية بن أبي الصلت (انظر ص ٢٠ الحاشية: ٣ من ذيل السمط)، وقال أبو الحسن الأخفش وصاعد اللغوي أنها لرجل من الخوارج قتله الحجاج، وأحر بأن يكون هذا هو الصواب؛ وانظر ديوان أمية: ٥٠ (ط. ليبسك ١٩١١).
مالك المزموم (أو مويلك) ؟ بالزاي وفي الأغاني بالذال ؟ وعند ابن الحديد مويلك السدوسي من بني عامر ذهل طلبه الحجاج فتوارى منه ودخل اليمامة فنزل بحجر وكان والي اليمامة حينئذ هو إبراهيم بن عربي وعهلى شرطته عبد الله بن حكام، فقيل إن مالكا كان من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذات ليلة فسمعت قراءته امرأة من آل حكام فرمت بنفسها فوق سطح فماتت فأتى أهلها فضربوه، فاستدعى عليهم رئيس الرشطة فلم يعده؛ ولم يتعرف صاحب الخزانة إلى مويلك هذا بل قال: والظاهر أنه شاعر إسلامي ولم أقف على نسبه.
كان مالك يتخوف أن تنسب أبياته هذه إلى عمران لشبهها بشعره، فلما شاعت رواها الناس لعمران، وكذلك نسبوا لعمران القصيدة التالية التي لم يبق منها إلا بيت واحد، وهي في الأصل قصيدة طويلة.
يستدل من الأغاني أن هذا البيت من قصيدة أخرى غير القصيدة التالية.

أورد ابن أبي الحديد البيتين الثالث والخامس وقال " دخل مويلك السدوسي إلى البصرة يبيع إبلا، فأخذ عامل الصدقة بعضها فخرج إلى البادية وقال... " وهذه المناسبة تختلف عما جاء في الأغاني.

قال صاحب الخزانة: أوردها الأعلم الشنتمري في حماسته وزاد بعد هذا ستة أبيات.

صالح بن مسرح أبو مالك أحد مخابيت الخوارج، كان ناسكا مصفر الوجه لا يرفع رأسه خشوعا، وكان صاحب قصص يدعو فيه إلى الزهد، ويدعو إلى الخروج، وقد خرج هو نفسه عام ٧٦هـ؟ بعد اتفاق بينه وبين شبيب، وكان خروجه بجوخى، ثم أتى النهروان فصلى في مصارع أصحابه وقال: اللهم ألحقنا بهم فإنهم مضوا على طاعتك؛ ثم صار إلى نصيبين، وقتل عام خروجه.

لما خرج شبيب بن يزيد الشيباني ارتفع إلى الموصل فدعا سلامة هذا إلى الخروج معه، وكان فضالة أخوه قد خرج قبل خروج صالح بن مسرح فقتله عنزة، فاختار سلامة من أصحابه ثلاثين وأغار بهم على عنزة وأخذ بثأر أخيه، ويقال إنه صار مع شبيب ويقال إنه اعتذر عن ذلك بشغل.

قال المرزباني: ٢٦٦ أصيلة أمه وهي من بني محلم، وأبوه شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين الشيباني، وهو من شراة الجزيرة، وقد ذكره ابن دريد في الاشتقاق: ٢١٦ في رجال بني شيبان، وعده الجاحظ (البيان ٣: ٢٦٦) من شعراء الخوارج؛ وانظر كتاب من نسب إلى أمه: ٩٥.

بعد أن دخل شبيب الكوفة استنفر الحجاج ضده قوم من أهل الشام، فانحاز شبيب إلى السبخة، وعلا مزبلة كانت هناك يشرف منها على الكوفة، فجالدوه حتى أزالوه عنها، وصاروا جميعا بالأرض، فقاتلوا حتى كثرت الجراح في الفريقين، وولى شبيب وأصحابه منهزمين ووجهتهم الأنبار.

كان سيف بن هانئ على جوخى وجواثا في رابطة أعدوا للخوارج تدفعهم عن الناس، وتجمع ناس من الخوارج بالفلوجة أيام الجماجم فقال رجل منهم من جديلة طيء اسمه المصك (المصل في م) لولا مكان ابنتي لسرت إلى سيف بن هانئ، فقال له أحد الخوارج: هي مع بناتي لا يسعني بيتي ويعجز عنها، فاشترى حمارا وخرج إلى راذان فرآه سيف في الصف الأول فاستراب به فقال لأصحابه: خذوه حتى أصلي، وفتش فوجد معه خنجر، فضرب سيف عنقه.

ذكر المبرد (٣: ٢٩٣) أن بسر بن عاصم كان خارجيا ثم فارق رأي الخوارج وصار مرجئا وقال:

فارقت نجدة والذين تزرقوا ... وابن الزبير وشيعة الكذاب

والصفر الآذان الذين تخيروا ... دينا بلا ثقة ولا بكتاب كان الخطار النمري ؟ من النمرين قاسط ؟ نصرانيا

فأسلم،ودعته الخوارج فأجابها، وخرج براذان على سفيان بن هانئ الهمداني، فحاربه سفيان فقتله واصحابه.
من بني عصر بن عوف بن عمر بن عبد القيس، من أنفسهم، وقيل مولى لهم، وكان يرى رأي الأزارقة، وكان يبيع بسوق الزيادي، فلما قدم داود بن النعمان البصرة للتجهز، دخل السوق ليشتري غلالة، وكان جميلا، فقال له زياد ؟ وظنه أحد فتيان البصرة ؟ عندي غلالة أرق مِن دنيك، فلم يكلمه داود ومضى، ثم عرف زياد أنه أخطأ فاعتذر إليه، وخرج الأعسم في جماعة فقتلوا، وكان خروجه أيام الوليد بن عبد الملك.
كان داود عابدا مجتهدا وكان يقول لأصحابه إني قد مللت الدنيا والمقام في دار الكفر مع الظلمة الكفرة، ثم حج وتوجه في أربعين من أصحابه إلى البصرة، وكان أبوه غنيا فحاول أن يثنيه عن ذلك فأبى، وفي سنة ٨٦ خرج إلى موقوع فتوجه إليه جيش فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا وبقي هو وحده، فألجأوه إلى حائط ثم رموه بالنبل وطعنه رجل وقال: ذق بما قدمت يداك، فقال: ويحك حر النار أشد من هذا؛ ومات.
قد تكون هذه الأبيات مقدمة للقصيدة السابقة.
كان جواز من رؤساء الخوارج مع من شهد حصار ابن الزبير، ونزل الشام، وجرى بينه وبين عبد الملك مجادلات، جعلت عبد الملك يقول له: قد أعطيناك عهدا وموثقا فلا سبيل لنا إلى قتلك، ولكنك والله لا تساكنني في بلد، فسكن مصر، وكان يرى ر أي الصفرية، فلما ولي الوليد الخلافة أمر بإحضاره من مصر وبعث به إلى الحجاج، وكان بنو أمية لا يرون قتل الخوارج بالجزيرة أو بالشام مخافة أن يتخذوها دار هجرة، فأمر الحجاج بقتله.
كان من عباد الخوارج المجتهدين فطلب بالبصرة، فتوارى عند رجل من بني تميم على رأيه، فأمر امرأته أن تتعهده وخرج لبعض شأنه، فغاب أربعين ليلة، وكان داود منخفض الطرف لا ينظر إلى شيء، فقدم التميمي بعد أربعين ليلة فقال لداود: كيف رأيت خدمة الزرقاء؟ فقال: ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء، ثم خرج داود بالبصرة في سنة ٩٠ فوجه إليه واليها مروان بن المهلب خيلا فقتل هو وأصحابه بموقوع.
لما وصل كتابه عمر قال: أتعرفون هذا الرجل؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، له خبرة وبصيرة وعارضة شديدة، وقد شهد مواطن كثيرة؛ قال: فالذي أنكره أنا أكثر من الذي أنكر، ثم أجابه عن أبياته بأبيات أخرى (انظر: ابن الجراح: ٦١ / ب).
بعد حوار بين الخوارج وعمر بن عبد العزيز، قال الخوارج بعضهم لبعض: كفوا عنه ما ترككم، وكذلك كان رأي عمر أن يكف عنهم ما لم يفسدوا؛ وكتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بما

كن بينه وبين الخوارج، ويأمره أن يكف عنهم ويجاهدهم إن قاتلوه، فبعث عبد الحميد جيشا بازائهم وبعث عمر ألفا بقيادة هلال بن حوز، وظلت الفئتان دون قتال حتى مات عمر بن عبد العزيز.

هو زعيم الخوارج أيم عمر، ظل مخلدا إلى السلم طوال عهد عمر، فلما جاء يزيد خرج بسطام في جوفى، فوجه مسلمة بن عبد الملك إليه جيشا بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي، فقتل بسطام وأكثر أصحابه وانهزم من بقي، وقتل مع بسطام الريان بن عبد الله اليشكري، وهدبة اليشكري بن عمه، مقاتل بن شيبان أبو شبيل.

ذكر البلاذري في الأنساب ٣: ٣١ (م) أيوب بن سعفة وأورد له بيتين من هذه القصيدة في رثاء هدبة الطائي الذي خرج جوخى فقتله سيف بن هانئ، ثم قال ويقال إن هدبة شيبان؛ ذكر (٣: ٨٤ / م؛ ٨: ٢٣١) أيوب بن خولى البجلي يرثي جابر بن سعد (انظر القصيدة التالية)؛ وعند الطبري أن هذه القصيدة في رثاء هدة اليشكري وأنها لأيوب ابن خولى؛ وفي شرح النهج ٣: ٢٦٧ أيوب بن خولة.

الصحاري بن شبيب أو أبو الصحاري شبيب كما ورد اسمه في مخطوطة أنساب الأشراف والشهرستاني (١: ١١٤) شرى وحكم سنة ١١٩ وذلك أنه أتى خالد بن عبد الله القسري يسأله الفريضة فلم يفرض له، فخرج إلى نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة كانوا بجبل فقالوا له: وما كنت ترجو بالفريضة؟ فأخبرهم أنه إنما تقدم إلى خالد ليقتله، إذ أنه قتل أحد الصفرية برا، ثم دعاهم الصحاري إلى الخروج، فخرج بعضهم وقعد آخرون، فوجه إليه خالد جندا قتلوه وقتلوا جميع أصحابه.

يلقب كثارة، خرج أيام خالد بن عبد الله القسري، وكان سبب خروجه أنه أرسل خادمه ليشتري له خلا فباعوه خمرا، فأتى الموصل فاتبعه قوم من أهلها وأهل الجزيرة، وكان البهلول لين السيرة لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعرض لأحد، ولا يأخذ شيئا إلا بثمن، متشبها في ذلك بشيخ الخوارج أبي بلال مرداس؛ وقد جرت بينه وبين جيوش الخلافة عدة وقائع، وبعد مقتله ولى الخوارج عليهم دعامة بن عبد الله الشيباني بوصية من البهلول نفسه.

هو أحد القادة البارزين في جيش الضحاك بن قيس الشيباني، وقتل سنة ١٢٧هـ؟.

كان نسابة لغويا راوية خطيبا شاعرا، وعرف بقصيدته اللامية الطويلة ومطلعها: " نزا بثي... " وهي مليئة بالغريب حتى قيل إنها تقوم مقام كتاب كبير في اللغة؛ وقد ظل شبيل سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا عند انتصار الضحاك بن قيس على ابن عمر والي العراق.

يقال في اسمه جدرة ويقال حدرة، وهي السلعة، قا الأخفش: والصحيح عندنا ابن خدرة ؟ الخاء وكسرها ؟

وقال المبرد: لم أسمعه إلا جدرة ويقال جدرة؛ وقد عده الجاحظ (البيان ٣: ٢٦٤ (من خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم، وقال: عداده في بني شيبان وهو مولى لبني هلال بن عامر؛ وقد انتمى الخوارج في سن كبيرة، ولهذا تتفاوت أشعاره تفاوتا ملحوظا.

عتاب بن ورقاء الرياحي: ولاه الحجاج على جيش كوفي أعده لقتال الخوارج الذين مع شبيب، وضم إليه زهرة بن حوية، فقتل عتاب، قتله رجل يقال له عمرو من بني تغلب وقيل غيره؛ قلت وانظر ق: ٢١٧ فإنها تشترك في بعض العبارات، وخاصة البيت الثاني والخامس.

تولى أمر الخوارج بعد وفاة سعيد بن بهدل بالطاعون، وخاض معارك كثيرة، وجرح فنزف وعطش، ثم رفع له خباء فأتاه فوجد فيه امرأة فاستشفى فسقته، فسقط ولم يقدر على النهوض، ولما أفاق أتى أصحابه فقالوا له فررت من الزحف ولم تقر بالفرار، فاعتذر فلم يقبلوا عذره، فكانوا لا يجالسونه ولا يكلموه، فقال الضحاك: اللهم إني قد صدقتهم وكذبوني، وبذلت نفسي فرددت، اللهم أنت لي خير منهم، وبهذه المناسبة قال قصيدته (ق: ٢٦٧) يتحسر على تغير النيات وعلى ذهاب إخوانه؛ وقبل أن يقتل في إحدى المعارك ضد مروان أوصى أن يصلي بهم شيبان بن سلمة ويقود القتال الخبيري؛ وقال: لست أملك إلا فرسي وسلاحي وسبعة دراهم منها ثلاثة في كمي.

لقب بالضعيف لأنه قيل له ألا تخرج، فقال: والله ما بي ضعف عن ذلك ولكني ضعيف البدن، وأني لا أجد أعوانا، ثم خرج ومات من مرضه بعد أيام.

تولى قيادة الخوارج بعد مقتل الخيبري، وظل عشرة أشهر أو تسعة يقاتل مروان بن محمد وهو في خمسة آلاف، ومروان في ثلاثين ألفا، وهزموا مروان في تلك الشهر نيفا وسبعين مرة فيما يقال، وقطع مروان عنهم مادة الطعام حتى صار الرغيف في معسكرهم بدرهم، وأخذ شيبان يتنقل من مكان إلى آخر فلامه المعمر (المعتمر) بن شيبة وقال: ما هذا الروغان، وانتهى المطاف بشيبان إلى عمان وهناك قتل.

أقدر أن هذه الأبيات جزء من القصيدة التالية، والشاعر هنا اسمه عمرو بن الحسن وصاحب التالية اسمه عمرو بن الحصين وفي اسم أبيه تحريف في أحد الموضعين، ومما يقوي هذا الظن قول أبي الفرج: عمرو بن الحصين ويقال: الحسين، وهو عند البلاذري (النسخة م ٣: ١٤٣) عمرو بن الحسين؛ والبيت الأول من هذه القطعة هو البيت الثامن في القصيدة التالية.

عمرو بن الحصين العنبري مولى بني تميم، وقصيدته البائية رواها الأخفش عن السكري والأحول وثعلب، وكان

يستجيدها ويفضلها.

الطرماح وإسمه الحكم بن الحكيم، طائي النسية يكنى أبا نفر وأبا ضبيبة، نشأ بالشام وإستوطن الكوفة وتنقل في كرمان وقزوين وعمل مؤدبا في الرأي، ومدح بعض ولاة بني أمية وقوادهم، وكان بينه وبين الكميت صداقة على تباينهما في المذهب؛ وقد خرج في معظم شعره عن ما اخذ الخوارج به أنفسهم، ولهذا لا نجد في ديوانه من الشعر الذي ينسجم وصرامة العقيدة الخارجية إلا الشيء اليسير.

انظر ديوان الطرماح: ١٩٣ والقصيدة في ٧٧ بيتا، وقد اكتفينا منها بهذه الأبيات.

قال المرزباني في معجم الشعراء: اسمه عدي بن سويد بن ريان، وقيل اسمه سويد بن عدي، وقال: هو مخضرم؛ وفي الإصابة (٥: ١٠٥) قال ابن الكلبي: جاهلي إسلامي، وذكره ابن حجر في سويد (٣: ١٧٢) ونقل عن المرزباني ثم قال: كثير الشعر، وذكر صاحب الخزانة (٤: ١٥) عمرو بن عدي الطائي وذكر له بيتا واحدا. ويبدو أن الأعرج ليس من شعراء الخوارج حسب هذه المعلومات وإن قال التبريزي فيه إنه أحد الخوارج ولهذا جعلنا ما عثرنا عليه من شعره في ملحق منفرد.

قال التبريزي ١: ١٥٤ الصحيح أنها لعمرو بن يثربي، وهذ أصوب لأنه يرثي فيها عثمان، وأين خارجي من رثاء عثمان، إلا أن يكون الأعرج قد عاش حتى تحول عن عثمانيته.

ينظر: الاشتقاق لابن دريد ٣٨٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ١٤ (القاهرة ١٩٧٠).

أمالي القالي ١ / ٢٠٥، قطب السرور ٤٢١، المستطرف ٢٦٠.

الصواب (زبان) كما بينا وهو تصحيف فات الأستاذ المحقق، ينظر معجم الشعراء ٨٥.

في الجزء الثاني ١١٦ والجزء الثالث ١٠٤ من الطبعة المصرية ١٩٣٩.." (١)

"الحبي: السحاب المتداني بعضه إلى بعض. والشماريخ: ما ارتفع من أعاليه ويروى في شماريخ بيض على الإضافة هذا قول الطوسي. وقال محمد بن حبيب: الحبي ما حبا من السحاب أي شخص وارتفع كحبو الرمل وهو إشرافه. والشماريخ رءوس الجبال. وينوء ينهض في ثقل. وكتعتاب هو من العتبان وهو أن يمشي على ثلاث قوائم يقال منه عتب يعتب. والمهيض: الذي قد جبر ثم أصابه بعد ذلك كسر أو عنت ولم يذكر أبو علي في البرق ومض وهي لغة جيدة فصيحة. قال الراجز:

يا أسم أسقاك البريق الوامض

---

(١) شعر الخوارج، ص/٢٥٨

وأنشد أبو علي " ١ - ١٠،٩ " :

يبادر الآثار أن تؤوبا

قال المؤلف وأول الرجز:

لا تسقه محضا ولا حليبا ... إن لم تجده سابحا يعبوبا

ذا ميعة يلتهم الجبوبا ... يبادر الآثار أن تؤوبا

وحاجب الجونة أن تغيبا ... بمجمرات قعبت تقعيبا

كالذئب يتلو طعما قريبا

اليعبوب: الكثير الجري. والمعية الحدة والنشاط وصنف من الطيب يسمى ميعة لحدة رائحته. والجبوب الأرض وقيل ظاهر الأرض، يقول هذا الفرس من شدة جريه كأنه يبلع الأرض بلعا كما قالوا جيش لهام كأنه يلتهم ما مر به. ويبادر الآثار أي آثار القوم الذين يطلبهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ومأمنهم. أن تؤوبا: أي أن ترجع إلى ما كانت عليه من الطموس إذ لا تستبين إلا على قرب عهد من الناس. ويروي يؤبا وتؤوبا بالتاء وبالياء ضبطها أبو علي في كتابه من نوادر ابن الأعرابي وصحح عليهما ورواه أبو العباس ثعلب عن الفراء يبادر الآثار جمع ثأر. وقال أبو العباس في الكتاب الكامل المتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك فهذا التفسير على تلك الرواية وقد يكون تؤوب على هذه الرواية بمعنى تذهب لأن الرجوع ذهاب، يريد يبادر ثأره أن يذهب ويبطل. ورواه أبو بكر ابن دريد:

يبادر الأشباح أن تغيبا ... والجونة البيضاء أن تؤوبا

على أن ذلك كان ليلا وقال الأصمعي: إنما سميت الشمس جونة لأنها تسود حين تغيب.

وأنشد أبو علي " ١ - ١١،٩ " :

وسفر كان قليل الأوان ... وقال الأون الفتور

قال المؤلف يقال آن أونا رفق في سيره وأمره وآن في عيشه أونا ترفه. وآن الشيء يئين أينا حان وأصله من الواو ولكنه من باب فعل يفعل مثل ولي يلي وجاء المصدر بالواو ليطرد على فعله.

وأنشد أبو علي " ١ - ١١،٩ " للفرزدق:

وجون عليه الجص فيه مريضة ... تطلع منه النفس والموت حاضره

قال المؤلف وبعد البيت:

فما زلت حتى أصعدتني حبالها ... إليها وليلي قد تقارب آخره

فلم أر منزولا به بعد هجعة ... ألذ قرى لولا الذي قد نحا ذره

أحاذر بوابين قد وكلا بها ... وأسمر من ساج تئط مسامره

وقوله مريضة: امرأة منعمة قد فترها النعيم وكسلها وثقل جسمها. فكأنها لذلك مريضة كما قال الشمردل بن شريك:

يشبهون سيوفا في مضائهم ... وطول أنضية الأعناق والأمم

إذا غدا المسك يجري في مفارقهم ... راحوا تخالهم مرضى من الكرم

يعني من ترفههم وشدة حيائهم. وقالت ليلى الأخيلية:

ومخرق عنه القميص تخاله ... وسط البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواء رأيته ... وسط الخميس على الخميس زعيما

وهم يسمون أيضا فتور الطرف مرضا وقال جرير:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لا يحيين قتلانا." (١)

"ع هو عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر من بني مازن وهو من المهاجرين الأولين شهد بدرا وكان من الرماة المذكورين، وهو افتتح الأبلة واختط البصرة، وتوفي في خلافة عمر وهو حليف بني نوفل بن عبد مناف يكنى أبا غزوان، وتمام خطبته بعد قوله: كصبابة الإناء، فانتقلوا بخير ما يحضركم، فقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، وإنه لم تكن نبوة قط إلا كان عاقبتها ملكا وما منا اليوم أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار، فأعوذ بالله من أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا. وقد روى صدر هذا الكلام عن عتبة بن غزوان عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد في كتاب الحكم والأمثال المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد حدثنا سليمان بن محمد الخزاعي حدثنا محمد بن حفص الوصابي حدثنا عبد العظيم بن حبيب الزبيدي عن راشد بن سعد عن عتبة بن غزوان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون إلى دار لا زوال فيها فانتقلوا بخير ما يحضركم. قلت: هو أبو عبيد عمر بن حفص

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٢

الوصابي حمصي يروي عن محمد بن حمير روى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل والوصابي بالباء في المحدثين غير واحد، والوصافي بالفاء أخت القاف واحد وهو عبد الله بن الوليد الوصافي منسوب إلى الوصاف بن عامر العجلي واسمه مالك.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٨،١٧ " للنابغة:

حذاء مدبرة سكاء مقبلة

قال المؤلف: هذا البيت من شعر النابغة في رواية بعض الرواة، وقد قيل إنه منحول وقبل البيت:

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت ... يا صدقها حين تدعوها فتنتسب

حذاء مدبرة سكاء مقبلة ... للماء في النحر منها نوطة ءجب

تسقي أزيغب ترويه مجاجتها ... وذاك من ظمئها في ظمئه شرب

ويروى: إذا نسبت يعني أن صوتها قطا قطا وهذا كثير في أشعارهم، لذلك سمت العرب صوتها القطقطة. وكل الطير سك: أي مصطلمة الآذان، ويقال للصغير الأذنين من الناس أسك والأنثى سكاء والسكك أيضا ضيق الصماخ من ذلك قول النابغة:

وتلك التي تستك منها المسامع

والنوطة: الحوصلة سميت بذلك لتعلقها، وعجب: صفة في معنى عجيبة، والظمء: ما بين الشربتين. يقول يظمآن معا: أي تذهب فتشرب ثم تجئ فتسقيه.

واسم النابغة زياد بن عمرو بن معاوية الذبياني. وقال ابن الأعرابي هو زياد بن معاوية بن ضباب فأنشده الأثرم قول النابغة يعني نفسه.

وقائلة من أمها واهتدى لها ... زياد بن عمرو أمها واهتدى لها

فقال له: نحن لا نرويه يعني القصيدة. ويكنى أبا أمامة وإنما سمي النابغة لأنه لم يقل الشعر إلا بعد أن كبر وساد قومه ولم يفجأهم إلا وقد نبغ عليهم بالشعر، وقال الآخرون: سمي ببيت قاله وهو:

وحلت في بني القين بن جسر ... فقد نبغت لنا منهم شؤون

والنوابغ من الشعراء ثمانية: نابغة بني ذبيان هذا، والنابغة الجعدي، والنابغة الشيباني ونابغة بني الديان، والنابغة الغنوي، والنابغة العدواني، والنابغة التغلبي، ونابغة بني جديلة، ليس منهم جاهلي إلا الذبياني خاصة.

أنشد أبو علي " ١ - ١٨،١٧ " للحطئة:

فدى لابن حصن ما أريح فإنه ... ثمال اليتامى عصمة في المهالك

قال المؤلف: هذا أول الشعر وبعده:

سما لعكاظ من بعيد وأهلها ... بألفين حتى دسنهم بالسنابك

فباع بنيه بعضهم بخشارة ... وبعت لذبيان العلاء بمالك

قوله لابن حصن يعني عيينة بن حصن. ويروى ما أريح بفتح الحاء وما أريح بضمها والرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل ويروى بخسارة أي رضوا بالديات فكان ذلك عارا وخسارا عليهم وأبيت أنت إلا إدراك ثأرك. والخشارة السفلة. وبعت بمعنى اشتريت. يقوله الحطئة لعيينة بن حصن الفزاري، وكانت بنو عامر قتلت ابنه مالكا فغزاهم فأدرك بثأره وغنم وغنم.." (١)

"نشدت زيادا والسفاهة كاسمها ... وذكرته أرحام سعر وهيثم

فلما رأيت أنه غير منته ... أملت له كفي بلدن مقوم

وقال الجعدي:

فلم نوقف مشيلين الرماح ولم ... نوجد عواوير يوم الروع عزالا

أي لم نرفعها ولكن خفضناها للطعان. قال ابن الكلبي في نسب بني الحارث بن كعب: ومنهم الحصين ذو الغصة ابن يزيد بن شداد بن قنان رأس بني الحارث مائة سنة وكان يقال لبنيه فوارس الأرباع والأرباع أرض قتلهم بها همدان ولهم يقول الأجدع الهمداني:

ونسيت قتل فوارس الأرباع

ذكر أبو علي " ١ - ٢٣،٢٤ "

حديث ذي فائش

وسؤاله لعلبة إلى آخره

ع ذو فائش مأخوذ من المفايشة وهي المفاخرة؛ وعلبة هذا هو علبة بن ربيعة بن عبد يغوث بن صلاءة الحارثي. وعبد يغوث هو الشاعر أسير يوم الكلاب وعلبة شاعر وابنه جعفر بن علبة شاعر، وعمر علبة إلى أول دولة بني هاشم. وفي الخبر إذا شبهت الأعجاز بالحوارك معناه إذا لم يهتدوا للفرق بين أعجازها وحواركها دهشا كما قال الشاعر:

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٣

يجعل الخيل كالسفين ويوفي ... عاديا فوق طرفه المشكول

يريد أن لجام السفينة السكان وهو في مؤخرها، فهذا لجبنه وخوره يمضي باللجام إلى عجز ذنب فرسه. وقوله فوق طرفه المشكول، لأن الجبان أيضا ربما ركب الفرس بشكاله من الذعر، وقال جرير:

لو قيل أين هواديها لما علموا ... قالوا لأعجازها هذي هواديها

وقيل: إن ذلك من الدهش والذعر، وقيل بل وصفهم بالجهل وأنهم ليسوا أصحاب خيل وهو الصحيح.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٤،٢٥ " لمهلهل:

فلو نبش المقابر عن كليب

ع مهلهل اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل وقيل اسمه عدي، والشاهد لذلك قوله:

ضربت صدرها إلي وقالت ... يا عديا لقد وقتك الأواقي

ومن قال: إن اسمه امرؤ القيس يروي هذا البيت:

ضربت صدرها إلي وقالت ... يا امرأ القيس حان وقت الفراق

" أ " و يقول: إن هذا إنما هو أخوه ويكنى أبا ربيعة وإنما لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أي رققه.

وقال الطوسي: سمي مهلهلا ببيت قاله لزهير بن جناب وهو:

لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

شاعر جاهلي، وهذا الشعر يقوله لما أدرك بثأر أخيه كليب، واسم كليب وائل وكنيته أبو الماجدة، وإنما لقب كليبا بالجرو الذي اتخذه، قال مهلهل:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف إياب من تحت القبور

بأني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

وهمام بن مرة قد تركنا ... عليه القشعمان من النسور

وهي كلمة طويلة. الشعثمان شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة واسم شعثم حارثة عن ابن السكيت.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٥،٢٦ " :

ينبي تجاليدي وأقتادها ... ناو كرأس الفدن المؤيد

قال المؤلف: هذا الشعر للمثقب العبدي واسمه عائد بن محصن بن ثعلبة يكنى أبا عدي، وإنما لقب المثقب لقوله:

ظهرن بكلة وسدلن رقما ... وثقبن الوصاوص للعيون

وهو شاعر جاهلي وقد نسب قاسم بن ثابت هذا البيت إلى رجل من الأزد أحد بني عوذ بن سود وهو وهم، وصلة البيت:

حتى تلوفيت بكلية ... معجمة الحارك والمحفد

تعطيك مشيا حسنا مرة ... جذبك بالمرود والمحصد

ينبي تجاليدي وأقتادها ... ناو كرأس الفدن المؤيد

ويروى تامكة الحارك. ولكية من لكائك اللحم وهو شرائحه. والمرود ما ترودها به أي تصرفها. والفدن القصر. والمؤيد الموثق المشدد المشيد. وناو سمين من الني وهو الشحم ويروى ناق من النقي، ويروى ناب من الارتفاع. والفدن القصر شبه به هذا السنام لعظمه.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٦،٢٥ " للأسود بن يعفر:

إما تريني قد بليت وشفني

ع هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود جاهلي من بني نهشل بن دارم يكنى أبا الجراح كذلك نقل ابن دريد ورأيت لغيره أنه يكنى أبا نهشل، وقد يكون للرجل منهم كنيتان وكان أعمى ولذلك قال في هذا الشعر:." (١)

"ع هو علي بن العباس بن جريج الرومي وجريج مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور أبي جعفر وكان علي يتشيع للطالبيين ويبغض مواليه وهذا الشعر يرثي به محمد بن نصر بن بسام. ومن مختاره:

أودي محمد بن نصر بعد ما ... ضربت به في فضله الأمثال

ملك تنافست العلى في عمره ... وتنافست في يومه الآجال

من لم يعاين سير نعش محمد ... لم يدر كيف تسير الأجبال

وذخرته للدهر أعلم أنه ... كالحصن فيه لمن يؤول مآل

---

(١) سمط اللآلي، ص/٣٢

وتمتعت نفسي بروح رجائه ... زمنا طويلا والتمتع مال

ورأيته كالشمس إن هي لم تنل ... فضياؤها والرفق منه ينال

لهفي لفقدك يا محمد إنه ... فقدت به النفحات والأنفال

بالله أقسم أن عمرك م انقضى ... حتى انقضى الإحسان والإجمال

وقوله: من لم يعاين سير نعش محمد هذا المعنى أول من نطق به ابن المعتز في رثائه عبيد الله بن سليمان قال:

قد استوى الناس ومات الكمال ... وصاح صرف الدهر أين ال رجال

هذا أبو القاسم في نعشه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وتلاه ابن الرومي بقوله هذا وتلاهما الرضى فقال في رثائه الصاحب:

أكذا المنون تقطر الأبطالا ... وكذا الزمان يضعضع الأجبالا

جبل تسنمت البلاد هضابه ... حتى إذا ملأ الأقالم زالا

وقوله ورأيته كالشمس إشارة إلى أنه لم يفد من نيله شيأ وشبيه به قول أبي تمام:

وآسى على جيحان لو غاض ماؤه ... وإن كان ذودا غير ذودي ناهله

وأنشد أبو علي " ١ - ٤١،٣٩ " لسعيد بن حميد:

أهاب وأستحي وأرقب وعده ... فلا هو يبداني ولا أنا أسأل

هو الشمس مجراها بعيد وضوءها ... قريب وقلبي بالبعيد موكل

ع هو سعيد بن حميد بن سعيد بن بحر من الأولاد الدهاقين وأصله من النهروان، وكان يقول إنه مولى بني سامة بن لؤي ويكنى سعيد أبا عثمان وهو كاتب شاعر فصيح كان أبوه حميد شاعرا أيضا. وقد كرر سعيد معنى هذا الشعر في أشعاره فقال: وقد دخلت عليه فضل الشاعرة فسألها أن تقيم فاعتذرت:

تقربنا الآمال ثم تعوقها ... مماطلة الدنيا بها واعتلالها

فأصبحت كالشمس المنيرة ضوءها ... قريب ولكن أين منا منالها

وقد كرر الشعراء هذا المعنى فقال البحتري في المديح:

دنوت توضعا وبعدت قدرا ... فشأناك انحدار وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامي ... ويدنو الضوء منها والشعاع

ومما يجانس هذا في المعنى قول علي بن الجهم:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما ... نضيء لمن يسري إلينا ولا نقري

فلا بذل إلا ما تزود ناظر ... ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري

وأنشد أبو علي " ١ - ٤١،٣٩ " لامرأة:

يا من بمقتله زهى الدهر ... قد كان فيك تضاءل الأمر

ع قولها زهى: تريد زهي لغة طائية، والمعنى أن الزمان زهى وانتخى بإصابته غرة من هذا الميت لأنه كان يجير على الدهور ويكفي خطوبه ويدفع مكروهه ويصرف صروفه، فكأن ذلك عناد بينهما وتضاد من أمرهما، وقد بين هذا بعض الشعراء فقال:

أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فصار مطالبا لك بالترات

" والأصل فيه قول أبي نواس في آل برمك:

لم يظلم الدهر إذ توالت ... فيهم مصيباته دراكا

كانوا يجيرون من يعادي ... منه فعاداهم لذاكا "

ولله در أبي الطيب في قوله:

تفيت الليالي كل شيء أخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارم

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

فجعل الممدوح والزمان كقرنين متساجلين وجعل للمدوح الغلبة والفلج. وأما قولها:

زعموا قتلت وما لهم خبر

فإنها تعني أصحابه الذين غادروه ونجوا واعتذروا في قتله، وزعموا أنهم لم يكن لهم خبر بأمره وقولها:

وإذا رقدت فأنت منتبه." (١)

"وهو للراعي وقد مضى ذكره. وقبل البيت قال يشكو إلى عبد الملك بن مروان المصدقين:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا ... لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

أخذوا المخاض من العشار غلبة ... ظلما وتكتب للأمير أفيلا

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه ... بالأصبحية قائما مغلولا

---

(١) سمط اللآلي، ص/٤٦

حتى إذا لم يتركوا لعظامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا
نسي الأمانة من مخافة لقح ... شمس تركن بضيعه مجزولا
وأنشد أبو علي " ١ - ٨١،٨١ " :
تربعت في حرض وحمض
ع هو لأبي محمد الفقعسي وقد مضى ذكره وبعدها أو بعد أشطار منها:
كأن صوت شخبها المرفض ... كشيش أفعى أجمعت لعض
فهي تحك بعضها البعض
يصف غزرها وصوت شخبها لكثرة لبنها بكشيش الأفعى وكشيشها بجلدها وفحيحها بفيها.
وأنشد أبو علي " ١ - ٨٢،٨١ " لسلمى بن ربيعة:
حلت تماضر غربة فاحتلت ... فلجا وأهلك باللوى فالحلة
ع هكذا رواه أبو علي سلمى ولم يختلف الرواة أنه سلمي بضم السين وتشديد الياء وهو سلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر من بني ضبة شاعر جاهلي، وابناه أبي وغوية شاعران. وفلج: واد بطريق البصرة إلى مكة. والحلة: بفتح الحاء موضع حزن وصخور متصل رمل بجلد في بلاد بني ضبة. وقوله:
وكأن في العينين حب قرنفل ... كحلت به أو سنبلا فانهلت
هكذا رواه أبو تمام وهي أحسن من رواية أبي علي، لأنه يلزمه على روايته أن يقول كحلت بهما وقال كحلت به ولم يقل كحلتا ولا انهلتا لأن الشيئين إذا اصطحبا وقام كل واحد منها مقام صاحبه جرى كثيرا عليهما ما يجري على الواحد كما قال:
لمن زحلوفة زل ... بها العينان تنهل
ولم يقل تنهلان. وقال الفرزدق:
ولو بخلت يداي بها وضنت ... لكان علي للقدر الخيار
وقوله:
يسدد أبينوها الأصاغر خلتي
إنما أضاف الخلة إلى نفسه لأنه كان يسدها وقوله:
تربت يداك وهل رأيت لقومه ... مثلي على يسري وحين تعلتي

رجلا إذا ما النائب ات غشينه

قوله مثلي يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مفعول رأيت فينتصب رجلا حينئذ على التمييز كقولك: لي مثله عبدا تقديره وهل رأيت مثلي من الرجال الذين إذا غشوا كفوا، والآخر أن يكون أراد هل رأيت رجلامثلي، فلما قدم مثلي وهو نكرة نصب على الحال. واللام في قوله: له معلقة بنفس رأيت كقولك: رأيت لبني فلان نعما. ومناخ نازلة: يعني الأضياف. والجمى والمطا: عرق في الظهر. وقوله: واستعجلت هزم القدور فملت، وروى غير أبي علي نصب القدور، والمعنى أنها للجوع لم تنتظر الطبيخ فملت اللحم على النار. واللتيا والتي: كناية عن الداهية. والتزم هذا الشاعر اللام قبل التاء من هذه الأبيات وليست بواجبة لأن الروي إنما هو التاء، وقد يلتزم المدل مالا يجب عليه ثقة بنفسه وشجاعة في لفظه، وذلك موجود كثير.

وأنشد أبو علي " ١ - ٨٣،٨٢ " للأعشى:

غير ميل ولا عواوير في الهيجا

ع قبله:

جندك التالد العتيق من السادات ... أهل القباب والآكال

غير ميل ولا عواوير في الهيجا ... ولا عزل ولا أكفال

ودروع من نسج داود في الحي ... وسوقا يحملن فوق الجبال

يمدح بهذا الشعر الأسود بن المنذر. وذكر أبو علي الأكشف والأميل ولم يذكر الذي لا رمح له وهو الأجم، ولا الذي لا قوس معه وهو الأنكب، ويروى في الهيجا وسوقا، والوسوق: الأحمال واحدها وسق.

وأنشد أبو علي " ١ - ٨٣،٨٣ " شعرا منه:

إذا قيل أين المشتفي بدمائهم ... وأين الروابي والفروع المعاقل

المشتفي بدمائهم فيه معنيان أحدهما: أنه من أصاب منهم واحدا **بثأره** فهو له شفاء ولقتيله بواء، والدم الكريم هو **الثأر** المنيم كما قال الشاعر أنشده الأشناندانى:

لا يشربون دماءهم بأكفهم ... إن الدماء الشافيات تكال

يقول إذا قتل منهم قتيل لم يأخذوا ديته إبلا فيشربوا ألبانها. وقوله:

إن الدماء الشافيات تكال." (١)

---

(١) سمط اللآلي، ص/٧٦

"ع هذا البيت لكبشة أخت عمرو بن معدي كرب تقوله لأخيها عمرو. والأغثم هنا الذي غلب بياض شيبه على سواد شعره، ويروى غير أغتم بالتاء معجمة باثنتين من الغتمة وهي الجهالة. وأصل التحنف: الميل والعدول، وإنما سمي المسلم حنيفا لعدوله من دين إلى دين، وسميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. والحنف في القدمين أن تميل كل واحدة منهما بإبهامها على صاحبتها. ولما خرج عتبة بن ربيعة لينصر عير قريش كنت تخرج خوالف قريش في الليل إلى أبي قبيس، فسمعوا في الليلة التي أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحتها بأهل بدر صائحا يقول:

أزار الحنيفيون بدرا وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالا من قريش وجردت ... خرائد يلطمن الترائب حسرا

أيا ويل من أمسي عدو محمد ... لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقالوا ما الحنيفيون؟ فقال بعضهم: إن محمدا يقول جئت بالدين الحنيف دين إبراهيم عليه السلام، فأرخوا تلك الليلة فإذا هي الليلة التي ذكرنا. وكانت كبشة قد أنكرت على عمرو أخذ دية أخيهما عبد الله ولها في ذلك أشعار منها قولها:

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تتركوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

وقد أنشده أبو علي كاملا بعد هذا " ٣ - ١٩٠،١٩٤ " .

هنا تم الثلث الأول من تجزئة مؤلفه والله يعين على التمام وأنشد أبو علي " ١ - ٩٧،٩٨ " :

خليلي إن الدار غفر لذي الهوى

نسب يعقوب هذا البيت إلى الهذلي ولا أعلمه في أشعار هذيل، وقد جمعت منها كل رواية إلا أن يكون في شعر أبي خراش الذي أوله:

أرقت لحزن ضافني بعد هجعة ... على خالد فالعين دائمة السجم

وقال الأصمعي بل قالها خراش قال وهي في رواية بعضهم سبعة أبيات، وبعضهم يجعلها قصيدتين. فلعل هذا البيت الشاهد في القصيدة الساقطة. وهذه القصيدة التي ذكرت أولها ليست فيما رواه أبو علي هي رواية السكري. وقد روى أبو علي لأبي خراش قصيدة أخرى على هذا الروي والعروض أولها:

لقد علمت أم الأديبر أنني ... أقول لها هذي ولا تذخري لحمى

وأنشد أبو علي " ١ - ٩٨،٩٨ " :

فهي الأليلة إن قتلت خؤولتي ... وهي الأليلة إن هم لم يقتلوا

وهو لحجل بن نضلة وقبله:

تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة ... زغف ترد السيف وهو مفلل

ومقارب الكعبين أسمر عاتر ... فيه سنان كالقدامى منجل

ومهند في متنه حرجية ... عضب إذا مس الضريبة مقصل

حرجية: **آثار** دقاق جدا.

ع هذا الشاعر لا يجد كفؤا **يثأر** به إلا خؤولته يقول فإن لم أدرك **بثأري** فثكل، وإن **أثأرت** فثكل على ثكل.

والأليلة أيضا في غير هذا صرخة النفساء عند الطلق. ومثل هذا البيت في المعنى قول قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

ومثل قول الحرث بن وعلة وكانت بنو شيبان قتلت أخاه:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وأنشد أبو علي " ١ - ٩٨،٩٨ " لابن ميادة:

وقولا لها ما تأمرين بعاشق

ع ابن ميادة هو الرماح بن أبرد بن ثريان بن سراقة من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأمه ميادة غلبت عليه. وشعراء غطفان في الإسلام المنسوبون إلى أمهاتهم ثلاثة هذا أحدهم وشبيب بن البرصاء وأبوه يزيد وأرطاة بن سهية وأبوه زفر. ويكنى ابن ميادة أبا حرملة وهو شاعر إسلامي قال:

خليلي سيرا واذكرا الله ترشدا ... وسيرا ببطن النسع حيث يسيل

وقولا لها ما تأمرين لوامق ... له بعد نومات العيون أليل

تبدلت والإبدال واف وناقص ... ومالك عندي قد علمت بديل

قال أبو علي " ١ - ٩٨،٩٨ " : سمعت خرير الماء وأليله وقسيبه أي صوت جريه.." (١)

"فأتى باللغتين. وتأتي قط أيضا بمعنى حسب وكفى تقول قط عبد الله درهم، وقط درهم، وقطني درهم.

قال الراجز:

إمتلأ الحوض وقال قطني ... مهلا رويدا قد ملأت بطني

وقال الخليل قال أهل البصرة: الصواب فيه الخفض على معنى حسب عبد الله قط عبد الله درهم، وهي هاهنا مخففة، فأما في الزمان والعدد فلا تكون إلا مشددة.

قال أبو علي " ١ - ٢٠٢،١٩٩ " قيل لابنة الخس: ما أحد شئ. قالت: ضرس جائع يقذف في معي جائع.

ع ولم يروه أحد كما قال أبو علي، إنما هو ضرس جائع يقذف في معي نائع. هكذا رواه ابن الأعرابي ورواه اللحياني: ضرس قاطع يقذف في معي جائع. والضرس يذكر ويؤنث. والذي رواه أبو علي مردود بوجوه منها أن الجوع لا ينسب إلى الضرس وإن سومح في هذا على المجاز، فقد يكون جائعا ولا يكون قاطعا. وأيضا فإن صفة المعي بالجوع تغني عن صفة الضرس بالجوع، إذ لا يجوز أن يكون أحدهما شبعان والآخر غرثان. ومع هذا فإن تكرير اللفظ لمعنى واحد من العي الذي سمعت به ولا سيما في سجع المسجوع وكانت هند أفصح من ذلك. وهي هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادية يقال الخس والخص بالسين والصاد والخسف بالفاء، والعرب تسمي النجوم التي لا تغرب محوبنات نعش والفرقدين والجدي والقطب الخسان وزنه فعلان.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٠٢،١٩٩ " :

وخمار غانية شددت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها

ع قد تقدمت أمثلته في هذا الكتاب وذكر هناك معها. فإن قلت لم خص الشمال دون اليمين؟ قيل: لأن اليمين هي التي يستعان بها في العدو وتخلى للدفع والذب وهي في ذلك كله أقوى من الشمال، فشمرة الساعي الناجي وحملة لشيء إن حمل إنما يكون بشماله. وهذا البيت لباعث بن صريم اليشكري يقوله في يوم الحاجر وصلته:

سائل أسيد هل ثأرث بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها

---

(١) سمط اللآلي، ص/٨٦

إذ أرسلوني مائحا لدلائهم ... فملأتها علقا إلى أسبالها

فلمثل ما منتك نفسك خاليا ... منعتك يشكر أهلها وفضالها

وخمار غانية شددت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها

وعقيلة يسعى عليها قيم ... متغطرس أبديت عن خلخالها

قد قدت أول عنفوان رعيلها ... فلففتها بكتيبة أمثالها

وكتيب سفع الوجوه بواسل ... كالأسد حين تذب عن أشبالها

متغطرس: متكبر. وقوله أبديت عن خلخالها: أي أغرت على حيها فأحوجتها إلى رفع ذيلها والتشمير للهرب والفرار. وهذا كما قال الآخر:

لعمري لنعم الحي حي بني كعب ... إذا نزل الخلخال منزلة القلب

أي إذا شمرن للسعي فبدت خلاخيلهن كما تبدو أسورتهن. وقيل إنه أراد أنها تخففت للنجاء فوضعت خلخالها في يدها، وقيل إنه أشار إلى الدهش والحيرة فرقا فلم تتجه للبس خلخالها ولا علمت موضعه من موضع سوارها.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٩٩،٢٠٢ " :

ومرقصة رددت الخيل عنها ... وقد همت بإلقاء الزمام

ع هو لعنترة وبعد:

فقلت لها ارفعي منه وسيري ... وقد قرن الجزائز بالخدام

وهذا من أبيات المعاني ويروى الجزاجز بالجيم مكان الياء بالحزام بالحاء والزاي. فمن روى الجزائز أراد العهون التي تعلق على مراكب النساء الواحدة جزازة وجزيزة. والخدام سيور تشد في رسغ البعير. ومن روى الجزاجز فإنه يعني المذاكير أي قد صار الحزام بثيل البعير لشدة سيرها. وقيل إن الجزاجز والجزائز واحد، وهي خصل من صوف تعلق بالهودج يزين بها.

وذكر أبو علي " ١ - ١٩٩،٢٠٣ "

قول المأمون في خبر إبراهيم بن المهدي

لقد حببت إلي العفو حتى خفت أن لا أؤجر عليه.

ع ليس الحرص على الحسنات والهوى في إيثار الصالحات بناقص أجرا، بل ذلك بالزيادة فيه أحرى، لطيب

النفس به ومساعدة الباطن للظاهر عليه. قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما شئ ألذ عندي من هوى وافق حقا. وفي الحديث المأثور: اللذة في غير محرم عبادة. والمثل السائر " إذا وافق الهوى الحق أرضيت الخالق والخلق " وقالوا أيضا إذا وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك. وأول شعر إبراهيم:." (١)

"وأنشد أبو علي " ١ - ٢٤٣،٢٣٨ " لبكر بن النطاح يمدح خربان بن عيسى:

لم ينقطع أحد إليك بوده ... إلا اتقته نوائب الحدثان

قد مضى ذكر ابن النطاح. فأما خربان الممدوح وأنشد أبو علي " ١ - ٢٤٣،٢٣٩ " لأبي الأسد:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر

ع وزاد أبو الفرج في آخره:

كأن وفود الفيض لما تحملوا ... إلى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الشيباني، من أهل الدينور من شعراء الدولة الهاشمية. والفيض الذي ذكره هو الفيض ابن أبي صالح وزير المهدي، انقطع أبو الأسد إليه بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله أيام الرشيد.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٤٤،٢٣٩ " للعرندس الكلابي يمدح بني عمرو الغنويين. قال وكان الأصمعي يقول هذا المحال كلابي يمدح غنويا:

هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار

ع ذكر أبو تمام أن الذي كان يقول هذا المحال هو أبو عبيدة. وروى محمد بن يزيد هذا الشعر لعبيد بن العرندس لا لأبيه يمدح قوما نزل بهم ولم يذكر ممن هم. وإنما أنكر أبو عبيدة أن يكون كلابي يمدح غنويا، لأن فزارة كانت قد أوقت ببني أبي بكر ابن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم، ففي ذلك يقول طفيل الغنوي:

وحي أبي بكر تداركن بعد ما ... أذاعت بسرب الحي عنقاء مغرب

تداركن: يعني خيلهم. وأذاعت فرقت. فلما قتلت طئ قيس الندامي الغنوي وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي استغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب، فقعدوا عنهم ولم يحلبوهم فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متغاورين. ولما أدرك طفيل ثأر قيس الندامي في طئ قال من جملة كلمته:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ... من الغيظ في أكبادنا والتحوب

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٣٧

التحوب: التوجع. وبات فلان بحيبة سوء.
وأنشد أبو علي " ١ - ٢٤٠،٢٤٤ " للنمر:
لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة ... إلهابها كضرام النار في الشيح
ع وهذا أول الشعر، وقد مر أبو علي على آخره، وترتيب إنشاده بعد البيت:
جالت لتسنحني يسرا فقلت لها ... على يمينك! إني غير مسنوح
ثم استمرت تريد الريح مصعدة ... نحو الجنوب فعزتها على الريح
يا ويل صهبي قبيل الريح مهذبة ... بين النجاد وبين الجزع ذي الصوح
والشاهد لاستقبال الطريدة الريح قول مضرس الأسدي:
وما استنكرت من وحش بقفر ... رأين الإنس فاستقبلن ريحا
والإهذاب: أشد العدو، وكذلك الإلهاب. والنجاد: ما ارتفع من الأرض في غلظ. والصوح: صفح الجبل، وكذا سنده وعرضه.
وذكر أبو علي " ١ - ٢٤١،٢٤٦ " خبر الزيادي عن المطلب بن المطلب ابن أبي وداعة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر على باب بني شيبة فمر رجل وهو ينشد:
يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد الدار
ع الزيادي هو محمد بن يزيد بن زياد الكلبي. ولا يعلم للمطلب ابن أبي وداعة ابن يسمى المطلب، وإنما يروى عنه كثير ابنه وابن ابنه كثير بن كثير بن المطلب عن أبيه عن جده، وأراد أبو علي كثير بن كثير بن المطلب ابن أبي وداعة، فقال المطلب بن المطلب ابن أبي وداعة، وإنما هو المطلب ابن أبي وداعة والله أعلم. واسم أبي وداعة الحارث بن ضبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص، وأسر أبو وداعة يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن له بمكة ابنا كيسا، فافتدى المطلب أباه بأربعة آلاف درهم. وهو أول من افتدى من أسرى بدر، وأسلم هو وابنه يوم الفتح. وروى غير واحد عن كثير بن كثير بن المطلب عن أبيه عن جده المطلب قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حذو الركن الأسود والرجال والنساء يمرون بين يديه ما بينه وبينهم سترة. وفي الشعر:
الخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتى يعود فقيرهم كالكافي

هذا هو المدح الصحيح والمذهب المستحسن كما قالت خرنق بنت هفان من بني قيس بن ثعلبة:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر." (١)

"ع يرثي العجير بهذا الشعر رجلا من قومه يقال له سليمان بن خالد بن كعب، هلك بمر الظهران وهو صادر إلى المدينة. وبيتان من هذا الشعر قد اختلف في قائلهما أشد اختلاف. وهما قوله:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهن لباته وبآدله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

فقال السكري: إنهما لثور بن الطثرية يرثي أخاه يزيد، وأنشدهما في أبيات أولها:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وأنشد أبو تمام هذه الأبيات لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها، وقيل إنها لأم يزيد ترثي ابنها، وقيل إن البيتين للأبيرد اليربوعي. وقوله:

فتى ليس لابن العم كالذئب

قد مضت أمثلته والقول في معناه ٥٩. وقوله:

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما

يريد إن ظلمت أدرك بثأرك ونصرك، وإن ظلمت أذم لك وخفرك وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٥،٢٧٩ " للحسين بن مطير:

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ع يرثي معن بن زائدة. ومن مختاره قوله يخاطب ابنه ولم ينشده أبو علي:

تعز أبا العباس عنه! ولا يكن ... عزاؤك من معن بأن تتضعضعا

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا

وفيما أنشده:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

يريد أن عطاءه كان جزيلا وافرا وسابغا فاضلا، فلما مات بقي في أيدي الناس منه ما عاشوا به، ويحتمل أن

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٥٨

يريد أنه أوصى للناس بالمال، وشبه عيشهم في معروفه بعد موته بمجرى السيل بعد انقضائه يكون مرعى ومتبقلا، ومثله:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما رعيت بعد الربيع مسائله

يهمز ولا يهمز.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " للبيد:

يحيلون السجال على السجال

ع وقبله:

كأن دموعه غربا سناة ... يحيلون السجال على السجال

إذا أرووا بها زرعا وقضبا ... أمالوها على خور طوال

القضب: الفصفصة، يقول: إذا أرووا بها زرعا وقضبا أمالوها على النخل. والخور: الغزار الكثيرة الحمل كالناقة الخوارة، وهي الصفي الغزيرة اللبن.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " لمسلم بن الوليد:

قبر بحلوان استسر ضريحه ... خطرا تقاصر دونه الأخطار

يرثي به يزيد بن مزيد الشيباني. وتمام الشعر:

أبقى الزمان على معد بعده ... حزنا كعمر الدهر ليس يغار

قال أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " : أنشدنا ابن در ستويه قال أنشدني عبد الله بن جوان صاحب الزيادي:

ع كان ثابت بن محمد الجرجاني يقول: جوان اسم فارسي ومعناه: صغير السن أي فتى، وكان من أعلم الناس بالفارسية.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨١،٢٧٧ " لرجل من بني شيبان:

وما أنا من ريب الزمان بجبإ ... ولا أنا من سيب الإله بيائس

ع وقبله:

أبكي على الدعاء في كل شتوة ... ولهفي على بشر سمام الفوارس

والشعر لمفروق بن عمرو الشيباني، وكان قيس والدعاء وبشر إخوته، هلكوا في غزوة بارق بشط الفرات في طاعون شيرويه، فبكاهم مفروق. وقوله: في كل شتوة يريد أن الدعاء كان جوادا مطعاما في الشتاء عند انقطاع

الألبان وقلة الزاد.

وقوله:

وما أنا من ريب المنون بجبإ

يعني أن ما أصابه من المصائب قد هون عليه أمر النون، وهو مع ذلك غير يائس من فضل الله عز وجل.

وأنشد أبو علي لحميد بن ثور:

ليست إذا سمنت بجايئة ... عنها العيون كريهة المس

ع وغيره يرويه إذا رمقت وهو أحسن لأن العين إنما تجبأ عن المرأة العجفاء لا عن السمينة، وكذلك كراهية المس. وقد وصف حميد من ضخم صاحبته التي ينسب بها ما لم يصفه شاعر ولا ذكره ذاكر فقال: وبعده:

وكأنما كسيت قلائدها ... وحشية نظرت إلى الإنس

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨١،٢٧٨ " لبعض البصريين:

كم من فتى تحمد أخلاقه ... ويسكن العافون في ذمته." (١)

"الصعب: العظيم. والصاقب: جبل في بلاد بني عامر كان يصير رملا مثل النبي وهو: رمل بعينه. والكاثب: مكان هذا الرمل المذكور. ورتما: خبر أصبح. ودقاق: خبر ثان، ويقال النبي: ما نبا من الحصى. والكاثب: الجامع لما ندر منه، ولم يرد أنه يقوم فوقه، وإنما معناه معنى قولك: هو يقوم بأمر فلان أي: هو وليه فلو تحامل على هذا الجبل لأصبح رتما متكسرا.

وأنشد أبو علي:

جلذية كأتان الضحل صلبها.

ع البيت لأوس بن حجر. قبله:

وقد أراني أمام الحي تحملني ... جلذية وصلت دأيا بألواح

عيرانة كأتان الضحل صلبها ... أكل السوادي رضوه بمرضاح

هكذا رواه أبو حاتم عن الأصمعي. والجلذاءة: الأرض الصلبة ولذلك قيل للناقة جلذية. وصلت دأيا بألواح: أي لمت دأياتها وألواحها، كما تقول وصلت جاهلية بإسلام. وقوله أكل السوادي: يريد علف السواد، ورواية أبي علي: جرم السوادي يحتمل أن يريد ما جرم من النخل، يعني النوى، وقيل الجرم النوى بعينه. والسوادي:

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٧٨

نخل سواد العراق.

وأنشد أبو علي:

إن لنا هواسة عربضا

ع الشطر لرؤبة، وبعده: نردى به ومنطحا مهضا

لوصك بعد رضه مارضا ... ثهلان أو دمخ الحمى لانفضا

أو ركن سلمى أو أجالا نقضا ... نذل بالوطء المقام الدحضا

الهواس: الذي يهوس كل شيء يطحنه. والعربض: الضخم. وقوله: نردى به يريد نصك به المردى الحجر الضخم يضرب به. ومهض: يكسر به، والهض الكسر، وثهلان ودمخ: جبلان. وأجأ أصله الهمز وسلمى وأجأ: جبلا طيىء. والدحض: لا يثبت فيه شيء. يقول إذا نحن وطئناه وثبتنا فيه ذللناه.

قال أبو علي من أمثالهم: لا يعدم عائس وصلات ع العائس: الطالب، يقال: عاس يعوس عوسا إذا طلب.

قال أبو علي ومن أمثالهم: ما أنت إلا كابنة الجبل مهما يقل تقل ع يريدون الصدى الذي يجيبك بمثل ما تتكلم به، ويضرب إجابة الصدى أيضا مثلا للسرعة، قال سدوس بن ضباب أنشده أبو زيد

إني إلى كل أيسار ون،دبة ... أدعو حبيشا كما تدعى ابنة الجبل

إن تدعه موهنا يعجل بجابته ... عاري الأشاجع يسعى غير مشتمل

قوله نادبة: أي إذا ندبت امرأة ميتها دعوت لها هذا الرجل، فيجيبني للأخذ **بالثأر** كما يجيب الصدى الصوت سرعة.

وأنشد أبو علي للشماخ:

كلا يومي طوالة وصل أروى ... ظنون آن مطرح الظنون!

ع بين هذا البيت والبيت الذي أنشد بعده بيتان وهما:

وماء قد وردت لوصل أروى ... عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

وما أروى قوله عليه الطير: أراد ريش الطير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وقوله ذعرت به القطا: أخبر أنه ورد مبتكرا. وقوله مقام الذئب كالرجل اللعين: اللعين نعت للرجل، وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له تمثال من طين ونصب وقيل: ألا إن فلانا غدر فالعنوه، كما قال عبد الله بن جعدة:

فلنقتلن بخالد سرواتكم ... ولنجعلن لظالم تمث ا لا
يعني خالد بن جعفر، وقتل الحارث بن ظالم له.
وأنشد أبو علي:
إذا غرد المكاء في غير روضة ... فويل لأهل الشاء والحمرات
ع يقول إذا أجدب الزمان، ولم يكن روضة يغرد فيها المكاء، فغرد في غير روضة، فويل لأهل الشاء والحمرات، لأنهم لا يستطيعون الإبعاد في طلب النجعة ومواقع الغيث، كما يستطيع أهل الإبل. وتغريد المكاء عندهم دليل على الخصب، قال الشاعر:
كأن مكاكي الجواء غدية ... نشاوى تساقوا بالرحيق المسلسل
وأنشد أبو علي لبشر:
فإنكم ومدحكم بجيرا
ع قد مضى ذكر بشر. وقبل ما أنشده له:
فيا عجبا عجبت لآل لأم ... فليس لهم إذا عقدوا وفاء
سأقذف نحوهم بمشنعات ... لها من بعد هلكهم بقاء
فإنكم ومدحكم بجيرا
بجير: هو ابن أوس بن حارثة بن لأم. والألاء: شجر الدفلي. والإباء: أن يؤبي فلا يؤكل.
أنشد أبو علي:
قفي يا أميم القلب! نشك الذي بنا ... وفرط الهوى ثم افعلي ما بدا لك
ع هو لابن الدمينة وقد تقدمت منه أبيات. وروى الرياشي هذا البيت:." (١)
"ثمانين عاما لا أرى منك راحة ... لهنك في الدنيا لباقية العمر
فإن أنفلت من عمر صعبة سالما ... تكن من نساء الناس لي بيضة العقر
وقال: هما لعروة الرحال ع عروة هذا هو: عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب، سمى رحالا لأنه كان وفادا على الملوك وذا قدر عندهم، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها في كل عام إلى عكاظ، فقتله البراض بن قيس الكناني وأستاق العير فقيل: أفتك من البراض، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٩٢

وقيس. وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

والفتى من تعرقته الليالي ... والفيافي كالحية النضناض

كل يوم له بصرف الليالي ... فتكة مثل فتكة البراض

وقبل البيتين اللذين أنشدهما:

دمشق خذيها وأعلمي أن ليلة ... تمر بعودي نعشها ليلة القدر

شربت دما إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

أما لك؟ عمر إنما أنت حية ... إذا هي لم تقتل تعش آخر الدهر

قال الحسين بن علي النمري في قوله: شربت دما ثلاثة أقوال: أحدهما أن الدم حرام في الإسلام فكأنه قال: أتيت حراما. والثاني أن العرب كان الرجل منهم إذا أرمل ولم يجد زادا فصد بعيره فأرسل من دمه بقدر الحاجة، ثم أدناه من النار فأكله، ومن أمثالهم لم يحرم من فصد له. والوجه الثالث أن يزيد بقوله: شربت دما: عجزت عن إدراك الثأر وأخذت الدية إبلا فشربت ألبانها، فكأنه قد شرب دما، كما قال الآخر:

وإن الذي أصبحتم تشربونه ... دم غير أن اللون ليس بأحمرا

وذكر أبو علي تلاحى عمرو بن سعيد والوليد بن عقبة في مجلس معاوية.

ع قول عمرو: قد علمت قريش أني ساكن الليل داهية النهار، لا أتتبع الأفياء، ولا أنتمي إلى غير أبي. فقوله إني ساكن الليل: عرض به أنه يمشى في الليل لطلب الريبة. وقوله: لا أتتبع الأفياء: عرض به أنه مترف لين ليس بشديد ولا جلد، والجلد يصف نفسه بالضحاء والبروز وقلة الأستظلال، قال ابن أبي ربيعة:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قليلا على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفي عنه الرداء المحبر

وقال شاعر المحدثين المتنبيء:

أعرض للرماح الصم نحرى ... وأنصب حر وجهي للهجير

وقوله: ولا أنتمي إلى غير أبي: يريد أن أبا عمرو ابن أمية بن عبد شمس وهو والد أبي معيط كان عبدا لأمية ذكوان، هكذا قال الهيثم بن عدي، وذكر أن ذغفلا دخل على معاوية فقال له: من رأيت من علية قريش؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس. قال: صفهما لي، قال. كان عبد المطلب أبيض، مديد القامة، حسن الوجه، في جبهته نور النبوة، وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم اسد غاب. قال:

صف لي أمية، قال: رأيت شيخا قصيرا، نحيف الجسم، ضريرا، يقوده عبده ذكوان. فقال: مه! ذاك ابنه أبو عمرو، قال: ذاك شيء أحدثتموه. وذكر الكلبي أن أمية خرج إلى الشأم فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمة يهودية لـلخم من أهل صفورية يقال لها تربي، وكان لها زوج يهودي من أهل صفورية، فولدت ذكوان فادعاه أمية وأستلحقه وكناه أبا عمرو، ثم قدم به مكة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة يوم أمر بقتله: إنما أنت يهودي من أهل صفورية، وقال عقبة في ذلك اليوم أأقتل من بين قريش صبرا، فقال له عمر بن الخطاب حن قدح ليس منها. وقول عمرو: ولا تستعف من المحارم يعرض له بما تقدم ذكره وبشربه الخمر بالكوفة وهو أميرها، وصلاته بالناس الصبح سكران أربعا، فلما سلم قال: أأزيدكم اثنتين؟ وشهد عليه عند عثمان بذلك فحده، وقال الحطيئة في ذلك:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهمأأزيدكم ثملا وما يدري

فأبوا أبا وهب ولو فعلوا ... وصلت صلاتهم إلى العشر

حبسوا عنانك إذ جريت ولو ... خلعوا عنانك لم تزل تجري

وأنشد أبو علي:

ظعائن أبرقن الخريف وشمنه ... وخفن الهمام أن تقاد قنابله

ع قبلهما:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحمل أمثال النعاج عقائله." (١)

"ع هذا الأبيات يرثى بها علقمة بن هوذة بن علي، وبعد البيت:

إن الرزية لا أبالك هالك ... بين الدماخ وبين داره خنزر

تلك الرزية لا رزية مثلها ... فأقنى حياءك لا أبالك وأصبري

وفي هذا المعنى المذكور يقول الآخر:

إذا اجتمع الناس يوم الفخار ... أطلت إلى الأرض ميل العصا

وأنشد أبو علي:

ألآن لما أبيض مسربتي ... وعضضت من نابي على جذم

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٩٥

ع هو للحارث بن وعلة الذهلي، وقد تقدم ذكره، وبعده:

ترجو الأعادي أن أسالمها ... جهلا توهم صاحب الحلم

وأنشد أبو علي لطريح الثقفي في خبر ذكره:

تخل بحاجتي وأشدد قواها ... فقد أمست بمنزلة الضياع

ع هو طريح بن إسمعيل بن عبيد، يكنى أبا الصلت بابن له وإتاه يعنى بقوله:

يا صلت إن أباك رهن منية ... مكتوبة لابد أن يلقاها

وهو شاعر مجيد من شعراء الدولتين، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وجد طريح لأمه سباع بن عبد العزى الخزاعي الذي قتله حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يوم أحد، ولما برز سباع قال له حمزة: هلم إلى يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه خاتنة تقبل نساء قريش، فحمى وحشي لقوله وغضب لسباع، فرمى حمزة بحربة فقتله رضي الله عنه. وقال السيرافي في كتاب الإقناع: إذا أمرت من الفعل الذي فاؤه همزة قلبت الهمزة حرفا من جنس الحركة التي قبلها، وقد شذ من ذلك ثلاثة أفعال: كل ومر وخذ، فأما مر فقد جاء على أصله. قال الله سبحانه: " وآمر أهلك بالصلوة " وروى بعض النحويين أؤخذ في خذ، وأنشد:

تخل بحاجتي وآأخذ قواها ... فقد أضحت بمنزلة الضياع

وأنشد أبو علي قول الشاعر:

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

وقال هذا رجل وعده أحد قلوصا فأخلفه ع ذكر عمرو عن أبيه أن هذا الشعر لرجل من مزينة، ومثل قوله:

أقول التي تنبي الشمات وإنها ... على وإشمات العدو سواء

قول محرز بن المكعبر الضبي:

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المخبرون أساؤا

وإني لأرجوكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

وأنشد أبو علي للطرماح شعرا، منه:

فتى لو يصاغ الموت صيغ كمثله ... إذا الخيل جالت في مساجلها قدما

ع هذا من قول عنترة:

إن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

وأنشد أبو علي لربيعة الأسدي يرثي ابنه ذؤابا: أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ع هذا الشعر الذي رثى به ابنه ذؤابا كان السبب في قتل ابنه، وذلك أن بني أسد أغارت على بني يربوع فذهبت بإبلهم، فأتى الصريخ الحي فلم يتلاحقوا إلا مسيا بموضع يقال له خو، وكان ذؤاب على فرس أنثى، وكان عتيبة بن الحارث على فرس حصان، فجعل الحصان يستنشيء ريح الأنثى في سواد الليل فيتبعها، فلم يعلم عتيبة إلا وقد أقحم فرسه في ذؤاب، وعتيبة غافل قد لبس درعه وفغل عن جربانه أن يشده، ورآه ذؤاب فأقبل بالرمح إلى ثغره نحره فقتله، ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو ‍ﻻ يعلم أنه قاتل أبيه، فاقتتل القوم ثم تفرقوا، فوفد ربيعة - أبو ذؤاب وهو ربيعة بن ذؤاب لأن أبا ربيعة يسمى ذؤابا أيضا كذلك قال أبو عبيدة - على ربيع بن عتيبة ففادى ابنه ذؤابا بإبل معلومة، وربيع لا يعلم أن ذؤابا قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب، فلما دخلت الأشهر الحرم التي كانوا يردون فيها عكاظ، وافى ربيعة بالإبل، وشغل ربيع بن عتيبة فلم يواف بالأسير. فظن ربيعة أنه قد قتله بأبيه عتيبة فرثاه بهذا الشعر، فبلغ الشعر بني يربوع، فأتى سائر ولد عتيبة إلى ربيع، فقالوا له يا ربيع ثأرنا في يديك وهو قاتل أبيك، قال: إني رجل معيل وأنا أحب اللبن وقد فاديته، فإن أعطيتموني ذات البرانس دفعته إليكم، وهي قطعة من إبل كانت لعتيبة كأنها الهضاب، مجللة فراء يعدها للسنين، ففعلوا فقتلوا ذؤابا وهذا كله في الجاهلية. والآمدى يقول هو ربيعة على لفظ التصغير. وروى أبو تمام: أذؤاب إني لم أهنك من الهوان وروايته:

بأشدهم كلبا على أعدائهم ... وأعزهم فقدا على الأصحاب

وأنشد أبو علي لسلمة بن يزيد، يرثى أخاه لأمه قيس بن سلمة:." (١)

"ع الأبناء: هم قوم من الفرس دخلوا في العرب، وقيل هم من بني سعد، والنسب إليهم أبناوى، وقال محمد بن القاسم: الأبناء قوم آباؤهم من الفرس وأمهاتهم من عرب اليمن، وسموا الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم، كما قيل ذرية لقوم كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل، ألزموا هذا الأسم لخلاف الأمهات جنس الآباء، قال الله تعالى: " فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه " . والبيت لسهم بن حنظلة الغنوى، وقبله أو بعده:

لا يمنع الناس مني ما أردت وما ... أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا!

وأنشد أبو علي للأعشى:

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٠٤

تقمرها شيخ عشاء فأصبحت ... قضاعية تأتي الكواهن ناشصا

وصلته:

لعمري لمن أمس من الحي شاخصا ... لقد نال خيصا من عفيرة خائصا

تقمرها شيخ:

فأقصدها سهمى وقد كان قبلها ... لأمثالها من نسوة الحي قانصا

خيصا: يريد قليلا، وخيص خائص: كما يقال موت مائت. وقيل معنى تقمرها: نظر إليها في القمر كما يقال تنورها، قال أحمد بن يحيي وقيل معنى تقمرها: أن ضربا من الطير يصاد في القمر يريد صادها. وشيخ: يعني نفسه، أي مدرب مجرب لا يربد من الكبر، فأصبحت تأتي كواهن قضاعة، وقيل تأتي عدي؟ سلمة العدوي هل يرى لها نيل وصلة فقد أصبحت ناشصا على زوجها، ويقوى هذا المعنى قوله بعد هذا: فأقصدها سهمى وأنشد أبو علي لأبي ذؤيب:

قصر الصبوح لها فشرج لحمها ... بالنى فهي تثوخ فيها الإصبع

ع وقبله:

تعدو به خوصاء يفصم جريها ... حلق الرحالة فهي رخو تمزع

رخو: أي سهلة العدو. تمزع وتمصع وتهزع: أي تمر مرا سريعا، وقال أبو عبيدة المزع: أول العدو. وقوله فشرج لحمها: أي صار لحمها وشحمها شريجين، ويروى: فسرح لحمها. وهذا ردى: هذه لو عدجت ماتت في ساعة واحدة، قال الأصمعي: هذه كانت سمنت للأضحى، وإنما هذيل أصحاب إبل، فلم يصب في صفة الفرس، والمحمود قول امرىء القيس:

بعجلزة قد أترز العدو لحمها ... كميت كأنها هراوة منوال

وأنشد أبو علي: والبكرات اللقح الفواثجا ع هو لهميان بن قحافة، قال:

أنعت قرما في الهدير عاججا ... يظل يدعو نيبها الضماعجا

والبكرات القح الفواثجا ... بصفنة تزفي هديرا نابجا

ترى اللغاديد بها حوابجا قوله عاججا: أراد عاجا فضاعف. والصفنة: مثل العيبة شبه بها شقشقته، يقال: صفن، وإذا ألحقت الهاء فتحت الصاد. وتزفى: كما تزفى الريح شيأ تسحفه، ويقال لأحد العدلين إذا استرخى: قد أسبح. يقول: فهديره منصب مسترخ واللغاديد: باطن أصول الأذنين. وحوابج: منتفخة. يريد أن نصف

الشقشقة خارج من حلقه ونصفها باق فيها.

وذكر أبو علي قول المنصور لجرير بن عبد الله القسري: إني لأعدك لأمر كبير، فقال له: قد أعد الله لك مني قلبا معقودا بنصيحتك.

هذا وهم بين وغلط فاحش، من جهتين: إحداهما أنه خالد بن عبد الله القسري، لأن جرير بن عبد الله هو البجلي أحد الصحابة، ولم يكن لخالد أخ يسمى جريرا، إنما كان له أخوان: أسد وإسمعيل ابنا عبد الله القسري، أدرك إسمعيل منهم أبا العباس السفاح، وكان يسب عنده بني أمية. والجهة الأخرى أن المنصور إنما قاله لمعن بن زائدة، كذلك قال المدائني وجميع الأخباريين. وخالد لم يدرك شيأ من الدولة الهاشمية، لأنه مات في سجن يوسف بن عمر وهو يعذبه، وفي عذابه مات بلال ابن أبي بردة. وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل خالد بن عبد الله على العراق سنة ست ومائة، ثم ولى يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة، فسجن خالدا وعذبه حتى مات في سجنه، وبقي يوسف واليا على العراق، إلى أن بويع يزيد بن الوليد سنة ست وعشرين ومائة، فاستعمل المنصور بن جمهور على العراق، فلما سمع ذلك يوسف هرب إلى الشأم، فظفر به هناك فسجن. فلما اضطرب أمر بني أمية بطش يزيد بن خالد بن عبد الله القسري بيوسف بن عمر، فقتله في السجن وأدرك بثأر أبيه. وكان عبد الله أبو خالد من عقال الناس، قال له عبد الملك يوما ما مالك؟ قال شيآن لا عيلة معهما الرضى عن الله والغنى عن الناس، فلما نهض قيل له: هلا خبرته بمقدار مالك، قال: لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني، أو كثيرا فيحسدني.." (١)

" ع يريد أنها لا كريم بها فيزار، وإن زرت بها فإنما تزور لئيما.

وأنشد أبو علي لعبد الله بن كعب شعرا، منه:

أمنيكما نفسي إذا كنت خاليا ... ونفعكما إلا العناء قليل

ع هذا كما تقول: ماله إلا السيف عتاب، أي إن الذي يقوم مقام عتابه السيف، وكذلك الذي يقوم مقام نفع هذين العناء ولا نفع لهما ألبتة.

وأنشد أبو علي قصيدة مهلهل، وقد مضى ذكره ونسبه، وفيها:

كأن بنات نعش في دجاها ... خرائد سافرات في خدور

كان سبيله أن يقول: جوار بيض مكان خرائد، ولكنه خرج مخرج قول الراجز وذكر إبلا دميت أخفافها:

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢١٤

كأن أيديهن بالموماة ... أيدي جوار بتن ناعما

إنما أراد أيدي جوار مخضبات. فلما كان الخضاب من التنعم قال: ناعمات، وهذا من الإشارة والوحى، كما قال:

وأوصى خالد قدما بنيه ... بأن التمر حلو في الشتاء

وقال عدي: إن تعنيتم في تلقيح النخل وإصلاحه وسقيه أكلتموه في الشتاء، وقال الآخر يعني امرأته:

قد ع‍لمت إن لم أجد معينا ... لأخلطن بالخلوق طينا.

وفيها:

كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

ع الرحيان إذا أدارهما مدير أثرت إحداهما في الأخرى، وهما من معدن واحد، وكذلك هؤلاء هم من أصل واحد يتماحقون ويقتتلون. وفيها:

فلولا الريح أسمع أهل حجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

قال أبو علي عن ابن كيسان عن الأحوال أول كذب سمع في الشعر هذا لأن حجرا قصبة اليمامة وحربهم إنما كان بالجزيرة.

ع اختلف في أكذب بيت قالته العرب، فقال بعضهم بيت مهلهل هذا، وقال آخرون بل بيت الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر

وقالت فرقة بل قول النمر بت تولب:

أبقي الحوادث والأيام من نمر ... أسباد سيف قديم أثره باد

تظل تحفر عنه إن ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهاجي.

وقال أبو علي في تفسير قوله:

فلا وأبي جليلة ما أفأنا ... من النعم المؤبل من بعير

جليلة أخت كليب وكانت ت‍حت جساس بن مرة قاتل كليب ع هذا غلط فاحش وإنما هي زوج كليب وأخت جساس، وهي القائلة لما قتل زوجها ورحلت فقالت أخت كليب: رحلة المعتدى وفراق الشامت، فبلغ ذلك جليلة فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها، ثم أنشأت تقول:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلى باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومى وأعجلي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

فعل جساس وإن كان أخي ... قاصم ظهري ومدن أجلي

يشتفى المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل

وأنشد أبو علي في تفسيرها لليلى الأخيلية:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... فتى ما! قتلتم آل عوف بن عامر

ع قد تقدم نسب ليلى، وصلة البيت:

وإن السليل أن أبي قتيلكم ... كمرحوضة من عركها غير طاهر

فإن تكن القتلى بواء فإنكم...

فإن لا يكن فيه بواء فإنكم ... ستلقون يوما ورده غير صادر

وهي أبيات من قصيدة ترثى بها تـوبة بن الحمير بن عوف بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قتلته بنو عوف بن عامر بن عقيل في الإسلام في خلافة مروان.

وأنشد أبو علي في تفسيرها أيضا للحارث بن عباد:

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

ع وبعده: لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صال قوله: عن حيال يقال حالت الناقة تحول حيالا؛ وذلك أن لا تحمل وهي ناقة حائل وجمعها حول.

وأنشد أبو علي في تفسيرها للراعي:

فسقوا صوادى يسمعون عشية ... للماء في أجوافهن صليلا

ع وقبله:

حتى وردن لتم خمس بائص ... جدا تعاوره الرياح وبيلا

جمعوا قوى مما تضم رحالهم ... شتى النجار يرى بهن وصولا

فسقوا صوادى. البائص: البعيد. يقول جمعوا قطع حبال مما في رحالهم شتى النجار أي مختلفة الألوان موصولات فيها عقال وعصام قربة وبطان رحل لبعد الماء.." (١)

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢١٨

"إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكم الله من شجرات
ع الشعر لحيسة البكائي، قال وحيف عليه في خرص نخله:
إذا كان هذا الخرص فيكن دائما ... فأنكد بما ملكت من نخلات!
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شجرات!
وروى:
وأخبث طلع طلعكن لأهله ... فأبعدكن الله من شجرات
وهذا حجة في أن النخل من الشجر، وبذلك فسر قوله تعالى: ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. وروى ابن أبي طاهر أن أعرابية سألت أبا جعفر المنصور، فمنعها، فقال:
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
ثم سألت محمدا المهدى، فمنعها، فقالت:
دنوك إن كان الدنو كما أربعلى وبعد الدار مستويان
وأنشد أبو علي:
وابى ترك الملوك وجمعهم ... يصهاب هامدة كأمس الدابر
ع صهاب: قرية البحرين. وهذا البيت منسوب إلى رجل من بنى مرة مرة، وأظنه أحد بنى حرملة.
وأنشد أبو علي:
فر ابن قهوس الشجا ... ع بكفه رمح متل
ع هذا الشعر لدختنوس بنت لقيط بن زرارة تهزأ بابن قهوس، وكان فر يوم جبلة. والقهوسة: مشية فيها سرعة، وهو النعمان بن قهوس التيمي من تيم الرباب، وكان حامل لواء قومه يوم جبلة، وفيه تقول دختنوس:
ولقد رأيت أباك وس ... ط القوم يربق أو يجل
متقلدا ربق الفرا ... ر كأنه في الجيد غل
يجل: يلقط البعر وهو الجلة. والفرار: صنف من الغنم صغار. والبيت الشاهد أول الشعر.
وأنشد أبو علي:
لعمر بن شهاب ما أقاموا ... صدور الخيل والأسل النياعا
ع هو لدريد بن الصمة، وبعده:

ولكني كررت بفضل قومي ... فجدت بنعمة ومررت باعا

وكانت بنو يربوع قتلت الصمة أباه غدرا، فغزاهم دريد بيني نصر ثم بنى رباب بن واثلة، فوجد بنى يربوع وبنى سعد جميعا، فقتل فيهمن وأدرك بثأره منهم.

وأنشد أبو علي:

ولن أعود بعدها كريا

ع وفسر قوله: المنفة الأميا: على ما يقتضيه معنى الأبيات، فقال هي العي القليل الكلام. وكان ينبغي ا، يستوعب تفسير هذه الكملة لما كانت من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته. والأمي: الذي لا يكتب فيه، منسوب إلى الأمة، لأن أكثرها لا يكتب، كما يقال عامى: لمن لم يتأدب، لأن أكثر الناس كذلك. وقيل إنه منسوب إلى الأم، لأن الأغلب في النساء أن لا يكتبن، فكان الإنسان في ذلك كأمه، وقيل منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

وأنشد أبو علي:

الحزم والقوة خير من ال ... إدهان والفكة والهاع

ع هو لأبي قيس ابن الأسلت، وبعده:

ليس قطا مثل قطى ولا ال ... مرعى في الأقوام كالراعي

لا نألم القتل وجزى به ال ... أعداء كيل الصاع بالصاع

الفهة: مثل السقطة والجهلة يقال منه جمل فه وفهية، وقد يكون ذلك من العي أيضا. وقوله: ليس قطا مثل قطى هذا مثل، والمعنى يقول: ليس فلان كفلان على التصغير لأحدهما.

وأنشد أبو علي:

إن ذوات الدل والبخانق

ع هذه الأشطار تروى لعمارة بن طارق، ولم تقع في أرجوزته التي على هذا الروى وأنشد أبو علي لروبة:

تفرجت أكاته وغممة ... عن مستثير لا يرد قسمه

ع وقبله:

وإن حسام الدهر عضت أزمة ... بالغاربين والصفاح مؤلمه

تفرجت ... تمضى عوافيه ويخشى نقمه

الأزم: جمع آزم وهو العاض.." (١)

"فتصبح كالشقراء. أراد أن يقول الأشقر، وهو فرس لقيط بن زرارة يوم جبلة، وهو الذي يقول له: أشقر! إن تقدم تعقر وإن تأخر تنحر. يقول: لو سيرته فقتل في غير جوارك لم يلحقك لائمة، وهكذا صحة إنشاده فتصبح كالشقراء، لا كما أنشده أبو علي، لأن المعنى لم تغير إذ خفت الضياع فتصبح كالشقراء في الحال التي ذكر وعرضك وافر، ولم يخبر عن شئ وقع ولا مضى. وكان رجل من بنى أسد يقال له مخزوم بن ضباء قتل في جوار رجل من بني عامر بن صعصة، فقال بشر شعرا منه هذه الأبيات.

وأنشد أبو علي لابن حبناء:

إذا أنت عاديت امرأ فاطفر له ... على عثرة إن أمنتك عواثره

ع بعده:

إذا المرء اولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فذره إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

هكذا اتصال الشعر. وقوله اطفر له: هو افتعل من الطفر و ه و الوثب. قال أبو علي وفي هذه القصيدة يقول:

وقد ألبس المولى على ضعن صدره ... وأدرك بالوغم الذي لا احاضره

ع أكثر الناس يرويه أحاضره بحاء مهملة، وقد روى أحاذره بالذال معجمة من الحذر، وإنما صحته أخاضره بالخاء معجمة والضاد، من قولهم ذهب دم فلان خضرا مضرا وخضرا مضرا: أي باطلا، وقد فسره أبو على في باب الإتباع يقول: أدرك بالثأر الذي لا أبطله.

قال أبو علي إنما سمى الأخطل، لأن ابنى جمال تحاكما إليه أيهما أشعر؟ وذكر الخبر إلى آخر ما أورد فيه. ع ليس في الشعراء من يقال له ابن جعال، وإنما هو كعب بن جعيل وأخوه، واختلف في اسمه، فقال ابن قتيبة: اسمه عميره، وقال غيره عميرة بن جعل مكبرا، شاعر جاهلي من بني تغلب ليس بأخ لكعب وذكر يعقوب أن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب، فكان لا يأتي منهم قوما إلا أكرموه وضربوا له قبة، فآتى بني مالك بن جشم رهط الأخطل، ففعلوا له ذلك وملأ وله حظيرة غنما، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرجها وكعب ينظر،

(١) سمط اللآلي، ص/٢٣٩

فقال إن غلامكم هذا لأخطل، فلحت عليه، وقال الأخطل فيه:

وسميت كعبا بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل

وأنت مكانك من وائل ... مكان القراد من است الجمل

ويروى هذان البيتان لعتبة بن الوعل، وكان الأخطل يومئذ يقرزم، والقرزمة الابتداء بقول الشعر، فقال له أبوه: أبقرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل؟ وضربه، وجاء ابن جعيل على تفيئة ذلك، فقال من صاحب الكلام؟ فقال أبوه لا تحفل به فإنه غلام أخطل، فقال له كعب: شاهد هذا الوجه غب الحمه فقال الأخطل: فتاك كعب بن جعيل أمه فقال له كعب: ما اسم أمك؟ قال ليلى، قال أردت أن تعيذها باسم أمي، قال: لا أعاذها الله إذن! وأما لأخطل ليلى امرأة من إياد، وقال الأخطل:

هجا الناس ليلى أم كعب فمزقت ... فلم يبق إلا نفنف أنا راقعة

وأنشد أبو علي في إستار الجرير:

إن الفرزدق والبعيث وأمه ... وأبا البعيث لشر ما إستار

ع وقبله:

أما البعيث فقد تبين أنه ... عبد فعلك في البعيث تمارى

واللؤم قد خطم البعيث وأرزمت ... أن الفرزدق عند شر حوار

إن الفرزدق والبعيث قوله أرزمت: يريد حنت، عند شر حوار: يريد انه شر مولود.

وأنشد أبو علي للعطوى شعرا، أوله:

جل رب الأعراض والأجسام ... عن صفات الأعراض والأجسام." (١)

"وأنشد أبو علي:

وللكبير رثيات أربع ... الركبتان والنسى والأخدع

ع وتمامه:

ولا يزال رأسه يصدع

والنسا: عرق في الفخذين يجري إلى الساق، يقال في تثنيته نسيان ونسوان، قال الأصمعي وأبو زيد: لا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الأكحل لأن النسا هو العرق، وحكى الكسائي وغيره: عرق النسا والأخدعان:

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٤٤

عرقان يكتنفان العنق.

وأنشد أبو علي:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل

ع اختلف في هذا الشعر، فقيل إنه لابن أخت تأبط شرا خفاف بن نضلة يرثى خاله وكانت هذيل قتلته، وقيل إنه للشنفري، وقيل إنه لخلف الأحمر، وقد نسب إلى تأبط شرا وهي قصيدة ونمط صعب، وقبل البيت منها:

صليت مني هذيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا

ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل

تضحك الضبع لقتلي هذيل ... وترى الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تهفو بطانا ... تتخطاهم فما تستقل

حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأى ما ألمت تحل

فاسقنيها.

يقول الشاعر هذا الشعر بعد أن أدرك بثأر المرثى. وقوله: لا يمل الشر حتى يملوا هذا مثل قولهم عند صفة الرجل بالبلاغة والبراعة والقوة في ذلك: فلان لا ينقطع عن خصومة خصمه حتى ينقطع خصمه، ليس يريدون أنه ينقطع بعد انقطاع خصمه، وإنما يريدون أنه من القوة والأضطلاع بخصومته بعد انقطاع خصمه عنها على مثل حاله قبل انقطاع خصمه، وعلى هذا التأويل والتقرير يحمل حديث عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا. وقوله: تضحك الضبع يعني تستبشر سرورا بلحوم القتلى، ويستهل الذئب: يرفع صوته سرورا أيضا، وقيل يستهل: يصيح ويستعوى الذئاب إلى القتلى، وقال الحسن بن علي النمري: تضحك: تحيض من قول الله عز وجل: فضحكت فبشرناها بإسحق، وذلك أن الضبع تأتي القتيل إذا انتفخ ذكره فتنال منه حاجتها، ولذلك تقول العرب للضبع إذا أرادوا صيدها: خامري أم عامر! أبشري بكمر رجال، وجراد عظال، وقال الراجز:

يا أم عمرو أبشري بالبشري! ... موت ذريع وجراد عظلى

أم عمرو وأم عامر: كنيتان للضبع، وأنكر أبو حاتم أن تكون الضبع تحيض. وقوله:

إن جسمي بعد خالي لخل ... يريد بعد اختيالي، قال الشاعر:

والخال ثوب من ثياب الجهال

وقيل أراد بعد قتل خالي. والخل: الرجل النحيف الجسم.

وأنشد أبو علي لزهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

ع وقبله:

إن البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم

هو الجواد الذي يعطيك نائله ... عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

وإن أتاه خليل.

قوله: يظلم. أي: يطلب إليه في غير موضع الطلب فيحمل ذلك، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

ولا حرم: أي ليس بحرام أن يعطي منه، ويروى لا حرم والحرم اسم، مثل الحرام والحرم: النعت.

وأنشد أبو علي:

رحيب الذراع بالتي لا تشينه ... وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

وأنشد أبو علي للخثعمي:

أيها الناعيان من تنعيان ... وعلى من أراكما تبكيان

ع الخثعمي شاعر من شعراء الجزيرة المحدثين، قال أحمد ابن أبي طاهر وقد أنشد قول زياد الأعجم:

إن الشجاعة والمروأة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فأعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف سابح

قال أخذ معنى هذا البيت الخثعمي، فأحسن فيه على قلة إحسانه وتفاوت كلامه في شعره قال:

اذهبا بي إن لم يكن لكما عقر إلى ترب قبره فاعقراني

وانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دمي من نداه لو تعلمان!

وأنشد أبو علي لضمرة بن ضمرة:

بكرت تلومك بعد وهن في الندى ... بسل عليك ملامتي وعتابي." (١)

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٦٢

"٤.خبر مضي جذيمة إليها: وإنها لا يشق غبارها (صيغة المثل)

... ... ببقة صرم الأمر (صيغة المثل)

... ... أشوار عروس ترى (صيغة المثل)

... ... لا يحزنك دم هراقه أهله (صيغة المثل)

٥.خبر نجاة قصير: يا ضل ما تجري به العصا (صيغة المثل)

٦.خبر عمرو بن عدي اللخمي خليفة جذيمة وابن أخته وطلب الثأر من ابنة الزباء:

... ... خير ما جاءت به العصا (صيغة المثل)

... ... أمنع من عقاب الجو (صيغة المثل)

... ... فأعني وخلاك ذم (صيغة المثل)

... ... لإمر ما جدع قصير أنفه (صيغة المثل)

... ... قد جئت بما صاء وصمت (صيغة المثل)

... ... بيدي لا بيديك يا عمرو (صيغة المثل)

٧.خبر إعجاب جذيمة بعدي بن نصر وتوليته كأسه

... ... وإعجاب رقاش أخت جذيمة به

٨.خبر ولادة رقاش غلاما سمته عمرا

٩.خبر استطارة الجن لعمرو: أعطي العبد كراعا فطلب ذراعا (صيغة المثل)

١٠.خبر عودة عمرو إلى أمه: شب عمرو عن الطوق (صيغة المثل)

... وإقامته مع خاله إلى أن خرج إلى ابنة الزباء(١).

... يقودنا اهتمام نصوص الأمثال بتفاصيل الخبر والعناية بوحداته الصغرى إلى ملاحظة حركة النصوص وتأمل قدرتها على الملاءمة بين أهدافها، بوصفها منظومات خبرية تحتضن الصيغ وترتفع بها، وخصوصياتها النصية وهي ((تزداد ثراء بتفاعلها مع سياقات ثقافية متغيرة))(٢)، فنصوص أمثال (المفضل الضبي) كما تشير الدراسة لم تختط لنفسها أنموذجا محددا شكل قانون الكتاب وقالبه، بقدر ما وفرت لها عناية التأليف منطقة من الاختيار والتركيب تدرجت فيها النصوص فتباينت إمكانياتها السردية وأسهمت بمنح كتاب (أمثال العرب) خصوصيته: حلقة مؤثرة في سلسلة كتب أمثال العربية وإنموذجا لافتا من نماذج أدبها.

---

(١) نفسه: ١٤٣-١٥٠.

(٢) د.عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية: ٩٩.." (١)

"... ... ... ٦. خبر عمرو بن عدي اللخمي خليفة جذيمة وطلب **الثأر** من ابنة الزباء.

... ... خير ما جاءت به العصا

... ... أمنع من عقاب الجو

حلقة(٤) ... ... فأعني وخلاك ذم

... ... لامر ما جدع قصير أنفه

... ... بيدي لا بيديك يا عمر

... ... ٧. خبر إعجاب جذيمة بعدي بن نصر وتوليته كأسه وإعجاب رقاش أخت جذيمة به.

... ... ٨. خبر ولادة رقاش غلاما سمته عمرا.

حلقة(١) ... ... ٩. خبر استطارة الجن لعمرو: أعطي العبد كراعا فطلب ذراعا.

... ... ١٠. خبر عودة عمرو لأمه: شب عمرو عن الطوق

... ... وإقامته مع خاله إلى أن خرج إلى ابنه الزباء.." (٢)

"تنتظم زمنية النص المركزية عبر الحلقات (٢، ٣، ٤) وهي تمثل مجموع أخبار جذيمة الأبرش في علاقته بالزباء (أو ابنتها) وطلبه الزواج منها حتى مقتله في الخبر رقم (٦) وظهور شخصية عمرو بن عدي اللخمي خليفة له ومطالبا **بثأره** من ابنه الزباء. مما يتطلب الملاحظة هو التأطير الزمني للحلقات السابقة بحلقتي ابتداء واختتام تحملان الرقمين (-١) (١)، إذ إن نص المثل يفتتح بمنظومة خبرية صغرى تضم بعضا من أخبار الزباء التي يختلط فيها التاريخ بالأسطورة(١)

---

(١) سرد الأمثال في كتب الأمثال العربية، ص/١٢١

(٢) سرد الأمثال في كتب الأمثال العربية، ص/٢٠٦

(١) ينظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٤٢/١..." (١)

"من أطاع الغضب حرم السلامة، ومن عصى الحق غمره الذل. وقال بعض الحكماء: كظم الغيظ حلم والحلم صبر، والتشفي ضرب من الجزع. وقال آخر: أول الغضب جنون وآخره ندم. وقال بعض الحكماء: إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب: الرغبة والرهبة والشهوة والغضب. وقيل لبعض الصالحين: إن فلانا يقع فيك بقول. فقال: لأغيظن من أمره يغفر الله لي وله! قيل له: ومن أمره؟ قال: الشيطان. وقال رجل لأخيه: إني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء رحمتك منها. قال: فهل سمعتني أذكره بشيء؟ قال: لا. قال: فإياه فارحم، وقال الفضيل: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر. وقال الأحنف بن قيس: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري. إني لجالس معه في فناء بيته وهو يحدثنا إذ جاءت جماعة يحملون قتيلا، ومعهم رجل مأسور فقيل له: هذا ابنك قتله أخوك! فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقته، ثم أنشد:

أقول لنفسي تصبيرا وتعزية: ... إحدى يدي أصابتني، ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه، وذا ولدي

ثم التفت إلى بعض ولده وقال: قم أطلق عمك ووار أخاك التراب، وسق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة.

ومن أنبل بيت قالته العرب:

فصح بالخير خرس بالخنا ... رجح الأحلام ذيال الأزر

وقال آخر:

بأحلام عاد لا يخاف جليسهم ... إذا نطق العوراء عرب لسان

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام: ما حلم من لم يصبر عند الجهل، وما قوة من لم يرد الغضب، وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى؟ وقيل للإسكندر: إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم! فقال: هم بعد العقوبة أعذر في ثلبي وتنقيصي. ويروى عن جرير بن عبد الله: بينما هو راكب قد أردف ابنه إذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت، فلما ولي قال له ابنه: يا أبت لم سكت عنه؟ قال له: يا بني إذن أوسع جرحي. وقال بعض

---

(١) سرد الأمثال في كتب الأمثال العربية، ص/٢٠٧

الحكماء: متى أشفي غيظي، أحين أقدر فيقال لو عفوت، أم حين أعجل فيقال لو صبرت؟ وسئل بعض أصحاب الأحنف: أكان الأحنف يغضب؟ قال: نعم، لو لم يغضب ما بان حلمه، كان يغضبه الشيء فيتبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم.

ومن لم يغضب من الأشياء التي مثلها فقد فقد من الفضائل الشجاعة، والأنفة والحمية والدفاع والأخذ **بالثأر** والغيرة، فإن هذه الخصال نتائج الغضب، فمن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل على ما سنذكره في باب الشجاعة، إن شاء الله. وقيل: عند فقد الشجاعة تكون المهانة، ومن المهانة يكون سفساف الأخلاق ورذالة الطباع، فلا يبقى لسائر فضائله موقع. وكان يقال: من لم يغضب فليس بحليم، لأن الحليم يعرف عند الغضب. وقال الشعبي: الجاهل خصم والحليم حاكم. قال الشافعي رضي الله عنه: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استرضي ولم يرض فهو جبار. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب، ولكنه إنما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه. واعلم أن الله تعالى ما مدح من لم يغضب، وإنما مدح من كظم الغيظ فقال: " والكاظمين الغيظ " آل عمران: ١٣٤. وقد أنشد النابغة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم:

فلا خير في علم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر النبي قوله. وكان عمر رضي الله عنه إذا سافر استتبع سفيها ويقول: أدفع به شر السفهاء عني! واعلموا أرشدكم الله أن أحسن خصال الملوك وأجلها قدرا، وهي حلية الأنبياء ولبسة الأصفياء والأولياء، وأعملها على الرعايا نفعا وأخلدها على مر الأيام ذكرا، وأجلها في المحافل والمجالس نشرا، وهي الفضيلة التي تعم سائر الفضائل وتكمل بها سائر المحاسن، وهي الحلم. وها أنا أتلو عليك من ذلك ما يقضى فيه بالعجب: هذه دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح إلى يومنا هذا لم يكن يفهم أحلم من المأمون، بلغ من حلمه أنه كان يقول:." (١)

"السوق معروف. يقال: ساق الماشية يسوقها سوقا وسياقا وسياقة، واستقاها. ثم يستعمل السوق في الكلام والحديث، لأنه يؤتى به كما يؤتى بالماشية. وهذا المثل يضرب عند الإساءة في السؤال والاستعجال به قبل أوانه. وله قصة مذكورة عندهم، وقد نظمه بشار وبين معناه فقال:

ومرت فقلت متى نلتقي ... فهش اشتياقا إليها الخبيث

---

(١) سراج الملوك، ص/٦٩

وكاد يمزق سرباله ... فقلت إليك يساق الحديث

و قال الآخر:

لا تعجبوا لسؤال ركبان الحمى ... فإليكم هذا الحديث يساق

أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.

الأمر معروف. والمبكيات والمضحكيات: المورثات بكاء أو ضحكا. وكانت فتاة من العرب لها خالات وعمات. فكانت إذا زارت عماتها ألهينها، وإذا زارت خالاتها ابكينها. فقالت لأبيها: إن عماتي يلهينني، وخالاتي يبكينني إذ زرتهن، فقال لها أبوها: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك، فذهبت مثلا يضرب عند الحذر والتحذير من الهوى والأمر باجتنابه.

والمعنى: أطع من يدلك على رشادك، ويبصرك بصلاح معاشك ومعادك، وينبهك من رقدة الغفلة والغرة، ويفطمك من مراضع الهوى المضرة، وإن كان ذلك يبكيك، ويثقل على نفسك ويؤذيك؛ ولا تطع من يأمرك بما تهوى، ويحسن لك ما يشينك في العاجلة والعقبى، وإن كان ذلك يضحكك ويلهيك، ويؤنسك ويسليك.

الأمور مخلوجة وليست بسلكى.

الأمور جمع أمر، وهو الشأن والحال والشيء الواقع: والخلج: الجذب والنزع؛ والمخلوجة: المجذوبة؛ والمخلوجة أيضا : الطعنة المعوجة عن يكين وشمال؛ والسلكى، بضم الأول وألف مقصورة: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه.

قال امرؤ القيس:

مطعنهم يلكى ومخلوجة ... كزك لأيمن على نابل

ثم إنهم جعلوها في الأمور، وجعلوا المخلوجة والسلكى مثلا في الأمور باعتبار اعوجاجها واستقامتها قالوا: الأمور مخلوجة وليست بسلكى، أي هي معوجة وليست بمستقيمة، وأصله في الطعن. قيل: وأول من نطق بهذا المثل الحارث بن عباد، وذلك أن جساس بن مرة لما قتل كليبا على ما سيأتي خبره، قام مهلهل بن ربيعة بثأر أخيه كليب، وكان ممن قتل بجير بن الحارث المذكور أو أخيه في قصة ستأتي.

وفيه يقول مهلهل:

وإني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد ... و بعض الشر أشفى للصدور

فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير قال : نعم القتيل قتيل أصلح الله به بين بني وائل وباء بكليب!فقيل له:

إن مهلهلا لما قتله قال له: بؤبشسع نعل كليب! فعند ذلك غضب الحارث وقال: الأمور مخلوجة وليست بسلكى، وقال :

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

قربا مربط النعامة مني ... إن بيع الكرام بالشسع غال

لم أكن من جناتها علم الله ... و إني بجمرها اليوم صال

وهي قصيدة. ونهض لحرب تغلب حتى أبارهم. وفر مهلهل حتى هلك غريب الدار كما سيأتي. وقلب أبو عبيد هذا المثل فأورده هكذا: الأمر سلكى وليست بمخلوجة، والصواب العكس، كما أورده غيره وهو الذي قدمنا، لأن الأمور في قضية الحارث ليست بسلكى، وهلم جرا. وقول امرئ القيس كرك لأمين على نابل، فيه كلام يبين بعد في تشبيهات امرئ القيس إن شاء الله تعالى.

تأمير الأراذل، تدمير الأفاضل.

التأمير: تولية الإمارة: وأراذل الناس: سفلهم، والتدمير، بالدال المهملة: الإهلاك. وأفاضل الناس. خيارهم. ومعنى المثل ظاهر، وهو فيما أظن مصنوع موجود في بعض تآليف البلغاء المصنوعة.

الأمر أشد من ذلك.

قد يتمثل به، وهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر المحشر وأن الناس يحشرون حفاة عراة، فقيل له: وكيف ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال ذلك. والحديث معروف مشهور.

آمن من حمام مكة.

الأمن ضد الخوف؛ والحمام ومكة تقدما. وأمن الحمام في مكة أنه لا يتعرض له ولا يصاد ولا يقتل. ولذلك قال النابغة:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسعد

و قال عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي من قصيدة:

فسحت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر

وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه ... تظل به أمنا وفيه العصافر." (١)

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٣٤

"و هو الموافق للقياس. ومد المقصور أضعف من قصر الممدود. ثم إن الزباء جمعت الأموال والأجناد وتوقفت وكانت نبيلة علقلة. فعادت إلى دياره أبيها وأزالت جذيمة عنها وملكت. فكانت تعد من ملوك الطوائف وحرمت الرجال على نفسها فهي بتول. وكان بينها وبين جذيمة مهادنة بعد حروب جرت. فلما همت بالقيام بثأر أبيها أرسلت إليه تخطبه على نفسها وترغبه في أن يتصل ملكه بملكها، فأحب ذلك. وقيل هو الذي حدثته نفسه بخطبتها فشاور خاصته فوافقوه كلهم إلا قصيرا. وهو قصير بكسر الصاد أبن سعد وكان عاقلا نبيلا وهو أبن عم جذيمة وصاحب أمره وعهده. قالوا ولم يكن قصيرا وإنما سمي به فقط. قال له: أبيت اللعن أيها الملك! إن الزباء حرمت الرجال فهي بتول عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام؛ وإنما هي تاركتك رهبة وحذارا والحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أورى إن تركته توارى وللملك في بنات الملوك متسع. وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيما هو دونك وعظم الرب شأنك فما أحد فوقك. فقال جذيمة: يا قصير الرأي ما رأيت ولكن النفس تواقة وإلى ما تحب مشتاقة ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولا وزر! ثم وجه جذيمة إليها خاطبا وأمره أن يظهر لها ما ترغب به وتميل فلما جاءها الخاطب أجابت وأظهرت فرحا كبيرا وغبطة عظيمة وقالت: لولا أن المسير في هذا أجمل بالرجال سرت إليه فوجهت الخاطب وبعثت معه إلى جذيمة بهدية سنية فيها من الإماء والكراع والسلاح والأموال والبقر والغنم وغير ذلك من الجواهر الرفيعة والطرف العجيبة ما يبهر الناظرين. فلما بصر جذيمة بذلك أعجبه مع ما بلغه من حسن جوابها وطيب كلامها وظن أن ذلك كان رغبة منه فيه زوجا. فخرج إليها من فوره مع خاصته وفيهم قصير واستخلف على مملكته أبن أخيه عمرو بن عدي اللخمي وسيأتي ذكره بعد إن شاء الله تعالى. فسار حتى بلغ موضعا يقال بقعة فأكل وشرب وأعاد المشوار فاستصوبوا أيضا ما أراد إلا قيصرا فانه قال : أيه الملك كل عزم لا يؤيد بجزم فإلى أفن يكون كونه. فلا تثق بزخرف قول لا محصول له ولا تقذف الرأي بالهوى فيفسد لا الحزم بالمنى فيبعد! والرأي عندي للملك أن يتعقب أمره بالتثبت و يأخذ حذره بالتيقظ. ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزما بتا أن لا يفعل. فقال جذيمة: الرأي مع الجماعة. فقال قصير: أرى القدر سائق الحذر لا يطاع لقصير أمر أو رأي. فأرسلها مثلا. ثم سار جذيم حتى قرب من ديار الزباء فأرسل إليها يعلمها بمجيئه. فلما جاءها الرسول أظهرت السرور والرغبة، وأمرت بحمل الضيافة إليه وقالت لأجنادها وخاصتها: تلقوا سيدكم ومالك دولتكم!و عاد الرسول بالجواب إليه وأخبره بما رأى وسمع. فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيرا فقال له: أنت على رأيك؟ قال: نعم! وقد زادت بصيرتي

فيه. أف أنت على عزمك؟ قال: نعم! وقد زادت رغبتي فيه. فقال قصير: ليس للدهر بصاحب من لم ينظر في العواقب. فأرسلها مثلا. ثم قال له: وقد نذرتك الأمر قبل فواته وفي يد الملك بقية هو بها قادر على استدراك الصواب؛ فإن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة فقد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك وألقيتها في يد من لست آمن عليك مكره وغدره. فإن كنت فاعلا ولا بد فإنهم غدا يلقونك ويقومون لك صفين حتى إذا توسطهم أحدقوا بك؛ فهذه العصا لا يشق غبارها وهو أول من قاله. وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تدرك فهي ناجية بك إن ملكت ظهرها وناصيتها. ويروى أنه قال له: انهم غدا إن لقولك فترجلوا وحيوك فتقدموا، فقد كذب ظني، وإن رأيتهم حيوك فطافوا بك، فإني اعرض لك العصا. فسمع جذيمة كلامه فلم يرد عليه جوابا.ثم سار جذيمة، وقصير عن يمينه، فقامت الزباء وبعث وقالت لهم: سيروا حتى إذا لقيتموه فقوموا صفين عن يمينه وشماله، فإذا توسطكم فانقضوا عليه اجمع، وإياكم أن يفوتكم! فلما أحاطوا به وعلم أنهم ملكوه أقبل على قصير، وكان مسايره، فقال له: صدقت يا قصير! فقال قصير: أبطأت بالجواب، حتى فات الصواب! فأرسلها مثلا. فقال جذيمة: فكيف الرأي؟ فقال: تركت الرأي ببقة! فأرسلها مثلا. ويروى إنه قال له: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو عليها! فأنك من ذلك. وقيل إنه عرضها له فشغل عنها، فركبها قصير فنجا. فلما نظر إليه جذيمة وهو عليها ينقطع دونه السراب." (١)

"قال: ما ذل من جرت به العصا! فأرسلها مثلا. ويروى إنه قال، حين نظر إليه على ظهرها: ويل أمه حزما على ظهر العصا! فأرسلها مثلا. ثم سارت الجيوش بجذيمة، فتطلعت عليه الزباء من قصرها فقالت: ما احسنك من عروس تجلى علي وتزف إلي! حتى دخلوا به عليها في قصرها وحولها جواريها. وكانت قد ربت شعر عانتها سنة وضفرته. فلما دخل عليها تكشفت له فقالت: أ شوار عروس ترى؟ فقال: بل شوار أمة بظراء. فقالت: أما إنه ليس من عدم المواسي، ولا من قلة الأواسي، ولكنه شيمة ما أقاسي فأمرت به فأجلس على نطع وقطعت رواهشه. ويروى في طست من ذهب تفاؤلا أن يذهب دمه هدرا. وكان قد قيل لها: تحفظي بدمه، فإنه إن وقعت قطرة منه على الأرض طلبت بثأره. فلما صعفت يده سقطت، فقطر منه في غير الطست شيء، فقالت: لا تضيعوا دم الملك! فقال: دعوا دما ضيعه أهله! ومات. وقيل إنه قد قال: لا يحزنكم دم أراقه أهله! فقالت: والله ما وفى دمك، ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض فأرسلها مثلا. فلما قضى أمرت به فدفن. وكان عمرو بن عدي يخرج إلى ظهر الحيرة يستشرف خبر خاله. فبينما هو ذات يوم ينظر إذ

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٧٩

رأى العصا تهوي بقصير، فقال عمرو: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالبهية، لأمر جاءت العصا. فأرسلها مثلا. فإذا هو بقصير قد اقبل، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: سعى القدر بالملك إلى حتفه، على الرغم من انفي وانفه! وسيأتي تتمة القصة بعد هذا في خير فصير حيث قام بثأر جذيمة إن شاء الله تعالى. وفي تقل جذيمة قال الشاعر:

وقددت الأديم لراهشيه ... و ألفي قولها كذبا ومينا

و قال سويد بن أبي كاهل:

وأبو ملك الملك الذي ... قتلته بنت عمرو بالخذع

أبطأ من غراب نوح.

زعموا أن نبي الله نوح عليه السلام بعث الغراب لينظر له هل غرقت البلاد ويأتيه بخبرها. فذهب فوجد جيفة طافية على وجه الماء، فأشتغل بها وبقي ولم يأته بالخبر. فدعا عليه فغلت رجلاه وخاف من الناس. وأعلم أن البطء ثلاثي ورباعي: يقال بطؤ بضم الطاء، وبطئا وبطاء بالكسر، وأبطأ: ضد أسرع. ويقال: هو أبطأ منه. وهو إن كان صوغه من الثلاثي فمقيس اتفاقا؛ وإن كان من الرباعي فهو جائز أيضا عند سيبويه في هذا الوزن.

أبطأ من فند.

البطء: مر. وفند بكسر الفاء وسكون النون بعدها دال مهملة: اسم رجل. وهو مولى لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، بعثته يأتيها بنار. فلما خرج وجد قوما يريدون مصر، فصحبهم وأقام بمصر سنة، ثم رجع فأتاها بالنار؛ وجاء يشتد فعثر وتبدد الجمر فقال: تعست العجلة! فضرب به المثل في البطء.

البطنة، تذهب الفطنة.." (١)

"قالته الزباء الملكة السابق ذكرها. وعمرو هذا هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جذيمة. وسبب ذلك أن الزباء لما قتلت جذيمة كما مر رجع قصير إلى عمرو بن عدي فقال له: قم بثأر خالك من الزباء! فقال عمرو: كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو؟ فأرسلها مثلا. فقال قصير: اطلب الأثر وخلاك ذم! فذهبت مثلا. فقال له إني والله لا أنام على طلب دمه ما لاح نجم أو طلعت شمس حتى أدركه أو تخترم نفسي دونه! ثم قال قصير لعمرو: اجدع أنفي، واقطع أذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه، وخلني وإياها! ففعل

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٨٠

عمرو ذلك. وقيل إن عمرا أبى عليه ففعل هو ذلك بنفسه فقالت العرب: لأمر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا. قال المتلمس:

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

ثم إن قصيرا ذهب فلحق الزباء فقالت له: ما أتى بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال لها: يا ابنة الملوك العظام قد كان دم الملك يعني أباها يطلب جذيمة حتى أدركه؛ وقد أتيتك فيما فيه مثلي مثلك مستجيرا من عمرو، فانه اتهمني بقتل خاله وفعل بي ما ترين. وقد حال بيني وبين أهلي وولدي وخشيت على نفسي فأتيتك. فأعطته الجوار وأنزلته مكرما مخدما. فأقام مدة لا يكلمها وهو يتطلب لها الحيل ويتأمل الفرص. ثم قال لها يوما: إن لي بالعراق أموالا كثيرة وذخائر نفيسة مما يصلح بالملوك. فإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئا اتعلل به تجارة وأتخذه وصلة إليها أتيتك بما أمكنني منها. فأعطته مالا، فرجع إليها بأرباح كثيرة وطرائف خطيرة. فلما رأت ذلك أعجبها وعظمت منزلته عندها ورغبت فيه. ولم يزل يتلطف إليها ويتقرب حتى أعادته مرة أخرى إلى العراق، فأضعف لها الأموال، وأتاها من الجواهر والخز والبز والديباج بشيء عظيم، فازدادت منزلته عندها. ويقال إنه رجع مرة ثالثة فأتاها بأكثر من الأوليين. فبلغ منها مك ا نة عظيمة حتى إنها كانت تستعين به في مهماتها. وكان لبيبا أديبا. وكانت ابتنت على الفرات مدينتين عظيمتين واتخذت بينهما نفقا. فإذا أوجست شرا دخلت النفق.فلما بلغ قصير من مدخلها ما بلغ، عرف النفق وعرف الطريق إليه. فعند ذلك رجع مرة أخرى للتجارة. ويقال إنها هي التي قالت له: أريد أن أغزو بلد كذا من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب! فقال قصير: ولي في بلد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا وما لعمرو به علم. ولو قد علمه لاستعان به على حرب الملكة وقد كنت أتربص به المنون وها أنا أخرج متنكرا من حيث لا يعلم فأتي الملكة بذلك مع الذي سألت فأعطته من المال ما أراد. ويذكر أنها قالت له إذ ذاك: يا قيصر! الملك يصلح لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره. ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليك. وما يقصر بك عن شيء تناله ي د ي ولا يقعد بك حال ينهض بي فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال: أسد خادر وليث ثائر قد تحفز للوثوب! فلما سمع قصير كلامها وعلم ما بلغ من قلبها قال: الآن تمكن الخداع! وخرج من عندها فأتى عمرا فقال له: قد أصبحت الفرصة. قال له عمرو: قل أسمع ومر أقبل فأنت طبيب هذه القرحة! قال: الرجال والأموال فقال عمرو: حكمك مسلط فينا عندي!فعمدا إلى ألفي رجل من فتاك قومه فحملهم على ألفي بعير في الغرائر

السود. ويقال انه اتخذ الجوالق وهو أول من اتخذها وحمل فيها الرجال وجعل ربطها من داخل. فأتى بها وأخذ غير الطريق وجعل يسير الليل ويكمن النهار. وجاء عمرو معه. وكان عمرو قد صور للزباء قاعدا وقائما وراكبا. فلما عمي عنها خبر قصير سألت عنه فقيل لها إنه أخذ على طريق الغور فقالت: عسى الغوير أبؤسا. فذهبت مثلا، وسيأتي. فلما قربوا تقدم قصير ودخل على الزباء فقال لها: قفي فانظري إلى العير! فرقبت سطحا وجعلت تنظر إلى الإبل تحمل الرجال. فقالت: يا قصير:

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا؟

أم صرفانا باردا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا؟." (١)

"و هو مثل قول الآخر:

قد أجمع الناس على ذمها ... و ما أرى منهم لها تاركا

و هذا من توهيمات الخيال وأغاليط الشعراء وإلا فليس لهذا التعجب موقع ولا للألغاز محل، إذ العقول السليمة كلها ذامة للدنيا وليست بطالبة لها ومتى وقع منها طلب فمكلوبها غير مذموم كما أن مذمومها غير المطلوب. فإن الدنيا من حيث إنها مزرعة للآخرة وقنطرة يعبر منها إليها وزاد يبلغ إليها لا بد منها وهي محمودة غير مذمومة ومن حيث إنها فتنة وعائقة عن الفوز ومبعدة عن النجاح وموجبة للعقاب أو العتاب، مذمومة عند كل بصير غير مطلوبة بل مهروب منها غاية الهرب ومنفور منها غاية النفور ولا يطلبها على هذا الوجه إلا أعمى البصيرة وهذا الله تعالى بذمها. وقد يذمها بلسانه وهو يحبها سرا، وهو غير ذام لها بالحقيقة. وعلى مثل هذا الذي خالف قوله فعله يحسن من جهة الظاهر إنشاد الشعر السابق، ولا يصح الاتفاق ولكن الأكثر والأغلب هذا نسأل الله السلامة من فتنة المحيا والممات.

وقال الآخر:

يرحم الله صديقا ... جاء يهدي لي عيوبي

و قال الآخر:

دع المزاح فقد يزري بصاحبه ... و ربما آل في العقبى إلى الغضب

و قال الآخر:

رأيت تباعد الإخوان قربا ... إذا اشتملت على الود القلوب

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٨٨

و قال الآخر:

رأيت الود ليس يكاد يبقي ... إذا كثر التعصب والعتاب

و قال الآخر:

رب لحظ يكون أبلغ من لفظ ... و أبى لمضمرات القلوب

و قال الآخر:

سأرعاك في البعد المفرق بيننا ... كما كنت أرعى والمزار قريب

و قال الآخر:

سأصفيك الهوى من كل وحه ... و أمنحك الرضى من لك باب

و قال الآخر:

ستعلم هل ربحنا أم خسرنا ... إذا فكرت في أمر الحساب

و قال الآخر:

سقى الله أيام التواصل بيننا ... و رد إلى الأوطان كل غريب

و قال الآخر:

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل ... فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

و قال الآخر:

سمعت عتابا يستطاب فليتني ... أطلت ذنزبي كي يطول عتاب

و قال الآخر:

سيغني الله عن بقرات زيد ... و يأتي الله باللبن الحليب

و قال الآخر:

شهدنا وجربنا أمورا كثيرة ... فلا تهملوا نصح الصديق المجرب

و قال أحد القدماء:

صاح أبصرت أو سمعت بارع ... رد في ضرع ما قرأ في الحلاب؟

و قال الآخر:

صروف الليالي أحوجتنا إليهم ... كما أحتاج صياد إلى صحبة الكلب

و قال أبو العلاء المعري:

وسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابه

والغضب لا يشفي أمرءا من ثأره ... إلا يفقد نجاده وقرابه

والله يرعى سرح كل فضيلة ... حتى يروحه إلى أربابه

و قال أيضا:

وهجيرة كالهجر عودي منبر ... للظهر إلا إنه لم يخطب

فكأنه رام الكلام فيسمه ... عي فأسعده لسان الجندب

و قال الآخر:

وما رحم الأهلين إن سالموا العدى ... بمجدية إلا مضاعفة الكرب

ولكن أخو المرء الذي إذا دعا ... أجابوا بما يرضيه في السلم والحرب

و قال الآخر:

ما المرء أخوك أم لم تلفه وزرا ... عند الكريهة معوانا على النوب

و أعلم أن لفظ الأخ فيه لغات كثيرة: يقال أخ، وهي اللغة المشهورة، وأخو بسكون الخاء على مثال فرو، وهو الواقع في البيت المذكور ويقال في الجمع اخوة وأخون، وهذا الثاني هو الواقع في البيت الثاني من البيتين قبل هذا، وحذفت نونه للإضافة إلى المرء، وليس مفردا بدليل الإخبار عنه بالذين.

وقال الآخر:

لعمرك ما حق امرئ لا يعدلي ... على نفسه حقا علي بجواب

وما أنا النائي علي بوده ... بودي وصافي خلتي بمقارب

ولكنه إن مال يوما بجانب ... من الصدق والهجران ملت بجانب

و تقدم نحو هذا. ويقال جرير، كان اشترى جارية من رجل من أهل اليمامة يقال له زيد، ففركته وحنت إلى بائعها:

تكلفني معيشة آل زيد ... و من لي بالمرقق والصناب؟

وقالت: لا تضم كضم زيد، ... و ما ضمني وليس معي شبابي؟

فقال الفرزدق:

وإن تفركك عاجلة آل زيد ... و يءوزك المرقق والصناب." (١)

"قوله: حار أراد يا حارث قوله: ترجوا النساء عواقب الأطهار يريد إن النساء لا يأتين بمثله وفي عروض هذا البيت عيب القطع وهو لا يجوز إلا مع التصريع. والمنجبات: خيل يركبون الإبل فيقودونها هي لا يركبونها إلى موضع الغارة لتجم. ويقال ما ذقت عذوفا بالذال المعجمة وتهمل في لغة ربيعة وبالفاء أي شيء. ويقال عذوقا وعذوقة فإن كانت الرواية بغير هاء التأنيث ففي هذا العروض أيضا عيب السابق. والمساعر جمع مسعر وهو الذي يسعر الحرب. قوله: قد قمن قبل تبلج الأسحار هكذا في الرواية. والجملة حال أي بجد النساء عند وصوله يندبنه وقد كن قمن إلى ذلك من الليل قبل تبلج الأسحار واستمررن على البكاء إلى وقت مجيئه. ويروى: يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار. وقالوا يعني بالصبح هنا الحق والأمر الجلي وليس بظرف. ولا بد فيه مع ذلك من التقدير الذي في الرواية الأولى. ويصح إن يكون الصبح أطلق على آخر الديل لقربه منه مجازا أو يكون على بابه. وقوله قبل تبلج الأسحار معمول لفعل مقدر كما في الرواية الأولى أو معمول ليندبه. ويكون بالصبح معمولا لحواسر على الألف والنشر مع تكلف. وأفاد بالبيتين انهم أدركوا ثأرهم لأن القتيل عند العرب لا يبكى حتى يؤخذ بثأره. وقال قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر وهو أول من رثى مقتوله:

تعلم إن خير الناس ميت ... على جفر الهباء لا يريم

ولو لا ظلمه مازلت أبكي ... عليه الدهر ما بدت النجوم

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغنى والبغي مرتعه وخيم

أظن الحلم دل علي قومي ... و قد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني: ... فمعوج علي ومستقيم

و في ذلك قال أيضا:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... و سيفي من حذيفة قد شفاني

قتلت باخوتي سادات قومي ... وهم كانوا لنا حلي الزمان

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم اقطع بهم إلا بناني

فائدة: حمل بن بدر المذكور بفتح الحاء المهملة وفتح الميم على لفظ ولد الضان. وفيه قال الشاعر:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٠٧

ليت شعري يلحق الهيجا حمل ... ما احسن الموت إذا حان الأجل

و تمثل بهذا الشعر فيما ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق. قال البكري: وفي همدان حمل بن زياد بن حسان بفتح الحاء وضم الميم وقي مدحج جمل كنانة بفتح الجيم والميم كلفظ واحد الجمال وفي كنانة خمل بن شق يعني بالخاء المعجمة مضمومة وتسكين الميم والله اعلم.." (١)

"وقولا لركبان تميمية غدت ... إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

بأن بأكناف الرغام غريبة ... مولهة ثكلى طويلا نئيمها

مفجعة أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريح شوق عاكف ما يريمها

و الإرآم: التحبيب والتعطيف. يقال: رئم فلان كذا بالكسر يرأمه: احبه وألفه ورئمت الناقة ولدها رئما: عطفت عليه وأرأمتها: عطفتها على غير ولدها أو على البو وهو الجلد يحشى لها لتدر عليه. قال:

رئمت لسلمى بوضيم وإنني ... قديما لآبي الضيم وأبن أباة

وقال الحماسي:

ومولى جلت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي به القار أجرب

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

وقال الآخر:

أنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم ... أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ... رئمان أنف إذا ما ضن باللبن

و الولد معروف. والمثل لبيهس المعروف بنعامة. وكان من حديثه أنه خرج مع أخوة له سبعة فلقيهم قوم في موضع يقال له الأثلاث فقتلوهم إلا بيهسا وكان أصغرهم. فاستحقروه واستبقوه ثم احتملوه معهم حتى إذا قام قائم الظهيرة نزلوا فنحروا ناقة من وسيقتهم فأكلوا منها ثم قال قائلهم: ظلموا لحم جزوركم فقال بيهس: لكن على الأثلاث لحم لا يظلل يعني لحوم إخوانه المقتولين فأرسلها مثلا. فقال أحدهم: إني لأسمع من هذا الإنسان أمر يوشك أن يكون وراءه شر: فاقتلوه فقال زعيمهم: أيعد علينا هذا بقتيل؟ خلوه لصغر سنه فهو أحقر من ذلك فاحتملوه حتى إذا بلغوا به سمت الحي قالوا له: ائت أهلك وانع إخوانك فانطلق حتى دخل على أمه فقالت له: أين اخوتك؟ قال: قتلوا. فقالت: وما الذي أتى بك دونهم؟ فقال لها: لو خيرتك القوم لاخترت!

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٣٢

فأرسلها مثلا. وكانت تبغضه لكثرة شره، وتحب اخوته. فلما فقدتهم أحبته ورئمته. فقال حينئذ: ثكل أرأمها ولدا، أي عطفها على هذا الولد – يعني نفسه – ولا رقفها عليه ولا آلفها إياه إلا ثكلها أولادها الباقين، وفقدها أولادها المحبوبين. ومضرب المثل من هذا المعنى ظاهر. ثم جمعت له أمه تراث اخوته وأعطته إياه. فجعل يدير فيه وكان يقول: يا حبذا التراث لولا الذلة! فسارت مثلا. وصنع بعض أهل الحواء عرسا وحضره صبيان الحي، فلما رآهم بيهس يلعبون تجرد عن ثيابه وجعل يرقص معهم. فأتته أمه فقال له: ما هذا يا بيهس؟ فقال:

البس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها!

فذهبت مثلا. فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له إذ ألجأه الحر إلى غار يستظل فيه. فرأى قتلة اخوته وهم عشرة قد عقلوا إبلهم على طرف الغار وقالوا. فخلى غنمه وبادر إلى الحي فأخذ سلاحه وأتى خالا له يقال له أبو حنش وكان جبانا. فقال له: أبا حنش هل لك في ظباء تصطادهن ألجئهن الحر إلى عار؟ قال: نعم. فتنكب قوسك وحيهلا ورائي! فأقبل به حتى هجم على فم الغار. وخاف بيهس أن يهرب خاله،فصاح على القوم حتى ثاروا. فتقدم بيهس وتبعه خاله علما منه إنه غير ناج إن فر وقتلا القوم ورجعا بسلاحهم إلى الحي، وقد ثأر بيهس باخوته. فكان من لقي خاله يقول له: ما اشجعك أبا حنش! فيقول له: مكره أخاك لا بطل! فذهبت مثلا. ويقال إن مدركي الأوتار في الجاهلية ثلاثة: قيصر بن سعد – تقدم أمره – وسيف بن ذي يزن الحميري – و سنذكره – وبيهس هذا. قال الشاعر:

من يطلب الأوتار ما أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

و إنما لقب بنعامة لطول رجليه فرأته أمه يوما فقالت: نعامة والله! فقال: نعامة عرفتني، نسأها الله! أي أخر في أجلها. وقيل لصممه، وكان أصم أصلع، والعرب ، والعرب تصف النعامة بذلك، يزعمون إنه مصلم لا أذن له ولا يسمع الأصوات أما حقيقة أو إنه لا يلتفت إليها. قال علقمة يصف الظليم:

فوه كشف العصا لأيا تبينه ... أسك ما يسمع الأصوات مصلوم

وقال زهير:

كأن الرجل منها فوق صعل ... من الظلماء جؤجؤه هواء

أسك مصلم الأذنين أجنى ... له بالسي تنوم وآء

وقال عنترة: ؟فكأنني أطس الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟الثور يحمي أنفه بروقه.." (١)

"وقيل لآخر: أتعرف ربك؟ فقال: وكيف لا اعرف من أجاعني واعراني؟ وقيل لآخر وقد رئي مغتنما: ما غمك؟ فقال: سوء الحال وكثرة العيال. فقال له: لا تغتنم فإنهم عيال الله. فقال: صدقتم ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري! وقال بعضهم: كان لآدم عليه السلام غلام يخدمه فنحن معاشر المحارفين من نسل ذلك الغلام ولا نسب بيننا وبين آدم فإن الله يقول: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات. وليس فينا ولا عندنا شيء من هذه الخصال فلو كنا بني آدم لكان لنا حظ من هذه الأشياء! واستقى قوم يوم الخميس فمطروا. فنظر إليهم بعض المشائيم وهم منصرفون فرحين بالسقايا فقال: والله ما بي إلا انهم يظنون إن الله استجاب لهم. والله ما مطروا إلا أني غسلت ثيابي اليوم والله ما غسلتها قط إلا تغيمت السماء ومطرة ولا بأس فليرجعوا إلى خميس آخر: فإن مطروا فليحلقوا لحيتي! وقال أبو العباس أحمد المقري الفاسي يخاطب التاج التونسي:

والله ما انصفتنا يا تاج: ... فسقامنا لدوائكم محتاج
فقضية قد ركبت بشروطها ... أفممكن أن يخلف الإنتاج

وقال الآخر:

ولم أر شيئا بعد ليلى ألذه ... ولا منهلا أروى به فأعيج

يقال: ما عجت بالدواء أي لم انتفع به. ويزعم كثير من اللغويين والنحويين إنه لا يستعمل إلا في النفي كما مثلنا وكما في قول كثير:

قلما نفعت نفسي بما أمروا به ... ولا عجبت من أقاويلهم بفتيل

و البيت المذكور يرده إلا إن يتأول إنه لما كان الموصوف منفيا كانت الصفة وما عطف عليها أيضا في معنى النفي والله اعلم.

وقال الآخر في الأوصاف:

في ليلة أكل المحاق هلالها ... حتى تبدى مثل وقوف العاج
والصبح يتلو المشتري فكأنه ... عريان يمشي في الدجا بسراج

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٥٢

ومثله قول الآخر:

يا رب ليل رقبناه وقد طلعت ... بقية البدر في أولى بشائره

كأنما ادهم الإظلام حين نجا ... من أشهب الصبح خلى نعل حافره

و قول الآخر:

فكأن الليل حين لوى ... هاربا والصبح قد لاحا

كلة سوداء احرقها ... عامد أوقد مصباحا

و قول الآخر:

سرى والصبح تحت الليل باد ... كطرف أبلق تحت الجلال

بكأس من زجاج فيه أسد ... فرائسهن الباب الرجال

و قول الآخر:

وفتيان سروا والليل داج ... وضوء الصبح مهتم الطلوع

كأن بزاتهم أمراء جيش ... على أكتافهم صدأ الدروع

وقال الآخر:

لفتاة تسرنا في المثاني ... وعجوز تسرنا في المزاج

أخذت من رؤوس قوم كرام ... ثأرها بين أرجل الأعلاج

و مثله قول أبي بكر بن زهير:

وموسدين على الأكتاف خدودهم ... قد غالهم ضوء الصباح وغالني

ما زلت اسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالني

وخمر تحسن كيف تأخذ ثأرها: ... إني أملت إناءها فأمالني

وقال الآخر:

ولرب حان قد أدرت بديره ... خمر الصبا مزجت بصفو خموره

في فتية جعلوا الزقاق وكاءهم ... متضارعين تخشعا لكثيره

يهدي إلينا الراح كل مصفق ... كالخشف خفرة التماح خفيره

وإلى علي بطرفه وبكفه ... فأمال من رأسي لعب كبيره

وتزنم الناقوس عند صلاتهم ... ففتحت من عيني لرجع هديره

و الشعر في أوصاف الخمر كثيرة وأكثره يتنزه عن ذكره وسيأتي كثير منه.

وقال أبو الفرج جعفر اليماني:

عارض أقبل في ليل الدجى ... يتهادى كتهادي ذي الوجا

بددت ريح الصبا لؤلؤه ... فانبرى بوقد عنه سرجا

و مثله قول أبن الخطيب:

أخفى مسالكها الظلام فأوقدت ... من برقها كي تهتدي مصباحا

وكأن صوت الرعد خلف سحابها ... حاد إذا ونت الركائب صاحا

و تقدم استيفاء هذا المعنى في الباب الأول. وقال الأخر:

قالوا: تبدى شعره فأجبتهم: ... لابد من علم على الديباج!

والبدر أبهر ما يكون ضياؤه ... إن كان ملتحفا بليل داج

و من هذا المعنى قول الآخر:

ومهفهف علق السقام بطرفه ... وسرى فعرس في معاقد خصره

مزقت أستار الظلام بثغره ... ثم أنثنيت أحوكها من شعره

وقال أبن صارة:." (١)

"هذا المثل كالذي قبله في المعنى، وهو هو بعينه. وأول من قاله قرين بن مصاد الكلبي. وكان لصا مبيرا حتى إنه كان يقال له الذئب لشدة لصوصيته. وكان له أخوان: مرارة ومرة؛ وإن مرارة خرج يتصيد الأروى في جبل يقال له أبلق، فأختطفه الجن. فانطلق مرة أخوه بأثره حتى إذا كان بذلك المكان اختطف أيضا. وكان قرين غائبا فلما قدم وعلم بأمر أخويه أقسم لا يشرب خمرا ولا يمس رأسه غسلا حتى يطلب أخويه. فتكتب قوسه وانطلق إلى ذلك المكان. فمكث فيه سبعة أيام لا ينام ولا يرى شيئا حتى كان اليوم الثامن، فإذا هو بظليم فرماه وأصابه، واستقبل الظليم حتى صار في أسفل الجبل. فلما وجبت الشمس بصر بشخص قام على صخرة ينادي:

يا أيها الرامي الظليم الأسود ... ثبت مراميك ولما ترشد!

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٧٦

فأجابه قرين:

يا أيها الهاتف فوق الصخرة ... كم عبرة هجيتها وعبرة

بقتلكم مرارة ومرة ... فرقت جمعا وتركت صخرة!

فذهب الجني وتوارى عنه هونا من الليل. فأصابت قرينا حمى فغلبته عينه فنام. فأتاه الجني فاحتمله وقال: ما أنامك، وقد كنت حذرا؟ فقال قرين: الحمى أضرعتني للنوم. ثم أنطلق به حتى أتى حاضر الجن. فلما كان في وجه الصبح، خلى سبيله، فقال قرين عند ذلك:

ألا من بلغ فتيان قومي ... بما لاقيت بعدهم جميعا؟

غزوت الجن أطالبهم بثأري ... لأسقيهم به سما نقيعا

فيرض لي ظليم بعد سبع ... فأرميه فأتركه صريعا

وكنت إذا القروم تعاورني ... جريء الصدر معتز منيعا

بنى لي معشري وجدود صدق ... بذروة شامخ بيتا منيعا

وعزا سامعا ثبت الرواسي ... ترى شم الجبال خضوعا

حمي الوطيس.

تقدم في باب الهمزة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتي في الأمثال الحديثة.

أحمى من مجير الجراد.

الحماية: المنع. وتقول: حميت الشيء أحميه حماية إذا حفظته ومنعته.

قال جرير:

حميت حمى تهامة بعد نجد ... وما شيء حميت بمستباح

و تقول: أجرت الرجال أخيره إذا منعته من أن يظلم، فهو جار. وقال الشاعر:

وكنت إذا جاري دعا لمضيفة ... أشمر حتى ينصف الساق مئزري

و جار الرجل واستجار: طلب أن يجار؛ والجراد معروف، واحده جرادة للذكر والأنثى، ومجير الجراد هو مدلج بن سويد الطائي. وذكروا إنه بينما هو ذات يوم في ظل خيمة إذ رأى قوما من طيء قد أقبلوا ومعهم الأوعية، فقال: ما شأنكم فقالوا: جراد بات بفنائك، فجئنا نأخذه. فلما سمع ذلك، قام إلى فرسه فركبه وتسلح وقال لهم: أيكون الجراد بفنائي وتريدون أخذه؟ والله لا يعرض له أحد منكم إلا قتلته! فلم يزل يحرسه حتى طلعت

عليه الشمس وطار، فقال: شأنكم الآن به، فقد تحول الآن عن جواري! فضرب به المثل.

حن حنين الثكلى

تقدم معنى الحنين: التي فقدت ولدها وتقدم أيضا. وحنين الثكلى شديد، كما تقدم في قولهم: أحر من دمع المقلات. وقالت أسماء المرية:

فإن بأكناف الرغام غريبه ... مولهة ثكلى طويلا نئيمها

وقال الخنساء في الثكلى من الإبل وحنينها:

فما عجول على من تحن له ... لها حنينان: إعلان وإسرار

ترتع ما غفلت إذا أذكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

يوما بأوجع مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار

ونحوه قول عبد الله بن الزبير الأسدي:

رمى الحدثان نسوة آل زيد ... بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

فإنك لو سمعت دعاء باكية حزين ... أبان الهر وأحدها الفقيدا

حن قدح ليس منها.

هذا المثل يضرب للرجل يدخل نفسه في القوم وليس منهم أو يمتدح بالشيء ليس من أهله. يروى أن عقبة بن أبي معيط لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله قال: أ أقتل من بين قريش؟ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حن قدح ليس منها! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهل أنت إلا يهودي من صفورية؟ وذلك أنهم ذكروا أن أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام وأقام بها عشر سنين. فوقع على أمة يهودية للخم من صفورية يقال لها ترنى فولدت له ذكرا فاستلحقه أمية وكناه أبا عمرو وهو أبو أبي معيط.

حنت ولا تهنت.." (١)

"دع: معناه اترك أصله الودع وهو الترك لكن لم يستعمل هذا المصدر إلا قليلا كقوله صلى الله عليه وسلم : لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعة الحديث. ولم يستعمل منه أيضا الماضي إلا قليلا كقوله صلى الله عليه وسلم :دعوا الحبشة ما ودعوكم. وقرئ: ما ودعك ربك وما قلى، بالتخفيف من هذا وإنما المستعمل منه كثيرا

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٠١

المضارع والأمر وهما بفتح عين الكلمة لمكان حرف الحلق نحو قع ويقع. وقد علمت من هذا إن حق هذا الحرف أن يذكر في باب الواو ولكن كتبناه في هذا الباب تقريبا لما أن الواو مستهلكة لا تظهر كما مر نظيره في حرف التاء. وبنيات الطريق الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الكبيرة وكأنها بنات لها من حيث إنها تنشأت عنها وخرجت منها. ثم أطلقوا بنيات الطريق على الأباطيل فضرب المثل عند أمر الرجل أن يقصد معظم الشأن ويدع سفساف الأمور. قال أبن منادر في قاضي البصرة:

أي قاض أنت للنقض ... وتعطيل الحقوق؟

يدع الحق ويهوي ... في بنيات الطريق

دعوا دما ضيعه أهله!

الدم معروف وفيه لغات: يقال دم وهي الفصحاء وأصله دمو ودمي فحذفت اللام. ويقال دم بالتضعيف كقوله:

أهان دمك فرغا بعد عزته ... يا عمرو بغيك إصرار على الحسد؟

قد شقيت شقاء لا انقضاء له ... وسعد مرديك موفور على الابد

و يقال دمى بالقصر مثل فتى وعصى كقوله:

كأطوم فقدت برزغها ... أعقبتها الغبس منها عدما

غفلت ثم أتت تطلبه ... فإذا هي بعظام ودما

الأطوام بوزن صبور البقرة والبرزغ ولدها والتضييع معروف. وهذا المثل من كلام جذيمة الأبرش المتقدم ذكره. وكانت الزباء لما احتالت على قتلته كما مر قيل لها: احتفظي بدمه فإنه إن يضع وتقع منه قطرة بالأرض طلبت بثأره. فلما قبضت على جذيمة وأجلس على النطع وجعل الخدم يقطعن رواشيه قالت الزباء: لا تضيعن دم الملك! فقال جذيمة: دعوا دما ضيعه أهله! والمعنى: اتركوا دما أراقه أهله! أي مستحقوه وهم الزباء أي فلا يهولنكم ضياعه ولا يهمكم حفظه ولا تتخوفوا إذا ضاع أن تطالبوا به لأنكم لم تريقوه ظلما. وهذا كما في الرواية الآخرى: لا يحزنك دم أرقه أهله! يخاطب الزباء. وتقدمت القصة مستوفاة. وجذيمة يحتمل أن يكون في هذه الرواية عبر بتضييع الدم عن إراقته مجازا ليشاكل لفظ الزباء؛ ويحتمل أن يريد معناه لصحته في المعنى ؛ وقد يكون جذيمة أراد أهله هو وأنهم ضيعوا دمه فيقول: إن دما جمعه وواليه ز خانه ناصره وحاميه جدير أن يحتفظ عليه وأن يضيع ولا يلتفت إليه.

دعوا دعوة كوكبية.

الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى دعا له وعليه يدعو دعاء والمرة منه دعوة. والكوكبية: قرية كان أهلها ظلمهم عامل فدعوا عليه دعوة فمات عقبها فضرب المثل بذلك.

ومما يشبه هذا ما حكاه صاحب المدخل أن قرية من أعمال السودان كان أهلها إذا ولى عليهم سلطان عاملا فانبسط عليهم دعوا فهلك. فلما أعيا السلطان أمرهم وتحير قام إليه بعض الحاضرين فقال: أنا ألي عليهم! فولاه السلطان بعد أن عرفه بكنه الأمر. فذهب ذلك الوالي فغصب ملحا واستصحبه معه ولم يكن في بلد السودان الملح. فلما بلغ موضع عمله قعد في المسجد ولم يصعد إلى موضع الأمير. فقالوا له: ألا تصعد إلى موضعك؟ فقال: إنما جئت على أن أكون واحدا منكم وأباشركم ولا أصدر إلا عن رأيكم أو كما قال. وبقى على ذلك حتى أعجبهم وحسنوا به الظن. فتمارض حينئذ فسألوه عن موجب مرضه فقال لهم: موجب المرض فقد الملح. فقالوا: نأتيك بالملح. فقال: لا أعرف أصله وإن عندي ملحا بالبلد أعرف جهته وأصله فلعله يكون فيه الشفاء. فإن أردتم أن أرسل من يأتي به وإلا فلا. فأذنوا له فأرسل إليه حتى بلغه ففرقه عليهم على وجه التبرك. فلما علم أنهم قد أكلوه قام إليهم ومد اليد إليهم وطلع إلى موضع الولاية حينئذ. وكان قبل يخشى من دعائهم لاقتياتهم الحلال الصرف. فلما دخل أجوافهم ذلك الملح علم أن دعاءهم لا يسمع عليه وكان في القوم رجلان تفطنا لذلك فلم يأكلا ملحهما. فلما ظهر أمره أتياه بما عندهما لم يفسد شيئا منه. فلما علم أنهما قد بقيا هرب خوفا منهما.." (١)

"التدميث: التسهيل. يقال: مكان دمث كفرح أي لين سهل. ودمث الشيء بالكسر يدمث دماثة فهو دمث. ودمثته أنا تدميثا: سهلته ولينته؛ والمضطجع بالفتح مكان الاضطجاع.

والمعنى أنك إذا أردت أن تنام فسو المكان ولينه وأزل ما فيه من الخشونة قبل اضطجاعك!يضرب في الاستعداد للنوائب قبل نزولها. ومثله قول تأبط شرا:

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للقصد مبصر

و قول الآخر:

ولكن من لا يلق أمرا ينوبه ... بعدته ينزل به وهو أعزل

و قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه: كان والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للأمور

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٣٩

أقرانها. ويروى إن من رأى عمر أبن الخطاب علم أنه خلق غناء للاسلام. كان والله أحوذيا . . الخ

الدم لا ينام.

هذا المثل من كلام قصير بن سعد لجذامة حيث شاورهم على الخروج إلى الزباء فقال له قصير: إن الزباء قتلت أباها والدم لا ينام وتقدم ذلك مشروحا. والمراد أن من كان له قبلك ثأر وثبت له عندك دم لا يغفل عنك وعن أخذ ثأره منك ليلا ولا نهارا ولا يكن منه سلم صحيح ولا مصافحة خالصة أبدا.

دهدرين، سعد القين.

دهدرين بضم الدالين وفتح الراء المشددة، وقد اختلف فيه: فقيل هو اسم مبنى بصيغة المثنى؛ وقيل هو تثنية دهدر وهو الباطل. ويقال أيضا دهدن بالنون على وزنه. قال الراجز:

لأجعلن لابنه عمرو فنا ... حتى يعود مهرها دهدنا

و هو في هذا المثل منصوب بفعل مضمر وسعد منادى وهو قين كان ادعى أن اسمه سعد زمانا ثم تبين كذبه والقين وصف له فقيل له ذلك أي جمعت كذبا إلى كذب يا سعد الحداد! وقيل إن دهدرين اسم فعل مبني بمعنى بطل كما بني شتان وهيهان وسعد فاعله والقين وصف له. والمعنى: بطل سعد القين. والمراد بطلان استعماله لتشاغل الناس عنه بالقحط. وحذف تنوين سعد في هذا الوجه تخفيفا لكثرة الاستعمال نحو: ولا ذاكر الله إلا قليلا. وقيل إن دهدرين موضعه رفع على الابتداء كأنه قيل: كلامك باطل أو فعلك باطل. وكذلك سعد أي أنت سعد القين أي مثله. وقيل إنه مركب وأصله ده أمر من الدهاء وكان الأصل دهى ثم قلب فقيل داه بجعل اللام موضع العين كما قيل: لا ع ولائع ودرين من قولك: در الشيء إذا تتابع. والمعنى: بالغ في الكذب يا سعد! وقد قيل إنه حداد عجمي يدور في اليمن. وكان إذا كسد في مخلاف قال بالفارسية: ده بدرود أي بالوداع يخبرهم إنه يخرج غدا ليستعملوه، فعرفوا به المثل في الكذب والباطل. وقالوا: إذا سمعت بسرى القين فانه مصبح،و قد تقدم ورواه بعضهم: دهدرين وسعد اليقين بالواو ونصب سعد. وروى آخرون: دهدرى مقصود بغير نون التثنية، وقالوا موضعه في ضرب المثل إذا رد على مخبر خبره، أو على فعله، أو حمق أحمق. وروى آخرون: دهدرين ساعد اليقين.

والمقصود من ذلك كله واحد وهو الباطل باللغو. فيضرب عند التكذيب للحديث وادعاء بطلان الأمر. وقال أبو زيد: يقال للرجل يهزأ به: طرطبين ودهدرين ودهدرا وسعد القين.

وللنا في هذا اللفظ أقاويل هذا حاصلها، والله اعلم.

الدهر حبلى لا يدرى ما تلد.

الدهر بفتح فسكون، وتحرك الهاء الزمان الطويل، والزمان الممدود، أو ألف سنة: هذا قول اللغويين. وللفلاسفة فيه كلام بيناه في علم الكلام؛ والحبلى: الحامل. قال امرؤ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ... وألهيتها عن ذي تمائم محول

حبلت المرأة بالكسر، حبلا، فهي حابلة، والجمع حبلة؛ وحبلى، والجمع حبليات وحبلى، والولادة معروفة. والمعنى أن الدهر، لا نبهام الأقدار الجارية فيه، وخفاء التصاريف الواقعة بذويه، شيبه الحلبى المنبهم أمر ذي بطنها، لا تعرف له ذكروة ولا أنوثة، ولا كمال ولا نقص، ولا حسن ولا قبح، حتى تلد فيتبين ذلك. وكذا الدهر لا يعرف فيما يأتي به من الأقدار والحوادث، أخير أم شر، وزيادة أم نقص، وسعة أم ضيق، حتى يقع ذلك فيظهر.

أدهى من ثعلب.." (١)

"وحكى أبو علي إنه اجتمع طريف بن العاصي الدوسي والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير فتفاخر، فقال الملك للحارث: يا حار، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم من قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان؟ فقال: أخبرك أيها الملك: خرج هيجان منا يرعيان غنما لهما، فتشاولا بسيفهما، فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا، فعاث فيه السيف فنزف فمات. فسألونا أخذ دية صاحبنا دية الهجين، وهي نصف دية الصريح، فأبى قومي، وكان لنا رباء عليهم، فأبينا إلا دية الصريح، وأبوا إلا دية الهجين. وكان اسم هجيننا بن زبراء صاحبهم عنقش بن مهيرة، وهي سوداء أيضا. فتفاقم الأمرين الحيين، فقال رجل منا:

حلومكم يا قوم لا تعزبنها ... و لا تقطعوا أرحامكم بالتدابر

وأودى إلى الأقوام عقل أبن عمهم ... و لا ترهقونهم سبة في العشائر

فإن أبن زبراء الذي فاد لم يكن ... بدون حليف أو أسيد بن جابر

فإن لم تعطوا الحق فالسيف بيننا ... و بينكم والسيف أجور جائر

فتضافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بطن من الأزد، فلحقنا بالنمر بن عثمان. فوالله ما فت في أعضادنا نأينا عنهم، ولقد أثارنا بصاحبنا وهم رأغمون، فوثب طريف بن العاصي من مجلسه، فجلس بازاء الحارث ثم قال: تالله ما سمعت كاليوم قولا أبعد من الصواب، ولا اقرب من خطل، ولا أجلب لقذع،

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٤١

من قول هذا. والله، أيها الملك، ما قتلوا بهجينهم بذجا، ولا رموا ودجا، ولا أنطوا به عقلا، ولا اجتفروا به خشلا. ولقد أخرجهم الحق عن أصلهم، وأجلاهم عن محلهم، حتى الإزعاج، ولجئوا إلى ضيق الولاج، قلا وذلا! فقال الحارث: أتسمع يا طريف؟ وإني والله ما أخالك كافا غرب لسانك، ولا منهنها شرة نزوانك، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك، وترد جماحك، وتكبت تترعك، وتقمع تسرعك! فقال طريف: مهلا يا حار، لا تعرض لطمحة استناني، وذرب سناني شبابي، وميسم سبابي، فتكون كالأظل الموطوء، والعجب الموجوء! فقال الحارث: إياي تخاطب بهذا القول؟ فوالله لو وطئتك لأسختك، ولو وهطتك لآوهطك، ولو نفحتك لأفدتك! فقال طريف متمثلا:

وإن كلام المرء في غير كنهه ... لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها!

أما والأصنام المحجوبة، والأنصاب المنصوبة، لئن لم تربع على ظلع وتقف عند قدرك، لأدعن حزنك سهلا، وغمرك ضحلا، وصفاك وحلا! فقال الحارث: أما والله لورمت ذلك لمرغت بالحضيض، وأعصصت بالجريض، وضاقت عليك الرحاب، وتقطعت بك الأسباب، ولألفيت لقنى تهاداه الروامس، بالسهب الطامس فقال طريف: دون ما ناجتك به نفسك مقارعة أبطال، وحياض أهوال، وحفز إعجال، يمنع معه تطأ من الإمهال! فقال الملك: أيها عنكما، فما رأيت كاليوم نقال رجلين لم يقصبا ولم يثلبا، ولم يلصوا ولم يقفوا! انتهى.

قوله: مقاول، والمقاول: الملوك دون الملك الأعظم؛ وكذا الأقيال والأقوال. وقال امرؤ القيس:

وماذا عليه إن ذكرت أوانسا ... كغزلان رمل في محاريب أقوال؟

و تشاولا: تضاربا؛ وعاث السيف: افسد: ونزف: سال دمه حتى ضعف. والهجين من الناس: الذي أبوه عربي وأمه غير عربية؛ والمقرف عكسه؛ والصريح: الخالص الطرفين، والرباء: زيادة العقل: الدية وأرهقه: كلفته، وفاد: مات. قال لبيد:

رعى خزرات المكل عشرين حجة ... و عشرين حتى فاد والشيب شامل

و فت: أوهى وأضعف، وأثارنا: افتعلنا، من الثأر، والخطل: الخطأ، والقذع: الكلام القبيح، والبذج: الخروف، الفارسي معرب، وأنطوا: أعطوا. قال الأعشى:

جياد في الصيف في نعمة ... تصان الجلال وتنطى الشعيرا." (١)

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٨٤

"ويقال أشام من البسوس. والبسوس أيضا اسم امرأة من العرب، وهي خالة جساس بن مرة. وكان لمرة هذا عشرة من الولد، منهم جساس، ونضلة والحارث وهمام بنو مرة وهم من بني بكر بن وائل. وكان كليب بن ربيعة التغلبي من العزة والشرف في وائل بالمحل الذي لم يدرك وكان تحت كليب جليلة بنت مرة أخت جساس وكان لكليب حمى حماه لا يقربه أحد. ثم إن جساس جاءته خالته البسوس فنزلت عليه، وكان لها أبن، وناقة يقال لها سراب بفصيلها. فدخلت سراب حمى كليب، فوجدها فيه وقد كسرت بيض حمر قد أجارها. فرماها بسهم فأصاب ضرعها. ويقال إنه سأل عن الناقة فقيل له إنها لخالة جساس، فقال: أو يبلغ من قدره إن يجير دون إذني؟ وكان لا يجير أحد إلا بإذن كليب. فقال: يا غلام، ارم ضرعها! فرماه بسهم وقتل فصيلها، ونفى ابل جساس عن المياه وطردها على شبيث والاحص، وهما ماءان، حتى بلغ غدير الذئاب، فجاء جساس فقال: نفيت عن ال مياه مالي حتى تهلكه! فقال كليب: أنا للمياه شاغلون فقال استحللت تلك الإبل! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه. فلما أحس بالموت قال: يا جساس، اسقني ماء! فقال: تجاوزت شبيبا والأحص! وآحتز رأسه وجاء مسرعا. فقالت أخته لأبيه: إن جساس جاء خارجة ركبتها. فقال: والله وا خرجتا إلا لأمر! فلما بلغه قال: ما وراءك؟ قال: طعنت طعنت لتشغلن شيوخ وائل رقصا! قال: فتلت كليبا؟ قال: نعم! قال: وددت انك وأخوتك متم قبل هذا! ما بنا إلا أن تتشاءمنا وائل! ثم لقيه أخوه نضلة فقال:

وإني قد جنيت عليك حربا ... تغيض الشيخ بالماء القراح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت علي حربا ... فلا وان ولا رث السلاح

و كان أخوه همام قد آخى مهلهلا، أخا كليب، وعاهده إلا يكتمه شيئا. فجاءته أمه له وعنده مهلهل، فأسرت إليه الخبر. فقال الملهل: ما قالت؟ فلم يخبره، فذكر العهد فقال أخبرت أن جساسا قتل أخاك كليبا. فقال: أست أخيك أضيق من ذلك! فقال مهلهل في ثأر أخيه، واجتمعت أشراف تغلي وأتوا مرة فتكلموا في القصاص من جساس وإخوانه. فذهب مرة إلى الدية فغضبت تغلب ووقعت الحرب بينهم أربعين سنه حتى ضربت بها العرب المثل الشؤم والشدة. وهي التي يقال لها حرب البسوس. ومن جملة ما وقع بينهم خمس وقائع عظام، أولاها يوم عنيزة، وهو المذكور في قصيدة مهلهل الرائية المشهورة، حيث قال:

كأنا غدوة وبني أبينا ... ببطن عنيزة رحيا مدير

و آخرها قتل جساس بن مرة. وكان سبب قتله أن نساء تغلب لما اجتمعن للمأتم على كليب، قلن لأخت

كليب: رحلي جليلة عن مأتمك، فإن قيامها عار علينا وشماتة بنا! فقالت لها: اخرجي يا هذه عن مأتمنا، فإنك شقيقة قاتلنا! فرحلت وهي حامل. فولدت غلاما وسمته هرجسا، ورباه جساس، فكان لا يعرف أبا غيره، فزوجه ابنته. فوقع يوما بينه وبين بكري كلام، فقال البكري: ما أنت بمنته حتى الحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل إلى أمه فسألها الخبر. فلما أوى إلى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفسة نفط ما بين ثدييها من حرارتها. فقامت الجارية فزعة ودخلت إلى أبيها فأخبرته فقال: ثائر ورب الكعبة! فلما أصبح أرسل إلى الهجرس فأتاه فقال: إنما لأنت ولدي ومعي وقد كانت الحرب في أبيك زمنا طويلا حتى تفانيا وقد اصطلحنا الآن. فانطلق معي حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا! فقال: نعم ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بسلاح! فأتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال: هذا أبن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه. فلما قربوا الدم أخذ بوسط رمحه وقال: وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه ودرعي وزريه! لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه. ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه.فكان آخر قتيل نتهم.

وفي هذه القصة اضطراب كغيرها من الحكايات الجاهلية.

أشأم من خوتعة.

خوتعة بالتاء المثناة على مثل جوهرة هو رجل من بني عقيلة ذل كنيف بن عمر التغلبي وأصحابه على بني الزبان الذهلي لترة كانت لهم في عمرو بن الزبان فقتلهم. وتقدم شرح القصة وما يعرف به وجه الشؤم في حرف الهمزة.

أشأم من الأخيل.

الأخيل هو الشقراق وقيل طائر آخر وهو مشؤوم وجمعه خيل بكسر الخاء.

أشأم من داحس.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٤ """""""

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا . . . تلاقي الذي يلقون منا لملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم . . . ظلال بيوت أدفأت وأظلت

فقر من كلامه رضي الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله .

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٣٤٣

ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي ، والنكث ، والمكر . إن الله قرن وعده بوعيد ؛ ليكون العبد راغبا وراهبا .

ولما توفي ، رضي الله عنه ، وقفت عائشة على قبره ، فقالت : نضر الله وجهك يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها ، وللآخرة معزا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) ، رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لما وهى شعبه وتفاقم صدعه ، ورجفت جوانبه ؛ فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك .

وقال أبو بكر لبلال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء ، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك : الوافر :

هنئيا زادك الرحمن خيرا . . . فقد أدركت ، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا . . . غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى . . . تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي . . . جلا أطراف متنيه الصقال

بعض ما قاله عمر بن الخطاب

وكتب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى ابنه عبد الله : أما بعد ، فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٢ """""""

بلطف عن غير خبرة ؛ ثم أعقبتني جفاء عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولك في إخائك ، وأيأسني آخرك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحا ، ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل : الطويل :

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ١/٤٤

رأيت فضيلا كأن شيئا ملفعا . . . فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

فأنت أخي ما لم تكن لي حاجة . . . فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا

كلانا غني عن أخيه حياته . . . ونحن إذا متنا أشد تغانيا

فلا زاد ما بيني وبينك بعدما . . . بلوتك في الحاجات إلا تماديا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة . . . كما أن عين السخط تبلي المساويا

والقائل أيضا : الكامل :

لسنا وإن أحسابنا كرمت . . . يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا . . . تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش : أنشدني محمد الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل : الطويل :

تقول ابنة العمري : ما لك بعد ما . . . أراك صحيحا كالسليم المعذب

فقلت لها : همي الذي تعرفينه . . . من الثأر في حيي زبيد وأرحب

إن أغز زبيدا أغز قوما أعزة . . . مركبهم في الحي خير مركب

وإن أغز حيي خثعم فدماؤهم . . . شفاء وخير الثأر للمتأوب

فما أدرك الأوتار مثل محقق . . . بأجرد طاو كالعسيب المشذب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٢٠ """""""""

فيما يحله الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سمو نفس ، وعلو همة ، حتى رأينا من لا يحضر تزويج كريمته ، ويولي أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى ألا ينكح مستنكحا ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ، وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ، فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفيائه ؛ حياء من لقائهم ، وكرها لتهنئتهم له أو عزائهم ، واضطرته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكة في تحامي خطابه فيما اجتنب لأجله خلانه ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيل ذلك المقصود أنه إنما لجأ إليه ليسليه ؛ فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذي جعله وحيدا خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أحظى ، وفي نفسه

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٩٢/١

أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفي نفسه أشفت ، ونقم على ذلك الصديق وعتب ؛ إذ لكل من الناس – إلا من طاب محتده وطال سؤدده – حال من الإلف والرغبة تحسن المساوي ، ثم حال من الملل والزهادة تقبح المحاسن ؛ واعتذر المتكلف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يرده صفيه ، فإنه فعل ما أوجبته الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقارب الظنون والوشاية ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ؛ فلما وقع بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بفرع سن الأسف على تخيل النهى والوقار من الممقوت ، وظاهر الممقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمه ، الذي تجشم من كلامه فيه فضلا ، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلا ؛ فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثأر .

فإن اضطر إلى القول في هذا المعنى أحد بأمر قاهر من السلطان ، أو حوادث الأزمان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد عنه بدا : أنت – بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إياك – حق أهل الدين ، وخلوص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة في محظور تبيحه ، فكذا لا تتبع الأنفة في مباح تحظره ؛ وقد اتصل بنا ما اختاره الله والقضاء لذات الحق عليك ، المنسوبة – بعد نسبك إليها – إليك ، مما كرهه إباؤك الدنيوي لك ولها ، ورضيه الحلال الديني له ولها ، فنحن نعزيك عن فائت محبوبك ، ونهنئك في الخيرة في اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبدا معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ، ونحوه أصوب وأسلم ، إن اضطررت إليه ، وتركه أحسن وأحزم ، إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلطف للكتابة عما يستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدها .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٠٢ """"""""

تسعني لولا ذمامه ، ولي في بيتي قيس مثل صدق ، وإن صدرا مصدر عشق : الطويل :

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني . . . بقول يحل العصم سهل الأباطح

تجافيت عني حيث لا لي حيلة . . . وخلفت ما خلفت بين الجوانح

نعم . قنصتني نعم الشيخ الجليل ، فلما علق الجناح ، وقلق البراح ، طرت مطار الريح ، بل مطار الروح ، وتركتني بين قوم ينقض مسهم الطهارة ، وتوهن أكفهم الحجارة ، وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، أنه قال : قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ؟ فقلت : يا أحمق ، إن استطعت أن تراني محتاجا ، فاستطع أن أراك محتاجا إليك . أف لقولك ولفعلك ، ولدهر أحوج إلى مثلك

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٣٢٠/١

وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض وجهي بكتاب يسود وجهه ، ويعرفه قدره ، ويملأ رعبا صدره ، إلى أن تبين على صفحات جنبه ، آثار ذنبه .

وله إليه يعاتبه : قد عرف الشيخ الجليل اتسامي بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكانا لبلغته معه ، وأراني كلما قدمت صحبة ، رجعت رتبة ، وكلما طالت خدمة ، قصرت حشمة ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبدا حبشيا ، ويضع قرشيا ، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رتبة كوكبها لا يغور ، ومنزلة لولبها لا يدور ، فإذا عرفت قدري وخطه ، لم أتخطه ، ثم إن رأيت محلي وحده ، لم أتعده ، إن قدمني يوما عليها علمت أن عناية قدمتني ، وإن أخرني عنها علمت أن جناية أخرتني . رفع علي اليوم فلان ولست أنكر سنه وفضله ، ولا أجحد بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه ، لا في الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام العالية ؛ وشديد على الإنسان ما لم يعود ؛ فإن كان حاسد قد هم ، أو كاشح قد نم ، أو خطب قد ألم ، أو أمر قد رقع وتم ، فالشيخ الجليل أولى من يعرفه ويعرفنيه ، وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى بيعي بعد ابتياعي ؟

عود إلى المأمون

ولما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : ولي الثأر محكم في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرجاء أمن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك .

ثم قال : المجتث :

ذنبي إليك عظيم . . . وأنت أعظم منه." (١)

"كل عامر وغامر وائتمر الجم من دعوة الحق إلى أمر آمر وآتى الناس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كل ضامر وكاثرت الرياض أزهار البطاح لونا وعدا وسدت الحشود مسالك الطرق العريضة سدا ومد بحرها الزاخر مدا فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا وهذه المدينة هي الأم الولود والجنة التي في النار لسكانها الخلود وكرسي الملك ومجنبته الوسطى من ذلك السلك باءت بالمزايا العديدة ونجحت وعند الوزان بغيرها من أمات البلاد رجحت غاب الأسود وجحر الحيات السود ومنصب التماثيل الهائلة ومعلق النواقيس الصايلة وأدنينا إليها المراحل وعينا ببحار المحلات المستقلات منها على الساحل ولما اكتسبنا جوارها وكدنا نلتمح نارها تحركنا

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٥٠٢/١

ووشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم قد دار دايره والليل من خوف الصباح على سرحه المستباح قد شابت غدايره والنسر يرفرف باليمن طايره والسماك والرماح **يثأر** بعز الإسلام ثائره والنعايم راعدة فرائص الجسد من خوف الأسد والقوس يرسل سهم السعادة بوتر العادة إلى أهداب النعم المعادة والجوزاء عابرة نهر المجرة والزهرة تغار من الشعرى العبور بالضرة وعطارد يسدي في حبل الحروب على البلد المحروب ويلحم ويناظر أشكالها الهندمية فيفحم والأحمر يبهر والعلم الأبيض يفري وينهر والمشتري يبدي في فضل الجهاد ويعيد ويزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفات ويزيد وزحل عن الطالع منزحل وفي زلق السقوط وحل والبدر يطارح حجر المنجنيق كيف يهوى إلى النيق ومطلع الشمس يرقب وجدار الأفق يكاد بالعيون عنها يرقب ". (١)

"سرورا ننازعكم منه فضل اللباس وفضله ذلك الكاس فإن اتصال الحقوق إلى أهليها وكون رتب الآباء تستقر في لاحق بها من بنيها مما جبلت النفوس على استحسانه **وإيثاره** ويجده كل قلب وفق اختياره فكيف إذا تعاضد ذلك ود متوارث عن السلف محفوظ بدره عن الكلف فنحن نهنيكم والهنا شامل ونؤمل لكم المزيد والله لا يخيب لديه آمل ونسله أن يسعدكم بما صار لكم ويجعل في طاعته عملكم ويشكر كم فيمن شكر آلاءه ونعمه وذكر فضله وكرمه وهو تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته ووصلت الأخبار بما جرت به الحادثة من دخول عدو قبرس مدينة الإسكندرية ثم رجع المسلمون إليها وتدارك السلطان بمصر أمرها ورام أخذ **الثأر** من العدو وأنشأ الأساطيل صدرت مخاطبة السلطان بالأندلس رضي الله عنه من إملائي ما نصه وتوجه الرسل بذلك إلى بابه الأبواب الشريفة التي تعنو لعزة قدرها الأبواب ويعتزي إلى نسب ءدلها الحكمة والصواب وتناديها الأقطار البعيدة مفتخرة بولائها واصلة السبب بعلائها فيصدر بما يشفي الجوى منها الجواب فإذا حسن مناب عن أئمة الهدى وسباق المدى كان منها عن عمومة النبوة النواب وإذا أضفت على العفاة بغيرها أثواب الصلاة ضفت منها على الكعبة المقدسة الأثواب أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الظاهر الطاهر الأوحد الأسعد الأصعد الأمجد الأعلى العادل العامل العالم الفاضل الكامل سلطان العدل وحيد الفضل جمال الإسلام علم الأعلام فخر هذه الأيام ملك البرين والبحرين مؤمل الأمصار والأقطار عاصب تاج الفخار هازم الفرنج والترك والتطار الملك المنصور أبو الفتوح شعبان ابن الأمير الرفيع

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١/١٦٧

المجادة الكريم البنوة والولادة الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الأسمى الموقر
". (١)

"الصادقين حيث الإغارة لعدو الإسلام تتقي ولاثنية إلا لابتغاء ما لدين الله ترتقي حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها بدار العرب الذين قارعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا **الآثار** وأرغموا الكفار وأقالوا **العثار** وأخذوا **الثأر** وأمنوا من لفح جهنم بما علا وجوههم في ذلك الغبار فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم إلى إحدى الحسنيين والصبح غير خاف عند ذي عينين والفضل الجاهز لإحدى المنزلتين فإنكم إذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه وفضلا ارتديتموه فائدته عليكم مقصورة وقضيته فيكم محصورة وإذا أقمتم الجهاد جلبتم إلى حسناتكم عملا غريبا واستأنفتم سعيا من الله قريبا وتعددت المنفعة إلى ألوف من النفوس المستشعرة لباس البؤس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطلنا وأعنة الإدلال أرسلنا هذا لو قدمتهم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار فإن قوى عزمكم والله يقويه ويعيننا من بركم على ما ننويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها أخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا بذكركم الله في رباها حلاوة زائدة ولا تعدموا فيها من روح الله فائدة وتتكيف نفسكم فيها تكييفات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم وتروا أثر رحمته فيكم وتخلفوا
". (٢)

"الرفيعة من عدد الإيمان ومن له بذاته وسلفه علو الشان وسمو المكان والحسب الوثيق البنيان ولبيته الكريم من نجد حق السابقة في ولاية هذه الأوطان والمدافعة عن حوزة الملك وحمى السلطان إن فوخر فاصدعوا بالمفاخر المعلومة ومتوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة وتزينوا من خيلاء العز بالتيجان المنظومة فهم سيوف الدين وأبطال الميادين وأسود العرين ونجوم سماء بني مرين وكان سلفه الكريم رضي الله عنه يستضيء من رأيه بالشهاب الثاقب ويحله من بساط تقريبه أعلى المراتب ويستوضح كنه جميع المذاهب ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو المكاذب ويرى أن عز دولته وسيف صولته وذخيرة فخره وسياج أمره جدد له هذه الرتب

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١/٢٦٧

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١/٤٨٠

تجديدا صير الغاية منها ابتدا واستأنف به أعلا ولم يدخر به حظوة ولا اعتنا وحين صير الله إليه ملك المولى أبيه بمظاهرته ورأيه وقلده قلادة الملك الأصيل وراثة آبائه وحمد سعيه بعد أن سبق الألوف إلى الأخذ **بثأره** وعاجلت البطشة الكبرى يد ابتداره وأردى بنفسه الشقى الذي سعى في تبديد الإسلام وإطفاء أنواره على تعدد خلصان الملك يومئذ وتوفر أنصاره فاستقر الملك في قراره وانسحب الستر على محله وامتد ظل الحفظ على داره عرف وسيلة هذا المقام الذي قامه والوفا الذي رفع أعلامه فألقى إليه في مهم الأمور بالمقاليد وألزمه ملازمة الحضور مجلسه السعيد وشد يد الاغتباط على قربه مستمنحا منه بالرأي السديد ومستندا من وده إلى الركن الشديد وأقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه فهو فيهم يعسوب الكتيبة ووسطى العقد الفريد وفذلكة الحساب وبيت القصيد فدواره منهم للشريد مأوى الطريف والتليد والكفيل بالحسنى والمزيد يقف ببابه أمراؤهم ويركض خلفه كبراؤهم مجددا من ذلك ما عقده سلفه من تقديمه وأوجبه مزية حديثة وقديمة فهو شيخ الغزاة على اختلاف
". (١)

"ينوب عن أنس العز فيحسن المناب ويحمى خوزة المجد فيصون الجناب وثبت له الضرائر النابتة فيرفع بالعذر ما ناب ولا زالت منابر بلاغته للكرامات العمرية مظهرا ومناسك مبراته لحاج الحمد والشكر حجا ومعتمرا ولا برحت أقلامه تأسو الكلام وتنصر الأخ كان الظالم على تأويله أو الظلوم وتنشر العلوم والحلوم وفقت من المراجعة الوزارية بخط اليد البيضاء المستمدة من جيب الحلم والإغضاء المقلمة الظفر مع المضاء الصادعة بحجة سر الاختيار والارتضاء في غيب القضاء ساكبة غمام الرحمات على الرمضاء فقلت اللهم بارك لذي الخلق الحسن فيما وهبت وأمتعهم منها بما قضيت وما كتبت فنعمت الحضة الصادر بها منشور أمرك لزيدك وعمرك صفة أنبيائك و أجياد عقود ثنائك وإمارات اختصاصك في عالم الغيب واعتنائك ما الذي اشتمل عليه ذلك المكتوب والعلم الموهوب من أسرار وخلق أبرار وأحلا غطى على أمرار وتنبيه بحكم انجرار واعتدال دار فلكه على قطب دار قرار فلله تلك الذات العمرية ما ألطف شمائلها وأورف خصائلها لعمري إن السعد لمتوليها ومظهر **ثأرها** بفضل الله ومعليها زادها الله من فضله أضعافا ولا قطع عنها إسعادا وإسعافا وجعل سنان نصرها رعافا وقوى ضدها موتا زعافا وشيمة مجدها عدلا وإنصافا وتخلقا بالجميل واتصافا غير أن النفس كالصبي والغلام الغبي إذا تسومح في زجره وأدبه جرى من التمادي على مذهبه فشرهها كثير ولجاجها

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٢/٤٦

لنكير الحق مثير جعلنا الله ممن شد خطامها وأحكم عن رضاع ثدي العوائد فطامها طمحت للمراجعة في عنان الهور ومشت قطوفا بين مهاوي العور فقلت وبماذا يجيب من انقطع وكيف بلبل الشك والحق قد سطع إذ كان خيالك لليلى الأخيلية فقد قطع حجاج الحجة لسانه بأن أفاض عليه إحسانه وإن كان ". (١)

" بصحبته أن لا يعد شتمه شتما ولا إغلاظه أغلاظا ولا التقصير في حقه ذنبا لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة فإن أنزله الوالي منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقن بها وليجانب معه كلام الملق **والأكثار** من الدعاء في كل وقت وكثرة الانبساط فرب كلمة **أثارت** الوحشه بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند الناس فإن غضب فليحتل في تسكين غضبه باللين والمداراة ولا يكون سببا لتهييجه

ولقد حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال بعث أبو جعفر الى جعفر بن محمد قال إني أستشيرك في أمر إني قد تأنيت أهل المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ولا يعتبون وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها وأغور عيونها فما ترى فسكت جعفر فقال مالك لا تكلم قال إن إذنت لي تكلمت قال قل قال يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإن أيوب أبتلى فصبر وإن يوسف قدر فغفر وقد جعلك الله من النسل الذي يعفون ويصفحون قال فطفيء غضبه وسكن

حدثني محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا محمد بن أبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال لما استقرت للمأمون الخلافة دعا إبراهيم بن مهدي المعروف بابن شكلة فوقف بين يديه فقال أنت المتوثب عليها تدعى الخلافة فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين أنت ولي **الثأر** محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فإن أخذت أخذت بحق وإن عفوت عفوت بفضل ولقد حضرت أبي وهو جدك أتي برجل كان جرمه أعظم من جرمي فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة فقال المبارك بن فضالة إن رأى أمير المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله ." (٢)

"فيه قولان: أحدهما أن جوف العير لا ينتفع منه بشيء، يعني العير الوحشي. والقول الثاني: إن العير ها هنا رجل من العمالقة كان له بنون، وواد خصب، وكان حسن الطريقة، فسافر بنوه في بعض أسفارهم

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ١٥٨/٢

(٢) روضة العقلاء، ص/٢٧٦

فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله، وقال: لا أعبد ربا أحرق بني، وأخذ في عبادة الأصنام. فسلط الله على واديه نارا والوادي بلغة أهل اليمن: الجوف فأحرقته فما أبقى له شيئا، وهو تضرب به الأمثال فيما لا بقير فيه. والخليع المقامر، وقيل هو الذي قد خلع عذاره، فلا يبالي بما ارتكب، وقيل الخليع المخلوع الذي خلعه قومه، إذا قتل لا يطلب بنو عمه بثأره، وإذا قتل لا يطالب بنو عمه بثأر من قتل، والمعتل الكثير الخطأ، والكاف منصوب بيعوي.

فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تهول

أي أن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك، وقوله إن شأننا قليل الغنى أنا لا أغنى عنك، وأنت لا تغني عني، أي أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له ومن رواه طويل الغنى أراد همتي تطول في طلب الغنى.

طرحت له نعلا من السبت طله خلاف ندى من آخر الليل مخضل]

كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث وحرثك يهزل

أي إذا نلت شيئا أفته وكذلك أنت إذا أصبت شيئا أفته، ومن يحرث حرثي وحرثك أي يطلب مني ومنك لم يدرك مراده.

وقال قوم: من كان هذا فيه وطلبته مثل طلبتي وطلبتك في هذا الوضع مات هزالا لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد فهذه الأبيات الأربعة من الزيادات فيها.

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

". (١)

"أي تغري بيننا وبينهم كأنه التصق بيننا العدواة من الغراء وتردي تهلك، يقال ردي إذا هلك وأرداه غيره برديه.

لأعرفنك إن وجدت عداوتنا والتمس النصر منكم عوض تحتمل

عوض اسم للدهر، ويروى بفتح الضاد مثل حيث وحيث.

يقول لأعرفنك إن التمس النصر منك دهرك، واحتملوا أي اذهبوا، من الحمية والغيظ وتحتمل أي تذهب وتخلي وقومك.

تلزم أرماح ذي الجدين سورتنا عند اللقاء فترديهم وتعتزل

---

(١) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

ويروى.

تلحم أبناء ذي الجدين إن غضبوا أرماحنا ثم تلقاهم، فتعتزل

تلحم: تجعلهم لحمة، أي تطعمهم إياهم وذو الجدين قيس بن مسعود بن خالد أسر أسيرا له فداء كثير فقال رجل: أنه لذو جد في الأسر، وقال آخر إنه لذو جدين فصار يعرف بهذا. والسورة: الغضب. ويروى شوكتنا وهو السلاح.

لا تقعدن وقد أكلتها حطبا تعوذ من شرها يوما وتبتهل

أكلتها: أججتها، تبتهل تدعو إلى الله من شرها.

سائل بني أسد عنا فقد عملوا أن سوف يأتيك من أبنائنا شكل

شكل: أي أزواج: خبر ثم خبر وشكل اختلاف، وأن هذه التي تعمل في الأسماء خففت وسوف عوض، والمعنى أنه سوف يأتيك ولا يجوزها هذا إلا مع سوف والسين.

ويروى من أيامنا شكل أي أيامنا المتقدمات وما فيها من حروب.

واسأل قشيرا وعبد الله كلهم واسأل ربيعة عنا كيف نفتعل؟

إنا نقاتلهم حتى نقتلهم عند اللقاء وإن جاروا وإن جهلوا

ويروى أن بفتح الهمزة على البدل من قوله، فقد علموا أنه سوف، والكسر أجود على الابتداء والقطع عما قبله، ويروى ثمت نقتلهم، فمن روى ثمت نقتلهم أنث ثم جعل تأنيثها بمنزلة التأنيث الذي يلحق الأفعال بها في الوقف كما يفعل في الأسماء.

قد كان في آل كهف إن هم احتربوا والجاشرية ما تسعى وتنتضل

ويروى إن هم قعدوا، ولم يطلبوا بثأرهم، فقد كان فيهم من يسعى، وينتقم لهم والجاشرية امرأة من إياد. وقيل بنت كعب بن مامة يقول قد كان لهم من يسعى فما دخولك بينهم، ولست منهم؟

إني لعمر الذي حطت مناسمها تخذى وسبق إليها الباقر الغيل

". (١)

"كأن البرين والدماليج علقت على عشر أو خروع لم يخضد

البرين: الخلاخيل واحدتها برة، والعشر شجر أملس مستو ضعيف العود. شبه عظامها وذراعيها به لملاسته،

---

(١) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

واستوائه وكل ناعم خروع. لم يخضد: لم يثن يقال خضدت العود أخضده خضدا؛ إذا أثنيته لتكسره وفي برين لغات من العرب من يجعل إعرابه في النون، ومنهم من يجعله بمنزلة مسلمين والدماليج جمع دملج، وكان يجب أن يقول دمالج، فيجوز أن يكون جمعا على غير واحد، ويجوز أن يكون أشبع الكسرة فتولد منها ياء، ويجوز أن يكون بناؤه على دملوج وهو الوجه.

فذرني أروي هامتي في حياتها مخافة شرب في الحياة مصرد

الشرب بكسر الشين وبالضم اسمان للمشروب، والشرب بالفتح مصدر، وقد تكون الثلاثة مصدرا، والمصرد: المقلل والمنغص.

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي؟

ويروى إذا متنا صدى أي عطشا، والصدي العطشان، ويروى صدى بفتح الصاد ويروى صدا، والمراد بـالصدي في هذه الرواية، ما كانت العرب تزعمه في الجاهلية: إن الرجل إذا قتل، ولم يدرك **بثأره**، خرج من رأسه طائر يشبه البوم، فيصيح اسقوني، فإذا أخذ **بثأره** سكن، والصدى في هذا قالوا بدن الميت، والصوت الذي يسمعه من ناحية الجبل ونحوه.

وذكر البوم، ويقال له هو صدي مال أي الذي يقوم به، وقوله يروي نفسه أي من الخمر ثم حذف ليعلم المخاطب، ومن روى صدى بالإضافة أراد الصدى أينا العطشان والصدى أيضا حشوة الرأس، وكانوا في الجاهلية يقولون إذا مات الميت خرجت من قبره هامة تزقو عليه، وكانوا يسمون الصوت الصدى، فأبطل ذلك الإسلام، فقال عليه السلام: لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد

". (١)

"كما قيل الكريم يرعى حق اللحظ ويتعهد حرمة اللفظ وقالوا وجه الكريم جنة وكنفه جنة كان بعض الهاشميين إذا نزل به جار قال له يا هذا إنك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك علي دونك فاحتكم علي حكم الصبي على أهله وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها وذلك أن الصبي إذا كان عزيزا في أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون في تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدموه على أترابه وكان حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل بفنائه

---

(١) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

جراد فغدا أهل الحي إليه ليدفعوه عنهم فمنعهم منه وقال لهم ما تريدون منه قالوا نريد قتله فإنه نزل بجوارك فقال أما إذ سميتموه جاري فوالله لا تصلون إليه أبدا وطردهم عنه وكان ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بأرضه ولا تضار وحكى أن زيادا الأعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على أبيه فجلسا يوما يشربان في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال له حبيب إنها فاقدة ألف كنت أراه معها فقال زياد هو اشد لشوقها ثم أنشد

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تضاري

وعشك أصلحيه ولا تخافي ... على زغب مصغرة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فأما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فأصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه إلى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار أبي لبابة جاري وذمته ذمتي والله لألزمنك دية الحرو أخذ له من ماله ألف دينار فقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب

قضى ألف دينار لجار أجرته ... من الطير إذ يبكي شجاه ويندب." (١)

"هم المانعون الجار حتى كأنما ... لجارهم فوق السماكين منزل

ولآخر

الباذلون الندى والناس باخلة ... والمانعون وحق الجار يخترم

من صنيع من زكت في الكرم أرومه

صون المضيم بنفسه من عدو يرومه

ورد في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود اسمع مني والحق أقول من لقيني بحسنة واحدة حكمته في رحمتي قال داود يا رب وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب كربته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله في عون

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/١٢

العبد ما دام العبد في عون أخيه ويقال من كفارات عظائم الذنوب إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب وقيل أفضل المعروف إغاثة الملهوف ومن أمثالهم رب أخ لك لم تلده أمك فمن الأخبار في ذلك ما حكى إن حاتما الطائي مر بأرض غزة فناداه أسير يا أبا سفانة أكلني القد والأسار والقمل فقال ما أنا بأرض قومي وقد أخطأت إذ نوهت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خل عنه سبيله واجعلني في القد مكانه ففعل وبعث إلى قومه فأتوه بما فدى به نفسه وذكر إن بني كلب بن وبرة أغاروا على حي من أحياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستنجدوا عليهم وقالوا أما الثأر وأما الديات فسألوهم المهلة في ذلك إلى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا ماء ماء وحيا حيا فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا زهاء مائة نفس فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارة بن عدي فسألوه ذلك فقال قولوا شعرا وخذوها فلم يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأتوا على بني مجاشع فمروا بواد قد امتلأ إبلا وبه صعصعة جد الفرزدق وهو بفناء إبل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة هذا أول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد ومما يمتزج بما ذكرناه امتزاج اللبن بالماء القراح ويتعلق به تعلق الأنامل بالراح ما حكاه الجهشياري في كتاب الوزراء إنه لما تفرق الأمر عن مروان بن محمد الجعدي طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشى عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع ما يكره فقال لهم تثبتوا فإن في عبد الحميد علامات يعرف بها فأرسلوا إلى مرسلكم من يستوصفها منه فأينا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بدنه فأخذ وحمل إلى أبي العباس السفاح فولي عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وأنا ذاكره فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وقريب من هذه الحكاية ما حكاه صاحب المستجاد قال لما أحرق جامع مصر ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا لهم خانا كانوا يبيعون فيه الزيت فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت في يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت في حجر رجل رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا أم لي ما باليت فالتفت إليه شاب كان إلى جانبه فقال له في رقعتي الجلد ولا أم لي فخذ رقعتي وادفع

إلي رقعتك فأبى عليه فأقسم أن لا بد ففعلا فقتل هذا وجلد هذا وحكى الزبير بن بكار في كتابه الذي سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحرث بن هشام وعكرمة ابن أبي جهل وسهيل بن عمرو فأتوا بماء وهم صرعى وفيهم رمق فتدافعوه كلما دفع إلى رجل منهم قال إسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه مسلم بن الوليد يمدح من هذه خلقه

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال عمارة بن حمزة

ينسى مضرته لنفع صديقه ... لا خير في شرف إذا لم ينفع

البحتري

يخونك ذو القربى مرارا وربما ... وفي لك عند العهد من لا تناسبه." (١)

"ولما تبعته العرب وارتدت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى اليمامة فقاتل بني حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والأنصار وانهزم مسيلمة ومن بقي معه فأدركه وحشي بن حرب فقتله وأسلمت سجاح فيما بعد وحسن إسلامها ووحشي هذا هو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ووحشي يومئذ كافر وقال عند قتله لمسيلمة يا معشر العرب إن كنت قتلت بهذه الحربة أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قتلت بها اليوم أبغض الخلق إلى رسول الله فهذه بتلك وكان خروجه لعنه الله آخر سنة عشر من سني الهجرة قبل حجة الوداع وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون أي يجحفون فلما قرئ كتابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كتاب مسيلمة بخط عمرو بن الجارود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بخط أبي بن كعب ذكر ذلك ابن عبدوس الجهشياري ثم كان من أمره ما ذكرناه آنفا وممن تنبأ وزعم إن الوحي يأتيه الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب وكان يلقب ذا الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر وجهه أبدا وقيل بالحاء المهملة لأنه كان له حمار يقول له اسجد فيسجدوا برك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من حجة الوداع توعك فبلغ ذلك العنسي فادعى النبوة وكان يعرف شيأ من الشعبذة والنيرنجيات ويرى منها

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/١٤

عجائب فتبعته مذ حج وقصد نجران فاخرج منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء وغلب على الطائف إلى عدن إلى البحرين واستفحل أمره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى من باليمن من المسلمين ان اقتلوا الأسود العنسي أما مصادمة وأما غيلة وكان باليمن قوم من الفرس يسمعون الأبناء اسلموا مع بادام وكان بادام عاملا للفرس على اليمن فلما أسلم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وأقره عليها فلما مات فرق النبي صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من أصحابه وكان الأسود لما قتل شهر بن بادام وملك صنعاء استصفى زوجته فاتفق الأبناء معها على قتله غيلة وواعدتهم على ليلة كانت عادته يشرب فيها ودلتهم على مكان ينقبونه يصلون منه إليه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس ضوضاء فقالوا لزوجته ما هذا قالت نزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا مظهرين شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع العمال إلى أعمالهم وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن عمر أتانا الخبر من السماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من أهل بيت مبارك قيل من هو قال فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة العنسي من أولها إلى آخرها ثلاثة أشهر وممن امتطى مطا هذا الغرر فرمته الأيام من تغيظها بالشرر المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان قد جمع ليطلب ثأر الحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا في ظاهره ثم تنبأ وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا إلى العراق فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين وتنبأ أبو الحسين المتنبي في بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب وغيرها فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيد فقاتله وأسره وشرد من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد أن يتلف فسئل فيه فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأن لا يعود إلى مثله وتنبأ حائك بالكوفة وأحل الخمر فقال رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يبرئ الأكمه والأبرص فأتى به وإلى الكوفة فاستتابه فأبى أن يتوب ويرجع فأتته أمه تبكي فقال لها تنحى ربط على قلبك كما ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه فسأله أن يرجع فقال له تنح يا آزر فأمر الوالي." (١)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/١١٥

"معلقة امرؤ القيس الكندي :

=================

... امرؤ القيس الكندي : (١٣٠ - ٨٠ ق. هـ / ٤٩٦ - ٥٤٤م)

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي.

شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر.

قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره.

أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال:

رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا

كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة.

ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات.

و هذه معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال

ترى بعر الأرآم في عرصاتها

وقيعانها كأنه حب فلفل
كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وإن شفائي عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صبابة
نزول اليماني ذي العياب المحمل
ألا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي
فيا عجبا من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يامرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه
ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له." (١)

"أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات

وتشعل عندك النيران ليلا ... كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تأس ... تباعد عنك تعيير العداة

أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت فتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فعاد مطالبا لك بالتراب

ولو أني قدرت على قيام ... بفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات

ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة

وما لك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

ومن أحاسن ما قيل في مرثية الولد قول العتبي:

دعوتك يا بني فلم تجبني ... فردت دعوتي بأسى عليا

بموتك ماتت اللذات عني ... وكانت حية إذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي ... إليك لو أن ذلك رد شيا

وقوله أيضا:

أبعد الشمل والنعم ... ة صيرت إلي القبر

فما يشهدك الأهلو ... ن إلا هيئة السفر

يزرونك في العيدي ... ن في الفطر وفي النحر

وقد كنت وكانوا ل ... ك في الألطاف والبر

---

(١) قصائد من عيون الشعر، ص/٢٦

وما تنزل من نحر ... ولا توضع من حجر
فلما وقع اليأس ... تناسوك على ذكر
وفي الأحشاء من ذكرا ... ك ما جل عن الصبر
ولآخر في ولد صغير:
إن يكن مات صغيرا ... فالأسى غير صغير
كان ريحاني فقد أص ... بح ريحان القبور
من أحاسن التعازي قول أبي العتاهية:
اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد
وقول آخر متنازع فيه:
إني أعزيك لا أني على ثقة ... من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزي بباق بعد تعزية ... ولا المعزى ولو عاشا إلى حين
وقول ابن المعتز:
لا تحزنن وقيت الحزن والألما ... ولا عدمت بقاء يصحب النعما
أليس قد قيل فيما لست تنكره ... من مكرمات الفتى تقديمه الحرما." (١)

"وفي مقدمته لمجموعته القصصية "في ساع من الزمن ١٩٣٥" يشير السيد إلى هذا الفهم الجديد للفن القصصي ولعملية بناء النموذج، وإلى أن السرد القصصي لا ينقل الواقع نقلا حرفيا، بل يعيد تركيب هذا الواقع، وإن الشخصية القصصية في القصة لا تطابق الشخصية في الواقع، بل يتم تركيبها من جزئيات الواقع؛ فقد جاء في هذا التقديم قول القاص: "ليس في هذه الصور المختارة... ما هو واقع من أوله إلى آخره، بهذا التسلسل المنطقي والاطراد المعروضين في حوادثها، وليس في هؤلاء الأشخاص الذي يظهرون فيها من عاش بالاسم الذي أسميته، وفي المحل الذي أحللته فيه، وحي الحياة التي ألبستها واستقرت له عناصرها وأسبابها، على أن الأجزاء التي تآلفت منها كل صورة منها لم تقتبس إلا من حياتنا الواقعة(١٧)... الخ وعلى الرغم من المصطلح الذي استخدمه القاص هو "الصورة" بديلا للقصة، وما يوحي به من امكانية أو احتمال نقل الواقع

(١) قصائد من عيون الشعر، ص/٥٠

نقلا فوتغرافيا، فإن بعض النماذج أو الشخصيات التي صورها القاص تشهد على هذه النقلة في أدوات القاص ومنظوره ورؤياه، ففي واحدة من أفضل قصص المجموعة هي قصة "بداي الفايز" استطاع القاص أن يصوغ شخصية ذات ملامح اجتماعية وفكرية جديدة وأن يضع في هذا النموذج، شيئا من الاستثناء، يمايز بينه وبين الواقع، ف (بداي) لا يثأر لأخيه بأن يقتل غريمه (جسام)، بعد أن عيره رئيس عشيرته وذكره بمقتل أخيه على يديه، بل يعيد غمد خنجره بعد أن استله لقتل جسام، حين رأى ما يحيق من خطر بأطفاله، ويهرع وقد لثم وجهه إلى حمل طفليه وانقاذهما من الموت غرقا، ليفصح له بعد انقاذهما عن شخصيته قائلا:." (١)

"وهذه السلطة برموزها السياسية الهشة وأشكالها المستغربة وانتماءاتها المتباينة قد خيبت أمل المسلمين في أن يجدوا فيها الأسوة القيادية الصالحة والقدوة المشرفة وخيبت ظنهم في أن يروا ظلال لعمر وخالد وصلاح الدين ... يثأرون لكرامة الأمة المجروحة ويعيدون إليها اعتبارها كأمة شاهدة ورائدة لها مجدها وشرفها وحضارتها، وهذه رسالة كل من يتولى أمر هذه الأمة ويتربع على سدة الحكم فيها، إلا أن رموز السياسة في عالمنا العربي والإسلامي كانت همومها وطموحاتها متناقضة ومتضاربة مع رسالة الأمة وتوجهاتها، ومع تطلعات شعوبها ومعاناتها، إذ لم تذق هذه الأخيرة في ظلال حكمها وولايتها غير الأزمات الحادة والنكبات المرة والهزائم المشينة، ولم تجن من وراءها إلا مزيد الحرمان والتخلف والضياع . فبينما يحدثنا التاريخ أننا شعب :

نرث البطولة عن جدود حطموا كل الطغاة

ومضوا لإصلاح الحياة يروئهم هدي الإله

سقيا لعهد أولئك الغر الميامين الأباه

كم أدبوا دولا وكم في الله قد داسوا جباه (٤١)

نجد الواقع المعاصر يصدمنا بنماذج مغايرة وصور باهتة :

واليوم تخلفهم زعانف ما لها في الأمر حيلة

رتب و تيجان و سلطان و أخبار طويلة

وتخيفهم يا للفضائح والأسى عصب دخيلة (٤٢)

ولكي تمد في أنفاسها وتركز وجودها، عملت هذه القيادات منذ انتصابها على خلق وترسيخ واقع متخلف ومائع ومنبت عن أصالته وتراثه، له معاييره الخاصة وموازينه العجيبة وقيمه الغريبة وقد أبدع الشاعر أحمد فرح

---

(١) قراءات في الأدب والنقد، ص/١٧٧

في رسم ملامحه النكدة :

كل الرذائل ليست عندنا خطرا أما الفضائل فهي البعبع الضاري

إذا رأوا حانة قرت بلابلهم و إن رأوا مسجدا ثاروا بإنذار

ذو الدين في عرفهم تخشى غوائله فما يقرب إلا كل خمار

إذا سكرت ففي أمن و في دعة و إن تصل فمحفوف بأخطار

حرية الشعب في أبواق دعوتهم حكم المباحث و الإرهاب و النار (٤٣)." (١)

"هذا الوضع القاتم المضطرب بكل ملامحه المحزنة، والذي يعيش في أحضانه الشاعر ... يذكر المسلمين اليوم بأيام سلفهم إبان الغزو الصليبي الحاقد عندما وطئت خيل النصارى رحاب الأقصى وتوزع البغاة الأشرار بين الديار الإسلامية ينشرون الرعب والدمار ...

كما يتذكرون معه ذلك الفجر الساطع الذي أعقب ذلك الليل البهيم وطلعة ذلك القائد المنقذ – صلاح الدين – الذي دحر العدو الكائد واسترد راية النصر ليرفعها عالية في الفضاء الإسلامية.

وأما السبب الثاني : فهو راجع إلى خلو الساحة الإسلامية من قدوة جهادية قيادية فذة في مستوى متطلبات المرحلة ... تعيد ماء الوجه إلى الأمة المجروحة ، وترفع الغبن عن الذات الإسلامية : فكلما تأملنا في واقعنا العربي والإسلامي المعاصر وبحثنا عن نماذج حية لتلك القيادات الرائعة التي نحتفظ بصورها في وجداننا، تثأر للشرف الإسلامي وترفع راية الدين، وتجمع شتاتنا وتوحد طاقاتنا وقوانا ... اصطدمت أنظارنا بصور باهتة وأنماط هشة من زعامات لا تملك من مواصفات القيادة وفاعليتها وخصائصها شيئا ... إنما هي :

رتب وتيجان وسلطان وأخبار طويله

وتخيفهم يا للفضائح والأسى عصب دخيله ...

وقد اختارت موقف " الجلوس على الربوة " رغم حساسية الوضع وخطورة المرحلة ... لاهية بما توفر لها من أسباب الخمول والقعود ... عن اقتحام الميدان وخوض وطيس المعركة :

والقدس في أسر اليهود وهم على دن وراح

والمسجد الأقصى غدا في الأرض مغلول السراح

لندائه في كل قلب مؤمن وخز الرماح

---

(١) في مرآة الشعر الإسلامي المعاصر، ص/٢٠

أين الذين يقودهم للبذل ذبحي واجتياحي
ويقول هل من ضمضم عن طهر أمته يلاحي
وتلفت الميدان هل من طارق هل من صلاح ؟؟ (٧٤)." (١)

"قرر أبو إبراهيم السفر لأداء فريضة الحج بعد أن أصبح ميسر الحال، وأسر لابنه إبراهيم قصة الأفعى والقطعة الذهبية، وأوكله برعاء أغنامه، ودله على الصخرة التي سيجلس عليها ليعزف ألحانه، فتخرج الأفعى تتلوى طربا، وعند انتهاء العزف تنقده قطعة ذهبية وتمضي.

وأوصاه ألا يزعج هذه الأفعى وألا يغضبها أبدا مهما تكن الظروف...

وهكذا استمرت الحالة اليومية، إلى أن داخل الطمع عقل إبراهيم، وقلة صبره للتآمر على الأفعى وقتلها للحصول على الكنز دفعة واحدة... وكاد الأمر أن يتم لولا أنه أخطأ قتلها، فلدغته فمات... وعاد أبو إبراهيم الذي ماعاد بإمكانه لا الحصول على القطعة النقدية، ولا **الثأر** لابنه.

هذه القصة قديمة في تراث الشعوب، منذ عهد دبشليم ملك الهند، إلى قصيدة ذات الصفا للنابغة الذبياني في العصر الجاهلي الذي سبق الإسلام، وحتى يوم الناس هذا....

إنما ا لجديد في هذه القصة -بالإضافة إلى أهدافها القديمة المتمثلة في التنديد بالطمع والحض على الوفاء بالوعد، والابتعاد عن الغدر والخديعة – هو أن وظفتها الأديبة القاصة لخدمة أغراض تربوية جديدة، ماكانت لتحتويها في كل صياغاتها وترجماتها القديمة، ولا من أغراضها، هي:

- ضرورة إطاعة الأطفال لتوصيات أوليائهم، فهم أكثر تجربة ومعرفة منهم.
- إن مخالفتهم لتلك الوصايا توقعهم في أخطاء قد تودي بحياتهم كما حصل لإبراهيم.
- المحافظة على الود، وعدم خدش بناء الثقة، لأن كسرها لا يجبر.

*القصة الثانية "التينة العطوف" :

تتلخص هذه القصة في حدب شجرة التين على الطفل الرضيع، وهدهدتها له مدة غياب أمه التي استغرقها عملها، والترويح عنه، ومحاولتها إمداده بالغذاء، وتنبيه الأم كي تسمع بكاء ابنها فتهب لنجدته، بعد أن أعيتها الحيل.

---

(١) في مرآة الشعر الإسلامي المعاصر، ص/٣٤

لقد استغلت الأدبية القاصة قص○○تها هذه:

- لتزرع في القلوب تقديس الطفولة واحترامها.." (١)

"وقد ثبت أنهم كانوا يخطبون في مناسبات شتى، فبالخطابة كانوا يحرضون على القتال؛ **استثارة** للهمم، وشحذا للعزائم، وبها كانوا يحثون على شن الغارات؛ حبا في الغنيمة، أو بثا للحمية رغبة في الأخذ **بالثأر**، وبالخطابة كانوا يدعون للسلم؛ حقنا للدماء، ومحافظة على

٤٧٨ ٢٦٤

Results ١،١،١،١٨٦

في تاريخ الأدب الجاهلي

الخطابة

أواصر القربى أو المودة والصلة، ويحببون في الخير والتصافي والتآخي، ويبغضون في الشر والتباغض والتنابذ، وبالخطابة كانوا يقومون بواجب الصلح بين المتنافرين أو المتنازعين، ويؤدون مهام السفارات جلبا لمنفعة، أو درءا لبلاء، أو تهنئة بنعمة، أو تعزية أو مواساة في مصيبة، فوق ما كانت الخطابة تؤديه هذه المصاهرات، فتلقى الخطب ربطا لأواصر الصلة بين العشائر، وتحبيب المتصاهرين بعضهم في بعض.

وأشهر الخطباء في الجاهلية: قس بن ساعدة الأيادي، وقد أدركه النبي صلى الله عليه وسلم فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر، وسحبان بن وائل الباهلي الذي ضرب بفصاحته المثل. فقيل: "أخطب من سحبان" ويقال إنه كان إذا خطب يسيل عرقا، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى ينتهي من كلامه.

ومن خطباء تميم المشهورين: ضمرة بن ضمرة، وأكثم بن صيفي، وعمرو بن الأهتم المنقري، وقيس بن عاصم.

وكان الخطباء يحفلون بخطبهم، ويتخيرون لها أشرف المعاني، وأقوى الألفاظ، وأشدها وقعا على القلوب؛ ليكون تأثيرها أعظم، ويقال إنهم كانوا يخطبون، وعليهم العمائم، وبأيديهم المخاصر، ويعتمدون على الأرض بالقسي،

---

(١) في رحاب الفكر والأدب - دراسة -، ص/٨١

ويشيرون بالعصي والقنا، راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض٧.

". (١)

"ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

ثم وجه الكلام إلى الأحلاف المتحاربين قائلا: هل أقسمتم أن تفعلوا ما لا ينبغي؟

لا تظهروا الصلح، وفي نيتكم الغدر؛ لأن الله سيدخره لكم ويحاسبكم عليه، إن عاجلا أو آجلا وليست الحرب إلا ما علمتموها عن خبرة وتجربة، فقد ذقتموها واكتويتم بنارها، فإذا أثرتموها تأججت وطحنتكم طحن الرحا، ولن تخلف لكم إلا المحن والمصائب والآلام:

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثقالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ثم قال: إنما نريد الصلح بين قوم كثيري العدد، إذا ائتمروا أمرا كان عصمة للناس وهم كرام أقوياء، لا ينال الموتور وتره منهم، ولا يسلم من ارتكب في حقهم جريمة، وتركوا الحرب مرة، ثم رجعوا فحاربوا، فدبت المنايا فيهم، وكانت العاقبة وخيمة، وقد جنى أحدهم جناية فجر إليهم ما لا ينبغي، إذ أضمر في نفسه فعلة، فلم يظهرها، ولم يترك تنفيذها، وفعل ما أراد، لا لقصد إثارة العامة ولكن للأخذ بالثأر، من بطل عظيم، قومه يستحقون أحسن الثناء وأعظم التقدير:

لحي حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو الظعن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمارا تفرى بالسلاح وبالدم

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلأ مستوبل متوخم

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

٣٠٣ ٤٧٨

Results ١،١،١،٢٣٨

في تاريخ الأدب الجاهلي

معلقة زهير بن أبي سلمى

لعمري لنعم الحي جر عليهم بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم

وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتجمجم

." (١)

"وأعقب ذلك بأن نصح الخصوم بترك الطيش والحمق والتعامي عن الحق، فذكرهم بما بينهم من عهود ومواثيق ورهائن، منعا للظلم والعدوان فالعهود تعقد دائما بشروط متفق عليها وتسري على الملتزمين بها سواء بسواء، ولا تنقضها الميول والأهواء:

فاتركوا الطيخ والتعدي وإما تتعاشوا ففي التعاشي الداء

واذكروا حلف ذي المجاز وما قد م فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي ولن ينقض ما في المهارق الأهواء

واعلموا أننا وإياكم فيـ ما اشترطنا يوم احتلفنا سواء

ويبدو أن الغضب قد تملكه من سلوك خصومه، فشرع يسرد بعض مخازيهم تعييرا لهم وتحقيرا لشأنهم، بأسلوب استفهام في سخرية لاذعة، قائلا: إذا كانت كندة قد غزت تغلب وقتلت منهم وسبت، فهل يغنمون هم، وندفع نحن الجزاء؟ هل علينا في العهود التي بيننا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما فعلت بكم لصوص محارب؟ هل علينا جنايات بني عتيق؟ وإنا لنبرأ من كل غادر، وهل علينا جريرة العباد فنحمل نحن الأعباء؟ وهل علينا إثم ما فعلت بكم قضاعة؟ وهل علينا ذنب إياد كما أخذ طسم بذنب أخيه جديس؟

أعلينا جناح كندة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

أم علينا جرى حنيفة أو ما جمعت من محارب غبراء

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

أم جنايا بني عتيق فمن يغ در فإنا من حربهم برآء

أم علينا جرى العباد كما نيـ ط بجوز المحمل الأعباء

أم علينا جرى قضاعة أو ليـ س علينا فيما جنوا أنداء

أم علينا جرى إياد كما قيـ ل لطسم أخوكم الأباء

واستمر الحارث في تعييره القاسي لبني تغلب، فذكر أسماء أشخاص من التغلبيين ضربوا بالسيف ولم يؤخذ بثأرهم، وقال لهم: إن سلوكهم نحو قومي فيه تعنت ظاهر ورمي بالتهم بدون حق، ووضع الأمور في غير موضعها الصحيح، وعيرهم بما حدث من تميم نحوهم

٣٢٦ ٤٧٨

Results ١،١،١،٢٦١

في تاريخ الأدب الجاهلي

معلقة الحارث بن حلزة

". (١)

"وفعلنا بهم كما علم الله وما إن للخائنين دماء

ثم حجرا أعني ابن أم قطام وله فارسية خضراء

أسد في اللقاء ورد هموس وربيع إن شنعت غبراء

فرددناهم بطعن كما تنهـ ز عن جمة الطوي الدلاء

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعدما طال حبسه والعناء

وأقدناه رب غسان بالمنـ ذر كرها إذ لا تكال الدماء

وولدنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أتانا الحباء

مثلها يخرج النصيحة للقو م فلاة من دونها أفلاء

وبهذا تنتهي معلقة الحارث بن حلزة، وهي كما نرى تصوير لشعور مغيظ محنق، ينفس عن غضب يقطع نياط

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

قلبه، وثورة تتأجج في صدره، ليرد كيد المعتدي في نحره، في تقريع عنيف، وتهكم مرير، وسخرية قاتلة، **ويثأر** لكرامته ويصون شرفه.

٤٧٨ ٣٢٩

Results ١،١،١،٢٦٤

في تاريخ الأدب الجاهلي

التعليق على تحليل المعلقات

التعليق على تحليل المعلقات:

هذا عرض تحليلي للمعلقات السبع، ومنه يتبين أن كل معلقة تحتوي على أفكار متعددة. ولكن الشاعر كان يحاول أن يجعل أفكاره في قصيدته متسلسلة، تسلسلا طبيعيا، والروابط بين الأفكار واضحة في جميع المعلقات إلا في معلقة امرئ القيس فإنها تحتاج في تبينها إلى قليل من التأمل:

ففي معلقة امرئ القيس نجد أن الشاعر بدأها بالوقوف على الأطلال، ووصف ما آلت إليه الديار فجره ذلك إلى الحديث عن سبب ذلك وهو ترك الحبيبة لها، فتحدث عن موكب الارتحال، وأثر ذلك في نفسه، فعاد به ذلك إلى تذكر ما كان من مواقف مع الحبيبة وسبب تأثيرها عليه، وهو جمالها فوصفها، **فأثار** ذلك كله الهموم التي أقضت مضجعه في الليل، فوصف ما يعانيه المهموم الحزين من الليل، وحتى إذا أصبح فلن يسرى عنه الهم ما دام في جو الذكريات، وحينئذ ليس أمامه إلا أن يترك هذا المكان بأسرع ما يستطيع فيخرج مبكرا في

٤٧٨ ٣٢٩

Results ١،١،١،٢٦٥

في تاريخ الأدب الجاهلي

التعليق على تحليل المعلقات

." (١)

"وما سيموا به من الخزي والعار، وما سببوه لهم من هموم وأحزان بما توعدوهم به من تهديد، وذرفوا الدمع سخينا على ضحاياهم، ذاكرين أفضالهم ومشيدين ببطولاتهم وتضحياتهم، آخذين العهد على أنفسهم بالثأر لهم في عشرات من أعدائهم، إلى أن تهدأ نفوسهم، ويطمئن بالهم، واعتذروا عما بدر مما لا يناسب الخلق الكريم، أو البطل العظيم، ومدحوا اعترافا بالفضل، وتخليدا للشهامة والمروءة ووصفوا كل ما وقعت عليه عيونهم من مظاهر الجمال، فأتوا في كل ذلك بروائع الصور، فامتلأ شعرهم بفنون عديدة من الشعر الغنائي، ففيه الوصف، والغزل، والفخر، والمدح، والهجاء والذم، والتهديد، والرثاء، والإنذار، والاعتذار، والنصح، والحكمة.

وفي الشعر الجاهلي لا نجد الشاعر يؤلف قصيدته في غرض واحد من هذه الأغراض، فيندر أن نجد قصيدة، وبخاصة تلك الطوال، تتكون من غرض واحد، بل إن كل قصيدة كانت في معظم الأحوال تتألف من الحديث في أكثر من فن واحد من هذه الفنون، فتحتوي القصيدة الواحدة مثلا على الغزل والوصف، والفخر والهجاء، والوعيد، وقد تشتمل على أغراض أكثر من هذه، كل ذلك راجع لهوى الشاعر، وطواعية الشاعرية له، والمثيرات التي تهيج عاطفته، أو تحرك مشاعره.

والقصيدة الطويلة التي تضم أكثر من موضوع ربما كانت تؤلف كلها بموضوعاتها المختلفة دفعة واحدة، أي أن كل موضوع كان يثير ما يليه بمعنى أن أساس القصيدة كان من أول الأمر موضوعا واحدا يتناوله الشاعر في قصيدته، ويتحدث عنه باعتباره الغرض الأساسي لها، ثم يجره هذا الموضوع إلى غيره، فالحديث ذو شجون، وهكذا يتوارد على خاطر الشاعر كثير من المواضيع فتتدرج كلها في سياق الحديث تبعا لمقتضيات الحديث، وطبيعة نفس المتحدث، وطريقتها في التشعيب، ومدى تذكرها للموضوع الأصلي، ومع حسن الربط بين هذه الموضوعات تبدو القصيدة متناسقة، مترابطة الأجزاء، حتى لو كانت هناك غرابة بين هذه الموضوعات.

." (٢)

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

"١٤٩ تذر: تترك. الأبطال: جمع بطل، وهو الشجاع، سمى بذلك لأن شجاعة غيره تبطل عنده. صرعى: جمع صريع، وهو القتيل. تعكف: تقيم. العقبان: جمع عقاب، وهو من سباع الطير. الرخم: جمع رخمة، وهي طائر معروف. يقول: إن فرساننا يقتلون الأبطال من الأعداء ولا يجرؤ على الاقتراب من الميدان لأخذ جثثهم ودفنها، بل تظل لحومهم هناك غذاء للوحوش.

٣٦٩ ٤٧٨

Results ١،١،١،٣١٠

في تاريخ الأدب الجاهلي

الفخر

ولقومه من أمجاد، من ذلك ما يقوله سلامة بن جندل السعدي١٥٠

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب١٥١

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركض اليعاقيب١٥٢

أودى الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ، ولا لذات للشيب١٥٣

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداد تأويب١٥٤

وكرنا خيلنا أدراجها رجعا كس السنابك من بدء وتعقيب١٥٥

والعاديات أسابي الدماء بها كأن أعناقها أنصاب ترجيب١٥٦

من كل حت إذا ما ابتل ملبده صافي الأديم أسيل الخد يعبوب١٥٧

في كل قائمة منه إذا اندفعت منه أساو كفرع الدلو أثعوب ١٥٨

---

١٥٠ المفضلية٢٢.

١٥١ أودى: هلك، وأراد ذهب. ثم كررها على التفجيع والتوكيد. ذو التعاجيب: كثير العجب، يعجب الناظرين إليه ويروقهم، والتعاجيب جمع لا واحد له. الشأو: السبق، يقال شأوته إذا سبقته. يقول: وذلك الإبداء والذهاب شأو سابق، لا يدرك ولا يطلب.

١٥٢ حثيثا: سريعا. اليعاقيب: جمع يعقوب، وهو ذكر الحجل، وخصه لسرعته. يقول: لو كان ركض اليعاقيب يدركه لطلبته، ولكنه لا يدرك.

١٥٣ يقول: إذا تعقبت أمور الشباب وجد في عواقبه العز وإدراك الثأر والرحلة في المكارم، وليس في الشيب ما ينتفع به، إنما فيه الهرم والعلل.

". (١)

"________

١٧٨ راجع ديوان طرفة والمتلمس.

١٧٩ المفضليات، ص ٢٢٨.

١٨٠ العلب: أن تؤخذ حديدة أو نحوها فتحمى ويكوى بها الأنف حتى يقشر ويبدو العظم. الخطام: حبل يوضع في أنف البعير لإذلاله.

١٨١ التهوك: التحير والتردد. أو السقوط في هوة التردي. النواكة: الحمق.

١٨٢ الغرام: الشر الدائم؛ وذلك لأن يزيد بن الصعق كان قد هجا بني تميم.

١٨٣ تثبهم: تكافئهم أو تجازيهم. فتيلا: يقصد أدنى شيء.

١٨٤ ضربه ذات الرأس: أصاب أم رأسه. أم الدماغ: الجلدة التي تحيط بالدماغ وتجمعه.

١٨٥ ضباء: رجل من بني أسد كان جارا لبني جعفر، فقتله بنو أبي بكر بن كلاب غدرا فلم يدرك بنو جعفر بثأره ولم يدوا ديته. يقصد أن يتهكم بهؤلاء، أي لست من هؤلاء الذين غدر بهم فذهبت دماؤهم هدرا.

١٨٦ هذه أعلام رجال. صمي صمام: يقال للداهية: "صمي صمام" مثل "قطام" وهي الداهية، أي زيدي.

٤٧٣ ٤٧٨

tsResul ٣١٦..١١,١

في تاريخ الأدب الجاهلي

الهجاء والوعيد والإنذار

____

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

وكان عمرو بن هند أخو قابوس بن هند ملكا على الحيرة. وكان عمرو شديدا، وكان له يوم بؤس، ويوم نعمى، فيوم يركب في صيده يقتل أول من لقي، ويوم يقف الناس ببابه، فإن اشتاق حديث رجل أذن له، فهجاه طرفة فقال:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور١٨٧

من الزمرات أسبل قادماها وضرتها مركنة درور١٨٨

يشاركنا لنا رخلان فيها وتعلوها الكباش فما تنور١٨٩

لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير١٩٠

قسمت الدهر في زمن رخي كذاك الحكم يقصد أو يجور١٩١

لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات وما نطير١٩٢

---

١٨٧ الرغوث: النعجة المرضع. تخور: تصوت. وأصل الخوار للبقرة فجعله هنا للنعجة. يتمنى أن لو كان لهم مكان الملك عمرو نعجة رغوث، تصيح بجوار قبتهم، وتدر عليهم اللبن.

." (١)

"١٩٢ كروان: جمع كروان، وهو طائر معروف، ويقال له: "كرا" ومنه المثل المعروف "أطرق كرا إن النعام بالقرى" يضرب للرجل يظن أنه محتاج إليه، فتقول له أسكن فقد أمكنني من هو أنبل منك وأرفع. والنعام إنما يكون في القفار فإذا كان بالقرى فقد أمكن، وصار أقرب منالا. البائسات: يروى بالنصب على التوهم كما تقول: مررت به المسكين، ولقيته البائس، ويروى بالرفع على القطع، أو على البدل من الضمير المستتر في "تطير". يقول: لقد كنت جائرا حين قسمت دهرك، فجعلته يومين: يوما لنا، لا نستطيع السير فيه، ويوما للكروان تكون فيه بائسة معذبة، ما تنزل في مكان إلا وتطير منه، خشية أن تقتلها في صيدك.

٣٧٥ ٤٧٨

Results ١,١,١,٣١٧

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

فأما يومهن فيوم نحس تطاردهن بالحدب الصقور١٩٣

وأما يومنا فنظل ركبا وقوفا ما نحل وما نسير١٩٤

وكانت الهزيمة مؤلمة أشد الألم على الفرسان، تثير الغيظ والحقد والبغضاء، فكانوا يتبعونها بوعيد وتهديد ليمحوا آثار ما حدث، ويعيدوا إلى أنفسهم مجد النصر والشرف. من ذلك مثلا ما حدث في يوم الرقم حيث انتصرت فيه غطفان على بني عامر بن صعصعة رهط عامر بن الطفيل، فأقبل عامر منهزما حتى دخل بيت أسماء بن قدامة الفزارية، ثم تمكن من الفرار، فقال١٩٥:

ولتسألن أسماء وهي حفية نصحاءها أطردت أم لم أطرد؟

قالوا لها: فلقد طردنا خيله قلح الكلاب، وكنت خير مطرد

فلأنعينكم الملا وعوارضا ولأهبطن الخيل لابة ضرغد

بالخيل تعثر في القصيد كأنها حدأ تتابع في الطريق الأقصد

ولأثأرن بمالك وبمالك وأخي المرواة الذي لم يسند

وقتيل مرة أثأرن فإنه فرع وإن أخاهم لم يقصد

يا أسم أخت بني فزارة إنني غاز، وإن المرء غير مخلد

فيئي إليك فلا هوادة بيننا بعد الفوارس إذ ثووا بالمرصد

إلا بكل أحم نهد سابح وعلالة من كل أسمر مذود

وأنا ابن حرب لا أزال أشبها سعرا وأوقدها إذا لم توقد

(١) ".

"فإذا تعذرت البلاد فأمحلت فمجازها تيماء أو بالأثمد

فالشاعر هنا يتأجج غضبا وثورة، ويهدد أعداءه ويتوعدهم بحرب ضروس يثأر بها لشرفه ويقتص للأبطال من قومه، ويذيق فيها الأعداء أقسى أنواع العذاب.

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

---

١٩٣ نحس: شؤم. وسوء. الحدب: ما ارتفع من الأرض وغلظ. الصقور: جمع صقر: وهو كل شيء يصيد من البزاة والشواهين. يقول: يوم الكروان يوم سوء لمطاردة الصقور لهن.

١٩٤ يقول: وأما اليوم المخصص لنا. فتظل قياما على بابه، تنتظر الإذن، ولكنه لا يأذن لنا فنحل عنده، ولا يأمر بالرجوع فنسير عنه.

١٩٥ مفضلية رقم ١٠٧.

٤٧٨ ٣٧٦

Results ١,١,١,٣١٨

في تاريخ الأدب الجاهلي

الهجاء والوعيد والإنذار

وقد كان التهديد بالشعر من الوسائل التي توعد بها الشعراء أعداءهم، تشهيرا بهم، ونشرا لمخازيهم وعيوبهم، بجانب الحرب والقتال، من ذلك ما يقوله النابغة الذبياني في تهديده لعدوه:

فلتأتينك قصائد وليدفعن جيش إليك قوادم الأكوار١٩٦

ومما ورد في التهديد بالشعر، هجاء وتشهيرا بالمخازي والعيوب قول مزرد١٩٧:

فدع ذا ولكن ما ترى رأي عصبة أتتني منهم منديات عضائل١٩٨

يهزون عرضي بالمغيب ودونه لقرمهم مندوحة ومآكل١٩٩

على حين أن جربت واشتد جانبي وأنبح مني رهبة من أناضل٢٠٠

وجاوزت رأس الأربعين فأصبحت قناتي لا يلفى لها الدهر عادل ٢٠١

فقد علموا في سالف الدهر أنني معن إذا جد الجراء ونابل٢٠٢

زعيم لمن قاذفته بأوابد يغني بها الساري وتحدى الرواحل٢٠٣

مذكرة تلقى كثيرا رواتها ضواح، لها في كل أرض أزامل٢٠٤

تكر فلا تزداد إلا استنارة إذا رازت الشعر الشفاه العوامل٢٠٥

---

١٩٦ ديوان النابغة الذبياني ص٥٠.

والأكوار: جمع كور وهو رحل الناقة. والقوادم: جمع قادمة، وهى مقدمة الرحل. يتوعد الشاعر عدوه بالهجاء شعرا. وبالقتال بالجيوش والأسلحة.

١٩٧ المفضلية رقم ١٧

." (١)

"١٩٨ المنديات: المخزيات. التي يعرق لها الوجه ويندى. العضائل: الشدائد.

١٩٩ يهزون: فسره الأنباري بأنه يقطعون. والمعروف في هذا الهذ بالذال، بمعنى القطع. القرم: الأكل بمقدم الفم.

٢٠٠ أنبح مني: صيرته إلى أن ينبح كالكلب.

٢٠١ العادل: المقوم، أو المساوي المماثل.

٢٠٢ المعن: المعترض، من قولهم "عن له" إذا اعترض له في الخصومة والمناظرة. الجراء: الجري. النابل: الحاذق في أموره. يقول: إذا جرت الخصومة ففي فضل أعترض به على الناس.

٢٠٣ الزعيم: الكفيل. الأوابد: الغريب من الكلام، وأراد هنا ما يهجوهم به.

٢٠٤ مذكرة: شديدة قوية، صفة للأوابد. ضواح: بارزة ظاهرة، لكثرة ما يرددها الرواة، واحدتها ضاحية. أزامل: جمع أزمل، وهو كل صوت مختلط.

٢٠٥ تكر: تعادكرة بعدكرة. رازت: جربت، تنظر كيف هو. العوامل: النواطق بالشعر.

٤٧٨ ٣٧٧

Results ١,١,١,٣١٩

في تاريخ الأدب الجاهلي

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

فمن أرمه منها ببيت يلح به كشامة وجه، ليس للشام غاسل٢٠٦

كذاك جزائي في الهدي وإن أقل فلا البحر منزوح ولا الصوت صاحل٢٠٧

ويلاحظ في الهجاء أنه وإن كان مثيرا، فإنه على العموم عفيفا فلم يكن بصفة عامة مقذعا، ولم ينزل إلى الحضيض أو السب الجارح.

وإذ حدث من الأقارب ما يستحق المؤاخذة، فإنه يوجه اللوم أو التوبيخ، وكان أسلوبه أقل عنفا من هجاء الأجانب، وأحيانا كان يقال في أسلوب التلميح أو التعريض لا التصريح، كالأبيات التي تنسب إلى سعد بن مالك في حرب البسوس، وفيه دعاء عليهم أن يجازيهم الله بفعلتهم وما ارتكبوا ضد قومهم وعشيرتهم.

وأشد ما يكون الهجاء عنفا عندما يكون ردا على منتصر، أو هجاء سابق٢٠٨.

وكان الوعيد يقال بصيغة قوية ملتهبة تؤكد التصميم على تنفيذه وبخاصة إذا كان للأخذ بالثأر.

وفي التهديد بالشعر بيان لقوة الشعر وعمق تأثيره في نفوسهم.

". (١)

"فإنا للحم السيف غير نكيرة ونلحمه حينا وليس بذي نكر٣٥٥

يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا أو نغير على وتر٣٥٦

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطر٣٥٧

وقال دريد بين الصمة يرثي أخاه:

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردي٣٥٨

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد٣٥٩

---

٣٥٠ مكان البكا: بيان لاستحقاق أخيه أن يبكي عليه، أي هذا محل البكاء على أخي

٣٥١ الجدث: القبر الأعلى: الأشرف.

٣٥٢ عبد يغوث: هو اسم أخيه، وقتلته بنو مرة. حجل الطير: نزا في مشيه. المصاب: المصيبة، وحثو: بدل

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

منه. والمعنى: لقد تتابعت المصائب فهي كحثو قبر على قبر، فماذا ينفع البكاء.
٣٥٣ آل صمة: أولاده. وكان لدريد إخوة كلهم قد قتل. والقدر يجري... إلخ: معناه أنهم قدروا للقتل، كذلك القتل قدر لهم.
٣٥٤ الواتر: هو الذي قتل له قتيل، وهو يسعى في ثأره.
٣٥٥ يقصد: فإما ترى أنا لا تزال دماؤنا أبد الدهر عند واترين يسعون بها، فإنا نخاطر بأرواحنا. فنقتل ونقتل، وليس ذلك بمنكر فينا ومنا.
٣٥٦ المعنى أن أعدائنا إما أن يغيروا علينا طالبين ثأرهم عندنا فيصيبون منا ما يشتفون به، وإما أن نغير عليهم لنأخذ بثأرنا، يريد أنا دأبنا ذلك.
٣٥٧ يريد أننا قسمنا الدهر قسمين:نغير على الأعداء وننتصر، أو يغيرون علينا ليأخذوا بثأرهم.
٣٥٨ ديوان الحماسة جـ١ ص ٣٣٧.
٣٥٩ قالوا: أهلك راكبوا الخيل فلانا الفارس فقلت: أعبد الله أخي ذلك المقتول. قال ذلك إنكارا لقتله واستعظاما؛ لأنه يعلم إقدامه وشجاعته في الحرب، تنوشه: تتناوله، والصياصي: جمع صيصة وهي شوكة يمررها الحائك على الثوب وقت نسجه.
النسيج المنسوج- والمعنى أتيت عبد الله والحال أن الرماح تتناوله ولها صوت كصوت شوكة الحائك في الثوب الذي ينسجه.

٨٤٧ ٣٩٩

Results ٣٣٤١,١,١,
فـي تـا ريـخ الأدب الجاهلي
الرثاء

". (١)

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

"فالنابغة هنا يذكر الفقيد بالفضل ويعترف له بالجميل ويدعو له بالخير، فتحدث عن أمجاده وشجاعته وبطشه بالأعداء، وأقر له بالأفضال الكثيرة التي أسبغها على الشاعر، فقال: إن أمواله وأسلحته وخيله وكل ما يملكه، هي من عطايا الفقيد، وأنه لو سلم من الموت لعم خيره وفضله جميع الناس، فكانت حياته حياة للآخرين وسعادة لهم، وبموته تصبح الحياة لا خير فيها. ولئن كان قد مات عن ملك ورثه عن آبائه، فلقد ذهب محمودا مرضيا عنه من الجميع، وقد بكاه الناس، وأصبحت الدنيا موحشة بعده، وختم الحديث بالدعاء للمكان الذي دفن فيه بدوام الخصب وطيب الثرى.

ويتضح من شعر الرثاء أنه كان يتضمن الحديث عن مناقب الفقيد، وما كان يتحلى به من البطولة والشهامة والكرم والجود وما سجله من مآثر خالدات، ثم وصف مشاعر القوم نحو فقده.

ويلاحظ أن رثاء المقتول في الأخذ بالثأر كان أشد وأقوى من رثاء غيره، كأن شعور القوم نحوه أنه صد الخطر عنهم بنفسه، ففضله لا ينسى، ويستحق أن يخلد. وكثيرا ما كان الشعراء في هذا المقام يقارنون بين القتيل الأول ومن قتل في الأخذ بثأر هذا القتيل، وكانوا بطبيعة الحال يفضلون الثاني على الأول. من ذلك مثلا ما قاله عنترة العبسي حين قتلت بنو العشراء من مازن قرواشا العبسي. وكان قرواش قتل حذيفة بن بدر الفزاري، فلما أسرته بنو مازن قتلته بحذيفة، فقال عنترة العبسي في ذلك ٣٧٩.

---

٣٧٧ بصرى وجاسم موضعان من الشام. الوسمي: أول المطر. وكانت العرب تدعو للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها، فكل من مر دعا لها بالرحمة.

٣٧٨ الحوذن والعوف: نباتان عطريان إلا أن الحوذ أطيب رائحة. ويقصد بالشطر الثاني أنه سيثني عليه بخير القول، ويذكره بأحسن الذكر.

٣٧٩ العقد الثمين: ديوان عنترة، ص ٣٧، قصيدة رقم٩.

٤٠٢ ٤٧٨

Results ١،١،١،٣٤٦

في تاريخ الأدب الجاهلي

" (١) .

"٣٨٠ راجع في ذلك مثلا: قصيدة طفيل الغنوي، ص١٧، قصيدة رقم٢. وقصيدة دريد بن الصمة: الحماسة جـ١ ص٤٣٠.

٤٠٣ ٤٧٨

Results ١،١،١،٣٤٧

ولا نظير له بحيث لا يوفي به قتيل. ولعل ذلك كان **لاستثارة** شعور القوم للأخذ **بثأره** عن طريق غير مباشر. وكل المعاني التي قيلت في الفخر، قيلت كذلك في المدح، إلا أن المداحين المحترفين زادوا عليها. ووسعوا فيها: فشن الغارات وقيادتها زيد عليه بأن جعلت الغارات كل عام، وتشن في زمن الشدة. ويطول زمنها، فيوصل الشتاء بالربيع، ويمتد خطرها فتوغل في الجهات النائية حتى تستولي على إبل العزاب، وغنائمها كثيرة، يعم خيرها حتى تجعل الفقراء المعدمين من ذوي الثراء العريض، والخيل في الغارات لا تبذل مجهودا كبيرا فحسب، بل تنهك قواها. فتغزو سمانا، ثم تعود خوص العيون، هزيلة تلقى أفلاءها في الطريق، والبطل الممدوح ليس شجاعا فقط، أو كالليث العادي، بل ليث صفته كذا وكذا، وجيوش الممدوحين ليست قوية فقط، بل نصرها محقق مؤكد، وأسلحتهم ليست حادة فحسب: بل ذت تاريخ مجيد، تغوص في اللحم. وتقطع العظام، وتكسر الجماجم، وتتعدى الأجسام إلى الصخور فتفتتها، وتطير منها الشرر، فالمبالغة لدى محترفي المدح ظاهرة واضحة.

ليس هناك فرق كبير بين المدح والفخر في شعر القوم الذين لم يتخصصوا في المدح، فشعرهم في الحالتين يكاد يكون واحدا لولا أن الفخر إشادة بفضائل النفس. والمدح تمجيد لفضائل الآخرين. فشعر هؤلاء في هاتين

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

الناحيتين عادي. بل إننا نلمس أن شعرهم في المدح قد يقل في المستوى عن شعرهم في الفخر، فإذا رجعنا مثلا إلى قصيدة عامر بن الطفيل التي يمدح فيها بني الحرث بن كعب نجد أن مستواها أقل من مستوى شعره في الفخر.

". (١)

"ليس من يبكي ليوميه كمن إنما يبكي ليوم مقبل

يشتفي المدرك بالثأر وفي درك ثأري ثكل لمثكل.

إنني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي

وفي قتال الأقارب بعد الحلم والصبر عليهم يقول الفند الزماني٥٣٧:

---

٥٣٧ الفند من فرسان ربيعة المشهورين شهد حرب بكر تغلب وقد قارب المائة سنة وهذه الأبيات من قصيدة قالها في حرب البسوس التي كانت بينهما وذلك أن بكر بن وائل بعثوا إلى بني حنيفة في حرب البسوس يستنصروهم فأمدوهم به وبقومه بني زمان وعدادهم في بني حنيفة.

٤٣٢ ٤٧٨

Results ١،١،١،٣٧٩

في تاريخ الأدب الجاهلي

في الحياة والناس

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان٥٣٨

عسى الأيام أن يرجع ن قوما كالذي كانوا

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان٥٣٩

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا٥٤٠

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان٥٤١

بضرب فيه توهين وتخضيع وإقران٥٤٢

وطعن كفم الزق غذا والزق ملآن٥٤٣

وبعض الحلم عند الجهـل للذلة إذعان٥٤٤

وفي الشر نجاة حيـن لا ينجيك إحسان٥٤٥

---

٥٣٨ صفحنا عن بني ذهل: يقول: أعرضنا عن هؤلاء القوم المتحاربين وضربنا عنهم صفحا؛ لأن بينهم رحما وقرابة فعسى أن تردهم الأيام إلى ما كانوا عليه من قبل من التوافق والتوادد.

٥٣٩ صرح: بمعنى انكشف. وقوله وهو عريان: مثل لظهور الشر ووضوحه، ويروى فأضحى إلخ؛ وهي أحسن لأن الشيء في الضحى أظهر وأبين.

٥٤٠ العدوان: الظلم الصريح. والدين: الجزاء. يقول: لما أصروا على البغي وأبوا أن يدعوا الظلم ولم يبق إلا أن تقاتلهم وتعتدي عليهم كما اعتدوا علينا، جازيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدءونا به.

". (١)

"فإذا ما جاء الشعر إلى أولى ملهمات الشعر التي تفيض بالحياة والحيوية، وهي المرأة، نرى الشاعر الجاهلي يجيد في تصوير ما حباها الله به من جمال طبيعي، فتبدوا كأنها آلهة الجمال، أو أنها الجمال في تمثال. ولئن بحثنا عن صور الحياة في الشعر الجاهلي فسوف نجدها واضحة جلية فيه، فالجاهليون كما يبدو في شعرهم، يعتزون بأنفسهم، ويشمخون بأنوفهم، يحمون الحمى، ويحفظون العرض والشرف، ويتباهون بالحفاظ على حقوق الجار، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، وإجابة الداعي، ويتفاخرون بالقوة والغلبة، وكثرة العدد والعدد، فإذا ما ثارت نفوسهم -وكانوا سرعان ما يثورون- قامت الحرب، واشتعلت النيران، فتتجمع الجيوش، وتتلاحم الصفوف، وتدور رحى المعارك، وتتوالى الطعنات والضربات، فترى القتلى صرعى، والأرض مخضبة بالدماء، والجرحى يئنون، والأسرى في الأغلال، والسبايا يسقن في ذل وهوان، وتصبح النفوس الموتورة متأججة، والحقد قد تمكن في النفوس، والغيظ يكاد يقطع نياط القلوب، والأخذ بالثأر يعمي الأبصار، ويحيل الحياة ظلاما، الهم يزداد، والألم يشتد لحظة بعد لحظة، وكل قد غفل عن نفسه، وأهمل شئونه، فلا يهتم بمظهره، وقد

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

آلى على نفسه ألا يغتسل ولا يتنظف حتى تكف الهامة عن الصياح، وهكذا تقود المعركة إلى معارك، فتشاهدهم في نزاع مستمر، وعراك دائم، ولا يكفون عن الاستعداد للخطر على الدوام، فهم دائما على أتم الاستعداد لملاقاة الأخطار، الأسلحة تهيأ وتعد، والرماح تبرق، والسيوف تلمع، والقسي مشدودة، والسهام تملأ الكنائن. وفي المعركة يظهر الفرسان، والأبطال، الطعن شديد، والضارب عنيف، والدروع تحمي الصدور، والبيض تلمع فوق الرءوس، وميدان المعركة فوقه سحب من الغبار، وتظله العقبان، وعصائب الطير تهتدي

٤٤٦ ٤٧٨

Results ١،١،١،٣٩٦

في تاريخ الأدب الجاهلي

الشعر ديوان العرب

". (١)

"فحب الفرد لقبيلته وتفانيه في إخلاصه لها، والعمل على رفع شأنها، وإعلاء كلمتها، وتعصبه لها وحدها، كل ذلك جعله يتجاهل غيرها، ولا يعترف بحق الحياة أو الملكية أو المتعة لأحد من سواها، كأنما لم يخلق في الوجود غيره وغير قبيلته، فدفعه هذا الاعتقاد إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، ما دام يملك القوة أو الفرصة المواتية، فكانت الغارات والحروب التي ينجم عنها إزهاق الأرواح، ونهب الأموال وأسر الرجال، وسبي النساء، مما يشيع الرهبة في قلوب الآخرين، ويعلي من شأن المنتصرين، وينمي ثروتهم، بما غنموه من مال، أو كسبوه من فداء الأسرى والسبايا، أو احتلال أرضهم، ونزول ديارهم. وما كانوا يكفون عن الغارات والحروب إلا في الأشهر الحرم، ولكن الحمية الجاهلية كانت تشتط بهم فيقاتلون فيها غير مبالين، كما كان في حرب الفجار بين قريش وكنانة، أو يتخذون النسيء فيؤخرون الأشهر الحرم كما يشاءون. وإزهاق الأرواح ، وإنزال الخسائر، وإحداث الهزائم، وما كانت لتقف عند حد، فالقبيلة المنهزمة ومن حاقت بهم الخسائر، ما كانوا ليقفوا مكتوفي الأيدي، بل لا بد أن ينتقموا لكرامتهم، ويردوا شرفهم، فكان لابد من الأخذ **بالثأر**، وكان الاعتقاد السائد أن روح القتيل كانت تخرج من قبره كل يوم في صورة طائر يسمونه "الهامة" وتصيح قائلة

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

"اسقوني، اسقوني" ولا تكف عن الصياح حتى يأخذ بثأره. فكل معركة كانت تتبعها معركة بل معارك، وقد ساعد على انتشار هذه الفوضى، وشيوع الرعب وعدم الطمأنينة والأمن، عدم وجود حكومة مركزية يدين لها جميع القبائل بالولاء والطاعة، وتتولى نشر العدل بين الناس على السواء. وكان التعصب القبلي الأعمى يقوي من نيران العداوة والحروب، فالتزام الوقوف بجانب أي فرد من القبيلة في جميع الأحوال، ظالما أو مظلوما بصرف النظر عن مدى الحق في موقفه، وبدون ترو أو تفكير فيما هو مقدم عليه، زاد ا الطين

٦٧ ٤٧٨

Results ١,١,١,٥٠٩

في تاريخ الأدب الجاهلي

مدخل

". (١)

"٣ قال ابن دريد: السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح، ويخالفهم أهل العالية، فيتشاءمون بالسانح، ويتمنون بالبارح. العمدة: ٢-١٦٢.

٧٠ ٤٧٨

Results ١,١,١,٥١٤

في تاريخ الأدب الجاهلي

زجر الطير وضرب الحصى وخط الرمل

تخبرني بالنجاة القطاة وقول الغراب بها شاهد

يقول: ألا قد دنا نازح فداء له الطرف والتالد

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

ولكن كثيرا من الشعراء أنكروا الزجر وعارضوا فكرته، من ذلك قول ضابئ بن الحارث البرجمي:

وما أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السائحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

وقال لبيد:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

٧١ ٤٧٨

Results ١،١،١،٥١٥

في تاريخ الأدب الجاهلي

الاستقسام بالأزلام

٣- الاستقسام بالأزلام: وهي نوع من الطيرة، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الشأن فيه أخذوا قداحا مكتوبا على بعضها "افعل" وعلى بعض١ه "لا تفعل" وعلى بعضها، "نعم" وعلى بعضها "لا" إلى غير ذلك، فإذا أراد أحدهم سفرا مثلا أتى سادن الأوثان، فيضرب له بتلك القداح، ويقول: "اللهم إن كان خيرا له فأخرجه". فما خرج له عمل به.

وإذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح، وفي بعضها مكتوب "صريح" وفي بعضها "ملحق" فإن خرج الصريح أثبتوا له نسبه وإن خرج الملحق نفوه، حكى أبو الفرج الأصبهاني، أنهم كانوا يستقسمون عند ذي الخلصة وهو صنم مشهور، وأن امرأ القيس لما قتل أبوه وخرج امرؤ القيس يطلب بثأره استقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربص، فأجالها، فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي فجمعها وكسرها، وضرب بها وجه الصنم، وسبه ثم قال.

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي، وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا٤

---

٤ الأغاني "دار الكتب" جـ٩ ص٩٢-٩٣،

٤٧٨ ١ ٧

ultsRes ١,٥١٦..١١

". (١)

"... وإذا تملينا المثل – الذي سقناه – جيدا، أدركنا قيمة العنصر الثاني الذي أضافه "أرسطو" في تحديده الفكرة. ذلك أن التلاؤم يضفي على العبارة بعدها النفسي، والاجتماعي،و الإنساني، بحسب الغرض العام للتعبير. فالأعرابي – في هذا المثل – لا يريد أن يخبر الغريق بحقيقة جديدة عليه، لأنه يعانيها حين النطق بالعبارة. وإنما غرضه أن ينفض يديه من مسؤولية ما يحدث أمامه. فالبعد إذن بعد نفسي/ اجتماعي. نفسي من حيث طمأنة الذات حتى لا يؤنبها ضمير. واجتماعي حتى لا يطالب **بثأر**. وعبارة المثل، سواء صاح بها الأعرابي في وجه صاحبه، أو قالها لنفسه، تؤدي هذه الوظيفة أداء رائعا. ومن ثم سارت بين الناس مثلا. فالتلاؤم بينها وبين خصوصية الموقف، هو الذي رفعها إلى مرتبة الأمثال الخالدة.

... لقد سمى العرب هذه التركيبة "مراعاة مقتضى الحال" في حديثهم عن البلاغة. وقد وسع النقد الحديث درسه للموقف "tuiSation" خلال فرزه للعناصر التي تتشابك في بنيته "الزمكانية". وقد جعلها ثلاثة جوانب:» إنساني في تعبير الكاتب عن المشاعر، وتصويره للأفكار التي يجابه بها الواقع. سواء كان واقعيا ذاتيا، أم اجتماعيا. ثم جانب فني عام يتعلق بطبيعة الموقف تبعا للقواعد الفنية التي يحتملها التصوير الأدبي، مادامت طبيعة الأدب تستلزم التجسيم للأفكار بالطرق الفنية لا التجريد. ثم فني خاص تبعا للأجناس الأدبية.« (٣)."

(٢)

"فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول ؟ لو نفع - اليقينا فلما صار جذيمة في بلاد الزبى قال القصير: ما الرأي؟ قال " ببقة تركت الرأي " فذهبت مثلا. وقال له: ستلقاك الخيول فإن صارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أحاطت بك فالقوم غادرون، فاركب العصا " فإنه لا يشق غباره " فإني راكبه ومسايرك عليه، فلقيته الخيول والكتائب فأحاطت به وحالت بينه وبين العصا، ونظر الأبرش إلى قصير على ظهر العصا فقال " ويل أمه حزما على ظهر العصا " فأرسلها مثلا، فلما وصل جذيمة إلى الزبى كشفت له عن شوارها وقد ضفرت شعرته فقالت: يا جذيمة أشوار عروس ترى؟ قال: ما أرى إلا شوار لخناء.

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي، ص/٨٧

فأمرت الزبى بفصاده في طست ذهب، تفاؤلا أن **ثأره** قد ذهب، وقد قيل لها: إن سقط من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه فلما ضعفت يده سقطت فقطر أمه في غير الطست.

وقال سويد بن أبي كاهل (١) :

وأبو مالك الملك الذي ... قتلته بنت عمرو بالخدع وخلف جذيمة في ملكه عمرو اللخمي ؟ ابن أخته ؟ ولم يكن لجذيمة ولد، وهو الذي يقال له فيه " شب عمرو عن الطوق " فانتقل ملك الحيرة من الأزد إلى لخم، فقال قصير لعمرو تأهب واستعدد ولا تطل دم خالك. ولم يزل قصير يعمل الحيلة ويزاول المكيدة ؟ في خبر طويل ؟ حتى أدرك عمرو **بثأر** خاله.

والزبى على وزن فعلى مقصور وقد رد العلماء فيه لأنه تأنيث زبان ؟ الاسم المستعمل ؟ فأما زباء ممدود فإنما تأنيث أزب ولم يستعمل اسما وإنما هو صفة للكثير شعر البدن، وإذا وصفت الداهية بالشدة قيل داهية زباء.

(٢) والشاهد لما

---

(١) صاحب القصيدة المفضلية: ٣٨١ وهذا البيت على وزنها ورويها ولكنه غير مذكور هنالك.

(٢) علق في حاشية ف على الاسم فقال: الزباء تمد وتقصر، والقصر أعرف. قال أبو حاتم يقال للملكة زبى بالقصر لا غير، وقال الأصمعي يقال جاء بداهية زباء، وزباء أنثى أزب وهو الكثير شعر الجسد.." (١)

"الإسلام وهو أبو خراش الهذلي، قال أبو خراش يرثي أخاه عروة (١) :

تقول أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء ؟ لو علمت - جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده ... ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... . (البيت) وقوله: إلا الفرقدان: [الفرقدان] في موضع النعت لكل وإلا في موضع غير كأنه قال: غير الفرقدين. والبيت لعمرو بن معد يكرب، هكذا قال الجرمي في كتاب سيبويه. وقال أبو الحسن: هو لسوار بن المضرب (٢) وقد نسب إلى عامر الأسدي الحضرمي، ولم يقع فيما رويناه من شعر عمرو بن معد يكرب، ومثله قول الآخر (٣) :

وكل أخ مفارقه أخوه ... فراق الشحط (٤) إلا ابني شمام (٥) وأصح من هذين البيتين قول الشاعر في الإسلام (٦) :

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/١٢٥

ولم أر ما يدوم له بقاء ... سيفترق اجتماع الفرقدين وقال العتابي:

---

(١) ديوان الهذليين: ١١٦، انظر الأغاني ٢١: ٤٥، وقد قال هذه الأبيات حين دخلت عليه امرأة عروة وهو يلاعب ابنه خراشا فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب **بثأره**... أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، فبكى أبو خراش وقال:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل

تقول: أراه.......... ... (الأبيات)

(٢) أحد شعراء الحماسة، إسلامي من بني تميم وقيل سعدي من سعد بني كلاب طلبه الحجاج فهرب منه. انظر ترجمته في المؤتلف: ١٨٣ والتبريزي ١: ٦٥ والمرزوقي: ١٨ والكامل: ٦٦٦.

(٣) البيت في الخزانة ٢: ٥٣ وعو لأسعد الذهلي كما ذكر أبو تمام في مختار أشعار القبائل، نقل ذلك البغدادي.

(٤) الخزانة: لشحط الدار.

(٥) ابنا شمام: جبلان في دار بني تميم، وقيل شمام جبل وابناه رأساه.

(٦) هو إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية، انظر الكامل: ٧٦٠ والخزانة ٢: ٥٤ وقد سقط البيت والتوطئة من ط.." (١)

"فإن أنتم لم **تثأروا** بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم (١) وقال الشاعر في معنى هذا المثل (٢) : طلبت بك التكثير فازددت قلة ... وقد يخسر الإنسان في طلب الربح قال أبو عبيد: ومن هذا قولهم (٣) " كالباحث عن الشفرة " أي أنه يبحث ليطلب معاشا فسقط على شفرة فعقرته أو قتلته.

ع: قال الفرزدق في هذا المثل (٤) :

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

فكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت الثرى تستثيرها قال أبو عبيد: ومن هذا قولهم " سقط العشاء به على سرحان " قال: وأصله أن رجلا خرج يطلب العشاء فوقع على ذئب فأكله، وقال المفضل (٥) : دابة [خرجت] تطلب العشاء.

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٢٥٨

ع: وقال ابن السكيت: كان سرحان بن معتب بن الأجب (٦) بن الغوث بن

---

(١) تريد إن قبلتم الدية فكونوا صما وامشوا بآذان النعام فإن الناس لابد لهم من الحديث بما فعلتم، والنعام لا يسمع. وقيل أرادت: امشوا أذلاء كما يمشي من صلمت أذناه. ومن رواه فمشوا بضم الميم، فالمعنى: امسحوا بآذانكم المصلمة.

(٢) العقد ٣: ١٢٦ وهو من شعر ابن عبد ربه.

(٣) س ط: ومثله.

(٤) ديوانه: ٧١ وهي القصيدة رقم ٥٦.

(٥) الميداني ٢: ٢٢١ قال الأصمعي.

(٦) ط ص: مغيث؛ س ط: أحب، والتصويب عن جمهرة الأنساب: ٢٤٨ (الطبعة الثانية).." [1]

"١٩٠ - ؟ باب الخطأ في سوء التدبير

قال أبو عبيد: من أمثالهم في نحو هذا وليس هو منه بعينه قولهم:

" لا أبوك نشر، ولا التراب نفد "

وكان المفضل (١) يذكر أصل هذا أن رجلا قال: لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي فقيل له هذه المقالة، أي أنك لا تدرك بذلك ثأر أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب.

ع: انظر كيف جعل تفسير قولهم في المثل: لا أبوك نشر: أي أنك لا تدرك ثأر أبيك، وذلك أن العرب كانت ترى أن المقتول إذا أدرك بثأره فكأنه قد أحيي، ولذلك قال جرير (٢) :

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا يريد أن الثأر لا يؤخذ منهن ولا يدين من قتلنه، ولولا هذا التأويل لم يكن لقوله " ثم لم يحيين قتلانا " معنى.

وقال الأخطل (٣) :

وكم قتلت أروى بلا دية لها ... وأروى لفراغ الرجال قتول والقول الصادع في هذا قوله سبحانه ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة: ١٧٩).

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٣٦٢

(١) ف: وكان الأحمر يذكر....

(٢) ديوان جرير: ٥٩٥.

(٣) ديوان الأخطل: ٢٥٦.." (١)

"مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها

قال ابن السيرافي: النعب: صوت الغراب، والناعب هو الغراب، وقال الأخوص ذلك في حرب كانت بين بطون بني يربوع قتل فيها أبو بدر الغداني. في كلام يشبه هذا لا طائل فيه.

قال س: هذا موضع المثل:

يا ليت حظي منك ذات البرقع

أن لا تضريني وألا تنفعي

لو سكت ابن السيرافي عن تفسير هذا الشعر الذي لم يعرف قضيته ولا نظام أبياته لكان أجدى على مستفيده، وذلك أنه قال: إن هذا الشعر قيل في حرب كانت بين بطون بني يربوع.

وإنما كان القتال بين بني يربوع وبني دارم، فأراد الشاعر بقوله مشائيم بني دارم بن مالك لا بني يربوع. وكان من قصة هذا الشعر، أن ناسا من بني يربوع وبني دارم، اجتمعوا على القرعاء، فقتل بينهم رجل من بني غدانة يكنى أبا بدر، فقالت بنو يربوع: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، فقالت بنو دارم: إنا لا نعرف قاتله، فأقيموا قسامة نعطكم حقكم، فقالت بنو غدانة: نحن نفعل. فأخرجوا خمسين، فحلفوا كلهم إلا رجلا أن الذي قتل أبا بدر عبيد بن زرعة، فقال الباقي من الخمسين: أليس تدفعون إلينا عبيدا إذا أنا كملت الخمسين؟ قالوا: لا ولكنا نديه لأنا لا ندري من قتله. فقال الباقي عند ذلك - وهو أبو بيض الغداني - : والله لا أكملهم أبدا ولا يفارقنا عبيد حتى نقتله.

فقام ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وشيبان بن حنظلة بن بشر بن عمرو فكفلا بعبيد، فدفعته بنو غدانة إليهما، فلما جنهم الليلي قال ضرار وشيبان لعبيد: انطلق حيث شئت.

وغدت بنو غدانة على بني دارم فقالوا لهم: إن صاحبكم هرب، ولكن هذه الدية فاقبلوها من إخوتكم، ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجادع أنفه، ولو علمنا مكان صاحبكم قصدنا إليه. فلما سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال: دعوني أتكلم، قالوا: تكلم يا أبا خولة. فقال الأخوص:

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٤٢٣

ليس بيربوع إلى العقل فاقة ... ولا دنس تسود منه ثيابها
فكيف بنوكي مالك إن غفرتم ... لهم هذه أم كيف بعد سبابها
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا بشؤم غرابها
فإن أنتم لم تقتلوا بأخيكم ... فكونوا بغايا بالأكف عيابها
ستخبر ما أحدثتم في أخيكم ... رفاق من الآفاق شتى مآبها
وهي أبيات ذكرت منها ما لا غنى عنه في معنى بيت الكتاب.
قال ابن السيرافي قال الجعدي
وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب
قال: أبو مرحب من بني عمه، وأظنه من بني قشير، يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سبب كان احتاج إليه فيه.
قال س: هذا موضع المثل:
تنحلت نعت الخيل لا أنت قدتها ... ولا قادها جداك في سالف الدهر
لو اقتصر ابن السيرافي على ذكر الإعراب واللغة، ولم يعرض لذكر الرجال والأنساب، لما استهدف للسان الطاعنين، لكن الشقي بكل كف يصفع.
أبو مرحب هنا، الذي يقول لك إذا لقيك: أهلا ومرحبا، وليس غير ذلك. وبيت الجعدي في المعنى مثل بيت الكميت:
يراني في اللمام له صديقا ... وشادنة العسابر رعبليب
ومثل قول الآخر:
رجل صديق ما بدت لك عينه ... فإذا تغيب فاحترس من دعلج
ومثل قول الآخر:
صديق حضارة وصديق عين ... وليس لمن تغيب بالصديق
وقال ابن السيرافي قال أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه
إذا جئت بوابا له قال مرحبا ... ألا مرحب واديك غير مضيق
يخاطب البواب: ألا واديك يا بواب مرحب غير مضيق.

قال س: هذا موضع المثل:

وكيف يرحل من ليست له إبل

كثيرا ما يزل في مثل هذا الاسم من لم يمارس علم النسب، وهو قوله: أبو الأسود الدؤلي، وكذا كان يقوله من تقدم من النحويين، وليس من علمهم.

أخبرنا أبو الندى قال: هو أبو الأسود الديلي. قال: واسمه ظالم بن عمرو ابن سفيان بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.." (١)

"هذا أرقع ما جاء به ابن السيرافي، ولو كان له حياء لما استحسن لنفسه أن يدخلها في مثل هذا التصحيف الشنيع، ولكن لا دواء لمن لا حياء له.

والصواب: ما بالجزع من ملكان، وملكان: جبل من بلاد بني طيئ، وكان يقال له: ملكان الروم، لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية مرة.

وأنشد أبو الندى رحمه الله:

أبى ملكان الروم أن يشكروا لنا ... ويوم بنعف القور لم يتصرم

قال: ونظير ملكان في الوزن ورقان، وهو الذي يقول فيه الخضري - وهو من بني خضر بن محارب بن خصفة -:

لو أن الشم من ورقان زالت ... وجدت مودتي بك لا تزول

فقل لحمامة الخرجاء سقيا ... لظلك حيث يدركك المقيل

ونظيره أيضا بدلان، وهو الذي ذكره امرؤ القيس:

ليالينا بالنعف من بدلان

ونظير ذلك كثير.

وهذه الأبيات قالها عامر بن جوين الطائي في هند أخت امرئ القيس بن حجر، لما هرب من النعمان بن المنذر، ونزل عليه، فأراد عامر الغدر به، فتحول عنه. وهي:

أأظعان هند تلكم المتحمله ... لتحزنني أم خلتي متدلله

فما بيضة بات الظليم يحفها ... ويفرشها زفا من الريش مخمله

---

(١) فرحة الأديب، ص/٢

ويجعلها بين الجناح ودفه ... إلى جؤجؤ جاف بميثاء حومله

بأحسن منها يوم قالت: ألا ترى ... تبدل خليلا إنني متبدله

ألم تر ما بالجزع من ملكان ... وما بالصعيد من هجان مؤبله

فلم أر مثلها خباسة واحد ... ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

قال ابن السيرافي قال الشماخ

وواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيترب

يترب: موضع على مثال يرمع وهو غير يثرب.

قال س: هذا موضع المثل:

يحيي البيض ويقتل الفراخ

كثيرا ما يلهج ابن السيرافي بالتصحيف الفاحش، ويدع الصريح الصر نقح جانبا.

يترب ها هنا في وزن يرمع كما ذكره ابن السيرافي - تصحيف فاحش، والصواب في هذا البيت يثرب وهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تسمى في الجاهلية يثرب، وثم جرت قصة عرقوب. فأما يترب وبلاد فهما بلدان قريبان من حجر اليمامة، تجود سهمانها. والبيت من أبيات الشماخ وهي:

أواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وواعدتني عادية بين جولها ... وبين رجاها نصف شأو مغرب

تميل كما مالت على أخواتها ... خرود عذارى في خباء مطنب

وأنشدنا أبو الندى رحمه الله في مواعيد عرقوب - وهو بيت مثل - :

كأن مواعيد القضاعي جاره ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

قال ابن السيرافي قالت ليلى الأخيلية

إن الخليع ورهطه من عامر ... كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما

لا تقربن الدهر آل مطرف ... إن ظالما فيهم وإن مظلوما

قال: تمدح بذلك همام بن مطرف، وهو من ولد الخليع.

قال س: هذا موضع المثل:

إن المحامين عن المجد قلل

معرفة مثل هذا الشعر وما فيه من النسب – عزيز، ليس البيت لليلى الأخيلية، بل هو لحميد بن ثور الهلالي في كلمته التي أولها:

لما تخايلت الحمول حسبتها ... دوما بأيلة ناعما مكم وما

وهي أبيات.

ولم يذكر ابن السيرافي الخليع، أنه من أي الناس. وهو من بني عقيل، والخلعاء: عمرو وعامر وعويمر من بني ربيعة بن عقيل، وإياهم عنى الخطيم اللص بقوله:

فلو كنت من رهط الأصم بن مالك ... أو الخلعاء أو زهير بني عبس

إذا لرمت قيس ورائي بالحصى ... وما أسلم الجاني لما جر بالأمس

قال ابن السيرافي قال حميد بن ثور

وما هي إلا في إزار وعلقة ... مغار ابن همام على حي خثعما

قال: هو عمرو بن همام بن مطرف من الخلعاء، كانت خثعم قتلت أباه همام بن مطرف، فأتى نجدة بن عامر الحروري فأظهر له أنه على رأيه، وسأله أن يبعث معه ناسا من أصحابه، فأرسل معه نجدة خيلا، فأغار على خثعم فأصاب منهم فأدرك بثأر أبيه، وصار رأسا في الخوارج. ولما قضى حاجته رجع إلى قومه فنزل فيهم، ثم وضع السيف في النجدية.

قال س: هذا موضع المثل:." (١)

"ومعنى البيت أن هذه القصيدة شرفت عن الإطراء والمدح لأنها مأخوذة من الكتاب العزيز لقول الناظم (وحديثها قبس من القرآن) .

ويقتبسها أي يأخذها (١)، وهذا هو موضع الإطراء فيها إذ أنها مأخوذة مما تعالى عن الإطراء وهو القرآن ومن ثم فقد كان للتابع حكم المتبوع في التعالي عن الإطراء .

---

(١) تهذيب اللغة (٨/٤١٩) .

١٤- ما لامرء القيس المضلل لوثه **** فيها ولا الأعشى ولا القباني

---

(١) فرحة الأديب، ص/١٦

لما ذكر الناظم أن قصيدته مأخوذة من قبس القرآن معنى ومن فيض حسان نظما؟

أراد أن ينفي أي لوثة لشعراء الضلال فيها .

فإن قيل ألا يكفي البيت السابق في إثباته أنها من القرآن ؟

فالجواب :

ان الإثبات لا يمنع غيره بخلاف الجمع بين النفي والإثبات (١). ، ولأنها نظم فشابهت ما وقع في النظوم فأبان اختلافها في غرضها وما اشتملت عليه عن أغراض الشعراء الممقوتة الذي جاء فيها قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ فكأنها ثبت لها وصف الحكمة الثابت في قوله – صلى الله عليه وسلم – " إن من الشعر لحكمة " وانتفى عنها وصف الضلالة الثابت في الآية السابقة وأتى تأكيدا للنفي بمخالفة هدى كبرائهم .

ثم ذكر ثلاثة من الشعراء اشتهروا بالمجون والضلالة وهم :

أ امرؤ القيس (٢)من ٤٩٧م إلى ٥٤٥م وهو :

---

(١) انظر تقريب التدمرية للعلامة لعثيمين ص٢٠ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتبة (١٠٧/١) ، الأعلام للزركلي (١١/٢) ، وأدباء العرب لبطرس البستاني (٩٧/١) ، الأغاني (٨٤/٩) .

كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمرا وغدا أمر ! ، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد ، وقال في ذلك شعرا كثيرا .." (١)

"امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، مولده بنجد ، أو بمخلاف السكاسك باليمن ، اشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي ، وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، ثم جعل ينتقل في أحياء العرب ،يشرب ويطرب ويغزو ويلهو ، إلى ان ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه ، فبلغ ذلك امرأ القيس

وهو جالس للشراب فقال : رحم الله أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه

---

(١) شرحة نونية القرني لكاملة الكواري، ٣١/١

وكانت حكومة فارس ساخطة على آباء امرئ القيس فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس ، فطلبه ، فابتعد وتفرق عنه أنصاره ؛ فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره ، فمكث عنده مدة ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس فقصد الحارث بن ابي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم في القسطنطينية فوعده ومطله ثم ولاه إمرة فلسطين ولقبه بالوالي (١).

ووصف الناظم امرىء القيس بالمضلل لأنه لقبه ، ولقب بذلك لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد وقد قال الشاعر:

ولم ترد على الضليل صحته **** ولا ثنت أسدا على ربها حجر

---

(١) وإذا أطلق فإنه ينصرف إلى الكندي ، وهناك امرؤ القيس الأول والثاني والثالث ، فانظر ترجمتهم في الأعلام (١٢/٢) .

قال النويرى: الضليل الذي أشار إليه هو امرؤ القيس ، ثم ذكر سبب لقبه(١).

أما الأعشى ت سنة ٦٢٩م فهو :." (١)

"١) انظر تقريب التدمرية للعلامة لعثيمين ص٢٠ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتبة (١٠٧/١) ، الأعلام للزركلي (١١/٢) ، وأدباء العرب لبطرس البستاني (٩٧/١) ، الأغاني (٨٤/٩) .

كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا! اليوم خمرا وغدا أمر ! ، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد ، وقال في ذلك شعرا كثيرا .

وكانت حكومة فارس ساخطة على آباء امرئ القيس فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس ، فطلبه ، فابتعد ، وتفرق عنه أنصاره ؛ فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل ، فأجاره . فمكث عنده مدة ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس فقصد الحارث ابن ابي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم في القسطنطينية فوعده ومطله ثم ولاه آمرة فلسطين ولقبه بالوالي (١) .

---

(١) شرحة نونية القرني لكاملة الكواري، ٣٢/١

ووصف الناظم امرىء القيس بالمضلل لأنه لقبه ولقب بذلك لأنه ترك ملكه وتوجه إلى قيصر يطلب منه جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بني أسد وقد قال الشاعر :

ولم ترد على الضليل صحته **** ولا ثنت أسدا على ربها حجر

قال النويرى : الضليل الذي أشار إليه هو امرؤ القيس ثم ذكر سبب لقبه (٢) .

أما الأعشى ت سنة ٦٢٩هـ فهو :

ميمون بن قيس بن جندل ، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات . كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر ، يسلك فيه كل مسلك ، وليس لأحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه . وكان يغني بشعره فسمي " صناجة العرب " .

---

(١) وإذا أطلق فإنه ينصرف أبى الكندي ، وهناك امرؤ القيس الأول والثاني والثالث ، فانظر ترجمتهم في الاعلام (١٢/٢) .

(٢) نهاية الأرب للنويرى (١٩٠/٥) ، معجم ألقاب الشعراء للعاني ص٢٢٦." (١)

"ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي ، والوزير ابن العلقمي وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ،

---

(١) شرحة نونية القرني لكاملة الكواري، ٢٠/٣

وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال : أن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت ، وانتزعها من أيدي الإسماعلية وكان النصير وزيرا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه خافوا أن يؤخذ **بثأره** فيما قيل لهم ، وقيل : بل خنق ، ويقال : بل أغرق فالله أعلم فباءوا بإثمه وإثم من كان من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاده – وستأتي." (١)

"المدائني قال: قال شبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج، ومعي ثلاث أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جزته قام بي بعير لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فمر بي اليماني فقال: مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض. فقلت: أجل يرحمك الله. قال: أتطيب نفسا عما أرى؟ قلت: نعم. فنزل فأرخى أنساع رحله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقهم ثم شده وقال لي: لولا أنك لا تضبط رأسهم لقدمتكن. ثم قال لي: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسا به. ففعلت، ثم ارتدفت، فجعلت تعوم عوما ثم انسلت كأنهم ثعبان يسيل سيلا كالماء فما شعرت حتر أراني الأعلام وقال: أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس لإإذا نحن بجمع، فقضيت حجتي، وكان قال لي: حاجتي إليك ألا تذكر هذا فإن هذه عندي أثر من ولاية العروض، يعني مكة والمدينة، أدرك عليهم **الثأر** وهي ثمال العيال وأصيد عليهم الوحش وأوافي عليهم الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غب الحمار. فسالته: من أين هي؟ قال: بجاوية من هوامي نتاج " بدو " بجبيلة الأولى وهي من المهم رى التي يذكر الناس.

في جمل سامه عامل سليمان بن عبد الملك

" وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله: أصب لي نجائب كراما. فقدم رجل على جمل سباعي عظيم الهم مة له خلق لم يروا مثله قط فساموا، فقال: لاأبيعه. قالوا: لا ندعك ولا نغصبك ولكنا نكتب إلى أمير المؤمنين بسببه. قال: فهلا خيرا من هذا؟ قالوا: ما هو؟ قال: معكم نجائب كرام وخيل سابقة، فدعوني أركب جملي وأبعثه واتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم بغير ثمن. قالوا: نعم. فدنا منه فصاح في أذنه ثم **أثاره** فوثب وثبة شديدة

---

(١) شرحة نونية القرني لكاملة الكواري، ٥١/٥

فكبا ثم انبعث واتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له: الكفلان " .

أخبار الجبناء

بين عبيد الله بن زياد ورجل أرسله

لحرب الخوارج ففر منهم، وشعر لخارجي حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال: أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين إلى مرداس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فعنفه ابن زياد وأغلظ له فقال: يشتمني الأمير وأنا حي أحب إلي من أن يدعو لي وأنا ميت. فقال شاعر الخوارج:

أألفا مؤمن منكم زعمتم ... ويهزمهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذلكم كذاكم ... ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة قد علمتم ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

للنبي

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال: قال النبي: " ما التقت فئتان قط إلا وكف الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه عليهم " .

لمعاوية

" ورفع معاوية ثندوته وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي، فكيف قال النجاشي:

ونجى ابن حرب سابق ذو علالة ... أجش هزيم والرماح دواني "

بين عمرو بن العاص ومعاوية

ابن دأب قال: قال عمرو بن العاص لمعاوية: لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع؟ فقال:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة ... وإلا تكن لي فرصة فجبان

شعر لأبي دلامة في حب الموت

شهد أبو دلامة حربا مع روح بن حاتم فقال له: تقدم فقاتل. فقال:

إني أعوذ بروح أن يقدمني ... إلى القتال فتخزى بي بنو أسد

إن المهلب حب الموت ورثكم ... ولم أورث حب الموت عن أحد

لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذم ابن النابغة

أبو المنذر قال: حدثنا زيد بن وهب قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجبا لابن النابغة! يزعم أني تلعابة أعافس وأمارس! أما وشر القول أكذبه، إنهخ يسأل فيلحف ويسأل فيبخل، فإذا كان عند البأس فإنه آمرؤ زاجر ما لم تأخذ السيوف مأخذهم من هم م القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همه أن يبرقط ويمنح الناس آسته. قبحه الله وترحه.

شعر للفرار السلمي وغيره في ذم الشجاعة وتحسين ارف رار

وقال الفرار السلمي:

وكتيبة لبستهم بكتيبة ... حتى إذا التبست نفضت بهم يدي

وتركتهم تقص الرماح ظهورهم ... من بين منجدل وآخر مسند." (١)

"فإذا تفاخرت القبا ... ئل من تميم أو فزاره

حفلت عليك شيوخ ضب ... ة بالمسيب والمناره

لخارجي وقد مر بدار تبنى مر رجل من الخوارج بدار تبنى فقال: من هذا الذي يقيم كفيلا؟ وقالوا: كل مال لا يخرج بخروجك ولا يرجع برجوعك ولا ينتقل في الوجوه بانتقالك فهو كفيل.

لحكماء من الروم وقالت الحكماء من الروم: أصلح موضع البنيان أن يكون على تل أو كبس وثيق ليكون مطلا، وأحق ما جعلت إليه أبواب المنازل وأفنيتها وكواؤها المشرق واستقبال الصبا، فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم.

شعر لعلي بن الجهم في البناء ومن حسن التشبيه في البناء قول علي بن الجهم:

صحون تسافر فيها العيون ... وتحسر عن بعد أقطارها

وقبة ملك كأن النجو ... م تصغي إليها بأسرارها

وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصر عن ثارها

!ذا أوقدت نارها بالعراق ... أضاء الحجاز سنا نارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب أقطارها

لها شرفا ت كأن الربيع ... كساها الرياض بأنوارها

فهن كمصطحبات خرجن ... لفصح النصارى وإفطارها

---

(١) عيون الأخبار، ص/٦٩

فمن بين عاقصة شعرها ... ومصلحة عقط زنارها
للوليد بن كعب وقال الوليد بن كعب :
بكت دار بشر شجوها أن تبدلت ... هلال بن عياد ببشر بن غالب
وما هي إلا مثل عرس تنقلت ... على رغمها من هاشم في محارب
وقال آخر:
ألم تر حوشبا أمسى يبني ... قصورا نفعها لبني بقيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث كل ليله
شعر مالك بن أسماء في جارية يهواها كان مالك بن أسماء يهوى جارية من بني أسد وكانت تنزل خصا وكانت دار مالك مبنية بآجر فقال :
يا ليت لي خصا يجاورها ... بدلا بداري في بني أسد
الخص فيه تقر أعيننا ... خير من الآجر والكمد
سليمان بن داود عليه السلام لابنه حدثني محمد بن خالد بن خداش عن أبيه قال: حدثنا إسحاق بن الفرات قاضي مصر عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان بن داود لابنه: يا بني إن من ضيق العيش شراء الخبز من السوق، والنقلة من منزل إلى منزل.
بين المأمون وأحد الزهاد بلغني أن رجلا من الزهاد مر في زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعمراه؛ فسمعه المأمون فدعا به فقال: ما قلت؟ قال: رأيت بناء الأكاسرة فقلت ما سمعت. قال المأمون: أرأيت لو تحولت من هذه المدينة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تعيب نزولي هناك؟ قال: لا. قال: فأراك إنما عبت إسرافي في النفقة. قال: نعم. قال: فلو وهبت قيمة هذا البناء لرجل أكنت تعيب ذلك؟ قال: لا. قال: فلو بنى هذا الرجل بما كنت أهب له بناء أكنت تصيح به كما صحت بي؟ قال: لا. قال: فأراك إنما قصدتني لخاصتي في نفسي لا لعلة هي في غيري، ثم قال له: هذا البناء ضرب من مكايدنا نبنيه ونتخذ الجيوش ونعد السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودن إلي فتمسك عقوبتي، فإن الحفيظة ربما صرفت ذا الرأي إلى هواه، فاستعمله.
??????????????????????????? باب المزاح والرخص فيه
لعائشة رضي الله عنها قال: حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن أبي

سلمة قال: أخبرتني عائشة أنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسبقته، وسابقته في سفر آخر فسبقها وقال: " هذه بتلك " ، لأبي رافع عن أبي هريرة حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال: كان أبو هريرة على المدينة خليفة لمروان، فربما ركب حمارا قد شد عليه برذعة وفي رأسه حلية فيلقى الرجل فيقول: الطريق، قد جاء الأمير. وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول: دع العراق للأمير، فأنظر فإذا هو ثريد بزيت. مزاح الشعبي مع خياط مر به قال: حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصلت الطاحي عن سعيد بن عثمان قال: قال الشعبي لخياط مر به: عندنا حب مكسور تخيطه؟ فقال الخياط: إن كان عندك خيوط من ريح.

أيضا للشعبي." (١)

"فلو كان لي نفسان كنت مقاتلا ... بإحداهما حتى تموت وأسلما

وفي قساوة القلب قال: وبيت المخبل في قساوة القلب:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

وفي الاستعفاف قال: وبيت عبيد في الاستعفاف:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب

في الاحتفاظ المال لمنجوف بن مرة قال: وبيت منجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال:

وأدفع عن مالي الحقوق وإنه ... لجم فإن الدهر جم مصائبه

وفي إكرام النفس للحطيئة قال: وبيت الحطيئة في إكرام النفس:

واكرم نفسي اليوم عن سوء طعمة ... ويقني الحياء المرء والرمح شاجره

لكعب في الإقدام قال: وقول كعب في الإقدام:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدما ونلحقها إذا لم تلحق

ولعمر بن الإطنابة في الصبر قال: وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر:

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

لقطري بن الفجاءة وأحسن من هذا عندي قول قطري:

وقولي كلما جشأت لنفسي ... من الأبطال ويحك لا تراعي

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٣٢

فإنك لو سألته بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

لمسكين الدارمي في الجود قال: وبيت مسكين الدارمي في الجود:

طعامي طعام الضيف والرحل رحله ... ولم يلهني عنه الغزال المقنع

ومثله في حسن الجوار قال: وفي حسن الجوار قوله:

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي تنزل القدار

ما ضر جارا لي أجاوره ... ألا يكون لبابه ستر

لجميل قال: وممن رضي بالقليل جميل، قال:

أقلب طرفي في السماء لعله ... يوافق طرفي طرفها حين تنظر

وقول الآخر:

أليس الليل يلبس أم عمرو ... وإيانا فذاك بنا تداني

ترى وضح النهار كما أراه ... ويعلوها النهار كما علاني

لعمر بن كلثوم في الجهل قال: وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وللنابغة في ترك الإلحاح قال: وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فاستبق ودك للصديق ولا تكن ... قتبا يعض بغارب ملحاحا

للمهلهل في إدراك الثأر قال: وفي إدراك الثأر قول مهلهل:

لقد قتلت بني بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكي لهم أحد

لعروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب قال: وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب:

لتبلغ عذرا أو تفيد غنيمة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

لجميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى قال: وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى:

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا ... فإن على الرحمن رزقكم غدا

للعباس بن مرداس في الشجاعة قال: وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا ابالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

للمتلمس في المال قال: وبيت المتلمس في المال وتثميره:

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

أهجى بيت: للطرماح في تميم وأخبرنا دعبل بن علي الشاعر قال: أهجى بيت قيل قول الطرماح في تميم:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت

وللأخطل قال: وكذلك قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لامهم بولي على النار

قول الحطيئة للزبرقان في قصر الهمة قال غيره: وقول الطرماح في القلة والخمول:

دع المكارم ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وللطرماح في القلة والخمول." (١)

"أي لو أن قومي اعتنوا في القتال، وصدقوا المصاع، وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتني بمدحهم وذكر حسن بلائهم نطقت، ولكن الرماح أجرت أي شقت لساني كما يجر لسان الفصيل، يريد أسكتتني.

وكقول الآخر في معناه:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وكقول قيس بن خويلد في ضده:

وكنا أناسا أنطقتنا سيوفنا ... لنا في لقاء القوم جد وكوكب

وكقول الآخر:

لعمري لنعم الحي حي بني كعب ... إذا نزل الخلخال منزلة القلب

يقول: إذا ريعت صاحبة الخلخال فأبدت ساقها وشمرت للهرب.

والقلب السوار تبديه المرأة وتخفي الخلخال إذا لبستهن. وقد قيل في معنى هذا البيت أيضا إن المرأة إذا ريعت لبست الخلخال في يدها دهشا.

وكقول حميد بن ثور:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وكقول لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٠٨

ومن الاختصار قول لبيد:

وبنو الريان أعداء للا ... وعلى ألسنتهم ذلت نعم

زينت أحسابهم أنسابهم ... وكذاك الحلم زين للكرم

ومن المدح البليغ الموجز قول امرئ القيس:

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ... ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ... وتأمل ذا إذا صحا وإذا سكر

وكقول محمد بن بشير الخارجي:

يا أيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن زيد لقد خلى لك السبلا

أعدد نظائر أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخلا

وكقول الآخر:

علم الغيث الندى حتى إذا ... ما حكاه علم البأس الأسد

فله الغيث مقر بالندى ... وله الليث مقر بالجلد

وكقول الآخر:

يا من نؤمل أن تكون خصاله ... كخصال عبد الله أنصت واستمع

فلأنصحنك في المشورة والذي ... حج الحجيج إليه فاقبل أوفدع

أصدق وعف وبر واصبر واحتمل ... واحلم وكف ودار واسمع واشجع

وكقول الآخر:

شبه الغيث فيه والليث والبد ... ر فسمح ومحرب وجميل

فهذه أمثلة لأنواع التشبيهات التي وعدنا شرحها، وفي كتاب تهذيب الطبع ما يسد الخلل الذي فيها، ويأتي على ما أغفلنا وصفه والاستشهاد به من هذا الفن إن شاء الله تعالى.

الأشعار المحكمة وأضدادها

ونذكر الآن أمثلة للأشعار المحكمة الرصف، المستوفاة المعاني، السلسة الألفاظ، الحسنة الديباجة، وأمثلة لأضدادها. وننبه على الخلل الواقع فيها، ونذكر التي قد زادت قريحة قائليها فيها على عقولهم، والأبيات التي أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعاني، والأبيات التي قصروا فيها عن الغايات التي جروا إليها في الفنون التي

وصفوها، والقوافي القلقة في مواضعها، والقوافي المتمكنة في مواقعها، والألفاظ المستكرهة، النافرة الشائنة للمعاني التي اشتملت عليها، والمعاني المسترذلة الشائنة للألفاظ المشغولة بها. والأبيات الرائقة سماعا، الواهية تحصيلا، والأبيات القبيحة نسجا وعبارة، العجيبة معنى وحكمة وإصابة.

سنن العرب وتقاليده ا

وأمثلة لسنن العرب المستعملة بينها، التي لا تفهم معانيها إلا سماعا، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها. وفي هذا المعنى:

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء جواسرا يندبنه ... يطلمن أوجههن بالأسحار

قد كن يكنن الوجوه تسترا ... فالآن حين برزن للنظار

يقول: من كان مسرورا بمقتل مالك فليستدل ببكاء نسائنا وندبهن إياه على أنا قد أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله.

وككيهم إذا أصاب إبلهم العر والجرب السليم منها ليذهب العر عن السقيم. وفي ذلك يقول النابغة متمثلا:

يكلفني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وكحكمهم إذا أحب الرجل منهم امرأة وأحبته، فلم يشق برقعها ولم تشق هي رداءه فإن حبهما يفسد، وإذا فعلاه دام أمرهما. وفي ذلك يقول عبد بني الحسحاس سحيم:." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٥ """""""

من قبله بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو عليها متعد ، ومن الأمثال سمين الغضب مهزول وولي الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس . زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي إليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجل فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم أنها استوطنته وذلك أن الحية لا تتخذ جحرا بل إذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير إلى جحر حسن الظاهر في أرض منيعة ذات أشجار ملفتة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الحجر يملكه ثعلب اسمه مفوض وأنه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت في طلب الثأر

---

(١) عيار الشعر، ص/١٠

خير من الحياة في العار والرأي عندي أن تنطلق معي إلى مأواك الذي أخذ منك غصبا حتى أنظر إليه فلعلي أهتدي إلى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا إلى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معي فبت الليلة عندي لأنظر ليلتي هذه فيما يسنح من الرأي والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر في حيلة اغتصابه ونفي مفوض عنه." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩١ """""""

وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت إني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فانج لنفسك فسالتها المهلة إلى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت إلى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت إلا إبراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزي الذي أنا فيه إلى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني إليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ، إن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فإن تأخذ فبحقك وإن تعف فبفضلك ثم أنشدت :

ذنبي إليك عظيم . . . وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا . . . فاصفح بحلمك عنه

إن لم أكن في فعالي . . . من الكرام فكنه

فرفع إلي رأسه فبدرته وقلت :

أتيت ذنبا عظيما . . . وأنت للعفو أهل فأن عفوت فمن . . . وإن جزيت فعدل

فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على ابنه العباس وأخيره أبي إسحاق وجميع من حضر خاصته فقال ما ترون في." (٢)

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٦٥

(٢) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٩١

""""""""" صفحة رقم ١٩٤ """"""""

منتهى الكرم

ومما يضارع ذلك أنه لما أفضت الخلفة إلى بني العباس اختفت رجال بني أمية ومهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان إبراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل بشارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا أختفي عند فبقيت في حيرة فإذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففيم ذلك قال إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لأدرك منه ثاري فكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني إلى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٥ """"""""

فسألت الرجل عن أسمه واسم أبيه فأخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا وجب علي حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقرب إليك الخطوة قال وما ذاك قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك فقال إني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاؤ فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق مليا ثم قال : أما أنت فستلقى أبي عند حكم عدل فيأخذ بثأره وأما أنا فغير مخفر ذمتي فأخرج عني فلست آمن عليك من نفسي وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين .

جابر عثرات الكرام

ومن لطائف ما نقلته من المستجاد حدث أبو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة ابن بشر من بني

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٩٤

أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج إلى أخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه." (١)

"أما الرجل فله في الزهد في الدنيا، والترغيب في الجنة، والحث على الطاعة لله عز وجل، والأمر بمحاسن الأخلاق، وذكر الموت والقبر، ما ليس لأحد وكان شعره كله أمثالا وحكما فمما يستحسن له قوله:

تأوبني هم فبت أخاطبه ... وبت أراعي النجم ثم أراقبه

لما رابني من ريب دهر أضربي ... فأنيابه يبرينني ومخالبه

وأسهرني طول التفكير، إنني ... عجيب لدهر ما تقضي عجائبه

أرى عاجزا يدعى جليدا لغشمه ... ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وعفا يسمى عاجزا لعفافه ... ولو لا التقى ما أعجزته مذاهبه

وأحمق مصنوعا له في أموره ... يسوده إخوانه وأقاربه

على غير حزم في الأمور ولا تقى ... ولا نائل جزل تعد مواهبه

وليس بعجز المرء إخطاؤه الغنى ... ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

ولكنه قبض الإله وبسطه ... فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

إذا كمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومناقبه

فيا عجبا كيف يمكن أن يقول زنديق مثل هذا القول؟! وكيف يكون قائله زنديقا؟ ومما يستحسن له قوله:

ألا أحد يبكي لأهل محلة ... مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ... ولم يعرفوا غير التضايق والبلوى

ومما يختار من شعره قوله:

فو حق من سمك السماء بقدرة ... والأرض صير للعباد مهادا

إن المصر على الذنوب لهالك ... صدقت قولي أو أردت عنادا

وحدثني أحمد بن إبراهيم المعبر قال: رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكا مستبشرا، فقلت له: ما فعل الله بك؟ وكيف نجوت مما كنت فيه؟ فقال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت تعرف به وترمى باعتقاده.

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٩٥

وأشعاره كثيرة، إلا أنها موجودة عند جميع الناس مستفيضة فيهم، فاقتصرنا على ما ذكرنا منها

أخبار إبراهيم بن سيابة

حدثني أبن أبي قباذ قال: قال العوفي: كان سيابة حجاما، وفيه يقول عتبة الأعور يهجوه ويذكر صناعته:

أبوك أوهى النجاد عاتقه ... كم من كمي أدمي ومن بطل

يأخذ من ماله ومن دمه ... لم يمس من ثأره على وجل

ذلت رقاب الملوك خاضعة ... من بين حاف له ومنتعل

وكان يرمي بالزندقة وكان المهدي أخذه وأحضر كتبه فلم يوجد فيها شيء من ذلك، فآمنه واستكتبه، وكان يكتب في مجلسه وبين يديه وكان من أبلغ الناس وأفصحهم ثم صح عنده أن فيه شيئا مما كان اتهم به، فاطرحه وأقصاه، فساءت بعد ذلك حاله، واحتاج إلى مسألة الناس، وكان أحد المطبوعين، وكان محجاجا منطيقا.

ومما رويناه له قوله:

جاء البشير مقدم البشراء ... منه علي بأعظم العظماء

أبشر أبا إسحاق أدركت الغنى ... والسؤل منه فأعطني بشرائي

فطفقت أعطي بالبشارة ما حوت ... كفاي من صفر ومن بيضاء

حتى إذا بقيت يدي من ملكها ... صفرا وجدت بجبتي وردائي

وبكل ما يدعو ويذكر ذاكر ... وبخاتمي فضلا على الأشياء

ضار الذي أملته ورجوته ... يأسا رهينا قبضة العنقاء

قد كنت قبل اليوم أدعى مسلما ... واليوم صار الكفر من أسمائي

وأشعاره جيدة وأخباره حسنة، وليس يمكن الاستقصاء على ذلك لئلا يخرج الكتاب من حد الاختصار إلى التطويل

أخبار مطيع بن إياس

حدثني محمد بن أحمد الزيادي قال: قال أبو نجد الشاعر:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدة فصيحة جيدة، فلما سمعها معن قال: يا ابن إياس، إن شئت أثبناك، وإن شئت مدحناك، فاستحيا مطيع من اختيار الثواب، وكره اختيار المدح وهو محتاج، فكتب إلى معن هذه الأبيات:

ثناء من أمير خير كسب ... لصاحب مغنم وأخي ثراء

ولكن الزمان برى عظامي ... ومالي كالدراهم من دواء." (١)

"كل من في الأرض من عرب ... بين باديه ومحتضره

مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يوم مفتخره

فقال: يا أمير المؤمنين، عنيت أشكال قاسم وأشباهه من الناس، فأما أنتم فقد أتاكم الله بالفضل عن سائر عباده، لأنه اختصكم بالفضل والنبوة والكتاب والحكمة، وجمع لكم إلى ذلك الخلافة والصلاة والملك. وما زال يستعطفه حتى عفا عنه.

وقال بعض الرواة – منهم ابن أبي فنن – : بل قتله. وذلك أنه قال: أما إني لا أستحل دمك بهذا القول. ولكن أستحله بكفرك وجرأتك على الله، إذ تقول في عبد مهين، تسوي بينه وبين رب العالمين، حين تقول:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها ... وتنقل الدهر من حال إلى حال

وما مددت مدى طرف إلى أحد ... إلا قضيت بأرزاق وآجال

قال: فأمر فأخرج لسانه من قفاه، ثم قتله. والأولى عندنا أثبت، إنما مات علي بن جبلة حتف أنفه. والقصيدة هذه:

ذاد ورد الغي عن صدره ... فارعوى، واللهو من وطره

وأبت إلا الوقار له ... ضحكات الشيب في شعره

ندمي إن الشباب مضى ... لم أبلغه مدى أشره

انقضت أيامه سلما ... لم أهج حربا على غيره

حسرت عني بشاشته ... وذوي اليانع من ثمره

وصغت أذني لزاجرها ... ولما تشجي لمزدجره

إذ يدي تعصي بقوتها ... لا ترى ثأرا لمثئره

والصبا سرح أطيف به ... فأصيب الأنس من نفره

ترعوي باسمي مسارحه ... ويلي ليلى بنو سمره

وغيور دون حوزته ... حزت خلف الأمن من حذره

(١) طبقات الشعراء، ص/٢٤

ودم أهدرت من رشإ ... لم يرد عقلا على هدره
بات يدني لي مقاتله ... ويفديني على نفره
فأتت دون الصبا هنة ... قلبت فوقي على وتره
جارنا ليس الشباب لمن ... راح محنيا على كبره
ذهبت أشياء كنت لها ... صارفا حلمي إلى صوره
طرقت تلحى فقلت لها ... مذهب ما أنت من سوره
قدك من موف على أمل ... تحسر الأبصار عن نظره
إن من دون الغني جبلا ... ستكوس العيس في وعره
يتناصلن السرى قذفا ... قد كساها الميس من قتره
كم دجى لـيل عسفن به ... يبتعثن الصبح من كسره
يتفرى عن مناسمها ... كتفري النار عن شرره
دع جدا قحطان أو مضر ... في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلا ... عصر الآفاق من عصره
المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذرا حجره
هضم الدنيا بنائله ... وأقال الدين من عثره
ملك تندى أنامله ... كابتسام الروض عن زهره
مستهل عن مواهبه ... كانبلاج النوء عن مطره
عقد الجد الأمور به ... حين لم ينهض بمتعره
فكفاها واستقل بها ... لم تصف وهنا قوي مرره
جبل عزت مناكبه ... أمنت عدنان في ثغره
إنما الدنيا أبو دلف ... بين معراه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خفره
يا دواء الأرض إن فسدت ... ومجير اليسر من عسره

رب ضافي الأمن في وزر ... قد أبت الخوف في وزره
وابن خوف في حشا خمر ... نشته بالأمن من خمره
وزحوف في مواكبه ... كصياح الحشر في أمره
قدته و الموت مكتمن ... في مذاكيه ومشتجره
فغدا جيلوه عنه وقد ... طوت المنشور من بطره
زرته والخيل عابسة ... تحمل البوسي إلى عقره
خارجات تحت رايتها ... كخروج الطير من وكره." (١)

"إن قريشا إذا هي انتسبت ... كان لنا الشطر من مناسبها
فأم مهدي هاشم أم مو ... سى الخير منا فافخر وسام بها
بل مل إلى الصيد من أشاعثها ... والسادة الغر من مهالبها
أما تميم فغير راحضة ... ما شلشل العبد في شواربها
أول مجد لها وآخرهإن ذكر المجد قوس حاجبها
وقيس عيلان لا أريد لها ... من المخازي سوى محاربها
وإن أكل الأيور موبقها ... ومطلق من لسان عائبها
وما لبكر بن وائل عصم ... إلا بحمقائها وكاذبها
ولم تعف كلبها بنو أسد ... عبيد عيرانة وراكبها
وتغلب تندب الطلول ولم ... تثأر قتيلا على ائبها
نيكت بأدنى المهور أختهم ... قسرا ولم يدم أنف خاطبها
وأصبحت قاسط وإخوتها ... تدخر الفسو في حقائبها

قال المؤلف لهذا الكتاب عبد الله بن المعتز: أنشدني المبرد هذه القصيدة وفسر لي هذا التفسير: ناعط. أحد مخاليف اليمن. وقوله: ودان أذواؤنا، أي التبايعة ملوك حمير، مثل ذي يزن وذي كلاع وذي أصبح. وهكذا كثير في حمير، وتجمع على أذواء وذوين ومن ذلك قول الكميت:

فلا أعني بذاكم أسفليكم لكني ... أريد به الذوينا

---

(١) طبقات الشعراء، ص/٥١

وأما قوله: دان أذواونا، فغنه يقال: فلان في دين فلان أي طاعته وقيل:

لئن حللت بود في بني أسد ... في دين عمرو وحالت بيننا فدك

يعني طاعة عمرو. وأما قوله: وكان منا الضحاك. فإن الضحاك كان رج بعيد الصوت، كثير العجائب، والعجم تدعيه، وذلك حق، وكان اسمه بالفارسية أزدها، ومعناه: الشين لأنه كان شريرا رديا، فعربته العرب فقالت: الضحاك، وإما كانت أمه قحطانية، فادعته اليمن لذلك، والعرب تزعم والعجم أيضا أن الجن كانت تطيعه وأن الوحش كانت تألفه وتأنس به، فذلك قوله:

وكان منا الضحاك يعبده ال ... خابل والوحش في مساربها

يعني بالخابل الجن. وأما قوله: قسطنا على مرازبها، فإنه يقال: قسط، إذا جار. وأقسط: إذا عدل. وإما أراد بذلك قصة بهرام جور، واستعانته بالنعمان حد أبي النعمان الأصغر، حين زوت الفرس عنه الملك لما مات أبوه، وولوا ابن عمه. وقصة ذلك تطول. وليس شرط كتابنا ذلك إذ قد قدمنا. وقوله: ضربنا بني الأصفر، هم الروم. وقوله: والحرب تمري، يشبهها كما تستدر الناقة والشاة إذا حلبت ولهذا قصة كانت في أمر أبرويز وملك الروم يطول شرحها، وكان أبرويز استعان بإياس ابن قبيصة الطائي. وأما قوله: فحاتم الجود من مناقبها، يعني حاتما الطائي وأما فرسانهم الذين ذكرهم فعمرو بن معدي كرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي، والاشتران، فهما مالك بن الحارث الأشتر النخعي صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، وابنه إبراهيم بن الأشتر قاتل عبيد الله بن زياد. وقوله: زيد الخيل فإنه يعني به زيد الخيل الطائي ومهلهلا أباه، وكانا سيدي قومهما، وأما قوله: وأفر جلدتها فإنه يقال في الفساد: أفريت، وفي الإصلاح: فريت. وقال بعضهم: في الشر والخير جميعا فريت وأفريت. وأما قوله: فأم مهدي هاشم فإنه يعني أم موسى بنت منصور الحميرية، وهي أم المهدي بن المنصور أمير المؤمنين. وأما قوله الأشاعث فإنه من كندة وهم ولد الأشعث بن قيس ومنزلهم الكوفة. والمهالبة من العتيك ومحلهم البصرة أما قوله:

أما تميم فغير راحضة ... ما شلشل العبد في شواربها

فإنه أراد أبا سواج، وخبره مشهور مع صرد بن جمرة، وهو الذي يهجو به عمر بن لجا والأخطل جريرا وقومه. وقال ابن لجا:

تمسح يربوع سبالا لئيمة ... بها من مني العبد رطب ويابس

فما ألبس الله امرأ فوق جلده ... من اللؤم إلا ما الكليبي لابس

عليهم ثياب اللوم لا يخلعونها ... سرابيل في أعناقهم وبرانس

وقال الأخطل حين عيره جرير بشرب الخمر:

تعيب الخمر وهي شراب كسرى ... ويشرب قومك العجب العجيبا

مني العبد عبد أبي سواج ... أحق من المدامة أن تعيبا." (١)

" فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك فقال له الإسكندر فأراك قد سعيت لنفسك لالنا فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه فجعلت ذلك ثأرا توقعه في الأنفس الخطيرة الرفيعة ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يوقعه بين الملكين من العداوة ويثير من الإحن وضغائن الصدور

وقد كان أردشير بن بابك يقول كم من دم سفكه الرسول بغير حله وكم من جيوش هزمت وقتل أكثرها وكم حرمة انتهكت وكم مال نهب وعقد نقض بخيانة الرسل وأكاذيب ما يأتون به

الأمر السابع نظره في أمر أبراج الحمام ومتعلقاته

سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائلي يحمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان منها برج بقلعة الجبل وأبراج بطريق الشام بمدينة بلبيس وأبراج بطريق الإسكندرية وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص ومنها إلى أسوان وعيذاب ما يقطع ذلك الآن وحمام كل برج ينقل منه في كل يوم إلى البرج الذي يليه ." (٢)

" أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على إبراهيم بن رسول الله وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا عل خلعه ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشأم ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية

---

(١) طبقات الشعراء، ص/٥٨

(٢) صبح الأعشى، ١٥٣/١

وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا **بثأركم** إذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فمنعناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا بما ذكرنا من فضل علي قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين سلما منهم وابتلي أبوك بالكرماء ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون إخوته فنازع فيها أبوك إلى عمر فقضى لنا عمر بها وتوفي رسول الله وليس من عمومته أحد حيا إلا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب فطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يتجشمان جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحزنا شرف الآباء ." (١)

" وأدركنا **بثأركم** إذ عجزتم عنه ووضعناكم حيث لم تضعوا أنفسكم والسلام

ومن مكاتبات ملوك الفرس البلغاء ما كتب به ارسطوطاليس إلى الاسكندر إنه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها وتظفر بالمحبة منها فإن طلبك ذلك بإحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك بعنفك واعلم أنه إنما تملك الأبدان فاجمع إليها القلوب بالمحبة واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه ليكن من تختاره لولايتك رجلا كان في وضيعة فرفعته وذا شرف كان مهملا فاصطنعته ولا تجعله أمرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحد ممن يقع بقلبك أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته وإياك أن تستعمله ضريعا غمرا كثيرا إعجابه بنفسه قليلا تجربته في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه أيضا إن كلمة منك تسفك دما وأخرى تحقن دما وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وإن رضاك بركة مفيدة على من رضيت عنه وإن نفاذ أمرك مع ظهور

---

(١) صبح الأعشى، ١/٢٨١

كلامك فاحترس في غضبك من قولك أن يخطىء ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف فإن الملوك تعاقب جرما وتعفو حلما

ومما كتب به أردشير إلى رعيته من أردشير المؤيد ملك الملوك وارث العظماء إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين والأساورة الذين هم حفظة البيضة والكتاب الذين هم زين المملكة وذوي الحروب الذين هم عمدة البلد السلام عليكم فإنا نحمد إليكم الله سالمين وقد وضعنا عن ." (١)

" ومن ذلك ما ذكرته في المفاخرة بين السيف والقلم في الكلام على لسان القلم وهو أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وكريمها المبجل وعالمها المهذب فالقرينة الأولى فيها مثلان وأول من قالهما الحباب بن المنذر الأنصاري يوم السقيفة حين اجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة يوم مات النبي في سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير إلى أن كان من كلامه هذان المثلان والجذيل تصغير جذل واحد الأجذال وهي أصول الشجر العظام وكانت العرب إذا جربت الإبل نصبت لها جذلا في باطن الوادي تحتك فيه فلذلك قال جذيلها المحكك أراد أنه يستشفى برأيه كما تستشفي الإبل بالحك في ذلك الجذل والعذق بفتح العين النخلة بحملها وكان من عادتهم أن النخلة الكريمة يبنى حولها بناء يمنعها من السقوط فذلك هو الترجيب أراد أنه كريم في قومه عزيز عليهم وما ذكرته في المفاخرة بين السيف والقلم أيضا على لسان السيف وهو فالشمس من شعاعي في خجل والليل من ضوئي في وجل وما أسرعت في طلب ثأر إلا قيل فات ما ذبح وسبق السيف العذل ففي القرينة الأخيرة مثلان أحدهما فات ما ذبح وهو مثل يضرب لمن طلب الشيء بعد فواته وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابي بازيا فأعجبه فأرسل في طلبه قاصدا فأتى الأعرابي ولم يكن عنده ما يضيفه به فذبح البازي وطبخه وقدمه إليه غير عالم بقصده فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابي أمر البازي وما كان من طلب الملك له فقال فات ما ذبح إنك أتيتني ولم يكن عندي ما أضيفك به فذبحت البازي وطبخته وهو الذي قدمته إليك والمثل الثاني سبق السيف العذل وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره

ومما حل من الأمثال الواردة نظما واستعمل في النثر قول القاضي شهاب الدين بن فضل الله في التعريف في وصية أمير مكة المعظمة أيضا ." (٢)

---

(١) صبح الأعشى، ٢٨٢/١

(٢) صبح الأعشى، ٣٥٥/١

" بالحجاز وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر بن كلاب وبني دارم وبني ماوية وبني معبد بن زرارة وبني تميم وانهزمت فيه بنو تميم ومن معهم وأسر معبد بن زرارة وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه فلم يقدر وعذبوا معبدا حتى مات ويوم شعب جبلة وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف وكان من شأنه أنه لما انقضت وقعة رحرحان المتقدمة ومضى لها سنة وذاك في العام الذي ولد فيه رسول الله استنجد لقيط بن زرارة التميمي بني ذبيان لثأر أخيه فأنجدته وتجمعت بنو تميم غير بني سعد وخرجت معه بنو أسد وسار بهم لقيط إلى بني عامر وبني عبس في طلب ثأر أخيه معبد فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم في شعب جبلة فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جمائع لقيط وقتلوا لقيطا وأسروا أخاه حاجب بن زرارة وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما وقتل أيضا من بني ذبيان وبني تميم ومن بني أسد جماعة مستكثرة وكان هذا ،ليوم من أعظم أيامهم ويوم ذي قار وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهدا وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله وقيل عام بدر

وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فحبسه فهلك في الحبس وكان النعمان قد أودع حلقته وهي السلاح والدروع عند هانىء بن مسعود البكري فأرسل أبرويز يطلبها من هانىء فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي فاستشار أبرويز إياسا فقال إياس المصلحة التغافل عن هانىء بن مسعود حتى يطمئن ونتبعه ". (١)

" خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا)

ومنها حبس البلايا كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ويقبلون برأسها إلى ورائها ويغطون رأسها بويلة وهي البرذعة فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها قال أبو زبيد

(كالبلايا رؤوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود)

ومنها الهامة كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح اسقوني اسقوني حتى يطالب بثأره قال ذو الأصبع

(يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني)

---

(١) صبح الأعشى، ٤٤٨/١

ومنها تأخير البكاء على المقتول للأخذ بثأره كان النساء لا يبكين المقتول منهم حتى يؤخذ بثأره فإذا أخذ به بكينه حينئذ قال الشاعر

(من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار)

(يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن حر الوجه بالأسحار)

ومنها تصفيق الضال كان الرجل منهم إذا ضل في الفلاة قلب ثيابه وحبس ناقته وصاح في أذنها كأنه يومىء إلى إنسان وصفق بيديه قائلا الوحا ." (١)

" ركزت وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعى ماشيتك والإسكندر قتل دارا في طاعتك وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك والضحاك استدعى مسالمتك وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك وشيرين قد نافست بوران فيك وبلقيس غايرت الزباء عليك وأن مالك بن نويرة إنما أردف لك وعروة بن جعفر إنما رحل إليك وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك وجساسا إنما قتله بأنفتك ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك والسموءل إنما وفى عن عهدك والأحنف إنما احتبى في بردك وحاتما إنما جاد بوفرك ولقي الأضياف ببشرك وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك والسليك بن السلكة إنما عدا على رجليك وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك وسحبان وائل إنما تكلم بلسانك وعمرو بن الأهتم إنما سحر ببيانك وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك والحمالات في دماء عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك وأن احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن إشارتك وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك وأفسد ذات بينهم بكيدك وأن هرمس أعطى بيلينوس ما أخذ منك وأفلاطون أورد على أرسطاطاليس ما حدث عنك وبطليموس سوى الإصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك وجالينوس عرف طبائع ." (٢)

" الضرب الثاني الصفات الخارجة عن الجسد وهي على ثلاثة أقسام أيضا

القسم الأول ما يشترك فيه الرجال والنساء

وهو يرجع إلى أصلين العقل والعفة ويدخل تحت كل من هذين الأصلين عدة من أوصاف المدح

---

(١) صبح الأعشى، ١/٤٦١

(٢) صبح الأعشى، ١/٥٢٨

فأما العقل فيدخل تحته العلم وصفاته المعرفة والحياء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هذا المجرى

ولا يخفى أن هذه الأوصاف مطلوبة في الرجال والنساء جميعا وإن كان أكثرها بالرجال أليق

وأما العفة فيدخل تحتها القناعة وقلة الشره وطهارة الإزار وغير ذلك مما لا يستغني عنه رجل ولا امرأة وإذا ركب العقل مع العفة حدث عنهما صفات أخرى مما يتمدح به كالنزاهة والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة ونحو ذلك مما ينخرط في هذا السلك

القسم الثاني ما يختص به الرجال دون النساء

وهو يرجع إلى أصلين أيضا وهما العدل والشجاعة ويدخل تحت كل من الأصلين عدة أوصاف من أوصاف المدح فيدخل تحت العدل السماحة والتبرع بالنائل وإجابة السائل وقرى الضيف وما شابه ذلك

ويدخل تحت الشجاعة عدة أوصاف كالحماية والدفاع والأخذ بالثأر والنكاية في العدو والمهابة وقتل الأقران والسير في المهامه الموحشة وما أشبه ذلك وإذا ركب العقل مع ." (١)

" ولا ينام الأرنب إلا مفتوح العين

ومن طبعها أنها تطأ الأرض بباطن كفها لتعفي أثرها إلا أن الكلب الماهر يدرك أثر قوائمها

ومن شأنها ألا تأوي إلى ساحل البحر وإذا طردت لجأت إلى الجبال واشتد عدوها فيها والأنثى لا تسمن وهي عند العرب مما يحيض وتسفد وهي حبلى وتلد الأول والثاني على ما في بطنها

السابع الذئاب جمع ذئب وهو حيوان في صورة الكلب في لونه بلق بكمودة والذئبة أجرأ من الذئب وأشد عدوا وأسنانه عظم مخلوق في فكيه ليست مغروسة فيهما كسائر الحيوان

قال ابن السندي وأخبرني أبو بكر الدقيشي أن هذه الخلقة في أسنان الضبع أيضا

والذئب صاحب خلوة وانفراد ومتى رأى الإنسان قبل أن يراه أخفى صوته وإن رآه جزع منه اجترأ عليه وساوره

وإذا تسافد هو وأنثاه التحما التحاما شديدا حتى يقال إنه إذا هجم عليهما داخل في هذه الحالة قتلهما كيف شاء ولذلك يبعدان في هذه الحال إلى مكان لا يريان فيه

---

(١) صبح الأعشى، ٢/١٣

وإذا تهارش ذئبان فأدمى أحدهما الآخر عدا الذي أدمى على المدمى فقتله خوفا من أخذ الثأر وإذا عجز الذئب عن الدفع عوى فاجتمع إليه الذئاب نصرة له وإذا لقي الفارس والأرض مثلوجة خمش الثلج بيديه ورمى به في وجه الفارس ليدهشه ثم يعقر دابته فيتمكن منه ومتى وطيء الفرس أثر الذئب رعد وخرج الدخان من جسده كله ولذلك قل من يطرد من الفرسان ولا يتفطن لوطء أثره ويصاد بالكلاب وغيرها وقد تقدم أن السوداني ضرى ذئبا حتى اصطاد له الظباء

الثامن الثعالب جمع ثعلب وهو حيوان معروف موصوف بكثرة الروغان في عدوه وبالحيل حتى إنه يتماوت عند رؤية الغراب فينزل عليه الغراب ." (١)

" فمات في النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمي ذلك اليوم مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت والفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الأولى وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح وفي ذلك يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

(إذا ما تحقق بالمهرجان ... من ليس يعرف معناه غاظا)

(ومعناه أن غلب الفرس فيه ... فسموه للروح فيه حفاظا)

ويقال إنما ظهر في عهد افريدون الملك ومعنى هذا الاسم إدراك الثأر وذلك أن افريدون أخذ بثأر جده جم شاد من الضحاك فإنه كان أفسد دين المجوسية وخرج على جم شاد فأخذ منه الملك وقتله فلما غلبه افريدون قتله بجبل دنباوند وأعاد المجوسية إلى ما كانت فاتخذ الفرس يوم قتله عيدا وسموه مهرجان والمهر الوفاء وجان سلطان وكان معناه سلطان الوفاء

وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو النمرود وافريدون هو إبراهيم عليه السلام بلغتهم

ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس اردشير بن بابك أول ملوك الفرس الساسانية وكان مذهب الفرس في المهرجان أن يدهن ." (٢)

" (بني حسن إني نهضت بثأركم ... وثأر كتاب الله والحق والسنن)

(وصيرت نفسي للحوادث عرضة ... وغبت عن الإخوان والأهل والوطن) - طويل -

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٥٠

(٢) صبح الأعشى، ٢/٤٤٩

ثم ارتجعهما بنو يعفر منه ورجع هو إلى صعدة فتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين لعشر سنين من بيعته

قال ابن المحاب وله مصنفات في الحلال والحرام

وقال غيره كان مجتهدا في الأحكام الشرعية وله في الفقه اراء غريبة وتاليف بين الشيعة مشهورة قال ابن حزم ولم يبعد في الفقه عن الجماعة كل البعد

قال الصولي ثم ولي بعده ابنه محمد المرتضى وتمت له البيعة فاضطرب الناس عليه

قال في أنساب الطالبيين واضطر إلى تجريد السيف فجرده

وفي ذلك يقول

(كدر الورد علينا بالصدر ... فعل من بدل حقا أو كفر)

(أيها الأمة عودي للهدى ... ودعي عنك أحاديث البشر)

(عدمتني البيض والسمر معا ... وتبدلت رقادا بسهر)

(لأجرن على أعدائنا ... نار حرب بضرام وشرر) - رمل -

ومات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته

وولي بعده أخوه الناصر فاستقام ملكه

ثم ولي بعده ابنه الحسين المنتجب بالجيم ومات سنة أربع وعشرين وثلثمائة

وولي بعده أخوه القاسم المختار بعهد من أخيه المذكور وقتله أبو القاسم بن الضحاك الهمداني سنة أربع وأربعين وثلثمائة

وولي بعده صعدة جعفر الرشيد ثم بعده أخوه المختار ثم أخوه الحسن المنتجب ثم أخوه محمد المهدي ." (١)

" فملك بعده زينون قيصر وقيل اسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاي وكان يعقوبيا فأقام سبع عشرة سنة وهلك

فملك بعده يشطيانش قيصر لثمانمائة وثلاث سنين للإسكندر فأقام سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبيا وسكن حماة من الشام وأمر أن تشاد وتحصن فبنيت في سنتين وأمر بقتل كل امرأة قارئة كاتبة وهلك

(١) صبح الأعشى، ٤٦/٥

فملك بعده يشطبانش قيصر لثمانمائة وثلاثين للإسكندر وكان ملكيا فأقام تسع سنين وقيل سبع سنين ويقال إنه كان معه شريك في ملكه يقال له يشطيان وهلك

فملك بعده يشطينانش قيصر لثمانمائة وأربعين للإسكندر وكان ملكيا وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله وقيل كان شريكه فأقام أربعين سنة وقيل ثلاثا وثلاثين سنة وأمر بأن يتخذ عيد الميلاد في الرابع والعشرين من كانون والغطاس في ست منه وكانا قبل ذلك جميعا في سادسه وكانت كنيسة بيت لحم بالقدس صغيرة فزاد فيها ووسعها حتى صارت على ما هي عليه الان

وفي أيامه كان المجمع الخامس للنصارى بالقسطنطينية وهلك

فملك بعده يوشطونش قيصر لثمانمائة وثمانين سنة للإسكندر في زمن كسرى أنوشروان فأقام ثلاث عشرة سنة وقيل إحدى عشرة سنة وهلك

فملك بعده طباريش قيصر لثمانمائة وثنتين وتسعين للإسكندر فأقام ثلاث سنين وقيل أربع سنين وهلك

فملك موريكش قيصر لثمانمائة وخمس وتسعين للإسكندر فأقام عشرين سنة وكان حسن السيرة ووثب عليه بعض مماليكه فقتله

وملك بعده قوقاص قيصر قريب موريكش الملك قبله وكان هو الذي بعث مملوكه على قتله

وفي أيامه ثار كسرى أبرويز على بلاد الروم وملك الشام ومصر

فأقاما في مملكة الفرس عشر سنين وحاصر القسطنطينية طلبا لثأر ." (١)

" ويقع التعدد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة وغالب ما يكون ثلاث مرات وربما وقع التحميد في أول الكتاب وآخره

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كتب بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابك ملك الروم وهي

أما بعد فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه والعصمة لأوليائه والعز لمن نصره والفلج لمن أطاعه والحق لمن عرف حقه وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى إلها غيره لا إله إلا هو وحد لا شريك له يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ولا يتوكل إلا عليه ولا يفوض أمره إلا إليه ولا

---

(١) صبح الأعشى، ٣٧٣/٥

يرجو الخير إلا من عنده والمزيد إلا من سعة فضله ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده الذي ارتضاه لنبوته وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته فأرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا والحمد لله الذي توجه لأمير المؤمنين بصنعه فيسر له أمره وصدق له ظنه وأنجح له طلبته وأنفذ له حيلته وبلغ له محبته وأدرك المسلمون **بثأرهم** على يده وقتل عدوهم وأسكن روعتهم ورحم فاقتهم وآنس ." (١)

" به المناصل وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار فنيلوا **بثأر** من السلاح ونالوه أيضا **بثار** فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم أنجم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم إلى أجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاها فإذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة فافترسه وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا وكان الكفر مفقودا والإسلام مولودا وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو صليب الصلبوت وقائد أهل الجبروت وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهائمهم يبسط لهم باعه ويحرضهم وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعة لا جرم أنهم تهافت على نارهم فراشهم وتجمع في ظل ظلامه خشاشهم فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه ." (٢)

" الهوادي والأكفال وكان إلى غزو مدينة جيان الاحتفال قدنا إليها الجرد تلاعب الظلال نشاطا والأبطال تقتحم الأخطار رضا بما عند الله واغتباطا والمهندة الزرق تسبق إلى الرقاب استلالا واختراطا والردينية السمر تسترط حياة النفوس استراطا وأزحنا العلل عمن أراد جهادا منجيا غباره من دخان جهنم ورباطا ونادينا الجهاد الجهاد يا أمة الجهاد راية النبي الهاد الجنة الجنة تحت ظلال السيوف الحداد فهز النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر وأتمر الجم من دعوة الحق إلى أمر آمر وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كل ضامر وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدا وسدت الحشود مسالك الطريق العريضة سدا ومد بحرها الزاخر مدا فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا

---

(١) صبح الأعشى، ٦/٣٨٧

(٢) صبح الأعشى، ٦/٤٩٥

وهذه المدينة هي الأم الولود والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود وكرسي الملك ومجنبته الوسطى من الممالك باءت بالمزايا العديدة ونجحت وعند الوزان بغيرها من أمات البلدان رجحت غاب الأسود وجحر الحيات السود ومنصب التماثيل الهائلة ومعلق النواقيس الصائلة

وأدنينا إليها المراحل وعينا لتجار المحلات المستقلات منها الساحل ولما أكثبنا جوارها وكدنا نلمح نارها تحركنا ووشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم قد دار دائره والليل من خوف الصباح على سرحه المستباح قد شابت غدائره والنسر يرفرف باليمن طائره والسماك الرامح يثأر ثغر الإسلام ثائره والنعائم راعدة فرائض الجسد من خوف الأسد والقوس يرسل سهم السعادة بوتر العادة إلى أهداف النعم المعادة والجوزاء عابرة نهر المجره ." (١)

" (قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال صدق من قؤول نصوح)

(أتيت مصرا تبتغي ملكها ... تحسب أن الزمر يا طبل ريح)

(وكل أصحابك أودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح)

(خمسين ألفا لا ترى منهم ... غير قتيل أو اسير جريح)

(وفقك الله لأمثالها ... لعل عيسى منكم يستريح)

(اجرك الله على ما جرى ... أفنيت عباد يسوع المسيح)

(فقل لهم إن اضمروا عودة ... لأخذ ثأر أو لقصد صحيح)

(دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح)

المقصد الثالث في المكاتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي

والمكاتب بهذا الجانب منهم ملكان ." (٢)

" عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفة ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون وجدعت انوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالمنون وأضحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث فبيوت الشرك مهدومة ونيوب الكفر مهتومة وطوائفه المحامية مجتمعة على تسليم البلاد الحامية وشجعانه المتوافية مذعنة لبذل المطامع الوافية لا يرون في ماء الحديد لهم

---

(١) صبح الأعشى، ٦/٥٥٠

(٢) صبح الأعشى، ٨/٤٠

عصرة ولا في فناء الأفنية لهم نصرة وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته وانجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من اسرت به السلاسل وقتل منهم من فتكت به المناصل وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن اصناف يخيل بأنه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار فنيلوا بثأر من السلاح ونالوه أيضا بثار ." (١)

" اللغة من أسماء الأضداد يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحقير كأنه يقول أنا كنت أرجوك للأمور العظام لتنصرني فيها فخذلتني في هذا الأمر الخسيس وهو الأخذ بثأر حجاج بلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك فخاب ظني فيما كنت أرجوه فيك وأؤمله منك وأشار بقوله لا يتأول إلى أنه لا يحمل الجلل في قول الطغرائي على الشيء الجليل كما قال الصلاح الصفدي في شرح اللامية بل على الأمر الخسيس لأنه هو اللائق بالمقام

واعلم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء واحتدام قريحة من الذي يقع منه الرمز وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك المعامي كما يقع في الألغاز والأحاجي للملغز والمتصدي لحل ألغازه والجواب عنه والله تعالى هو الهادي إلى سبيل الصواب ." (٢)

" النائية خضوعا فتتخذ كتب رسائلها على المفارق بعد اللثم تيجانا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي سن المعروف وندب إليه وأكرم رسول جعل خير بطانتي الملك التي تأمره بالخير وتحثه عليه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا في السير سبيله واتبعوا في السيرة سننه واقتفوا فيه سننه واتبعوا في المعروف آثاره فتلا عليهم تالي الإخلاص (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) صلاة تتناقل على مر الزمان أخبارها ويتصدى لروايتها من الأمة على تمادي الدهر أحبارها وسلم تسليما كثيرا

وبعد فإن رياسة أهل الدول تتفاوت باعتبار قرب الرئيس من ملكه في مخاطبته ومناجاته واعتماد تصرفه في أمور دولته وتنفيذ مهماته والاستناد على رأيه في جليل خطوبه وعظيم ملماته

(فعال تمادت في العلو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب)

---

(١) صبح الأعشى، ٢٨٨/٨

(٢) صبح الأعشى، ٢٥٠/٩

ولا خفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمحل الأرفع والمنزلة التي لا تدافع ولا تدفع والمقام الذي تفرد بصدارته فكان كالمصدر لا يثنى ولا يجمع إذ هو كليم الملك ونجيه ومقرب حضرته وحظيه بل عميد المملكة وعمادها وركنها الأعظم وسنادها حامي حومتها وسدادها وعقدها المتسق ونظامها ورأس ذروتها العلياء وسنامها وجهينة خبرها وحقيبة وردها وصدرها ومبلغ أنبائها وسفيرها وزند رأيها الموري ومشيرها

(فحيهلا بالمكرمات وبالعلى ... وحيهلا بالفضل والسؤدد المحض)

هذا وهو الواسطة بين الملك ورعيته والمتكفل لقصيهم بدرك قصده وبلوغ بغيته والمسعد للمظلوم من عزائم توقيعاته بما يقضي بنصرته ." (١)

" نسبي وتتغالى في حسبي وتتنافس في قنيتي وتتحاسد وتجعلني عرضة لأيمانها فتتعاقد بالحلف علي وتتعاهد وتدخرني في خزائنها ادخار الأعلاق وتعدني أنفس ذخائرها على الإطلاق فتكللني الجواهر وتحليني العقود فأظهر في أحسن المظاهر أبرز للشجعان خدي الأسيل فأنسيهم الخدود ذوات السوالف وأزهو بقدي فأسلبهم هيف القدود مع لين المعاطف وأوهم الظمآن من قرب أن بأنهاري ماء يسيل وأخيل للمقرور من بعد أني جذوة نار فيطلبني على المدى الطويل ويخالني متوقع الغيث برقا لامعا ويظنني الجائز في الشرق نجما طالعا فالشمس من شعاعي في خجل والليل من ضوئي في وجل وما أسرعت في طلب ثأر إلا قيل فات ما ذبح وسبق السيف العذل

فقال القلم برق لمن لا عرفك وروج على غير الجوهري صدفك فما أنت من بزي ولا عطري ولست بمساو حدك القاطع بقلامة ظفري إن برقك لخلب وإن ريحك لأزيب وإن ماءك لجامد وإن نارك لخامد ومن ادعى ما ليس له فقد باء بالفجور ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور

(ومن قال إن النجم أكبرها السهى ... بغير دليل كذبته ذكاء)

أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وكريمها المبجل وعالمها المهذب يختلف حالي في الأفعال السنية باختلاف الأعراض وأمشي مع المقاصد الشريفة بحسب الأغراض وأتزيا بكل زي جميل فأنزل في كل حي وأسير في كل قبيل فتارة أرى إماما عالما وتارة لدر الكلام ناثرا وأخرى ." (٢)

" صخرا أو هدم به بناء مشمخرا ونظر إلى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه

---

(١) صبح الأعشى، ٢٢٥/١٤

(٢) صبح الأعشى، ٢٦٩/١٤

وإذا به قد أظلته كاسر كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر إن حطت فسحاب انكشف وإن أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب

(إذا أقلعت لجت علوا كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب)

(يرى الطير والوحش في كفها ... ومنقارها ذا عظام مزاله)

(فلو أمكن الشمس من خوفها ... إذا طلعت ما تسمت غزاله)

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها ورماها بأول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه ويستنزل الأعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض ونزل إلى الرفقة جذلا بربح الصفقة

فوجد التاسع قد مر به كركي طويل الشفار سريع النفار شهي الفراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه في الجو خفيف ولأديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف تحن إلى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما ينوس على عودين من آبنوس ." (١)

"٢- ومن يك ساليا فلدي حب سلو القلب عنه غير هين

٣-علقت فمقلتي للنوم حرب بأعزل وهو شاكي المقلتين

٤- مليح الدل شاقت كل قلب شمائله وراقت كل عين

٥- جنى وحمى فلم أطلب بثأري محاجره ولم أتقاض ديني

٦- أهيم بخده وبمبسميه فأنسب بالحمى والأبرقين

٧- عقدت مع الغرام فبعت فيه وقاري والتصبر صفقتين

٨- وهمت بناعم العطفين فيه عذاب الصب عذب المرشفين

٩- تدير علي عيناه كؤوسا كأن سلافها من رأس عين

١٠- فأحلف بالمحصب والمصلى وأعلام الصفا والمأزمين

١١- لأنتصرن بالأجفان حتى تكون دموعها في الحب عوني

---

(١) صبح الأعشى، ٣٣٧/١٤

١٢- وحين تعرفوا كلفي، وقلبي يصون السر عنهم كل صون
١٣- كففت المقلتين ليشهدا لي فجرحت الدموع الشاهدين
١٤- فلو أبصرت ناظري المعنى وماء الدمع فوق الوجنتين
١٥- بصرت بوردتين يسح منها سكيب القطر فوق بهارتين
١٦- إذا أعرضت أعرض كل صبر وآذن نوم أحداقي ببين
١٧- ولم تبد الرياض بحسن زي ولم تزه الربا بكمال زين
١٨- كأن نسيمها مما أقاسي يهب عليله بالأبردين
١٩- كأن الزهر غب سما بكته لما أبدي حمام الشاطئين
٢٠- أهيج لها الهوى وتهيجه لي فنلفى في الهوى متطارحين
٢١- وقد هاج الحمام الوجد قبلي لتوبة عند بطن الواديين
٢٢- بعيشك هل ترى ثاني وحيد يرى بك ثالثا في النيربين
٢٣- وهل يدنو من الآمال صب بعيد بين هدب الناظرين
٢٤- فإن يكن الجمال حباك ملكا وأيد ناظريك بحاجبين
٢٥- فما أرضى لملكك أن كسرى وقيصر في مقام الحاجبين
٢٦- وإن أقل حظ يبتغى من رضاك يفي بملك الحارثين
٢٧- تخبرني وفي عطفيك لين فعالك عن فؤاد غير لين
٢٨- وأعرف في لحاظك ما رأت في ظبا الثقفي قاتلة الحسين ." (١)

"عبد الملك بن قريب غير (١) مرة يفضل النابغة الذبياني (٢) على سائر شعراء (٣) الجاهلية ، وسألته آخر ما سألته قبيل موته : من أول الفحول ؟ قال: النابغة الذبياني ، ثم قال: ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس (٤) : (من الوافر)

---

(١) كتبت : عن ، وهو خطأ .
(٢) النابغة الذبياني : - ١٨ ق. هـ / - ٦٠٥ م

---

(١) شعر الشريف السبتي، ص/١٥

زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا.

(٣) كتبت : الشعراء .

(٤) امرؤ القيس : ١٣٠ - ٨٠ ق. هـ / ٤٩٦ - ٥٤٤ م

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، ، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وأخذ في اللهو ، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده ، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب ، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا، .ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم ، فوعده وماطله ، فعاد قافلا ، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات.." (١)

"قال شاعر كريم، وليس بفحل.

قلت فالحويدرة (١) ؟ قال: لو قال مثل قصيدته خمس قصائد / كان فحلا.

قلت: فمهلهل (٢) ؟ قال: ليس بفحل، ولو كان قال مثل قوله: ... ... ٢ أ

أليلتنا بذي حسم أنيري (٣)

كان أفحلهم ، قال: وأكثر شعره محمول عليه .

قلت: فأبو دؤاد (٤) ؟

---

(١) فحولة الشعراء للاصمعي، ص/١٠

(١) الحادرة لقب غلب عليه، والحويدرة أيضا، واسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول ، شاعر جاهلي مقل. وإنما سمي الحدرة بقول زبان بن سيار الفزاري له:

كأنك حادرة المنكبي ن رصعاء تنقض في حائر

عجوز ضفادع محجوبة يطيف بها ولدة الحاضر

والحادرة: الضخم. وذكر أبو عمرو الشيباني أن الحادرة خرج هو وزبان الفزاري يصطادان فاصطادا جميعا، فخرج زبان يشتوي ويأكل في الليل وحده؛ فقال الحادرة:

كأنك حادرة المنكبي ن رصعاء تنقض في حائر

فقال له الحادرة:

لحا الله زبان من شاعر أخي خنعة فاجر غادر

كأنك فقاحة نورت مع الصبح في طرف الحائر

فغلب هذا اللقب على الحادرة. الأغاني

(٢) المهلهل بن ربيعة : - ٩٤ ق. هـ / - ٥٣١ م

عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل. من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. وكان من أصبح الناس وجها ومن أفصحهم لسانا. عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه كليب (زير النساء) أي جليسهن.ولما قتل جساس بن مرة كليبا ثار المهلهل فانقطع عن الشراب واللهو، وآلى أن يثأر لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي دامت أربعين سنة، وكانت للمهلهل فيها العجائب والأخبار الكثيرة. أما شعره فعالي الطبقة.

(٣) صدر بيت من الوافر ، والبيت بتمامه :

... ... أليلتنا بذي حسم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

وذو حسم : واد بنجد . معجم ما استعجم ١/٤٤٦

(٤) أبو دؤاد الإيادي : ١٤٦ - ٧٩ ق. هـ / ٤٨٠ - ٥٤٥ م

جارية بن الحجاج بن حذاق الإيادي وقيل حنظلة بن الشرقي. شاعر جاهلي، وهو أحد نعات الخيل المجيدين، وإنما أحسن نعت الخيل لأنه كان على خيل النعمان بن منذر. وكان أبو داود قد جاور كعب بن أمامة

الإيادي فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها، فضرب المثل به فقالوا : كجار أبي داود وقيل جار أبي داود هو الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان. قال الأصمعي: كانت العرب لا تروي أشعار أبي داود لأن ألفاظه ليست بنجدية له شعر في الأصمعيات.." (١)

"قلت: فابن أحمر الباهلي (١) ؟ قال: ليس بفحل ، ولكن دون هؤلاء وفوق طبقته.

قال: وأرى أن مالك بن حريم الهمداني (٢) من الفحول.

قال: ولو قال ثعلبة بن صعير المازني (٣)

---

(١) أورد الآمدي في المؤتلف والمختلف من يقال له ابن أحمر أربعة، وقال: منهم عمرو بن أحمر الباهلي. قال ابن حبيب: هو عمرو بن أحمربن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن عبد بن قدام بن فراص بن معن، الشاعر الفصيح، كان يتقدم شعراء أهل زمانه. وأورده ابن حجر في قسم المخضرمين من الإصابة وقال: قال المرزباني: هو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، وغزا مغازي في الروم، وأصيب بإحدى عينيه هناك، ونزل الشام وتوفي على عهد عثمان بعد أن بلغ سنا عالية. وقال أبو الفرج: كان من شعراء الجاهلية المعدودين، ثم أسلم وقال في الجاهلية والإسلام شعرا كثيرا، ومدح الخلفاء الذين أدركهم، ولم يلق أبا بكر، ومدح عمر فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان. وهذا يخالف قول المرزباني: إنه في عهد عثمان. خزانة الأدب الشاهد ٤٦٠

(٢) مالك بن حريم الهمداني : - هـ / - م

مالك بن حريم، وقيل خريم، بن دالان بن عبد الله بن حبيش الهمداني. شاعر وسيد في قومه وكان كريم الأخلاق واسع الصدر، وهو فارس شجاع صاحب مغازي همدان، جاهلي يماني. كان يقال له (مفزع الخيل) ويعد من فحول الشعراء. وهو أحد وصافي الخيل المشهورين. كما تحدث في شعره عن معاناته الذاتية حين كانت تعصف به هموم الأخذ **بالثأر** لقتيل من أبناء قومه، وربما بلغ التعبير عن هذه المعاناة ذروته حين اتصل الأمر بأخ له قتله بني قمير غيلة، فأغار عليهم وقتل سيدهم بأخيه.

(٣) ثعلبة المازني : - هـ / - م

ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني التميمي المري. شاعر جاهلي، من شعراء المفضليات، له قصيدة فيها من

---

(١) فحولة الشعراء للاصمعي، ص/٢١

الطوال، أورد شارحها التبريزي نسبه إلى عدنان، وأشار القالي إلى ابتكاره بعض المعاني في شعره ومنها بيت أخذ لبيد معناه. قال الأصمعي: وهو أقدم من جد لبيد. وقد وردت ترجمة في الإجابة الرقة / ٩٤٢) لثعلبة بن صعير القضاعي العذري فقيل : .. هذا الكلام ليس بصحيح ، فصاحبنا من بني مرة وهذا من عذرة .." (١)

"إبن قلاقس:

نقل فادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه ابدا لأول منزل

عبد الله الحزامي المصري:

إن شئت تنظرني وتنظر حالتي ... قابل إذا هب النسيم قبولا

فتراه مثل رده ولطافة ... ولأجل قلبك لا أقول عليلا

فهو الرسول إليك نبي ليتني ... كنت أتحدث مع الرسول سبيلا

صدح الدين الصفدي:

أفدي حبيبا له في كل جارحة ... مني جراح سيف اللحظ والمقل

تقول وجنته من تحت شامته ... لي أسوة بإنحطاط الشمس عن زحل

لسان الدمشقي الخضيرة:

إذا أيقنت من خل ودادا ... فزره ولا تخف منه الملالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ... ولا تك في محبة هلالا

إبن هاني:

لا تلمني عاذلي حين ترى ... وه من أهوم فلومي مستحيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي ... لتفارقنا على وجه جميل

إبن عبدون:

قالوا إصطبر أيها المضني فقلت لهم ... كيف إصطباري وقد ضاقت بي الحيل

الصبر لا شك محمود عواقبه ... وإنما خيفتي أن يسبق الأجل

---

(١) فحولة الشعراء للاصمعي، ص/٢٣

أمريء القيس:

ولما رأتني في السباق تعطفت ... علي وعندي من تعطفها شغل

أتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصلي حين لا ينفع الوصل

إبن زيدون:

لو هـ صفرة شانت محاسنه ... فقلت ما ذاك من غيب به نزولا

عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا جلا

عنترة العبسي:

و كان قلبي معي ما إخترت غيركم ... ولا رضيت سواكم في الهوى بدلا

لكنه راغب في من يعذبه ... فليس يقبل لا لوما ولا عذلا

الأمير منجك:

لما صفت مرأة وجهك أيقنت ... عيناي أني عدت فيك خيالا

وظننت أهدابي بوجهك عارضا ... وحسبت إنساني بخدك خالا

إبن قلاقس:

لو كان لي من أحب عواذل ... لسعيت في تشتيتهم وتوصلي

لكن حبوبي تعشق نفسه ... وغدا العذول فما تكون تحيلي

الحاجري:

بروحي ومالي ذلك الرشأ الذي ... غدا مسكه فوق السوالف سائلا

دري خد أني أجن بحبه ... فأظهر لي قبل الجنون سلاسل

عمر إن الوسودي:

وأمر ما لاقيت من ألم الهوى ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالميس في البيداء يقتلها الظمأ ... والماء فوق ظهورها محمول

صلاح الدين الصفدي:

يا آمري بالبعد عمن شنى ... سقما وفي فيه شفاء غليلي

من يستطيع الصبر أو يرضى به ... عن مثل ذاك المرشف المعسول

ولآخر في زنجي:
يكون اخال في وجه قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف بلام مشغوف على من ... يراها كلها في العين خالا
ولله در من قال:
يا رب إن العيون السود قاتلتي إن عاشقها ما زال مقتولا
إني تعشقتها عمدا على خطر ... ليقضي الله أمرا كان مفعولا
عمر بن الفارض:
نشرت في موكب العشاق أعلامي ... وكان فلبي بلى في الحب أعلامي
وسرت فيه ولم أبرح بدولته ... حتى وجدت ملوك العشق خدامي
ولم أزل منذ أخذ العهد في قدمي ... لكعبة الحسن تجريدي وإحرامي
وقد رماني هواكم في الغرام إلى ... مقام حب شريف شامخ سام
جهلت أهلي فيه أهل نسبته ... وهم أعز أخلائي وألوامي
قضيت فيه إلى حين إنقضى أجلبي ... شهري ودهري وساعاتي وأعوامي
ظن العذول بأن العذل يوقفني ... نام العذول وشوقي زائد نامي
إن عام إنسان عيني في مدامعه ... فقد أمد فإحسان وإنعام
يا سائقا عيس أحبابي على مهل ... وسر رويدا فقلبي بين آلام
سلكت كل مقام في محبتكم ... وما تركت مقاما قط قدامي." (١)
"ويرجع للبيت من حينه ... لوغد أخي فيشة مبتلى
يعذبه يومه منشدا ... علوت فلا تزهدن في العلا
تعلم من لطفه صنعة ... تصير مخرجه مدخلا
علمت قدر شعره، وما صبه الله منه على أهل عصره.
قال والدي: هجاءو الأندلس: المخزومي، واليكى، والأبيض.
وأنشد علي بن أضحى قاضي غرناطة قصيدة منها:

(١) المرقصات والمطربات، ص/٨٧

عجبا للزمان يطلب ثاري ... وملاذي منه علي بن أضحى

الأبي الذي يمد من البأ ... س إباه إلى السماكين رمحا

جاره قد سما على النطح عزا ... ليس يخشى من طالب الثأر نطحا

فكأني علوت قرن فلان ... أي تيس مطول القرن ألحى

فقال له: يا أبا بكر هلا اقتصرت على ما أنت بسبيله فكم تقع في الناس؟ فقال: أنا أعمى وهم لا يبرحون حفرا، فقال: والله لا كنت لك حفرة أبدا. وجعل يوالي عليه يده.

وأخبرني والدي: أن جده عبد الملك بن سعيد كان كثير الإحسان له مستحفظا من لسانه، وبعد ذلك فما سلم من أذاته. ومن خبره معه: أنه قصده مرة وهو بقلعته، فأنزله وتلقها ببر قولا وفعلا، ثم إنه قال لغلام له: اسأل في الموضع الذي نزل فيه المخزومي متى يرحل؟ وكان غرضه أن يرسل له زادا، وينظر ما يركب عليه، فأساء الغلام التناول، وضرب عليه بابه، فخرج له الأعمى، فقال: يقول لك القائد: متى ترحل؟ فقال: ارفق أكتب لك الجواب، فكتب له أبياتا منها:

لا ترجون بني سعيد للندى ... فالظل أفيد منهم للسائل

فلقد مررت على منازلهم فما ... أبصرت منها غير بعد منازل

قوم مصيبتهم بطلعة وافد ... وسرورهم أبدأ بخيبة راحل

وفيهم يقول وقد أسكنوه جوارهم:

أبني سعيد قد شقيت بقربكم ... فلتتركوني حيث شئت أسير

أفنى المدائح فيكم لا وعدكم ... يقضي، وقلبي في المطال أسير

أعطيتم نزرا على طول المدى ... ويقول وغد: إنه لكثير

ولشد ما عرضتموني للعنا ... فرس عتيق عاشرته حمير

فإذا صهلت غدا النهاق مجاوبي ... يا رب أنت على الخلاص قدير

قال: ووجدت بخط والدي محمد: ومن نسيب المخزومي، على قلته، قوله:

رب حسناء كالغزالة جيدا ... والتفاتا تزري بحور الخلود

كلمتني فطار قلبي إليها ... وترجيت للظماء ورودي

فتجافت عن منظري ثم قالت ... أترى الحور واصلات القرود

لم ألمها على الصدود لأني ... كنت أهلا من مثلها للصدود

قال: ولم يخل في هذا من الهجاء، ولكن لنفسه!! وأنشد له ابن غالب:

زنجيكم بالفسوق داري ... يدلي من الحرص كالحمار

يخلو بنجل الوزير سرا ... فيولج الليل في النهار

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الخامس من الكتب التي يشتمل عليها:

كتاب المملكة القرطبية وهو

كتاب نيل المراد في حلى كورة مراد

في غربي قرطبة. الحالي منها حصن مراد، سكنه قبيلة مراد فنسب إليها. منه:

عبد الملك بن سعيد المرادي الخازن

أنشد له الحميدي في الجذوة في وصف ناعورة:

ناهيك ناعورة تعالت ... على ضفافي مع اقتداري

يحملها الماء بانقياد ... وتحمل الماء باقتسار

تذكر طورا حنين ناي ... وتارة من زئير ضاري

تسقى بساتين حاويات ... غرائب الروض والثمار

طلوع عبد العزيز فيها ... كالشمس في جنة القرار

وله في بعض من زاره، فحجبه:

ما حمدناك إذ وقفنا ببابك ... للذي كان من طويل حجابك

قد ذممنا الزمان فيك وقلنا ... أبعد الله كل دهر أتى بك

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الأول من كتابي الكورة القبرية وهو

كتاب الدرة

في حلى مدينة قبرة." (١)

"مدينة نابهة، هي قصبة الكورة، فيها ترجمة، وهي:

عبد الواحد بن محمد بن موهب

التجيبي القبري

فقيه محدث، عاصر أبا عمر بن عبد البر، وهو ممن ذكره ابن بشكوال: في كتاب الصلة، وأنشد له قوله:

يا روضتي ورياض الناس مجدبة ... وكوكبي وظلام الليل قد ركدا

إن كان صرف زماني عنك أبعدني ... فإن شوقي وحزني عن ما بعدا

كتاب الذهبية الأصيلية في حلى المملكة الإشبيلية

كتاب الذهبية الأصيلية في حلى المملكة الإشبيلية

ينقسم هذا الكتاب إلى اثني عشر كتابا، هي: ١ - كتاب الحلة الذهبية في الكورة الإشبيلية؟ ٢ - كتاب الحركات المجونية في حلى الكورة القرمونية ٣ - كتاب الدرة المخزونة في حلى كورة شذونة ٤ - كتاب فجأة السرور في حلى كورة مورور ٥ - كتاب نفحة الورد في حلى قلعة ورد ٦ - كتاب شفاء التعطش في حلى كورة أركش ٧ - كتاب الدروع المسنونة في حلى كورة أشونة ٨ - كتاب بغية الظريف في حلى جزيرة طريف ٩ - كتاب الحلة الحمراء في حلى الجزيرة الخضراء ١٠ - كتاب الزبدة في حلى كورة رندة ١١ - كتاب نيل القبلة في حلى كورة لبة ١٢ - كتاب الحلة المعجبة في حلى كورة أونبة

كتاب الحلة الذهبية في الكورة الإشبيلية

ينقسم هذا الكتاب إلى تسعة كتب، هي: ١ - كتاب النفحات الذكية في حلى حضرة إشبيلية ٢ - كتاب النسرينه في حلى قرية مقرينه ٣ - كتاب روق العريش في حلى قرية منيش ٤ - كتاب وشي المحابر في حلى قلعة جابر ٥ - كتاب العذار المطل في حلى جزيرة قبطل ٦ - كتاب الحانة في مدينة طريانة ٧ - كتاب الحبابة في حلى قرية الغابة ٨ - كتاب وشي المصر في حلى حصن القصر ٩ - كتاب النورة في حلى حصن لورة

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٥٩

مملكة اشبيلية

كتاب النفحات الذكية في حلى حضرة إشبيلية

المنصة... التاج... السلك: من كتاب الياقوت في حلى ذوي البيوت...

أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني

من الذخيرة: أفضى أمر إشبيلية إلى عباد، وأبو حفص يومئذ ذات نفسها، وآية شمسها، وناجذها الذي عنه تبتسم، وواحدها الذي بيده ينقض ويبرم، وكان بينه وبين عباد قبل إفضاء الأمر إليه، ومدار الرياسة عليه، ائتلاف الفرقدين وتناصر اليدين، واتصال الأذن بالعين. ولما ثبتت قدم المعتضد بالرياسة، ودفع إلى الدبير والسياسة، أوجس منه ذعرا، وضاق بمكانه من الحضرة صدرا.. وكان ألمعيا، وذكيا لوذعيا، لو أخطأ الحازم أجله، ونفعت المحتال حيله، فاستأذن المعتضد في الرحلة، سنة أربعين وأربعمائة، فصادف غيرته وكفى إلى حين معرته.. وتهادى عجائب ذكره الشام والعراق، ثم رحل إلى مصر، و له هنالك صوت بعيد، ومقام محمود، ووصل إلى مكة، وروى في طريقه كتاب الترمذي في الحديث، وعنه أخذه أهل المغرب، ثم رجع إلى الأندلس واستأذن المعتضد في سكنى مرسية، رأيا رآه، وبلدا اختاره وتوخاه.. فلما غلب الروم على مدينة بربشتر سنة ست وخمسين... خطب المعتضد برسالة يحضه فيها على الجهاد، فراجعه برسالة... يشير ليه فيها بالرجوع إلى بلده، لا بل استدرجه إلى ملحده.. فاستقر بإشبيلية سنة ثمان وخمسين، ولقيه المعتضد بأعلى المحل، وفوض إليه من الكثر والقل، وعول عليه في العقد والحل، فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت لربيع الأول سنة ستين أحضره القصر... وباشر قتله بيده، فلم ينل عباد بعده سولا، ولا متع بدنياه إلا قليلا ومن شعره في رسالة كان خاطب بها المعتضد من مرسية:

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالة ما مثلها يتوقع

فلق كتابي من فراغك ساعة ... وإن طال فالموصوف للطول موضع

إلا لم أبث الداء رب نجاحه ... أضعت، وأهل للملام المضيع

وفي الرسالة: فالثمرة من ساقها، والجياد على أعراقها

أبو الحسن علي بن أبي حفص

عمر بن أبي القاسم

ابن أبي حفص الهوزني

جد أبيه و أبو حفص المذكور، وأبوه أبو القاسم هو الذي سعى في فساد دولة بني عباد عند أمير الملثمين ثأرا بأبيه حتى نال غرضه. وأخبرني والدي: أنه اجتمع به، وكان يكتب عن منصور بني عبد المؤمن، وأنشد له:

من لي بفاتكة اللحاظ إذا رنت ... فكأنما سيف براني قاضب." (١)

"وكان سيئ الرأي، إن حزم لم يعزم، وإن سدى لم يلحم، واستدرج ابن الحديدي بالأمان، واستفزه إلى مصرعه بمزورات الإيمان إلى أن زحف ابن الحديدي للقصر، والدولة يومئذ متعلقة بأذياله، فانخدع للقادر انخداعا آل به إلى أن قتله أصحاب القادر في القصر.

وأمر بنهب دور بني الحديدى، فاشتغلت العامة بها، ففغر أذفونش بن فرذلند فاه على ثغوره، وجعل يطويها طي السجل للكتاب، وينهض فيها نهوض الشيب في الشباب، إلى أن ثار عليه أهل طليطلة، وهرب إلى بعض حصونه، فصارت للمتوكل بن الأفطس، ثم أسلمها المتوكل، فاستعان القادر بأذفونش على حصارها، فملكها ابن ذى النون قهرا، وأسلمها لأذفونش سنة خمس وسبعين.

السلك

من كتاب الياقوت في حلي ذوي البيوت

الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن اسماعيل

بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون

من كتاب المسهب: يعرف بابن المضراس، وأخوه اسماعيل هو أول من ملك طليطلة من بني ذى النون، وكان المأمون ابن أخيه ينفيه ويبغضه، ويحسده على أدبه، ففر عنه إلى الثغر الأعلى لمملكته. ومن شعره قوله :

إذا لم يكن لي جانب في ذراكم ... فما العذر لي ألا يكون التجنب

وكان قد قرأ في قرطبة على الرمادي الشاعر. وآل أمره إلى أن حصل عند النصارى، فدس إليهم ابن أخيه المأمون من نصحهم في شأنه بأنه جاسوس من قبل ابن أخيه، ليتكشف على بلادهم، فقتلوه، فقال المأمون: الحمد لله ! هذه نعمة من جهتين: فقد عدو، ووجوب ثأر نطلب به.

ومن كتاب تلقيح الآراء، في حلي الحجاب والوزراء.

الوزير أبو المطرف عبد الرحمن

ذكر الحجاري أنه من أهل ... ... ولكنه أورد ترجمته في مدينة طليطلة.

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٦٠

وأنشد له قوله:

يا من أبى غير مرأى حسنه النظر ... من بعد وجهك لا شمس ولا قمر
لا تحسبني إذا ما غبت مصطبرا ... فما على بعد ذاك الوجه أصطبر
طال انتظاري، ولا وعد يعللني ... ولا كتاب، ولا رسل، ولا خبر

ومن نثره: الود - أبقاك الله - كما علمت غصن ناضر، وكيف لا يكون كذلك وما برحت تنقل من قلب إلى ناظر، والذكر لا يبرح معقودا باللسان، ومن الواجب ألا ينسى ذكر مول للإحسان.

ومن كتاب الكتاب

كاتب الظافر بن ذى النون

من المسهب أنه كان متخلفا كتب عن الظافر إلى أهل حصن بلغه أن النصارى يريدون غرته بالتحذير كتابا طويلا، فيه: وقد قرع أسماعنا أن شرذمة من بني الأصفر، صفر وطابهم، ونكس عقابهم عزموا أن يغزوا حوزتكم، فكونوا على أهبة لصدمتهم، وأعدوا لهم مائة من أذمار الوغا الزبون.

وأتبع ذلك بألفاظ مستغلقة لم يفهمها جند الحصن، وكتبوا إلى الظافر يستفسرونه عنها. وفي أثناء ذلك ضرب النصارى على الحصن، وصادفوا فيه الغرة.

الكاتب ابن عيطون التجيبي

أبو الخطاب عمر بن أحمد

جيد الصناعة، وكان أبي النفس، غير متكسب بالشعر، وكان في جلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس. وكان المتوكل قد اعتل، ومع ذلك فخرجت منه جوائز للشعراء، فقال:

وما اعتل عنا جوده باعتلاله ... ولكن وجدنا بره لا يهنا
تنغص شكواه بجدواه عندنا ... كأنا عطاش البحر في الماء نظمأ

وجال على ملوك الطوائف.

ومن كتاب الياقوت في حلي ذوي البيوت

الأسعد بن إبراهيم بن بليطه

له:

يوم تكاثف غيمه فكأنه ... دون السماء دخان عود أخضر

والطل مثل برادة من فضة ... منثورة في بردة من عنبر

والشمس أحيانا تلوح كأنها ... أمة تعرض نفسها للمشتري

ولدي صرف مدامة مشمولة ... تلقى الظلام بوجه صبح مسفر

وكأنها مما تحبك أقسمت ... ألا تطيب لنا إذا لم تحضر

ومن الذخيرة أنه تردد على ملوك الطوائف، فارس جحفل، وشاعر محفل، وأنشد له قوله :." (١)

"وبينهما ملقى زمام كأنه ... مخيط شجاع آخر الليل ثائر

أي بين الرجل والناقة ملقى زمام كأنه ممرحية، يقال خاط بنا فلان خيطة أي مر بنا مرة، ثائر أي قد قتل أخوه فجاء يطلب ثأره وهو الشجاع.

ومغفى فتى حلت له فوق رحله ... ثمانية جردا صلاة المسافر

أي ولم يجد هذا الذئب إلا الموضع الذي أغفى فيه الفتى: حلت له أي ثمانية أشهر جرد أي تامة صلاة المسافر أراد تقصير الصلاة.

سوى وطأة في الأرض من غير جعدة ... ثنى أختها في غرز عوجاء ضامر

أي ولم يجد سوى وطأة وطئها هذا الرجل وضع واحدة في غرز الناقة والأخرى في الأرض، من غير جعدة يقول هذه الرجل ليست بكزة وهي سبطة سهلة.

وموضع عرنين كريم وجبهة ... إلى هدف من مسرع فاجر

ولم يجد أيضا غير أثر سجود الرجل صلى إلى هدف أي شرف من الأرض صلى عليه، من رجل مسرع غير فاجر لأنه مسافر إنما يصلي ركعتين ثم يمضي، وقال الطرماح في مثل هذا:

أطاف بها طمل حريص فلم يجد ... بها غير ملقى الواسط المتباين

الطمل الذئب، والواسط العمود الذي يكون في وسط البيت، ورواها أبو عمرو: فلم يجد سوى مثل ملقى.

ومخفق ذي زرين في الأرض متنه ... وفي الكف مثناه لطيف الأسائن

مخفق حيث وقع يعني الزمام، والأسائن القوي وهي الطاقات التي تفتل يريد سيور الزمام.

خفي كمنحار الشجاع وذبل ... ثلاث كحبات الكباث القرائن

خفي يعني أثر الزمام خفي، ثم شبهه بممر شجاع وهو الحية، والذبل بعرات ثلاث شبههن بحب الكباث

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٠٨

لصغرهن وهو ثمر الأراك.

وضبثة كف باشرت بيمينها ... صعيدا كفاها فقد ماء المصافن

الضبثة القبضة، يقال ضبث به إذا قبض عليه، والصعيد التراب كفاها فقد الماء يريد تيمم فاكتفى بالصعيد من الماء، والمصافن الذي يقاسم الماء في السفر.

ومعتمد من صدر رجل محالة ... على عجل من خائف غير آمن

معتمد موطئ أي حيث اعتمد فوطئ، محالة مرفوعة وإذا رفعت رجلك فقد أحلتها، من رجل خائف بهذه الفلاة.

مقلصة طارت قرينتها بها ... إلى سلم في دف عوجاء ذاقن

مقلصة مشمرة يعني الرجل التي في الأرض، وقرينتها الرجل الأخرى، والسلم يريد الغرز، والدف الجنب، وذاقن تطأطئ رأسها وعنقها إذا سارت.

وموضع مثنى ركبتين وسجدة ... توخي بها ركن الحطيم الميامن

وقال كعب بن زهير في مثل هذا وذكر ذئبا وغرابا:

فلم يجدا الأمناخ مطية ... تجافي بها زور نبيل وكلكل

ومضربها وسط الحصى بجرانها ... ومثنى نواج لم يخنهن مفصل

وموضع طولي وأحناء قاتر ... يئط إذا ما شد بالنسع من عل

طولى زمام، ويقال قطع يكون فوق البرذعة، والقاتر الرجل الحسن الوقوع على ظهر الناقة.

وأتلع يلوى بالجديل كأنه ... عسيب سقاه من سميحة جدول

وسمر ظماء واترتهن بعدما ... مضت هجعة من آخر الليل ذبل

أراد بعرات، واترتهن تابعتهن.

سفي فوقهن الترب صاف كأنه ... على الفرج والحاذين قنو مذلل

يعني فوق البعر، ضاف يعني ذنبا سابغا طويلا، مذلل مهيأ مسوي.

ومضطمر أراد الطرف خائف ... لما تضع الأرض القواء وتحمل

مضطمر أراد شخص الرجل يعني نفسه واضطماره انضمامه، لما تضع الأرض وتحمل أي خائف لما يكون عليها، وقال المرار:

على صرماء فيها أصرماها ... وخربت الفلاة بها مليل

صرماء مفازة لا ماء بها ولا علف، والأصرمان الذئب والغراب والخريت الدليل، مليل محترق من الشمس من الملة، وقال كثير:

ومن قاو يصيح أصرماه

وقال الطرماح يذكر الفلاة:

يظل غرابها ضرما شذاه ... شج بخصومة الذئب الشنون

شذاه حده يريد هاهنا صوته، وضرم كثير الصياح، شج حزين وذلك أنه إذا رأى الذئب قد طرده عن شيء صاح وصفق بجناحيه وذلك خصومته للذئب.

على حولاء يطفو السخد فيها ... فراها الشيذمان عن الجنين." (١)

"الصدى ذكر البوم، يقول دعا فلم أدر ما دعا، وقال ذو الرمة:

وأسود ولاج لغير تحية ... على الحي لم يجرم ولم يحتمل وزرا

قبضت عليه الخمس ثم تركته ... ولم أتخذ إرساله عنده ذخرا

يعني الخطاف. وقال الطرماح:

فيا صبح كمش غبر الليل مصعدا ... ببم ونبه ذا العفاء الموشح

إذا صاح لم يخذل وجاوب صوته ... حماش الشوي يصدحن من كل مصدح

كمش ارفع، وغبر الليل بقاياه، وصعدا مرتفعا ذاهبا، والعفاء الريش، والموشح الذي وشح بشيء غير لونه يعني الديك، إذا صاح لم يخذل يعني أن الديوك تجيبه من كل ناحية، وقال آخر:

ماذا يؤرقني والنوم يعجبني ... من صوت ذي رعثات ساكن الدار

كأن حماضة في رأسه نبتت ... من آخر الليل قد همت بإثمار

يعني ديكا والحماض أحمر، وأنشد:

والشيب بالحناء كالحماض

وقال جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقني ... صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

---

(١) المع ا ني الكبير، ص/٤٨

يقول أرقني انتظار الديوك أن تصدح وقرع النواقيس أن تضرب فأرحل.

فلم يرد أن الديوك صوتت والنواقيس ضربت فأرقته أصواتها.

وقال لبيد يصف راكبا:

فصدهم منطق الدجاج عن ال ... قصد وضرب الناقوس فاجتنبا

يقول ما سمعوا ذلك عدلوا ليعرسوا والتعريس آخر الليل.

وقال آخر:

وبلدة يدعو صداها هندا

قوله هند حكاية صوت الصدى إذا صاح فقال هن هن، ومثله قول رؤبة:

كالبحر يدعو هيقما وقيقما

حكي صوت أمواجه، ومثله:

تسمع للجن فيه زير يزما

حكي أصوات الجن، وأما قول أبي داود:

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام

فإنهم كانوا يزعمون أن الميت إذا دفن خرج من قبره طائر مثل الهامة فلا يزال يصيح على قبره بالليل حتى يقتل من قتله ويدرك **بثأره**، ويقال أنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هامة فتطير.

أبو عمر قال وكانوا يسمون ذلك الطائر الصدى، والهام والصدى واحد.

وقال أمية بن أبي الصلت:

غيم وظلما وفضل سحابة ... أيام كفن واسترداد الهدهد

يبغي القرار لأمه ليكنها ... فبنى عليها في قفاه يمهد

فيزال يذبح ما مشى بجنازة ... منها وما اختلف الجديد المسند

الأعراب يزعمون أن أم الهدهد لما ماتت قبرها في رأسه فأعطاها الله القزعة ثوابا على بره بأمه وستر تلك الوهدة وأن نتن رائحته من تلك الجيفة.

وقال العجاج:

ذا النهار كف ركض الأخيل ... إن قال قيل لم أقل في القيل

الأخيل طائر أخضر يقال له الشقراق وهو لا ينجحر نصل النهار كما ينجحر الطير من الجر، يقول فالأخيل قد ينجحر وأنا لا أنجحر، ويقال ركض الطائر إذا اجتهد، قيل جمع قائل مثل سافر وسفر.

أبيات المعاني في القطا

قال حميد بن ثور:

فلا أسأل اليوم عن ظعائن ... ولا ما يقول غراب النوا

يقول تركت اليوم طلب الباطل والجهل وتركت التطير.

كأني أباري قطا صاحبي ... إذا هو صوت ثم ابتدا

بكورا و أرقه ا بالشبا ... من جزع جبة ريح الثرا

هوي تخال به جنة ... يقطع فيه فطال الحشا

أباري أعارض قطا صاحبي يعني مزاحم بن الحارث العقيلي، يقول كأني أباريه في النعت للقطا، وكدرا في ألوانها، والثرى الندى، يقول: وجدت ريح الندى فطلبت الماء، وهوى يقول أوردها هوى وهو الطيران الشديد، تخال به جنة أي جنونا من شدته وسرعته، وقوله: يقطع فيه فطال يعني فطال يا مزاحم، والحشا الربو من شدة الطيران والعدو يقال حشي يحشى حشا شديدا.

لها ملمعان إذا أوغفا ... يحثان جؤجؤها بالوجا

ملمعان جناحان تلمع بهما، وأوغفا أسرعا، والوحا الخفيف والصوت.

وقال أيضا يصف قطاة:

قرينة سبع إن تواترن مرة ... ضربن فصفت أرؤس وجنوب

أي قرينة سبع قطوات، تواترن تتابعن، ضربن أي بأجنحتهن والضرب الخفق بالأجنحة، وقال الجعدي:

وضم الجناح فلم يضرب." (١)

"أي يكد بالذل فواقا بعد فواق لا يروح، وأصل هذا في الحلب، غير أن لم ينهق يقول كذا ويذل ولا ينطق، كجلد الأبلق أي يؤثر فيه ويجعله ألوانا ومللا.

وقال المسيب بن نهار يهجو الحصين من ولد الحارث بن وعلة.

وبعت أباك والأنباء تنمي ... بجوف عتيد شيخ العمور

---

(١) المعاني الكبير، ص/٧٣

عتيد أرض كان الحارث بن وعلة دفن فيها فلما مات باع حصين حصته رجلا من محارب بن عمرة الغمور فعيره ببيع موضع قبر أبيه.

وقال زيد الخيل:

فخيبة من يخيب على غني ... وباهلة بن أعصر والركاب

يقول من غزا فخاب فخابئانه يكر على غني وباهلة فيغنم لأنهم لا يمنعون ممن أرادهم كالركاب وهي الإبل لأنها لا تمنع على من أرادها، ابن الأعرابي: يقول من صار في يده أسير من غني وباهلة فقد خاب لقلة فدائه، والدليل على ذلك قوله:

وأدى الغنم من أدى قشيرا ... ومن كانت له أسرى كلاب

والدليل إلى التفسير الأول قول الفرزدق يهجو أصم باهلة.

أأجعل دارما كابني دخان ... وكانا في الغنيمة كالركاب

ابنا دخان غني وباهلة وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية، كالركاب أي لا امتناع بهم كما لا تمتنع الركاب، وكان الرجل منهم في الجاهلية إذا قتل رجلا من أفناء العرب لم يكن في دمه وفاء منه حتى يزاد عشرا من الإبل أو نحوها، وهذا قول أبي عبيدة، وذكر أن الأشعث الكندي قال للنبي صلى الله عليه وسلم أتكافأ دماؤنا يا رسول الله؟ قال: نعم ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به.

وقال حميد بن ثور لرسوليه إلى عشيقته:

وقولا إذا جاوزتما أرض عامر ... وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما

نزيعان من جرم بن ربان إنهم ... أبوا أن يميروا في الهزاهز محجما

نزيعان غريبان من هؤلاء القوم الضعاف الذين لا يخافون ولا تخشى لهم غارة، ويقال مار دمه إذا جرى وأمرته أجريته، وأنشد لجرير:

ومار دم من جار ببية ناقع.

وقال زيد الخيل الطائي:

أغشاكم عمرو عيوبا كثيرة ... ومن دون عمرو م١ء دجلة دائم

عمرو بن عبد الله بن خزيمة بن مالك بن نصر بن قعين وكان لعمرو جار من طيء فذهب بإبله، يقول فلكم بعد الذي أغشاكم عمرو من العيوب عيوب كماء دجلة كثيرة.

وقال عمرو بن معد يكرب:

ألا غدرت بنو أعلى قديما ... وأنعم إنها ودق المزاد

قال ابن الكلبي: لا يشرب أحد من مائهم إلا استودق. آخر:

في فتية من بني هند كأنهم ... آذان أحمرة يحملن أعدالا

أي مسترخين لا حراك بهم ولا شهامة لهم كأنهم آذان حمير قد لغبت فاسترخت آذانها. وقال الراجز:

أذنا حمار زهلقي قد لغب

آخر من بني ضبة:

فهلا بني شر الشباع ثأرتم ... سدوسا وقد أجزت سدوس وأوجعوا

شر السباع عنزة وهي دويبة صغيرة. آخر:

إذا أنفض الذهلي ما في وعائه ... تلفت هل يلقي برابية قبرا

فإن قيل قبر من لجيم بتلعة ... .وسمي رأس ركبته عمرا

روى أن رجلا من عجل أوصى أن يقري الناس عند قبره فجاء رجل من ذهل فوضع قلنسوته على ركبته وسماها عمرا ثم أخذ من القرى حظ اثنين، أوهمهم أن ركبته ولد له صغير.

آخره:

إن بني فزارة بن ذبيان ... قد طرقت ناقتهم بإنسان

يقال طرقت المرأة إذا كان خروج ولدها يريد أنهم ينكحون النوق: ومثله لسالم بن دارة:

لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

كتبت البغلة إذا جمعت بين شفريها بحلقة.

آخر يزيد بن الصعق:

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر ... أو الشيء الملفف في البجاد

البجاد الكساء، قال الأصمعي الشيء الوطب؟ ص وقال جرير:

إست السليطي سوا وفمه ... محرنفشا بحسب لا نعلمه

المحرنفش المتعظم المنتفخ، يقول هو متكبر من الفخر بما ليس عنده، وقوله است السليطي سواء وفمه يريد أنه

أنجز وقوله:

أنعت حصاء القفا جموحا ... ذات حطاط تنكأ الجروحا

تترك فحجان سليط روحا." (١)

"وذلك أن المعزى تدفع في أول حملها فيقول: انتظر الولاد وإن أبطأ فهو كماء يرنق وهو رقرقته، والضأن لا تدفع إلا عند الولاد فإذا رمدت الضأن فهي الأرباق لأولادها. وتقول: المعزى تبهي ولاتبني، تبهي تخرق وتقطع، ولا تبني أي لا يفيد منها ما يبني به كما تفعل الضائنة، يقال أبنيت فلانا بيتا إذا أفدته إياه وأعنته على عمله قال أبو زيد، بهى البيت بهاء إذا تخرق، والعنز تصعد على ظهور الأخبية فتقطعها بأظلافها والنعجة لا تفعل ذلك وبيوت العرب إنما تعمل من الصوف والوبر ولا تعمل من الشعر، والمعزى تخرق ولا يصلح شعرها لعمل البيوت. ويحكون عن البهائم قالوا قالت الضائنة، أولد رخالا، وأجز جفالا وأحلب كثبا ثقالا، ولم تر مثلي مالا. جفالا تقول أجز بمرة وذلك أن الضائنة إذا جزت فليس يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يجز كلها، والكثب جمع كثبة وهي قد رحلبة، وما صب في شيء فقد انكثب فيه، ومنه سمي الكثيب من الرمل لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه. وقال دغفل بن حنظلة في بني مخزوم: معزى مطيرة، عليها قشعريرة، إلا بني المغيرة، فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام. والعرب تقول: أصرد من عنز جرباء. وقيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعزى؟ فقالت: فناء، قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غني، قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منى. وقالوا: العنوق بعد النوق، والعنوق جمع عناق، يراد الصغير بعد الكبير. وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك، قال: إذا ورم حياؤها ودجت شعرتها واستفاضت خاصرتاها وكثفت، يقال كان ذاك وقد دجا ثوب الإسلام. وقال آخر:

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتفي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الدنيا بثأر البهم

يقال أراد الحمى، ويقال أراد الكبر. وقال حميد بن ثور وذكر بعيرا:

محلي بأطواق عتاق يبينها ... على الضر راعي الضأن لا يتقوف

خص راعي الضأن لجفائه وجهله بأمر الإبل، يقال في المثل: أجهل من راعي ضأن، لا يتقوف من القيافة، أي لا يطلب أمرا يستدل به على نجابته لأن النظر إليه يدل عليه. وقال آخر ويروي لذي الرمة:

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٣٦

كأن القوم عشوا لحم ضأن ... فهم نعجون قد مالت طلاهم

وقال أبو ذؤيب وذكر وقتا من الليل:

إذا الهدف المعزاب صوب رأسه ... وأعجبه ضفو من الثلة الخطل

الهدف الشيخ المسن، والمعزاب الذي يعزب عن أهله في الغنم، صوب رأسه أي نام وأسكنه: ضفو أي اطمأن إلى سعة في ماله يضفو عليه أي يتسع، والثلة الضأن ولا يكون من المعز.

وروي عن العجاج أنه قال في وصف شاة: حسراء المقدم، شعراء المؤخر، إذا أقبلت حسبتها نافرا، وإذا أدبرت حسبتها ناثرا، أي كأنها تعطس، يقول: من أي أقطارها أتيتها وجدتها مشرفة. الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقماء تضحك مندلقة خاصرتاها لها ضرع أرقط كأنه ضب، قال وكيف العطل؟ قال: أولهذه عطل؟. العطل طول العنق يقال شاة حسنة العطل قال أبو النجم يذكر فرسا.

عن مفرع الكتفين حلو عطله

الأبيات في الظباء والبقر

قال الشاعر يذكر الظباء:

وينبح الشعب نبحا كأنه ... نباح سروق أبصرت ما يريبها

وبيضه الهزل المسود غيره ... كما ابيض عن حمض المراضين نيبها

الظبي إذا أسن وصارت لقرونه شعب قيل له أشعب، وقيل له نباح وذلك لأن صوته يغلظ، وفيه قول أبي دواد وذكر فرسا:

وقصرى شنج الأنسا ... ء نباح من الشعب

والظبي يوصف بشنج النسا، والظبي إذا هزل ابيض وكل أبيض إذا هزل أسود، والبعير يشيب وجهه إذا رعى الحمض. قال آخر:

أكلن حمضا فالوجوه شيب ... شربن حتى نزح القليب

وقال ابن لجأ:

شابت ولما تدن من ذكائها

وقال عمرو بن قميئة من عبد القيس يذكر وعلا

فلو أن شيئا فائت الموت أحرزت ... عماية إذ راح الأرح الموقف

سما طرفه وابيض حتى كأنه ... خصي جفت عند الرحائل أكلف

الأرح الذي في ظلفه انفتاح، والموقف الذي في أرساغه بياض والوقف السوار، وقوله: أبيض - يعني أن الوعل اسن وإذا أسن ابيض، كأنه برذون قد خصي فهو لا يركب، والرحالة سرج من جلود، والكلفة حمرة يدخلها سواد. وقال امرؤ القيس:." (١)

"السحيل خيط غير مفتول على طاق، والمبرم يفتل على طاقين، يقول على كل حال من شدة وسهولة، أي نعم السيدان وجدتما حين تفاجآن لأمر محكم وأمر لم يحكم.

تداركآ عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الأصمعي: منشم امرأة كانت عطارة فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا فصاغوا هؤلاء بمنزلة أولئك في شدة الأمر، أبو عبيدة: منشم اسم وضع لشدة الأمر لا أن ثم امرأة، قال وهو مثل قولهم: جاؤا على بكرة أبيهم وليس ثم بكرة. أبو عمرو: هو من التنشيم في الشر وهو الابتداء به. غيره: منشم امرأة كانت تبيع الحنوط. وقال:

لعمري لنعم الحي جر عليهم ... بما لايؤاتيهم حصين بن ضمضم

أي بما لا يوافقهم، وحصين من بني مرة وهو الذي لم يدخل في الصلح وكان حين اجتمعوا للصلح شد على رجل منهم فقتله. وقال يذكر حصينا:

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة ... لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

قوله: ولم يفزع بيوتا كثيرة أي قتل رجلا واحدا ولو قتل أكثر من واحد لكان الفزع أكثر، وأم قشعم المنية - أي حيث أقامت لهذا الرجل فأهلكته وذلك إلقاؤها رحلها، وقيل أم قشعم الحرب الشديدة، أبو عبيدة: أم قشعم العنكبوت أي شد عليه بمضيعة فقتله، ويروى يفزع بيوت كثيرة، يقول شد على ثأره وحده فقتله ولم تفزع العامة بطلب واحد، يريد بذلك تملقهم وأن لا يغضبوا وأنه إنما قصد لثأره ولم يردكم فاقبلوا الدية والصلح.

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا ... غمار تفرى بالسلاح وبالدم

الظمء ما بين الشربتين، والغمار من الغمرة وهي أعظم شأنهم تفري تشقق عليهم بالسلاح وبالدم وهذا مثل ضربه لرمهم أمرهم ثم وقوعهم في الحرب. وقال:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٦٤

يريد من عصى الأمر الصغير صار إلى الأمر الكبير، وهذا مثل، يقول: أن الزج ليس يطعن به إنما الطعن بالسنان فمن أبي الصلح وهو الزج أطاع العوالي، ومثل للعرب " الطعن يظأر " أي يعطف على الصلح، أبو عبيدة: يقول من لم يقبل السلم عفوا قبلها بعد أن يغلب ويقتل قومه وكانوا يرفعون الزجاج أولا فإذا أرادوا الحرب قلبوها، واللهذم المحدد الماضي من الأسنة، أي ركبت في كل لهذم. وقال أوس:

تحيزن انضاء وركبن أنصلا ... كجر الغضافي يوم ريح تزيلا

وقال عبيد:

قومي بنو دودان أهل النهى ... يوما إذا ألقحت الحائل

يقول إذا هاجت الحرب التي لم يكن لها أصل. وقال الأخطل:

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا ... على يابس السيساء محدودب الظهر

السيساء عظم الظهر. يقول حملناهم على مشقة. وقال:

واسأل بهم أسدا إذا جعلت ... حرب العدو تشول عن عقهم

عن بمعنى بعد. وهذا مثل، وذلك إن الناقة إذا لقحت شالت بذنبها فضربه مثلا للحرب أي قد لقحت فهي تشول بذنبها بعد أن كانت عقيما لا تحمل، والمعنى أنها كانت ساكنة فهاجت. ومثل قول الأخطل بيت النابغة الجعدي:

نحن الفوارس يوم ديسقة ال ... مغشو الكماة غوارب الأكم

غارب كل شيء أعلاه، وديسقة موضع، يريد نحملهم على المشقة والغلظ. وقال الجعدي:

تفوز علينا قدرهم فنديمها ... ونفثؤها عنا إذا حميها غلا

هذا مثل، قدرهم حربهم يريد نسكنها إذا فارت. يقال أدم قدرك فيسوطها حتى تسكن، ومنه الحديث: " لا يبولن أحدكم في العلماء الدائم " نفثؤها نكسرها. وقال أبو ذؤيب:

فجاء بها ما شئت من لطمية ... يدوم الفرات فوقها ويموج

أي يموج مرة ويسكن أخرى. وقال الجعدي:

مصابين خرصان الوشيج كأننا ... لأعدائنا نكب إذا الطعن أفقرا

الخرص القناة والخرص السنان وجمعه خرصان، مصابين أي حادريها، والوشيج الرماح، نكب متحرفين متهيئين للطعن، أفقر أمكن يقال أفقرك الصيد أي أمكنك، ويقال رماه من فقرة – أي من قريب ورماه من كثب.

ويقال فلان يصابي الرمح أي يميله للطعن.

ومثله قول الأجدع الهمداني:

خيلان من قومي ومن أعدائهم ... خفضوا أسنتهم وكل ناع." (١)

"أي كما تلمع للأصم بإصبعك أي كما تشير بها، يقول: أكثر في ذلك ورده ليشد عليهم، والمحلب المعين من غير قبيلتك، يقول لا يأتيك أحد سوى قومه وبني عمه يكفونه، والعرانين الرؤساء يقول أثار إليهم فأقبلوا مسرعين، ثم ابتدأ فقال: لا يأتيه محلب أي معين من غير قبيلتك، يقول لا يأتيك أحد سوى قومه وبني عمه يكفونه، والعرانين الرؤساء يقول أشار إليهم فأقبلوا مسرعين، ثم ابتدأ فقال: لا يأتيه محلب – أي معين من غير قومه: وقوله:

وراكب ... حثيث بأسباب المنية يضرب

الراكب راكب البعير جاء بأسباب المنية يضرب بها أي يعول بها مثل قوله: دونكم السلاح، اخرجوا إلى عدوكم، يقال: هل وقعت إليكم ضربة خبر، وما ضربت لي منه ضربة خبر، ابن الأعرابي: يضرب يحث بعيره وما ركبه، يقال جاء يضرب إذا كان مستعجلا.

وقال طفيل وذكر خيلا:

ولكن يجاب المستغيث وخيلهم ... عليها كماة بالمنية تضرب

أي تسرع، وقال المسيب:

فإن الذي كنتم تحذرون ... أتتنا عيون به تضرب عيون قوم يبعث بهم يتجسسون.

فلو صادموا الرأس الململف حاجبا ... للاقى كما لاقى الحمار وجندب

هذان رجلان، والرأس الرئيس، والململف يريد أن القوم لفوا أمرهم وأسندوه إليه، والمعمم من الرجال كذلك، يقال عممه القوم أمرهم مثل العمامة يتعمم بها، وحاجب هو ابن زرارة التميمي. ابن الأعرابي: الململف المتوج.

وقال يصف قوما:

وما يندوهم النادي ولكن ... بكل محلة منهم فئام

أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم فيتفرقون.

وما تسعى رجالهم ولكن ... فضول الخيل ملجمة صيام

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢١٠

أي لا يسعون في دية يطلبونها ولكن خيولهم تكفيهم ذلك يقول يركبون فيد ركون بالثأر، وفضول الخيل يريد أن لهم خيلا معدة سوى التي يركبونها، ابن الأعرابي: أراد لا يمشون على أرجلهم ولكن يركبون. وقال:

فأما تميم تميم بن مر ... فألفاهم القوم روبي نياما

أبو عبيدة: روبى خثراء الأنفس مختلطين، وروى مثل ذلك عن الأخفش وقال غيره: هم سكاري من اللبن، وليس هذا بشيء، ابن الأعرابي: روبى لم يحكموا أمرهم.

وأما بنو عامر بالنسار ... فكانوا غداة لقونا نعاما

شبههم بالنعام حين هربوا مسرعين.

نعانا بخطمة صرا لخدو ... د لاتطعم الماء إلا صياما

صياما قياما. وقال يصف جيشا:

سمونا بالنسار بذي دروء ... على أركانه شذب منيغ

إذا ما قلت أقصر أو تناهي ... به الأصواء لج به الطلوع

بذي دروء أي بجيش ذي فوائد والدرء الاعوجاج، أركانه جوانبه، شذب ما تفرق من النبت وهو هاهنا السلاح جعله شذبا لأنه متفرق فيهم وعليهم، إذا ما قلت أقصر أراد أنه كثير فكلما ظننت أنه قد انقطع وتناهى به الأصواء وهي الأعلام ارتفع منه شيء آخر وطلع، يقال طلع طلوعا إذا ارتفع في الجبل. وقال بشر بن أبي خازم:

سائل نميرا غداة النعف من شطب ... إذ فضت الخيل من ثهلان ما ازدهفوا

فضت الخيل فيهم أي فرقت للقتال، وما ازدهفوا ما غنموا واحتملوا.

لما رأيتم رماح القوم حط بكم ... إلى مرابطها المقورة الخنف

إلى مرابطها أي انهزمتم: والمقورة الضوامر، والخنف اللينة الأرساغ.

إذ تتقي ببني بدر وأردفهم ... فوق العماية منا عاند يكف

المعنى إنك تتقي ببني بدر وجمعتهم جيشا فأردفناهم بجيش طم عليهم، والعماية السحابة، شبه الجيش بها، والعاند الدم يعند عن مجراه يريد الطعنة.

تبكي لهم أعين من شجو غيرهم ... وإن يكن منهم باك فقد لهفوا

تبكي لهم أعين رحمة وحزنا عليهم ويبكي لهم من ليس منهم ولا من حيهم. وقال زهر يصف حربا وقوما:
على ما خيلت هم إزاءها ... وإن أفسد المال الجماعات والأزل." (١)

"مسحسحة أي تسح الدم سحا، تنفي الحصى يقول دمها الذي يسيل منها ينحي الراب عن طريقه، يصف كثرة الدم، والرعيب المرعوب، أي إذا نظر المرعوب إلى هذه الطعنة هاله ذلك، والانثرار سيلان ويقال سعة الجرح. وقال طفيل في مثل ذلك:

برماحة تنفي التراب كأنها ... هراقة عق من شعيبي معجل

عق شق، والشعيبان المزادتان، والمعجل الذي يحلب الإبل فيعجله إلى أهله قبل ورود الإبل. وقال أبو جندب الهذلي:

وطعن كرمح الشول أمست غوارزا ... جواذبها تأبى على المتغبر

أي ينفح هذا الطعن بالدم كما يرمح الشول. والغوارز التي قد غرزت وذلك إذا ذهبت ألبانها فإذا طلب منها الدر رمحت، والمتغبر الذي يطلب الغبر أي بقية اللبن، والجواذب والغوارز قريب من السوء. وقال ابن ربع الهذلي واسمه عبد مناف:

والطعن شغشغة والضرب هيقعة ... ضرب المعول تحت الديمة العضدا

شغشغة حكاية صوت الطعن، والهيقعة حكاية وقع السيوف، والمعول يتخذ عالة يبنيها وهي بيت من شجر يستظل من المطر، والعضد ما قطع من الشجر، والعضد بالإسكان القطع يقال عضد يعضد عضدا. وقال آخر:

وطعنة مستبسل ثائر ... ترد الكتيبة نصف النهار

يقول: إذا رأوا تلك الطعنة رجعوا يقولون قد طعنوا هذا الطعن – فينهزمون نصف يوم.

وقال المسيب بن علس:

كغماغم الثيران بينهم ... ضرب يغمض دونه الحدق

غماغم الثيران أصواتها، وعماعم الثيران بالعين جاعاتها، يقول هذا الضرب إذا رآه الإنسان غمض عينيه من هوله. وقال آخر يصف شجة وهو عذار بن ذرة الطائي:

يحج مأمومة في قعرها لجف ... فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٢٤

يحج يصلح، مأمومة شجة بلغت أم الدماغ، ولجف أن يذهب في إحدى الناحيتين، فالطبيب مما يرى من هولها تقذى استه كالمغاريد وهم كمء صغار. ويقال له غماريد مقلوب، وهو مثل الجوز فعقد في كل شجرة ذات هدب، والهدب ما كان يشبه ورق السرو مما ذهب طولا وما ذهب عرضا فهو ورق. وقال العجاج:

عن قلب ضجم توري من سبر

القلب جمع قليب، والضجم العوج، توري تفسد جوفه من الخوف، من سبر هو الذي يسبرها والمسبار الذي يقدر به الجراحة فينظر ما غورها. وقال الكميت يصف رجلا ضرب رأسه:

كأن الأم أم صداه لما ... جلوا عنها غطاطة حابلينا

الحابل الصائد بالحبالة، والغطاطة القطاة، شبه القحف حين ندر بقطاة، والصدى طائر كانت الأعراب تقول أنه يخرج من هامة الميت فلا يزال يصيح على قبره حتى يدرك بثأره. فأما قول ذي الإصبع:

إنك إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

فانه إنما أراد أضربك على الهامة لأن العطش يكون في الهامة. وأنشدنا لأبي محمد الفقعسي:

قد علمت أني مروي هامها ... ومذهب الغليل من أوامها

وقال الكميت يذكر طعن الثور:

بطعن كوقع شراد النقال ... يحاكي به اللبة الأبجل

السراد المخصف وهو المسرد، والنقال رقاع النعال واحدها نقيل، والأبجل العرق، يقول هذا يسيل واللبة تسيل فكأنهما يتباريان. وقال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

ملكت شددت، ومنه قوله: أملكوا العجين فإنه أحد الريعين يريد شدوا عجنه، أراد أن البصر ينفذ فيها وهذا من إفراط الشعر وقبل هذا البيت.

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

نفذ الجرح منجمه من حيث نفذ أي ظاهره.

وقال جرير:

وعاو عوى من غير شيء رميته ... بقارعة أنفاذها تقطر الدما

جع نفذ، والشعاع ما تفرق من الدم وانتشر، يقول لولا ذلك أضاءت حتى يستبين لك، أنهرت فتقها أي

أجريت الدم وكأنه من النهر. وقال الأعشى يصف ضربا بالسيف:

كاذن الفراء الأصح ... ر بين الغيل والدحل

يقيل النسر فيه ك ... جلوس الشيخ ذي الكفل." (١)

"يقول إن أثرتم ما كان بيننا وبينكم من الوقعات التي كانت بين الصاقب – وهو جبل – وملحة – وهو مكان – ظهر عليكم ما تكرهون من قتلى قتلناها لم تدركوا بثارهم، وفيه الأموات والأحياء – يقول في هذا النبش والأمر الذي أثرتموه موتى قد نسوا ومات أمرهم لقدم عهدهم، وفيه أحياء أي حديث أمرهم قد بقي ففي آثارهم تلك ما يعرف به فضلنا عليكم وادعاؤكم الباطل، ويقال: إن نبشتم ما فعل الميت وما فعل الحي.

أو نقشتم فالنقش يجشمه النا ... س وفيه السقام والابراء

النقش الاستقصاء ومنه قيل ناقش فلان فلانا في الحساب أي استقصاه، يقول إن استخرجتم كل شيء ففي الناس السقام والابراء أي لا تأمنون إن استقصيتم أن يكون السقام فيكم بأن تكونوا قتلتم فلم تثأروا وقهرتم وعسى أن يكون الإبراء منا فيستبين ذلك للناس ويصير عاره عليكم فترك الاستقصاء خير.

أو سكتم عنا فكنتم كمن أغ ... مض عينا في جفنها أقذاء

أو منعتم ما تسألون فمن حد ... ثتموه له علينا العلاء

أي إن منعتم ما تسألون من النصفة فانظروا من ضامنا أو كانت له الغلبة علينا فاعتبروا.

فاتركوا الطيخ والتعدي وإما ... تتعاشوا ففي التعاشي الداء

الطيخ الكلام القبيح، يقال هو طياخة، والتعاشي التعامي يقول إن تعاشيتم عن أيامنا فألجأتمونا إلى الإخبار عنكم وعنا صرتم إلى ما تكرهون.

أعلينا جناح كندة إن يغ ... نم غازيهم ومنا الجزاء

ذكروا أن كندة غزت بني تغلب فقتلوا منهم وأسروا، يقول إن كانت كندة فعلت ذلك بكم فلم تقدروا أن تمتنعوا ولا أن تلحقوا اثأركم أفعلينا تحملون ذنبهم؟ يقول: تغنم كندة منكم فيكون جناح ما صنعواعلينا؟.

أم علينا جري إياد كما قي ... ل لطسم أخوكم الأباء

قال الأصمعي: كان طسم وجديس أخوين فكسرت جديس على الملك خراجه فأخذت طسم بذنب جديس، والأباء أبى أن يؤدي الخراج، يقول تريدون أن تلزمون ذنوب الناس كما قيل لطسم إن أخاكم كسر الخراج

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٣٤

على الملك فنحن نأخذكم بذنبه.

عننا باطلا وظلما كما تع ... تر عن حجرة الربيض الظباء

عننا اعتراضا، يقول: أنتم تعترضوننا بادعاء الذنوب، والعتر الذبح والعتيرة ذبيحة، والحجرة الحظيرة تتخذ للغنم، والربيض جماعة الغنم، وكان الرجل من العرب ينذر نذرا على شائه إذا بلغت مائة أن يذبح عن كل عشر منها شاة في رجب كانت تسمى تلك الذبائح، الرجبية فكان الرجل منهم ربما بخل بشائه فيصيد الظباء ويذبحها عن غنمه في رجب ليوفي بها نذره، فقال: أنتم تأخذوننا بذنوب غيرنا كما ذبح أولئك الظباء عن غنمهم. وقوله:

أم علينا جرى العباد كما ني ... ط بجوز المحمل الأعباء

جوزه وسطه، والأعباء الأثقال، أي كما يزاد الثقل على الثقل وقال يصف إيقاع الغلاق بتغلب:

ما أصابوا من تغلبي فمطلو ... ل عليه إذا تولى العفاء

كتكاليف قومنا إذ دعا المن ... ذر: هل نحن لابن هند رعاء

كان عمرو بن هند قد بعث إلى بني تغلب وكانوا انحازوا عنه، يدعوهم إلى الرجوع إلى طاعته والغزو معه فأبوا وقالوا: مالنا نغزو معك أرعاء نحن لك؟ فحكى الحارث قول تغلب - فغضب عمرو فغزاهم في طريقه إلى غسان فقتل منهم، وقوله: كتكاليف - يقول لما كلفوا أن يرجعوا إلى عمرو لم يفعلوا - أي كانت وقعة الغلاق بهم وذهاب أموالهم ودمائهم فيها هدرا كهذا. وقوله:

وأقد ناه رب غسان بالمن ... ذ ركرها اذلا تكال الدماء.

يقول ذهبت هدرا فليس فيها قود، يقال كيل فلان بفلان إذا قتل به.

وقال الأسعر بن حمران الجعفي:

باتت بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعد وبهاعتد وأي

البصيرة الدفعة من الدم، أي دماؤهم قد خرجت فصارت على أكتافهم وبصيرتي - في جوفي يعدو بها فرسي، يريد أنهم جرحوا، ويقال: بل أراد أن الذي طلبوه من الذحول على أكتافهم لم يدركوه بعد فهو ثقل عليهم، وبصيرتي أي ذحلى قد أدركت به.

وقال عوف لقوم أخذوا إبل جيران له:

وإن كان عقلا فاعقلوا لأخيكم ... بنات المخاض والبكار المقاحما." (١)

"يهزأ بهم يقول: إن كان الأمر إلى أن تعقلوا فأعطوا الخشارة. وقال عبد الله بن سلمة:

وسامي الناظرين غذي كثر ... وثروة نابت كثرو افهيبوا

غذى كثر هو في سعة من المال، وثروة أي عدد كثير، نابت نشأ حديثا.

نقمت الوتر منه فلم أعتم ... إذا مسحت بمغنظة جنوب

أي انتصرت منه، لم أعتم لم أحتبس، مغنظة غم – غنظه الأمر إذا كربه.

وقال عطية الخطفي:

إذا ما جدعنا منكم أنف مسمع ... أقر ومناه الصعاصع أبكرا

مسمع أذن، وأنف كل شيء أوله، وقال بعضهم: المسمع كل خرق في الجسد من أنف وأذن، أقر على ذلك لذله، الصعاصع هلال بن صعصعة وقومه ومن يليه، أبكرا في الدية.

وقال الأخطل:

ألقوا البرين بني سليم إنها ... شابت وإن حزازها لم يذهب

البرة الحلقة، وكانت امرأة من بني سليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحباب السلمي وقالت: لا أنزعها حتى يدرك **بثأره**، والحزاز الحرقة يجدها الرجل في قلبه.

ولقد علمت بأنها إذ علقت ... سمة الذليل بكل أنف مغضب

وقال العجاج:

فلم يكن ينكر فيما لم يغر ... عقل المئين والمئين والغرر

أي لم يكن ينكر فيما لم يغر منه الناس – فخفف – أي لم يكن ينكر أن يعقل المئين من الإبل في الدية، والغرر جمع غرة وهو عبد أو أمة أو فرس. وقال العجاج:

فإن يكن لاقي حيا بلأمم ... أمر يفض الصخر من جول العلم

حي رجل حبس وقيد، يقول إن فعل هذا به في أمر يسير وهو الأمم فلاقاه منه أمر عظيم يكسر الصخر من ناحية العلم، والعلم الجبل، والجول الناحية.

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٣

فلم يعش مضيما ولم يضم ... بالأخذ والأخذ له ثأر العيم

أي لم يعش يحمل على الضيم ولم يضم هو بأن يؤخذ وأن يؤخذ له الثأر المختار، يقال اختار له عيمة ماله – أي خياره – وجماعة عيم. وقال آخر:

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم ... جزاء العطاس لا يموت من اثأر

جزاء العطاس يعني التشميت. وقال امرؤ القيس:

بأي علا قتنا ترغبو ... ن عن دم عمرو على مرثد

أبو عمرو – لم يعرف هذا البيت أحد ممن سألته عنه غيره – : يقول بأي شيء تتعلقون علينا من العيوب فترغبون له. وقال النابغة:

لئن كان للقبرين قبر بجلق ... وقبر بصيداء التي عند حارب

وللحارث الجفني سيد قومه ... ليلتمسن بالجمع أرض المحارب

هذا تحضيض على الغزو، يقول: لئن كان ابن هؤلاء الذين سميت ووصف مكان قبورهم ليغزون بالجمع دار من يحاربه. وقال الكميت لقضاعة:

لأية خصلتين دعوتمانا ... فلبيكم إجابة مستطيل

مستطيل يأخذ بالفضل عليكم لا إجابة فقير إليكم.

فإن نك في مناوأة أخذنا ... بسجل في الخماشة ذي فضول

المناوأة المعاداة، و يروى: في مباوأة، من البواء – رجل برجل، والسجل أصله الدلو أي بنصيب وحظ، والخماشة جراحة لا تبلغ الدية وقال خداش بن زهير:

أكاف قتلي العيص عيص شواحط ... وذلك أمر لا يثفي له قدري

يقال هذا أمر لا يثفى عليه قدري أي لا تبرك عليه إبلي أي لا أعتد به ولا أريده وقال الراعي:

وفجع يقلع الأحداث عنه ... تحسر حربه الدحن البطينا

الفجع المصيبة تقضي أحداث الدهر عنه، تحسر تدعه حسيرا، والدحن العظيم البطن.

تبادرنا إساءته فجئنا ... من الأفواج نبتدر المئينا

يريد تبادر بالإصلاح من قولك أسوت الجرح، يريد جئنا نصلح ذلك الفجع، والأفواج الطرق من كل وجه، نبتدر المئين يريد نحتمل الدماء والديات بالمئين من الإبل.

باب في الثأو

قال أبو كبير الهذلي:

تقع السيوف على طوائف منهم ... فيقام منهم ميل من لم يعدل

يقول إذا كان لنا فيهم دم قتلنا به منهم حتى نستوي نحن وهم، والطوائف النواحي يريد الأيدي والأرجل.

ومثله لأحيحة بن الجلاح:

وقد علمت سراة الأوس أنيمن الفتيان أعدل ما يميل

أنشد عبد الرحمن عن عمه:

تالله قد قذفوا ضحوا بفاقرة ... إذا لقيل أصابوا الميل فاعتدلوا

وقال رجل من عبد شمس:." (١)

"أكرهت نفسي والحياة حبيبة ... على جدن والخيل زور قوابع

جدن اسم رجل، زور مزورة من الطعن. قال عنترة:

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم

قوابع متقاعسة خانسة.

ولم يثن همي يوم ذلك أنه ... بنحري جار من دم الجوف ناقع

يعني أنه طعنهم فانتضح عليه من دمائهم، يقول لم يثن همي ذلك من طلب الزيادة، ناقع شاف لأنه قد طعنه فاشتفى بذلك. أبو جندب الهذلي:

دعوا حولي نفاثة ثم قالوا ... لعلك لست بالثأر المنيم

كان هذا القول منهم على الاستهزاء، يقولون له لعلك إن قتلت لم تكن بثأر، والمنيم الذي إذا ظفر به صاحبه رضي به ونام عليه، أبو عمرو: الثأر المنيم الكفء.

وقال عمرو بن معدي كرب:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

أي أنكم قد جدعتم بأخيكم فآذانكم كآذان النعام، ومشوا أمسحوا أيديكم بها. وقال امرؤ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٤

وقال آخر:

مشينا فسوينا القبور بعاقل ... فقد حسنت بعد القبوح قبورها

يقول قد كان قتلوا منا أكثر ممن قتلنا منهم حتى استوينا نحن وهم فقد حسن أمرنا بعد أن كان قبيحا. وقال آخر وهو جرير:

يمشي هبيرة بعد مقتل شيخه ... مشى المراسل أوذنت بطلاق

يعني يمشي على هينته فاترا لم يتحرك في ذلك ولم يطلب **ثأر** أبيه، والمراسل التي كانت لها زوج مرة فهي قد سمعت الطلاق فليست كأخرى لم تسمعه، ويقال المراسل التي قد تزوجت أزواجا. وقال آخر:

ألا أبلغ بني وهب رسولا ... بأن التمر حلو في الشتاء

عيرهم بأنهم أخذوا دية فاشتروا بها نخلا، أي اقعدوا وكلوا التمر ولا تطلبوا **بثأركم**.

وقال آخر:

فظل يضوز التمر والتمر ناقع ... بورد كلون الأرجوان سبائبه

الضوز الأكل بخفاء، هذا رجل أخذ دية، يقول فهو يأكل التمر بدم لأنه إنما يأكله بالدية، والأرجوان صبغ أحمر. و قال آخر:

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودعا

هؤلاء قوم أخذوا دية إبلا فعيرهم، وأراد النون الخفيفة في دعا و قال آخر:

كأن الذي أصبحتم تحلبونه ... دم غير أن الدر ليس بأحمرا

وقال آخر:

متى تردوا عكاظ توافقوها ... بآذان مسامعها قصار

أي بآذان مجدعة أي قد ذللتم وغلبتم فلم يكن عندكم انتصار ولا طلب **ثأر**.

ومثله قول أخت عمرو بن معدي كرب:

فمشوا بآذان النعام المصلم

وقال الأعشي:

قد نطعن العير في مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل

الفائلان عرقان عن يمين الذنب وشماله، يشيط يبطل دمه يقال شاط دمه إذا بطل وأصل الإشاطة الاحتراق

ويقال أشاط دمه إذا عرضه للقتل، ويروى: قد نخضب العير من مكنون فائله، قال: والفارس الحاذق يتعمد بالطعن في الخربة وهي نقرة في الورك فيها لحم ولا عظم فيها تنفذ إلى الجوف، يقول إنا بصراء بموضع الطعن، والفائل عرق يخرج من الجوف في الخربة فيجري في الفخذ، ومكنون الفائل دمه، ومن أنشد: قد نطعن العير فقد أخطأ كيف يطعنه في الدم، ويشيط يهلك، والأصل في الإشاطة الاحتراق. وقال الراعي:

وأزهر سخي نفسه عن تلاده ... حنايا حديد مقفل وسوارقه

أزهر رجل أبيض أسرناه فسخت نفسه عن تلاده، حنايا حديد ما عطف من الحديد عليه فاوثق به، وسوارقه يعني الأقفال، يريد أنه فدى نفسه. وقال آخر:

هم قتلوا منكم بظنة واحد ... ثمانية ثم استمروا فأرتعوا

يقول اتهموكم بقتل رجل منهم فقتلوا منكم ثمانية به، ثم أرتعوا إبلهم آمنين لا يخافون منكم غيرا. وقال الحطيئة:

قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم ... مجدا تليدا ونبلاً غير أنكاس." (١)

"ناضلوك راموك، وهذا مثل أي فاخروك فرجحوا عليك بآبائهم وأجدادهم، والنكس هو أن يجعل أعلاه أسفله حين ينكسر، الأصمعي – وقال: المجد هاهنا كان الرجل في الجاهلية إذا أسر الرجل جز ناصيته وخلي سبيله وصير ناصيته في كنانته ثم أخرج الناصية عند الفخار فيقول: هذه ناصية فلان. وقال الراعي:

ومغتصب من رهط ضبعان يشتكي ... إلى القوم أعضاد المطي الرواسم

أي أسر وجنب فهو يشتكي أعضادها لأنه قد شد إليها.

تجول به عيرانة عند غرزها ... جنيب أقادته جريرة جارم

أقادته جعلته منقادا وقال الطرماح:

إذا الجبلان استتليادين معشر ... على الناس كان الدين أحلام باطل

يعني جبلي طيء أجأ وسلمى، استتليا من التلية والتلاوة ويقال تتليت حقي أي تتبعته، يريد صار دين لمعشر من الناس يريد دما يطلب به كان ذلك الدم باطلا أي مطلولا بعز طيء وامتناعها. وقال:

كم من كريم عظيم الشأن من مضر ... ومن ربيعة نائي الدار والنسب

قدراح زيد إلى الهطال جانبه ... مواشكا للمطايا طيع الخبب

يعني زيد الخيل والهطال فرسه، يقول كم من كريم قد أخذه زيد فقرنه بحبل ثم ذهب به إلى الهطال يجنبه. وقال

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٥

آخر وهو جرير:

وما بات قوم ضامنين لنا دما ... فتوفينا إلا دماء شوافع

أي دمان من غيرنا بدم واحد منا. وقال الأخطل:

وإذا المئون تووكلت أعناقها ... فاحمل هناك على فتى حمال

أعناقها جماعاتها يقال عنق من الناس أي جماعة، والمئون من الإبل، تووكلت أي اتكل بعضها على بعض فيها. وقال آخر:

وقالوا ربوض ضخمة في جرانه ... واسمر من جلد الذراعين مقفل

يقال شجرة ربوض أي ضخمة وهي هاهنا سلسلة، والجران العنق هاهنا، وأسمر يريد القد، مقفل يابس، يقال أقفله الصوم أي أيبسه وخيل قوافل أي ضوامر يبس. وقال الفرزدق:

وإني لأخشى أن يكون عطاؤه ... أداهم سودا أو محدرجة سمرا

اداهم قيود، ومحدرجة سمر سياط من القد. وقا ل الأعشى:

يقوم على الوغم في قومه ... فيعفوا إذا شاء أو ينتقم

الوغم الترة والذحل، يقوم عليه في قومه أي يطالب فإذا قدر فهو بالخيار إن شاء عفا وإن شاء انتقم. وقال أبو زبيد:

من دم ضائع تغيب عنه ... أقربوه إلا الصدى والجبوب

الصد ى ذكر البوم، والجبوب الحجارة، استثنى الصدى والجبوب من الأقربين وليسا منهم. وقال المرار بن سعيد الفقعسي:

ونحن جنبنا السمهري إليهم ... يطيع القرين مرة ويجاذبه

القرين الحبل، يريد أنه موثق. وقال آخر أبو خراش الهذلي:

فمن كان يرجو الصلح منهم فإنه ... كأحمر عاد أو كليب لوائل

وصف قتيلا فقال: من كان يرجو الصلح من أولئك الذين قتلوا فإن هذا القتيل في الشؤم كأحمر ثمود الذي عقر الناقة أو كشؤم كليب لابني وائل يعني الذي هاجت لمقتله الحرب بين بكر وتغلب، يريد أن الصلح لا يتم. وقالت ليلى الأخيلية:

إلى الخيل أجلي شأؤه، عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر

تريد: فيها وفاء لعاقرها. تريد: عقيرة ما هي من عقيرة – على جهة التعجب.

فالايباوئه السليل نقم لكم ... من الدهر يوما ورده غير صادر

السليل بن ثور بن أبي سمعان العقيلي، يباوئه من البواء وهو التساوي في القصاص، نقم لكم يوما من الشر من ورده لم يصدر عنه، تريد أنه يقتل.

وإن تكن القتلى بواء فإنكم ... ما قتلتم آل عوف بن عامر

تقول إن تكن القتلى متساوية في القصاص دم بدم فأي فتى قتلتم – على جهة التعجب.

وقال قيس بن الخطيم:

ثأرت عدياً والخطيم فلم اضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

تقول ثأرت فلانا – وبفلان إذا قتلت قاتله وثأرك هو الرجل الذي أصاب حميمك والمصدر الثؤرة يقال أدرك فلان ثؤرته، وأنشد عن أبي عمرو:

قتلت به ثأري فأدركت ثؤرتي

جعلت إزاءها أي القيم بها، يقال هو إزاء مال أي يقوم به وأنشد:

ولكني جعلت إزاء مال ... ف أبخل بعد ذلك أو أنيل

وقال يزيد بن الصعق:." (١)

"بإصر يقولن حميري لقومه ... أو ابن أبير أو يقولن عاصم

متى عقلت عليا هوازن مذحجا ... كأنا بنو أم اليك توائم

الأصمعي: أسر ابن بو وهو رجل من تميم رجلا من طوائف مذحج فاستودعه يزيد بن الصعق فأطلقه يزيد وقال: قد أفلت مني، فقال ابن بو: أردد إلي أسيري أو هات فداءه، فقال يزيد هذا الشعر، وحميري الذي ذكر رجل من بني رياح، وابن أبير تميمي أيضا، وعاصم أبو قيس بن عاصم المنقري، يقول: باصر يقولن هؤلاء متى أخذت هوازن بفعل مذحج ثم تعجب فقال: كأنا بنو أم إليك – بمعنى عندك في حكمك، وبقوله: يقولن، أراد ليقولن فأضمر اللام، وقال سحيم بن وثيل الرياحي:

وإني لا يعود إلي قرني ... غداة الغب إلا في قرين

غداة الغب إذا غمزه وثبت معه يوما وليلة لم يصبر فلا يعود إليه أبدا إلا وهو مقرون أي أسير مربوط، وقوله:

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٦

إلا في قرين أي إلا مع قرين قد قرن إليه من الأساري.

وقال آخر وهو الحطيئة:

غضبتم علينا أن قتلنا بما لك ... بني مالك ها ان ذا غضب مطر

أبو عبيدة: يقال جاء فلان مطرا أي مستطيلا مدلا. وقال ابن مقبل:

ونحن قتلنا القوم ليلة أجحمت ... هلال وقالوا: حرزوا وانظروا غدا

حرزوا أسراكم أي اعتقوهم وانظروا غدا أي حسن المقالة غدا أي انظروا في العواقب.

وقال كعب بن زهير:

صبحنا الخزر جية مرهفات ... أبار ذوي أرومتها ذووها

فما عتر الظباء بحي كعب ... ولا الخمسون قصر طالبوها

ذووها أي ذوو السيوف، عتر ذبح من العتيرة وهي الذبيحة في رجب، يقول لم تعتر الظباء ولكن عترت الرجال، ولا الخمسون قصر طالبوها - قالوا لا نقتل إلا خمسين ليس فيهم أعور ولا أعرج. وقال المرار الفقعسي:

وأنت رهين بالحجاز مخالف ... بجون سري دهم المطي ومايسري

وقال الجعدي، ويقال هو لأبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... سيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يقال في تفسيره إن المكارم أن تطلب بثأرك حتى تدركه وليس بأن تأخذ إبلا فتشرب ألبانها. ويقال: بل تفسيره ما عدد في الشعر لا لبن يشرب ويسقاه الناس. وقال عدي وذكر النعمان:

جاءني من لديه مروان إذ قفي ... ت عنه بخبر ما أحذاني

بافال عشرين قحمها الصع ... ب بحسن الإخاء والخلان

لاصفايادهم فأسمنها الرسا ... ل ولا جلة قطيع هجان

الإفال القيود، قحمها أدخل بعضها في بعض، يقال قحمها في رجله، وكان النعمان يسمي الصعب لصعوبته في ملكه، بحسن الإخاء أي جعل ذلك مكافأة لحسن الإخاء ومكافأة للخلان، يهزأ به: أي كانت تلك مكافأته إياي بإحساني، قال خالد: بل أراد بالإفال صغار الإبل قحمها الصعب وهو رجل يسوقها، ومن ذهب هذا المذهب أراد أن عديا استقل ما بعث به ولم يرضه. وقال:

إن ابن أمك لم ينظر قفيته ... لما توارى ورامى الناس بالكلم

قفيته كرامته يقال هو يقفي بكذا أي يؤثر به ويكرم أي لم ينظر لكرامته لما توارى أي لما حبس إنما أخر ليقتل، ورامي الناس بعضهم بعضا بالكلم في أمره. وقال يزيد بن الصعق:

أساور بيض الدارعين وأبتغي ... عقال المئين في الصباح وفي الدهم

أي آخذ برؤوس الفرسان وأعانق، أبتغي عقال المئين أي الفرسان الذين فداؤهم مائة، وأصله أن يقال: فلان قيد مائة أي إذا أسر فمائته مقيدة عند صاحبه. وقال الراعي:

وكان لها في أول الدهر فارس ... إذا ما رأى قيد المئين يعانقه

وقال آخر:

لعلك يوما إن أثرت خلية ... بجذمورما أبقى لك السيف تغضب

هذا رجل قطعت يده فأخذ ديتها، ويروي: بجذماء فيها ضربة السيف.

وقال أعرابي أسر يحرض قومه على فكاكه:

نطحن بالرحا شزرا وبتا ... ولو نعطي المغازل ماعيينا

ونصبح بالمغداة اتر شيء ... ونمسي بالعشي طلنفجينا

الشزر إدارة الرحا على غير جهتها والبت على جهتها، والطلنفح الكال المعي.

وقال الفرزدق في يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج:." (١)

"رأيت ابن دينار يزيد رمي به ... إلى الشأم يوم العنز والله شاغله

بعذراء لم تنكح حليلا ومن تلج ... ذراعيه تخذل سأعدبه أنامله

وثقت له بالخزي لما رأيته ... على البغل معدولا ثقالا فرازله

يوم العنز أراد حتفه - كما قال:

وكنت كعنز السوء قامت لحتفهاإلى مدية مدفونة تستثيرها عذراء جامعة، وفرازله كبوله. أنشد الرياشي:

فإن تقتلوا أوسا كريما فإنني ... جعلت أبا سفيان ملتزما رحلى

أي أسرته. وقال حميد بن ثور وذكر رجلا يمدحه:

تلافي مهمات الحمالة كلما ... اريحت بأيدي الجار مين الجرائر

تلافى تدارك أي تحمل الحمالات، أريحت الجرائر أي ردت عليكم جرائر الجار مين فأدوا إلى أهلها، والعرب

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٧

تقول: أرح عليه حقه أي أده إليه. وقال آخر:

لتبك على الجحاف عين مريضة ... وصما عما ساءها وهي تسمع

ومستشعرون الثأر دون ثيابهم إذا ... هتفت ورقا يوما تقنعوا

يعني أنها ذلت بعد قتل الجحاف فإن سمعت كلاما يسوءها صمتت، ومستشعرون الثأر أي لم يدركوه ولم يطلبوه فهو لهم شعار وهو ما ولى الجلد من الثياب فإذا هتفت ورقاء أي حمامة فأذكرتهم الجحاف ببكائها تفنعوا خزاية.

البيض والدروع

قال لبيد:

فخمة ذفراء ترتى بالعرى ... قردما نيا وتركا كالبصل

فخمة كتيبة عظيمة، ذفراء منتنة الريح من الحديد، ترتي بالعري أي تشد الدروع بالعري فيها حتى تقصر وذلك أنها طوال، والقر - دماني الدروع وهو فارسي " أصله كردماند " أي عمل فبقى، والترك البيض، كالبصل في بياضه، وكانوا يجعلون في الدرع عروة ثم تقلص بها حتى تخف على الراكب.

أحكم الجنثي من عوراتها ... كل حرباء إذا أكره صل

أحكم - على هذا الأعراب - من الإحكام للصنعة، والجنثي هو الزراد، والعورات الفتوق واحدها عورة، والحرباء المسمار في حلق الدرع، إذا أكره ليدخل في الحلق سمعت له صليلا وقال الأصمعي:

أحكم الجنثي من عوراتها ... كل حرباء إذا أكره صل

وقال: الجنثي السيف هاهنا، وأحكم منع السيف كل حرباء فلم يصل السيف إليه - وأنشد:

ولكنها سوق يكون بياعها ... بجنثية قد احكمتها الصياقل

يعني سيوفا وأحكم على مذهب الأصمعي منع ورد، ومنه سميت حكمة الدابة لأنها تمنعها من كثير من الطماح، ويقال أحكم فلانا عن كذا. وقال لبيد أيضا:

إذا ما اجتلاها مأزق وتزايلت ... وأحكم أضغان القتير الغلائل

مأزق مضيق في الحرب، تزايلت تفرقت مساميرها، والقتير رؤوس مسامير الدروع، والأضغان ما تزايل من المسامير ولم يلتئم، والغلائل ما غل أي دخل في المسامير من الحلق - الواحد غليل ومغلول، فهذه أحكمت المسامير. وقال الكميت:

علينا كالنهاء مضاعفات ... من الماذي لم تؤذ المتونا

النهاء الغدران واحدها نهي، لم تؤذ لم تثقل متون الأفراس، وصفها بالرقة والخفة.

وقال عمرو بن كلثوم:

علينا كل سابغة دلاص ... ترى فوق النطاق لها غضونا

دلاص لينة، سابغة واسعة، غضون تشنج وإنما تشنجت فوق النطاق لطولها.

علينا البيض واليلب اليماني ... وأسياف يقمن وينحنينا

اليلب بيض يعملونها من أنساع تعرض النسعة ويخرز بعضها إلى بعض.

وقال النابغة يذكر كتيبة:

فصبحهم بها صهباء صرفا ... كأن رؤوسهم بيض النعام

صهباء في لونها: صرفا خالصة، وشبه البيض على رؤوسهم ببيض النعام.

وقال سلامة بن جندل في مثله:

كأن النعام باض فوق رؤوسهم ... بروض القذاف أو بروض مخفق

وقال أيضا:

كأن نعام الدوباض عليهم

وقال النابغة:

وكل صموت نثلة تبعية ... ونسج سليم كل قضاء ذائل

صموت درع لينة إذا صبت لم يكن لها صوت. ونثلة واسعة، وقضاء حديثة العهد بالعمل خشنة المس ومنه أقض على مضجعي أي أخشن والقضة حصى صغار، والذائل الواسعة، وسليم يريد سليمان عليه السلام.

وقال آخر وهو الحطيئة:." (١)

"ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

حبائله مبثوثة بمسيله ... ويفني إذا ما أخطأته الحبائل

النحب النذر، وحبائله مناياه يعني أنه يهرم إن لم يأته الموت في شبابه، ومنه قيل للشيخ الكبير: فإن أي هرم.

وقال لبيد:

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٤٨

قضيت لبابات وسليت حاجة ... ونفس الفتى رهن بقمرة مؤرب

المؤرب المقامر، يقال آربت على القوم أي فلجت، أي نفس الفتى محتبسة للموت.

وقال يرثي:

من فقد مولى تصور الحي جفنته ... أو رزء مال ورزء المال ينجبر

تصور تعطف.

والنيب إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات فإني كنت أثئر

النيب المسان من النوق، أي إن تلم مني بعظم بال فتأكله بعد مماتي فإني كنت أنحرها، وأثئر افتعل من الثأر، والإبل تأكل العظام أي تملح بها بعد الخلة وهو نبت حلو.

وقال يرثي أربد أخاه:

وأيقنت التفرق يوم قالوا ... تقسم مال أربد بالسهام

تطير غدائد الأشراك شفعا ... ووترا والزعامة للغلام

الغدائد الفضول، ويروي: عدائد، أي ما يعد من الميراث، تطير تفرق. وقال الأعشى:

وأحمدت إذ نجيت بالأمس صرمة ... لها غددات واللواحق تلحق

وقوله شفعا ووترا أي للغلام سهمان وللجارية سهم، والأشراك واحدها شرك وهي الأنصباء، والزعامة للغلام يقول إذا مات الرجل صارت رئاسة لابنه دون الإناث، والزعيم الرئيس.

وقال: أي لبيد يرثيه:

فجعني الرعد والصواعق بال ... فارس يوم الكريهة النجد

يعفو على الجهد والسؤال كما ... أنزل صوب الربيع ذو الرصد

وكان أربد أصابته صاعقة، يعفو يجم ويزيد على السؤال كما يجم الماء يقال عفا شعره إذا كثر، والرصد جمع رصدة وهي المطرة تكون أولا لما يأتي بعدها كالعهد كأنها ترصد مطرا، أراد أنه يعطي عطية ويرصد بأخرى.

وقال يذكر موتى:

ويمشون أرسالا ونلحق بعدهم ... كما ضم أخرى التاليات المشايع

المشايع الداعي يزجر إبله حتى يلحق أولها آخرها.

وقال الفرزدق:

فألق اسـتك الهلباء فوق قعودها ... وشايع بها واضمم إليك التواليا

وقال آخر:

فلم أر عاما كان أكثرها لكا ... ووجه غلام يستري وغلامه

المعنى وأكثر هلاك وجه. يستري يختار. وقال:

لقد ظفرت عيني بطول بكائها ... على ابن زهير إذ ثوى في المقابر

ظفرت من الظفرة وهي لحمة تخرج في العين. وأنشد:

هل لك في عجيز كالحمرة ... بعينها من البكاء ظفره

وقال أبو زبيد يرثي عثمان بن عفان وذكر قبره:

على جنابيه من مظلومة قيم ... تبادرتها مساح كالمناسيف

جنابيه جانبيه، مظلومة أرض حفرت ولم تحفر قبل، قيم جمع قامة من التراب، والمساحي جمع مسحاة.

لها صواهل في صم السلام كما ... صاح القسيات في أيدي الصياريف

أي للمساحي أصوات إذا وقعت في الحجارة وهي السلام كأصوات الدراهم الستوقة إذا انتقدها الصياريف.

كأنهن بأيدي القوم في كبد ... طير تكشف عن جون مزاحيف

شبه المساحي في أيدي القوم يحفرون القبر بطير على إبل مزاحيف وهي المعيية. وإنما جعلها جونا لأنهم حفروا له في الحرة فشبه الحرة بابل سود، في كبد في شدة، ومنه لقد خلقنا الإنسان في كبد.

وقال وذكر القبر.

مقرمد ما علوا منه بقنطرة ... زادا من الزاد غثا غير مظلوف

ما علوا في معنى الذي علوا منه بقنطرة وقد قرمدوه، غير مظلوف يقول هذا من الزاد ليس بممنوع من جميع الخلق، ويقال منه اظلف نفسك عن كذا أي امنعها لأن ما يتزوده الميت قليل.

ثمت زكوا بما علوا وما حفروا ... حملا على الكوم حمال التكاليف

الكوم التراب المجموع.

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر ... كراقب العون فوق القنة الموفي

الأمر الحجارة، والعون جماعة عانة، والقنة دون الجبل، شبه ما جمع على قبره من الحجارة بحمار عانة قد أوفى

على قنة ينتظر مغيب الشمس فيرد الماء.

أعثم قد حذرت نفسي فما ملكت ... إصفاق دار بعيد الألف مألوف." (١)

"يقال أصفقت بك الدار أي ذهبت بك يعني دار المنية، يريد إصفاق دار مألوف بعيد الألف يعني عثمان، أي كان مألوفا ثم صار بعيد الألف.

وقال أبو زبيدة يرثي قتيلا:

خارج ناجذاه قد برد المو ... ت على مصطلاه أي برود

الناجذ آخر الأضراس، ومصطلاه يداه ورجلاه من اصطلاء النار، وبرود الموت عليهما إن الأطراف منهما تصفر.

قال لبيد:

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقال يذكره:

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد ثناهم بعديد

أي قد استلحمه القوم، يريد أحاطوا به ولم يرد أن يكون عند أنفسهم أنه لحمة لهم، وإن دنوا منه رجعوا وقد ردهم بثأر ثان يعدونه مع الأول. وقوله:

صاديا يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عصرة المنجود

العصرة الملجأ، والمنجود المكروب.

وقال الكميت يرثي:

كأن أكف الناس إذ بنت عطفت ... عليها حثاة القبر ذات الرواعد

يريد ماتت العطايا حيث مت: والرواعد صوت التراب في القبر حين دفن. وقال مدرك بن حصن الأسدي:

بكى جزعا من أن يموت وأجهشت ... إليه الجرشي وارمعل خنينها

أجهشت ارتفعت، والجرشي النفس، الأصمعي: بكاء جشب وازمعل تتابع. وأنشد:

وليلة طخيا يرمعل ... منها على الساري ندى مخضل

والخنين بكاء لا يفصح به من الأنف، والخنة من الأنف.

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٩١

وقال متمم بن نويرة للذي جاء بنعي أخيه:

وآثرت هدما باليا وسوية ... وجئت به تعدو بشيرا مقزعا

مقزعا خفيفا وكل مخفف مقزع وأصله من القزع في السحاب، والهدم الخلق، والسوية البرذعة.

وقال الراعي:

وللمنية أسباب تقربها ... كما تقرب للوحشية الذرع

واحدها ذريعة وهو بعير يستتر به الرامي فإذا قربت الوحش رماها.وقال:

أحار بن عبد للدموع البوادر ... وللجد أمسى عظمه في الجبائر

قوله للجد كقولك: لجده أصابه هذا، والجبائر ما يشد على الكسر من الخشب. وقال طرفة:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد

يقول هو مثل حبل أرخى وثنياه في يد متى شاءت جرته.

وقال الجعدي:

سألتني هلكوا ... شرب الدهر عليهم وأكل

الباء في معنى عن، وقوله شرب الدهر عليهم أي شرب الناس بعدهم وأكلوا وليس يريد بهذا الدهر، أراد سألتني عن أناس. ومثله:

دع المغمر لا تسأل بمصرعه ... واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

أي عن مصقلة. وقال متمم بن نويرة:

فلما تفرقنا كأني وما لكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

معنى لطول مع طول اجتماع، يقول إذا مضى فكأنه لم يكن.

وقال النمر بن تولب يرثي أخاه:

تضمنت أدواء العشيرة بينها ... وأنت على أعواد نعش تقلب

كأن امرءا في الناس كنت ابن أمه ... على فلج من بحر دجلة مطنب

يقول تضمنت ما كان في العشيرة من الداء أو فساد حين كنت فيهم وأنت اليوم على نعش تقلب، والفلج النهر، من بحر دجلة أي من سعة دجلة، مطنب مبعد.

وقال العجاج وذكر إفاقته من مرضه:

بعد اللتيا واللتيا والتي ... إذا علتها أنفس تردت

اللتيا تصغير التي، يقال للشيء إذا جاء بعد عسر جاء بعد اللتيا والتي، إذا علتها أنفس هذا مثل أي بعد عقبة من عقاب من عقاب الموت تردت سقطت وهلكت.

أوعظة إن نفس حر بلت ... أو طلبت بالجهد ما قد ألت

يقول هذه المرضة عظة إن نفس حر برأت، يقال بل وأبل إذا برأ، أو طلبت النفس بالجهد ما قد آلت أي أضعفت فيه، يقال ألا – خفيف – أي ترك الجهد وقصر. وقال الجعدي:

ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الأله هو المستآسا

أي المستعاض يريد يسأل العوض وهو الأوس، يقال أسته أوسا إذا أعطيته. وقال ابن أحمر:

أو ينسأن يومي إلى غيره ... إني حوالي وإني حذر

ينسأن يؤخر، الحوالي فعالي من الحيلة.

وقال أبو كبير يرثي قوما:

هاجوا لقومهم السلام كأنهم ... لما أصيبوا أهل دين محتر

أي محكم، يقول ثبتوا على الصلح كما ثبت هؤلاء على دينهم.

وقال خداش بن زهير:." (١)

"شبابي فأضحى للشباب حفيظة ... لمن كان عن طول الغواية نازعا

فلله ما قد كان بعد ذهابه ... وبعد قناع الشيب ما ليس نافعا

يقول فعلت ذلك في شبابي فأضحى للشباب غضب على من نزع عن الجهل، فلله ما قد مضى بعد مضيه وبعد مجيء الشيب ما كان أعجبه!!.؟ وقال أبو ذؤيب:

وقد أرسلوا فراطهم فتأثلوا ... قلبيا سفاها كالأماء القواعد

مطأطأة لم ينبطوها وإنها ... لترضى بها فراطها أم واحد

فراطهم الذين سبقوا إلى القبر: تأثلوا اتخذوا قبرا، والسفا التراب وأنث سفاها أراد حفرة كأن ترابها إماء قواعد لأن الأمة تقعد مستوفذة للعمل، والحرة تربع وتطمئن، يقال: بل أراد بالقواعد جمع قاعد وهي الطاعنة في السن، مطأطأة يعني الحفرة، لم ينبطوها لم يستخرجوا ماءها لأنها قبر وإن حافريها يرضون أن تكون أما لواحد.

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٩٢

يقولون لما جشت البئر أوردوا ... وليس بها أدنى ذفاف لوارد
جشت أخرج ما فيها من التراب، والذفاف الماء القليل، يقول ليس هي بمكان يستقي منه الماء إنما هي قبر.
فكنت ذنوب البئر لما تبسلت ... وسربلت أكفاني ووسدت ساعدي
الذنوب الدلو، أي كنت كالدلو لما دليت ودفنت، وتبسلت كره منظرها. وقال ساعدة بن جؤية:
إذا ما زار مجنأة عليها ... ثقال الصخر والخشب القطيل
مجنأة يعني قبرا مسنما، والقطيل المقطوع.
وقال صخر الغي:
لعمرك والمنايا غالبات ... ولا ينهي طوارقها الحماما
الطوارق هم الطراق بالحصى الذين يتكهنون، أي لا يدفعون ما حم أي ما قدر. وقال يذكر ابنه ويرثيه:
لعلك ميت إما غلام ... تبوأ من شمصير مقاما
يقول لنفسه أي لعلك ميت إن غلام مات فتنبوأ قبرا بشمنصير المعنى أتموت إن كان غلام قد مات، وما في قوله إما صلة.
وقال البريق يرثي رجلا رأى قبره:
فرفعت المصادر مستقيما ... فلا عينا وجدت ولا ضمارا
المصادر مواضع معروفة، يقول رفعت فيها فلم أره بعينه لم أجد من يخبر بغيبته، وإذا كان الشيء غائبا ليس بقائم بعينه فهو ضمار، ويقال هو في ضميري أي فيما غيبت.
أودع صاحبي بالغيب إني ... أراني لا أحس له حوارا
يقول وداعي له أن أدعو لقبره بالسقيا. وقال آخر:
وإنما الناس فاسعوا لا أبالكم ... أكائل الطير أو حشو لآرام
يقول إما مقتول لا يدفن فتأكله الطير أو مدفون، وكان الرجل إذا مات بنى على قبره مثل العلم، وواحد الآرام أرم، والأكولة شاة اللحم التي تؤكل. وقال آخر:
فإنك والتأبين عروة بعد ما ... دعاك وأيدينا إليه شوارع
كالرجل الحادي وقد تلع الضحى ... وطير المطايا فوقهن أواقع
يعني الغربان تقع على المتقدمات.

فوليت عنه يرتمي بك سابح ... وقد واجهت أذنيه منك الأخادع

التأبين الثناء على الميت، يقول حدا بالإبل وقد تباعد عنها فوقع الحداء في غير موضعه فكذلك أنت وضعت التأبين في غير موضعه.

وقال أبو الطمحان القيني:

فإني رأيت الدهر إن تكر لا ينم ... وإن أنت تغفل تلقه غير غافل

دنت حفظتي وخصف الشيب لمتي ... وخليت بالي للأمور الأثاقل

دنت حفظتي أي امتعضت من الذل والضيم، وقوله: خليت بالي للأمور الأثاقل - أي تركت الصبا للأمور العظام من احتمال جريرة ودفع ضيم عن قومي ووفادة إلى ملك.

وقال آخر:

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتقي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الذئب بثأر البهم

يعني الكبر، ويقال: الحمى. وقال الفرزدق:

وما من فراق غير حيث ركابنا ... على القبر محبوس علينا قيامها

يقول لا نتفرق بعد هذا المكان الذي نحن فيه وركابنا محبوس علينا قيامها، يعني ركاب أصحابه الذين شهدوا دفنه، يقول فليس بعد هذا الفراق غيره لأنا لا نجتمع.

وقال أوس بن حجر يرثي:

على الأروع الصقب لو أنه ... يقوم على ذروة الصاقب

لأصبح رتما دقاق الحصى ... كظهر النبي من الكاثب." (١)

"هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه.

فاستهوته الجن حينا، ثم ظهر فوجده مالك وعقيل فانتسب لهما فأتيا به جذيمة فسر به سرورا شديدا فحكما منادمته ندماء جذيمة.

قال متمم بن نويرة التيمي يرثي أخاه:

وعشنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن نتصدعا.

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٩٧

وقال أبو خراش الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تفرق قلبنا ... خليلا صفاء مالك وعقيل.

وأن أمه نظفته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق وأمرته بزيارة خاله، فلما رأى خاله لحيته والطوق في عنقه، قال: شب عمرو عن الطوق، وكانت الزباء قتلت خاله فأدرك عمرو وقصير ثأره فقتلاها.

الأكراد

تذكر العجم أن الأكراد فضل طعم بيوراسف وذلك أنه كان يأمر أن يذبح له كل يوم إنسان ويتخذ طعاما من لحومهما.

وكان له وزير يقال له أرمائيل، وكان يذبح واحدا ويستحيي واحدا ويبعث به إلى جبال فارس، فتوالدوا في الجبال وكثروا.

الخوز

ذكر الأصمعي، قال الخوز هم: الفعلة الذين بنوا الصرح لفرعون واسمهم مشتق من اسم الخنزير يقال لهم بالفارسية: خوك.

اليهود

إنما سموا يهودا لأنهم انتسبوا لبعض الملوك إلى يهودا بن يعقوب لأمر خافوه.

النصارى

سموا نصارى باسم القرية التي نزل فيها المسيح وهي ناصرة من أرض الخليل.

خولهم على يدي عدل

هو عدل بن فلان من سعد العشيرة، وكان على شرطة تبع فإذا غضب على رجل دفعه إليه فقال الناس: لكل شيء يخاف هلاكه هو على يدي عدل، ويقال إن عدل هو العدل بين يدي المتراهنين في الرهن، وإذا كان الشيء على يديه كان صاحبه على شرف غرم أو غنم، ومثله قولهم هو على خطر، والخطر ما يجعله المتقامران بينهما للقامر.

أكفر من حمار

هو رجل من بقايا عاد، وكان حمى موضعا من أرض عاد يقال له الجوف ونزله وكان فيه شجر وماء، وكان له بنون عشرة فماتوا كلهم فغضب وكفر كفرا عظيما، وقتل كل من وجده من المسلمين، فأقبلت نار من أسفل

الجوف بريح عاصف حتى أحرقت الجوف كله وأحرقته ومن كان معه، فأصبح الجوف كأنه الليل وغاض ماؤه وصار ملعبا للجن، وهابه كل من كان يسلكه فضربت العرب به المثل فقالوا: واد كجوف الحمار وواد كجوف العير. وقالوا: أكفر من حمار.

أحمق من دعة

قال اسمها مارية بنت ربيعة من عجل، وكانت عند جندب بن العنبر فولدت له عدي بن جندب وكانت حمقاء حسناء ولها في حمقها أخبار.

الطرة السكينية

هي تنسب إلى سكينة بنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما.

كتاب الملوك

ملوك اليمن

قال أبو محمد: كان يعرب بن قحطان صار إلى اليمن في ولده وأقام بها وهو أول من نطق بالعربية من ولد آدم وأول من حياه ولده بتحية الملوك: " أبيت اللعن وأنعم صباحا " ، واليمن كلها من ولده. وولد ليعرب يشجب بن يعرب وولد ليشجب سبأ بن يشجب، وكانت الملوك في ولده، ويقال: إنه سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان، فأول الملوك من ولده حمير بن سبأ ملك حتى مات هرما، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعد وملكهم اليمن ولا يغزو أحد منهم حتى مضت قرون وصار الملك إلى الحرث الرايش.

الحرث الرايش

وكان الحرث أول من غزا منهم وأصاب الغنائم وادخلها اليمن، وبين الرايش وبين حمير خمسة عشر أبا فيما يقال، وسمي الرايش لأنه أدخل اليمن الغنائم والأموال والسبى فراش الناس، وفي عصره مات لقمان صاحب النسور، ولقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستسقي لها، فخير بقاء سبع بقرات سمر من أظب أو عفر في جبل وعر لا يحسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك منها نسر خلف من بعده نسر، فاختار أعمار النسور، فكان آخر نسوره لبد وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد.

وقال لبيد بن ربيعة العامري:

لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل.." (١)

"وكان يقال لعمرو أبو شمر الأصغر. ومن ولده: المنذر بن الحرث والأيهم بن الحرث هذا أبو جبلة بن الأيهم، وجبلة آخر ملوك غسان وكان طوله اثني عشر شبرا، وكان إذا ركب مسحت قدمه الأرض، وأدرك الإسلام فأسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم تنصر بعد ذلك ولحق بالروم وكان سبب تنصره أنه مر في سوق دمشق فأوطأ رجلا فرسه فوثب الرجل فلطمه فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم سيدنا، فقال أبو عبيدة بن الجراح، البينة أن هذا لطمك. قال: وما تصنع بالبينة؟ قال: إن كان لطمك لطمته بلطمتك. قال: ولا يقتل. قال: لا. قال: ولا تقطع يده. قال: لا، إنما أمر الله بالقصاص فهي لطمة بلطمة. فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر، ولم يزل هناك إلى أن هلك.

ملوك الحيرة

أول ملوك الحيرة

مالك بن فهم

بن غنم بن دوس من الأزد: كان خرج من اليمن مع عمرو بن عامر مزيقياء حين أحسوا بسيل العرم، فلما صارت الأزد إلى مكة وغلبوا جرهم على ولاية البيت أقاموا زمانا ثم خرجوا إلى خزاعة، فإنها أقامت على ولاية البيت فصار مالك بن فهم إلى العراق، فأقام مالكا على العراق عشرين سنة ثم هلك.

جذيمة بن مالك الأبرش

وملك بعده ابنه جذيمة، وكان يقال له: الأبرش والوضاح لبرص كان به، وكان ينزل الأنبار ويأتي الحيرة ثم يرجع، وكان لا ينادم أحدا ذهابا بنفسه وينادم الفرقدين، فإذا شرب قدحا صب لهذا قدحا ولهذا قدحا وهو أول من عمل المنجنيق وأول من حذيت له النعال، وأول من رفع له الشمع. وكانت له أخت يقال لها: أم عمرو، وكان أخص خدمه به وأقربهم منه فتى من لخم يقال له: عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، ويقال: إن نصرا أباه هو نصر بن الساطرون ملك السريانيين صاحب الحصن، وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي، وكان جبير بن مطعم يذكر أنه من بني قنص بن معد بن عدنان وأنه زوج عدي بن نصر أخته أم عمرو وهو سكران وأدخله عليها فوطئها، فلما صحا ندم على ذلك وأمر بعدي فضربت عنقه، وحملت

---

(١) المعارف، ص/١٤٠

أخته بعمرو بن عدي فأحبه وعطف عليه، وأن الجن قد استهوته فعظم فقده عليه وجعل لمن أتاه به حكمه، فرده إليه بعد زمان مالك وعقيل واحتكما منادمته، فيقال: إنهما نادماه أربعين سنة وحدثاه فما أعادا عليه، فلما رداه طوقته أمه بطوق، فلما رأى خاله الطوق واللحية قال: شب عمرو عن الطوق، فذهبت مثلا. وخطب جذيمة الزباء وكانت بنت ملك الجزيرة وملكت بعد زوجها فأجابته، فأقبل إليها فلما دخل عليها قتلته فطلب عمرو ابن أخته وقصير غلامه بثأره فقتلاها وخلفا في بلدها رجلا ورجعا بالغنائم، فذلك أول سبي قسم في العرب من غنائم الروم، وكان ملك جذيمة ستين سنة.

عمرو بن عدي

وملك بعده عمرو بن عدي ابن أخته فعظمته الملوك وهابته لما كان من حيلته في الطلب بثأر خاله، حتى أدركه وكان ملكه نيفا وستين سنة.

امرؤ القيس

وملك امرؤ القيس بن عمرو بن عدي، ويقال: بل ملك الحرث بن عمرو بن عدي. ويقال: إنه هو الذي يدعى محرقا، وفيهم يقول الشاعر الأسود ابن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد أياد.

أرض الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد.

النعمان بن امرئ القيس

ثم ملك بعده النعمان بن امرئ القيس وكان أعور، هو الذي بني الخورنق وهو النعمان الأكبر. ويقال: أنوشروان بن قباذ هو الذي ملكه وأشرف يوما على الخورنق فنظر إلى ما حوله فقال أكل ما أرى إلى فناه وزوال، قالوا: نعم. قال: فأي خير فيما يفنى لأطلبن عيشا لا يزول، فانخلع من ملكه ولبس المسوح وساح في الأرض وهو الذي ذكره عدي بن زيد فقال:

وتدبر رب الخورنق إذ ... أشرف يوما وللهدى تفكير.

سره ماله وكثرة ما يمل ... لك والبحر معرضا والسدير.

فارعوى قلبه وقال فما غب ... طة حي إلى الممات يصير.

المنذر بن امرئ القيس

وملك أنوشروان بعده المنذر بن امرئ القيس أخاه وكانت أم المنذر من النمر بن قاسط يقال لها ماء السماء لجمالها وحسنها وأبوها عوف بن جشم.." (١)

"حبابة حب رمان أتيح لها ... وأحمر قطرته نفحة القطر
ولم تعد قضب السفاح نابية ... عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعة الروح الأمين على ... دم بفخ لآل المصطفى هدر
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره ... والشيخ يحيى بكأس الصاب والصبر
وأخفرت في الأمين العهد وانتدبت ... لجعفر بابنه والأعبد الغدر
ولا وفت بعهود المستعين ولا ... بما تأكد للمعتز من مرر
وأوثقت في عراها كل معتمد ... وأشرقت بقذاها كل مقتدر
وروعت كل مأمون ومؤتمن ... وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباس لعاالهمبذيل رياء من بيض ومن سمر
بني المظفر والأيام ما برحت ... مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت ... بمثله ليلة في غابر العمر
من للأسرة أو من للأعنة أو ... من للأسنة يهديها إلى الثغر
من للظبا وعوالى قد عقدت ... أطراف ألسنها بالعي والحصر
وطرزت بالمنايا السود بيضهم ... أعجب بذاك وما منها سوى الذكر
من لليراعة أو من للبراعة أو ... من للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثة أو دع رادفة ... أو قمع حادثة تعيي على القدر
ويح السماح وويح البأس لو سلما ... واحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية ... تعزي إليهم سماحا لا إلى المطر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا ... وكل ما طار من نسر ولم يطر
ثلاثة ما رأى العصران مثلهم ... فضلا ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة كذوات الدهر منذ نأوا ... عني مضي الدهر لم يربع ولم يحر

---

(١) المعارف، ص/١٤٦

ومر من كل شيء فيه أطيبه ... حتى التمتع بالآصال والبكر

أين الجلال الذي غضت مهابته ... قلوبنا وعيون الأنجم الزهر

أين الإباء الذي أرسوا قواعده ... على دعائم من عز ومن ظفر

أين الوفاء الذي أصفوا شرائعه ... فلم يرد أحد منها على كدر

كانوا رواسي أرض الله منذ نأوا ... عنها استطارت بمن فيه ولم تقر

كانوا مصابيحها فيها فمنذ خبوا ... هوى الخليقة يالله في شرر

كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع ... منه بأحلام عاد في خطا الخطر

ويل امه من طلوب الثأر مدركة ... منهم بأسد سواهم في الوغى صبر

من لي ومن لهم إن أظلمت نوب ... ولم يكن ليلها يفضي إلى سحر

من لي ومن لهم إن عطلت سنن ... وأخفيت ألسن الآثار والسير

من لي ومن لهم إن أطبقت محن ... ولم يكن وردها يدعو إلى صدر

على الفضائل إلا الصبر بعدهم ... سلام مرتقب للأجر منتظر

يرجو عسى، وله في أختها أمل ... والدهر ذو عقب شتى وذو غير

قرطت آذان من فيها بفاضحة ... على الحسان حصا الياقوت والدرر

سيارة في أقاصي الأرض قاطعة ... شقاشقا هدرت في البدو والحضر

مطاعة الأمر في الألباب قاضية ... من المسامع ما لم يقض من وطر

السلطان المعتصم بالله." (١)

"وأنشدونا له أيضا:

قالوا به صفرة عابت محاسنه ... فقلت ما ذاك من داء به نزلا

عيناه تطلب من ثأر بما قتلت ... فليس تلقاه إلا خائفا وجلا

وأنشدونا للفقيه الأجل المؤرخ صاحب الرحلة المذكورة، والتصانيف المشهورة، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، القاضي بمدينة بلنسية:

إن الذي أصبحت طوع يمينه ... إن لم يكن قمرا فليس بدونه

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٩

ذلي له في الحب من سلطانه ... وسقام جسمي من سقام جفونه

وممن اشتهر عندنا بالشعر والأدب، ونظم منه مثل. الدرر وصاغ سبيه الذهب، إلا أنه أفرط في الإقذاع في الهجو فهجر لهذا السبب:

أبو بكر يحيى بن سهل اليكي

ويكة بياء مثناة باثنتين من أسفل: حصن في جوف مدينة مرسية، على خمسة وأربعين ميلا منها، وتشتبه ببكة، بالباء بواحدة من أسفل. وهي على مقربة من جزيرة طريف على ساحل البحر الملح، رأيتها غيرر مرة.

فمن قوله في الغزل مما أنشدنيه جماعة من أصحابه:

وقائل فيم لم تهجع فقلت له ... كيف الهجوع بطرف نافر الوسن

لم يدر أن الكرى الممنوع عن بصري ... تلك السنات التي في مقلتي حسن

وله:

يوسف يا بغيتي وأنسي ... صيرني مغرما هواكا

ملكت قلبي وأنت فيه ... كيف حويت الذي حواكا

ومن قدماء شعراء صاحب الأندلس، أبي المطرف عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان:

يحيى بن حكم الغزال

القاعد على كيوان، شاعر ذلك الأوان؛ وقد اثبت له من قوله ما يشهد بإبداعه، وحسن تصرفه في المعاني واختراعه، وطول يده في الأدب وامتداد باعه. فمن قوله فيما ذكره تمام بن علقمة في تاريخه:

بعض تصابيك على زينب ... لا خير في الصبوة للأشيب

أبعد خمسين تقضيتها ... وافية تصبو إلى الربرب

كل رداح الردف خمصانة ... كالمهرة الضامر لم تركب

وفيه تشبيب حسن كثير اختصرناه لطوله، وقال في المديح منه:

من مبلغ عني إمام الهدى ... الوارث المجد أبا عن أب

أنى إذا أطنب مداحه ... قصدت في القول فلم أطنب

لا فك عني الله إن لم تكن ... أذكرتنا من عمر الطيب

وأصبح المشرق من شوقه ... إليك قد حن إلى المغرب
منبره يهتف من وجده ... إليك بالسهل وبالمرحب
أطربه الوقت الذي قد دنا ... وكان من قبلك لم يطرب
هفا به الوجد فلو منبر ... طار لوافي خطفة الكوكب
إلى جميل الوجه ذي هيبة ... ليست لحامي الغابة المغضب
لا يمكن الناظر من رؤية ... إلا التماح الخائف المذنب
كنا نعجب بقول البحتري ونستغربه في قوله لجعفر المتوكل:
فلو أن مشتاقا تكلف غير ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر
حتى إذا ر أينا قول الغزال، وعلمنا انه سبق إليه بزمانه، على أن البحتري استحقه أيضا بإحسانه، لأنه أتى بالمعنى في بيت واحد، واختصره اختصارا حسنا. كما أن قول الغزال:
لا يمكن الناظر من رؤية ... إلا التماح الخائف المذنب
حسن جدا في معنى الهيبة، وقد أخذه منهم محمد بن أبي الحسن، فقال و و أحسن، وزاد في المعنى وبين:
كأنا من الإجلال تحت غمامة ... نطأطي لها بالرعب كل الأحاين
كأنا قرفنا باجترام ومالنا ... لسان يقوينا بعذر مباين
ولبعض أهل البلاد من قصيد يمدح به أمير المسلمين عليا:
أراك ملأت الخافقين مهابة ... لها ما تليح الشهب في الخفقان
وتغضى العيون عن سناك كأنها ... تقابل منك الشمس في اللمعان." (١)
"مثل حالي حقها أن تشتكي ... كمد اليأس وذل الطمع
غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من فرط الجوى
خافق الأحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى ... ماله يبكي لما لم يقع
ما لعيني شغفت بالنظر

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب، ص/٣٦

أنكرت بعدك ضوء القمر

فإذا ما شئت فاسمع خبري

عشيت عيناي من طول البكا ... وبكى بعضي على بعضي معي

الشغاف:حجاب القلب؛ وقيل: سويداؤه؛ وهو الشغف أيضا، بالعين المهملة.

قال الله العظيم: (قد شغفها حبا). وشغفة القلب: أعلاه، وهو معلق النياط. قال أبو عبيد: المشغوف: الذي بلغ حبه شغاف قلبه؛ وبالعين المهملة: الذي خلص الحب إلى قلبه فأحرقه.

وكان شيخنا الوزير أبو بكر - رحمه الله - بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين. كان يحفظ شعر ذي الرمة، وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سمو النسب، وكثرة الأموال والنشب صحبته زمانا طويلا، واستفدت منه أدبا جليلا. واستجزته في جميع تصانيف أسلافه وتصانيفه، وجميع شعره ونثره وتواليفه.

ومن شعره:

وموسدين على الأكف خدودهم ... قد غالهم نوم الصباح وغالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم كيف تطلب ثأرها ... إني أملت إناءها فأمالني

ومن شعره:

رمت كبدي أخت السماك فأقصدت ... ألا بأبي رام يصيب ولا يخطشي

قريبة ما بين الخلاخل إن مشت ... بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى ... كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطي

سألته رحمه الله عن مولده فقال: ولدت سنة سبع وخمسمائة. وبلغتني وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة وأنشدني الوزير الكاتب أبو الحكم علي، ابن الوزير الأعلى أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل بن عبد العزيز بن هارون اللخمي قال: أنشدني أبي لنفسه:

قد هززتاك في المكارم غصنا ... واستلمناك في النوائب ركنا

ووجدنا الزمان قد لان عطفا ... وتأتى فعلا وأشرق حسنا

فإذا ما سألته كان سمحا ... وإذا ما هززته كان لدنا

مؤثرا أحسن الخلائق لا يع ... رف ضنا ولا يكذب ظنا

أنت ماء السماء اخصب واد ... يه ورفت رياضه فانتجعنا

نزعت بي إلى ودادك نفس ... قلما استمتعت بذي الفضل خدنا

وأنشدني له وقد ودع ......

في ذمة المجد والعلياء مرتحل ... فارقت صبري مذ فارقت موضعه

ضاءت به برهة أرجاء قرطبة ... ثم استقل فسر البين مطلعه

والوزير أبو الحكم هذا يعرف أبوه بابن المرخي. وصوابه عند أهل النحو: المرخي، بفتح الخاء. وهو من أهل قرطبة، وأصلهم من شرانة، قرية من قرى شريش شذونة. وكان أبوه بذ أهل وقته في الكتابة والأدب، واللغة وأنساب العرب؛ وكان وزيرا جليلا بوزارة السلاطين بقرطبة، وكان ينتفع به الناس لحسن وساطته، ومبادرته إلى قضاء حوائج الناس ومشاركته.

أخذت عن ولده الوزير: أبي الحكم جميع ما رواه عن أبيه وعن غيره من أشياخ قرطبة، منهم ابن عمه الوزير الكبير أبو جعفر بن عبد العزيز. وأخذت عنه استدراكه على الوزير أبي عبيد البكري في معجم ما استعجم، وذلك نحو من أربعمائة موضع. وسمعت من لفظه أوهام ابن قتيبة في المعارف. وصحبته كثيرا، وأخذت عنه فضلا غزيرا، واستجزته في جميع ما رواه، وألفه، فأجاز لي ولأخي الحافظ أبي عمرو. وسألته عن مولده، فقال: ولدت آخر سنة تسع عشرة وخمسمائة. وتوفي رحمه الله بحضرة مراكش سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وشهدت جنازته.

وصاحب أحكام القضاء بمدينة مالقة، الفقيه العالم: أبو الحسن صالح بن عبد الملك.

ابن سعيد الأوسي." (١)

" (الرمل)

(ويشوم الغشم والبغي قديما ... ما خلا جوف ولم يبق حمار)

٣٧٨ - اخرق من امة

٣٧٩ - ٠٠من حمامة : قد مرت قصتها في فصل الهمزة مع الحاء

٣٨٠ - ٠٠من صبى

---

(١) المطرب م ن أشعار أهل المغرب، ص/٥٩

٣٨١ – ٠٠من ناكثة غزلها : هي ام ريطة القرشية المعنية بقوله تعالى (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا)

٣٨٢ – اخزى من ذات النحيين : من الخزي او من الخزاية وهذه امرأة من تيم الله بن ثعلبة اتاها خوات بن جبير الأنصاري في الجاهلية يبتاع منها السمن ففتح نحيا فلم يرضه فأمسكته بيدها ففتح الأخرى فذاقه وأمسكته باليد الأخرى ففجر بها ولم تدفعه خوفا على السمن ويحكى ان ام الدرداء العجلانية طلبت بثأرها فشغلت يدى بايع سمن بسوق يسمى خربة باليمامة وبزقت فى استه وصفنتها بقدمها صفنات وكانت تقول يا لثأرات ذات النحيين يا لثأرات النساء عند الرجال يا لثأرات الهذلية عند خوات وعن ." (١)

" الهمزة مع الزاى

٥٨٠ – إزددت رغما ولم تدرك وغما : الرغم الذل والوغم الثأر يضرب مثلا لمن يسعى في امر فلا تنجح مسعاته ولا يخرج منه سالما كما أخذ فيه

٥٨١ – ازكن من إياس : اي أفطن رأى اثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير اعور فكان كما قال فقيل له من أين قلت فقال لأني وجدت اعتلافه من جهة واحدة وسمع نباح كلب فقال هذا كلب مربوط على شفير بئر لأن لنباحه دويا من مكان واحد وبعده صدى يجيبه فكان كما قال وهو إياس بن معاوية المزني تولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز سنة وقد كسر المدائني على نوادره كتابا سماه زكن إياس

٥٨٢ – إزلام المعيدي ونفر : اى ارتفع وأصله أن مياد بن حن ابن ربيعة نافر رجلا من اليمن فتحاكما الى حكم عكاظ فقال الحكم ذلك وقضى لمياد على اليمانى يضرب للمبهوت المغلب ." (٢)

" ليقول أنتم مقيمون لا تطلبون بثأركم

٨٣٠ – اصبرا ولضبي : قتل شتير بن خالد ابنا لضرار بن عمرو الضبي ثم اسره ضرارا فقال له اختر خلة من ثلاث ترد علي ابنى قال قد علمت أني لا أحيي الموتى قال فتدفع إلى ابنك فأقتله بابني قال لا يرضى بنو عامر بأن يدفعوا فارسا مقتبلا بشيخ أعور هامه اليوم أو غد قال فأقتلك قال أما هذه فنعم فأمر ابنه أدهم أن يقتله فنادى شتير يا لعامر اصبرا ولضبي يريد أأصبر صبرا ولضبي يضرب في حلول البلاء بالشريف من الوضيع

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٩٩/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ١٤٨/١

٨٣١ – إصبري بألم ما تختننه : ما مزيدة والهاء للسكت يقال ذلك للتي تخفض أي لا يخلو الختان من ألم فوطني نفسك عليه يضرب فيمن وقع في أمر لا بد له منه

٨٣٢ – اصح من بيض النعام : يقال فى العذارى ويراد سلامتهن من الملامسة والافتضاض قال الفرزدق

(الوافر)

(خرجن إلي لم يطمثن قبلي ... وهن اصح من بيض النعام)

(فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام) ." (١)

" ولا تنتظف يقال رجل طفس وامرأة طفسة والعفر ذكر الخنازير عن أبن الأعرابي

٩٣٨ – اطفل من ذباب

٩٣٩ – . . من شيب على شباب

٩٤٠ – . . من ليل على نهار

٩٤١ – أطلب تظفر : يضرب في التصميم على طلب الشيء وأن الحصول عليه يتبعه لا محالة

٩٤٢ – . . ذاك وخلاك ذم : أى جاوزك ولم يلزمك قاله قصير لعمرو بن عدي حين قال له كيف أقدر على أخذ الثأر من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو أي أطلب الحاجة باذلا جهدك في طلبها ولا عليك إذا لم يقض يضرب في نفي الذم عمن أعذر فى الطلب وإن لم يظفر

٩٤٣ – اطمع من اشعب : هو رجل من اهل المدينة كان يقال له أشعب الطماع والنوادر فى بابه جمة فقيل له هل رأيت أطمع منك قال ." (٢)

" عن نفسك فقال ذلك يضرب للمدافع عن نفسه

١٣٠٦ – البئر ابقى من الرشاء

١٣٠٧ – البادي اظلم : أي من بدأ بالظلم فهو أظلم من المجازى به لأنه سبب تهيجه

١٣٠٨ – إلبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها : قال بيهس حين شق قميصه فغطى به راسه وكشف استه بعد قتل إخوته وإنما أراد أنه افتضح بقتلهم وأنه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنع راسه واسته

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٢٠٤/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ٢٢٤/١

مكشوفة يضرب في تلقى كل حال بما يليق بها والمعنى أنه فعل ذلك بمحضر من معاريف قاتلي إخوته ليبلغهم أنه مجنون ما به طلب الثأر فيقع الأمن منه

١٣٠٩ - البضاعة تيسر الحاجة : يضرب للمصانعة بالمال لطلب الحاجة

١٣١٠ - البطنة تذهب الفطنة : يضرب فى ذم الرغب والشره قال الأعشى

(الخفيف)

(يا بني منذر بن عبدان ... والبطنة يوما تسفه الأحلاما) ." (١)

" (الطويل)

(بني عامر لم تثأروا بأخيكم ... ولكن رضيتم باللقاح وبالجزر)

(إذا عطفت وسط البيوت احتلبتم ... لها لبنا محضا أمر من الصبر)

يقول إذا كانت الألبان عوضا من الدماء فهي والله أمر من الصبر

١٥٦٤ - امر من العلقم

١٥٦٥ - ٠من المقر : هو الصبر وقيل السم قال

(الرمل)

(إنما ماؤك صاب ومقر ...)

١٥٦٦ - امرعت فانزل : يقال لطالب الحاجة أي أصبت حاجتك فانزل ويروى اعشبت انزل قال ابو النجم

(الرجز)

(يقول لي الرائد أعشبت انزل ...)

١٥٦٧ - امرع واديه واجنى حلبه : هو نبت وإجناؤه ظهور جناه يضرب لمن اتسع أمره واستغنى ." (٢)

" التاء مع الضاد

٩٥ - تضرب فى حديد بارد : يضرب فى سؤال البخيل

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ١/٣٠٤

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ١/٣٦٤

التاء مع الطاء

٩٦ - تطأطأ لها تخطئك : أي انخفض لها ولا تغرر فإنها تمضي عنك وتذهب يضرب فى خطب يتلاقاه الإنسان بالصبر والرفق فتسهل عليه ولو جزع فيه وأخذه بالعنف لتولد عنه ما هو شر منه

٩٧ - تطعم تطعم : أي ذق تشتق إلى الأكل يضرب لم يحجم عن الأمر فيقال له ادخل فى أوله ترغب فيه

٩٨ - تطلب ضبا وهذا ضب باد رأسه : ويروى مخرج رأسه يضرب لمن يترك ثأره قريبا ويطلبه من نأي وزعموا أن رجلين وترا رجلا ." (١)

" على ثقة

٢٩١ - دعنى وخلاك ذم : أي جاوزك قاله تصير لعمرو حين استبعد ما وعده من طلب ثأر جذيمة قال عبد الله بن رواحة

(الوافر)

(إذا أديتني وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء)

(فشأنك فارتعى وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى وراع)

الدال مع القاف

٢٩٢ - دقك بالمنحاز حب القلقل : بقافين مكسورتين حب شاق المدق عن الأصمعى وعن ابى الهيثم حب القلقل من يدقه إنما أراد حب الفلفل الذى يدق فيجعل في الأمراق يضرب في الإلحاح على الشحيح

الدال مع اللام

٢٩٣ - دلكت براح : هى علم للشمس بوزن قطام مبنية على الكسر وقد تعرب غير منصرفة فيقال دلكت براح بالرفع يضرب فى اشتداد الأمر وأصله أن ترتفع غبرة الحرب حتى تسد عين الشمس ." (٢)

"كما كان فى يوم حليمة

الدال مع الميم

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٢/٢٩

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ٢/٨٠

٢٩٤ – دماء الملوك أشفى من الكلب : كانوا يزعمون أن من كان به كلب من عضة الكلب الكلب فسقى دماء الملوك شفى وقيل المراد بالكلب الغيظ الذى يكون عليه الموتور فاذا أدرك ثأره بسفك دم كريم زال غيظه

٢٩٥ – دم سلاغ جبار : قصته فى فصل الهمزة مع الضاد

٢٩٦ – دمعة من عوراء غنيمة باردة : يضرب فى الاستخراج من البخيل أحيانا على بخله

٢٩٧ – دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا : هو من قول لقيط

(البسيط)

(كمالك بن قنان أو كصاحبه ... زيد القنا يوم لاقى الحارثين معا)

(إذا عابه عائب يوما فقال له ... دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا)

ويروى قبل الليل يضرب في الاستعداد للأمر قبل حلوله ." (١)

" ثيابه وقال ما يساجلك إلا من عض بأير ابيه

٣٩٧ – سال الوادى فذره : يضرب للمفرط فى الأمر شبه إفراطه بامتلاء الوادى وسيلانه

٣٩٨ – ٠٠قضيب بماء وحديد : لما ملك عمرو بن هند بعد أبيه المنذر ابن امرىء القيس استعمل إخوته من امه المنذر ومالكا وقابوسا وقطع عمرو بن أمامة أخاه من أبيه فلحق باليمامة فاستجد ملكها فأنجده بمراد فسيرهم حتى نزل واديا اسمه قضيب فتلاوموا بينهم وقالوا تركتم أموالكم ودياركم وعشائركم وتبعتم هذا الأنكد فنمارض منهم هبيرة بن عبد يغوث وشرب ماء الرفة فاصفر لونه فبعث إليه عمرو بن أمامة طبيبا فشرب ماء المغرة فلما دخل عليه الطبيب جعل يمجه فكشح بطنه فسمى المكشوح ثم أخبر عمروا بمرضه فلما اطمأن عمرو سار إليه وثأر به من تلك الليلة ولم يشعر به حتى أحاطوا به وقد أعرس بجارية من مراد وسمعت أم ولده الغسانية بجلبة الخيل فقالت ذلك ويروى لقد سال قضيب حديدا وجاءتك مراد وفودا فقال لها أنت غيرى تغرة وهى التى تغلى من الغيةى كأنها قدر فتمثل بكلمتيهما ثم قام عمرو بسيفه فكشفهم ولحقوا ببلادهم يضرب ." (٢)

" ٧٥٠ – كلفتنى بيض السمائم : هى جمع سمامة وهى طائر كالخطاف لا يقدر لها على بيض

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٨١/٢

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ١١٤/٢

٧٥١ – كلفتنى مخ البعوض : قال ابن أحمر

(الرجز)

(كلفتنى مخ البعوض فقد ... أقصرت لا نجح ولا عذر)

تضرب ثلاثتها فى تكليف ما لا يطاق

٧٥٢ – كل اداة الخبز عندى غيره : أصله أن رجلا استضافه قوم فطرح الرحا على نطع وسوى قطبها وأطبقها فتعجبوا من حضور آلته ثم أخذ يديرها لغير شيء فقالوا له ما تصنع فقال ذلك يضرب عند إعواز الشيء

٧٥٣ – ٠٠ازب نفور : كان عند زهير بن جذيمة العبسى ثأر لخالد بن جعفر ابن كلاب فكان زهير يوما فى هله ومعه أخوه أسيد وكان أزب فرأى ." (١)

" ٨١٢ – لامدن غضنك : أى لأطيلن عناءك قال رؤبة

(الرجز)

(أريت إن سقنا سياقا حسنا ... يمد من آباطهن الغضنا)

(أنازل أنت فخابز لنا ...)

٨١٣ – لامر ما حز قصير انفه : وهو قصير بن سعد آخذ ثأر جذيمة قال المتلمس

(الطويل)

(ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

٨١٤ – ٠٠ما يسود من يسود قال

(الوافر)

(عزمت على إقامة ذى صباح ... لأمر ما يسود من يسود)

٨١٥ – لامك الحلق ولعينك العبر : الحق اسم من حلق الشعر يضرب فى دعاء السوء ." (٢)

" ٨٦٦ – لا تبطر صاحبك ذرعه : انتصب ذرعه على البدل أى لا تدهش طاقة صاحبك والمعنى لا تكلفه ما لا يطيق يضرب فى النهى عن التثقيل على الناس

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٢/٢٢٣

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ٢/٢٤٠

٨٦٧ – لا تبق إلا على نفسك : يضرب فى توعد الرجل صاحبه أى اجهد جهدك

٨٦٨ – لا تبل فى قليب شربت منه : يضرب فى النهى عن ذم المنعم

٨٦٩ – لا تجعل حاجتى منك بظهر : أى لا تجعلها خلفك فتنساها

٨٧٠ – . . شما لك جردبانا : هو من قوله

(الوافر)

(إذا ما كنت فى قوم شهادى ... فلا تجعل شمالك جردبانا)

هو الذى يستر الطعام لئلا يراه الناس يقال جردب على الطعام يضرب فى الشره

٨٧١ – لا تحبق فى هذا الامر عناق حولية : من الحبق وهو الضراط يضرب للأمر الذى لا يكون له تغيير ولا يدرك به ثأر ومنه ما يحكى عن عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضى الله عنه ففقئت عينه يوم الجمل ." (١)

" ٩٦٢ – لا ينتصف حليم من جهول : يضرب فى غلبة ذى الجهل ذا العقل يعجزه مسافهته

٩٦٣ – لا ينتطح فيها عنزان : يضرب للأمر الذى لا غير له ولا يدرك به ثأر

٩٦٤ – لا ينفعك من جار سوء توق

٩٦٥ – ٠٠من ردى حذار

٩٦٦ – لا ينفعك من زاد تبقى : أى إن بقيته فسد وتغير يضرب فى الحض على الجود

اللام مع الباء

٩٦٧ – لبث قليلا يلحق الحلائب : قال الأصمعى حلائب الرجل أنصاره من بنى عمه خاصة قال

(الطويل)

(ونحن غداة الحرب لما دعوتنا ... منعناك إذ ثابت عليك الحلائب) ." (٢)

" (الرجز)

(هذا أحق منزل بالترك ... الذئب يعوى والغراب يبكى)

قال شمر أنشدنيه أعرابى نميرى فقلت له أى منزل هذا فقال مغيث ما وإن ماءه ملح ولا مرتع حوله

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٢٥٣/٢

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ٢٧٧/٢

١٤١٥ – هذا اوان الشد فاشتدى زيم : هو اسم فرس أى هذا وقت العدو فاستفرغى جهدك يضرب فى الأمر بالجد والانكماش وقد تمثل به الحجاج حين ازعج الناس لقتال الخوارج

١٤١٦ – . . التصافى لا تصافى المشجب : هو خشبات موثقة تنصب فتنشر عليها الثياب وأصله أن رجلين من هذيل أسرا وهما مطلوبان بدم فقال اكبرهما أنا **الثأر** المنيم فاتركوا هذا الغر البرى وقال الشاب بل أنا مقتبل الشباب فما تريدون من هذا الشيخ الفانى فقيل لهما ذلك يضرب فى التصافى بين الأخلاء

١٤١٧ – . . برض من عد : البرض الماء القليل والعد الدائم الذى ." (١)

"حدث الحسن بن خضر قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس استخفى رجال بني أمية، وكان فيمن استخفى منهم إبراهيم بن سليمان ابن عبد الملك، حتى أخذ له داود بن العباس أمانا. وكان إبراهيم رجلا عالما حدثا فخص بأبي العباس السفاح فقال له يوما: حدثني عما مر بك في اختفائك قال: كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل شارف على الصحراء، فبينا أنا على ظهر بيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف بها أحدا أختفي عنده، فبقيت متلددا فإذا أنا بباب كبير، ورحبة واسعة فدخلت فيها، وإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة، ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال لي من أنت وما حاجتك؟ قلت: رجل مستخف يخاف على دمه استئجار بمنزلك، فأدخلني منزله، ثم صيرني في حجرة تلي حرمه، فكنت عنده في كل ما أحب من مطعم ومشرب وملبس، ولا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه يركب في كل يوم ركبة، فقلت له يوما: أراك تدمن الركوب ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا، وقد بلغني أنه مستخف، وأنا أطلبه لأدرك منه **ثأري**، فكثر، والله، تعجبي من ادبارنا، إذ ساقني القدر إلى حتفي في منزل من يطلب دمي، وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فأخبرني فعرفت أن الخبر صحيح، وأنا كنت قتلت أباه صبرا، فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك، ومن حقك علي أن أدلك على خصمك، وأقرب عليك الخطوة، قال: وما ذاك؟ قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ **بثأرك**، فقال: إني أحسبك رجلا قد أمضك الاختفاء، فأحببت الموت، قلت: بل الحق ما قلت لك، أنا قتلته يوم كذا وكذا " بسبب كذا وكذا " فلما عرف صدقي اربد وجهه واحمرت عيناه وأطرق مليا، ثم قال، أما أنت فستلقى أبي فيأخذ **بثأره** منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي، فأخرج عني، فلست آمن نفسي عليك " بعدها " وأعطاني ألف دينار فلم

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٢/٣٨٥

آخذها، وخرجت من عنده، فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.

حكاية

قيل كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية بن أبي سفيان، قد جعل فيها عبيدا له من الزنوج يعمرونها، فدخلوا على أرض عبد الله، فكتب إلى معاوية: " أما بعد يا معاوية فامنع عبدانك من الدخول في أرضي وإلا كان لي ولك شأن. " فلما وقف معاوية على الكتاب "كان إذ ذاك أمير المؤمنين دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه قال له: يا بني ما ترى؟ قال: أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك، يأتوك برأسه قال او خير من ذلك يا بني، علي بدواة وقرطاس وكتب: " وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله، وساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها عندي هينة في جنب رضاه، وقد كتبت له على نفسي صكا بالأرض والعبدان، وأشهدت علي فيه، فليستضفها مع عبدانها إلى أرضه وعبيده والسلام " . فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه: " وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام " . فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه أسفر وجهه، فقال له: يا بني إذا بليت بمثل هذا الداء فدواه بمثل هذا الدواء.

حكاية

قال عبد الله بن سليمان: كنت بحضرة والدي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن أبي خالد " الصريفيني " الكاتب فقام له أبي من مجلسه وأقعده في صدره، وتشاغل به، فلم ينظر في عمل حتى نهض، ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه، فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا، لأن رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد ممن يدخل إليهم، وتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي: يا بني إذا خلونا فسلني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل.." (١)

"قيل كان الأفشين مبغضا لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وحاسدا له على فضله، فحمل نفسه يوما على قتله واستدعاه باستحثاث وإزعاج، وكان أبو دلف صديقا لقاضي القضاة أحمد بن أبي داود. فبعث إليه أدركني فمن أمري كذا وكذا. فكرب مسرعا واستحضر من حضره من الشهود. فلما ورد باب الأفشين قال له الغلمان: نستأذن لك قال: الأمر أعجل من ذلك، ونزل ودخل فألقى الأفشين جالسا في موضعه، وقد أقيم أبو دلف بين يديه في الصحن. فلما رأى الأفشين قاضي القضاة دخل بلا إذن بهت فقال له أحمد

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص/٩

بن أبي داود أيها الأمير أنا رسول أمير المؤمنين إليك يأمرك أن لا تحدث في أمر القاسم حدثا إلا بإذنه. ثم التفت إلى الشهود فقال اشهدوا أني قد بلغت رسالة أمير المؤمنين، والقاسم حي معافى ثم خرج فأتى باب المعتصم مسرعا،واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين: قد كذبت عليك واحدة أرجو بها الجنة ولك بها الفخر قال وما هي؟ قال كان من الأمر كيت وكيت قال: فضحك المعتصم وقال: أحسنت أحسن الله إليك. ثم لم يلبث أن جاء الأفشين مستأذنا فأذن له، فلما استقر مجلسه قال يا أمير المؤمنين جاءتني رسالة منك مع قاضي القضاة في مغنى أبي دلف فما تأمر في شأنه؟ قال نعم أرسلت إليك فيه فأحذر أن تتعرض له إلا بخير، فأفلت بذلك من يده.

حكاية

حدث القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة. حدثني أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال: كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان إذا افتتح الخاج نظر ما في بيت المال من خراج السنة التي قبلها، وفرقه في قبائل قريش على دعوتهم وفي الأنصار وفي الفقهاء وأهل القرآن وسائر طبقات الناس، إلى أن يفرق جميع ما بقي فجلس سنة من السنين يفرق مثل ذلك على عادته، فلما بدأ ببني عبد مناف، وقد فرغ من بني هاشم، دعا سائر بني عبد مناف فقال إليه رجل فقال: من أي بني عبد مناف أنت؟ قال من بني أمية، قال من أيهم أنت؟ فسكت قال: لعلك من ولد معاوية؟ قال نعم قال أمن أيهم أنت؟ فسكت قال لعلك من ولد يزيد؟ قال نعم. قال: قال بئس الاختيار اخترت لنفسك، من قصدك " بلدا " ولاية آل أبي طالب وعندك ثأرهم في سيدهم، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك. فإن كنت جئت عن جهل منك بهاذ فما يكون بعد جهلك جهل. وإن كنت جئت مستهزئا بهم فقد خاطرت بنفسك فنظر إليه العلويون نظرا شديدا فصاح بهم محمد وقال: كفوا عافاكم الله كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثأرا للحسنين بن علي، وأي جرم لهذا إن الله تعالى قد حرم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله لا يعرض له أحد إلا أقدته به، واسمعوا حديثا أحدثكم به يكون لكم قدوة فيما تستأنفون:." (١)

"حدثني أبي عن أبيه قال: عرض على المنصور سنة حج جوهر فاخر فعرفه وقال: هذا كان لهشام بن عبد الملك، وهذا يعنيه قد بلغني خبره عند ابنه محمد، وما بقي منهم أحد غيره. ثم قال للربيع: إذا كان غدا

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص/٤٢

وصليت بالناس في المسجد الحرام، وحصل الناس فيه فأغلق الأبواب ووكل بها ثقاتك من الشيعة وأقفلها، وافتح للناس بابا واحدا منها، وقف عليه فلا يخرج أحد إلا من قد عرفته. فلما كان من غد فعل الربيع ذلك، وتبين محمد بن هشام القصة، وعلم أنه هو المطلوب وإنه مأخوذ فتحير. وأقبل محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على أثر ذلك فرآه متحيرا وهو لا يعرفه فأنكر أمره وقال له. يا هذا أراك متحيرا متلددا فمن أنت ولك أمان الله تعالى التام العام وأنت في ذمتي حتى أخلصك بعون الله تعالى قال: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت؟ قال أنا محمد بم زيد بن علي بن الحسين قال: فعند الله أحتسب نفسي، إذ قال: لا بأس عليك يا ابن عم، فإنك لست قاتل زيد ولا في قتلك إدراك ثأره، وأنا الآن بخلاصك أولى مني بإسلامك، ولكن تعذرني فيما أتناولك به من مكروه وقبيح خطاب أخاطبك به يكون فيه خلاصك، بمشيئة الله تعالى. فقال: يا سيدي أنت وذاك، فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولببه به وأقبل يسحبه، فلما وقعت عين الربيع عليه لطمه لطمات، وجاء به إلى الربيع، وقال يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جماله ذاهبا وعائدا وقد هرب مني في هذا الوقت، وأكرى لبعض القواد الخراسانية، ولي عليه بذلك شهود، فتضم إلي حرسيين يصيران به معي إلى القاضي ويمنعان الخراساني من اعتراضه إن اعترضنا، فضم إليه الربيع حرسيين وقال امضيا به معه بعد من المسجد قال له: يا خبيث أتؤدي إلي حقي؟ قال نعم يا ابن رسول الله، فقال للحرسيين: انصرفا في حفظ الله تعالى فانصرفا. فلما بعدا أطلقه، فقبل محمد بن هشام رأسه وقال: بأبي أنت والله وأمي، فالله أعلم حيث يجعل رسالاته ثم أخرج جوهرا له قدر عظيم فدفعه إليه وقال: تشرفني يا سيدي بقبول هذا مني، قال: اذهب بمتاعك يا ابن عم، فإنا أهل البيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك دم زيد وهو أعظم قدرا من متاعك، فانصرف راشدا ووار شخصك عن هذا الرجل إلى أن يخرج، فإنه مجد في طلبك، فمضى وتوارى.

قال ثم أمر محمد بن زيد الداعي " بطبرستان " للأموي بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف، وضم إليه جماعة من مواليه، وأمرهم أن يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتابه بسلامته، فقام الأموي فقبل رأسه ومضى معهم حتى بلغ مأمنه وجاؤوه بكتاب بسلامته.

حكاية

قال أبو القاسم بن المعمر الزهري: كنت أسير مع يحيى بن خالد وهو بين ابنيه الفضل وجعفر، فإذا أبو الينبغي واقف على الطريق فناداني يا زهري فاستشرفت له فقال:

صحبت البرامك عشرا ولاء ... وبيتي كرا وخبزي شرا

قال: فسمعه يحيى فالتفت إلى الفضل وجعفر وقال: أف لهذا الفعل، أبو الينبغي ممن يحاسب؟ فلما كان الغد جاءني أبو الينبغي فقلت: ويحك ما هذا الذي عرضت نفسك له. فقال: أسكت ما هو إلا أن انصرفت إلى منزلي حتى جاءني من قبل الفضل بدرة ومن قبل جعفر بدرة، ووهب لي كل واحد منهما دارا، وأجرى علي من مطبخه ما يكفيني.

حكاية

قيل عرض محمد بن الجهم دارا له للبيع بخمسين ألف درهم، فلما حضر الشهود ليشهدوا قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص، وكانت الدار في جوار سعيد بن العاص فقالوا: وإن الجوار ليباع، فقال: وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن أسأت إليه أحسن إليك. قال: فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة ألف درهم، وقال له: امسك عليك دارك.

حكاية." (١)

"فانبرى إليه أحمد بن أبي داود كأنما أنشط من عقال يسأل في رجل من اليمامة، فأسهب في الشفاعة وأطنب، وذهب في القول كل مذهب، فقال له الواثق: يا أبا عبد الله لقد أكثرت في غير كثير ولا طيب فقال يا أمير المؤمنين إنه صديقي.

وأهون ما يعطي الصديق صديقه ... من الهين الموجود أن يتكلما

فقال الواثق: ما قدر هذا اليمامي أن يكون صديقك وإنما حسبه أن يكون من بعض خولك فقال: يا أمير المؤمنين إنه شهر بالاستشفاع بي عندك، وجعلني بمرأى مسمع من الرد والإسعاف، فإن لم أقم له هذا المقام كنت إذا كما قال أمير المؤمنين:

خليلي ماذا أرتجي من غد امرئ ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين

وإن امرأ قد ضن عني بمنطق ... يسد به فقر امرئ لضنين

فقال الواثق لمحمد بن عبد الملك الزيات: بالله يا محمد ألا عجلت لأبي عبد الله حاجته ليسلم من هجنة المطل كما سلم من هجنة الرد.

حكاية

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص/٤٣

قيل سأل رجل حاتما الطائي فقال :يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه. وأصلح من لحمه، وقدم إلي، وكان فيما قدم إلي الدماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت: طيب والله. فخرج من بين يدي، وجعل يذبح رأسا رأسا، ويقدم إلي الدماغ وأنا لا أعلم. فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دما عظيما وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره. فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله تستطيب شيئا أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسبة على العرب قبيحة. قيل يا حاتم: فما الذي عوضته؟ قال: ثلاثمائة ناقة حمراء وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل أنت إذا أكرم منه فقال: بل هو أكرم، لأنه جاد بكل ما يملكه وإنما جدت بقليل من كثير.

حكاية

وحدث أبو اليقظان عن جويرية قال: أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه فقال له قائل: يا ابن جعفر أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا؟ فقال: والله إن كان هذا أسود إن ثناه لأبيض، وإن شعره ليهزني، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وما ذاك؟ إنما هي رواحل تنضى، وثياب تبلى؛ ودراهم تفنى، وثناؤه يبقى، ومديحه يروى.

حكاية

قدم زياد الأعجم على المهلب بن أبي صفرة بخراسان ونزل على ابنه حبيب فجلسا ذات عشية على شراب وفي الدار شجرة علها حمامة فجعلت تغرد وزياد الأعجم يقول:

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تضاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإن هم يفتلوك طلبت ثأري ... بقتلهم لأنك في جواري

فأخذ حبيب سهما فرماها فأثبتها فماتت، فقال له زياد قتلت جاري، بيني وبينك الأمير المهلب ثم أتى المهلب فأخبره فقال: يا حبيب ادفع إلى أبي أمامة ألف دينار قال حبيب: أعز الله الأمير كنت ألعب. فقال: أمع هذا لعب؟ جار أبي أمامة جاري، فدفع إليه حبيب ألف دينار فقال زياد الأعجم:

فلله عينا من رأى كقضية ... قضاها فأمضاها الأمير المهلب

قضى ألف دينار بجار أجرته ... من الطير حضان على البيض ينعب

رماه حبيب بن المهلب رمية ... فأنفذه بالسهم والشمس تغرب

فألزمه عقل القتيل بزجرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

فلما سمعه المهلب أجازه بجائزة حسنة وصرفه مكرما وبلغ هذا العشر الحجاج، فقال: ما أخطأت العرب إذ جعلت المهلب شيخها.

حكاية." (١)

"٣-اهتم بتصوير الحب وعرضه بلغة الغزل العصري، وألح على قضية الغيرة في الحب حتى جعلها دافعا رئيسا في مسرحه، بينما كانت الإرادة القوية هي الباعث الأول في مسرح كورني.

٤-بدلا من تمجيد القوة والكبرياء كانت مسرحياته تبدو في حلة حزينة تشعرنا بضعفنا.

٥-يتميز أسلوبه بالتناغم والصدق والطبيعية. وهو أكثر اندفاعا من أسلوب كورني. فيه تتكلم كل شخصية بلسانها ولغتها وبحسب نموذجها ومواقفها ويتألق أسلوبه في مواقف الحب، ويصبح أنيقا.

نص من بريتانيكوس -الفصل الرابع(١)

نرسيس يدفع نيرون إلى الجريمة

إضاءة

تزوجت الأرملة أغريبين والدة نيرون الامبراطور كلود. وزوجت ابنها نيرون بنت زوجها هذا. وكان لكلود ولد يدعى بريتانيكوس. وحين مات كلود عملت أغريبين لتنصيب ابنها مكانه، لتمارس نفوذها وحكمها من خلاله ولما شعرت أن نيرون يريد التحرر من وصايتها ونفوذها هددته بتنصيب الوارث الشرعي بريتانيكوس. وكان نيرون ينافسه على الحكم وعلى حب جونيا.

وهنا يفكر نيرون بالتخلص من بريتانيكوس بالسم واقعا تحت تأثير نرسيس الذي كان يريد **الثأر** لأخيه وقد قتله بريتانيكوس..

نرسيس ... : سيدي، لقد أعددت كل ما يلزم لموت عادل:

... السم جاهز، لقد ضاعفت لوكوستا المشتهرة

... عنايتها المخلصة لي..

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص/٥٨

... وقد قتلت به عبدا أمام عيني.

... إن ذلك السم الذي وضعته بين يدي

... أمضى من السيف في اختطاف الحياة

نيرون ... : كفى يا نرسيس، إنني معترف بهذه العناية

... ولا أريدك أن تمضي أبعد من ذلك

نرسيس ... : ماذا؟ أرى أن كرهك لبريتانيكوس قد بات ضعيفا يمنعني من أن..

نيرون ... : نعم يا نرسيس سنتصالح..

نرسيس ... : سأحترس من تحولك يا سيدي

... ولكن، ألم يكن منذ مدة قريبة سجينا؟

... إن هجومه سيبقى جديدا في قلبه مدة طويلة

... ولا يوجد سر لا يكشفه الزمان.

... وسيعلم أن يدي سوف تقدم له السم،

... الذي تم تحضيره حسب أوامرك.

---

(١) ترجمة المؤلف عن المصدر السابق ص٨٩." (١)

"ولكن سارتر يعرضها بطريقته الخاصة ومن خلال فلسفته الوجودية التي تخالف رؤية أسخيلوس وسوفوكليس. فقد صاغها صياغة عصرية أسهم فيها الديكور والرقص الرمزي الإيمائي، وأكد من خلالها حرية الإنسان وإرادته وحقه في اتخاذ قراره واختيار مصيره وتحمله مسؤوليته الكاملة بعد ذلك.

فقد كان أورست عند سارتر فتى مسالما لايفكر بالانتقام ويعزف عن الخصومات والتدخل في شؤون الموتى ؛ ولكن رقصة إليكترا الرمزية حركت فيه دواعي الانتقام **والثأر** فاستقر رأيه على قتل أمه وزوجها وتحرير المدينة من ذلك الطاغية المستبد؛ ثم نفذ وأخته مؤامرتهما من دون أي ندم أو شعور بالإثم.

تقول إيليكترا لدى مصرع إيجيست:

.... "أنا التي أردت ذلك، ولا أزال أريده، ويجب أن أستمر في إرادته".

---

(١) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص/٣١

وتقول عند مصرع أمها وهي تسمع استغاثتها:

"فلتصح ماتشاء؛ أريد أن تصيح فزعا وألما؛ ياللفرحة عيناي تبكيان من فرط السرور. لقد م١تت عدوتي وانتقمت لأبي...".

أما أورست الذي شعر بسعادة الحرية لأول مرة فيقول: "إنني حر يا إيليكترا؛ لقد انقضت علي الحرية انقضاض الصاعقة.. لقد فعلت فعلي.. وهو أمر حسن، سأحمله على كاهلي كما يحمل المسافرون الماء؛ وكلما ثقل علي حمله قرت به عيناي، لأنه هو حريتي، وحريتي ليست شيئا سواه..."

وفي حين ترضخ إيليكترا لسلطان الندم، لايندم أورست ولا يتراجع، وينتصب عملاقا أمام الإله جوبيتر في المشهد الآتي:

-أورست ... : أنت ملك الآلهة، وملك الصخور والكواكب وملك الأمواج في كل البحار؛ لكنك لست ملك الإنسان.

-جوبيتر ... : ألست مليكك أيتها الدودة الغبية؟ فمن الذي خلقك إذن؟

-أورست ... : أنت؛ ولكن كان يجب ألا تخلقني حرا.

-جوبيتر ... : إنما وهبتك حريتك لتخدمني...!

-أورست ... : ولكنها انقلبت ضدك، ولاحيلة لي في ذلك- أنا لست العبد ولا السيد؛ أنا حريتي...!

من مسرحية "الذباب" لسارتر

ترجمة د. محمد قصاص-روائع المسرحيات العالمية." (١)

"المشهد الثاني من الفصل الثالث بتصرف

ولابد من الإشارة إلى الظرف الزمني الذي ألفت فيه هذه المسرحية، إنها فترة الاحتلال النازي لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. وكان الأمر من الخطورة بحيث يتطلب حشد الفكر والفن وكل شيء في سبيل التحرير.

ومن المعروف أن سارتر انتمى بقلمه وشخصه إلى حركة المقاومة السرية والجهرية؛ وحين عرضت مسرحيته هذه على المسارح منعتها السلطات الألمانية لأنها تحرض على **الثأر** والانتقام والحرب وتدعو إلى الحرية...

---

(١) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص/١٩٢

)))

ملامح الآداب الغربية

في النصف الثاني من القرن العشرين

لما كان الأدب وليد الواقع ومرتسم التطورات الإنسانية، وكانت فترة مابعد الحرب حتى أواخر القرن تحمل مياسم تلك الحرب الهائلة ونتائجها المشؤومة وتستدعي تغيرات جذرية في حياة الغرب الأوربي بخاصة والعالم بعامة، تعاقبت حتى نهاية القرن؛ فمما لاشك فيه أن أي حديث في سمات آداب تلك المرحلة وتياراتها ومنطلقاتها ودوافعها وطوابعها يستلزم بالضرورة تصورا عاما لتلك المرحلة التي استمد منها الأدب نسغه وحياته: أسدل انتهاء الحرب العالمية الثانية الستار على فترة عصيبة هزت العالم هزا عنيفا؛ وخلفت الدمار والموت والفوضى والقلق والاضطراب والتمزق لتعلن بزوغ عصر جديد التفت فيه العالم لمداواة جراحه النازفة والشروع في بناء مستقبل يغيب منه شبح الحرب إلى الأبد...." (١)

"فقدت بني لبنى، فلما فقدتهم ... صبرت، فلم أقطع عليهم أباجلي

حسان الوجوه، طيب حجزاتهم ... كريم ثناهم، غير لف المغازل

رماح من الخطي، زرق نصالها ... حداد نواحيها، شداد الأسافل

فلهفي على عمرو بن مرة، لهفة ... ولهفي على ميت بقوسى المعاقل

فتلت فتيلا لا يخالف عدوة ... ولا سوأة لا زلت أسفل سافل

أذلوه هذيلا، يا ابن لبنى، وجدعوا ... أنوفهم باللوذعي الحلاحل

ومن شعره:

وغربت الدعاء، وليس مني ... أناس بين مر، وذي ردوم

هنالك ناصري، وهم أرومي ... وبعض القوم، ليس بذي أروم

هنالك لو دعوت أتاك منهم ... رجال بين أرمية الحميم

أرمية الحميم: سحابات شديدات القطر. الواحدة: رمى. والحميم: حر الصيف، وذلك أن سحاب الصيف

---

(١) المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص/١٩٣

أشد بياضا.

ومن شعر عروة:

سح من القوم، عريان أشاجعه ... خف النواشز منه، والظنابيب

المعرقون من القواد

ومن الشعراء المعرقين من القواد والأمراء والوزراء

حمزة بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، مولى خزاعة، لعبد الله أبي طلحة الطلحات الجواد. وكان عبد الله بن خلف كاتبا لعمر بن الخطاب.

فالذين قالوا الشعر من الحسين بن مصعب أربعة على التوالي: طاهر بن الحسين، وعبد الله بن طاهر، وعبيد الله بن عبد الله، وحمزة بن عبيد الله. ومن ولد عبد الله بن طاهر: محمد بن عبد الله، وسليمان بن عبد لله. وطاهر بيت، وحمزة وأخوته معرقون.

ولم يدخل هؤلاء في نمط الشعراء المتكسبين، ولكنهم قوم حظوا بالرئاسة والسياسة، وأحبوا الشعر وعدوه أجمل فضائلهم. ولهؤلاء فضائل وتواريخ وسير وفتوح وعزائم وملك قد نطقت به التواريخ والسير. ومع ذلك افتخروا بما أبانوا به عن فصاحتهم وبلاغتهم في الشعر والرسائل، وعلموا أن الملك يفنى، والفضائل تبقى. وقد كان الشعر في ذلك الوقت شريفا جليلا. أما ترى الجو ائز عليه من المائة ألف درهم إلى ما دون ذلك؟ لأن شعراء ذلك الوقت كانوا يعزونه، ويأتون به في وقته، وكانوا كما يقال على الحقيقة شعراء. وفي عصرنا كل من صح له الوزن والقافية ظن أنه شاعر، فمدح وتعاطى. فإذا وقفت على أشعارهم تجد ألفاظهامتداولة في الشعر، ومعانيها قد ملئت بها دواوين الشعراء. فلا تعثر منها على معنى بديع، ولا لفظ ظريف، ولا طرز مبتكر، ولا أسلوب مبتدع. ويتعاطى أحدهم أنه ينظم في يومه قصيدة، فرخص الشعر ودحض ورفض، وأصبح يتعاطاه من ليس من شكله، ويدخل فيه من يزري بالأدب وأهله، مع كثرة منتحليه وقلة طالبيه، وكما قيل:

ومع الكساد يخان فيه، ويسرق

ذكر ذي اليمينين طاهر بن الحسين

لما دخل بغداد، وقتل محمدا الأمين، وجاء برأسه إلى المأمون، ونصب جثته، واستتر في مستتره، بلغه أن إبراهيم المهدي عازم على الخروج للطلب بدم الأمين، واتصل به أن أبراهيم قال:

ألا إنما حزني عليك سجية ... وما عذر مثلي أن يكون مقصرا

بكيتك إذ قل النصير، ولم أجد ... عميرة وهن في العدو، فأثأرا

واتصل بالمأمون. فيروى أن المأمون كان إذا رآه بعد ذلك قال: وجدتها بعد يا بن شكلة. وكانت أم إبراهيم اسمها شكلة. فكتب إليه طاهر: عافانا الله وإياك من السوء، أما أنه قد كان يعز علي أن أكتب إلى رجل من أهل الخلافة بغير الإمرة، ولكني ظننت بك، وتوهمت عليك أنك مائل بالرأي، مضيع بالهوى إلى الناكث المخلوع. فإن يك ما ظننت بك كالذي ظننت بك، فكثير ما كتبت به إليك، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك، أيها الأمير، ورحمة الله وبركاته. وقد كتبت إليك بأبيات:

ركوبك الأمر ما لم تبل فرصته ... جهل، ورأيك بالأقحام تغرير

أقذر بدنيا ينال المخطئون بها ... حظ المصيبين، والمغرور مغرور

تالله ما زالت الدنيا، وصاحبها ... يضحي سليما، ويمسي وهو مقبور

فإن ظفرت مصيبا، أو هلكت به ... فأنت، عند ذوي الألباب، معذور

فاعمل صوابا، وخذ بالحزم مأثرة ... فلن يذم لأهل الحزم تدبير

فإن ظفرت، على جهل، ففزت به ... قالوا: جهول أعانته المقادير." (١)

"وابن الرومي وابن المعتز أخذاه من قول أبي نواس:

بانوا وفيهم شموس دجن ... تنعل أقدامها القرون

تعوم أعجازهن عوما ... وتنثني فوقها المتون

وأبو نواس أخذه من ذي الرمة حيث قال:

إذا انجردت إلا من الدرع فارتدت ... غدائر ميال القرون سخام

وأخذه ذو الرمة من الأعشى حيث قال:

إذا جردت يوما حسبت خميصة ... عليها وجريال النضير الدلامصا

حمزة البكري:

قامت تريك ابنة البكري ذا غدر ... يستمطر البان منها واليلنجوج

وحف منابته رسل مساقطه ... محلولك اللون غربيب وديجوج

اليعقوبي:

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٣٤

جعودة شعرها تحكي غديرا ... تصفقه الجنوب على الشمال

ابن لنكك:

هل طالب ثأر من قد أهدرت دمه ... بيض عليهن نذر قتل من عشقا

من العقائل ما يخطرن عن عرض ... إلا أرينك في قد قنا ونقا

رواعف بخدود زانها سبج ... قد زرفن الحسن في أصداغها حلقا

نواشر في الضحى من فرعها غسقا ... وفي ظلام الدجى من وجهها فلقا

أعرن غيد ظباء روعت غيدا ... والورد توريد لون، والمها حدقا

المتنبي:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

ابن دريد:

غراء لوجلت الخدود شعاعها ... للشمس عند طلوعها لم تشرق

غصن على دعص تبدى فوقه ... قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن: احتكم لم يعدها ... أو قيل: خاطب غيرها لم ينطق

فكأننا من فرعها في مغرب ... وكأننا من وجهها في مشرق

تبدو فيهتف بالعيون ضياؤها ... الويل حل بمقلة لم تطبق

الخليع:

ومبتسم إلي من الأقاحي ... وقد لبس الدجى فوق الصباح

ثنى زناره في دعص رمل ... على خوط من الريحان ضاح

له وجه يتيه به وعين ... يمرضها فيسكر كل صاح

المتنبي:

كل خمصانة أرق من الخم ... ر بقلب أقسى من الجلمود

ذات فرع كأنما ضرب العن ... بر فيه بماء ورد وعود

حالك كالغداف جثل دجو ... جي أثيث جعد لا تجعيد

تحمل المسك عن غدائرها الري ... ح وتفتر عن شتيت برود

أبو دلف:

حسنت والله في عي ... ني وفي كل العيون

قينة بيضاء كالفض ... ة سوداء القرون

أقبلت مختالة بي ... ن مها حور وعين

لم يصبها مرض ين ... هك إلا في الجفون

المتنبي:

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن في الشعر الضلالا

ذو الرمة:

هجان تفت المسك في متناغم ... سخام القرون غير صهب ولا زعر

وتشعره أعطافها وتشمه ... وتمسح منه بالترائب والنحر

لها سنة كالشمس في يوم طلقة ... بدت من سحاب وهي جانحة العصر

وقال الشماخ، وأنشدوه في أبيات المعاني:

دار الفتاة التي كنا نقول لها ... يا ظبية عطلا حسانة الجيد

تدني الحمامة منها وهي لاهية ... من يانع الكرم قنوان العناقيد

الباب الثاني

الأصداغ

قال ابن المعتز:

ريم يتيه بحسن صورته ... عبث الفتور بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من نار وجنته

ولقد أحسن فيه. إلا أنه ألم بقول العرب، أنشده ابن السكيت:

وكأني شبوة عند الصدود

أي كأني، في صدودي عن النار، العقرب، لأنها لا تقربها.

وكذلك قوله في صفة الهلال:." (١)

"ابن المعتز:

إذا كظ الفرات بماء مد ... أغص به حلاقم كل نهر

وقوله في ماء المد عجيب:

أما ترى المد قد ... أتاك بماء مصندل

وهذا من فوارد شعره كقوله:

تميل من سكرات النوم قامته ... كمثل ماش على دف بتخنيث

وكقوله:

وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

وكقوله:

والبدر يأخذه غيم ويتركه ... كأنه سافر عن خد ملطوم

وكقوله:

في قمر مسترق نصفه ... كأنه مجرفة العطر

آخر:

وجدول كالحسام لاح على ... جلدة وشي لماعة الذهب

كأنه والمدود تتبعه ... سلخ حباب من كثرة الحبب

ابن المعتز:

وروضة كأنها ... جلد سماء عاريه

كأنما أنهارها ... بماء ورد جاريه

آخر:

وكأن درعا مفزعا من فضة ... ماء الغدير جرت عليه شمأل

وعلى ذكر المياه وقرارتها أحسن الصنوبري في صفة البركة:

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٤

يا حسنها من بركة أفردت ... بالحسن إحسانا من الواهب
كأنما الأعين في قعرها ... راسبة إثر القذى الراسب
بين بساتين ميادينها ... من سارق للب أو غاصب
ما بين مصبوغ بلا صابغ ... وبين مخضوب بلا خاضب
وجدول ينسل من جدول ... مثل انسلال المرهف القاضب
والطير من مستبشر ضاحك ... فيه ومن مكتئب نادب
وصادح أنسا إلى حاضر ... وهاتف شوقا إلى غائب
وله أيضا في البركة والفوارة:
وبركة منظرها يطرب ... للماء فيها ألسن تعرب
تحسبها من طول ترجيعها ... دائمة تنشد أو تخطب
كأن فواراتها وسطها ... إذا ترامت لعب تلعب
من يمنة فيها ومن يسرة ... قنطرة واقفة تذهب
علي بن الجهم:
صحون تسافر فيا العيون ... وتحسر من بعد أقطارها
إذا أوقدت نارها بالعرا ... ق أضاء الحجاز سنا نارها
وقبة ملك كأن النجو ... م تصغي إليها بأسرارها
وفوارة ثأرها في السما ... ء فليست تقصر عن ثارها
ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب أقطارها
لها شرفات كأن الربي ... ع كساها الرياض بأنوارها
فهن كمصطبحات خرج ... ن لفصح النصارى وإفطارها
فمن بين عاقصة شعرها ... ومصلحة عقد زنارها
الباب الخامس
جري الماء بين الخضر
أبو فراس وأحسن في تشبيهه:

والماء يفصل بين زه ... ر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت ... أيدي القيون عليه نصلا
آخر:
كلبسك خفتان وشي بدا ... بياض الغلالة من شرجه
آخر:
وجدول كالمبرد المجلي ... على رياض وثرى ثري
الناجم:
انظر إلى الروض الذك ... ي فحسنه للعين قره
وكأن خضرته السما ... ء ونهره فيها المجره
النامي:
وكأنما الروض السماء وزهره ... فيها المجرة والكؤوس الأنجم
أبو فراس:
وكأنم ا الغدر الملاء تحفها ... أنواع ذاك الروض والزهر
بسط من الديباج بيض فروزت ... أطرافها بفراوز خضر
الباب السادس
تفتح الأنوار والأكمة
لبعضهم:
أكمة نوار تبدت كأنها ... صمامات وشي حرة البطن والظهر
ودائع للنيروز فيها كنينة ... من الفضة البيضاء أو خالص التبر
كما زرت الحسناء فضل جيوبها ... على الدر والمرجان في واضح النحر
المعوج:
حقاق من النوار مزرورة العرا ... على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض
فهن على الأغصان أجفان فضة ... وبالأمس كانت مطبقات على الغمض

البحتري:

وقد نبه النيروز في غلس الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما." (١)

"فإذا استمر نسقا مطردا أو سننا منتظما أوهى سلك ما نظم، وحل عقد ما ألف، وعاد في هدم بنائه، وثلم تأسيسه وأجزائه، فأرسل مرعيه هملا، وحل معقوده بددا، فيكون ساقيا مظمئا وموردا مخمسا لكثرة شواغله، وزحمة أعدائه التي تفرق باله، وتوزع ذهنه، وتقسم لبه، من تثمير مال، أو در فتح معيشة، أو دفع مضرة، أو حيازة منفعة، أو كدح على عيال، أو مباراة حاسد، أو مكاثرة عدو، أو منافسة في مكرمة أو منقبة، أو اغتنام محمدة أو مثوبة، أو فرار من سب ومذمة، أو جار يحميه، أو طارق يضيفه، أو أسير يستنقذه، أو شاعر ينتجعه. فإذا كانت الحال كما وصفنا، سليمة لا تعاب، وخالصة لا تشاب، صار المعجز باهرا ظاهرا، ومالكا للقلب قاهرا، وقادحا في العقل العقيم، والطينة اليابسة، والفهم العاقر والحد الكليل، يزيد في اليقين روح الاستبانة، وبرد السكون والاستنامة، وثلج الصدور، وعز المعرفة، وطمأنينة العلم، واستطالة الفهم، وعاد أوضح برهانا، وأصدع بيانا من أن يترك للمتعلل تعلة، وللمرتاب عقلة، وللشاك استرابة، وهو صلى الله عليه وسلم يتحداهم به مثنى ووحدانا، ويقرعهم فرادى وأشتاتا، لا يألو جهدا في تسفيه أحلامهم، وتبكيت أصنامهم، يدعوهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله، وهم يسمعونه عذب المسموع، سهل الموضوع، باللفظ الجزل، ومتشابه الرصف، ومتلاحم أجزاء الأول والآخر واتفاق قرائن الأوسط الطرفين، ينظم أبهة الفخامة إلى رقة الحلاوة، ويجمع رصانة الجزالة، ومهابة الجلالة إلى بهجة الرشاقة، ومحبة القبول ومبادئ خارجة عن معهود مبادئ القريض المقصد والمسجوع المرجز، والخطب في الحمالات، وإصلاح ذات البين، والتشبيب بالحاجات، ومقاطع مفارقة لمألوف مقاطيع الأقاصيع من الطوال في المجامع العظام، والمشاهد الكرام، يزيده مرور الأيام والليالي جدة وطراوة، ويكسبه كرور الشهور والأعوام رونقا وطلاوة، لا يمجه السمع، ولا ينبو عنه القلب، ولا يبليه كثرة الدرس والقراءة، ولا تخلقه شدة التلاوة والإعادة على ما في الحديث المعاد، والكلام المكرر من الثقل الفادح على الآذان، والأذى المبرح المجحف بالنفوس؛ يقص أخبار الأمم السالفة، ويعبر عن أنباء الملل، وعقائد النحل، ويترجم عن الجلود المتمزقة، والرمم البالية، والمثلات النازلة، والعبر المنتقمة بخفة حجمه، ويسير جرمه، مكررة مرة بعد أخرى وكأنها لغرابتها مبتدأة، مرددة ثانية غب أولى وكأنها لطلاوتها متنكرة؛ فأقر جماهيرهم بالعجز خاضعين، وبخع صناديدهم بالاستسلام مذعنين، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر. فارقوا

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٧٩

سعة السلم إلى ضنك الحرب، وخرجوا عن التدافع بالقول إلى التدافع بالراح، بل إلى التمانع بالزجاج، إلى التطاعن بأطراف الأسنة والرماح، وأثاروا كامن العداوة، وهيجوا ساكن الترة، وقدحوا بزند القتال وهو صالد، وأذكوا نار الملحمة وهي خامدة، ودعوا بشعارها الهيجاء، وشنوا الغارة الشعواء، وأخلوا برعي مسارحهم، وورد مناهلهم، وإلف داراتهم وخططهم، وخبط أكلائهم ومناجعهم، والاستدراء بأفياء الخيام، والاختباء بأفنية البيوت، والشرب في مجالس العشي، والتشاور في ساحة الأندية، واستئمار الأزلام الملمة على المسلمين، يومض البرق ولا يشام، ويصوب القطر ولا ينتجع، ويكثف المرعى ولا أكولة، ويدعو الشعب ولا رائد، والحمى عورة، والفضاء بلا حجارة الخرصان، وأبواب القباء خلاء، لا تسدها قرون الخيل، وهم في فر لا يشق غباره، وفي كر لا ينادى وليده. يطلب الأخ عند أخيه الثأر المنيم، ويجرم الابن إلى قتل أبيه، وفري أوداجه، والولوغ في دمه. مس الطيب وشرب الخمر، ومعاطاة النديم، ويفرد لمته، ويشد المآزر دون إتيان النساء، ويترك جمته السوداء شعثاء، وغسولها المسك والماورد، وقد غسل أصولها بدهن البان والمصون. فهو لابس مع البردين ثوب المحارب، وغامس يده في عطر منشم، ومشمر ذيل الراكب بعد أن كان أجوى في الحي رفلا، ومبسط المشية في اليوم الخصر، وقد احتجز خدمة سيفه، وخفر فضول لأمته بنجاده، وتنكب قوسه، واعتقل رمحه، واستجن حجفته، وفرط للحصان عنانه في انتهاك حرمة عشيره، وسبي داري حريمه، وغزوه في عقر داره، ويضيعه بالخسف والصغار، وانتساف الدار. قد اعتاض خمس الإسلام." (١)

"وقال معاوية لابنه يزيد وهو ابن تسع سنين: في أي سورة أنت يا بني؟ وكان في سورة القتال، فكره أن يذكرها فقال: أنا في السورة التي تلي:)إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا(يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: هذه السورة تليها سورتان، وهي بينهما، ففي أيتهما أنت؟ قال: في السورة التي فيها:)والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم(فتمثل معاوية حينئذ بقول الشاعر:

ملوك وأبناء الملوك وسادة ... تفلق عنها بيضة الطائر الصقر

متى تلق منهم ناشئا في شبابه ... تجده على آثار والده يجري

ولما أصاب أهل البوادي القحط أيام هشام بن عبد الملك وفدت عليه رؤساء القبائل وفيهم صبي صغير في

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/١١٤

رأسه ذؤابة، وعليه بردة يمنية فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب: ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين إن دخولي لم ينقصك، ولكن شرفني، وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه، وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلا بنشره، فأعجب هشاما كلامه " فقال له: " انشر لا أم لك فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث، فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم، وفي يدكم نصول أموال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا، وأمر بمائة ألف درهم " ففرقت في البادية وأمر للغلام بمائة ألف درهم " فقال: اردد‌ها في جائزة العرب، فما لي بها حاجة في خاصة نفسي دون سائر المسلمين، فكان في هذه أعجب.

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الوفود، فحين دخل عليه وفد أهل الحجاز أراد غلام منهم أن يتكلم فقال له عمر: يا غلام، يتكلم من هو أسن منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا، وقلبا حافظا، فقد أجاد " له " الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك، فقال له: صدقت فتكلم، فهذا هو السحر الحلال، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة، لم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأنا قد أمنا في أيامك ما خفناه، وأدركنا ما طلبناه، وفي رواية: أما الرغبة فقد أوصلها لنا فضلك، وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك، فتهلل وجه عمر عند ثناء الغلام عليه، وسأل عن سن الغلام فقيل: عشر سنين ثم كأن عمر خاف العجب فأقبل على الغلام وقال: عظنا يرحمك الله: فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فأجهل الناس مضن ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، وإن قوما خدعهم الثناء، وغرهم الشكر، فزلت أقدامهم فهووا في النار، أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم، وألحقك بصالح سلف هذه الأمة، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه.

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال له معاوية: ما الشيء الملفف في البجاد؟ قال: السخينة يا أمير المؤمنين، أشار معاوية إلى قول الشاعر يهجو بني تميم بحب الطعام:

إذا ما مات ميت من ... وسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بلحم أو ... أو الشيء الملفف في البجاد

وأصل ذلك أن عمرو بن هند لما حلف ليحرقن من بني تميم مائة في ثأره أخذهم فجعل يلقيهم في النار، حتى

بقي له واحد من العدة، فإذا برجل تميمي من البراجم قد ذهب في حاجة فشم روائح المحترقين فقال: هذا شواء اتخذه الملك، فمال إليه، فلما وقف عليه قال له: من أنت؟ قال: برجمي، فقال الملك: " إن الشقي وافد البراجم " وأمر به فقذف في النار تكميلا للعدد، فمن ذلك عيرت العرب تميما بحب الطعام، وقال الشاعر:

ألا أبلغ لديك بني تميم ... بآية ما يحبون الطعاما

وأشار الأحنف بذكر السخينة، وهي حساء رقيق كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون به.." (١)

"هذا لص طرد إبلا فتوخى أي قصد بها مجرى سهيل، وهو اليمن، وترك الشام وأعلامه أي جباله خلفه تطول وتقصر في السراب فلما رأى أن النطاف أي المياه تعذرت في طريقه رأى أن ذا الكلبين أي سيفه، والكلبان مسماران في قائمه، لا يتعذر فينحر ويفتظ الكرش فيشرب ما فيه: وقول الآخر:

إنا وجدنا طرد الهوامل ... خيرا من التأنان والمسائل

وعدة العام وعام قابل ... ملقوحة في بطن ناب حامل

يقول: إن سرقة الإبل الهوامل " أي " التي لا راعي معها خير لنا من الأنين والتشكي وسؤال الناس، فهذا يردنا، وهذا بالعطاء في العام أو القابل جنينا في بطن أمه.

وقول الآخر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذا عوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

درى الله إني للأنيس لمبغض ... ويقليه مني شاهد وضمير

وإني لأستحيي من الله أن أرى ... أطوف بحبل ليس فيه بعير

وأن أسأل المرء اللئيم بعيره ... وبعران ربي في البلاد كثير

هذا لص يستوحش من الناس لئلا يقبض، ثم زعم أنه يستحيي أن يأتي بحبل يسأل من يعطيه بعيرا فيربطه به، وأن يسأل البخلاء وإبل الله كثيرة يسرقها.

وقول الآخر:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى ... عيالك قد أمسوا مراميل جوعا

البارح الريح الشديدة تهب في القيظ، فهو يطلبها فإذا سرق الإبل عفت أثره فلا يدرك، وجعل عياله عيالا للريح لأنه يعولها به.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١١٤

ومثله قول الآخر:

جزى الجوزاء عنا الله خيرا ... فقد أغنت عن الحبل الجذيم

أي أغنتنا بريحها فنأخذ ما شئنا ولا ندرك ولم نحتج إلى حبل جذيم أي مقطوع نأتي به صاحبا يعطينا فيه بعيرا.

وقول الآخر:

ألا يا جارتا بأباض إني ... رأيت الريح خيرا منك جارا

تغذينا إذا هبت علينا ... وتملأ وجه ناظركم غبارا

أباض كغراب قرية باليمامة ويقال: لم ير أطول من نخيلها فيقول هذا اللص لجاريته بها: إن الريح خير منكما، وذلك أنه يسرق التمر فإذا هبت الريح أسقطته له، وأعمت أربابه، فلا يرونه حتى يقضي منه أربه.

وقول الآخر:

خليلي لا تستعجلا وتبينا ... بوادي حبوني هل لهن زوال

ولا تيأسا من رحمة الله وادعوا ... بوادي حبونى أن تهب شمال

أي فتعفي الأثر وتعمي عيون الرعاة فيأخذوا حاجتهم.

وفي " الأيام والليالي " قول الآخر:

مطايا يقربن البعيد وإن نأى ... وينقلن أشلاء الكريم إلى القبر

" وقبله:

سرينا وأدلجنا وصارت ركابنا ... تمر بنا في غير بر ولا بحر

وما هي إلا ليلة ثم يومها ... وحول إلى حول وشهر إلى شهر

وينكحن أزواج الغيور عدوه ... ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر "

وقول الآخر:

سبع رواحل ما ينخن من الوجى ... شوم تشاف بسبعة زهر

متواصلات لا الدءوب يملها ... باق تعاقبها مدى الدهر

سبع أي ليال، شوم أي سود، وسبعة زهر أي أيام.

وفي التعبير على أخذ الدية وترك القيام بالثأر قول الآخر:

غدا ورداؤه لهق حجير ... ورحت أجر ثوبي أرجوان

كلانا اختار فانظر كيف تبقى ... أحاديث الرجال على الزمان

أي غدا حجير يعني أخاه، ورداؤه لهق أي أبيض لم يقتل قاتليه، ورحت أنا بثوب أرجوان أي أحمر لقيامي بالثأر.

وقول الآخر:

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

أي إذا تركت ثأرك في أبيك وأخذت الإبل فمتى صببت لبنا من الشكوة فهو دم أبيك تشربه.

وقول الآخر:

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ... ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح

الوضح اللبن وعقوا رموا بسهم يقال له العقيقة، وكانوا إذا كان لهم ثأر وجنحوا إلى الصلح يأخذون سهما فيقولون: بيننا وبين إلهنا علامة، وهي أن نرمي هذا السهم، فإن رجع مضرجا بالدم فهو يأمرنا " بالقيام بالثأر، وإن رجع نقيا فهو يأمرنا " بأخذ الدية، ثم يرمون به إلى السماء، ولا يرجع أبدا إلا نقيا فعيرهم الشاعر بفعل ذلك.

وفي ضد ذلك قول الآخر:

يطأ الطريق بيوتهم بعياله ... والنار تحجب والوجوه تذال

لا يشربون دماءهم بأكفهم ... إن الدماء الغاليات تكال." (١)

"يقول: إنهم كرام مقار فهم ينزلون على الطريق لأبناء السبيل، وهم عيال الطريق، وذلك في حال الشدة، حيث تحجب النار لئلا يراها الطارق، وتذال الوجوه أي امتهان، ثم أخبر أنهم لا يأخذون الدية فيشربون الألبان عوض دمائهم، فإن الدماء الغالية على أهلها تكال أي تجازى كيل الصاع بالصاع ولا تذهب هدرا بالديات.

وقول الآخر:

ألا لله ما مردى حروب ... حواه بين حضنيه الظليم

وقد قامت عليه مها رماح ... حواسر ما تنام ولا تنيم

الظليم القبر المحفور في غير موضع الحفر، فهو مظلوم أي فهذا الفتى قد حواه القبر وقامت عليه النساء حواسر

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١١٦

يندبنه، وشبههن في صفائهن أو في سعة عيونهن بمها رماح، ورماح كغراب موضع، والعرب ما يندبون القتيل حتى يؤخذ بثأره، فالندب كناية عن ذلك.

ومثله قول قيس بن زهير:

من كان مسرورا بقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... بالليل قبل تبلج الأسحار

أي فيعلم أنا قد ثأرنا به.

وفي الشيب والكبر " قوله " :

ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشعش في وكريه جاشت له نفسي

النسر الشيب وابن دأية الغراب وهو الشاب وعزه غلبه.

وقول الآخر:

أعار أبو زيد يميني سلاحه ... وحد سلاح الدهر للصخر كالم

وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله ... أفدى وحين الكلب جذلان نائم

أبو زيد كنية الكبر، ويحتمل الدهر، وسلاحه العصا، وإنكار الكلب أهله عند لبس السلاح فيفدى لإقدامه على الحرب وهو شاب، ووقت نوم الكلب وجذله أن تموت الماشية من الهزال فيشبع منها، ولهذا قالوا في المثل السائر: نعم كلب ببؤس أهله.

وقول الآخر:

أبا مالك إن الغواني هجرنني ... أبا مالك إني أظنك دائبا

أبو مالك هو الكبر لأنه يملك صاحبه.

وقول الآخر:

بئس قرينا لامرئ سالك ... أم عبيد وأبو مالك

أم عبيد الصحراء، وأبو مالك الكبر.

وأما الألغاز ففي الدرهم قوله:

ومعشوق يرقص كل يوم ... ترى في وجهه أبدا كلاما

إذا فارقته أجداك خيرا ... ولا يجدي عليك إذا أقاما

وفي القلم قول الآخر:

عجبت لذي سنين في الماء نبته ... له أثر في كل مصر ومعمر

وقول الآخر:

وبيت بعلياء الفلاة بنيته ... بأسمر مشقوق الخياشم يرعف

يصف بيت شعر عمله في الصحراء وكتبه بالقلم.

" وقال آخر:

وما ميت ذو طعم عند رأسه ... متى ذاق من ذاك الطعام تكلما

فلا هو في الأحياء حي فيتقى ... ولا هو في الأموات ميت فيرحما

غيره:

ما رأت عيني عجيبا ... كيراعي في الدواة

غائصا يستخرج الدر ... ببحر الظلمات "

وفي الهلال قول الآخر:

ومولود شهر كان فيه شبابه ... وفي شهره أودى وأدركه الكبر

غيره:

فما وليد ربا في غير مولده ... وعاد فيه قديم السن قد نحلا

وفيه وزيادة:

ألا رب مولود وليس له أب ... وذي ولد لم يلده أبوان

وذي شامة سوداء في حر وجهه ... مجللة لا تنقضي لأوان

ويكمل في خمس وتسع شبابه ... ويهرم في سبع معا وثمان "

وفي مصراعي الباب قول الآخر:

عجبت لمحرومين من كل لذة ... يبيتان طول الليل يعتنقان

إذا أمسيا كانا على الناس مرصدا ... وعند طلوع الشمس يفترقان

ولقي عبيد الأبرص أمرأ القيس فقال له: ألا أساجلك؟ فقال: بلى، فقال عبيد:

ما حية ميتة أحيت بموتها ... درداء ما أنبتت نابا وأضراسا

فقال أمرؤ القيس:

تلك الشعيرة تحنى في سنابلها ... فأضعفت بعد نبت الزرع أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة ... ما يستطيع لهن الناس إمساسا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمان هيجها ... بث النطاف بماء المزن أنفاسا

فقال عبيد:

ما قاطعات بلادا لا أنيس بها ... إذا ابتكرن سرى كنسن أكناسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها ... كفى بأذيالها للتراب كناسا

وقال عبيد:

ما ذات حكم بلا سمع ولا بصر ... ولا لسان فصيح يعجب الن ا سا

فقال امرؤ القيس:." (١)

"وآخرين معملي المطي ... من بين كوفي ومن بصري

ومن تهامي ومن نجدي ... ما فيهم من ليس بالمرضي

فقام بضربها فصاحت فأجتمع الناس فقال لهم: لولا أني قمت أضربها لعدت علي أهل عرفات ومنى.

وكان بشار إذا أعوزنه القافية أو المعنى يدخل في شعره أشياء لا حقيقة لها تكميلا لشعره، فمن ذلك أنه أنشد شعرا فقال فيه:

غني للغريض يا ابن قنان

فقيل له: من ابن قنان هذا؟ فإنا لا نعرفه في المغنين، فقال: وما عليكم منه؟ ألكم قبله دين تطالبونه به؟ أو ثأر تريدون أن تدركوه منه؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتموني؟ فقالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، ولكنا أردنا أن نعرفه، فقال: هذا رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي، فقالوا له: إلى متى؟ فقال من يوم ولد إلى يوم يموت، فتفرقوا عنه متضاحكين.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١١٧

وقال بعضهم: شربنا يوما عند عبد الصمد بن علي عم المنصور، وكان يغنينا الدارمي المكي، وكان حلو ظريفا، فنعس عبد الصمد وعطس الدارمي عطسة هائلة فوثب عبد الصمد مرعوبا وغضب غضبا شديدا وقال: يا ابن الفاعلة، إنما أردت أن تفزعني، قال: لا والله ولكن هذا عطاسي، فقال: والله لأقبنك أو تأتيني ببينة على ذلك، ووكل به غلمانه، فخرج ولا يدري أين يذهب، فلقيه رجل يعرفه من أهل مكة، فسأله عن أمره فأخبره فقال له: أنا أشهد لك، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له: بم تشهد لهذا؟ فقال: رأيته عطس عطسة سقط منها ضرسه، وتطاير نصف لحيته، فضحك عبد الصمد وقال: خلوا سبيله.

وقال الماوردي: كنت بمجلس درسي بالبصرة فدخل علي شيخ مسن قد ناهز الثمانين أو جاوزها وقال لي: قصدتك بمسألة اخترتك لها فقلت: وما هي؟ وظننت أنه يسأل عن حادثة نزلت به، فقال: أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو، فان هذين لعظيم شأنهما لا يسأل عنها إلا علماء الدين، فعجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبادر إليه واحد منهم بالإنكار والاستخفاف، فكففتهم، وقلت: هذا لا يقتنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله، فأقبلت عليه وقلت: يا هذا إن النجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرناك بالطالع، فقال جزاك الله خيرا، وانصرف مسرورا، فلما كان بعد أيام عاد إلي وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

وكان المأمون يوما جالسا مع ندمائه مشرفا على دجلة يتذاكرون أخبار الناس، فقال المأمون: ما طالت لحية إنسان إلا نقص من عقله بقدر ذلك، فلم يسلم له أصحابه ذلك، فبينما هم في ذلك رأوا رجلا كبير اللحية حسن الهيئة والثياب، فقال المأمون: علي به، فلما وقف بين يديه سلم، فأجلسه المأمون، وقال له: ما أسمك؟ قال: أبو حمدونة، فقال: وما كنيتك؟ قال: علوبة، فضحك المأمون وأقبل على جلسائه فغمزهم عليه، ثم قال: ما صنعتك قال: فقيه أجيد الشرح للمسائل، فقال: نسأل عن مسألة، فقال: سل عما بدا لك، قال: فما تقول فيمن أشترى شاة فلما قبضها خرجت من أستها بعرة ففقأت عين رجل، على من تجب دية العين؟ على البائع أم على المشتري؟ فنكت بإصبعه الأرض طويلا ثم قال: دية العين على البائع قال: ولم؟ قال: لأنه باع ولم يشترط أن في أستها منجنيقا، فضحك المأمون ومن معه، ثم أنشأ يقول:

ما أحد طلت له لحية ... فزادت اللحية في هيئته

إلا وما نقص من عقله ... أكثر مما زاد في لحيته

ويؤيد هذا ما روي أن معاوية كان مع أصحابه فمر بهم رجل طويل اللحية فقال معاوية: أيكم يحفظ حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول اللحية، فقال عمرو بن العاصي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اعتبروا عقل الرجل في ثلاث: طول لحيته، وكنيته، ونقش خاتمه " ، فلما جاءهم الرجل قال معاوية: ما نقش خاتمك:)وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد(. قال: وما كنيتك؟ قال: أبو الكوكب الدري، فقال معاوية: كمل الرجل، ولهذا قال عليه السلام: " من سعادة المرء خفة لحيته " .

وروي أن أعرابيين اختصما إلى شيخ حيهما، فقال أحدهما للآخر: إنك والله ما تحفظ آية من كتاب الله، فقال الآخر: والله إني لقارئ، فقال له الشيخ: اقرأ علي، فقال كأنه يقرأ:

علق القلب ربابا ... بعدما شابت وشابا." (١)

"إن دين الحب فرض ... لا ترى فيه ارتيابا

فقال الشيخ لخصمه: والله لقد قرأها كما أنزلت، فقال خصمه: والله يا سيدي ما تعلمها إلا البارحة.

ويشبه هذا ما ذكر أن رجلا سمع رجلا ينشد:

فلا تقبل لغانية يمينا ... ولو حلفت برب العالمينا

فقال: أشكل علي موضعها في)إنا فتحنا لك فتحا مبينا(.

وذكر أن أعرابيا تقدم إلى القاضي سوار في أمر فلم يجد عنده ما يحب، فاجتهد فلم يظفر بحاجته، قال: فقال الأعرابي وفي يده عصا:

رأيت رؤيا ثم عبرتها ... وكنت للأحلام عبارا

بأنني أخبط في ليلتي ... كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا حتى منع منه قال: فما عاقبة سوار.

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال له الضيف: يا راعي الغنم، فأومأ الحطيئة بعصاه وقال: عجراء من سلم، فقال الرجل: إني ضيف فقال: للضيفان أعددتها.

وروي أن ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة، وللموالي عامة، فأما العجم فهم عبيدك، والأمر إليك.

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره، وإذا هو خاضب فقال: إنك من لحيتك في مئونة فقال: أجل، ولذلك أقول:

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١٢٢

لها درهم للدهن في كل جمعة ... وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يريد بن مزيد ... لصوت في حافاتها الجلمان

ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة أي الشحم يعني سمينا فقال: يا هذا، إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك.

ويروى أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال: يا فساق، أردت صفيحة ماضية فقالت:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى صلعاء مشرفة القذال

فقال: يا فجار، أردت بيضة حضينة فقالت:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى أير أسد به مبالي

وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعر قط إلا تبين فيه الضعف، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك كان لها أربع خصى.

وقال المبرد: حدثني شيخ من الأزد عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له: ألا تدعو لأمك فقال: إنها تميمية. وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه، فعوتب فقال: هذه ضعيفة وأبي يحتال لنفسه.

وقال بعض المحدثين:

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ... ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي

وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

وقال الآخر:

وأمنع جارتي من كل خير ... وأمشي بالنميمة بين صحبي "

ورأى طفيلي رجلا اشترى سمكا كثيرا مطبوخا، وحمله على رأس أمه له إلى داره، فتبعه، فلما رأى الرجل الطفيلي بادر فأدخل الأمة ودخل وأغلق الباب، فتسور الطفيلي فأشرف عليهم، فقال له الرجل: أما تتقي الله تطلع على محارم الناس؟ فقال:)لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد(فضحك الرجل وقال له: انزل إلى الباب يفتح لك، فنزل، فعمد الرجل إلى كبار السمك فجعلها في زاوية البيت وترك

الصغار، فلما دخل الطفيلي ورآها علم القصة، فأجال بصره في البيت فرأى الإناء في زاوية البيت مغطى، فعلم أن حاجته فيه، فجعل يأخذ من تلك الصغار السمكة فيقطع رأسها " بعنف " ويقربه من أذنه ويصغي إليه ثم يطرحه، فقال له الرجل: ما هذا الذي تصنع؟ فقال له: اعلم أن أبي كان يسافر في البحر، فغرق وأكلته الحيتان، فقلت: اليوم أدرك **ثأري**، فإذا بهذه الحيتان تقول لي: إنا عند غرق أبيك لم نكن خلقنا بعد، وإن التي أكلت لحم أبيك في الإناء الذي في زاوية البيت، فضحك الرجل واستظرفه، وآتاه بالإناء الذي فيه الكبار، فأكل حتى قضى حاجته.

" وأتى طفيلي وليمة فاقتحم وأخذ مجلسه مع الناس، فأنكر عليه صاحب الدار وقال: لو صبرت حتى يؤذن لك لكان أحسن لأدبك فقال: إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها، والموائد ليؤكل عليها، والشحنة قطيعة، وإطراحها صلة، وجاء في **الآثار**: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، ثم اجمع فيها خلالا، أحصل مجالسا، وآكل موانسا، وأبسط رب الدار وإن كان عابسا، وأنشد:." (١)

"أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها

أخزى الله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات، فلما أصبح إذا الحمر مطرحة حوله واسهمه مضرجة بالدم، فندم على كسر قوسه وشد على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وقال الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الضرار

ومنه ما قيل في خفي حنين وكان حنين إسكافا من الحيرة فساومه أعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته،

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/١٢٣

ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول. وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ قال: أتيت بخفي حنين، فضربته العرب مثلا. و قال الشاعر في مثله:

لتقرعن علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

محاسن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم " ، فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جل وتعالى: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا " ، فجعل القتال ثأرا للجلاء. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الخروج عن الوطن عقوبة. وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر.

وقال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قول أعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل: ما تشتهي؟ قال: محضا رويا وضبا مشويا.

وحدث عن بعض بني هاشم قال: قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية! قلت: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى حمى ضرية لعمر الله ما نريد بها بدلا ولا نبغي عنها حولا نفحتها العذاوات وحفتها الفلوات فلا يعلولج ترابها ولا يتمعر جنابها ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذى ولا قذى ولا موم، فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة. قلت: فما طعامكم؟ قال: بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه الفث والهبيد والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والينمة والعراجين والحسلة والضباب واليرابيع والقنافذ والحيات وربتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فما نعلم أحدا أخصب منا عيشا ولا أرخى بالا ولا أعمر حالا، أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيرا برقيق العيش ولذيذه؟ قلت: وما قال؟ قال قوله:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعه ورزق من السعة وإياه نسأل تمام النعمة.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

ذكر من اختار الوطن على الثروة – قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك.

وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذلة فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة.

وقالت العرب: الغربة ذلة والذلة قلة.." (١)

"فقلت في نفسي: ضممت إلى من أريد أن أتعلم منه.

وكان يقال: ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه، وقيل: من لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه. وقال الشاعر:

عليك حفظ اللسان مجتهدا ... فإن جل الهلاك في زلله

ولآخر:

وجرح السيف تدمله فيبرا ... وجرح الدهر ما جرح اللسان

جراحات الطعان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

ولآخر:

وجرح اللسان كجرح اليد

ولآخر:

وجرح السيف يأسوه المداوي ... وجرح القول طول الدهر دامي

مساوئ جناية اللسان

أحمد بن إبراهيم الهاشمي قال: لما عفا أبو العباس السفاح عن سليمان بن هشام بن عبد الملك وعن ابنيه قربهم وأدناهم وبسطهم حتى كانوا يسمرون عنده بالليل، وكان سليمان إذا دخل ثنيت له وسادة وكذلك لابنيه وربما

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/١٣٨

طرحت لهم نمارق ونصبت لهم كراسي، فإنهم عنده ذات ليلة أو ذات يوم إذ دخل إليه أبو غسان الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين بالباب رجل متلثم أناخ راحلته وقال: استأذن لي على أمير المؤمنين. فقلت: ضع عنك ثياب سفرك.

فقال: لا أحط رحلي ولا أسفر عمتي حتى أنظر إلى وجه أمير المؤمنين. فقال أبو العباس: فهل سألته من هو؟ قال: قد فعلت فذكر أنه سديف مولاك. فقال: سديف سديف! ائذن له فدخل رجل أحم طويل يتثنى عليه ممطر حر ومعه محجن يتوكأ عليه، فلما نظر إلى أبي العباس سفر عن وجهه ثم سلم ودنا وقبل يده ثم انصرف إلى خلفه. فقام مقام مثله وأنشده:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل رقلة وغراس

ولقد ساءني وساء سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الل ... ه بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسى ... ثاويا بين غربة وتناسي

نعم شبل الهراش مولاك لولا ... آود من حبائل الإفلاس

فقام سليمان بن هشام فقال: يا أمير المؤمنين إن مولاك هذا مثل بين يديك يبعثك على قتلي وقتل ابني ويحدوك على طلب ثأرك منا، وقد بلغني أنك تريد اغتيالي. فقال أبو العباس: والله ما كان عزمي أن أقتلك ولا أن أسيء بك ولا أطالبك بشيء مما طالبت به أهل بيتك، فأما إذ وقع في خلدك إني أغتالك فيا جاهل من يحول بين وبينك وبين قتلك حتى أغتالك؟ ثم أمر بقتله وقتل ابنيه.

فقال سليمان لقاتله أبي الجهم: إنك قد أمرت بأمر لا بد لك من إنفاذه وحاجتي إليك أن تقدم ابني حتى أحتسبهما، ففعل.

وخرج سديف وقد وصله العباس بخمسة آلاف دينار وهو يقول: قد قرت العينان واشتفت النفس فلله الحمد والشكر! وحكي عن شيرويه بن أبرويز أن رجلا من الرعية وقف له يوما وقد خرج من الميدان فقال: الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده، فإنه كان يأخذ بالإحنة، ويقتل بالظن، ويخيف البريء، ويعمل بالهوى.

فقال شيرويه لبعض حجابه: احمله إلي. فحمل. فقال له: كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟ قال: كنت في كفاية العيش. قال: فكم رزقك بما سمعت اليوم؟ قال: ما زيد في رزقي شيء. قال: فهل وترك أبرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟ قال: لا. قال: فما دعاك إلى الوقوع فيه ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك، وما للعامة والوقوع في الملوك وهم رعية؟ وأمر أن ينزع لسانه من قفاه، وقال: حق ما يقال: الخرس خير من البيان بما لا يجب. وقال بعض الشعراء في مثله:

يا ليت أني لا أموت بغصتي ... حتى أرى رجلا يقول فيصدق

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

ولآخر:

لعمرك ما شيء علمت مكانه ... أحق بسجن من لسان مذلل

على فيك مما ليس يعنيك قوله ... بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

ولآخر:

إذا الأمر أعيا اليوم فانظر به غدا ... لعل عسيرا في غد يتيسر

ولا تعد قولا من لسانك لم يرض ... مواقعه من قبل ذاك التفكر." (١)

"وقال أبو عمرو بن العلاء: لما قدم عبد الملك المدينة خطب فقال: يا أهل المدينة إنا والله ما نحبكم ما ذكرنا ما فعلتم بنا ولا تحبونا ما ذكرتم ما فعلنا بكم! وإنما مثلنا ومثلكم كمثل حية كانت في جحر إلى جنبها خباء رجل فوثبت عليه فلسعته فقتلته فجاء أخو المقتول يطلب بثأر فقالت له الحية: لا تقتلني حتى أؤدي إليك دية أخيك. ففارقها على ذلك وعاهدها فكانت تؤدي إليه في كل يومين مالا، فلما استوفى أكثر الدية قال: والله لو قتلتها كنت قد أدركت ثأري وأخذت الدية. فعمل فأسا وحددها، فلما خرجت إليه أهوى إليها بالفأس فأخطأها ورجعت إلى جحرها فأسقط في يده. فقالت: والله ما الثأر أدركت ولا الدية استوفيت! فقال: تعالي أعاقدك أن لا ينداك مني مكروه حتى أستوفي منك الدية. فقالت: أما ما رأيت قبر أخيك تجاهك وذكرت أنا الضربة فلن أثق بك ولن تثق بي. ثم أنشده:

ألا هل لنا مولى يحب صلاحنا ... فيعذرنا من مرة المتناصره

وأنشد في مثله:

(١) المحاسن والمساوئ، ص/١٦٨

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي ... فتبت فأزمعوا أن يظلموني

فلست بصابر إلا قليلا ... فإن لم ينتهوا راجعت ديني

ولآخر:

إياك من ظلم الكريم فإنه ... مر مذاقته كطعم العلقم

إن الكريم إذا رآك ظلمته ... ذكر الظلامة بعد نوم النوم

فجفا الفراش وبات يطلب ثأره ... أنفا وإن أغضى ولم يتكلم

محاسن الشدة

ذكروا أن جندب بن العنبر كان شديد البأس وأن عوانة بن زيد عيره يوما فقال:

هل يسود الفتى إذا قبح الوج ... هـ وأمسى تراه غير عتيد

وإذا ما تكلم القوم يوما ... في الندى قال قولا غير سديد

وكان جندب فيه دمامة مع إمساك غير أنه كان ليثا في الحرب، فأجابه:

ليس زين الفتى الجمال ولكن ... زينه الضرب بالحسام التليد

وكان جندب عائفا فقال: والله لا تموت حتى تنصر عليك ظعينة. وإن عوانة خرج يوما يتصيد على فرسه ومعه قوسه فسار غير قليل إذ عرضت له جارية قد حملت وطبا من لبن فهم بها فدنا فقال: تمكنيني طائعة أو تقهرين؟ فقالت: لا إحداهما. فنزل إليها فأخذت ساعديه بإحدى يديها فما زالت تعصرهما حتى تركتهما وما يستطيع أن يحركهما ثم كتفته بوتر قوسه وشدت حبل الفرس في جيده ثم قالت: خذ بنا نحو محلة جندب. فمر يقود الفرس في جيده حبل. فلما قارب الحي بصر بجندب مقبلا فناداه: أيها المرؤ الكريم انصر أخاك ظالما أو مظلوما! فذهب مثلا، فأطلقه.

ومنهم كليب بن شؤبوب الأزدي كان أخبث أهل زمانه في قطع الطريق وحده، وكان كثير الغارة على طيء، فدعا حارثة بن لأم الطائي رجلا من قومه يقال له عبرم، وكان شجاعا، فقال له: أما تستطيع أن تكفينا هذا؟ قال: نعم. فأرسل العيون حتى علم مكانه فانطلق إليه حتى وجده نائما في ظل أراكة وفرسه مشدود عنده، فنزل عبرم ورجل معه فمشيا حتى أخذ كل واحد منهما بإحدى يديه، فانتبه ونزع يده اليمنى فقبض على حلق صاحب اليسرى وهو عبرم فما زال يخنقه حتى قتله. وقد كان أعد قوما فلحقوه وهم عشرة فوجدوه قتيلا، وأخذوا كليبا فكتفوه وساقوه، وأنشأ خوذة بن عبرم يرثي أباه ويقول:

إلى الله أشكو أن أؤوب وقد ثوى ... قتيلا وأودى سيد القوم عبرم

فمات ضياعا هكذا بيد امريء ... لئيم فلو أدمي لما كنت أثلم

ولكن ثوى لم يكلم السيف جيده ... ولا ناله رمح ولم يرق الدم

فأنت ابن شؤبوب فيا لهفتا له ... وما جز من أظفاره منك أكرم

سأسقيك قبل الموت كأسا مزاجها ... ذعاف من السم النقيع وعلقم

فأجابه كليب:

أخوذة إن تفخر وتزعم بأنني ... لئيم ويأبى لي قتالي عبرم

فأقسم بالبيت المحرم من منى ... وبر يميني صادقا حين أقسم

لضب بقفر من قفار وضبعة ... خموع ويربوع الفلا منك أكرم

ألا عجبا من فخر هذا وأمه ... سوادية والجد علج مكدم

أتوعدني بالمنكرات وإنني ... صبور على ما ناب جلد مصمم." (١)

"قال له المهدي: تطالبني وأنت المطلوب، وبباطلك تغلب حقي وأنت المغلوب، الآن ظهر فسادك، وبلغ غرسك، ودبت عقاربك، اللهم إلا أن تقر بذنبك وتعترف بجرمك وتتوب إلى ربك وتحقن بالإنابة دمك، فإن فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبسك وإلا فاحتسب نفسك ولا تلم إلا جهلك.

قال جعفر: ما لي ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لي بك قوة فأنتصر، وأنت على ظلمي مقتدر، فإن كنت تعلم أن ما بعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ما شئت واستكثر.

قال المهدي: لا والذي بمكة بيته الحرام، وحوله الشعث العاكفون قيام، ما أخشى في إقامة الأحكام عليك وعلى أشباهك إثما ولا زورا، فاستسلم للقتل ودع الكلام، فإنه إذا عقر الأساس تداعى النظام، وإذا انكسرت القوس تعطلت السهام، وأنت فطال ما أعنت على إطفاء النور بريح الظلام.

قال جعفر: اعف فإنك كريم جواد سامح، ولا تقبل في قول العدو الكاشح، فإني من الإسلام على الطريق الواضح، رفيق على أهله ولهم ناصح، أبر العالمين بفهم راجح، فلا تقدم علي بقول كلب نابح، فقتلك إياي عمل غير صالح.

---

(١) المحاسن و المساوئ، ص/٢٠٥

قال المهدي: مذهبك واعتقادك تزعم أن الآخرة بعد فراق الساهرة، وأن الناس كانوا أعلاما زاهرة، وأشجارا ناضرة، وزروعا غاضرة، تلبث يسيرا ثم تعود هشيما، وإن من مات لا يعود كما أن ضوء المصباح إذا طفيء لا يرجع.

قال جعفر: لا والذي يخلق ويبيد، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ما قلت ذلك وهو له شهيد، وإني أخلص له التوحيد والتفريد والمشية والتحديد، وأشهد أنه الغفور الودود، يعلم منقلب العبيد.

قال المهدي: إن كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرني كتاب زندقتك الذي بالجهل ألفته وبالباطل زينته وبالضلال زخرفته، سميته أس الحكمة وبستان الفلسفة، زعمته مستخرجا من ديوان الإلهام منظما بحسن الكلام، عنفت فيه الإسلام وأضللت فيه الأنام.

فقال جعفر: لا والذي خلق الظلمات والنور، ودبر الأمور وهو قادر على أن يبعث من في القبور، ما هذا إلا إفك مجترح وزور، وإن ديني لظاهر منير تقديمي ذرية من هو مع الله جل وعز في كل فرض لازم أمام النبيين في البيت المعمور، فاتق الذي خلقك وأمر عبادك قلدك يعلم خفيات الأمور.

قال المهدي: وأصفح لك عن هذا فما حجتك في كتابك الذي أضل أهل الشقاق والنفاق ومن منهم في الأندية والأسواق يقرأونه ويتدارسونه في الآفاق، أما بعد أعلمكم أن الله جل وعز عدل لا يوالي الظالمين ولا يرضى فعال الجاهلين، وأنه ليس لله بولي من رضي بأحكام الجائرين، فسيحوا في الأرض حيث لا تنالكم أيدي المعتدين، فإن بني العباس طغاة كفرة، أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة، دولتهم شر الدول، عجل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين.

قال جعفر: هذا والله بهتان عظيم جدا قذفني به قاذف عمدا وأنت تعلم أني ما خالفت لكم أمرا ولا غبت منكم أحدا، فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الزلة فإنك راع مسؤول.

قال المهدي: أولم أبلغ أنك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء، فأي داهية أدهى منك؟ قال جعفر: ما بلغت حقا ولقد طوى النصيحة من أودع قلبك بهتانا وإفكا فلا تقبل في قول من ظلم واعتدى وبفسادي إليك سعى، فإن الله جل وعز سائله يوم يود الظالم يا ليته لم يكن أميرا، ولا كان المضل له وزيرا.

قال المهدي: إنك لجاهل أن تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك، هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك، وقد قيل: من ظفر بحية لا يأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه، ولعمري إن من يكون له عدو مثلك

يرقب غرته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز.
قال جعفر: وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وإنما يكتفي مثلي من مثلك بلحظة، فالكرماء رحماء بررة، والقسوة في اللئام الشررة. قال المهدي: من تنته أيامه لاحت في الظلام أعلامه وأسرع به أن يذوق حمامه، يا غلام سيفا قاطعا وضاربا حاذقا! قال جعفر: إن كنت تؤمن بالمعاد وتتقي من الحشر يوم التناد، يوم يجمع الله فيه العباد، تعلم أن طالب ثأري لك بالمرصاد، ومن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة، إن قدمتني أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التي ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك.." (١)

"وحكي عن أبي عباد الكاتب أنه قال: كنت يوما عند المأمون فدعا بالغداء وكان يستنزل من قام من مجلسه عند ذكر الطعام ويقول: هذا من أخلاق اللئام، فقدموا إليه بطيخا على أطباق جدد فجعل يقور بيده ويذوق البطيخة فإذا حمد حلاوتها قال: ادفع هذه بسكينتها إلى فلان. فقال لي وقد دفع إلي بطيخة كانت أحلى من الشهد المذاب: يا أبا عباد بم تستدل على حمق الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين أما عند الله فعلامات كثيرة وأما عندي فإذا رأيت الرجل يحب الشاهلوج ويبغض البطيخ علمت أنه أحمق. قال: وهل تعرف صاحب هذه الصفة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين الرستمي أحد من هذه صفته. قال: فدخل الرستمي على أمير المؤمنين، فقال له المأمون: ما تقول في البطيخ الرمشي؟ قال: يا أمير المؤمنين يفسد المعدة ويلطخها ويرقها، يرخي العصب ويرفع البخار إلى الرأس. قال: لم أسألك عن فعله إنما سألتك أشهي هو؟ قال: لا. قال: فما تقول في الشاهلوج؟ قال: سماه كسرى سيد أجناسه. قال: فالتفت المأمون إلي وقال: الرجل الذي كنا في حديثه أمس من تلامذة كسرى في الحمق.
قال: ودخل أبو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان أحمق فقال: كان أبوك يا أبا خيرا لنا منك وأنت يا أبا ليس تعدنا ولا تبعث إلينا ونحن يا أبا تجارك وجيرانك. قال: فجعل المأمون لا يزيده على التبسم.
قال: وقال مروان بن الحكم لرجل: إني أظنك أحمق. فقال: ظن أو يقين؟ قال: بل ظن. فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه.
ومما قيل فيهم من الشعر:
يا ثابت العقل كم عاينت ذا حمق ... الرزق أغرى به من لازم الجرب
وإنني واجد في الناس واحدة ... الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدب

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٢٢٣

وخصلة ليس فيها من يخالفني ... الرزق والنوك مقرونان في سبب

ولآخر:

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله ... على أنه يشقى به كل عاقل

سعى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

ولآخر:

رأيت الدهر بالأحرار يكبو ... ويرفع رتبة القوم اللئام

كأن الدهر موتور حقود ... يطالب ثأره عند الكرام

ولآخر:

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب اللب عنه الرزق منحرف

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كأنه من خليج البحر يغترف

محاسن مضاحيك وألقاب

قال: كان اسم الأقيشر المغيرة بن الأسود وكان يغضب إذا دعي بالأقيشر، فمر ذات يوم بقوم من بني عبس فقال بعضهم: يا أقيشر. فنظر إليه طويلا وهو مغضب ثم قال:

أتدعوني الأقيشر ذاك إسمي ... وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سرا ... ورب الناس يعلم من تناجي

فسمي ذلك الرجل ابن مطفئة السراج وبذلك يعرف ولده إلى اليوم.

قال: وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل عامل الحجاج على الكوفة، وكان يلقب أبا صفية، فاستعدت امرأة على زوجها، فأتاه صاحب العدوى عند المساء فأعلمه. فقال: نعم أغدو معها. فبات الرجل يقول لامرأته: لو قد أتيت الأمير لقلت أبا صفية إنها تفعل كذا وكذا، فيأمر من يوجعك ضربا، وجعل يكرر عليها بأبي صفية فحفظت الكنية وظنت أنها كنيته، فلما تقدمت إليه قالت: أصلحك الله أبا صفية. فقال لها: أبو عبد الله عافاك الله. فأعادت. فقال لها: أبو عبد الله فأعادت. فقال: يا فاسقة أظنك ظالمة! خذ بيدها الخبيثة. وحكم للزوج عليها.

قال: وولى يوسف بن عمر رجلا من بني سليم يلقب بأبي العاج، وكان يغضب منه، فقدم إليه رجل خصما له فقال: يا أبا العاج. فقال: أبو محمد يا ابن البظراء. فقال: أتقول هذا لأمي وقد حجت! قال: لا يمنعها ما

قلت من الحج.

فن منه في الطمع

قيل لأشعب: أي شيء بلغ من طمعك؟ قال: ناديت بصبيان ولعوا بي فقلت لهم لأنحيهم عن نفسي: إن في دار بني فلان عرسا وهناك نثار. فولوا عني مبادرين وجعلت أشتد معهم طمعا في النثار.." (١)

" وإعجامه بالضرب والطعن فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام وهذا مقصد في حل الأبيات الشعرية حسن فإن استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه وقد نبهت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبها ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبها ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع نحس في حكم النجامة وكيف ترجو بكفرها ظهورا ولها منه معنى الاختفاء وللإسلام معنى السلامة ولما التقى الجمعان اصطفقت يمين وشمال وزحفت جبال إلى جبال وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تفي بالآجال وأقدمت الخيل إقدام فرسانها وأظلم النقع فلا تبصر إلا بآذانها ونالت النحور ثأرها من كعوب الرماح واشتكت الأسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح واستؤصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الأصفاد ونقلوا إلى جهنم يصلونها وبئس المهاد وانقلب المسلمون وقد ملئوا الأغماد نصرا والصحائف أجرا والأيدي وقرا والقلوب جذلا والألسنة شكرا وكان ذلك اليوم في الأيام عِرما وفي الأقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا إليه إلا راجع شبابا بعد أن ناهز هرما

في هذا الفصل شيء من معاني الشعر وذلك من قول أبي الطيب المتنبي ." (٢)

" على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة في ذلك

(حباء شقيق فوق أحجار قبره ... وما كان يحبى قبله قبر وافد)

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٢٥٢

(٢) المثل السائر، ١٠٥/١

وكذلك ورد قول أخت جساس زوجة كليب فإنه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء إليها وندبنه فتحدث بعضهم إلى بعض وقلن هذه ليست ثاكلة وإنما هي شامتة فإن أخاها هو القاتل فنم ذلك إليها فقالت

(يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي)

(فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي)

(إن أختا لامرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي)

(جل عندي فعل جساس فوا ... حسرتا عم انجلت أو تنجلي)

(فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي)

(لو بعين فقئت عين سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل)

(يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل)

(هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول)

(يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل مثكلي) ." [1]

" خوارا وأن زئيرهم قد انقلب خواراأذعنت أيديهم باستلامها وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وحمامها فأبى السيف أن يترك رقابا تغذي بأكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزاع هذا البلد قسرا وفتك بمن كان به من المسلمين غدرا وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه وتتجمل في الدنيا بزينة أثوابه والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه وإن تطاولت أمداد السنين على قدمه فيا بعد عهد هذا الثأر من ثائره ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذوو الرأي بقبول الفدية المبذولة وألا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة فإن النقد إذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهؤلاء إذا رأوا عين القتل تجردوا للقتال وركبوا الأهوال للنجاة من الأهوال ومن يدع إلى خطة رشد فليقبلها ومن أنشط له عقل الأمور فلا يعقلها وعلى كل حال فإن الفدية للمسلمين أرغب وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمته عند الله مما طلعت عليه الشمس ولا يوازي فتحه عنوة أن يتعدى إليهم أضراره ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل

---

(١) المثل السائر، ١/٣٠٨

أقطاره فرأى الخادم عند ذلك أن الرأي مشترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل نعامتهم ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار واستنصره فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته بقتله أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عريض الفخار زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار وزاده فخرا إلى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوي الذي كان في تلك الأرض موعده ومن صخرتها مصعده وذلك هو الإسراء الذي ركب إليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع الطباق ولقي فيه الأنبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملقى بخير لاق وبركة ذلك اليوم سرت إلى هذا ." (١)

"وكان أبو علي يذهب إلى أن عين الخافة وهي الخريطة المنقوشة ياء ويأخذها من هذا الموضع وذلك لما فيها من اختلاف الألوان ومن قال ههنا من الأحيف فقدسها.

فاطمة بنت الأجحم الخزاعية

الأجحم الشديد حمرة العينين مع سعتهما والانثى جحماء وهذا الشاعر هو أجحم بن دندنة الخزاعي زوج خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب وكان أجحم هذا أحد سادات العرب. وخزاعة علم مرتجل وسميت بذلك لانخزاعهم عن الأزد إلى الحجاز أيام خرجوا من مأرب أي لانقطاعهم عنها يقال انخزع الحبل أي انقطع وانخزع متن الرجل إذا انحنى من ضعف وكبر قال:

فلما حللنا بطن مر تخزعت ... خزاعة عنا في جموع كراكر

السليك بن السلكة

هذا منقول من قولهم سلك هو طائر وهو ذكر الحجل وجمعه سلكان والسليك تحقير سلك.

العجير السلولي

بنو عجر بطن من العرب فقد يجوز أن يكون العجير تحقير هذا الاسم وقد يجوز أن يكون تحقير أعجز والمؤنث عجراء إذا كانا ذوي عجر وهي العقد قال رجل لراع ما عندك يا راعي الغنم قال عجراء من سلم قال اني

---

(١) المثل السائر، ١٣٣/٢

ضيف قال للضيف أعددتها. وأما سلول فاسم مرتجل لا نعرفه جنسا.

مهلهل

أتاك بقول هلهل نسج كاذب ... ولم يأت بالحق الذي هو ناصع

وأنكر قوم هذا فقالوا كيف يكون هذا ومهلهل أحد شعراء العرب قال ابن الكلبي انما سمي مهلهلا ببيت قاله. يقال انه أول من أرق الشعر وهلهله قال النابغة:

لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت اثأر مالكا أو صنبلا

الكراع أنف الحرة وهلهلت رجعت الصوت.

أبو حنش

الحنش ضرب من الحيات والحنش أيضا وأحد أحناش الأرض وهي هوامها.

صفية الباهلية

يقال ناقة صفي أي غزيرة اللبن قال:

عقر الصفي فما اشتوى من لحمها ... فلذا ومثل لحامها لا يشتوى

وفلان صفي فلان وصفوته وفلانة صفي فلان وصفيته ويقال رجل باهل إذا كان مترددا بلا عمل وكالراعي بلا عصا قال كالآبق العربان يدعو باهلا ومنه الناقة الباهل التي ليست بمصرورة وكذلك المرأة الباهل وقالت امرأة لزوجها وأتيتك باهلا غير ذات صرار ضربته مثلا تشبيها بالناقة فأما قولهم في التسمية باهلة بن أعصر فيجوز أن يكون من قولهم بهله الله أي لعنه وعليه بهلة الله أي لعنة الله وهذا مما تدخله الهاء فتكون باهلة كلاعنة وهو أمثل من أن تقول إنه ألحق الهاء على المعتاد من تغيير الأعلام.

نهار بن توسعة يرثي أخاه عتبان

النهار المعروف وجمعه نهر قال:

لولا الشريدان لبثنا بالصمر ... ثريد ليل وثريد بالنهر

والقياس يوجب ترك جمع النهار من حيث كان جنسا جاريا مجرى المصادر ونقيضه الليل وقياسه ألا يجمع أيضا قال أبو علي فأما قول الشاعر:

إني إذا ما الليل كان ليلين ... ولجلج الحادي لسانين اثنين

فانما ثناه من حيث أوقع اسم الكل على البعض كما ترد الجنس إلى النوع في قولك قمت قيامين وانطلقت

الانطلاقين وأكثر الناس على الامتناع من جمع النهار لما ذكرناه ومنه عندنا قوله عز وجل " وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل " فهذا أيضا من ايقاع اسم الكل على البعض لأنهم لا يمرون عليهم جميع ما في الوهم من الليل هذا محال فالموضع إذا موضع مجاز ويقال نهار أنهر كما يقال ليل أليل وقول سيبويه يسير عليه الليل والنهار هو مما أوقع فيه اسم الكل على البعض أيضا فأما النهار فرخ الكروان فيكسر أنهرة وهذا قياس صحيح في غير الليل والنهار. توسعة أمره ظاهر لأنه مصدر وسعته. وأما عتبان فمنقول من قولك أعطاني فلان العتبي بزعمه فبلوته فلم أجد عنده عتبانا.

قسامة بن رواحة السنبسي

القسامة الحسن رجل قسيم أي حسن والقسامة أيضا الجماعة يجتمعون فيقسمون على أمر ما بكونه أو ببطلانه. فأما رواحة فمرتجل علما وليس بمنقول. وإنما يقال رحنا رواحا لا رواحة.

سليمان بن قتة العدوي." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٢ """""""

لحدة رائحته . والجبوب الأرض وقيل ظاهر الأرض ، يقول هذا الفرس من شدة جريه كأنه يبلع الأرض بلعا كما قالوا جيش لهام كأنه يلتهم ما مر به . ويبادر الآثار أي آثار القوم الذين يطلبهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ومأمنهم . أن تؤوبا : أي أن ترجع إلى ما كانت عليه من الطموس إذ لا تستبين إلا على قرب عهد من الناس . ويروي يؤبا وتؤوبا بالتاء وبالياء ضبطها أبو علي في كتابه من نوادر ابن الأعرابي وصحح عليهما ورواه أبو العباس ثعلب عن الفراء يبادر الآثار جمع ثأر . وقال أبو العباس في الكتاب الكامل المتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك فهذا التفسير على تلك الرواية وقد يكون تؤوب على هذه الرواية بمعنى تذهب لأن الرجوع ذهاب ، يريد يبادر ثأره أن يذهب ويبطل . ورواه أبو بكر ابن دريد :

يبادر الأشباح أن تغيبا . . . والجونة البيضاء أن تؤوبا

على أن ذلك كان ليلا وقال الأصمعي : إنما سميت الشمس جونة لأنها تسود حين تغيب .

وأنشد أبو علي ' ١ - ١١ ، ٩ ' :

وسفر كان قليل الأوان . . . وقال الأون الفتور

قال المؤلف يقال آن أونا رفق في سيره وأمره وآن في عيشه أونا ترفه . وآن الشيء يئين أينا حان وأصله من

---

(١) المبهج، ص/١٩

الواو ولكنه من باب فعل يفعل مثل ولي يلي وجاء المصدر بالواو ليطرد على فعله .

وأنشد أبو علي ' ١ - ١١ ، ٩ ' للفرزدق :." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٨٠ """""""""

فدى لابن حصن ما أريح فإنه . . . ثمال اليتامى عصمة في المهالك

قال المؤلف : هذا أول الشعر وبعده :

سما لعكاظ من بعيد وأهلها . . . بألفين حتى دسنهم بالسنابك

فباع بنيه بعضهم بخشارة . . . وبعت لذبيان العلاء بمالك

قوله لابن حصن يعني عيينة بن حصن . ويروى ما أريح بفتح الحاء وما أريح بضمها والرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل ويروى بخسارة أي رضوا بالديات فكان ذلك عارا وخسارا عليهم وأبيت أنت إلا إدراك ثأرك . والخشارة السفلة . وبعت بمعنى اشتريت . يقوله الحطئة لعيينة بن حصن الفزاري ، وكانت بنو عامر قتلت ابنه مالكا فغزاهم فأدرك بثأره وغنم وغنم . واسم الحطئة جرول بن أوس بن مالك من بني قطيعة بن عبس يكنى أبا مليكة لقب الحطئة لقصره وقربه من الأرض . يقال حطأته إذا ضربته ضربة شديدة ألزقته بالأرض . وهو رواية زهير وهو جاهلي أو هو إسلامي ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وأنشد أبو علي ' ١ - ١٨ ، ١٧ ' لأسامة بن الحارث :

كفيت النسا نسال حر وديقة

قال المؤلف : قبل البيت وهو أول الأبيات :

عصاني أويس في الذهاب كما أبت . . . عسوس صوى في ضرعها الغبر مانع

كفيت الناس نسال حر وديقة . . . إذا سكن الثمل الظباء الكواسع

عصاني فلم يردد علي بطاعة . . . بمكث ولم تقبض عليه الأشاجع." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١١٢ """""""""

' أ ' و يقول : إن هذا إنما هو أخوه ويكنى أبا ربيعة وإنما لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أي رققه .

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٤٢/١

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٨٠/١

وقال الطوسي : سمي مهلهلا ببيت قاله لزهير بن جناب وهو :

لما توعر في الكراع هجينهم . . . هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

شاعر جاهلي ، وهذا الشعر يقوله لما أدرك بثأر أخيه كليب ، واسم كليب وائل وكنيته أبو الماجدة ، وإنما لقب كليبا بالجرو الذي اتخذه ، قال مهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب . . . فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا . . . وكيف إياب من تحت القبور

بأني قد تركت بواردات . . . بجيرا في دم مثل العبير

وهمام بن مرة قد تركنا . . . عليه القشعمان من النسور

وهي كلمة طويلة . الشعثمان شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٣ """""""

أسأت إلى النوائب فاستثارت . . . فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي . . . فصار مطالبا لك بالترات

' والأصل فيه قول أبي نواس في آل برمك :

لم يظلم الدهر إذ توالت . . . فيهم مصيباته دراكا

كانوا يجيرون من يعادي . . . منه فعاداهم لذاكا '

ولله در أبي الطيب في قوله :

تفيت الليالي كل شيء أخذته . . . وهن لما يأخذن منك غوارم

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا . . . مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

فجعل الممدوح والزمان كقرنين متساجلين وجعل للمدوح الغلبة والفلج . وأما قولها :

زعموا قتلت وما لهم خبر

فإنها تعني أصحابه الذين غادروه ونجوا واعتذروا في قتله ، وزعموا أنهم لم يكن لهم خبر بأمره وقولها :

وإذا رقدت فأنت منتبه تريد يقظته وشهامته كما قال تأبط شرا

إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل . . . له كاليء من قلب شيحان فاتك

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ١١٢/١

وقولها :

وإذا انتبهت فوجهك البدر

لأن المعهود في وجه الهاب من نومته العبوس والبسور والكسل وقلة النشاط .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٤١ ، ٤٠ ' شعرا فيه :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٦٩ """""""

ع قبله :

جندك التالد العتيق من السادات . . . أهل القباب والآكال

غير ميل ولا عواوير في الهيجا . . . ولا عزل ولا أكفال

ودروع من نسج داود في الحي . . . وسوقا يحملن فوق الجبال

يمدح بهذا الشعر الأسود بن المنذر . وذكر أبو علي الأكشف والأميل ولم يذكر الذي لا رمح له وهو الأجم ، ولا الذي لا قوس معه وهو الأنكب ، ويروى في الهيجا وسوقا ، والوسوق : الأحمال واحدها وسق .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٨٣ ، ٨٣ ' شعرا منه :

إذا قيل أين المشتفي بدمائهم . . . وأين الروابي والفروع المعاقل

المشتفي بدمائهم فيه معنيان أحدهما : أنه من أصاب منهم واحدا بثأره فهو له شفاء ولقتيله بواء ، والدم الكريم هو الثأر المنيم كما قال الشاعر أنشده الأشناندان :

لا يشربون دماءهم بأكفهم . . . إن الدماء الشافيات تكال

يقول إذا قتل منهم قتيل لم يأخذوا ديته إبلا فيشربوا ألبانها . وقوله :

إن الدماء الشافيات تكال يقول لا يرضى فيها إلا بالمكايلة وأخذ دم كما قال الآخر وهو أبو قيس ابن الأسلت الأنصاري :

لا نألم القتل ونجزى به ال . . . أعداء كيل الصاع بالصاع

والمعنى الآخر : أنهم كانوا يرون أن الرجل إذا عضه الكلب الكلب ففصد له شريف القوم نفسه وشرب من دمه شفي كما قال الشاعر وهو الحطيئة :." (٢)

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ١٦٣/١

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٢٦٩/١

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٥ """"""""

تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة . . . زغف ترد السيف وهو مفلل

ومقارب الكعبين أسمر عاتر . . . فيه سنان كالقدامى منجل

ومهند في متنه حرجية . . . عضب إذا مس الضريبة مقصل

حرجية : آثار دقاق جدا .

ع هذا الشاعر لا يجد كفؤا يثأر به إلا خؤولته يقول فإن لم أدرك بثأري فثكل ، وإن أثأرت فثكل على ثكل . والأليلة أيضا في غير هذا صرخة النفساء عند الطلق . ومثل هذا البيت في المعنى قول قيس بن زهير :

شفيت النفس من حمل بن بدر . . . وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي . . . فلم أقطع بهم إلا بناني

ومثل قول الحرث بن وعلة وكانت بنو شيبان قتلت أخاه :

قومي هم قتلوا أميم أخي . . . فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا . . . ولئن سطوت لأوهنن عظمي." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٧٦ """"""""

محو بنات نعش والفرقدين والجدي والقطب الخسان وزنه فعلان .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٢٠٢ ، ١٩٩ ' :

وخمار غانية شددت برأسها . . . أصلا وكان منشرا بشمالها

ع قد تقدمت أمثلته في هذا الكتاب وذكر هناك معها . فإن قلت لم خص الشمال دون اليمين ؟ قيل : لأن اليمين هي التي يستعان بها في العدو وتخلى للدفع والذب وهي في ذلك كله أقوى من الشمال ، فشمرة الساعي الناجي وحملة لشيء إن حمل إنما يكون بشماله . وهذا البيت لباعث بن صريم اليشكري يقوله في يوم الحاجر وصلته :

سائل أسيد هل ثأرت بوائل . . . أم هل شفيت النفس من بلبالها

إذ أرسلوني مائحا لدلائهم . . . فملأتها علقا إلى أسبالها

فلمثل ما منتك نفسك خاليا . . . منعتك يشكر أهلها وفضالها

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ٣٠٥/١

وخمار غانية شددت برأسها . . . أصلا وكان منشرا بشمالها

وعقيلة يسعى عليها قيم . . . متغطرس أبديت عن خلخالها

قد قدت أول عنفوان رعيل١ه . . . فلففتها بكتيبة أمثالها

وكتيب سفع الوجوه بواسل . . . كالأسد حين تذب عن أشبالها

متغطرس : متكبر . وقوله أبديت عن خلخالها : أي أغرت على حيها فأحوجتها إلى رفع ذيلها والتشمير للهرب والفرار . وهذا كما قال الآخر :

لعمري لنعم الحي حي بني كعب . . . إذا نزل الخلخال منزلة القلب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٤٦ """""""

وكان الأصمعي يقول هذا المحال كلابي يمدح غنويا :

هينون لينون أيسار ذوو كرم . . . سواس مكرمة أبناء أيسار

ع ذكر أبو تمام أن الذي كان يقول هذا المحال هو أبو عبيدة . وروى محمد بن يزيد هذا الشعر لعبيد بن العرندس لا لأبيه يمدح قوما نزل بهم ولم يذكر ممن هم . وإنما أنكر أبو عبيدة أن يكون كلابي يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقت ببني أبي بكر ابن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم ، ففي ذلك يقول طفيل الغنوي :

وحي أبي بكر تداركن بعد ما . . . أذاعت بسرب الحي عنقاء مغرب

تداركن : يعني خيلهم . وأذاعت فرقت . فلما قتلت طئ قيس الندامي الغنوي وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي استغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب ، فقعدوا عنهم ولم يحلبوهم فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متغاورين . ولما أدرك طفيل ثأر قيس الندامي في طئ قال من جملة كلمته :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر . . . من الغيظ في أكبادنا والتحوب

التحوب : التوجع . وبات فلان بحيبة سوء .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٦٠٩ """""""

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٤٧٦/١

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٥٤٦/١

يريد إن ظلمت أدرك بثأرك ونصرك ، وإن ظلمت أذم لك وخفرك وأنشد أبو علي ' ١ - ٢٧٩ ، ٢٧٥ ' للحسين بن مطير :

ألما على معن وقولا لقبره . . . سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ع يرثي معن بن زائدة . ومن مختاره قوله يخاطب ابنه ولم ينشده أبو علي :

تعز أبا العباس عنه ولا يكن . . . عزاؤك من معن بأن تتضعضعا

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي . . . له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

تمنى أناس شأوه من ضلالهم . . . فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا

وفيما أنشده :

فتى عيش في معروفه بعد موته . . . كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

يريد أن عطاءه كان جزيلا وافرا وسابغا فاضلا ، فلما مات بقي في أيدي الناس منه ما عاشوا به ، ويحتمل أن يريد أنه أوصى للناس بالمال ، وشبه عيشهم في معروفه بعد موته بمجرى السيل بعد انقضائه يكون مرعى ومتبقلا ، ومثله :

فتى عيش في معروفه بعد موته . . . كما رعيت بعد الربيع مسائله

يهمز ولا يهمز .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٢٧٩ ، ٢٧٦ ' للبيد :

يحيلون السجال على السجال." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٦٣ """""""""

قال أبو علي من أمثالهم : لا يعدم عائس وصلات ع العائس : الطالب ، يقال : عاس يعوس عوسا إذا طلب . قال أبو علي ومن أمثالهم : ما أنت إلا كابنة الجبل مهما يقل تقل ع يريدون الصدى الذي يجيبك بمثل ما تتكلم به ، ويضرب إجابة الصدى أيضا مثلا للسرعة ، قال سدوس بن ضباب أنشده أبو زيد

إني إلى كل أيسار ونادبة . . . أدعو حبيشا كما تدعى ابنة الجبل

إن تدعه موهنا يعجل بجابته . . . عاري الأشاجع يسعى غير مشتمل

قوله نادبة : أي إذا ندبت امرأة ميتها دعوت لها هذا الرجل ، فيجيبني للأخذ بالثأر كما يجيب الصدى

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٦٠٩/١

الصوت سرعة .

وأنشد أبو علي للشماخ :

كلا يومي طوالة وصل أروى . . . ظنون آن مطرح الظنون

ع بين هذا البيت والبيت الذي أنشد بعده بيتان وهما :

وماء قد وردت لوصل أروى . . . عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه . . . مقام الذئب كالرجل اللعين

وما أروى قوله عليه الطير : أراد ريش الطير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقوله ذعرت به القطا : أخبر أنه ورد مبتكرا . وقوله مقام الذئب كالرجل اللعين : اللعين نعت للرجل ، وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٧٣ """"""""

فأكله ، ومن أمثالهم لم يحرم من فصد له . والوجه الثالث أن يزيد بقوله : شربت دما : عجزت عن إدراك الثأر وأخذت الدية إبلا فشربت ألبانها ، فكأنه قد شرب دما ، كما قال الآخر :

وإن الذي أصبحتم تشربونه . . . دم غير أن اللون ليس بأحمرا

وذكر أبو علي تلاحى عمرو بن سعيد والوليد بن عقبة في مجلس معاوية .

ع قول عمرو : قد علمت قريش أني ساكن الليل داهية النهار ، لا أتتبع الأفياء ، ولا أنتمي إلى غير أبي . فقوله إني ساكن الليل : عرض به أنه يمشى في الليل لطلب الريبة . وقوله : لا أتتبع الأفياء : عرض به أنه مترف لين ليس بشديد ولا جلد ، والجلد يصف نفسه بالضحاء والبروز وقلة الأستظلال ، قال ابن أبي ربيعة :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت . . . فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قليلا على ظهر المطية ظله . . . سوى ما نفي عنه الرداء المحبر

وقال شاعر المحدثين المتنبيء :

أعرض للرماح الصم نحرى . . . وأنصب حر وجهي للهجير

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ٦٦٣/٢

وقوله : ولا أنتمي إلى غير أبي : يريد أن أبا عمرو ابن أمية بن عبد شمس وهو والد أبي معيط كان عبدا لأمية ذكوان ، هكذا قال الهيثم بن عدي ، وذكر أن ذغفلا." (١)

"""""""" صفحة رقم ٧٠٧ """""""

عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فاقتتل القوم ثم تفرقوا ، فوفد ربيعة – أبو ذؤاب وهو ربيعة بن ذؤاب لأن أبا ربيعة يسمى ذؤابا أيضا كذلك قال أبو عبيدة – على ربيع بن عتيبة ففادى ابنه ذؤابا بإبل معلومة ، وربيع لا يعلم أن ذؤابا قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فلما دخلت الأشهر الحرم التي كانوا يردون فيها عكاظ ، وافى ربيعة بالإبل ، وشغل ربيع بن عتيبة فلم يواف بالأسير . فظن ربيعة أنه قد قتله بأبيه عتيبة فرثاه بهذا الشعر ، فبلغ الشعر بني يربوع ، فأتى سائر ولد عتيبة إلى ربيع ، فقالوا له يا ربيع ثأرنا في يديك وهو قاتل أبيك ، قال : إني رجل معيل وأنا أحب اللبن وقد فاديته ، فإن أعطيتموني ذات البرانس دفعته إليكم ، وهي قطعة من إبل كانت لعتيبة كأنها الهضاب ، مجللة فراء يعدها للسنين ، ففعلوا فقتلوا ذؤابا وهذا كله في الجاهلية . و ال آمدى يقول هو ربيعة على لفظ التصغير . وروى أبو تمام : أذؤاب إني لم أهنك من الهوان وروايته :

بأشدهم كلبا على أعدائهم . . . وأعزهم فقدا على الأصحاب

وأنشد أبو علي لسلمة بن يزيد ، يرثى أخاه لأمه قيس بن سلمة :." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٧٤٢ """""""

والبكرات القح الفواثجا . . . بصفنة تزفي هديرا نابجا

ترى اللغاديد بها حوابجا قوله عاججا : أراد عاجا فضاعف . والصفنة : مثل العيبة شبه بها شقشقته ، يقال : صفن ، وإذا ألحقت الهاء فتحت الصاد . وتزفى : كما تزفى الريح شيأ تسحفه ، ويقال لأحد العدلين إذا استرخى : قد أسبح . يقول : فهديره منصب مسترخ واللغاديد : باطن أصول الأذنين . وحوابج : منتفخة . يريد أن نصف الشقشقة خارج من حلقه ونصفها باق فيها .

وذكر أبو علي قول المنصور لجرير بن عبد الله القسري : إني لأعدك لأمر كبير ، فقال له : قد أعد الله لك مني قلبا معقودا بنصيحتك .

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٦٧٣/٢

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٧٠٧/٢

هذا وهم بين وغلط فاحش ، من جهتين : إحداهما أنه خالد بن عبد الله القسري ، لأن جرير بن عبد الله هو البجلي أحد الصحابة ، ولم يكن لخالد أخ يسمى جريرا ، إنما كان له أخوان : أسد وإسمعيل ابنا عبد الله القسري ، أدرك إسماعيل منهم أب ا العباس السفاح ، وكان يسب عنده بني أمية . والجهة الأخرى أن المنصور إنما قاله لمعن بن زائدة ، كذلك قال المدائني وجميع الأخباريين . وخالد لم يدرك شيأ من الدولة الهاشمية ، لأنه مات في سجن يوسف بن عمر وهو يعذبه ، وفي عذابه مات بلال ابن أبي بردة . وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل خالد بن عبد الله على العراق سنة ست ومائة ، ثم ولى يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة ، فسجن خالدا وعذبه حتى مات في سجنه ، وبقي يوسف واليا على العراق ، إلى أن بويع يزيد بن الوليد سنة ست وعشرين ومائة ، فاستعمل المنصور بن جمهور على العراق ، فلما سمع ذلك يوسف هرب إلى الشأم ، فظفر به هناك فسجن . فلما اضطرب أمر بني أمية بطش يزيد بن خالد بن عبد الله القسري بيوسف بن عمر ، فقتله في السجن وأدرك بثأر أبيه . وكان." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٧٥٦ """"""""

اليمامة وحربهم إنما كان بالجزيرة .

ع اختلف في أكذب بيت قالته العرب ، فقال بعضهم بيت مهلهل هذا ، وقال آخرون بل بيت الأعشى :

لو أسندت ميتا إلى نحرها . . . عاش ولم ينقل إلى قابر

وقالت فرقة بل قول النمر بت تولب :

أبقي الحوادث والأيام من نمر . . . أسباد سيف قديم أثره باد

تظل تحفر عنه إن ضربت به . . . بعد الذراعين والساقين والهاجي .

وقال أبو علي في تفسير قوله :

فلا وأبي جليلة ما أفأنا . . . من النعم المؤبل من بعير

جليلة أخت كليب وكانت تحت جساس بن مرة قاتل كليب ع هذا غلط فاحش وإنما هي زوج كليب وأخت جساس ، وهي القائلة لما قتل زوجها ورحلت فقالت أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، فبلغ ذلك جليلة فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ، ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا . . . تعجلى باللوم حتى تسألي

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٧٤٢/٢

فإذا أنت تبينت التي . . . عندها اللوم فلومى وأعجلي

يا قتيلا قوض الدهر به . . . سقف بيتي جميعا من عل

فعل جساس وإن كان أخي . . . قاصم ظهري ومدن أجلي

يشتفى المدرك بالثأر وفي . . . دركي ثأري ثكل المثكل." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٨٣٦ """"""""

لعمر بن شهاب ما أقاموا . . . صدور الخيل والأسل النياعا

ع هو لدريد بن الصمة ، وبعده :

ولكني كررت بفضل قومي . . . فجدت بنعمة ومررت باعا

وكانت بنو يربوع قتلت الصمة أباه غدرا ، فغزاهم دريد بيني نصر ثم بنى رباب بن واثلة ، فوجد بنى يربوع وبنى سعد جميعا ، فقتل فيهمن وأدرك بثأره منهم .

وأنشد أبو علي :

ولن أعود بعدها كريا

ع وفسر قوله : المنفة الأميا : على ما يقتضيه معنى الأبيات ، فقال هي العي القليل الكلام . وكان ينبغي ا ، يستوعب تفسير هذه الكلمة لما كانت من صفات نبينا (صلى الله عليه وسلم) وآيات نبوته . والأمي : الذي لا يكتب فيه ، منسوب إلى الأمة ، لأن أكثرها لا يكتب ، كما يقال عامى : لمن لم يتأدب ، لأن أكثر الناس كذلك . وقيل إنه منسوب إلى الأم ، لأن الأغلب في النساء أن لا يكتبن ، فكان الإنسان في ذلك كأمه ، وقيل منسوب إلى أم القرى وهي مكة .

وأنشد أبو علي :." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٨٥٣ """"""""

ع بعده :

إذا المرء اولاك الهوان فأوله . . . هوانا وإن كانت قريبا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه . . . فذره إلى اليوم الذي أنت قادره

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٧٥٦/٢

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٨٣٦/٢

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة . . . وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

هكذا اتصال الشعر . وقوله اطفر له : هو افتعل من الطفر وهو الوثب . قال أبو علي وفي هذه القصيدة يقول :

وقد ألبس المولى على ضعن صدره . . . وأدرك بالوغم الذي لا احاضره

ع أكثر الناس يرويه أحاضره بحاء مهملة ، وقد روى أحاذره بالذال معجمة من الحذر ، وإنما صحته أخاضره بالخاء معجمة والضاد ، من قولهم ذهب دم فلان خضرا مضرا وخضرا مضرا : أي باطلا ، وقد فسره أبو على في باب الإتباع يقول : أدرك بالثأر الذي لا أبطله .

قال أبو علي إنما سمى الأخطل ، لأن ابنى جمال تحاكما إليه أيهما أشعر ؟ وذكر الخبر إلى آخر ما أورد فيه .

ع ليس في الشعراء من يقال له ابن جعال ، وإنما هو كعب بن جعيل وأخوه ، واختلف في اسمه ، فقال ابن قتيبة : اسمه عميره ، وقال غيره عميرة بن جعل مكبرا ، شاعر جاهلي من بني تغلب ليس بأخ لكعب وذكر." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩١٩ """""""""

كما لا يقال عرق الأكحل لأن النسا هو العرق ، وحكى الكسائي وغيره : عرق النسا والأخدعان : عرقان يكتنفان العنق .

وأنشد أبو علي :

فاسقنيها يا سواد بن عمرو . . . إن جسمي بعد خالي لخل

ع اختلف في هذا الشعر ، فقيل إنه لابن أخت تأبط شرا خفاف بن نضلة يرثى خاله وكانت هذيل قتلته ، وقيل إنه للشنفري ، وقيل إنه لخلف الأحمر ، وقد نسب إلى تأبط شرا وهي قصيدة ونمط صعب ، وقبل البيت منها :

صليت مني هذيل بخرق . . . لا يمل الشر حتى يملوا

ينهل الصعدة حتى إذا ما . . . نهلت كان لها منه عل

تضحك الضبع لقتلي هذيل . . . وترى الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تهفو بطانا . . . تتخطاهم فما تستقل

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٨٥٣/٢

حلت الخمر وكانت حراما . . . وبلأى ما ألمت تحل

فاسقنيها .

يقول الشاعر هذا الشعر بعد أن أدرك بثأر المرثى . وقوله :." (١)

" أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئا من العروض قال نعم قالت قطع لي

(حولوا عنا كنيستكم ... يا بني حمالة الحطب)

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والألف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت ثأرك

وحكي إن شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أمض إلى داري وقف بالباب وقل ألا أيها البنتان إن أباكما فقال سمعا وطاعة ثم إنه قتله فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ووقف بالباب وقال ألا ايها البنتان إن أباكما وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل ألا أيها البنتان إن أباكما اجابتا بفم واحد قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم

وقيل بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

(وما روضة بالحسن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها)

(بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها) ." (٢)

" ويروى في بعض الأخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال أيها الملك إنما صنعت هذا شحا على عرضك

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٩١٩/٢

(٢) المستطرف، ١٢٦/١

لئلا يقول الناس إذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب إلى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فأطرق الملك مليا ثم رفع رأسه إليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

وحكى عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون إذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم ابن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم إلى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أميرالمؤمنين فان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ناب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك ياأمير المؤمنين ثم قال هذه الأبيات ." (١)

" ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم تربي ثأرت أبي كليبا ... وقد يرجى المرشح للدخول غسلت العار عن جسم ابن بكر ... بجساس بن مرة ذي البتول بيت

(سن العداوة آباء لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباء أبناء)

ويقال دار عدوك لأحد أمرين إما لصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد إلي مصعب

(فبلغ مصعبا عني رسولي ... وهل تلقى النصيح بكل واد)

(تعلم أن أكثر من تناجي ... وإن ضحكوا إليك هم الاعادي)

ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال الحجاج لخارجي والله إني لأبغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنو شروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم وان إمة تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال إن الابناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات

---

(١) المستطرف، ٤٢٠/١

وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال إن قصره من رجليه ولا يكاد يرى إلا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أواه هلك ابني هرمز فقد قيل إذا كان في الإنسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة الى الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه

(ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بغض ما فيه إذا كنت راضيا)

(فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل

(وعين البغض تبرز كل عيب ... وعين الحب لا تجد العيوبا) ." (١)

" ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد

قال نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن اسمعها وأجمعها فبينما أنا ادور في بعض احيائهم إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن إليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها اي بني وهو يبتسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد علي السلام فوقفت انظر إليها فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الإستكثار مما اسمع والإستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضري إن شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز و جل أن اضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز و جل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه فربي كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حاتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بويتات الحي الخيلاء فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق

(١) المستطرف، ١/٤٥٥

عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن اصابته وعكة ." (١)

" فأمر الغلام أن يبه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتني وأمرتني أن أفضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى وإلا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمي يلي حكم السند فكتب إلى موسى الهادي إن رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب ابن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب أشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد إليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه إلى أن برئ من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه إبنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما ع‍ل‍ى ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى إلى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود إليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أمرت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال إن جبك لنفسك ثأري وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمرو الأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت إلى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك إليه أنكره كأن لم ير منك شيئا وكلما أحسنت إليه ." (٢)

" مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة و السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب

---

(١) المستطرف، ٤٨٤/١

(٢) المستطرف، ١٧٠/٢

زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى اعلم أي ذلك كان

ذكر أوابدهم الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيقعد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني الرئمية ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت إبله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا ازدادت على الألف فقأ عينه الأخرى العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون ان ذلك يبرئ داء من العر ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى ان يؤخذ بثأره ." (١)

" وأنثى الا أن أكثر كلامهم أنه أنثى وأما القطرب في قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما أنه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نذا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور ؟ فان كان قد نكحه أيسوا منه وإن كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

ذكر الهواتف أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي

ومن عجيب ما حكي من امر الهواتف ما حكاه ابو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بغت علي فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام نعم نعم وناكها حجيه وهو رجل احمر ضخم في قفاه كيه فسكت الرجل فلما سرنا إلى

---

(١) المستطرف، ٢/١٧٦

البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فإذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كيه فقلت لأهلي من هذا ؟ قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحقي بأهلك وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فاذا أخذ بثأره بكينه وأما رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا ثغر فرمى سنه في عين المس بسبابته وإبهامه وقال أبدليني بأحسن منها فإنه يأمن من على أسنانه العوج والفلج ." (١)

" فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضي أياسا فقال أعلم بأنك جئتني قال لا قال فعد إلي بعد يومين ثم إن القاضي إياسا بعث إلى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له أعلم أنه قد تحصلت عندي أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للناس وإني مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي إياس امض إلى صاحبك وقل له إدفع إلي مالي وإلا شكوتك للقاضي أياس فلما جاء وقال له ذلك دفع إليه ماله واعتذر إليه فأخذه وأتى إلى القاضي إياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل وتبعه الحمالون لطلب الأموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال إبرويز للداخل عليه ليقتله إني لأدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو ؟ قال الصندوق الفلاني فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فإذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت ؟ فقال عاقني عائق فقال اقرأوا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي إلى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل إلا قيامه من المجلس وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لا خير لك فيها فقلت ولم ؟ قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرني أنك رأيت رجلا

(١) المستطرف، ١٧٨/٢

يقبلها ؟ قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل إلى الأحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا ؟ فقال جعل ." (١)

" الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والإفتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول

الفصل الأول في وصف العشق

قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولان إنهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

(وكم قد شققنا من رداء محبر ... ومن برقع عن طفلة غير عانس)

(إذا شق برد شق بالبرد برقع ... من الحب حتى كلنا غير لابس) وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانه ؟ قال إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم إن شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثأرك منه فقال ." (٢)

" (ضيفني بالجدي ناديته ... ما القصد يا مولاي إلا العناق) القيراطي في مليح طحان

(حسن طحان سباني ... بلحاظ وبقامه)

(خاف من واش فأضحى ... يجعل الغمز علامه) القاضي بدر الدين البلقيني في تراب

(رب تراب مليح ... أورث القلب عذابا)

(قلت لما أن بدا لي ... ليتني كنت ترابا) وقال آخر في مليح عوام

(يا حسن عوام كغصن النقا ... يبخل بالوصل لمن هاما)

(وتقنع العشاق منه بأن ... يريهم الأرداف إن عاما) ابن نباته في مليح حبشي

(بروحي مشروطا على الخد أسمرا ... دنا ووفى بعد التجنب والسخط)

---

(١) المستطرف، ٢/٢٠١

(٢) المستطرف، ٢/٣٤٥

(وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد ... فقبلته ألفا على ذلك الشرط) وله أيضا

(ومن عجب تدعى للطفك سنبلا ... ونشرك كافور وذكرك عنبر)

(وسعدك اقبال وحسنك مرشد ... وخلقك ريحان ولفظك جوهر) وقال آخر فيمن به صفرة

(قالوا به صفرة شانت محاسنه ... فقلت ما ذاك من عيب به نزلا)

(عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا وجلا) للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد

(وزائر قال قلبي ... للطرف يا طرف شاهد) ." (١)

"وفي خبر آخر أن حجرا كان طرد امرأ القيس وآلالى أن لا يقيم معه، آنفة من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيئ وكلب وبكر بن وائل فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد اقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه، ولا يزال كذلك حتى ينفض ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن فقال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر! ثم شرب سبعا، فلما صحا آلى أن لا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن، ولا يصيب امرأة، لا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره، وفي الأغاني رواية أخرى عن سيبويه عن الخليل بن أحمد (ص٧٥ ج٨).

". (٢)

"ثم إنه نهد إلى بني أسد فقاتلهم، وكان أدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وقطع أعناقه العطش، فكثرت الجرحى والقتلى، وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلب وهم الذين كانوا معه أبوا أن يتبعوهم وقالوا له: لقد أصبت ثأرك، قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا، قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم، وانصرفوا عنه، فمضى هاربا لوجهه، حتى أمده مرثد الخير ذي جدن الحميري، وتبعه شذاذ من العرب، واستأجر رجالا من القبائل ثم خرج فظفر ببني أسد، وألح المنذر في طلب

---

(١) المستطرف، ٢/٤٣٦

(٢) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

امرئ القيس ووجه إليه الجيوش فتفرق من كان معه نجا في عبته، فكان ينزل على بعض العرب ويرحل حتى قدم على المسوأل فعرف حقه، فكان عنده ما شاء الله، ثم أنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، وفاستنجد له رجلا فلما انتهي إلى قيصر ذكر مورخو الروم أنه لقيصر يوستيني انس، وقال بعضهم إن امرؤ القيس قدم عليه في القسطنطينية فقلده إمرة فلسطين، إلا أنه لم يسع في إصلاح سبب موته قبله وأكرمه وضم إليه جيشا كثيفا فهم جماعة من أبناء الملوك، فلما فصل من عنده [وشى به] الطماح، وهو رجل من بني أسد كان امرؤ القيس قد قتل أخا له.. (ص٧٣ ج٨: الأغاني).

ثم دفن في سفح جبل يقال له عسيب ببلدة تدعى نقرة، وقيل إن ذلك سنة ٤٨ للميلاد، قبل الهجرة وقيل سنة ٥٦٥م، ووفيات الجاهلية لا يعتمد فيها ع نصوص التاريخ إلا للذين تكون أدمغتهم مجلدات من التاريخ القديم..

طويلة امرئ القيس

تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٣٢٩." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٦١

وإذا كان الشعر العربي طبيعيا كما أسلفنا، فإن العوامل في نموه لابد أن تكون طبيعية، وعلى ذلك فنحن نرجح ما قالوه من أن عديا هذا هو أول من قصد القصائد وذكر الوقائع في شعره؛ لأنه كان غزلا على همته، زير نساء على شجاعته، وكان أخوه كليب بن وائل الفارس المشهور أحد الثلاثة الذين اجتمعت عليهم معد، وهم عامر بن الظرب، وربيعة بن الحارث وكليب هذا (ص ٢٣٧ ج١ ابن الأثير)، فلما قتل في الخبر المعروف، وكان قتله سبب الأيام بين بكر وتغلب، سير فيه عدي قصائد عدة، أرق بها الشعر وهلهله؛ وبهذا السبب لزمه لقب المهلهل، فكان طبيعيا بعد أن كان أخوه يعيره بأنه زير نساء، أن يعلن همته في القيام بثأره وحميته لذلك، وأن يشير بهذه الفجيعة ليعرف العرب منزلته من أخيه في الهمة، ومنزلة أخيه من نفسه في الحمية والجاهلية؛ وسنأتي على وصف هذه المراثي في ترجمته.

فكان الشعر قبل مهلهل رجزا وقطعا، فقصده مهلهل، ثم جاء امرؤ القيس فافتن به، وظل الرجز على قصره

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

بمقدار ما تمتح الدلاء، أو يتنفس المنشد في الحداء، حتى كان الأغلب العجلي وهو على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فطوله شيئا يسيرا وجعله كالقصيد، وجاء بعده العجاج وهو وابنه رؤبة أشهر أهل الرجز، ففعل به ما فعل امرؤ القيس بالشعر بعد المهلهل.

الرجز والقصيد

." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٩٥

وبديهي أن الرثاء لا يتعلق بالنسيب كما يتعلق به المدح والهجاء وغيرهما ولكن وردت للعرب في ذلك قصيدة واحدة. قال ابن الكلبي: لا أعلم مريثة أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة: [الطويل] أرث جديد الحبل من أم معبد بعافية وأخلقت كل موعد

وقال ابن رشيق: "وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته، وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء: تركت كذا أو كبرت عن كذا وشغلت عن كذا، وهو في ذلك يتغزل ويصف أحوال النساء، وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة في أكثر شعره، فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ثم عطف وقال: [الطويل] فدع ذا ولكن علقت حبل عاشق ....

"الأبيات" والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف على تقدمه في الصناعة (ص١٢١ و١٢٢ ج٢: العمدة).

ومما حدث بعد الإسلام في طرق الرثاء الجمع بين التعزية والتهنئة، وهو مخصوص بالخلفاء في تعزية من يلي عهد أبيه منهم، وكان أول ذلك حين مات معاوية وقدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته، حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشده (ج١: البيان) ففتح للناس بهد باب القول، وقد روى ابن رشيق هذه الأبيات في العمدة (ص١٢٤ ج٢) ووطأ لها بسجعات نسبها للسلولي، والصحيح أن له الشعر وحده، أما السجع فهو لعطاء بن أبي صيفي الثقفي، وهو من الخطباء الذين فتح لهم الكلام بذلك الشعر (ج١ البيان). ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه؟ فأقبل غيلان بن

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

مسلمة الثقفي، فسلم عليه ثم خطب معزيا ومهنئا. وكذلك لما توفي المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدي فسلم ونحا هذا المنحى، وقد روى كلامهما الجاحظ في الجزء الأول من البيان.
". (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٧٦
بهذين السببين قل الشاعرات من النساء طبيعة، ثم زادهن قلة في العرب أن تاريخ النساء فيهم كان [ينشيء] جزءا من تاريخ السيوف، فكانت المرأة العربية كأنها طبيعة من طبائع النقمة؛ إذ لم تكن عرضا يحمى بالسيف أو عرضا يسلب بالسيف، وجعلها ذلك منهم بمنزلة الذاكرة من وقائع التاريخ، فهي التي تذكرهم **بالثأر** وأيام الدم، وهي التي لا تنس شيئا مما هيأتها له الطبيعة الاجتماعية في أرضها وقومها فإن كانت لم تعش إلا في ظلال السيوف، وإن كانت لم تلد إلا قاتلا أو مقتولا، فهي في الأولى يتصل بها تاريخ القتلى من أهلها، وفي الثانية تتصل بتاريخ القتلى من ذويها؛ فمن ثم انصرفت عن الشعر إلا في أخص شؤونها، وشغلت من الخيال بإحساسها الذي لا هم لها إلا أن تستمده من الحادثات لتوقع منها حادثات مثلها، سيئة بسيئة، فهي بعيدة عن القول بمقدار قربها من العمل.
ولذلك بنيت المرأة العربقي على أخلاق شديدة، لمكان الطباع والعادات والحوادث التي أنشأتها [وانحدرت] فيها وجرت عليها، فجاءت في مثل تركيب الصحراء: إن يكن فيها ساعات ندية من الليل وضوئه ونسجه وأحلامه، ففيها نهار يصب النار على [الأحياء] ملء أقطار السموات، كأنه لم يقسم لها إلا شدة الحب وشدة البغض، وتجري فيهما على أباب وعلل مذ صارت جزءا من طبيعتها الثانية فتتفرغ فيهما كل وسائلها وتبلغ بهما ما بلغت قواها. فتنتهي إلى خلقين ثابتين: شدة الجزع، وشدة الصبر؛ وكل ذلك مما لا يترك للشعر في طبعها إلا مكانا محدودا في معان محدودة.
". (٢)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٧٧
وهذه الأبيات تروي أيضا لهند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان، فقد كانت ترتجز بها في وقعة أحد وخلفها النساء يضربن الدفوف، وهند هذه هي التي شقت بطن حمزة لما قتل، وقد كان أسدا من اسود الله على قومها،

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /
(٢) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

فاستخرجت كبده فلاكتها في فمها فلم تطق إساغتها فلفظتها، وهذا من شر ما يعرف عن امرأة، وليش يشبهه إلا ما فعلته ريحانة أخت عمرو بن معديكرب الفارس المشهور، وأم دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد بني جشم، فإنه لما قتل ابنها عبد الله بن الصمة لم تزل تعير أخاه دريدا وتحضه، حتى نفر في طلب الثأر من غطفان، فغزاهم وقتل منهم قوما، ثم أسر قاتل أخيه وأتى به إلى [فناء] أمه فقتله تحت عينيها، فأحضرت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها إلى أن انقطع منه شيء وهي لا تشعر لغلبة الفرح عليها؛ ومع هذا الظمأ إلى الدم لا يروى لريحانة شعر في ابنها، ولا هي معدود في الشواعر، وإنما رثته أختها كبشة بنت معد يكرب، فأجزأت الخالة عن الأم؛ ومن أعجب ما يروى عن شاعرة، خبر عجوز تسمى خويلة، وكان يدخل عليها أربعون رجل كلهم لها محرم بنو أخوة وبنو أخوات، طرقتهم بنو واهن وبنو ناغب فقتلوا منهم ثلاثين، فوقفت خويلة على مصارعهم ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها [ونظمت] منها قلادة والقتها في عنقها وخرجت حتى لحقت بابن أختها تستنفره للثأر في شعر جاف [مقتضب] كخناصر قتلاها، وراه القالي في أماليه (ص١٢٧ ج١).

ومن أعجب شعر النساء القديم في الجاهلية الأبيات المشهورة المروية لليلى بنتت لكيز الملقبة بالعفيفة، وهي التي تصف فيها ابتذال الأعداء لعفافها بهذا البيت النادر: قيدوني غللوني ضربوا ملمس العفة مني بالعصا ". (١)

"وقولها "ملمس العفة" من الكلام الذي لا يفنى التعجب من بلاغته ومن حسن التعبير فيه؛ وكذلك أبيات جليلة أخت جساس، وكان أخوها قتل زوجها كليب ابن ربيعة، فلما اجتمع النساء يندبنه أخرجنها وحسبنها شامتة لأنها أخت القاتل، فبلغ ذلك إليها فقالت أبياتا من أعجب الشعر: جل عندي فعل جساس فو حسرتا مما انجلى أو ينجلي

فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فقئت عين سوى أختها فانفقأ لم أحفل

يا قتيلا قوض الدهر ب سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته وانثنى في هدم بيتي الأول

يشتفي المدرك بالثأر، وفي دركي ثأري ثكل متكلي

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

إنني قاتلة مقتولة ولعل الله أن يرتاح لي

قال صاحب "المثل السائر": وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدودون لاستعظمت، فكيف بها من امرأة!. ولا يهولانك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعرا، فعمود الشعر عندهن الرثاء، وليس لهن إلا المقاطيع والأبيات القليلة. ولم تبن منهن إلا الخنساء وليلى [الأخيلية] وما شعرت الخنساء حتى كثرت مصائبها؛ وكانت قبل ذلك كغيرها من النساء: تقول البيتين والثلاثة، حتى قتل صخر به من كان مثله، فأجادت وأطالت؛ لأنها أصبحت مصروفة الهم إلى نوع من الحب في نوع من الشعر؛ وسمت همتها إلى أن صارت تعاظم العرب في مصيبتها بأبيها وأخويها صخر ومعاوية؛ فصارت تشهد المواسم وقد سومت هودجها براية وتقول: أنا أعظم العرب مصيبة! وتبكي أهلها وتنشد مراثيبهم فدارت أشعارها على الألسنة؛ وقد قلدتها في هذا الصنيع هند بنت عتبة، فإنه لما قتل أبوها وعمها وأخوها، وبلغها ما تفعل الخنساء في الموسم وتسويمها هودجها ومعاظمتها العرب بمصيبتها، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة! وأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وجعلت تسأل عن الخنساء فدلت عليها، وجعلت كل منهما تعاظم الأخرى وتنشد مراثي أهلها. فلو كانت يعرف عندهم من هاتين ر سموهن.

." (١)

"وكانت نساء العرب يقلن الشعر في معان متقاربة يرجع [أكثرها] إلى إحساس المرأة وحسن تصريفه بين عقلها ولسانها؛ ولم يكن لهن من معاني الشعر غير الرثاء وبعض الغزل، وشعر ترقيص الأطفال وشعر التحضيض يثرن به نخوة الرجال ويحضضنهم على طلب الثأر والثبات والاستماتة في الحرب؛ وقد تجعل المرأة جسمها قصيدة مع شعرها في التحضيض، كالذي فعلته ابنتا الفند الزماني، فقد قالوا أنه لما اشتدت الوغى يوم التحالق وخاف بنو بكر من الفرار، عمدت إحداهما إلى أثوابها فألقتها عنها وأقبلت عارية مجردة وجعلت تحض الناس وترتجز، وفعلت أختها مثل ذلك، فتحمس القوم ووثبوا يقاتلون قتالا منكرا؛ فهذه مادة من شعر النساء لا يستطيعها أبلغ الشعراء من الرجال.

والرجز التي ارتجزت به إحدى هاتين هو الرجز المشهور: ٣نحن بنات طارق=نمشي على النمارق

تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٧٦." (٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

"يقول بنو الحمراء لو أن جنحنا ... يطير لغشاكم بشؤبوب وابل وفيها يصف انهزام المولدين بقوله:

ولما رأونا زاحفين إليهم ... تولوا سراعا خوف وقع المناصل

فصرنا إليهم والرماح تنوشهم ... كوقع الصياصي تحت وهج القساطل

فلم يبق منهم غير عان مصفد ... يقاد أسيرا موثقا في السلاسل ولسعيد قصائد أخرى في وصف تلك المعارك وفي مدح سوار. وكان للمولدين شاعرهم المحامي عنهم ويعرف بالعبلي، واسمه عبد الرحمن بن احمد، وينسب إلى قرية عبلة، ويناظره الشاعر الاسدي واسمه محمد بن سعيد ابن مخلوق الاسدي، أسد بني خزيمة، وكان كل منهما يحرض قومه ويناضل عن مذهبه ويصف ما يجري لقومه على اضدادهم من الوقائع المخزية، ولهما في ذلك أشعار كثيرة، فمن شعر العبلي يذكر أحد الانتصارات:

قد انقصفت قناتهم وذلوا ... وزعزع ركن عزهم الأذل فأجابه الأسدي:

قد احتمل الأحبة واستقلوا ... لطيتهم بليل واحزألوا

فظل الدمع من جزع عليهم ... إذ احتملوا يسح ويستهل

سأصرف همتي عنهم وأسلو ... بهجوي معشرا كفروا وضلوا وقصيدة العبلي ناقضها شاعر عربي آخر بقصيدة مطلعها:

لسوار على الأعداء سيف ... أباد ذوي العداوة فاستقلوا وتمخضت هذه العصبيات عن قصائد في التحريض والإثارة وقصائد في رثاء السادات الذين قتلوا في تلك الحروب، وقد رثى الأسدي سعيد ابن جودي أمير العرب بقصيدة منها:

لا ساغت الراح لي من كف ساقيها ... حتى تقرب نفسي من تمنيها

وأن أرى الخيل تردي في أعنتها ... لثأر من كان قبل اليوم يرضيها

يا قاسم بن عياض دعوة فلقت ... صم الصخور فلم يسمع مناديها

أبلغ ربيعة والحيين من مضر ... وآل عك إذا أحللت واديها." (١)

"وان هذا المرض أي الفالج هو الذي استمر سبعة اشهر، ولما بلغت منه الأوجاع مبلغا شديدا هم بقتل نفسه، ثم آثر الرضى بقضاء الله، وفي ذلك يقول:

أنوح على نفسي وأندب نبلها ... إذا انا في الضراء أزمعت قتلها

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص/٨٩

رضيت قضاء الله في كل حالة ... علي وأحكاما تيقنت عدلها وعلى ما أصاب جسمه من وهن، بقي ذهنه متفتحا، وقريحته متوقدة، وان الشعر الذي صدر عنه في فترة المرض وان صدر عن نفس يائسة متألمة، ليدل على حيوية شعرية غير مادية، ففي علته رثى ابن اللمائي ؟كما تقدم – وكتب قصيدة إلى ابن حزم، تقدمت الإشارة إليها كذلك، وفيها كتب إلى صديق له اسمه عمرو يقول:

اقر السلام على الأصحاب اجمعهم ... وخص عمرا بأزكى نور تسليم

وقل له يا أعز الناس كلهم ... شخصا علي وأولادهم بتكريم

الله جارك من ذي منعة ظفرت ... منه الليالي بعلق غير مذموم وكتب إلى جماعة من إخوانه يقول:

هذا كتابي وكف الموت تزعجني ... عن الحياة وفي قلبي لكم ذكر

إن أقضكم حقكم من قلة عمري ... إني الي الله لا حق ولا عمر ومن الجدير بالذكر انه يقرأ في هذه الأبيات الوداعية السلام على المنصور أفضل من سعى لثأر بني الإسلام وعلى ابنه المظفر، فلا تزال صورة المجد العامري تخايل عينيه وهو على فراش المرض.

وفي علته قال أيضا:

تأملت ما أفنيت من طول مدتي ... فلم أره الا كلمحة ناظر

وحصلت ما أدركت من طول لذتي ... فلم ألفه الا كصفقة خاسر

وما انا الا رهن ما قدمت يدي ... إذا غادروني بين أهل المقابر وتحدث في الأبيات عن أصدقائه الذين سيذكرونه بعد موته، فقد كان يرتاح للذكر بعد الموت، ثم وصف سطوة الموت نفسه، وفي كل." (١)

"٧ – لقد كان عيشي فيك لو دام مونقا ... ولكن أبت ذاك الحظوظ الأباخس

٨ – ليالي من أهواء يمسي كأنه ... من العفر ظبي بالصريمة كانس

٩ – وإذ شملنا باق جميع محسد ... ولم تقتطع ذاك الدهور الدهارس

١٠ – فكان جواب الربع إذ أنا سائل ... وهل تفهم القول الربوع الأخارس

١١ – كذلك حكم الدهر آت وذاهب ... وفي الدهر أصناف مدوس ودائس

١٢ – فعرجت عنه موجع القلب ثاكلا ... وبين الحشا لذع من الحزن ناخس

١٣ – وفي طي مثني الصفيح على الثرى ... ؟؟ (١) للشكل والحسن لابس

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص/٢٣١

١٤ – غريب صفات الحسن إن تبغ حسنه ... فأمنع معدوم هناك المجانس

١٥ – إذا حد لم تحو الحدود جهاته ... وان قيس يوما ضل فيه المقايس

١٦ – فديناه من ظبي يلوح ضياؤه ... على مثله حقا أصاب المنافس

١٧ – عجبت لدهر لا يني وهو طالبي ... **بثأر** ولا ينفك دأبا يمارس

١٨ – إذا ما اصطرعنا فالتداول بيننا ... عراك فمنهوس هناك وناهس

١٩ – فتسع وعشرون أتيحت سهامها ... لرأسي فغضت منه فالرأس هارس

٢٠ – كأن بياض الرأس ينفي سواده ... صباح تعرى عنه ليل عكامس

٢١ – فأهلا بوفد الشيب إذ جاءوا فدا ... وكنت، وقلبي قبل ذا منه واجس

٢٢ – ولما أتى ردت نفوس بغيظها ... ولم تنبسط نحوي اللحاظ النواعس

٢٣ – ولم أر مثل الشيب أوفى وفية ... ليذعره بازي (٢) النهار المؤانس

٢٤ – وكنا نجوما طالعات مضيئة ... تنير بأدناها الخطوب الحنادس

٢٥ – لقد كان لي في بعض ذلك واعظ ... وما اختلستنيه الصروف الخوالس

٢٦ – تناءين عني كالغصون وأعرضت ... ضواحك أقمار وهن عوابس

٢٧ – وقد طالما ارتاحت وهزت غصونها ... بقربي أحقاف الرمال الأواعس

---

(١) غير واضحة في ص.

(٢) غير واضح في ص.." (١)

"طليطلة أباح الكفر منها ... حماها، إن ذا نبأ كبير

فليس مثالها إيوان كسرى ... ولا منها الخورنق والسدير

محصنة محسنة بعيد ... تناولها ومطلبها عسير

ألم تك معقلا الدين صعبا ... فذلله كما شاء القدير وبعد ان يصور الشاعر انقلاب الأوضاع ويتفجع على ما أصاب الحرائر المصونات نراه وكأنما ينتدب نفسه للرد على تلك الأفكار التي كان يوردها ابن العسال، مثل قوله آن المصائب تحل بسبب الذنوب، فهذا الشاعر المجهول يقف عند هذه المسألة مترددا مشككا حين

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص/٣٣٠

يقول:

فإن قلنا العقوبة ادركتكم ... وجاءهم من الله النكير

فأنا مثلهم واشد منهم ... نجور، وكيف يسلم من يجور

أنا من ان يحل بنا انتقام ... وفينا الفسق أجمع والفجور ولا ينكر الشاعر العلاقة بين الذنب والمصائب، إلا انه يتخذ من الفكرة حافزا خلقيا لينبه الناس إلى ان ذنوبهم أيضا كثيرة، وأنها قد تجرهم إلى مصير مشبه لمصير آهل طليطلة. وبعد ذلك يهيب الشاعر بالناس للانتقام واخذ الثأر ويدعوهم إلى الموت ؟لا الهرب من ديارهم كما فعل ابن العسال:

وموتوا كلكم فالموت أولى ... بكم من أن تجاروا أو تجوروا

أصبرا بعد سبي وامتحان ... يلام عليهما القلب الصبور فإذا بلغ الحد تذكر ذل حكام الأندلس ذل حكام الأندلس بمداراتهم واصطناعهم للأذفونش ورهطه، وذل الناس الذين أعطوا الدنية ورضوا بالخنوع." (١)

"ثبوتها على الأسماع، فاعتمدنا بعض المنشئين والناظمين إظهارا للمقدرة وطلبا للتنويع وتشجيعا على الجدة في النغمات. وكانت قد ظهرت في الشرق أوزان مجزوءة في شعر أبي نؤاس وأبي العتاهية وأبان اللاحقي وغيرهم، من مثل:

موسى المطر غيث البكر ... ثم أنهمر ألوى المرر

كم أعتسر ثم ايتسر ... وكم قدر ثم غفر فلفتت إليها أنظار هؤلاء المتفننين العروضيين، فأعلموا مقدرتكم على الاستخراج والمقارنة.

وقبل ان أمضي قدما أحب أن أقف عند قول ابن سناء الملك: " وأكثرها مبني على تأليف الأرغن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار وفي سواه مجاز (١) " ، فذا القول قد ينقض ما قلته عن تنغيمات العود التي استحدثها زرباب. وانا أرى ان ابن سناء الملك قد يكون واهما أو مغاليا، لأن الأرغن ليس بالالة السهلة التي يمكن اقتناؤها، إذا تصورنا مدى شيوع الموشح في الزمن، وإما ان يكون تنغيمها على الأرغن هو أوفق ضروب التلحين لها، وهذا يمثل دورا تاليا لدور نشأتها اكتشف من بعد. والحقيقة التي تبقى ثابتة هي صلة الموشح بالغناء لأن الغناء هو سهل على الوشاح ركوب الاعاريض الملهمة، إذ الغناء هو الذي يحدث التناسب المفقود بالمد والقصر والزيادة والخطف، وقد حدثنا ابن سناء الملك نفسه أن بعض الموشحات لا تتم نغماتها إلا بزيادة

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص/١٨٤

نغمية فيها مثل قول ابن بقي:

من طالب ثأر قتلى ظبيات الحدوج ... فتانات الحجيج فأن التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول المغني: " لا لا " بين الجزءين

---

(١) دار الطراز:٣٥.." (١)

"إذا سار ثارت فوقه راية من الد م خان لتنبي انه ملك القفر

تمزقها الأرياح حنقا كأنها تحاول في تمزيقها الأخذ بالثأر

لعمرك ما هذا بهادي البلاد بل هو القائد الهادي إلى العز والنصر

وأحسن من ذلك قصيدته الغراء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رزى الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لا سيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد أن اتقدت أسلاك آلتها الكهربائية وامتد إليهم لهيب النار:

سوق بر تباع فيها اللهى بي عا ويشرى الثواب فيها شراء

زينتها بيض الأيادي وأيدي م البيض من محسن ومن حسناء

أنفس تبتغي السماء فما أمسي ن إلا وقد بلغن السماء

أدركت ما تروم من جنة م الخلد وكن كان الطريق صلاء

من رأى قبلها جحيما يؤدي لنعيم أبناءه الشهداء

أو رأى محسنا يجود على الناس فيلفي نار الحريق جزاء

أترى كان ذاك مطهر من ما توا فيمحو عن النفوس الخطاء

أم هو الدهر لا يزال مسيئا لكريم ومكرما من أساء

يا ربوعا كانت معاهد إحسا ن وحسن فأصبحت قفراء

وديارا كانت منازل إينا س فأضحت بلاقعا وخلاء

وكراما كانوا مناهل جود لفقير فأصبحوا فقراء

أمراء نادى الندى فأطاعو ه أميرا لهم ولبوا نداء

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ص/٢٢٥

وحسان قد جدن براكأن م البر ثوب يزيدهن بهاء

ساحة تنبت المكارم والرأ فة والمجد والندى والإخاء

فنساء بها تباري رجالا ورجال بها تبار النساء

أوجه يشرق السنا من محيا ها فتزداد بالجميل سناء

رحن يزهون بالبياض فما أمس ين إلا كوالحا سوداء

رمما لم تدع النار إلا رسم جسم وأعظما جرداء

نقمة صبها القضاء على الأم برار حتما ومن يرد القضاء

رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزى الباكين والتعساء

سليمان الصولة." (١)

"أبدلنا الله غيره ... ودس موسى في حر الخيزران

فجر ذلك إلى قتل بشار بن برد.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب القيان والمغنين

قال: كانت بالكوفة جارية مغنية يقال لها سعاد جارية السكوني، وكان مولاها من الظرفاء وفتيان طبقته، مروءة وحسن وعشرة ومساعدة، فحضرت سعاد في مجلس فيه مطيع بن إياس وحماد عجرد، فقال مطيع:

قبليني سعاد بالله قبلهواسأليني بها فديتك نحله

فورب السماء لو قلت صل ... لوجهي جعلت وجهك قبله

فقالت الجارية لحماد: اكفينه: ياعم، فقال يجيبه بديها:

إن خلا لها سواك وفيا ... لا غدورا بها ولا فيه مله

لايباع التقبيل بيعا ولا ير ... شى ولا يجعل التعاشق عله

فقال له مطيع: هذا هجاء؛ وما أرادت الجارية هذا كله، ولقد اشتفيت مني على لسان غيرك؛ فقال الجارية – وكانت ظريفة بارعة: صدق؛ ما أردنا أن نسبه؛ فقال حماد:

أنا والله أشتهي مثلها من ... ك ببذل والبذل في ذاك حله

---

(١) تاريخ الآداب العربية، ٣٢١/١

ف أجيبي وأنعمي وخذي البذ ... ل وأطفي لعاشق منك غله

قال: فرضي مطيع وخجلت الجارية. وقالت: أنا عائذة بكما من شركما فاكفيانيه، وخذا فيما جئتما له.

حدث المدائني

قال: كان عثمان بن شيبة مبخلا، وكان حماد عجرد يهجوه، فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له:

أعني من غناك ببيت شعر ... على فقري لعثمان بن شيبه

فقال حماد مسرعا:

فإنك إن رضيت به خليلا ... ملأت يديك من فقر وخيبه

فقال الرجل: جزاك الله خيرا؛ فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعني عنه، وصنت ماء وجهي عن بذله.

وروى إسماعيل بن يحيى اليزيدي عن أبيه

قال: كنت جالسا أكتب كتابا، فنظر فيه سلم الخاسر، فقال:

أير يحيى أخط من كف يحيى ... إن يحيى بأيره لخطوط

قال: فقلت مسرعا:

أم سلم أدرى بذلك منه ... إنها تحت أيره لضروط

ولها تحته إذا ما علاها ... أزمل من وداقها وأطيط

ليت شعري ما بال سلم بن عمرو ... كاسف البال حين يذكر لوط!

ل ا يصلي عليه حين نصلي ... بل له عند ذكره تثبيط

وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس في أبناء أهل الأندلس

أن أبا المخشي عاصم بن زيد بن يحيى بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن حماد العبادي، شاعر الأندلس في زمانه، كان خبيث اللسان، كثير الهجاء، وهو الذي قطع هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان لسانه؛ لأنه عرض به في قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب المعروف بالشامي، وكان بين الأخوين تباعد مفرط، والبيت الذي عرض فيه قوله:

وليس كمن إذا ماسيل عرفا ... يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام في إحدى عينيه نكتة بياض كجد أبيه هشام بن عبد الملك. ثم اتفق لأبي المخشي أن مدح هشاما ووفد عليه على ماردة، وهو يومئذ يتولى حربها لأبيه، فلما مثل بين يديه قال له: يا عاصم، إن النساء اللاتي

هجوتهن لمعاداة أولادهن وهتكت أستارهن، قد دعون عليك، فاستجاب الله لهن، فبعث عليك مني من يدرك منك ثأرهن وينتقم لهن. ثم أمر به فقطع لسانه، ثم نبت بعد ذلك وتكلم به. وكان أبو المخشي هذا يسكن بوادي شوس، وكان بين وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة، فاجتمعا يوما للمناقضة فيه، فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه إلى النصرانية لأجل أن آباءه كانوا نصارى بقوله:

أقلفتك التي قطعت بشوش ... دعتك إلى هجائي وانتقالي!

الانتقال: الشم، فقال أبو المخشي مسرعا:

سألت وعند أمك من ختاني ... جواب كان يغني عن سؤالي

فقطعه.

وعلى ذكر أبي المخشي وقطع لسانه، كان مالك رضوان الله عليه يفتي فيمن قطع لسان رجل عمدا بقطع لسانه من غير انتظار - ثم رجع لما انتهت إليه قصة أبي المخشي، وأنه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة وأنه تكلم به، فقال: ينتظر سنة، فقد ثبت عندي أن رجلا بالأندلس نبت لسانه بعد أن قطع في نحو هذه المدة.

ونقلت من خط الفقيه أبي محمد عبد الخالق المسكي

قال بشار لعنان:." (١)

"وأخبرني محمد بن القاسم قال: أخبرني محمد بن زرين قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طيفور قال: كان رزين مولانا، قال: وأنشدني له، وكنا نشرب فرمينا من دار لبعض جيراننا بتفاحة:

أيا تفاحة زمت ... فؤادي للهوى زما

لقد ألقاك إنسان ... وألقاك لأمر ما

لتهدي داعي الشوق ... إلى من عض أو شما

وله في الحسن بن سهل قصيدة لا تخرج من العروض، أولها:

بئس ما جزاك به الظاعنو ... ن إذ من جوارهم أخرجوك

قربوا جمالهم للرحيل ... بكرة أحبتك السالبوك

ذو الرياستين وأنت اللذا ... تحييان سنة غازي تبوك

---

(١) بدائع البدائه، ص/٨

الفضل بن العباس

ابن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي كوفي قال ابن أبي خيثمة عن دعبل: له أشعار كثيرة. وكان له بها أثر حسن فقال في ذلك:

إنا على الثغر نحميه ونمنعه ... بنصرة الله، والمنصور من نصرا

كم وقعة بحمى إسكين مشعلة ... وبالمنوحار أخرى تقدح الشررا

يا أهل كابل هلا عاذ عائذكم ... بالبد يمنع منا من به انتصرا

لو كان يدفع ضيما عنكم لدرا ... عنه القسي التي غادرنه كسرا

تصبنا نقمة لله بالغة ... رضوانه فاصبروا لا تهلعوا ضجرا

بالله يطلب ثأر الدين طالبنا ... وبالرسول وبالفرقان إذ نشرا

لا نمنع الواردين الورد ما نهلوا ... إلى اللقاء، ولكن نمنع الصدرا

وفي أبيه العباس بن جعفر، يقول دعبل قصيدته التي فيها:

أما في صروف الدهر أن ترجع النوى ... بهم ويدال القرب يوما من البعد

بلى في صروف الدهر كل الذي أرى ... ولكنما أغفلن حظي على عمد

فو الله ما أدري بأي سهامها ... رمتني، وكل عندنا ليس بالمكدي

أبا لجيد أم مجرى الوشاح وإنني ... لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد

والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث صاحب الإيغار الذي يسقي الفرات من عمل كوثي والفلوجة، أجراه الرشيد كما أجرى المنصور يقطين بن موسى وقاطعه عنه، فصار إلى هذا الوقت عملا مفردا. وكان قد قلده خراسان، وصير محمدا الأمين في حجره، واستخلفه بمدينة السلام في وقت خروجه عنها. وكان الرشيد لا يقيم بمدينة السلام من السنة إلا شهرا أو شهرين، ومنزل جعفر بن محمد ابن الأشعث بالباب المحول من الجانب الغربي ،قصره إلى هذا الوقت واقف بإزاء الميل .

زرزر الرفاء

يكنى أبا الخطاب بغدادي شاعر مليح الشعر قليله. قال دعبل: له شعر صالح ويروى أنه اجتمع ووالبة ابن الحباب وعلي بن الخليل وجماعة من شعراء بغداد في مجلس، فقال كل واحد منهم شعرا يعرض به على أصحابه منزله وما عنده، فقال زرزر:

ألا قوموا بنا نمشي ... إلى بستان صباح

فعندي لكم الورد ... وما شئتم من الراح

وبيت من رياحين ... وتفاح، ولماح

وصناجة فتيان ... بصنج جد صياح

تدين الله بالنيك ... به تدعو بإفصاح

وأنشد دعبل لزرزر يهجو رزينا العروضي:

سلحت أم رزين ... ذات يوم في طحين

فسألناها فقالت ... ذا خمير للعجين

وحدث ابن أبي بدر: أن زرزرا كان ماجنا من أصحاب أبي الحارث جمين وكان أبو الحارث مضحكا طيبا.

قال أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال: اسم أبي الحارث جمين وولاؤه لبيت حمزة ابن عبد المطلب. وقد هجاهما رزين. ومن قوله في أبي الحارث يتهكم به:

سلام ناقص الميم ... على وجهك بالحاء

خروف لك في البيت ... فكل منه بلا فاء

وخردلة بلا دال ... ولا لام ، ولا هاء

وخرنوب بلا نون ... محشي كرش الشاء

جزاك الله يا جم ... ين خيرا ناقص الياء." (١)

"وأنشدني إبراهيم الأزدي لنفسه:

ما العشق في الأحرار مستنكر، ... وما على العاشق من وزر

قال وأنشدني الجماش:

إذا قبل الإنسان إنسان يشتهي ... ثناياه لم يأثم، وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته ... مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

وقال سائب راوية كثير: حضرت مع كثير عند ابن أبي عتيق، فأنشدنا أبيات ابن قيس الرقيات التي يقول فيها:

---

(١) الورقة، ص/٩

خبروني هل على رجل ... عاشق في قبلة حرج

فقال كثير: لا! إن شاء الله، ونهض.

وأنشدني علي بن العباس بن رومي:

أيها العاشق المعذب إصبر، ... فخطيات ذي الهوى مغفوره

زفرة في الهوى أحط لذنب، ... من غزاة وحجة مبروره

وقال المؤمل، وأحسن، والله، في قوله:

صف للأحبة ما لقيت من سهر، ... إن الأحبة لا يدرون ما السهر

حسب المحبين في الدنيا عذابهم، ... والله لا عذبتهم بعدها سقر

وقال الأصمعي: رأيت جارية بالطواف وهي تقول:

لن يقبل الله من معشوقة عملا ... يوما، وعاشقها حيران مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها، ... لكن عاشقها لا شك مأجور

فقلت: يا جارية! أفي هذا المقام، أما حياء فيردعك؟ فأنشأت تقول:

بيض أوانس ما هممن بريبة، ... كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا، ... ويصدهن عن الخنى الإسلام

وقد قيل أيضا: إن قتيل الهوى لا قود له، وإن دماء أهل الهوى تبطل وتهدر.

قتيل الهوى

ومن ذلك ما حكي عن ابن عباس أنه أتي بشاب محمول قد صار كالشن البالي، فقيل له: استشف الله لهذا المريض، يا ابن عم رسول الله، فقال له ابن عباس: ما علتك يا فتى؟ فلم يحر إليه جوابا، ثم رفع رأسه، وقال بلسان فصيح طليق:

به لوعة تشتكي الصم مثلها، ... تفطرت الصم الصلاب وخرت

ولو قسم الله الذي بي من الهوى، ... على كل نفس حظها ما أبلت

ثم خفت خفنة ثم فتح عينيه، وهو يقول:

بنا من جوى المبرح لوعة، ... نكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة ما ترى ... على ما به عود هناك صليب

فقال ابن عباس: ممن الرجل؟ فقال: من بني عذرة، ثم شهق شهقة فمات. فقال ابن عباس لجلسائه: هل رأيتم وجها أليق ولسانا أذلق من هذا؟ هذا والله قتيل الهوى لا قود ولا دية، وإلى الله أرغب في العافية مما نرى.

دماء العشاق مهدورة

وأنشد أحمد بن يحيي ثعلب:

إذا هن ساقطن الحديث لذي الهوى ... سقوط حصى المرجان من كف ناظم

رمين، فأصمين القلوب، فنا ترى ... دما سائلا، إلا جوى في الحيازم

فأي دم، لو تعلمين، جنتيه ... على الحر، جاني مثله غير سالم

أما إنه لو كان غيرك أرقلت ... إليه القنا بالمرهفات الصوارم

ولكن، وبيت الله، ما طل مسلما ... كغر الثنايا، واضحات المعاصم

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه:

قضى الله في القتلى قصاص دمائهم ... ولكن دماء العاشقين جبار

تطل دماء العاشقين، وثأرها ... لدى الحدق المرضى، وذلك ثار

قال الأحوص بن محمد الأنصاري:

ما تذكر الدهر لي سعدى وإن بعدن ... إلا ترقرق ماء العين، فاطردا

يا للرجال لمقتول بلا ترة، ... لا يأخذون له عقلا، ولا قودا

وحدثني العنزي أبو علي عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال: خرجت مع أبي سفيان، فلقينا نسوة ينظرن العقيق، فيهن امرأة حسناء العين، فقال أبي:

ألا يا عباد الله هذا أخوكم ... قتيلا، فهل فيكم به اليوم ثائر

خذوا بدمي، إن مت، كل خريدة، ... مريضة طرف العين، والجفن ساحر." (١)

"كتب إلى أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: يروى أن الأخطل كان فى مجلس ذكر أهله الشعراء، فقال: أين تجعلونى منهم؟ قالوا: أين تجعلك و قد

الموشح، ص: ١٨١

أخطأت فى أربع لا يخطأ فى مثلهن؟ قال: و ما هن؟ قالوا: قلت فى زفر و أنت تريد أن تضع منه فرفعته حتى

---

(١) الموشى، ص/٣٢

خوفت منه. فقال: صدقتم. و ماذا؟ قالوا: و ضغوت «٣٤» من الجحاف ضغوة أبقيت عارها على قومك إلى يوم القيامة. قال: صدقتم. و ماذا؟ قالوا:

أردت هجاء سويد بن منجوف فمدحته. قال: صدقتم. و ماذا؟ قالوا: أردت مديح سماك بن خرشة فهجوته. قال: صدقتم.

و أما خبر الجحاف فأخبرني محمد بن يحيي قال: حدثنا الفضل بن الحباب عن دماذ، عن أبي عبيدة، قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان و عنده الجحاف بن حكيم السلمى- و قد كان الجحاف اعتزل حربهم تحرجا و لم يدخل فى شى ء منها- فلما رآه الأخطل عند عبد الملك قال «٣٥»:

ألا أبلغ الجحاف هل هو ثائر بقتلى «٣٦» أصيبت من سليم و عامر

فخرج الجحاف من عند عبد الملك و هو يجر مطرفه غضبا.

فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلا قد جررت على قومك شرا. و مضى الجحاف، فأتى قومه و افتعل كتابا، و حشا جربا ترابا، و قال: إن عبد الملك قد ولانى بلاد بنى تغلب، و هذه الجرب فيها المال؛ فتأهبوا و امضوا معى. فمضوا معه.

فلما أشرف على بلاد بنى تغلب نثر التراب، و خرق الكتاب، و قال: ما من ولاية؛ و لكنى غضبت لكم- و أخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك- فاثأروا بقومكم. فشد على بنى تغلب بالبشر ليلا، و هم غارون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة. و هرب الأخطل من ليلته مستغيثا بعبد الملك، فلما دخل عليه قال «٣٧»:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى و المعول

فإلا تغيرها «٣٨» قريش بملكها يكن عن قريش مستماز و مزحل

الموشح، ص: ١٨٢

فقال له عبد الملك: إلى أين يا بن اللخناء؟ قال: إلى النار يا أمير المؤمنين. قال: لو قلت غيرها قطعت لسانك.." (١)

"أخبرني الصولى، قال «١٩٥»: حدثنى أبو الحسن الأنصارى، قال: حدثنى ابن الأعرابى المنجم، قال: كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه. فقال له رجل: يا

---

(١) الموشح، ص/١٠٨

أبا تمام؛ لم لا تقول من الشعر ما يعرف، فقال: و أنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال؟ فأفحمه.

قال الصولى: و حدثنى أبو الحسين الجرجانى، قال: الذى قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان، و كان هذا من علماء الناس، و كان متصلا بالطاهرية.

و أخبرنى عبيد الله بن سليمان الطاهرى، قال: حدثنى عمى عيسى بن عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر، عن مشايخ أهلنا، قالوا: كان أبو العباس عبد الله بن طاهر قد رسم فى أمر من يقصده من شعراء الأطراف أن يؤخذ المديح منه، فيعرض على أبى سعيد المكفوف مؤدب ولده أولا، فما كان منه يليق بمثله أن يسمعه من قائله فى مجلسه أنفذه أبو سعيد إليه- و القائل له معه؛ فأنشده إياه فى مجلسه. و ما لم يكن بالجيد [١٩٥] أو كان مهجنا لم يعرضه و لم ينفذه أو تقدم بين القاصد به. فلما رحل إليه أبو تمام و امتدحه بالقصيدة التى أولها «١٩٦»:

هن عوادى يوسف و صواحبه «١٩٧»

الموشح، ص: ٤٠٦

رفعت القصيدة إلى أبى سعيد، و كان خبر أبى تمام عنده؛ فلما قرأ الكاتب أول بيت منها و وجده:

هن عوادى يوسف و صوحبه فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

اغتاظ لذلك، و قال للكاتب: ألقها، أخرى الله حبيبا، يمدح مثل هذا الملك الذى فاق أهل زمانه كمالا بقصيدة يرحل بها من العراق إلى خراسان: فيكون أولها بيت نصفه مخروم و النصف الثانى عويص! و تمكن له فى نفس أبى سعيد كراهة ذلف.

ثم إن أبا سعيد لقى أبا تمام فقال له: يا أبا تمام؛ لم لا تقول من الشعر ما يفهم؟ قال له: و أنت يا أبا سعيد؛ لم لا تفهم من الشعر ما يقال؟ و ذكر باقى الحديث.." (١)

"٦٠ - وقال مسلم بن الوليد :

نمضى المنايا كما تمضى أسنته ... كأن فى سرجه بدرا " وضرغاما "

أخذه أبو تمام فقال :

فتى من يديه البأس يضحك والندى ... وفى سرجه بدر وليث غضنفر

---

(١) الموشح، ص/٢٦٨

٦١ - وقال ابن هرمة :

استبق عينيك لا يود البكا بهما ... واكفف بوادر من عينيك تستبق

ليس الشؤون وان جادت بباقية ... ولاالجفون على هذا ولا الحدق

أخذه أبو تمام فقال :

ولا تبقى على ادمان هذا ... ولا هذا العيون ولا القلوب

٦٢ - وقال أبو تمام يهجو السراج :

يا ابن الخبيثة لم تعرض صخرة ... صماء من مجدى لعرض زجاج؟

أخذه من قول الآخر وأظنه بشارا :

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته ... فانه عربى من قوارير

٦٣ - وقال الشاعر (العديل بن الفرخ) :

مها مه أشباه كأن سرابها ... ملاء بأيدى الغاسلات رحيض

أخذه أبو تمام فقال :

وبساط كأنما الآل فيه ... وعليه سحق الملاء الرحيض

٦٤ - وقال أبو تمام :

فا شمالوا يلجلجون دؤوبا " ... مضغا " للكلال فيها أنيض

أخذه من قول زهير :

تلجلج مضغة فيها أنيض ... أصلت فهى تحت الكشح داء

٦٥ - وقال أبو نواس :

سن للناس الندى فندا ... فكأن البخل لم يكن

أخذه أبو تمام فقال :

مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

٦٦ - وقال فى الغزل :

مستحيل أن تحتويك الظنون ... كيف يحوى مالا تراه العيون

غير أنا نقول:أنك خلق ... حركات مخلوقة وسكون

أخذه من قول أبي نواس وقصر عنه :
سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار الى قرار مكين
حتى بدت حركات مخلوقة من سكون
٦٧ - وقال أبو العتاهية :
كم نعمةلايستقل بشكرها ... لله فطى المكاره كامنه
اخذه الطائى فقال وأحسن لأنه جاء بالزيادة التى هى عكس الشىء الأول :
قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ... ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
٦٨ - وقال آخر ، ولست أدرى أهو قبل الطائي أو في أيامه :
ما كنت أحسب أن بحرا زاخرا ... عم البرية كلها . إرواء
أضحى دفينا في ذراع واحد ... من بعد ما ملك الفضاء فضاء
فقال الطائي ، وأبر عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :
وكيف احتمالي للسحاب صليعة ... بإسقائها قبرا وفي لحده البحر
٦٩ - وقال آخر:
نؤى كما نقص الهلال محاقة ... أو مثل ما فصم السوار المعصم
أخذه أبو تمام فقال :
ونؤى مثلما انفصم السوار
٧٠ - وقال أخر في السحاب :
كأن عينين باتا طول ليلهما ... يستمطران على غدرانه المقلا
فقال الطائي ، وحول المعنى ، وأجاد :
كأن الغمام الغر غيبن تحتها ... حبيبا ؛ فما ترقى لهن مدامع
٧١ - وقال الطائي :
وليست بالعون العنس عندي ... ولا هي منك بالبكر الكعاب
أخذه من قول الفرزدق :

وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الأبواب طالب حاجة ... عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

٧٢ - وقال الآخر ، وهو معبد الهذلى :

أي عيش عيشي إذا كنت منه ... بين حل وبين وشك الرحيل ؟

كل فج من البلاد كأني ... طالب بعض أهله بذحول

فقال الطائي :

كان له دينا على كل مشرق ... من الأرض ، أو ثأرا لدى كل مغرب

٧٣ - وقال آخر ، وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن دعبل :

نهنه دموعك من سح وتسجام ... البين أكثر من شوقي وأسقامي

وما أظن دموع العين راضية ... حتى تسح دما هطلا بتسجام

أخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال :

ما اليوم الأول توديعى ولا الثاني ... البين أكثر من شوقى وأحزاني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت ... حتى تبلغني أقصى خراسان

٧٤ - وأنشدنى ابن أبي طاهر لدعبل :." (١)

"فلو كانت الأرزاق تجري على الحجى ... هلكن إذا من جهلهن البهائم

من قول أب يالعتاهية:

إنما الناس كالبهائم في الرز ... ق، سواء جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف؛ فإن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها - جاهلة كانت أو عالمة - كما يأتي البهائم، وهذا قائم في الفطرة والعقول؛ فتتفق الحخواطر في مثله. وأبو تمام قال: إن الرزق لو جرى على قدر العقل لهلكت البهائم، وهذه زيادة في المعنى حسنة، وإن كان إلى مذهب أبي العتاهية يؤول.

٤٥ - وقال في قوله:

وأشجيت أيامي بصبر حلون لي ... عواقبه، والصبر مثل اسمه صبر

من قول أبي الشيص:

(١) الموازنة، ص/٢٢

يصبرني قوم براء من الهوى ... وللصبر تارات أمر من الصبر

فقول الناس: الصبر مر، والصبر كاسمه صبر، وقولهم: الصبر محمود العاقبة، وإن كان مرا؛ لا يكون مسروقا فيقال: إن واحدا أخذه من آخر، وقول أبي الشيص: إن للصبر تارات يكون فيها أمر من الصبر، أي: له تارات يكون فيها شديد المرارة، وقول أبي تمام: أشجيت أيامي بصبر حلت لي عواقبه، ثم قال: والصبر مر عواقبه، يريد في الحلق، أي لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة، وإنما قال هـ ١١ ليجتمع له في البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه، هذا تفسيره على ما رواه ابن أبي طاهر، ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه، وإنما قال: والصبر مثل اسمه صبر.

٤٦ – وقال في قوله:

لئن ذمت الأعداء سوء صباحها ... فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم:

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها ... شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم؛ لأن مسلما قال لممدوحه: لو حاكمتك – يريد الفرقة والعصب التي لقيتك – في مطالبتك بثأر من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور، وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء: لئن ذمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدي الذئب والنسر شكرها؛ لكثرة ما أكلا منها، وهذا المعنى غير ذاك، والله أعلم.

تم الجزء الأول من الموازنة على ما جزأه مؤلفه، والحمد لله .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي عفا الله عنه: قد ذكرت في الجزء الأول احتجاج كل فرقة من أصحاب أبي تمام حبيب ابن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إني أبتدئ – بعد هذا الباب – بذكر معايبها ؛ لأختم الكتاب بوصف محاسنها ؛ فأتبعت ذلك بما خرجته من سرقات أبي تمام وبيضت آخر الجزء لألحق به ما وجدته منها في دواوين الشعراء فعلمت عليه ، وما أجده بعد ذلك ؛ فإنه كثير السرق جدا .

وقد سمعت أبا علي محمد بن العلاء السجستاني يقول : إنه ليس له معنى انفرد به فاخترعه إلا ثلاثة معان ، وهي قوله :

تأبى على التصريد إلا نائلا ... إلا يكن ماء قراحا يمذق

نزرا كما استكرهت عائر نفحة ... من فأرة المسك التي لم تفتق

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى ... قبور لكم مستشرفات المعالم

رواكد قيس الكف من متناول ... وفيها على لا ترتقى بالسلالم

وقوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها اسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي ، بل أرى أن له – على كثرة مآخذه من أشعا ر الناس ومعاينهم – مخترعات كثيرة ، وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه؛ لأنه باب ما يعرى منه أحد من الشعراء إلا القليلب، بل الذي وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطة، وإحالته، وأغاليطه في المعاني والألفاظ.." (١)

"فصدر بيت أبي تمام كصدره، وباقيه عبارة غثة يسقط دون ما سرقت منه ونصف بيت أبي تمام الثاني مفيد من تمام الأول فهو أرجح بذلك.

وقال المتنبي:

لهون المال أفرشه أديما ... وللتفريق يكره أن يضيعا

أي لهوانه عليه يبسط تحته أنطاعا ليهينه على عفاته وطالبي عرفه، وقوله:)للتفريق يكره أن يضيعا(أي لأنه يكره ضياع المال ليس لادخاره لنفسه ولكنه يجمعه ليفرقه كما قال ابن الجهم:

ولا يجمع الأموال إلا لبذلها ... كما لا يساق الهدي إلا إلى النحر

فخبر بنظير خبر أبي الطيب بكلام سهل ولفظ جزل ثم مثل المال بالهدي الذي يعنى بسوقه إلى النحر فزاد في كلامه ما هو من تمامه واستحق ابن الجهم شعره على من أخذ عنه.

---

(١) الموازنة، ص/٣٠

وقال المتنبي:

إذا مد الأمير رقاب قوم ... فما لكرامة مد النطوعا

أنه لا يمد رقاب من يقتله لكرامة بل لهون كما أفترش المال أديما فالمال ليفرقه والرقاب ليقطعها وهذه معان كان اطراحها أصلح له.

وقال المتنبي:

فليس بواهب إلا جزيلا ... وليس بقاتل إلا قريعا

يشبه معنى قول مسلم:

حذار من أسد ضرغامة بطل ... لا يولغ السيف إلا هامة البطل

فقد خبر أبو الطيب بخبرين من المدح عن الممدوح فخبر بالسخاء والشجاعة فزاد على مسلم ورجح كلامه فصار أولى بما أخذ.

وقد حكى أنه كان في عسكر الأمين حبشي بأبيات ويرمي بمقلاع معه يخاطب بالأبيات طاهر بن الحسين ويقول:

دونك الرمية يا طاهر ... من كف ابن حبيش

حبشي يقتل الناس ... على قطعة خيش

مرتد بالشمس راض ... بالمنى من كل عيش

يحمل الحملة لا يق ... تل إلا رأس جيش

فلم يخبر إلا بقتله رأس الجيش ولأبي الطيب ورود معنيين من المدح يستحق على الشاعرين ما قالا لأنه أختصر معناهما في بيت واحد.

وقال المتنبي:

وليس مودبا إلا بنصل ... كفى الصمصامة التعب القطيعا

نبهه على هذا المعنى شريف بقوله:

فضع السيف وأرفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

وقال المتنبي:

علي ليس يمنع من مجيء ... مبارزه ويمنعه الرجوعا

هذا من قول الفضل بن العباس الخزاعي:

لا يمنع الواردين الورد ما نهلوا ... إلى اللقاء ولكن يمنع الصدرا

وهذا يدخل في المساواة.

وقال المتنبي:

على قاتل البطل المفدى ... ومبدله من الزرد النجيعا

قوله)المفدى(ضيق عطن عن كلمة أجود منها ولو كانت المفدى في معشوق كان أولى منها في شجاع.

وقال المتنبي:

إذا أعوج القنا في حامليه ... وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا

معنى)حامليه(: المطعونين وقال أبو الطيب بقول: كنت قلبه وأشبه في ضلوعهم الضلوعا والمحدث الذي ذكره البحتري والبيت الذي قيل له قوله:

في مأزق ضنك تخال به القنا ... بين الضلوع إذا انحنين ضلوعا

وأما تقبل حكاية أبي الطيب إذا لم يسرق من البحتري إلا هذا البيت وأما سرقته منه أكبر من الرعذر وأشد تواترا من ذنوب الدهر ولكن أخذ منه كما عود الله وظن ذلك قد خفي فما خوطب عليه علم أنه بيت منكشف وما يأمن أن بيته على استشفاف شعره فيؤخذ فيه كثير فرجع عنه وغيره بما لا فائدة فيه إذ ليس غريبا من فعل القنا أن يجوز من جنب إلى جنب آخر، وكلام البحتري أرجح وهو أولى بما قال.

وقال المتنبي:

ونالت ثأرها الأكباد منه ... فأولته اندقاقا أو صدوعا

هذا كلام ينقض بعضه بعضا بينا هو يخبرنا بجوازه من الضلوع إلى الضلوع وما كان بهذه الصنعة فهو سالم غير مندق ولا متصدع إذ أخبرنا أن الأكباد نالت ثأرها منه باندقاقه وانصداعه فإذا اندق وانصدع لم ينفذ إلى الضلوع التي بعدها والعجب أن هذا القنا صادم عظام الأضلاع فلم يصدعه ولم يدقه وجازها فلما صار إلى الأكباد الرطبة التي تلين ملاقاتها عليه اندق وأنصدع ولو تأتى له أن يقول:)ونالت ثأرها الأيدي)من(الأكباد(لجاز أن يلحقه ذلك مn مصادمة الأيدي إياها وهذا من قوله للتخريف وقلة التأمل.

وقال المتنبي:

وإن ماريتني فأركب حصانا ... ومثله تخر له صريعا." (١)

"فقوله:)أركب حصانا(من أغث عبارة كأنه لا يخر له صريعا إلا فارس على فرس ولو رآه راجل ما خر له إلا أن يحتج محتج فيقول: إذا كانت هذه حال الفارس غنينا عن ذكر حال الراجل، وقد يكون الراجل أشجع من الفارس وأقتل للفرسان وهذه معان غير مستعملات وكلام ناقص ألما ولو قال فمثله يخر له صريعا من غير ذكر ركوب الحصان كان أحسن وأعم للفارس والراجل وأحسن من كلامه قول أبي تمام:

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فإن الخوف لا شك قاتله

فإن قلت ببيت أبي تمام في الخوف وهذا في الهيبة قلنا كلاهما غرضان يفعلان فعلا واحدا، وكلام أبي تمام بغير حشو وهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد به إليه.

وقال المتنبي:

فصير سيله بلدي غديرا ... وصير خيره سنتي ربيعا

نحا نحو الخبزأرزي:

فضيفه في ربيع طول مدته ... وجاره كل حين منه في رجب

فجعل ضيفه في ربيع من جوده طول زمانه وجعل جاره كل حين منه في رجب أراد في حمى من طالب الثأر لأن العرب في الجاهلية كانت لا تقاتل في الأشهر الحرم ولا تسفك دما فكلام الخبزأرزي أرجح لأنه جمع بين الجودة والأمن في الخبر عن ممدوحه، وأبو الطيب ما خبر إلا عن سخاء الممدوح فقط.

وقال البحتري:

وكم لبست الخفض في ظله ... عمري شباب، وزماني ربيع

وهذا تقسيم مليح جاء فيه بمعنيين مفيدين كما جاء الخبزأرزي بهما، فهو أولى بالمعنى منه، وقال أبو هفان في ذكر الربيع:

لربيع الزمان في الجول وقت ... وابن يحيى في كل وقت ربيع

وقال المتنبي:

أمنسي السكون وحضرموتا ... ووالدتي وكندة والسبيعا

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٧٦

حصول والدته بين هذه القبائل غير مستحسن وكان ينبغي أن لا يخرج عن ذكر قبيلة مكان والدته والمعنى الذي قصده غير مفصح عن إرادته لأنه لم يذكر السبب في نسيانه من نسي.

وقال البحتري:

جفوت الشأم مرتبعي وأنسي ... وعلوة جنتي وهوى فؤادي

ومثل نداك أذهلني حبيبي ... وأكسبني سلوا عن بلادي

فبين سبب نسيانه وخبرنا عن سلوانه فأوضح وأرجح فهو أولى بقوله.

وقال المتنبي:

إذا ما لم تسر جيشا إليهم ... أسبرت إلى قلوبهم الهلوعا

هذا يقرب من قول أبي تمام:

لم يسر يوما ولم ينهد إلى بلد ... إلا تقدمه جيش من الرعب

وهذا يدخل في قسم المساواة.

وقال المتنبي:

رضوا بك كالرضى بالشيب قسرا ... وقد وخط النواصي والفروعا

أما صدر هذا البيت فجيد المعنى، وهو ينظر إلى قول مخلد الموصلي:

أراكم تنظرون إلي شرزا ... كما نظرت إلى الشيب الملاح

تحدون العيون إلي شزرا ... كأني في عيونكم السماح

وعجزه حشو لأن المعنى: رضوا بك كالرضى بالشيب فلو ظهرت منه شيبة واحدة لمقتها من يلحظها وقد قال بشار:

يحبوني ودي كأني ... شيبة بين فروقه

ولا فرق بين شيبة وشيب، وإنما كانت الشيبة بحدوثها بعد أن لم تكن أشد ترويعا.

وقال المتنبي:

فلا عزل وأنت بلا سلاح ... لحاظك ما يكون به منيعا

أي فلا عزل بك وأنت بغير سلاح لأنك بلحاظك منيع، وهذا لفظ قصير عن إرادة قائلة وهو مأخوذ من قول بعض الموسوسين وهو مجنون ديرزكى:

لحظات طرفك في الوغى ... تغنيك عن سل السيوف

وعزيم رأيك في النهى ... يكفيك عاقبة الصروف

وسيول كفك في الورى ... بحر يفيض على الضعيف

ذكر عن أبي نواس أنه قال: مدحت الرشيد بقصيدة فقصدته لأنشده إياها فوجدته راكبا فاعترضته فإذا بمجنون ديرزكا قد أخذ بلجامه ثم أنشده الأبيات المقدم ذكرها ثم قال له أعطني ألف درهم فقال له الرشيد: ما تصنع بها فقال: أكل بها زبدا وتمرا فأمر بدفعها إليه فرجعت والله عن إنشاده لأنه لم يكن في شعري ما يفي بأبيات المجنون.

وقال المتنبي:

لو استبدغت ذهنك من حسام ... قددت به المغافر والدروعا

هذا ينظر إلى قول القائل: -

نظرت إليها نظرة لو حشوتها ... سرابيل أبدان الحديد المسرد." (١)

"قوله: "حيث شطت بها النوى"، معنى شطت: تباعدت، ويقال: أشط فلان في الحكم إذا عدل عنه متباعدا، قال عز وجل: ﴿ولا تشطط﴾ ١.

وقال الأحوص:

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي ... ويزعمن أن أودى بحقي باطلي

ويلحينني في اللهو ألا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل

والنوى: البعد، ويقال: شطت بهم نية قذف، أي رحلة بعيدة، قال الشاعر٢:

وصحصحان قذف كالترس

وليس بمأخوذ من "نأيت" في اللفظ، ولكنه مثله قي المعنى وقوله:

فليس لدهر الطالبين فناء

يقول: الطلب في إثر طلبته أبدا. ويروى أن رجلا من قريش بعث إلى رجل منهم وكان أخذ له غلاما: يل هذا، إن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب، فإما رددته، وإما عرضت اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات.

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه، ص/٧٧

قال أبو الحسن: الرجل الذي أخذ منه الغلام هو جعفر بن محمد بن علي أبن الحسين، والآخذ سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس.

ومن أمثال العرب: "لا ينام إلا من اثأر" . ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا: أصاب ثأرا منيما، وأنشد:

_

١ سورة ص ٢٢.

٢ هو العجاج، والصحصحان: المكان المستوى الأملس، ولملامسته شبهه بالترس. "وانظر مشارف الأفاويز-١".." (١)

"تقول لي ابنة البكري عمرو ... لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله:

وإني لأرجوكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

يقول: وهذا رجاءغير صادق ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميئوس منه، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المخبرون أساؤوا

وقوله:

كأن دنانيرا على قسماتهم

زعم أبو عبيدة أن القسمات مجاري الدموع، واحدتهاقسمة، وقال الأصمعي: القسمات أعالي الوجه، ولم يبينه بأكثر من هذا. وقول أبي عبيدة مشروح، ويقال من هذا: رجل قسيم، ورجل مقسم، ووجه قسيم ومقسم، قال الشاعر:

ويوما توافينا بوجه مقسم ... كأن ظبية تعطو إلى وراق السلم

قوله" تعطو"، أي تتناول، يقال: عطا يعطو إذا تناول، وأعطيته أنا، أي ناولته، قال امرؤ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحل١

والسلم: شجر بعينه كثير الشوك، فإذا أرادوا أن يحتطبوه شدوه، ثم قطعوه، فمن ذلك قول الحجاج: والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل٢.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٧٠/١

ـ

١ برخص، أي ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبي: اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

٢ غرائب الإبل: هب الإبل الغريبة التي تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.." (١)

"وكما قال الآخر:

ألهى بني جشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسئوم

إن القديم إذا ما ضاع آخره ... كساعد فله الأيام محطوم

وكما قال عامر بن الطفيل:

إني وإن كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن وراثة ... إبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها، وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب

قال أبو الحسن: أنشدني هذه الأبيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامري. قال أبو الحسن: قال الأصمعي: وكان عامر بن الطفيل يلقب محبرا لحسن شعره، وأولها:

تقول ابنة العمري ما لك بعدما ... أراك صحيحا كالسليم المعذب

فقلت لها: همي الذي تعلمينه ... من الثأر في حيي زبيد وأرحب

إن اغز زبيدا أغز قوما أعزة ... مركبهم في الحي خير مركب

وإن أغز حيي خثعم فدماؤهم ... شفاء، وخير الثأر للمتأوب

فما أدراك الأوتار مثل محقق ... بأجرد طاو كالعسيب المشذب

وأسمر خطي وأبيض باتر ... وزغف دلاص كالغدير المثوب

سلاح امرىء قد يعلم الناس أنه ... طلوب لثارات الجال مطلب

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١/٧١

ثم أتى بإنشاد أبي العباس على وجهه، إلا أنه روى: "من رماها بمنكب" السليم: الملدوغ، وقيل له: "سليم" تفاؤلا له بالسلامة، وزبيد وأرحب: حيان من اليمن. والثأر: ما يكون لك عند من أصاب حميمك، من الترة، ومن قال "ثار" فقد أخطأ.." (١)

"والمتأوب: الذي يأتيك لطلب ثأره عندك، يقال: آب يؤوب إذا رجع. والتأويب في غير هذا: السير في النهار بلا توقف.

والأوتار والأحقاد واحدها وتر وحقد. والأجرد: الفرس المتحسر الشعر،والأجرد الضامر أيضا. والعسيب: السعفة. والمشذب. الطويل الذي أخذ ما عليه من العقد والسلاء١ والخوص، ومنه قيل للطويل المعرق: مشذب.

وخطي: رمح منسوب إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين، يقال إنها تنبت عصا الرماح وقال الأصمعي: ليست بها رماح، ولكن سفينة كانت وقعت إليها، فيها رماح، وأرفئت بها في بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخطية: ثم عم كل رمح هذا النسب إلى اليوم. والزغف: الدرع الرقيقة النسج، والمثوب: الذي تصفقه الرياح فيذهب ويجيء، وهو من ثاب يثوب إذا رجع. وإنما سمي الغدير غديرا لأن السيل غادره، أي تركه.

قال أبو العباس: وقوله:

لكم في مضرات الحروب ضرير

يقال: رجل ضرير إذا كان ذا مشقة على العدو، وقال مهلهل بن ربيعة التغلبي:

قتيل ما قتيل المرء عمرو ... وهمام بن مرة ذو ضرير٢

وقوله: "خبطتم ليوث الشام "يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلي، وهو عقيل بن كعب بن ربيعة.

وقوله: "أبور" جمع وبر٣، وإذا إنضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبل.

_

١ السلاء: شوك النخيل.

٢ زيادات ر: ما: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٣٣/١

٣ الوبر: دويبة على قدر السنوري.." (١)

"لعمارة أيضا في الحث على الأخذ بالثأر

وقال عمارة أيضا لهم، أنشدنيه:

ألا لله در الحي كعب ... ذوي العدد المضاعف والخيول

أما فيهم كريم مثل نصر ... يورع عنهم سنن الفحول

تنوخهم نمير كل يوم ... كفعل أخي العزازة بالذليل

وليسوا مثل عشرهم ولكن ... يضيع القوم من قبل العقول

فأين فوارس السلمات منهم ... وجعدة والحريش ذوو الفضول!

وأين عبادة الخشناء عنهم١ ... إذا ما ضاق مطلع السبيل!

قوله:

ألا لله در الحي كعب

يريد كعب بن ربيعة بن عامر صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وقوله:

أما فيهم كريم مثل نصر

يعني نصر بن شبث، أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة. وقوله:

يورع عنهم سنن الفحول

هو مثل ضربه، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل. ويورع: يكف ويمنع ويدفع. والورع في الدين إنما هو الكف عن أخذ الحرام، وجاء في الحديث: "لا تنظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشفى"، ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم. والسنن: القصد، ثم أبان ذلك بقوله:

تنوخهم نمير كل يوم

يقال: سان الفحل الناقة فتنوخها، وذلك إذا ركبها من غير أن توطأ له، ولكن يعترضها اعتراضا. وتقول العرب: إن ذلك أكرم النتاج، وذلك لأن

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١/١٣٤

ـ

١ ر: "منهم".." (١)

"يزيد بن معاوية والأنصار

...

وقال رجل من بني مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ليؤذيه: أتعرف الذي يقول:

ذهبت قريش بالمكارم كلها ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

فقال الأحوص: لا أدري، ولكني أعرف الذي يقول:

الناس كنوه أبا حكم ... والله كناه أبا جهل

أبقت رياسته لأسرته ... لؤم الفروع ودقة الأصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل. وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الأنصار، فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم، فقال له كعب: أأهجو الأنصار! أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام! ولكني أدلك على غلام من الحي نصراني: كأن لسانه لسان ثور يعني الأخطل.

قال: فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، ثم قال: يا معاوية، أترى لؤما! فقال: ما أرى إلا كرما. فقال النعمان:

معاوي إلا تعطنا الحق تعترف ... لحي الأزد مسدولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ضلة ... فماذا الذي تجدي عليك الأراقم! ١

فما لي ثأر دون قطع لسانه ... فدونك من ترضيه عنه الدراهم

ـ

١ الأرقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.." (٢)

"الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١/١٣٥

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ١/١٤٠

وقد فضل نصيب على الفرزدق في موقفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حضرا، فقال سليمان للفرزدق: أنشدني -وإنما أراد أن ينشده مدحا له- فأنشده:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب١

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب٢

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... -وقد خصرت أيديهم- نار غالب٣

فأعرض عنه سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها! فقال: هات، فأنشده:

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قارب٤

قفوا خبروني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب٥

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه. على أن الشاعر وهو أخو همدان قد قال في عصره في غير المدح:

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ... ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

–

١ الترة: الثأر.

٢ الأكوادر: الرحال، مفردها كور.

٣ خصرت: بردت.

٤ قفاذات أوشال: خلف بقعة ذات مياه. مياه مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

٥ ودان: قرية قريبة من الجحفة.." (١)

"قوله: "إن يصبح صداي بقفزة" فالصدى: على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره، والصدى: الذكر من البوم، قال ابن مفرغ١:

وشريت بردا ليتني ... من بعد برد كنت هامة٢

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٤٨/١

هتافة تدعو صدى ... بين المشقر واليمامة

ويقال: فلان هامة اليوم أوغد، أي يموت في يومه أو في غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أسن، والمريض إذا طالت علته، والمحتقر٣ لمدة الآجال. وفي الحد يث أن حسلا٤ أباحذيفة بن حسل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلف معه في غزوةأحد: انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنا. والصدى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قتل فلم يدرك به **الثأر** أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر: الصدى فيصيح على قبره. اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر. قال ذو الإصبع٥ العدواني أحد بني عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر:

ياعمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

والصدى: ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتسع من الأرض، أو بقرب جبل، كما قال:

إني على كل إيساري ومعسرتي ... أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل

يعني الصدى، وتأويله أنه يجيبني في سرعة إجابة الصدى. وقال آخر:

كأني إذ دعوت بني سليم ... دعوت بدعوتي لهم الجبالا

_

١ زيادات ر: "اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما".

٢ شريت هنا: بعت.

٣ زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع "المحتقر" يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف".

٤ زيادات ر: "حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن وقش الأنصاري".

٥ زيادات ر: "هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته في إصبعه".." (١)

"كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢٩٣/١

كأن رماحهم أشطان بئر ... بعيد بين جاليها جرور١

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

[قال أبو الحسن: يقال فلان: زير نساء، وطلب نساء، وتبع نساء، وخلوا نساء؛ إذا كان صاحب نساء، وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء، فكان كليب يقول: إن مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثأر، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب، قال أي زير! فرفع أيا بالابتداء، والخبر محذوف، فكأنه قال: أي زير أنا في هذا اليوم!].

قال أبو العباس: وحدثني عمرو بن بحر قال: أتيت أبا الربيع الغبوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعي رجل من بني هاشم، فقلت: أبو الربيع ههنا فخرج إلي وهو يقول: خرج إليك رجل كريم. فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره بحضرته، فقال: أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا. فتحدثنا مليا، فنهض الهاشمي، فقلت لأبي الربيع: يا أبا الربيع من خير الخلق فقال: الناس والله، فقلت: من خير الناس قال: العرب والله، فقلت: فمن خير العرب قال: مضر والله، قلت: فمن خير مضر قال: قيس والله، قلت: فمن خير قيس قال: يعصر والله، قلت: فمن خير يعصر قال: غني والله، قلت: فمن خير غني قال: المخاطب لك والله، قلت: أفأنت خير الناس قال: نعم إي والله، قلت: أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب قال: لا والله، قلت: ولك ألف دينار قال: لا والله قلت: فألفا دينار قال: لا والله، قلت: ولك الجنة! فأطرق [مليا٢] ثم قال: على ألا تلد مني، وأنشد:

تأبى لأعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوما غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتما لا مرد له ... فاذكر حذيف فإني غير أباء

وقوله: "أكرم الناس رديفا" فإن أبا مرثد الغنوي كان رديف رسو الله صلى الله عيه وسلم.

-

١ أشطان البئر: حبالها.

٢ تكمله من س.." (١)

"واليقطين: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عز وجل: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ ١، وقال الحارث بن ظالم، للأسود بن المنذر بنماء السماء:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١٥٢

أخصيي حمار بات يكدم نجمة ... أيؤكل جيراني وجارك سالم!

ومن طريف شعره قوله:

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ ... ـحباب وركني خيفة القوم أزور

فحييت إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان: فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

والله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها: بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما عين من الناس تنظر

فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ... رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف إذا يفتر عنه كأنه ... حسى برد أو أقحوان مغور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى رباب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضي الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قدر تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت: أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح ... علينا، وتصديقا لما كان يؤثر!

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... ومالى من أن تعلما متأخر

ـ

١ سورة الرحمن ٦.." (١)

"وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا، ومواضعهم تنبئ عن ذلك، وامتنع قوم عيا بلا اعتلال، وامتنع قوم عجزا١، واعتلوا بكرهة السفه، وبعضهم معتل برفعة نفسه٢ عن خصمه، وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض عنه٣ ويسب سيد قومه، وكانت الجاهلية ربما فعلته بقى الذحول٤، قال الراجز:

إن بجيلا كلما هجاني ... ملت على الأغطش أو أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان ... أولاك قوم شأنهم كشاني

ما بلت من أعراضهم كفاني ... وإن سكت عرفوا إحساني

وقال أحد المحدثين:

إني إذا هو كلب الحي قلت له ... إسلم، وربك مخنوق على الجرر

قوله: إسلم فاستأنف بألف الوصل، لأن النصف الأول موقوف عليه.

قال الشاعر:

ولا يبادر في الشتاء وليدناه ... القدر ينزلها بغير جعال

الجعال: الذي تنزل٦ به البرمة، وربما توقيت به حرارتها.

قال الراجز:

لا نسب اليوم ولا خلة ... إتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب.

وفي مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض٧ قول الأخطل:

_

١ ر: "عجزوا". وما أثبته عن الأصل. س.

٢ ر. س: "برفعة نفسه"،وهذه رواية الأصل.

٣ كلمة "عنه" ساقطة من ر.

٤ الذحول: "جمع ذحل" وهو **الثأر**.

٥ ر: "وليدها".

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٨٣/٢

٦ ر: "الذى بوضع فيه البرمة". وما أثبته عن الأصل. س.

٧ ر: "لتتكافأ". وما أثبته عن الأصل. س.." (١)

"معاوية، فطعنه، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا، وكان صميم الخيل١، فلما تنادوا معاوية: قال خفاف بن ندبة – وهي أمه، وكانت حبشية، وأبوه عمير، وهو أحد٢ بني سليم بن منصور –: قتلني الله إن رمت٣ حتى أثأر به، فحمل على مالك بن حمار – وه سيد بن شمخ بن فزارة – فطعنه فقتله، فقال خفاف بن ندبة:

وإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت هالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا٤

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

يريد: أنا ذلك الذي سمعت به. هذا تأويل هذا.

وقوله: "يأطر متنه" أي يثني. يقال: أطرت القوس آطرها أطرا، وهي مأطورة. وعلوى: فرسه.

ومما سأله عنه قوله عز وجل: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ ٥"، فقال ابن عباس: غير مقطوع، فقال: هل تعرف ذلك العرب فقال: قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول:

وترى خلفهن من سرعة الرج ... ع منينا كأنه إهباء٦

قال أبو العباس: منين، يعني الغبار، وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها.

والمنين: الضعيف المؤذن بانقطاع، أنشدني التوزي عن أبي زيد:

يا ريها إن سلمت يميني ... وسلم الساقي الذي يليني

ولم تخني عقد المنين

_

١ صميم الخيل: قال المرصفي: "يريد بالخيل الفرسان، وصميمها: عميدها الذي تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذي به قوام العضو".

٢ لفظ "هو" ساقط من ر.

٣ رمت: برحت.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٥٧/٣

٤ خام: جبن وضعف.

٥ سورة فصلت ٨.

٦ يصف خيلا. والرجع: رد الدابة يديها في السير. وأهباء: جمع هبوة، يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع في الجو قاله المرصفي.." (١)

"له، وابنه رديفه. فقام إليه رجل منهم، فقال: أسألك عن مسألة. قال: قل. قال: أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق، وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان، ألولي ذلك المقتول أن يفتك به إن قدر عليه قال: بل يرفعه إلى السلطان. قال: إن السلطان لا يعدي عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده. قال: أخاف عليه إن فتك به فتك به السلطان. قال: دع ما تخافه من ناحية السلطان، أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال: لا. قال: فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم. ورمى عباد ابنه فنجا. وتنادى الناس قتل عاد! فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق، وكان مقتل عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كليب فجاء معبد بن أخضر أخو عباد - وهو معبد بن علقمة، وأخضر زوج أمهما - في جماعة من بني مازن، فصاحوا بالناس: دعونا **وثأرنا**. فأحجم الناس وتقدم المازنيون، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا، لم يفلت منهم أحد إلا عبيدة بن هلال، فإنه خرق خصا ونفذ منه. ففي ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة ... إذا ذم طلاب التراث الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر ... فنالوا التي ما فوقها نال ثائر

أفادوا به أسدا لها في اقتحامها ... إذا برزت نحو الحروب بصائر ١

ثم ذكر بني كليب لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه، فقال في كلمته هذه:

كفعل كليب إذ أخلت بجارها ... ونضر اللئيم معتم وهو حاضر ٢

وما لكليب حين تذكر أول ... وما لكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر:

سأحمي دماء الأخضريين إنه ... أبى الناس إلا أن يقولوا ابن أخضرا

-

١ أقادوا أسدا. قتلوهم به.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٦٧/٣

٢ يقال: اعتم الرجل في الشئ، إذا أبطأ فيه.." (١)

"فقال حصين بن نمير لابن زياد: إن عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج١. وإني لا أثق لك به. فقال ابن زياد: أنت لي عدو، قال حصين: ستعلم.

قال ابن الحباب: فلما كان الليلة التي يريد أن نواقع ابن الأشتر في صبيحتها خرجت إليه، وكان لي صديقا، ومعي رجل من قومي، فصرت إلى عسكره، فرأيته وعليه قميص هروي٢ وملاءة، وهو متوشح٣ السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى، فالتزمته من ورائه، فوالله ما التفت إلي، ولكن قال: من هذا فقلت: عمير بن الحباب، فقال: مرحبا بأبي المغلس، كن بهذا الموضع حتى أعود إليك، فقلت لصاحبي: أرأيت أشجع من هذا قط! يحتضنه رجل من عسكر عدوه، ولا يدري من هو فلا يلتفت إليه، ثم عاد إلي وهو في أربعة آلاف، فقال: ما الخبر فقلت: القوم كثير، والرأي أن تناجزهم، فإنه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نصبح إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظبات السيوف وأطراف القنا، فقلت: أنا منخزل عنك بثلث الناس غدا.

فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، فأرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس: الملائكة! فتراجعوا، ونكس عمير بن الحباب رايته، ونادى: يا لثأرات المرج! وأنزل بالميسرة كلها، وفيها قيس فلم يعصوه، واقتتل الناس حتى اختلط الظلام، وأسرع القتل في أصحاب عبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا، فقال ابن الأشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع إلي سيفي، فيه٤ راحة المسك. ورأيت إقداما وجزأة، فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق، ورجلاه قبل المغرب، فانظروا.

فأتوه بالنيران، فإذا هو عبيد الله بن زياد.

وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد، فغشاه بالديباج، وقال: هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضعوه في

ـ

١ قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها. قاله المرصفي.

٢ هروي: منسوب على هراة إحدى مدن خراسان.

٣ ر: "متشح".

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٨٨/٣

٤ ر: "ومنه".." (١)

"لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع. فرجع نفر يسير، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب١ خرج إليهم نافع، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى تكسرت الرماح، وعقرت الخيل، وكثرت الجراح، والقتلى٢، وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق.

وكان ابن عبيس قد تقدم إلى أصحابه فقال: إن أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الأجذم الغداني، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية، وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن الماحوز السليطي، فكان الرئيسان من بني يربوع: رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، فاقتتلوا قتالا شديدا.

وادعى قتل نافع سلامة الباهلي، وقال: لما قتلته وكنت على برذون ورد٣، إذا برجل على فرس - وأنا واقف في خمس قيس - ينادي يا صاحب الورد! هلم إلى المبارزة، فوقفت في خمس بني تميم. فإذا به يعرضها علي، وجعلت أتنقل من خمس إلى خمس إلى خمس، وليس يزايلني، فصرت إلى رحلي، ثم رجعت، فرآني فدعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين، فضربته فصرعته، فنزلت لسلبه وأخذ رأسه، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا، فخرجت لتثأر به، فلم يزل الربيع الأجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما، حتى قال يوما: أنا مقتول لا محالة، قالوا: وكيف قال: لأني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني، فلما كان الغد قاتل إلى الليل، ثم غاداهم فقتل. فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب، إذ لم يكن لهم رئيس، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري فأباها، فقيل له: ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة، وقد اختاروك من بينهم! فقال: مشؤومة، ما يأخذها أحد إلا قتل، ثم أخذها، فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب، والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن٤، فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبي، وذلك بعد

-

١ دولاب: قرية بينها وبين الاهواز أربعة فراسخ.

٢ ر: "والقتلى".

٣ الورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شئ.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٩٦/٣

٤ الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.." (١)

"يقال: ثأر منيم، إذا أصابه المثئر هدأ واستقر، لأنه أصاب كفؤا، وهذا خلاف قول الآخر:

قوم إذا جر جاني قومهم أمنوا ... للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحارث بن عباد:

لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـ ... ط كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة:

قتلت بعبد الله خير لداته ... ذؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي، من بني تيم اللات بن ثعلبة، حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابي بن زياد:

أن عبيد الله ما دام سالما ... لسار على رغم العدو وغادي

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه ... حززنا برأس النابي بن زياد

كسر الياء على الأصل، كما قال ابن قيس الرقيات:

لا بارك الله في الغواني هل ... يصبحن إلا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم، أي طلعت عليهم، فلا علة فيه ولا ضرورة.

[قال الأخفش: المعروف فيه الهمز، والمبرد لم يهمزه، فإنما أخذه من نبا ينبو، فصار مثل رام وقاض وما أشبههما].

وقال أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري، لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله:

فإن تقتلوا منا كريما فإننا ... قتلنا أمير المؤمنين بخالد." (٢)

"وإنما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل أن يصاب صخر أخوها، فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله.

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢١٣/٣

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٣٨/٤

وكان معاوية فارسا شجاعا، فأغار في جمع من بني سليم على غطفان، وكان صميم خليهم فنذر به١ القوم فاحتربوا، فلم يزل يطعن فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة: دريد، وهاشم، فاستطرد له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنه، وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله، فتنادى القوم: قتل معاوية! فقال خفاف بن ندبة: قتلني الله إن رمت حتى أثأر به! فحمل على مالك بن حمار، وهو سيد بني شمخ بن فزارة، فطعنه فقتله، وقال:

فإن تك خليلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوي وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا٢

أقول له والرمح يأطر متنه٣ ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر، فقال: أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة للآخر: خبره. فقال: استطردت له فطعنني هذه الطعنة، وحمل عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فهو ثأرك، أما إنا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه السمى قالوا: ها هي تلك فخذها، فانصرف بها، فقيل لصخر: ألا تهجوهم قال: ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء، ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانة للساني عن الخنا لفعلت، ثم خاف أن يظن به عي فقال:

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا!

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا٤

_

١ نذر به القوم: عملوا.

٢ علوي: اسم فرسه، وخام القوم: جبنوا وخافوا.

٣ يأطر رمحه: يثنية.

٤ ر: "رب العرش".." (١)

"يقول: هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب، فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٤٨/٤

وقوله:

لا يتأرى لما في القدر يرقبه

يقول: لا يتحبس له، ومن ذا سمي الآري١؛ لأنه محبس الدابة.

وقوله:

ولا تراه أمام القوم يقتفر

يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد.

وقوله:

ولا يعض على شرسوفه الصفر

الشراسيف: أطراف الضلوع، ولاصفر: ها هنا: حية البطن، وله مواضع. وقوله: مهفهف يعني ضامرا، وأهضم الكشحين توكيد له.

وقوله:

إما يصبك عدو في مباوأة

يقول: في وتر، يقال: باء فلان بكذا، كما قال مهلهل: بؤ بشسع كليب. أي هو ثأر بالشسع.

والطخية، والطخية، والطخية، ثلاث لغات: شدة الظلمة، وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي، ففي ذلك يقول:

أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال: هنأ له، كما تقول هنيا له، قال الأخطل:

_

١ الأرى: الأخية.." (١)

"فأما قولك: إن الله اختار لك في الكفر، فجعل أباك أهون أهل النار عذابا، فليس في الشر خيار، ولا من عذاب الله هين، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار، وسترد فتلعم، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ ١

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٤/٦٠

وأما قولك: إنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وأنك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا، وقدمت نفسك على من هو خير من أولا وآخرا، وأصلا وفصلا، فخرت على إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده، فانظر ويحك أين تكون من الله غدا! وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين، وهو لأم ولد، ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن، ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك، وجدته أم ولد، ثم ابنه جعفر، وهو خير منك، ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به، فاجتمعا على خلعه، ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة٢، فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب٣ بغير أوطية، كالسبي المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية، وحرقوكم بالنار، وصلبوكم على جذوع النخل، حتى خرجنا عليهم، فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة، فعنفناهم وكفرناهم، وبينا فضله، وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم، وابتلي أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، وكانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا إلا العباس، فكان وارثه دون بني عبد المطلب، وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم، فلم ينلها إلا ولده،

ـ

١ سورة الشعراء:٢٢٧.

٢ ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد.

٣ الأقتاب: جمع قتب وهو الرجل على قدر سنام البعير.." (١)

"فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة،١ فأذهب عنهما العار والشنار، ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٩٨/٤

أصابتهم، ثم فدى عقيلا يوم بدر. فقد مناكم في الكفر، وفديناكم من الأسر، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم. والسلام.

ـ

١ عتبة وشيبة ابنا ربيعة من عبد شمس كانا من المطعمين لقريش يوم بدر.." (١)

"من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وأن ترد الماء الذي شطره دم ... فتسقي إذا لم يسق من لم يزاحم

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

وفيها:

وذي لجب لا ذو الجناح أمامه ... بناج، ولا الوحش المثار بسالم

تمر عليه الشمس وهي كليلة ... تطالعه من بين ريش القشاعم

إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة ... تدور فوق البيض مثل الدراهم

أرى دون ما بين الفرات وبرقة ... ضرابا يمشي الخيل فوق الجماجم

وطعن غطاريف كأن أكفهم ... عرفن الردينيات قبل المعاصم

حمته على الأعداء من كل جانب ... سيوف بني طغج بن جف القماقم

هم المحسنون الكر في حومة الوغى ... وأحسن منه كرهم في المكارم

ولولا احتقار الأسد شبهتهم بها ... ولكنها معدودة في البهائم

كريم نفضت الناس لما لقيته ... كأنهم ما جف من زاد قادم

وكاد سروري لا يقي بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم

وقوله:

وشامخ من الجبال أقود

فرد كيافوخ البعير الأصيد

يسار من مضيقه والجلمد

في مثل متنث المسد المعقد

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٩٩/٤

زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

بكل مسقي الدماء أسود

معاود مقود مقلد

كطالب الثأر وإن لم يحقد

يقتل ما يقتله ولا يدي

فثار من أخضر ممطور ندي

كأنه بدز عذار الأمرد

فلم يكد إلا لحتف يهتدي

ولم يقع إلا على بطن يد

وقوله:

فتى علمته نفسه وجدوده ... قراع العوالي وابتذال الرغائب

فقد غيب الشهاد عن كل موطن ... ورد الى أوطانه كل غائب

كذا الفاطميون الندى في بنانهم ... أعز امحاء من خطوط الرواجب

ألا أيها المال الذي قد أباده ... تعز فهذا فعله بالكتائب

لعلك في وقت شغلت فؤاده ... عن الجود أو كثرت جيش محارب

وقوله:

يرى الجبناء أن الجبن عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم

وقوله:

يا بني الحارث بن لقمان لا تع ... دمكم في الوغى متون العتاق

بعثوا الرعب في قلوب الأعاد ... ي فكان القتال قبل التلاقي

وتكاد الظبى لما عودوها ... تنتضي نفسها الى الأعناق

وإذا أشفق الفوارس من وق ... ع القنا أشفقوا من الإشفاق

كل ذمر يزيد في الموت حسنا ... كبدور تمامها في المحاق

جاعل درعه منيته إن ... لم يكن دونها من العار واق

كرم خشن الجوانب منهم ... فهو كالماء في الشفار الرقاق

ومعال إذا ادعاها سواهم ... لزمته خيانة السراق

وقوله:

سر حل حيث تحله النوار ... وأراد فيك مرادك المقدار

وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة ... حيث اتجهت وديمة مدرار

وأراك دهرك ما تحاول في الفدى ... حتى كأن صروفه أنصار

أنت الذي بجح الزمان بذكره ... وتزينت بحديثه الأسمار

وقوله في باز أطلق:

وطائرة تتبعها المنايا ... على آثارها زجل الجناح." (١)

"وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... أن تمسيه؛ أين مثلك أينا!

أبو الطيب، وتعسف اللفظ:

الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وتقدير الكلام: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت به.

زياد الأعجم وهو كثير مشهور:

لله در منية فاتت به ... فلقد أراه يرد غرب الجامح

ولقد أراه مجففا أفراسه ... يغشى الأسنة فوق نهد قارح

لو عند ذلك هايجته منية ... برح الخفاء وضم سرح السارح

يزيد المهلبي:

جاءت منيته والعين هاجعة ... هلا أتته المنايا والقنا قصد

أبو الطيب:

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/٤٠

أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان

ولو سلكت طرق السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

ومقلوب هذا قول الآخر:

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت ... تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

ومثله لأبي الطيب:

ما زلت◦ تدفع كل أمر فادح ... حتى أتى الأمر الذي لا يدفع

وظللت تنظر لا رماحك شرع ... فيما عراك ولا سيوفك قطع

وهو مثل قول عمران بن حطان؛ على أنه كثير مبتذل:

ولم يغن عنه الموت يا حمز إذ أترجال بأيديهم سيوف قواضب

ومن هذا المعنى قول الآخر:

أخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب

ومثله لأبي الطيب:

هبيني أخذت **الثأر** فيك من العدى ... فكيف بأخذ **الثأر** فيك من الحمى

الأعور الشني:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها ... بسالمة العينين طالبة عذرا

وأغضيت عنه وانتظرت به غدا ... لعل غدا يبدي لمنتظر أمرا

سالم بن وابصه:

وكاشح من موالي السوء ذي حسد ... يقتات لحمي وما يشفيه من قرم

داويت صدرا طويلا غمره حقدا ... منه، وقلمت أظفارا بلا جلم

وقد أكثر الشعراء فيه.

أبو الطيب:

وأحلم عن خلي وأعلم أنني ... متى أجزه حلما على الجهل يندم

امرؤ القيس:

فللزجر ألهوب وللساق درة ... وللسوط أخرى غربها يتدفع

ثم أكثر الناس فيه.

أبو الطيب:

رجلاه في الركض رجل واليدان يد ... وفعله ما تريد الكف والقدم

المصراع الأول نحو قول رؤبة:

يهوين شتى ويقعن وقعا

الطرماح:

تحييها الكماة بكل يوم ... مريض الشمس محمر الخوافي

أبو الطيب:

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة

بعض المحدثين:

خبري خذيه عن الضنى وعن الأسى ... ليس اللسان وإن تلفت بمخبر

أبو الطيب:

أمر الفؤاد لسانه وجفونه ... فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

وهو معنى قوله:

باد هواك صبرت أم لم تصبرا ... وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

أبو نواس:

يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا

أبو الطيب:

وهو المضاعف حسنه إن كررا

الجلاح ابن عبد الله السدوسي:

مددت حبل غرور غير مؤيسة ... فوت الأكف فلا جود ولا بخل

والصرم أروح من غيث يطمعنا ... فيه مخايل ما يلفى بها بلل

ونحوه لابن الرقيات ولم يصرح باختيار أحدهما:

تركتني واقفا على الشك لم ... أصدر بيأس منكم ولم أرد

ومثله قول ابن أبي زرعة الدمشقي:

وكأني بين الوصال وبين ال ... هجر ممن مقامه الأعراف

في محل بين الجان وبين النا ... ر طورا أرجو وطورا أخاف

وقال أبو حفص الشطرنجي، فاختار ضد ما اختار الأول:

وأحسن أيام الهوى يومك الذي ... تهدد بالتحريش فيه وبالعتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

وتبعه أبو الطيب:." (١)

"

وكان فل داهر ببرهمنا باذ هذه فقاتلوه ففتحها عنوة وقتل بها ستة وعشرين ألفا وخلف بها عامله وهي اليوم خراب

وسار محمد يريد الرور وبغرور فتلقاه أهل ساوندري فسألوه الامان فأعطاهم إياه وانتهى إلى الرور وهي من مدائن السند على جبل فحصرهم أشهرا ثم فتحها صلحا على ألا يقتلهم ولا يعرض لبدهم وقال ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس ووضع عليهم الخراج وبنى مسجدا بالرور

وسار محمد إلى السكة وهي مدينة دون بياس ففتحها والسكة اليوم خراب ثم قطع نهر بياس إلى المولتان فقاتله أهلها ودخلوا المدينة منهزمين وحصرهم محمد وقد نفذت أزواد المسلمين حتى أكلوا الحمير ثم أتاهم مستأمن فدلهم على ماء منه شربهم وهو من نهر بسمد يصير في مجتمع مثل البركة ويسمونه البلاح فغوره فلما عطشوا نزلوا على الحكم فقتل محمد المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد وكانوا ستة آلاف وأصابوا ذهبا كثيرا فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثمان فسميت المولتان فرج الذهب والفرج الثغر وكان بد المولتان تهدي إليه الأموال من كل بلد من بلدان السند وتنذر له النذور ويحج إليه أهل السند فيطوفون به ويحلقون رؤوسهم ولحاهم عنده قالوا ونظر الحجاج فإذا هو قد أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف ووجد الذي حمله محمد إليه مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف فقال شفينا غيظا وأدركنا ثأرنا وأزددن ا ستين ألف ألف وراس داهر ومات الحجاج فأتت محمدا

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/١٠٠

". (١)

"

عند جمهور الناس منهم قياس الملوك في غيرهم عند سائر عوامهم مصرع دماؤهم من الكلب الشفاء قال احمد بن يحي النحوي ذكر لي أن تفسير ذلك إنما هو لان دم السيد غاية الثأر وأنه إذا اصيب فقد أدرك الثأر كله ووقع الشفاء بعده قال وانما الكلب ها هنا الغيظ والغضب كما قال بعض الشعراء مصرع

(كلب بضرب جماجم ورقاب **)

فالغيظ عندي من العرب على ساداتهم من جنس غيظ سائر الأمم على ملوكهم وإذ قلنا ما قلناه فليكن أول ما نتبع به ذلك ذكر أخلاق الملك وسجاياه وما يجب أن يكون عليه منها في ذات نفسه إذ كان ذلك مبدأ التدبير والسياسة ومنشأ الأفعال الشائعة في العامة ثم يتبع ذلك ما يجب أن يكون تابعا له

". (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٤ """"""""

عن الحركة عميت ، وجعل يومي قبل يومك فيه أي جعل يومي الذي أدخل الجنة : قبل يومك الذي تدخل فيه النار ، وأما قوله : يسرني ما يسرك ، فإن العافية تسره كما تسر الكافر .

وحكي أن رجلا كان شاعرا وكان له عدو ، فبينما هو سائر ذات يوم من الأيام ، وإذا بعدوه إلى جانبه ، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة ، فقال له : يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني امض إذا إلى داري وقف بالباب وقل : إلا أيها البنتان إن أباكما وكانت للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل :

ألا أيها البنتان إن أباكما قالتا . . . قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما

ثم تعلقتا بالرجل . وحملتاه إلى الحاكم ، ثم طلبتا أباهما ، فاستقره فاقر فأمر بقتله وقتل بأبيهما .

وقال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على قومك ، إذ سموك جارية ؟ فقال : وما أهونك على قومك إذ سمٍوك معاوية ، وهي الأنثى من الكلاب قال : اسكت ، لا أم لك ، قال : أم ولدتني ، أما والله إن

---

(١) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٤١٩

(٢) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٤٤١

القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وإنك لا تملكنا قهرا ولا تهلكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة ، فإن وفيت لنا وفينا لك ، وإن فرغت إلى غير ذلك فإنا قد تركنا ورائنا لك رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية : لا كثر الله مثلك في الناس يا جارية ، قال : قل معروفا فإن شر الدعاء محيط بأهله .

ومن حكايات الفصحاء ما حكي أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال : أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه ؟ وله علي ما يتمناه ، فقام إليه سويد بن غفلة فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ، قال هات ، قال : أولها : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ، ذكر ، رقبة ، زند ، ساق ، شفة ، صدر ، ضلع ، طحال ، ظهر ، عين ، غبغبة ، فم ، قفا ، كف ، لسان ، منخر ، نغنوغ وجه ، هامة ، يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين .

فقال : بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقول في جسد الإنسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد : أما سمعت ما قال ، قال : نعم أنا أقولها ثلاثا : فقال له : لك ما تتمنى ، فقال : أنف أسنان أذن ، بطن بصر بز ، ترقوة تمرة تينة ، ثغر ثنايا ثدي ، جمجمة جنب جبهة ، حلق حنك حاجب ، خد خنصر خاصرة ، دبر دماغ دردر ، ذكر ذقن ذراع ، رقبة رأس ركبة ، زند زردمة زب ، فضحك عبد الملك من قوله . ثم قال سويد : ساق سرة سبابة ، شفة شعر شارب ، صدر صدغ صلعة ، ضلع ضفير ضرس ، طحال طرة طرف ، ظهر ظفر ظنبوب ، عين عنق عاتق ، غبغب غلصمة غنة ، فم فك فؤاد ، قلب قدم قفا ، كف كتف كعب ، لسان لحية لوح ، مرفق منكب منخر ، نغنوغ ناب نن ، هامة هيف هيئة ، وجه وجنة ورك ، يمين يسار يافوخ .

ثم نهض مسرعا وقبل الأرض بين يدي عبد الملك ، فقالوا : والله ما نزيد عليها أعطوه ما تمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ بالإحسان إليه .

قال رجل لصاحب منزل : أصلح خشب هذا السقف فإنه يقرقع ، قال : لا تخف فإنه يسبح قال : أخاف أن تدركه رقة قلب فيسجد .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٨٦ """""""""

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا . . . فلما دهتني لم تزدني بها علما

---

(١) الكشكول ـ موافق للمطبوع، ١/٢٨٤

أتاها كتابي بعد يأس وترحة نزحة . . . فماتت سرورا بي فمت بها هما

حرام على قلبي السرور فإنني . . . أعد الذي ماتت به بعدها سما

تعجب من خطي ولفظي كأنها . . . ترى بحروف السطر أغربة عصما

وتلثمه حتى أصار مداده . . . محاجر عينيها وأنيابها سحما

رقى دمعها الجاري وجفت جفونها . . . وفارق حبي قلبها بعدما أدمى

ولم يسلها إلا المنايا وإنما . . . أشد من السقم الذي أذهب السقما

طلبت لها حظا ففاتت وفاتني . . . وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

فأصبحت أستسقي الغمام لقبرها . . . وقد كنت أستسقي الوغا والقنا الصما

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى . . . فقد صارت الصغرى التي كانت العظما

هبيني أخذت الثار فيك من العدى . . . فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى

وما انسدت الدنيا علي لضيقها . . . ولكن طرفا لا أراك به أعمى

فيا أسفي أن لا أكب مقبلا . . . لرأسك والصدر الذي ملئا حزما

وأن لا ألاقي روحك الطيب الذي . . . كأن ذكي المسك كان له جسما ولو لم تكوني بنت أكرم والد . . .

لكان أباك الضخم كونك لي أما

لئن لذ يوم الشامتين بيومها . . . فقد ولدت مني لآنافهم رغما

تغرب لا مستعظما غير نفسه . . . ولا قابلا إلا لخالقه حكما

ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة . . . ولا واجدا إلا لمكرمة طعما

يقولون لي ما أنت في كل بلدة . . . ما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى

كان بينهم عالمون بأنني . . . جلوب إليهم من معادنه اليتما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي . . . بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

ولكنني مستنصر بذبابه . . . ومرتكب في كل حال به الغشما

وعاجلة جاعلة يوم اللقاء تحيتي . . . وإلا فلست السيد البطل القرما

وإني من قوم كأن نفوسهم . . . بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي . . . ويا نفس زيدي في كرائمها قدما." (١)

"تبدأ الحكاية الروائية بحادث مرور يموت فيه والد كريمة، وتصاب فيه أختها نزهة. ويتم التمهيد لهذا الحادث بإعجاب كريمة – وهي فتاة في الخامسة عشرة من عمرها – بأبيها، وتعلقها الشديد به، ومن ثم صدمتها بموته، حتى إنها لم تصدق موته أول الأمر، ثم صبت جام غضبها على الفاعل/السائق – واسمه علي – وقررت الانتقام منه ثأرا لأبيها. وحين اكتشفت أن هذا السائق (علي) يعمل حارسا شخصيا لرجل أعمال خليجي اسمه أبو يوسف، وأن نفوذ هذا الرجل أنقذ السائق من المحاكمة والعقاب، قررت أن يمتد انتقامها إليه. وحين جاء مجاهد، مدير مكتب أبي يوسف وساعده الأيمن إلى أسرة كريمة ليخفف من وقع مصيبتها، وينفحها مبلغا من المال يساعدها على حياتها بعد وفاة عائلها، امتد الانتقام إليه هو الآخر. وهكذا شملت رغبة كريمة في الانتقام ما سمته (عصابة أبي يوسف)، وتركز هذا الانتقام في ثلاثة أشخاص هم : أبو يوسف ومجاهد وعلي.." (٢)

"ذلك لأن كريمة صرحت برغبتها في الانتقام مرتين، مرة أمام والدتها قائلة: (أعرف كيف أنتقم، وكيف آخذ ثأر أبي من قاتله وحتى من الذين يدافعون عن القاتل)(٢). وهذا التصريح –كما هو واضح – شامل، لا يخص القاتل / السائق وحده، بل يشمل الذين يدافعون عنه. وهؤلاء الذين يدافعون عنه –كما سنفهم من السياق اللاحق للرواية – يقتصرون على أبي يوسف ومجاهد. ولكن مانع سعيد العتيبة عدل هذا التصريح حين حضر مجاهد لتعزية الأسرة. ففي أثناء التعزية قابلته كريمة بالتصريح الآتي المعدل عن سابقه : (بل اعلم جيدا ما أقول. لا يمكن أن نقبل ثمنا لحياة أبي إلا رأس ذلك القاتل المجرم)(٣) . وموطن التعديل هو تخصيص الانتقام بقصره على علي/السائق وحده. وهذا تخفيف من حدة التصريح الأول ومن شموله، ولكنه تخفيف مقبول في المنطق الروائي ،لأن الانتقام معلل فيه مادامت كريمة المعبرة عنه فتاة فقدت حديثا أباها الذي يعيل أسرتها. بل إن إعالة الأسرة هي المسوغ الذي قدمته كريمة لطلبها العمل لدى أبي يوسف(٤). ونستطيع أن نلاحظ أن موافقة أبي يوسف على عمل كريمة لديه أزال التوتر، وشكل نهاية الحلقة السردية الأولى، وزرع الحاجة إلى حافز إضافي.

(١) الكشكول ـ موافق للمطبوع، ٢٨٦/١

(٢) الرواية العربية البناء والرؤيا، ص/٣٠

يوسع حافز الحب الدائرة التي يتحرك فيها الانتقام. فأبو يوسف يقبع في الوسط وحوله دائرتا حب تتجاذبانه، حب الأميرة زوجته، وحب سلمى عشيقته. وحين يوافق على عمل كريمة لديه ينشىء دائرة حب ثالثة تقبع فيها كريمة. وتشكل الدوائر الثلاث الحلقة السردية الثانية في الرواية، وهي حلقة ممتدة لأن حافز الحب فيها دائم الانتقال من دائرة إلى أخرى.." (١)

"وزعمت أيضا أن البنوى خراساني، وأن نسب الأبناء:نسب آبائهم، وأن حسن صنيع الآباء، وقديم فعال الأجداد هو حس الأبناء. وأن الموالي بالعرب أشبه، وإليهم أقرب، وبهم أمس؛ لأن السنة جعلتهم منهم. فقلت: إن الموالي أقرب إلى العرب في كثير من المعاني؛ لأنهم عرب في المدعى، وفي العاقلة، وفي الوراثة. وهذا تأويل قوله مولى القوم منهم ومولى القوم من أنفسهم، " والولاء لحمة كلحمة النسب " وعلى شبيه ذلك صار حليف القوم منهم، وحكمه حكمهم، فصار الأخنس بن شريق وهو رجل من ثقيف، وكذلك يعلى بن منية وهو رجل من بلعودية، وكذلك خالد بن عرفطة وهو رجل من عذرة من قريش. وبذلك النسب حرمت الصدقة على موالي بني هاشم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أجراهم في باب التنزيه والتطهير مجرى مواليهم. وبذلك السبب قدم النبي صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على بني عبد شمس، وقرابتهم سواء ونسبهم واحد، للعقد المتقدم، وللأيدي المتفقة.

وقال صلى الله عليه وسلم: " منا خير فارس في العرب: عكاشة بن محصن " ، فقال ضرار بن الأزور الأسدي: ذاك رجل منا يا رسول الله. قال: " بل هو منا بالحلف " . فجعل حليف القوم منهم، كما جعل بن أخت القوم منهم.

ثم زعمت أن الأتراك قد شاركوا هؤلاء القوم في هذا النسب، وصاروا من العرب بهذا السبب، مع الذي بانوا به من الخلال، وحبوا به من شرف الخصال.

على أن ولاء الأتراك للباب قريش، ولمصاص عبد مناف، وهم في سر بني هاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس، والعقد من لبة الكاعب، والجوهر المكنون، والذهب المصفى، وموضع المحة من البيضة، والعين في الرأس، والروح من البدن؛ وهم الأنف المقدم، والسنام الأكبر، والدرة الزهراء، والروضة الخضراء، والذهب الأحمر. فقد شاركوا العرب في أنسابهم، والموالي في أسبابهم، وفضلوهم بهذا الفضل الذي لا يبلغه فضل وإن برع، بل لا يعشره شرف وإن عظم، ولا مجد وإن قدم.

---

(١) الرواية العربية البناء والرؤيا، ص/٣٢

فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة، وعلى حسب ذلك التقارب تكون المؤازرة والمكاتفة، والطاعة والمناصحة، والمحبة للخلفاء الأئمة.

وذكرت أنه ذكر جملا من مفاخرة الأجناس، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف، وأنه جمع ذلك وفصله وفسره، وأنه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم، وأضرب عنهم صفحا، يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل، وعن برهان كل صنف؛ وذكر أن الخراساني يقول: نحن النقباء وأبناء النقباء، ونحن النجباء وأبناء النجباء، ومنا الدعاة، قبل أن تظهر نقابة، أو تعرف نجابة، وقبل المبالغة والمباراة، وقبل كشف القناع وزوال التقية وزوال ملك أعدائنا عن مستقره، وثبات ملك أوليائنا في نصابه. وبين ذلك ما قتلنا وشردنا، ونهكنا ضربا وبضعنا بالسيوف الحداد، وعذبنا بألوان العذاب.

وبنا شفى الله الصدور، وأدرك **الثأر**. ومنا الإثنا عشر النقباء، والسبعون النجباء. ونحن الخندقية، ونحن الكفية وأبناء الكفية، ومنا المستجيبة ومن يهرج التيمية ومنا نيم خزان وأصحاب الجوربين ومنا الزغندية والآزاذمردية. ونحن فتحنا البلاد وقتلنا العباد، وأبدنا العدو بكل واد. ونحن أهل هذه الدولة، وأصحاب هذه الدعوة، ومنبت هذه الشجرة. ومن عندنا هبت هذه الريح.

والأنصار أنصاران: الأوس والخزرج نصرو النبي صلى الله عليه وسلم في أول الزمان، وأهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان. غذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا، وصار لنا نسبا لا نعرف إلا به، ودينا لا نوالي إلا عليه. ثم نحن على وتيرة واحدة، ومنهاج غير مشترك؛ نعرف بالشيعة، وندين بالطاعة، ونقتل فيها ونموت عليها. سيمانا موصوف، ولباسنا معروف. ونحن أصحاب الرايات السود، والروايات الصحيحة، والأحاديث المأثورة، والذين يهدمون مدن الجبابرة، وينزعون الملك من أيدي الظلمة. وفينا تقدم الخبر، وصح الأثر. وجاء في الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها، ويقتلون مقاتليها ويسبون ذراريها، حيث قالوا في نعتهم: شعورهم شعور النساء، وثيابهم ثياب الرهبان. فصدق الفعل القول، وحقق الخبر العيان.

ونحن الذين ذكرنا وذكر بلاءنا أمام الأئمة، وأبو الخلائق العشرة: محمد بن علي، حين أراد توجيه الدعاة إلى الآفاق، وتفريق شيعته في البلاد، أن قال:." (١)

"وقد عرفتم تحاكم العرب في الجاهلية في النفورة، وفي غير ذلك من المخايرة والمشاورة، إلى أبي جهل بن هشام في أيام حداثته وفتائه؛ ولذلك أدخلوه دار الندوة، ودفع مع ذوي الأسنان والحنكة من بين جميع الشبان،

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٣

ومن بين جميع الفتيان.

ولذلك قال قطبة بن سيار حكيم فزارة حين تنافر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة: عليكم بالحديد الذهن، الحديث السن. يعني أبا جهل.

فهذا كله دليل واضح، وبرهان بين.

ولعل قائلا أن يقول: إنما الفضل في خشونة الملبس؛ وليس ذلك لمن مدحت، ولا هذه صفة من وصفت.

وهذا باب - أبقاك الله - قد يغلط فيه العاقل ما لم يكن بارعا، والفطن ما لم يكن ثاقبا، والأريب ما لم يكن كاملا. ولو كان الفضل والرياسة والقدر والنباهة على قدر قشف الجلدة وبذاذة الهيئة، وكثرة الصوم، **وإيثار** الوحشة والسياحة لكان عثمان بن مظعون متقدما لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه، ولكان بلال بن رباح غامرا لعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وقد قال ابن شهاب الزهري: ليس الناسك إلا من غلب الحرام صبره، والحلال شكره.

فهذا ما حضرنا من القول، وأمكننا من الاحتجاج. وما أشك أن من خبر أمرك أكثر من اختباري كان عنده أكثر من علمي. وعلى أن منظرك - أسعدك الله - يغني عن المخبر، والفراسة فيك تكفي مؤونة التجربة لك.

وقد تقيلت بحمد الله أخلاق شيخك، واحتذيت على مثالهكما احتذى على مثال من كان قبله. ولو لم يتعقبوا أمرك، ويتصفحوا سيرتك في نفسك ثم في خاصتك وعامتك، لكان في صدق الفراسة وظهور المحبة ما تقضي به النفوس، ويستدل به المجرب.

وظن العاقل كيقين غيره.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنك لن تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه.

وقال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن لك الظ ... ن كأن قد رأى وقد سمعا

وقال وهو يمدح ابن كلدة بصدق الحس، وصواب الحدس، وجودة الظن:

أريب أديب أخو مأزق ... نقابا يخبر بالغائب

وقال آخر يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان:

رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيب وما فقد الشبابا

ولكن تحت ذاك الشيب حزم ... إذا ما ظن أمرض أو أصابا

وقال الله تبارك وتعالى: " ولقد صدق عليهم إبليس ظنه " . وقال: " إن بعض الظن إثم " . وفي ذكره البعض دليل على أن سائر ذلك صواب وطاعة.

وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله، أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرى واحدا، ولأنك وإن كنت كثير الشغل فهو أقل فراغا منك على كثرة شغلك، وفرط عنايتك بما استكفاك واسرعاك. وإن جعلت لي قسما من وقت فراغك،ونصيبا من ساعة نشاطك. رجوت أن يصير إلى ما أملناه عندك من الإنعام علي، والاسترهان لشكري؛ فإن العرب لم تعظم شيئا قط كتعظيمها موقع الإنعام والشكر والأحدوثة الحسنة، والذكر والتمييز، والاستمداد للنعم، والكفر حائل بين العود والبدء.

قال عنترة:

نبيت بشرا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

وقال السندي:

فلم أجز بالحسنى وعادت مشاربي ... بلاقع يقروها الحمام المقرقر

تبدلت بالإحسان سوءا وربما ... تنكر للمعروف من كان يكفر

ويدل على حبهم للثناء وجميل الذكر قول الأسدي:

فإني أحب الخلد لو أستطيعه ... وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم

وقال:

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم ... بمسعاتنا إن الثناء هو الخلد

وقال الغنوي:

فإذابلغتم أهلكم فتحدثوا ... إن الحديث مهالك وخلود

فجعلوا الذكر بالجميل مثل الخلود في النعيم.

وعلى هذا المعنى قال في درك الثأر:

فقتلا بتقتيل وعقرا كعقركم ... جزاء العطاس لا يموت من اثأر

وقال حكيم الفرس حين بلغه موت الإسكندر، وهو قاتل دارا بن دارا: ما ظننت أن قاتل دارا يموت! وهذا

القول هو أمدح منه لقاتله. ولم أسمع للعجم كلمة قط أمدح منها. فأما العرب فقد أصبت لهم من هذا الضرب كلاما كثيرا.." (١)

"وزعمت أن اختلاف التركي والخراساني ليس كاختلاف ما بين الرومي والصقلبي، والزنجي والحبشي، فضلا على ما هو أبعد جوهرا، وأشد خلافا، بل كاختلاف ما بين المدري والوبري، والبدوي والحضري، والسهلي والجبلي، وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين من نزل النجود، وبين من نزل الأغوار.

وزعمت أن هؤلاء وإن اختلفوا في بعض اللغة، وفارق بعضهم بعضا في بعض الصورة، فقد نجد أن عليا تميم، وسفلى قيس، وعجز هوازن، وفصحاء الحجاز، خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن، وكذلك الصورة والصورة، والشمائل والشمائل، والأخلاق والأخلاق. وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب، ولا معلهج ولا مذرع ولا مزلج. ولم يختلفوا كاختلاف ما بين قحطان وعدنان، من قبل ما طبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز، وما قسم لأهل كل جزيرة من الشكل والصورة، ومن الأخلاق واللغة.

فإن قلت: وكيف صار أولادهما جميعا عربا، مع اختلاف الأبوة؟ قلنا: إن الجزيرة لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفي اللغة، وفي الشمائل والهمة، وفي الأنف والحمية، وفي الأخلاق والسجية، فسبكوا سبكا واحدا، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط، حتى صار ذلك اشد تشابها في باب الأعم والأخص، وفي باب الوفاق والمباينة من بعض الأرحام، وجرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب، وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها، وتصاهروا من أجلها. وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بني اسحاق، وهو أخو إسماعيل، وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان.

ففي إجماع الفريقين على التناكح والتصاهر، ومنعهما ذلك جميع الأمم، ككسرى فمن دونه، دليل على أن النسب عندهم متفق، وأن هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة.

وزعمت أنه أراد الفرقة والتحزيب، وأنك أردت الألفة والتقريب.

ثم زعمت أيضا أن البنوي خراساني، وأن نسب الأبناء نسب آبائهم، وأن حسن صنيع الآباء، وقديم فعال الأجداد، هو حسب الأبناء، وأن الموالي بالعرب أشبه، وإليهم أقرب، وبهم أمس؛ لأن السنة قد نقلت الموالي إلى العرب في كثير من المعاني، لأنهم عرب في المدعى، وفي العاقلة، وفي الوراثة. وهذا تأويل قوله: " مولى القوم منهم " . و " الولاء لحمة كلحمة النسب " .

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٦٨

ثم زعمت أن الأتراك قد شاركوا القوم في هذا النسب، وصاروا من العرب بهذا السبب، مع الذي بانوا به من الخلال، وحبوا به من شرف الخصال.

على أن ولاء الأتراك للباب قريش، ولمصاص عبد مناف، وهم في سر هاشم، وهاشم موضع العذار من خد الفرس، ومحل العقد من لبة الكعاب. وهو الجوهر المكنون، والذهب المصفى، وموضع المحة من البيضة، والعين في الرأس، والروح من البدن. وهم الأنف المقدم، والسنام الأكوم، والطينة البيضاء، والدرة الزهراء، والروضة الخضراء، والذهب الأحمر.

فقد شاركوا العرب في أنسابهم، وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضل وإن برع، بل لا يعشره شرف وإن عظم، ولا مجد وإن قدم.

فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة، وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازنة والمكانفة، والطاعة والمناصحة، والمحبة للخلفاء والأئمة.

وذكرت أنه ذكر جملا من مفاخر هذه الأجناس، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف، وأنه جمع ذلك وفصله، وأجمله وفسره، وأنه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم، وأضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم، كما أخبر عن حجة كل جيل، وعن برهان كل صنف. فذكر أن الخراساني يقول: نحن النقباء، وأبناء النقباء، ونحن النجباء وأبناء النجباء، ومنا الدعاة قبل أن تظهر نقابة، أو تعرف نجابة، وقبل المغالبة والمبادأة، وقبل كشف القناع وزوال التقية.

وبنا زال ملك أعدائنا عن مستقره، وثبت ملك أوليائنا في نصابه، وبين ذلك ما قتلنا وشردنا، ونهكنا ضربا وطلبا، وبضعنا بالسيوف الحداد، وعذبنا بألوان العذاب.

وبنا شفى الله تعالى الصدور. وأدرك الثأر، ومنا الاثني عشر النقباء، والسبعون النجباء. ونحن الخندقية وأبناء الخندقية، ونحن الكفية وأبناء الكفية، ومنا المستجيبة، ومن بهرج النيمية، ومنا نيم خزان، وأصحاب الجوربين، ومنا الزغندية، والآزاذمردية.

ونحن فتحنا البلاد، وقتلنا العدو بكل واد، ونحن أصل هذه الدولة، ومنبت هذه الشجرة، وأصحاب هذه الدعوة، ومن عندنا هبت هذه الريح." (١)

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٩٦

"وكذلك إذا سألناهم عن الذابين عن الإسلام بمهجهم، والماشين إلى الأقران بسيوفهم، وجدناهم مختلفين. فمن قائل يقول: علي، ومن قائل يقول: الزبير، ومن قائل يقول: ابن عفراء، ومن قائل يقول: أبو دجانة، ومن قائل يقول: محمد بن مسلمة، ومن قائل يقول: طلحة، ومن قائل يقول: البراء بن مالك.

على أن لعلي – رضي الله عنه – من قتل الأقران والفرسان والأكفاء، ما ليس لهم، فلا أقل من أن يكون في طبقتهم.

وإن نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا: علي، وعمر، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب. على أن عليا كان أفقههم، لأنه كان يسأل ولا يسأل، ويفتي ولا يستفتي، ويحتاج إليه ولا يحتاج إليهم، ولكن لا أقل من أن نجعله في طبقتهم وكأحدهم.

وإن نحن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف، والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها، قالوا: علي، وأبو الدرداء، ومعاذ، وأبو ذر، وعمار، وبلال، وعثمان بن مظعون. على أن عليا أزهدهم؛ لأنه شاركهم في خشونة الملبس وخشونة المأكل، والرضا باليسير، والتبلغ بالحقير وظلف النفس عن الفضول، ومخالفة الشهوات. وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال، ورقاب العرب والعجم، فكان ينضح بيت المال في كل جمعة، ويصلي فيه ركعتين. ورقع سراويله بأدم، وقطع ما فضل من كميه عن أطراف أصابعه بالشفرة، في أمور كثيرة. مع أن زهده هو أفضل من زهدهم؛ لأنه أعلم منهم. وعبادة العالم ليست كعبادة غيره، كما أن زلته ليست كزلة غيره، فلا أقل من أن يعد في طبقتهم.

ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر، وزيد، وخباب، مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والعناء، والذب عن الإسلام بالسيف، ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء وأهل القدم في الإسلام. ولم نجدهم ذكروا لابن عفراء، والزبير، وأبي دجانة، والبراء بن مالك، مثل الذي ذكروا له من التقدم في الإسلام والزهد والفقه. ولا ذكروا أبا بكر، وزيدا، وخبابا، في طبقة عمرو بن مسعود، وأبي بن كعب، كما ذكروا عليا في طبقتهم. ولا ذكروا أبا بكر، وزيدا، وخبابا، في طبقة معاذ، وأبي الدرداء، وأبي، وعمار، وبلال، وعثمان بن مظعون، كما ذكروا عليا في طبقتهم.

فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه، ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب، وأهل هذه الطبقات، الذين هم الغايات، علمنا أنه أفضل، وأن كل واحد منهم وإن كان قد أخذ من كل خير بنصيب، فإنه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه.

فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي – رضوان الله عليه – وتقديمه على غيره.

وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة، إلا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا، وأقل طعنا وخلافا. وذلك أن العرب وقريشا كانوا في أمره على طبقات: فمن رجل قد قتل علي أباه أو ابنه، أو أخاه أو ابن عمه، أو حميمه أو صفيه، أو سيده أو فارسه، فهو بين مضطغن قد أصر على حقده، ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة، قد كشف قناعه، وأبدى عداوته.

ومن رجل قد زمل غيظه وأكمل ضغنه، يرى أن سترهما في نفسه، ومداراة عدوه، أبلغ في التدبير، وأقرب من الظفر، فإن ما يجزيه أدنى علة تحدث، وأول تأويل يعرض، أو فتنة تنجم؛ فهو يرصد الفرصة ويترقب الفتنة، حتى يصول صولة الأسد، ويروغ روغان الثعلب، فيشفي غليله، ويبرد ثائره.

وإذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب، وإن يموه له الشيطان الوثوب، ويزين له الطلب؛ لأنه قد عرف مأتاه، وكيف يختله من طريق هواه.فإذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقو احتراسه، وكان بعرض هلكة وعلى جناح تغرير؛ لأنه منقسم الرأي متفرق النفس،قد اعتلج على قلبه غيظ الثأر على قرب عهده بأخلاق الجاهلية، وعادة العرب من الثأر وتذكر الأحقاد والأمر القديم، وشدة التصميم.

ومن رجل غمته حداثته، وأنف أن يلي عليه أصغر منه.

ومن رجل عرف شدته في أمره، وقلة اغتفاره في دينه،وخشونة مذهبه.

ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد، وينبتان في مغرس واحد، لأن ذلك أقطع لأطماع قريش أن يعود الملك دولة في قبائلها، ومن قريش خاصة في بني عبد مناف، الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى، لأن الرحم كلما كانت أمس، والجوار أقرب، والصناعة أشكل، كان الحسد أشد، والغيظ أفرط. فكان أقرب الأمور إلى محبتهم إخراج الخلافة من ذلك المعدن، ترفيها عن أنفسهم من ألم الغيظ، وكمد الحسد.." (١)

"وإذ ما أتيت بنى مازن ... فلا تفل رأسا ولا تغسل

فليتك لم تك من مازن ... وليتك في البطن لم تحمل

وليت سنانك صنارة ... وليت رميحك من مغزل

تجاوزت جمران من ساعة ... وقلت قساس من الحرمل

وقلت عماية أرض فضاء ... فلأيا أؤوب إلى معقل

قال: ثم إن أوفى غزا مع مجمع، وهو أبو وردان العكلى فغنما فبينا أوفى راقد أخذ مجمع سلاح أوفى فجدعه

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٢٧٩

بالسيف وأخذ ما غنما. فقال أوفى:

أبلغ أسيد والهجيم ومازنا ... ما أحدثت عكل من الحدثان

يا قوم إني لو خشيت مجمعا ... رويت منه صعدتى وسنانى

وهلك أوفى.

أغربة العرب ثلاثة

وإنما سموا أغربة، لأن أمهاتهم سود، عنترة بن شداد العبسي، وأمه زبيبة، وخفاف بن عمير الشريدي، من بني سليم، وأمه ندبة، وإليها ينسب، وسليك بن السلكة السعدي.

وكانوا شعراء شجعة، فكان يقال لعنترة عنترة الفوارس وهو الذي قتل ضمضما المرى أبا حصين، وهرم في حرب داحس وغبراء وإياهما عنى بقوله في كلمته الطويلة:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن ... للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما ... والناذرين إذا لم ألقهما دمى

إن يثلبا عرضي فإن أباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

وهو القائل في حرب ابنى بغيض، وكان من فرسانهم:

بكرت تخوفنى الحتوف كأنني ... أصبحت من غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها إن المنية منهل ... لابد أن أسقى بذاك المنهل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

إن المنية لو تمثل مثلت ... مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل

إذا لا أبادر في المضيق فوارسي ... أو لا أوكل بالرعيل الأول

وكان قال له أبوه: كر عنترة، فقال: لا يحسن العبد الكر إلا الحلب والصر، قال: أنت عتيق، قال: وكان الرجل في الجاهلية إذا كان له ولد من أمة استعبده، قال فكر وهو يقول:

كل امرء يحمى حره

أسوده وأحمره

والشعرات المشعره

الواردات مشفره

قال أبو عبيدة: وحدثني غير واحد من غطفان أن عنترة بعدما تأوب عبس إلى غطفان، وبعد يوم جبلة وحمل الدماء احتاج، وكان صاحب غارات فكبر وعجز عنها وكان له بكر على رجل من غطفان فخرج قلبه يتجازاه فهاجت به رائحة من صيف نافحة وهي بين شرج وناظرة فأصابت الشيخ فهرأته فوجد ميتا بينهما.

وخفاف الذي يقول:

يا هند يا أخت بني الصارد ... ما أنا بالباقي ولا الخالد

إن أمس لا أملك شيئا فقد ... أملك أمر المنسر الحارد

المنسر: الجيش. والحارد: القاصد.

قال أبو عبيدة: وحدثني أبو بلال سهم بن أبي عباس بن مرداس قال: غزا معاوية بن عمرو الشريدي وهو أخو خنساء مرة فزارة ومعه خفاف بن ندبة فاعتور معاوية هاشم ودريد ابنا حرملة المريان فاستطرد له أحدهما وشد عليه الآخر وقتله، فلما تنادوا قتل معاوية قال: خفاف قتلني الله إن رمت حتى أثأر به فشد علي مالك بن حمار سيد شمخ بن فزارة فقتله وأنشأ يقول:

فإن تك خيلى قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له جلوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذالكا

قال أبو عبيدة: وحدثني منتجع بن نبهان، قال: كان السليك إذا كان الربيع استودع بيض النعام ماء ثم دفنه فإذا كان الصيف وانقطعت غارة الخيل - وكان أدل من القطاة - فيجئ حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر، إنما يغير على أهل اليمن فإذا لم يتيسر ذاك أغار على ربيعة، وكان يؤتى عبد الملك بن مويلك الخثعمى إتاوة من غنيمته على أن يجيزه، فيجاوزه إلى من وراءهم من أهل اليمن فيغير عليهم، قال: فمر سليك قافلا من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف وفيه امرأة شابة بضة فسألها عن الحي فأخبرته فتسنمها ثم التحم المحبة، فبادرته إلى الماء فأخبرت القوم فركب أنس بن مدرك الخثعمي فقتله، فقال عبد الملك: والله لأقتلن قاتله أو ليدينه، قال أنس: والله لا أديه، ابن أفال. ثم قال:." (١)

"وأما بنو حنيفة فزعموا أن الكلابي كانت امرأته أجمل النساء وكان قرين يتحدث إليها فوجد زوجها عندها فخاف قرين على المرأة فقتله فانطلق أخو الكلابي وهو رجل من بني عمرو بن كلاب فضرب بيته على

(١) الديباج، ص/٦

قبر سلمى أبي عمير جاره وقرين القاتل، وعمير يومئذ ليس بشاهد فانطلق قرين إلى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فأخبره الخبر فأتى الكلابي فأعطاه ما سأل من المال فأبى فخرج قرين من المحرقة وهي لبنى يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة وهي البادية فلحق بجده أبي أمه السمين بن عمرو بن سيار بن عبيد بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة واتبعه عمير فحالوا بينه وبين أخيه فجاء السمين، فقال: أحمقاء أنتم؟ ادفعوا إليه أخاه فدفع قرين إليه فخرج به يقوده من الوتر حتى أتى به إلى المحرقة فأعطى الكلابي ما كان لقرين من مال وما سأله فأتى وجوه اليمامة فعرضوا عليه من المال ما سأل، فأبى الكلابي فربط عمير قرينا إلى نخلة فقال: شأنك وكلمت حسينة عميرا ابنها أن لا يقتل أخاه فأبى فولى عنه، فقال عمير: أما إذ قتلته فاظعن عنا فليس لك في جوارنا خير فظعن من اليمامة وقالت حسينة حين لامت عميرا في قتل أخيه فاعتذر إليها:

تعد معاذرا لا عذر فيها ... ومن يقتل أخاه فقد ألاما

وقال رجل منهم:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا ... وكان أبونا قد تجير مقابره

وقال الكلابي في وفاء عمير:

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر ... زيد بن يربوع وآل مجمع

وأتيت سلميا فعذت بقبره ... وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

وعلمت أنى حين عذت بقبره ... نهشت يداى إلى صدى لم يسمع

وإلى صدى من يستجره عائذا ... ينصر وجاء إلى أشم ممنع

وأخذت بالحجر التي أنسأتها ... كانت إذا طبع امرىء لم يطبع

وبآل سلمى ومن يعدمهم ... تناش يداه إلى أعز الأرفع؟

وعلمت أني إن أخذت بحلبهم ... بهشت يداك إلى وحا لم يصفع

أقرين إنك لو رأيت فوارسي ... بعمايتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغل الإصبع

فلو ان ما قدرت على رماحهم ... في يوم معركة إذا لم أجزع

أخشى بواد من قرين سورتى ... فاخشى بواد من شقى مولع

السموأل أسلم ابنه للقتل واختار الوفاء، وعمير أسلم أخاه للقتل واختار الوفاء، فلم نسمع بمثلهما.

جاور بنو سلامة – وهم أهل بيت من بني الهجيم بن عمرو – في بني جذيمة بن رواحة ولهم فيهم خؤولة فنزلوا بشرج فقتل رجل من بني عبس رجلا منهم فتحمل الهجيميون متوجهين إلى قومهم وأخذ مساور ابن هند القاتل العبسي ثم اتبعهم حتى لحقهم بإراب فدفعه إلى رجل منهم يقال له: عتاب فقتله بصاحبه فقال:

أبلغ سراة بني تميم إنني ... أعددت مكرمة ليوم سباب

وأخذت ثأر بني سلامة عنوة ... فدفعت ربقته إلى عتاب

وجنبته من أهل شرج عانيا ... حتى تحكم فيه أهل إراب

غدرت جذيمة غير أني لم أكن ... يوما لألبس غدرة أثواب

أمرت جذيمة هفوة من رأيها ... وسفاهها ليغللوا أنيابي

قتلوا ابن أخيهم وجار بيوتهم ... من خينهم وسفاهة الألباب

وإذا فعلتم ذلكم لم تتركوا ... أحدا يذود لكم عن الأحساب

فكانوا يهددونه ثم إنه أدركه ذمام من قومه فأخرج لهم مائة بعير دية لصاحبهم. فقال رجل منهم في ذلك – وإنه أخرجها رهبة – :

لا تجزع أبا الصمعاء وأدلج ... لسيفي بعد جارك بالمئينا

فبعث بها المساور إلى بني الهجيم لجاجة وضرارا لما قال هذا فأقاد ووفى. فلم يسمع بجار مثله قال المساور:

ولما أربدت أعناق كوم ... على أثباجها مثل الأروم

وقال ابن المغيرة لابن زيد ... أعينونا بأغفلة وكوم

لواها جدهم عنهم فخابوا ... وأحرزها جدود من تميم." (١)

"فأما سيف بن ذي يزن فإنه لما غلب الأحبوش على اليمن وملكها فطال ذلك حتى توالدوا بها، أتى هرقل يستمده عليهم فوعده أن يفعل، فقال له نصحاؤه: تعين رجلا ليس على أهل دينك يقتلهم لا تؤيسه ولا تطعمه فأريثه عنهم؟ فمكث عندهم تسع سنين حتى تركه ولحق بكسرى من أكاسرة فارس فأتى عاملا من العرب غريبا فكان ذريعته إليه حتى دخل عليه فلما دخل طأطأ رأسه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل من باب فوقه بكذا وكذا فيطأطئ رأسه ففسر له ذلك فقال: إنما طأطأت رأسي لهمي إنه يضيق عنه كل شئ

---

(١) الديباج، ص/٩

وشكا إليه وقال: إنما يكفيني من المدد قدر السماع وإذا وقعت في بلادي أتيتهم من الرجال بما شاءوا، فوعده أن يمده فقال له نصحاؤه: أتعمد إلى قوم من رعيتك وبلادك فتطوح في فلاة، إنما تشرب الخيل والشفاه من أمثال عيون الديكة وبالحرى أن هي أدفنت أن يهلك جيشك، فقال: لا أخلفه ما وعدته وأبي إلا أن يتم له على الوفاء. قالوا: قلنا ها هنا حيلة ويصدق الملك في شجونك أقوام قد استحقوا القتل، وقوم قد أفسدوا في الأرض فتجمعهم وتمنعهم واستعمل عليهم شيخا قد نفد أجله، ثم تجمعهم في البحر فهو أهون للمؤنة فإن هلكوا كنت قد كففت عن رعيتك شيئا، وإن نجوا وظفروا كان ظفرهم لك، فذهب إلى شط دجلة فهيئت لهم السفن، وحمل فيها ما يصلحهم ويصلح دوابهم وبعث إلى أصحابه في البلدان فجمع نحوا من ألف ومائتين، وقدموا وقد هيئت لهم المراكب واستعمل عليهم شيخا كبيرا قد سقط حاجباه عل عينيه ودفع إليه حلة ديباج منسوجة بالذهب والجوهر، ورايتين وقفازين وقلنسوة. وقال له: إذا ظفرت فارفع أهل البلد فاسألهم أهوابن ملكهم كما قال، فإن كان كذلك فادفع إليه الحلة وجملة الخراج، وإن كان كاذبا فاقتله واجب الخراج حتى يأتيك أمري، فكرب حتى إذا كانت بسيف أرجان قال بعضهم: أنت غررتنا، وقالوا: احملوا سفنكم على هذا الجسر فاكسروها ففعلوا وبقي معه سبعمائة أو أكثر قليلا، فلما بلغوا القليس وهو بناء بنته الحبشة يحجونه، قال زهرز: أين أنصارك الذين زعمت للملك أنك تأتي بهم إذا وقعت في أرضك؟ قال: إن كل قوم منهم وثبوا على من فيهم من الحبشة فشغلوهم عنك فقتلوهم، وبلغ قائد الحبشة الذي بصنعاء سيرهم فوجه إليهم عددا كثيرا فتلقوهم بصنعاء فقاتلهم وهرز وأصحابه، وقال وهرز: أروني رئيسهم فاسمتوا لي سمته بنشابه فإن في بصرى ضعفا، ورفع حاجبيه بحريرة ففعلوا فرماه ففلق جبهته وهو على بعير، فلما خر انهزموا، وأخذ كل واحد ممن بقي عودا أو خشبة أو ما وجدوا ووضعوه في أفواههم يستأمنون بذلك، ودخل آلاف حائطا أو بناء فأخذهم فقتلهم جميعا وزعم أهل اليمن أن أنصار سيف قد كانت أتته، ولولا ذلك ما قامت سبعمائة لستين ألف أو نحوها، ووثب كل قوم على من فيهم من الحبشة فأبادوهم فلما دخل وهرز صنعاء دعاهم فقال: ما سيف فيكم؟.

قالوا: ابن أملاكنا وأشرفنا أدرك لنا **بثأرنا**. فدفع إليه الحلة وخلاه والخراج والعمل ثم لم يلبث وهرز أن مات. فبلغ كسرى أن سيفا يتناول النساء فكتب إليه يعزم عليه الإقدام عليه ففعل.

فقال: أيسرك أن تخلف بعقبك في حرمك؟.

ففطن فقال: لست بعائد. فقال: ارجع إلى عملك. فرجع فلم يزل اليمن في يدي فارس حتى بعث النبي صلى

الله عليه وعلى آله وباذان عامل أبروان عليها وفيروز ودادويه قائدان معه.

وقال: أمية بن أبي الصلت في كلمة له لسيف:

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... لجج في البحر للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده القلو الذي قالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة ... من السنين لقد أبعدت إيغالا

حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... حملا لعمري لقد أسرعت إرقالا

ومثل كسرى وباذان الجنود له ... ومثل وهرز يوم الجيش إضلالا

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن رأينا لهم في الناس أمثالا

غلبا جحا جحة بيضا مرازبة ... أسدا ترقص في الغيضات أشبالا

يرمون عن شدف كأنها غبط ... في زمخر يعجل المرمى إعجالا

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أمسي شريدهم في الأرض ضلالا." (١)

"فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا

قصر بناه أبوك القيل ذو يزن ... ما إن رأينا له في الأرض أشكالا

منطعا بالرخام المستزاد له ... في كل ركن رأينا منه تمثالا

ثم أظلل الملء إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا

تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

أما بيهس فإن أقواما أربعة غزوا فأتوا على إخواته وأهل بيته وأسروه، فلما نزلوا بعض المنازل راجعين نحروا جزورا فأكلوا وقالوا: ظللوا البقية فقال بيهس: لكن بثبا لحم لا يلظلل وثبا: موضع، فذهب مثلا، يعني أجساد من قتل من إخوته وقومه، فلطمه بعضهم وجعل يدخل رجله في يدي سرباله فقال بعضهم: لا تلبس هذا اللبس وعلمه كيف يلبس؟ وكانوا يرون أن به طوفة فقال: ألبس لكل دهر لبوسه فلطمه بعضهم، فقال بيهس: لو نكلت عن الأولى لم تعد الثانية. فقال بعضهم: إن مجنون بني فزارة ليتعرض ىلقتل فخلو عنه فلما أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه، فقال: يا حبذا التراث لولا الذلة فاجتمع عليه الغم مع ما به من قلة العقل، وجعلت أمه تعاتبه فيشد عليه ذلك منها، فقالت: لو كان فيك خير لقتلت مع أهل بيتك، قال: لو كان الخيار إليك

---

(١) الديباج، ص/١٨

لاخترت فجمع جمعا وغزا القوم ومعه خال له فوجدوهم في حفرة من الأرض فرماه خاله عليهم، وكان جسيما طويلا وإنما سمى نعامة لذلك، فقاتل القوم وهو يقول: مكره أخوك لا بطل فقتل القوم فأدرك **بثأره**. فقال المتلمس يضرب به المثل لقومه:

ومن حذر الأيام ماحز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

ويروي: ومن طلب الأوتار ورام الموت:

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس

وأما قصير فإن جذيمة الأبرش طمع أن يتزوج زباء الرومية فتشاور فاتفقوا له على أني فعل ونهاه قصير، فخطبها فأجابته فلما أراد أن يهديها بعثت إليه أن ائتني فنهاه قصير قال: إن النساء يهدين إلى الأزواج فعصاه وأقبل، فلما كان ببقة عاوده المشاورة فقال له: قد دنوت فامض إليها، ونهاه قصير فأبى، فلما دنا قال له: إنك عصيتني فإن تلقاك أهلها فرجعوا عنك فقد كذب ظني، وإن أقماموا ولم يرجعوا فإني معرض لك العصا، فرس كانت لجذيمة لا تجارى فجعلوا يتلقونه ولا يرجعون، فعرض له العصا فلم ينته فقال قصير: ببقة قضى الأمر فدخل عليها فأبرزت جهازها وقالت بكلامها، أذات عروس ترى؟ أما أنه ليس ساعون مواسى ولكنه شيمة ما أناس فقطعت راهشيه فنزفه الدم فمات.

ورجع فصير إلى عمرو بن جذيمة أو ابن أخته، فقال: حز أنفس وأظهر التهمة لي ففعل فلحق بزباء، فقال: لقد لقيت هذا فيك فوقعت له منها منزلة فزين لها تجارة عيرا فأعطته مالا لذلك، فكر كرتين، يزيده عمرو في السر مالا فإذا رجع قال: هذا رمحي لك ثم هيأ مسوحا كالمسوح التي يحمل فيها الجص وهيأ الرجال وخرج بعمرو وقال: إن لها نفقا إذا خافت خرجت منه ووصفه له فاقعد، فإذا مرت بك فاضربها، وكانت إذا دنت عيرها أشرفت فلما دنا وقد أقام الرجال في المسوح مستلئمين في أيديهم أوكية، أشرفت فقالت: إن العير لتحمل صخرا أو تطأ في وحل يا قصير، فصنع لها رجزا على هذا المعنى:

ما للجمال مشيها وئيدا

أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا

أم الرجال قبضا قعودا

فحلوا الأوكية فإذا هم قيام على أرجلهم فعرفت الشر فاستغاثت بالنفق، فضربها عمرو فقتلها وزعم قوم أنها

مصت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد عمرو وكانت لا تكلم بالعربية إلا أن يكون فسر، ففي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي:

دعا بالبقة الأمراء يوما ... جذيمة عصر ينجوهم ثبينا

فلم ير غير ما ائتمروا سواه ... فشد لرحله السفر الوضينا

فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول لو نفع اليقينا

لخطيبتي التي غدرت وخانت ... وهن ذوات عائلة لحينا

فدست في صحيفتها إليه ... ليملك بضعها ولأن تدينا

فأردته ورغب النفس يردى ... ويبدي للفتى الحين المبينا." (١)

"وكان عتيبة بن الحارث بن شهاب أفرس هؤلاء وأشدهم بطشا، قال أبو عمر المدني: كانت العرب تقول لو أن القمر سقط ما التقطه أحد إلا عتيبة لثقافته.

قال أبو عبيدة: قتلة غلام من بني أسد يقال له ذؤاب وسببه أنه غزا بني أسد بن خزيمة فقاتله القوم حتى ظفر أوكاده فانتحى له ذؤاب وهو يومئذ شاب فرماه بكسرة رمح أو نيزك فأصاب بطنه فقتله وهزمت بنو يربوع، وذلك قول مالك بن نويرة:

تالله لا تنسى تميم عميدها ... وفارسها أخرى الليالي الغوابر

ثم غزوهم ثائرين فقتلوا ذؤابا، قتله حليس بن عتيبة أخذه أسيرا وضرب عنقه، وقيل: إنه المجشر بن عبد عمرو الغاضري، ورجلا آخر يقال له المسيب، وقال متمم يذكر قتل الشيعة:

أبأنا به من أكرم القوم شيعة ... وكنا متى ما نطلب **الثأر** نغضب

قال زرارة بن عدس لابنه لقيط: إنك لتجدب على إخوتك كأنك أتيت الملك فأعطاك مائة من الإبل وتزوجت إلى ابنة ذي الجدين فقال: أو تلك هي النهية يا أبت، قال: نعم، قال: فوالله لا يصيب رأسي غسل حتى أبلغها فأصاب ذلك. قال الكلبي: وكان زرارة يسمى رب معد قال:

فهلا افتخرت اليوم إن كنت فاخرا ... برب معد أو بسلمى بن جندل

قال: وكانت العرب تسمى بني عبد مناق بن دارم: اللباب وبني مجاشع: السحاب لسخائهم، وبني نهشل: الشهاب لشدة بأسهم قال: فأنشدني الأخطل:

---

(١) الديباج، ص/١٩

تاج الملوك وبيته في دارم ... إذ كان يربوع من الرعيان

يعني تاج: حاجب بن زرارة حين رهن كسرى قوسه عن تميم وكانوا أجدبوا فوفد حاجب إلى كسرى فطلب إليه أن يأذن له ولقومه فيستظلوا في ظله ويعيشوا في أرضه، فقال كسرى: إني لا آمن أن تفسدوا في أرضي، فقال أنا لك بان لا يفعلوا، فقال ومن لي بذلك، قال أرهنك قوسي بما أحدثوا، فقال أحباؤه طؤوه إنه لمجنون يرهن الملك عويدا بما أفسد من أرضه، فقال كسرى: لا تفعلوا فإنه لم يرهن هذا العود إلا وفي نفسه أن يفي فارتهنها منه، وعاشوا تحت يديه حتى أجموا فوفى له قومه، ووفي للملك.

وتاج عطارد ابنه، وقال مسكين:

كفانا حاجب كسرى وقوما ... هم البيض الجعاد ذووا السبال

وسار عطارد حتى أتوه ... فأعطوه المنى غير انتحال

هما حبيا بديباج كريم ... وياقوت يفصل بالمحال

أبو عبيدة قال: حدثني يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس. قال: خرجت فإذا أنا برجل على بعير وحوله عشرة بنين له يدفعون عنه الناس، فدنوت منه فقلت: ممن الرجل؟ قال: رجل من مهرة، من ساكني البحر، فوليت فناداني: أن مالك دنوت ثم وليت؟.

قلت: لست من قومي ولا أعرفك ولا تعرفني.

قال: إن كنت من كرام العرب فإني أعرفك، فأنفت فرجعت فقلت: إني من كرام العرب.

فقال: ممن أنت؟ قلت: من مضر.

قال: فمن الفرسان أنت أم من الأرحاء؟.

فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا، وبالأرحاء خندفا.

فقلت: بل من الأرحاء.

قال: أنت امرؤ من خندف.

قلت: أجل.

قال: فمن الأزمة أنت أم من الروابي؟.

فعلمت أنه أراد بالأزمة: خزيمة، والروابي: بني أد بن طابخة، فقلت: بل من الروابي.

قال: أنت امرؤ من بني أد بن طابخة.

فقلت: أجل؟.

قال: أفمن الهوازن أنت أم من الصميم؟ فعلمت أنه أراد بالصميم: تميما، وبالهوازن: الرباب وما والاها، فقلت: بل من الصميم.

قال: فأنت امرؤ من تميم.

قلت: أجل.

قال: فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين؟. أم من إخوتهم الآخرين؟.

فعلمت أنه أراد بالأكثرين: بني زيد، وبالأقلين: بني عمرو وإخوتهم الآخرين: بني الحارث، قلت: بل من الأكثرين.

قال: أنت امؤ من بني زيد.

قلت: أجل.

قال: أفمن البحور أم من السحاب؟.

فعلمت أنه أراد بالبحور: بني سعد، وبالسحاب: بني حنظلة.

قلت: من السحاب.

قال: أنت امرؤ من بني حنظلة.

قلت: أجل.

قال: أفمن الشهاب أنت أم من اللباب؟.

فعلمت أنه أراد بالشهاب: نهشلا ومجاشعا، وباللباب: بني عبد الله بن دارم، قلت: من اللباب.

قال: أنت امرؤ من دارم.

قلت: أجل.

قال: أفمن البطون أنت أم من الأخلاف؟.

قلت: بل من البطون.

قال: أنت يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس، وكانت لأبيك امرأتان فأيتها أمك.." (١)

---

(١) الديباج، ص/٢٣

"فأجابه عبيد الله بن عبد الله: أطال الله بقاء السيد المؤمل للدنيا والدين، وابن السادة المنعمين، والخلفاء الراشدين، والآباء المنتجبين، وزاد الله السيد تشريفا وتفضيلا، وأدام له العز والسعادة والكرامة والغبطة والسلامة، وجدد له النعم الظاهرة والمنن المترادفة، وجعلني من كل سوء ومكروه فداه، وقدمني إلى كل مرهوب ومحذور قبله.

وصل كتاب السيد، أطال الله بقاءه، مملوءا بالبر والفضل والانعام والتطول وفرائد الأدب وجوامع المحاسن. فتلقيته بحقه من الاعظام والشكر والمعرفة بعلو قدره وارتفاع درجته وارتقاء رتبته في حسن التأليف واتفاق المعاني وجليل الصواب وجميل الخطاب. ولقد رفع الله الأدب والعلم ونواظر أهلهما بالسيد، أيده الله بعنايته وقدرته. فأما المشاركة فمعهودة من تفضله، حتى لو قلت أن التعزية بهذه المصيبة التي لحقتني لو شوفوه بها وعزى عنها جرى الأمر مجراه ووضع القصد في أحق مقاصده. وأما الصبر فهو الذي لا بد منه اضطرارا أو اختيارا.

إذا ما أصابت ذا حياة مصيبة ... فقابلها منه التحمل والصبر

فما بعدت من أن تحول نعمة ... يحق عليها الحمد لله والشكر

وأما الجزع، فما أصاب وأوجع وألم وروع، فلا محيد عنه. وإذا لم يتعد العين والقلب إلى البدن واللسان فخطبه أسهل، وشكر المولى المخفف للمحن والمتمم للنعم، المفزع في النوائب والعصمة في المصائب. ولو كان طول الامتاع، أعز الله السيد، يسلى لا يسلو عنه إلا لمن ساعده ووهى عقده لما عمل عليه مميز نظار، ولو كان على أشد المضض وأمر الغصص ولوعة الأبد ودوام الكمد، وأقول:

أسر أمور الدهر صار أغمها ... وكل جديد صار بعدك باليا

فأعجب من شهد تحول علقما ... ومن ضاحك لم يعد أن ظل باكيا

وأما السلوة، أعز الله السيد، فليست من فعل الأحرار المخلصين لا في محيا ولا في ممات، إنما هو اغتنام الاحتساب واتصال الأكساب و العياذ بالله من فقد العزاء وفقد أجره. وبالله يا سيدي، إن الشخص لخاشع وإن الطرف لدامع وإن القلب لحران موجع. ولقد صادفت هذه الحال بدنا ما فيه عضو صحيح، أسقام متطاولة ومصيبة موصولة بما بقي من الزمن.

وبينا الفتى يبكي ويندب شجوه ... ومألوفه إذ صار يبكى ويندب

وأما ما ذكره السيد، جعلني الله فداه، من أمر العلة التي لا كانت ولا سمع لها بذكر أبدا، فإنه لولاها لكان

وكان مما لا ينطلق بذكره اللسان. وأنا أعيذه بالله العظيم الذي فضله بكل خلق كريم من تعنيف الفعل الذي لا يجزي أدناه أقصى الشكر ففيما سلف من المخاطبة والمشاركة ما يبلغ أقصى منازل الشرف، وحاول أعلى مآثر الفخر؛ وأنا أفاوض السيد، أطال الله بقاءه، الشيء بعد الشيء، مما نطق به الحزن، وأبثه إياه. فمن ذلك:

وقعت على الأحباب والترب دونهم ... بنفسي وجوه تحت تلك المقابر

ومثل لي ما نال من حسنها البلى ... فسبحان ربي عالما بالسرائر

ثم بعث إليه بعدة قصائد قالها فيها.

قال: ولما اختلت حال عبيد الله، بعث إليه المعتضد يسأله أن يفسح لشاجي في زيارته، فشق ذلك عليه، واحتج بأنها عليلة ومختلة الهيئة. فلج في طلبها حتى ظهر منه تهديد له. فبعث بها إليه. فذكر عنها أنها قالت: احتقرت نفسي حين دخلت على جواريه، لما رأيت عليهن من حليهن وحللهن، وحقرنني هن أيضا حتى غنيت وغنين، فانتقل إعظامي لهن إلي منهن. فلما خرجت، حمل معها المعتضد عشرة آلاف درهم وكسوة وطيب. فجاءت شاجي وعبيد الله واله. فلما رآها سري عنه، ثم قال لها: هل رأيت شيئا لم تري مثله عندنا فاستحسنته ؟ فقالت: لا والله، إلا عودا من عود، وذلك أنه محفور لا مبني، فاستطرفته. قال جحظة: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عودا.

قال: وكان مما صنعته وغنته ذلك اليوم للمعتضد

ماذا استعار الحسن من وجهه ... والغصن الناعم من قده

لقد تعاتبنا بأبصارنا ... فيما جناه الخلف من وعده

حتى تجارحنا بتكرارنا ... للحظ في قلبي وفي خده

فأدرك الثأر وأدركته ... وسربي بالصد عن صده

وكان مما غنته أيضا:." (١)

"فيا نفس ذلي بعد مي وسامحي ... فقد سامحت مي وذل قرينها

وقال عمر بن نجا:

أتى البخل دون الجود من أم واصل ... وضن علينا بالعطاء ضنينها

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/٢٦

فلله دري يوم مالت مودتي ... إليها ولم ترجع إلي يمينها
وما خنتها إن الخيانة كاسمها ... ولا نصحت نفسي لنفس تخونها
مددت حبالا منك حتى تقطعت ... إلي وما خان الحبال متينها
فكيف أشعت السر أم واصل ... وما أخلص الأسرار إلا أمينها
وقال آخر:
أكر إلى ليلى وأحسب أنني ... كريم على ليلى وغيري كريمها
فأصبحت قد أجمعت هجرا لبيتها ... وفي العين من ليلى قذى ما يريمها
لئن آثرت بالود أهل بلادها ... على نازح من أرضها لا يريمها
وما يستوي من لا يرى غير لمة ... ومن هو عندها لا يريمها
وقال بعض الأعراب:
شكوت إلى رفيقي الذي بي ... فجاءاني وقد جمعا دواء
وجاءا بالطبيب ليكوياني ... وما أبغي عدمتهما اكتواء
فلو ذهبا إلى ليلى فشاءت ... لأهدت لي من السقم الشفاء
تقول نعم سأقضي ثم تلوي ... ولا تنوي وإن قدرت قضاء
أصارمة حبال الوصل ليلى ... لأخضع يدعي دوني ولاء
ومؤثرة الرجال علي ليلى ... ولم أؤثر على ليلى النساء
ولو كانت تسوس البحر ليلى ... صدرنا عن شرائعه ظماء
فمرا صاحبي بدار ليلى ... جعلت لها وإن بخلت فداء
أريتك إن منعت كلام ليلى ... أتمنعني على ليلى البكاء
ولبعض أهل هذا العصر:
وتزعم للواشين أني فاسد ... عليك وأني لست مما عهدتني
وما فسدت لي يشهد الله نية ... ولكنما استفسدتني فأتهمتني
غدرت بعهدي عامدا وأخفتني ... فخفت ولو آمنتني لأتمنتني
إلى الله أشكو لا إليك فطالما ... شكوت الذي ألقى إليك فزدتني

وله أيضا:

أ◌فوض أسبابي إلى الله كلها ... وأقنع بالمقدور فيها وأرتضي

واسمح بالتفويض حتى إذا انتهى ... ضميري إلى ما بيننا لم أفوض

وبالله لو خيرت بينك غادرا ... وبين كلا الملكين تخيير مقتض

رضيتك حظا منهما غير أنني ... بهذا الذي ترضاه لي غير مرتض

وله أيضا:

أبت غلبات الشوق إلا تقربا ... إليك ونأي العذل إلا تجنبا

علي رقيب منك خال بمهجتي ... إذا أنا سهلت اطراحك صعبا

فها أنذا وقف عليك مجرب ... إذا ما نبا بي مركب رمت مركبا

وما كان صدي عنك صد ملالة ... ولا كان إقبالي عليك تطربا

ولا كان ذاك العذل إلا نصيحة ... ولا ذلك الإغضاء إلا تهيبا

ولا الهجر إلا فرط من ولا الرضى ... بلا سبب إلا اشتياقا معذبا

ومن يمنع العذب الزلال ويمتنع ... من الشرب من سؤر◌ الكلاب تغضبا

خليق إذا لم يستطع شرب غيره ... وخاف المنايا أن يذل فيشربا

إذا المرء لم يقدر له ما يريده ... أراد الذي يقضى له شاء أم أبى

وأنشد أعرابي ببلاد نجد:

فيا عجبا من صوني الود في الحشا ... لمن هو فيما قد بدا لي واتر

ومن طلبي بالود ثأري ولم يكن ... ليدرك تبلا بالمودة ثائر

فيا عجبا مني ومنها تضيعني ... وأحفظها هذا اختلاف السرائر

ويا عجبا كيف اتفقنا فناصح ... مصر ومطوي على الغش غادر

وقال البحتري:

مغترب الدار إن أرضه أجد ... مسافة النجم دون مغتربه

راجعته القول في ملاطفة ... أهرب من صدقه إلى كذبه

وقال آخر:

سأعرض بالشك دون اليقين ... حتى أحسن غير الحسن

وأقنع إذ خنتني معلنا ... بقولك في السر لي لم أخن." (١)

"يود الفتى المال الكثير وإنما ... لنفس الفتى مما ينال نصيب

وقال آخر:

لا تكره المكروه عند نزوله ... إن العواقب لم تزل متباينة

كم من يد لا يستقل بشكرها ... لله في ظل المكاره كامنة

وقال آخر يعزي رجلا عن أبيه:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت محمدا ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وبلغني أن رجلا عزى يحيى عن حرمة له فقال: أيها الوزير تقديم الحرم من النعم وتمثل:

تعز إذا رزئت فخير درع ... تسربل للمصائب درع صبر

ولم أر نعمة شملت كريما ... كعورة مسلم سترت بقبر

وقال بعض الطاهريين:

لكل أبي أنثى إذا ما ترعرعت ... ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر

فأم تراعيها وبعل يصونها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال البحتري:

أتبكي من لا ينازل بالسي ... ف مشيحا ولا يهز اللواء

لسن من زينة الحياة كعهد الله ... منها الأموال والأبناء

وتلقت إلى القبائل فانظر ... أمهات ينسبن أم آباء

ولعمري العجز عندي إلا ... أن يبين الرجال تبكي النساء

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

فإن تحتسب تؤجر وإن تبكه تكن ... كباكية لم يحيي ميتا بكاؤها

ومن سر حظي مسلم من مصيبة ... بكاء وأحزان قليل جداؤها

---

(١) الزهرة، ص/٦٦

وذكر لنا أن محمد بن عبد الملك الزيات كانت له جارية وكان بها ضنينا وكان له منها ابن يقال له عمرو، فماتت وابنه صغير فقال فيها:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بعيد الكرى عيناه تنسكبان

ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة ... ولا يأتسي بالناس والحدثان

رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيان

يرن بصوت مض قلبي نشيجه ... وسح دموع ثرة الهملان

فلا تلحياني إن بكيت فإنما ... أداوي بهذا الدمع ما تريان

وهذا لعمري اعتذار من شدة الجزع ينكأ قلوب اللائمين وسلى عيون الشامتين ويخرج المعزين إلى التعزية، وتستغرب معانيه، ويستجاد شعره ويستعذب لفظه على معاره ...... قول ماوية بن مرة امرأة كليب تشتكي ما بها من قتل أخيها لزوجها:

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته ... وبدا في هدم بيتي الأول

يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل

حضني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم مقبل

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل الثكل

قتل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومفن أجلي

لو بعين فديت عين سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعل

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلى أو ينجلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

وقال آخر:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وباكيتان تندبان لعاقل ... أخا ثقة لا عين منها ولا أثر

وقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله ... أضاع ولا خان الوفاء ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وهذا من الكلام السائر اللفظ المستعمل المعنى إذ ليس ترى ميتا وإن جل رزؤه وعظم فقده يبكي عليه إلا في الندرات، فأما النياحة والاجتماعات فلا يراها إلا قبل الحول، وليس يستحسن من أهل المصائب مراعاة الحزن والإفراط في باب الجزع، وليس يحسن أيضا التحقق بقسوة القلب وقلة الجزع من فقد المحبوب كالذي يقول:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل." (١)

"فأبى إلا قطعها، فدخلت عليه أمه فقالت يا أمير المؤمنين: واحدي وكاسبي. فقال: بئس الكاسب كاسبك، وهذا حد من حدود الله لا أعطله. فقالت: يا أمير المؤمنين: اجعله من الذنوب التي يستغفر الله منها، فعفا عنه. وهذا الفعل لا يسمى عفوا، لأن العفو إنما هو ترك المرء ماله وترك مال غيره مما قد جعل هو القيم عليه باستيفائه. فهو بباب التصنيع والإثم أشبه منه بباب العفو والحلم.

الباب السادس والسبعون

ذكر

الافتخار بالشجاعة والانتصار

أخبرنا الحارث بن أبي أسامة: أن العباس بن الفضل حدثهم قال: حدثنا محمد بن عبد الله التميمي قال: حدثنا الحسين بن عبد الله. قال: حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول: أتيت النبي صلى الله عليه فأنشدته قولي:

وإنا لقوم لا نعود خيلنا ... إذا ما التقينا أن نحيد وننفرا
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
فليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

وقال عنترة:

لما رآني قد نزلت أريده ... أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته ... بمهند صافي الحديدة مخذم

---

(١) الزهرة، ص/١٦٥

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

إذ يتقون بي الأسنة لم أصح ... عنها ولكني تضايق مقدم

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

وله أيضا:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أمسيت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أن المنية منهل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وقال خفاف حين قتل مالك بن حباب الشمخي معاوية بن عمرو السلمي:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا عر◌ى عيني تيممت مالكا

وقفت على علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو **لأثأر** هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

وقال العباس بن عبد المطلب:

أبا طالب لا ترض بالنصف منهم ... وإن أنصفوا حتى تعق وتظلما

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطع في أيماننا تقطر الدما

إذا خالطت هام الرجال رأيتها ... كبيض نعام في الوغى قد تحطما

تركناهم لا يستحلون بعدنا ... لذي رحم يوما من الناس محرما

وقال آخر:

إذا ظلمت حكامنا وولاتنا ... خصمناهم بالمرهفات الصوارم

سيوف كأن الموت حالف حدها ... مشطبة تفري متون الجماجم

إذا ما انتضيناها ليوم كريهة ... ضربنا بها ما استمسكت في القوائم

وقال أبو سفيان بن الحارث:

نحن وردنا بطن سلع عليكم ... بأسيافنا والخيل تدمى نحورها

تركنا بني النجار تعوي كلابهم ... غداة تولت واستمر مريرها

ونحن تركنا الخزرجي مجدلا ... تمج حياة النفس منه زفيرها

تركناه لما غادرته رماحنا ... ولم يبق منه غير عين يديرها

وقال قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ... يرى قائما من دونها ما وراءها

يهون علي أن ترد جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها

متى يأت هذا الدهر لا يبق حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وذكروا أن معاوية ركب فرسه عازما للهرب. قال: فذكرت أبياتا لعمرو ابن الإطنابة فوقفت وهي قوله:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح." (١)

"لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذا لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة أن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... لم يرهبوه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا

قال آخر:

عند الملوك مصائر ومنافع ... وأرى البرامك لا تضر وتنفع

وإذ نكرت من امرئ أعرافه ... وطباعه فانظر إلى ما يصنع

قال المثلم بن رياح بن ظالم:

---

(١) الزهرة، ص/٢٠٠

تصيح الردينيات فينا وفيكم ... صياح بنات الماء أصبحن جوعا

خلطنا البيوت بالبيوت فأصبحوا ... بني عمنا من يرمهم يرمنا معا

قال آخر:

بكره سراتنا يا آل عمرو ... نعاديكم بمرهفة النصال

لها لون من الهامات كاب ... وإن كانت تحادث بالصقال

نعديهن يوم الروع عنكم ... وإن كانت مثلمة النصال

ونبكي حين نذكركم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي

قال القتال الكلابي:

نشدت زيادا والمقامة بيننا ... وذكرته أرحام سعد وهيثم

فلما رأيت أنه غير منته ... أملت له كفي بلدن مقوم

فلما رأيت أنني قد قتلته ... ندمت عليه أي ساعة مندم

قال قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

قال الشميذر الحارثي:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فليس كمن كنتم تصيبون سلمة ... فيقبل ضيم أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط ... فيرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا ... بني عمنا لو كان أمرا مدانيا

فإن قلتم أنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا

قال البحتري:

أسأت لأخوالي ربيعة إذ عفت ... مصانعها منها وأقوت ربوعها

بكرهي إن كانت خلاء ديارها ... ووحشا مغانيها وشتى جميعها

إذا اقترفوا عن وقعة جمعتهم ... لأخرى دماء ما يطل نجيعها

تذم الفتاة الرود شيمة زوجها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

حمية شغب جاهلي وعزة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... بأحقادها حتى تضيق ذروعها

نقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيدي ما تكاد تطيعها

إذا احتربت يوما تعاصت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجر أرواح كلوم قطوعها

قال أيضا:

فضل الخلائف بالخلافة واقف ... في الرتبة العليا وفضلك أفضل

أوفيت عاشرهم فإن ندبوا إلى ... كرم وإحسان فأنت الأول

فهذا إن شاء إنسان يصير به إلى نهاية المدح، وشاء آخر أن يصرفه إلى غاية الذم، وجد كل امرئ منهم مقالا. أي مديح أبلغ من أن يكون ماضي من الخلفاء دون الممدوح بهذا القول. وأي ذم أوكد حجة على المرء من تشريفه على آبائه وأجداده والأخبار بأنه نجم من بينهم، مخالف في السؤدد لجماعتهم. وهذا النوع من الحلم غير مشاكل لما قدمناه في الباب المتقدم، لأن ذلك الحلم إنما وقع من فاعله رغبة منه في المكارم. وهذا الحلم إنما وقع احتقارا للمخاصم، وكلاهما جميل من فاعله إذا كان ذلك يدل على كرم الطبع، وهذا يدل على جلالة القدر.

الباب الثامن والسبعون

ذكر

ما جاء في صفات البحر والفلوات

قال:

ألا هل للهموم من انفراج ... وهل لي من ركوب البحر ناج

أكل عشية زوراء تهوي ... بنا في مظلم الغمرات ساجي." (١)

"ومن مقتل حجر تبتدئ مأساة امرئ القيس، الشاعر الحساس، والابن الأصغر لأبيه الذي تزعم الأخبار التي نرتاب فيها أنه كان أمر بقتله صغيرا حين رفض التخلي عن قيل الشعر، ثم طرده فعاش متشردا بين القبائل

---

(١) الزهرة، ص/٢٠٦

(١٠). وقد حاول أن يثأر الشاعر لأبيه من بني أسد، فاستعدى عليهم ذا جدن الحميري الذي أمده بجيش طارد به قتلة أبيه، وفتك بهم فتكا ذريعا. ولكنه كان، كأنه، يريد إبادتهم عن آخرهم؛ فلم يرض بمن قتل منهم، وظل يتنقل بين جبلي طيئ في انتظار جمع الرجال وحشدهم لمحاربة من بقي من بني أسد... ولكنه حين يئس من تحقيق ذلك قرر الاستنجاد بقيصر الروم الذي أمده بجيش، فيما تزعم بعض الروايات، ثم ندم على ذلك إما مخافة أن يغزوه امرؤ القيس إذا انتصر على أعدائه، وقويت شوكته، وإما انتقاما لشرف ابنته التي يقال إنها أحبت امرأ القيس...

فأرسل إليه حلة مسمومة وهو في سبيله إلى بلاد العرب، فتساقط جلده لما ارتداها..(١١).

ولقد حاول حماد الراوية أن يضفي صبغة أسطورية على طفولة امرئ القيس، كما سبقت الإيماءة إلى ذلك، مثله في ذلك مثل ابن الكلبي (١٢)، ومثل ابن الكلبي في ذلك مثل أبي زيد القرشي (١٣)، حيث إن أبا زيد، خصوصا، أورد أسجاعا تسجل مبتدأ تفتق العبقرية الشعرية لأمرئ القيس، وتصف أيام كان أبوه حجر كلفه خلالها برعي الإبل، ثم برعي الخيل، ثم برعي الشاة؛ فكان في كل يوم يرسل أسجاعا يصف فيها تجربته الرعوية، فيئس منه أبوه وطرده...

وعلى الرغم من أننا اختصرنا حياة امرئ القيس اختصارا شديدا- لأن أخباره مدونة في مظانها- فإن الذي يعنينا، من كل ذلك، هو قبيلته التي لاقت عناء وعقوقا من بني أسد. ويبدو أن الملك حجرا لم يكن يستمد قوته من كبر عشيرته التي لم تصنع شيئا حين تعرض للقتل:." (١)

"٦- ... نلاحظ أن امرأ القيس ربما يكون أول شاعر عظيم يموت متسمما؛ أي يموت مغتالا بحقد قيصر الروم وغدره ونذالته (ولا ينبغي أن ننسى أن أسطورة جميلة أخراة ارتبطت بسفر امرئ القيس إلى أنقرة، ومقامه بالقصر القيصري، ووقوع ابنة القيصر في غرام الشاعر العربي الوسيم... وأن قيصر الروم حين تابع امرأ القيس بالحلة المسمومة إنما جاء ذلك انتقاما لشرف ابنته؛ وقد يدل ذلك، إن صح، على أن علاقة الشاعر العربي بالأميرة الرومية جاوز مستوى النظرة إلى مستوى الفعل.... ولا يدل إصرار القيصر على الانتقام من امرئ القيس إلا على بعض ذلك... فكأن امرأ القيس كتب عليه أن تظل المرأة فاعلة في حياته، مؤثرة فيها، إلى نهايتها، فيموت بسببها.

٧- ... ونلاحظ، أيضا، أن أبا امرئ القيس مات، هو أيضا، مقتولا، وأن كليهما قتل وهو متطلع إلى مجد

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروب و لوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٣٤

السلطة، وأبهة الحكم. وأن كلا منهما انقطع أمله بذلك القتل...

٨- ... إن امرأ القيس يمثل عهده عصر الجاهلية بكل مايحمل اللفظ من معنى، وكان محكوما على عظماء الرجال إما أن يقتلوا، وإما أن يقتلوا: إذ قتل حجر والد امرئ القيس، كما قتل كليب وائل، أعز العرب، فطالب أخوه مهلهل بثأره؛ فاضطرمت حرب البسوس بين بكر وتغلب فتجسدت في خمس حروب (١٥)، كما تعرض مهلهل، خال امرئ القيس للأسر مرتين اثنتين: نجا في الأسرة الأولى، وهلك في الأخراة (١٦). بينما نلفي حفيده، وهو صاحب معلقة أخراة، وهو عمرو بن كلثوم بن ليلى ابنة مهلهل بن ربيعة لا يتعرض هو للفتك؛ ولكنه هو الذي يقدم على الفتك بعمرو ابن هند حين أرادت أمه هند أن تنال من شرف ليلى ابنة مهلهل لما التمست منها أن تناولها الطبق...." (١)

"ولكننا نحسب أن ذكر أسماء النساء الحبيبات (زهير: أم أوفى؛ لبيد: نوار؛ عنترة: أم الهيثم؛ الحارث بن حلزة: هند....) في المعلقات خصوصا لم يكن يعني أن تلك الأسماء كانت تنصرف حقا إلى حبيبات الشعراء، وإلا ربتما كانوا قتلوا قتلا وحيا، وفتك بهم فتكا ذريعا. وإنما هي، في تمثلنا على الأقل، أسماء رمزية لا تعني إلا سمة دالة على نساء بدون تخصيص للنسب، ولا تدليل على الانتماء العائلي الحقيقي؛ ففي كل قبيلة عربية كان يوجد عدد لا يحصى من النساء ممن كن يتكنين أويتسمين أم أوفى، ونوارا، وأم الهيثم، وهندا...

والحق أن ظاهرة الطلل في الشعر العربي قبل الإسلام الذي اتخذها له دأبا لم تأت عبثا؛ و لا لمجرد البكاء على عهود ماضية، وأزمن خالية؛ ولا لمجرد الحنين والتعلق بالمكان؛ فتلك جوانب عاطفية وقد تناولها الناس قديما وحديثا من ابن قتيبة إلى نقاد عهدنا هذا؛ وإنما الذي يجب التوقف لديه هو أن هذه الطلليات، أو المطالع الطللية، أو المقدمات الطللية- فبكل عبر النقاد فيما نحسب -كانت جزءا من تلك الحياة البدوية، الرعوية، الشظفة، الضنكة التي كان نظامها ينهض على إجبارية التنقل من مرعى إلى مرعى، ومن واد إلى واد، ومن غدير إلى غدير. وكانت القبيلة ربما اضطرت إلى التنقل فجأة عن مستقرها من منزلها إذا خشيت العدوان عليها، أو الإغارة المبيتة ضدها كما جاءت، مثلا، بعض ذلك قبيلة بني أسد حين توجست أن يصبحها امرؤ القيس طلبا بثأر أبيه(١).

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٣٦

(١) -أبو الفرج الأصبهاني، كتاب الأغاني، ٩-٨١ -٩١.." (١)

"كما كان له أهمية اقتصادية وارتفاقية أخراة تتجسد، كما سلفت الإشارة إلى بعض ذلك، في نسج الأخبية والبجد التي كان الناس يأوون إليها لتقيهم حر الشمس، وقطرات المطر، وعصف الرياح، وقد تستميز منفعتها الارتفاقية بأنها خفيف محملها بحيث كانت تحمل، لدى الارتحال وأثناء التظعان، على ظهور الإبل. كما كان تطنيبها وتقويضها يسيرين لديهم ، لألفهم إياه، منذ السن الأولى.

٤- ودي القتلى:

كان من دأب العرب إذا وقعت حادثة قتل، وما أكثر ما كانت تقع، إما بين شخص وآخر، وإما بين قبيلة وقبيلة أخراة، وذلك خارج إطار حرب معلنة: أن يحتكموا إلى حكمائهم لودي القتيل، وإلا أخذوا بثأره دما. وكانت دية القتيل، في حال الاتداء، غالبا ما تبلغ مائة بعير للقتيل الواحد، أو الأسير الواحد، فإن أسر أسيرا رجلان اثنان كان لكل منهما مائة من البعران. فإن كان الأسير سيدا من سراة القوم كانت الدية أكثر من ذلك كما وقع في افتداء معبد بن زرارة الذي أسره عامر والطفيل، وجاءهما لقيط بن زرارة أخوه ليفتديه منهما بمائتي بعير فاستقلا المكافأة قائلين: "أنت سيد الناس، وأخوك سيد مضر، فلا نقبل فيه إلا دية ملك."(١).

٥- مهر النساء:

وكان الرجل الكريم يمهر العقيلة العربية مائة بعير غالبا، وظل ذلك قائما إلى أن جاء الله بالإسلام(٢). ويبدو أن العرب بدأت تستعيض عن الإبل بالدراهم حين شاع التداول بين الناس بالعملة المسكوكة، بعد ظهور الإسلام، وبعد تدفق الثروات(٣).

---

(١) -ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥-١٤٠.

(٢) -م.س.، ٦-١٠٠

(٣) -أبو العباس المبرد، م.م.س.، ١-٢٨١. وكان مهر الأثرياء ربما بلغ عشرين ألف درهم (مهر ابنة إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري.." (٢)

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٧٥

(٢) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٩٦

"لم يكن ممكنا لأمرئ القيس، وهو العربي اليمني، أن ينتقل بين القبائل، ويضرب في الأرض لاهيا أولا، وطالبا بثأر أبيه آخرا، ثم لا يصف ما كان يعرض له من هذه الأمطار الرعدية الشديدة الغزارة التي كانت تصادفه كل مساء من أسفاره، فكانت تضطره، غالبا، إلى أن يلتحد، وصحبه، إلى كتف جبل، أو جذع شجرة عظيمة، أو أي ملتحد من الملتحدات...

كانت الرعود والبروق، وكان القطر الطل، وكان المطر الثر: تساور سبيله كل مساء من مقاماته وتظعاناته؛ فلم يكمن له بد من أن يصف ما كان يستمتع به طورا –وهو الشاعر–، ويزعجه طورا آخر: فيتأذى له، وذلك حين تظعانه غالبا.

ويمكن أن نلتمس أكثر من علة لوصف أمرئ القيس المطر، واهتمامه بالماء، وكلفه بكل ما يسيل فتختصب له الأرض، ويربو له النبت:

فالأولى: أن البلاد العربية، منذ القدم، شحيحة، فيما يبدو، بالمطر، ضنينة بالهطل، تميل طبيعتها إلى الجفاف والإمحال، وإلى اليبس والجدب. فكان الناس ينتظرون تهتان الغيث بفراغ الصبر، وحرارة الشوق، وشدة التطلع. والآية على ذلك أنهم كانوا يستسقون في طقوس معتقداتية، وممارسات فولكلورية عجيبة؛ حين كان المطر يعوزهم فيلم عليهم الجدب، وتشح من حولهم السماء. ولم يكن امرؤ القيس بدعا من بقية الشعراء في الجاهلية، ولكنه، ربما فسح لهم في المجال، وهيأ من أجلهم السبيل؛ إذ نلفي عامة شعراء أهل الجاهلية يلتفتون إلى ظاهرة المطر، فإما أن يصفوها وصفا، وإما أن يجتزئوا بذكرها عرضا(٤).." (١)

"فالأولى: هل كان العرب جميعا مسيحيين يربطون حياتهم الروحية بالأديرة والكنائس؟ وهل كانت توجد ديور بمكة ويثرب، والحيرة، وسوائها من الحواضر العربية الأزلية إذا استثنينا بعض الحواضر ذات التأثير الثانوي كنجران مثلا...؟ وهل يمكن أن نغير مجرى حياة أمة كانت تقوم، أساسا، على الوثنية، والجاهلية، والعصبية العمياء، والثأر، وعدم الارعواء في إراقة الدماء، والطيران نحو الشر: فنجعلها وديعة روحية، تنهض على التعبد والتحنث؟ ولو ربط الكاتب بعض ذلك بما اتفق عليه المؤرخون واللغويون القدامى من وجود بقايا حنيفية في المجتمع الجاهلي لعسينا أن نسلم له ببعض ما ذهب إليه؛ لكنه وقد ربط ذلك صراحة، بما لا يبعد عن هذه الحنيفية(٩)، فإننا لا نستطيع الموافقة على رأيه... إن بضعة أديرة كانت بشبه الجزيرة العربية كلها ما كان لها لتؤثر في الحياة العقلية، والدينية، والروحية، كل هذا التأثير... ولقد نعلم أن كل بيت عربي كان فيه صنم صغير

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيميائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]– دراسة –، ص/١٥٧

يعبده صاحبه وأسرته(٩)، فكيف إذن يقوم هذا النص التاريخي الماثل في أنه لم يكن:

... ... "يظعن في مكة ظاعن منهم(...) إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم، تعظيما للحرم. فحيثما نزلوا وضعوه فكانوا به كطوافهم بالكعبة"(١٠).

... ... مع ما قرره مصطفى ناصف؟ بل لقد كان العرب في جاهليتهم الأولى إذا لم يجدوا حجرا يعبدونه، من بعض تلك الحجارة، جمعوا حثية من التراب، وجاؤوا بالشاة فحلبوها عليه، ثم طافوا بها(١١).

والثانية: أن العرب لم تكن تستمطر ببركة الأحبار والرهبان، كما لم تكن تستسقي بعناية الأديرة والكنائس؛ ولكنها كانت تستمطر بالأصنام والأوثان؛ فقد أجيب عمرو بن لحي حين سأل أهل مآب: ما بال هذه الأصنام التي تعبدون؛ أن: "هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا"(١٢): فماذا بقي من برهان في قول امرئ القيس:

يضيء سناه أو مصابيح راهب." (١)

"كان من دأب العرب إذا وقعت حادثة قتل بين شخص وشخص آخر، من قبيلتين مختلفتين، خارج إطار حرب معلنة، أو عداوة مبيتة: أن يحتكموا إلى حكمائهم لودي القتيل، والا أخذ بثأره دما. وكانت دية القتيل، في حال الاتداء، غالبا ما تتوقف لدى مائة بعير للقتيل الواحد، أو لافتكاك الأسير الواحد، فإن أسر أسيرا رجلان اثنان، كان لكل منهما مائة من البعران. فإن كان الأسير سيدا من سراة القوم وأشرافهم كانت الدية أكثر من ذلك كما وقع في افتداء معبد بن زرارة الذي أسره عامر والطفيل، ابنا مالك بن جعفر بن كلاب، فلما جاءهما لقيط ابن زرارة، أخو معبد، ليفتديه منهما بمائتي بعير استقلا الدية، وقالا: "أنت سيد الناس" وأخوك معبد سيد مضر، فلا نقبل فيه إلا دية ملك(٢٨)!

وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن أن يزيد ودي القتيل عن أكثر من مائة بعير، وعد ذلك من فعل أهل الجاهلية(٢٩).

٥-مهر النساء:

وكان الرجل الكريم ربما مهر العقيلة العربية مائة بعير، بل كان ذلك هو الأغلب، وقد ظل قائما إلى أن جاء الله بالإسلام(٣٠).

ويبدو أن العرب بدأت تستعيض عن الإبل بالدراهم حين شاع التداول بين الناس بالعملة المسكوكة بعد ظهور

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/١٦١

الإسلام، وبعد تدفق الثروات، وتكاثر الأرزاق(٣١).
كما كانت الإبل تمثل أساس الاقتصاد في المجتمع الجاهلي فكانت هي مصدر أموالهم، ومآل أرزاقهم، فكانوا إما أن يربوها فتنتج لهم فيبيعوا ما يفيض منها عن لباناتهم في الأسواق، وإما أن يتاجروا فيها فيتمولوا من ذلك أموالا، ويحرزوا أرباحا، فكان ذلك يحصل لهم، إذن، إما بالابتياع، وإما بالإنتاج، وإما بالاتداء، وإما بالامتهار، وإما بالاتهاب..." (١)

"وأما إيلاعهم بذكر الخيل، وكلفهم بوصفها، بل ذهاب بعضهم في ذلك، ونبغي به عنترة، إلى حد محاورتها ومحادثتها باللغة السماءوية، فلأنها حقا كانت أثيرة لديهم، عزيزة إلى قلوبهم، جليلة القدر في عيونهم، فكان الفارس ربما تغنى بجواده، وافتخر بكرمه، وانتقى له اسما يناديه به(٥٦) بل ربما كان الفارس العربي يؤثره على أبنائه الصغار(٥٧)، فقد كانت "الخيل حصون العرب، ومنبت العز، وسلم المجد، وثمال العيال، وبها تدرك الثأر، وعليها تصيد الوحش، وكانوا يؤثرونها على الأولاد باللبن، ويشدونها بالأقنية للطلب والهرب"(٥٨).
وقد برع في وصف الخيل من أصحاب المعلقات امرؤ القيس وعنترة خصوصا، على حين أن الذي عني بإظهار منافعها، وتوصيف مكانتها أيام الحرب، وأن النساء هن اللواتي كن يقتنها ويعلفنها: إنما هو عمرو بن كلثوم.
بيد أن الذي وصف الفرس، وصال وجال في الأطوار التي يتخذها حين يسابق، وحين يعادي الثور والبقرة، وحين يغتدي مكرا مفرا، وحين يكون مقبلا مدبرا معا، وحين يمسي قيد أوابد:
شديد الاقتدار على المسابقة والملاحقة، وقويا على المعاداة والمطاردة، إنما هو امرؤ القيس ابن حجر. فكأنه الشاعر الذي أسس أصول الوصف، في معلقته، لأطوار هذا الحيوان الجميل، وخلد بعض النعوت التي تحمد فيه، والتي إذا وفرت في صفاته كان سابقا لاحقا، لا مصليا ولا سكيتا(٥٩).
ولقد أحب العرب الفرس وأصلوها، وعتروا نسبها، وغالوا في التماس أوصافها على النحو الأكمل، والوجه الأمثل، لأن هذه الفرس هي التي كان الفارس يمتطيها يوم الزينة، ويظهر عليها في المآقط، ويقاتل عليها يوم الهيجاء، ويعادي بها الوحش يوم الصيد، ويتظاهر بها على التظعان، كما يتباهى بها في الرياضة يوم الاستباق.." (٢)

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيميائية/ أنت‌روبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٣٩١

(٢) السبع المعلقات [مقاربة سيميائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٤٠١

"٢-إنه، وعلى الرغم من الوصف الطويل لهذين الحيوانين الوحشيين، لم يذكرهما إلا من أجل تشبيه سرعة ناقته بهما، وأنهما، على السرعة الفائقة، تظل ناقته أعدى منهما إذا عدت، وأسرع منهما إذا مشت.

٣-إن لبيدا سكت عن مصير الأتان، وانتصر للبقرة التي تفلت من قبضة كلاب الصيادين بمحاولتها قتل اثنين، أو اثنتين، منها، فتثأر ببعض ذلك لجؤذرها الذي أكلته أثناء تغيبها عنه، أو أنها ظاهرت أصاحيبها على أصطياده.

٤-أنه يعد في هذا الوصف الدقيق البديع أحد أكبر الوصافين للبقرة والأتان في الشعر العربي، ولم نعثر على شاعر واحد استطاع أن يتولج إلى نفس هذين الحيوانين فيصور ما يجري بداخلهما، من داخلهما، ويرسم الحال التي تعتورهما حين يحسان بخطر الصيادين، ومداهمة كلابهم إياها.

٥-إن نجاة البقرة الوحشية بنفسها قد لا يكون انتصارا لها طالما أبت وهي ثكلى بفقدانها جؤذرها الفتي الذي ظلت سبع ليال بأيامها تختلف إلى بعض هذا المكان الذي كانت وذرت طلاها فيه.. فإفلاتها لم يكن، في الحقيقة، إلا هزيمة معنوية منكرة لها، إذ لم تغادر هذا المكان على ما كان فيه من خصب وعشب وماء إلا مكرهة مرغمة، فهي بمغادرتها هذا الحيز الجميل أصيبت برزيتين اثنتين لا بواحدة: الأولى فقدانها ابنها، والأخراة مغادرتها موطنها الذي ألفت العيش فيه، والارتعاء في رياضه..

****

وهناك بعض المعتقدات الأخراة الواردة في نصوص المعلقات السبع لم نشأ أن نختصها بالتفصيل ولا أن نفردها بالتحليل، لأنها ذكرت في بعض هذه المعلقات عرضا مثل إيماءة امرئ القيس إلى تمائم صبي الأم التي كان يضاجعها:

*عن ذي تمائم محول." (١)

"فكان الرجل ربما استجار بسيد من سادات العرب، ولكن ذلك، أيضا، لم يكن حلا مثاليا، إذ ما أكثر ما يتابع أصحاب الثأر الرجل المستجار، فيصيب المستجار به من ذلك بلاء عظيم.. لقد كانت الحرب هي السلوك الأول في المجتمع العربي على عهد الجاهلية، ولقد نشأ عنها تقاليد كثيرة مثل تقليد الجوار (وهو أن يطلب هارب إلى سيد من السادات ليجيره من متابعة خصومه، أو أعدائه، وكأنه يشبه ما يطلق عليه، على عهدنا هذا، اللجوء السياسي، وحينئذ سيجب على المجير أن لا يخذله أبدا، ولو تلفت نفسه، وزهقت

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- در ا سة -، ص/٤١٨

مهجته، فإن لم يفعل، غير بتخاذله في حق المستجير به، وعد لئيما جبانا..)، ومسألة الثأر للقتيل حتى يقتل بمثله مثله، أو يؤدى.

ولكن السادات كثيرا ما كانوا يرفضون الدية، ولا يأبون إلا الدم بالدم، أو النفس مقابل النفس...." (١)

"ومن العادات والتقاليد التي ترعرت مع طقوس الحرب، تسلح الرجل، وتقلده بسيفه أيان انتقل، وحيث ظعن، إذ لم يكن هناك نظام أمني يحميه، ولا دولة قائمة تتولى المحافظة على أمن حياته، هو وأسرته، فكان لا مناص لأي شخص يبلغ مبلغ الرجال من أن يحتمل سيفه معه، وربما قوسه ورمحه أيضا. ولكن السيف كان هو السلاح الأشيع في الاستخدام الدفاعي، والهجومي، معا، فلا شيء كان يفكر فيه العربي، في الجاهلية، بعد ارتداء اللباس كسيفه يتقلده ليدافع به عن نفسه، وعمن تحت جناحه: من أي عدوان محتمل، وفي أي لحظة كانت، على الرغم من أن مبدأ العدوان لم يكن واضح المفهوم في المجتمع الجاهلي: فقد ربما كان يجير سيد شخصا، وهو في أصل سيرته عدو لسيد آخر، فيستبيح المغرور منه دم الفار، ويعلنه بين القبائل، وقد يطلبه تحت كل كوكب، فيقع ما يقع.. وقد يقتل الرجل آخر لمجرد أن امرأته شاهدته وهو يستحم في عين.. فقد كان ما يسمى بالشرف أمرا غير واضح، فيما يبدو لدى الجاهليين، فقد كان ذلك الشرف ربما تمثل في طلب الثأر، وربما في الغيرة على المرأة، وربما في الدفاع عن الجار، وربما في التضامن مع القبيلة، ظالمة أو مظلومة.. وربما في غير ذلك من المواقف.. ولكن ثمن ذلك الشرف، كان في معظم الأطوار، هو الدم، دم الرجال الأعزاء، والفتيان الأشداء.

ولولا الأشهر الحرم، الأربعة، التي كانوا يلتزمون فيها بالإسلام، ويستمتعون خلالها بشيء من الأمن والطمأنينة، لكان العرب قد تفانوا قبل ظهور الإسلام..." (٢)

"أسود قصر النيل فى ظلال ثكنات الجيش الإنجليزى أقعت أسود قصر النيل تبعث الأسى والسخرية فى هذا التحفز الذى طال فلم تنكص ولم تهجم. أى عار يا قوم بل أى ذلة حين يمسى الدخيل جبار صوله أى عار يحنى الرءوس خضوعا ويعيد النفوس نكدا مضله * * * ربضت تحدج العدو بحقد وتذيب البغضاء فى شر حمله أم نماها إلى الهزيمة بأس فاستلانت أجلادها مضمحله الزئير الرهيب أين صداه والسلاح المهيب بالرغم ثله كذبونا يا شر ما ساء مصرا هى بالعبء وحده مستقله ص ـ١٦٢

---

(١) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٤٣٦

(٢) السبع المعلقات [مقاربة سيمائية/ أنتروبولوجية لنصوصها]- دراسة -، ص/٤٣٧

أشعار القوى الجليلة يبقى تحت صرح الإذلال حتى يظله حطموه أو حطموها فإن لم تستطيعوا لقيتم السخر كله ص ـ١٦٣

ذكرى ضرب الإسكندرية ذكرى تمر وملء النفس أشجان فتحرج الصدر غما فهو كظان تمر عابرة بالذهن فى عجل تستاق مجفوة والقلب غضبان إنى أشيح فلا أسطيع تذكرة للحق منتهكا يقصيه عدوان ورب طالب ثأر لا يطيق ولا يرضى ادكار مصاب وهو حزان ذل يكبلنى من هوله كمد فيهرب الفكر لا ينجيه سلوان دهى الكنانة ما قد راع عزمتها هوى بها فى حضيض الذل طغيان وصار كل خئون غادر عضدا للمعتدى النذل ينزو وهو جذلان مصر العزيزة أدناها وصفدها فى محكم الأسر غدار وخوان كم كافحت شرة العادى قساورة جادوا بأنفسهم والحرب نيران وبئست الحرب فيها الرجس منتصر والحق مندحر يعلوه خذلان ذكرى تظل تثير الحقد مضطرما وتوغر الصدر لا يلهيه نسيان الثأر يا فتية الوادى فما بسوى نصر عزيز تزيل العار أوطان يا مصر ما شمسك الحسناء مسفرة ولا نباتك حالى العود ريان حتى يزول قتام لا يزال قذى ونمحى من قيود الأسر أرسان ص ـ١٦٤." (١)

"رِدء الخلافة في الجلى إذا نزلت ... وقيم الملك لا الواني ولا النصب

جفن يعاف لذيذ النوم ناظره ... شحا عليها وقلب حولها يجب

وزير حق ووالي شرطة ورحا ... ديوان ملك وشيعي ومحتسب

كالأرحبي المذكي هزه المرطى ... والملع والوخد والتقريب والخبب

ثبت الخطاب إذا اصطكت بمظلمة ... في رحله ألسن الأقوام والركب

لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه ... يوما ولا حجة الملهوف تستلب

كأنما هو في نادي قبيلته ... لا القلب يهفو ولا الأحشاء تضطرب

لا سورة تتقى منه ولا بله ... ولا يحيف رضى منه ولا غضب

لا نجم من معشر إلا وهمته ... عليك دائرة يا أيها القطب

وقال أيضا من قصيدة:

إليك جزعنا مغرب الملك كلما ... وسطنا ملا صلت عليك سباسبه

إلى ملك لم يلق كلكل بأسه ... على ملك إلا وللذل جانبه

---

(١) الحياة الأولي (ديوان شعر)، ص/٩٩

إلى سالب الجبار بيضة ملكه ... وآمله غاد عليه فسالبه

سما للعلا من جانبيها كليهما ... سمو عباب البحر جاشت غواربه

فنول حتى لم يجد من ينيله ... وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وذو يقظات مستمر مريرها ... إذا الخطب لاقاها اضمحلت نوائبه

فيا أيها الساري اسر غير محاذر ... جنان ظلام أو ردى أنت هائبه

فقد بث عبد الله خوف انتقامه ... على الليل حتى ما تدب عقاربه

إذا ما امرؤ ألقى بربعك رحله ... فقد طالبته بالنجاح مطالبه

وقال أيضا من قصيدة:

رواحلنا قد بزنا الهم أمرها ... إلى أن حسبنا أنهن رواحله

إذا خلع الليل النهار رأيتها ... بإرقالها في كل وجه تقاتله

إلى قطب الدنيا الذي لو بمدحه ... مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة ... أضاء لها من كوكب الحق آفله

لقد حان من يهدي سويداء قلبه ... لحد سنان في يد الله عامله

إذا مارق بالغدر حاول غدرة ... فذاك حري أن تئيم حلائله

وإن يبن حيطانا عليه فإنما ... أولائك عقالاته لا معاقله

بيمن أبي إسحاق طالت يد الهدى ... وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه ... دعاها لقبض لم تجبه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

وقال أيضا من قصيدة:

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد ... تقطع ما بيني وبين النوائب

تكاد مغانيه تهش عراصها ... فتركب من شوق إلى كل راكب

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل ... كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من نور يفتحه الندى ... بياض العطايا في سواد المطالب

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

مكارم لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

ولو كان يفني الشعر أفناه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول إذا انجلت ... سحائب منه أعقبت بسحائب

وقال أيضا من قصيدة:

إن الذي خلق الخلائق قاتها ... أقواتها لتصرف الأحراس

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو العباس

هدأت على تأميل أحمد همتي ... وأطاف تقليدي به وقياسي

بالمجتبي والمصطفي والمشتري ... للحمد والحالي به والكاسي." (١)

"ملء القلوب جلالا والعيون سنا ... والحرب بأسا وأكناف الندي ندى

من لا يقدم في غير العلا قدما ... ولا يمد لغير المكرمات يدا

أودى الزمان وكيف اسطاعه؟ بفتى ... قد طال ما راح في أتباعه وغدا

كأنه كان ثأرا بات يطلبه ... حتى رآه فلم يعدل به أحدا

هل نافعي والأماني كلها خدع ... قولي له اليوم: لا تبعد! وقد بعدا

يا عاديا لم يكن شيء يقوم له ... أما توقاك صرف الدهر حين عدا

إذا ونت بك خيل الدمع جد بها ... مجر من الشوق لم يحدد لها أمدا

قل للمحدث عن لقمان أو لبد ... لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا

وللذي همه البنيان يرفعه: ... إن الردى لم يغادر في الشرى أسدا

ما لابن آدم لا تفنى مطالبه ... يرجو غدا وعسى ألا يعيش غدا

وقال أيضا:

ألا حدثاني عن فل وفلان ... لعلي أرى باق على الحدثان

وعن دول جسن الديار وأهلها ... فنين وصرف الدهر ليس بفان

---

(١) الحماسة المغربية، ص/٢٥

وعن هرمي مصر الغداة، أمتعا ... بشرخ شباب أم هما هرمان

وعن نخلتي حلوان كيف تناءتا ... ولم تطويا كشحا على شنآن

وطال ثواء الفرقدين بغبطة ... أما علما أن سوف يفترقان

وزايل بين الشعريين تصرف ... من الدهر لا وان ولا متوان

فإن تذهب الشعرى العبور لشأنها ... فإن الغميصا في بقية شان

وجن سهيل بالثريا جنونه ... ولكن سلاه: كيف يعترفان

وهيهات من عدل القضاء وجوره ... شآمية ألوت بدين يمان

فأزمع عنها آخر الدهر سلوة ... على طمع خلاه للدبران

وأعلن صرف الدهر لابني نويرة ... بيوم تناء غال كل تدان

وكانا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر لو لم ينصرف لأوان

وأي قبيل لم يصدع جميعه ... ببكر من الأرزاء أو بعوان

خليلي أبصرت الردى وسمعته ... فإن كنتما في مرية فسلاني

خذا من فمي هلا وسوف فإنني ... أرى بهما غير الذي تريان

ولا تعداني أن أعيش إلى غد ... لعل المنايا دون ما تعدان

تقولان: لا تبعد ولله درهم ... " وقد حيل بين العير والنزوان "

ويأبون إلا ليته ولعله ... ومن أين للمقصوص بالطيران

نجزت المراثي والحمد لله رب العالمين

باب

النسيب

قال كعب بن زهير من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم مدحها في أول الكتاب:

بانت سعاد فقلبي بها متبول ... متيم عبرها لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون في أثوابها الغول

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما تمسك الماء الغرابيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الأباطيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل

وقال حسان بن ثابت:

منع النوم بالعشاء الهموم ... وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه ... سقم فهو داخل مكتوم

يالقوم هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سؤوم

لو يدب الحولي من ولد الذر ... ر عليها لأندبتها الكلوم

شأنها العطر والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم

لم تقفها شمس النهار بشيء ... غير أن الشباب ليس يدوم

وقال امرؤ القيس بن حجر:

أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل؟

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر ... علي حراص لو يشرون مقتلي." (١)

"إنا سألنا قومنا فخيارهم ... من كان أفضلهم أبوه الأول

أعطى الذي أعطى أبوه قبله ... وتبخلت أبناء من يتبخل

وقال ربيعة الرقي:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر ابن حاتم

فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال آخر:

وجهك يا عمرو فيه طول ... وفي وجوه الكلاب طول

والكلب يحمي على الموالي ... وليس تحمي ولا تصول

---

(١) الحماسة المغربية، ص/٩١

مستفعلن فاعلن فعولن ... مستفعلن فاعلن فعول
بيت كما أنت ليس فيه ... معنى سوى أنه فضول
وقال أعرابي:
ولما أن رأيت بني حري ... جلوسا ليس بينهم جلوس
يئست من التي أقبلت أبغي ... لديهم إنني رجل يؤوس!
إذا ما قلت: أيهم لأي؟ ... تشابهت المناكب والرؤوس
وقال الأعشى:
أعلقم قد حكمتني فوجدتني ... بكم عالما على الحكومة غائصا
كلا أبوكم كان فرع دعامة ... ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
وقال مالك بن أبي كعب والد كعب بن مالك:
ولا خير في مولى يظل كأنه ... إذا ضيم مولاه أشاف على غنم
حريص على ظلم البريء مخالف ... عن القصد مأفون ضعيف عن الظلم
أبى الحزم أن يرمي العدا من ورائه ... وإن كان لا ينكى عدوا ولا يرمي
فذاك كغث اللحم ليس بنافع ... ولا بد يوما أن يعد من اللحم
وقال آخر:
لحا الله أكبانا زنادا وشرنا ... وأيسرنا عن عرض والده ذبا
رأيتك لما نلت مالا ومسنا ... زمان ترى في حد أنيابه شغبا
جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا ... فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا
وقال زياد الأعجم:
نبئت أشقر تهجونا، فقلت لهم: ... ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وإن طالت حياتهم ... ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة ... كالفقع بالقاع: لا أصل ولا ورق
وقال كعب الأشقري:

لعل عبيد القيس تحسب أنها ... كتغلب في يوم الحفيظة أو بكر

يضعضع عبد القيس في الناس منصب ... دني وأحساب جبرن على كسر

إذا شاع أمر الناس وانشقت العصا ... فإن لكيزا لا تريش ولا تبري

وقال آخر:

مواقفنا في كل يوم كريهة ... أسر وأشفى من مواقف حوشب

دعاه يزيد والرماح شوارع ... فلم يستجب بل راغ تراوغ ثعلب

ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة ... رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقال آخر:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا بغايا للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالخمر واصبروا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل

وقال آخر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... عني، وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

جهلا علي وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

وقال امرأة من بني غامد:

ألا هل أتاها على نأيها ... بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مئتي فارس ... فردكم فارس واحد

فليت لكم بارتباط الخيول ... ضئانا لها حالب قاعد

وقال آخر:

حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

وقال حميد الأرقط:

أتانا ولم يعدله سحبان وائل ... بيانا وعلما بالذي هو قائل

يقول وقد ألقى مراسي للقرى: ... أبن لي ما الحجاج بالناس فاعل

تزبل كفاه وتحدر حلقه ... إلى البطن ما ضمت عليه الأنامل

فقلت: لعمري ما لهذا طرقتني ... فكل ودع الإرجاف ما أنت آكل

فما زال عنه اللقم حتى حسبته ... من العي لما أن تكلم باقل!." (١)

"وحبوتني بصحيفة مختومة ... تخشى علي بها حباء النقرس

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن ... نكراء مثل صحيفة المتلمس

وخرج فارا حتى أتى سعيد بن العاص، وعنده الحسن والحسين – عليهما السلام – وعبد الله بن جعفر، فأخبرهم الخبر، فأمر له كل واحد منهم بمائة دينار ولاراحلة، وتوجه إلى البصرة.

وقيل لمروان: أخطأت فيما فعلت؛ فإنك عرضت عرضك لشاعر مضر!! فوجه وراءه رسولا ومعه مائة دينار وراحلة؛ خوفا من هجائه!.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيئ الكواكب

هذا البيت: من مشهور شعره النابغة الذبياني، وكان يكنى: أبا أمامة، وأبا عقرب – بابنتين كانتا له.

واختلف في تسمية النابغة نابغة: فقيل: سمي بذلك؛ لأنه قال الشعر بعد ما كبر – يقال نبغ الرجل إذا لم يكن يقول الشعر، ثم قاله.

وقيل: سمي نابغة لقوله:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فباتت والفؤاد بها رهين

وحلت في بني القين بن جسر ... فقد نبغت لنا منهم شؤون

وقيل: هو مشتق من نبغت الحمامة إذا تعبت، قال ذلك الرياشي، وحكى ابن ولاد أنه قال: نبع الماء، ونبغ، فكأنهم أرادوا: أن له مادة من الشعر لا تنقطع، كمادة الماء النابغ.! والناصب: المتعب، وكان قياسه أن يقول: منصب، كما قال طفيل:

تعناك نصب من أمية منصب

ولكنه جاء على معنى النسب، أو على حذف الزيادة من الفعل، كما قال: أورس الشجر فهو وارس، وأبقل المكان فهو باقل: وقوله: بطئ الكواكب أراد أن الليل لطوله، يخيل إلى الساهر فيه أن كواكبه لا تبرح! وأنشد

---

(١) الحماسة المغربية، ص/١٣٣

أبو القاسم في هذا الباب:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد ... يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام!

هذا البيت: من مشهور شعر النابغة.

ومعنى خالوا بني أسد: تاركوهم، يقال: خالي الرجل أهله، إذا طلقها.

وكانت ذبيان أرادت مخالفة بني عامر، فقال بنو عامر: لا نخالفكم حتى تتركوا ما بينكم، وبين بني أسد من الحلف، فنسبهم النابغة إلى الجهل فيما قالوا، وأعلمهم أن ذلك لا يكون؛ فإن ذلك سيضرهم عند بني أسد، ويحقدهم عليهم.

ونصب ضرارا على الحال: واللام في قوله: يا بؤس للجهل... مقحمة، وقد قلنا فيما مضى من شعر جرير لا أبالكم: إن الاختيار أن تكون اللام هي الجارة، دون الإضافة، وإن كانت زائدة، وقلنا في هذا هناك ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، فارجع إليه تره إن شاء الله تعالى! وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

يا بؤس للحرب التي وضعت ... أراهط فاستراحوا

هذا البيت: لسعد بن مالك القيسي، يقوله في حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب، لقتل كليب، فاعتزل الحارث ابن عباد الحرب، وقال: هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل، فلم يزل معتزلا لهم، إلى أن قتل مهلهل ابنه بجيرا، فأخبر بذلك، فقال: إن ابني لأعظم قتيل بركة: إذا أصلح الله به بين ابني وائل، وكف سفاههما، وحقن دماءهما!.

والسفاه: الطيش والخفة – فقيل له إنه حين قتله قال: بؤبشيسع نعل كليب!.

فلم يصدق ذلك، وأرسل إلى مهلهل يقول له: إن كنت قتلت ابني بأخيك ورضيته ثأرا، فقد رضيت ذلك؛ لتطفأ هذه الثائرة!.

فقال مهلهل: إنما قتلته! بشسع نعله!.

فعند ذلك غضب الحارث، وقال الحارث لأمه: ردي أحمالك لألحقك بقومك، فمن أنا من ما أنت؟، فذهبت مثلا!.

وقال: –

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

لم أكن من جناتها علم الله وإني لحرها اليوم صال

لا يجير أغنى قتيلا ولا رهط كليب تزاجروا عن ضلال

قربا مربط النعامة مني ... إن قتل الغلام بالشسع غال

ورجع إلى بكر بن وائل، وشهد الحرب، وكان يوم تسمية العرب: يوم التحالق، وكان سعد بن مالك قد قال – عند اعتزال الحارث الحرب يعرض به، وبمن شايعه على مذهبه: –

يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا." (١)

"فأقبل يريدهما فقلت: تنح يا ابن السوداء، وقام إلى قوم من الأنصار، فقال: معاشر المسلمين! أمية رأس الكفر وابنه، فأقبلوا بالسيوف إليهما، فما ملكوني من أمرهما شيئا، فضرب علي ضربة فطنت ساقه، فصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، ثم حملوا فذففوا عليهما.

فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالا، فجعني بأسيري وذهبت أدراعي.

معنى ذففوا: أجهزوا، قال أبو بكر: قال أبي: قال العباس: فحدثت بهذا الحديث ابن عائشة، فقال لي: حدثني أبي أن شاعرا من المسلمين مدح بلالا لما فعل ذلك، فقال:

هنيئا زادك الرحمن خيرا ... فقد أدركت ثأرك يا بلال

فما نكسا وجدت ولا جبانا ... غداة تنوشك الأسل الطوال

معنى التناوش مهموزا و غير مهموز

قال القاضي: معنى تنوشك: تناولك، وهو من المناوشة، وقيل: إن التناوش: التناول من قريب بغير همز، والتناؤش بالهمز: التناول من بعيد، قال الراجز:

فهي تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع أجواز الفلا

فهذا غير مهموز، وقال نهشل بن حري في الهمز:

تمنى نئيشا أن يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

وقد قرأت القرأة: " وأنى لهم التناؤش " بالهمز وتركه، ونسب الصلولي شيخنا أبا جعفر رحمه الله إلى التصحيف في بيت نهشل، وذكر أنه رواه تمنى حبيش، وجرت بيننا وبينه في هذا مخاطبة قمعته بحضرة جماعة منهم أولو علم ومعرفة، ولنا في هذا رسالة أوضحنا فيها سقوط ما أورده الصولي وحكاه، وضمناها من خطأ الصولي وتصحيفه وتعاطيه ما لا يحسنه في مواضع من تأليفه، ومن نظر في ذلك أشرف منه على علم مستفاد، وبيان

---

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل، ص/٤٣

مستجاد، إن شاء الله.

الوليد يتوله بجارية نصرانية

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: أخبرنا العتبي، قال: كان الوليد بن يزيد نظر إلى جارية نصرانية من أهيأ الناس يقال لها سفرى، فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه، حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب، وأنها ستخرج فيه وكان موضع العيد بستان حسن، وكان النساء يدخلنه، فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها فتابعه، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته، ودخلت سفرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت إليه، فقالت لصاحب البستان: من هذا؟ قال لها: رجل مصاب، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها، فقيل لها: ويلك! تدرين من ذلك الرجل؟ قالت: لا، فقيل لها: الوليد بن يزيد فإنما تقشف حتى ينظر إليك، فجنت به بعد ذلك، وكانت عليه أحرص منه عليها، فقال الوليد في ذلك:

أضحى فؤادك يا وليد عميدا ... صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعيني وامق ... حتى بصرت بها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من رأى ... منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربي أن أكون مكانه ... وأكون في لهب الجحيم وقودا

قال القاضي: لم يبلغ مدرك الشيباني هذا الحد من الخلاعة فيما قال في عمرو النصراني:

يا ليتني كنت له صليبا ... وكنت منه أبدا قريبا

أبصر حسنا وأشم طيبا ... لا واشيا أخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمره وعلمه الناس، قال:

ألا حبذا سفري وإن قيل إنني ... كلفت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا أن نظل نهارنا ... إلى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وللوليد في هذا النحو من الخلاعة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره والمتضمن ركيك ضلاله وكفره، وما لعلنا نورده فيما نستقبله من مجالس في كتابنا هذا.

حكم الوادي يضطرب أمام الوليد

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بان الشرابي، قال: حدثنا أبو العباس المرثدي، قال: حدثنا أبو إسحاق الثلجي، قال: أخبرني أبي، عن حكم الوادي، قال:." (١)

"إن الجواد يركب لأغراض شتى، منها المحاربة وشن الغارة وإدراك العدو والهارب، وفوت الثائر الطالب، وطلب الأوتار وأخذ الثأر، والتماس المعيشة والبرهان وزيارة الإخوان ومجاراة الأقران، والسبق والنضال، والتدرب بالفروسية والقتال، والركض والرياضة، والإسراع والمواشكة في الحاجة، في لواحق هذه الأمور وتوابعها، أو ما يقاربها ويضارعها، كالمجازاة والمضاهاة والمباهاة، وكانوا إذا كان لهم ذحل يحرمون الخمر على أنفسهم حتى يثأروا فحينئذ يستحلونها، قال امرؤ القيس:

حلت لي الخمر وكنت امرأ ... عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

ومنها القصد لضروب اللهو والمتعة، والنشاط والرتعة، والالتذاذ باختيال الجواد وقطعه الجدد، فالركوب الذي قصد امرؤ القيس بقوله: كأني لم أركب جوادا، إنما عنى به بعض ما فيه التذاذ ومتعة، ولهو ورتعة، وقد أبان ذلك بقوله: للذة، فكان من أليق ما يليه، ويقرن به ما جانسه في التمتع واللهو، إذ لم يكن ركوبه للغارة والغزو فلذلك قال: ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال، ولو قال بعد قوله: كأني لم أركب جوادا للذة، حسب ما اقترحه وقال الخادم وأشار به، لكان قد أتى بمجمع من القول غير متسق، ومضرب من التأليف غير متفق، ولم يقدم هذا الخادم على هذا الرأي الفائل، والتوهم الباطل، إلا بعد حذفه من قول امرىء القيس ما ينكشف المعنى بإثباته، ويزداد وضوحه بإحضاره، وذلك قوله: للذة، ولو لم يذكر اللذة لم يؤمن على مثل هذا اراد الشبهة وإن كانت من المتأمل الناظر، والنحرير الماهر، مأمور به لوجوب حسن الظن بامرىء القيس في نظمه، ونسبته إلى وصل بعض كلامه بحسب ما يليق به، وكيف وقد أوضح المعنى وأومأ إليه، وافصح به ونص عليه، وأما قوله: " ولم أسبأ الرزق الروي فإنه قد يسبأ رزق الخمر للنادم واللذة، والارتياح والنشوة، وقد يسبأ للبيع والتجارة ولإهدائه إلى ذي المروءة لتحريك الطبائع بشربه على تذكر الأضغان والغمر، وتهيج الحقد وطلب الوتر، والجد في القيام بالثأر، وتجرئة الجبان، وتنشيط الجنان، والسماحة في إدراك الشرف بالنفوس، وبذل كل علق مضنة نفيس، وأراد امرؤ القيس بما سبأه من الخمر هذه المعاني أو ما أراد منها، فكان اللائق بقوله: ولم أسبأ الزق الروي أن يكون عجز بيته هذا ما وصفه في قوله: ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال فاغفل هذا الخادم

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٢١٧

المقصوص، والأتي المنقوص، هذا المعنى، وأخذ من البيت الأول قوله للذة فألحقها بالبيت الثاني، فلم يتم له بما غيره ما قدره، وذهب عنه فهم ما رتبه امرؤ القيس وقرره، وما ذكرنا من تقسم المعاني التي وصفنا بها سبايا الخمر أشهر في عرف الناس وكلام العرب من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه، وقد قال الله جل وعز " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما " وهذا معنى بين الصحة غير مشكل على ذي بصيرة، قال: حسان بن ثابت:

نوليها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

وقال الأعشى:

لعمرك إن الراح إن كنت سائلا ... لمختلف عشيها وغداتها

لنا من صحاها خبث نفس وكأبة ... وذكر هموم ما تغب اذاتها

وعند العشي طيب نفس ولذة ... ومال كثير غدوة نشواتها

وقال المتنخل:

ولقد شربت من المدا ... مة بالكبير وبالصغير

فإذا انتشيت فإنني ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير

وهذا كثير جدا، وقول امرىء القيس: لم أقل لخيلي كري، أراد لفرسان خيلي، كما قالت العرب: يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة، أي: يا فرسان خيل الله، وقال: الله جل ثناؤه، وقوله أصدق القول وأحسنه " واسأل القرية " يعني أهلها، وقال: تعالى ذكره:." (١)

"تعليق على ما جاء في الخبرين السابقين

قال القاضي: قد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذا الطريق في ذكر عنترة محبته رؤية عنترة وأنه قال: لو أدركته نفعته؛ وقول الشاعر إلى ضخمة الأذنين والكف شهبرة الشهبرة: العجوز المولية، ويقال شهورة وينشد في هذا:

أم الحليس لعجوز شهوره

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٢٤٩

وجاء في بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة لا تتزوج خمسا، فذكر فيهن الشهبرة.

ويقال أيضا عجوز شهربة وأنشدوا في هذا:

أم الحليس لعجوز شهربه ... ترضى من اللحم بعظم الرقبة

وقوله: وما كان عن كف القبالي أهدره يقال أهدر دم فلان إذا طل ولم يثأر به وأسقط القصاص والعقل عنه. وقول الشاعر في الشعر الثاني: لا يفلتن العبد عنتر عنترا فيه إغراء به، كأنه قال عليك عنترة أو اقتل عنترة، كما تقول: الطريق الطريق فأضمر الفعل، ومثله قولك لمن رأيته يضرب رجلا أو يتهيأ لضربه: رأسه؛ وهذا ب اب واسع معروف في العربية يضمر الفعل فيه اكتفاء بما حضر أو ظهر من الأحوال والأشياء الدالة على العامل المنوي والمتروك. وأما قول العبسي " تفقت عينه " فإنه ترك الهمز في هذه الكلمة وهو أصل فيها، قال الشاعر:

تفقأ فوقه قلع السواري ... وجن الخازباز به جنونا

وقد يترك الهمز كثيرا وخاصة في الشعر كقول الشاعر:

وكنت أبا ستة كالبدور ... أفقي بهم أعين الحاسدينا

بيت شريف في امرأة خفرة

حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي، قال حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي، قال حدثنا مهدي بن سابق، قال حدثني الهيثم بن عدي قال: كنا جلوسا عند صالح بن حسان فقال: أنشدوا بيتا شريفا في امرأة خفرة، قلنا قول حاتم الطائي:

يضيء لها البيت الظليم خصاصه ... إذا هي يوما حاولت أن تبسما

فقال: أريد أحسن من هذا البيت. قلنا قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

قال: أريد أحسن من هـذا. قلنا بيت ذي الرمة:

تنوء بأولاها فلأيا قيامها ... وتمشي الهوينا من قريب فتبهر

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء، قال بيت أبي قيس ابن الأسلت:

ويكرمنها جاراتها فيزرنها ... وتعتل عن إتيانهن فتعذر

أحسن بيت في وصف الثريا

ثم قال: أتدرون أحسن بيت وصفت به الثريا؟ قلنا بيت ابن الزبير:

وقد لاح في الجو الثريا كأنه ... به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت ... تعرض أثناء الوشاح المفصل

قال: أريد أحسن من هذا، قلنا: بيت ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها ... جمان وهي من سلكه فتسرعا

قال: أريد أحسن من هذا؛ قلنا قول ذي الرمة:

وردتاعتسافا والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماء محلق

يدف على آثارها دبرانها ... فلا هو مسبوق ولا هو يلحق

بعشرين من صغرى النجوم كأنها ... وإياه في الجرباء لو كان ينطق

قلاص حداها راكب متعمم ... هجائن قد كادت عليه تفرق

قال: أريد أحسن من هذا؛ قلنا: ما عندنا شيءن قال بيت أبي قيس ابن الأسلت:

وقد لاح في الجو الثريا لمن رأى ... كعنقود ملاحية حين نورا

تعليقات للقاضي على ما تقدم

قال القاضي: قول حاتم: البيت الظليم أراد: المظلم، ومفعل قد ينصرف إلى فعيل، ومن ذلك عذاب أليم أي مؤلم، قال الله تبارك وتعالى: " والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم " يونس:٤ ومن هذا قول الشاعر:

ونرفع من صدور شمردلات ... يصك وجوهها وهج أليم

ومنه سميع بمعنى مسمع، قال الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع

أراد المسمع. وقد يقال سميع بمعنى سامع، ويأتي على فعيل للمبالغة مثل راحم ورحيم، وحافظ وحفيظ، وعالم وعليم، وقادر وقدير، وناصر ونصير، في نظائر لهاذا كثيرة جدا. وقول ذي الرمة فلأيا قيامها أي بطيء؛ وقال زهير:

وقفت بهامن بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم." (١)

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٣١

"أخبرنا المعافى حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار قال حدثنا عبد الله بن عمر بن حبيب أبو رفاعة قال حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيت مالا ولا يقيله. قال رجل يا أبا محمد سماعا من عمرو؟ قال: ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: سماعا من ابن جريج؟ قال: ويحك لم تفسده؟ قال: سماعا من انب جريج؛ قال: أبو عاصم النبيل عن ابن جريج، قال: سماعا من أبي عاصم؟ قال: ويحك لم أفسدته؟ قال: سماعا من أبي عاصم؟ قال: حدثنيه علي بن المديني عن أبي عاصم.

وحدثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي قال: سمعت ابن ناجية يقول سمعت عبد الله بن هاشم يقول حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قلت له: سماعا من عمرو بن دينار؟ قال: ويحك لا تفسده، حتى كررت عليه ثلاث مرات، قال: حدثني ابن جريج عن عمرو بن دينار.

قال القاضي رحمه الله: وهذا مما دلسه سفيان بن عيينة. وقد ذكرنا في بعض ما تقدم من مجالسنا هذه بعض ما وقع إلينا فيه من الأخبار تدليس، وذكرنا أن خبر المدلس مقبول غير مردود إذا كان عدلا ولم يكن في ما يخبر به ما يوجب توهينه، وأن الشافعي ومن وافقه كانوا لا يرون خبر المدلس حجة إلا أن يوقل حدثنا أو أخبرنا أو سمعت؛ وقد حدثنا الليث بن محمد بن الليث المروزي قال سمعت عبد الرزاق بن محمد المعدل الفارسي قال سمعت محمد بن عيسى بن زيد الطرسوسي يقول، سمعت أبا حفص الفلاس يقول، سمعت ابن عيينة يقول: نخطى ونصحف وندلس ولا نكذب.

أبو النشناش النهشلي

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان أبو النشناش النهشلي من ولد مخربة بن أبير بن نهشل وأم أبي جهل والحارث ابني هشام أسماء بنت مخربة وكان أبو النشناش يصيب الطريق، فطلب فخاف وأنشأ يقول:

وسائلة أين ارتحالي وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

ودوية تيهاء يخشى بها الردى ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه

ليدرك ثأرا أو ليكسب مغنما ... جزيلا وهذا الدهر جم عجائبه

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح ... سواما ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من قعوده ... عديما ومن مولى تدب عقاربه

ولم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق صاحبه
فمت معدما أو عش كريما فإنني ... أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
ودع عنك مولى السوء والدهر إنه ... ستكفيه أيام له ونوائبه
تلقى عدوا مرة فيرده ... إليك وتلقاه وقد لان جانبه

فأنشد عبد الملك هذه القصيدة فلما سمع قوله: ولا كسواد الليل أخفق صاحبه قال: لص ورب الكعبة، وأمر بطلبه فطلب فأعجز.

شرح لبعض ما جاء في الأبيات

قال القاضي رحمه الله: قوله يسرح سواما يعني الغدو بالماشية إلى المسرح إلى الرعي. ولم يرح يعني الرواح إذا أراحت من المرعى قال الله تعالى وذكر إنعامه على خلقه بما سخره لهم من الأنعام ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون النحل: ٦ وقوله: فإنني أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه فأتى بالموت ثانيا بالاظهار في الموضع الذي بابه الاضمار لتقدم اسمه ظاهرا، لإقامة وزن الشعر، ولو أتى به في منثور الكلام لكان أظهر، ونحو هذا أن تقول: فإنني أرى الموت لا ينجو منه هاربه، وقد أتى مثل هذا كثير في الشعر، من ذلك قول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وقال آخر:

إذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها ... سواقط من حر وقد كان أظهرا." (١)

"أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا ... وطار عن قلبي التشواق والكمد

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثاني فقال لها: تغني فانبعث تغني بصوت حكم الوادي تقول فيه:

فو الله ما أدري أيغلبني الهوى ... إذا جد وشك البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى ... ففي دون ما لاقيت يغلب صاحبه

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فقال لها: تغني فغنت بصوت لحنين تقول فيه:

مررنا على قيسية عامرية ... لها بشر صافي الأديم هجان
فقالت وألقت جانب السجف دونها ... من آية حي أو من الرجلان

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٣٨

فقلت لها أما تميم فأسرتي ... هديت وأما صاحبي فيماني

رفيقان ضم السفر بيني وبينه ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال فعاد الخادم إلى الرجل فقال له: تغنه، فغنى بصوت لي شبه فيه، والشعر لعمر بن أبي ربيعة الغناء للغريض يقول فيه:

أمس بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان شيهمة ... أعارها شبها خديه والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا ... لتنكأ القرح من قلب قد اصطلدا

بمشرق كشعاع الشمس بهجته ... ومسبكر على لباتها سودا

ثم عاج الخادم إلى الجارية التي تليه فقال لها: تغني، فغنت بصوت لحكم الوادي يقول فيه:

تعيرنا أنا قيل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا كرهته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وتغنت الجارية الثانية عند قول الخادم لها تغني:

وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما

ولن يلبث الحوض الوثيق بناءه ... إذاكثر الوراد أن يتهدما

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء بنت عمرو بن الحارث في أخيها صخر:

وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته العين إلا اقشعرت

فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت

وإن طلبوا وترا بدا بتراتهم ... ويضربهم شزرا إذا الخيل ولت

فلست أرزا بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت

وكان غناء الرجل في الدور الثالث:

لحا الله صعلوكا يبيت وهمه ... من الدهر أن يلقى لبوسا ومطعما

ينام الضحى حتى إذا نومه استوى ... تنبه مسلوب الفؤاد مورما

ولكن صعلوكا يساور همه ... ويمشي على الهيجاء ليثا مصمما
فذلك إن يلق المنية تلقه ... كريما وإن يستغن يوما فربما
وكان غناء الجارية في الدور الثالث بشعر لحاتم يقول فيه:
إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع ... رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العقاب فعاقب
وكان غناءالجارية الثانية في الدور بشعر عمرو بن معدي كرب:
ألم تر لما ضمني البلد القفر ... سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو
أغثنا فإنا معشر مذحجية ... نزار على وفر وليس لنا وفر
وكان غناء الثالثة بشعر لعمر بن أبي ربيعة والغناء فيه للغريض:
فلما تلاقينا وسلمت أشرقت ... وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأينني ... وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
فلما تواضعنا الأحاديث قلن لي ... أخفت علينا أن نغر ونخدعا." (١)

"قال القاضي: في السلحفاة لغتان سلحفاة وسلحفية. وقوله: جهوة قرد: يريد دبره وما والاه، وكذلك هو لك ذي أربع، وربما استعمل في الناس. وقوله: قشر بصرها فالبصر قشر أعلى كل شيء. وقوله: قاشها أي نزا عليها، والترمز التحرك، والمشائط: الواحد مشياط وهو الذي يسرع إليه السمن، والمباقط المتفرقة، يقال بقط هذا أي فرقه، والعمارط الواحد عمروط وهو الذي لا يرى شيئا إلا اختلسه وهو اللص، والوأي: الوعد، والترمز: التحرك؛ روي عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: كان رجل من بني تميم خليعا يقال له عمير بن مالك فمرض فحضر نساء الحي يعدنه، فأطلن الجلوس فقال:
لقل غناء عن عمير بن مالك ... ترمز أستاه النساء العوائد
فقمن وقلن: لا شفاه الله. وقوله: فاكبأن عبد الملك أي تداخل بعضه في بعض، قال الشاعر.
فلم يكبئنوا إذ رأوني وأقبلت ... علي وجوه كالسيوف تهلل
وقوله: تضاءلت أي تصاغرت، والأقطار: النواحي، وقوله: أجاءك أي اضطرك وأصله من المجيء تقول جاء زيد وأجاءه غيره مثل صار وأصار إليه غيره. ومنه " فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة " مريم: ٢٣ كأنه جاء

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٤٤

بها إليه. قال القاضي: وفي تفسير ابن دريد غريب هذا الخبر في موضع آخر: المباقط أي المتفرق من الماشية، وهو مما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه لأكيدر لا تعد فاردتكم، ولا ترد قاصيتكم، والمشائط: واحدتها مشياط وهي الناقة السريعة السمن، يريد أنه يأخذ المشائط في الصدقة، وهذا مما نهي عنه أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم: لا تأخذوا حزرات أنفس الناس، يريد خيار أموالهم، والعمروط: اللص يقال لص ولص.

ابن الزيات يتفجع على دابة أخذها المعتصم

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو علي محرز الكاتب قال حدثني سهل بن عبد الكريم قال: كان لمحمد بن عبد الملك دابة أشهب أحم لم ير مثله في الفراهة والوطاء والحسن، فذكر المعتصم يوما الدواب فقال: أشتهي دابة في نهاية الوطاء تصلح للسرايا، فقال له أحمد بن خالد خيلويه قد عرفته لك يا أمير المؤمنين على أن لا يعلم صاحبه أني ذكرته لك، قال: لك ستر ذلك، قال: عند كاتبك محمد بن عبد الملك دابة لم ير مثله، فوجه المعتصم فأخذه من محمد، فقال فيه:

قالوا جزعت فقلت إن مصيبتي ... جلت رزيتها وضاق المذهب

كيف العزاء وقد مضى لسبيله ... عنا فودعنا الأحم الأشهب

دب الوشاة فباعدوك وربما ... بعد الفتى وهو الحميم الأقرب

لله يوم غدوت عني ظاعنا ... وسلبت قربك أي علق أسلب

نفسي مقسمة أقام فريقها ... وغدا لطيتها فريق يجنب

الآن إذ كملت أداتك كلها ... ودعا العيون إليك زي معجب

واختير من خير الحدائد خيرها ... لك خالصا ومن الحي الأغرب

وغدوت طنان اللجام كأنما ... في كل عضو منك صنج يضرب

وكأن سرجك فوق متن غمامة ... وكأنما تحت الغمامة كوكب

ورأى علي بك الصديق مهابة ... وغدا العدو وصدره يتلهب

أنساك لا برحت إذا منسية ... نفسي ولا زالت بمثلك تنكب

أضمرت عنك اليأس حين رأيتني ... وقوى حبالك من قواي تقضب

ورجعت حين رجعت منك بحسرة ... لله ما صنع الأصم الأشيب

فليعلمن ألا تزال عداوة ... مني مريضة وثأر يطلب

يا صاحبي بمثل ذا من أمره ... صحب الفتى في دهره من يصحب

إن تسعدا فصنيعة مشكورة ... أو تخذلا فعداوة لا تذهب

عوجا نقضي حاجة وتبحثا ... بث الحديث فإنه لك أعجب

لا تشعراه بنا فليس لذي هوى ... شكوى الحزازة عنده مشتعتب

تفسير ألفاظ

يعني بالأصم: أحمد بن خالد خيلويه.

قال القاضي: الأحم يصف عينه بالسواد. وقوله: لا يرأب يعني لا يشعب ويقال لما يرقع به القدح أو غيره من الأواني رؤبة، ويقال للذي يصلح الفاسد ويرقع الصدع هو يرأب الثأى. ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم:

هل المجد إلا السؤدد المحض والتقى ... ورأب الثأى والصبر عند المواطن." (١)

"خير إخوانك المشارك في المر ... وأين الشريك في المر أينا

لا يني شاهدا يسرك بالبش؟ ... ر وإن غبت كان أذنا وعينا

مثل سر العقيان إن مسه النا ... رجلاه التلام فازداد زينا

تفسير بعض الألفاظ ويروى: أخلصه القين وهو الحداد، العقيان من أسماء الذهب. وسره أخلصه وأشرفه، وسر كل شيء جيده ومختاره،والتلام هو الذي يجلى به، يقال له المدوس، وقيل: هو التلام يريد التلامذه والتلاميذ مثل الأساورة والأساوير وقيل إنها في قراءة عبد الله أساوير من ذهب وقال: التلام بالحذف دون التمام كما قال الشاعر:

عفت المنا بمتالع فأبان

يريد المنازل فحذف اكتفاء بدلالة ما بقي من الكلام وأقام وزن شعره مستغنيا فيه عن التمام

حكاية غريبة عن

توسط عمر بن عبد العزيز لدى يزيد بن المهلب

حدثنا أبو النضر العقيلي قال: حدثنا أبو إسحاق الطلحي قال: أخبرنا أحمد بن معاوية قال: وقال ابن الكوفي وكان بشر بن مروان قد ادخر وهو على العراق عن ابنه عبد الملك وعن عيينة بن أسماء من غلات أراضيهم

---

(١) الجليس الصالح وال أ نيس الناصح، ص/٣٤٩

مالا عظيما، فلما ولي الحجاج أخرج تلك البقايا فوجد ما على عبد الملك وعيينة بن أسماء فقال: وما على بشر أن يهب من مال الله تعالى لابنه وختنه هذا وأكثر منه، والله لآخذنهما به أخذ الضب ولده، وطالبهما فريثاه حتى هلك فلحقا بالشام فنزلا على عمر بن عبد العزيز فقالا له: إن بشرا كان أطعمنا شيئا كثيرا من غلاتنا فبسطنا فيه أيدينا، وان الحجاج بسفهه وخرقه وظلمه أخرج علينا ثم أخذنا به، فلم نزل نخدعه عن أنفسنا حتى هلك، فكلم أمير المؤمنين في هبة ذلك لنا، فضحك عمر وقال: لست أثق لكما بكلامي، ولكن لكما عندي رأي فيه نجاح طلبتكما، قالا: فادللنا عليه، قال: نمشي إلى يزيد بن المهلب فإما أن يحملها من ماله، وإما أن يعيننا على سليمان فيهبها لكما، ولا والله ما كنت لأمشي إلى عربي على الأرض غيره ليس من ولد مروان. ثم أتوا يزيد فقال له عمر: إن أتيناك زوارا وهذان من قد عرفت، فلا تنظرن إلى جرم أبو يهما عند أبيك، فضحك يزيد وقال: عفا الله عنك يا أبا حفص، أرجع في ذنب قد غفره أبي قبلي؟! والله ما عجز عن مكافأتهما في حياته ولا أوصاني بالثأر من بعده، فإنهما لأخواي وصاحباي، هاتوا حاجتكم، فقال عمر: إن الحجاج أخرج عليهما مما كان بشر ترك لهما من غلاتهما ألف ألف وخمسمائة ألف فما ترى؟ قال: رأيكم فاحتكموا، قال: تحمل منها ما شئت قال: علي نصفها، والمطلب إلى أمير المؤمنين في بقيتها، فإن حمله عني وإلا حملته، فقال عبد الملك بن بشر: والله ما ظلم الناس أن زعموا أنك سيدهم. ثم خرجوا وعمر يقول: ما رأينا مثل هذا العراقي في وطأته فعل قبلها مثلها، ثم حمل عن القيسيين وعن يزيد بن عاتكة، وهذه ألف ألف وخمسمائة ألف. ثم ركب يزيد إلى سليمان فدخل عليه وعنده جماعة من وجوه أهل اليمن فقام فقال: يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: أمسك، وأبيك إنك لقادر على خلواتي، اجلس، فقال يزيد: ما قمت لأجلس فأذن لي في الكلام، فقال: هات، فأخبره بمجيء عمر إليه وقال: قد حملت النصف وضمنت عليك الباقين والله يا أمير المؤمنين إن مقامي بالشام لمن تمام نعمة الله علي بأمير المؤمنين، إنه لم يعمد إلي أحد في حاجة إلا قضاها الله بك يا أمير المؤمنين على يدي، فقال سليمان: قد وهبنا ذلك كله لك، فلك حمده وعلينا غرمه.

الرشيد يستنشد الكرماني شعرا

في خلوب جارية الرشيد

حدثنا الحسين بن القاسم الكواكي قال: حدثني عمي أبو عبد الله أحمد بن فراس السامي قال حدثنا الجهم بن بدر قال: قال الكرماني في خلوب جارية الرشيد شعرا، فبلغ الرشيد فوجه إليه وأقعد الرشيد خلوب خلف ستر، ومر الكرماني بالفضل بن الربيع فقال: إن أمير المؤمنين قد وجه إلي فأنشده إن استنشدني؟ قال؛ نعم،

بعد الأمان. فلما دخل قال له الرشيد: أأنت الكرماني؟ قال: نعم، قال: أنشدني، قال في الزهد؟ قال: لست هناك، قال: ففي المديح؟ قال: ولا، قال: فما أنشدك يا أمير المؤمنين؟ قال: شعرك في خلوب، قال: بعد الأمان يا أمير المؤمنين قال: نعم، فأنشده قوله فيها حتى بلغ:

لو لم أذقها طاب لي حبها ... لكنني ذقت فلا ذقت." (١)

"حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا العكلي قال، حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال، حدثني عمي عبيد بن سعيد عن مجالد عن الشعبي قال: قدمت البصرة فجلست في حلقة فيها الأحنف بن قيس، فقال لي رجل من أهل الحلقة: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، فالتفت إلى جليسه فقال: هذا مولانا، فقلت له: أتدرون ما قال أعشى همدان فينا وفيكم؟ قال: وما قال؟ قلت:

وإذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلناه بكم يوم الجمل

بين شيخ خاضب عثنونه ... وفتى أبيض وضاح رفل

جاءنا يهدر في سابغة ... قد ذبحناه ضحى ذبح الحمل

وعفونا فنسيتم عفونا ... وكفرتم نعمة الله الأجل

وقتلتم خشبيين بهم ... بدل من قومكم شر بدل

قال: فغضب الأحنف وقال لجاريته: هاتي تلك الصحيفة ،فإذا فيها من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ومن قبله من مضر: أما بعد فويل لمضر، من شر أمر قد ١حضر، وان الأحنف مورد قومه حر سقر، حيث لا يقدر لهم على صدر، ولقد بلغني أنكم تكذبون رسلي، ولئن فعلتم لقد كذبت الرسل من قبلي، وكتبت بخبر من كذب منهم، والسلام. قال الأحنف: هذا منا أو منكم ؟ فقمت وما أحير جوابا.

؟دفن الرشيد محمد بن الحسن والكسائي بالري

حدثني أبو النضر العقيلي قال، أخبرني أبو الحسن ابن راهويه الكاتب قال: حدثت أن محمد بن الحسن وعلي بن حمزة الكسائي كانا بالري مع الرشيد، وأنهما ماتا في يوم واحد بقرية من قرى الري يقال لها الرنبويه، فجزع الرشيد عليهما وقال: إنا لله وإنا إلبه راجعون، دفنت الفقه واللغة في يوم واحد، وكان اليزيدي حاضرا فأنشأ يقول:

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وما قد يرى من بهجة سيبيد

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٨٨

أسيت على قاضي القضاة محمد ... فأذريت دمعا والفؤاد عميد

وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بإيضاحه يوما وأنت فقيد

فأوجعني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد

هما عالمان أوديا وتخرما ... وما لهما في العالمين نديد

قال الرشيد: أحسنت يا بصري، قد كنت تظلمه في حياته وأنصفته بعد موته.

شروح لغوية

قال القاضي: قوله: " أوديا معناه هلكا، كما قال الأعشى:

ولم يود من كنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

ومعنى " وتخرما " مثله، فهو الهلاك وانقطاع الأجل وتصرم العمر، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

سبقوا هوي وأعنقوا لسبيلهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ويروي: فقدتهم. وقال: " هزي " وهي فيما قيل لغة هديل يجعلونها بمنزلة علي وإلي، وذكر أنها لغة بعض بني سليم، وقد قرأت القرأة بهاتين اللغتين في القرآن. فأما جمهور القرأة فيقرأون بلغة أهل الحجاز وعامة العرب، وقد رويت القراءة الأخرى عن أبي طفيل عامر بن واثلة وعبد الله بن إسحاق الحضرمي وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي، ورفع عضهم ما روي عن أبي الطفيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هذه اللغة قول الشاعر:

فأبلوني بليتكم لعلي ... أصالحكم واستدرج نويا

يريد: نواي.

وقال آخر:

يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا

فإن لم تثأرا لي من معد ... فلا أرويتما أبدا صديا

أراد: قفاي وصداي. وذكر أن طلحة قال وقد ذكر له بيعته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: بايعت واللج على قفي. اللج: السيف، وقيل إن طلحة تزوج امرأة هندية فتكلم بلغتها. وقد اختلف البصريون والكوفيون من النحاة في علة الفرق بين علي وإلي ولدي وبين هواي وقفاي وعصاي، وبيان هذا واستقصاء ما فيه مرسوم في كتبنا المؤلفة في القرآن. وقول اليزيدي " وما لهما في العالمين نديد " : النديد " الند ومنه قول

لبيد.

أحمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل

والند والنديد فيه لغات: ند ونديد ونديدة. فمن الند والنديد قول جرير يهجو عمر بن بن لجأ:

أتيتم تجعلون إلي ندا ... وما تيم بذي حسب نديد." (١)

"قال: كانت تأكل عظام الموتى طلبا لموحتها فقال هذا الشاعر: إن تعر مني رمة خلقا، يريد إن تأكل عظامي بعد موتي، فإني كنت أتثر أي آخذ منها **بثأري** سلفا في حياتي، يعني أنه كان ينحرها للأضياف. وقوله: " أتثر " افتعل من **الثأر** وأصله اثتثر فقلبت الثاء تاء وأدغمت في التي بعدها، وكذلك مدكر أصله مذتكر، ومظلم أصله مظتلم. ولما وصفنا من القلب علة هي مرسومة في موضعها. ومن العرب من يقول أثتر بالثاء، ومذكر بالذال، ومطلم بالطاء إلا أن المختار أفصح في القياس، والأشهر في الرواية مدكر ومتثر ومظلم ومثله مدخر ومذخر، قال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان:

هو الجواد الذي يعطيك نائلة ... عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

يروى على الوجهين والظاء أشهرهما، والمشهور من القراء في قول الله تعالى: " فهل من مدكر " " القمر: ١٥،١٧،٢٢،٣٢،٤٠،٥١ " الدال، وكذلك وله تعالى: " وما تدخرون في بيوتكم " " آل عمران:٤٩ " .

المجلس التاسع والتسعون

حديث الأنبياء إخوة لعلات

حدثنا محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري قال، حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز قال، حدثنا أبو العاص محمد بن سعيد قال، حدثني عنبسة بن عبد الواحد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وهو خليفتي على أمتي، وهو نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع يضرب إلى البياض والحمرة، يكاد رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، يمشي بين ممصرتين، يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ويضع الجزية ويقاتل على الإسلام حتى تهلك في زمانه الملل كلها، فتقع الأمنة في الأرض، فترعى الإبل مع الأسود، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم شيئا، فيلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٤٤٦

المؤمنون " .

العلات والأخياف وصلة ذلك بالميراث

قال القاضي، قال أبو بكر: قوله إخوة لعلات، يقول العرب هم إخوة لعلات إذا كانت أمهاتهم مختلفات وأبوهم واحد، فإذا كان الآباء مختلفين والأم واحدة قيل: هم إخوة لآحاد. وقال بعضهم: يقال في هذا المعنى هم إخوة لأخياف وإخوة لأعيان. وشتى معناه مختلفات. قال القاضي: المعروف من كلام العرب أنهم يقولون للإخوة الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى بنو العلات كما قال الشاعر:

والناس أولاد علات فمن علموا ... أن قد أقل فمحقور ومهجور

وهم بنو الأم أما إن رأوا نشبا ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصور

فإذا كانت الأم واحدة والآباء مختلفين فهم الأخياف، كما قال الشاعر:

أفي الشدائد أخيافا لواحدة ... وفي الولائم أولادا لعلات

ويقال للفرس إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى محلاء أخيف. وإذا كان أبو الإخوة واحدا وأمهم واحدة فهم الأعيان. وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أعيان بني الأم أولى بالميراث من بني العلات " . وقد استدل بهذا الحديث بعض من ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود ومن قال مثل قوله من الخلف والسلف في ابني عم أحدهما أخ لأم أن المال كله لابن العم الذي هو أخ لأم دون الآخر، وحمله مخالفوهم على أنه جاء في الأخ للأب والأم، والأخ للأب، وجماعة غيرهم من المتقدمين والمتأخرين. ولكل فريق منهم علل يوردونها وحجج يأتون بها، وقد رسمناها في مواضعها من كتبنا، وذكرنا ما نختاره منها.

مزيد من التفسير والتعليق

قال ابن الأنباري في الخبر الذي قدمنا روايته عنه، وقوله صلى الله عليه وسلم : " يمشي بين ممصرتين " معناه بين شقتين فيهما صفرة يسيرة، والممشق عند العرب المصبوغ بالمغرة، والمغرة يقال لها المشق.." (١)

"واسم همدان أو سلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم تتابعت اليمن على الإسلام، وقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودهم، فكتب لهم كتبا بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم، ووجه عماله لتعريفهم شرائع الإسلام، وقبض صدقاتهم، وجزية من أقام على دين النصرانية والمجوسية واليهودية منهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٤٧٧

البحرين، وكان حليفا لبني أمية وهو أول مال حمل إلى المدينة ففرقه على الناس، وقدمت وفود العرب عليه من كل وجه من معد واليم، وكانت تتربص بإسلامها فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له قريش، انقادت له العرب إلى الإسلام وقد وفد بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة فيمن قدم من الوفود، وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحراث بن عدي بن حنيفة، ويكنى أبا ثمامة، وبنو حنيفة يسترونه بالثياب فلما رجعوا أظهر مسيلمة أمره بادعائه النبوة.

وصار إليه في هذه السنة السيد العقاب وافدا أهل نجران يسألانه الصلح، فصالحهما عن أهل نجران على ألفي حلة في السنة وغير ذلك.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجا لخمس بقين من ذي القعدة وقد ساق معه الهدي ستين بدنة، وقيل أكثر من ذلك وأقل، فلما صار بالموضع المعروف بسرف، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي، ودخل مكة وقدم علي بن أبي طالب من نجران اليمن مهلا بالحج، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " بأي شيء أهللت؟ " قال قلت: حين أحرمت اللهم إني أهل بما أهل به عبدك ورسولك، فقال له " هل معك من هدي؟ " قال: لا، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج.

ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي عنهما وحج بالناس وأراهم مناسكهم وعرفهم سنن حجهم، وأعلمهم أن دماءهم وأموالهم عليهم حرام، وأن كل دم موضوع، فسميت حجة الوداع لأنه ودعهم ولم يحج بعدها، وتسمى أيضا حجة البلاغ لأنه حين ودعهم خطبهم فقال في خطبته " ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض " وهذا القول بين ماضي الزمان ومستقبله مثبت لبطلان النسيء على ما قدمناه مفصلا فيما سلف من كتابنا هذا. ثم قال " اللهم هل بلغت؟ " فقالوا نعم فقال " اللهم اشهد " وأحج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كلهن معه وابنته فاطمة وقيل إنه أفرد الحج، وقيل أقرن، وقيل إنه كسا البيت في حجته الحبرات

ذكر السنة الحادية عشرة من الهجرة

سنة الوفاة

فيها كان توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعبادا بني الجلندي بن مسعود

الأزديين صاحبي عمان بدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وفي هذه السنة قوي أمر الأسود العنسي الكذاب المتنبي باليمن وهو عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج وهو مالك بن أدد بن زيد بن يشجدب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان بدء أمره بالموضع المعروف بكهف خبان وكان يدعى ذا الحمار، لحمار كان معه قد راضه وعلمه يقول له اسجد فيسجد ويقل له اجث فيجثو، وغير ذلك من أمور كان يدعيها ومخاريق كان يأتي بها يجتذب بها قلوب متبعيه وقتل بإذان رئيس الأبناء الذي شخصوا مع وهرز إلى اليمن، وكانوا أسلموا وتزوج امرأته، فوثب عليه فيروز بن الديلمي من الأبناء، وعاضده في ذلك داذويه، وقيس بن مكشوح المرادي.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه فقتلوه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتله، وقيل إن رأسه حمل إلى المدينة، وقد قبض رسول الله صلىالله عليه وسلم، وتنوزع هل كان مقتله في حياته أم بعد وفاته؟ ثم وثب قيس بن مكشوح المرادي على داذويه فقتله متقربا بذلك إلى قوم ذي الحمار من عنس، وقال في ذلك.

قد علم الأحياء من مذحج ... ما قتل الأسود إلا أنا

طلبت ثأرا كان لي عنده ... بقتلة الأسود مستمكنا

في كلمة له طويلة أولها:

ألم يسلمى قبل أن تظعنا ... إن بنا من حبها ديدنا." (١)

"الليل داج والكباش تنتطح. من نجا برأسه فقد ربح. كل رأس به صداع. كن ذنبا، ولا تكن رأسا، فإن للرأس صداعا كثيرا. رماه بأقحاف رأسه، أي بالدواهي أو بما يسكته. رمي منه في الرأس ، إذا ساء رأيه فيه. في رأسه خطة، لمن في نفسه حاجة. العامة: في رأسه خيوط، لمن يكثر فضوله. المتنبي:

خير أعضائنا الرؤوس ولكن ... فضلتها بقصدك الأقدام

ابن الحجاج:

الراس يصلح إن لمينفعك للرواس

الوجه

وجه المحرش أقبح: أي وجه مبلغ القبيح أقبح من وجه من قاله. قبل البكاء كان وجهك عابسا. وأتاني وجوه اليتامى، في التحنن على الأولاد عند الشدة. فلان رأس الجريدة، ووجه التخت. وجهه يرد الرزق. صلابة الوجه

(١) التنبيه والإشراف، ص/١٠٢

سلاح الفتى، ورقة الوجه من الحرفة. أبو تمام:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

ابن الرومي:

وقل من ضمنت خيرا طويته ... إلا وفي وجهه للخير عنوان

له محيا جميل يستدل به ... على جميل وللبطنان ظهران

العين

فلان كالعين في الرأس، والإنسان في الحدقة. العين ترجمان القلب. شاهد البغض اللحظ. رب طرف أنم من لسان. العين حشمة. ليس لما قرت به العين من ثمن. العين حق. أسرع من الطرف. لا آتيك ما حملت عيني الماء. إذا جاء الحين غطى العين. ليس لعين ما رأت ولكن لكف ما أخذت. لا تطلب أثرا بعد عين، أي بعد المعاينة. من أطاع طرفه أصاب حتفه. من غاب عن البصر غاب عن القلب. في بعض القلوب عيون.

وأي عار على عين بلا حور

العامة: دمعة عرجاء من عين عوراء غنيمة. هاهنا تسكب العبرات. والدمع قد يعلن ما في الصدور. المتنبي:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

أبو الفضل الميكالي:

كم والد يحرم أولاده ... وخيره يحظى به الأبعد

كالعين لا تبصر ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد

الأذن

السلطان أذن، أي يصغي إلى كل مبلغ. ليست على ذلك أذني، أي سكت كالغافل الذي لا يسمع. جعلت ذلك دبر أذني. جاءنا فلان ناشرا أذنيه – إذا جاء طامعا. إنما جعلت لك أذنان ولسان، لتسمع أكثر مما تقول. الأذن قمع الفؤاد. أساء سمعا فأساء إجابة. من يسمع يخل. كلامه يدخل على الأذن بلا اذن. أبو إسحق الصابي:

قل للوزير أبي محمد الذي ... قد أعجزت كل الورى أوصافه

لك في المحاسن منطق يشفي الجوى ... ويسوغ في أذن الأديب سلافه

وكأن لفظك لؤلؤ متنخل ... وكأنما آذاننا أصدافه

لا تدخل بين السمع والبصر، لمن يدخل بين الأقارب.

الأنف

أنفك منك وإن كان أجدع في القريب السوء. شفيت نفسي وجدعت أنفي، لمن يضر نفسه من وجه ويشتفي من وجه. كل شيء أخطأ الأنف خلل. جرحه حيث لا يضع الراقي انفه، للأمر الذي لا دواء له. لأمر ما جدع قصير أنفه، يضرب في طلب الثأر. رب حام لأنفه وهو جادعه، يضرب لمن يأنف من الشيء فتوقعه الأنفة في شيء أشد منه.

الفم واللسان

كل جان يده إلى فيه. حياك من خلا فوه، للمشغول عن صاحبه. ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مهملة. اللسان سبع صغير الجرم، عظيم الجرم.

وجرح الدهر ما جرح اللسان

وجرح اللسان كجرح اليد

حفظ اللسان فاحفظ اللسانا ... قد ينفع الطائر والإنسانا

مقتل الرجل بين فكيه. اللسان أجرح جوارح الإنسان. ويل لهذا من هذا، أي للرأس من اللسان. قرع سن النادم. أعييتني بأشر، فكيف أرجوك بدردر يضرب لمن دامت أذيته. فلان يحرق عليه الأرم، في الغيظ. أحد من ناب جائع. كدمت غير مكدم، أي طلبت غير مطلب.

اللحية

فلم خلقت إذا لم أخدع الرجال يعني لحيته. اللحى حلي الرجال. ما طالت فأفلحت. إذا طالت اللحية تكوسج العقل. العامة: كيف أستحي وأنا ملتحي. لحى يسخر بها جحى.

الذقن والقفا والعنق." (١)

"حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيد قال حدثني محدث عن سعيد بن زيد عن الزبير بن خريت عن أبي لبيد قال قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراهن على الخيل - قال أي والله لقد راهن على فرس له يقال لها سبحة فهش لذلك وأعجبه.

حدثنا أبو الحاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال حدثني محدث عن سعيد عن قتادة عن انس بن مالك قال - كان

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ص/٦٧

فزع في المدينة فركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسا كانت لأبي طلحة فلم رجع صلى الله عليه وآله وسلم لم ترى شيئا غير أنا وجدناه بحرا يعني فرسه.

حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال حدثنا السدوسي عن الحسن بن عمارة قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن أبي الشعثاء جابر بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)قال – (ارموا وأركبوا الخيل وان ترموا احب إلى من كل لهو لها بها المؤمن بالطل إلا ثلاث خلال رميك عن قوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك اهلك فأن هن من الحق.

قال أبو عبيد – ومما قالت العرب في الجاهلية في اتخاذها الخيل – وصيانتها وأثرتها لما كانت لهم فيها من المكرمة والعز والجمال قول خالد بن جعفر بن كلاب يذكر فرسه وكانت تدعى حذفة.

أريغوني إراغتكم فأني ... وحذفة كالشجى تحت الوريد.

أسويها بنفسي أو بجزء ... وألحفها ردائي في الجليد.

أمرت الراعيين ليؤثرها ... لها لبين الخلية والصعود.

لعل الله يمكنني عليها ... جهارا من زهير أو أسيد.

قال الأسمر بن حمران وقتل أبوه وهو غلام فوثب اخوته لأبيه فاخذ والديه فأكلوها وباعوا فرس أبيهم فأكلوا ثمنها فلما شب الأسمر أدرك بثأر أبيه وتأخذ الخيل وقال يذكر فضلها.

راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأي

أما إذا استقبلته فكأنه ... باز يكفكف أن يطيروا قد رأى

أما إذا استد برته فترى له ... ساقا قموص الوقع عارية النسا

أما استعرضته متمطرا ... فتقول هذا مثل سرحان الغضا

أني رأيت الخيل عزا ظاهرا ... تنجى من الغما ويكشفن الدجى

يبين بالثغر المخوف طلائعا ... ويبين للصعلوك جمة الغنى

يخرجن من ظلل الغبار عوابسا ... كأصابع المقرور اقعي فاصطلى

ولقد علمت على تجنبي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وقال مالك بن تويرة أخو بني يربوع في ذلك

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي ... إذ بات أطواء بني الأصاغر

أعللهم عنه ليغبق دونهم ... واعلم علم الضن أني مغاور
رأى أنني ألا بالقليل أهوره ... ولا أنا عنه في المواساة ظاهر
وقال أيضا في صيانته فرسه وأثره إياه على أهله
إذا ضيع الأنذال في المحل خيالهم ... فلم يركبوا حتى تهيج المصائف
كفاني دوائي ذا الخمار وصنعتي ... على الحين لا يقوى على الخيل عالف
أعلل أهلي عن قليل متاعهم ... وأسقيه محض الشول والحي هاتف
وقال أيضا
داويته كال الدواء وزدته ... بذلا كما يعطي المحب الموسع
فله ضريب الشول إلا سؤره ... والجل فهو ملبب لا يخلع
وقال أحد بني عامر
بني عامر مالي أرى الخيل أصبحت ... بطانا وبعض الخيل افضل
أهينوا لها ما تكرمون وباشروا ... صيانتها والصون للخيل اجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه ... وكل امرئ من قومه حيث ينزل
بني عامر أن الخيول وقاية ... لأنفسكم والوقت وقت مؤجل
وقال حبيب ابن حاجب
وباتت تلوم على ثادق ... ليشرى لقد جد عصيانها
إلا أن نجواك في ثادق ... سواء على وإعلانها
وقالت أغثنا به أنني ... أرى الخيل قد ثاب أثمانها
فقلت ألم تعلمي انه ... كريم المكبة مبد أنها
كميت أمر على زفرة ... طويل القوائم عريا نها
وقال يزيد بن خذاق العبدي
الأهل أتاها أن شكة حازم ... لدى وأنا قد صنعت الشموسا

فداويتها حتى شتت حبشية ... كأن عليها سندسا أو سدوسا
قصرنا ءلي ه بالمقيظ لقاحنا ... رباعية وبازلا وسديسا." (١)

"فأما ألفاظ البيت الأول على انفرادها فلا تكاد تصلح إلا للمدح ولا يفهم منها غيره؛ وأما البيت الثاني لو انفرد أيضا لما فهم منه مدح ولا هجاء، وكان إلى باب من الأبواب أقرب من هذين البابين، لكمه لما اقترن بالأول أهل نفسه وأخاه للهجاء، وعدل بألفاظهما عن الثناء وحصل من اجتماعهما ما ليس لكل منهما على انفراده.

ومن أمثلة هذا الباب أيضا قول عبد الصمد بن المعدل أو أبي العميثل في أبي تمام وقد كانت في لسانه حبسة رمل مجزوء:

يا نبي الله في الشع؟ ... ر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ... ما لم تتكلم

فإن حال هذين البيتين حال البيتين اللذين قبلهما، إذ الأول منهما إذا انفرد كان مدحا محضا، وإ؟ذا اجتمعا صار هجوا بحتا، غير أن ثاني الآخرين مخالف لثاني الأولين.

ومن ملح هذا الباب قول السعيد بن سناء الملك رحمه الله في قواد سريع:

لي صاحب أفديه من صاحب ... حلو التأني حسن ال إحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه ... ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما ... قاد إلى المهجور طيف الخيال

وهذا النمط غير النمط الأول الذي قدمناه، وهذا من لطيف التوجيه، ولقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد رحمه الله في هذا المقطوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم وانتحل هاتين الشيمتين دون بقية الشيم، وهو ممن يتهم سريع:

ابن فلان أكرم الناس لا ... يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد ... نص على التقليد في درسه
يستحسن البحث على وجهه ... ويوجب الدخل على نفسه

وكل توطئة وقعت في هذا النمط الثاني صالحة للمدح البحت فإذا اقترنت بأبيات المعاني انقلب ما كان فيها

---

(١) الخيل، ص/٣

مدحا تهكما، وصارت هي بنفسها هجاء، والذي أفرد هذا الباب بنفسه عن باب التهكم مع أن الذي فيه من المدح تهكم هو أن التهكم لا تخلو ألفاظه من لفظة من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة يفهم من فحواها الهجو، وسيأتي بيان ذلك في باب التهكم، وألفاظ المدح في هذا الباب لا يقع فيها شيء من ذلك، ولا تزال مفرقة ومجتمعة تدل على مجرد المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عن ذلك، وشواهد التهكم لا تخلو عن ألفاظ التهكم في أبيات التوطئة، وأبيات المعاني، وما يقع في هذا الباب من التهكم إنما يقع في التوطئة دون أبيات المعاني، والله أعلم.

باب العنوان

وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أبو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة، وقصص سالفة، كقول أبي نواس بسيط

يا هاشم بن خديج ليس فخركم ... بقتل صهر رسول الله بالسدد

أدرجتم في إهاب العير جثته ... لبئس ما قدمت أيدكم لغد

إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت ... حجرا بدارة ملحوب بنو أسد

ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم ... قتل الكلاب لقد أبرحت بالولد

ورب كندية قالت لجارتها ... والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية ... عن ثأره وصفات النؤي والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عنوانات: منها قصة قتل محمد بن أبي بكر، وقتل حجر أبي امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء من أراد هجوه، ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم، ومثل ذلك قول أبي تمام في استعطافه مالك بن طوق على قومه كامل:

رفدوك في يوم الكلاب وشققوا ... فيه المزاد بجحفل كلاب

وهم بعين أباغ راشوا للعدا ... سهميك عند الحارث الحراب

وليالي الثرثار والحشاك قد ... جلبوا الجياد لواحق الأقراب

فمضت كهولهم ودبر أمرهم ... أحداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك: كامل

لك في رسول الله أعظم أسوة ... وأجلها في سنة وكتاب

أعطى المؤلفة القلوب رضاهم ... كملا ورد أخائذ الأحزاب

والجعفريون استقلت ظعنهم ... عن قومهم وهم نجوم كلاب." (١)

"وعلى قوله " ٤٦،١٢٣٧ " وكان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب.

ش: الذي كان يفعل ذلك هو سمك بن حرب، وأما شعبة، فلم يسمع له شعر، قال أبو الحسن، هو سمك بغير شك.

وعلى قوله " ٣٦،١٢٣٧ " وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته.

ط: في كتاب البيان: قيل " ١٧ ألف " لبزرجمهر: أي شيء أستر للعى؟ قال عقل، قالوا: فان لم يكن له عقل؟ قال: فمال يستره، قالوا: فان لم يكن له مال؟ قال: فاخوان يعبرون عنه: قالوا: فان لم يكن له إخوان يعبرون عنه؟ قال: فيكون ذاعي وصمت، وقالوا: فان لم يكن ذا صمت قال: فموت " مريح " خير له من أن يكون في " دار " الحياة.

****

الباب الخامس

وعلى قوله " ٤٦،١٢٣٧ " أزد شير.

ش: تفسيره بالفارسية: أزد: الخبز وشير: اللين وحكاء الجرجاني بالراء.

وقوله " ٤٧،١٣ " ذوو يسر.

" ؟ " اليسر المجتمعون في الميسر والأيسار جمع اليسر وأحدهم ياسر واليسر " بسكون السين " واليسر بضم السين " اللين والانقياد.

وقوله " ٤٢،٢٤ " عناغنيت بذات الرمث من.

ش: إنما أراد أنا فأبدل من الهمزة عينا.

وقوله " ٤٨،٢٥ " خبر ثناء بني عمرو فانهم.

ش: " خبر بالخاء معجمة.

ط: معجمة، وغير عجمة.

وقوله " ٤٢،٢٦ " المكعبر.

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/١٢٢

ش: قال أبو جعفر بن النحاس: المفضل يكسر باء المكعبر، والأصمعي يفتحها، وفي بعض نسخ الكامل عن أبي الحسن: حفظى المكعبر ط: سمى مكعبر لقوله " الرجز " .

وأنا كالضرغامة الغضنفر ... لو أتعدى رجلا لم أسير

منه سوى كعبرة أو كهبر.

وقوله " ٤٨،٢٧ " المخبرون.

ط: يرويه بفتح الباء.

ش: بكسرها.

وعلى قوله " ٤٨،٢٧ " أسرة مازن.

ش:أسرة مالك.

وعلى قوله " " ٤٩،٢٨، " في اللهو أن لا أحبه.

ط:قال قوم:لا زائدة،أراد:أن أحبه " ١٧ب " وهو قول أبي عبيدة.

ويروي نية قذف وقذف.وعلى قوله " ٤٩،٢٩، " الحرب.

ط:الحرب:السلط،وحريبة الرجل ماله.

وقوله " ٤٩٨،٢٩ " لا ينام من **أثار.**

ش:أثار هاهنا بمعنى طرب،لا بمعنى أدرك.

وعلى قول الشاعر " ٣٩،٢١٠ " لعلك لست **بالثأر** المنيم.

ش:يقال للرجل:لست **بالثأر** المنيم أي إذا قتل استرتح أهله،وناموا وقال أبو جندب الهذلي: " الوافر " :

دعوا حولي نفائقة ثم قالوا ... لعلك لست **باثأر** المنيم

أي الذي فيه وفاء طلبته.

ط:ووقع في بعض النسخ:لا ينام من **الثأر،**وألفت عليه بيتا " الطويل " :

فقتلا بتقيتل وضربا بضربكم ... جزاء لعطاش لا ينام من **الثأر**

أنشده أبن الأعرابي في نوادره " الطويل " :

فقتلا بقتلانا وجز بجزنا ... جزاء لعطاش لا يموت من **أثار**

وقال معناه:لا يموت ذكره.

وعلى قوله " ٥٩،٢١٠ " يتهكم.

ط:المتهكم المستهزئ.

ش: والأشهر في كلامهم أن التهكم بمعنى الغضب، لا بمعنى الاستهزاء.

وقوله " ٤٩،٢١٠ " ويوما توافينا بوجه مقسم.

هذا البيت لعلياء بن أرقم العجلي وقبله: " الطويل " :

ألا تلكم عرسى تصد بوجهها ... وتزعم في جاراتها أن من ظلك

أبونا ولم أظلم بشيء علمته ... سوى ما أبانت في القذال من القدم

كذا ذكره أبن النحاس في المفضليات. وفي كتاب سبيزيه أنه لأبن صلايم اليشكري

وقوله " ٥٠،٢١٣، " يأتي لها من أيمن وأشمل.

ط:هذا البيت لأبي النجم وبعده:

وهي جبال الفرقدين تعتلى

" ١٨ ألف " يصف راعيا وإبلا

وعلى قوله " ٥٠،٢١٥ " إذا ما هبطن الأرض

ط:حدث الزبير قال حديثا أبو إسحاق بن أيوب بن سلمة عن أيوب بن سلمة قال:اعتمرت في رجب سنة خمس ومائة فصادفني أبن ميادة بمكة،وقدمها معتمرا فأصابنا مطر شديد تهدمت فيه البيوت، وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلى أبن ميادة الغد من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قوم من قومي، وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث، فيقولون:صعق فلان " و " انهدم منزل فلان، فقال أبن ميادة:هذا الغيث، لا الغيث، قلت فما الغيث عندك فقال: " الطويل " :

سحائب لا من صيف ذي صواعق ... ولا محرقات، ماؤهن حميم

فما هبطن الأرض قدمات عودها ... بكين بها حتى يعيش هشيم

وعلى قوله " ٥٠،١١٥، " تكفى الفصيل أكله من ثن.

ش:إنما هو اللقوح لأن قبله " الزجر "

يا أيها الفصيل ذا المعنى ... إنك ريان فصمت عنى." (١)

---

(١) القرط على الكامل، ص/٨٠

"لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

واسمه امرؤ القيس بن ربيعة بم مرة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبي.

وقوله " ٣٠٧،٥٦٨ " يقول كنت في حومة القتال.

ط: ذكر غيره أن مهلهلا لما انصرف من يوم قضة، جعل النساء والصبيان يألونه عن آبائهم، ومن حضر الحرب من آلهم وقرابتهم، فقال هذين البيتين، وكانت مدة الحرب بين بكر وتغلب أربعين عاما، كانت فيها خمس وقعات مزاحفة، وما سواهن فغارات، " ١٠٠:ألف " يومان لتغلب، وهما يوم زاردات ويم القصيبات ثم يومان لبكر، يوم الجنو، ويم قضة، وهو يوم التحاليق، ويوم تكافأ فيه الفريقان، وهو يوم عنيزة، وهو أول أيامهم، ثم بعده يوم واردات، ثم بعده يوم الجنو، ثم يوم القصيبات ثم يوم قضة، حكى ابن دريد قضة بالتشديد..

وقوله " ٣٠٧،٥٦٨ " ويروى عن رجل من بني اسد.

ش: هو عبد الله بن السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد، وابن ابنته فاطمة، وأما المطلق لها على المنصة فهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان والمعروف أن المصعب دخل في المقام بها، لا في ليلة أخرى.

وقوله " ٣٠٧،٥٦٩ " فصاحت به من ورائه: وحرباه!

ط: ذكر أبو على الحاتمي أنه لما مات حرب بن أمية، وكان سيد مكة، نديه النوادب، فقالوا: واحرباه و " هو " أول ما قيلت فيه، ثم كثر استعمال الناس لها، فقالوا: واحرباه غيروه على عاداتهم فيما يكثر استعماله على الألسنة، وقيل ايضا فيه أنه على وجهة فيه واحرباه من ذهاب المال.

وقوله " ٣٠٨،٥٧٠ " وقال رجل يعاتب رجلا.

ط: المعاتب بهذا الشعر حوشب بن زيد بن رويم الشيباني وكان أوبوه زيد قتل في حرب الخوارج، فدعا ابنه حوشيا لينصره، ففر عنه وعن أمه، وذكر أبو العباس هذا الحبر بعد هذا في أخبار الخوارج وأنشد بيته.

وقوله " ٣٠٨،٥٧٠ " وقل بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير.

ط: هذا غلط بين، لأن بلالا لم يدرك عبد الله بن الزبير، وكيف يجتمع هذا مع كونه " ١٠٠:ب " ابنا لموهوبة الحجاج كما تقدم، لأن يعطى انم ولادة بلال كانت بعد موت ابن الزبير، وذلك أن الحجاج إنما ولي العراق في سنة خمس وسبعين وقتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين.

وقوله " ٣٠٩،١٤٠،٥٧٢ "كما قال: مسحسحة تنفى الحصى عن طريقها.

ط: قال أبو محمد: هو لآبي ذؤيب الهذلي وتمامة " الطويل " :
" يطير أحشاء الرعيب انثراها
قال أبو الحسن:ومسحسحة يعنى مقشرة عن وجه الأرض.
ط: هذا غلط من أبي الحسن: إنما المسحسحة التي تصب الدم صبا كثيرا قبل سح المطر، وبناه على مسحسحة للمبالغة كما يقال: كف وكفكف، ولو أراد القاشرة لوجه الأرض على ما توهم لقال:ساحية لأنه من سحوت الطين وسحيته، ومنه اشتقاق المسحاة، وقد نبه عليه على بن حمزة في هذا الموضع، وتوهم أنه من كلام أبي العباس وإنما هو من كلام الأخفش.
وقوله " ٣٠٩،٥٧٢ " ومستنة كاستنان الحروف.
ط: الأستنان أن تذهب الدا بة على وجهها موجا ونشاطا.
وقول الشاعر " ٣٠٩،٥٧٣ " ولا تهين الكريم.
ط: هو للأضبط بن قريع السعدي.
وقول الشاعر " ٣٠٩،٥٧٣ " وبادر بمعروف إذا كنت قادرا.
ط: قال أبو علي البغدادي: يقال أعقب هذا هذا إذا ذهب الأول فلم يبق منه شيء ورجع الآخر مكانه، وقد يقال: عقب هذا إذا جاء بعده، وقد بقى من الأول شيء.
وقوله " ٣٠٩،١١٠،٥٧٥ " وقال جرير: وإني لا ستحيي أخي ن أرى له.
ط: ذكر أن سبب قول جرير هذا الشعر، أن جد جرير، قسم ناله على ولده، فسأله جرير أن " ١٠١:ألف " يلحقه بهم، فلم يفعل، فأنشد قبل هذا البيت.
" الطويل " :
وقائلة والمدمع يحدر كحلها ... أبعد جرير تكرمون المواليا
فأنت اب إلى ما لم تكن لي حاجة ... فان عرضت فأني لا اباليا
ومثله على بن حمزة بقول الآخر " الطويل " :
ولست بهياب لمن لا يعابني ... ولست ارى للمرء مالا يرى ليا
قال:وهذا بمذهب الكرام أشبه من الذي قال أبو العباس: أذاء حق، وهذا دفع نفس، مع أنه أراد جرير وقصده، ولأنشد ابن الأعرابي البيت الذي أنشده أبو العباس لجرير في " نوادره " وذكر أنه لرجل من بني ربيعة

بن مالك، يقال له سيار بن هبيرة يقوله لإخوته وأنشد قبله " الطويل " :

أرى أخوى اليوم شحا كلاهما ... على وبما أن يقول الدواهيا." (١)

"وقد قام قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن االفبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم منها واحتجوا بقول لبيد: " البسيط "

زالنيب، إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات فاني كنت أثئر

وقيل عن الإبل أنفس أموالهم، فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة.

وقوله " ٧٦٩،٥٨٢٤ " :

" فنعم الفتى أهدى نبيشة بره " .

ط: ويروى: " ونعم الفتى أدى ابن صريمة برة " وهو نبيشة بعينه، ومعنى أدى بره:دفع سلاحه إلى ورثته.

وقوله " ٧٦٩،٨٢٤٥ " وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي

" ١٧٩:ب " " ؟ " ليس إهبان خزاعيا، إنما هو من أسلم، أخي خزاعة وهو إهبان بن كعب، وأمه غادية، عرف بها، إلا أن أسلم، معدود في خزاعة، ودليل قتله، قول أخي ربيعة في البيت الواقع، في بطن هذه الورقة الباب الموفي خمسين

وقوله " ٧٧٠،٨٢٤٧ " ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعزوا عن مشائبكم بي.

ط: إنما لفظ الحديث في الموطأ: اتعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي.

وقوله " ٧٧١،٨٢٤٩ " وقال " أبو " عبد الرحمن العتبي، يرثى علي بن سهل:

ش: هو محمد بن عبد الله، من ولد عتبة بن أبي سفيان، وكان شاعرا مجيدا وكان مستهترا بالشرب.

وقوله " ٧٧١،٨٢٤٩ " .

يا خير إخوانه وأعطفهم ش: يا خير إخوانه مردود عند البصريين، وذلك أن أفعل بعض ما أضيف إليه، فيلزم على هذا أن يكون أخا نفسه، وأجازه الكوفيون، وقد جاء في شعر العرب في ذيل الأمالي للقالي، وشاع في أشعار المحدثين وكلام الناس.

قال أبو محمد البطليوسي: لا يجوز زيد خير إخوانه لما ذكر فوق هذا، ولكنه قد قال زياد بن زيد الحارثي: " الطويل "

---

(١) القرط على الكامل، ص/١٤١

لم أر قوما خير قومهم ... أقل به منا على قومهم فخرا

وقول الشاعر " ٧٧٣،٨٢٥٢ " .

رب مغروس يعاش به.

ط: أنشد الجاحظ هذين البيتين لسليمان بن الوليد أخي صريع الغواني وكان أعمى.

وقوله " ٧٧٣،٨٢٥٢ " وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثى زوجها.

ش: هي لبانة بنت على المهدي، ترثى زوجها محمد الأمين.

وقول الشاعر " ٧٧٦،٨٢٥٥ " " البسيط " :

ضجت نساؤك بعد العز حين رأت ... خدا كريما عليه قارن جسد

ش: القارت: الدم اللازم يقرت قروتا، وقال أبو الحسن نحوه، وهو في الأصل.

" ١٨٠:ألف " وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٨ " ومنهم أبو الهيثم بن التيهان.

ش: اسم ابن الهيثم مالك، وأخوه عبيد، بدريان.

وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٩ " وكانت " له " مشهرة.

ش: المشهرة عصابة حمراء، كان يتعصب بها في الحرب، من السيرة.

وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٩ " عبد الله بن الطفيل الأزدي ثم الدوسي.

ط: إنما ذو النور الطفيل بن عمرو، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة، وله ابن يقال له عمرو، استشهد يوم اليرموك.

وقوله " ٧٧٧،٨٢٦٠ " وكان قبل يدعى ذا الشمالين.

ش: المشهور، والأصح، أن ذا اليدين، غير ذي الشمالين، وان ذا اليدين، الراوى للسهو في صلاة الظهر، سلمى، يسمى الخزباق، وأما ذو الشمالين، فهو أسلمى كما ذكر، واسمه عمير بن غبشان، وهو حليف بني زهرة، واسم غبشان الحارث.

وقوله " ٧٧٨،٨٢٦٠ " ثم قال: إني لأنسى أو أنسى لأستن.

ش: ليست هذه الزيادة في قصة ذي اليدين، وإن كان مالك قد رواها في موطئه مفردة، وهي مما لا يوجد عند غيره فيما ذكر.

وقوله " ٧٧٨،٨٢٦١ " واهتز لموته عرش الله.

ش: الصحيح في هذا في أمر سعد بن معاذ، المعروف، عند العلماء بالآثار، أن العرش اهتز لموته، وفي بعض الروايات: عرش الرحمن، أسنده جابر، وأنس، وفي حديث حابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن سعدا تحرك له العرش، وفتحت لو أبواب السماء.

وقوله " ٧٧٨،٨٢٦١ " وكبر عليه تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب.

ش: إنما روى تحديد العدد في الصلاة على حمزة، فذكر في بعض الروايات أنه صلى عليه مع سائر شهداء أحد، سبع صلوات في سبع جماعات، كلما صلى على جماعة حمزة فيهم، ورفعن، وأبقى حمزة، وشم من تراب قبره ريح المسك.." (١)

"رجع: يا حمامة الأيك، أين السلكة والسليك، بل أسألك عن سمييك، بنت قرظة وأبي الواقف على أبي مليك، أخبري إن كنت من المخبرات. غاية.

تفسير: الأيك: جمع أيكة وهي شجر ملتف وربما خص به السدر؛ وروى عن ابن عباس أن الأيك شجر المقل. والسليك: ابن عمير وأمه السلكة، وهو من سعادة العرب ويقال له سليك المقانب؛ وأنشد لعبد يخاطب قوما:

لزوار ليلى منكم آل برثن ... على الهول أمضى من سليك المقانب

تزورها ولا أزور نساءكم ... ألهفى لأولاد الإماء الحواطب

وسميا الحمامة: هما الفاختة بنت قرظة التي كانت امرأة معاوية بن أبي سفيان. والفاختة تعد من الحمام؛ والحمام عندهم ما كان ذا طوق. وأبو الواقف على أبي مليك: هو ابن الحمامة الشاعر، وقف على الحطيئة العبسى فقال له: ما عندك يا راعي الغنم؟ الخبر.

رجع: يا مفرخة، إن الأعمال منتسخة، ومن الضعة سكنى الضعة، سبحي ربك مع المتهجدين. وقع المحظار، على ذوات الظار، فأخذ ما أخذ غير حميد، وبعلم الله شرب الفصيد. لو كان الإنسان حبلا، لتركته الحوادث نبلا، فاكتبنا رب من المحسنين. وصاحب الكاذب قمر، ولا يدري المكذوب كيف يأتمر، فاجعلني رب من الصادقين. والغفر،أنفع من الوفر، فعفرانك راحم المذنبين. وليس للهرم، من مكرم، ذهب ذهاب درم، فارزقني كبر المطيعين. والقؤول الهذرة، ذرة جرت ذرة، من جراب شعثاء حذرة، فاكفني رب قول المتخرصين. وكحل تطعم الكلب، سنام الذعلب، وتجلب بغير الينجلب، إلى الغوي المترب، ذات الحسن المعرب؛ فالطف مالكنا

---

(١) القرط على الكامل، ص/٢٠٣

بالمتسترين. والجدب يحشر إلى الأمطار، أرباب الإصار، ويوكل أهل الصرم الحشرات. غاية.

تفسير: الضعة: شجر يشبه الثمام ويقال هو الثمام بعينه. والمحظار: ضرب من الذباب والظار: من قولك: ظأرت الناقة إذا عطفتها على غير ولدها. والنبل: الحجارة الصغار؛ ومنه الحديث في الاستنجاء: إتقوا الملاعن وأعدوا النبل. وقمر: من قمر العينين لا يبصر. درم: رجل يضرب به المثل، ويقال إنه من دب بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان قتل فلم يدرك بثأره؛ وإياه عنى الأعشى بقوله:

ولم يود من كنت نسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

ذرة جرت ذرة: أي يدخل في أمر أكبر منه. والشعثاء: الفقيرة. وكحل: السنة المجدبة. والكلب: الكلب إذا أصابه الكلب. والذعلبة: الناقة السريعة. والينجلب: خرزة تؤخذ بها النساء رجالهن، واشتقاقها من أنها تجلب الرجل إلى امرأته؛ ومن كلامهم: أخذته بالينجلب فلم يرم ولم يغب ولم يزل عند الطنب والإصار: الطنب، ويقال: الوتد. والصرم: الأبيات المتجمعة من أبيات البادية وليست بالكثيرة.

رجع: يا ماعلة يا ماعلة، ما أنت في التقوى فاعلة، أطرى فإنك ناعلة، ما أنت لمرشدك جاعلة، ستضح لك شاعلة، ترفعها بالسدف قاعلة، تكفرها عن الناس الكفرات. غاية.

تفسير: الماعلة: من المعل وهو سير سريع. وأطرى: أي اركبى طرة الجبل وهي ناحيته. والقاعلة: جبيل دون الجبل الأطول وجمعها قواعل؛ ومن ذلك قول امرئ القيس:

كأن دثارا حلقت بلمونه ... عقاب ملاع لا عقاب القواعل

عقاب ملاع: هي العقاب السريعة الاختطاف. تكفرها: تسترها. والكفرات: من أسماء الجبال.

رجع: أين شد أنتحيه، لاح البارق فالمحيه، قدسي ربك وسبحيه، وذمي نفسك ومدحيه، وهبي مالك تربحيه، واذكرى غائبك واستحيه، وراعي صاحبك وانصحيه، تحسبي من الخيرات. غاية.

باتت العروس تحلى كروضة حزن لا تخلى، بين حلل وحلى، كأجواز عناظب هزلى، فأصبحت تقبر لتبلى، من لقب سالما بالحبلى، وسمى الجبل أجلى، تهافت أولئك هطلى، وربنا الكريم الأعلى، فاستغن عن السرق بالنمرات. غاية.

تفسير: العنظب: ذكر الجراد. والحلى يوصف فيقال كأنه هزلى الجراد. وسالم الحبلى: من أجداد عبد الله بن أبي الأنصاري؛ سمى الحبلى لعظم بطنه. وأجلى؛ جبل ومن أمثالهم: أرها أجلى أنى شاءت، يضرب ذلك للرجل المقتدر على الشئ. وتهافت: سقط. وهطلى: بعضها في إثر بعض. والسرق: الحرير الأبيض. والنمرات:

جمع نمرة وهي ثياب فيها سواد وبياض.

رجع: كم أذمر نفسي حاضا لها على فعل الخير وهي غير مصغية إلى طول الذمرات. غاية.

صل في الضراء والخمر، وفي البراح الأكشف وباشر الأرض بمسجدك وإن شئت فعلى الخمرات. غاية.." (١)

"والمعنى أن الرجل إذا أرسل لسانه جاز أن يضرب رأسه بالسيف؛ ومن ذلك قول العرب " مقتل الرجل بين فكيه " والمومس: العاجرة. والبثع: من قولهم شفة بتعة وهو أن يظهر ذمها ويرم لحمها ودراج: ابن زرعة الكلاني، كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل، وهو القائل:

إذا أم سرياح غدت في ظعائن ... جوالس نجدا فاضت العين تدمع

فأبلغ بني عمر وإذا ما لقيتهم ... بآية كراتى إذا الخيل تقدع

فما القيد أبكانى ولا السجن شفنى ... ولا أننى من رهبة الموت أجزع

ولكن أقواما ورائى أخافهم ... إذا مت أن يعطوا الذي كنت أمنع

رجع: من كذب ففي حبل الباطل جذب، وما أحسن ثياب الصادقين، وربك يجزي الصادق والكذوب. إن ذا القسيب، ليس بلسيب، والتجارب تلقح العقول، والله مجرب المجربين. ما صرير الجنادب بدعاء الآدب، والله أعلم بتسبيح الحشرات. ومن أسنت فقد أعنت وأعنت؛ فنعوذ بالله من غلبة السنين. أركبان البروج أروح أم ركبان السروج، ولكل وقت يعلمه الله هو فيه مستريح. إن المعنج طمع في ركوب السفنج؛ فاذا هو راجل بالسبروت، أما السيل فحمر؛ وأما الشر فشمر لا تحلى يلى تمر، إن طرفك لطمر؛ يحضر وأنت غر؛ لا تستمسك أو أن تخر، فالفزع إلى الله قبل أوبة الآئبين. وليس بمنقوس، من سكن في القوس، ولن يسلم أحد من العائبين. والطلف، تمام التلف، وكل عند الدهر جبار؛ شهدت المعاينة والأخبار يا فاسق إنك لسدم، وأمامك ورد ردم، ليس عليه سواك مقدم، أنت على الثراء معدم، والسقم، بعض النقم، وبالله شفى السقيم. إن الفدن، لا يشعر بكسوة الردن، اكس الأبحر ولا تكس الحجر، والله كاسى العارين ومعرى المكتسين. الغنى محتلط، وهو الغد مبلط، لا يغرنك نعم كالحراج. غاية.

تفسير: القسيب: صوت الماء. واللسيب هاهنا: بمعنى ملسوب وهو الملعوق؛ والمعنى أن الماء لا يلعق. ويقال في المثل: " أحمق من لاعق الماء " . والآدب: الذي يدعو إلى الطعام. وأسنت: من الجدب. وأعنت: لأنه يضيق على ما شيته ومن يعوله. وركبان البروج هاهنا: الذين يحرسون حصونهم. والمعنج: الأحمق الذي يعترض

---

(١) الفصول والغايات، ص/٣٥

في كل شئ. والسفنج: من صفات الظليم؛ ويقال معناه الواسع الخطو؛ المعنى أن الأحمق يطمع فيما لا يطمع في مثله. والسبروت: الارض التي لا شئ فيها. والسيل الحمر: الشديد؛ والمعني أنه يقشر وجه الأرض. من حمره إذا قشره. والشمر: الشديد، يوصف به الشر خاصة. والطمر: السريع الوثب والمنقوس: من نقسته إذا عبته. والقوس: موضع الراهب. واللطف: من قولهم ذهب دمه طلفا لم يدرك بثأره. والسدم: اللهج بالشئ. ومردم: دائم. والفدن: القصر، ويقال القنطرة. والردن: الخز. والأبجر: الذي سرته ناتئة، وكل عقدة في الجوف بجرة. ومحتلط: مجتهد؛ والأحتلاط: الأجتهاد. والمبلط: الذي قد لصق بالأرض من الفقر؛ وهو مأخوذ من البلاط، كما أن المدقع مأخوذ من اللصوق بالدفعاء وهي التراب. والنعم: الإبل خاصة؛ والأنعام: الإبل والغنم وغيرها. والحراج: جمع حرجة وهي شجر ملتف.

رجع: لا بقوى لغير التقوى، فأحسن اليقين، وكن من المتقين. ولا تعرج، على خوط مريج، فأعمد لنفائس الأمور. وأنا من نبذ الجديد، بالكديد، وتعلق يطلب الخلق، والله الرث والجديد. والسالك، في طريق الهلوك هالك، لا تنبع الضالين. وقد يشبيك، من ليس بأبيك، والله كافى الكافين. يقطعك أبوك، والبعيد يحبوك، وربك أجل الحابين. وإذا في صباك، فلا جنوبك تحمد ولا صباك، وإذا أكتهلت، عللت وأنهلت، فالصدر الصدر، إن عدوك لقريب. وإذا أسن الرجل فقد دنا الرحيل. إن الحى خاوف وليس الأطيط بالغطيط. ويسمع انقيق، في الماء الرقيق، واللجة، لها رجة، وإلى الخالق نتوجه. ضعفت الناب، عن الجناب، وبئس الرب رب لا يعذر إن غفل قات، في بعض الأوقات. وشر المقالة مقالة السداج. غاية.

تفسير: الخوط: الغصن. والمريج: الشديد الاضطراب. والكديد: ما غلظ من الأرض. ويشبيك: يكفيك. والأطيط: كل صوت دقيق مثل صوت النسع الجديد ونحوه. والغطيط: صوت المختنق؛ ويقال غط الفحل غطيطا إذا لم يفصح بالهدير، والغطيط من هدير البكارة.." (١)

"والفال: عرق في الفخذ. ويقال هو اللحم الذي في خرب الفخذ وهو ثقب في عظم في موصلها بالورك. ونسر جربة هو أحد النسرين: الواقع والطائر. وجربة من أسماء السماء غير مصروف؛ قال الأعشى:

وخوت جربة النجوم فما تش ... رب أروية بمرى الجنوب

والنبيلة: الجيفة. والنسور تسقط عليها. والنسر: مثل النواة يكون في بطن الحافر. والوأبة من الحوافر هي المقتدرة المقعبة؛ قال أبو دواد يصف الفرس:

(١) الفصول والغايات، ص/٩١

يخد الارض خداب ... صمل سلط وأب
شديد النسر والحاف ... ر مثل الغمر القعب
والجوزاء: النعجة التي في جوزها وهو وسطها بياض والحبط: أن ترعى الماشية عشب الربيع فتنتفخ عنه بطونها حتى يقتلها؛ ويقال إنه يحدث بالضأن عن أكل الذرق وهو الحندقوق، وفي الحديث: " وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم " . والحارث الحبط أبو حي من بني تميم كان في سفر ففني زاده فأكل العشب فحبط عنه. وألاده الحبطات بكسر الباء، كذلك تقول الجلة من أهل العلم. والخبط: ما خبط من ورق الشجر لتعلفه الماشية من الإبل وغيرها. والشرط: رديء المال، ويستعمل في الناس أيضا؛ قال الكميت:
وجدت الناس إلا ابني نزار ... ولم أذممهم شرطا ودونا
ونحر القزم راعي الهزم، فالقزم صغار الشاء ورديئها، ويستعمل في المعز والناس؛ قال جرير:
تساق من المعزى مهور نسائهم ... وفي قزم المعزى لهن مهور
والهزم: المهازيل من الغنم؛ وقد يكون الهزم في معنى ما يبس من العشب وتهزم أي تكسر. والفزر: القطيع من الغنم، وبه لقب سعد بن زيد مناة بن تميم الفزر، ويقال إنه كان له قطيع من غنم أو معز فجاء به مكة فأنهبه الناس في الموسم فقالت العرب في المثل: لا أفعل ذلك حتى تجتمع معزى الفزر.
وكحل: اسم لسماء الدنيا. والنوافز: نجوم في السماء يسمين الظباء تزعم العرب أنهن خفن أسد النجوم فنفرن منه.. والنفر: نحو القفز، وتسمى القوائم نوافز، لأن النفز يكون بها؛ قال الشماخ:
قذوفا إذا ما خالط الظبي سهما ... وإن ريع منها أسلمته النوافز
فسروه القوائم. وأصل النفز في الظباء لا يكادون يخرجونه في الاستعمال عنها. والراتعات غب المطر: الظباء لمعروفة. والحادي: طالب الجدي. ويحترش: يكتسب؛ وأصله من احتراش الضب.
ويقال: جدت بالرجل جداد معدول مثل عقتهم عقاق من جد الأمر: قال الشاعر:
جدت جداد بلاعب وتبدلت ... في الحي لبسة قالب حيران
وهذا بيت معنى، كانت العرب تزعم أن الإنسان إذا حار قلب ثوبه ولبسه مقلوبا فذهبت حيرته. وعياد: مصدر عاد يعود عيادا، مثل قام يقوم قياما. درم: رجل يضرب به المثل، فيقال: " أودى درم " وهو فيما يزعمون من بني دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل فلم يؤخذ بثأره: قال الأغشى:
ولم يود من كنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

رجع: ماريا قطر، ورائحة حبيب عطر، بأطيب من ثناء مستطر، يثني به بر على مبر. وذكر الله مراتع القلوب يستعذبه الأواب، ويسكن إليه الصالحون. فاغسل الحوب، بأن تتوب، ولا تعرك ذنبك بجنبك؛ فتصر على سخط ربك. وإلى السوق، تحمل الوسوق، فما كان جيدا نفق، وما كان رديا زهد فيه. وإنما أنت درهم إن اتقى وضح، وإن فسق زاف. فإذا اندفق سقاء الصبح وصقلت البيضاء أديم النهار فاستخف عن العيون؛ فغنها مفسدة لما تقع عليه؛ وإذا الليل طلى قار الأرض بالقار المغض فابرز لحدق النجوم؛ واسأل الأسد، كم فنى تحته من أسد، والنعائم كم طلعن على ظلم؛ يخبرنك بالبرحين. والمحبون رجلان: محب للطاعة، ومحب تحت المعصية؛ فطوبى لأحد المحبين، ويا ويح الآخر لما خلا خلاء البعير. ومن مزج رضابه بذكر الله لم ييأس من رضاب الحور، وإن لسانا مجده لجدير بالسلامة من العي في ساعة طلب المعاذير. وإنما نحن في أحلام نائم، لا أحلام ذوي العزائم، وقد يرى الراقد، نفسه مع الفراقد، فإذا استيقظ رآها بالجدد. كل غضاة وأضاة، ومغمدة ومنتضاة، تشهد وتقر، وتقسم فتبر، أن الخالق حكيم، وأن الوارث هو القديم.." (١)

"والشنف: المبغض؛ يقال: شنفته إذا أبغضته. والصليان: ضرب من النبت: يقال في المثل للرجل إذا حلف اليمين فقطعها جذها جذ العير الصليانة لأنه يقتلعها بأصلها؛ قال الشاعر:

بلاد لا يزال العلج فيها ... يضاحك جعثنا فيه اغبرار

يريغ الصليانة ناجذاه ... فيتبعها غبار مستثار

العلج: الحمار الوحشي. والجعثن: أصول الصليان. والعشير: الزوج، والمرأة عشيرة. وخاخ موضع قريب من المدينة؛ قال الشاعر:

خلفوني ببطن خاخ مريضا ... وتولوا وغادروني طلحا

رجع: أنت ربنا مجيل الأفكار. تلمح النعامة القوم السفر فتود لو غارت بهم الأرض؛ ولعل في مزادهم حنظلا يبث في البيد فيربيوها في الأدجي فتلقى من أمر الله جللا. ويطوف العفو بالنبعة وكيف له باجتثاث أصلها وهو لا يفرق بينها وبين شجرة الضرو؛ لا يدفع توقيك من حكم القادر مرسلا. ويفرح ابن الأمة بالدجوب وهو صفر كأنه قد عرف ما يوعى فيه من الطعام؛ ولن تبلغ بغير الله أملا. يدرك العلم بثلاثة أشياء: بالقياس الثابت، والعيان المدرك، والخبر المتواتر. فأما الحس فزجر طيرهى خليقة بالكذب وإن صدقت فباتفاق؛ والعلم لله كملا. ربما أدلجت السعلاة إذا شاء الله لتظني البرق فهجمت على جمرات، أوقدها راعي بكرات،

---

(١) الفصول والغايات، ص/١٠٢

من العرمج أو بعض الشجرات، فأضاعت بعلا، ولم تصادف أهلا. وربك عز وعلا يورخ إذا أمر الصخرة أي الإيراخ. غاية.

تفسير: العفو: الجحش. والنبعة: شجرة يتخذ منها القسي. والضرو: شجر البطم. والجوب: وعاء نحو الغرارة. وذكر السعلاة هاهنا مبني على حديثها الذي تدعيه العرب لعمرو بن يربوع بن حنظلة وقد مر ذكره. ويورخ: من أورخت العجين إذا أكثرت ماءه حتى يرق.

رجع: كم أمرة عرفها الدليل وعند الركبان أنها حجر، لم ينصبها بشر، وكفى بالله هاديا. وقد يفنى الراكب ليلته بالسؤال: أين المنزل ومنى التعريس؛ فسبحان الله يجعل قدره الجبل واديا. وإن كان للإبل غريزة علم فما بال الشارف تدر على البو وإنما هو ثمام؛ ولولا ربك لم يشف المورد صاديا. وكيف لا يهرب العود من الكلأ الوخيم، وعلام تنساق الهجمة أمام الفتى الغر إلى مدى الجازر وسيف العاقر؛ فارهب الله وكن للمنكر معاديا. ولعمرك ما تبالي السمرة ألها بكر العاضد أم للأراكة، وإنها لا تفرق بين الحبلة والبرمة وغيرهما من الثمار، ولا تميز العنم من بنان المرتقنة، ولو عرفت ذلك لاغتسلت من الدودم كما تغتسل الكاعب من دم الطمث؛ وإذا شدا الغوي بالهنود فلتلف بذكر الله شاديا؛ إن ذكره مسك فاخ . غاية.

تفسير: الأمرة: العلم ينصب من حجارة؛ ومنه قول أبي زبيد يرثى عثمان:

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر ... بالأرض في مستوى البيد الصفاصيف

وربما قيل: الأمر الحجارة. والأول أصح وعلية المعنى. والبرمة والحبلة: من ثمار العضاه. والمرتقنة: المختضبة. والرقان: الحناء. والدودم: ما يخرج من السلمة يقال هو حيضها. وفاخ: مثل فاح.

رجع: وكم ناظر إلى الفراق ثم كفيه. ورب جفن حلبته النوى فواقا ثم حلبه الجذل بإلقاء العصا فواقا؛ فاستكف بالله تجده كافيا. وقد يكذب الموعدة بنأي الغد أمر يحدث بعد شد الأكوار، وإن كان النعيب من شواهد الرحيل فالغراب يعلم الغيب، ومعاذ الله! شغل ابن داية بسؤر الليث ورذية السفر عن توكف الأخبار؛ وان تخفي عن الخالق خافيا. ورب مطلوب بترة، هجم على إرة، وهو القائف اللبيب يتوهمها أطيمة فريقه، فوجد لديها ثأرة زرق العون؛ وأبت الأقضية من رب العالمين أن تترك ريش جناح وافيا؛ لكل خير بالشر انتساخ. غاية.

تفسير: الفواق بالفتح والضم ما بين الحلبتين. وتوكف الأخبار: توقعها. والإرة: النار، وقيل حفيرة توقد فيها

النار. والأطيمة: الموضع الذي توقد فيه النار، وقيل: هي التنور، وجمعه أطائم؛ قال الأفوه الأودى:

في موقف ذرب الشبا وكأنما ... فيه الرجال على الأطائم واللظى." (١)

"وإذا لم يكن من الذل بد ... فالق بالذل إن لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد فقال:

وإني لنهاض اليدين إلى العلا ... قروع لأبواب الهمام المتوج

ويروى وإني لسوار اليدين أي: مرتفع.

باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات، وغيره من المؤلفين، أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة، فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي، وقيل: امرؤ القيس وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره، أي: رقته وخفته، وقيل: لاختلافه، وقيل: بل سمي بذلك لقوله:

لما توقل في الكراع شريدهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

ويروى لما توعر في الكلاب هجينهم قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري: يعني بقوله هجينهم امرأ القيس بن حمام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث يقول:

عوجا على الطل المحيل لعلنا ... نبكي الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح، وقد كان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابرا وصنبلا، ويروي " لأننا " بمعنى لعلنا، وهي لغة فيما زعم بعض المؤلفين، والذي كنت أعرف " لعننا " بالعين ونونين، وكذلك أعرف " ابن جذام " بذال معجمة، كذا روى الجاحظ وغيره، ويروى " خذام " بالخاء والذال المعجمتين. وكان مهلهل أول من قصد القصائد، قال الفرزدق بن غالب: ومهلهل الشعراء ذاك الأول وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر، وجد عمرو بن كلثوم الشاعر أبو أمه.

ومنهم المرقشان، والأكبر منهما عم الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد، واسم الأكبر عوف بن سعد، وعمرو بن قميئة ابن أخيه، ويقال: إنه أخوه، واسم الأصغر عمرو بن حرملة، وقيل: ربيعة بن سفيان، وهذا أعرف.

ومنهم سعد بن مالك الذي يقول:

---

(١) الفصول والغايات، ص/١٤٧

يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا

ولا أدري هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر والمرقش الأكبر أم لا؟؟ وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة، والحارث بن حلزة، والمتلمس وهو خال طرفة، واسمه جرير بن عبد المسيح والأعشى واسمه ميمون بن قيس بن جندل وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغتان، وزهير بن أبي سلمى، وابنه كعب لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان، واسم أبا سلمى ربيعة، ولبيد، والحطيئة، والشماخ واسمه معقل بن ضرار وأخوه مزرد، واسمه جزء بن ضرار، وقيل: بل اسمه يزيد وجزء أخوهما: وكان المزرد شريرا يهجو ضيوفه، وهجا قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

تعلم رسول الله أنا كأنما ... أفأنا بأنمار ثعالب ذي صحل

تعلم رسول الله لم أر مثلهم ... أجر على الأدنى وأحرم للفضل

ومنهم خداش بن زهير.

ثم استقر الشعر في تميم، ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية، لم يتقدمه أحد منهم، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه، وبقي شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع، وكان الأصمعي يقول: أوس أشعر من زهير، ولكن النابغة طأطأ منه، وكان زهير راوية أوس، وكان أوس زوج أم زهير.

وسئل حسان بن ثابت رضي الله عنه: من أشعر الناس؟ فقال: أرجلا أم حيا؟ قيل: بل حيا، قال: أشعر الناس حيا هذيل. قال ابن سلام الجمحي: وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع، وحكى الجمحي قال: أخبرني عمر بن معاذ المعمري قال: في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا، وكان اسم الشاعر بالسريانية، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن إسحاق فأعجب منه وقال: قد بلغني ذلك، وقال الأصمعي: قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن: فأولها هذيل، وهي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة في السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد، وقال أبو عمرو أيضا: أفصح الناس عليا تميم وسفلي قيس، وقال أبو زيد: أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة، يعني عجز هوازن، قال:." (١)

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٢٥

"الشعراء أربعة: شاعر حنذيذ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وسئل رؤبة عن الفحولة، قال: هم الرواة؛ وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيذ في شعره؛ وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة؛ وشعرور، وهو لا شيء. قال بعض الشعراء لآخر هجاه:

يا رابع الشعراء كيف هجوتني ... وزعمت أني مفحم لا أنطق

وقيل: بل هم شاعر مفلق، وشاعر مطلق، وشويعر، وشعرور، والمفلق: هو الذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب، وقيل: الفلق الداهية قال الأصمعي: فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك امرؤ القيس، ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر، وهو الذي يقول:

فنلت به ثأري، وأدركت ثورتي ... إذا ما تناسى ذحله كل غيهب

وهو الضعيف عن طلب ثأره، وروى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة.

قال الجاحظ: والشويعر أيضا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث، وقيل: اسمه ربيعة بن عثمان، وهو القائل:

وأفلتنا أبو ليلى طفيل ... صحيح الجلد من أثر السلاح

وقال بعضهم: شاعر، وشويعر، وشعرور.

وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة ثم من بني حميس:

ألا تنهى سراة بني خميس ... شويعرها فويلية الأفاعي

فسماه شويعرا، وفالية الأفاعي: دويبة فوق الخنفساء، فصغرها أيضا تحقيرا له وزعم الحاتمي أن النابغة سئل: من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد جيده، وأضحك رديئه، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة؛ لأنه إذا أضحك رديئه كان من سفلة الشعراء، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة، وقال الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه ... والشعر لا يسطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه ... زلت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعرا؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر؛ كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن،

وليس بفضل عندي مع التقصير..

ولقي رجل آخر فقال له: إن الشعراء ثلاثة: شاعر، وشويعر، وماص بظر أمه، فأيهم أنت؟ قال: أما أنا فشويعر، واختصم أنت وامرؤ القيس في الباقي.

وقال بعضهم: الشعر شعران: جيد محكك، ورديء مضحك، ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط.

وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور:

عدمتك يا ابن أبي الطاهر ... وأطعمت ثكلك من شاعر

فما أنت سخن ولا بارد ... وما بين ذين سوى الفاتر

وأنت كذاك تغثي النفو ... س تغثية الفاتر الخاثر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكى عنه الحاتمي من الرديء المضحك إلى هذا النحو.

وقيل: عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر، ويقال: إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم، وأتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كان دونهم بدرجات، وكيف إن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب؟ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غبارا، لنفاذه فيها؛ وحذقه بها، وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله، كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه، حتى أنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته.

وحكى أن رجلا قال لخلف الأحمر: ما أبالي إذا سمعت شعرا استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه!! فقال له: إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي إنه رديء هل ينفعك استحسانك إياه؟.

وقيل للمفضل الضبي: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله، وأنشد:

وقد يقرض الشعر البكي لسانه ... وتعيي القوافي المرء وهو لبيب." (١)

"إن بيت الذبياني في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص:

ماطوا الرعاث بنهد لو يزل به ... لاندق دون تلاقي اللبة القرط

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٣٥

وقال ابن دريد وأتى ببديع مليح:

قريب ما بين القطاة والمطا ... بعيد ما بين القذال والصلا

فدل هذا على قصر الظهر وطول العنق..

وقال بعض الشعراء فملح وظرف:

فما يك في من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

أشار إلى كثرة غشيان الضيوف، حتى إن الكلب مما أنس جبن أن ينبح فضلا عما سوى ذلك، وهزال فصيله دال على أن الألبان مبذولة للضيفان، فقل ما بقي له منها.

وقد قال امرؤ القيس: سمان الكلاب عجاف الفصال فعجف الفصال للعسلة التي قدمت، وسمن الكلاب لكثرة ما ينحرون ويذبحون.

ومن أعجب التتبيع قوله:

أمرخ خيامهم أم عشر ... أم القلب في إثرهم منحدر

يقول: أنزلوا نجدا الذي من نباته المرخ أم الغور الذي من نباته العشر؟ وإن الأعراب يعملون خيامهم من نبات الأرض التي ينزلونها، فإذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به، هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم، ولا أرى الأعراب تذكر ذلك كثيرا في أشعارها، وإنما يتعاورون ذكر الوتد، اللهم إلا أن تكون الأعمدة وما شاكلها تنتخب وتحمل وإنما المطرح ما جعل فوقها وسد به خصاصها فدفع الحر والبرد فنعم، ولا شك أن هذا هو الصحيح، ويدل عليه قول جرير يذكر منزلا:

فلا عهد إلا أن تذكر أو ترى ... ثماما حوالي منصب الخيم باليا

فذكر الثمام مطرحا، وقال أبو دواد:

عهدت لها منزلا دائرا ... وآلا على الماء يحملن آلا

فالآل الأول: أعمدة الأخبية، والآل الثاني: الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر، هكذا فسروه، منهم قدامة، والذي قال الحذاق: يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة، وقوله " على الماء " يعني الماء العد الذي هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء، وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت.

ومن أحسن ما وقع في هذا الباب من التتبيع قول حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقوله " حول قبر أبيهم " تتبيع مليح، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يخافون فينتقلون من مكان إلى مكان، وأنهم في مستقر عز وأرض خصب لا تجدب، أراد الشام، وأن ذلك دأبهم من القدم، فهو حول قبر أبيهم، وهذا كما قال ابن مقبل:

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا ... لا نستجير، ومن يحلل بنا يجر

ومن هذا الباب أيضا قول عنترة بن شداد العبسي:

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذي نعال السبت ليس بتوأم

أراد أنه ملك؛ لأن نعال السبت لا يحتذيها عندهم إلا كل شريف، يدلك على ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما:

إلى نفر لا يخصفون نعالهم ... ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

ومن التتبيع قول الحطيئة:

لعمرك ما قراد بني كليب ... إذا نزع القراد بمستطاع

وذلك أن الفحل إذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئا فلذ ذلك، وسكن إليه، ولان لصاحبه حتى يلقى الخطام في رأسه، فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم.

وأما قول ذي الإصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث:

يا عمرو، إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب، فيكون من هذا الباب، ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ **بثأرك** وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير: لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم فيخرج عن هذا الباب.. وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله:

فيا بن الطاعنين بكل لدن ... مواضع يشتكي البطل السعالا

أراد الصدر، أو النحر..

وبيت البحتري في صفة الذئب، ويروى لعمارة بن عقيل:

فأوجرته أخرى فأظللت ريشها ... بحيث يكون اللب والرعب والحقد." (١)

"والنوع الثاني على ضربين: أحدهما: ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار، والحسن بالشمس والقمر، والشجاع بالأسد وما شابهه، والسخي بالغيث والبحر، والعزيمة بالسيف والسيل، ونحو ذلك؛ لأن الناس كلهم الفصيح والأعجم والناطق والأبكم فيه سواء؛ لأنا نجده مركبا في الخليقة أولا.

ولآخر ضرب كان مخترعا، ثم كثر حتى استوى فيه الناس، وتواطأ عليه الشعراء آخرا عن أول، نحو قولهم في صفة الخد "كالورد " وفي القد "كالغصن " وفي العين "كعين المهاة من الوحش " وفي العنق كعنق الظبي، وكإبريق الفضة أو الذهب فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعا، ثم تساوى الناس فيه، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة، أو يخصه بقرينة؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح، والذكاء بشواظ النار، وسيرد عليك من قوافي باب السرقات وما ناسبها كثير، إن شاء الله تعالى.

باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما، ثم يصحا جميعا، وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم.

من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوما بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية:

لا يشربون دمائهم بأكفهم ... إن الدماء الشافيات تكال

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا إنه فيما زعم قتل دون من قتل له، ويروى لامرأة حارثية:

فيقتل خير بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم

ويروى " في فتى لم يكن له وفاء " فالأول يقول: لا آخذ بالدم لبنا، لكن آخذ دما بقدره، فكان ذلك مكايلة، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير، فمتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه، وعسر إدراكه الثأر فقال: إن الدماء ليست مما يكايل به في الحقيقة، وقيل: إنما يعني بذلك أن الإسلام لما جاء أزال المكايلة بالدم؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيسا مثله.

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع:

قد بلونا أبا سعيد حديثا ... وبلونا أبا سعيد قديما

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٠٥

ووردناه سائحا وقليبا ... ورعيناه بأرضا وجميما
فعلمنا أن ليس إلا بشق الن ... فس صار الكريم يدعى كريما
وقال أبو الطيب في خلافه:
لو كفر العالمون نعمته ... لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت ... تكرمة عندهم ولا جاها
وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله:
جبر الكسير إذا يهاض جناحه ... لجأ المطرد مستغاث المملق
جمع الفضائل والمحامد والعلا ... خلق لعمر أبيك غير تخلق
وأصل معنى قول أبي الطيب من قول بشار:
ليس يعطيك للرجاء وللخو ... ف ولكن يلذ طعم العطاء
وقال البحتري في نحو ذلك:
لا يتعب النائل المبذول همته ... وكيف يتعب عين الناظر النظر؟!
وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيرا ما يخالف الشعراء ويغاير مذاهبهم، ألا ترى إلى قول علي بن العباس النوبختي وهو في رواية الجرجاني لابن الرومي يصف القلم ويفضله على السيف، وكتب بذلك إلى علي بن مقلة في قصيدة:
إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم
فالموت والموت لا شيء يعادله ... ما زال يتبع ما يجري به القلم
وهذا كلام متقن البنية، صحيح المعنى، لا مطعن فيه، فجاء أبو الطيب فخالفه وذهب مذهبا آخر يشهد بصحته العيان، ويصححه البرهان، فقال:
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بذا أبدا قبل الكتاب بها ... فإنما نحن للأسياف كالخدم
ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر:
ألم تسمعا يا بني حكيم حنينها ... إلى السيف تستبكي إذا لم تعقر

فجعلها إذا لم تعقر حنت إلى السيف واستبكت؛ لكثرة عادتها، وهذا غلو مفرط، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلمها أنها تنحر له:

ترى النيب من ضيفي إذا ما رأينه ... ضمورا على جراتها ما تجيزها." (١)

"محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

ويروي غر بها ليل في أعناقهم صيد وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال في كتابه نقد الشعر: لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك؛ إنما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا، وبما سواها مخطئا.

فقال زهير:

أخي ثقة لا يهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

لأنه قد وصفه بالعفة لقلة في اللذات وأنه لا ينفد فيها ماله، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات، وذلك هو العقل، ثم قال:

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أراد أن فرحة بما يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ، فزاد في وصف السخاء منه: بأن يهش، ولا يلحقه مضض، ولا تكره لفعله..

ثم قال:

فمن مثل حصن في الحروب ومثله ... لإنكار ضيم أو لخصم يجادله

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزادها ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال أخي ثقة فوصفه بالوفاء، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقامها وكل داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، وهي من أقسام العقل؛ وكذكرهم القناعة، وقلة الشهوة، وطهارة الإزار، وغير ذلك وهي من أقسام العفة؛ وكذكرهم الحماية، والأخذ

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٤٣

بالثأر، والدفع عن الجار، والنكاية في العدو، وقتل الأقران، والمهابة، والسير في المهامه والقفار الموحشة، وما شاكل هذا وهو من أقسام الشجاعة؛ وكذكره م السماحة، والتغابن، والانظلام، والتبرع بالنائل، والإجابة للسائل، وقرى الأضياف، وما جانس هذه الأشياء، وهي من أقسام العدل.

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها سته أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر، وإنجاز الوعد وما أشبه ذلك؛ وعن تركيب العقل مع العفة التنزه، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف، والإخلاف وما جانس ذلك؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالوقت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك.

قال: وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين.

مدح أبو العتاهية عمر بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم، فغار الشعراء لذلك، فجمعهم ثم قال: عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض، إن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات يسيرة. ثم قال:

إني أمنت الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... لحذوا له حر الخدود نعالا

إن المطايا تشتكيك؛ لأنها ... قطعت إليك سباسبا ورمالا

فإذا وردن بنا وردن خفائفا ... وإذ صدرن بنا صدرن ثقالا

ومن مليح ما لأبي العتاهية في المدح قوله:

فتى ما استفاد الما إلا أفاده ... سواه كأن الملك في كفه حلم

إذا ابتسم المهدي نادت يمينه ... ألا من أتانا زائرا فله الحكم

وله أيضا في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم:

فما مثل بيتيه في العالمين ... أعز بناء ولا أرفع

فبيت بناه له هاشم ... وبيت بناه له تبع

ولو حاول الدهر ما في يديه ... لعاد وعرنينه أجدع

ومن المديح المنصوص عليه قول زهير:." (١)

"أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر.

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرائي بالملوك الأعزة، والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور، والعقبان، والحيات؛ لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر.

قال أبو علي: فأما المحدثون فهم على غير هذه الطريقة أميل، ومذهبهم في الرثاء أمثل، في هذا وقبله، وربما جروا على سنن من قبلهم إقتداء بهم وأخذا بسنتهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحمر ومرائيه فيهما وقافية مشهورات: إحداهن قوله:

لا تئل العصم في الهضاب ولا ... شغواء تغذو فرخين في لجف

والثانية قوله: لو كان حي وائلا من التلف والثالثة قوله في أبي البيداء:

هل مخطئ يومه عفر بشاهقة ... ترعى بأخيافها شثا وطباق

وكما صنع ابن المعتز يرثي أباه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل:

رب حتف بين أثناء الأمل ... وحياة المرء ظل منتقل

وهي أيضا معروفة، ولولا اشتهار هذه القصائد، ووجودها، وخيفة التطويل بها؛ لأثبتها في هذا الموضع.

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال ابن الكلبي وكان علامة : لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة:

أرث جديد الحبل من أم معبد ... بعافية وأخلفت كل موعد؟

وعن علي بن سليمان، عن أبي العباس الأحول، وأن القصيدة التي لأبي قحافة أعشى باهلة، إنما هي لابنة المنتشر، واسمها الدعجاء.

قال: وقال علي بن سليمان: حدثني أبي أن أولها.

هاج الفؤاد على عرفانه الذكر ... وذكر خود على الأيام ما يذر

قد كنت أذكرها والدار جامعة ... والدهر فيه هلاك الناس والشجر

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٥٤

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف " وذكر ميت " وأعرف أيضا " والدهر فيه هلاك الناس والغير "كذلك أنشدنيه الموصلي في الأغاني، ثم عطف النحاس فقال: هذان البيتان لا يعرفان في أول هذه القصيدة؛ ومما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلا قصيدة دريد، وأنا أقول: إنه الواجب في الجاهلية والإسلام، وإلى وقتنا هذا، ومن بعده؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة؛ وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة، وحين أخذ ثأره، وأدرك طلبته. وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء " تركت كذا " أو "كبرت عن كذا " وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء، وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة في أكثر شعره؛ فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس، ثم عطف وقال:

فدع ذا، ولكن علقت حبل عاشق ... لإحدى شعاب الحين والقتل أريب

ولم تنسني قتلى قريش ظعائنا ... تحملن حتى كادت الشمس تغرب

يطفن بغريد يعلل ذا الصبا ... إذا رام أركوب الغواية أركب

من الهيف مبدان ترى نطفاتها ... بمهلكة أخراصهن تذبذب

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف، على تقدمه في الصناعة، إلا أن تكون الرواية " ظعائن " بالرفع.

ومما عيب على الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وبورك قبر أنت فيه، وبوركت ... به وله أهل بذلك يثرب

لقد غيبوا برا وحزما ونائلا ... عشية واراه الضريح المنصب

حكاه الجاحظ وغيره، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين، فأما الأول فجيد.

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما." (١)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٦١

"ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول، فهلا قال مثل قول فاطمة رضي الله عنها:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضر وكل يماني

وليبكه الطود المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

صلى الله عليه وسلم، ورحم وكرم وعظم.

والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة.

وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء، كما قال أبو تمام:

لولا التفجع لادعى هضب الحمى ... وصفا المشقر أنه محزون

فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا، حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه!! وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... جزع منها عليه فافعلي

فعل جساس على ضني به ... قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فديت عيني سوى ... أختها وانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم قذى ما تفتلي

إنني قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

ورماني فقده من كثب ... رمية المصمى به المستأصل

هدم البيت الذي استحدثته ... وسعى في هدم بيتي الأول

مسني فقد كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل

ليته كان دمي فاحتلبوا ... دررا منه دمي من أكحلي

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات. ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا: ماله ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال الصاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فان كان أراد بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة في هذه القصيدة، على أن فيهما ما يمحو كل زلة، ويعفى على كل إساءة قال الصاحب بن عباد: ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله:

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك علي ابنك في كمال

ولغل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق الرقيق، وأنا أقول: إن أشد ما هجن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك؛ فجاء عملا تاما لم يبق فيه الإفضاء.

ومن صعب الرثاء أيضا جمع تعزية وتهنئة في موضع، قالوا: لما مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبيد الله بن همام السلولي فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيما، وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت، فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، ففارقت جليلا، ووهبت جزيلا؛ إذ قضى معاوية نحبه، ووليت الرياسة، وأعطيت السياسة، فأورده الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور.

فاصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا." (١)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٦٢

"وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب، فعيرتهم بذلك منقر.

يوم الكلاب الأول لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور، ومعه بنو تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع، على أخيه شرحبيل ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون ربابا، وإنما تربوا بعد ذلك، حكاه أبو عبيد، فقتل شرحبيل: قتله أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي، ويقال: بل قتله ذو الثنية حبيب بن عتبة الجشمي، وكانت له سن زائدة، وهو أخو أبي حنش لأمه، وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي مهلهل، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عديا أخو مهلهل، ويسمى الكلاب الأول أيضا.

يوم الشعيبة وهو يوم الكلاب الثاني لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفا رئيسهم زيد بن المأمور؛ وهو مذحج وهمدان وكندة، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهتم فم سمي بن سنان، بعد أن أسر رئيس كندة: هتمه قيس بن عاصم بقوسه، وانتزع عبد يغوث من يدي الأهتم بعد أن شرط المأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل، انتزعه التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس، وكان قد قتل ذلك اليوم، وسمي الكلاب الثاني أيضا.

يوم حر الدوابر قال أبو عبيدة: لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد خاصة، وكان الغناء من الرباب لتيم، ومن سعد لمقاعس يوم ذي بيض أغار الحوفزان على بني يربوع فسبى نسوة منهم، فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة، واستنقذوا النسوة، وأسروا الحوافزان: أسره حنظلة بن بشر بن عمرو، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم الصمد.

يوم عاقل: لبنى حنظلة على هوازن، وفيه أصر الصمة بن الحارث ابن جشم، وهزم جيشه، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة، ثم أطلقه بعد سنة، وجز ناصيته على أن يثيبه، فأتاه على الثواب فضرب الصمة عنقه، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه المجاشعي، وأسر رجل من بني أسد وكان نزيلا عند ابن أخت له في بني يربوع ابنا للصمة، فافتدى الصمة نفسه، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدي النازل في بني يربوع، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية، فبنو مجاشع تعير بذلك.

يوم عينين: لبني نهشل على عبد القيس، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين، فعرضت لهم عبد القيس، واستغاثوا ببني نهشل فحموهم واستنقذوهم.

يوم قلهي: منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بني عبس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة، حتى أخذوا

دية عبد العزى بن حذار ومالك بن سبيع.

يوم بزاخة: لبني ضبة على محرق الغساني وأخيه فارس مودود، أغارو على بني ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما، فأدركتهم بنو ضبة، فأسر زيد الفوارس محرقا، وأسر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما، وقتل معهما عدة.

يوم إضم: لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مزيقيا الملك الغساني، وهو عمرو بن عامر، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جفنة... علثة بن عمرو قتل بني عائذة قتلا ذريعا، وفي ذلك اليوم قتل الرديم وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر. بن ضامر فقال: والله لأطعنن طعنة كمنخز الثور النعر، ثم قصد ابن مزيقيا فطعنة فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم بزاخة.

وقال آخرون: بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده، والله أعلم.

يوم نقا الحسن: الحسن شجر، سمي بذلك لحسنه، وقيل: هو جبل، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل، وفيه قتل بسطام بن قيس: قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح، وكان رجلا أعسر فأصاب صدغه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن.

يوم أعيار: وهو أيضا يوم النقيعة لبني ضبة على بني عبس، وفيه قتل عمارة الوهاب: قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفاضلا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب، وكان حينئذ غلاما، فحين شب أخذ بثأر عمه يوم النقيعة، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس، وقد كانوا أدركوهم في المراعي.." (١)

"الأبطال إلا بفعلها فألسنها عجم وأفعالها عرب إذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا فلقياهم طعن وتقبيلهم ضرب ومن قولنا في رجال الحرب وأن الوغى قد أخذت من أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها : سيف تقلد مثله عطف القضيب على القضيب هذا تجز به الرقا ب وذا تجز به الخطوب ومن قولنا أيضا : تراه في الوغى سيفا صقيلا يقلب صفحتي سيف صقيل ومن قولنا أيضا : سيف عليه نجاد سيف مثله في حده للمفسدين صلاح ومن قولنا أيضا في الحرب وذكر القائد : تبختر في قميص من دلاص وترفل في رداء

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٨١

من نجاد كأنك للحرب رضيع ثدى غذتك بكل داهية نآد فكم هذا التمني للمنايا وكم هذا التجلد للجلاد لئن عرف الجهاد بكل عام فإنك طول دهرك في جهاد وإنك حين أبت بكل سعد كمثل الروح آب إلى الفوائد رأينا السيف مرتديا بسيف وعاينا الجواد على الجواد وقد وصفن الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم إليه ومعنى بديع لا نظير له وذلك قولنا : وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا يعب عبوبا من قنا وقنابل فتنزل أولاه وليس بنازل وترحل أخراه وليس براحل ومعترك ضنك تعاطت كماته كؤوس دماء من كلى ومفاصل يديرونها راحا مني الروح بينهم ببيض رقاق أو بسمر ذوابل وتسمعهم أم المنية وسطها غناء صليل البيض تحت المناصل وصل يحن الإلف من بغضه شوقا إلى الهجران والصرم حتى إذا نادمهم سيفه بكل كأس مرة الطعم ترى حمياها بهاماتهم تغور بين الجلد والعظم على أهازيج ظبا بينها ما شئت من حذف ومن خرم طاعوا له من بعد عصيانهم وطاعة الأعداء عن رغم وكم أعدوا واستعدوا له هيهات ليس الخضم كالقضم ومن قولنا في شبهه : كم ألحم في أبناء ملحمة ما منهم فوق متن الأرض ديار وأورد النار من أرواح مارقة كادت تميز من غيظ لها النار كأنما صال في ثنيي مفاضته مستأسد حنق الأحشاء هدار لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت منها على الناس آفاق وأقطار وأطبقت ظلم من فوقها ظلم ما يستضاء بها نور ولا نار تفوت بالثأر أقواما وتدركه من آخرين." (١)

"وأما دينها وشريعتها فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

وأما وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماءة فهي ولث وعقدة لا يحلها إلى خروج نفسه .

وإن أحدهم ليرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما خفر من جواره وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج .

أما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له فعمدوا إلى

(١) العقد الفريد، ص/٦٢

أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما وأرقها ألبانا وأقلها غائلة وأحلاها مضغة وإنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعه فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمتهم وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطف بالعسف .

وأما اليمن التي وصفها الملك فإنما أتى جد الملك الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا .." (١)

"قال الأصمعي : فحدثت بهذا الحديث النوشجان الفارسي فقال : كانت وظيفة المخدة ألفا أن الخازن اقتطع منها مائتين .

وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر

قال : وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر قال : فلقيت رجلا ببعض الطريق فقال لي : أين تريد قلت : هذا الملك قال : فإنك إذا جئته متروك شهرا ثم تترك شهرا آخرا ثم عسى أن يأذن لك فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيرا وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاظعن فإنه لا شيء لك .

قال : فقدمت عليه ففعل بي ما قال : ثم خلوت به وأصبت مالا كثيرا ونادمته .

فبينما أنا معه إذا رجل يرتجز حول القبة ويقول : أنام أم يسمح رب القبة يا أوهب الناس لعنس صلبه ضرابة بالمشفر الأذبة ذات نجاء في يديها جذبه فقال النعمان : أبو أمامة ! ائذنوا له .

فدخل فحياه وشرب معه ووردت النعم السود ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود غيره ولا يفتحل أحد فحلا أسود .

فاستأذنه النابغة في الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدته التي يقول فيها : فأمر له بمائة ناقة من الإبل السود برعاتها .

فما حسدت أحدا قط حسدي له في شعره وجزيل عطائه .

وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة

---

(١) العقد الفريد، ص/٢٢٣

نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري قال : قال ابن عباس : لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه .." (١)

"فأتاه وفد قريش فيهم : عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه وهو في قصر له يقال غمدان – وله يقول أبو الصلت والد أمية بن أبي الصلت : ليطلب الثأر أمثال ابن ذي يزن لجج في البحر للأعداء أحوالا أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده القول الذي قالا ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة من السنين لقد أبعدت إيغالا من مثل كسرى وبهرام الجنود له ومثل وهرز يوم الجيش إذ جالا لله درهم من عصبة خرجوا ما إن رأينا لهم في الناس أمثالا صيدا جحاجحة بيضا خضارمة أسدا تربب في الغابات أشبالا أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد غادرت أوجههم في الأرض أفلالا اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلالا ثم اطل بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبل اليوم في برديك إسبالا تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا فطلبوا الإذن عليه فإذن لهم فدخلوا فوجدوه متضمخا بالعنبر يلمع وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول .

فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له : قل فقال إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذجا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته ونبل أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت – أبيت اللعن – رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه .

نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أنهجك لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفود المرزئة .

قال : من أنت أيها المتكلم قال : أنا عبد المطلب بن هاشم قال : ابن أختنا قال : نعم .." (٢)

---

(١) العقد الفريد، ص/٢٣٢

(٢) العقد الفريد، ص/٢٣٣

"أخذت الشعراء معنى قول المهدي : لألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا فقال معلي الطائي : طوقته بالحسام طوق ردى ما يستطيع عليه شد أزرار وقال حبيب : طوقته بالحسام طوق داهية أغناه عن مس طوقه بيده ومن قولنا : ولما رضي الرشيد عن يزيد بن مزيد أذن له بالدخول عليه فلما مثل بين يديه قال : الحمد الله الذي سهل لي سبيل الكرامة بلقائك ورد على النعمة بوجه الرضا منك وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سخطك جزاء المحسنين المرغبين وفي حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين : فقد جعلك الله وله الحمد تثبت تحرجا عند الغضب وتمتن تطولا بالنعم وتستبقي المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو .

ولما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي – وهو الذي يقال له ابن شكلة – أمر بإدخاله عليه فلما مثل بين يديه قال : ولي الثأر محكم في القصاص والعفو للتقوى وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك فإن صفحت فبكرمك وإن أخذت فبحقك .

قال المأمون : إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك فأشارا علي به قال : أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا ولكنك أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله ثم استعبر باكيا قال له المأمون : ما يبكيك قال : جذلا إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغاني عفوه ولي بعدها شفاعة الإقرار بالذنب وحرمة الأب بعد الأب قال المأمون : لو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك لبلغك إليه حسن توصلك ولطيف تنصلك .

وكان تصويب إبراهيم لرأي أبي إسحاق والعباس ألطف في طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما.." (١)

"ندامة زار على نفسه ... تلك التي عارها يتقى

وأيقنت أني لما جئته ... من الأمر لابس ثوبي خزى(١)

وقد نقضه خفاف بقوله:

أعباس إما كرهت الحروب ... فقد ذقت من عضها ماكفى

---

(١) العقد الفريد، ص/٣١٠

أألقحت حربا لها درة ... زبونا تسعرها باللظى

فأصبحت تبكي على زلة ... وماذا يرد عليك البكا(٢)

نجد الهجاء في قصيدة العباس بن مرداس قد ضم ألفاظا سمعية مثل إعلان الندم على مامضى وإعلان كرهه للحرب، وتوجيه العتاب للنفس، والعار الذي يتقى نتيجة الهجاء، واليقين، والأمر، والخزي.

في حين استخدم خفاف الاستفهام والبكاء، فضلا عن الصورة العامة للسخرية بالمهجو وقد رد على ندامة العباس بأنه هو الذي اختار طريق الحرب، مؤكدا ذلك عبر الأفعال المشددة (عضها، ودرة، تسعرها، اللظى، زلة، يرد).

الرثاء:

الرثاء: تعبير عن عاطفة إنسانية جياشة، تفيض بالألم، ولوعة لايرقى إليها الشك، تتوضح من خلالها صلة الشاعر المرتبطة بالمرثي.

ولايخرج الرثاء عن تعداد صفات المرثي ومحاسنه، وشجاعته وكرمه، فهو والحالة هذه جزء من المديح والفخر.

ومهما تكن بواعث الرثاء، وأسبابه المختلفة، فإننا سنتناول الصورة السمعية في شعر الرثاء فقط(٣).

وبالرغم من ذلك كله فقد ظل الرثاء مستودعا لآلام الشعراء، ومتنفسا لهمومهم وتعبيرا عن الفروسية والشجاعة والكرم، وانعكاسا للحرمان الذي سيعانونه من رحيل فقيدهم إلى العالم الآخر، فضلا عن التحريض على **الثأر**.

وأول مايقع في باب الرثاء (النعي) حيث يدور الناعي بين الناس ليظهر الخبر ويذيعه بشكل واسع، كي تتسقطه الأسماع، ومن هنا تتشكل الصورة السمعية البسيطة:

---

(١) ديوان العباس بن مرداس: ق١/٢٩-٣٠.

(٢) العباس بن مرداس: ٣٠ الهامش.

(٣) ينظر كتاب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بشرى محمد علي الخطيب، فيه جهد قيم لمن يود استرفاد المزيد مما يتعلق بهذا الفن.." (١)

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١١٧

"ومن الشعراء من يستعير العزيف "الشديد للإبل"(١)، وقد اعتاد بعضهم سلوك الطريق التي يسمع فيها صوت الجن، أو يسمع غناءها(٢).

وفي إطار (عزيف الجن) نجد زهير بن أبي سلمى، قد عنى ببعض التفاصيل نطمح من خلالها إلى الكشف عن الجوانب النفسية، حيث صور البلدة الخائفة تسمع فيها عزيف الجن، حتى الثعالب من رهبتها تصيح، فضلا عن الفؤاد الذي ينزوي رهبة، ويجزع من هولها، فتوجه الشاعر إلى تلك البلدة على ناقة صلبة شديدة ضخمة الخلق، تميزت بالقوة والنشاط:

تسمع للجن، عازفين بها
تصبح، من رهبة، ثعالبها
يصعد، من خوفها الفؤاد ولا
يرقد، بعض الرقاد صاحبها
كلفتها عرمسا، عذافرة
ذات هباب، فعما مناكبها(٣)

على أن من الشعراء من أشار إلى وجود عزيف الجن في الأطلال(٤)، ومحاولة كشف تلك الأصوات على التوهم، بيد أنها كانت غريبة عليهم، وكلامهم كرطانة الأحباش(٥)، ويذكر لنا بعضهم موضعا فيه جن غلاظ الأعناق، تتهدد وتتوعد بالأحقاد وأخذ الثأر، أقدامها ثوابت، مستعيرا تلك الصفات للرجال(٦)، في حين من اتخذ اتباعه من الجن تروي أقواله وتعزفها(٧).

---

(١) عبيد بن الأبرص: ق٣٢/٨-٨٤/٩.
(٢) طرفة بن العبد: ١٣٠، المثقب العبدي: ق أ/١٣/٢٨، الأعشى: ق٤/٣٧/١٥، حسان بن ثابت: ٢٩٣.
(٣) زهير بن أبي سلمى: ق٢١٣/٢٥، تضبح: تصبح، يصعد: ينزوي. الهباب: النشاط. الفعم: الممتلئ.
(٤) أوس بن حجر: ق٩٤/٢/٣٧، الأعشى: ق٢٥١/١٠/٣.
(٥) الأعشى: ق٢٥١/١٠/٣، لبيد: ق٧٢/٣/١١.

(٦) لبيد: ق٤٨/٧١/٣١٧.

(٧) امرؤ القيس: ق٧٨/٧/٣٢٥.." (١)

"ومما يقام على التوهم مما يستدعيه الذهن ويستحضره من الخيال، أي من الصور المحسوسة التي سبق أن شاهدها، صورة الأعداء وقد انكبوا على الحراب يسنونها دونما هوادة، بغية إثارة قومه، ليكونوا على أهبة الاستعداد، وتحذيرهم من عدوهم، ليحرضهم على الاستعداد، لأن للسن صوتا، وللتجمع حركة وجلبة وصوتا مما يبعث ذلك كله على الخوف:

في كل يوم يسنون الحراب لكم ... لايهجعون إذا ماغافل هجعا(١)

وفي حالة سن الزجاج كأنهم خشرم متعاطف إذا ماتنادوا للحرب، مصورا حالة قوتهم ليبعثوا الخوف والرعب في قلب الأعداء، فمن صورة سن الزجاج ومايصاحب ذلك من صوت، ونداء الصورة السمعية.

فباتوا يسنون الزجاج كأنهم ... إذا ما تنادوا خشرم متحدب(٢)

وتتعالى الدعوات إلى حد الشفار لحز الحلوق، وحلب العروق، لإحداث الرهبة والخوف في قلوب الخصوم من خلال الأصوات التي تنادي بأخذ الرثأر، وأصوات الشحذ، وصوت شخب العروق، مما يبعث الرهبة، هي صورة تخييلية استحضرها الشاعر في ذهنه وأعاد صياغتها على وفق مايتطلبه الموقف:

إن نحن لم نثأر به فاشحذوا ... شفاركم منا، لحز الحلوق
ذبحا كذبح الشاة لاتتقي ... ذابحها إلا بشخب العروق(٣)

ومن الصور في هذا المجال: الضرب بالسيف، وقطع الدروع، والجواشن التي أحكم صنعها وعملها، مما يستدعي إثارة الرعب في الصفوف ليعمل عمله لما له من تأثير نفسي، ترافقه أصوات الضرب بالسيف، وقطع الحلق:

وأضرب بالسيف يوم الوغى

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٢٧

أقد به حلق المبرم(٤)

---

(١) لقيط بن يعمر الأيادي: ٣٧.

(٢) الطفيل الغنوي: ٤٢.

(٣) المهلهل، أخبار المراقسة: ٢٨٤.

(٤) عامر بن الطفيل: ١٢٠.." (١)

"واستطاع بعض الشعراء أن يوظف قصص الموروث الغيبي، والحكايات، من خلال ماتحمله من رموز ينبثق منها مغزى يتخفى الشاعر وراءه ليعبر عن حالته، أو حالة قومه، ومن الصور التي استحضرها الشاعر الجاهلي توظيفه (الحية) في الصورة الذهنية السمعية، حيث نجد للحية رموزا في الأيام وأشعارها، وهي أيضا موروث شعبي تناهى إلى الشاعر من أجيال بعيدة متقدمة، -كما يقترن ذكرها بالمرأة كثيرا، ولم يعدوا الحية من فصائل الجان حسب، بل هي بنت الجان(١).

وفي تأملنا لقصيدة النابغة الذبياني من حديثه (الحية) وصاحبها، حيث روى لنا حكايتها ملخصة(٢)، وقد ضرب بها مثلا، وساق حكايتها ليوضح لنا حالته مع قومه، مثل حالة الحية وأخي الرجل الذي قتلته، حيث يقول النابغة:

كما لقيت ذات الصفا من حليفها

ما انفكت الأمثال في الناس سائره

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم

وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره(٣)

يعقد الشاعر حوارا مع الحية وأخي القتيل، بدلالة الألفاظ السمعية (القول، الدعوة، التواثيق بالله) لتشكيل الصورة السمعية من:

فقالت له: ادعوك، للعقل وافيا

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٢٨

ولا تغشيني منك بالظلم بادره

فواثقها بالله حين ترانينا

فكانت تديه المال غبا وظاهره(٤)

---

(١) كتاب أيام العرب قبل الإسلام: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) أمثال العرب للضبي: ١٧٧-١٧٩. أن حية قتلت شخصا، ولكنها عقدت مواثقة بينها وبين أخيه، قررت أن تعطيه مالا بين يوم وآخر، بيد أن الطمع قد أخذه، فلم يجد بدا من قتل الحية ليأخذ الكنز الذي تملكه دفعة واحدة بدلا من الانتظار لمدة طويلة، وفي الوقت نفسه يحقق ثأر أخيه، فضربها بالفأس فأخطأها، ولم تقتل، فدعاها إلى الميثاق ثانية وإكمال الدية، فرفضت هذا العرض لخيانته.

(٣) النابغة الذبياني: ١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٢.." (١)

"ويعود الشاعر إلى عقد (الحوار) ثانية بعد أن أدركتها السلامة، بدلالة الألفاظ السمعية (القول-القسم)، وانتهت القصة بندم أخي القتيل، وابتعاد الحية عنه بالرغم من وجود المدركات الحسية، إلا أن الذي يهمنا منها هو الصورة السمعية التي شكلت أهمية لابد منها في تسلسل القصة، ومايتطلبه السياق، وتأكيد الحدث، وإيصال المغزى عبر الصورة الحاصلة في الذهن وعكسها إلى المتلقي بصورة سمعية مختلفة بدلالة الألفاظ الصريحة والموحية، والاستفهام، والقسم، وأصوات حك الفأس وحدها، وتكرار أصوات الحروف لتقوية الجرس الموسيقي لتأدية مهمة الإيقاع الداخلي، فضلا عن الإيقاع الخارجي لإبراز الجانب المعنوي الذي استوعبه الجانب الحسي للإفادة منه في الحياة في إطار التجربة النفسية، والإفادة من القصص، والأمثال، المعنويات، واستحضارها في الذهن، ومايسبغه عليها بدوره من سمات المدركات الحسية، وتوظيفها رلتعبير عن حالة معينة وتصويرها، يتوخى الشاعر منها العبرة، واستخلاص نتيجة تنسجم مع الباعث الآني في إطار من الحوار، ومن خلال استخدام الدلالات السمعية المختلفة والإيقاعية الداخلية والخارجية.

الخرافة: الهامة والصدى

إن من العرب من يزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مامات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسل ا م، ص/١٣٠

إليه في صورة طائر يصرخ على قبره، مستوحشا وهو يسكن في الديار المعطلة والنواويس، وحيث مصارع القتلى وأجداث الموتى(١).

وكانت العرب تقول: إذا قتل الرجل فلم يدرك **بثأره** خرج من هامته طائر يسمى الهامة، فلا يزال يقول: اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله فيسكن(٢) وهي خرافة مبعثها ولوعهم **بالثأر** والتحريض عليه(٣).

---

(١) مروج الذهب: ٢/١٣٥-١٥٤.

(٢) الأمالي، للقالي البغدادي: ١/١٢٩.

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٤٩٤.." (١)

"إن (الهامة والصدى) من الصور الذهنية، حيث يكمن فيها الانحراف عن الاعتيادي وغير المألوف إلى غيره، إذ يصور لنا الشعراء الأشياء المجردة أو المعنوية (النزعة **للثأر**) بالمدركات الحسية (البصرية+السمعية) في أغلب الأحيان، وتصوير (النفس) المعنوية بالحسية (طائر) يقترن بالسمعية (يصرخ)، مستوحشا يصيح: اسقوني اسقوني، لايسكنه إلا **الثأر**، وهي طريقة جرد منها الشعراء صوتا يصرخ، محرضا على تلبية نوازع النفس الداخلية التي لاتهدأ إلا بأخذ **الثأر**، وإن التخييل جعل عملية التصوير في الأذهان حاصلة لقوة الإدراك، مما يؤلف الشاعر بين المحسوسات والمعنويات، وإبراز **الثأر** (المعنوي) بإسباغ الحسي ليرى ويسمع، حيث يعمد الشاعر إلى صياغة المعطيات الموروثة بما يسبغه عليها من معطى تأملي، وقدرة على الربط بين المحسوس والمجرد عبر التخييل ضمن براعة الشاعر وإبداعه، فضلا عن المعطى النفسي، والباعث الذي يستجيب للموروث القديم، والاستجابة للباعث الآني، كي يحدث التناسب بينهما.

وقد تناول الشعراء هذه الصورة الذهنية:

سلط الدهر والمنون عليهم

فلهم في صدى المقابر هام(١)

إن الصورة أساسا هي معنوية تمثلت في (الدهر- المنون) ولكن الشاعر ألف بين المحسوس والمعنوي بما أسبغ

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٣٢

عليهما من صورة ذهنية محسوسة سمعية، حيث ينطلق الصوت **للثأر** بعد أن تسلطت المنون التي أدت إلى هذه النتيجة حيث صور المقابر، و(صياح) الطائر المتوحش الذي يبعث الخوف في النفوس، ويحفز أهل القتيل، ولايهدأ (الصوت) إلا بأخذ **الثأر**.

قال عبيد بن الأبرص:

في كل واد بين يثـ ... ـرب فالقصور إلى اليمامه

تطريب عان أو صيا ... ح محرق أو صوت هامه(٢)

(١) أبو دؤاد الأيادي: ق٦٠/٣٣٩.

(٢) ديوانه: ق٤٨/١٢٥، حاتم الطائي: ٢٣-٢٤، الأسود بن يعفر: ق١٢/١/٢٥، النمر بن تولب: ق٧/١-٢/٤٠-٤١.." (١)

"يسمعنا الشاعر أنات الأسير المترددة، أو ضياع المحرق، وصوت الصدى، أو البومة التي تألف المقابر وتصيح ولاتهدأ إلا بقتل قاتله، تلك الصور تستدعي الذهن ليتحفز لإعادة تشكيل الأحداث والمدلولات في صور سمعية، فضلا عن الدلالات السمعية والألفاظ المختلفة (التطريب، والصياح، وصوت الهامة) والأداء النغمي والإيقاع الخارجي.

وجسد ذو الأصبع العدواني قول الهامة:

ياعمرو ألا تدع شتمي ومنقصتي

أضربك حيث تقول الهامة اسقوني(١)

في إطار من التهديد لابن عم له يشتمه وينال منه، ويدس عليه عند أعدائه، فانطلق صوت التهديد لكي يترك ابن العم الشتم والمنقصة، وقد استحضر الشاعر صوت الخرافة المتمثل بالهامة والصدى ليسمعه ماتقول: (اسقوني اسقوني)، فيكون مصيره القتل، لإسكات ذلك الصوت الذي ينادي **بالثأر**.

ومن الصور الذهنية التي شكلت صورا سمعية لوحة الصيد والصراع، حيث استخدم الشاعر في لوحات۔ (الثور)

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٣٣

رمزا، ونجد الشاعر لا يذكره إلا ومعه المطر لأنه يفرح به(٢) وهو مقدس عند القدماء في وادي الرافدين لكونه يرمز إلى القوة والخصب(٣)، ولذلك نجد أن كل لوحة تسرد لنا قصة الثور يصاحبها المطر.

والبقرة الوحشية، أو الثور، رمز للقوة والبطولة الفردية ولهذا نجدها دائما تتغلب على الكلاب إلا فيما ندر.

وفي هذا الموضوع يقول الجاحظ: "ومن عادة الشعراء، إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، وإذا كان الشعر مديحا، ... أن تكون الكلاب هي المقتولة"(٤).

---

(١) المفضليات، المفضلية: ٣١.

(٢) الأغاني: ٥/٩٣، ٩٦، ٩٧ (دار الكتب)، كتاب أيام العرب: ٢٠١ ومابعدها.

(٣) مواقف في الأدب والنقد، قصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية: ٧٧٣ ومابعدها.

(٤) الحيوان: ٢/٢٠.." (١)

"هذه المقولة تعبر عن الألم الممض الذي يعتمل بأعماق الإنسان، فيهز الصوت المؤثر المسامع، ويؤثر في النفوس، حتى لتتأثر الحواس الأخر لتشارك المنشد المتألم أمله "والألم الذي يعبر عنه بالصوت يؤثر فينا على وجه العموم تأثيرا روحيا أبلغ من تأثير الألم الذي يعبر عنه بقسمات الوجه، وحتى بالحركات، والشعر نفسه ليس في حقيقة أمره إلا جملة من الكلمات المختارة يقصد بها الشاعر إلى أن يهز الأذن هزا أقوى"(١).

وشعر المراثي كثير ومتنوع، وأساليبه متنوعة في القصائد الطوال أو في المقطعات، ومن حيث مقدمات القصائد، والألفاظ والأوزان والانفعال الحاد، والانفعال الهادئ وقد تتمثل في القصائد أحزان الشاعر نفسه وآلامه، وموقفه من المرثي، وتصوير الظروف التي أدت إلى موته أو مقتله، أو استشهاده، وتبيان شجاعته وأخلاقه، وتعداد صفاته المحمودة، فضلا عن

موضوعات يذكرها الشاعر عن الموت والفناء والخلود والبقاء، وقد

يخلص إلى تقرير حكمة حيوية.

ويثير الرثاء في السامعين الحماسة، إذا كان الشاعر يهدف إلى إثارة المشاعر، وتأليب القوم بإثارة الرغبة في أخذ الثأر(٢).

وقد يصبح الموقف العام للشاعر ضعيفا بفقدان المرثي كحال المهلهل(٣)، والخنساء التي كانت كالرمح الصلب

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٣٤

الذي انكسر بعد فقدان أخيها صخر وغيابه من حياتها(٤).
على أن الشاعر في الرثاء استخدم صيغا كثيرة منها: صيغة المبالغة، وتكرار الألفاظ والجمل، وتكرار الأشطر(٥).

---

(١) مسائل فلسفة الفن المعاصر: ٧٩ وما بعدها.
(٢) المهلهل (أخبار المراقسة) ق١١/ ٢٧٩، ق١٢/ ٢٨٠.
(٣) المهلهل (أخبار المراقسة) ق١١/ ٢٧٩، ق١٢/ ٢٨٠.
(٤) ديوانها أنيس الجلساء: راجع قصائدها.
(٥) المهلهل (أخبار المراقسة) ق٢٦٩/١، ق٢٧٦/٨، ق٢٨٦/١٦ ق١٨/ ٢٨٩، أوس بن حجر: ١٠٢/٤.." (١)

"كان ابن كعب يقول: أنا أستجفي هذا القائل، ولم لا أرى لصديقي فوق ما يرى لي؟ ولم لا أعتبده بالإعضاء، والإحسان، والتفضل، والصبر؟ ولم لا أفارضه وأقايضه؟ ولم أرى أني مغبون إذا كان الربح له، ولم لا أظلم نفسي في مرضاته وإن وجب أن نتسوى أبدا في الفعل والقول، ونتكايس في الانقباض والانبساط، ونتحافظ على اختلاس الحظ والنصيب، فهل تركنا لأصحاب المذاب والتطفيف شيئا من الدناءة إلا وأخذنا به، ورأيناه مرغوبا فيه، تالله! ما هذا من الصداقة في شيء، وإنه إلى الخساسة والنذالة أقرب.
وقال بعض العلماء: التمس ود الرجل العاقل في كل حين، وود الرجل ذي النكر في بعض الأحايين، ولا تلتمس ود الرجل الجاهل في حين.
قيل لديوجانيس: ألك صديق؟ قال: نعم، ولكني قليل الطاعة له، قيل: لعله غير ناصح فلذلك أنت على ذاك قال: لا بل هو غاية في النصح، نهاية في الشفقة، قيل: فلم أنت على دأبك هذا المذموم مع إقرارك بفضل صديقك؟ قال: لأن جهلي طباع، وعلمي مكسوب، والطباع سابق، والمكسوب تابع، قيل: فدلنا على صديقك هذا الناصح المشفق حتى نخطب إليه صداقته، ونجتهد في الطاعة له، والقبول منه، قال: صديقي هو العقل، وهو صديقكم أيضا، ولو أطعتموه لسعدتم ورشدتم، ونلتم مناكم في أولاكم وأخراكم، فأما الصديق الذي هو إنسان مثلك فقلما تجده، فإن وجدته لم يف لك بما يفي به العقل، ولم يبلغ بك ما يبلغ بك العقل،

---

(١) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١٨٩

وربما أتعبك، وربما حزبك، وربما أشقاك، فاكبحوا أعنتكم عن الصديق الذي يكون من لحم ودم وعظم، فإنه يغضب فيفرط، ويرضى فيسرف، ويحسن فيعدد، ويسيء فيحتج، ويشكك فيضل.

قال الشاعر:

أخي لن تستفيد، الدهر، مثلي ... شريكا في الحياة وفي الممات

أتتركني وأنت ترى مكاني ... وتطلبني إذا حانت وفاتي

فليس بنافعي طلب بثأري ... وأخذك من بغاني بالترات

فإن أهملتني وطرحت حقي ... عليك فلا تغافل عن وصاتي

بني إذا هلكت فلا تضعهم ... وصن عمن يعاديني بناتي

فلو كنت الأسير ولا تكنه ... عزمت على حياتك لي حياتي

قال عيسى بن مريم عليه السلام فيما حدثنا ابن الجمل الكاتب النصراني لتلامذته: علامتكم التي تعرفون بها أنكم مني؛ أن يود بعضكم بعضا.

وقال عيسى أيضا لأيشوع تلميذه: أما الرب فينبغي أن تحبه بكل قلبك، ثم تحب قرينك كما تحب نفسك، قيل له: بين لنا يا روح الله ما بين هاتين المحبتين حتى نستعد لهما بتبصرة وبيان، قال: إن الصديق تحبه لنفسك، والنفس تحبها لربك، فإذا صنت صديقك فلنفسك تصون، وإذا جدت بنفسك فلربك تجود.

وقال الشاعر:

ومن لم يكن منصفا في الإخاء ... إن زرت زار وإن عدت عادا

أبيت عليه أشد الإباء ... وإن كان أعلى قريش عمادا

وقارضته الوصل كيلا بكيل ... ووزنا بوزن علي لدادا

فإن هو صحح في وده ... جعلت اللسان له والفؤادا

وإن بدل القول دون الفعال ... بذلت اللسان وصنت الودادا

قيل لعبد الله بن المبارك: إن قوما يلتقون بالبشر والسلام فإذا تفرقوا طعن بعضهم على بعض. فقال: أعداء غيب، إخوة تلاق، تبا لهذه الأخلاق، كأنما شقت من النفاق.

وقال آخر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد، وأين ذاك الواحد

آخر:

وإن امرءا يصلي الصديق بشره ... لأول من يبقى بغير صديق

قال سعيد بن ميمون: لقيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فصافحني ثم قال:

إذا شئت أن تلقى خليلا مصافيا ... لقيت، وإخوان الثقات قليل

فقلت: أمثلك يقول الشعر؟ فقال: أو ما علمت أن المصدور إذا نفث برأ.

وقال بزرجمهر: عاملوا أحرار الناس بمحض المودة، والعامة بالرغبة والرهبة، وسوسوا السفلة بالمحاور صراحا.

شاعر:

إذا صديق نكرت جانبه ... لم تعيني في مرامه الحيل

آخر:

إذا المرء لم يبذل من الود مثل ما ... بذلت له فاعلم بأني مفارقه

فإن شئت فارفضه فلا خير عنده ... وإن شئت فاجعله صديقا تماذقه." (١)

"إذا أحسن ابن العم بعد إساءة ... فلست لشري فعله بحمول

أي إذا أحسن وأساء لا أحمل عنه الشر أي لم أواخذه، وأراد بالشر فعليه فقلب.

وقال آخر: صحبة الأشرار، تورث سوء الظن بالأخيار.

سدوس بن ذهل اليربوعي:

إذا ما امرؤ ولى غنيا بوده ... وأدبر لم يصدر بإدباره وقر

ولبنى هذيل مثل وهو: هذا التصافي، ولا تصافي المحلب، أصله أن هذيلا أصابت دما في بعض العرب، فأسر أصحاب الدم رجلين من هذيل متصادقين، فقالوا لهما: أيكما أشرف فنقتله بصاحبنا؟ فقال كل واحد مهما: أنا ابن فلان الحسيب النسيب، ذو الثأر المنيم، فاقتلوني دون صاحبي، فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه، فعيوا بأمرهما لما رأوا من تأبيهما فقالوا: هذا التصافي، لا تصافي المحلب، وصفحوا عنهما، أي لا تصافي للنادمة على الشراب.

وروى يعقوب قول نابغة بني جعدة:

أدوم على العهد ما دام لي ... إذا كذبت خلة المحلب

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٢٨

آخر:

أخ لي إما كل شيء سألته ... فيعطي وإما كل ذنب فيغفر

آخر:

كان لنا صاحب فبانا ... وحاد عن وصلنا وخانا

تاه علينا وتاه منا ... فما نراه ولا يرانا

وقال أعرابي: المودة قرابة مستفادة.

شاعر:

أخ لك لا تغيره الليالي ... ولا الأيام عن خلق جديد

وقال أعرابي: وصول معدم خير من جاف مكثر.

وقال محمد بن سليمان لابن السماك: بلغني عنك شيء فقال: لست أبالي، قال: ولم؟ قال: فإن كان حقا غفرته، وإن كان باطلا رددته.

وقال أعرابي: اللهم إني أعوذ بك من سلطان جائر، ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب ناكر، وشريك خائن، وحريف مائن، وولد جاف، وخادم هاف، وحاسد محافظ، وجار ملاحظ، ورفيق كسلان، وجليس وسنان، ووكيل ضعيف، ومركوب قطوف، وزوجة مبذرة، ودار ضيقة.

شاعر:

فلا تعتقد خلا يسرك بعضه ... وإن غاب يوما عنك ساءك كله

إذا شئت أن تبلو امرءا كيف طبعه ... فدعه وسل من قبلها كيف أصله

شاعر، ويقال أنه لعمارة بن عقيل:

ألم ت‍ربي والمرء ابن أمه ... إذا ما أتت عوجاء لا تتقوم

ضممت جناحي عن أبي النضر بعدما ... تلومته ما كان لي متلوم

وقلت له لما التقينا وقال لي ... مقالة مزرعائث يتجرم

أتعذلني في أن أبيعك مثل ما ... به بعتني والبادئ البيع أظلم

وليس على ود امرئ ليس عنده ... وفاء ولا عهد إذا غاب مندم

وقال ابن المقفع: لا صديق لثلاثة: للميت، والفقير، والمحبوس.

وسئل الجنيد الصوفي: من تصحب؟ قال: من قدر أن ينسى ماله ويقضي ما عليه.

شاعر:

ليت شعري ما كانت الحال بعدي ... أعلى العهد أم تكرهت ودي

أنا ذاك المسيئ والذنب ذنبي ... فاعف عني يا أكرم الناس عندي

لا يكون الغفران إلا لمولى ... وتكون الذنوب إلا لعبد

محمود الوراق:

لا تحدسن أخاك وارع ل ... ه على الأيام عهده

حسد الصديق صديقه ... وأخاه من سقم الموده

شاعر:

وأول خير من صديق أفدته ... رجوعي بتسهيل الصديق حجابي

وأعرف ما لي عنده بغلامه ... وبالبشر منه عند رجع جوابي

آخر:

زرعت في القلب مني من مودتكم ... زرعا تمكن في الأحشاء والكبد

آخر:

جزى الله عني صالحا بوفائه ... وأضعف أضعافا له في جزائه

أخا لي إذا ما جئت أبغيه حاجة ... رجعت بما أبغي ووجهي بمائه

بلوت رجالا بعده بإخائهم ... فما ازددت إلا رغبة في إخائه

آخر:

تاه على إخوانه قاسم ... فصار ما يطرف من كبره

أعاده الله إلى حاله ... فإنه يحسن في فقره

آخر:

لم يبق في الناس حر ... ولا صديق يسر

وكل من ترتضيه ... عند المذاقة مر

آخر:

أكل هذا الجفاء يا حكم ... كذا يكون الإخاء والكرم

الحمد لله لا صديق لمن ... زلت به في زمانه القدم

آخر:." (١)

"كاتب: عرفني وقتك أوافقك فيه خاليا، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك، ولا الأعين عن النظر إليك لأقضي حق المودة، وآخذ بثأر الشوق.

الأخطل:

بني أمية إني ناصح لكم ... فلا يبتن فيكم آمنا زفر

واتخذوه عدوا إن ظاهره ... وما يغيب من أخلاقه دعر

مسكين الدارمي:

إذا ما خليلي خانني وائتمنته ... فذاك وداعيه وذاك وداعها

رددت عليه وده وتركته ... مطلقة لا يستطاع رجاعها

وإني امرؤ مني الحياء الذي ترى ... أعيش بأخلاق قليل خداعها

قيس بن الخطيم:

إذا ضيع الإخوان سرا فإنني كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ائتمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين

شاعر:

ارى قوما وجوههم حسان ... إذا كانت حوائجهم إلينا

فإن كانت حوائجنا إليهم ... تغير حسن أوجههم علينا

ومنهم من سمنع ما لديه ... ويغضب حين نمنع ما لدينا

فإن يك فعلهم سمجا وفعلي ... قبيحا مثله فقد استوينا

قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بين حاذف وقاذف، وبين ستوق وزائف.

شاعر قديم:

أناجي أخي في كل حق وباطل ... وأرغمه حتى يمل ملائلي

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٦٠

فإن رامه بالظلم غيري وجدتني ... له باذلا من ذاك نفس مقاتلي

فأظلمه جهدي وأمنع ظلمه ... بجهدولا أخليه شحمة آكل

فإن سيم خسفا أو هوانا تربدت ... قسائم وجهي واعترتني أفاكلي

وخضت غمار الموت دون مناله ... حفاظا ولم أسلم أخي للمناضل

وهذه أبيات تصلح للحفظ لما فيها من شرف اللفظ، وحسن الرونق، وصحة المعنى، وطراز العرب غير طراز المتشبهين بهم، ولعمري إن حسبية الطبع أكثر ماء، وأبهى نضارة من مثقف التكلف، والجواهر تشرف بمعادنها، والفروع تزدهي بأصولها، والنجوم بأفلاكها، ومن الغي أن يقال: الأفلاك بنجومها.

قال عبد الله بن طاهر:

طلبت أخا محضا صحيحا مسلما ... نقيا من الآفات في كل موسم

لأمنحه ودي فلم أجد الذي ... طلبت، ومن لي بالصحيح المسلم

فلما بدا لي أنني غير مبتدى ... من الناس إلا بالمريض المسقم

صبرت ومن يصبر يجد غب ضره ... ألذ وأشهى من جنى النحل في الفم

ومن لم يطب نفسا ويستبق صاحبا ... ويغفر لأهل الود يصرم ويصرم

تفقد هذا النحت لهذا المحدث من ذلك النحت لذلك الأعرابي، فإنك تجد بين الديباجتين، بالحسن الصحيح، فرقا يشهد لك بتقدم الدعي على الصريح.

قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة، هذا وكان ظني في أولها أنها تكون لطيفة خفيفة، يسهل انتساخها وقراءتها، فماجت بشجون الحديث، وروادف من الطيب والخبيث، فاقبل حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته وأعدته، ونشرته وطويته، على أنك لو علمت في أي وقت ارتفعت هذه الرسالة، وعلى أي حال تمت، لتعجبت، وما كان يقل في عينك منها، يكثر في نفسك، وما يصغر منها ينقدك، يكبر بعقلك، والله أسأل خاتمة مقرونة بغنيمة، وعاقبة مفضية إلى كرامة، فقد بلغت شمسي رأس الحائط، والله أستعين على كل ما هم النفس، ووزع الفكر، وأدنى من الوسواس، إنه نعم المعين، على أمور الدنيا والدين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه المصطفى محمد وآله الطيبين، والطاهرين أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.." (١)

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٨٥

"فلما بلغ ذلك حجرا أباه دعا مولى له يقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتني بعينيه، فذبح جؤذرا فأتاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال: فأتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعرا في رأس جبل، وهو قوله:

فلا تتركني يا ربيع لهذه ... وكنت أراني قبلها بك واثقا

فرده إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون ... دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

ثم قال: ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر، ثم قال:

خليلى ما في اليوم مصحى لشارب ... ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل

بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بني أسد، فقال:

يا لهف نفسي إذ خطئن كاهلا ... القاتلين الملك الحلاحلا

تالله لا يذهب شيخي باطلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبى عليه ذلك الشعراء قال عبيد:

ياذا المخوفنا بقت ... ل أبيه إذلالا وحينا

أزعمت أنك قد قتل ... ت سراتنا كذبا ومينا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر، حتى خرج إلى قيصر، فدخل معه الحمام، فإذا قيصر أقلف، فقال:

إني حلفت يمينا غير كاذبة ... أنك أقلف إلا ما جنى القمر

إذا طعنت به مالت عمامته ... كما تجمع تحت الفلكة الوبر

ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه وطبن الطماح ابن قيس الأسدي لهما، وكان حجر قتل

أباه، فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعا، فبعث قيصر في طلبه رسولا، فأدركه دون أنقرة بيوم، ومعه حلة مسمومة، فلبسها في يوم صائف، فتناثر لحمه وتفطر جسده، وكان يحمله جابر بن حنى التغلبي، فذلك قوله:

فإما تريني في رحالة جابر ... على حرج كالقر تخفق أكفاني

فيارب مكروب كررت وراءه ... وعان فككت الغل عنه ففداني

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

وقال حين حضرته الوفاة:

وطعنة مسحنفرهوجفنة مثعنجرهتبقى غدا بأنقره

قال ابن الكلبي: هذا آخر شيء تكلم به، ثم مات.

قال أبو عبد الله الجمحي: كان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره، وذلك قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

وقال:

سموت إليها بعد ما نام أهلها

وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ.

ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقوله:

كأن عيون الوحش حول قبابنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله:

كأني غداة البين لما تحملوا ... لدى سمرات الحى ناقف حنظل

وقد أجاد في صفة الفرس:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل." (١)

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٣

"هلا سألت جموع كن ... دة يوم ولوا هاربينا

وكان قاتل حجر علباء بن الحرث الأسدي، وأفلت امرؤ القيس يومئذ، وحلف لا يغسل رأسه ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره ببني أسد، فأتى ذا جدن الحميري فاستمده فأمده، وبلغ الخبر بني أسد فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خزيمة، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرىء القيس إليهم، فطرقهم في جند عظيم، فأغار على الكنانيين وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يا لهف نفسي إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

ثم تبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلا ذريعا، وقال:

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غ◌ركم بالأسد الباسل

قد قرت العينان من وائل ... ومن بني عمرو ومن كاهل

نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرك لأمين على نابل

حلت لي الخمر وكنت امرءا ... عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

ثم إن المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم، وأسر اثنى عشر فتى من ملوكهم، فأمر بهم فقتلوا بمكان بين الحيرة والكوفة، يقال له جفر الأملاك، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم، فهرب حتى لجأ إلى سعد بن الضباب الإيادي، سيد إياد، فأجاره.

وكان ابن الكلبي يذكر أن أم سعد كانت عند حجر أبي امرىء القيس، فتزوجها الضباب فولدت سعدا على فراشه، واستشهد على ذلك قول امرىء القيس:

يفكهنا سعد وينعم بالنا ... ويغدو علينا بالجفان وبالجزر

ونعرف فيه من أبيه ش◌مائلا ... ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

وهذا الشعر يدل على أن العرب كانت في الجاهلية ترى الولد للفراش.

ثم تحول إلى جبلى طيء، فنزل على قوم، منهم عامر بن جوين الطائي، فقالت له ابنته: إن الرجل مأكول فكله، فأتى عامر أجأ وصاح: ألا إن عامر بن جوين غدر، فلم يجبه الصدى، ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين

وفى، فأجابه الصدى، فقال: ما أحسن هذه وما أقبح تلك! ثم خرج امرؤ القيس من عنده، فشيعه، فرأت ابنته ساقيه وهو مدبر، وكانتا حمشتين، فقالت: ما رأيت كاليوم ساقى واف، فقال: هما ساقا غادر أقبح.

ويقال إن صاحب هذا القول أبو حنبل بن مر مجير الجراد.

ويقال إن ابنته لما أشارت عليه بأخذ ماله دعا بجذعة من غنمه، فحلبها في قدح ثم شرب فروى، ثم استلقى وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جدعة، ثم قام فمشى، وكان أعور سناطا، قصيرا حمش الساقين، فقالت ابنته: ما رأيت كاليوم ساقي واف؟ فقال لابنته: يا بنية، هما ساقا غادر شر، وقال:

لقد آليت أغدر في جداع ... ولو منيت أمات الربا ع

لأن الغدر في الأقوام عار ... وإن الحر يجزأ بالكراع

ولم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلى طيىء، ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم، فأتى السموأل بن عادياء اليهودي، ملك تيماء، وهي مدينة بين الشأم والحجاز، فاستودعه مائة درع وسلاحا كثيرا، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة، أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميئة، وقال له: غررت بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وإني أذين إن رجعت مملكا ... بسير ترى منه الفرانق أزورا

على ظهر عادي تحا ربه القطا ... إذا سافه العود الديافي جرجرا." (١)

"وللوارث الباقي من المال فاتركي ... عتابي فإني مصلح غير مفسد

والثالثة:

لم أر مثل الفتيان في غبن ال ... أيام ينسون ما عواقبها

والرابعة:

طال ليلى أراقب التنويرا ... أرقب الليل بالصباح بصيرا

وهو القائل في قصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب **بالثأر:**

دعا بالبقة الأمراء يوما ... جذيمة عصر ينجوهم ثبينا

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٥

فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول لو تبع اليقينا

ودست في صحيفتها إليه ... ليملك بضعها ولأن تدينا

فأردته ورغب النفس يردى ... ويبدي للفتى الحين المبينا

وخبرت العصا الأنباء عنه ... ولم أر مثل فارسها هجينا

وقدمت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذبا ومينا

ومن حذر الملاوم والمخازي ... وهن المنديات لمن منينا

أطف لأنفه الموسى قصير ... ليجدعه وكان به ضنينا

فأهواه لمازنه فأضحى ... طلاب الوتر مجدوعا مشينا

وصادفت امرءا لم تخش منه ... غوائله وما أمنت أمينا

فلما ارتد منها ارتد صلبا ... يجر المال والصدر أمينا

أتتها العيس تحمل ما دهاها ... وقنع في المسوح الدارعينا

ودس لها على الأنفاق عمرا ... بشكته وما خشيت كمينا

فجللها قديم الأثر عضبا ... يصك به الحواجب والجبينا

فأضحت من خزائنها كأن لم ... تكن زباء حاملة جنينا

وأبرزها الحوادث والمنايا ... وأي معمر لا يبتلينا

إذا أمهلن ذا جد عظيم ... عطفن له ولو فرطن حينا

ولم أجد الفتى يلهو بشيء ... ولو أثرى ولو ولد البنينا

هو عدي بن زيد بن حماد، بن زيد بن أيوب بن محروف ابن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم. وأول من نزل الحيرة منهم أيوب، بسبب دم أصابه، وكان منزله اليمامة، وكان حماد أول من تعلم الكتابة من بني أيوب، وكتب للنعمان الأكبر.

وكان عدي ترجمان أبرواز ملك فارس وكاتبه بالعربية، فلما قتل عمرو بن هند وصف له عدي بن زيد النعمان بن المنذر بن امرىء القيس، وأشار عليه بتوليته العرب، واحتال في ذلك حتى ولاه من بين إخوته، وكان أدمهم وأقبحهم. ثم بلغ النعمان عن عدي شيء فخافه، فاحتال حتى وقع في يده، فحبسهن فقال في الحبس أشعارا وبعث بها إليهن فمنها قوله:

ألا من مبلغ النعمان عنى ... علانية وما يعنى السرار
بأن المرء لم يخلق حديدا ... ولا هضبا توقله الوبار
ولكن كالشهاب سناه يخبو ... وحادي الموت عنه ما يحار
فهل من خالد إما هلكنا ... وهل بالموت يا للناس عار
ومنها قوله:
أبلغ النعمان عنى مألكا ... أنني قد طال حبسي وانتظارى
لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصارى
فلم يزل في حبسه حتى مات، ويقال إنه قتله.." (١)
"إذا ركبت بصاحبها خليجا ... تذكر ما لديه من جناح
ونحن على جوانبها قعود ... نغض الطرف كالإبل القماح
وهي الرافعة الرؤوس، والغض: الذل في الطرف.
وكان بشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي فأسرته بنو نبهان من طيىء فركب أوس إليهم فاستوهبه منهم، وكان قد نذر ليحرقنه إن قدر عليه، فوهبوه له، فقالت له أمه سعدى: قبح الله رأيك؟ أكرم الرجل وخل عنه، فإنه لا يمحو ما قال غير لسانه، ففعل، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح.
سلامة بن جندل
هو من بني عامر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زياد مناة بن تميم، جاهلي قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين، وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان، وكان عمرو بن كلثوم أغار على حي من بني سعد بن زيد مناة، فأصاب منهم، وكان فيمن أصاب أحمر بن جندل.
وكان سلامة بن جندل أحد من يصف الخيل فيحسن، وأجود شعره قصيدته التي أولها:
أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب ... ولى وذلك شأو غير مطلوب
أودى الشباب الذي مجد عواقبه ... فيه تلذ ولا لذات للشيب
ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه ... لو كان يدركه ركض اليعاقيب
وهو القائل:

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٤١

تقول ابنتى إن انطلاقك واحدا ... إلى الروع يوما تاركى لا أباليا

ذريني من الإشفاق أو قدمي لنا ... من الحدثان والمنية واقيا

ستتلف نفسى أو سأجمع هجمة ... ترى ساقييها يألمان التراقيا

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لسخائه، وقتلته بنو أسد في حرب بينهم وبين قومه، ويقال قتله منقذ بن طريف الأسدي ويقال قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، يقال ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا، وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله.

ويكنى لبيد أبا عقيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم.

وكان الحرث بن أبي شمر الغساني، وهو الأعرج، وجه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارس وأمره عليهم، فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل أكثرهم، ونجا لبيد، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة، وكانت حليمة بن مالك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا، وألبستهم الأكفان، والدروع وبرانس الإضريج.

وأدرك لبيد الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيد الكوفة وبنوه، فرجع بنوه إلى البادية بعد ذلك، فأقام لبيد إلى أن مات بها، فدفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ويقال إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، وأنه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة.

ولم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، واختلف في البيت، قال أبو اليقظان، هو:

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى ... حتى كساني من الإسلام سربالا

وقال غيره: بل هو قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران، فزاده عمر في عطائه خمس مائة درهم، وكان ألفين، فلما كان في

زمن معاوية قال له معاوية: هذان الفودان فما بال العلاوة؟ يعني بالفودين الألفين، وبالعلاوة الخمس مائة، وأراد أن يحطه إياها، فقال: أموت الآن وتبقى لك العلاوة والفودان! فرق له معاوية وترك عطاءه على حاله، فمات بعد ذلك بيسير.." (١)

"قال وكان عبد الله بن الصمة أخو دريد أغار على إبل لعبس وفزارة، ومعه دريد، بعد أن أشار عليه دريد ألا يفعل، فخالفه، فخرجت عليهم الخيل،فاستحر القتال في بني جشم، وقتل عبد الله بن الصمة، وصرع دريد، فقال ابن خرشاء العبسي أما أنا فأشهد أن دريدا حي، فقال له الربيع بن زياد وما علمك بذلك؟ قال أرى عرقا ينبض في باطن عجانه، فدعني أبقره بالرمح، فنهاه، فقال أما والله ليملأنها عليك عاملا قابلا شرا. ثم إن الربيع أمر بحمله حتى بلغه مأمنه، وكانت لدريد عنده يد متقدمة، فجازاه بذلك. ثم إن هوازن عقدت له رئاسة عبد الله أخيه، فخرج بهم، فلقى جماعة عبس وذبيان، فقتل منهم زهاء مائة قتيل، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، قاتل عبد الله بن الصمة، وبعث به إلى أمه ريحانة، لتقتله بعبد الله، فلم يصل إليها حتى قتل. وفي ذلك يقول دريد:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وكانت أم دريد خضضته بشعر لها على الطلب بثأر عبد الله أخيه، فقال:

ثكلت دريدا إن أتت لك شتوة ... سوى هذه حتى تدور الدوائر

وشيبب رأسى قبل حين مشيبه ... بكاؤك عبد الله والقلب طائر

إذا أنا حاذرت المنية بعده ... فلا وألت نفس عليها أحاذر

إبراهيم بن هرمة

هو من الخلج، والخلج من قيس عيلان. ويقال إنهم من قريش، فسموا الخلج لأنهم اختلجوا منهم.

وكان إبراهيم من ساقة الشعراء.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه قال ساقة الشعراء ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الحضري، حي من محارب، ومكين العذري، وقد رأيتهم أجمعين.

وكان ابراهيم مولعا بالشراب، وأخذه خيثم بن عراك صاحب شرط المدينة لزياد بن عبيد الله الحارثي في ولاية أبي العباس، فجلده الحد، فقال ابن هرمة:

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٥٢

عققت أباك ذا نشب ويسر ... فلما أفنت الدنيا أباكا

علقت عداوتى، هذى لعمرى ... ثياب السر تلبسها عراكا

ولما ولى أبو جعفر شخص إليه وامتدحه، فاستحسن شعره، وقال سل حاجتك، قال تكتب إلى عامل المدينة أن لا يحدني إذا أتي بي إليه وأنا سكران!! قال أبو جعفر هذا حد من حدود الله (تعالى)، وما كنت لأعطله، قال فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب إلى عامل المدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة جلدة، واجلد ابن هرمة ثمانين! فكان العون يمر به وهو سكران فيقول من يشتري ثمانين بمائة!! ويجوزه.

وإبراهيم القائل:

إنى وتركى ندى الأكرمين ... وقدحى بكفى زندا شحاحا

كتاركة بيضها بالعراء ... وملحفة بيض أخرى جناحا

ومما يستجاد له من شعره قوله:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع

إما تريني شاحبا متبذلا ... كالسيف يخلق جفنه فيضيع

فلرب ليلة لذة قد بتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

ويستجاد له قوله في الكلب:

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو أعجم

العماني

هو بن ذؤيب الفقيمي، ولم يكن من أهل عمان، وإنما قيل له " عماني " لأن دكينا الراجز نظر إليه وهو يسقي الإبل ويرتجز، فرآه غليما مصفر الوجه ضريرا مطحولا، فقال من هذا العماني؟ فلزمه الإسم. وإنما نسبه إلى عمان لأن عمان وبية، وأهلها مصفرة وجوههم مطحولون، وكذلك البحران. قال الشاعر:

من يسكن البحرين يعظم طحاله ... ويغبط بما في بطنه وهو جائع." (١)

"كان الشباب مظنة الجهل ... ومحسن الضحكات والهزل

يرويه الناس " مطية " ولا أراه إلا " مظنة " لأن هذا الشطر للنابغة، فأخذه منه، وهو قوله:

فإن مظنة الجهل الشباب

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٦١

كان الجميل إذا ارتديت به ... ومشيت أخطر صيت النعل

كان الفصيح إذا نطقت به ... وأصاخت الآذان للمملى

كان المشفع في مآربه ... عند الفتاة ومدرك النيل

والباعثى والناس قد هجعوا ... حتى أكون خليفة البعل

والآمرى حتى إذا عزمت ... نفسى أعان يدى بالفعل

فالآن صرت إنى مقاربة ... وحططت عن ظهر الصبا رحلى

والكأس أهواها وإن رزأت ... بلغ المعاش وقللت فضلى

صفراء مجدها مراز بها ... جلت عن النظراء والمثل

والكأس أهواها وإن مرازبها ... جلت عن النظراء و المثل

ذخرت لآدم قبل خلقته ... فتقدمته بحظوة القبل

فإذا علاها الماء ألبسها ... نمشا كشبه جلاجل الحجل

فأتاك شيء لا تلامسه ... إلا بحسن غريزة العقل

فترود منها العين في بشر ... حر الصحيفة ناصع سهل

حتى إذا سكنت جوامحها ... كتبت بمثل أكارع النمل

خطين من شتى ومجتمع ... غفل من الإعجام والشكل

فاعذر أخاك فإنه رجل ... مرنت مسامعه على العذل

وقوله:

يا منة يمتنها السكر ... ما ينقضى منى لها الشكر

أعطتك قيد مناك من قبل ... من قبل كان مرامها وعر

في مجلس ضحك السرور به ... عن ناجذيه وحلت الخمر

وهذا بيت يسأل عن معناه، وإنما أخذه من قول امرىء القيس حين قتلت بنو أسد أباه، فحلف لا يشرب خمرا حتى يدرك بثأره، فلما أدرك ثأره قال:

حلت لى الخمر وكنت امرأ ... عن شربها في شغل شاغل

وكان أبو نواس حلف لا يشرب خمرا حتى يجمعه ومن يحب مجلس، فلما اجتمعا حلت له الخمر، فقال:

يثنى إليك بها سوالفه ... رشأ صناعة طرفه السحر
ظلت حميا الكأس تبسطنا ... حتى تهتك بيننا الستر
ولقد تجوب بى الفلاة إذا ... صام النهار وقالت العفر
شدنية رعت الحمى فأتت ... ملء الحبال كأنها قصر
تثنى على الحاذين ذا خصل ... تعماله الخطران والشذر
أما إذا رفعته شامذة ... فتقول رنق فوقها نسر
أما إذا أرخته مسدلة ... فتقل أسدل خلفها ستر
وتسف أحيانا فتحسبها ... مترسما يقتاده أثر
فإذا قصرت لها الزمام سما ... فوق المقادم ملطم حر
فكأنها مصغ لتسمعه ... بعض الحديث بأذنه وقر
تبرى لأنقاض ألم بها ... جذب البرى فخدودها صعر
أسرى إليك بها بنو أمل ... عتبوا فأعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر ... فتدفقا فكلاكما بحر
لا تقعدا بى عن مدى أملى ... شيئا فما لكما به عذر." (١)
"ويحق لى إذ صرت بينكما ... ألا يحل بساحتى فقر
وقوله في الرشيد:
ملك تصور في القلوب مثاله ... فكأنه لم يخل منه مكان
ما تنطوى عنه القلوب بفجرة ... إلا يكلمه بها اللحظان
وقوله فيه:
يحميك مما يستسر بنفسه ... ضحكات وجه لا يريبك مشرق
حتى إذا أمضى عزيمة رأيه ... أخذت بسمع عدوه والمنطق
وقوله في محمد بن الفضل بن الربيع:
أخذت بحبل من حبال محمد ... أمنت به من نائب الحدثان

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٧٨

تغطيت من دهرى بظل جناحه ... فعينى ترى دهرى وليس يرانى

وقوله:

أوحده الله فما مثله ... لطالب ذاك ولا ناشد

وليس لله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وقوله:

أنت امرؤ أوليتنى نعما ... أوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فإليك بعد اليوم تقدمة ... لاقتك بالتصريح منكشفا

لا تحدثن إلى عارفة ... حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقوله في غالب:

ما كان لو لم أهجه غالب ... قام له شعرى مقام الشرف

يقول قد أسرفت في شتمنا ... وإنما طار بذاك السرف

غالب لا تسع لبنى العلى ... بلغت مجدا بهجائى فقف

وكان مجهولا ولكننى ... نوهت بالمجهول حتى عرف

ومن إفراط الهجاء قوله في الرقاشيين:

رأيت قدور الناس سودا من الصلىوقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر

يبينها للمعتفى بفنائهم ... ثلاث كخط الثاء من نقط الحبر

ولو جئتها ملأى عبيطا مجزلا ... لأخرجت ما فيها على طرف الظفر

إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها ... أمامهم الحولى من ولد الذر

العباس بن الأحنف

هو من بنى حنيفة. ويكنى أبا الفضل، وكان منشأه بغداد.

ويدلك على أنه من بنى حنيفة قوله للمرأة:

فإن تقتلونى لا تفوتوا بمهجتى ... مصاليت قومى من حنيفة أو عجل

وقد خطىء في توعده المرأة بطلب قومه بثأره إذا هو قتل عشقا،والعادة في مثل هذا من الشعراء أن يجعلور القتيل مطلولا.

وقال فيه مسلم:

بنو حنيفة لا يرضى الدعى بهمفاترك حنيفة واطلب غيرهم نسبا

اذهب إلى عرب ترضى بنسبتهم ... إنى أرى لك وجها يشبه العربا

وكان العباس صاحب غزل.ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة. ولم يكن يمدح ولا يهجو.

ومن حسن شعره قوله:

أشكو الذين أذاقونى مودتهم ... حتى إذا أيقظونى بالهوى رقدوا

وققوله:

لو كنت عاتبة لسكن روعتى ... أملى رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لى حيلة ... صد الملول خلاف صد العاتب

ما ضر من قطع الرجاء ببخله ... لو كان عللنى بوعد كاذب

وشبيه به قول الآخر:

أمتينى فهل لك أن تردى ... حياتى من مقالك بالغرور

أرى حبيك ينمى كل يوم ... وجورك في الهوى عدلا فجورى

ومن جيد شعر العباس قوله:

أحرم منكم بما أقول وقد ... نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنى ذبالة نصبت ... تضيء للناس وهى تحترق

وقوله:." (١)

"وكان أهل العراق، الذين يسمعون هذا الاتهام، يجتهدون في الرد عليه ودحضه، موضحين أن مقتل الخليفة الثالث مشكل، وأن الخوض فيه لايخلو من مخاطر الانزلاق إلى الباطل. وهذا النجاشي بن الحارث يرسل إلى شرحبيل، الذي أراد الالتحاق بمعاوية، أبياتا يبين فيها أن الأمر غامض إلى درجة أنه قد (حار فيه عقل كل بصير)، وأن الذين يخوضون فيه كانوا غائبين عنه، فهم يخوضون فيما لايعرفون، فليس من الحكمة مجاراتهم في هذا المتشابه، وترك المحكم الواضح البين، الذي هو وجوب طاعة الخليفة الشرعي، فيقول (١٩):

أتفصل أمرا غبت عنه بشبهة وقد حا فيها عقل كل بصير

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٧٩

بقول رجال لم يكونوا أئمة ولا للتي لقوكها بحضور
وما قول قوم غائبين تقاذفوا من الغيب ما دلاهم بغرور
وتترك أن الناس أعطوا عهودهم عليا على أنس به وسرور

لم يخف على أنصار علي أن مطالبة معاوية **بالثأر** لعثمان خدعة يريد من خلالها تحقيق طموحات دنيوية خاصة به، وقد أشار بعض شعرائهم إلى ذلك ومنهم ابن أخت شرحبيل الذي يشير إلى أن عليا كغيره من أصحاب النبي (ص) قد حاول الدفاع عن عثمان، وآلمه ما أصابه (٢٠) ولكن أصواتهم لم تكن تصل إلى آذن أهل الشام التي أصمها معاوية إلا عن صوته.

الشعر والحرب:." (١)

"أما الأشعار التي قيلت في تحريض معاوية فيمكن أن نلاحظ في كثير منها الرغبة في التركيز على العصبية الأموية، **وإثارتها** ضد بني هاشم، في محاولة لإ ضرام جذوة نزاع قديم كان بين الطرفين، واستغلاله لصالح الحرب المحتملة، وهو نزاع يرجع إلى زمن طويل قد مضى، دفعت إليه أسباب مختلفة لامجال لذكرها هنا (٢٣). ومن ذلك أن الحجاج بن خزيمة بن الصمة، دخل ذات يوم على معاوية، بعد مقتل عثمان، وقال: (السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: وعليك، من أنت، لله أبوك ؟ فقد روعتني بتسليمك علي بالخلافة قبل أن أنالها. فقال: أنا الحجاج بن خزيمة بن الصمة. قال: ففيم قدمت ؟. قال: قدمت قاصدا إليك بنعي عثمان. ثم أنشأ يقول (٢٤):

إن بني عمك عبد المطلب هم قتلوا شيخكم غير الكذب
وأنت أولى الناس بالوثب فثب وسر مسير المحزئل المتلئب

فهذا الرجل الذي يحرض معاوية من خلال إغرائه بمنصب الخلافة، إذ يخاطبه بـ (أمير المؤمنين)، لايقول إن عليا قتل عثمان، وإنما يقول: إن بني عبد المطلب هم الذين قتلوا شيخكم. وهو يتعمد استعمال لفظة (شيخكم) التي تشير إلى عثمان بن عفان من حيث هو زعيم لبني أمية وليس خليفة للمسلمين. وبهذا الرابط (الأموي) الذي يربط معاوية بعثمان يغدو معاوية أولى الناس بالوثب على قاتليه.

---

(١) الشعر في موقعة صفين، ص/١١

أما الوليد بن عقبة فإنه يلجأ إلى أسلوب آخر في تحريض معاوية، وذلك بوساطة **استثارة** حميته من خلال تصوير ما جرى لقومه بالمدينة، وما أصابهم من ذل بعد عز، ومن ضعف بعد قوة. ثم يسعى لاستغلال هذا الموقف العاطفي، إلى أقصى درجة، بذكر ما كان يمكن أن يفعله الخليفة في سبيل **الثأر** لمعاوية، لو كان الخليفة حيا ومعاوية هو المقتول، فيقول (٢٥):

وقومك بالمدينة قد أصيبوا فهم صرعى كأنهم الهشيم (٢٦)

هم جدعوا الأنوف فأدعيوها ولم يبقوا فقد بلغ الصميم." (١)

"... ولم يكن الرثاء بعيدا عن أجواء السحر، بل لعله يتنفس في أجواء السحر أكثر من الهجاء، لأن الغاية من المرثية » ان تطفئ غضب المقتول، وتنهاه أن يرجع إلى الحياة فيلحق الأضرار بالأحياء الباقين«(١)وقد أسهمت المرأة في النواح والبكاء مع طقوس ترافق ذلك، ويقال » إنهن كن يحلقن شعورهن ويلطمن خدودهن بأيديهن والنعال والجلود وكن يصنعن ذلك على القبر وفي مجالس القبيلة والمواسم العظام، ولعل في حلق رءوسهن ما يجمع بينهن وبين الهجائين ... وما يشهد بأن هذا الرثاء إنما تطور عن تعويذات كانت تقال للميت وعلى قبره حتى يطمئن في لحده«(٢)ومثل هذا ما ينقله ابن طباطبا العلوي من«أمثلة لسنن العرب المستعملة بينها، التي لا تفهم معانيها إلا سماعا، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب **بثأرها**، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها « (٣) .

... إن هذه التقاليد التي رافقت أداء الهجاء أو المرثية إنما تدل على تداخل السحر بالأسطورة بالشعر، ولذلك ليس غريبا أن تجد من يؤكد » أن الشعراء إنما أخذوا تقليدهم هذا من السحرة : الشعراء الأوائل، ومن الكهنة، لأن السحرة والكهنة كانوا ينظمون الشعر وينشدونه على هيأة خاصة، يلبسون فيه أردية خاصة ويقفون في وضع خاص حين إنشاد الشعر « (٤) .

---

(١) . كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ،١/٤٨ .

(٢) . شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٢٠٧ .

---

(١) الشعر في موقعة صفين، ص/١٣

(٣) . ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر ،ص ٧٣ .

(٤) . جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٨٦/٩ .." (١)

"... إن عنترة بن شداد لم يخرج عن إطار القبيلة ولم يتمرد على كيانها، فقد بقي يناضل من أجل الحصول على حريته وكان عنترة يعلم أن الحرية التي يطلبها لا تمنح، وإنما تؤخذ بالكفاح واثبات الذات وأفعالها، إن فروسية عنترة ليست » إلا نوعا من الثأر لنفسه المحدودة في نهاية المطاف، من هذه الطبيعة حوله من فضائها الهائل وفراغها المهيب، بل إن ذلك هو ما يدفعه إلى التهور والاستهانة بشخصه والتطوح في هوة المغامرة لتصير حياته على مثال الصحراء مطلقة ونسبية، بسيطة ومعقدة، ثابتة وتنهار كالرمل « (١)، وعلى الرغم من اعتراف أبيه بنسبه إليه، فهو في نظر أعدائه وقومه عبدا، وأكثر من هذا أن ابنة عمه التي يحبها تضعه في الإطار ذاته من حيث كونه اسود اللون عبدا . ولذلك لاحظنا أن ما يثير عنترة أن تشيح عنه بوجهها، وكأنها تنكأ جرحا دفينا في نفسه، ولذلك كان

إرخاء عبلة قناعها على وجهها يمثل مثيرا دفع عنترة إلى الإسهاب في التعبير عن معاناته بطرف خفي، مضفيا على نفسه تلك الخصائص والخصال الحميدة، ويتحسس أن ظلما كبيرا يقع عليه بسبب هذا الجفاء، يقول عنترة :

إن تغدفي دوني القناع فإنني

طب بأخذ الفارس المستلئم(٢)

أثني علي بما علمت فإنني

سمح مخالقتي إذا لم أظلم

وإذا ظلمت فإن ظلمي باسل

مر مذاقته كطعم العلقم(٣)

ولقد شربت من المدامة بعدما

ركد الهواجر بالمشوف المعلم(٤)

بزجاجة صفراء ذات أسرة

قرنت بأزهر في الشمال مفدم(٥)

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/٦١

فإذا شربت فإنني مستهلك

مالي، وعرضي وافر لم يكلم

---

(١) . ... نفسه، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) ـ الاغداف : الارخاء، طب : حاذق، استلأم : لبس لامة الحرب وهي الدرع .

(٣) ـ باسل : كريه، والباسل : الشجاع .

(٤) ـ ركد : سكن، الهواجر : أكثر الأوقات حرا، المشوف : المجلي، المدام : الخمرة .

(٥) ـ أزهر : ابريق أزهر، مفدم : مشدود الرأس بالفدام .." (١)

"... أرقت الإنسان قديما وحديثا مواجهته لنهاية الحياة، وكان الاعتقاد أن الموت حتمية لا مفر منها، إذ هو يقضي على المخلوقات جميعا، وحاول الإنسان منذ القدم أن يقدم تفسيرات للموت من ناحية وللعالم الذي يأتي بعده من ناحية أخرى، وقد اختلطت تلك التفسيرات بأساطير عديدة، ولا ينفصل تفسير مفهوم الموت عن الطقوس والمراسيم والندب والبكاء والرثاء، لأن هناك علاقة بينها جميعا، وأول فعل يفعله الإنسان هو محاولته التخلص من جثة المتوفى، دفنا، أو حرقا، أو إغراقا، بحسب العقائد التي يؤمن بها وترافق ذلك طقوس وأقوال .

... ولقد عني الإنسان القديم النياندرتال بدفن الموتى، حيث وجد في بعض الحفريات أن الميت دفن مطويا بطريقة معينة، واختلف في تفسير ذلك إذ » ذهب بعضهم إلى أن طوي الجثة كان رغبة في منع عودة الميت لئلا يقلق الأحياء، ويسبب الضرر لهم في حين ذهب آخرون إلى أنه كان يمثل محاكاة لوضع الجنين تفاؤلا ورمزا إلى أن القبر سيشهد ولادة أخرى للإنسان « (١) .

... وكانت غاية الدفن تكريم الإنسان، وكلما كان دفن الميت لائقا فإن روحه تستقر في العالم السفلي، غير أن » أرواح الذين لم تدفن أجسادهم، أو الذين لم يقرب لأرواحهم وفق الشعائر المقررة، تكون قلقة غير مستقرة في ذلك العالم، وتعود بطريقة ما إلى عالم الأحياء لإحداث الأذى بسكانه حيث ... تصبح شبحا أو روحا خبيثا « (٢) ولعل هذا يقرب من تصور العرب لهامة القتيل التي تظل تصيح اسقوني اسقوني، لا تكف عن الصياح، ولا يستقر جسد القتيل حتى يأخذ له أهله بثأره .

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٢٣

(١) . نائل حنون، عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ص ٢٩ .

(٢) . نفسه، ص ١١٢ .." (١)

"مقدرة لنا ومقدرينا(١)

ويقول طرفة بن العبد :

أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوى في البطالة مفسد(٢)

ترى جثوتين من تراب عليهما

صفائح صم من صفيح منضد(٣)

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد(٤)

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة

وما تنقص الأيام والدهر ينفد

لعمرك ! إن الموت ما أخطأ الفتي

لكالطول المرخى وثنياه باليد(٥)

... ومن الطبيعي أن يؤثر هذا على رؤية الشاعر، إذ كان » من نتائج الإحساس بحتمية الفناء والموت، التهافت على لذات الحياة ومتعها، كما كان يفهمها الشاعر الجاهلي . فما دام الموت يترصده في كل خطوة، وما دامت الحياة ستنتهي إلى رمس مظلم في برية مقفرة، فليتزود منها ما استطاع، ليغرق نفسه في لذائذها ومباهجها، فقد لا تتاح له هناك حياة مثل هذه الحياة، على ما فيها من شظف وخشونة. يقول طرفة :

فذرني أروي هامتي في حياتها

مخافة شرب في الممات مصرد (٦)

كريم يروي نفسه في حياته

ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي «(٧)

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٦٣

(١) ـ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ١٦٥ . يقول : سوف تدركنا مقادير موتنا وقد قدرت تلك المقادير وقدرنا لها، المنايا، جمع منية وهي تقدير الموت .

(٢) ـ النحام : البخيل، الغوي : الذي يتبع هواه ولذاته، البطالة : اتباع الهوى والجهل .

(٣) ـ الجثوة : الكومة من التراب، الصم : الصلبة .

(٤) ـ يعتام : يختار، العقيلة : أراد كريمة المال، الفاحش : أراد البخيل، المتشدد : الكثير البخل .

(٥) ـ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ٩٠ ـ ٩١ . الطول : الحبل، ثنياه : طرفاه .

(٦) ـ الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل، ولا تهدأ حتى يؤخذ بثأره، مصرد : مقطوع .

(٧) ـ مصطفى الشورى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ص ٤١ .يقول أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمر، ستعلم أن متنا غدا أينا العطشان .." (١)

"... ويعتقد الجاهليون أن الإنسان إذا مات لا تنقطع علاقته بالحياة الدنيا، فهو يتابع أخبار قومه وأهله من خلال » الهامة« وهي : » ان الإنسان إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه، فانتصب طيرا هامة، ترجع إلى رأس القبر كل مائة سنة . . . ويكون خروجها من الأنف أو الفم، لأن النفس يكون منهما، فتتجمع الأرواح حول القبور، ويكون في وسعها مراقبة أهل الميت وأصدقائه، ونقل أخبارهم إليه، ولهذا السبب تصوروا المقابر مجتمع الأرواح تطير مرفرفة حول القبور، والى هذه العقيدة أشير في شعر أبي دؤاد :

سلط الدهر والمنون عليهم

فلهم في صدى المقابر هام (١)

وكذلك في شعر لبيد :

فليس بعدك من نفير

وليسوا غير أصداء وهام « (٢)

ويقول ذو الأصبع العدواني : (٣)

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي

... ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني(٤)

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٦٥

ويقول طرفة بن العبد :

فذربي أروي هامتي في حياتها

مخافة شرب في الممات مصرد (٥)

... وان هامة القتيل تظل تصيح اسقوني مطالبة **بالثأر**، فإن تم أخذ **الثأر** تكف الهامة عن الصياح، ويبلغ ذلك القتيل فيستقر في قبره، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وكانت القبيلة لا تبكي المقتول حتى تأخذ **بثأره**، يقول الربيع بن زياد : (٦)

إني أرقت فلم أغمض حار

من سيئ النبأ الجليل الساري

من مثله تمسي النساء حواسرا

---

(١) . الأصمعي، الأصمعيات، ص ١٨٧، الهام : جمع هامة، روح الميت تصير هامة تطير .

(٢) . جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٣٩/٦ . ١٤٠ .

(٣) . المفضل الضبي، المفضليات، ص ١٦٠ .

(٤) . الهامة يقال الرجل إذا قتل فلم يدرك **بثأره** خرجت هامة من قبره تصيح اسقوني، وقيل الهامة هي الروح.

(٥) . ... الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل ولا تهدأ حتى يؤخذ **بثأره**، مصرد : مقطوع .

(٦) . ... زيد بن علي الفارسي، شرح كتاب الحماسة، ٤٤٩/٢ . ٤٥١ .." (١)

"وتقوم معولة مع الأسحار

أفبعد مقتل مالك بن زهير

ترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهى

إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عذوفا

يقذفن بالمهرات والأمهار

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٦٩

ومساعرا صدأ الحديد عليهم

فكأنما طلي الوجوه بقار

من كان مسرورا بمقتل مالك

فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه

يلطمن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تسترا

فالآن حين برزن للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى

عف الشمائل طيب الأخبار

... يقول ابن طباطبا العلوي : متحدثا عن سنن العرب ومنها » إمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، فإذا أدركته بكت قتلاها...يقول من كان مسرورا بمقتل مالك فليستدل ببكاء نسائنا وندبهن إياه على أنا أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله « (١)، ومما يؤكد ذلك ما فعلته قريش بعد معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون على المشركين إذ

» نهت نساءهم وشعراءهم عن البكاء على قتلاهم حتى يثأروا، فلم يبك عليهم حتى كان يوم أحد « (٢) .

... ومن الطقوس التي يعمد إليها أهل المتوفى فهي : ندبه، والبكاء عليه، ورثاؤه وقد تزامنت مع ذلك طقوس لها دلالات أسطورية، منها طقس التطهير، فزوجة المتوفى

---

(١) . ... ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص ٧٣ .

(٢) . زيد بن علي الفارسي، شرح كتاب الحماسة، ٢/ ٤٠١ .ويقول » من كان مسرورا بمقتل مالك فلا يشمت فإنا أدركنا ثأرنا به، وذلك أن العرب كانت لا تبكي على القتيل حتى تدرك الثأر، أي فليأت نسوتنا حتى يراهن حواسر يندبنه، وفيه وجه آخر، أي من كان مسرورا بذلك فليشمت فإنه موضع الشماتة، وهذا أجود لأن الذي روي من مذهب العرب ليس بثابت « نفسه ٢/ ٤٥١ .." (١)

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٧٠

"١- ... إثارة القبيلة للأخذ بثأر القتيل، وكأن المرثية أحد ألوان النوح القديم الذي تمارسه النساء، يقول شوقي ضيف » فقد كن ما زلن ينحن على القتيل حتى تثأر القبيلة له « (١)، ويبدو أن هذا يتعارض مع النصين السابقين اللذين أوردهما ابن طباطبا وزيد بن علي الفارسي في أن القبيلة لا تبكي قتلاها إلا بعد أن تأخذ بثأرها لهم .

تصوير خصائص المرثي وتأبينه » وقام بالقسط الأكبر من ندب الميت وبكائه النساء، فكن يشققن جيوبهن عليه ويلطمن وجوههن ويقرعن صدورهن ويعقدن عليه مأتما من العويل والبكاء « (٢)، ومن الطريف أن سكان العراق القدماء أطلقوا مصطلح » شقو « على الحداد » وهو مصطلح أكدي قريب من كلمة » الشقاء « العربية، ولعل المقصود من اطلاق هذا المصطلح على الحداد الإشارة إلى الحالة التي يكون عليها الحزانى في فترة الحداد، حيث يغمر الألم نفوسهم وتملأ الحسرة صدورهم، وكانت طريقة الإعلان عن الحداد تتم بترك الشعر أشعث أو بنتفه تعبيرا عن الحزن، والنواح بأصوات عالية واللطم على الوجه والقاء اليدين على الأرض وتمزيق الثياب«(٣).

٣- ... تصوير مشاعر الراثي من حيث الحزن العميق والتأسف على الميت .

... وقد أسهم الشعراء في التعبير عن ذلك، ومن مظاهر التعبير وصف خصائص الميت، وتتركز جلها حول : الكرم، ونجدة الملهوف، وإقراء الضيف، والشجاعة والدفاع عن القبيلة، وحمل القيم العربية النبيلة .

... ولعل أول مظهر من المظاهر التي يشترك فيها الشعراء هو البكاء على الموتى، غير أن جذوة الحرقة تشتد بخاصة في القتلى، قال دريد بن الصمة : (٤)

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى

مكان البكا لكن بنيت على الصبر

فقلت أعبد الله أبكي أم الذي

---

(١) . شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٢٠٧ .

(٢) . نفسه .

(٣) ـ نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بـلاد وادي الرافدين، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٤) ـ دريد بن الصمة، ديوان دريد بين الصمة، ص ٦٣.." (١)

"بنافذات بلا ريش وأفواق (١)

... وممن رثا نفسه عبد يغوث بن وقاص الحارثي، وقال هذه القصيدة بعد أسره وبعد ما عرف أن القوم سيقتلونه لا محالة، وفيها ينعى نفسه، وينهى صاحبيه عن لومه لأن اللوم لا ينفع، ثم يبلغ أصحابه وخلانه أن لا لقاء بعد اليوم، ثم يلوم قومه الذين لم يهبوا لنجدته لأنه وقف مقاتلا، ولو شاء لهرب، ثم أخذ يفخر بنفسه من حيث الشجاعة والكرم وقدرته وبراعته في القتال وفنونه، يقول : (٢)

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

وما لكما في اللوم خير ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها

قليل وما لومي أخي من شماليا (٣)

فيا راكبا إما عرضت فبلغن

نداماي من نجران أن لا تلاقيا

أبا كرب والأيهمين كليهما

وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

جزى الله قومي بالكلاب ملامة

صـريحهم والآخرين المواليا (٤)

ولو شئت نجتني من الخيل نهدة

ترى خلفها الحو الجياد تواليا (٥)

ولكنني أحمي ذمار أبيكم

وكان الرماح يختطفن المحاميا (٦)

أقول وقد شدوا لساني بنسعة

أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا (٧)

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٧٢

أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا

فإن أخاكم لم يكن من بوائيا (٨)

فإن تقتلوني تقتلوا بي سيدا

---

(١) . المفضل الضبي، المفضليات، ص ٣٠٠ .العرض : الناحية والجنب، النافذات : السهام، الأفواق : جمع فوق، وهو مجرى الوتر من السهم .

(٢) . ... المفضل الضبي، المفضليات، ص ١٥٥ . ١٥٨ .

(٣) . شمال : واحد الشمائل .

(٤) . الكلاب : أحد أيام العرب، وفيه أسر الشاعر .

(٥) . النهدة : المرتفعة الخلق، الحوة : الخضرة .

(٦) . الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جارا وطلبه ثأرا .

(٧ (. النسعة : القطعة من النسع، وهو سير يضفر من جلد .

(٨) . اسجحوا : سهلوا ويسروا في أمري .." (١)

"... إن » الشيب « و » الاشتعال « يتفاعلان إلى درجة يخلع فيها الاشتعال بعض صفاته على الشيب، وإن الشيب يخلع هو الآخر بعض صفاته على الاشتعال، وإن الدلالة العميقة التي تكتنف بعدي الاشتعال والشيب واحدة، ويحتويها البعد النفسي الذي يكمن خلف الصورة، وتنقله طبيعة التركيب اللغوي إلى مخيلة المتلقي والتأثير فيه، ويسهم في تجلية هذه الدلالة سياق الآية الكريمة : » قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا « (١) .

ونحاول تأمل الأبيات الشعرية الآتية :

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة

فصبرا على ماشاءه الله صبرا

رأيت غزالا يرتعي وسط روضة

فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا (٢)

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٧٨

فيا ظبي كل رغدا هنيئا ولا تخف

فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا

وعندي لكم حصن ح◌صين وصارم

حسام اذا أعملته أحسن الهبرا (٣)

فما راعني إلا وذئب قد انتحى

فأعلق في أحشائه الناب والظفرا (٤)

ففوقت سهمي في كتوم غمزتها

فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا (٥)

وأذهب غيظي قتله وشفى جوى

بقلبي أن الحر قد يدرك الوترا (٦)

---

(١) . سورة مريم، آية : ٤ .

(٢) . ترتعي : ترعى .

(٣) . حصين : بين الحصانة، الصارم والحسام : السيف القاطع، الهبر : القطع.

(٤) . انتحى : أخذه ناحية .

(٥) . فوق السهم : حركه، الكتوم : القوس .

(٦) . الأصفهاني، الأغاني، ٢ / ٨، الجوى : الحرقة، الوتر : الثأر .." (١)

"... ومن أجل تمثل أفضل أرى من المناسب التأكيد على أن النص الأدبي يتميز بوجوده الموضوعي المستقل عن الذات الإنسانية المدركة، وانه ينطوي على ماهيته الخاصة التي تترتب فيها عناصره المكونة له بكيفية معينة، بمعنى أنه يتكون من تشكيل لغوي خاص، وإنه يحتوي على مفردات لغوية تعارف الناس على دلالاتها، وأن معاني هذه المفردات تتفاوت في الوضوح والتأثير بين الأفراد، إذ إن دلالة الكلمة لدى لغوي متخصص ليست هي تماما لدى الإنسان العادي، كما أن للكلمة دلالاتها السياقية، وتختزن بعدا تراثيا، فكلمة مثل » سولت « لها دلالة لغوية تعني تزيين الأمر، ولكنها لا تنفصل في الحقيقة عن دلالة تتضمنها بسبب

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٩٠

ورودها في سياق آية قرآنية، بحيث لا تنفك عنها هذه الدلالة .

... إن علاقة الناقد بالنص الأدبي أكبر من مجرد القراءة السريعة والتأثر المنفعل بالنص لأن أول ما يقوم به الناقد هو محاورته في فهم النص الأدبي، وهذا يشتمل على إقامة حوار مع الدلالات اللغوية التي ينطوي عليها النص الأدبي، وإدراك دلالاتها في أصل وضعها في اللغة وفي مدى سياقها، ومن ثم وعي الجوانب الفنية والمعرفية، وإن هذه المحاولة في فهم النص والسعي إلى استنطاقه، أي جعل النص يكشف عن قيمه الجمالية، أو ما يمكن أن نطلق عليه » تبادل المعاني داخل النص ذاته « .

... إن الشاعر في الأبيات الشعرية السالفة يصف غزالا، يرعى وسط روضة من الرياض، ويذكره جمال الظبي بحبيبته وجمالها، ويتعهد الشاعر بسبب هذه المماثلة في الجمال مع نفسه، وللظبي، أن يحميه ويدافع عنه، غير أن ذئبا يغدر به، فيعلق أظفاره وأنيابه في أحشاء الظبي، **ويثأر** الشاعر للظبي، ويبر بوعده، فيقتل الذئب، ويشعر عندها بارتياح لأنه قد **ثأر** من خصمه .." (١)

"... وهذا هو ظاهر الأبيات، وليس هو مقصود الشاعر في الحقيقة، لأنه لا يريد تسلية المتلقي بمجرد حكاية حصلت بعض أحداثها في إحدى الرياض . إن هذا النص الشعري له وجهان متجاوران، أحدهما : ظاهري أو جلي، وثانيهما : باطني أو خفي والأخير هو الذي يعنيه الشاعر، ويظهر أن التعبير بالرمز والإشارة والإيحاء يحقق للمبدع متعة، ويسعفه في التعبير عن انفعاله، كما أنه أكثر تأثيرا بالمتلقي، حيث يتعاطف مع الشاعر في النهاية ويشعر بارتياح حين يتمكن الشاعر من قتل الذئب .

... ويمكننا القول إن الأبيات الشعرية إنما تمثل استعارة كبرى يمنع ان يقصد منها ظاهر الأبيات قرينة » أرى ليلى تراءت لنا ظهرا « إذن هناك صورتان متفاعلتان إحداهما الظاهرة تتجلى في : الشاعر، والغزال، والذئب، والثانية خفية يمثلها : الشاعر وحبيبته ليلى، وزوجها، وفي الصورة الأولى يتبدى الشاعر وهو يتحرك حركتين : إحداهما : نحو الغزال، والثانية : نحو الذئب . وحركة الشاعر نحو الغزال إعجاب بالجمال وتعهد بالحماية، ويعرض الشاعر لتعهداته بقيم اجتماعية، كأن يجعل من الغزال جارا له، ومن ثم يتحتم عليه حماية جاره . ويستعرض في الوقت نفسه أدواته التي يستخدمها لحماية هذا الكائن، وهي على ضربين : دفاعية : متمثلة في الحصن الذي يمنع عن الغزال مخاطر الأعداء، وهجومية : وهي الحسام الذي يحسن القطع، أو السهم الذي يحقق هدف الشاعر في إدراك الغاية بقتل الذئب، أما الحركة الثانية، وهي نحو الذئب فهي رد لحركة الذئب

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٩١

نحو الغزال، فلقد افتض الذئب أحشاء الظبي وافترسه، وأعلق في أحشائه أنيابه وأظفاره، فما كان من الشاعر إلا أن يفي بوعده، وهو إن لم يستطع أن يحقق حماية الظبي، فلقد حقق **الثأر** له من خصمه وعدوه، ومن ثم يحقق ذلك ارتياحا يشعر به الشاعر ويعبر عنه، وتنتقل **آثاره** إلى المتلقي الذي يتم من خلال ذلك تفريج انفعاله بعد شده وتوتره .." (١)

"إذن فنحن إزاء حركات متعددة في النص الشعري :

... حركة الذئب نحو الغزال : « طمع وقتل وافتراس » .

... حركة الذئب نحو الشاعر: «مخاتلة وغدر واستغلال الفرص » .

... حركة الشاعر نحو الغزال: « إعجاب بالجمال وتعهد بالحماية » .

... حركة الشاعر نحو الذئب: « **الثأر** وتحقيق الغاية بالقتل » .

أما الغزال فإنه في حالة استسلام للشاعر الذي لم يفلح في حمايته، وإن **ثار** من أجله، واستسلام للذئب الذي افترسه .

... ولو انتقلنا إلى الجهة المقابلة، إلى الصورة الخفية التي يقصدها الشاعر في الواقع لألفينا الشاعر يتحرك نحو حبيبته ليلى بالحماية المعنوية بالحصن الذي قد يدل على البيت الذي يريد العيش فيه وإياها، أما السيف فهو السلاح الذي يحميها به، ونلتقي أيضا بحركة زوج ليلى، وهو الرجل الذي يخلع عليه الشاعر بعض خصائص الذئب وصفاته وأنه يتصف بالغدر فضلا عن الخصائص الحيوانية، وأنه قد افترس حبيبة الشاعر .

... إن تبادل المعاني في النص تتجلى في هذا النص الشعري، فالصورة الظاهرة إنما تمثل لونا من الرمز، وهي تخلع بعض صفاتها وملامحها على الصورة الخفية، كما أن الأخيرة تضفي بعض خصائصها وتلقي ظلالها على الصورة الجلية في ضوء تفاعل جدلي تتبادل فيه المعاني في النص ذاته .." (٢)

"**الثأر** ... ... —

قتل الذئب ... ... —

أدوات القتل » السهم « ... ... —

... إن الصورة الجلية تمثل ترميزا لحالة تماثلها في الواقع، أو أن الشاعر » يواجه تشكيل الواقع بتشكيل يوازيه

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٩٢

(٢) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٩٣

رمزيا « (١)، وبهذا أضفى الشاعر على الصورة الواقعية ظلالا من الترميز، وهي جزء من الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، وإذا كنا نجد تماثلا بين الصورتين الخفية والجلية فإننا نفتقر إلى تحقيق هذا التماثل في الواقع في الأجزاء الأخيرة من النص الشعري، فإن ثأر الشاعر لم يتحقق في الواقع، وإن الانتقام من زوج ليلى لم يتم . وهذه الحالة لها ما يبررها نفسيا، لأن الشاعر يحاول إفراغ انفعاله وتحقيق بعض آماله وطموحاته من خلال الحلم باليقظة، وهو أحد ألوان التعويض، إن الشاعر يحقق بالشعر ما لم يستطع تحقيقه في الواقع، فهو إزاء واقع اجتماعي سلب منه حبيبته ودفعه إلى توتر شديد، وكان لا بد من إزالة غيظه بقتل الرمز، وإن تحقيق قتل الرمز كأنه يحقق على صعيد الحلم قتل المرموز، أو هذا ما يحلم به الشاعر، أن الثأر بين الشاعر وزوج ليلى تم تحقيقه بقتل مماثل الزوج وهو الذئب، ومن هنا ندرك لماذا أذهب قتل الذئب غيظ الشاعر وكيف شعر بالارتياح في قوله :

وأذهب غيظي قتله وشفى جوى

بقلبي أن الحر قد يدرك الوترا

---

(١) . عبد المنعم تليمة، مداخل إلى علم الجمال الأدبي، ص ١١٠ .." (١)

"وللزجر منه وقع أهوج منعب(١)

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه

يمر كخذروف الوليد المثقب (٢)

يقول » وواضح أن الأبيات الأولى تخلو من تلك التقسيمات والمقابلات التي تكثر في أبيات المقطوعة الثانية التي يصف فيها سرعة فرسه، وما يحدثه به من الضرب بالسوط والزجر بالساق لينطلق به في إثر صيده سريعا منحدرا كالجبل في عنفه وشدته . وهذا البطء الموسيقي أو قل تتابع المدات والسكنات في أبياته الأولى نابع من هذا الجو النفسي الخاص الذي يفرضه عليه هذا الهجران، والذي يحمله على التأمل الهادئ في حالته وظروفه، ويجعل حديثه إلى أصحابه، حديث شاك حزين ملح في شكواه، وكأنه يريد أن يبلغ من نفس رفيقه ما يحمله على إصلاح ما فسد بينه وبين صاحبته... أما وصف امرئ القيس لحصانه فنابع من موقف شخصي مختلف، موقف المقبل على الحياة الذي يرى في هذا الحصان مجرد وسيلة تبلغه غايته، ومن ثم فالموسيقى عنيفة

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/١٩٥

مندفعة عنف الشاعر واندفاعه. وقسوته على فرسه نابعة هي الأخرى من حاجته إليه في بلوغ غايته وهي مطاردة هذه الحيوانات الوحشية، وكأنه كان لا يريد أن يفوته شيء من متع هذه الحياة « (٣) .

ومن أمثلة التقطيع قول الخنساء :

المجد حلته، والجود علته

والصدق حوزته إن قرنه هابا(٤)

خطاب محفلة، فراج مظلمة

إن هاب معضلة سنى لها بابا(٥)

حمال الوية، قطاع أودية

شهاد أنجية للوتر طلابا(٦)

وقولها :

---

(١) . يقول إذا حركه بساقه ألهب الجري، أي أتى بجري شديد كالتهاب النار، وإذا ضربه بالسوط در بالجري وإذا زجره وقع منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له .

(٢) . فأدرك لم يجهد : أي أدرك الفرس الصيد دون مشقة وتعب .

(٣) . ابراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي، ص ٢٨٨ .

(٤) . الحلة : الثوب، القرن : النظير في الشجاعة .

(٥) _ المحفلة :المجلس، سنى : سهل وفتح .

(٦) . الأنجية : المجالس، الوتر : الثأر .." (١)

"٦(ولا بدع إن حاربتم الله إنها ** لشنشنة من بعض أخلاق أخزم) ٦(ونازعتم الجبار في جبروته ** ولكنه من راغم الله يرغم) ٦(ولم تحسبوا من طيشكم أن عنكم ** عيون قصاص الغيب ليست بنوم) ٦٤ (ستجزون في الأخرى نكالا مؤبدا ** على ما اقترفتم من عقوق ومأثم) ٦٥ (عذرتم بسادات البرية غدرة اليهود ** بيحيي والمسيح ابن مريم) ٦٦ (وإنا وإن كنا من الضيم والأسى ** وفرط التلظي نمزج الدمع بالدم) ٦٧ (فلسنا الأولى ننحو بندب سراتنا ** نياح الغواني خفن سوء التأيم) ٦٨ (ولكننا غيظا نعض أكفنا

---

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/٢٣٥

** لما فاتنا من ثأرنا المتقدم) ٦٩ (وما من بواء في بني اللؤم تشتفي ** به النفس من بلبابها والتذمم) ٧٠ (ولكن إغضاء الجفون على القذى ** وتمهيد عذر المعتدي شر ميسم)

". (١)

"١(فسمرت أطيب ليلة وألذها ** وعفاف نفسي غير منفصم العرى)(وطفقت أسمع مزهرا وأرى هلالا ** نيرا وأشم مسكا أذفرا)(قسما بطلعتها وتلك ألية ** حنث الذي آلى بها لن يغفرا)٤ (لو أنها التفتت بعين رضى إلى ** من بالجفا قتلت لعاش وعمرا)٥ (نفسي الفدى لمليكة الحسن التي ** جعل الجمال لها الكواعب عسكرا)٦ (سجدت ملائكة الغصون لقدها ** طوعا ولم نر من أبي واستكبرا)٧ (حوراء تعلم إذ ت فوق سهمها ** أن القتيل بلحظها لن يثأرا)٨ (تذر الكمي مضرجا بدمائه ** هدرا وتأنف أن تصيد الجؤذرا)٩ (هيفاء ضامرة مدار نطاقها ** وعثاء ما عقدت عليها المئزرا)٠ (بيضاء فرق في أثيث حالك **كالبدر يشرف في الظلام إذا سرى)

". (٢)

"البحر : كامل تام (فتنتك حين بدت بوجه مسفر ** ورنت مسلمة بطرف أحور) (واستقبلتك فكاد ضوء جبينها ** وشعاعه يغتال عين المبصر) (وتخوفت من أن تضار فأسلبت ** من فرعها أذيال ليل مغدر) ٤ (وتبسمت فبدى لعينك لؤلؤ ** من ثغرها يزري بعقد الجوهر) ٥ (وتمايلت فسجدن أغصان الربا ** من غير مآب ولا مستكبر) ٦ (خود مخدرة بأسهم لحظها ** تسبي وتأسر كل ليث مخدر) ٧ (حوراء تخترم النفوس ولم تبل ** علما بأن قتيلها لم يثأر) ٨ (عوج حواجبها قويم نهدها ** بيض ترائيبها بياض المرمر) ٩ (هيفاء قد كاد دائر بندها ** في الخصر يصلح خاتما في الخنصر)٠ (وتنوء ذاك الخصر حال نهوضها ** أعباء ما أكتنفت عقود المئزر)

---

(١) ديوان ابن شهاب، ص/٣٩

(٢) ديوان ابن شهاب، ص/٢٤٦

." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الموضوعات

ردسناهم بالخيل حتى تملأت وافي الضباع والذئاب السواغب١

عذريني أطوف في البلاد لعلني ألاقي بإثر ثلة من محارب٢

وواضح أنه يتشفى من قتلة أخيه؛ فقد ظفر مع جمع من قبيلته بأعدائه من فزارة، فأخذتهم سيوفهم من أمام ومن وراء، ومسهلين في الأرض. وبصور ما لقيته مرة في الحرب من بلاء شديد وكيف هربت أشجع وكيف نكلوا ببني ثعلبة وبني محارب، حتى شبعت منهم الضباع. ويتهددهم بأنه سيعيد الكرة عليهم. وفي كل مكان يدوي مثل هذا النشيد، ومن روائعهم في هذا الباب معلقة عمرو بن كلثوم، وفيها يصيح بانتصارات قومه وأيامهم المعلمة المشهورة من مثل قوله:

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

يكون ثفالها شرقي نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا٣

تطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا

بسمر من قنا الخطي لدن ذوابل أو ببيض يعتلينا٤

نشق بها رءوس الqوم شقا ونخليها الرقاب فتختلينا

كأن جماجم الأبطال فيها وسوق بالأماعز يرتمينا٥

ورثنا المجد قد علمت معد تطاعن دونه حتى يبينا٦

ونحن إذا عماد الحي خرت على الأحفاض نمنع من يلينا٧

نجذ رءوسهم في غير وتر فما يدرون ماذا يتقونا٨

---

١ ردسناهم: رميناهم، العوافي: الجائعة، وكذلك السواغب.

٢ الثلة: الجماعة من الناس.

---

(١) ديوان ابن شهاب، ص/٢٧١

٣ الثفال: خرقة توضع تحت الرحى لاستقبال ما يطحن، اللهوة: القبضة من الحب.

٤ توصف الرماح بالسمرة لذبولها، وقنا الخطى: نسبة إلى الخط وهي بلدة كانت على ساحل البحرين تشتهر بصناعة القنا، اللدن: المرنة. البيض: السيوف.

٥ الأماعز: الأراضي الصلبة، الوسوق: جمع وسق وهو الحمل.

٦ يبين: يتضح.

٧ العماد: جمع عمود، خرت: سقطت، الأحفاض: متاع البيت، يقصد بذلك رحلة الحي للحرب.

٧ الوتر: الثأر، ونجذ: نقطع.

٢٠٤ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الموضوعات

الملمات وكرمها في الجدب وحمايتها للجار وإغاثتها للملهوف. وفي أثناء ذلك يصوب سهام الهجاء إلى نحور أعدائهم، وكأنه يريد أن يقضي عليهم قضاء مبرما.

ونحس في هذه الحماسة أثر الموجدة الشديدة والحقد البالغ على خصومهم؛ فهم دائما يتعرضون لهم يهددونهم ويتوعدونهم انتقاما مروعا، وكان أشد ما يهيجهم أن يقتل منهم قتيل؛ فحينئذ تهيج القبيلة ويهيج شعراؤها هياجا لا حد له، فإذا ثأرت لنفسها وشفت غلها وحقدها أخذ شعراؤها ينشدون أناشيد النصر من مثل قصيدة دريد بن الصمة التي يتغنى فيها بأنه ثأر من قتلة أخيه عبد الله، ومع ذلك لا يزال يتوعدهم، يقول١:

ويا راكبا إما عرضت فبلغن أبا غالب أن قد ثأرنا بغالب٢

قتلت بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب٣

فلليوم سميتم فزارة فاصبروا لوقع القنا تنزون نزو الجنادب٤

تكر عليهم رجلتي وفوارسي وأكره فيهم صعدتي غير ناكب٥

فإن تدبروا يأخذنكم في ظهوركم وإن تقبلوا يأخذنكم في الترائب٦

وإن تسهلوا للخيل تسهل عليكم بطعن كإبزاغ المخاض الضوارب٧

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

ومرة قد أخرجنهم فتركنهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب٨

وأشجع قد أدركنهم فتركنهم يخافون خطف الطير من كل جانب

وثعلبة الخنثى تركنا شريدهم تعلة لاه في البلاد ولاعب

فليت قبورا بالمخاضة أخبرت فتخبر عنا الخضر خضر محارب٩

---

١ الأصمعيات: ص ١١٧.

٢ عرضت: أتيت العروض، يريد مكة والمدينة وما حولهما.

٣ لدات: جمع لدة وهو الترب والكفء.

٤ النزو: الوثب، الجنادب: ضرب صغير من الجراد.

٥ رجلتي: جمع راجل ضد الفارس الراكب، وهم المشاة. والصعدة: القناة غير ناكب: غير عادل عنهم.

٦ الترائب: عظام الصدر.

٧ تسهلوا: تنزلوا السهل من الأرض. المخاض: الحوامل من النوق، الضوارب اللواقح، وإيزاغها أن ترمي ببولها شبه رشاش الطعنة من الدم ببولها ورشاشه.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الموضوعات

الكبيرة هناك ويضرب العرب قباب الأدم، وتجتمع العشائر من أنحاء الجزيرة ومعها شعراؤها وما يحملون في حجورهم من حجارة الهجاء.

ودار هجاؤهم على كل ما يناقض مثلهم التي صورناهم في غير هذا الموضع، وقد قلنا إنه كانت تجمعها كلمة المروءة، وهي تعني عندهم فضائلهم من الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر، وما هي إلا أن يدخل الشاعر في الهجاء؛ فإذا هو يخلص القبيلة وأشرافها من كل هذه الفضائل وما يتصل بها فهي لا تكرم الجار ولا تحميه، وهي تفر في الحروب وتقعد عن الأخذ بثأرها. ولا يكتفي الشعراء الهجاءون بذلك؛

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها التي ولت على أدبارها فيها منهزمة منكسة الأعلام، واقرأ في المفضليات قصيدة ربيعة بن مقروم رقم ٣٨ فستراه يذكر أمجاد قبيلته في أيام بزاخة والنسار وطخفة والكلاب وذات السليم، واقرأ قصائد بشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات أيضا؛ فستجده يفصل الحديث عن حروب قومه مع بني عامر في يوم النسار ومعهم ومع أحلافهم من تميم في يوم الجفار وما أنزلوا بهم من خسائر في الرجال، وتعرض لانتصاراتهم على كثير من القبائل مثل جرم والرباب وجذام وبني سليم وبني كلاب وبني أشجع ومرة بن ذبيان. ولم يكونوا يقفون عند ذلك؛ بل كانوا يقذفون في الأعراض ويطعنون في الأنساب، متعرضين للأمهات على نحو ما نرى عند الجميح الأسدي في هجاء بني عامر وقد غدروا بأسدى منهم وقتلوه فقال يعيرهم بما غدروا، مفديا أمهم سلمى استهزاء بهم لما ألحقوا بها من العار، ثم عاد فادعى عليها البغاء١:

سائل معدا من الفوارس لا أوفوا بجيرانهم ولا غنموا

فدى لسلمى ثوباي إذ دنس الـ قوم وإذ يدسمون ما دسموا٢

أنتم بنو المرأة التي زعم الناس عليها في الغي ما زعموا

". (١)

"ومن الموضوعات التي تتصل اتصالا واضحا بالحماسة الرثاء؛ فقد كانوا يرثون أبطالهم في قصائد حماسية يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ **بثأرهم١**، فكانوا يمجدون خلالهم ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم؛ حتى تنفر إلى حرب من قتلوهم. وكان يشرك الرجال في ذلك النساء؛ فقد كن ما يزلن ينحن على القتيل حتى **تثأر** القبيلة له. ويظهر أنه كان يشيع عندهم ضرب من "التعديد" الذي نعرفه في مصر، فما تزال امرأة تنوح ويرد عليها صواحبها، وقد حدثنا الرواة أن الخنساء كانت تخرج إلى عكاظ فتندب أخويها صخرا ومعاوية، وكانت هذه بنت عتبة أم معاوية تحكيها نائحة أباها٢. وفي هذا الخبر ما يدل على أن النساء لم يكن يندبن موتاهن يوما أو أياما؛ بل كن يطلن ذلك إلى سنين معدودات، ويقال: إنهن كن يحلقن شعورهن ويلطمن خدودهن بأيديهن وبالنعال والجلود، وكن يصنعن ذلك على القبر وفي مجالس القبيلة والمواسم العظام. ولعل في حلق رءوسهن ما يجمع بينهن وبين الهجائين كما قدمنا وما يشهد بأن هذا الرثاء إنما هو تطور عن تعويذات كانت تقال للميت وعلى قبره حتى يطمئن في لحده. وبمر الزمن تطور الرثاء عندهم إلى تصوير حزنهم العميق إزاء ما أصابهم به الزمن في فقيدهم؛ فتلك التعويذات أصبحت وخاصة عند نسائهم بكاء ونواحا وندبا حارا.

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

ونجد بجانب هذا الندب ضربا من الرثاء يقوم على تأبين الميت والإشادة بخصاله وصفاته، وما نشك في أن الصورة القديمة لهذا التأبين هي تلك النقوش التي عثروا عليها في أنحاء مختلفة من الجزيرة، وقد تحدثنا عنها فيما أسلفنا، وكانوا يكتبون فيها أسماءهم وألقابهم وبعض أعمالهم تمجيدا لذكراهم وتخليدا لها، وتحولت هذه الصورة الساذجة إلى هذا التأبين الواسع الذي نجده عند الجاهليين. وقد ذهبوا يضمون إليه صورة من العزاء والدعوة إلى الصبر على الشدائد؛ فالموت كأس دائرة على الجميع، ولا مرد لحكم القضاء.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الإمارات العربية في الشمال

يسمون آل جفنة، وأول ملك من ملوكهم يمكن الاطمئنان إلى أخباره من الوجهة التاريخية هو جبلة الذي غزا فلسطين سنة ٤٩٧ للميلاد، وخلفه ابنه الحارث "٥٢٨-٥٦٩" ويسمى أحيانا الحارث بن أبي شمر، وقد لعب دورا مهما في حروب الإمبراطور "جستنيان" ضد الفرس وعرب العراق؛ فأنعم عليه بالإكليل، واعترف بسيادته المطلقة على جميع العرب في الشام ومنحه لقب فيلارك ومعناه شيخ القبائل، ولقب البطريق، وهو أعظم الألقاب في الدولة البيزنطية بعد لقب الملك. وقد اشتبك مع المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة في حروب طاحنة، وقع في أثنائها أحد أبنائه في قبضته سنة ٥٤٤؛ فقدمه المنذر ضحية للعزى. **وثأر** الحارث لنفسه في يوم حليمة بالقرب من قنسرين سنة ٥٥٤؛ إذ أوقع بالمنذر موقعة فاصلة قتل فيها، وفي أمثال العرب: "ما يوم حليمة بسر".

". (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الإمارات العربية في الشمال

به البق والحمى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور

ولقبه العرب بالمحرق؛ لأنه نذر أن يقتل مائة رجل من تميم حرقا وبر بنذره في يوم أوارة باليمامة، واشتبك مع

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

تغلب وطيء في بعض معاركه، ويظهر أن سلطانه امتد على قبائل كثيرة في شرقي نجد وشماليها وغربيها، وكان بحكم استبداده يتعرض له كثير من الشعراء بالهجاء، وقصته مع طرفة والمتلمس مشهورة. وينسب إليه شعر كان ينظمه، وقد أصبحت الحيرة في عهده مركزا أدبيا مزدهرا؛ إذ كان يجزل العطاء للشعراء؛ فوفد عليه كثيرون منهم عمرو بن قميئة والمسيب بن علس والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم التغلبي الذي يقال عنه: إن ابن هند لقي مصرعه على يده ثأرا لكرامة أمه ليلى حين أهينت في بيته.

وولى أمر الحيرة بعد عمرو قابوس ثم المنذر الرابع، ولم تطل مدتهما؛ وبذلك نصل إلى النعمان الثالث ابن المنذر الرابع المكنى بأبي قابوس "٥٨٠-٦٠٢" وقد نشأ في حجر أسرة مسيحية هي أسرة عدي بن زيد العبادي، ولعل ذلك سبب تنصره؛ فهو أول من تنصر من ملوك الحيرة الوثنيين. وكان سلطانه يمتد إلى البحرين وعمان، وكان له قوافل تجارية أو لطائم تجوب الجزيرة. وسار سيرة عمرو بن هند في رعايته للشعراء؛ فوفد على بابه منهم كثيرون مثل أوس بن حجر والمنخل اليشكري ولبيد والمثقب العبدي وحجر بن خالد الذي يقول فيه١:

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد كمثل أبي قابوس حزما ونائلا

وهو ممدوح النابغة الذبياني، وله فيه غير قصيدة، وحدثت جفوة بينهما بسبب وفود النابغة على الغساسنة، وأرسل له بمجموعة طريفة من قصائده يعتذر إليه وهي من أجود ما خلف الجاهليون، وفي إحداها يقول:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

(١) ".

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الأحوال الاجتماعية

الرسول صلى الله عليه وسلم حدا : أربعين جلدة، ولما وجد عمر أن بعض العرب لا يزال يتورط في شربها رفع حدها إلى ثمانين.

وهذا كله يشهد شهادة قاطعة بانتشار هذه الآفات بين عرب الجاهلية، وفي أخبار الأعشى أنه لما سمع بالرسول صلى الله عليه وسلم رغب في الوفود عليه بالمدينة ومديحه، وعلمت قريش فتعرضت له تمنعه، وكان مما قاله له أبو سفيان إنه "ينهاك عن خلال كلها بك رافق ولك موافق"؛ فلما سأله عنها أجابه: الزنا والقمار والخمر؛

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

فعدل الأعشى عن وجهته١. وعلى نحو ما هاجم الإسلام هذه الآفات هاجم قانونهم الدموي المقدس: قانون الأخذ بالثأر، فهدمه هدما وأبطله إبطالا؛ إذ جعل حقه للدولة لا للأفراد، وأقام لهم نظاما سماويا رفيعا لمجتمعهم ليس هنا محل بحثه.

وحتى الآن لم نتحدث عن المرأة ومكانتها في هذا المجتمع، وقد كان هناك نوعان من النساء: إماء وحرائر، وكانت الإماء كثيرات، وكان منهن عاهرات يتخذن الأخدان، وقينات يضربن على المزهر وغيره في حوانيت الخمارين، كما كان منهن جوار يخدمن الشريفات، وقد يرعين الإبل والأغنام. وكن في منزلة دانية، وكان العرب إذا استولدوهن لم ينسبوا إلى أنفسهم أولادهن؛ إلا إذا أظهروا بطولة تشرفهم على نحو ما هو معروف عن عنترة بن شداد؛ فإن أباه لم يلحقه بنسبه إلا بعد أن أظهر شجاعة فائقة ردت إليه اعتباره.

". (١)

"٣ الوتر: الثأر، واترين: قاتلين ومسببين الوتر.

٤ المرزوقي ٢/ ٤٨٧.

٦٤ ٤٣٦." (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حروب وأيام مستمرة

إذا ما طلبنا تبلنا عند معشر أبينا حلاب الدر أو نشرب الدما١

فهم لا يرضون بالدية ويرونها ذلا ما بعده ذل أن يستبدلوا الدم بالإبل وألبانها؛ فالدم لا يشفيهم منه إلا الدم، وكأنما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم لا تزايلهم؛ فهم يطلبونه وهم يتعطشون إليه تعطشا شديدا على شاكلة تأبط شرا إذ يقول٢:

قليل غرار النوم أكبر همه دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

فأكبر ما يهتم به وينصب له طلب الثأر ولقاء بطل سفعت وجهه الهواجر. وأكثر حروبهم كان يجرها نزاع بين

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

بعض الأفراد في قبيلتين مختلفتين؛ إما بسبب قتل أو بسبب إهانة، أو بسبب اختلاف على حد من الحدود، وحينئذ تشتبك عشيرتا هؤلاء الأفراد، وتنضم إلى كل عشيرة عشائر قبيلتها، وقد تنضم أحلافهما، فتنتشر نيران الحرب بين قبائل كثيرة، وصور ذلك شاعر الحماسة؛ إذ يقول٣:

الشيء يبدؤه في الأصل أصغره وليس يصلى بكل الحرب جانيها

والحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصحاح إلى الجربى فتعديها

فهي تبدأ صغيرة ضعيفة، ثم تقوى وتستحكم وتعظم بمرور الزمن؛ فتصبح لها عدوى كعدوى الجرب، لا يفلت منها راغب فيها ولا كاره؛ فالجميع يصطلون بنارها، بل يترامون فيها ترامي الفراش، فهي أمنيتهم ومبتغاهم، يقول زهير٤:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل٥

فإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم وكانوا قديما من مناياهم القتل

فجميعهم يطيرون إلى المستغيث بخيلهم ورماحهم، وتدور رحى الحرب فيقتلون

---

١ التبل: الثأر، وحلاب الدر: كناية عن الإبل التي تحلب وتشرب ألبانها.

٢ المرزوقي على حماسة أبي تمام ٢/ ٤٩٢ وغرار النوم: قليله، والكمي: الشجاع.

٣ المرزوقي ١/ ٤٠٧.

٤ ديوان زهير ص ١٠٢

٥ الأعزل مفرد عزل: من لا سلاح له، وفزعوا: أغاثوا.

٦٣ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حروب وأيام مستمرة

٥- حروب وأيام مستمرة

---

(١) تاريخ ا لأدب العربي العصر الجاهلي، /

لعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى لكأنه أصبح سنة من سننهم؛ فهم دائما قاتلون مقتولون، لا يفرغون من دم إلا إلى دم؛ ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ **بالثأر**؛ فهو شريعتهم المقدسة، وهي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية؛ إذ كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتي **يثأروا** من غرمائهم. ولم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق ولا ما يشبه الحق في نقض هذه الشريعة ولا في الوقوف ضدها أو الخروج عليها، فما هي إلا أن يقتل أحد منهم؛ فإذا سيوف عشيرته مسلولة، وتتبعها العشائر الأخرى في قبيلته، تؤازرها في الأخذ **بثأرها**، ويتعدد القتل **والثأر** بينها وبين القبيلة المعادية، وتتوارثان **الثارات** حتي يتدخل من يصلح بينهما ويتحمل الديات والمغارم، ولم يكونوا يقبلونها إلا بعد تفاقهم الأمر وإلا بعد أن تأتي الحرب على الحرث والنسل. أما قبل ذلك فكانوا يعدونها سبة وعارا وفي ذلك يقول عبد العزى الطائي١:

---

١ حماسة البحتري "طبع بيروت" ص ٢٨ وانظر ٢٩، ٣١ والمرزوقي على الحماسة ١/ ٢١٥ - ٢١٦ وراجع المفضليات، القصيدة رقم ٤٢ البيت ١٥ والأصمعيات القصيدة رقم ٤٤ البيت ١، ٢.

٦٢ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

القبائل البدوية

إذا نزل به جار أضافه وأعانه وحفظ له كل ما يمكن من حقوق الجوار. وكان من أهم ما يقوم به السيد إصلاح ذات البين في القبيلة ولم شعثها مستعينا في ذلك بشيوخها وأصحاب الشرف فيها. ودائما لا بد له من استشارتهم؛ بل لا بد له من أن يستمع إلى كل فرد من أفرد القبيلة. فهم جميعا أكفاء يتساوون في الحقوق ومن أهم ما يدل على هذه المساواة نظام الإجارة، وهي حق التوطن في القبيلة؛ إذ كان لكل فرد فيها أن يجير من يشاء، وإذا أجار شخصا أصبحت قبيلته ملزمة به، وأصبح له ما لأفرادها من حقوق. وعليه ما عليهم من واجبات.

وكان أفراد القبيلة جميعا يضعون أنفسهم في خدمتها وخدمة حقوقها، وعلى رأسها حق الأخذ **بالثأر** ممن

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

سولت له نفسه من القبائل الأخرى أن يعتدي على أحد أبنائها؛ فكل فرد فيها يضحي لها بنفسه كما يضحي لها بماله؛ فهي حياته وكيانه، وهو مع اعتزازه بفرديته وشخصيته وحريته يعيش لها وداخل إطارها، مدفوعا في ذلك بعصبية شديدة، وهي عصبية سيطرت على نفوسهم، وقدسوها تقديسا كان أعظم من تقديسهم للشعائر الدينية. فتلك الشعائر تشركهم فيها قبائل أخرى، أما شعائر العصبية القبلية فإنها خاصة بالقبيلة وأبنائها الذين يجمعهم دم واحد ونسب واحد. وربما تسامح الواحد منهم في دينه؛ إذ لم يكن يهمه في كثير من الأحوال، أما في العصبية فإنه لا يتسامح في أي واجب من واجباتها، ومن خير ما يصور ذلك قول دريد بن الصمة١:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فغيه ورشده مرتبطان بعشيرته غزية، فإن ضلت؛ ضل معها وأمعن في ضلاله، وإن اهتدت اهتدى معها وأمعن في هداه.

." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حروب وأيام مستمرة

فاختلط لبنها بدمها. ولما علم جساس بما حدث؛ ثأر لكرامته، وسنحت له فرصة من كليب فقتله، ودارت رحى حرب طاحنة ظلت -فيما يقال- أربعين سنة؛ فكثرت أيامها مثل يوم عنيزة وكان سجالا بين الطرفين، ويوم واردات وكان لتغلب على بكر ويوم قضة "تحلاق اللمم" وفيه انتصرت بكر. ولما أنهكت الحرب الفريقين لجأ إلى الحارث بن عمرو الكندي؛ فأصلح بينهما، وأقام كما مر بنا على بكر ابنه شرحبيل وعلى تغلب ابنه سلمة. ونمت في العصور الإسلامية أساطير حول هذه الحرب وبطلها التغلبي المهلهل أخي كليب، وألفت عنه قصة شعبية باسم "الزير سالم".

وأما حرب داحس والغبراء؛ فكانت في أواخر العصر الجاهلي، وكان السبب في نشوبها سباقا على رهان بين الفرسين، فسميت باسميهما، وكان قد أجراهما سيدا عبس وذبيان: قيس بن زهير، وحذيفة بن بدر، وأوشك داحس أن يفوز؛ غير أن رجلا من ذبيان كان قد كمن له، فاعترضه ونفره؛ فعدل عن الطريق. وبذلك سبقته

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

الغبراء، وأبى قيس أن يعترف بهذا السبق وطلب الرهان المضروب. وحدث صدام بين الفريقين لم تلبث الحرب أن اندلعت على إثره، وظلت سنوات طويلة حتى تدخل سيدان من ذبيان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف المري. فتحملا ديات القتلى؛ وبذلك وضعت الحرب أوزارها بين القبيلتين ومن كان قد انضم إليهما من الأحلاف؛ فقد انضمت عامر إلى عبس بينما انضمت تميم وأسد إلى ذبيان. وعلى نحو ما نمت الأساطير حول المهلهل بطل حرب البسوس نمت حول عنترة بطل هذه الحرب، وكان من عبس، فألفت عنه قصة شعبية مشهورة لا نبعد إذا قلنا إنها تحولت إلى إلياذة كبرى للعرب وفروسيتهم الرائعة.

٦٦ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الأحوال الاجتماعية

يثيرهم كسبي نسائهم وهم بعيد عن الحي؛ فكانوا يركبون وراءهن كل وعر حتى يلحقوا بهن وينقذوهن ويغسلوا عار سبيهن عنهم، وهو عار عندهم ليس فوقه عار.

وكانوا يصحبونهن معهم في الحرب، وكن يشددن من عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية؛ حتى إذا قتل فارس ندبنه ندبا حارا حاضات على الأخذ بثأره والانتقام من قتلته. وتلمع في هذا الجانب أسماء كثيرات على رأسهن الخنساء ومراثيها في أخويها صخر ومعاوية مشهورة. وكن يستشطن غضبا إذا رضيت العشيرة بأخذ الدية. حقنا للدماء. على نحو ما تصور ذلك كبشة أخت عمرو بن معد يكرب، وقد قتل أخ لها١

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم فمشوا بآذان النعام المصلم٢

فهي ترى أن عشيرتها إن قبلت الدية في أخيها أعطت عن يد وهي صاغرة صغار الأسرى الذين تجدع آذانهم، بل صغار النعام المصلم المقطوعة آذانه، وتقول أم عمرو بنت وقدان في أخ لها قتل وقد فكرت عشيرتها في قبول ديته٣:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق.

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق٤.

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

فهم إن لم يثأروا لأخيها حق عليهم أن يلقوا السلاح ويمضوا على وجوههم إلى مكان بعيد بالأبرق، فيتزيوا بزي النساء، ويتعطروا ويتزينوا بزينتهن. وكانوا يفرون من الحرب حين لا يكون من الفرار بد؛ إلا أن تكون معهم النساء ويرونهن فارات وقد حسرن عن وجوههن، حينئذ يثبتون في المعركة ويناضلون حتى الذماء الأخير٥. وكان جمالهن يثيرهم، وينطق ألسنتهم بوصفه ووصف ما كن يتزين به من

---

١ المرزوقي ١/ ٢١٨ وقارن بالأصمعيات ص ١٥٧.

٢ اتديتم: أخذتم الدية. وآذان النعام مصلمة خلقة.

٣ المرزوقي ٣/ ١٥٤٦.

٤ المجاسد: جمع مجسد وهو الثوب المشبع صبغة والنقب: جمع نقبة، وهي إزار للمرأة.

٥ المرزوقي ١/ ١٧٧.

٧٣ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الفرسان

الفصل الحادي عشر: طوائف من الشعراء.

١- الفرسان:

رأينا القبائل في الجاهلية تعيش معيشة حربية؛ فهي كتائب تنزل للرعي، وفي الوقت نفسه تجهز بالأسلحة كي تدفع خصومها عن مراعيها، أو تغير عليهم وتسبي نساءهم وتنهب أموالهم من الإبل وغير الإبل. وكانوا يحاربون راجلين وركبانا على الإبل والخيل، وكانوا يرون في الثانية مزية على الأولى لسرعتها في الطراد والإغارة؛ فأحبوها وعنوا بها وبتربيتها وصيانتها واستنتاج كرائمها وترويضها للحروب والسباق. وقد دارت أوصافهم لها في شعرهم الجاهلي؛ فلم يكادوا يتركون عضوا من أعضائها إلا وصفوه، ولا خصلة ولا عيبا إلا ذكروه، وفي معلقة امرئ القيس صورة من وصفهم لخيلهم، وممن اشتهر بوصفها أبو دواد الإيادي وطفيل الغنوي وسلامة بن جندل

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

التميمي.

واشتهر كذلك جماعة من الفرسان الذين أظهروا بطولة نادرة في حربهم عليها لخصومهم وأقرانهم، وهم كثيرون؛ فقد كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلا وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم ويلوحون برماحهم وكيف يسددون ضرباتهم إلى أعدائهم، وتلقانا دائما أسماؤهم وخاصة في حروبهم الطويلة مثل حرب البسوس وفارسها المهلهل التغلبي، وهو الذي أشعل نيرانها ثأرا لأخيه كليب، ويقال إنه أول من هلهل الشعر وأرقه١. وشعره يدور في رثاء أخيه وتوعد قبيلة بكر بما سينزله بها من هزائم لا تقل شدة ولا فتكا عن هزائمها السابقة. وكانت الحرب كما قدمنا في غير هذا الموضع بين بكر وقبيلته تغلب.

---

١ انظر أخباره في الأغاني: "طبعة دار الكتب" ٥/ ٣٤ والشعر والشعراء: ١/ ٢٥٦ وخزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٣٠٢.

٣٦٦ ٤٣٦." (١)

"٢ الأوتار: جمع وتر وهو الثأر وناقصها: الآخذ. الواتر: الذي يترك ثأرهم في الأعداء فلا يستطيعون نقضه.

٣ الحصى هنا: العدد.

٤ النائل: العطاء. الجاسر: الجريء.

٥ المشتى: زمن الشتاء. غرثى: جائعة خمائص: ضامرات البطون.

٣٥١ ٤٣٦." (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

وجدت عليا بانيا فورثته وطلقا وشيبان الجواد ومالكا١

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

بحور تقوت الناس في كل لزبة أبوك وأعمام هم هؤلائكا٢

وما ذاك إلا أن كفيك بالندى تجودان بالإعطاء قبل سؤالكا

يقولون في الإكفاء أكبر همه ألا رب منهم من يعيش بمالكا٣

وجدت انهدام ثلمة فبنيتها فأنعمت إذ ألحقتها ببنائكا٤

وربيت أيتاما وألحقت صبية وأدركت جهد السعي قبل عنائكا٥

ولم يسع في العلياء سعيك ماجد ولاذو إني في الحي مثل إنائكا ٦

فإنك تحس المبالغة في المديح واضحة، وهو يمزجها بالتبذل في السؤال تبذلا لم يعرف في عصره. وكل ذلك واضح فيه رقة اللهجة وأن الأعشى من ذوق يخالف ذوق الجاهليين، وهو ذوق جاءه من طول اختلاطه بأهل الحضر.

ولا نشك في أن هذا الذوق هو الذي جعله في أهاجيه ينحو نحو السخرية من مهجوه في كثير من شعره؛ وكأنما يجد فيه مرارة أشد وألذع من مرارة الهجاء المقذع. واقرأ معلقته أو قصيدته السادسة في الديوان التي وجه بها إلى يزيد بن مسهر الشيباني، وكان قد قتل أحد بني قيس بن ثعلبة رجلا من قومه؛ فحمسهم للثأر لقتيلهم، فتعرض له الأعشى يهدده ويهجوه مستهلا تهديده وهجاءه بقوله:

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة أبا ثبيت أما تنفك تأتكل٧

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل٨

---

١ واضح من الشطر الثاني أن مالكا وشيبان وطلقا أعمام هوذة.

٢ لزبة: شدة وأزمة.

٣ يريد بالشطر الأول أن ممدوحه يتهم بأنه يظلم أكفاءه.

٤ الثلمة: فرجة المهدوم أو ما فيه من شقوق.

٥ هكذا رواية البيت في المخطوطة اليمنية وبه بعض الاضطراب في الديوان.

٦ إنى: مقصور إناء.

". (١)

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الأمثال

وربما كان من أسباب ذلك أن الشاعر -إذا استثنينا زهيرا- كان هو الذي يهيج النفوس للحرب بما يدعو للأخذ بالثأر، أما الخطيب فكان غالبا يدعو إلى السلم وأن تضع الحرب بين القبائل المتخاصمة أوزارها، وكثيرا ما يقف من قومه موقف الناصح الأمين يهديهم ويرشدهم، أما الشاعر فأكثر مواقفه هجاء وتنابذ بالألقاب والأحساب والمآثر والمعايب.

وقد تعارف خطباؤهم على جملة من السنن والتقاليد في خطابتهم؛ فكانوا يخطبون على رواحلهم في الأسواق العظام والمجامع الكبار١، وقد لاثوا العمائم على رءوسهم. وفي أثناء خطابتهم كانوا يمسكون بالعصى والمخاصر والقضبان والقنا والقسي راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض، وأشار إلى ذلك لبيد إذ يقول٢:

ما إن أهاب إذا السرادق عمه قرع القسي وأرعش الرعديد

ووقفت الشعوبية طويلا عنده عادة خطباء العرب من اتخاذ العصي والمخاصر ورد عليهم الجاحظ في بيانه مبينا فوائد العصا، ومن قوله في تلك العادة: "إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة؛ وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم؛ حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم، والمخاصر بأيديهم إلفا لها وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها"٣ وكانوا يمدحون في الخطيب ثبات الجنان وحضور البديهة وقلة التلفت وكثرة الريق وجهارة الصوت وقوته، وكانوا يعيبون فيه التنحنح والارتعاش والحصر والتعثر في الكلام، يقول النمر بن تولب٤:

أعذني رب من حصر وعي ومن نفس أعالجها علاجا

ويقول أبو العيال الهذلي:

ولا حصر بخطبته إذا ما عزت الخطب

وذموا في الخطيب أن يكثر من مسه لذقنه وشواربه ولحيته، وكأنما رأوا في ذلك

---

١ البيان والتبيين: ٣/ ٧.

٢ نفس المصدر: ١/ ٢٧٢، ٣/ ٩.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

خلاصة

وخاصة حين يطلب ثأر أو تنشب حرب. وقد تحولوا بجزيرتهم إلى ما يشبه ميدانا حربيا كبيرا؛ ففي كل مكان عراك وقتال وفي كل مكان دماء تسيل. ولهم حروب مشهورة سجلها علماء اللغة والأدب في العصر العباسي كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء.

". (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

الصعاليك

وواضح أنه ينتقل من تصور شح هذه الأم بالطعام إلى بيان أنها ليست أما حقيقية؛ فهي صعاليك، لا تتخذ ولا تبيت في الخيام، ولها جعبة سهام، تناضل بها عن أصحابها حين يفجؤهم بعض الأعداء. وما تزال ترعاهم رعاية حمار الوحش لأتنه؛ حتى إذا دهمهم غزاة أو مغيرون بادرت إلى سهامها، ثم نازلتهم هي ومن معها بسيوفهم القاطعة اللامعة التي تنهل من دمائهم وتعل، فترى وكأنها أذناب الحسيل، وهي أولاد البقر المستأنسة. ووقف لايل في ترجمته للمفضليات عند هذا التشبيه واتخذ منه دليلا على أصل الشنفرى وأنه يمني حقا، لأن البقر المستأنس كما يقول: لم يعرف عند العرب قديما إلا في بلاد اليمن١.

ونمضي مع الشنفرى في القصيدة فإذا هو يحدثنا عن أهداف غارته وأنه كان يقصد بها بني سلامان، حتى يأخذ بثأره لأبيه ويشفي حقده وغليله، يقول:

جزينا سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم وأزلت٢

وهنئ بي قوم وما إن هنأتهم وأصبحت في قوم وليسوا بمنيتي٣

شفينا بعبد الله بعض غليلنا وعوف لدى المعدى أوان استهلت٤

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ومر إذا نفس العزوف استمرت٥

وهو يصرح بأنه جزى بني سلامان بما قدمت أيديهم، ويأسى أن يكونوا قومه ولا ينتفعوا به وببأسه، وأن يقعد لهم ويقعدوا له، لما بينه وبينهم من ثأر قديم، ويحدثنا أنه شفى بعض غليله بقتله لرجلين منهم، هما عبد الله وعوف، ويقول: إنه حلو لأصدقائه مر على أعدائه كأنه الحنظل. وهكذا كانت حياته غارات ومغامرات، حتى أصاب أعداؤه منه مقتلا فقتلوه.

وثالث صعاليك الجاهلية المشهورين عروة بن الورد العبسي٦، وكان أبوه

---

١ راجع ترجمة المفضليات للايل: ٢/ ٦٨.

٢ أزلت: قدمت.

." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

وجفاف ويسر.

وأكبر الظن أنه قد اتضحت الآن الموضوعات الأساسية التي كان ينظم فيها امرؤ القيس شعره قبل مقتل أبيه، وهي التشبيب والغزل القصصي الصريح، ووصف الطبيعة المتحركة بما فيها من خيل ووحش والطبيعة الصامتة بما فيها من أمطار وسيول؛ فتلك هي الموضوعات التي تستغرق أشعاره الأولى. وتجمعها المعلقة جميعا، بينما تقف المطولة الثانية "ألا عم صباحا أيها الطلل البالي" عند التشبيب والقصص الغرامي، ووصف الوحش والفرس وهو في أثناء وصفهما يعرض لصيده وما يجده فيه من لذة ومتاع ولهو.

وكتب لامرئ القيس أن لا تجري حياته على هذه الوتيرة من الفراغ الذي يعد لاقتناص اللذات في اتباع المرأة واللهو بها والمتعة بركوب الخيل والصيد عليها وتملي مناظر الطبيعة؛ فقد قتل أبوه، وانقلبت حياته من حياة لاهية إلى حياة جادة ومحاولة عاثرة في الأخذ بثأر أبيه ورجع سلطان كندة على بني أسد، وكأنه كان يحس

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

ما ينتظره حين قال في مطولته "ألا عم صباحا أيها الطلل البالي":

كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال١.

ولعله نظم هذه القصيدة في إبان الدورة الثانية من حياته.

ونحن لا ننتظر منه في هذه الدورة سوى الحزن والألم العميق؛ فهذا أبوه حجر يقتل وهؤلاء أعمامه يلقون نفس المصير، ومن قبلهم قتل جده الحارث، وهو يسعى في سبيل الأخذ بثأر أبيه، والمنذر بن ماء السماء يطلبه وتتحاماه القبائل والعشائر وهو يتنقل فيما بينها يستغيث ولا مغيث. وربما لقي في أول الأمر شيئا من العون؛ ولكن ذلك لم يستمر، فقد ازوروا عنه، وهو يطلب من يجيره، وسيف المنذر مصلت يلمع أمام عينيه. فكان طبيعيا أن يشكو الدهر وأن يتحدث عن مصيره. وهنا تلقانا مقطوعة رواها الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، تصور حزنه على آبائه.

(١) ".

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

قبيلته

على ذبيان وفيه قتل حذيفة وحمل ابنا بدر، ورثاهما قيس خصمهما رثاء حارا، يقول في بعضه١:

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

شفيت بقتلهم لغليل صدري ولكني قطعت بهم بناني

وثأرت ذبيان لنفسها في معركة الجراجر، أو ذات الجراجر. ثم تجمعت ذبيان وأحلافها من تميم وأسد كما تجمعت عبس وعامر، واشتبكت الفئتان في يوم شعب جبلة، وفيه دارت الدوائر على ذبيان وأحلافها؛ إذ أثخنت فيهم عبس وعامر القتل فقتل لقيط بن زرارة التميمي وأسر أخوه حاجب، ولم تلبث ذبيان أن أوقعت بعبس وعامر في يوم شعواء وقعة منكرة. ورأت عبس أن تقف هذه الحروب التي أتت على الأبطال والرجال؛ فأرسلت وفدا إلى ذبيان يطلب الصلح، ولقي الوفد سيدي بني مرة: الحارث بن عوف وهرم بن سنان؛ فحملا

---

(١) تـــا ريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

قومهما على الصلح، وتحملا ديات القتلى، ويقال إنها بلغت ثلاثة آلاف بعير. وبذلك وضعت هذه الحروب أوزارها، ويظن أنه لم يكتب للنابغة أن يرى انفضاضها؛ فقد توفي قبل ذلك بقليل.

وبينما كانت ذبيان تدير رحى هذه الحروب كانت تدير رحى حروب أخرى مع الغساسنة، وكان يؤازرها أحلافها من بني أسد، ولعل في ذلك ما يدل على أن القبيلتين جميعا كانتا تدينان بالولاء للمناذرة خصوم الغساسنة؛ فهم يشرعون سيوفهم ويشهرونها في وجوه خصومهم، وكانوا آونة ينتصرون عليهم وآونة ينهزمون وتمتلئ أيدي الغساسنة بأسراهم، مما اضطر النابغة على نحو ما سنرى بعد قليل أن ينزل بالغساسنة ويستعطفهم حتى يردوا إلى هؤلاء الأسرى حريتهم.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

قبيلته وأسرته

والرواية الأولى رواية هشام الكلبي، وهو متهم فيها يرويه؛ فهي رواية ضعيفة ومما يدل على فسادها قصيدة عبيد التي ذكر في تضاعيفها يوم القيامة: ومن أين له بمعرفة هذا اليوم الذي جاء في القرآن الكريم وهو جاهلي وثني؟ ومثلها الروايتان الثانية والرابعة، فأثر الافتعال فيهما واضح، لسبب بسيط، وهو أن حجرا يموت غيلة، ولا نرى عشيرته كندة تثأر له أو تشتبك من أجله في حرب مع بني أسد؛ لذلك نرجح الرواية الثالثة رواية الهثيم بن عدي، وهي تتفق مع ما ردده عبيد بن الأبرص في شعره مرارا من أن قبيلته نكلت بكندة وصاحبها حجر، وكان عبيد معاصرا للحوادث وشاهد عيان لها، ومن قوله في ذلك يخاطب امرأ القيس١:

وركضك لولاه لقيت الذي لقوه فذاك الذي أنجاك مما هنالكا

وهو يشير بذلك في وضوح إلى فرار امرئ القيس من المعركة التي قتل فيها أبوه، ونراه يصف هذه المعركة، ويصرح بهزيمة كندة فيها وقتل حجر؛ إذ يقول معرضا بامرئ القيس وساخرا من وعيده وتهديده لقومه٢:

يا ذا المخوفنا بقتـ ـل أبيه إذلالا وحينا٣

أزعمت أنك قد قتلـ ـت سراتنا كذبا ومينا٤

هلا على حجر ابن أم قطام تبكي لا علينا

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا

أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا٥

ويتكرر في ديوان عبيد وصف نهاية حجر وملك كندة على أسد بهذه الصورة مرارا٦؛ مما يدل على أن رواية الهيثم بن عدي أكثر قربا إلى الصحة والصدق وأن الروايات الأخرى دخلها الفساد والانتحال.

---

١ ديوان عبيد بن الأبرص "طبعة لايل" ص٥٣.

٢ الديوان ص٢٧.

٣ الحين: الموت.

٤ السراة: السادة، المين: الكذب.

٥ السيوف البواتر: القاطعة.

٦ انظر ديوان عبيد: القصائد رقم ٤، ١٧، ٢٦.

٢٣٥ ٤٣٦." (١)

"أما الرواية الرابعة فرواها أبو الفرج عن ابن السكيت "المتوفي سنة ٢٤٤" وهي تزعم أن حجرا أقبل بعد موت أبيه راجعا إلى بني أسد، وكان قد أساء ولايتهم. وتشاورت بنو أسد فيه، وأجمع أمرهم على إعلان الحرب عليه، وخرج إليه بعض شجعانهم، فقتلوا من كان يقدم ركبه من غلمانه وسبوا جواريه. وعلم حجر بذلك فقاتلهم غير أنهم هزموه وأسروه، ووثب منهم فتى كان له عنده ثأر، فقتله.

٢٣٤ ٤٣٦." (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حياته

كان يراسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب، فيفضحها ويفضحك؛ فبعث إليه القيصر حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب، وقال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

تكرمة لك؛ فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إلي بخبرك من منزل منزل، فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده؛ فلذلك سمي ذا القروح، وقال في ذلك:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني مما يلبس أبؤسا١

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها، فقال:

رب خطبة مسحنفره وطعنة مثعنجره٢

وجفنة متحيره حلت بأرض أنقره٣

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك قد فنت في سفح جبل يقال له عسيب فسأل عنها، فأخبر بقصتها فقال:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب.

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك!".

وهذه الأخبار عن امرئ القيس بعد مقتل أبيه ومصيره رويت في جملتها عن ابن الكلبي المتهم فيما يرويه، والتلفيق فيها بين واضح. ويمكن أن يكون لها أصل، تشهد به الحوادث، وهو أن يكون امرؤ القيس حاول عبثا استرداد ملك آبائه؛ ولكنه مات دون تحقيق غايته. ومن الممكن أيضا أن يكون قد حاول اللجوء إلى الحارث بن جبلة النسائي وأنه أوصله إلى جوستنيان في القسطنطينية؛ غير أنه مات في الطريق. ومن المحقق أن قصة ثأر جوستنيان لشرفه منه قصة منتحلة، نسجها القصاص حين

---

١ يريد بالأبؤس ما لبسه من الحلة المسمومة.

٢ مسحنفرة: مسهبة، مثعنجرة:سائلة.

جفنة متحيرة: ممتلئة طعاما ودسما.

٢٤٠ ٤٣٦." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حياته

الطويلة التي نسجت حول مقتله؛ غير أننا لا نرتاب في أنه حاول أن يأخذ **بثأر** أبيه ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح. ولم يلبث أن مات، ولا نعرف بالضبط تاريخ موته، ويغلب أن يكون بين سنتي ٥٣٠ و ٥٤٠ فإن القبائل انتقضت على أبيه وأعمامه منذ سنة ٥٢٨ وهي السنة التي توفي فيها أو قتل جده الحارث.

٢٤٣ ٤٣٦." (٢)

"ويلقانا قصص كثير عن طلبه لبني أسد، وأكثره مما رواه ابن الكلبي١؛ إذ يزعم أنه ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب فسألهم النصر على بني أسد، وعلمت بنو أسد بما يدبر لهم، فارتحلوا ولجئوا إلى بني كنانة، فاختلطوا بهم. وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد؛ فوضع السلاح فيهم، فأعلموه أنهم ليسوا طلبته، وكان بنو أسد قد عرفوا قدومه بمن معه، فرحلوا، فتبعهم حتى لحقهم، وقاتلهم؛ حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم؛ فهربت بنو أسد؛ فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم، وقالوا له: قد أصبت **ثأرك**، وانصرفوا عنه. ومضى لوجهه حتى لحق حمير، فاستنصر أزد شنوءة فأبوا أن ينصروه، فنزل بقيل "أمير" يدعى مرثد الخير الحميري فأمده بخمسمائة رجل، وتبعه شذاذ من العرب واستأجر من القبائل رجالا؛ فسار بهم إلى بني أسد، ويقال إنهم عادوا فتركوه، ويقال إنه لجأ إلى عمرو بن المنذر بن ماء السماء وذكر ما بينهما من صهر فأجاره، وبلغ المنذر مكانه فطلبه، فهرب وفي رواية إن المنذر ألح في طلبه ووجه الجيوش إليه فلجأ إلى الحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، فأرسل إليه المنذر مائة من رجاله ينذره بالحرب إن لم يسلم امرأ القيس ومن معه من بني آكل المرار. فخرج امرؤ القيس على وجهه حتى نزل في أرض طيء وقيل: بل نزل قبلهم على سعد بن الضباب الإيادي فأجاره، ثم تحول عنه إلى المعلى بن تيم الطائي، فأكرمه. وولى وجهه نحو عشيرة بني نبهان الطائية؛ فبذلت له من مالها، ثم خرج عنها فنزل

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

بعامر بن جوين الطائي. وكان المنذر لا يزال يتبعه، فتحول عن طيء إلى رجل من بني فزارة يسمى عمرو بن جابر فدله على السموأل بن عادياء صاحب حصن الأبلق بتيماء؛ فلجأ إليه. وهنا يزعم ابن الكلبي وغيره من الرواة أنه طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن جبلة الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، واستودعه أهله وأمواله وما كان معه من سلاح. ومضى." (١)

"على أن الدهر لم يلبث أن قلب لهذا الفتى -العاكف على الصيد واللهو- ظهر المجن فإذا أبوه يقتل، وإذا هو موتور، لا بد له من أخذ ثأره على عادة العرب، ولا بد أن يجاهد في سبيل استرداد ملك آبائه وملك كندة قبيلته على بني أسد قتلة أبيه. ويظهر أن بني أسد خافوا العاقبة، فأرسلوا إليه -في رواية للخليل بن أحمد- وفدا للمفاوضة، وعرض عليه الوفد إحدى ثلاث: القصاص أو الفداء أو النظرة "الإمهال" حتى تضع الحوامل، فتعقد الرايات وتكون الحرب؛ فقال: "لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به جملا أو ناقة، فأكتسب بذلك سبة الأبد، وفت العضد، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سببا، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا "دما" ورويدا ينكشف لكم دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير؛ فنهضوا عنه٣ وقد عرفوا أنه طالبهم.

---

١ الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

٢ انظر الشعر والشعراء: ١/ ٥٤، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص٦.

٣ الأغاني: ٩/ ١٠٣ وما بعدها.

٢٣٨ ٤٣٦." (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

حياته

غيره فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

الوصاف، فلما أتاه بذلك قال:

تطاول الليل على دمون دمون إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

ثم قال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر. فذهبت مثلا، ثم قال:

خليلي لا في اليوم مصحي لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعا؛ فلما صحي آلى أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بدهن "طيب" ولا يقرب النساء حتى يدرك بثأره؛ فلما جنه الليل رأى برقا، فقال:

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته بأمر تزعزع منه القلل١

بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل٢

فأين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول

ألا يحضرون لدى بابه كما يحضرون إذا ما أكل

وواضح أن هذا الخبر يخالف رواية الهيثم بن عدي السابقة في مقتل حجر والتي تذكر أن امرأ القيس كان مع أبيه في حربه لبني أسد وأنه فر حين هزمت كندة وقتل أبوه؛ فهو من منحولات ابن الكلبي، ومثله الخبر الذي ساقه ابن قتيبة؛ إذ يقول إن أباه طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ابنة عمه ما صنع، وكان لها عاشقا، فطلبها زمانا فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرة، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال قصيدته: "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" فلما بلغ ذلك أباه دعا مولى يقال له ربيعة، فقال: اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه،

---

١ القلل: قمم الجبال.

٢ جلل هنا: هين.

٣ الخول: العبيد.

٢٣٧ ٤٣٦." (١)

"أما الرواية الرابعة فرواها أبو الفرج عن ابن السكيت "المتوفي سنة ٢٤٤" وهي تزعم أن حجرا أقبل بعد موت أبيه راجعا إلى بني أسد، وكان قد أساء ولايتهم. وتشاورت بنو أسد فيه، وأجمع أمرهم على إعلان الحرب عليه، وخرج إليه بعض شجعانهم، فقتلوا من كان يقدم ركبه من غلمانه وسبوا جواريه. وعلم حجر بذلك فقاتلهم غير أنهم هزموه وأسروه، ووثب منهم فتى كان له عنده ثأر، فقتله.

٢٣٤ ٤٣٦." (٢)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

وصور، وسنشير إلى مواضع ذلك عما قليل.

وإذا أخذنا نستعرض شعر زهير وجدناه ينظم في المديح والغزل ووصف الصيد والهجاء، وفي تضاعيف ذلك يجنح إلى الحكمة ووصف مكارم الأخلاق. وإذا أبدلنا المديح بالتأبين كانت هذه الموضوعات هي نفسها التي يدور فيها شعر أوس؛ فإنه لم يؤثر عنه مديح إلا أبياتا متفرقة، وإذا كان مديحه فقد؛ فإن تأبينه خلد على الزمن، وقد أنشدنا منه قطعة في غير هذا الموضع، وهو يلتقي فيه بزهير حين يشيد بفضائل فضالة بن كلدة ومناقبه، التي يعود بها إلى المثل العربي الكريم للمروءة.

وتلمع بين مدائح زهير معلقته، وقد نظمها مشيدا بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا بالصلح بين ذبيان وعبس فأعلنا أنهما يتحملان ديات القتلى حتى تضع الحرب أوزارها بين القبيلتين المتناحرتين، وتصادف في أثناء ذلك أن قتل الحصين بن ضمضم عبسيا ثأرا لأخيه هرم بن ضمضم، وكان قتله ورد بن حابس العبسي، فثارت عبس وشهرت سيوفها تريد أن تعيد الحرب جذعة، وسرعان ما تقدم الحارث لهم بمائة من الإبل وبابنه ليختاروا إما الدية وإما قتل فلذة كبده؛ فقبلوا الدية ودخلوا في الصلح، وانتهت الحرب الدامية. وهنا نرى زهيرا يشيد بهذه المكرمة الجليلة ناعيا على حصين فعلته التي كادت تودي بفكرة الصلح، لاهجا

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

بالثناء على السيدين وما قدما للقبيلتين من ديات حقنت الدماء، يقول:

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم١

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم٢

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم٣

عظيمين في عليا معد وغيرها ومن يستبح كنزا من المجد يعظم٤

." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

ما يردون موارد لا تشفى غليلهم، موارد تزخر بالرماح والدماء.

نحن إذن بإزاء شخصية ممتازة من شخصيات الشعر الجاهلي شخصية فيها بر ورحمة وفيها نزعة قوية إلى الخير. وليس معنى ذلك أنه تخلص في مديحه لهرم بن سنان وابن عمه الحارث بن عوف من الصورة الجاهلية التي تشيد بالشجاعة والكرم المتهور؛ فنحن نراه في قصيدة ثانية يتحدث عنهما وعن عشيرتهما على هذه الشاكلة:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل١

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

وإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم وكانوا قديما من مناياهم القتل

عليها أسود ضاريات لبوسهم سوابغ بيض لا تخرقها النبل٢

إذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس أنيابها عصل٣

قضاعية أو أختها مضرية يحرق في حافاتها الحطب الجزل٤

هم خير حي من معد علمتهم لهم نائل في قومهم ولهم فضل٥

وهو يصف سيدي بني مرة وعشيرتهما بالشجاعة ونجدة من يستغيث بهم، حتى ليكادون يطيرون إليه طيرانا بسوابقهم وخيلهم وكأنهم جنة. وانظر إليهم حين تدور المعارك فستراهم أسودا ضارية، لا يرهبون الموت، حين

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

تشتد الحرب وتعض الناس بأنيابها وتحرقهم بنيرانها. وهم يحاربون في كل مكان، لا يخشون أحدا، يحاربون قضاعة ومضرا. وهم يضيفون إلى هذه الشجاعة كرما مفرطا. وفي كل قبيل منهم ثأر، ومن ثم كانوا يشتفى بدمائهم، إنهم خير معد شجاعة وكرما فياضا. ولا يلبث زهير أن يقول:

١ العزل: جمع أعزل وهو من لا سلاح معه.

٢ لبوسهم سوابغ: لبسهم دروع تامة.

". (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

وجعلته هذه المأثرة يشيد بالسلم والسلام؛ فكان بذلك شذوذا على ذوق الجاهليين وأشعارهم التي تدوي بفكرة الأخذ بالثأر والترامي على الحروب ترامي الفراش على النار. وقد مضى يصور الحرب في صورة بشعة، يقول:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم١

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم٢

فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم٣

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم٤

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم٥.

وأنت تراه يصور الحرب في صور مخيفة قبيحة؛ فهي تارة أسد ضار، وتارة ثانية نار مشتعلة، وتارة ثالثة رحى تطحن الناس، وتارة رابعة تلد، ولكنها لا تلد إلا ذراري شؤم. ووسع التهكم؛ فقال إنهم يربحون منها ما لا يربحه أهل العراق من الغلال والدراهم. وهو بذلك يدعو إلى السلام وأن يتحول العرب من هذه الحروب والمعارك الطاحنة إلى حياة المسلم الوادعة الآمنة التي تنتشر فيها الأخوة والمحبة والرحمة. ونراه يصور ما هم فيه

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

من بوار تصويرا بديعا، فيقول:

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمارا تسيل بالرماح وبالدم٦

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلأ مستوبل متوخم٧

فهم بحروبهم المستعرة كأنهم يرعون مراعي وخيمة وبيلة في سلمهم. وسرعان.

---

١ المرجم: المظنون.

٢ تبعثوها: تهيجوها، تضر: من ضرى الأسد إذا تهيأ للفريسة، وأضرى: درب وعود، وتضرم: تشتعل.

٣ تعرككم: تطحنكم، الثقال: جلد يجعل تحت الرحى حين تطحن، ومن أجل ذلك ذكره، يريد أنها طاحنة وتلقح كشافا: تحمل كل عام، وذلك أردأ النتاج. تتئم: تلد توءما.

." (١)

"تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي

شعره

وهو يبدأ برسم صورة هذا الثور؛ فقوائمه مزينة بما فيها من نقط، وهو ضامر كالسيف المسلول، يجري في الصحراء خائفا متوجسا لما تسقط عليه السماء من برد لا ينقطع. ولم يلبث أن ذعر ذعرا شديدا؛ إذ سمع صوت قانص يهتف بكلابه، فأسرع في جريه، ولمحه القانص فبعث عليه كلابه؛ فاشتدت قوائمه وكعوبه مستخرجا منها كل ما يبتغي من سرعة، ولكن الكلاب لحقت به، وكان أول ما لقيه منها ضمران، ونشب بينهما صراع عنيف، أهوى فيه الثور على خصمه بقرنيه، ولم يلبث أن طعنه بأحدهما طعنة نجلاء، نفذت إلى ظاهر صدره؛ فكنت ترى الكلب من وهلته يعلك أعلى القرن وما خرج منه متقبضا متألما إلى أن لفظ أنفاسه. ولما رأى واشق ما أصاب أخاه وأنه لن يستطيع أن يعينه ولا أن يدرك بثأره أحجم عن لقاء الثور إبقاء على نفسه، وقد أخذه اليأس من أن يصيد صاحبه كما كان ينبغي، فدون بغيته الموت وال‍هلاك.

وهذا الوصف أكثر حيوية من النسيب السابق، لما بث النابغة في الحيوان من حياة الإنسان وعواطفه وقلقه وطمعه ويأسه؛ فالثور خائف يترقب، والكلاب طامعة تتربص. وتنشب المعركة وكأنها معركة آدمية، فالثور

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

يطعن طعن الرجل المدافع عن عرينه وحماه. ويقتل ضمران. وينظر أخوه واشق فيرى أن القصاص غير ممكن، وتحدثه نفسه بأنه يطمع في غير طائل، وما يلبث أن ينصرف عن المعركة، وقد قذفت به في مهاوي اليأس والقنوط. ولا ينسى النابغة مهارته في التصوير سواء من حيث تمثيل المنظر وتجسيمه أو من حيث التشبيهات وإدخالها في نسيج الأبيات.

وفي ديوانه فخر وهجاء يتصل بشئون قبيلته البدوية وما كان بينها وبين بني أسد من حلف وبينها وبين بني عامر من حرب، وهو في هذا القسم من شعره لا يتوفر على إحكامه وإظهار مهارته فيه شأنه في المديح والاعتذار والرثاء، وكأنه كان يمنعه وقاره أن يتمادى فيه، وخاصة في الهجاء، واقرأ له هذه الأبيات في عامر بن الطفيل وقد بلغه أنه يهجوه:

". (١)

"٤(وعار بقوم أن أعدوا سوابحا ** صفونا بها عن نصرة الدين تنكيب) ٤(وقد عجزوا في ثغرهم عن عدوهم ** بحيث تجول المقربات اليعابيب) ٤(وجيشك يعتاد الهرقل بسيفه ** ومن دونه اليم الغطامط واللوب) ٤٤ (يخضخض هذا الموج حتى عبابه ** إذا التج من هام البطاريق مخضوب) ٤٥ (فمأثور ذكر المجد فيها مفضض ** وفوق حديد الهند منهن تذهيب) ٤٦ (ومن عجب أن تشجر الروم بالقنا ** فتوطأ أغمار وهضب شناخيب) ٤٧ (ونوم بني العباس فوق جنوبهم ** ولا نصر إلا قينة وأكاويب) ٤٨ (وأنت كلوء الدهر لا الطرف هاجع ** ولا العزم مردوع ولا الجأش منخوب) ٤٩ (هم أهل جراها وأنت ابن حربها ** ففي القرب تبعيد وفي البعيد تقريب) ٥٠ (ولا عجيب والثغر ثغرك كله ** وأنت ولي الثأر والثأر مطلوب)

". (٢)

"البحر : بسيط تام (وافتك والزهر في روض الدجى زهر ** والفجر نهر على الظلماء منفجر) (فأقبلت هي والصبح المنير معا ** حتى تحير في ضوءيهما النظر) (وأسفرت عن سنى وجه أبان لنا ** بدر التمام ولكن ليله الشعر) ٤ (غراء لولا اتضاح الفرق لاح لنا ** ما شك ذو بصير في أنها القمر) ٥ (إن

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، /

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي، ص/٣٥

تجل غرتها فالصبح متضح ** أو ترخ طرتها فالليل معتكر) ٦ (هندية فعلت منها اللحاظ بنا ** ما ليس تفعله الهندية البتر) ٧ (حوراء ما برحت من سحر مقلتها ** تسبي العقول بطرف زانه حور) ٨ (تدير من ثغرها راحا معتقة **كأنما ثغرها للراح معتصر) ٩ (هيفاء مائسة الأعطاف ما خطرت ** الا وكان لنا من عشقها خطر)٠ (لم تخش ثأرا بما أردت لواحظها ** دم المحبين في شرع الهوى هدر)

---

(١) ".

"البحر : - (هذا كتابي وكف الموت تزعجني ** عن الحياة وفي قلبي لكم ذكر) (إن اقضكم حقكم من قلة عمري ** إني إلى الله لا حق ولا عمر) (لهفي على نيرات ما صدعت بها ** إلا واظلم من اضوائها القمر) ٤ (فاقر السلام على المنصور أفضل من ** سعى لثأره بني الإسلام فانتصروا) ٥ (واعطف بها عطفة تهتز من كرم ** على المظفر فهو الفلج والظفر)

---

(٢) ".

"ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٤٥٩

يقول: إن تأكل الإبل عظامي بعد الممات، فإني قد أخذت بثأري منها حين نحرتها لأضيافي. ولبيد كان من المبارين للرياح في الجود. والإبل إذا فقدت الحمض رمضت العظام البالية، فيكون ذلك منها كالملح. وكانت الشمال إذا هبت وضع لبيد قدرا فلم يزل يطعم منها إلى أن تسكن.

(س) ولا تبتئس، أي: لا تحزن ولا تشتك والمبتئس: الكاره، قال: ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال

(ش) انتأش الشيء، أي تأخر.

(ق) انتأق، أي: بكى من الغيظ.

(م) لأمه فالتأم.

---

(١) ديوان ابن معصوم المدني، ص/١٤٨

(٢) ديوان ابن شهيد، ص/٨٩

افتعل (مهموز العين مثال)

١٠٨٦ ومن المثال

(ب) أتأب، أي: استحيا.

(د) اتأد في مشيه، أي: ترفق ولم يعجل.

افتعل (مهموز العين ناقص)

١٠٨٧ ومن ذوات الأربعة

(ر) ارتآه: من الرأي.

(ل) التأي عليه، أي أبطأ.

(ن) انتأى، أي: بعد.

افتعل (مهموز العجز)

١٠٨٨ ومن المهموز عجزا

(ب) اختبأ لما خبأه. وارتبأ، أي: ارتقب.

(ت) اختتأت له، أي: ختلته.

(ث) ارتثأ عليهم أمرهم، أي: اختلط.

(ج) التجأ إليه.

(د) ابتدأ الأمر.

(ر) اجترأ عليه.

(س) انتسأ عنه، أي: تأخر، وقال: إذا انتسئوا فوت الرماح أتتهم عوائر نبل كالجراد نطيرها

عار الفرس يعير: إذا ذهب ها هنا وها هنا، ومنه سمي العيار. يقول: إذا تقاعدوا من الرماح فلم تنلهم أتتهم سهامنا.

(ش) اجتشأتني البلاد، واجتشأتها، أي: لم توافقني.

(ف) اجتفأه، أي: قلع فألقاه. وكفأ الإناء، واكتفأه بمعنى.

(ل) استلأ السمن، أي: اتخذه، اكتلأت منه، أي: احترزت. وملأه فامتلأ.

(ن) اضطنأت منه، أي: استحييت.

افتعل (مهموز العجز مثال)

١٠٨٩ ومن المثال

". (١)

"البحر : سريع (لا تطلبوا ثأري فلا حق لي ** على لحاظ الرئم من مقتل) (سمحت في سفك دمي راضيا ** برشفة من ريقك السلسل) (وصال موسى لحظة صفوها ** يشاب بالواشين والعذل) ٤ (قصيرة تضرم نار الهوى **كأنها قبسة مستعجل) ٥ (لحظ يرى القتل منى نفسه ** و العار أن يترك قلب الخلي) ٦ (غض الصبا يسفر عن منظر ** أحسن من عصر الصبا المقبل) ٧ (صور من نور ومن فتنة ** والناس من ماء ومن صلصل) ٨ (شاكي سلاح القد واللحظ في ** حرب شج عن صبره أعزل) ٩ (منسلب الحيلة والصبر لا ** يأوي إلى عقل ولا معقل)٠ (ذو ضنة يمنع بذل المنى ** قولا ومهما قال لم يفعل)

". (٢)

"البحر : وافر تام (أثار الليث ألحاظ نيام ** ترى في قلتي الثأر المقيما) (أرى الخيري يمنعني جناه ** فهل ألقاه ريحا أو شميما) (أشيم البرق يومض من نداه ** وأشمم من نواحيه النسيما) ٤ (و لست بمشتك منه مطالا ** فمن لي أن أكون له غريما) ٥ (وأحسب كل ذي نظر رقيبا ** و أزعم كل ذي نطق خصيما) ٦ (أبث مع البليل إليه شوقي ** فتبلغه وقد عادت سموما) ٧ (أخاف الريح إن ناجته عني ** تعيد أقاح مبسمه هشيما) ٨ (ألا يا جنة كانت عذابي ** و سلسالا سقيت به الحميما) ٩ (لنفس قد حللت عرى عزاها ** وعين قد عبدت بها النجوما)٠ (لئن واصلت يا موسى محبا ** لقد أحييت يا عيسى رميما)

". (٣)

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/١٠٦

(٣) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/١٤٠

"البحر : بسيط تام (وشى بسري في موسى وأعلنه ** خذ يريك طراز الحسن كيف وشي) (تهتز في برده ريحانة شربت ** ماء الصبى يا له ريا ويا عطشي) (هل خاله بدمي أم سيف ناظره ** قد ضاع ثأري بين الهند والحبش) ٤ (أودى بقلبي لذاك الصدغ عقربه ** لو أن درياق ذاك الريق منتعشي) ٥ (ترى العواذل حولي كالفراش وقد ** حاموا فأحرقتهم بالشوق في فرشي)

---

(١) ".

"البحر : سريع (هل يلحى في حمل ما يلقى ** عذري أبدى الصبا عذره) (قد سر الحبيب أن أشقى ** وأنا راض بما سره) (جفوني قادت إلى حيني ** فثأري عند من يطلب) ٤ (دعوني أقتص من عيني ** بسهد وعبرة تسكب) ٥ (لا عتب وإن لوى ديني ** حبيبي ، فالشمس لا تعتب) ٦ (شمس حلت أدمعي أفقا ** فأصلى شعاعها جمره) ٧ (و بدر كساني المحقا ** و حاز الكمال والنضره) ٨ (خمري الرضاب والخد ** دري الكلام والثغر) ٩ (نجمي الضياء والبعد ** روضي الجمال والنشر)٠ (سقيم اللحاظ والود ** ضعيف العهود والخصر)

---

(٢) ".

"البحر : طويل (ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي ، ** ويطلب ثأري البرق منصلت النصل) (وهلا أقامت أنجم الليل مأتما ، ** لتندب في الآفاق ما ضاع من نثلي) (ولو أنصفتني ، وهي أشكال همتي ، ** لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي) ٤ (ولافترقت سبع الثريا ، وغاضها ، ** بمطلعها ، ما فرق الدهر من شملي) ٥ (لعمر الليالي ! إن يكن طال نزعها ** لقد قرطست بالنبل في موضع النبل) ٦ (تحلت بآدابي ، وإن مآربي ** لسانحة في عرض أمنية عطل) ٧ (أخص لفهمي بالقلى ، وكأنما ** يبيت ، لذي الفهم ، الزمان على ذحل) ٨ (وأجفى ، على نظمي لكل قلادة ، ** مفصلة السمطين ، بالمنطق الفصل) ٩ (ولو أنني أسطيع ، كي أرضي العدا ، ** شريت ببعض الحلم حظا من الجهل)٠ (أمقتولة الأجفان ! ما لك والها ؟ ** ألم ترك الأيام نجما هوى قبلي ؟)

---

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/٢١٧

(٢) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/٢٥١

"(١)

"٣(وعرفت من ذي الطوق عمر و **ثأره** ** لجذيمة الوضاح ، حين يكاد)(وأتى بي النعمان يوم نعيمه ، ** نجم تلقى سعده الميلاد)(قد ألفت أشتاتهم في واحد ، ** إلا يكنهم أمة ، فيكاد)٤ (فكأنني طالعتهم بوفادة ، ** لم يستطعها عروة الوفاد)٥ (في قصر ملك كالسدير ، أو الذي ** ناطت به شرفاتها سنداد)٦ (تتوهم الشهباء فيه كتيبة ** بفناء ، اليحموم فيه جواد)٧ (يختال ، من سير الأشاهب وسطه ، ** بيض ، كمرهفة السيوف ، جعاد)٨ (في آل عباد حططت ، فأعصمت ** هممي ، بحيث أنافت الأطواد)٩ (أهل المناذرة ، الذين هم الربى ** فوق الملوك ، إذ الملوك وهاد) ٤٠ (قوم إذا عدت معد عقيلة ، ** ماء السماء ، فهم لها أو○لاد)

"(٢)

"٤(يوم خلت الفضاء منصفق الأك ** ناف بالركب وهو رحب بسيط) ٤(لا يظن الأعداء أن مقامي ** حيث يغتالني المحل الشحيط) ٤(صارفا عزمتي ولا الخفض مالم ** أترك **الثأر** بالفؤاد يليط) ٤٤ (ثم أخلدت يحسب القوم أني ** بينهم للأسى قريف وخيط) ٤٥ (سلط الصبر والرجاء على النا ** س سيغريهما به التسليط)

"(٣)

"١(في كفه السيف المقلد جده ** بالمرج إذ تبت يد الضحاك)(وسعى فأدرك بعد **ثارك** **ثأره** ** من كل ممتنع من الإدراك)(وأباح كل حمى لكل مضلل ** غاو أباح حمى الهدى وحماك)٤ (فشفى نفوس المسلمين ونفسه ** لما سقى الدنيا دماء عداك)٥ (بشهيد آل الله والملك الذي ** لاكفء من دمه الكريم الزاكي)٦ (لبست عليه الأرض ثوب حدادها ** وبدت نجوم الليل وهي بواك)٧ (فحوى الخلافة والسناء

---

(١) ديوان ابن زيدون، ص/١٥٨

(٢) ديوان ابن زيدون، ص/٢٢١

(٣) ديوان ابن دريد، ص/٥٤

وليه ** رغما لكل معاند أفاك)٨ (حكما من الحكم العلي لطالب ** أبدا دم الخلفاء والأملاك)٩ (حتى تنجز موعد الله الذي ** لم تخف فيه مواعد الإيشاك)٠ (يا لابسا لعدوه ووليه ** بطش الأسود وعفة النساك)

"(١).

"٣(وحيي على دوحين جاد نداهما ** ظلالك واستدنى إلي ثمارك)(وبشرك قد فازت قداحك بالمنى ** وأعطيت من هذا الأنام خيارك)(شريكان في صدق المنى وكلاهما ** إذا بارز الأقران غير مشاركب)٤ (هما سمعا دعواك يا دعوة الهدى ** وقد أوثق الدهر الخئون إسارك)٥ (وسلا سيوفا لم تزل تلتظي أسى ** بثأرك حتى أدركا لك ثارك)٦ (ويهنيك يا دار الخلافة منهما ** هلالان لاحا يرفعان منارك)٧ (كلا القمرين بين عينيه غرة ** أنارت كسوفيك وجلت سرارك)٨ (فقاد إليك الخيل شعثا شوازبا ** يلبين بالنصر العزيز انتصارك)٩ (سوابق هيجاء كأن صهيلها ** يجاوب تحت الخافقات شعارك) ٤٠ (بكل سري العتق سرى عن الهدى ** وكل حمي الأنف أحمى ذمارك)

"(٢).

"البحر : كامل تام (نعم يبشر بدؤها بتمام ** فتح القدوم ونصرة الإقدام) (ودعت محمودا وصلت مظفرا ** فاقدم بطيب تحية وسلام) (والبس بعزة من سعيت لنصره ** تاج الجلال وحلة الإعظام) ٤ (واسعد لعز الدين والدنيا معا ** واسلم لنصر الله والاسلام) ٥ (وعدا عليه أن يتم على الورى ** بك أنعما موصولة بدوام) ٦ (قربت عليك من الأعادي غاية ** قد طالما بعدت على الأوهام) ٧ (وسللت سيف الله طالب ثأره ** من آل جالوت ونثرة حام) ٨ (ورفعت أعلام الهدى في جحفل **كالليل تحت كواكب الأعلام) ٩ (بسوابق رفعت شراع خوافق **كالفلك في آذي بحر طام)٠ (يسترجف الإسراج عز نفوسها ** حتى تسكنهن بالإلجام)

---

(١) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٥٩

(٢) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/١١٨

(١) ".

"٢(سمامة ليل بات مرتبك الخطى ** ونكباء يوم ظل منقطع الشسع)(ومدرجتي في طي كل صحيفة ** من الموثقات الفجر في خاتم الطبع)(إذا العقرب العوجاء أمست كأنما ** أثارت عليها ثأر عادية اللسع)٤ (وراقبها نجم الثريا بمطلع **كما انفرقت في العذق ناجمة الطلع)٥ (وأبرزت الجوزاء صدر زمرد ** محلى بأفذاذ من الدر والودع)٦ (يشاكه زهر الروض في ماتع الضحى ** على بون ما بين الترفع والوضع)٧ (سريت دجى هذي وجبت هجير ذا ** بأغول من غول وأسمع من سمع)٨ (نجيبة هول القفر في مطبق الدجى ** وصفوة لمع الآل في القنن الصلع)٩ (فلأيا حططت الرحل عن مثل جفنه ** وأطلقت عقد النسع عن شبه النسع)١٠ (فإن تؤو منها يا مظفر غربة ** فنازحة الأوطان مؤيسة الرجعب)

---

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (ما أحسن الصبر فيما يحسن الجزع ** وأوجد اليأس ما قد أعدم الطمع) (وللمنايا سهام غير طائشة ** وذو النهى بجميل الصبر مدرع) (فإن خلت للأسى في شجوها سنن ** فطالما أحمدت في كظمها البدع) ٤ (وللفجائع أقدار وأفجعها ** للنفس حيث ترى أظفارها تقع) ٥ (كأن للموت فينا ثأر محتكم ** فما بغير الكريم الحر يقتنع) ٦ (قد خبرت نفس إسماعيل في يده ** أن ليس عن حرمات المجد يرتدع) ٧ (فاحتسبوا آل اسماعيل ما احتسبت ** شم الربى من غمام الغيث ينقشع) ٨ (واحتسبوا آلا إسماعيل ما احتسبت ** خيل الوغى من لواء الجيش ينصرع) ٩ (ماذا إلى مصر من بر ومن كرم ** بعثتم مع وفد الله إذ رجعوا)١٠ (حجوا به بهلال الفطر وانقلبوا ** فاستودعوه ثرى مصر وما ربعوا)

---

(٣) ".

"٥(قريبة ما بين نضو ونضو ** بعيدة ما بين مرأى وراء) ٥(تمور بضعف نجوم الثريا ** لو انفردت بأديم السماء) ٥(ثمان كأسرار قلب الكئيب ** ورابعة كقداح السراء) ٥٤ (مطالبهم لمطال الضمار **

---

(١) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٢٥٢

(٢) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٣١١

(٣) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٣٨٦

وآجالهم لاقتضاء القضاء) ٥٥ (فهل آذنت هجرتي أن تريني ** عواقب تجلو كروب الجلاء) ٥٦ (وهل ظفرت همتي من همومي ** بثأر منيم ووتر بواء) ٥٧ (ألم يتناه غروب الغريب ** إلى مطلع الشمس في الانتهاء) ٥٨ (ولم أتخذ جنح ليل المحاق ** جناحا إلى نور ليل السواء) ٥٩ (ولم أتزود هبيد القفار ** إلى بحر أري جزيل العطاء) ٦٠ (فأصبحت من ظلم الإكتئاب ** على علم بين قرني ذكاء)

---

(١) ".

"٢(فساور نحوها غول المنايا ** وجرع دونها مر اللقاء)(وأجلت عنه منجدلا صريعا ** مصون الشلو محمي الذماء)(وأسلمه إلى الإسلام جيش ** أغص بجمعه رحب الفضاء)٤ (لئن خذلته أطراف العوالي ** لقد آساه إعوال البكاء)٥ (بكل مرجع للنوح يشجي ** بواكيه بتثويب النداء)٦ (نعاء إلى ملوك الروم طرا ** ذوي التيجان غرسية نعاء)٧ (وهل للروم والإفرنج منه ** وقد أودى سوى سوء العزاء)٨ (فملك الكفر ليس بذي ولي ** وثأر الشرك ليس بذي بواء)٩ (لقد أرضت سيوفك فيه مولى **كريم العهد محمود البلاء)٠ (فما أغنت بظهر الغيب إلا ** وقد أغنى بها كرم الوفاء)

---

(٢) ".

"٣(وفت دماؤهما ثأرا فلم يدعا ** للمسلمين على حرب الضلال تره)(فليهنك اليوم فتح تقتفيه غدا ** عوائد من فتوح الله منتظره)(بضائع لك من بأس ومن كرم ** محفوظة لك عند الله مدخرة)٤ (سلمتها في سبيل الله وافية ** فناجز النقد أو مستقرب النظرة)٥ (وابشر بأخرى وأخرى واعدت فوفت ** بوعد ذي العرش في نعماء من شكره)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٤١١

(٢) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٥٢٤

(٣) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٥٩٨

"٢(ضربة ما لها من الضرب جار ، ** أخذت نفسه بلا تعذيب)(فهو لو عاش لم يطالب بثأر ، ** لا ولا عد قتله في الذنوب)(قل لدنياي قد تمكنت مني ، ** فافعلي ما أردت أن تفعلي بي)٤ (واخرقي كيف شئت خرق جهول ، ** إن عندي لك اصطبار لبيب)٥ (رب أعجوبة من الدهر بكر ، ** وعوان قد راضها تجريبي)٦ (رد عني كأس المدام خليلي ، ** إن نفسي صارت علي حسيبي)٧ (وبدت شيبتي ، وتم شبابي ، ** وانتهى عاذلي ، ونام رقيبي)٨ (و تنحيت عن طريق الغواني ، ** والتصابي ، وقلت : يا نفس توبي)٩ (و لقد حث بالمدامة كفي ** شادن ، حاذق بصيد القلوب)٠ (جاءنا مقبلا ، فأي قضيب ، ** ثم ولى عنا ، فأي كثيب)

(١) ".

"١(شهدت فلم أنم ثأرا بفخر ، ** ولم أغلب على العفو الجميل)(ومال قد حللت الوعد عنه ، ** غذا انعقدت به نفس البخيل)(وأوثر صاحبي بفضل زادي ، ** وأحيي النفس بالبلل القليل)٤ (أقمنا الميل آخرة وبدءا ، ** من الأحياء في الزمن الطويل)٥ (بمشعلة تزف إلى الأعادي **كأن رجالها آساد غيل)٦ (و كنا ، والقبائل من معد ، **كذي رحل تقدم بالزميل)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (كم ألحم السيف في أبناء ملحمة ** ما منهم فوق ظهر الأرض ديار) (وأورد النار من أرواح مارقة **كادت تميز من غيظ لها النار) (كأنما صال في ثنيي مفاضته ** مستأسد حنق الأحشاء هرار) ٤ (لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت ** منها على الناس آفاق وأقطار) ٥ (وأطبقت ظلم من فوقها ظلم ** ما يستضاء بها نور ولا نار) ٦ (قاد الجياد إلى الأعداء سارية ** قبا طواها كطي العصب إضمار) ٧ (ململومة تتبارى في ململمة **كأنها ، لاعتدال الخلق ، أفهار) ٨ (تزور عند احتماس الطعن أعينها ** وهن من فرجات النقع نظار) ٩ (تفوت بالثأر أقواما وتدركه ** من آخرين إذا لم يدرك الثار)٠ (فانساب ناصر○ دين الله يقدمهم ** وحوله من جنود الله أنصار)

(١) ديوان ابن المعتز، ص/١٤٢

(٢) ديوان ابن المعتز، ص/٧٢٧

". (١)

"البحر : – (أمقدم يا أبا المقدامأنت على ** شعريو تاركه أسلاب غارات) (إني خلعت إليه العذر منسلخا ** من الحجاسابجا في بحر غارات) (و كيف شن أبو الغارات غارته ** علي مقتحما بالخيل ساحاتي) ٤ (إن المجانين لا تلحى إذا اجترمت ** و لا تلام على إتيان سوءات) ٥ (ما كنت أحذر عارات النبيط ولا ** أخاف عض كلاب مستكينات) ٦ (يا مدعي الشعر كن منه على وجل ** فقد منيت بشيطان له عات) ٧ (ذللت ذلة ذي جهل و قد كثرت ** في أخدعيك وفي اليافوخ ذلات) ٨ (صفع أخذت به شعري برمته ** فنلت ثأرك ثم ازددت ثارات) ٩ (وهبك حاولت مدحا تستميح به ** فلم جريت على تلك الملامات)

". (٢)

"البحر : – (لحظ عينيك للردى أنصار ** و سيوف شفارها الأشفار) (فتكت بالمحب من غير ثأر ** فلها في فؤاده آثار) (وقعة باللوى استباحت نفوسا ** قمرتها غراءها الأقمار) ٤ (و مها تكتم البراقع منها ** صورا هن للعيون صوار) ٥ (أعرب البان بينهنفمن أث ** ماره الياسمين والجلنار) ٦ (قد صرفنا الأبصار عنهن خوفا ** إذ رمتنا بلحظها الأبصار) ٧ (هاتها لم تباشر النارو اعلم ** أنها في المعاد للشرب نار) ٨ (قصرت ليلة الخورنق حسنا ** و الليالي الطوال فيه قصار) ٩ (بكر ترتعي جنى اللهو غضا ** و اللذاذات بينها أبكار).(إذ وجوه الأيام فيه رياض ** و مياه السرور فيه خمار)

". (٣)

"البحر : – (أيها المطلون بعدي حذار ** إن بعض الصخور طالب ثار) (رب يوم ظللت فيه وقيدا ** أتشكى حريق نار بنار) (مئزر كان غاية النفع أضحى ** و هو اليوم غاية الأضرار) ٤ (و سراويل

---

(١) ديوان ابن عبد ربه، ص/١٠٨

(٢) ديوان السري الرفاء، ص/٢٠٢

(٣) ديوان السري الرفاء، ص/٣٥٠

سندس عاد وشيا ** مؤلما جافيا على الأبشار) ٥ (فكأن الأفخاذ تلذع منه ** بشرار يطير إثر شرار) ٦ (أخذت ثأرها الحجارة مني ** و سوائي أصابها بالثار)

". (١)

"البحر : طويل (لهفي على صخر فاني ارى له ** نوافل من معروفه قد تولت) (ولهفي على صخر لقد كان عصمة ** لمولاه إن نعل بمولاه زلت) (يعود على مولاه منه برأفة ** اذا ما الموالي من اخيها تخلت) ٤ (وكنت إذا كف أتتك عديمة ** ترجي نوالا من سحابك بلت) ٥ (ومختنق راخى ابن عمر و خناقه ** وغمته عن وجهه فتجلت) ٦ (وظاعنة في الحي لولا عطاؤه ** غداة غد من اهلها ما استقلت) ٧ (وكنت لنا عيشا وظل ربابة ** إذا نحن شئنا بالنوال استهلت) ٨ (فتى كان ذا حلم أصيل وتؤدة ** اذا ما الحبى من طائف الجهل حلت) ٩ (وما كر الا كان اول طاعن ** ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)٠ (فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى ** فمثل أخي يوما به العين قرت)

". (٢)

"البحر : كامل تام (أبني سليم إن لقيتم فقعسا ** في محبس ضنك إلى وعر) (فالقوهم بسيوفكم ورماحكم ** وبنضحة في الليل كالقطر) (حتى تفضوا جمعهم وتذكروا ** صخرا ومصرعه بلا ثأر) ٤ (وفوارسا منا هنالك قتلوا ** في عثرة كانت من الدهر) ٥ (لاقى ربيعة في الوغى فأصابه ** طعن بجائفة إلى الصدر) ٦ (بمقوم لدن الكعوب سنانه ** ذرب الشباة كقادم النسر) ٧ (ونجا ربيعة يوم ذلك مرهقا ** لا يأتلي في جوده يجري) ٨ (فأتت به ، أسل الأسنة ، ضامر ** مثل العقاب غدت مع الوكر) ٩ (ولقد اخذنا خالدا فاجاره ** عوف وأطلقه على قدر)٠ (ولقد تدارك رأينا في خالد ** ما ساء خيلا آخر الدهر)

---

(١) ديوان السري الرفاء، ص/٤٥٨

(٢) ديوان الخنساء، ص/١١

". (١)

" ١ – (وابن صبح سادرا يوعدني ... ماله في الناس ما عشت مجير)

٢و – قال قيس بن الخطيم

جدير أي خليق

١ – وابن صبح كنى بذلك عن ضياع نسبه وإنه ابن زنا حملت به أمه ممن أغار على قبيلته وإنما نسبه إلى الصبح لأن العادة جرت بأن المرأة إذا ولدت من زنا طرحت ولدها في الطريق وقت الصبح والسادر اللاهي المتحير التائه في الغي وقالوا فيه إنه يستهزئ به أي يغير وقت الصبح كما يفعله الشجاع فنسبه إليه كما قالوا ابن الحرب وابن الفيافي والسادر الذي يجيء من غير جهته

٢ – قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر شاعر جاهلي أنصاري أوسي جيد الشعر حسنه شهد له شعراء عصره بالإجادة والتقدم فيه أتى إلى النبي فدعاه إلى الإسلام وتلا عليه شيئا من القرآن فقال إني لأسمع كلاما عجيبا فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فمات قبل الحول وله في وقعة بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج أشعار كثيرة وفيها قتل وكان من خبر هذا الشعر أن رجلا من بني عبد القيس عدا على أبي قيس فقتله وكان قيس إذ ذاك صغيرا وكذلك جده عدي عدا عليه رجل من بني عمرو بن عامر فقتله وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي فخشيت أم قيس على ابنها أن يطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فجعلت لهما قبرين بفناء البيت فلم يشك قيس في ذلك ونشأ قيس أيدا شديد الساعدين فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر فقال له ذلك الفتى والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك فأتى أمه وألح عليها أن تخبره فلما رأت الجد منه في ذلك أخبرته بخبر ." (٢)

" ١ – (طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)

٢ – (ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها)

٣ – (يهون علي أن ترد جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها)

٤ – (وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها)

---

(١) ديوان الخنساء، ص/٤٤

(٢) ديوان الحماسة، ١/٥٣

٥ - (وكنت أمرأ لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها)

أبيه وجده فلم يزل قيس من ذلك العهد يطلب بثأرهما حتى ثأر لهما في حديث يطول ذكره

١ - طعنه بالرمح ضربه به وابن عبد القيس هو الذي قتل أبا قيس وقيل الثائر من يأخذ بالثأر والنفذ ما ينفذ من الطعنة والجمع أنفاذ والشعاع المتفرق وهو هنا المنتشر من الدم ومعناه طعنته طعنة من يطلب بثأره فلم أبق غاية

٢ - ملكت من قولهم ملكت العجين إذا بالغت في عجنه ومعنى أنهرته أوسعته حتى جعلته كالنهر والفتق الشق ومن دونها أي أمامها ووراء ههنا بمعنى خلف معناه أني شددت بهذه الطعنة كفي ووسعت خرقها حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها

٣ - قوله يهون أي يسهل والجراح جمع جراحة وهي الكلم والأواسي النساء المداويات للجراح يقول لا أبالي إذا نظرت الأواسي إلى هذه الطعنة فردت عيونهن عنها لقبحها وكثرة ما يخرج منها متى حمدت أثرها وعاقبتها

٤ - ابن عمرو هو خداش من بني عمرو بن عامر وإنما استعان بخداش لأن أبا قيس كانت له نعمة عنده فأعان قيسا على أخذ ثأره وفاء لتلك النعمة التي قبله وهذا معنى قوله فأدى نعمة وأفاءها أي إنه كافأني بأداء تلك النعمة التي عنده ورجع بها إلى أهلها

٥ - السبة العار ومعنى قوله إلا كشفت ." (١)

" ١ - (ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها)

و٢ - قال الحارث بن هشام

٣ - (الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسي بأشقر مزبد)

---

١ - ثأرت عديا والخطيم أي قتلت من قتلهما وعدي جده والخطيم أبوه وقوله جعلت إزاءها أي جعلوني أقوم بها من قولك فلان إزاء مال إذا كان يقوم بإصلاحه يقول قتلت من قتل أبي وجدي فلم أضيع في طلب ثأرهما حقوق شيوخ جعلوني إزاءها وقائما بها

---

(١) ديوان الحماسة، ٥٤/١

٢ – الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والحارث هذا أخو أبي جهل وأمهما أسماء بنت مخرمة النهشلية وهو شاعر مخضرم شهد غزاة بدر مع المشركين وفرعن أخيه أبي جهل فعيره بذلك حسان بن ثابت في قصيدة يقول فيها يخاطب نفسه

(إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام)

(ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام)

فأجابه الحارث بن هشام وهو مشرك يومئذ بهذه الأبيات وأسلم الحارث يوم الفتح وحسن إسلامه ولم ير في إسلامه شيء يكره وأعطاه النبي مائة من الإبل من غنائم حنين وخرج إلى الشام مجاهدا أيام عمر ابن الخطاب بأهله وماله فلم يزل يجاهد حتى استشهد يوم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة

٣ – الله يعلم لفظه لفظ الخبر وقصد به إلى القسم واليمين وعني بالأشقر المزبد الدم وجعله مزبدا لأنه إذا بدر من الطعنة أزبد أي علاه زبد ومعنى ذلك أنه ما انهزم حتى جرح فرسه فعلاه دمه أو جرح هو فعلا فرسه دمه ." (١)

" ١ – (أما في بني حصن من ابن كريهة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

٢ – (فيقتل جبرا بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

٣و – قال بعض بني فقعس

٤ – (رأيت موالي الألى يخذلونني ... على حدثان الدهر إذ يتقلب)

٥ – (فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب)

والمعنى ما أضيع الفتيان في ذلك الوقت إذ يقودونه في بطن الشرى وهو في الصلابة والسمن مثل الفحل المكرم الذي لا يؤذي لكرامته وإنما ضاعت الفتيان بضياعه لأنهم منسوبون إليه فحين أضاعوه ضاعوا

١ – الكريهة الشدة في الحرب وابنها الملازم لها والتراث جمع ترة وهي الثأر والغشمشم الذي يركب رأسه ولا يهاب الإقدام تقول أليس في بني حصن صاحب غيرة ودفاع وطلاب ترات ينتصر له وهذا الكلام تحضيض على طلب الدم والترة وتهييج

---

(١) ديوان الحماسة، ٥٦/١

٢ – لعل جبرا اسم الرجل الذي دل عليه ولم يكن له بواء أي نظيرا والمعنى أما فيهم رجل صفته هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرا فيكون في دمه وفاء بدمه ولكن سقطت المكايلة في الدماء منذ جاء الإسلام فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد شريفا كان أو وضيعا

٣ – قيل هو مرة بن عداء الفقعسي منسوب إلى فقعس ابن طريف أبي حي من أسد ولم تعلم لمرة هذا ترجمة

٤ – الموالي هنا بنو العم وعلى حدثان الدهر في موضع الحال أي رأيتهم يخذلونني مقاسيا لما يحدث في الدهر أو إن تقلبه وتغيره

٥ – تفاقدوا أي فقد بعضهم بعضا والجملة دعاء عليهم والإبزى الذي يخرج صدره ويدخل ظهره يفعل ذلك في مشيه يخيل إنه أبزى ." (١)

" ١ – (وهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... وفي الأرض مبثوث شجاع وعقرب)

٢ – (فلا تأخذ واعقلا من القوم إنني ... أرى العار يبقى والمعاقل تذهب)

٣ – (كأنك لم تسبق من الدهر ليلة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب)

وقال آخر

٤ – (فلو أن حيا يقبل المال فدية ... لسقنا لهم سيلا من المال مفعما)

٥ – (ولكن أبى قوم أصيب أخوهم ... رضا العار فاختاروا على اللبن الدما)

وقوله مائل الصدر أي مصعر من الكبر والأنكب الذي يشتكي منكبيه فهو يمشي مائلا وهذه الصفات من الخداع في الحرب وأبزى هنا مثل ومعناه الراصد المخاتل يقول فهلا ادخروني لمثلي عند اشتداد الأمر وتفاقم الخطب حين يخاتل الشجعان بعضهم بعضا ويتربص كل بالآخر السوء

١ – الشجاع الحية الخبيثة كنى به وبالعقرب عن الأعداء يقول قد امتلأت الأرض من الأعداء فهلا أعدوني لمقاومة أعدائهم

٢ – العقل والمعاقل الديات يقول لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عار والعار يبقى أثره والأموال تفنى

٣ – معناه أن من أدرك ما طلبه من الثأر فكأنه لم يصب ولم يوتر وهذا بعث على طلب الدم

---

(١) ديوان الحماسة، ٦٩/١

٤ – المال يراد به هنا الإبل ونكر الحي وهو يقصد حيا بعينه لأن المراد كان مفهوما عند من عرف قصته وقوله سيلا من المال مفعما كنى به عن الكثرة ومعنى البيت لو كانت معاملتنا مع حي يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير

٥ – اللبن كناية عن الإبل التي تؤدى في الدية لأنه منها والمعنى امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضى بالدية وآثروا طلب الدم على قبول الدية ." (١)

" ١ – قالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب

٢ – (أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي)

٣ – (ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم)

٤ – (ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمر وغير شبر لمطعم)

---

١ – كانت كبشة من النساء الشاعرات المتوسطات في الشعر وكانت متزوجة في بني الحارث بن كعب وكان عبد الله أخاها لأبيها وأمها دون عمرو والسبب في هذا الشعر أن عبد الله بن معد يكرب مر براع للمحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن بن زبيد فاستسقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه فقتله عبد الله فثأرت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاؤا إلى عمرو فقالوا إن أخاك قتله رجل منا سفيه ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم إلا أخذت الدية ما أجبت وهم عمرو بذلك فغضبت كبشة وقالت هذه الأبيات وذكر علماء الأدب أيضا غير ذلك في سبب هذا الشعر

٢ – إنما تكلمت بهذا الكلام وجعلته على لسان أخيها تحضيضا لهم على إدراك الثأر ويقال عقلت فلانا إذا أعطيت ديته وإنما جعل الدم هو المعقول لأن المراد مفهوم كأنه قال لا تأخذوا بدل دمي عقلا

٣ – الأفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر وإنما ذكر الأفال والأبكر والدية لا تكون منهما تحقيرا لشأن الدية وقولها وأترك في بيت أي قبر وصعدة مخلاف باليمن وكانوا يزعمون أن القتيل إذا هدر دمه ولم يثأر يبقى قبره مظلما

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٧٠

٤ - ودع عنك عمرا تريد خالف عمرا إن مال إلى الصلح وأخذ الدية وقولها وهل بطن عمرو الخ تزهيد في الدية ." (١)

" ١ - (اذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلي)

٢ - (فإن لم أنل ثأري من اليوم أو غد ... بنى عمنا فالدهر ذو متطول)

٣ - (فلا يدعني قومي ليوم كريهة ... لئن لم اعجل ضربة أو أعجل)

٤ - (أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل)

٥ - (يقول رجال ما أصيب لهم أب ... ولا من أخ أقبل على المال تعقل)

٦ - (كريم أصابته ذئاب كثيرة ... فلم يدر حتى جئن من كل مدخل)

٧ - (ذكرت أبا أروى فأسبلت عبرة ... من الدمع ما كادت عن العين تنجلي)

---

١ - المؤتلى المقصر يقول أبعد فقدي لأبي أذكر بالإبقاء على من قتله وسامني الخسف بقتله وإبقائي عليه أني أجهد في قتله والجهد لا إبقاء فيه ولكن المعنى يكون مني الانتقام بدل الصفح

٢ - متطول مصدر مثل التطول والمعنى إن لم أدرك ثأري قريبا ففي الدهر تطاول

٣ - أو أعجل يريد لمثلها فحذف والمعنى أنه يدعو على نفسه بسلب الرياسة فلا يدعى للحروب إن لم يجتهد في الطلب بثأره فإما أن يقتل وإما أن يظفر

٤ - إناخة الكلكل كناية عن القهر والإبادة والكلكل الصدر وهو هنا مثل وهذا الكلام تهديد في أنه سيكافئهم على ما بدؤا به

٥ - أقبل على المال أي مال الدية يقول يشيرون علي بأخذ الدية ولم يصبهم ما أصابني ولعلهم لو أصيبوا بما أصبت به لم تقنعهم الدية ولم يروا أخذها

٦ - الذئاب هنا كناية عن الأعداء يقول إن الذي قتله الأعداء رجل كريم أصابوه غدرا وغيلة ولم يشعر حتى دخلوا عليه من كل ناحية

٧ أبا أروى كنية زيادة والأسبال ." (٢)

---

(١) ديوان الحماسة، ٧١/١

(٢) ديوان الحماسة، ٨٤/١

" ١ – (فأدركت ثأري والذي قد فعلتم ... قلائد في أعناقكم لم تقطع)
٢و – قال عويف القوافي الفزاري
٣ – (ذهب الرقاد فما يحس رقاد ... مما شجاك ونامت العواد)
٤ – (خبر أتاني عن عيينة موجع ... كادت عليه تصدع الأكباد)
٥ – (بلغ النفوس بلاؤه فكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد)

وحملت فوادحه فلم أخضع بل اصطبرت لها كأنها ما دهمتني

١ – الذي قد فعلتم يعني قعودهم عن نصره معناه أن قعودهم عن نصره عار لهم لا يفارقهم كالقلائد في الأعناق لا تفارقها وهم يشبهون العار اللازم بالقلادة في العنق

٢ – هو ابن معاوية بن عقبة من بني فزارة بن ذبيان وإنما أضيف إلى القوافي لقوله

(سأكذب من قد كان يزعم أنني ... إذا قلت قولا لا أجيد القوافيا)

وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة وبيته أحد البيوتات المتقدمة في العرب وكانت أخته متزوجة بعيينة بن أسماء الفزاري فطلقها فكان عويف مراغما لعيينة وقال المحرة لا تطلق لغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف هذه الأبيات

٣ – الرقاد والرقود النوم بالليل وقوله فما يحس أي فما أحس به ولا أشعر وشجاك أحزنك والعواد جمع عائد من العيادة يقول إن العين لم تذق النوم ولم تكتحل به مما أحزنك وألم بك والعواد قد امتلأت عيونهم بالنوم لخلو بالهم وفراغ قلوبهم من الهم والحزن

٤ – الخبر الذي أتاه هو حبس عيينة يقول إن ذلك الحزن وهذا الألم من الخبر الذي أتاني عن عيينة وذلك الخبر موجع مؤلم لا أستطيع تحمله حتى كادت الأكباد تتطفر منه وتنصدع

٥ بلاؤه ." (١)

" ١ – (ذا قوة وذا شباب مقتبل ... لا جزع اليوم على قرب الأجل)
٢ – (الموت أحلى عندنا من العسل ... نحن بني ضبة أصحاب الجمل)
٣ – (نحن بنو الموت إذا الموت نزل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل)

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٩٠

٤ - (ردوا علينا شيخنا ثم بجل ...)

وقال آخر

٥ - (داو ابن عم السوء بالنأي والغنى ... كفى بالغنى والنأي عنه مدويا)

---

١ - الشباب المقتبل الغض الجديد ولا جزع اليوم اليوم ظرف لقرب الأجل يقول خلقت مقتبل الشباب لم تبلني السنون ولم تضعفني النوائب والهموم ولا أجزع لقرب الأجل

٢ - الموت أحلى عندنا من العسل أي أنا نميل إلى الموت كما نميل إلى العسل وقوله نحن بني ضبة نحن مبتدأ وبني ضبة منصوب على الاختصاص أو المدح وأصحاب الجمل خبر نحن

٣ - النعي الإخبار بموت الميت والأسل الرماح

٤ - بجل بمعني حسب وموضعه رفع على الابتدا وخبره مضمر كأنه قال ثم بجلنا ذاك أي حسبنا يقول نحن من أصل الموت ومن جنسه فلا نخافه عند نزوله يريد أنهم لازموا الحرب وداوموا عليها حتى صاروا للموت كأولاده ثم أخبر أنهم لا يخبرون بموت عثمان رضي الله عنه إلا بأطراف الرماح وأسنة القنا وكنى بهذا عن الأخذ بثار عثمان ثم قال لأصحاب علي رضي الله عنه إننا لا نطلب شيئا سوى الأخذ بثأره

٥ - داو أي عالج والنأى البعد يقول تباعد عن ابن عمك إذا كان رديا واستغن عنه فإنكما إذا تقاربتما تحاسدتما وتباغضتما وقوله كفى بالغنى والنأى الخ يريدان التباعد عن ابن العم السيئ الخلق الرديء الفعل والاستغناء عنه نعم ." (١)

" ١ - (فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر)

٢ - (فما أسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وتر)

٣و - قال أبو صخر الهذلي

٤ - (رأيت فضيلة القرشي لما ... رأيت الخيل تشجر بالرماح)

٥ - (ورنقت المنية فهي ظل ... على الأبطال دانية الجناح)

---

(١) ديوان الحماسة، ١٠٤/١

١ – فلما نأت عنا الخ معناه لما خذلتنا عشيرتنا وهم ربيعة وقعدوا عن نصرنا اكتفينا بأنفسنا وأقمنا بدار الحفاظ واتخذنا السيوف حلفاء على الدهر

٢ – الكريهة الحرب أي فما خذلتنا في يوم حرب ولا نحن أغضينا جفوننا على وتر وحقد يعني أنهم أدركوا كل ثأر

٣ – اسمه عبد الله بن سلم السهمي أحد بني هذيل بن مدركة وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية أحد بني هذيل بن مدركة وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان مواليا لبني مروان متعصبا لهم وله في عبد الملك مدائح وقد كان حبسه ابن الزبير إلى أن شفع له رجال من قريش فأطلقه بعد سنة فلما ولى عبد الملك وحج لقيه أبو صخر فأدناه عبد الملك وقربه وقال له إنه لم يخف على خبرك ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك لنا فقال إذا شفى الله من عدوي نفسي ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوبا مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي بما فاتني من الدنيا ثم استأذنه في الشعر فأذن له وأحسن صلته وجائزته

٤ – رأيت من رؤية العين وفضيلة بالتصغير اسم رجل بعينه وتشاجر القوم بالرماح تطاعنوا بها وتداخل بعضها في بعض

٥ – يقال رنق الطائر إذا بسط جناحيه ولم يقبضهما وهذا الفعل معطوف على الفعل الذي تناولته لما والكلام كله على المثل والمجاز يقول لما رأيت الخيل تشجر بالرماح ." (١)

" ١ – (وسيان عندي أن أموت وأن أرى ... كبعض الرجال يوطنون المخازيا)

٢ – (ولست بهياب لمن لا يهابني ... ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا)

٣ – (إذا المرء لم يحببك إلا تكرها ... عراض العلوق لم يكن ذاك باقيا)

٤و – قال عنترة

٥ – (يذبب ورد على إثره ... وأمكنه وقع مردى خشب)

---

١ – سيان مثلان وهو خبر مقدم لقوله أن أموت وأن أرى ومعنى البيت مثلان عندي أن أموت وأن أرى كمن يألف المخازي ويرضاها وطنا وهذا تعريض بالمخاطب أيضا

---

(١) ديوان الحماسة، ١/١٢٠

٢ – ولست بهياب الخ معناه من لم يرع حقوقي وينظرني بعين الإجلال لم أرع حقوقه ولم أقم له بواجب العشرة بل أدينه كما يدينني

٣ – انتصب تكرها على أنه مصدر في موضع الحال وانتصب عراض العلوق على أنه مصدر مما دل عليه قوله يحببك والعلوق الناقة التي نر أم ولدها وتلمسه حتى إذا استأنس بها وأراد الإرضاع منها ضربته وطردته والمعنى أن الرجل إذا عارضك في الحب عراض الناقة العلوق لم يكن ذلك الحب باقيا ولا ثابتا

٤ – هو ابن شداد بن عمرو بن معاوية ينتهي نسبه إلى عبس بن بغيض شاعر جاهلي فارس مذكور وهو أحد أغربة العرب وأغربة العرب في الجاهلية عنترة وخفاف بن ندبة وعمير بن الحباب وسليك بن السلكة والأغربة السودان من العرب وقد حمل على عنترة أشعار كثيرة لبست له فليتنبه لها الأديب

٥ – التذبيب الطراد وأصله الإسراع وورد هذا هو ابن حابس طلب نضلة الأسدي بثأر كان عنده والمردى حجر صلب تكسر به الصخور شبه الفرس به ومعنى البيت أن وردا طارد نضلة ." (١)

" ١ – (وإذا فعلتم ذلكم لم تتركوا ... أحدا يذب لكم عن الأحساب)

٢و – قال العباس بن مرداس السلمي

٣ – (أبلغ أبا سلمى رسولا يروعه ... ولو حل ذا سدر وأهلي بعسجل)

٤ – (رسول امرئ يهدي إليك رسالة ... فإن معشر جادوا بعرضك فابخل)

٥ – (وإن بوؤك مبركا غير طائل ... غليظا فلا تنزل به وتحول)

الكناية به عن النفس

١ – يذب أي يدفع قد جعل لجذيمة أحسابا يدافع عنها لأنه منهم فخاطبهم بهذا الكلام

٢ – جده أبو عامر بن حارثة أحد بني سلم بن منصور وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد وكان العباس فارسا شاعرا مخضرما شديد العارضة والبيان سيدا في قومه من كلا طرفيه وفد إلى النبي وأسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه

---

(١) ديوان الحماسة، ١٥٨/١

٣ – الرسول الرسالة ويروعه أي يفزعه وذو سدر موضع ينبت السدر وعسجل موضع من حرة بني سليم وبينهما مسافة بعيدة يقول أد رسالة متنصح متقرب إلى أبي سلمى وإن كانت تروعه وتفزعه لما فيها من التحذير

٤ – رسول امرئ رسول بمعنى رسالة أيضا بدل من رسولا في البيت قبله وإن معشر جادوا بعرضك تعريض بمن كان يغشه وقد نقل الكلام في هذا البيت إلى الخطاب ليكون أبلغ في الرسالة يقول يؤدي إليك رسالة رجل يهديها إليك وينصحك فيها أن الذين يريدون منك قبول الدية إنما هم يغشونك ولا ينصحون لك فاحذرهم ولا تبذل لهم عرضك فإن العز في طلب الثأر

٥ – وإن بوؤك يقال بوأته مبوأ صدق أي أحللته وقوله غير طائل من الطول بمعنى الفضل أي لا خير فيه فيفضل على غيره والغليظ الخشن كنى به عن نبوه وعدم ." (١)

" ١ – (ثلاثة أثلاث فأثمان خيلنا ... وأقواتنا وما نسوق إلى القتل)

٢و – قال المثلم بن عمرو التنوخي

٣ – (إني أبى الله أن أموت وفي ... صدري هم كأنه جبل)

٤ – (يمنعني لذة الشراب وإن ... كان قطابا كأنه العسل)

٥ – (حتى أرى فارس الصموت على ... أكساء خيل كأنها الإبل)

عندنا والجذم الأصل والأذواد جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الإبل والمحذفة المقطوعة والمعنى ما أبقى تأثير الحوادث من أموالنا إلا بقايا أذواد مقطوعة النسل

١ – ثلاثة أثلاث خبر لمبتدأ محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال أموالنا ثلاثة أثلاث ثلث نشتري به الخيل وثلث نشتري به أقواتنا وثلث نعطيه في الديات

٢ – هو أحد بني تنوخ وهم أولاد تيم الله بن أسد بن وبرة وهو شاعر جاهلي مقل

٣ – وفي صدري هم أراد بالهم دما يطلبه أو حقدا ينقضه ينبه بهذا الكلام على أنه مجتهد في الطلب أو أنه بلغ مراده وأدرك مطلوبه فيقول أمضيت همومي كلها وبلغت مرادي فيها وأبى الله أن أموت ولي هم لم أمضه

---

(١) ديوان الحماسة، ١/١٦٦

٤ – يمنعني لذة الشراب الخ أي يمنعني الهم من لذاذتي بالشراب وإن كان قطابا أي ممزوجا بغيره كأنه العسل حلاوة كان الواحد منهم إذا أصيب بثأر يترك بعض اللذات فلذا قال يمنعني الخ

٥ – فارس الصموت يريد بالفارس نفسه بالصموت اسم فرسه على إكساء خيل أي على مآخيرها واحدها كسء وشبه الخيل بالإبل لعظمها وطولها وذلك مستحب في الخيل ومعناه يمنعني الهم الالتذاذ بالشراب حتى أرى هذا الأمر وأشاهده ." (١)

" ١ – قال تأبط شرا

٢ – (وقالوا لها لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا)

٣ – (فلم تر من رأى فتيلا وحاذررت ... تأيمها من لابس الليل أروعا)

٤ – (قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا)

حياة سارة لي وأنا مخذول طول الليالي مسلم للأعداء بجرائري ظاهرة لقومي فيكون سبب شماتتهم

١ – وهو ثابت بن جابر وقد تقدمت ترجمته ومن خبر هذا الشعر أنه خطب امرأة من بني عبس ومن بني قارب فأرادت أن تتزوجه ووعدته بذلك فلما جاءها وجدها قد رغبت عنه فقال لها ما غيرك فقالت والله إن الحسب لكريم ولكن قومي قالوا ما تصنعين برجل يقتل عند أحد اليومين وتبقين بلا زوج فانصرف عنها وهو يقول هذا الشعر

٢ – أن يلاقي مجمعا أن والفعل في تأويل مصدر بدل من ضمير فإنه والتقدير فإن ملاقاته مجمعا لأول نصل ومعنى البيت أنهم قالوا لها لا تنكحيه فإنه إذا لاقى مجمعا فهو لأول نصل يقتل

٣ – الفتيل والنقير والقطمير يضرب بها المثل في حقارة الشيء وعدم نفعه والتأيم البقاء بلا زوج والأروع هنا الحديد الفؤاد ومعنى البيت أنها لم تر قدر فتيل من الرأي في انصرافها عن رجل متيقظ محترس من الأمر قبل وقوعه

---

(١) ديوان الحماسة، ١٨٤/١

٤ – المراد بالقلة النفي والغرار القليل أي أنه لا ينام القليل من الليل فكيف بالكثير والكمي الشجاع والمسفع المتغير لون الوجه ومعنى البيت أنه لا ينام الليل لشجاعته وأكثر اهتمامه طلب الثأر أو ملاقاة الفرسان لممارسته الحرب ." (١)

" ١ – (سائل أسيد هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها)

٢ – (إذ أرسلوني مائحا بدلائهم ... فملأتها علقا إلى أسبالها)

٣ – (إني ومن سمك السماء مكانها ... والبدر ليلة نصفها وهلالها)

٤ – (آليت أثقف منهم ذا لحية ... أبدا فتنظر عينه في مالها)

٥ – (وخمار غانية عقدت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها)

دما فقتل باعث منهم ثمانين وأسر عدة وقدم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه وألقى دلوه فخرجت ملأى بالدم ولم يزل يغير عليهم زمانا وقتل منهم فأكثر

١ – سائل أسيد أي اسأل هذه القبيلة هل ثأرت بوائل أي أخذت الثأر منهم والبلبال الاهتمام بطلب الثأر والمعنى اسأل عني أسيد تخبرك بأخذ ثأري من وائل وشفاء نفسي من همومها

٢ – المائح الذي ينزل البئر ويملأ الدلو والعلق الدم وأسبال الدلو أعاليها وضرب ذلك مثلا لاهتمامه بثأر أخيه وإكثار القتل ممن قتله والمعنى انتقمت لهم من وائل وأجريت سيلا من الدم أي أكثرت القتل كالمائح بالدلاء

٣ – سمك السماء أي رفعها بغير عمد والبدر معطوف على السماء والمعنى أقسم بالله تعالى الذي رفع السماء والبدر ليلة نصف الشهور وليلة هلالها وإنما أضاف النصف إلى السماء لأن البدر الذي يعرف به نصف الشهور في السماء

٤ – آليت أي حلفت وأثقف أي لا أثقف بمعنى أظفر والمعنى أوجبت على نفسي بأني لا أظفر منهم بذي لحية أي سيد كريم إلا قتلته فلا تنظر عينه في ماله لأنه يفارقه بمفارقة روحه بدنه

---

(١) ديوان الحماسة، ١/١٨٩

٥ - عقدت برأسها أي كنت السبب في عقدها له والأصل جمع أصيل ضد الغداة والمعنى ورب خمار غانية سبيت أول النهار عقدت خمارها برأسها آخره بعدما كان ." (١)

" ١ - قال الرقاد بن المنذر بن ضرار الضبي

٢ - (لقد علمت عوذ وبهثة أنني ... بوادي حمام لا أحاول مغنما)

٣ - (ولكن أصحابي الذين لقيتهم ... تعادوا سراعا واتقوا بابن أزنما)

٤ - (فركبت فيه إذ عرفت مكانه ... بمنقطع الطرفاء لدنا مقوما)

٥ - (ولو أن رمحي لم يخني انكساره ... جعلت له من صالح القوم توأما)

---

١ - هو شاعر جاهلي

٢ - عوذ وبهثة قبيلتان الأولى عوذ بن غالب من بني عبس والثانية بهثة من عبد الله بن غطفان ومعنى البهثة في اللغة ولد البغي والحمام بضم الحاء حمى الإبل والدواب والمعنى لقد علمت هاتان القبيلتان أني قصرت مرادي في هذه الواقعة على طلب الثأر دون طلب المغنم

٣ - ولكن أصحابي يريد بهم أعداءه وتعادوا سراعا أي تبادروا مسرعين واتقوا بابن أزنما أي جعلوه وقاية لهم والمعنى أن أعدائي الذين لقيتهم للقتال انحازوا مسارعين إلى ابن أزنم وجعلوه بيني وبينهم يريد بذلك أن ابن أزنم ثبت في وجه القوم يشغلهم ليسلم أصحابه

٤ - بمنقطع الطرفاء متعلق بركبت والطرفاء شجر واللدن المقوم هو الرمح والمعنى فوضعت فيه رمحي بعدما عرفت محله من أصحابه بمنقطع الطرفاء وهو مستتر بهم لأنه لو قتل قبلهم انهزموا

٥ - الضمير في له يرجع إلى ابن أزنم والمراد بصالح القوم السيد الشريف منهم والتوأم من يولد مع آخر في بطن وأراد به مطلق الجمع مجازا والمعنى خانني رمحي وانكسر ولولا ذلك لطعنت به معه صالح القوم فيكونان كالتوأمين وخص الصالحين من القوم لأنهم يتبجحون بقتل الملوك والرؤساء ." (٢)

" ١ - (كفاك النأي ممن لم تريه ... ورجيت العواقب للبنينا)

٢و - قال أبو ثمامة بن عازب الضبي

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٠٧/١

(٢) ديوان الحماسة، ٢١٨/١

٣ - (رددت لضبة أمواهها ... وكادت بلادهم تستلب)

٤ - (بكر المطي وإتباعه ... وبالكور أركبه والقتب)

٥ - (أخاصمهم مرة قائما ... وأجثوا إذا ما جثوا للركب)

---

١ - كفاك النأي أي أغناك البعد والمعنى اكتفى ببعدك ممن لا تطيقي النظر إليه وهو مصروع في المعركة ولا تعلقي رجاءك به بل علقي رجاءك بأن الله تعالى يحسن العقبى لأولادنا إذا بلغوا طلبوا ثأرنا

٢ - واسمه البراء وهو شاعر جاهلي مقل فارس وكان أبو ثمامة مقيما على مياه ضبة وهم منتجعون فجاء قوم يريدون التغلب عليها فطردهم عنها أبو ثمامة وقومه وقال رددت لضبة أمواهها الخ فهذا سبب أبياته

٣ - الأمواه جمع ماء والاستلاب هنا كناية عن الجدب وكأنه مأخوذ من قولهم شجرة سليب سلبت ورقها وأغصانها يقول دافعت عن ضبة ورددت إليها ماءها ولولا ذلك لوقعوا في الجدب ويجوز أن يكون باقيا على حقيقته وهو الاختلاس والمعنى دافعة عن بني ضبة وملكتهم أموالهم ولولا دفاعي عنهم لتغلبت عليهم الأعادي وسلبت منهم بلادهم

٤ - بكر المطي متعلق برددت في البيت الأول والمطي جمع مطية والاتباع الموالاة والكور الرحل والقتب الأكاف على قدر السنام والمعنى ما زلت أكر عليهم بالخيل والإبل حتى طردتهم عن المياه

٥ - المخاصمة المنازعة والمغالبة وقائما انتصب على الحال ويقال جثا لركبتيه إذا سقط والمعنى لا زلت أخاصمهم فإن قاتلوني وهم قائمون قاتلتهم قائما وإن قاتلوني وهم جالسون ." (١)

" ١ - قال قبيصة بن النصراني الجرمي من طيىء

٢ - (لم أر خيلا مثلها يوم أدركت ... بني شمجى خلف اللهيم على ظهر)

٣ - (أبر بأيمان وأجرأ مقدما ... وأنقض منا للذي كان من وتر)

٤ - (عشية قطعنا قرائن بيننا ... بأسيافنا والشاهدون بنو بدر)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٢٥/١

الأرض وذلك مثل قوله تعالى (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أي اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة

يقول لا نتأخر عن مناجزة الأعداء كما تظن بل ترى الرجل منا متقدما وخلفه رجل يجري إلى آخر ثم ننصرف وقد غادرنا رجالا مصرعين مجندلين على الأرض

١ - هو أحد شعراء بني جرم من طيء شاعر جاهلي شعره متين رصين من حر كلام العرب وقد تلاعبت بأكثره يد الضياع كغيره من الشعراء وقد زعم الرواة أنه أبو إياس بن قبيصة آخر ملوك الحيرة ولاه كسرى عليها بعد النعمان بن المنذر وكان قبيصة سيدا شهما مطاعا في قومه حضر حروب الفساد التي كانت بين الغوث وجديلة من طيء وقد ذكرها في شعره

٢ - لم أر خيلا الخ المراد بالخيل هنا الفرسان وبنو شمجى بن جرم من قضاعة واللهيم جبل والظهر المراد به ظهر الأرض والمعنى لم تر عيني فرسانا مثل هؤلاء على ظهر الأرض يوم قصدوا بني شمجى وأدركوهم خلف اللهيم

٣ - أبر بإيمان الخ الإيمان جمع يمين والمقدم الإقدام والوتر الثأر ونقضه حل عقده باشتفاء النفس من الواتر الذي أبرمه والمعنى لم أر مثلهم في وفاء العهود وكثرة الإقدام والنقض لمبرم الثأر أي في أخذه وكانت عادتهم أن ينذروا أنهم لا يشربون الخمر ولا يقربون النساء حتى يدركوا ثأرهم

٤ - عشية قطعنا الخ عشية بدل ." (١)

" ١ - (فأصبحت قد حلت يميني وأدركت ... بنو ثعل تبلي وراجعني شعري)

٢و - قال أدهم بن أبي الزعراء

من يوم أدركت في البيت الأول ويعني بالقرائن الأرحام وأواصر القرابة والمعنى لم أر خيلا تماثلها عشية أرسلناها على أعدائنا فقطعنا باستعمال السيوف القرابات الجامعة لنا وبنو بدر شاهدون لبلائنا

١ - قد حلت يميني أي وفيت بنذري وأخذ بثأري وأدركت بنو ثعل تبلى والتبل الثار أي قامت قومي بنصري وشفوا صدري وراجعني شعري وكان الواحد منهم لا يقول الشعر حتى يدرك ثأره

٢ - هو سويد بن مسعود بن جعفر بن عبد الله ينتهي نسبه إلى معن الطائي وأدهم هذا شاعر إسلامي كان في عهد مروان بن الحكم قال أبو رياش وكان من حديث هذه الأبيات أن معدان ابن عبيد

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٤١/١

حدث أنه تزوج امرأة من بني بدر بن فزارة قال فكان شباب من بني بدر يزورون حينا فاجتمعوا ذات يوم على نبيذ لهم مع شباب منا فأسرع فيهم الشراب فوقع بينهم كلام فوثب غلام منا فضرب شابا من بني بدر فشجه فمات منها فقلت للبدريين لكم دية صاحبكم فأبوا إلا أن يدفع الطائي إليهم وأبيت أن أفعل فأتوا صاحب المدينة في ذلك وكنا قد منعنا الصدقة من حين وقعت الفتنة فكتب أمية بن عبد الله أحد بني عثمان بن عفان وكان عامل صدقة الحليفين أسد وطيء كتب إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا الرجل فكتب إليه مروان أن سير إليهم جيشا وكتب إلي أن مكن البدريين من صاحبهم وأد الصدقة وإلا فقد أمرت رسولي أن يأتيني بك وإن أبيت أتاني برأسك ثم والله لأبيلن الخيل في عرصاتك قال فأمرت ." (١)

" ١ - (قد صبحت معن بجمع ذي لجب ... قيسا وعبدانهم بالمنتهب)

بضرب عنق الرسول فقال الرسول إن الرسل لا تقتل وإني لأسير فيكم يا معشر بني طيء استحياء فقلت قد صدقت وخليت سبيله وقلت له قل لمروان آليت أن تبيل الخيل في عرصاتي وبيني وبينك رمل عالج وعديد طيء حولي والجبلان خلف ظهري فاجهد جهدك فلا أبقى الله عليك وكتبت إليه أنا وبعض قومي شعرا فيه ذم له وتنقيص به فكتب مروان إلى عبد الواحد بن منيع السعدي وإلى أمية بن عبد الله أن سيرا بأهل الشام وأهل المدينة والبوادي وقيس وغيرهم إلى معدان حتى تأخذوا منه الصدقة وتقيدوا البدريين من صاحبهم وأوطئوا الخيل بلاد طيء وائتوني بمعدان فصار أمية في عدد كبير وبعث إلى كل صاحب دم وثأر يطلبه في طيء فثارت قيس تطلب الثأر من طيء قال معدان وكنت في اثني عشر ألفا فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبال من حديد وعسكر لا يرى طرفاه فرفع طيء النار على أجأ ونحروا الجزر وعملوا من جلودها حجفا تروسا بلا خشب وطءموا من لحومها فقلت يا بني خيبري ويا معشر طيء هذا والله يومكم البقاء الدهر أو الهلاك فإذا وقع النبل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين ثم تواقف الفريقان ووقع بينهم الشر وخبر هذا يطول وتسمى هذه الوقعة وقعة المنتهب وقد قيل فيها أشعار كثيرة منها هذه الأبيات

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٤٢/١

١ – بجمع ذي لجب الجمع الجيش واللجب كثرة الأصوات والعبدان جمع عبد والمراد بهم الرعاة والمنتهب موضع كانت به الواقعة والمعنى قد أغارت بنو معن صباحا على قيس فأدركوهم ورعاة إبلهم بهذا الموضع ." (١)

" ١ – (وأبغض إلي بإتيانها ... إذا أنا لم آتها أدفع)

٢و – قال معبد بن علقمة

٣ – (غيبت عن قتل الحتات وليتني ... شهدت حتاتا حين ضرج بالدم)

٤ – (وفي الكف مني صارم ذو حقيقة ... متى ما يقدم في الضريبة يقدم)

٥ – (فيعلم حيا مالك ولفيفها ... بأن لست عن قتل الحتات بمحرم)

٦ – (فقل لزهير إن شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتم)

---

١ – وأبغض إلي الخ أي ما أبغض إتيان عقبة الهجاء إلي ولو لم أترك الهجو تأثما وتكرما لكان ما تعاقدنا عليه يدفعني عنه ويمنعني منه

٢ – هو شاعر مخضرم صاحبي شهد فتح مكة

٣ – الحتات اسم رجل والمضرج المصبوغ والمعنى لم أحضر حين قتل الحتات وليتني حضرته وهو صريع يعلوه الدم يتلهف على عدم حضوره

٤ – ذو حقيقة الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه والضريبة الرجل المضروب بالسيف وإنما جعل الذي يقصد إليه بالسيف ضريبة إشارة إلى التمكن منه وأنه لا يقدر على الفرار والخلاص والمعنى ليتني حضرته ومعي سيف ذو مساعدة على أخذ الحق نافذ في الضريبة إذا قدمته لا أخاف تأخره لأنه لا ينبو عن الضرب

٥ – ولفيفها الخ لفيف القوم أتباعهم والمحرم صاحب الحرمة أو الداخل في الحرم أو في الشهر الحرام والمعنى لو كنت حاضرا لعلم حيا مالك ومن معها بأنني ما كنت بمحرم عن أخذ الثأر لحتات ويعلم منصوب على أنه جواب ليتني في البيت الأول

٦ – إن شتمت سراتنا الخ السراة الأشراف والمتشتم المتحكك ." (٢)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٤٣/١

(٢) ديوان الحماسة، ٢٥١/١

" ١ - (نفسي فداء لبني مازن ... من شمس في الحرب أبطال)

٢ - (هيم إلى الموت إذا خيروا ... بين تباعات وتقتال)

٣ - (حموا حماهم وسما بيتهم ... في باذخات الشرف العالي)

وقال سوار

٤ - (أجنوب إنك لو رأيت فوارسي ... بالسيف حين تبادر الأشرار)

٥ - (سعة الطريق مخافة أن يؤسروا ... والخيل تتبعهم وهم فرار)

---

١ - من شمس الشمس جمع شموس وهو من الآدميين الشجاع الذي لا يذل لغيره ومن الخير الجموح الذي لا يمكن أحدا من سرجه

٢ - هيم إلى الموت الخ الهيم الإبل العطاش والتباعات جمع تباعة وهي في الأصل ما يتبع الفعل من الغرامة وما يضاهيها ثم أراد منها ما يلحقهم من العار والمعنى أنهم إذا خيروا في أمرهم بين صبرهم على القتال وبين رضاهم بالعار اختاروا القتال وامتنعوا مما فيه عار عليهم والمراد بالعار أخذهم الدية وعجزهم عن طلب الثأر

٣ - الباذخات جمع باذخ وهو الجبل المرتفع يقول منعوا ديارهم ومرعاهم من الغارات وقد علا بيتهم واشتهر في الناس مجدهم وشرفهم فكانوا في عز باذخ وشرف رفيع عال

٤ - أجنوب الخ جنوب اسم امرأته والسيف شاطئ البحر والمعنى لو شاهدت فوارسي يا جنوب بالسيف حين سابق شرار الناس وجبناؤهم إلى متسع الطريق خوفا من الأسر لرأيت أمرا منكرا فجواب لو محذوف وإبهام الحال في مثل هذا الكلام أبلغ من بيانها

٥ - سعة الطريق مفعول تبادر في البيت قبله ." (١)

" ١ - (سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت ... إليه ثنا يا الموت من كل مرقب)

٢ - (فيا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب)

٣ - (جنيتم وجرتم إذ أخذتم بحقكم ... غريبا زعمتم مرملا غير مذنب)

٤ - (وما قتل جار غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٨٣/١

٥ - (فلم تدركوا ذحلا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب)

---

١ - أو مضت إليه أي أشارت والثنايا الأسنان والمرقب المرصد وهذا تمثيل ولا إيماض ولا مرقب وإنما المعنى ما سقاه الموت إلا سيفي الذي إذا جردته من غمده قتلت به من أريد

٢ - عجل القاتلين الإضافة فيه مثل الإضافة في حق اليقين لأن بني عجل هم القاتلون والذحل الثأر ويحصب قبيلة يعير بني عجل بكونهم ضعفاء عن أخذ ثأرهم من بني مازن وأنهم قتلوا رجلا غريبا من قبيلة يحصب كان مجاورا لبني مازن واكتفوا بذلك في ثأرهم

٣ - زعمتم مرملا الخ زعمتم حذف مفعولاه والتقدير زعمتموه مأخوذا في ثأركم ومرملا غير مذنب حالان من الضمير المحذوف في زعمتم والمرمل الفقير والمعنى أنكم جرتم وتعديتم في قتلكم رجلا غريبا في جوارنا بدلا من ثأركم وهو مرمل فقير ولم يرتكب فيكم ذنبا تأخذونه به

٤ - لطالب أوتار الخ الأوتار جمع وتر وهو الثأر وقوله بمسلك مطلب يريد أن هذا الفعل هو ظلم وعدوان وليس فعل من يطلب الثأر والمعنى أن قتلكم الغريب المجاور لنا بدلا من ثأركم وقد غاب عنه نصراؤه ليس بمذهب حميد في طلب الثأر بل هو ظلم منكم وعدوان

٥ - فلم تدركوا ذحلا الخ الذحل الثأر والمعنى فلم تدركوا ثأركم لأنكم قتلتم غير من جنى عليكم ." (١)

" ١ - (ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب)

٢ - (وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب)

٣و - قال بغثر بن لقيط الأسدي

٤ - (أما حكيم فالتمست دماغه ... ومقيل هامته بحد المنصل)

٥ - (وإذ أحملت على الكريهة لم أقل ... بعد العزيمة ليتني لم أفعل)

وقال رجل من بني نمير

٦ - (أنا ابن الرابعين من آل عمرو ... وفرسان المنابر من جناب)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٨٧/١

ولم تذهبوا في فعلكم هذا إلى ما يذهب إليه الناس في طلب الثأر

١ – فنكبتم عنها أي انحرفتم وعدلتم والمعنى أنكم خفتم من بني مازن فعدلتم عنهم إلى شر معدل وهو قتلكم رجلا غريبا في جوارهم ومع ذلك هم لا يتركونكم حتى يدركوا منكم ثأر جارهم

٢ – ذقتمونا أي جربتمونا وقوله وعلم بيان المرء الخ مثل وقوله عند المجرب أي عند التجربة والمعنى أنه لا يخفى عليكم علو همتنا لأنكم شاهدتم ذلك منا مرارا والإنسان لا يعرف ما لغيره من البأس والنجدة إلا عند تجربته إياه

٣ – هو شاعر جاهلي

٤ – ومقيل هامته الخ مقيل الهامة محل استقرارها والهامة الرأس والمنصل السيف والمعنى مهما يكن من شيء فقد طلبت دماغ هذا الرجل بسيفي فأصبته به غير متندم على ما فعلت

٥ – على الكريهة أي على الأمر المكروه والعزيمة توطين النفس على المراد يريد أنه إذا حمل على المكروه أقدم عليه ولم يندم بعد التروي والعزم على ما فعل

٦ – أنا ابن الرابعين الخ الرابع الرئيس الذي كان ." (١)

" ١ – (فأصبحت لا نزقا للحاء ... ولا للحوم صديقي أكولا)

٢ – (ولا سابقي كاشح نازح ... بذحل إذا ما طلبت الذحولا)

٣ – (وأصبحت أعددت للنائبات ... عرضا بريئا وعضبا صقيلا)

٤ – (ووقع لسان كحد السنان ... ورمحا طويل القناة عسولا)

٥ – (وسابغة من جياد الدروع ... تسمع للسيف فيها صليلا)

فراقا طويلا وقد جعل الطول وصفا للزيال من باب التوسع وإلا فهو وصف لوقت الزيال

١ – أجرى أصبحت مجرى صرت وقوله لا نزقا للحاء ألنزق الخفيف الحركة واللحاء المشاتمة والصديق مفرد يراد به الجمع يريد استبدلت من الخفة وقارا ومن العجلة أناة ويريد بقوله ولا للحوم الخ أنه ليس بمغتاب عياب لصديقه

---

(١) ديوان الحماسة، ٢٨٨/١

٢ – كاشح الخ الكاشح العدو المبطن للعداوة والنازح البعيد الدار والذحل الثأر والمعنى أنه لا يفوتني لحاق العدو على بعده مني إذا طلبت الانتصاف منه لثأر بيني وبينه

٣ – وأصبحت الخ معناه لم أصبح إلا وقد هيأت للحوادث عرضا منزها عن الشين وسيفا مصقولا فإذا حل بي خطب لا أقعد قاصرا عن حفظ ما يجب علي حفظه من حقوقي وشرفي

٤ – ووقع لسان معطوف على عرضا وهو مجاز عن الحجج الدامغة والعسول الشديد الاهتزاز والمعنى وأعددت أيضا حججا مفحمة للخصم صادرة عن لسان مثل حد السنان وأعددت أيضا رمحا طويلا قصبه شديد الاهتزاز

٥ – وسابغة الخ السابغة الدرع التامة وجياد الدروع السهلة السلسلة اللينة والصليل صوت وقع الحديد بعضه على بعض والمعنى وأعددت أيضا درعا واسعة لا يؤثر فيها وقع السيف عليها لاستحكامها وسلاستها (١) ".

" ١ – قال جريبة بن الأشيم الفقعسي

٢ – (فدى لفوارسي المعلمين ... تحت العجاجة خالي وعم)

٣ – (هم كشفوا عيبة العائبين ... من العار أوجههم كالحمم)

٤ – (إذا الخيل صاحت صياح النسور ... حززنا شراسيفها بالجذم)

الرماح المتقدمة معتدلة وبيننا أيضا السيوف اللامعة المسنونة التي تسقط رؤس السادات عن الأبدان والأصابع عن الكف

١ – وجده عمرو ابن وهب أحد بني فقعس بن طريف وهو أخو مطير بن الأشيم أحد شياطين بني أسد وجريبة شاعر إسلامي مقل وكان من حديث هذا الشعر أن سلهبا وأبا سلهب من بني ضبيعة بن عجل سارا في جمع من بكر بن وائل يطلبان الغنائم وخرجت بنو فقعس أيضا فالتقى الجمعان ولا يريد أحد منهم صاحبه فلما التقوا صاح بنو فقعس نزال نزال فلم ينزلوا وقاتلوا على الخيل فشد فروة بن مرثد على أبي سلهب فاختلفا ضربتين فكلاهما قتل صاحبه وهزمتهم بنو فقعس وقتلوا منهم فقال في ذلك جريبة بن الأشيم هذه الأبيات

---

(١) ديوان الحماسة، ٣١٢/١

٢ – المعلمون المتسمون بالسمة والعجاجة الغبار وفدى مبتدأ خبره خالي والمعنى أفدي فوارسي المتسمين بسمات الشجاعة تحت غبار الحرب بخالي وعمي

٣ – العيبة شبه الخريطة من الأدم وهذا مثل معناه أنهم أظهروا من عيب من كان يطلب عيبهم ما كان خافيا فكأنهم كشفوا عيابهم المنطوية على عيوبهم والحمم الفحم والمعنى أن هؤلاء الفرسان أدركوا ثأر من قتل منهم وكشفوا سوأة أعدائهم وأظهروا مخازيهم وألبسوهم عارا تسود منه الوجوه حتى كأنها فحم

٤ – صياح النسور يريد بذلك أصواتا قصيرة والحز ." (١)

" ١ – (أتاني عن أنس وعيد ... فسل تغيض الضحاك جسمي)

٢ – (ولم أعص الأمير ولك أربه ... ولم أسبق أبا أنس بوغم)

٣ – (ولكن البعوث جنت علينا ... فصرنا بين تطويح وغرم)

٤ – (وخافت من جبال السغد نفسي ... وخافت من جبال خوار رزم)

٥ – (فقارعت البعوث وقارعتني ... ففاز بضجعة في الحي سهمي)

٦ – (وأعطيت الجعالة مستميتا ... خفيف الحاذ من فتيان جرم)

---

١ – معنى سل ذاب وضعف والتغيض التغيظ والضحاك اسم أبي أنس وهو الضحاك بن قيس الفهري صاحب مرج راهط والمعنى هددني أبو أنس الضحاك فأضعف وعيده وغيظه جسمي

٢ – رابه إذا أتاه بريبة والوغم الترة وهي الثأر والمعنى لم أخالف الأمير ولم أتكلم فيه بسوء ولم أتقدمه بحرب

٣ – البعوث جمع بعث ويحرك هو الجيش وجمعه لاختلافه وتكرره والتطويح التبعيد في الأرض يقول لم أعص الضحاك الأمير ولكن جناية الجيش علينا عظم لدينا موقعها فصرنا بين النزوح عن الأهل والإبعاد عن الوطن وبين غرم نلتزمه

٤ – السغد أمكنة متفرقة وخوارزم بلدة مشهورة والمعنى خافت نفسي من هذه الجبال فكرهت الخروج

٥ – قارعت من القرعة وقوله ففاز بضجعة الخ أي خرج سهمي باضطجاعي وراحتي في الحي والمعنى أني صنعت معهم القرعة فخرج سهمي براحتي وعدم خروجي إلى الحرب

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٢٣/١

٦ – الجعالة العطاء الذي يؤخذ من السلطان والمستميت طالب الموت وخفيف الحاذ المراد به السريع النشيط والمعنى لما كرهت الخروج أخرجت عني رجلا شجاعا كثير النشاط من فتيان جرم قبيلة مشهورة على جعل معلوم ." (١)

" ١ – (أبى القتل إلا آل صمة إنهم ... أبو أغيره والقدر يجري إلى القدر)

٢ – (فأما ترينا لا تزال دماؤنا ... لدى واتر يسعى بها آخر الدهر)

٣ – (فإنا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حينا وليس بذي نكر)

٤ – (يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر)

٥ – (قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر)

٦و – قال تأبط شرا

كحثو قبر على قبر فماذا ينفع البكاء

١ – آل صمة أي أولاده وكان لدريد أخوة كلهم قد قتل عبد الله وقيس وعبد يغوث وقد تبين من قتلهم وخالد وقتله بنو الحارث بن كعب وقوله والقدر الخ معناه كما أنهم قدروا للقتل كذلك القتل قدر لهم معناه أن هؤلاء القوم أبوا أن يموتوا حتف أنفهم فكأن القتل أبي أن ينزل بأحد إلا بهم وقدر لهم كما قدروا له

٢ – لا تزال الخ في موضع المفعول لترين والواتر هو الذي قتل له قتيل وهو يسعى في ثأره

٣ – فإنا الخ جواب الشرط وغير نكيرة نصب على المصدر والهاء للمبالغة يقول فأما ترى أنا لا تزال دماؤنا أبد الدهر عند واترين يسعون بها فإنا نخاطر بأرواحنا فنقتل ونقتل وذلك ليس بمنكر فينا ومنا

٤ – واترين حال من الضمير في علينا والمعنى أن أعداءنا إما أن يغيروا علينا طالبين ثؤرهم عندنا فيصيبوا منا ما يشتفون به وإما أن نغير عليهم لنأخذ بثأرنا يريد ان دأبهم ذلك

٥ – انتصب شطرين على المصدر والمعنى أننا بهذا السبب قسمنا الدهر قسمين إما أن ننتصر عليهم أو ينتصروا علينا فلا نزال على أحد القسمين

٦ – تقدمت ترجمته والصحيح أن هذا الشعر مولد قاله خلف ." (٢)

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٢٥/١

(٢) ديوان الحماسة، ٣٤١/١

" ١ – (إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل)

٢ – (خلف العبء علي وولى ... أبا بالعبء له مستقل)

٣ – (ووراء الثأر مني ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل)

٤ – (مطرق يرشح سما كما أطرق ... أفعى ينفث السم صل)

الأحمر قال النمري ومما يدل على أنه مولد قوله جل حتى دق فيه الأجل فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا وقال أبو الندى مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعا وهو بالمدينة وأين تأبط شرا من سلع وهو إما قتل في بلاد هذيل ورمي به في غار يقال له رخمان هذا وكلام أبي الندى بناه على أن قائل الشعر هو ابن أخت تأبط شرا يرثي به خاله أو تأبط شرا نفسه يرثي نفسه قبل موته لما أيقن بالقتل

١ – الشعب الطريق في الجبل وسلع موضع وقوله دمه ما يطل يقال طل دمه بالفتح وطل بالضم وهو أكثر طلا ذهب هدرا لا يثأر به والمعنى أن القتيل الذي بالشعب دون سلع لا يذهب دمه هدرا

٢ – العبء الثقل ومستقل أي محتمل يقال استقل كذا حمله ورفعه والمعنى أنه ترك ثقل الثأر علي وذهب وأنا قادر على حمل ثقله غير عاجز عن طلبه

٣ – المصع الشديد المقاتلة الثابت والمعنى أن هذا الثأر الذي أتركه إن لم آخذه منكم فخلفي ابن أخت ثابت الجنان قوي العزيمة لا تنتقض عزيمته

٤ – أطرق أرخى عينيه ينظر إلى الأرض والرشح كالعرق والنفث كالقذف والصل الخبيث من الأفاعي والمعنى أن ابن أختي إذا رأيته مطيل النظر إلى الأرض فلا تظن إطراقه إطراقا بل هو شجاع في الحروب مقدام في النزال يطرق إطراق الحية الخبيثة التي تنفث السم ." (١)

" ١ – (وفتو هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلوا)

٢ – (كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل)

٣ – (فأدركنا الثأر منهم ولما ... ينج ملحيين إلا الأقل)

٤ – (فاحتسوا أنفاس نوم فلما ... هوموا رعتهم فاشمعلوا)

٥ – (فلئن فلت هذيل شباه ... لبما كان هذيلا يفل)

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٤٢/١

٦ – (وبما أبركها في مناخ ... جعجع ينقب فيه الأظل)

---

١ – فتو جمع فتى وهجر سار وقت الهاجرة وهي اشتداد الحر في نصف النهار والسري السير في الليل خاصة وانجاب انكشف والمعنى ورب فتيان واصلوا سيرهم من وقت الهاجرة إلى آخر الليل فإذا انكشف الضوء وطلع الفجر أقاموا وقوله حلوا جواب لرب وإذا

٢ – تقول العرب ارتدى بسيفه وتردى ويسمى السيف الرداء والعطاف وسنا البرق لمعانه والمعنى أن كل ماض منهم تقلد بالسيف الماضي الذي يحكي سنا البرق عند إخراجه من الغمد

٣ – أدركنا أخذنا وملحيين مختصر من الحيين لغة لبعض العرب والمعنى أخذنا ثأرنا منهم ولم ينج منهم إلا اليسير

٤ – احتسى الشراب تناوله شيئا شيئا والأنفاس الجرع وهوم الرجل إذا هز رأسه من النعاس واشمعلوا أسرعوا في السير ورعتهم أفزعتهم وهو جواب لما والمعنى كانوا في النعاس فلما أفزعتهم جدوا في السير

٥ – الفل كسر في حد السيف والشبا الحد وقوله لبما كان الخ معناه فكثيرا ما كان كذا

٦ – وبما أبركها معطوف على لبما كان في البيت قبله وأبرك الناقة أناخها والجعجع الأرض الغليظة ونقبت الناقة حفي خفها والأظل باطن خف الناقة وضرب ذلك مثلا لشدته وقوة ." (١)

" ١ – (وبما صبحها في ذراها ... منه بعد القتل نهب وشل)

٢ – (صليت مني هذيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا)

٣ – (ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل)

٤ – (حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأي ما ألمت تحل)

٥ – (فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل)

بأسه وأنه كان ينال منهم ويحملهم على مراكب صعبة ومعنى البيتين لئن ناله ضعف من هذيل فلا فخار لهم بذلك فطالما نالهم منه الضعف والانهزام من قبل وطالما حملهم المشاق وأركبهم المراكب الصعبة

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٣٤٥

١ – ذر البيت ساحته وما يكتنفه والشل الطرد والمعنى أنه كثيرا ما أغار عليهم صباحا في أكناف بيوتهم فبعد أن يقتل أبطالهم ينهبهم ويستاق أموالهم

٢ – صلى بالأمر قاسي شدته والخرق الشجاع والكريم والمعنى أن هذيلا قاست الشدائد من شجاع ذي صبر وثبات على القتال فلا يسأمه حتى يجد السآمة من أعدائه فيرأف بهم

٣ – أنهله الشراب سقاه إياه أول مرة وعله سقاه الثانية والصعدة القناة تنبت مستوية والمعنى أنه لا يكتفي بطعن أعدائه بقناته مرة بل يكرره مرة بعد أخرى كالشارب الذي لا يكفيه النهل فيشتاق إلى العلل

٤ – الإلمام الزيارة الخفيفة ولكنها هنا كناية عن حصول الخمر عنده بالفعل واللأى البطء والمعنى أنه فاز بأخذ الثأر بعد بطء ومضى مدة فصارت الخمر حلالا له بعد أن حرمها على نفسه جريا على عادتهم من تحريم الخمر وغسل الرأس من الجماع قبل أخذ الثأر

٥ – سواد مرخم سوادة والخل المهزول والمعنى اسقني الخمر الآن فإن جسمي قد هزل بعد خالي ."

(١)

" ١ – (وأبكيكما حتى الممات وما الذي ... يرد على ذي عولة أن بكاكما)

٢ – (جرى النوم بين اللحم والجلد منكما ... كأنكما ساقي عقار سقاكما)

٣و – قال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي يكنى أبا الوليد

٤ – (إني لأرباب القبور لغابط ... بسكنى سعيد بين أهل المقابر)

٥ – (وإني لمفجوع به إذ تكاثرت ... عداتي ولم أهتف سواه بناصر)

٦ – (فكنت كمغلوب على نصل سيفه ... وقد حز فيه نصل حران ثائر)

صوتك والمعنى أستمر على ملاذمة قبريكما الليالي الكثيرة الطويلة إلا أن يجيبني صداكما والعرب كانت تزعم أن عظام الموتى تصير أصداء وهاما

١ – يرد أي يجدي وينفع والعولة صوت الصدر وأن إما بالفتح فيكون الفعل بعدها مصدرا فاعل يرد أو بالكسر شرطية يدل على جوابها ما قبله والمعنى لا أنفك عن البكاء عليكما حتى أموت ولكن ماذا ينفع بكاء الباكي والذاهب لا يعود

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٤٦/١

٢ – العقار الخمر والمعنى سرى النوم فيكما حتى امتزج بالدم والعروق فصرتما كمن سقى الخمر فلا يفيق

٣ – وهو شامي شاعر إسلامي من علماء الكلام

٤ – الغبطة تمني نعمة الغير مع بقائها له والسكنى مصدر كبشرى والمعنى إني لأغبط سكان القبور في سعادتهم بدفن سعيد بينهم

٥ – أهتف أدعو وسواه منصوب على الاستثناء من ناصر مقدم عليه والمعنى إني لمصاب بفقده حين كثرت أعدائي وطلبت الناصر فلم أجد غيره فعظمت مصيبتي

٦ – النصل حديدة السيف وحز قطع والحران العطشان والثائر من يطلب الثأر والمعنى أن حالي الآن حال من غلب على نصل سيفه فلا ." (١)

" ١ – (أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر)

٢ – (وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر)

٣ – (ولما حضرنا لاقتسام تراثه ... أصبنا عظيمات اللهى والمآثر)

٤ – (وأسمعنا بالصمت رجع جوابه ... فأبلغ به من ناطق لم يحاور)

و٥ – قالت امرأة من بني شيبان

يمكنه إعماله وقد قطع فيه نصل سيف طالب الثأر وهو كناية عن أن المرثي كان كسيفه الذي يدفع به الأعداء فلما مات لم يمكنه مقاومتهم

١ – أمجدنا أكثر لنا والقرى الضيافة والدخيل المتمكن من القلب والمخامر من الخمر وهو الستر والمعنى وفدنا عليه فلم يمنعنا قراه لكن هذا القرى هو ما تزودنا به من الحزن والوجد والكآبة

ح آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ – التراث الميراث واللهى جمع لهوة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيئا من المال لكثرة البذل

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٦٣/١

٤ – المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

٥ – هي بنت فروة ابن مسعود ترثي فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابن ." (١)

" ١ – قال قسامة بن رواحة السنبسي

٢ – (لبئس نصيب القوم من أخويهم ... طراد الحواشي واستراق النواضح)

٣ – (وما زال من قتلى رزاح بعالج ... دم ناقع أو جاسد غير ماصح)

٤ – (دعا الطير حتى أقبلت من ضرية ... دواعي دم مهراقه غير بارح)

٥ – (عسى طيئ من طيء بعد هذه ... ستطفئ غلات الكلى والجوانح)

إن الذي قصدهم يزيد بن عمرو وهو الذي اهتدى لها مع التباس طرقها

١ – وجده جل بضم الجيم ابن حق بكسر الحاء ينتهي نسبه إلى الغوث ابن طيء وهو شاعر جاهلي مقل

٢ – يريد بأخويهم صاحبيهم يقال يا أخا بكر أي يا واحدا منهم والحواشي صغار الإبل ورذالها والنواضح جمع ناضحة وهي التي يستقى عليها وطراد وما عطف عليه بدل من نصيب والمعنى أن من أعظم الذم والعار أن يقعد صاحب الثأر عن طلبه ويأخذ في سرقة الإبل وطردها فهو بئس نصيب القوم من صاحبيه

٣ – رزاح اسم قبيلة من خولان ورمل عالج اسم موضع والناقع الثابت والماصح الذاهب والجاسد الجامد والمعنى أن دماء قتلى رزاح بعالج لم تزل طرية أو جامدة غير ذاهبة أي باقية على حالها فلا تغسل إلا بأخذ الثأر من أعدائها

٤ – ضرية قرية على طريق البصرة إلى مكة سميت باسم ضرية بنت ربيعة بن نزار وغير بارح غير زائل والمعنى لما استدل الطير بدم القتلى الذي مهراقه غير زائل على أكل لحومها فكأنه دعاها إلى ذلك من ضرية

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٣٦٤

٥ – طيء قبيلة والغلة حرارة الحزن وحدوثها من القلب والكبد لكنه بالغ فنسبها إلى الكلى والضلوع وقوله بعد هذه إشارة إلى الحالة الحاضرة يقول المرجو من ." (١)

" ١ – قال سليمان بن قتة العدوي

٢ – (مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت)

٣ – (فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلت)

٤ – (ألا إن قتلى الطف من آل هاشم ... أذلت رقاب المسلمين فذلت)

٥ – (وكانوا غياثا ثم أضحوا رزية ... ألا عظمت تلك الرزايا وجلت)

أولياء الدم أن يطلبوا الثأر في المستقبل وإن كانوا أخروه إلى هذه المدة فتسكن النفوس وتبرد القلوب مما بها من غلة الحزن وحرارته والمعنى ليس ببعيد الرجاء أن طيئا بعد هذه الأحوال يطلبون الثأر وإن أهملوه قليلا فتنطفيء الحرارة التي تجاوزت القلب والكبد إلى الكلى والضلوع

١ – هو شاعر إسلامي شيعي وهو من بني عدي ونسب ياقوت هذه الأبيات إلى أبي دهبل الجمحي يرثي بها الحسين بن علي رضي الله عنهما ومن قتل معه بالطف

٢ – الآل والأهل واحد عند البصريين والمعنى أني مررت على أبيات من استشهد مع الحسين رضي الله عنه بكربلاء من آل محمد فوجدتها موحشة بعد أن كانت مأهولة مزينة بهم

٣ – المعنى عمر الله تلك الديار وأدام من يسكنها وإن أصبحت خالية منهم بالرغم عني

٤ – الطف موضع قرب الفرات به قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه وكان سليمان قال أذلت رقابا من قريش فذلت فقال عبد الله بن الحسين أذلت رقاب المسلمين فذلت فقال ابن قتة أنت والله أشعر مني والمعنى أن من قتلوا بالطف من آل هاشم صيروا المسلمين أذلاء

٥ – الرزية المصيبة والمعنى أن بني هاشم كانوا ملجأ للناس في حوائجهم وغوثا لهم في شدائدهم فلما استشهدوا صاروا مصيبة عليهم فما ." (٢)

" ١ – (لقد ولى أليته جوي ... معاشر غير مطلول أخوها)

---

(١) ديوان الحماسة، ٣٩٨/١

(٢) ديوان الحماسة، ٣٩٩/١

٢ - (فإن تهلك جوي فكل نفس ... سيجلبها لذلك جالبوها)

٣ - (وإن تهلك جوي فإن حربا ... كظنك كان بعدك موقدوها)

٤ - (وما ساءت ظنونك يوم تولي ... بأرماح وفي لك مشرعوها)

٥ - (ولو بلغ القتيل فعال قوم ... لسرك من سيوفك منتضوها)

٦ - (لنذرك والنذور لها وفاء ... إذا بلغ الخزاية بالغوها)

فرفع جوي رأسه إليه وهو يجود بنفسه فقال أعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون رجلا ليس فيهم أعور ولا أعرج فسارت كلمته حتى أتت عمق أرض مزينة **فثاروا** لكلمة جوي ووقع الشر بينهم

١ - الألية اليمين وطل ذهب والمعنى تحققت أن جويا ولي أمر يمينه جماعات لا يذهب دم أخيهم هدرا لشجاعتهم ووفائهم

٢ - جوي منادى والمعنى فإن تهلك يا جوي فلست فردا في ذلك إذ كل نفس هالكة

٣ - كظنك خبر كان مقدما والمعنى وإن هلكت يا جوي فإنه ستقع حرب بعدك ويكون موقدوها مسارعين إلى الأخذ **بثأرك** كظنك فيهم حيا

٤ - تولى تقسم ومشرعوها معملوها والمعنى وافق الأمر ظنك بأرماح وفي لك معملوها في أعدائك يوم حلفت

٥ - الفعال بفتح الفاء الكرم وانتضى السيف سله والمعنى لو أمكن أن يعلم ميت فعل قوم لكان فعال قومك بعدك سارا لك لأنهم أخذوا **بثأرك**

٦ - النذر ما يوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات وقوله والنذور الخ اعتراض يشير به إلى أنهم وفوا بنذره والمعنى أنهم ما قتلوا الأعداء إلا وفاء بنذرك حين ترك الناس نذورهم فلحقهم الخزي والهوان ." (١)

" ١ - قال عقيل بن علفة بن الحرث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة

٢ - (لتغد المنايا حيث شاءت فإنها ... محللة بعد الفتى ابن عقيل)

٣ - (فتى كان مولاه يحل بنجوة ... فحل الموالي بعده بمسيل)

٤ - (طويل نجاد السيف وهم كأنما ... تصول إذا استنجدته بقبيل)

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٠٦/١

٥ - (كأن المنايا تبتغي في خيارنا ... لها ترة أو تهتدي بدليل)

٦و - قال مسافع بن حذيفة العبسي

٧ - (أبعد بني عمرو أسر بمقبل ... من العيش أو آسى على أثر مدبر)

خال وقد كان يوم الحرب يطعمها لأعدائه

١ - هو شاعر مجيد مقل من شعراء دولة بني أمية وكان أعرج جافيا شديد الهوج وقد تقدم له ذكر

٢ - لتغد أي لتصب ومحللة أي مطلقة والمعنى لم تبق صعوبة للمنايا بعد الفتى ابن عقيل فلتذهب إلى من شاءت

٣ - النجوة المكان العالي والمسيل موضع السيل والمعنى لم يبق لأحد من أقاربه عز بعده فتحولوا من العز إلى الذل

٤ - نجاد السيف حمائله وكلما كان الرجل أطول كانت حمالة سيفه أطول والوهم القوي والاستنجاد طلب النجدة والمعنى كان طويل القامة قوي البأس إذا طلبت منه النجدة قام مقام قبيلة لكمال شجاعته

٥ - الترة الثأر والخيار الكرام والمعنى كأن المنايا تطلب ثأرا لها عند خيارنا أو أنها تهتدي بدليل كرمهم ومآثرهم فلا يصعب عليها الوصول إليهم

٦ - هو شاعر فارس من شعراء الجاهلية

٧ - أبعد بني عمرو والهمزة للإنكار وأسر من السرور ." (١)

" ١ - (إني أرقت فلم أغمض حار ... من سيئ النبإ الجليل الساري)

٢ - (من مثله تمسي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار)

٣ - (أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار)

٤ - (ما إن أرى في قتله لذوي النهى ... إلا المطي تشد بالأكوار)

أنت ومكث مالك في بني فزارة زمنا ثم غدرت به فزاره وجه إليه حذيفة من يقتله فقتلوه وكان الربيع مجاورا لحذيفة فجاء إليه وقال يا حذيفة سيريني فإني جاركم فسيره ثلاث ليال فقال حمل لحذيفة بئس ما عملت

---

(١) ديوان الحماسة، ٤١٠/١

قتلت مالكا وخليت حبل الربيع والله ليضر منها عليك نارا فدونك الرجل قبل أن يفوتك ولا أحسبك تدركه ثم إن الربيع جمع بني عبس للقاء بني فزارة وجرت بسبب ذلك حروب فيما بينهم يطول ذكرها

١ – أرقت سهرت وحار مرخم حارث والنبأ الخبر والساري السريع والمعنى يا حارث إني سهرت ليلتي ولم أنم من الخبر السيئ العظيم المنتشر في القبائل بسرعة

٢ – حواسرا أي كاشفات والمعولة الباكية أشد البكاء والمعنى أن هذا الخبر من الأخبار التي تبيت لها النساء كاشفات الوجوه وتصبح رافعات الصوت بالبكاء لشدة وقعها

٣ – المعنى لا ينبغي للنساء أن ترجو مواقعة الرجال لهن عقب الطهر بعد قتل مالك بن زهير فإن ذلك غير ممكن وقد كان من عادة العرب أنهم لا يمسون النساء ولا يشربون الخمر ولا يتلذذون بلذيذ قبل أن يأخذوا الثأر

٤ – إن زائدة والنهي العقول والمطئ التي تمطو في السير والأكوار جمع كور الرحل والمعنى لا أرى شيء يليق بأرباب العقول في أمر قتله إلا أن يشدوا على مطيهم للأخذ بثأره ." (١)

" ١ – (لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم يأتكم قوم ذوو أحساب)

٢ – (فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب)

٣ – (وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بكالِيء معشاب)

٤و – قالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها

٥ – (أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهر والأيام أن أتصبرا)

٦ – (وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا)

---

١ – المقصص اسم المرثي والمعنى إن لم يأتكم قوم ذوو حسب يطلبون ثأر المقصص فهو رجل منكم مهدور الدم لامنا

٢ – الفكه الحسن الخلق الضحوك والنكباء ريح عادلة عن مهب الرياح المعروفة والخوان ما يؤكل عليه الطعام والأطناب حبال الخيمة والمعنى أنه حسن الخلق ضحوكا عند قربه من الخوان مع من يطعمهم من المحتاجين حين هبوب الريح التي تقلع أصول الخيام وتهلك الزرع فينشأ عنها شدة الجدب

---

(١) ديوان الحماسة، ٤١٢/١

٣ – ينبتون يجتمعون والفراخ دود يكون في العشب والكالئ موضع الكلأ وهو العشب والمعشاب الكثير العشب والمعنى أنه كان ملجأ لليتامى متفقدا لأحوالهم فكانوا يجتمعون عند بابه كاجتماع الدود في العشب

٤ – هي أخت العباس بن مرداس السلمي شاعرة مجيدة مقلة مخضرمة أمها الخنساء بنت عمرو الشاعرة

٥ – ختله خدعه والمعنى يا عيني ما خدعتكما بخيانة ولا حذرتكما من البكاء وأنتما مديمان له وما رضيت الأيام مني سلوا وتصبرا

٦ – تحسر البعير سقط تعبا والمعنى أني كنت قبل هذه الرزية واثقة بصبري إلى أن أخبرت بموت أخي فصرت كأني بعير حمل فوق الطاقة فسقط تعبا ." (١)

" ١ – (تعرضن مرمى الصيد ثم رميننا ... من النبل لا بالطائشات الخواطف)

٢ – (ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقاتلات الضعائف)

٣ – (وللعين ملهى في التلاد ولم يقد ... هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف)

وقال آخر

٤ – (لئن كان يهدى برد أنيابها العلا ... لأفقر مني إنني لفقير)

لي فيه حيلة وتركت بين الضلوع ما تركت من نار الشوق والغرام

١ – مرمى الصيد ظرف مكان والطائش الخاطف من السهام هو الذي يقع على الأرض ثم يحبو إلى الهدف كأنه يتخطف من الأرض شيئا ومفعول رميننا الثاني محذوف كأنه قال رميننا بالصائبات الناقرات لا بالطائشات الخواطف والناقر من السهام الذي ينقر الهدف والمعنى أن الحبيبات تعرضن لنا وبيننا وبينهن غلوة سهم وفعلن فعل المتعرض للصيد إذا أراد رميه ثم نظرن إلينا وعرضن محاسنهن علينا وتلك نبالهن التي لا تطيش

٢ – ضعائف أي في الخلقة والخلق أي ضعفن عن الرجال كيدا وفعلا وقوله بلا دم يريد به الثأر والمعنى هن مع ضعفهن يقتلن الرجال من غير أن يكون ثار بينهم وبينهن فيا عجبي كيف يقتلن مع ضعفهن

٣ – التلاد جمع تليد وهو المال القديم والطرائف جمع طريف وهو الجديد من المال والمعنى أن للعين ملهى في المال القديم لكن لا يقود هوى النفس شيء كما يقود المال الجديد من حيث إن لكل جديد لذة

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٥٨/١

٤ – يهدى من الإهداء وهو الإتحاف والعلا الأعالي من الأسنان وهي موضع القبل وأراد ببرد الأسنان عذوبة الريق عند المذاق والمعنى أقسم لئن كان يهدى برد أسنانها وعذوبة رضابها عند ." (١)

" ١ – (جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن)

وقال منصور بن مسحاح الضبي

٢ – (ثأرت ركاب العير منهم بهجمة ... صفايا ولا بقيا لمن هو ثائر)

٣ – (من الصهب أثناء وجذعا كأنها ... عذارى عليها شارة ومعاصر)

من المدح له وينفرون منه

١ – جهلا علينا وجبنا الخ جهلا وجبنا منصوبان على المصدرية بيجمعون مقدرا والخلتان تثنية خلة بفتح الخاء وهي الخصلة والمعنى أيجمعون الجهل علينا والجبن عن أعدائهم لعمرك بئس جهلهم علينا وجبنهم عن أعاديهم

٢ – ركاب العير الخ الركاب الإبل التي يسار عليها والعير الحمار وقد يراد به السيد أي أخذت ثار إبل فيها حمار أو ثار إبل للسيد والهجمة المائة من الإبل وما قاربها والصفايا جمع صفي وهي الغزيرة اللبن وقوله ولا بقيا لمن هو ثائر يريد أن طالب الثأر لا يبقى على من عنده ثأره إذا وجده والبقيا الرأفة والرحمة والتائر طالب الثأر والمعنى أنهم لما أغاروا على إبل لنا فيها حمار أو على إبل لسيدنا أدركت ثأرها فأغرت على هجمة لهم من الإبل كثيرة اللبن

٣ – من الصهب أي من الإبل الشديدة الحمرة والإثناء جمع ثني وهي الناقة التي وضعت بطنين والجذعة دون الثني والعذارى الأبكار وشبه الإبل بالعذارى لحسنها في عيونهم لأنها من أنفس الأموال عندهم والشارة الهيئة الحسنة والمعاصر جمع معصر وهي التي قد بلغت عصر شبابها وقاربت الحيض والمعنى أن الهجمة التي أغرنا عليها هي من الإبل الشديدة الحمرة حالة كونها أثناء وجذعا وهي أيضا لحسنها في عيوننا مثل الإبكار والمعاصر التي عليها هيئة الحسن والجمال ." (٢)

" ١ – (وأورثها شر التراث أبوهم ... قماءة جسم والرواء دميم)

---

(١) ديوان الحماسة، ١٠٤/٢

(٢) ديوان الحماسة، ١٨٨/٢

٢ – (كأن خروء الطير فوق رؤسهم ... إذا اجتمعت قيس معا وتميم)

٣ – (متى تسأل الضبي عن شر قومه ... يقل لك إن العائذي لئيم)

٤و – قال محرز بن الكعبر الضبي لبني عدي بن جندب بن العنبر

٥ – (أبلغ عديا حيث صارت بها النوى ... وليس لدهر الطالبين فناء)

هذه مقامه في محل الزينة فكيف حاله في موضع الابتذال

١ – التراث الميراث والقماءة قصر القامة والرواء بضم الراء حسن المنظر والدميم القبيح والمعنى أن العيوب التي فيهم من قصر القامة وقبح المنظر ورثوها عن أبيهم

٢ – كأن خروء الطير أي كأن الطير وإنما زاد الشاعر لفظ الخروء استهزاء بهم والمعنى أنهم لا مآثر لهم ولا أيام يعدونها في المواسم إذا اجتمعت قبائل قيس وتميم لذلك فهم سكوت أذلاء لا يرفعون رؤسهم ولا يتحركون من الدناءة والخزي كأن الطير فوق رؤسهم

٣ – متى تسأل الخ معناه أن كل عائذي لئيم باعتراف من قومه بذلك

٤ – كان محرز جارا لبني عدي بن جندب فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله وذهبوا بها فطلب إلى بني عدي أن يسعوا له فوعدوه أن يفعلوا فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابني شهاب المازنيين وهما من بني خزاعة فسعيا له فردا عليه إبله فقال هذه الأبيات يهجو بها بني عدي

٥ – أبلغ عديا الخ النوى البعد والذهاب في الأرض وقوله وليس لدهر الطالبين الخ يريد ان من طلب الثأر لا تفنى طلبته ما دام طالبا إلى أن يدرك ثأره وينال حقه يقول أخبر بني عدي أينما كانوا من البلاد أن الثأر لا ينقضي زمان طلبه ما دام صاحبه ." (١)

" ١ – (كسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... يلهى به المتبول وهو عناء)

٢ – (أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المنبؤن أساؤا)

٣ – (لهم ريثة تعلوا صريمة أمرهم ... وللأمر يوما راحة فقضاء)

٤ – (وإني لراجيكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء)

---

(١) ديوان الحماسة، ١٩١/٢

طالبا له حتى يأخذ حقه ممن عليه الثأر

١ - كسالى أي هم كسالى يعني رهط بني عدي وقوله يلهى به أي يعلل به والمتبول الذي أصيب بتبل أي بعداوة وحقد وهو عناء يريد أن الكلام إذا لم يله فعل كان عناء ومشقة يصفهم بالكسل وقلة النشاط لأنه طلب منهم النصر فلم ينصروه على أعدائه وإن المستغيث بهم لا يجد منهم غير قول يتسلى به والقول من غير فعل عناء

٢ - أخبر من لاقيت الخ معناه أني أنشر الجميل عنكم خوفا عليكم من الملام ولو شئت ضد ذلك لفعلت لأنكم ضمنتم فما وفيتم فيقول الذين أخبرهم بقلة وفائكم أصحابك أساؤا ولكن لم أشأ إظهار عيوبكم للستر عليكم

٣ - لهم ريثة أي لهم إبطاء وتعلوا أي تغلب والصريمة العزم على الشيء يريد بذلك نفي العزيمة عنهم لأن الريث والبطء قد غلبها والمعنى أن عزمهم ضعيف مغلوب بالبطالة والكسل وأن الأمر لا بد له من أن يقضي يوما ويراح منه ويعني بها أن الأمر لا بد أن يقضي في يوم من الأيام ويراح منه وفيه إشارة إلى أنهم لم يقضوا ما طلبه منهم من رد إبله وإن غيرهم ردها وأراحه مما كان فيه

٤ - وإني لراجيكم الخ لم يقنعه ما تقدم من العتاب حتى زاد في عتابهم أن جعل رجاءه فيهم على غير ثقة لأن من يرجو ما في بطون الحاملات فهو شاك فيه على غير ثقة منه ومعناه أني في رجائي لكم مع تراخيكم في ." (١)

" ١ - (بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت ... هلال بن مرزوق ببشر بن غالب)

٢ - (وهل هي إلا مثل عرس تبدلت ... على رغمها من هاشم في محارب)

٣و - قالت امرأة قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره

٤ - (متى تردوا عكاظ توافقوها ... بأسماع مجادعها قصار)

أحد ممن كان يألفه فكان إسماعيل يهجوه ويذمه هذا وقال دعبل الخزاعي هذه الأبيات للوليد بن كعب قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال ابن مرزوق

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/١٩٢

١ – شجوها أي حزنها ونصب على أنه مفعول له والشاعر يفضل بشرا على هلال فيقول إن دار بشر بكت حزنا عليه بعد ما ملكها بعده هلال يريد أن هلالا لا شرف له بل الشرف لبشر بن غالب

٢ – محارب قبيلة موضوعة القدر يضربون بها المثل في الخمول والمعنى أن هذه الدار في نزول ابن مرزوق بها بعد ما كان ينزلها بشر بن غالب صارت مثل عروس زوجت في بني هاشم ثم زوجت بعدهم في بني محارب بدون رضاها

٣ – وكان من خبر هذه الأبيات أن رجلا من بني عبد القيس يقال له ابن مية كان جارا للزبرقان بن بدر فقتله رجل من بني عوف بن كعب وهو في جوار الزبرقان يقال له هزال في موضع يقال له شبرمان فأبطأ الزبرقان في طلب ثأره فقالت امرأة ذلك الرجل هذه الأبيات فحلف الزبرقان ليقتلن هز الإثم سعت بنو سعد حتى أرضوه وودى ابن مية

٤ – عكاظ اسم سوق كانت للعرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع فيها كل سنة يتفاخرون ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوه من الشعر والمجادع من جدعه إذا قطعه تقول للذين لم يأخذوا ثار زوجها إذا حضرتم سوق عكاظ ووافقتم أهلها ." (١)

" ١ – (أرن يسيل من النشاط لعابه ... ويكاد جلد إهابه يتمزق) باب مذمة النساء

٢ق – ال بعضهم

٣ – (دمشق خذيها واعلمي أن ليلة ... تمر بعودي نعشها ليلة القدر)

٤ – (أكلت دما إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر)

---

١ – الأرن النشيط ومعنى البيتين ظاهر

٢ – قائل هذين البيتين أعرابي كان قد تزوج امرأة فلم توافقه فقيل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فحملها إلى دمشق وأنشد هذين البيتين وبعدهما

(أما لك عمر إنما أنت حية ... إذا هي لم تقتل تعش آخر الدهر)

(ثلاثين حولا لا أرى منك راحة ... لهنك في الدنيا لباقية العمر)

(فإن أنفلت من عمر صعبة سالما ... تكن من نساء الناس في بيضة العقر)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/٢٢٧

٣ – عودي نعشها أراد بهما يدي النعش الذي نحمل عليه بعد الموت والمعنى خذيها يا دمشق وأهلكيها بحماك واعلمي أن ليلة موت هذه المرأة عندي هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر

٤ – أكلت دما هذا يجري مجرى اليمين والمراد بالدم الدية يريد قتل لي قتيل فأعجز عن الأخذ بثأره فأرضى بأخذ الإبل في ديته فإذا طعمت ألبناها فكأنما أشرب دم ذلك القتيل وكنى ببعيدة مهوى القرط عن طول العنق والنشر الرائحة الطيبة والمعنى إن لم أتزوج عليك امرأة حسنة السالفة طيبة الرائحة تروعك وتفزعك فقتل الله لي قتيلا أعجز عن أخذ ثأره فآخذ ديته ." (١)

"البحر : بسيط تام (يا هاشم بن حديج ليس فخركم ** بقتل رسول الله بالسداد) (أدرجتم في إهاب العير جثته ، ** فبئس ما قدمت أيديكم لغد) (إن تقتلوا ابن أبي بكر ، فقد قتلت ** جحرا بدارة ملحوب بنو أسد) ٤ (وطردوكم إلى الأجبال من أجإ ، ** طرد النعام إذا ما تاه في البلد) ٥ (و قد أصاب شراحيلا أبو حنش ، ** يوم الكلاب ، فما دافعتم بيد) ٦ (و يوم قلتم لزيد ، وهو يقتلكم ** قتل الكلاب : لقد أبرحت من ولد) ٧ (و كل كندية قالت لجارتها ، ** والدمع ينهل من مثنى ومن وحد :) ٨ (ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية ** عن ثأره ، وصفات النؤي والوتد)

". (٢)

"نـنظر آثارهم، كلما ... ينظرها الناظر منا خشع

يعرف في آثارهم أنهم ... أرباب ملك ليس بالمبتدع

تشهد للماضين منا بما ... نالوا من الملك ونقب القلع

هل لأناس مثل آثارهم، ... بمأرب ذات البناء اليفع

لا ما لحي مثلهم مفخر، ... هيهات فازوا بالعلا والرفع

أبو زبيد الطائي الخفيف

إن طول الحياة غير سعود، ... وضلال تأميل طول الخلود

علل المرء بالرجاء، ويضحي ... غرضا للمنون، نصب العود

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/٤١٣

(٢) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٣٠٦

كل يوم ترميه منها بسهم، ... فمصيب، أو صاف غير بعيد
من حميم ينسي الحياة جليد ال ... قوم، حتى تراه كالملبود
كل ميت قد اغتفرت، فلا أج ... زع من والد ولا مولود
غير أن الجلاّح هد جناحي، ... يوم فارقته بأعلى الصعيد
في ضريح عليه عبء ثقيل ... من تراب، وجندل منضود
عن يمين الطريق عند صدى حر ... ان، يدعو بالويل، غير معود
صاديا يستغيث، غير مغاث، ... ولقد كان عصرة المنجود
رب مستلحم، عليه ظلال ال ... موت، لهفان، جاهد، مجهود
خارج ناجذاه قد برد المو ... ت على مصطلاه أي برود
غاب عنه الأدنى، وقد وردت سم ... ر العوالي إليه أي ورود
فدعا دعوة المحنق والتلبي ... ب منه في عامل مقصود
ثم أنقذته، ونفست عنه ... بغموس أو ضربة أخدود
بحسام أو رزة من نحيض ... ذات ريب على الشجاع النجيد
يشتكيها بقدك إذ باشر المو ... ت جديدا، والموت شر جديد
فلوت خيله عليه، وهابوا ... ليث غاب مقنعا في الحديد
غير ما ناكل يسير رويدا، ... سير لا مرهق، ولا مهدود
ساحبا للجام، يقصر منه، ... عركا في المضيق، غير شرود
مستعدا لمثلها إن دنوا منه، ... وفي صدر مهره كالصديد
نظرا لليث همه في فريس، ... أقصدته يدا مجيد مفيد
ساندوه، حتى إذا لم يروه ... شد أجلاده على التسنيد
يئسوا، ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود
وهم ينظرون لو طلبوا الوت ... ر إلى واتر شموس، حقود
قحمة، لو دنوا لثأر إليهم، ... حرشف، قد ثناهم لعديد
يا ابن خنساء، يا شقيق نفسي، ... يا جلاح، خليتني لشديد

يبلغ الجهد ذا الحصأة من القو ... م، ومن يلف لاهيا، فهو مودي

كل عام أرمي ويرمي أمامي ... بسهام من مخطيء أو سديد

ثم أوحدتني وأثللت عرشي، ... عند فقدان سيد ومسود." (١)

"١(باتوا أساطين الضلال وأصبحوا ** هدفا لقاذفة العذاب الواصب)(أغراض رام لو رآها حاجب ** ما أفرجت عن قوسه يد حاجب)(لا أين يا أسرى المهالك بعدها ** ضاق الفضاء على نجاة الهارب)٤ (شدا إلى أرض الفرنجة بعدها ** إن الدروب على الطريق اللآحب)٥ (أفغركم والثأر رهن دمائكم ** ما كان من إطراق لحظ الطالب)٦ (وإذا رأيت الليث يجمع نفسه ** دون الفريسة فهو عين الواثب)

". (٢)

"١(نال المعالي حاكما مالكا ** فهو سليمان وداوود)(ترتشف الأفواه أسيافه ** إن رضاب العز مورود)(وكم له من وقعة يومها ** عند ملوك الشرك مشهود)٤ (والقوم إما مرهق صرعة ** أو موثق بالقد مشدود)٥ (حتى إذا عادوا إلى مثلها ** قالت لهم هيبته عودوا)٦ (طالب بثأر ضمنته الظبى ** فكل ما يضمن مردود)٧ (والكر والفر سجال الوغى ** فطارد طورا ومطرود)٨ (وإنما الإفرنج من بغيها ** عاد وقد عاد لها هود)٩ (قد حصحص الحق فما جاحد ** في قلبه باسك مجحود)٠ (فكل مصر بك مستفتح ** وكل ثغر بك مسدود)

". (٣)

"البحر : وافر تام (أما لو كان لحظك نصل غمدي ** لبت وثأر صرف الدهر عندي) (ولو كان ابتسامتك حد عزمي ** فللت نوائب الأيام وحدي) (إذا للقيت عادية الليالي ** على ثقة وجند هواك جندي) ٤ (ولكن أنت والأيام جبش ** على متخاذل الأنصار فرد) ٥ (عذيري من هوى ونوى رمى بي ** عنادهما على وجد ووخد) ٦ (وأغيد بات متشحا بثغر ** على نحر ومبتسما بعقد) ٧ (أصد عذوله

(١) جمهرة أشعار العرب، ص/٧٣

(٢) ديوان ابن القيسراني، ص/٤١

(٣) ديوان ابن القيسراني، ص/٧٧

ويصد عني ** فما أنفك من غمرات صد) ٨ (وأشكو ما لقيت إلى سقام ** بعينيه فلا يعدي ويعدي) ٩ (متى أرجو مسالمة الليالي ** وهذا موقفي من أهل ودي)٠ (ولو أني ألاقي ما ألاقي ** بمجد الدين صلت بأي مجد)

---

(١) ".

"البحر : مجزوء الكامل (أتراك عن وتر وعن وتر ** ترمي القلوب بأسهم النظر) (كيف السبيل إلى طلاب دمي ** والثأر عند معاقل الحور) (هي وقعة الحدق المراض فمن ** جرح جبار أو دم هدر) ٤ (تمضي العزائم حيث لا وزر ** وتفل دون معاقد الأزر) ٥ (يا صاح راجع نظرة أمما ** فقد اتهمت على المها بصري) ٦ (بكرت تطاعننا لواحظها ** فتنوب أعيننا عن الثغر) ٧ (وتري مباسمها معاصمها ** مجلوة في لؤلؤ الثغر) ٨ (يا لائم العشاق إنهم ** ليرون ذنبك غير مغتفر) ٩ (أو ما علمت بأنها صور ** جادت بأنفسها على الصور)٠ (ومدامة كالنار مطفئها ** غرض لها ترميه بالشرر)

---

(٢) ".

"١(سل عن رقادي بالغضى كيف مضى ** وعن فؤادي بعدها ماذا فعل)(وإن رأت عيناك ربعا خاليا ** فاسق حيا طلهما ذاك الطلل)(وعد عن محاجر بحاجر ** نظرتها أقرب عهد بأجل)٤ (واجتن أثمار الهوى فباللوى ** غصن نقا يحمل تفاح الخجل)٥ (وإن يغب عنك اهتزاز قده ** فسل به اترابه من الأسل)٦ (كل حلال عنده محرم ** فليت شعري عن دمي كيف استحل)٧ (إياك أن تحمل قلبي ظلما ** فما لخصمي بقبيلي من قبل)٨ (ترى ولي الثأر إن أراده ** فهل مجير من مجير الدين هل)

---

(٣) ".

---

(١) ديوان ابن القيسراني، ص/١٠٥

(٢) ديوان ابن القيسراني، ص/١٥١

(٣) ديوان ابن القيسراني، ص/٢٦١

"وللقارئ أن يعتمد ماسيرد في الأبواب والفصول القادمة حركات الشكل المثبتة سواء في الأمثلة المضروبة أو الشروح، ولكن شريطة أن يأخذ بحسبانه إمكانية تحريك (عين) الفعل الثلاثي بأكثر من حركة شكل وفقا للمعاني المقصودة.

١-فماذا عن معاني التاء؟.

بالرجوع إلى المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، عثرت على مئة مصدر جذر تبدأ بالتاء مما هو غير مولد أو معرب أو دخيل أو محدث أو عامي.... كان منها ثمانية عشر مصدرا تدل معانيها على الرقة والضعف والتفاهة، بما يحاكي الرقة والضعف في صوت التاء. منها:

تبتب (شاخ). التبن (القش اليابس). تخ العجين (لان واسترخى). التراب. ترف النبات (كثر ماؤه ونضر). تره (وقع في الترهات). تفتف (اتسخ بعد نظافة).التف (وسخ الظفر). تفه (قل وخس وحقر). تك الرجل (حمق). التلب (الخسار) تلف (هلك). تا ع الجمد (ذاب وسال). تام الحب فلانا (استعبده وذهب بعقله).

وكان منها ستة وعشرون مصدرا تدل معانيها على الشدة والغلظة والقساوة والقوة بما يتجافى مع موحيات الرقة والضعف في صوت التاء.منها:

تب الشيء (انقطع) . تبر(هلك) . تبر الشيء (كسره) تبل فلانا (ثأر منه). ترز لحمه (صلب وغلظ). ترص الشيء (احكم وضبط). التعل (حرارة الحلق الهائجة). تغر (انفجر). تفئ (احتد وغضب). تفنه (طرده). تلتل (سار شديدا). تازتيزا (غلظ واشتد).

وكان منها ثلاثة مصادر للشميات المستكرهة.هي:

تمه اللحم (فسد ريحه). تنتلت البيضة (فسدت). تمه اللبن (تغير وأنتن).

وكان منها خمسة مصادر للبصريات، مما يدل على الامتلاء والارتفاع. هي:

تئق الوعاء (امتلأ) . ترع الاناء(امتلأ). تلع الرجل (طال عنقه). تمك السنام (طال وارتفع وامتلأ). التيهور (موج البحر المرتفع).

وكان خمسة للأصوات. هي:." (١)

" (ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه ... مضمونها مالت له الأغصان) ومن لطائفه التي سبقه السراج إليها واستعملها ابن تميم أحسن منه

---

(١) خصا ئص الحروف العربية ومعانيها – دراسة –، ص/٥١

(أراق دمي بسيف اللحظ ظلما ... وها أثر الدماء بوجنتيه)

(فلما خاف من طلبي لثأري ... أدار عذاره زردا عليه) وقال في غلام وقاد

(لاموا على الوقاد في حبه ... وحبه باللوم يزداد)

(لو لم يكن في حسنه كوكبا ... ما كان أمسى وهو وقاد)

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله في أجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال في وقاد أيضا

(أحبب بوقاد كنجم طالع ... أنزلته برضا الغرام فؤادي)

(وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي ... إن ملت نحو الكوكب الوقاد) ومن نكته البديعة الغريبة قوله

(بنده الأزرق لما ... شده من قد سباني)

(جدول فوق كثيب ... دار يسقي غصن بان) ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة

(لا تقرب الشرع إذا لم تكن ... تخبره فهو دقيق جليل)

(ووكل العز الذي وجهه ... على نجاح الأمر أقوى دليل)

(ولا تمل عنه إلى غيره ... وحسبنا الله ونعم الوكيل)

وعلى ذكر الوكيل رأيت

(لاقى فلان اليوم ما ساءه ... وأفرغ الصك عليه وكيل)

(وذاق من كف الوكيل العمى ... وحسبنا الله ونعم الوكيل) ." (١)

" ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ونكته الغريبة قوله

(قال لي العاذل المفند فيها ... يوم وافت فسلمت مختاله)

(قم بنا ندعي النبوة في العشق ... فقد سلمت علينا الغزاله) أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

(يا غزالا أهدى السلام إلى المغرم ... لا تنكرن حالا لديه)

(كيف لا يدعي النبوة في العشق ... وقد سلم الغزال عليه) وأخذه الشيخ صفي الدين الحليي فقال في ثلاثة أبيات تركيبها ضعيف

---

(١) خزانة الأدب، ٨٢/٢

(تنبأ فيك قلبي واسترابت ... قلوب صدهم عنه ضلال)

(وردهم الهوى أن يؤمنوا بي ... وقالوا إن معجزه محال)

(فمذ سلمت سلمت البرايا ... إلي وقيل كلمه الغزال)

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي أيضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق اسمه عمرو قد هام بمليح في إحدى أذنيه لؤلؤة

(كم قلت لما مر بي ... مقرطق يحكي القمر)

(هذا أبو لؤلؤة ... منه خذوا ثأر عمر) ومن لطائفه أيضا في مليح اسمه سعد

(إذا ما كان قتلي يا حياتي ... مرادك من يردك أو يصد)

(ففوق سهم طرفك نحو قلبي ... فداك أبي وأمي وارم سعد) ومن لطائفه أيضا في مليح بدوي

(أقبل من حيه وحيا ... فأشرقت سائر النواحي)

(فقلت يا وجه من بني من ... فقال لي من بني صباح) ." (١)

"وأنشدني لنفسه في امرأة له بذلت نفسها لغيره، وتمنعت عليه، وقد لبست على ابنها نقاب سواد:

قلت لها إذ أقبلت ... في حلة كالسبج

ومنظر يسبي العقو ... ل لحظه بالغنج

تضايقي تضايقي ... لا بد أن تنفرجي!

أبو سعد محمد بن علي بن عبد المطلب

كان في عهد الوزير ابن المطلب، وزير الامام المستظهر رضي الله عنه متصرفا. وكان هجاما على الهجاء وثلب الكبراء.

له:

عزلت وما خنت فيما ولي ... ت وغيري يخون ولا يعزل

فهذا يدل على أن من ... يولي ويعزل لا يعقل

وله في الهجو السخيف:

. . . حتى يسيل فوه ... ويدعي أنه . . .

---

(١) خزانة الأدب، ١١٦/٢

ثلاثة حببت إليه ... التيه، والعجب، والسقوط

تراه في الدست مثل ميت ... ذر على وجهه الحنوط

وأنشدني مجد الدين ابن المطلب بدمشق لأبي سعد ابن المطلب:

تنانيركم للنمل فيها مدارج ... وفي قدركم للعنكبوت مناسج

وعندكم للضيف يوم يزوركم ... حوالات سوء كلها وسفائج

إذا سهل الإذن العسير ورفعت ... ستورك فانظرني بما أنا خارج

وسيان بيت العنكبوت وجوسق ... منيف إذا لم تقض فيه حوائج

بهاء الدين كافي الدولة ابن حمدون الكاتب

كان عارض العسكر المقتفوي. ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي. وهو كلف باقتناء الحمد، وابتناء المجد. وفيه فضل ونبل، وله على أهل الأدب ظل. وألف كتابا كبيرا سماه التذكرة، وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة، فوقف الإمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا من التواريخ نوهم في الدولة غضاضة، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها غراضة، فأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل في نصبه إلى أن رمس. وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمس مئة.

وأنشدني لنفسه في مروحة الخيش ملغزا:

ومرسلة معقولة دون قصدها ... مقيدة تجري حبيس طليقها

تمر خفيف الريح وهي مقيمة ... وتسري وقد سدت عليها طريقها

لها من سليمان النبي وراثة ... وقد ضربت إلى النبيط عروقها

إذا صدق النوء السماكي أمحلت ... وتمطر والجوزاء ذاك حريقها

تحيتها إحدى الطبائع، إنها ... لذلك كانت كل روح صديقها

وقال:

وحاشا معاليك أن يستزاد ... وحاشا نوالك أن يقتضى

ولكنما أستزيد الحظوظ ... وإن أمرتني النهى بالرضى

وقال:

يا خفيف الرأس والعقل معا ... وثقيل الروح أيضا والبدن

تدعي أنك مثلي طيب ... طيب أنت ولكن باللبن!

أبو المظفر ابن السبي

الملقب عز الدولة، من أهل بغداد وأعيانها. كان شابا ظريفا، متوددا لطيفا، ذا كياسة، ورياسة ونفاسة، ملء الفضائل، حلو الشمائل، حسن البهجة، لسن اللهجة. أناب ابن البلدي في وزارته بوزر دمه، وتوصل في قطع يده وقدمه، وذلك في آخر سنة خمس وستين وخمس مئة. ولم يمض شهران حتى انقضت أيام المستنجد، وفتك بالوزير المتبلد، ولم يتم **ثأره**، حتى ظهرت في تبديل الدولة **آثاره**.

ومن نظمه السلس، وهو أرق من النفس، ويغنى به:

يا ناجيا من عذاب قلبي ... وسالما من رسيس وجدي

لا تتقرب إلى ثيابي ... فإن داء الغرام يعدي

تزعم أن الفؤاد عندي ... لو كنت عندي لكان عندي

قد غير الدهر كل شيء ... سوى جفاكم وحسن عهدي

وله:

أعيذكم من لوعتي وشجوني ... ونار أسى بين الضلوع دفين

وبرح جوى لم يبق مني بقية ... سوى حركات تارة وسكون

سهرنا بنعمان ونمتم ببابل ... فيا لعيون ما وفت لعيون!

أكاذب سمعي عن أحاديث غدركم ... وأعرفها عن صحة ويقين

ألا مخبر عني قلوبا أبية ... يقول لها: كم ذي القساوة؟ ليني!

الأجل سعد الدين." (١)

"هل أنت منجزة بالوصل ميعادي؟ ... أم أنت مشمتة بالهجر حسادي؟

سألت طيفك إلماما، فضن به، ... ولو ألم، لأروى غلة الصادي

يا ظبية الحي، ما جيدي بمنعطف ... إلى سواك، ولا حبلي بمنقاد

لولا هواك، لما استلمعت بارقة ... ولا سألت حمام الدوح إسعادي

ولا وقفت على الوادي أسائله ... بالدمع، إلا رثى لي ذلك الوادي

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٤/١

رحلتم، وفؤادي في رحالكم ... موزع بين اتهام وإنجاد
والله، لو لم تصيدوا يوم كاظمة ... قلبي، لما علقتني كف مصطاد
إن تأسروا، فذوو عز ومقدرة ... أو تطلقوا، فذوو من وإرفاد
لا توهنوا زجرة الحادي بعيسكم ... فما الفجيعة إلا زجرة الحادي
إذا سمحتم بتقريبي، ولم تصلوا ... حبلي، فسيان تقريبي وإبعادي
وله:
فاق الكرام، وأعطى غير مكترثبالمال إعطاء لا وان، ولا برم
تكرموا، وهمى معروفه كرما، ... وما التكرم في الإنسان كالكرم
سمت به ذرا العلياء همته ... والمجد أرفعه ما شيد بالهمم
إذا الصفاح نبت عن قطع نائبة ... سطا فقلم ظفر الخطب بالقلم
وله:
ببابك يغلق باب الرجاء ... وينكسر البال أي انكسار
حجاب يعط حجاب القلوب ... وستر يمزق ستر اصطباري
ولده أحمد بن علي بن دواس القنا لقيته ب واسط.
وله، أيضا، شعر صالح حسن.
وسمعته كثيرا ينشد قصائده في الأكابر. وما اتفق لي إثبات شيء من شعره، لوثوقي بالزمان وامتداده، وأني ب واسط، ولا يفوت ذلك؛ ولم أدر أن الليالي في قصد المرء وتعويق مراده.
وهو، إلى الآن - وهو سنة تسع وخمسين وخمس مئة - حي ب الكوفة.
وسمعت له هذين البيتين في الخمر:
أدر علي مداما، كلما مزجت ... صاغ المزاج لها تاجا من الشهب
حمراء، بي شغف منها؛ لأن لها ... روحا من الطيب في جسم من الذهب
شمس الرؤساء أبو الفرج بن الدهان الواسطي
مهياري النظم رقيقه، جليل المعنى دقيقه.
لما انحدرت، في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، إلى معاملة ديوانيات واسط، كان حيا، وتوفي بعد ذلك

بسنيات.

وأنشدت له من قصيدة، يغنى بها:

عاد عيد الهوى بقلبي، فأبدى ... زفرات، تعيي الحليم الجلدا

ما يريد الهوى؟ كأن له عن ... د فؤادي المشوم ثأرا وحقدا

أحمد الصد بالوصال، ولولا ... لذة الوصل ما حمدت الصدا

يا طليق الفؤاد، حاجة مأسو ... ر أبى من وثاقه أن يفدى

أين أيامنا ب سلع؟ أعاد ال ... له أيامنا ب سلع وردا

يا لها نفحة ب ذي البان يزدا ... د فؤادي لبردها الدهر وقدا

وليال بجو ضارج صير ... ن لحزني أيامي البيض ربدا

لا عدا الغيث من تهامة ربعا ... هام قلبي به غراما ووجدا

أتمنى نجدا، ومن أين تعطي ... ني الليالي بأرض نعمان نجدا؟

حبذا رفقتي بوادي الأثيلا ... ت، وأظعانهم مع الليل تحدى

ومناخا ب الأبرقين توسد ... ت بحراته، فأحسست بردا

وثرى، نالت المناسم، عفر ... ت عليه في ساعة البين خدا

وكأنا لما عقدنا يمينا،ورهنا رهائنا لن تردا

كان رهني قلبي لديهم على الود مقيما، ورهنهم طيف سعدى

يا لواتي دين الغرام، أما آ ... ن لديني عليكم أن يؤدى؟." (١)

"وحصاني نضو من الجوع مثلي ... فاقد قته كفقدي قوتي

وأنشدني أيضا مما كتبه إلى والدته، وكتبت هي في جوابها، وترد في شعرها.

والدته

الفقيهة أم علي الرشيدة

بنت الفقيه أبي الفضل بن محمد بن علي بن المؤمل بن تمام التميمي المالكي

لما كننت بالبصرة كانت تعيش، وهي مؤدبة.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١/٢٢٠

وكان ولدها الأديب علي العبدي يتردد إلي، فقال لي: كنت غائبا عن والدتي في بعض أسفاري، فكتبت إليها قصيدة طويلة:

سيان إن عذروا فيكم وإن عذلوا ... لأنني عن هواكم لست أتنقل

لا أكذب الله ما لي غير حبكم ... والاستزادة من وجد بكم شغل

وليس في الناس لي لو كان ينفعكم ... أن تعلموا ذاك مني غيركم أمل

أشتاقكم وبودي لو يواصلني ... خيالكم لو بنوم كنت أكتحل

وقد صحبت أناسا واشترطت لكم ... قلبي ويصحبهم جسمي وقد قبلوا

قلبي يميل إليكم دون غيركم ... وإن صددتم وإن صافوا وإن وصلوا

وربما قلت للواشي إلي بكم ... هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

صلوا وصدوا وجوروا واعدلوا وقفوا ... عما أحب فعندي بعد محتمل

مهما فعلتم فمحمول ومغتفر ... وما أمرتم فمسموع وممتثل

قال: فأجابت والدتي عنها بقصيدة منها:

لولا الأماني والتسويف والأمل ... ما كان يكنفي سهل ولا جبل

وكلما اشتد بي نار تعذبني ... فليس إلا دموع العين تنهمل

وقد تعللت أسبابا لرؤيتكم ... فكيف بي وبكم إن فاتت العلل

أهذي بكم حسب ما أحيا فإن حضرت ... مني الوفاة وأوفى دوني الأجل

ناديت لا تأخذوا ثأري بهم هبة ... يا غاية السؤل قد ضاقت بي الحيل

لأظهرن هوى قد كنت أكتمه ... فليس لي في هوى أمثالكم خجل

قال: ولها أيضا جواب شيء كتبته إليها فأجابت:

وصل الكتاب وسره وضميره ... فظللت أسرح ناظري وأديره

... فيما تضمنه لأجلو ناظري ... وأقول يا من عز فيه نظيره

بأبي وأمي ما اشتكيت من الأسى ... فاشتد في قلبي فديت زفيره

ومنها:

فسل المتيم بعد بعد دياركم ... من غير سوء كيف كان مصيره

كلفته صدا وبعدا عنكم ... أمرا يهد قوى الجبال عشيره

يا من تأمر في الفؤاد تحكما ... ما ذل من كان الجمال أميره

ما كان تأخير الجواب تثبطا ... لا بل لأسباب جرت تأخيره

قال: وكتبت إلي أيضا وأنا بالبحرين، من قصيدة:

تحية ربي كل يوم مجدد ... على ربع ذات الخال ما هبت الصبا

إذا كنتم في الربع قرت بقربه ... وقلت له يا ربع مية مرحبا

ولا مرحبا بالربع لستم حلوله ... ولو كان مخضل الجوانب معشبا

ومنها:

صبوت إليكم غير طالب ريبة ... ولا غرو إن قال العواذل قد صبا

وألفت بين الشوق والصبر عنكم ... فما اجتمعا بل كان شوقك أغلبا

ولما سألت القلب سلوة حبكم ... وشاورته فيما أحاوله أبى

ومنها:

وما استطعمت نفسي طعاما بلذة ... ولا استعذبت من بعد بعدك مشربا

فيا منتهى الآمال يا منتهى المنى ... أرددها حتى أهيم وأطربا." (١)

"ما صاح فيها على أوتاره قمر ... إلا وغناه قمري وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أنامل الريح لولا أنها زور

ومنها:

هم عارضوني على حبي لعارضه ... ومن أحب عذارا فهو معذور

ومن أخرى:

وكم ليلة قد لاح من صدغه الدجى ... ومن كأسه الجوزا ومن فمه الفجر

وكم أخذت أوتاره الثأر من دمي ... سحيرا، فقال الناس هذا هو السحر

يشاركني حذقا فمن عنده الغنا ... إذا ما تنادمنا ومن عندي الشعر

وقوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٨١/١

قوموا انظروا واعذروا يا غافلين إلى ... بدر تبادر من أفلاك ازرار
على قضيب أراك في كثيب نقا ... تهزه خطرات ذات أخطار
ما رامت الروم، والأتراك ما تركت ... أدق من خصره في عقد زنار
الماء والنار في خديه قد جمعا ... جل المؤلف بين الماء والنار
وقد بدت شعرات في عوارضه ... كأنهن ليال فوق أسحار
وقوله في العذار:
دب العذار بخده فتعذرا ... من بعد ما قد كان بدرا نيرا
وتناقصت أحواله فكأنه الحبال يمشي في المعاش إلى ورا
وقوله:
قالوا بدا في خده الشعر ... وأنت لا عقل ولا صبر
واسود خداه، فقلت اقصروا ... لولا الدجى ما حسن البدر
وقوله:
أدر يا طلعة البدر ... علينا أنجم الخمر
وقطع ليلنا بالكأ ... س حتى مطلع الفجر
على فتانة العينين والخدين والثغر
لنا في وجهها قمر ... ومن نغماتها قمري
كذا فليشرب الصهبا ... ء مثلي يا ذوي الشعر
كذا في ليلة الجمعة بل في ليلة القدر
مع الفتيان في الحانا ... ت بين الطبل والزمر
بحيث ابن ملكداد ... وحيث ابن أبي الدر
حريفان حرافان ... بلا قدر ولا قدر
وله:
نديمي داو بالخمر الخمارا ... أدر كأسي يمينا أو يسارا
مشعشعة إذا ما صفقوها ... بماء خلتها نورا ونارا

لها من مولدي موسى وعيسى ... شراب لليهود وللنصارى

ومسمعة إذا ما شئت غنت ... ألا حي المنازل والديارا

بدت بدرا وماجت دعص رمل ... وماست بانة وشدت هزارا

إذا غازلتها أو غازلتني ... تأملت الفرزدق والنوارا

ويوم غدت تعيرني بشيبي ... وقد رأت السكينة والوقارا

وما في الشيب عند الناس عيب ... إذا ما عاد ليلهم نهارا

ولكن في الشباب خزعبلات ... لمن يهوى العذارى لا العذارا

وقوله في مدح بني السلار:

لا تلمني على الدموع الجواري ... فهي عوني على فراق الجوار

كم لئيم يلد بالعيش صفوا ... وكريم يغص بالأكدار

لا يفي الوصل بالصدود خليلي كما الخمر لا يفي بالخمار

فاسقنيها لعلها تصرف الهم على طيب نغمة الأوتار

خندريسا كأنها في دجى الليل بأيدي السقاة شمس النهار

إنما العيش في رياض دمشق ... بين أقمارها وبين القماري

مثلما قد خلعت أثواب مدحي ... باختياري على بني بختيار

معشر كالغيوث في حلبة السلم وفي الحرب كالليوث الضواري

بقلوب كأنها من جمال ... وأكف كأنها من بحار

وكأن الإله، جلن براهم ... من فخار، والناس من فخار

وقوله في ملك النحاة وكان يذكر مصر:." (١)

"كلما هب عليهن الهواء أمالهن كالشارب الثمل، وأدنى بعضهن إلى بعض للضم والقبل، وعطف على كل قضيب قضيبا، كما اعتنق محب حبيبا. والورق قد أخفين بأوراقهن بديع ألوانهن، وهتكن أستارهن بفنون ألحانهن في أفنانهن، ينحن ويبحن، ويغنين ويغردن، ويصدحن تارة ويسبحن، ويعجمن طورا ويفصحن، كأنهن قينات حجبتهن ستور، أو قينات ضمتهن خدور، يتزاورن بلا رسل، ويتواصلن عن غير ملل، قد أمن المغيب،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٥٠/١

واطرحن الكاشح والرقيب، وسكن أطيب منزل، ووردن أعذب منهل. وهنالك نهر، كأن حصاه الدر والجوهر، وتراه المسك الأذفر، وماءه من نهر الكوثر، المدخر ليوم المحشر، مغدودق المشارع، سهل الشرائع. فبتنا بها ليلتنا، ونلنا أمنيتنا. فلما تبلد وجه الصباح، نادى منادي الراح: حي على الاصطباح. فقلنا ما قصدنا إلا الصيد، ولا كرامة ولا كيد. ونهضنا إلى خيولنا فركبناها، وإلى آلات القنص فاشتملناها، وإلى الجوارح فجردناها، وإلى المناهل فوردناها. فرأينا صيدا تحار لكثرته الأفكار، وتقصر عن إدراكه الأبصار. فمن أرانب وغزلان، وحبارج وكروان، وحجل ودراج، وطير مما قد هاج، وهي في عدد الرمل والنجوم. فجعل كل صنف من الجوارح جزء مقسوم، فأفردنا الكلاب للأرانب والفهود للظباء، والبزاة للحجل، والشواهين لطير الماء. وسرنا صفا، كأننا نحاول زحفا. والظباء في مرابضها نائمات، وعما يراد بها غافلات، في بلهنية من العيش ودعة، وخصب في المرعى وسعة، قد أمنت البوائق، ونسيت العوائق. والأرانب في مجاثمها لبود، تحسبها أيقاظا وهي رقود. والحجل قد فارق ثبجه، وضيع مدخله ومخرجه، منتصبا على الإكام، لا يفتر عن الكلام، كأنه وامق مستهام، أو طافح خبلته مدام، في غفلة من فتكات القدر، وأمنة من آفات الغير. والدراج قد أخذ في الصياح، لما أحس تبسم الصباح، والبوزجات تجاوبه بالنباح، كأنما الدراج يدعوها إليه، أو كأن الكلاب تطلب ثأرا لديه. وطير الماء في ذلك النهر العجاج، المتلاطم الأمواج، قد شرع في الازداوج، يطرب مع إلفه ويمرح، ويختال عجبا به ويسبح، قد اتخذ الماء معقلا يحميه، ولا يعلم أن حتفه فيه.

فما كان إلا عن قليل، ولا سرنا إلا جزءا من ميل، حتى نفرت الظباء من مرابضها وكنسبها، مستبدلة منا وحشة بعد أنسها. فمن غزالة تزجي خشفها، وتتشوف حذرا عليه وتقلب طرفها، وتود لو تحفظه وتقيه، وبروحها من البلاد تفديه. ومن فحل قد طار روقاه، واشتد أزره وقواه، وقد تقدم على السرب، كأنه طالب للحرب، غير محتفل بنا يمشي الهوينا ويرعى، ويلتفت تارة إلينا ويسعى، قد اعتمد على السبق في الإباق، وأمن من وشك الطلب واللحاق. ومن ظبيات يرتعن ويلعبن، ويجئن ويذهبن، غافلات عما يراد بهن، غير حافلات بما أتى إليهن.

فعمدنا إلى الفهود، وهن خلف الرجال قيام وقعود، فما منها فهد إلا وقد سمي باسم، ووسم بوسم، فاستدعينا طريفا، وكان خفيفا ذفيفا، إذا عدا سبق وميض البرق المتألق، وإذا نزا كان كالسيل المتدفق.

كأن الريح حين يلوح سرب ... أعارته معاجلة الهبوب

يغير فيجعل النائي قريبا ... ويسلب مهجة الظبي الربيب

تلاحظ منه حين يجول جسما ... تدرع حاليا حب القلوب

وجاء الفهاد بفهد نبيل، عريض طويل، صغير الراس، قوي الأساس، يقظ الحواس، صعب المراس، شرس الأخلاق، أهرت الأشداق، قد لبس حلة الأرقم، واقتبس خلة الضيغم، فأخذ جله وبرقعه، ولوهدة من الأرض أودعه، فانساب انسياب الصل مسرعا، وجد لما وجحد إلى مراده مشرعا، وهو يتستر استتار المريب، ويتبع الجري بالتقريب، وكلما حان من السرب التفات، وقف حتى يظن أنه نبات. فلم يزل على كلتا حالتيه، حتى دنا منه وشد عليه، ودخل في جمعه ففرقه، وعمد إلى شمله فمزقه، فطلب كل طريق النجاة، رغبة في الحياة، فما شاف، إلى الأخشاف، ولم يكن إلا أسرع من أن يرد الناظر طرفا، حتى جعل إهاب الفحل ظرفا. فجاء الفهاد إليه، ونزل عليه، وذبح ما صاده، وناوله فؤاده، وقال: ما تقولون في الشبعة، والعمل بمقتضى الصنعة، فقد أحسن الطريف، وصدر منه الفعل الظريف، ولم يبق عليه للذم مكان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. فقلنا: الرأي ما تراه، فدونك وإياه.." (١)

"كان في زمن بني كلاب، وسمعت أنه توفي في سنة ثمانين وأربعمائة، وكان مغفلا، ولكنه كان ببديهته على الأدباء مفضلا، ومن جملة بديهته أن معز الدولة الكلابي صاحب حلب عبر في جيشه بالمعرة، وابن النوت واقف في حقل له فخاف على زرعه فتلقاه ووقف في طريقه وأنشده:

الشمس تشرق من خلال الموكب ... أم بدر تم طالع في غيهب

هذا معز الدولة الملك الذي ... عقد اللواء له بأعلى كوكب

في البحر أعهد مركبا من تحتنا ... وأراه بحرا فوق هذا المركب

فقال له معز الدولة: تمن، فقال: أتمنى أن لا يجول عسكرك في زرعي، فحماه له.

وجلس معز الدولة على قويق، زمان المد وخيم به وذكر ابن النوت وبديهته فنفذ في طلبه فأحضر على البريد فلما رآه على شاطئ النهر قال بديها:

رأيت قويقا إذ تجاوز حده ... له زجل في جريه وضجيج

وكان ثمال جالسا بشفيره ... فشبهته بحرا لديه خليج

فقال له معز الدولة: قد زعم الشعراء الحلبيون أن هذا ليس بشعرك، وكان فيهم ابن سنان الخفاجي، فإن قلت بديهة أعطيتك جائزتهم كلهم، ثم نظر إلى غرابين على نشز فقال: قل فيهما: فقال:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٩٢/١

يا غرابين أنتما سبب البي ... ن فكيف اجتمعتما في مكان

إنما قد وقفتما في خلو ... لفراق الأحباب تشتوران

فاحذرا أن تفرقا بين إلفي ... ن فما تدريان ما تلقيان

وقال وقد عبر على دار قديمة تنقض وأحجارها تقلع والمعاول فيها تعمل:

عبرت بربع من سياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول

تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينها حرب وائل

فقلت له: شلت يمينك، خلها ... لمعتبر أو زاهد أو مسائل

منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم أر أحلى من حديث المنازل

وقال أبو الرضا ابن النوت:

نسري فيبدو من نعال جيادنا ... قبس يضيء الليل وهو بهيم

فكأن مبيض النعال أهلة ... وكأن محمر الشرار رجوم

وكتب إلي القاضي أبو اليسر الكاتب من شعر ابن النوت قصيدة في مرثية أبي العلاء المعري منها:

سمر الرماح وبيض الهند تشتور ... في أخذ ثأرك والأقدار تعتذر

والدهر فاقد أهل العلم قاطبة ... فإنهم بك في ذا القبر قد قبروا

فهل ترى بك دار العلم عالمة ... أن قد تزعزع منها الحجر والحجر

العلم بعدك غمد فات منصله ... والفهم بعدك قوس ما لها وتر

أبو العلاء بن أبي الندى

بن عمرو المعري

وقيل ابن جعفر اشتغل صغيرا بالفقه، وكان في الذكاء عديم الشبه، وهو في المدرسة الحنفية النورية بحلب عند العلاء الغزنوي، سمح البديهة والروية، صحيح الروي، شاعر فقيه مجيد، وحيد فريد، غدر به عمره، وطوي نشره، وغيض فيضه قبره، ونضب عند تموج عبابه بحره، وذلك في سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وله حدود خمس وعشرين سنة، ولو عاش لكان آية، فلم يبق في علم من العلوم غاية، أنشدني له أبو غانم بن عبد الواحد بن حياة المعري من قصيدة له في الأمير السيد بهاء الدين الشريف:

من أين كان لكن يا حدق المها ... علم بنفث السحر في عقد النهى

أم من أعار البان في مهج الورى ... فتكا فأصبح بالقنا متشبها
من كل مياد القوام منعم ... يختال في سكر الشباب ويزدهى
واهي الجفون فلو تكفل جفنه ... فعل الصوارم لاستقل وما وهى
يبدو بوجه كلما قابلته ... أهدى إليك من المحاسن أوجها
كالفضة البيضاء إلا أنه يلقاك من ذهب الحياء مموها." (١)

"تدحى بأيدي الخيل هامات العدى ... فكأنهن لواعب بالميسر
في كل يوم يسترون عجاجة ... قصرت لحاظ الطير دون المنسر
قد عودت ري الأسنة، كلما ... شكت الغليل، من النجيع المهدر
صارت مشارعها متون سلاهب ... لحق الأياطل كالسعالى، ضمر
من كل يعبوب سما بتليله ... عنق كجذع من أراك موبر
مستلحق أولى الطرائد، صارع ... للقرن في قتم الغبار الأكدر
ينثال في طلب العدو كما أتى ... سند بمهوى سيله المتحدر
وصوارم بتر المضارب لم تقع ... إلا على ترب الجبين معفر
من كل أبيض ناطق في هامة ... تحكي خطيبا فوق صهوة منبر
يكسو أديم الأرض صبغة عندم ... لم تبد إلا عن دم مثعنجر
يبري أكفا ثم يتبع أذرعا ... تحكي أنابيب القنا المتكسر
أيظن جند الشرك عزمك مغفلا ... حز الطلى منهم وقطع الأبهر
لتساورنهم بها ململمة ... بالأسد تذأى في قنا وسنور
فلتنسفنهم سطاك بعاصف ... يجتث أصل المشركين بصرصر
وليجلبن ذوي القسي أعدها ... للشرك كل مباسل متنمر
يقذفن في مهج الطغاة طوائرا ... بمثال أجنحة الجراد الطير
حتى تغيب حجول خيلك في الوغى ... مما تخوض من النجيع الأحمر
تدبير معتزم طلوب ثأره ... بسيوفه طلب الهزبر القسور

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٦٦/١

يا منفد الأموال لا مستبقيا ... لسوى مساع كالنجوم النير
عجبا لكفك كيف لا يخضر ما ... تحوي عليه من الأصم الأسمر
كشفت تجاربك الزمان فعلمت ... أهل التجارب كيف حلب الأشطر
ودعت شهرا أنت في هذا الورى ... بعلو قدرك مثله في الأشهر
تقضي فروض الصوم أكرم صائم ... وأهل عيد الفطر أكرم مفطر
لا تعدم الأعياد إن ألبستها ... ببقائك الممدود أحسن منظر
فإذا سلمت فكل عيد عندنا ... موف على عيد أغر مشهر
دامت لك النعماء موصول بها ... توفيق منصور اللواء مظفر
وأنشدني الأديب أبو محمد بن عتيق المصري الشاعر قدم من اليمن العراق وأقام بها، قال أنشدني ابن العلاني:
وذي هيف راق العيون انثناؤه ... بقد كريان من البان مورق
كتبت إليه هل: تروم زيارتي ... فوقع: لا، خوف الرقيب المصدق
فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا ... كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق
من قصيدة لأبي الحسن علي بن العلاني يمدح بها الأفضل ابن أمير الجيوش أولها:
سل الربع عن أحبابنا أين يمموا ... لئن ظعنوا عته فبالقلب خيموا
من مديحها:
ليزدد علوا ملك مصر فإنها ... به حرم الله العزيز المحرم
فمكة مصر، والحجيج وفوده ... ويمناه ركن البيت، والنيل زمزم
صفاتك مل الخافقين فمنجد ... يسير بها في كل فج ومتهم
وشاكر ما تولي مقر بعجزه ... ولو أنه في كل عضو له فم
وله:
عجبت لوخط الشيب عاذلة رأت ... شعرا تلفع بالبياض سواده
لا تعجبي ما شاب منه فوده ... إلا لهم شاب منه فؤاده

وله:

ألم تعطف على النضو الطريح ... وطول تأوه القلب القريح." (١)

"وبعد موته استقلت السيدة أروى بدولة آل الصليحي، فتحصنت بما تملك من معاقل، وتولت ما كانت تحكم من حصون، وأقامت لها وزراء وعمالا، واستطاعت ان تطيل حكم الصليحيين أربعين سنة بعد أن كاد يضعف أمرهم، كما استطاعت خلال حياتها الطويلة التي امتدت ٨٨ سنة أن تربط بتاريخ حياتها تاريخ حياة اليمن فقد تزوجت المكرم أحمد كما رأيت وكانت وراء الأحداث الكبيرة في حياته لأنها أعملت الحيلة في قتل سعيد الأحول وأسر امرأته أم المعارك بلوغ المرام ٢٦ وبذلك ثأرت لأبيه الداعي علي الذي قتله سعيد ولأمه أسماء بنت شهاب، ثم تزوجت بالأوحد سبأ. وكانت تحكم اليمن من وراء حجاب، ترفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن فيخطب أولا للمستنصر الفاطمي ثم للصليحي ثم للحرة فيقال: اللهم أدم أيام الحرة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين..

ثم انفردت بالحكم بين السنتين ٤٩٢ و٥٣٢ فلما ماتت انقضى حكم الصليحيين في اليمن وآل أكثر ملكهم الى بني زريع.

وهي السيدة أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى وموسى أحد إخوة الداعي الصليحي الأول علي، ومنهم عبد الله، وإبراهيم.

لها في اليمن مآثر منها الجناح الشرقي بجامع صنعاء، وجامع ذي جبلة الكبير الذي دفنت فيه.

والصليحي نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز كما في بلوغ المرام، ولكن ابن خلكان يقول لا أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي والظاهر أنها إلى رجل.

وهنالك كثير من الخلافات والروايات حول تحديد بعض السنوات تجاوزنا عنه.

وفيات الأعيان – الأعلام – بلوغ المرام – طبقات فقهاء اليمن – تأريخ المستبصر – شذرات الذهب – المقتطف من تاريخ اليمن – .

أبو عبد الله الحسين بن علي القمي

ابن القم

مولده بزبيد، المعروف بابن القم من أهل اليمن، من شعراء العصر الأقرب عصره متقدم، وكان معاصر ابن

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٦٩/١

سنان الخفاجي أو بعده بقريب، وكان الأمير المفضل نجم الدين أبو محمد ابن مصال ينشدني شعره ونحن على الخيل سائرون إلى بعلبك تحت رايات الملك الناصر صلاح الدين يوسف في آخر شعبان سنة سبعين فذكر أن ابن القم سمع بيتا لابن سنان الخفاجي قد ابتكر معناه، وقد أحسن صياغة مغزاه، وهو:

طويت إليك الباخلين كأنني ... سريت إلى شمس الضحى في الغياهب

وقيل هذا البيت لابن سنان الخفاجي من جملة قصيدته:

وفيكم روى الناس المديح ومنكم ... تعلم فيه القوم بذل الرغائب

فدعني وصدق القول فيك لعله ... يكفر من تلك القوافي الكواذب

وما كنت لما أعرض البحر زاخرا ... أقلب طرفي في جهام السحائب

فقال من قصيدة يذكر فيها أنه مدح الممدوح فأجاز شعره، وأجازه وفره:

ولما مدحت الهبرزي ابن أحمد ... أجاز وكافاني على المدح بالمدح

فعوض عن شعري بشعر وزاد في ... عطاه فهذا رأس مالي وذا ربحي

لفظت ملوك الأرض حتى رأيته ... فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

ولم يقصر في هذا المعنى لم يبلغ رتبة ابن سنان فيه.

ومما أنشدنيه أيضا له من قصيدة مطلعها:

سرى طيف سعدى بعدما هجع الركب ... ونجم الثريا قد تضمنه الغرب

وليس الردى ما تفعل البيض والقنا ... ولكنه ما يفعل الصد والحب

يكلفني العذال حب سواكم ... وسلوتكم حتى كأن الهوى غصب

ومنها في المخلص وقد أحسن:

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة ال ... عذول ولا كف ابن أحمد والجدب

كريم إذا جادت فواضل كفه ... تيقنت أن البخل ما تفعل السحب

ومنها:

أجار فلا خوف وأحيا فلا ردى ... وجاد فلا فقر ورام فلا صعب

ويثني على قصاده فكأنه ... يجاد بما يجدي ويحبي بما يحبو

ومنها وقد أحسن أيضا:

كتبت إليه والمفاوز بيننا ... فكان جوابي جود كفيه لا الكتب." (١)

"فصلت عنه في أخريات النهار، وقد ظهر في أطراف الجدران لفرق فراق الشمس اصفرار، فلما ذهب ذهب الأصيل بنار الشفق، ولبست المشارق السواد لما تم في المغارب على الشمس من الغرق، وأقبلت مواكب الكواكب في طلب الثأر، كدراهم النثار، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت في الأشجان بالأزهار في الأشجار، وتكلف القمر الموافقة فظهر على وجهه الكلف، ومرت به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسدا فأعرب عن غدر الخلف بالسلف، وظهر الوجوم في وجوه النجوم، وعيل صبر النسرين فواحد طائر يحوم، وآخر واقع لا يقوم، ولم تزل متلاحقة متسابقة لتقفو الأثر وتسمع الخبر، إلى أن بدا سوسن الفجر ولاح، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح، وكاد ثعلبه يأكل عنقود الثريا، وبرزت الغزالة من أس الكناس طلقة المحيا، وتراءت الوجوه، وزال ما زال بغيبتها من المكروه، وأخذت النجوم بالحظ من الطرب، بمقدار ما قدمته من الحض في الطلب، وانخرطت في سلوك شعاعها نظاما، وزاد خوفها منها على رجائها فيها فذابت إكبارا لها وإعظاما.

ومن صدر مكاتبة:

لم يزل العبد لما عرض من إعراض المجلس لا زالت أوامره نافذه، والآمال بكعبة كرمه لائذة، ويده العالية بزمام الزمان آخذة، وكتبه الكرائم لعزائم كتائب الإسلام شاحذة وحدث من هجره له، وظهر من قلة احتفاله به، وخاض فيه المعارف من تغيره عليه، وتناقله الوشاة من أمر صده عنه، وتقارضه الشامت من سوء رأيه فيه، ذا زفرات سوام تتضرم، وعبرات هوام تتصرم، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عيا فيتذمم بالصمت عن أن يتحرر ويتحرم، وأفكار تتنزه عن إساءة الظن بمودته فما يتكدر حتى يتكرم، فكم تناول القلب جلده فجلده بالقلق لما تجاوز حده وحده، وأجرى من سوابق دموعه عسكرا فجرى فشق خده وخده، وأوجده السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسوده، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وعده وإخلاقه وده ووده، حتى جنى ورد ورود كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره، ورفع ناظره بقدومه عليه على كافة أمثاله وأنظاره، فعلم أن علم المودة قد رفع، وموصول حبل الجفوة قد قطع، وكاد القلب يخرج لمصافحته لو استطاع نفاذا، واجتمعت فيه أماني النفس فاتخذته دون جميع الملاذ ملاذا، وتناوله بيد الإجلال، وقصه بيد الإدلال، الذي أباح له الإخلاد إلى الإحلال، فوجده منظوما على خط كالكؤوس المرصعة، لما لاح مداده مداما ونقطه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٠٦/٢

حببان وألفاظ تبيح للمناظر طلبا، وتتيح للخواطر طربا، ومعان ما حلت في ميدان البيان حتى جلت فحسب الأفكار بها حسبا، وتعريضات لو كان التصريح فضة لكانت ذهبا، أو كان شررا لكانت لهبا، ومنن ما لاحت سحائبها حتى وكفت، وأياد ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت، فرفع إلى السماء يديه وهي قبلة الدعاء، وعفر في الأرض خديه وهو جهد الضعفاء.

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام:

إلام يصير القلب للخطب منبرا ... ويصبر للجلى وإن كان منبرا

وكيف يلام الصب في صب دمعه ... عقيقا على مصفر خديه أحمرا

وقد وقد البرح المبرح في الحشا ... فراع دخان الوجد في الوجه منظرا

وزادت دواعي الشوق إذ زالت القوى ... فأصبح معروف التجلد منكرا

فلو شام طرف الشام برق تنفسي ... لتذكار من فيه إذن لتفطرا

على أن من أمسى رفيق تفرق ... ومن قصد الأشعار في الشوق قصرا

وبعد فما ضاق الصدر، وضاع الصبر، وضعف الجلد، وتضاعف الكمد، وادلهم ليل الهم بفراق الحضرة السامية حتى طلبع بدر كتابها فاهتدت ضوال الأفكار الشاردة، ولمع شهاب خطابها فاحترقت شياطين الظنون الماردة، ولله الحمد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها، والرغبة في تقوية أسباب استتباب نعمتها وتعجيل إيابها، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره، بتلك الأعمال من الأعمال الصالحة وتؤثره.

ومنها:." (١)

"ويوم بعثتها شعث النواصي ... تسيل بهن أفواه الشعاب

لقيت هجيره والخيل تردى ... ولا ظل سوى ظل العقاب

أثرت الليل في رهج المذاكي ... وأطلعت النجوم من الحراب

مواقف لم تزل فيهن أمضى ... من الهندي زل عن القراب

وله من أخرى:

تجاوز العتب حد السخط والغضب ... وأورث القلب صدعا غير منشعب

إن كان ذنب فإني منه معتذر ... يكبو الجواد وينبو السيف ذو الشطب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٤١/٢

أو كان ذا منك تاديبا على زلل ... مني فحسبك قد أسرفت في أدبي
هل عهد وصلك مردود لعاهده ... يا هاجري شهوة من غير ما سبب
ومنها:
أو لا وعيش مضت منا بشاشته ... لحا وسالف عيش غير مؤتشب
ومبسم كأقاح الروض بان به ... فضل الرضاب على الصهباء والضرب
ومستدير وشاح جال في هيف ... حيث التقى خيزران الخصر بالكثب
ما إن أذنت إلى الواشي كما أذنت ... فاعجب له اليوم لم يظفر ولم يخب
لم يبق عندي اصطبار أستعين به ... على تمادي صدود منك برح بي
بيني وبين صروف الدهر معتبة ... وليس عتبي على الأيام بالعجب
إن سركم مس من نوائبه ... إني إذن لقرير العين بالنوب
ومنها:
إن كنت أضمرت غدرا في الوفاء لكم ... فلا وصلت بآمالي إلى أربى
وخانني عنك شاهنشاه ما وعدت ... به صنائعه من أشرف الرتب
ومنها:
تجلو عليك التهاني كل شاكرة ... يدا سبقت إليها عزمة الطلب
كالماء رقتها والخمر نشوتها ... فابن الغمامة فيها وابنة العنب
وقال فيه:
خاطر بها فالجد مصحوب ... واسر فظهر الغيب مركوب
واطلب عناق العز تحت الظبا ... فالعز محبوب ومطلوب
واصحب إلى العلياء سمر القنا ... ما صحبتهن أنابيب
ليس يروض الصعب من درعه ... محقبة والسيف مقروب
ولا يخوض الغمرات الفتى ... وطرفه في الحي مجنوب
وثق بما تملي عليك المنى ... فالنجح مرجو ومرقوب
ولا تقل يا بعدها غاية ... ففي المقادير أعاجيب

لا تبعد العلياء عن طالب ... له من الأفضل تقريب

وقال فيه:

إذا ما ابتدوا شدوا حبي الحلم للندى ... وإن ركبوا سدوا القنا بالمراكب

كفيلون في دار الضحى لصريخة ... بوجه نهار بالعجاجة شاحب

هم سطروا بالبيض والسمر ذكرهم ... فأصبح عنوان العلا والمناقب

صدور رماح لم ترد حومة الوغى ... فتصدر إلا عن صدور الكتائب

ومنها:

إذا شهد الجلى أضاءت برأيه ... دجنة خطب مدلهم الجوانب

وقال أيضا:

بادر بإحسانك الليالي ... فإن من شأنها البتاتا

كم شمل ملك عدت عليه ... فصيرت جمعه شتاتا

وفركت قبل من عظيم ... فطلقت غيرها ثلاثا

وقال من قصيدة:

وكم للحب مثلي من صريع ... بحد البيض والسمر الملاح

وأغيد من ظباء الحسن حيا ... بورد أو تبسم عن أقاحي

شربنا من شمائله شمولا ... لنشوان التثني وهو صاح

لقلبي الثأر فيه عند عيني ... فبعض جوارحي أدمى جراحي." (١)

"القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين

ابن الحباب الأغلبي السعدي النميمي

جليس صاحب مصر، فضله مشهور، وشعره مأثور، وقد كان أوحد عصره في مصره نظما ونثرا، وترسلا وشعرا، ومات بها في سنة إحدى وستين، وقد أناف على السبعين. ومن شعره:

لا تعجبي من صده ونفاره ... لولا المشيب لكنت من زواره

لم تترك الستون إذ نزلت به ... من عهد صبوته سوى تذكاره

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٢٤٦

وله:

حيي بتفاحة مخضبة ... من ففني حبه وتيمني

فقلت ما إن رأيت مشبهها ... فاحمر من خجلة فكذبني

ومن شعره:

وسما يكف الحافظ ... المنصور عنا المحل كفا

آواهم كرما وصا ... ن حريمهم فعفا وعفا

وأنشدني له الأمير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها:

ومن عجب أن السيوف لديهم ... تحيض دماء والسيوف ذكور

وأعجب من ذا أنها في أكفهم ... تأجج نارا والأكف بحور

وأنشدني له الشريف إدريس الإدريسي قصيدة سيرها إلى الصالح بن رزيك قبل وزارته يحرضه على إدراك ثأر الظافر، وكان عباس وزيرهم قتله وقتل أخويه يوسف وجبريل، يقول فيها:

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم ... وما لهم من منعة وزياد

فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ... ومصرعهم لم تكتحل برقاد

تدارك من الإيمان قبل دثوره ... حشاشة نفس آذنت بنفاد

فمزق جموع المارقين فإنها ... بقايا زروع آذنت بحصاد

وله فيه من أخرى في هذه الحادثة:

ولما ترامى البربري بجهله ... إلى فتكة ما رامها قط رائم

ركبت إليه متن عزمتك التي ... بأمثالها تلقى الخطوب العظائم

وقدت له الجرد الخفاف كأنما ... قوائمها عند الطراد قوادم

وتنصل منها والعجاج خضابها ... هواد لأركان البلاد هوادم

تجافت عن الماء القراح فريها ... دماء العدا فهي الصوادي الصوادم

وقمت بحق الطالبيين طالبا ... وغيرك يغضي دونه ويسالم

أعدت إليهم ملكهم بعد ما لوى ... به غاصب حق الأمانة ظالم

فما غالب إلا بنصرك غالب ... وما هاشم إلا بسيفك هاشم

فأدرك بثأر الدين منه ولم تزل ... عن الحق بالبيض الرقاق تخاصم

وأنشدني الأمير العضد مرهف للجليس يخاطب الرشيد بن الزبير في معنى نكبة خاله الموفق:

تسمع مقالي يا ابن الرشيد ... فأنت حقيق بأن تسمعه

بلينا بذي نشب سائل ... قليل الجدا في أوان الدعه

إذا ناله الخير لم نرجه ... وإن صفعوه صفعنا معه

وأنشدني بعض فضلاء مصر لابن الحباب:

سيوفك لا يفل لها غرار ... فنوم المارقين بها غرار

يجردها إذا أحرجت سخط ... على قوم ويغمدها اغتفار

طريدك لا يفوتك منه ثار ... وخصمك لا يقال له عثار

وفيما نلته من كل باغ ... لمن ناواك لو عقل اعتبار

فمر يا صالح الأملاك فينا ... بما تختاره، فلك الخيار

فقد شفعت إلى ما تبتغيه ... لك الأقدار والفلك المدار

ولو نوت النجوم له خلافا ... هوت في الجو يذروها انتثار

ومنها:

عدلت وقد قسمت وكم ملوك ... أرادوا العدل في قسم فجاروا

ففي يد جاحد الإحسان غل ... وفي يد حامد النعمى سوار

لقد طمحت بطرخان أمان ... له ولمثله فيها بوار." (١)

"وأورده ابن الزبير في كتاب الجنان، وذكر من شعره قوله:

طرقتني تلوم لما رأت في ... طلب الرزق للتذلل زهدي

هبك أني أرضى لنفسي بالكد ... ية يا هذه فمن أكدي

وقوله في الخمر:

عذراء تفتر عن در على ذهب ... إذا صببت بها ماء على لهب

وافى إليها سنان الماء يطعنها ... فاستلأمت زردا من فضة الحبب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٢٦٧

وقوله:

أيا ليلة زار فيها الحبيب ... ولم يك ذا موعد ينتظر

وخاض إلي سواد الدجى ... فيا ليت كان سواد البصر

وطابت ولكن ذممنا بها ... على طيب رياه نشر الشجر

وبتنا من الوصل في حلة ... مطرزة بالتقى والخفر

وعقلي بها نهب سكر المدام ... وسكر الرضاب وسكر الحور

وقد أخجل البدر بدر الجبين ... وتاه على الليل ليل الشعر

وأعدى نحولي جسم الهواء ... وأعداه منه نسيم عطر

فمني معتبر العاشقين ... ومن حسن معناه إحدى العبر

ومن سقمي وسنا وجهه ... أريه السها ويريني القمر

وقوله:

أيها اللائم في الح ... ب لحاك الله حسبي

لست أعصي أبدا في ... طاعة العذال قلبي

وقوله في العذار:

وغزال خلعت قلبي عليه ... فهو باد لأعين النظار

قد أرانا بنفسج الشعر بدرا ... طالعا من منابت الجلنار

وقدت نار خده فسواد ... الشعر فيه دخان تلك النار

وله

يفتر ذ١اك الثغر عن ريقه ... در حباب فوق جريال

ونون مسك الصدغ قد أعجمت ... بنقطة من عنبر الخال

وقوله:

وغزال أبدى لنا الله من بس ... تان خديه في الحياة الجنانا

قد أرانا قدا وخدا وصدغا ... وعذارا وناظرا فتانا

غصنا يحمل البنفسج والنر ... جس والجلنار والريحانا

وله في غلام لبس في عاشوراء ثوب صوف:

أيا شادنا قد لاح في زي ناسك ... فباح بمكنون الهوى كل ماسك

رويدك قد أعجزت ما يعجز الظبا ... وأضرمت نيران الجوى المتدارك

أنحن فتكنا بابن بنت محمد ... فتثأر منا بالجفون الفواتك

وقوله في المجون:

لي شادن هو أدنى ... إلي مذ كان مني

فقد تعجلت قبل الممات ... جنة عدن

به تعففت عما ... يصم بالعذل أذني

لأنه صان عرضي ... عن أن ألوط وأزني

وزادني فيه حبا ... وصف يطابق فني

لم يتسع خرقه لي ... كلا ولا ضاق عني

فحلقة الظهر منه ... صيغت لإصبع بطني

وقوله في مثل ذلك:

كثيب رمل فوقه صعدة ... من فوقها بدر تمام أطل

إن كان من سواك لا عابثا ... فأنت مخلوق لذاك العمل

ولم يكن ردفك دعص النقا ... إلا لأن تركز فيه الأسل

وقوله:

زمان يخلط في فعله ... كأن به سكرة العاشق

وخلق إذا ما تأملتهم ... جحدت بهم حكمة الخالق

وقوله:

عدا طوره حمقا وادعى ... فخارا وقد جحدته المعالي

وقال ألم أبلغ الفرقدين ... فقلت بلى بقرون طوال

وقوله في أبخر:." (١)

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٦٠/٢

"أنت كالموت تدرك الناس طرا ... مثلما يدرك الصباح المساء

كيف يرجو من قد أخفت نجاء ... منك هيهات أين منك النجاء

وقوله في لثغة اللسان:

وشادن في لسانه عقد ... حلت عقودي وأوهنت جلدي

عابوه جهلا بها فقلت لهم ... أما سمعتم بالنفث في العقد

وقوله:

أقبل الصبح وصاح الديكه ... فاسقنيها قهوة منسفكه

قهوة لو ذاقها ذو نسك ... لزم الفتك وخلى نسكه

فأهن دنياك تعززك ولا ... تترك المال كمن قد تركه

واغتنم عمرك فيها طائرا ... قبل أن تحصل وسط الشبكه

وقوله:

انظر الى الماء حاملا لهبا ... واعجب لنار تضيء في ماء

وقوله:

شربت درياقة لل ... هموم إذ لبستني

دبت بجسمي فأردت ... همومه وشفتني

قتلتها بمزاج ... وبعد ذا قتلتني

كأنها طلبتني ... **بالثأر** إذ صرعتني

وقوله:

تنبه أيها الرجل النؤوم ... فقد نجمت بعارضك النجوم

وقد أبدى ضياء الصبح عما ... أجن ظلامه الليل البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب.

فلا تغررك يا مغرور دنيا ... غرور لا يدوم به نعيم

ولا تخبط بمعوج غموض ... فقد وضح الطريق المستقيم

أبو عبد الله

محمد بن الحسن ابن الطوبي
ذكر أنه كان صاحب ديوان الرسائل والإنشاء، ومن ذوي الفضائل البلغاء، طبيبا، مترسلا، شاعرا، وأورد من نظمه كل مليح الحوك صحيح السبك، فمن ذلك قوله في الغزل:
يا قاسي القلب ألا رحمة ... تنالني من قلبك القاسي
جسمك من ماء فما لي أرى ... قلبك جلمودا على الناس
أخاف من لين ومن نعمة ... عليك من ترديد أنفاسي
سبحان من صاغك دون الورى ... بدا على غصن من الآس
وقوله:
أي ورد يلوح من وجنتيه ... طار مني الفؤاد شوقا إليه
فإذا رمت أجتنيه ثناني ... عنه وقع السيوف من مقلتيه
وقوله في العذار:
انظر الى حسن وحسن عذاره ... لترى محاسن تسحر الأبصارا
فإذا رأيت عذاره في خده ... أبصرت ذا ليلا وذاك نهارا
وقوله في العذار:
قام عذري بعذاري ... ه فما أعظم كربي
قلت لما أن تبدى ... نبته: سبحان ربي
أحرقت فضة خدي ... ك لكي تحرق قلبي
وقوله في غلام عرضت له بفيه حرارة:
قالوا بفيك حرارة ... فعجبت كيف يكون ذاكا
ورضاب ريقك مطفئ ... نيران أقوام سواكا
يقع لي أن المعنى حسن، ولكن اللفظ مضطرب.
وقوله في المعنى وهو أجود سبكا:
شكا لحرارة في فيه أعيت ... معالجة فبات لها كئيبا
وكيف يصح ذا تفديه نفسي ... وبرد رضابه يطفي اللهيبا

وقوله:

ما لامني قط فيه ... إلا الذي لا يراه

حتى يراه فيضحي ... مشاركي في هواه

وقوله:

بخدك آس وتفاحة ... وعينك نرجسة ذابله

وريقك من طيبه قهوة ... فوجهك لي دعوة كامله

وقوله:

ومسقمي من طرفه ... بما به من سقم

أوما لتقبيل يدي ... فقلت ما ذنب فمي

وقوله:

قسم الحسن على الخل ... ق ولكن ما أقله

فهو في الأمة تفصي ... ل وفي وجهك جمله

وقوله في غلام ناوله حصرما:

أتعبت قلبي بالصدو ... د وليس أيأس من وصالك

فخذ الدليل فقد زجر ... ت لما أؤمل من نوالك

ناولتني من حصرم ... فرجوت نقلك عن فعالك

إذ كان يحمض أولا ... وتراه يحلو بعد ذلك

وقوله:

يا سميي وحبيبي ... نحن في أمر عجيب." (١)

"كرامة، الممدوح، هو: كرامة بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد صاحب القلعة، وما سمع في الفوارة أحسن من قول علي بن الجهم:

وفوارة ثأرها في السما ... فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أسبلت ... الى الأرض من صوب مدرارها

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٠١

وله:

أخي كم تجمعنا مرارا وضمنا ... على الناس شمل بعد أن يتصدعا

فإن كان من فعل الليالي ودأبها ... فلا تأس إن فرقت أن نتجمعا

وله:

إياك من حتف يسيم بطرة ... من حاسر في حسنه مستلئم

فمصارع العشاق بين جفونه ... انظر تجد في خده أثر الدم

علي بن اسماعيل القلعي المعروف ب

الطميش

من الواردين على مصر من أهل العصر، وله حين قتل ابن الأفضل أبو علي بعد حبسه المدعو الحافظ وإلقائه في نفوس شيعته بذور الحفائظ وإقصابه مياجهم في مغائظ المفائظ واستيلائه على المملكة سنة يدعو الى القائم المنتظر، ونقش اسمه على الذهب الأحمر، ثم احتيل عليه فاغتيل وحان القبيل فكان القتيل، وأعيد الحافظ بعد ضياعه، وأذن ذلك بتأهيل رباعه، وتطويل باعه. فنظم الطميش فيه قصيدة منها – وقال ابن الزبير هي منسوبة إليه مما ادعاها – :

ولا بد من عزم يخيل أنني ... قدحت على الظلماء من ندزه فجرا

يجوب ظلاما كالظليم إذا سرى ... إذا جن جون كان بيضته البدرا

وليل صحبت السيف يرعد حده ... وقد شاب فيه مفرق الصعدة السمرا

حملت به درعي وسيفي وإنما ... حملت غدير الماء والغصن والنهرا

وأشقر ورد اللون لولا انتسابه ... الى البرق سيرا خلته المسك والهجرا

الى أن بدا وجه الصباح كأنه ... لحافظ دين الله آيته الكبرى

أستغفر الله من ذلك، فإنه لم يكن حافظا، وإنما كان مضيعا. ومنها:

وقد كان دين الله بالأمس عابسا ... لجراه حتى لاح في وجهه بشرا

وكان عليا حين كان الذي طغى ... معاوية والحارثي له عمرا

والحارثي كان من أعوانه. أخذه من ابن شرف حيث يقول:

مالي يعاقبني الزمان وليس لي ... ذنب كأني عمرو المضروب

ما كان أولاني بحكم المبتدا ... في النحو لو أن الزمان أديب

وله من قصيدة أخرى تجري مجرى الأولى:

زار الحبيب فلم يزرني غيهب ... إني وقد لبس الذوائب غيهبا

وكأنها الظلماء قد جعلت على ... بحر ... من السحائب طحلبا

حكمت على دمه سيوف بروقه ... أن لا يصان وأن يراق ويسكبا

يستقبل الروضات ماء جاريا ... فيعود درا في الغصون مركبا

ومنها في المديح:

...... برعي الكلا ... حتى تراه بالدماء مخضبا

وتعاف ورد الماء حتى تشتكي ... وجناته بدم الأعادي طحلبا

من قصيدة منسوبة إليه:

... لكم ودا ودمتم على الجفا ... ويزداد حبا كلما زدتم قلى

ولو كان سقما في الهوى من رضاكم ... لما اخترت عنه ما بقيت تنقلا

وزنت مماتي بالبقا عند غيركم ... فألفيت موتي عندكم لي أفضلا

الفقيه أبو محمد عبد الله بن سلامة

أصله من بجاية، ومقامه بالإسكندرية، ثم مصر، والصعيد، والريف، وهو القائل:

لي حرمة الضيف لو كنتم ذوي كرم ... وحرمة الجار لو كنتم ذوي حسب

لكنكم يا بني اللخناء ليس لكم ... فضل ولا أنتم من طينة العرب

كم لا أزال على حال أساء بها ... منكم وأغضي على الفحشاء والريب

لأتركن لكم أرضا بكم عرفت ... فأخبث البوم يأوي أخبث الخرب

وما مقامي بأرض تسكنون بها ... مني يطيب ولكن حرفة الأدب

علي بن يقظان السبتي." (١)

"أراك توري بحب النسا ... وقدما عهدتك تهوى الرجالا

تخيرتها من بنات الهجان ... رميكية لا تساوي عقالا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٧٤/٢

فجاءت بكل قصير الذراع ... لئيم النجارين عما وخالا
بصفر الوجوه كأن استها ... رماهم فجاءوا حيارى كسالى
قصار القدود ولكنهم ... أقاموا عليها قرونا طوالا
المعتصم أبو يحيى محمد بن معن بن محمد
ابن صمادح
صاحب المرية وبجانة والصمادحية كان في عصر ابن عمار، وسمعت الأمير نجم الدين أبا محمد بن فضال ينشد أبياتا كتبها أبو بكر بن عمار إليه في جواب أبيات كتبها ابن صمادح، ويستحسنها، ويطرب بها.
فأما أبيات ابن صمادح فهي معاتبة:
وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني ... مباديه إلا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان إحدى النوائب
والأبيات التي أجاب المعتصم ابن عمار بها:
فديتك لا تزهد وثم بقية ... سيرغب فيها عند وقع التجارب
وأبق على الخلصان إن لديهم ... على البدء كرات بحسن العواقب
تكنفتني بالنظم والنثر عاتبا ... وسقت علي القول من كل جانب
وقد كان لي لو شئت رد وإنما ... أجر لساني ذكر تلك المواهب
ولا بد من شكوى ولو بتنفس ... يخفف من حر الحشا والترائب
كتبت على رسمي وبعد نسيئة ... قرأت جوابي في سطور المواكب
ثلاثة أبيات وهيهات إنما ... بعثت الى حربي ثلاث كتائب
وكيف يلذ العيش في عتب سيد ... وما لذ لي يوما على عتب صاحب
وقبل جرت عن بعض كتبي جفوة ... ألحت على وجهي بغمز الحواجب
سلكت سبيلي للزيادة إثرها ... فصادفت دفعا في صدور الركائب
وما كنت مرتادا ولكن لنفحة ... تعودت من ريحان تلك الضرائب
ولو لمعت لي من سمائك برقة ... ركبت الى مغناك هوج الجنائب

فقبلت من يمناك أعذب مورد ... وقضيت من لقياك أوكد واجب

وأبت خفيف الظهر إلا من النوى ... وخلفت للعافي ثقال الحقائب

سواك لغا قول الوشاة من العدى ... وغيرك يقضي بالظنون الكواذب

وقال أبو يحيي بن صمادح في بركة بناها بالصمادحية:

كأن انسياب الماء في صفحاتها ... حسام صقيل المتن سل من الغمد

تفور به فوارة مستديرة ... لها مقلة زرقاء موصولة السهد

أدرنا بها كأسا كأن حبابها ... حباب سقط الطل في ورق الورد

لها في غدير الماء لألاء جمرة ... حكت نار إبراهيم في اللون والبرد

مأخوذ من قول ابن المعتز:

ومشمولة قد طال بالنقص حينما ... حكت نار إبراهيم في اللون والبرد

حططنا الى خمارها بعد هجعة ... رحال مطايا لم تزل نوقها تحدي

وأحسن ما قيل في الفوارة قول علي بن الجهم:

وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب مدرارها." (١)

"عذيري من ساحر بيان، وناثر جمان، ومظاهر إبداع وإحسان، ما كفاه أن اعتام الجواهر اعتياما، وجلاها في أبهج مطالعها نثرا ونظاما، حتى حشر الكواكب والافلاك، وجلبها نحوي كتائب من هنا وهناك، وقدما حمل لواء النباهة، وأعجز دواء البداهة، فكيف بمن نكل حتى عن الروية، ورفض الخطابة رفضا غير ذي مثنوية، وليس الغمر كالنزر، رويدك أبا النصر، فما سميت فتحا لتفتح علينا أبواب المعجزات، ولا مليت سروا لترتقي عنا إلى الأنجم الزاهرات، فتأتي بها قبيلا، وتريد منا أن نسومها كما سمتها قودا وتذليلا، وأنى لنا أن نساجل احتكاما، أو نباسل اقداما، من أقدم حتى على القمرين، وتحكم حتى في انتقال الفرقدين، وقص قوادم النسرين. ثم ورد المجرة وقد تسلسلت غدرانها، وتفتح في حافاتها أقحوانها، وهناك اعتقد التنجيم، وأحمد المراد الكريم، حتى إذا رفع قبابه، ومد ما أحب أطنابه، سئم الدهناء، وصمم المضاء، فاقتحم على العذراء رواقها، وفصم عن الجوزاء نطاقها، وتغلغل في تلك الارجاء، واستباح ما شاء أن يستبيحه من نجوم السماء، ثم ما

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٩٤

أقنعه أن بهر بإدلا له، حتى ذعرها بجياد أقواله، وغمرها باطراد سلساله، فله ثم خيل وسيل، لأجلهما شمر عن سوق التوأمين ذيل، وتعلق برجل السفينة سهيل، هنالك سلم المسالم، وأسلم المعارض والمقاوم، فما الأسد وإن لبس الزبرة يلبا، واتخذ الهلال مخلبا، وإنما انتهض تحت صبا أعنته، وقبض على شبا أسنته، وما الشجاع وإن هال مقتحما، وفغر عن الدواهي فما، وقد أطرق مما رآه، وما وجد مساغا يأباه. وما الرامي وقد أقعص عن مرامه، ووجئت لبته بسهامه، أو السماك وقد قطر دفينا، وغودر بذابله طعينا، وما الفوارس وقد جللت سربتها عجاجة، ومسخت حليتها زجاجة، وكذلك قطب زحل، واضطرب المريخ في نار وجده واشتعل، ووجل المشتري فامتقع لونه وضياؤه، وشعشع بالصفرة بياضه ولألاؤه، وتاهت الزهرة بين دل الجمال، وذل الاستبسال، فلذلك ما تتقدم آونة وتتأخر، وتغيب تارة ثم تظهر، وأما عطارد فلاذ بكناسه، ورد بضاعته في أكياسه، وتحجبت الشمس بالغمام، واعتصم بمغربه قمر التمام. هذه حال النجوم معك، فكيف بمن يتعاطى أن يشرع في قول مشرعك، أو يطلع من ثنية فضل مطلعك.

ومنها في وداعه: فخذ السانح من عفوي، وتجاوز لمقتي وصفوي، ثم متعني بفكري فقد رجع فليلا، ودع لي ذهني عسى أن يتودع قليلا، وإني وقد أضله من بينك الشغل الشاغل، وردعه من قربك الظل الزائل، ولا أنس بعدك إلا في تخيل معاهدك، وتذكر مصادرك النبيلة ومواردك، فسر في أمن السلامة محافظا، وتوجه في ضمن الكرامة مشاهدا بالأوهام ملاحظا، رعاك الله في حلك ومرتحلك، وقدمت على السني من متمناك والمرضي من أملك، بمن الله وفضله.

وكتب إليهما الفقيه الحافظ أبو الفضل ابن عياض في ذلك: قد وقفت – أعزكما الله – على بدائعكما الغريبة، ومنازعكما البعيدة القريبة، ورأيت ترقيكما من الزهر إلى الزهر، وتنقلكما من الدراري بعد الدر، فأبحتما حمى النجوم، وقذفتماها من ثواقب افهامكما بالرجوم، وتركتماها بعد الطلاقة ذات وجوم، فحللتما بسيطها غارة شعواء، لها عوت أكلب العواء، هناك افترست الفوارس، ولم تغن عن السماك الداعس، وغودرت النثرة نثارا، وأغشى لألأوها نقعا مثارا، كأن لكما عندها ثأرا، وأشعرت الشعريان ذعرا، وقطعت إحداهما أواصر الأخرى، فأخذت بالحزم منها العبور، وبدرت خيلكما وسيلكما بالعبور، وحذرت اللحاق عن أن تعوق، عن منحنى العيوق. فخلفت أختها تندب الوفاء، وتجهد جهدها في الاختفاء، وكأن الثريا حين ثر تم بقطينها، اتقتكم بيمينها، فجذذتم بناتها، وبذلتم للخضيب أماناً، فعندها استسهل سهيل الفرار، فأبعد بيمينه القرار، وولى الدبران إثره مدبرا، فذكر البعاد فوقف متحيرا، وعادت العوائد بعراقها وشامها، وألقت الجوزاء الأمان بنطاقها

ونظامها، فمهلا أعزكما الله سكنا الدهماء، فقد ذعرتما حتى نجوم السماء، فغادرتماها بين برق وفرق، وغرق أو حرق، فزحزحا في مجدكما قليلا، واجعلا بعدكما للناس إلى البيان سبيلا، فقد أخذتما بآفاق المعالي والبدائع، لكما قمراها والنجوم الطوالع.

فكتب أبو محمد ابن القاسم إليه مراجعا عنها:." (١)

"ورب فتى تراع الأسد منه ... يقنص قلبه الرشأ المروع

وقوله:

لهواك في قلبي كريقك في فمي ... غيري يقول: الحب مر المطعم

فأدر علي بمقلتيك كؤوسه ... حتى يدب خماره في أعظمي

إن التلذذ في هواك تلذذ ... لو كان أقتل من ذعاف الأرقم

أحبب بحب لا يثير ملامة ... ملئت بمؤلمه عيون اللوم

شغل النواظر والقلوب ولم يدع ... من لم يسمه من الأنام بميسم

ومن العجائب شغل شيء واحد ... في الحال أمكنه ولم يتقسم

وأقام أزمنة وليس بجوهر ... وجرى وليس بمائع مجرى الدم

يا أيها القمر الذي إنسانه ... يرمي أناسا للعيون بأسهم

لم أبد حبك غير أن جوانحي ... فاضت به فيض الإناء المفعم

لا ذنب لي، علم الذي أسرته ... نظرا ولم أرمق ولم أتكلم

وأمرت بالشكوى إليك وإنما ... ينمي إلى الإنسان ما لم يعلم

ولربما لم تشكني فأماتني ... يأسي فذرني تحت أمر مبهم

وتلافني قبل التلاف فإنني ... من حمير وسيأخذونك في دمي

الطاع‌ن‌ين بكل أسمر داعس ... والضاربين بكل أبيض مخذم

والواردين الصادرين إذا الوغى ... لفحت بجمرتها وجوه الحوم

ولعلهم تسمو بهم هماتهم ... أن يدركوا في الظبي ثأر الضيغم

وزاره نفر من إخوانه فقال فيهم عند تلقيهم بإحسانه:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣/٩٠

أهلا وسهلا بكم من سادة نجب ... كالذبل السمر أو كالأنجم الشهب
أجملتم وتفضلتم بزورتكم ... وليس ينكر فضل من ذوي الحسب
أضاء منزلنا من نور أوجهكم ... وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

الأديب أبو جعفر الأعمى التطيلي

وصفه بالفهم الفائض، والذهن الدراك لخفيات الغوامض، والبصيرة بأسرار المعاني بعين الإطلاع، والفكرة المستخرجة من معادن الفوائد فرائد الجواهر بيد الاضطلاع. إن فقد المرئيات لفقد ناظره، فقد أبصر مغيبات النكت بناظر خاطره، لم يفز حيا نجحه بالهطول، ولم تعز حياته بالطول، وقد أثبت له كل ما يعجب ويطرب، ويحظى به المستحلي له المستعذب. فمن ذلك قصيدة رثى بها بعض أعيان إشبيلية وقد اغتيل، ولم ير بعده إلا على عويله التعويل، فإنه كان له مفتقدا، وفي فضله معتقدا، وهي من سياراته التي بها الآفاق طنت، وارتاحت أسماع الرفاق إليها وحنت:

خذا حدثاني عن فل وفلان ... لعل يرى باق على الحدثان
وعن دول جسن الديار وأهلها ... فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن خرمي مصر الغداة أمتعا ... بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن نخلتي حلوان كيف تناءتا ... ولم تطويا كشحا على شنآن
وطال ثواء الفرقدي بغبطة ... أما علما أن سوف يفترقان
وزايل بين الشعريين تصرف ... من الدهر لا وان ولا متوان
وإن تذهب الشعرى العبور لشأنها ... فإن الغظميضا في بقية شان
وجن سهيل بالثريا جنونه ... ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور القضاء وعدله ... شآمية ألوت بدين يمان
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة ... على طمع خلاة للدبران
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة ... بيوم ثناء غال كل تداني
وكانا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك واللوى ... وما كان في أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها أسى ... يهيجه قبر بكل مكان

ومال على عبس وذبيان ميلة ... فأودى بمجني عليه وجان

فعوجا على جفر الهباءة عوجة ... لضيعة أعلاق هناك ثماني." (١)

"يا وانيا يأسى على ما فاته ... إن الونى طرف من التضييع

ومداجيا تخذ الخديعة جنة ... ألا أنفت لرأيك المخدوع

دافع بعزمك أبو بجهدك إنها ... عزمات حكم ليس بالمدفوع

وانظر بعينك أو بقلبك هل ترى ... إلا صريعا أو مثال صريع

أبني عبيد الله أين سراتكم ... من عاثر بعنانه المخلوع

دهر كأن صروفه قد جمعت ... من نثر منتظم وشت جميع

يهن البقيع وليته لم يهنه ... قبر غدا شرفا بكل بقيع

ومنها:

وإذا عجبت من الزمان بحادث ... فلتابع يبكي على متبوع

وإذا اعتبرت العمر فهو ظلامة ... والموت منها موضع التوقيع

وله في المعنى:

السوم حين لففت المجد في كفن ... نفسي الفداء على أن لات حين فدا

يا حسرة ملأت بين الضلوع جوى ... ما ضر لاعجها أن لا يكون ردى

في ذمة الله قبر ما مررت به ... إلا اختبلت أسى أن لم أمت كمدا

أودى الزمان وكيف اسطاعه بفتى ... قد طال ما راح في أتباعه وغدا

ملء القلوب جلالا والعيون سنا ... والحرب بأسا وأكناف الندي ندى

من لا يقدم في غير العلى قدما ... ولا يمد لغير المكرمات يدا

كأنه كان ثأرا بات يطلبه ... حتى رآه فلم يعدل به أحدا

يا يوم منعي عبيد الله أي جوي ... بين الجوانح يأبى أن يجيب ندا

وأي غرب مصاب لا يكفكفه ... دمعي الهتون ولا أنفاسي الصعدا

ولا البلابل من مثنى وواحدة ... باتت تسل سيوفا أو تسن مدى

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٢١/٣

ولا الهموم وقد أعيت طوارقها ... كأنما بتن لي أو للدجى رصدا
قل للدجى وقد التفت غياهبها ... فلو تصوب فيها الماء ما اطردا
إن الشهاب الذي كنا نجوب به ... أجوازها قد خبا في الترب أو خمدا
لهفي ولهف المعالي جار بي وبها ... صرف الردى وأرانا أية قصدا
يا صاحبي ولا يحبسكما ظمأ ... طال الحيام وهذي أدمعي فردا
وحدثاني عن العليا وقد رزئت ... مسنونها اللدن أو مصقولها الفردا
واه لها وترته ثم قد علمت ... أن لا تنال به عقلا ولا قودا
هل نافع والأماني كلها خدع ... قولي له اليوم: لا تبعد وقد بعدا
وهل تذمم هذا الرزء من قلق ... قام المصاب به أضعاف ما قعدا
أما ويوم عبيد الله وهو أسى ... لقد تخير منا الموت وانتقدا
يا ماجدا أنجز العلياء موعده ... اليوم أنجز فيك الموت ما وعدا
إن الفؤاد الذي ما زلت تعمره ... قد ريع بعدك حتى صار مفتأدا
سل المنايا على علم وتجربة ... في أي شيء بغى الإنسان أو حسد
تنافس الناس في الدنيا وقد علموا ... أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
تبادروها وقد آدتهم فشلا ... وكاثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد ... لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا
ولا الذي همه البنيان يرفعه ... إن الردى لم يغادر في الشرى أسدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه ... يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا
وله يتغزل:
بحياة عصياني عليك عواذلي ... إن كانت القربات مما تنفع
هل تذكرين لياليا بتنا بها ... لا أنت باخلة ولا أنا أقنع
وله:
هو الهوى وقديما كنت أحذره ... والسقم مورده والموت مصدره

يا لوعة رجلا من نظرة أمل ... الآن أعرف رشدا كنت أنكره

جد من الشوق كان الهزل أوله ... أقل شيء إذا فكرت أكثره." (١)

"ألم تعلموا أني تخاف عرامتي ... وأن قناتي لا تلين على القسر

أناة وحلما وانتظارا بكم غدا ... فما أنا بالواني، ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر والجهل منكم ... ستحملكم مني على مركب وعر

وقال يزيد بن مفرغ:

لا ذعرت السوام في غلس الصب ... ح مغبرا، ولا دعيت يزيدا

يوم أعطي على المخافة ضيما ... والمنايا يرصدنني أن أحيدا

وقال آخر:

طعنت ابن دهمان بنجران طعنة ... شققت بها عنه مضاعفة السرد

فلا الكف أوهت بي ولا الرمح خانني ... ولا الأدهم المنعوت جار عن القصد

وقال بشار بن برد:

ونبئت قوما بهم جنة ... يقولون: من ذا، وكنت العلم

ألا أيها السائلي جاهلا ... ليعرفني أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بني عامر ... فروعي وأصلي قريش العجم

وإني لأغني مقام الفتى ... وأصبي الفتاة فما تعتصم

وق ال دريد بن الصمة:

قد علم القوم إني من سراتهم ... إذا تقبص في البطن المذاكير

وقد أروع سوام الحي ضاحية ... بالجرد يركضها الشعث المغاوير

يحملن كل هجان صارم ذكر ... وتحتهم شزب قب مضامير

أوعدتم إبلي كلا سيمنعها ... بنو غزية لا ميل ولا صور

وقال أيضا:

أعاذل إنما أفنى شبابي ... ركوبي في الصريخ إلى المنادي

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٢٣/٣

مع الفتيان حتى كل جسمي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد
أعاذل إنه مال طريف ... أحب إلي من مال تلاد
أعاذل عدتي بدني ورمحي ... وكل مقلص شكس القياد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي ... ويفنى قبل زاد القوم زادي
وقال حارثة بن بدر الغداني:
ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ ... إذا هم أمرا عوقته عواذله
فما كل ما حاولته الموت دونه ... ولا دونه أرصاده وحبائله
وقل لفؤاد إن نزا بك نزوة ... من الروع: أفرخ، أكثر الروع باطله
وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:
أواخي رجالا لست مطلع بعضهم ... على سر بعض إن صدري واسعه
تلاقت حيازيمي على قلب حازم ... كتوم لما ضمت عليه أضالعه
بنى لي عبد الله في ذروة العلا ... وعتبة مجدا لا تنال مصانعه
وقال أبو صخر الهذلي:
قتلنا عبيدا والذي يكتنى الكنى ... أبا حمزة الغاوي المضل اليمانيا
وأبرهة الكندي خاضت رماحنا ... وبلجا منحناه السيوف القواضيا
وما تركت أسيافنا منذ جردت ... لمروان جبارا على الأرض عاتيا
وقال معتق السدوسي:
ليت الحرائر بالعراق شهدننا ... ورأيننا بالسفح ذي الأجبال
فنكحن أهل الجد من فرساننا ... والضاربين جماجم الأبطال
وقال قيس بن فهدان الكندي:
لقد علمت عك بصفين أننا ... إذا ما نلاقي الخيل نطعنها شزرا
ونحمل رايات القتال بحقها ... فنورد بيضا، ونصدرها حمرا
وقال زيد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام:
السيف يعرف عزمي عند هزته ... والرمح بي خبير، والله لي وزر

إنا لنأمل ما كانت أوائلنا ... من قبل تأمله، إن ساعد القدر

وقال آخر:

إذا تحازرت وما بي من خزر ... ثم كسرت العين من غير عور

ألفيتني ألوى بعيد المستمر ... أحمل ما حملت من خير وشر كالحية الصماء في أصل الشجر

وقال آخر:

أريني سلاحي لا أبا لك إنني ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

أتذهب كلب لم تنله رماحنا ... وتترك قتلى راهط هي ما هيا

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لحسان صدعا بيننا متنائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتثأر من نسوان كلب نسائيا

وقال آخر:." (١)

"ولم تكن العرب تعد المال في الجاهلية إلا الخيل والإبل، وكان للخيل عندها مزية على الإبل، فلم تكن تعدل بها غيرها، ولا ترى القوة والعز والمنعة بسواها، لأن بها كانوا يدافعوا عن غيرها مما يملكون، ويمنعون حريمهم، ويحمون من وراء حوزتهم وبيضتهم، ويغاورون أعداءهم ويطلبون ثأرهم، وينالون بها المغانم، فكان حبهم لها، وعظم موقعها عندهم، على حسب حاجتهم إليها، وغنائهم عنها، وما يتعرفون من بركتها ويمنها؛ إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأكرم أمته بما هداهم له من دينه، وأمتن عليهم به منه، فاختار لنبيه عليه الصلاة والسلام إعداد الخيل وارتباطها لجهاد عدوه؛ فقال سبحانه:)وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم(. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية:)وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم(قال: الجن؛ ولن يخيل الشيطان إلى إنسان في داره فرس عتيق.

فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل وارتبطها وأحبها، وحض المسلمين على ارتباطها، وأعلمهم ما لهم في ذلك من المثوبة والأجر، فسارعوا إلى ذلك وازدادوا حرصا عليها وفي إمساكها، رغبة في الأجر والتماس البركة والخير في العاجل والآجل، في اقتنائها وتثميرها واستبطانها، وتنافسوا فيها، وغالوا، لما جعل الله فيها من أنواع البركات وجماع الخيرات.

(١) حماسة القرشي، ص/٤

قيل: ومن فضائل الخيل أنها أصبر البهائم وأشدها شدة، وأخف الدواب كلها مئوية في العلف والمشرب عند ضيق الأمر في ذلك، إذ كان يكفيها في السرايا والمفاوز والأسفار القليل منه، ثم قسنا عليها في شدتها: فوجدنا أشد البهائم وأقواها على الأحمال الثقال الإبل، فأصبنا البعير البازل الشديد أكثر ما يحمل ألف رطل، فإذا حمل هذا المقدار لم ينهض إلا بعد الجهد والحيلة، ورأيناه لا يجري بحمله؛ وكذلك سائر البهائم التي توصف بالشدة لا تجري بأحمالها. ووجدنا ما يوصف من الوحش بشدة العدو لو حمل ثقيلا لم يؤد عشر جريه؛ فوقفنا على أن الفرس يحمل من فارسه وآلته وسلاحه وتجفافه وزاده وعلفه، وعلم إن كان في يد صاحبه في يوم ريح، زهاء ألف رطل، ويجري به يوما جريدا لا يكاد يمل ولا يخوى بجوع ولا عطش؛ فعلمنا أنه لا شيء من البهائم أشد ولا أصبر ولا أجود ولا أفضل ولا أكرم ولا أقوى من الخيل.

وأنزل الله عز وجل في ارتباط والاتفاق عليها آيتين من القران العظيم، قوله تعالى:)من ذا الذي يقرض الله قرضنا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة(، وقوله سبحانه:)الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(. قال أبو أمامة، وأبو الدرداء، ومكحول، والأوزاعي، ورباح ابن يزيد: هم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله.

وعن ابن عباس:)الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية(: قال: نزلت في علف الخيل.

وروى أن أبا ذر أشار إلى بعض خيل كانت في الجبانة وقال: أصحاب هؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية وكان أبو هريرة إذا مر بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مر بفرس أعجف سكت.

الباب الثالث

حفظ الخيل

وصونها والوصية بها

أعلم أن الأمم الماضية لم تزل تكثر من الاعتناء بالخيل والتشريف لها، والثقة بها، والتعويل عليها في حروبها، والافتخار بربطها؛ وإن كانت العرب زادت في فضلها ومزيتها ما فاتوا به الأمم، فلم تكن في الجاهلية ولا في الإسلام تصون شيئا من أموالها كصيانتها ولا تكرمه ككرامتها، لما كان لهم فيها من التباهي والتفاخر، والتنافس والتكاثر، والقوة والمنعة، والعز والرفعة.." (١)

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص/٦

"وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرغب العرب في الخيل وأصونهم لها، وأشدهم إكراما وعجبا بها، حتى إنه كان ليأنس بصهيلها، ويفضلها على الرجال فيما يسهمه لها ويراهن عليها، وينهي عن استنتاج كرائمها من حمار أو هجين لا يشبه أصله أصولها، غيرة منه عليها، وإشفاقا من فساد أنسالها، وقد كان عليه الصلاة والسلام وصي بها، وعوتب على اشتغاله في وقت من الأوقات عن تفقدها. جاء عن إسماعيل بن رافع:)إن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ذات يوم فقام إلى فرسه فمسح عنقه ووجهه بطرف ردائه أو بكم قميصه، فقيل له: يا رسول الله! صنعت اليوم ما نراك صنعته؟ فقال: إني بت الليلة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل(.

وعن عائشة رضي الله عنها:)إنها خرجت ذات غداة، والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح فرسه بثوبه، فقالت: يا رسول الله! بثوبك؟ فقال: ما يدريك؟ لعل جبريل قد عاتبني فيه الليلة؛ قالت: فولني علفه، فقال لها: لقد أردت أن تذهبي بالأجر كله! أخبرني أن ربي يكتب لي بكل حبة حسنة(.

قيل:)وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة)تبوك(إذ قام إلى فرسه الظرب فعلق عليه شعره، وجعل يمسح ظهره بردائه، فقيل: يا رسول الله! أتسمح ظهره بردائك؟ قال: نعم، وما يدريكم؟ لعل جبريل أمرني بذلك، مع أني قد بت الليلة وأن الملائكة تعاتبني في حس الخيل ومسحها، وقال: أخبرني خليلي جبريل أنه يكتب لي بكل حبة أوفيتها إياه حسنه، وأن ربي يحط عني بها سيئة؛ وما من امرئ من المسلمين يرتبط فرسا في سبيل الله فيوفيه عليقه يلتمس له قوة إلا كتب الله له بكل حبة حسنة، وحط عنه بها سيئة(.

وعن محمد بن عقبة عن أبيه عن جده قال: أتينا تميما الداري وهو يعالج عليق فرسه بيده، فقلنا له: يا أبا رقية! أما لك من يكفيك هذا؟ قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:)من ارتبط فرسا في سبيل الله فعالج عليقه بيده كان له بكل حبة حسنة(.

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:)من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله، وإن أهانه أهانه الله(.

وعن مجاهد قال:)أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسانا ضرب فرسه، فقال: هذه مع تلك؟ لتمسك النار، فكلم فيه، فقال: لا: إلا أن يقاتل في سبيل الله؛ فجعل الرجل يحمل عليه ويقول: أشهدوا! أشهدوا!(.

وكانت العرب لقدر الخيل عندها وإعزازها إياها تقتص من لطمه الفرس وتعير بذلك، وتطلب **الثأر** فيه كما تطلبه في أنفسها؛ ولا تلطم بلطمة البعير؛ ذكر ذلك حماد الراوية عن سماك بن حرب، قال الجراح الهمداني في

ذلك:

ونهدة يلطم الجاني بلطمتها ... كأنها ظل برد بين أرماح

ونهى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ركض الخيل إلا في حق. وعن الوضين بن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها(. وقال صلى الله عليه وسلم:)ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأعجازها، أو قال: أكفالها، وقلدوها، ولا تقلدوها الأوتار(. وكانوا يقلدون الخيل أوتار القسى لئلا تصيبها العين، فنهاهم عليه السلام عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من قضاء الله شيئا. وقيل نهاهم عن ذلك خوفا على الخيل من الاختناق. وقيل الأوتار الذحول، وهي الدماء: أي لا تطلبوا عليها الذحول التي وترتم بها في الجاهلية. والقول الأول أصح.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:)لا تهلبوا أذناب الخيل، ولا تجزوا أعرفها ونواصيها، ودفاؤها في أعرافها، وأذنابها مذابها(.

وقال صلى الله عليه وسلم:)لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فأن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجاتكم(.

وقال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)أكرموا الخيل وجللوها(.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن خصاء الخيل.." (١)

"و)العطاس(فرس عبد الله بن عبد المدن. و)العصا(فرس جذيمة ابن مالك الأزدي، ملك الحيرة في أول الزمان، قبل بني المنذر بدهر، وهو جذيمة الأبرش الذي قتلته الزباء، ونجا قصير على فرسه)العصا(فأخذ بثأره بعد ذلك، وقتل الزباء في حديث طويل.

و)الضبيب(فرس حسان بن حنظلة الكندي؛ وكان شهد مع كسرى يوم النهروان، ويوم التقى كسرى وبهرام، فهزم كسرى، فخرج هاربا وأدركه حسان بن حنظلة، وقد قام بكسرى برذونه، فنزل حسان عن فرسه الضبيب، فركبه كسرى ونجا، فقال حسان في ذلك:

تلافيت كسرى أن يضام ولم أكن ... لأتركه في الخيل يعثر راجلا

بذلت له صدر الضبيب وقد بدت ... مسومة من خيل ترك وكابلا

ثم ظهر كسرى فقتل بهرام، فاما استقر به ملكه أتاه حسان بن حنظلة، فأقام ببابه لا يصل إليه، فلما طال

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص/٧

به الأمر أتى الحاجب فقال: إنك قد أطلت حجابي، وأنا أعظم الناس يدا عند كسرى، فأعلمه مكاني، فأعلمه مكانه، فإذن له فقال: من أنت؟ وما يدك هذه؟ قال: أنا الذي حملتك على فرسي يوم النهروان، وقد قام بن برذونك! قال كسرى: أف لك! لقد ذكرتني أخبث يوم مر بي قط! أخرجوا هذا الكلب! فأخرجوه.. حتى إذا تجلت عن كسرى الهموم ندم واستحى، فأكرمه وأحسن جائزته، وأقطعه)طسوج(، وهي من الكوفة على فراسخ.

و)البريت(فرس ابن قبيصة الطائي.)حومل(فرس حارثة بن أنس. بن الحارث. و)اليحموم(فرس النعمان بن المنذر ملك العرب، وكان)اليحموم(من رباط غطفان. و)القريط(و)نحلة(و)شاهر(أفراس لكندة(.

و)خصاف(فرس مالك بن عمرو ابن المنذر بن الحارث بن مارية ذات القرطين المعلقين بالكعبة.

وكان مالك بن عمرو جبانا فأذاق إذا شهد الحرب كان منها مدى النبل، إذ جاءه سهم يوما، فوقع عند يد فرسه، فقال: إن كاد هذا السهم أن يصيبني، فاهتز السهم وكثر اهتزازه وهو ينظر إليه، فنزل فحفر عنه، فإذا السهم قد أصاب يربوعا في نفقه. فلم يخطئ جمجمته فقتله. فركب مالك بن عمرو، فقال)ما المرء في شيء ولا اليربوع(. فذهبت مثلا. ثم قال: أراني أفر بأجلي، وقد دخل السهم على اليربوع حين وفى أجله، ولم يغن عنه شيئا تحرزه، ما أموت ولا أقتل إلا بأجلي، فحمل فخرق الصف مقبلا ومدبرا، فكان بعد ذلك من اشد قومه. فقال في ذلك شاعر من غسان:

إذا وجه الدهر السهام إلى امرئ ... أصاب ولا يشوي ويمم قاصدا

ورب خصاف قد أفاتت سهامه ... وأي امرئ يبقى على الدهر خالدا

و)الضبيح(فرس خوات بن جبير الأنصاري. و)الورهاء(فرس فتادة الكندي. و)كنزة(فرس المنذر بن شماس الجذامي. و)اليسير(فرس أبي النضير السعدي. و)الهداج(فرس الريب ابن الشريق السعدي. و)الجون(فرس الحارث بن أبي شمر الغساني. قال فيه علقمة حين أسر أخاه شأسا قصدته التي أولها: طحا بك قلب في الحسان طروب يقول فيها بعد:

فأقسم لولا فارس الجون منهم ... لآبوا خزايا، والإياب حبيب

تقدمه حتى تغيب حجوله ... وأنت لبيض الدراعين ضروب

و)العارم(فرس المنذر بن الأعلم الخولاني. و)العرن(فرس عمير بن جبل البجلي. و)نصاب(فرس الأحوص بن ثعلبة الكلبي. وابنتها)وريعة(وهبها الأحوص لمالك بن نويرة. و)موكل(و)القراع(فرسا ربيعة بن غزالة

اليشكري. و)الغزالة(فرس محلم ابن الأرقم. و)صعدة(فرس ذؤيب بن هلال الخزاعي.

و)النعامة(فرس قراص الأزدي. و)ذو الريش(فرس السمح ابن هند الخولاني، و)الطيار(فرس أبي ريسان الخولاني. و)الجناح(فرس محمد بن مسلمة الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. و)المعلي(فرس الأسعر بن)أبي(حمران الجعفي. و)بهرام(فرس النعمان)بن عقبة(العتكي. و)صهبي(فرس النمر بن تولب العكلي. وفيها يقول:

أتذهب باطلا عدوات صهبي ... وركض الخيل تختلج اختلاجا؟." (١)

" ٨٠ – قولهم إلادة فلادة

فسر على وجوه فقال بعضهم يضرب مثلا للرجل يطلب شيئا فإذا منعه طلب غيره

وقال الأصمعي لا أدري ما أصله وقال غيره أصله ان بعض الكهان تنافر اليه رجلان فامتحناه فقالا له في أي شيء جئناك قال في كذا قالا لا فأعاد النظر وقال إلادة فلادة أي إن لم يكن هذا فليس غيره ثم أخبرهما وقال آخرون معناه إن لم يكن ذلك الان لم يكن أبدا يغريه به وأنشد قول رؤبة

(وقول إلادة فلادة ...)

أي إن لم يكن هذا الآن لم يكن بعد

وقال الخليل يقال إن قول رؤبة (إلادة فلادة) فارسي حكى صوت ظئره وكانت العرب تقول إذا رأى الرجل ثأره إلا ده فلا ده أي إن لم تثأر فلا تثأر أبدا

٨١ – قولهم اسق أخاك النمري

يضرب مثلا لكل من طلب الشيء مرارا

وأصله ان كعب بن مامة الإيادي خرج في ركب في حمارة القيظ فلما كانوا بالدهناء عطشوا فجعلوا يقسمون الماء على الحصاة فشرب القوم حصصهم فلما بلغ الشرب كعبا ." (٢)

" رغاء حوارها سكنت

ويروى هذا المثل على وجه آخر وهو (حرك لها حوارها تحن) ومعناه ان تذكر الرجل بعض أشجانه فيهتاج

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص/٣٧

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ١/٩٤

والمثل لمعاوية رضي الله عنه أخبرنا أبو القاسم عن القعدي عن أبي جعفر عن المدائني قال كتب معاوية إلى علي رضي الله عنه كتابا في تسليمه قتلة عثمان رضي الله عنه إليه ليبايعه على الخلافة وأنفذه مع أبي مسلم الخولاني فلما قرأ علي الكتاب قال من حوله كلنا قتلنا عثمان فقال أبو مسلم أرى قوما ليس لك معهم امر ولو أردت دفعهم الينا لمنعوك فورد على معاوية وقال إن القوم قد أقروا بقتل ابن عمك فاطلب بثأرك فصعد المنبر ودعا بقميص عثمان فنشره فبكى الناس فقال معاوية (حرك لها حوارها تحن) وبايعه القوم على الطلب بدم عثمان

فكتب الى علي رضي الله عنه (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم أدرج الكتاب وبعث به إليه مع رجل من بني عبس وعنوانه (من معاوية الى علي) ففك علي عليه السلام الكتاب فلم ير فيه شيئا فقال للرجل هل أمرك بتبليغ رسالة قال لا ولكن أخبرك أني خلفت بالشام خمسين ألفا قد أخضلت لحاهم تحت قميص عثمان قد رفعوه على الرماح وعاهدوا الله الا يكفوا حتى يموتوا او يقتلوا قتلته يتواصون بذلك ليلهم ونهارهم وتركوا (تعس الشيطان) ويقولون (تعس قاتل عثمان)

قال يريدون ماذا قال خيط رقبتك قال تربت يداك فقال صلة بن ." (١)

" فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد إقداما من الأسد وأوثب من الفهد وأحقد من جمل واروغ من ثعلب وأعذر من ذئب وأسخى من لافظة وأشح من ظبي وأجمع من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب

١٧٦ - قولهم اودى درم

قال أبو بكر يضرب مثلا للرجل يقتل ولا يطلب بثأره ودرم رجل من بني شيبان قتل ولم يثأر به

وقال غيره يراد به هلك الأمر وتفاوت

ودرم رجل بعث رائدا ففقد

وقال آخرون هو درم بن دب ابن مرة بن ذهل بن شيبان وكان النعمان يطلبه فظفر به أصحابه فأرادوا حمله إليه فمات في أيديهم فلما رآهم سألهم عنه فقالوا (اودى درم) أي هلك فذهبت مثلا في كل شيء يهلك ويذهب قال الأعشى

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ١/١٠٠

(ولم يود من أنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم)

وأصله من قولهم رجل أدرم وامرأة درماء إذا لم يكن لعظامه حجم والدرمان تقارب الخطو درم فهو دارم ". (١)

" ضيعه أهله) فسار مثلا

وورد قصير على عمرو بن عدي فلما رآه من بعيد قال (خير ما جاءت به العصا) فسار مثلا وأخبره الخبر وقال اطلب بثأرك

قال (كيف وهي امنع من عقاب الجو) فأرسلها مثلا

فقال قصير اما إذا أبيت فإني سأحتال (فدعني وخلاك ذم) فأرسلها مثلا

فعمد إلى أنفه فجدعه ثم أتى الزباء وقال أتهمني عمرو في مشورتي على خاله بإتيانك فجدعني فلم تقر نفسي عنده ولي بالعراق مال كثير فأرسليني بعلة التجارة حتى آتيك بطرائف العراق ففعلت فأطرفها فسرت وفعل ذلك مرارا وتلطف حتى عرف موضع الأنفاق ثم اتى عمرا وقال احمل الرجال في الصناديق على الإبل فلما داناها نظرت إلى العير تقبل فقالت إنها لتحمل صخرا وتطأ في وحل وأنشدت

(أرى الجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن ام حديدا)

(أم صرفانا تارزا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا)

فلما توسطوا المدينة خرجوا مستلئمين فشدوا عليها فهربت تريد النفق فاستقبلها قصير وعمرو فقتلاها وقيل بل كان لها خاتم فيه سم فمصته وقالت (بيدي لا بيد عمرو) فذهبت مثلا فقال المتلمس

(ومن حذر الأوتار ما حز انفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

وقال نهشل بن حري

(ومولى عصاني واستبد برأيه ... كما لم يطع بالبقتين قصير) ." (٢)

" الباب الرابع فيما جاء من الأمثال في أوله ثاء

فهرسته

ثأطة مدت بماء

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ١٦٧/١

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢٣٥/١

ثار حابلهم على نابلهم

الثور يضرب لما عافت البقر

الثيب عجالة الراكب

الثكل أرأمها

ثل عرشه

ثبت لبده

فهرست الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة الواقع في أصولها الثاء

أثقل من ثهلان

ومن تضاد

ومن عماية

ومن أحد

ومن حضن

ومن دمخ

أثقل من حمل الدهيم

أثقل من الزواقي

أثقل من الزاووق

أثقل من الزئبق

أثقل من الكانون

أثقل من النضار

أثقل من رحى البزر

ومن نصف رحى بزر

أثبت من قراد

أثبت من الوشم

أثبت في الدار من الجدار

أثقف من سنور

أثأر من قصير ." (١)

" ٤٣٢ - أثقف من سنور

وذلك انها إذا وثبت على الفأرة ولم تخطئها

ولفظ (السنور) مؤنث وإن أريد به الذكر ومنه الثقاف

٤٣٣ - أثأر من قصير

قد مر حديثه في الباب الثاني ." (٢)

" الذلة فأرسلها مثلا فلم يزل يطلب غرة بني مازن حتى سمع بأهل بيت منهم لهم عدد وثروة في غار فانطلق إلى خال له من أشجع يكنى أبا جشر فقال له إني دللت على غنيمة مع رجل ليس غيره فانطلق معه حتى أقحمه الغار فقال القوم إنه لبطل لإقدامه وهو واحد على جماعة فقال أبو جشر مكره أخوك لا بطل فأرسلها مثلا فقتل أهل ذلك البيت هو وخاله وفي ذلك يقول المتلمس

(ومن حذر الأوتار ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

وانصرف وهو يقول

(كيف رأيتم طلبي وصبري ... شفيت يا مازن حر صدري)

(أدركت ثأري ونفضت وترى ... كلا زعمتم أنني لا أفرى)

(إذا شالت الحرب غريم أمري ... السيف عزى والإله ظهري)

وقال في أبيات أخر

(الصبر أبقى في الإساء وأودع ... ما كل من حدثته مستمع)

(ما كل من يرجو الإياب يرجع ... والقدر المجلوب ليس يدفع)

(سيذكر التفريط من يضيع ... لا تشبع النفس إذا لا تقنع)

(لا يشبه النافع من لا ينفع ... غيري لسري إن أضعت أضيع)

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢٨٧/١

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢٩٦/١

(كل تراه في هواه يقطع ... بينا ترى الحي معا تصدعوا) ." (١)

" (سل ابن أثال هل ثأرت ابن خالد ... وهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله)

يقوله لعروة بن الزبير وقال كعب بن جعيل

(ألا تبكى وما ظلمت قريش ... بإعوال البكاء على فتاها)

(فلو سئلت دمشق وأرض حمص ... وبصرى من أباح لكم قراها)

(فسيف الله أدخلها المنايا ... وهدم حصنها وحمى حماها)

(وأسكنها معاوية بن حرب ... وكانت أرضه أرضا سواها)

والإقعاص القتل يقال ضربه فأقعصه إذا قتله مكانه

١٨٧٩ - قولهم لا تعظيني وتعظعظي

كذا جاء هذا المثل ومعناه لا توصيني وأوصى نفسك وتعظعظي قالوا معناه اتعظى

١٨٨٠ - قولهم لا يلسع المؤمن من جحر مرتين

المثل للنبي أخبرنا أبو أحمد قال حدثنا عبد الله ." (٢)

" أخى فعزم على قتل سماك فقال حين قدم للقتل

(فأقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حية راصدة)

فقتل وخلى مالك فانصرف إلى أهله فلبث زمانا ثم إن ركبا مروا وأحدهم يغنى

(فأقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حية راصده)

فسمعته أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج في الطلب بأخيك فخرج فلقى قاتل أخيه يسير في نفر من قومه فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه فقالوا له لك مائة من الإبل وكف فقال لا أطلب أثرا بعد عين وحمل عليه فقتله أي لاألتمس الإبل وهي غائبة عنى وأترك ثأرى وهو نصب عيني وقال الطائى في معنى هذا المثل

(قالوا أتبكى على رسم فقلت لهم ... من فاته العين هدى شوقه الأثر)

١٨٨٣ - قولهم لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢/٢١٣

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢/٣٨٦

يضرب مثلا للتبرى من الأمر يقوله الرجل يعظ القوم فلا ينتهون ." (١)

" للحريص الذي يريد الشيء كله لنفسه قال الشاعر

(إذا ما كنت في قوم شهاى ... فلا تجعل شمالك جردبانا)

ومن أمثالهم في نحو هذاالمثل قولهم أراد أن يأكل بيدين

١٨٨٩ - قولهم لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقبت

يضرب مثلا لطالب الشيء باضاعة غيره حتى يفوتاه جميعا

وأصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته وكانت عاركا فحضر طهرها ومعه ماء يسير فقيل لها أحري الاغتسال إلى وقت ورود الماء فأبت واغتسلت بالماء الذي كان معها فبقيت هي وزوجها عطشانين من غير أن تبلغ حاجتها من الطهر وقريب منه قولهم

١٨٩٠ - قولهم لا أبوك نشر ولا التراب نفد

وأصله أن رجلا قال لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسى فقيل له ذلك

والمعنى أنك لم تدرك بثأر أبيك ولو اقتصرت من الطلب بثأره على وضع التراب على رأسك وجدت التراب حاضرا بكل مكان غير نافد والنافد الفانى

يضرب مثلا لتكلف الإنسان الشيء لا جدوى له ." (٢)

" ١٩٦٣ - قولهم اليوم خمر وغدا أمر

معناه اليوم استرسال ولهو وغدا الجد والتشمير

والمثل لهمام ابن مرة وقد ذكرنا حديثه في الباب الأول

وقيل إنه لامرئ القيس ابن حجر قاله حين أراد الايقاع ببنى أسد لقتلهم أباه ومن حديثه أن قباذ ملك الحارث بن عمرو بن حجر على العرب لك ابنه حجرا على بنى أسد وكنانة وملك ابنه شرحبيلا على بنى تميم فلما هلك قباذ وولى أنو شروان ملك عليهم المنذر بن ماء السماء فلما أقبل المنذر هرب الحارث وانبعته خيل المنذر ففاتهم وأدركوا ابنه عمرا فقتلوه وبلغ الحارث مسحلان فقتلته كلب فتشتت ولده واختلفوا فتنكرت بنو

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢/٣٩٠

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢/٣٩٣

أسد لحجر فخافهم فرحل إلى قومه ثم بدا له الرجوع إليهم فأقبل نحوهم مدلابنفسه وبجنده فلما قرب منهم تدامرت بنو أسد وقالوا والله لئن تمكن منكم ليتحكمن عليكم تحكم الصبى فساروا إليه فاقتتلوا وكان العلباء رئيسهم فتقدم فطعن حجرا فقتله وانهزمت كندة وهرب امرؤ القيس فأعجزهم فلحق بذى جدن فاستمده فبعث معه جيشا فسار إلى بنى أسد فارتحلوا عن منزلهم وبقى فيهم ناس من بنى كندة لا يعلمون مسير امرئ القيس فجاء حتى أوقع بهم فقالوا يا لثارات الهمام فقالوا لسنا بثأرك فكف بعد أن قتل منهم فندم فقال

(ألا يا لهف نفسى إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا)

(وقاهم جدهم ببنى أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب) ." (١)

" ولما جيء بالهر مزان ملك خوزستان أسيرا إلى عمر رضى الله عنه وافق ذلك غيبته عن منزلة فما زال الموكل بالهرمزان يقتفى أثر عمر حتى عثر عليه فى بعض المساجد نائما متوسدا درته فلما رآه الهرمزان قال هذا والله الملك الهنيء عدلت فأمنت فنمت والله إنى قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحد منهم هيبتى لصاحب هذه الدرة

١٢٣ - (قميص عثمان) هو قميصه المضرج بالدم الذى قتل فيه يضرب به المثل للشيء يكون سببا للتحريش وذلك أن عمرو بن العاص رضى الله عنه لما أحس من عسكر معاوية بصفين فتورا فى المحاربة أشار عليه بأن يبرز لهم قميص عثمان ليستأنفوا جدا جديدا فى الانتقاض والمنازعة ففعل ذلك معاوية فحين وقعت أعين القوم على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنحيب وتحرك منهم الساكن وثار من حقودهم الكامن فعندها قال عمرو حرك لها حوارها تحن

وعلى ذكر هذا القميص فإن المتوكل لما قتله الأتراك بمواطأة المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد المنتصر والمستعين إلى المعتز لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه وتلومه على ميله لهم دون طلب الثأر منهم وكان المعتز يعدها ويمنيها وهو يعلم أنه لا يقوى عليهم مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم وغلبتهم على أمور الخلافة فأبرزت قبيحة يوما للمعتز قميص المتوكل الذى قتل فيه وهو مضرج بالدم وجعلت تبكى وتبالغ فى التقريع والتحريض كل المبالغة فلما طال ذلك منها قال لها المعتز يا أمى ارفعى القميص وإلا صار قميصين فعندها أمسكت ولم تعد لعادتها ." (٢)

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٤٣١/٢

(٢) ثمار القلوب، ص/٨٦

" (فقلت ذا التيس من هو ... فقال قاضى شلمبة)

٣١٠ – (سحرة الهند) يضرب بهم المثل لأن للهند السحر والرقى والتدخين والحساب والشطرنج وخرط التماثيل كما أن للعرب البيان والشعر والفروسية والقيافة وللروم الطب والتنجيم والقرسطون واللحون والتصاوير والبناء وللفرس السياسة والإمارة واستعمال علوم الأمم

٣١١ – (شيخ العراق) كان يقال ذلك بالإطلاق للمهلب بن أبى صفرة ولما وفد عليه زياد الأعجم وهو يقاتل الأزارقة بتوج أكرمه وانزله على حبيب ابنه وقال له احسن قراه فجلسا يوما يشربان فى بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال حبيب أنها فاقدة إلف كنت أراه معها فقال زياد هو أشد لشوقها وأنشأ يقول

(تغنى أنت فى ذممى وعهدى ... وذمة والدى إلا تضارى)

(فإنك كلما غردت صوتا ... ذكرت أحبتى وذكرت دارى)

(فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك يا حمامة فى جوارى)

فضحك حبيب ودعا بقوس بندق ورماها ببندقة فسقطت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال اخفرت يا حبيب ذمتى فقتلت جارتى وسار إلى المهلب وشكاه إليه فغضب له وقال لحبيب أما علمت أن جار أبى أمامة جارى وأن ذمته ذمتى والله لألزمنك دية الحر والعبد فأخذ من ماله ألف دينار ودفعها إلى زياد فقال من قصيدة له

(فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لى بها شيخ العراق المهلب)

(قضى ألف دينار لجار اجرته ... من الطير إذ يبكى شجاه ويندب) ." (١)

" وقال غير الأصمعى هى بنت ربيعة بن بدر

٤٧٠ – (قوة الزباء) هى امرأة من العماليق وأمها من الروم ملكت الجزيرة وعظم شأنها فكانت تغزو بالجيوش وهى التى غزت ماردا والأبلق وهما حصنان فى نهاية الوثاقة فاستصعبا عليها فقالت تمرد مارد وعز الأبلق فذهبت مثلا وهى التى فتكت بجذيمة الأبرش حتى أخذ ثأره منها قصير وقتلها والقصة معروفة سائرة

٤٧١ – (يوم حليمة) هو من أشهر أيام العرب ولذلك قيل ما يوم حليمة بسر وفيه يقول النابغة

(تخيرن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب)

---

(١) ثمار القلوب، ص/٢٣٧

وحليمة بنت الحارث بن ابى شمر وإنما نسب اليوم إليها لأن أباها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فحضرت حليمة المعركة محرضة لعسكر أبيها على القتال واخرجت لهم طيبا فى مركن تطيبهم به ويزعم العرب ان الغبار ارتفع فى ذلك اليوم حتى غطى عين الشمس فظهرت الكواكب فسار المثل بذلك وقيل لأرينك الكواكب ظهرا كما قال طرفة

(إن تنوله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجرى بالظهر)

٤٧٢ - (نكاح أم خارجة) يضرب به المثل فى السرعة فيقال ." (١)

" (أصبحت لا تعرف الجميل ولا ... تفرق بين القبيح والحسن)

(إن الذى يرتجى نداك كمن ... يحلب تيسا من شهوة اللبن)

وقال البحترى

(أيا صالحا لا يجزك الله صالحا ... فإنك مثل التيس أخفق حالبه)

٥٨٦ - (ضرطة عنز) يضرب مثلا لما يهون من الأمور ولما قتل ابن جرموز الزبير بن العوام وجاء برأسه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال له أبشر بالنار فإنى سمعت رسول الله يقول (بشروا قاتل ابن صفية بالنار) \ ح \ فانصرف ابن جرموز وهو يقول

(أتيت عليا برأس الزبير ... وكنت أرجى به الزلفة)

(فبشرت بالنار قبل العباد ... وبئست بشارة ذى التحفه)

(فسيان عندى قتل الزبير ... وضرطة عنز بذى جحفه)

وما يشبه هذا من أمثالهم لا تحبق فى هذا الأمر عناق حولية أى لا يكون له تغيير ولا يدرك له ثأر قال عدى بن حاتم حين قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما فقئت عينه يوم الجمل وقتل بنوه بصفين قيل له يا أبا طريف الم تزعم أنه لا تحبق فى هذا الأمر عناق حولية قال بلى والله إن التيس الأعظم قد حبق فيه

٥٨٧ - (يوم العنز) يضرب مثلا لمن يلقى ما يهلكه فيقال لقى فلان يوم العنز فكأن يومها يوم ذبحها كما قيل يوم عبيد ليوم قتله قال الفرزدق ." (٢)

" الباب السابع والثلاثون فى عتاق الطير

---

(١) ثمار القلوب، ص/٣١١

(٢) ثمار القلوب، ص/٣٧٩

عقاب الجو

عقاب ملاع

قاب العقاب

شأو العقاب

فرخ العقاب

خوافى العقاب

بازى البر

بازى جحا

صدر البازى

بخر الصقر

الاستشهاد

٧٣٢ - (عقاب الجو) يضرب به المثل فى الرفعة والمنعة ولما حث قصير عمرو بن عدى على الطلب بثأر خاله جذيمة من الزباء وقال له تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك قال له عمرو وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو فصار قوله مثلا

٧٣٣ - (عقاب ملاع) العرب تقول فى أمثالها أبصر من عقاب ملاع قال محمد بن بن حبيب ملاع اسم هضبة وقال غيره ملاع اسم للصحراء لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال قال أمرؤ القيس

(كأن دثارا حلقت بلبونه ... عقاب ملاع لا عقاب القواعل) والقواعل الجبال الصغار

٧٣٤ - (قاب العقاب) مقدار مطارها فى الهواء علوا وارتفاعا قال ابن الرومى ." (١)

" وقال القطامى

(إلا إنما نيران قيس إذا شتوا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب)

ويجوز أن تكون قد شبهت النار التى لا منفعة فيها ولا حاصل تحتها بنار الحباحب الذى اقتص ابن عباس رضى الله عنهما قصتها

---

(١) ثمار القلوب، ص/٤٥٣

ووصف بليغ انقضاض الكواكب فقال وإن الفلك ليفتر عن شهب ثواقب كنيران أبي حباحب من كلام طويل قال ابن المعتز

(وحين أخذنا ثأركم من عدوكم ... فعدتم لنا تورون نار الحباحب)

٩٦٠ – (نار البرق) ما أحسن ما وصفها أعرابى فقال

(نار تجدد للعيدان نضرتها ... والنار تشعل أحيانا فتحترق)

يقول كل نار فى الدنيا تحرق العيدان وتستهلكها إلا نار البرق فإنها تجيء بالغيث فإذا غشيت الأرض أحدث الله للعيدان جدة وللأشجار أغصانا لم تكن

٩٦١ – (نار المعدة) حكى أبو العيناء قال اجتمعنا فى مجلس ابن الأعرابى ومعنا الجاحظ والجماز فأخذنا نتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ووقع الجاحظ والجماز فى كياد وملاحاة فقال له الجماز هات كم تعرف فى كلام العرب من نار فقال على الخبير سقطت نار الحرب ونار الشر ونار أبي حباحب ونار الله الموقدة ونار المعدة ونار الطبع ونار الاصطلاء فقال الجماز تركت أبلغ النيران وأوسعها فى البلدان وأصلحها بلسان الجيران قال وما هى قال نار حرامك التى (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم ." (١)

"جابر حائر، جاء بر جابر، فسره فسره جوده جوده، زينة رتبه، يغيب ويعتب، وعد وغد، جف فخف، نصيب يصيب، برقه ترفه، ريب رتب، راح راج، تمنى بمنى، نوبة توبة، راح راح، راج راج، بروق تروق، عباب عتاب، ظل ضاف، جيد جيد، جمرة خمرة، خبايا حنايا، روايا زوايا، أبادر أبا ذر، ما يتصور شيئا ويتضور سبا، وحل وجل، أحمال أجمال، جمال حمال، نجار بضحار، يحور ويخور، بخاري يجاري، براغيث برا غيث، بزني بزتي، ذؤابة ذوابة محانية مجانبه، حبذا جيدا، باز ناز، نار ثأر، فر عون فرعون، حالك حالك، حبل ختل، وجبل حيل، مهارق مهارق فجر فخر، صحوة صحوه، شقق شفق، دنا خير دياجير، بهار نهار، علامة علامة، قصر فضر، در در لا ذرذر، ظرف ظرف، غاب عاب، عيبة غيبة، غيث عيث، غمامة عمامة، جناح جناح، جور حور، ترف يرف ند منه بذمته، تربي بر بي.

الثلاث: نمير تميز بمير، يغيب ويعتب ويعبث، جدة خده حده، ربته ريبة رتبه، سفه شفة شفه، برقي ترقى برقى، يؤم نوم يوم، نرح برج ترج، عق رب عقرب عقرت، عنز عثر غبر، منصور من صور متضور، نجوم تخوم تحوم، جرح خرج كأنه خرج، بلبل بليل بلبل، بذمة ندمه يذمه، تربي تربى يزني، جاريته حارثية حاربته، سمان

(١) ثمار القلوب، ص/٥٨٢

سمان سمان، تعبدات بعيدات بعيذاب، أسد أسد أشد، يفترش ما يفترس بقبرس، ورد ورد ورد، يفريد يزيد يرتد، خبر حتر حير.

الأربع: قلب قلب قلب قلب، تجمل نجمك بحمل تحمل، ثبت بيت بيت ثيب، فنه فيه قبة فيه، بخله يحله يخله وما يج ِله، علت علب غلث غلب، بقر نقر تفر بقر، كر بك كربك لربك بل كربك، سرب سرب بيثرب شرب، خلف خلف خلف خلف، فضلك يم تم ثم نم، خيال خبال حيال جبال، تناولي بتأولي ثناء ولي بباولي، غبي غني عنى وعثى، نذور تدور بدور بدور، قتل قبل فيك فيل، تأبى ثاني باني يأتي، شبث سبب شيب شيث.

الخمس: خبر جبر خير حبر حبر، جرب حرب حرب حرث خرب، تحاربه تجاربه بجارية بخارية تجاريه.

الست: بشير تستر يشير بسير يسير نسير، بشر نشر نشر بشر بسر يسر.

السبع: تبنيه بثثته تثبته بثينة ببينة يثبت به تبينه، نور توز بوز ثور ثور بور نور.

الثماني: نجيبف نجيب تحبب بحيث يجيب نحيب تحنث يجتث.

وأما تصحيف خليل فكنت أنا قد كتبت الى القاضي جمال الدين عبد الله ابن الشيخ علاء الدين بن غانم، رحمهما الله تعالى، وقد توجه من دمشق الى بعلبك وطالت غيبته، وصحفت اسمي في عدة مواضع من أبيات أولها:

قر بك القلب الذي ... أبعدته وقربك

يا نازحا عن جلق ... ونازلا في بعلبك

ومنها:

أنا خليل صحبة ... ودادها قد جلبك

حليك فيه فاخر ... وسحره قد خلبك

جلتك أنوار المنى ... في خاطر تطلبك

خلتك الحسنى جلت ... لي في المعالي شهبك

حلتك بالفضل الذي ... به علوت رتبك

أبو جلنك لو رأى ... كما رأيت أدبك

حل بك المعنى الذي ... حل، بل الحق التبك

فكتب هو في الجواب إلي من قصيدة أولها:

أمن عقار انسبى ... أم من نضار انسبك

من لآل نظمت ... على عذارى كالشبك

ومنها:

حلا بذوق علمه ... نهاك لما جلبك

أنت جليل فطنة ... يعرف ذا من طلبك

حلتك فارتضت ... ومن يرتضي إلا أدبك

خلتك معدوم النظي ... ر فرد أفراد النبك." (١)

"(ص) ويقولون أبو دجانة. والصواب دجانة، بضم الدال.

قلت: هذه كنية سماك بن خرشة الأنصاري رضي الله عنه.

(ص و) وهذه دجاجة، والجمع دجاج. والعامة تكسر الدال، وهي لغة رديئة.

(و) تقول العامة: درهم بفتح الدال. والصواب درهم، بكسر داله. وقال ابن الأعرابي: تقول العرب: درهم ودرهم ودرهام.

قلت: الثلاثة بكسر الدال. والأول بفتح الهاء والثاني بكسرها.

(و) العامة تقول: أتيت الدجلة، بالألف واللام. والصواب دجلة، كما تقول: أتيت مكة.

(وص) ويقولون: فلان يطلب دحلي. والصواب: ذحل بالذال المعجمة، والذحل: الثأر والترة.

(وق) ويقولون دخان الأذن، بالنون، لدابة كثير الأرجل، ويذهبون الى تشبيهها بالدخان. ولا معنى لذلك. إنما هو دخال الأذن، فعال من الدخول، أي أنه يدخل الأذن كثيرا، والعرب تسمي هذه الدابة الحريش، على وزن حريص.

(و) وهذا الدخان بتخفيف الخاء وجمعه دواخن. والعامة تشدد الخاء وتجمعه على دخاخين.

(ص) ويقولون: جعله الله دخرا في الآخرة، وهذا دخيرة من دخائر الملوك. والصواب بالذال المعجمة في جميع ذلك.

فأما قولهم: ادخرت ادخارا وهو مدخر، فإنما انقلبت دالا للإدغام لأن الأصل اذدخرت واذتخرت ومذتخر.

---

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص/٦

ومثل ذلك مدكر.

فإذا قلت: مذخور فهو بالذال معجمة لأنه لا إدغام فيه، وإنما هو كقولك مذكور.

(ز) ويقولون: درعة القميص. والصواب: دراعة، على مثال فعالة واشتقاقها من الدرع.

والعامة لا تعرف الدرع إلا درع الحديد. والدرع أيضا القميص، قال امرؤ القيس:

.... إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

(ز) ويقولون: دراج بفتح أوله. والصواب: دراج، ودرائج للجميع.

ويقولون: أرض مدرجة، إذا كثر فيها الدراج، وقال يعقوب: يقال لبعض الطير درجة، وروى سيبويه درجة بالتشديد.

(زص) ويقولون لما نتأ في بدن الإنسان وسائر جسمه من علة أو مهنة: درن. وليس كذلك.

إنما الدرن الوسخ يعلو الجسم وغيره، ومن أمثالهم: لا درنك أنقيت ولا ماءك أبقيت.

(ص) ويقولون: هم في دركلة. والصواب دركلة، وهي لعبة للعجم، وفيها ثلاث لغات: دركلة، بكاف محضة ودركلة، بحرف بين القاف والكاف وقال ابن خرزاذ: قال أبو زيد: الدرقلة، بالقاف، لعبة للعجم، ويقال درقل، إذا رقص.

قلت: أما الثاني فلا تؤخذ معرفته إلا بالسماع مشافهة.

(و) العامة تقول: دري بكسر الراء. والصواب فتحها.

(ح) والعرب فرقت بين ما يرتقى فيه وبين ما ينحدر فيه الى السفل. فسمت ما يرتقى فيه درجا وما ينحدر فيه دركا، بالكاف.

(م) ويقولون لما في الجسم إذا نتأ: درن، وهو غلط لأن الدرن وسخ الجسم ودنسه.

(ص) ويقولون: ثوب دستري، والصواب تستري بالتاء، منسوب الى تستر.

(وح) ويقولون: دستور بفتح الدال. وقياس كلام العرب أن تضم، كما يقال: بهلول وعربون وخرطوم وجمهور، لأنهم ما جاء في كلامهم خارجا عن هذا إلا صعفوق اسم قبيلة باليمن.

(و) العامة تقول: دستك. والصواب: دستج، وهو الذي يدق به، أعجمي معرب.

(زص) ويقولون: دشيش لما يطحن من البر غليظا، وهو غلط. والصواب فيه جشيش.

(ز) ويقولون: دعبل فيفتحون. والصواب: دعبل على مثال فعلل، والدعبل: الناقة المسنة، وبه سمي الرجل.

قلت: هو أبو علي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور الهجاء للخلفاء، ولكنه كان مداحا لآل البيت رضوان الله عليهم، توفي سنة ست وأربعين ومائتين.

(و) تقول العامة للصوص: ذعار، بالذال معجمة. والصواب: دعار، بالدال المهملة، مأخوذ من العود الدعر، وهو الذي يؤذي بكثرة دخانه، قال ابن مقبل:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

(و) العامة تقول: موضع دفي، بتشديد الياء. والصواب: دفيء، مقصور مهموز.

(ز) ويقولون لضرب من الشجر: دفلة. والصواب: دفلى على مثال فعلى، والألف للتأنيث، قال أبو علي: العرب تقول: هو أمر من الدفلى وأحلى من العسل.." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠٩ """""""

فيا لك من ملقى هناك ومجلس . . . لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكاء المسك منها مفلج . . . رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرق إذا تفتر عنه كأنه . . . حصا برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلي كما رنا . . . إلى زرنب وسط الخميلة جؤذر

فلما تولى الليل إلا أقبله . . . وكادت توالى نجمه تتغور

أشارت بأن القوم قد كان منهم . . . هبوب ولكن موعد لك عزوز

فما راعني إلا مناد برحلة . . . وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم . . . وإيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فأما أفوتهم . . . وأما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيق لما قال كاشح . . . علينا وتصديق لما كان يؤثر

إذا كان ما لا بد منه فغيره . . . من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا . . . وما لي عما يعلما متأخر

لعلهما أن ينعتا لك حيلة . . . وأن يرحبا صدرا بما كنت أحصر

ف أقبلتا فارتاعتا ثم قالتا . . . أقلي عليك الخطب فالأمر أيسر

---

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص/٥٤

يقوم فيمشي بيننا متسترا . . . فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي . . . ثلاث شخوص كاعبان ومعصر." (١)

"وأما سخاؤها فإن أذناهم رجلا الذي تكون عند البكرة والنا عليها بلاغة في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتري بالشربة فيعقرها وله ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنة وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات وما ليس لشيء من ألسنة الأجناس، ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعدنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها لأنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما وبلجا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وه قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى.

وأما وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولت (أي عهد) وعقدة ولا يحلها إلا خروج نفسه وإن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى لما أحفز من جواره وأنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج.

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقارا ل فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما وأرقها ألبانا وأقلعها غائلة وأحلاها ومضغة وإنه لا شيء من اللحم،ن يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها." (٢)

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١٠٩/١

(٢) جواهر الأدب، ١٣٩/١

"تعلو تعلى غيرها، قال أحضر من هذه صفتهم فطلبهم النعمان فلو يصبهم إلا في الحذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فأحضرهم في جملة من عشائرهم، فعقد لهم كسرى مجلسا عاما حضره لحكام والعدول والأعيان، ثم قال ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق.

فانتصب حذيفة بن در قائما وكان ألسن القوم فقال: قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم، لقيل له لم ذاك يا أخا فزارة قال ألسنا الدعائم التي لا تنرام والعز الذي لا يضام، فقيل له صدقت.

ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهم

فزقارة بدر حسب بدر نضالها

لها العزة القعساء والحسب الذي

بناه لبدر في القيم رجالها

فهيهات قد أعيا القرون التي مضت

مآثر بدر مجدها وفعالها

وهل أحد إن مد يوما بكفه

إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها

فإن يصلحوا يصلح لذاك جميعنا

وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال: لقد علمت العرب أن نقاتل عديدها الأكثر ونقهر جمعها الكبر وأنا غياث اللزبات وبناة المكرمات، فقيل له لم يا أخا كندة، قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه

الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قست أبيات الرجال بيتنا

وجدت له فضلا على من يفاخر

فمن قال كلا أو أتانا بخطة

ينافرنا يوما فنحن نخاطر

تعالوا فغدوا يعلم الناس أينا

له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام لابن قيس فقال: قد علمت العرب أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يحول، فقيل له ولم يا أخا شيبان، قال لأنا أدرهم للثأر وأضربهم لملك الجبار وأقوالهم للحق وألدهم للخصم.

ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري بسطام أحق بفضلها

وأول بينت العز عز القبائل

فسائل أبيت اللعن عن عز قومها." (١)

"إذا جد يوم الفخر كل مناضل

فيخبرك الأقوام عنها فإنها

وقائع جد لا ملاعب هازل

---

(١) جواهر الأدب، ١٤٨/١

ألسنا أعز الناس قوما وأسرة

وأضربهم للكبش يوم التخاذل

وقائع عز كلها ربعية

تذل لهم فيها رقاب المحافل

إذا ذكرتم ينكر الناس فلها

وعاذ بها من شرها كل قائل

وإنا ملوك الناس في كل بلدة

إذا نزلت بالناس إحدى النوازل
ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال: قد علمت العرب أن فرع دعامتها وقادة زحفها.
فقيل له لم ذلك يا أخا بني تميم. قال لأنا أكثر عديدا وأنجبهم طريدا وليدا وأعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل.
ثم قام شاعرهم فقال:
لقد علمت أبناء خندف أننا

لنا العز قدما في الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهل مجد وثروة

وعز قديم ليس بالمتضائل

فكم فيهم من سيد وابن سيد

أغر نجيب ذي فعال ونائل

فسائل أبيت اللعن عنا فإننا

دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات وأثبتهم في النائبات، فقيل له لم ذاك يا أخا بني سعد، قال لأنا أدركهم للثأر وأمنعهم للجار لا نتكل إذا حملنا ولا نرام إذا حللنا.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخندف أننا

وجل تميم والجموع التي ترى

بأنا ليوث البأس في كل مأزق

إذا جز بالبيض الجماجم والطلى

وأنا إذا داع دعانا لنجدة

أجبنا سراعا في العلائم من دعا

فهيهات قد أعيا الجميع فعالهم

وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه.

وأعظم صلاتهم أجمعين وردهم إلى أقوام معظمين.

"مناظرات المهدي لأهل بيته ومشاروته لهم في حر خراسان"." (١)

"لي برتبة التقديم في الذكر وكيف تعيرني بلون السواد وهل يقبح السواد إلا في الفؤاد أم كيف تعيبني بالخداع "والحرب خدعة" وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بدعة أما تشهد العوالم من هيبتي حيارى (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) [الحج: ٢] فكم أرقت ملوكا أكاسرة وأرقت دماء أسود كاسرة وكم أرويت نار الوغى تحت العجاج وقد ازورت اللحاظ واغبرت الفجاج فأنا البطل الذي لا يصطلى بناره ولا يأخذ منه الموتور بثأره وافتخارك علي بالصلاة الوسطى ليس إنصافا منك ولا قسطا وهب أنك انفردت بتلك الصلاة الجليلة فأين أنت مما أوتيته من الصلات الجزيلة أما كان افتراض الصلاة في ليلة العروج فما بالك تدعي الارتقاء إلى هذه البروج.

وما أعجبتني قط دعوى عريضة

ولو قام في تصديقها ألف شاهد." (٢)

"روى المفضل الضبي قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفا بسماع أخبار العرب وجمعها فأخذت أجول بين خيامهم وأتحسس من أحوالهم وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع ويترشفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بني وأي بني) وهو يبتسم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير جوابا ولا يبدي خطابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلمت فرد علي السلام ووقفت أنظر إلى المرأة والغلام فقلت لي يا حضري ما حاجتك قلت الاستكثار ما أسمع والاستمتاع بما أرى فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سقت إليك ما هو أحسن مما رأيت فقلت هاتي حفظك الله قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربي بيننا كأنه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى إذا ما تمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده

---

(١) جواهر الأدب، ١٤٩/١

(٢) جواهر الأدب، ١٨٣/١

فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشي الخيلاء بين بيوتات الحي وأصغي إلى أصوات ذوي الحاجات فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجله أحرسه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلا من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثوارا لا زوارا فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألني ما الخبر وأنا أستره عنه إشفاقا عليه وضنا به حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره." (١)

"الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاضدة. وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة.

ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية. كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة، وقد تنحط صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة. بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات الحجماوات أشبه، وبين الحالين مراتب، وجل بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها.

وكلام العرب بمراتبه: العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعاشية والدينية، وتلك الأحوال تتمثل في "أغراض اللغة، ومعانيها، وعباراتها".

أغراض اللغة في الجاهلية

١ كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية، ووصف مرافقها من حل وترحال، وانتجاع كلأ. واستدرار غيث. واستنتاج حيوان.

٢ وفي غثارة المنازعات والمشاحنات، وما يتبعها من الحض على إدراك الثأر. والتفاخر بالانتصار، والتباهي بكرم الأصل والنجار.

٣ شرح حال المشاهدات والكيفيات والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك.

---

(١) جواهر الأدب، ١/٢٣٤

معاني اللغة في الجاهلية

تجمل معاني اللغة (١) في قصر معاني المفردات على ما تقتضيه البداوة والفطرة الغضة الخالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم (٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم عن (الإنشاء) إما في التعقل المستنبط من الحس والمشاهدة أو الطبيعة أو التجربة أو الوجدان. من غير مبالغة ولا إغراق. وإما في التخيل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادي.

عبارة اللغة في الجاهلية." (١)

"هو الملك أبو الحارث حندج بن حجر الكندي شاعر اليمانية.

وآباؤه من أشراف كندة وملوكها، وكانت بنو أسد من المضرية خاضعة لملوك كندة وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرئ القيس وأمه اخت مهلهل وكليب.

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان فمقته أبوه ولما لم ينجح فيه القول طرده عنه وأقصاه، حتى جاء نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له. لأنه كان يعسف في حكمه لهم، فقال (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليو مخمر، وغدا أمر) وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرا ثم اشتدت به علة لأنه كان يعسف في حكمه لهم، فقال (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليو مخمر، وغدا أمر) وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرا ثم اشتدت به علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن.

شعره: يعتبر امرؤ القيس راس فحول شعراء الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الديار، وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد وترقيق النسيب، وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه.

وقد يفحش في تشبيه بالنساء وتحدثه عنهن، ويشم من شعره رائحة النبل وتلمح فيه شارات السيادة والملك: من ذلك قوله:

فظل العذارى يرتمين بلحمها

---

(١) جواهر الأدب، ٢٦٧/١

وشحم كهداب الدمقس المفتل
وقوله:
وظل طهارة اللحم مابين منضج

صفيف شواء أو قدير معجل

ولو أن ماأسعى لأدتنى معيشة

كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما اسعاى لمجد مؤثل

وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي." (١)
"أني لريب الدهر لا أتضعضع

حتى كأني للحوادث مروة

نصف المشقر كل يوم تقرع

لا بد من بلف مقيم فانتظر

أبأرض قومك أن بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة

ولسوف يولع بالبكا من يفجع

(١) جواهر الأدب، ٢٨١/١

وليأتين عليك يوما مرة

يبكي عليك معنفا لا تسمع

فلئن بهم فجع الزمان وريبه

أني بأهل مودتي لمفجع

والنفس راغية إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال أبو الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه.
علو في الحياة وفي الممات

لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا

وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا

وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء

كمدهما إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن

يضم علاك من بعد الوفاة

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا

عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى

بحراس وحفاظ ثقاب

وتوقد حولك النيران ليلا

كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد

علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تاس

تباعد عنك تعيير العداة

ولم أر قبل جذعك قط جذعا

تمكن من عتاق المكرمات

أسأت إلى النوائب فاستثارت

فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجيرنا من صرف دهر

فعاد مطالبا لك بالثرات

وصير دهرك الإحسان فيهش

إلينا من عظيم السيئات

وكنت لمعشر سعدا فلما

مضيت تفرقوا بالمنحسات

غليل باطن لك في فؤادي." (١)

"٥(يود الذي لاقوة أن سلاحه ** هنالك خلخال عليه ودملج) ٥(فيدرك ثأر الله أنصار دينه ** ولله أوس آخرون وخزرج) ٥(ويقضي إمام الحق فيكم قضاءه ** تماما ، وما كل الحوامل تخدج) ٥٤ (وتظعن خوف السبي بعد إقامة ** ظعائن لم يضرب عليهن هودج) ٥٥ (مه لا تعادوا غرة البغي بينكم ** كما يتعادى شعلة النار عرفج) ٥٦ (أفي الحق أن يمسوا خماصا وأنتم ** يكاد أخوكم بطنة يتبعج) ٥٧ (تمشون مختالين في حجراتكم ** ثقال الخطى أكفالكم تترجرج) ٥٨ (وليدهم بادي الطوى ووليدكم ** من

(١) جواهر الأدب، ٢/٤

الريف ريان العظام خدلج) ٥٩ (بنفسي الألي كظتهم حسراتكم ** فقد علزوا قبل الممات وحشرجوا) ٦٠ (وعيرتموهم بالسواد ولم يزل ** من العرب الامحاض أخضر أدعج)

---

(١) ".

"٩(رجعن إلي بالعتبى جوابي ** وأصغى المعرضات إلى عتاب) ٩(يحط به الوعول من الهضاب ** وأقلق مضجع الحسناء سخطي) ٩(فأرضتني على رغم الغضاب ** وبت وبين شخصينا عفاف) ٩٤ (سخاب عناقها دون السخاب ** ولو أني هناك أطيع جهلي) ٩٥ (لكنت حقابها دون الحقاب ** يذكرني الشباب سهام حتف) ٩٦ (يصبن مقاتلي دون الإهاب ** رمت قلبي بهن فأقصدته) ٩٧ (طلوع النبل من خلل النقاب ** فراحت وهي في بال رخي) ٩٨ (ورحت بلوعة مثل الشهاب ** وكل مبارز بالشيب قرنا) ٩٩ (فمسبي لعمرك غير سابي ** ولو شهد الشباب إذا لراحت)٠٠ (وإن بها وعيشك ضعف ما فيا غوثا هناك بقيد ثأري ** إذا ما الثأر فات يد الطلاب)

---

(٢) ".

"١٠(فكم ثأر تلاقت لي يداه ** ولو من بين أطراف الحرابصبا من شاب مفرقه تصاب)٠(وإن طلب الصبا والقلب صاب ** أعاذل راضني لك شيب رأسي)٠(ولولا ذاك أعيا اقتضابي ** فلومي سامعا لك أو أفيقي)٠٤ (فقد حان اتئابك واتئابي ** وقد أغناك شيبي عن ملامي)٠٥ (كما أغنى العيون عن ارتقابي ** غضضت من الجفون فلست أرمي)٠٦ (ولا أرمى بطرف مستراب ** وكيف تعرضي للصيد أنى)٠٧ (وقد ريشت قداحي باللغاب **كفى بالشيب من ناه مطاع)٠٨ (على كره ومن داع مجاب ** حططت إلى النهى رحلي وكلت)٠٩ (مطية باطلي بعد الهباب ** وقلت مسلما للشيب أهلا)١٠ (بهادي المخطئين إلى الصواب ** ألست مبشري في كل يوم)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٦١

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٦٢١

(١) ".

"١٤(يصبن مقاتلي دون الإهاب ** رمت قلبي بهن فأقصدته)٤(طلوع النبل من خلل النقاب ** فراحت وهي في بال رخي)٤(ورحت بلوعة مثل الشهاب ** وكل مبارز بالشيب قرنا)٤٤ (فمسبي لعمرك غير سابي ** ولو شهد الشباب إذا لراحت)٤٥ (وإن بها وعيشك ضعف ما بي ** فيا غوثا هناك بقيد ثأري)٤٦ (إذا ما الثأر فات يد الطلاب ** فكم ثأر تلاقت لي يداه)٤٧ (ولو من بين أطراف الحراب ** يذكرني الشباب جنان عدن)٤٨ (على جنبات أنهار عذاب ** تفيء ظلها نفحات ريح)٤٩ (تهز متون أغصان رضاب ** إذا ماست ذوائبها تداعت)٥٠ (بواكي الطير فيها بانتحاب ** يذكرني الشباب رياض حزن)

---

(٢) ".

"٢٢(فراحت وهي في بال رخي ** ورحت بلوعة مثل الشهاب)٢(وكل مبارز بالشيب قرنا ** فمسبي لعمرك غير سابي)٢(ولو شهد الشباب إذا لراحت ** وإن بها وعيشك ضعف ما بي)٢٤ (فيا غوثا هناك بقيد ثأري ** إذا ما الثأر فات يد الطلاب)٢٥ (فكم ثأر تلاقت لي يداه ** ولو من بين أطراف الحراب)٢٦ (يذكرني الشباب جنان عدن ** على جنبات أنهار عذاب)٢٧ (تفيء ظلها نفحات ريح ** تهز متون أغصان رضاب)٢٨ (إذا ماست ذوائبها تداعت ** بواكي الطير فيها بانتحاب)٢٩ (يذكرني الشباب رياض حزن ** ترنم بينها زرق الذباب)٣٠ (إذا شمس الأصائل عارضتها ** وقد كربت تواري بالحجاب)

---

(٣) ".

"٤(لقد جزيتم أباكم حين كرمكم ** بالعهد أسوأ ما يجزى البنون أبا) ٤(أضحى إمام الهدى أولى به صلة ** منكم وإن كنتم أولى به نسبا) ٤(هو الذي سل سيف الثأر دونكم ** لا يأتلي للذي ضيعتم

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٦٢٢

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٦٢٦

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٦٣٤

طلبا) ٤٤ (أقام في الناس عصرا لا يخيل لها ** ولا يرشح من أسبابها سببا) ٤٥ (وكان لله غيب فيه يحجبه ** عنا وعنه مع الغيب الذي حجبا) ٤٦ (حراسة من عدو أن يكيد له **كيدا يحرق في نيرانه الحطبا) ٤٧ (بل عصمة من ولي الصالحات له **كيلا يجشمه حرصا ولا تعبا) ٤٨ (حتى إذا مهد الله الأمور له ** وراض من جمحات الملك ما صعبا) ٤٩ (تبلجت غرة غراء واضحة ** مثل الشهاب إذا ما ضوؤه ثقبا (

(١) ".

"٣(لو رأى الدهر جدكم في تعالي ** هلأضحى كأنه مبهوت)(آل وهب ما روعكم أن نهيتم ** كم نهيتم والنائرات خفوت)(كم رأينا إنهابكم ما ملكتم ** في العطايا إلا بقايا تقوت)٤ (جود أيديكم أحد من النه ** ب وأمضى إن فكر المبهوت)٥ (فاصبروا إن جدكم طالب الثأ ** ر وهل جدكم بثأر يفوت)٦ (لن يضر الأصول وهي رواس ** ورق من فروعها محتوت)٧ (حسن رأي الأمير كنز لكم با ** ق وعرنين من بغى مسلوت)٨ (عزكم في نصابه آل وهب ** والروابي محلكم لا الخبوت)٩ (لم يجع ضيفكم ولا الجار مزؤو ** د له في جواركم مبهوت) ٤٠ (ولقد أشعر الجناة عليكم ** حذر الطير والعقاب تخوت (

(٢) ".

"٧(فيدرك ثأر الله أنصار دينه ** ولله أوس آخرون وخزرج) ٧(ويقضي إمام الحق فيكم قضاءه ** تماما وما كل الحوامل تخدج) ٧(وتظعن خوف السبي بعد إقامة ** ظعائن لم يضرب عليهن هودج) ٧٤ (وقد كان في يحي مذمر خطة ** وناتجها لو كان للأمر منتج) ٧٥ (هنالكم يشفى تبيع جهلكم ** إذا ظلت الأعناق بالسيف تودج) ٧٦ (محضتكم نصحي وإني بعدها ** لأعنق فيما ساءكم وأهملج) ٧٧ (مه لا تعادوا غرة البغي بينكم **كما يتعادى شعلة النار عرفج) ٧٨ (أفي الحق أن يمسوا خماصا وأنتم **

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٨٠٩

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٨٦٩

يكاد أخوكم بطنة يتبعج) ٧٩ (تمشون مختالين في حجراتكم ** ثقال الخطا أكفالكم تترجرج) ٨٠ (وليدهم بادي الطوى ووليدكم ** من الريف ريان العظام خدلج)

". (١)

"٤(ممن أبى الله أن ينفله ** أجرا وما إن يزال في السجده) ٤(أسجد من هدهد إذا برزت ** فيشة فحل عظيمة العكده) ٤(مسكنها في حشا ابي حسن ** لا أسكن الله روحه جسده) ٤(يقفده معشر ويشتمنيمن حقه أن يكون مصفعةأذل للصافعين من من نقده موضع يستكد فقحتهملتمسا للبنين والحفده أقسمت لو أولد الرجال لقدأولد ألفا وحق أن يلد وليس يأتي البنون من رحم الفقحة إن ذاد عقله فنده وشر عضو يكون في رجل مقعدة لا تز ** وثأره في أصابع القفده) ٤(ماذا يريغ الضرير مجتهدا ** قالوا عصاه لنازل جهده) ٤(وشر عضو يكون في رجل ** مقعدة لا تزال مقتعده) ٤(وليس يأتي البنون من رحم ال ** فقحة إن ذاد عقله فنده) ٤(أقسمت لو أولد الرجال لقد ** أولد ألفا وحق أن يلد) ٤(موضع يستكد فقحته ** ملتمسا للبنين والحفده) ٤(من حقه أن يكون مصفعة ** أذل للصافعين من من نقده)

". (٢)

"٤(قلت لداعي الشعر في شتمها ** مهلا فقد أبلغت إسماعه) ٤(ستسمع الآذان في شنطف ** قوافيا للجهل رداعه) ٤(ليست عن الثأر بنوامة ** ولا عن الوتر بهجاعه) ٤٤ (إن صكت الوجه فسفاعة ** أو صكت الرأس فقماعه) ٤٥ (يا من تغنينا بما ساءنا ** دونكها للأنف جداعه) ٤٦ (أسمعتنا سوءا فأسمعته ** فاستمعي إن كنت سماعه)

". (٣)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/١٠٠٠

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/١٥٤٥

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٢٨٠٧

"٢(من غشوم كلما لنا له ** زاد بغيا وتمادى في العنف)(كأخي الثأر الذي قد فاته ** طلب الثأر فأضحى ذا أسف)(يسفل الناس ويعلو معشر ** قارفوا الأقراف من كل طرف)٤ (ولعمري إن تأملناهم ** ما علوا لكن طفوا مثل الجيف)٥ (جيف تطفو على بحر الغنى ** حين لاتطفو خبيئات الصدف)

---

(١) ".

"١٦(فلينتظر فارس أوراد عائدة ** لا يستطيع لها الزواد كفكافا)٦(وأين يهرب من خيل تخال بها ** عقبان مبردة يطلبن إلجافا)٦٤ (دوخن شيبان أما في رؤوسهم ** تدوي الطبيب إذا أغشاه مجرافا)٦٥ (وقلن ذوقوا جناكم إن جانيكم ** ما زال للحنظل الخطبان نقافا)٦٦ (كم جاهل كان بالطائي جربه ** صلا إذا طلب الأعداء زحافا)٦٧ (يحرم الغسل إيلاء ويطلقه ** برا فيوخفه بالثأر إيخافا)٦٨ (ووقعة منه في الأعراب قد جعلت ** أوطانهم إسوة الأحقاف أحقافا)٦٩ (تحالفوا مذ تحداهم فخلتهم ** على الهزائم لا الإقدام أحلافا)٧٠ (ظلوا قتيلا ومصفودا وذا هرب ** تقضي بإدراكه الطير التي اعتافا)٧(أسير قتل وإن أضحى طليق يد ** قد أزهقت نفسه الآجال إزهافا)

---

(٢) ".

"٣٠(صلا إذا طلب الأعداء زحافا ** يحرم الغسل إيلاء ويطلقه)٠(برا فيوخفه بالثأر إيخافا ** ووقعة منه في الأعراب قد جعلت)٠٤ (أوطانهم إسوة الأحقاف أحقافا ** تحالفوا مذ تحداهم فخلتهم)٠٥ (على الهزائم لا الإقدام أحلافا ** ظلوا قتيلا ومصفودا وذا هرب)٠٦ (تقضي بإدراكه الطير التي اعتافا ** أسير قتل وإن أضحى طليق يد)٠٧ (قد أزهقت نفسه الآجال إزهافا ** ومن سرت نقم الطائي تطلبه)٠٨ (ألفى الذي وعدته الفوت مخلافا ** يا هاربا منه إن الليل غاشية)٠٩ (لا بد منها وإن أوشكت إحصافا ** كيف النجاء لناج من أخي طلب)١٠ (مثل الظلام إذا ما عم أغدافا **كأنما كل نفس حين يطلبها)١(قد أعلقت سببا منه وخطافا ** فاطلب رضاه وأيقن أن سخطته)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٢٨٩٥

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٢٩٥٣

(١) ".

"٤٦(دوخن شيبان أما في رؤوسهم ** تدوي الطبيب إذا أغشاه مجرافا) ٤٦(وقلن ذوقوا جناكم إن جانيكم ** ما زال للحنظل الخطبان نقافا) ٤٦٤ (كم جاهل كان بالطائي جربه ** صلا إذا طلب الأعداء زحافا) ٤٦٥ (يحرم الغسل إيلاء ويطلقه ** برا فيوخفه بالثأر إيخافا) ٤٦٦ (ووقعة منه في الأعراب قد جعلت ** أوطانهم إسوة الأحقاف أحقافا) ٤٦٧ (تحالفوا مذ تحداهم فخلتهم ** على الهزائم لا الإقدام أحلافا) ٤٦٨ (ظلوا قتيلا ومصفودا وذا هرب ** تقضي بإدراكه الطير التي اعتافا) ٤٦٩ (أسير قتل وإن أضحى طليق يد ** قد أزهقت نفسه الآجال إزهافا) ٤٧٠ (ومن سرت نقم الطائي تطلبه ** ألفى الذي وعدته الفوت مخلافا) ٤٧(يا هاربا منه إن الليل غاشية ** لا بد منها وإن أوشكت إحصافا)

(٢) ".

"١(تضحي أحبته تولى سفحه ** عند الفراق وعند كل تلاقي)(يجزونه طول الجفاء بأنه ** لم يخل من شغف مدر فواق)(شهد الوفاء وكل شيء صادق ** أن الجزاء هناك غير وفاق)٤ (أصغت إلى العشاق أذني مرة ** ومن الجميل تعاطف العشاق)٥ (فشكا الشجي من الخلي ملامة ** وشكى الوفي تلون المذاق)٦ (فدع المحب من الملامة إنها ** بئس الدواء لموجع مقلاق)٧ (لاتطفئن جوى بلوم إنه **كالريح تغري النار بالإحراق)٨ (وأرى رقى العذال غير نوافع ** لاسيما لمتيم مشتاق)٩ (ما للمحب إذا تفاقم داؤه ** غير الحبيب يزوره من راقي)٠ (أخذ الإله لنا بثأر قلوبنا ** من مصميات للقلوب رشاق)

(٣) ".

"البحر : – (شهر القيام وإن عظمت حرمته ** شهر طويل ثقيل الظل والحركه) (يمشي الهوينا وأما حين يطلبنا ** فلا السليك يدانيه ولا السلكه) (كأنه طالب ثأرا على فرس ** أجد في إثرمطلوب على رمكه) ٤ (أذمه غير وقت فيه أحمده ** منذ العشاء إليه أن تسقع الديكه) ٥ (وكيف أحمد أوقاتا مذممة

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٢٩٦٧

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٢٩٨٣

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٣٠٨٥

** بين الدؤوب وبين الجوع مشتركه) ٦ (ياصدق من قال أيام مباركة ** إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه) ٧ (لو كان عمري طريقا مالقيت به ** إلا الصيام وإلا شهره نبكه) ٨ (شهر كأن وقوعي فيه من قلقي ** وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه) ٩ (لو كان مولى وكنا كالعبيد له ** لكان مولى بخيلا سيىء الملكه).٠ (قد كاد لولا دفاع الله يسلمنا ** إلى الردى ويؤدينا إلى الهلكه)

". (١)

"البحر : – (لانتقام المظلوم أربى على الظا ** لم من ظلمه على المظلوم) (صاحب الظلم إن تأملت كالرا ** تع في المرتع الوبيل الوخيم) (يجتلي أمره فيعلم أن قد با ع ** ليل الكرى بليل السليم) ٤ (فهو من لوم نفسه حين يخلو ** في غرام وفي عذاب أليم) ٥ (قد أمرت حياته وشجته ** برحاء الندام والتنديم) ٦ (لو تجافى الخصيم عنه وأغضى ** لكفاه بنفسه من خصيم) ٧ (وأخو الإنتقام ناعم بال ** يتشفى بكل ثأر منيم) ٨ (لم يجد نفسه ألامت فيل ** حاها ولم ينصرف بخد لطيم)

". (٢)

"٥(متصامما متكامها عن ربه ** فرماه بالإصمام والإكماه) ٥(غاب الموفق فاستراب بغيبه ** وأتى فصادف منه مرجل طاهي) ٥(ومعاند التقوى معد مغالة ** لخلافة ووقاحة لو جاه) ٥٤ (قال الموفق إذ تبين غوله ** قسما لقد ساهيت غير مساهي) ٥٥ (وغدا أبو العباس يطلب ثأره ** فرمى الزمان مداهيا بدواهي) ٥٦ (كفء المخاتل والمبارز قسور ** لاينثني للزجر والجهجاه) ٥٧ (ركب الأمير قرا المحجة فاهتدى ** وطغى الدعي فتاه في أتواه) ٥٨ (لا يعجبن أحد لخيبة وجهه ** هل كان عبدا مقرنا بخذاه) ٥٩ (وجه كما للصالحين وما عنى ** للصالحين فشاه كل مشاه) ٦٠ (ولقد نهته لو أعين بنهيه ** وحجى نواه بعدهن نواه)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٣٢٥٣

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٤٠٨٩

"(١) .

"٥(حتى إذا نهت الأولى فما انتفعوا ** بالنهي ، والبغي فيهم شر أمار) ٥(أبحتها وحميت الشام معتقدا ** أن ليس ينفع إلا كل ضرار) ٥(قد نابك الدهر أزمانا بغيرهم ** فظل يغمز عودا غير خوار) ٥٤ (وكم أبت على ثأر ذوي ضغن ** ولم تبت قط من قوم على ثار) ٥٥ (إن زرت دارك عن شوق فمجدك بي ** أولى وما كل مشتاق بزوار) ٥٦ (ليس المطيقون حج البيت ما تركوا ** فريضة الحج عن زهد بأبرار) ٥٧ (وقد أتيتك استعدي على زمن ** لا يشرب الحر فيه غير أكدار) ٥٨ (موكل الجور بالأحرار يقصدهم **كأنه عندهم طلاب أوتار) ٥٩ (والحمد أنفس مذخور تفوز به ** فخذ بحظك من عوني وأبكاري) ٦٠ (من القوافي التي ما زلت أودعها ** علالة الركب من غاد ومن سار)

"(٢) .

"٢(أما تنصد ويحك عن فعال ** ذميم لا ترى فيه عذيرا)(سموت إلى سماء الفخر حتى ** تناولت الهلال المستنيرا)(وطفت بدوحة العلياء حتى ** خلست بكيدك الغصن النضيرا)٤ (كأن أبا الغنائم كان ممن ** تعد وفاته غنما كبيرا)٥ (كأنك كنت تطلبه بثأر ** غشوم لا ترى عنه قصورا)٦ (خطوت العالمين إليه قصدا **كأنك قد سألت به خبيرا)٧ (إلى أن أغمدت كفاك منه ** حساما زان حامله شهيرا)٨ (مصاب لو تحمله ثبير ** دعا ويلا وأتبعها ثبورا)٩ (يذكرني سديد الملك وجدا ** وكنت لمثله أبدا ذكورا)٠ (فما أطفأت من نار لهيبا ** إلى أن عدت تذكيها سعيرا)

"(٣) .

"١(غنين وما نولن نيلا سوى الجوى ** وبن ما زودن زادا سوا الوجد)(عواطف يعيي عطفها كل رائض ** ضعائف يوهي ضعفها قوة الجلد)(إذا نظرت بزت قلوبا أعزة ** وإن خطرت هزت قدود قنا ملد)٤ (غوالب فتك لم يصلن بقوة ** طوالب ثأر لم يبتن على حقد)٥ (من المصبيات المحييات بدلها **

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٤٩٧٧

(٢) ديوان ابن الخياط، ص/١٧٠

(٣) ديوان ابن الخياط، ص/٢٦٨

على خطإ والقاتلات على عمد)٦ (فودعن بل أودعن قلبي حزازة ** وخلفن فرد الشوق بالعلم الفرد)٧ (خليلي ما أحلى الحياة لو نها ** لطاعمها لم تخلط الصاب بالشهد)٨ (لقد حالت الأيام عن حال عهدها ** ومن لي بأيام تدوم على العهد)٩ (سلبن جمالي من شباب وثروة ** ووفرن حظي من فراق ومن صد)٠ (وأنحين حتى ما تركن بواريا ** على العظم من نحض لبار ولا جلد)

---

(١) ".

"البحر : – (خيروه أيضحي حبه ** أم يضحي مجده والحسبا) (أيريق الدم من أجل العلى ** أم ترد السيف أميال الصبا) (يا لذل المجد لم يثأر له ** يا لثأر أي حب خيبا) ٤ (كلما هم إلى السيف دعا ** قلبه داعي التصابي فصبا) ٥ (جال طيف الحب في افرنده ** فإذا بالسيف في الكف بنا) ٦ (واجب رغم الهوى يدفعه ** وهوى يثنيه عما وجبا) ٧ (قلبه طورا وطورا نفسه ** يا لضدين عليه غلبا) ٨ (ويحهم أي عزيز سألوا ** ويحه أي عزيز وهبا) ٩ (شرفا جمعية الدير إذا ** ذكر الناس الذكا والأدبا)٠ (إنما الدير ولبنان أب ** أنجبت هذي البنين النجبا)

---

(٢) ".

"البحر : منسرح (قولا لريم في حلة العرب ** إليك أشكو ما يصنع اسمك بي) (بما استجازت عيناك سفك دمي ** وأخذ قلبي في جملة السلب) (جارك أولى برعي ذمته ** إن أنت راعيت حرمة الصقب) ٤ (لولاك ، والدهر كله عجب ** ما خفرت في ذمة العرب) ٥ (هذا هوى ، كنت في بلهنية ** عنه فيا للرجال للعجب) ٦ (أيسترق الكريم ذا النسب الوا ** ضح عبد مستعجم النسب) ٧ (ويحمل الثأر من به خور ** عن احتمال الحجال والقلب) ٨ (نشدتك الله في احتمال دمي ** فمعشري ما يفوتهم طلبي) ٩ (ما فات قومي آل المهلب من ** قبلي ثأر في سالف الحقب)٠ (فلا تريقي دما لذي أدب ** يسطو بأقلامه على القضب)

---

(١) ديوان ابن الخياط، ص/٣٠٢

(٢) ديوان أمين تقي الدين، ص/١٦٧

". (١)

"البحر : بسيط تام (ناد القبور وبشر كل مقبور ** حم النشور وحانت نفخة الصور) (قل للمشارق كر الدهر كرته ** وهب للثأر فيه كل موتور) (ضمي الجراح وقومي غير هائبة ** فلن يروعك ذو ضغن بمحذور) ٤ (إن تنهضي اليوم يفزع كل مرتبئ ** وينتفض كل ذي ناب وأظفور) ٥ (هي الحياة فخوضي النقع واقتحمي ** أهوال كل مروع الساح مذعور) ٦ (جنت نواحيه مما أحدثت أمم ** تنتال من جازر يطغى ومجزور) ٧ (من الأناسي إلا أنها مردت ** فالجن تنظر من ساه ومسحور) ٨ (القوة الحكم لا عدل بمتبع ** في الحاكمين ولا ظلم بمحظور) ٩ (شريعة السيف يمضيها جبابرة ** من كل مستهزئ بالله مغرور)٠ (أما ترى الدم يجري في مخالبهم ** على الشرائع يمحو كل مسطور)

". (٢)

"٣(كل امرئ ذاهب في شأنه شططا ** وينفح الله روح البر من نفحا)(هل يسمع القوم إن صاح النذير بهم ** زنوا الرجال وشدوا أزر من رجحا)(ردوا الأعنة إن الغي مهلكة ** للجامحين وإن الكيل قد طفحا)٤ (هل يعرف القادة الأبطال إن سئلوا ** إلا المحاريق أو سيشيل أو رفحا)٥ (لو أستطيع مسحت الهم عن كبدي ** ورحت أثأر للنفس التي مسحا)٦ (كنانة الله لا يبلغ أمانته ** سهم يفوقه الرامى وإن جرحا)٧ (لوذي بإيمانك العالي إذا عصفت ** هوج الخطوب بعادي الذرى فطحا)٨ (صوني يقينك في داجي غياهيها ** إني أرى البارق العلوي قد لمحا)

". (٣)

"٢٦ (** منهم ، وأصفى الأمن للمرتدي)٦ (مطرب من ال ** تجنب السهل ، وتقاد الصذعابا)٧ (وناب عما كان من زخرف ** جلالة المعبود في المعبد)٧ (والماء من فوق الديار ، وتحتها ** وخلالها يجري ، ومن حول القرى)٨ (متصوبا ، متصعدا ، متمهلا ** متسرعا ، متسلسلا ، متعثرا)٨ (فيا لثأر

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص/٣٤٧

(٢) ديوان أحمد محرم، ص/٥٥٠

(٣) ديوان أحمد محرم، ص/٥٦٨

بيننا بعده ** أقام ، لم يقرب ، ولم يبعد)٩ (باق كثأر القدس من قبله ** لا ننتهي منه ، ولا يبتدي)٩ (والأرض جسر حيث درت ومعبر ** يصلان جسرا في المياه ومعبرا)٠ (فلا يغرنك سكون الملا ** فالشر حول الصارم المغمد)٠ (والفلك في ظل البيوت مواخرا ** تطري الجداول نحوها والأنهرا)

---

(١) ".

"١(كشف الغطاء له ، فكل عبارة ** في طيها للقارئين ضمير)(لم يعيه لفظ ، ولا معنى ، ولا ** غرض ، ولا نظم ، ولا منثور)(مسلي الحزين يفكه من حزنه ** ويرده لله وهو قرير)٤ (ثأر الملوك ، وظل عند إبائه ** يرجو ويأمن عفوه المثؤور)٥ (وأعار واترلو جلال يراعه ** فجلال ذاك السيف عنه قصير)٦ (يا أيها البحر الذي غمر الثرى ** ومن الثرى حفر له وقبور)٧ (أنت الحقيقة إن تحجب شخصها ** فلها على مر الزمان ظهور)٨ (ارفع حداد العالمين وعد لهم ** كيما يعيد بائس وفقير)٩ (وانظر إلى البؤساء نظرة راحم ** قد كان يسعد جمعهم ويجير)٠ (الحال باقية كما صورتها ** من عهد آدم ما بها تغيير)

---

(٢) ".

"البحر : طويل (لقد علمت قيس بن عيلان أننا ** بنا يدرك الثأر الذي قل طالبه) (وأنا نزعنا الملك من عقر داره ** و ننتهك القرم الممنع جانبه) (وأنا فتكنا بالأغر ابن رائق ** عشية دبت بالفساد عقاربه) ٤ (أخذنا لكم بالثار ثار عمارة ، ** و قد نام لم ينهد إلى الثأر صاحبه)

---

(٣) ".

"البحر : خفيف تام (قاتلي شادن ، بديع الجمال ، ** أعجمي الهوى ، فصيح الدلال) (سل سيف الهوى علي ونادى : ** يا لثأر الأعمام والأخوال !) (كيف أرجو ممن يرى الثأر عندي ** خلقا من تعطف

---

(١) ديوان أحمد شوقي، ص/١٧٥

(٢) ديوان أحمد شوقي، ص/٤١٢

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، ص/٥٠

أو وصال ؟) ٤ (بعدما كرت السنون ، وحالت ** دون ذي قار الدهور الخوالي) ٦ (أيها الملزمي جرائر قومي ، ** بعدما قد مضت عليها الليالي !) ٧ (لم أكن من جناتها ، علم الله ، ** و إني لحرها ، اليوم ، صال)

---

(١) ".

"٥(حتى كأن الوحي فيكم منزل ، ** ولكم تخص فضائل القرآن) ٥(قد أغضبوكم فاغضبوا ، وتأهبوا ** للحرب أهبة ثائر ، غضبان) ٥٤ (ف ' بنو كلاب ' وهي قل أغضبت ** فدهت قبائل ' مسهر بن قنان ') ٥٥ (وبنو عباد ، حين أحرج حارث ** جروا التخالف في ' بني شيبان ') ٥٦ (خلا ' عديا ' ، وهو صاحب ثأرهم **كرما ، ونالوا الثأر بابن أبان) ٥٧ (والمسلمون ، بشاطيء ' اليرموك ' لم **) ٥٨ (وحماة ' هاشم ' حين أخرج صدرها ** جروا البلاء على ' بني مروان ') ٥٩ (والتغلبيون احتموا عن مثلها ** فعدوا على العادين ب ' السلان ') ٦٠ (وبغى على ' عبس ' ' حذيفة ' فاشتفت ** منه صوارمهم ومن ذبيان) ٦(وسراة ' بكر ' ، بعد ضيق فرقوا ** جمع الأعاجم عن ' أنوشروان ')

---

(٢) ".

"١(فتلك شقوري لا ارتيادك بالأذى ** محلي إلا تبكري تتأوبي)(أحاولت إرشادي ؟ فعقلي مرشدي ** أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي)(هما أظلما حالي ثمت أجليا ** ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب)٤ (شجى في حلوق الحادثات ، مشرق ** به عزمه في الترهات مغرب)٥ (كأن له دينا على كل مشرق ** من الأرض أو ثأرا لدى كل مغرب)٦ (رأيت لعياش خلائق لم تكن ** لتكمل إلا في اللباب المهذب)٧ (له كرم لو كان في الماء لم يغض ** وفي البرق ماشام امرؤ برق خلب)٨ (أخو أزمات ، بذله بذل محسن ** إلينا ولكن عذره عذر مذنب)٩ (إذا أمه العافون ألفوا حياضه ** ملاء وألفوا روضه غير مجدب)٠ (إذا قال أهلا مرحبا نبعت لهم ** مياه الندى من تحت أهل ومرحب)

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص/٢٩١

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، ص/٣٧٨

". (١)

"البحر : طويل (سرت تستجير الدمع خوف نوى غد ** وعاد قتادا عندها كل مرقد) (وأنقذها من غمرة الموت ، أنه ** صدود فراق لا صدود تعمد) (فأجرى لها الإشفاق دمعا موردا ** من الدم فوق خد مورد) ٤ (هي البدر يغنيها تودد وجهها ** إلى كل من لاقت وإن لم تودد) ٥ (ولكنني لم أحو وفرا مجمعا ** ففزت به إلا بشمل مبدد) ٦ (ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ** ألذ به إلا بنوم مشرد) ٧ (وطول مقام المرء في الحي مخلق ** لديباجتيه فاغترب تتجدد) ٨ (فإني رأيت الشمس زيدت محبة ** إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد) ٩ (حلفت برب البيض تدمى متونها ** ورب القنا المناد والمتقصد)٠ (لقد كف سيف الصامتي محمد ** تباريح ثأر الصامتي محمد)

". (٢)

"البحر : كامل تام (الحق أبلج والسيوف عوار ** فحذار من أسد العرين حذار) (ملك غدا جار الخلافة منكم ** والله قد أوصى بحفظ الجار) (يارب فتنة أمة قد بزها ** جبارها في طاعة الجبار) ٤ (جالت بخيذر جولة المقدار ** فأحله الطغيان دار بوار) ٥ (كم نعمة لله كانت عنده ** فكأنها في غربة وإسار) ٦ (كسيت سبائب لومه فتضاءلت **كتضاؤل الحسناء في الأطمار) ٧ (موتورة طلب الإله بثأرها ** وكفى برب الثأر مدرك ثار) ٨ (صادى أمير المؤمنين بزبرج ** في طيه حمة الشجاع الضاري) ٩ (مكرا بنى ركنيه ، إلا أنه ** وطد الأساس على شفير هار)٠ (حتى إذا ما الله شق ضميره ** عن مستكن الكفر والإصرار)

". (٣)

"عنوان القصيدة : دنياك تشبه ناضحا مترددا،

---

(١) ديوان أبي تمام، ص/٦٩

(٢) ديوان أبي تمام، ص/٣٢٧

(٣) ديوان أبي تمام، ص/٤٨١

دنياك تشبه ناصحا مترددا،
من شأنها الإقبال والإدبار

آليت ما الحبر المداد بكاذب،
بل تكذب العلماء والأحبار

زعموا رجالا كالنخيل جسومهم،
ومعاشر أماتهم أشبار

إن يصغروا أو يعظموا فبقدرة،
ولربنا الإعظام والإكبار

ووجدت أصناف التكلم ستة،
بالمين منها أفرد الإخبار

خاطت إبار الشيب فودك، بعدما
خلق الشباب، فهل لهن إبار؟

يستصغر الحي الحقير، ودونه
أمم، توهم أنه جبار

جشب كفاك مطاعما، وعباءة
أغنتك أن تتخير الأوبار

أما وبار، فقد تحمل أهلها،
وتخلفت بعد القطين وبار

والشخص، في الغبراء، غبر، فانثنى
وكأنما هو للغبار غبار

يا طالبا ثأر القتيل، ألم يبن
لك أن كل العالمين جبار؟

وتخالف الأهواء: هذا مدع
فعلا، وذلك دينه الإجبار." (١)

"وبينما هو غارق في لذائذه، وقعت واقعة نقلته من المجون إلى الشجون، ومن الخمر والقمر، إلى الغم والهم.

فعندما وصله خبر أبيه قال: (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم، ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر). فآلى ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن، ولا يصيب امرأة، حتى يدرك ثأره.

فلبس امرؤ القيس لامة الحرب، وحاولت قبيلة أسد أن تترضاه، فلم يرض، فقاتلهم حتى كثرت الجراح والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد.

لم تشف هذه المقتلة غل امرئ القيس، واستنصر بقيل يدعى مرثد الخير بن ي جدن الحميري فنصره وأمده بخمسمائة رجل من حمير، ولكن هذا المدد لم يحقق النصر لامرئ القيس، فاضطر امرؤ القيس إلى التجول من أمير إلى أمير، وإلى تجرع الغصص غصة بعد غصة، فترك ماله وأسلحته لدى السموأل بن عادياء، ويمم شطر قيصر فأحسن قيصر وفادته، لكنه لم يعنه على استرداد ملكه.

ويقال: إنه أصيب في عودته بالجدري، فمات، وقيل: إنه مات بسم سرى في جسمه من حلة مسمومة، خلعها عليه عظيم الروم.

هذه هي حياة الملك الضليل التي كادت أحداثها المثيرة أن تجعلها أسطورة ساخرة.

ب شعره وأغراضه:

كان شعر امرئ القيس في المرحلة الأولى من حياته غزلا ووصفا لمجالس الأنس والخمر، والحصان رفيقه في

---

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص/٤٧١

الصيد، ومطيته في ميادين القتال، وفي المرحلة الثانية غلب على شعره المدح والهجاء والفخر بالملك القديم ووصف الناقة وسيلته في قطع الفلوات.." (١)

"هم الشفاء [الوافر]

قال هذه الأبيات لما استعان بقبائل بكر وتغلب، للأخذ بثأر أبيه من بني أسد ولم يستطع اللحاق بهم لأنهم كانوا قد رحلوا من المكان الذي قصدهم إليه.

ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء، جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب (١)

أجارتنا إنا غريبان [الطويل]

قال هذه الأبيات حين رأى قبر امرأة في سفح جبل (عسيب) الذي مات عنده.

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب (٢)

أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقرابة بيننا ... وإن تصرمينا فالغريب غريب

أجارتنا مافات ليس يؤوب ... وما هو آت في الزمان قريب

وليس غريبا من تنائت دياره ... ولكن من وارى التراب غريب

ذكرى الحبيب [البسيط]

يا بؤس للقلب بعد اليوم ما آبه ... ذكرى حبيب ببعض الأرض قد رابه(٣)

---

(١) أفلتهن: الضمير عائد على الخيل. الجريض: الغاص بريقه من الفزع.

(٢) عسيب: اسم جبل.

(٣) ما آبه: ما نزل وحصل له. رابه: من الريبة وهي الشك.." (٢)

---

(١) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي امرؤ القيس ص/١٠

(٢) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي امرؤ القيس ص/٨٣

"قافية الدال

إن تقتلونا نقتلكم [المتقارب]

قال يتهدد بني أسد.

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلي، ولم ترقد (١)

وبات وباتت له ليلة ، ... كليلة ذي العائر، الأرمد (٢)

وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود (٣)

ولو عن نثا غيره جاءني، ... وجرح اللسان كجرح اليد (٤)

لقلت، من القول، ما لا يزا ... ل يؤثر عني، يد المسند (٥)

بأي علاقتنا ترغبون ... أعن دم عمرو على مرثد؟ (٦)

فإن تدفنوا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد (٧)

---

(١) الإثمد: اسم موضع. الخلي: الخالي من الهموم.

(٢) العائر: الوجع في العين. الأرمد: المصاب بالرمد.

(٣) أبو الأسود: رجل من كنانة.

(٤) النثا: النبأ الحسن أو السيئ.

(٥) يؤثر: يروي. المسند: الدهر.

(٦) العلاقة: ما يتعلقوا به من طلب الثأر. عمرو ومرثد: رجلان من أسد.

(٧) لا نخفه: لا نظهره.." (١)

"أرى الموت [الطويل]

إذا أنت لم تنفع بودك قربة ... ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد (١)

أرى الموت لا يرعي على ذي قرابة ... وإن كان في الدنيا عزيزا بمقعد

إذا شاء يوما قاده بزمامه ... ومن يك في حبل المنية ينقد

---

(١) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي امرؤ القيس ص/٨٧

ولا خير في خير ترى الشر دونه ... ولا قائل يأتيك بعد التلدد (٢)

لعمرك! ما الأيام إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود (٣)

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

---

(١) تنكى: تقهر. البؤسى: من البؤس وهو الفقر والشدة.

(٢) التلدد: الإقامة في المكان. والمعنى أنه لا فائدة ترجى من خير يعقبه قسر ولا من مكان تقيم فيخ ويقصدك إليه من كان لك عليه ثأر.

(٣) اسطعت: استطعت.." [١]

"يثبي ثناء من كريم وقوله ... ألا انعم على حسن التحية واشرب (١)

لدن أن دعا ديك الصباح بسحرة ... إلى قدر ورد الخامس المتأوب (٢)

من المسبلين الريط لذ كأنما ... تشرب ضاحي جلده لون مذهب (٣)

وعان فككت الكبل عنه، وسدفة ... سريت، وأصحابي هديت بكوكب (٤)

سريت بهم [حتى تغيب] نجمهم ... وقال النعوس: نور الصبح فاذهب (٥)

فلم أسد ما أرعى وتبل رددته ... وأنجحت بعد الله من خير مطلب (٦)

ودعوة مرهوب أجبت، وطعنة ... رفعت بها أصوات نوح مسلب (٧)

وغيث بدكداك يزين وهاده ... نبات كوشي العبقري المخلب (٨)

أربت عليه كل وطفاء جونة ... [هتوف] متى ينزف لها الوبل تسكب (٩)

بذي بهجة كن المقانب صوبه ... وزينه [أطراف نبت] مشرب (١٠)

جلاه طلوع الشمس لما هبطته ... وأشرفت من قضفانه فوق مرقب (١١)

---

(١) يثبي: أي يثني مرة إثر مرة.

(٢) المتأوب: العائد والراجع.

(٣) المسبل: الذي أرخى إزاره وأسدله. الريط: الأزر. المذهب: المخلوط بالذهب.

---

(١) ديوان طرفة بن العبد طرفة بن العبد ص/٣٢

(٤) العاني: هو الأسير. الكبل: القيد. السدفة: ظلام الليل. الكوكب هنا بمعنى النجم.

(٥) ما بين قوسين يروى بلفظ: [حتى تغور]

(٦) أسد: أي لم أهمل. التبل: الثأر والذحل. أنجحت: أي أصبت وحزت.

(٧) النوح: الجماعة من النساء اللواتي ينحن. المسلب: هو لبس الأسود حدادا.

(٨) الدكداك: كل ما ارتفع من الأرض واستوى. المخلب: المخطط بالألوان.

(٩) أربت: أي أقامت. الوطفاء: السحابة القريبة من الأرض. هتوف: أي تصدر صوتا للرعد. وما بين قوسين يروى بلفظ: [هتون] أي الذي يسح مطرا.

(١٠) البهجة: الحسن والزهر. المقانب: جمع: مقنب وهي جماعة الخيل وما بين قوسيت يروى بلفظ: [ألوان نور]

(١١) القضفان: هي الحبال الصغار. المرقب: قمة الجبل.." [١]

"مضفدعات كلها مطحلبه (١)

أروى الأناويض وأروى مذنبه (٢)

جلبنا الخيل [الوافر]

وأنشد ذات مرة:

فبتنا حيث أمسينأ قريبا ... على جسداء تنبحنا الكليب (٣)

نقلنا سبيهم صرما فصرما ... إلى صرم كما نقل النصيب

غضبنا للذي لاقت نفيل ... وخير الطالبي الترة الغضوب (٤)

جلبنا الخيل سائلة عجافا ... من الضمرين يخبطها الضريب (٥)

---

(١) مضفدعات: أي فيها ضفادع كثيرة. مطحلبة: مملوءة بالطحالب.

(٢) الأناويض: مدافع الماء.

(٣) جسداء: اسم موضع. الكليب: الكلاب.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة ص/٢١

(٤) الترة: **الثأر.**

(٥) الضمران: جبلان يقعان في بلاد عليا قيس يقال لأحدهما: الضمر وللثاني الضائن. الضريب: البرد.." (١)

"يشربن رفها عراكا غير صادرة ... فكلها كارع في الماء مغتمر (١)

بين الصفا وخليج العين ساكنة ... غلب سواجد لم يدخل بها [الحصر] (٢)

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ... ريا الروادف يعشى دونها البصر (٣)

كأن فاها إذا ما الليل ألبسها ... سيابة ما بها عيب ولا أثر (٤)

قالت غداة انتجينا عند جارتها: ... أنت الذي كنت، لولا الشيب والكبر

فقلت: ليس بياض الرأس من كبر ... لو تعلمين، وعند العالم الخبر

لو كان غيري، سليمى، اليوم غيره ... وقع الحوادث، إلا الصارم الذكر (٥)

ما يمنع الليل مني ما هممت به ... ولا أحار إذا ما اعتادني السفر (٦)

إني أقاسي خطوبا ما يقوم لها ... إلا الكرام على أمثالها الصبر

من فقد مولى تصور الحي جفنته ... أو رزء مال، ورزء المال يجتبر (٧)

والنيب، إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات، فإني كنت أتئر (٨)

---

(١) عراكا: أي يردن جميعا. غير صادرة: أي غير متوجهة عن الماء. مغتمر: أي مغمور العروق في الماء.

(٢) الصفا: هو صفا المشقر في هجر. العين: عين محلم بهجر أيضا. غلب: أي أعناقها غلاظ. الحصر: أن لا يكون نمو النبات جيدا. وما بين قوسين يروى بلفظ: [الحضر].

(٣) الحدوج: مراكب النساء. العروب: المرأة التي تتصبب لزوجها. يعشى: أي يضعف ويكل.

(٤) ألبسها: شملها وغطاها. السيابة: البسر الأأخضر.

(٥) الصارم والذكر: من صفات السيف.

(٦) عممت به: أي عزمت على إنفاذه. أحار: أتحير.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة ص/٢٨

(٧) تصور: أي تجمعهم وتعطفهم عليها.

(٨) النيب: الإبل المسنة. الرمة: العظام التي بلت. أثئر: أي آخذ **بثأري**.." [(١)]

"ولم تحم أولاد الضباب كأنما ... تساق بهم وسط الصريمة أبكر (١)

ودوكم غضا الوادي فلم تك دمنة ... ولا ترة يسعى بها المتذكر (٢)

أجدكم لم تمنعوا الدهر تلعة ... كما منعت عرض الحجاز مبشر (٣)

لوشكان ما أعطيتني القوم عنوة ... هي السنة الشنعاء والطعن يظأر (٤)

لشتان حرب أو تبوءوا بخزية ... وقد يقبل الضيم الذليل المسير

يا بشر [الكامل]

في يوم فيف –وكان في مبعث النبي صلى الله عليه وسلم– أغارت قبائب مذحج وخثعم ومراد وزبيد بقيادة ذي الغصة الحصين بن يزيد الحارثي على بني عامر، وكان رئيس عامر ملاعب الأأسنة، فقتل من الفريقين عدد كبير، وأبلى ملاعب الأأسنة يومئذ، وفي لك اليوم أخذت جارية سوداء للبيد أخذها بنو الديان، فلما علموا أنها له ردوها عليه، وهو لا يدري من ردها، فقال:

يا بشر بشر بني إياد أيكم ... أدى أريكة يوم هضب الأجشر (٥)

يترادف الولدان فوق فقارها ... بنها الرداف إلى أسنة محضر (٦)

جاءت على قتب وعدل مزادة ... وأرحتموها من علاج الأيصر (٧)

---

(١) الضباب: هو معاوية بن كلاب أخو جعفر. الأبكر: جمع: بكرة، وهي الإبل الفتية.

(٢) ودوكم: أي دفعوا ديتكم. الدمنة: الحقد والضغينة. والترة: **الثأر**.

(٣) التلعة: كل أرض مرتفعة.

(٤) عنوة: أي قسرا.

(٥) اسم ماء متصل بفيف الريح.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة ص/٣٨

(٦) النها: محبس الماء. الرادف: اسم مكان وكذا محضر.

(٧) العلاج: المعالجة. الأبصر: كساء يملأ من الكلأ ويشد.." [١]

"فلولا احتيالي في الأمور ومرتي ... لبيع سبي بالشوي النوافق (١)

فذاك دفاع عن ذمار أبيكم ... إذا خرق السربال حد المرافق

إنك شيخ خائن [الرجز]

وقال أيضا يرجز بالربيع بن زياد، وأضاف أبو الفرج له: ويقال إنها مصنوعة:

ربيع لا يسقك نحوي سائق (٢)

فتطلب الأذحال والحقائق (٣)

ويعلم المعيا به والسابق (٤)

ما أنت إن ضم عليك المازق (٥)

إلا كشيء عاقه العوائق

وأنت حاس حسوة فذائق (٦)

لا بد أن يغمز منك الفائق (٧)

غمزا ترى أنك منه ذارق (٨)

---

(١) المرة: قوة الخلق. الشوي: الجمع من الشاة.

(٢) يسوق: أي يدفع.

(٣) الأذخال: جمع: ذخل وهو الثأر. الحقائق: كل ما يحرص الجاهلي على حمايته.

(٤) المعيا بالأمر: المقصر المبطئ.

(٥) المأزق: المضيق.

(٦) حاس: من الحساء: أي شارب.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة ص/٤١

(٧) الفائق: موصل العنق بالرأس.

(٨) الذارق: من الطير، الذي يرمي بسلحه. ويوصف به كل من يفحش على الناس في منطقه.." (١)

"وهرب الخبيثان. قال الوزير الأول الذي أشار بقتل الغراب: أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه، فتردن أن تضعن الرأي في غير موضعه فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأي. فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر الغراب أن يحمل إلى منازل البوم، ويكرم ويستوصى به خيرا.
ثم إن الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذي أشار بقتله: أيها الملك قد علمت ما جرى علي من الغربان وأنه لا يستريح قلبي إلا بأخذي **بثأري** منهن، وإني قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رمت: لأني غراب وقد روى عن العلماء أنهم قالوا: من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرب لله أعظم القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استجيب له فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعو ربي أن يحولني بوما فأكون." (٢)

"ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وأتمروا بينهم. وقالوا: قد وجدتم علما واسعا تدركون به **ثأركم** وتنقمون به من عدوكم، وقد علمتم أنه قتل منا بالأمس اثنى عشر ألفا. وها هو قد أطلعنا على سره وسألناه تفسير رؤياه: فهلم نغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد ونأمر. فنقول: ادفع إلينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم: فإن قد نظرنا في كتابنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا للشر إلا بقتل من نسمي لك فإن قال الملك: وما تريدون أن تقتلوا؟ سموهم لي. قلنا نريد الملكة ايراخت أم جوير المحمودة أكرم نسائك عليك. ونريد جوير أحب بنيك إليك وأفضلهم عندك. ونريد ابن أخيك الكريم، وإيلاذ خليلك وصاحب أمرك. ونريد كالا الكاتب صاحب سرك وسيفك الذي لا يوجد مثله والفيل الأبيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك في القتال. ونريد الفيلين الآخرين العظيمين الذين يكونان." (٣)

"في عنق سفيان بن شريق قروح فأدمى تلك القروح، فأتى سفيان أخاه الريب فذكر له ذلك، فركب الريب فرسا له يقال له الهداج ثم لحق الحي وهم سائرون، فقال:

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري لبيد بن ربيعة ص/٦٣

(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٢٢٠

(٣) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٢٧٥

من أحس من بكر أورق ضل من إبلي؟

فيقولون: ما رأيناه، ويمضي حتى لحق بالحميت وهو يسير في أول سلف الحي، فقال: هل أحسست من بكر أورق ضل من إبلي، قال: ما رأيته.

ثم إن الريب ألقى سوطه كأنه وقع منه، فقال للحميت: ناولني سوطي، فأكب يناوله السوط فقال: أعركتين بالضفير- الضفير: السير المضفور، والضفير موضع، ثم ضربه بالسيف على مجامع كتفيه ضربة كادت تقع في جوفه، ثم مضى على فرسه، فذهب قوله: أعركتين بالضفير مثلا. يقول: أعركتين مرة على أخي ومرة على أختي.

وقال الريب بن شريق:

بكت تقن فآذاني بكاها ... وعز علي أن وجعت نساها

سأثأر منك عرس أبيك إني ... رأيتك لا تجأجيء عن حماها

يعني بالعرس هنا تقنا، يقال جأجأ بابله، إذا حثها على الشرب.

دلفت له بأبيض مشرفي ... ألم على الجوانح فاختلاها

دلفت: من الدليف وهو مشي سريع في تقارب خطو.

فإن يبرأ فلم أنفث عليه ... وإن يهلك فآجال قضاها

وكان مجربا سيفي صنيعا ... فيا لك نبوة سيفي نباها

رأيت عجوزهم فصددت عنها ... لها رحم وواق من وقاها

وخفت الصرم من حفص بن سود ... وأتبعت الجناية من جناها

الحفص: من قبيلة الحميت، وكان صديقا للريب بن شريق.

١٦- لج مال ولجت الرجم

١٧- أستي أخبثي

١٨- ساعداي أحرز

عموا «١» إن مالك بن زيد مناة بن تميم كان رجلا أحمق، فزوجه أخوه سعد بن زيد مناة النوار بنت جد

«٢» بن عدي بن عبد مناة بن أد ورجا سعد أن يولد لأخيه. فلما كان عند بنائه وأدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى إذا كان بباب بيته قال له سعد:." (١)

"من مثله تمسي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه «١» نهار

معناه أنه إذا نظر إلى النساء وما يصنعن لمقتل مالك علم أن رهطه لا يقرون لذلك حتى يدركوا **بثأرهم**:

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يضربن أوجههن بالأسحار «٢»

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرىء ... سهل الخليقة طيب الأخبار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو السناء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهي ... إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار «٣»

ومساعرا صدأ الحديد عليهم ... فكأنما تطلى»

الوجوه بقار

يا رب مسرور بمقتل مالك ... ولسوف يصرفه بشر محار «٥»

قال: فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة فقال: هذا حين استجمع «٦» أمر أخيكم، ووقعت الحرب.

وقال الربيع لحذيفة- وهو يومئذ جار له- سيرني فإني ج١ركم-، فسيره ثلاث ليال «٧» ووجه معه قوما لهم: إن مع الربيع فضلة من خمر فإن وجدتموه قد هراقها فهو جاد، وقد مضى فانصرفوا، وإن لم تجدوه هراقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأدنى روضة «٨» فرتع وشرب فاقتلوه، فتبعه القوم فوجوده قد شق الزق ومضى فانصرفوا.

فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين قيس بن زهير شحناء، وذلك أن الربيع ساوم قيس بن زهير بدرع كانت عنده، فلما نظر إليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض بها فلم يرددها على قيس، فعرض قيس

---

(١) أمثال العرب ط الهلال المفضل الضبي ص/٣٢

بن زهير لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية من بني أنمار بن بغيض «٩» - وهي أم الربيع بن زياد- وهي تسير في ظعائن من بني عبس، فاقتاد." (١)

"[ناكحا] في بني عبس، فقالت: أبا شريح أما والله لنعم مأوى الأضياف وفارس الخيل أنت، فقالوا له: ومن أنت؟ قال:

قرواش بن هني، فدفعوه إلى بني بدر فقتلوه، وكان قتل حذيفة، ويزعم بعض الناس أنهم دعوه إلى بني سبيع فقتلوه بمالك بن سبيع، وكان قتل مالك بن سبيع الحكم بن مروان بن زنباع فقال نهيكة بن الحارث من بني مازن بن فزارة:

صبرا بغيض بن ريث إنها رحم ... قطعتموها أنا ختكم بجعجاع

فما أشطت سمي أن هم قتلوا ... بني أسيد بقتلى آل زنباع

لقد جزتكم بنو ذبيان ضاحية ... بما فعلتم ككيل الصاع بالصاع

قتلا بقتل وتعقيرا بعقركم ... مهلا حميض فلا يسعى بها الساعي

وقال في ذلك عنترة «١» :

هديكم خير أبا من أبيكم ... أعف وأوفى بالجوار وأحمد «٢»

وأحمى لدى الهيجا «٣» إذا الخيل صدها ... غداة الصياح السمهري المقصد

فهلا وفي الفوغاء عمرو بن جابر ... بذمته وابن اللقيطة عصيد «٤»

سيأتيكم مني وإن كنت نائيا ... دخان العلندي حول بتي مذود «٥»

قصائد من بز امرىء يجتديكم ... وأنتم بجسمي فارتدوا وتقلدوا «٦»

أي يطلب منكم الثأر.

وقال قيس بن زهير «٧» :

مالي أرى إبلي تحن كأنها ... نوح تجاوب موهنا أعشارا «٨»

نوح: نساء ينحن، والأعشار: جمع عشر وهو أن يرد الماء في اليوم التاسع، وهذا مثل، والموهن: بعد صدر من الليل.

لن تهبطي أبدا جنوب مويسل ... وقنا قراقرتين فالأمرارا

---

(١) أمثال العرب ط الهلال المفضل الضبي ص/٥٧

أجهلت من قوم هرقت دماءهم ... بيدي ولم أدهم بجنب تعارا
إن الهوادة لا هوادة بيننا ... إلا التجاهد فاجهدن فزارا
إلا التزاور فوق كل مقلص ... يهدي الجياد إذا الخميس أغارا
فلأهبطن الخيل حر بلادكم ... لحق الأياطل تنبذ الأمهارا
حتى تزور بلادكم وتروا بها ... منكم ملاحم تخشع الأبصارا." (١)

"له الخيول وقالت: استقبلوه حين يدنو، وقالت: صفوا صفين فإذا دخل بين صفيكم فتقوضوا عليه، فليسر من مر عليه خلفه حتى ينتهي إلى باب المدينة. وذكر أن قصيرا قد كان قال له حين عصاه وأبى إلا إتيانها، أن استقبلتك الخيل فصفوا لك صفين فتقوض من تمر به من خلفك فإن معك العصا فرسك، وإنها لا يشق غبارها «١» فأرسلها مثلا، فتجلل العصا ثم انج عليها، فلما لقيته الخيول وتقوضوا من خلفه عرف الشر وقال لقصير؛ كيف الرأي؟ فقال له قصير: ببقة صرم الأمر «٢» وذهب قوله مثلا.

وسار جذيمة حتى دخل عليها وهي في قصر لها ليس فيه إلا الجواري، وهي على سريرها فقالت: خذن بعضدي سيدكن، ففعلن، ثم دعت بنطع فأجلسته فعرف الشر، وكشفت عن عورتها فإذا هي قد عقدت استها بشعر الفرج من وراء وركيها، وإذا هي لم تعذر، فقالت: أشوار عروس ترى «٣» فأرسلتها مثلا فقال جذيمة:

بل شوار بظراء تفلة، فقالت: والله ما ذاك من عدم موا س، ولا قلة أواس، ولكن شيمة من أناس، ثم أمرت برواهشه فقطعت فجعلت تشخب دماؤه في النطع كراهية أن يفسد مقعدها دمه، فقال جذيمة: لا يحزنك دم هراقه أهله «٤» ، فأرسلها مثلا. يعني نفسه.

ونجا قصير حين رأى من الشر ما رأى على العصا، فنظر إليه جذيمة والعصا مدبرة تجري فقال: يا ضل ما تجري به العصا «٥» ، فذهبت مثلا.

وكان جذيمة قد استخلف على ملكه عمرو بن عدي اللخمي، وهو ابن اخته، فكان يخرج كل غداة يرجو أن يلقى خبرا من جذيمة، فلم يشعر ذات يوم حتى إذا هو بالعصا عليها قصير، فلما رآها عمرو قال خير ما جاءت به العصا «٦» فأرسلها مثلا، فلما جاءه قصير أخبره الخبر، فقال:

---

(١) أمثال العرب ط الهلال المفضل الضبي ص/٦٦

اطلب **بثأرك** قال: كيف أطلب من ابنة الزبا وهي أمنع من عقاب الجو «٧» فأرسلها مثلا، فقال قصير: أما إذا أبيت فإني." (١)

"**سأثأر** منك عرس أبيك إني ... رأيتك لا تجأجيء عن حماها يعني بالعرس هنا تقنا، يقال جأجأ بابله، إذا حثها على الشرب.

دلفت له بأبيض مشرفي ... الم على الجوانح فاختلاها دلفت: من الدليف وهو مشي سريع في تقارب خطو.

فان يبرا فلم أنفث عليه ... وان يهلك فآجال قضاها

وكان مجربا سيفي صنيعا ... فيا لك نبوة سيفي نباها

رأيت عجوزهم فصددت عنها ... لها رحم وواق من وقاها

وخفت الصرم من حفص بن سود ... وأتبعت الجناية من جناها الحفص: من قبيلة الحميت، وكان صديقا للريب بن شريق.

- ٩ -

زعموا (١) أن مالك بن زيد مناة بن تميم كان رجلا أحمق، فزوجه أخوه سعد ابن زيد مناة النوار بنت جد (٢) بن عدي بن عبد مناة بن أد ورجا سعد إن يولد لأخيه. فلما كان عند بنائه أدخلت عليه امرأته انطلق به سعد حتى اذا كان بباب بيته قال له سعد: لج بيتك، فأبى مالك، فعاتبه مرارا فقال له سعد: لج مال ولجت الرجم - الرجم: القبر - فأرسلها مثلا، ثم إن مالكا دخل ونعلاه معلقتان في ذراعيه فلما دنا من المرأة قالت له ضع نعليك قال: ساعداي أحرز لهما (٣) فأرسلها مثلا، ثم أتي بطيب فجعل يجعله في استه فقالوا له يا مالك ما تصنع؟ قال ": استي اخبثي فأرسلها مثلا.

---

(١) وردت القصة مع مزيد من التفصيل في جمهرة العسكري ١: ١٣٧ تحت المثل " استي اخبثي "؛ وذكر أنه كان يلبس نعليه وأن المرأة قالت له: اخلع نعليك، فأجاب: رجلاي أحق بهما؛ وانظر المستقصي: ٦٦ والدرة الفاخرة: ١٤٤.

---

(١) أمثال العرب ط الهلال المفضل الضبي ص/١٠٠

(٢) العسكري: جل؛ الميداني: حل.

(٣) انظر المثل في الميداني ١: ٢٢٤.." (١)

"من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه (١) نهار معناه أنه إذا نظر إلى النساء وما يصنعن لمقتل مالك علم أن رهطه لا يقرون لذلك حتى يدركوا **بثأرهم**:

يجد النساء حواسرا يندبنه ... (٢) يضربن أوجههن بالأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرىء ... سهل الخليقة طيب الأخبار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

ما إن أرى في قتله لذوي النهى ... إلا المطي تشد بالأكوار

ومجنبات ما يذقن عذوفا ... (٣) يقذفن بالمهرات والأمهار

ومساعرا صدا الحديد عليهم ... فكأنما تطلى (٤) الوجوه بقار

يا رب مسرور بمقتل مالك ... (٥) ولسوف يصرفه بشر محار قال: فرجعت الأمة فأخبرت حذيفة فقال: هذا حين استجمع (٦) أمر أخيكم، ووقعت الحرب.

وقال الربيع لحذيفة - وهو يومئذ جار له - سيرني فإني جاركم، فسيره ثلاث ليال (٧) ووجه معه قوما وقال لهم: إن مع الربيع فضلة من خمر فان وجدتموه قد

---

(١) النقائض: بنصف.

(٢) لم يرد البيت في النقائض.

(٣) اورده ابن منظور في مادة (عدف) ما يذقن عدوفة، (بالدال المهملة) أي ما يذقن شيئا؛ وكذلك عذف (بالذال المعجمة) تعني أصاب شيئا من الطعام؛ وفي طبعة الجوائب: عذوقا.

(٤) النقائض والأغاني: طلي.

(٥) طبعة الجوائب: بشر جار؛ وفي النقائض: لشر محار؛ والمحار: المرجع.

(٦) النقائض والأغاني: اجتمع.

---

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/٥٧

(٧) النقائض والأغاني: ومع الربيع فضلة من خمر، فلما سار الربيع دس حذيفة في أثره فوارس فقال: اتبعوه فإذا مضت ثلاث ليال فان معه فضلة من خمر فان وجدتموه ... الخ.." [1]

"الخيل أنت، فقالوا له: ومن أنت؟ قال: قرواش بن هني، فدفعوه إلى بني بدر فقتلوه، وكان قتل حذيفة، ويزعم بعض الناس أنهم دفعوه إلى بني سبيع فقتلوه بمالك بن سبيع، وكان قتل مالك بن سبيع الحكم بن مروان بن زنباع فقال نهيكة ابن الحارث من بني مازن بن فزارة:

صبرأ بغيض بن ريث إنها رحم ... قطعتموها أناختكم بجعجاع

فما أشطت سمي أن هم قتلوا ... بني أسيد بقتلى آل زنباع

لقد جزتكم بنو ذبيان ضاحية ... بما فعلتم ككيل الصاع بالصاع

قتلا بقتل وتعقيرا بعقركم ... مهلا حميض فلا يسعى بها الساعي وقال في ذلك عنترة (١) :

هديكم خير أبا من أبيكم ... (٢) أعف وأوفى بالجوار وأحمد

وأحمى لدى الهيجا (٣) إذا الخيل صدها ... غداة الصياح السمهري المقصد

فهلا وفي الفوغاء عمرو بن جابر ... (٤) بذمته وابن اللقيطة عصيد

سيأتيكم مني وإن كنت نائيا ... (٥) دخان العلندى حول بيتي مذود

قصائد من بز امرىء يجتديكم ... (٦) وانتم بجسم فارتدوا وتقلدوا أي يطلب منكم الثأر.

وقال قيس بن زهير (٧) :

---

(١) ديوان عنترة: ٢٨٠.

(٢) الهدي: الأسير.

(٣) الديوان: وأطعن في الهيجا.

(٤) الفوغاء: الطويلة الأسنان والثنايا؛ ابن اللقيطة يعني عيينة بن حصن، أو حصن به حذيفة، العصيد: المأتي.

(٥) العلندي: شجر كثير الدخان، يقول سيأتيكم مني هجاء مؤذ كدخان العلندي يذود عني وعن بيتي.

---

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/٨٩

(٦) أي اجعلوا القصائد أردية تلبسونها وقلائد تتقلدونها، وهذا تهكم ووعيد.

(٧) منها بيتان في معجم البلدان ١: ٣٦٠.." (١)

"حتى اذا هو بالعصا عليها قصير، فلما رآها عمرو وقال خير ما جاءت به العصا (١) ، فأرسلها مثلا، فلما جاءه قصير اخبره الخبر، فقال: اطلب بثأرك قال: كيف أطلب من ابنة الزبا وهي أمنع من عقاب الجو (٢) فأرسلها مثلا، فقال قصير: أما اذا أبيت فاني سأحتال لها فاعني وخلاك ذم (٣) فأرسلها مثلا، فعمد قصير إلى أنفه فجدعه، ثم خرج حتى أتى بنت الزبا فقيل: لأمر ما حدع قصير أنفه (٤) فصارت مثلا. فقيل للزبا هذا قصير خازن جذيمة قد اتاك، قال: فأذنت له وقالت: ما جاء بك؟ قال: اتهمني عمرو في مشورتي على خاله بإتيانك فجدعني، فلا تقربني نفسي مع من جدعني، فأردت أن آتيك فاكون عندك، قالت: فافعل، قال: فان لي بالعراق مالا كثيرا، وإن بها طرائف مما تحبين أن يكون عندك، فأرسليني وأعطيني شيئا بعلة التجارة حتى آتيك بما قدرت عليه وأطرفك من طرائف العراق، ففعلت وأعطته مالا، فقدم العراق فأطرفها من طرائفها، وزادها مالا كثيرا إلى مالها، فقال لها: هذا ربح، فأعجبها ذلك وسرت به، فزادته أموالا كثيرة وردته الثانية، فأطرفها أكثر مما كان اتاها به قبل ذلك، ففرحت وأعجبها، ونزل منها بكل منزلة؛ ولم يزل يتلطف حتى علم مواضع الأنفاق التي بين المدينتين، ثم ردته الثالثة وزادته أموالا كثيرة عظيمة فأتى عمرا فقال: احمل الرجال في التوابيت والمسوح عليهم الحديد حتى يدخلوا المدينة ثم أبادرها انا وأنت إلى موضع النفق فتقتلها، فعمد عمرو إلى ألفي رجل من أشجع من يعلم، ثم كان هو فيهم، فلما دنوا أتاها قصير فقال: لو صعدت المدينة فنظرت إلى ما جئت به فاني قد جئت بما صأى وصمت (٥) ،

---

(١) المثل في جمهرة العسكري ١: ٢٣٥.

(٢) جمهرة العسكري ٢: ٢٩٣ (دون قصة) والدرة الفاخرة: ٣٨٦ والفاخر: ١٨٨ والميداني ٢: ١٨٥ والمستقصي: ١٤٨.

(٣) جمهرة العسكري: ١: ٢٣٥ ((فدعني وخلاك ذم)) .

(٤) الميداني ٢: ٩٧، ١: ٥٨١ والوسيط: ٢٠٣.

---

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/١٠٢

(٥) جمهرة العسكري: ١: ٣٢٠ ((جاء بما صاء وما صمت)) والميداني ١: ١٢١، ١٥٩ والحيوان ١: ٣٣.." (١)

"ساندوه، حتى إذا لم يروه ... شد أجلاده على التسنيد

يئسوا، ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود

وهم ينظرون لو طلبوا الوت ... ر إلى واتر شموس، حقود

قحمة، لو دنوا لثأر إليهم، ... حرشف، قد ثناهم لعديد

يا ابن خنساء، يا شقيق نفسي، ... يا جلاح، خليتني لشديد." (٢)

"أنث ثم جعل تأنيثها بمنزلة التأنيث الذي يلحق الأفعال بها في الوقف كما يفعل في الأسماء.

قد كان في آل كهف إن هم احتربوا ... والجاشرية ما تسعى وتنتضل

ويروى إن هم قعدوا، ولم يطلبوا بثأرهم، فقد كان فيهم من يسعى، وينتقم لهم والجاشرية امرأة من إياد. وقيل بنت كعب بن مامة يقول قد كان لهم من يسعى فما دخولك بينهم، ولست منهم؟

إني لعمر الذي حطت مناسمها ... تخذى وسبق إليها الباقر الغيل

هذه رواية أبي عمرو، ويروى أبو عبيدة "مناسمها له وسيق إليها الباقر العثل" حطت اعتمدت في زمامها، قال حطت معناه أسرعت، وسيقت بمناسمها التراب، وتخذى تسير سيرا شديدا فيه اضطراب لشدته، والباقر: البقر، والغيل جمع غيل: وهو الكثير وقيل جمع غيول، والعثل الجماعة يقال عثل له مهرها إذا كثر.

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا ... لنقتلن مثله منكم فنمتثل

الصدد: المتقارب، فنمتثل أي نقتل الأمثل فالأمثل، وأماثل القوم خيارهم.

لئن منيت بنا عن غب معركة ... لا تلفنا من دماء القوم ننتقل." (٣)

(١) أمثال العرب ت إحسان عباس المفضل الضبي ص/١٤٦

(٢) جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي ص/٥٨٦

(٣) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/٣٤

"الشرب بكسر الشين وبالضم اسمان للمشروب، والشرب بالفتح مصدر، وقد تكون الثلاثة مصدرا، والمصرد: المقلل والمنغص.

كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي؟

ويروى إذا متنا صدى أي عطشا، والصدي العطشان، ويروى صدى بفتح الصاد ويروى صدا، والمراد بالصدي في هذه الرواية، ما كانت العرب تزعمه في الجاهلية: إن الرجل إذا قتل، ولم يدرك **بثأره**، خرج من رأسه طائر يشبه البوم، فيصيح اسقوني، فإذا أخذ **بثأره** سكن، والصدى في هذا قالوا بدن الميت، والصوت الذي يسمعه من ناحية الجبل ونحوه.

وذكر البوم، ويقال له هو صدي مال أي الذي يقوم به، وقوله يروي نفسه أي من الخمر ثم حذف ليعلم المخاطب، ومن روى صدى بالإضافة أراد الصدى أينا العطشان والصدى أيضا حشوة الرأس، وكانوا في الجاهلية يقولون إذا مات الميت خرجت من قبره هامة تزقو عليه، وكانوا يسمون الصوت الصدى، فأبطل ذلك الإسلام، فقال عليه السلام: لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد

النحام: الزحار عند السؤال؛ البخيل. يقول هذا الشحيح بماله، عند أداء الحق." (١)

"بالله، وقال: لا أعبد ربا أحرق بني، وأخذ في عبادة الأصنام. فسلط الله على واديه نارا والوادي بلغة أهل اليمن: الجوف فأحرقته فما أبقى له شيئا، وهو تضرب به الأمثال فيما لا بقير فيه. والخليع المقامر، وقيل هو الذي قد خلع عذاره، فلا يبالي بما ارتكب، وقيل الخليع المخلوع الذي خلعه قومه، إذا قتل لا يطلب بنو عمه **بثأره**، وإذا قتل لا يطالب بنو عمه **بثأر** من قتل، والمعتل الكثير الخطأ، والكاف منصوب بيعوي.

فقلت له لما عوى إن شأننا ... قليل الغنى إن كنت لما تمول

أي أن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك، وقوله إن شأننا قليل الغنى أنا لا أغنى عنك، وأنت لا تغني عني، أي أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له ومن رواه طويل الغنى أراد همتي تطول في طلب الغنى.

---

(١) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/٦٦

طرحت له نعلا من السبت طله ... خلاف ندى من آخر الليل مخضل]
كلانا إذا ما نال شيئا أقاته ... ومن يحترث وحرثك يهزل." (١)

"حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيد قال حدثني محدث عن سعيد بن زيد عن الزبير بن خريت عن أبي لبيد قال قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراهن على الخيل - قال أي والله لقد راهن على فرس له يقال لها سبحة فهش لذلك وأعجبه.

حدثنا أبو الحاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال حدثني محدث عن سعيد عن قتادة عن انس بن مالك قال - كان فزع في المدينة فركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسا كانت لأبي طلحة فلم رجع صلى الله عليه وآله وسلم لم ترى شيئا غير أنا وجدناه بحرا يعني فرسه.

حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال حدثنا السدوسي عن الحسن بن عمارة قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن أبي الشعثاء جابر بن زيد أن رسول الله عليه وآله وسلم) قال - (ارموا وأركبوا الخيل وان ترموا احب إلى من كل لهو لها بها المؤمن بالطل إلا ثلاث خلال رميك عن قوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك اهلك فأن هن من الحق.

قال أبو عبيد - ومما قالت العرب في الجاهلية في اتخاذها الخيل - وصيانتها وأثرتها لما كانت لهم فيها من المكرمة والعز والجمال قول خالد بن جعفر بن كلاب يذكر فرسه وكانت تدعى حذفة.

أريغوني إراغتكم فأني ... وحذفة كالشجى تحت الوريد.

أسويها بنفسي أو بجزء ... وألحفها ردائي في الجليد.

أمرت الراعيين ليؤثرها ... لها لبين الخلية والصعود.

لعل الله يمكنني عليها ... جهارا من زهير أو أسيد.

قال الأسمر بن حمران وقتل أبوه وهو غلام فوثب اخوته لأبيه فاخذ والديه فأكلوها وباعوا فرس أبيهم فأكلوا ثمنها فلما شب الأسمر أدرك بثأر أبيه وتأخذ الخيل وقال يذكر فضلها.

راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأي

أما إذا استقبلته فكأنه ... باز يكفكف أن يطيروا قد رأى

أما إذا استد برته فترى له ... ساقا قموص الوقع عارية النسا

---

(١) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/١٥٩

أما استعرضته متمطرا ... فتقول هذا مثل سرحان الغضا
أني رأيت الخيل عزا ظاهرا ... تنجى من الغما ويكشفن الدجى
يبين بالثغر المخوف طلائعا ... ويبين للصعلوك جمة الغنى
يخرجن من ظلل الغبار عوابسا ... كأصابع المقرور اقعي فاصطلى
ولقد علمت على تجنبي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى
وقال مالك بن تويرة أخو بني يربوع في ذلك
جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي ... إذ بات أطواء بني الأصاغر
أعللهم عنه ليغبق دونهم ... واعلم علم الضن أني مغاور
رأى أنني ألا بالقليل أهوره ... ولا أنا عنه في المواساة ظاهر
وقال أيضا في صيانته فرسه وأثره إياه على أهله
إذا ضيع الأنذال في المحل خيالهم ... فلم يركبوا حتى تهيج المصائف
كفاني دوائي ذا الخمار وصنعتي ... على الحين لا يقوى على الخيل عالف
أعلل أهلي عن قليل متاعهم ... وأسقيه محض الشول والحي هاتف
وقال أيضا
داويته كال الدواء وزدته ... بذلا كما يعطي المحب الموسع
فله ضريب الشول إلا سؤره ... والجل فهو ملبب لا يخلع
وقال أحد بني عامر
بني عامر مالي أرى الخيل أصبحت ... بطانا وبعض الخيل افضل
أهينوا لها ما تكرمون وباشروا ... صيانتها والصون للخيل اجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه ... وكل امرئ من قومه حيث ينزل
بني عامر أن الخيول وقاية ... لأنفسكم والوقت وقت مؤجل
وقال حبيب ابن حاجب
وباتت تلوم على ثادق ... ليشرى لقد جد عصيانها
إلا أن نجواك في ثادق ... سواء على وإعلانها

وقالت أغثنا به أنني ... أرى الخيل قد ثاب أثمانها

فقلت ألم تعلمي انه ... كريم المكبة مبد أنها

كميت أمر على زفرة ... طويل القوائم عريا نها

وقال يزيد بن خذاق العبدي

الأهل أتاها أن شكة حازم ... لدى وأنا قد صنعت الشموسا

فداويتها حتى شتت حبشية ... كأن عليها سندسا أو سدوسا

قصرنا عليه بالمقيظ لقاحنا ... رباعية وبازلا وسديسا." (١)

"٣٢ – وقال أبو النشناش النهشلي اللص

١ – (وسائلة أين الرحيل وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)

٢ – (وداوية يهماء يخشى بها الردى ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه)

٣ – (ليدرك ثأرا أو ليدرك مغنما ... جزيلا وهذا الدهر جم عجائبه)." (٢)

"٤٤ – الأسعر الجعفي

٢٢ – (باتت شآمية الرياح تلفهم ... حتى أتونا بعد ما سقط الندى)

٢٣ – (فنهضت في البرك الهجود وفي يدي ... لدن المهزة ذو كعوب كالنوى)

٢٤ – (أحذيت رمحى عائطا ممكورة ... كوماء أطراف العضاه لها حلى)

٢٥ – (باتت كلاب الحي تسنح بيننا ... يأكلن دعلجة ويشبع من عفا)

٢٦ – (ومن الليالي ليلة مزؤودة ... غبراء ليس لمن تجشمها هدى)

٢٧ – ... كلفت نفسي حدها ومراسها ... وعلمت أن القوم ليس لهم غنى)

٢٨ – (ومرأس أقصدت وسط جموعه ... وعشار راع قد أخذت فما ترى)

٢٩ – (ظلت سنابكها على جثمانه ... يلعبن دحروج الوليد وقد قضى)

٣٠ – (ولقد ثأرت دماءنا من واتر ... فاليوم إن زار المنون قد اكتفى)." (٣)

---

(١) الخيل أبو عبيدة معمر بن المثنى ص/٣

(٢) الأصمعيات الأصمعي ص/١١٨

(٣) الأصمعيات الأصمعي ص/١٤٣

"٧٨ - وقال عامر أيضا ١

(ولتسألن أسماء وهي حفية ... نصحاءها أطردت أم لم أطرد)

٢ - (قالوا لها: فلقد طردنا خيله ... قلح الكلاب وكنت غير مطرد)

٣ - (فلأبغينكم الملا وعوارضا ... ولأهبطن الخيل لابة ضرغد)

٤ - (بالخيل تعثر في القصيد كأنها ... حدأ تتابع في الطريق الأقصد)

٥ - (ولأثأرن بمالك وبمالك ... وأخي المرورة الذي لم يسند)

٦ - (وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرع وإن أخاهم لم يقصد)

٧ - (يا أسم أخت بني فزارة إنني ... غاز وإن المرء غير مخلد)

٨ - (فيئي إليك فلا هوادة بيننا ... بعد الفوارس إذ ثووا بالمرصد)

٩ - (إلا بكل أحم نهد سابح ... وعلالة من كل أسمر مذود)

١٠ - (وأنا ابن حرب لا أزال أشبها ... سمرا وأوقدها إذا لم توقد)

١١ - (فإذا تعذرت البلاد فأمحلت ... فمجازها تيماء أو بالأثمد)." (١)

"مرشدا ". وقال عمر بن الخطاب أيضا: " شاور في أمرك الذين يخافون الله " وقال الحسن: " إن الله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه) بالمشورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشورة من الفضل " وفي حديث آخر " إنه قيل له: ما الحزم؟ فقال: أن تستشير ذا رأي ثم تتبع أمره ".

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الحوائج وما فيها من الأمثال

باب مثل الإعذار في طلب الحاجة وما يحمد عليه أهله من ذلك

قال أبو عبيد: قال أبن الكلبي وغيره: ومن أمثالهم في هذا قولهم: افعل كذا وكذا وخلاك ذم.

يقول: إنما عليك أن تجتهد في الطلب وتعذر لكي لا تذم فيها وإن لم تقض الحاجة. قال: وهذا المثل لقصير بن سعد اللخمي، قاله لعمر بن عدي حين أمره أن يطلب الزباء بثأر خاله جذيمة بن مالك، فقال: أخاف أن لا أقدر عليها، فقال: أطلب الأمر وخلاك ذم، فذهبت مثلا. قال أبو عبيد: ومن هذا المعنى قول الشاعر،

---

(١) الأصمعيات الأصمعي ص/٢١٦

ويقول: إنه لعروة بن الورد:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح." (١)

"عاد الرمى على النزعة.

وهم الرماة، أي رجع عليهم رميهم.

باب حمل الرجل صاحبه على ما ليس من شانه بالإكراه والظلم

قال أبو عبيد: من أمثالهم المشهورة في هذا قولهم: مكره أخوك لا بطل.

ويقال: إن اصله كان أن بيهسا الذي يلقب نعامة حين قتل أخوته طلب **بثأرهم**. وكان له خال يكنى أبا حشر، فقال له نعامة: اخرج بنا إلى موضع كذا وكذا، وكتمه ما يريد به، ثم مضى إلى الذين يطلبهم بالذحل، فهجم به عليهم فجاءة، ثم قال إيها أبا حشر، فلما رأى أبو حشر إنه قد نزلت به البلية جعل يذب عن نفسه، ويقاتلهم بهده، فقال الناس: ما أشجعه حين أقدم على هؤلاء! فعندها قال أبو حشر: " مكره أخوك لا بطل " أي ليس هذا بشجاعة مني، ولكن حملت عليه، ومن هذا قولهم: لو ترك القطا لنام.

وهو من أيسر أمثالهم أيضا. واخبرني أبن الكلبي إنه لامرأة عمرو بن أمامة، وكان نزل بقوم من مراد فطرقوه ليلا، فلما رأت امرأته سوادهم أنبهته وقالت: قد أتيت، فقال إنما هذا القطا، فقالت: " لو ترك القطا لنام " فأتاه القوم فبيتوه وقتلوه.

باب الظالم في الإساءة يركبها الرجل من صاحبه يستدل بها على أكثر منها.

قال أبو عبيد: من أمثالهم المعروفة في هذا المعنى: ليس بعد الإسار إلا القتل.

ويقال بعد الأسر وهذا المثل لبعض بني تميم، قاله يوم المقشر، وهو قصر ناحية البحرين.

وكان كسرى كتب إلى عامله عليها أن يدخلهم الحصن فيقتلهم. وذلك لجناية كانوا جنوها عليه، فأرسل إليهم، وأظهر لهم إنه يريد أن يقسم فيهم مالا أو طعاما، فحضروا بالباب، فجعل." (٢)

---

(١) الأمثال لابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٢٢٩

(٢) الأمثال لابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٢٧١

"قد ترهيأ القوم.

وذلك أن يضطرب عليهم الرأي فيقولوا مرة كذا ومرة كذا.

باب الخطأ في سوء التدبير عند إضاعة الشيء لطلب غيره ثم لا يدركه

قال أبو عبيد: من أمثالهم المعلومة في هذا قولهم: لا ماءك أبقيت ولا درنك أنقيت.

قال: واصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأة، وكانت عاركا، فحضر طهرها ومعها ماء يسير، فاغتسلت به، ثم لم يكفيها لغسلها وقد أنفذت الماء، فبقيت هي وزوجها عطشانين، فعندها قال لها هذه المقالة.

ومن هذا قولهم: نفع قليل وفضحت نفسي.

ومن أمثالهم في نحو هذا قولهم، وليس هو من هذا بعينه: لا أبوك نشر ولا التراب نفد.

وكان الأحمر يذكر أصل هذا أن رجلا قال: لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي، فقيل له هذا المقالة، أي إنك لا تدرك بهذا ثأر أبيك، ولا تقدر أن تنفد التراب. ويروى عن عون بن عبد الله بن عتبة، وكان أحد الحكماء، إنه قال لرجل: " لا تكن مثل من تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن ".

- باب الخطأ في اتهام النصيح قال أبو زيد: من أمثالهم في هذا قولهم:." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأمثال في صنوف الجبن وأنواعه

باب ذكر المثل في الجبان وما يذم من أخلاقه

قال هشام بن الكلبي: من أمثالهم في الجبن: إن الجبان حتفه من فوقه.

قال أبن الكلبي: وأول من قاله عمرو بن أمامة في شعر له، وكانت مراد قتلته فقال هذا الشعر عند ذلك ويحكى عن المفضل أنه كان يخبر بحديثه أيضا وزاد فيه قال: وكان الذي ولي قتله أبن الجعيد، فغزاهم عمرو بن هند طالبا بثأر أخيه فظفر بهم، وأتي بابن الجعيد، فلما رآه قال: بسلاح ما يقتلن القتيل.

---

(١) الأمثال لابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٢٩٩

فأرسلها مثلا. قال أبو عبيد: وأما قول عمرو بن أمامة " إن الجبان حتفه من فوقه " فإن أوله:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه." (١)

"قال فيه:

جزاني الورد أشلائي وحشي ... وجل ثناؤه عندي وطابا

كزاز، فرس حصين بن علقمة الذكواني، وهو حصين الفوارس، قال فيها:

عدلت كزاز لصدر اللطي ... م حتى كأنهما في قرن

وأيقنت أني أمرؤ هالك ... فأخطرت نفسي الثناء الحسن

تركت فضالة في معرك ... يعالج أحمر مثل الشطن

وهن بنا شرب في الغبار ... يعدون عدو إفال السنن

الإفال: الفصلان، والسنن: النشاط.

فرس خفاف بن عمير، وهو ابن ندبة: علوى، قال فيها يوم قتل مالك بن حمار الفزاري:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فغمدا على عيني تيممت مالكا

نصبت له علوى وقد خام صحبتي ... لأوثر مجدا أو لأثأر هالكا

فقلت له والرمح يأطر متنه ... تأمل رويدا إنني ذالكا

خيل هوازن

بنو هلال لهم: أعوج، ثم لبني المحاربية من بني مناف بن هلال،." (٢)

"قال: فلما سمع أخوه.... بن معديكرب شعر أخيه الأسود بن معديكرب وما رد فيه على أبيه وما تقدم من يمينه، آلى يمينا كألية أخيه أو أوكد منها على أنه لا يمنع أحدا شيئا من ماله ولا ما سأل، وأنه لا يتكلم بالخنى ما بقي، وأنه لا يهم برأيه ما عاش، وأنه لا يغدر، ولا يخون، ولا ينطق إلا بما لا يرد عليه، وأنه لا يرهب في جميع الأمور إلا الله وحده لا شريك له. ثم أنشأ يقول: " من الرجز "

أيا ابن معديكرب خير البشر ... فينا ابتني الخير مع الشر الشمر

---

(١) الأمثال لابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٣١٦

(٢) أسماء خيل العرب وفرسانها ابن الأعرابي، أبو عبد الله ص/٥٣

نخلو إذا شئنا وإن شئنا نمر ... إني ورب المثبتات للشحر

المسبلات بالسحاب المنهمر ... لآخذ بما به الآن شعر

وما به الأسود في القول نشر ... من تركي الريبة والأمر النكر

وتركي الغدر وما لا يشتهر ... عند نداء البدو منا والحضر

وصمتي الدهر عن القول الهتر ... وبذلي المال لسؤال العشر

للمترب الداني وللنائي الهكر ... حتى أحوز منتهى شأو الغرر

آليت إن طال بقائي أو قصر ... لا أنتوي الغدر إذا غيري غدر

ولا أخون أحدا من البشر ... هاتيك ناري في البقاع تستعر

لطارق الليل إذا الليل انعكر ... من شاء فضلي فإلي يبتدر

ولست أخشى أحدا ممن كبر ... في باطن الملك ولا فيما ظهر

إلا المليك المستعان المقتدر ... مسخر الشمس لنا مع القمر

قال علي بن محمد: قال الدعبل بن علي: فيقال: إنهما لم يزالا على ما وصفا به أنفسهما، وأنهما ما سئلا قط شيئا مما يسأل إلا جادا به وبذلاه لسائلهما. وفيهما الأشعار الكثيرة للأعشى وغيره، ملنا عنها في خبرهما وخبر أبيهما إلى التخفيف. وحدثني علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن حجر بن عمرو المفضور بن الحارث آكل المرار دخلت عليه كاهنة ذات يوم، فقالت له: أتأذن لي معك أتكلم أيها الملك؟. فقال لها: قولي ما علمت. فقالت له: والسماء ذات البروج، والأرض ذات المروج وما اشتملت عليه أرحام ذات الفروج لقد نبئت نبأ، وعلمت خبرا بأن أعظمها خطرا وأبعدها نظرا وأكثرها نفعا وضرا، يسفك دمك شرها أناسا، وأرتها لباسا وأغشها كناسا، فاظعن أيها الملك العظيم عن ساحة الأرذلين، أسد وتميم. قال: فأطرق حجر بن عمرو المفضور بن الحارث بن آكل المرار الكندي قليلا، ثم رفع رأسه وأنشأ يقول: " من المنسرح "

من يأمن اليوم أو يعيش غدا ... أم من يرجي خلوده أبدا

ينفد ما نحن فيه عن كثب ... في إثر من قد مضى ومن نفدا

حدثت عن آكل المرار أبي ... عمرو وعمرو مضى وما خلدا

بأنه قد رأى ثمانية ... قد ملكوا الأرض كلها عددا

وشاهدين الخليل يتلو على ... جدهم وحيا منزلا وهدى

وقد رأى من رأى زهيرا ... ومن أخبره أنه رأى أددا

والمرء همدان إن سمعت به ... شاهده وهو يحمل اللبدا

فهل ترى من أولاك كلهم ... فيمن عليها مخلدا أحدا

إن كل سمعي ورابني بصري ... فكل شيء إلى انقضاء مدى

فقد ملكت الخليط من مضر ... ومن تميم والحي من بعدها أسدا

وعامرا لم أدع لهم لبدا ... يقيهم سطوتي ولا سندا

وأيما معشر سمعت بهم ... لما ندس عنوة لهم بلدا

إن قتلوني ففي امرئ القيس أن ... يجتاح بالخيل والرجال غدا

يتركها حيث لا تنبت ولا تصبح ... إلا طرائقا قددا

ويقال: إن حجر بن عمرو المفضور ما لبث إلا قليلا بعد ذلك حتى قتله بنو أسد، فكان من امرئ القيس ما كان في قتله إياهم طلبا بثأر أبيه في ذلك، وفي ذلك قوله: " من السريع "

يا دار ماوية بالحائل ... فالخبت فالخبتين من عاقل

صم صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غرهم بالأسد الباسل." (١)

"خمسة وعشرون دينارا، وثمن أذنيها ثمانية عشر، وثمن عينيها ستة وسبعون، وثمن رأسها بلا شيء من حواسها مائة دينار! فقال له صاحبه المتعاقل: ها هنا باب هو أدخل في الحكمة من هذا! كان ينبغي لقدم هذ أن تكون لساق تلك، وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه، وكان ينبغي لشفتي تيك أن تكون لفم تيك، وأن تكون حاجبا تيك لجبين هذه! فسمي مقوم الأعضاء.

ومن النوكى كلاب بن ربيعة، وهو الذي قتل الجشمي قاتل أبيه دون أخوته، وهو القائل:

ألم تربي ثأرت بشيخ صدق ... وقد أخذ الإداؤة فاحتساها

ثأرت بشيخه شيخا كريما ... شفاء النفس أن شيء شفاها

ومنهم: نعامة، وهو بيهس «١» ، وهو الذي قال: «مكره أخاك لا بطل» . وإياه يعني الشاعر:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير ولاقى الموت بالسيف بيهس

---

(١) وصايا الملوك دعبل الخزاعي ص/٣٨

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس

وقال الحضرمي: أما أنا فأشهد أن تميما أكثر من محارب.

وقال حيان البزاز: قبح الله الباطل، الرطب بالسكر والله طيب.

قال أبو الحسن: سمعت أبا الصغدي الحارثي يقول: كان الحجاج أحمق، بنى مدينة واسط في بادية النبط ثم قال لهم: لا تدخلوها. فلما مات دبوا إليها من قريب.

مسعدة بن المبارك قال: قلت للبكراوي: أبأمرأتك حمل؟ قال: شيء ليس بشيء!." (١)

"سليم. وكان إذا أكل، ذهب عقله، وجحظت عينه «١» ، وسكر، وسدر «٢» ، وانبهر «٣» ، وتربد وجهه «٤» ، وعصب «٥» ولم يسمع، ولم يبصر، فلما رأيت ما يعتريه وما يعتري الطعام منه، صرت لا آذان له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي. ولم يفجأني قط وأنا آكل تمرا إلا استفه سفا، وحساه حسوا، وزدا به زدوا «٦» . ولا وجده كنيزا الا تناول القطعة كجمجمة الثور، ثم يأخذ بحضنيها، ويقلها من الأرض. ثم لا يزال ينهشها طولا وعرضا، ورفعا وخفضا، حتى يأتي عليها جميعا. ثم لا يقع غضبه إلا على الإنصاف والاثلاث. ولم يفصل تمرة قط من تمرة. وكان صاحب جمل، ولم يكن يرضى بالتفاريق. ولا رمى بنواة قط، ولا نزع قمعا، ولا نفى عنه قشرا، ولا فتشه مخافة السوس والدود. ثم ما رأيته قط، إلا وكأنه طالب ثأر، وشحشحان «٧» صاحب طائلة «٨» . وكأنه عاشق مغتلم «٩» ، أو جائع مقرور «١٠» .

والله يا إخوتي لو رأيت رجلا يفسد طين الردغة «١١» ، ويضيع ماء البحر، لصرفت عنه وجهي. فإذا كان أصحاب النظر وأهل الديانة والفلسفة، هذه سيرتهم، وهكذا أدبهم، فما ظنكم بمن لا يعد ما يعدون، ولا يبلغ من الأدب حيث يبلغون؟!." (٢)

"يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي [١] قال: أراد عبد الله بن جعفر أن يفد إلى عبد الملك، وعلى المدينة أبان بن عثمان، فأرسل إليه بديحا ليستأذنه [٢] ، فقال أبان: فليبعث إلي بجاريته فلانة. فرجع إليه فأخبره فقال: أما الجارية فلا ولا كرامة، وقال له: ارجع إلى بقيع فقل له أما الجارية فلا. فقال أبان: فليبعث إلى بغلامه الزامر. قال عبد الله: نعم، وهو يشبهه.

فأذن له فوفد إلى عبد الملك..

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢٥٥/٣

(٢) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/١١١

ومن البرصان الأشراف من الملوك

جذيمة بن مالك

صاحب الزباء وقصير [٢] ، وكان يقال له جذيمة الأبرص، فلما ملك قالوا على وجه الكناية: «جذيمة الأبرش» ، فلما عظم شأنه قالوا: «جذيمة الوضاح» .

ولم يقولوا: جذيمة الأوضح، لأنهم يضعون هذا الاسم في موضع الكناية عن الأبرص، وذلك كثير. وليس في الأرض أبرص يقال له الوضاح غير جذيمة، ومن يقال له الأوضح كثير. والكناية إذا طال استعمالهم لها صارت

---

[١] جعدبة. بالضم، وأصل الجعدبة نفاخات الماء، وبيت العنكبوت. وترجمة يزيد بن عياض هذا في تهذيب التهذيب. وكنيته أبو الحكم، وهو مدني نزل البصرة، روى عن الأعرج، والزهري، ونافع، وجماعة، وعنه: ابنه الحكم، وهشام بن سعد، وابن وهب وغيرهم. كان ضعيف الحديث يرمى بالكذب، ومات في خلافة المهدي.

[٢] بديح مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وجعفر هذا هو جعفر الطيار وانظر رسائل الجاحظ ٢: ١٩٩، والحيوان ٣: ٢٣٣، وجمهرة ابن حزم ٦٨- ٦٩، وفي الأغاني ١٤: ٩ «بديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة. وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب، خاثر، ونشيط وطويس، وهذه الطبقة» .

[٣] قصير هذا هو قصير بن سعد اللخمي. وهو الذي غرر بالزباء وأمكن منها عمرو ابن عدي ليثأر منها لمقتل خاله جذيمة. وانظر القصة مفصلة في مجمع الأمثال: (خطب يسير في خطب كبير) .." (١)

"وأسأل ربي أن يبسطني لهم ... ويشرح صدري بالهجاء المداخل [١]

ويرزقني فيهم عروضا محببا ... وصدق مقال غير قيل الأباطل [٢]

فيصبح وسمي لائحا بجلودهم ... وأعلم أني مدرك بطوائلي [٣]

وكان بكر بن بكار إذا أنشد قوله:

ولكنه ما دام حيا كميت ... فلا بد أن يحيا ببعض المآكل

أنشد قوله الآخر [٤] :

على كل حال يأكل المرء زاده ... على الضر والسراء والحدثان

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/١١٦

[١] التبسيط، من البسط وهو نقيض القبض، وفي اللسان: «يقال بسطه فتبسط» .

يتمنى أن تسره الشماتة بقومه وأن يسمع فيهم هجاء لاذعا عنيفا. وكلمة «يبسطني» مهملة النقط في الأصل فيما عدا نقطة النون.

[٢] العروض، أراد به الشعر والقصيد، وأصل العروض طرائق الشعر وعمده، مثل الطويل والبسيط، لأن الشعر يعرض عليه.

[٣] المراد بالوسم: أثر هجائه فيهم. لائحا. ظاهرا. والطوائل: جمع طائلة، وهي **الثأر** والوتر والذحل.

[٤] في الأصل: «قواه الآخر» . وفي عيون الأخبار ٣: ٥٧: قال الأصمعي: مررت بأعرابية وبين يديها فتي في السياق، ثم رجعت ورأيت في يدها قدح سويق تشربه فقلت لها:

ما فعل الشاب؟ فقالت: وارنياه. فقلت: فما هذا السويق؟ فقالت:

على كل حال يأكل المرء زادهم ... على البؤس والبلوى وفي الحدثان." (١)

"مألولة الأذنين كحلاء العين [١] ... ومنخرين خلقا مسودين

وقال الطرماح أيضا في سواد لثام الذئب:

وفلاة يستفز الحشا ... من صواها ضبح بوم وهام [٢]

تفجأ الذئب بها قائما ... أبرق النحر أحم اللثام [٣]

فزعم كما ترى أنه أحم اللثام. وكذلك وصف الشاعر الكلب فقال:

وأغضف الأذن طاوي البطن مضطمر ... لوهوه رذم الخيشوم هرار [٤]

[١] مألولة، هي كذلك في المعاني الكبير ١٩٧ أراد محددة منتصبة، والمعروف مؤللة بالتشديد، كما في قول طرفة:

مؤللتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي شاة بحومل مفرد

وقبله في المعاني:

تبر له طلساء ذات جروين ... مألولة الأذنين كحلاء العين

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/١٩٨

[٢] يستقر الحشا: يستخفها ويجعلها تضطرب من الفزع والذعر. والحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كله، من الكبد والطحال والكرش وما تبع ذلك. والصوى: جمع صوة، بالتشديد، وهي أعلام من حجارة تنصب بالفلاة ليستدل بها المسافرون على الطريق.

ضبح البوم: صياحها. وفي الأصل: «صيح» صوابه من الديوان. والهام: جمع هامة، وهو طائر- زعموا- يخرج من رأس القتيل إذا لم يدرك بثأره، ويزقو عند قبره، وانظر ديوان الطرماح ٤٠٥.

[٣] في الديوان: «نفجأ» بالنون. وفي أساس البلاغة (لثم) : «يفجأ» بالياء. وفي الديوان فقط: «أبرق النحر» . والأبرق: ما في لونه بياض وسواد. والأحم: الأسود. وأراد باللثام الفم والخطم.

[٤] الأغضف: المسترخي الأذن. والمضطمر: الضامر. لوهوه: أي هو لأب وهوه.-." (١)

"ومنهم: عمير بن الحباب. ويدل على ذلك قول الجحاف بن حكيم السلمي [١] :

ولقد وجدت على عمير حرة ... برد الغليل وحرها لم يبرد [٢]

قطع النصاري رأسه ويمينه ... طلب الإله بلحمه المتبدد [٣]

. ومنهم:

حكيم بن جبلة [٤]

أحد بني غنم [٥] بن وديعة بن عبد القيس [٦] ، شهد قتل عثمان، وزعم أنه الذي جاء بالزبير بن العوام إلى علي حتى بايعه.. وهو الذي يقول:

---

[١] الجحاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمي، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة سبقت الإشارة إليها في ص ٣٦٧ وقد لحق الجحاف بعد يوم البشر إلى أرض الروم، ثم استأمن ورجع وتنسك نسكا تاما صحيحا إلى أن مات. جمهرة ابن حزم ٢٦٤، والاشتقاق ٣٠٨، وابن الأثير في حوادث سنة ٧٠.

[٢] الحرة، بالفتح: الحرارة، أي ألم الحزن وشدته. وقد أورد الآمدي في المؤتلف والمختلف ٧٦ خمسة أبيات أخرى من وزن وروى هذين البيتين.

[٣] دعاء بأن يؤخذ بثأره. وهي عبارة جميلة نادرة.

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٣٠٢

[٤] حكيم، بهيئة التصغير، كما في الإصابة ١٩٩٠ حيث ضبط بضم أوله مصغرا.
وحكيم هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لم تعرف له صحبته. وكان عثمان بعثه إلى السند، ثم نزل البصرة وقتل بها يوم الجمل. وذكر ابن حزم في الجمهرة ٢٩٨ أنه أحد قتلة عثمان رضى الله عنه وانظر صورة من شجاعته النادرة في الطبري ٥: ٢٨٠ في حوادث سنة ٣٦.
[٥] في الأصل: «عثمان» ولكن أشار ناسخ المخطوطة في الحاشية إلى أن صحتها «غنم» وهو المطابق لما في الجمهرة، فإنه من بني غنم بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس.
[٦] هذا من اختصار النسب. وانظر الحاشية السابقة.." (١)

"ويزعمون أن معاقرة الشراب تعظم الأنف. وقال حماد بن الزبرقان [١] يهجو حماد بن أبي ليلى الراوية [٢] ، وذكر معاقرته الشراب وكذا عظم أنفه لذلك، فقال:

نعم الفتى لو كان يعبد ربه ... ويقوم وقت صلاته حماد [٣]

هدلت مشافره الشمول فأنفه ... مثل القدوم يسنها الحداد [٤]

وابيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد

وقال جرير يهجو الأخطل في إكبابه على شرب المسكر وبترك طلب ثأره، حتى عظم لذلك أنفه:

قبحت موتورا وطالب دمنة ... بالحضر تشرب تارة وتبول [٥]

---

[١] في الأصل: «حماد بن سابور» ، صوابه من الحيوان ٤: ٤٤٥، والشعراء ٧٧٩، وأمالي المرتضى؛ ١٣٣، وطبقات ابن المعتز ٦٩. ونسبت الأبيات في الأغاني ٦: ١٦٢، والخزانة ٤: ١٣٢ إلى أبي الغول الطهوي. وهي بدون نسبة في العقد ٦: ٣٣٩. وحماد بن الزبرقان ترجم له في لسان الميزان ٢: ٣٤٧ وقال: «وهو ممن اتهم بالزندقة» . كما ترجم له القفطي ١: ٣٣٠. وكان من النحاة البصريين كما في الإنباه وابن النديم ٧٨. وأما «سابور» التي وردت هنا خطأ فإنها تذكر في ترجمة حماد الرواية الذي اختلف في اسم أبيه فقيل ميسرة وقيل شابور، كما في لسان الميزان ٢: ٣٥٢، ووفيات الأعيان ١: ١٦٤.
[٢] اختلف في اسم أبيه فقيل ميسرة، وقيل شابور، كما مر في الحاشية السابقة وترجم له في لسان الميزان ومعجم الأدباء ١٠: ٢٥٨- ٢٦٦، ووفيات الأعيان ولد سنة ٩٥ وتوفي سنة ١٥٥.

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٣٧٥

[٣] في الحيوان وجميع المراجع: «ويقيم وقت صلاته» .

[٤] في الأصل: «يسنه» ، تحريف صوابه في الحيوان وجميع المراجع. والقدوم أنثى لا غير.

[٥] الدمنة: الذحل والثأر. والحضر، بالفتح: مدينة بازاء تكريت في البرية، بينها وبين الموصل والفرات.." (١)

"«العصا» ، وانج بنفسك» (والعصا كانت فرسا لجذيمة، لا يشق غبارها) ؛ فلم يعبأ جذيمة بقوله؛ وسار حتى دخل المدينة، وأمرت هند الزباء بأصحابه أن ينزلوا فأنزلوا، وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم؛ وأذنت لجذيمة، فدخل عليها، وهي في قصر لها، ولم يكن معها في قصرها إلا الجواري، فأومأت إليهن أن يأخذنه؛ واجتمعن عليه ليكتفنه، فامتنع عليهن، فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى أثخنه وكتفنه. ثم دعت بنطع، فأجلسته فيه، وكشفت عن عورتها؛ فنظر جذيمة، فإذا لها شعرة وافية. فقالت: «كيف ترى عروسك؟

أشوار عروس أم ما ترى؟ «أرى بظرا ناتئا، ونبتا فاشيا، ولا أعلم ما وراء ذلك» ؟ قالت: «أما إنه ليس من عدم المواسي أو لقلة الأواسي، ولكنه شمة من أناسي» .

ثم أمرت به، فقطعت عروقه، فجعلت دماؤه تشخب في النطع، فقالت: «لا يحزنك ما ترى. فإنه دم هراقه أهله» ، فأرسلتها مثلا.

واحتال «قصير» للعصا حتى وصل إليها وركبها، ثم دفعها، فجعلت تهوي به كأنها الريح. وكان المكان الذي قصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق، فنظر جذيمة إليه وقد دفع الفرس، فقال: «لله حزم على رأس العصا» ، فلم تزل دماؤه تشخب حت مات. ثم أمرت بأصحابه، فقتلوا بأجمعهم.

وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة، فياتي طريق الشام، يتجسس عن خبره وحاله، فلم يبلغه أحد خبره. فبينا هو ذات يوم في ذلك، إذ نظر إلى فرس مقبل على الطريق، فلما دنا منه، عرف الفرس، وقال: «يا خير ما جاءت به العصا» ، فذهبت مثلا. فلما دنا منه قصير، قال له: «ما وراءك» ؟ قال: «قتل خالك وجنوده جميعا، فاطلب بثأرك» . قال:

«وكيف لي بها، وهي أمنع من عقاب الجو» ؟ فذهبت مثلا. ثم إن قصيرا أمر بأنف نفسه فجدع، ثم ركب

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٤٧٣

وسار نحو الزباء، فاستأذن علهيا، فقيل لها: «إن مولى لجذيمة وقرهمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعا» . فأذنت له، فدخل عليها.." (١)

"ويقال إن الأسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق، فجاءه برسالة شك في حرف منها فقال له الاسكندر: ويلك! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد، إذا مالت. وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ، بينة العبارة؛ غير أن فيها حرفا ينقضها؛ أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أم شاك فيه؟ فقال الرسول: بل على يقين أنه قاله.

فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا، ويعاد إلى الملك مع رسول آخر، فيقرأ عليه ويترجم له.

فلما قريء الكتاب على الملك، فمر بذلك الحرف، أنكره فقال للمترجم: ضع يدي على هذا الحرف فوضعها.

فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكينة، فقطع من الكتاب. وكتب إلى الإسكندر: إن رأس المملكة صحة فطرة الملك، ورأس الملك صدق لهجة رسوله، إذ كان عن لسانه ينطق، وإلى أذنه يؤدي. وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا.

فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر، دعا الرسول الأول، فقال: ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الموجه إليه. فقال الاسكندر: فأراك لنفسك لسعيت، لا لنا! فلما فاتك بعض ما أملت، جعلت ذلك ثأرا في الأنفس الخطيرة الرفيعة! فأمر بلسانه، فنزع من قفاه.." (٢)

"بهذا الفضل الذي لا يبلغه فضل وإن برع، بل لا يعشره شرف وإن عظم، ولا مجد وإن قدم.

فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة، وعلى حسب ذلك التقارب تكون المؤازرة والمكاتفة، والطاعة والمناصحة، والمحبة للخلفاء الأئمة.

وذكرت أنه ذكر جملا من مفاخرة الأجناس، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف، وأنه جمع ذلك وفصله وفسره، وأنه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم، وأضرب عنهم صفحا، يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل، وعن برهان كل صنف؛ وذكر أن الخراساني يقول: نحن النقباء وأبناء النقباء، ونحن النجباء وأبناء النجباء، ومنا الدعاة، قبل أن تظهر نقابة، أو تعرف نجابة، وقبل المبالغة والمباراة، وقبل كشف القناع وزوال التقية وزوال ملك أعدائنا عن مستقره، وثبات ملك أوليائنا في نصابه. وبين ذلك ما قتلنا وشردنا، ونهكنا ضربا وبضعنا بالسيوف

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٣٨٢

(٢) التاج في أخلاق الملوك الجاحظ ص/١٢٣

الحداد، وعذبنا بألوان العذاب.

وبنا شفى الله الصدور، وأدرك **الثأر**. ومنا الإثنا عشر النقباء، والسبعون النجباء. ونحن الخندقية، ونحن الكفية وأبناء الكفية،." (١)

"ويدل على حبهم للثناء وجميل الذكر قول الأسدي:

فإني أحب الخلد لو أستطيعه ... وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم

وقال:

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم ... بمسعاتنا إن الثناء هو الخلد

وقال الغنوي:

فإذابلغتم أهلكم فتحدثوا ... إن الحديث مهالك وخلود

فجعلوا الذكر بالجميل مثل الخلود في النعيم.

وعلى هذا المعنى قال في درك **الثأر:**

فقتلا بتقتيل وعقرا كعقركم ... جزاء العطاس لا يموت من **اثأر**

وقال حكيم الفرس حين بلغه موت الإسكندر، وهو قاتل دارا بن دارا: ما ظننت أن قاتل دارا يموت! وهذا القول هو أمدح منه لقاتله. ولم أسمع للعجم كلمة قط أمدح منها. فأما العرب فقد أصبت لهم من هذا الضرب كلاما كثيرا.." (٢)

"نجابة، وقبل المغالبة والمبادأة، وقبل كشف القناع وزوال التقية.

وبنا زال ملك أعدائنا عن مستقره، وثبت ملك أوليائنا في نصابه، وبين ذلك ما قتلنا وشردنا، ونهكنا ضربا وطلبا، وبضعنا بالسيوف الحداد، وعذبنا بألوان العذاب.

وبنا شفى الله تعالى الصدور، وأدرك **الثأر**، ومنا الاثني عشر النقباء، والسبعون النجباء. ونحن الخندقية وأبناء الخندقية، ونحن الكفية وأبناء الكفية، ومنا المستجيبة، ومن بهرج النيمية، ومنا نيم خزان، وأصحاب الجوربين، ومنا الزغندية، والآزاذمردية.

ونحن فتحنا البلاد، وقتلنا العدو بكل واد، ونحن أصل هذه الدولة، ومنبت هذه الشجرة، وأصحاب هذه

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١/ ١٤

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١/ ٣٠٤

الدعوة، ومن عندنا هبت هذه الريح

والأنصار أنصاران: الأوس والخزرج، نصروا النبي صلى الله عليه وسلم في أول الزمان، وأهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان، غذانا بذلك آباؤنا، وغزونا به أبناءنا، وصار لنا نسبا لا نعرف إلا به، ودينا لا نوالي إلا عليه.." (١)

"ومداراة عدوه، أبلغ في التدبير، وأقرب من الظفر، فإن ما يجزيه أدنى علة تحدث، وأول تأويل يعرض، أو فتنة تنجم؛ فهو يرصد الفرصة ويترقب الفتنة، حتى يصول صولة الأسد، ويروغ روغان الثعلب، فيشفي غليله، ويبرد ثائره.

وإذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب، وإن يموه له الشيطان الوثوب، ويزين له الطلب؛ لأنه قد عرف مأتاه، وكيف يختله من طريق هواه. فإذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقو احتراسه، وكان بعرض هلكة وعلى جناح تغرير؛ لأنه منقسم الرأي متفرق النفس، قد اعتلج على قلبه غيظ **الثأر** على قرب عهده بأخلاق الجاهلية، وعادة العرب من **الثأر** وتذكر الأحقاد والأمر القديم، وشدة التصميم.

ومن رجل غمته حداثته، وأنف أن يلي عليه أصغر منه.

ومن رجل عرف شدته في أمره، وقلة اغتفاره في دينه، وخشونة مذهبه.

ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد، وينبتان في مغرس واحد، لأن ذلك أقطع لأطماع قريش أن يعود الملك." (٢)

"ومن صفات قريش انها اعز العرب واقواها لذلك لا نجد سبية من قريش، ولم تنهزم قريش في المعارك التي خاضتها مثل معركة الفجار وذات كهف.

ومن صفات قريش انهم تركوا الغزو وعملوا بالتجارة ومع ذلك لم يعترهم البخل الذي عرف به التجار لأن البخل خلقة في الطباع. وفي هذا القول يطبق الجاحظ فلسفة الطبيعة القائلة بان الاخلاق طباع.

من صفات قريش سمو الخلق ورجاحة العقل والحلم والوداعة والبعد عن الجفاء والغلظة، وطيب المأكل.

ومن صفاتها ايضا جمعها بين التدين والفروسية على عكس ما نرى في الروم والترك، فان هؤلاء عندما اعتنقوا النصرانية التي تنهي عن القتل والقتال **والثأر** صارت حالهم الى الجبن والقعود عن القتال. اما قريش فقد ظلوا

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١٧٣/٣

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢١١/٤

رغم تشددهم في التدين وعزوفهم عن الغزو واشتغالهم بالتجارة على بسالتهم وفروسيتهم.

ويحاول الجاحظ أن يستخرج قانونا يحكم العلاقة بين التدين والبسالة ويطبقه على الخوارج الذين اشتهروا ببسالتهم في القتال فيقول ان سبب ذلك هو عقيدتهم الدينية التي تدعو الى الجهاد وبذل الروح للتخلص من الحاكم الظالم.

وهذا ما يفسر لنا استواءهم في النجدة والفروسية رغم اختلاف بلدانهم واعراقهم ولم يتوقف الجاحظ طويلا عند خصال هاشم لانه افاض بها في كتاب فضل هاشم على عبد لمس. وهو يختصر هنا ما اسهب به هناك.

ان اهم خصال هاشم «النبوة التي هي جماع خصال الخير واعلاها وافضلها واجلها واسناها» .

ومن خصالهم الملك، وملكهم من مغرس النبوة لأن العباسيين استمدوا ملكهم من جدهم العباس، والعباس هو عم النبي، والعم وارث كالأب.

ومن خصال هاشم طول سني ملكهم الذي يناهز، عدا حكم علي بن ابي." (١)

"(٣) يجمل الجاحظ فضائل معاوية التي يقول بها ابن حسان والسفيانية. ويبدو ان النص حرف بحيث لا يظهر فيه رأي الجاحظ الحقيقي في معاوية. فحسب النص معاوية مؤمن عادل غير فاسق؛ ولكن حسب نص النابتة، معاوية فاسق وضال وكافر.

(٤) يذكر الجاحظ طرق اختيار الامام او اقامته. وقد ذكر معظمها في كتاب العثمانية (راجع رسالة العثمانية ضمن هذا الكتاب) . وتبنى الاولى منها التي تقول «والامامة لا تستوجب الا بالتقدم في الفضل والتقدم في السوابق، والا بأن يكون الفضل اما ظاهرا للعيون ومشهورا عند جميع المسلمين قد اجمعوا على تقديم رجل وتأمير امير من تلقاء انفسهم بغير سيف ولا خوف ولا اكراه ظاهر ولا سبب يوجب سوء الظن فضلا على غير ذلك» .

(٥) يعدد الجاحظ كتاب الوحي الذين سبقوا معاوية او عملوا معه وقد كان له رأي سيء بالكتاب عامة (راجع رسالة الكتاب ضمن كتابنا هذا «رسائل الجاحظ السياسية») .

(٦) الجاحظ يريد أن يقول ان قتلة عثمان مهدوا الطريق له الى الخلافة اذ لولا قتل عثمان لما اوهم الناس باشتراك علي في قتله وتأليبهم عليه، ولما قال انه اولى بها لأنه انتدب نفسه للأخذ بثأره.

(٧) موقف عضوي الشورى سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب الناهي عن القتال استغله

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/١٥

معاوية خير استغلال لصالحه. كما افاد من تماسك جنده وتضعضع جند علي، وقد علل الجاحظ تضعضع جند علي لأنهم من النزارية اصحاب الاحقاد والعداوات القبلية الجاهلية، كما انهم من اهل العراق «اصحاب الخواطر والنظر والتأويل والقياس ومع هذه الصفة يكون الاختلاف ... » .

(٨) يذكر الجاحظ سببا آخر ادى الى غلبة معاوية وهي اللجوء الى الترغيب بالمال والمناصب يغري بها اصحاب النفوس الضعيفة والدنيئة. بينما عرف عن علي شتده في بذل المال والضن به على غير مستحقيه.

(٩) حيلة المصاحف لم تنطل على علي، ولكنها انطلت على جنده.

(١٠) دهاء عمرو بن العاص ادى الى ضعف موقف علي.

(١١) الجاحظ يحلل موقف ابي موسى الاشعري، وينتهي الى نتيجة جديدة وهي أنه لم يكن غبيا فيخدع ولكنه انقلب على علي وحاول صرف الخلافة الى عبد الله بن عمر.

(١٢) أنظر موقف الجاحظ من قبول علي بابي موسى حكما، انه يتابع استاذه النظام في تعليل ذلك القبول وهو انه لم يرض به حكما لأنه قصير النظر عديم الفطنة، جاهل بما يضمر ابو موسى من عداوة له، ولا بسبب ضغط انصار ابي موسى اليمانية." (١)

"الارهاب لنشر دينه (انظر ايضا استحقاق الامامة) .

(٣٦) ملخص حجج السفيانية في وجوب امامة معاوية: براءته من عيوب اعضاء الشورى، وانتدابه الى الثأر لدم عثمان.

(٣٧) الجاحظ يعترف بأن حجج السفيانية القاها اليه ابن حسان مفسرة مستوفاة لكي لا يعتب عليه أحد.

(٣٨) جميع حجج السفيانية لم يدل بها معاوية ولم يعرفها اهل عصره انها من تصنع المتكلمين المتأخرين من الناصبة.

(٣٩) يذكر الجاحظ معظم المؤرخين العرب: الزهري ومحمد بن اسحق، امامي اهل الحجاز في علم السير والاخبار، وقتادة البصري، وسماك بن حرب الكوفي، وشبرمة والقاسم بن معن وابن ابي عنيسة البصريين الخ. وهؤلاء ثقات. ومثل الكلبي وابن الكلبي وعوانه والشرقي بن القطامي وابن الحسن المدائني والهيثم بن عدي الخ.. من غير الثقات. ويدل كلام الجاحظ على انه اطلع على كتبهم مما يبرهن على سعة ثقافته.

(٤٠) الدليل على ان هذه الاحتجاجات التي قارت بها السفيانية في عصر معاوية من صنع المتكلمين المحدثين

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٠٢

ان خطب معاوية ورسائله تخلو منها، وكذلك كتاب القضية.

(٤١) الرد على حجة السفيانية بعدم الاجماع على خلافته يدفع الجاحظ الى ايضاح مفهوم الاجماع وعلاقته باستحقاق الامامة. ان الاجماع بنظره ليس سبب الامامة سواء توافر ام لم يتوافر، ان سبب الامامة هو الفضل (راجع نظريته في الامامة في اواخر رسالة العثمانية، وفي كتابنا: المناحي الفلسفية عند الجاحظ) .

(٤٢) الشورى ليست سبب الامامة بنظر الجاحظ، وقد عمل بها عمر وليس من الضروري اتباعها. فأبوبكر لم يعمل بها بل اقام عمر قبل وفاته.

(٤٣) علي اولى بالخلافة بسبب القرابة والرواية والقدم والزهد. هذا الرأي قال به الشيعة ورفضه الجاحظ في «استحقاق الامامة» وكتب أخرى.

(٤٤) الجاحظ لا يستنكر طلب معاوية بدم عثمان ويرى ان قاتل عثمان من اهل النار.

هذا الرأي اعلنه ايضا في رسالة النابتة.)راجعها ضمن رسائل الجاحظ الكلامية) .

(٤٥) علي لم يقتل عثمان ولا اشترك في قتله. هذا الرأي ابداه الجاحظ في مطلع الرسالة (رقم ٦) .." [١]

"والشام والحبشة على الاشتراك في تسيير القوافل التجارية بين مكة واليمن والشام وضمان عدم الاعتداء عليها.. والوجه الثاني هو فرض ضرائب على قبائل قريش ليحمى بها هاشم أهل مكة وقوافلهم التجارية من غارات سائر القبائل مثل طيء وقضاعة وخثعم.

(٦) يلقى الجاحظ ضوءا على حلف الفضول الذي قام به بنو هاشم وسمى حلف الفضول لفضله وفضيلته. وقد تعاقد أفخاذ هاشم: بنو المطلب، وبنو اسد، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان على احقاق الحق ونصرة المظلوم والضرب على ايدي الظالم، سواء كان قريبا او غريبا. وكان الزبير بن عبد المطلب هو الذي دعا الى قيام ذلك الحلف.

(٧) حرب الفجار جرت بين قريش وعامر في زمن الزبير بن عبد المطلب عم النبي.

وقد شهد النبي المعركة اذ كان ينبل فيها على عمومته. وسميت بذلك لان عامر هي التي فجرت.

(٨) يقابل هذه المكارم الهاشمية مخازي امية. فامية كان مضعوفا وصاحب عهار (تعرض لامرأة من بني زهرة فضربه احدهم بالسيف، فلم يستطع قومه الثأر له) . وابنه حرب كان مقيتا (اي تزوج امرأة ابيه أمية في حياته) والمقيتون هم الذين ينكحون نساء ابائهم بعد موتهم. وابو سفيان بن حرب ضربت عنق حليفه ابي الازيهر

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٠٥

الدوسي الازدي ولم يدرك به قودا.

(٩) مقارنة بين خلفاء بني هاشم العباسيين امثال المنصور والرشيد والمعتصم والواثق، وخلفاء أمية امثال مروان بن الحكم ومعاوية ويزيد وعبد الملك الخ.... تبين عظمة العباسيين وقدرتهم وضعف الامويين.

(١٠) الهاشميون أحق بالخلافة من الامويين لأنهم ملكوا بالميراث وحق العصبة والعمومة، اما الامويون فملكوا لانهم قرشيون، وفي هذا يفضلهم العلويون الذين ادعوا الملك بسبب القرابة السابقة والوصية، ويفضلهم العباسيون الذين اعتمدوا الوراثة، ويسبقهم سائر القرشية، اذا كان الملك لا ينال الا بالسوابق والأعمال والجهاد.

والجاحظ يلخص هنا مختلف الدعاوي بالامامة او الخلافة التي كان ينادي بها كل من العلويين والعباسيين وغيرهم.

(١١) يعدد الجاحظ اعمال بني أمية وجورهم على بني هاشم، ابتداء من محاربة علي، الى سم الحسن، وقتل الحسين، وسم ابي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب، وضرب الكعبة وتغيير موعد الصلاة. وقد وردت معظم هذه التهم في." (١)

"[٧- مفاخر الخراسانيين]

وذكرت أنه ذكر جملا من مفاخرة الأجناس، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف، وأنه جمع ذلك وفصله وفسره، وأنه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم، وأضرب عنهم صفحا، يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل، وعن برهان كل صنف، وذكر أن الخراساني يقول: نحن النقباء وأبناء النقباء؛ ونحن النجباء وأبناء النجباء، ومنا الدعاة، قبل أن تظهر نقابة، أو تعرف نجابة، وقبل المغالبة والمباراة، وقبل كشف القناع وزوال التقية وزوال ملك أعدائنا عن مستقره، وثبات ملك أوليائنا في نصابه. وبين ذلك ما قتلنا وشردنا، ونهكنا ضربا وبضعنا بالسيوف الحداد، وعذبنا بألوان العذاب.

وبنا شفى الله الصدور، وأدرك **الثأر**. ومنا الاثنا عشر النقباء، والسبعون النجباء. ونحن الخندقية، ونحن الكفية وأبناء الكفية، ومنا المستجيبة ومن يهرج التيمية ومنا نيم خزان وأصحاب الجوربين ومنا الزغندية والآزاذمردية. ونحن فتحنا البلاد وقتلنا العباد، وأبدنا العدو بكل واد. ونحن أهل هذه الدولة، وأصحاب هذه الدعوة، ومنبت هذه الشجرة. ومن عندنا هبت هذه الريح.

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٦٢

والأنصار أنصاران: الأوس والخزرج نصروا النبي صلى الله عليه وسلم في أول الزمان، وأهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان. غذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا وصار لنا نسبا لا نعرف إلا به، ودينا لا نوالي إلا عليه. ثم نحن على وتيرة واحدة، ومنهاج غير مشترك؛ نعرف بالشيعة، وندين بالطاعة، ونقتل فيها ونموت عليها. سيمانا موصوف، ولباسنا معروف. ونحن أصحاب الرايات السود، والروايات الصحيحة، والأحاديث المأثورة، والذين يهدمون مدن الجبابرة، وينزعون الملك من أيدي الظلمة، وفينا تقدم الخبر، وصح الأثر. وجاء في الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها." (١)

"وقال ابن عياش الكندي لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو: [من الطويل]

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم ... تريقون تامورا شفاء من الكلب «١»

وقال الفرزدق: [من الطويل]

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا ... شفتها وذو الخبل الذي هو أدنف «٢»

وذاك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفي من عضة الكلب الكلب، وتشفي من الجنون أيضا، كما قال الفرزدق:

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا ... شفتها................ ....

ثم قال: «وذو الخبل الذى هو أدنف» وقد قال ذلك عاصم بن القرية، وهو جاهلي: [من الطويل]

وداويته مما به من مجنة ... دم ابن كهال والنطاسي واقف «٣»

وقلدته دهرا تميمة جده ... وليس لشيء كاده الله صارف «٤»

وكان أصحابنا يزعمون أن قولهم: «دماء الملوك شفاء من الكلب» ، على معنى أن الدم الكريم هو الثأر المنيم، وأن داء الكلب على معنى قول الشاعر: [من الرمل]

كلب من حس ما قد مسه ... وأفانين فؤاد مختبل «٥»

وعلى معنى قوله: [من الكامل]

كلب بضرب جماجم ورقاب «٦»." (٢)

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٧٩

(٢) الحيوان الجاحظ ٢/٢٦١

"فإذا كلب من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب، وليس أن هناك دما في الحقيقة يشرب ولولا قول عاصم بن القرية: «والنطاسي واقف» . لكان ذلك التأويل جائزا.

وقول عوف بن الأحوص: [من الوافر]

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو ... دماء القوم للكلبى شفاء «١»

وفي الكلب يقول الأعشى: [من الطويل]

أراني وعمرا بيننا دق منشم ... فلم يبق إلا أن يجن وأكلبا «٢»

ألا ترى أنه فرق بينهما، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة: [من البسيط]

يسعى خزيمة في قوم ليهلكهم ... على الحمالة هل بالمرء من كلب «٣»

لكان ذلك على تأويل ما ذهبوا إليه جائزا، وقال الآخر: [من الطويل]

وأمر أميري قد أطعتم فإنما ... كواه بنار بين عينيه مكلب «٤»

وهذا عندي لا يدخل في الباب الأول، وقد جعلوه منه.

٢٧١-[طباع الكلب العجيبة]

قال صاحب الكلب: وزعمتم أنه يبلغ من فضل قوة طباع الديك في الإلقاح، أنه متى سفد دجاجة وقد احتشت بيضا صغارا من نتاج الريح والتراب، قلبها كلها حيوانا ولو لم يكن سفدها إلا مرة واحدة، وجعلتموه في ذلك بغاية الفحلة، فطباع الكلب أعجب إلقاحا وأثقب، وأقوى وأبعد، لأن الكلب إذا عض إنسانا، فأول ذلك أن يحيله نباحا مثله، وينقله إلى طباعه، فصار ينبح، ثم يحبله ويلقحه بأجراء صغار يبولها علقا في صور الكلاب، على بعد ما بين العنصرين والطبعين والجنسين، والذى يتولد في أرحام الدجاج، أقرب مشاكلة إلى طباع الديك، فالكلب هو العجب العجيب، لأنه أحبل ذكرا من خلاف جنسه، ولأنه مع الإحبال والإلقاح، أحاله نباحا." (١)

"كلها بعد القيام بشأن فراخ نفسه، أنه يتعاهد فرخ العقاب الثالث، الذي تخرجه من عشها، لأنها أشره وأرغب بطنا، وأقسى قلبا وأسوأ خلقا من أن تحتمل إطعام ثلاثة.

وهي مع ذلك سريعة الجزع، فتخرج ما فضل عن فرخين. فإذا أخرجته قبله كاسر العظام وأطعمه، لأن العقاب من اللائي تبيض ثلاث بيضات في أكثر حالاتها.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٢٦٢

٣٦١-[دفاع أسدي عن أكل قومه لحوم الكلاب]

قال: وعير رجل من بني أسد بأكل لحوم الكلاب، وذهب إلى قوله: [من الرجز]

يا فقعسي لم أكلته لمه ... لو خافك الله عليه حرمه «١»

فما أكلت لحمه ولا دمه

قال: فقال الأعرابي: أما علمت أن الشدة والشجاعة، والبأس والقوة من الحيوان، في ثلاثة أصناف: العقاب في الهواء، والتمساح في ساكن الماء، والأسد في ساكن الغياض.

وليس في الأرض لحم أشهى إلى التمساح ولا إلى الأسد من لحم الكلب. فإن شئتم فعدوه عدوا لهما، فإنهما يأكلانه من طريق الغيظ وطلب الثأر، وإن شئتم فقولوا غير ذلك.

٣٦٢-[بنو أسد أشبه بالأسد]

وبنو أسد أسد الغياض «٢» ، وأشبه شيء بالأسد، فلذلك تشتهي من اللحمان أشهاها إلى الأسد. والدليل على أنهم أسد، وفي طباع الأسد، أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم، لوجدت شطرها أو قريبا من شطرها لبني أسد.

٣٦٣-[أنفة الكلب]

قالوا: ثم بعد ذلك كله أن الكلب لا يرضى بالنوم والربوض على بياض الطريق، وعلى عفر التراب، وهو يرى ظهر البساط، ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح «٣» فمن نبله في نفسه أن يتخير أبدا أنبل موضع." (١)

"وبعض القول ليس له عناج ... كمخض الماء ليس له إتاء

وقال تأبط شرا- إن كان قالها-[١] : [من المديد]

شامس في القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل [٢]

وله طعمان: أري وشري ... وكلا الطعمين قد ذاق كل [٣]

مسبل في الحي أحوى رفل ... وإذا يغدو فسمع أزل [٤]

ووراء الثأر منه ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل

مطرق يرشح سما، كما ... أطرق أفعى ينفث السم صل

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٣٣٦

خبر ما نابنا مصمئل ... جل حتى دق فيه الأجل [٥]
كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل [٦]
فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل
وقال سلامة بن جندل [٧] : [من الطويل]
سأجزيك بالود الذي كان بيننا ... أصعصع إني سوف أجزيك صعصعا
سأهدي وإن كنا بتثليث مدحة ... إليك وإن حلت بيوتك لعلعا
فإن يك محمودا أبوك فإننا ... وجدناك محمود الخلائق أروعا
فإن شئت أهدينا ثناء ومدحة ... وإن شئت أهدينا لكم مائة معا
فقال صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد: الثناء والمدحة أحب إلينا. وكان أحمر بن جندل أسيرا في يده، فخلى سبيله من غير فداء.

---

[١] الأبيات من قصيدة تنسب إلى تأبط شرا، أو الشنفرى، أو خلف الأحمر، أو ابن أخت تأبط شرا في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٣٢، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٦٢/٢، والخزانة ٣٣٢/٣ (بولاق) ، وانظر ديوان الشنفرى في الطرائف الأدبية ٣٩، الفقرة (حى) .
[٢] الشعرى: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر. «اللسان: شعر» .
[٣] الأري: العسل. «القاموس: أري» . الشري: الحنظل أو شجره. «القاموس: شري» .
[٤] الرفل: الكثير اللحم. «القاموس: رفل» . السمع: ولد الذئب من الضبع. «القاموس: سمع» . الأزل: القليل لحم الفخذين. «القاموس: أزل» .
[٥] المصمئل؛ في القاموس: اصمأل: اشتد، والمصمئلة: الداهية. «القاموس: صمأل» .
[٦] أراد بالماضي الأول: الرجل الشديد، وبالماضي الثاني: السيف القاطع.
[٧] الأبيات في البيان والتبيين ٣١٨/٣- ٣١٩.." (١)

"والإنسان رديء البصر بالليل، والذي لا يبصر منهم بالليل تسميه الفرس شبكور وتأويله أنه أعمى ليل [١] ، وليس له في لغة العرب اسم أكثر من أنه يقال لمن لا يبصر بالليل بعينه: هدبد. ما سمعت إلا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢/٣

بهذا، فأما الأغطش فإنه السيء البصر بالليل والنهار جميعا.

وإذا كانت المرأة مغربة العين فكانت ردية البصر، قيل لها: جهراء. وأنشد الأصمعي في الشاء [٢] : [من الكامل]

جهراء لا تألو إذا هي أظهرت ... بصرا ولا من عيلة تغنيني

وذكروا أن الأجهر الذي لا يبصر في الشمس. وقوله «لا تألو» أي لا تستطيع.

وقوله: «أظهرت» صارت في الظهيرة. «والعيلة» : الفقر. قال: يعني به شاة.

وقال يحيى بن منصور، في هجاء بعض آل الصعق: [من البسيط]

يا ليتني، والمنى ليست بمغنية، ... كيف اقتصاصك من ثأر الأحابيش

أتنكحون مواليهم كما فعلوا ... أم تغمضون كإغماض الخفافيش

وقال أبو الشمقمق، وهو مروان بن محمد [٣] : [من مجزوء الرمل]

أنا بالأهواز محزو ... ن وبالبصرة داري

في بني سعد وسعد ... حيث أهلي وقراري

صرت كالخفاش لا أب ... صر في ضوء النهار

وقال الأخطل التغلبي [٤] : [من الطويل]

وقد غبر العجلان حينا إذا بكى ... على الزاد ألقته الوليدة في الكسر

فيصبح كالخفاش يدلك عينه ... فقبح من وجه لئيم ومن حجر [٥]

وقالوا: السحاة مقصورة: اسم الخفاش، والجمع سحا كما ترى.

---

[١] نقل الزمخشري هذا القول في أساس البلاغة (هدب) .

[٢] البيت لأبي العيال الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٤١٥، واللسان والتاج (جهر، ألا) ، والمخصص ٦/١٦٤، وديوان الأدب ٢/٢٦١، وللهذلي في التهذيب ٦/٤٩، ١٥/٤٣٢، والمقاييس ١/١٢٩.

[٣] ديوان أبي الشمقمق ١٣٦.

[٤] ديوان الأخطل ١٨٣، والأول في العين ٣٠٧/٥، والثاني في اللسان والتاج (حجر) .

[٥] حجر: أراد محجر العين. ديوانه ١٨٣.." (١)

"قال: والسباع تشتهي رائحة الفهود، والفهد يتغيب عنها، وربما فر بعضها منه فيطمع في نفسه، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله.

قال: والتمساح يفتح فاه إذا غمه ما قد تعلق بأسنانه، حتى يأتي طائر فيأكل ذلك، فيكون طعاما له وراحة للتمساح.

قال: وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صعترا جبليا، وقد فعلت ذلك مرارا، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر مرارا كثيرة، فإذا أكثرت من ذلك هلكت.

قال: وأما ابن عرس، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب، لأن رائحة السذاب مخالفة للحية، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران.

قال: والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبل القمح.

قال: ونظن أن ابن عرس يحتال للطير بحيلة الذئب للغنم؛ فإنه يذبحها كما يفعل الذئب بالشاة.

قال: وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعم.

وزعم أن القنافذ لا يخفى عليها شيء من جهة الريح وتحولها وهبوبها، وأنه كان بقسطنطينية رجل يقدم ويعظم؛ لأنه كان يعرف هبوب الريح ويخبرهم بذلك وإنما كان يعرف الحال فيها بما يرى من هيئة القنافذ.

١١٢٣-[القول في العيون]

والعيون الحمر للعرض المفارق، كعين الغضبان، وعين السكران، وعين الكلب، وعين الرمد.

والعيون الذهبية، عيون أصناف البزاة من بين العقاب إلى الزرق.

والعيون التي تسرج بالليل، عيون الأسد، وعيون النمور، وعيون السنانير، وعيون الأفاعي.

قال أبو حية [١] : [من الطويل]

غضاب يثيرون الذحول، عيونهم ... كجمر الغضا ذكيته فتوقدا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٦٠/٣

[١] ديوان أبي حية ١٣٦ «الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر» .." (١)

"وقالت كبشة بنت معد يكرب [١] : [من الطويل]

وأرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه ألا تغلوا لهم دمي [٢]

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم [٣]

جدعتم بعبد الله آنف قومكم ... بني مازن أن سب راعي المخزم

فإن أنتم لم تثأروا لأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسامعها حجم، كانت الدنيا لها معرضة. وقال عنترة [٤] : [من الكامل]

وكأنما أقص الإكام عشية ... بقريب بين المنسمين مصلم [٥]

تأوي له حزق النعام كما أوت ... حزق يمانية لأعجم طمطم [٦]

ولو كان عنترة إنما أراد عدم الحجم، لقد كانت الدنيا له معرضة.

وقال زهير [٧] : [من الوافر]

بآرزة الفقارة لم يخنها ... قطاف في الركاب ولا خلاء [٨]

---

[١] الأبيات لكبشة بنت معدي كرب في الحماسة البصرية ١/٧٣- ٧٤، والأغاني ١٥/٢٣٠، والأمالي ٢/٢٢٦، وذيل الأمالي ١٩٠، ومعجم البلدان ٣/٤٠٦ (صعدة) ، والخزانة ٣/٧٧ (بولاق) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢١٧، والتبريزي ١/١١٧، ومعجم الأديبات الشواعر ٤١٢، وحماسة البحتري ٣٠.

[٢] تغلوا: تخونوا.

[٣] الإفال: جمع أفيل، زنة أمير، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية. والأبكر: جمع بكر، وهو ولد الناقة. صعدة: مخلاف من مخاليف اليمن. وفي قولها: «بيت بصعدة مظلم» إشارة إلى زعم العرب من أن القتيل إذا ثأروا به أضاء قبره، أما إذا قبلت ديته أو هدر دمه فإن قبره يبقى مظلما.

[٤] ديوان عنترة ٢٠.

[٥] أقص: أكسر. الإكام: جمع أكمة، وهي الرابية. المنسمان: الظفران المقدمان في الخف.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٣٧١

[٦] تقدم شرح البيت مع تخريج واف له في الفقرة (١١٨٩) .
[٧] ديوان زهير ٥٧- ٥٨، والبيت الأول في اللسان والتاج (خلأ، أرز، قطف) ، والمقاييس ٧٩/١، والعين ٣٨٣/٧، والجمهرة ١٠٥٦، والتهذيب ٥٧٧/٧، ٢٤٩/١٣، والمجمل ١٧٩/١، وبلا نسبة في الجمهرة ٤٦، ١٠٦٩، والمخصص ١٦٢/٧، والبيت الثاني في اللسان والتاج (أوأ، هوى) ، والمقاييس ١٥/٦، والمخصص ٦٤/٣، ١٢٠/١٥، والمجمل ٤٥٥/٤، والبيت الثالث في اللسان (أوأ، جنأ، سكك، صلم، خنا، سيا) والتاج (أوأ، سكك، تنم، صلم) وكتاب الجيم ٢٧٩/١، والتهذيب ٣٤٠/٩، ١٩٧/١١، ٣٠٧/١٤، والتنبيه والإيضاح ٥/١، وبلا نسبة في المقاييس ٣٣/١، والجمهرة ٢٥٠، والمجمل ١٥٥/١.
[٨] في ديوانه: «الآرزة: الدانية بعضها إلى بعض. الفقارة: فقر الظهر. القطاف: مقاربة الخطو وضيق الشحوة وألا يكون وساعا. الركاب: الإبل. الخلاء: أن تبرك فلا تبرح.." (١)

"قال: وضروب من الطير لا تلتمس أرزاقها إلا بالليل، منها الخفاش، والبومة، والصدى [١] ، والضوع [٢] ، وغراب الليل.

والبعوض بالنهار تؤذي بعض الأذى، وإنما سلطانها بالليل. وكذلك البراغيث.

وأما القمل فأمره في الحالات مستو. وليس للذبان بالليل عمل. إلا أني متى بيت معي في القبة ما صار إليها، وسكن فيها من الذبان، ولم أطردها بالعشي وبعد العصر، فإني لا أجد فيها بعوضة واحدة.

١٥٢١-[شعر في البعوض]

وقال الراجز في خرطوم البعوضة [٣] : [من الرجز]

مثل السفاة دائم طنينها ... ركب في خرطومها سكينها [٤]

وقال الهذلي [٥] : [من الوافر]

كأن وغى الخموش بجانبيه ... وغى ركب أميم ذوي هياط [٦]

والخموش: أصناف البعوض. والوغى: أصوات الملتفة التي لا يبين واحدها عن معنى، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا على الحرب، وكما تسمع من ضجة السوق.

وقال الكميت وهو يذكر قانصا وصاحب قترة [٧]- لأنه ل، يبتني بيته إلا عند

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٥٣/٤

[١] الصدى: ذكر البوم، وتقول العرب إنه يخلق من رأس المقتول، يصيح في هامة المقتول إذا لم يؤخذ بثأره يقول: اسقوني اسقوني؛ حتى يقتل قاتله. حياة الحيوان ١/ ٦١٠.

[٢] الضوع: طائر من طير الليل من جنس الهوام، وقيل: هو ذكر البوم. حياة الحيوان ١/٦٤٩.

[٣] الرجز في ذيل الأمالي ١٢٩، وتقدم في ٣/١٥١، الفقرة (٧٦٦) .

[٤] السفاة: الشوك.

[٥] البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١٢٧٢، واللسان (خمش، زيط، لغط، وعي، وغي) والتاج (خمش، زأط، زيط، لغط، وعي، وغي) ، والتنبيه والإيضاح ٢/٣١٧، وللهذلي في الجمهرة ٦٠٣، ١٢٥٥، والمخصص ٨/١٨٥، والأساس (وعي) ، وبلا نسبة في التهذيب ١٣/٢٣٤، والمقاييس ٢/٢١٩.

[٦] في ديوان الهذليين ٢/٢٥: «الخموش: البعوض. والهياط: الصياح والمجادلة؛ ويقال: فعلته بعد الهياط والمياط، أي بعد الجلبة والصوت. والوغى والوعى واحد، وهو الصوت في الحرب» .

[٧] القترة: البئر: يحتفرها الصائد يكمن فيها.." (١)

"أعاذل لو كان النداد لقوتلوا ... ولكن أتانا كل جن وخابل

وقد زعم ناس أن الخبل والخابل ناس. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، فكيف يقول أوس بن حجر [١] : [من الطويل]

ناوح جنان بهن وخبل

١٧٨٦-[استطراد لغوي]

قالوا: وإذا تعرضت الجنية وتلونت وعبثت فهي شيطانة، ثم غول. والغول في كلام العرب الداهية. ويقال: لقد غالته غول. وقال الشاعر: [من البسيط]

تقول بيتي في عز وفي سعة ... فقد صدقت ولكن أنت مدخول

لا بأس بالبيت إلا ما صنعت به ... تبني وتهدمه هدا له غول

وقال الراجز: [من الرجز]

والحرب غول أو كشبه الغول ... تزف بالرايات والطبول

تقلب للأوتار والذحول ... حملاق عين ليس بالمكحول [٢]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢١٥

١٧٨٧-[زواج الجن بالأعراب]

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم، ويكلمونهم، ويناكحونهم. ولذلك قال شمر بن الحارث الضبي [٣] : [من الوافر]

ونار قد حضأت بعيد هدء ... بدار لا أريد بها مقاما

سوى تحليل راحلة وعين ... أكالئها مخافة أن تناما

أتوا ناري فقلت منون قالوا ... سراة الجن قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم ... زعيم نحسد الإنس الطعاما

وذكر أبو زيد عنهم أن رجلا منهم تزوج السعلاة، وأنها كانت عنده زمانا، وولدت منه، حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالي، فطارت إليهن، فقال [٤] :

[من الوافر]

---

[١] انظر الحاشية الرابعة في الصفحة السابقة.

[٢] الأوتار: جمع وتر، وهو الثأر. الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر. الحملاق: باطن جفن العين.

[٣] تقدمت الأبيات في ٤/ ٥٠٠، مع نسبتها إلى سهم بن الحارث.

[٤] تقدم قول أبي زيد مع البيت في ١/ ١٢١، الفقرة (١٤٦) ، وأضف إلى مصادر البيت: شرح شواهد الإيضاح ٢٢٥، والخصائص ٢/ ١٩، ورصف المباني ١٤٦، واللسان (أهل) .." (١)

"باب من نذر في حمية المقتول نذرا فبلغ في طلب ثأره الشفاء

قال العبسي: [من الوافر]

دعوت الله إذ قدنا إليهم ... لنلقى منقرا أو عبد عمرو

وكانت حلفة حلفت لوتر ... وشاء الله أن أدركت وتري

وإني قد سقمت فكان برئي ... بقرواش بن حارثة بن صخر

والأعراب تعد القتل سقما وداء لا يبرئه أخذ ثأره دون أخ أو ابن عم، فذلك الثأر المنيم.

ومن قال في ذلك صبار بن التوءم اليشكري، في طلب الطائلة وأن ذلك داء ليس له برء، وكانوا قتلوا أخاه

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/ ٤١٨

إساف بن عباد، فلما أدرك ثأره قال: [من الطويل]

ألم يأتها أني صحوت وأنني ... شفاني من الداء المخامر شاف

فأصبحت ظبيا مطلقا من حبالة ... صحيح الأديم بعد داء إساف

وكنت مغطى في قناعي حقبة ... كشفت قناعي واعتطفت عطافي [١]

وفي شبيه بهذا المذهب من ذكر الداء والبرء قال الآخر [٢] : [من البسيط]

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ... إن الشباب جنون برؤه الكبر

وفي شبيه بالأول قول الشيخ الباهلي، حين خرج إلى المبارزة على فرس أعجف، فقالوا: «بال على بال!» . فقال الشيخ: [من الوافر]

رآني الأشعري فقال بال ... على بال ولم يعرف بلائي

ومثلك قد كسرت الرمح فيه ... فآب بدائه وشفيت دائي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء [٣] : [من الوافر]

بعين أباغ قاسمنا المنايا ... فكان قسيمها خير القسيم

---

[١] العطاف: الرداء.

[٢] البيت للعتبي أو لابن أبي فنن، وتقدم تخريجه ص ٣٤٤.

[٣] الأبيات لزينب بنت فروة بن مسعود الشيباني في معجم الأدبيات ٢٥١، ومعجم البلدان ١/ ٦٨ (أباغ) . وانظر العقد الفريد ٣/ ٣٧٣.." (١)

"فلطمها عبد الملك

١٩٤٥-[حديث امرأة وزوجها]

ابن الأعرابي: قالت امرأة لزوجها، وكانت صغيرة الركب، وكان زوجها صغير الأير: ما للرجل في عظم الركب منفعة، وإنما الشأن في ضيق المدخل، وفي المص والحرارة، ولا ينبغي أن يلتفت إلى ما ليس من هذا في شيء. وكذلك الأير، إنما ينبغي أن تنظر المرأة إلى حر جلدته، وطيب عسيلته، ولا تلتفت إلى كبره وصغره.

وأنعظ الرجل على حديثها إنعاظا شديدا، فطمع أن ترى أيره في تلك الحال عظيما، فأراها إياه، وفي البيت

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/ ٥٤٢

سراج، فجعل الرجل يشير إلى أيره، وعينها طامحة إلى ظل أيره في أصل الحائط، فقال: يا كذابة، لشدة شهوتك في عظم ظل الأير لم تفهمي عني شيئا، قالت: أما إنك لو كنت جاهلا كان أنعم لبالك يا مائق، لو كان منفعة عظم الأير كمنفعة عظم الركب لما طمحت عيني إليه. قال الرجل: فإن للركب العظيم حظا في العين، وعلى ذلك تتحرك له الشهوة. قالت: وما تصنع بالحركة، وشك يؤدي إلى شك؟ الأير إن عظم فقد ناك جميع الحر، ودخل في تلك الزوايا التي لم تزل تنتظم من بعيد. وغيرها المنتظم دونها، وإذا صغر ينيك ثلث الحر ونصفه وثلثيه.

فمن يسره أن يأكل بثلث بطنه، أو يشرب بثلث بطنه؟

قال اليقطري: أمكنها والله من القول ما لم يمكنه.

١٩٤٦-[الجارية التي أدركت بثأرها من معاوية]

وقال [١] : وخلا معاوية بجارية له خراسانية، فما هم بها نظر إلى وصيفة في الدار، فترك الخراسانية وخلا بالوصيفة ثم خرج فقال للخراسانية: ما اسم الأسد بالفارسية؟ قال: كفتار. فخرج وهو يقول: ما الكفتار؟ فقيل له: الكفتار الضبع.

فقال: ما لها قاتلها الله، أدركت بثأرها! والفرس إذا استقبحت وجه الإنسان قالت: روي كفتار، أي وجه الضبع.

١٩٤٧-[كتاب عمر بن يزيد إلى قتيبة بن مسلم]

قال: وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة بن مسلم، حين عزل وكيع بن سود عن رياسة بني تميم، وولاها ضرار بن حسين الضبي: «عزلت السباع ووليت الضباع» .

---

[١] ورد الخبر في ربيع الأبرار ٥/٤١٨.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٦٠/٦

"رأس جبل، وهو قوله [١] :

فلا تتركني يا ربيع لهذه ... وكنت أراني قبلها بك واثقا

فرده إلى أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون ... دمون إنا معشر يمانون

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٥٩٩

وإننا لأهلنا محبون

ثم قال: ضيعنى صغيرا، وحملنى دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر، ثم قال:

خليلى ما فى اليوم مصحى لشارب ... ولا فى غد إذ كان ما كان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل

بقتل بنى أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

ثم استجاش بكر بن وائل [٢] ، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من بنى أسد، فقال:

يا لهف نفسى إذ خطئن كاهلا ... القاتلين الملك الحلاحلا

تالله لا يذهب شيخى باطلا

---

[١] من أبيات فى ديوانه بشرح السندوبى ١٢٢- ١٢٣.

[٢] استجاشهم: أى طلب منهم جيشا، يريد أن يستعين بهم على بنى أسد قاتلى أبيه.

والذين أجابوه إلى ثأره أولاهم بنو بكر وبنو تغلب ابنى وائل.

[٣] البيتان الأولان فى اللسان ١٣: ١٨٤ الحلاحل، بضم الحاء الأولى: السيد فى عشيرته الشجاع الركين فى مجلسه، والجمع «حلاحل» بفتح الحاء الأولى.." (١)

"زهير، أخت كليب ومهلهل ابنى ربيعة التغلبيين. وكليب هو الذى تقول فيه العرب: «أعز من كليب وائل» وبمقتله هاجت حرب بكر وتغلب [١] .

١٥٧* وكان قباذ ملك فارس ملك الحرث بن عمرو جد امرئ القيس على العرب، ويقول أهل اليمن: أن تبعا الأخير ملكه، وكان الحرث ابن أخته، فلما هلك قباذ وملك أنوشروان ملك على الحيرة المنذر بن ماء السماء، وكانت عنده هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر، فولدت له عمرو بن المنذر وقابوس ابن المنذر. وهند عمة امرئ القيس، وابنها عمرو هو محرق.

١٥٨* ثم ملكت بنو أسد حجرا عليها، فساءت سيرته، فجمعت له بنو أسد، واستعان حجر ببنى حنظلة

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ١/١٠٩

بن مالك بن زيد مناة بن تميم، فقال امرؤ القيس [٢] :

تميم بن مر وأشياعها ... وكندة حولى جميعا صبر

فبعثت بنو أسد إلى بنى حنظلة تستكفها وتسألها أن تخلى بينها وبين كندة، فاعتزلت بنو حنظلة، والتقت كندة وأسد، فانهزمت كندة وقتل حجر، وغنمت بنو أسد أموالهم. وفى ذلك يقول عبيد بن الأبرص الأسدى:

هلا سألت جموع كن ... دة يوم ولوا هاربينا [٣]

وكان قاتل حجر علباء بن الحرث الأسدى، وأفلت امرؤ القيس يومئذ، وحلف لا يغسل رأسه ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره ببنى أسد، فأتى ذا جدن الحميرى فاستمده فأمده، وبلغ الخبر بنى أسد فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على

---

[١] انظر مجمع الأمثال ١: ٤٢٧، ٣٣٠- ٣٣٢ وأيام العرب ١٤٢ وما بعدها.

[٢] من قصيدة فى الديوان ٧٧- ٨٣.

[٣] من قصيدة فى ديوانه ٢٧- ٢٩ وقد سبقت الإشارة إليها (١١٠) ومنها أبيات فى الخزانة: ٣٢٢ ورواية الديوان والخزانة «يوم ولو أين أينا» .." (١)

"٣٧٢* والرابعة:

طال ليلى أراقب التنويرا ... أرقب الليل بالصباح بصيرا

٣٧٣* وهو القائل فى قصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب بالثأر:

دعا بالبقة الأمراء يوما ... جذيمة عصر ينجوهم ثبينا [١]

فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول، لو تبع، اليقينا

ودست فى صحيفتها إليه ... ليملك بضعها ولأن تدينا

فأردته، ورغب النفس يردى ... ويبدى للفتى الحين المبينا

وخبرت العصا الأنباء عنه ... ولم أر مثل فارسها هجينا [٢]

وقدمت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذبا ومينا [٣]

ومن حذر الملاوم والمخازى ... وهن المنديات لمن منينا [٤]

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ١/١١٦

أطف لأنفه الموسى قصير ... ليجدعه وكان به ضنينا [٥]

فأهواه لمارنه فأضحى ... طلاب، الوتر، مجدوعا مشينا

وصادفت امرءا لم تخش منه ... غوائله، وما أمنت أمينا

[١] بقة: موضع أو حصن قريب من الحيرة، كان ينزله جذيمة الأبرش. ينجوهم: يناجيهم ويسارهم، نجوتهم نجوا: ساررته. الثبون، بضم الثاء وكسرها: جمع ثبة، بالضم، وهى العصبة من الفرسان. والأبيات فى المعاهد. وقصة الزباء مشهورة، مفصلة فى الأمثال ١: ٧٨، ٢٠٥- ٢٠٨ والمعاهد وغيرهما. والبيت والذى بعده مع آخرين فى البلدان ٢: ٢٥٣ وحماسة البحترى ١٧٢.

[٢] العصا: فرس جذيمة، وهى بنت العصية، فرس لإياد، لا تجارى. والبيت فى الخيل لابن الكلبى ٣٢.

[٣] الراهشان: عرقان فى باطن الذراعين.

[٤] المنديات: المخزيات التى يعرق لها الوجه ويندى. وكذلك كانت فى الأصول، ثم غيرها مصحح ل جعلها «المندبات» بالموحدة، تبعا للمعاهد، وهو خطأ ولا معنى له.

منينا، بالبناء للفاعل، أى: أصبنه فى ل بالبناء للمجهول، وهو خطأ.

[٥] أطف لأنفه الموسى: قربه منه. وصدر البيت فى اللسان ١١: ١٢٥ محرفا غير منسوب.." (١)

"٢٥- لبيد بن ربيعة

[١] ٤٦٧* هو لبيد بن ربيعة بن مالك [٢] بن جعفر بن كلاب العامرى. وكان يقال لأبيه «ربيع المقترين» لسخائه. وقتلته بنو أسد فى حرب بينهم وبين قومه.

(ويقال قتله منقذ بن طريف الأسدى [٣] . ويقال قتله صامت بن الأفقم، من بنى الصيداء، يقال ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا. وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله)

.

٤٦٨* ويكنى لبيد أبا عقيل. وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم.

وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى، وهو الأعرج، وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمره عليهم. فصاروا إلى عسكر المنذر، وأظهروا أنهم أتوه داخلين فى طاعته، فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم، فقتل

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٢٢١/١

أكثرهم ونجا لبيد، حتى أتى ملك غسان فأخبره الخبر، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم، وهو يوم حليمة. وكانت حليمة بنت ملك غسان، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا، وألبستهم الأكفان والدروع وبرانس

---

[١] ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى ٤: ٢٤٩ وطبقات ابن سعد ٦: ٢٠ والاستيعاب ٢٣٥- ٢٣٧ وأسد الغابة ٤: ٢٦٠- ٢٦٣ والإصابة ٦: ٤- ٥ والمعمرين ٦٠- ٦٣ والأغانى ١٤: ٩٠- ٩٨ والخزانة ١: ٣٣٤- ٣٣٩.

[٢] فى الاستيعاب، وتبعه أسد الغابة والإصابة والخزانة «ابن ربيعة بن عامر بن مالك» .

وزيادة «عامر» فى النسب خطأ، عامر بن مالك عم لبيد لا جده، وهو ملاعب الأسنة، أخو ربيعة بن مالك. وسيأتى ذكره.

[٣] طريف: بالطاء المهملة، وفى ل بالمعجمة، وهو خطأ. فإن منقذا هذا هو الجميح الأسدى الشاعر، واسمه «منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف» نسب هنا إلى جده الأعلى، ترجمنا له فى المفضلية ٤. وكان مقتل ربيعة فى «يوم ذى علق» وقد قال فيه الجميع المفضلية ٧ وانظر الأنبارى ٤٥- ٤٨ وابن الأثير ١: ٢٦٩- ٢٧٠.." (١)

"ولقد أعطفها كارهة ... حين للنفس من الموت هرير

كل ما ذلك منى خلق ... وبكل أنا فى الروع جدير

٦٣٧* (ومن جيد شعره

أمن ريحانة

البيت.

وفيها يقول [١] :

أشاب الرأس أيام طوال ... وهم ما تضمنه الضلوع

وسوق كتيبة دلفت لأخرى ... كأن زهاءها رأس صليع [٢]

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٢٦٦/١

وصله بالزماع فكل أمر ... سما لك أو سموت له ولوع) [٣]

٦٣٨* وكان له أخ يقال له عبد الله، وأخت يقال لها كبشة، فقتل عبد الله (أخوه) ، وأراد عمرو أخذ الدية، فقالت كبشة شعرا تعير فيه عمرا [٤] :

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم [٥]

---

[١] هى الأبيات ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨ من الأصمعية ٦١. وفى الاستيعاب. «وشعره هذا من مذهبات القصائد» .

[٢] دلفت: مشت وقاربت الخطو، وهو الرويد، وذلك لكثرة الجيش. الزهاء، بضم الزاى وكسرها: القدر. رأس صليع: جبل لا نبت عليه.

[٣] الزم ا ع، بفتح الزاى وكسرها: المضاء فى الأمر والعزم عليه. الولوع، بفتح الواو العلاقة، وفى اللسان: «ولع به ولعا وولوعا، الاسم والمصدر جميعا بالفتح» .

يقول: أزمع على ما تستطيع، فلكل شيء ناحية تعلق بها النفس.

[٤] من أبيات فى الحماسة ١: ٢١٧- ٢١٨ من شرح التبريزى.

[٥] مشوا، بفتح الميم: من المشى، أى أمشوا، يقال «مشى» و «مشى» بالتضعيف و «تمشى» . و «مشوا» بضم الميم: امسحوا، من المش وهو المسح. المصلم: المستأصل الأذنين وإنما يوصف النعام بذلك لأنها لا آذان لها ظاهرة. والمعنى: إن قبلتم الدية ولم تثأروا فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام. والبيت فى اللسان ٨: ٢٣٩ و ١٥: ٢٣٣.." (١)

"ولقد شربت من المدا ... مة بالصغير وبالكبير [١]

(وشربت بالخيل الإنا ... ث وبالمطهمة الذكور) [٢]

فإذا سكرت فإننى ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإننى ... رب الشويهة والبعير

يا هند هل من نائل ... يا هند للعانى الأسير

وأحبها وتحبنى ... ويحب ناقتها بعيرى [٣]

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٣٦٢/١

٦٨٢* وقتله عمرو بن هند، وقال قبيل قتله:

طل وسط العباد قتلى بلا جر ... م، وقومى ينتجون السخالا [٤]

(لا رعيتم بطنا خصيبا، ولا زر ... تم عدوا، ولا رزأتم قبالا [٥]

فى أبيات.

---

[١] قال التبريزى: «يعنى بصغير ماله وكبيره ولم يرد إناء صغيرا وإناء كبيرا» واستدل بالبيت الذى بعده.

[٢] يريد أنه شرب بثمنها.

[٣] البيت ذكر صاحب الأغانى ١٨: ١٥٦ أن من الناس من يزيده فى هذه القصيدة، قال: «ولم أجده فى رواية صحيحة» ! ومن عجب أنه ذكره فيها فى موضعين آخرين، ولم يعقب على إثباته! وهو ثابت فى مراجع معتمدة، من أوثقها هذا الكتاب، والأصمعيات والحماسة.

[٤] طل: أهدر ولم يثأر به. السخال: ولد الشاء من المعز والضأن، الواحدة «سخلة» والبيت فى الأغانى ١٨: ١٥٤ وشرح الحماسة ٢: ١٠٨.

[٥] رزأتم: نقصتم وأخذتم. القبال، بكسر القاف وتخفيف الباء الموحدة: زمام النعل، يقال «ما قطعت له قبالا ولا رزأته زبالا» أى: أدنى شىء، والزبال، بكسر الزاى وتخفيف الباء: ما تحمله النملة بفيها.." (١)

"إليها حتى قتل. وفى ذلك يقول دريد «١» :

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

١٣٤٠* وكانت أم دريد حضضته بشعر لها على الطلب بثأر عبد الله أخيه، فقال:

ثكلت دريدا إن أتت لك شتوة ... سوى هذه حتى تدور الدوائر

وشيب رأسى قبل حين مشيبه ... بكاؤك عبد الله والقلب طائر

إذا أنا حاذرت المنية بعده ... فلا وألت نفس عليها أحاذر «٢»." (٢)

"١٥٠٥* وقال الرشيد: لو قيل للدنيا: صفى نفسك، وكانت مما تصف، لما عدت قول أبى نواس فيها:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق «١»

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٣٩٣/١

(٢) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٧٤٠/٢

١٥٠٦* ومن خير شعره قوله فى محمد الأمين يرثيه «٢» :

طوى الموت ما بينى وبين محمد ... وليس لما تطوى المنية ناشر

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لى شيء عليه أحاذر

لئن عمرت دور بمن لا تحبه ... لقد عمرت ممن تحب المقابر

١٥٠٧* وقوله فيه يرثيه «٣» :

أيا أمين الله من للندى ... وعصمة الضعفى وفك الأسير

خلقتنا بعدك نبكى على ... دنياك والدين بدمع غزير

يا وحشتا بعدك ماذا بنا ... أحل من بعدك صرف الدهور

لا خير للأحياء فى عيشهم ... بعدك والزلفى لأهل القبور

١٥٠٨* وقال فيه «٤» :

أسلى يا محمد عنك نفسى ... معاذ الله والمنن الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لى كأس الحمام

كأن الدهر صادف منك ثأرا ... أو استشفى بموتك من سقام." (١)

"فإذا علاها الماء ألبسها ... نمشا كشبه جلاجل الحجل «١»

فأتاك شيء لا تلامسه ... إلا بحسن غريزة العقل

فترود منها العين فى بشر ... حر الصحيفة ناصع سهل

حتى إذا سكنت جوامحها ... كتبت بمثل أكارع النمل

خطين من شتى ومجتمع ... غفل من الإعجام والشكل

فاعذر أخاك فإنه رجل ... مرنت مسامعه على العذل

١٥٢٦* وقوله «٢» :

يا منة يمتنها السكر ... ما ينقضى منى لها الشكر

أعطتك قيد مناك من قبل ... من قبل كان مرامها وعر «٣»

فى مجلس ضحك السرور به ... عن ناجذيه وحلت الخمر

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٢/٨٠٥

وهذا بيت يسأل عن معناه، وإنما أخذه من قول امرىء القيس حين قتلت بنو أسد أباه، فحلف لا يشرب خمرا حتى يدرك بثأره، فلما أدرك ثأره قال «٤» :

حلت لى الخمر وكنت امرا ... عن شربها فى شغل شاغل." (١)

"١٩٥- العباس بن الأحنف «١»

١٥٣٥* هو من بنى حنيفة. ويكنى أبا الفضل، وكان منشأه بغداد.

١٥٣٦* ويدلك على أنه من بنى حنيفة قوله للمرأة:

فإن تعتلونى لا تفوتوا بمهجتى ... مصاليت قومى من حنيفة أو عجل «٢»

وقد خطىء فى توعده المرأة بطلب قومه بثأره إذا هو قتل عشقا، والعادة فى مثل هذا من الشعراء أن يجعلوا القتيل مطلولا.

١٥٣٧* وقال فيه مسلم:

بنو حنيفة لا يرضى الدعى بهم ... فاترك حنيفة واطلب غيرهم نسبا

اذهب إلى عرب ترضى بنسبتهم ... إنى أرى لك وجها يشبه العربا «٣»

١٥٣٨* وكان العباس صاحب غزل، ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبى ربيعة. ولم يكن يمدح ولا يهجو.

١٥٣٩* ومن حسن شعره قوله:

أشكو الذين أذاقونى مودتهم ... حتى إذا أيقظونى بالهوى رقدوا

١٥٤٠* وقوله:." (٢)

"الأيم الحية وهو الأين أيضا، وقال ذو الرمة في هذا المعنى وذكر أرضا:

إذا اعتس فيها الذئب لم يلتقط بها ... من الكسب الأمثل ملقى المشاجر

اعتس طلب ما يأكل والمشاجر أعواد الهودج واحدها مشجر، شبه آثار قوائم الناقة حيث بركت بمشاجر ملقاة.

وبينهما ملقى زمام كأنه ... مخيط شجاع آخر الليل ثائر

أي بين الرجل والناقة ملقى زمام كأنه ممرحية، يقال خاط بنا فلان خيطة أي مر بنا مرة، ثائر أي قد قتل

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٨١٢/٢

(٢) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٨١٧/٢

أخوه فجاء يطلب ثأره وهو الشجاع.

ومغفى فتى حلت له فوق رحله ... ثمانية جردا صلاة المسافر

أي ولم يجد هذا الذئب إلا الموضع الذي أغفى فيه الفتى: حلت له أي ثمانية أشهر جرد أي تامة صلاة المسافر أراد تقصير الصلاة.

سوى وطأة في الأرض من غير جعدة ... ثنى أختها في غرز عوجاء ضامر

أي ولم يجد سوى وطأة وطئها هذا الرجل وضع واحدة في غرز." (١)

"تسمع للجن فيه زير يزما

حكي أصوات الجن، وأما قول أبي داود:

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام

فإنهم كانوا يزعمون أن الميت إذا دفن خرج من قبره طائر مثل الهامة فلا يزال يصيح على قبره بالليل حتى يقتل من قتله ويدرك بثأره، ويقال أنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هامة فتطير.

أبو عمر قال وكانوا يسمون ذلك الطائر الصدى، والهام والصدى واحد.

وقال أمية بن أبي الصلت:

غيم وظلما وفضل سحابة ... أيام كفن واسترداد الهدهد

يبغي القرار لأمه ليكنها ... فبنى عليها في قفاه يمهد." (٢)

"فهلا بني شر الشباع ثأرتم ... سدوسا وقد أجزت سدوس وأوجعوا

شر السباع عنزة وهي دويبة صغيرة. آخر:

إذا أنفض الذهلي ما في وعائه ... تلفت هل يلقي برابية قبرا

فإن قيل قبر من لجيم بتلعة.......وسمي رأس ركبته عمرا

روى أن رجلا من عجل أوصى أن يقري الناس عند قبره فجاء رجل من ذهل فوضع قلنسوته على ركبته وسماها عمرا ثم أخذ من القرى حظ اثنين، أوهمهم أن ركبته ولد له صغير.

آخره:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١/ ٢٠٠

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١/ ٣٠٥

إن بني فزارة بن ذبيان ... قد طرقت ناقتهم بإنسان

يقال طرقت المرأة إذا كان خروج ولدها يريد أنهم ينكحون النوق: ومثله لسالم بن دارة:

لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار." (١)

"الكثيب من الرمل لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه. وقال دغفل بن حنظلة في بني مخزوم: معزى مطيرة، عليها قشعريرة، إلا بني المغيرة، فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام. والعرب تقول: أصرد من عنز جرباء. وقيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعزى؟ فقالت: فناء، قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غني، قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منى. وقالوا: العنوق بعد النوق، والعنوق جمع عناق، يراد الصغير بعد الكبير. وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك، قال: إذا ورم حياؤها ودجت شعرتها واستفاضت خاصرتاها وكثفت، يقال كان ذاك وقد دجا ثوب الإسلام. وقال آخر:

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتفي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الدنيا بثأر البهم

يقال أراد الحمى، ويقال أراد الكبر. وقال حميد بن ثور وذكر بعيرا:

محلي بأطواق عتاق يبينها ... على الضر راعي الضأن لا يتقوف." (٢)

"وقال يذكر حصينا:

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة ... لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم

قوله: ولم يفزع بيوتا كثيرة أي قتل رجلا واحدا ولو قتل أكثر من واحد لكان الفزع أكثر، وأم قشعم المنية - أي حيث أقامت لهذا الرجل فأهلكته وذلك إلقاؤها رحلها، وقيل أم قشعم الحرب الشديدة، أبو عبيدة: أم قشعم العنكبوت أي شد عليه بمضيعة فقتله، ويروى يفزع بيوت كثيرة، يقول شد على ثأره وحده فقتله ولم تفزع العامة بطلب واحد، يريد بذلك تملقهم وأن لا يغضبوا وأنه إنما قصد لثأره ولم يردكم فاقبلوا الدية والصلح.

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا ... غمار تفرى بالسلاح وبالدم

الظمء ما بين الشربتين، والغمار من الغمرة وهي أعظم شأنهم تفري تشقق عليهم بالسلاح وبالدم وهذا مثل ضربه لرمهم أمرهم ثم وقوعهم في الحرب. وقال:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٥٧٩/١

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٦٩٣/٢

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم

يريد من عصى الأمر الصغير صار إلى الأمر الكبير، وهذا مثل، يقول: أن الزج ليس يطعن به إنما الطعن بالسنان فمن أبي الصلح وهو الزج أطاع العوالي، ومثل للعرب " الطعن يظأر " أي يعطف على الصلح، أبو عبيدة: يقول من لم يقبل السلم عفوا قبلها بعد أن يغلب ويقتل قومه وكانوا يرفعون الزجاج أولا فإذا أرادوا الحرب قلبوها." (١)

"أمرهم وأسندوه إليه، والمعمم من الرجال كذلك، يقال عممه القوم أمرهم مثل العمامة يتعمم بها، وحاجب هو ابن زرارة التميمي. ابن الأعرابي: الملفف المتوج. وقال يصف قوما:

وما يندوهم النادي ولكن ... بكل محلة منهم فئام

أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم فيتفرقون.

وما تسعى رجالهم ولكن ... فضول الخيل ملجمة صيام

أي لا يسعون في دية يطلبونها ولكن خيولهم تكفيهم ذلك يقول يركبون فيد ركون بالثأر، وفضول الخيل يريد أن لهم خيلا معدة سوى التي يركبونها، ابن الأعرابي: أراد لا يمشون على أرجلهم ولكن يركبون. وقال:

فأما تميم تميم بن مر ... فألفاهم القوم روبى نياما

أبو عبيدة: روبى خثراء الأنفس مختلطين، وروى مثل ذلك عن الأخفش وقال غيره: هم سكاري من اللبن، وليس هذا بشيء، ابن الأعرابي: روبى لم يحكموا أمرهم.

وأما بنو عامر بالنسار ... فكانوا غداة لقونا نعاما

شبههم بالنعام حين هربوا مسرعين.

نعانا بخطمة صرا لخدو ... د لاتطعم الماء إلا صياما

صياما قياما. وقال يصف جيشا:

سمونا بالنسار بذي دروء ... على أركانه شذب منيغ." (٢)

"يحج مأمومة في قعرها لجف ... فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

يحج يصلح، مأمومة شجة بلغت أم الدماغ، ولجف أن يذهب في إحدى الناحيتين، فالطبيب مما يرى من

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/٨٨١

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/٩٣٧

هولها تقذى استه كالمغاريد وهم كمء صغار. ويقال له غماريد مقلوب، وهو مثل الجوز فعقد في كل شجرة ذات هدب، والهدب ما كان يشبه ورق السرو مما ذهب طولا وما ذهب عرضا فهو ورق. وقال العجاج:

عن قلب ضجم توري من سبر

القلب جمع قليب، والضجم العوج، توري تفسد جوفه من الخوف، من سبر هو الذي يسبرها والمسبار الذي يقدر به الجراحة فينظر ما غورها. وقال الكميت يصف رجلا ضرب رأسه:

كأن الأم أم صداه لما ... جلوا عنها غطاطة حابلينا

الحابل الصائد بالحبالة، والغطاطة القطاة، شبه القحف حين ندر بقطاة، والصدى طائر كانت الأعراب تقول أنه يخرج من هامة الميت فلا يزال يصيح على قبره حتى يدرك **بثأره**. فأما قول ذي الإصبع:

إنك إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني." (١)

"أي لا تأمنون إن استقصيتم أن يكون السقام فيكم بأن تكونوا فتلتم فلم **تثأروا** وقهرتم وعسى أن يكون الإبراء منا فيستبين ذلك للناس ويصير عاره عليكم فترك الاستقصاء خير.

أو سكتم عنا فكنتم كمن أغ ... مض عينا في جفنها أقذاء

أو منعتم ما تسألون فمن حد ... ثتموه له علينا العلاء

أي إن منعتم ما تسألون من النصفة فانظروا من ضامنا أو كانت له الغلبة علينا فاعتبروا.

فاتركوا الطيخ والتعدي وإما ... تتعاشوا ففي التعاشي الداء

الطيخ الكلام القبيح، يقال هو طياخة، والتعاشي التعامي يقول إن تعاشيتم عن أيامنا فألجأتمونا إلى الإخبار عنكم وعنا صرتم إلى ما تكرهون.

أعلينا جناح كندة إن يغ ... نم غازيهم ومنا الجزاء

ذكروا أن كندة غزت بني تغلب فقتلوا منهم وأسروا، يقول إن كانت كندة فعلت ذلك بكم فلم تقدروا أن تمتنعوا ولا أن تلحقوا **اثأركم** أفعلينا تحملون ذنبهم؟ يقول: تغنم كندة منكم فيكون جناح ما صنع علينا؟.

أم علينا جري إياد كما قي ... ل لطسم أخوكم الأباء

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/٩٧٧

قال الأصمعي: كان طسم وجديس أخوين فكسرت جديس على الملك خراجه فأخذت طسم بذنب جديس، والأباء أبى أن يؤدي الخراج، يقول تريدون أن تلزمونا ذنوب الناس كما قيل لطسم إن." (١)

"وقال عطية الخطفي:

إذا ما جدعنا منكم أنف مسمع ... أقر ومناه الصعاصع أبكرا

مسمع أذن، وأنف كل شيء أوله، وقال بعضهم: المسمع كل خرق في الجسد من أنف وأذن، أقر على ذلك لذله، الصعاصع هلال بن صعصعة وقومه ومن يليه، أبكرا في الدية.

وقال الأخطل:

ألقوا البرين بني سليم إنها ... شابت وإن حزازها لم يذهب

البرة الحلقة، وكانت امرأة من بني سليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحباب السلمي وقالت: لا أنزعها حتى يدرك بثأره، والحزاز الحرقة يجدها الرجل في قلبه.

ولقد علمت بأنها إذ علقت ... سمة الذليل بكل أنف مغضب

وقال العجاج:

فلم يكن ينكر فيما لم يغر ... عقل المئين والمئين والغرر

أي لم يكن ينكر فيما لم يغر منه الناس - فخفف - أي لم يكن ينكر أن يعقل المئين من الإبل في الدية، والغرر جمع غرة وهو عبد أو أمة أو فرس. وقال العجاج:

فإن يكن لاقي حيا بالأمم ... أمر يفض الصخر من جول العلم." (٢)

"حي رجل حبس وقيد، يقول إن فعل هذا به في أمر يسير وهو الأمم فلاقاه منه أمر عظيم يكسر الصخر من ناحية العلم، والعلم الجبل، والجول الناحية.

فلم يعش مضيما ولم يضم ... بالأخذ والأخذ له ثأر العيم

أي لم يعش يحمل على الضيم ولم يضم هو بأن يؤخذ وأن يؤخذ له الثأر المختار، يقال اختار له عيمة ماله - أي خياره - وجماعة عيم. وقال آخر:

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم ... جزاء العطاس لا يموت من اثأر

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٠١١/٢

(٢) المعانى الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٠١٤/٢

جزاء العطاس يعني التشميت. وقال امرؤ القيس:

بأي علا قتنا ترغبو ... ن عن دم عمرو على مرثد

أبو عمرو – لم يعرف هذا البيت أحد ممن سألته عنه غيره –: يقول بأي شيء تتعلقون علينا من العيوب فترغبون له. وقال النابغة:

لئن كان للقبرين قبر بجلق ... وقبر بصيداء التي عند حارب

وللحارث الجفني سيد قومه ... ليلتمسن بالجمع أرض المحارب

هذا تحضيض على الغزو، يقول: لئن كان ابن هؤلاء الذين سميت ووصف مكان قبورهم ليغزون بالجمع دار من يحاربه.." (١)

"قوابع متقاعسة خانسة.

ولم يثن همي يوم ذلك أنه ... بنحري جار من دم الجوف ناقع

يعني أنه طعنهم فانتضح عليه من دمائهم، يقول لم يثن همي ذلك من طلب الزيادة، ناقع شاف لأنه قد طعنه فاشتفى بذلك. أبو جندب الهذلي:

دعوا حولي نفاثة ثم قالوا ... لعلك لست **بالثأر** المنيم

كان هذا القول منهم على الاستهزاء، يقولون له لعلك إن قتلت لم تكن **بثأر**، والمنيم الذي إذا ظفر به صاحبه رضي به ونام عليه، أبو عمرو: **الثأر** المنيم الكفء.

وقال عمرو بن معدي كرب:

فإن أنتم لم **تثأروا** بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

أي أنكم قد جدعتم بأخيكم فآذانكم كآذان النعام، ومشوا أمسحوا أيديكم بها. وقال امرؤ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال آخر:

مشينا فسوينا القبور بعاقل ... فقد حسنت بعد القبوح قبورها

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/١٠١٥

يقول قد كان قتلوا منا أكثر ممن قتلنا منهم حتى استوينا نحن وهم فقد حسن أمرنا بعد أن كان قبيحا. وقال آخر وهو جرير:." (١)

"يمشي هبيرة بعد مقتل شيخه ... مشى المراسل أوذنت بطلاق

يعني يمشي على هينته فاترا لم يتحرك في ذلك ولم يطلب ثأر أبيه، والمراسل التي كانت لها زوج مرة فهي قد سمعت الطلاق فليست كأخرى لم تسمعه، ويقال المراسل التي قد تزوجت أزواجا. وقال آخر:

ألا أبلغ بني وهب رسولا ... بأن التمر حلو في الشتاء

عيرهم بأنهم أخذوا دية فاشتروا بها نخلا، أي اقعدوا وكلوا التمر ولا تطلبوا بثأركم.

وقال آخر:

فظل يضوز التمر والتمر ناقع ... بورد كلون الأرجوان سبائبه

الضوز الأكل بخفاء، هذا رجل أخذ دية، يقول فهو يأكل التمر بدم لأنه إنما يأكله بالدية، والأرجوان صبغ أحمر. وقال آخر:

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودعا

هؤلاء قوم أخذوا دية إبلا فعيرهم، وأراد النون الخفيفة في دعا وقال آخر:

كأن الذي أصبحتم تحلبونه ... دم غير أن الدر ليس بأحمرا

وقال آخر:." (٢)

"متى تردوا عكاظ توافقوها ... بآذان مسامعها قصار

أي بآذان مجدعة أي قد ذللتم وغلبتم فلم يكن عندكم انتصار ولا طلب ثأر.

ومثله قول أخت عمرو بن معدي كرب:

فمشوا بآذان النعام المصلم

وقال الأعشي:

قد نطعن العير في مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل

الفائلان عرقان عن يمين الذنب وشماله، يشيط يبطل دمه يقال شاط دمه إذا بطل وأصل الإشاطة الاحتراق

---

(١)<المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/١٠١٨

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/١٠١٩

ويقال أشاط دمه إذا عرضه للقتل، ويروى: قد نخضب العير من مكنون فائله، قال: والفارس الحاذق يتعمد بالطعن في الخربة وهي نقرة في الورك فيها لحم ولا عظم فيها تنفذ إلى الجوف، يقول إنا بصراء بموضع الطعن، والفائل عرق يخرج من الجوف في الخربة فيجري في الفخذ، ومكنون الفائل دمه، ومن أنشد: قد نطعن العير فقد أخطأ كيف يطعنه في الدم، ويشيط يهلك، والأصل في الإشاطة الاحتراق. وقال الراعي:

وأزهر سخي نفسه عن تلاده ... حنايا حديد مقفل وسوارقه

أزهر رجل أبيض أسرناه فسخت نفسه عن تلاده، حنايا حديد." (١)

"تريد: فيها وفاء لعاقرها. تريد: عقيرة ما هي من عقيرة – على جهة التعجب.

فالايباوئه السليل نقم لكم ... من الدهر يوما ورده غير صادر

السليل بن ثور بن أبي سمعان العقيلي، يباوئه من البواء وهو التساوي في القصاص، نقم لكم يوما من الشر من ورده لم يصدر عنه، تريد أنه يقتل.

وإن تكن القتلى بواء فإنكم ... ما قتلتم آل عوف بن عامر

تقول إن تكن القتلى متساوية في القصاص دم بدم فأي فتى قتلتم – على جهة التعجب.

وقال قيس بن الخطيم:

ثأرت عدياً والخطيم فلم اضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

تقول **ثأرت** فلانا – وبفلان إذا قتلت قاتله **وثأرك** هو الرجل الذي أصاب حميمك والمصدر الثؤرة يقال أدرك فلان ثؤرته، وأنشد عن أبي عمرو:

قتلت به **ثأري** فأدركت ثؤرتي

جعلت إزاءها أي القيم بها، يقال هو إزاء مال أي يقوم به وأنشد:

ولكني جعلت إزاء مال ... فأبخل بعد ذلك أو أنيل." (٢)

"وقال ابن مقبل:

ونجن قتلنا القوم ليلة أجحمت ... هلال وقالوا: حرزوا وانظروا غدا

حرزوا أسراكم أي اعتقوهم وانظروا غدا أي حسن المقالة غدا أي انظروا في العواقب.

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٠٢٠/٢

(٢)<المعاني الكبير في أبيات المعاني الد◌◌ين◌وري، ابن قتيبة ١٠٢٤/٢

وقال كعب بن زهير:

صبحنا الخزر جية مرهفات ... أبار ذوي أرومتها ذووها

فما عتر الظباء بحي كعب ... ولا الخمسون قصر طالبوها

ذووها أي ذوو السيوف، عتر ذبح من العتيرة وهي الذبيحة في رجب، يقول لم تعتر الظباء ولكن عترت الرجال، ولا الخمسون قصر طالبوها – قالوا لا نقتل إلا خمسين ليس فيهم أعور ولا أعرج. وقال المرار الفقعسي:

وأنت رهين بالحجاز مخالف ... بجون سري دهم المطي ومايسري

وقال الجعدي، ويقال هو لأبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... سيبا بماء فعادا بعد أبوالا

يقال في تفسيره إن المكارم أن تطلب **بثأرك** حتى تدركه وليس بأن تأخذ إبلا فتشرب ألبانها. ويقال: بل تفسيره ما عدد في الشعر لا لبن يشرب ويسقاه الناس. وقال عدي وذكر النعمان:." (١)

"وكنت كعنز السوء قامت لحتفهاإلى مدية مدفونة تستثيرها عذراء جامعة، وفرازله كبوله. أنشد الرياشي:

فإن تقتلوا أوسا كريما فإنني ... جعلت أبا سفيان ملتزما رحلي

أي أسرته. وقال حميد بن ثور وذكر رجلا يمدحه:

تلافي مهمات الحمالة كلما ... اريحت بأيدي الجار مين الجرائر

تلافى تدارك أي تحمل الحمالات، أريحت الجرائر أي ردت عليكم جرائر الجار مين فأدوا إلى أهلها، والعرب تقول: أرح عليه حقه أي أده إليه. وقال آخر:

لتبك على الجحاف عين مريضة ... وصما عما ساءها وهي تسمع

ومستشعرون **الثأر** دون ثيابهم إذا ... هتفت ورقا يوما تقنعوا

يعني أنها ذلت بعد قتل الجحاف فإن سمعت كلاما يسوءها صمتت، ومستشعرون **الثأر** أي لم يدركوه ولم يطلبوه فهو لهم شعار وهو ما ولى الجلد من الثياب فإذا هتفت ورقاء أي حمامة فأذكرتهم الجحاف ببكائها تقنعوا خزاية.

البيض والدروع

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢/١٠٢٦

قال لبيد:

فخمة ذفراء ترتى بالعرى ... قردما نيا وتركا كالبصل." (١)

"من فقد مولى تصور الحي جفنته ... أو رزء مال ورزء المال ينجبر

تصور تعطف.

والنيب إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات فإني كنت أثئر

النيب المسان من النوق، أي إن تلم مني بعظم بال فتأكله بعد مماتي فإني كنت أنحرها، وأثئر افتعل من الثأر، والإبل تأكل العظام أي تملح بها بعد الخلة وهو نبت حلو.

وقال يرثي أربد أخاه:

وأيقنت التفرق يوم قالوا ... تقسم مال أربد بالسهام

تطير غدائد الأشراك شفعا ... ووترا والزعامة للغلام

الغدائد الفضول، ويروي: عدائد، أي ما يعد من الميراث، تطير تفرق. وقال الأعشى:

وأحمدت إذ نجيت بالأمس صرمة ... لها غددات واللواحق تلحق

وقوله شفعا ووترا أي للغلام سهمان وللجارية سهم، والأشراك واحدها شرك وهي الأنصباء، والزعامة للغلام يقول إذا مات الرجل صارت رئاسة لابنه دون الإناث، والزعيم الرئيس.

وقال: أي لبيد يرثيه:." (٢)

"قال لبيد:

وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل

وقال يذكره:

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد تناهم بعديد

أي قد استلحمه القوم، يريد أحاطوا به ولم يرد أن يكون عند أنفسهم أنه لحمة لهم، وإن دنوا منه رجعوا وقد ردهم بثأر ثان يعدونه مع الأول. وقوله:

صاديا يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عصرة المنجود

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٠٢٩/٢

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ا بن قتيبة ١٢٠٢/٣

العصرة الملجأ، والمنجود المكروب.

وقال الكميت يرثي:

كأن أكف الناس إذ بنت عطفت ... عليها حثاة القبر ذات الرواعد

يريد ماتت العطايا حيث مت: والرواعد صوت التراب في القبر حين دفن. وقال مدرك بن حصن الأسدي:

بكى جزعا من أن يموت وأجهشت ... إليه الجرشي وارمعل خنينها

أجهشت ارتفعت، والجرشي النفس، الأصمعي: بكاء جشب." (١)

"كالرجل الحادي وقد تلع الضحى ... وطير المطايا فوقهن أواقع

يعني الغربان تقع على المتقدمات.

فوليت عنه يرتمي بك سابح ... وقد واجهت أذنيه منك الأخادع

التأبين الثناء على الميت، يقول حدا بالإبل وقد تباعد عنها فوقع الحداء في غير موضعه فكذلك أنت وضعت التأبين في غير موضعه.

وقال أبو الطمحان القيني:

فإني رأيت الدهر إن تكر لا ينم ... وإن أنت تغفل تلقه غير غافل

دنت حفظتي وخصف الشيب لمتي ... وخليت بالي للأمور الأثاقل

دنت حفظتي أي امتعضت من الذل والضيم، وقوله: خليت بالي للأمور الأثاقل - أي تركت الصبا للأمور العظام من احتمال جريرة ودفع ضيم عن قومي ووفادة إلى ملك.

وقال آخر:

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتقي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الذئب بثأر البهم

يعني الكبر، ويقال: الحمى. وقال الفرزدق:

وما من فراق غير حيث ركابنا ... على القبر محبوس علينا قيامها

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٢٠٦/٣

يقول لا نتفرق بعد هذا المكان الذي نحن فيه وركابنا محبوس علينا قيامها، يعني ركاب أصحابه الذين شهدوا دفنه، يقول فليس." (١)

"وجدتم أصبر؟ قالوا: بنات العم.

المدائني قال: قال شبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج، ومعي ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جزته قام بي بعير لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فمر بي اليماني فقال: مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض. فقلت: أجل يرحمك الله.

قال: أتطيب نفسا عما أرى؟. قلت: نعم. فنزل فأرخى أنساع «١» رحله ثم قدمه فكاد يضعه على عنقها ثم شده وقال لي: لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك.

ثم قال لي: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسا به ففعلت، ثم ارتدفت فجعلت تعوم عوما ثم انسلت كأنها ثعبان يسيل سيلا كالماء فما شعرت حتى أراني الأعلام وقال: أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فإذا نحن بجمع «٢» ، فقضيت حجتي، وكان قال لي: حاجتي إليك ألا تذكر هذا فإن هذه عندي أثر من ولاية العروض يعني مكة والمدينة، أدرك عليها الثأر وهي ثمال العيال وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غب الحمال فسألته: من أين هي؟ قال: بجاوية من هوامي نتاج بدو بجيلة الأولى وهي من المهارى التي يذكر الناس.

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله: أصب لي نجائب كراما.

فقدم رجل على جمل «٣» سباعي عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا، فقال: لا أبيعه. قالوا: لا ندعك ولا نغصبك ولكنا نكتب إلى أمير المؤمنين." (٢)

"وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصر عن ثارها

إذا أوقدت نارها بالعراق ... أضاء الحجاز سنا نارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب أقطارها

لها شرفات كأن الربيع ... كساها الرياض بأنوارها

فهن كمصطحبات خرجن ... لفصح النصارى وإفطارها

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٢٢٩/٣

(٢) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٢٥٢/١

فمن بين عاقصة شعرها ... ومصلحة عقد زنارها

وقال الوليد بن كعب «١» : [طويل]

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت ... هلال بن عياد ببشر بن غالب

وما هي إلا مثل عرس «٢» تنقلت ... على رغمها من هاشم في محارب

وقال آخر: [وافر]

ألم تر حوشبا أمسى يبني ... قصورا نفعها لبني بقيله

يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث كل ليله «٣»

كان ملك بن أسماء يهوى جارية من بني أسد وكانت تنزل خصا «٤» وكانت دار مالك مبنية بآجر فقال: [كامل]

يا ليت لي خصا يجاورها ... بدلا بداري في بني أسد

الخص فيه تقر أعيننا ... خير من الآجر والكمد

حدثنا محمد بن خالد بن خداش عن أبيه قال: حدثنا إسحاق بن." (١)

"فاستبق ودك للصديق ولا تكن ... قتبا يعض بغارب ملحاحا «١»

قال: وفي إدراك الثأر قول مهلهل: [بسيط]

لقد قتلت بني بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكي لهم أحد «٢»

قال: وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب: [طويل]

لتبلغ عذرا أو تفيد غنيمة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

قال: وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى: [طويل]

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا ... فإن على الرحمن رزقكمو غدا

قال: وفي الشجاعة قول العباس «٣» بن مرداس: [وافر]

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

قال: وبيت المتلمس في المال وتثميره: [وافر]

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٤٣٣/١

وأخبرنا دعبل بن علي الشاعر قال: أهجي بيت قيل قول الطرماح «٤» في تميم: [طويل]

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت." (١)

"فأسرع الفتى، فقال: ما أحسن والله ما خطا! ما ازور ولا اقطوطى «١» . قالت العجوز: وجه إليه من يرده، لو سلح لزوجناه.

خطب خالد بن صفوان امرأة فقال: أنا خالد بن صفوان؛ والحسب على ما قد علمته، وكثرة المال على ما قد بلغك، وفي خصال سأبينها لك فتقدمين علي أو تدعين؛ قالت: وما هي؟ قال: إن الحرة إذا دنت مني أملتني، وإذا تباعدت عني أعلتني، ولا سبيل إلى درهمي وديناري، ويأتي علي ساعة من الملال لو أن رأسي في يدي نبذته؛ فقالت: قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها لبنات إبليس، فانصرف رحمك الله.

قال بعض الشعراء: [وافر]

ألا يا ليل إن خيرت فينا ... بعيشك فانظري أين الخيار

فلا تستنكحي فدما غبيا ... له ثأر وليس عليه ثار «٢»

وقال آخر لامرأته «٣» : [متقارب]

فإما هلكت فلا تنكحي ... ظلوم العشيرة حسادها

يرى مجده ثلب أعراضها ... لديه ويبغض من سادها «٤»

وقال آخر «٥» : [طويل]

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا «٦»." (٢)

"ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شبان أهل الجنة ومنار محجتكم ومدره حجتكم ومفرخ نازلتكم فتعسا ونكسا لقد خاب السعي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ريتم وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم لقد جئتم بها شوهاء خرقاء شرها طلاع الأرض والسماء أفعجبتم إن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٢/٢١١

(٢) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٤/١٦

أخزى وهم لا ينظرون فلا يستخفنكم المهل فإنه لا تحفزه المبادرة ولا يخاف عليه فوت الثأر كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد ثم ولت عنهم قال فرأيت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخا كبيرا من بني جعفى وقد أخضلت لحيته من دموع عينيه وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم ... إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

وحدثنيه عبد الله بن عمرو قال حدثني إبراهيم بن عبد ربه بن القاسم بن يحيي بن مقدم المقدمي قال أخبرني سعيد بن محمد أبو معاذ الحميري عن عبد الله بن عبد الرحمن رجل من أهل الشام عن حذام الأسدي قال قدمت الكوفة سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي عليه السلام فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذ يلتدمن مهتكات الجيوب ورأيت علي بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت." (١)

"المؤمنين إنها كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل موذية للبعل مسيئة إلى الجار مظهرة للعار إن رأت خيرا كتمته وإن رأت شرا أذاعته قال فقالت والله لولا مكان أمير المؤمنين وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوافذ أقرع كل سهامك وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا فقال معاوية عزمت عليك لما أجبته قال فقالت يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سؤلا جهولا ملحا بخيلا إن قال فشر قائل وإن سكت فذو دغائل ليث حين يأمن وثعلب حين يخاف شحيح حين يضاف إن ذكر الجود انقمع لما يعرف من قصر شأنه ولؤم آبائه ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحفظ جارا ولا يحمي ذمارا ولا يدرك ثأرا أكرم الناس عليه من أهانه وأهونهم عليه من أكرمه قال فقال معاوية سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع قال فقال أبو الأسود أصلح الله أمير المؤمنين إنها مطلقة ومن أكثر كلاما من مطلقة فقال لها معاوية إذا كان رواحا فتعالي أفصل بينك وبينه بالقضاء قال فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها فقال له معاوية يا أبو الأسود لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها قال يا أمير المؤمنين أنا أحق بحمل ابني منها فقال له معاوية يا أبا الأسود دعها تقل فقال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه قال فقالت صدق والله يا أمير المؤمنين حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه بشهوة ووضعته كرها أن بطني لوعاؤه وإن ثديي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه قال فقال معاوية سبحان الله لما تأتين به فقال أبو الأسود أنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها قال فقال معاوية أنها قد غلبتك في الكلام فتكلف لها أبياتا لعلك تغلبها قال فأنشأ أبو الأسود يقول:

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٢٨

مرحبا بالتي تجور علينا ... ثم سهلا بالحامل المحمول

أغلقت بابها علي وقالت ... إن خير النساء ذات البعول." (١)

"إذا لم أجد منكم عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل بالحلم

خذيها هنيئا واذكري فعل ما جد ... حباك على حرب العداوة بالسلم

أما والله لو كان عليا ما أعطاك شيئا قالت أي والله ولا برة واحدة من مال المسلمين يعطني ثم أمر لها بما سألت.

كلام جروة بنت مرة بن غالب

أبو عبد الله محمد بن زكريا قال حدثنا العباس بن بكار قال حدثني عبد الله بن سليمان المديني عن أبيه وسهيل التميمي عن أبيه عن عمته قالت احتجم معاوية بمكة فلما أمسى أرق أرقا شديدا فأرسل إلى جروة ابنة غالب التميمية وكانت مجاورة بمكة وهي من بني أسيد بن عمرو بن تميم فلما دخلت قال لها مرحبا يا جروة أرعناك قالت أي والله يا أمير المؤمنين لقد طرقت في ساعة لا يطرق فيها الطير في وكره فأرعت قلبي وريع صبياني وأفزعت عشيرتي وتركت بعضهم يموج في بعض يراجعون القول ويديرون الكلام خشية منك وشفقة فقال لها ليسكن روعك ولتطب نفسك فإن الأمر على خلاف ما ظننت أني احتجمت فأعقبني ذلك أرقا فأرسلت إليك تخبريني عن قومك قالت عن أي قومي تسألني قال عن بني تميم قالت: يا أمير المؤمنين هم أكثر الناس عددا وأوسعه بلدا وأبعده أمدا هم الذهب الأحمر والحسب الأفخر قال صدقت فنزليهم لي قال يا أمير المؤمنين أما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد وشدة لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الأعداء سلمهم فيهم وسيفهم على عدوهم قال صدقت ونعم القول لأنفسهم قالت وأما بنو سعد بن زيد مناه ففي العدد الأكثرون وفي النسب الأطيبون يضرون إن غضبوا ويدركون إن طلبوا أصحاب سيوف وجحف ونزال وزلف على أن بأسهم فيهم وسيفهم عليهم وأما حنظلة فالبيت الرفيع البديع والعز المنيع المكرومون للجار والطالبون بالثأر والناقضون للأوتار قال إن حنظلة شجرة تفرع قالت." (٢)

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٥٤

(٢) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٧٧

"وقالت مارة بنت الديان أحد بني الحارث بن كعب وقتلت باهلة مرة بنت عاهان الحارثية تحرض قومها:

قل للفوارس لا تئل أعيانهم ... من شر ما حذروا وما لم يحذر

التاركين أبا الحصين وراءهم ... والمسلمين صلاءة بن العنبر

لما رأيت الخيل قد طافت به ... شبخت شحالك في عنان الأشقر

ولقد بكيت على شبابك حقبة ... حتى كبرت وليت ان لم تكبر

يا معشر الأبناء ان فزتم بها ... فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر

فأبوكم قرم سرى بهلانكم ... وعمودكم صلب كريم المكسر

وقالت بنت مرة بن عاهان ترثيه:

أنا وباهلة بن عفصة بيننا ... داء الضرائر بغضة وتناف

من يتلقفوا منا فليس بآيب ... أبدا وقتل بني قتيبة شاف

ذهبت قتيبة في اللقاء بفارس ... لا طائش رعش ولا وقاف

وقالت جنوب أخت عمرو الكلب أحد بني كاهل وكان عمرو بغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رصدا على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا بأخته فقالوا أنا طلبنا عمرو أخاك فقالت لئن طلبتموه لتجدنه منيعا ولئن ضفتموه لتجدنه مريعا ولئن دعيتموه لتجدنه سريعا قالوا قد أخذناه وقتلناه وهذا سلبه قالت لئن سلبتموه لا تجدون ثبته وافية ولا حجزته جافية ولا ضالته كافئة ولرب ثدى منكم قد افترشه ونهب قد افترسه وضب قد احترشه ثم قالت:

سألت بعمرو أخي صحبه ... فافزعني حين ردوا السؤالا

وقالوا تركناه في غارة ... بأية ما قد وثنا النبالا

أتيح له أنمرا أحبل فنا ... لا لعمرك منه ونالا

وأقسم يا عمرو لو نبها ... ك إذا نبها منك أمرا عضالا

اذا نبها ليث عربنة ... مفيدا مغيثا نفوسا ومالا." (١)

"أبلغ حنيفة أعلاها وأسفلها ... ان اشتروا الخيل أو دينوا الكناز

إذ لا يزال على جرد يصككم ... كما يصك حمام الأيكة البازي

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٢

يسعى بثأر كعبا من دمائكم ... كالليث في معشر ليسوا بأعجاز

حدثنا أبو زيد قال حدثنا سعد بن هريم قال أنشدني نصير بن مزروغ لسيرة بنت الحارث النميرية تقوله يوم مرح راهط:

قريش هم الثأر المنير فان سل ... فتلك دماء شافيات لداميا

فإن تكن الأخرى فان دماؤكم ... قضاعة لا تشفى امرءا كان صاديا

إلا إنما يشفي المريض دواؤه ... وكانت قريش لو أصيب دوائيا

ويوم عماس يمطر الموت حاله ... صبرنا له كيما نموت سواسيا

وقالت جمل الضبابية من بني كلاب:

أميمة لو رأيت غداة جئنا ... بحزم كراء ضاحية نسوق

مشينا شطرهم ومشوا الينا ... كمشي معاجل فيه زهوق

كأن النبل وسطهم جراد ... تكفئه ضحى ريح خريق

فألقينا القسى وكان قتلا ... وضرب الهام كلاما يذوق

وأما المشرفي فكان حتفا ... وأما المازني فلا يليق

بكل قرارة غادرن خرقا ... من الفتيان مختلق رقيق

وقد كلح المشافر فاستقلت ... فويق لثاتهم فالقوم روق

فأشبعنا الضباع وأشبعونا ... فأضحت كلها بشم تفوق

وأبكينا نساءهم وأبكوا نسا ... ء ما يسوغ لهن روق

يعاوين الكلاب بكل فجر ... وقد صحلت من النوح الحلوق

وقالت الجهينية:

أمن الحوادث والمنون أروع ... وأبيت ليلي كله ما أهجع

وأبيت مجلبة أبكي أسفدا ... ولمثله تبكي العيون وتدمع

ان تأته بعد الهدوء لحاجة ... تدعو يجبك لها نجيب اروع." (١)

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٥

"أين ملطاط أبو حجل ... وأبو الخرباء معتمد

وردوا والله ما كرهوا ... على آثارهم نرد

قال وقال أبو بكر الباهلي قال الأصمعي حدثنا شيخ كان يجالس أبا عمر ابن العلاء قال ضرب امرأة من بني المخاض فاجتمع النساء إليها فلما ولدت سكتن فارتابت بسكوتهن قالت:

كأنني من قولهن الهمس ... وقلة التكبير عند اللمس

مع الأشاكي سليم باس ... ما بك من جارية من باس

قال وحدثني أبو بكر قال قال الأصمعي كتبت امرأة إلى أبيها وكان زوجها بغير أذنها:

أيا أبتي عنيتني وابتليتني ... وصيرت نفسي في يدي من يهينها

أيا أبتي لولا التحرج قد دعا ... عليك مجابا دعوة تستدينها

وقالت دختنوس

عثر الأعز بخير خندف كهلها وشبابها ... وأضرها لعدوها وأفكها لرقابها

وبقرعها ونجيبها عند الوغا وشهابها ... ورئيسها عند الملوك وزين يوم خطابها

فرع عمود للعشيرة عامد لنصابها ... ويقوتها ويحوطها ويذب عن احسابها

ويطأ مواطئ للعدو وكان لا يمشي بها ... كالكوكب الدري في الظلماء لا يخفى بها

عثر الأعز به وكل منية لكتابها ... فرت بنو أسد خرؤ الطير عن أربابها

لم يحفظوا حسبا ولم يأوو الغي عقابها ... عن خيرها نسبا إذا نصت إلى أنسابها

وهو إذن أصحابه والثأر في أذنابها

وقالت عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير في أمر بدر

بكت عيني من يبك لبدر وأهله ... وعلت بمثليها لؤي وغالب

وليت الذين حلفوا في ديارهم ... به والذين في أصول الأخاشب

ليعلم حقا عن يقين ويبصروا ... مجرهم فوق اللحى والشوارب

وقالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي:

ياليت عمرا وماليت بنافعة ... لم يغمز فهما ولم يهبط بواديها

شبت هذيل وفهم بيننا أراه ... ما أن تبوخ ولا يرتد صاليها." (١)

"قوله: "حيث شطت بها النوى"، معنى شطت: تباعدت، ويقال: أشط فلان في الحكم إذا عدل عنه متباعدا، قال عز وجل: ﴿ولا تشطط﴾ ١.

وقال الأحوص:

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي ... ويزعمن أن أودى بحقي باطلي

ويلحينني في اللهو ألا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل

والنوى: البعد، ويقال: شطت بهم نية قذف، أي رحلة بعيدة، قال الشاعر٢:

وصحصحان قذف كالترس

وليس بمأخوذ من "نأيت" في اللفظ، ولكنه مثله قي المعنى وقوله:

فليس لدهر الطالبين فناء

يقول: الطلب في إثر طلبته أبدا. ويروى أن رجلا من قريش بعث إلى رجل منهم وكان أخذ له غلاما: يل هذا، إن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب، فإما رددته، وإما عرضت اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات.

قال أبو الحسن: الرجل الذي أخذ منه الغلام هو جعفر بن محمد بن علي أبن الحسين، والآخذ سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس.

ومن أمثال العرب: "لا ينام إلا م ن اثار". ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا: أصاب ثأرا منيما، وأنشد:

---

١ سورة ص ٢٢.

٢ هو العجاج، والصحصحان: المكان المستوى الأملس، ولملامسته شبهه بالترس. "وانظر مشارف الأفاويز-١".." (٢)

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٥

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٧٠/١

"تقول لي ابنة البكري عمرو ... لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله:

وإني لأرجوكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء

يقول: وهذا رجاءغير صادق ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميئوس منه، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المخبرون أساؤوا

وقوله:

كأن دنانيرا على قسماتهم

زعم أبو عبيدة أن القسمات مجاري الدموع، واحدتهاقسمة، وقال الأصمعي: القسمات أعالي الوجه، ولم يبينه بأكثر من هذا. وقول أبي عبيدة مشروح، ويقال من هذا: رجل قسيم، ورجل مقسم، ووجه قسيم ومقسم، قال الشاعر:

ويوما توافينا بوجه مقسم ... كأن ظبية تعطو إلى وراق السلم

قوله" تعطو"، أي تتناول، يقال: عطا يعطو إذا تناول، وأعطيته أنا، أي ناولته، قال امرؤ القيس:

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحل١

والسلم: شجر بعينه كثير الشوك، فإذا أرادوا أن يحتطبوه شدوه، ثم قطعوه، فمن ذلك قول الحجاج: والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل٢.

---

١ برخص، أي ببنان رخص، والرخص: الناعم. والشثن: الغليظ الخشن. ظبي: اسم رملة، والأساريع، دود مفصل الألوان بياضا وحمرة، تشبه به أصابع النساء. والإسحل: شجر يستاك بعيدانه.

٢ غرائب الإبل: هب الإبل الغريبة التي تدخل بين الإبل حال ورودها الماء، فتضربها الرعاء ضربا شديدا.." (١)

"وكما قال الآخر:

ألهى بني جشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/ ٧١

يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غير مسئوم

إن القديم إذا ما ضاع آخره ... كساعد فله الأيام محطوم

وكما قال عامر بن الطفيل:

إني وإن كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن وراثة ... إبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها، وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب

قال أبو الحسن: أنشدني هذه الأبيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامري. قال أبو الحسن: قال الأصمعي: وكان عامر بن الطفيل يلقب محبرا لحسن شعره، وأولها:

تقول ابنة العمري ما لك بعدما ... أراك صحيحا كالسليم المعذب

فقلت لها: همي الذي تعلمينه ... من الثأر في حيي زبيد وأرحب

إن اغز زبيدا أغز قوما أعزة ... مركبهم في الحي خير مركب

وإن أغز حيي خثعم فدماؤهم ... شفاء، وخير الثأر للمتأوب

فما أدراك الأوتار مثل محقق ... بأجرد طاو كالعسيب المشذب

وأسمر خطي وأبيض باتر ... وزغف دلاص كالغدير المثوب

سلاح امرىء قد يعلم الناس أنه ... طلوب لثارات الجال مطلب

ثم أتى بإنشاد أبي العباس على وجهه، إلا أنه روى: "من رماها بمنكب" السليم: الملدوغ، وقيل له: "سليم" تفاؤلا له بالسلامة، وزبيد وأرحب: حيان من اليمن. والثأر: ما يكون لك عند من أصاب حميمك، من الترة، ومن قال "ثار" فقد أخطأ.." (١)

"والمتأوب: الذي يأتيك لطلب ثأره عندك، يقال: آب يؤوب إذا رجع. والتأويب في غير هذا: السير في النهار بلا توقف.

والأوتار والأحقاد واحدها وتر وحقد. والأجرد: الفرس المتحسر الشعر، والأجرد الضامر أيضا. والعسيب: السعفة. والمشذب. الطويل الذي أخذ ما عليه من العقد والسلاء١ والخوص، ومنه قيل للطويل المعرق: مشذب.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٣٣/١

وخطي: رمح منسوب إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين، يقال إنها تنبت عصا الرماح وقال الأصمعي: ليست بها رماح، ولكن سفينة كانت وقعت إليها، فيها رماح، وأرفئت بها في بعض السنين المتقدمة، فقيل لتلك الرماح: الخطية: ثم عم كل رمح هذا النسب إلى اليوم. والزغف: الدرع الرقيقة النسج، والمثوب: الذي تصفقه الرياح فيذهب ويجيء، وهو من ثاب يثوب إذا رجع. وإنما سمي الغدير غديرا لأن السيل غادره، أي تركه.

قال أبو العباس: وقوله:

لكم في مضرات الحروب ضرير

يقال: رجل ضرير إذا كان ذا مشقة على العدو. وقال مهلهل بن ربيعة التغلبي:

قتيل ما قتيل المرء عمرو ... وهمام بن مرة ذو ضرير٢

وقوله: "خبطتم ليوث الشام "يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلي، وهو عقيل بن كعب بن ربيعة.

وقوله: "أبور" جمع وبر٣، وإذا إنضمت الواو من غير علة فهمزها جائز، وقد ذكرنا ذلك قبل.

---

١ السلاء: شوك النخيل.

٢ زيادات ر: ما: زائدة، وفيها معنى التعظيم.

٣ الوبر: دويبة على قدر السنوري.." (١)

"لعمارة أيضا في الحث على الأخذ بالثأر

وقال عمارة أيضا لهم، أنشدنيه:

ألا لله در الحي كعب ... ذوي العدد المضاعف والخيول

أما فيهم كريم مثل نصر ... يورع عنهم سنن الفحول

تنوخهم نمير كل يوم ... كفعل أخي العزازة بالذليل

وليسوا مثل عشرهم ولكن ... يضيع القوم من قبل العقول

فأين فوارس السلمات منهم ... وجعدة والحريش ذوو الفضول!

وأين عبادة الخشناء عنهم١ ... إذا ما ضاق مطلع السبيل!

قوله:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/١٣٤

ألا لله در الحي كعب

يريد كعب بن ربيعة بن عامر صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وقوله:

أما فيهم كريم مثل نصر

يعني نصر بن شبث، أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة. وقوله:

يورع عنهم سنن الفحول

هو مثل ضربه، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل. ويورع: يكف ويمنع ويدفع. والورع في الدين إنما هو الكف عن أخذ الحرام، وجاء في الحديث: "لا تنظروا إلى صومه، ولا إلى صلاته، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشفى"، ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم. والسنن: القصد، ثم أبان ذلك بقوله:

تنوخهم نمير كل يوم

يقال: سان الفحل الناقة فتنوخها، وذلك إذا ركبها من غير أن توطأ له، ولكن يعترضها اعتراضا. وتقول العرب: إن ذلك أكرم النتاج، وذلك لأن

---

١ ر: "منهم".." (١)

"أيشتمنا عبد الأ راقم ضلة ... فماذا الذي تجدي عليك الأراقم! ١

فما لي ثأر دون قطع لسانه ... فدونك من ترضيه عنه الدراهم

---

١ الأرقم: هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية أبناء تغلب، وهم قوم الأخطل.." (٢)

"الفرزدق ونصيب وما قالاه من الشعر عند سليمان بن عبد الملك

وقد فضل نصيب على الفرزدق في موقفه عند سليمان بن عبد الملك، وذلك أنهما حضرا، فقال سليمان للفرزدق: أنشدني -وإنما أراد أن ينشده مدحا له- فأنشده:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/١٣٥

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/١٤٤

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب١

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب٢

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... -وقد خصرت أيديهم- نار غالب٣

فأعرض عنه سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها! فقال: هات، فأنشده:

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قارب٤

قفوا خبروني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب٥

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه. على أن الشاعر وهو أخو همدان قد قال في عصره في غير المدح:

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ... ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

---

١ الترة: **الثأر.**

٢ الأكوادر: الرحال، مفردها كور.

٣ خصرت: بردت.

٤ قفاذات أوشال: خلف بقعة ذات مياه. مياه مولاك: يريد نفسه، قارب: طالب للماء.

٥ ودان: قرية قريبة من الجحفة.." (١)

"قوله: "إن يصبح صداي بقفزة" فالصدى: على ستة أوجه: أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره، والصدى: الذكر من البوم، قال ابن مفرغ١:

وشريت بردا ليتني ... من بعد برد كنت هامة٢

هتافة تدعو صدى ... بين المشقر واليمامة

ويقال: فلان هامة اليوم أوغد، أي يموت في يومه أو في غده. ويقال ذلك للشيخ إذا أسن، والمريض إذا طالت

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/١٤٨

علته، والمحتقر٣ لمدة الآجال. وفي الحد يث أن حسلا٤ أباحذيفة بن حسل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلف معه في غزوةأحد: انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنا. والصدى: حشوة الرأس. يقال لذلك: الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قتل فلم يدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر: الصدى فيصيح على قبره. اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر. قال ذو الإصبع٥ العدواني أحد بني عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر:

ياعمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

والصدى: ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتسع من الأرض، أو بقرب جبل، كما قال:

إني على كل إيساري ومعسرتي ... أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل

يعني الصدى، وتأويله أنه يجيبني في سرعة إجابة الصدى. وقال آخر:

كأني إذ دعوت بني سليم ... دعوت بدعوتي لهم الجبالا

---

١ زيادات ر: "اسمه ربيعة، وسمى مفرغا لأنه شرب سقاءين ففرغهما".

٢ شريت هنا: بعت.

٣ زيادات ر: رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع "المحتقر" يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر، فيكون التقدير: والمحتقر لمدة الآجال، يقال ذلك له، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف".

٤ زيادات ر: "حسل أبو حذيفة، هو حسل بن جابر، وهو اليمان، والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن وقش الأنصاري".

٥ زيادات ر: "هو حرثان من محرث، سمى بذى الإصبع؛ لأنه كان له إصبع زائدة، وقيل: لأن حية عضته في إصبعه".." (١)

"كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحهم أشطان بئر ... بعيد بين جاليها جرور١

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢٩٣/١

[قال أبو الحسن: يقال فلان: زير نساء، وطلب نساء، وتبع نساء، وخلوا نساء؛ إذا كان صاحب نساء، وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء، فكان كليب يقول: إن مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثأر، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب، قال أي زير! فرفع أيا بالابتداء، والخبر محذوف، فكأنه قال: أي زير أنا في هذا اليوم!] .

قال أبو العباس: وحدثني عمرو بن بحر قال: أتيت أبا الربيع الغبوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعي رجل من بني هاشم، فقلت: أبو الربيع ههنا فخرج إلي وهو يقول: خرج إليك رجل كريم. فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره بحضرته، فقال: أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا. فتحدثنا مليا، فنهض الهاشمي، فقلت لأبي الربيع: يا أبا الربيع من خير الخلق فقال: الناس والله، فقلت: من خير الناس قال: العرب والله، فقلت: فمن خير العرب قال: مضر والله، قلت: فمن خير مضر قال: قيس والله، قلت: فمن خير قيس قال: يعصر والله، قلت: فمن خير يعصر قال: غني والله، قلت: فمن خير غني قال: المخاطب لك والله، قلت: أفأنت خير الناس قال: نعم إي والله، قلت: أيسرك أن تحتك بنت يزيد بن المهلب قال: لا والله، قلت: ولك ألف دينار قال: لا والله قلت: فألفا دينار قال: لا والله، قلت: ولك الجنة! فأطرق [مليا٢] ثم قال: على ألا تلد مني، وأنشد:

تأبى لأعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوما غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتما لا مرد له ... فاذكر حذيف فإني غير أباء

وقوله: "أكرم الناس رديفا" فإن أبا مرثد الغنوي كان رديف رسو الله صلى الله عيه وسلم.

---

١ أشطان البئر: حبالها.

٢ تكمله من س.." (١)

"واليقطين: ما انتشر على وجه الأرض. قال الله عز وجل: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ ١، وقال الحارث بن ظالم، للأسود بن المنذر بنماء السماء:

أخصيي حمار بات يكدم نجمة ... أيؤكل جيراني وجارك سالم!

ومن طريف شعره قوله:

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٥٢/٢

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ ... حباب وركبي خيفة القوم أزور

فحييت إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان: فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

والله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها: بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما عين من الناس تنظر

فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ... رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف إذا يفتر عنه كأنه ... حسى برد أو أقحوان مغور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى رباب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضي الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قدر تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت: أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح ... علينا، وتصديقا لما كان يؤثر!

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء واستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... ومالى من أن تعلما متأخر

---

١ سورة الرحمن ٦.." (١)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢/١٨٣

"وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا، ومواضعهم تنبئ عن ذلك، وامتنع قوم عيا بلا اعتلال، وامتنع قوم عجزا١، واعتلوا بكرهة السفه، وبعضهم معتل برفعة نفسه٢ عن خصمه، وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض عنه٣ ويسب سيد قومه، وكانت الجاهلية ربما فعلته بقى الذحول٤، قال الراجز:

إن بجيلا كلما هجاني ... ملت على الأغطش أو أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان ... أولاك قوم شأنهم كشاني

ما بلت من أعراضهم كفاني ... وإن سكت عرفوا إحساني

وقال أحد المحدثين:

إني إذا هو كلب الحي قلت له ... إسلم، وربك مخنوق على الجرر

قوله: إسلم فاستأنف بألف الوصل، لأن النصف الأول موقوف عليه.

قال الشاعر:

ولا يبادر في الشتاء وليدنا٥ ... القدر ينزلها بغير جعال

الجعال: الذي تنزل٦ به البرمة، وربما توقيت به حرارتها.

قال الراجز:

لا نسب اليوم ولا خلة ... إتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب.

وفي مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض٧ قول الأخطل:

---

١ ر: "عجزوا". وما أثبته عن الأصل. س.

٢ ر. س: "برفعة نفسه"،وهذه رواية الأصل.

٣ كلمة "عنه" ساقطة من ر.

٤ الذحول: "جمع ذحل" وهو **الثأر**.

٥ ر: "وليدها".

٦ ر: "الذى بوضع فيه البرمة". وما أثبته عن الأصل. س.

٧ ر: "لتتكافأ". وما أثبته عن الأصل. س.." (١)

"معاوية، فطعنه، وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا، وكان صميم الخيل١، فلما تنادوا معاوية: قال خفاف بن ندبة - وهي أمه، وكانت حبشية، وأبوه عمير، وهو أحد٢ بني سليم بن منصور -: قتلني الله إن رمت٣ حتى أثأر به، فحمل على مالك بن حمار - وه سيد بن شمخ بن فزارة - فطعنه فقتله، فقال خفاف بن ندبة:

وإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت هالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا٤

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

يريد: أنا ذلك الذي سمعت به. هذا تأويل هذا.

وقوله: "يأطر متنه" أي يثني. يقال: أطرت القوس آطرها أطرا، وهي مأطورة. وعلوى: فرسه.

ومما سأله عنه قوله عز وجل: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ ٥"، فقال ابن عباس: غير مقطوع، فقال: هل تعرف ذلك العرب فقال: قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول:

وترى خلفهن من سرعة الرجـ ... ـع منينا كأنه إهباء٦

قال أبو العباس: منين، يعني الغبار، وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها.

والمنين: الضعيف المؤذن بانقطاع، أنشدني التوزي عن أبي زيد:

يا ريها إن سلمت يميني ... وسلم الساقي الذي يليني

ولم تخني عقد المنين

---

١ صميم الخيل: قال المرصفي: "يريد بالخيل الفرسان، وصميمها: عميدها الذي تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذي به قوام العضو".

٢ لفظ "هو" ساقط من ر.

٣ رمت: برحت.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٣/٥٧

٤ خام: جبن وضعف.

٥ سورة فصلت ٨.

٦ يصف خيلا. والرجع: رد الدابة يديها في السير. وأهباء: جمع هبوة، يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع في الجو قاله المرصفي.." (١)

"له، وابنه رديفه. فقام إليه رجل منهم، فقال: أسألك عن مسألة. قال: قل. قال: أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق، وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان، ألولي ذلك المقتول أن يفتك به إن قدر عليه قال: بل يرفعه إلى السلطان. قال: إن السلطان لا يعدي عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده. قال: أخاف عليه إن فتك به فتك به السلطان. قال: دع ما تخافه من ناحية السلطان، أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال: لا. قال: فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم. ورمى عباد ابنه فنجا. وتنادى الناس قتل عاد! فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق، وكان مقتل عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كليب فجاء معبد بن أخضر أخو عباد - وهو معبد بن علقمة، وأخضر زوج أمهما - في جماعة من بني مازن، فصاحوا بالناس: دعونا **وثأرنا**. فأحجم الناس وتقدم المازنيون، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا، لم يفلت منهم أحد إلا عبيدة بن هلال، فإنه خرق خصا ونفذ منه. ففي ذلك يقول الفرزدق:

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة ... إذا ذم طلاب التراث الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر ... فنالوا التي ما فوقها نال ثائر

أفادوا به أسدا لها في اقتحامها ... إذا برزت نحو الحروب بصائر١

ثم ذكر بني كليب لأنه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه، فقال في كلمته هذه:

كفعل كليب إذ أخلت بجارها ... ونضر اللئيم معتم وهو حاضر٢

وما لكليب حين تذكر أول ... وما لكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر:

سأحمي دماء الأخضريين إنه ... أبى الناس إلا أن يقولوا ابن أخضرا

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٦٧/٣

١ أقادوا أسدا. قتلوهم به.

٢ يقال: اعتم الرجل في الشئ، إذا أبطأ فيه.." (١)

"فقال حصين بن نمير لابن زياد: إن عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج١. وإني لا أثق لك به. فقال ابن زياد: أنت لي عدو، قال حصين: ستعلم.

قال ابن الحباب: فلما كان الليلة التي يريد أن نواقع ابن الأشتر في صبيحتها خرجت إليه، وكان لي صديقا، ومعي رجل من قومي، فصرت إلى عسكره، فرأيته وعليه قميص هروي٢ وملاءة، وهو متوشح٣ السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى، فالتزمته من ورائه، فوالله ما التفت إلي، ولكن قال: من هذا فقلت: عمير بن الحباب، فقال: مرحبا بأبي المغلس، كن بهذا الموضع حتى أعود إليك، فقلت لصاحبي: أرأيت أشجع من هذا قط! يحتضنه رجل من عسكر عدوه، ولا يدري من هو فلا يلتفت إليه، ثم عاد إلي وهو في أربعة آلاف، فقال: ما الخبر فقلت: القوم كثير، والرأي أن تناجزهم، فإنه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نصبح إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظبات السيوف وأطراف القنا، فقلت: أنا منخزل عنك بثلث الناس غدا.

فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، فأرسل أصحاب المختار الطير، فتصايح الناس: الملائكة! فتراجعوا، ونكس عمير بن الحباب رايته، ونادى: يا لثأرات المرج! وأنزل بالميسرة كلها، وفيها قيس فلم يعصوه، واقتتل الناس حتى اختلط الظلام، وأسرع القتل في أصحاب عبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا، فقال ابن الأشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع إلي سيفي، فيه٤ راحة المسك. ورأيت إقداما وجزأة، فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق، ورجلاه قبل المغرب، فانظروا.

فأتوه بالنيران، فإذا هو عبيد الله بن زياد.

وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد، فغشاه بالديباج، وقال: هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضعوه في

---

١ قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها. قاله المرصفي.

٢ هروي: منسوب على هراة إحدى مدن خراسان.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٨٨/٣

٣ ر: "متشح".

٤ ر: "ومنه".." (١)

"لأحارب قوما إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم، فمن كان شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع. فرجع نفر يسير، ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب١ خرج إليهم نافع، فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى تكسرت الرماح، وعقرت الخيل، وكثرت الجراح، والقتلى٢، وتضاربوا بالسيوف والعمد، فقتل في المعركة ابن عبيس ونافع بن الأزرق.

وكان ابن عبيس قد تقدم إلى أصحابه فقال: إن أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الأجذم الغداني، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية، وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن الماحوز السليطي، فكان الرئيسان من بني يربوع: رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، فاقتتلوا قتالا شديدا.

وادعى قتل نافع سلامة الباهلي، وقال: لما قتلته وكنت على برذون ورد٣، إذا برجل على فرس - وأنا واقف في خمس قيس - ينادي يا صاحب الورد! هلم إلى المبارزة، فوقفت في خمس بني تميم. فإذا به يعرضها علي، وجعلت أتنقل من خمس إلى خمس إلى خمس، وليس يزايلني، فصرت إلى رحلي، ثم رجعت، فرآني فدعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين، فضربته فصرعته، فنزلت لسلبه وأخذ رأسه، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا، فخرجت لتثأر به، فلم يزل الربيع الأجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما، حتى قال يوما: أنا مقتول لا محالة، قالوا: وكيف قال: لأني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني، فلما كان الغد قاتل إلى الليل، ثم غاداهم فقتل. فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب، إذ لم يكن لهم رئيس، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري فأباها، فقيل له: ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة، وقد اختاروك من بينهم! فقال: مشؤومة، ما يأخذها أحد إلا قتل، ثم أخذها، فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب، والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن٤، فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبي، وذلك بعد

---

١ دولاب: قرية بينها وبين الاهواز أربعة فراسخ.

٢ ر: "والقتلى".

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٩٦/٣

٣ الورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شئ.

٤ الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.." (١)

"يقال: ثأر منيم، إذا أصابه المثئر هدأ واستقر، لأنه أصاب كفؤا، وهذا خلاف قول الآخر:

قوم إذا جر جاني قومهم أمنوا ... للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحارث بن عباد:

لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ... ط كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة:

قتلت بعبد الله خير لداته ... ذؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي، من بني تيم اللآت بن ثعلبة، حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابي بن زياد:

لسار على رغم العدو وغادي ... أن عبيد الله ما دام سالما

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه ... حززنا برأس النابي بن زياد

كسر الياء على الأصل، كما قال ابن قيس الرقيات:

لا بارك الله في الغواني هل ... يصبحن إلا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم، أي طلعت عليهم، فلا علة فيه ولا ضرورة.

[قال الأخفش: المعروف فيه الهمز، والمبرد لم يهمزه، فإنما أخذه من نبا ينبو، فصار مثل رام وقاض وما أشبههما] .

وقال أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري، لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله:

فإن تقتلوا منا كريما فإننا ... قتلنا أمير المؤمنين بخالد." (٢)

"وإنما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل أن يصاب صخر أخوها، فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله.

وكان معاوية فارسا شجاعا، فأغار في جمع من بني سليم على غطفان، وكان صميم خليهم فنذر به١ القوم

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢١٣/٣

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٣٨/٤

فاحتربوا، فلم يزل يطعن فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة: دريد، وهاشم، فاستطرد له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنه، وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله، فتنادى القوم: قتل معاوية! فقال خفاف بن ندبة: قتلني الله إن رمت حتى أثأر به! فحمل على مالك بن حمار، وهو سيد بني شمخ بن فزارة، فطعنه فقتله، وقال:

فإن تك خليلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا٢

أقول له والرمح يأطر متنه٣ ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر، فقال: أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة للآخر: خبره. فقال: استطردت له فطعنني هذه الطعنة، وحمل عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فهو ثأرك، أما إنا لم نسلب أخاك. قال: فما فعلت فرسه السمى قالوا: ها هي تلك فخذها، فانصرف بها، فقيل لصخر: ألا تهجوهم قال: ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء، ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانة للساني عن الخنا لفعلت، ثم خاف أن يظن به عي فقال:

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا!

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا

إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا٤

---

١ نذر به القوم: عملوا.

٢ علوي: اسم فرسه، وخام القوم: جبنوا وخافوا.

٣ بأطر رمحه: يثنية.

٤ ر: "رب العرش".." (١)

"يقول: هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب، فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت.

وقوله:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤٨/٤

لا يتأرى لما في القدر يرقبه

يقول: لا يتحبس له، ومن ذا سمي الآري١؛ لأنه محبس الدابة.

وقوله:

ولا تراه أمام القوم يقتفر

يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد.

وقوله:

ولا يعض على شرسوفه الصفر

الشراسيف: أطراف الضلوع، ولاصفر: ها هنا: حية البطن، وله مواضع. وقوله: مهفهف يعني ضامرا، وأهضم الكشحين توكيد له.

وقوله:

إما يصبك عدو في مباوأة

يقول: في وتر، يقال: باء فلان بكذا، كما قال مهلهل: بؤ بشسع كليب. أي هو ثأر بالشسع.

والطخية، والطخية، والطخية، ثلاث لغات: شدة الظلمة، وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي، ففي ذلك يقول:

أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال: هنأ له، كما تقول هنيا له، قال الأخطل:

---

١ الأرى: الأخية.." (١)

"فأما قولك: إن الله اختار لك في الكفر، فجعل أباك أهون أهل النار عذابا، فليس في الشر خيار، ولا من عذاب الله هين، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار، وسترد فتلعم، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ ١

وأما قولك: إنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وأنك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا، وقدمت نفسك على من هو خير من أولا وآخرا، وأصلا وفصلا،

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٦٠

فخرت على إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده، فانظر ويحك أين تكون من الله غدا! وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين، وهو لأم ولد، ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن، ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك، وجدته أم ولد، ثم ابنه جعفر، وهو خير منك، ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به، فاجتمعا على خلعه، ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة٢، فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب٣ بغير أوطية، كالسبي المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية، وحرقوكم بالنار، وصلبوكم على جذوع النخل، حتى خرجنا عليهم، فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة، فعنفناهم وكفرناهم، وبينا فضله، وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم، وابتلي أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، وكانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا إلا العباس، فكان وارثه دون بني عبد المطلب، وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم، فلم ينلها إلا ولده،

---

١ سورة الشعراء:٢٢٧.

٢ ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد.

٣ الأقتاب: جمع قتب وهو الرجل على قدر سنام البعير.." (١)

"فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة،١ فأذهب عنهما العار والشنار، ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم، ثم فدى عقيلا يوم بدر. فقد مناكم في الكفر، وفديناكم من الأسر، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم. والسلام.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٩٨

١ عتبة وشيبة ابنا ربيعة من عبد شمس كانا من المطعمين لقريش يوم بدر.." (١)

"كيف كان جزعك على أهل بيتك؟ فقال: ما ترك حب الغداء والعشاء في قلبي حزنا على أحد.

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة: كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة يقول: إن ابتليت فقد قتل أبي وإمامي عثمان. فصبرت.

وقال قائل لعبد الملك بن مروان: أأدركت قتل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: نعم. قال: فكيف كان جزعك عليه؟. قال: شغلني الحنق لأن أدرك بثأره عن الحزن عليه.

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن إسماعيل بن يسار: مات ابن لأرطاة بن سهية المري، من غطفان، يقال له عمرو، فأقام على قبره حولا، يأتيه كل غداة فيقول:." (٢)

"إذا ما الحرب صلصل ناجذاها ... وفاجأها الكماة لدى المضيق

وكان من خبر مقتل معاوية بن عمرو، وكان أخا خنساء لأبيها وأمها، وكان صخرا أخاها لأبيها وكانت بصخر أمس لفضله على معاوية، ولم يكن معاوية متخلفا بل كان لاحقا في السؤدد بأخيه، أو دوينه شيئا. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثني أبو بلال وربما قال: أبو بلال سهم بن أبي بن العباس بن مرداس قال: غزا معاوية بن عمرو بن الشريد، أخو خنساء، مرة وفزارة، ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم ودريد المريان، ابنا حرملة، فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشد عليه الآخر فقتله. فلما تنادوا: قتل معاوية! قال خفاف: قتلني الله إن رمت حتى أثأر به فشد على مالك بن حمار، سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال: الطويل

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

علوى: اسم فرسه.

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذالكا

فلما بلغ صخرا قتل أخيه، أتى مرة في الشهر الحرام فوقف على ابني حرملة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده،

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٩٩/٤

(٢) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/٨٢

فقال: أيكما قتل معاوية؟ فسكتا، فقال الصحيح للجريح: مالك لا تجيبه؟ فقال: وقفت له فطعنني هذه الطعنة، وشد عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فقد أدركت **بثأرك**، أما إنا لم نسلب أخاك.." (١)

"وصارت بناة الدين بعدك صدعها ... يطير شظايا لا تلاءم بالجبر

بموتك مات الجود والمجد كله ... وجدع أنف العز فينا إلى الحشر

لقد هد ركن الدين موتك هدة ... أنافت لها الأعناق من أمم الكفر

وأبلس إبلاس المذلة ديننا ... وأغضى بك الإسلام عينا على وتر

وأضحت قلوب المسلمين مريضة ... توكف فيه مثل راغية البكر

وقد وجد الأعداء في الملك مطعنا ... عواقبه قتل يجل عن النشر

فلا هنأ الأعداء عثرة دهرنا ... فقد وأبي قرت عيون ذوي الغمر

رزئنا أمرأ لا نحفل الدهر بعده ... ولا الموت، فلتفر الحوادث ما تفري

فلله عينا من رأى من رزية ... وعثرة دهر أمنتنا من العثر

فواكبدا لو في الوغى كان موته ... بكينا عليه بالردينية السمر

وبالبيض والمرفوعة الزرق دمعها ... دم عاند ينثال بالعلق الحمر

وبالخيل يعلكن الشكيم كأنها ... كواسر عقبان نواهض عن قدر

يخضن نجيعا مائرا بعد جامد ... فلأيا تبين الكمت فيها من الشقر

وأضحى نهار الناس ليلا وألمعت ... كواكبنا بالهندوانية البتر

ولم يغن ضوء الشمس في قسطل الوغى ... فتيلا ونار الحرب ثاقبة الجمر

وأخمدت الأصوات إلا غماغم ال ... كماة ووقع المشرفية بالهبر

وخذها أيا بن الأكرمين وخذ بها ... وأخر وقدم بالوعيد وبالزجر

فمن مقعص يعطو بفضل حشاشة ... وآخر تفريه الحوامي وما يدري

يفرقن أوصالا كراما أعزة ... ويفضخن هاما من جحاجحة زهر

وقمنا إلى **الثأر** المنيم فلم يئل ... ولو نيط بالعيوق أو نيط بالنسر." (٢)

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٢٩

(٢) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/٢٦٧

"ومن المراثي المستحسنة المقدمة ونحتاج أن نذكر معها خبرها وهو أن مالك بن زهير بن رواحة بن جذيمة العبسي وكان من أشراف بني عبس، وجذيمة منهم قتل في حرب داحس. وكان جانيها أخوه قيس بن زهير، فنشبت بينهم فيما ذكر أربعين سنة. وتشاءم بهم قومهم، فوجه قيس جاريته لتعلم ما عند الربيع بن زياد العبسي أيغضب لهذا الحديث فيقوى به أو يستهين، فرأت عنده أكثر مما أحب، فرجعت إليه فقالت: سمعت عويلا منه دون نسائه وحركة أكثر من حركة جميع الحي، وهو يقول: الكامل

منع الرقاد فما أغمض حار ... جلل من النما المهم الساري

من مثله تمسي النساء حواسرا ... فتقوم معولة مع الأسحار

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

تأويل هذا البيت أنه إذا رأى ما يضع عليه من الجزع، علم أن ثأر مثله لا يترك.

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يضربن أوجههن بالأسحار

يخمشن حر وجوههن على فتى ... سهل الخليقة طيب الأخبار

قد كن يكنن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار." (١)

"ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل

ليته كان دمي فاحتلبوا ... دركا منه دما من أكحلي

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتا عما أنجلت أو تنجلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

قال أبو العباس: قرأت على أبي محمد النحوي المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم بن مرة، من قريش عن مقاتل الأحول ابن سنان، من بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وهو الذي يقول فيه طرفة: الطويل

رأيت سعودا من شعوب كثيرة ... فلم أر سعدا مثل سعد بن مالك

قال مقاتل: هذا عدي وأخوه كليب وسالم وفاطمة بنو ربيعة بن الحارث ابن جثم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وكان كليب ابن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغلبي أجار رجلا ولا بعيرا إلا بإذن

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/٢٧٠

كليب، ولا كان يحمي حمى إلا لم يقرب. وكان لمرة بن ذهل بن شيبان ع‍شرة بنين منهم جساس. وكان أصغرهم. وكانت أختهم عند كليب. قال مقاتل: وأم جساس بن مرة: هيلة بنت منقذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ثم خلف عليها بعد مرة بن ذهل سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. قال فراس: وهي أمنا وخالة جساس يقال لها البسوس.

قال أبو برزة:." (١)

"وقولهم: فلان يتحنن على فلان أي يرحمه، وهو في تفسير قول الله جل وعلا: " وحنانا من لدنا " أي رحمة.

٤_قولهم أقر الله عينه

قال الأصمعي: المعنى أبرد الله دمعته، لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة. وأقر مشتق من القرر، وهو الماء البارد. وقال غيره: معنى أقر الله عينك أي صادفت ما يرضيك فتقر عينك من النظر إلى غيره. ويقال للثائر إذا صادف ثأره: وقعت بقرك، أي صادف فؤادك ما كان متطلعا إليه فقر. وقال الشماخ يصف ظبية:

كأنها وابن أيام تربيه ... من قرة العين مجتابا ديابود

أي كأنهما من رضاهما بمرتعهما وترك الاستبدال به مجتابا ثوب فاخر، فهما مسروران به. وديابود: ثوب نسج على نيرين، وهو فارسي معرب. وقال أبو عمرو: أقر الله عينه. والمعنى صادف سرورا أذهب سهره فنام. قال عمرو ابن كلثوم:

بيوم كريهة ضربا وطعنا ... أقر به مواليك العيونا

أي نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا فيه.." (٢)

"فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه فأبلغه الرسالة. فقال: ومن أنت يا غلام؟ قال: بجير بن الحارث بن عباد فقتله. ثم قال: بؤ بشسع كليب. فلما بلغ فعله الحارث قال:

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/٢٧٩

(٢) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٦

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

لم أكن من جناتها علم الل ... ه وإني بحرها اليوم صالي

لا بجير أغنى فتيلا ولا ره ... ط كليب تزاجروا عن ضلال

ثم جمع قومه فالتقى هو وبنو تغلب على جبل يقال له قضة فقتلهم وهزمهم، ولم يقوموا لبكر بعدها.

١٥٨_قولهم أجسر من قاتل عقبة

قال أبو عمرو القعيني: هو عقبة بن سلم من بني هناءة من أهل اليمن صاحب دار عقبة بالبصرة. وكان أبو جعفر وجهه إلى البحرين. وأهل البحرين ربيعة، فقتل من ربيعة قتلا فاحشا. فانضم إليه رجل من عبد القيس فلم يزل معه سنين. وعزل عقبة فدخل بغداد ودخل العبدي معه. فكان عقبة واقفا على باب المهدي بعد موت أبي جعفر فشد عليه العبدي بسكين فوجأه في بطنه فمات عقبة. وأخذ العبدي فأدخل على المهدي فقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: إنه قتل قومي وقد ظفرت به غير مرة إلا أني أحببت أن يكون أمره ظاهرا حتى يعلم الناس أني أدركت ثأري منه. فقال المهدي: إن مثلك لأهل أن يستبقى، ولكني أكره أن يجترئ الناس على القواد، فأمر به فضربت عنقه. ويقال إن الوجأة وقعت في شرجة منطقة عقبة، فجعل المهدي يسائل." (١)

"العبدي والعبدي يبكي إلى أن دخل داخل فقال يا أمير المؤمنين: مات عقبة. فضحك العبدي فقال المهدي: مم كنت تبكي؟ قال: من خوف أن يعيش. فلما مات أيقنت أني أدركت ثأري. فقال الناس: أجسر من قاتل عقبة.

١٥٩_قولهم جاء بخفي حنين

قال الشرقي بن القطامى: كان هاشم بن عبد مناف رجلا كثير التقلب في أحياء العرب في التجارات والوفادات إلى الملوك، وكان نكحة. وكان قد أوصى أهله متى أتوا بمولود معه علامة قد أعطاهم إياها أن يقبلوه. وتكون علامة قبولهم إياه أن يكسوه ثيابا وخفا. قال: فتزوج هاشم من حي من اليمن وارتحل عنهم، فولد له غلام فسماه حنينا ثم حمله إلى قريش. فلما قرب منهم أرسل الغلام ومعه رجل من أهله فسأله عن عبد مناف أو

---

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٩٦

المطلب، فدل عليه، فأتاه فقال: إن هذا الغلام ابن هاشم فسأله عن العلامة فلم يكن عنده شيء. فلم يقبله ورده إلى أهله. فلما أقبل الغلام راجعا نظر إليه جده فقال: جاء بخفي حنين: أي جاء بخفيه خائبا لم يقبل فتخلعا ويلبس مكانهما. فضرب مثلا لكل خائب.

وقال أبو اليقظان: كان حنين ادعي إلى أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران، فقال: يا عم أنا ابن أسد بن هاشم. فقال له عبد المطلب: لا وثياب هاشم! ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع. فقالوا: رجع حنين بخفيه. فصار مثلا لمن طلب حاجة فإذا رد عن حاجته قيل: رجع بخفي حنين.." (١)

"الجنى فاحتمله، وقال له: ما أنامك وقد كنت حذرا، فقال: الحمى أضرعتني للنوم. فذهبت مثلا. ثم أتى به حاضر الجن. فلما كان في وجه الصبح خلى سبيله فقال مرين:

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيت بعدهم جميعا
بأني قد وردت بني حبي ... وعانيت المخاوف والفظيعا
غزوت الجن أطلبهم بثأرى ... لأسقيهم به سما نقيعا
تعرض لي ظليم بعد سبع ... فأرميه فأتركه صريعا
وكنت إذا القروم تعاورتني ... جري الصدر معتزما منيعا
بنى لي معشري وجدود صدق ... بذروة شامخ بيتا رفيعا
وعزا ثابتا وظلال مجد ... ترى شم الجبال له خضوعا

٣٤٤ قولهم لا عطر بعد عروس

أول من قال ذلك امرأة من عذرة، يقال لها أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوج من بنى عمها يقال له عروس، فمات عنها، فتزوجها رجل من قومها يقال له نوفل، وكان أعسر أبخر بخيلا دميما. فلما أراد أن يظعن بها قالت له: لو أذنت لي فرثيت ابن عمي وبكيت عند رمسه. قال: افعلي. فأنشأت تقول: يا عروس الأعراس،

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٩٧

يا أسدا عند الباس، مع أشياء ليس يعلمها الناس. قال نوفل: وما تلك الأشياء؟ قالت: كان عن الهمة غير نعاس. ويعمل السيف صبيحات الباس.." (١)

"٣٧٩ قولهم غافصت فلانا

في المغافصة قولان: قال بعضهم: هي المواثبة. وقال بعضهم: المغافصة كالمفاجأة. وقال أبو دؤاد الإيادي يصف جيشا:

ولنا مغاقصة توا ... لي بين منقصد ورمحا

يعني: كتيبة. أي توالى بين رجل مصروع وهو المنقصد، ورمحا أي ترمح رمحا.

٣٨٠ قلهم أمنع من عقاب الجو

أول من قال ذلك عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وهو ابن أخت جذيمة الأبرش. ويقال ابن ابنته، وهو الذي يضرب به المثل، فيقال: كبر عمرو عن الطوق. وكان قصير مولى جذيمة الأبرش لما قتلت الزباء جذيمة أتى عمرا فأخبره خبر جذيمة وقتل الزباء إياه. ثم قال له: اطلب **بثأرك**. فقال عمرو: كيف وهي أمنع من عقاب الجو. فأرسلها مثلا. فقال له قصير: لا تأبين علي في شيء فإني سوف أحتالك لك، فأعنى وخلاك ذم. ثم طلب **بثأره** حتى أدركه.

٣٨١ قولهم ويل للشجي من الخلي

الشجي: الحزين. والشجا، والشجو: الحزن. يقال: شجاه الهم يشجوه شجوا. وقال كثير عزة:." (٢)

"من بني أمية بن زيد، امرأة يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحرض عليه وتقول في ذلك الشعر، فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها وحولها نفر من ولدها نيام. فجسها بيده وكان ضريرا ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها. ثم صلى الصبح بالمدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقتلت بنت مروان"؟ قال: نعم! فهل على في ذلك شيء؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ينتطح فيها عنزان".

---

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٢١١

(٢) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٢٤٨

فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم. وسمى عمير البصير.

٥٠٣ قولهم اليوم تقضى أم عمرو دينها

أول من قال ذلك فيما ذكره أبو اليقظان أم عمرو امرأة زبان بن يثربي بن الحارث بن مالك بن شبيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة. وفي كتاب الكلبي: زبان بن الحارث، وهو أول من قاد بني ثعلبة في الجاهلية.

وكان غزا بني تغلب ودليله رجل من بني عقيلة. فذهب الدليل فأخبر بني تغلب بغزوته فندورا. واقتتلوا فقتلوا سبعة من ولده. فآلى زبان أن لا يمس رأسه غسل ولا يرى عقيليا إلا قتله حتى يدرك بثأره.

فأتاه ذلك العقيلي متنكرا فاستأمنه ثم دله على بني تغلب. فسار إليهم فقتل منهم جماعة كثيرة وفيهم أبو محياة اليشكري، ثم حمل الرؤوس على قلوص.

وجاء بالأسلاب والغنائم إلى امرأته أم عمرو. فلما رأت ذلك قالت: اليوم تقضى أم عمرو دينها. فذهبت مثلا.." (١)

"وأخبرني محمد بن القاسم قال: أخبرني محمد بن زرين قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طيفور قال: كان رزين مولانا، قال: وأنشدني له، وكنا نشرب فرمينا من دار لبعض جيراننا بتفاحة:

أيا تفاحة زمت ... فؤادي للهوى زما

لقد ألقاك إنسان ... وألقاك لأمر ما

لتهدي داعي الشوق ... إلى من عض أو شما

وله في الحسن بن سهل قصيدة لا تخرج من العروض، أولها:

بئس ما جزاك به الظاعنو ... ن إذ من جوارهم أخرجوك

قربوا جمالهم للرحيل ... بكرة أحبتك السالبوك

ذو الرياستين وأنت اللذا ... تحييان سنة غازي تبوك

الفضل بن العباس

ابن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي كوفي قال ابن أبي خيثمة عن دعبل: له أشعار كثيرة. وكان له بها أثر حسن فقال في ذلك:

---

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٣١٣

إنا على الثغر نحميه ونمنعه ... بنصرة الله، والمنصور من نصرا

كم وقعة بحمى إسكين مشعلة ... وبالمنوحار أخرى تقدح الشررا

يا أهل كابل هلا عاذ عائذكم ... بالبد يمنع منا من به انتصرا

لو كان يدفع ضيما عنكم لدرا ... عنه القسي التي غادرنه كسرا

تصبنا نقمة لله بالغة ... رضوانه فاصبروا لا تهلعوا ضجرا

بالله يطلب ثأر الدين طالبنا ... وبالرسول وبالفرقان إذ نشرا

لا نمنع الواردين الورد ما نهلوا ... إلى اللقاء، ولكن نمنع الصدرا

وفي أبيه العباس بن جعفر، يقول دعبل قصيدته التي فيها:

أما في صروف الدهر أن ترجع النوى ... بهم ويدال القرب يوما من البعد

بلى في صروف الدهر كل الذي أرى ... ولكنما أغفلن حظي على عمد

فو الله ما أدري بأي سهامها ... رمتني، وكل عندنا ليس بالمكدي

أبا لجيد أم مجرى الوشاح وإنني ... لأتهم عينيها مع الفاحم الجعد

والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث صاحب الإيغار الذي يسقي الفرات من عمل كوثي والفلوجة، أجراه الرشيد كما أجرى المنصور يقطين بن موسى وقاطعه عنه، فصار إلى هذا الوقت عملا مفردا. وكان قد قلده خراسان، وصير محمدا الأمين في حجره، واستخلفه بمدينة السلام في وقت خروجه عنها. وكان الرشيد لا يقيم بمدينة السلام من السنة إلا شهرا أو شهرين، ومنزل جعفر بن محمد ابن الأشعث بالباب المحول من الجانب الغربي،قصره إلى هذا الوقت واقف بإزاء الميل.

زرزر الرفاء

يكنى أبا الخطاب بغدادي شاعر مليح الشعر قليله. قال دعبل: له شعر صالح ويروى أنه اجتمع ووالبة ابن الحباب وعلي بن الخليل وجماعة من شعراء بغداد في مجلس، فقال كل واحد منهم شعرا يعرض به على أصحابه منزله وما عنده، فقال زرزر:

ألا قوموا بنا نمشي ... إلى بستان صباح

فعندي لكم الورد ... وما شئتم من الراح

وبيت من رياحين ... وتفاح، ولماح

وصناجة فتيان ... بصنج جد صياح

تدين الله بالنيك ... به تدعو بإفصاح

وأنشد دعبل لزرزر يهجو رزينا العروضي:

سلحت أم رزين ... ذات يوم في طحين

فسألناها فقالت ... ذا خمير للعجين

وحدث ابن أبي بدر: أن زرزرا كان ماجنا من أصحاب أبي الحارث جمين وكان أبو الحارث مضحكا طيبا. قال أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم حدثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال: اسم أبي الحارث جمين وولاؤه لبيت حمزة ابن عبد المطلب. وقد هجاهما رزين. ومن قوله في أبي الحارث يتهكم به:

سلام ناقص الميم ... على وجهك بالحاء

خروف لك في البيت ... فكل منه بلا فاء

وخردلة بلا دال ... ولا لام، ولا هاء

وخرنوب بلا نون ... محشي كرش الشاء

جزاك الله يا جم ... ين خيرا ناقص الياء." (١)

"وقال اسحاق بن إبراهيم الموصلي: قالت سعدة١ بنت عبد الله بن سالم: لقيت سكينة٢ بنت الحسين -صلوات الله عليه- بين مكة والمدينة، فقالت٣: قفي يابنت عبد الله، ثم سفرت عن وجه ابنتها٤، وإذا هي قد أثقلتها بالدر، وقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه٥. وكانت امرأة من العجم حسناء، فكانت لا تظهر من بيتها إذا طلع القمر والشمس، فقيل لها في ذلك، فقالت: أخاف أن تكسفاني.

وقال الفرزدق يصف إبلهم "من الطويل":

ألم تعلما يابن المجشر انها ... إلى السيف تستبكي إذا لم تعقر٦

وقال هدبة٧ العذري "من الطويل":

---

١ سيدة كريمة من سيدات الحجاز ووالدة شعيب بن صخر توفيت في القرن الهجري الأول.

٢ نبيلة هاشمية كريمة شاعرة، تزوجها مصعب بن الزبير فمات، وتزوجها بعده سواه، وتوفيت سنة ١١٧هـ.

---

(١) الورقة محمد بن داود بن الجراح ص/٩

٣ أي: سكينة.

٤ أي: ابنة سكينة، ومر الرباب بنت مصعب بن الزبير المتوفى عام ٧٢هـ.

٥ في الأغاني "١٧/ ١٦٤، ١٦٥" هذه الرواية الأدبية عن شعيب بن صخر عن أمه سعدة بتفصيل.

٦ الضمير في أنها يعود إلى الإبل. عقر البعير بالسيف وعقره به بالتشديد أي: ضرب به قوائمه، يقول: إن إبلنا اعتادت فعل الكرم حتى إنها لتبكي إذا لم تنحر في المكرمات، والألف في "تعلما" مقلوبة عن نون التوكيد الخفيفة.

٧ هو هدبة بن الخشرم الشاعر المفلق، كان كثير الأمثال في شعره، قتل ابن عم له أيام معاوية فحبس خمس سنين، ثم قتله ابن المقتول عام ٥٤هـ أخذا منه بثأر أبيه، ومن شعره في الحبس:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب." (١)

"فيا نفس ذلي بعد مي وسامحي ... فقد سامحت مي وذل قرينها

وقال عمر بن نجا:

أتى البخل دون الجود من أم واصل ... وضن علينا بالعطاء ضنينها

فلله دري يوم مالت مودتي ... إليها ولم ترجع إلي يمينها

وما خنتها إن الخيانة كاسمها ... ولا نصحت نفسي لنفس تخونها

مددت حبالا منك حتى تقطعت ... إلي وما خان الحبال متينها

فكيف أشعت السر أم واصل ... وما أخلص الأسرار إلا أمينها

وقال آخر:

أكر إلى ليلى وأحسب أنني ... كريم على ليلى وغيري كريمها

فأصبحت قد أجمعت هجرا لبيتها ... وفي العين من ليلى قذى ما يريمها

لئن آثرت بالود أهل بلادها ... على نازح من أرضها لا يريمها

وما يستوي من لا يرى غير لمة ... ومن هو عندها لا يريمها

وقال بعض الأعراب:

شكوت إلى رفيقي الذي بي ... فجاءاني وقد جمعا دواء

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/١٦٤

وجاءا بالطبيب ليكوياني ... وما أبغي عدمتهما اكتواء
فلو ذهبا إلى ليلى فشاءت ... لأهدت لي من السقم الشفاء
تقول نعم سأقضي ثم تلوي ... ولا تنوي وإن قدرت قضاء
أصارمة حبال الوصل ليلى ... لأخضع يدعي دوني ولاء
ومؤثرة الرجال علي ليلى ... ولم أؤثر على ليلى النساء
ولو كانت تسوس البحر ليلى ... صدرنا عن شرائعه ظماء
فمرا صاحبي بدار ليلى ... جعلت لها وإن بخلت فداء
أريتك إن منعت كلام ليلى ... أتمنعني على ليلى البكاء
ولبعض أهل هذا العصر:
وتزعم للواشين أني فاسد ... عليك وأني لست مما عهدتني
وما فسدت لي يشهد الله نية ... ولكنما استفسدتني فأتهمتني
غدرت بعهدي عامدا وأخفتني ... فخفت ولو آمنتني لأتمنتني
إلى الله أشكو لا إليك فطالما ... شكوت الذي ألقى إليك فزدتني
وله أيضا:
أفوض أسبابي إلى الله كلها ... وأقنع بالمقدور فيها وأرتضي
واسمح بالتفويض حتى إذا انتهى ... ضميري إلى ما بيننا لم أفوض
وبالله لو خيرت بينك غادرا ... وبين كلا الملكين تخيير مقتض
رضيتك حظا منهما غير أنني ... بهذا الذي ترضاه لي غير مرتض
وله أيضا:
أبت غلبات الشوق إلا تقربا ... إليك ونأي العذل إلا تجنبا
علي رقيب منك خال بمهجتي ... إذا أنا سهلت اطراحك صعبا
فها أنذا وقف عليك مجرب ... إذا ما نبا بي مركب رمت مركبا
وما كان صدي عنك صد ملالة ... ولا كان إقبالي عليك تطربا
ولا كان ذاك العذل إلا نصيحة ... ولا ذلك الإغضاء إلا تهيبا

ولا الهجر إلا فرط من ولا الرضى ... بلا سبب إلا اشتياقا معذبا

ومن يمنع العذب الزلال ويمتنع ... من الشرب من سؤر الكلاب تغضبا

خليق إذا لم يستطع شرب غيره ... وخاف المنايا أن يذل فيشربا

إذا المرء لم يقدر له ما يريده ... أراد الذي يقضى له شاء أم أبى

وأنشد أعرابي ببلاد نجد:

فيا عجبا من صوني الود في الحشا ... لمن هو فيما قد بدا لي واتر

ومن طلبي بالود ثأري ولم يكن ... ليدرك تبلا بالمودة ثائر

فيا عجبا مني ومنها تضيعني ... وأحفظها هذا اختلاف السرائر

ويا عجبا كيف اتفقنا فناصح ... مصر ومطوي على الغش غادر

وقال البحتري:

مغترب الدار إن أرضه أجد ... مسافة النجم دون مغتربه

راجعته القول في ملاطفة ... أهرب من صدقه إلى كذبه

وقال آخر:

سأعرض بالشك دون اليقين ... حتى أحسن غير الحسن

وأقنع إذ خنتني معلنا ... بقولك في السر لي لم أخن." (١)

"يود الفتى المال الكثير وإنما ... لنفس الفتى مما ينال نصيب

وقال آخر:

لا تكره المكروه عند نزوله ... إن العواقب لم تزل متباينة

كم من يد لا يستقل بشكرها ... لله في ظل المكاره كامنة

وقال آخر يعزي رجلا عن أبيه:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا ذكرت محمدا ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

وبلغني أن رجلا عزى يحيى عن حرمة له فقال: أيها الوزير تقديم الحرم من النعم وتمثل:

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٦٦

تعز إذا رزئت فخير درع ... تسربل للمصائب درع صبر

ولم أر نعمة شملت كريما ... كعورة مسلم سترت بقبر

وقال بعض الطاهريين:

لكل أبي أنثى إذا ما ترعرعت ... ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر

فأم تراعيها وبعل يصونها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال البحتري:

أتبكي من لا ينازل بالسي ... ف مشيحا ولا يهز اللواء

لسن من زينة الحياة كعهد الله ... منها الأموال والأبناء

وتلقت إلى القبائل فانظر ... أمهات ينسبن أم آباء

ولعمري العجز عندي إلا ... أن يبين الرجال تبكي النساء

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

فإن تحتسب تؤجر وإن تبكه تكن ... كباكية لم يحيي ميتا بكاؤها

ومن سر حظي مسلم من مصيبة ... بكاء وأحزان قليل جداؤها

وذكر لنا أن محمد بن عبد الملك الزيات كانت له جارية وكان بها ضنينا وكان له منها ابن يقال له عمرو، فماتت وابنه صغير فقال فيها:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بعيد الكرى عيناه تنسكبان

ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة ... ولا يأتسي بالناس والحدثان

رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيان

يرن بصوت مض قلبي نشيجه ... وسح دموع ثرة الهملان

فلا تلحياني إن بكيت فإنما ... أداوي بهذا الدمع ما تريان

وهذا لعمري اعتذار من شدة الجزع ينكأ قلوب اللائمين وسلى عيون الشامتين ويخرج المعزين إلى التعزية، وتستغرب معانيه، ويستجاد شعره ويستعذب لفظه على معاره...... قول م١وية بن مرة امرأة كليب تشتكي ما بها من قتل أخيها لزوجها:

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته ... وبدا في هدم بيتي الأول

يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل

حضني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم مقبل

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل الثكل

قتل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومفن أجلي

لو بعين فديت عين سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعل

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلى أو ينجلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

وقال آخر:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وباكيتان تندبان لعاقل ... أخا ثقة لا عين منها ولا أثر

وقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا خليله ... أضاع ولا خان الوفاء ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وهذا من الكلام السائر اللفظ المستعمل المعنى إذ ليس ترى ميتا وإن جل رزؤه وعظم فقده يبكي عليه إلا في الندرات، فأما النياحة والاجتماعات فلا يراها إلا قبل الحول، وليس يستحسن من أهل المصائب مراعاة الحزن والإفراط في باب الجزع، وليس يحسن أيضا التحقق بقسوة القلب وقلة الجزع من فقد المحبوب كالذي يقول:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل." (١)

"فأبى إلا قطعها، فدخلت عليه أمه فقالت يا أمير المؤمنين: واحدي وكاسبي. فقال: بئس الكاسب كاسبك، وهذا حد من حدود الله لا أعطله. فقالت: يا أمير المؤمنين: اجعله من الذنوب التي يستغفر الله منها، فعفا عنه. وهذا الفعل لا يسمى عفوا، لأن العفو إنما هو ترك المرء ماله وترك مال غيره مما قد جعل هو

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٦٥

القيم عليه باستيفائه. فهو بباب التصنيع والإثم أشبه منه بباب العفو والحلم.

الباب السادس والسبعون

ذكر

الافتخار بالشجاعة والانتصار

أخبرنا الحارث بن أبي أسامة: أن العباس بن الفضل حدثهم قال: حدثنا محمد بن عبد الله التميمي قال: حدثنا الحسين بن عبد الله. قال: حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول: أتيت النبي صلى الله عليه فأنشدته قولي:

وإنا لقوم لا نعود خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا

فليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

وقال عنترة:

لما رآني قد نزلت أريده ... أبدى نواجذه لغير تبسم

فطعنته بالرمح ثم علوته ... بمهند صافي الحديدة مخذم

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

إذ يتقون بي الأسنة لم أصح ... عنها ولكني تضايق مقدم

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

وله أيضا:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أمسيت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أن المنية منهل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل

فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وقال خفاف حين قتل مالك بن حباب الشمخي معاوية بن عمرو السلمي:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت على علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو **لأثأر** هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

وقال العباس بن عبد المطلب:

أبا طالب لا ترض بالنصف منهم ... وإن أنصفوا حتى تعق وتظلما

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواطع في أيماننا تقطر الدما

إذا خالطت هام الرجال رأيتها ... كبيض نعام في الوغى قد تحطما

تركناهم لا يستحلون بعدنا ... لذي رحم يوما من الناس محرما

وقال آخر:

إذا ظلمت حكامنا وولاتنا ... خصمناهم بالمرهفات الصوارم

سيوف كأن الموت حالف حدها ... مشطبة تفري متون الجماجم

إذا ما انتضيناها ليوم كريهة ... ضربنا بها ما استمسكت في القوائم

وقال أبو سفيان بن الحارث:

نحن وردنا بطن سلع عليكم ... بأسيافنا والخيل تدمى نحورها

تركنا بني النجار تعوي كلابهم ... غداة تولت واستمر مريرها

ونحن تركنا الخزرجي مجدلا ... تمج حياة النفس منه زفيرها

تركناه لما غادرته رماحنا ... ولم يبق منه غير عين يديرها

وقال قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فاهرت فتقها ... يرى قائما من دونها ما وراءها

يهون علي أن ترد جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها

متى يأت هذا الدهر لا يبق حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وذكروا أن معاوية ركب فرسه عازما للهرب. قال: فذكرت أبياتا لعمرو ابن الإطنابة فوقفت وهي قوله:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح." (١)
"لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة أن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... لم يرهبوه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا
قال آخر:
عند الملوك مصائر ومنافع ... وأرى البرامك لا تضر وتنفع
وإذ نكرت من امرئ أعرافه ... وطباعه فانظر إلى ما يصنع
قال المثلم بن رياح بن ظالم:
تصيح الردينيات فينا وفيكم ... صياح بنات الماء أصبحن جوعا
خلطنا البيوت بالبيوت فأصبحوا ... بني عمنا من يرمهم يرمنا معا
قال آخر:
بكره سراتنا يا آل عمرو ... نعاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات كاب ... وإن كانت تحادث بالصقال
نعديهن يوم الروع عنكم ... وإن كانت مثلمة النصال
ونبكي حين نذكركم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي
قال القتال الكلابي:
نشدت زيادا والمقامة بيننا ... وذكرته أرحام سعد وهيثم
فلما رأيت أنه غير منته ... أملت له كفي بلدن مقوم

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٠٠

فلما رأيت أنني قد قتلته ... ندمت عليه أي ساعة مندم

قال قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

قال الشميذر الحارثي:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فليس كمن كنتم تصيبون سلمة ... فيقبل ضيم أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط ... فيرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا ... بني عمنا لو كان أمرا مدانيا

فإن قلتم أنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا

قال البحتري:

أسأت لأخوالي ربيعة إذ عفت ... مصانعها منها وأقوت ربوعها

بكرهي إن كانت خلاء ديارها ... ووحشا مغانيها وشتى جميعها

إذا افترقوا عن وقعة جمعتهم ... لأخرى دماء ما يطل نجيعها

تذم الفتاة الرود شيمة زوجها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

حمية شعب جاهلي وعزة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... بأحقادها حتى تضيق ذروعها

نقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيدي ما تكاد تطيعها

إذا احتربت يوما تعاصت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجر أرواح كلوم قطوعها

قال أيضا:

فضل الخلائف بالخلافة واقف ... في الرتبة العليا وفضلك أفضل

أوفيت عاشرهم فإن ندبوا إلى ... كرم وإحسان فأنت الأول

فهذا إن شاء إنسان يصير به إلى نهاية المدح، وشاء آخر أن يصرفه إلى غاية الذم، وجد كل امرئ منهم مقالا.

أي مديح أبلغ من أن يكون ماضي من الخلفاء دون الممدوح بهذا القول. وأي ذم أوكد حجة على المرء من تشريفه على آبائه وأجداده والأخبار بأنه نجم من بينهم، مخالف في السؤدد لجماعتهم. وهذا النوع من الحلم غير مشاكل لما قدمناه في الباب المتقدم، لأن ذلك الحلم إنما وقع من فاعله رغبة منه في المكارم. وهذا الحلم إنما وقع احتقارا للمخاصم، وكلاهما جميل من فاعله إذا كان ذلك يدل على كرم الطبع، وهذا يدل على جلالة القدر.

الباب الثامن والسبعون

ذكر

ما جاء في صفات البحر والفلوات

قال:

ألا هل للهموم من انفراج ... وهل لي من ركوب البحر ناج

أكل عشية زوراء تهوي ... بنا في مظلم الغمرات ساجي." (١)

"٧٠١ - وقال الخارج من ضرية يريد مكة، يشرب بالجديلة ثم فلجة، ثم الدثينة، ثم قباء، ثم مران، ثم وجزة، ثم ذات عرق، ثم البستان، ثم مكة. فإن خرج من ضرية يريد البصرة، شرب بطحفة. ثم أمرة، ثم رامضة، ثم الغريش - وبين الغريش - وبين النباج والغريش أربعون ميلا في المنزلين جميعا - ثم العوسجة، ثم النباج، ثم الينسوعة، ثم العشر، ثم ماوية، ٣٢٢ ثم الحفر - حفر أبي موسى - ثم الخرجاء، ثم الشبحى، ثم الرحيل، ثم الحفير، ثم البصرة.

٧٠٢* - وزعم الكلابي: انها بطرف الدو، يعني البصرة، وهضب الردة، عن يمين الجديلة إلى فلجة ": بثلاث أميال أو أكثر، يمين المصعد إلى مكة، وذو سدير عن يسار المصعد فرنة: ٧٠٣* ولصاحب أم عائذ: " الطويل "

١) - جرى لك ياالهجران من أم عائذ ... على الفرع صردان بذاك جنوح

٢) - يبشرننا بالصرم من أم عائذ ... أتاح الردى يوما لهن متيح

٣) - فأعرضت من بغضائهن وبالحشا ... وبالنفس مما قد يقلن بريح

٤) - ورحت وما أدري مع الحادث الذي ... يحدثن لأحدثن كيف أروح

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٠٦

٧٠٤* - قال: وأنشدني السروى أحد بني غواية شنوى، لبعض ٣٢٣ غامد في قتل عبد الله بن أبي النعيم الليهي أحد بني رهم والنسبة إليه: غواوي، ولا نظير له وإلى بني حية: حووى. وإلى حي بني سليم: حيوى، وإلى فتية من بني سليم: فتوى، وإلى الصبى من بني كلاب صبوى: " الوافر "

١) - نزعنا قلب لشهب من حشاها ... وألقينا الجحافل والبطونا

٢) - قتلنا يوم ذي غلف فتاهم ... وسيدهم وأصبحهم جبينا

٣) - وأوردهم بنصل السيف صلتا ... وأعجلهم قرى للطارقينا

٤) - وكان هو المحارب إذ دعاهم ... وكان أبوه عرقهم السمينا

٥) - تركناهم كناب أفرقتها ... ولم تعجل شغار الجازرينا

٦) - مخوية على الثفنات منها٣٢٤ سنا سنها عوار قد برينا

٧٠٥* - فأجابه اللهبي: " الوافر "

١) - صدقتم والاله لقد قتلتم ... أخانا أو أخاكم ظالمينا

٢) - فلا وترا بذلكم نقضتم ... ولا ذهب العشيرة سالمينا

٣) - ورب محمد وإله موسى ... لتعترفننا فيه يقينا

٤) - وكم من مثلكم وأشر حربا ... تركناه وقد مرع اللجينا

٥) - نضمن ديننا قسما كراما ... إذا عز القضاء بهم قضينا

٧٠٦* - ولما أدركوا بثأرهم بإبن النعيم اللهبي: قال شاعر لهب وأصابت لهب بن مسروح الغامدي: " الطويل "

١) - شفى لنفس حتى ليس فيها حسانة ... فأمست بيوت الشعر جاد نشيدها

٢) - بعدوة أبطال من أحجن غادروا٣٢٥ حليلة مسروح طويلا حدودها

٣) - وكم من فتاة طلقتها سيوفنا ... فأمى يقضى للذهاب عمودها

حدت المرأة تحد حدودا، وأحدت - الألف -.

٧٠٧* - وللهبي يقولها لغامد. " الطويل "

١) - ألا يا بني نعم تركتم أتوركم ... على بطل مستنظر غير حامد

٢) - أبى الضيم منكم وأحتمى دون رأيه ... من أسلم أبطال طوال السواعد

٣) – فنحن إذن مثلان نحن وأنتم ... إذا ما قتلنا آمنا وهو راقد
٤) – متى تغدمنا عصبة لا تورها ... مجربة ضرابة للمعاضد
٥) بإيمانها خضر تعاشى طبيها ... كما يتعاشى الأرمد المتساند." (١)

"قال الصولي، فحدثني يموت بن المزرع، قال: حدثني الجاحظ، قال: قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون " وكان كثيرا ما يعارضه بقوله في الإجبار " أسألك عن مسألة؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي! فقال له: أجبه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إن كل ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرضك يدي هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحركها. فقال له ثمامة: حركها من أمه زانية. فقال: شتمني والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامة: ناقص الماص بظر أمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون، وقال له: ألم أقل لك أن تشغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقيني بعد ذلك، فقال لي: يا أبا معن، أما أغناك الجواب عن السفه؟ فقلت: إن من أتم الكلام ما قطع الحجة، وعاقب على الإساءة، وشفى من الغيظ، وانتصر من الجاهل.

" الجمل المصري "

قال يموت بن المزرع: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرضه شعره قال لغلامه: امض به إلى الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، ثم خله، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون، فجاءه الجميل المصري واسمه حسين فاستأذنه في النشيد فقال له: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، قال: فهات إذن. فأنشده " من الوافر ":

أردنا في أبي حسن مديحا ... كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا: أكرم الثقلين طرا ... ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا: يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم وما يعني عيالي ... صلاتي إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتضحي لي الصلاة هي الصلات

فضحك ابن المدبر، وقال: من أين لك هذا؟ قال: من قول أبي تمام الطائي " من الكامل ":

هن الحمام فإن كسرت عيافة ... عن حائهن فإنهن حمام

فأعطاه مائة دينار، رحمهما الله تعالى، وعفا عنهم.

---

(١) التعليقات والنوادر أبو علي الهجري ص/٧٧

" إبراهيم بن المهدي "

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا يموت بن المزرع، عن الجاحظ، قال: أرسل إلي ثمامة يوم جلي المأمون لإبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم، فحضروا، فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك، ولا حفظك، ولا رعاك، ولا كلأك، يا إبراهيم؛ فقال له إبراهيم؛ على رسلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحت ولي ثأري والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل، هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وأن تعف فبفضلك. قال: فأطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: إن هذين أشارا علي بقتلك؛ فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به، وما غشاك إذ كان ما كان مني، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسم المأمون، وأقبل على ثمامة، ثم قال: إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي حديده، وردوه إلي مكرما. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى المنادمة، وارجع إلى الأنس، فلم ترى مني أبدا إلا ما تحب. فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه: " من الكامل ":

يا خير من ذملت يمانية به ... بعد الرسول لآيس أو طامع

وأبر من عبد الإله على الهدى ... نفسا وأحكمه بحق صادع

عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج ... فالموت في جرع السمام الناقع

متيقظا حذرا وما يخشى العدا ... نبهان من وسنات ليل الهاجع

والله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيف راكع." (١)

"يشتكيها بقدك إذا باشر المو ... ت جديدا والموت شر جديد

بقدك أي حسبك قتلتني.

فلوت خيله عليه وهابوا ... ليث غاب مقنعا في الحديد

غير ما ناكل يسير رويدا ... سير لا مرهق ولا مهدود

مستعدا لمثلها إن دنوا من ... ه ففي صدر مهره كالصفود

---

(١) أمالي ابن المزرع يموت بن المزرع ص/٧

شاحيا باللجام يقصر منه ... عركا بالمضيق غير شرود

وبعينيه إذا ينوء بأيدي ... هم ويكبو في صائك كالفصيد

الصائك الدم المتغير.

نظر الليث همه في فريس ... أقصدته يدا نجيد معيد

ساندوه حتى إذا لم يروه ... شد إجلاده على التسنيد

يئسوا ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود

وهم ينظرون لو طلبوا الو ... تر إلى واتر شموس حقود

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد ثناهم بعديد

يا بن حسناء شق نفسي يا لج ... لاج خليتني لدهر شديد

يبلغ الجهد ذا الحصاة من القو ... م ومن يلف واهيا فهو مود." (١)

"لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

أليلتنا بذي حسم أنيرى ... إذا أنت انقضيت فلا تحورى

إن يك بالذنائب طال ليلي ... فقد يبكي من الليل القصير

فأنقذني بياض الصبح منها ... لقد أنقذت من شر كبير

كأن كواكب الجوزاء عوذ ... معطفة على ربع كسير

تلالأ واستقل لها سهيل ... يلوح كقمة الجمل الفدير

الفدير المنقطع من الضراب وإنما خص الفدير لأنه يتنحى عن الشول ناحية وكذلك سهيل هو منفرد من الكواكب وأنشدنا أحمد ابن يحيي للوليد بن يزيد:

ألا ليت أني منكم حيث كنتم ... مكان سهيل من جميع الكواكب

يراهن أصحابا وهن يرينه ... ويسري إذا يسرين غير مصاحب." (٢)

"٥٢ وقال تأبط شرا

واسمه ثابت بن جابر بن سفيان. حدث بعض رواة العرب أن لحيان كانت تطلب تأبط شرا، بثأر، وأنه خرج

---

(١) أمالي اليزيدي اليزيدي ص/٩

(٢) أمالي اليزيدي اليزيدي ص/١١٧

يريد ماء، من مياه قومه، فرأى على الماء نحلة تطير، فتبعها، وهي يجري تحتها، حتى أوت إلى جبل، فيه عسل. فصعد فاشتار من ذلك العسل، ولم يكن معه سلاح، وأتى الخبر إلى لحيان، فأتوه وقد ملأ زقاقه، وهو في غار، فأخدوا عليه فم الغار، وقالوا: يا ثابت، قد أمكن الله تعالى منك. فقال لهم: قد، والله، استمكنتم. فاختاروا مني إحدى خلتين: إما خرجت إليكم، فقاتلتكم. فإن قتلتموني أدركتم بثأركم وإن أفلت أفلت. وإما أسرتموني، ومننتم علي فلا أعود لكم في مساءة، أبدا. قالوا: كلا، بل نقتلك مكانك بالسهام. فأخرج إلينا ما كان عندك من العسل. فقال: والله لا جمعتهم على خصلتين: قتلي، وأكل عسلي. ونظر إلى فجوة من الغار،." (١)

"٢٢ ... يئسوا، ثم غادروه، لطير

عكف، حوله، نزول الوفود

أي: بئس أصحاب هذا الرجل منه، ثم "غادروه" أي: خلفوه، لطير قد عكفت حوله، أي: استدارت، كما تنزل الوفود عند الملوك.

٢٣ ... فهم ينظرون، لو طلبوا الوت

ر، إلى واتر شموس، حقود

أي: أنصار هذا الرجل، المقتول، ينظرون إلى هذا القاتل، أي اللجلاج. "شموس": نافر صعب، لا يستقر لهم على ما يريدون. وقوله "حقود" أي: يحقد ما أتى إليه.

٢٤ ... لحمة، لو دنوا لثأر أخيهم

رجعوا، قد ثناهم، بعديد

أي: هم لحمة له، يقتلهم. إن دنوا يطلبون بثأر أخيهم الذي قتله "ثناهم" ردهم، بعده، بقتلهم.

٢٥ ... وبعينيه، إذ ينوء بأيدي

هم، ويكبو في صائك، كالفصيد

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٢٩٤

"ينوء": يرفع صدره، لينهض، فلا يقدر. قال مهلهل:

ينوء بصدره، والرمح فيه ... ويخلجه خدب، كالبعير." (١)

"٥٧ ... كالبلايا، رؤوسها في الولايا

مانحات السموم حر الخدود

أي: هذه الخيل مهازيل، كأنها "البلايا": واحدتها بلية. وهي الناقة يموت صاحبها، فتحبس عند قبره، وتعقل وتعكس وتهجر، وتلقى على ظهرها "الولايا" وهي البراذع، تلقى منكوسة. "مانحات" أي: موليات خددهن، قد نصبنها للريح السموم.

٥٨ ... إن تفتني فلم أطب، عنك، نفسا

غير أني أمنى، بدهر، كنود

"أمنى": أبلى. "كنود": كفور.

٥٩ ... كل عام، كأنه طالب ذح

لا إلينا، كالثائر، المستقيد

أي: كأنه يطلبنا بذحل. و"الثائر": الذي يطلب الثأر. و"المستقيد": الذي يطلب القود. قد قتل له إنسان، فهو يطلب أن يقاد به.." (٢)

"في جنودها بقايا من العماليق، والعاربة الأولى، وسليح وتزيد ابني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ومن كان معهم من قبائل قضاعة. وكانت للزباء أخت تسمى زبيبة، فبنت لها قصرا حصينا، على شاطئ الفرات الغربي، تشتو عند أختها، وتربع ببطن النجار، وتصير إلى تدمر. فلما اجتمع لها أمرها أجمعت لغزو جذيمة الأبرش، تطلب ثأر أبيها. فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأي ودهاء وإرب -: إن غزوت جذيمة فإنما هو يوم له ما بعده: إن ظفرت أصبت ثأرك، وإن قتلت ذهب ملكك. والحرب سجال، وعثرتها لا تستقال، وإن كعبك لم يزل ساميا على من ناوأك، ومن قصد لك، ولم تري بؤسا، ولا تدرين لمن تكون العاقبة، ولا على من تدور الدائرة؟ فقالت لها الزباء: قد أديت النصيحة، والرأي ما رأيت. فانصرفت عما

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٥٢٥

(٢) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٥٣٥

أجمعت عليه، من غزو جذيمة. وأرادت ختله، فمكرت به، وكتبت إليه أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبح في السماع، وضعف في السلطان، وأنها لم تجد لملكها موضعا، ولا [لنفسها كفوا. فأقبل إلي، وتقلد أمري، وصل." (١)

"العراق. فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحته، ودفعت إليه أموالا، وجهزت معه عيرا، وقالت: انطلق إلى العراق، فبع ما جهزناك به وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب، وغيرها. فسار قصير بما دفعت إليه، حتى قد العراق، وأتى الحيرة، متنكرا. فدخل على عمرو بن عدي، فأخبره الخبر، وقال: جهزني بأصناف الأمتعة، والطرائف. لعل الله تعالى يمكن من الزباء، فتصيب ثأرك، وتقتل عدوك، فأعطاه عمرو حاجته، وجهزه بما أراد. فرجع بذلك كله إلى الزباء، فعرضه عليها، فأعجبها ما رأت، وسرها ما أتاها، وازدادت به ثقة.

ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته أول مرة، فسار حتى قدم اتلعراق. فلقي عمرا، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزباء، ولم يترك جهدا. ثم عاد الثالثة إلى العراق، فأخبر عمرا الخبر، وقال له: اجمع لي ثقات جندك، وهيئ لهم الغرائر والمسوح، واحمل كل رجلين على بعير، في غرارتين، واجعل معمقد رؤوس الغرائر من باطنها. فكان أول من جعل الغرائر. فلما أحكم قصير ما أراد قال لعمرو: إنا إذا دخلنا مدينة الزباء أقمتك على رأس نفقها، وخرج الرجال من الغرائر، فصاحوا بأخل المدينة. فمن قاتلهم قاتلوه فقتلوه. وإن أقبلت الوباء، تريد النفق، جللتها أنت بالسيف. ففعل عمرو ذلك. وحمل الرجال في الغرائر، على ما وصف له قصير، ثم وجه الإبل إلى الزباء، عليها الرجال بأسلحتهم. فلما كانوا قريبا منها." (٢)

"أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها

أخزى الله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات، فلما أصبح إذا الحمر مطرحة حوله واسهمه مضرجة بالدم، فندم على كسر قوسه وشد على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٧٢٠

(٢) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٧٢٧

وقال الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الضرار

ومنه ما قيل في خفي حنين وكان حنين إسكافا من الحيرة فساومه أعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته. ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول. وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ قال: أتيت بخفي حنين، فضربته العرب مثلا. وقال الشاعر في مثله:

لتقرعن علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

محاسن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم "، فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جل وتعالى: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا "، فجعل القتال ثأرا للجلاء. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الخروج عن الوطن عقوبة.

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر.

وقال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قول أعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل: ما تشتهي؟ قال: محضا رويا وضبا مشويا.

وحدث عن بعض بني هاشم قال: قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية! قلت: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى حمى ضرية لعمر الله ما نريد بها بدلا ولا نبغي عنها حولا نفحتها العذاوات وحفتها الفلوات فلا يعلولج ترابها ولا يتمعر جنابها ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذى ولا قذى ولا موم، فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة. قلت: فما طعامكم؟ قال: بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه الفث والهبيد والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والينمة والعراجين والحسلة

والضباب واليرابيع والقنافذ والحيات وربتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فما نعلم أحدا أخصب منا عيشا ولا أرخى بالا ولا أعمر حالا، أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيرا برقيق العيش ولذيذه؟ قلت: وما قال؟ قال قوله:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعه ورزق من السعة وإياه نسأل تمام النعمة.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

ذكر من اختار الوطن على الثروة – قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك.

وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذلة فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة.

وقالت العرب: الغربة ذلة والذلة قلة.." (١)

"فقلت في نفسي: ضممت إلى من أريد أن أتعلم منه.

وكان يقال: ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه، وقيل: من لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه. وقال الشاعر:

عليك حفظ اللسان مجتهدا ... فإن جل الهلاك في زلله

ولآخر:

وجرح السيف تدمله فيبرا ... وجرح الدهر ما جرح اللسان

جراحات الطعان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

ولآخر:

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٨

وجرح اللسان كجرح اليد

ولآخر:

وجرح السيف يأسوه المداوي ... وجرح القول طول الدهر دامي

مساوئ جناية اللسان

أحمد بن إبراهيم الهاشمي قال: لما عفا أبو العباس السفاح عن سليمان بن هشام بن عبد الملك وعن ابنيه قربهم وأدناهم وبسطهم حتى كانوا يسمرون عنده بالليل، وكان سليمان إذا دخل ثنيت له وسادة وكذلك لابنيه وربما طرحت لهم نمارق ونصبت لهم كراسي، فإنهم عنده ذات ليلة أو ذات يوم إذ دخل إليه أبو غسان الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين بالباب رجل متلثم أناخ راحلته وقال: استأذن لي على أمير المؤمنين. فقلت: ضع عنك ثياب سفرك.

فقال: لا أحط رحلي ولا أسفر عمتي حتى أنظر إلى وجه أمير المؤمنين. فقال أبو العباس: فهل سألته من هو؟ قال: قد فعلت فذكر أنه سديف مولاك. فقال: سديف سديف! ائذن له فدخل رجل أحم طويل يتثنى عليه ممطر حر ومعه محجن يتوكأ عليه، فلما نظر إلى أبي العباس سفر عن وجهه ثم سلم ودنا وقبل يده ثم انصرف إلى خلفه. فقام مقام مثله وأنشده:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل رقلة وغراس

ولقد ساءني وساء سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الل ... ه بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسى ... ثاويا بين غربة وتناسي

نعم شبل الهراش مولاك لولا ... آود من حبائل الإفلاس

فقام سليمان بن هشام فقال: يا أمير المؤمنين إن مولاك هذا مثل بين يديك يبعثك على قتلي وقتل ابني ويحدوك على طلب ثأرك منا، وقد بلغني أنك تريد اغتيالي. فقال أبو العباس: والله ما كان عزمي أن أقتلك ولا أن أسيء بك ولا أطالبك بشيء مما طالبت به أهل بيتك، فأما إذ وقع في خلدك إني أغتالك فيا جاهل من يحول بين وبينك وبين قتلك حتى أغتالك؟ ثم أمر بقتله وقتل ابنيه.

فقال سليمان لقاتله أبي الجهم: إنك قد أمرت بأمر لا بد لك من إنفاذه وحاجتي إليك أن تقدم ابني حتى أحتسبهما، ففعل.

وخرج سديف وقد وصله العباس بخمسة آلاف دينار وهو يقول: قد قرت العينان واشتفت النفس فلله الحمد والشكر! وحكي عن شيرويه بن أبرويز أن رجلا من الرعية وقف له يوما وقد خرج من الميدان فقال: الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده، فإنه كان يأخذ بالإحنة، ويقتل بالظن، ويخيف البري، ويعمل بالهوى.

فـقال شيرويه لبعض حجابه: احمله إلي. فحمل. فقال له: كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟ قال: كنت في كفاية العيش. قال: فكم رزقك بما سمعت اليوم؟ قال: ما زيد في رزقي شيء. قال: فهل وترك أبرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟ قال: لا. قال: فما دعاك إلى الوقوع فيه ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك، وما للعامة والوقوع في الملوك وهم رعية؟ وأمر أن ينزع لسانه من قفاه، وقال: حق ما يقال: الخرس خير من البيان بما لا يجب. وقال بعض الشعراء في مثله:

يا ليت أني لا أموت بغصتي ... حتى أرى رجلا يقول فيصدق

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... إن البلاء موكل بالمنطق

ولآخر:

لعمرك ما شيء علمت مكانه ... أحق بسجن من لسان مذلل

على فيك مما ليس يعنيك قوله ... بقفل شديد حيث ما كنت فاقفل

ولآخر:

إذا الأمر أعيا اليوم فانظر به غدا ... لعل عسيرا في غد يتيسر

ولا تعد قولا من لسانك لم يرض ... مواقعه من قبل ذاك التفكر." (١)

"وقال أبو عمرو بن العلاء: لما قدم عبد الملك المدينة خطب فقال: يا أهل المدينة إنا والله ما نحبكم ما ذكرنا ما فعلتم بنا ولا تحبونا ما ذكرتم ما فعلنا بكم! وإنما مثلنا ومثلكم كمثل حية كانت في جحر إلى جنبها خباء رجل فوثبت عليه فلسعته فقتلته فجاء أخو المقتول يطلب بثأر فقالت له الحية: لا تقتلني حتى أؤدي إليك دية أخيك. ففارقها على ذلك وعاهدها فكانت تؤدي إليه في كل يومين مالا، فلما استوفى أكثر الدية

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٦٨

قال: والله لو قتلتها كنت قد أدركت ثأري وأخذت الدية. فعمل فأسا وحددها، فلما خرجت إليه أهوى إليها بالفأس فأخطأها ورجعت إلى جحرها فأسقط في يده. فقالت: والله ما الثأر أدركت ولا الدية استوفيت! فقال: تعالي أعاقدك أن لا ينداك مني مكروه حتى أستوفي منك الدية. فقالت: أما ما رأيت قبر أخيك تجاهك وذكرت أنا الضربة فلن أثق بك ولن تثق بي. ثم أنشده:

ألا هل لنا مولى يحب صلاحنا ... فيعذرنا من مرة المتناصره

وأنشد في مثله:

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي ... فتبت فأزمعوا أن يظلموني

فلست بصابر إلا قليلا ... فإن لم ينتهوا راجعت ديني

ولآخر:

إياك من ظلم الكريم فإنه ... مر مذاقته كطعم العلقم

إن الكريم إذا رآك ظلمته ... ذكر الظلامة بعد نوم النوم

فجفا الفراش وبات يطلب ثأره ... أنفا وإن أغضى ولم يتكلم

محاسن الشدة

ذكروا أن جندب بن العنبر كان شديد البأس وأن عوانة بن زيد عيره يوما فقال:

هل يسود الفتى إذا قبح الوج ... ه وأمسى تراه غير عتيد

وإذا ما تكلم القوم يوما ... في الندى قال قولا غير سديد

وكان جندب فيه دمامة مع إمساك غير أنه كان ليثا في الحرب، فأجابه:

ليس زين الفتى الجمال ولكن ... زينه الضرب بالحسام التليد

وكان جندب عائفا فقال: والله لا تموت حتى تنصر عليك ظعينة. وإن عوانة خرج يوما يتصيد على فرسه ومعه قوسه فسار غير قليل إذ عرضت له جارية قد حملت وطبا من لبن فهم بها فدنا فقال: تمكنيني طائعة أو تقهرين؟ فقالت: لا إحداهما. فنزل إليها فأخذت ساعديه بإحدى يديها فما زالت تعصرهما حتى تركتهما وما يستطيع أن يحركهما ثم كتفته بوتر قوسه وشدت حبل الفرس في جيده ثم قالت: خذ بنا نحو محلة جندب. فمر يقود الفرس في جيده حبل. فلما قارب الحي بصر بجندب مقبلا فناداه: أيها المرؤ الكريم انصر أخاك ظالما أو مظلوما! فذهب مثلا، فأطلقه.

ومنهم كليب بن شؤبوب الأزدي كان أخبث أهل زمانه في قطع الطريق وحده، وكان كثير الغارة على طيء، فدعا حارثة بن لأم الطائي رجلا من قومه يقال له عبرم، وكان شجاعا، فقال له: أما تستطيع أن تكفينا هذا؟ قال: نعم. فأرسل العيون حتى علم مكانه فانطلق إليه حتى وجده نائما في ظل أراكة وفرسه مشدود عنده، فنزل عبرم ورجل معه فمشيا حتى أخذ كل واحد منهما بإحدى يديه، فانتبه ونزع يده اليمنى فقبض على حلق صاحب اليسرى وهو عبرم فما زال يخنقه حتى قتله. وقد كان أعد قوما فلحقوه وهم عشرة فوجدوه قتيلا، وأخذوا كليبا فكتفوه وساقوه، وأنشأ خوذة بن عبرم يرثي أباه ويقول:

إلى الله أشكو أن أؤوب وقد ثوى ... قتيلا وأودى سيد القوم عبرم

فمات ضياعا هكذا بيد امريء ... لئيم فلو أدمي لما كنت أثلم

ولكن ثوى لم يكلم السيف جيده ... ولا ناله رمح ولم يرق الدم

فأنت ابن شؤبوب فيا لهفتا له ... وما جز من أظفاره منك أكرم

سأسقيك قبل الموت كأسا مزاجها ... ذعاف من السم النقيع وعلقم

فأجابه كليب:

أخوذة إن تفخر وتزعم بأنني ... لئيم ويأبى لي قتالي عبرم

فأقسم بالبيت المحرم من منى ... وبر يميني صادقا حين أقسم

لضب بقفر من قفار وضبعة ... خموع ويربوع الفلا منك أكرم

ألا عجبا من فخر هذا وأمه ... سوادية والجد علج مكدم

أتوعدني بالمنكرات وإنني ... صبور على ما ناب جلد مصمم." (١)

"قال له المهدي: تطالبني وأنت المطلوب، وبباطلك تغلب حقي وأنت المغلوب، الآن ظهر فسادك، وبلغ غرسك، ودبت عقاربك، اللهم إلا أن تقر بذنبك وتعترف بجرمك وتتوب إلى ربك وتحقن بالإنابة دمك، فإن فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبسك وإلا فاحتسب نفسك ولا تلم إلا جهلك.

قال جعفر: ما لي ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لي بك قوة فأنتصر، وأنت على ظلمي مقتدر، فإن كنت تعلم أن ما بعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ما شئت واستكثر.

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٠٥

قال المهدي: لا والذي بمكة بيته الحرام، وحوله الشعث العاكفون قيام، ما أخشى في إقامة الأحكام عليك وعلى أشباهك إثما ولا زورا، فاستسلم للقتل ودع الكلام، فإنه إذا عقر الأساس تداعى النظام، وإذا انكسرت القوس تعطلت السهام، وأنت فطال ما أعنت على إطفاء النور بريح الظلام.

قال جعفر: اعف فإنك كريم جواد سامح، ولا تقبل في قول العدو الكاشح، فإني من الإسلام على الطريق الواضح، رفيق على أهله ولهم ناصح، أبر العالمين بفهم راجح، فلا تقدم علي بقول كلب نابح، فقتلك إياي عمل غير صالح.

قال المهدي: مذهبك واعتقادك تزعم أن الآخرة بعد فراق الساهرة، وأن الناس كانوا أعلاما زاهرة، وأشجارا ناضرة، وزروعا غاضرة، تلبث يسيرا ثم تعود هشيما، وإن من مات لا يعود كما أن ضوء المصباح إذا طفيء لا يرجع.

قال جعفر: لا والذي يخلق ويبيد، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ما قلت ذلك وهو له شهيد، وإني أخلص له التوحيد والتفريد والمشية والتحديد، وأشهد أنه الغفور الودود، يعلم منقلب العبيد.

قال المهدي: إن كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرني كتاب زندقتك الذي بالجهل ألفته وبالباطل زينته وبالضلال زخرفته، سميته أس الحكمة وبستان الفلسفة، زعمته مستخرجا من ديوان الإلهام منظما بحسن الكلام، عنفت فيه الإسلام وأضللت فيه الأنام.

فقال جعفر: لا والذي خلق الظلمات والنور، ودبر الأمور وهو قادر على أن يبعث من في القبور، ما هذا إلا إفك مجترح وزور، وإن ديني لظاهر منير تقديمي ذرية من هو مع الله جل وعز في كل فرض لازم أمام النبيين في البيت المعمور، فاتق الذي خلقك وأمر عبادك قلدك يعلم خفيات الأمور.

قال المهدي: وأصفح لك عن هذا فما حجتك في كتابك الذي أضل أهل الشقاق والنفاق ومن منهم في الأندية والأسواق يقرأونه ويتدارسونه في الآفاق، أما بعد أعلمكم أن الله جل وعز عدل لا يوالي الظالمين ولا يرضى فعال الجاهلين، وأنه ليس لله بولي من رضي بأحكام الجائرين، فسيحوا في الأرض حيث لا تنالكم أيدي المعتدين، فإن بني العباس طغاة كفرة، أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة، دولتهم شر الدول، عجل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين.

قال جعفر: هذا والله بهتان عظيم جدا قذفني به قاذف عمدا وأنت تعلم أني ما خالفت لكم أمرا ولا غبت منكم أحدا، فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الزلة فإنك راع مسؤول.

قال المهدي: أولم أبلغ أنك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء، فأي داهية أدهى منك؟ قال جعفر: ما بلغت حقا ولقد طوى النصيحة من أودع قلبك بهتانا وإفكا فلا تقبل في قول من ظلم واعتدى وبفسادي إليك سعى، فإن الله جل وعز سائله يوم يود الظالم يا ليته لم يكن أميرا، ولا كان المضل له وزيرا.

قال المهدي: إنك لجاهل أن تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك، هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك، وقد قيل: من ظفر بحية لا يأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه، ولعمري إن من يكون له عدو مثلك يرقب غرته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز.

قال جعفر: وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وإنما يكتفي مثلي من مثلك بلحظة، فالكرماء رحماء بررة، والقسوة في اللئام الشررة. قال المهدي: من تنته أيامه لاحت في الظلام أعلامه وأسرع به أن يذوق حمامه، يا غلام سيفا قاطعا وضاربا حاذقا! قال جعفر: إن كنت تؤمن بالمعاد وتتقي من الحشر يوم التناد، يوم يجمع الله فيه العباد، تعلم أن طالب ثأري لك بالمرصاد، ومن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة، إن قدمتني أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التي ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك.." (١)

"وحكي عن أبي عباد الكاتب أنه قال: كنت يوما عند المأمون فدعا بالغداء وكان يستنزل من قام من مجلسه عند ذكر الطعام ويقول: هذا من أخلاق اللئام، فقدموا إليه بطيخا على أطباق جدد فجعل يقور بيده ويذوق البطيخة فإذا حمد حلاوتها قال: ادفع هذه بسكينتها إلى فلان. فقال لي وقد دفع إلي بطيخة كانت أحلى من الشهد المذاب: يا أبا عباد بم تستدل على حمق الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين أما عند الله فعلامات كثيرة وأما عندي فإذا رأيت الرجل يحب الشاهلوج ويبغض البطيخ علمت أنه أحمق. قال: وهل تعرف صاحب هذه الصفة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين الرستمي أحد من هذه صفته. قال: فدخل الرستمي على أمير المؤمنين، فقال له المأمون: ما تقول في البطيخ الرمشي؟ قال: يا أمير المؤمنين يفسد المعدة ويلطخها ويرقها، يرخي العصب ويرفع البخار إلى الرأس. قال: لم أسألك عن فعله إنما سألتك أشهي هو؟ قال: لا. قال: فما تقول في الشاهلوج؟ قال: سماه كسرى سيد أجناسه. قال: فالتفت المأمون إلي وقال: الرجل الذي كنا في حديثه أمس من تلامذة كسرى في الحمق.

قال: ودخل أبو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان أحمق فقال: كان أبوك يا أبا خيرا لنا منك وأنت يا

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٢٣

أبا ليس تعدنا ولا تبعث إلينا ونحن يا أبا تجارك وجيرانك. قال: فجعل المأمون لا يزيده على التبسم.

قال: وقال مروان بن الحكم لرجل: إني أظنك أحمق. فقال: ظن أو يقين؟ قال: بل ظن. فقال: أحمق ما يكون الشيخ إذا استعمل ظنه.

ومما قيل فيهم من الشعر:

يا ثابت العقل كم عاينت ذا حمق ... الرزق أغرى به من لازم الجرب

وإنني واجد في الناس واحدة ... الرزق أروغ شيء عن ذوي الأدب

وخصلة ليس فيها من يخالفني ... الرزق والنوك مقرونان في سبب

ولآخر:

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله ... على أنه يشقى به كل عاقل

سعى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

ولآخر:

رأيت الدهر بالأحرار يكبو ... ويرفع رتبة القوم اللئام

كأن الدهر موتور حقود ... يطالب ثأره عند الكرام

ولآخر:

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب اللب عنه الرزق منحرف

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كأنه من خليج البحر يغترف

محاسن مضاحيك وألقاب

قال: كان اسم الأقيشر المغيرة بن الأسود وكان يغضب إذا دعي بالأقيشر، فمر ذات يوم بقوم من بني عبس فقال بعضهم: يا أقيشر. فنظر إليه طويلا وهو مغضب ثم قال:

أتدعوني الأقيشر ذاك إسمي ... وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سرا ... ورب الناس يعلم من تناجي

فسمي ذلك الرجل ابن مطفئة السراج وبذلك يعرف ولده إلى اليوم.

قال: وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل عامل الحجاج على الكوفة، وكان يلقب أبا صفية، فاستعدت امرأة على زوجها، فأتاه صاحب العدوى عند المساء فأعلمه. فقال: نعم أغدو معها. فبات الرجل يقول لامرأته:

لو قد أتيت الأمير لقلت أبا صفية إنها تفعل كذا وكذا، فيأمر من يوجعك ضربا، وجعل يكرر عليها بأبي صفية فحفظت الكنية وظنت أنها كنيته، فلما تقدمت إليه قالت: أصلحك الله أبا صفية. فقال لها: أبو عبد الله عافاك الله. فأعادت. فقال لها: أبو عبد الله فأعادت. فقال: يا فاسقة أظنك ظالمة! خذ بيدها الخبيثة. وحكم للزوج عليها.

قال: وولى يوسف بن عمر رجلا من بني سليم يلقب بأبي العاج، وكان يغضب منه، فقدم إليه رجل خصما له فقال: يا أبا العاج. فقال: أبو محمد يا ابن البظراء. فقال: أتقول هذا لأمي وقد حجت! قال: لا يمنعها ما قلت من الحج.

فن منه في الطمع

قيل لأشعب: أي شيء بلغ من طمعك؟ قال: ناديت بصبيان ولعوا بي فقلت لهم لأنحيهم عن نفسي: إن في دار بني فلان عرسا وهناك **نثار**. فولوا عني مبادرين وجعلت أشتد معهم طمعا في **النثار**." (١)

"أما إنه لو كان غيرك أرقلت ... إليه القنا بالمرهفات الصوارم

ولكن، وبيت الله، ما طل مسلما ... كغر الثنايا، واضحات المعاصم

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه:

قضى الله في القتلى قصاص دمائهم ... ولكن دماء العاشقين جبار

تطل دماء العاشقين، **وثأرها** ... لدى الحدق المرضى، وذلك **ثار**

قال الأحوص بن محمد الأنصاري:

ما تذكر الدهر لي سعدى وإن بعدن ... إلا ترقرق ماء العين، فاطردا

يا للرجال لمقتول بلا ترة، ... لا يأخذون له عقلا، ولا قودا

وحدثني العنزي أبو علي عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال: خرجت مع أبي سفيان، فلقينا نسوة ينظرن العقيق، فيهن امرأة حسناء العين، فقال أبي:

ألا يا عباد الله هذا أخوكم ... قتيلا، فهل فيكم به اليوم ثائر

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٥٢

خذوا بدمي، إن مت، كل خريدة، ... مريضة طرف العين، والجفن ساحر

قال: فالتفتت إلي امرأة، فقالت: يا بني احتسب أباك، واغتنم نهبيك." (١)

"وأما أنسابها وأحسابها، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فأبا، حاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه: ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها، فإن أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه «١» في حموله وشبعه وريه، فيطرقه الطارق «٢» الذي يكتفي بالفلذة «٣» ويجتزيء بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفهم بالأشياء، وضربهم للأمثال، وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة، وحجارة جبالهم الجزع «٤» ، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر، ولا يقطع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها، فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما، وبلدا محرما، وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها، فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويوميء الإيماءة فهي ولث «٥» وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم ليرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا." (٢)

"وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر

قال: وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر، قال: فلقيت رجلا ببعض الطريق، فقال لي: أين تريد؟ قلت: هذا الملك. قال: فإنك إذا جئته متروك شهرا، ثم تترك شهرا آخر، ثم عسى أن يأذن لك؛ فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيرا، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاظعن «١»

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/٩٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٧٧/١

؛ فإنه لا شيء لك! قال:

فقدمت عليه، ففعل بي ما قال، ثم خلوت به وأصبت مالا كثيرا ونادمته فبينما أنا معه إذا رجل يرتجز حول القبة ويقول:

أنام أم يسمع رب القبه ... يا أوهب الناس لعنس صلبه «٢»

ضرابة بالمشفر الأذبه ... ذات هيات في يديها جذبه «٣»

فقال النعمان: أبو أمامة، ائذنوا له فدخل فحياه وشرب معه، ووردت النعم السود. ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود غيره ولا يفتحل أحد فحلا أسود.

فاستأذنه النابغة في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأمر له بمائة ناقة من الإبل السود برعاتها؛ فما حسدت أحدا قط حسدي له في شعره وجزيل عطائه.

وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة

نعيم بن حماد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثوري، قال: قال ابن عباس: لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه،." (١)

"فأتاه وفد قريش، فيهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وأسد بن عبد العزى، وعبد الله بن جدعان، فقدموا عليه وهو في قصر له يقال له غمدان، وله يقول أبو الصلت، والد أمية ابن أبي الصلت:

لم يدرك الثأر أمثال ابن ذي يزن ... لجج في البحر للأعداء أحوالا «١»

أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده القول الذي قالا «٢»

ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة ... من السنين لقد أبعدت إيغالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... إنك عمري لقد أسرعت إرقالا «٣»

من مثل كسرى وبهرام الجنود له ... ومثل وهرز يوم الجيش إذ جالا

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن رأينا لهم في الناس أمثالا

صيدا جحاجحة، بيضا خصارمة ... أسدا تربب في الغابات أشبالا «٤»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٨٩/١

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... غادرت أوجههم في الأرض أفلالا»

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا

ثم اطل بالمسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا «٦»

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا «٧»

فطلبوا الإذن عليه، فأذن لهم، فدخلوا، فوجدوه متضمخا بالعنبر، يلمع وبيص المسك في مفرق رأسه، وعليه بردان أخضران قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، وسيفه بين يديه، والملوك عن يمينه وشماله، وأبناء الملوك والمقاول.

فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام، فقال له: قل. فقال: إن الله تعالى أيها." (١)

"ليزيد بن مزيد أمام الرشيد:

ولما رضي الرشيد عن يزيد بن مزيد أذن له بالدخول عليه فلما مثل بين يديه قال:

الحمد لله الذي سهل لي سبيل الكرامة بلقائك، ورد علي النعمة بوجه الرضا منك؛ وجزاك الله يا أمير المؤمنين في حال سخطك جزاء المحسنين المرغبين «١» وفي حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين؛ فقد جعلك الله وله الحمد تثبت تحرجا عند الغضب، وتمتن تطولا «٢» بالنعم، وتستبقي المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو.

المأمون وإبراهيم بن المهدي:

لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي، وهو الذي يقال له ابن شكلة، أمر بإدخاله عليه. فلما مثل بين يديه قال: ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، [والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على التلف] «٣» ؛ وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك، فإن صفحت فبكرمك، وإن أخذت فبحقك.

قال المأمون: إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك، فأشارا علي به.

قال: أما أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك ولما جرت عليه عادة السياسة، فقد فعلا؛ ولكنك أبيت أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله. ثم استعبر باكيا.

قال له المأمون: ما يبكيك.

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٩٠/١

قال: جذلا، إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته. ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه وإن كان جرمي يبلغ سفك دمي، فحلم أمير المؤمنين وتفضله يبلغاني عفوه، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب.." (١)

"قذف العبء علي وولى ... أنا بالعبء له مستقل «١»

ووراء الثأر مني ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل «٢»

مطرق يرشح موتا كما أطرق أفعى ينفث السم صل «٣»

خبر ما نابنا مصمئل ... جل حتى دق فيه الأجل «٤»

بزني الدهر وكان غشوما ... بأبي جاره ما يذل «٥»

شامس في القمر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل «٦»

يابس الجنبين من غير بؤس ... وندي الكفين شهم مدل «٧»

ظاعن بالحزم حتى إذا ما ... حل حل الحزم حيث يحل

وله طعمان أري وشري ... وكلا الطعمين قد ذاق كل «٨»

رائح بالمجد غاد عليه ... من ثياب الحمد ثوب رفل

أفتح الراحة بالجود جوادا ... عاش في جدوى يديه المقل

مسبل في الحي أحوى رفل ... وإذا يغزو فسمع أزل «٩»

يركب الهول وحيدا ولا يص ... حبه إلا اليماني الأفل ١»

فاحتسوا أنفاس يوم فلما ... هوموا رعتهم فاشمعلوا «١١»

كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل

فلئن فلت هذيل شباه ... لبما كان هذيلا يفل «١٢»

وبما أبركها في مناخ ... جعجع ينقب منه الأظل «١٣»." (٢)

"وذم أعرابي رجلا فقال: عبد الفعال، حر المقال؛ عظيم الرواق، دنيء الأخلاق؛ الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.

وذم أعرابي رجلا فقال: ضيق الصدر، صغير القدر، عظيم الكبر، قصير الشبر، لئيم النجر «١» ، كثير الفخر.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٤/٢

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٥١/٣

وقال أعرابي: دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد؛ إقبال حظهم إدبار حظ الكرام، شجر أصوله عند فروعه، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ذاك يتيم، أعيا ما يكون عند جلسائه أبلغ ما يكون عند نفسه.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ذلك إلى من يداوي عقله من الجهل، أحوج منه إلى من يداوي بدنه من المرض؛ إنه لا مرض أوجع من قلة عقل.

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره، فقال: كيف يدرك بثأره من في صدره من اللؤم حشو مرفقته؛ ولو دقت بوجهه الحجارة لرضها «٢» ، ولو خلا بالكعبة لسرقها.

وذكر أعرابي رجلا فقال: تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعا؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار، ولا آجل نار؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت، ونكحت ما وجدت.

وسمع أعرابي رجلا يزعق، فقال: ويحك! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم، ولست بواحد منهما؛ وأراك يخف عليك ثقل الذنوب فيحسن عندك مقابح العيوب.

وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال: سيء الروية، قليل التقية «٣» ، كثير السعاية، ضعيف النكاية.

وذكر أعرابي رجلا فقال: عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه؛ وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال.." (١)

"أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وصلة الرحم، وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله، وتصغير ما عظمت من الباطل، وإماتة ما أحيوا من الجور، وإحياء ما أماتوا من الحقوق، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، والقسم بالسوية، والعدل في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها؛ إنا والله ما خرجنا أشرا «١» ولا بطرا «٢» ولا لهوا ولا لعبا؛ ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا؛ ولكنا لما رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الادعاء في الدين، وعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وقتل القائم بالقسط «٣» ، وعنف القائل بالحق- سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعي الله، فأقبلنا من قبائل شتى، قليلين مستضعفين في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخوانا، وعلى الدين أعوانا.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤١/٤

يأهل المدينة، أولكم خير أول، وآخركم شر آخر؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين «٤» ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون.

يأهل المدينة، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم! كان آباؤكم أهل اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأماني فأضلتكم؛ فتح الله لكم باب الدين فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه؛ سراع إلى الفتنة، بطاء عن السنة «٥» ؛ عمي عن البرهان، صم عن العرفان؛." (١)

"فكان إذا أمسكوه فتر الدم، وإذا تركوه انفجر؛ فقال لهم: اتركوه، فإنما هو سهم أرسله الله! حماد بن زيد عن يحي بن سعيد قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعي لما ... طلبت رضا بني حزم برغمي «١»

اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى! ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال: لما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله، قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان! فانتزع «٢» له سهما فقتله.

ومن حديث سفيان الثوري قال: لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحة ابن عبيد الله في بطن واد متعفرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول: أعزز علي يا أبا محمد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية، إنا لله وإنا إليه راجعون! أشقيت نفسي، وقتلت معشري! إلى الله أشكو عجري وبجري «٣» ! ثم قال: والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم:

ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين

«٤» . وإذا لم نكن نحن فمن هم؟

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مطرف أن علي بن أبي طالب أجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه! ومن حديث سفيان، أن عائشة ابنة طلحة كانت ترى في نومها طلحة، وذلك بعد موته بعشرين يوما؛ فكان يقول لها: يا بنية، أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني! فلما." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٢٩/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٧٠/٥

"فقال له عبيد الله بن زياد: ألا تكف يا لطيم الشيطان؟

وقال زفر بن الحارث وقد قتل ابناه يوم المرج:

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بينا متنائيا «١»

فلم تر مني زلة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبي ورائيا

أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيامي وحسن بلائيا

أنترك كلبا لم تنلها رماحنا ... وتذهب قتلى راهط وهي ماهيا

وقد تنبت الخضراء في دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فلا صلح حتى تدعس الخيل بالقنا ... وتثأر من أبناء كلب نسائيا «٢»

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس: نادى مروان أن لا يتبع أحد، ثم أقبل إلى دمشق فدخلها، ونزل دار معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة؛ ثم جاءته بيعة الأجناد فقال له أصحابه: إنا لا نتخوف عليك إلا خالد بن يزيد، فتزوج أمه؛ فإنك تكسره بذلك- وأمه ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة- فتزوجها مروان، فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد: أعرني سلاح ا إن كان عندك. فأعاره سلاحا.

وخرج إلى مصر، فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا، فافتدوا منه ثم قدم الشام.

فقال له خالد بن يزيد: رد علي سلاحي. فأبى عليه، فألح عليه خالد، فقال له مروان، وكان فحاشا: يا بن رطبة الاست! قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروان على رءوس أهل الشام، فقالت له: لا عليك، فإنه لا يعود إليك بمثلها.

فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياما، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الوسائد ثم غطته حتى قتلته، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير المؤمنين!." (١)

"ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها، فأرسل إلى نصر بن سيار، فهرب هو وولده وكاتبه داود، حتى انتهوا إلى الري، فمات نصر بن سيار بساوة «١» وتفرق أصحابه، ولحق داود بالكوفة وولده جميعا.

واستعمل أبو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند وأحوازها «٢» ؛ ثم أخرج الرايات السود، وقطع البعوث، وجهز الخيل والرجال، عليهم قحطبة بن شبيب، وعامر بن إسماعيل، ومحرز بن إبراهيم في عدة من القواد، فلقوا من بطوس «٣» ، فانهزموا؛ ومن مات في الزحام أكثر ممن قتل، فبلغ القتلى بضعة عشر ألفا.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٦/٥

ثم مضى قحطبة إلى العراق، فبدأ بجرجان وعليها نباته بن حنظلة الكلابي، وكان قحطبة يقول لأصحابه: والله ليقتلن عامر بن ضبارة، وينهزمن ابن هبيرة، ولكني أخاف أن أموت قبل أن أبلغ ثأري، وأخاف أن أكون الذي يغرق في الفرات، فإن الإمام محمد بن علي قال لي ذلك قال الهيثم: فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ودخل جرجان فانتهبها، وقسم- ما أصاب بين أصحابه؛ ثم سار إلى عامر بن ضبارة بأصبهان فلقيه، فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه، ولم ينج منهم إلا الشريد، ولحق فلهم بابن هبيرة.

وقال قحطبة لما قتل ابن ضبارة: ما شيء رأيته ولا عدو قتلته إلا وقد حدثني به الإمام صلوات الله عليه، إلا أنه حدثني أني لا أعبر الفرات.

وسار قحطبة حتى نزل بحلوان «٤» ووجه أبا عون في نحو من ثلاثين ألفا إلى مروان بن محمد، فأخذ على شهرزور حتى أتى الزاب، وذلك برأي أبي مسلم.

فحدث أبو عون عبد الملك بن يزيد: قال لي أبو هاشم بكير بن ماهان: أنت والله." (١)

"عشواء «١» الليل؛ فإن رأيك الذي يسول لك أن الناس عبيد العصا، هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك، وإذا أحرجت العامة بعنف السياسة، كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هداه، إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك؛ وقد وليت العراق قبلك ساسة، وهم يومئذ أحمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم، وللشدة واللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة، والسلام.

ابن شهاب والحجاج في ضعف بصره:

زكريا بن عيسى عن ابن شهاب قال: خرجنا مع الحجاج حجاجا، فلما انتهينا إلى البيداء وافيا ليلة الهلال هلال ذي الحجة فقال لنا الحجاج: تبصروا الهلال؟ فأما أنا ففي بصري عاهة. فقال له نوفل بن مساحق: أو تدري لم ذلك أصلح الله الأمير؟

قال: لكثرة نظرك في الدفاتر.

الأصمعي قال: عرضت السجون بعد الحجاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألف ا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ووجد فيهم أعرابي أخذ يبول في أصل مدينة واسط، فكان فيمن أطلق؛ فأنشأ الأعرابي يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط ... خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٢٣/٥

عدة من قتل الحجاج:

أبو داود المصحفي عن النضر بن شميل، قال: سمعت هشاما يقول: أحصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا.

خطبة للحجاج في أهل العراق:

وخطب الحجاج أهل العراق فقال: يا أهل العراق، بلغني أنكم تروون عن نبيكم." (١)

"حتى خرجنا عليهم، فطلبنا بثأركم، وأدركنا بدمائكم، وأورثناكم أرضهم وديارهم وأموالهم؛ وأردنا إشراككم في ملكنا، فأبيتم إلا الخروج علينا؛ وظننت ما رأيت ذكرنا أباك وتفضيلنا إياه، لتقدمه على العباس وحمزة وجعفر، وليس كما ظننت، ولكن هؤلاء سالمون، مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم، وابتلى بالحرب أبوك، فكانت بنو أمية تلعنه على المنابر كما تلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة؛ فاحتجينا له، وذكرنا فضله، وعنفناهم، وظلمناهم فيما نالوا منه.

وقد علمت أن المكرمة في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية بئر زمزم، وكانت للعباس من بين إخوته، وقد نازعنا فيها أبوك فقضى لنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم من بني عبد المطلب غير العباس وحده، فكان وارثه من بين إخوته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايتنا، وميراث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ميراثنا، والخلافة بأيدينا، فلم يبق فضل ولا شرف في الجاهلية والإسلام إلا والعباس وارثه ومورثه، والسلام.

مقتل محمد وإبراهيم:

فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة في شهر رمضان، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها.

ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٠٤/٥

بأصحابه وقتل.

ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.." (١)

"حروب قيس في الجاهلية يوم منعج «١» : لغني على عبس

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يوم منعج يقال له يوم الردهة «٢» ، وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي بمنعج على الردهة، وذلك أن شاس ابن زهير أقبل من عند النعمان بن المنذر، وكان قد حباه بحباء جزيل، وكان فيما حباه قطيفة «٣» حمراء ذات هدب، وطيلسان وطيب. فورد منعج وهو ماء لغني، فأناخ راحلته الى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الأسل الغنوى، وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر إليه وهو مثل الثور الابيض، فانتزع «٤» له رياح سهما فقتله، ونحر ناقته فأكلها، وضم متاعه، وغيب أثره. وفقد شاس بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ، فقد سامتها امرأة رياح بن الأسل، فعلموا أن رياحا صاحب ثأرهم، فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا قودا «٥» أودية، مع الحصين بن زهير بن جذيمة، والحصين بن أسيد بن جذيمة، فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لريا ح: انج لعلنا نصالح القوم على شيء فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهة القوم، فمر صرد «٦» على رؤسهما فصرصر «٧» ، فقال: ما هذا؟ فما راعهما إلا خيل بني عبس، فقال الكلابي لرياح: انحدر من خلفي والتمس نفقا في الأرض، فإني شاغل القوم عنك. فانحدر رياح عن عجز الجمل، حتى أتى صعدة «٨» فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب وولج فيه، ومضى صاحبه، فسألوه فحدثهم، وقال: هذه غني جامعة، وقد استمكنتم منهم. فصدقوه وخلوا سبيله، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه، فقالوا: من الذي كان خلفك؟ فقال: لا أكذب، رياح بن الأسل، وهو في تلك." (٢)

"الصعدات. فقال الحصينان لمن معهما: قد امكننا الله من ثأرنا، ولا نريد أن يشركنا فيه أحد. فوقفوا عنهما، ومضيا فجعلا يريغان رياح بن الأسل بالصعدات، فقال لهما رياح: هذا غزالكما الذي تريغانه «١» . فابتدراه، فرمى أحدهما بسهم فأقصده «٢» ، وطعنه الآخر قبل أن يرميه فأخطأه، ومرت به الفرس، واستدبره رياح بسهم فقتله، ثم نجا حتى أتى قومه، وانصرفوا خائبين موتورين «٣» ، وفي ذلك يقول الكميت بن زيد الأسدي، وكان له أمان من غني:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٤٢/٥

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٦

أنا ابن غنى والدي ... لأمين منهم في الفروع وفي الأصل

هم استودعوا زهرا بسيب بن سالم ... وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

وهم قتلوا شاس الملوك وأرغموا ... أباه زهيرا بالمذلة والثكل «٤»

يوم النفراوات: لبني عامر على بني عبس

فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، وكانت هوازن تؤدي إليه إتاوة، وهي الخراج، فأتته يوما عجوز من بني نصر بن معاوية بسمن في نحي «٥» واعتذرت إليه وشكت سنين تتابعت على الناس، فذاقه فلم يرض طعمه، فدعسها «٦» بقوس في يده عطل في صدرها، فاستلقت على قفاها منكشفة، فتألى خالد بن جعفر، وقال:

والله لأجعلن ذراعي في عنقه حتى يقتل أو أقتل! وكان زهير عدوسا مقداما لا يبالي ما أقدم عليه، فاستقل- أي انفرد من قومه- بابنيه وبني أخويه أسيد وزنباع، يرعى الغيث في عشراوات «٧» له وشول «٨» فأتاه الحارث بن الشريد، وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير، فلما عرف الحارث مكانه أنذر بني عامر بن صعصعة، رهط خالد." (١)

"ناصيته وخلاه طمعا في المكافأة، فلم يفعل، وقتل معاوية بن الجون، ومنقذ ابن طريف الأسدي، ومالك بن ربعي بن جندل بن نهشل، فقال جرير:

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمر إذ دعا يالدارم

ويوم الصفا كنتم عبيدا لعامر ... وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم «١»

يعني بالحزن: يوم الوقيط.

وقال جرير أيضا في بني دارم:

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا ... كأن عليه حلة أرجوان

وكبل حاجب بشمام حولا ... فحكم ذا الرقيبة وهو عان «٢»

وقالت دختنوس بنت لقيط ترثي لقيطا:

قزت بنو أسد وخ ... ر الطير عن أربابها

عن خير خندف كلها ... من كهلها وشبابها

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥/٦

وأتمها حسبا إذا ... نصت إلى أحسابها

وقال المعقر البارقي:

أمن آل شعثاء الحمول البواكر ... مع الصبح أم زالت قبيل الأباعر

وحلت سليمى في هضاب وأيكة ... فليس عليها يوم ذلك قادر

وألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا إذا بالإياب المسافر «٣»

وصبحها أم لاكها بكتيبة ... عليها إذا أمست من الله ناظر

معاوية بن الجون ذبيان حوله ... وحسان في جمع الرباب مكاثر

وقد زحفت دودان تبغي لثأرها ... وجاشت تميم كالفحول تخاطر

وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه ... جراد هفا في هبوة متطاير «٤»

فمروا بأطناب البيوت فردهم ... رجال بأطناب البيوت مساعر «٥»." (١)

"يوم الرقم: لغطفان على بني عامر

غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم «١» - وهو ماء لبني مرة- وعلى بني عامر: عامر بن الطفيل- ويقال يزيد بن الصعق- فركب عيينة بن حصن في بني فزارة، ويزيد بن سنان في بني مرة- ويقال الحارث بن عوف- فانهزمت بنو عامر، وجعل يقاتل عامر بن الطفيل ويقول: يا لقيس لا تقتلي تموتي! فزعمت بنو غطفان أنهم أصابوا من بني عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم، فقتلوهم أجمعين، وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه، فيهم جراب بن كعب، حتى انتهوا إلى ماء يقال له المروزات، فقطع العطش اعناقهم فماتوا، وخنق نفسه الحكم بن الطفيل تحت شجرة مخافة المثلة «٢» ، وقال في ذلك عروة بن الورد:

عجبت لهم لم يخنقون نفوسهم ... ومقتلهم تحت الوغي كان أجدرا

يوم النتأة: لعبس على بني عامر

خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرقم، فجمعوا على بني عبس بالنتأة وقد أنذروا بهم، فالتقوا وعلى بني عامر: عامر بن الطفيل، وعلى بني عبس:

الربيع بن زياد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت بنو عامر، وقتل منهم صفوان بن مرة. قتلة الأحنف بن مالك،

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢/٦

ونهشل بن عبيدة بن جعفر، قتله أبو زغبة بن حارث، وعبد الله بن أنس بن خالد، وطعن ضبيعة بن الحارث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا عامر، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة، فقال خراشة بن عمرو العبسي:

وساروا على أظمائهم وتواعدوا ... مياها تحامتها تميم وعامر «٣»." (١)

"أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر ... أبي الذم واختار الوفاء على الغدر «١»

يوم حوزة «٢» الأول: لسليم على غطفان

قال أبو عبيدة: كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مرة بن غطفان، كلام بعكاظ، فقال معاوية: لوددت والله أني قد سمعت بظعائن «٣» يندبنك! فقال هاشم: والله لوددت أني قد تربت الرطبة- وهي جمة «٤» معاوية، وكانت الدهر تنظف ماء ودهنا وإن لم تدهن- فلما كان بعد [حين] تهيأ معاوية ليغزو هاشما، فنهاه أخوه صخر فقال: كأني بك إن غزوتهم علق بجمتك حسك العرقط «٥» . فقال: فأبى معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقها من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد بن حرملة:

إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي. وأنا حديث عهد بشكية «٦» ، فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك. ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين، فأردى معاوية هاشما عن فرسه الشماء، وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية. قال: وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشما، فضرب معاوية بالسيف فقتله، وشد خفاف بن عمير على مالك بن حارث الفزاري قال: وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خفاف، ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية، فقالوا: أنعم صباحا أبا حسان! قال: حييتم بذلك، ما صنع معاوية؟ قالوا: قتل! قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها! قال: إذا قد أدركتم ثأركم، هذه فرس هاشم بن حرملة.

قال: فلما دخل رجب، ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام، فأتى بني." (٢)

"مرة، فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا. وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية، فقال: من قتل أخي؟ فسكتوا، فقال: لمن هذه الفرس التي تحتي؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلم أبا حسان إلى من يخبرك! قال: من قتل أخي؟

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٦/٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٨/٦

فقال هاشم: إذا أصبتني أو دريدا فقد أصبت ثأرك! قال فهل كفنتموه؟ قال: نعم، في بردين: أحدهما بخمس وعشرين بكرة «١» . قال: فأروني قبره. فأروه إياه، فلما رأى القبر جزع عنده، ثم قال: كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي، فوالله ما بت منذ عقلت إلا واترا أو موتورا، أو طالبا أو مطلوبا، حتى قتل معاوية، فما ذقت طعم نوم بعده!

يوم حوزة الثاني

قال: ثم غزاهم صخر، فلما دنا منهم مضى على الشماء، وكانت غراء محجلة «٢» ، فسود غرتها وتحجيلها، فرأته بنت لهاشم، فقالت لعمها دريد: أين الشماء؟ قال: هي في بني سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالسا فقال: هذه فرس بهيم، والشماء غراء محجلة. وعاد فاضطجع، فلم يشعر حتى طعنه صخر. قال: فثاروا وتناذروا، وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها، وعارض دونه أبو شجرة ابو عبد العزى، وكانت أمه خنساء أخت صخر، وصخر خاله، فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه، فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية: قتلني الله إن برحت من مكاني حتى أثأر به فشد على مالك سيد بني جمح فقتله، فقال في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عين تيممت مالكا «٣»

نصبت له علوى وقد خان صحبتي ... لأبني مجدا او لأثأر هالكا «٤»." (١)

"فأنفذته بالرمح حين طعنته ... معانقة ليست بطعنة باتك «١»

وأثني لكرز في الغبار بطعنة ... علت جلده منها بأحمر عاتك «٢»

قتلنا سليما غثها وسمينها ... فصبرا سليم قد صبرنا لذلك

فإن تك نسواني بكين فقد بكت ... كما قد بكت أم لكرز ومالك

وقال عبد الله بن جذل أيضا:

قتلنا مالكا فبكوا عليه ... وهل يغني من الجزع البكاء؟

وكرزا قد تركناه صريعا ... تسيل على ترائبه الدماء «٣»

فإن تجزع لذاك بنو سليم ... فقد- وأبيهم- غلب العزاء

فصبرا يا سليم كما صبرنا ... وما فيكم لواحدنا كفاء «٤»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٩/٦

فلا تبعد ربيعة من نديم ... أخو الهلاك إن ذم الشتاء

وكم من غارة ورعيل خيل ... تداركها وقد حمس اللقاء «٥»

يوم الفيفاء «٦» : لسليم على كنانة

قال أبو عبيدة: ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن «٧» ، حتى يدركوا بثأرهم من بني كنانة، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس، فقتل منهم نفرا، منهم عاصم بن المعلي، وفضلة، والمعارك، وعمرو بن مالك، وحصن، وشريح، وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم، فقال عباس بن مرداس في ذلك يرد على ابن جذل في كلمته التي قالها يوم برزة:

ألا أبلغا عني ابن جذل ورهطه ... فكيف طلبناكم بكرز ومالك؟ «٨»." (١)

"غداة فجعناكم بحصن وبابنه ... وبابن المعلى عاصم والمعارك

ثمانية منهم ثأرناهم به ... جميعا وما كانوا بواء بمالك «١»

نذيقكم والموت يبني سرداقا ... عليكم، شباحد السيوف البواتك «٢»

تلوح بأيدينا كما لاح بارق ... تلألأ في داج من الليل حالك

صبحناكم العوج العناجيج بالضحى ... تمر بنا مر الرياح السواهك «٣»

إذا خرجت من هبوة بعد هبوة ... سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد:

قتلت بمالك عمرا وحصنا ... وخليت القتام على الخدود «٤»

وكرزا قد أبأت به شريحا ... على أثر الفوارس بالكديد «٥»

جزيناهم بما انتهكوا وزدنا ... عليه ما وجدنا من مزيد

جلبنا من جنوب العود جردا ... كطير الماء غلس للورد «٦»

قال: فلما ذكر هند بن خالد يوم الكديد وافتخر به، ولم يشهده أحد من بني الشريد، غضب من ذلك نبيشة بن حبيب، فأنشأ يقول:

تبخل صنعنا في كل يوم ... كمخضوب البنان ولا يصيد

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٩/٦

وتأكل ما يعاف الكلب منه ... وتزعم أن والدك الشريد

أبى لي أن أقر الضيم قيس ... وصاحبه المزور به الكديد «٧»." (١)

"قال: فمضى لذلك ما شاء الله، ثم إن بني عائدة حلفاء بني أبي ربيعة بن ذهل بن أبي شيبان- وهم يزعمون أنهم من قريش، وأن عائدة بن لؤي بن غالب- خرج منهم رجلان يصيدان، فعرض لهما رجل من بني شيبان، فذعر عليهما صيدهما، فوثبا عليه فقتلاه، فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك، فقال هانيء بن مسعود: يا بني ربيعة، إن إخوتكم قد أرادوا طلبكم فانمازوا «١» عنهم. قال: ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض، ماء لهم- ومبايض علم من وراء الدهناء- فأبق عبد لرجل من بني أبي ربيعة، إن إخوتكم قد أرادوا طلبكم فانمازوا «٢» عنهم. قال: ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض، ماء لهم- ومبايض علم من وراء الدهناء- فأبق عبد لرجل من بني أبي ربيعة، فسار إلى بلاد تميم، فأخبرهم أن حيا جديدا من بني بكر بن وائل نزول على مبايض، وهم بنو أبي ربيعة والحي الجديد المنتقى من قومه، فقال طريف العنبري: هؤلاء ثأري يا آل تميم، إنما هم أكلة رأس «٣» . وأقبل في بني عمرو بن تميم، وأقبل معه أبو الجدعاء، أحد بني طهية، وجاءه فدكي بن أعبد المنقري في جمع من بني سعد بن زيد مناة، فنذرت بهم بنو أبي ربيعة، فانحاز بهم هانيء بن مسعود وهو رئيسهم، إلى علم مبايض، فأقاموا عليه وشرقوا «٤» بالأموال والسرح «٥» ، وصبحتهم بنو تميم، فقال لهم طريف: أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكلب يصف لكم ما وراءهم. فقال له أبو الجدعاء رئيس بني حنظلة، فدكي رئيس بن سعد بن مناة: أنقاتل أكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم؟ ما هذا يرأى، وأبوا عليه. فقال هانيء لأصحابه: لا يقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فأغاروا عليها، فلما ملئوا أيديهم من الغنيمة قال هانيء بن مسعود لأصحابة: احملوا عليهم. فهزموهم وقتلوا طريفا العنبري، قتله حمصيصة الشيباني، وقال:

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل ... سفها وأنت بمعلم قد تعلم

وأتيت حيا في الحروب محلهم ... والجيش باسم أبيهم يستقدم." (٢)

"حمى ذي قار، حتى مرت به إبل بني الحصين بالفداوية، اسم ماء لهم، فصاحوا بمن بها من الحامية والرعاء، ثم استاقوها.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤٠/٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٦/٦

فأخلف للربيع ما ذهب له، وقال:

ألم تري أفأت على ربيع ... جلادا في مباركها وخورا «١»

وأني قد تركت بني حصين ... بذي قار يرمون الأموار

يوم الحاجز «٢» : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة: خرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة، فلقيه بنو أسيد بن عمرو بن تميم، فأخذوه أسيرا، فجعلوا يغمسونه في الركية «٣» ويقولون:

يا أيها الماتح دلوي دونكا «٤»

حتى قتلوه، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز، فأخذ ثمامة بن باعث بن صريم رجلا من بني أسيد كان وجيها فيهم فقتله، وقتل على الظنة مائة منهم، فقال باعث بن صريم:

سائل أسيدا هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها «٥»

إذ أرسلوني ماتحا لدلاتهم ... فملأتها علقا إلى أسبالها «٦»

إني ومن سمك السماء مكانها ... والبدر ليلة نصفها وهلالها «٧»

آليت أثقف منهم ذا لحية ... أبدا فتنظر عينه في مالها." (١)

"وقال: سائل أسيدا هل ثأرت بوائل ... أم هل أتيتهم بأمر مبرم

إذ أرسلوني ماتحا لدلائهم ... فملأتهن إلى العراق بالدم! «١»

يوم الشقيق «٢» : لبكر على تميم

قال أبو عبيدة: أغار أبجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة، فسبي سليمى بنت محصن، فولدت له أبجر. ففي ذلك يقول أبو النجم:

ولقد كررت على طهية كرة ... حتى طرقت نساءها بمساء

حرب البسوس وهي حرب بكر وتغلب، ابني وائل

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال: لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب، وهم عامر، وربيعة، وكليب.

فالاول: عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث، وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان،

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦/٦٨

وهو الناس بن مضر. وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء «٣» ، حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثاني: ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب، هو قائد معد يوم السلان «٤» ، وهو يوم كان بين اهل تهامة واليمن.

والثالث: كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه: أعز من كليب وائل. وقاد معد." (١)

"اخيه، فلما بلغ الحرث قتله قال: نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل! وظن ان المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفئا له، فقيل له: إنما قتله بشسع نعل كليب، وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا قال: بؤ بشسع نعل كليب! فغضب الحرث بن عباد، وكان له فرس يقال له النعامة، فركبها وتولى أمر بكر، فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب فقال في ذلك الحارث ابن عباد:

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيالي «١»

لم أكن من جناتها علم الله ... وإني بحرها اليوم صالي

وفيه أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه- واسمه عدي بن ربيعة- فقال له: دلني على عدي بن ربيعة وأخلي عنك. فقال له عدي: عليك العهود بذلك إن دللتك عليه؟ قال: نعم: قال: فأنا عدي! فجز ناصيته «٢» وتركه، وقال فيه:

لهف نفسي على عدي ولم أع ... رف عديا إذ امكنتني اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان، قتلهما جحدر بن ضبيعة، طعن احدهما بسنان رمحه، والآخر بزجه، ثم إن المهلهل فارق قومه ونزل في بني جنب- وجنب في مذحج- فخطبوا إليه ابنته فمنعهم، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه في صداقها جلودا من أدم، فقال في ذلك:

أعزز على تغلب بما لقيت ... أخت بني الأكرمين من جشم

انكحها فقدها الأراقم في ... جنب وكان الحباء من أدم «٣»

لو بأبانين جاء يخطبها ... زمل ما أنف خاطب بدم! «٤»." (٢)

"يهمي- أي يسيل- فعصبه، وكتفه- يعني عبد يغوث- ثم أردفه خلفه، فنزفه الدم، فمال عن فرسه مقلوبا. فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتافه وأجهز عليه وانطلق على فرسه، وذلك أول النهار، ثم ظفر به

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦/٦٩

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦/٧٧

بعد في آخره. ونادى مناد قتل اليزيدون.

وشد قبيضة بن ضرار الضبي على ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن فطعنه فخر صريعا، فقال له قبيصة: ألا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم! وأسر عبد يغوث، وأسره عصمة بن أبير التيمي.

قال أبو عبيدة: انتهى عصمة بن أبير إلى مصاد وقد أمعنوا في الطلب، فوجده صريعا، وقد كان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا في يديه، فعرف أنه هو الذي اجهز عليه، فاقتص أثره، فلما لحقه قال له: ويحك! إني رجل أحب اللبن، وأنا خير لك من الفلاة والعطش! قال عبد يغوث: ومن أنت؟ قال: عصمة بن أبير. قال عبيد يغوث: أو عندك منعة؟ قال: نعم، فألقى يده في يده، فانطلق به عصمة حتى خبأه عند الاهتم، على ان جعل له من فداه جعلا «١» فوضعه الاهتم عند امرأته العبشمية «٢» ، فأعجبها جماله وكمال خلقه، وكان عصمة الذي أسره غلاما نحيفا، فقالت لعبد يغوث: من أنت؟ قال: انا سيد القوم! فضحكت، وقالت: قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا. ولذلك يقول عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب الى الاهتم فقالت: ثأرنا عندك، وقد قتل مصاد والنعمان، فأخرجه إلينا! فأبى الاهتم ان يخرجه اليهم، فكاد ان يكون بين الحيين: الرباب وسعد، فتنة، حتى أقبل قيس بن عاصم المنقري، فقال: أيؤتى قطع حلف الرباب من قبلنا؟ وضرب فمه بقوس فهتمه «٣» فسمي الأهتم، فقال الاهتم: انما دفعه إلي عصمة ابن أبير، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلي، فليجيء فيأخذه. فأتوا عصمة فقالوا: يا." (١)

"عصمة، قتل سيدنا النعمان، وفرسنا، مصاد، وثأرنا أسيرك وفي يدك، فما ينبغي لك أن تستحبيه! فقال: إني ممحل «١» ، وقد أصبت الغنى في نفسي، ولا تطيب نفسي عن أسيري! فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير. وقال رؤبة بن العجاج: بل أرضوه بثلاثين من حواشي النعم، فدفعه إليهم، فخشوا ان يهجوهم، فشدوا على لسانه نسعة «٢» ، فقال إنكم قاتلي ولا بد، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي! فقالوا: إنك شاعر ونخاف أن تهجونا! فعقد لهم أن لا يفعل، فأطلقوا لسانه وأمهلوه حتى قال قصيدته التي أولها:

ألالا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... فما لكما في الوم خير ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل وما لومي أخي من شماليا «٣»

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ... نداماي من نجران أن لا تلاقيا «٤»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦/٨٣

أبا كرب والأيهمين كليهما ... وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا «٥»
جزى الله قومي بالكلاب ملامة ... صريحهم والآخرين المواليا «٦»
ولو شئت نجتني من القوم نهدة ... ترى خلفها الجرد الجياد تواليا «٧»
ولكنني أحمى ذمار أبيكم ... وكاد الرماح يختطفن المحاميا «٨»
أحقا عباد الله أن لست سامعا ... نشيد الرعاء المعزبين المثاليا «٩»
أقول وقد شدوا لساني بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا." (١)
"ترى الغر السوابق من قريش ... إذا ما الأمر بالحدثان عالا «١»
قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به هلالا
يزيد والأخطل في هجاء الانصار
ولما وقع التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسل يزيد ابن معاوية إلى كعب بن جعيل، فقال له: إن عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن ابن الحكم فاهج الانصاري. فقال: أرادي أنت إلى الإشراك بعد الإيمان؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أدلك على غلام مناصري. فدله على الأخطل فأرسل إليه فهجا الأنصاري، وقال فيه:
ذهبت قريش بالمكارم كلها ... واللؤم تحت عمائم الانصار
قوم إذا حضر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المسطار «٢»
وإذا نسبت إلى الفريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
فدعو المكارم لستم من اهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار «٣»
وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصار، فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية، ثم حسر العمامة عن رأسه وقال: يا معاوية، هل ترى من لؤوم؟ قال: ما أرى إلا كرما. قال: فما الذي يقول فينا عبد الأراقم:
ذهبت قريش بالمكارم كلها ... واللؤم تحت عمائم الانصار!
قال قد حكمتك فيه. قال: والله لا رضيت إلا بقطع لسانه، ثم قال:
معاوي إلا تعطنا الحق تعترف ... لحي الازد مشدودا عليها العمائم

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٨٤/٦

أيشتمنا عبد الاراقم ضلة ... وما الذي تجدي عليك الاراقم «٤»

فمالي ثأر دون قطع لسانه ... فدونك من ترضيه عنك الدراهم." (١)

"كيما أقول: فراق لا لقاء له ... وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة في معناها، جارية في مجراها.

وقال عبد الله بن جندب:

ألا يا عباد الله، هذا أخوكم ... قتيلا فهل منكم له اليوم واتر

خذوا بدمي إن مت كل خريدة ... مريضة جفن العين والطرف ساهر «١»

وقال صريع الغواني في ضد هذا:

أديرا علي الراح لا تشربا قبلي ... ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي «٢»

وقول عبد الله بن جندب أحسن في هذا المعنى، لأنه إنما أراد أن يدل على موضع ثأره واسم قاتله، ولم يرد الطلب بالثأر، ولأنه لا ثأر له.

وقد قال عبد الله بن عباس، ونظر إلى رجل مدنف «٣» عشقا: هذا قتيل الحب.

لا عقل ولا قود «٤» .

وقال الفرزدق وأراد مذهب ابن جندب فلم تؤاته رقة الطبع، فخرج إلى جفاء القول وقبحه فقال:

يا أخت ناجية بن سامة إنني ... أخشى عليك بني إن طلبوا دمي

لن يتركوك وقد قتلت أباهم ... ولو ارتقيت إلى السماء بسلم

وقال ابن أخت تأبط شرا يرثي خاله وقتلته هذيل:

شامس في القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل «٥»

ظاعن بالحزم حتى إذا ما ... حل حل الحزم حيث يحل." (٢)

"وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا فيه بشيء يرضي ومثل ذلك قوله:

غداة أحلت لابن أصرم طعنة ... حصين عبيطات السدائف والخمر «١»

وكان حصين بن أصرم قد حلف ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره، فأدركه في هذا اليوم الذي

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٧٠/٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٩٣/٦

ذكره، فقال: عبيطات السدائف. فنصب «عبيطات السدائف» ورفع «الخمر» . وإنما هي معطوفة عليها وكان وجهها النصب، فكأنه أراد: وأحلت له الخمر.

ومما أدرك على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان:

وقد جعل الله الخلافة منهم ... لأبيض لا عاري الخوان ولا جدب «٢»

وهذا مما لا يمدح به خليفة.

وأخذ عليه قوله في رجل من بني أسد يمدحه، وكان يعرف بالقين ولم يكن قينا، فقال فيه:

نعم المجير سماك من بني أسد ... بالمرج إذا قتلت جيرانها مضر «٣»

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه ... فالآن طير عن أثوابه الشرر

وهذا مدح كالهاجاء.

ومما أدرك على ذي الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور ج١رحة ... حتى إذا ما استوى في غرزها تثب «٤»

وسمعه اعرابي ينشده فقال: صرع والله الرجل! ألا قلت كما قال عمك الراعي:." (١)

"فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويا لك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ... رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر «١»

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى ربرب وسط الخميلة جؤذر «٢»

بروق إذا تفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور

فلما تقضي الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك غزور «٣»

فما راعني إلا مناد برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر «٤»

فلما رأت من قد تنور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت: أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت: أتحقيقا لما قال كاشح ... علينا وتصديقا لما كان يؤثر

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٠٩/٦

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... ومالي من أن يعلما متأخر

لعلهما أن يبغيا لك مخرجا ... وأن يرحبا صدرا بما كنت أحصر

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يبصر

فكان مجني دون ما كنت أتقي ... ثلاث شخوص: كاعبان ومعصر «٥»

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... ألم تتق الأعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أم ترعوي أم تفكر." (١)

"فلما ذهبت تقطعه ضحك أبو نواس، فقالت: قبحك الله! ما برحت حتى أخذت بثأرك!

المأمون وسوسن المغني وجارية

حدث أبو عبد الله بن عبد البر المدني قال: حدثني إسحاق بن ابراهيم الموصلي قال: كان للمأمون جماعة من المغنين، وفيهم مغن يسمى سوسنا، عليه وسم جمال قال:

فبينما هو عنده يغني إذ تطلعت جارية من جواريه فنظرت إليه فعلقته، فكانت إذا حضر سوسن تسوي عودها وتغني:

ما مررنا بالسوسن الغض إلا ... كان دمعي لمقلتي نديما

حبذا أنت والمسمى به أنت وإن كنت منه أذكى نسيما فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره؛ فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون، فدعا بها ودعا بالسيف والنطع «١» ؛ ثم قال: اصدقيني أمرك قالت:

يا أمير المؤمنين، ينفعني عندك الصدق؟ قال لها: إن شاء الله! قالت: يا أمير المؤمنين، اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعلقته، فأمسك المأمون عن عقوبتها، وأرسل إلى المغني فوهبها له وق ا ل لا يربنا!.

قال أبو الحسن: وكان الواثق إذا شرب وسكر رقد في موضعه الذي سكر فيه، ومن سكر من ندمائه ترك ولم يخرج؛ فشرب يوما فسكر ورقد، وانقلب أصحابه، إلا مغنيا أظهر التراقد، وبقيت معه مغنية للواثق؛ فلما خلا

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٤٩/٦

المجلس وقع المغني في سحاءة «٢» ودفعها إليها:

إني رأيتك في المنام كأنني ... مترشف من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأنما ... بتنا جميعا في فراش واحد

ثم انتبهت ومنكباك كلاهما ... في راحتي وتحت خدك ساعدي «٣»." (١)

"ساوم أشعب رجلا في قوس عربية، فسأله دينارا فقال له: والله لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء وقع مشويا بين رغيفين، ما أعطيتك بها دينارا! وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا، إذ استأذن عليهم أشعب؛ فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار. ففعلوا وأذن له، فقالوا له:

كيف رأيك في الحيتان؟ فقال: والله إن لي عليها لحردا شديدا وحنقا، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان! قالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك! فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه- وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس- فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه؛ لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكن قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أدركت أباك وأكلته!

أمير وطفيلي

وكان رجل من لامراء يستظرف طفيليا يحضر طعامه وشرابه، وكان الطفيلي اكولا شروبا، فلما رأى الامير كثرة أكله وشربه اطرحه وجفاه، فكتب إليه الطفيلي:

قد قل أكلي وقل شربي ... وصرت من بابة الامير «١»

فليدع بي وهو في أمان ... أن أشرب الراح بالكبير

طفيلي في صنيع

وأقبل طفيلي إلى صنيع «٢» ، فوجد بابا قد أرتج ولا سبيل إلى الوصول؛ فسأل عن صاحب الصنيع إن كان له ولد غائب او شريك في سفر؟ فأخبر عنه أن له ولد بلد كذا، فأخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه، ثم أقبل متدللا فقعقع الباب قعقعة." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٥/٧

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٢٩/٧

"يرف إذا تفتر عنه كأنه حصى برد أو أقحوان منور فلما تقضى الليل إلا أقله وكادت توالى نجمة تتغور أشارت بأن الحى قد حان منهم هبوب ولكن موعد لك عزور فلما رأت من قد تثور منهم وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر فقلت أباديهم فإما افوتهم وإما ينال السيف ثأرا فيثأر فقالت أتحقيقا لما قال كاشح علينا وتصديقا لما كان يؤثر فإن كان ما لا بد منه فغيره من الأمر أدنى للخفاء وأستر أقص على اختى بدء حديثنا ومالى من أن تعلما متأخر لعلهما أن تبغيا لك مخرجا وأن ترحبا صدرا بما كنت أحصر فقالت لأختيها أعينا على فتى أتى زائرا والأمر للأمر يقدر فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا أقلى عليك اللوم فالامر أيسر يقوم فيمشى بيننا متنكرا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ألم تتق الأعداء والليل مقمر." (١)

"بخيل يحار الطرف فى جنباتها ... أوائلها مشفوعة بالأواخر

فقل لرجال الدولتين ألا افخروا ... بطاهر العالي على كل فاخر

سلبت رداء الملك ظالم نفسه ... وصنت الذى ولاك قصم الجبابر

ولم تظلم «١» المخلوع شيئا ولا الذى ... علوت بذكراه فروع المنابر

فطأطأت أعناقا وكانت رفيعة ... تجاوز أبراج النجوم البواهر

وقد كان إشهاد على الشرط مودع ... ببيت الحرام والصفا والمشاعر

فرام الأمين النقض فالتاث أمره ... برأى غواة فيه باد وحاضر

ترات لدين الله أدرك ثأرها ... على عز دين الله أكرم ثائر

فلما قضى النحب العراقي عاجها ... إلى نحبه بالشام قب الخواصر

أقول وقد خيلت لديهم خيوله ... لكثرتها سرب القطا المتبادر

عليكم بأسباب يشد متونها ... إذا جذبتها الحرب فتل المرائر «٢»

خذوا العروة الوثقى من الأمر ترشدوا ... ولا تشردوا عنها شرود الأباعر

وخافوا من السلطان بادر أمره ... فلن يملك المحتاط رجع البوادر

وقال يمدح القاسم بن الرشيد:

سل الفجر عن ليلى إذا طلع الفجر ... وعن نشر أحزان يموت لها الصبر

---

(١) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار و أسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/١٤٣

أراضية سلمى بما صنع الدهر ... وإبعاده وصلا دنا معه هجر

أرتنا الليالى غدرها بعد ما وفت ... و «٣» نخش منها أن يكون لها غدر

ليالي لا أعصى وأعصي عواذلي ... وتشفع لى تسع تقدمها عشر

سميع لما أهوى سريع إلى الصبا ... وفى أذني عن لوم من لامني وقر." (١)

"وكل فتى يوما وإن طال عمره ... سيدعى إلى ما ساءه فيجيب

وقال يرثيه:

لئن أنا لم أدرك من الدمع ثأريا ... ولم أشف قرحا داخلا في فؤاديا

لتخترمنى الحادثات وحسرتي ... بأحمد في سوداء قلبي كما هيا

لقد أفسد الدنيا علي فراقه ... وكدر منها كل ما كان صافيا

تخلصت الأيام لا در درها ... حبال ابن أمي أحمد من حباليا

وباعد ما قد كان بيني وبينه ... من القرب أيام تسوق اللياليا

كأن يميني يوم فارقت أحمدا ... أخى وشقيقي فارقتها شماليا

وما كانت الأيام بيني وبينه ... ولا فرح اللذات إلا عواريا

خليلي لا تستبطئا ما انتظرتما ... فان قريبا كل ما كان آتيا

[ألا تريان الليل يطوي نهاره ... وضوء النهار كيف يطوي الليالى

هما الفتيان المترفان اذا انقضت ... شبيبة يوم عاد آخر ناشيا] «١»

ويمنعني من لذة العيش أنني ... أراك إذا فارقت لهوا ترانيا

وقال فى عيسى بن جعفر:

أنعي فتى كل الفتى ... أنعى أبا موسى الندى

أنعى إلى قمر السما ... ء وشمسها شمس العلى

إن النجوم بكت له ... ولمجده فيمن بكى

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٩٨/١

وبكى له ما بين من ... خرق الدبور إلى الصبا

أبلى رداء شبابه ... - فى حين جدته- البلى." (١)

"وقال يهجوهم:

أبني سعيد انكم من معشر ... لا تحسنون كرامة الاضياف

قوم لباهلة بن أعصر إن هم ... فخروا حسبتهم لعبد مناف

مطلوا الغداء الى العشاء وقربوا ... زادا لعمرو أبيك ليس بكافي

بينا كذاك أتاهم كبراؤهم ... يلحون في التبذير والإسراف

وكأنني لما حططت اليهم ... رحلى حططت بأبرق العزاف

قال غوث وهو القائل فيهم:

أبني سعيد إنكم من معشر ... لا تثأرون دماءكم إن طلت

لجلجتم وحباكم معقودة ... ولقلما تغنى إذا هى حلت

وإذا تشم أنوفكم رعم «١» الغذا ... أنت لعادتها إليه وحنت

وبأى سيف تثأرون دماءكم ... وسيوفكم مذ أغمدت ما سلت؟!

وهو القائل في عمرو بن سعيد بن سالم:

يا صاح خذ في غير ذكر الطعام ... دون طعام القوم كسر العظام

وحالف النوم عسى أنه ... يطوف منه طائف في المنام

ما حرم الله على زائر ... زادك يا عمرو وأكل الحرام

الناس في فطر سوى شهرهم ... ودهر أضيافك شهر الصيام

قال أبو بكر: حدثني الحسين بن فهم، قال: سمعت يحيي بن أكثم يقول:

حضر احمد بن يوسف المأمون، وبين يديه ابن له ينشد شعرا، فقال: كيف تراه؟

فقال: أراه فطنا ذكيا، أديب اللفظ واللحظ، لا يعبأ أن يؤديه بما يريد، في كل عضو منه قلب يقد.." (٢)

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٣٣/١

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢١١/١

"وجعلت أشكره وأدعو له فرجعوا بذلك وكتبت اليه:

بقيت أمير المؤمنين على الدهر ... برغم الأعادى نافذ النهى والأمر

شفيت غليلا كان لولاك قاتلا ... وخففت هما ضاق عن حمله صدرى

وقمت بحق الله فى قتل معشر ... سعوا فى البلاد بالفساد وبالكفر

وثأر أخ ساد الأنام ولم تكن ... لتغفل عن ثأر عراك ولا دثر

ولست بليث أفلتته فريسة ... وقد علقت بالناب منه وبالظفر

ولا حية ينجو بنفث لديغها ... ولا صارم يهوى لضرب ولا يبرى «١»

فعشت لدين الله تجبر وهنه ... وبلغت أقصى ما هويت من العمر

ويا ليتنى أسعدت فيك بنظرة ... أوفى بها حق المحامد والشكر

فلما قرأها دعانى فقال ما شفيتك فأظهرت السرور وأكثرت الدعاء فنفعنى والله ذلك عنده، وحال عما أراده بى إلى غيره.

وكان الراضى وعدنى وهو امير أن يشرب ليلة، وأنا أحتال فى المصير إليه سرا، فصرت إلى داره بالمخرم ليلا فلم أصل، واشتغل بزائر زاره فلم يشرب، وكتب إلى من الغد:

وليلة من سيئات الدهر ... توقد الشوق بها فى صدرى

توقد النار بذاكى الجمر ... أنسيت ما أشربه لذكرى." (١)

"مغرى بنسيانى وطول هجرى ... ذا سطوة ونخوة وكبر

وقدرة يجهل فيها قدرى ... ثم أتى مزورة بالعذر

أفديه من واف ومن ذى غدر ... يبخل عنى بقليل نزر

فاعذر فهذا خبرى وأمرى ... متى أرى سرى يحث جهرى

بوصل بدر فاضح للبدر ... يسكرنى باللحظ قبل سكرى

يا طالبا قتلى لغير وتر ... يهنيك هجر منك يفنى عمرى

ولما هزم بجكم لابن رائق خرج إلى الشام، وصار أميرا مكانه دعانى الراضى فأنشدنى:

أبعد ما قد حلبت الدهر أشطره ... محاربا لخطوب حكمها جارى

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢/٥٠

وفلقت حيلى هام الرجال أرى ... والغيب يخمد ما أذكيت من نار

صممت عن صبوات يستجيب لها ... ناس بأوتار لهو ثأر أوتار

وفل لذات لهوى جيش عارفتى ... وقلم العزم منى نقر أوتارى

حتى رحضت بتحريضى العدو على ... قتل العدو ثياب الذل والعار

كذاك من تنهض السادات همته ... لا يغمض العين مغلوبا على ثار

ورب خطب دجا ذل الجبان له ... وقد فراه بأنياب وأظفار

لم يحتنك ليله حتى صدعت له ... صبحا من الرأى لا يعشى به السارى." (١)

"فأسلم الله إمام الهدى ... فما عطاء الدهر بالنحس

كل الورى أنت وكل يرى ... عبدك من عال ومن نكس

بقاؤك الفوز لنا والغنى ... نصبح فيه مثل ما نمسى

شوى صروف الدهر ما لم تصب ... فى الرطب إن عاثت وفى اليبس

من تاجر الدهر بلا صرفه ... فصار من ربح إلى وكس

فأسلم الكل فلا بأس أن ... يرزأ فى السدس وفى الخمس

إن غيب البدر كسوف فقد ... لاحت بسعد غرة الشمس

ما طالع الأمة يا سيدى ... إذا خطاك الخطب بالبخس

فما فرغت من الإنشاد حتى بكا بكاء شديدا، ثم قال لى أنت كنت حدثتنى ان المأمون قال لمحمد بن عباد المهلبى لما مات أخوه أبو عيسى، وكان أحب الناس إليه: يا محمد حال القدردون الوطر. قلت له قد كان ذاك، فقال والله ما كان المأمون لأبى عيسى بأشد حبا منى لهارون ولا أصح نية فيما ورى عنه. ودفن هارون فى داره بقرب الجسر، وحضره طول يومه الوزير والقواد، وكل نزع سيفه ومنطقته إلى أن دفن بعد العصر وانصرفوا فقال بعد ذلك: لولا أنى لا أدرك ثأرى لقتلت بختيشوع الطبيب، سقى أخى هارون درهم سقمونيا حتى قتله ورمى بكل ما فى جوفه! وإن كان المشئوم ما تعمد ذلك، ولكنه أعمى القلب،." (٢)

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٥١/٢

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٧٥/٢

"أنفس تعشق المكارم وقفا ... فرقتها على ائتلاف جسوم

فعلى محمد بن على ... طاب فرعا هما وطاب الأروم

ذاك بدر لنا وهذا هلال ... ذا هواء لنا وهذا نسيم

لم تلد مثله الملوك كمالا ... فهو ثأر من العدو منيم

منطق يشغل اللحاظ بحسن ... فهو ثاو عليه ليس يريم

تسترد العيون حسنا اليه ... مثل ما يسترد دينا غريم

ونفاذ يقرى الولى سرورا ... ويرد العدو وهو كظيم

لو تمناه والد ما عداه ... وإليه فى أمره التحكيم

لم يمحض بمثله مقرب الدهر ... ولا استام شبهه من يسوم

لو يحابى النجوم فى طالع ال ... مجد لقلنا حابته فيه النجوم

ليس يأتى بمثله الدهر فضلا ... هو عن ذاك غير شك عقيم

كل رهن فى سؤدد أغلقوه ... فله السبق فيه والتسليم

أنتم يا بنى على نجوم ... للورى فى الضياء ليست تغيم

خيمت فيكم محاسن حظ ... لاح منها للناس در عظيم

قلم جامع بيانا وحسنا ... ما حوى فيه مثلكم إقليم." (١)

"بعد قتل محمد الامين، فلما ظهر قواد المأمون استخفى فلم يزل كذلك مدة طويلة إلى أن قدم المأمون بغداد، ثم ظهر عليه فعفا عنه فعمل فيه اشعارا وشكلة من سبى دنباوند قتل ابوها شاهمرد وسبيت هى وبخترية أم منصور بن المهدى، فوهبها المنصور لمحياة أم ولد له فوهبتها للمهدى وولد إبراهيم بن المهدى غرة ذى القعدة سنة اثنتين وستين ومائة وتوفى فى أول سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل فى آخر سنة ثلاث وعشرين بسر من رأى.

حدثنا يموت بن المزرع قال حدثنى الجاحظ قال أرسل إلى ثمامة يوم جلس المأمون لابراهيم بن المهدى، وأمر باحضار الناس على مراتبهم فحضروا، فجىء بابراهيم فى قيد فسلم، فقال له المأمون:

«لا سلم الله عليك، ولا حفظك» فقال: «على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد اصبحت ولى ثأرى، والقدرة

---

(١) الأوراق قسم أخبار ال شعراء الصولي ٢/٩٣

تذهب الحفيظة، ومن مد له فى الامل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، وعفوك فوق كل عفو، فان تعاقب فبحقك، وإن تغفر فبفضلك» فقال له المأمون إن هذين أشارا على بقتلك– وأومأ الى المعتصم وإلى ابنه العباس– فقال قد أشارا بما يشار بمثله فى مثلى، وما غشاك فى عظم الخلافة ولكن الله عودك من العفو عادة، فانت تجرى عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فقال: أطلقوا عمى، فقد عفوت عنه." (١)

"صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيد سراع وأرجل

وكل الذى سر الفتى قد أصبته ... وساعدنى فيه أخير وأول

فمن أى شيء جازك اللوم أتقى ... على مهجتى أو أى شيء أؤمل

وقال

ألم تحزن على الربع المحيل ... وآثار وأطلال نحول

عفته الريح بعدك كل يوم ... وجالت فيه أفراس السيول

وماء دارس الآثار خال ... كدمع حار فى جفن كحيل

طرقت بيعملات ناجيات ... وأفق الصبح أدهم ذو حجول

أبيت فلم أنم ثأرا لعجز ... ولم أغلب على العفو الجميل

ومال قد حللت العقد عنه ... إذا انعقدت به نفس البخيل

وقال

لنا عزمة صماء لا تسمع الرقى ... تبيت أنوف العاذلين على رغم

وإنا لنعطى الحق من غير حاكم ... علينا ولو شئنا لنمنا على الظلم

وقال

طال ليلى وساورتنى الهموم ... وكأنى لكل نجم غريم." (٢)

"فما فى القبر فى حران منها ... ولو قتلت بأجمعها فداء

يعنى قبر ابراهيم بن محمد الامام، فمضى مولاه فأخبر سليمان بما قاله، فنهاه أن يقبل منه، فاعتل عليه بأنه

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٨/٣

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٧١/٣

فاته.

حدثنا عون بن محمد الكندى، قال حدثنا إسحق الموصلى، قال حدثنا الحارث بن الليث مولى عبد الله بن على عن أبيه قال جعل عبد الله بن على ينظر إلى القتلى يوم الزاب، والتفت إلى أبى عون بن محمد بن صول وهما إلى جانبه فقال:

ولقد شفى نفسى وأذهب حزنها ... أخذى بثأرى من بنى مروان

ومن آل حرب ليت شيخى شاهد ... سفكى دماء بنى [أبى] سفيان «١»

حدثنى أبو العيناء قال حدثنا الاصمعى؛ قال سمعت جعفر بن سليمان يقول لما قتل عبد الله بن على من قتل من بنى أمية بلغ ذلك إلى سليمان بن على؛ فقال ما كنت أحب لأخى أن يحتقب هذا الأمر ولقد وفى بما قال صغيرا، بقوله كان أبونا على بن عبد الله يقول له يا بنى إن تمكنت من بنى أمية ما تصنع بهم؟ فيقول أذبحهم، قال وقال عبد الله بن على لأبيه، يا أبت كل ولدك اثنان من أم وثلاثة غيرى؛ فانه لا أخ لى من أمى فأوص بى، قال فأوصى إلى سليمان ابن على به، وكان سليمان وصى على بن عبد الله، قال جعفر فكان."

(١)

"بعد قتل محمد الأمين، فلما ظهر قواد المأمون استخفى فلم يزل كذلك مدة طويلة إلى أن قدم المأمون بغداد، ثم ظهر عليه فعفا عنه فعمل فيه أشعارا وشكلة من سبي دنباوند قتل أبوها شاهمرد وسبيت هي وبخترية أم منصور بن المهدي، فوهبها المنصور لمحياة أم ولد له فوهبتها للمهدي وولد إبراهيم بن المهدي غرة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي في أول سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل في آخر سنة ثلاث وعشرين بسر من رأى.

حدثنا يموت بن المزرع قال حدثني الجاحظ قال أرسل إلى ثمامة يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا، فجيء بإبراهيم في قيد فسلم، فقال له المأمون: لا سلم الله عليك، ولا حفظك فقال: على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مدله في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنى فوق كل ذنب، وعفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تغفر فبفضلك فقال له المأمون إن هذين أشارا علي بقتلك وأومأ إلى المعتصم وإلى ابنه العباس

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٣/٢٩٩

فقال قد أشارا بما يشار بمثله في مثلي، وما غشاك في عظم الخلافة ولكن الله دعوك من العفو عادة، فأنت تجري عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فقال: أطلقوا عمي، فقد عفوت عنه.." (١)

"وما العرف بالتسويف إلا كخلة ... تسليت عنها حين شط مزارها

فقال البحتري:

وكنت وقد أملت مرا لنائل ... كطالب جدوى خلة لا تواصل

ومما احتذى فيه البحتري أبا تمام، وقدر مثل كلامه فعمل معناه عليه، ما أخذه من قول أبي تمام:

همة تنطح النجوم وجد ... ألف للحضيض فهو حضيض

فقال البحتري:

متحير بعزم قائم ... في كل نازلة وجد قاعد

قال أبو تمام:

متوطئو عقبيك في طلب العلا ... والمجد ثمت تستوي الأقدام

فقال البحتري:

حزت العلا سبقا وصلى ثانيا ... ثم استوت من بعده الأقدام

وقال أبو تمام:

تندى عفاتك للعفاة وتغتدى ... رفقا إلى زوارك الزوار

فقال البحتري على تقديره:

ضيف لهم يقري الضيوف ونازل ... متكفل فيهم ببر النزل

وقال أبو تمام:

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا ... ظلم الستور بنور حور نهد

فقال البحتري:

وبيض أضاءت في الخدور كأنها ... بدور دجى جلت سواد الحنادس

حدثني عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو سعيد النحوي المعروف بصعودا عن أبي تمام الطائي قال: خرجت يوما إلى سر من رأى، حين ولي الواثق، فلقيني أعرابي وقد قربت منها، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم الصولي ص/١٨

الناس بها، فخاطبته، فإذا أفصح الناس وأفطنهم، فقلت: ممن الرجل؟ قال: من بني عامر، قلت: كيف علمك بأمير المؤمنين؟ قال: قتل أرضا عالمها، قلت فما تقول فيه؟ قال: وثق بالله فكفاه، أشجى العاصية، وقمع العادية، وعدل في الرعية، وأرعف كل ذي قلم خيانته. قلت: فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد؟ قال: هضبة لا ترام، وجندلة لا تضام، تشحذ له المدى، وتحبل له الأشراك، وتبغي له الغوائل، حتى إذا قيل كأن قد، وثب وثبة الذئب، وختل ختل الضب. قلت: فما تقول في محمد بن عبد الملك؟ قال: وسع الدانى شره، وقتل البعيد ضره، له كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب، ولا ندب مخلب. قلت: فما تقول في عمرو بن فرج؟ قال: ضخم لهم، مستعذب للذم. قلت: فما تقول في الفضل بن مروان؟ واستعذبت خطابه، قال: ذاك رجل نشر بعد ما قبر، فعليه حياة الأحياء وخفته الموتى. قلت: فما تقول في أبي الوزير؟ قال: كبش الزنادقة الذي تعرف، ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله. سنح ورتع، فإذا هزه أمطر فأمرع؟ قلت: فابن الخصيب؟ قال: أكل أكلة نهم، فذرق ذرقة بشم. قلت: فما تقول في إبراهيم أخيه؟ قال: " أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ". قلت: فما تقول في أحمد بن إسرائيل؟ قال: لله دره، أي قلقل هو؟ غرس في منابت الكرم، حتى إذا اهتز لهم حصدوه. قلت: فما تقول في إبراهيم بن رياح؟ قال: أوبقه كرمه، وأسلمه حسبه، وله معروف لا يسلمه، ورب لا يخذله، وخليفة لا يظلمه. قلت: فما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال: لله دره، أي طالب وتر، ومدرك ثأر! يتلهب كأنه شعلة نار، له من الخليفة جلسة تزيل نعما، وتحل نقما. قلت: يا أعرابي، أين منزلك؟ قال: اللهم غفرا، إذا اشتمل الظلام فحيثما أدركني الرقاد رقدت! قلت: فكيف رضاك عن أهل العسكر؟ قال: لا أخلق وجهي بمسألتهم، أوأما سمعت قول هذا الفتى الطائي، الذي قد ملأ الدنيا شعره:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

قلت: فأنا الطائي قائل هذا الشعر! فدنا مبادرا فعانقني وقال: لله أبوك، ألست الذي يقول:

ما جود كفك إن جادت وإن بخلت ... من ماء وجهي إذا أخلقته عوض

قلت: نعم، قال: أنت والله أشعر أهل الزمان. فرجعت بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد، وحدثته بحديثه، فأدخله إلى الواثق، فسأله عن خبره معي، فأخبره به، فأمر له بمال، وأحسن إليه، ووهب له أحمد بن أبي دؤاد، فكان يقول لي: قد عظم الله بركتك علي.

حدثني محمد بن القاسم بن خلاد قال: انصرفت يوما من عند ابن أبي دؤاد، فدخلت إلى محمد ابن." (١)

---

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص/٦

"أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة إمعانه في اللذات، وأنه لا ينفد ماله فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات، وذلك هو العدل، ثم قال:

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك معطيه الذي أنت سائله

فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يهش له، ولا يلحقه مضض، ولا تكره لفعله، ثم قال:

فمن مثل حصن في الحروب ومثله ... لإنكار ضيم أو لخصم يجادله

وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوعب زهير، في أبياته هذه، المدح بالأربع الخصال التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزاد في ذلك الوفاء، وهو وإن كان داخلا في هذه الأربع، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها، حيث قال: أخي ثقة، صفة له بالوفاء، والوفاء داخل في الفضائل التي قدمنا ذكرها.

وقد يتفنن الشعراء في المديح بأن يصفوا حسن خلق الإنسان، ويعددو ا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا ذكرها وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال على الانفراد أو بالتركيب، إلا أهل الفهم، مثل أن يذكروا من أقسام العقل: ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى.

ومن أقسام العفة: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه.

ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران، والسير في المهامه الموحشة والقفار، وما أشبه ذلك.

ومن أقسام العدل: السماحة، ويرادف السماحة: التغابن، وهو من أنواعها، والانظلام، والتبرع بالنائل، وإجابة السائل، وقرى الأضياف، وما جانس ذلك.

وأما تركيب بعضها مع بعض، فيحدث منه ستة أقسام: أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة: ف الصبر على الملمات، ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد.

وعن تركيب العقل مع السخاء: البر، وإنجاز الوعد، وما أشبه ذلك.

وعن تركيب العقل مع العفة: التنزه، فالرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك.
وعن تركيب الشجاعة مع السخاء: الإتلاف والإخلاف." (١)
"أدوائها وصفة دوائها
فمن ذلك الكلب والذبحة والجرب والنقرس والفلج. فأما الكلب فيقال فيه على مذهب من المذاهب أنه جنون، ويقول فيه أصحاب الطبائع أنه كيموس سوداوي يفعل في الاعداء والمخالطة للحم المعضوض فعل السمام، وهو موجود عيانا، يحيل مزاج الإنسان إلى مزاج الكلب حتى يحيل الذكر فيخرج من إحليله مثال اكلب صغار وقلما رأيت هذا الداء يعتري كلاب سلوق، وإذا عض برأ هو، وانتقل الداء إلى المعضوض. وللمعضوض ضروب من الأدوية في أوقات، فأن فاتت لم ينجع الدواء.
وزعمت العرب أن دماء الملوك تشفي من الكلب، وقد أكثرت من ذلك في أشعارها، واختلف الناس في معناه فذهب قوم إلى أن الشعراء إنما خبرت بذلك على سفك دماء الملوك. وقال قوم: إنما المعنى أن قتل الملوك يشفى من التأثر، لأن الإنسان إذا كان له في قوم ثأر لم يكن يشفي صدره أن يقتل به إلا الأكفاء، أو من هو أعلى من قبيله ومنه قول زهير:
وإن يقتلوا فيشتفي بدمائهم ... وكانوا قديما من مناياهم القتل
وهذا الوجه أشبه بالمعنى في هذا الداء. واخبر رجل لا أشك في ثقته وصدقه أن رجلا اعترضه كلب كلب فأومى ليعضه فتلقى فمه بكمه، فأصابه من أسنانه ولعابه. ومضى لشأنه وشمر كمه وأقام مشمرا له ساعات، ثم أنه نشره فتساقط منه جراء صغار.
وأما الذبحة فقد زعمت الأطباء أن من أجود ما يستعمل للذبحة." (٢)
"كان في مكان رئيس ضيق الغطن خسيس وكانت له زوجة ذات أمانة وتعفف وصيانة وتقوى وديانة ولهم دجاجة تبيض كل يوم بيضة وفي البيت فأرة تراقب الدجاجة كل يوم فكلما باضت بيضة لقطتها وسارعت إليها وسرقتها فيطالب الرجل زوجته بالبيضة فتحلف له أنها ما رها ولا تعرف كيف ذهبت فينكر عليها ويؤلمها تارة بالكلام والسب وتارة بالملام والضرب. ففي بعض الأيام رأت المرأة الفأرة وهي تجر البيضة إلى وكرها فدعت الرجل وأرته ذلك، فلما تيقن الرجل براءة المرأة اعتذر إليها وتعطف بخاطرها وأحسن إليها وعمل

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٢١
(٢) البيزرة بازيار العزيز الفاطمي ص/١٤٦

مكيدة ونصب مصيدة للفأرة فنظرت الفأرة إلى المصيدة فعلمت أنها شرك ومكيدة فتحرزت منها ولم تتقدم عليها فاتفق أن ضيفا من معارف الفأرة قدم عليها فأرادت أن تضيفه بشيء ولم يكن عندها سوى هذه البيضة التي دونها ريب المنون فاعتذرت إلى الضيف بما وقع وأرته المصيدة فقال أنا أقدر أن أتخطاها وأجيء بالبيضة فحذرته ومنعته عن مجيئها فأبى إلا المجيء بها فخلت بينه وبينها فتقدم فوقع في المصيدة فهلك فتنكدت الفأرة لموت ضيفها وعلمت أن ذلك عيبه عليها وعاره مستحق لها بين أقاربها وجيرانها وقالت: لا رأس لي ترفع إليهم ولا عين تنظر وجوههم حتى أخذ بالثأر من رب تلك الدار. وكان لها صاحبة قديمة وهي عقرب خبيثة لئيمة قد أودت السموم في ذباب أبرها وسقت سم المنايا إبرة شوكتها فقصدتها وترامت عليها ونزلت بساحتها وجلست لديها وقالت: إنما تدخر الأصحاب لأيام الشدائد ولدفع الضرر والمكائد وحلول البلاء وأخذ الثأر والانتقام من المعتدين اللئام وقصت القضية عليها وأنهت أمرها إليها وطلبت منها إذ لاحت هذه القصة أن تدرك بضرباتها القصاص ويحصل لها من بين أقرانها الخلاص، فأجابتها إلى ما سألت وأقبلت إلى وكر." (١)

"الفأرة بما أقبلت وأخذا في أعمال الحيلة إلى أن أدتهم أفكارهم الوبيلة أن يخدعوا صاحب الدار بالذهب ويلقوه بسبب ذلك في أشد اللهب ثم تمهلوا إليها إن دخل الليل وشرعوا في أعمال الحيلة والويل فأخرجت الفأرة دينارا وألقته في صحن الدار ووضعت دينارا آخر عند حجر الفار وأظهرت نصف دينار من الذهب من حجرها وجعلت النصف الآخر عند العقرب واستترت العقرب إذ كانت تحتاج السكون واختفيت تحت أذيال الكمون وقد عبت في شوكتها ريب المنون وزبانها السم الكمون، فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأغنى الليل عن ضوء المصباح وقام من نومه ذلك العديم للفلاح وجد هذا الدينار في صحن الدار فنهض إليه واسعد نهاره بصباح ديناره ولم يعلم أنه سبب لدماره ففتح عينيه وحلق حواليه فوجد عند حجر الفأرة ثاني دينار ففرح وطار ونشط واستطار وزاد في الطلب عن بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل حجر الفار فمد يده إليه وأعمى القضاء عينيه عما قدر عليه فضربته العقرب ضربة فقضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه وأخذت الفأرة ثأرها وقضت من عدوها أوطارها.

وإنما أوردت هذا المثل ليعلم الملك أن حيلة الأفكار تفعل ما لا يفعله الصارم البتار وبقليل الحيلة تدرك الأمور الجليلة فلا يهتم الملك بحديث الأفيال ويأخذ فيما هو بصدده بدقيق الاحتيال، وأنا أرجو من كرم الله تعالى أن ننتصر على عدونا ونظفر منه بما مولنا ومرجونا فأول ما نعاملهم بالوهم وإظهار الصولة والتخويف وقوة

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٢٩

شوكة الدولة فإن الوهم قتال والعاقل يحتال وطائفة الفيول عديمة العقول وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من الأسد ما أراده، قال الأسد: أخبرني بتلك الحكاية.." (١)

"والنصيحة كالعسل والحق يصدع كالأسل فالعسل يعطي الحلاوة في ذوقه سواء كان في صحيفة الذهب أو في زقه وقاصد الصلاح والنصيحة ومن أعراضه لدفع الفساد صحيحه مخاطر بنفسه وماله ويراقب حسن حاله وأفضل المعروف إغاثة الملهوف وقد سمعت في المثل السائر أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر وهذا الطول عند ضمر الحول وكيف وملكنا أعدل الحكام وناصر دين الإسلام منصفه بمكارم الأخلاق والشيم يعامل الكبير والصغير بالمراحم والكرم فإن كنت تدري بهجة الانتفاع أو لك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقولي وانصحي واظهري الحق تنجي وتفلحي كما فعل الوزير المنتخب مع كسرى لما استولى عليه الغضب قالت الفأرة أخبرني أيها الأمين بذلك الفعل الكمين قال الساحر: ذكر المؤرخون وسطر المسطرون أنه كان فيما تقدم من الزمان لكسرى أنوشروان زوجة يخجل الأغصان قدها ويفضح الأقمار خدمها وهي من بنات الملوك قتل أباها وأخاها زوجها الفتوك وكان مشغوفا بحبها ومتخوفا من تشويش فكره لئلا تتذكر قتيلها وتتحيل في أخذ ثأرها وهو لم يزل متحرزا من أفعالها مراقبا من أحوالها وفلتات لسانها في أقوالهان فاتفق أنه كان جالسا معها على السرير وحولها من الجواري الحسان كل بدر منير فاشتاقت نفسه إليها فوضع يده عليها فنظرت إلى الجواري فرأت أعينهن إليها ناظرة فصارت بين طرفي الانقياد والامتناع حائرة، وكانت قد سمعت من أبيها ما روته عن أقاربها وذويها وهو أني لأستحي أن أباضع في بيت فيه نرجس لأنه يشبه العيون الناظرة فخطر ببالها أنه إذا استحى من عيون النرجس وهي جامدة فكيف لا أستحي أنا من النساء في المراقبة وهي غير راقدة، فغلب عليها وأراد قضاء وطره منها فانكمشت وزادها الحيا من كسرى انقباضا فجذبها إليه." (٢)

"فانفلتت منه وعليه استعصت فوقع عن سريره العالي وعلا خلقه الغالي وتذكر ما هي عليه من أخذ الثأر وأسود قلبه لما غار وأضرمت في أحشائه النار فدعا وزيره الكبير ودفع إليه ربة السرير وأمره بإزهاق نفسها وإسكانها في رمسها من غير مراجعة ولا شفاعة ولا مدافعة، فحملها إلى منزله ووقع في صعب الأمر ومشكله ولم يفعل شيئا من إمضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر في المآل ونادته ربة الخلخال وقالت: أيها الوزير الناصح المشير صاحب الرأي والتدبير هبني أنا خاطيه ولا يرضى الملك بتائبة فما ذنب الذي في بطني المودع

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٣٠

(٢) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٦٤

من الملك الذي لم يجني فلا بأس من أن تعاوده وبالإشارة تراوده وإن كان ولابد من قتلي فاستمهله إلى أن أضع ثم تهلك الأم ويبقى التبع، فإنه كان يعطى النذور والمال ويطلب الولد في ظلمات الليالي ويدعو بذلك ربه ذا الجلال، وإن أبى إلا القتل فعلى الله المتكل فعرض الوزير ذلك على آرائه بالصريح لا الإشارة واستعمل فيه أحسن عبارة فأبى فعرف أخلاقه ثائرة وأنه لابد من أن تنطفي تلك الثائرة فإذا برد قلبه وزال كربه فيطالبه بالفرع إن لم يطلب الأصل وبعد القطع لا يمكن الوصل. فرأى الوزير المصلحة في التأخير فأودعها عند الحريم." (١)

"أخبرك أيها الملك هجينان منا يرعيان غنما لهما، فتشاولا بسيفهما فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا، فعاث فيه السيف فنزف فمات، فسألونا أخذ دية صاحبنا دية الهجين، وهى نصف دية الصريح، فأبى قومى وكان لنا رباء عليهم، فأبينا إلا دية الصريح وأبوا إلا دية الهجين، فكان اسم هجيننا ذهين بن زبراء، واسم صاحبهم عنقش بن مهيرة وهى سوداء أيضا، فتفاقم الأمر بين الحيين، فقال رجل منا:

حلومكم يا قوم لا تعزبنها ... ولا تقطعوا أرحامكم بالتدابر

وأدوا إلى الأقوام عقل ابن عمهم ... ولا ترهقوهم سبة في العشائر

فإن ابن زبراء الذى فاد لم يكن ... بدون خليف أو أسيد بن جابر

فإن لم تعاطوا الحق فالسيف بيننا ... وبينكم والسيف أجور جائر

فتظافروا علينا حسدا، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد، فلحقنا بالنمر بن عثمان، فوالله ما فت في أعضادنا، فأبنا عنهم ولقد أثأرنا صاحبنا وهم راغمون.

فوثب طريف بن العاصى من مجلسه بإزاء الحارث ثم قال: تالله ما سمعت كاليوم قولا أبعد من صواب، ولا أقرب من خطل، ولا أجلب لقذع من قول هذا، والله أيها الملك! ما قتلوا بهجينهم بذجا، ولا رقوا به درجا، ولا أنطوا به عقلا، ولا اجتفئوا به خشلا، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم، وأجلاهم عن محلهم، حتى استلانوا خشونة الإزعاج، ولجئوا إلى أضيق الولاج، قلا وذلا.

فقال الحارث: أتسمع يا طريف؟ إنى والله ما إخالك كافا غرب لسانك، ولا منهنها شرة نزوانك، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك، وترد جماحك، وتكبت تترعك، وتقمع تسرعك، فقال طريف: مهلا يا حارث، لا تعرض لطحمة استنانى، وذرب سنانى، وغرب شبابى، وميسم سبابى، فتكون كالأظل الموطوء، والعجب

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٦٥

الموجوء؛ فقال الحارث: إياى تخاطب بمثل هذا القول! فوالله لو وطئتك لأسختك، ولو وهصتك لأوهطتك، ولو نفحتك لأفدتك، فقال طريف متمثلا:

وإن كلام المرء في غير كنهه ... لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

أما والأصنام المحجوبة، والأنصاب المنصوبة، لئن لم تربع على ظلعك، وتقف عند قدرك، لأدعن حزنك سهلا، وغمرك ضحلا، وصفاك وحلا، فقال الحارث: أما والله لو رمت ذلك لمرغت." (١)

"منهم النقد ولم يأخذ العقال، أى الفريضة بعينها، ويقال: يكره أن تشترى الفريضة حتى يعقلها الساعى وهو المصدق.

والعقال أيضا: الحبل الذى يعقل به البعير.

والعقال: هو أن بعض الخيل إذا مشى يظلع ساعة ثم ينبسط.

والعقل: التواء في الرجل، يقال بعير اعقل وناقة عقلاء.

والعقيلة: كريمة الحى وكريمة الإبل.

والعقل: ضرب من الوشى، يقال: جللوا هوادجهم بالعقل والرقم.

ويقال: ما له جول ولا معقول، أي عقل يمسكه.

وقال الأصمعى: أرهقت الرجل: أدركته، وقال أبو زيد: أرهقته عسرا، أى كلفته ذلك، وأرهقته إثما حتى رهقه.

وقال الأصمعى: رهقته، أى غشيته، وفى فلان رهق، أى غشيان للمحارم، والمرهق الذى يغشاه السؤال والأضياف.

ويقال: فاد يفود إذا مات، قال لبيد:

رعى خرزات الملك عشرين حجة ... وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وفاد يفيد إذا تبختر، وكذلك راس يريس وماس يميس وماح يميح.

وفت: أوهن وأضعف.

وأثارنا: افتعلن من **الثأر**.

والخطل: الخطأ.

والقذع: الكلام القبيح، يقال: أقذع له إذا أسمعه كلاما قبيحا.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٧٣/١

والبذج: الخروف، وهو فارسى معرب، وكذلك البرق فارسى معرب، وهو الحمل.

وأنطوا لغة في أعطوا،

وقرأت على أبي بكر بن دريد في شعر الأعشى:

جيادك في الصيف في نعمة ... تصان الجلال وتنطي الشعيرا

واجتفئوا: صرعوا، قال أبو زيد: جفأه: الصرعه وخفأه أيضا.

والخشل والخشل محرك ومسكن، واحدتها خشلة وخشلة: شجر المقل.

وهذه أمثال كلها، يريد أنهم لم ينالوا ثأره.

والقل: القلة.

والذل: الذلة.

والنزوان: الوثوب.

والترع: التسرع إلى الشر، يقال: ترع ترعا فهو ترع إذا كان سريعا إلى الشر، ويقال: ترع ترعا إذا اقتحم الأمور مرحا ونشاطا، قال الشاعر:

الباغي الحرب يسعى نحوها ترعا ... حتى إذا ذاق منها جاحما بردا

أي ثبت فلم يتقدم، كذا فسره بعضهم وهو صحيح، أي خمدت حدته فسكن، وهذا مثل.

وطحمة السيل وطحمته بالضم والفتح: دفعته.

والذرب: الحدة.

والأظل: أسفل خف البعير.

والعجب: أصل الذنب ووهصتك: كسرتك، يقال: وهصه ووطسه، ووقصه إذا كسره.." (١)

"وأنداد الأولاد وشجا الحساد، هذه زبراء، تخبركم عن أنباء، قبل انحسار الظلماء، بالمؤيد الشنعاء، فاسمعوا ما تقول.

قالوا: وما تقولين يا زبراء؟ قالت: واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادى ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون عنه معلا، فوافقت قوما أشارى سكارى، فقالوا: ريح خجوج، بعيدة ما بين الفروج، أتت زبراء بالأبلق النتوج.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٧٥/١

فقالت زبراء: مهلا يا بني الأعزة، والله إني لأشم ذفر الرجال تحت الحديد، فقال لها فتى منهم يقال له هذيل بن منقذ: يا خذاق، والله ما تشمين إلا دفر إبطيك، فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوى أسنانهم، فانصرف منهم أربعون رجلا ثلاثون فرقدوا في مشربهم، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين وأقبلت خويلة مع وبقي الصباح فوقفت مصارعهم، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها، وانتظمت منها قلادة وألقتها في عنقها، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعوة المهرى، وهو ابن اختها، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول:

يا خير معتمد وأمنع ملجإ ... وأعز منتقم وأدرك طالب

جاءتك وافدة الثكالى تغتلى ... بسوادها فوق الفضاء الناضب

عيرانة سرح اليدين شملة ... عبر الهواجر كالهزف الخاضب

هذى خناصر أسرتى مسرودة ... في الجيد منى مثل سمط الكاعب

عشرون مقتبلا وشطر عديدهم ... صيابة ملقوم غير أشايب

طرقتهم أم اللهيم فأصبحوا ... تستن فوقهم ذيول حواصب

جزرا لعافية الخوامع بعدما ... كانوا العياث من الزمان اللاحب

قسمت رجال بنى أبيهم بينهم ... جرع الردى بمخارص وقواضب

فأبرد غليل خويلة الثكلى التى ... رميت بأثقل من صخور الصاقب

وتلاف قبل الفوت ثأرى إنه ... علق بثوبى داهن أو ناعب

فقال حجر على مرضاوى الأعذبان والأحمران، أو يقتل بعدد رئام من داهن وناعب، ثم قال:

أخالتنا سر النساء محرم ... على وتشهاد الندامى على الخمر

كذاك وأفلاذ الفئيد وما ارتمت ... به بين جاليها الوئية ملوذر." (١)

"وزرق، وهذا قول ابن الأعرابى.

والمغالاة: المباعدة في الرمى.

وقال الأصمعى: الناضب: البعيد، ومنه نضب الماء أي بعد أن ينال.

وعيرانه: تشبه العير لصلابتها.

والسرح: السهلة رجع اليدين.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٢٧/١

والشملة: السريعة الخفيفة.

ويقال: ناقة عبر أسفار إذا كانت قوية على السفر، وعبر الهواجر إذا كانت قوية على الحر، وأصل هذا كأنه يعبر بها الهواجر والأسفار.

والهزف والهجف: الظليم الجافى.

والخاضب: الذى قد اكل الربيع فاحمرت ظنبوباه وأطراف ريشه.

والطنبوب: مقدم عظم الساق.

ومسرودة: مشكوكة.

ومقتبل: مستأنف الشباب.

وأشايب: أخلاط من الناس.

والصيابة: صميم القوم وخالصهم.

وأم اللهيم: الداهية.

والحواصب: الرياح التى تسفي الحصباء.

والخوامع: الضباع.

واللاحب: القاشر، لحبت الشيء قشرته.

والمخارص، واحدها مخرص وهو سكين كبير مثل المنجل يقطع به الشجر.

وخريص البحر: خليج منه كأنه مخروص، أى مقطوع من معظمه.

والصاقب: جبل معروف.

وحجر: حرام.

والأعذبان: النكاح والأكل.

والأحمران: اللحم والخمر.

والسر: النكاح وقال الأعشى:

فلا تنكحن جارة إن سرها ... عليك حرام فانكحن أو تأبدا

والأفلاذ، واحدها فلذ، ويقال: أعطيته حزة من لحم وفلذة من لحم وحذية من لحم، كل هذا ما قطع طولا، فإذا أعطاه مجتمعا قيل: أعطاه بضعة وهبرة ووذرة وفدرة.

والفئيد: الشواء، وهو فعيل بمعنى مفعول، يقال: فأدت اللحم إذا شويته، والمفأد: السفود.

والمفتأد: المشتوى.

والجالان: الناحيتان من اعلاهما إلى أسفلهما، يقال: جال البئر، وجول البئر.

ويقال: رجل ماله جول ولا معقول إذا كان ضعيف الرأى أحمق.

والوئية: القدر العظيمة.

وصورى: ميلى.

وزعيم: ضامن، وكذلك قبيل وحميل وكفيل وضمين واحد.

ويقال في القبيل: قبلت به أقبل قبالة.

وقوله أروى هاما، كانت العرب تقول: إذا قتل الرجل فلم يدرك بثأره خرج من هامته طائر يسمى الهامة فلا يزال يقول: اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله فيسكن، قال ذو الإصبع العدوانى:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني." (١)

"وحدثنا قال: حدثنا أحمد بن يحيي النحوى، عن ابن الأعرابى، قال: ضلت ناقة أبي السمال فقال: والله لئن لم يردها الله علي لا أصلي أبدا، قال: فوجدها متعلقة بزمامها بشجرة، فقال: علم الله أنها مني صرى، أي عزيمة

وحدثني أيضا قال: حدثني أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال: قيل لابنه الخس: ما أحد شيء؟ قالت: ضرس جائع، يقذف في معى ضائع.

قيل فما ألذ شيء؟ قالت: قبلة فتاة فتى، وعيشك ما ذقتها

وقرأنا على أبي بكر بن دريد قول الشاعر:

وخمار عانية شددت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها

هذه امرأة فزعة، أخذت خمارها بيدها، فلما أدركها أمنت فاختمرت، ونحو منه بيت عنترة:

ومرقصة رددت الخيل عنها ... وقد همت بإلقاء الزمام

مرقصة: امرأة قد ركبت بعيرا فهي ترقصه، أي تنزيه وتحثه، وقد همت أن تلقي زمامها وتستسلم.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٢٩/١

مطلب استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون وعفوه عنه ورد ماله وضياعه إليه

وحدثنا الأخفش، قال: بلغني أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ولى الثأر محكم في القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الرخاء أمن عادية الدهر، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تأخذ فبحقك، وإن تعف فبفضلك، ثم قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

فقال: القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وعفو الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول، يا إبراهيم لقد حببت إلى العفو حتى خفت إلا أوجر عليه، لا تثريب عليك، يغفر الله لك.

وعفا عنه وأمر برد ماله وضياعه، فقال:

رددت مالي ولم تبخل على به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

فأبت منك وما كافأتها بيد ... هما الحياتان من وفر ومن عدم." (١)

"فإن أمت حتف أنفي لا أمت ... كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد

ولم أقل لم أساق الموت شاربه ... في كأسه والمنايا شرع ورد

ثم قال: هذا الشعر! لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث! قال أبو بكر والشعر لقطري بن الفجاءة

حديث المفضل الضبي وقد دخل على المهدي فاستنشده

وحدثنا قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي زيد، عن المفضل الضبي، قال: دخلت على المهدي، فقال لي قبل أن أجلس: أنشدني أربعة أبيات لا تزد عليهن، وعنده عبد الله بن مالك الخزاعي، فأنشدته:

وأشعث قد قد الشفار قميصه ... يجر شواء بالعصا غير منضج

دعوت إلى ما نابني فأجابني ... كريم من الفتيان غير مزلج

فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه ... ويضرب في رأس الكمي المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة ... ولا في بيوت الحي بالمتولج

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٩٩/١

فقال المهدي: هو هذا، وأشار إلى عبد الله بن مالك، فلما انصرفت بعث إلى بألف دينار، وبعث إلى عبد الله بأربعة آلاف درهم

وقرأت على أبي بكر، لعبد الرحمن بن زيد:

يؤسى عن زيادة كل حي ... خلي ما تأوبه الهموم

فلو كنت القتيل وكان حيا ... لطالب لا ألف ولا سئوم

ولا هيابة بالليل نكس ... ولا ضرع إذا أمسى نؤوم

وكيف تجلد الأقوام عنه ... ولم يقتل به الثأر المنيم

غشوم حين يبصر مستقاد ... وخير الطالبي الترة الغشوم." (١)

"ران بهم: غلب، قال الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم) .

وطخطخ: أظلم.

والمختضر: الذي يموت حدثا، وهو مأخوذ من الخضرة، كأنه حسد أخضر.

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأصمعى، قال: كان شاب من العرب يلقى شيخا منهم فيقول: استحصدت يا عماه! فيقول له الشيخ: يا بن أخي وتختضرون، فمات الشاب قبل الشيخ بمدة طويلة ويفرطون: يقدمون.

وقال أبو عبيدة: قال الأموي: الحجر الأير على مثال الأصم: الصلب.

وتوفضون: تسرعون، يقال: أوفض يوفض إيفاضا إذا أسرع، قال الله جل وعز: (كأنهم إلى نصب يوفضون) .

فأما يفيضون فيدفعون قال الأصمعي: يقال أفاض من عرفة إلى منى: أي دفع.

مطلب ما دار بين معاوية بن أبي سفيان وعرابة بن أوس من الحديث

وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: أخبرنا الرياشي، عن العتبي، عن رجل من الأنصار من أهل المدينة، قال: قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري: بأي شيء سدت قومك يا عرابة؟ قال: أخبرك يا معاوية بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه، قال: وكيف كان؟ فأنشدته:

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١/٢٦٦

وأصبحت في أمر العشيرة كلها ... كذي الحلم يرضى ما يقول ويعرف

وذاك لأني لا أعادي سراتهم ... ولا عن أخي ضرائهم أتنكف

وإني لأعطي سائلي ولربما ... أكلف مالا أستطيع فأكلف

وإني لمذموم إذا قيل حاتم ... نبا نبوة إن الكريم يعنف

ووالله إني لأعفو عن سفيههم وأحلم عن جاهلهم وأسعى في حوائجهم، وأعطي سائلهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني، ومن قصر عن فعلي فأنا خير منه، فقال معاوية: لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وأنشدنا أبو بكر، رحمه الله، قال: أنشدنا أبو حاتم:

ألوم النائبات من الليالي ... وما تدري الليالي من ألوم

ولكن المنية لو أصيبت ... بمصرعه هي **الثأر** المنيم." (١)

"أمنيكما نفسي إذا كنت خاليا ... ونفعكما إلا العناء قليل

ومالي شيء منكما غير أنني ... أمني الصدى ظليكما فأطيل

قال: وأنشدني أبي:

تبدل هذا السدر أهلا وليتني ... أرى السدر بعدي كيف كان بدائله

وعهدي به عذب الجنى ناعم الذرى ... تطيب وتندى بالعشي أصائله

فمالك من سدر ونحن نحبه ... إذا ما وشى واش بنا لا تجادله

كما لو وشى بالدر واش رددته ... كئيبا ولم تملح لدينا شمائله

، قال لنا أبو بكر: هذا مثل قول كثير:

فيا عز إن واش وشى بي عندكم ... فلا تكرميه أن تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بعزة عندنا ... لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢٧٤/١

ترجمة امرئ القيس بن ربيعة الملقب بمهلهل أخي كليب، وما وقع له من أخذه بثأر أخيه وقصيدته الرائية التي أولها: أليتنا بذي حسم أنيرى. . . . . الخ

وقرأت على أبي بكر بن دريد، وأملى علينا أبو الحسن الأخفش، قال: مهلهل بن ربيعة، ومهلهل لقب، وإنما سمي مهلهلا بقوله

لما توعر في الغبار هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

هذا قول أبي الحسن، وأبي بكر إلا أن أبا بكر روى:

لما توقل في الكراع هجينهم

الكراع: أنف الحرة،

وقرأت على أحمد، عن أبيه: إنما سمي مهلهلا لأنه أول من أرق المراثي، واسمه عدي، وفي ذلك يقول: رفعت رأسها إلى وقالت:

يا عديا لقد وقتك الأواقي ... أليلتنا بذي حسم أنيري

إذا أنت انقضيت فلا تحوري." (١)

"أن دمه بطل كما يبطل الكلأ الذي يحصده كل من قدر عليه، ويمكن أن يكون خضر من قولهم: عشب أخضر اذا كان رطبا، ومضر: أبيض لأن المضر، إنما سمي مضرا لبياضه، ومنه مضيرة الطبيخ، فيكون معناه أن دمه بطل طريا، فكأنه لما لم يثأر به فيراق لأجله الدم بقي أبيض، وقال بعض اللغويين: الخضرة بقيلة، وجمعها خضر، وأنشد فيه بيتا لابن مقبل:

تقتادها فرج ملبونة خنف ... ينفخن في برعم الحوذان والخضر

ويقولون: شكس لكس، فالشكس: السيئ الخلق، واللكس: العسير، ويقولون: رطب صقر مقر، فالصقر: الكثير الصقر، وصقره: عسله، والمقر: المنقوع في العسل ليبقى، وكل شيء أنقعته في شيء فقد مقرته وهو ممقور ومقير، ومنه السمك الممقور وهو الذي قد أنقع في الخل، ويقولون: سغل وغل، قال: السغل: المضطرب الأعضاء السيئ الخلق، كذا قال الأصمعي، وقال غيره: السغل: السيئ الغذاء، فأما الوغل: فالسيئ الغذاء لا أعرف فيه اختلافا، والوغل في قول أبي زيد: المقصر، وفي قول الأصمعي: الداخل في قوم ليس منهم، ويقولون: سمج لمج، فاللمج: الكثير الأكل الذي يلمج كل ما وجده أي يأكله، قال لبيد:

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٢٩/٢

يلمج البارض لمجا في الندى ... من مرابيع رياض ورجل

ويقولون: ثقف لقف، وثقف لقف، واللقف: الجيد الالتقاف: ويقولون: وتح شقن، ووتح شقن، ووتيح شقين، فالوتح: القليل والشقن مثله، ويقال: وتحت عطيته، وشقنت وأشقنتها أنا، ويقولون: عابس كابس، فالعابس من عبوس الوجه، وكابس يكبس، ويقولون: حائر بائر، فالحائر: المتحير، والبائر: الهالك، والبوار: الهلاك، وقال أبو عبيدة: رجل بائر وبور، بضم الباء أي هالك، قال أبو الزبعري.

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور

ويكون البائر الكاسد، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت، ويقولون: حاذق باذق، فباذق يمكن أن يكون لغة في باثق، كما قالوا: قرب حثحاث وحذحاذ، ونبيثة ونبيذة لتراب البئر، فكأن الأصل، والله أعلم، أن رجلا سقى فأجاد وأكثر، فقيل: حاذق باذق أي حاذق بالسقي، باثق للماء، ويقولون: حار يار، وحران يران، وحار جار، فالجار: الذي يجر الشيء الذي يصيبه من شدة." (١)

"قال: وأنشدنا أبو بكر محمد بن السري السراج، قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، ليزيد المهلبي:

لا تخافي إن غبت أن نتناساك ... ولا إن وصلتنا أن نملا

إن تغيبي عنا فسقيا ورعيا ... أو تحلى فينا فأهلا وسهلا

جملة من أمثال العرب

قال أبو زيد: من أمثال العرب: لأفشنك فش الوطب، يقوله الرجل للاخر إذا رآه منتفخا من الغضب أي لأذهبن إنتفاخك، يقال: فششت الوطب أفشه فشا إذا حللت وكاءه وهو منفوخ فيخرج منه ما فيه من الريح، وقال الأصمعي من أمثالهم: هما كعكمى عير، يقال للشيئين المستويين، ويقال: هما كركبتي البعير، وهو مثله، ويقال: سواسية كأسنان الحمار، مثله، وسواسية: مستوون، ولم يعرف الأصمعي لسواسية واحدا، ويقال: هم كأسنان المشط، قال اللحياني: يقال: إنتقع لونه، وإستفع لونه من السفعة وهي السواد، واهتقع لونه والتمع لونه، والتمى لونه، وإستقع لونه، والتقع، وإستنقع، وإبتسر، والتهم، وإنتسف، وإنتشف.

ما يقال في الدعاء على الإنسان وقال اللحياني: ويقال في الدعاء على الإنسان: ماله عبر وسهر، وحرب

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/٢١٣

وجرب، ورجل، وقال: ورجل من الرجلة، وعبر من العبرة، وحرب من الحرب، والحرب: السلب، وكان أبو بكر بن دريد، يقول: اشتقاق الحرب من الحرب، وقال اللحياني يقال: آم وعام، فآم: ماتت امرأته، وعام: إشتهى اللبن، يراد بذلك ذهبت إبله وغنمه فعام إلى اللبن، قال: ويقال: ماله مال وعال، فمال: جار، وعال: إفتقر، ويقال: ماله شرب بلزن ضاح أي في ضيق مع حر الشمس، اللزن: الضيق، والضاحى: البارز للشمس الذي لا يستره شيء.

قال ويقال: ماله أحر الله صداه أي أعطش الله هامته، ومعنى هذا الكلام أي قتل فلم يثأر به، لأن العرب تزعم أن القتيل يخرج من هامته طائر يسمى الهامة فلا يزال يصيح على قبره: إسقوني إسقوني حتى يقتل قاتله، ومنه قول ذي الأصبع العدواني: يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني." (١)

" نحو الصوت فسمعت قائلا يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم وكان من قصة الحرة ما كان على يده وليس هذا موضعه فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة

حنين أبي قطيفة إلى المدينة وأهلها

صوت من غير المائة فيه لحنان

(بكى أحد لما تحمل أهله ... فكيف بذي وجد من القوم آلف)

(من اجل أبي بكر جلت عن بلادها ... أمية والأيام ذات تصارف)

عروضه من الطويل وفيه ثقيل أول والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل أول بالوسطى ذكر ذلك حماد عن أبيه وذكر أن فيه لحنا آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه قال الهيثم في خبره وقال أبو العباس الأعمى في ذلك

(قد حل في دار البلاط مجوع ... ودار أبي العاص التميمي حنتف)

(فلم أر مثل الحي حين تحملوا ... ولا مثلنا عن مثلهم يتنكف) ." (٢)

" صوت

(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر)

(لحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/٢٢٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢/١

(أشارت بمدراها وقالت لأختها ... أهذا المغيري الذي كان يذكر)

(فقالت نعم لا شك غير لونه ... سرى الليل يطوي نصه والتهجر)

(رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر)

(أخا سفر جواب أرض تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر)

(وليلة ذي دوران جشمتني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر)

(فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر)

هذه الأبيات جمعت على غير توال لأنه إنما ذكر منها ما فيه صنعة غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن أحمد بن المكي ." (١)

" صوت

(أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر)

(بحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

(أشارت بمدراها وقالت لتربها ... أهذا المغيري الذي كان يذكر)

(لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسان قد يتغير)

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة وهما

(وليلة ذي دوران جشمتني السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر)

(فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر)

رمل آخر بالوسطى عن عمرو قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال قلت لأعرابي ما معنى قول ابن أبي ربيعة

(بحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر)

فقال قام كما جلس ." (٢)

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٩/١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤٢/١

" محمد بن مزيد فحدثني حماد قال قال لي أبي اختصر الأصمعي فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه وإلا فكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام

وقال إسحاق في خبره كان الوليد بن يزيد مضطغنا على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغ عنه في حياة هشام فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيني وبينك وهل أنت إلا من أشجع قال فأسألك بصهر عبد الملك قال لم تحفظه فقال له يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله أن يضرب قرشي بالسياط إلا في حد قال ففي حد أضربك وقود أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر وأنا ولي ثأره اضرب يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا وكتب إليه احبسهما مع ابن النصرانية يعني خالدا ." (١)

" المنزل الذي تسكننيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب فابتاع له موضع داره بثلثمائة أوقية من الذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهب وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وفرسا وقينة فمكث في منزل أوس حتى هلك ثم تحول إلى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها

وقد كان أيوب اتصل قبل مهلكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب وثبت أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز وحملان

مقتل زيد بن أيوب

ثم إن زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمادا فخرج زيد بن أيوب يوما من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه فلقيه رجل من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه فقال له وقد عرف فيه شبه أيوب ممن الرجل قال من بني تميم قال من أيهم قال مرئي قال له الأعرابي وأين منزلك قال الحيرة قال أمن بني أيوب أنت قال نعم ومن أين تعرف بني أيوب واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه فقال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٠٢/١

له سمعت بهم ولم يعلمه أنه قد عرفه فقال له زيد بن أيوب فمن أي العرب أنت قال أنا امرؤ من طيء فأمنه زيد وسكت عنه ثم إن الأعرابي اغتفل زيد بن أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه فلم يرم حافر دابته حتى مات فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ثم غدوا في طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلا فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله فاتبعوه وأغدوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية فصاحوا (١) ".

" أبدا

فلما فرغ عدي بن زيد قام عدى بن مرينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبدا ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة فقال عدي بن مرينا لعدي بن زيد

(ألا أبلغ عديا عن عدي ... فلا تجزع وإن رثت قواكا)

(هياكلنا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم به غناكا)

(فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد سواكا)

(ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا)

قال ثم قال عدي بن مرينا للأسود أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت أخبرك أن معدا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتني قال فما تريد قال أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها علي ففعل

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة فلم يكن في الدهر يوم يأتي إلا على باب النعمان هدية من ابن مرينا فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئا إلا بأمر ابن مرينا وكان إذا ذكر عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول إن عدي بن زيد فيه مكر وخديعة والمعدي لا يصلح إلا هكذا

فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه إذا رأيتموني أذكر عديا عند الملك بخير فقولوا إنه لكذلك ولكنه لا يسلم عليه أحد وإنه ليقول إن الملك يعني

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٩١/٢

النعمان عامله وإنه هو ولاه ما ولاه فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه فكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمان له ". (١)

" ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر ويكنى قيس أبا يزيد

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم

(بين شكول النساء خلقتها ... حذوا فلا جبلة ولا قضف)

فقال لولا أن أبا يزيد قال حذوا ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع

وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها

خداش بن زهير يساعد قيس بن الخطيم على الأخذ بالثأر

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ." (٢)

" ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال

كان سبب قتل الخطيم أن رجلا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله وقيس يومئذ صغير وكان عدي أبو الخطيم أيضا قتل قبله قتله رجل من عبد القيس فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره ولم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله وظفر بقاتل جده بذي المجاز فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ولم يكن معه إلا رهط من الأوس فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاري فاستنجده فلم ينجده فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي فإذا هو واقف على راحلته في السوق فطعنه قيس بحربة فقتله ثم استمر فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه فقال في ذلك قيس بن الخطيم

(ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠١/٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣/٣

(ضربت بذي الزجين ربقة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها)

(وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها) ." (١)

" (طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)

(ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها)

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل

وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلا من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر وكان عالما بحديث الأنصار قال

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر وكان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجارا وجعلت تقول لقيس هذا قبر أبيك وجدك فكان قيس لا يشك أن ذلك على ذلك ونشأ أيدا شديد الساعدين فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر فقال له ذلك الفتى والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك من أن تخرجها علي فقال ومن قاتل أبي وجدي قال سل أمك تخبرك فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذبابه بين ثدييه وقال لأمه أخبريني من قتل أبي وجدي قالت ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء فقال والله لتخبرينني من قتلهما أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري فقالت أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر فقال والله لا أنتهي حتى أقتل ." (٢)

" مالا له بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة فرمي من الأطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاءوا فحملوه إلى منزله فلم يروا له كفأ إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل على رأسه فأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤/٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٥/٣

بين يديه وقال يا قيس قد أدركت **بثأرك** فقال عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة فقال هو أبو صعصعة وأراه الرأس فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات وهذا الشعر أغني

(أجد بعمرة غنيانها ...)

فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رواحة وقيل بل قاله في عمرة امرأة كانت لحسان بن ثابت وهي عمرة بنت صامت بن خالد

وكان حسان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره فكافأه قيس بذلك وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع

فأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدثني مصعب قال

مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريس فقال له حسان أظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا وليت شعري ما خلفك وما شأنك أقل ناصرك أم راث رافدك فلم تكلمه وشتمه نساؤها فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه ." (١)

" عندك

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن محمد جدار قال حدثني قدامة بن نوح قال

كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه

(غنني للغريض يابن قنان ...)

فقيل له من ابن قنان هذا لسنا نعرفه من مغني البصرة قال وما عليكم منه ألكم قبله دين فتطالبوه به أو **ثأر** تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره قالوا ليس بيننا وبينه شيء من هذا وإنما أردنا أن نعرفه فقال هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي فقالوا له إلى متى قال مذ يوم ولد وإلى يوم يموت قال وأنشدنا أيضا في هذه القصيدة

(ووافاني هلال السماء في البردان)

فقلنا يا أبا معاذ أين البردان هذا لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت في بيتي سميته البردان أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣/٣

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة قال حدثني يحي بن الجون العبدي راوية بشار قال

كنا عند بشار يوما فأنشدنا قوله

(وجارية خلقت وحدها ... كأن النساء لديها خدم) ." (١)

" تخوفكم عليه

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة

ولما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ سحره قال سيعلم مصفر الإست من انتفخ سحره أنا أم هو ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيء الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه

فلما خرج وخرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه

مقتل بعض أعداء النبي

وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا ." (٢)

" ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٧/٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩١/٤

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مسبح بن حاتم العكلي قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي قال

لما استمرت الهزيمة بمروان أقام عبد الله بن علي بالرقة وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق وأتبعه جيشا عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قواد خراسان فلحقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوصير فقتله وذلك يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس فلما وضع بين يديه خر لله ساجدا ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ثم تمثل قول ذي الإصبع العدواني

(لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني محمد بن يزيد قال ." (١)

" (أحي يتبعون العير نحرا ... أحب إليك أم حيا هلال)

(لعلك قاتل وردا ولما ... تساق الخيل بالأسل النهال)

(ألا يا مال ويح سواك أقصر ... أما ينهاك حلمك عن ضلال)

يوما رحرحان

وأما يوما رحرحان فأحدهما مشهور قد ذكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار الحارث بن ظالم وهذا اليوم الثاني فكان الطماح الحنفي أغار في بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة على بني الحريش بن كعب وبني عبادة بن عقيل وطوائف من بني عبس يقال لهم بنو حذيفة فركبت بنو جعدة وبنو أبي بكر بن كلاب ولم يشهد ذلك من بني كلاب غير بني أبي بكر فأدركوا الطماح من يومهم فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه وقتلوا عددا من أصحابه وهزموهم

قال وأما ما ذكره من إدراكهم بثأر كعب الفوارس فإن كعب الفوارس وهو ابن معاوية بن عبادة بن البكاء مر على بني نهد وعليه سلاحه فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ثم إن خليفا بعد ذلك بدهر مر على بني جعدة فرآه مالك بن عبد الله بن ." (٢)

" الكرة

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣٧/٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/٥

فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء

ثم أنشأت تقول

(يا بنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي)

(فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي)

(إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي)

(جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي)

(فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي)

(لو بعين فقئت عيني سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل)

(تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلي)

(يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل)

(هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول)

(ورماني قتله من كثب ... رمية المصمي به المستأصل)

(يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل)

(خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي)

(ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي)

(يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل)

(ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلا منه دما من أكحلي) ." (١)

" وحذق وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة

(أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل)

(أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلي)

(فلا يدعني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٥/٦٨

(وإلا أنل ثأري من اليوم أو غد ... بني عمنا فالدهر ذو متطول)

(أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل)

فغني في هذا الشعر لحنين أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه وزاد فيه والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ثم دخل على حمزة فقال له أيها الأمير إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده وقد أعجبني فإن أذن الأمير غنيته فيه قال هاته فغناه ." (١)

" فوجده باطلا فشتم زهيرا وطرده فانصرف إلى بلاد قومه وقدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك وكان شيخا عالما مجربا فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه وبلغ زهيرا مكانه فدعا ابنا له يقال له عامر وكان من فتيان العرب لسانا وبيانا فقال له إن رزاحا قد قدم على الملك فالحق به واحتل في أن تكفينيه وقال له اذممني عند الملك ونل مني وأثر به آثارا فخرج الغلام حتى قدم الشأم فتلطف للدخول على الملك حتى وصل إليه فأعجبه ما رأى منه فقال له من أنت قال أنا عامر بن زهير بن جناب قال فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي فقال الغلام نعم فلا حياه الله أنظر أيها الملك ما صنع بظهري وأراه آثار الضرب فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه فبينا هو يحدثه يوما إذ قال له أيها الملك إن أبي وإن كان مسيئا فلست أدع أن أقول الحق قد والله نصحك أبي ثم أنشأ يقول

(فيا لك نصحة لما نذقها ... أراها نصحة ذهبت ضلالا)

ثم تركه أياما وقال له بعد ذلك أيها الملك ما تقول في حية قد قطع ذنبها وبقي رأسها قال ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع قال أبيت اللعن والله ما قدم رزاح إلا ليثأر بهما فقال له وما آية ذلك قال اسقه الخمر ثم ابعث إليه عينا يأتك بخبره فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له وبعث عليه عيونا فلما دخل قبته قامت إليه ابنته تسانده فقال

(دعيني من سنادك إن حزنا ... وسهلا ليس بعدهما رقود)

(ألا تسلين عن شبلي ماذا ... أصابهما إذا اهترش الأسود)

(فإني لو ثأرت المرء حزنا ... وسهلا قد بدا لك ما أريد)

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا فأمر بقتل النهدي رزاح ورد زهيرا إلى موضعه ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١٥/٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣١/٥

" الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سليط بن يربوع

فكان رئيسا المسلمين والخوراج جميعا من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوما

قال المدائني في خبره وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون لورد فإذا أنا برجل ينادي وأنا واقف في خمس بني تميم فإذا به يعرض علي المبارزة فتغافلت عنه وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خمس إلى خمس وليس يزايلني فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به

قالوا فلما قتل نافع وابن عبيس وولي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوما ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه إني مقتول لا محالة قالوا وكيف ذلك قال إني رايت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتني

فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذ قال استشلاه أخذه إليه يقال أستشلاه واشتلاه قال فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس ." (١)

" ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي

(تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرم قليل)

(وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل)

(وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول)

(يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول)

وتغنت الثانية

(وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صرت نهبا مقسما)

(ولا يلبث الحوض الجديد بناؤه ... إذا كثر الوراد أن يتهدما)

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٣/٦

(فيدرك ثأرا وهو لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

(فلست أرزا بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت)

وغنى الرجل في الدور الثالث

(لحى الله صعلوكا مناه وهمه ... من الدهر أن يلقى لبوسا ومطعما) ." (١)

" (وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل)

(وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول)

(يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول)

عروضه من مقبوض الطويل والشعر للسموءل بن عادياء اليهودي والغناء لحكم الوادي

ومنها

صوت

(وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما)

(ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه ... على كثرة الوارين أن يتهدما)

عروضه من الطويل وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة وفيه لعريب ثقيل أول ومنها

صوت

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

(فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

(فإن طلبوا وترا بدا بتراتهم ... ويصبر يحميهم إذا الخيل ولت) ." (٢)

" ذكر الأصوات التي تجمع النغم العشر

منها

صوت

(توهمت بالخيف رسما محيلا ... لعزة تعرف منه الطلولا)

(تبدل بالحي صوت الصدى ... ونوح الحمامة تدعو هديلا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣٠/٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣٧/٦

عروضه من المتقارب الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف منى بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة والطلول جمع طلل وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار والرسم ما لم يكن له شخص وجسم والصدى ها هنا طائر وفي موضع آخر العطش ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقوني حتى يدرك بثأره قال طرفة

(كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم إن متنا صدى أينا الصدي)

والحمام القماري ونحوها من الطير والهديل أصواتها

الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ونسبه إلى جاريته وكنى عنها فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت وذكر أن طريقته من الثقيل ." (١)

" الأصمعي أمضي فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثأرك وكان عباد فقأ عين مالك يوم المربد شعره في فتنة مسعود

قال

وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ وهو يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بحيال الأزد ومعه سعد والرباب والأساورة وقال حارثة بن بدر

(سيكفيك عبس أخو كهمس ... مقارعة الأزد بالمربد)

(ويكفيك عمرو واشياعه ... لكيز بن أفصى وما عددوا)

(وأكفيك بكرا إذا أقبلت ... بطعن يشيب له الأمرد)

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب فقال له حارثة إنه والله ما أرسل إليك نظرا لك ولا إبقاء عليك ولكنه أراد أن يغري بينك وبين سعد فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ

أخبرني محمد بن يحيى قال أنبأنا محمد بن زكريا عن محمد بن سلام عن أبي اليقظان قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٨٩/٨

مر حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال ما هذه الأحامرة فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول ." (١)

" به عرفوا أن حجرا يقاتلهم وأنه لا بد من القتال فحشد الناس لذلك وبلغ حجرا أمرهم فأقبل نحوهم فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر فلم يلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه وتشاور القوم في قتله فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم أي قوم لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله فدعا غلاما من بني كاهل وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء فقال يا بني أعندك خير فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك فلم يزل بالغلام حتى حربه ودفع اليه حديدة وقد شحذها وقال ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل ثأرنا وفي أيدينا فقال الغلام إنما ثأرت بأبي فخلوا عنه وأقبل كاهنهم المزدجر فقال أي قوم قتلتموه ملك شهر وذل دهر أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا

قال ابن السكيت ولما طعن الأسدي حجرا ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له انطلق إلى ابني نافع وكان أكبر ولده فإن بكى وجزع فاله عنه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس وكان أصغرهم فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ." (٢)

" (تطاول الليل على دمون ... دمون إنا معشر يمانون)

(وإننا لأهلها محبون ...)

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم قال

(خليلي لا في اليوم مصحى لشارب ... ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٠٩/٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٤/٩

ثم شرب سبعا فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره فلما جنه الليل رأى برقا فقال

(أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل)

(أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل)

(بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل)

(فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول)

(ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون إذا ما أكل)

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاما قد ترعرع وكان في بني حنظلة مقيما لأن ظئره كانت امرأة منهم فلما بلغه ذلك قال

(يا لهف هند إذ خطئن كاهلا ... القاتلين الملك الحلاحلا)

(تالله لا يذهب شيخي باطلا ... ياخير شيخ حسبا ونائلا)

(وخيرهم قد علموا فواضلا ... يحملننا والأسل النواهلا)

(وحي صعب والوشيج الذابلا ... مستثفرات بالحصى جوافلا) ." (١)

" وقال ابن قتيبة في خبره إن القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجارية بن مر قال ويقال بل كانت مع عامر بن جوين الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر وعياله فقام ودخل الوادي ثم صاح ألا إن عامر بن جوين غدر فأجابه الصدى مثل قوله فقال ما أقبح هذا من قول ثم صاح ألا إن عامر بن جوين وفى فأجابه الصدى بمثل قوله فقال ما أحسن هذا ثم دعا ابنته بجذعة من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين فقالت ابنته والله ما رأيت كاليوم ساقي واف فقال وكيف بهما إذا كانتا ساقي غادر هما والله حينئذ أقبح

امرؤ القيس في ديار بكر وتغلب

وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب فسألهم النصر على بني أسد فبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجؤوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث فلما كان الليل قال لهم علباء يا معشر بني أسد تعلمون والله إن عيون امرئ

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٦/٩

القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة ففعلوا واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا **لثارات** الملك يا **لثارات** الهمام فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت أبيت اللعن لسنا لك **بثأر** نحن من كنانة فدونك ." (١)

" **ثأرك** فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال في ذلك

(ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا)

(وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب)

(وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب)

يعني ببني أبيهم بني كنانة لأن أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سمعت رجلا سأل يونس عن قوله صفر الوطاب فقال سألنا رؤبة عنه فقال لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن وقال غيره صفر الوطاب أي إنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن

وأدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد جامون على الماء فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له قد أصبت **ثأرك** قال والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا قالوا بلى ولكنك رجل مشؤوم وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه ومضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير ". (٢)

" على تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه

(ألا من مبلغ الحيين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(فإن لم **تثأروا** لي من عكب ... فلا رويتم أبدا صديا)

وقال أيضا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٨/٩

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٩/٩

(ظل وسط الندي قتلى بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

وقال في المتجردة

(ديار للتي قتلتك غصبا ... بلا سيف يعد ولا نبال)

(بطرف ميت في عين حي ... له خبل يزيد على الخبال)

وقال أيضا

(ولقد دخلت على الفتاة ... الخدر في اليوم المطير)

(الكاعب الخنساء ترفل ... في الدمقس وفي الحرير)

(دافعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير)

(ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير)

(ورنت وقالت يا منخل ... هل بجسمك من فتور) ." (١)

" قيدا فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه وعكب رجل من لخم فعذبه حتى قتله

وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه

(ألا من مبلغ الحرين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(وإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا أرويتما أبدا صديا)

(يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا)

قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله

(إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري)

(لا تسألي عن جل ما ... لي واذكري كرمي وخيري)

(وإذا الرياح تناوحت ... بجوانب البيت الكسير)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨/١٠

(ألفيتني هش الندي ... بمر قدحي أو شجيري)

الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية ." (١)

" الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم

وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش

فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي

(لعمرك إني والخزاعي طارقا ... كنعجة عاد حتفها تتحفر)

(أثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تجزر)

(شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أعسر)

(كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة ... ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر)

(فهلا أباكم في هذيل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوبا وأوتر)

(ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الديل عبد ويعمر)

(وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نحروكم وعقروا)

(عجبت لشيخ من ربيعة مهتر ... أمر له يوم من الدهر منكر)

فأجابه طارق الخزاعي فقال

(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... إلى أي من يظنني أتعذر) ." (٢)

" (فأبت إلى فهم وما كنت آئبا ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر)

(إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر)

(ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مبصر)

(فذاك قريع الدهر ما كان حولا ... إذا سد منه منخر جاش منخر)

(فإنك لو قايست باللصب حيلتي ... بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٧/١٠

قتل هو وأصحابه نفرا من العوص

وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة عن فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك ." (١)

" (وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم)

(نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم)

(ولكن فات صاحب بطن رهو ... وصاحبه فأنت به زعيم)

(أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم)

(ثأرت بها وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم)

(نحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم)

(وإن تقع النسور علي يوما ... فلحم المعنفي لحم كريم)

(وذي رحم أحال الدهر عنه ... فليس له لذي رحم حريم)

(أصاب الدهر آمن مروتيه ... فألقاه المصاحب والحميم)

(مددت له يمينا من جناحي ... لها وفر وكافية رحوم)

(أواسيه على الأيام إني ... إذا قعدت به اللؤما ألوم)

رثاؤه لأخيه عمرو

ذكروا انه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٢/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٥/١٠

" تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن أخو سفيان تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل

فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا الثأر فرجعوا ولم يجاوزوه

وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه

(وحرمت النساء وإن أحلت ... بشور أو بمزج أو لصاب)

(حياتي أو أزور بني عتير ... وكاهلها بجمع ذي ضباب)

(إذا وقعت لكعب أو خثيم ... وسيار يسوغ لها شرابي)

(أظني ميتا كمدا ولما ... أطالع طلعة أهل الكراب)

(ودمت مسيرا أهدي رعيلا ... أؤم سواد طود ذي نقاب)

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي

(لعلك أن تجيء بك المنايا ... تساق لفتية منا غضاب)

(فتنزل في مكرهم صريعا ... وتنزل طرقة الضبع السغاب) ." (١)

" (تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب)

ثم أن السمع بن جابر أخا تابط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر

(بأعلى ذي جماجم أهل دار ... إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا)

(طرقتهم بفتيان كرام ... مساعير إذا حمي المقام)

(متى ما أدع من فهم تجبني ... وعدوان الحماة لهم نظام)

أصابته في غارته غلى الأزد

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠/١٦٦

ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين

ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا

قال مرة ." (١)

" (فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم ... وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا)

(وأخطأهم قتلى ورفعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل)

(واخطأ غنم الحي مرة بعدما ... حوته إليه كفه والأنامل)

(يعض على أطرافه كيف زوله ... ودون الملا سهل من الأرض ماثل)

(فقلت له هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمنا من نفسه ما يزاول)

(تولول سعدى أن أتيت مجرحا ... إليها وقد منت علي المقاتل)

(وكائن أتاها هاربا قبل هذه ... ومن غانم فأين منك الولاول)

أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم

فلما انقضت الأشهر الحرم وخرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس

فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب بن حدار ابنا جابر أخوا تأبط

فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٧/١٠

فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تأبط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال ." (١)

" قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه

اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وترقوس

قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس

قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه

فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ

(ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول لقد أصبحت أشعث أغبرا)

مصرعه على يد غلام

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولادهن حتى أثأر بهم

فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا قالوا لا والله ما لنا فيه أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها

فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا

فقال له أصحابه ويحك انطلق فو الله ما نرى أن نقيم عليها

قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت ." (٢)

" (ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض)

(ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلا ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض)

(ولكنه قد نازعته مجاوع ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٩/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٥/١٠

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول

(أصبحت مورودا فقربوني ... إلى سواد الحي يدفنوني)

(إن زهيرا وسطهم يدعوني ... رب المخاض واللقاح الجون)

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش واصحابه وانقطعت بنوزليفة فنظر الأكنع الثمالي وكان مقطوع الأصبع إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي ." (١)

" (رأيت بني العلات لما تضافروا ... يحوزون سهمي دونهم بالشمائل)

أخبار سائر اخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا

وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك

(لعمرك ساري بن أبي زنيم ... لأنت بعرعر الثأر المنيم)

(تركت بني معاوية بن صخر ... وأنت بمربع وهم بضيم)

(تساقيهم على رصف وظر ... كدابغة وقد حلم الأديم)

رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان

(فلم نتركهم قصدا ولكن ... فرقت من المصالت كالنجوم)

(رأيتهم فوارس غير عزل ... إذا شرق المقاتل بالكلوم)

فأجابه سارية قال ." (٢)

" (لعلك يا أبح حسبت أني ... قتلت الأسود الحسن الكريما)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠/٢٢٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠/٢٢٦

(أخذتم عقله وتركتموه ... يسوق الظمي وسط بني تميما)

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل

قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله

قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا

وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال

(سدت عليه دولجا ثم يممت ... بني فالج بالليث أهل الخزائم)

الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة

(وقالت له دنخ مكانك إنني ... سألقاك إن وافيت أهل المواسم)

يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه

وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش وأنشأ يقول ." (١)

" (لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل)

(وقالت : أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل)

(فلا تحسبي أني تناسيت فقده ... ولكن صبري يا أميم جميل)

(ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل)

(أبى الصبر أنى لا يزال يهيجني ... مبيت لنا فيما خلا ومقيل)

(وأني إذا ما الصبح آنست ضوءه ... يعاودني قطع علي ثقيل)

قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم إنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٧/١٠

به كلوم فقال له أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا

فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فو الله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك **للثأر** المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا ." (١)

" (وإن أنتم **تثأروا** بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل)

(وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل)

(ألا حبذا من عنده القلب في كبل ... ومن حبه داء وخبل من الخبل)

(ومن هو لا ينسى ومن كل قوله ... لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل)

(ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه ... ومن إن دنا في الدار أرصد بالبذل)

(وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال

خبر مصرع السمهري

لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا ." (٢)

" وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسجح في هذا الصوت لمالك ومعبد وابن سريج وابن محرز والغريض وابن مسجح لكلهم فيه ألحان قال فبلغ عمرا خبر المنخل فأخذه فقتله

وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب **الثأر** به

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٨/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٨/١٠

(طل وسط العراق قتلي بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

رجع الخبر إلى سياقه

قالوا جميعا فلما صار النابغة الى غسان نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن خذه ولو بقرطي مارية

وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار

وإياها عنى حسان بقوله في جبلة بن الأيهم

(أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الجواد المفضل) ." (١)

" هند فاستعدوه على بكر وقالوا غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء

وقالت بكر أنتم الذين فعلتم ذلك قذفتمونا بالعضيهة وسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا

قد سقيناهم إذ وردوا وحملناهم على الطريق إذ خرجوا فهل علينا إذ حار القوم وضلوا ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة

(لم يغروكم غرورا ولكن ... يرفع الآل جرمهم والضحاء)

ابو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد

وقال يعقوب بن السكيت كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول لو قالها في حول لم يلم

قال وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحا وعرض ببعضها لعمرو بن هند فمن ذلك قوله

(أعلينا جناح كندة أن يغنم ... غازيهم ومنا الجزاء)

قال وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث اليهم رجالا من بني تغلب يطالبونهم بذلك فقتلوا ولم يدرك بثأرهم فعيرهم بذلك

هكذا ذكر الأصمعي

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩/١١

وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأرا قال وهكذا البيت الذي يليه وهو ." (١)

" (أم علينا جرى قضاعة أم ليس ... علينا فيما جنوا أنداء)

فإنه عيره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فعل كندة ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأرا قال وقوله

(أم علينا جرى حنيفة أم ما ... جمعت من محارب غبراء)

قال وكانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلة وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة

قال وقوله

(وثمانون من تميم بأيديهم ... رماح صدورهن القضاء)

يعني عمرا أحد بني سعد بن مناة زيد خرج في ثمانين رجلا من تميم فأغار على قوم من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضا تعرف بنطاع قريبة من البحرين فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة فلم يدرك منه بثأر

قال وقوله ." (٢)

" (ثم خيل من بعد ذاك مع الغلاق ... لا رأفة ولا إبقاء)

قال الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر وكان من بني حنظلة ابن زيد مناة تميميا

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان فامتنعوا وقالوا لا نطيع أحدا من بني المنذر أبدا أيظن ابن هند أنا له رعاء

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٧/١١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٨/١١

فغضب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحدا فغزاهم فقتل منهم قوما ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم فأمسك عن بقيتهم وطلت دماء القتلى

فذلك قول الحارث

(من أصابوا من تغلبي فمطلول ... عليه إذا تولى العفاء)

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكر عنده فقال

(من لنا عنده من الخير آيات ... ثلاث في كلهن القضاء)

(آية شارق الشقيقة إذا جاءوا ... جميعا لكل حي لواء)

(حول قيس مستلئمين بكبش ... قرظي كأنه عبلاء) ." (١)

" مقتل أخيه شأس ومحاولة الثأر من قاتله

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك قال أبو عبيدة

أراه النعمان وكان بينه وبين زهير صهر قال أبو عبيدة ثم حدثني مرة أخرى قال كانت ابنة زهير عنده فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوة مسكا وكسا وقطفا وطنافس فأناخ ناقته في يوم شمال وقر على ردهة في جبل ورياح بن الأسك أحد بني رباع بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلان على الردهة ليس غير بيته بالجبل فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فبتر به صلبه

قال أبو عبيدة وحدثني رجل يخيل إلي أنه أبو يحيى الغنوي قال ورد شأس وقد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هدب وطيب فورد منعجا وعليه خباء ملقى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يهريق عليه الماء والمرأة قريبة منه يعني امرأة رياح فإذا هو مثل الثور الأبيض

فقال رياح لامرأته أنطيني قوسي فمدت إليه قوسه وسهما وانتزعت المرأة نصله لئلا يقتله فأهوى عجلان إليه

فوضع السهم في مستدق الصلب بين فقارتين ففصلهما وخر ساقطا وحفر له حفرا فهدمه عليه ونحر جمله وأكله

قال وقال عبد الحميد أكل ركوبته وأولج متاعه بيته

وقال عبد الحميد وفقد شأس وقص أثره ونشد وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٩/١١

فقال لهم الملك حبوته وسرحته

فقالوا وما متعته به قال مسك وكسا ." (١)

" ونطوع وقطف

فأقبلوا يقصون أثره فلم تتضح لهم سبيله

فمكثوا كذلك ما شاء الله لا أدري كم حتى رأوا أمرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك فعرفت وتيقنوا أن رياحا ثأرهم

قال أبو عبيدة وزعم الاخر قال نشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على منعج وسط غني ثم أصابت الناس جائحة وجوع فنحر زهير ناقة فأعطى أمرأة شطيها فقال اشتري لي الهدب والطيب

فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح فقالت إن معي شحما أبيعه في الهدب والطيب فاشترت المرأة منها

فأتت المرأة زهيرا بذلك فعرف الهدب

فأتى زهير غنيا فقالوا نعم قتله رياح بن الأسك ونحن برءاء منه

وقد لحق بخاله من بني الطماح وبني أسد بن خزيمة فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان إذا أحس الصبح يرمي الأروى إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تريغه

فركب خاله جملا وجعله على كفل وراءه

فبينا هو كذلك إذ دنت فقالوا هذه خيل عبس تطلبك

فطمر في قاع شجر فحفر في أصل ." (٢)

" سوقه

ولقيت الخيل خاله فقالوا هل كان معك أحد قال لا

فقالوا ما هذا المركب وراءك لتخبرنا أو لنقتلنك قال لا كذب هو رياح في ذلك القاع

فلما دنوا منه قال الحصينان يا بني عبس دعونا وثأرنا فخنسوا عنهما

فأخذ رياح نعلين من سبت فصيرهما على صدره حيال كبده ونادى هذا غزالكما الذي تبغيان

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١/٨٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١/٨١

فحمل عليه أحدهما فطعنه فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته ورماه رياح موليا فجذم صلبه
قال ثم جاء الآخر فطعنه فلم يغن شيئا ورماه موليا فصرعه
فقالت عبس أين تذهبون إلى هذا والله ليقتلن منكم عدد مراميه وقد جرحاه فسيموت
قال وأخذ رياح رمحيهما وسلبيهما وخرج حتى سند إلى أبان
فأتته عجوز وهو يستدمي على الحوض ليشرب منه وقالت استأسر تحي فقال جنبيني حتى أشرب
قال فأبت ولم تنته
فلما غلبته أخذ مشقصا وكنع به كرسوعي يديها
قال فقال عبد الحميد فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحا ثأره قال يرثي شأسا
قصيدة زهير بن جذيمة في رثاء ابنه شأس
(بكيت لشأس حين خبرت أنه ... بماء غني آخر الليل يسلب)
(لقد كان مأتاه الرداه لحتفه ... وما كان لولا غرة الليل يغلب) ." (١)

" عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظما ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا ما هذا ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة فمر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر فألقيا القطعتين حتى فعلا ذلك ثلاث مرات فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلم أي أدنى شيء وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم

فقال صاحبه لرياح اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ثم ماض إن تركوني

فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سرته والأخرى على صفنه ثم شد عليهما العمامة ومضى صاحبه حتى لقي القوم فسألوه فحدثهم وقال هذه غني كاملة وقد دنوت منهم فصدقوه وخلوا سربه

فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك فقال لا مكذبة ذلك رياح في الأول من السمرات

فقال الحصينان لمن معهما قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد فمضيا ووقف القوم عنهما

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٢/١١

قالوا قال رياح فاذا هما ينقلان فرسيهما فما زالا يريغاني فابتدراني فرميت الأول فبترت صلبه وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السرة فأصاب الربلة ومر الفرس يهوي به فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الأوصال وقد بترت صلبيهما

قال أبو عبيدة قال أبو حية بل قال رياح استدبرته بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتها فكأنما نشرت بمنشار

قال عبد الحميد وند فرساهما ." (١)

" فأجابه الحارث بن ظالم

(أتاني عن قبيس بني زهير ... مقالة كاذب ذكر التبولا)

(فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتل ثأركم حرزا أصيلا)

(ولكن قلتم جاور سوانا ... فقد جللتنا حدثا جليلا)

(ولو كانوا هم قتلوا أخاكم ... لما طردوا الذي قتل القتيلا)

قال ابوعبيدة فلما منعته غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر

وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم فساروا في عليا هوازن

فلما كانوا قريبا من القوم في أول واد من أوديتهم خرج رجل من بني غني ببعض البوادي فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصرته ومنعه

فانطلق بها الغنوي الى رحله فانسلت في وسط من الليل فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال هي منذرة عليك

فقال له الأحوص ومتى عهدك بها قال عهدي بها والمني يقطر من فرجها

قال وأبيك إن عهدك بها لقريب

وتبع المرأة عامر بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها أخبريني أي قوم أخذوك قالت أخذني قوم يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء

قال أولئك بنو عامر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٤/١١

قال فحدثيني من في القوم قالت رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بمأقيه حتى يرفعوا له من حاجبيه

قال ذلك الأحوص بن جعفر

قالت ورأيت شابا شديد الخلق ." (١)

" (لقد ضربوا وجها عليه مهابة ... وما تحفل الصم الجنادل من ردى)

(فلو أنكم كنتم غداة لقيتم ... لقيطا صبرتم للأسنة والقنا)

(غدرتم ولكن كنتم مثل خضب ... أصاب لها القناص من جانب الشرى)

(فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... شريح وأردته الأسنة إذ هوى)

(فإن تعقب الأيام من عامر يكن ... عليهم حريقا لا يرام إذا سما)

(ليجزيهم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماء الحمس يا مال من بوا)

(ولو قتلتنا غالب كان قتلها ... علينا من العار المجدع للعلا)

(لقد صبرت للموت كعب وحافظت ... كلاب وما أنتم هناك لمن رأى)

وقالت دختنوس أيضا

(لعمري لئن لاقت من الشر دارم ... عناء لقد آبت حميدا ضرابها)

(فما جبنوا بالشعب إذ صبرت لهم ... ربيعة يدعى كعبها وكلابها)

(عصوا بسيوف الهند وأعتكرت لهم ... براكاء موت لا يطير غرابها)

براكاء مباركة القتال وهو الجد في القتال

يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابه

وقالت دختنوس ." (٢)

" بقر مكان هنالك فإن ذلك مقيل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل

فنظروا فقال قائل أرى رجلا يقود بعيرا كأنه يقوده لصيد

قال توبة ذلك ابن الحبترية وذلك من أرمى من رمى

فمن له يختلجه دون القوم فلا ينذرون بنا قال فقال عبد الله أخو توبة أنا له

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٤/١١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥١/١١

قال فاحذر لا يضربنك وإن استطعت أن تحول بينه وبين أصحابه فافعل

فخلى طريق فرسه في غمض من الأرض ثم دنا منه فحمل عليه فرماه ابن الحبترية قال وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل السهم ساق عبد الله فانحاز الرجل حتى أتى أصحابه فانذرهم فجمعوا ركابهم وكانت متفرقة

قال وغشيهم توبة ومن معه فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحو وأخذوا سلاحهم ودرقهم وزحف إليهم توبة فارتمى القوم لا يغني أحد منهم شيئا في أحد

ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله قال يا أخي لا تترس لي فإني رأيت ثورا كثيرا ما يرفع الترس عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه

قال ففعل فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه

وجال القوم فغشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر

ثم إن ثورا قال انتزعوا هذا السهم عني

قال توبة ما وضعناه لننتزعه

فقال أصحاب توبة أنج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشا

قال توبة كيف بهؤلاء القوم الذين لا يمنعون ولا يمتنعون

فقالوا ." (١)

" فقال ابن جفنة إن هذا لذو دين ثم مال على القيسيين وقال ألا تحدثوني عن هذه الرياح الجنوب والشمال والدبور والصبا والنكباء لم سميت بهذه الأسماء فإنه قد أعياني علمها فقال القوم هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها فضحك يزيد بن عبد المدان ثم قال يا خير الفتيان ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه على هؤلاء وهم أهل الوبر إن العرب تضرب أبياتها في القبلة مطلع الشمس لتدفئهم في الشتاء وتزول عنهم في الصيف فما هب من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب وما هب عن شماله فهي الشمال وما هب من أمامه فهي الصبا وما هب من خلفه فهي الدبور وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النكباء فقال ابن جفنة إن هذا للعلم يابن عبد المدان وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له ما تقول يابن عبد المدان فقال يزيد يا خير الفتيان ليس صغيرا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢١٨/١١

من منعك العراق وشركك في الشام وقيل له أبيت اللعن وقيل لك يا خير الفتيان وألفى أباه ملكا كما ألفيت أباك ملكا فلا يسرك من يغرك فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة فغضب عامر بن مالك وقال له يابن الديان أما والله لتحتلبن بها دما فقال له ولم أزيد في هوازن من لا أعرفه فقال لا بل هم الذين تعرف فضحك يزيد ثم قال ما لهم جرأة بني الحارث ولا فتك مراد ولا بأس زبيد ولا كيد جعفي ولا مغار طيئ وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء ما قتلنا أسيرا قط ولا اشتهينا حرة قط ولا بكينا قتيلا حتى نسيء به وإن هؤلاء ليعجزون عن **ثأرهم** حتى يقتل السمي بالسمي والكني بالكني والجار بالجار وقال يزيد بن عبد المدان فيما كان بينه وبين القيسيين شعرا غدا به على ابن جفنة ." (١)

" فضلا عليك وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك فهم القوم الذين **ثأرك** عندهم فكان يسعك السكوت أو إن لم تسكت لا تغرق ولا تسرف فقال أيها الأمير قد عفوت فاجعله العفو الذي لا يخلطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب قال قد فعلت فقم بنا ندخل إلى منزلك حتى نوجب عليك حقا بالضيافة فقام مسرورا فأدخلنا فأتى بطعام كان قد أعده فأكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف له وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن أتلقاهم فأرحلهم ولا ينزل أحد منهم إلا في المنزل وهو على ثلاثة فراسخ فنزلت فرحلتهم وأقام عنده إلى العصر ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين وقال له إن نشطت لنا فالحق بنا وإلا فأقم بمكانك فقال فأنا أتجهز وألحق بالأمير ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقه حتى رحل إلى العراق فودعه وأقام ببلده

بعض الأشعار التي غنى فيها

فأما الأصوات التي غنى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئا منها قال الغناء للدار الكبيرة وإذا ذكر شيئا من صنعته قال الغناء للدار الصغيرة فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه في شعر أخت عمرو بن عاصية وقيل إنه لاخت مسعود بن شداد فإنه صوت نادر جيد قال أبو العبيس بن حمدون وقد ذكره ففضله جاء به عبد الله بن طاهر صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢٦/١٢

" (نقود ونأبى أن نقاد ولا نرى ... لقوم علينا في مكارمة فضلا)

(وإنا بطاء المشي عند نسائنا ... كما قيدت بالصيف نجدية بزلا)

(نظل غيارى عند كل ستيرة ... نقلب جيدا واضحا وشوى عبلا)

(وإنا لنعطي المال دون دمائنا ... ونأبى فما نستام دون دم عقلا)

قال أبو عمرو الشيباني قال الأفوه الأودي هذه الأبيات يفخر بها على قوم من بني عامر كانت بينه وبينهم دماء فأدرك بثأره وزاد وأعطاهم ديات من قتل فضلا على قتلي قومه فقبلوه وصالحوه

وقال أبو عمرو أغارت بنو أود وقد جمعها الأفوه على بني عامر فمرض الأفوه مرضا شديدا فخرج بدله زيد بن الحارث الأودي وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعه ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتضارع وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب فلما التقوا عرف بعضهم بعضا فقال لهم بنو عامر ساندونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم فقالت بنو أود وقد أصابوا منهم رجلين لا والله حتى نأخذ بطائلتنا فقام أخو المقتول وهو رجل من بني كعب بن أود فقال يا بني أود والله لتأخذن ." (١)

" (ودوية قفر يحاربها القطا ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه)

(ليدرك ثأرا أو ليكسب مغنما ... ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه)

(فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه)

(فعش معذرا أو مت كريما فإنني ... أرى الموت لا يبقى على من يطالبه)

صوت

(أصادرة حجاج كعب ومالك ... على كل فتلاء الذراعين محنق)

(أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم ترنق)

عروضه من الطويل الصادر المنصرف وهو ضد الوارد وأصله من ورود الماء والصدر عنه ثم يقال لكل مقبل إلى موضع ومنصرف عنه وكعب من خزاعة ومالك يعني مالك بن النضر بن كنانة وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم ومحنق ضامرة والشيمة الخلق والطبيعة وترنق تكدر والرنق الكدر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢/١٩٩

الشعر لكثير عزة يرثي خندقا الأسدي والغناء للهذلي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية إسحاق وفي الثاني من البيتين ثم الأول ." (١)

" فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له بثأره فكره ذلك زفر فسار تميم بن الحباب بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العقيلي فلما توجهوا نحو بني تغلب لقيهم الهذيل في زراعة لهم فقال أين تريدون فأخبروه بما كان من زفر فقال أمهلوني ألق الشيخ فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت والله لئن ظفر بهذه العصابة إنه لعار عليك ولئن ظفروا إنه لأشد قال زفر فاحبس علي القوم وقام زفر في أصحابه فحرضهم ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوسا وسار حتى انتهى إلى الثرثار فدفنوا أصحابهم ثم وجه زفر بن الحارث يزيد بن حمران في خيل فأساء إلى بني فدوكس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم فلم يبق في ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس عاذت بابن حمران فأعاذها وبعث الهذيل إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث مسلم بن ربيعة إلى ناحية أخرى فأسرع في القتل وبلغ ذلك بني تغلب واليمن فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالكحيل وهو نهر أسفل الموصل مع المغرب فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم من ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء وذكر أن من غرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان في دجلة قريبا من رمية سهم فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى اصبحوا فذكر أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ففقدوا ." (٢)

" (غداة يقارع الأبطال حتى ... جرى منهم دما مرج الكحيل)

(قبيل ينهدون إلى قبيل ... تساقى الموت كيلا بعد كيل)

وفي ذلك يقول جرير يعير الأخطل

(أنسيت يومك بالجزيرة بعدما ... كانت عواقبه عليك وبالا)

(حملت عليك حماة قيس خيلها ... شعثا عوابس تحمل الأبطالا)

(ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلا تكر عليكم ورجالا)

(زفر الرئيس أبو الهذيل أبادكم ... فسبى النساء وأحرز الأموالا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢/٢٠٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢/٢٣٣

اغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب

فما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزبير هدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافت قيس وتغلب عن المغازي بالشام والجزيرة وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يحكم الصلح فيه فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قوله

(ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر)

(أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي ... عليك بحور طاميات الزواخر)

(تكن مثل أبداء الحباب الذي جرى ... البحر تزهاه رياح الصراصر)

فوثب الجحاف يجر مطرفه ومايعلم من الغضب فقال عبد الملك ." (١)

" ناقته حتى أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر قيسبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه فقال له يا هذا إني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل قال له فهي لك فكشف عن الرحل فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ثم أتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا إن أخي في بني عقيل أسير فسر معي بقومك فقال له أتسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك وإلا فامض راشدا فقال له الجون مس السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته وضجت السكون ثم فاءوا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك فأنعم له بذلك وسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار حتى أوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي - السريع -

(لا تشتمونا إذا جلبنا لكم ... ألفي كميت كلها سلهبه) ." (٢)

" سعيه في رد الإبل لطلحة

قال المفضل كان رجل من بني سعد بن عوف بن مالك بن حنظلة يقال له طلحة جارا لبني ربيعة بن عجل بن لجيم فأكلوا إبله فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر يسأله أن يعطيه ويسعى له في إبله فقال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٥/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨/١٣

له الأسود لست جامعهما لك ولكن اختر أيهما شئت قال أختار أن تسعى لي بإبلي فقال الأسود لأخواله من بني عجل

(يا جار طلحة هل ترد لبونه ... فتكون أدنى للوفاء وأكرما)

(تالله لو جاورتموه بأرضه ... حتى يفارقكم إذا ما أجرما) - طويل -

وهي قصيدة طويلة فبعث أخواله من بني عجل بإبل طلحة إلى الأسود ابن يعفر فقالوا أما إذا كنت شفيعه فخذها وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك

إغارته على كاظمة ومرضه

وقال ابن الأعرابي قتل رجلان من بني سعد بن عجل يقال لهما وائل وسليط ابنا عبد الله عما لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن ربعي وكان خالد بن مالك عند النعمان حينئذ ومعه الأسود بن يعفر فالتفت النعمان يوما إلى خالد بن مالك فقال له أي فارسين في العرب تعرف هما أثقل على الأقران وأخف على متون الخيل فقال له أبيت اللعن أنت أعلم فقال خالا ابن عمك الأسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليين وائلا وسليطا فتغير لون خالد بن مالك وإنما أراد النعمان أن يحثه على الطلب بثأر عمه فوثب الأسود فقال أبيت اللعن عض بهن أمه ." (١)

" من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه ثم التفت إلى خالد بن مالك فقال يا بن عم الخمرعلي حرام حتى أثأر لك بعمك قال وعلي مثل ذلك ونهضا يطلبان القوم فجمعا جمعا من بني نهشل بن دارم فأغارا بهم على كاظمة وأرسلا رجلا من بني زيد بن نهشل بن دارم يقال له عبيد بتجسس لهم الخبر فرجع إليهم فقال جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجار وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش فركبت بنو نهشل حتى أتوهم فنادوا من كان حاجا فليمض لحجه ومن كان تاجرا فليمض لتجارته فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا فقتل وائل وسليط قتلهما هزان ابن زهير بن جندل بن نهشل عادى بينهما وادعى الأسود بن يعفر أنه قتل وائلا ثم عاد إلى النعمان فلما رآه تبسم وقال وفي نذرك يا أسود قال نعم أبيت اللعن ثم أقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله ثم مرض مرضا شديدا فبعث النعمان إليه رسولا يسأله عن خبره وهول ما به فقال

(نفع قليل إذ نادى الصدى أصلا ... وحان منه لبرد الماء تغريد)

(وودعوني فقالوا ساعة انطلقوا ... أودى فأودى الندى والحزم والجود)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/١٣

(فما أبالي إذا ما مت ما صنعوا ... كل امرئ بسبيل الموت مرصود) - بسيط -

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه قال

كان أبو جعل أخو عمرو بن حنظلة من البراجم قد جمع جمعا من ." (١)

" (ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنان وعامل) - طويل -

فمكث في الحبس مدة ثم أخلي سبيله فقال

(سأترك ثغر الري ما كنت واليا ... عليه لأمر غالني وشجاني)

(فإن أنا لم أدرك بثأري وأثئر ... فلا تدعني للصيد من غطفان)

(تمنيتني يا ابن الحصين سفاهة ... ومالك بي يا ابن الحصين يدان)

(فإني زعيم أن أجلل عاجلا ... بسيفي كفاحا هامة ابن قنان) - طويل -

قال فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له عبد الله بن الحجاج في سوق التمارين وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر ليحدث المغيرة فخرج يوما من داره إلى المغيرة يحدثه فأطال وخرج من عنده ممسيا يريد داره فضربه عبد الله بعمود حديد على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال في ذلك

(من مبلغ قيسا وخندف أنني ... ضربت كثيرا مضرب الظربان)

(فأقسم لا تنفك ضربة وجهه ... تذل وتخزي الدهر كل يمان)

(فإن تلقني تلق امرأ قد لقيته ... سريعاإلى الهيجاء غير جبان) ." (٢)

" (أيزعم أن العامري لفعله ... بعاقبة يرمى به الرجوان)

(ويذكر إن لاقاه زلة نعله ... فجيء للذي لم يستبن ببيان)

(كذبت ولكن بابن علبة جعفر ... فدع ما تمنى زلت القدمان)

(أصيب فلم يعقل وطل فلم يقد ... فذاك الذي يخزى به الأبوان)

(وحق لمن كان ابن أشعر ثائرا ... به الطل حتى يحشر الثقلان)

(ذليل ذليل الرهط أعمى يسومه ... بنو عامر ضيما بكل مكان)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥/١٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٨٥/١٣

(فلم يبق إلا قوله بلسانه ... وما ضر قول كاذب بلسان)

(هجا نافع كعبا ليدرك وتره ... ولم يهج كعب نافعا لآوان)

(ولم تعف من آثار كعب بوجهه ... قوارع منها وضح وقوان)

(وقد خضبوا وجه ابن علبة جعفر ... خضاب نجيع لا خضاب دهان)

(فلم يهج كعبا نافع بعد ضربة ... بسيف ولم يطعنهم بسنان)

(فما لك مهجى يا ابن أشعر فاكتعم ... على حجر واصبر لكل هوان)

(إذا المرء لم ينهض فيثأر بعمه ... فليس يجلى العار بالهذيان)

(أبي قيس عيلان وعمي خندف ... ذوا البذخ عند الفخر والخطران)

(إذا ما تجمعنا وسارت حذاءنا ... ربيعة لم يعدل بنا أخوان)

(أليس نبي الله منا محمد ... وحمزة والعباس والعمران) ." (١)

" فلما شغل يديها وقع عليها فلا تقدر على الامتناع خوفا من أن يذهب السمن فضربت العرب المثل بها وقالت أشغل من ذات النحيين فأرادت عاتكة بنت الملاءة أن هذا لم يفعله أحد من النساء برجل كما يفعله الرجل بالمرأة غيرها وأنها ثأرت للنساء ثأرهن من الرجال بما فعلته

الملاءة وعمر بن أبي ربيعة

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن الزبير والمسيبي ومحمد بن سلام وغيرهم من رجاله أن الملاءة بنت زرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعة ينشدهم فقالت لجارية من هذا قالت عمر بن أبي ربيعة المتنقل من منزله من ذات وداد إلى أخرى الذي لم يدم على وصل ولا لقوله فرع ولا أصل أما والله لو كنت كبعض من يواصل لما رضيت منه بما ترضين وما رأيت أدنا من نساء أهل الحجاز ولا أقر منهن بخسف والله لأمة من إمائنا آنف منهن فبلغ ذلك عمر عنها فراسلها فراسلته فقال

(حي المنازل قد عمرن خرابا ... بين الجرين وبين ركن كسابا)

(بالثني من ملكان غير رسمها ... مر السحاب المعقبات سحابا) ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩٧/١٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٩٧/١٣

" وعد النوشجاني محمد بن حازم شيئا سأله إياه ثم مطله وعاتبه فلم ينتفع بذلك واقتضاه فأقام على مطله فكتب إليه

(أبا بشر تطاول بي العتاب ... وطال بي التردد والطلاب)

(ولم أترك من الأعذار شيئا ... ألام به وإن كثر الخطاب)

(سألتك حاجة فطويت كشحا ... على رغم وللدهر انقلاب)

(وسمتني الدنية مستخفا ... كما خزمت بآنفها الصعاب)

(كأنك كنت تطلبني بثأر ... وفي هذا لك العجب العجاب)

(فإن تك حاجتي غلبت وأعيت ... فمعذور وقد وجب الثواب)

(وإن يك وقتها شيب الغراب ... فلا قضيت ولا شاب الغراب)

(رجوتك حين قيل لي ابن كسرى ... وإنك سر ملكهم اللباب)

(فقد عجلت لي من ذاك وعدا ... وأقرب من تناوله السحاب)

(وكل سوف ينشر غير شك ... ويحمله لطيته الكتاب)

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني الحسن بن أبي السري قال قصد محمد بن حازم بعض ولد سعيد بن سالم وقد ولي عملا واسترفده فأطال مدته ولم يعطه شيئا وانصرف عنه وقال ." (١)

" ونصره له وفيها يقول

(بذي لجب رسول الله فيه ... كتيبته تعرض للضراب)

(ولو أدركن صرم بني هلال ... لآم نساؤهم والنقع كابي)

خبر مقتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب بثأر جاره فقال

(إذا كان باغ منك نال ظلامة ... فإن شفاء البغي سيفك فافصل)

(ونبئت أن قد عوضوك أباعرا ... وذلك للجيران غزل بمغزل)

(فخذها فليست للعزيز بنصرة ... وفيها متاع لامرئ متذلل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٧/١٤

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله

(أتاني من الأنباء أن ابن مالك ... كفى ثائرا من قومه من تغببا) ." (١)

" ونصره له وفيها يقول

(بذي لجب رسول الله فيه ... كتيبته تعرض للضراب)

(ولو أدركن صرم بني هلال ... لآم نساؤهم والنقع كابي)

خبر مقتل أخيه هريم

قال أبو عبيدة وكان هريم بن مرداس مجاورا في خزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس فقال يحض عامرا على الطلب بثأر جاره فقال

(إذا كان باغ منك نال ظلامة ... فإن شفاء البغي سيفك فافصل)

(ونبئت أن قد عوضوك أباعرا ... وذلك للجيران غزل بمغزل)

(فخذها فليست للعزيز بنصرة ... وفيها متاع لامرئ متدلل)

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لما دعاه علي عليه السلام إلى البيعة وتحدث الناس أنه وعده أن يوليه الشام إذا بايعه قال فلما بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهريم ثم إن أبا حليس النصري لقي خويلدا قاتل هريم فقتله فقال بنو نصر بؤ بدم فلان النصري كانت خزاعة قتلته فقال أبو الحليس لا بل هو بؤ بدم هريم بن مرداس وبلغ العباس فقال يمدحه بقوله

(أتاني من الأنباء أن ابن مالك ... كفى ثائرا من قومه من تغببا) ." (٢)

" خفاف قتلني الله إن رمت حتى أثأر به فشد على مالك بن حمار الشمخي وكان سيد بني شمخ بن فزارة فقتله قال وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن مازن بن فزارة فقال خفاف في ذلك - طويل -

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٣/١٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٨/١٤

(فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عين تيممت مالكا)

يعني مالك بن حمار الشمخي

قال أبو عبيدة فأجمل أبو بلال الحديث

قال وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عكاظ في موسم من مواسم العرب فبينا هو يمشي بسوق عكاظ إذ لقي أسماء المرية وكانت جميلة وزعم أنها كانت بغيا فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة فقال أما والله لأقارعنه عنك

قالت شأنك وشأنه

فرجعت إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له فقال هاشم فلعمري لا يريم أبياتنا حتى ننظر ما يكون من جهده

قال فلما خرج الشهر الحرام وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاوية بن عمرو غازيا يريد بني مرة وبني فزارة في فرسان أصحابه من بني سليم حتى إذا كان بمكان يدعى الحوزة أو الجوزة والشك من أبي عبيدة دومت عليه طير وسنح له ظبي فتطير منهما ورجع في أصحابه وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال ما منعه من الإقدام إلا الجبن قال فلما كانت السنة المقبلة غزاهم حتى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطير فرجع ومضى أصحابه وتخلف في تسعة عشر فارسا منهم لا يريدون قتالا إنما تخلف عن عظم الجيش راجعا إلى بلاده فوردوا ماء وإذا عليه بيت ." (١)

" الصحيح للجريح ما لك لا تجيبه فقال وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي وشد أخي عليه فقتله فأينا قتلت أدركت ثأرك إلا أنا لم نسلب أخاك

قال فما فعلت فرسه الشماء قال ها هي تلك خذها

فردها عليه فأخذها ورجع فلما أتى صخر قومه قالوا له اهجهم

قال إن ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكفف نفسي إلا رغبة عن الخنا لفعلت

وقال صخر في ذلك - طويل -

(وعاذلة هبت بليل تلومني ... ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥/٨٦

قال أراد تباكره باللوم ولم يرد الليل نفسه إنما أراد عجلتها عليه باللوم كما قال النمر بن تولب العكلي - مديد -

(بكرت باللوم تلحانا ...)

وقال غيره تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم والأضياف والنظر في الحمالات وأمور قومه لأنه قوامهم - طويل -

(تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... وما لي إذ أهجوهم ثم ما ليا)

(أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي ... وأن ليس إهداء الخنا من شماليا)

أي من شمائلي

ويروى من فعاليا

(إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا)

(إذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا) ." (١)

" القليب فرجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة فقال أبو سفيان يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك ثأرا ممن أصيب منا

ففعلوا فاجتمعت قريش لحرب رسول الله حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله

وكان أبو عزة عمرو ابن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله يوم بدر وكان في الأسارى فقال يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك

فمن عليه رسول الله فقال صفوان بن أمية يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأعنا بنفسك

فقال إن محمدا قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه

فقال بلى فأعنا بنفسك ولك الله إن رجعت أن أعينك وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر أو يسر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٩٦/١٥

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة وخرج مسافع بن عبدة بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ودعا جبير بن مطعم غلاما يقال له وحشي وكان حبشيا يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق

وخرجت قريش بحدها وأحابيشها ومن معها من بني كنانة وأهل تهامة ." (١)

" قال ابن حبيب في خبره وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وكانت منازله ما بين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العماليق فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفض جموعه فانفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء وكانت من أحزم الناس فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكرت الفرات في وقت قلة الماء وبنت أزجا من الآجر والكلس متصلا بذلك النفق وجعلت نفقا آخر في البرية متصلا بمدينة لأختها ثم أجرت الماء عليه فكانت إذا خافت عدوا دخلت النفق

فلما اجتمع لها أمرها واستحكم ملكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرة بأبيها فقالت لها أختها وكانت ذات رأي وحزم إنك إن غزوت جذيمة فإنه امرؤ له ما يصده فإن ظفرت أصبت **ثأرك** وإن ظفر بك فلا بقية لك والحرب سجال ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تتزوجيه وتجمعي ملكك إلى ملكه وسليه أن يجيبك إلى ذلك لأنه إن اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة

فكتبت الزباء في ذلك إلى جذيمة تقول له إنها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وإنها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لمملكتها وإنها لم تجد كفأ غيره وتسأله الإقبال عليها وجمع ملكها إلى ملكه

فلما وصل ذلك إليه استخفه وطمع ." (٢)

" أنها لم تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت هناك فبني على ذلك الموضع برج يسمى العصا وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها فإذا هي قد ضفرت الشعر عليه فقالت يا جذيم أذات عروس ترى قال بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٥/١٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٦/١٥

ثم قال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى

قالت والله ما ذلك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما أناس

ثم قالت لجواريها خذن بعضد سيدكن

ففعلن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه وأمرت برواهشه فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه وقالت له يا جذيم لا يضيعن من دمك شيء فإني أريده للخبل

فقال لها وما يحزنك من دم أضاعه أهله وإنما كان بعض الكهان قال لها إن نقط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره

فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام ومات

قال والعرب تتحدث في أن دماء الملوك شفاء من الخبل

قال المتلمس – طويل –

(من الدارميين الذين دماؤهم ... شفاء من الداء المجنة والخبل)

قال وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتها ومضى قصير إلى عمرو بن ." (١)

" عبد الحر التنوخي فقال له اطلب بدم ابن عمك وإلا سبتك به العرب

فلم يحفل بذلك فخرج قصير إلى عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة فقال هل لك في أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك فجعل ذلك له فأتى القادة والأعلام فقال لهم أنتم القادة والرؤساء وعندنا الأموال والكنوز

فانصرف إليه منهم بشر كثير فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا القتال تابعه التنوخي ومالك بن عمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني في الزباء

فقال وكيف وهي أمنع من عقاب الجو فقال أما إذ أبيت فإني جادع أنفي وأذني ومحتال لقتلها فأعني وخلاك ذم

فقال له عمرو وأنت أبصر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٨/١٥

فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت قال أنا قصير ولا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لخدمته مني ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدي أنفي وأذني فعرفت أني لن أكون مع أحد أثقل عليه منك

فقالت أي قصير نقبل ذلك منك ونصر لك في بضاعتنا

وأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عدي ما ظن أنه يرضيها وانصرف إليها به فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ولم يزل حتى أنست به فقال لها إنه ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد ينبغي له أن يتخذ نفقا يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها

فقالت أما أني قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريري هذا يخرج إلى نفق تحت سرير أختي

وأرته إياه فأظهر لها سرورا بذلك وخرج في تجارته كما كان يفعل وعرف عمرو بن عدي ما فعله فركب عمرو في ألفي دارع على ألف بعير في الجوالق حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير يسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها اصعدي في حائط مدينتك فانظري إلى مالك وتقدمي إلى بوابك فلا يعرض لشيء من أعكامنا فإني قد جئت بمال صامت

وقد كانت أمنته فلم تكن تتهمه ولا تخافه ." (١)

" (فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري)

(فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك في جواري)

فقال حبيب يا غلام هات القوس

فقال له زياد ما تصنع بها قال أرمي جارتك هذه

قال والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير

فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وأنشده الشعر فقال المهلب علي بأبي بسطام فأتي بحبيب فقال له أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار

فقال أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب

قال أعطه كما آمرك

فأنشأ زياد يقول - طويل -

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٩/١٥

(فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها قرم العراق المهلب)

(رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والسهم يغرب)

(فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب)

(فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جلدي وأقرب)

قال فحمل حبيب إليه ألف دينار على كره منه فإنه ليشرب مع حبيب يوما إذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضغن عليه مما جرى فأمر بشق قباء ديباج كان عليه فقام فقال - طويل -

(لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب)

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال له صدق زياد ما خرقت إلا جلدي تبعث هذا على أن يهجوني ثم بعث إليه فأحضره فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه ." (١)

" قال خالد بن كلثوم

ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

(معاوي إلا تعطنا الحق تعترف ... لحي الأزد مشدودا عليها العمائم)

(أيشتمنا عبد الأراقم ضلة ... وماذا الذي تجدي عليك الأراقم)

(فمالي ثأر غير قطع لسانه ... فدونك من يرضيه عنك الدراهم)

(وأرع رويدا لا تسمنا دنية ... لعلك في غب الحوادث نادم)

(متى تلق منا عصبة خزرجية ... أو الأوس يوما تخترمك المخارم)

(وتلقك خيل كالقطا مسبطرة ... شماطيط أرسال عليها الشكائم)

(يسومها العمران عمرو بن عامر ... وعمران حتى تستباح المحارم)

(ويبدو من الخود الغريرة حجلها ... وتبيض من هول السيوف المقادم)

(فتطلب شعب الصدع بعد انفتاقه ... فتعيا به فالآن والأمر سالم)

(وإلا فبزي لأمة تبعية ... مواريث آبائي وأبيض صارم)

(وأجرد خوار العنان كأنه ... بدومة موشي الذراعين صائم)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٧٤/١٥

(وأسمر خطي كأن كعوبه ... نوى القسب فيها لهذمي ضبارم) ." [1]

" الأعراف رمل قال الأثرم الأعراف كل ما ارتفع ومنه قول الله تعالى (ونادى أصحاب الأعراف)

(حتى هوى متزايلا أوصاله ... للحد بين جنادل وقفاف)

(لله در بني علي إن هم ... لم يثأروا عوفا وحي خفاف)

قال الأثرم وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه فقال

(تذكر ليلى حسنها وصفاءها ...)

وقال ابن جذل الطعان في ذلك أيضا

(ألا لله در بني فراس ... لقد أورثتم حزنا وجيعا)

(غداة ثوى ربيعة في مكر ... تمج عروقه علقا نجيعا)

(فلن أنسى ربيعة إذ تعالى ... بكاء الظعن تدعو يا ربيعا)

وقال كعب بن زهير وأمه من بني أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة يرثي ربيعة بن مكدم ويحض على بني سليم ويعير بني كنانة بالدماء ." [2]

" التي أدوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية

(بان الشباب وكل إلف بائن ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعن)

(قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... وأراك ذا بث ولست بدائن)

(غضي ملامك إن بي من لومكم ... داء أظن مماطلي أو فاتني)

(أبلغ كنانة غثها وسمينها ... الباذلين رباعها بالقاطن)

(أن المذلة أن تطل دماؤكم ... ودماء عوف ضامن في العاهن)

(أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كلف لهم بظعائن)

(طلبوا فأدرك وترهم مولاهم ... وأبت محاملكم إباء الحارن)

(شدوا المآزر فاثأروا بأخيكم ... إن الحفائظ نعم ربح الثامن)

(كيف الحياة ربيعة بن مكدم ... يغدى عليك بمزهر أو قائن)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٥٣/١٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٩/١٦

(وهو التريكة بالعراء وحارث ... فقع القراقر بالمكان الواتن)

(كم غادروا لك من أرامل عيا ... جزر الضباع ومن ضريك واكن)

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثي ربيعة

(ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سحا ولا عازب لالا ولا راقي)

(أبكي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حزنا بعده باقي) ." (١)

" (إذا ذكروا بثأري قلت سقيا ... لثأري ذي الخواتم والسوار)

(وما عرفت دمي فتبوء منه ... برهن في حبالي أو ضمار)

(وقد زعم العواذل أن يومي ... ويومك بالمحصب ذي الجمار)

(من الإغباء ثم زعمت أن لا ... وقلت لدى التنازع والتمار)

(كذبتم ما السلام بقول زور ... وما اليوم الحرام بيوم ثار)

(ولا تسليمنا حرما بإثم ... ولا الحب الكريم لنا بعار)

(فإن لم نلقكم فسقى الغوادي ... بلادك والرويات السواري)

قال سليمان وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة فودعها وتفرقوا

(يا أحسن الناس لولا أن نائلها ... قدما لمن يبتغي ميسورها عسر)

(وإنما دلها سحر تصيد به ... وإنما قلبها للمشتكي حجر)

(هل تذكرين كما لم أنس عهدكم ... وقد يدوم لعهد الخلة الذكر)

(قولي وركبك قد مالت عمائمهم ... وقد سقاهم بكأس الشقوة السفر)

(يا ليت أني بأثوابي وراحلتي ... عبد لأهلك هذا العام مؤتجر)

(فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا ... بالحج أمس فهذا الحل والسفر)

(ما بال رأيك إذ عهدي وعهدكم ... إلفان ليس لنا في الود مزدجر)

(فكان حظك منها نظرة طرفت ... إنسان عينك حتى ما بها نظر) ." (٢)

" (إذا ما منعت المال منكم لثروة ... فلا يهنني مالي ولا ينم لي كسبي)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٧٠/١٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢٧/١٦

وقد روي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب لرجل من مراد يقال له مالك بن أبي كعب وذكر له خبر في ذلك

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عباس عن مجالد عن الشعبي قال

كان رجل من مراد يكنى أبا كعب وكان له ابن يدعى مالكا وبنت يقال لها طريفة فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب فلم تزل معه حتى مات أبو كعب فقالت الأرحبية لمالك إني قد اشتقت إلى أهلي ووطني ونحن هاهنا في جدب وضيق عيش فلو ارتحلت بأهلك وبي فنزلت على أهلي لكان عيشنا أرغد وشملنا أجمع فأطاعها وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب فمر بحي كان بينهم وبين أبيه ثأر فعرفوا فرسه فخرجوا إليه وأحدقوا به وقالوا له استسلم وسلم الظعينة فقال أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا وقاتلهم حتى صرع فقال وهو يجود بنفسه

(لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فر عني مالك بن أبي كعب)

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر

قال مؤلف هذا الكتاب وأحسب هذا الخبر مصنوعا وأن الصحيح هو الأول ." (١)

" (ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب)

(لعمري لقد غال التجلد أننا ... فقدناك فقد الغيث والعام جادب)

(فما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب)

(ولا لي من الإخوان إلا مكاشر ... فوجه له راض ووجه مغاضب)

(فقدت فتى قد كان للأرض زينة ... كما زينت وجه السماء الكواكب)

(لعمري لئن كان الردى بك فاتني ... وكل امرىء يوما إلى الله ذاهب)

(لقد أخذت مني النوائب حكمها ... فما تركت حقا علي النوائب)

(ولا تركتني أرهب الدهر بعده ... لقد كل عني نابه والمخالب)

(سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح ... يحل به دان من المزن ساكب)

(إذا بشر الرواد بالغيث برقه ... مرته الصبا واستحلبته الجنائب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥٤/١٦

(فغادر باقي الدهر تأثير صوبه ... ربيعا زهت منه الربا والمذائب)

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني المبرد قال

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصل بنان له بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره

(وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه)

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن وسأل عن قائله فأخبر به وكلم في أمره وأحسنت الجماعة رفده وقام الفتح بأمره قياما تاما فأمر بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفي يده حتى يقيم كفيلا بنفسه ألا يبرح من سر من رأى فأطلق وأخذ عليه الفتح الأيمان الموثقة ألا يبرح من سر من رأى إلا بإذنه ثم أطلقه ." (١)

" لأنك كنت صغيرا وقد كبرت الآن فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينة واقفا ينشد الناس فغدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين فقيل إنه مات لوقته وقيل بل سلم تلك الدفعة ومر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق العبلاء ينشد فعلاه بسيفه حتى قتله وعدا وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها على نفسه فجاءه رجل من قومه فصاح به يا مصعب إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك العامة فاخرج فلما عرفه قال له أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان قال نعم فخرج إليه ووضع يده في يده فسلمه إلى السلطان فقذفه في سجن تبالة

قال السكري في خبره ومكث ابن الدمينة جريحا ليلته ومات في غد فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

(هتفت بأكلب ودعوت قيسا ... فلا خذلا دعوت ولا قليلا)

(ثأرت مزاحما وسررت قيسا ... وكنت لما هممت به فعولا)

(فلا تشلل يداك ولا تزالا ... تفيدان الغنائم والجزيلا)

(فلو كان ابن عبد الله حيا ... لصبح في منازلها سلولا)

قال وبلغ مصعبا أن قوم ابن الدمينة يريدون أن يقتحموا عليه سجن تبالة فيقتلوه به غيلة فقال يحرض قومه

(لقيت أبا السري وقد تكالا ... له حق العداوة في فؤادي)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٩٨/١٦

(فكاد الغيظ يفرطني إليه ... بطعن دونه طعن السداد)

(إذا نبحت كلاب السجن حولي ... طمعت هشاشة وهفا فؤادي)

(طماعة أن يدق السجن قومي ... وخوفا أن يبيتني الأعادي)

(فما ظني بقومي شر ظن ... ولا أن يسلموني في البلاد) ." (١)

" نسب أبي قيس بن الأسلت وأخباره

أبو قيس لم يقع إلي اسمه غير ابن الأسلت والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر

وهو شاعر من شعراء الجاهلية وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس واستشهد يوم القادسية

وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس الشاعر قتل قيس بن أبي قيس بن الأسلت في بعض حروبهم فطلبه **بثأره** هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس بن أبي قيس وهو ابن عمه

ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت ." (٢)

" من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن أعصر وإخوتهم الحارث وهو الطفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر فاستحر القتل بغني وفيهم يومئذ فرسان وشعراء فملأت طيىء أيديهم من غنائمهم وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه

ثم إن غنيا تجمعت بعد ذلك مع لف من بني عامر فغزوا طيئا في أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا **ثأرهم** منهم

وقد كان زيد الخيل قال في وقعته لبني عامر قصيدته التي يقول فيها

(وخيبة من يخيب على غني ... وباهلة بن أعصر والكلاب)

فلما أدركوا **ثارهم** أجابه طفيل الغنوي فقال

(سمونا بالجياد إلى أعاد ... مغاورة بجد واعتصاب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٣/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢١/١٧

(نؤمهم على وعث وشحط ... بقود يطلعن من النقاب)

وهي طويلة يقول فيها

(أخذنا بالمخطم من أتاهم ... من السود المزنمة الرغاب)

(وقتلنا سراتهم جهارا ... وجئنا بالسبايا والنهاب) ." (١)

" معاوية فأراده على البراءة من علي عليه السلام فامتنع عليه وقال

(يحاولني معاوية بن حرب ... وليس إلى الذي يهوى سبيل)

(على جحدي أبا حسن عليا ... وحظي من أبي حسن جليل)

قال وله أشعار كثيرة

قال أبو عمرو كان لتغلب رئيس يقال له الجرار وأدرك النبي وأبى الإسلام وامتنع منه فيقال إن رسول الله بعث إليه زيد الخيل وأمره بقتاله فمضى زيد فقاتله فقتله لما أبى الإسلام وقال في ذلك

(صبحت حي بني الجرار داهية ... ما إن لتغلب بعد اليوم جرار)

(نحوى النهاب ونحوي كل جارية ... كأن نقبتها في الخد دينار)

قال مؤرج خرج رجل من طيىء يقال له ذؤاب بن عبد الله إلى صهر له من هوازن فأصيب الرجل – وكان شريفا ذا رياسة في حيه – فبلغ ذلك زيدا فركب في نبهان ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بني عامر وجعل كلما أخذ أسيرا قال له ألك علم بالطائي المقتول فإن قال نعم قتله وإن قال لا خلى سبيله ومن عليه وأصاب رجالا من بني الوحيد والضباب وبني نفيل ثم رجع زيد إلى قومه فقالوا ما صنعت فقال ما أصبت بثأر ذؤاب ولا يبوء به إلا عامر ابن مالك ملاعب الأسنة فأما ابن الطفيل فلا يبوء به وأنشأ زيد يقول

(لا أرى أن بالقتيل قتيلا ... عامريا يفي بقتل ذؤاب)

(ليس من لاعب الأسنة في النقع ... وسمي ملاعبا بأراب)

(عامر ليس عامر بن طفيل ... لكن العمر رأس حي كلاب)

(ذاك إن ألقه أنال به الوتر ... وقرت به عيون الصحاب) ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥٩/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٦١/١٧

" فقال الملوك لأرياط قد أخبرناك أنه صنع ما قد ترى وقد أبيت إلا حسن الرأي فيه وقد أنصفك وكان أرياط قد عرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلا وكان أبرهة قصيرا دميما قبيحا منكر الجمة فاستحيا أرياط من الملوك أن يجبن فبرز بين الصفين ومشى أحدهما إلى صاحبه وحمل عليه أرياط فضرب أبرهة ضربة وقع منها حاجباه وعامة أنفه ووقع بين رجلي أرياط فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه فسكن الدم والتأم الجرح وأخذ عودا وجعله في فيه وقال أيها الملك إنما أنا شاة فاصنع ما أردت فقد أبصرت أمري ففرح أرياط بما صنع وكان أبرهة قد سم خنجرا وجعله في بطن فخذه كأنه خافية نسر

أبرهة يقتل أرياط

فلما رأى أبرهة أن أرياط قد أفلت عنه وهو ينظر يمينا وشمالا لئلا تراه ملوك الحبشة استل خنجره فطعنه في فرج درعه فأثبته وخر أرياط على قفاه وقعد أبرهة على صدره فأجهز عليه فسمي أبرهة الأشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وأنفه

فملك أبرهة عشرين سنة ثم ملك بعد أبرهة ابنه يكسوم ثم أخوه مسروق بن أبرهة وأمه ريحانة امرأة ذي يزن أم سيف بن يزن الحميري

تحرك سيف بن ذي يزن

فلما طال على أهل اليمن البلاء مشوا إلى سيف بن ذي يزن الحميري فكلموه في الخروج وقالوا إنا نجد فيما روت حمير عن خبر لسطيح أنه يوشك أن هذا البلاء يفرج بيد رجل من أهل بيتك ابن ذي يزن وقد رجونا أن ندرك بثأرنا فأنعم لهم فخرج إلى قيصر ملك الروم فكلمه أن ينصره على الحبشة فأبى ." (١)

" أدركوا منهم وتجهز على جريحهم

وأقبل وهرز يريد أن يدخل صنعاء وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء وكان اسم صنعاء أزال فلما قدمت الحبشة بنوها وأحكموها فقالت صنعة فسميت صنعاء وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يدخل منه فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيرا فقال لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب فهدم باب صنعاء ودخل ناصبا رايته وسير بها بين يديه فقال سيف بن ذي يزن ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع إليهم أبدا

فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب إلى كسرى يخبره إني قد ملكت للملك اليمن وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها ملوكهم وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جلود لها رائحة طيبة

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٨/١٧

كسرى يملك سيفا اليمن والحبشة يغتالونه

فكتب كسرى يأمره أن يملك سيفا ويقدم وهرز إلى كسرى

فخلف على اليمن سيفا فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويبقر نساءها عما في بطونها حتى أفناها إلا بقايا منها أهل ذلة وقلة فاتخذهم خولا واتخذ منهم جمازين بحرابهم بين يديه

فمكث كذلك غير كثير وركب يوما وتلك الحبشة معه ومعهم حرابهم يسعون بها بين يديه حتى إذا كان وسطا منهم مالوا عليه بحرابهم فطعنوه حتى قتلوه

وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر ولا يمس امرأة حتى يدرك ثأره من ." (١)

" الحبشة فجعلت له حلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الأخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرت يمينه وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة

وكان ملك أرياط عشرين سنة وملك أبرهة ثلاثا وعشرين سنة وملك يكسوم تسع عشرة سنة وملك مسروق اثنتي عشرة سنة فهذه أربع وسبعون سنة

وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين ورسول الله وآله ابن ثلاثين سنة أو نحوها لأن رسول الله ولد بعد قدوم الفيل بخمس وخمسين ليلة

ونسخت خبر مديحه سيفا بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه فاعتمدت هذه الرواية قال

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها لتهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد في ناس من وجوه قريش فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١١/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١٢/١٧

" له يقال له غمدان فأخبره الآذن بمكانهم فأذن لهم فدخلوا عليه وهو على شرابه وعلى رأسه غلام واقف ينثر في مفرقه المسك وعن يمينه ويساره الملوك والمقاول وبين يديه أمية بن أبي الصلت الثقفي ينشده قوله في هذه الأبيات

أمية يمدح سيفا

(لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن ... في البحر خيم للأعداء أحوالا)

(أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا)

(ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا)

(حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا)

(لله درهم من فتية صبروا ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا)

(بيض مرازبة غلب أساورة ... أسد تربت في الغيضات أشبالا)

(فالتط من المسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا)

(واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا)

(تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا)

بنو الأحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم إلى الآن يسمون بني الأحرار بصنعاء ويسمون باليمن الأبناء وبالكوفة الأحامرة وبالبصرة الأساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة

عبد المطلب يهنىء سيفا وسيف يسر إليه بأمارات ظهور النبي

فبدأ عبد المطلب فاستأذن في الكلام فقال له سيف بن ذي يزن إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته في أكرم موطن وأطيب معدن فأنت - أبيت اللعن - ملك ." (١)

"كسرى لهوذة رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١٣/١٧

قال هوذة أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت وهم قتلوا أبي فقال كسرى قد أدركت ثأرك فكيف لي بهم قال هوذة إن أرضهم لا تطيقها أساورتك وهم يمتنعون بها ولكن احبس عنهم الميرة فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جندا من أساورتك فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها فتصيبهم عند ذلك خيلك

ففعل كسرى ذلك وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ثم سرح إلى هوذة فأتاه فقال ائت هؤلاء فاشفني منهم واشتف وسرح معهم جوار بودار ورجلا من أردشير خره فقال لهوذة سر مع رسولي هذا فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين وهو حصن هجر

وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه فدنوا من حيطان المشقر ثم نودي إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة وقد أمر لكم بميرة فتعالوا فامتاروا فانصب عليهم الناس وكان أعظم من أتاهم بنو سعد فجعلوا إذا جاؤوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلا رجلا حتى يذهب به إلى المكعبر فتضرب عنقه وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل فيقال له ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر فإذا مر رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء أو رجل يرجوه قال للمكعبر هذا من قومي فيخليه له

فنظر خيبري بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون وتؤخذ أسلحتهم ." (١)

" أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

صوت

(أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر)

(وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال أمسى له وفر)

(أماوي إن يصبح صداي بقفرة ... من الأرض لا ماء لدي ولا خمر)

(ترى أن ما أنفقت لم يك ضائري ... وأن يدي مما بخلت به صفر)

عروضه من الطويل

الثراء الكثرة في المال وفي عدد القوم أيضا والوفر الغنى ووفور المال والصدى ها هنا كان أهل الجاهلية يذكرون أن طائرا يخرج من جسم الإنسان أو من رأسه فإذا قتل أقبل يصوت على قبره حتى يدرك بثأره والصفر الخالي والصدى العطش والصدى ما يجيب إذا صوت في المكان الخالي وصدأ الحديد مهموز

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢١/١٧

الشعر لحاتم الطائي والغناء لإسحاق رمل بالسبابة في مجرى البنصر وذكر الهشامي أن فيه ثقيلا أول ولمالك خفيفا وذكر حبش أن فيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالوسطى ." (١)

" فطعنه فقتله وقال

(فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا)

(رفعت له ما جر إذ جر موته ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا)

(أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا)

قال ابن سلام وهو الذي يقول

(يا هند يا أخت بني الصارد ... ما أنا بالباقي ولا الخالد)

(إن أمس لا أملك شيئا فقد ... أملك أمر المنسر الحارد)

في هذين البيتين لعبيد الله بن أبي غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي

خفاف والعباس بن مرداس

أخبرني عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الحجاج السلمي قال

كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن خفافا ." (٢)

" بلغني مقالتك يا خفاف والله لا أشتم عرضك ولا أسب أباك وأمك ولكني رام سوادك بما فيك وإنك لتعلم أني أحمي المصاف وأتكرم على السلب وأطلق الأسير وأصون السبية وأما زعمك أني أتقي بخيلي الموت فهات من قومك رجلا اتقيت به وأما استهانتي بسبايا العرب فإني أحذو القوم في نسائهم بفعالهم في نسائنا وأما قتلى الأسرى فإني قتلت الزبيدي بخالك إذ عجزت عن ثأرك وأما مكالبتي الصعاليك على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمت سالبه وأما تمنيك موتي فإن مت قبلك فأغن غنائي وإن سليما لتعلم أني أخف عليهم مؤونة وأثقل على عدوهم وطأة منك وإنك لتعلم أني أبحث حمى بني زبيد وكسرت قرني

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٦٢/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٢/١٨

الحارث وأطفأت جمرة خثعم وقلدت بني كنانة قلائد العار ثم انصرف فقال خفاف أبياتا لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله

(ولم تقتل أسيرك من زبيد ... بخالي بل غدرت بمستقاد)

(فزندك في سليم شر زند ... وزادك في سليم شر زاد)

فأجابه العباس بقوله

(ألا من مبلغ عني خفافا ... فإني لا أحاشي من خفاف)

(نكحت وليدة ورضعت أخرى ... وكان أبوك تحمله قطاف)

(فلست لحاصن إن لم نزرها ... تثير النقع من ظهر النعاف)

(سراعا قد طواها الأين دهما ... وكمتا لونها كالورس صاف)

قال ثم كف العباس وخفاف حتى أتى ابن عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائبا فقال يا عباس ما نقول فيك إلا خيرا إلا وهو ." (١)

" بعضهم يزيد والصحيح أنه يزيد لأن عباد بن زياد إنما ولي سجستان في أيام يزيد وقال بعضهم بل الذي ولاه معاوية وهو الذي ولى سعيد بن عثمان خراسان

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعبيد الله بن محمد الرازي قالا حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال

دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبي سفيان فقال علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني فوالله لأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وقد وليناك فما عزلناك وبنا نلت ما نلت فقال له معاوية أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله إن عثمان لخير مني وأما قولك إن أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلها وأن ينجب ولدها وأما قولك إنك خير من يزيد فوالله يا بني ما يسرني أن لي بيزيد ملء الغوطة مثلك وأما قولك إنكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني وإنما ولاني من هو خير منكم عمر فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم لقد قمت **بثأركم** وقتلت قتلة أبيكم وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ورفعت الوضيع منكم فكلمه يزيد في أمره فولاه خراسان

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٤/١٨

هجاؤه بني زياد

قالوا فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية وقال الآخرون إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح يقول له إن ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه في قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا وسب ولده فهرب من خراسان إلى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا ." (١)

" بالنعمان فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللزبات فقالوا لم يا أخا كندة قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ثم قام شاعرهم فقال

(إذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلا على من يفاخر)

(فمن قال كلا أو أتانا بخطة ... ينافرنا يوما فنحن نخاطر)

(تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر)

ثم قام بسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا ينقل قالوا ولم يا أخا شيبان قال لأنا أدركهم للثأر وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وألدهم للخصم ثم قام شاعرهم فقال

(لعمري لبسطام أحق بفضلها ... وأولى ببيت العز عز القبائل)

(فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا ... إذا جد يوم الفخر كل مناضل)

(ألسنا أعز الناس قوما وأسرة ... وأضربهم للكبش بين القبائل)

(فيخبرك الأقوام عنها فإنها ... وقائع ليست نهزة للقبائل)

(وقائع عز كلها ربعية ... تذل لهم فيها رقاب المحافل)

(إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها ... وعاذ بها من شرها كل قائل) ." (٢)

" (وإنا ملوك الناس في كل بلدة ... إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٧٠/١٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩٨/١٩

ثم قام حاجب بن زرارة فقال لقد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها فقالوا له بم ذاك يا أخا بني تميم قال لأنا أكثر الناس إذا نسبنا عددا وأنجبهم ولدا وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ثم قام شاعرهم فقال

(لقد عملت أبناء خندف أننا ... لنا العز قدما في الخطوب الأوائل)

(وأنا هجان أهل مجد وثروة ... وعز قديم ليس بالمتضائل)

(فكم فيهم من سيد وابن سيد ... أغر نجيب ذي فعال ونائل)

(فسائل أبيت اللعن عنا فإننا ... دعائم هذا الناس عند الجلائل)

ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم وأثبتهم في النائبات مقاوم قالوا ولم ذاك يا أخا بني سعد قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثأر وأنا لا ننكل إذ حملنا ولا نرام إذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال

(لقد علمت قيس وخندف كلها ... وجل تميم والجموع التي ترى)

(بأنا عماد في الأمور وأننا ... لنا الشرف الضخم المركب في الندى)

(وأنا ليوث الناس في كل مأزق ... إذا اجتر بالبيض الجماجم والطلى)

(وأنا إذا داع دعانا لنجدة ... أجبنا سراعا في العلا ثم من دعا)

(فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما ... وقيسا إذا مد الأكف إلى العلا) ." (١)

" (مهلا بني عمنا ظلامتنا ... إن بنا سورة من القلق)

(لمثلكم نحمل السيوف ولا ... تغمز أحسابنا من الدقق)

(إني لأنمي إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق)

(بيض سباط كأن أعينهم ... تكحل يوم الهياج بالعلق)

فقلت ما أفحل هذه الأبيات فلمن هي قال لضرار بن الخطاب الفهري قالها يوم الخندق وتمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين والحسين بن علي يوم قتل وزيد بن علي عليهم السلام ولحق القوم ثم مضى إلى باخمرى فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد فتمثل

(نبئت أن بني ربيعة أجمعوا ... أمرا خلالهم لتقتل خالدا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩٩/١٩

(إن يقتلوني لا تصب أرماحهم ... ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا)

(أرمي الطريق وإن صددت بضيقه ... وأنازل البطل الكمي الجاحدا)

فقلت لمن هذه الأبيات فقال للأحوص بن جعفر بن كلاب تمثل بها يوم شعب جبلة وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميما قال وأقبلت عساكر أبي جعفر فقتل من أصحابه وقتل من القوم وكاد أن يكون الظفر له ." (١)

" حكم الفزاري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن فقال ابن مسعدة لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير فقال له حسان أجزعت أن كان بيني وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك وبلغ حميدا قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب إليه من سليم وعامر

فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال بعثني عبد الملك بن مروان مصدقا فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم أو من استطاع منهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحوا من مائة ونيف فقال عويف القوافي

(منا الله أن ألقى حميد بن بحدل ... بمنزلة فيها إلى النصف معلما)

(لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سريجية يعجمن في الهام معجما)

(ألا ليت أني صادفتني منيتي ... ولم أر قتلى العام يا أم أسلما)

(ولم أر قتلى لم تدع لي بعدها ... يدين فما أرجو من العيش أجذما)

(وأقسم ما ليث بخفان خادر ... بأشجع من جعد جنانا ومقدما)

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ ." (٢)

" تلك الحال فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له عكب وأمره بقتله فعذبه حتى قتله فقال المنخل يحرض قومه عليه

(ألا من مبلغ الحيين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٤/١٩

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢١٦/١٩

(فإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا رويتم أبدا صديا)

وقال أيضا

(ظل وسط الندي قتلى بلا جرم ... وقومي ينتجون السخالا)

وقال في المتجردة

(ديار للتي قتلتك غصبا ... بلا سيف يعد ولا نبال)

(بطرف ميت في عين حي ... له خبل يزيد على الخبال)

وقال أيضا

(ولقد دخلت على الفتاة ... الخدر في اليوم المطير)

(الكاعب الحسناء تر ... فل في الدمقس وفي الحرير)

(دافعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير)

(ولثمتها فتنفست ... كتنفس الظبي البهير)

(ورنت وقالت يا منخل ... هل بجسمك من فتور) ." [1]

" قيدا فجعلت إحدى حلقتيه في رجله والأخرى في رجلها وغفلت الوليدة عن ترقب النعمان لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد وأقبل النعمان حينئذ ولم يطل في مكثه كما كان يفعل فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المنخل قد قيدت رجلها ورجله بالقيد فأخذه النعمان فدفعه إلى عكب صاحب سجنه ليعذبه – وعكب رجل من لخم – فعذبه حتى قتله وقال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات وبعث بها إلى ابنيه

(ألا من مبلغ الحرين عني ... بأن القوم قد قتلوا أبيا)

(وإن لم تثأروا لي من عكب ... فلا أرويتما أبدا صديا)

(يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا)

قال ابن حبيب وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل والقول الأول أصح

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجردة وأولها قوله

(إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري)

(لا تسألي عن جل ما ... لي وأذكري كرمي وخيري)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢١/٨

(وإذا الرياح تناوحت ... بجوانب البيت الكسير)

(ألفيتني هش الندي ... بمر قدحي أو شجيري)

الشجير القدح الذي لم يصلح حسنا ويقال بل هو القدح العارية ." (١)

" الأسكر يقال لهم بنو زبينة أصابهم أصحاب النبي يوم المريسيع في غزوته بني المصطلق وكانوا جيرانه يومئذ – ومعهم ناس من بني لحيان من هذيل ومع بني جندع رجل من خزاعة يقال له طارق فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم وكانت خزاعة مسلمها ومشركها يميلون إلى النبي على قريش فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعي

(لعمرك إني والخزاعي طارقا ... كنعجة عاد حتفها تتحفر)

(أثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تجزر)

(شمت بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أعسر)

(كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة ... ويوم الرجيع إذ تنحر حبتر)

(فهلا أباكم في هذيل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوبا وأوتر)

(ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الديل عبد ويعمر)

(وسعد بن ليث إذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نحروكم وعقروا)

(عجبت لشيخ من ربيعة مهتر ... أمر له يوم من الدهر منكر)

فأجابه طارق الخزاعي فقال

(لعمرك ما أدري وإني لقائل ... ألى أي من يظنني أتعذر) ." (٢)

" (فأبت إلى فهم وما كنت آئبا ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفر)

(إذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر)

(ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الأمر إلا وهو للحزم مبصر)

(فذاك قريع الدهر ما كان حولا ... إذا سد منه منخر جاش منخر)

(فإنك لو قايست باللصب حيلتي ... بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٧/٢١

قتل هو وأصحابه نفرا من العوص

وقال أيضا في حديث تأبط شرا إنه خرج في عدة من فهم فيهم عامر ابن الأخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى بيتوا العوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفرا وأخذوا لهم إبلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلا فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى قال لا أرى لكم إلا صدق الضراب فإن ظفرتم فذاك وإن قتلتم كنتم قد أخذتم ثأركم قال تأبط شرا بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم فحملوا ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت وأقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز فقال تأبط شرا في ذلك ." (١)

" (وتلك لئن عنيت بها رداح ... من النسوان منطقها رخيم)

(نياق القرط غراء الثنايا ... وريداء الشباب ونعم خيم)

(ولكن فات صاحب بطن رهو ... وصاحبه فأنت به زعيم)

(أؤاخذ خطة فيها سواء ... أبيت وليل واترها نؤوم)

(ثأرت به وما اقترفت يداه ... فظل لها بنا يوم غشوم)

(نحز رقابهم حتى نزعنا ... وأنف الموت منخره رميم)

(وإن تقع النسور علي يوما ... فلحم المنفي لحم كريم)

(وذي رحم أحال الدهر عنه ... فليس له لذي رحم حريم)

(أصاب الدهر آمن مروتيه ... فألقاه المصاحب والحميم)

(مددت له يمينا من جناحي ... لها وفر وكافية رحوم)

(أواسيه على الأيام إني ... إذا قعدت به اللؤما ألوم)

رثاؤه لأخيه عمرو

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغل وهي سوق كانت العرب ." (٢)

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٢/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٥/٢١

" تجتمع بها قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شرا لمن حضر من قومه لا واللات والعزى لا أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما فأطردوا إبلا لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل فقال عمرو أنا كار على القوم ومنهنهم عنكما فامضيا بالإبل فكر عليهم فنهنهم طويلا فجرح في القوم رئيسا ورماه رجل من بني عتير بسهم فقتله فقالت بنو عتير هذا عمرو بن جابر ما تصنعون أن تلحقوا بأصحابه أبعدها الله من إبل فإنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا فيكونوا قد أخذوا **الثأر** فرجعوا ولم يجاوزوه وكانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا فقال تأبط لما بلغه قتل أخيه

(وحرمت النساء وإن أحلت ... بشور أو بمزج أو لصاب)

(حياتي أو أزور بني عتير ... وكاهلها بجمع ذي ضباب)

(إذا وقعت لكعب أو خثيم ... وسيار يسوغ لها شرابي)

(أظني ميتا كمدا ولما ... أطالع طلعة أهل الكراب)

(ودمت مسيرا أهدي رعيلا ... أؤم سواد طود ذي نقاب)

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي

(لعلك أن تجيء بك المنايا ... تساق لفتية منا غضاب)

(فتنزل في مكرهم صريعا ... وتنزل طرقة الضبع السغاب) ." (١)

" (تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب)

ثم إن السمع بن جابر أخا تأبط شرا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير **ليثأر** بأخيه عمرو بن جابر حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم فسأله عنهم فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم فبيتهم فلم يفلت منهم مخبر واستاقوا أموالهم فقال في ذلك السمع بن جابر

(بأعلى ذي جماجم اهل دار ... إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا)

(طرقتهم بفتيان كرام ... مساعير إذا حمي المقام)

(متى ما أدع من فهم تجبني ... وعدوان الحماة لهم نظام)

أصابته في غارته على الأزد

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٦/٢١

ذكروا أن تأبط شرا خرج ومعه مرة بن خليف يريدان الغارة على الأزد وقد جعلا الهداية بينهما فلما كانت هداية مرة نعس فجار عن الطريق ومضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصيح الطير عليها وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شرا هلكنا واللات يا مرة ما وطيء هذا المكان إنس قبلنا ولو وطئته إنس ما باضت الطير بالأرض فاختر أية هاتين القنتين شئت وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما وتصعد أنت الأخرى فإن رأيت الحياة فألح بالثوب وإن رأيت الموت فألح بالسيف فإني فاعل مثل ذلك فأقاما يومين ثم إن تأبط شرا ألاح بالثوب وانحدرا حتى التقيا في سفح الجبل فقال مرة ما رأيت يا ثابت قال دخانا أو جرادا قال مرة ." (١)

" (فعاذ بحد السيف صاحب أمرهم ... وخلوا عن الشيء الذي لم يحاولوا)

(وأخطأهم قتلي ورفعت صاحبي ... على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل)

(وأخطأ غنم الحي مرة بعدما ... حوته إليه كفه والأنامل)

(يعض على أطرافه كيف زوله ... ودون الملا سهل من الأرض ماثل)

(فقلت له هذي بتلك وقد يرى ... لها ثمنا من نفسه ما يزاول)

(تولول سعدى أن أتيت مجرحا ... إليها وقد منت علي المقاتل)

(وكائن أتاها هاربا قبل هذه ... ومن غانم فأين منك الولاول)

أراد هو وأصحابه الأخذ بثأر صاحبيهم

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط والمسيب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة والأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب وسعد بن الأشرس فخرج تأبط والمسيب بن كلاب وعامر بن الأخنس وعمرو بن براق ومرة ابن خليف والشنفرى بن مالك والسمع وكعب حدار ابنا جابر أخوا تأبط فمضوا حتى أغاروا على العوص فقتلوا منهم ثلاثة نفر فارسين وراجلا وأطردوا لهم إبلا وأخذوا منهم امرأتين فمضوا بما غنموا حتى إذا كانوا على يوم وليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا فيهم أبي بن جابر الخثعمي وهو رئيس القوم فقال تابط يا قوم لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا وقال عامر بن الأخنس عليكم بصدق الضراب وقد أدركتم بثأركم وقال ." (٢)

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٧/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٩/٢١

" قوسك فوضع قوسه فأوترها فقال تأبط لأصحابه

اسكتوا واستمع فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله أسمع حطيط وتر قوس قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله إني لأسمعه يا قوم النجاء قالوا لا والله ما سمعت شيئا فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر وبيتهم بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس

قال ابن عمير وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس فزعموا أنه مات على فراشه

فلما رجع تأبط قالت له امرأته تركت أصحابك فقال حينئذ

(ألا عجب الفتيان من أم مالك ... تقول لقد أصبحت أشعث أغبرا)

مصرعه على يد غلام

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال والله ما يمس رأسي غسل ولا دهن حتى أثأر بهم فخرج في نفر من قومه حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل فقال اغنموا هذا البيت أولا قالوا لا والله ما لنا فيه أرب ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها فقال إني أتفاءل أن أنزل ووقف وأتت به ضبع من يساره فكرهها وعاف على غير الذي رأى فقال أبشري أشبعك من القوم غدا فقال له أصحابه ويحك انطلق فوالله ما نرى أن نقيم عليها قال لا والله لا أريم حتى أصبح وأتت ." (١)

" (ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض)

(ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلا ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض)

(ولكنه قد نازعته مجاوع ... على أنه ذو مرة صادق النهض)

قال ثم إن أبا خراش وأخاه عروة استنفرا حيا من هذيل يقال لهم بنو زليفة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيهما فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى وكانت به حمى الربع فجعل عروة يقول

(أصبحت موروداً فقربوني ... الى سواد الحي يدفنوني)

(إن زهيرا وسطهم يدعوني ... رب المخاض واللقاح الجون)

فلبثوا إلى أن سكنت الحمى ثم بيتوا ثمالة فوجدوهم خلوفا ليس فيهم رجال فقتلوا من وجدوا من الرجال وساقوا النساء والذراري والأموال وجاء الصائح إلى ثمالة عشاء فلحقوهم وانهزم أبو خراش وأصحابه وانقطعت

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٥/٢١

بنو زليفة فنظر الأكنع الثمالي – وكان مقطوع الأصبع – إلى عروة فقال يا قوم ذلك والله عروة وأنا والله رام بنفسي عليه حتى يموت أحدنا وخرج يمعج نحو عروة فصلح عروة بأبي خراش أخيه أي ." (١)

" (رأيت بني العلات لما تضافروا ... يحوزون سهمي دونهم بالشمائل)

أخبار سائر إخوته

قالوا وأما أبو الأسود فقتلته فهم بياتا تحت الليل وأما الأبح فكان شاعرا فأمسى بدار بعرعر من ضيم فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي ابن الديل فخرج بقوم من عشيرته يريده ومن معه فوجدوهم قد ظعنوا وكان بين بني عبد بن عدي بن الديل وبينهم حرب فقال الأبح في ذلك

(لعمرك ساري بن أبي زنيم ... لأنت بعرعر الثأر المنيم)

(تركت بني معاوية بن صخر ... وأنت بمربع وهم بضيم)

(تساقيهم على رصف وظر ... كدابغة وقد حلم الأديم)

رصف وظر ماءان ومربع وضيم موضعان

(فلم نتركهم قصدا ولكن ... فرقت من المصالت كالنجوم)

(رأيتهم فوارس غير عزل ... إذا شرق المقاتل بالكلوم)

فأجابه سارية قال ." (٢)

" (لعلك يا أبح حسبت أني ... قتلت الأسود الحسن الكريما)

(أخذتم عقلة وتركتموه ... يسوق الظمي وسط بني تميما)

عيرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيهم وأنهم لم يدركوا بثأره وبنو تميم من هذيل

قالوا وأما جنادة وسفيان فماتا وقتل عمرو ولم يسم قاتله قالوا وأمهم جميعا لبنى إلا سفيان بن مرة فإن أمه أم عمرو القردية وكان أيسر القوم وأكثرهم مالا

وقال أبو عمرو وغزا أبو خراش فهما فأصاب منهم عجوزا وأتى بها منزل قومه فدفعها إلى شيخ منهم وقال احتفظ بها حتى آتيك وانطلق لحاجته فأدخلته بيتا صغيرا وأغلقت عليه وانطلقت فجاء أبو خراش وقد ذهبت فقال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٤/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٦/٢١

(سدت عليه دولجا ثم يممت ... بني فالج بالليث أهل الخزائم)

الدولج بيت صغير يكون للبهم والليث ماء لهم والخزائم البقر واحدتها خزومة

(وقالت له دنخ مكانك إنني ... سألقاك إن وافيت أهل المواسم)

يقال دنخ الرجل ودمخ إذا أكب على وجهه ويديه

وقال أبو عمرو دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش وهو يلاعب ابنه فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ولهوت مع ابنك أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك ولطلب قاتلك حتى يقتله فبكى أبو خراش وأنشأ يقول ." (١)

" (لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل)

(وقالت أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل)

(فلا تحسبي أني تناسيت فقده ... ولكن صبري يا أميم جميل)

(ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... نديما صفاء مالك وعقيل)

(أبى الصبر أنى لا يزال يهيجني ... مبيت لنا فيما خلا ومقيل)

(وأني إذا ما الصبح آنست ضوءه ... يعاودني قطع علي ثقيل)

قال أبو عمرو فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة ابن عدي بن الديل حينا من الدهر ثم أنهم هموا بأن يغدروا به وكانت له إبل كثيرة فيها أخوه جنادة فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة وإذا به كلوم فقال له أبو جندب مالك فقال ضربني رجل من جيرانك فأقبل أبو جندب حتى أتى جيرانه من بني نفاثة فقال لهم يا قوم ما هذا الجوار لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا أيتجاور أهل الأعراض بمثل هذا

فقالوا أو لم يكن بنو لحيان يقتلوننا فوالله ما قرت دماؤنا وما زالت تغلي والله إنك للثأر المنيم فقال أما إنه لم يصب أخي إلا خير ولكنما هذه معاتبة لكم وفطن للذي يريد القوم من الغدر به وكان بأسفل دفاق فأصبحوا ظاعنين وتواعدوا ماء ظر فنفذ الرجال إلى الماء وأخروا ." (٢)

" (وإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل)

(وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٧/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٨/٢١

(ألا حبذا من عنده القلب في كبل ... ومن حبه داء وخبل من الخبل)

(ومن هو لا ينسى ومن كل قوله ... لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل)

(ومن إن نأى لم يحدث النأي بغضه ... ومن إن دنا في الدار أرصد بالبذل)

وأما خبر السمهري ومقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال

خبر مصرع السمهري

لقي السمهري بن بشر بن أقيش بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل ومروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم من طي بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة فقالوا له العراضة أي مر لنا بشيء فقال يا غلام جفن لهم فقالوا لا والله ما الطعام نريد فقال عرضهم فقالوا ولا ذلك نريد فارتاب بهم فأخذ السيف فشد عليهم وهو صائم وكان بهدل لا ." (١)

" يقول

(أيا بني الزنية ما غركم ... فلكم الويل بسربال حجر)

ثم استمر بعد ذلك في الشعر وكان شاعر بني أسد غير مدافع

امرؤ القيس يرفض دية أبيه ويهدد بني أسد فينشد عبيد بن الأبرص

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد أو يمهلهم حولا فقال أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر وأما النظرة فلكم ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى أشفي نفسي وأنال ثأري

فقال عبيد بن الأبرص في ذلك

صوت

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٨/٢١

(يا ذا المخوفنا بقتل ... أبيه إذلالا وحينا) ." (١)

" (أناة وحملا وانتظارا بكم غدا ... فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر)

(أظن صروف الدهر و الجهل منهم ... ستحملهم مني على مركب وعر)

فليت شعري أسما عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها أم رام الخلافة أن ينالها وأوشك أن يوهن الله شوكته فاستعن بالله واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

قال مؤلف هذا الكتاب الشعر الذي تمثل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمي والشعر الذي تمثل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي عن احمد بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال

قتلت نهد أخا وعلة الجرمي فاستعان بقومه فلم يعينوه فاستعان بحلفاء من بني نمير و كانوا له حلفاء و إخوانا فأعوناه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك

(سائل مجاور جرم هل جنيت لها ... حربا تزيل بين الجيرة الخلط)

(أم هل علوت بجرار له لجب ... يغشى المخارم بين السهل والفرط)

(حتى تركت نساء الحي ضاحية ... في ساحة الدار يستوقدن بالغبط)

فراره من قيس بن عاصم

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال ." (٢)

" يمشي رويدا وتقدمت إبله فذهبت وإنما يريد أن يباعده عنها بوادي حنين ثم قال له العديل والله لقد استرخى حقب رحلي أنزل فأغير الرحل وتعينني فنزل فغير الرحل وجعل دابغ يعينه حتى إذا شد الرحل أخرج العديل السيف فضربه حتى برد ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول

(ألم تربي جللت بالسيف دابغا ... وإن كان ثأرا لم يصبه غليلي)

(بوادي حنين ليلة البدر رعته ... بأبيض من ماء الحديد صقيل)

(وقلت لهم هذا الطريق أمامكم ... ولم أك إذ صاروا لهم بدليل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٧/٢٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٢/٢٢

وقال أبو اليقطان كان العديل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه

(أهاجي بني جلان إذ لم يكن لها ... حديث ولا في الأولين قديم)

فأجابه جرثومة فقال

(وإن امرأ يهجو الكرام ولم ينل ... من الثأر إلا دابغا للئيم)

(أتطلب في جلان وترا ترومه ... وفاتك بالأوتار شر غريم)

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف وطالبه بالقود فيه فهرب العديل من الحجاج إلى بلد الروم فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر فأمنه فقال في الحجاج

(أخوف بالحجاج حتى كأنما ... يحرك عظم في الفؤاد مهيض) ." (١)

" أخبار صخر الغي ونسبه

هو صخر بن عبد الله الخيثمي أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل هذا أكثر ما وجدته من نسبه ولقب بصخر الغي لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره

مناسبة قصيدة له

فمن روى هذه القصيدة له ذكر أن السبب فيها أن جارا لبني خناعة بن سعد بن هذيل من بني الرمداء كان جاورهم رجل من بني مزينة وقيل إنه كان جارا لأبي المثلم الشاعر وهو أخوهم فقتله صخر الغي فمشى أبو المثلم إلى قومه وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزني والإدراك بثأره فبلغ ذلك صخرا فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلم وما فعله فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول

(ولست عبدا للموعدين ولا ... أقبل ضيما أتى به أحد)

(جاءت كبير كيما أخفرها ... والقوم صيد كأنهم رمدوا)

(في المزني الذي حششت به ... مال ضريك تلاده نكد)

(إن أمتسكه فبالفداء وإن ... أقتل بسيفي فإنه قود) ." (٢)

" (ايا ثارات من قتلته سعدى ... دمي لا تطلبوه لها حلال)

(أرق لها وأشفق بعد قتلي ... على سعدى وإن قل النوال)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢/٣٣٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢/٣٤٧

(وما جادت لنا يوما ببذل ... يمين من سعاد ولا شمال)

ومن قوله فيها أيضا

(يا بنت أزهر إن ثأري طالب ... بدمي غدا والثأر أجهد طالب)

(فإذا سمعت براكب متعصب ... ينعي قتيلك فافزعي للراكب)

(فلأنت من بين الأنام رميتني ... عن قوس متلفة بسهم صائب)

(لا تأمني شم الأنوف وترتهم ... وتركت صاحبهم كأمس الذاهب)

(من كان أصبح غالبا لهوى التي ... يهوى فإن هواك أصبح غالبي)

(قالت وأسبلت الدموع لتربها ... لما اغتررت وأومأت بالحاجب)

(قولي له بالله يطلق رحله ... حتى يزود أو يروح بصاحب)

وقال فيها أيضا

(أرق العين من الشوق السهر ... وصبا القلب إلى أم عمر)

(واعترتني فكرة من حبها ... ويح هذا القلب من طول الفكر)

(قدر سيق فمن يملكه ... أين من يملك أسباب القدر)

(كل شيء نالني من حبها ... إن نجت نفسي من الموت هدر)

وقال أيضا ." (١)

" رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا ثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القاتل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا والله بنعمته إخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان شتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون ويزفون

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٨٣/٢٣

قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون

وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أما إماما جائرا يا أهل المدينة من زعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب

يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم ." (١)

" متعجلا مخفا

ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال إنا لله قتلت والله ابن عطية هو الآن يخرج مخفا متعجلا ليلحق الحج فيقتله الخوارج

فكان كما قال تعجل في بضعة عشر رجلا فلما كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة فمن كان من تلك الجماعة إباضيا عرفه فقال ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ومن لم يكن إباضيا ظنه من الإباضية وأنه منهزم فلما علم أنهم يريدونه قال لهم ويحكم أنا عامل أمير المؤمنين على الحج فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه ونصبت الإباضية رأسه فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته على الحج فأخذوا من الإباضية رأسه ودفنوه مع جسده

قال المدائني خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس في جماعة من قومهما من كندة وعرفه جمانة لما لقيه فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له رمانة وثلاثة من مراد وخمسة من كندة وقد توجه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه

وتوجه باقيهم في طريق آخر فقصدوا حيث توجه ابن عطية ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلا منهم فأدركوهم فقتلوهم وأدرك سعيد وجمانة وأصحابهما ابن عطية فعطف عبد الملك على سعيد فضربه وطعنه جمانة فصرعه عن فرسه ونزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيرا فقال يا عدو الله أترى الله كان يمهلك أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجا وأبرهة فقتله وقتل أصحابه جميعا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣/٢٤٩

وبعثوا برأسه إلى حضر موت وبلغ ابن أخيه وهو بصنعاء خبره

فأرسل شعيبا البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان وبقر بطون النساء وأخذ الأموال وأخرب القرى

وجعل يتتبع البري والنطف حتى لم يبق أحد من قتله ابن عطية ولا ." (١)

" (وأفلتنا ركضا حميد بن بحدل ... على سابح غوج اللبان مثابر)

(إذا انتقصت من شأوه الخيل خلفه ... ترامى به فوق الرماح الشواجرا)

(لدن غدوة حتى نزلنا عشية ... يمر كمريخ الغلام المخاطر)

وقال عمير

(يا كلب لم تترك لكم أرماحنا ... بلوى السماوة فالغوير مرادا)

(يا كلب أحرمنا السماوة فانظري ... غير السماوة في البلاد بلادا)

(ولقد صككنا بالفوارس جمعكم ... وعديدكم يا كلب حتى بادا)

(ولقد سبقت بوقعة تركتكم ... يا كلب بالحرب العوان بعادا)

وقال زفر بن الحارث

(جزى الله خيرا كلما ذر شارق ... سعيدا ولاقته التحية والرحب)

(وحلحله المغوار لله جده ... فلو لم ينله القتل بادت إذن كلب)

(بني عبد ود لا نطالب ثأرنا ... من الناس بالسلطان إن شبت الحرب)

(ولكن بيض الهند تسعر نارنا ... إذا ما خبت نار الأعادي فما تخبو)

(أبادتكم فرسان قيس فما لكم ... عديد إذا عد الحصى لا ولا عقب)

(بأيديهم بيض رقاق كأنها ... إذا ما انتضوها في أكفهم الشهب)

(فسبوهم إن أنتم لم تطالبوا ... بثأركم قد ينفع الطالب السب)

(وما امتنع الأقوام عنا بنأيهم ... سواء علينا النأي في الحرب والقرب)

وقال عمير ." (٢)

" (لقد هاجني طيف لداود بعدما ... دنت فاستقلت تاليات الكواكب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٦٩/٢٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٧/٢٤

(وما في ذهول النفس عن غير سلوة ... رواح من السقم الذي هو غالبي)

(وعندك لو يحيا صداك فنلتقي ... شفاء لمن غادرت يوم التناضب)

(فهل لك طب نافعي من علاقة ... تهيمني بين الحشا والترائب)

(تشكيتها إذ صدع الدهر شعبنا ... فأمست وأعيت بالرقى والطبائب)

(ولولا يقيني أنما الموت عزمة ... من الله حتى يبعثوا للمحاسب)

(لقلت له فيما ألم برمسه : ... هل أنت غدا غاد معي فمصاحبي)

(وماذا ترى في غائب لا يغبني ... فلست بناسيه وليس بآئب)

(سألت مليكي إذ بلاني بفقده ... وفاة بأيدي الروم بين المقانب)

(ثنوني وقد قدمت ثأري بطعنة ... تجيش بموار من الجوف ثاعب)

(فقد خفت أن ألقي المنايا وإنني ... لتابع من وافى حمام الجوالب)

(ولما أطاعن في العدو تنفلا ... إلى الله أبغي فضله وأضارب)

(وأعطف وراء المسلمين بطعنة ... على دبر مجل من العيش ذاهب)

وقال أبو عمرو

بلغ أبا صخر أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال أبو صخر في ذلك ." (١)

" وعلى أن فيك بحمد الله بقية تسر الودود وترغم الحسود

كان له ابنان المسيب وعبد السلام

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال

كان للقتال ابنان يقال لأحدهما المسيب وللآخر عبد السلام ولعبد السلام يقول

(عبد السلام تأمل هل ترى ظعنا ... إني كبرت وأنت اليوم ذو بصر)

(لا يبعد الله فتيانا أقول لهم ... بالأبرق الفرد لما فاتني نظري)

(ألا ترون بأعلى عاسم ظعنا ... نكبن فحلين واستقبلن ذا بقر)

يعير أخواله بفعلتهم

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٤/٢٤

وقال أبو زيد عمر بن شبة من رواية ابن داود عنه حدثني سعيد بن مالك قال حدثني شداد بن عقبة قال

اقتتل بنو جعفر بن كلاب وبنو العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة فقتلت بنو جعفر بن كلاب رجلا من بني العجلان قال شداد وكانت جدة القتال أم أبيه عجلانية وهي خولة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان في الطلب **بثأرهم** من بني جعفر وجعل يحضهم ويحرضهم فقال في ذلك وقد بلغه أنهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول فعيرهم بما فعلوا وقال ." (١)

" على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم في قعودهم عن المطالبة **بثأر** لهم قبل بني جعفر بن كلاب

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة عن حميد بن مالك عن أبي خالد الكلابي قال

كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر أسلم فحسن إسلامه ووفد إلى النبي فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية والسعدية ماء لعمرو بن سلمة والشقراء ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال فأقطعه إياها فأحماها ابنه جحوش فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب خيلهم وفيهم أحدر بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر فأرعاهم فحملوا نعمهم مع خيلهم بغير إذنه فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم منه فقاتلوه فكانت بينهم شجاج بالعصي والحجارة من غير رمي ولا طعان ولا تسايف فظهر عليهم جحوش ثم تداعوا إلى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعا الجراحات فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعيد في حلقه سلعة وهو شنج متنح عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقيه فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحارث فلقيهم قراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك وابن عمه أبو ذر بن أشهل ورجل آخر من الجعفريين فحمل قراد على سعيد فطعنه فقتله فحذف محرز ابن يزيد فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابهم الجعفريين ." (٢)

" وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب في رأس جرعاء طويلة فاجتمعت إليه بنو أبي بكر وخرج قراد هاربا إلى بشر بن مروان وهو ابن عمته حتى إذا كان بالقنان حميت عليه الشمس فأناخ إلى بيت امرأة من بني

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤٥/٢٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٨/٢٤

أسد فقال في بيتها فبينا هو نائم إذ نبهته الأسدية فقالت له ما دهاك ويحك انظر إلى الطير تحوم حول ناقتك فخرج يمشي إلى ناقته فإذا هي قد خدجت والطير تمزق ولدها فجاء فأخبرها فقالت إن لك لخبرا فأصدقني عنه فلعله أن يكون لك فيه فائدة فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه فقال أخ لي يقال له جبأة وهو أحب الناس إلي

قالت فإنه في أيدي أعدائك فارجع أو امض فخرج لوجهه إلى بشر

قال ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وعيرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر فقال لهم الجعفريون يا قومنا ما لنا في قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جبأة فاقتلوه فرضوا بذلك فأخذوا جبأة فلما صاروا بأسود العين قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعيد

قصيدة تحريض

ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويلة

(فيا لأبي بكر ويا لجحوش ... ولله مولى دعوة لا يجابها)

(أفي كل عام لا تزال كتيبة ... ذؤيبية تهفو عليكم عقابها)

(لهم جزر منكم عبيط كأنه ... وقاع الملوك فتكها واغتصابها) ." (١)

" سوءا فامض لطيتك ولكن الوتر معك فإن لنا فيهم ثأرا فقال فروة فأنا إذا كما قال ابن المراغة

(ما في السوية أن تجر عليهم ... وتكون يوم الروع أول صادر)

فلم يزل يحمي أصحابه وينكي في القوم حتى اضطرهم إلى قتله وكان جمعهم أضعاف جمعه

أخبرني محمد قال حدثني الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال

قيل لعمارة أقتلت فروة فقال والله ما قتلته ولكني أقتلته أي سببت له سببا قتل به

بالغ في وصف كرمه فلامه المأمون

أخبرني محمد قال حدثنا الحسن قال حدثني محمد بن عبد الله قال حدثني عمارة قال

رحت إلى المأمون فكان ربما قرب إلي الشيء من الشراب أشربه بين يديه وكان يأمر بكتب كثير مما أقوله فقال لي يوما كيف قلت قالت مفداة ونظر إلي نظرا منكرا فقلت يا أمير المؤمنين مفداة امرأتي وكانت نظرت إلي وقد افتقرت وساءت حالي قال فكيف قلته فأنشدته

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/١٥٩

(قالت مفداة لما أن رأت أرقي ... والهم يعتادني من طيفه لمم)

(أنهيت مالك في الأدنين آصرة ... وفي الأباعد حتى حفك العدم) ." (١)

" يدخل رجليه في يدي سرباله فقال له رجل منهم لم تلبس هذا اللبس وجعل يعلمه كيف يلبس وكان يقال إن به طرقة يعني جنونا فقال

(البس لكل عيشة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها)

فلطمه الرجل الذي كان لطمه مرة أخرى فقال له بيهس لو نكلت عن الأولى لم تعد إلى الثانية فقال بعضهم إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل فخلوا عنه فخلوه فلما أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه فقال يا حبذا التراث لولا الذلة فذهبت مثلا فاجتمع عليه الغم مع ما به من قلة العقل فجعلت أمه تعاتبه ويشتد عليها ذلك منه فقالت لو كان فيك خير لقتلت مع قومك فقال لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا ثم جمع جمعا وغزا القوم الذين وتروه ومعه خال له فوجدوهم في وهدة من الأرض كبيرة فدفعه خاله عليهم وكان جسيما طويلا وإنما سمي نعامة لذلك فقاتل القوم وهو يقول مكره أخوك لا بطل فذهبت مثلا وقتل القوم وأدرك بثأره

وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الأمثال روي مثله عن أبي عبيدة وروى هذا الخبر أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام واللفظ ليعقوب وروايته أتم الروايات قال

كان بيهس وهو رجل من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس من أشجع بن ريث بن غطفان وبينهم حرب وهم في إبلهم فقتلوا ستة نفر منهم وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فأرادوا قتله ثم قالوا ما تريدون من قتل مثل هذا أيحسب عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال دعوني أتوصل معكم إلى الحي ." (٢)

" إن الذي قتل طرفة رجل من عبد القيس ثم من الحواثر يقال له أبو ريشة وإن الحواثر ودته إلى أبيه وقومه لما كان من قتل صاحبهم إياه

وقال ابن الكلبي

الحواثر هم ربيعة وجبيل ابنا عمرو بن عوف بن وديعة بن لكيز ابن أفصى بن عبد القيس وعمرو بن عوف بن عمرو بن عوف ابن بكر بن عوف بن أنمار

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٧/٢٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٣/٢٤

وحوثرة هو ربيعة بن عمرو وإنما حضر هؤلاء معه فسموا الحواثر والحوثرة حشفة الرجل وإنما سمي حوثرة لأنه ساوم بقدح بعكاظ أو بمكة فاستصغره فقال لصاحبه لو وضعت فيه حوثرتي لملاته فبذلك سمي حوثرة

ومعبد بن العبد أخو طرفة

وقال ابن الكلبي

كان عمرو بن هند ودى طرفة من نعم كان أصابه من الحواثر

يقول لن يغسل عنكم العار أخذكم الدية دون أن تثأروا به وتقتلوا عمرو بن هند الذي هو كالحمار أعرض جنبه للرمح أي أمكن

وروى أبو عبيدة قبل خطة معصد بالصاد غير المعجمة أي

يفعل به من العصد وهو النكاح يريد به عمرو بن هند

وقال غيرهم

إن عمرو بن هند انتفى من قتل طرفة وزعم أنه لم يأمر الحوثري بقتله فأخذت ديته من الحوثري لأنه قتل بيده فدفعت إلى معبد بن العبد أخي طرفة ." (١)

"وابن الرومي وابن المعتز أخذاه من قول أبي نواس:

بانوا وفيهم شموس دجن ... تنعل أقدامها القرون

تعوم أعجازهن عوما ... وتنثني فوقها المتون

وأبو نواس أخذه من ذي الرمة حيث قال:

إذا انجردت إلا من الدرع فارتدت ... غدائر ميال القرون سخام

وأخذه ذو الرمة من الأعشى حيث قال:

إذا جردت يوما حسبت خميصة ... عليها وجريال النضير الدلامصا

حمزة البكري:

قامت تريك ابنة البكري ذا غدر ... يستمطر البان منها واليلنجوج

وحف منابته رسل مساقطه ... محلولك اللون غربيب وديجوج

اليعقوبي:

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/٢٤٤

جعودة شعرها تحكي غديرا ... تصفقه الجنوب على الشمال

ابن لنكك:

هل طالب ثأر من قد أهدرت دمه ... بيض عليهن نذر قتل من عشقا

من العقائل ما يخطرن عن عرض ... إلا أرينك في قد قنا ونقا

رواعف بخدود زانها سبج ... قد زرفن الحسن في أصداغها حلقا

نواشر في الضحى من فرعها غسقا ... وفي ظلام الدجى من وجهها فلقا

أعرن غيد ظباء روعت غيدا ... والورد توريد لون، والمها حدقا

المتنبي:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

ابن دريد:

غراء لوجلت الخدود شعاعها ... للشمس عند طلوعها لم تشرق

غصن على دعص تبدى فوقه ... قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن: احتكم لم يعدها ... أو قيل: خاطب غيرها لم ينطق

فكأننا من فرعها في مغرب ... وكأننا من وجهها في مشرق

تبدو فيهتف بالعيون ضياؤها ... الويل حل بمقلة لم تطبق

الخليع:

ومبتسم إلي من الأقاحي ... وقد لبس الدجى فوق الصباح

ثنى زناره في دعص رمل ... على خوط من الريحان ضاح

له وجه يتيه به وعين ... يمرضها فيسكر كل صاح

المتنبي:

كل خمصانة أرق من الخم ... ر بقلب أقسى من الجلمود

ذات فرع كأنما ضرب العن ... بر فيه بماء ورد وعود

حالك كالغداف جثل دجو ... جي أثيث جعد لا تجعيد

تحمل المسك عن غدائرها الري ... ح وتفتر عن شتيت برود

أبو دلف:

حسنت والله في عي ... ني وفي كل العيون

قينة بيضاء كالفض ... ة سوداء القرون

أقبلت مختالة بي ... ن مها حور وعين

لم يصبها مرض ين ... هك إلا في الجفون

المتنبي:

لبسن الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

وضفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن في الشعر الضلالا

ذو الرمة:

هجان تفت المسك في متناغم ... سخام القرون غير صهب ولا زعر

وتشعره أعطافها وتشمه ... وتمسح منه بالترائب والنحر

لها سنة كالشمس في يوم طلقة ... بدت من سحاب وهي جانحة العصر

وقال الشماخ، وأنشدوه في أبيات المعاني:

دار الفتاة التي كنا نقول لها ... يا ظبية عطلا حسانة الجيد

تدني الحمامة منها وهي لاهية ... من يانع الكرم قنوان العناقيد

الباب الثاني

الأصداغ

قال ابن المعتز:

ريم يتيه بحسن صورته ... عبث الفتور بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من نار وجنته

ولقد أحسن فيه. إلا أنه ألم بقول العرب، أنشده ابن السكيت:

وكأني شبوة عند الصدود

أي كأني، في صدودي عن النار، العقرب، لأنها لا تقربها.

وكذلك قوله في صفة الهلال:." (١)

"ابن المعتز:

إذا كظ الفرات بماء مد ... أغص به حلاقم كل نهر

وقوله في ماء المد عجيب:

أما ترى المد قد ... أتاك بماء مصندل

وهذا من فوارد شعره كقوله:

تميل من سكرات النوم قامته ... كمثل ماش على دف بتخنيث

وكقوله:

وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

وكقوله:

والبدر يأخذه غيم ويتركه ... كأنه سافر عن خد ملطوم

وكقوله:

في قمر مسترق نصفه ... كأنه مجرفة العطر

آخر:

وجدول كالحسام لاح على ... جلدة وشي لماعة الذهب

كأنه والمدود تتبعه ... سلخ حباب من كثرة الحبب

ابن المعتز:

وروضة كأنها ... جلد سماء عاريه

كأنما أنهارها ... بماء ورد جاريه

آخر:

وكأن درعا مفزعا من فضة ... ماء الغدير جرت عليه شمأل

وعلى ذكر المياه وقرارتها أحسن الصنوبري في صفة البركة:

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٤

يا حسنها من بركة أفردت ... بالحسن إحسانا من الواهب

كأنما الأعين في قعرها ... راسبة إثر القذى الراسب

بين بساتين ميادينها ... من سارق للب أو غاصب

ما بين مصبوغ بلا صابغ ... وبين مخضوب بلا خاضب

وجدول ينسل من جدول ... مثل انسلال المرهف القاضب

والطير من مستبشر ضاحك ... فيه ومن مكتئب نادب

وصادح أنسا إلى حاضر ... وهاتف شوقا إلى غائب

وله أيضا في البركة والفوارة:

وبركة منظرها يطرب ... للماء فيها ألسن تعرب

تحسبها من طول ترجيعها ... دائمة تنشد أو تخطب

كأن فواراتها وسطها ... إذا ترامت لعب تلعب

من يمنة فيها ومن يسرة ... قنطرة واقفة تذهب

علي بن الجهم:

صحون تسافر فيا العيون ... وتحسر من بعد أقطارها

إذا أوقدت نارها بالعرا ... ق أضاء الحجاز سنا نارها

وقبة ملك كأن النجو ... م تصغي إليها بأسرارها

وفوارة ثأرها في السما ... ء فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب أقطارها

لها شرفات كأن الربي ... ع كساها الرياض بأنوارها

فهن كمصطبحات خرج ... ن لفصح النصارى وإفطارها

فمن بين عاقصة شعرها ... ومصلحة عقد زنارها

الباب الخامس

جري الماء بين الخضر

أبو فراس وأحسن في تشبيهه:

والماء يفصل بين زه ... ر الروض في الشطين فصلا
كبساط وشي جردت ... أيدي القيون عليه نصلا
آخر:
كلبسك خفتان وشي بدا ... بياض الغلالة من شرجه
آخر:
وجدول كالمبرد المجلي ... على رياض وثرى ثري
الناجم:
انظر إلى الروض الذك ... ي فحسنه للعين قره
وكأن خضرته السما ... ء ونهره فيها المجره
النامي:
وكأنما الروض السماء وزهره ... فيها المجرة والكؤوس الأنجم
أبو فراس:
وكأنما الغدر الملاء تحفها ... أنواع ذاك الروض والزهر
بسط من الديباج بيض فروزت ... أطرافها بفراوز خضر
الباب السادس
تفتح الأنوار والأكمة
لبعضهم:
أكمة نوار تبدت كأنها ... صمامات وشي حرة البطن والظهر
ودائع للنيروز فيها كنينة ... من الفضة البيضاء أو خالص التبر
كما زرت الحسناء فضل جيوبها ... على الدر والمرجان في واضح النحر
المعوج:
حقاق من النوار مزرورة العرا ... على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض
فهن على الأغصان أجفان فضة ... وبالأمس كانت مطبقات على الغمض

البحتري:

وقد نبه النيروز في غلس الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما." (١)

"فإذا استمر نسقا مطردا أو سننا منتظما أوهى سلك ما نظم، وحل عقد ما ألف، وعاد في هدم بنائه، وثلم تأسيسه وأجزائه، فأرسل مرعيه هملا، وحل معقوده بددا، فيكون ساقيا مظمئا وموردا مخمسا لكثرة شواغله، وزحمة أعدائه التي تفرق باله، وتوزع ذهنه، وتقسم لبه، من تثمير مال، أو در فتح معيشة، أو دفع مضرة، أو حيازة منفعة، أو كدح على عيال، أو مباراة حاسد، أو مكاثرة عدو، أو منافسة في مكرمة أو منقبة، أو اغتنام محمدة أو مثوبة، أو فرار من سب ومذمة، أو جار يحميه، أو طارق يضيفه، أو أسير يستنقذه، أو شاعر ينتجعه. فإذا كانت الحال كما وصفنا، سليمة لا تعاب، وخالصة لا تشاب، صار المعجز باهرا ظاهرا، ومالكا للقلب قاهرا، وقادحا في العقل العقيم، والطينة اليابسة، والفهم العاقر والحد الكليل، يزيد في اليقين روح الاستبانة، وبرد السكون والاستنامة، وثلج الصدور، وعز المعرفة، وطمأنينة العلم، واستطالة الفهم، وعاد أوضح برهانا، وأصدع بيانا من أن يترك للمتعلل تعلة، وللمرتاب عقلة، وللشاك استرابة، وهو صلى الله عليه وسلم يتحداهم به مثنى ووحدانا، ويقرعهم فرادى وأشتاتا، لا يألو جهدا في تسفيه أحلامهم، وتبكيت أصنامهم، يدعوهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله، وهم يسمعونه عذب المسموع، سهل الموضوع، باللفظ الجزل، ومتشابه الرصف، ومتلاحم أجزاء الأول والآخر واتفاق قرائن الأوسط الطرفين، ينظم أبهة الفخامة إلى رقة الحلاوة، ويجمع رصانة الجزالة، ومهابة الجلالة إلى بهجة الرشاقة، ومحبة القبول ومبادئ خارجة عن معهود مبادئ القريض المقصد والمسجوع المرجز، والخطب في الحمالات، وإصلاح ذات البين، والتشبيب بالحاجات، ومقاطع مفارقة لمألوف مقاطيع الأقاصيع من الطوال في المجامع العظام، والمشاهد الكرام، يزيده مرور الأيام والليالي جدة وطراوة، ويكسبه كرور الشهور والأعوام رونقا وطلاوة، لا يمجه السمع، ولا ينبو عنه القلب، ولا يبليه كثرة الدرس والقراءة، ولا تخلقه شدة التلاوة والإعادة على ما في الحديث المعاد، والكلام المكرر من الثقل الفادح على الآذان، والأذى المبرح المجحف بالنفوس؛ يقص أخبار الأمم السالفة، ويعبر عن أنباء الملل، وعقائد النحل، ويترجم عن الجلود المتمزقة، والرمم البالية، والمثلات النازلة، والعبر المنتقمة بخفة حجمه، ويسير جرمه، مكررة مرة بعد أخرى وكأنها لغرابتها مبتدأة، مرددة ثانية غب أولى وكأنها لطلاوتها متنكرة؛ فأقر جماهيرهم بالعجز خاضعين، وبخع صناديدهم بالاستسلام مذعنين، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر. فارقوا سعة السلم

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٧٩

إلى ضنك الحرب، وخرجوا عن التدافع بالقول إلى التدافع بالراح، بل إلى التمانع بالزجاج، إلى التطاعن بأطراف الأسنة والرماح، وأثاروا كامن العداوة، وهيجوا ساكن الترة، وقدحوا بزند القتال وهو صالد، وأذكوا نار الملحمة وهي خامدة، ودعوا بشعارها الهيجاء، وشنوا الغارة الشعواء، وأخلوا برعي مسارحهم، وورد مناهلهم، وإلف داراتهم وخططهم، وخبط أكلائهم ومناجعهم، والاستدراء بأفياء الخيام، والاختباء بأفنية البيوت، والشرب في مجالس العشي، والتشاور في ساحة الأندية، واستئمار الأزلام الملمة على المسلمين، يومض البرق ولا يشام، ويصوب القطر ولا ينتجع، ويكثف المرعى ولا أكولة، ويدعو الشعب ولا رائد، والحمى عورة، والفضاء بلا حجارة الخرصان، وأبواب القباء خلاء، لا تسدها قرون الخيل، وهم في فر لا يشق غباره، وفي كر لا ينادى وليده. يطلب الأخ عند أخيه الثأر المنيم، ويجرم الابن إلى قتل أبيه، وفري أوداجه، والولوغ في دمه. مس الطيب وشرب الخمر، ومعاطاة النديم، ويفرد لمته، ويشد المآزر دون إتيان النساء، ويترك جمته السوداء شعثاء، وغسولها المسك والماورد، وقد غسل أصولها بدهن البان والمصون. فهو لابس مع البردين ثوب المحارب، وغامس يده في عطر منشم. ومشمر ذيل الراكب بعد أن كان أجوى في الحي رفلا، ومبسط المشية في اليوم الخصر، وقد احتجز خدمة سيفه، وخفر فضول لأمته بنجاده، وتنكب قوسه، واعتقل رمحه، واستجن حجفته، وفرط للحصان عنانه في انتهاك حرمة عشيره، وسبي داري حريمه، وغزوه في عقر داره، ويضيعه بالخسف والصغار، وانتساف الدار. قد اعتاض خمس الإسلام." (١)

"وقال ابن الأعرابي في شعر أب يتمام: إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل، روى ذلك أبو عبد الله محمد ابن داود عن البحتري عن ابن الأعرابي. وحكى محمد بن داود أيضا عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن محمد – وكان عالما بالشعر – أنه قال: أبو تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال. وروى عنه أنه قال: دخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي على الحسن بن وهب وأبو تمام ينشده، فقال له إسحاق: يا هذا لقد شددت على نفسك. وذكره أيضا أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب البديع. وغير هؤلاء العلماء ممن أسقط شعره كثير: منهم أبو سعيد الضرير، وأبو العميثل الأعرابي صاحبا عبد الله بن طاهر " القيمان بأمر خزانة الحكمة " بخراسان، وكانا من أعلم الناس بالشعر، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/١١٤

امتحناه وأنشدهما شعره ورضياه، فقصدهما أبو تمام بقصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها:

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه." (١)

"فقال الطائي، وحول المعنى، وأجاد:

كأن الغمام الغر غيبن تحتها ... حبيبا؛ فما ترقى لهن مدامع

٧١ - وقال الطائي:

وليست بالعون العنس عندي ... ولا هي منك بالبكر الكعاب

أخذه من قول الفرزدق:

وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الأبواب طالب حاجة ... عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

٧٢ - وقال الآخر، وهو معبد الهذلي:

أي عيش عيشي إذا كنت منه ... بين حل وبين وشك الرحيل؟

كل فج من البلاد كأني ... طالب بعض أهله بذحول

فقال الطائي:

كان له دينا على كل مشرق ... من الأرض، أو ثأرا لدى كل مغرب

٧٣ - وقال آخر، وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن دعبل:

نهنه دموعك من سح وتسجام ... البين أكثر من شوقي وأسقامي

وما أظن دموع العين راضية ... حتى تسح دما هطلا بتسجام." (٢)

"٤٦ - وقال في قوله:

لئن ذمت الأعداء سوء صباحها ... فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم:

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها ... شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف، وهو في بيت أبي

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢٠/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٩٣/١

تمام غيره في بيت مسلم؛ لأن مسلما قال لممدوحه: لو حاكمتك – يريد الفرقة والعصب التي لقيتك – في مطالبتك بثأر من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور، وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء: لئن ذمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدي الذئب والنسر شكرها؛ لكثرة ما أكلا منها، وهذا المعنى غير ذاك، والله أعلم.." (١)

"ثم قال:

من رأى بارقا سرى صامتيا ... جاد نجدا سهولها والحزونا

وقال:

أوما رأت بردى من نسج الصبا ... ورأت خضاب الله وهو خضابي (١)

ثم قال:

لا جود في الأقوام يعلم ما خلا ... جودا حليفا في بني عتاب

وقال:

لو رأى الله أن في الشيب فضلا ... جاورته الأبرار في الخلد شيبا (٢)

ثم قال:

كل يوم تبدي صروف الليالي ... خلقا من أبي سعيد غريبا (٣)

وقال:

كأن له دينا على كل مشرق ... من الأرض أو ثأرا لدى كل مغرب (٤)

ثم قال:

رأيت لعياش خلاق لم تكن ... لتكمل إلا في الباب المهذب

وقال:

حلت نطف منها لنكس وذو الحجا ... يداف له سم من العيش منقع (٥)." (٢)

"وربما خرجا إلى المدح بيمين يحلفان بها

ومن ذلك قول أبي تمام:

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ١/١٣٣

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢/٢٩٢

حلفت برب البيض تدمى نحورها ... ورب القنا المنآد والمقتصد (١)

لقد كف سيف الصامتي محمد ... تباريح ثأر الصامتي محمد (٢)

فالبيض: هي الأدم من الإبل، يقال: بعير آدم إذا كان أبيض.

وقوله: «تباريح ثأر» أراد أن سيفه كف تباريح ثأره، أي كف ما برح به من الثأر حتى أدركه.

ومن ذلك قوله:

لا والذي عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم (٣)

ما زلت عن سنن الضمير ولا غدت ... نفسي على إلف سواك تحوم (٤)

... ومن ذلك قول البحتري:

حلفت بما حجت قريش وحجبت ... وحاز المصلى والحطيم وزمزم (٥)." [١]

"يعني حدوده، فهذا هو الوجه الحسن في معنى «السلم».

وقال كثير في عبد العزيز بن مروان:

إلى حسب عال بني المرء قبله ... أبوه له فيه معاريج سلم

وهذا أيضا معنى صحيح حسن.

والجيد في هذا المعنى قول أبي تمام في أبي دلف: محاسن من مجد متى تقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

معال تمادت في العلو كأنها ... تطالب ثأرا عند بعض الكواكب

وقال في خالد بن يزيد بن مزيد:

وما زال يقرع تلك العلى ... مع النجم مرتديا بالعماء

ويصعد حتى لظن الجهو ... ل أن له منزلا في السماء

«العماء» السحاب الرقيق، وأين هو من النجم؟، إن بينهما لبونا بعيدا، ولفظ «العماء» قبيح أيضا.." [٢]

"أسيت لأخوالي ربيعة إذ عفت ... مصايفها فيها وأقوت ربوعها

بكرهي أن باتت خلاء ديارها ... ووحشا مغانيها وشتى جميعها

وأمست تساقي الموت من بعدما غدت ... شروبا تساقي الراح رفها شروعها

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣١٣/٢

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٨٩/٣

«الرفه»: أن ترد الإبل الماء كل يوم.

إذا افترقوا عن وقعة جمعتهم ... لأخرى دماء ما يطل نجيعها

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

حمية شغب جاهلي وعزة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... بأحقادها حتى تضيق دروعها

تقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيعها

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماح تقطع بينها ... شواجر أرحام ملوم قطوعها

ولولا أمير المؤمنين وطوله ... لعادت جنوب والدماء دروعها

ولاصطلمت جرثومة تغلبية ... به استبقت أغصانها وفروعها

رفعت بضبعي تغلب ابنة وائل ... وقد يئست أن يستقل صريعها

وكنت أمين الله مولى حياتها ... ومولاك فتح يومذاك شفيعها

فألفهم من بعد ما شردتهم ... حفائض أخلاق بطيء رجوعها." (١)

"وكلامهن كأنما مرفوعه ... بحديثهن إذا التقين سرار

من ههنا أخذ أبو تمام قوله:

فالمشي همس والنداء إشارة ... خوف انتقامك والحديث سرار

جرير:

طرقت نواحل قد أضر بها السرى ... برحت بأذرعها نتائف زورا

مشق الهواجر لحمهن مع السرى ... حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

حور يربيها النعيم وصادفت ... عيشا كحاشية الفرند غريرا

ما قاد من عرب إلي جوادهم ... إلا تركت جوادهم محسورا

وإذا هززت قطعت كل ضريبة ... ومضيت لا طبعا ولا مبهورا

جميل:

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣٧٧/٣

ألا يا خليل النفس هل أنت قائل ... لبثنة سرا هل إليك سبيل
فإن هي قالت لا سبيل فقل لها ... عناء على العذري منك طويل
أعرابي:
ورب مصاليط نشاط إلى الوغى ... سراع إلى الداعي كرام المقادم
أخضتهم بحر الحمام وخضته ... رجاء ثواب لا رجاء المغانم
فأبنا وقد حزنا النهاب ولم نرد ... سوى الموت غنما وابتناء المكارم
أعرابي يمدح ابنه:
تنجبتها للنسل وهي غريبة ... فجاءت به كالبدر خرقا معمما
فلو شتم الفتيان في الحي ظالما ... لما وجدوا غير التكذب مشتما
المعمم عندهم السيد يلجأون إليه في النوازل، وكذلك المعصب، ومثله:
منعت من العهار أطهار أمه ... وبعض الرجال المدعين غثاء
فجاءت به عبل الذراع كأنما ... عمامته فوق الرجال لواء
" عمامته فوق الرجال لواء " معنى جيد، وهم يصفون السيد بالطول، والأصل في ذلك قول عنترة:
بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم
أخذه أبو نواس فقال:
أشم طوال الساعدين كأنما ... يناط نجادا سيفه بلواء
ورده في موضع آخر فقال:
غمر الجماجم والرجال قيام
وهذا كثير ونحن نأتي به في موضعه.
أعرابي:
ألا قالت الخنساء يوم لقيتها ... كبرت وما تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عمى يمشي عليها وشيبة ... تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلما ... يسود الفتى حين يشيب ويصلعا
وللقارح اليعبوب خير علالة ... من الجذع المزجى وأبعد منزعا

قوله: " وللقارح اليعبوب " البيت، معنى جيد، يريد أن الكهول الذين لاقوا الحروب دفعة بعد أخرى أصبر عليها وأقدم فيها من الشباب، مثله:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

معنى جيد يريد أن الكهول الذين قد لاقوا الحروب دفعة بعد أخرى أصبر عليها وأقدم فيها من الشباب الذين لم يتمهروا فيها وهم أيضا أشح على الحياة من الكحول، والكهول أيضا يعلمون ما في الفرار من العار والقالة القبيحة فهم يقدمون خشية ذلك. ومثل هذا المعنى قول الشاعر:

لعمرك للشبان أسرع غارة ... وللشيب إن دارت رحى الحرب أصبر

يقول: إن الشبان، لما فيهم من الجهالة، أسرع إلى الحرب، والمشايخ أصبر فيها وأبعد من الفرار عنه، وقال آخر:

يرى الغر عن ورد الكريهة محجما ... إذا الكهل في ورد الكريهة أقدما

وما يستوي الاثنان هذا موقح ... وهذا تراه في الحروب محرما

وقد أخذ البحتري هذا المعنى فأجاده وهذبه بطبعه فقال:

يهال الغلام الغر حتى يرده ... إلى الهول من مكروهها الأشيب الكهل

ومثله قول جرير وجاء به مثلا:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال العنبري ووصف حربا:

تهول الإفل إذا أضرمت ... وليس تهول الفحول القروما

ولهذا المعنى نظائر تأتي في مواضعها.

أعرابي يمدح بعض الخلفاء:

على خشبات الملك منه مهابة ... وفي الروع عبل الساعدين فروع

يشق الوغى عن وجهه صدق نجدة ... وأبيض عن ماء الحديد صنيع

السموأل بن عاديا:

إني إذا ما الأمر بين شكه ... وبدت عواقبه لمن يتأمل

وتبرأ الضعفاء من إخوانهم ... وألح من حر الصميم الكلكل

أدع التي هي أرفق الحالات بي ... عند الحفيظة للتي هي أجمل

لبعض الخوارج يقول لامرأته وكانت ترى رأيه وأراد الخروج فقالت: أخرجني معك، فقال:

إن الحرورية الحرى إذا ركبوا ... لا تستطيع لهم آمالك الطلبا

إن يركبوا فرسا لا تركبي فرسا ... ولا تطيقي مع الرجالة الخببا

أعرابي:

أراني في بني حكم قصيا ... غريبا لا أزور ولا أزار

أناس يأكلون اللحم دوني ... وتأتيني المعاذر والقتار

ومثله قول الآخر:

إذا مد أرباب البيوت بيوتهم ... على رجح الأكفال ألوانها زهر

فإن لنا منها خباء تحفه ... إذا نحن أمسينا المجاعة والفقر

أعرابي:

ألم تسأل فوارس من سليم ... بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو خرق ... وينفع أهله الرجل القبيح

فلم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح

فأطلق غل صاحبه وأردى ... جريحا منهم ونجى جريح

فأما قوله: " رأوه فازدروه " البيت مأخوذ من قول الأول:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد يزير

ونظر أبو تمام إلى قوله: " وتحت الرغوة اللبن الصريح ":

وليست رغوتي من تحت مذق ... ولا جمري كمين في الرماد

ليلى ابنة النضر بن الحارث بن كلدة تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتل أباها النضر بن الحارث صبرا عند منصرفه عن غزوة بدر:

أبلغ بها ميتا فإن قصيدة ... ما إن تزال بها الركائب تخفق

وليسمعني النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

قسرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد ها أنت صنو نجيبة ... من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فيقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو سمعت شعرها قبل أن أقتله ما قتلته. أما قولها: " ظلت سيوف بني أبيه تنوشه " البيت، فمن قول الآخر:

ألم ترنا والله يصلح بيننا ... نقطع من أرحامنا ما توصلا

ومنه أخذ الآخر قوله:

إذا وصل الناس أرحامهم ... فإنا نقطعها ظالمينا

ولولا اتقاء كلام العداة ... لكنا لأرحامنا واصلينا

هذا ذكر أن قطيعة أرحام أقربائه في الحرب خوفا من المعائر التي تلحق الناس عند تغافلهم عن طلب **ثأرهم**.

وإلى مثل هذه المعاني نظر البحتري وغيره ممن ذكرنا أقاويلهم في مواضع من كتابنا.

أبو نزار العقيلي يقول لعقيل بن مرة الأشجعي:

يظن عقيل أن من نال مجلسا ... وخلوة يوم منه نال غنى الدهر

فقل لعقيل ليس هذا كما ترى ... نبيذك لم يخلق أمانا من الفقر

لبعض خوارج الأعراب وهو قطري بن الفجاءة:

أقول لها إذا جاشت حياء ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو طلبت حياة يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا ... فيما نيل الخلود بمستطاع

وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع

سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داعي

ومن لا يعتبط يهرم ويسأم ... ويفض به البقاء إلى انقطاع

قوله: " أقول لها " البيت، شبيه بقول ابن الإطنابة:

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

وقد ذكرنا ما في هذا البيت من العيب فيما تقدم من الكتاب.

وأما قوله: " فإنك لو سألت " البيت، قد أخذه بعض العرب فقال:

فإني لو طلبت حياة يوم ... على أجلي لكان مدى بعيدا

وقال الآخر:

فلا تك طامعا في عيش يوم ... إذا وافاك يوم لا يرد

وهذا كثير جدا في القديم والمحدث من أشعارهم.

وأما قوله: " ومن لا يعتبط يهرم ويسأم " البيت، فكما قال أمية بن أبي الصلت الثقفي:

من لم يمت عبطة هرما ... فالموت كأس والمرء ذائقها

وهذا أيضا كثير ولذلك أقصرنا عن الإسهاب فيه.

ولبعض الخوارج أيضا:

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى ... معاداتها تدني إلي حماميا

أقارع عن دار الخلود ولا أرى ... بقاء على حال لما ليس باقيا

ولو قرب الموت القراع لقد أتى ... لموتي أن يدنو بطول قراعيا

أغادي جلاد العالمين كأنني ... على العسل الماذي أصبح غاديا

وأدعو الكماة للنزال إذا القنا ... تحطم فيما بيننا من طعانيا

ولست أرى نفسا تموت وإن دنت ... من الموت حتى يبعث الله داعيا

ولآخر منهم:

لا يركنن أحد إلى الإحجام ... يوم الوغى متخوفا لحمام

فلقد أراني للرماح دربة ... من عن يميني تارة وأمامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب ... جذع البصيرة قارح الأقدام

قيس بن عاصم المنقري:

إني امرؤ لا يطبي حسبي ... سفه يكدره ولا أمن

من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن

حلماء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فطن

وله أيضا:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... عني وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وما ذكرت به من سيئ.....

وقال بعض لصوص العرب:

وطال احتضاني السيف حتى كأنما ... يلاط بكشحي جفنه وحمائله

أخو فلوات صاحب الجن وانتأى ... عن الإنس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الإنسي يعرف نجره ... وللجن منه شكله وشمائله

أما قوله: " وطال احتضاني " البيت، مثل قول الآخر:

وطال احتضاني الرمح حتى كأنما ... على منكبي غصن من الأثل نابت

أعرابي قطعت يده ورجله:

الله يعلم أني من رجالهم ... وإن تقطع عن متني أطماري

وإن رزئت يدا كانت تجملني ... وإن مشيت على زج ومسمار

أعرابي:

لا تحقرن سبيبا ... كم فاد خيرا سبيب

وقد بقي لهذا المعنى نظائر تأتي في مواضعها إن شاء الله.

وقال وداك بن ثميل المازني:

مقاديم وصالون في الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمان

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... إلى أي حي أم بأي مكان

أما قوله: " مقاديم " البيت، فالأصل فيه قول قيس بن الخطيم:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وقد ذكرنا هذا وشيئا من نظائره فيما تقدم، وبقيت أشياء لم نذكرها هناك، منها قوله:

إذا الكماة تنحوا أن ينالهم ... حد الظباة وصلناها بأيدينا

وأخذه آخر فقال:

وصلنا الرقيق المرهفات بخطونا ... على الهول حتى أمكنتنا المضارب

وقال بعض الرجاز في مثل هذا:
الطاعنون في النحور والكلى ... والواصلون للسيوف بالخطى
وقال آخر:
سل السيوف وخطى تزدادها
وقال معن بن أوس المزني:
فلا وأبي حبيب ما نفاه ... هوازن من بلاد بني يمان
وكان هوى الغني إلى غناه ... وكان من العشيرة في مكان
تكنفه الوشاة فأزعجوه ... ودسوا من قضاعة غيروان
ولولا أن أم أبيه أمي ... وأني من هجاه فقد هجاني
إذا لأصابه مني هجاء ... تناقله الرواة على لساني
أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني
يروى بالسين غير معجمة من السداد في الرمي وبالشين معجمة أكثر، أخذ دعبل هذا المعنى فقال:
إن عابني لم يعب إلا مؤدبه ... فنفسه عاب لما عاب أدابه
وكان كالكلب ضراه مكلبه ... لصيده فغدا فاصطاد كلابه
أعرابي:
وإني لأطوي البطن من دون ملئه ... لمستنبح في آخر الليل صائح
وإن امتلاء البطن في حسب الفتى ... قليل الغناء وهو في الجسم صالح
من جيد ما قيل في هذا المعنى ونادره قول الشاعر:
أقسم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد
وقد ذكرنا هذا وشيئا من نظائره في أول الكتاب.
أعرابي يلقب بالمفرق:
ونبئت أخوالي أرادوا عمومتي ... بشنعاء فيها ثامل الشر منقعا
سأركبها فيكم وأدعى مفرقا ... فإن شئتم من بعد كنت مجمعا
بهذا البيت سمي مفرقا.

أعرابي:

سقى الرباب مجلجل ال ... أكناف لماح بروقه

جون تكفكفه الصبا ... وهنا وتمريه خريقه

حتى إذا ما ذرعه ... بالماء ضاق فما يطيقه

حلت عزاليه الجنو ... ب فنج واهية خروقه

أأبا شريح هل ترى ... أفقا يؤرقني بروقه

أعلى ذؤابة حضرمو ... ت فبطن واديها طريقه

صابت عليه هواطل ... حتى يغرغرها عميقه

ولقد غدوت مناهبا ... بأقب لم توسم فليقه

نهد التليل مشايح ... كالجذع شذبه سحوقه

طاوي الأياطل سابح ... كالذئب طال به خفوقه

أعرابي:

فإن يمنعوا منا السلاح فعندنا ... سلاح لنا لا تشترى بالدراهم

جنادل أملاء الأكف كأنها ... رؤوس رجال حلقت بالمواسم

روي أن غلاما من الأعراب أراد أن يمضي مع قوم من بني عمه إلى حرب كانت لهم، فقال لهم: تجنبوا النبل فإنها رسل المنية، واحذروا الرماح فإنها أرشية الموت، وتوقوا السيوف فإنها لا سوء بعدها، قالوا: فيم نقاتل؟ فقال: بقول الشاعر:." (١)

"في قوادم الجناح، لأنه أشد سوادا من الخوافي، فلذلك خص القوادم بالتشبيه، ويجوز أن يكون إنما عنى أصابعها وشبهها بقادمتي الحمامة وذكر أن أطراف أصابعها مخضوبة وأنه نظر إليها وهي تستاك فشبه أصابعها بقوادم ريش الجناح، وهذان القولان جميعا جائزان، وذكر الأصمعي أنه عنى سواد لحم الأسنان وذلك أنهم كانوا يدمون اللثة ثم يذرون عليها الكحل لتسود فيكون سوادها مع بياض الأسنان حسنا، وهذا أيضا قول.

وقد أخذ جماعة من الشعراء هذا المعنى من النابغة، فأحدهم الأعشى في قوله:

تجلو بقادمتي حمامة أيكة ... بردا أسف لثاته بسواد

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٤٦/١

ذكر أنها لمياء الشفتين، والعرب إذا وصفت بياض الثغر خلطت بذلك سواد اللثة، وأول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس فقال:

منابته مثل السدوس ولونه ... كشوك السيال وهو عذب يفيض

السدوس: النيلنج، وهو أيضا الطيلسان الأسود، والسيال: نبت أصوله بيض أمثال الثنايا، فأخذ هذا المعنى الأعشى فقال:

باكرتها الأعراب في سنة النو ... م فتجري جلال شوك السيال

وأخذه أيضا أبو تمام فقال:

كان شوك السيال حسنا فأمسى ... وبه للعناد شوك القتاد

جود أبو تمام هذا البيت والمعنى بذكره شوك السيال في حسنه وشوك القتاد في صعوبته، وأخذ الأحوص معنى النابغة فقال:

تجلو بقادمتي قمرية بردا ... غرا في مجاري ظلمه أشرا

وقال آخر:

تريك ثغرا عذبا مقبله ... لا كسس عابه ولا روق

كأقحوان الكثيب باكره الط ... ل فأضحى يهتز يأتلق

وقال مسلم:

إذا ما اشتهينا الأقحوان تبسمت ... لنا عن ثنايا لا قصار ولا ثعل

بيت مسلم هذا مثل البيتين الذين كتبناهما قبله إلا أنه أحسن منهما لفظا وأجود تركيبا، وقد أخذ طرفة بن العبد معنى النابغة فقال:

وتبسم عن ألمى كأن منورا ... تخلل حر الرمل دعص له ند

وقال أيضا:

وإذا تضحك تبدي حببا ... عن شتيت كأقاحي الرمل حر

بدلته الشمس من منبته ... بردا أبيض مصقول الأشر

روي عن الشعبي أنه كان يسأل جلساءه عن معنى هذا البيت فلا يجيبون، ثم فسره لهم فقال: كان الغلام أو الجارية من غلمان العرب، إذا سقطت سنه، يقف بحذاء الشمس فيحذف بها ثم يقول يخاطب الشمس:

أبدليني بها سنا أحسن منها، فهذا معنى قول طرفة بن العبد الذي ذكرنا. وقال ساعدة بن جؤية في ذلك وشب الثغر بالأقحوان:

ومنصب كالأقحوان منطق ... بالظلم مصقول العوارض أشنب

الظلم، مسكن اللام: الماء الذي يشف في الأسنان لمن تأملها. وروى بعضهم أنه سأل الخليل عن الظلم وكان الخليل يأكل رمانا فأخذ حبة من حب الرمان وقال للسائل: هذا الظلم، يريد الماء الذي يشف في حب الرمان، ويقال للثلج أيضا الظلم وأنشد:

أفي شنباء مشربة الثنايا ... بماء الظلم طيبة الرضاب

فهذا البيت شاهد في الثلج أنه يسمى الظلم، والعوارض: ما يبدو من الأسنان عند الضحك، ومنه يقال: فلانة مصقولة العوارض، والشنب: برد الفم ورقة الأسنان، وحد كل شيء غربه وهذا عندنا الصواب.

وقال آخر يشبه الأسنان بالأقحوان:

ويضحك عن غر الثنايا كأنه ... ذرى أقحوان نبته لم تنتل

وقال الأعشى:

وشتيت كالأقحوان جلاه الط ... ل فيه عذوبة واتساق

وقال سعيد بن سمي:

تجري السواك على حو مناصبه ... كأنه أقحوان حين تبتسم

وقال جميل:

بذي أشر كالأقحوان يزينه ... ندى الطل إلا أنه هو أملح

وقد شبه الثغر أيضا بالدر، قال الشاعر:

تبذ بالحسن كل جارية ... كما يبذ الكواكب القمر

كأن درا نظما إذا ابتسمت ... من ثغرها في الحديث ينتثر

ومن جيد ما وصف به الثغر قول الشاعر:

إذا ما اجتلى الرائي إليها بطرفه ... غروب ثناياها أضاء وأظلما

أراد أضاء من الضوء والتألق وأظلم من الظلم وهذا حسن جدا. وقد شبه أيضا الثغر بالإغريض وهو الطلع ويقال البرد، وقال الشاعر:

ليالي تصطاد الرجال بفاحم ... وأبيض كالإغريض لم يتثلم

ويقال الإغريض أيضا للقطر الكبار أول ما تأخذ السحابة في المطر، قال الشاعر وذكر امرأة:

فدانت سماحا واستهلت دموعها ... كإغريض مزن حطمته الجنائب

وممن شبه الثغر بالبرد جرير بقوله:

تجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

وقال رؤبة بن العجاج:

تضحك عن أشنب عذب ملثمه ... يكاد شفاف الرياح يرأمه

كالبرق يجلو بردا تبسمه

وقال آخر:

إذا ضحكت لم تبتهر وتبسمت ... عن أشنب لا كس ولا متراكب

كنور النقا أصبحته حين أظهرت ... له الشمس قرنا بعد نوء الهواضب

يزل الندى عنه ومن تحته الثرى ... بأجرع ميث طيب الريق عازب

قد ذكرنا ها هنا قطعة من أشعار المتقدمين، وخلطنا بشيء يسير من أشعار المحدثين، إذ كانت أشعار المحدثين وتدقيقهم في المعاني أضعاف ما للمتقدمين؛ إلا أن المتقدمين لهم الاختراع وللمحدثين الاتباع، ولو لم يكن للمحدثين في هذا المعنى غير قول أبي تمام والبحتري لكفاهم ذلك تجويدا وإصابة للمعنى وحذقا به. قال أبو تمام في الثغر والابتسام:

وثناياك إنها إغريض ... ولآل توام وبرق وميض

فأتى البحتري شبيها به في قوله:

يضحكن عن برد ونور أقاح

ثم زاد على هذا وعلى قول أبي تمام بقوله:

كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منظم أو برد أو أقاح

فأتى في هذا البيت بأكثر ما وصفت به الثغور، وإنما أقصرنا عن أن نأتي بما نعرف للمحدثين في هذا المعنى ها هنا بحالين، إحداهما أنه كثير متسع، والأخرى أنا نحتاج إلى أن نأتي به معنى معنى في مواضع من الكتاب نضطر إليها.

خرج خراش بن أبي خراش الهذلي وعروة بن مرة، فأغارا على ثمالة، فنذر بهما حيان من ثمالة يقال لأحدهما بنو دارم والآخر بنو هلال فأخذوهما فأما بنو هلال فأخذوا عروة بن مرة فقتلوه، وأما بنو دارم فأخذوا خراش بن أبي خراش فأرادوا قتله، فألقى رجل منهم عليه ثوبا وقال: انجه، ففحص كأنه ظبي واتبعه القوم ففاتهم، وأتى أبا خراش فحدثه الخبر وعرفه أن بعضهم ألقى عليه ثوبه، فقال: وهل تعرفه؟ فقال: لا، فقال أبو خراش وذكر ذلك ورثى أخاه:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله لا أنسى قتيلا رزئته ... بجانب قوسي ما مشت على الأرض

بلى إنها تعفو الكلوم وإنما ... نوكل بالأدنى وان جل ما يمضي

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض

ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا ... أضاع الشباب في الربيلة والخفض

ولكنه قد نازعته مخامص ... على أنه ذو مرة صادق النهض

كأنهم يشبثون بطائر ... خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض

يبادر قرب الليل فهو مهابذ ... يحث الجناح بالتبسط والقبض

لا نعرف للعرب في معنى هذه الأبيات أجود منها، وله فيها أشياء نحن نبينها ونأتي بنظائرها، فمن ذلك قوله: " فوالله لا أنسى قتيلا " البيت، وهذا من إفراط جزعه، ثم تبين أنه سيسلو فقال: " بلى إنها تعفو الكلوم " البيت، يقول: إني وإن حلفت أني لا أنسى هذا القتيل فإن الكلوم تبرأ فضربه مثلا للمصائب التي تنسى، يقول: ينسى قديمها وتوكلوا بحديثها وإن كان القديم جليلا. وقوله: " نوكل بالأدنى " يقول: إنما نحزن على الأقرب فالأقرب، وكلما تقادم الشيء نسيناه، ومثل هذا أو قريب منه قول الآخر:

كلما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال أبو العباس ثعلب: قلت لأبي عبد الله محمد بن الأعرابي: هل تعرف مثل شعر أبي خراش هذا؟ وأنشدته الأبيات، فقال:

آخر ما شيء يغولك وال ... أقدم تنساه وإن هو جل

قد تحدثني الحادثات فلا ... أجزع من شيء ولا أجذل

هذا الشعر من العروض الثانية والضرب الرابع من السريع وبيته:

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكف عنم

وأجود مما اختاره ابن الأعرابي قول الأحوص:

النفس فاستيقنا ليست بمعولة ... شيئا وإن جل إلا ريث تعترف

إن القديم وإن جلت رزيته ... ينضو فينسى ويبقى الحادث الأنف

هذا معنى جيد مسفر وبيت أبي خراش أجود منه، وقال أبو العتاهية في هذا المعنى:

فإذا انقضى هم امرئ فقد انقضى ... إن الهموم أشدهن الأحدث

وقد رد أيضا أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

إنما أنت طول عمرك ما عم ... رت في الساعة التي أنت فيها

وبيت أبي العتاهية هذا في نهاية الجودة وإصابة المعنى، وقد ذكرنا شيئا من نظائر بيت أبي خراش هذا الذي قدمنا ذكره فيما تقدم من الكتاب.

وأما قوله: " ولم أدر من ألقى عليه رداءه " البيت، فهو أول من مدح من لا يعرف وذلك أن خراشا لما غشى ألقى عليه رجل ثوبه فواراه وشغلوا بقتل عروة عنه، فنجا خراش، فقال أبوه: ولم أدر من فعل هذا الفعل ولكن صاحب هذا الثوب قد سل عن ماجد محض، أي فعل هذا الفعل رجل كريم، وإلى هذا المعنى نظر أبو نواس في قوله:

ولم أدر ما هم غير ما شهدت به ... بشرقي ساباط الرسوم الدوارس

وقول أبي خراش يصف خراشا: " ولم يك مثلوج الفؤاد " البيت والذي بعده، يذكر أنه لم يكن منتفلا مقيما في الدعة والنعمة والأكل والشرب فيكون مهبجا لذلك، ولكنه قد جاذبه الجوع حتى خف لحمه، فإذا نهض نهض بحقيقة ولم يكذب، ثم وصف جودة حضره فقال: "كأنهم يشبثون بطائر " البيتين، لا نعرف في السرعة مثل هذا لأنه شبهه في الخفة بطائر فقال: " خفيف المشاش " ليكون أسرع له، ثم قال: " عظمه غير ذي نحض " أي ليس على عظمه لحم، ثم ذكر أنه يبادر بحث جناحه في البسط والقبض قرب الليل، فما نحسب أحدا ذكر في الكلام المنظوم والمنثور أحدا بالسرعة ولا وصفه بذلك إلا دون هذه الصفة، وكان أبو خراش أحد الفرارين ومن يحضر فلا يلحق، ومما ذكر من شدة حضره وخفته في فرة فرها من الخزاعيين، وكانوا يطلبونه بثأر، فقال:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

تذكرت ما أين المفر وإنني ... بغرز الذي ينجي من الموت معصم

فوالله ما ربداء أو عير عانة ... أقب وما أن تيس رمل مصمم

بأسرع مني إذ عرفت عديهم ... كأني لأولاهم من القرب توأم

أوائل بالشد الذليق وجنتي ... لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم

فلولا دراك الشد ظلت حليلتي ... تخير في خطابها وهي أيم

فتسخط أو ترضى مكاني خليفة ... وكان خراش يوم ذاك تيتم

وقال أيضا في مثل هذا المعنى:

لما رأيت بني نفاثة أقبلوا ... يشلون كل مقلص خناب

ونشبت ريح الموت من تلقائهم ... وكرهت وقع مهند قرضاب

أقبلت لا يشتد شدي فادر ... علج أقب مشمر الأقراب

ودفعت ساقا لا أخاف عثارها ... وطرحت عني بالعراء ثيابي

وقد أخذ في شعره الضادي الذي قدمنا ذكره مصراعا بأسره لطرفة بن العبد فقال:

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا ... خراش وبعض الشر أهون من بعض

وقال طرفة:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقد أتى بهذا المعنى غير أبي خراش فقال:

ورفعت لي ذكري وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر أرفع من بعض

هذا الكلام حذو كلام طرفة، بل هو منه، وإن كان غير المعنى الذي أتى به خراش وطرفة. ولأبي خراش في الفرار والعدو على الرجلين أشياء كثيرة، قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها شيئا آخر، فمن ذلك قوله في فرة فرها يعتذر منها:

لحا الله جدا راضعا لو أفادني ... غداة التقى الرجلان في كف شاهك

فإن تزعمي أني جبنت فإنني ... أفر وأرمي مرة كل ذلك

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا ... وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك

ومن ههنا أخذ الآخر قوله:

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا ... وأنجو إذا غم الجبان من الكرب

وقال تأبط شرا وذكر شدة حضره من أعدائه:

إني إذا خلة ضنت بنائلها ... وأمسكت بضعيف الحبل أحذاق

نجوت منها نجائي من بجيلة إذ ... ألقيت ليلة خبت الرمل أرواقي

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى بن براق

كأنما حثحثوا حصا قوادمه ... وأم خشف بذي شث وطباق

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي ... بواله من قنيص الشد غيداق

وقال آخر:

فدى لكما رجلي أمي وخالتي ... غداة الكلاب إذ تجن الدوائر

وأشعارهم في هذا المعنى كثيرة. وفي الاعتذار من الفرار في حال وتحسينه في حال وتقبيحه في أخرى أكثر من أن تحصى، وقد ذكرنا من ذلك شيئا في هذا الموضع وفي غيره من كتابنا ونذكر فيما يستأنف بمشيئة الله وعونه.

وقال أبو خراش:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني ... فيذهب لم تدنس ثيابي ولا جرمي

أرد شجاع الجوع قد تعلمينه ... وأوثر عبدي من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة ... وللموت خير من حياة على رغم

الحجاج بن عثمان التجيبي من قبيلة تجيب:

ولي صاحب ما خانني مذ حملته ... ولا كان إلا مسعدا لي على الدهر

شبيهي إرهافا وإن كنت فوقه ... بيانا إذا ما قوبل الأمر بالأمر

أنست به من دون أهلي ولو غدا ... ضجيعي في قبري لما هالني قبري

وما خفت مذ يوم ارتديت نجاده ... ظلامة وال أو مبادهة الفقر

أخذه عبيد الله بن طاهر فقال:

وما أخذت كفي بقائك نصله ... فحدثت نفسي بانهزام ولا فر

هذا معنى جيد قد تشارك فيه جماعة الشعراء، فمن أحسنهم قولا مسلم بن الوليد في قوله:

أتتك المطايا تهتدي بمطية ... عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل

فلما انبعثن النور خوين تحته ... على أمل يشجى به اليأس والمطل

هذان البيتان من أحسن وصف، والبيت الأول منهما مليح التشبيه طريف المعنى في قوله: " يؤنسه النصل " وأتى بهذا المعنى آخر فجود بقوله:

رب ليل جعلته طيلساني ... مؤنسي صارمي وقلب مجني

ظرف في قوله: " قلبي مجني " ولا نعلم أن أحدا أتى بهذا قبله وجعل ترسه قلبه، وقد أخذه بعض العلويين فقال:

قومي إذا حضروا الوغى ... جعلوا الصدور لها مسالك

اللابسين قلوبهم ... فوق الدروع لدفع ذلك

وإليه نظر بعضهم فقال:

يلقى السيوف بنحره وبصدره ... ويقيم هامته مقام المغفر

وأتى به طاهر بن الحسين فقال:

سيفي رفيقي ومسعدي فرسي ... والكأس خدني وقينتي أنسي

أربعة لا أريد خامسة ... سوى نديم عار من الدنس

ومثله لآخر:

مهري جواد وسيفي صارم ذكر ... والزق خلفي ورزق الله قدامي

إنما أردنا من هذين البيتين أنه جعل سيفه رفيقه، وقال الحمدوني في هذا المعنى فجود:

تستأنس الظلماء منه بمخذم ... مستأنس بالمشرفي المخذم

أخذه أبو تمام فقال:

مستأنسين إلى الحتوف كأنها ... بين الحتوف وبينهم أرحام

وللبحتري مثله:

وما صاحبي إلا الحسام وبزه ... وإلا العلنداة الأمون وكورها

ولقد جود ابن أبي زرعة الدمشقي في هذا المعنى بقوله:

ليس لي صاحب على الهول إلا ... صاحب ما يزال من عن يساري

فإذا ما نسبته فيمان ... وهو في خندف قديم الجوار

أرتضيه للحادثات فيرضا ... ني لإيراده وللإصدار

وذكره آخر فقال:

لي صاحب لا أمل صحبته ... لا يمل الرواء من قبلي

كم من ظلام جعلته قبسي ... فيه وخطب أزاحه جلل

وقال أبو زبيد الطائي:

سأقطع ما بيني وبين ابن عامر ... قطيعة وصل لست أقطع جافيا

فتى يتبع النءمى بنعمى تربها ... ولا يتبع الإخوان بالذم زاريا

إذا كان شكري دون فيض بنانه ... وطاولني جودا فكيف اختياليا

هذا معنى حسن وقد تجاذبه جماعة من الشعراء وولدوا فيه أشياء بقرائحهم نحن نذكر بعضها إلا أن الأصل فيه المخترع له أبو زبيد في الأبيات التي قدمناها، وممن جود فيه أبو نواس بقوله:

قد قلت للعباس معتذرا ... من حمل شكريه ومعترفا

أنت امرؤ جللتني نعما ... أوهت قوى شكري فقد ضعفا." (١)

"سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة ... وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب

ومن مليح ما قيل في العناق قول ابن المعتز:

كأنني عانقت ريحانة ... تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى ... ظننتنا في جسد واحد

وإلى هذا أشار ابن طباطبا في قوله:

وليل نصرت الغي فيه على الرشد ... وأعديت حال القرب منه على البعد

وضيقت فيه من عناق معانقي ... فظن وسادي أنني نائم وحدي

وللبحتري في العناق أيضا:

ومن قبل قبل التشاكي وبعده ... نكاد بها من لذة اللثم نشرق

وقد لفنا وشك الفراق وضمنا ... عناق على أعناقنا ثم ضيق

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٥١/١

ليس يجوز أن نستقصي ما قيل في هذا الباب إذا عن في موضع واحد، لأنه لا بد أن تردد في مواضع؛ فلذلك نترك نظائر كثيرة احتياجا إليها لموضوع آخر.

قال: ولما طال تشبيب عبد بني الحسحاس بنساء قومه وذكرهن في الشعر بمثل قوله:

وهن بنات القوم أن يشعروا بنا ... يكن في بنات القوم إحدى الدهارس

وكم قد شققنا من رداء ومطرف ... ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع ... دواليك حتى كلنا غير لابس

توامر قومه في قتله واجتمعوا لذلك في شرب لهم وأحضروه معهم وكان شجاعا راميا وكانت قوسه لا تفارقه ولا يقدر أن يوترها غيره، فلما أخذ فيهم الشراب قال له بعضهم: يا سحيم أراك تقطع وتر قوسك هذه إن شددت به كتافا؟ قال: نعم، قالوا: حتى ننظر، فأمكنهم من نفسه حتى أوثقوه بالوتر. قالوا له: اقطع، فانتحى فيه فلم يقطعه، فحين رأوا ذلك وثبوا إليه بالخشب فضربوه حتى كادوا يقتلونه ثم تعاذلوا في أمره وتركوه رحمة له، فمرت به امرأة من نسائهم وهو مكتوف ونظر إليها فقال وهم يسمعون:

فإن تضحكي مني فيا رب ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فوثبوا إليه بأجمعهم فلما علم أنه القتل قال أيضا:

ولقد تحدر من كرائم بعضكم ... عرق على متن الفراش وطيب

فلما سمعوا هذا البيت قتلوه، وبيته هذا بيت نكد وذلك أنه عمهم كلهم بالعار ورماهم بالفضيحة لقوله: " من كرائم بعضكم " أي من امرأته أو ابنته أو أخته، ولو أنه خص واحدا دون الجميع لكان العار لازما له دون غيره، ولكنه جمعهم كلهم، فيجوز أن يقول كل واحد منهم لصاحبه متى عيره بهذا البيت: إياك أراد بالقول دوني، وقد أحسن الكناية عن الجماع بقوله:

ولقد تحدر من كريمة بعضكم ... عرق على متن الفراش وطيب

لأن العرق يعتري المرأة في ذلك الوقت، ومن الكناية أيضا عن الجماع قول بعض الأعراب:

فإن كان فيكم بعل ليلى فإنني ... وذي العرش قد قبلت ليلى ثمانيا

وأقسم عند الله أن قد رأيتها ... وعشرون منها إصبعا من ورائيا

وإن كان فحش فيما ذكر فقد أحسن الكناية، وقد ذكرنا بعض قصيدة عبد بني الحسحاس التي سماها المفضل الديباج الخسرواني وتكلمنا على بعض ما أخذه من غيره وأخذ منه من بعده، وقصيدة الصمة القشيري عندنا

أطرف كلاما منها وأملح ديباجة، ونختار منها ما يستحسن فمن ذلك:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن يودعا

ألا ليس أيام الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تصدعا

ألا يا خليلي اللذين تواصيا ... بلومي إلا أن أطيع وأتبعا

فإني وجدت اللوم لا يذهب الهوى ... ولكن وجدت اليأس أجدى وأنفعا

وسرب بدت لي فبه بيض نواهد ... إذا سمتهن الوصل أمسين قطعا

مشين اطراد السيل هونا كأنما ... تراهن بالأقدام إذ مسن ظلعا

فقلت سقى الله الحمى ديم الحيا ... فقلن سقاك الله بالسم منقعا

وقلت عليكن السلام فلا أرى ... لنفسي من دون الحمى الي وم مقنعا

فقلن أراك الله إن كنت كاذبا ... بنانك من يمنى ذراعيك أقطعا

فلم أر مثل العامرية قبلها ... ولا مثلها يوم ارتحلنا مودعا

تريك غداة البين مقلة شادن ... وجيد غزال في القلائد أتلعا

شكوت إليها ما ألاقي من الهوى ... وخشية شعب الحي أن يتصدعا

فما كلمتنا غير رجع وإنما ... ترقرقت العينان منها لتدمعا

كأنك بدع لم تر البين قبلها ... ولم تك بالألاف قبل مفجعا

فليت جمال الحي يوم ترحلوا ... بذي سلم أمست مزاحيف ظلعا

فيصبحن لا يحسن مشيا براكب ... ولا السير في نجد وإن كان مهيعا

أتجزع والحان لم يتفرقا ... فكيف إذا داعي التفرق أسمعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... تشكيت للإصغاء ليتا وأخدعا

أما قوله: " حننت " البيت والذي بعده فقد أخذه منه جماعة وهو المخترع له، فممن أخذه بعضهم فقال:

تطوي المنازل عن حبيبك طائعا ... وتظل تبكيه بدمع ساجم

هلا أقمت ولو على جمر الغضا ... قلبت أو حد الحسام الصارم

كذبتك نفسك لست من أهل الهوى ... تشكو الفراق وأنت عين الظالم

ومثله آخر:

أترحل عن حبيبك ثم تبكي ... عليه فما دعاك إلى الفراق

كأنك لن تذق للبين طعما ... فتعلم أنه مر المذاق

ومثله:

يسب غراب البين ظلما معاشر ... وهم آثروا بعد الحبيب على القرب

ومثله:

أترحل طوع النفس عمن تحبه ... وتبكي كما يبكي المفارق عن قهر

أقم لا ترم والحزم منك بمعزل ... ودمعك باق في جفونك لا يجري

أعرابي وبات عند رجل فلم يحمد ضيافته وقال:

أعوذ بربي أن أبيت بليلة ... كليلتنا بالنعف عند بشير

فلما أتيناه استثار رماده ... بكلب إلى جنب الصلاء عقور

يشقق أثواب الغريب ببابه ... ويخلط نبحا فاحشا بهرير

أتيناه نستدعي القرى فأحالنا ... على شمأل مضروبة ودبور

مدل على مين الطريق بلومه ... يرى طرده الأضياف غير كبير

يريد أن البخيل عندهم ينزل في بطون الأودية وبالبعد عن الطريق مخافة الضيفان كالذي يقول:

إن الذي جعل الطريق لبيته ... طنبا وضن بزاده للئيم

فيقول الأول إن هذا من لؤمه لا يبالي حيث نزل على طريق أو غيره لأنه ليس ممن يفكر في الذم إذا لم يقر الضيف.

ومثل معناه قول الآخر:

عبيدة بن غالب ... بئس مناخ الراكب

ينبحنا من جانب ... وكلبه من جانب

من شأن كلب الكريم إذا نظر إلى الضيف ترك النباح كما ذكرنا في عدة مواضع وكلب البخيل يكثر النباح على الضيف، والكلب الدليل للضيف على كرم الرجل ولؤمه، فلذلك ذكرنا نباح الكلب ها هنا. ومن المعنى الذي نحن فيه ما أنشدنا ابن دريد لبعض الأعراب:

لا صبح الله أبا المصبح ... إلا بوغد مثله مكلح

زرناه غب عارض مروح ... يهطل بالماء إذا لم ينضح

فعاد من خوف القرى والمسرح ... برميه النار ودفن المقدح

وضربه الكلب إذا لم ينبح

مثله:

أتيناه أضيافا فأشلى كلابه ... علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل

مثله للبحتري:

لا تجزين أبا عبيدة صالحا ... عن قبح وقفتنا بقنسرينا

جزنا وما كان الجواز هوى لنا ... نصبين من تعب السرى لغبينا

وسرت كلابك بالنباح كأنما ... يطلبن ثأرا قد تقادم فينا

متتابعات بالعواء وراءنا ... حتى طرحنا زادنا فرضينا

مثله:

قد علم الكلب نباح الضيف ... وأمن البزل بريق السيف

أعرابي وسأل قوما قريبي العهد بالغنى فحرموه فقال:

مدحت عروقا للندى مصت الثرى ... قريبا فلم تهمم بأن تتزعزعا

نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى ... وحلبت الأيام والدهر أضرعا

سقاها إله الناس سجلا على الظما ... وقد كربت أعناقها أن تقطعا." (١)

"عجبت والدهر كثيرعجبه ... من عنزي سبني لم أضربه

وقال أبو النجم:

فقربن هذا وهذا أزحله

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٦٥/١

وقال أوس:

له صرخة ثم إسكاتة ... كما طرقت بنفاس بكر

وأيا ما أراد زياد، فقد عدل أبو عمرو عن شرحه.

١١ - وأنشد أبو عمرو:

وأخرجها النسناس حتى أحلها ... بدار عقيل، وابنها طاعم جلد

وقال: النسناس: الجوع.

وإنما القسقاص بقافين، وقال أبو زيد: القسقاص: شدة الجوع والبرد، وأنشد:

أتانا به القسقاس يرعش خابطا ... ولليل أسجاف على البيد تسبل

وقال ابن دريد في كتاب الثناثي المكرر في سين وقاف: والقسقاس: شدة الجوع والبرد، وقرب قسقاس: بعيد المطلب مثل حصحاص وحذحاذ، وحدحاد وأنشد البيت الذي أنشده أبو زيد.

وما أعلم أن أحدا من الرواة قال النسناس: الجوع سوى أبي عمرو، والرواة على القسقاس بقافين، وهذا تصحيف منه - رحمه الله - ولو بلغ تنبيهنا هذا أبا عبيدة لسر، وعلم أنا **أثأرنا** له منه فيما راسله به في الغيل.

٢١ - وأنشد أبو عمرو لطريف بن تميم:

حولي فوارس من أسيد شجعة ... وإذا حللت فحول بيتي خضم

وقال: الشجعة: الشجعاء، وهم الشجعان والشجعان، والخضم: العدد الكثير.

هذا غلط فاحش إنما العدد الكثير: الخضم مشبه بالبحر، قال العجاج:

فاتجمج الخضم والخضم ... فخطموا أمرهم وزموا

فأما خضم في بيت طريف، فإنما لقب لبني العنبر بن عمرو بن تميم، ويلقبون أيضا الجعراء. قال أبو عبيدة: خضم: لقب بني العنبر، وكذلك ابن الكلبي، وغيره من أهل النسب.

١٣ - وأنشد أبو عمرو للمثلم الدغشي من طيفي:

كنت ابتألت على قوم ذوي حسب ... قد كنت أوليهم عرفا فخانوني

وقال الابتآل: الاعتماد على العصا، ويقول: ابتألت عليهم في ذلك أي اعتمدت كأنه من الوأل، وهو الحرز أي صيرتهم ملجأ لي.

وهذا فاسد. إنما الحرز: الموئل، فأما الوأل فمصدر لقولهم: وأل يئل وألا إذا لجأ أو تحرز. ومن كلامهم: " لا

وألت إن وألت " أي لا نجوت إن نجوت.

١٤ - وأنشد أبو عمرو لعطاء الدبيري:

ونازحة الجولين خاشعة الصوى ... قطعت بمدشاء الذراعين ساهم

وقال: المدشاء سريعة أوب اليدين.

وإنما المدشاء: القليلة لحم الذراعين، قال أبو زيد: المدش: الضعف في البصر وفي اليدين. وقال ابن دريد: مدشت عين الرجل تمدش مدشا إذا أظلمت من جوع أو حر شمس، والرجل مدش، قال: وأحسبه مقلوبا من دمش.

وقال الأصمعي: المدش: الضعف. وهذا كله متقارب لأنهما إذا قل لحمهما ضعفتا، ولم يذكر أحد في المدش السرعة.

وقول عطاء في البيت: " ساهم " يدل على التحول والتغير، وذانك لهما مضعفان.

١٥ - وقال: الابل المطاريق التي تسير ولا تأكل وقد أطرقت الإبل؛ والواحدة مطرقة.

هكذا نقل عنه وهو وهم منه، ومن نقل عنه، وإنما الوجه اطرقت بتشديد الطاء، وهي مطرقة قال الراجز:

حتى إذا الليل علا الحيوتا ... سارت معا واطرقت شتيتا

١٦ - وقال: اللماك: الكحل، وأنشد:

حتى إذا ما مر خمس قعطني ... وشب عينيها لماك معدني

هكذا روى عنه: لماك بالكاف وكسر اللام.

وأكثر الرواة: أبو زياد وغيره، يروون: لمال بلامين الأولى مفتوحة وهما الأعرف.

١٧ - وقال أبو عمرو: الدهمجة مشي الكبير كأنه في قيد.

والرواة: على أن الدهمجة تقارب خطو مع سرعة، قال الفرزدق:

حمار لهم من بنات الكداد ... يدهمج بالوطب والمزود

يبيعون نزوته بالوصيف ... وكوميه بالناشفي الأمرد

ولو كانت الدهمجة من مشي الكبير كأنه في قيد لما ساوى هذا الحمار وصيفا فكيف نزوته. والدهمجة: السرعة لا محالة.

١٨ - وقال أبو عمرو: الثفال الذي يجعل تحت الرحى يقع عليه الدقيق.

وهذا محال إنما يقع عليه الحب لأنه جلد بين الحجرين محيط بالقطب تحت الفأس، ولا دقيق ثم.

١٩ – وقال أبو عمرو: المسد من جلود الإبل تغار، والإغارة: الفتل فتجعل – وهي رطاب – مثل الرشاء الغليظ فيبقى دهرا.

وإنما قال الشيخ هذا لأنه حفظ قول الراجز:." (١)

"وينال الثأر طالبه ... بعدما تسلو المثاكيل

مضمر حقدا ومنصله ... مغمد في الجفن مسلول

قال: فلما قرب عبد الله بن طاهر مني، استوحشت من المقام خوفا على نفسي، ورأيت بعدي وتسليمي حرمي عارا باقيا، ولم يكن لي إلى هربي بالحرم سبيل، فأقمت على أتم خوف مستسلما للاتفاق، حتى إذا كان اليوم الذي قيل إنه ينزل فيه العسكر بهذه النواحي أغلقت باب حصني، وأقمت هذه الجارية السوداء ربيئة تنظر لي على مرقب من شرف الحصن، وأمرتها أن تعرفني الموضع الذي ينزل فيه العسكر قبل أن يفجأني، ولبست ثياب الموت أكفانا، وتطيب، وتحنطت.

فلما رأت الجارية العسكر يقصد حصني، نزلت فعرفتني، فلم يرعني إلا دق باب الحصن فخرجت، فإذا عبد الله بن طاهر، واقف وحده، منفرد عن أصحابه، فسلمت عليه سلام خائف، فرد علي بن الحسن غير مستوحش، فأومات إلى تقبيل رجله في الركاب، فمنع ألطف منع وأحسنه، ونزل على دكان على باب الحصن.

ثم قال: ليسكن روعك، فقد أسأت الظن بنا، ولو علمنا أنا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك.

ثم أطال المسألة، حتى رأى الثقة مني قد ظهرت، فسألني عن سبب مقامي في البر، وإيثاري إياه على الحاضرة، ورفاهة عيشها، وعن حال ضيعتي ومعاملتي في ناحيتي، فأجبته بما حضر لي.." (٢)

"لتأمن، قبل هجوم الجيش، ولئلا يخالط عفوي عنك، روعة تلحقك.

فبكي الحصني، وقام فقبل يده، فضمه عبد الله إليه، وأدناه، ثم قال له: أما إنه لا بد من العتاب، يا أخي، جعلني الله فداك، قلت شعرا في قومي أفخر بهم، ولم أطعن فيه على نسبك، ولا ادعيت فضلا عليك، وفخرت بقتل رجل هو وإن كان من قومك، فهو من الذين ثأرك عندهم، وقد كان يسعك السكوت، وإن لم يسعك، أن لا تغرق ولا تسرف.

---

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة علي بن حمزة البصري ص/١٠

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٤٧/١

فقال: أيها الأمير، قد عفوت فاجعله عفوا لا يخالطه تثريب، ولا يكدر صفوه تأنيب.

قال: قد فعلت، فقم بنا ندخل إلى منزلك، حتى توجب علينا حقا وذماما بالضيافة.

فقام مسرورا فأدخلنا منزله، وأتانا بالطعام فأكلنا، وجلسنا نشرب في مستشرف له، وأقبل الجيش، فأمرني أن أتلقاهم فأرحلهم، ولا يتنزل أحد منهم إلا في المنزل، وكان على ثلاثة فراسخ من الحصن، فنزلت، فرحلتهم، وأقام عنده إلى العصر، ثم دعا بدواة، فكتب له بتسويغه خراجه ثلاث سنين.

ثم قال له: إن نشطت، فالحق بنا إلى مصر، وإلا فأقم بمكانك.

فقال: أتجهز، وألحق بالأمير.

ففعل، ولحق بنا، فلم يزل مع عبد الله، لا يفارقه، حتى رحل إلى العراق، فودعه، وأقام ببلده.." (١)

"أبو سعيد الثغري يعتقل ويعذب

قال مؤلف هذا الكتاب: وللبحتري في هذه الأبيات الكافية، خبر آخر حسن، نذكره لأنه أيضا يدخل في هذا الباب، أخبرني أبو بكر الصولي إجازة، ونقلته من خطه، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم القنوي، قال: طولب أبو سعيد الثغري، بمال، بعد غزواته المشهورة، وسلم إلى أبي الحسين النصراني الجهبذ ليستخرج منه المال، فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين، وقالوا: يأخذ بثأر النصرانية.

فقال البحتري:

يا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها ... والمسلمين وضيعة الإسلام

طلبت ذحول الشرك في دار الهدى ... بين المداد وألسن الأقلام

هذا ابن يوسف في يدي أعدائه ... يجزى على الأيام بالأيام

نامت بنو العباس عنه ولم تكن ... عنه أمية - لو رعت - بنيام

فقرئ هذا الشعر على المتوكل، فأمر بإطلاق أبي سعيد، وتوليته، وأمر بإحضار قائل الأبيات، فأحضر البحتري، واتصل به فكان أول شعر أنشده، قوله في أبي سعيد:

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك

وذكر الأبيات، إلا أنه قال في البيت الثالث، بدل الحادثات: النائبات.." (٢)

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٥٢/١

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٦/٢

"فكشف له عن الرحل، فلما قرأه الجون بن مالك، أمر له بمائة ناقة حمراء، ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي، أبا الأشعب بن قيس، فقال له: يا هذا إن أخي في بني عامر بن عقيل أسيرا، فسر معي بقومك لنخلصه.

فقال له قيس: تسير تحت لوائي، حتى أطلب ثأرك وأنجدك، وإلا فامض راشدا.

فقال له الجون: مس السماء أيسر من ذلك، وأهون علي مما جئت به.

فضجت السكون، ثم فاءوا، ورجعوا، وقالوا له: وما عليك من هذا؟ هو ابن عمك، ويطلب لك بثأرك، فأنعم له بذلك.

وسار قيس، وسار معه الجون تحت لوائه، وكندة والسكون معه، فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف، فسار حتى أوقع ببني عامر بن عقيل، فقتل منهم مقتلة عظيمة، واستنقذ قيسبة، فقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ... ألفي كميت كلها سلهبه

نحن أبلنا الخيل في أرضكم ... حتى ثأرنا منكم قيسبه

واعترضت من دونها مذحج ... فصادفوا من خيلنا مشغبه." (١)

"قال: لعلك من ولد معاوية؟ قال: نعم.

قال: فمن أي ولده أنت؟ فسكت.

قال: لعلك من ولد يزيد؟ قال: نعم.

قال: بئس الاختيار اخترت لنفسك، من قصدك بلدا ولايته لآل أبي طالب، وعندك ثأرهم في سيدهم وإخوته وبني عمه، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق، عند من يتولى جدك، ويحب رفدك، فإن كنت جئت عن جهل بهذا منك فما يكون بعد جهلك شيء، وإن كنت جئت متمريا بهم، فقد خاطرت بنفسك.

فنظر إليه العلويون نظرا شديدا، فصاح بهم محمد، وقال: كفوا عافاكم الله، كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثأرا بالحسين بن علي رضي الله عنهما، وأي جرم لهذا؟ إن الله عز وجل قد حرم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله، لا يعرض له أحد إلا أقدته به، واسمعوا حديثا أحدثكم به، يكون قدوة لكم فيما تستأنفون من أموركم.

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٢/١٧١

حدثني أبي، عن أبيه، قال: عرض على المنصور، سنة حج، جوهر فاخر، فعرفه، وقال: هذا كان لهشام بن عبد الملك، وهذا بعينه، قد بلغني خبره، عند ابنه محمد، وما بقي منهم أحد غيره.." (١)

"وأدخل إبراهيم بزيه، فسلم على المأمون، وقال: يا أمير المؤمنين، إن ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الاغترار، بما مد له من أسباب الرجاء، لم يأمن عادية الدهر، ولست أخلو عندك من أن أكون عاقلا، أو جاهلا، فإن كنت جاهلا فقد سقط عني اللوم من الله، تعالى، وإن كنت عاقلا، فيجب أن تعلم أن الله، عز وجل، قد جعلك فوق كل ذي عفو، كما جعل كل ذي ذنب دوني، فإن تؤاخذ؛ فبحقك، وإن تعف؛ فبفضلك، ثم قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بحلمك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

وقال:

أذنبت ذنبا عظيما ... وأنت للعفو أهل

فإن عفوت فمن ... وإن جزيت فعدل

قال: فرق له المأمون، وأقبل على أخيه أبي إسحاق وابنه العباس والقواد." (٢)

"قال المأمون لقد حبب إلي العفو حتى خفت أن لا أؤجر عليه

ووجدت الخبر على خلاف هذه الرواية، فأخبرني أبو الفرج الأموي، المعروف بـ: الأصبهاني، قال: أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، عن الجاحظ، قال: أرسل إلي ثمامة، يوم حبس المأمون إبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم، فحضروا، وجيء بإبراهيم.

قال أبو الفرج، وأخبرني عمي، قال: حدثني الحسن بن عليل، قال: حدثني محمد بن عمرو الأنباري، من أنبار خراسان، قال: لما ظفر المأمون بإبراهيم المهدي؛ أحب أن يوبخه على رءوس الأشهاد، فأمر بإحضار الناس على مراتبهم، وجيء بإبراهيم يرسف في قيوده، فوقف على طرف البساط في طرف الإيوان، يحجل في قيوده. فقال: السلام عليك، يا أمير المؤمنين، ورحمة الله، تعالى، وبركاته.

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٣٥/٢

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٣٥/٣

فقال له المأمون: لا سلم الله عليك، ولا كلأك، ولا حفظك، ولا رعاك.

فقال له إبراهيم: على رسلك، يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي الثأر." (١)

"فقلت: ما أحب تعريضك لهذا، وقد صار لي بتلف ذلك الحواء حديث.

فقال: إن ذلك الحواء كان أخي، وأنا أريد أن آخذ بثأره، وأريح الناس من هذا الملعون، أو اللحاق بأخي.

قلت: فتشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة، أن هذا باختيارك، لا بمسألة مني، ففعل، وأريته البستان.

فقال: أريد شيئا آكله، فجئناه بطعام فأكل، ثم أخرج دهنا كان معه، فطلى به جميع بدنه.

وقال لغلام كان معه: انظر هل بقي موضع من غير ما أطليه؟ فقال له الغلام: لا.

فجلست أنا فوق السطح الذي في داري، أنظر ما يفعل، فأخرج دخنة فبخر بها، فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنه دن أسود.

فحين قرب من الحواء هرب، فتبعه الحواء، فلحقه وقبض عليه.

فالتفت الأفعى فعض يده، فتركه الحواء فأفلت، وذهب عليه أمره، فجئناه وحملناه، فمات في الليل.

وانقلبت الناحية بحديث الأفعى.

ومضى على هذا مدة، فجاء رجل يشبه الرجلين، وسألني عما سألني عنه الأخوان. فأخبرته بالخبر.

فقال: الرجلان أخواي، ولا بد لي من الأخذ بثأرهما، أو اللحاق بهما.

قال: فأشهدت عليه، وأريته الموضع، وصعدت به السطح، فأكل وشرب أقداحا كثيرة، وأخرج دهنا كان معه، وطلى به دفعات كثيرة كل بدنه، وكل مرة يسأل غلامه.

فيقول: هل بقي موضع لا دهن فيه؟ فيقول له الغلام: لا.." (٢)

"ثم عادوا والمال معهم، فأمروا بإعادة التقليب، فخرجت الجارية، فغنت بصوت، الغناء فيه لإبراهيم، وهو:

ومن عادة الدنيا بأن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣/٣٤٢

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٤/١٥٧

وما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو للثأر طالب

ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا، وفي الخبر الأول زيادات، ليست في خبر ابن جمهور.." (١)

"فقال: ثلاثون ألف دينار.

فقال جعفر: فهل لك أن تأمرها بأن تغنينا؟ فأقبل الشيخ عليها فاستدناها، وأمرها أن تغني، فأخذت العود، وأصلحته، ثم استعبرت، وغنت بصوت، الغناء من صنعة إبراهيم:

ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب

وما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

قال: ثم أنها ألقت العود من يدها، وصرخت، وصرخ الشيخ، وجعلا ينتحبان.

ثم إن الشيخ أقبل على جعفر ومن معه، وقال: أشهدكم أني قد أعتقتها، وجعلت عتقها صداقها، والله، لا ملكها أحد أبدا.

فغضب جعفر، وأقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه، ويقولون له: ضيعت هذا المال الجليل، وعجلت، وجهلت.

فقال الشيخ: النفس أولى أن يبقى عليها من المال، والرازق الله سبحانه وتعالى، وعاد جعفر إلى أبيه فأخبره بما كان من الرجل والجارية.

فقال له أبوه: فما صنعت بهما؟ قال: تركتهما وانصرفت.

فقال له: ويحك. ما أنصفت يا ولدي، أو ما أنفت على نفسك أن تفرق بين متحابين مثلهما، مقترين، فقيرين، أو تنصرف عنهما، ولا تجبر حالهما؟ أرضيت أن يكون الكوفي أسمح منك.

ودعا بغلام، فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين ألف دينار على بغال.." (٢)

"أخطأت فى أربع لا يخطأ فى مثلهن؟ قال: وما هن؟ قالوا: قلت فى زفر وأنت تريد أن تضع منه فرفعته حتى خوفت منه. فقال: صدقتم. وماذا؟ قالوا: وضغوت «٣٤» من الجحاف ضغوة أبقيت عارها على قومك إلى يوم القيامة. قال: صدقتم. وماذا؟ قالوا:

أردت هجاء سويد بن منجوف فمدحته. قال: صدقتم. وماذا؟ قالوا: أردت مديح سماك بن خرشة فهجوته.

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٣٨/٤

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٣٤١/٤

قال: صدقتم.

وأما خبر الجحاف فأخبرني محمد بن يحيي قال: حدثنا الفضل بن الحباب عن دماذ، عن أبي عبيدة، قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وعنده الجحاف بن حكيم السلمى- وقد كان الجحاف اعتزل حربهم تحرجا ولم يدخل فى شيء منها- فلما رآه الأخطل عند عبد الملك قال «٣٥» :

ألا أبلغ الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى «٣٦» أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف من عند عبد الملك وهو يجر مطرفه غضبا.

فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلا قد جررت على قومك شرا. ومضى الجحاف، فأتى قومه و ا فتعل كتابا، وحشا جربا ترابا، وقال: إن عبد الملك قد ولانى بلاد بنى تغلب، وهذه الجرب فيها المال؛ فتأهبوا وامضوا معى. فمضوا معه.

فلما أشرف على بلاد بنى تغلب نثر التراب، وخرق الكتاب، وقال: ما من ولاية؛ ولكنى غضبت لكم- وأخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك- فاثأروا بقومكم. فشد على بنى تغلب بالبشر ليلا، وهم غارون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة. وهرب الأخطل من ليلته مستغيثا بعبد الملك، فلما دخل عليه قال «٣٧» :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول

فإلا تغيرها «٣٨» قريش بملكها ... يكن عن قريش مستماز ومزحل." (١)

"رفعت القصيدة إلى أبي سعيد، وكان خبر أبي تمام عنده؛ فلما قرأ الكاتب أول بيت منها ووجده:

هن عوادى يوسف وصوحبه ... فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

اغتاظ لذلك، وقال للكاتب: ألقها، أخرى الله حبيبا، يمدح مثل هذا الملك الذى فاق أهل زمانه كمالا بقصيدة يرحل بها من العراق إلى خراسان: فيكون أولها بيت نصفه مخروم والنصف الثانى عويص! وتمكن له فى نفس أبي سعيد كراهة ذلف.

ثم إن أبا سعيد لقى أبا تمام فقال له: يا أبا تمام؛ لم لا تقول من الشعر ما يفهم؟ قال له: وأنت يا أبا سعيد؛ لم لا تفهم من الشعر ما يقال؟ وذكر باقى الحديث.

أخبرني عبد الله بن يحيي العسكرى؛ قال حدثنى أحمد بن الحسن، قال: حدثنى على بن عبد الرحيم القناد

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/١٨١

قال: حضر أبو تمام عند الكندى، فقال له: أنشدنى أقرب ما قلت عهدا. فأنشده قصيدته التى يقول فيها «١٩٨» .

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس «١٩٩»

فقال له الكندى: ضربت «٢٠٠» الأقل مثلا للأعلى. فأطرق أبو تمام ثم قال على البديه:

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

وأخبرنى الصولى، قال: حدثنى محمد بن يحيى بن أبى عباد، قال: حدثنى أبى، قال: شهدت أبا تمام ينشد أحمد بن المعتصم قصيدة مدحه بها، فلما بلغ إلى قوله: إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... البيت. وقال- أراد إياس بن معاوية- فقال له الكندى، وكان حاضرا وأراد الطعن عليه: الأمير فوق ما وصفت. فأطرق قليلا ثم زاد فى القصيدة." (١)

"حدث الحسن بن خضر قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس استخفى رجال بني أمية، وكان فيمن استخفى منهم إبراهيم بن سليمان ابن عبد الملك، حتى أخذ له داود بن العباس أمانا. وكان إبراهيم رجلا عالما حدثا فخص بأبي العباس السفاح فقال له يوما: حدثني عما مر بك في اختفائك قال: كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل شارف على الصحراء، فبينا أنا على ظهر بيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف بها أحدا أختفي عنده، فبقيت متلددا فإذا أنا بباب كبير، ورحبة واسعة فدخلت فيها، وإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة، ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال لي من أنت وما حاجتك؟ قلت: رجل مستخف يخاف على دمه استئجار بمنزلك، فأدخلني منزله، ثم صيرني في حجرة تلي حرمه، فكنت عنده في كل ما أحب من مطعم ومشرب وملبس، ولا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه يركب في كل يوم ركبة، فقلت له يوما: أراك تدمن الركوب ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا، وقد بلغني أنه مستخف، وأنا أطلبه لأدرك منه ثأري، فكثر، والله، تعجبي من ادبارنا، إذ ساقني القدر إلى حتفي في منزل من يطلب دمي، وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فأخبرني فعرفت أن الخبر صحيح، وأنا كنت قتلت أباه صبرا، فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك، ومن حقك علي أن أدلك على خصمك،

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٤٠٦

وأقرب عليك الخطوة، قال: وما ذاك؟ قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ **بثأرك**، فقال: إني أحسبك رجلا قد أمضك الاختفاء، فأحببت الموت، قلت: بل الحق ما قلت لك، أنا قتلته يوم كذا وكذا " بسبب كذا وكذا " فلما عرف صدقي اربد وجهه واحمرت عيناه وأطرق مليا، ثم قال، أما أنت فستلقى أبي فيأخذ **بثأره** منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي، فأخرج عني، فلست آمن نفسي عليك " بعدها " وأعطاني ألف دينار فلم آخذها، وخرجت من عنده، فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.

حكاية

قيل كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية بن أبي سفيان، قد جعل فيها عبيدا له من الزنوج يعمرونها، فدخلوا على أرض عبد الله، فكتب إلى معاوية: " أما بعد يا معاوية فامنع عبدانك من الدخول في أرضي وإلا كان لي ولك شأن. " فلما وقف معاوية على الكتاب "كان إذ ذاك أمير المؤمنين دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه قال له: يا بني ما ترى؟ قال: أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك، يأتوك برأسه قال او خير من ذلك يا بني، علي بدواة وقرطاس وكتب: " وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله، وساءني ما ساءه، والدنيا بأسرها عندي هينة في جنب رضاه، وقد كتبت له على نفسي صكا بالأرض والعبدان، وأشهدت علي فيه، فليستضفها مع عبدانها إلى أرضه وعبيده والسلام ". فلما وقف عبد الله عىى كتاب معاوية كتب إليه: " وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام ". فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه أسفر وجهه، فقال له: يا بني إذا بليت بمثل هذا الداء فدواه بمثل هذا الدواء.

حكاية

قال عبد الله بن سليمان: كنت بحضرة والدي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن أبي خالد " الصريفيني " الكاتب فقام له أبي من مجلسه وأقعده في صدره، وتشاغل به، فلم ينظر في عمل حتى نهض، ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه، فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا، لأن رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد ممن يدخل إليهم، وتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي: يا بني إذا خلونا فسلني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل.." (١)

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد التنوخي، المحسن بن علي ص/٩

"قيل كان الأفشين مبغضا لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وحاسدا له على فضله، فحمل نفسه يوما على قتله واستدعاه باستحثاث وإزعاج، وكان أبو دلف صديقا لقاضي القضاة أحمد بن أبي داود. فبعث إليه أدركني فمن أمري كذا وكذا. فكرب مسرعا واستحضر من حضره من الشهود. فلما ورد باب الأفشين قال له الغلمان: نستأذن لك قال: الأمر أعجل من ذلك، ونزل ودخل فألقى الأفشين جالسا في موضعه، وقد أقيم أبو دلف بين يديه في الصحن. فلما رأى الأفشين قاضي القضاة دخل بلا إذن بهت فقال له أحمد بن أبي داود أيها الأمير أنا رسول أمير المؤمنين إليك يأمرك أن لا تحدث في أمر القاسم حدثا إلا بإذنه. ثم التفت إلى الشهود فقال اشهدوا أني قد بلغت رسالة أمير المؤمنين، والقاسم حي معافى ثم خرج فأتى باب المعتصم مسرعا، واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين: قد كذبت عليك واحدة أرجو بها الجنة ولك بها الفخر قال وما هي؟ قال كان من الأمر كيت وكيت قال: فضحك المعتصم وقال: أحسنت أحسن الله إليك. ثم لم يلبث أن جاء الأفشين مستأذنا فأذن له، فلما استقر مجلسه قال يا أمير المؤمنين جاءتني رسالة منك مع قاضي القضاة في مغنى أبي دلف فما تأمر في شأنه؟ قال نعم أرسلت إليك فيه فأحذر أن تتعرض له إلا بخير، فأفلت بذلك من يده.

حكاية

حدث القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة. حدثني أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني قال: كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان إذا افتتح الخاج نظر ما في بيت المال من خراج السنة التي قبلها، وفرقه في قبائل قريش على دعوتهم وفي الأنصار وفي الفقهاء وأهل القرآن وسائر طبقات الناس، إلى أن يفرق جميع ما بقي فجلس سنة من السنين يفرق مثل ذلك على عادته، فلما بدأ ببني عبد مناف، وقد فرغ من بني هاشم، دعا سائر بني عبد مناف فقال إليه رجل فقال: من أي بني عبد مناف أنت؟ قال من بني أمية، قال من أيهم أنت؟ فسكت قال: لعلك من ولد معاوية؟ قال نعم قال أمن أيهم أنت؟ فسكت قال لعلك من ولد يزيد؟ قال نعم. قال: قال بئس الاختيار اخترت لنفسك، من قصدك " بلدا " ولاية آل أبي طالب وعندك ثأرهم في سيدهم، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك. فإن كنت جئت عن جهل منك بهاذ فما يكون بعد جهلك جهل. وإن كنت جئت مستهزئا بهم فقد خاطرت بنفسك فنظر إليه العلويون نظرا شديدا فصاح بهم محمد وقال: كفوا عافاكم الله كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثأرا للحسنين بن علي، وأي جرم لهذا إن الله تعالى قد حرم

أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله لا يعرض له أحد إلا أقدته به، واسمعوا حديثا أحدثكم به يكون لكم قدوة فيما تستأنفون:." (١)

"حدثني أبي عن أبيه قال: عرض على المنصور سنة حج جوهر فاخر فعرفه وقال: هذا كان لهشام بن عبد الملك، وهذا يعنيه قد بلغني خبره عند ابنه محمد، وما بقي منهم أحد غيره. ثم قال للربيع: إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام، وحصل الناس فيه فأغلق الأبواب ووكل بها ثقاتك من الشيعة وأقفلها، وافتح للناس بابا واحدا منها، وقف عليه فلا يخرج أحد إلا من قد عرفته. فلما كان من غد فعل الربيع ذلك، وتبين محمد بن هشام القصة، وعلم أنه هو المطلوب وإنه مأخوذ فتحير. وأقبل محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على أثر ذلك فرآه متحيرا وهو لا يعرفه فأنكر أمره وقال له. يا هذا أراك متحيرا متلددا فمن أنت ولك أمان الله تعالى التام العام وأنت في ذمتي حتى أخلصك بعون الله تعالى قال: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت؟ قال أنا محمد بم زيد بن علي بن الحسين قال: فعند الله أحتسب نفسي، إذ قال: لا بأس عليك يا ابن عم، فإنك لست قاتل زيد ولا في قتلك إدراك ثأره، وأنا الآن بخلاصك أولى مني بإسلامك، ولكن تعذرني فيما أتناولك به من مكروه وقبيح خطاب أخاطبك به يكون فيه خلاصك، بمشيئة الله تعالى. فقال: يا سيدي أنت وذاك، فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولببه به وأقبل يسحبه، فلما وقعت عين الربيع عليه لطمه لطمات، وجاء به إلى الربيع، وقال يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جماله ذاهبا وعائدا وقد هرب مني في هذا الوقت، وأكرى لبعض القواد الخراسانية، ولي عليه بذلك شهود، فتضم إلي حرسيين يصيران به معي إلى القاضي ويمنعان الخراساني من اعتراضه إن اعترضنا، فضم إليه الربيع حرسيين وقال امضيا به معه بعد من المسجد قال له: يا خبيث أتؤدي إلي حقي؟ قال نعم يا ابن رسول الله، فقال للحرسيين: انصرفا في حفظ الله تعالى فانصرفا. فلما بعدا أطلقه، فقبل محمد بن هشام رأسه وقال: بأبي أنت والله وأمي، فالله أعلم حيث يجعل رسالاته ثم أخرج جوهرا له قدر عظيم فدفعه إليه وقال: تشرفني يا سيدي بقبول هذا مني، قال: اذهب بمتاعك يا ابن عم، فإنا أهل البيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك دم زيد وهو أعظم قدرا من متاعك، فانصرف راشدا ووار شخصك عن هذا الرجل إلى أن يخرج، فإنه مجد في طلبك، فمضى وتوارى.

قال ثم أمر محمد بن زيد الداعي " بطبرستان " للأموي بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف، وضم إليه جماعة

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد التنوخي، المحسن بن علي ص/٤٢

من مواليه، وأمرهم أن يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتابه بسلامته، فقام الأموي فقبل رأسه ومضى معهم حتى بلغ مأمنه وجاؤوه بكتاب بسلامته.

حكاية

قال أبو القاسم بن المعمر الزهري: كنت أسير مع يحيى بن خالد وهو بين ابنيه الفضل وجعفر، فإذا أبو الينبغي واقف على الطريق فناداني يا زهري فاستشرفت له فقال:

صحبت البرامك عشرا ولاء ... وبيتي كرا وخبزي شرا

قال: فسمعه يحيى فالتفت إلى الفضل وجعفر وقال: أف لهذا الفعل، أبو الينبغي ممن يحاسب؟ فلما كان الغد جاءني أبو الينبغي فقلت: ويحك ما هذا الذي عرضت نفسك له. فقال: أسكت ما هو إلا أن انصرفت إلى منزلي حتى جاءني من قبل الفضل بدرة ومن قبل جعفر بدرة، ووهب لي كل واحد منهما دارا، وأجرى علي من مطبخه ما يكفيني.

حكاية

قيل عرض محمد بن الجهم دارا له للبيع بخمسين ألف درهم، فلما حضر الشهود ليشهدوا قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص، وكانت الدار في جوار سعيد بن العاص فقالوا: وإن الجوار ليباع، فقال: وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن أسأت إليه أحسن إليك. قال: فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة ألف درهم، وقال له: امسك عليك دارك.

حكاية." (١)

"فانبرى إليه أحمد بن أبي داود كأنما أنشط من عقال يسأل في رجل من اليمامة، فأسهب في الشفاعة وأطنب، وذهب في القول كل مذهب، فقال له الواثق: يا أبا عبد الله لقد أكثرت في غير كثير ولا طيب فقال يا أمير المؤمنين إنه صديقي.

وأهون ما يعطي الصديق صديقه ... من الهين الموجود أن يتكلما

فقال الواثق: ما قدر هذا اليمامي أن يكون صديقك وإنما حسبه أن يكون من بعض خولك فقال: يا أمير المؤمنين إنه شهر بالاستشفاع بي عندك، وجعلني بمرأى مسمع من الرد والإسعاف، فإن لم أقم له هذا المقام كنت إذا كما قال أمير المؤمنين:

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد التنوخي، المحسن بن علي ص/٤٣

خليلي ماذا أرتجي من غد امرئ ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين

وإن امرأ قد ضن عني بمنطق ... يسد به فقر امرئ لضنين

فقال الواثق لمحمد بن عبد الملك الزيات: بالله يا محمد ألا عجلت لأبي عبد الله حاجته ليسلم من هجنة المطل كما سلم من هجنة الرد.

حكاية

قيل سأل رجل حاتما الطائي فقال: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه. وأصلح من لحمه، وقدم إلي، وكان فيما قدم إلي الدماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت: طيب والله. فخرج من بين يدي، وجعل يذبح رأسا رأسا، ويقدم إلي الدماغ وأنا لا أعلم. فلما خرجت لأرحل نظرت حول بيته دما عظيما وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره. فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله تستطيب شيئا أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسبة على العرب قبيحة. قيل يا حاتم: فما الذي عوضته؟ قال: ثلاثمائة ناقة حمراء وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل أنت إذا أكرم منه فقال: بل هو أكرم، لأنه جاد بكل ما يملكه وإنما جدت بقليل من كثير.

حكاية

وحدث أبو اليقظان عن جويرية قال: أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه فقال له قائل: يا ابن جعفر أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا؟ فقال: والله إن كان هذا أسود إن ثناه لأبيض، وإن شعره ليهزني، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وما ذاك؟ إنما هي رواحل تنضى، وثياب تبلى؛ ودراهم تفنى، وثناؤه يبقى، ومديحه يروى.

حكاية

قدم زياد الأعجم على المهلب بن أبي صفرة بخراسان ونزل على ابنه حبيب فجلسا ذات عشية على شراب وفي الدار شجرة علها حمامة فجعلت تغرد وزياد الأعجم يقول:

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تضاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإن هم يفتلوك طلبت ثأري ... بقتلهم لأنك في جواري

فأخذ حبيب سهما فرماها فأثبتها فماتت، فقال له زياد قتلت جاري، بيني وبينك الأمير المهلب ثم أتى المهلب فأخبره فقال: يا حبيب ادفع إلى أبي أمامة ألف دينار قال حبيب: أعز الله الأمير كنت ألعب. فقال: أمع هذا لعب؟ جار أبي أمامة جاري، فدفع إليه حبيب ألف دينار فقال زياد الأعجم:

فلله عينا من رأى كقضية ... قضاها فأمضاها الأمير المهلب

قضى ألف دينار بجار أجرته ... من الطير حضان على البيض ينعب

رماه حبيب بن المهلب رمية ... فأنفذه بالسهم والشمس تغرب

فألزمه عقل القتيل بزجرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

فلما سمعه المهلب أجازه بجائزة حسنة وصرفه مكرما وبلغ هذا العشر الحجاج، فقال: ما أخطأت العرب إذ جعلت المهلب شيخها.

حكاية." (١)

"وأرى أبا الخطاب نال من الحجى ... حظا رواه الدهر عن خطابه

لا تطلبن كلامه متشبها ... فالدر ممتنع على طلابه

أثنى وخاف من ارتحال ثنائه ... عني فقيد لفظه بكتابه

كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت صبابه

فتشوفت شوقا إلى نفحاته ... أفهامنا ورنت إلى آدابه

والنخل ما عكفت عليه طيوره ... إلا لما علمته من أرطابه

ردت لطافته وحدة ذهنه ... وحش اللغات أوانسا بخطابه

والنحل يجني المر من نور الربى ... فتصير شهدا في طريق رضابه

عجب الأنام لطول همة ماجد ... أوفى به قصر وما أزرى به

سهم الفتى أقصى مدى من سيفه ... والرمح يوم طعانه وضرابه

هجر العراق تطربا وتغربا ... ليفوز من سمط العلا بغرابه

والسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها من غابه

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد التنوخي، المحسن بن علي ص/٥٨

والعضب لا يشفي امرأ من ثأره ... إلا بعقد نجاده وقرابه

والله يرعى سرح كل فضيلة ... حتى يروحه إلى أربابه

يا من له قلم حكى في فعله ... أيم «١» الغضا لولا سواد لعابه

عرفت جدودك إذ نطقت وطالما ... لفظ القطا فأبان عن أنسابه

وهززت أعطاف الملوك بمنطق ... رد المسن إلى اقتبال شبابه

ألبستني حلل القريض ووشيه ... متفضلا فرفلت في أثوابه

وظلمت شعرك إذ حبوت رياضه ... رجلا سواه من الورى أولى به

فأجاب عنه مقصرا عن شأوه ... إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

تاريخ بغداد للخطيب ٣/١٠١." (١)

"قشير بن كعب

بن ربيعة بن عامر

أخبرنا ابن دريد " قالت بنت بجير بن عبد الله القشيري، ترثي أباها المقتول يوم المروت، وهو يوم العنابين "

نهوضا حين تعتمد الرزايا ... ذوي الأفعال بالعبء الثقيل

فما كعب بكعب إن أقامت ... ولم تثأر بفارسها القتيل

وذحلهم يناديهم مقيما ... لدى الكدام طلاب الذحول." (٢)

"إن بني الحصن استحلت دماءهم ... بنو أسد حارثها ثم والبه

هم جدعوا الأنف الأشم بهلكة ... وجبوا السنام فالتحوه وغاربه

عميلة بواه السنان بطعنة ... عسى أن تلاقيه من الدهر نائبه

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: قالت أخت طرفة بن العبد ترثيه:

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

الوليد: الصغير، والقحم: الرجل المتناهي سنا.

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٥/٢٠٣

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/٦٤

كتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كانت أخت طرفة بن العبد تحت عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، ففركته فقالت تهجوه وتعيره بأنه لا يثأر بأبيه وتذكر سعايته بطرفة إلى عمرو بن هند حتى قتله:

ألم تر موروكا وشى بابن عمه ... ليطرحه في حمي قدر وما يدري

فهلا ابن حسحاس ثأرت وخالدا ... هنالك لم تثأر ببشر ولم تسر

حدثني أحمد بن عيسى الحواص، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال:." (١)

"وإغذاذ السير، وتحير ماء الشباب، وإعلان الحب وإمراره، وإنكاح النوم وإغلاق الرهن، وإهدار القتل، وإدراك الثأر، ومعاتبة الآلاف، ووميض البروق وشيم ضيائها، واعتلاج الفكر، وهيج الذكر، ووصف الخصب، والجدب، والسحاب والغيث، والروض والكلأ، ونعوت الوحش والقفر، وذكر الغنى والفقر، والهداية والقيافة والعيافة، والعي والبلاغة، وما لهوا به من الطرد والقنص، والمأكل والمشرب، ووصفهما، وتشبيهات الخمر لونا، وطعما، ونشرا والتمدح بالسبق إلى شربها وإباء قبول العذل فيها وغير ذلك مما لو ذهبت إلى تعديد مذاهبه، وإيضاح مآربه، ونهج معالمه، وإضحاك مباسمة، والأخبار عن توسعها فيه، وتناولها البعيد من غاياته في القريب من أوجهها وإشاراتها إليه، لجريت طلق الجموح في مضمار لا ينتهي إلى غاية إلا مع الكد والإطالة، واستخدام طول المدة.

١٠قال أبو علي: وقد رأيت أن أفترع كتابا أشرع فيه لمحاسن الشعر شريعة ترد القرائح مائها، وترود مساقط أندائها، وتشيم بروق أنوائها، وتستهدي بنجوم سمائها، واقصره على فقره النادرة، وغرر معانيه المتنافرة، ولمعه البارعة، وكواكبه الصادعة، وأقسامه المختارة، وهي ثلاثة: مثل شرود، وتشبيه رائع، واستعارة واقعة، وأودعه من ذلك ما وقع إجماع نقاد الكلام، والعلماء بسرائر الشعر، على أنه أشعر ما قيل في معناه من كل نوع، تتناوله المحاضرة، وتتهادى جواهره المذاكرة، وتتعاط بلاغته الألسنة، ويكون لعطل اللفظ حليا، وللاختيار رونقا، وللأسماع علقا ولشمل الاختصار جامعا، وافتتح القول فيه ببند من فنون البديع، ولمع من الاستعارات اللطفية، والمجازات التي توسعت العرب فيها، إذ كان من عادتها الاختصار والحذف والإيجاز والإيماء والاكتفاء باللمحة الدالة، والإشارة إلى المقصد، والاستغناء بالقليل عن الكثير إذا كانوا محتاجين إلى ذلك، لارتجال

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٠٩

الخطيب في الحروب، والكلام عند البديهة في المقامات، لإطفاء جمرة الحرب، وإصلاح ذات البين، فجعلوا موضع كلامهم على التوسع والمجاز، ومعنى المجاز، طريق القول ومأخذه، والمجاز: مصدر جزت مجازا، كما تقول: قمت مقاما قال الأصمعي: "كلام العرب إنما هو مثال شبيه بالوحي، لا سيما الشعر، لأنه موضع اضطرار، إذ كان على روي واحد، ووزن لابد من إقامته، وكانت حروف بعضه أقل من حروف بعض عددا وأثقل وزنا، فإذا لم يستقم للشاعر أن يضع الحرف موضعه لاختلاف الوزن، وضع مكانه ما يدل عليه، مما يسلم به بناؤه الذي ذهب إليه كقول مزرد طويل:

فما رقد الولدان حتى رأيته ... على البكر يمريه بساق وحافر
فجعل للإنسان حافرا، ولا حافر له".

١١ قال أبو علي، فهذه مخيلة من القول، إن استطار بارقها، اقتبس سناه، أو صدق قولها غمر ضياه فأثرى بقلوب الأدباء ثراه وكان خليقا أن يغادر بكل قرارة غديرا، ويخلف بكل ربوة روضا منيرا.
ومن الله عز وجل استمد معونته وتوفيقه.

الفصل الأول
من محاسن الشعر
أحسن ما ورد من بديع الاستعارة

١٢قال أبو علي الحاتمي: أخبرني أبو جعفر محمد بن عبد الله بن حمدون، قال: حدثني أبو الفضل العباس بن محمد بن حمدون قال: حدثني أبو الحسن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق الموصلي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة طويل:

أقامت به حتى ذوي العود في الثرى ... وساق الثريا في ملاءته الفجر
قال: فقال لي: أأرشدك، أم أدعك؟ قلت: بل أرشدني! فقال: "إن العود لا يذوي أو يجف الثرى وإنما الشعر "حتى ذوي العود والثرى" قال أبو عمرو: ولا أعلم قولا أحسن من قوله "وساق الثريا في ملاءته الفجر، فصير للفجر ملاءة، ولا ملاءة له وإنما استعار هذه اللفظة، وهو من عجيب الاستعارات.

١٣أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: اجتمعت أنا، وجماعة من فرسان الشعر عند ابن المعتز، وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه في لسان مذاكرته، فلم يبق مسلك من مسالك الشعر، إلا وسلكنا من شعبنا من شعابه، وأوردنا أحسن ما قيل في معناه، إلى أن قال أبو العباس:
ما أحسن استعارة للعرب اشتمل عليها بيت من الشعر؟ قال الأسدي: قول السيد كامل:
وغداة ريح قد وزعت وقرة ... إذا أصبحت بيد الشمال زمامها." (١)

"٢٥٧ فكتب إليه قتيبة: "أما بعد، فإني أتاني كتاب الأمير يسألني عن أمر هو أعلم به مني، وإن قبله من أهل الشام، وأهل العراق من هو أحسن نظرا مني، وهل أنا إلا غلام شاب، في أودية الأمير؟ فأما تسكع الشول بأغبارها فللحرث بن حلزة، وأما قول "إذا لم تستطع شيئا فدعه" فلعمرو بن معدي كرب، وأما قول "كمرضعة أولاد أخرى" فلجدل الطعان الكناني، ووأما أشعر شعراء الجاهلية، والإسلام، فامرؤ القيس، وأكثرهم مثلا طرفة بن العبد، وأما أشعر شعرائنا اليوم، فأفخرهم الفرزدق، وأهجاهم جرير، وأنعتهم الأخطل، فهذا الذي بلغه علمي، والأمير أصوب قولا، وأبلغ علما وأفضل رأيا".

٢٥٨ قال أبو علي: وأشرد مثل في صلة البعيد، وقطع القريب قول مسافر بن أبي عمرو، وقيل هو لزاد الراكب طويل:

تمد إلى الأقصى ما أنت فسد ... تودد الأقصى الذي تتودد
٢٥٩ وأشرد مثل قيل في إخوان الصدق قوله أيضا طويل:

أخوك الذي إن تجن يوم، عظيمة ... بيت ساهرا، والمستزيفون رقد
المستزيفون: الذين لا يخلصون المودة.
١- ومثله طويل:
أخوك الذي إن أحرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لسرك واجما
وليس أخوك الذي ... إن تشغبت
عليك أمور

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٤

ظل يلحاك لائما

٢٦٠ وأشرد مثل قيل في الرجل يؤتى من قبل ناصره، قول عدي ابن زيد رمل:

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

٢٦١ وأشرد مثل قيل في إدراك المبطئ حظه، وفوت الساعي له إياه قوله سريع:

قد يدرك المبطئ من حظه ... والخير قد يسبق جهد الحريص١

١- وينظر إلى هذا المعنى قول القطامي بسيط:

قد يدرك المتأني بعض حاجاته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل٢

٢٦٢ وأشرد مثل قيل في تمني الإنسان، أن يكون من الجمادات قول ابن مقبل بسيط:

ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر ... تنبو الحوادث عنه وهو ملموم٣

٢٦٣ وفي ميميته مثل سائر، وشارد، في شدة التوقي، وأنه لا يدفع مقدورا بسيط:

لا يحرز المرء أنحاء البلاد ولا ... تبنى له في السماوات السلالسم

٢٦٤ وقالت الخرنق٤ في خران أخيها طويل:

أقلب عيني في الفوارس لا أرى ... خرانا وعيني كالجماد من القطر

٢٦٥ وينظر إلى البيت الأول قول بشار بسيط:

قومي اغتقيني فما صيغ الفتى حجرا ... لكن رهينة أجداث وأورماس٥

٢٦٦ وأشرد مثل قيل في التحذير من المنون قول طرفة طويل:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخي وثناياه باليد٦

-يقول: إن الإنسان في قبضة الموت كالفرس يكون في الطول، وهو الحبل، يرخى له صاحبه فيرعى، وإذا أراده جذبه٧ إليه-

٢٦٧ وأشرد مثل قيل في التفجع على الشباب قول حميد بن ثور الهلالي طويل:

ليالي أبصار الغوانب وسمعها ... إلي، وإذ ريحي لهن جنوب

وإذ شعري صناف ولوني مذهب ... وإذ لي في الباهن نصيب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوة: سنتوب٨

١- وقيل بل قول محمد بن حازم بسيط:

لا تكذبن فما الديںنا بأجمعها ... من الشباب بيوم واحد بدل٩

٢- وقيل بل قول منصور النمري بسيط:

ما كنت أوفى شبابي كنه غرته ... حتى انقضى، فإذا الدنيا له تبع١٠

٢٦٨ وأشرد مثل قيل في تباين حالتي الميت، والحي، قول متمم بن نويرة طويل:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا

فلما تفرقنا، كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا١١

٢٦٩ وأشرد مثل قيل في الاعتذار للمتراخي عن طلب **الثأر**، قول الأجدع الهمذاني طويل:

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم ... نطقت، ولكن الرماح أجرت١٢

٢٧٠ وأشرد مثل قيل في الوصاة بحفظ اللسان قول امرئ القيس الكندي طويل:

إذ المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان١٣

١- وينظر إلى هذا المعنى قول طرفة طويل:

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل١٤

الحصاة: العقل. والحصاة: الجبن. وحصاة القلب: حبته.

٢٧١ وأشرد مثل قيل في التفجع على فقد الإخوان قول امرئ القيس طويل:." (١)

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٣٧

"فإني لو تطالبني شمالي ... خلافك ما وفيت بها يميني

إذا لقطعتها، ولقلت: بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني

٣٧٠ وأشرد مثل قيل في اليأس من صلاح الإنسان قول النابغة وافر:

فإنك سوف تقصد أو تناهي ... إذا ما شبت أو شاب الغراب

٣٧١ وأشرد مثل قيل في الاستبصار في تعاقب الأحوال والأيام قوله أيضا طويل:

ولا يحسبون الخير، لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب

٣٧٢ وأشرد مثل قيل في تجافي الظنون بالمودة، وإن نازعت نحوه نوازع الهوى والمحبة، قول أبي صخر الهذلي، ولم يسبق إليه طويل:

ولا خير في وصل الظون إذا دنا ... ولا لذة بالليل ينزلها القسر

٣٧٣ وأشرد مثل قيل في الاستعفاف قول عبيد بن الأبرص مخلع البسيط:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب

٣٧٤ وأشرد مثل قيل في حفظ المال وتثميره، قول المتلمس:

قليل المال لا تصلحة فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وحفظ المال أيسر من بغ؛اه ... وسير في البلاد بغير زاد

٣٧٥ وأشرد مثل قيل في تبليغ العذر في الطلب قول عروة بن الورد طويل:

لتبلغ عذرا أو تفيد غنيمة ... ومبلغ نفيس عذرها مثل منجح

٣٧٦ وأشرد مثل قيل في إدراك **الثأر** قول مهلهل ولم يسبقه إليه أحد بسيط:

لقد قتلت بين بكر برهم ... حتى بكيت، وما بيكي لهم أحد

٣٧٧ وأشرد مثل قيل في مكاشرة بعض الأعداء، وإعدادهم لمن هو أشد منهم عداوه، قل مرادس الأسدي

كامل:

وذوي ضباب مظهرين عداوة ... وغري الصدور الأكتاد
ناستيهم بغضاءهم، ورفوتهم ... وهم إذا حسب الصديق أعاد
كيما أعدهم لأبعد منهم ... ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد
٣٧٨ واشرد مثل قيل في الحض على ملاقاة الناس جميعا بالبشر قول صالح بن عبد القدوس طويل:

ولاق ببشر من لقيت تكن له ... صديقا، وإن أمسى مصرا على حقد
٣٧٩ وأشرد مثل قيل في وضع المعروف في غير موضعه، قوله أيضا كامل:

شر المواهب ما تجود به ... في غير محمدة ولا أحسان
٣٨٠ وأشرد مثل قيل في الرضى بتحمل الأذى، واغتفار الذنوب، ما لم تقع فيها مكاشفة من الأعداء، قوله كامل:

اغفر ذنوب أخيك ما حصرت ... دون الجوانح، وارض بالستر
٣٨١ وأشرد مثل قيل في الاحتراس ممن تقدم منك القبيح إليه، قوله أيضا بسيط:

إذا وترت أمرا فاحذر عواقبه ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
١- أخذه منكلام عيسى عليه السلام: "وتعملون السيئات، وترجون أن تجاوز بما يجازى بها أهل الحسنات، أجل! لا يجتنى من الشوك العنب.

٣٨٢ وأشرد مثل قيل لمحدث، في النهي عن مجازاة سفه السفيه قول أبي بكر العرزمي كامل:

وإذا جريت مع الشفيه كما جرى ... فكلاكما في جربه مذموم
وإذا عتبت على السفيه ولمسته ... في مثل ما يأتي فأنت ملوم
٣٨٣وأشرد مثل قيل في تعز الكريم، بالتسليم دون الاقتضاء قول الآخر كامل:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... فلقاؤه يكفيك والتسليم

١- وقول الآخر طويل:

أروح بتسليم وأغدو بمثله ... وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

٣٨٤ وأشرد مثل قيل في ترك الاحتفال بصداقة الأحمق قول صالح بن عبد القدوس كامل:

ولأن يعادي علا خير له ... من أن يكون له صديق أحمق

٣٨٥ وأشرد مثل قيل في الإبقاء على أسباب المودة، قول العرزمي طويل:

إذا أنت عاديت أمرءا بعد خلة ... فدع في غد للصلح والعود موضعا

٣٨٦ وأشرد مثل قيل في الاستبدال بالبلاد عند نبوها، قول مسلم بسيط:

تلقى بكل بلاد مررت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

٣٨٧ واشرد مثل قيل في نبو اللئيم عن إخوانه بالرخاء، قوله أيضا بسيط:

كالكلب إن جاع لم يعدمك بصبة ... وإن ينل شبعة ينبح من الأشر

٣٨٨ وأشرد مثل قيل في الإحسان إلى من يعتقد الإساءة إليك قول الآخر طويل:

وكنت له كالمسمن كلبه ... وإن يستطعه كلبه فهو آكله

٣٨٩ واشرد مثل قيل في إعراض الطالب عن مطلبه، إذا لم يواته قول زهير وافر:

وقد طالبتها ولكل شيء ... وإن طالت لجاجته انتهاء." (١)

"٥٣١ قال أبو علي: والذي أراه أن أرق بيت قالته العرب قول عمر بن أبي ربيعة بسيط:

يرميننا لا يتقين بجنة ... إلا الصبي وعلمن أين مقتلي

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٤٤

٥٣٢ أخبرنا أبو عبد الله الحكيمي قال: أخبرنا أحمد بن يحيى قال أخبرني السدرفي قال: قال لكثير أنت أنسب الناس! قال كلا! والله أنسب الناس الذي يقول طويل:

وأنت الذي إن شئت أشقين عيشتي ... وإن شئت بعد الله أنعمت بالي
وأنت التي ما من صديق ولا أخ ... يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

٥٣٣ أخبرنا علي بن هارون قال سمعت أبي يقول: أغزل بيت قالته العرب بتميز وتحصيل لم يخرج إلى محال، ولا ممتنع، قول عمر ابن أبي ربيعة رمل:

ليس حبا فوق ما أحببتكم ... غير أن أقتل نفسي أو أجن

٥٣٤ قال أبو علي: وأغزل الأولين والآخرين عندي قيس بن ذريخ وهو الذي يقول طويل:

وإن زمانا شتت الشمل بيننا ... وبينكم فيه العداء لمشؤم
إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكى ... إلى الله فقد الوالدين يتيم

وفيها يقول:

بكت دراهم من نأيهم فتهلهلت ... دموعي، فأي الجازعين الوم
أمستكبر يبكي من الشوق والهوى ... أن آخر يبكي شجوه ويهيم

٥٣٥ أخبرنا محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي عن المفضل عن الشعبي قال: سألني عبد الملك بن مروان: أي بيت قالته العرب أرق؟ فقلت قول الشاعر طويل:

فذقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

٥٣٦ أخبرنا أبو عبيدة الله الحكيمي قال: أخبرنا ابن خيثمة عن عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: قال ابن أبي ثابت: أنسب بيت قالته العرب طويل:

إذا نزوات أحدثت عند بيننا ... عتايا تراضينا وعاد التعاطف

٥٣٧ أخبرنا محمد بن عبد الواحد قال، أخبرنا أحمد بن يحيى عن عمر بن شبة عن الأصمعي قال: استنشدني بعض الأعراب أحسن ما قيل في الغزل فأنشدته من كل شي فجعل يقول: ليس بشيء، ليس بشيء، فغاظتني،

فقلت فأنشدني في ذلك، فأنشدني لبعضهم كامل:

أبت الوافد والثدي لقمصها ... مس البطون وإن تمس ظهورها

وإذا الرياح تنسمت بنسيمها ... نبهن حاسدة وجهن غيورا

٥٣٨ قال أبو علي: ولم أر بيتا أغزل في شجاعة، وأشجع في غزل من قول عنترة كامل:

إن تغدقي دوني القناع ... فإنني طب بأخذ الفارس المتلثم

٥٣٩ أخبرنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد قال: أخبرني أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال: أرق بيت قالته العرب قول جرير كامل:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشل وشلا وما يزال معينا

غيض من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقين

٥٤٠ قال أبو علي: هذان البيتان للمعلوط السعدي، وإنما انتحلهما جرير "غيض من عبراتهن": نقص، واستغيض: أخذ العبرة بأطراف الأصابع ونبذها وقد أخذ هذا ذو الرمة فكشفه طويل:

ولما تلاقنيا جرت من عيوننا ... دموع وزرعن غربها بالأصابع

ونلنا سقاطا من حديث كأنه ... جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

٥٤١ وقد زعم قوم أن أغزل بيت قالته العرب هو بسيط:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتللنا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

قوله "يحيين قتلانا" يريد أن الثأر لم يؤخذ منهن، وأنه لم يكن عندهن بما يدين به قتلته، وكانوا يرون أن الرجل إذا أدرك بثأره، فكأنه قد أحيا من قتل هل، والقول الصادع في هذا، قول الله عز وجل: "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب".

أخنث بيت قالته العرب

٥٤٢ أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال أخبرنا أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن المدائني قال: قال صالح بن حسان يوما لجلسائه: علمتم أن النابغة كان مخنثا؟

قالوا: وما علمك بذلك؟ قال "أو سمعتم قوله؟ كامل:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم على أغصانه لم يعقد

لا، والله ما عرف تلك الإشارة إلا مخنث" قال: "وهل علمتم أن عامر ابن جوين كان أحمق؟ " قيل: وكيف؟ قال أما سمعتم قوله طويل:

فما بيضة بات الظليم يحفها ... ويجعلها بين الجناح وحوصله." (١)

"يا سعد غم الماء ورد يدهمه ... يوم يلاقى شاؤه ونعمه

واختلفت أمراسه وقيمه ... فهب لنا منك ملاء تعلمه

فإنما أنت أخ لا نعدمه ... مولد كان أبونا يكرمه

فقام وزام شديد محزمه ... لم يلق بؤسا لحمه ولا دمه

ولم تبت به حمى توصمه ... تدك مدماك الطوى قدمه

كأن سفود حديد معصمه

أراد ذراعه. وقيمه: جمع قامة، وهي البكرة. ووزام: له عضل. ومدماك: ساق. وتوصمه: تغيره.

١٢٠٢وقال الآخر [رجز] :

إن كنت جائي أخا تميم ... فجيء بعجلين ذوي وزيم

بديلمي وأخ للروم ... كلاهما كالجمل المخزوم

يخاطب ساقيا. والوزيم: اللحم. وأراد يا جائي، يا أخا تميم وقوله "بديلمي وأخ للروم" يقول: إذا اختلفت ألسنتهم ولغاتهم لم يتحدثوا. واشتغلوا بالسقي. وإذا كانوا من جنس واحد، فهم هذا، لغة هذا. واشتغلا بالحديث. فذهب السقي.

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٦٠

أحسن ما ورد من أبيات المعاني في التعبير بأخذ الدية وترك طلب الثأر

١٢٠٣أنشدنا عبيد الله بن أحمد قال أنشدنا محمد بن الحسن عن الأشناندايي [الوافر] :

إذا ورداؤه لهق حجير ... ورحت أجر ثوبي أرجوان
كلانا اختار، فانظر كيف تبقى ... أحاديث الرجال على الزمان
"حجير" اسم أخيه. عيره بتركه طلب الثأر بقتل أخيه. ولذلك قال "رداؤه لهق" أي أبيض. وقوله "رحت أجر ثوبي أرجوان" أي أخذت بثأري. والعرب تقول "دم فلان في ثوب فلان" إذا قتله. يقول: فحجير اختار أخذ الدية، واخترت الطلب بالثأر.

١٢٠٤وزمثل هذا قول الأسعر الجعفي [كامل] :

راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأى
يقول: تركوا الطلب من ورائهم، فكان ثقل الدماء على أكتافهم. والبصائر جمع بصيرة، وهي النظر بمثله من الدم. وطلبت ثأري على عتد-وهو الفرس القوي-والوأى مثله.

١٢٠٥ومثل هذا قول الآخر [طويل] :

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاحلب من دم الشيخ اودع
يعيره بأخذ الدية. فيقول إن الذي تشربه من البان الابل التي أخذتها في الدية، إنما هو دم أبيك.

١٢٠٦ ومثل هذا قول الآخر [بسيط] :

عفوا بسهم فلم يشعر به أحد ... ثم استفاؤا وقالوا حبذا الوضح
الوضح: اللبن. عفوا: يعني رموا بسهم يقال له العفيفة. وكانوا إذا أرادوا أن لا يطلبوا بثأر المقتول، وأن يقبلوا

الدية قالوا: بيننا وبينكم إلا هنا علامة. وهي رمي هذا السهم، فإن عاد مضرجا بالدم، فقد أمرنا بأخذ الثأر. وإن عاد نقيا فقد أمرنا بأخذ الدية. قال: ثم يرمون به نحو السماء، فلم يعد ذلك السهم قط إلا نقيا.

١٢٠٧وقول الآخر [كامل] :

مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا ... يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى
يقول: طلبوا الصلح. واستوطأوا الدعة. فمسحوا لحاهم بأيديهم، وقالوا: الصلح خير. ومثل هذا يفعله الناس كثيرا. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد: سألت أبا العباس أحمد بن يحيي عن قوله "يا ليتني في القوم إذ مسحوا اللحى" ما كان يعمل لو كان فيهم. قال: يحلق لحاهم مجازاة على جنوحهم إلى الموادعة.

١٢٠٨ومن أبيات المعاني المستحسنة في هذا المعنى ما أنشده الأشنانداني [طويل] :

أديسم إني لا إخالك مرويا ... صداي إذا مابت والبرك حفل
ولا هاجعا إلا على ظهر تفنة ... يسائل عنك الأقربون وتسأل
يخاطب ابنه، وهو ديسم، والديسم في كلام العرب: الدب.
وقوله: صداي: كانوا يزعمون أنهم إذا لم يأخذوا بثأر الميت خرجت من قبره هامة من عند رأسه. فلا تزال تقول: اسقوني، اسقوني، حتى يأخذوا بثأره.

١٢٠٩ومثل هذا قول الآخر [بسيط] :

أصداء زهرة كوم، لا تحارد إن ... جاؤا عشاء بأمطار وصراد
يا من رأى هامة تزقو على جدث ... تجيبها خلفات ذات أطواد
يقول: هذه الأصداء التي تزقو طلبا لأخذ الثأر، قد صارت إبلا كوما، أي عظام الخطى. والأطواد شبه أسنمتها. والصراد: البرد. والخلفات: الابل الحوامل. واحدها خلفة.

١٢١٠ومثله [بسيط] :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
أي من رأسك.

١٢١١وأنشدنا محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى [وافر] :." (١)
"ألا أبلغ أبا وهب رسولا ... بأن التمر حلو في الشتاء
يعيره بأخذ الدية وأنه أخذ فيها تمرا.

أحسن ما قيل في ضد هذا من أبيات المعاني

١٢١٢أنشدنا عبيد الله بن أحمد قال أنشدنا محمد بن الحسن عن الأشناندايي [كامل] :

يطأ الطريق بيوتهم بعياله ... والنار تحجب والوجوه تذال
لا يشربون دماءهم بأكفهم ... إن الدماء الغاليات تكال
قوله "يطأ الطريق بيوتهم بعياله" يريد أنهم لا ينزلون إلا على الدرجة والمحجة التي يجتاز فيها السائلة. وقوله "والنار تحجب" تزيد في الشدة والجهد وفي الوقت الذي لا توقد فيه النار، بحيث ترى، خوفا من أن يقصدها الأضياف. وقوله "لا يشربون دماءهم بأكفهم" يقول: لا يقبلون الديات.
فيشربون من ألبان الإبل. فإذا شربوها فكأنهم قد شربوا دماء أوليائهم.
وقوله "بعياله"، عيال الطريق: المارة فيه. وذلك على طريق الاستعارة والتوسع وقوله "إن الدماء الغاليات تكال" أي تسفك بها أمثالها.

١٢١٣كما قال [سريع] :

لا نألم القتل ونجزع به ال ... أعداء، كيل الصاع بالصاع
١٢١٤ومن مستحسن ما ورد في هذا المعنى قول الآخر [وافر] :

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/١٢٩

ألا لله من مردي حروب ... حواه بين حضنيه الظليم

وقد قامت عليه مها رماح ... حواسر ما تنام ولا تنيم

الظليم: تراب القبر في الأرض التي احتفرت، ولم تكن احتفرت قبل ذلك. وأصل الظليم: وضع الشيء في غير موضعه. وقوله "قامت عليه مها رماح" فرماح اسم موضع، والمها ها هنا النسوة. شبههن بالبلور في صفائهن، وبقر الوحش في عيونه. يقول: فهن يندبنه. وكانوا لا يندبون القتيل حتى يؤخذ بثأره.

١٢١٥ومثل هذا قول الآخر [كامل] :

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بضوء نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... في الليل عند تبلج الأسحار

يقول: من سره مقتله فليأت هذا الموضع ليرى النساء يندبنه. ويعلم أنه قد أخذ بثأره.

١٢١٦أنشدنا محمد بن عبد الواحد قال أنشدنا أحمد بن يحيى [طويل] :

له خدمة من ذي الفقار اعتصى بها ... عليهم ولم ينظر سياق الاباعر

خدمة: قطعة من سيف، وهو ذوز الفقار. يقول طلبت بثار المقتول، ولم ينتظر سوق الإبل في ديته.

١٢١٧وأنشدنا أيضا عن أحمد بن يحيى [وافر] :

ثأرنا ابن العليل وصاحبيه ... ولم ننظر بهم عقب البكار

وأصبحت الوجوه وإن رزينا ... جلاها القطر من حمم وقار

ثأرنا: أخذنا بثأره. ولم ننظر، لم ننتظر أخذ الدية وسوق الإبل. فأصبحت الوجوه مشرقة بإدراك الثأر. وإن كنا رزينا من أحببناه.

١٢١٨ومن مليح ما قيل في هذا المعنى [طويل] :

قيا عجبا حتى حصيلة أصبحت ... موالي علج لا تحل لها الخمر

يقول: أصبحوا أعزاء في نفوسهم ممن يحرم على نفسه الخمر حتى يأخذ **بثأره**. يهزأ بهم، ويسخر منهم، وكانوا يحرمون الخمر على أنفسهم حتى يدركوا **بثأرهم**.

أحسن ما ورد في عضة الكلب الكلب من أبيات المعاني

١٢١٩أنشدنا أبو عمر قال أنشدنا ثعلب [طويل] :

فلولا شراب ابن المحل الذي به ... شفى الله، قد أصغى لصوتي كليبها

فبلت بإذن الله أولاد زارع ... مؤللة الأذان بلقا جنوبها

هذا رجل، غضه الكلب الكلب. وابن المح: رجل كان يسقي دواء عضة الكلب الكلب وقوله "قد أصغى لصوتي كلبها" يقول: كان ينبح نباح الكلاب فتصغي الكلاب إلى صوته وكليب جمع كلب. وقوله "أولاد زارع" يريد الكلاب. ومؤللة: محددة. وكان الرجل إذا بال مثل الجراء علقا، بعد هذه العضة برئ من دائها.

١٢٢٠ومثل هذا قول الآخر. وهو من مليح ما قيل في معناه [وافر] :

وحاملة ولم تحمل جنينا ... ولم تلقح وليس لها حليل

أتمت حملها في نصف شهر ... وحمل الحاملات أتى طويل

أتت بعصابة ليست بإنس ... ولا جن فكيف بهم تقول

إذا ولدت تباشر كل حي ... وإن ماتت فباكيها قليل

يصف مثانة رجل عضه كلب كلب. وتكامل حمل هذه الجراء في المثانة بعد خمسة وعشرين يوما..

أحسن ما ورد في صفة النخل من أبيات المعاني

١٢٢١أنشدنا عبيد الله بن أحمد النحوي قال أنشدنا محمد بن الحسن عن الأشناداي [كامل] :." (١)

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/١٣٠

"يأخذ من ماله ومن دمه ... لم يمس من ثأره على وجل
في كفه صارم يقلبه ... يقد أعناق سادة نبل
يصف حجاما.

١٢٧٦وقال الآخر يصف حجاما [طويل] :

ومحدودب المتنين ركب فيهما ... ليتفقا قيد وجيء المطارق
وكانا قبيل القيد شتى فقيدا ... فما منهما إلا باخر لاحق
وجارحة تأتي من أفواه جرحها ... كلون خضاب في أكف العواتق
وآخر معدو بدر إذا امتلا ... فلا لبن فيه ولا صوب بارق
وكاشفة مكان قدام وجهها ... وتأوى إلى شق لها متضليق
وجامعة ما كلن من ذاك كله ... معلقة بين الكلى والعواتق
محدودب: يعني المقراض. والجارحة: المشرطة. والكاشفة وجهها: الموسى، والجامعة: الجونة لأنها لا تجمع ذلك كله فيها.

١٢٧٧وفي مثل هذا المعنى [طويل] :

له ربعة فيها ثلاثون مخلفا ... مناقيرها بيض وأجسادها خضر
يصف جونة الحجام، والمحاجم.

١٢٧٨وأنشدنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد قال أنشدنا أحمد بن يحيى [طويل] :

أبوك أب، ما زال للناس موجعا ... لأعناقهم نقرا كما نقر الصخر
إذا عوج الكتاب يوما سطورهم ... فليس بمعوج له أبدا سطر
قال يصف حجاما.

١٢٧٩ومن مليح ما قيل في وصف المشاريط [متقارب] :

وخضراء لا من بنات الهذي ... ل، يلقف بالسير منقارها
كأن مشق عيون القطا ... إذا هن هو من أثارها
أحسن ما ورد من أبيات اللغز في صفة ابن السبيل

١٢٨٠أملح ما ورد في ذلك ما أنشده الباهلي [طويل] :

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله ... وليس له في الناس من طالب وترا
فإن تحفظوا فينا أبانا فحقه ... رعيتم، وإلا أوقدت ناركم شزرا
يعني ابن السبيل.

١٢٨١وأنشدنا الباهلي أيضا في هذا المعنى [وافر] :

ومنسوب إلى من لم يلده ... كذاك الله أنزل في الكتاب
فأحيانا يكون كبير سن ... وأحيانا يكون من الشباب
قال يريد ابن السبيل.

أحسن ما ورد من أبيات اللغز في صفة الدرهم

١٢٨٢

ومعشوق يرقص كل يوم ... ترى في وجهه أبدا كلاما
إذا فارقته أجداك خيرا ... ولا يجدي عليك إذا أقاما
١٢٨٣ولأعرابي [كامل] :

أدعو إلى الله المعظم شأنه ... وإلى النبي المصطفى ظبيا عصا

قال هذا صبي كان يريد درهما في أحد جانبيه اسم الله عز وجل. وفي الآخر اسم النبي (ص) .

١٢٨٤وقال الآخر [وافر] :

وحسناء المناظر حين تبدو ... لها وجه يضرب بالحديد
يريد الدنانير.

أحسن ما ورد من أبيات اللغز في صفة الليل والنهار

١٢٨٥أحسن ما ورد في ذلك قول الشاعر [متقارب] :

ولما رأيتك تنسى الذمام ... ولا قدر عندك للمعدم
وهبت إخاءك للأعميين ... وللأبرمين ولم أظلم
يعني بالأعميين: الليل والنهار. وبالأبرمين: الموت والدهر.

١٢٨٦وقال الآخر [طويل] :

وأسود وقاع بكل مفازة ... ترى من عرفانه تتبدد
١٢٨٧وقال الآخر [كامل] :

خدنان لم يريا معا في منزل ... وكلاهما يجري به المقدار
لونان شتى يغشيان ملاءة ... تسفى عليها الريح والأمطار
أحسن ما ورد من أبيات اللغز في صفة القلم

١٢٨٨أنشدنا أبو موسى الحامض [طويل] :

عجبت لذي سنين في الماء نبته ... له أثر في كل مصر ومعمر

يعني قلما.

١٢٨٩ومثله ما أنشده ثعلب [طويل] :

وبيت بأعلاء الفلاة بيته ... بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف
يصف بيت شعر، عمله في الصحراء، وكتبه بقلم.

١٢٩٠ومثله [طويل] :

وأجوف مكتوب على حر وجهه ... يبين ما يأتي وما يتكلم
١٢٩١ومن مليح ما قيل في القلم [طويل] :

وخاط إذا استكرهته كان خطوه ... كلاما يؤديه الأريب المؤدب
يصف قلما.

ومن مليح ما ورد من أبيات اللغز في صفة منتثر

١٢٩٢ما أنشده أبو عمر قال أنشدنا ثعلب [مجزوء الرمل] :

إنني أبصرت عمرا ... في قميص من حجاره
إنما يرفل فيه ... لم تغيره القصاره
يصف منتثرا.

١٢٩٣ومثله [طويل] :

رجال عليهم كسوة ما تجنهم ... سرابيل خضر ليس فيها بنائق." (١)

"في صدر البيت وقرن به تبطن الكاعب، ثم صدر البيت الثاني بسبئه الخمر وجعل عجزه في حثه الخيل على الكر، وتوهم أن هذا متنافر غير متشاكل، ومتخالف غير متماثل، وأن الوجه في هذا لو تنبه عليه هو أن يقول:

كأني لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

قال القاضي رحمه الله: ولو ثاب إلى هذا الخادم عازب لبه، وفتح له القفل الضاغط عليه، لتيقظ للوقوف على فساد توهمه، ولتجلى له الخلل فيما آثره وقدمه، وتعلم أن ترتيب امرىء القيس في هذين البيتين من أصح الترتيب وأحسنه، وأوضح التأليف وأبينه، وأنه متسق مستتب، ومتفق متلئب، ولا ستفاد علما جما لما يتبينه من اطراده وتلاومه، وائتلافه وتقاومه، وأنه من أحسن الشعراء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من الشعر حكمة " وأنا مبين هذا بيانا كافيا، وملخصه تلخيصا مفيدا شافيا إن شاء الله وبه التوفيق.

إن الجواد يركب لأغراض شتى، منها المحاربة وشن الغارة وإدراك العدو والهارب، وفوت الثائر الطالب، وطلب الأوتار وأخذ الثأر، والتماس المعيشة والبرهان وزيارة الإخوان ومجاراة الأقران، والسبق والنضال، والتدرب بالفروسية والقتال، والركض والرياضة، والإسراع والمواشكة في الحاجة، في لواحق هذه الأمور وتوابعها، أو ما يقاربها ويضارعها، كالمجازاة والمضاهاة والمباهاة، وكانوا إذا كان لهم ذحل يحرمون الخمر على أنفسهم حتى يثأروا فحينئذ يستحلونها، قال امرؤ القيس:

حلت لي الخمر وكنت امرأ ... عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

ومنها القصد لضروب اللهو والمتعة، والنشاط والرتعة، والالتذاذ باختيال الجواد وقطعه الجدد، فالركوب الذي قصد امرؤ القيس بقوله: كأني لم أركب جوادا، إنما عنى به بعض ما فيه التذاذ ومتعة، ولهو ورتعة، وقد أبان ذلك بقوله: للذة، فكان من أليق ما يليه، ويقرن به ما جانسه في التمتع واللهو، إذ لم يكن ركوبه للغارة والغزو فلذلك قال: ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال، ولو قال بعد قوله: كأني لم أركب جوادا للذة، حسب ما اقترحه

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/١٣٥

وقال الخادم وأشار به، لكان قد أتى بمجمع من القول غير متسق، ومضرب من التأليف غير متفق، ولم يقدم هذا الخادم على هذا الرأي الفائل، والتوهم الباطل، إلا بعد حذفه من قول امرىء القيس ما ينكشف المعنى بإثباته، ويزداد وضوحه بإحضاره، وذلك قوله: للذة، ولو لم يذكر اللذة لم يؤمن على مثل هذا اراد الشبهة وإن كانت من المتأمل الناظر، والنحرير الماهر، مأمور به لوجوب حسن الظن بامرىء القيس في نظمه، ونسبته إلى وصل بعض كلامه بحسب ما يليق به، وكيف وقد أوضح المعنى وأومأ إليه، وأفصح." (١)

"به ونص عليه، وأما قوله: " ولم أسبأ الرزق الروي فإنه قد يسبأ رزق الخمر للنادم واللذة، والارتياح والنشوة، وقد يسبأ للبيع والتجارة ولإهدائه إلى ذي المروءة لتحريك الطبائع بشربه على تذكر الأضغان والغمر، وتهيج الحقد وطلب الوتر، والجد في القيام **بالثأر**، وتجرئة الجبان، وتنشيط الجنان، والسماحة في إدراك الشرف بالنفوس، وبذل كل علق مضنة نفيس، وأراد امرؤ القيس بما سبأه من الخمر هذه المعاني أو ما أراد منها، فكان اللائق بقوله: ولم أسبأ الزق الروي أن يكون عجز بيته هذا ما وصفه في قوله: ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال فاغفل هذا الخادم المقصوص، والأتي المنقوص، هذا المعنى، وأخذ من البيت الأول قوله للذة فألحقها بالبيت الثاني، فلم يتم له بما غيره ما قدره، وذهب عنه فهم ما رتبه امرؤ القيس وقرره، وما ذكرنا من تقسم المعاني التي وصفنا بها سبايا الخمر أشهر في عرف الناس وكلام العرب من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه، وقد قال الله جل وعز " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما " وهذا معنى بين الصحة غير مشكل على ذي بصيرة، قال: حسان بن ثابت:

نوليها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسدا ما ينهنها اللقاء

وقال الأعشى:

لعمرك إن الراح إن كنت سائلا ... لمختلف عشيها وغداتها

لنا من صحاها خبث نفس وكأبة ... وذكر هموم ما تغب أذاتها

وعند العشي طيب نفس ولذة ... ومال كثير غدوة نشواتها

وقال المتنخل:

ولقد شربت من المدا ... مة بالكبير وبالصغير

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٨٩

فإذا انتشيت فإنني ... رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير

وهذا كثير جدا، وقول امرىء القيس: لم أقل لخيلي كري، أراد لفرسان خيلي، كما قالت العرب: يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة، أي: يا فرسان خيل الله، وقال: الله جل ثناؤه، وقوله أصدق القول وأحسنه " واسأل القرية " يعني أهلها، وقال: تعالى ذكره:

" فأشربوا في قلوبهم العجل " أي حب العجل في قول معظم أهل التأويل، وذكر بعضهم أنه سحل وألقي في اليم فشربوه، والقول الأول أولى بالصواب لأنه لا يقال في ما شرب ولحس من الماء وغيره قد أشربته في قلبي، وإنما يقال: أشرب فلان حب فلان في قلبه أو عداوته وبغضه، وذكرت أبياتا غزلة لبعض المحدثين فأوردتها ها هنا لأني استحسنتها." (١)

"ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أصيب به كريم المأكل

قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أحد من فرسان العرب كنت أحب أن أراه ما خلا عنترة.

عبسي شديد التعصب لعنترة

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن، قال حدثنا أبو موسى، قال حدثنا القحذمي عن عمه عن ابن دأب قال: جاءني أعرابي منعبس ما رأيت قط أشد عصيبة منه، فقال: يا أبا الوليد ما شيء بلغني عنك؟ قال قلت: وما هو؟ قال: بلغني أنك تقول إن عنترة فقئت عينه قبل أن يموت، قال قلت: نعم، قال: ومن فقأها؟ قال قلت: غلام من بني قبال، قال: عندك في ذلك شاهد؟ قلت: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشدته:

غزا ثم آب العبد خائب جده ... إلى ضخمة الأذنين والكف شهبره

فبات إليها كاسرا شق عينه ... فقالت له من عار عينك عنترة

فقال لها لا ضير إن ملمة ... ألمت وإن الدهر يقلب أعصره

وإن غلاما من قبال أصابهم ... وما كان عن كف القبالي أهدره

قال فقال لي: أمعك غير هذا؟ قال قلت: نعم.

أما بنو عبس فإن دعيهم ... ولت فوارسه وأفلت أعورا

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٩٠

سمع التذامر والتواصي بينهم ... لا يفلتن العبد عنتر عنترا

قال فقال لي: يا أبا الوليد قد صح هذا عندك؟ قال قلت: قد حدثتك الحديث وأنشدتك الشعر، قال: والله ماتفقت عينه في قبره، كيف تزعم أنها تفقت قبل موته؟!

تعليق على ما جاء في الخبرين السابقين

قال القاضي: قد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذا الطريق في ذكر عنترة محبته رؤية عنترة وأنه قال: لو أدركته نفعته؛ وقول الشاعر إلى ضخمة الأذنين والكف شهبرة الشهبرة: العجوز المولية، ويقال شهورة وينشد في هذا:

أم الحليس لعجوز شهوره

وجاء في بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثه لا تتزوج خمسا، فذكر فيهن الشهبرة.

ويقال أيضا عجوز شهربة وأنشدوا في هذا:

أم الحليس لعجوز شهربه ... ترضى من اللحم بعظم الرقبة

وقوله: وما كان عن كف القبالي أهدره يقال أهدر دم فلان إذا طل ولم يثأر به وأسقط القصاص والعقل عنه.

وقول الشاعر في الشعر الثاني: لا يفلتن العبد عنتر عنترا فيه إغراء به، كأنه قال عليك عنترة أو اقتل عنترة، كما تقول: الطريق الطريق فأضمر الفعل، ومثله قولك لمن رايته يضرب رجلا أو يتهيأ لضربه: رأسه؛ وهذا باب واسع معروف في العربية يضمر الفعل فيه اكتفاء بما حضر أو ظهر من الأحوال والأشياء الدالة على العامل." (١)

"يقول، سمعت ابن عيينة يقول: نخطى ونصحف وندلس ولا نكذب.

أبو النشناش النهشلي

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كان أبو النشناش النهشلي من ولد مخربة بن أبير بن نهشل وأم أبي جهل والحارث ابني هشام أسماء بنت مخربة وكان أبو النشناش يصيب الطريق، فطلب فخاف وأنشأ يقول:

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥١٠

وسائلة أين ارتحالي وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
ودوية تيهاء يخشى بها الردى ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأرا أو ليكسب مغنما ... جزيلا وهذا الدهر جم عجائبه
إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح ... سواما ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من قعوده ... عديما ومن مولى تدب عقاربه
ولم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق صاحبه
فمت معدما أو عش كريما فإنني ... أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
ودع عنك مولى السوء والدهر إنه ... ستكفيه أيام له ونوائبه
تلقى عدوا مرة فيرده ... إليك وتلقاه وقد لان جانبه
فأنشد عبد الملك هذه القصيدة فلما سمع قوله: ولا كسواد الليل أخفق صاحبه قال: لص ورب الكعبة، وأمر بطلبه فطلب فأعجز.

شرح لبعض ما جاء في الأبيات
قال القاضي رحمه الله: قوله يسرح سواما يعني الغدو بالماشية إلى المسرح إلى الرعي. ولم يرح يعني الرواح إذا أراحت من المرعى قال الله تعالى وذكر إنعامه على خلقه بما سخره لهم من الأنعام ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون النحل: ٦ وقوله: فإنني أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه فأتى بالموت ثانيا بالإظهار في الموضع الذي بابه الإضمار لتقدم اسمه ظاهرا، لإقامة وزن الشعر، ولو أتى به في منثور الكلام لكان أظهر، ونحو هذا أن تقول: فإنني أرى الموت لا ينجو منه هاربه، وقد أتى مثل هذا كثير في الشعر، من ذلك قول الشاعر:
لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
وقال آخر:
إذا الوحش ضم الوحش في ظللاتها ... سواقط من حر وقد كان أظهرا
وقد قال الله تعالى ذكره " ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله المصير " النور: ٤٢ فحمله قوم على

أنه جاء على هذا لأن الإظهار فيه والإضمار واحد، وليس الأمر على ما ذهبوا إليه، وإنما أتى الإظهار هاهنا لتعظيم القصة، ولما في إعادة ذكر." (١)

"ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فقال لها: تغني فغنت بصوت لحنين تقول فيه:

مررنا على قيسية عامرية ... لها بشر صافي الأديم هجان

فقالت وألقت جانب السجف دونها ... من آية حي أو من الرجلان

فقلت لها أما تميم فاسرتي ... هديت وأما صاحبي فيماني

رفيقان ضم السفر بيني وبينه ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال فعاد الخادم إلى الرجل فقال له: تغنه، فغنى بصوت لي شبه فيه، والشعر لعمر بن أبي ربيعة الغناء للغريض يقول فيه:

أمس بأسماء هذا القلب معمودا ... إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان شيهمة ... أعارها شبها خديه والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا ... لتنكأ القرح من قلب قد اصطلدا

بمشرق كشعاع الشمس بهجته ... ومسبكر على لباتها سودا

ثم عاج الخادم إلى الجارية التي تليه فقال لها: تغني، فغنت بصوت لحكم الوادي يقول فيه:

تعيرنا أنا قيل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا كرهته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

وتغنت الجارية الثانية عند قول الخادم لها تغني:

وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما

ولن يلبث الحوض الوثيق بناءه ... إذاكثر الوراد أن يتهدما

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء بنت عمرو بن الحارث في أخيها صخر:

وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته العين إلا اقشعرت

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٢١

فيدرك ثأرا ثم لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت

وإن طلبوا وترا بدا بتراتهم ... ويضربهم شزرا إذا الخيل ولت

فلست أرزا بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت

وكان غناء الرجل في الدور الثالث:

لحا الله صعلوكا يبيت وهمه ... من الدهر أن يلقى لبوسا ومطعما

ينام الضحى حتى إذا نومه استوى ... تنبه مسلوب الفؤاد مورما." (١)

"ورأى علي بك الصديق مهابة ... وغدا العدو وصدره يتلهب

أنساك لا برحت إذا منسية ... نفسي ولا زالت بمثلك تنكب

أضمرت عنك اليأس حين رأيتني ... وقوى حبالك من قواي تقضب

ورجعت حين رجعت منك بحسرة ... لله ما صنع الأصم الأشيب

فليعلمن ألا تزال عداوة ... مني مريضة وثأر يطلب

يا صاحبي بمثل ذا من أمره ... صحب الفتى في دهره من يصحب

إن تسعدا فصنيعة مشكورة ... أو تخذلا فعداوة لا تذهب

عوجا نقضي حاجة وتبحثا ... بث الحديث فإنه لك أعجب

لا تشعراه بنا فليس لذي هوى ... شكوى الحزازة عنده مشتعتب

تفسير ألفاظ

يعني بالأصم: أحمد بن خالد خيلويه.

قال القاضي: الأحم يصف عينه بالسواد. وقوله: لا يرأب يعني لا يشعب ويقال لما يرقع به القدح أو غيره من الأواني رؤبة، ويقال للذي يصلح الفاسد ويرقع الصدع هو يرأب الثأى. ومن ذلك قول الطرماح ابن حكيم:

هل المجد إلا السؤدد المحض والتقى ... ورأب الثأى والصبر عند المواطن

ومن الثأى قول ذي الرمة:

وفراء غرفية أثأى خوارزها ... مشلشل ضيعته بينها الكتب

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس ا لناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٣٠

المؤلف ينتقد ابن الزيات على موقفه

قال القاضي: هذا الذي أتى به الخبر في هذه القصة عن محمد بن عبد الملك من خلائفه المستعجبة الكاشفة لما كا فيه من الآداب المستخشنة، وما الذي بلغ من قدر دابة ولو أنه الوجيه ولاحق، أو العصا دابة قصير بن سعد، حتى يضن بها عن المعتصم، وهو الخليفة المبرز في فضله وسروه وجوده وشرفه وشرف خلائقه وجميل طرائقه، وقد استكتبه ومولـه، وشرفه وخوله، أو ما كان قمنا أن يبتدئ بقود الدابة إليه عند وقوفه على نزاعه إليه ورغبته فيها ويغتبط بقبوله إياها ويرى ذلك من المآثر التي يغبط بها ويفتخر بحيازتها، وقد سبق القول السائر بالمثل المتوارث الغابر: أي الرجال المهذب.

أم قيس ترجو ليلى أن تزوره

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني محمد بن المرزبان قال حدثنا زكريا بن موسى قال حدثنا شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال: لما اختلط عقل قيس المجنون." (١)

"وسر كل شيء جيده ومختاره، والتلام هو الذي يجلى به، يقال له المدوس، وقيل: هو التلام يريد التلامذة والتلاميذ مثل الأساورة والأساوير وقيل إنها في قراءة عبد الله أساوير من ذهب وقال: التلام بالحذف دون التمام كما قال الشاعر:

عفت المنا بمتالع فأبان

يريد المنازل فحذف اكتفاء بدلالة ما بقي من الكلام وأقام وزن شعره مستغنيا فيه عن التمام

حكاية غريبة عن

توسط عمر بن عبد العزيز لدى يزيد بن المهلب

حدثنا أبو النضر العقيلي قال: حدثنا أبو إسحاق الطلحي قال: أخبرنا أحمد بن معاوية قال: وقال ابن الكوفي وكان بشر بن مروان قد ادخر وهو على العراق عن ابنه عبد الملك وعن عيينة بن أسماء من غلات أراضيهم مالا عظيما، فلما ولي الحجاج أخرج تلك البقايا فوجد ما على عبد الملك وعيينة بن أسماء فقال: وما على بشر أن يهب من مال الله تعالى لابنه وختنه هذا وأكثر منه، والله لآخذنهما به أخذ الضب ولده، وطالبهما

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٣٨

فريثاه حتى هلك فلحقا بالشام فنزلا على عمر بن عبد العزيز فقالا له: إن بشرا كان أطعمنا شيئا كثيرا من غلاتنا فبسطنا فيه أيدينا، وان الحجاج بسفهه وخرقه وظلمه أخرج علينا ثم أخذنا به، فلم نزل نخدعه عن أنفسنا حتى هلك، فكلم أمير المؤمنين في هبة ذلك لنا، فضحك عمر وقال: لست أثق لكما بكلامي، ولكن لكما عندي رأي فيه نجاح طلبتكما، قالا: فادللنا عليه، قال: نمشي إلى يزيد بن المهلب فإما أن يحملها من ماله، وإما أن يعيننا على سليمان فيهبها لكما، ولا والله ما كنت لأمشي إلى عربي على الأرض غيره ليس من ولد مروان. ثم أتوا يزيد فقال له عمر: إن أاتيناك زوارا وهذان من قد عرفت، فلا تنظرن إلى جرم أبو يهما عند أبيك، فضحك يزيد وقال: عفا الله عنك يا أبا حفص، أرجع في ذنب قد غفره أبي قبلي؟! والله ما عجز عن مكافأتهما في حياته ولا أوصاني بالثأر من بعده، فإنهما لأخواي وصاحباي، هاتوا حاجتكم، فقال عمر: إن الحجاج أخرج عليهما مما كان بشر ترك لهما من غلاتهما ألف ألف وخمسمائة ألف فما ترى؟ قال: رأيكم فاحتكموا، قال: تحمل منها ما شئت قال: علي نصفها، والمطلب إلى أمير المؤمنين في بقيتها، فإن حمله عني وإلا حملته، فقال عبد الملك بن بشر: والله ما ظلم الناس أن زعموا أنك سيدهم. ثم خرجوا وعمر يقول: ما رأينا مثل هذا العراقي في وطأته فعل قبلها مثلها، ثم حمل عن القيسيين وعن يزيد بن عاتكة، وهذه ألف ألف وخمسمائة ألف. ثم ركب يزيد إلى سليمان فدخل عليه وعنده جماعة من وجوه أهل اليمن فقام فقال: يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: أمسك، وأبيك إنك لقادر على خلواتي، اجلس،." (١)

"والسلام. قال الأحنف: هذا منا أو منكم؟ فقمت وما أحير جوابا.

دفن الرشيد محمد بن الحسن والكسائي بالري

حدثني أبو النضر العقيلي قال، أخبرني أبو الحسن ابن راهويه الكاتب قال: حدثت أن محمد بن الحسن وعلي بن حمزة الكسائي كانا بالري مع الرشيد، وأنهما ماتا في يوم واحد بقرية من قرى الري يقال لها الرنبويه، فجزع الرشيد عليهما وقال: إنا لله وإنا إلبه راجعون، دفنت الفقه واللغة في يوم واحد، وكان اليزيدي حاضرا فأنشأ يقول:

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وما قد يرى من بهجة سيبيد

أسيت على قاضي القضاة محمد ... فأذريت دمعا والفؤاد عميد

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٩٦

وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بإيضاحه يوما وأنت فقيد

فأوجعني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد

هما عالمان أوديا وتخرما ... وما لهما في العالمين نديد

قال الرشيد: أحسنت يا بصري، قد كنت تظلمه في حياته وأنصفته بعد موته.

شروح لغوية

قال ارقاضي: قوله: " أوديا معناه هلكا، كما قال الأعشى:

ولم يود من كنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

ومعنى " وتخرما " مثله، فهو الهلاك وانقطاع الأجل وتصرم العمر، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

سبقوا هوي وأعنقوا لسبيلهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ويروي: فقدتهم. وقال: " هزي " وهي فيما قيل لغة هديل يجعلونها بمنزلة علي وإلي، وذكر أنها لغة بعض بني سليم، وقد قرأت القرأة بهاتين اللغتين في القرآن. فأما جمهور القرأة فيقرأون بلغة أهل الحجاز وعامة العرب، وقد رويت القراءة الأخرى عن أبي طفيل عامر بن واثلة وعبد الله بن إسحاق الحضرمي وعاصم الجحدري وعيسى بن عمر الثقفي، ورفع عضهم ما روي عن أبي الطفيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هذه اللغة قول الشاعر:

فأبلوني بليتكم لعلي ... أصالحكم واستدرج نويا

يريد: نواي.

وقال آخر:

يطوف بي عكب في معد ... ويطعن بالصملة في قفيا

فإن لم تثأرا لي من معد ... فلا أرويتما أبدا صديا

أراد: قفاي وصداي. وذكر أن طلحة قال وقد ذكر له بيعته أمير المؤمنين علي بن أبي." (١)

"أسروه. وأما الرمة فالحبل البالي كانوا يشدون الأمتعة به، ومنه قول ذي الرمة: أشعث باقي رمة التقليد وقيل: إنما سمي ذا الرمة لقوله هذا، وهو غيلان بن عقبة، فأما الرمة بالكسر فالعظم البالي، ويقال: رم العظم

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٦٨٣

يرم وهو رميم، ومنه قول الشاعر:

والنيب إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات فإني كنت أتئر

وهذا من أبيات المعاني ومعناه أن النيب، وهي جمع ناب، وهي الناقة المسنة، يقال لها ذلك كأنها لم يبق مر السنين عليها إلا نابا كما يقال فلان رأس وفلان بطن، ومن الناب قول جرير:

لقد سرني ألا تعد مجاشع ... من المجد إلا عقر ناب بصوأر

وقال أيضا:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

قال: كانت تأكل عظام الموتى طلبا لموحتها فقال هذا الشاعر: إن تعر مني رمة خلقا، يريد إن تأكل عظامي بعد موتي، فإني كنت أتئر أي آخذ منها بثأري سلفا في حياتي، يعني أنه كان ينحرها للأضياف. وقوله: " أتئر " افتعل من الثأر وأصله اثتئر فقلبت الثاء تاء وأدغمت في التي بعدها، وكذلك مدكر أصله مذتكر، ومظلم أصله مظتلم. ولما وصفنا من القلب علة هي مرسومة في موضعها. ومن العرب من يقول أثتر بالثاء، ومذكر بالذال، ومطلم بالطاء إلا أن المختار أفصح في القياس، والأشهر في الرواية مدكر ومتئر ومظلم ومثله مدخر ومذخر، قال زهير بن أبي سلمي يمدح هرم بن سنان:

هو الجواد الذي يعطيك نائلة ... عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

يروى على الوجهين والظاء أشهرهما، والمشهور من القراء في قول الله تعالى: " فهل من مدكر " " القمر: ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١ " الدال، وكذلك وله تعالى: " وما تدخرون في بيوتكم " " آل عمران:٤٩ ".

المجلس التاسع والتسعون

حديث الأنبياء إخوة لعلات

حدثنا محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري قال، حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز قال، حدثنا أبو العاص محمد بن سعيد قال، حدثني عنبسة بن عبد الواحد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وهو خليفتي على

أمتي، وهو نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع يضرب إلى البياض والحمرة، يكاد رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، يمشي بين ممصرتين، يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ويضع الجزية." (١)

"وأما تقبل حكاية أبي الطيب إذا لم يسرق من البحتري إلا هذا البيت وأما سرقته منه أكبر من العذر وأشد تواترا من ذنوب الدهر ولكن أخذ منه كما عود الله وظن ذلك قد خفي فما خوطب عليه علم أنه بيت منكشف وما يأمن أن بيته على استشفاف شعره فيؤخذ فيه كثير فرجع عنه وغيره بما لا فائدة فيه إذ ليس غريبا من فعل القنا أن يجوز من جنب إلى جنب آخر، وكلام البحتري أرجح وهو أولى بما قال.

وقال المتنبي:

ونالت ثأرها الأكباد منه ... فأولته اندقاقا أو صدوعا

هذا كلام ينقض بعضه بعضا بينا هو يخبرنا بجوازه من الضلوع إلى الضلوع وما كان بهذه الصنعة فهو سالم غير مندق ولا متصدع إذ أخبرنا أن الأكباد نالت ثأرها منه باندقاقه وانصداعه فإذا اندق وانصدع لم ينفذ إلى الضلوع التي بعدها والعجب أن هذا القنا صادم عظام الأضلاع فلم يصدعه ولم يدقه وجازها فلما صار إلى الأكباد الرطبة التي تلين ملاقاتها عليه اندق وأنصدع ولو تأتى له أن يقول:) ونالت ثأرها الأيدي) من (الأكباد (لجاز أن يلحقه ذلك من مصادمة الأيدي إياها وهذا من قوله للتخريف وقلة التأمل.

وقال المتنبي:

وإن ماريتني فأركب حصانا ... ومثله تخر له صريعا

فقوله:) أركب حصانا (من أغث عبارة كأنه لا يخر له صريعا إلا فارس على فرس ولو رآه راجل ما خر له إلا أن يحتج محتج فيقول: إذا كانت هذه حال الفارس غنينا عن ذكر حال الراجل، وقد يكون الراجل أشجع من الفارس وأقتل للفرسان وهذه معان غير مستعملات وكلام ناقص ألما ولو قال فمثله يخر له صريعا من غير ذكر ركوب الحصان كان أحسن وأعم للفارس والراجل وأحسن." (٢)

"من كلامه قول أبي تمام:

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فإن الخوف لا شك قاتله

فإن قلت ببيت أبي تمام في الخوف وهذا في الهيبة قلنا كلاهما غرضان يفعلان فعلا واحدا، وكلام أبي تمام بغير

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٧٣٠

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٤٦١

حشو وهذا من استخراج معنى من معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد به إليه.

وقال المتنبي:

فصير سيله بلدي غديرا ... وصير خيره سنتي ربيعا

نحا نحو الخبزأرزي:

فضيفه في ربيع طول مدته ... وجاره كل حين منه في رجب

فجعل ضيفه في ربيع من جوده طول زمانه وجعل جاره كل حين منه في رجب أراد في حمى من طالب الثأر لأن العرب في الجاهلية كانت لا تقاتل في الأشهر الحرم ولا تسفك دما فكلام الخبزأرزي أرجح لأنه جمع بين الجودة والأمن في الخبر عن ممدوحه، وأبو الطيب ما خبر إلا عن سخاء الممدوح فقط.

وقال البحتري:." (١)

"٨٠ - قولهم إلاده فلاده

فسر على وجوه فقال بعضهم يضرب مثلا للرجل يطلب شيئا فإذا منعه طلب غيره

وقال الأصمعي لا أدري ما أصله وقال غيره أصله أن بعض الكهان تنافر إليه رجلان فامتحناه فقالا له في أي شيء جئناك قال في كذا قالا لا فأعاد النظر وقال إلاده فلاده أي إن لم يكن هذا فليس غيره ثم أخبرهما

وقال آخرون معناه إن لم يكن ذلك الآن لم يكن أبدا يغريه به وأنشد قول رؤبة

(وقول إلاده فلاده ...)

أي إن لم يكن هذا الآن لم يكن بعد

وقال الخليل يقال إن قول رؤبة (إلاده فلاده) فارسي حكى صوت ظئره وكانت العرب تقول إذا رأى الرجل ثأره إلا ده فلا ده أي إن لم تثأر فلا تثأر أبدا

٨١ - قولهم اسق أخاك النمري

يضرب مثلا لكل من طلب الشيء مرارا

وأصله أن كعب بن مامة الإيادي خرج في ركب في حمارة القيظ فلما كانوا بالدهناء عطشوا فجعلوا يقسمون الماء على الحصاة فشرب القوم حصصهم فلما بلغ الشرب كعبا." (٢)

---

(١) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٤٦٢

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٩٤/١

"رغاء حوارها سكنت

ويروى هذا المثل على وجه آخر وهو (حرك لها حوارها تحن) ومعناه أن تذكر الرجل بعض أشجانه فيهتاج والمثل لمعاوية رضي الله عنه أخبرنا أبو القاسم عن القعدي عن أبي جعفر عن المدائني قال كتب معاوية إلى علي رضي الله عنه كتابا في تسليمه قتلة عثمان رضي الله عنه إليه ليبايعه على الخلافة وأنفذه مع أبي مسلم الخولاني فلما قرأ علي الكتاب قال من حوله كلنا قتلنا عثمان فقال أبو مسلم أرى قوما ليس لك معهم أمر ولو أردت دفعهم إلينا لمنعوك فورد على معاوية وقال إن القوم قد أقروا بقتل ابن عمك فاطلب بثأرك فصعد المنبر ودعا بقميص عثمان فنشره فبكى الناس فقال معاوية (حرك لها حوارها تحن) وبايعه القوم على الطلب بدم عثمان

فكتب إلى علي رضي الله عنه (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم أدرج الكتاب وبعث به إليه مع رجل من بني عبس وعنوانه (من معاوية إلى علي) ففك علي عليه السلام الكتاب فلم ير فيه شيئا فقال للرجل هل أمرك بتبليغ رسالة قال لا ولكن أخبرك أني خلفت بالشام خمسين ألفا قد اخضلت لحاهم تحت قميص عثمان قد رفعوه على الرماح وعاهدوا الله ألا يكفوا حتى يموتوا أو يقتلوا قتلته يتواصون بذلك ليلهم ونهارهم وتركوا (تعس الشيطان) ويقولون (تعس قاتل عثمان)

قال يريدون ماذا قال خيط رقبتك قال تربت يداك فقال صلة بن." (١)

"فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأخذر من عقعق وأشد إقداما من الأسد وأوثب من الفهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأعذر من ذئب وأسخى من لافظة وأشح من ظبي وأجمع من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب

١٧٦ - قولهم أودى درم

قال أبو بكر يضرب مثلا للرجل يقتل ولا يطلب بثأره ودرم رجل من بني شيبان قتل ولم يثأر به

وقال غيره يراد به هلك الأمر وتفاوت

ودرم رجل بعث رائدا ففقد

وقال آخرون هو درم بن دب ابن مرة بن ذهل بن شيبان وكان النعمان يطلبه فظفر به أصحابه فأرادوا حمله

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/١٠٠

إليه فمات في أيديهم فلما رآهم سألهم عنه فقالوا (أودى درم) أي هلك فذهبت مثلا في كل شيء يهلك ويذهب قال الأعشى

(ولم يود من أنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم)

وأصله من قولهم رجل أدرم وامرأة درماء إذا لم يكن لعظامه حجم والدرمان تقارب الخطو درم فهو دارم." (١)

"ضيعه أهله) فسار مثلا

وورد قصير على عمرو بن عدي فلما رآه من بعيد قال (خير ما جاءت به العصا) فسار مثلا وأخبره الخبر وقال اطلب بثأرك

قال (كيف وهي أمنع من عقاب الجو) فأرسلها مثلا

فقال قصير أما إذا أبيت فإني سأحتال (فدعني وخلاك ذم) فأرسلها مثلا

فعمد إلى أنفه فجدعه ثم أتى الزباء وقال اتهمني عمرو في مشورتي على خاله بإتيانك فجدعني فلم تقر نفسي عنده ولي بالعراق مال كثير فأرسليني بعلة التجارة حتى آتيك بطرائف العراق ففعلت فأطرفها فسرت وفعل ذلك مرارا وتلطف حتى عرف موضع الأنفاق ثم أتى عمرا وقال احمل الرجال في الصناديق على الإبل فلما داناها نظرت إلى العير تقبل فقالت إنها لتحمل صخرا وتطأ في وحل وأنشدت

(أرى الجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا)

(أم صرفانا تارزا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا)

فلما توسطوا المدينة خرجوا مستلئمين فشدوا عليها فهربت تريد النفق فاستقبله، قصير وعمرو فقتلاها وقيل بل كان لها خاتم فيه سم فمصته وقالت (بيدي لا بيد عمرو) فذهبت مثلا فقال المتلمس

(ومن حذر الأوتار ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

وقال نهشل بن حري

(ومولى عصاني واستبد برأيه ... كما لم يطع بالبقتين قصير)." (٢)

"الباب الرابع فيما جاء من الأمثال في أوله ثاء

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١٦٧/١

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢٣٥/١

فهرسته

ثأطة مدت بماء

ثار حابلهم على نابلهم

الثور يضرب لما عافت البقر

الثيب عجالة الراكب

الثكل أرأمها

ثل عرشه

ثبت لبده

فهرست الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة الواقع في أصولها الثاء

أثقل من ثهلان

ومن تضاد

ومن عماية

ومن أحد

ومن حضن

ومن دمخ

أثقل من حمل الدهيم

أثقل من الزواقي

أثقل من الزاووق

أثقل من الزئبق

أثقل من الكانون

أثقل من النضار

أثقل من رحى البزر

ومن نصف رحى بزر

أثبت من قراد

أثبت من الوشم

أثبت في الدار من الجدار

أثقف من سنور

أثأر من قصير." (١)

"٤٣٢ - أثقف من سنور

وذلك أنها إذا وثبت على الفأرة ولم تخطئها

ولفظ (السنور) مؤنث وإن أريد به الذكر ومنه الثقاف

٤٣٣ - أثأر من قصير

قد مر حديثه في الباب الثاني." (٢)

"الذلة فأرسلها مثلا فلم يزل يطلب غرة بنى مازن حتى سمع بأهل بيت منهم لهم عدد وثروة في غار فانطلق إلى خال له من أشجع يكنى أبا جشر فقال له إنى دللت على غنيمة مع رجل ليس غيره فانطلق معه حتى أقحمه الغار فقال القوم إنه لبطل لإقدامه وهو واحد على جماعة فقال أبو جشر مكره أخوك لا بطل فأرسلها مثلا فقتل أهل ذلك البيت هو وخاله وفي ذلك يقول المتلمس

(ومن حذر الأوتار ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

وانصرف وهو يقول

(كيف رأيتم طلبي وصبرى ... شفيت يا مازن حر صدرى)

(أدركت ثأرى ونفضت وترى ... كلا زعمتم أننى لا أفرى)

(إذا شالت الحرب غريم أمرى ... السيف عزى والإله ظهرى)

وقال في أبيات أخر

(الصبر أبقى في الأساء وأودع ... ما كل من حدثته مستمع)

(ما كل من يرجو الإياب يرجع ... والقدر المجلوب ليس يدفع)

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢٨٧/١

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢٩٦/١

(سيذكر التفريط من يضيع ... لا تشبع النفس إذا لا تقنع)

(لا يشبه النافع من لا ينفع ... غيرى لسرى إن أضعت أضيع)

(كل تراه في هواه يقطع ... بينا ترى الحى معا تصدعوا)." (١)

"(سل ابن أثال هل ثأرت ابن خالد ... وهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله)

يقوله لعروة بن الزبير وقال كعب بن جعيل

(ألا تبكى وما ظلمت قريش ... بإعوال البكاء على فتاها)

(فلو سئلت دمشق وأرض حمص ... وبصرى من أباح لكم قراها)

(فسيف الله أدخلها المنايا ... وهدم حصنها وحمى حماها)

(وأسكنها معاوية بن حرب ... وكانت أرضه أرضا سواها)

والإقعاص القتل يقال ضربه فأقعصه إذا قتله مكانه

١٨٧٩ - قولهم لا تعظيني وتعظعظى

كذا جاء هذا المثل ومعناه لا توصيني وأوصى نفسك وتعظعظي قالوا معناه اتعظى

١٨٨٠ - قولهم لا يلسع المؤمن من جحر مرتين

المثل للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أبو أحمد قال حدثنا عبد الله." (٢)

"أخى فعزم على قتل سماك فقال حين قدم للقتل

(فأقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حية راصده)

فقتل وخلي مالك فانصرف إلى أهله فلبث زمانا ثم إن ركبا مروا وأحدهم يغني

(فأقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حية راصدة)

فسمعته أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج في الطلب بأخيك فخرج فلقى قاتل أخيه يسير في نفر من قومه فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه فقالوا له لك مائة من الإبل وكف فقال لا أطلب أثرا بعد عين وحمل عليه فقتله أي لاألتمس الإبل وهي غائبة عنى وأترك ثأرى وهو نصب عينى وقال الطائى في معنى هذا المثل

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢/٢١٣

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢/٣٨٦

(قالوا أتبكى على رسم فقلت لهم ... من فاته العين هدى شوقه الأثر)

١٨٨٣ - قولهم لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

يضرب مثلا للتبرى من الأمر يقوله الرجل يعظ القوم فلا ينتهون." (١)

"للحريص الذي يريد الشيء كله لنفسه قال الشاعر

(إذا ما كنت في قوم شهاى ... فلا تجعل شمالك جردبانا)

ومن أمثالهم في نحو هذاالمثل قولهم أراد أن يأكل بيدين

١٨٨٩ - قولهم لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقبت

يضرب مثلا لطالب الشيء بإضاعة غيره حتى يفوتاه جميعا

وأصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته وكانت عاركا فحضر طهرها ومعه ماء يسير فقيل لها أحري الاغتسال إلى وقت ورود الماء فأبت واغتسلت بالماء الذي كان معها فبقيت هي وزوجها عطشانين من غير أن تبلغ حاجتها من الطهر وقريب منه قولهم

١٨٩٠ - قولهم لا أبوك نشر ولا التراب نفد

وأصله أن رجلا قال لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسى فقيل له ذلك والمعنى أنك لم تدرك بثأر أبيك ولو اقتصرت من الطلب بثأره على وضع التراب على رأسك وجدت التراب حاضرا بكل مكان غير نافد والنافد الفانى

يضرب مثلا لتكلف الإنسان الشيء لا جدوى له." (٢)

"١٩٦٣ - قولهم اليوم خمر وغدا أمر

معناه اليوم استرسال ولهو وغدا الجد والتشمير

والمثل لهمام ابن مرة وقد ذكرنا حديثه في الباب الأول

وقيل إنه لامرئ القيس ابن حجر قاله حين أراد الإيقاع ببنى أسد لقتلهم أباه ومن حديثه أن قباذ ملك الحارث بن عمرو بن حجر على العرب لك ابنه حجرا على بنى أسد وكنانة وملك ابنه شرحبيلا على بنى تميم فلما هلك قباذ وولى أنو شروان ملك عليهم المنذر بن ماء السماء فلما أقبل المنذر هرب الحارث وانبعته خيل المنذر

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢/٣٩٠

(٢) ج مهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢/٣٩٣

ففاتهم وأدركوا ابنه عمرا فقتلوه وبلغ الحارث مسحلان فقتلته كلب فتشتت ولده واختلفوا فتنكرت بنو أسد لحجر فخافهم فرحل إلى قومه ثم بدا له الرجوع إليهم فأقبل نحوهم مدلابنفسه وبجنده فلما قرب منهم تدامرت بنو أسد وقالوا والله لئن تمكن منكم ليتحكمن عليكم تحكم الصبى فساروا إليه فاقتتلوا وكان العلباء رئيسهم فتقدم فطعن حجرا فقتله وانهزمت كندة وهرب امرؤ القيس فأعجزهم فلحق بذى جدن فاستمده فبعث معه جيشا فسار إلى بنى أسد فارتحلوا عن منزلهم وبقى فيهم ناس من بنى كندة لا يعلمون مسير امرئ القيس فجاء حتى أوقع بهم فقالوا يا لثارات الهمام فقالوا لسنا بثأرك فكف بعد أن قتل منهم فندم فقال

(ألا يا لهف نفسى إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا)

(وقاهم جدهم ببنى أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب)." (١)

"(وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها)

كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله، قال أبو نواس

(وداوني بالتي كانت هي الداء ...)

فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله كانت هي الداء، وقال المجنون

(كما يتدواى شارب الخمر بالخمر ...)

ولا يقع هذا مع قول الأعشى موقعا، ومثله قول البحتري:

(تدوايت من ليلى بليلى فما اشتفى ... من الداء من قد بات بالداء يشتفي)

ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل

(أناخوا فجروا شاصيات ...)

وقد مر. وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان:

(ودنان كمثل صف رجال ... قد أقيموا ليرقصوا دستبندا)

وقال العلوي الأصفهاني في الزق:

(عجبت من حبشي لا حراك به ... لا يدرك الثأر إلا وهو مذبوح)

(طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع ... رغو الزقاق وطورا وهو مشبوح)

وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره، وأخذ البيت الأول من قول بشار يصف ركب المرأة:

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٤٣١/٢

(وصاحب مطرق في طول صحبته ... لا ينفع الدهر إلا وهو محموم)

وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذوا الكلامين حذوا واحد. وقال ابن المعتز:

(إن غدا ملآن أمسى فارغا ... كأسير الرق أدى فعتق)

وقال القطامي:

(استودعتها رواقيدا مقيرة ... دكن الظواهر قد برنسن بالطين)

(مكافحات لحر الشمس قائمة ... كأنهن نبيط في تبابين)

وقال آخر:

(تحسب الزق إذا أسندته ... حبشيا قطعت منه الشوى)

وقال العلوي الأصفهاني يصف شرابا في ظرف خزف:

(مخدرة مكنونة قد تكشفت ... كراهبة بين الحسان الأوانس)." (١)

"(بلاد إذا جن الظلام تقاقرت ... براغيثها من بين مثنى وواحد)

(ديازجة سود الجلود كأنها ... نعال بريد أرسلت في المزاود)

وقلت:

(ومن براغيث تنفي النوم عن بصري ... كأن جفني عن عيني قصيران)

(يطلبن مني ثأرا لست أعرفه ... إلا عدواة سودان لبيضان)

وقد شكاهن الرماح الأسدي فأحسن في قوله:

(تطاول بالفسطاس ليلي ولم يكن ... بحنو الفضا ليلي علي يطول)

(يؤرقني حدب صغار أذلة ... وإن الذي يؤذينه لذليل)

(إذا ما قتلناهن أضعفن كثرة ... علينا ولا ينعى لهن قتيل)

(ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وليس لبرغوث إلي سبيل)

وقال ابن بالمعتز:

(وبراغيث إن ظفرن بجسمي ... خلت في كل موضع منه خالا)

وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم:

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٣٢٩/١

(للقمل حول أبي العلاء مصارع ... من بين مقتول وبين عقير)

(وكأنهن إذا علون قميصه ... فرد وتوأم سمسم مقشور)

وقد أبدع جرير في قوله:

(ترى الصيبان عاكفة عليه ... كعنفقة الفرزدق حين شابا)

وقلت في النمل:

(وحي أناخوا بالمنازل باللوى ... فصاروا بها بعد القطار قطينا)

(إذا اختلفوا في الدار ظلت كأنها ... تبدد فيها الريح بزر قطونا)

(إذا طرقوا قدري مع الليل أصبحت ... بواطنها مثل الظواهر جونا)

(لهم نظرة يمنى ويسرى إذا مشوا ... كما مر مرعوب يخاف كمينا)

(ويمشون صفا في الديار كأنما ... يجرون خيطا في التراب مبينا)

(ففي كل بيت من بيوتي قرية ... تضم صنوفا منهم وفنونا)." [1]

"(كأنه طالب ثأرا على فرس ... أجد في إثر مطلوب على رمكه)

(يا صدق من قال أيام مباركة ... إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه)

وقال آخر:

(مضى رمضان محمودا وأوفى ... علينا الفطر يقدمه السرور)

(وفي مر الشهور لنا فناء ... ونحن نحب أن تفنى الشهور)

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيي قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق:

(هززتك للصبوح وقد نهانا ... أمير المؤمنين عن الصيام)

(وعندي من قنان المصر عشر ... تطيب بهن دائرة المدام)

(فكن أنت الجواب فليس شئ ... أحب إلي من حذف الكلام)

وقال غيره:

(أقول لصاحبي وقد بدا لي ... هلال الفطر من تحت الغمام)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/١٥٠

(سنسكر سكرة شنعاء جهرا ... وننعر في قفا شهر الصيام)

وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفري:

(هل لك في صهباء مشمولة ... ليست من الدبس الذي ينبذ)

(فإن شعبان على طيبه ... درب إذا فكرت لا ينفذ)

وقال أحمد بن يزيد:

(ألا سقياني من معتقة الخمر ... فلا عذر لي في الصبر أكثر من شهر)

(وإن كنتما لم تعلما فتعلما ... بأن زمان الصوم ليس من العمر)

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي الموج الرازي وقال حدثني أبي قال كتب علي بن جبلة إلى أبي دلف يستسقيه نبيذا في يوم عيد الفطر فوجه إليه بما كفاه وبمائتي دينار فقال علي بن جبلة." (١)

"(وأبيض عجلي رأيت غمامة ... وأسيافه تقضي على الحدثان)

(مددت إليه ذمتي فأجارها ... وأغنى يدي عن غيره ولساني)

(شربت ورويت النديم بماله ... وأدركت ثأر الراح من رمضان)

(وكان لشوال علي ضمانة ... فكانت عطايا جوده بضمان)

وحدثنا عن الصولي قال

حدثنا أبو ذكوان القسم بن إسماعيل قال

حدثنا التوزي عن أبي عبيدة قال أسلم أعرابي في أول الإسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الأعرابي يذكر ذلك:

(وجدنا دينكم سهلا علينا ... شرائعه سوى شهر الصيام)

(فصل في معان مختلفة)

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوما وهي متغضبة فقال ما شأنك. قالت إنك لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم، قال أفعل ثم أنشأ يقول:

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٢٣٥

(تمت عبيدة إلا في ملاحتها ... والحسن منها بحيث الشمس والقمر)

(ما خالف الظبي منها حين تبصرها ... إلا سوالفه والجيد والنظر)

(قل للذي عابها من حاسد حنق ... أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر)

وأنشدنا للعديل بن الفرج العجلي:

(هل تقضين لمستهام حاجة ... نيطت إليك بها حبال رجائه)

(أفنى تجلده بقاء دموعه ... وأدام عبرته فناء عزائه)

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس ابن ثوابة فناظره رجل عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة." (١)

"(إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب)

وأجود ما قيل في ازدحام المنتجعين على أبواب المفضلين البيت المشهور:

(من أكثر الإحسان من فعله ... وعم بالفضل جميع الأنام)

(يزدحم الناس على بابه ... والمشرب العذب كثير الزحام)

وقال أبو الهول:

(إذا السماء أبت إلا محاذرة ... سحت يد الفضل ياقوتا وعقيانا)

(ترى الرفاق إلى أبوابه زمرا ... ورد القطا أقبلت مثنى ووحدانا)

(معنى آخر)

(ليس جود أعطيته بسؤال ... قد يهز السؤال غير جواد)

(إنما الجود ما أتاك ابتداء ... لم تذق فيه ذلة الترداد)

(ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم)

(وخضراء لا من بنات الهديل ... يلفف بالسير منقارها)

(كأن مشق عيون القطا ... إذا هن تؤمن آثارها)

وقال أيضا في الحجامة:

(أما وأبيك لا أنساه تدمي ... مضارب سيفه البطل الكميا)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٢٣٦

(وبرقا في أنامله إذا ما ... تألق فتح الورد الجنيا)

(إذا ظمئت فراخ أبيك يوما ... سقاها من رقاب الناس ريا)

(وإن جرح الأخادع مطمئنا ... كسا الوجنات ديباجا بهيا)

(ولم أر مثله يأتي عقوقا ... ويدعوه الورى برا تقيا)

وقال آخر:

(أبوك أوهى النجاد عاتقه ... كم من كمي أدمى ومن بطل)

(يأخذن من ماله ومن دمه ... لم يمس من ثأره على وجل)." (١)

"وهذا المعنى منقول من الغزل إلى صفة الخمر فهو خفى.

ومن هذا ما نقله من قول أوس بن حجر فى صفة الفرس، فجعله فى صفة امرأة:

فجردها صفراء لا الطول عابها ... ولا قصر أزرى بها فتعطلا

وقول أبي نواس «١» :

فوق القصيرة والطويلة فوقها ... دون السمين ودونها المهزول

وإن كان أخذه من قول ابن الأحمر:

تفوت القصار والطوال تفتنها ... فمن يرها لم ينسها ما تكلما

أو من قول ابن عجلان النهدى:

ومخملة باللحم من دون ثوبها ... تطول القصار والطوال تطولها

فقد أخذه بلفظه، وأحد هذين أخذه من قول أوس، والإحسان فيه له.

ومما أخذه ونقله من معنى إلى معنى قوله:

كميت جسمها معنا ... ورياها على سفر

وممن أخفى الأخذ أبو تمام «٢» فى قوله:

جمعت عرى أعمالها «٣» بعد فرقة ... إليك كما ضم الأنابيب عامل «٤»

قالوا: هو من قول الحبال الربعى:

أولئك إخوان الصفاء رزيتهم ... فما الكف إلا إصبع ثم إصبع

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٢٤٤

وهكذا قوله- وقد نقله من معنى إلى آخر «٥» :

مكارم لجت فى علو كأنما «٦» ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب." (١)

"وقال بعضهم: أحكم ابتداءاتهم قول لبيد «١» :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وبعضهم يجعل ابتداء هذه القصيدة «٢» :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

ومن جياد ابتداءات أهل الجاهلية قول أوس بن حجر:

ولقد أبيت بليلة كليالى

ومنها قول النابغة «٣» :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل ... وكيف تصابى المرء والشيب شامل

ونحوه قول أمية «٤» :

يا نفس مالك بعد الله من واق ... وما على حدثان الدهر من راق

من غير الجاهلية

وقالوا: وكان عبد الحميد الكاتب لا يبتدىء «بلولا» ولا «إن رأيت» .

وقد جعل الناس قول أبى تمام «٥» :

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا ... هى الصبابة طول الدهر والسهد

من جياد الابتداءات، وقوله «٦» :

سعدت غربة النوى بسعاد ... فهى طوع الإتهام والإنجاد

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع.

ولما نظر أبو العميثل فى قصيدة أبى تمام «٧» :

أهن عوادى يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/١٩٩

استرذل ابتداءها وأسقط القصيدة كلها، حتى صار إليه أبو تمام، ووقفه على موضع الإحسان منها، فراجع عبد الله بن طاهر، فأجازه.." (١)

"وزعناهم «١» وزع النوامس «٢» بالقنا ... وكل سريجى «٣» اذا هز صمما

فلا ترجونا حاصن بعد طهرها ... لئن نحن لم نتار من القوم علقما

أبا طالب لا تقبل النصف منهم ... وان أنصفوا حتى تعق وتظلما

وغلط عمر بن شبه من هذا الخبر فى ثلاثة مواضع قال: المقتول علقمة بن المطلب وهو عمرو بن علقمة وانما زل لما سمع قول العباس «لئن نحن لم نثأر من القوم علقما» وانما اراد عمرو بن علقمة فلم يستو له البيت فذكر علقمة اضطرارا وقال علقمة ابن أخت أبي طالب وليست تعرف لابى طالب أخت كانت عند المطلب بن عبد مناف ثم قال وقضى فيه الوليد وهو غلط ولا يشك أهل الاخبار أنه قضى بالقسامة وأنه اول قسامة قضى بها.

اول من خلع نعليه لدخول الكعبة الوليد بن المغيرة

فخلع الناس نعالهم فى الاسلام، وكانت قريش يقولون: لا وثوبى الوليد الخلق منهما والجديد، وكانوا عملوا له تاجا ليتوجوه به، فجاء الاسلام فانتقض أمره، وك١ن من قبل يسمى ريحانة قريش، أخبرنى بعض البصريين قال: دخل رجل منا مشهدا بالبصرة فمشى بنعليه حتى تخطى الى المحراب، فوثب عليه القوم يضربونه فقال: اسمعوا عذرى فان تصورتموه والا فشأنكم، انا رجل منكم يعنى من الشيعة وقد جعلت لله على نفسى الا أمر بهذا المشهد الا أدخله متبركا به متقربا الى الله فيه، واجتزت هذا الوقت وانا جنب، فلم أخلع نعلى لئلا تمس رجلى أرضه، فخلوه واعتذروا اليه، فلم أر اجهل منهم، نقموا." (٢)

"وكان من أحسن الناس وجها، فخطب «١» الزباء بنت عمر ابن طريف من العماليق، وكانت على الشام والجزيرة من قبل الروم، وكانت قد بنت على شاطىء الفرات من الجانبين قصورا ومدائن، وهى إلى اليوم قائمة خربة، وكانت حصينة لا يسلكها سالك، ولا يدركها طالب، وقد سقفت فى الفرات أنفاقا بين مدينتيها، تفزع إليها إذا حزبها أمر، وكانت تغزو من حولها من العرب، فغزت دومة «٢» الجندل وتيماء، «٣» وهو الأبلق، فامتنع عليها، فقالت: «تمرد مارد «٤» وعز الابلق» «٥» فأرسلتها مثلا، فاجابت جذيمة، وكانت

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٤٣٤

(٢) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/٤٨

بكرا، فجمع أصحابه فاستشارهم، فأشاروا عليه بالمضى، وخالفهم قصير بن سعد اللخمى، وكان لبيبا، وقال: إن النساء يهدين إلى الأزواج، فعصاه وسار حتى كان بمكان يدعى بقة بين هيت والأنبار، فاستشارهم، فأشاروا عليه بالشخوص إليها، لما علموا من رأيه فيها، فقال له قصير: انصرف ودمك فى وجهك فأبى، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر» ، فأرسلها مثلا، وطعن جذيمة حتى عاين مدينتها، والكتائب دونها هالة، فقال لقصير: ما الرأى؟ فقال:

(تركت الرأى ببئر بقة) ، ثم قال: وعلى هذا إن لقيتك الكتائب فحيوك تحية الملوك، وساروا أمامك. فقد كذب ظنى، وإن أخذوا جنبيك فإنى معرض لك العصا، وهى (لا يشق غبارها) .

(وكان جذيمة استعمل على ملكه ابن أخته عمرو بن عدى بن النضر بن ربيعة اللخمى، فلم يشعر ذات يوم أن رأى العصا عليها قصير فقال: (خبر ما جاءت به العصا) فأخبره قصير الخبر، وقال: أطلب بثأرك منها قال: (كيف وهى." (١)

"وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير بواكبه سريع البوادر «١»

أتت غادة للورد ان نكره الوغى ... وحاجة رمحى فى نمير بن عامر

قال أبو هلال قوله تضل البلق فى حجراته غاية فى صفة الكثرة، لأن البلق مشاهير، فاذا خفى فكأنه فى جيش قد بلغ نهاية الكثرة، وتقول العرب: هو أشهر من الفارس الابلق.

فقال: لست أعرف إلا ثلاثة أفراس أحدها فرسه.

أول ما جالت خيله وأول من قتل بيده يوم أحد

أخبرنا أبو أحمد عن عبد الله عن الفضل عن ابراهيم عن الواقدى وأبو القاسم عن العقدى عن أبى جعفر عن المدائنى عن رجالهم قالوا: خرجت قريش فى شوال سنة ثلاث من مكة حنقين يطلبون ثأرهم ببدر فى ثلاثة آلاف، وفيهم مائتا فرس، وقيل: مائة وسبعمائة دارع، فلما دنوا من المدينة راح رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين صلى الجمعة فى سبعمائة ولواؤه مع على بن أبى طالب- عليه السلام- وفيهم فرسان «٢» فرس لرسول الله وفرس لابى بردة بن نيار، فلما صلى الغداة يوم السبت قدم لواءه، والتقى الجمعان فقتل من المشركين تسعة ثم انهزموا، وحوى المسلمون عسكرهم، فبصر خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين خلو موضع الرماة، فحمل على المسلمين فانكشفوا، وقتل أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن

(١) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/٧٨

جحش وشماس بن عثمان ومصعب بن عمير، وستة وستون رجلا من الانصار، وأصيبت رباعية النبى- صلى الله عليه وسلم- وشج فى وجنته، وعلاه ابن قمئة." (١)

"مغيظا، وحرمني فازدريته، وحقرني فأخزيته، وخصني بالخيبة التي نالت مني، فخصصته بالغيبة التي أحرقته، والبادي أظلم، والمنتصف أعذر ... » .

ومهما يكن من شيء فقد انتهت العلاقة بين الرجلين بالقطيعة، إذ فارق التوحيدي فناء الصاحب بن عباد سنة ٣٧٠ هـ، بعد صلة دامت حوالي ثلاث سنوات، رجع على أثرها إلى مدينة السلام صفر اليدين! والتوحيدي يقرر أن الصاحب لم يعطه طوال هذه المدة درهما واحدا، أو ما قيمته درهم واحد، على الرغم من كل ما نسخه له! وهو يقول أيضا إنه إذا كان قد هجا الصاحب فما ذلك إلا لما جرعه إياه من مرارة الخيبة بعد الأمل، وما حمله عليه من الإخفاق بعد الطمع، «مع الخدمة الطويلة، والوعد المتصل، والظن الحسن، حتى كأني خصصت بخساسته وحدي، أو وجب أن أعامل بها دون غيري» . وأما ياقوت الرومي فإنه يقول إن أبا حيان كان قد قصد ابن عباد بالري، فلما لم يرزق منه، رجع عنه ذاما له، وكان أبو حيان مجبولا على الغرام بثلب الكرام، فاجتهد في الغض من ابن عباد، ولكن فضائل ابن عباد كانت تأبى إلا أن تسوقه إلى المدح وإيضاح مكارمه، فانقلب ذمه له مدحا «١» ! وهناك رواية أخرى يرويها الخوانساري مؤداها أن التوحيدي كان سيئ العقيدة، قليل الورع، فلما وقف ابن عباس على حقيقة أمره، طلبه ليقتله، فهرب والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم بزخرفته وكذبه. ويميل البعض إلى استبعاد هذه الرواية الأخيرة لعدم وجود قرائن تشهد بفساد عقيدة أبي حيان، اللهم إلا أن يكون اتهامه بالزندقة مجرد وسيلة اتخذ منها الصاحب ذريعة للثأر من خصمه (أبي حيان) والتشهير به وتجريح سمعته! ولكن إذا كان أبو حيان لم يوفق في صلاته بأبي الفضل ابن العميد وابنه أبي الفتح بن العميد، وإذا كان الحظ لم يحالفه أيضا في علاقته بالصاحب بن عباد، فإن الظاهر أنه كان أكثر توفيقا مع الوزير ابن العارض أبي عبد الله الحسن بن سعدان (المتوفى سنة ٣٧٥ هـ) وزير صمصام الدولة البويهي. وقد كانت حلقة الاتصال بين أبي حيان وابن سعدان شخصية عالمة فاضلة التقى بها التوحيدي في فارس، فسرعان ما توثقت بينهما أواصر المودة، وتلك هي شخصية أبي الوفاء المهندس البوزجاني الذي أهدى إليه أبو حيان من بعد كتابه «الإمتاع والمؤانسة» تقديرا له واعترافا بفضله.

وقد توطدت العلاقة بين أبي حيان والوزير وابن سعدان، فنسخ له كتاب الحيوان للجاحظ، وألف له رسالة في

---

(١) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/١٢٦

«الصداقة والصديق» وسامره بكل تلك الأقاصيص والأحاديث التي رواها في «الإمتاع والمؤانسة» الكتاب الذي بين أيدينا. وقد كان لابن سعدان ناحية علمية أدبية صورها أبو حيان في كتبه «فهو واسع الاطلاع، له مشاركة جيدة في كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق، يدل على." (١)

"مالك الحزين ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه، لا يحسن السباحة، فإن أخطأه انتشال فجاع طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض ضحضاحه، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع لأكل ما يؤكل منه.

من الطير ما يلقح من هبوب الريح، لا يحتاج إلى تزاوج ولا إلى سفاد.

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان، وله أربع قوائم وأسنان حداد كأسنان ذوات الأربع، يرضع ولده من اللبن إرضاعا، وجلده أملس.

العقعق لا يأوي تحت سقف ولا يستظل به، ولكنه يهيئ وكره في المواضع المشرفة العالية والعراء الكاشف وجه الهواء الفسيح، وطبيعته الزنا وخيانة الزوج، فإذا باضت الأنثى بيضها حصنته بورق الدلب وغطته كيلا يقربه الخفاش، فإن مسه مرق البيض من ساعته وفسد.

النحل يلد من غير لقاح الذكور.

الحية إذا هرمت وكل بصرها واسترخى جلدها دخلت في صدع صفاة ضيق أو جحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدها فتأتي عين الماء فتنغمس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب، فإذا هي فعلت ذلك عادت شابة كما كانت. فإذا أرادت أن تضيء عينها أكلت الرازيانج الرطب فاشتفت عيناها واحتد بصرها، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع الفرار، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة.

إن أنقع الحسك «١» في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جحر الحية فرت من هناك.

وإن وضع في جحرها أصل حمص رطب فرت أيضا.

وإن رأت الحية إنسانا عريانا استحيت منه ولم تقربه.

وإن رأته كاسيا حملت عليه بجرأة شديدة، وما أشد طلبها لثأرها، وإن شدخ رأسها ماتت من ساعتها.

السمسمة، وهي حية حمراء براقة، إذا كبرت وأصابها وجع العين وكمدت «٢» التمست حائطا مقابل المشرق،

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/١٤

فإذا تبدت الشمس أحدت إليها بصرها قدر ساعة فإذا دخل شعاع الشمس عينها كشط عنها العمى والإظلام، ولا تزال تفعل ذلك سبعة أيام حتى يتجدد بصرها تاما.." (١)

"الليلة السابعة والعشرون

وقال- أدام الله أيامه- في ليلة أخرى: كنت أحب أن أسمع كلاما في كنه الاتفاق وحقيقته، فإنه مما يحار العقل فيه، ويزل حزم الحازم معه، وأحب أيضا أن أسمع حديثا غريبا فيه، فكان الجواب: إن الرواية في هذا الباب أكثر وأفشى من الاطلاع على سره، والظفر بمكنونه، فقال: هات ما يتعلق بالرواية.

قلت: حكى لنا أبو سليمان في هذه الأيام أن ثيودسيوس ملك يونان كتب إلى إيبقس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية، فجمع ماله في عيبة ضخمة، وارتحل قاصدا نحوه، فلقى في تلك البادية قوما من قطاع الطريق، فطعموا في ماله وهموا بقتله، فناشدهم الله ألا يقتلوه وأن يأخذوا ماله ويخلوه، فأبوا، فتحير ونظر يمينا وشمالا يلتمس معينا وناصرا فلم يجد، فرفع رأسه إلى السماء، ومد طرفه في الهواء، فرأى كراكي تطير في الجو محلقة، فصاح: أيتها الكراكي الطائرة، قد أعجزني المعين والناصر، فكوني الطالبة بدمي، والآخذة **بثأري**. فضحك اللصوص، وقال بعضهم لبعض: هذا أنقص الناس عقلا، ومن لا عقل له لا جناح في قتله، ثم قتلوه وأخذوا ماله واقتسموه وعادوا إلى أماكنهم، فلما اتصل الحديث بأهل مدينته حزنوا وأعظموا ذلك، وتبعوا أثر قاتله واجتهدوا فلم يغنوا شيئا ولم يقفوا على شيء، وحضر اليونانيون وأهل مدينته إلى هيكلهم لقراءة التسابيح والمذاكرة بالحكمة والعظة، وحضر الناس من كل قطر وأوب، وجاء القتلة واختلطوا بالجمع، وجلسوا عند بعض أساطين الهيكل، فهم على ذلك إذ مرت بهم كراكي تتناغى وتصيح، فرفع اللصوص أعينهم ووجوههم إلى الهواء ينظرون ما فيه فإذا كراكي تصيح وتطير، وتسد الجو، فتضاحكوا، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء طالبو دم إيبقس الجاهل- على طريق الاستهزاء- فسمع كلامهم بعض من كان قريبا منهم فأخبر السلطان فأخذهم وشدد عليهم، وطالبهم فأقروا بقتله، فقتلهم، فكانت الكراكي المطالبة بدمه، لو كانوا يعقلون أن الطالب لهم بالمرصاد.

وقال لنا أبو سليمان: إن إيبقس وإن كان خاطب الكراكي فإنه أشار به إلى رب الكراكي وخالقها، ولم يطل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/١٣٥

الله دمه ولا سد عنه باب إجابته، فسبحانه كيف يهيئ الأسباب، ويفتح الأبواب، ويرفع الحجاب بعد الحجاب.." (١)

"بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر، وتذم السفه وقمع العدو! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق، أعني أنها ربما حضت على القناعة والصبر والرضا بالميسور، وربما خالفت هذا، فأخذت تذكر أن ذلك فسألة ونقصان همة ولين عريكة ومهانة نفس، وكذلك أيضا تحث على البسالة والإقدام والانتصار والحمية والجسارة، وربما عدلت إلى أضداد هذه الأخلاق والسجايا والضرائب والأحوال، في أوقات يحسن فيها بعضها، ويقبح بعضها، ويعذر صاحبها في بعضها، ويلام في بعضها، وذلك لأن الطبائع مختلفة، والغرائز متعادية، فهذا يمدح البخل في عرض الحزم، وهذا يحمد الاقتصاد في جملة الاحتياط، وهذا يذم الشجاعة في عرض طلب السلامة، وليس في جميع الأخلاق شيء يحسن في كل زمان وفي كل مكان، ومع كل إنسان، بل لكل ذلك وقت وحين وأوان.

قال: ولعمري إن القيام بحقائق هذه الأشياء وحدودها صعب، لأنها لا توجد إلا متلابسة ومتداخلة، وتخليص كل واحد منها بحده وحقيقته ووزنه مما يفوت ذرع الإنسان الضعيف المنة، المنتشر الطينة.

قال: ومنه أن الحكيم قال للإسكندر: «أيها الملك أرد حياتك لرجالك، ولا ترد رجالك لحياتك» ، ولو قلب عليه قالب فقال: لا: «ولكن أرد رجالك لحياتك، ولا ترد حياتك لرجالك» ، لكان الفضل واقعا، والدعوى قائمة.

وكان يحكى عن أعرابي حديث مضحك: قيل لأعرابي: أتريد أن تصلب في مصلحة الأمة؟ فقال: لا، ولكني أحب أن تصلب الأمة في مصلحتي.

قال: وليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم بالصور والحلى حتى يعرف بها زيد من عمرو، وبكر من خالد، ولا يختلفون في باطنهم حتى يكون هذا مطبوعا على الشح وإن مدح الجود، وهذا مجبولا على الجبن، وإن تشيع للشجاعة، وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجوز أيضا أن يضم الجنس والنوع ولا يأتلفوا، وكل ما أساغته الحكمة أبرزته القدرة، وكل ما جادت به القدرة شهدت له الحكمة، فسبحان من له هذا التدبير اللطيف، وهذا العز الغالب، وهذا السر الخافي، وهذه العلانية البادية، وهذا الفعل المحكم، وهذا النعت المستعظم.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٢٦٢

وحكيت أيضا في شيء جرى، قال حكماء فارس: قد جربنا الملوك، فإذا ملكنا السمح الجواد جادت علينا السماء والأرض، وإذا ملكنا البخيل بخلت علينا السماء والأرض.

قال أبو سليمان: هذا إذا صح فهو شاهد الفيض الإلهي المتصل بالملك السمح، ونضوبه عن الملك البخيل لأن الملك إله بشري.

وقال مرة: ما التمني؟ - وقد كان جرى ما اقتضى السؤال عنه-.." (١)

"[١٧٤]- اطلب ذاك وخلاك ذم. قاله قصير لعمرو بن عدي حين قال له: كيف أقدر على الأخذ بثأري من الزباء وهي أمنع من عقاب الجو «١» .

[١٧٥]- اطرقي وميشي. أصله خلط الصوف بالشعر: أي أصلحي تارة وأفسدي الأخرى، ولا يكن أمرك كله فسادا قال رؤبة «٢» : [الرجز]

عاذل قد أولعت بالترقيش ... إلي سرا فاطرقي وميشي

[١٧٦]- اشتر لنفسك وللسوق. أي اشتره ذا نظر، فإن أخطأك «٣» مخبره حظيت بمنظره ولحمه، وقيل: اشتر ما إن اقتنيته انتفعت به، وإن بعته لم تخسر فيه.

[١٧٧]- أرسل حكيما ولا توصه. أي هو مستغن بحكمته عن الوصية لأنه يعرف ما فيه صلاحك فيتوصل إليه.

[١٧٨]- أرسل حكيما وأوصه. أي إنه محتاج إلى معرفة غرضك وإن كان حكيما.

---

[١٧٤]- أمثال أبي عبيد ٢٢٩، فصل المقال ٢٣١، مجمع الأمثال ٢/ ٨٠، وفيه: «افعل كذا وخلاك ذم» نكتة الأمثال ١٤٤ وفيه: «اطلبه وخلاك ذم» ، المستقصى ١/ ٢٢٤.

قال الزمخشري: «يضرب في نفي الذم عمن أعذر في الطلب وإن لم يظفر» .

[١٧٥]- أمثال أبي عبيد ٥٣، ٣٠٤، جمهرة الأمثال ١/ ١٨٩، فصل المقال ٤٧، مجمع الأمثال ١/ ٤٣٠، المستقصى ١/ ٢٢٢، نكتة الأمثال ١٦، العقد الفريد ٣/ ٨٣، اللسان (طرق) .

قال الزمخشري: «طرق الصوف: ضربه بالعصا، وميشه: خلطه بالشعر.. يضرب للمفسد الذي لا يرجع من الصلاح إلى شيء» .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٣٤٤

[١٧٦]- أمثال أبي عبيد ٢١٣، جمهرة الأمثال ٧٩/١، فصل المقال ٣٠٩، مجمع الأمثال ٣٦٥/١، المستقصى ١٩٠/١، نكتة الأمثال ١٣٢، زهر الأكم ٢٣٢/٣، العقد الفريد ١١٠/٣.

[١٧٧]- أمثال أبي عبيد ٢٥٢، جمهرة الأمثال ٩٨/١، مجمع الأمثال ٣٠٣/١، المستقصى ١٤٠/١، نكتة الأمثال ١٥٨ وفيه «.. حليما» تمثال الأمثال ١٦٨، العقد الفريد ١٢٧/٣.

[١٧٨]- مجمع الأمثال ٣٠٣/١، المستقصى ١٤٠/١.." (١)

"منكسرة، وأصله أن رجلا كان يلاعب طفلا ويقول: يا حبذا دراردك، وكسرت أمرأته أسنانها ثم أرته طمعا في أن يستحسنه، فقال ذلك.

[٢٩٥]- أعطاه بقوف رقبته. أي بعينه من غير ثمن.

[٢٩٦]- أبي الحقين العذرة. قاله ضيف نزل بقوم فاعتذروا إليه بتعذر قراه وبإزائه لبن حقين في وطب، أي ذلك اللبن يكذبكم، ويأبى قبول «١» عذركم.

[٢٩٧]- أبدى الصريح عن الرغوة. أي انكشف مستور الأمر وظهر سره. قاله عبيد الله ابن زياد لهانيء بن عروة حين سأله عن مسلم بن عقيل فجحد، ثم أقر.

[٢٩٨]- أراك بشر ما أحار مشفر. أي ما أكلت بان على بشرتك.

[٢٩٩]- ازددت رغما ولم تدرك وغما. الرغم: الغيظ. والوغم: **الثأر.**

[٣٠٠]- أمرع واديه وأجنى حلبه «٢» . أمرع: أخصب. وأجنى: صار ذا جنى. والحلب: شجر. أي اتسع أمره واستغنى.

---

[٢٩٥]- أمثال أبي عبيد ١٦٦، جمهرة الأمثال ١٩٤/١، فصل المقال ٢٤٨، مجمع الأمثال ٦/٢، المستقصى ٨٢٤/١، نكتة الأمثال ٩٩، اللسان (قوف) .

وقوف الرقبة: الشعر السائل في نقرتها، ويقال ذلك: إذا أعطاه بغيته ولم يأخذ له ثمنا ولا أجرا.

[٢٩٦]- أمثال أبي عبيد ٦٣، الفاخر ٢٠٣ و ٢٠٤، جمهرة الأمثال ٢٨/١، فصل المقال ٧٤، مجمع الأمثال ٤٢/١، المستقصى ٣١/١، نكتة الأمثال ٢٢، زهر الأكم ٥٩/١، اللسان (حقن) ، المخصص ٤١/٥.

---

(١) الأمثال للهاشمي ابن رفاعة ص/٣٧

قال الزمخشري: «يضرب للمعتذر بالزور» .

[٢٩٧]- أمثال أبي عبيد ٥٩، جمهرة الأمثال ٢٧/١، فصل المقال ٦٠، مجمع الأمثال ١٠٣/١، المستقصى ١٥/١، نكتة الأمثال ١٩.

[٢٩٨]- أمثال أبي عبيد ٢٠٩، جمهرة الأمثال ٧٧/١ و ٤٣٤/٢، فصل المقال ٣٠٤، مجمع الأمثال ٢٩٠/١، المستقصى ١٣٧/١، نكتة الأمثال ١٢٩/١، زهر الأكم ٢٩/٣، اللسان (شفر) .

[٢٩٩]- مجمع الأمثال ٣٢٣/١، المستقصى ١٤٨/١.

قال الزمخشري: «الرغم: الذل، والوغم: الثأر؛ يضرب مثلا لمن يسعى في أمر فلا تنجح مسعاته ولا يخرج منه سالما كما أخذ فيه» .

[٣٠٠]- مجمع الأمثال ٢٧٥/٢، المستقصى ٣٦٤/١.." (١)

"باب ما جاء على حرف الدال

[٦٣١]- دعني وخلاك ذم. قاله قصير بن سعد لعمرو بن عدي لما استبعد ما وعده به من الأخذ بثأر جذيمة وظن أنه لا يتم.

[٦٣٢]- دع امرأ وما اختار. قاله قصير لعمرو بن عدي لما ألح عليه قصير بجدع أنفه.

[٦٣٣]- دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا. ويروى «الليل» ، أي هيئ لنفسك ما تريده قبل حاجتك إليه.

[٦٣٤]- دون ذا وينفق الحمار. أراد رجل بيع حمار، فقال له صديق له حضر المبايعة، والمشتري يسمع تنفيقا له: هذا حمارك الذي تصيد عليه الوحش؟ فقال المشتري ذلك.

[٦٣٥]- دردب لما عضه الثقاف. أي استقام لما قوم. يضرب مثلا للرجل يمتنع مما تريده منه، حتى إذا أذللته انقاد وأطاع.

---

[٦٣١]- أمثال الضبي ١٤٦، وفيه: «فأعني وخلاك ذم» ، جمهرة الأمثال ٢٣٥/١، المستقصى ٨٠/٢، وورد المثل برواية: «افعل كذا وكذا وخلاك ذم» في أمثال أبي عبيد ٢٢٩، فصل المقال ٢٣١، مجمع الأمثال ٨٠/٢، المستقصى ٢٢٤/١، وفي نكتة الأمثال ١٤٤: «اطلبه وخلاك ذم» .

[٦٣٢]- أمثال أبي عبيد ١١٢، مجمع الأمثال ٢٦٩/١، المستقصى ٧٩/٢، نكتة الأمثال ٥٨.

---

(١) الأمثال للهاشمي ابن رفاعة ص/٦٢

قال الميداني: «يضرب لمن لا يقبل وعظك، يقال: دعه واختياره، كما قيل:

إذا المرء لم يدر ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أزينه

وأعجبه العجب فاقتاده ... وتاه به التيه فاستحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوما ويبكي سنه

[٦٣٣]- أمثال أبي عبيد ٢١٦، جمهرة الأمثال ٤٤٤/١، فصل المقال ٣١١، مجمع الأمثال ٢٦٥/١، نكتة الأمثال ١٣٣، زهر الأكم ٢٤٢/٢، اللسان (دمث) ، وفيها جميعا: «دمث لنفسك» ، المستقصى ٨١/٢. والتدميث: التليين: أي استعد للنوائب قبل حدوثها.

[٦٣٤]- أمثال أبي عبيد ٤٥، الفاخر ١١٥، وفيه: «من دون ذا» ، جمهرة الأمثال ٤٥٠/١، فصل المقال ٣٤، مجمع الأمثال ٢٦٤/١، المستقصى ٨٢/٢، نكتة الأمثال ١٠، زهر الأكم ٢٤٦/٢، وينفق: يروج.

[٦٣٥]- أمثال أبي عبيد ١٨٣، جمهرة الأمثال ٤٤٤/١، فصل المقال ٤٤٣، مجمع الأمثال ٢٦٤/١، المستقصى ٧٩/٢، نكتة الأمثال ٢٠٠، زهر الأكم ٢٣٧/٢، العقد الفريد ٢٣/٣، اللسان (بصص، ثقف، دردب) .

دردب: خضع وذل، والثقاف: خشبة تسوى بها الرماح، والتثقيف: التقويم.." (١)

"[٩٣٤]- كالأشقر إن يتقدم ينحر، وإن يتأخر يعقر. قيل ذلك لأن العرب تتشاءم بالأشقر في الحرب. ويضرب مثلا للرجل لا يجد حيلة.

[٩٣٥]- كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم. الأرقم: الحية. والعرب تزعم أنها إذا قتلت أخذت الجن **بثأرها**. يضرب مثلا للرجل لا ينفع عنده إكرام ولا إهانة.

[٩٣٦]- كالشاة تبحث عن سكين جزار. يقال: إن رجلا وجد شاة فأراد ذبحها فلم يجد سكينا، وكانت الشاة مربوطة، فلم تزل تبحث برجلها حتى أبرزت سكينا كانت مدفونة، فذبحت بها.

[٩٣٧]- كالباحثة عن حتفها بظلفها. مثله.

---

[٩٣٤]- أمثال أبي عبيد ٢٦٢، جمهرة الأمثال ١٥٢/٢، فصل المقال ٣٧٦، مجمع الأمثال ١٤٠/٢، نكتة الأمثال ١٦٤، وفيها جميعا: « ... تقدم نحر.. تأخر عقر» ، المستقصى ٢٠٣/٢، تمثال الأمثال ٤٩٦،

---

(١) الأمثال للهاشمي ابن رفاعة ص/١٢٨

العقد الفريد ١٢٩/٣.

قال الميداني: «العرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر، قالوا: كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر، فجعل يقول: أشقر إن تتقدم تنحر، وإن تتأخر تعقر، وذلك أن العرب تقول: شقر الخيل سراعها وكمتها صلابها، فهو يقول لفرسه: يا أشقر إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك، وإن أسرعت فتأخرت منهزما أتوك من ورائك فعقروك فاثبت والزم الوفاء، وانف عني وعنك العار» .

يضرب لما يكره من وجهين.

[٩٣٥]- أمثال أبي عبيد ٢٦٢، فصل المقال ٣٧٦، نكتة الأمثال ١٦٤ وفيها بإسقاط: «كالأرقم» ، جمهرة الأمثال ١٦٧/٢، مجمع الأمثال ١٤٥/٢، المستقصى ٢٠٣/٢، اللسان (رقم، نقم) ، العقد الفريد ١٢٩/٣.

يضرب للمكروه من جهتين.

[٩٣٦]- المستقصى ٢٠٦/٢- ٢٠٧، تمثال الأمثال ٤٩٩.

هو من قول الكميت في (ديوانه ١٨٢) :

أبلغ يزيد وإسماعيل مألكة ... ومنذرا وأباه شر إستار

وخالدا خالد الكوات إنكم ... كالعنز تبحث عن سكين جزار

[٩٣٧]- المستقصى ٢٠٧/٢، اللسان (بحث) ، المخصص ٦٥/١٠.

يضرب في طلب الشيء يؤدي صاحبه إلى تلف نفسه.." (١)

"أنشد ماجن: الكامل

لا يغضبن منادمي إن نكته ... إني لنيك منادمي معتاد

وكذا النديم إذا أراد ينيكني ... ولقد علمت كما أكيد أكاد

اشترت مدينة من رجل ثوبا في شعبان على أن تسوق إليه الثمن في رمضان، فقال الرجل: أخاف أن تمطليني، قالت: لا أمطلك والذي خاتمه على فمي، قال: وما الخاتم؟ قالت: علي بقية من رمضان الماضي، قال: أذهبي، قد ماطلت ربك سنة فكيف أثق بك؟ سمعت شيخا نبيلا يقول في مجلس خلوة وأنس: اجتمع بغاء ولوطي، فشمرخ البغاء أير اللوطي فرأى مثل ذراع البكر، فقال: يا هذا، انبسط بنيكي، بخت أي بخت؟! قال: وما معنى بخت أي بخت؟ قال: إما أن تشقني وإما أن يندق أيرك.

---

(١) الأمثال للهاشمي ابن رفاعة ص/١٩٣

قال حمل بن بدر بن جؤية بن لوذان: الطويل

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا ... فإن تطلبوا شيئا سوى الحق تندموا." (١)

"استتلت سخيمة فلان أي استخرجت كامن حقده.

وأما الشل فالطرد، شل النعم والناس إذا ساقهم، والشلل آفة في اليد الشلاء تعطلها من التصرف، وهو استرخاء العصب وخدور الدم.

وأما الصل فمصدر صل اللحم وأصل إذا أروح وأراح، أي فسدت رائحته أي أنتن ونتن.

ومصدر أضل إضلال.

وأما الطل فاضعف المطر، وهو الندى الغامر من غير وقع المطر، ويقال طلت الأرض - بفتح الطاء - أي نديت، هذا الأعرب، وطل دمه أي بطل، ولا أدري كيف ينتظم اللفظان على معنى واحد إلا ان يتوهم الضعف في أخذ الثأر والقصاص كما توهم الضعف في الطل. وأما الطلل فما شخص من آثار الديار، والرسم مثله، وإلا أن الطلل أبين؛ وفلان ذو طلل إذا كان ذا منظر، ورأيت بدويا بأثال سنة إحدى وستين، وكان يقال له مطلال، فقلت له: مم أخذ اسمك؟ قال: من إطلالي على العدو أي إشرافي عليهم، فقال له أميرك بن ميكال النيسابوري، وكان في الصحبة: ولم لا يؤخذ من الندى الذي هو الطل، كأنك تتندى من الطل على صحبك؟ فقال البدوي: إن الإطلال على." (٢)

"قال بعض الزهاد: من أطعمه التراب أكله التراب.

كاتب: عرفني وقتا أوافيك فيه جالسا، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك، ولا الأعين على النظر إليك، لأقضي وطر الود، وآخذ بثأر الشوق.

وصف الخليل بن أحمد أرضا حمد مشتريها رأيه: البسيط

ترفعت عن ندى الأعماق وانخفضت ... عن المعاطش فاستعنت بسقياها

فاعتم بالطلح والزيتون أسفلها ... ومال بالنخل والرمان أعلاها

وصار يحسده من كان يعذله ... ولائم لامفيها قد تمناها

أبا معاوية اشكر فضل واهبها ... وكلما جئتها فاعمر مصلاها

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٦٧/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٥٤/٢

قال المبرد، قال المازني، قال الأصمعي: رأيت الخليل يأخذ كتب أبي حنيفة فينظر فيها، فقلت له: كيف تراه؟ فقال: أراه يأخذ الحق فيمسخه.

قد دل الخليل بهذا على اختلاله، لأن الفقه ليس من شأنه، وأبو حنيفة يجل عن مثل هذه الحال.." (١)

"حين أمره، حمية للدين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرني موضعه في الكتاب، فأراه، فمحاه.

٢٥٨ - قال ثعلب: أضاق أبو العالية الشامي فجعل بنو سعد بن مسلم مالا بينهم ودفعوه إليه فقال: أنتم كما قيل في أهليكم: الطويل

وفي آل منظور بن زبان فتية ... يرون بناء المجد سهلا صعابها

إذا ما ارتقوا في سلم المجد أصعدوا ... بأقدام عز لا تزل كعابها

٢٥٩ - قال الأصمعي: لما ولي مروان بن محمد الخلافة أرسل إلى ابن رغبان الذي نسب إليه بعد ذلك مسجد ابن رغبان ليوليه القضاء، فرأى له سجادة مثل ركبة البعير فقال: يا هذا إن كان ما بك من عادة فما يحل لنا أن نشغلك، وإن كان رياء فما يحل لنا أن نوليك.

٢٦٠ - وأنشد: الوافر

أرى الأيام في صور الأعادي ... تعاندني فتسرف في عنادي

كأن الدهر يطلبني بذحل ... وثأري عنده ثأر الأعادي

يرى هممي فيبعث لي شجونا ... يفل بها يدي عن الأيادي

ولو عدل الزمان على كريم ... لما أدت يداي ولا زنادي

٢٦١ - أشرف قوم في سفينة في بحر على الهلاك فاخذوا يدعون الله." (٢)

"الحمار غير البغال، كما أن زيدا غير إخوته، وإذا قلت: زيد خير الإخوة جاز لأنه أحد الإخوة والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا ترى لو أنه قيل لك: من الإخوة؟ عددته فيهم فقلت: زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير، فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدل رجل على الجنس، كما دل حمار على الجنس.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٢٩/٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٧٥/٥

وأنشد: الطويل

فيا رب حي الزائري كليهما ... وحي دليلا بالفلاة هداهما

فليتهما ضيفان لي كل ليلة ... مدى الدهر محتوم علي قراهما

وليتهما لا ينزلان ببلدة ... ولا منزل إلا وعيني تراهما

قال الناشئ أبو العباس الكبير: أول الشعر إنما يكون بكاء على دمن، أو تأسفا على زمن، أو نزوعا لفراق، أو تلوعا لاشتياق، آو تطلعا لتلاق، آو إعذارا إلى سفيه، أو تغمدا لهفوة، أو تنصلا من زلة، أو تحضيضا على أخذ بثأر، أو تحريضا على طلب أوتار، أو تعديدا للمكارم، أو تعظيما لشريف مقاوم، أو عتابا على طوية قلب، أو إعتابا من مقارفة ذنب،." (١)

"جبلا وعرا يستسقون بذلك، ويدعون الله عز وجل، هذا إذا أمحل البلد وعز القطر.

وكما أن من ولد في القمر رجعت قلفته وكان كالمختون.

وكما عقدوا الرتيمة بغصن الشجرة عند السفر وتفقدوها عند الإياب، فإذا وجدوها على حالها قضوا بأن الحليلة لم تخن، وإن وجدوها منحلة حكموا بفجورها.

وكما زعموا أن الداخل إلى بلد مخوف الوباء يجب أن يقف على أوائل البلد فينهق كما ينهق الحمار، ومتى فعل ذلك أمن وباءها.

وكما زعموا أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن.

فأما ما كان مثل إمساكهم عن بكاء القتيل إلى أن يؤخذ بثأره، فالغرض فيه ظاهر، والعادة فيه مقبولة، وهذا الضرب معروف السبب، صحيح العلة، وليس من الأول في شيء، لأن تلك دلت على سفه." (٢)

"صادقا فليس ينبغي أن أغضب، وإن كان كاذبا فبالحري أن لا أغضب.

تقدم إلى الشعبي رجلان فقال أحدهما: إني اشتريت من هذا غلاما صبيحا فصيحا صحيحا، فقال: هذه صفة محمد بن عمير سيد بني تميم.

كان على سيف بعض الشراة مكتوبا: ثأر الله من الظالمين.

شاعر: الطويل

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٥/٢٠٩

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٧/١٧٢

حسام غداة الروع ماض كأنه ... من الله في قبض النفوس رسول

قال رجل لآخر: أتدري لم غلا السعر ببغداد؟ قال: لا، قال: لأن كل بلد خبزه أكثر من أهله وبغداد أهله أكثرن خبزه.

قيل لأعرابي: أتحن إلى الحاضرة؟ فقال: البادية أفسح، والجسم فيها أصح.

كاتب: لي حرمة سالفة، وفيك أمل قديم، وهما يقتضيانك حقا لا تدفعه، ويطالبانك بذمام لا تنكره.." (١)

"ألف؟ قال: نعم، قال: وبها يقضى ذمام رجل له صحبة؟ قال: نعم. قال: هي لك فما أردت غيرك، قال: أقلني، قال: لا فعلت أبدا.

قال الأصمعي: دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والسائب بن الأقرع.

قال: لما أتي سليمان بن عبد الملك برأس قتيبة كتب لوكيع بن أبي سود عهده على خراسان، فقال يزيد بن المهلب لابراهيم بن الأهتم: إن رددت أمير المؤمنين عن رأيه في وكيع فلك مائة ألف، فقام ابن الأهتم فتكلم بكلام تفرق الناس عن استحسانه فقال: يا أمير المؤمنين، إن وكيعا أدرك في الثأر، وبالغ في الطاعة، فجزاه الله خيرا، غير أني لو خفت من إحدى يدي خلافا على أمير المؤمنين لأحببت انبتاتها من صاحبتها، وإن وكيعا لم يملك مائتي عناق قط فحدث نفسه بالطاعة، فلا تأخذنا بحديث إن كان منه، فقال سليمان: ويلك فمن لخرسان؟ قال: العبد في الطاعة، والأخ في النصيحة، يزيد. فولاه.

قال بعض جلساء الأمراء: والله لقولة (يا غلام، هات الطعام) أحب إلي من صوت ابن سريج.

قال: كان الحجاز يوضع له في كل يوم ألف خوان لأهل." (٢)

"حتى نخطب إليه صداقته، ونجتهد في الطاعة له، والقبول منه، قال: صديقي هو العقل، وهو صديقكم أيضا، ولو أطعتموه لسعدتم ورشدتم، ونلتم مناكم في أولاكم وأخراكم، فأما الصديق الذي هو إنسان مثلك فقلما تجده، فإن وجدته لم يف لك بما يفي به العقل، ولم يبلغ بك ما يبلغ بك العقل، وربما أتعبك، وربما حزبك، وربما أشقاك، فاكبحوا أعنتكم عن الصديق الذي يكون من لحم ودم وعظم، فإنه يغضب فيفرط، ويرضى فيسرف، ويحسن فيعدد، ويسيء فيحتج، ويشكك فيضل.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٧٧/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٢٧/٩

قال الشاعر:

أخي لن تستفيد، الدهر، مثلي ... شريكا في الحياة وفي الممات

أتتركني وأنت ترى مكاني ... وتطلبني إذا حانت وفاتي

فليس بنافعي طلب بثأري ... وأخذك من بغاني بالترات

فإن أهملتني وطرحت حقي ... عليك فلا تغافل عن وصاتي

بني إذا هلكت فلا تضعهم ... وصن عمن يعاديني بناتي

فلو كنت الأسير ولا تكنه ... عزمت على حياتك لي حياتي

قال عيسى بن مريم عليه السلام فيما حدثنا ابن الجمل الكاتب النصراني لتلامذته: علامتكم التي تعرفون بها أنكم مني؛ أن يود بعضكم بعضا.." (١)

"وقال آخر: صحبة الأشرار، تورث سوء الظن بالأخيار.

سدوس بن ذهل اليربوعي:

إذا ما امرؤ ولى غنيا بوده ... وأدبر لم يصدر بإدباره وقر

ولبني هذيل مثل وهو: هذا التصافي، ولا تصافي المحلب، أصله أن هذيلا أصابت دما في بعض العرب، فأسر أصحاب الدم رجلين من هذيل متصادقين، فقالوا لهما: أيكما أشرف فنقتله بصاحبنا؟ فقال كل واحد مهما: أنا ابن فلان الحسيب النسيب، ذو الثأر المنيم، فاقتلوني دون صاحبي، فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه، فعيوا بأمرهما لما رأوا من تأبيهما فقالوا: هذا التصافي، لا تصافي المحلب، وصفحوا عنهما، أي لا تصافي للنادمة على الشراب.

وروى يعقوب قول نابغة بني جعدة:

أدوم على العهد ما دام لي ... إذا كذبت خلة المحلب." (٢)

"وقال أعرابي: اعتبر الناس بإخوانهم.

وقال معن بن أوس:

ألا من لمولى لا يزال كأنه ... صفا فيه صدع لا يدانيه شاعب

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيان التوحيدي ص/١٣٣

(٢) الصداقة والصديق أبو حيان التوحيدي ص/٢٦٢

يدب دباب الغش تحت ضلوعه ... لأهل الندى من قومه والعقارب

أنشد ابن الأعرابي:

يا رب مولى حاسد مباغض ... علي ذي ضغن وضب قارض

له قرؤ كقرؤ الحائض

أبو دهبل الجمحي:

وأعلم بأني لمن عاديت مضطغن ... ضبا وأني عليك اليوم محسود

كاتب: عرفني وقتك أوافقك فيه خاليا، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك، ولا الأعين عن النظر إليك لأقضي حق المودة، وآخذ بثأر الشوق.

الأخطل:." (١)

"مهران الأسدي -: كنت أسمعهم يقولون: عربا بالتخفيف مثل الرسل الكتب. ولغة بكر وتميم التخفيف في مثل هذه الأشياء، والوجه التثقيل، وعليه جاءت القراءات. وقال الشاعر في العروب أنشده محمد بن زياد:

وعروب غير فاحشة ... قد ملكنا ودها حقبا

ثم آلت لا تكلمنا ... كل حي معقب عقبا

وقال أوس بن حجر:

وقد لهوت بمثل الريم آنسة ... تصبي الحليم عروب غير مكلاح

ويقال أيضا في معنى عروب: عربة بوزن فعلة مكسورة العين، ذكر أبو عبيد، وكون وزنها فعلة يصح أن المصدر العرب محركا، ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم لكرم أخلاقهم، واتساع جودهم وبشرهم لعارفيهم سموا بذلك. وقد سموا عرابة، وهو عرابة بن أوس الأوسي، وسنستقصي ذكره عند ذكر الشماخ من كتاب " ذبيان " إن شاء الله. وقد كنوا بأبي عروبة، وفي عنزة رجل يقال له أبو عروبة بن شاس من بني جلان وكان شاعرا فاتكا. وأغار الحطم - واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة - على بهراء، فأصاب منهم رجلا شريفا فأسره، وكان معه ناس من عنزة، منهم أبو عروبة، فقتل أخ لأبي عروبة، فقالوا لأخيه: ما تدع هذا الأسير؟! آلا تقتله بأخيك؟ فشد عليه أبو عروبة فقتله، فأخذه الحطم فأوثقه في القد فكان الأسير، فقال في ذلك أبو عروبة.

(١) الصداقة والصديق أبو حيان التوحيدي ص/٣٥٣

غادرت ثأري مضرجا بدم ... ولم تغلني مقالة الحطم

وقال في أبيات يهجو بها الحطم:

يبيت يثني أيره فوق فخذه ... إذا فلت أسرى أصبح المرء باركا." (١)

"فيكونون سموا بذلك لحدة شجاعتهم، ونفوذ عزائمهم، وقد قيل في العرب إنه بالغينمعجمة، والعين أثبت.

والقول الحادي عشر: أنه مأخوذ من التعريب، وهو الجبه بالغلط والرد، ومنه قول عمر: ما لكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعربوا عليه؟ فقالوا: نخاف لسانه. قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء، رواه أبو عبيد وابن الأعرابي وغيرهما. ومعنى تعربوا عليه أي تردونه، وتدفعون قوله. وقال أوس بن حجر:

ومثل ابن عثم إن ذحول تذكرت ... وقتلي تياس عن صلاح تعرب

ابن عثم: أحد بني جشم بن سعد. وتياس: أرض التقت فيها بنو سعد وبنو عمرو وكانت المعلاة لبني عمرو، قوم أوس يقول: فمثل هذه القتلى يمنع تذكره من الصلح.

ويكون وجه هذا الاشتقاق أنهم سموا بذلك لأنهم يردون حكومة الظالم، ويعصون أمر الغاشم.

والقول الثاني عشر: أنه مشتق من العبة، وهو النهر الشديد الجري، عن ابن دريد. ووجه هذا الاشتقاق أنهم شبهوا بالماء الجاري في قوة مسيله. وأعتياص رده وجره ما وجد في جريته.

فأما العربة لهذه المنصوبات على دجلة والفرات فمولد، إلا أن ثعلبة قد ذكره وصححه وقال: سميت بذلك من العربة وهو الشديد الجري من الأنهار، ولذلك لسرعة مدارها واتصال جريانها.

والقول الثالث عشر: أنه مشتق من التعريب، وهو مداواة للخيل بالنار، تسمى التبزيغ، وسميت العرب من ذلك لبلوغهم في شفاء الصدور بدرك الثأر، وإحكام ما عقدوه." (٢)

"قول أهل الكوفة، وذكر الكسائي أنه سمع العرب تقول: سمعت لغاتهم، والبصريون، يمنعون ذلك أشد المنع ويقولون: إن اطرد هذا في المعتل اطرد في الصحيح، وانتقصت به الأصل.

والقول السابع: أنها مشتقة من الولغ، وهو ورود السبع والذئب والكلب الماء. ووجه هذا الاشتقاق أن ولغ الذئب متصل منتظم، ولذلك قال حاجز الأزدي اللص:

---

(١) أدب الخواص الوزير المغربي ص/١٠٨

(٢) أدب الخواص الوزير المغربي ص/١١٤

بغزو مثل ولغ الذئب حتى ... يبوء بصاحبي ثأر منيم

يبوء بصاحبي أو يقتلوني قتيل ماجد بطل كيم وقال آخر:

نقاذف بالغارات عبسا وطيئا ... وقد هربت منا تميم ومذحج

بغزو كولغ الذئب غاد ورايح وسير كصدر السيف لا يتعوج وقال ثعلب في " أماليه ": يقال هو في خير كولغ الذئب أي دائم متصل انتهى. فكأنها لا تساق نظامها وأتزان ألفاظها تجيء مسرودة منضودة، لا تفصل بينها فترة عي، ولا تنحو بها هجنة هذر، كما أن ولغ الذئب نسق واحد، كعد الحساب السريع، وكحظ الكاتب الوشيك، ووزنها على هذا فعلة، وأصلها ولغة، وهم يستثقلون حركة الواو بالفتح، فيقلبونها لذلك يقولون في واحد: أحد، وبالكسر فيقلبونها يقولون في وسادة إسادة، وينتهي بهم استثقال الحركة على الواو أن يسقطوا الكلمة بالواجدة، ويتخذوا غيرها عنها عوضا مثل ما أهملوا الكلام بودد وودع، واستغنوا عنهما بترك، فكيف إذا اتفق أن حركة الواو بالضمة، وهي أثقل الحركات على جميع الحروف وعلى الواو خاصة، فنقلوا حركة الواو إلى اللام فبقيت الواو ساكنة، وليس يبتدأ بساكن، فحذفوها فصار لغة - كما ترى

فإن قيل: إن النسبة إلى اللغة بلغوي يبطل هذا لأنه كان يجب أن يقول: ولغي؟ فجوابه ما ذكرناه في مقدمة الفصل، على أنه يجوز أن تكون النسبة جاءت مقلوبة مثل لعمري ورعملي، ويكون غرضهم في قلبها عند الجميع شيئين: أحدهما أن لا يبتدأ بالواو مضمومة، والثاني: لكيلا يفجا السمع تغير بين المنسوب والمنسوب إليه في أول الاسم ومقدمه، والمقدم." (١)

"وتعرك الدهر عركا أكرم الثمره ... كعرك هيجائه في المعرك الفجره

كأنما قد غدت فينا معاقبة ... (١) لفعلها بأبينا آدم لتره

كأن ناعرة النهر التي نعرت ... (٢) أعارها الفلك الأعلى به نعره

دارت فأبدت لنا منها استدارتها ... أنين صب إذا ما إلفه غدره

كأنما السد إذ ألوى بجريته ... عن حدها برزخ البحر الذي قصره

أو عاشق (٣) راغ منه عند رحلته ... معشوقه فانتحاه متبعا نظره ١٢؟ باب في المأكولات من الفواكه وغيرها

- ١٣٦ -

قال أحمد بن عبد ربه في عنب أبيض وأسود (٤)

---

(١) أدب الخواص الوزير المغربي ص/١٢٥

أهديت بيضا وسودا في تلونها ... كأنها من بنات الروم والحبش

---

(١) الترة: **الثأر**.

(٢) النعرة: الخيلاء.

(٣) ص: راع، وقرئت في ح: زاغ.

(٤) ديوان ابن عبد ربه: ٩٦ عن كتاب التشبيهات، وانظر العقد ٦: ٢٨٥ وقال: ومن قولنا في هذا المعنى وقد أهديت سلي عنب.." [1]

"- ١٥٢ -

وقال محمد بن خطاب النحوي

كأس تجلي الهموم سورتها ... شاربها في الندي كالملك

كأنها والأكف تحملها ... نجوم ليل تدور في الفلك - ١٥٣ -

وقال جعفر بن عثمان (١)

صفراء تطرق في الزجاج فإن سرت ... في الجسم هبت هب (٢) صل لادغ

خفيت على شرابها فكأنما ... يجدون ريا من إناء فارغ - ١٥٤ -

وقال ابن بطال المتلمس

وصهباء في جسم الهواء وثوبها ... سنا الشمس يبغي سدفة الليل بالذحل (٣)

صببنا عليها شكلها فتعانقا ... تعانق معشوقين عادا إلى الوصل

---

(١) البيتان في مطمح الأنفس: ٥ والحلة ١: ٢٦٣ واليتيمة ١: ٣١١ والنفح ١: ٥٩٤، ٦٠٤، ٥: ٦٠٠ وديوان المعاني ١: ٣١٠ والثاني في المرقص: ١٨ والدرة المضيئة ٦: ٥٧٦ والمسالك ١١: ١٧٥.

(٢) المطمح والحلة: دبت مثل.

(٣) الذحل: **الثأر**.." [2]

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/٨٥

(٢) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/٩١

"فبينا تفارق خلا فواقا ... أتيت فقيل فلان هلك - ٥٨٧ -

وقال عبد الملك بن شهيد الوزير

فقدت شبابي فاضطربت لفقده ... على اليأس من عود له آخر الدهر

وولى صحابي كالدنانير أوجها ... وكالراح عهدا فانطويت على الجمر - ٥٨٨ -

وقال علي بن أحمد

رعى الله أياما خلون كأنما ... خلقن لساعات السرور مواسما - ٥٨٩ -

وقال مروان بن عبد الرحمن

تفرغ لي دهري فصيرني شغلا ... وعوضني من خصب روضتي المحلا

يطالب بالثأر النبيل كأنما ... يرى النبل منه بين أحشائه نبلا - ٥٩٠ -

وقال إبراهيم بن محمد الشامي

نرى كل يوم للمنايا مصارعا ... ولسنا بأسماع نحس لها وقعا

تدب إلى هذا وهذا وذا وذا ... دبيبا كما دبت على غفلة أفعى - ٥٩١ -

وقال ابن عبد ربه (١)

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب

---

(١) البيت من جملة أبيات في المطرب: ١٥٥ وجذوة المقتبس: ٩٦ وبغية الملتمس رقم: ٣٢٧ واليتيمة ٢: ٨ والعقد ٣: ١٧٥ ومعجم الأدباء ٢: ٦٩ والوافي بالوفيات ٨: ١١ وديوانه: ٢١.." (١)

"أما أمير المؤمنين فقد أسف بكم إلى التوبة، وغفر لكم الزلة، وبسط لكم الإقالة بفضله. فليفرج روعكم، وليعظكم مصارع من كان قبلكم. فهذه الحتى منكم مضرعة، وبيوتهم خاوية بما ظلموا، والله لا يحب الظالمين. ثم نزل عن المنبر، وصعد صالح بن علي بعده فقال: يا أهل النفاق، وعمد الضلالة، أعزكم لين الإبساس وطول الإيناس، حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حد، وخور قناة. فإذا استوبأتكم العافية فعندي نكال وفطام، وسيف يعض بالهام. ومن خطب داود: أيها القوم. حتى متى يهتف بكم صريخكم؟ أما آن لراقدكم أن يهب من رقدته؟ بلى و "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ". طال الإمهال حتى حسبتموه الإهمال.

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/٢٥٤

هيهات كيف يكون ذلك والسيف مشهور؟ لا والله، حتى يجوسكم خلال الديار. حتى تبيد قبيلة وقبيلة ... ويعض كل مهند بالهام ويقمن ربات الخدور حواسرا ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام ولما خرج داود إلى مكة واليا حم في بعض طريقه، فكان يدعو الله ويقول: يا رب. **الثأر** ثم النار. قال عبد الصمد بن علي: كنت عند عبد الله بن علي في عسكره بالشام لما خالف المنصور ودعا إلى نفسه، وكان أبو مسلم بإزائه يقاتله، فاستؤذن لرسول أبي مسلم عليه، فاذن له، فدخل رجل من أهل الشام فقال له: يقول لك الأمير: علام قتالك إياي وأنت تعلم أني أهزمك؟ فقال له: يا بن الزانية، ولم تقاتليني عنه وأنت تعلم أنه يقتلك؟ قال العباس بن محمدل بن علي للرشيد: يا أمير المؤمنين. إنما هو سيفك ودرهمك، فازرع بهذا من شكرك، واحصد بهذا من كفرك.." (١)

"على راحلة له، ومعه غلمان له وزوامل. فقال له عثمان: سر يا أبا عبد الله، فقال: سيكفيني القضم من خضمكم، والعنق من نصكم. قال يوم الشورى لما تكلم عبد الرحمن بن عوف، وأخرج نفسه من الشورى ليقلد من يرضاه: " أما بعد، فإن داعي الله لا يجهل عند تفاقم الأهواء ولي الأعناق، ولن يقصر عما قلت إلا غوي، ولن يترك ما قلت إلا شقي، لولا حدود الله فرضت، وفرائض له حدت، تراح على أهلها، وتحيا لا تموت، لكان الفرار من الولاية عصمة، ولكن لله علينا إجابة الدعوة، وإظهار السنة لئلا نموت ميتة عمية، ولا نعمى عمى جاهلية، والأمر لك يا ابن عوف. ذكر أن أول من سل سيفا الزبير، سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل، فخرج بيده السيف، فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كفة كفة، فدعا له بخير. أرسل علي عليه السلام عبد الله بن عباس، فقال: إيت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين؛ وإنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه. يركب الصعوبة ويقول: هي أسهل. فأقره السلام، وقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز، وأنكرتني بالعراق، فما عدا ما بدا؟ . قال: فأتيته فقال: مرحبا بابن لبابة. أزائرا جئت أم سفيرا؟ قلت: كل ذلك. وابلغته الرسالة فقال: ابلغه السلام وقل له: بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد، وأم مبرورة ومشاورة العشيرة، ونشر المصاحف فنحل ما أحلت، ونحرم ما حرمت. فلما كان الغد حرش بين الناس غوغاؤهم، فقال الزبير: ما كنت أرى أن ما جئنا فيه يكون فيه قتال.

عبد الرحمن بن عوف

قال عبد الرحمن يوم الشورى: يا هؤلاء، إن عندي رأيا، وإن لكم نظرا، إن حابيا خير من زاهق، وإن جرعة

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٠٢/١

شروب أنفع من عذب موب. إن الحيلة بالمنطق أبلغ من السيوف في الكلم. فلا تطيعوا الأعداء وإن قربوا، ولا تفلوا المدى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثأركم." (١)

"قال السري بن عبد الله: إني لبمكة مع أبي جعفر المنصور والناس يذكرون معنا، وإراقته الدماء باليمن، فقلت: يا أمير المؤمنين غلام من غلمان بني شيبان، ماله عندك يد تأصرك عليه، ولا رحم يعطفك عليه، قال: فبسر في وهي بسرة تمنيت أن الأرض انشقت لي فدخلت فيها. قال: فمكثت أياما ثم أتيته، فسألني عن تخلفي، فاعتذرت إليه، فقال لي: أتعرف رجلا كان يصلي عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأخبرته به، ونسبته إلى عثمان، فقال: ما فعل؟ قلت: قتل بقديد. قال: فآخر كان يصلي قريبا منه؟ قلت: نعم، ذاك ابن أخيه. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد. قال: فآخر كان يصلي في موضع كذا؟ قلت: نعم. ونسبته إلى الزبير. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد، فما زال يقترع المجالس يذكر فيها رجلا قريعا، ويسألني عنه، فأقول: قتل يوم قديد، فقال لي: لا أكثر الله في عشيرتك مثلك. عجزت عن ثأرك أن تطلب به، حتى إذا قام هذا الغلام الشيباني، فإذا بك تنفس عليه الرفعة. قيل: وكان معن يبسط الأنطاع باليمن، ثم يدعو بأبناء اليمانية الذين حضروا قديدا، فيضرب أعناقهم. وكلما ندر رأس عن رقبته قال: يا لثارات قديد. كان المنصور يقول: الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاث خلال: إفشاء السر، والتعرض للحرم، والقدح في الملك. وقال: إذا مد عدوك يده إليك فاقطعها إن أمكنك، وإلا فقبلها. وخطب بمكة وقد أمل الناس عطاءه، فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وخازنه على فيئه، أعمل فيه بمشيئته وأقسمه بإرادته، وقد جعلني الله عز وجل قفلا عليه، إذا شاء أن يفتحني فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه، فقال جل اسمه: " اليوم أكملت لكم." (٢)

"دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "، أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم، والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم، وقسم أرزاقكم فيكم، إنه قريب مجيب. فقال ابن عياش المنتوف: أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه. خطب المنصور بالكوفة فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأراد أن يقول: وأشهد أن محمدا عبده

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٧٧/٢

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦٠/٣

ورسوله، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أذكرك من تذكر به. فقال المنصور: سمعا سمعا لمن فهم عن الله، وأعوذ بالله أن أذكر بالله وأنساه، وأن تأخذني العزة بالإثم: " قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ". وأنت والله ما الله أردت بذلك، ولكن حاولت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها وبقائلها ولو صمت لكان خيرا له، فاهتبلها إذا غفرتها، وإياكم وأخواتها، فإن الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا انبثت، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ورجع إلى خطبته. كان يقول: الخلفاء أربعة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على ما نال من عثمان، ومانيل منه أعظم، ولقد كان عمر بن عبد العزيز إمرأ صدق، والملوك أربعة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه حجاجه، وهشام وكفاه مواليه، وأنا ولا كافي لي. وكان معاوية للحلم والأناة وعبد الملك للإقدام والإحجام، وهشام لوضع الأمور مواضعها، ولقد شاركت عبد الملك في قول كثير: رحمة للناس. أتي المنصور برأس بشير الرحال، وكان خرج مع محمد بن عبد الله – رضي الله عنه – فقال له: رحمك الله، لقد كنت أسمع لصدرك همهمة لا يسكنها إلا برد عدل، أو حر سنان. ولما احتضر قال: يا ربيع، بعنا الآخرة بنومة. قال الربيع: لقب أبو جعفر بأبي الدوانيق، لأنه لما أراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كل رجل منهم دانق فضة، وأخذه، وصرفه في ذلك، وقيل غير هذا. وقال للمهدي: ليس العاقل من يتحرز من الأمر الذي يقع فيه، حتى يخرج منه، إنما العاقل من يتحرز من الأمر الذي يخشاه، حتى لا يقع فيه. وقال: عقوبة الحكماء التعريض، وعقوبة السفهاء التصريح. كان لسوار القاضي كاتبان: رزق أحدهما أربعون درهما، والآخر عشرون درهما، فكتب إلى المنصور يسأله أن يلحق صاحب العشرين بالأربعين، فأجاب بأن يحط من الأربعين عشرة ويزيدها صاحب العشرين حتى يعتدلا. قال السري بن عبد الله: إني لبمكة مع أبي جعفر المنصور والناس يذكرون معنا، وإراقته الدماء باليمن، فقلت: يا أمير المؤمنين غلام من غلمان بني شيبان، ماله عندك يد تأصرك عليه، ولا رحم يعطفك عليه، قال: فبسر في وهي بسرة تمنيت أن الأرض انشقت لي فدخلت فيها. قال: فمكثت أياما ثم أتيته، فسألني عن عن تخلفي، فاعتذرت إليه، فقال لي: أتعرف رجلا كان يصلي عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأخبرته به، ونسبته إلى عثمان، فقال: ما فعل؟ قلت: قتل بقديد. قال: فآخر كان يصلي قريبا منه؟ قلت: نعم، ذاك ابن أخيه. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد. قال: فآخر كان يصلي في موضع كذا؟ قلت: نعم. ونسبته إلى الزبير. قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قديد، فما زال يقترع المجالس يذكر فيها رجلا قريعا، ويسألني عنه، فأقول: قتل يوم قديد، فقال لي: لا أكثر الله في عشيرتك مثلك. عجزت عن ثأرك أن تطلب به، حتى إذا قام هذا الغلام الشيباني،

فإذا بك تنفس عليه الرفعة. قيل: وكان معن يبسط الأنطاع باليمن، ثم يدعو بأبناء اليمانية الذين حضروا قديدا، فيضرب أعناقهم. وكلما ندر رأس عن رقبته قال: يا لثارات قديد. كان المنصور يقول: الملوك تحمل كل شيء إلا ثلاث خلال: إفشاء السر، والتعرض للحرم، والقدح في الملك. وقال: إذا مد عدوك يده إليك فاقطعها إن أمكنك، وإلا فقبلها. وخطب بمكة وقد أمل الناس عطاءه، فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وخازنه على فيئه، أعمل فيه بمشيئته وأقسمه بإرادته، وقد جعلني الله عز وجل قفلا عليه، إذا شاء أن يفتحني فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه، فقال جل اسمه: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا "، أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم، والإحسان إليكم، ويفتحني لأعطياتكم، وقسم أرزاقكم فيكم، إنه قريب مجيب. فقال ابن عياش المنتوف: أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه. خطب المنصور بالكوفة فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأراد أن يقول: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أذكرك من تذكر به. فقال المنصور: سمعا سمعا لمن فهم عن الله، وأعوذ بالله أن أذكر بالله وأنساه، وأن تأخذني العزة بالإثم: " قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ". وأنت والله ما الله أردت بذلك، ولكن حاولت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها وبقائلها ولو صمت لكان خيرا له، فاهتبلها إذا غفرتها، وإياكم وأخواتها، فإن الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا انبثت، فردوا الأمر إلى أهله يصدروه كما أوردوه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ورجع إلى خطبته. كان يقول: الخلفاء أربعة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على ما نال من عثمان، ومانيل منه أعظم، ولقد كان عمر بن عبد العزيز إمرأ صدق، والملوك أربعة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه حجاجه، وهشام وكفاه مواليه، وأنا ولا كافي لي. وكان معاوية للحلم والأناة وعبد الملك للإقدام والإحجام، وهشام لوضع الأمور مواضعها، ولقد شاركت عبد الملك في قول كثير: يصد ويفضي وهو ليث عرينة ... وإن أمكنته فرصة لا يقيلها وقال للمهدي ابنه: يا أبا عبد الله، لا تبرمن أمرا حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآة تريه قبيحه وحسنه.." (١)

"أنشد النميري الرشيد شعرا يقول فيه: ليس كأسياف الحسين ولا بني ... حسن، ولا آل الزبير الكلل فقال له الرشيد: وما تولعك بذكر القوم لا ينالهم ذم إلا شاطرتهم إياه. قرر ابني هذا منك وفيك، فلا تعدله،

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦١/٣

فإنما نفارقهم في الملك وحده، ثم لا افتراق في شيء بعده. ماتت أمه الخيزران بعد ثلاث سنين من خلافته، وكان غلتها يوم ماتت مائتي ألف ألف، وستين ألف درهم كل سنة، فاتسع الرشيد بذلك ومات في اليوم الذي ماتت فيه محمد بن سليمان بالبصرة، وقبض الرشيد ما خلفه من الصامت، فكان ثلاثة آلاف ألف دينار، ولم يعرض لغير ذلك من أصناف المال. قال الرشيد يوما: بلغني أن العامة يظنون بي بغض علي بن أبي طالب. والله ما أحب أحدا حبي له، ولكن ولده هؤلاء أشد الناس بغضا لنا، وطعنا علينا، وسعيا في إفساد ملكنا، بعد أخذنا بثأرهم، ومساهمتنا إياهم ماحوينا، حتى إنهم لأميل إلى بني أمية منهم إلينا، فأما علي وولده لصلبه، وأولاد أولاده، فهم سادة الأهل، والسابقون إلى الفضل، ولقد حدثني أبي المهدي عن أبيه المنصور بن محمد بن علي عن أبيه عن ابن العباس أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول في الحسن والحسين: " من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني ". وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول في فاطمة – رضي الله عنها –: " فاطمة سيدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم ". قال يزيد بن مزيد: قال لي الرشيد: ما بقي في العرب من يفتك قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: رجل يقتل لي يحيي بن خالد. قال: قلت له: فأنا أقتله وآتيك برأسه. قال: ليس كذا أريد. إنما أريد أن يقتله رجل فأقتله به. قال: فحدثت به الفضل بن سهل بمرو، فوجم واغتم. قال الأصمعي قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه على تأنيسي: يا عبد الملك، أنت أحفظ منا، ونحن أقل منك. لا تعلمنا في ملا، ولا تسرع." (١)

"فصل آخر

وما الحق إلا حق الله، فمن أداه فلنفسه، ومن قصر عنه فعليها. نسأل الله أن يعمرنا بالحق، ويصلحنا بالتوفيق ويخصنا بالتقوى.

فصل آخر له

وصلني كتابك السار المؤنس؛ فكان أسر طالع إلي، وأحسنه موقعا مني، إذ كنت أستعلي بعلوك، وأرى نعمتك تنحط إلي، ويتصل بي منها ما يتصل بالأدنين من لحمتك، وحملة شكرك ومظان معروفك، والمقيمين على تأميلك، فلا أعد مني الله ما منحني منك، ولا أزال عني ظلك، ولا أفقدني شخصك. وكتب إلى المأمون: لولا أن يدي أشجع عليه من لساني لشافهته بحاجتي. ولما أدخل على المأمون عند الظفر به سلم عليه، وقال: يا أمير المؤمنين، ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مد له في الأناة حسن عنده الذنب،

---

(١) نثر الدر في ا لمحاضرات الآبي ٣/٧٠

وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فقال المأمون: يا إبراهيم، إني شاورت العباس ابني، وأبا إسحاق أخي في أمرك، فأشارا علي بقتلك إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حرمتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد نصح المشير لما جرت به العادة في السياسة، وحياطة الخلافة إلا أنك أبيت أن تطلب النصر إلا من حيث عودته من العفو، فإن عاقبت فلك نظير، وإن عفوت فلا نظير لك، فإن جرمي أعظم من أن أنطق فيه بعذر، وعفو أمير المؤمنين أجل من أن يفي به شكر. فقال المأمون: مات الحقد عند هذا العذر. فاستعبر إبراهيم، فقال المأمون: ما شأنك؟ قال: الندم، إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام علي، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنه وإن بلغ جرمي." (١)

"عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله، فابكوا؛ فإنكم والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيرا ٣٥٥ واضحكوا قليلا، فلقد فزتم بعارها، وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب الجنة، ومنار محجتكم، ومدرة حجتكم، ومفزع نازلتكم؟ فتعسا ونكسا! لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة. " لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ". ما تدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه فريتم، وأي كريم له أبرزتم، وأي دم له سفكتم. لقد جئتم بها شوهاء خرقاء طلاع الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دما، " ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون " فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفزه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثأر كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد. ثم ولت عنهم. قال: فرأيت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخا كبيرا من بني جعفي وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول: كهولهم خير الكهول ونسلهم ... إذا عد نسل ل يبور ولا يخزي

حفصة أم المؤمنين خطبتها عن عمر

خطبت حفصة بنت عمر فقالت: الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له.." (٢)

"وأبقى لأنفس الرجال. وبحق أقول. لقد صدعت بحكم، وما يدفع قولي إلا غير ذي فهم. وقال المدائني: لما أهديت بنت عقيل بن علفة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعث مولاة له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣/١٠٠

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤/٢٠

بها، فأتتها فلم تأذن لها، أو كلمتها فأحفظتها فهشمت أنفها، فرجعت إليها فأخبرته، فغضب من ذلك، فلما دخل عليها قال: ما أردت إلى عجوزنا هذه؟ قالت: أردت والله إن كان خيرا أن تكون أول من لقي بهجته، وإن كان شرا أن تكون أحق من ستره. لما انهزم الناس عن المختار مر أبو محجن الثقفي بأمة واسمها دومة فقال: يا دومة ارتد في حلفي. قالت: والله لئن يأخذني هؤلاء أحب إلي من أن أرى خلفك. كانت رقاش بنت عمرو عند كعب بن مالك فقال لها يوما: اخلعي درعك قالت: خلع الدرع بيد الزوج. قال: اخلعيه لأنظر إليك قالت: التجرد لغير نكاح مثلة. كان تميم الداري يبيع العطر في الجاهلية وكان من لخم، فخطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكسهم في المهر فلم يزوجوه. فلما جاء الإسلام جاء بعطر يبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له: طالما ضرك مكاسك، فلما عرفها استحيا وسامحها في بيعه. أرسل مسلمة بن عبد الملك إلى هند بنت المهلب وخطبها على نفسه، فقالت لرسوله: والله لو أحيا من قتل من أهل بيتي وموالي ما طابت نفسي بتزويجه بل كيف يأمنني على نفسه، وأنا أذكر ما كان منه وثأري عنده. لقد كان صاحبك يوصف بغير هذا في رأيه. وخطب عبد الملك بن مروان رملة بنت الزبير بن العوام فردته وقالت لرسوله: إني لا آمن نفسي على من قتل أخي. وكانت أخت مصعب لأمه. كانت أمهما الكلبية.." (١)

"قالوا: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان. كان الفضل بن الربيع يقول: مساءلة الملوك عن أحوالهم من كلام النوكى فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير؟ فقل: صبح الله الأمير بالكرامة. وإن أردت أن تقول كيف يجد الأمير نفسه؟ فقل: وهب الله الأمير العافية ونحو هذه الأشياء فإن المساءلة توجب الجواب فإن لم يجبك اشتد عليك وإن جابك اشتد عليه. قيل لابن عباس: إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر. قال: بالله الذي لا إله إلا هو للجور أشب للشر، والعدل أطفأ للجور. وفي العدل كفاية، وإليه انتهت السياسة. وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم؛ فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرهبة والأمانة والنصيحة. وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه، والجزاء لمن أبلاه، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه، والتنكيل بمن تعدى أمره. فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلى منهم بأربع: بالغش والخذلان والخيانة والنكد. قيل: ليعلم من نال شرف المنزلة من السلطان وهو دني الأصل أنه ثأر الأشراف، وأنه لا نجاة له منهم إلا أن يعمرهم بالإحسان إليهم. إذا كان الملك ضعيفا، والوزير شرها، والقاضي كذوبا فرقوا الملك شعاعا. ملك عسوف أجدى على الرعية من ملك مقتصد السيرة ضعيف؛ لأن العسوف القوي قد يدفع عن

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦٤/٤

البيضة بقوته، ومعه أنفة يحمي بها حوزته، والضعيف لا يستقصي حقة، ولا يأخذ حقوق رعيته، ولا قوة به على دفع عدوه وعدوهم. إذا قنع الملك بإفساد دينه لم تقنع رعيته إلا بإزالة ملكه. ظلم الرعية استجلاب البلية. أحزم الملوك من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وعبر عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.." (١)

"سن هرة أو غير ذلك أمن، فإن الجنية إذا أرادته لم تقدر عليه، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك. قالت: كانت عليه نغرة. ثعالب وهرره. والحيض حيض السمره. أعوان السنة يزعم أنه قيل للسنة أنك مبعوثة، فقالت: ابعثوا معي أعواني: الحصبة والجدري والذئب والضبع. حبس البلايا كانوا إذا مات الميت يشدون ناقته إلى قبره، ويعكسون رأسها إلى ذنبها، ويغطون رأسها بولية – وهي البرذعة – فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ليركبها صاحبها في المعاد ليحشر عليها كي لا يحتاج أن يمشي، قال علي أبو زبيد: كالبلايا رءوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود خروج الهامة زعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يطلب بثأره، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح على قبره: اسقوني ❁ اسقوني ❁ إلى أن يطلب بثأره، قال ذو الإصبع: يا عمرو إلا تدع شمي ومنقصتي ... اضربك حتى تقول الهامة: اسقوني! الحرقوص." (٢)

"الرجل موضع عقله، ورسوله موضع سره، واستودعك الله فإنه ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، وما خف من المنطق، وقل من الخطبة أحب إلى أبيك. وأوصى المنذر بن مالك البجلي بنيه وكان قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال ابن عامر، فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: باسمك اللهم، يا بني احفظوا أدبي يكفكم وابتغوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم، فإني لم أكلكم إلى أديب حي، والمعنى بكم غائب عنكم، آثروا ما يجمل، واقنوا أخياركم، وأطيعوا ذوي الرأي منكم، وأجلوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنية، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا قدمتم على قومكم فلتكن خلتكم واحدة، ولا تسثيروا دفين داء لم يدرك مثله، يقطعوا عنكم النار، وتعدموا بقومكم غيرهم، ولا تدبروا أعجاز ما قد أودت صدوره فتفشلوا، وعفوا عن الدناءة، ووقروا أهل الكفاية، ولا تواكلوا الرفد والنجدة فتجدي عظتكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حاجزا تكفوها، ولا تفيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، وأطيلوا الصمت، إلا من

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٧٣/٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢٢٩/٦

حق تسبقوا: والزموا الأناة تقر قدمكم، واغتنموا الفرصة تظفروا، وعجلوا تحمدوا، ولا تأخذوا حبلا من قليل فإن القليل ذليل، وخذوا الحبل من ذي المرة الكاثر، وشمر لدرك الثأر، ومنعة الجار، واظعنوا في الشهر الأصم تبلغوا دار قومكم سالمين، واوفوا بالعهد، واتقوا الغدر، فشؤم النساء والغدر أورثاني دار الغربة. وأوصى عمر بن يشكر البجلي فقال: يا بني إذا غدوتم فكبروا، وإذا أرحتم فهجروا، وإذا أكلتم فأوتروا، وإذا شربتم فأسئروا أوتروا، أي كلوا بثلاث أصابع. أوصى مصعب بن يشكر فقال: يا بني أوسعوا الحبا، وحلوا الربا، وكونوا أسى تكونوا حمى.." (١)

"أنا ابن وقاص وسيفي القلزم ... كم من كمي بطل مسوم تركته يحكو مكاء الأعجم سيف الأشعث بن قيس، التمثال. سيف أبرهة بن الصباح الحميري، العمار، مكتوب فيه: أنا العمار، أضرب بي، ولا تمار سيف ابن مرثد بن عبس، ذي جدن، مكتوب فيه: أنا برثن الأسد، المفرق بين الوالد والولد. سيوف المنذر: القحزنات قال الغوي حين قتله المنذر عبيد بن الأبرص الأسدي: دعا أسدا والقحزنات تنوشه ... ومن دونه هضب الرجام فالعنق سيف ابن ذي يرحم مكتوب فيه: أنا ثأر الله من الظالمين. سيف شرحيل، الصقل. سيف عمرو بن الحي الكلاعي الحبحاب قال فيه: مقتدار فما قضا ... ك للحبحاب إذ وقعا سيف عمرو أبي سلمة، الملواح، قال سراقة البارقي: إذا قبضت أنامل كف عمرو ... على الملواح واحتدم اللقاء سيف قيس بن الخطيم، ذو الخرصين، قال: ضربت بذي الخرصين رقبة مالك ... فأنت نفس قد أصبت شفاءها سيف مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي، اربانك، قال: أنا أبو حارث واسمي مالك من أرحب في العدد الضبارك." (٢)

"فما راعني إلا مناد ترحلوا ... وقد لاح معروف من الصبح أشقر
ولما رأت من قد تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فأثأر
فقالت أتحقيق لما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر
فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أهدى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدء حديثنا ... وما لي من أن تعلما متأخر

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٥٨
(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٠

لعلهما أن تجعلا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر
فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تذري دمعة تتحدر
فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
فقامت إليها حرتان عليهما ... كساآن من خز بنفس وأخضر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي ... وبردي وهذا الدرع إن كان يحذر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا نحن نذكر
ويروى:
ونخرجه من بيننا ساتر ا ته ... فلا سرنا يبدو ولا هو يظهر
فكان من مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... ألم تتقي الأعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر
إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر
فآخر عهد لي بها حيث أعرضت ... ولاح لها خد نقي ومحجر
سوى أنني قد قلت يا نعم قولة ... لها والركاب الأرحبية تزجر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ال ... لذيذ ورياها الذي أتذكر
فقمت إلي حرف تخون نيها ... سرى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بلية لوح أو شجار مؤسر
وماء بموماة قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث له الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوت كأنه ... على طرف الأرجاء خام منشر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فطافت به مغلاة أرض كأنها ... إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصا على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للورد لولا زمامها ... وجذبي به كادت مرارا تكسر

فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها معصر
قطعت لها من جانب الحوض مشربا ... صغيرا كقيد الشبر أو هو أصغر
إذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قدى الشبر مشبر
ولا دلو إلا العقب كان رشاءه ... إلى الماء نسع والجديل المضفر
فسافت وما عافت وما صد شربها ... عن الري مطروق من الماء أكدر
قصيدة كثير عزة

وحدث الرواة أن كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، دخل على عبد الملك بن مروان، وعنده الأخطل، فأنشده، فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازي مجدع مغرور، دعني أصفحه لك يا أمير المؤمنين، فقال كثير: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الأخطل، فقال له كثير: فهلا صفحت الذي يقول:

لا تطلبن خؤولة في تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الأمثالا

فسكت الأخطل وما أجاب بحرف.

قالوا: إن عبد الملك ذكر الشعر يوما، فقال: لو كان قول كثير بن عبد الرحمن:

فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

في الحرب، لكان أشعر الناس، ولو أن بيت القطامي:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة

في وصف النساء لكان أشعر الناس.." (١)

"شديدة قد عرفوا بها وحمدوا من أجلها، ولذلك قال بعض الشعراء موبخا لغيرهم:

فهلا سعيتم سعي عصبة مازن ... وهل كفلائي في الوفاء سواء
كأن دنانيرا على قسماتهم ... وإن كان قد شف الوجوه لقاء

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه، وتهييجهم وهزهم، لا ذمهم. وكيف ووبال الذم راجع إليه؟! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كبشة أخت عمرو بن معد يكرب في قولها:

---

(١) أمالي المرزوقي المرزوقي ص/٦٣

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلقومه لا تعقلوا لهم دمي

ألا ترى أنها قالت في جملة هذه الأبيات:

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمر غير شبر لمطعم

فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجو أخاها عمرا أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثأر أخيه، وعمر هو الذي كان يعد بألف فارس، ولكن مرادها بعثه وتهييجه. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه وقد لحقتهما هضيمة من أجنبي: لو كنا في خدمة فلان عمك أو أخيك لما جسر هذا أن ينالنا بمكروه! ولا يجوز أن يقال إنهما هجوا سيدهما أو فضلا غيرهما عليهما، ولكن المراد تحريكهما لهما، وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن يؤكد ما قلته قوله:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

لأنه لا يقال لمن يمسك عجزا عن الانتصار إنه غفر، ولا لمن يقدر على جزاء الإساءة إنه اختار الإحسان.

فإن قيل: أليس قد قال:

ليسوا من الشر في شيء وإن هانا.

وقال أيضا:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرسانا وركبانا." (١)

"لبان الفرس: صدره. ويقال: وطنت نفسي على كذا فتوطنت، أي حملتها عليه فذلت. وانتصب عشية على أنه ظرف لطعاننا. ويجوز أن يكون ظرفا لشهدت، ولا يجوز أن يكون ظرفا لأرمي؛ لأن أرمي أضيفت عشية إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ومعنى البيت: عشية أحمل على القوم ولا أبالي إن كانت علي أو لي، لأني وطنت نفسي على الشر فألفته وسكنت إليه. فمن روى: ونفسي قد وطنتها يكون الواو للحال، ونفسي يرتفع بالابتداء، ووطنتها في موضع الخبر. ومن روى: ونفسي وقد وطنتها فإن نفسي يكون في موضع الجر عطفا على بلنانه، أي أرمي جيشهم بنفسي وفرسي، ويكون قد وطنتها في موضع الحال. وتحقيق الكلام: وقد وطنتها على الشر فسكنت إليه، ورضيت به. ومثله قول عنترة:

ما زلت أرميهم بقرحة مهري ... ولبان لا وكل ولا هياب

وقول الآخر:

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٢١

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... وفارسه حتى ثأرت ابن واقد

ولاحقة الآطال أسندت صفها ... إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

إنما نكر قوله عدى لينبه به على اختلافهم وكثرتهم، وأن ذلك لتوفر فضائلهم، وتظاهر عزهم ورياستهم، إذ كان الحسد يتبع ذلك، ولأنهم يترون من لا يذل لهم، ولا يهوى هواهم. يقول: ورب خيل قد لحقت بطونها بظهورها، وارتفعت جنوبها إلا متونها، أنا أملت صفها إلى صف خيل مثلها من الأعداء، فخافت لقلتنا وكثرتهم. وأصل الاقشعرار تقبض الجلد وانتصاب الشعر، وقد تكلم الناس في قول امرئ القيس:

والقلب من خشية مقشعر

فقال بعضهم: الاقشعرار لا يصح في القلب، لأنه يخبر به عما عليه شعر، ولا شعر على القلب. وقال غيره: إنما هو كناية عن الوجل، ولما كان الاقشعرار يقع عنده كني به عنه. وإذا كان كذلك فكأنه قال: والقلب من خشية وجل.." (١)

"بنفسه، ولا يدافع أحد دونه. وذكر بعضهم أن هذا المقتول هو بهدل بن قرفة، أحد بني نبهان، وأخذ بسبب دم ابن جعدة المخزومي فقتل بالمدينة صبرا. وما اقتص في الأبيات يدل على خلافه.

أما في بني حصن من ابن كريهة ... من القوم طلاب التراث غشمشم

هذا الكلام بعث وتحضيض لأبناء حصن. والغشمشم: الذي يركب رأسه ولا يهاب الإقدام على شيء. والكلام لفظة استفهام، والمعنى معنى التمني، كأنه يبعث ويحضض من يطلب دمه إذ فات نصرته حيا. فيقول: أما في هذه القبيلة ابن حرب متناه في طلب الدم وإدراك الثأر، ظلوم غشوم، يركب الكرائه والأمور الصعبة، غير مرعو ولا منقبض.

فيقتل جبرا بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم

جبر هو القاتل لولي هذه المرأة. ويقال: باء فلان بفلان يبوء بواء، إذا ارتضى لقتله بدلا منه. وأبأت فلانا بفلان، أي قتلته. وانتصب يقتل على أنه جواب التمني بالفاء، والعامل في الفعل أن مضمرة، أي أما فيهم رجل هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرا، فيكون في دمه وفاء بدمه، ولكن سقطت المكايلة في الدماء منذ جاء الإسلام، فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد، شريفا كان أو وضيعا.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٢٢

وقال بعض بني فقعس

رأيت موالي الأولى يخذلونني ... على حدثان الدهر إذ يتقلب

الموالي ها هنا: أبناء العم. والأولى في معنى الذين، ويخذلونني من صلته. يقول: رأيت أبناء عمي هم الذن يقعدون عن نصرتي على تقلب الزمان، وتصرف الحدثان. وقوله على حدثان الدهر في موضع الحال، أي يخذلونني مقاسيا لما يحدث في الدهر أوان تقلبه وتغيره.

فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... إذا الخصم أبزى مائل الرأس أنكب

قوله: تفاقدوا دعاء، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره، ولكنه أكد مايقتصه فصلح لذلك. يقول: هلا جعلوني عدة لرجل مثلي، فقد بعضهم بعضا وقد جاءهم." (١)

"كأنك لم تسبق من الدهر ليلة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب

يقول: من أدرك ما طلبه من الثأر فكأنه لم يصب ولم يوتر. وهذا بعث وتحضيض على طلب الدم والزهد في الدية. وفي طريقته قول الآخر:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

لكن هذا بعث على طلب المال.

وقال آخر:

فلو أن حيا يقبل المال فدية ... لسقنا لكم سيلا من المال مفعما

انتصب فدية على الحال من المال، والمراد به الإبل لا غير، ونكر قوله حيا وهو يقصد به قصد حي بعينه، لأن المراد كان مفهوما عند من عرف القصة، فجعله كالتعريض. وقوله سيلا مفعما والسيل يفعم به الشيء، يجوز أن يكون من باب هم ناصب وما أشبهه، ويكون المعنى سيلا ذا إفعام، ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل، كطالق ومرضع. ومثله قولهم نخلة موقر. ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مفعم كما عبر في قولهم شعر شاعر وموت مائت عن التناهي بلفظ فاعل، وإن كان الموت لا يموت، والشعر لا يشعر، كما أن السيل لا يفعم. وقد قيل امرأة فعمة المخلخل، أي غليظة كثيرة اللحم عليه. والمعنى: لو كانت معاملتنا مع حي يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير.

ولكن أبى قوم أصيب أخوهم ... رضى العار واختاروا على اللبن الدما

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٥٦

يقول: ولكن امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالدنية، وآثروا طلب الدم على قبول الدية. وجعل اللبن كناية عن الإبل تؤدي عقلا، لأنه منها، وكما نكر حيا في البيت الأول نكر أيضا في الثاني قوله أبى قوم، والغرض بهما على حد واحد، ولا يجوز أن يكون يقبل المال فدية صفة لقوله حيا، لأنه يبقى أن بلا خبر. فأما قوله أصيب أخوهم فهو صفة لقوله قوم. وقوله رضى العار العار في موضع المفعول، أي أبوا أن يرضوا العار خطة لأنفسهم.." (١)

"وقالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

الشعر لكبشة أخت عبد الله. والكلام بعث وتهييج. وإنما تكلمت به على أنه إخبار عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة، فتقول: راسل عبد الله بن معد يكرب لما دنا أجله قومه وذويه، بأن لا يعقلوا دمي. وإن كانت آمنة من ميلهم إلى قبول الدية، فغلظت القول لتهتاج حميتهم. ويقال عقلت فلانا، إذا أعطيت ديته. وجعل هذا المفعول الدم لأن المراد مفهوم، كأنه قال: لا تأخذوا بدل دمي عقلا. ويقال عقلت عن فلان، إذا غرمت عنه دية جنايته أو أرشها.

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

الإفال: جمع وواحده أفيل، وهي صغار الإبل، والأبكر: جمع البكر، وهو الفتى منها. يقول: لا تأخذوا من قتلتي صغار الإبل وبكارتها، فتتركوني في قبر مظلم بصعدة؛ وهو مكان باليمن. وإنما جعل قبره هكذا، لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته بقي قبره مظلما. فإن قيل: لم ذكر الإفال والأبكر وما يؤدي في الديات لا يكون منهما؟ قلت: أراد تحقير الديات، وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر خلعة خاز بها إنسان: إنما أعطي خرفا وفلوسا! وإن كانت الثياب المعطاة كسوة فاخرة، والمال الموفر جائزة سنية. وانتصب وأترك بإضمار أن وهو جواب النهي بالواو.

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو وغير شبر لمطعم

عمرو هو أخوها، وكان يعد بألف فارس، ولم يكن ممن يسالم ولا سيما في طلب دم أخيه. وإنما رمته بهذا الكلام لتهيج منه وتبعثه على التعجل في درك الثأر والتسرع في الانتقام. وقوله: " وهل بطن عمرو غير شبر

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٥٨

لمطعم " تزهيد في الدية، وهذا كما روي في الخبر: " وهل بطن ابن آدم إلا شبر في شير " لما أريد تزهيده في الدنيا وحطامها. أي ما يصنع بالمال وجوفه يمتلئ باليسير. وعمرو لم يكن ممن." (١)

"يميل إلى الدية، كما لم يكن يميل إلى المسالمة، ولكن المراد ما ذكرناه من التحضيض والحث.

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

الصلم: قطع الأذن من أصلها، ومنه الصليم: الداهية المستأصلة. واتديتم، معناه قبلتم الدية. يقال: وديته فاتدى، كما يقال وهبته فاتهب، أي قبل الهبة. وفي الحديث: " هممت ألا أتهب إلا من قرشي أو أنصاري " ومثله قضيته الدين فاقتضاه، أي قبله وتوفره. وقوله: " فمشوا " أي امشوا. وضعف الفعل للتكثير. ومن روى " فمشوا " بضم الميم فمعناه امسحوا؛ ويقال لمنديل الغمر: المشوش. والمعنى: إن لم تقتلوا قاتلي وقلتم ديتي فامشوا أذلاء، بآذان مجدعة كآذان النعام. ووصف النعام بالمصلم تصويرا لها، وإن كانت خلقة جميعها ذلك. ومن أحاديثهم عن البهائم: " ذهبت النعامة تطلب قرنين فجدعت آذانها ". ومن روى " فمشوا " فامعنى امسحوا بآذانكم مجدعة مثلة بكم كآذان النعام.

ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم

ترمل وارتمل إذا تلطخ بالدم. قال:

إن بني رملوني بالدم

ويجوز أن يكون هذا الكلام دعاء عليهم، أي أحلكم الله محل من ذا صفته. وعلى هذا يكون قوله " فمشوا " من البيت الأول أيضا. وإن شئت جعلته تهيا، وفمشوا أمرا. والمعنى: إذا فعلتم ذلك فتأخروا في المواطن كلها والمناجع، وتخلفوا عن المشاهد والموارد، والبسوا الذل راضين به، فإن مآل أمركم مع تضييعكم دم صاحبكم إلى مثل ذلك. وكان عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال ثم العضاريط والرعاة، ثم النساء، إذا صدرت كل فرقة عنه، فكن يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يزعجهن غير مستعجلات، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية من." (٢)

"والبقيا: اسم على فعلى، مبني من الإبقاء وفي معناه، والواو منه واو الحال، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والإنقطاع مما قبله. ويقال: لا آلو في كذا ولا آتلي، أي لا أقصر، ولا آلو كذا، أي لا

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٥٩

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٦٠

أستطيعه.

فإلا أنل ثأري من اليوم أو غد ... بني عمنا فالدهر ذو متطول

يقول مخبرا عن صبره وحسن رفقه في طلب الأمور، وأنه لا يتسلط عليه الملال وإن تراخى المطلوب، وتدافع الوقت في الحصول، فيقول: إن لم أدرك ثأري قريبا يا بني عمنا ففي الدهر تطاول، والزمان بتبديل الأبدال وتحويل الأحوال كافل، وله ضامن، وما يتعسر في وقت يتيسر في آخر. وذكر اليوم والغد إشارة إلى تقريب الوقت في المستقبل، كما يقال في الماضي: كان بالأمس يفعل كذا. ومتطول: مصدر مثل تطول.

فلا يدعني قومي ليوم كريهة ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

جزم " يدعني " بلا على أنه دعاء، والمعنى: لا دعيت لكشف مكروه، ولا للدفع عن مظلوم، إن لم أعجل ضربة لمن وترني، أو يعجلها لي. والمعنى: إن لم أقتله أو يقتلني. وهذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الدعاء فالمعنى معنى القسم. وقوله: " أو أعجل " أراد: أو لم أعجل لمثلها، فحذف. وفي هذا بيان للتوعد بالإقدام، والتسرع إلى القتل أو الاستقتال بعد الإمكان.

أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل

هذا الكلام تهدد، وضمان في أنه سيكافئهم على ما بدأوا. والمعنى: سنؤثر فيكم كما أثرتم فينا، وننزل الحرب بكم كما أنزلتموها بنا. ويقال: أنخت البعير فاستناخ وبرك. ولا يقال فناخ. وتقول في شدة التأثير: برك عليهم الدهر بكلكه، ووطئهم بمناسمه، وأنحى عليهم بجرانه. وهذا جعل الكلكل هو المناخ في صدر." (١)

"أشار بهذا إلى أن مطامعهم الخسيسة ترديهم، وإسفافهم لها يعرضهم للقتل ويهلكهم، فقال: هذا داؤهم لا يقتلون إلا به، ولأن حين كان حائن فيما يغلب به وعليه. ويجوز أن يريد أنه لما ترفع القصاص عنهم عند وقوع الجرائر منهم، كانت القتلة الكريمة فيهم أزهد، وعنهم أبعد، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم. والموت قد يسمى قتلا. وإنما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله " قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا " فلما ذكر من يجتهد في إدراك الثأر من جهته تيسر أو تعسر، ذكر أيضا ما يضاده ممن يرغب عنه ويزهد في النيل منه، ترفعا عن مكافأته. وهذا عادته في إتباع الشيء بضده، فأعلمه.

وقال آخر:

ألا أبلغا خلتي راشدا ... وصنوى قديما إذا ما اتصل

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٨٠

قديما، انتصب على الظرف لقوله خلتي. والمراد: أبلغا خليلي قديما راشدا، وصنوى إذا ما انتسب. والصنوان: الفرعان يخرجان من أصل واحد. ويقال للأخوين هما صنوان، تشبيها بذلك، ولعم الرجل صنو أبيه. ويقال صنو، وصنوان في التثنية، وصنوان في الجميع، ولا يعرف له نظير إلا قنو. فيقول: راشد خليلي القديم، ونسيبي القريب، فأبلغاه عني رسالة. وفي جمعه بين خلتي وصنوي، وتأخيره قديما إذا ما اتصل، ما ذكره أبو العباس المبرد رحمه الله، من أن العرب تلف الخبرين لفا، ثم ترمى بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل ما له.

بأن الدقيق يهيج الجليل ... وأن العزيز إذا شاء ذل

الباء دخل للتأكيد، وموضع أن مفعول ثان من أبلغا. فيقول: أبلغاه أن صغير الأمور يجني الكبير، وأن العزيز من الرجال متى أراد عاد ذليلا، بأن يعدو طوره، ويشتغل بما لا يهمه. ومثل هذا قولهم: " الشر يبدؤه صغاره "، وقول شاعرهم:

الحرب أول ما تكون فتية." (١)

"ولكن هيأنا لها نفوسا تأنف من الرضا بالدنية، فلا تنسى كرمها، وتكلف أمور لا تنهض بها فتتكلفها. وفي وصف النفوس بالكرم إشارة إلى الظلف والعفة، والتأبي من المخزية، ومجانبة الريبة، والنفور من كل قبيحة. ولذلك قال الله عز وجل في صفة المختارين من عباده المزكين: " والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ". فأما قوله: " رحلناها " في الاستعارة، فكما يقال استحملت فلانا نفسي، وركبتني ظلامات وما أشبهها. وحكى: هو يرحله بما يكرهه، أي يركبه؛ ولا رحلتك بالسيف، أي لا علوتك.

وقال آخر:

وكم دهمتني من خطوب ملمة ... صبرت عليها ثم لم أتخشع

يقول: مرارا كثيرة فاجأتني خطوب شديدة، ونزلت بي، فحبست نفسي عليها، وتجلدت لها، فلم يظهر في مناظري خشوع، ولا بدا من جوارحي خضوع. وموضع كم على هذا التأويل ظرف. " ومن " على طريقة الأخفش تكون زائدة، لأنه يجوز زيادة " من " في الواجب، ويستدل من المسموع بقول بعضهم: " قد كان من مطر فخل عني " وبغيره. فكأنه قال: كم مرة دهمتني خطوب كثيرة. ويكون قوله صبرت عليها صفة للخطوب. ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء، ومن خطوب هو بيان له، وقد فصل بينهما بخبره، وهو دهمتني، وتقديره كم من خطوب دهمتني، أي كثير من الخطوب. فأما فائدة العطف بثم من قوله " ثم لم أتخشع

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٨٣

" فهو إبانة الاستمرار في الصبر، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفرجت. ومعنى دهمتني: فاجأتني، ومنه الدهم ودهماء الناس.

فأدركت ثأري والذي قد فعلتم ... قلائد في أعناقكم لم تقطع

يقول: أصبت ما طلبته، وتقاضيت به ممن كان لي عنده ثأر أو وتر، فاستنزلته عنه، وما فعلتم من القعود عن نصرتي، وخذلاني فيما نابني لزمكم، فكأنها قلائد وأطواق لا تنحل عنكم ولا تنقطع. وهذا تحقيق للزوم العار لهم فيما أتوا. ومثله قول بشر:

وقلدها طوق الحمامة جعفر." (١)

"يعني بالشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه. المعنى: إنا طالبون بدمه، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذاك. وهذا معنى قوله ثم بجل. وموضع بجل رفع على الابتداء وخبره مضمر، كأنه قال: ثم بجلنا ذلك، أي حسبنا ذلك. وثم عاطفة لجملة على جملة. وقال لبيد:

بجلي الآن من العيش بجل

وحكى الأخفش أن بجل ساكنة أبدا. يقولون بجلك، كما يقولون قطك وقدك، إلا أنهم يقولن بجلى ولا يقولون بجلني كما يقولون قطني وقدني، وهو القياس مع مجيئه على السكون. وانتصاب بني ضبة بفعل مضمر، والقصد فيه المدح والاختصاص. وخبر المبتدأ الذي هو نحن أصحاب، والتقدير: نحن - أذكر بني ضبة - أصحاب الجمل. وهذا الكلام ينبه به على أنهم مجدون في طلب دم عثمان رضي الله عنه، لأن الذين خرجوا مع عائشة رضي الله عنها وقاتلوا يوم الجمل كان دعواهم طلب الثأر. ولو قال نحن بنو ضبة لكان يسقط فخامة المدح وتعظيمه، وكان يصير أصحاب صفة وبنو خبرا. وكان يجوز أن يكونا جميعا خبرين، ويجوز أن يكون أصحاب بدلا من بنو. وقوله ننعي ابن عفان كان عادتهم إذا مات رئيس فيهم عظيم الشأن والمحل أن يطوف واحد منهم على القبائل، ويصعد الروابي المطلة عليهم، والآكام المرتفعة بمحالهم ويقول: نعاء فلانا؟! يريدون تشهير أمره، وتعظيم الفجع به، وربما أرخوا بموته. فيقول: نحن نجعلا بدل هذا الفعل أن نطلب دمه بأطراف الرماح. وهذا معنى حسن.

؟ وقال آخر:

داو ابن عم السوء بالنأي والغنى ... كفى بالغنى والنأي عنه مداويا

---

(١) شرح ديوان ال حماسة المرزوقي ص/١٩٠

يقول: عالج ما بينك وبين ابن عم السوء من التضاغن والتباين، والتغابط والتحاسد، بالبعد منه، والاستغناء عنه. ثم قال: وكفى بهما من مداو معه. وهذا يجري مجرى الالتفات، وهو تنبيه على أنهما الغاية فيم يحسم به شره، ويدفع به." (١)

"فجاءوا ليتأملوا، فلما أمنوا رجعوا. ويقال: ارعوى عن الجهل ارعواء ورعوى حسنة ورعوى، أي رجع. ويقال: فعل فلان كذا بظهر الغيب، وأتاني خبر عن ظهر الغيب.

فلما أن تواقفنا قليلا ... أنخنا للكلاكل فارتمينا

هذه المواقفة التي أشار إليها، يجوز أن تكون للتعبية والتهيئة، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة، واعتراضهم بين الصفين للمطاعنة. وقوله " قليلا " يجوز أن يريد به زمانا قليلا، فيكون ظرفا، ويجوز أن يريد به: تواقفا قليلا، فيكون صفة لمصدر محذوف. والصفات تنوب عن المصادر والظروف كثيرا. وجواب لما " أنخنا "، ومفعوله محذوف. والمعنى: إنا بعد المطاردة نزلنا، وأنخنا للصدور فتناضلنا.

فلما لم ندع قوسا وسهما ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ... إذا حجلوا بأسياف ردينا

يقول: لما مللنا الطراد والرماء، بإفناء النبال وتعطيل القسى لانقطاع الأوتار، مشى بعضنا إلى بعض للكفاح والجلاد، طلبا للاشتفاء، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه، حتى بلغوا أعلاها وأصعبها، وأولاها بدرك الثأر وأحقها. ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن أنواع السلاح، وانتهى إلى ذكر السيف، قال " عنده تثكل الأمهات ". وانتصب " تلألوء مزنة " على أنه مصدر مما دل عليه " مشينا نحوهم ومشوا إلينا "، لأن في ذلك تلألوء السلاح من الجانبين جميعا، ووميض كل واحدة من الطائفتين جميعا للأخرى. وقوله " إذا حجلو بأسياف ردينا "، أي إذا كان مشيهم إلينا حجلا كان مشينا إليهم رديانا. والرديان فوق الحجلان، لأنه مشي الحمار بين آريه ومتمعكه، فهو أسرع من الحجلان، إذ كان في الحجلان تقارب الخطو كمشي المقيد ووثبته. فيقول: تلألأنا لوفور أسلحتنا، وبريق دروعنا وبيضنا، وإيماض أعيننا، تلألؤ سحابة برقت لسحابة أخرى قابلتها. وقال أبو زيد: هذا من رديان الجواري إذا لعبن ترفع إحداهن رجلا وتخطو بأخرى خطوتين، ثم تضعها وترفع الأخرى، تفعل ذلك مرارا. قال: والغراب يردي ويحجل.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٢١٢

شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا

وشدوا شدة أخرى فجروا ... بأرجل مثلهم ورموا جوينا." (١)

"وقوله " أن تلاقى " يجوز أن يكون موضعه رفعا بالابتداء، وخبره لأول نصل، والجملة في موضع خبر إن. والتقدير: إن تأبط شرا ملاقاته مجمعا لأول نصل يجرد. ويجوز أن يكون " يلاقي " في موضع النصب على أن يكون بدلا من الهاء في " إنه "، كأنه قال إن ملاقاته مجمعا لأول نصل. والهاء في فإنه يجوز أن يكون لتأبط شرا، وهو الأجود في الوجهين. ويجوز أن يكون للأمر والشأن في الوجه الأول، ويكون تفسيره الجملة. ويجوز أن يكون في موضع الظرف، أي زمن أن يلاقي مجمعا. والمعنى هو لأول نصل إذا لاقى مجمعا، أي يقتل بأول نصل يعمل في ذلك الوقت. ويروى " أن يلاقي مصرعا "، والمصرع يجوز أن يكون مصدرا، ومكانا، وزمانا. وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول يلاقي ويجوز أن يكون مفعول يلاقي محذوفا ويكون مصرعا في موضع الحال؛ كأنه قال أن تلاقيه ذا مصرع، أي مصروعا، فحذف المضاف.

فلم تر من رأي فتيلا وحاذرت ... تأيمها من لابس الليل أروعا

يقول: لم تر هذه المرأة من الرأي لما قبلت مشورة الناس وتمنعت من مناكحتي ما يوازي فتيلا، أي ما يغني غناء فتيل. وقد حذرت بقاءها أيما من رجل ركاب الليل لا يفارقه فيما يهمه، فكأنه لبأسه ذكي القلب شهم. والقتيل والنقير والقطمير يضرب المثل بها في حقارة الشيء. والأروع يكون الحديد القلب المروع الفؤاد، ويكون الجميل. وقوله " وحاذرت " في موضع الحال والأجود أن يضمر معها " قد " أي لم تر فتيلا من الرأي محاذرة.

قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

هذا من صفة لابس الليل. فإن قيل: ما معنى قليل غرار النوم؟ وإذا كان الغرار القليل من النوم، بدلالة قولهم ما نومه إلا غرارا، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم، وأنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يراد بالقليل النفي لا إثبات شيء منه، والمعنى: لا ينام الغرار فكيف ما فوقه؟ ويجوز أن يكون المعنى نومه قليل ما يقل من النوم، أي نومه قليل القليل، يريد به أنه مسهد، وأن أكابر ما يهتم له طلب دم الثأر، أو ملاقاة كمي مسفع الوجه، لدوام تبذله للسمائم، وتسياره في الهواجر. والكمي: الذي يكمي شجاعته لوقت الحاجة

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٢٢

إليه، وقيل هو الذي يتكمى في سلاحه، وقوله " أو يلقى " أن مضمرة بين أو والفعل، ولولا ذلك لم يجز عطف الفعل." (١)

"على الاسم، لاختلافهما. وإذا أضمر " أن " يصير حرف العطف ناسقا اسما على اسم، والتقدير: أكبر همه دم الثأر أو لقاء كمي. ومثل هذا قوله تعالى: " ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا "، والتقدير: أو أن يرسل رسولا، حتى يكون أن مع الفعل في تقدير مصدر منسوق على قوله وحيا، إذ قد امتنع أن يحمل على أن يكلم.

يماصعه كل يشجع قومه ... وما ضربه هام العدى ليشجعا

يجوز أن يكون قوله " يماصعه " صفة لكميا مسفعا؛ لأن مثله من الأفعال يكون صفة للنكرة وحالا للمعرفة، ويكون الثناء على خصمه الذي همه ملاقاته، كالثناء عليه. ويجوز أن يكون راجعا إلى الأول، وداخلا في صفاته فيتبع قوله قليل غرار النوم. ومعنى يماصعه: يقاتله. وأصله الضرب بالسيف والرمي. ويقال مصع بذنبه، إذا حركه. ومصع الطائر بذرقه، إذا رمى به. وقوله " كل " أي كل واحد من الناس، فأفرد وهو في النية مضاف. ومعنى البيت: إن كل من قاتل هذا الرجل قاتله طمعا في أن ينسبه قومه إلى الشجاعة، وليتبجح به عند أقرانه، ويذهب به صيته في الناس. وليس قتله للشجعان وضربه هام الأعداء لمثل ذلك، لكنه طبع منه، وجري على عادته. وقوله " يشجع قومه " أي لأن يشجعه قومه، والمفعول محذوف بدلالة قوله:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

يريد أن أحضر، يدل على هذا ما بعده، وهو:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

قليل ادخار الزاد إلا تعلة ... فقد نشز الشرسوف التصق المعا

قوله " إلا تعلة " من عللته بكذا، فهو كالتقدمة من قدمت. والشراسيف: مقاط الأضلاع، ولا ينشز إلا للهزال. وذكر القلة ها هنا مقصود به إلى النفي لا غير، بدلالة مجيء الاستثناء بعده، وإذا كان كذلك لم يثبت القليل به. والمعنى: ما يذخر من الزاد إلا قدرا يتعلل به، فقد أثر الطوى فيه حتى هزل، فترى رءوس أضلاعه شاخصة، وأمعاءه بجنبه ملتصقة، لقة طعمه، واتصال ممارسته للشدائد. وعلى هذا." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٥٠

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٥١

"لأن المعنى في الموضعين التنبيه على تناهي الموصوف في النعمة والرقة.

فدنت وقالت يا من ... خل ما بجسمك من حرور

ما شف جسمي غير ح ... بك فاهدئي عني وسيري

وأحبها وتحبني ... ويحب ناقتها بعيري

قوله " فدنت " أراد به دنو الشفقة، والتقرب بحسن العطفة، لا قرب المسافة. والمعنى: تأملت تغير لوني ونحولي، فاعتقدت أنه من ملازمة تبذل، ومقاساة تعمل، فأعارتني شفقتها وقالت: ما الذي بجسمك من حرور، أي من أثر الحرور. وقد اختلف في السموم والحرور، فمنهم من جعل السموم بالنهار والحرور بالليل، ومنهم من يقول على العكس مما ذكرت. وقال الخليل: السموم الريح الحارة، ليلا هبت أو نهارا. والحرور: حر الشمس. وقوله " ما شف جسمي " يقول: أجبتها مبطلا اعتقادها، ومكذبا ظنها، وراجعا بالعتب عليها، وقلت: ما أنحل جسمي ولا أثر في لوني إلا حبك، فاسكني عني وسيري. ومعنى سيري هوني عليك الأمر. وعلى نحو من هذا يحمل قول الله تعالى: " وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم " إذ لم يكن ثم مشى ولا انطلاق. ويجوز أن يكون سيري أمرا بالسير، فقد قال فيما تقدم:

فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير

وقوله: وأحبها وتحبني، هو بيان تطاول الألفة بينهما، وتواصل الصحبة في أيامهما، حتى صارت لامتداد الملازمة كما حصل التحاب بينهما حصل التألف بين بعيريهما، فإذا اتفق التباعد والافتراق، وتسلط على كل واحد منهما الاشتياق، أقبل البعيران يتحابان، ويتجاذبان الوجد والنزاع كما يفعل المتحابان.

وقال باعث بن صريم

سائل أسيد هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها

إذ أرسلوني مائحا بدلائهم ... فملأتها علقا إلى إسبالها." (١)

"أسيد أراد به قبيلة، ولما منعه الصرف. وهذا الاستشهاد هو تصوير للحال وتطرق إلى الإخبار. وإنما يفتخر بأنه قتل قاتل وائل، وأدرك ثأره، لما اعتمد في طلب دمه، واعتقد أن إدراك شفاء النفوس من جهته وبه. والبلبال: الحزن. وقوله " أم هل " الاستفهام بأم دون هل، لأن أم هذه هي المنقطعة، ولا يجوز أن يكون

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٧٥

العاطفة. لأن تلك تجيء عديلة الألف. وقوله " شفيت النفس " يجوز أن يريد به نفسه، ويجوز أن يريد به الكثرة والجنس، كأنه يريد أنه شفى الموتورين فيه، وأزال ما خامرهم من لذع المصيبة، وألم الفجيعة. وقوله " إذ أرسلوني " إذ ظرف لقوله ثأرت، أو لقوله شفيت. والمائح: الذي يدخل البئر فيملأ الدلو عند قلة الماء فيها، والحاجة إلى الغرف من قعرها. وإنما جعل نفسه مائحا لينبه على أن طلب دم الواترين كان متعسرا متعذرا، كما أن الاستقاء على الوجه الذي ذكره يكون شاقا متعبا. فهذا وجه عدوله عن المتح إلى الميح. وقوله " فملأتها علقا إلى أشبالها "، انتصب علقا على التمييز. وأسبالها: أعاليها، ومثله الأصبار، وسبلة الرجل منه. واختار بعضهم أن يرويه " إلى إسبالها " بكسر الهمزة، مصدر أسبل، وليس بشيء. والمعنى: ملأت دلاءهم من دمك واتريهم. وجعل لهم دلاء لاشتراكهم في الدم وطلبه، ولنيابته عن كل أوليائه. ولما استعار الدلاء والميح لما ذكرته كنى عن فعله وتصرفه بالملء.

وذكر بعضهم أن وائلا المقتول هو وائل بن صريم الغبري أخو باعث الشاعر، وله قصة. وهي أن عمرو بن هند بعثه ساعيا على بني تميم، فكان جالسا على شفير بئر يجمع الصدقات، فدفعوا في صدره وأسقطوه في البئر، ثم رجموه بالحجارة حتى قتلوه، وأخذوا يرتجون على طريق التهكم والاستهزاء:

يأيها المائح دلوى دونكا

فاتصل خبره بأخيه باعث، فسار في بني غبر وآلى أنه لا يمسك عن مقاتلتهم حتى يملأ دلوا من دماء بني تميم! ففعل، حتى كانت المرأة تقول: " تعست غبر، ولا سقيت المطر، ولا لقيت الظفر ". قال: فهذا معنى " إذ أرسلوني مائحا بدلائهم "، وهذا حسن، والأول محمول على طرقهم وعاداتهم. ومثله قول الآخر:

مخضت بدلوه حتى تحسى ... ذنوب الشر ملأى أو قرابا." (١)

"فإن أهلك فذي حنق لظاه ... علي يكاد يلتهب التهابا

هذا الكلام تسل عن العيش بعد قضاء حاجته، وإدراك ثأره، وإرغام عدوه، ولولا ما تيسر له من ذلك وتسهل لكان لا يسهل عليه انقطاع العمر، ولو مات مات بغصة. فيقول: إن أمت فرب رجل ذي غيظ وغضب تكاد نار عداوته تتوقد توقدا، أنا فعلت به كذا. وقوله " لظاه " في موضع المبتدأ، و " يكاد يلتهب " في موضع الخبر، والجملة في موضع الصفة لذي حنق، وانجر ذي حنق بإضمار رب، والمجرور برب يقع موصوفا في الأكثر وجواب رب فيما بعده، والفاء من وقوله " فذي حنق " مع ما بعده جواب الجزاء. فإن قيل: إن

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٧٦

الفاء في جواب الجزاء إنما يجيء إذا خالف الجملة التي تكون جزاء الجملة التي تكون شرطا بأن تكون مبتدأ وخبرا، فكيف يكون تقديرهما بعد الفاء ها هنا؟ قلت: يكون التقدير: إن أهلك فالأمر والشان رب ذي حنق بهذه الصفة فعلت به كذا. فقوله طرب ذي حنق " خبر للمبتدأ الذي أظهرناه.

مخضت بدلوه حتى تحسى ... ذنوب الشر ملأى أو قرابا

هذا جواب رب. فيقول: رب إنسان هكذا، أنا حركت بدلوه التي أدلاها في الأمر الذي خضنا فيه، حتى ملأتها. وجعل الدلو كناية عن السبب الذي جاذبه فيه، والطمع الذي جرأه عليه، قال: فتحسى دلو الشر مملوءة أو قريبة من الامتلاء. وقراب الملء: أن يقارب الامتلاء، ويقال قراب بكسر القاف وقراب بضمها. والمعنى: جعلت شربه من الشر شربا مرويا.

وقد استعمل أبو تمام الدلو على الطريقة التي استعملها ربيعة فقال:

ألقوا دلاء في بحورك أسلمت ... ترعاتها الأكراب والأوذام

واستعمل غيره دلوت في معنى الاستخراج فقال:

قد جعلت إذا ما حاجتي نزلت ... بباب دارك أدلوها بأقوام." (١)

"وقال زيد الفوارس

نألى ابن أوس حلفة ليردني ... على نسوة كأنهن مفائد

آلى الرجل وائتلى وتألى بمعنى واحد. وهذه الأبنية من الألية، وهي اليمين. و " حلفة " انتصب على أنه مصدر من غير لفظه. وقوله " ليردني " يروى بفتح اللام وضم الدال، على أن يكون اللام لام اليمين. وذكر سيبويه أن لام القسم يلزمها إحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة، وقال أيضا وقد يحذف النون في الشعر. وهذا الموضع بالرواية الثانية جاء على ما سوغه. وقد جاء أعجب من هذا وأبعد في الاستعمال، وهي حذف اللام وإثبات النون. قال:

وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرغ وإن أخاهم لم يقصد

والمفائد: جمع المفأد، وهي المساعير والسفافيد. والفأد في اللغة: التحريك، وقيل إن الفؤاد منه اشتق، لأنه ينبض. ومعنى البيت: حلف الرجل حلفة ليأسرنني ثم يمن علي فيردني على نسوة كأنهن مساعير، لاحتراقهن وجدا بي وغما علي، ففعلت أنا به مثل ما هم به في. وقد قيل: إن ابن أوس كان مأسورا فحلف أنه ينجيه

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٨٥

زيد الفوارس ويفك أسره، ويرده على نساءهن من الوجد به بهذا المحل، فاقتص ابن أوس قصته فيما كان يرجوه من جهته. ثم ذكر أنه كان عند الظن به، وأنه حقق أمله. ويمكن الاستشهاد للخبرين والمعنيين على اختلافهما مما يشتمل." (١)

"قال هذا فيما كان بين ضبيعة وبكر بن وائل، ومعنى ألم تر اعلم. يقول: الإنسان مرتهن بأجله، فإما أن يموت حتف أنفه فيدفن، وإما أن يقتل في معركة فيترك لعوافي السباع والطير. وجعل رهن منية وصريع لعافي الطير جميعا خبرين لأن، ثم أتي بأو الإباحة. ويجوز أن ينتصب صريع على الحال، وفي رفعه وجه آخر، وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه هو صريع. وإن جعلت أو التي تكون للشك يكون الكلام مبنيا على اليقين ثم يعترض فيه الشك. والأصلح في مثل هذا أن يجعل بإما، ليكون بنية الكلام على الشك، إذ كان واحد من الأمرين لا يتيقن.

وقوله فلا تقبلن ضيما يقول: أدفع عن نفسك خطة الضيم والهضيمة، ولا تلتزم العار والدنية، إشفاقا من المنية. وانتصب مخافة على أنه مفعول له. وقوله وموتن بها، الضمير من بها يرجع إلى المخافة، أي مت بتلك المخافة حرا لم يستعبدك الخصم، ولم يستوطئك الظلم، وجلدك نقي من العيب، سليم من العار والشين. ويروى " واحين بها حرا وجلدك أملس " والرواية الأولى أحسن، ويكون واحين أمرا بالحياة وقد أدخل عليه النون الخفيفة. ومعنى يرمس: يدفن. والرمس: الدفن. والرياح الروامس منه، وتوسعوا في الدفن فقيل ارمس هذا الحديث، كما يقال ادفن. وعافي الطير: ما يعتري منه. ويقال فلان كثير العافية والعفاة، ويراد الزوار والمجتدون.

فمن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس

قصير: صاحب جذيمة الأبرش. وقصة جذيمة وزباء الرومية مشهورة. وإن قصيرا توصل بأن جدع أنف نفسه، إلى أن استخدمته زباء ثم استخلصته حتى تمكن فأدرك ثأره منها. وبيهس هو الذي يلقب نعامة، وهو رجل من بني غراب بن فزارة، وكان يحمق، فقتل له سبعة إخوة فجعل يلبس القميص مكان السراويل، والسراويل مكان القميص، فإذا سئل عن ذلك قال:

البس لكل عيشة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٩٧

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٦٧

"إباء، وأبلغ شماسا، وأحمى أنفا وأعز جانبا، والشماس: الامتناع، ومنه شماس الدابة، وهو أن لا يمكن من الإسراج والإلجام. وكانت بنو ضبيعة حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، فوقع بينهم نزاع، فعاتبهم المتلمس. وقوله وإن يك منا في حبيب تثاقل فإنه أراد حبيب فخفف، وهو حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل. يقول: إن تكاسل بنو حبيب عن طلب دمائنا، وتثاقلوا عن إدراك ثأرنا، فقد كان منا من يدأب ويسهرن فلا يرى تعريسا وتلوما وتعريجا في ذلك. والمقنب: زهاء ثلاثمائة من الخيل. والتعريس: نزول في آخر الليل.

وقال سعد بن ناشب

تفندني فيما ترى من شراستي ... وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها إن الحليم وإن حلا ... ليلفي على حال أمر من الصبر

تفندني أي تجهلني. والفند: إنكار العقل من هرم. يقال شيخ مفند. وفي القرآن: " لولا أن تفندون "، أي تجهلوني، وفسر على تكذبوني أيضا. والشراسة: صعوبة الخلق وخشونة الجانب. فيقول: تعيبني هذه المرأة على ما ترى من عسر الخلق وإباء النفس وفظاظة القلب، جاهلة بأحوال الرجال، والفصل بين أوقات الجد والهزل، والشدة والليان، فأجبتها وقلت: إن الرجل الحليم وإن لان عطفه وسهل خلقه فقد يوجد في وقت الغلظة وعند حالة القسوة أمر مرارة من الصبر، وأشد صلابة من الحجر. وقوله وما تدري في موضع الحال. وفي هذه الطريقة قول الآخر:

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ... ومر إذا نفس العزوف اقشعرت

وفي اللين ضعف والشراسة هيبة ... ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

الواو من قوله والشراسة عاطفة لجملة على جملة، ولا يجوز أن يجر الشراسة على أن يكون معطوفا على في اللين، لما فيه من العطف على عاملين بحرف واحد. ومعنى البيت أن من استلين جانبه في كل حال استضعف واهتضم، ومن استخشن خلقه هيب وتحومي.." (١)

"هذا مثل قول تأبط شرا.

إذا هزه في عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٧١

وإن كان هذا أبلغ؛ جعل ضحك الموت تألق السيف إذا جرد من الغمد سرورا به، وذلك جعله إلى المضروب به ثقة بكونه له. ويقال أومض وومض، إذا لمع. ورواه بعضهم: " أومضت إليه منايا الموت "، وهو تصحيف.

ويا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب

جنيتم وجرتم إذا أخذتم بحقكم ... زعمتم غريبا مرملا غير مذنب

قوله عجل القاتلين وإضافة البعض إلى الكل، وكرره توكيدا. ولك أن تضم عجل الأول وتنصب الثاني على البدل، أو على عطف البيان. وبنو عجل كانوا موتورين بما ارتكب منهم قبيلة الشاعر، وهم بنو مازن، فلم يطلبوا ذخلهم من وجهه، ولا أدركوا **الثأر** من كاسبه، لكنهم أخذوا غريبا كان جاور بني مازن فقتلوه، فقال هذا الشاعر في مخاطبتهم معيرا، وهازئا متهكما: يا عجل القاتلين بوترهم غريبا كان عندنا من بني يحصب، لم يسع في اكتساب **الثأر** الذي تدعونه، ولا أعمل فيه يداه وسنانه حتى جنيتم وعدلتم عن طريق الرشاد، إذ أخذتم بحقكم على زعمكم غير واتركم. فقوله: إذ أخذتم بحقكم زعمتم يجوز أن يضعف بالزعم دعواهم الحق المشار إليه، ويجوز أن يضعف ما توهموه من درك **الثأر** بما فعلوه. ويجوز أن يضعف الأمرين جميعا، وهو الأشبه. فإن قيل: أين مفعولا زعمتم، وكيف ساغ حذفهما؟ قلت: الحذف هنا كالحذف في قوله تعالى: " أين شركائي الذين كنتم تزعمون ". وكالحذف في قول الكميت:

بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارا عليك وتحسب

فكما حذف مفعولا تحسب في بيت الكميت، ومفعولا تزعموت في الآية، كذلك حذف مفعولا زعمتم من هذا البيت، ويكون التقدير: إذ أخذتم بحقكم زعمتموه مأخوذا رجلا هذا صفته، وبحقكم زعمتموه ثاناي، فحذف ذكر الحق لما." (١)

"تقدم من ذكره، ولما حذف المفعول الأول جاز حذف الثاني، وهذا كما يحذف المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب، وهي متى ظننت أو قلت زيدا منطلقا. إذا أعملت الفعل الأول ساغ ذلك، لأن الفعل الثاني نقيضهما، وقد حصل في الكلام ذكرهما. فاعلمه. والمرمل: الفقير.

وما قتل جار غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب

فلم تدركوا ذحلا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب

يقول: الوتر مقيم في موضعه ثابت على حاله، لم تزيلوه ولم تظعنوه عن محله، لأن قتل جار للواتر غائب عن

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٩١

نصاره، بعيد عن أرضه ودياره، لطالب الثأر ليس بطريق يؤديه إلى نيل مراد، ولا بسبب يوصله إلى اشتفاء من داء، فأنتم لم تصيبوا نجحا في فعلكم، ولا سلمتم فيما أتيتم من عار يلحقكم.

ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب

وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب

يقال نكب بمعنى تنكب، ومثله قدم بمعنى تقدم؛ ومعناه انحرف. ويقال هو أنكب عن الحق ومنكاب عنه، إذا جانبه فيصير منه في شق. يقول: هبتم أعداءكم عندما هممتم به من طلب وتركم، واستشعرتم منهم جبنا، فحذرتموهم، ثم عدلتم عنهم إلى غير معدل فقبحت صورتكم، واخترتم ذلك لأنكم خبرتمونا حالة بعد أخرى، والمرء يتبين الشيء، ويعرف الخصم عند تجربته.

وقال بغثر بن لقيط الأسدي

أما حكيم فالتمست دماغه ... ومقيل هامته بحد المنصل

وإذا حملت على الكريهة لم أقل ... بعد العزيمة ليتني لم أفعل

قوله أما يتضمن معنى الجزاء، وأكثر ما يجيء مكررا، وقد جاء هنا غير مكرر. فيقول: مهما كان من شيء فقد طلبت دماغ هذا الرجل بسيفي، فأصبته غير متندم على ما فعلت، ولا متذمم منه، لأني إذا حملت على خطة صعبة فوطنت نفسي عليها، وقررت عزمي في تجشمها لم أقل بعد الدخول فيها والخروج منها بودي ألا." (١)

"وإني لأشري الحمد أبغي رباحه ... وأترك قرني وهو خزيان ناعس

هذا من جملة ما أقسم عليه، فيقول: إني لأشتري الحمد طالبا ربحه، ومجتنيا ثمره. وثمرة الإحسان الشكر، ويجلب الشكر الثناء الجميل والأحدوثة الحسنة من كل من يسمع بالصنيع. ولما استعمل الشرى في اكتساب الحمد مجليا للمعنى، استعمل الربح فيما يتسبب منه وينتتج. على ما يتعود في المتاجر، ويتطلب من البياعات. وقوله وأترك قرني وهو خزيان أي أهينه وأكسره، حتى يبقى مطرقا خجلا مغضوض الطرف متندما، كمن غلبه النعاس. وقيل ناعس المراد به أنه مشرف على الموت. قال: ويقال طعنت صاحبي فأنمته، أي قتلته. وطعنت صاحبي فأنعسته، أي رنحته. والرباح: مصدر كالربح. ويقال للفائز بالخير: هو رابح الصفقة.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٩٢

وقالت كنزة أم شملة بن برد المنقرى

إن يك ظني صادقا وهو صادقي ... بشملة يحبسهم بها محبسا أزلا

قد مضى الكلام في حذف النون من يك في غير موضع. ومراد كنزة من الكلام أن تجعل التقصي في مجاهدة القوم، وبلوغ أبعد الغايات في طلب الثأر من ابنها ببال، فأقبلت تقول: ظني بابني كيت وكيت، مذكرة وموصية. والذي زعمت أنه في ظنها، ومن أحاديث نفسها، هو ما تقترحه على ابنها، وتتمنى أن يحتفظ به من وصاتها. وقولها " وهو " يجوز أن يكون للظن، والمعنى: إن كنت ألمعيا، فظني بشملة يصدقني لا محلة، فإنه يفعل كذا. والباء من قولها بشملة يجوز أن يكون متعلقا بصادقي، أي وهو يصدقني بسبب شملة، وإن شئت يتعلق بظني. ويجوز أن يكون " هو " ضمير ابنه شملة والمعنى: وهو فيما أتفرس فيه وأعتقده من غنائه، يصدقني ويكون بشملة تبيينا لا صلة، كما يكون بك بعد مرحبا تبيينا بحبس القوم بتلك المعركة محبسا ضيقا. ويقال أزلوا ما لهم يأزلونها أزلا، إذا حبسوها في المرعى، مخافة الأعداء عليها. فالأزل مصدر وصف به.

فيا شمل شمر واطلب القوم بالذي ... أصبت ولا تقبل قصاصا ولا عقلا." (١)

"وأكثر ما يستعمل نكير بغير الهاء فالنكر والنكير، كالعذر والعذير والعذرى. ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذي قبله، ويجري مجرى حقا وما أشبهه. ويجوز أن يكون الهاء من النكيرة للمبالغة. وقوله ونلحمه حينا فالحين اسم للزمان المتصل، فكأنه قال: ونلحمه فيما يتصل من الأوقات. وليس يريد حينا من الأحيان. وإن روي غير نكيره على أن يكون الضمير منه يعود إلى السيف كأنه قال: غير منكور له، فيجعله حالا للحم، فليس بجيد؛ لأن القصد إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر؛ فكما أن في آخر البيت قوله وليس بذي نكر تأكيد لما قبله، كذلك يجب أن يكون غير نكيرة هكذا، ليتقابل الصدر والعجز على حد واحد من التأكيد وحصول هاء التأنيث في نكيرة لا يجب أن ينكر، كما لا ينكر في قولهم نكرة ومعرفة، وكما لا ينكر الألف في آخر ذكرى وعذرى.

يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

نبه بقوله فيشتفى بنا أنهم الثأر المنيم، فإذا أصيبت دماؤهم كان فيها للأعداء الشفاء. وانتصب على الحال من الضمير في علينا. وقوله أو نغير على وتر، يريد على وتر لنا عندهم، فكأنه قال: أو نغير على واترين لنا. وقد سلك الأعشى هذه الطريقة، فلم يوف القسمة حقها كما فعل هذا؛ لأنه قال:

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٩٧

فأظعنت وترك من دارهم ... ووترك من قبلهم لم يقم

والمعنى أزعجت الوتر الذي كان لك عندهم من دارهم، على عادتك مع سائر الناس من قبل في إدراك الثأر سريعا؛ لأن قوله ووترك من قبلهم لم يقم إشارة إلى أنه لا يمهل ولا يهمل فوتره لا يتلوم عند الأعداء.

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر

أشار بقوله ذاك إلى ما تقدم ذكره من تردده في مجاذبة الأعداء طالبين مرة، ومطلوبين أخرى. وانتصب شطرين على المصدر، كأنه قال: قسمنا الدهر قسمين. ويجوز أن يكون حالا على معنى قسمناه مختلفا؛ فوقع الاسم موقع الصفة لما تضمن معناه، كما تقول: طرحت متاعي بعضه فوق بعض، كأنك قلت متفرقا. والمراد: جعلنا أوقات الدهر بيننا وبين أعدائنا مقسومة قسمين، فتراها لا ينقضي شيء منها إلا ونحن فيه على أحد الحدين. إما أن تكون لنا الكرة عليهم فننال منهم. وإما أن تكون لهم الجولة علينا فينال منا.." (١)

"وقال تأبط شرا

وذكر أنه لخلف الأحمر، وهو الصحيح.

إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل

يجوز أن يكون ذكر الشعب الموصوف لأن قبر ذلك القتيل كان فيه، ويجوز أن يكون ذكره لأنه قتل عنده، وهو في اللغة ما انفرج بين جبلين ونحوهما. والسلع بفتح السين وكسرها: شق في الجبل، ومنه سلعت رأسه، أي شققته. وقولهم هاد مسلع، أي يشق أجواز الفاة. وقوله دمه ما يطل من صفة القتيل، والمعنى أني في طلب ثأره، فدمه لا يذهب هدرا. والطل: مطل الدم والدية وإبطالهما. وقال:

أزهير ليس أبوك بالمطلول

خلف العبء علي وولى ... أنا بالعبء له مستقل

أراد بالعبء طلب دمه والنيل من عدوه. وقوله أنا بالعبء له مستقل تحقيق للوعد بإدراك الثأر، وإظهار اقتدار على النكاية في الأعداء. وقوله له أي من أجل المرثي، وإنما سمي الثقل عبئا لأنه من عبأت المتاع أعبؤه عبئا، ثم يسمى المتاع عبئا، فهو كالنقض والنقض. وكثر استعماله حتى تسمحوا به فيما يدخل من الثقل على القلب ولا يحمل على الظهر.

ووراء الثأر مني ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٨٥

أعطى فيما اجتمع من الوصف الترتيب حقه، وذلك لأنه اجتمع مفرد وجملة في صفة ابن أخت فقدم المفرد على الجملة، وهذا وجه الكلام وحقه؛ لأن الجملة إنما." (١)

"وصف بها لوقوعها موقع المفرد، فإذا صاحبها مفرد كان الأولى تقديمه، وإذا كان كذلك فعقدته ارتفع بالابتداء، وما تحل خبره. والمصع: الشديد المقاتلة الثابت فيها. ويعني بوراء ها هنا الخلف، وإن كان يصلح للقدام. وفي هذا الكلام ضرب من الوعيد، كأنه يجري مجرى قول القائل: الله من ورائك. ويريد: وفي طلب الثأر من جهتي ابن أخت هذه صفته، ويعني به نفسه. ويجري هذا المجرى قول الشنفري:

همت وهمت وابتدرنا وأسدلت ... وشمر مني فارط متمهل

والفارط المتمهل هو الشنفري. وقوله عقدته ما تحل يجوز أن يريد ما يعقده برأيه أو يحكمه لا ينقض. ويجوز أن يريد به قوته وجلادته، وتكون العقدة راجعة إلى استحكام خلقه وصبره في الشدائد.

مطرق يرشح موتا كما أط ... رق أفعى ينفث السم صل

شبه نفسه في إطراقه وسكونه، منتظرا لفرصة ينتهزها في إدراك ثأره بالحية، وأنه في إمساكه يرشح بالموت لعدوه كما أن الحية إذا أطرق نفث بالسم. والرشح كالعرق، والنفث، كالقذف. والصل من صفة الأفعى، ويوصف به الداهية وكل خبيث، يقال: هو صل إصلال، كما يقال داهية دواه. وأسماء الحيات وصفاتها تستعار في الدواهي كثيرا. والأفعى مؤنثة، وذكرها الأفعوان. وقال الخليل: الأفعى حية قصيرة عريضة الرأس. وبنون فيقال أفعى، وبعض طيئ يقلب ألفه واوا فيقول أفعو، وبعض قيس يقلبها ياء فيقول أفعى. ومنه تفعى فلان، إذا ساء خلقه. وقال سيبويه: صرفه أكثر وأجود. ويصلح للذكر والأنثى. والأفعوان الذكر لا غير.

خبر ما نابنا مصمئل ... جل حتى دق فيه الأجل

بزني الدهر وكان غشوما ... بأبي جاره ما يذل

يعني بالخبر نعي المتوفي؛ وقد استعظمه وجعله داهية منكرة حتى علا شأنه وجل عن أن يضبط بوصف، أو يحد بنعت، فلذلك قال جل حتى دق فيه الأجل. ويقال داهية مصمئلة، إذا اشتدت. والأجل تأنيثه الجلى، والألف واللام فيه بدل من." (٢)

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٨٦

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٨٧

"ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية. والمعنى اتصال الوقعات، وامتداد البلاء منه في صب الغارات. والصعدة: القناة تنبت مستوية، وجمعها صعدات بفتح العين، لأنه اسم. ثم قيل في المرأة المستوية القامة، والأتان الطويلة: صعدة، وهي وصف لهما، ويجمع حينئذ على صعدات بسكون العين، لكونها صفة.

وقوله صليت مني هذيل بخرق، مثل قوله من قبل: ووراء الثأر مني ابن أخت في أن الخرق هو هو لا غيره. ويقال صليت بكذا أي ابتليت به ومنيت، وأصله من صلاء النار، يقال صليت أصلى صلاء، واصلطليت أصطلي اصطلاء.

تضحك الضبع لقتلي هذيل ... وترى الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تهفو بطانا ... تتخطاهم فما تستقل

استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب. وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصياح، والمراد رغد العيش لهما، واتصال طعمهما باتصال قتله في هذيل. وليس قول من قال معنى تضحك: تحيض، بشيء. وقوله وعتاق الطير تهفو بطانا مثل قول الآخر فيما تقدم:

وعبد يغوث تحجل الطير حوله

ويعني بالعتاق آكلة اللحمان وعافية الجيف منها. وقوله تهفو بطانا أي إنها قد زورت، وامتلأت حواصلها فثقلت، فإذا طارت تخطنهم في الطيران فلا ترتفع في الجو، بل تسف لثقلها. وبطان: جمع بطين. وتهفو: تطير؛ يقال: هفت الصوفة في الهواء، أي ارتفعت. قال الخليل: ويقال لرفارف الفسطاط إذا تحركت: تهفو بها الريح. ثم توسع فيه، فيقال: هفا الظليم، وهفا قلب فلان في إثر كذا.

حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأي ما ألمت تحل

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل." (١)

"هذا على عادتهم في تحريم الخمر وما يجري مجراها في ولوع النفس به والميل إليه إذا قتل لهم قتيل، حتى يدركوا ثأره، أو حزبهم أمر عظيم يحتاجون فيه إلى مناهضة ومزاولة. وربما كانوا يحرمون على أنفسهم تنظيف البدن والأخذ من الشعر وما شاكله، وذلك على حسب ميل الطباع وإيثار فطم النفس عن الشيء الذي لا مترك له عندها. والقصد في جميعه حبس النفس عن المطلوب وتذكيرها بالمفقود، لئلا تتناساه أو تتشاغل عنه. فيقول: أدركت الثأر فحلت الخمر بعد أن كانت محرمة بالنذر علي، وبجهد ألمت حلالا، إشارة منه إلى ما

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٩٣

قاساه في طلب دمه. ومعنى بلأي: بعد جهد وبجهد. على ذلك قوله:

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا

وفي هذه الطريقة لامرئ القيس:

حلت لي الخمر وكنت امرأ ... عن شربها في شغل شاغل

وقول الآخر:

فيا ليل إن الغسل ما دمت أيما ... علي حرام لا يمسني الغسل

وقوله ما ألمت يجوز أن يكون ما صلة، ويجوز أن مع الفعل بعده في تقدير المصدر. يريد: وبلأي ألمت حلالا. والإلمام أصله في الزيارة الخفيفة، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندي. وقوله:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل

أظهر التشفي بما ناله من الأعداء حتى دعا من خاطبه إلى ما كان يتشوفه من سقيه له، كما أظهر التوجع لفقده من أصيب به بقوله إن جسمي بعد خالي لخل. والخل: المهزول. وقوله يا سواد بن عمرو جعل سواد – وقد رخمه عن سوادة – بمنزلة ما جاء تاما ولم يحذف منه شيء فجعل سواد وابن بمنزلة شيء واحد، وبناه على الفتح. فالفتحة في ابن للإعراب، والفتحة في سواد للبناء. ولك أن ترويه: يا." (١)

"أمحل الناس إذا أسنتوا. وقوله فإن يقتلوا بالغدر أوسا يريد أن أبا سفيان هذا كان انطوى على غل لأوس، وعداوة كامنة له، فتوصل بما ادعى من خيانته في مال الصدقة إلى ضربه وقتله، لذلك قال: إن تقتلوا بالغدر. وقوله فإنني تركت أبا سفيان ملتزم الرحل، يريد: إني اتأرت من أبي سفيان وجعلته ملتزما لرحله لا حراك به، أي قتلته بدلا من صاحبه.

فلا تجزعي يا أم أوس فإنه ... تصيب المنايا كل حاف وذي نعل

أخذ بعد اقتصاص الحال يسلي أم أوس عن ابنها، وبطيب قلبها، ويعرفها أن الموت طريق يسلكه الناس على اختلاف طبقاتهم، وأنه لا محيد عنه ولا معدل. وحسن ذلك منه لأنه كان قد أدرك **الثأر** لها، وشفى نفسها من داء مصيبتها، فأقبل يبرد غليلها بوعظه، زيادة في الاهتمام لها والتوفر عليها.

وكان يجب أن يقول: كل ذي حفى وذي نعل، أو كل حاف وناعل، لكنه لما وجد اسم الفاعل ينوب مناب ذي كذا، لم يبال أن يكون أحدهما بذي. وهذا يبين ما يسلكه أصحابنا البصريون في مثل قولهم: طالق

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٩٤

وحائض، أنه على طريق النسبة وفي معنى ذات طلاق وذات حيض، ويؤكد صحته.

قتلنا بقتلانا من القوم عصبة ... كراما ولم نأكل بهم حشف النخل

ولولا الأسى ما عشت في الناس بعده ... ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي

في هذا الكلام دلالة على استفحال الشر بينهم حتى قتل من الجانبين عدة، لذلك قال: قتلنا بدل قتلانا من القوم عصبة يرجعون إلى كرم. والعصبة: العشرة من الرجال، وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة من الناس والطير والخيل. وهذا تنبيه على أن الثأر الذي أدركه منهم كان منيما، والاشتفاء من دائه به كان مجيبا. وقوله ولم نأكل بهم حشف النخل يريد: لم نشتغل عن طلب دمهم بالأكل. وذكر الحشف إزراء بذلك الطعام لو صرفت النفوس إليه مع تضايق الوقت في طلب الدم. ويجوز أن يريد: لم نأخذ ديتهم. وجعل التمر حشفا كما قال غيره.

ولا تأخذو ا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم." (١)

"يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة، فيقول: أكثري البكاء على المقتولين بهذا المكان – وقيل العدان ساحل من سواحل البحر – والمدفونين ببطن برام، فقد طالت إقامتهم. والمراد أن اليأس منهم قد حصل وقوي، وأن غيبتهم اتصلت فرفعت الأطماع من عودهم والاجتماع معهم. ثم أخذ بصفهم فقال: كانوا على المنابذين والمخالفين كنار هذا الملك، لا تبقى ولا تذر – ومحرق هو عمرو بن هند، وكان نذر أن يحرق مائة نفس، ففعل، فضرب المثل بناره – وكانوا لقومهم حرما من الأحرام، لا مخافة فيهم ولا هضيمة. يريد أن قومهم يأمنون نزول النوائب بهم في فنائهم، فكانوا كمن حصل في الحرم، وأن أعداءهم كانوا يحترقون بنكايتهم فيهم، فكانوا عليهم كنار هذا الملك.

وقوله محرق وإن كان صفة في الأصل، فصار بالاشتهار في رجل واحد كالعلم له. وعلى هذا جاء في قوله:

عليهن فتيان كساهم محرق

وقوله:

إليك ابن ماء المزن وابن محرق

وقوله حرما من الأحرام نكره لاختلاف الأحرام. وهي حرم الله تعالى بمكة والشام، وحرم الرسول عليه السلام بالمدينة.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٠٠

لا تهلكمي جزعا فإني واثق ... برماحنا وعواقب الأيام

هذا الكلام تسلية لها وإن كان أمرها بالبكاء، وإيذان أنه سيدرك الثأر، فهو ينتظر عقب الأيام وانتهاز الفرص. ونبه بقوله واثق برماحنا على الغناء عندهم، وأن العناية متوفرة من جهتهم. وانتصب جزعا على أنه مصدر لعلة، ولا يمتنع أن يكون في موضع الحال يريد جازعة، وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده، وإنما يريد الحزن لسلامة الواتر على مر الأيام لا غير. ألا ترى أنه قال: فإني واثق برماحنا. وقوله عواقب الأيام يشير فيه إلى تغير الزمان واختلاف الحدثان، وأن." (١)

"وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

إني لأرباب القبور لغابط ... لسكني سعيد بين أهل المقابر

وإني لمفجوع به إذ تكاثرت ... عداتي ولم أهتف سواه بناصر

قوله سكني أن تسكن إنسانا منزلا بلا كراء، والمنزل سكن ومسكن؛ وهو مصدر كعذرى وبشرى. ومعنى البيت: إني أغبط الموتى لحصول سعيد فيما بينهم، فإن الجمال الذي كان للأحياء بمقامه فيهم كأنه انتقل إلى الأموات عنهم؛ وإني لمتبين تأثير الفجع به، وشدة فاقتي إليه، إذا تزاحم الأعداء وتبالغوا في قصدي، ولا يكون لي من أستنصره عليهم غيره. وقوله سواه في موضع النصب على أنه استثناء مقدم. ويقال هتف هتفا وهتافا. والهتف: الصوت الشديد، وقوس هتفي، والحمام تهتف. وهتف به وصاح به، إذا دعاه.

فكنت كمغلوب على نصل سيفه ... وقد حز فيه نصل حران ثائر

النصل: اسم حديدة السيف، لذلك صلح إضافته إلى سيفه وإن كان قد يستعمل استعمال السيف. ألا ترى أنه قال: وقد حز فيه نصل حران. يقول: كان عدتي على الدهر وسلاحي على أعدائي، فلما فقدته والأعداء بالمرصاد لي، صرت كان غلب على سيفه وسيف عدوه قد خرج عليه كطالب ثأر وكبده حرى، لشدة عداوته واستحكام غيظه يعمل فيه، وينفذ في الضريبة منه، والمراد: كنت كمن غلب على عدته أشد ما كان حاجة إليها، وحين تمكن العدو وهو تام الآلة، مكين القوى في المنازلة.

أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر

وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر

يقول: جئناه زائرين فوسع قرانا من الحزن والداء المتمكن من القلب، المخامر له. والمخامر مأخوذ من الخمر،

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦١٢

وهو ما واراك من الشجر وغيره. وإذا كان كذلك فهو أبلغ من قوله الدخيل، لأنه يفيد في الموصوف فائدة أكثر من الدخول، إذ كان." (١)

"وما زال من قتلى رزاح بعالج ... دم ناقع أو جاسد غير ما صح

أخويهم يريد صاحبيهم. والعرب تقول: يأخا بكر، يريد واحدا من بني بكر. والحواشي: صغار الإبل ورذالها. والنواضح: التي يستقى عليها الماء، واحدتها ناضحة. وسميت بذلك لأنه جعل الفعل لها كأنها هي التي تنضح الزراعات والنخيل. وهم يسمون الأكار النضاح. على ذلك قول الهذلي:

هبطن بطن رهاط واعتصبن كما ... يسقى الجذوع خلال الدور نضاح

فيقول: مذموم في أنصباء القوم من صاحبين لهم يقتلان طرد الإبل وسوقها، وسرقة البعران التي يستقى عليها. وإنما جعل الطرائد حواشي الإبل ونواضحها إزراء بها، كما قالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب:

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا

يعني في الدية. وهذا تعريض بمن وجب عليه أن يهمه طلب دم صاحبهم فاقتصر من الأعداء على الغارة عليهم، وسرقة الإبل منهم. وفيه هزؤ أيضا، وبعث على طلب الدم.

وقوله وما زال من قتلى رزاح بع ا لج دم ناقع فالناقع: الثابت، مصدره النقوع. والماصح، قال الخليل: هو الراسخ في الثرى، وهو ها هنا الذليل، والدارس. يقال مصحت الدار إذا درست، ومصح الظل، إذا قصر.

قال الأعشى:

إذا الآل مصح

وهذا الكلام تذكير بدماء قتلاهم. ورمل عالج: موضع معروف. ورزاح: قبيلة. فيقول: ولا يزال من مقتولي هذه القبيلة بهذا المكان دم ثابت، أو يابس غير زائل. والمعنى أن دماءهم بحالها ما لم يثأروا بهم؛ لأن غسل تلك الدماء إنما يكون بما يصب من دماء أعدائهم.." (٢)

"دعا الطير حتى أقبلت من ضرية ... دواعي دم مهراقه غير بارح

لم يرض بما ذكره في البيت المتقدم من التذكير بدماء المقتولين حتى بسط القول فيه وجنحه بأن قال: دعا دواعي دمائهم طيور الأماكن النائية والجبال المطلة، حتى أقبلت من ضرية وهو اسم بلاد تشتمل على جبال

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٢١

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٧٦

عوافي سباعها وطيورها تستدل بها، فوقعت عليها تأكل من جيفها. ويجوز أن يريد بالدواعي الرياح الذاهبة في الأقطار. وقوله مهراقه غير بارح أي هو مصبوب موضعه لم يحل ولم يزل.

أعاد المعنى تفظيعا، ويجوز أن يريد بقوله مهراقه الموضع المصبوب فيه الدم، كأنه يستشهد به فقال: هو غير بارح. وقال مهراقه والأصل مهراق فيه. وإنما قلنا هذا ليكون بين هذا وبين قوله دم ناقع أو جاسد غير ما صح فصل. والكلام يشتمل على ما يطرى المصيبة ويهيج الفجيعة، ويصور مصرع القوم بما يأتيه من عوافي الطير. وفيه بعث شديد وحض بليغ على طلب الدم.

عسى طيئ من طيئ بعد هذه ... ستطفى غلات الكلى والجوانح

عسى لفظه ضعت للترجي والتأميل، إلا أنها تؤذن بأن الفعل مستقبل مطموع فيه، فيجب أن يستأنى له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يبين عن لفظة كاد لأن كاد لمشارفة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، يدلك على هذا أنه كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، يدلك على هذا أنه قال ستطفئ غلات الكلى والجوانح. لما كان من شرط عسى أن يجيء بعده أن إيذانا بالاستقبال جعل هذا بدل أن السين، لأنه أشهر في الدلالة على الاستقبال، وإنما قال عسى طيئ من طيئ لأن الجذاب الذي أشار إليه والقتال، كان بين بطنين منهما. وقوله بعد هذه أشار إلى الحالة الحاضرة، الجامعة لكل ما ذكره. والجوانح: جمع جانحة، وهي الضلوع القصار. والمعنى: المطموع فيه من أولياء الدم أن يطلبوا **الثأر** في المستقبل، وإن كانوا أخروه إلى هذه الغاية، فتسكن نفوس وتبرد قلوب. وقد آلم بهذا الكلام كل الإيلام، لما ختم به كلامه المتقدم.

وأبلغ من هذا قول الآخر، وهو في طريقته:

وإني لراجيكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء." (١)

"فتقول: بين هذا الفتى وبين من يزجى في الفتيان مهواة بعيدة، حتى لا التقاء ولا تداني.

إذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن ... عييا ولا عبئا على من يقاعد

أصل الانتضال والنضال في الرماء، ثم يستعمل توسعا في المفاخرة وقت المنافرة، ومجاثة الخصوم لدى المناقرة. ألا ترى لبيدا يقول:

فانتضلنا وابن سلمى قاعد ... كعتيق الطير يغضى ويجل

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٧٧

ثم قال:

فرميت القوم رشقا صائبا ... ليس بالعصل ولا بالمفتعل

فيقول: إذا تجاذب القوم أطراف السمر والأخبار، وتنازعوا قصص الفرسان والأيام، ودسوا في أثناء المسارة روائع التبجح والمكاثرة، لم يكن حاجزا فيما بينهم فدما، ولا ضعيف التصرف بكيا، ولا كان ثقيلا على جلسائه، سيئ العشرة لخلطائه، بل كان حسن المجلس معهم، مستحلى المنادمة بينهم، خفيف الوطأة عليهم. ومن روى: ولا ربا على من يقاعد فإنه يريد: لا متكبرا على جليسه فعل ذي الملكة والسلطان؛ والآخذ على مصطنعه بـالاعتلاء والامتناع.

وقال كعب بن زهير

لقد ولى أليته جوى ... معاشر غير مطلول أخوها

كان جوى على ما دل عليه الكلام حلف في وجوه ناكبيه والعازمين على قتله، أنهم لا يستمرئون فعلهم ذلك، وأن عشيرته وأصحابه سيطلبون دمه ويدركون **ثأره**، فكانوا عند ظنه بهم من غير إهمال ولا تضجيع. فيقول: جعل جوى ولاية يمينه التي أقسم بها إلى معاشر لا يبطل دم صاحبهم ولا يهدر، بل لا ينامون ولا ينيمون حتى." (١)

"المفعول والمراد في قتلهم لمالك، ويعنى بذوي القوى ذوي الرأي والفعل، والعدد والعدة، فيقول: لا أرى لمن كان هكذا من أولياء دمه وطلاب **ثأره**، إلا امتطاء الإبل وتجنيب الخيول، وركوب كل صعب وذلول، إلى أن ينال من العدو مثل ما ناله منهم، فإن في ركوب الجد مساعدة من الجد، ولن ترى العزم أصرخ بالفعل إلا وثم مطاوعة من القدر. وقوله تشد بالأكوار يريد تشد الأكوار عليها، فرمى بالكلام.

ومجنيات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار

ومساعرا صدا الحديد عليهم ... فكأنما تطلى الوجوه بقار

عطف قوله ومجنبات على إلا المطي والمراد أرى لهم أعدادهم مطايا مرحولة، وخيلا مجنوبة. وكذا كانت عادتهم في مقصدهم الغارات، وركوبهم إلى الوقعات، أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة، أو ملتقى القوم للمحاربة، فحينئذ ينيخون الإبل ويركبون الخيل وهي وادعة لم يلحقها كبير تعب، ولم يمتلكها

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٩٠

سآمة ضجر، فيعلمونها كما يحبون.

وهذا كما قال النابغة يصف خيل عمرو بن هند:

مقرنة بالأدم والعيس كالقطا ... عليها الخبور محقبات المراجل

ويقذفن بالأولاد في كل منزل ... تشحط في أسلائها كالوصائل

ومعنى ما يذقن عذوفا أي أدنى ما يؤكل. وقال الخليل: يستعمل في الطعام والشراب. ويقال: ما ذقت عذفا ولا عذوفا ولا عذوفة ولا عذفا أي ذواقا. والفعل منه قد يبنى فيقال تعذفت عذوفة. وقوله بالمهرات والأمهار أي لما يلحقهن من الكلال، والتحامل عليه في طي المنازل بها والترحال والمساعر: جمع المسعر، وهو كأنه آلة في إسعار نار الحرب وإيقادها. وإنما قال صدأ الحديد عليهم لاتصال لبسهم الدروع، وكأنما تطلى الوجوه بقار لأن المراد أن السموم والحرور قد لفحت وجوههم، وغيرت ألوانهم، لأنهم تعودوا قصد الغارات، وقطع المشاق. وجعل الخيل كالفرسان والفرسان كالخيل في الصبر والثبات.

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت ساحتنا بوجه نهار." (١)

"يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالأسحار

كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتيل أو يدرك **ثأره**. فيقول: من كان فرحا بمقتل مالك، شامتا بأوليائه، فلينزع ملابس المسرة وليطرح أردية الشماتة، فقد أدركت **الأثار** وأريقت الدماء، وشفيت الأدواء، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليرى أن ما كان محرما من الرثاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببكائه قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرءوس يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبنه بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومحاله، فإن ذلك متصل من فعلهن غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والآصار والأسحار، وبعضهم يرويه:

من كان محزونا بمقتل مالك

والمراد الموالون، كما كان المراد بالأول المنابذين. وأكثر من رأيناه كان يروى فليأت نسوتنا ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل ابن العميد يقول: إني لأتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات، وغسله من درن بشع الألفاظ، كيف ترك تأمل قوله فليأت نسوتنا. وهذه لفظة شنيعة. وكيف ذهب عليه تأمل قوله:

قلت لقوم في الكنيف تروحوا ... عشية بتنا عندما وان رزح

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٠٢

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم ... إلى مستراح من حمام مبرح

حتى جمع بين كنيف ومستراح في بيتين. وتأمل أمثال ما ذكره وبينه من شرائط الاختيار.

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم قد أبرزن للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار

يصفهن بأنهن ابتذلن أنفسهن للمصيبة وقد كان من قبل ستر الصيانة مسبلا عليهن، لا يظهرن المعاري من الوجوه وسائر الأعضاء لأحد من الناس، لتسترهن وارتفاع محالهن ومناصبهن عن التبرز والتبرج، إذ كن بيضات خدور وربات حجال وستور. وقوله فاليوم قد أبرزن للنظار يريد الوجوه. وهن وإن رمين قناعهن،." (١)

"تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم؛ فيا له من يوم ما أطوله. والقليب: موضع. وأضاف الشمس إلى الظهيرة كأنه لما قام قائم الظهيرة وقفت حيرى فلم تكن تجنح إلى المغيب، ولا كانت تسير فتهوى للغروب.

وقوله (ومرجم عنك الظنون) وصفه بأن الآفاق على بعدها كانت قريبة عليه لما أيد به من العزم وتسهل له وفي نفسه من وعورة السير، فيقول: رب مكاشح لك كان على تنائيه عنك، وتحزمه معك، واستظهاره بإبعاد الدار منك، يرجم الظن فيك، ويوسوسإليه ما يعرفه من إبعادك في الغزو، وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التعب، وعوارض الخطر - أنك تقصد وتوقع به آمن ماكان منك، وهو فيه وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع في خلده، ولا بالكشف عما ارتاب له، إذ أنت أتيته من حيث لا يحتسبه، واستبحت حريمه، واتسغنمت.

وقوله (قبل تأمل المرتاب) يجوز أن يريد به قبل تأمله، فيكون المرتاب هو المرجم المكاشح. ويجوز أن يكون جعله مثلا.

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله:

أسرت لك الآفاق عزمة همة ... جبلت على أن المسير مقام

فأفأت أدما كالهضاب وجاملا ... قد عدنا مثل علائف المقصاب

لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم تأتكم خيل ذوو أحساب

يقول: غزوته فجعلت ماله فيئا وغنيمة: نوقا كالجبال سمانا، وذكورة عظاما ضخاما، عدنا كالتي يسمنها الجزار للنحر.

وقوله: (لكم المقصص لا لنا) يقول: إن لم تأتكم خيل إذا طلبوا الثأر طلبوه عن إمتعاض وشدة أنفة، وجد في

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٠٣

الأمر واجتهاد، فعل الحسيب الكريم الذي لا يغمض عن قذى، ولا يصبر فيما يحق له على أذى، فأنتم أولياء دمه من دوننا، والمالكون له سوانا. وقد تركنا لكم، وفزتم بما أصبتموه، واستمرأتم ما طعمتموه.." (١)

"مبرقعة. وفي هذه الطريقة قول الآخر:

يعز على أن يرى عوض الدمى ... بحافاته هام وبوم وهجرس

وقوله (عليها براقع) صفة للوحش، وكذلك (أصبحت لم تبرقع) .

وقال آخر:

فيا رب إن هلك ولم ترو هامتي ... بلبلى أمت لا قبر أعطش من قبري

وإن أك عن ليلى سلوت فإنما ... تسليت عن يأس ولو ألمن صبر

وإن يك عن ليلى غنى وتجلد ... فرب غنى نفس قريب من الفقر

حذف الياء من (يارب) لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء، البتة، وهو التنوين، ولأن الكسرة تدل عليه، وإن باب النداء باب حذف وإيجاز، لكثرة تردده في الكلام، وقوله (أمت) جواب الشرط. وقوله (لا قبر أعطش من قبري) الجملة في موضع الحال. وقد روى: (ترو) بفتح التاء ويكون الفعل للهامة، (وترو) بضم التاء والفعل لله عز وجل. فيقول متألما من برح الصبابة، وعطش الاشتياق، ومتشكيا إلى الله تعالى: يا رب إن مت ولم أنل شفاء من دائي، وريا من عطشي إلى هذه المرأة مت ولا قبر لعاشق أشد عطشا من قبري. وإنما قال: لم ترو هامتي، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هاما فتطير. والأصلح في هذا المكان أن يكون جعل نفسه مقتتلا لحبها. ومعنى (ترو هامتي) لم تطلب دمي من قاتلي، تبق هامتي أعطش من كل هام. وكانوا يقولون: إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول: اسقوني اسقوني! إبى أن يدرك ثأره.

إنما آثرت هذا لتوحيده هامة. والرقايتان في ترو وترو معنياهما ظاهران وقوله (وإن أك عن ليلى سلوت) قد تقدم القول في حذف النون من أكن. وجواب الشرط قزله (فإنما) بما بعده والمعنى: إن اك في الظاهر حصل لي سلو عنها لمن يتأمل حالي، فإنما تكلفت ما ظن مني سلوا لغلبة اليأس منها على، فأما نفسي فهي كما كانت، ذهابا فيها وولوعا بها. وقوله (سلوت) مهناه طبت نفسا. وتسليت معناه تكلفت ذلك، والتفعل لا يكون إلا عن تكلف في أكثر." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٦٩

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٨٥٨

"فإنك واستبضاعك الشعر نحونا ... كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

قوله سفهت عشيرة، قال يونس: سفه لغة في سفه، وعلى هذا تنصب عشيرة على المفعول به، ويجوز أن يكون مما نقل عنه الفعل، كأه قال: سفهت عشيؤتك فنقل السفه إلى نفسه فقال: سفهت، فأشبه عشيرة المفعول، فنصب نصب التمييز. وقوله يتدعر أي يخبث ويفجر. يقال: رجل داعر بين الدعارة. وحكى: في خلقه دعارة، في معنى زعارة، وعلى زنته. ومنه عود دعر، أي كثير الدخان. والحوتكي: القصير الصغير. ومعنى ألاقه: ألصقه وضمه أبناء عمه إلى أنفسهم، فبغى لما رأى ذلك. واستبضاع السلعة: أن تحملها بنفسك؛ وإبضاعها: بعثها، وكما قيل في المثل: "كمستبضع تمرا إلى أهل خيبر، لكثرة نخلها، قيل أيضا كمستبضع التمر إلى أهل هجر، وهذا كما قيل كمستبضع الملح إلى بارق.

ومعنى الأبيات: هلا إذ كنت سفيه العشيرة لئيم الفصيلة، أمسكت عن الحنا والفحش، وصنت نفسك ولم تعرضها لل‍هجاء الممض: هذا وما كنت إلا حقيرا قليلا؛ قميئا صغيرا، رق له أقاربه بعد كا كانوا ينفونه ويتبرمون منه، فألصقوه بأنفسهم، فطغى من ذلك واستلى. وأما علمت أنك وحملك الهجاء إلينا في الندم والخسران، وسوء العاقبة، كمن حمل التمر إلى خيبر يتجر فيه، فرجع نادما، وحصل خاسرا.

عمارة بن عقيل

بنى منقذ لا آمن الله خوفكم ... وزادكم ذلا ورقة جانب

فمن يرتجيكم بعد نائلة التي ... دعت ويلها لما رأت ثأر غالب

دعته وفي أثوابه من دمائها ... خلبطا دم من ثوبه غير ذاهب

نائله: امرأة زوجت قاتل أبيها أو أخيها، فجعل عمارة يعيرهم ذلك.

والعرب تقول: دم فلان في ثوب فلان، إذا كان قاتله.." (١)

"قال أوس بن حجر:

نبيت أن دما حراما نلته ... فهريق في ثوب عليك محبر

وقال الفرزدق:

تمشي حرام بالبقيع كأنها ... نشاوي وفي أثوابها دم سالم

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٠٦

فيقول: أبدلكم الله يا بني منقذ بالأمن خوفا لا يفارقكم، وزادكم على مر الأيام ذلا وخضوعا، ولين مجس وسقوطا، فإنه لا يعلق الرجاء بكم، ولا يستنم أحد إليكم؛ بعد نائلة التي دعت بالويلات لما رأت ثأر غالب أخيها أو أبيها، وقد ملكتموه أمرها، وجعلتموه بالتزويج قيمها، ثم قال: دعت نائلة الويل وفي أثواب زوجها لها خليطا دم هما دم أبيها أوأخيها، بقتله له؛ والثاني دم عذرتها، لتزوجه بها، فهما لازمان لثوبه لا يفارقانه. ويروى شريجا دم. وكل لونين اجتمعا فيهما شريجان. وقوله غير ذاهب، غير صفة لدم، ويروى: مهرقاة غير ذهب، ويكون الجملة صفةلدم أيضا. وقوله من يرتجيكم استفهام على طريق التقريع، وفيه معنى النفي، أي لا يرجوكم أحد. ومعنى دعت ويلها صاحت بالويل لي. وفي القرآن: " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ".

وقال طرفة بن العبد

وفرق عن بيتيك سعد بن مالك ... وعمرا وعوفا ما تشى وتقول

وأنت على الأدنى شمال عرية ... شامية تزوى الوجوه بليل

وأنت على الأقصى صبا غير قرة ... تذاءب منها مرزغ ومسيل

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

قوله ما تشى في موضع الفاعل لفرق. وما إن شئت جعلته بمعنى الذي، وصلته تشي، والضمير العائد من الصلة إليه محذوف كأنه قال: ما تشيه وتقوله. وإن شئت جعلت ما حرفا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر، ولا يحتاج إلى ضمير من." (١)

"وقوله صم إذا خيرا ارتفع صم على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم صم، أي يتصاءمون عما أنسب إليه من الخصال الصالحة. ويقال للمعرض عن الشيء: هو أصم عنه. على ذلك قوله:

أصم عما ساءه سميع

قال: ومتى ذكرت بشر أدركوه وعلموه. ويقال: أذن يأذن أذنا. قال:

بسماع يأذن الشيخ له

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة. وانتصب جهلا لأنه مصدر لعلة. ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٠٧

يستعملون الجهل والحسد عليهم ومعهم، وأنهم جبناء عن الأعداء ضعفاء عجزة إذا طلب كفايتهم، لا يصلحون لدفع مكروه، ولا لجلب محبوب. ثم سوأ عليهم فعلهم فقال بئست الخصلتان جهلهم على أقاربهم، وجبنهم عن أعاديهم. وهذا تأكيد في التعبير، ومبالغة في التقريع.

وقال منصور بن مسجاح

ثأرت ركاب العير منهم بهجمة ... صفايا ولا بنيا لمن هو ثائر

من الصهب أثناء وجذعنا كأنها ... عذارى عليها شارة ومعاصر

قوله ركاب العير يروى ركاب القوم. وأراد بالعير السيد، وكان استيق لرئيسهم إبل فارتجع بدلا منها على ما وصفه. ومعنى ثأرت ركاب العير أي أدركت الثأر فيها منهم بأن أخذت هجمة من الإبل – وهي المائة وما داناها – غزارا سمينات، والثأثر ليس من حقه أن يبقى، والأصل في الثأئر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم. يقال: ثأرت فلانا وثأرت بفلان، إذا قتلت قاتله. وقوله من الصهب أثناء وجذعنا، هذا تفسير للهجمة، وتفصيل للجملة، يريد: من الإبل الصهب. والصهبة: حمرة يعلوها بياض. وتعلق من بقوله هجمة.." (١)

"مجلس محتشم فتجاذبوا وتناظروا، بقولهم: كأن على رءوسهم الطير، وهذا التشبيه إنما حصل على أنهم من السكون ومفارقة التعجل بمنزلة من على رأسه طير فيخاف في تحركه ذهابها وطيرانها؛ ولما كان هذا الشاعر يهجو بني عائدة ويهزأ بهم، جعل بدل ذلك القول كأن خروء الطير فوق رءوسهم. وقوله إذا اجتمعت قيس معا وتميم بيان لاختلاطهم بأهل الحل والعقد من وجوه القبائل ورؤساء المحافل. وكان الحكم أن يقول: إذا اجتمعت قيس وتميم معا، فقدم معا لأن العاطف ينبه على موضع المعطوف. وقوله متى تسأل الضبي عن شر قومه، يروى: عن سر قومه، وهو حسن، والمعنى أنهم لئام باعتراف من قومهم به، واتفاق منهم عليه، لكنهم يسرون أمرهم ويخفونه.

وقال محرز بن المكعبر الضبي

أبلغ عديا حيث صار بها النوى ... وليس لدهر الطالبين فناء

كسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... بلهى به المتبول وهو عناء

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠١٤

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المنبئون أساءوا

يقول: أد إلى بني عدي رسالتي حيث استقرت بها النوى بأن زمن طلاب الأوتار فيما عليهم من إدراك الثأر قد اتصل وامتد، فليس ينقطع لكسلهم عن السعي في ردء المغار عليه، واستيطائهم مراكب العجز عن نصرته، غير مواعيد خالية من الفعل يقربونها، وأقوال مزخرفة عند الالتقاء يبذلونها، إذا اعتمدها الموتور انصرف بها مغرورا، فكانت عند السامعين لها ضلالا وبورا، وعناء للقلوب والجوارح، لا يحلى منه بطائل، ولا يرجع على أحد بعائد. هذا وأنا أحسن أمركم، وأقول لمن يسأل عن أخبارنا وأخباركم: إنهم قد وفوا بالعهد، وأدوا مالزمهم من النصرة بحق الجوار والعقد، لكن للأمور أوقات، وللأقضية آجال وآماد، فينثني الذم عنكم، وينحط العار دون فنائكم، ولو شئت لقال السائل والسامع: أساؤا حين بدلوا الخفارة بالإخفار، وضيعوا الحقوق بالتقصير والإقصار: وقوله أن قد وفيتم أن فيه مخففة من الثقيلة." (١)

"أنن ترفعه وأن تنصبه، فالنصب على أن يكون أن الناصبة للأفعال، والرفع عل أن تكون أن مخففة من الثقيلة، ويكون اسمه مضمرا، كأنه قال: أنه لا يضيق، والجملى خبره. والعافية: مصدر كالعاقبة، ومثله ما أباليه بالية، وقم قائما؛ لأنه لا خلاف أن اسم الفاعل يكون اسما للمصدر وإن اختلفوا في بناء المفعول. وموضع ألا يضيق نصب بكونه بدلا من قوله عافية. وانتصب خلوا على الحال. وجملة المعنى: أنه لم يفتني إحسان رجل لم يلزمني له شكر إفضال، ولم يجب بفعله بي علي اعتداء.

قال ابن عبدل الأسدي

أضحى عراجة قد تعوج دينه ... بعد المشيب تعوج المسمار

وإذا نظرت إلى عراجة خلته ... فرجت قوائمه بأير حمار

أراد أن يظهر أنه يجسر على تشبيهه بالسوءة. وضرب الخنا والفحش مثلاله في هجوه، فأما المعنى فظاهر، وإنما شبه تعوج دينه على كبرته وسنه بتعوج المسمار في العمل، وقد عجز عما حمل، فإن أكره على النفاذ انكسر؛ وإن طلب نزعه ليجعل أقوى منه بدله تعسر، فكذلك عراجة في اعوجاج دينه والتوائه، لا صرفه وردعه ممكن، ولا احتماله عليه مسوغ.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠١٧

وقالت أم عمرو بنت وقدان

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق

ألهاكم ان تطلبوا بأخيكم ... أكل الخزير ولعق أجرد أمحق

تقول: إن ضيعتم دم أخيكم، وقعدتم عن الانتقام له، لتقصيركم في طلب ثأره، فضعوا السلاح واطرحوه بالأبرق. ويقال: وحش بثوبه وبسيفه، إذا رمى به بعيدا. وفي الحديث: " وحشوا برماحهم "، أي رموا بها. ويجوز أن تريد توحشوا، أي صيروا مع الوحش حياء من فعلكم، وهاجروا الناس وحانبوهم. والعرب تقول:." (١)

"إذا أظلم الليل تأنس كل وحشي، وتوحش كل إنسي. يريدون بتأنس استأنس، وبتوحش استوحش. ومثل وحش بمعنى توحش قدم بمعنى تقدم، ونبه بمعنى تنبيه. وعلى هذا يحمل قول امرىء القيس:

وأنا المنبه بعد ما قد نوموا ... وأنا المعالن صفحة النوام

لأنه لم يجعل منبه بمعنى متنبه يصير عجز البيت كصدره في أنهما بمعنى واحد. وقال بعضهم: وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوتوه. وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم. وخصت الأبرق لأنه كان مما وليهم، وهو المكان فيه حجارة سود وبيض. ويقال: جبل أبرق، إذا كانت طاقاته سودا وبيضا.

وقولها وخذوا المكاحل، تريد: اجعلوا بدل السلاح آلات النساء: والمجاسد: جمع المجسد، وهو الثوب المشبع صبغا. والجساد: الزعفران. والنقب: جمع نقبة، وهي إزار تجعل له حجزة كحجزة السروايل تلبسه المرأة. قال:

بيضاء مثل القلب ... في نقبة وإنب

والإنب: القميص.

والمعنى: إن لم تثأروا لصاحبكم فتزيزا بزي النساء فإنكم إناث، وبئس رهط المرهق: المضيق عليه أنتم. وحذف المذموم ببئس، وهو أنتم، لأن المراد مفهوم. وهذا الكلام بعث وتحضيض على طلب الدم، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمرا على طلب دم أخيه عبد الله فقالت:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٨١

ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم

وقولها ألهاكم أن تطلبوا تهييج وإغراء. والخزير: حساء يحسى. والأجرد: الأمحق، يراد به نحي أو زق دبي. والأمحق: القليل، كأنه يصير لكم محقا لا يبارك." (١)

"الله فيه، وأمحق من باب أفعل الذي لا فعلاء له واللعق، هو لما في النحي لا له، فتوسع فيه.

وقالت امرأة من طيىء

فلو أن قومي قتلتهم عمارة ... من السروات والرءوس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ... ولكنما **إثآرنا** في محارب

قبيل لئام إن ظفرنا عليهم ... وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب

العمارة: الحي العظيم يطيق الانفراد، وقد يفتح العين منه فيقال: العمارة، لغة. ومثله العميرة، وقيل: هما جميعا البطن. والسروات: الرؤساء. والذوائب: الأعالي، وهو جمع ذوابة، واستعملوا الذنائب في خلافه، وهو جمع ذنابة، وهما اسمان في الأصل وصف بهما. **وأثار**: جمع **الثأر**. يقول: هم الذين أصابونا عن ذلتهم وخستهم، فالبلاء أعظم، وقرح القلب أوجع، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر، والصبر عليه أوسع. وهذا كما يقال في المثل السائر: " وذات سوار لطمتني ". وقولها قبيل لئام، هو تفصيل ما أجمله. وقولها إن ظفرنا عليهم عدي ظفرنا تعدية علونا، لأنه في معناه، وهم يحملون الضمير على الضمير. والمعنى: لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نيلوا، ولا ينيمون طلاب الأوتار إذا **ثأروا**. وجواب الشرط، وهو قوله إن ظفرنا، متقدم يشتمل عليه قوله قبيل لئام، لأن فيه معنى الفعل.

ومثل قولها وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب قول امرىء القيس:

ولم يغلبك مثل مغلب

إلا أنه السبب.." (٢)

"وقوله قذو الحلم منا جاهل دون ضيفه في هذا البيت بعض ما في قول الآخر:

وأبذل معروفي له دون منكري

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٨٢

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٠٨٣

وإنما يتجاهل الحليم دون ضيفه إذا أوذى عند طلب ثأر من جهته أو تخشين جانب له بكلام أو فعال. وقوله: وذو الجهل منا عن أذاه حليم، يريد به وإن أخذ الضيف يؤذينا ترى الجهول يحتمله، ويغفر زلته، ولا يطلب مؤاخذته ومكافأته.

وقال ابن هرمة

أغشى الطريق بقبتي ورواقها ... وأحل في نشر الربى فأقيم

إن امرأ جعل الطريق لبيته ... طنباص وأنكر حقه للئيم

يقارب ما قاله قول الآخر:

يسط البيوت لكي يكون مظنة ... من حيث توضع جفنة المسترفد

وقول الآخر:

ويأبى الذم لي أني كريم ... وأن محلي القبل اليفاع

وذاك أن الكرام ينزلون الروابي والإكام، ويتوسطون الناس في أيام الجدب، وعند اشتمال القحط، لكي تهتدي إليهم السابلة والمارة، ويشترك في خيرهم الداني والقاصي. واللئام ينزلون الأهضام وبطون الأودية، ويتفردون عن الناس إبقاء على زادهم، وضنا بطعامهم، وتفاديا من أن تعرف أماكنهم فيكثر قصد أبناء السبيل لهم، ووطوهم إياهم، وتنضم الطوائف والفرق إليهم. لذلك قال المرقش:

وعاد الجميع نجعة للزعانف." (١)

"لأحبني حب الصبي ورمني ... رم الهدي إلى الغنى الواجد

ولقد نضحت مليلتي فتميثت ... عن آل عتاب بماء بارد

يقول: إن رمت القيام بواجب سعى علقمة لي، وأديت المفروض لحسن بلائه عندي، لم أقابله على صنيعة واحدة، ولا جازيته لبلاء معمة فاردة، لأن أياديه عندي كثيرة متظاهرة، وآلاءه لدى متواترة متناصرة، فوالله لقد أحبتني كما يحب الصبي، وأصلح من أموري ما يصلح من شأن العروس إذا زفت إلى الموسر الغنى، فتضاعف مؤنها، وتزايد التكاليف في هدائها وتحويلها. فقوله لأحبني، اللام جواب يمين مضمرة، وغنما قال: حب الصبي لأنه يخلط بمحبته زيادة الشفقة، وكفالة الترفرف عليه والمرحمة.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٠٤

وسئل بعض حكماء العرب عن أحب أولاده إليه فقال: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والعليل حتى يبرأ. وإذا تأملت وجدت حال الغائب والعليل كحال الصغير فيما ذكرت، فلذلك جمعها في قرن الذكر. وقوله: ولقد نضحت مليلتي يريد. ولقد رششت غليلي من آل عتاب وما امتله نار وجدي من أحشائي وصدري بماء بارد، فكنت وزال حميمها، حتى كأنها لم تكن. وإنما قال ذلك لأن آل عتاب كانوا وتروه فاشتد برح حميه واتسع قرح وتره، فأعانه على إدراك الثأر علقمة بن سيف، وشفاه من دائه. وإذا تؤمل ما عدده من أياديه لديه حصل فيه الميل والإكرام، والبر والإنعام، وإصلاح الحال، والمؤاساة بالمال، والشفاء من الداء، والانتقام من الأعداء، وذلك مالا مزيد عليه. ومعنى تميثت تذللت وتذوبت. ويقال: ميثت الشيء، إذا مرسته. والنضخ بالخاء المعجة ابلغ من النضح.." (١)

"وقوله " إذا طلبوا ذحلا فليس بفائت "، يقال: طلبت عند فلان ذحلا، إذا رمت مكافأته على عداوة منه أو جناية. وأراد أنهم إن وتروا لا يفوتهم إدراك الوتر، وإن وتروا غيرهم من أكفائهم وظلموهم لم ينتصف منهم، ولم يدرك الثأر من جهتهم.

وقوله " مواعيدهم فعل "، أراد أنهم ينجزون الوعد ويصدقون الأقوال بالفعل، وأن هذا دأبهم في الخصال التي إذا سميت موعودا بها وذكرت، قال الناس يجب مع القول فعلها، استبعادا للوفاء.

وقوله " بحور تلاقيها بحور غزيرة "، يريد أنهم في أنفسهم كالبحور كثرة وسماحا، واتساعا وعزة، فإذا لاقتها بحور قيس وذهل زاخرة فقد كمل الأمر وتناهى العز، واطرد الماء، وطما التيار حتى لا يطاق.

وقال آخر:

عادوا مروءتنا وضلل سعيهم ... ولكل بيت مروءة أعداء

لسنا إذا ذكر الفعال كمعشر ... أزرى بفعل أبيهم الأبناء

يشبهه قول الآخر:

لا يملكون عداوة من حاسد ... وحذاء كل مروءة حسادها

وقول الآخر:

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا

وقوله " وضلل سعيهم " أي نسب إلى الضلال لما لم يلحقوا شأوهم.

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١١٤

وقوله " لسنا إذا ذكر الفعال كمعشر " يريد: لا نعتمد على مناسبنا، وعلى ما قدمه أسلافنا من المفاخر والمساعي، لكنا نعمر ما شيدوه، ونستحدث بأفعالنا ما يقويه ويكثره، ولا يصير مزريا به.." (١)

"يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضا:

ظفرت بقبلة منه اختلاسا ... وكنت من الرقيب على حذار

ألذ من الصبوح على غمام ... ومن برد النسيم على خمار

وقال تميم:

إذا رحت من سكر غدوت إلى سكر ... وأنفقت في لهوي وفي لذتي عمري

ولم لا أجر الذيل في ساحة الصبا ... وشرخ شبابي قائم لي بالغدر

ومهتزة الأعطاف، تهتز للصبا ... كما اهتز غصن البان في الورق الخضر

مهفهفة صفراء، إلا لآلئا ... إذا ابتسمت بيضا يلحن من الثغر

قطعت بها ليل التمام وبدره ... إذا ما رآها ظنها غرة البدر

وقال:

وقهوة في كأسها تزهر ... يفوح منها المسك والعنبر

وردية يحتثها أحور ... كأنها من خده تعصر

مهفهف لم يبتسم ضاحكا ... مذ كان، إلا كسد الجوهر

وقال أبو العتاهية:

لهفي على الزمن القصير ... بين الخورنق والسدير

إذ نحن في غرف الجنان نعوم في بحر السرور

في فتية ملكوا عنان الدهر أمثال الصقور

يتعاورون مدامة ... صهباء من حلب العصير

عذراء رباها شعاع الشمس في حر الهجير

ومقرطق يمشي أمام القوم كالرشأ الغرير

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١٢٤٥

بزجاجة تستخرج السر الدفين من الضمير
زهراء مثل الكوكب الدري في كف المدير
وقال ايضا:
أحل العراقي النبيذ وشربه ... وقال: الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد ... فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها، لا فارق الوازر الوزر
وقال تميم:
السكر في أسكر عندي وقار ... فاخلع بها للهو عنك العذار
ولا تطع في نشوة لائما ... إن قبول اللوم في السكر عار
وهاكها تسلب عقل الفتى ... وحلمه في لطف واختصار
حمراء في الكأس فإن شعشعت ... ولد قرع الماء فيها اصفرار
في قدح ليس له مشبه ... إلا صفا الماء وضوء النهار
كأنما الساقي إذا مجه ... في صفوها يجمع ثلجا ونار
فرح صريع الكأس إن كنت من ... أبنائها واغد خليع العذار
أما ترى النيل وريح الصبا ... تنظم فيه زردات صغار
لا سيما إن غرد الناي أو ... ناولك الكأس صموت السوار
وبت تجني لعسا أشنبا ... مستعذب الظلم برود القطار
ومقلة مضمرة فتكة ... ووجنة منبتة جلنار
كأن لام الصدغ في عاجها ... ليل تبدى جنحه في نهار
وقال أيضا:
رب صفراء عللتني بصفراء وجنح الظلام مرخى الإزار
بين ماء وروضة وكروم ... ورواب أنيقة الأزهار
تثنى بها الغصون علينا ... ويجيب القيان فيها القماري
وكأن الدجى غدائر شعر ... وكأن النجوم فيها مداري

وانجلى الغيم عن هلال تبدى ... في يد الأفق مثل نصف سوار

فأسقياني فأنني أطلب المجد بثأر والحادثات بثار

وندامى لو لم يكونوا من الإنس لما ناسبوا سوى الأقمار

بت أسقيهم ويسقونني الراح على طيب رنة الأوتار

وبساط من الحديث شهي ... كنبات النسرين بين البهار

لم نزل نلثم الكئوس إلى أن ... دفن الليل في فؤاد النهار

وقال عبد الله بن المعتز:

وقد يباكرني بالراح صافية ... كأنها قبس بالكف مشهور

يريق في كأسها من صوب غادية ... فالخمر ياقوتة والماء بلور

وقال صريع:

وبنت يهودي حضرت زفافها ... وقد حليت درا تزين به النحرا." (١)

"ما طرد الهم مثل كاس ... ترقص [في] قعرها الشمول

جوهرة طوقت ببدر ... فهي رحيق وسلسبيل

وقال ابن المعتز:

لا تقف بي في دارس الأطلال ... شغل فعلي بها وشغل مقالي

إن دمعي لضائع في رسوم ... وسؤالي محيلة من محال

فاسقني القهوة التي تصف العتق بلون صاف وطعم زلال

طعنت نحرها الأكف ولكن ... تأخذ الثأر من عقول الرجال

حلف العلج أنهم طبخوها ... فرضينا ولو بعود خلال

فأدرنا رحى السرور عليها ... بحرام مشبه بحلال

وقال:

أحسن من وقفة على طلل ... ومن بكائي في إثر محتمل

كأس صبوح أعطتك فضلتها ... كف حبيب والنقل من قبل

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١٣٥

في مجلس جالت الكئوس به ... فالقوم من مائل ومنجدل
يطوف بالراح بينهم رشأ ... محكم في القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا ... يسفك من خده دم الخجل
وقال:
لا تلمني يا عذوليفي هوى الخمر الشمول
قهوة تذهب عنا ... بهموم وعقول
خدرت من بعد نار الشمس في ظل ظليل
بين أنهار وجنات وكـرم ونخيل
فاستعن بالراح يا صاح على الليل الطويل
ويح نفسي من حبيب ... خائن العهد ملول
وقال آخر:
وكأس كمعسول الأكاني شربتها ... ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها ... لهيبا كوقع النار في الحطب الجزل
إذا [هي] دبت في الفتى خال جسمه ... لما دب فيه قرية من قرى النمل
إذا ذاقها وهي الحياة رأيته ... يعبستعبيس المقدم للقتل
إذا اليد نالتها بوتر توقرت ... على ضعفها ثم استقادت من الرجل
وقال ابن الرومي:
وقهوة صهباء مشمولة ... إحدى السبايا من قرى بابل
ما نزلت بالهم إلا دعا ... للآهل الويل من النازل
وقال ابن وكيع:
نادم مدامك دون الناس كلهم ... فردا وحيدا ففيها عنهم شغل
مات الذين إذا حدثتهم فرحوا ... بما تقول وإن خاطبتهم عقلوا
لم يبق إلا أناس فاض عيبهم ... فجملة الأمر فيهم أنهم سفل
إن حدثوا كذبوا أو حدثوا عرضوا ... أو موزحوا سخفوا أو جولسوا ثقلوا

وقال كشاجم:

حي الربيع تحية المستقبل ... أهدى السرور لنا بغيث مسبل

جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت ... بالخصب أنواء السماك الأعزل

فاعرف له حق القدوم بقهوة ... عذراء تمزج بالزلال السلسل

صفراء تجلى في الزجاج ويتقى ... منها أليم القتل إن لم تقتل

كالخد لاقته العيون فعصفرت ... مبيض وجنته بلحظ مخجل

من كف مياس القوام كأنه ... ريحانة ريانة لم تذبل

وقال ابن المعتز:

قم فاسقني يا خليلي ... من المدام الشمول

أولى الشهور بقصف ... شعبان في أيلول

قد زاد في الليل ليل ... وطاب برد المقيل

حرف الميم

قال أبو نواس:

يا شقيق النفس من حكم ... نمت عن ليلي ولم أنم

فاسقني البكر التي اعتجرت ... بخمار الشيب في الرحم

عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأمم

قرعتها بالمزاج يد ... خلقت للسيف والقلم

في ندامة سادة زهر ... أخذوا اللذات من أمم

فتمشت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم." (١)

"من دواجني؟ والعزيز الغفار، لأطلبنها **بالثأر**! ومشى إليها، فتلمظ له لسان الميزان، فأجفل يصيح: الثعبان الثعبان! ورفع له تمر النشا، غير مهضوم الحشا، فقال: مهيم! من أين لكم جنى نخلة مريم؟ ما أنتم إلا

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١٥١

السحار، وما جزاؤكم إلا السيف والنار. وهم أن يأخذ منها. فأثبت في صدره العصا، فجلس القرفصا، يذري الدموع، ويبدي الخشوع. وما منا أحد إلا عن الضحك قد تجلد. فرقت له ضلوعي، وعلمت أن فيه غير مضيعي. وقد تجمل الصدقة على ذوي وفر، وفي كل ذي كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال منها تجمع أنواعها التي أنطقته وتحتوي على ضروبها التي أضرعته، وجاء بها وسرنا إلى مكان خال طيب، كوصف المهلبي:

خان تطيب لباغي النسك خلوته ... وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا." (١)

"وقال بعض المجان: شهر رمضان مخشلبة بين درتين؛ يعني شعبان وشوال.

وقال البحتري:

طال هذا الشهر المبارك حتى ... قد خشينا بأن يكون لزاما

كم صحيح قد ادعى السقم فيه ... وعليل قد ادعى البرساما

ولخير من السلامة عندي ... للفتى علة تحل الحراما

وقال ابن الرومي:

شهر الصيام وإن عظمت حرمته ... شهر ثقيل بطيء السير والحركه

يمشي رويدا فأما حين يطلبنا ... فلا السليك يدانيه ولا السلكه «١»

كأنه طالب ثأرا على فرس ... أجد في أثر مطلوب على رمكه «٢»

شهر كأن وقوعي فيه من قلقي ... وسوء حالي وقوع الحوت في الشبكه

يا صدق من قال: أيام مباركة ... وإن كان يكني عن اسم الثقل بالبركه." (٢)

"الأنف

أنفك منك وإن كان أجدع في القريب السوء. شفيت نفسي وجدعت أنفي، لمن يضر نفسه من وجه ويشتفي من وجه. كل شيء أخطأ الأنف خلل. جرحه حيث لا يضع الراقي انفه، للأمر الذي لا دواء له. لأمر ما جدع قصير أنفه، يضرب في طلب الثأر. رب حام لأنفه وهو جادعه، يضرب لمن يأنف من الشيء فتوقعه الأنفة في شيء أشد منه.

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ابن شهيد الأندلسي ص/١١٧

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٣٠٠

الفم واللسان

كل جان يده إلى فيه. حياك من خلا فوه، للمشغول عن صاحبه. ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مهملة. اللسان سبع صغير الجرم، عظيم الجرم.

وجرح الدهر ما جرح اللسان

وجرح اللسان كجرح اليد

حفظ اللسان فاحفظ اللسانا ... قد ينفع الطائر والإنسانا." (١)

"لئن أشبه الناس في موته ... فقد عاش دهرا بلا مشبه

ومن أحاسن ما قيل في مرثية المصلوب قول ابن الأنباري:

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدهما إليهم بالهبات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات

وتشعل عندك النيران ليلا ... كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تأس ... تباعد عنك تعيير العداة

أسأت إلى النوائب **فاستثارت** ... فأنت فتيل **ثأر** النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فعاد مطالبا لك بالتراب

ولو أني قدرت على قيام ... بفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الأرض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات

ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٣١٢

وما لك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

ومن أحاسن ما قيل في مرثية الولد قول العتبي:

دعوتك يا بني فلم تجني ... فردت دعوتي بأسى عليا

بموتك ماتت اللذات عني ... وكانت حية إذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي ... إليك لو أن ذلك رد شيا

وقوله أيضا:

أبعد الشمل والنعم ... ة صيرت إلي القبر

فما يشهدك الأهلو ... ن إلا هيئة السفر

يزرونك في العيدي ... ن في الفطر وفي النحر." (١)

"ولما جيء بالهر مزان ملك خوزستان أسيرا إلى عمر رضى الله عنه وافق ذلك غيبته عن منزلة فما زال الموكل بالهرمزان يقتفى أثر عمر حتى عثر عليه فى بعض المساجد نائما متوسدا درته فلما رآه الهرمزان قال هذا والله الملك الهنيء عدلت فأمنت فنمت والله إنى قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحد منهم هيبتى لصاحب هذه الدرة

١٢٣ – (قميص عثمان) هو قميصه المضرج بالدم الذى قتل فيه يضرب به المثل للشيء يكون سببا للتحريش وذلك أن عمرو بن العاص رضى الله عنه لما أحس من عسكر معاوية بصفين فتورا فى المحاربة أشار عليه بأن يبرز لهم قميص عثمان ليستأنفوا جدا جديدا فى الانتقاض والمنازعة ففعل ذلك معاوية فحين وقعت أعين القوم على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنحيب وتحرك منهم الساكن وثار من حقودهم الكامن فعندها قال عمرو حرك لها حوارها تحن

وعلى ذكر هذا القميص فإن المتوكل لما قتله ،لأتراك بمواطأة المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد المنتصر والمستعين إلى المعتز لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه وتلومه على ميله لهم دون طلب الثأر منهم وكان المعتز يعدها ويمنيها وهو يعلم أنه لا يقوى عليهم مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم وغلبتهم على أمور الخلافة فأبرزت قبيحة يوما للمعتز قميص المتوكل الذى قتل فيه وهو مضرج بالدم وجعلت تبكى وتبالغ فى التقريع

(١) أحسن ما سمعت الثعالبي، أبو منصور ص/١٠١

والتحريض كل المبالغة فلما طال ذلك منها قال لها المعتز يا أمى ارفعى القميص وإلا صار قميصين فعندها أمسكت ولم تعد لعادتها." (١)

"(فقلت ذا التيس من هو ... فقال قاضى شلمبة)

٣١٠ - (سحرة الهند) يضرب بهم المثل لأن للهند السحر والرقى والتدخين والحساب والشطرنج وخرط التماثيل كما أن للعرب البيان والشعر والفروسية والقيافة وللروم الطب والتنجيم والقرسطون واللحون والتصاوير والبناء وللفرس السياسة والإمارة واستعمال علوم الأمم

٣١ - (شيخ العراق) كان يقال ذلك بالإطلاق للمهلب بن أبى صفرة ولما وفد عليه زياد الأعجم وهو يقاتل الأزارقة بتوج أكرمه وانزله على حبيب ابنه وقال له احسن قراه فجلسا يوما يشربان فى بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال حبيب أنها فاقدة إلف كنت أراه معها فقال زياد هو أشد لشوقها وأنشأ يقول

(تغنى أنت فى ذممى وعهدى ... وذمة والدى إلا تضارى)

(فإنك كلما غردت صوتا ... ذكرت أحبتى وذكرت دارى)

(فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك يا حمامة فى جوارى)

فضحك حبيب ودعا بقوس بندق ورماها ببندقة فسقطت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال اخفرت يا حبيب ذمتى فقتلت جارتى وسار إلى المهلب وشكاه إليه فغضب له وقال لحبيب أما علمت أن جار أبى أمامة جارى وأن ذمته ذمتى والله لألزمنك دية الحر والعبد فأخذ من ماله ألف دينار ودفعها إلى زياد فقال من قصيدة له

(فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لى بها شيخ العراق المهلب)

(قضى ألف دينار لجار اجرته ... من الطير إذ يبكى شجاه ويندب)." (٢)

"(أصبحت لا تعرف الجميل ولا ... تفرق بين القبيح والحسن)

(إن الذى يرتجى نداك كمن ... يحلب تيسا من شهوة اللبن)

وقال البحترى

(أيا صالحا لا يجزك الله صالحا ... فإنك مثل التيس أخفق حالبه)

٥٨٦ - (ضرطة عنز) يضرب مثلا لما يهون من الأمور ولما قتل ابن جرموز الزبير بن العوام وجاء برأسه إلى

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٨٦

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٢٣٧

على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال له أبشر بالنار فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بشروا قاتل ابن صفية بالنار) \ ح \ فانصرف ابن جرموز وهو يقول

(أتيت عليا برأس الزبير ... وكنت أرجى به الزلفة)

(فبشرت بالنار قبل العباد ... وبئست بشارة ذى التحفه)

(فسيان عندى قتل الزبير ... وضرطة عنز بذى جحفه)

وما يشبه هذا من أمثالهم لا تحبق فى هذا الأمر عناق حولية أى لا يكون له تغيير ولا يدرك له ثأر قال عدى بن حاتم حين قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما فقئت عينه يوم الجمل وقتل بنوه بصفين قيل له يا أبا طريف الم تزعم أنه لا تحبق فى هذا الأمر عناق حولية قال بلى والله إن التيس الأعظم قد حبق فيه

٥٨٧ - (يوم العنز) يضرب مثلا لمن يلقى ما يهلكه فيقال لقى فلان يوم العنز فكأن يومها يوم ذبحها كما قيل يوم عبيد ليوم قتله قال الفرزدق." (١)

"الباب السابع والثلاثون فى عتاق الطير

عقاب الجو

عقاب ملاع

قاب العقاب

شأو العقاب

فرخ العقاب

خوافى العقاب

بازى البر

بازى جحا

صدر البازى

بخر الصقر

الاستشهاد

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٣٧٩

٧٣٢ - (عقاب الجو) يضرب به المثل فى الرفعة والمنعة ولما حث قصير عمرو بن عدى على الطلب بثأر خاله جذيمة من الزباء وقال له تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك قال له عمرو وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو فصار قوله مثلا

٧٣٣ - (عقاب ملاع) العرب تقول فى أمثالها أبصر من عقاب ملاع قال محمد بن بن حبيب ملاع اسم هضبة وقال غيره ملاع اسم للصحراء لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال قال أمرؤ القيس

(كأن دثارا حلقت بلبونه ... عقاب ملاع لا عقاب القواعل) والقواعل الجبال الصغار

٧٣٤ - (قاب العقاب) مقدار مطارها فى الهواء علوا وارتفاعا قال ابن الرومى." (١)

"وقال القطامى

(إلا إنما نيران قيس إذا شتوا ... لطارق ليل مثل نار الحباحب)

ويجوز أن تكون قد شبهت النار التى لا منفعة فيها ولا حاصل تحتها بنار الحباحب الذى اقتص ابن عباس رضى الله عنهما قصتها

ووصف بليغ انقضاض الكواكب فقال وإن الفلك ليفتر عن شهب ثواقب كنيران أبى حباحب من كلام طويل قال ابن المعتز

(وحين أخذنا ثأركم من عدوكم ... فعدتم لنا تورون نار الحباحب)

٩٦٠ - (نار البرق) ما أحسن ما وصفها أعرابى فقال

(نار تجدد للعيدان نضرتها ... والنار تشعل أحيانا فتحترق)

يقول كل نار فى الدنيا تحرق العيدان وتستهلكها إلا نار البرق فإنها تجىء بالغيث فإذا غشيت الأرض أحدث الله للعيدان جدة وللأشجار أغصانا لم تكن

٩٦ - (نار المعدة) حكى أبو العيناء قال اجتمعنا فى مجلس ابن الأعرابى ومعنا الجاحظ والجماز فأخذنا نتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ووقع الجاحظ والجماز فى كياد وملاحاة فقال له الجماز هات كم تعرف فى كلام العرب من نار فقال على الخبير سقطت نار الحرب ونار الشر ونار أبى حباحب ونار الله الموقدة ونار

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٥٣

المعدة ونار الطبع ونار الاصطلاء فقال الجماز تركت أبلغ النيران وأوسعها فى البلدان وأصلحها بلسان الجيران قال وما هى قال نار حرامك التى (كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم." (١)

"والمأمون من ظريف كلامه: إذا طالت اللحية تكوسج العقل.

وقال: النبيذ كلب والعقل ثعلب!.

وكان يقول: قد اجتمع في التفاح الصفرة الدرية، والحمرة الذهبية، والبياض الفضي. فالعين لحسنه، والفم لطعمه، والأنف لطيبه.

وما أحسن تقسيمه الثمار على الأعضاء في قوله: مجلس النبيذ بساط يطوى مع إنقضائه. وقوله الرمان للكبد، والتفاح للقلب، والسفرجل للمعدة، والتين للطحال، والبطيخ للمثانة.

وقوله: مجلس النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه.

وكان يقول: قرناء الرجل بمنزلة الشعر من جسده، فمنه ما يخدم ويكرم، ومنه ما يخفى وينفى.

وقال للبريدي: لم أرك منذ أيام، فقال: يا أمير المؤمنين، قد وجدت بأذني ثقلا أكره معه أن أجيب على غير فهم، أو أتعبك في الاستفهام. فقال: أطيب ما كنت جليسا الآن! شئنا أن نسمعك أسمعناك، وإذا احتشمنا من شيء أسررناك، فأنت شاهد غائب.

وكان يقول: للفاكهة لذتان؛ الرائحة والطعم. فمن أكله، والغمر في يديه فاته أحداهما.

إبراهيم بن المهدي اختلف هو وإسحاق النديم في صوت فقالا: إلى من نتحاكم والناس ما عدانا بهائم؟!.

وحكى إسحاق قال: طهرت بعض أولادي فجاءتني رقعة إبراهيم بن المهدي وقال فيها: لولا أن البضاعة قصرت عن الهمة لبعثت المدى إليك. وقد كرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لنا فيها ذكر، فبعثت المبدأ به لوليمته والمختتم به لنظافته: جراب ملح وجراب اشنان. فلما كان من الغد أهدى إليه ما قيمته ألف دينار.

عبيد الله بن عبد الظاهر كان يقول: سمن الكيس ونيل الذكر لا يجتمعان.

المعتصم بالله رفع إليه رجل قصة فيها: يا أمير المؤمنين، إني أتظلم ممن وافق اسمه فعله، فإنه غصبني ضيعتي. ولم يعرف مقصده حتى قال أنه يتظلم من ظلوم جاريته، وأمر وكيلها بإنصافه.

وصيف التركي والي الشام للمعتصم، أصابته مصيبة فركب إليه محمد بن عبد الملك الزيات فعزاه بأخبار وأشعار وأمثال. ثم أصيب محمد بمصيبة فركب إليه وصيف وقال: يا أبا جعفر، أنا رجل أعجمي لا أدري ما أقول،

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٨٢

ولكن انظر ما عزيتني به ذلك اليوم فعز به نفسك الآن. فاستظرف الناس كلامه.

المتوكل على الله كان يعجبه الورد جدا فقال: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين، فكل منا أولى بصاحبه.

الفتح بن خاقان: مرض خاقان فعاده المعتصم بالله، والفتح إذ ذاك صبي صغير، فقال له المعتصم: داري خير أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن!.

وقيل له وعلى يده خاتم ياقوت أحمر في نهاية الحسن: أرأيت أحسن من هذا؟ قال: نعم، اليد التي هو فيها.

وقيل إن الفتح بن خاقان قال لأحد ندمائه: يا فلان، دخلت قصري فاستقبلتني جارية فقبلتها، فوجدت في فيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا. فأخذ أبو الفرج الدمشقي هذا وقال رحمه الله تعالى طويل:

سقى الله ليلا طاب إذ زاد وصلها ... فأفنيته حتى الصباح عناقا

بطيب نسيم منه يستوجب ال كرى ... فلو رقد المخمور فيه أفاقا

واحتجب المتوكل عن ندمائه لرمد عرض له، فكتب إليه الفتح وهو من أظرف ما قيل في الرمد يقول بسيط:

عيناك أجمل من عيني بالرمد ... فاسلم وقيت الردى لآخر الأبد

من ضن عنك بعينيه ومهجته ... فلا رأى الخير في أهل ولا ولد

محمد بن عبد الله بن طاهر كان يقول: أربعة لا يستحى من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجواهر للأبدال، والدواء للاحتياط، والطيب للصيانة.

المنتصر بالله: ما ذل ذو حق وإن أصفق عليه العالم، ولا عز ذو باطل وإن طلع من جبينه القمران.

المعتز بالله، لما حرضته أمه على طلب الثأر من الأتراك الذين قتلوا أباه فأبرزت إليه قميصه وشكت وبكت، فقال لها: ارفعيه وإلا صار القميص قميصين. فما عادت لعادتها بعد ذلك.

عبد الله بن طاهر نادمه المعتز فاستنشده هذين البيتين فقال طويل:

سقتني في ليل شبيه بشعرها ... شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين بال شعر والدجى ... وصبحين من كأس ووجه حبيب

فاستزاده فأنشد طويل:

يقولون آثار وشتى مصائب ... فقلت مقالا ما عليه غبار

إذا سلمت في الناس للمرء نفسه ... وأحبابه فالحادثات غبار." (١)

---

(١) اللطف واللطائف الثعالبي، أبو منصور ص/٤

"أنشد يقول: [طويل]

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي ... أميل بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة ... إذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال: [بسيط]

يا للرجال لقلب ما له آسي ... كيف العزاء وثأري عند جساس

ثم قتله وأنشد: [وافر]

ألم تراني ثأرت أبي كليبا ... وقد يرجى المرشح للذحول

غسلت العار عن جشم بن بكر ... بجساس بن مرة في التبول." (١)

"جميل فقيل له: دونك شبيبا فاثأر منه فقال: [وافر]

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

٤٧٨-كتبت جارية للمتوكل على جبهتها: "هذا ما عمل في طراز فتنة لعباد الله".

٤٧٩-أنشد الأخفش في حداد: [بسيط]

مطارق الشوق منها في الحشا أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ... ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر." (٢)

"يا أمير المؤمنين: أتشهد على إقرارك بما فيه؟

قال: بلى.

قال: خار الله لك يا أبا العباس، فبكى المستعين، وقال:

يا رب إن كنت خلعتني من خلافتك، فلا تخلعنى من رحمتك!

٤٤- المعتز بالله «١»

لما أدخل عليه العدول ليشهدوا، قال:

لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الكسوف! ولما حرضته أمه «قبيحة» على طلب ثأره من الأتراك الذين قتلوا المتوكل، وأبرزت قميصه المضرج بدمه قال لها:

---

(١) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/٧٤

(٢) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/١٧٤

ارفعيه، وإلا صار القميص قميصين، فما عادت لعادتها تلك!

٤٥- المهتدي بالله «٢»

لما أخرج ليبايع لم يكن «المعتز» خلع نفسه بعد ذلك، فقال:

لا يجتمع أسدان في غابة، ولا فحلان في عانة «٣» وقال مرة: عاون على الخير تسلم، ولا تؤخره تندم! فقيل له: هذا بيت شعر، فقال: والله ما تعمدته.

٤٦- المعتمد على الله «٤»

من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه.

وكان يقول: لم يطع الله من عصى سلطانه!." (١)

"مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها

قال ابن السيرافي: النعب: صوت الغراب، والناعب هو الغراب، وقال الأخوص ذلك في حرب كانت بين بطون بني يربوع قتل فيها أبو بدر الغداني. في كلام يشبه هذا لا طائل فيه.

قال س: هذا موضع المثل:

يا ليت حظي منك ذات البرقع

أن لا تضريني وألا تنفعي

لو سكت ابن السيرافي عن تفسير هذا الشعر الذي لم يعرف قضيته ولا نظام أبياته لكان أجدى على مستفيده، وذلك أنه قال: إن هذا الشعر قيل في حرب كانت بين بطون بني يربوع.

وإنما كان القتال بين بني يربوع وبني دارم، فأراد الشاعر بقوله مشائيم بني دارم بن مالك لا بني يربوع. وكان من قصة هذا الشعر، أن ناسا من بني يربوع وبني دارم، اجتمعوا على القرعاء، فقتل بينهم رجل من بني غدانة يكنى أبا بدر، فقالت بنو يربوع: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، فقالت بنو دارم: إنا لا نعرف قاتله، فأقيموا قسامة نعطكم ءقكم، فقالت بنو غدانة: نحن نفعل. فأخرجوا خمسين، فحلفوا كلهم إلا رجلا أن الذي قتل أبا بدر عبيد بن زرعة، فقال الباقي من الخمسين: أليس تدفعون إلينا عبيدا إذا أنا كملت الخمسين؟ قالوا: لا ولكنا نديه لأنا لا ندري من قتله. فقال الباقي عند ذلك - وهو أبو بيض الغداني -: والله لا أكملهم أبدا ولا يفارقنا عبيد حتى نقتله.

(١) الإعجاز والإيجاز الثعالبي، أبو م نصور ص/٨٨

فقام ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، وشيبان بن حنظلة بن بشر بن عمرو فكفلا بعبيد، فدفعته بنو غدانة إليهما، فلما جنهم الليلي قال ضرار وشيبان لعبيد: انطلق حيث شئت.

وغدت بنو غدانة على بني دارم فقالوا لهم: إن صاحبكم هرب، ولكن هذه الدية فاقبلوها من إخوتكم، ولا تطلبوا غير ذلك فتكونوا كجادع أنفه، ولو علمنا مكان صاحبكم قصدنا إليه. فلما سمعهم الأخوص يذكرون الدية قال: دعوني أتكلم، قالوا: تكلم يا أبا خولة. فقال الأخوص:

ليس بيربوع إلى العقل فاقة ... ولا دنس تسود منه ثيابها

فكيف بنوكي مالك إن غفرتم ... لهم هذه أم كيف بعد سبابها

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا بشؤم غرابها

فإن أنتم لم تقتلوا بأخيكم ... فكونوا بغايا بالأكف عيابها

ستخبر ما أحدثتم في أخيكم ... رفاق من الآفاق شتى مآبها

وهي أبيات ذكرت منها ما لا غنى عنه في معنى بيت الكتاب.

قال ابن السيرافي قال الجعدي

وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب

قال: أبو مرحب من بني عمه، وأظنه من بني قشير، يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سبب كان احتاج إليه فيه.

قال س: هذا موضع المثل:

تنحلت نعت الخيل لا أنت قدتها ... ولا قادها جداك في سالف الدهر

لو اقتصر ابن السيرافي على ذكر الإعراب واللغة، ولم يعرض لذكر الرجال والأنساب، لما استهدف للسان الطاعنين، لكن الشقي بكل كف يصفع.

أبو مرحب هنا، الذي يقول لك إذا لقيك: أهلا ومرحبا، وليس غير ذلك. وبيت الجعدي في المعنى مثل بيت الكميت:

يراني في اللمام له صديقا ... وشادنة العسابر رعبليب

ومثل قول الآخر:

رجل صديق ما بدت لك عينه ... فإذا تغيب فاحترس من دعلج

ومثل قول الآخر:

صديق حضارة وصديق عين ... وليس لمن تغيب بالصديق

وقال ابن السيرافي قال أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه

إذا جئت بوابا له قال مرحبا ... ألا مرحب واديك غير مضيق

يخاطب البواب: ألا واديك يا بواب مرحب غير مضيق.

قال س: هذا موضع المثل:

وكيف يرحل من ليست له إبل

كثيرا ما يزل في مثل هذا الاسم من لم يمارس علم النسب، وهو قوله: أبو الأسود الدؤلي، وكذا كان يقوله من تقدم من النحويين، وليس من علمهم.

أخبرنا أبو الندى قال: هو أبو الأسود الديلي. قال: واسمه ظالم بن عمرو ابن سفيان بن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.." (١)

"هذا أرقع ما جاء به ابن السيرافي، ولو كان له حياء لما استحسن لنفسه أن يدخلها في مثل هذا التصحيف الشنيع، ولكن لا دواء لمن لا حياء له.

والصواب: ما بالجزع من ملكان، وملكان: جبل من بلاد بني طيئ، وكان يقال له: ملكان الروم، لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية مرة.

وأنشد أبو الندى رحمه الله:

أبى ملكان الروم أن يشكروا لنا ... ويوم بنعف القور لم يتصرم

قال: ونظير ملكان في الوزن ورقان، وهو الذي يقول فيه الخضري - وهو من بني خضر بن محارب بن خصفة -:

لو أن الشم من ورقان زالت ... وجدت مودتي بك لا تزول

فقل لحمامة الخرجاء سقيا ... لظلك حيث يدركك المقيل

ونظيره أيضا بدلان، وهو الذي ذكره امرؤ القيس:

ليالينا بالنعف من بدلان

---

(١) فرحة الأديب الأسود الغندجاني ص/٢

ونظير ذلك كثير.

وهذه الأبيات قالها عامر بن جوين الطائي في هند أخت امرئ القيس بن حجر، لما هرب من النعمان بن المنذر، ونزل عليه، فأراد عامر الغدر به، فتحول عنه. وهي:

أأظعان هند تلكم المتحمله ... لتحزنني أم خلتي متدلله

فما بيضة بات الظليم يحفها ... ويفرشها زفا من الريش مخمله

ويجعلها بين الجناح ودفه ... إلى جؤجؤ جاف بميثاء حومله

بأحسن منها يوم قالت: ألا ترى ... تبدل خليلا إنني متبدله

ألم تر ما بالجزع من ملكان ... وما بالصعيد من هجان مؤبله

فلم أر مثلها خباسة واحد ... ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

قال ابن السيرافي قال الشماخ

وواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيترب

يترب: موضع على مثال يرمع وهو غير يثرب.

قال س: هذا موضع المثل:

يحيي البيض ويقتل الفراخ

كثيرا ما يلهج ابن السيرافي بالتصحيف الفاحش، ويدع الصريح الصر نقح جانبا.

يترب ها هنا في وزن يرمع كما ذكره ابن السيرافي - تصحيف فاحش، والصواب في هذا البيت يثرب وهي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تسمى في الجاهلية يثرب، وثم جرت قصة عرقوب. فأما يترب وبلاد فهما بلدان قريبان من حجر اليمامة، تجود سهمانها. والبيت من أبيات الشماخ وهي:

أواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وواعدتني عادية بين جولها ... وبين رجاها نصف شأو مغرب

تميل كما مالت على أخواتها ... خرود عذارى في خباء مطنب

وأنشدنا أبو الندى رحمه الله في مواعيد عرقوب - وهو بيت مثل -:

كأن مواعيد القضاعي جاره ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

قال ابن السيرافي قالت ليلى الأخيلية

إن الخليع ورهطه من عامر ... كالقلب ألبس جؤجؤا وحزيما

لا تقربن الدهر آل مطرف ... إن ظالما فيهم وإن مظلوما

قال: تمدح بذلك همام بن مطرف، وهو من ولد الخليع.

قال س: هذا موضع المثل:

إن المحامين عن المجد قلل

معرفة مثل هذا الشعر وما فيه من النسب - عزيز، ليس البيت لليلى الأخيلية، بل هو لحميد بن ثور الهلالي في كلمته التي أولها:

لما تخايلت الحمول حسبتها ... دوما بأيلة ناعما مكموما

وهي أبيات.

ولم يذكر ابن السيرافي الخليع، أنه من أي الناس. وهو من بني عقيل، والخلعاء: عمرو وعامر وعويمر من بني ربيعة بن عقيل، وإياهم عنى الخطيم اللص بقوله:

فلو كنت من رهط الأصم بن مالك ... أو الخلعاء أو زهير بني عبس

إذا لرمت قيس ورائي بالحصى ... وما أسلم الجاني لما جر بالأمس

قال ابن السيرافي قال حميد بن ثور

وما هي إلا في إزار وعلقة ... مغار ابن همام على حي خثعما

قال: هو عمرو بن همام بن مطرف من الخلعاء، كانت خثعم قتلت أباه همام بن مطرف، فأتى نجدة بن عامر الحروري فأظهر له أنه على رأيه، وسأله أن يبعث معه ناسا من أصحابه، فأرسل معه نجدة خيلا، فأغار على خثعم فأصاب منهم فأدرك بثأر أبيه، وصار رأسا في الخوارج. ولما قضى حاجته رجع إلى قومه فنزل فيهم، ثم وضع السيف في النجدية.

قال س: هذا موضع المثل:." (١)

"١٩٤ - الخوصاء (١):

لسبرة بن عمرو الأسدي. قال فيها:

لعمرك لولا أن فيهم هوادة ... لباشرت الخوصاء صدر المقنع

---

(١) فرحة الأديب الأسود الغندجاني ص/١٦

المقنع (٢) فرس قرند (٣). قال أبو الندى:

١٩٥ - الخوصاء: أيضا

فرس توبة بن الحمير الخفاجي (٤).

١٩٦ - خرقة (٥):

فرس الأسود بن قردة السلولي. قال فيها:

ثأرت يزيد من ابن الجنيـ ... ـد فاشكر يزيد ولا تكفر

ذبحت يزيد رئيس الخميـ ... ـس ذبحا وخرقة بي تحضر

وعمرا طعنت فأطلعته ... نقيبا بنجلاء لا تسبر (١٢/أ)

١٩٧ - الخطار (٦):

فرس بشر بن عمرو

---

(١) لم تذكرها كتب الخيل لدي، وهي لسبرة بن عمرو الأسدي في القاموس المحيط (خوص) ٢/ ٣٠٢ والخوص غؤور العينين، والخوصاء كذلك ريح حارة.

(٢) لم يذكره الغندجاني في باب الميم، كما أغفلته المراجع لدي.

(٣) لعله قراد.

(٤) ذكر ذلك كل من: المخصص ٦/ ١٩٦ والقاموس المحيط (خوص) ٢/ ٣٠٢ ووردت الخوصاء لتوبة بن الحمير عند ابن الأعرابي ص ٧٧ بالحاء المهملة وهو تصحيف، حيث أورد فيها قول توبة:

دعا الحوصاء توبة والمنايا ... تساوره وقد خطر النجاء

(٥) لم تذكرها كتب الخيل لدي، وهي للأسود بن قردة في القاموس المحيط (خرق) ٣/ ٢٢٦.

(٦) تفرد الغندجاني بذكره.." [1]

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/٨٧

"٢٠٦ - الخصي (١):

فرس بني قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع.

٢٠٧ - خروب (٢):

فرس ابن النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية التغلبي. قال فيه:

كأن غرة خروب إذا طلعت ... يوم الرهان جبين البدر في الظلم

٢٠٨ - الخنساء (٣):

لعميرة بن طارق اليربوعي. قال فيها:

كررت له الخنساء أثأر توبة ... أوائله مما علمت ويعلم (٤)

٢٠٩ - الخضراء (٥):

لسالم بن عدي الشيباني من بني هند. قال فيها:

فلو كانت الخضراء عندي ومارن ... لدى الحي مركوز وأبيض صارم

أداة امرىء في الحرب كان استعدها ... لأبت على عوداء خيل ابن عاصم

---

(١) لم تذكره كتب الخيل لدي، واكتفى القاموس المحيط (الخصى) ٤/ ٣٢٤ بالقول: «وكغني فرسان».

(٢) لم تذكره كتب الخيل لدي. وهو للنعمان بن قريع في القاموس المحيط (خرب) ١/ ٦٠ والخروب نوع من الشجر.

(٣) لم تذكرها كتب الخيل لدي. وهي لعميرة بن طارق اليربوعي في القاموس المحيط (خنس) ٢/ ٢١٢ والخنساء البقرة الوحشية.

(٤) كذا البيت في الأصل، ولم أجده في المصادر لدي. .

(٥) لم تذكرها كتب الخيل لدي. وهي لسالم بن عدي في القاموس المحيط (خضر) ٢/ ٢١.." [1]

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/٩١

"أتجعل نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع

أراد: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والأقرع بن حابس (٢٤/أ).

٤٥٧ - العذبات (١):

فرس يزيد بن سبيع بن حنيف بن مالك بن سبيع بن عمرو بن قميئة بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان، قتلته بنو نصر، فقال قطنة بن أوس من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان:

ثأرنا فارس العذبات منهم ... ومن يرجو الخلود فلا خلودا

٤٥٨ - العرادة (٢):

لابن الكلحبة، واسمه هبيرة بن عبد مناف اليربوعي، والكلحبة أمه.

قال:

= صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك ما أمر به الرسول (ص) من قطع لسانه. وورد الخبر مفصلا في خزانة البغدادي ١/ ٧٣ - ٧٤ حيث أشار إلى أن العباس بن مرداس كان من المؤلفة قلوبهم، فكان الرسول (ص) يتألفهم ويتألف بهم قومهم إذ كانوا أشرافا. وأبيات العباس عنده سبعة هي:

١) أتجعل نهبي ونهب العبيـ ... ـد بين عيينة والأقرع

٢) وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع

٣) وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

٤) وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئا ولم أمتع

٥) الا أفائل من حربة ... عديد قوائمه الأربع

٦) وكانت نهابا تلافيتها ... بكري على المهر في الأجرع

٧) وإيقاظي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع

وانظر الخبر والأبيات كذلك في العيني على هامش الخزانة ٤/ ٣٦٥،٦٩ وما بعدها.

(١) لم تذكرها كتب الخيل لدي، وهي ليزيد بن سبيع في القاموس المحيط (عذب) ١/ ١٠٢ ومن معانيها ما

يسبل للعمامة من خلفها، ونوع من الشجر ج عذبة.

(٢) وردت لهبيرة بن عبد مناف في أنساب الخيل ص ٤٧ - ٤٨ وابن الأعرابي ص ٦٣ في خيل بني حنظلة وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٥٥٤ والعمدة ٢/ ٢٣٥ وحلية الفرسان ص ١٥٥ =." [1]

"وخبرت العصا الأنباء عنه ... ولم أر مثل فارسها هجينا (١)

وفيها جرى المثل: «يا ضل ما تجري به العصا» (٢).

والمثل الآخر: «خير ما جاءت به العصا» (٣).

٤٦٥ - العصا (٤):

فرس شبيب بن عمرو بن كريب الطائي. قال فيها:

لما أن رأيت ابني شميط ... بسكة طيىء والباب دوني

تجللت العصا وعلمت أني ... رهين مخيس إن أدركوني

وأني لو نظرتهما قليلا ... لجراني إلى شيخ بطين

٤٦٦ - العصا (٥):

فرس عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. قال عوف:

نصبت لهم صدر العصا إذ لقيتهم ... كأن العوالي للعصا كن موعدا

= العصية» والعصية فرس لإياد لا تجارى. وهي لجذيمة الأبرش في خيل الأصمعي ص ٣٨١ ونوادر القالي ص ١٨٥ والعمدة ٢/ ٢٣٥ وحلية الفرسان ص ١٥٩ حيث أشار إلى أنها «فرس جذيمة بن مالك الأزدي ملك الحيرة في أول الزمان قبل بني المنذر بدهر، وهو جذيمة الأبرش الذي قتلته الزباء، ونجا قصير على فرسه العصا فأخذ بثأره بعد ذلك، وقتل الزباء في حديث طويل» وانظر جمهرة الأنساب ص ٣٧٩ ومجمع الأمثال (١٢٥٠) ١/ ٢٣٣ والعصا لجذيمة في جواب السائل ص ٣٠ والقاموس المحيط (عصو) ٤/ ٣٦٣

(١) ورد البيت لعدي بن زيد في أنساب الخيل ص ٩٤.

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/١٦٥

(٢) قاله عمرو بن عدي لما راى العصا وعليها قصير. ومعناه يا قوم ما أضل ما تجري به العصا. وهو في مجمع الأمثال برقم (٤٦٤٣) ج ٢/ ٤١١.

(٣) قالته العرب، ورد في مجمع الأمثال ١/ ٢٣٤ في ثنايا خبر جذيمة والزباء.

(٤) وردت العصا في البيان والتبيين ٣/ ٦٦ لشبيب بن كعب الطائي، ولبعض اللصوص من طيء في شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٢٩ مع الأبيات مقرونة بخبرها مفصلا وبلا نسبة في القاموس المحيط (العصا).٤/ ٣٦٣.

(٥) وردت العصا لعوف بن الأحوص عند ابن الأعرابي ص ٨٠ في خيل هوازن وفي البيان والتبيين ٣/ ٦٦ والمخصص ٢/ ١٩٦ واللسان (عصا) ١٥/ ٦٨.." (١)

"٤٧٩ - العلاة (١):

فرس الحارث بن التوأم.

٤٨٠ - العزلاء (٢):

لبني جعفر بن كلاب. قال شتيم بن خويلد الفزاري:

ألا هل أتى أفناء قيس وخندف ... بما لقيت كعب وحي كلاب

فريق على عزلاء يمرون أيره ... ومنهم فريق متعوا بركاب

فإنا كذا كم يحمل القوم خوفنا ... على آجنات الماء غير عذاب

٤٨١ - عقرب (٣):

فرس عتبة بن رحضة الغفاري. قال فيها:

أحث إليهم عقربا وكأنها ... بأسفل ذي ودان فرخ مقصب

٤٨٢ - علوى (٤):

لخفاف بن ندبة. قال خفاف:

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ال أ سود الغندجاني ص/١٦٨

(١) لم تذكرها كتب الخيل لدي، وهي بلا نسبة في القاموس المحيط (علو) ٤/ ٣٦٦ ومعناها السندان.

(٢) وردت في أنساب الخيل ص ١٣١ بلا نسبة، وهي لبني جعفر بن كلاب في القاموس المحيط (عزل) ٤/ ١٥.

(٣) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو لعتبة بن رحضة في القاموس المحيط (عقرب) ١/ ١٠٧.

(٤) وردت لخفاف بن عمير وأمه ندبة عند ابن الأعرابي ص ٧٤ في خيل بني سليم. وأورد فيها قوله يوم قتل مالك بن حمار الفزاري:

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

نصبت لهم علوى وقد خام صحبتي ... لأوثر مجدا أو لأثار هالكا

فقلت له والرمح يأطر متنه ... تأمل رويدا إنني أنا ذلكا

وهو لخفاف بن عمير في المخصص ٢/ ١٩٦ واللسان (علا) ١٥/ ٩٥ وقد ظنهما اثنين بقوله: «علوى فرس خفاف بن ندبة وهي التي يقول فيها. . وقيل: علوى فرس خفاف بن عمير. وأضاف قائلا: قال الأزهري: وعلوى اسم فرس كانت من سوابق خيل العرب» وهي بلا نسبة في القاموس المحيط (علو) ٤/ ٣٦٦.." [1]

"وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثار هالكا

٤٨٣ - عوسج (١):

فرس طفيل بن شعيب الكلبي.

٤٨٤ - العقاب (٢):

لحميضة بن سيار الفزاري. قال فيها:

أبلغ معاوية الحريش فإنني ... أتبعت كل قبيلة أقتالها

لولا العقاب وحيدتي لعنانها ... ألقت مزينة باللوى أثقالها

٤٨٥ - العود (٣):

لأبي ربيعة بن ذهل. قال لغلام له يقال له علوان:

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/١٧٢

أعل بها علوان قد علوتا

لم يجعل الله لإبل فوتا

والعود تحتي أو يذوق الموتا

٤٨٦ - عرقوب (٤):

لزيد الفوارس الضبي. قال عبد الله بن عنمة الضبي:

فازجر حمارك لا يرتع بروضتنا ... إذن يرد وقيد العير مكروب (٢٦/أ)

ولا يكونن كمجرى داحس لكم ... في غطفان غداة الشعب عرقوب (٥)

---

(١) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو فرس طفيل بن شعيث في القاموس المحيط (عسبح) ١/ ١٩٩ وعوسج شوك.

(٢) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو بلا نسبة في القاموس المحيط (عقب) ١/ ١٠٦.

(٣) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو لأبي ربيعة بن ذهل في القاموس المحيط (عود) ١/ ٣١٨ ومن معانيه القديم في السؤدد.

(٤) ورد لزيد الفوارس عند ابن الأعرابي ص ٥٨ في خيل ضبة، والمخصص ٢/ ١٩٥ وبلا نسبة في القاموس المحيط (عرقوب) ١/ ١٠٣.

(٥) البيتان لعبد الله بن عنمة الضبي في شرح الحماسة للمرزوقي ق ١٩٠/ ٦،٤ ج ٢/ ٥٨٦=." [1]

"يقول: أتنمعم علي هذه المحبوبة التي كالظبية بالعودة الثانية إلى الوصال، التي كان إعطاؤها مرة واحدة لا ثاني لها؟ فكان وصلها كالوسمي الذي لا يتبعها الولي. فجعل الوسمي مثلا للأول، والولي مثلا للعودة.

ترشفت فاها سحرة فكأنني ... ترشفت حر الوجد من بارد الظلم

إنما خص السحرة، لأنه وقت تغير الأفواه ونكهاتها، والظلم: ماء الأسنان، وبريقها.

يقول: مصصت فاها وقت السحر، فكأنني مصصت حر الوجد من أسنان بوارد. يعني: لما استعذبت ازددت عشقا، فازداد بذلك وجدي، وحصل حر الوجد في قلبي، والبرودة في فمي، كما قال في موضع آخر وهو:

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/١٧٣

بفي برود وهو في كبدي جمر!

فتاة تساوي عقدها وكلامها ... ومبسمها الدري في الحسن والنظم

يقول: تشابهت منها ثلاثة أشياء وهي: عقدها المنتظم من الدر، وكلامها الشبيه: الدر، وثغرها الذي تبسمت عنه كالدر فهي مشابهته في حسنها ونظامها وهو أبلغ من قول البحتري:

فمن لؤلؤ تبديه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

لأنه زاد عليه ذكر العقد.

ونكهتها والمندلي وقرقف ... معتقة صهباء في الريح والطعم

المندلي: أراد به العود. والقرقف: الخمر. والصهباء: البيضاء المشربة حمرة، وهي صفة الخمر.

يقول: هذه الثلاثة أيضا متشابهة وهي الرائحة: فمنها العود الذي يبخر به، ومنها الخمرة الصافية فهي متشابهة في الريح والطعم فللعود نكهتها، وللخمر طعمها، ورائحة فمها.

جفتني كأني لست أنطق قومها ... وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

الشهب: الخيل البيض. والدهم: السود.

يقول جفتني هذه المرأة كأني لست أنطق قومها نظما ونثرا، وكأني لست أطعنهم إذا إلا على خيل دهم وشهب، وعذار قد اسودت فكأنها دهم، فكأنه يقول: لست ذليلا في قومها مذموما جبانا حتى تجفوني.

يحاذرني حتفي كأني حتفه ... وتنكزني الأفعى، فيقتلها سمي

النكزة: الغرزة بشيء مثل الإبرة. يقال: نكزته الأفعى: إذا غرزته ولم تعضه يقول: يخاف من موتي كأني موت للموت! وتنكزني الأفعى فتموت! فكأني قتلتها بسمي، حتى كأني دونها، وكل ذلك إشارة إلى قوته وشجاعته.

طوال الردينيات يقصفها دمي ... وبيض السريجيات يقطعها لحمي

الردينيات: الرماح والسريجيات: السيوف. ويقصفها: يكسرها.

يقول: إن الرماح والسيوف لا تؤثر في أبدا، ولحمي ودمي يؤثران فيها، ويكسرانها ويقطعانها. وقيل: أراد: أني عزيز في قومي. فمن أراد قتلي كثر الضرب والطعن عليه، في طلب ثأري، حتى تكسر الرماح والسيوف عليه.

برتني السرى برى الدى فرددنني ... أخف على المركوب من نفسي جرمي

السرى: مؤنثة، وقد جعلها جمعا للسرية؛ فلذلك قال: رددنني، والأولى في أخف الرفع؛ لأنه وما بعده جملة من مبتدأ وخبر، فهو وإن وقع موقع الحال فلا يتغير الإعراب من حيث الصورة، ويجوز فيه النصب على بعض

الوجوه.

يقول: أنحفتني السرى حتى قطعتني كقطع السكاكين فتركتني خفيفا غاية الخفة، حتى كأني على المركوب أخف جرما من نفسي؛ لأنه من أخف الأشياء.

وأبصر من زرقاء جو لأنني ... إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

زرقاء جو: هي زرقاء اليمامة، وكانت موصوفة بحدة البصر وقد روى شأواهما علمي: وهي تثنية الشأو، وهو الغاية. أي غايتهما علمي والتثنية للعينين أي سابقهما وهو فاعل من شاء إذا سبق وروى سأواهما علمي يقول ردني السرى خفيفا بصيرا أبصر من هذه المرأة؛ لأنها أبصرت بعينها، وأنا أبصر بالقلب والعلم. علمي يسبق نظر عيني فقبل إبصار العينين تبصر عيني كما هو عليه.

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها ... كأني بني الإسكندر السد من عزمي

يقول: كأنني من خبرتي، ومعرفتي بالأرض، دحوت الأرض لكثرة ترددادي بها، وكأن الإسكندر بنى سد يأجوج ومأجوج من عزمي؛ لقوته، ورفعته، ومضائه في الأمور.

لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه ... فأبدع حتى جل من دقة الفهم

أي كأن الإسكندر بنى السد من عزمي الذي صممته على قصد ابن إسحق وكأني دحوت الأرض من خبرتي بها لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه وعظم إبداعه حتى ارتفع أن يوصف بدقة الفهم. وهو المراد بقوله: حتى جل عن دقة الفهم. وقيل: برتني السرى بري المدى لألقى هذا الرجل.." (١)

"فليس بواهب إلا كثيرا ... وليس بقاتل إلا قريعا

القريع: السيد الشريف.

يقول: إن الممدوح لا يهب إلا كثيرا، وإذا قتل، لا يقتل إلا سيدا شجاعا كريما مقارعا.

وليس مؤدبا إلا بنصل ... كفى الصمصامة التعب القطيعا

كفى: يتعدى إلى مفعولين: أحدهما التعب، والثاني القطيع، وهو السوط. تقديره: كفى الصمصامة القطيع التعب.

يقول: إنه لا يؤدب إلا بسيف فيقيمه في التأديب مقام السوط، فيكفي السوط التعب والعناء.

علي ليس يمنع من مجيء ... مبارزه ويمنعه الرجوعا

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٦٧

يقول: إنه لا يمنع مقاتله من المجيء إلى قتاله ونزاله، ولكنه إذا أراد أن ينصرف، منعه من الانصراف بقتله، فينتفي الرجوع.

علي قاتل البطل المفدى ... ومبدله من الزرد النجيعا

المفدى: الذي يفديه كل واحد من الناس، لشجاعته. والزرد: الدرع. والنجيع: الدم الطري. وقيل: دم الجوف.

يقول: إنه يقتل البطل الذي يفديه الناس لشجاعته، ويسلبه درعه ويلبسه بدل الدرع الدم الطري، الذي يخرج منه بالضرب والطعن.

إذا اعوج القنا في حامليه ... وجاز إلى ضلوعهم الضلوعا

في حامليه: يجوز أن يريد به، المطعونين. ومعناه: إذا صارت الرماح معوجة في المطعونين، ونفذ ذلك الرمح من ضلع إلى ضلع آخر، أي يخرج من جانب إلى جانب آخر، من هذا المطعون إلى مطعون آخر، وجواب هذا الكلام، بعد البيت الذي يليه. ويجوز أن يريد بحامليه: أعداء الحاملين للرمح. وإنما خص الرمح؛ لأن طعن الرمح أدل على الفروسية والشجاعة، لأنه يقابل مثل سلاحك.

ونالت ثأرها الأكباد منه ... فأولته اندقاقا أو صدوعا

الهاء: في منه ترجع إلى لفظ القنا وكذلك أولته. وفي ثأرها للأكباد.

يقول: إذا اعوج القنا، وانصدع واندق في الأكباد، فكأن الأكباد نالت ثأرها من الرماح بهذا الاندقاق فأعطت الأكباد القنا اندقاقا أو صدوعا.

فحد في ملتقى الخيلين عنه ... وإن كنت الغضنفرة الشجيعا

إن استجرأت ترمقه بعيدا ... فأنت اسطعت شيئا ما استطيعا

وروى: الخبعثنة فحد: أمر حاد يحيد، إذا تأخر عن المحاربة: والهاء في عنه: للممدوح، والغضنفرة: من صفات الأسد.

يقول: إذا اشتدت الحروب، واعوج القنا، ونالت الأكباد ثأرها من الرماح، فحد عنه، يا من يريد مبارزته عند التقاء الجيشين، وإن كنت أسدا شديدا شجاعا، فإنه يقتلك لا محالة فتهلك.

وإن ماريتني فاركب حصانا ... ومثله تخر له صريعا

أي: إن خاصمتني، أو شككت في قولي روى: حصانا وجوادا وصريعا نصب على الحال.

يقول: إن خاصمتني أو شككت في إخباري من حال هذا الممدوح، فاركب فرسا جوادا ومثله في قلبك نصب

عينيك، وإن كان غائبا عنك فإنك تسقط من هيبته هالكا.

غمام ربما مطر انتقاما ... فأقحط ودقه البلد المريعا

البلد المريع، والممرع: هو الخصيب والمخصب وزنا ومعنى.

يقول: إنه غمام يمطر خيرا ونعمة إلا أنه ربما يمطر انتقاما فيقحط قطره البلد الخصيب.

رآني بعد ما قطع المطايا ... تيممه وقطعت القطوعا

رأى: فعل الممدوح، وتيممه: فاعل قطع. والمطايا: مفعوله. وقطعت: فعل المطايا. والقطوع: مفعوله. وهو جمع القطع، وهو الطنفسة على ظهر البعير.

يقول: رآني الممدوح، بعد ما قطع المطايا، وأتبعها سيري إلى الممدوح وقصدي إياه، وقطعت المطايا الطنافس التي عليها؛ لطول ملازمتي لها؛ وكل ذلك لطول الطريق وبعد المسافة ومقاساة الشدائد. يذكر ذلك توصلا إلى فضل عطاياه.

فصير سيله بلدي غديرا ... وصير خيره سنتي ربيعا

يقول: لما رآني أعطاني إعطاء واسعا، حتى جعل سيله بلدي غديرا: وهو مقر الماء. وصير خيره سنتي كلها ربيعا؛ لأنه أفضل فصول السنة.

وجاودني بأن يعطي وأحوى ... فأغرق نيله أخذي سريعا

جاود: فاعل من الجود.

يقول: جاد علي بالعطاء وجدت عليه بالاحتواء والأخذ فجعل أخذه منه جودا، لأنه كان يعد أخذه نعمة من جملة النعم عليه، فأغرق نيله وإعطاؤه أخذي بسرعة: أي لم يبلغ أخذي عطاؤه، فكأنه غرق أخذي.

أمنسي السكون وحضرموتا ... ووالدتي وكندة والسبيعا." (١)

"المعنى: لهذا الممدوح، أو لقومه محامد ومفاخر، قد استفرغت شعري في وصفها ليملأها شعري، فآل عن أجزاء ما امتلأت المحامد منه، ولا فني شعري أيضا فأنا أبدا أمدحهم، فلا شعري ينفد، ولا هو يبلغ كنه وصفهم.

مكارم لك فت العالمين بها ... من يستطيع لأمر فائت طلبا

فت: أي سبقت.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٧٦

يقول: لك مكارم سبقت جميع الخلق بها فلم يدركوا فيها شأوك، ولا يقدر أحد على رده ولا طلبه.

لما أقمت بأنطاكية اختلفت ... إلي بالخبر الركبان في حلبا

أنطاكية على مسيرة يومين من حلب.

يقول: لما أقمت بأنطاكية تزودت الركبان بالخبر من عندك، وأنا بحلب، فذكروا وصولهم إلى النعم الجزيلة والأيادي الجميلة.

فسرت نحوك لا ألوي على أحد ... أحث راحلتي: الفقر والأدبا

نصب الفقر والأدب؛ لأنهما بدل من راحلتي.

يقول: لما عرفت الحال سرت نحوك غير ملتف إلى أحد من الناس دونك، وحثثت نحوك راحلتين: وهما الفقر والأدب، لتزيل عني الفقر وتشرفني بالإكرام لأجل الأدب.

أذاقني زمني بلوى شرقت بها ... لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

الانتحاب، والنحيب: تردد البكاء في الصدر، والهاء في بها وذاقها: للبلوى. وبكى، وعاش، وانتحب: فعل الزمن.

يقول شاكيا من زمانه: إنه أذاقني من بلاه ومحنه ما نشب في حلقي فشرقني، ولو ذاق الزمان ما أذاقني، لبكى وانتحب ما عاش!

وإن عمرت جعلت الحرب والدة ... والسهمري أخا والمشرفي أبا

يقول: إن طال عمري جعلت الحرب والدتي؛ فأعتني بأمرها كما يعتني الرجل بأمر والدته، والرمح أخا والسيف أبا: يعني لازمت الحرب، والرمح والسيف، كما يقال: فلان ابن بجدة هذا الأمر، وفلان أخو فلوات، وأراد: في إدراك ثأري من الزمان وأهله.

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما ... حتى كأن له في قتله أربا

الأرب: الحاجة. وبكل رجل أشعث: أي أغبر معاود للحرب، يلقى الموت وهو ضاحك، حتى يظن أن له حاجة في أن يقتل. والمراد بالموت: علاماته. ومثله لأبي تمام:

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

قح يكاد صهيل الجرد يقذفه ... عن سرجه مرحا بالعز أو طربا

القح: الخالص من كل شيء، والجرد: جمع أجرد، وجرداء: وهو القصير الشعر، وقيل: هو الذي يتجرد من

الخيل ويسبقها.

يقول: بكل أشعث خالص في نسبه عربي يكاد يرميه صهيل الخيل عن سرجه مرحا وشوقا إلى الحرب، سرورا بالموت.

الموت أعذرلي، والصبر أجمل بي ... والبر أوسع، والدنيا لمن غلبا

يقول: إن الموت يعذرني إذا قتلت شوقا إليه، والصبر أجمل بالحر من احتمال الضيم، والبر أوسع بمن يريد العز إن لم يكن في هذا الموضع يطلبه في موضع آخر، والدنيا لمن غلب. وجميع البيت مثل ضربه.

وقال أيضا يمدحه ويذم الزمان:

فؤاد ما تسليه المدام ... وعمر مثل ما يهب اللئام

فؤاد: خبر ابتداء محذوف، وتقديره: فؤادي فؤاد، وهذا فؤاد، وكذلاك في قوله: وعمر. وما الأولى للنفي، والثانية: بمعنى الذي. واللئام: جمع لئيم، وهو من يجمع ثلاثة أحوال: البخل، ومهانة النفس، والدناءة في الأصل.

يصف بعد همته وعلو قدره وعزة مطلبه فيقول: إن فؤادي لا يغلبه شرب الخمر، ولا يسليه السكر عما يطلبه من الشرف والعلو، ولي عمر منكد منغص مثل هبة اللئيم التي تكون منغصة حقيرة؛ فلقصر عمر أخاف ألا أدرك مطلوبي وقيل غرضه في ذلك شكاية حاله، وضيق صدره، وقصر عمره، وتنغيص حياته، وإنه صار إلى حد لا يسليه الشراب. هذا مثل قصار الهمم، وإن كانوا طوال العمر.

ودهر ناسه ناس صغار ... وإن كانت لهم جثث ضخام

الجثث: جمع الجثة، وهي شخص الإنسان ما دام حيا جالسا أو نائما، فإذا كان قائما فهو قامة.

يذم أهل الدهر فيقول: إن الدهر دهر، أو هذا دهر، أهله صغار، ليس لهم همة مع عظم أجسامهم، التي هي مثل: جسم البغال وأحلام العصافير وهذا مثل.

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

الرغام والرغام: التراب.." (١)

"أحامقه حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وكلمة في طريق خفت أعربها ... فيهتدي لي فلم أقدر على اللحن

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٨٥

اللحن بالسكون: العدول بالكلام عن ظاهره. كقوله تعالى: " ولتعرفنهم في لحن القول " أي بتعريضهم في القول. واللحن بالتحريك: الخطأ في الإعراب.

يقول: رب كلمة خفت في إظهارها، فلم أقدر على أن ألحن فيها؛ لأني مطبوع على الصواب في الإعراب.

قد هون الصبر عندي كل نازلة ... ولين العزم حد المركب الخشن

يقول: قد جعل الصبر كل بلية تنزل بي خفيفة هنية، وأمضيت عزمي فيما أردت، فلين لي كل صعب خشن.

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة ... وقتلة قرنت بالذم في الجبن

القتلة بالفتح: المرة الواحدة. وبالكسر: اسم للحالة. والفتح الوجه الوجيه ها هنا.

يقول: كم شجاع خاض الهلاك فتخلص منه، واكتسب علا وذكرا حسنا، وكم جبان في الحرب لم ينفعه حذره، فقتل واكتسب به مع قتله ذما.

لا يعجبن مضيما حسن بزته ... فهل يروق دفينا جودة الكفن

المضيم: الذي أصابه الضيم. والبزة: اللباس.

يقول: إن الذليل لا يعجبه حسن لباسه، مع كونه ذليلا، فإنه بمنزلة الميت المكفن في ثياب جيدة، كما أنه لا ينفع الميت جودة الكفن وحسنه، فكذلك لا ينفعه حسن بزته.

لله! حال أرجيها وتخلفني ... وأقتضي كونها دهري ويمطلني

رجوت الأمر ورجيته بمعنى. ولله!: تعجب. ودهري: مفعول أقتضى.

يقول: ما أعجب حالا لا أزال أرجوها، فلا أصل إليها، وهي تخلفني وأنا أقتضي أبدا بكونها، وأطالب بحصولها، والدهر يدافعني بها ويمنعني عنها.

مدحت قوما وإن عشنا نظمت لهم ... قصائدا من إناث الخيل والحصن

الحصن: جمع حصان، وهو الكريم من الفرس الذكر. وروى: من حجور الخيل: وهي الفرس الأنثى الكريمة.

يقول: مدحت قوما رجاء في العطاء، فلو عشت نظمت لهم قصائد من الخيل. وأراد به جمع الجيوش، ولما جعلها قصائد قال: نظمت.

تحت العجاج قوافيها مضمرة ... إذا تنوشدن لم يدخلن في أذن

المضمرة: الخيل الخفيفة اللحم. وأراد بالقوافي: الخيل؛ فلذلك قال: مضمرة وبين أنها تخالف سائر القوافي، لأنها لا تدخل في الأذن.

فلا أحارب مدفوعا إلى جدر ... ولا أصالح مغرورا على دخن

الدخن: الدخان، وأراد به الغش. ومدفوعا ومغرورا: نصب على الحال من أحارب، وأصالح.

يقول: لا أحارب منهم، وأنا مدفوع إلى حصن، وملتجىء بدار، بل أحاربه في الفضاء، وإن صالحت أحدا منهم لا أصالحه إلا بعد الثقة، فلا أصالحه وأنا مغرور بظاهره حتى أعلم حقيقة أمره، وأن باطنه كظاهره.

والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم " هدنة على دخن " وقيل: أراد لا أترك شيئا في صدري ولا أقعد عن ثأري، ولا أبقى غاية من التشفي إلا بلغتها.

مخيم الجمع بالبيداء يصهره ... حر الهواجر في صم من الفتن

خيم بالمكان: إذا ضرب خيامه فيه. وصهرته الشمس وصهدته وصفرته: إذا أذابت دماغه. وقيل: إذا أحرقته.

والهاجرة: عند انتصاف النهار في الصيف ومخيم: نصب على الحال. أي أفعل ذلك في هذه الحالة. والصم: جمع أصم، وهو الصلب، وأراد بالفتن: الحروب.

يقول: إني أحارب من أحارب في فضاء، وأضرب خيمي بها، وأقاسي حر الشمس، وأثير الفتن الشدائد. والضمير في يصهره: للجمع.

ألقى الكرام الأولى بادوا مكارمهم ... على الخصيبي عند الفرض والسنن

الأولى: بمعنى الذين.

يقول: إن الكرام الذين ماتوا تركوا مكارمهم على الممدوح، فمكارمهم موجودة فيه وهو يتصرف فيها كما يشاء.

فهن في الحجر منه كلما عرضت ... له اليتامى بدا بالمجد والمنن

يقول: إن المكارم صارت في حجره، لما مات عنها الكرام فتكفل هو بحفظها، فكلما عرضت له اليتامى، وهي التي في حجره لينظر فيها، بدأ بالمجد: وهو الكرم والمنن، فقدم النظر في مصالح اليتامى التي مات عنها الكرام، وألقوها عليه.

قاض إذا التبس الأمران عن له ... رأي يخلص بين الماء واللبن

قاض: في موضع رفع، أي هو قاض. وعن: أي ظهر.

يقول: إذا التبس الأمر واختلط، ظهر له رأي نافذ، بحيث يمكن أن يفصل بين الماء واللبن.
غض الشباب بعيد فجر ليلته ... مجانب العين للفحشاء والوسن." (١)
"منافعها ما ضر في نفع غيرها ... تغذى وتروي أن تجوع وأن تظما
تقدير البيت: منافعها ما ضرها في نفعها، غير محذوف العائد إلى ما وأضاف المصدر إلى المفعول. وحذف الفاعل كقوله تعالى: " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ". أي من دعائه الخير، وقوله: " بسؤال نعجتك ". أي سؤاله نعجتك.
يقول: إن منافع هذه المرأة فيما يضرها عند نفع غيرها. يعني: أنها كانت تضر بنفسها لتنفع غيرها، وإن ذكل كان نفعا لها، لأنها كانت تؤثر غيرها على نفسها فتجوع وتظمأ، فكأن جوعها إذا أشبعت غيرها يقوم لها مقام غذائها، وكذلك عطشها إذا أروت غيرها يقوم مقام ارتوائها. والمصراع الثاني تفسير الأول.
وقال ابن جنى: إن الهاء في منافعها للأحداث أي منافع الأحداث فيما يضر غيرها وبأن تجوع وتظمأ، وهذا ضار لغيرها. يعني: أنها تريد أن تهلك الناس فتخلوا منهم الدنيا. كما قال:
كالموت ليس له ري ولا شبع
وقيل: إن في بمعنى ،اللام، أو بمعنى مع.
عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزدني بها علما
ما بمعنى المصدر: أي قبل صنعها بنا. وقيل: بمعنى الذي.
يقول: كنت عرفت الليالي وسوء صنيعها قبل وقوع ما أوقعت، فلما أوقعت ما أوقعت، وابتلتنا بموت الجدة، لم تصبني الليالي بشيء لم أعرفه من أحوالها، ولم تزدنا علما بسوء تصرفها.
أتاها كتابي بعد يأس وترحة ... فماتت سرورا بي، فمت بها غما
نصب سرورا وغما على المفعول له.
يقول: إن كتابي أتاها بعد ما يئست مني، وحزنت على فراقي، فماتت سرورا بي ومت من الغم الذي حصل لي بموتها.
حرام على قلبي السرور فإنني ... أعد الذي ماتت به بعدها سما
يقول: إن السرور حرام على قلبي؛ لأن موتها كان بالسرور! وذلك عندي كالسم. لما كان سبب موتها هو

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٤٦

السرور، ولا ينبغي لأحد أن يقرب السم من قلبه.

تعجب من خطي ولفظي كأنها ... ترى بحروف السطر أغربة عصما

العصم: جمع أعصم، وهو الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وقيل: هو الذي إحدى رجليه بيضاء، وذلك لا يكاد يوجد.

يقول: إنها تعجبت من كتابي! وكانت تنظر إليه وتكرر النظر اشتياقا إلي واستعجابا؛ لأن عندها أني قد مت، فكأنها ترى غرابا أعصم؛ لفرط التعجب.

وتلثمه حتى أصار مداده ... محاجر عينيها وأنيابها سحما

السحم: السود. والمحاجر: ما حول العينين.

يعني: أنها لم تزل تقبله وتمسح به على وجهها وعينيها وهي تبكي، حتى اسودت أنيابها ومحاجرها.

رقا دمعها الجاري وجفت جفونها ... وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى

رقا: أي انقطع.

يعني: أنها كانت تبكي علي وتحزن بسببي، فأراحها الموت من البكاء علي والوجد بي، فجفت دموعها وفارق حبي قلبها بموتها بعد ما كان جرحه وأسال دمه.

ولم يسلها إلا المنايا، وإنما ... أشد من السقم الذي أذهب السقما

يقول: لم يصبرها عني إلا الموت، الذي هو أشد من السقم الذي كان بها؛ لأن السقم يزيل الصحة، والموت يزيل الحياة ويبطلها.

طلبت لها حظا، ففاتت وفاتني ... وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

يقول: طلبت لها حظا بالعود إلى العراق، واستدعائها إلي حيث كنت.

وقيل: طلبت لها بالمفارقة والغربة حظا من الدنيا، فقد ماتت هي وفاتني ذلك الحظ المطلوب! الذي هو لقاؤها أو غيره. وقد كانت راضية من الدنيا كلها بمقامي عندها، لو كنت أرضى لها بذلك القسم، لكن لم أرض لها بما رضيت لنفسها.

وقد روى: لو رضيت بضم الراء: ومعناه أنها كانت راضية بي لو رضي الله تعالى بي لها، وأن أكون عندها، ولكنه لم يرض بذلك.

فأصبحت أستسقيي الغمام لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

يقول: كنت قبل موتها أطلب لها الحظ بالقنا والحرب، وأدفع بالقتال والقوة والشجاعة، وكنت أدعو القنا لصب الدماء، فلما ماتت! عدت أدعو لقبرها وأستسقي الغمام له. على ما جرت به عادة العرب.

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

يقول: كنت أستعظم النوى. أي فراقها، وهي سالمة، فالآن صار النوى الذي كنت أستعظمه صغرى، من حيث الموت.

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى؟." (١)

"يقول: لو كان موتك على يد عدو، لكنت آخذ الثأر منه، ولكنني لا أقدر على أخذ الثأر من الحمى التي قتلتك.

وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا أراك به أعمى

يقول: ما انسدت الدنيا علي لضيقها، ولكن بسبب فقدك، والعين التي لا أراك بها عمياء، فلذلك انسدت علي الدنيا وضاقت

فوا أسفا ألا أكب مقبلا ... لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما

أراد باللذي: اللذين، فحذف النون لطول الاسم. وهو مثل قول الأخطل:

أبني كليب إن عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وأكب: إذا أقبل على الشيء.

يتأسف على فوته الانكباب على رأسها وصدرها مقبلا ووصفها بأنها كانت ذات حزم ورأى، والحزم: جودة الرأي.

وألا ألاقي روحك الطيب الذي ... كأن ذكي المسك كان له جسما

أصله: أن لا ألاقي، فسكن ضرورة. والروح: يذكر في الأغلب وقد يؤنث. والذكي: الذي رائحته حادة.

يتأسف على فوته الملاقاة بها ليلقى روحها، ثم وصف الحب الذي هو قالب الروح بأنه كان من ذكي المسك.

وقيل: تأسف أنه لم يمت فيلقى روحها في الأرواح.

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

الضخم: هو الشريف العظيم القدر.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٤٩

يقول: لو لم يكن لك أب شريف، لكان كونك لي أما يشرفك، ويغنيك عن شرف الآباء.

لئن لذ يوم الشامتين بموتها ... فقد ولدت مني لآنفهم رغما

يقول: لئن سرت الأعداء بموتها. أي يوم موتها فإن لقائي سيفهم، لأنها ولدت رجلا يرغم أنفهم ويذلهم.

تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما

يذكر نفسه ويقول: إنه تغرب، لا يستعظم أحدا إلا نفسه!! ولا يرى أحدا فوقه! ولا يرضى بحكم أحد إلا بحكم الله تعالى.

ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة ... ولا واجدا إلا لمكرمة طعما

يقول: لم يزل في تغربه سالكا، وسط غبار الحرب، ولا يلتذ بطعم شيء إلا طعم المكرمة، وليس تغربه لجمع المال مع الذي والهوان!!

يقولون لي: ما أنت؟ في كل بلدة ... وما تبتغي؟ ما أبتغي جل أن يسمى

ما الأولى: استفهام. أي: على أي صفة أنت؟ وكذلك الثانية. والثالثة: بمعنى الذي.

يقول: كل بلدة دخلتها فأهلها يستعظمون حالي، ويسألون عن مرامي، وأنا لا أخبرهم بحالي، فإنها أعظم من أن تسمى.

وقيل: أراد أنهم إذا سألوني: ما الذي تبتغي؟ فجوابي: ما أبتغيه جل أن يسمى! كأنه أراد: الملك، أو النبوة، أو الإمامة.

كأن بنيهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما

الكناية في بنيهم: للشامتين. والهاء في معادنه: لليتم، غير أنه قدمه في اللفظ، وهو مؤخر في المعنى.

يقول: إن أبناء أعدائي يفرون مني! فكأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتم من معادنه، بأن أقتل أباءهم فأؤتمهم! وكثرة سؤالهم تدل على ذلك.

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

يقول: إن الجمع بين الماء والنار في موضع واحد، ليس بأصعب من الجمع بين البخت والعلم!! فهما منزلان في الاستحالة منزلة واحدة.

ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به الغشما

أراد بالذباب: السيف، فأضمره، وذبابه: حده. والغشم: الظلم. يقول: إني وإن لم تساعدني الأيام، أطلب

النصر بالسيف، وأرتكب الظلم، حتى أنال به ما أريد أخذه. من قول عمرو بن معد يكرب.

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

وجاعله يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما

القرم: السيد الرئيس.

يقول: أعدائي يوم الحرب، ضربت وجوههم بالسيف، وأقمته مقام التحية وإن لم أفعل فلست بسيد شجاع، ولا كريم مطاع.

إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما

قوله: خوف: فاعل فل. وعزمي: فاعله.

يقول: إذا كسر عزمي؛ مخافة بعد المدى. يعني: كلما رمت أمرا بعيدا فأكسر عزمي خزفا من بعده، فلم أظفر بمطلوب أبدا، فإنه إنما يدرك بصحة العزم، وأقرب الأشياء تناولا إذا لم يكن عزم على تناوله فهو أبعد الأشياء.." (١)

"كأن السماني إذا ما رأتك ... تصيدها، تشتهي أن تصادا

أي قد صدتها في أسرع وقت، فكأنها كانت تشتهي أن تصيدها، فمكنت الباشق من نفسها محبة لك.

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثار بعض الغلمان خشفا فالتقفته الكلاب فقال يصف صيد كلاب ابن طغج:! وشامخ من الجبال أقود

فرد كيافوخ البعير الأصيد

شامخ: أي مرتفع. والأقود: قيل الطويل، وجمع بينهما في الوصف بالعلو. وقيل الأقود: الممتد على وجه الأرض، شبهه بيافوخ البعير الأصيد، لا عوجاجه وعلوه، ليكون متضمنا مع الارتفاع الاعوجاج.

يسار من مضيقه والجلمد

في مثل متن المسد المعقد

شبه ضيقه وخشونته؛ لما فيه من الحجارة بحبل من ليف، عليه عقد كثيرة؛ وذلك لما فيه من الالتواء والخشونة

زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٥٠

النزهة: الخروج إلى الخضرة والبساتين للراحة. والتمرد: اللعب والطرب ها هنا. روى: لم يعهد أي هذا الشامخ لم يعهد.

يقول: زرنا هذا الجبل الذي لم يعهد جبل مثله، لأنه لم يصد فيه أحد؛ لعلوه، إلا هذا الأمير، وذلك الأمر هو الصيد والنزهة واللهو، وليس هذا موضعا لهذه الأمور، فلهذا قال: لم يعهد.

وروى أبو الفتح: أي أن الأمير لم يعهد على ذلك، لأن عادته الاشتغال بالجد والتشمر دون اللهو واللعب والطرب.

بكل مسقي الدماء أسود

معاود مقود مقلد

يقول: زرنا هذا الجبل بكل كلب أسود، قد سقى الدماء من الصيد، وهو معود للصيد ضار، وفي عنقه مقود: أي عليه قلادة.

بكل ناب ذرب محدد

على حفافي حنك كالمبرد

الذرب: المحدود. والحفافان: الجانبان يقول: له ناب حاد، وهذا الناب على جانبي حنك صلب خشن كأنه مبرد.

كطالب الثأر وإن لم يحقد

يقتل ما يقتله ولا يدري

يقول: إنه لحرصه على الصيد كأن له عنده ثأرا، وإن لم يكن له حقد، وإنه إذا قتل صيدا لم يخف أن يطالب بديته فلا تجب عليه ولا يبالي لذلك.

ينشد من ذا الخشف ما لم يفقد

فثار من أخضر ممطور ندي

يقول: الكلب يطلب هذا الخشف كأنه قد فقده، وليس الأمر كذلك. فثار: أي ظهر الخشف لما رأى الكلب يطلبه من بين روض أخضر قد أصابه المطر فهو ندي من المطر والروائح الطيبة.

كأنه بدء عذار الأمرد

فلم يكد إلا لحتف يهتدي

يقول: كأن هذا الروض الأخضر ابتداء عذار الأمرد حين خروجه. ثم يقول: إن الخشف لم يكد يهتدي إلا لما فيه هلاكه؛ لأن ثورانه كان سببا لهلاكه.

ولم يقع إلا على بطن يد

ولم يدع للشاعر المجود

وصفا له عند الأمير الأمجد

الملك القرم أبي محمد

يقول: لم يقع هذا الخشف إلا على بطن يد. وقيل: أراد أنه لم يقع على الأرض إلا اختطفوه في الحال، فلم يقع إلا على أيديهم.

ولم يدع هذا الغزال للشاعر الجيد الشعر وصفا له! إنه صار عاجزا من بين الغزلان. وقيل: إن الكلب بالغ في صيده حتى فاق الوصف، وأعجز كل شاعر عن وصفه عند الأمير.

والهاء في له للغزال وللكلب. وقيل: للشاعر.

القانص الأبطال بالمهند

ذي النعم الغر البوادي العود

يقول: هو الملك السيد الذي يصيد الشجعان بالسيف المهند، وهو ذو النعم الظاهرة المشهورة، يبتدىء بها ويعيد، فهي متتابعة.

إذا أردت عدها لم أعدد

وإن ذكرت فضله لم ينفد

يقول: إذا أردت إحصاء نعمه لم أجد لها عددا لكثرتها، وإن أردت وصف فضله لم ينفذ ولم ينقطع.

وقال وقد استحسن عين باز في مجلسه فقال يصفها:

أياما أحيسنها مقلة ... ولولا الملاحة لم أعجب

الأصل: ما أحسنها مقلة! فصغر فعل التعجب لنا للتعظيم أو للتلطف.

وإنما جاز تصغيره مع أنه فعل، لأنه أشبه الأسماء فلا ينصرف فأعطى بعض الأحكام.

يقول: ما أحسن هذه المقلة! ولولا ملاحتها ما عجبت منها. ولكن ملاحتها حملتني على التعجب.

خلوقية في خلوقيها ... سويداء من عنب الثعلب

خلوقية: خبر ابتداء محذوف، أي هي خلوقية. وهو ضرب من الطيب أحمر يميل إلى الصفرة.

يقول: إن عينها الموصوفة بالحسن خلوقية أي تشبه لون الخلوق. لونها: حبة سوداء كأنها من عنب الثعلب. وأراد بها الحدقة.

إذا نظر الباز في عطفه ... كسته شعاعا على المنكب." (١)

"ولا يستغيث إلى ناصر ... ولا يتضعضع من خاذل

تضعضع البناء: إذا انهدت أركانه أي لا يتذلل هذا الفتى، ولا يستعين بناصر ينصره، ولا يضعف إن خذله أصحابه، لأنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى أحد.

ولا يزع الطرف عن مقدم ... ولا يرجع الطرف عن هائل

يزع: أي يكف. ومقدم: أي الإقدام.

يعني: أنه لا يرد فرسه عن الإقدام، ولا يرد طرفه أي عينه عن أمر مخوف ومنظر هائل.

إذا طلب النبل لم يشأه ... وإن كان دينا على ماطل

النبل: الحقد. يقول: إذا طلب ثأرا أدركه، فلم يفته وإن كان ثأره عند من لا يدرك لديه ثأر. فشبه هذا الثأر بدين على ماطل.

خذوا ما أتاكم به واعذروا ... فإن الغنيمة في العاجل

يقول للخارجي وجماعته الذين كانوا ينتظرون الفداء هزءا بهم: خذوا ما أتاكم به سيف الدولة من الفداء، واعذروه في هذه الغنيمة المعجلة، فاغتنموا ذلك فإن الغنيمة في العاجل.

وإن كان أعجبكم عامكم ... فعودوا إلى حمص في القابل

يقول: لئن كان أعجبكم ما ملكتم في هذا العام من الخير، فعودوا في العام القابل إلى حمص، حتى تروا ما يزيد على ذلك فترضوا به.

فإن الحسام الخضيب الذي ... قتلتم به في يد القاتل

يقول: السيف المخضب بدمائكم في يد القاتل، وهو سيف الدولة، فمتى شئتم فتعالوا إليه.

وقال ابن جني: أراد بالسيف. سيف الدولة. والخضيب: هو الخاضب اللحي بالدماء. والقاتل: هو الخليفة الذي ينصر سيف الدولة ويقاتل عنه.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٨٥

يجود بمثل الذي رمتم ... فلم تدركوه على السائل

أي يجود على السائل بمثل المال الذي رمتم، فلم تدركوه على السائل: يعني أنه يعطي سائله مثل ما طلبتموه، وإنما لم يعطكم أنفة، من أن تأخذوه قهرا.

أمام الكتيبة تزهى به ... مكان السنان من العامل

أمام: نصب على الظرف. وتزهى به: أي تفتخر به. والتاء: ضمير الكتيبة والهاء: ضمير سيف الدولة. وعامل الرمح: قدر ذراعين من أعلى الرمح.

أي أن سيف الدولة يكون أبدا أمام الكتيبة، كما يتقدم السنان على الرمح وأن الكتيبة تفتخر به، إذ لا غناء لهم عنه كما لا غناء للرمح عن السنان.

وإني لأعجب من آمل ... قتالا بكم على بازل

البازل: البعير الذي دخل في السنة التاسعة. وكان الخارجي حينئذ على ناقة يومئ بكمه على أصحابه؛ يحرضهم على قتال سيف الدولة.

يقول: إني أعجب من ضعف رأي من يقاتل بكم على ناقة بازل.

أقال له الله: لا تلقهم ... بماض على فرس حائل؟

الهاء في له للخارجي وفي لا تلقهم لأصحاب سيف الدولة. بماض: أي بسيف ماض. والحائل: خلاف الحامل، وخض الحائل لأنها تكون أشد على العمل، وأصبر على الشدة، وهم لا يركبون يوم القتال إلا الفرس الأنثى الحائل.

يقول: كأن الله تعالى قال له. لا تلق جيش سيف الدولة بسيف ماض على فرس حائل! فلهذا ركب الناقة وأشار بكمه بدل السيف!

إذا ما ضربت به هامة ... براها وغناك في الكاهل

الكاهل: أعلى الكتف بين المنكب والعنق. والهاء في به للسيف الماضي. أي كأن الله تعالى قال: لا تلقهم بسيف ماض، إذا ضربت به رأسا قطعه ووصل إلى العنق، وهامة قطعها، وسمعت له صليلا كالغناء.

وقيل: معناه: قال الله لهذا الخارجي. لا تحارب بسيف ماض مثل سيفك الماضي يا سيف الدولة، الذي إذا ضربت به رأسا تجاوزها وغنى لك في الكاهل.

وليس بأول ذي همة ... دعته لما ليس بالنائل

يقول: إن الخارجي ليس بأول من لم يدرك مراده، وما دعته إليه همته، وقد خرج قبله كثير من الخوراج وطلبوا مثل ما طلب فقتلوا كما قتل.

يشمر للج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل

يقول: إن الخارجي كان يشمر عن ساقه؛ ليخوض لجة البحر، وقد علاه الموج في ساحل هذه اللجة.

أي قد تأهب لجيش سيف الدولة الذي هو كالبحر العظيم، والموج يغرقه في الساحل! أي أنه لقي مقدم عسكر سيف الدولة فهزموه، فكيف إذا لقي معظم عسكره؟! وقال ابن جني: إنه يصف تمويه الخارجي على الأعراب و ا دعاءه النبوة فيهم فكان يحسر عن ساقه عند الماء ليرى الناس أنه يخوضه تمويها ومخرقة، ومع ذلك قد غمره الموج وهو على الساحل.

أما للخلافة من مشفق ... على سيف دولتها الفاصل؟!." (١)

"يوما: نصب عطفا على قوله: لقيت بدرب القلة الفجر لقية ويوما.

وجعل حسن اليوم الذي ظفر فيه الممدوح بالروم، كأنه علامة من محبوبته، وجعل الشمس كأنها رسولها، وذلك لسروره في هذا اليوم، وسروره بطلوع الشمس فيه.

وقيل: إنه إنما استحسن هذا اليوم، وطلوع الشمس فيه؛ لزوال الليل واستراحته بالنهار من السهر والحزن.

وقيل: معنى البيت أن الحسن في ذلك كان خفيا لشدة الحرب، وإظلام الجو باقتام، وأن الشمس كانت تبدو مرة وتختفي أخرى لتكاثف الغبار، فشبهه برسول يأتي من عند حبيبته، فهو إذا رأى رقيبا توارى، وإذا صادف خلوة بدا، وشبه حسن ذلك اليوم: وهو النصر والظفر بالاعداء في حقائقه – بعلامة تكون بين المحب وحبيبه، لا يعلمها أحد سوهما، وفيه إشارة إلى أن الحرب كانت قد اشتدت في ذلك، حتى خفيت علامة النصر، إلا على سيف الدولة، فإنه كان عالما بالظفر، كما يعلم المحب العلامة التي بينه وبين حبيبته و ه ذا من لطائف أبي الطيب.

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

اثار: افتعل من الثأر. أي أدرك ثأره، يقال: اثار وثار بمعنى. والذحول: جمع ذحل وهو الحقد في القلب.

فذكر أن الليل صار قتيلا، ثم قال: إن القاتل هو سيف الدولة.

وقال: لولا سيف الدولة لم يقدر عاشق على أخذ الثأر من الليل، وما أدرك عاشق ثاره قبل حصول سيف

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٢٥

الدولة بدرب القلة، ولم يطلب أحد عند الليل ذحلا وثأرا قبله وهذا ضد قوله في بدر:

حدق يذم من القواتل غيرها ... بدر بن عمار بن إسماعيلا

ولكنه يأتي بكل غريبة ... تروق، على استغرابها، وتهول

تروق: تعجب بحسنها، وتهول: تخوف.

يقول: إن قتله الليل وإدراك ثأره منه أمر عجيب! وشيء عجيب! لكن سيف الدولة لا يزال يأتي بكل فعل غريب! كل من رآه راقه حسنه، ويهول القلوب لعظمه، فليس هذا منه ببديع.

رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا ... وما علموا أن السهام خيول

الدرب: ها هنا، موضع معروف من بلاد الروم. يقول: رمى درب الروم، كما يرمي لغرض بالسهام، ولم يعلم الروم أن الخيل في السرعة تقوم مقام السهام. شبه خيله بالسهام في إقدامها وسرعتها.

شوائل تشوال العقارب بالقنا ... لها مرح من تحته وصهيل

الشوائل: جمع شائلة، وعداها إلى القنا بالباء. والتشوال: مصدر شول. والمرح: النشاط. والشوائل: نصب على الحال. وقوله: لها مرح إلى آخره نصب على الحال. والهاء في تحته للقنا، راجع إلى اللفظ.

يقول: رمى الدرب بالخيل رافعة رماحها، كما رفعت العقارب أذنابها، وكان لهذه الخيل مرح تحت القنا وصهيل، يعني بأن الركض لم يذهب مرحها. وهذا قول بشار:

والخيل شائلة تشق غبارها ... كعقارب قد رفعت أذنابها

غير أنه زاد عليه في التشبيه، فبشار شبه الخيل الرافعة لأذنابها بالعقارب، رافعة أذنابها، فالتشبيه واقع على وجه واحد، وهو أوقع التشبيه من وجهين: أحدهما: أنه جعل الخيل شائلة بالقنا، كما تشول العقارب بأذنابها.

والثاني: أنه شبه أطراف الرماح بأذناب العقارب، وأن لها من الطعن مثل ما للعقارب من اللسع، فأخذ معنى بشار، وضم إليه هذه الزيادة، فكان هو أولى به من بشار.

وما هي إلا خطرة عرضت له ... بحران لبتها قنا ونصول

وما هي: أي الغزاة. وحران: مدينة بالشام، والضمير في له للمدوح، وفي لبتها للخطرة، والتاء: للقنا، والنصول: للسيوف، وعرضت: أي ظهرت.

يقول: لم تكن هذه الغزاة عن تأهب واستعداد، ولكن خطر بقلبه وهو بحران أن يقصد بلاد الروم، فأجابته الرماح والسيوف، فسار إليهم غير محتفل.

همام إذا ما هم أمضى همومه ... بأرعن، وطء الموت فيه ثقيل

الهموم: بمعنى الهمم. والأرعن: الجيش العظيم.

يقول: هو عظيم الهمة إذا هم بشيء وعزم على أمر أمضاه. بجيش عظيم، كأنه لا يمر على ناحية إلا أنكى فيها وأكثر القتل فيها، وهو في معنى قوله: وطء الموت: وقعه، يعظم ويكثر من هذا الجيش، أو يشتد وطء هذا الجيش ويعز عليه.

وخيل براها الركض في كل بلدة ... إذا عرست فيها فليس تقيل

وخيل: عطف على أرعن. والتعريس: النزول آخر الليل.." (١)

"يقول: إن كمك وتقبيله، مكان تتمنى الشفاه الوصول إليه، وتريد الملوك تقبيله ولكنهم لا يصلون إليه.

فما بلغته ما أراد كرامة ... عليك، ولكن لم يخب لك سائل

كرامة: فاعل بلغته، والمفعول الأول الهاء والثاني ما.

يقول: لم يبلغ الرسول إلى ما بلغه من تقبيل كمك كرامته عليك؛ لأنه كافر وأنت تبغضه وتستخف به، ولكن لما سألك أن تمكنه من ذلك لم تخيبه، إذ عادتك ألا تخيب سائلك.

وأكبر منه همة بعثت به ... إليك العدى واستنظرته الجحافل

روى: أكبر بالرفع والنصب.

فالرفع: على أنه اسم المبالغة والمعنى: على أن همة الرسول وإن كانت كبيرة في قدومه عليك، فأكبر همة منه، العدى حيث بعثوا به إليك، وسألوه أن يؤخر عنهم القتال؛ لشغله إياك عنهم، والاستنظار: طلب النظر، وهو التأخير.

والنصب: يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون اسما كالأول ومعناه: رب رسول أكبر من هذا الرسول همة، وأعلى منه قدرا، جاءك رسولا، واستنظرته الجحافل، كما استنظرت هذا الرسول، ثم رجع إليهم وهو يعذلهم على مخالفتهم أمرك. فعلى هذا يكون البيت الذي بعده من تمامه.

والمعنى الثاني: أن يكون أكبر فعلا ماضيا، وفاعله العدى وهمة مفعوله. والمعنى: أن العدى أكبروا واستعظموا همة بعثت هذا الرسول إليك، وأقدمته على الدنو منك، واستنظرت هذا الرسول الجحافل على ما بيناه

فأقبل من أصحابه وهو مرسل ... وعاد إلى أصحابه وهو عاذل

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٩٩

يقول: هذا الرسول جاء من أصحابه رسولا، ثم عاد إليهم يعذلهم على ترك طاعتك؛ لما رآه من عظم شأنك.

تحير في سيف ربيعة أصله ... وطابعه الرحمن والمجد صاقل

ربيعة: ابن نذار، وإليه ينسب سيف الدولة.

لما رآك تحير فيك؛ لأنه رأى سيفا لا كالسيوف، إذ السيف أصله الحديد، وطابعه الحداد، وصاقله الصيقل، وأنت أصلك من ربيعة، والرحمن طابعك، والمجد صاقلك.

وما لونه مما تحصل مقلة ... ولا حده مما تجس الأنامل

يقول: لون هذا السيف لا يدركه النظر، ولا تحققه المقلة، ولا يمكن الناظرين أن يملئوا أعينهم منه، هيبة له، وكذلك ليس حده مما يمكن أن يختبر باللمس كما يحس ويضبط سيف الحديد. فتحير هذا الرسول في سيف هذه صفته.

إذا عاينتك الرسل هانت نفوسها ... عليها وما جاءت به والمراسل

المراسل: ملك الروم. والرسل: الرسل. وما جات به: الرسالة.

يقول: إذا رأتك الرسل استحقروا أنفسهم، واستحقروا ما جاءوا به من الرسالة، واستحقروا صاحبهم الذي أرسلهم إليك؛ لما يرون من هيبتك وعلو شأنك.

رجا الروم من ترجى النوافل كلها ... لديه وما ترجى لديه الطوائل

النوافل: العطايا، واحدتها نافلة. ومن ترجى: هو سيف الدولة يرجى منه كل عطية وصلة، ويوصل إلى كل مراد، إلا إدراك الثأر، فإنه لا يوصل إليه منه.

فإن كان خوف القتل والأسر ساقهم ... فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعل

يقول: إن كان الذي ساقهم إليك لطلب الصلح والأمان، هو الخوف من القتل والأسر، فقد فعلوا في مجيئهم إليك ما يفعله الأسر والقتل، من الذل والاستكانة؛ لأنهم إنما جاءوك خوفا، فصاروا مقتلين مأسورين.

فخافوك حتى ما لقتل زيادة ... وجاءوك حتى ما تزاد السلاسل

ما نفي في الموضعين.

يقول: خوفهم منك قام لهم مقام القتل، فليس للقتل زيادة على ما أصابهم، وكذلك جاءوك مستسلمين في أمرهم طائعين كالأسارى، حتى لا يحتاج معهم إلى السلاسل؛ لأن الأسير إنما يشد إذا خيف عليه الهر.

والمصراع الأول مثل:

وإلا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فإن الخوف لا شك قاتله

أرى كل ذي ملك إليك مصيره ... كأنك بحر والملوك جداول

يقول: كل ملك يصير إلى حضرتك، وينضاف ملكه إلى مملكتك، فكأنك بحر وهم جداول تنصب إلى البحر.

إذا مطرت منهم ومنك سحائب ... فوابلهم طل وطلك وابل

الوابل: أشد المطر. والطل: أضعفه.

يقول: إنك تزيد على الملوك في كل حال، فكثير عطاياهم إذا قيست إلى عطاياك قليل، بمنزلة الطل من الوابل، وقليلها منك إذا قيس إلى عطاياهم كثير، كالوابل من الطل.

كريم متى استوهبت ما أنت راكب ... وقد لقحت حرب، فإنك نازل

لقحت حرب: اشتدت.." (١)

"يقول: إن هذا الجيش يحف أغر: أي يحيط به من جميع جهاته، وإذا قتل إنسانا لا يقتل به قودا؛ لعزته ومنعته، أو لأنه لا يقتله إلا بحق، ولا يطالب أيضا بديته، ولا يعتذر عما فعله؛ للوجهين اللذين ذكرناهما. وهو من قوله تعالى: " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ".

تريق سيوفه مهج الأعادي ... وكل دم أراقته جبار

المهجة: دم القلب، وهي النفس أيضا. والدم الجبار: الباطل.

يقول: كل دم تريق سيوفه من دم الأعادي، ذهب هدرا لا يدرك له **ثأر.**

فكانوا الأسد ليس لها مصال ... على طير وليس لها مطار

المصال: مصدر صال، والمطار: من طار.

يقول: إنهم كانوا أسودا في أنفسهم بشجاعتهم وإقدامهم، وكانت خيلهم كالطيور سرعة، ولكن لما رأوك تحيروا وتحيرت أفراسهم هيبة لك، فلم يكن لهم مصال مع كونهم أسود، ولا لخيلهم مطار مع كونها في السرعة كالطير.

وقيل: المعنى أنهم كانوا قبل ذلك مثل الأسود، والآن لما غضبت عليهم ليس لهم مصال على طير لضعفهم وقلتهم، وليس لهم أيضا مطار؛ لأنك قد أهلكتهم بالقتل والأسر. وأراد بالمصال على طيران الأفراس: كالطير لخفتها، فكأنه قال: ليس لها مصال على غيرهم من الفرسان لضعفهم، فشبه خيل المخالفين لهم بالطير.

إذا فاتوا الرماح تناولتهم ... بأرماح من العطش القفار

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣١٤

يقول: إن فاتوا رماحك ودخلوا البر هلكوا من العطش، وكأن العطش رماح القفار، قتلتهم بها.

يرون الموت قداما وخلفا ... فيختارون، والموت اضطرار

يقول: قد أحاط بهم الموت من قدامهم وخلفهم فقدامهم العطش، ووراهم الرماح، فكانوا بين موتين، فيختارون أحدهما، وإن هذا الموت ليس باختيار، بل هو اضطرار.

وقيل: معناه يختارون أحد الموتين، فأما الموت فهو نازل بهم لا محالة ولا محيص لهم عنه، وإنما يختارون أحد الموتين.

إذا سلك السماوة غير هاد ... فقتلاهم لعينيه منار

الهادي: الدليل، وقيل: هو العارف بالطريق، وهو في معنى المهتدي. والمنار: العلامات التي تبنى على الطريق، ليهتدي بها، والواحدة: منارة.

يقول: إنهم دخلوا السماوة فرارا من سيف الدولة، وتبعهم فقتلهم في كل مكان، وبقيت جثثهم مطروحة على الطرق حتى لو سلك السماوة من لا يهتدي فيها، لكانت جثثهم تدله على الطريق، وتقوم له مقام المنار.

وقيل: أراد أنهم ماتوا عطشا هناك وبقيت جثثهم دالة للمار بها.

ولو لم يبق لم تعش البقايا ... وفي الماضي لمن بقي اعتبار

يقول: لو لم يعف عنهم سيف الدولة لهلكوا عن آخرهم، ولم يعش الباقي منهم، ومن بقي منهم يعتبر حاله بحال من مضى.

والماضي: هو المقتول، والباقي: الذي بقي بعدهم.

إذا لم يرع سيدهم عليهم ... فمن يرعى عليهم أو يغار؟!

أرعى فلان على فلان: إذا كف عنه ورق له.

يقول: إذا لم يرحمهم سيدهم فمن الذي يرحمهم ويغضب لهم؟!

تفرقهم وإياه السجايا ... ويجمعهم وإياه النجار

هولاء من أصل واحد، لأنهم جميعا من نزار، وسجاياهم متفرقة. والنجار. الأصل.

يقول: خليقة سيف الدولة وخلائقهم مختلفة؛ لأن خليقة سيف الدولة الكرم والعفو، وخلائقهم العصيان والنزق، فبينهما فرق من هذه الجهة.

ومال بها على أرك وعرض ... وأهل الرقتين لها مزار

الهاء في بها للخيل. وأرك وعرض: موضعان. والرقتان: مدينتان من ديار بكر.
يقول: لما فرغ من بني كعب، عطف بخيله على أهل أرك وعرض، وقرب من أهل الرقتين، حتى لو شاء أن يزورهما بخيله، لم يبعد عليه.
وقيل: مال بالخيل على أرك وعرض، لطلب بني كعب.
وقيل: معناه عدل بجيشه على أهل أرك وعرض، مع بعدهما عن مقصده؛ لأنه كان قد توجه إلى الرقتين وأرك وعرض بعيدان عن الرقتين.
وأجفل بالفرات بنو نمير ... وزأرهم الذي زأروا خوار
أجفل: أسرع هاربا مذعورا. والزأر والزئير: صوت الأسد. والخوار: صوت الثور.
يعني: أن بني نمير فروا من الفرات، خوفا منه، وكانوا قبل ذلك يزأرون كالأسود، ويرعدون بالحرب، فلما رأوه ذلوا وصار زئيرهم خوارا: أي بعد أن كانوا أسودا في الشدة صاروا مثل البقر في الذلة.
فهم حزق على الخابور صرعى ... بهم من شرب غيرهم خمار." (١)
"والمعنى: أن هذه الرقة لو كانت لضعف قلبك للحقتك أيضا في الحرب، ولكنه وفاء ورعاية، فأنت تستعمل كل واحد منهما في موضعه، حيث تحمده وتستحسنه العقول، ولا تضعه في غير موضعه.
أين خلفتها غداة لقيت الر ... وم والهام بالصوارم تفلى
تفلى: من فليت رأسه، إذا فتشته لتخرج منه القمل.
معناه: يضرب بالسيوف من كل جهة، كما أن الفالي يعم الرأس.
يقول: أين تركت هذه الرقة غداة محاربتك الروم فيما كنت تضرب رءوسهم بالسيوف الصوارم.
قاسمتك المنون شخصين جورا ... جعل القسم نفسه فيه عدلا
أنت المنون على معنى المنية. والهاء في فيه ترجع إلى الجور.
يقول: قاسمتك المنون على أختيك ظلما وجورا منها في هذه المقاسمة؛ لأنها ليس لها الحق في واحدة منهما، غير أن هذه القسمة جعلت نفسها في الجور الذي حصل من المنون عدلا؛ لأنها أخذت الصغيرة وتركت الكبيرة.
وقال ابن جني: يجوز فيك: فيكون المعنى: أن المنون جارت في فعلها، إلا أنك إذا كنت البقية فجورها عدل.

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣٣٧

أو يقال: إن هذه القسمة نفسها في حقك عدل، وإن كان قاسمها ظالما.

فإذا قست ما أخذن بما أغ ... درن سرى عن الفؤادي وسلى

أغدرن: أي تركن. وسرى: أي كشف. وسلى: من التسلية. وروى أغبرن مكان أغدرن والفاعل ضمير المنون، وأراد بها المنايا.

يقول: إذا قست ما أخذته المنية بما تركته، كشف بقاء الباقية منهما هذا الحزن عن قلبك.

وتيقنت أن حظك أوفى ... وتبينت أن جدك أعلى

يقول: إذا قست سهمك بسهم المنية علمت أن حظك أكثر، وأن جدك أعلى؛ لأن الكبرى خير من الصغرى.

ولعمري لقد شغلت المنايا ... بالأعادي، فكيف تطلبن شغلا؟

يقول: شغلت المنايا بقبض أرواح الأعادي، فكيف تطلب المنايا شغلا؟! لأن لها شغلا بالأعداء، لا تتفرغ عنه إلى شغل آخر.

وكم انتشت بالسيوف من الده ... ر أسيرا وبالنوال مقلا

انتشت: أي دفعت، والانتياش: افتعال من النوش والمقل: الفقير.

يقول: كم أنقذت كثيرا من الأسرى من أسر الدهر بسيوفك، ومن الفقر بجودك، ونائلك، فأغنيتهم بعطاياك، ورفعتهم من الذل والصغار.

عدها نصرة عليه فلما ... صال ختلا رآه أدرك تبلا

الهاء في عدها ضمير الحالة: أي عد الدهر هذه الحالة التي هي إنقاذ الأسير من يده، ورآه: أي رأى نفسه ويجوز ذلك في الرؤية: بمعنى العلم: وسائر أفعال الشك، واليقين.

يقول: لما رآك الدهر تنقذ أساراه حقد عليك، وعد فعلك نصرة لعيه لمن خاصمه فلما صال مخادعة، وأخذ أختك مسارقة، حسب أنه أدرك ثأره.

كذبته ظنونه؛ أنت تبلي ... ه وتبقى في نعمة ليس تبلى

يقول: كذب الدهر ظنه أنه يقدر على أخذ ثأره عندك، فإنك تجعل الدهر باليا! وتبقى أنت في نعمة لا تبلي.

وقيل: إن قوله أنت تبليه دعاء له بطول البقاء فكأنه يقول: أبقاك الله في نعمة دائمة حتى تبلي الدهر وتفنيه.

ولقد رامك العداة كما را ... م فلم يجرحوا لشخصك ظلا

يقول: طلب أعداؤك أن يدركوا ثأرهم عندك -كما طلب الدهر - فلم يقدروا أن يجرحوا ظل شخصك؛ لاتصاله بك.

ولقد رمت بالسعادة بعضا ... من نفوس العدا فأدركت كلا

قوله: بالسعادة متعلق بقوله: فأدركت كلا يعني: أنك رمت بعض أعدائك فأدركت الكل بسعادة جدك، وهو متصل بما قبله.

قارعت رمحك الرماح ولكن ... ترك الرامحين رمحك عزلا

الرامح: صاحب الرمح. والعزل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

يقول: قد حاربك الأعداء فعجزوا، فصار الرمح منه أعزل.

لو يكون الذي وردت من الفج ... عة طعنا أوردته الخيل قبلا

القبل: جمع أقبل: وهو مثل الأحول، والخيل تفعل ذلك لعزة أنفسها، وليس بخلقه.

يقول: لو لقيت مكان هذه المصيبة طعنا وكان مجيئها إليك محاربة؛ لأوردت خيلك، ودفعت عن نفسك بشجاعتك. والهاء في أوردته للطعن.

وقيل: معناه لو كنت تلقى بدل هذه المصيبة طعنا لأوردته الخيل ورددته بشجاعتك.

ولكشفت ذا الحنين بضرب ... طالما كشفت الكروب وجلى

الحنين: رقة الحزن، وهو أيضا الصوت الضعيف كالأنين، وقد يراد به الاشتياق. وجلى: أي كشف، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين.." (١)

"يقول: ما زلت تضربهم ضربا في إثر ضرب، متواليا من دون أن يتخللها، فكأنك تضربهم بسيفين.

وقيل: ما زلت تضربهم ضربة تعمل عمل ضربتين. يعني: كأن السيف الواحد سيفان، والهاء في فيه راجع إلى الضرب.

خص الجماجم والوجوه كأنما ... جاءت إليك جسومهم بأمان

خص السيف، أو الضرب رءوسهم ووجوههم دون أجسامهم، حتى كأنك أعطيت أجسامهم أمانك ألا تمسها بضرب.

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا ... يطئون كل حنية مرنان

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣٤١

روى يطئون من الوطء بالرجل، وروى: يطوون من طويته. والحنية: القوس. والمرنان: الكثير الرنة. وما يرمون عنه: هو القسي التي كانوا يرمون عنها.

يقول: رموا قسيهم وانهزموا يطئون قسيهم المطوية عند الرمي.

يغشاهم مطر السحاب مفصلا ... بمهند ومثقف وسنان

قيل: أراد بالمطر: المطر الحقيقي. والمعنى: أصابهم المطر النازل من السحاب، مفصلا بالسيوف والرماح، كما يفصل العقد بالدر والذهب.

يعني: كما هزمهم السراح هزمهم أيضا المطر.

وقال ابن جني: أراد بالسحاب: جيش سيف الدولة. شبهه بالسحاب لكثافته، ولما جعله سحابا جعل مطره الرماح والسيوف.

حرموا الذي أملوا وأدرك منهم ... آماله من عاد بالحرمان

يقول: حرموا ما كانوا يؤملونه من الظفر بك، وانهزموا، فمن كان منهم محروما من أمله الأول أدرك أمله الثاني، من العود إلى أهله، والسلامة من القتل والأسر، وهذا مثل قولهم: من نجا برأسه فقد ربح.

وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر ... شغلته مهجته عن الإخوان

يقول: إنهم جاءوا يطلبون بثأر من قتلت منهم، فلما وقعت الرماح في قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين يطلبون ثأرهم. وهذا من قول الله تعالى " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ".

هيهات! عاق عن العواد قواضب ... كثر القتيل بها وقل العاني

العواد: الرجوع، وهو مصدر عاود يعاود معاودة وعوادا وهي ها هنا من: عاود. وروى مكانه: الرجوع والعاني: الأسير.

المعنى كما قال: وأدرك منهم آماله من عاد بالحرمان فقال: ما أبعد عليهم الرجوع! وقد عاقهم عن ذلك سيوفك التي كثرت القتل فيهم، فكان من قتل منهم أكثر ممن أسر.

ومهذب أمر المنايا فيهم ... فأطعنه في طاعة الرحمن

ومهذب: هو سيف الدولة، عطف على قواضب.

يقول: منعهم عن الرجوع إلى ديارهم رجل مهذب صفي من كل عيب، أمر الموت بقبض أرواحهم فأطاعه الموت في طاعة الله تعالى؛ لأن قتلهم طاعة، وفيه رضى الله تعالى.

قد سودت شجر الجبال شعورهم ... فكأن فيه مسفة الغربان

الهاء في فيه للشجر. والمسفة: الدانية من الأرض.

يقول: إن شعورهم سودت أشجار الجبال؛ لأنها متعلقة بها، فكأن عمومها الأشجار، غربان دانية من الأرض، واقفة على الأشجار.

وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنه النارنج في الأغصان

يقول: جرى دمهم على الأوراق، فثمرت به، فأشبه الدم عليها، النارنج على الأغصان.

والمعنى: أن الشعور تعلقت بالشجرة فأشبهت الغربان على الأشجار، والدماء تطايرت فخضبت ورق الأغصان.

إن السيوف مع الذين قلوبهم ... كقلوبهن إذا التقى الجمعان

يقول: إن السيوف، إنما تعمل إذا كانت مع الشجعان الذين قلوبهم في المضاء كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين.

تلقى الحسام على جراءة حده ... مثل الجبان بكف كل جبان

التاء: للخطاب، ومعناه: تلقى أيها السامع السيف القاطع مع جراءته في الحد، غير عامل، إذا كان في يدي الجبان، حتى كأنه جبان مثله.

وقيل: التاء ضمير السيوف.

يعني: أن السيوف التي في أيدي أصحاب سيف الدولة، الذين قلوبهم كقلوبها، تلقى سيوف الروم – مع جراءة حدها – غير قاطعة، فكأنها جبان مثل أصحابها الحاملين لها، وجبن السيوف: قلة المضاء.

رفعت بك العرب العماد وصيرت ... قمم الملوك مواقد النيران

العماد: عماد البيت، ويعبر به عن الشرف؛ لأن الرجل إذا كان شريفا، كان عماد بيته رفيعا. ومنه يقال في المدح: هو رفيع العماد، أي شريف، كثير الرماد. والقمم: جمع قمة، وهي وسط الرأس.

يقول: إن العرب تشرفت بك، وقتلت الملوك، فجعلوا هامهم أثافي لقدورهم.." (١)

"وإذا رآه بعض غلمان أبيه أو غيرهم أسرع هاربا لئلا يقال: إنه كلمه! فمن كلمة أتلفه الأسود، فلما كبر الصبي وتبين ما هو فيه، وجعل يبوح بما في نفسه في بعض الأوقات على الشراب، وكل من معه عين

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣٥٣

عليه، فقدم الأسود فسقاه سما فقتله، وخلت له مصر وهان عليه أخوه الأصغر وغيره.

فلما ورد كتاب الأسود على أبي الطيب بالرملة، لم يمكنه إلا المسير إليه، وظن أنه لا يسومه سوم غيره. من أخذ ماله، وإضعاف حاله، ومنعه من التصرف في نفسه. وهذه فعال الأسود بكل حر له محل، يحتال عليه بالمكاتبة والمواعيد الكاذبة، حتى يصير إليه، فإذا حصل عنده أخذ عبيده وخيله وأضعفه عن الحركة، ومنعه منها، وبقي مطرحا يشكو إليه ويبكي بين يديه ولا يعينه على المقام، ولا يأذن له في الرحيل، وإن رحل عن غير إذنه غرقه في النيل، ولا يصفو قلبه إلا لعبد، كأنه يطلب الأحرار بحقد.

فلما قدم عليه أبو الطيب اخلى له دارا ووكل به، و أظهر التهمة له، وطالبه بمدحه، وخلع عليه، وحمل إليه آلافا من الدراهم وغيرها.

فقال أبو الطيب يمدحه لما وفد عليه في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مئة ويعرض بسيف الدولة

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

الباء في بك زائدة، والتقدير: كفاك داء، وليست هذه الباء مثلها في قوله تعالى: " وكفى بالله شهيدا " " وكفى بنا حاسبين " لأن، ها هنا زيدت الباء على المفعول، وفي الآية زيدت على الفاعل، والفاعل في البيت قوله: أن ترى وداء نصب على التمييز. والأماني أصلها التثقيل، والتخفيف جائز.

يقول: كفاك من الداء وأذية الزمان، ما تستشفى منه بالموت! وما تتمنى معه الموت! إذ الموت غاية الشدائد، فإذا تمناه المرء فقد تمنى كل شدة.

تمنيتها لما تمنيت أن ترى ... صديقا فأعيا، أو عدوا مداجيا

يقول: تمنيت الموت، لما تمنيت أن ترى صديقا مخلصا في صداقته، أو عدوا مساترا للعداوة فأعيا عليك وجود ذلك، فلما لم تجد إلا صديقا غير مخلص وجدت عدوا مظهرا للعداوة، تمنيت الموت.

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة ... فلا تستعدن الحسام اليمانيا

استعد وأعد بمعنى.

يقول: إذا رضيت بالذل، وصبرت على الضيم، فلا معنى لاستعداد السيف، لأن السيف يراد لدفع الضيم.

ومثله لأبي العتاهية:

فصغ ما كنت حلي ... ت به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسي ... ف إذا لم تك قتالا؟

ومثله لعبد الرحمن بن دارة:

فإن أنتم لم **تثأروا** بأخيكم ... فكونوا بغايا للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالخمر واقعدوا ... على الذل وابتاعو المغازل بالنبل

ولا تستطيلن الرماح لغارة ... ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

لا تستطيلن: أي لا تطلب طولها، وكذلك لا تستجيدن: أي لا تطلب جودها.

يقول: إذا رضيت بالذل فلا تطلب الرمح الطويل، والخيل الجياد، فإنك لا تحتاج إليها بعد أن رضيت بالذل واحتمال الضيم.

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ... ولا تتقي حتى تكون ضواريا

يقول: إن الحياء لا ينفع الأسد من الجوع ولا يشبعه، ولا يخشى منه إلا إذا كان ضاريا جريئا.

يعني: أن الإنسان إنما يبلغ مراده إذا اطرح قناع الحياء عن وجهه، واتكل على إقدامه.

حببتك قلبي قبل حبك من نأى ... وقد كان غدارا فكن لي وافيا

حببته وأحببته: لغتان: وقلبيك منادى، أي يا قلبي، ومن في موضع نصب بالمصدر الذي هو حبك.

يقول: يا قلبي أحببتك قبل أن تحب الحبيب الذي نأى عنك وغدر بك، فأنكرت غدره فلا تصنع معي من الغدر مثل ما صنع بك حبيبك، فتكون قد فعلت ما كرهته من غيرك.

وجعل حنين قلبه إلى الحبيب غدرا منه، لأنه يؤلمه ويؤدي إلى تلفه، فتقع المفارقة بينه وبين قلبه! وهي التي ذاقها من حبيبه. وهذا تعريض منه بسيف الدولة.

وأعلم أن البين يشكيك بعده ... فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا

يقول: يا قلبي، أعلم أن البين يحوجك إلى الشكوى، ويؤثر فيك، وإن فعلت ذلك ـبرأت منك، ونفيت أن تكون قلبي، لأنك غدرت بي.

فإن دموع العين غدر بربها ... إذا كن إثر الغادرين جواريا

روى: غدرا فيكون مصدرا في معنى غادر فلا يثنى ولا يجمع، ولا يؤنث، وروى غدر وهو جمع غدور.." (١)

"يقول: رأت الأعداء كل من يغدر بك مغدورا به، إما من جهة الحياة بالموت أو من جهة الزمان بالذل.

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣٧١

علات الدهر: حوادثه.

يقول: إن السيف فارق شبيبا على رغم منه، بعد أن كان لا يفارقه فقتل بسيفه على ما يقال.

كأن رقاب الناس قالت لسيفه: ... رفيقك قيسي وأنت يماني

قيس: من عدنان. واليمن: من قحطان. وبينهما عداوة قديمة وتارات وكيدة وهذا الرجل كان من قيس عيلان، والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن.

يقول: كأن رقاب الناس لما تبرمت بقطع شبيب لها، أغرت بينه وبين سيفه ليقتله حتى تسلم الرقاب من شره فقالت له: لم تصحبه؟! وأنت يماني وهو قيسي، وبين قيس واليمن تلك الحروب والتارات، فبان من يده وضرب عنقه وأخذ منه ثأر اليمن عند قيس.

وأراد أن يذكر سبب قتله بسيفه فعبر عنه بأحسن عبارة.

فإن يك إنسانا مضى لسبيله ... فإن المنايا غاية الحيوان

اسم كان مضمر: أي إن كان شبيب إنسانا مات، فالموت غاية كل حي، فضلا عن كل إنسان.

فهذا كالمرثية له.

وما كان إلا النار في كل موضع ... يثير غبارا في مكان دخان

يقول: كان في أيام حياته نارا في المواقع، وكان يثير الغبار بدل الدخان. جعله نارا وغبار المعركة دخانا.

فنال حياة يشتهيها عدوه ... وموتا يشهي الموت كل جبان

يقول: عاش في حياة نكدة منغصة يشتهيها كل عدو له، ومات موتة قبيحة تمنى الجبان أن يموت قبل أن يصير إلى مثل حاله.

قيل: قنطر به فرسه. وقيل: إن امرأة رمته بجرة ملآنة عذرة.

وقيل: إن هذا البيت مرثية له.

يقول: إنه عاش في عز وعلاء يتمناه العدو لنفسه، ومات موتا يشجع الجبان؛ لأنه إذا علم أن الموت لا محيص عنه، وأن تحرزه لا ينجيه منه، اشتهى الموت في القتال.

نفى وقع أطراف الرماح برمحه ... ولم يخش وقع النجم والدبران

يقول: دفع رماح الأبطال عن نفسه برمحه، لما خشى أن يصل إليه من جهتهم قتل أو جرح، ولم يخش أن ينزل إليه الموت من السماء.

يعني: استبعد الموت من الجهة التي أتاه منها، كما يستبعد وقع النجوم من السماء. وذلك أن امرأة دلت على رأسه حجرا من سور دمشق، وقيل: سقطت به فرسه. يعني لم يكن يخشى ذلك.

ولم يدر أن الموت فوق شواته ... معار جناحي، محسن الطيران

شواته: أي جلدة رأسه.

يقول: لم يعلم أن الموت نجم أعير جناحا طائر، وأنه يعلم الطيران فيهتدي إليه.

وقد قتل الأقران حتى قتلته ... بأضعف قرن، في أذل مكان

يقول: لم يزل يقتل الأبطال حتى قتلته الأقران بأضعف قرن في أخس مكان وأذله. يعني: المرأة التي دلت عليه الرحى.

أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان

يقول: أتاه الموت من حيث لا يشعر به هو ولا أصحابه فكأنه جاء في طريق خفي على كل أحد ممن حوله.

ولو سلكت طرق السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

الجنان: القلب. والهاء في ردها للمنايا.

يقول: لو جاءته المنايا من طريق الحرب لردها عن نفسه بطول يمينه وسعة قلبه.

تقصده المقدار بين صحابه ... على ثقة من دهره وأمان

تقصده: قيل: قصده، وقيل: قتله.

يقول: قصد موته أو أجله القدر. وهو بين أصحابه، واثق من دهره آمن من صروفه.

وهل ينفع الجيش الكثير التفافه ... على غير منصور وغير معان؟

التفافه: أي اجتماعه.

يقول: إذا لم يكن الإنسان منصورا من جهة الله تعالى، فلا ينفعه كثرة جيشه واجتماعه.

ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه ... ولم يده بالجامل العكنان

ودى: أي أعطى الدية. وفاعله: ضمير شبيب. وما جنى مفعوله. والجامل: اسم موضع لجماعة الجمال. مثل الباقر: لجماعة البقر. والعكنان: الكثير.

يقول: أعطى دية من قتله من الأقران قبل دخول الليل بنفسه ولم يعط ديتهم بالإبل الكثيرة.

أتمسك ما أوليته يد عاقل ... وتمسك في كفرانه بعنان؟

يقول: كيف تمسك يد العاقل إحسانك ثم يكفره؟! وتمسك يده العنان لم‍حاربتك! يعني لا يفعل هذا عاقل، وإن رامه خذلته يده.

وعطف تمسك على تمسك ولو نصب الثاني لجاز. كقولك: أتأكل السمك وتشرب اللبن.." (١)

"فولت تريغ الغيث والغيث خلفت ... وتطلب ما قد كان في اليد بالرجل

يقول: ولت بنو كلاب لما قصدهم دلير، وذهبت بالوادي تطلب الغيث لإبلها، وخلفت الغيث: وهو طاعة السلطان.

يعني: أنها تركت ما كانت فيه من الأمن والخصب، لما خرجت من طاعة السلطان، ورجعت إلى البوادي تطلب مساقط الأمطار.

تحاذر هزل المال وهي ذليلة ... وأشهد أن الذل شر من الهزل

وهي ذليلة: يعني بنو كلاب.

يقول: خافت أن تهزل أموالها، فخرجت تنتجع الأمطار والمراعي. وما لحقها من الذل شر من هزال المال.

وأهدت إلينا غير قاصدة به ... كريم السجايا يسبق القول بالفعل

غير قاصدة نصب على الحال، ونصب كريم لأنه مفعول أهدت وهو فعل بني كلاب، وبه يرجع إلى كريم السجايا وهو مقدم في المعنى.

يقول: كان سبب مجيء دلير إلينا، مجيء بني كلاب، فكأنها أهدته لنا وإن لم تقصد ذلك، وهو يبتدئ بالنوال قبل الوعد بالسؤال.

تتبع آثار الرزايا بجوده ... تتبع آثار الأسنة بالفتل

الفتل جمع فتيلة.

يقول: جر بجوده كل مصيبة أصابتنا، في نفس أو مال. وأصلح حالنا، كما تصلح الجراح بالفتل عند المعالجة.

وروى بالقتل يعني: أتى على المصائب بعطاياه، كما يأتي بالقتل على آثار الأسنة: أي لا يحتاج مع القتل إلى معالجة آثار الأسنة.

شفى كل شاك سيفه ونواله ... من الداء حتى الثاكلات من الثكل

يقول: شفى كل إنسان مما كان يشكوه، فشفى الفقر بنواله، والجور بسيفه، وأخذ للثاكلات بثأرهن؛ فشفاهن

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٣٩٨

من الشكل.
عفيف تروق الشمس صورة وجهه ... ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل
شوقا مفعول له.
يقول: هو مع عفته قد عشقته الشمس، فلو نزلت من شوقها إليه، لعلد عنها إلى الظل لعفته.
شجاع كأن الحرب عاشقة له ... إذا زارها فدته بالخيل والرجل
يقول: تسلم إليه الحرب من شاء قتله أو سبيه، فكأنها عاشقة له، وتفديه بهم.
قال ابن جني: هذا من بدائع معانيه.
وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه ... وعطشان لا تروى يداه من البذل
يقول: لا يرغب في الشراب؛ لما فيه من الإثم، فهو ريان عنه، ولا يفتر عن البذل؛ لما فيه من الحمد، فهو عطشان إليه.
فتمليك دلير وتعظيم قدره ... شهيد بوحدانية الله والعدل
يقول: تمليك الله تعالى إياه، وتعظيمه لقدره، دليل على التوحيد والعدل؛ لأن توليته إياه حكمة وصواب، ووضع للحق في موضعه.
وما دام دلير يهز حسامه ... فلا ناب في الدنيا لليث ولا شبل
يعني: أن أنياب الأسود لا تعمل عمل سيفه، فكأنها في جنب سيفه معدومة.
وما دام دلير يقلب كفه ... فلا خلق من دعوى المكارم في حل
أي ما دام هو يقلب كفه بالعطاء وقتل الأعداء فليس لأحد ادعاء المكارم، لأنه قد ملك المكارم.
فتى لا يرجى أن تتم طهارة ... لمن لم يطهر راحتيه من البخل
يقول: هو فتى يعتقد أن الطهارة من الأنجاس لا تتم إلا بتطهير الراحة من البخل، فكما أن الطهارة من الأنجاس واجبة، كذلك اجتناب البخل واجب.
وقيل: أراد بالطهارة: الختان، أي أن طهارة الختان لا تتم إلا بإزالة البخل.
فلا قطع الرحمن أصلا أتى به ... فإني رأيت الطيب الطيب الأصل
يقول: هو طيب وأصله الذي أتى به طيب إذ الطيب لا يأتي إلا من أصل طيب، فلا قطع الله تعالى أصلا جاء بمثله.

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد، حين ورد عليه بأرجان في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثلاث مئة:

باد هواك صبرت أم لم تصبرا ... وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

باد أي ظاهر، وهواك: رفع بالابتداء وباد خبره مقدم عليه عند سيبويه.

وعند الأخفش: باد مبتدأ وهواك مرتفع به كما يرتفع الفاعل، وقد سد مسد المبتدأ.

وقوله: أو لم تصبرا في موضع جزم، وأصله: تصبرن بالنون الخفيفة للتأكيد، فأبدل عنها ألفا في الوقف، كقوله تعالى: " لنسفعا " وقول الأعشى:

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

هذا قول البصريين. وفي قول البغداديين: أنه خاطب الواحد الاثنين كقول الآخر:

فإن تزجراني بابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا." (١)

"يقول: صفت وشتوت على هذه الحال، وكنا أهل عز ومنعة، فكلما سمعنا بروضة كثيرة العشب قصدنا إليها، ورعينا إبلنا فيها، وإذا علمنا بحلة غزوناها وأغرنا عليها واغتنمنا أموالها.

أو عرضت عانة مفزعة ... صدنا بأخرى الجياد أولاها

العانة: قطعة من حمر الوحش. ومفزعة: أي مسرعة، لأنها إذا فزعت أسرعت في العدو.

يقول: كنا في تلك الناحية إذا عرضت عانة من الحمير صدنا بأخرى الجياد أي بأردئها: التي تكون متأخرة عن صواحبها في الجودة، أولى حمير الوحش: وهي السوابق منها.

أو عبرت هجمة بنا تركت ... تكوس بين الشروب عقراها

الهجمة: القطعة العظيمة من الإبل. قال الأصمعي: ما بين الأربعين إلى المئة. وتكوس: أي تمشي على ثلاث قوائم عندما عقرناها. والشروب: جمع شرب والشرب: جمع شارب. والعقري: جمع عقير.

يقول: إذا عبرت بنا قطعة من الإبل عقرنا الأدبار، فتكوس بين الشاربين.

والخيل مطرودة وطاردة ... تجر طولى القنا وقصراها

قوله: والخيل مطرودة وطاردة: أي لم تنفك غارة، ومطاردة، فتارة لنا وتارة علينا. والطولى: تأنيث الأطول:

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٤٣١

والقصرى: تأنيث الأقصر.

يعجبها قتلها الكماة ولا ... ينظرها الدهر بعد قتلاها

ينظرها: يؤخرها.

يقول: يعجب الخيل قتلها الكماة، ثم لا تلبث أن تقتل بعدها طلبا **للثأر**.

وقيل: أراد بالخيل أصحابها.

والمعنى: أنها إذا قتلت أعداءها أعجبها ذلك، وهي بعد ذلك لا يمهلها الدهر بعد من قتلت. أي: أصحاب الخيل، لأن العاقبة إلى الفناء.

وقد رأيت الملوك قاطبة ... وسرت حتى رأيت مولاها

يقول: رأيت الملوك كلهم، والآن رأيت عضد الدولة الذي هو سيد الملوك.

قال ابن جني: بلغني أن سيف الدولة قال لما سمع هذا البيت: أترى نحن في الجملة؟!

ومن مناياهم براحته ... يأمرها فيهم وينهاها

يقول: إن الموت تحت يده وطاعته! فهو متى شاء يأمر ملك الموت في الملوك وينهاه عنهم! أي يملك أرواح الملوك إن شاء أهلكهم وإن شاء أمهلهم.

أبا شجاع بفارس عضد ال ... دولة فناخسرو شهنشاها

هذه الأوصاف، والكنية، والاسم، نصب بدلا من مولاها ومن روى: أنه منادي قال: أبو شجاع كنيته، وشهنشاه لقبه، وفناخسرو اسمه، وفارس مقره. أي: لقيته بفارس.

أساميا لم تزده معرفة ... وإنما لذة ذكرناها

نصب أساميا بفعل مضمر. أي ذكرت أساميا.

يقول: لم أذكر هذه الأسامي لزيادة معرفة بها، إذ هو بذاته وصفاته مشهورة، وإنما ذكرناها التذاذا بذكرها.

تقود مستحسن الكلام لنا ... كما تقود السحاب عظماها

عظماها أي معظمها. والهاء للسحاب وتقود فاعله ضمير الأسامي.

يقول: إن أساميه المذكورة، ومساعيه المشهورة، تقود لنا مستحسن الكلام في مدحه، كما يقود السحاب بعضه بعضا وينضم إلى معظمه. وهذا كقول الآخر:

إذا امتنع الكلام عليك فامدح ... أمير المؤمنين تجد مقالا

هو النفيس الذي مواهبه ... أنفس أمواله وأسناها

يقول: هو كريم شريف الخطر، فلا يهب إلا أنفس أمواله، وأكرم ذخائره. وروى عن عبد الصمد أحد خزان عضد الدولة أنه أمر لأبي الطيب بألف دينار عددا، وزن سبع مئة، فلما أنشد هذا البيت تقدم إلي بأن أبدلها بألف وازنة.

لو فطنت خيله لنائله ... لم يرضها أن تراه يرضاها

يقول: إذا رضى فرسا، وهبه لقاصده، فلو فطنت خيله لهذا الرضا منه، لم يسرها أن تراه راضيا بها؛ لأنه إذا رضيها وهبها، وهي لا تحب الانتقال عنه.

لا تجد الخمر في مكارمه ... إذا انتشى خلة تلافاها

خلة نصب بتجد.

يقول: إن الخمر لا تجد في أخلاقه الكريمة خللا قبل السكر، حتى إذا شربها تلافته وأزالته.

تصاحب الراح أريحيته ... فتسقط الراح دون أدناها

الأريحية: الاهتزاز للكرم.

يقول: إن أريحيته تهزه للكرم وتعينها الراح، غير أن أدنى تأثير أريحيته، يزيد على أثر فعل الراح فيه.

تسر طرباته كرائنه ... ثم يزيل السرور عقباها

الكرائن: جمع كرينة، وهي الجارية العوادة، والهاء في عقباها للطربات.." (١)

"غبر زمانا غير متوار، ثم جعل في خلخال، تختال بلبسه ذات الخال، ثم نقل إلى جام أو كاس، وهو بحسنه كاس، ما تغير لبشار النيران، ولا غدر بوفي الجيران.

ولعل هذه الثمانين، قد أدرك ذهبها قارون، وموسى المرسل وأخاه هارون، وليس للهلكة به اتصال، ولا من العزة له انفصال، يعظم في أرض السند، وبلاد الهند.

وأما ابنة الأخت، أدام الله لها الصيانة، فإنها أدلت على الخال إذ كان أحد الوالدين، فهمت أن تأكل بيدين، وما هي بأخت للرجل الذي قال فيه القائل:

ووراء الثأر مني ابن أخت ... مصع، عقدته ما تحل

ولا تجعلها أختا للهجرس لأنه طالب خاله بثأر، فلم يقبح ما فعل من الآثار، ولكن تشبه أن تكون أختا

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٤٤٥

لابن مضرس حين فاتتها الأخوة من الهجر، وهو المعروف بالخنوت واسمه توبة، وكان له أخ يقال له طارق رهط خاله، فرأى أن يقتل خاله، وقال:

بكت جزعا أمي رميله أن رأت

دما من أخيها في المهند باديا

فقلت لها: لا تجزعي إن طارقا

حميمى الذي كان الخليل المصافيا

وما كنت، لو أعطت ألفي نجيبة

وأولادها لغوا تساق، وراعيا

لأرضى بوتر منهم دون أن أرى

دما من بني عوف على السيف جاريا

وما كان في عوف دم لو أصبته

ليوفيني من طارق غير خاليا وهو القائل:

لتبك النساء المعولات لطارق

ويبكين مرداسا قتيل قنان

قتيلان لا تبكي المخاض عليهما،

إذا شبعت من قرمل وأفان." (١)

"رجع: يا حمامة الأيك، أين السلكة والسليك، بل أسألك عن سمييك، بنت قرظة وأبي الواقف على أبي مليك، أخبري إن كنت من المخبرات. غاية.

تفسير: الأيك: جمع أيكة وهي شجر ملتف وربما خص به السدر؛ وروى عن ابن عباس أن الأيك شجر المقل. والسليك: ابن عمير وأمه السلكة، وهو من سعادة العرب ويقال له سليك المقانب؛ وأنشد لعبد يخاطب قوما:

لزوار ليلى منكم آل برثن ... على الهول أمضى من سليك المقانب

تزورنها ولا أزور نساءكم ... ألهفى لأولاد الإماء الحواطب

---

(١) رسالة الغفران أبو العلاء المعري ص/٢٠٤

وسميا الحمامة: هما الفاختة بنت قرظة التي كانت امرأة معاوية بن أبي سفيان. والفاختة تعد من الحمام؛ والحمام عندهم ما كان ذا طوق. وأبو الواقف على أبي مليك: هو ابن الحمامة الشاعر، وقف على الحطيئة العبسى فقال له: ما عندك يا راعي الغنم؟ الخبر.

رجع: يا مفرخة، إن الأعمال منتسخة، ومن الضعة سكنى الضعة، سبحي ربك مع المتهجدين. وقع المحظار، على ذوات الظار، فأخذ ما أخذ غير حميد، وبعلم الله شرب الفصيد. لو كان الإنسان حبلا، لتركته الحوادث نبلا، فاكتبنا رب من المحسنين. وصاحب الكاذب قمر، ولا يدري المكذوب كيف يأتمر، فاجعلنى رب من الصادقين. والغفر، أنفع من الوفر، فعفرانك راحم المذنبين. وليس للهرم، من مكرم، ذهب ذهاب درم، فارزقني كبر المطيعين. والقؤول الهذرة، ذرة جرت ذرة، من جراب شعثاء حذرة، فاكفنى رب قول المتخرصين. وكحل تطعم الكلب، سنام الذعلب، وتجلب بغير الينجلب، إلى الغوي المترب، ذات الحسن المعرب؛ فالطف مالكنا بالمتسترين. والجدب يحشر إلى الأمطار، أرباب الإصار، ويوكل أهل الصرم الحشرات. غاية.

تفسير: الضعة: شجر يشبه الثمام ويقال هو الثمام بعينه. والمحظار: ضرب من الذباب والظار: من قولك: ظأرت الناقة إذا عطفتها على غير ولدها. والنبل: الحجارة الصغار؛ ومنه الحديث في الاستنجاء: إتقوا الملاعن وأعدوا النبل. وقمر: من قمِر العينين لا يبصر. درم: رجل يضرب به المثل، ويقال إنه من دب بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان قتل فلم يدرك بثأره؛ وإياه عنى الأعشى بقوله:

ولم يود من كنت نسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

ذرة جرت ذرة: أي يدخل في أمر أكبر منه. والشعثاء: الفقيرة. وكحل: السنة المجدبة. والكلب: الكلب إذا أصابه الكلب. والذعلبة: الناقة السريعة. والينجلب: خرزة تؤخذ بها النساء رجالهن، واشتقاقها من أنها تجلب الرجل إلى امرأته؛ ومن كلامهم: أخذته بالينجلب فلم يرم ولم يغب ولم يزل عند الطنب والإصار: الطنب، ويقال: الوتد. والصرم: الأبيات المتجمعة من أبيات البادية وليست بالكثيرة.

رجع: يا ماعلة يا ماعلة، ما أنت في التقوى فاعلة، أطرى فإنك ناعلة، ما أنت لمرشدك جاعلة، ستضح لك شاعلة، ترفعها بالسدف قاعلة، تكفرها عن الناس الكفرات. غاية.

تفسير: الماعلة: من المعل وهو سير سريع. وأطرى: أي اركبى طرة الجبل وهي ناحيته. والقاعلة: جبيل دون الجبل الأطول وجمعها قواعل؛ ومن ذلك قول امرئ القيس:

كأن دثارا حلقت بلمونه ... عقاب ملاع لا عقاب القواعل

عقاب ملاع: هي العقاب السريعة الاختطاف. تكفرها: تسترها. والكفرات: من أسماء الجبال.
رجع: أين شد أنتحيه، لاح البارق فالمحيه، قدسي ربك وسبحيه، وذمي نفسك ومدحيه، وهبى مالك تربحيه، واذكرى غائبك واستحيه، وراعي صاحبك وانصحيه، تحسبي من الخيرات. غاية.
باتت العروس تجلى كروضة حزن لا تخلى، بين حلل وحلى، كأجواز عناظب هزلى، فأصبحت تقبر لتبلى، من لقب سالما بالحبلى، وسمى الجبل أجلى، تهافت أولئك هطلى، وربنا الكريم الأعلى، فاستغن عن السرق بالنمرات. غاية.
تفسير: العنظب: ذكر الجراد. والحلى يوصف فيقال كأنه هزلى الجراد. وسالم الحبلى: من أجداد عبد الله بن أبي الأنصاري؛ سمى الحبلى لعظم بطنه. وأجلى؛ جبل ومن أمثالهم: أرها أجلى أنى شاءت، يضرب ذلك للرجل االمقتدر على الشئ. وتهافت: سقط. وهطلى: بعضها في إثر بعض. والسرق: الحرير الأبيض. والنمرات: جمع نمرة وهي ثياب فيها سواد وبياض.
رجع: كم أذمر نفسي حاضا لها على فعل الخير وهي غير مصغية إلى طول الذمرات. غاية.
صل في الضراء والخمر، وفي البراح الأكشف وباشر الأرض بمسجدك وإن شئت فعلى الخمرات. غاية.." (١)
"والمعنى أن الرجل إذا أرسل لسانه جاز أن يضرب رأسه بالسيف؛ ومن ذلك قول العرب " مقتل الرجل بين فكيه " والمومس: العاجرة. والبثع: من قولهم شفة بتعة وهو أن يظهر ذمها ويرم لحمها ودراج: ابن زرعة الكلانى، كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل، وهو القائل:
إذا أم سرياح غدت في ظعائن ... جوالس نجدا فاضت العين تدمع
فأبلغ بني عمر وإذا ما لقيتهم ... بآية كراتى إذا الخيل تقدع
فما القيد أبكانى ولا السجن شفنى ... ولا أننى من رهبة الموت أجزع
ولكن أقواما ورائى أخافهم ... إذا مت أن يعطوا الذي كنت أمنع
رجع: من كذب ففي حبل الباطل جذب، وما أحسن ثياب الصادقين، وربك يجزي الصادق والكذوب. إن ذا القسيب، ليس بلسيب، والتجارب تلقح العقول، والله مجرب المجربين. ما صرير الجنادب بدعاء الآدب، والله أعلم بتسبيح الحشرات. ومن أسنت فقد أعنت وأعنت؛ فنعوذ بالله من غلبة السنين. أركبان البروج أروح أم ركبان السروج، ولكل وقت يعلمه الله هو فيه مستريح. إن المعنج طمع في ركوب السفنج؛ فاذا هو راجل

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٣٥

بالسبروت، أما السيل فحمر؛ وأما الشر فشمر لا تحلى يلى تمر، إن طرفك لطمر؛ يحضر وأنت غر؛ لا تستمسك أو أن تخر، فالفزع إلى الله قبل أوبة الآئبين. وليس بمنقوس، من سكن في القوس، ولن يسلم أحد من العائبين. والطلف، تمام التلف، وكل عند الدهر جبار؛ شهدت المعاينة والأخبار يا فاسق إنك لسدم، وأمامك ورد ردم، ليس عليه سواك مقدم، أنت على الثراء معدم، والسقم، بعض النقم، وبالله شفى السقيم. إن الفدن، لا يشعر بكسوة الردن، اكس الأبجر ولا تكس الحجر، والله كاسى العارين ومعرى المكتسين. الغنى محتلط، وهو الغد مبلط، لا يغرنك نعم كالحراج. غاية.

تفسير: القسيب: صوت الماء. واللسيب هاهنا: بمعنى ملسوب وهو الملعوق؛ والمعنى أن الماء لا يلعق. ويقال في المثل: " أحمق من لاعق الماء ". والآدب: الذي يدعو إلى الطعام. وأسنت: من الجدب. وأعنت: لأنه يضيق على ما شيته ومن يعوله. وركبان البروج هاهنا: الذين يحرسون حصونهم. والمعنج: الأحمق الذي يعترض في كل شئ. والسفنج: من صفات الظليم؛ ويقال معناه الواسع الخطو؛ المعنى أن الأحمق يطمع فيما لا يطمع في مثله. والسبروت: الارض التي لا شئ فيها. والسيل الحمر: الشديد؛ والمعني أنه يقشر وجه الأرض. من حمره إذا قشره. والشمر: الشديد، يوصف به الشر خاصة. والطمر: السريع الوثب والمنقوس: من نقسته إذا عبته. والقوس: موضع الراهب. واللطلف: من قولهم ذهب دمه طلفا لم يدرك بثأره. والسدم: اللهج بالشئ. ومردم: دائم. والفدن: القصر، ويقال القنطرة. والردن: الخز. والأبجر: الذي سرته ناتئة، وكل عقدة في الجوف بجرة. ومحتلط: مجتهد؛ والأحتلاط: الأجتهاد. والمبلط: الذي قد لصق بالأرض من الفقر؛ وهو مأخوذ من البلاط، كما أن المدقع مأخوذ من اللصوق بالدفعاء وهي التراب. والنعم: الإبل خاصة؛ والأنعام: الإبل والغنم وغيرها. والحراج: جمع حرجة وهي شجر ملتف.

رجع: لا بقوى لغير التقوى، فأحسن اليقين، وكن من المتقين. ولا تعرج، على خوط مريج، فأعمد لنفائس الأمور. وأنا من نبذ الجديد، بالكديد، وتعلق يطلب الخلق، والله الرث والجديد. والسالك، في طريق الهلوك هالك، لا تنبع الضالين. وقد يشبيك، من ليس بأبيك، والله كافى الكافين. يقطعك أبوك، والبعيد يحبوك، وربك أجل الحابين. وإذا في صباك، فلا جنوبك تحمد ولا صباك، وإذا أكتهلت، عللت وأنهلت، فالصدر الصدر، إن عدوك لقريب. وإذا أسن الرجل فقد دنا الرحيل. إن الحى خاوف وليس الأطيط بالغطيط. ويسمع انقيق، في الماء الرقيق، واللجة، لها رجة، وإلى الخالق نتوجه. ضعفت الناب، عن الجناب، وبئس الرب رب لا يعذر إن غفل قات، في بعض الأوقات. وشر المقالة مقالة السداج. غاية.

تفسير: الخوط: الغصن. والمريج: الشديد الاضطراب. والكديد: ما غلظ من الأرض. ويشبيك: يكفيك. والأطيط: كل صوت دقيق مثل صوت النسع الجديد ونحوه. والغطيط: صوت المختنق؛ ويقال غط الفحل غطيطا إذا لم يفصح بالهدير، والغطيط من هدير البكارة.." (١)

"والفال: عرق في الفخذ. ويقال هو اللحم الذي في خرب الفخذ وهو ثقب في عظم في موصلها بالورك. ونسر جربة هو أحد النسرين: الواقع والطائر. وجربة من أسماء السماء غير مصروف؛ قال الأعشى:

وخوت جربة النجوم فما تش ... رب أروية بمرى الجنوب

والنبيلة: الجيفة. والنسور تسقط عليها. والنسر: مثل النواة يكون في بطن الحافر. والوأبة من الحوافر هي المقتدرة المقعبة؛ قال أبو دواد يصف الفرس:

يخد الارض خداب ... صمل سلط وأب

شديد النسر والحاف ... ر مثل الغمر القعب

والجوزاء: النعجة التي في جوزها وهو وسطها بياض والحبط: أن ترعى الماشية عشب الربيع فتنتفخ عنه بطونها حتى يقتلها؛ ويقال إنه يحدث بالضأن عن أكل الذرق وهو الحندقوق، وفي الحديث: " وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ". والحارث الحبط أبو حي من بني تميم كان في سفر ففني زاده فأكل العشب فحبط عنه. وألاده الحبطات بكسر الباء، كذلك تقول ا لجلة من أهل العلم. والخبط: ما خبط من ورق الشجر لتعلفه الماشية من الإبل وغيرها. والشرط: رديء المال، ويستعمل في الناس أيضا؛ قال الكميت:

وجدت الناس إلا ابني نزار ... ولم أذممهم شرطا ودونا

ونحر القزم راعي الهزم، فالقزم صغار الشاء ورديئها، ويستعمل في المعز والناس؛ قال جرير:

تساق من المعزى مهور نسائهم ... وفي قزم المعزى لهن مهور

والهزم: المهازيل من الغنم؛ وقد يكون الهزم في معنى ما يبس من العشب وتهزم أي تكسر. والفزر: القطيع من الغنم، وبه لقب سعد بن زيد مناة بن تميم الفزر، ويقال إنه كان له قطيع من غنم أو معز فجاء به مكة فأنهبه الناس في الموسم فقالت العرب في المثل: لا أفعل ذلك حتى تجتمع معزى الفزر.

وكحل: اسم لسماء الدنيا. والنوافز: نجوم في السماء يسمين الظباء تزعم العرب أنهن خفن أسد النجوم فنفرن منه.. والنفر: نحو القفز، وتسمى القوائم نوافز، لأن النفز يكون بها؛ قال الشماخ:

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٩١

قذوفا إذا ما خالط الظبي سهما ... وإن ريع منها أسلمته النوافز

فسروه القوائم. وأصل النفز في الظباء لا يكادون يخرجونه في الاستعمال عنها. والراتعات غب المطر: الظباء لمعروفة. والحادي: طالب الجدي. ويحترش: يكتسب؛ وأصله من احتراش الضب.

ويقال: جدت بالرجل جداد معدول مثل عقتهم عقاق من جد الأمر: قال الشاعر:

جدت جداد بلاعب وتبدلت ... في الحي لبسة قالب حيران

وهذا بيت معنى، كانت العرب تزعم أن الإنسان إذا حار قلب ثوبه ولبسه مقلوبا فذهبت حيرته. وعياد: مصدر عاد يعود عيادا، مثل قام يقوم قياما. درم: رجل يضرب به المثل، فيقال: " أودى درم " وهو فيما يزعمون من بني دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل فلم يؤخذ بثأره: قال الأغشى:

ولم يود من كنت تسعى له ... كما قيل في الحرب أودى درم

رجع: ماريا قطر، ورائحة حبيب عطر، بأطيب من ثناء مستطر، يثني به بر على مبر. وذكر الله مراتع القلوب يستعذبه الأواب، ويسكن إليه الصالحون. فاغسل الحوب، بأن تتوب، ولا تعرك ذنبك بجنبك؛ فتصر على سخط ربك. وإلى السوق، تحمل الوسوق، فما كان جيدا نفق، وما كان رديا زهد فيه. وإنما أنت درهم إن اتقى وضح، وإن فسق زاف. فإذا اندفق سقاء الصبح وصقلت البيضاء أديم النهار فاستخف عن العيون؛ فغنها مفسدة لما تقع عليه؛ وإذا الليل طلى قار الأرض بالقار المغض فابرز لحدق النجوم؛ واسأل الأسد، كم فني تحته من أسد، والنعائم كم طلعن على ظلم؛ يخبرنك بالبرحين. والمحبون رجلان: محب للطاعة، ومحب تحت المعصية؛ فطوبى لأحد المحبين، ويا ويح الآخر لما خلا خلاء البعير. ومن مزج رضابه بذكر الله لم ييأس من رضاب الحور، وإن لسانا مجده لجدير بالسلامة من العي في ساعة طلب المعاذير. وإنما نحن في أحلام نائم، لا أحلام ذوي العزائم، وقد يرى الراقد، نفسه مع الفراقد، فإذا استيقظ رآها بالجدد. كل غضاة وأضاة، ومغمدة ومنتضاة، تشهد وتقر، وتقسم فتبر، أن الخالق حكيم، وأن الوارث هو القديم.." (١)

"والشنف: المبغض؛ يقال: شنفته إذا أبغضته. والصليان: ضرب من النبت: يقال في المثل للرجل إذا حلف اليمين فقطعها جذها جذ العير الصليانة لأنه يقتلعها بأصلها؛ قال الشاعر:

بلاد لا يزال العلج فيها ... يضاحك جعثنا فيه اغبرار

يريغ الصليانة ناجذاه ... فيتبعها غبار مستثار

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٠٢

العلج: الحمار الوحشي. والجعثن: أصول الصليان. والعشير: الزوج، والمرأة عشيرة. وخاخ موضع قريب من المدينة؛ قال الشاعر:

خلفوني ببطن خاخ مريضا ... وتولوا وغادروني طلحا

رجع: أنت ربنا مجيل الأفكار. تلمح النعامة القوم السفر فتود لو غارت بهم الأرض؛ ولعل في مزادهم حنظلا يبث في البيد فيربيونها في الأدجي فتلقى من أمر الله جللا. ويطوف العفو بالنبعة وكيف له باجتثاث أصلها وهو لا يفرق بينها وبين شجرة الضرو؛ لا يدفع توقيك من حكم القادر مرسلا. ويفرح ابن الأمة بالدجوب وهو صفر كأنه قد عرف ما يوعى فيه من الطعام؛ ولن تبلغ بغيِر الله أملا. يدرك العلم بثلاثة أشياء: بالقياس الثابت، والعيان المدرك، والخبر المتواتر. فأما الحس فزجر طيرهى خليقة بالكذب وإن صدقت فباتفاق؛ والعلم لله كملا. ربما أدلجت السعلاة إذا شاء الله لتظني البرق فهجمت على جمرات، أوقدها راعي بكرات، من العرمج أو بعض الشجرات، فأضاعت بعلا، ولم تصادف أهلا. وربك عز وعلا يورخ إذا أمر الصخرة أي الإيراخ. غاية.

تفسير: العفو: الجحش. والنبعة: شجرة يتخذ منها القسي. والضرو: شجر البطم. والجوب: وعاء نحو الغرارة. وذكر السعلاة هاهنا مبني على حديثها الذي تدعيه العرب لعمرو بن يربوع بن حنظلة وقد مر ذكره. ويورخ: من أورخت العجين إذا أكثرت ماءه حتى يرق.

رجع: كم أمرة عرفها الدليل وعند الركبان أنها حجر، لم ينصبها بشر، وكفى بالله هاديا. وقد يفني الراكب ليلته بالسؤال: أين المنزل ومنى التعريس؛ فسبحان الله يجعل قدره الجبل واديا. وإن كان للإبل غريزة عِلم فما بال الشارف تدر على البو وإنما هو ثمام؛ ولولا ربك لم يشف المورد صاديا. وكيف لا يهرب العود من الكلأ الوخيم، وعلام تنساق الهجمة أمام الفتى الغر إلى مدى الجازر وسيف العاقر؛ فارهب الله وكن للمنكر معاديا. ولعمرك ما تبالي السمرة ألها بكر العاضد أم للأراكة، وإنها لا تفرق بين الحبلة والبرمة وغيرهما من الثمار، ولا تميز العنم من بنان المرتقنة، ولو عرفت ذلك لاغتسلت من الدودم كما تغتسل الكاعب من دم الطمث؛ وإذا شدا الغوي بالهنود فلتلف بذكر الله شاديا؛ إن ذكره مسك فاخ. غاية.

تفسير: الأمرة: العلم ينصب من حجارة؛ ومنه قول أبي زبيد يرثي عثمان:

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر ... بالأرض في مستوى البيد الصفاصيف

وربما قيل: الأمر الحجارة. والأول أصح وعلية المعنى. والبرمة والحبلة: من ثمار العضاه. والمرتقنة: المختضبة.

والرقان: الحناء. والدودم: ما يخرج من السلمة يقال هو حيضها. وفاخ: مثل فاح.

رجع: وكم ناظر إلى الفراق ثم كفيه. ورب جفن حلبته النوى فواقا ثم حلبه الجذل بإلقاء العصا فواقا؛ فاستكف بالله تجده كافيا. وقد يكذب الموعدة بنأي الغد أمر يحدث بعد شد الأكوار، وإن كان النعيب من شواهد الرحيل فالغراب يعلم الغيب، ومعاذ الله! شغل ابن داية بسؤر الليث ورذية السفر عن توكف الأخبار؛ وان تخفي عن الخالق خافيا. ورب مطلوب بترة، هجم على إرة، وهو القائف اللبيب يتوهمها أطيمة فريقه، فوجد لديها ثأرة زرق العون؛ وأبت الأقضية من رب العالمين أن تترك ريش جناح وافيا؛ لكل خير بالشر انتساخ. غاية.

تفسير: الفواق بالفتح والضم ما بين الحلبتين. وتوكف الأخبار: توقعها. والإرة: النار، وقيل حفيرة توقد فيها النار. والأطيمة: الموضع الذي توقد فيه النار، وقيل: هي التنور، وجمعه أطائم؛ قال الأفوه الأودى:

في موقف ذرب الشبا وكأنما ... فيه الرجال على الأطائم واللظى." (١)

"ينهشنه ويذودهن ويحتمي ... عبل الشوى بالطرتين مولع

فحنا لها بمذلقين كأنما ... بهما من النضح المجدح أيدع

حتى إذا ما الثور أقصد عصبة ... منها وقام شريدها يتضرع

وبدا له رب الكلاب بكفه ... بيض رهاب ريشهن مقزع

فرمى لينقذ فرها فهوى له ... سهم فأنقذ طرتيه المنزع

فكبا كما يكبو فنيق تارز ... بالخبت إلا أنه هو أبرع

فكأن سفودين لما يقترا ... عجلا له بشواء شرب ينزع

فإن سلم من النوابح أخو الربل، فما يؤمنه بعد ذلك من النبل.

قال " زهير ":

فجالت على وحشيها وكأنها ... مسربلة في رازقي معضد

وتنفض عنها غيب كل خميلة ... وتخشى رماة الغوث من كل مرصد

ولم تخش وشك البين حتى رأتهم ... وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد

وثاروا لها من جانبيها كليهما ... وجالت، وإن يجشمنها الشد تجهد

---

(١) الفصول وال غايات أبو العلاء المعري ص/١٤٧

تبذ الألى يأتينها من ورائها ... وإن تتقدمها السوابق تصطد

فأنقذها من غمرة الموت بعد ما ... رأت أنها إن تنظر النبل تقصد

نجاء مجد ليس فيه وتيرة ... وتذبيبها عنها بأسحم مذود

وهذا في شعر العرب أكثر من أن تقام الأدلة عليه.

وإنما جئت به كما يشير المحدث إلى أم شملة، ويريك راكب ليله الساهرة.

وأما الجربة من العانات، فما تدفع شرور الصادة بمساناة. بينا هي ترتع في روض أنق وتكرع في غدير ليس برنق، أتيح لها – والقدر أتاحه – فارس يقصر لقاحه، على قباء من الخيل المضمرة، ليست في شرب الرسل بمغمرة يسقيها المحض ويشر السمار، لتقيد له الأوابد ولا ضمار؛ أو سابح في الطلق غمر، أعانت به الأقضية على إدراك الأمر. فربه يهين الإبل ويكرمه، ويحرم عياله ولا يحرمه. وإنما يأمل به أمورا ليس هو إذا بلغها مقمورا: يعده لطلب ثأر يحسب أخذه أسنى الآثار، أو غارة يصبح بها عدوا، فيلطع مع الأشقر غدوا، أو نجاء في المأزق من سيف وسنان، إذا جشأت النفس الكاذبة لرعب الجنان؛ أو صيد يشبع به أطفالا، ولا يوجد رأيه فيما صنع فالا. حتى إذا أنفض عياله وفني قوته لولا احتياله، عرضت له في آخر السبرة أتن وعلج، وما يطرح بقدره الفلج. فركب فرسه واثقا به فحمله على العير وقبه، فطعنه في الفائل أو القرب، فروى من دمه صادي الترب.

وربما كان ابن أخدر في عذاة قد بعد بها عن الأذاة، حتى إذا العطش حرقه وأمره بالمورد ليطرقه، ورد آملا برد الماء يطفيء به ما استعر من لهب الأظماء. وقد سبقه إلى الشريعة أخو قوس ما يلتمس بها من أوس.." (١)

"سلام الله توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك «١» وقال أبو بكر لبلال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء «٢» ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنيئا زادك الرحمن خيرا ... فقد أدركت ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا ... غداة تنوشك الأسل الطوال «٣»

إذا هاب الرجال ثبت حتى ... تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي ... جلا أطراف متنيه الصقال «٤»

---

(١) رسالة الصاهل والشاجح أبو العلاء المعري ص/١٢

[من كلام عمر]

وكتب عمر بن الخطاب- رضي الله عنه! - إلى ابنه عبد الله:

أما بعد؛ فإنه من اتقي الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه؛ فاجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له.

ودخل عدى بن حاتم على عمر، فسلم وعمر مشغول، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا عدى بن حاتم؛ فقال: ما أعرفني بك! آمنت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، وأقبلت إذ أدبروا! وقال رجل لعمر: من السيد؟ قال: الجواد حين يسأل، الحليم حين يستجهل، الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره.

وقال رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال:." (١)

"حشمة، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبدا حبشيا، ويضع قرشيا، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رتبة كوكبها لا يغور، ومنزلة لولبها لا يدور؛ فإذا عرفت قدرى وخطه، لم أتخطه، ثم إن رأيت محلى وحده، لم أتعده، إن قدمني يوما عليها علمت أن عناية قدمتني، وإن أخرني عنها علمت أن جناية أخرتني. رفع على اليوم فلان ولست أنكر سنه وفضله، ولا أجحد بيته وأصله، ولكن لم تجر العادة بتقدمه، لا في الأيام الخالية، ولا في هذه الأيام العالية؛ وشديد على الإنسان ما لم يعود؛ فإن كان حاسد قد هم، أو كاشح قد نم، أو خطب قد ألم، أو أمر قد وقع وتم، فالشيخ الجليل أولى من يعرفه ويعرفنيه، وإلا فما الرأى الذى أوجب اصطناعى، ثم ضياعى، والسبب الذى اقتضى بيعى بعد ابتياعى؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدى]

ولما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدى أمر به فأدخل عليه، فلما وقف بين يديه قال: ولى الثأر محكم في القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مدله من أسباب الرجاء أمن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك، فإن أخذت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك.

ثم قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك، أو لا ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعالى ... من الكرام فكنه

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٧٢/١

فقال لى: إنى شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك، فأشارا به، قال: فما قلت لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت لهما: بدأناه بإحسان، ونحن نستأمره فيه، فإن غير فالله يغير ما به، قال: أما أن يكونا قد نصحا في عظيم ما جرت عليه السياسة." (١)

"وقد أنشد هذين البيتين أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، قال: أنشدني علي بن سليمان السلمي لنفسه، فأنشدهما وزاد (فيهما) :

ودمي، فلو أني علمت بأنه ... يروي ثراك، سقاه صوب الصائب
لسفكته أسفا عليك وحسرة ... وجعلت ذاك مكان دمع ساكب
ولئن ذهبت بملء قبرك سؤددا ... فجميل ما أوليت ليس بذاهب

وقال ابن بسام أيضا:

كم قد قطعت إليك من ديمومة ... نطف المياه بها سواد الناظر
في ليلة فيها السماء مرذة ... سوداء مظلمة كقلب الكافر
والبرق يخفق من خلال سحابه ... خفق الفؤاد لموعد من زائر
والقطر منهل يسح كأنه ... دمع المودع إثر إلف سائر

ومن ظريف ما في هذا المعنى قول بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشئ حيث يقول:

خليلي هل للمزن مهجة عاشق ... أم النار في أحشائها وهي لا تدري
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت ... وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجري
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد ... فعاجت له نحو الرياض على قبر
تسربل وشيا من خزوز تطرزت ... مطارفها طرزا من البرق كالتبر
فوشي بلا رقم ونقش بلا يد ... ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وكتب أبو الفتح محمود بن الحسين السندي المعروف بكشاجم إلى بعض إخوانه في يوم شك بقوله:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢/٦٠٨

هو يوم شك يا علي ... وأمره مذ كان يحذر

والجو حلته ممس ... كة ومطرفة معنبر

والماء فضي القميص ... وطيلسان الأرض أخضر

نبت يصعد زهره ... في الروض قطر ندى تحدر

ولنا فضيلات تكو ... ن ليومنا قوتا مقدر

ومدامة صفراء أد ... رك عهدها كسرى وقيصر

فانشط لنا لنحث من ... كاساتنا ما كان أكبر

أو لا فإنك جاهل ... إن قلت: أنك سوف تعذر

وقال علي بن العباس الرومي:

من عذيري من أضعف الناس ركنا ... وبعينيه صولة الحجاج

شادن يرتعي القلوب ببغدا ... د ولا يرتعي الكلا بالنباح

ولئن قلت: شادن إن قلبي ... لأسير لغادة مغناج

أقبلت والربيع يختال في الرو ... ض وفي المزن ذي الحيا الثجاج

ذو سماء كأدكن الخز قد غيم ... ت وأرض كأخضر الديباج

فتجلى عن كل ما يتمنى ... موعد الكذ خذاة والهيلاج

فظللنا في نزهتين وفي حس ... نين بين الأرمال والأهزاج

بفتاة تسرنا في المثاني ... وعجوز تسرنا في الزجاج

أخذت من رؤوس قوم كرام ... ثأرها عند أرجل الأعلاج

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو محمد الحسن بن (علي) بن وكيع:

قم فاسقني والخليج مضطرب ... والريح تثني ذوائب القصب

كأنها والرياح تعطفها ... صف قنا سندسية العذب

والجو في حلة ممسكة ... قد طرزتها البروق بالذهب

وقال:

وسحاب إذا همى الماء فيه ... ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر إلا ... ظل يذكي على القلوب حريقا

وقال أبو الفتح علي بن محمد البستي:

يوم له فضل على الأيام ... مزج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم ... والغيم يبكي مثل طرف هام

وكأن وجه الأرض خد متيم ... وصلت سجام دموعه بسجام

فاطرب ليومك أربعا هن المنى ... وبهن تصفو لذة الأيام

وجه الحبيب ومنظرا مستشرفا ... ومغنيا غردا وكأس مدام

ومن مجموع ألفاظ أهل العصر في الربيع وحسن منظره، وفضل أحواله (وطيب) مخبره:." (١)

"قال وهب بن ناجية الرصافي: كنت أحد من وقعت عليه التهمة في مال مر أيام الواثق، فطلبني السلطان طلبا شديدا، حتى ضاقت علي الرصافة وغيرها فخرجت أريد البادية مرتادا رجلا عزيز الجار، منيع الدار، أعوذ به، وأنزل عليه، حتى انتهيت إلى بني شيبان، فدفعت إلى بيت مضروب، وبفنائه فرس مربوط، ورمح مركوز، فدنوت وسلمت، فرد علي نساء من وراء السجف، ثم قالت إحداهن: اطمئن يا حضري، نعم مناخ الضيفان بوأك القدر، ومهدك الصبر، قلت: وأنى يطمئن المطلوب، أو يأمن المرعوب [من] دون أن يأوي إلى جبل يعصمه أو مفزع يمنعه، وقليلا ما يهجع من السلطان طالبه، والخوف غالبه، قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنب كبير، وقلب صغير، وأيم الله لقد حللت بفناء بيت لا يضام فيه أحد، ولا تجوع فيه كبد، هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله، وسيدهم في فعاله، له صدق الجوار، وطلب الثأر، ووقود النار، لا ينازع ولا يقارع، وبهذا وصفته أمامة بنت سعد حيث تقول:

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته ... بكل معدي وكل يمان

وفى بهما جودا وبأسا وسؤددا ... ورأيا فهذا الأسود بن قنان

أعز ابن أنثى من معد ويعرب ... وأكرمهم فعلا بكل مكان

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٤

فتى لا ترى في ساحة الأرض مثله ... ليوم نزال أو ليوم طعان

قلت: لقد أذهبت اللوعة، وسكنت الروعة، فمن لي به، قالت: يا جارية مولاك، فلم تلبث أن عادت وهو معها في جماعة من قومه، فقال: أي المنعمين علينا أنت؟ فسبقت المرأة وقالت: يا أبا المرهف هذا الرجل نبت [به] أوطانه، وأزعجه زمانه، وأوحشه سلطانه، وقد ضمنا له عنك، ما يضمن لمثله عن مثلك، فقال: بل الله فاك، أشهدكم يا بني أبي أن هذا الرجل في جواري وذمتي، فمن أراده فقد أرادني، ومن كاده فقد كادني، ثم أمر ببيت، فضرب إلى جانبه، وقال: هذا بيتك، وهذا مالك، وأنا جارك، وهؤلاء رجالك، فلم أزل بينهم في أعز دار، وأحسن جوار، إلى أن سرت عنهم.

ومدح ألأعرابي قوما فقال: أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فدلت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال وابتاعوا المحامد بالمال.

وقصد أعرابي من بني كلاب رجلا منهم، يكنى أبا معاذ، فسئل عنه بعد انصرافه فقال: لقد رأيت أبا معاذ خير ملاذ، ولذت منه بأكرم معاذ، وأحمدت بلقائه عاقبة الإغذاذ.

ومن ألفاظ أهل العصر في المدح: فلان مسترضع ثدي المجد، مفترش حجر الفضل، له فضل يشير إليه النجم الثاقب، وتحفظ طرفيه المناقب، له صدر تضيق عنه الدهناء، وتفزع إليه الدهماء، له في كل مكرمة غرة الإيضاح والأوضاح، وفي كل فضيلة قادمة الجناح، له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح، وغرة يترقرق منها ماء الكرم الصريح، وتقرأ منها صحيفة حسن الشيم، يحيي القلوب بلقائه، قبل أن يميت الفقر بعطائه، له خلق لو مزج به [ماء] البحر لنقى ملوحته، وكفى كدورته، وهو غذاء الحياة، ونسيم العيس، ومادة الفضل، وآراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب، له همة تعزل السماك الأعزل، وتجر ذيلها على المجرة، وهو راجح في موازين العدل، سابق في ميادين الفضل، يفترع أبكار المكارم، ويرفع منار المحاسن، ينابيع الجود تنفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله، هو بيت القصيدة، وأول الجريدة، وعين الكتيبة، وواسطة القلادة، وإنسان الحدقة، ودرة التاج، ونقش الفص، وهو ملح الأرض، ودرع الملة، ولسان الشريعة، وحصن الأمة، هو غرة الزمان، وناظر الإنسان، أخلاق خلقن من الفضل، وشيم تشام بها، بوارق المجد، أرخ الرجال بفضله وعقم النساء عن مثله. البذل منه معتاد، والفضل منه مبدأ ومعاد، ماله للعفاة مباح، وفعاله في ظلمة الدهر مصباح، كأن قلبه عين، وكأن حسه سمع، جوهره من جواهر الشرف، لا من جواهر الصدف، وياقوته من يواقيت الأحرار، لا من

يواقيت الأحجار.

ولهم في نقيض ذلك:." (١)

"غرد الطير فأنبه من نعس ... وأدر كأسك فالعيش خلس

سل سيف الفجر من غمد الدجى ... وتعرى الصبح من غمد الغلس

وانجلى عن حلل فضية ... ما بها من ظلمة الليل دنس

فاسقني من قهوة مسكية ... في رياض عنبريات النفس

وصل كتابك مشحونا بلطيف برك، موشحا بغامر فضلك، ناطقا بصحة عهدك، صادقا عن خلوص ودك، وفهمته، وشكرت الله جل اسمه على سلامتك، شكر المخصوص بها، العارف بقدرها، واستدمته عافيتك استدامة اللابس لها، المشارك فيها، فأما ما بالغت فيه من الاعتداد بي، وتناهيت فيه من التقريظ لي، فما زدت على أن أعرتني خلالك، ونحلتني خصالك، لأنك بالفضائل أولى، وهي بك أحرى، ولو كنت في نفسي ممن يشتمل على وصفه حدي إذا حددت، أو يحيط بكماله وصفي إذا وصفت، لشرعت في بلوغها والقرب منها، لكن المادح يستنفد وسعه وقد بخسك، ويستغرق طوقه، وقد نقصك، فأبلع ما يأتي به المثنى عليك، ويتوصل إليه المطري لك، الوقوف عند منتهاه، والإقرار بالعجز عن غايته ومداه.

وهذا كقول البديع في جواب كتاب إلى عدنان بن محمد رئيس هراة: ورد كتاب الرئيس مولاي، فأتت النعم تترى إلي، ومثلت [لدي و] بين يدي، [و] وجدت سيدي قد أخذ مكارم نفسه، فجعلها قلادة غرسه، وتتبع المحاسن من عنده فكساها لعبده، وما اشبه رائع حليه في نحر وليه، بالغرة اللائحة على الدهمة الكالحة، ولا آخذ الله سيدي بوصف نزعه من غرضه فزرعه في غير أرضه، ونعت أخذه من خلقه وخلقه، فأهداه إلى غير مستحقه، وفضل استفاده من فرعه وأصله، فأوصله إلى غير أهله.

ذكر حديث الشوق إلي، ولو كان الأمر بالزيارة حتما، والإذن أطلق جزما، لكان آخر نظري في الكتاب، وأول نظري إلى الركاب، ولاستعنت على كلف السير أجنحة الطير، لكنه أدام الله عزه صرفني بين يد سريعة الأخذ، ورجل وشيكة النبذ، واراني زاهدا في ابتغاء، كحسو في ارتغاء، ونزاعا في نزوع، كذهاب في رجوع، ورغبة في، كرغبة عني، وكلاما في الغلاف، كالضرب تحت اللحاف، فلم أصرح بالإجابة وقد عرض بالدعاء، ولم أعلن بالزيارة وقد أسر بالنداء، ولو جاهرني بفم المناجاة، ولم يدعني بلسان المحاجاة، لكنت أسرع من الكرم

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٤٢

إلى طرفيه، وفكرت في مراده، فوجدت الكرم يشب ناره، والفضل يدرك ثأره، وإذا كان الأمر كذلك فما أولاه، بترفيه مولاه، عن زفرة صاعدة، بسفرة قاعدة.

أخذ هذا القول من قول ابن الرومي لابن ثوابة، وقد ندبه إلى السفر إليه ليصله:

أما حق حامي عرض مثلك أن يرى ... له الرفد والترفيه أوجب واجب

أقمت لكي تزداد نعماك نعمة ... وتغنى بوجه ناضر غير شاحب

وليس عجيبا أن ينوب تكرم ... غذيت به عن آمل لك غائب

ذمامي يرعى لا ذمام سفينة ... وحقي لا حق القلاص النجائب

فصل لأبي بكر الخوارزمي

أنا مشتاق مولاي شوقا، لو قسم على قلوب العالمين لملأها صبوة، ولم يدع فيها سلوة، وما أشكر نفسي على أن تشتاق إلى من لا ترى له عديلا، ولا تجد إلى السلو عنه بديلا، وإن طرفي بطرفه معقود، وإن باب نسيانه وتناسيه علي مسدود، وإني إذا صدرت كتابي إليه بالسلامة، مع أن قلبي غير سليم من اللم، ولا صحيح من السقم، فإنما أريد بذلك التفاؤل بالكتاب، واتباع رسوم الكتاب. فلئن بلغني إطنابه في ذكري، وتفضيله غياي على أهل عصري، وهذا سلف أسلفنيه، وأنا بمعونة الله أؤديه، وما أزن نفسي بالميزان الذي [به يزنني ولا أزينها بالفضل] الذي يزينني، فإن كان كما قال، فالفضل منه درج إلي، وخرج من الكمين علي، فإني عاشرته فأعداني فضلا، وهذبني قولا وفعلا، وأنا في ذلك جنيبته إن رضيني جنيبة، وخليفته إن قبلني خليفة، ولقد أعرب [في] ذلك الحر، وخالف طريقة غيره من أهل الدهر، ولقد شهد له فعله أنه كريم، ومن اللوم واللؤم سليم، على قضية أبي تمام الطائي إذا يقول:

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... عند السرور الذي واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كانوا يألفهم في المنزل الخشن

وشهادة أبي تمام في الكرم، تقوم [مقام] شهادة أمة من الأمم، ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند

الأنبياء والحكام، إن أبا تمام لذو الشهادتين عند الأحرار والكرام.

وله إلى أبي سعيد أحمد بن شبيب:." (١)

"هواء لكنه جامد ... وماء ولكنه غير جار

إذا ما تأملتها وهي فيه ... تأملت نورا محيطا بنار

وما كان الحق أن يقرنا ... لفرط التنافي وطول النفار

ولكن تجاور شكلاهما البسيطان فاتفقا في الجوار

كأن المدير لها باليمين ... إذا قام للسقي أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين ... له فرد كم من الجلنار

وقال كشاجم يرثي قدحا انكسر:

عراني الزمان بأحداثه ... فبعضا أطقت وبعضا فدح

وعندي عجائب للحادثات ... وليس كفجعتنا في القدح

وعاء المدام وتاج البنان ... ومدني السرور ومقصي الترح

ومعرض راح متى تكسه ... ويستودع السر فيه يبح

وجسم هواء وإن لم يكن يرى للهواء بكف شبح

يرد على الشخص تمثاله ... وإن تتخذه مراة صلح

ويعبق من نكهات المدام ... فتحسب فيه عبيرا نفح

يكاد مع المرء إن مسه ... لما فيه من شكله ينسفح

ودق، فلو حل في كفة ... ولا شيء في أختها ما رجح

هوى من أنامل مجدولة ... فيا عجبا من لطيف رزح

وأفقدنيه على ضنة ... به للزمان غريم ملح

كأن له ناظرا ينتقي ... فما يتعمد غير الملح

أقلب ما أبقت الحادثا ... ت منه وفي الخد دمع يسح

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٤٧

وقد قدح الوجد مني به ... على القلب من ناره ما قدح
فأعجب من زمن مانح ... وآخر يسلب تلك المنح
فلا تبعدن فكم من حشا ... عليك كليم وقلب قرح
سيقفز بعدك رسم الغبوق ... وتوحش منك مغاني الصبح
وعلى ذكر بيتي عنترة، قال ابن الرومي، وذكر روضة:

إذا رنقت شمس الأصيل ونفضت ... على الأفق الغربي ورسا مذعذعا
وودعت الدناي لتقضي نحبها ... وشول باقي عمرها فشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضة ... وقد وضعت خدا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظت عواده عين مدنف ... توجع من أوصابه ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى ... كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا
وبين إغضاء الفراق عليهما ... كأنهما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت في خضرة الأرض صفرة ... من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا
وأذكى نسيم الروض ريعان ظله ... وغنى مغني الطير فيه فرجعا
وغرد ربعي الذباب خلاله ... كما حثحث النشوان صنجا مشرعا
وكانت أهازيج الذباب هناكم ... على شدوات الطير ضربا موقعا
هذا يقوله في قصيدة وصف فيها قوس البندق، فأجاد ما أراد إذ يقول:

كأن لباب التبر عند انتضائها ... جرى ماؤه في ليطها فتربعا
تراك إذا ألقيت عنها صيانها ... سفرت به عن وجه عذراء برقعا
كأن قراها والفزور التي به ... وإن لم تجدها العين إلا تتبعا
مذر سحيق الورس فوق صلاءة ... أدب عليها دارج الذر أكرعا
لها أول طوع اليدين وآخر ... إذا سمته الإغراق فيه تمنعا
تدين لمقرون أمرت مريره ... عجوز صناع لم تدع فيه مصنعا
تأيت صميم المتن عقود كأنها ... رؤوس المداري ما أشد وأوكعا

لها عولة أولى بها ما تصيبه ... وأجدر بالإعوال من كان موجعا

وقال كشاجم:

وروضة صنف النوار جوهره ... فيها فما شئت من حسن ومن طيب

كأن ما تجتنيه من زخارفها ... أخلاق مستحسن الأخلاق محبوب

ما انفك للعين فيها أعين ذرف ... تبكي بدمع من الأنواء مسكوب

حتى كأن أفانين النبات بها ... على الميادين ألوان اليعاسيب

كأن غدرانها بالروض محدقة ... تعيين ثوب من الموشي معصوب

أو أكؤس من رحيق مترعة ... موضوعة بين فتيان مناجيب

كأنما الطير في حافاتها حزقا ... بيض زهين بتطريف وتخضيب

+مرجعات صفيرا من مخضرة=وصلن فيهن تغريدا وبتطريب

كأنهن قيان والصفير غنا ... وكالمناقير أصناف المضاريب

باكرتها وكأن البدر شادخة ... في وجه لاحقة الأقراب سرحوب

مستصحبا شكة ليست ليون وغى ... ولا لثأر لدى الأعداء مطلوب

وفي يساري من الخطى محكمة ... متى طلبت بها أدركت مطلوبي." (١)

"وكان أضر فيهم من سهيل ... إذا أوفى وأشأم من قدار

وقال المنجمون: طلوع سهيل طلوع ضر وويل. فيقول هو: طلوعي ضرر على أولاد الزنا. ولم يعن بذلك أنهم لزنية في أنسابهم، إنما أراد أنهم يعتزون إلى الفضل وليسوا منه، كما ينتسب بنو الزنا إلى غير آبائهم. وسهيل: اسم جاء على بناء التصغير وله ايضا:

) ملام النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذي بي من سقم (

أي أن ملامى للنوى في ظلمها لي، واسئثارها بمحبوتي غاية الظلم، لأن في الإمكان، وطبيعة تأثير الزمام أن تكون النوى عاشقة لهذا المحبوب كعشقى، فيورثها ذلك سقما كسقمى، فالحكم ألا ألومها، لأن من لم يؤثر

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/٤٩

عليك إلا نفسه فليس بمؤثر عليك أحدا.
وبالغ بقوله: غاية الظلم، مدرا أن بالنوى من الوجد مثل ما به. وذكر السقم ولم يذكر العشق استغناء بذكر المسبب عن السبب. واراد ملامى للنوى، فأضاف المصدر إلى المفعول، كقوله تعالى:) لايسأم الإنسان من دعاء الخير (.
) طوال الردينيات يقصفها دمى ... وبيض السريجيات يقطعها لحمى (
إن شئت قلت: إن دمه يقصف الرمح بحدته وقوته، أي أنه أقوى من الرمح.) وبيض السريجيات يقطعها لحمى (: أي أنه احد من السيف، فهويؤثر في السيف تأثير السيوف في غيره.
وقد يكون أن الرماح والسيوف تنبو عنه، ولا تؤثر فيه البته. فكأن دمه كسر الرمح، وكان لحمه قطع السيف.
وقد يجوز أن يهنى أنه من نفسه وعشريته في منعة. فإذا أصابه طعن أو ضرب، أكثر الطعن في طلب ثأره، حتى تتقصف الرماح، وتتقطع السيوف.
) مذل الاعزاء المعز وإن يئن ... به يتمهم فالموتم الجابر اليتم (
أي مذل مخالفيه المعادين له، معز محالفيه المعاضدين له. وإن يئن: أي يقرب به يتمهم، أي يتم أبنائهم بقتله أباءهم، فإنه يجبر يتمهم بعوده عليهم؛ واكتفاله إياهم بعد الآباء.
وقد يجوز أن يوتم قوما ويجبر يتم آخرين، لم يكن هو الذي أيتمهم.
) إذا بيت الأعداء كان استماعهم ... صرير العوالي قبل قعقعة اللجم (
أي يطوى سره؛ ويخفى حسه، حتى يكاد يخرس اللجام فلا يخرس. وهذه مبالغة في طي الخبر.
) وقد الحزم حتى لو تعمد تركه ... لألحقه تضييعه الحزم بالحزم (
أي أن حرمه طبيعي؛ فلو تعمد تركه لا نعكس تضييعه الحزم حزما، إذ ليس قوته غير ذلك.
) وفي الحرب حتى لو اراد تأخرا ... لأخره الطبع الكريم إلى القدم (
أي أن طبعه إتيان الفضائل، وتنكب الذائل، فلو رام التأخر ممتحنا لطبيعته تلك، لتأبى عليه الطبع، فرده إلى التقدم.
وقد اطرد هذا المعنى في غير هذا الموضع من هذا الشعر، كقوله:
) له رحمة تحيي العظام وغضبة ... بها فضلة للجرم عن صاحب الجرم (
يحيي العظام: مبالغة في قوتها على الإحياء. وغضبة: أي إذا إغضبه المجرم الجاني تجاوز له غضبه قدر جرمه،

فاما تجاوز به قدر جرمه فإهلكه، وإما تهاون به فتركه.

) دعيت بتقريظيك في كل مجلس ... فظن الذي يدعو ثنائي عليك اسمي (

أي أن لزمت مدحك، وخصصت حمدك، حتى عرفت بذلك، وغلب على اسمي العلم وكنيتي ونسبي، وظن الذي يدعو ثنائي عليك اسمي: أي قيل لي: يا مادح ابن إسحاق، ذهابا إلى أن ذلك اسمي لا اسم لي غيره، وأراد يدعوني، فحذ المفعول. ثنائي واسمي: مفعولا ظن. وإنما أراد الصفة المشتقة من ثنائي عليك، كقوله: يا حامد، ويا مادح. ولم يرد المدح ولا الحمد، لأنهما عرضان، والمسمجوهر، فلا يدعي الجوهر بالعرض.

) وثقنا بأن تعطى فلو لم تجد لنا ... لخلناك قد أعطيت من قوة الوهم (

يذهب إلى أنه لو عدم فضيلة في وقت، لظن فيه أنها موجودة أو تيقنت وذلك لما يعتاد من وجود الفضائل فيه، وهذا كالصادق يكذب فيتوهم كذبه صدقا، لما جرت به العادة من صدقه.

وقد عظم إعياء أبي الطيب في هذه القصيدة جدا.

فمن ذلك أنه عكس المر بين الفاعل في بيته الذي هو) طوال الردينيات. . . (.

ومنه: أنه جعل الضد ينقلب إلى ضده كقوله:) لألحقه تضييعه الحزم بالحزم (. وليس من شأن تضييع الحزم أن ينتج الحزم.

وكذلك قوله." (١)

") أضحى فراقك لي عليه عقوبة ... ليس الذي قاسيت شيئا هينا (

أي عوقبت على تقصيري عن واجبك، بفراقك الشديد على الكره إلي، فليس الذي لا قيته من ذلك بهين، أي بيسير. ولا يريد الهين الذي هو ضد العزيز.

وله ايضا:

) يتداوى من كثرة المال بالإق ... لال جودا كأن مالا سقام (

أي يتشافى بالجود، حتى كأن المال مرض يبغى إزالته، والإقلال برء يطلبه.

وقوله) كأن مالا سقام (اراد كان وجود مال، لأن المال لا يقال له سقام إذ هو جوهر والسقام عرض.

) حسن في عيون أعدائه أق ... بح من ضيفه رأته السوام (

أي هو حسن الصورة غاية إلا في عيون أعدائه، لعلهم بإهلاكه إياهم أقبح من ضيفه في عيون السوام، لعلمها

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/١٥

إذا رأت الضيف أنها منحورة، كقول الشاعر:

حبيب إلى كلب الكريم مناخه ... بغيض إلى الكوماء والكلب أبصر

ومثله كثير. فقوله:) في عيون أعدائه (: ظرف لأقبح، ولا يتعلق بحن، لنه في عيون أعدائه. وتقدير البيت: حسن في عيوننا معشر أحبابه ومن لا يشقى به، لكنه بخلاف ذلك في أعين عداه. وقد بالغ بالقبح ولم يبالغ بالحسن، لأن قبحه في عيون أعدائه، وأمدح له من الحسن في عيون أحبابه.

) وعوار لوامع دمها الحل ... ولكن زيها الإحرام (

اللوامع: السيوف لبريقها. ووصفها بالعرى: لاعتيادها مفارقة أغمادها.

وعوار: جمع عار، لا جمع عريان فعلان لا يكسر على) فواعل () دمها الحال (: أي أنها مستحلة للدماء، على أن زيها الإحرام: أي أنها مجردة أبدا كالحرم والمحرم لا يسفك الدماء. فقد اجتمع في هذه السيوف طبيعة الحل وزي الإحرام.

) ومن الرشد لم أزرك على القر ... ب على البعد يعرف الإلمام (

كأن قريبا منه فلم يزره، ثم بعد فزاره، ليكون ذلك أدل على إجلاله وإعظامه له، فأوجبه. وأراد: من الرشد أني لم أزرك. وقوله) على البعد (: متعلق بيعرف. وعلى القرب متعلق بأزرك.

وله ايضا:

) تخلو الديار من الظباء وعنده ... من كل تابعة خيال خاذل (

كنى بالظباء عن الحسن. أي تخلو الديار ممن كان بها. والخيال غير مفارق لي. وكنى بالتابعة عن صغارها، لأن الجداية وهي الصغيرة من الظباء تتبع إمها. ولما جعل المراة غزالة جعل الخيال خاذلا، كما تخذل الظبية عن القطيع، أي تتأخر.

وإن شئت قلت: جعل الخيال بمنزلة ولد والغزال، وربة الخيال بمنزلة الغزال. فتابعة بمعنى متبوعة على هذا القول. وجعلها الخيال بمنزلة الولد لها تعسف لأن الخيال روحاني، فهو ألط من رؤية الخيال كما أن الصغير الجسم ألطف من الكبير. وخاذل: أي خذلها وزارني. فمن – على هذا – تكون للتبعيض وللجنس، فتفهمه.

)كفأننا عن شبههن من المها ... فلهن في غير التراب حبائل (

كافأننا: من الكفؤ، وهو المثل، والمها: بقر الوحش: يشبه النساء بهن في سواد الحدق. والحبائل: الشرك، واحدتها: حبالة، لي صدنا المها وهن أشباه النساء، بحبائل منصوبة لهن في التراب، فكافأنا عن فعلنا

بأشباههن بأن صدننا كما صدناهن، طلبا **بثأرهن**، إلا أن النساء صدننا بحبائل لم تنصب لنا في التراب وهي الأعين والخدود وغيرها من المحاسن الظاهرة، كالمباسم والأعطاف والقدود، وكلهن حبائل إلا انها لا تثبت في التراب.

) من طاعني ثغر الرجال جآذر ... ومن الرماح دمالج وخلاخل (

كنى بالجآذر هنا عن النساء، كما كنى عنهن في البيت الذي قبله بالظباء أي ينبغي أن تعد جآذر الإنس من طاعني ثغر الرجال، لأنهن يفعلن من القتل مالا يفعل الطاعن. وينبغي أن يعد الحلى من السلاح، لأنه سلاح النساء، كقول الأعشى:

إذا هن نازلن أقر انهن ... وكان المصاع بما في الجؤن

يعنى بما تضمنت الجؤن من الطيب وسائر أنواع الزينة. ولو جعل السلاح محاسنهن لكان أليق بالشعر. ولكن لما كان السلاح في المعتاد ليس بجزء من المتسلح، جعل سلاحهن ماليس بجزء، منهن الدمالج والخلاخل وكان مصوغ الذهب والفضة، كمصوغ الحديد لرجال الحرب.." (١)

"رمح أظمى: أسمر؛ وقيل: ظمآن إلى الدم؛ والاول أولى؛ إذ لو كان من الظمأ لكان حريا أن يسمع مهموزا، ولم أسمعه كذلك. إلا أن مثل هذا الإبدال قد يجوز في الضرورة كقوله:) لا هناك المرتع (ولا حاجة بنا إلى توجيه ذلك هنا، اذ المشهور في كتب اللغة أن الأظمى: الأسمر. يقول: إذذا تداعى العلجان لتناذر أو تشاور أو تناحر، حال بينهما رمح أظمى يدخل بين الضلعين؛ فيفرج بينهما حتى يتفرقا. و) منه (: أي من أجله. وحسن ذلك المفارقة هنا لقوله:) حال بينهما (. وكان من حسن الصنعة لو اتزن له – أن يقول: إذا دعا العلج صاحبه ليوازي به قوله:) أختها الضلع (؛ لأن الأخوة والصحبة من باب المضاف ولكنه ذلك اراد؛ كأنه قال: إذا دعا العلج صاحبه أو أخاه.

)كم من حشاشة بطريق تضمنها ... للباترات أمين ماله ورع (

الحشاشة: النفس. وقيل، بقيتها. والباترات: السيوف القاطعة. والأمين هنا: القيد ونفى الورع عنه إغرابا بأمين لا ورع له. وانما سماه أمينا لحفظه على السيف ما استودعته إياه من الأسارى؛ حتى يردهم إليه عند القتل فهو أمين لذلك. وليس له ورع. لأن الورع إنما يكون عن قصد، والقصد إنما يكون لذى العقل. وكذلك أمانته غير حقيقة. ولو كان أمينا عاقلا لكان ورعا إذا لا أمانة إلا بورع.

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٢٨

) يقاتل الخطو عنه حين يطلبه ... ويطرد النوم عنه حين يضطجع (

أي تقصر خطا هذا الأسير بضيق القيد، إذا اراد أن يخطو. ويطرد النوم عنه ترنم حلقه كقول أبي نواس:

إذا قام غنته على الساق حلقة ... لها خطوه عند القيام قصير

والمقاتلة والطراد في هذا البيت مستعاران.

) قل للدمستق إن المسلمين لكم ... خانو الأمير فجازاهم بما صنعوا (

خيانهم اياه: خلافهم له؛ بسعيهم إلى النهب وأسلاب العدو المفزوعين. وإسلامه إياهم له: تركه الطلب بثأرهم؛ أو رضاه لهم ماحل بهم.

) وجدتموهم نياما في دمائكك ... كأن قتلاكم إياهم فجعوا (

اي خافوكم؛ فألقوا نفوسهم في دماء قتلاكم: لتحسبوهم منهم، فتتجافوا عنهم؛ وكأنهم هم المجوعون بقتلاكم، يلقون أنفسهم عليها كإلقاء المفجوع نفسه على القتيل تأسفا. وقيل: كان المسلمون يأتون قتلى الروم يتخللونهم؛ فينظرون من به رمق فيقتلونه، فبينما أكب عليهم المشركون فقتلوهم.

) تشقكم بفتاها كل سلهبة ... والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع (

) بفتاها (: اي بفارسها. ذهب في لفظ الفتى إلى الرفع من شأن الفارس؛ كقولهم:) أنت الفتى كل الفتى (لا يذهب به إلى فتاء السن: لكنه كقولك: انت الرجل. تمدحه بالصبر والثبات والنجدة، لا تعني به الرجولة التي هي الذكورية) والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع (. ذهب قوم إلى انه عنى أن القتلى أكثر من الناجين. وهو لعمري قويل والذي عندي انه لم يعين بذلك الكم؛ وانام؛ وانما عنى أن الضرب يأخذ النفوس، ويدع الأبدان؛ والنفس فوق الجسم في لطف الجوهر، وشرف العنصر. فهذا معنى قوله: ما يدع. لا الكميه التي ذهب اليها أولا.

وله ايضا:

) يرد يدا عن ثوبها وهو قارد ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد (

) يرد يدا عن ثوبها (: كناية عن العفاف. والثوب هنا: يجوز أن يعني اللباس؛ وان يعني بعض طوائف جسمها؛ كقول الآخر:

خرقوا جيب فتاتهم ... لم يبلوا حرمة الرجله

قيل: يعني بالجيب القبل. وقوله) وهو قادر (: اي متمكن بها، لا يتقي رقيبا لانه ذلك في النوم وأثبت لنفسه

قدرة في نومه لانه قد تتهيأ للنائم أفعال اليقظ وإن كانت غير مقصودة، وقد قيل: إن قوله) يريد يدا عن ثوبها وهو قادر (: أن هذا إنما هو في اليقظة. وانما اراد وهو يقظان فلم يتزن له، فكنى بالقدرة عن اليقظة لأن اليقظان أملك لذاته من النائم مع أن قادرا مقلوب لفظ راقد. فأناب المقلوب في المقابلة مناب الضد الذي هو يقظان.) ويعصي الهوى وهو راقد (: اي انه يملك نفسه عن شهوته في حال النوم. وتلك حال لا يغلب فيه عقل شهوة، لأن التحصيل حينئذ عازب؛ فهو يقرب بتمالكه عن محبوبه في الحال الرقاد.

وجملة معنى البيت: انه اعتاد العفاف في يقظته؛ كقوله هو:

وترى المروة والفتوة والأبو ... ة في كل مليحة ضراتها." (١)

") والعشق كالمعشوق يعذب قربه ... للمبتلى وينال من حوبائه (

اي العشق ملتذ محبوب، كما أن المعشوق كذلك. وكلاهما نائل من حوباء المبتلى وقاتل له. وقوله:) والعشق كالمعشوق (: جملة يفسرها ما بعدها من البيت. كأنه لما قال: والعشق كالمعشوق، قيل له فيه، أو كيف تفسره للسائل، فتقديره: والعشق كالمعشوق في أنهما يعذبان ويقتلان مع ذلك.

) وقي الأمير هوى العيون فإنه ... مالا يزول ببأسه وسخائه (

اي وقى هوى العيون. وأما ما سواه فقد آمنته عليه، لأنه دافع له ببأسه وسخائه. وهوى العيون مالا ينفع فيه بأس ولا سخاء؛ فإنما أدعوا له أن يوقى مالا طاقة لجوده وبأسه على دفعه.

) من للسيوف بأن تكون سميها ... في أصله وفرنده ووفائه (

اي بأن تكون مثل سميها في أصله، إما أن يرد: في نوعه الذي هو الإنسانية، وإما في قبيله، وفرنده؛ أو في صورته، لأن صورة الانسان أحسن من صورة السيف، ورونقه افضل من رونقه. وإما وفاؤه فلا وفاء للسيوف ولا عذر إلا على المجاز، لأن ذلك من خواص الإنسان.

) إني دعوتك للنوائب دعوة ... لم يدع سامعها إلى أكفائه (

أي: دعوتك لخطب ليس كفؤا لك، لأن كل خطب دونك، لا يعزك ولا يغلبك.

وإن شئت قلت: كل نائبة وإن عظمت فهي دون أن يدعى مثلط إليها، وإن كنت لا تدعى من النوائب إلا إلي ما أنت له كفوء، ما وجدنا ما يكون كفؤا لك، فندعوك إليه، لكن لا بد أن ندعوك لما ناب، وإن جل عنه خطرك، وعلا قدرك.

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٤٩

وله ايضا:

) كأني عصت مقلتي فيكم ... وكاتمت القلب ما تبصر (

هذه مبالغة في كتمان السر والضن بإذاعته، اي رأت عيني ما رأت، فكتمته عن قلبي. واذا كان القلب لم يعلم ذلك؛ لم يمكن أن يعلم غيره به، إذ لا يمكن أن يعلم غيرك إلا ما علمته.

وإن شئت قلت: إذا رأت عيني ما تحبون كتمه، تناساه قلبي، حتى كأن العين كتمت عنه ما رأت. والمقولان متقاربان.

وقوله) فيكم (: أي من أجلكم. وعصيان المقلة للفؤاد: إنما هو كتمها عنه ما رأته، فكأنه قال: كاني عصت مقلتي فيكم قلبي، وكاتمته ما تبصر فحذف الأول لدلالة لثاني عليه، وأعمل) كاتمت (. إذ لو أعمل الأول واتزن لقال: وكاتمته القلب. اي عصت مقلتي القلب وكاتمته.

وله ايضا:

) إذا كان شم الروح أدنى إليكم ... فلا برحتني روضة وقبول (

اي إن كنتم إنما تؤثرون شم الروح، ونسيم الهواء. وذلك إنما يكون بحضور الروض والريح القبول، فلا زلت أنا روضة فتضمكم، وريحا قبولا تشمونها، تلذ لكم، إذ كلما كنت كذلك، فأنتم قريب مني، وطالبون إلي.

قوله:) أدنى إليكم (: أي أشد إدناء لمن يحبكم. وقوله:) فلا برحتني روضة وقبول (: أن شئت قلت: أراد فلا برحت روضة وقبولا، فعكس، فجعل المعرفة الخبر، وهي) ني (والنكرة الاسم، وهي) روضة وقبول (. وإن شئت قلت: إن) ني (من) برحتني (ليست بخبر، ولا برح هذه المقتضية للاسم والخبر. وإنما) برح (هنا المتعدية إلى المفعول. وكقوله تعالى:) فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي ربي (فيكون) ني (على هذا مفعولا، ويكون التقدير: فلا فارقتني، أو فلا زايلتني روضة.

اي فإذا كان ذلك، قصدهم هذه الروضة التي عندي، فسعدت أنا بقربكم والأول أبلغ، لانه على ذلك القول الأول، يجعل نفسه ذات الروضة؛ ويتمنى الخروج من النوع الحيواني الإنساني إلى النوع النباتي، إيثارا لهواهم، واختيارا لقربهم.

) لقيت بدرب القلة الفجر لقية ... شفت كمدى والليل فيه قتيل (

اي أصبحت في هذا الموضع، أو أفجرت فيه.) شفت دمدى (. اي شفت اللقية للفجر بانحار الليل، ما كان من الكمد.) والليل فيه قتيل (: اي قد ذهب، واشتمل ضده على محله، فكأن الليل لما عدم أو قارب العدم

مقتول.

وإن شئت قلت: طال على الليل بالصبابة، فكأنه وترني، فاستوجب بذلك أن أطلبه **بثأري**: فأوقد سيف الدولة بالدرب نيرانا، فخالط ضوؤها دخانها، فبدت لي من الضوء المختلط بالدخان، سمرة كسمرة الفجر، قبل أوان الفجر، فكأن هذا الملك قد قتل الليل بإيقاده هذه النيران، التي خلخلت كثافة الظلمة، فأنا أكنى بذلك عن **ثأري**، فيشفي كمدي.." (١)

"وقيل ك الفجر هنا سيف الدولة، أقام غرته مقام الفجر، وبالغ في ذلك، حتى جعله قاتلا ليل، وما طلب عند ليل ذحل، ولا نيل منه **ثأر** قبل هذا.

) على طرق فيها على الطرق رفعة ... وفي ذكرها عند الأنيس خمول (

رفعتها: أنها أكم وجبال، وخمولها: أنها غير مسلوكة لوعورتها، فهي لذلك خاملة. وقد يجوز أن تكون طرقا لم يسلكها إلا جيش سيف الدولة، لأنها مخوفة فالناس لا يعرفونها لذلك.

) وما شعروا حتى رأوها مغيرة ... قباحا وأما خلقها فجميل (

أي قباح الأفعال بهم، وإن كانت في خلقتها جميلة، لأن خوفهم لها يقبحها في أعينهم، فيخفى عليهم جمالها. وهذا نحو قوله: حسن في عيون أعدائه اقبح من ضيفه رأته السر فالحسن فيه طبيعية؛ والقبح عرض.

) وأضعفن ما كلفنه من قباقب ... فأضحى كأن الماء فيه عليل (

قباقب: نهر دهمته هذه الخيل، فسدت مجاري الماء فيه، بكثرة قوائمها، فارتدع الماء، إلا ما تخلل شعب قوائم الخيل، فأضعفته عن قوة جريه، حتى كأنه عليل. والعلة هنا كناية عن الضعف، إنما العلة في الحيوان، والماء ليس بحي.

) نجوت بإحدى مهجتيك جريحة ... وخلفت إحدى مهجتيك تسيل (

يخاطب الدمستق، وكان شج في وجهه ونجا جريحا، فهذا معنى قوله:) نجوت بإحدى مهجتيك جريحة (، وكان ابنه قد أسر، فلذلك قال:) وخلفت إحدى مهجتيك تسيل (، اي تركته يذوب في الكبل والحبس، مع ما اشتمل عليه من خشية القتل:

) إذا لم تكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل (

ضرب) الفيل (مثلا لعظم عدد الروم، وضرب) الليث (مثلا لسيف الدولة وجيشه، اي فلا تعجبن الروم كثرة

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٦٦

عددهم، فإن الكمية لا تغني، وإنما الغناء للكيفية وقال:) غذاه (: أراد غذاه ذلك الشخص المفترس.

) أعادى على ما يوجب الحب للفتى ... وأهدأ والأفكار في تجول (

اي أعادى على ما لدي من الفضائل النفسانية، كالشجاعة والفروسية، والفصاحة والشعر، حسدا لي على ذلك. وكل و ا حدة من هذه الفضائل في حد الحقيقة، موجبة للحب، فكيف أشنأ على ما يوجب الحب؟ يقول ذلك متعجبا.

قال أبو الفتح: لو قال) أبغض (مكان) أعادى (كان أوفق في مذهب الشعر، يعني أبو الفتح: أنه لو قال ذلك، كان أذهب في باب التقابل، لأن النقيض إنما يقابل بنقيضه؛ وكذلك الضد بضده. فضد الحب البغض. وضد العداوة الصداقة. فإذا قابلت بالحب، والصداقة بالشنآن، لم يك ذاك على تقابل الضد والنقيض.

لكن الذي يسهل ذلك، أن العداوة علتها البغضة، التي هي ضد الحب، فأقام العلة التي هي العداوة، مقام المعلول، الذي هو البغض. ولولا ما يدخل التخفيف البدلي من الاضطرار، لقال: فأشنى، أو) أشن (على اجتمال الجزم، ولكن الاول أسوغ أعنى وضع) أعادى (مكان) أبغض (لما ذكرت، من دلالة العلة على المعلول.

وله ايضا:

) ترى الأهله وجها عم نائله ... فما يخص به من دونها البشر (

اي انه يكسب الأهلة بنظرها إلى غرته نورا وسعدا، فتنال بذلك من جوده كما ينال الناس. فالبشر إذن نوع غير مخصوص بنائله بل هو عام للعالم العلوي والسفلي.

وله ايضا:

) وشرب كاس أكثرت رنينه ... وأبدلت غناءه أنينه (

الشرب: اسم للجمع عند سيبويه، وهو عند أبي الحسن جمع. ويدل على صحة قول سيبويه: إن العرب إذا حقرت هذا النحو حقرته بوزنه، كما تحقر الواحد، فقالوا: شريب وركيب. فلو كان جمعا كما ذهب إليه أبو الحسن، لرده إلى واحده في التحقير، ثم جمع بالواو والنون، فقيل: رويكبون ورويجلون. وإنما كلام العرب ما قدمنا.

أنشدنا القرشي:

بنيته بعصبة من ماليا ... أخشى ركيبا ورجيلا عاديا

وذهب قوم إلى أن معنى البيت: أن هذا الشرب – وهم أعداء الممدوح – غنوا بمناقبه، حتى إذا سكروا هاج

لهم السكر ذكر من سبا منهم وقتل، فأنوا حزنا، وعاد ذلك الغناء أنينا وتفجعا.

والذي عنتدي أن هؤلاء الشرب غنوا، فأثخن فيهم هذا الملك وأوجعهم، فعاد ذلك الغناء رنينا وأنينا. وقوله:) أكثرت (و) أبدلت (: إخبار عن الخيل والقنا اللتين في قوله:

) إن الجياد والقنا يكفينه (

وله ايضا:." (١)

"وأقسم لولا ابن الربيع ورفده ... لما ابتلت الدلو التي في رشائكا

ومن قول مروان أيضا:

قد حبيت بألف ألف لم تكن ... إلا بكف خليفة ووزير

ما زلت آنف أن أؤلف مدحة ... إلا لصاحب منبر وسرير

ما ضرني حسد اللئام، ولم يزل ... ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وقال آخر فيما يناسب هذا ويشاكله، ويشد على يد من تمذهب به أو اعتقده:

وإذا لم يكن من الذل بد ... فالق بالذل إن لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد فقال:

وإني لنهاض اليدين إلى العلا ... قروع لأبواب الهمام المتوج

ويروى وإني لسوار اليدين أي: مرتفع.

باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات، وغيره من المؤلفين، أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة، فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي، وقيل: امرؤ القيس وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره، أي: رقته وخفته، وقيل: لاختلافه، وقيل: بل سمي بذلك لقوله:

لما توقل في ا لكراع شريدهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

ويروى لما توعر في الكلاب هجينهم قال أبو سعيد الحسن بن الحسين." (٢)

---

(١) شرح المشكل من شعر المتنبي ابن سيده ص/٦٧

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٨٦/١

"مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيذ في شعره؛ وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة؛ وشعرور، وهو لا شيء. قال بعض الشعراء لآخر هجاه:

يا رابع الشعراء كيف هجوتني ... وزعمت أني مفحم لا أنطق

وقيل: بل هم شاعر مفلق، وشاعر مطلق، وشويعر، وشعرور، والمفلق: هو الذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب، وقيل: الفلق الداهية قال الأصمعي: فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك امرؤ القيس، ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر، وهو الذي يقول:

فنلت به ثأري، وأدركت ثورتي ... إذا ما تناسى ذحله كل غيهب

وهو الضعيف عن طلب ثأره، وروى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة.

قال الجاحظ: والشويعر أيضا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث، وقيل: اسمه ربيعة بن عثمان، وهو القائل:

وأفلتنا أبو ليلى طفيل ... صحيح الجلد من أثر السلاح

وقال بعضهم: شاعر، وشويعر، وشعرور.

وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة ثم من بني حميس:

ألا تنهى سراة بني خميس ... شويعرها فويلية الأفاعي

فسماه شويعرا، وفالية الأفاعي: دويبة فوق الخنفساء، فصغرها أيضا تحقيرا له وزعم الحاتمي أن النابغة سئل: من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد جيده، وأضحك رديئه، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة؛ لأنه إذا." (١)

"لا تجدب، أراد الشام، وأن ذلك دأبهم من القدم، فهو حول قبر أبيهم، وهذا كما قال ابن مقبل:

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا ... لا نستجير، ومن يحلل بنا يجر

ومن هذا الباب أيضا قول عنترة بن شداد العبسي:

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذي نعال السبت ليس بتوأم

أراد أنه ملك؛ لأن نعال السبت لا يحتذيها عندهم إلا كل شريف، يدلك على ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١/١١٥

الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما:

إلى نفر لا يخصفون نعالهم ... ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

ومن التتبيع قول الحطيئة:

لعمرك ما قراد بني كليب ... إذا نزع القراد بمستطاع

وذلك أن الفحل إذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئا فلذ ذلك، وسكن إليه، ولان لصاحبه حتى يلقى الخطام في رأسه، فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن ﻋزهم وإبائهم فيقدر عليهم.

وأما قول ذي الإصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث:

يا عمرو، إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب، فيكون من هذا الباب، ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ **بثأرك** وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير: لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم فيخرج عن هذا الباب.. وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله:." (١)

"وقال آخر وقد أخذ **بثأره** إلا إنه فيما زعم قتل دون من قتل له، ويروى لامرأة حارثية:

فيقتل خير بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم

ويروى " في فتى لم يكن له وفاء " فالأول يقول: لا آخذ بالدم لبنا، لكن آخذ دما بقدره، فكان ذلك مكايلة، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير، فمتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه، وعسر إدراكه **الثأر** فقال: إن الدماء ليست مما يكايل به في الحقيقة، وقيل: إنما يعني بذلك أن الإسلام لما جاء أزال المكايلة بالدم؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيسا مثله.

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع:

قد بلونا أبا سعيد حديثا ... وبلونا أبا سعيد قديما

ووردناه سائحا وقليبا ... ورعيناه بأرضا وجميما

فعلمنا أن ليس إلا بشق الن ... فس صار الكريم يدعى كريما

وقال أبو الطيب في خلافه:

لو كفر العالمون نعمته ... لما عدت نفسه سجاياها

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١/ ٣٢٠

كالشمس لا تبتغي بما صنعت ... تكرمة عندهم ولا جاها

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله:

جبر الكسير إذا يهاض جناحه ... لجأ المطرد مستغاث المملق." (١)

"فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزادها ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال أخي ثقة فوصفه بالوفاء، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقامها وكل داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى، وهي من أقسام العقل؛ وكذكرهم القناعة، وقلة الشهوة، وطهارة الإزار، وغير ذلك وهي من أقسام العفة؛ وكذكرهم الحماية، والأخذ بالثأر، والدفع عن الجار، والنكاية في العدو، وقتل الأقران، والمهابة، والسير في المهامه والقفار الموحشة، وما شاكل هذا وهو من أقسام الشجاعة؛ وكذكرهم السماحة، والتغابن، والانظلام، والتبرع بالنائل، والإجابة للسائل، وقرى الأضياف، وما جانس هذه الأشياء، وهي من أقسام العدل.

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها سته أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر، وإنجاز الوعد وما أشبه ذلك؛ وعن تركيب العقل مع العفة التنزه، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف، والإخلاف وما جانس ذلك؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالوقت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك.

قال: وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين.." (٢)

"هكذا أنشده النحاس والذي أعرف " وذكر ميت " وأعرف أيضا " والدهر فيه هلاك الناس والغير " كذلك أنشدنيه الموصلي في الأغاني، ثم عطف النحاس فقال: هذان البيتان لا يعرفان في أول هذه القصيدة؛ ومما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلا قصيدة

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٠١/٢

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٣٢/٢

دريد، وأنا أقول: إنه الواجب في الجاهلية والإسلام، وإلى وقتنا هذا، ومن بعده؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة؛ وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة، وحين أخذ ثأره، وأدرك طلبته. وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء " تركت كذا " أو "كبرت عن كذا " وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء، وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة في أكثر شعره؛ فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس، ثم عطف وقال:

فدع ذا، ولكن علقت حبل عاشق ... لإحدى شعاب الحين والقتل أريب

ولم تنسني قتلى قريش ظعائنا ... تحملن حتى كادت الشمس تغرب

يطفن بغريد يعلل ذا الصبا ... إذا رام أركوب الغواية أركب

من الهيف مبدان ترى نطفاتها ... بمهلكة أخراصهن تذبذب

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف، على تقدمه في الصناعة، إلا أن تكون الرواية " ظعائن " بالرفع.

ومما عيب على الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وبورك قبر أنت فيه، وبوركت ... به وله أهل بذلك يثرب

لقد غيبوا برا وحزما ونائلا ... عشية واراه الضريح المنصب." (١)

"فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... جزع منها عليه فافعلي

فعل جساس على ضني به ... قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فديت عيني سوى ... أختها وانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم قذى ما تفتلي

إنني قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

ورماني فقده من كثب ... رمية المصمى به المستأصل

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٥٢/٢

هدم البيت الذي استحدثته ... وسعى في هدم بيتي الأول
مسني فقد كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي
درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمى فاحتلبوا ... دررا منه دمى من أكحلي

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا: ماله ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال الصاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فان كان أراد بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعتراض إلى." (١)

"على بني ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما، فأدركتهم بنو ضبة، فأسر زيد الفوارس محرقا، وأسر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما، وقتل معهما عدة.

يوم إضم: لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مزيقيا الملك الغساني، وهو عمرو بن عامر، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جفنة ... علثة بن عمرو قتل بني عائذة قتلا ذريعا، وفي ذلك اليوم قتل الرديم وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر. بن ضامر فقال: والله لأطعنن طعنة كمنخز الثور النعر، ثم قصد ابن مزيقيا فطعنة فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم بزاخة.

وقال آخرون: بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده، والله أعلم.

يوم نقا الحسن: الحسن شجر، سمي بذلك لحسنه، وقيل: هو جبل، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل، وفيه قتل بسطام بن قيس: قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح، وكان رجلا أعسر فأصاب صدغه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن.

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٥٤/٢

يوم أعيار: وهو أيضا يوم النقيعة لبني ضبة على بني عبس، وفيه قتل عمارة الوهاب: قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفاضلا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب، وكان حينئذ غلاما، فحين شب أخذ بثأر عمه يوم النقيعة، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس، وقد كانوا أدركوهم في المراعي.." (١)

"الأمة من العرب حتى صرحوا بذلك في أشعارهم ودونوه في المأثور عنهم وتساوى فيه موسرهم ومعسرهم وغنيهم وفقيرهم. هذا وهم في الأكثر أهل جدب وفاقة وضيق وعسر ونصب في انتجاع الرزق وكد التعرض للكسب ثم بلغ من حبهم الجود وصبابتهم إلى جميل الذكر أن سمحوا بنفوسهم ورأوا البخل بها مذموما كالبخل بأموالهم وكان من كعب بن مامة الأيادي في ذلك ما هو مشهور معروف لا تزيد الأيام ذكره إلا بقاء ولا يؤثر فيه بعد العهد الأجدة ووضوحا. ولم نر في الهند والزنج والحبش والترك من إدعى مثل هذه السجية ولا إنتسب إلى هذه الخلة. فأما الفرس والروم فالبخل عليهم غالب وحب الغنى مركز في طباعهم ليس عندهم في ذلك كبير عار ولا يلحقون أنفسهم به منقصة.

وأما الوفاء فمن دينهم الذي كانوا يرونه لازما ومذهبهم الذي كانوا يعتقدونه حتما حتى صار من تمسك بجوارهم أو تعلق ببعض أطنابهم تبذل النفوس دونه وتراق الدماء في المنع منه فكم قتل الرجل منهم في ذلك أقرب الناس إليه نسبا وأمسهم به رحما وكم من وقعة عظيمة وحرب جليلة طويلة جرها ضيم نزيل أو التعرض لسب جار كالحال في حرب البسوس التي ساقها ما علم من قتل كليب لناقة جارة جساس واستفحال ذلك وتماديه حتى شهدته الأجنة شيبا.

فأما السموءل ورضاه بقتل ابنه دون الدروع التي كانت وديعة عنده وأبو دؤاد الأيادي في قود ولده بجاره فمما هو متداول لإخفاء بتقصير جميع الأمم عنه.

وأما البأس والنجدة وطاعة الغضب والحمية وأدراك الثأر وطلب الأوتار فأخبارهم بذلك معروفة وسيرهم فيه بذلك متداولة لا يخص به الرجل دون المرأة ولا الغلام دون الهم المسن بل يوجد عند نسائهم من الصبر والشجاعة والتحريض على الحرب والقساوة مالا يساويه المذكورون." (٢)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٠٨

(٢) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/٥٣

"وقول محمد بن وهيب:

ما زال يلثمني مراشفه ... ويعلني الإبريق والقدح١

حتى استرد الليل خلعته ... وبدا خلال سواده وضح

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

وقال الفرزدق:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لهاترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل هي تلفهم ... إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب٢

ومن الخروج إلى الذم قول إسحاق بن إبراهيم:

فأما الخروج المنقطع فكقول أبي عبادة أيضا:

تأبى رباه أن تجيب ولم تكن ... مستخبر ليجيب حتى يفهما

الله جار ابن المدبر كلما ... ذكر المكارم ما أعف وأكرما٣

وقول أبي تمام:

---

١ يعلني من أعله: سقاه سقيا بعد سقي.

٢ ترة: ثأرا والعصائب: جمع عصابة وهي ما عصب به من منديل وغيره والأكوار: جمع كور وهو الرحل وشعبها خشبها وخصرت أيديهم: آذاها البرد وغالب: هو أبو الفرزدق يصفه بالكرم.

٣ البيتان من قصيدة له في مدح أحمد وإبراهيم ابني المدبر.." (١)

"كرت عليه سراعا غير وانية ... فغادرته رهين الترب والثأد «١»

من بعد ما أعملت [١] فيهم أسنته ... طعنا يفرق بين الروح والجسد

فاطلب بثأر فتى ما زلت تعضده ... لله درك من كهف ومن عضد

أذك العيون عليهم أية سلكوا ... وضيق الأرض والأقطار بالرصد

شردهم بجيوش لا قوام لها ... تأتي على سبد «٢» الأقوام واللبد

---

(١) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/٢٦٩

[١]- في ب ٢: أعجلت.." (١)

"معنى اضلال الهمام المهجة أن يقتل ولا يدري قاتله أي إنما تطلب مهجته من أطراف سيوفه لانها قواتل الملوك والمنشد موضع الطلب ويروي تنشدها أي أنها تطلب ثأر الملوك ويروى تنشدها والانشاد تعريف الضالة أي أن أطرافهن تعرفها وتقول عندي مهجة فمن صاحبها ويروي فأطرافهن بالنصب وينشدها بالياء يعني الهمام يطلب مهجته في أطرافهن ونصب أطرافهن ينشد مؤخرا كما تقول زيدا ضربته

قد أجمعت هذه الخليقة لي ... أنك يا ابن النبي أوحدها

يقول اجمعت هذه الخليقة موافقة لي أنك أوحدهم ويجوز أن يكون على التقديم والتأخير أي أوحدها لي أي أوحدها إحسانا إلي وإفضالا علي ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون المعنى أجمعت فقالت لي والقول يضمر كثيرا في الكلام والاول أوجه

وأنك بالأمس كنت محتلما ... شيخ معد وأنت أمردها

يريد أنك بالتشديد فخفف مع المضمر ضرورة كما قال آخر، فلو أنك في يوم الرخاء سألتني، فر اقك لم أبخل وأنت صديق، وإنما يحسن التخفيف مع المظهر كقول الشاعر، وصدر مشرق النحر، كأن ثدييه حقان، لان الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها ويروى وأنت بالأمس على استئناف الكلام يقول بالأمس كنت في حال احتلامك ومرودتك شيخ معد فكيف بك اليوم مع علو السن وهذا في ضمن الكلام وفحوى الخطاب والواو في وأنت أمردها عطف على الحال يقول كنت شيخ معد محتلما.

وكم وكم نعمة مجللة ... ربيتها كان منك مولدها

الوجه أنه أراد بكم الخبر عن كثرة ما له من النعم عنده وإن أراد الاستفهام لم يجز في نعمة إلا النصب والمجللة المعظمة ومعنى ربيتها حافرت عليها بأن قرنتها بأمثالها وكان منك ابتداءها أي أنت ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها ولم تكن واحدة تنسى على طول العهد.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٣٤/١

وكم وكم حاجة سمحت لها ... أقرب مني إلي موعدها

سمحت بها أي بقضائها فحذف المضاف والمعنى قضيتها لي وكذلك قوله موعدها أي موعد قضائها وهذا اخبار عن قصر الوعد وقربه من الإنجاز ولا شيء أقرب إليك منك وإذا قرب موعد الانجاز صارت الحاجة مقضية عن قريب.

ومكرمات مشت على قدم ال ... بر إلي منزلي ترددها

المكرمة ما يكرم به الإنسان من بر ولطف واراد بها ههنا ثيابا أنفذها إليها لقوله أقر جلدي بها ومعنى على قدم البر أن حاملها إليه كان من جملة الهدية والبر ويجوز أن يريد مكرمات على أثر بر سابق ومعنى ترددها أي تعيدها إلي وتكررها علي ويروي ترددها على المصدر

أقر جلدي بها علي فلا ... أقدر حتى الممات أجحدها

اقرار الجلد بظهور ما عليه من الخلع واللباس للناظرين فكأنه باكتسائه بها ناطق مقر كما قال الناشيء الأكبر، ولو لم يبح بالشكر لفظي لخبرت، يميني بما أوليتني وشماليا،

فعد بها لا عدمتها أبدا ... خير صلات الكريم أعودها

يقول أعد هذه المكرمات فإن خير ما وصل به الكريم أكثره عودا وقيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة فقال:

ل ا تحسن الوفرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتال

الناس يروون الشعرة والصحيح رواية من روى لا تحسن الوفرة هي الشعر التام على الرأس والضفر معناه الشد ويسمى ما يشد على الرأس من الذوائب الضفائر ومن سماها الضفر فقد سمى بالمصدر يقول إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ويعني بهذا أنه شجاع صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال وكانوا يفعلون ذلك تهويلا للعدو.

على فتى معتقل صعدة ... يعلها من كل وافي السبال

يقال اعتقل الرمح وتنكب القوس وتقلد السيف إذا حمد كلا منها حمل مثلها والصعدة الرمح القصير ومعنى

يعلها يسقيها الدم مرة بعد أخرى من كل رجل تام السبلة وهي ما استرسل من مقدم اللحية يقول إنما يحسن شعري إذا كنت على هذه الحالة.

وقال في صباه وقد مر برجلين قد قتلا جرذا وابرزاه يعجبان الناس من كبره

لقد أصبح الجرذ المستغير ... أسير المنايا صريع العطب

الم ستغير الذي يطلب الغارة على ما في البيوت من المطعوم يقول أسرته المنايا وصرعه العطب والهلاك والجرذ جنس من الفأر.

رماه الكناني والعامري ... وتلاه للوجه فعل العرب." (١)

"والوجد يقوى كما تقوى النوى أبدا ... والصبر ينحل في جسمي كما نحلا

يقول الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم والصبر يضعف ويقل كما يضعف الجسم.

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت ... لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

يقول لولا الفراق لما كان للمنية طريق إلى ارواحنا أي إنما توصلت إلينا بطريق الفراق وهذا من قول أبي تمام، لو حار مرتاد المنية لم يجد، إلا الفراق على النفوس دليلا،

بما بجفنيك من سحر صلى دنفا ... يهوى الحياة وأما إن صددت فلا

الدنف والدنف المريض المدنف يقول أقسم عليك بما بجفنيك من سحر صلى مريضا يحب الحياة في وصالك فإن هجرت وأعرضت فليس يحب الحياة وعنى بسحر جفنيها أنها بنظرها تصيد القلوب وتغلب عقول الرجال حتى كأنها سحرتهم وقوله يهوى الحياة ويجوز بغير ياء على الجواب للأمر ويجوز بالياء على نعت النكرة والمعنى من قول دعبل، ما أطيب العيش فأما على، أن لا أرى وجهك يوما فلا، لو أن يوما منك أو ساعة، تباع بالدنيا إذن ما غلا،

إلا يشب فلقد شابت له كبد ... شيبا إذا خضبته سلوة نصلا

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٨

يقول إن لا يشب هذا الدنف يعني نفسه لأنه شاب فلقد شابت كبده لشدة ما يقاسي من حرارة الوجد والشوق فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك الخضاب ولم يبق لان سلوته لا تبقى ولا تدوم فإذا زال السلوة زال خضاب كبده وعاد الشيب وهذا من قول أبي تمام، شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد، وهذا مما استقبح من استعارته والمتنبي نقل شيب الفؤاد إلى الكبد.

يجن شوقا فلولا أن رائحة ... تزوره في رياح الشرق ما عقلا

يقول هذا الدنف يصير مجنونا من شدة شوقه فلولا أنه يجد رائحة من حبيبة إذا هبت الرياح من ناحية المشرق لما كان له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد رائحة حبيبه.

ها فأنظري أو فظني بي ترى حرقا ... من لم يذق طرفا منها فقد وألا

ها تنبيه ويجوز أن يكون اشارة يقول ها أنا ذا فانظري إلي أو فكري في أن لم تنظري فظني بي أي فاستعملي في الرؤية أو الروية ترى بي حرقا من حبك من لم يجرب القليل منها فقد نجا من بلاء الحب يقال وأل يئل وألا إذا نجا والنصف الآخر من البيت وصف لما ذكر من الحرق وقد أجمل المتنبي ما فصله البحتري في بيتين من قوله، أعيدي في نظرة مستثيب، توخي الأجر أو كره الأثاما، ترى كبدا محرقة وعينا، مؤرقة وقلبا مستهاما،

عل الأمير يرى ذلي فيشفع لي ... إلى التي تركتني في الهوى مثلا

عل بمعنى لعل ويشفع بالرفع عطف على يرى وبالنصب على جواب التمني يقول لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعا لي إلى الحبيبة التي جعلتني يضرب بي المثل في العشق لتواصلني بشفاعته والمعنى من قول أبي نواس، سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد، هواها لعل الفضل يجمع بيننا، وهذا احسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته والشفاعة تكون باللسان وذلك نوع من القيادة على أني سمعت العروضي يقول سمعت الشعراني يقول لم اسمع المتنبي ينشده إلا فيشفعني من قولهم كان وترا فشفعته بآخر وإلى آخر أي صيرته شفعا فيكون كما قال أبو نواس.

أيقنت أن سعيدا طالب بدمي ... لما بصرت به بالرمح معتقلا

يقول علمت يقينا أنا الممدوح يطلب بدمي إن سفكته الحبيبة ويأخذ منها ثأري لما رأيته قد حمل رمحه معتقلا

عند توجهه إلى قتال الاعداء يعني أنه يدرك ثأر أوليائه ولا يضيعه والاعتقال أن يحمل الرمح بين ساقه وركابه وهذا من قول المؤمل بن أميل، لما رمت مهجتي قالت لجارتها، لقد قتلت قتيلا ما له خطر، قتلت شاعر هذا الحي من مضر، والله والله ما ترضى به مضر،

وأنني غير محص فضل والده ... ونائل دون نيلي وصفه زحلا

ويروي فضل نائله وهو العطاء يقول علمت يقينا أني لا أقدر على عد عطائه لكثرته وإني أنال وادرك زحل قيل أن اقدر على وصف عطائه أو وصف فضل والده وإنما خص زحل من النجوم لأنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض فيما يقال ولذلك سمي زحل لأنه زحل أي بعد وتنحى وهو معدول عن زاحل مثل عمر من عامر.

قيل بمنبج مثواه ونائله ... في الأفق يسأل عمن غيره سألا." (١)

"فالليل حين قدمت فيها أبيض ... والصبح منذ رحلت عنها أسود

يقول أبيض الليل في هذه البلدة بنورك وضيائك حين قدمت وأسود صباحها منذ خرجت منها وهذا من قول أبي تمام، وكانت وليس الصبح فيها بأبيض، فأضحت وليس الليل فيها بأسود،

مازلت تدنو وهي تعلو عزة ... حتى توارى في ثراها الفرقد

ويروي رفعة يقول لم تزل تقرب من منبج وهي تزداد عزة ورفعة لقربك منها حتى علت النجوم فصارت فوق الفرقدين

أرض لها شرف سواها مثلها ... لو كان مثلك في سواها يوجد

أرض سوى منبج لها شرف مثل شرف منبج لو وجد فيها مثلك أي إنما شرفها بك فهو وجد مثلك في غيرها لكانت تساويها في الشرف

أبدى العداة بك السرور كأنهم ... فرحوا وعندهم المقيم المقعد

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٣

أي أظهروا السرور لقدومك خوفا منك لا فرحا بك وعندهم من الحسد والخوف ما يزعجهم

قطعتهم حسدا أراهم ما بهم ... فتقطعوا حسدا لمن لا يحسد
يردي أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدهم إياك فكأنك قطعتهم إربا حتى تقطعوا حسدا لمن لا يحسد أحدا لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ولن نالحسد ليس من اخلاقه وقوله قطعتهم حسدا هو كقولك أهلكته ضربا وأفنيته قتلا وقوله أراهم ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك أي كشف لهم عن احوالهم وما في محل النصب لأنه مفعول أرى وقول من قال ما بهم من قولهم فلان لما به إذا اشرف على الموت ليس بشيء ولا يلتفت إليه

حتى انثنوا ولو أن حر قلوبهم ... في قلب هاجرة لذاب الجلمد
أي انصرفوا عنك وعن مباهاتك عالمين بنقصهم وفي قلوبهم من حرارة الحسد والغيظ ما لو كان في هاجرة لذاب الحجر واستعار للهاجرة قلبا لما ذكر قلوبهم

نظر العلوج فلم يروا من حولهم ... لما رأوك وقيل هذا السيد
العلوج غلاظ الأجسام من الروم والعجم يقول شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك فصاروا كأنهم لا يرون أحدا سواك من القوم الذين حولهم ورأوا منك ما دلهم على سيادتك فقالوا هذا هو السيد وعنى بالعلوج القادة من الروم

بقيت جموعهم كأنك كلها ... وبقيت بينهم كأنك مفرد
قال ابن جنى أي كنت وحدك مثلهم كلهم لأن ابصارهم لم تقع إلا عليك وشغلت وحدك أعينهم فقمت مقام الجماعة هذا كلامه والمعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنه لا وجود لهم وإذا فقدوا كنت كل من بذلك المكان ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثاني وأتى بكاف التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ومعنى لا وجود

لهفان يستوبي بك الغضب الورى ... لو لم ينهنهك الحجي والسودد
اللهف حرارة الجوف من شدة وكرب ويستوبي يستفعل من الوباء وأصله يستوبىء بالهمزة ويقال نهنهه إذا رده وكفه ويريد باللهفان المغتاظ والغضبان وهو حال للممدوح من قوله وبقيت وتقدير الكلام يسوبىء الورى الغضب بك يعني الغضب الذي بك يجدونه وباء مهلكا لهم لو لم ينهك سوددك وحلمك عن إهلاكهم

كن حيث شئت تسر إليك ركابنا ... فالأرض واحدة وأنت الأوحد

يقول كن في أي موضع شئت من البلاد فأنا نقصدك وأن بعدت المسافة فإن الأرض واحدة وأنت أوحدها أي فأنت الذي تزار وتقصد دون غيرك قال ابن جنى قوله فالأرض واحدة أي ليس للسفر علينا مشقة لإلفنا إياه قال العروضي ليست شعري أي مدح للممدوح في أن يألف المتنبي السفر ولكن يقول الأرض هذه التي نراها ليس أرضا غيرها وأنت اوحدها لا نظير لك في جميع الأرض وإذا كان كذلك لم يبعد السفر إليه وإن طال لعدم غيره ممن يقصد

وصن الحسام ولا تذله فإنه ... يشكو يمينك والجماجم تشهد

قال ابن جنى صنه لأن به يدرك **الثأر** ويحمى الذمار قال ابن فورجة كيف أمن أن يقول ما أذلته إلا لأدرك به **ثأري** وأحمي ذماري وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبي الطيب وإنما يعني أنك قد أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك فقال صن صيفك وإنما يريد اغمده وهذا كقوله، شم ما انتضيت، البيت

يبس النجيع عليه وهو مجرد ... من غمده وكأنما هو مغمد

يقول أن الدم الجاسد عليه صار كالغمد له حتى يرى مجردا كالمغمود وهذا من قول البحتري، سلبوا وأشرقت الدماء عليهم، محمرة فكأنهم لم يسلبوا، وهو من قول الآخر، وفرقت بين أبني هشيم بطعنة، لها عاند يكسو السليب إزارا،

ريان لو قذف الذي أسقيته ... لجرى من المهجات بحر مزبد." (١)

"قال ابن جنى إذا كنتم تؤثرون شم الروح في الدنيا وملاقاة نسيمها فلا زلت روضة وقبولا أجتذابا إلى هواكم ومصيرا إلى ما تؤثرونه فيكون سبب الدنو منكم وأراد لا برحت روضة وقبولا فجعل الأسم نكرة والخبر معرفة لأجل القافية انتهى كلامه ومن يفسر هذا البيت مثل هذا التفسير فقد فضح نفسه وغر غيره وقال ابن فورجة الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوي على شوق وأما المحبوب وإن كان **إيثار** الروح طبعا من الناس فإنهم لا يوصفون بطلب بطلب الروح وتشمم النسيم والتعرض لبرد الريح والتشفي بنسيم الهوى وأيضا فما

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٤٠

الحاجة إلى أن يكون الأسم نكرة والخبر معرفة في قوله برحتني روضة وقبول وبرح ههنا ليس أخت كان التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر وإنما هي من برح فلان من مكانه أي فارقه يقول إذا لم يكن لي من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهوى وتشممي لطيبه بروائحكم وما كان ينالني أيام اللهو من الفرح بقربكم فلا فارقتني روضة وقبول تشوق إلى روائح تلك الروضة وهذا من قول البحتري، تذكرنا ريا الأحبة كلما، تنفس في جنح من الليل بارد، وأصله من قول الأول، إذا هب علوي الرياح وجدتني، كأني لعلوي الرياح نسيب، وقد أحسن وأجاد في هذا التفسير وتلخيصه أنه يقول إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها أدنى إليكم لأنها تذكرني روائحكم وطيب أيام وصالكم فلا فارقتني روضة أستنشق روائحها وريح قبول اتنسم بها لأكون أبدا على ذكركم.

وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الحبيب نزول

أراد متذكرا فأقام المصدر مقام الحال كقوله تعالى أن أصبح ماؤكم غورا ويجوز أن يكون مفعولا له كقولك جئتك ابتغاء الخير والمعنى أني كلما شربت الماء شرقت به لأني أذكر ذلك الماء الذي هم نزول به ولا يسوغ لي الماء.

يحرمه لمع الأسنة فوقه ... فليس لظمآن إليه وصول

يريد أن ذلك الماء منيع بالرماح لا وصول إليه لعطشان وعني بعزة الماء عزة أهله وحبيبه فيما بينهم أي فلا أقدر على اتيانه وزيارته.

أما في النجوم السائرات وغيرها ... لعيني على ضوء الصباح دليل

استطال ليله فقال أما شيء يدلني على ضوء الصبح من نجم وغيره فاستروح إليه من طول الليل وظلمته

ألم ير هذا الليل عينيك رؤيتي ... فتظهر فيه رقة ونحول

يعني أن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها فيقول أما رآك هذا الليل حتى يخف وتقل اجزاؤه فينكشف عنا وينحسر

لقيت بدرب القلة الفجر لقية ... شفت كمدي والليل فيه قتيل

يريد أن الليل أنقضى وبدت تباشر الصبح وقد وافى هذا المكان فشفى لقاء الصبح كمده والليل قتيل في الفجر لأنه ينقض بطلوعه وقد أخذ بعضهم هذا المعنى وكشف عنه فقال، ولما رأيت الصبح قد سل سيفه، وولى انهزاما ليله وكواكبه، ولاح احمرار قلت قد ذبح الدجى، وهذا دم قد ضمخ الأرض ساكبه،

ويوما كأن الحسن فيه علامة ... بعثت بها والشمس منك رسول

استحسن اليوم لما كان قبله من استبشاعه الليل وأضاف حسنه إلى الحبيبة يقول كأنك بعثت من حسنك علامة على يد الشمس لأنها لما طلعت الشمس حسن اليوم وكأن الشمس جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ... ولا طلبت عند الظلام ذحول

أثار افتعل من **الثأر** وأصله الهمز **أثأر** يثئر اثئارا إذا أدرك **الثأر** قال ابن جنى يقول لولا سيف الدولة لما وصلت إلى درب القلة حتى شفيت نفسي من الليل بملاقاة الفجر قال ابن فورجة هذه الابيات من محاسن هذه القصيدة وإذا توبع فيها أبو الفتح ضاعت وبطلت افترى أبا الطيب لولا سيف الدولة لما اصبح ليله ولما لقي الفجر ولو لم يصل إلى درب القلة لما شفى عشقه واي فائدة للعاشق في الوصول إلى درب القلة وقد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيبا بتقريظ وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى وأراد بقوله والليل فيه قتيل حمرة الشفق وأنه كدم على صدر نحير ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من همه وجعل حسن اليوم وهو ظفر سيف الدولة لسروره أنه قتل الليل واثار لأبي الطيب على ما جرت به العادة من نسبة الغرائب إلى الممدوحين وإن كانت من المحال يدل على هذا قوله

ولكنه يأتي بكل غريبة ... تروق على استغرابها وتهول." (١)

"قال أبن فورجة يقول أنت إذا حزنت على هالك فإنما حزنت حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له والحفاظ والوفاء مما يدعو غليه العقل وغيرك يحزن ذعرا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن هذا كلامه وتفسير الحفظ على ما ذكره وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه والوجه

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٥٨

أن يقال أراد بالعقل الاعتبار بمن مضى فأن العاقل إنما يحزن على الميت اعتبارا به وعلما أنه عن قريب سيتبعه على أثره وحزن غير العاقل يكون ذعرا من الموت وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن

لك إلف يجره وإذا ما ... كرم الأصل كان للإلف أصلا

قال أبن جنى تجره تصحبه وتحمل ثقله وروى ابن فورجة يجره بالياء وهو الصواب والمعنى لك ألف يجر هذا الحزن ويجنيه عليك ثم ذكر أن الألف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف وإذا كان الوفا حزن على فراق من ألفه

ووفاء نبت فيه ولكن ... لم يزل للوفاء أهلك أهلا

يروى فيه قديما يقول لك وفاء نشأت عليه فلا تعرف غير الوفاء للأحباب وقوله ولكن هو استثناء معروف على مذهب العرب يقولون فلان شريف غير أنه سخي قال أحمد بن يحيى هذا استثناء قيس وأنشد، فتى كملت أخلاقه غير أنه، جواد فما يبقى من المال باقيا،

إن خير الدموع عونا لدمع ... بعثته رعية فاستهلا

ويروى عندي لدمع يريد أن الدمع الذي سببه رعاية العهد هو خير الدموع عونا على الحزن والمصيبة وذلك أن الدمع يخفف برح الوجد كما قال ذو الرمة، لعل انحدار الدمع يعقب راحة، من الوجد أو يشفى نجي البلابل، روى أبن جنى عينا قال وهو منصوب على التمييز كقولك أن أحسن الناس وجها لزيد والمعنى أن عينه خير الأعين لأن موجب دمعه حتى استهل وفاض الرعاية والحفاظ

أين ذي الرقة التي في الحر ... ب إذا استنكره الحديد وصلا

أي هذه الرقة والرحمة التي نشاهدها منك أين هي في الحرب إذا أكره الحديد على الضرب وصل بقرع بعضه بعضا ويجوز أن يكون المعنى إذا استكره ضرب الحديد وقد نظر في هذا إلى قول لبيد، كل حرباء إذا أكره صل، والمعنى من قول البحتري، لم يكن قلبك الرقيق رقيقا، لا ولا وجهك المصون مصونا،

أين خلفتها غداة لقيت ال ... روم والهام بالصوارم تفلى

وروى ابن جنى أين غادرتها يقول أين تركت رقتك يوم الحرب إذ طلبت الرؤوس بالسيوف من جميع الجهات كالفالي يتبع كل موضع من الرأس ويروى تقلى أين يرمى بها كالقلة

قاسمتك المنون شخصين جورا ... جعل القسم نفسه فيك عدلا

المنون المنية والمنون الدهر ويجوز تذكيره وتأنيثه يقول قاسمك الموت أو الزمان شخصين يعني أختيه فاذهب إحداهما وترك الأخرى وكانت هذه المقاسمة جورا لأنه كان من حقك أن يتركهما عندك ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركك حيا وكانت المقاسمة معك في الأختين والمعنى إذا كنت أنت البقية فالجور عدل هذا إذا نصبت القسم وجعلت الفعل للجور وروى قوم جعل القسم نفسه فيه عدلا في الجور لأنه وإن كان أخذ الصغرى فقد ترك الكبرى ويدل على صحة هذا قوله

فإذا قست ما أخذن بما أغ ... درن سرى على الفؤاد وسلى

أغدرن تركن مثل غادرن

وتيقنت أن حظك أوفى ... وتبينت أن جدك أعلى

يعني حين بقيت الكبرى

ولعمري لقد شغلت المنايا ... بالأعادي فكيف يطلبن شغلا

وكم انتشت بالسيوف من الده ... ر أسيرا وبالنوال مقلا

يقال انتاشه من صرعته إذا نعشه يقول كم نعشت ونصرت أسيرا للزمان بسيفك فاستنقذته من الأسر وكم من مقل عديم نصرته بنوالك وجبرته على كره الزمان

عدها نصرة عليه فلما ... صال ختلا رآه أدرك تبلا

أي عد الزمان أفعالك نصرة عليه ومراغمة له فلما صال على أختك رأى نفسه قد أدرك تبلا لأنه حقد عليك ما فعلته وقوله رآه الضمير يعود على الدهر كقوله تعالى أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى

كذبته ظنونه أنت تبلي ... ه وتبقى في نعمة ليس تبلى

يقول ليس كما ظن الزمان أنه أدرك منك تبلا لأنك تبلى الزمان وتبقى أنت وإذا كان الأمر كذلك لم يقدر الزمان على ادراك الثأر منك

ولقد رامك العداة كما را ... م فلم يجرحوا لشخصك ظلا." (١)

"امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المتوفي عام ٥٦٠م – ٨٠ ق. هـ

ترجمة الشاعر

– ١ – هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر. وهو من قبيلة كندة. وكندة قبيلة يمنية، كانت تسكن قبل الإسلام غربي حضرموت؛ وكانت على اتصال بالحميريين. وفي عهد حسان بن تبع ملك حمير كان حجر بن عمرو سيد كندة في حاشية حسان. وقد فتح حسان فتوحا كثيرة في جزيرة العرب، فولى حجرا بعض قبائلها ودانت كلها لحجر الكندي؛ كما دان حجر بالولاء لحمير، ونزل حجر نجدا؛ وكان اللخميون ملوك الحيرة قد بسطوا نفوذهم على تلك البلاد؛ وخاصة بلاد بكر بن وائل؛ فحارب حجر اللخميين وأزال نفوذهم.

وفي عهد الحارث بن عمرو بن حجر اتسع سلطان كندة؛ واتصل الحارث بقباذ ملك الفرس فولاه الحيرة مكان اللخميين؛ ونشر نفوذه – وسط الجزيرة – على كثير من قبائل العرب؛ وفرق الملك في أبنائه الأربعة: فولى ابنه حجرا (أبا امرئ القيس) بني أسد؛ وابنه شرحبيل بكر بن وائل؛ وابنه معد يكرب قبيلة قيس وكنانة وابنه سلمة قبيلتي تغلب والنمر بن قاسط.

ولكن هذا النفوذ لم يدم طويلا؛ فقد عاد اللخميون إلى نفوذهم في الحيرة وقربهم من ملك فارس؛ ودسوا الدسائس لأولاد الحارث فقتل سلمة وشرحبيل وتنكر بنو أسد لحجر؛ ونبذوا طاعته؛ وأمسكوا عن دفع الأتاوة له. واستعان حجر بجند من ربيعة وأعمل في بني أسد السيف؛ واستباح أموالهم؛ وحبس أسرافهم؛ ومنهم عبيد بن الأبرص الشاعر؛ ثم رق لهم وأطلق سراحهم فحقدوا عليه واغتالوه.

وفي أخبار الرومان أن حجرا وأخاه معد يكرب قاما ببعض غزوات على حدود المملكة البيزنطية من أواخر القرن الخامس الميلادي.

وبموت حجر تضعضعت سلطة كندة.

– ٢ – نشأ امرؤ القيس في بيت ملك واسع الجاه، وكان من صباح ذكيا متوقد الذهن فلما ترعرع أخذ يقول الشعر ويصور به عواطفه وأحلامه. نشأ نشأت ترف؛ يحب اللهو ويشبب بالنساء ويقول في ذلك الشعر

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٢٨٩

الماجن. فطرده أبوه وآلى ألا يقيم معه فكان يسير في أحياء العرب، ومعه طائفة من شباب القبائل الأخرى؛ كطيئ وكلب، وبكر بن وائل، يجتمعون على الشراب والغناء عند روضة أو غدير، ويخرج هو للصيد فيصيد ويطعمهم من صيده. وظل كذلك حتى جاءه نعي أبيه وهو بدمون (قرية بالشام وقيل في اليمن) ، فرووا أنه قال: "ضيعني أبي صغيرا، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا، اليوم خمر، وغدا أمر".

رحل امرؤ القيس يستنصر القبائل للأخذ **بثأر** أبيه من بني أسد فاستنجد بقبيلتي بكر وتغلب فأعانوه وأوقعوا ببني أسد؛ وقتلوا منهم، واكتفت بكر وتغلب بذلك وقالوا له قد أصبت **ثأرك** وتركوه. ولكن امرؤ القيس كان يريد التنكيل ببني أسد ويحاول أن يعيد لنفسه ملك أبيه، فلم يقنعه ما فعلت بكر وتغلب، فذهب إلى أهله باليمن يستنصرهم، فأعانوه بجنود ذهب بهم إلى بني أسد، ولكن ملك الحيرة أخذ يؤلب عليه ويدس الدسائس له حتى فشل.. وظل شريدا يتنقل بين أمراء العرب حتى نزل أخيرا على السموءل بتيماء فأجاره. وطلب إليه امرؤ القيس أن يكتب إلى الحارث – أمير الغساسنة بالشام – ليوصله إلى قيصر ملك الرومان ويمهد لامرئ القيس السبيل للسفر إلى القسطنطينية؛ يطلب المعونة منه ليعيد ملكه فأجاب السموءل طلبه فأودعه امرؤ القيس امرأته ودروعا له كان يتوارثها ملوك كندة، ورحل إلى قيصر. وكان ذلك في عهد القيصر (يوستنيانوس) .

ويرى أن القيصر أحسن وفادته، وكان السبب في ذلك – على ما يظهر – أن امرأ القيس كان طريد اللخميين في الحيرة، وأمراء الحيرة في كنف الفرس. والفرس أعداء الروم. فلعل (يوستنيانوس) أراد أن يعينه ويجعل منه ومن أعوانه جيشا ينتقم بهم من أمراء الحيرة، ويصطنعه كما اصطنع غساسنة الشام.

وقد ذكر بعض مؤرخي الرومان خبر رحلته إلى القسطنطينية، وسموه "قيسا" لا امرأ القيس، وذكروا أن القيصر وعده بإعادة ملكه ثم ولاه فلسطين، ولكن هذا لم يرض امرأ القيس فقفل راجعا.

ولكن مؤرخي العرب يروون أن القيصر قبل وفادته وضم إليه جيشا وفيهم جماعة من أبناء الملك؛ وأن قوما من أصحاب قيصر قالوا له: "إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه".." (١)

"وآخرون يروون أن بعض العرب ممن كان مع امرئ القيس ذكروا للقيصر أن امرأ القيس قال لقومه إنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، فأرسل قيصر إليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده؛ ومن أجل هذا سمي "ذا القروح" ومات بأنقرة وهو عائد من القسطنطينية. والظاهر أن امرأ القيس أصيب أثناء

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/١

عودته بمرض جلدي سبب له قروحا.

كان دين امرئ القيس الوثنية وكان غير مخلص لها. فقد روي أنه لما خرج للأخذ بثأر أبيه مر بصنم للعرب تعظمه يقال له ذو خلصة. فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربص. فأجالها فخرج الناهي. فعل ذلك ثلاثا فجمعها وكسرها. وضرب بها وجه الصنم. وقال: "لو كان أبوك قتل ما عقتني".

وكان امرؤ القيس يلقب بالملك الضليل؛ وبذي القروح؛ لما أصيب به في مرضه على ما ذكرناه.

- ٣ -

ألوان من حياة امرئ القيس

كان حجر في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة فغبر ذلك دهرا، ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجبيهم؛ فمنعوه ذلك - وحجر يومئذ بتهامة - وضربوا رسله؛ وضرجوهم ضرجا شديدا قبيحا.

فبلغ ذلك حجرا، فسار إليهم بجند من ربيعة وقبس وكنانة. فأتاهم وأخذ سراتهم. فجعل يقتلهم بالعصا. وأباح الأموال؛ وصيرهم إلى تهامة؛ وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدا؛ وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدي، وكان سيدا؛ وعبيد بن الأبرص الشاعر؛ فسارت بنو أسد ثلاثا.

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالتي:

يا عين فابكي من بني ... أسد فهم أهل الندامة

أهل القباب الحمر والن ... عم المؤبل والمدامة

وذوي الجياد الجرد والأ ... سل المثقفة المقامة

حلا أبيت اللعن حلا ... إن فيما قلت آمة

في كل واد بين يث ... رب فالقصور إلى اليمامة

تطريب عان أو صيا ... ح محرق أو صوت هامة

ومنعتهم نجدا فقد ... حلو على وجل تهامة

برمت بنو أسد كما ... برمت ببيضتها الحمامة

جعلت لها عودين م ن ... نشم وآخر من ثمامة

إما تركت عف ... وا أو قتلت فلا ملامة

أنت المليك عليهم ... وهم العبيد إلى القيامة

ذلوا لسوطك مثل ما ... ذل الأشيقر ذو الخزامة

فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم فقال لبني أسد: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب؟ هذا دمه ينثعب وهذا غدا أول من يسلب.

قالوا: من هو؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية؛ لأخبرتكم أنه حجر ضاحية.

فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه، وتشاور القوم على قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا رأيهم فيه: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم.

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله، فلما رأى ذلك علباء بن الحارث الكاهلي خشي أن يتواكلوا في قتله، فدعا غلاما من بني كاهل – وكان ابن أخته – فقال: يا بني، أعندك خير فتثأر بأبيك، وتنال شرف الدهر، وإن قومك لن يقتلوك؟!.

فلم يزل بالغلام حتى حربه، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: ادخل عليه مع قومك، ثم اطعنه في مقتله. فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها، ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها.

فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله؛ فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل: ثأرنا وفي أيدينا!.

فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخلوا عنه.

وأقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، وذل دهر، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا.

ولما طعن الغلام حجرا ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع. وكان أكبر ولده – فإن بكى وجزع فاله عنه؛ واستقرهم واحدا واحدا؛ حتى تأتي امرأ القيس – وكان أصغرهم – فأيهم لم يجزع؛ فادفع إليه سلاحي وخيلي وقدوري ووصيتي، وبين في وصيته من قتله؛ وكيف كان خبره.." (١)

"فقال امرؤ القيس لا والله لا أستوخمه ولكن أستعذبه فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي، إذ كنت نازلا بربعي، ومتحرما بذمامي، ولكنك قلت فأجبت. قال قبيصة: إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: هو ذاك!.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٢

ثم شرب امرؤ القيس سبعا، فلما صحا آلى ألا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يصب امرأة حتى يدرك بثأره، فلما جنه الليل رأى برقا فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول

ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون إذا ما أكل

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرا وتغلب، فسألهم النصر، وبعث العيون على بني أسد، فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد، تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم، ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم، وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام. فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن! لسنا لك بثأر، ونحن من كنانة فدونك ثأرك فاطلبهم؛ فإن القوم ساروا بالأمس.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك؛ فقال:

ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

وأدركهم ظهرا، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون على الماء؛ فنهد إليهم فقالتهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد.

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم؛ وقالوا له: لقد أصبت ثأرك. قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتالهم، وانصرفوا عنه، فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير.

فاستأجر من قبائل العرب رجالا، فسار بهم إلى بني أسد، ومر بتبالة وبها صنم للعرب تعظمه، فاستقسم عنده بقداحة، وهي ثلاثة: الآمر، والناهي، والمتربص. فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها

فكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: لو أبوك قتل ما عقني، ثم خرج فظفر ببني أسد.
وألح المنذر في طلب امرئ القيس، ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ، وأمده أنو شروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة؛ وتفرقت حمير ومن كان معه عنه، فنجا في عصبه من بني آكل المرار؛ ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجير بهم وصار يتحول عنهم إلى غيرهم؛ حتى نزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار، حتى يرى ذات عيبه.
فقال له الفزاري: يابن حجر؛ إني أراك في خلل من قومك؛ وأنا أنفس بمثلك من أجل الشرف؛ وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيئ؛ وأهل البادية أهل وبر؛ لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس، أفلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصر، وجئت النعمان، فلم أر لضيف نازل ولا لمجتد مثله ولا مثل صاحبه.
قال: من هو؟ وأين منزله؟ قال: السموءل بتيماء، هو يمنع ضعفك حتى ترى عيبك، وهو في حصن حصين وحسب كبير.
فقال له امرؤ القيس: وكيف لي به؟ قال أو صلك إلى من يوصلك إليه.
فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموءل فيحمله ويعطيه.
فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموءل يعجبه الشعر؛ فتعال نتناشد له أشعارا؛ فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

قل للمنية أي حين نلتقي ... بفناء بيتك في الحضيض المزلق
ولقد أتيت بني المصاص مفاخرا ... وإلى السموءل زرته بالأبلق
فأتيت أفضل من تحمل حاجة ... إن جئته في غارم أو مرهق
عرفت له الأقوام كل فضيلة ... وحوى المكارم سابقا لم يسبق

فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنب ... وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق." (١)

"وقد تجد في المعلقة تنقلا في الخيال وفي رسم الصور الشعرية، ولكن لا ضير في ذلك، لأن الشعر فن والفنون تأبى أن تخضع لقيود المنطق والفلسفة وحريتها في التعبير والتصوير هو سر جمالها وخلودها وفق ذلك

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٤

فإن الشعر صورة للحياة العربية في سذاجتها وبساطتها فضلا عن أثر الارتجال والبديهة في نظم الشعر وإنشاده وخاصة في العصر الجاهلي.

وفي المعلقة وصف لما يحبه العربي من مظاهر الجمال في المرأة وفي الفرس وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها وفيها نواة للقصص الشعري وخاصة في الغزل، مما نهج نهجه عمر بن أبي ربيعة ثم بشار وأبو نواس. وليس فيها أثر للمدح لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته ولهوه وترفه ومجونه، مما يرجع أنها نظمت في أيام صبواته وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بثأر والده، حيث تجدها خالية من ذكر الأحداث التي طافت به بعد ذلك. وتعدد الأعراض والفنون في القصيدة يتفق ونهج العرب والشعراء الجاهليين في صياغة قصائدهم؛ حيث كانوا يروحون عن أنفسهم وسامعيهم بهذا الاستطراد الجميل وبتعدد نواحي القصيدة ومراميها حتى تكون أشد أثرا وسحرا.

وروح الشاعرية في المعلقة متحدة متناسقة إلا في أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهي:

وقربة أقوام جعلت عصامها ... على كاهلي مني ذلول مرحل

وما بعده من أبيات، مما تخالف روحها روح المعلقة. والصحيح أن هذه الأبيات لتأبط شرا وأنكرها الكثير من الرواة، وقيل هي لامرئ القيس في عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة، فهي لا تمثل روحه في فترة شبابه اللاهية الماجنة التي نراها في معلقته.

وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية في كثير من نواحيها المختلفة، كما تصور حياة امرئ القيس وترفه وروحه اللاهي المسرف في العبث والمجون أتم التصوير، فهي صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه، وأثر أدبي كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم.

نشأ امرؤ القيس في بيت سؤدد ومجد ونعمة، فخب في سبل اللهو وذاق أفاويق الجمال والحب وقضى أيام شبابه في مغازلة الغيد الحسان؛ فكانت له معهن أيام وذكريات قص الكثير منها في هذه المعلقة، وما برح في لهوه ومجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو حتى قتل أبوه فذهبت سكرته وطالت حسرته، وهب للأخذ بثأره حتى قضى عليه أخيرا إسرافه في الانتقام.

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء في الجاهلية، وحامل لواء الشعر في ذلك العصر البعيد، والمفتن في أبواب الشعر وأغراضه، والمجلى في بيان أسرار الجمال واللهو وفي رقة الأسلوب وسحره، وفي جزالة اللفظ وأسره، وفي روائع التشبيه وبدائع الخيال، وفي ابتداع الكثير من المعاني الشعرية الطريفة التي قلده فيها سواء من الشعراء

وتتناول المعلقة كثيرا من فنون الشعر، وتحوي الكثير من الأفكار المنوعة، ففيها بكاء لديار أحبابه في ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى في بيتين وفيها شرح للهوه وعبثه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربي وزينة المرأة في الجاهلية ولأثر الجمال وسحره في النفوس وذلك في عشرين بيتا، وفيها مناجاة الليل وذكر لطوله وآلامه فيه في خمسة أبيات ووصف دقيق لفرسه في ثمانية عشر بيتا، وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة في عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد وهي كلها في درجة عالية من الإحسان.

ويقول الزوزني في سبب إنشاد هذه القصة: "السبب في إنشادها هو قصة غدير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم في هذا الغدير مع أتراب لها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات، ثم ذبح لهن ناقته وقسم متاعه عليهن يحملنه وركب مع عنيزة في هودجها".

وقد بدأها ببكاء الديار بمطلع جميل ساحر ثم يستمر في وصف الديار وآثارها حتى يقول: وقوفا بها صحبي على مطيهم.

ثم يصف ذكريات لهوه وعبثه وغزله. ثم يصف الليل وطوله، وطوله والفرس وقوته ويذكر الصيد الذي صاده وطهى الطهاة له وسط الصحراء ويصف البرق والمطر في عذوبة وسحر وجمال.

- ٢ - وقال أيضا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي." (١)

"وكانت بلاد غطفان ساحة للعداء الشديد والحرب المستعرة بين قبيلتين من قبائلهما وهما عبس وذبيان، وكانت هذه الحروب وهذا العداء سببا في ثروة أدبية كبيرة من شعر مليء بالفخر والهجاء والتحريض على القتال والأخذ بالثأر، ومن قصص تدور وقائعها على ما كان بين الفريقين. فكثير من شعر عنترة العبسي مثلا يصف الأطوار الأخيرة لحرب داحس والغبراء الطاحنة، وكان كثير من شعر زهير يدور حول السلم بين القبيلتين والدعوة إليه وإظهار نتائجه، والإعجاب برجلين من رؤساء ذبيان، وهما هرم بن سنان والحارث بن عوف، سعيا في الصلح بين عبس وذبيان واحتملا ديات القتلى ونشرا السلام في غطفان، فكان هذا داعيا لزهير ليصور حبه للسلام واستفظاعه للحرب وأهوالها، وليمدح هذين العظيمين على ما قاما به من جهود لتوطيد دعائم السلم في هذه الجزيرة العربية المتنافرة المتخاصمة.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/١٢

وقد مدح هرم بن سنان بمدائح كثيرة، وأجزل هرم له العطاء وله نحو العشرين قصيدة، يمدحه هو والحارث بن عوف بها؛ لسعيه في الصلح بين عبس وذبيان. ومات قبل البعثة بقليل.

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وماتت أمه وهي حامل به. وقالت: إذا أنا مت فشقوا بطني. فإن سيد غطفان فيه، فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا. وفي بني سنان يقول زهير:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قدم بأولهم أو مجدهم قعدوا

جن إذا فزعوا أنس إذا أمنوا ... مرزؤون بهاليل إذا قصدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

وقال زهير في هرم بن سنان:

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب فواصله

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائله

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ... ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال زهير أيضا في هرم بن سنان وأهل بيته:

من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم ... يبني لهم في جنان الخلد مرتفق

المطعمين إذا ما أزمة أزمت ... والطيبين ثيابا كلما عرقوا

كأن آخرهم في الجود أولهم ... إن الشمائل والأخلاق تتفق

إن قامروا قمروا أو فاخروا فخروا ... أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا

تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا ... كما تنافس عند الباعة الورق

قال الميداني في مجمع أمثاله عند قولهم أجود من هرم: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري وقد سار بذكر جوده المثل، وقال زهير بن أبي سلمى فيه:

إن البخيل ملوم حيث كان ... ولكن الجواد على علاته هرم

هو الجواد الذي يعطيك نائله ... عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

ووفدت ابنة هرم على عمر، فقال لها: ما كان الذي أعطى أبوك زهيرا حتى قابله من المديح بما قد سار فيه، فقالت: أعطاه خيلا تنضى، وإبلا تتوى وثيابا تبلى ومالا يفنى. فقال عمر: لكن ما أعطاكم زهير لا يبليه

الدهر، ولا يفنيه العصر.. ويروى أنها قالت: ما أعطى هرم زهيرا قد نسي. قال: لكن ما أعطاكم زهير لا ينسى.

- ٢ - وزهير من شعراء الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، وفضله كثير ممن لهم معرفة بنقد الشعر على امرئ القيس والنابغة وأضرابهما، وقال أناس: هو أشعر العرب وعده عمر أشعر الشعراء لأنه لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حواشيه ولا يمدح أحد بغير ما فيه. وذكره الأصمعي قال: كفاك من الشعراء أربعة: "زهير إذا طرب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا غضب وعنترة إذا كلب".

وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث كقوله:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

وكان عمر بن الخطاب يعجب بقوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

يعني يمينا أو مناقرة إلى الحاكم أو برهان. ومما جرى من شعره مجرى المثل قوله:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل

أسباب شاعرية زهير." (١)

"هذه المعلقة هي أثر آخر من آثار البلاغة العربية القديمة، يقع في تسعة وخمسين بيتا، وصاحبها هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني. نشأ في أقاربه بني غطفان وتخرج في الشعر على خال أبيه بشامة بن الغدير، وكان يروي لأوس بن حجر أيضا وكان أوس زوج أمه، فكان شاعرا فحلا، كما كان صائب الرأي عاقلا حازما حكيما وكان يتأله ويتعفف في شعره.. ويدل شعره على إيمان بالبعث:

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب أو يعجل فينقم

وفضله عمر بن الخطاب على الشعراء، لأنه كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه.

وكان زهير أحكمهم شعرا، وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح.

كانت حرب داحس والغبراء بين عبس وبيان تؤرق زهيرا وتضنيه، وتثير شاعريته. ولما سعى هرم بن سنان

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٤٣

والحارث بن عوف المريان في الصلح وحقن الدماء وتحمل١ ديات القتلى أنطلقت تلك المأثرة زهيرا، فنظم معلقته هذه يمدح هذين السيدين، وينوه بعملهما الجليل ويدعو إلى السلم وينفر من الحرب ويصف مآسيها وآلامها، وهي قصيدة رائعة، تمتاز بحكمها الكثيرة، وكان زهير ذا حكمة في شعره.. وقد بدأ زهير معلقته بذكر الديار وزيارته لها ووقوفه فيها عشرين عاما طوالا يتذكر ذكريات حبه ووفائه، قال:

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم ... بحوماته الدراج فالمتثلم

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأيا عرفت الدار بعد توهم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

ثم أخذ يصف النساء اللاتي ارتحلن عنها، فيتبعن ببصره كئيبا حزينا، ويصف الطريق التي سلكنها، والهوادج التي كن فيها، والمياه التي نزلنها، في عذوبة وسهولة وجمال، إلى أن يقول:

فلما وردن الماء زرقا جمامه ... وضعن عصى الحاضر المتخيم

تذكرني الأحلام ليلى ومن تطف ... عليه خيالات الأحبة يحلم

ثم ينتقل إلى مدح هرم الحارث والإشادة بمنقبتهما الكريمة في إنقاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى من ما لهما، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير. قال:

سعى ساعيا "غيظ بن مرة" بعدما ... تبزل ما بين العشيرة بالدم

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومآثم

ثم ندد بالحرب ووصف فظائعها؛ ودعا إلى السلم وأكده وأوجبه على المتحاربين، قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضربتموها فتضرم

ثم ينصح قومه بأن يبقوا على السلم، ويندد بالحصين بن ضمضم وبآثار عمله في تهييج الشر وإعادة نار الحرب، وكان الحصين حين اجتمع القوم للصلح قد حمل على رجل له عنده ثأر في الحرب فقتله، ويعيد التنويه

بالرجلين اللذين احتملا ديات القتلى واحدا واحدا على غير جريرة كانت منهما.

ثم ينتقل من هذا المجال الرهيب مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام، إلى مجال الحكمة الإنسانية العامة، حكمة الرجل المجرب للحياة الذي ذاقها وخبرها، وعاش في خضمها، ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها.. قال:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عند ويذممهم

إلى أن قال:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ويختمها بتأكيد معروف السيدين الممدوحين عليه فيقول:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن يكثر التسآل يوما سيحرم

- ٢ - وقال أيضا يمدح سنان بن أبي حارثة المري:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ... وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل." (١)

"وقال ابن سلام فيه: وكان أمية كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء. وقال أبو عبيدة: "اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت". وقال الكميت: "أمية أشعر الناس، كما قلنا ولم نقل كما قال". وقال الأصمعي: "ذهب أمية بعامة ذكر الآخرة وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب".

ونقول: تلك آراء العلماء في شعر أمية، ولكن ما بين أيدينا من شعره لا ينزله هذه المنزلة، فلعل كثيرا من شعره الجيد قد ذهب مع الزمان.

وقال أبو الفرج في أغانيه: "كان أمية بن أبي الصلت في نظر في الكتب وقرأها، ولبس المسوح تعبدا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنفية وحرم الخمر، وشك في الأوثان، وكان محققا. والتمس الدين، وطمع في النبوة، لأنه قرأ في الكتب أن نبيا يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو، فلما بعث النبي صلى الله عليه

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٤٨

وسلم قيل له: هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه فحسده عدو الله وقال إنما كنت أرجو أن أكونه فأنزل الله عز وجل "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها".

وهو الذي يقول:

كل دين يوم القيامة عند الل ... ه إلا دين الحنيفة زور

فأنت ترى من هذا أنه كان متألها يعبد الله على دين إبراهيم، ويتوقع أن يكون هو صاحب الرسالة الذي بشرت به الكتب التي عكف عليها بالدرس. فلما لم يكن ما خط في سجل القدر موافقا لما وقر في نفسه، غلب جهله على حلمه، وسيطر حسده على فكره، فلم يؤمن بالنبي عليه السلام، ولم ينهل من حياض شريعته. قال ابن عتيبة في طبقات الشعراء: "وكان أمية يخبر أن نبيا يخرج قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به جسدا". ولما بلغه خبر وقعة بدر والذين قتلوا بها من ذوي قرابته قال قصيدته التي يرثي فيها من قتل من قريش ويحرضهم على أخذ الثأر:

ألا بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولى الممادح

كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك في الغصن الجوانح

ثم أخذ يفيض في وصف قتلى بدر حتى لم يدع مكرمة إلا ألصقها بهم إلى أن قال:

خذلتهم فئة وهم ... يحمون عورات الفضائح

الضاربين التقدمية ... بالمهندة الصفائح

قال ابن هشام بعد رواية هذه القصيدة: "تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب الرسول". وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: "والأخبار مختلفة في موقفه بالنسبة للنبي وللإسلام، ولعل الأرجدح أنه لم يلق النبي وأبى أن يصدق بدعوته، يؤيد هذا ما يتجلى في قصيدته المذكورة من عطف على قريش.. وأيا ما كان من شأن هذه الروايات فقد اتفقت جميعا على أنه مات كافرا ولم يؤمن بالنبي عليه السلام، روى صاحب الأغاني بسنده قال: "لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية:

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا

رب الحنيفة لم تنفد خزائنه ... مملوءة بطبق الآفاق سلطانا

ألاني لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس مجرانا

إلى أن قال:

يا رب لا تجعلني كافر أبدا ... واجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا

واخلط به بنيتي واخلط به بشري ... واللحم والدم ما عمرت إنسانا

فقال صلى الله عليه وسلم "آمن شعره وكفر قلبه". ولولا ما نعرف من غلبة الكذب على كثير من الشعراء لقلنا إن هذه الأبيات منحولة على أمية كما نحل الكثير غيرها ولكنا قد تعودنا من الشعراء غير ذلك، فلا بعد في أن تكون من شعره. ولقائل أن يقول إن هذه القصيدة قيلت قبل مبعث النبي عليه السلام، وقد اتفق الرواة كما قدمنا على أنه كان موحدا حنيفيا، فلم نشك في نسبتها إليه؟.

الشنفرى الأزدي

من شعراء العرب وفتاكهم، ومن أشهر العدائين فيهم هو والسليك وعمرو بن براق وتأبط شرا.." (١)

"٢١٩ - وحكى محمد بن أيوب الهاشمي أن اسحق بن العباس بن محمد كان واليا على البصرة، وكان مزاحا عبيثا، فلاعب الصباح بن عبد العزيز الأشعري بالنرد، في أمره ورضاه، فقمره اسحق، فقال له الصباح: احتكم أيها الأمير وأجمل، قال: أصفعك عشرا جيادا! قال: أبو الفداء أعزك الله! قال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك ما قبلته، ثم التفت إلى غلام أسود كأنه شيطان فقال له: اصفع وجود، فصفعه عشرا كاد أن يعميه! ثم لاعبه وغلبه وفعل به مثل فعله الأول، ثم عاود اللعب فغلبه الصباح وقال له: قمرتني أيها الأمير نوبيتين فلم تحسن الصنيع، ولم تجمل الفعل، ولم ترجع عن الصفع الوجيع! قال: فما تريد؟ قال: صفعك كما صفعت، ومقابلتي لك بمثل ما فعلت! قال: ويلك، تفضحني، ويبلغ أمير المؤمنين خبرنا فيكون سبب عزلتي ونكبتي وزوال نعمي! قال: إذن لا أبالي والله! قال: أو أدفع إليك خليفتي عبد السميع فتصفعه عشرا، قال: لا أفعل، قال: وأعطيك فاضل الصرف فيما بين الصفع مائة دينار؟ قال: هات على بركة الله تعالى ... فأحضر عبد السميع فجاء كالفيل، فقال له: اجلس، وقال له: ما أشك في مودتك إياي وموالاتك لي، قال: أنا عبد الأمير وخادمه، قال: ما أعرفني بذاك منك وفيك! اعلم أن هذا الفاسق الأحمق الجاهل لاعبني بالنرد .. وقص عليه القصة إلى ما انتهى الأمر بينهما إليه ووقف الحكم عليه، فقال عبد السميع: أعيذ الأمير بالله، ما ظننت أنه ينزلني هذه المنزلة ويحلني في هذه الرتبة! قال: صدقت والله ولا ظننت أنا أن مثل هذا يتفق ويكون، ولا خطر لي ببال، لكنها بلية أوقعت نفسي فيها، وزلة ما كان لي مثلها قبلها، وأحب أن تنقذني منها وتحتمل المكروه

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/١٠١

عني فيها، فأقدني وأنقذني منها! فأقبل عبد السميع على الصباح وقال له: تأمر أعزك الله أن ألطم يسيرا عوض الصفع؟ فقال له: أنت والله أحمق! إما أن تمكنني من قفاك وإلا قمت إلى قف، الأمير أعزه الله! فقال إسحق بن العباس لعبد السميع: دع هذا وأمثاله عنك، فهو أنكد وألج وأشأم من أن يرجع أو يحسن أو يجمل! فقال الصباح: الأمير بذاك بدأ، وأمر به وبمثله! فقال عبد السميع: اصفع لا بارك الله لك وفيك، فالتفت الصباح إلى عبد له أسود كأنه الجمل الهائج فقال: اصفع وجود وبالغ وخذ بثأر مولاك ولا تراقب! فصفع عبد السميع عشر صفعات كاد رأسه يقع منها، وقال له الأمير بعد ذلك: يعز علي والله ما نالك ولحقك، ارجع إلى عملك! وكان يخلفه على الشرطة وجميع أموره ولا ينفذ لإسحق أمر إلا على يده، وقام يجر رجليه؛ وعاودا اللعب، فقمره الصباح ثانيا، واتفقا على ما اتفقا عليه أولا، واستدعي عبد السميع، فتغافل واحتج، فلم ينفعه، وجاء مكروها وهو وجل خائف، فقال له إسحق بن العباس: اعلم أن هذا الأحمق قد قمرني ثانيا واحتكم مثل حكمه أولا! فقال: اعزلني أيها الأمير، فلا رأي لي في خدمتك، فقال له: أعني هذه المرة الواحدة، وخلصني من هذا الجاهل القليل العقل والمروءة، العادم المعرفة والدراية! قال:"إن الله وإنا إليه راجعون" فقال الصباح لعبده: اصفع وجود صفعا ينثر الشعر من اللحية، ويحلق الشعر من القفا! فقال: لا كرامة ولا عزازة، اصفع يا هذا صفع المداعبة والإخوان، لاصفع العقوبة والسلطان، وأجمل فيما تفعل، فعسى أن تقع لك حاجة فأجازيك بالحسنى! فقال له مولاه: اصفع الرقيع، الصفع الوجيع، ولا تصغ إلى ما لم يصغ إليه من قتل مولاك! فقال إسحق: استعن بالله واجر على عادتك في طاعتك، فقال: لاحول ولاقوة إلا بالله! وجثا على ركبتيه، وصفعه العبد صفعا زعزع به أركان رأسه، فقال: فبكى وانتحب مما لحقه، فقال له إسحق: يعز والله علي، ارجع إلى عملك أعزك الله! فقال: لعن الله هذا العمل ويوما توليته فيه! لي إليك حاجة! قال: حوائجك عندي كلها مقضية! قال: لاتلاعب هذا الشئوم دفعة أخرى فإنه ألعب منك! فقال: اسكت، فوالله إني لأرجو أن تتولى منه ما تولى منك، وأن تشتفي منه كما اشتفى منك! قال: ما أريد ذاك أيها الأمير، قال: فما ألاعبه كما تشتهي؛ ونهض يجر رجليه خزيان جيران، وتقدم إلى صاحبه بأن يقف هناك وينظر مل يكون من الأمير والصباح، ويعلمه، وتقدم بأن يسرج له فرس، وقعد ينتظر الغلام، فجاءه وأعلمه بأنهما لعبا، وأن الصباح قمر إسحق، وأنه تقدم باستدعائه .. فركب الفرس وهرب على وجهه يقول: لا والله لا أطيع ولا أجيب ولا أعمل له." (١)

---

(١) الهفوات النادرة الصابئ، غرس النعمة ص/٥٩

"بني أسد ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل من بني عجل، يقال له عامر الأعور، وقال له: انطلق إلى ابني نافع، فإن بكى وجزع، فاله عنه واستقر أولادي، واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس، وكان أصغرهم، فإن لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره.
فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه، فأخذ التراب، فوضعه على رأسه، ثم استقراهم واحدا واحدا، فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس، فوجده في دمون مع نديم له يشرب ويلاعبه بالنرد، فقال له: قتل حجر.
فلم يلتفت إلى قوله وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك.

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال:

تطاول الليل علينا، دمون ... دمون! إنا معشر يمانون

وإننا لأهلنا محبون

وقال أيضا:

خليلي ما في الدار مصحى لشارب ... ولا في غد إذ ذاك ما كان مشرب

ثم قال: ضيعني أبي صغيرا وحملني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر١. اليوم قحاف، وغدا نقاف٢.

فذهب القولان مثلا:

ثم شرب سبعا. فلما صحا آلى أن لا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يلهو بلهو، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثأر أبيه فيقتل من بني آله مائة ويجز نواصي مائة، وفي ذلك يقول:

---

١ قال الميداني: أي يشغلنا اليوم خمر وغدا يشغلنا أمر الحرب. ومعناه اليوم خفض ودعة. وغدا جد واجتهاد وهو يضرب للدول الجالبة للمحبوب والمكروه. وقد روي المثل على لسان المهلهل.

٢ القحاف، الواحد قحف: وهو إناء يشرب فيه. النقاف: المناقفة: أي اليوم شرب بالقحاف، وغدا نضرب هامة العدو.." (١)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٢

"تأهبه للأخذ **بالثأر**:

ثم أخذ يعد العدد ويجهز الأسلحة لمحاربة بني أسد. فبلغ بني أسد ما يعده فأوفدوا عليه رجالا من قبائلهم كهولا وشبانا، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيما، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصدارا، يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب. فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثا. فسألوا من حضرهم من رجال كندة. فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن أبيه حجر من السلاح والعدة.

فقالوا: اللهم غفرا. إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف، ونستدرك به ما فرط فليبلغ ذلك عنا.

فخرج عليهم في قباء٧، وخف وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم بالسواد

---

٧ القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، وهو ما نسميه القنباز.." (١)

"إيقاعه ببني أسد:

ثم ارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرا وتغلب، وعليهم إخوته شرحبيل وسلمة، فسألهم النصر على بني أسد. ثم بعث عليهم فنذروا بالعيون٣، ولجئوا إلى بني كنانة وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد تعلمون والله أن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة ففعلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يحسبهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا **لثارات** الملك! يا **لثارات** الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن لسنا لك **بثأر**، نحن من كنانة فدونك **ثأرك**، فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال في ذلك:

---

٣ نذروا بالعيون: علموا بالجواسيس، فحذروهم واستعدوا.." (٢)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الل ه ص/٢٣

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد ال له ص/٢٥

"ألا يا لهف هند إثر قوم ... هم كانوا الشفاء، فلم يصابوا١

وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب٢

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب٣

ثم سار وراء بني أسد سيرا حثيثا إلى أن أدركهم، وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون٤ على الماء. فنهد إليهم٥، فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم. وهربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوه وقالوا له: قد أصبت **ثأرك**.

قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل، ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى ولكنك رجل مشئوم. وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه.

---

١ هند: هي ابنة امرئ القيس.

٢ يعني ببني أبيهم: بني كنانة، لأن أسدا وكنانة ابني خزيمة أخوان. وقوله: بالأشقين ما كان العقاب: أدخل ما صلة وحشوا ويجوز أن تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر على تقدير: وبالأشقين كون العقاب.

٣ قوله: أفلتهن يعني الخيل، أي: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن. وقيل: صفر الوطاب أي: أنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن.

٤ جامون: مستريحون.

٥ نهد إليهم: أسرع إليهم.." (١)

"فأنفذ له ذلك الجيش. وتبعه شذاذ من العرب واستأجر من القبائل رجالا فسار بهم إلى بني أسد، ومر بتبالة وبها للعرب صنم تعظمه يقال له ذو الخلصة. فاستقسم عنده بقداحه وهي ثلاثة: الآمر، والناهي، والمتربص، فأجالها، فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي. ثم أجالها، فخرج الناهي فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: ويحك لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد، وقال في نيله منهم ما أراد من **ثأره**، أبياتا مطلعها:

يا دار ماوية بالحائل ... فالسهب فالخبتين من عاقل." (٢)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٦

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٧

"عقلت القتيل: وديته، وعقلت عن الرجل أعقل عنه أديت عنه الدية التي لزمته، وسميت الدية عقلا لأنها تعقل الدم عن السفك أي تحقنه وتحبسه، وقيل بل سميت عقلا؛ لأن الوادي كان يأتي بالإبل إلى أفنية القتيل فيعقلها١ هناك بعقلها، فعقل على هذا القول بمعنى المعقول، ثم سميت الدية عقلا وإن كانت دنانير ودراهم، والأصل ما ذكرنا. طلعت الثنية وأطلعتها: علوتها. المخرم: منقطع أنف الجبل والطريق فيه، والجمع المخارم.

يقول: فكل واحد من القتلى أرى العاقلين يعقلونه بصحيحات إبل تعلو في طرق الجبال عند سوقها في أولياء المقتولين.

-٤٤

لحي حلال يعصم الناس أمرهم ... إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

حلال: جمع حال مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم وقيام، يعصم: يمنع. الطروق: الإتيان ليلا، والباء في قوله بمعظم يجوز كونه بمعنى مع وكونه للتعدية. أعظم الأمر أي سار إلى حال العظم، كقولهم: أجز البر وأجد التمر ,وأقطف العنب، أي: يعقلون القتلى لأجل حي نازلين يعصم أمرهم جيرانهم وحلفاءهم إذا أتت إحدى الليالي بأمر فظيع وخطب عظيم، أي إذا نابتهم نائبة عصموهم ومنعوهم.

-٤٥

كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله ... ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

الضغن والضغينة واحد: وهو ما استكن في القلب من العداوة، والجمع الأضغان والضغائن. التبل: الحقد، والجمع التبول، الجارم والجاني واحد والجارم: ذو الجرم، كاللابن والتامر بمعنى ذي اللبن وذي التمر. الإسلام: الخذلان.

يقول: لحي كرام لا يدرك ذو الوتر٢ وتره عندهم ولا يقدر على الانتقام منهم من ظلموه وجنى عليهم من فتيانهم وحلفائهم وجيرانهم.

-٤٦

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

---

١ يعقلها: يربطها لتبقى باركة.

٢ الوتر: الثأر." (١)

"[ترجمة لبيد بن ربيعة١

١- اسمه ونسبه: هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري٢. ويكني أبا عقيل وكان يقال لأبيه: ربيعة المقترين؛ لجوده وسخائه. وقتله بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومه٣.

وقيل: قتله منقذ بن طريف الأسدي. وقيل: قتله صامت بن الأفقم، من بني الصيداء، قيل: ضربه خالد بن نضلة وتمم عليه هذا. وأدرك بثأره عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أخوه، وذلك أنه قتل قاتله٤.

وعمه أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، سمي بذلك لقول أوس بن حجر فيه:

---

١ من أراد الاستزادة والفائدة فليراجع:

- أبا زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٦٩- ٧١.
- ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص٤٣، ٤٨، ٤٩.
- ابن قتيبة، الشعر، والشعراء، ج١، ص٢٨٠- ٢٩١.
- الأصبهاني، الأغاني، ج١٥، ص٢٨٩- ٣٠٦.
- الجاحظ، الحيوان، مواضع عديدة في الأجزاء: ١- ٧.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ١٤٥- ١٤٧.
- الزركلي، الأعلام، ج٥ ص٢٤٠.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، ص ١٠٧، ١٠٩.
- البغدادي، خزانة الأدب، ج١، ص٣٣٤- ٣٣٩.

٢ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٨٠.

٣ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج١٥، ص٢٩١.

٤ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٢٨٠.." (٢)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/١٤٨

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/١٥٥

"الخطة: الأمر العظيم الذي يحتاج إلى مخلص منه. أدوها أي فوضوها. الأملاء: الجماعات من الأشراف، الواحد ملأ، لأنهم يملأون القلوب والعيون جلالة وجمالا.

يقول: فوضوا إلى آرائنا كل خصومة أردتم تشفى بها جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها إذ لا يجدون عنها مخلصا، يريد أنهم أولو رأي وحزم يشفى به ويسهل عليهم، ما يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات.

-٣٠

إن نبشتم ما بين ملحة فالصا ... قب فيه الأموات والأحياء

يقول: إن بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى قد ثئر بها، فسمى الذي لم يثأر بها أمواتا، والذي ثئر بهم أحياء؛ لأنهم لما قتل بهم من أعدائهم كأنهم عادوا أحياء إذ لم تذهب دماؤهم هدرا، يريد أنهم ثأروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاهم.

-٣١

أو نقشتم فالنقش يجشمه النا ... س وفيه الإسقام والإبراء

الإسقام: مصدر، والأسقام جمع سقم وسقم. الإبراء: مصدر، والأبراء: جمع برء. النقش: الاستقصاء، ومنه قيل لاستخراج الشوك من البدن نقش. والفعل منه نقش ينقش.

يقول: فإن استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال، فهو شيء قد يتكلفه ويتبين فيه المذنب من البريء، كنى بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة، يريد أن الاستقصاء فيما ذكر يبين براءتنا من الذنب والذنب ذنبكم.

-٣٢

أو سكتم عنا فكنا كمن أغ ... مض عينا في جفنها الأقذاء

الأقذاء: جمع القذى، والقذى جمع قذاة.

يقول: وإن أعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع إضمارنا الحقد عليكم كمن أغضى الجفون عن القذى.

-٣٣

أو منعتم ما تسألون فمن حد ... ثتموه له علينا العلاء." (١)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٧٦

-٣٨"

ليس ينجي الذي يوائل منا ... رأس طود وحرة رجلاء

وأل، وواءل: أي هرب وفزع. الرجلاء: الغليظة الشديدة.

يقول: لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبل ولا بالحرة١ الغليظة الشديدة.

-٣٩

ملك أضرع البرية لا يو ... جد فيها لما لديه كفاء

أضرع: ذلل وقهر ومنه قولهم في المثل: الحمى أضرعتني لك. الكفاءة والمكافأة: المساواة.

يقول: هو ملك ذلل وقهر الخلق فما يوجد فيهم من يساويه في معاليه. والكفاء بمعنى المكافئ، فالمصدر موضوع اسم الفاعل.

-٤٠

كتكاليف قومنا إذ غزا المنـ ... ـذر هل نحن لابن هند رعاء

التكاليف: المشاق والشدائد.

يقول: هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم؟ وهل كان رعاء٢ لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب، وعيرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك.

-٤١

ما أصابوا من تغلبي فمطلو ... ل عليه إذا أصيب العفاء

طل دمه وأطل: أهدر. العفاء: الدروس، وهو أيضا التراب الذي يغطي الأثر يقول: ما قتلوه من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب ودرست، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماؤهم لا تهدر بل يدركون **ثأرهم**.

-٤٢

إذ أحل العلياء قبة ميسو ... ن فأدنى ديارها العوصاء

ميسون: امرأة.

يقول: وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك.

١ الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت.

٢ الرعاء: جمع الراعي.." (١)

"الحزم: أغلظ من الحزن١. ثهلان: جبل بعينه. الشلال: الطراد. الأنساء: جمع النسا وهو عرق معروف في الفخذ. التدمية والإدماء: اللطخ بالدم.

يقول: ألجأناهم إلى التحصين بغلظ هذا الجبل والالتجاء إليه في مطاردتنا إياهم وأدمينا أفخاذهم بالطعن والضرب.

٥٤-

وجبهناهم بطعن كما تن ... هز في جمة الطوي الدلاء

الجبه: أعنف الردع، والفعل جبه يجبه. النهز: التحريك. الجمة: الماء الكثير المجتمع. الطوي: البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن.

يقول: منعناهم أشد منع وأعنف ردع، فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة.

٥٥-

وفعلنا بهم كما علم الله ... وما إن للحائنين دماء

حان: تعرض للهلاك، وحان: هلك، يحين حينا.

يقول: وفعلنا بهم فعلا بليغا لا يحيط به علما إلا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك أوالهالكين، أي لم يطلب **بثأرهم** ودمائهم.

٥٦-

ثم حجرا أعني ابن أم قطام ... وله فارسية خضراء

يقول: ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ، وقيل: بل أراد وله دروع فارسية خضراء لصدئها.

٥٧-

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٧٨

أسد في اللقاء ورد هموس ... وربيع إن شمرت غبراء

الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. الهمس: صوت القدم. وجعل الأسد هموسا؛ لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت. شمرت: استعدت. الغبراء: السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها.

يقول: كان حجر أسدا في الحرب بهذه الصفة، وكان للناس بمنزلة الربيع إذا

---

١ الحزن: ما غلظ من الأرض.." (١)

"يقول: ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم وغليل أجواف لا يسكنه شرب الماء لأنه حرارة الحقد لا حرارة العطش، يريد أنهم فاءوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم.

٨١-

ثم خيل من بعد ذاك مع الغلا ... ق لا رأفة ولا إبقاء

يقول: ثم جاءتكم خيل من الغلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم، ولم تبق عليكم.

٨٢-

وهو الرب والشهيد على يو ... م الحيارين والبلاء بلاء

يقول: وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء، أي قد بلغ الغاية، يريد عمرو بن هند فإنه شهد عناءهم هذا، والله سبحانه وتعالى أعلم.." (٢)

"لحدة رائحته. والجبوب الأرض وقيل ظاهر الأرض، يقول هذا الفرس من شدة جريه كأنه يبلع الأرض بلعا كما قالوا جيش لهام كأنه يلتهم ما مر به. ويبادر الآثار أي آثار القوم الذين يطلبهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ومأمنهم. أن تؤوبا: أي أن ترجع إلى ما كانت عليه من الطموس إذ لا تستبين إلا على قرب عهد من الناس. ويروي يؤبا وتؤوبا بالتاء وبالياء ضبطها أبو علي في كتابه من نوادر ابن الأعرابي وصحح عليهما ورواه أبو العباس ثعلب عن الفراء يبادر الآثار جمع ثأر. وقال أبو العباس في الكتاب الكامل المتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك فهذا التفسير على تلك الرواية وقد يكون تؤوب على هذه الرواية بمعنى تذهب لأن الرجوع ذهاب، يريد يبادر ثأره أن يذهب ويبطل. ورواه أبو بكر ابن دريد:

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٨١

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/٢٨٦

يبادر الأشباح أن تغيبا ... والجونة البيضاء أن تؤوبا

على أن ذلك كان ليلا وقال الأصمعي: إنما سميت الشمس جونة لأنها تسود حين تغيب.

وأنشد أبو علي " ١ - ١١، ٩ ":

وسفر كان قليل الأوان ... وقال الأون الفتور

قال المؤلف يقال آن أونا رفق في سيره وأمره وآن في عيشه أونا ترفه. وآن الشيء يئين أينا حان وأصله من الواو ولكنه من باب فعل يفعل مثل ولي يلي وجاء المصدر بالواو ليطرد على فعله.

وأنشد أبو علي " ١ - ١١، ٩ " للفرزدق:." (١)

"فدى لابن حصن ما أريح فإنه ... ثمال اليتامى عصمة في المهالك

قال المؤلف: هذا أول الشعر وبعده:

سما لعكاظ من بعيد وأهلها ... بألفين حتى دسنهم بالسنابك

فباع بنيه بعضهم بخشارة ... وبعت لذبيان العلاء بمالك

قوله لابن حصن يعني عيينة بن حصن. ويروى ما أريح بفتح الحاء وما أريح بضمها والرواح من لدن زوال الشمس إلى الليل ويروى بخسارة أي رضوا بالديات فكان ذلك عارا وخسارا عليهم وأبيت أنت إلا إدراك **ثأرك**. والخشارة السفلة. وبعت بمعنى اشتريت. يقوله الحطئة لعيينة بن حصن الفزاري، وكانت بنو عامر قتلت ابنه مالكا فغزاهم فأدرك **بثأره** وغنم وغنم.

واسم الحطئة جرول بن أوس بن مالك من بني قطيعة بن عبس يكنى أبا مليكة لقب الحطئة لقصره وقربه من الأرض. يقال حطأته إذا ضربته ضربة شديدة ألزقته بالأرض. وهو رواية زهير وهو جاهلي أو هو إسلامي ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و أنشد أبو علي " ١ - ١٨، ١٧ " لأسامة بن الحارث:

كفيت النسا نسال حر وديقة

قال المؤلف: قبل البيت وهو أول الأبيات:

عصاني أويس في الذهاب كما أبت ... عسوس صوى في ضرعها الغبر مانع

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٤٢/١

كفيت الناس نسال حر وديقة ... إذا سكن الثمل الظباء الكواسع

عصاني فلم يردد علي بطاعة ... بمكث ولم تقبض عليه الأشاجع." (١)

"" أ " ويقول: إن هذا إنما هو أخوه ويكنى أبا ربيعة وإنما لقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أي رققه. وقال الطوسي: سمي مهلهلا ببيت قاله لزهير بن جناب وهو:

لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

شاعر جاهلي، وهذا الشعر يقوله لما أدرك بثأر أخيه كليب، واسم كليب وائل وكنيته أبو الماجدة، وإنما لقب كليبا بالجرو الذي اتخذه، قال مهلهل:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف إياب من تحت القبور

بأني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

وهمام بن مرة قد تركنا ... عليه القشعمان من النسور

وهي كلمة طويلة. الشعثمان شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة." (٢)

"أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فصار مطالبا لك بالترات

" والأصل فيه قول أبي نواس في آل برمك:

لم يظلم الدهر إذ توالت ... فيهم مصيباته دراكا

كانوا يجيرون من يعادي ... منه فعاداهم لذا كا "

ولله در أبي الطيب في قوله:

تفيت الليالي كل شيء أخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارم

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

فجعل الممدوح والزمان كقرنين متساجلين وجعل للمدوح الغلبة والفلج. وأما قولها:

زعموا قتلت وما لهم خبر

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٨٠/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١١٢/١

فإنها تعني أصحابه الذين غادروه ونجوا واعتذروا في قتله، وزعموا أنهم لم يكن لهم خبر بأمره وقولها:

وإذا رقدت فأنت منتبه

تريد يقظته وشهامته كما قال تأبط شرا

إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل ... له كاليء من قلب شيحان فاتك

وقولها:

وإذا انتبهت فوجهك البدر

لأن المعهود في وجه الهاب من نومته العبوس والبسور والكسل وقلة النشاط.

وأنشد أبو علي " ١ - ٤١، ٤٠ " شعرا فيه:." (١)

"ع قبله:

جندك التالد العتيق من السادات ... أهل القباب والآكال

غير ميل ولا عواوير في الهيجا ... ولا عزل ولا أكفال

ودروع من نسج داود في الحي ... وسوقا يحملن فوق الجبال

يمدح بهذا الشعر الأسود بن المنذر. وذكر أبو علي الأكشف والأميل ولم يذكر الذي لا رمح له وهو الأجم، ولا الذي لا قوس معه وهو الأنكب، ويروى في الهيجا وسوقا، والوسوق: الأحمال واحدها وسق.

وأنشد أبو علي " ١ - ٨٣، ٨٣ " شعرا منه:

إذا قيل أين المشتفي بدمائهم ... وأين الروابي والفروع المعاقل

المشتفي بدمائهم فيه معنيان أحدهما: أنه من أصاب منهم واحدا بثأره فهو له شفاء ولقتيله بواء، والدم الكريم هو الثأر المنيم كما قال الشاعر أنشده الأشناندانى:

لا يشربون دماءهم بأكفهم ... إن الدماء الشافيات تكال

يقول إذا قتل منهم قتيل لم يأخذوا ديته إبلا فيشربوا ألبانها. وقوله:

إن الدماء الشافيات تكال

يقول لا يرضى فيها إلا بالمكايلة وأخذ دم كما قال الآخر وهو أبو قيس ابن الأسلت الأنصاري:

لا نألم القتل ونجزى به ال ... أعداء كيل الصاع بالصاع

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١٦٣/١

والمعنى الآخر: أنهم كانوا يرون أن الرجل إذا عضه الكلب الكلب ففصد له شريف القوم نفسه وشرب من دمه شفي كما قال الشاعر وهو الحطئة:." (١)

"تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة ... زغف ترد السيف وهو مفلل

ومقارب الكعبين أسمر عاتر ... فيه سنان كالقدامى منجل

ومهند في متنه حرجية ... عضب إذا مس الضريبة مقصل

حرجية: آثار دقاق جدا.

ع هذا الشاعر لا يجد كفؤا يثأر به إلا خؤولته يقول فإن لم أدرك بثأري فثكل، وإن أثأرت فثكل على ثكل.

والأليلة أيضا في غير هذا صرخة النفساء عند الطلق. ومثل هذا البيت في المعنى قول قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

ومثل قول الحرث بن وعلة وكانت بنو شيبان قتلت أخاه:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي." (٢)

"محوبنات نعش والفرقدين والجدي والقطب الخسان وزنه فعلان.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٠٢، ١٩٩ ":

وخمار غانية شددت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها

ع قد تقدمت أمثلته في هذا الكتاب وذكر هناك معها. فإن قلت لم خص الشمال دون اليمين؟ قيل: لأن اليمين هي التي يستعان بها في العدو وتخلى للدفع والذب وهي في ذلك كله أقوى من الشمال، فشمرة الساعي الناجي وحملة لشيء إن حمل إنما يكون بشماله. وهذا البيت لباعث بن صريم اليشكري يقوله في يوم الحاجر وصلته:

سائل أسيد هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها

إذ أرسلوني مائحا لدلائهم ... فملأتها علقا إلى أسبالها

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٢٦٩

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٣٠٥

فلمثل ما منتك نفسك خاليا ... منعتك يشكر أهلها وفضالها

وخمار غانية شددت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها

وعقيلة يسعى عليها قيم ... متغطرس أبديت عن خلخالها

قد قدت أول عنفوان رعيلها ... فلففتها بكتيبة أمثالها

وكتيب سفع الوجوه بوا سل ... كالأسد حين تذب عن أشبالها

متغطرس: متكبر. وقوله أبديت عن خلخالها: أي أغرت على حيها فأحوجتها إلى رفع ذيلها والتشمير للهرب والفرار. وهذا كما قال الآخر:

لعمري لنعم الحي حي بني كعب ... إذا نزل الخلخال منزلة القلب." (١)

"وكان الأصمعي يقول هذا المحال كلابي يمدح غنويا:

هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار

ع ذكر أبو تمام أن الذي كان يقول هذا المحال هو أبو عبيدة. وروى محمد بن يزيد هذا الشعر لعبيد بن العرندس لا لأبيه يمدح قوما نزل بهم ولم يذكر ممن هم. وإنما أنكر أبو عبيدة أن يكون كلابي يمدح غنويا، لأن فزارة كانت قد أوقت ببني أبي بكر ابن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم، ففي ذلك يقول طفيل الغنوي:

وحي أبي بكر تداركن بعد ما ... أذاعت بسرب الحي عنقاء مغرب

تداركن: يعني خيلهم. وأذاعت فرقت. فلما قتلت طئ قيس الندامي الغنوي وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي استغاثت غني ببني أبي بكر وبني محارب، فقعدوا عنهم ولم يحلبوهم فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متغاورين. ولما أدرك طفيل ثأر قيس الندامي في طئ قال من جملة كلمته:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ... من الغيظ في أكبادنا والتحوب

التحوب: التوجع. وبات فلان بحيبة سوء.." (٢)

"يريد إن ظلمت أدرك بثأرك ونصرك، وإن ظلمت أذم لك وخفرك وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩، ٢٧٥ " للحسين بن مطير:

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٤٧٦/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٥٤٦/١

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ع يرثي معن بن زائدة. ومن مختاره قوله يخاطب ابنه ولم ينشده أبو علي:

تعز أبا العباس عنه! ولا يكن ... عزاؤك من معن بأن تتضعضعا

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا

وفيما أنشده:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

يريد أن عطاءه كان جزيلا وافرا وسابغا فاضلا، فلما مات بقي في أيدي الناس منه ما عاشوا به، ويحتمل أن يريد أنه أوصى للناس بالمال، وشبه عيشهم في معروفه بعد موته بمجرى السيل بعد انقضائه يكون مرعى ومتبقلا، ومثله:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما رعيت بعد الربيع مسائله

يهمز ولا يهمز.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩، ٢٧٦ " للبيد:

يحيلون السجال على السجال." (١)

"قال أبو علي من أمثالهم: لا يعدم عائس وصلات ع العائس: الطالب، يقال: عاس يعوس عوسا إذا طلب. قال أبو علي ومن أمثالهم: ما أنت إلا كابنة الجبل مهما يقل تقل ع يريدون الصدى الذي يجيبك بمثل ما تتكلم به، ويضرب إجابة الصدى أيضا مثلا للسرعة، قال سدوس بن ضباب أنشده أبو زيد

إني إلى كل أيسار ونادبة ... أدعو حبيشا كما تدعى ابنة الجبل

إن تدعه موهنا يعجل بجابته ... عاري الأشاجع يسعى غير مشتمل

قوله نادبة: أي إذا ندبت امرأة ميتها دعوت لها هذا الرجل، فيجيبني للأخذ **بالثأر** كما يجيب الصدى الصوت سرعة.

وأنشد أبو علي للشماخ:

كلا يومي طوالة وصل أروى ... ظنون آن مطرح الظنون!

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٠٩/١

ع بين هذا البيت والبيت الذي أنشد بعده بيتان وهما:

وماء قد وردت لوصل أروى ... عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

وما أروى قوله عليه الطير: أراد ريش الطير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وقوله ذعرت به القطا: أخبر أنه ورد مبتكرا. وقوله مقام الذئب كالرجل اللعين: اللعين نعت للرجل، وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر." (١)

"فأكله، ومن أمثالهم لم يحرم من فصد له. والوجه الثالث أن يزيد بقوله: شربت دما: عجزت عن إدراك الثأر وأخذت الدية إبلا فشربت ألبانها، فكأنه قد شرب دما، كما قال الآخر:

وإن الذي أصبحتم تشربونه ... دم غير أن اللون ليس بأحمرا

وذكر أبو علي تلاحى عمرو بن سعيد والوليد بن عقبة في مجلس معاوية.

ع قول عمرو: قد علمت قريش أني ساكن الليل داهية النهار، لا أتتبع الأفياء، ولا أنتمي إلى غير أبي. فقوله إني ساكن الليل: عرض به أنه يمشي في الليل لطلب الريبة. وقوله: لا أتتبع الأفياء: عرض به أنه مترف لين ليس بشديد ولا جلد، والجلد يصف نفسه بالضحاء والبروز وقلة الأستظلال، قال ابن أبي ربيعة:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قليلا على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفي عنه الرداء المحبر

وقال شاعر المحدثين المتنبيء:

أعرض للرماح الصم نحرى ... وأنصب حر وجهي للهجير

وقوله: ولا أنتمي إلى غير أبي: يريد أن أبا عمرو ابن أمية بن عبد شمس وهو والد أبي معيط كان عبدا لأمية ذكوان، هكذا قال الهيثم بن عدي، وذكر أن ذغفلا." (٢)

"عتيبة فشد على ذؤاب فأسره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، فاقتتل القوم ثم تفرقوا، فوفد ربيعة - أبو ذؤاب وهو ربيعة بن ذؤاب لأن أبا ربيعة يسمى ذؤابا أيضا كذلك قال أبو عبيدة - على ربيع بن عتيبة ففادى ابنه ذؤابا بإبل معلومة، وربيع لا يعلم أن ذؤابا قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب، فلما دخلت الأشهر الحرم التي

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٦٣/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٧٣/١

كانوا يردون فيها عكاظ، وافى ربيعة بالإبل، وشغل ربيع بن عتيبة فلم يواف بالأسير. فظن ربيعة أنه قد قتله بأبيه عتيبة فرثاه بهذا الشعر، فبلغ الشعر بني يربوع، فأتى سائر ولد عتيبة إلى ربيع، فقالوا له يا ربيع ثأرنا في يديك وهو قاتل أبيك، قال: إني رجل معيل وأنا أحب اللبن وقد فاديته، فإن أعطيتموني ذات البرانس دفعته إليكم، وهي قطعة من إبل كانت لعتيبة كأنها الهضاب، مجللة فراء يعدها للسنين، ففعلوا فقتلوا ذؤابا وهذا كله في الجاهلية. والآمدى يقول هو ربيعة على لفظ التصغير. وروى أبو تمام: أذؤاب إني لم أهنك من الهوان وروايته:

بأشدهم كلبا على أعدائهم ... وأعزهم فقدا على الأصحاب

وأنشد أبو علي لسلمة بن يزيد، يرثى أخاه لأمه قيس بن سلمة:." (١)

"والبكرات القح الفواثجا ... بصفنة تزفي هديرا نابجا

ترى اللغاديد بها حوابجا قوله عاجحا: أراد عاجا فضاعف. والصفنة: مثل العيبة شبه بها شقشقته، يقال: صفن، وإذا ألحقت الهاء فتحت الصاد. وتزفى: كما تزفى الريح شيأ تسحفه، ويقال لأحد العدلين إذا استرخى: قد أسبح. يقول: فهديره منصب مسترخ واللغاديد: باطن أصول الأذنين. وحوابج: منتفخة. يريد أن نصف الشقشقة خارج من حلقه ونصفها باق فيها.

وذكر أبو علي قول المنصور لجرير بن عبد الله القسري: إني لأعدك لأمر كبير، فقال له: قد أعد الله لك مني قلبا معقودا بنصيحتك.

هذا وهم بين وغلط فاحش، من جهتين: إحداهما أنه خالد بن عبد الله القسري، لأن جرير بن عبد الله هو البجلي أحد الصحابة، ولم يكن لخالد أخ يسمى جريرا، إنما كان له أخوان: أسد وإسمعيل ابنا عبد الله القسري، أدرك إسمعيل منهم أبا العباس السفاح، وكان يسب عنده بني أمية. والجهة الأخرى أن المنصور إنما قاله لمعن بن زائدة، كذلك قال المدائني وجميع الأخباريين. وخالد لم يدرك شيأ من الدولة الهاشمية، لأنه مات في سجن يوسف بن عمر وهو يعذبه، وفي عذابه مات بلال ابن أبي بردة. وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل خالد بن عبد الله على العراق سنة ست ومائة، ثم ولى يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة، فسجن خالدا وعذبه حتى مات في سجنه، وبقي يوسف واليا على العراق، إلى أن بويع يزيد بن الوليد سنة ست وعشرين ومائة، فاستعمل المنصور بن جمهور على العراق، فلما سمع ذلك يوسف هرب إلى الشأم، فظفر به هناك فسجن.

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧٠٧/١

فلما اضطرب أمر بني أمية بطش يزيد بن خالد بن عبد الله القسري بيوسف بن عمر، فقتله في السجن وأدرك بثأر أبيه. وكان." (١)

"اليمامة وحربهم إنما كان بالجزيرة.

ع اختلف في أكذب بيت قالته العرب، فقال بعضهم بيت مهلهل هذا، وقال آخرون بل بيت الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر

وقالت فرقة بل قول النمر بت تولب:

أبقي الحوادث والأيام من نمر ... أسباد سيف قديم أثره باد

تظل تحفر عنه إن ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهاجي.

وقال أبو علي في تفسير قوله:

فلا وأبي جليلة ما أفأنا ... من النعم المؤبل من بعير

جليلة أخت كليب وكانت تحت جساس بن مرة قاتل كليب ع هذا غلط فاحش وإنما هي زوج كليب وأخت جساس، وهي القائلة لما قتل زوجها ورحلت فقالت أخت كليب: رحلة المعتدى وفراق الشامت، فبلغ ذلك جليلة فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها، ثم أنشأت تقول:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلى باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومى وأعجلي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

فعل جساس وإن كان أخي ... قاصم ظهري ومدن أجلي

يشتفى المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل." (٢)

"لعمر بن شهاب ما أقاموا ... صدور الخيل والأسل النياعا

ع هو لدريد بن الصمة، وبعده:

ولكني كررت بفضل قومي ... فجدت بنعمة ومررت باعا

وكانت بنو يربوع قتلت الصمة أباه غدرا، فغزاهم دريد بيني نصر ثم بنى رباب بن واثلة، فوجد بنى يربوع وبنى

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧٤٢/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧٥٦/١

سعد جميعا، فقتل فيهمن وأدرك بثأره منهم.

وأنشد أبو علي:

ولن أعود بعدها كريا

ع وفسر قوله: المنفة الأميا: على ما يقتضيه معنى الأبيات، فقال هي العي القليل الكلام. وكان ينبغي ا، يستوعب تفسير هذه الكلمة لما كانت من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته. والأمي: الذي لا يكتب فيه، منسوب إلى الأمة، لأن أكثرها لا يكتب، كما يقال عامى: لمن لم يتأدب، لأن أكثر الناس كذلك. وقيل إنه منسوب إلى الأم، لأن الأغلب في النساء أن لا يكتبن، فكان الإنسان في ذلك كأمه، وقيل منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

وأنشد أبو علي:." (١)

"ع بعده:

إذا المرء اولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فذره إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمم إذا أيقنت أنك عاقره

هكذا اتصال الشعر. وقوله اطفر له: هو افتعل من الطفر وهو الوثب. قال أبو علي وفي هذه القصيدة يقول:

وقد ألبس المولى على ضعن صدره ... وأدرك بالوغم الذي لا احاضره

ع أكثر الناس يرويه أحاضره بحاء مهملة، وقد روى أحاذره بالذال معجمة من الحذر، وإنما صحته أخاضره بالخاء معجمة والضاد، من قولهم ذهب دم فلان خضرا مضرا وخضرا مضرا: أي باطلا، وقد فسره أبو على في باب الإتباع يقول: أدرك بالثأر الذي لا أبطله.

قال أبو علي إنما سمى الأخطل، لأن ابنى جمال تحاكما إليه أيهما أشعر؟ وذكر الخبر إلى آخر ما أورد فيه. ع ليس في الشعراء من يقال له ابن جعال، وإنما هو كعب بن جعيل وأخوه، واختلف في اسمه، فقال ابن قتيبة: اسمه عميره، وقال غيره عميرة بن جعل مكبرا، شاعر جاهلي من بني تغلب ليس بأخ لكعب وذكر." (٢)

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو ع بيد البكري ٨٣٦/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٨٥٣/١

"لا يقال عرق الأكحل لأن النسا هو العرق، وحكى الكسائي وغيره: عرق النسا والأخدعان: عرقان يكتنفان العنق.

وأنشد أبو علي:

فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل

ع اختلف في هذا الشعر، فقيل إنه لابن أخت تأبط شرا خفاف بن نضلة يرثى خاله وكانت هذيل قتلته، وقيل إنه للشنفري، وقيل إنه لخلف الأحمر، وقد نسب إلى تأبط شرا وهي قصيدة ونمط صعب، وقبل البيت منها:

صليت مني هذيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا

ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل

تضحك الضبع لقتلي هذيل ... وترى الذئب لها يستهل

وعتاق الطير تهفو بطانا ... تتخطاهم فما تستقل

حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأى ما ألمت تحل

فاسقنيها.

يقول الشاعر هذا الشعر بعد أن أدرك بثأر المرثى. وقوله:." (١)

"فطاوع أمرهم وعصى قصيرا ... وكان يقول؟ لو نفع - اليقينا فلما صار جذيمة في بلاد الزبى قال القصير: ما الرأي؟ قال " ببقة تركت الرأي " فذهبت مثلا. وقال له: ستلقاك الخيول فإن صارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أحاطت بك فالقوم غادرون، فاركب العصا " فإنه لا يشق غباره " فإني راكبه ومسايرك عليه، فلقيته الخيول والكتائب فأحاطت به وحالت بينه وبين العصا، ونظر الأبرش إلى قصير على ظهر العصا فقال " ويل أمه حزما على ظهر العصا " فأرسلها مثلا، فلما وصل جذيمة إلى الزبى كشفت له عن شوارها وقد ضفرت شعرته فقالت: يا جذيمة أشوار عروس ترى؟ قال: ما أرى إلا شوار لخناء.

فأمرت الزبى بفصاده في طست ذهب، تفاؤلا أن ثأره قد ذهب، وقد قيل لها: إن سقط من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه فلما ضعفت يده سقطت فقطر أمه في غير الطست.

وقال سويد بن أبي كاهل (١) :

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٩١٩/١

وأبو مالك الملك الذي ... قتلته بنت عمرو بالخدع وخلف جذيمة في ملكه عمرو اللخمي؟ ابن أخته؟ ولم يكن لجذيمة ولد، وهو الذي يقال له فيه " شب عمرو عن الطوق " فانتقل ملك الحيرة من الأزد إلى لخم، فقال قصير لعمرو تأهب واستعدد ولا تطل دم خالك. ولم يزل قصير يعمل الحيلة ويزاول المكيدة؟ في خبر طويل؟ حتى أدرك عمرو بثأر خاله.

والزبى على وزن فعلى مقصور وقد رد العلماء فيه لأنه تأنيث زبان؟ الاسم المستعمل؟ فأما زباء ممدود فإنما تأنيث أزب ولم يستعمل اسما وإنما هو صفة للكثير شعر البدن، وإذا وصفت الداهية بالشدة قيل داهية زباء.

(٢) والشاهد لما

---

(١) صاحب القصيدة المفضلية: ٣٨١ وهذا البيت على وزنها ورويها ولكنه غير مذكور هنالك.

(٢) علق في حاشية ف على الاسم فقال: الزباء تمد وتقصر، والقصر أعرف. قال أبو حاتم يقال للملكة زبى بالقصر لا غير، وقال الأصمعي يقال جاء بداهية زباء، وزباء أنثى أزب وهو الكثير شعر الجسد.." (١)

"الإسلام وهو أبو خراش الهذلي، قال أبو خراش يرثي أخاه عروة (١) :

تقول أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء؟ لو علمت - جليل

فلا تحسبي أني تناسيت عهده ... ولكن صبري يا أميم جميل

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا ... . (البيت) وقوله: إلا الفرقدان: [الفرقدان] في موضع النعت لكل وإلا في موضع غير كأنه قال: غير الفرقدين. والبيت لعمرو بن معد يكرب، هكذا قال الجرمي في كتاب سيبويه. وقال أبو الحسن: هو لسوار بن المضرب (٢) وقد نسب إلى عامر الأسدي الحضرمي، ولم يقع فيما رويناه من شعر عمرو بن معد يكرب، ومثله قول الآخر (٣) :

وكل أخ مفارقه أخوه ... فراق الشحط (٤) إلا ابني شمام (٥) وأصح من هذين البيتين قول الشاعر في الإسلام (٦) :

ولم أر ما يدوم له بقاء ... سيفترق اجتماع الفرقدين وقال العتابي:

---

(١) ديوان الهذليين: ١١٦، انظر الأغاني ٢١: ٤٥، وقد قال هذه الأبيات حين دخلت عليه امرأة عروة وهو

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١٢٥

يلاعب ابنه خراشا فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره ... أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك، فبكى أبو خراش وقال:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتي ... وإن ثوائي عندها لقليل

تقول: أراه.......... ... (الأبيات)

(٢) أحد شعراء الحماسة، إسلامي من بني تميم وقيل سعدي من سعد بني كلاب طلبه الحجاج فهرب منه. انظر ترجمته في المؤتلف: ١٨٣ والتبريزي ١: ٦٥ والمرزوقي: ١٨ والكامل: ٦٦٦.

(٣) البيت في الخزانة ٢: ٥٣ وعو لأسعد الذهلي كما ذكر أبو تمام في مختار أشعار القبائل، نقل ذلك البغدادي.

(٤) الخزانة: لشحط الدار.

(٥) ابنا شمام: جبلان في دار بني تميم، وقيل شمام جبل وابناه رأساه.

(٦) هو إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية، انظر الكامل: ٧٦٠ والخزانة ٢: ٥٤ وقد سقط البيت والتوطئة من ط.." (١)

"فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم (١) وقال الشاعر في معنى هذا المثل (٢) : طلبت بك التكثير فازددت قلة ... وقد يخسر الإنسان في طلب الربح قال أبو عبيد: ومن هذا قولهم (٣) " كالباحث عن الشفرة " أي أنه يبحث ليطلب معاشا فسقط على شفرة فعقرته أو قتلته.

ع: قال الفرزدق في هذا المثل (٤) :

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

فكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت الثرى تستثيرها قال أبو عبيد: ومن هذا قولهم " سقط العشاء به على سرحان " قال: وأصله أن رجلا خرج يطلب العشاء فوقع على ذئب فأكله، وقال المفضل (٥) : دابة [خرجت] تطلب العشاء.

ع: وقال ابن السكيت: كان سرحان بن معتب بن الأجب (٦) بن الغوث بن

---

(١) تريد إن قبلتم الدية فكونوا صما وامشوا بآذان النعام فإن الناس لابد لهم من الحديث بما فعلتم، والنعام لا

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٢٥٨

يسمع. وقيل أرادت: امشوا أذلاء كما يمشي من صلمت أذناه. ومن رواه فمشوا بضم الميم، فالمعنى: امسحوا بآذانكم المصلمة.

(٢) العقد ٣: ١٢٦ وهو من شعر ابن عبد ربه.

(٣) س ط: ومثله.

(٤) ديوانه: ٧١ وهي القصيدة رقم ٥٦.

(٥) الميداني ٢: ٢٢١ قال الأصمعي.

(٦) ط ص: مغيث؛ س ط: أحب، والتصويب عن جمهرة الأنساب: ٢٤٨ (الطبعة الثانية) .." [١]

"١٩٠ -؟ باب الخطأ في سوء التدبير

قال أبو عبيد: من أمثالهم في نحو هذا وليس هو منه بعينه قولهم:

" لا أبوك نشر، ولا التراب نفد "

وكان المفضل (١) يذكر أصل هذا أن رجلا قال: لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي فقيل له هذه المقالة، أي أنك لا تدرك بذلك **ثأر** أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب.

ع: انظر كيف جعل تفسير قولهم في المثل: لا أبوك نشر: أي أنك لا تدرك **ثأر** أبيك، وذلك أن العرب كانت ترى أن المقتول إذا أدرك **بثأره** فكأنه قد أحيي، ولذلك قال جرير (٢) :

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا يريد أن **الثأر** لا يؤخذ منهن ولا يدين من قتلنه، ولولا هذا التأويل لم يكن لقوله " ثم لم يحيين قتلانا " معنى.

وقال الأخطل (٣) :

وكم قتلت أروى بلا دية لها ... وأروى لفراغ الرجال قتول والقول الصادع في هذا قوله سبحانه ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ (البقرة: ١٧٩) .

ـــــــــــــــــــــــــ

(١) ف: وكان الأحمر يذكر....

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٣٦٢

(٢) ديوان جرير: ٥٩٥.

(٣) ديوان الأخطل: ٢٥٦.." (١)

"هذا الشعر لعبيد بن العرندس لا لأبيه؛ كذلك قال محمد بن يزيد وغيره. والذي قال: هذا المحال كلابي يمدح غنويا، هو أبو عبيدة لا الأصمعي؛ كذلك قال أبو تمام - رحمهم الله - في الحماسة. وأبو عبيدة هو الذي روى الشعر؛ وكذلك رواه أبو علي عن ابن دريد عن أبي حاتم عنه - رحمهم الله - فالأولى على هذا أن يكون الأصمعي صاحب تلك المقالة منكرا على أبي عبيدة روايته؛ وإنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببني بكر كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة؛ ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم؛ ففي ذلك يقول طفيل الغنوي:

وحي أبي بكر تداركن بعدما ... أذاعت بسرب الحي عنقاء مغرب

تداركن، يعني خيلهم. وأذاعت: فرقت، فلما قتلت طي قيس الندامى الغنوي، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي استغاثت غني ببني بكر وبني محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم، فقعدوا عنهم ولم يجيبوهم؛ فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين؛ و أدرك غني بثأر قيس الندامى من طي وقال في ذلك طفيل:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ... من الغيظ في أكبادنا والتحوب

التحوب: الحزن، قال: ومنه " بات بحيبة سوء ".

* * * وفي " ص ٢٣٩ س ١ " وذكر أبو علي - رحمه الله - خبر الزيادي عن المطلب بن المطلب ابن أبي وداعة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر - رضي الله عنه - على باب بني شيبة فمر رجل وهو ينشد:." (٢)

"هكذا ثبتت الرواية عن أبي علي - رحمه الله - في البيت الآخر: حين يبصر بفتح الصاد. مستفاد بالرفع ولا يتوجه لي معناه. ورواه أبو العباس الأحول - رحمه الله -: غشوم حين يبصر، بكسر الصاد، مستفادا بالنصب؛ وهذا حسن بين المعنى، يريد أنه منتهز للفرصة إذا رأى أنه مستفيد من عدوه فائدة غشم فابتزها، أو مدرك فيه بغية وثب فنالها؛ ورواه أحمد بن عبيد - رحمه الله -: " حين يبصر مستقادا " بالقاف، يريد مستقادا منه ومن له عنده ثأر؛ ويقوي هذه الرواية عجز البيت: " وخير الطالبي الترة الغشوم " ورواه الرياشي

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٤٢٣

(٢) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه أبو عبيد البكري ص/٧٣

حين ينصر بالنون مستقادا بالقاف، أي مطلوبا بقود. وعبد الرحمن هذا هو أخو زيادة، ابني زيد بن مالك بن عامر بن قرة أحد بني سعد هذيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وكان هدبة بن خشرم قتل زيادة بن زيد، فلما سجن هدبة في دمه جعل القرشيون بالمدينة يكلمون عبد الرحمن في أمر هدبة وأضعفوا له الدية حتى بلغت عشرا؛ منهم: سعيد بن العاص، وعبد الله بن عمرو، والحسين بن علي، وعمرو بن عثمان بن عفان - رضي الله عنهم أجمعين - وهو يردد الإباء، فلما أكثروا عليه أنشدهم هذا الشعر المذكور، فلما سمعه هدبة قال: إن فيه لمطعما فعاودوه، ففعلوا؛ فقال عبد الرحمن حين عاودوه:

باست امرئ واست التي زجرت به ... إذا نال مالا من أخ وهو ثائره

وإني وإن ظن الرجال ظنونهم ... على صير أمر لم تشعب مصادره

وهي أبيات فلما أنشدها هدبة قال: دعوه، فوالله لا يقبل عقلا أبدا، جزيتم خيرا؛ فأقام هدبة السجن ست سنين حتى أدرك المسور بن زيادة؛ ومات عبد الرحمن في خلال ذلك، فكان المسور هو الذي تولى قتل هدبة. وذكر المدائني أن المسور قد كان اختار العفو وأخذ الدية حتى قالت له أمه: والله لئن لم تقتل هدبة لأنكحته! فيكون قد قتل أباك ثم نكح أمك فتسبك بذلك العرب يد المسند، فلفته ذلك عن مذهبه، ومضى على الاتئار من هدبة وقتله.." (١)

"مسحة ملك ". وكان أجمل الناس ولم يكن لخالد أخ يسمى جريرا؛ إنما كان له أخوان: أسد وإسماعيل ابنا عبد الله القسري. أدرك إسماعيل منهم أبا العباس السفاح، وكان يسب عنده بني أمية.

والجهة الأخرى، أن خالدا لم يدرك شيئا من الدولة الهاشمية؛ وإنما قاله المنصور لمعن بن زائدة، لذلك قال المدائني - رحمهم الله - وجميع الأخباريين: وإنما مات خالد في سجن يوسف بن عمر وهو يعذبه، وفي عذابه مات بلال بن أبي بردة. وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل خالد بن عبد الله على العراق سنة ست ومائة، ثم ولى يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة، فسجن خالدا وعذبه حتى مات في سجنه، وبقي يوسف واليا على العراق إلى أن بويع يزيد بن الوليد سنة ست وعشرين ومائة، فاستعمل منصور بن جمهور على العراق؛ فلما سمع ذلك يوسف هرب إلى الشام، فظفر به هناك فسجن؛ فلما مات يزيد بن الوليد واضطرب أمر المروانية بطش يزيد بن خالد بن عبد الله القسري بيوسف بن عمر فقتله في السجن وأدرك بثأر أبيه منه.

* * * وفي " ص ١١٧ س ٥ " وأنشد أبو علي:

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه أبو عبيد البكري ص/٨٤

وما كان ذنب بني عامر ... بأن سب منهم غلام فسب

بأبيض ذي شطب باتر ... يقط العظام ويبري العصب

وقال: يريد معاقرة غالب أبي الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحي لما تعاقرا بصوءر، فعقر سحيم خمسا ثم بدا له وعقر غالب مائة ...

هكذا أنشده أبو علي – رحمه الله –:

وما كان ذنب بني عامر

وإنما هو:

وما كان ذنب بني مالك." (١)

"فيقال أن سيف الدولة أحرق كثيرا من ديار الروم، وأعاد الليل صبحا بالنيران فكأنه قتل الليل، ونال ثأر العشاق منه، ولو قال قائل إنه عنى بالفجر في البيت الذي مضى النار شبهها بالفجر، كان ذلك صوابا ليتفق التفسيران، والتفسير الأول فائدتي من الشيخ أبي العلاء.

على طرق فيها على الطرق رفعة ... وفي ذكرها عند الأنيس خمول

قال الشيخ رحمه الله: يريد أنها طرق في جبال فهي مرتفعة إلا أنها مع رفعتها خاملة عند الأنيس أي أنهم لا يسلكونها.

وأضعفن ما كلفنه من قباقب ... فأضحى كأن الماء فيه عليل

قال ابن جني: سألته عن معنى هذا البيت فقال: إن الخيل لما عبرت قباقبا، وهو نهر جار كادت تسكر ماءه لكثرة قوائمها، فأضعفت جريه أي جعلته ضعيفا.

وقال الشيخ رحمه الله:) أضعفن (يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون من الضعف. ويكون المعنى أن هذه الخيل أضعفت هذا الماء وكدرته، فكأنه عليل أي به علة.

والآخر: أن يكون من ضعف الشيء إذا قلت أضعفت له العطية إذا زدتها ضعفها، فيكون عليل هنا فعيلا في معنى مفعول، من قولك عللت الشرب إذا كررته أي جاءت هذه الخيل فعبرت هذا الماء وكأنها سيل من كثريها سرعتها فصار النهر مثله ويقوي ذلك قوله:

ورعن بنا قلب الفرات كأنما ... تخر عليه بالرجال سيول

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه أبو عبيد البكري ص/١٠٣

إذا لم تكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل

قال الشيخ رحمه الله:) غذاه (أي له، والهاء عائدة إلى الليث) وأنك فيل (فاعل غذاه، في البيت تقديم وتأخير كأنه قال: غذاه أنك فيل ولم ينفعك عظم خلقك.

ومن التي أولها: دروع لملك الروم هذي الرشائي

وأكبر منه همه بعثت به ... إليك العدى واستنظرته الجحافل

قال الشيخ رحمه الله: الواو في قوله) وأكبر (في معنى رب، ورقع) أكبر (على الأخبار أحسن ويكون مبتدأ، قوله) بعثت به وما بعده (خبر عنه) واستنظرته (في معنى انتظرته. وقال ابن فورجة: سألني عن هذا البيت بعض أهل الأدب فقلت له، وكأن هاجسا هجس لي في الحال:) أكبر (هنا من باب أفعل من كذا، وليس بفعل رباعي والهاء في) منه (راجعة إلى نفسه كأنه لو تمكن لقال: وأكبر من جثته أو جسمه همة، فاستغرب هذا فأخذ يمانع، فقلت: ألست تقول: زيد قاعدا أحسن منه قائما (والضمير في منه راجع إلى نفسه. فقال: نعم. فقلت: ما يمنعك من أن يكون) وأكبر منه همة (الهاء في منه راجعة إلى نفسه، يريد ورب رجل أعظم من جسمه همة ففزع إلى كتاب الفسر.

وقد ذكر أبو الفتح: أن أكبر فعل فقال: أي أكبر العدى همته التي بعثت به إليك أي استعظموها، وسألته الجحافل أن ينظرها بشغله سيف الدولة عنهم وكلا التفسيرين محتمل جيد، ويحتمل معنى ثالثا: وهو أن تكون الهاء في) منه (ضمير الرسول وقد تقدمه:

وأنى اهتدى هذا الرسول بأرضه ... وما سكنت مذ سرت فيها القساطل

يريد ورب أكبر من هذا الرسول همة بعثت به إليك الروم فأقبل من أصحابه وهو مرسل، وعاد إلى أصحابه وهو عاذل يقول: رب رسول أجل من هذا الرسول قدرا جاءك فاستعظم شأنك فعاد إليهم، وهو يعزلهم في عدوانهم لك، ويجل قدرك في عيونهم أن تعادى، وهذا المعنى أحب إلي من الوجهين المتقدمين، لأن المعنى الذي أورده أبو الفتح كالمنقطع، ألا تراه قال: استعظم العدى همته التي بعثت به، فكان يجب أن يتبع هذا الكلام ما يشبهه، فيقول: واستعظمته الجحافل، فلما قال) استنظرته (كان منقطعا عن أكبر، وكان كلاما مستأنفا، ومعنى مبتدأ اللهم إلا أن يقول: هو متعلق بقوله: بعثت به، يريد به واستنظرته، فحينئذ يكون مستغنيا عن قوله الجحافل، ألا تراه لو سكت عن الجحافل لكفى وأغنى وأدى المعنى الذي أراد، على أنه إن قال: أتى به للقافية سلمنا له وليس المطرد كالمتمحل.

وما لونه مما تحصل مقلة ... ولا حده مما تجس الأنامل

قال الشيخ رحمه الله: يريد أن لون هذا السيف ليس كلون السيف، لأن السيوف تعرف ألوانها، ولون هذا الممدوح لا يحصل، لأنه من هيبته لا يستطاع أن ينظر إليه كما قال في الأخرى.." (١)

"فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت: يصنعون هكذا، فرفعت الستارة، وقذفت بنفسها في دجلة، وكان بين يدي محمد غلام ذكر أنه شراه بألف دينار، وبيده مذبة، لم أر أحسن منه، فوضع المذبة، وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أنت التي غرقتني ... بعد القضا لو تعلمينا.

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما، فصاح بهم محمد: دعوهما يغرقا إلى لعنة الله! قال: فرأيتهما، وقد خرجا من الماء متعانقين ثم غرقا.

التطير من البكاء

أنشدنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال قال: أنشدنا أبو الحسن أحمد بن محمد لن موسى قال: أنشدنا محمد بن القاسم الأنباري قال: أنشدنا عبد الله بن عمرو بن لقيط:

يا شوق إلفين حال النأي بينهما ... فعافصاه على التوديع فاعتنقا.

لو كنت أملك عيني ما بكيت بها ... تطيرا من بكائي بعدهم شفقا.

ما لقتيل الحب قود

ولي من أثناء قصيدة:

وطالب بدمي ثأرا، فقلت له: ... هيهات ما لقتيل الحب من قود.

لله قلبي لقد أضحى، غداة غدت ... حمولهم، للجوى حلفا وللكمد.." (٢)

"وما يدور في فلكها من الكلام على الأطعمة والمشارب، تخلصا إلى الندماء ومجالس اللهو والغناء، انعطافا إلى مراتع الوجدان في دائرة الغزل والهوى والعشق، دون أن يسقط من ثنايا كتابه فضيلة الشجاعة وما كان يدور في فلكها من مواقف الحرب والصلح والثأر ودفع الديات عند العرب، معرجا إلى موضوع الزواج

---

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي أبو مرشد المعري ص/٦٥

(٢) مصارع العشاق السراج القارئ ١/١١٤

وحيثياته وسياسة الرجل المرأة ومسائل الغيرة والطلاق.

ويستكمل الراغب فيما تبقى من هاتيك الحدود كل ما يمس واقع الإنسان في بيته وديانته فيتحدث عن الرياش والملابس والعبادات ويخوض في مسائل العقيدة فيشتمل عرضه على قضايا الإيمان والزهد والتصوف والنبوة مرورا بالإسلام والقرآن وأسباب التنزيل.

ويتبع شؤون الحياة بالكلام على الموت، ويجول عبر الزمان والمكان فيلون كتابه بزخارف شيقة تنساب عبر فصول الطبيعة ونباتها وأزاهرها وحيوانها من وحش وطير وهوام، ثم تراه يذهب بعيدا فيحدث عن الأفلاك والنجوم و السحب انتهاء إلى جملة من النوادر والحكم.

فكتاب «المحاضرات» وجه يكاد يكون فريدا في بابه بين كتب الطرائف والحكايات، لأنه يمتاز بالشمولية والعمق وتلفه روح العلم وتهيمن عليه هواطل من معطيات الوجدان والعقل. إنه بحق سفر جامع بين الجد واللهو والأخبار والملح الأدبية وكأن الراغب يحدد به صفات النديم وثقافته إذ يقول:

«ومن لا يتحلى في مجلس اللهو إلا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو بهيمة مهملة. ومن لا يتتبع طرفا من الفضائل المخلدة على ألسنة الأوائل كان ناقص العقل. فالعقل نوعان: مطبوع ومسموع، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر» .

وكأني بكتاب المحاضرات كما أراده الراغب، قمة أدب المؤانسة والمجالسة حتى عصره وفي ضوئه وضع شهاب الدين الأبشيهي كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» وفي بابه نجد «طرف الألباب وتحف الأحباب» لليافعي و «طرف المجالسة وملح المؤانسة» لابن المرابط وعشرات التصانيف المماثلة.

والكتاب فضلا عما تقدم معرض فكري شيق لم يدع مفردة من مفردات الواقع الإنساني، إلا تتبعه في دواوين الشعراء وكتب الأمثال وخواطر الحكماء والأدباء، وهو يتميز بالطلاوة والإيجاز والبعد عن الهذر، مع أمانة في العرض، وروح واقعية، تجعله في منأى عن أي إسفاف أو تبذل، وبعيدا أيضا عن التلفيق أو التصنع فهو لا يتستر على عيب، ولا يتردد في سوق الشواهد على ما فيها أحيانا من الركة أو السخرية أو الابتذال والبذاءة، ما دامت ترمي إلى الإمتاع والمصارحة والمكاشفة.." (١)

"الثاني: التذكر.

الثالث: التوديع والفراق.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١١/١

الرابع: الهجران.

الخامس: البكا ووصف الدموع.

السادس: الشوق والحنين «١» .

السابع: السهر وطول الأزمنة.

الثامن: الوشاية «٢» والعذل «٣» .

التاسع: ستر الهوى وكشفه.

العاشر: معاشرة الحبيب ومكاتبته.

الحادي عشر: مزاورة المحبوب وملاقاته، والنظر إليه والأمنية فيه.

الثاني عشر: الطيف «٤» .

الثالث عشر: السلو «٥» .

الرابع عشر: فنون مختلفة من الغزل.

الحد الرابع عشر: الشجاعة وما يتعلق بها الأول: الشجعان وأحوالهم.

الثاني: التهدد «٦» .

الثالث: الأسلحة والمتسلحة.

الرابع: طلب الثأر والدية «٧» .

الخامس: التحذير من الحرب وطلب الصلح.

السادس: الهزيمة.

السابع: التلصص «٨» .

الثامن: الحبس والقيد والضرب ونحوها.." (١)

"النهي عن السكون إلى من تقدم منك له إساءة

قيل: إذا أوحشت الحر فلا ترتبطه فإذا ارتبطته فلا توحشه. لما قدم عبد الملك المدينة خطب فقال: والله ما تحبونا ولا نحبكم ونحن أصحاب يوم الحرة وإنما مثلنا، كما قال النابغة «١» :

أبى لك قبر لا يزال مواجها ... وضربة فأس فوق رأسي ناقره «٢»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٠/١

وحديث ذلك أن العرب زعمت أن حية كانت في بيت رجل فقتلته فترصدها أخوه ليقتلها طالبا **بثأره** فقالت له الحية: صالحني على أن اؤدى إليك كل يوم دينارا ففعل. فلما كثر ماله تذكر دخله فأعد فأسا وترصدها فرماها وأشواها، فقطع ذنبها فافلتت وندم الرجل لما لم ينل **ثأره**، وفاته ما كان يناله فدعاها يوما إلى المراجعة على أن يصالحها فقالت: لا يقع الصلح بيننا ما رأيت قبر أخيك وأرى أثر الفأس في ذنبي.

وحكي أن رجلا كان له عبد سندي فتعرض لامرأته فعلم الرجل بذلك فأخذه وجبهه «٣» ثم تحوب «٤» لذلك فداواه. فلما برأ اتفق إن غاب الرجل يوما فعمد السندي المجبوب إلى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور فلما بصر بالرجل قال: والله إن لم تجب نفسك كما جببتني لاقذفهما من السور ليموتا، وإن نفسي لأهون من شربة ماء. فلما رأى الرجل منه الجد جب نفسه فرمى العبد بالابنين من السور، وقال إن جبك نفسك قصاص لما جببتني وقتل ابنيك زيادة أعطيتكها.

التحذير من عدو قاهر

قيل: أحذر الناس أن يحذر عدو قاهر وسلطان جائر. وقيل: إياك ومعاداة من أن أرادك بسوء أرداك «٥» ، وإن أردته بسوء لم توجع إلا حشاك، وقيل: لا تعاد من غيظك عليه غيظ الأسير على القد.

النهي عن الاستعانة بمن ظلمته

قيل: العدو عدوان عدو ظلمته وعدو ظلمك، فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما فاستعن بالذي ظلمك فإنه أحرى «٦» أن يعينك وإن الذي ظلمته موتور «٧» .." (١)

"قال الأخطل «١» :

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم ... حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وقيل: المجدد **ثأره** والكرم شعاره.

من انتهى إلى العلا ابتداء منه

قال أحمد بن أبي طاهر:

خلائقه للمكرمات مناسب ... تناهى إليه كل مجد مؤثل «٢»

قال أبو تمام:

ما أنشئت للمكرمات سحابة ... إلا ومن أيديهم تتدفق

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٠٥/١

الموصوف بأنه يحمي المكرمات

قال أعرابي لقوم: أنتم والله حضان الشرف وقال رجل لآخر لو وجد الكرم في يد غيرك لعلم أنه ضالة لك.

قال أبو شراعة:

مولى المكارم يرعاها ويعمرها ... إن المكارم قد قلت مواليها «٣»

قال أبو تمام:

قوم تراهم غيارى دون مجدهم ... حتى كأن المعالي عندهم حرم

قال أبو تمام:

مضوا وكأن المكرمات لديهم ... لكثرة ما أوصوا بهن شرائع «٤»

قال آخر:

يحمي شريعة مجد غير مورود

من ارتفع بيت شرفه

قال شاعر:

فأما بيتكم إن عد بيت ... فطال السمك وارتفع الفناء «٥»." (١)

"وقال آخر:

وترى الناس هيبة حين يبدو ... من قيام وركع وسجود

وقال آخر:

يأتي الجوانب لا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان «١»

الممدوح بأنواع من المكارم

قال عمرو بن عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم إن لقريش درجا يزلق عنه أقدام الرجال وأفعالا تخضع لها رقاب الأموال، وألسنا تكل عنها الشفار المحددة «٢» وغايات تقصر عنها الجياد المسومة لو احتفلت الدنيا لم تتزين إلا بهم.

وقال عمرو بن معدي كرب «٣» في مدح قوم: نعم القوم عند السيف المسلول والخير المسؤول والطعام المأكول، وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال: بمثله يدرك الثأر وينفى العار ويؤكد العهد ويبرم العقد ويسهل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٦٢/١

الوعر ويخاض الغمر ويفل الناب ويفتح الباب ومدح أعرابي رجلا فقال: كان للإخوان وصولا وللأموال بذولا وكان الوفاء به كفيلا.

ووقف أعرابي على قبر عامر ابن الطفيل فقال: لقد كنت سريعا إذا وعدت، بطيئا إذا أوعدت ,كانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة السهم. وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال: عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه. كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وخارجا من سلطان فرجه فلا يستخف له رأيا ولا بدنا.

قال امرؤ القيس:

أفاد وجاد وساد وقاد ... وذاد وعاد وزاد وأفضل

قال ديك الجن «٤» :

أن العلى شيمي والبأس من نقمي ... والمجد خلط دمي والصدق حشو فمي

قال مسلم بن عقيل «٥» :

يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقع

وقال آخر:

يذكرنيك الجود والبخل والنهى ... وقول الخنى والحلم والعلم والجهل." (١)

"من أحيا بأفضاله طريقة الشعر.

قال أبو تمام:

ملك إذا ما الشعر حار ببلدة ... كان الطريق لطرفه المتحير «١»

وله:

وحياة القريض إحياؤك الجو ... د فان مات الجود مات القريض

وقال المتنبي:

يا أيها المحسن المشكور من جهتي ... والشكر من قبل الإحسان لا قبلي

وقالت عابدة المهلبية:

إلي إلي أيتها القوافي ... سيغلي مهرك الملك الجليل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٧٢/١

ويروى للخوارزمي:

خذي ثأر الكساد من الليالي ... لكل صناعة يوما مديل «٢»

وقيل لذي الرمة: لم خصصت بلالا بمدحك؟ قال: لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي فاستولى بذلك على شكري ومدحي.

المستفاد منه ما يمدح به

قال أحمد بن إسماعيل:

وإني وإن أحسنت في القول مرة ... فمنك ومن إحسانك امتارها جسمي «٣»

وقال آخر:

تعلمت مما قلته وفعلته ... فأهديت حلوا من جناي لغارس

وقال ابن طباطبا:

لا تنكرن إهداءنا لك منطقا ... منك استفدنا حسنه ونظامه

والله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليه وحيه وكلامه

وقال آخر:

إن جد معنى فمن جدواه معتصر ... أو جل لفظا فمن علياه مهتصر «٤»

المعني بكل مدح حسن

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة ... فما هي إلا في ليالي المكرم." (١)

"وهو صلب العصا أي قوي. وقولهم: أنك خير من تفاريق العصا، فالعصا تقطع ساجورا ثم يجعل الساجور أوتادا، والأوتاد شظاظا، والشظاظ مهار البخاتي، أو تشق العصا فتجعل قوسا للبندق، وتجعل القوس سهاما والسهام حظاء والحظاء مغازل، والمغازل قداحا.

الكرة والصولجان

وقال أبو قريش بن أسوط، وكان من بطارقة أرمينية يصف كرة:

يحب دنوها إذا ما ... دنت منه بكد أي كد

قلاها ثم أتبعها بضرب ... وأعقب قربها منه ببعد

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٤٥٦

وقال بشار:

كأن فؤاده كرة تنزى ... حذار البين لو نفع الحذار

وقال السيد الحيمري:

وكأنها كرة بكف حزور ... عبل الذراع دحا بها في ملعب «١»

البوق

: قال الببغا:

ومسمع ليس بذي لسان ... محكم في صمم الآذان

سر يؤديه إلى إعلان

(٤) ومما جاء في طلب الثأر والدية والرخصة في الاقتصاص

قال الله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم

«٢» والجروح قصاص

«٣» فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل

«٤» وقال صلى الله عليه وسلم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. وسوى بين الصريح والهجين وكانت العرب تهدر دم السيد وهو الملصق الدعي وإذا قتل الرجل ملكا أو رجلا من أهل بيت القاتل لم يرضوا حتى يقتلوا رهط القاتل ويحرقوهم بالنار وإذا كان القاتل هو الملك أو أحد من أهل بيته أهدروا الدم فقالوا لا عقل ولا قود. قال الجاحظ: كانت الدية والصدقة مما عند الرجل إن تمرا فتر وإن شاء فشاء وكانوا يعيرون من ديته التمر قال:

ألا أبلغ بني وهب رسولا ... بأن التمر حلو في الشتاء." (١)

"فعيرني هذا بشيئين بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر وكانت دية العربي المعم المخول من التمر مائة وسق ومن الإبل مائة بعير ودية الهجين على النصف ودية المولى على الربع.

والملك ومن هو من بيته ألف وسق. والإسلام سوى بين الكل لقول النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم.

التعيير بترك الثأر والحث على أخذه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ١٩٠

قيل لأعرابي: أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثارا قط؟ قال: بل يسرني إن أدرك الثار وأنفى العار وأدخل مع فرعون النار.

قدم هدبة بن الخشرم العذري ليقتاد بابن عمه فأخذ ابن المثؤر به السيف فضو عفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم الغلام أن يقبل الدية وقالت: أعطى الله عهدا لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك وناك أمك. قال عبد الرحمن بن شافع:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل «١»

ويبيعوا الردينيات بالحلى واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل

ونحوه، قول عمرة بنت وقدان:

فإن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق «٢»

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق

التعيير بأخذ الدية وعدمه

قال شاعر:

وإن الذي أصبحتم تحلبونه ... دم غير أن اللون ليس بأحمرا

إذا سكبوا في القعب من ذي أنائهم ... رأوا لونه في القعب وردا وأشقرا

قال آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه:

إذا صب ما في القعب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فأشرب من دم الشيخ أو دعا «٣»

قال آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم ينل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة «٤» ، كثير التلفت إلى البأس فواثب فتى من الإعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه ديته فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها ثم آخر فقطع شفته فأخذت ديته فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها أنشدت:

أقسم بالمروة حقا والصفا ... أنك خير من تفاريق العصا." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/١٩١

"وروي أن أعرابيين أصابهما قحط فانحدرا إلى العراق جائعين فوطئت رجل أحدهما فرس لفارس فأدمتها وكان يسمى حيدان فتعلقا به وأخذا الدية وكانا جائعين فقصدا السوق وابتاعا طعاما فأكلا فقال الآخر:

فلا غرس ما دام في الناس سوقهم ... وما بقيت في رجل حيدان إصبع

تحريم الملاهي على المحارب وطالب **الثأر**

روي أن بعض عمال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجاج بأن عبد الرحمن بن الأشعث خلعه، فأجاب عن كتابه وجعل يقلب كفيه وقال لها: إن ما دونك منية المتمني فقالت: وما يمنعك؟ قال بيت الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بإظهار

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتع بها. وكانت العجم إذا حزبهم أمر أمروا إن ترفع الموائد ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا. وقال معاوية: ما ذقت أيام صفين لحما ولا حلواء بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت، وأتت امرأة المهلب بمجمرة، فقالت له: ضع هذه تحتك فكان ذلك تعريضا لما أبطأ عن مناهضة الأزد فقال: است المرأة أحق بالمجمرة.

قال قيس بن الحطيم:

حرام علينا الخمر إن لم نضارب

وقال الجراح الغطفاني:

لله درك ما ظننت بثائر ... حران ليس على التراث براقد

أحددته ثم اضطجعت ولم ينم ... أسفا عليك وكيف نوم الحاقد

من حل له الطيبات لإدراكه **الثأر**

قال شاعر:

اليوم حل لي الشراب وما ... كان الشراب يحل لي قبل

قال جابر:

وحل لي التدهين والخمر بعد ما ... شفيت غليلي من ثويد المراثد

المبجح بإدراك **ثأره**

قال المهلهل في إدراك ثأر كليب:

فلو نبش المقابر عن كليب ... فتخبر بالذنائب أي زير «١»." (١)

"بأني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عبيد ... وبعض القول أشفى للصدور

قالت صفية بنت الجذع:

وقد قتلنا شفاء النفس لو قنعت ... وما قتلنا به إلا امرأ دونه

قال زبان وكانت قد هجاه بعض أعاديه فقتله وقطع لسانه ودسه في إسته:

وإن قتيلا بالهباءة في إسته ... صحيفته إن عاد للظلم ظالم

متى تقرؤها تهدكم من ضلالكم ... وتعرف إذا ما فض عنها الخواتم

من نزع ثوب العار وانطلق لسانه

قال أخو ساف بن عباد اليشكري:

ألم يأتها أني صحوت وأنني ... شفاني من دائي المخامر شاف

فأصبحت ظبيا مطلقا من أديمه ... صحيح الأديم بعد داء أساف

وكنت مغطى في قناعي خيفة ... كشفت قناعي وأعتطفت عطافي

قال غالب:

وقد كنت محرور اللسان ومفحما ... فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

من لا يفوته الثأر

قال عبد الله بن العتابي:

وقد ضمنت أسيافهم ورماحهم ... لمن جاوروا أن لا يضيع لهم وتر «١»

قال البحتري:

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها «٢»

حمية شعب جاهلي وغيرة ... كليبية أعيا الرجال خضوعها

وقال المتنبي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/١٩٢

إذا طلب النيل لم يثأه ... وإن كان دينا على ماطل

من يفيت الثأر ولا يفوته

قال الحرعي:

وإذا طلبت الوتر لم تسبق به ... وتفوت مطلوبا به فتبرح." (١)

"وقال المكبل الهزلي:

ويمر في العرقات من لم يقتل «١» وقال أبو تمام:

وللحديد سخاب في مقلده ... وفي مخلد ساقبه خلاخيل

وقيل: فلان راكب أدهم يرسف فيه إذا قيد.

الشماتة بمقيد

قال المعدل:

وقد سرني أن بات في الكبل راسفا ... تغنيه في داجي الظلام صلاصله

فإن يظفر الإسلام منه بثأره ... فقدما إلى الإسلام دبت غوائله

معرفة أهل السجون بالأخبار

حكي أن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجون، فقال: اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تخف عليهم الأخبار، فببركته عليه السلام هم أعلم الناس بكل خير في كل بلد.

الهارب من السجن

كان الكميت في سجن بني أمية فلما هرب قال:

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوائح والمسلي

على ثياب الغانيات وتحتها ... عزيمة رأي أشبهت سكة النصل

قال الفرزدق في ابن هبيرة حين نقب سجن خالد بن عبد الله:

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... ولم تر إلا بطنها لك م خرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعد ما ... نوى في ثلاث مظلمات ففرجا

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة ... سوى ربد التقريب من آل أعوجا «٢»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/١٩٣

استطلاق أسير أو محبوس والرغبة في الحبس

قال الحطيئة لما حبسه عمر رضي الله عنه في سبب الزبرقان وهجائه إياه:

ماذا تقول لأفراخ بذي طلح ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر «٣»

حبست كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وقال الحارثي:

أفكك أسيرك والتمس بفكاكه ... حسن الجزاء بصالح الأعمال." (١)

"وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: إبعث إلي بشر الطعام على شر الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبنا على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذل من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى:

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير

«١» وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عثرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمار مع الحمار مطية ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذل لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل:

لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلسا أتعب يديك، وإن كان بليدا أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيمه؟ فأنشأ يقول:

لا تنكرني على حمار ... يضيع في مثله الشعير

وكيف لا يمتطي حمارا ... من جل إخوانه حمير

وقال:

ولا عن رضا كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

(٢) فضل الفرس

قال الله تعالى في الامتنان به: ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢١٧

«٢» ومن فضيلته أن النبي صلى الله عليه وسلم أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهما. وقال صلى الله عليه وسلم: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرئ القيس:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معصوب

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرغ فرسا له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحي شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب «٣» عن عرضك، وإذا نتج مهرا قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر." (١)

"ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب.

وقيل بعير محلق وطهور وأحزب والميسم مباح في الشريعة كان يسم إبل الصدقة وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله صلى الله عليه وسلم موسومتين ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء قال:

قد سقيت آبالهم بالنار ... والنار قد تسقى من الأوار «١»

إبل غير معلمة

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن إغفالها كالعلم لها أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش الأكل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوض إذا الحوض شغل ... ومنكباها خلف أوراك الإبل

وقال:

من كل حمراء يفاع المنتمى ... يكرمها أربابها إن توسما

وصف البعير بالسرعة والقوة

وصف أعرابي ناقة فقال تقطع الأرض عرضا وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضا سريعة الوثوب بطيئة النكوب مروح شروب، وقيل لآخر: كيف ناقتك؟ فقال: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٦٩

انطوت.

وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمينا على ناقة فوقعت بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلا فخفت أن يفوتني الحج. فقال اليمنى: أتطيب نفسك عما معك وتردفني؟ فقلت: نعم. فنزل وقدم رحله فكاد يضعه على عنقها، ثم قال: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه، ففعلت وأردفني فجعلت تعوم بنا عوما كأنه ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف. فقال: إن لي حاجة إليك إن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الوسم من صنعاء كل عام.

تحريك الأيدي والأرجل في المشي

قال رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع القرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق." (١)

"(وابن صبح سادرا يوعدني ... ماله في الناس ما عشت مجير)

٢ - وقال قيس بن الخطيم

جدير أي خليق

١ - وابن صبح كنى بذلك عن ضياع نسبه وإنه ابن زنا حملت به أمه ممن أغار على قبيلته وإنما نسبه إلى الصبح لأن العادة جرت بأن المرأة إذا ولدت من زنا طرحت ولدها في الطريق وقت الصبح والسادر اللاهي المتحير التائه في الغي وقالوا فيه إنه يستهزئ به أي يغير وقت الصبح كما يفعله الشجاع فنسبه إليه كما قالوا ابن الحرب وابن الفيافي والسادر الذي يجيء من غير جهته

٢ - قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر شاعر جاهلي أنصاري أوسي جيد الشعر حسنه شهد له شعراء عصره بالإجادة والتقدم فيه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام وتلا عليه شيئا من القرآن فقال إني لأسمع كلاما عجيبا فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فمات قبل الحول وله في وقعة بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج أشعار كثيرة وفيها قتل وكان من خبر هذا الشعر أن رجلا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٩١

من بني عبد القيس عدا على أبي قيس فقتله وكان قيس إذ ذاك صغيرا وكذلك جده عدي عدا عليه رجل من بني عمرو بن عامر فقتله وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي فخشيت أم قيس على ابنها أن يطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فجعلت لهما قبرين بفناء البيت فلم يشك قيس في ذلك ونشأ قيس أيدا شديد الساعدين فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر فقال له ذلك الفتى والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك فأتى أمه وألح عليها أن تخبره فلما رأت الجد منه في ذلك أخبرته بخبر." (١)

"(طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)

(ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها)

٣ - (يهون علي أن ترد جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها)

٤ - (وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها)

٥ - (وكنت أمرأ لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها)

أبيه وجده فلم يزل قيس من ذلك العهد يطلب بثأرهما حتى ثأر لهما في حديث يطول ذكره

١ - طعنه بالرمح ضربه به وابن عبد القيس هو الذي قتل أبا قيس وقيل الثائر من يأخذ بالثأر والنفذ ما ينفذ من الطعنة والجمع أنفاذ والشعاع المتفرق وهو هنا المنتشر من الدم ومعناه طعنته طعنة من يطلب بثأره فلم أبق غاية

٢ - ملكت من قولهم ملكت العجين إذا بالغت في عجنه ومعنى أنهرته أوسعته حتى جعلته كالنهر والفتق الشق ومن دونها أي أمامها ووراء ههنا بمعنى خلف معناه أني شددت بهذه الطعنة كفي ووسعت خرقها حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها

٣ - قوله يهون أي يسهل والجراح جمع جراحة وهي الكلم والأواسي النساء المداويات للجراح يقول لا أبالي إذا نظرت الأواسي إلى هذه الطعنة فردت عيونهن عنها لقبحها وكثرة ما يخرج منها متى حمدت أثرها وعاقبتها

٤ - ابن عمرو هو خداش من بني عمرو بن عامر وإنما استعان بخداش لأن أبا قيس كانت له نعمة عنده فأعان قيسا على أخذ ثأره وفاء لتلك النعمة التي قبله وهذا معنى قوله فأدى نعمة وأفاءها أي إنه كافأني بأداء

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٥٣

تلك النعمة التي عنده ورجع بها إلى أهلها

٥ - السبة العار ومعنى قوله إلا كشفت." (١)

"(ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها)

٢ - وقال الحارث بن هشام

٣ - (الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسي بأشقر مزبد)

---

١ - ثأرت عديا والخطيم أي قتلت من قتلهما وعدي جده والخطيم أبوه وقوله جعلت إزاءها أي جعلوني أقوم بها من قولك فلان إزاء مال إذا كان يقوم بإصلاحه يقول قتلت من قتل أبي وجدي فلم أضيع في طلب ثأرهما حقوق شيوخ جعلوني إزاءها وقائما بها

٢ - الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والحارث هذا أخو أبي جهل وأمهما أسماء بنت مخرمة النهشلية وهو شاعر مخضرم شهد غزاة بدر مع المشركين وفرعن أخيه أبي جهل فعيره بذلك حسان بن ثابت في قصيدة يقول فيها يخاطب نفسه

(إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام)

(ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام)

فأجابه الحارث بن هشام وهو مشرك يومئذ بهذه الأبيات وأسلم الحارث يوم الفتح وحسن إسلامه ولم ير في إسلامه شيء يكره وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل من غنائم حنين وخرج إلى الشام مجاهدا أيام عمر ابن الخطاب بأهله وماله فلم يزل يجاهد حتى استشهد يوم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة

٣ - الله يعلم لفظه لفظ الخبر وقصد به إلى القسم واليمين وعني بالأشقر المزبد الدم وجعله مزبدا لأنه إذا بدر من الطعنة أزبد أي علاه زبد ومعنى ذلك أنه ما انهزم حتى جرح فرسه فعلاه دمه أو جرح هو فعلا فرسه دمه." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٥٤/١

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٥٦/١

"(أما في بني حصن من ابن كريهة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

(فيقتل جبرا بامرئ لم يكن له ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

٣ - وقال بعض بني فقعس

٤ - (رأيت موالي الألى يخذلونني ... على حدثان الدهر إذ يتقلب)

٥ - (فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... إذا الخصم أبزى مأئل الرأس أنكب)

والمعنى ما أضيع الفتيان في ذلك الوقت إذ يقودونه في بطن الشرى وهو في الصلابة والسمن مثل الفحل المكرم الذي لا يؤذي لكرامته وإنما ضاعت الفتيان بضياعه لأنهم منسوبون إليه فحين أضاعوه ضاعوا

١ - الكريهة الشدة في الحرب وابنها الملازم لها والتراث جمع ترة وهي **الثأر** والغشمشم الذي يركب رأسه ولا يهاب الإقدام تقول أليس في بني حصن صاحب غيرة ودفاع وطلاب ترات ينتصر له وهذا الكلام تحضيض على طلب الدم والترة وتهييج

٢ - لعل جبرا اسم الرجل الذي دل عليه ولم يكن له بواء أي نظيرا والمعنى أما فيهم رجل صفته هكذا فيقتل هذا الرجل برجل لم يكن له نظيرا فيكون في دمه وفاء بدمه ولكن سقطت المكايلة في الدماء منذ جاء الإسلام فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد شريفا كان أو وضيعا

٣ - قيل هو مرة بن عداء الفقعسي منسوب إلى فقعس ابن طريف أبي حي من أسد ولم تعلم لمرة هذا ترجمة

٤ - الموالي هنا بنو العم وعلى حدثان الدهر في موضع الحال أي رأيتهم يخذلونني مقاسيا لما يحدث في الدهر أو إن تقلبه وتغيره

٥ - تفاقدوا أي فقد بعضهم بعضا والجملة دعاء عليهم والإبزى الذي يخرج صدره ويدخل ظهره يفعل ذلك في مشيه يخيل إنه أبزى." (١)

"(وهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا ... وفي الأرض مبثوث شجاع وعقرب)

(فلا تأخذ واعقلا من القوم إنني ... أرى العار يبقى والمعاقل تذهب)

٣ - (كأنك لم تسبق من الدهر ليلة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٦٩/١

وقال آخر

٤ - (فلو أن حيا يقبل المال فدية ... لسقنا لهم سيلا من المال مفعما)

٥ - (ولكن أبى قوم أصيب أخوهم ... رضا العار فاختاروا على اللبن الدما)

وقوله مائل الصدر أي مصعر من الكبر والأنكب الذي يشتكي منكبيه فهو يمشي مائلا وهذه الصفات من الخداع في الحرب وأبزى هنا مثل ومعناه الراصد المخاتل يقول فهلا ادخروني لمثلي عند اشتداد الأمر وتفاقم الخطب حين يخاتل الشجعان بعضهم بعضا ويتربص كل بالآخر السوء

١ - الشجاع الحية الخبيثة كنى به وبالعقرب عن الأعداء يقول قد امتلأت الأرض من الأعداء فهلا أعدوني لمقاومة أعدائهم

٢ - العقل والمعاقل الديات يقول لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عار والعار يبقى أثره والأموال تفنى

٣ - معناه أن من أدرك ما طلبه من **الثأر** فكأنه لم يصب ولم يوتر وهذا بعث على طلب الدم

٤ - المال يراد به هنا الإبل ونكر الحي وهو يقصد حيا بعينه لأن المراد كان مفهوما عند من عرف قصته وقوله سيلا من المال مفعما كنى به عن الكثرة ومعنى البيت لو كانت معاملتنا مع حي يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير

٥ - اللبن كناية عن الإبل التي تؤدى في الدية لأنه منها والمعنى امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضى بالدية وآثروا طلب الدم على قبول الدية." (١)

"١ - وقالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب

(أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي)

٣ - (ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم)

٤ - (ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمر وغير شبر لمطعم)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٧٠/١

١ – كانت كبشة من النساء الشاعرات المتوسطات في الشعر وكانت متزوجة في بني الحارث بن كعب وكان عبد الله أخاها لأبيها وأمها دون عمرو والسبب في هذا الشعر أن عبد الله بن معد يكرب مر براع للمحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن بن زبيد فاستسقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه فقتله عبد الله **فثأرت** بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاؤا إلى عمرو فقالوا إن أخاك قتله رجل منا سفيه ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم إلا أخذت الدية ما أجبت وهم عمرو بذلك فغضبت كبشة وقالت هذه الأبيات وذكر علماء الأدب أيضا غير ذلك في سبب هذا الشعر

٢ – إنما تكلمت بهذا الكلام وجعلته على لسان أخيها تحضيضا لهم على إدراك **الثأر** ويقال عقلت فلانا إذا أعطيت ديته وإنما جعل الدم هو المعقول لأن المراد مفهوم كأنه قال لا تأخذوا بدل دمي عقلا

٣ – الأفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر وإنما ذكر الأفال والأبكر والدية لا تكون منهما تحقيرا لشأن الدية وقولها وأترك في بيت أي قبر وصعدة مخلاف باليمن وكانوا يزعمون أن القتيل إذا هدر دمه ولم **يثأر** يبقى قبره مظلما

٤ – ودع عنك عمرا تريد خالف عمرا إن مال إلى الصلح وأخذ الدية وقولها وهل بطن عمرو الخ تزهيد في الدية." (١)

"(فإن أنتم لم **تثأروا** واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم)

(ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم)

٣ – وقال عنترة بن الأخرس المعني من طيىء

٤ – (أطل حمل الشناءة لي وبغضي ... وعش ما شئت فانظر من تضير)

---

١ – اتديتم معناه قبلتم الدية وقولها فمشوا إما بفتح الميم ومعناه امشوا وضعف للتكثير أو بضمها ومعناه امسحوا بالمشوش وهو منديل يمسح به الدسم وكنت بهذا وما بعده عن الذل والمصلم المجدع الإذنين وقيل الأصم والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام لا تسمعون ما يقال فيكم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٧١/١

من العار قيل إن النعام كلها صم لا تسمع وليس لها آذان وإنما تعرف ما تحتاج إليه بالشم

٢ – يقال ترمل وارتمل إذا تلطخ بالدم وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفظيعا للأمر وكان من عادتهم إذا وردوا المياه أن تتأخر النساء حتى تصدر كل فرقة عنه فكن يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يزعجهن فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل ومعنى هذا الكلام أنه لا شرف لكم بعد أخذكم الدية

٣ – هو أحد بني معن بن مالك بن فهم شاعر إسلامي فارس مشهور هذا ونسب أبو الفرج هذا الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي وكان سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها وكان جوادا كريما شاعرا إسلاميا وكان له ابن عم يؤذيه ويكرهه وكان يقول لمن يطلب قراه ويحك إنه ليس عنده خير وهو يكذبك ويلمزك فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال هذه الأبيات

٤ – الشناءة البغض مع العداوة ويقال ضاره." (١)

"(اذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلى)

(فإن لم أنل ثأري من اليوم أو غد ... بنى عمنا فالدهر ذو متطول)

٣ – (فلا يدعني قومي ليوم كريهة ... لئن لم اعجل ضربة أو أعجل)

٤ – (أنختم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل)

٥ – (يقول رجال ما أصيب لهم أب ... ولا من أخ أقبل على المال تعقل)

٦ – (كريم أصابته ذئاب كثيرة ... فلم يدر حتى جئن من كل مدخل)

٧ – (ذكرت أبا أروى فأسبلت عبرة ... من الدمع ما كادت عن العين تنجلي)

---

١ – المؤتلى المقصر يقول أبعد فقدي لأبي أذكر بالإبقاء على من قتله وسامني الخسف بقتله وإبقائي عليه أني أجهد في قتله والجهد لا إبقاء فيه ولكن المعنى يكون مني الانتقام بدل الصفح

٢ – متطول مصدر مثل التطول والمعنى إن لم أدرك ثأري قريبا ففي الدهر تطاول

٣ – أو أعجل يريد لمثلها فحذف والمعنى أنه يدعو على نفسه بسلب الرياسة فلا يدعى للحروب إن لم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٧٢/١

يجتهد في الطلب **بثأره** فإما أن يقتل وإما أن يظفر

٤ – إناخة الكلكل كناية عن القهر والإبادة والكلكل الصدر وهو هنا مثل وهذا الكلام تهديد في أنه سيكافئهم على ما بدؤا به

٥ – أقبل على المال أي مال الدية يقول يشيرون علي بأخذ الدية ولم يصبهم ما أصابني ولعلهم لو أصيبوا بما أصبت به لم تقنعهم الدية ولم يروا أخذها

٦ – الذئاب هنا كناية عن الأعداء يقول إن الذي قتله الأعداء رجل كريم أصابوه غدرا وغيلة ولم يشعر حتى دخلوا عليه من كل ناحية

٧ – أبا أروى كنية زيادة والأسبال." (١)

"(ذا قوة وذا شباب مقتبل ... لا جزع اليوم على قرب الأجل)

(الموت أحلى عندنا من العسل ... نحن بني ضبة أصحاب الجمل)

٣ – (نحن بنو الموت إذا الموت نزل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل)

٤ – (ردوا علينا شيخنا ثم بجل)

وقال آخر

٥ – (داو ابن عم السوء بالنأي والغنى ... كفى بالغنى والنأي عنه مدويا)

---

١ – الشباب المقتبل الغض الجديد ولا جزع اليوم اليوم ظرف لقرب الأجل يقول خلقت مقتبل الشباب لم تبلني السنون ولم تضعفني النوائب والهموم ولا أجزع لقرب الأجل

٢ – الموت أحلى عندنا من العسل أي أنا نميل إلى الموت كما نميل إلى العسل وقوله نحن بني ضبة نحن مبتدأ وبني ضبة منصوب على الاختصاص أو المدح وأصحاب الجمل خبر نحن

٣ – النعي الإخبار بموت الميت والأسل الرماح

٤ – بجل بمعني حسب وموضعه رفع على الابتدا وخبره مضمر كأنه قال ثم بجلنا ذاك أي حسبنا يقول نحن

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٨٤/١

من أصل الموت ومن جنسه فلا نخافه عند نزوله يريد أنهم لازموا الحرب وداوموا عليها حتى صاروا للموت كأولاده ثم أخبر أنهم لا يخبرون بموت عثمان رضي الله عنه إلا بأطراف الرماح وأسنة القنا وكنى بهذا عن الأخذ بثار عثمان ثم قال لأصحاب علي رضي الله عنه إننا لا نطلب شيئا سوى الأخذ بثأره

٥ – داو أي عالج والنأى البعد يقول تباعد عن ابن عمك إذا كان رديا واستغن عنه فإنكما إذا تقاربتما تحاسدتما وتباغضتما وقوله كفى بالغنى والنأى الخ يريدان التباعد عن ابن العم السيئ الخلق الرديء الفعل والاستغناء عنه نعم." (١)

"(فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر)

(فما أسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وتر)

٣ – وقال أبو صخر الهذلي

٤ – (رأيت فضيلة القرشي لما ... رأيت الخيل تشجر بالرماح)

٥ – (ورنقت المنية فهي ظل ... على الأبطال دانية الجناح)

---

١ – فلما نأت عنا الخ معناه لما خذلتنا عشيرتنا وهم ربيعة وقعدوا عن نصرنا اكتفينا بأنفسنا وأقمنا بدار الحفاظ واتخذنا السيوف حلفاء على الدهر

٢ – الكريهة الحرب أي فما خذلتنا في يوم حرب ولا نحن أغضينا جفوننا على وتر وحقد يعني أنهم أدركوا كل ثأر

٣ – اسمه عبد الله بن سلم السهمي أحد بني هذيل بن مدركة وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية أحد بني هذيل بن مدركة وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان مواليا لبني مروان متعصبا لهم وله في عبد الملك مدائح وقد كان حبسه ابن الزبير إلى أن شفع له رجال من قريش فأطلقه بعد سنة فلما ولى عبد الملك وحج لقيه أبو صخر فأدناه عبد الملك وقربه وقال له إنه لم يخف على خبرك ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك لنا فقال إذا شفى الله من عدوي نفسي ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوبا مهتوك

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/١٠٤

الستر مفرق الجمع فما أبالي بما فاتني من الدنيا ثم استأذنه في الشعر فأذن له وأحسن صلته وجائزته

٤ - رأيت من رؤية العين وفضيلة بالتصغير اسم رجل بعينه وتشاجر القوم بالرماح تطاعنوا بها وتداخل بعضها في بعض

٥ - يقال رنق الطائر إذا بسط جناحيه ولم يقبضهما وهذا الفعل معطوف على الفعل الذي تناولته لما والكلام كله على المثل والمجاز يقول لما رأيت الخيل تشجر بالرماح." (١)

"(وسيان عندي أن أموت وأن أرى ... كبعض الرجال يوطنون المخازيا)

(ولست بهياب لمن لا يهابني ... ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا)

٣ - (إذا المرء لم يحببك إلا تكرها ... عراض العلوق لم يكن ذاك باقيا)

٤ - وقال عنترة

٥ - (يذبب ورد على إثره ... وأمكنه وقع مردى خشب)

---

١ - سيان مثلان وهو خبر مقدم لقوله أن أموت وأن أرى ومعنى البيت مثلان عندي أن أموت وأن أرى كمن يألف المخازي ويرضاها وطنا وهذا تعريض بالمخاطب أيضا

٢ - ولست بهياب الخ معناه من لم يرع حقوقي وينظرني بعين الإجلال لم أرع حقوقه ولم أقم له بواجب العشرة بل أدينه كما يدينني

٣ - انتصب تكرها على أنه مصدر في موضع الحال وانتصب عراض العلوق على أنه مصدر مما دل عليه قوله يحببك والعلوق الناقة التي نر أم ولدها وتلمسه حتى إذا استأنس بها وأراد الإرضاع منها ضربته وطردته والمعنى أن الرجل إذا عارضك في الحب عراض الناقة العلوق لم يكن ذلك الحب باقيا ولا ثابتا

٤ - هو ابن شداد بن عمرو بن معاوية ينتهي نسبه إلى عبس بن بغيض شاعر جاهلي فارس مذكور وهو أحد أغربة العرب وأغربة العرب في الجاهلية عنترة وخفاف بن ندبة وعمير بن الحباب وسليك بن السلكة والأغربة السودان من العرب وقد حمل على عنترة أشعار كثيرة لبست له فليتنبه لها الأديب

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٢٠/١

٥ – التذبيب الطراد وأصله الإسراع وورد هذا هو ابن حابس طلب نضلة الأسدي بثأر كان عنده والمردى حجر صلب تكسر به الصخور شبه الفرس به ومعنى البيت أن وردا طارد نضلة." (١)

"(وإذا فعلتم ذلكم لم تتركوا ... أحدا يذب لكم عن الأحساب)

٢ – وقال العباس بن مرداس السلمي

٣ – (أبلغ أبا سلمى رسولا يروعه ... ولو حل ذا سدر وأهلي بعسجل)

٤ – (رسول امرئ يهدي إليك رسالة ... فإن معشر جادوا بعرضك فابخل)

٥ – (وإن بوؤك مبركا غير طائل ... غليظا فلا تنزل به وتحول)

الكناية به عن النفس

١ – يذب أي يدفع قد جعل لجذيمة أحسابا يدافع عنها لأنه منهم فخاطبهم بهذا الكلام

٢ – جده أبو عامر بن حارثة أحد بني سلم بن منصور وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد وكان العباس فارسا شاعرا مخضرما شديد العارضة والبيان سيدا في قومه من كلا طرفيه وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه

٣ – الرسول الرسالة ويروعه أي يفزعه وذو سدر موضع ينبت السدر وعسجل موضع من حرة بني سليم وبينهما مسافة بعيدة يقول أد رسالة متنصح متقرب إلى أبي سلمى وإن كانت تروعه وتفزعه لما فيها من التحذير

٤ – رسول امرئ رسول بمعنى رسالة أيضا بدل من رسولا في البيت قبله وإن معشر جادوا بعرضك تعريض بمن كان يغشه وقد نقل الكلام في هذا البيت إلى الخطاب ليكون أبلغ في الرسالة يقول يؤدي إليك رسالة رجل يهديها إليك وينصحك فيها أن الذين يريدون منك قبول الدية إنما هم يغشونك ولا ينصحون لك فاحذرهم ولا تبذل لهم عرضك فإن العز في طلب الثأر

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٥٨/١

٥ – وإن بوؤك يقال بوأته مبوأ صدق أي أحللته وقوله غير طائل من الطول بمعنى الفضل أي لا خير فيه فيفضل على غيره والغليظ الخشن كنى به عن نبوه وعدم." (١)

"(ثلاثة أثلاث فأثمان خيلنا ... وأقواتنا وما نسوق إلى القتل)

٢ – وقال المثلم بن عمرو التنوخي

٣ – (إني أبى الله أن أموت وفي ... صدري هم كأنه جبل)

٤ – (يمنعني لذة الشراب وإن ... كان قطابا كأنه العسل)

٥ – (حتى أرى فارس الصموت على ... أكساء خيل كأنها الإبل)

عندنا والجذم الأصل والأذواد جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الإبل والمحذفة المقطوعة والمعنى ما أبقى تأثير الحوادث من أموالنا إلا بقايا أذواد مقطوعة النسل

١ – ثلاثة أثلاث خبر لمبتدأ محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال أموالنا ثلاثة أثلاث ثلث نشتري به الخيل وثلث نشتري به أقواتنا وثلث نعطيه في الديات

٢ – هو أحد بني تنوخ وهم أولاد تيم الله بن أسد بن وبرة وهو شاعر جاهلي مقل

٣ – وفي صدري هم أراد بالهم دما يطلبه أو حقدا ينقضه ينبه بهذا الكلام على أنه مجتهد في الطلب أو أنه بلغ مراده وأدرك مطلوبه فيقول أمضيت همومي كلها وبلغت مرادي فيها وأبى الله أن أموت ولي هم لم أمضه

٤ – يمنعني لذة الشراب الخ أي يمنعني الهم من لذاذتي بالشراب وإن كان قطابا أي ممزوجا بغيره كأنه العسل حلاوة كان الواحد منهم إذا أصيب بثأر يترك بعض اللذات فلذا قال يمنعني الخ

٥ – فارس الصموت يريد بالفارس نفسه بالصموت اسم فرسه على إكساء خيل أي على مآخيرها واحدها كسء وشبه الخيل بالإبل لعظمها وطولها وذلك مستحب في الخيل ومعناه يمنعني الهم الالتذاذ بالشراب حتى أرى هذا الأمر وأشاهده." (٢)

"١ – وقال تأبط شرا

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٦٦/١

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٨٤/١

(وقالوا لها لا تنكحيه فإنه ... لأول نصل أن يلاقي مجمعا)

٣ - (فلم تر من رأى فتيلا وحاذررت ... تأيمها من لابس الليل أروعا)

٤ - (قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا)

حياة سارة لي وأنا مخذول طول الليالي مسلم للأعداء بجرائري ظاهرة لقومي فيكون سبب شماتتهم

١ - وهو ثابت بن جابر وقد تقدمت ترجمته ومن خبر هذا الشعر أنه خطب امرأة من بني عبس ومن بني قارب فأرادت أن تتزوجه ووعدته بذلك فلما جاءها وجدها قد رغبت عنه فقال لها ما غيرك فقالت والله إن الحسب لكريم ولكن قومي قالوا ما تصنعين برجل يقتل عند أحد اليومين وتبقين بلا زوج فانصرف عنها وهو يقول هذا الشعر

٢ - أن يلاقي مجمعا أن والفعل في تأويل مصدر بدل من ضمير فإنه والتقدير فإن ملاقاته مجمعا لأول نصل ومعنى البيت أنهم قالوا لها لا تنكحيه فإنه إذا لاقى مجمعا فهو لأول نصل يقتل

٣ - الفتيل والنقير والقطمير يضرب بها المثل في حقارة الشيء وعدم نفعه والتأيم البقاء بلا زوج والأروع هنا الحديد الفؤاد ومعنى البيت أنها لم تر قدر فتيل من الرأي في انصرافها عن رجل متيقظ محترس من الأمر قبل وقوعه

٤ - المراد بالقلة النفي والغرار القليل أي أنه لا ينام القليل من الليل فكيف بالكثير والكمي الشجاع والمسفع المتغير لون الوجه ومعنى البيت أنه لا ينام الليل لشجاعته وأكثر اهتمامه طلب الثأر أو ملاقاة الفرسان لممارسته الحرب." (١)

"(سائل أسيد هل ثأرت بوائل ... أم هل شفيت النفس من بلبالها)

(إذ أرسلوني مائحا بدلائهم ... فملأتها علقا إلى أسبالها)

٣ - (إني ومن سمك السماء مكانها ... والبدر ليلة نصفها وهلالها)

٤ - (آليت أثقف منهم ذا لحية ... أبدا فتنظر عينه في مالها)

٥ - (وخمار غانية عقدت برأسها ... أصلا وكان منشرا بشمالها)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٨٩/١

دما فقتل باعث منهم ثمانين وأسر عدة وقدم رجلا منهم يقال له قمامة فذبحه وألقى دلوه فخرجت ملأى بالدم ولم يزل يغير عليهم زمانا وقتل منهم فأكثر

١ – سائل أسيد أي اسأل هذه القبيلة هل ثأرت بوائل أي أخذت الثأر منهم والبلبال الاهتمام بطلب الثأر والمعنى اسأل عني أسيد تخبرك بأخذ ثأري من وائل وشفاء نفسي من همومها

٢ – المائح الذي ينزل البئر ويملأ الدلو والعلق الدم وأسبال الدلو أعاليها وضرب ذلك مثلا لاهتمامه بثأر أخيه وإكثار القتل ممن قتله والمعنى انتقمت رهم من وائل وأجريت سيلا من الدم أي أكثرت القتل كالمائح بالدلاء

٣ – سمك السماء أي رفعها بغير عمد والبدر معطوف على السماء والمعنى أقسم بالله تعالى الذي رفع السماء والبدر ليلة نصف الشهور وليلة هلالها وإنما أضاف النصف إلى السماء لأن البدر الذي يعرف به نصف الشهور في السماء

٤ – آليت أي حلفت وأثقف أي لا أثقف بمعنى أظفر والمعنى أوجبت على نفسي بأني لا أظفر منهم بذي لحية أي سيد كريم إلا قتلته فلا تنظر عينه في ماله لأنه يفارقه بمفارقة روحه بدنه

٥ – عقدت برأسها أي كنت السبب في عقدها له والأصل جمع أصيل ضد الغداة والمعنى ورب خمار غانية سبيت أول النهار عقدت خمارها برأسها آخره بعدما كان." (١)

"١ – وقال الرقاد بن المنذر بن ضرار الضبي

(لقد علمت عوذ وبهثة أنني ... بوادي حمام لا أحاول مغنما)

٣ – (ولكن أصحابي الذين لقيتهم ... تعادوا سراعا واتقوا بابن أزنما)

٤ – (فركبت فيه إذ عرفت مكانه ... بمنقطع الطرفاء لدنا مقوما)

٥ – (ولو أن رمحي لم يخني انكساره ... جعلت له من صالح القوم توأما)

---

١ – هو شاعر جاهلي

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٠٧/١

٢ – عوذ وبهثة قبيلتان الأولى عوذ بن غالب من بني عبس والثانية بهثة من عبد الله بن غطفان ومعنى البهثة في اللغة ولد البغي والحمام بضم الحاء حمى الإبل والدواب والمعنى لقد علمت هاتان القبيلتان أني قصرت مرادي في هذه الواقعة على طلب الثأر دون طلب المغنم

٣ – ولكن أصحابي يريد بهم أعداءه وتعادوا سراعا أي تبادروا مسرعين واتقوا بابن أزنما أي جعلوه وقاية لهم والمعنى أن أعدائي الذين لقيتهم للقتال انحازوا مسارعين إلى ابن أزنم وجعلوه بيني وبينهم يريد بذلك أن ابن أزنم ثبت في وجه القوم يشغلهم ليسلم أصحابه

٤ – بمنقطع الطرفاء متعلق بركبت والطرفاء شجر واللدن المقوم هو الرمح والمعنى فوضعت فيه رمحي بعدما عرفت محله من أصحابه بمنقطع الطرفاء وهو مستتر بهم لأنه لو قتل قبلهم انهزموا

٥ – الضمير في له يرجع إلى ابن أزنم والمراد بصالح القوم السيد الشريف منهم والتوأم من يولد مع آخر في بطن وأراد به مطلق الجمع مجازا والمعنى خانني رمحي وانكسر ولولا ذلك لطعنت به معه صالح القوم فيكونان كالتوأمين وخص الصالحين من القوم لأنهم يتبجحون بقتل الملوك والرؤساء." (١)

"١ – وقال قبيصة بن النصراني الجرمي من طيء

(لم أر خيلا مثلها يوم أدركت ... بني شمجى خلف اللهيم على ظهر)

٣ – (أبر بأيمان وأجرأ مقدما ... وأنقض منا للذي كان من وتر)

٤ – (عشية قطعنا قرائن بيننا ... بأسيافنا والشاهدون بنو بدر)

الأرض وذلك مثل قوله تعالى ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أي اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة يقول لا نتأخر عن مناجزة الأعداء كما تظن بل ترى الرجل منا متقدما وخلفه رجل يجري إلى آخر ثم ننصرف وقد غادرنا رجالا مصرعين مجندلين على الأرض

١ – هو أحد شعراء بني جرم من طيء شاعر جاهلي شعره متين رصين من حر كلام العرب وقد تلاعبت بأكثره يد الضياع كغيره من الشعراء وقد زعم الرواة أنه أبو إياس بن قبيصة آخر ملوك الحيرة ولاه كسرى عليها بعد النعمان بن المنذر وكان قبيصة سيدا شهما مطاعا في قومه حضر حروب الفساد التي كانت بين الغوث وجديلة من طيء وقد ذكرها في شعره

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢١٨/١

٢ – لم أر خيلا الخ المراد بالخيل هنا الفرسان وبنو شمجى بن جرم من قضاعة واللهيم جبل والظهر المراد به ظهر الأرض والمعنى لم تر عيني فرسانا مثل هؤلاء على ظهر الأرض يوم قصدوا بني شمجى وأدركوهم خلف اللهيم

٣ – أبر بإيمان الخ الإيمان جمع يمين والمقدم الإقدام والوتر الثأر ونقضه حل عقده باشتفاء النفس من الواتر الذي أبرمه والمعنى لم أر مثلهم في وفاء العهود وكثرة الإقدام والنقض لمبرم الثأر أي في أخذه وكانت عادتهم أن ينذروا أنهم لا يشربون الخمر ولا يقربون النساء حتى يدركوا ثأرهم

٤ – عشية قطعنا الخ عشية بدل." (١)

"(قد صبحت معن بجمع ذي لجب ... قيسا وعبدانهم بالمنتهب)

بضرب عنق الرسول فقال الرسول إن الرسل لا تقتل وإني لأسير فيكم يا معشر بني طيء استحياء فقلت قد صدقت وخليت سبيله وقلت له قل لمروان آليت أن تبيل الخيل في عرصاتي وبيني وبينك رمل عالج وعديد طيء حولي والجبلان خلف ظهري فاجهد جهدك فلا أبقى الله عليك وكتبت إليه أنا وبعض قومي شعرا فيه ذم له وتنقيص به فكتب مروان إلى عبد الواحد بن منيع السعدي وإلى أمية بن عبد الله أن سيرا بأهل الشام وأهل المدينة والبوادي وقيس وغيرهم إلى معدان حتى تأخذوا منه الصدقة وتقيدوا البدريين من صاحبهم وأوطئوا الخيل بلاد طيء وائتوني بمعدان فصار أمية في عدد كبير وبعث إلى كل صاحب دم وثأر يطلبه في طيء فثارت قيس تطلب الثأر من طيء قال معدان وكنت في اثني عشر ألفا فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبال من حديد وعسكر لا يرى طرفاه فرفع طيء النار على أجأ ونحروا الجزر وعملوا من جلودها حجفا تروسا بلا خشب وطعموا من لحومها فقلت يا بني خيبري ويا معشر طيء هذا والله يومكم البقاء الدهر أو الهلاك فإذا وقع النبل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين ثم تواقف الفريقان ووقع بينهم الشر وخبر هذا يطول وتسمي هذه الوقعة وقعة المنتهب وقد قيل فيها أشعار كثيرة منها هذه الأبيات

١ – بجمع ذي لجب الجمع الجيش واللجب كثرة الأصوات والعبدان جمع عبد والمراد بهم الرعاة والمنتهب موضع كانت به الواقعة والمعنى قد أغارت بنو معن صباحا على قيس فأدركوهم ورعاة إبلهم بهذا الموضع." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٢٤١

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٢٤٣

"(وأبغض إلي بإتيانها ... إذا أنا لم آتها أدفع)

٢ - وقال معبد بن علقمة

٣ - (غيبت عن قتل الحتات وليتني ... شهدت حتاتا حين ضرج بالدم)

٤ - (وفي الكف مني صارم ذو حقيقة ... متى ما يقدم في الضريبة يقدم)

٥ - (فيعلم حيا مالك ولفيفها ... بأن لست عن قتل الحتات بمحرم)

٦ - (فقل لزهير إن شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتم)

---

١ - وأبغض إلي الخ أي ما أبغض إتيان عقبة الهجاء إلي ولو لم أترك الهجو تأثما وتكرما لكان ما تعاقدنا عليه يدفعني عنه ويمنعني منه

٢ - هو شاعر مخضرم صاحبي شهد فتح مكة

٣ - الحتات اسم رجل والمضرج المصبوغ والمعنى لم أحضر حين قتل الحتات وليتني حضرته وهو صريع يعلوه الدم يتلهف على عدم حضوره

٤ - ذو حقيقة الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه والضريبة الرجل المضروب بالسيف وإنما جعل الذي يقصد إليه بالسيف ضريبة إشارة إلى التمكن منه و أنه لا يقدر على الفرار والخلاص والمعنى ليتني حضرته ومعي سيف ذو مساعدة على أخذ الحق نافذ في الضريبة إذا قدمته لا أخاف تأخره لأنه لا ينبو عن الضرب

٥ - ولفيفها الخ لفيف القوم أتباعهم والمحرم صاحب الحرمة أو الداخل في الحرم أو في الشهر الحرام والمعنى لو كنت حاضرا لعلم حيا مالك ومن معها بأنني ما كنت بمحرم عن أخذ الثأر لحتات ويعلم منصوب على أنه جواب ليتني في البيت الأول

٦ - إن شتمت سراتنا الخ السراة الأشراف والمتشتم المتحكك." (١)

"(نفسي فداء لبني مازن ... من شمس في الحرب أبطال)

(هيم إلى الموت إذا خيروا ... بين تباعات وتقتال)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٥١/١

٣ - (حموا حماهم وسما بيتهم ... في باذخات الشرف العالي)

وقال سوار

٤ - (أجنوب إنك لو رأيت فوارسي ... بالسيف حين تبادر الأشرار)

٥ - (سعة الطريق مخافة أن يؤسروا ... والخيل تتبعهم وهم فرار)

---

١ - من شمس الشمس جمع شموس وهو من الآدميين الشجاع الذي لا يذل لغيره ومن الخير الجموح الذي لا يمكن أحدا من سرجه

٢ - هيم إلى الموت الخ الهيم الإبل العطاش والتباعات جمع تباعة وهي في الأصل ما يتبع الفعل من الغرامة وما يضاهيها ثم أراد منها ما يلحقهم من العار والمعنى أنهم إذا خيروا في أمرهم بين صبرهم على القتال وبين رضاهم بالعار اختاروا القتال وامتنعوا مما فيه عار عليهم والمراد بالعار أخذهم الدية وعجزهم عن طلب الثأر

٣ - الباذخات جمع باذخ وهو الجبل المرتفع يقول منعوا ديارهم ومرعاهم من الغارات وقد علا بيتهم واشتهر في الناس مجدهم وشرفهم فكانوا في عز باذخ وشرف رفيع عال

٤ - أجنوب الخ جنوب اسم امرأته والسيف شاطئ البحر والمعنى لو شاهدت فوارسي يا جنوب بالسيف حين سابق شرار الناس وجبناؤهم إلى متسع الطريق خوفا من الأسر لرأيت أمرا منكرا فجواب لو محذوف وإبهام الحال في مثل هذا الكلام أبلغ من بيانها

٥ - سعة الطريق مفعول تبادر في البيت قبله." (١)

"(سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت ... إليه ثنا يا الموت من كل مرقب)

(فيا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب)

٣ - (جنيتم وجرتم إذ أخذتم بحقكم ... غريبا زعمتم مرملا غير مذنب)

٤ - (وما قتل جار غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب)

٥ - (فلم تدركوا ذحلا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٨٣/١

١ – أو مضت إليه أي أشارت والثنايا الأسنان والمرقب المرصد وهذا تمثيل ولا إيماض ولا مرقب وإنما المعنى ما سقاه الموت إلا سيفي الذي إذا جردته من غمده قتلت به من أريد

٢ – عجل القاتلين الإضافة فيه مثل الإضافة في حق اليقين لأن بني عجل هم القاتلون والذحل الثأر ويحصب قبيلة يعير بني عجل بكونهم ضعفاء عن أخذ ثأرهم من بني مازن وأنهم قتلوا رجلا غريبا من قبيلة يحصب كان مجاورا لبني مازن واكتفوا بذلك في ثأرهم

٣ – زعمتم مرملا الخ زعمتم حذف مفعولاه والتقدير زعمتموه مأخوذا في ثأركم ومرملا غير مذنب حالان من الضمير المحذوف في زعمتم والمرمل الفقير والمعنى أنكم جرتم وتعديتم في قتلكم رجلا غريبا في جوارنا بدلا من ثأركم وهو مرمل فقير ولم يرتكب فيكم ذنبا تأخذونه به

٤ – لطالب أوتار الخ الأوتار جمع وتر وهو الثأر وقوله بمسلك مطلب يريد أن هذا الفعل هو ظلم وعدوان وليس فعل من يطلب الثأر والمعنى أن قتلكم الغريب المجاور لنا بدلا من ثأركم وقد غاب عنه نصراؤه ليس بمذهب حميد في طلب الثأر بل هو ظلم منكم وعدوان

٥ – فلم تدركوا ذحلا الخ الذحل الثأر والمعنى فلم تدركوا ثأركم لأنكم قتلتم غير من جنى عليكم." [1]

"(ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب)

(وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب)

٣ – وقال بغثر بن لقيط الأسدي

٤ – (أما حكيم فالتمست دماغه ... ومقيل هامته بحد المنصل)

٥ – (وإذ أحملت على الكريهة لم أقل ... بعد العزيمة ليتني لم أفعل)

وقال رجل من بني نمير

٦ – (أنا ابن الرابعين من آل عمرو ... وفرسان المنابر من جناب)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٨٧/١

ولم تذهبوا في فعلكم هذا إلى ما يذهب إليه الناس في طلب الثأر

١ – فنكبتم عنها أي انحرفتم وعدلتم والمعنى أنكم خفتم من بني مازن فعدلتم عنهم إلى شر معدل وهو قتلكم رجلا غريبا في جوارهم ومع ذلك هم لا يتركونكم حتى يدركوا منكم ثأر جارهم

٢ – ذقتمونا أي جربتمونا وقوله وعلم بيان المرء الخ مثل وقوله عند المجرب أي عند التجربة والمعنى أنه لا يخفى عليكم علو همتنا لأنكم شاهدتم ذلك منا مرارا والإنسان لا يعرف ما لغيره من البأس والنجدة إلا عند تجربته إياه

٣ – هو شاعر جاهلي

٤ – ومقيل هامته الخ مقيل الهامة محل استقرارها والهامة الرأس والمنصل السيف والمعنى مهما يكن من شيء فقد طلبت دماغ هذا الرجل بسيفي فأصبته به غير متندم على ما فعلت

٥ – على الكريهة أي على الأمر المكروه والعزيمة توطين النفس على المراد يريد أنه إذا حمل على المكروه أقدم عليه ولم يندم بعد التروي والعزم على ما فعل

٦ – أنا ابن الرابعين الخ الرابع الرئيس الذي كان." (١)

"(فأصبحت لا نزقا للحاء ... ولا للحوم صديقي أكولا)

(ولا سابقي كاشح نازح ... بذحل إذا ما طلبت الذحولا)

٣ – (وأصبحت أعددت للنائبات ... عرضا بريئا وعضبا صقيلا)

٤ – (ووقع لسان كحد السنان ... ورمحا طويل القناة عسولا)

٥ – (وسابغة من جياد الدروع ... تسمع للسيف فيها صليلا)

فراقا طويلا وقد جعل الطول وصفا للزيال من باب التوسع وإلا فهو وصف لوقت الزيال

١ – أجرى أصبحت مجرى صرت وقوله لا نزقا للحاء ألنزق الخفيف الحركة واللحاء المشاتمة والصديق مفرد يراد به الجمع يريد استبدلت من الخفة وقارا ومن العجلة أناة ويريد بقوله ولا للحوم الخ أنه ليس بمغتاب عياب لصديقه

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٨٨/١

٢ - كاشح الخ الكاشح العدو المبطن للعداوة والنازح البعيد الدار والذحل **الثأر** والمعنى أنه لا يفوتني لحاق العدو على بعده مني إذا طلبت الانتصاف منه **لثأر** بيني وبينه

٣ - وأصبحت الخ معناه لم أصبح إل، وقد هيأت للحوادث عرضا منزها عن الشين وسيفا مصقولا فإذا حل بي خطب لا أقعد قاصرا عن حفظ ما يجب علي حفظه من حقوقي وشرفي

٤ - ووقع لسان معطوف على عرضا وهو مجاز عن الحجج الدامغة والعسول الشديد الاهتزاز والمعنى وأعددت أيضا حججا مفحمة للخصم صادرة عن لسان مثل حد السنان وأعددت أيضا رمحا طويلا قصبه شديد الاهتزاز

٥ - وسابغة الخ السابغة الدرع التامة وجياد الدروع السهلة السلسلة اللينة والصليل صوت وقع الحديد بعضه على بعض والمعنى وأعددت أيضا درعا واسعة لا يؤثر فيها وقع السيف عليها لاستحكامها وسلاستها." (١)

"١ - وقال جريبة بن الأشيم الفقعسي

(فدى لفوارسي المعلمين ... تحت العجاجة خالي وعم)

٣ - (هم كشفوا عيبة العائبين ... من العار أوجههم كالحمم)

٤ - (إذا الخيل صاحت صياح النسور ... حززنا شراسيفها بالجذم)

الرماح المتقدمة معتدلة وبيننا أيضا السيوف اللامعة المسنونة التي تسقط رؤس السادات عن الأبدان والأصابع عن الكف

١ - وجده عمرو ابن وهب أحد بني فقعس بن طريف وهو أخو مطير بن الأشيم أحد شياطين بني أسد وجريبة شاعر إسلامي مقل وكان من حديث هذا الشعر أن سلهبا وأبا سلهب من بني ضبيعة بن عجل سارا في جمع من بكر بن وائل يطلبان الغنائم وخرجت بنو فقعس أيضا فالتقى الجمعان ولا يريد أحد منهم صاحبه فلما التقوا صاح بنو فقعس نزال نزال فلم ينزلوا وقاتلوا على الخيل فشد فروة بن مرثد على أبي سلهب فاختلفا ضربتين فكلاهما قتل صاحبه وهزمتهم بنو فقعس وقتلوا منهم فقال في ذلك جريبة بن الأشيم هذه الأبيات

٢ - المعلمون المتسمون بالسمة والعجاجة الغبار وفدى مبتدأ خبره خالي والمعنى أفدي فوارسي المتسمين

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣١٢/١

بسمات الشجاعة تحت غبار الحرب بخالي وعمي

٣ – العيبة شبه الخريطة من الأدم وهذا مثل معناه أنهم أظهروا من عيب من كان يطلب عيبهم ما كان خافيا فكأنهم كشفوا عيابهم المنطوية على عيوبهم والحمم الفحم والمعنى أن هؤلاء الفرسان أدركوا ثأر من قتل منهم وكشفوا سوأة أعدائهم وأظهروا مخازيهم وألبسوهم عارا تسود منه الوجوه حتى كأنها فحم

٤ – صياح النسور يريد بذلك أصواتا قصيرة والحز." (١)

"(أتاني عن أنس وعيد ... فسل تغيظ الضحاك جسمي)

(ولم أعص الأمير ولك أربه ... ولم أسبق أبا أنس بوغم)

٣ – (ولكن البعوث جنت علينا ... فصرنا بين تطويح وغرم)

٤ – (وخافت من جبال السغد نفسي ... وخافت من جبال خوار رزم)

٥ – (فقارعت البعوث وقارعتني ... ففاز بضجعة في الحي سهمي)

٦ – (وأعطيت الجعالة مستميتا ... خفيف الحاذ من فتيان جرم)

---

١ – معنى سل ذاب وضعف والتغيض التغيظ والضحاك اسم أبي أنس وهو الضحاك بن قيس الفهري صاحب مرج راهط والمعنى هددني أبو أنس الضحاك فأضعف وعيده وغيظه جسمي

٢ – رابه إذا أتاه بريبة والوغم الترة وهي الثأر والمعنى لم أخالف الأمير ولم أتكلم فيه بسوء ولم أتقدمه بحرب

٣ – البعوث جمع بعث ويحرك هو الجيش وجمعه لاختلافه وتكرره والتطويح التبعيد في الأرض يقول لم أعص الضحاك الأمير ولكن جناية الجيش علينا عظم لدينا موقعها فصرنا بين النزوح عن الأهل والإبعاد عن الوطن وبين غرم نلتزمه

٤ – السغد أمكنة متفرقة وخوارزم بلدة مشهورة والمعنى خافت نفسي من هذه الجبال فكرهت الخروج

٥ – قارعت من القرعة وقوله ففاز بضجعة الخ أي خرج سهمي باضطجاعي وراحتي في الحي والمعنى أني صنعت معهم القرعة فخرج سهمي براحتي وعدم خروجي إلى الحرب

٦ – الجعالة العطاء الذي يؤخذ من السلطان والمستميت طالب الموت وخفيف الحاذ المراد به السريع النشيط

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٢٣/١

والمعنى لما كرهت الخروج أخرجت عني رجلا شجاعا كثير النشاط من فتيان جرم قبيلة مشهورة على جعل معلوم." (١)

"(أبى القتل إلا آل صمة إنهم ... أبو أغيره والقدر يجري إلى القدر)

(فأما ترينا لا تزال دماؤنا ... لدى واتر يسعى بها آخر الدهر)

٣ - (فإنا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حينا وليس بذي نكر)

٤ - (يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر)

٥ - (قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلا ونحن على شطر)

٦ - وقال تأبط شرا

كحثو قبر على قبر فماذا ينفع البكاء

١ - آل صمة أي أولاده وكان لدريد أخوة كلهم قد قتل عبد الله وقيس وعبد يغوث وقد تبين من قتلهم وخالد وقتله بنو الحارث بن كعب وقوله والقدر الخ معناه كما أنهم قدروا للقتل كذلك القتل قدر لهم معناه أن هؤلاء القوم أبوا أن يموتوا حتف أنفهم فكأن القتل أبي أن ينزل بأحد إلا بهم وقدر لهم كما قدروا له

٢ - لا تزال الخ في موضع المفعول لترين والواتر هو الذي قتل له قتيل وهو يسعى في **ث أره**

٣ - فإنا الخ جواب الشرط وغير نكيرة نصب على المصدر والهاء للمبالغة يقول فأما ترى أنا لا تزال دماؤنا أبد الدهر عند واترين يسعون بها فإنا نخاطر بأرواحنا فنقتل ونقتل وذلك ليس بمنكر فينا ومنا

٤ - واترين حال من الضمير في علينا والمعنى أن أعداءنا إما أن يغيروا علينا طالبين ثؤرهم عندنا فيصيبوا منا ما يشتفون به وإما أن نغير عليهم لنأخذ **بثأرنا** يريد ان دأبهم ذلك

٥ - انتصب شطرين على المصدر والمعنى أننا بهذا السبب قسمنا الدهر قسمين إما أن ننتصر عليهم أو ينتصروا علينا فلا نزال على أحد القسمين

٦ - تقدمت ترجمته والصحيح أن هذا الشعر مولد قاله خلف." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٢٥

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٤١

"(إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل)

(خلف العبء علي وولى ... أنا بالعبء له مستقل)

٣ - (ووراء الثأر مني ابن أخت ... مصع عقدته ما تحل)

٤ - (مطرق يرشح سما كما أطرق ... أفعى ينفث السم صل)

الأحمر قال النمري ومما يدل على أنه مولد قوله جل حتى دق فيه الأجل فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا وقال أبو الندى مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعا وهو بالمدينة وأين تأبط شرا من سلع وهو إنما قتل في بلاد هذيل ورمي به في غار يقال له رخمان هذا وكلام أبي الندى بناه على أن قائل الشعر هو ابن أخت تأبط شرا يرثي به خاله أو تأبط شرا نفسه يرثي نفسه قبل موته لما أيقن بالقتل

١ - الشعب الطريق في الجبل وسلع موضع وقوله دمه ما يطل يقال طل دمه بالفتح وطل بالضم وهو أكثر طلا ذهب هدرا لا يثأر به والمعنى أن القتيل الذي بالشعب دون سلع لا يذهب دمه هدرا

٢ - العبء الثقل ومستقل أي محتمل يقال استقل كذا حمله ورفعه والمعنى أنه ترك ثقل الثأر علي وذهب وأنا قادر على حمل ثقله غير عاجز عن طلبه

٣ - المصع الشديد المقاتلة الثابت والمعنى أن هذا الثأر الذي أتركه إن لم آخذه منكم فخلفي ابن أخت ثابت الجنان قوي العزيمة لا تنتقض عزيمته

٤ - أطرق أرخى عينيه ينظر إلى الأرض والرشح كالعرق والنفث كالقذف والصل الخبيث من الأفاعي والمعنى أن ابن أختي إذا رأيته مطيل النظر إلى الأرض فلا تظن إطراقه إطراقا بل هو شجاع في الحروب مقدام في النزال يطرق إطراق الحية الخبيثة التي تنفث السم." (١)

"(وفتو هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلوا)

(كل ماض قد تردى بماض ... كسنا البرق إذا ما يسل)

٣ - (فأدركنا الثأر منهم ولما ... ينج ملحيين إلا الأقل)

٤ - (فاحتسوا أنفاس نوم فلما ... هوموا رعتهم فاشمعلوا)

٥ - (فلئن فلت هذيل شباه ... لبما كان هذيلا يفل)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٤٢/١

٦ – (وبما أبركها في مناخ ... جعجع ينقب فيه الأظل)

---

١ – فتو جمع فتى وهجر سار وقت الهاجرة وهي اشتداد الحر في نصف النهار والسري السير في الليل خاصة وانجاب انكشف والمعنى ورب فتيان واصلوا سيرهم من وقت الهاجرة إلى آخر الليل فإذا انكشف الضوء وطلع الفجر أقاموا وقوله حلوا جواب لرب وإذا

٢ – تقول العرب ارتدى بسيفه وتردى ويسمى السيف الرداء والعطاف وسنا البرق لمعانه والمعنى أن كل ماض منهم تقلد بالسيف الماضي الذي يحكي سنا البرق عند إخراجه من الغمد

٣ – أدركنا أخذنا وملحيين مختصر من الحيين لغة لبعض العرب والمعنى أخذنا ثأرنا منهم ولم ينج منهم إلا اليسير

٤ – احتسى الشراب تناوله شيئا شيئا والأنفاس الجرع وهوم الرجل إذا هز رأسه من النعاس واشمعلوا أسرعوا في السير ورعتهم أفزعتهم وهو جواب لما والمعنى كانوا في النعاس فلما أفزعتهم جدوا في السير

٥ – الفل كسر في حد السيف والشبا الحد وقوله لبما كان الخ معناه فكثيرا ما كان كذا

٦ – وبما أبركها معطوف على لبما كان في البيت قبله وأبرك الناقة أناخها والجعجع الأرض الغليظة ونقبت الناقة حفي خفها والأظل باطن خف الناقة وضرب ذلك مثلا لشدته وقوة." (١)

"(وبما صبحها في ذراها ... منه بعد القتل نهب وشل)

(صليت مني هذيل بخرق ... لا يمل الشر حتى يملوا)

٣ – (ينهل الصعدة حتى إذا ما ... نهلت كان لها منه عل)

٤ – (حلت الخمر وكانت حراما ... وبلأي ما ألمت تحل)

٥ – (فاسقنها يا سواد بن عمرو ... إن جسمي بعد خالي لخل)

بأسه وأنه كان ينال منهم ويحملهم على مراكب صعبة ومعنى البيتين لئن ناله ضعف من هذيل فلا فخار لهم بذلك فطالما نالهم منه الضعف والانهزام من قبل وطالما حملهم المشاق وأركبهم المراكب الصعبة

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٤٥/١

١ – ذر البيت ساحته وما يكتنفه والشل الطرد والمعنى أنه كثيرا ما أغار عليهم صباحا في أكناف بيوتهم فبعد أن يقتل أبطالهم ينهبهم ويستاق أموالهم

٢ – صلى بالأمر قاسي شدته والخرق الشجاع والكريم والمعنى أن هذيلا قاست الشدائد من شجاع ذي صبر وثبات على القتال فلا يسأمه حتى يجد السآمة من أعدائه فيرأف بهم

٣ – أن ہ له الشراب سقاه إياه أول مرة وعله سقاه الثانية والصعدة القناة تنبت مستوية والمعنى أنه لا يكتفي بطعن أعدائه بقناته مرة بل يكرره مرة بعد أخرى كالشارب الذي لا يكفيه النهل فيشتاق إلى العلل

٤ – الإلمام الزيارة الخفيفة ولكنها هنا كناية عن حصول الخمر عنده بالفعل واللأى البطء والمعنى أنه فاز بأخذ **الثأر** بعد بطء ومضى مدة فصارت الخمر حلالا له بعد أن حرمها على نفسه جريا على عادتهم من تحريم الخمر وغسل الرأس من الجماع قبل أخذ **الثأر**

٥ – سواد مرخم سوادة والخل المهزول والمعنى اسقني الخمر الآن فإن جسمي قد هزل بعد خالي." (١)

"(وأبكيكما حتى الممات وما الذي ... يرد على ذي عولة أن بكاكما)

(جرى النوم بين اللحم والجلد منكما ... كأنكما ساقي عقار سقاكما)

٣ – وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي يكنى أبا الوليد

٤ – (إني لأرباب القبور لغابط ... بسكنى سعيد بين أهل المقابر)

٥ – (وإني لمفجوع به إذ تكاثرت ... عداتي ولم أهتف سواه بناصر)

٦ – (فكنت كمغلوب على نصل سيفه ... وقد حز فيه نصل حران ثائر)

صوتك والمعنى أستمر على ملاذمة قبريكما الليالي الكثيرة الطويلة إلا أن يجيبني صداكما والعرب كانت تزعم أن عظام الموتى تصير أصداء وهاما

١ – يرد أي يجدي وينفع والعولة صوت الصدر وأن إما بالفتح فيكون الفعل بعدها مصدرا فاعل يرد أو بالكسر شرطية يدل على جوابها ما قبله والمعنى لا أنفك عن البكاء عليكما حتى أموت ولكن ماذا ينفع بكاء الباكي والذاهب لا يعود

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٤٦

٢ – العقار الخمر والمعنى سرى النوم فيكما حتى امتزج بالدم والعروق فصرتما كمن سقى الخمر فلا يفيق

٣ – وهو شامي شاعر إسلامي من علماء الكلام

٤ – الغبطة تمني نعمة الغير مع بقائها له والسكنى مصدر كبشرى والمعنى إني لأغبط سكان القبور في سعادتهم بدفن سعيد بينهم

٥ – أهتف أدعو وسواه منصوب على الاستثناء من ناصر مقدم عليه والمعنى إني لمصاب بفقده حين كثرت أعدائي وطلبت الناصر فلم أجد غيره فعظمت مصيبتي

٦ – النصل حديدة السيف وحز قطع والحران العطشان والثائر من يطلب الثأر والمعنى أن حالي الآن حال من غلب على نصل سيفه فلا." (١)

"(أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر)

(وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر)

٣ – (ولما حضرنا لاقتسام تراثه ... أصبنا عظيمات اللهى والمآثر)

٤ – (وأسمعنا بالصمت رجع جوابه ... فأبلغ به من ناطق لم يحاور)

٥ – وقالت امرأة من بني شيبان

يمكنه إعماله وقد قطع فيه نصل سيف طالب الثأر وهو كناية عن أن المرثي كان كسيفه الذي يدفع به الأعداء فلما مات لم يمكنه مقاومتهم

١ – أمجدنا أكثر لنا والقرى الضيافة والدخيل المتمكن من القلب والمخامر من الخمر وهو الستر والمعنى وفدنا عليه فلم يمنعنا قراه لكن هذا القرى هو ما تزودنا به من الحزن والوجد والكآبة

ح آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ – التراث الميراث واللهى جمع ل٥وة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيئا من المال لكثرة البذل

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٦٣/١

٤ – المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

٥ – هي بنت فروة ابن مسعود ترثي فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابن." (١)

"١ – وقال قسامة بن رواحة السنبسي

(لبئس نصيب القوم من أخويهم ... طراد الحواشي واستراق النواضح)

٣ – (وما زال من قتلى رزاح بعالج ... دم ناقع أو جاسد غير ماصح)

٤ – (دعا الطير حتى أقبلت من ضرية ... دواعي دم مهراقه غير بارح)

٥ – (عسى طيئ من طيء بعد هذه ... ستطفئ غلات الكلى والجوانح)

إن الذي قصدهم يزيد بن عمرو وهو الذي اهتدى لها مع التباس طرقها

١ – وجده جل بضم الجيم ابن حق بكسر الحاء ينتهي نسبه إلى الغوث ابن طيء وهو شاعر جاهلي مقل

٢ – يريد بأخويهم صاحبيهم يقال يا أخا بكر أي يا واحدا منهم والحواشي صغار الإبل ورذالها والنواضح جمع ناضحة وهي التي يستقى عليها وطراد وما عطف عليه بدل من نصيب والمعنى أن من أعظم الذم والعار أن يقعد صاحب الثأر عن طلبه ويأخذ في سرقة الإبل وطردها فهو بئس نصيب القوم من صاحبيه

٣ – رزاح اسم قبيلة من خولان ورمل عالج اسم موضع والناقع الثابت والماصح الذاهب والجاسد الجامد والمعنى أن دماء قتلى رزاح بعالج لم تزل طرية أو جامدة غير ذاهبة أي باقية على حالها فلا تغسل إلا بأخذ الثأر من أعدائها

٤ – ضرية قرية على طريق البصرة إلى مكة سميت باسم ضرية بنت ربيعة بن نزار وغير بارح غير زائل والمعنى لما استدل الطير بدم القتلى الذي مهراقه غير زائل على أكل لحومها فكأنه دعاها إلى ذلك من ضرية

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٦٤/١

٥ – طيء قبيلة والغلة حرارة الحزن وحدوثها من القلب والكبد لكنه بالغ فنسبها إلى الكلى والضلوع وقوله بعد هذه إشارة إلى الحالة الحاضرة يقول المرجو من." (١)

"١ – وقال سليمان بن قتة العدوي

(مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت)

٣ – (فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلت)

٤ – (ألا إن قتلى الطف من آل هاشم ... أذلت رقاب المسلمين فذلت)

٥ – (وكانوا غياثا ثم أضحوا رزية ... ألا عظمت تلك الرزايا وجلت)

أولياء الدم أن يطلبوا الثأر في المستقبل وإن كانوا أخروه إلى هذه المدة فتسكن النفوس وتبرد القلوب مما بها من غلة الحزن وحرارته والمعنى ليس ببعيد الرجاء أن طيئا بعد هذه الأحوال يطلبون الثأر وإن أهملوه قليلا فتنطفيء الحرارة التي تجاوزت القلب والكبد إلى الكلى والضلوع

١ – هو شاعر إسلامي شيعي وهو من بني عدي ونسب ياقوت هذه الأبيات إلى أبي دهبل الجمحي يرثي بها الحسين بن علي رضي الله عنهما ومن قتل معه بالطف

٢ – الآل والأهل واحد عند البصريين والمعنى أني مررت على أبيات من استشهد مع الحسين رضي الله عنه بكربلاء من آل محمد فوجدتها موحشة بعد أن كانت مأهولة مزينة بهم

٣ – المعنى عمر الله تلك الديار وأدام من يسكنها وإن أصبحت خالية منهم بالرغم عني

٤ – الطف موضع قرب الفرات به قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه وكان سليمان قال أذلت رقابا من قريش فذلت فقال عبد الله بن الحسين أذلت رقاب المسلمين فذلت فقال ابن قتة أنت والله أشعر مني والمعنى أن من قتلوا بالطف من آل هاشم صيروا المسلمين أذلاء

٥ – الرزية المصيبة والمعنى أن بني هاشم كانوا ملجأ للناس في حوائجهم وغوثا لهم في شدائدهم فلما استشهدوا صاروا مصيبة عليهم فما." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٩٨

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٩٩

"(لقد ولى أليته جوي ... معاشر غير مطلول أخوها)

(فإن تهلك جوي فكل نفس ... سيجلبها لذلك جالبوها)

٣ – (وإن تهلك جوي فإن حربا ... كظنك كان بعدك موقدوها)

٤ – (وما ساءت ظنونك يوم تولي ... بأرماح وفي لك مشرعوها)

٥ – (ولو بلغ القتيل فعال قوم ... لسرك من سيوفك منتضوها)

٦ – (لنذرك والنذور لها وفاء ... إذا بلغ الخزاية بالغوها)

فرفع جوي رأسه إليه وهو يجود بنفسه فقال أعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون رجلا ليس فيهم أعور ولا أعرج فسارت كلمته حتى أتت عمق أرض مزينة فثاروا لكلمة جوي ووقع الشر بينهم

١ – الألية اليمين وطل ذهب والمعنى تحققت أن جويا ولي أمر يمينه جماعات لا يذهب دم أخيهم هدرا لشجاعتهم ووفائهم

٢ – جوي منادى والمعنى فإن تهلك يا جوي فلست فردا في ذلك إذ كل نفس هالكة

٣ – كظنك خبر كان مقدما والمعنى وإن هلكت يا جوي فإنه ستقع حرب بعدك ويكون م وقدوها مسارعين إلى الأخذ بثأرك كظنك فيهم حيا

٤ – تولى تقسم ومشرعوها معملوها والمعنى وافق الأمر ظنك بأرماح وفي لك معملوها في أعدائك يوم حلفت

٥ – الفعال بفتح الفاء الكرم وانتضى السيف سله والمعنى لو أمكن أن يعلم ميت فعل قوم لكان فعال قومك بعدك سارا لك لأنهم أخذوا بثأرك

٦ – النذر ما يوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات وقوله والنذور الخ اعتراض يشير به إلى أنهم وفوا بنذره والمعنى أنهم ما قتلوا الأعداء إلا وفاء بنذرك حين ترك الناس نذورهم فلحقهم الخزي والهوان." (١)

"١ – وقال عقيل بن علفة بن الحرث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة

(لتغد المنايا حيث شاءت فإنها ... محللة بعد الفتى ابن عقيل)

٣ – (فتى كان مولاه يحل بنجوة ... فحل الموالي بعده بمسيل)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٠٦/١

٤ – (طويل نجاد السيف وهم كأنما ... تصول إذا استنجدته بقبيل)

٥ – (كأن المنايا تبتغي في خيارنا ... لها ترة أو تهتدي بدليل)

٦ – وقال مسافع بن حذيفة العبسي

٧ – (أبعد بني عمرو أسر بمقبل ... من العيش أو آسى على أثر مدبر)

خال وقد كان يوم الحرب يطعمها لأعدائه

١ – هو شاعر مجيد مقل من شعراء دولة بني أمية وكان أعرج جافيا شديد الهوج وقد تقدم له ذكر

٢ – لتغد أي لتصب ومحللة أي مطلقة والمعنى لم تبق صعوبة للمنايا بعد الفتى ابن عقيل فلتذهب إلى من شاءت

٣ – النجوة المكان العالي والمسيل موضع السيل والمعنى لم يبق لأحد من أقاربه عز بعده فتحولوا من العز إلى الذل

٤ – نجاد السيف حمائله وكلما كان الرجل أطول كانت حمالة سيفه أطول والوهم القوي والاستنجاد طلب النجدة والمعنى كان طويل القامة قوي البأس إذا طلبت منه النجدة قام مقام قبيلة لكمال شجاعته

٥ – الترة **الثأر** والخيار الكرام والمعنى كأن المنايا تطلب **ثأرا** لها عند خيارنا أو أنها تهتدي بدليل كرمهم ومآثرهم فلا يصعب عليها الوصول إليهم

٦ – هو شاعر فارس من شعراء الجاهلية

٧ – أبعد بني عمرو والهمزة للإنكار وأسر من السرور." (١)

"(إني أرقت فلم أغمض حار ... من سيئ النبإ الجليل الساري)

(من مثله تمسي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار)

٣ – (أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار)

٤ – (ما إن أرى في قتله لذوي النهى ... إلا المطي تشد بالأكوار)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤١٠

أنت ومكث مالك في بني فزارة زمنا ثم غدرت به فزاره وجه إليه حذيفة من يقتله فقتلوه وكان الربيع مجاورا لحذيفة فجاء إليه وقال يا حذيفة سيرني فإني جاركم فسيره ثلاث ليال فقال حمل لحذيفة بئس ما عملت قتلت مالكا وخليت حبل الربيع والله ليضر منها عليك نارا فدونك الرجل قبل أن يفوتك ولا أحسبك تدركه ثم إن الربيع جمع بني عبس للقاء بني فزارة وجرت بسبب ذلك حروب فيما بينهم يطول ذكرها

١ - أرقت سهرت وحار مرخم حارث والنبأ الخبر والساري السريع والمعنى يا حارث إني سهرت ليلتي ولم أنم من الخبر السيئ العظيم المنتشر في القبائل بسرعة

٢ - حواسرا أي كاشفات والمعولة الباكية أشد البكاء والمعنى أن هذا الخبر من الأخبار التي تبيت لها النساء كاشفات الوجوه وتصبح رافعات الصوت بالبكاء لشدة وقعها

٣ - المعنى لا ينبغي للنساء أن ترجو مواقعة الرجال لهن عقب الطهر بعد قتل مالك بن زهير فإن ذلك غير ممكن وقد كان من عادة العرب أنهم لا يمسون النساء ولا يشربون الخمر ولا يتلذذون بلذيذ قبل أن يأخذوا الثأر

٤ - إن زائدة والنهي العقول والمطئ التي تمطو في السير والأكوار جمع كور الرحل والمعنى لا أرى شيء يليق بأرباب العقول في أمر قتله إلا أن يشدوا على مطيهم للأخذ بثأره." (١)

"(لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم يأتكم قوم ذوو أحساب)

(فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب)

٣ - (وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بكالئ معشاب)

٤ - وقالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها

٥ - (أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهر والأيام أن أتصبرا)

٦ - (وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا)

---

١ - المقصص اسم المرثي والمعنى إن لم يأتكم قوم ذوو حسب يطلبون ثأر المقصص فهو رجل منكم مهدور

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤١٢/١

الدم لامنا

٢ – الفكه الحسن الخلق الضحوك والنكباء ريح عادلة عن مهب الرياح المعروفة والخوان ما يؤكل عليه الطعام والأطناب حبال الخيمة والمعنى أنه حسن الخلق ضحوكا عند قربه من الخوان مع من يطعمهم من المحتاجين حين هبوب الريح التي تقلع أصول الخيام وتهلك الزرع فينشأ عنها شدة الجدب

٣ – ينبتون يجتمعون والفراخ دود يكون في العشب والكالئ موضع الكلأ وهو العشب والمعشاب الكثير العشب والمعنى أنه كان ملجأ لليتامى متفقدا لأحوالهم فكانوا يجتمعون عند بابه كاجتماع الدود في العشب

٤ – هي أخت العباس بن مرداس السلمي شاعرة مجيدة مقلة مخضرمة أمها الخنساء بنت عمرو الشاعرة

٥ – ختله خدعه والمعنى يا عيني ما خدعتكما بخيانة ولا حذرتكما من البكاء وأنتما مديمان له وما رضيت الأيام مني سلوا وتصبرا

٦ – تحسر البعير سقط تعبا والمعنى أني كنت قبل هذه الرزية واثقة بصبري إلى أن أخبرت بموت أخي فصرت كأني بعير حمل فوق الطاقة فسقط تعبا." (١)

"(تعرض مرمى الصيد ثم رميننا ... من النبل لا بالطائشات الخواطف)

(ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقاتلات الضعائف)

٣ – (وللعين ملهى في التلاد ولم يقد ... هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف)

وقال آخر

٤ – (لئن كان يهدى برد أنيابها العلا ... لأفقر مني إنني لفقير)

لي فيه حيلة وتركت بين الضلوع ما تركت من نار الشوق والغرام

١ – مرمى الصيد ظرف مكان والطائش الخاطف من السهام هو الذي يقع على الأرض ثم يحبو إلى الهدف كأنه يتخطف من الأرض شيئا ومفعول رميننا الثاني محذوف كأنه قال رميننا بالصائبات الناقرات لا بالطائشات الخواطف والناقر من السهام الذي ينقر الهدف والمعنى أن الحبيبات تعرضن لنا وبيننا وبينهن غلوة سهم وفعلن فعل المتعرض للصيد إذا أراد رميه ثم نظرن إلينا وعرضن محاسنهن علينا وتلك نبالهن التي لا تطيش

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٥٨/١

٢ – ضعائف أي في الخلقة والخلق أي ضعفن عن الرجال كيدا وفعلا وقوله بلا دم يريد به الثأر والمعنى هن مع ضعفهن يقتلن الرجال من غير أن يكون ثار بينهم وبينهن فيا عجبي كيف يقتلن مع ضعفهن

٣ – التلاد جمع تليد وهو المال القديم والطرائف جمع طريف وهو الجديد من المال والمعنى أن للعين ملهى في المال القديم لكن لا يقود هوى النفس شيء كما يقود المال الجديد من حيث إن لكل جديد لذة

٤ – يهدى من الإهداء وهو الإتحاف والعلا الأعالي من الأسنان وهي موضع القبل وأراد ببرد الأسنان عذوبة الريق عند المذاق والمعنى أقسم لئن كان يهدى برد أسنانها وعذوبة رضابها عند." (١)

"(جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن)

وقال منصور بن مسحاح الضبي

(ثأرت ركاب العير منهم بهجمة ... صفايا ولا بقيا لمن هو ثائر)

٣ – (من الصهب أثناء وجذعا كأنها ... عذارى عليها شارة ومعاصر)

من المدح له وينفرون منه

١ – جهلا علينا وجبنا الخ جهلا وجبنا منصوبان على المصدرية بيجمعون مقدرا والخلتان تثنية خلة بفتح الخاء وهي الخصلة والمعنى أيجمعون الجهل علينا والجبن عن أعدائهم لعمرك بئس جهلهم علينا وجبنهم عن أعاديهم

٢ – ركاب العير الخ الركاب الإبل التي يسار عليها والعير الحمار وقد يراد به السيد أي أخذت ثار إبل فيها حمار أو ثار إبل للسيد والهجمة المائة من الإبل وما قاربها والصفايا جمع صفي وهي الغزيرة اللبن وقوله ولا بقيا لمن هو ثائر يريد أن طالب الثأر لا يبقى على من عنده ثأره إذا وجده والبقيا الرأفة والرحمة والتائر طالب الثأر والمعنى أنهم لما أغاروا على إبل لنا فيها حمار أو على إبل لسيدنا أدركت ثأرها فأغرت على هجمة لهم من الإبل كثيرة اللبن

٣ – من الصهب أي من الإبل الشديدة الحمرة والإثناء جمع ثني وهي الناقة التي وضعت بطنين والجذعة دون الثني والعذارى الأبكار وشبه الإبل بالعذارى لحسنها في عيونهم لأنها من أنفس الأموال عندهم والشارة الهيئة

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٠٤/٢

الحسنة والمعاصر جمع معصر وهي التي قد بلغت عصر شبابها وقاربت الحيض والمعنى أن الهجمة التي أغرنا عليها هي من الإبل الشديدة الحمرة حالة كونها أثناء وجذعا وهي أيضا لحسنها في عيوننا مثل الإبكار والمعاصر التي عليها هيئة الحسن والجمال." (١)

"(وأورثها شر التراث أبوهم ... قماءة جسم والرواء دميم)

(كأن خروء الطير فوق رؤسهم ... إذا اجتمعت قيس معا وتميم)

٣ - (متى تسأل الضبي عن شر قومه ... يقل لك إن العائذي لئيم)

٤ - وقال محرز بن الكعبر الضبي لبني عدي بن جندب بن العنبر

٥ - (أبلغ عديا حيث صارت بها النوى ... وليس لدهر الطالبين فناء)

هذه مقامه في محل الزينة فكيف حاله في موضع الابتذال

١ - التراث الميراث والقماءة قصر القامة والرواء بضم الراء حسن المنظر والدميم القبيح والمعنى أن العيوب التي فيهم من قصر القامة وقبح المنظر ورثوها عن أبيهم

٢ - كأن خروء الطير أي كأن الطير وإنما زاد الشاعر لفظ الخروء استهزاء بهم والمعنى أنهم لا مآثر لهم ولا أيام يعدونها في المواسم إذا اجتمعت قبائل قيس وتميم لذلك فهم سكوت أذلاء لا يرفعون رؤسهم ولا يتحركون من الدناءة والخزي كأن الطير فوق رؤسهم

٣ - متى تسأل الخ معناه أن كل عائذي لئيم باعتراف من قومه بذلك

٤ - كان محرز جارا لبني عدي بن جندب فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله وذهبوا بها فطلب إلى بني عدي أن يسعوا له فوعدوه أن يفعلوا فلما طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى المخارق والمساحق ابني شهاب المازنيين وهما من بني خزاعة فسعيا له فردا عليه إبله فقال هذه الأبيات يهجو بها بني عدي

٥ - أبلغ عديا الخ النوى البعد والذهاب في الأرض وقوله وليس لدهر الطالبين الخ يريد ان من طلب الثأر

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/١٨٨

لا تفنى طلبته ما دام طالبا إلى أن يدرك **ثأره** وينال حقه يقول أخبر بني عدي أينما كانوا من البلاد أن **الثأر** لا ينقضي زمان طلبه ما دام صاحبه." (١)

"(كسالى إذا لاقيتهم غير منطق ... يلهى به المتبول وهو عناء)

(أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ... ولو شئت قال المنبؤن أساؤا)

٣ - (لهم ريثة تعلوا صريمة أمرهم ... وللأمر يوما راحة فقضاء)

٤ - (وإني لراجيكم على بطء سعيكم ... كما في بطون الحاملات رجاء)

طالبا له حتى يأخذ حقه ممن عليه **الثأر**

١ - كسالى أي هم كسالى يعني رهط بني عدي وقوله يلهى به أي يعلل به والمتبول الذي أصيب بتبل أي بعداوة وحقد وهو عناء يريد أن الكلام إذا لم يله فعل كان عناء ومشقة يصفهم بالكسل وقلة النشاط لأنه طلب منهم النصر فلم ينصروه على أعدائه وإن المستغيث بهم لا يجد منهم غير قول يتسلى به والقول من غير فعل عناء

٢ - أخبر من لاقيت الخ معناه أني أنشر الجميل عنكم خوفا عليكم من الملام ولو شئت ضد ذلك لفعلت لأنكم ضمنتم فما وفيتم فيقول الذين أخبرهم بقلة وفائكم أصحابك أساؤا ولكن لم أشأ إظهار عيوبكم للستر عليكم

٣ - لهم ريثة أي لهم إبطاء وتعلوا أي تغلب والصريمة العزم على الشيء يريد بذلك نفي العزيمة عنهم لأن الريث والبطء قد غلبها والمعنى أن عزمهم ضعيف مغلوب بالبطالة والكسل وأن الأمر لا بد له من أن يقضي يوما ويراح منه ويعني بها أن الأمر لا بد أن يقضي في يوم من الأيام ويراح منه وفيه إشارة إلى أنهم لم يقضوا ما طلبه منهم من رد إبله وإن غيرهم ردها وأراحه مما كان فيه

٤ - وإني لراجيكم الخ لم يقنعه ما تقدم من العتاب حتى زاد في عتابهم أن جعل رجاءه فيهم على غير ثقة لأن من يرجو ما في بطون الحاملات فهو شاك فيه على غير ثقة منه ومعناه أني في رجائي لكم مع تراخيكم في." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٩١/٢

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٩٢/٢

"(بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت ... هلال بن مرزوق ببشر بن غالب)

(وهل هي إلا مثل عرس تبدلت ... على رغمها من هاشم في محارب)

٣ - وقالت امرأة قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره

٤ - (متى تردوا عكاظ توافقوها ... بأسماع مجادعها قصار)

أحد ممن كان يألفه فكان إسماعيل يهجوه ويذمه هذا وقال دعبل الخزاعي هذه الأبيات للوليد بن كعب قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال ابن مرزوق

١ - شجوها أي حزنها ونصب على أنه مفعول له والشاعر يفضل بشرا على هلال فيقول إن دار بشر بكت حزنا عليه بعد ما ملكها بعده هلال يريد أن هلالا لا شرف له بل الشرف لبشر بن غالب

٢ - محارب قبيلة موضوعة القدر يضربون بها المثل في الخمول والمعنى أن هذه الدار في نزول ابن مرزوق بها بعد ما كان ينزلها بشر بن غالب صارت مثل عروس زوجت في بني هاشم ثم زوجت بعدهم في بني محارب بدون رضاها

٣ - وكان من خبر هذه الأبيات أن رجلا من بني عبد القيس يقال له ابن مية كان جارا للزبرقان بن بدر فقتله رجل من بني عوف بن كعب وهو في جوار الزبرقان يقال له هزال في موضع يقال له شبرمان فأبطأ الزبرقان في طلب ثأره فقالت امرأة ذلك الرجل هذه الأبيات فحلف الزبرقان ليقتلن هز الإثم سعت بنو سعد حتى أرضوه وودى ابن مية

٤ - عكاظ اسم سوق كانت للعرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع فيها كل سنة يتفاخرون ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوه من الشعر والمجادع من جدعه إذا قطعه تقول للذين لم يأخذوا ثار زوجها إذا حضرتم سوق عكاظ ووافقتم أهلها." (١)

"(أرن يسيل من النشاط لعابه ... ويكاد جلد إهابه يتمزق)

باب مذمة النساء

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٢٢٧

٢ – قال بعضهم

٣ – (دمشق خذيها واعلمي أن ليلة ... تمر بعودي نعشها ليلة القدر)

٤ – (أكلت دما إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر)

---

١ – الأرن النشيط ومعنى البيتين ظاهر

٢ – قائل هذين البيتين أعرابي كان قد تزوج امرأة فلم توافقه فقيل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فحملها إلى دمشق وأنشد هذين البيتين وبعدهما

(أما لك عمر إنما أنت حية ... إذا هي لم تقتل تعش آخر الدهر)

(ثلاثين حولا لا أرى منك راحة ... لهنك في الدنيا لباقية العمر)

(فإن أنفلت من عمر صعبة سالما ... تكن من نساء الناس في بيضة العقر)

٣ – عودي نعشها أراد بهما يدي النعش الذي نحمل عليه بعد الموت والمعنى خذيها يا دمشق وأهلكيها بحماك واعلمي أن ليلة موت هذه المرأة عندي هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر

٤ – أكلت دما هذا يجري مجرى اليمين والمراد بالدم الدية يريد قتل لي قتيل فأعجز عن الأخذ بثأره فأرضى بأخذ الإبل في ديته فإذا طعمت ألبناها فكأنما أشرب دم ذلك القتيل وكنى ببعيدة مهوى القرط عن طول العنق والنشر الرائحة الطيبة والمعنى إن لم أتزوج عليك امرأة حسنة السالفة طيبة الرائحة تروعك وتفزعك فقتل الله لي قتيلا أعجز عن أخذ ثأره فآخذ ديته." (١)

"أما نحن فأصبنا ثأرنا، وقتلنا قاتل صاحبنا، وأما أنتم فلم تدركوا ثأرا، ولم تغسلوا عارا، فقال الزبيري: ارجع إليه فقل له: ذاك لأنكم وجدتم قاتل صاحبكم كفأ له وقتله بواء به وإنا لم نر صاحبنا نظيرا له فيقيده منه، قال إبراهيم: ارجع إليه فقل له: ل، اولكنا علمنا أن قاتل صاحبنا يصير إلى النار فعجلناه إليها، وأنكم لم تدروا علام يرد قاتل صاحبكم من ثواب أو عقاب، فتركتموه مهملا، فقال الزبيري: ارجع إليه فقل له: يشهد للزبير بالجنة، ولقاتله بالنار قول النبي صلى الله عليه وسلم برواية صاحبكم: بشر قاتل ابن صفية بالنار

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤١٣/٢

[١] ، ولم يقل: بشر ابن صفية بالجنة، وقد يقتل الكافر الكافر فيكونان جميعا في النار، فقال الزبيري: ارجع إليه وقل له: قد والله يا سيدي [١٤ و] انقطعت، فلا تجمع علي وحشة الانقطاع مع ضرر الحرمان، فأذن له، فعاشرنا منه في يومنا أمنع عشير وأملح نديم.

[علي بن أبي طالب وابنه الحسين]

قال أمير المؤمنين لابنه أبي عبد الله [٢] صلوات الله عليهما، وهو يومئذ غلام: قم يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاخطب لأسمع كلامك

- وتالإسلام، كان من القراء وأهل الفقه، كان من شيعة علي بن أبي طالب، شهد معه صفين، ثم خرج عليه، واتفق مع (البرك) و (عمرو بن بكر) على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة (١٧ رمضان) فكمن ابن ملجم لعلي عند صلاة الفجر، فضربه في مقدم رأسه وتوفي بعدها علي من أثر الضربة، ونجا معاوية وعمرو بن العاص، ثم قتل ابن ملجم سنة ٤٠ هـ.

(طبقات ابن سعد ٢٣/٣، لسان الميزان ٤٣٩/٣، الطبري وابن الأثير حوادث سنة ٤٠، الكامل للمبرد ١٣٦/٢) .

[١] الحديث في تفسير القرطبي ٣٢١/١٦، والبداية والنهاية ٢٥٠/٧.

[٢] أبو عبد الله: الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، نشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين، خرج ثائرا على يزيد، وكاتبه أهل الكوفة، فحشد له عبيد الله بن زياد جيشا كثيفا قاتله وأهله في موقعة كربلاء، وحمل رأسه إلى يزيد بن معاوية سنة ٦١ هـ.

(الطبري ٢١٥/٦، ابن الأثير ١٩/٤، مقاتل الطالبيين ص ٥٤، ٦٧، تهذيب ابن عساكر ٣١١/٤، صفة الصفوة ٣٢١/١) .." (١)

"تدانوا فما للنقع فيهم خصاصة ... تنفسه عن خيلهم حين ترهج [١]

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة ... لظل عليهم حصبها يتدحرج

كأن الزجاج اللهذميات فيهم ... قتيل بأطراف الرديني مسرج [٢]

فيدرك **ثأر** الله أنصار دينه ... ولله أوس آخرون وخزرج

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٥٨

وإن كنتم منهم وكان أبوهم ... أباكم فان الرنق بالصفو يمزج [٣]

[١١٦ و] ورثاه أيضا عبد الله بن محمد بن سلام الشاعر، فقال وأحسن في أبيات: [الطويل]

فتى كان يستعدي على المحل راحة ... فينهل بالمعروف منها المواهب

ويلهب أطراف العوالي فتصطلي ... مشارق من نيرانها ومغارب

لقد شيد الإسلام بالبيض والقنا ... فتى طالبي البأس للحق طالب

كلا طرفيه من علي وجعفر ... تلاقت عليه المحصنات المناجب

وكان يدا فيها على الدهر سطوة ... وطودا لهذا الدين منه مناكب

تذكر عيني شخصه كل منبر ... يقوم عليه في العروبة خاطب

فلا غرو أن حلت بيحيي مصيبة ... فهانت علينا بعد ذاك المصائب

كأنك لم تسمع بيحيي بوقعة ... تشيب لها من شانئيه الذوائب

ولم تر يحيي فوقه تبعية ... ترد عنه السيف والسيف قاضب

تقارب منها السرد حتى كأنما ... تخازر منه بالعيون الجنادب

وحسبي عزا أنه مات مقدما ... على الدهر إذ دارت عليه النوائب

ولولا يد المقدار ما ناله الردى ... ولا ابتز عنه جنة الحرب ساكب

أقامت عليه الجن والإنس مأتما ... وهبت لمنعاه الصبا والجنائب [٤]

- الزجل: صوت الرعد. هزمج: اختلاط الأصوات.

[١] ترهج: تثير الغبار.

[٢] اللهذميات: السيوف القاطعة الحادة. الرديني: الرمح نسبة إلى امرأة كانت تقوم الرماح.

[٣] في الديوان: (وكان أبوكم أباهم فان الصفو بالرنق يمزج) .

[٤] الصبا: الرياح التي تهب من الشرق وتكون باردة. الجنائب: الرياح التي تهب من الجنوب وتكون حارة.." (١)

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٣١١

"وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد منزلك أجياد [١] ، أعلاه مدرة وأسفله عذرة.

قال سهيل بن عمرو: أشبه امرؤ بعض بزه، فصار مثلا.

[أشعار مختارة]

وقال ابن الرقاع: [٢] [الكامل]

والمرء يورث مجده أبناءه ... ويموت آخر وهو في الأحياء

والقوم أشباه وبين حلومهم ... بون كذاك تفاضل الأشياء

وقال آخر: [٣] [الكامل]

بيضاء ناصعة البياض كأنها ... قمر توسط جنح ليل مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد ... إن الحسان مظنة للحسد

وترى مآقيها تقلب مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد

خود إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

قال [أبو] المثلم الهذلي: [٤] [الطويل]

---

[١] أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، وكانت منزلا لبني مخزوم. (ياقوت: أجياد)

[٢] عدي بن الرقاع: عدي بن زيد بن مالك العاملي، شاعر من أهل دمشق، كان معاصرا لجرير مقدما من بني أمية مداحا لهم، عرف بشاعر أهل الشام، توفي سنة ٩٥ هـ.) معجم الشعراء ص ٢٥٣، المؤتلف والمختلف ص ١١٦، شرح الشواهد ص ١٦٨، الأغاني ١٨/١٧٢- ١٧٧، رغبة الآمل ٥/٢١٢، ٧/٢٩، ٤٨) .
والبيتان من قصيدة لعدي بن الرقاع في ديوانه ص ٥٤- ٥٥، جمع حسن نور الدين، ط دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٩٠

[٣] الأبيات في البيان والتبيين ٢/٢٦٥ دون نسبة، والأبيات في الأغاني ٢/٧٥ لمجنون ليلى، وفي الأغاني ١٦/١٢٣ لمحمد بن بشير الخارجي، أنشدها الزبير بن بكار في مجلس هارون الرشيد.

[٤] أبو المثلم الهذلي: من بني خناعة بن سعد بن هذيل، كان جارا لصخر الغي الهذلي، وكان صخر قد قتل رجلا من مزينة جارهم، فمشى أبو المثلم إلى قومه وطالب بثأر القتيل، وقامت مناقضات بين صخر الغي وأبي المثلم.

(المؤتلف والمختلف ص ٢٧٧- ٢٧٨، الأغاني ٢٢/٣٤٧- ٣٤٨) . والبيت في البيان والتبيين ٢/٢٧٥)."
(١)

"وأنشدني أبي عن جدي قال: أنشدني محمد بن حازم الباهلي البصري لنفسه: [الطويل]

وباغي قرى والليل بيني وبينه ... تلقيته مستبشرا ضاحك السن

وإنا لمجهودون أضياف فاقه ... على ثمد منها سداد وما يغني

فأنزلته ثم انثنيت بشفرة ... على أم خمس لا لثأر ولا ضغن

فناشدني لما هويت لنحرها ... بنوها وقد أوجزتها عزمة مني

وقلت لهم في الله من كل هالك ... عزاء فكفوا لا أبالكم عني

فبت بخير قد قضيت ذمامه ... وأعطيته المجهود مني بلا من

وأنشدنا أبو محمد بن الطيان: [الطويل]

يفلق هاما لم تنله سيوفنا ... بأسيافنا هام الملوك القماقم [١]

أراد: نفلق هام الملوك بأسيافنا، ثم نبه فقال: هاما لم تنله سيوفنا، أي الناس لم تنله سيوفنا.

[مرويات الأخفش]

أنشدنا الأخفش لسعيد بن حميد: [الطويل]

ولا تطلعن الشمس إلا وقد بدت ... لكأسك في أيدي الندامي مطامع

[١٧٧ ظ] إذا ما استمرت بالكرام رأيتهم ... وأنفسهم عند المدام ودائع

ودارت أباريق عليهم كأنها ... ظباء بأعلى الروضتين روائع

فاني أرى يوما إذا جاز حكمه ... مضى وله عند الملوك صنائع

وأنشدنا له: [الكامل]

أفدي حبيبا ربما غفلت له ... عين الرقيب فزار وهو مروع

خطفا مخالسة كلمعة بارق ... برقت فأعجلها سحاب مقلع

وأنشدنا له أيضا: [الوافر]

حمدت إليك بعد الذم دهرا ... ثنى من غربه طول العقاب

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤١٢

[١] في الأصل: (يفلقن هامن) . القماقم: السادة الواسعي الخير.." (١)

"يربوع بن حنظلة [١] بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

وعمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم.

وضمرة بن ضمرة [٢] بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم.

والأبيض بن مجاشع بن دارم. وقشير بن كعب [٣] بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ودريد بن الصمة [٤] ، واسم الصمة معاوية بن حرب بن معاوية.

والربيع بن زياد [٥] بن عبد الله بن سفيان بن ناشب بن هدم بن عوذ بن

- الدولة التنوخية في العراق، جاهلي عاش عمرا طويلا، اجتمع له ملك ما بين الحيرة والأنبار والرقة وعين التمر وأطراف البر، وهو أول من غزا بالجيوش المنظمة، ويقال له: الوضاح والأبرش لبرص فيه، قتل ملك الشام عمرو بن الظرب أبا الزباء، ثم قتلته الزباء بخديعة ثأرا لأبيها سنة ٣٦٦ ق. هـ./ ٢٦٨ م. (تاريخ ابن الأثير ١/١١٩، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٦٠، النويري ١٥/٣١٦، تاريخ الكوفة ٦٧)

[١] يربوع بن حنظلة بن مالك من تميم: جد جاهلي، بنوه عدة بطون، منهم بنو العنبر، وبنو كليب، وبنو رياح، وبنو ثعلبة. (جمهرة الأنساب ص ٢١٣- ٢١٦، اللباب ٣/٣٠٩، المحبر ص ٢٩٩، معجم قبائل العرب ١٢٦٢)

[٢] ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي: من بني دارم، شاعر جاهلي من الشجعان الرؤساء، يقال كان اسمه (شقة بن ضمرة) ، فسماه النعمان (ضمرة) وهو صاحب يوم (ذات الشقوق) من أيام العرب في الجاهلية، أغار فيه على بني أسد وظفر بهم في مكان من ديارهم يسمى ذات الشقوق. (سمط اللآلىء ص ٤٣٥، ٥٠٣، ٥٢٢، حلية الفرسان ص ١٥٥)

[٣] قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: من هوازن العدنانية، جد جاهلي، كان بعض سلالته ولاة في خراسان ونيسابور، ودخل جماعات منهم الأندلس في أيام الفتح. (جمهرة الأنساب ص ٢٧٣، ٤٥٩)

[٤] دريد بن الصمة: تقدمت ترجمته.

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤٧١

[٥] الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان العبسي: أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، ويروى له شعر جيد، وكان يقال له (الكامل) ، اتصل بالنعمان بن المنذر، ونادمه مدة، ثم أفسد الشاعر لبيد ما بينهما، فارتحل الربيع وأقام في ديار عبس، وحضر حرب داحس والغبراء، توفي سنة ٣٠ ق. هـ/ ٥٩٠ م. (المحبر ص ٢٩٩، الأغاني ١٩/١٦، التبريزي- شرح المعلقات ٢٤/٣)." (١)

"أشار بشر بن أبي حازم في قوله تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مبرر وقوله (علقت بي شعوب) يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله (لا غور تحتها إلى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة. والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله (مضطغنا أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن وهو عند الجنب. والتجواب مصدر جاب. وجمع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تبيان وتلقاه لا غير وزاد بعضهم تيصال. وقوله (عجري وبجري) يريد به جميع أمري الظاهر والباطن. وأصل العجر العقل البائة في العصب والبحر العقد الناشئة في البطن. وقوله (ولم يقل أيها) أي لم ي أمرني بالكف. يقال للمستزاد ايه وللمستكف أيها. وقوله (لامر ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الإبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمر بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصدها. فمظي بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بثأر مولاه منها. وقصته مشهورة. وقوله (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب إشارة إلى أنه في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح. وقيل أن البوح من أسماء الذكر. وقوله (في شهري ناجر) هما شهرا الحر. وقيل أنهما حزيران وتموز. وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين. وقوله (بت بليلة نابغية) أومأ به إلى قول النابغة فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع. وقوله (فألمعت إليه بثوبي) يعني إليه يقال منه المع ولمع بمعنى. وقوله (يلدغ ويصي) هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصي صئيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت وكذلك الفرخ. وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٥٠٣

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقوله (ينزو ويلين) هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم بذل ويقال أن أصله أن الجدي ينزو وهو صغير فإذا كبر لان. وقوله (لابسا جلد النمر) هذا مثل يضرب للمنقح الجريء لأن النمر." (١)

"٢٧- إن المقدرة تذهب الحفيظة

المقدرة (ذكر لغتين وترك ثالثة، وهي بفتح الميم وسكون القاف ودالها مثلثة) والمقدرة: القدرة، والحفيظة: الغضب.

قال أبو عبيد: بلغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلا بذحل (الذحل – بفتح الذال وسكون الحاء – الثأر) فلما ظفر به قال: لولا أن المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك، ثم تركه.." (٢)

"٢٤٣- إن كنت عطشان فقد أنى لك.

يضرب لطالب الثأر، أي قد أنى لك أن تنتصر، وأنى وآن لغتان في معنى حان.." (٣)

"٦٧٥- تطلب ضبا وهذا ضب باد رأسه؟

ويروى "مخرج رأسه" قال عطاء ابن مصعب: زعموا أن رجلين وترا رجلا وكل واحد منهما يسمى ضبا، فكان الرجل يتهدد النائي عنه ويترك المقيم معه جبنا، فقيل له: تطلب ضبا يعني الغائب وهذا ضب باد رأسه يعني الحاضر. يضرب لمن يجبن عن طلب ثأره.." (٤)

"٧٢٨- تمسك بحردك حتى تدرك حقك.

يقال حرد حردا ساكنة الراء والقياس تحريكها، وينشد:

إذا جياد الخيل جاءت تردى ... مملوءة من غضب وحرد

وقال ابن السكيت: وقد تحرك، ويقال: رجل حارد وحرد وحردان، أي غضبان، أي دم على غيظك حتى تثئر (تثئر: تأخذ ثأرك، وأصله تتثئر) .." (٥)

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٢٧٨

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٤/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٥٥/١

(٤) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٣٥/١

(٥) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٤٤/١

"٧٧١- ثكل أرأمها ولدا.

قاله بيهس الملقب بنعامة لأمه حين رجع إليها بعد إخوته الذين قتلوا.

قال المفضل: كان من حديث بيهس أنه كان رجلا من بني فزارة بن ذبيان بن بغيض، وكان سابع إخوة. فأغار عليهم ناس من أشجع بينهم وبينهم حرب وهو في إبلهم، فقتلوا منهم ستة وبقي بيهس وكان يحمق، وكان أصغرهم، فأرادوا قتله، ثم قالوا: وما تريدون من قتل هذا؟ يحسب عليكم برجل ولا خير فيه، فتركوه، فقال: دعوني أتوصل معكم إلى الحي، فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش، ففعلوا، فأقبل معهم فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر، فقالوا: ظللوا لحمكم لا يفسد. فقال بيهس: لكن بالأثلاث لحما لا يظلل، فذهبت مثلا، فلما قال ذلك قالوا: إنه لمنكر وهموا أن يقتلوه، ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون، فقال أحدهم: ما أطيب يومنا وأخصبه، فقال بيهس: لكن على بلدح قوم عجفى، فأرسله١ مثلا، ثم انشعب طريقهم فأتى أمه فأخبرها الخبر. قالت: فما جاءني بك من بين إخوتك؟ فقال بيهس: لو خيرت لاخترت فذهبت مثلا، ثم إن أمه عطفت عليه ورقت له فقال الناس: لقد أحبت أم بيهس بيهسا. فقال بيهس: ثكل أرأمها ولدا، أي عطفها على ولد، فأرسلها مثلا، ثم إن أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخوته فيلبسها ويقول: يا حبذا التراث لولا الذلة فأرسلها مثلا، ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته، فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه فقلن له: ويحك! ما تصنع يا بيهس؟ فقال:

ألبس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها

فأرسلها مثلا، ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاما، فجعل يأكل ويقول: حبذا كثرة الأيدي في غير طعام -[١٥٣]- فأرسلها مثلا، فقالت أمه: لا يطلب هذا بثأر أبدا، فقالت الكنانية: لا تأمني الأحمق وفي يده سكين، فأرسلتها مثلا، ثم إنه أخبر أن ناسا من أشجع في غار يشربون فيه، فانطلق بخال له يقال له: أبو حنش، فقال له: هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها، ويروى: هل لك في غنيمة باردة، فأرسلها مثلا، ثم انطلق بيهس بخاله حتى أقامه على فم الغار ثم دفع إبا حنش في الغار فقال: ضربا أبا حنش، فقال بعضهم: إن أبا حنش لبطل، فقال: أبو حنش: مكره أخوك لا بطل، فأرسلها مثلا، قال المتلمس في ذلك:

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

نعامة لما صرع القوم رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبس." (١)

"٧١٤- أثأر من قصير.

يعنون قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الأبرش، ويقال: هو أول من أدرك ثأره وحده.." (٢)

"٩٧٩- أجسر من قاتل عقبة.

قال أبو عمرو القعيني: هو عقبة بن سلم من بني هناءة من أهل اليمن صاحب دار عقبة بالبصرة، وكان أبو جعفر وجهه إلى البحرين، وأهل البحرين ربيعة، فقتل ربيعة قتلا فاحشا، قال: فانضم إليه رجل من عبد القيس، فلم يزل معه سنين، وعزل عقبة فرجع إلى بغداد، ورحل العبدي معه، فكان عقبة واقفا على باب المهدي بعد موت أبي جعفر، فشد عليه العبدي بسكين فوجأه في بطنه فمات عقبة، وأخذ العبدي فأدخل على المهدي، فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: إنه قتل قومي، وقد ظفرت به غير مرة، إلا أني أحببت أن يكون أمره ظاهرا حتى يعلم الناس أني أدركت ثأري منه، فقال المهدي: إن مثلك لأهل أن يستبقى، ولكن أكره أن يجترئ الناس على القواد فأمر به فضربت عنقه، ويقال: إن الوجأة وقعت في شرجة منطقة عقبة، قال: فجعل المهدي يسائل العبدي، والعبدي يبكي، إلى أن دخل داخل فقال: يا أمير المؤمنين مات عقبة، فضحك العبدي، فقال له المهدي: مم كنت تبكي؟ قال: من خوف أن يعيش. فلما مات أيقنت أني أدركت ثأري.." (٣)

"١٠٩٠- الحمى أضرعتني لك.

قال أبو عبيد: يضرب هذا في الذل عند الحاجة تنزل.

ويروى "الحمى أضرعتني للنوم" قال المفضل: أول من قال ذلك رجل من كلب يقال له مرير، ويروى مرين، وكان له أخوان أكبر منه يقال لهما مرارة ومرة، وكان مرير لصا مغيرا، وكان يقال له الذئب، وإن مرارة خرج يتصيد في جبل لهم فاختطفه الجن، وبلغ أهله خبره فانطلق مرة في أثره حتى إذا كان بذلك المكان اختطف، وكان مرير غائبا، فلما قدم بلغه الخبر، فأقسم لا يشرب خمرا ولا يمس رأسه غسل حتى يطلب بأخويه، فتنكب

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٥٢/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٥٨/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٨٤/١

قوسه وأخذ أسهما ثم انطلق إلى ذلك الجبل الذي هلك فيه أخواه، فمكث فيه سبعة أيام لا يرى شيئا، حتى إذا كان في اليوم الثامن إذا هو بظليم، فرماه فأصابه واستقل الظليم حتى وقع في أسفل الجبل، فلما وجبت الشمس بصر بشخص قائم على صخرة ينادي:

يا أيها الرامي الظليم الأسود ... تبت مراميك التي لم ترشد -[٢٠٦]-

فأجابه مرير:

يا أيها الهاتف فوق الصخره ... كم عبرة هيجتها وعبره

بقتلكم مرارة ومره ... فرقت جمعا وتركت حسره

فتوارى الجني عنه هويا من الليل، وأصابت مريرا حمى فغلبته عيناه، فأتاه الجني فاحتمله، وقال له: ما أنامك وقد كنت حذرا؟ فقال: الحمى أضرعتني للنوم، فذهبت مثلا. وقال مرير:

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيت بعدهم جميعا

غزوت الجن أطلبهم بثأري ... لأسقيهم به سما نقيعا

فيعرض لي ظليم بعد سبع ... فأرميه فأتركه صريعا

في أبيات أخر يطول ذكرها (ويروى أن عمر بن معد يكرب الزبيدي قال هذا المثل لأمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب.)." (١)

"١١٣٤- حسبك من إنضاجه أن تقتله.

يضرب لمن طلب الثأر.

يقول: والله لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال له: لا تعد حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك.

ويضرب لمن جاوز الحد قولا وفعلا.." (٢)

"١٢٥٠- خطب يسير في خطب كبير.

قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له: جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح، والعرب تقول للذي به البرص: به وضح، تفاديا من ذكر البرص.

وكان جذيمة ملك ما على شاطئ الفرات، وكانت الزباء ملكة الجزيرة، وكانت من أهل باجرمى (في هامش

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٠٥/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢١٢/١

الأصل "هكذا في النسخ، ولم أعثر بها في القاموس ولا كتاب تقويم البلدان، وإنما الذي وجدته فيهما جاجرم، وهي بلدة من خراسان بين نيسابور وجرجان، وليحرر") وتتكلم بالعربية وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها، فلما استجمع أمرها، وانتظم شمل ملكها، أحبت أن تغزو جذيمة، ثم رأت أن تكتب إليه أنها لم تجد ملك النساء إلا قبحا في السماع، وضعفا في السلطان، وأنها لم تجد لملكها موضعا، ولا لنفسها كفؤا غيرك، فأقبل إلي لأجمع ملكي إلى ملكك وأصل بلادي ببلادك، وتقلد أمري مع أمرك، تريد بذلك الغدر. فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته، وهو يومئذ ببقة من شاطئ الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه، وعرضت عليه، فاجتمع رأيهم على أن يسير إليها فيستولي على ملكها، وكان فيهم قصير، وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة، فخالفهم فيما أشاروا به، وقال: رأي فاتر، وغدر حاضر، فذهبت كلمته مثلا، ثم قال لجذيمة: الرأي أن تكتب إليها، فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل إليك، وإلا لم تمكنها من نفسك، ولم تقع في حبالتها وقد وترتها وقتلت أباها، فلم يوافق جذيمة ما أشار به، فقال قصير:

إني امرؤ لا يميل العجز ترويتي ... إذا أتت دون شيء مرة الوذم

فقال جذيمة: لا، ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح، فذهبت كلمته مثلا، ودعا جذيمة عمرو بن عدي ابن أخته فاستشاره فشجعه على المسير، وقال: إن قومي مع الزباء، ولو قد رأوك صاروا معك، فأحب جذيمة ما قاله، وعصى قصيرا، فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر، فذهبت مثلا، -[٢٣٤]- واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه، وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله، وسار جذيمة في وجوه أصحابه، فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، فلما نزل دعا قصيرا فقال: ما الرأي يا قصير؟ فقال قصير: " ببقة خلفت الرأي، فذهبت مثلا، قال: وما ظنك بالزباء؟ قال: القول رادف، والحزم عثراته تخاف، فذهبت مثلا، واستقبله رسل الزباء بالهدايا والألطاف، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خطب يسير في خطب كبير، فذهبت مثلا، وستلقاك الجيوش، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك، فاركب العصا فإنه لا يشق غباره، فذهبت مثلا، وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى، وإني راكبها ومسايرك عليها، فلقيته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير، ونظر إليه جذيمة على متن العصا موليا فقال: ويل امه حزما على متن العصا، فذهبت مثلا، وجرت به إلى غروب الشمس، ثم نفقت، وقد قطعت أرضا بعيدة، فبنى عليها برجا يقال له: برج العصا، وقالت

العرب: خير ما جاءت به العصا، فذهبت مثلا، وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء، فلما رأته تكشفت فإذا هي مضفورة الاسب، فقالت: يا جذيمة أدأب عروس ترى؟ فذهبت مثلا، فقال جذيمة: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى، فذهبت مثلا. ودعت بالسيف والنطع ثم قالت: إن دماء الملوك شفاء من الكلب، فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت الخمر منه مأخذها، فأمرت براهشيه فقطعا، وقدمت إليه الطست، وقد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه، وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا في القتال تكرمة للملك، فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: دعوا دما ضيعه أهله، فذهبت مثلا، فهلك جذيمة، وجعلت الزباء دمه في ربعة لها، وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة، فقال له قصير: أثائر أنت؟ قال: بل ثائر سائر، فذهبت مثلا، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة مع عمرو بن عدي اللخمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجرمي، فاختلف بينهما قصير -[٢٣٥]- حتى اصطلحا وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو ابن عدي، فقال قصير لعمرو بن عدي: تهيأ واستعد ولا تطلن دم خالك، قال: وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو؟ فذهبت مثلا، وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها، فقالت: أرى هلاكك بسبب غلام مهين، غير أمين، وهو عمرو بن عدي، ولن تموتي بيده، ولكن حتفك بيدك، ومن قبله ما يكون ذلك، فحذرت عمرا، واتخذت لها نفقا من مجلسها الذي كلنت تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها، وقالت: إن فجأني أمر دخلت النفق إلى حصني، ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا وأحسنهم عملا، فجهزته وأحسنت إليه، وقالت: سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنطرا فتخلوا بحشمه وتنضم إليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور، ثم أثبت لي عمرو بن عدي معرفة، فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيئته ولبسته ولونه، فإذا أحكمت ذلك فأقبل إلي، فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزباء، وبلغ من ذلك ما أوصته به، ثم رجع إلى الزباء بعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته وعلمت علمه، فقال قصير لعمرو بن عدي: اجدع أنفي، واضرب ظهري، ودعني وإياها، فقال عمرو: ما أنا بفاعل، وما أنت لذلك مستحقا عندي، فقال قصير: خل عني إذن وخلاك ذم، فذهبت مثلا، فقال له عمرو: فأنت أبصر، فجدع قصير أنفه، وأثر آثارا بظهره، فقالت العرب: لمكر ما جدع قصير أنفه، وفي ذلك يقول المتلمس:

وفي طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير، ورام الموت بالسيف بيهس

ثم خرج قصير كأنه هارب، وأظهر أن عمرا فعل ذلك به، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء، فسار قصير حتى قدم على الزباء، فقيل لها: إن قصيرا بالباب، فأمرت به فأدخل عليها، فإذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب، فقالت: ما الذي أرى بك يا قصير؟ قال: زعم عمرو أني قد غررت خاله، وزينت له المصير إليك، وغششته، ومالأتك ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك وعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك، فأكرمته وأصابت عنده من الحزم والرأي ما أرادت، فلما عرف أنها استرسلت إليه ووثقت به قال: إن لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا -[٢٣٦]- فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزوزها وطرائفها وثيابها وطيبها، وتصيبين في ذلك أرباحا عظاما. وبعض ما لا غنى بالملوك عنه، وكان اكثر ما يطرفها من التمر الصرفان، وكان يعجبها. فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له، ودفعت إليه أموالا وجهزت معه عبيدا، فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق وأتى الحيرة متنكرا، فدخل على عمرو فأخبره الخبر، وقال: جهزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك، فأعطاه حاجته، فرجع بذلك إلى الزباء، فأعجبها ما رأت وسرها، وازدادت به ثقة، وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها، ثم عاد الثالثة وقال لعمرو: اجمع لي ثقات أصحابك وهيئ الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلوه، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف، ففعل عمرو ذلك، وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل، فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء من المتاع والطرائف، وقال لها: آخر البز على القلوص، فأرسلها مثلا، وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به، وقال لها: جئت بما صاء وصمت، فذهبت مثلا، ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا تارزا شديدا ...

فقال قصير في نفسه: بل الرجال قبضا قعودا ...

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها، فضرط، فقال البواب بالرومية بشنب ساقا، يقول: شر في الجوالق فأرسلها مثلا،

فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ودل قصير عمرا على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله، وأرته إياه قبل ذلك، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو على باب النفق، وأقبلت الزباء تريد النفق، فأبصرت عمرا فعرفته بالصورة الت‍ي صورت لها، فمصت خاتمها وكان فيه السم وقالت: بيدي لا بيد ابن عدي، فذهبت كلمتها -[٢٣٧]- مثلا، وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها، وانكفأ راجعا إلى العراق.

وفي بعض الروايات مكان قولها أدأب عروس ترى "أشوار عروس ترى؟ " فقال جذيمة "أرى دأب فاجرة غدور بظراء تفلة" قالت: لا من عدم مواس، ولا من قلة أواس، ولكن شيمة من أناس. فذهبت مثلا.." (١)

"١٤٣٥- دماء الملوك أشفى من الكلب.

أصل الكلب الشدة، وكلبة الشتاء: شدة برده، والكلب الكلب: الذي يكلب بلحوم الناس، ويروى "دماء -[٢٧٢]- الملوك شفاء الكلب" تزعم العرب أن من كان به كلب من عض الكلب الكلب - وهو شيء شبيه بالجنون يعترى من عضة ذلك الكلب - ثم إذا سقي دماء الملوك شفي، ودفع بعض أصحاب المعاني هذا، فقال: معنى المثل أن دم الكريم هو الثأر المنيم، كما قال القائل:

كلب من حس ما قد مسه ... وأفانين فؤاد مختبل

وكما قيل: كلب بضرب جماجم ورقاب ...

قال: فإذا كلب من الغيظ والغضب، فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب، لا أن هناك دما يشرب في الحقيقة.." (٢)

"١٧٣٥- ازددت رغما، ولم تدرك وغما

الرغم: الغيظ، والوغم: الحقد والثأر. يضرب في الخيبة عن الأمل.." (٣)

"٢٠٣٠- أشأم من خوتعة.

وهو أحد بني غفيلة بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة.

ومن حديثه أنه دل كثيف بن عمرو التغلبي [وأصحابه] على بني الزبان الذهلي لترة (الترة - بوزن عدة وصفة

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٣٣/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٧١/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٢٣/١

- **الثأر**، وأصل تائها واو) كانت له عند عمرو بن الزبان، وكان سبب ذلك أن مالك بن كومة الشيباني لقي كثيف بن عمرو في بعض حروبهم، وكان مالك نحيفا قليل اللحم، وكان كثيف ضخما، فلما أراد مالك أسر كثيف اقتحم -[٣٧٨]- كثيف عن فرسه لينزل إليه مالك، فأوجره مالك السنان، وقال: لتسأسرن أو لأقتلنك، فاحتق فيه هو وعمرو بن الزبان، وكلاهما أدركه، فقالا: قد حكمنا كثيفا، يا كثيف من أسرك؟ فقال: لولا مالك بن كومة كنت في أهلي، فلطمه عمرو بن الزبان، فغضب مالك، وقال: تلطم أسيري؟ إن فداءك يا كثيف مائة بعير، وقد جعلتها لك بلطمة عمرو وجهك، وجز ناصيته وأطلقه، فلم يزل كثيف يطلب عمرا باللطمة حتى دل عليه رجل من غفيلة يقال له خوتعة، وقد بدت لهم إبل، فخرج عمرو وإخوته في طلبها فأدركوها فذبحوا حوارا فاشتووه وجلسوا يتغدون، فأتاهم كثيف بضعف عددهم، وأمرهم إذا جلسوا معهم على الغداء أن يكتنف كل رجل منهم رجلان، فمروا بهم مجتازين، فدعوا فأجابهم، فجلسوا كما ائتمروا فلما حسر كثيف عن وجهه العمامة عرفه عمرو، فقال: ياكثيف إن في خدي وفاء من خدك، وما في بكر بن وائل خد أكرم منه، فلا تشب الحرب بيننا وبينك، فقال: كلا بل أقتلك وأقتل إخوتك، قال: فإن كنت فاعلا فأطلق هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب، فإن وراءهم طالبا أطلب مني، يعني أباهم، فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخلاة وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم، فجاءت الناقة والزبان جالس أمام بيته حتى بركت، فقال: يا جارية هذه ناقة عمرو، وقد أبطأ هو وإخوته، فقامت الجارية فجست المخلاة، فقالت: قد أصاب بنوك بيض نعام، فجاءت بها إليه، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت، ثم رؤوس إخوته، فغسلها ووضعها على ترس وقال: آخر البز على القلوص، وقال أبو الندى: معناه هذا آخر عهدي بهم، لا أراهم بعده، فأرسلها مثلا، وضرب الناس بحمل الدهيم المثل، فقالوا: أثقل من حمل الدهيم، فلما أصبح نادى: يا صباحاه، فأتاه قومه، فقال: والله لأحولن بيتي ثم لا أرده إلى حاله الأول حتى أدرك **ثاري**، وأطفى ناري فمكث بذلك حينا لا يدري من أصاب ولده ومن دل عليهم، حتى خبر بذلك، فحلف لا يحرم دم غفلى حتى يدلوه كما دلوا عليه، فجعل يغزو بني غفيلة حتى أثخن فيهم، فبينما هو جالس عند ناره إذ سمع رغاء بعير، فإذا رجل قد نزل عنه حتى أتاه فقال: من أنت؟ فقال: رجل من بني غفيلة، فقال: أنت وقد آن لك، فأرسلها مثلا، فقال: هذه خمسة وأربعون بيتا من بني تغلب بالإقطانتين، يعني موضعا بناحية الرقة، فسار إليهم الزبان -[٣٧٩]- ومعه مالك بن كومة، قال مالك: فنعست على فرسي وكان ذريعا فتقدم بي، فما شعرت إلا وقد كرع في مقراة القوم، فجذبته فمشى على عقبيه فسمعت جارية تقول: ياأبت هل تمشي الخيل

على أعقابها؟ فقال لها أبوها: وما ذاك يا بنية؟ قالت: رأيت الساعة فرسا كرع في المقراة ثم رجع على عقبيه، فقال لها: ارقدي فإني أبغض الجارية الكلوء العين، فلما أصبحوا أتتهم الخيل دواس، أي يتبع بعضها بعضا فقتلوهم جميعا.

قوله " دواس" كذا أورده حمزة في كتابه، والصواب" دوائس" يقال: داستهم الخيل بحوافرها، وأتتهم الخيل دوائس، أي يتبع بعضها بعضا، ووجدت في بعض النسخ يقال: دست الخيل تدس دسا إذا تبع بعضها بعضا، وأنشد:

خيلا تدس إليهم عجلا ... وبنو رحائلها ذوو بصر

أي ذوو حزم." (١)

"٢٠٩٢- صارت الفتيان حمما.

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر وذلك أن بني تميم قتلوا سعد بن هند أخا عمرو بن عبد الملك، فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم، فجمع أهل مملكته فسار إليهم، فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها: إني لأحسبك أعجمية، فقالت لا، والذي أسأله أن يخفض جناحك ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال: فمن أنت؟ قال: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كابرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال: فمن زوجك؟ قالت: هوذة بن جرول، قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت: هذه كلمة أحمق، لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبيني، قال: وأي رجل هو؟ قالت: هذه أحمق من الأولى، أعن هوذة يسأل؟ هو والله طيب العرق، سمين العرق لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، فقال -[٣٩٥]- مرو: أما والله لولا أني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك، فقالت: وأنت والله لا تقتل إلا نساء أعليها ثدي وأسافلها دمي، والله ما أدركت ثأرا، ولا محوت عارا، وما من فعلت هذه به بغافل عنك، ومع اليوم غد، فأمر بإحراقها فلما نظرت إلى النار قالت: ألا فتى مكان عجوز؟ فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد فقالت: هيهات! صارت الفتيان حمما، ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد حتى إذا كان في آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من أنت قال أنا رجل من البراجم؟ قال: فما جاء بك إلينا؟ قال: سطع الدخان، وكنت قد طويت (طوى - بوزن رضى - جاع)

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٧٧/١

منذ أيام فظننته طعاما، فقال عمرو: إن الشقي وافد البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فألقى في النار، فقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره، وإنما أحرق النساء والصبيان، وفي ذلك يقول جرير:

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم ... وأدرك عمارا شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل، قال الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد

بخبز أو بلحم أو بتمر ... أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب الآفاق حولا ... ليأكل رأس لقمان بن عاد." (١)

"٢٢٤٧- أضيع من دم سلاغ.

ويروى بالعين غير معجمة، قال حمزة: هو رجل من عبد القيس، له حديث في مثل آخر" دم سلاغ جبار" قال: وهذان المثلان حكاهما النضر بن شميل في كتابه في الأمثال، قال أبو الندى: قتل سلاغ بحضرموت، فترك دمه وثأره فلم يطلب، فضربت العرب به المثل.." (٢)

"٣٠٤٥- كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم

كانوا في الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثأر الجان، فربما مات قاتله، وربما أصابه خبل، وفي حديث عمر رضي الله عنه، أن رجلا كسر منه عظم فأتى عمر يطلب القود فأبى أن يقيده، فقال الرجل: هو كالأرقم إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم، فقال عمر رضي الله عنه: هو كذلك، يعني نفسه." (٣)

"٣٥٢٧- لا أبوك نشر ولا التراب نفد

قال الأحمر: أصل هذا أن رجلا قال: لو علمت أين قتل أبي لأخذت من تراب موضعه فجعلته على رأسي، فقيل له هذه المقالة، أي أنك لا تدرك بهذا ثأر أبيك ولا تقدر أن تنفد التراب.

يضرب في طلب ما يجدى." (٤)

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٩٤/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٤٢٤/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١٤٥/٢

(٤) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢١٨/٢

"٣٥٣٩- لا تقسط على أبي حبال

كان حبال بن طليحة بن خويلد لقى ثابت بن الأفرم وعكاشة بن محصن، وكان طليحة تنبأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل ثابت وعكاشة حبالا، فجاء الخبر إلى طليحة، فتبعهما وقتلهما، وقال:

فإن تك أذواد أصبن ونسوة ... فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

وما ظنكم بالقوم إذ تقتلونه ... أليسوا وإن لم يسلموا برجال

عشية غادرت ابن أفرم ثاويا ... وعكاشة الغنمى عنه بحال

فلما رأت بنو أسد صنيع طليحة وطلبه بثأر ابنه قالوا: لا تقسط على أبي حبال فذهبت مثلا.

يضرب لمن يحذر جانبه ويخشى وتره.." (١)

"٣٥٤٨- لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية

قاله عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضي الله عنه، فلما يوم الجمل فقئت عين عدى وقتل ابنه بصفين، فقيل له: يا أبا طريف، ألم تزعم أنه لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية؟ فقال: بلى والله، التيس الأعظم قد حبق فيه، قالوا: ولما كان بعد ذلك دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين هجه فإن عنده جوابا، فقال معاوية: أما أنا فلا، ولكن دونك إن شئت، فقال له ابن الزبير: أي يوم فقئت عينك ياعدى، قال: قي اليوم الذي قتل فيه أبوك مدبرا وضربت على قفاك مواليا، فأفحمه.

يضرب المثل في الأمر لا يعبأ به ولا غير له، أي لا يدرك فيه ثأر.

ومثله قولهم:." (٢)

"٣٥٦٣- لا ينام من أثأر

أي من طلب الثأر حرم على نفسه الدعة والنوم.

يضرب في الحث على الطلب.." (٣)

"٤٣٩١- أودى درم

هو درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان.

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٢٢١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٢٢٥

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٢٢٧

قال أبو عمرو: كان النعمان بن المنذر يطلب درما وجعل فيه جعلا لمن جاء به أو دل عليه، فأصابه قوم، فأقبلوا به إليه، فمات في أيديهم قبل أن يبلغوا به إليه فقيل "أودى درم"

يضرب لمن لم يدرك بثأره.." (١)

"٤٥١٩- هذا التصافي لا تصافي المحلب

قال أبو عمرو بن العلاء: خرج رجلان من هذيل بن مدركة ليغيرا على فهم على أرجلها، فأتيا بلاد فهم فأغارا، فقتلا رجلا من فهم، ونذر بهما، فأخذ عليهما الطريق فأسرا جميعا، فقيل لهما: أيكما قتل صاحبنا؟ فقال الشيخ: أنا قتلته وأنا الثأر المنيم، وقال الشاب: أنا قتلته دون هذا الشيخ الهم الفاني، وأنا الشاب المقتبل الشباب، وأنا لكم الثأر المنيم، فقتلوا الشيخ بصاحبهم، وطمعوا في فداء الشاب، فقال رجل من فهم: هذا التصافي لا تصافي المحلب، ويروى "المشعل" وهو إناء ينبذ فيه، أي هذه المصافاة لا مصافاة المؤاكلة والمشاربة.

يضرب في كرم الإخاء.." (٢)

"الأزارقة بتوج «١» فأكرمه وأنزله على ابنه حبيب «٢» ، وقال له أحسن قراه «٣» ، فبينا هما في بستان إذ غنت حمامة على فنن، فطرب لها زياد، فقال له حبيب: إنها فاقدة إلف كنت أراه معها، فقال زياد: هو أشد لشوقها، وأنشأ يقول:

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تضاري «٤»

فإنك كلما غردت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فأما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ودعا بجلاهق «٥» فرماها، فسقطت ميتة «٦» ، فنهض زياد مغضبا وقال: أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري، فشكا إلي." (٣)

"إن كان يجزى بالخير فاعله ... شرا ويجزى المسيء بالحسن

فويل تالي القرآن في ظلم الليل وطوبى لعابد الوثن.

٢٣- نفيع بن صفار الكوفي «١» للأخطل:

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٦٩/٢

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٩١/٢

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٤١/١

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا ... ولكن بأطراف المثقفة السمر «٢»

قتلتم عميرا لا تعدون غيره ... وكم قد قتلنا من عمير ومن عمرو

إذا أكره الخطي فيهم تجشأوا ... شريحين من لحم الخنازير والخمر «٣»

٢٤- الحصين بن الحارث العدوي «٤» :

لعل الله يمكن من سليم ... تميما والدوائر قد تدور

فندرك ثأرنا منهم ونشفى ... أحاحا قد تضمنه الصدور «٥»

٢٥- عمرو بن العاص:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصرا فأربح صفقة ... أخذت بها شيخا يضر وينفع

٢٦- قدم المعذل البكري «٦» على المهلب «٧» فقال لمن حضره: يا معشر الأزد هذا الذي يقول:

جزى الله فتيان العتيك وإن نأت ... بي الدار عنهم خير ما كان جازيا «٨»." (١)

"وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فقال له عمرو صدقت، تمدح العرب بالوعد دون الإيعاد وتمدح بالوفاء بهما لتصرف المعاني وأنشد:

إن أبا خالد لمجتمع الرأ ... ي شريف الأفعال والبيت

لا يخلف الوعد والوعيد ولا ... يبيت من ثأره على فوت

٢٥- وأنشد السيرافي «١» لأبي وجزة السعدي «٢» في نحو ذلك:

صدق إذا وعد الرجال وأوعدوا ... فأحث بادرة وأوفى موعد

٢٦- ولبعض الأسديين وهو جاهلي:

أنا الصاب إن شورست يوما وأنني ... جنى النحل إن سومحت إلا لآكل «٣»

بسيط يد بالعرف والنكر إن أقل ... بوعد وإيعاد أقل قول عاسل

صؤول على الصعب المنوع وممسك ... عرامي على الواهي القوي المتضائل «٤»

إذا سنة حالت بأزم تلقحت ... بمعروفنا حتى ترى غير حائل «٥»

٢٧- قالت عجوز لزوجها: أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب؟

---

(١) ربيع الأبرار و نصوص الأخيار الزمخشري ١١/٢

قال: أما حلال فنعم، وأما طيب فلا.

٢٨- قيل لمزبد «٦» : هل في بيتك دقيق؟ قال: لا، ولا جليل.

٢٩- قال رجل لغلامه: هات الطبق، واغلق الباب، قال: هذا." (١)

"تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسنا «١» فزده

ستكفى من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو فلا تكده

٢٥- كانت جليلة بنت مرة «٢» أخت جساس «٣» تحت كليب «٤» فقتل أخوها زوجها، وهي حبلى بهجرس بن كليب «٥» ، فلما شب قال لها:

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي ... أمثل أمري بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة ... إذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال:

يا للرجال لقلب ماله آسي ... كيف العزاء وثاري عند جساس «٦»

ثم قتله وقال:

ألم تربي ثأرت أبي كليبا ... وقد يرجى المرشح للذحول «٧»." (٢)

"١١- قيل لأعرابي: ما بلغ حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك.

١٢- سأل الرشيد رجلا فقال: ما أشد ما يكون من العشق؟ قال: أن تكون ريح البصل منه أحب إليك من ريح المسك من غيره.

١٣- عن عمر بن أبي ربيعة المخزومي: أن نعم التي يقول فيها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

اغتسلت عند غدير فأقام يشرب منه حتى جف.

١٤- رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها، فوثب عليه وآذاه، ثم أتى مكة وفيها جميل، فقيل له: دونك شبيبا فاثأر منه، فقال:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٥٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٣٧١

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

١٥- كتبت كتبت للمتوكل على جبينها: هذا ما عمل في طراز الله، فتنة لعباد الله.

١٦- أنشد الأخفش لحداد بسر من رأى:

مطارق الشوق منها في الحشا أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ... ومبرد الحزن لا يبقي ولا يذر

١٧- عبد الله بن عجلان النهدي »١« أحد العشاق المذكورين، تزوجت عشيقته فرأى أثر كفها على ثوب زوجها، فمات كمدا.

١٨- أهدى أبو العتاهية للمهدي برنية «٢» فيها ثوب مطيب، قد كتب في حواشيه:." (١)

"٢٠٠- ذكر أعرابي رجلا توانى في درك ثأره، فقال: كيف يدرك ثأره وفي صدره من البلغم حشو مرفقة؟ والبلغماني يكون سمينا بطينا.

٢٠١- جعفر بن سليمان الهاشمي كان لنا ظبي فذبحناه وسلخناه، فإذا جسده قد شرق بالدم، فقال لنا داود الطبيب: هكذا جسد المتخم ولكن لا يراه.

٢٠٢- افتصد «١» المأمون فسرح والتحم، وعنده بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل، فطلب الحيلة، فاعتزلوا ليتناظروا. فقال المأمون لأسود قائم على رأسه: مص موضع الفصد، ففعل، فخرج الدم. فقالوا: لو نشر بقراط «٢» وجالينوس ما زادا على هذا.

٢٠٣- صدع «٣» المأمون بطرسوس فلم ينفعه علاج، فوجه إليه قيصر قلنسوة وكتب: بلغني صداعك فضعها على رأسك يسكن. فخاف أن تكون مسمومة، فوضعها على رأس حاملها فلم تضره، ثم وضعت على رأس مصدع فسكن، فوضعها على رأسه فسكن فتعجب، ففتقت فإذا فيها رق فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، كم من نعمة في عرق ساكن، حم عسق ر‌ا يصدعون عنها ولا ينزفون، من كلام الرحمن خمدت النيران، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجال نفع الدواء فيك كما ... يجول ماء الربيع في الغصن

٢٠٤- أسامة بن زيد رفعه: إن الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه،

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤٣٠/٣

وإذا وقع في أرض فلا تخرجوا فرارا منه.

٢٠٥- الهزيمي:." (١)

"عند الكدر فرحا به، لأنه يرى فيه شخصه فيفزعه ولا يراه في الكدر، كما أن الإبل لا يعجبها إلا الماء الغليظ. وأما الثور فيجب الماء الصافي.

٢٤- كان يقال لعبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب رواض البغال، لأنه كان ركابا لها. قال له صفوان بن عمرو بن الأهتم: مالك ولهذا المركب الذي لا يدرك عليه الثأر، ولا ينجيك يوم الفرار؟ فقال: إنه نزل عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلة العير، «١» وخير الأمور أوساطها. فقال صفوان: إنا نعلمكم فإذا علمتم تعلمنا منكم.

٢٥- بعضهم: إذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق ثجدة في نجابها، مشرفة الهادي تجده في طاعتها، مجفرة الجوف تجده في صبرها.

٢٦- رأيتك على عير لئيم، ثم رأيتك قد أدمت ركوب هذه البغلة.

فقال: البغال أعدل، وسيرها أقصد.

٢٧- كانت لابن سيرين بغلتان، بغلة لخاصة نفسه وبغلة للعارية.

٢٨- الهدايا النفسية والطرف العجيبة التي أهدته، بلقيس إلى سليمان عليه السلام إنما كانت على البغال الشهب.

٢٩- نظر أعرابي إلى بغل قد تفاج «٢» ليبول فاستحثه صاحبه، فقال:

إنها إحدى الغوائل قطع الله منك الوتين «٣» .

٣٠- ابن خازم الباهلي:

مالي رأيتك لا تدو ... م على المودة للرجال

خلق جديد كل يو ... م مثل أخلاق البغال." (٢)

"١٨- والحية إذا خدشت طلبها الذر «١» فلا تكاد تنجو منه.

١٩- وإذا عض الإنسان الكلب طلبه الفأر فبال عليه، وفيه هلكته، فيحتال له بكل حيلة وإذا أغد «٢»

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٦٦/٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٥٤/٥

البعير طلبته القردان.

٢٠- في صفة الذئب:

هو الخبيث عينه فزاره ... أطلس يخفي شره غباره

في رأسه شفرته وناره ... بهما بنو محارب مزداره

٢١- حميد بن ثور:

ترى طرفيه يعملان كلاهما ... كما اهتز عود الساسم المتتابع «٣»

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

٢٢- يزعمون أن النمرة لا تضع ولدها إلا وهو متطوق بأفعى، وأنها تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل.

٢٣- خلا معاوية بجارية له خراسانية، فلما هم بها نظر إلى وصيفة له مقبلة، فتركها وخلا بالوصيفة. ثم قال للخراسانية: ما اسم الأسد بالفارسية؟ قالت: كفتار. فخرج وهو يقول: أنا الكفتار. فقيل له: يا أمير المؤمنين، الكفتار الضبع، فقال: قاتلها الله! أدركت **ثأرها**. والفرس إذا استقبحت صورة قالت: روى كفتار.

٢٤-كتب عمر بن يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة بن مسلم حين." (١)

"١٣١ - أتية من أحمق ثقيف هو يوسف بن عمر أمير العراقين وهو أحمق عربي أمر ونهى في دولة الإسلام يحكى أن حجاما اراد أن يشرطه فارتعدت يداه فقال لحاجبه والحجام قائم على رأسه قل لهذا البائس لا تخف وكان قصيرا جدا فكان إذا استزاده الخياط ثوبا أكرمه وإذا أفضل شيئا أهانه

الهمزة مع الثاء

١٣٢ - **اثأر** من قصير هو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الأبرش وقصته مع الزباء الملكة مشهورة

١٣٣ - أثبت من أصم رأس يراد به الجبل

١٣٤ - فى الدار من الجدار

١٣٥ - من الوشم هو الذي ينقش به اليد

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٧٨/٥

١٣٦ – من قراد يثبت في جلد البعير لا يفارقه

١٣٧ – أثر الصرار يأتي دون الذيار هو سرقين يطلى به خلف الناقة." (١)

"(الرمل)

(ويشوم الغشم والبغي قديما ... ما خلا جوف ولم يبق حمار)

٣٧٨ – اخرق من امة

٣٧٩ – .. من حمامة قد مرت قصتها في فصل الهمزة مع الحاء

٣٨٠ – .. من صبي

٣٨١ – .. من ناكثة غزلها هي ام ريطة القرشية المعنية بقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾

٣٨٢ – اخزى من ذات النحيين من الخزي او من الخزاية وهذه امرأة من تيم الله بن ثعلبة اتاها خوات بن جبير الأنصاري في الجاهلية يبتاع منها السمن ففتح نحيا فلم يرضه فأمسكته بيدها ففتح الأخرى فذافه وأمسكته باليد الأخرى ففجر بها ولم تدفعه خوفا على السمن ويحكى ان ام الدرداء العجلانية طلبت **بثأرها** فشغلت يدى بايع سمن بسوق يسمى خربة باليمامة وبزقت فى استه وصفنتها بقدمها صفنات وكانت تقول يا **لثأرات** ذات النحيين يا **لثأرات** النساء عند الرجال يا **لثأرات** الهذلية عند خوات وعن." (٢)

"الهمزة مع الزاى

٥٨٠ – إزددت رغما ولم تدرك وغما الرغم الذل والوغم **الثأر** يضرب مثلا لمن يسعى في امر فلا تنجح مسعاته ولا يخرج منه سالما كما أخذ فيه

٥٨١ – ازكن من إياس اي أفطن رأى اثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير اعور فكان كما قال فقيل له من أين قلت فقال لأني وجدت اعتلافه من جهة واحدة وسمع نباح كلب فقال هذا كلب مربوط على شفير بئر لأن لنباحه دويا من مكان واحد وبعده صدى يجيبه فكان كما قال وهو إياس بن معاوية المزني تولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز سنة وقد كسر المدائني على نوادره كتابا سماه زكن إياس

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١/٤٠

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١/٩٩

٥٨٢ - إزلام المعيدي ونفر اى ارتفع وأصله أن مياد بن حن ابن ربيعة نافر رجلا من اليمن فتحاكما الى حكم عكاظ فقال الحكم ذلك وقضى لمياد على اليمانى يضرب للمبهوت المغلب." (١)

"ليقول أنتم مقيمون لا تطلبون بثأركم

٨٣٠ - اصبرا ولضبي قتل شتير بن خالد ابنا لضرار بن عمرو الضبي ثم اسره ضرارا فقال له اختر خلة من ثلاث ترد علي ابنى قال قد علمت أني لا أحيي الموتى قال فتدفع إلى ابنك فأقتله بابني قال لا يرضى بنو عامر بأن يدفعوا فارسا مقتبلا بشيخ أعور هامه اليوم أو غد قال فأقتلك قال أما هذه فنعم فأمر ابنه أدهم أن يقتله فنادى شتير يا لعامر اصبرا ولضبي يريد أأصبر صبرا ولضبي يضرب في حلول البلاء بالشريف من الوضيع

٨٣١ - إصبري بألم ما تختننه ما مزيدة والهاء للسكت يقال ذلك للتي تخفض أي لا يخلو الختان من ألم فوطني نفسك عليه يضرب فيمن وقع في أمر لا بد له منه

٨٣٢ - اصح من بيض النعام يقال فى العذارى ويراد سلامتهن من الملامسة والافتضاض قال الفرزدق (الوافر)

(خرجن إلي لم يطمثن قبلي ... وهن اصح من بيض النعام)

(فبتن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختام)." (٢)

"ولا تنتظف يقال رجل طفس وامرأة طفسة والعفر ذكر الخنازير عن أبن الأعرابي

٩٣٨ - اطفل من ذباب

٩٣٩ - من شيب على شباب

٩٤٠ - من ليل على نهار

٩٤١ - أطلب تظفر يضرب في التصميم على طلب الشيء وأن الحصول عليه يتبعه لا محالة

٩٤٢ - ذاك وخلاك ذم أى جاوزك ولم يلزمك قاله قصير لعمرو بن عدي حين قال له كيف أقدر على أخذ الثأر من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو أي أطلب الحاجة باذلا جهدك في طلبها ولا عليك إذا لم يقض يضرب في نفي الذم عمن أعذر فى الطلب وإن لم يظفر

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١٤٨/١

(٢) ا لمستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢٠٤/١

٩٤٣ - اطمع من اشعب هو رجل من اهل المدينة كان يقال له أشعب الطماع والنوادر فى بابه جمة فقيل له هل رأيت أطمع منك قال." (١)

"عن نفسك فقال ذلك يضرب للمدافع عن نفسه

١٣٠٦ - البئر ابقى من الرشاء

١٣٠٧ - البادي اظلم أي من بدأ بالظلم فهو أظلم من المجازى به لأنه سبب تهيجه

١٣٠٨ - إلبس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها قال بيهس حين شق قميصه فغطى به راسه وكشف استه بعد قتل إخوته وإنما أراد أنه افتضح بقتلهم وأنه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنع راسه واسته مكشوفة يضرب في تلقى كل حال بما يليق بها والمعنى أنه فعل ذلك بمحضر من معاريف قاتلي إخوته ليبلغهم أنه مجنون ما به طلب الثأر فيقع الأمن منه

١٣٠٩ - البضاعة تيسر الحاجة يضرب للمصانعة بالمال لطلب الحاجة

١٣١٠ - البطنة تذهب الفطنة يضرب فى ذم الرغب والشره قال الأعشى

(الخفيف)

(يا بني منذر بن عبدان ... والبطنة يوما تسفه الأحلاما)." (٢)

"(الطويل)

(بني عامر لم تثأروا بأخيكم ... ولكن رضيتم باللقاح وبالجزر)

(إذا عطفت وسط البيوت احتلبتم ... لها لبنا محضا أمر من الصبر)

يقول إذا كانت الألبان عوضا من الدماء فهي والله أمر من الصبر

١٥٦٤ - امر من العلقم

١٥٦٥ - ٠ من المقر هو الصبر وقيل السم قال

(الرمل)

(إنما ماؤك صاب ومقر ...)

١٥٦٦ - امرعت فانزل يقال لطالب الحاجة أي أصبت حاجتك فانزل ويروى اعشبت انزل قال ابو النجم

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢٢٤/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٣٠٤/١

(الرجز)

(يقول لي الرائد أعشبت انزل ...)

١٥٦٧ - امرع واديه واجنى حلبه هو نبت وإجناؤه ظهور جناه يضرب لمن اتسع أمره واستغنى." (١)

"على ثقة

٢٩١ - دعنى وخلاك ذم أي جاوزك قاله تصير لعمرو حين استبعد ما وعده من طلب ثأر جذيمة قال عبد الله بن رواحة

(الوافر)

(إذا أديتني وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء)

(فشأنك فارتعى وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى وراع)

الدال مع القاف

٢٩٢ - دقك بالمنحاز حب القلقل بقافين مكسورتين حب شاق المدق عن الأصمعى وعن ابى الهيثم حب القلقل من يدقه إنما أراد حب الفلفل الذى يدق فيجعل في الأمراق يضرب في الإلحاح على الشحيح

الدال مع اللام

٢٩٣ - دلكت براح هى علم للشمس بوزن قطام مبنية على الكسر وقد تعرب غير منصرفة فيقال دلكت براح بالرفع يضرب فى اشتداد الأمر وأصله أن ترتفع غبرة الحرب حتى تسد عين الشمس." (٢)

"ثيابه وقال ما يساجلك إلا من عض بأير ابيه

٣٩٧ - سال الوادى فذره يضرب للمفرط فى الأمر شبه إفراطه بامتلاء الوادى وسيلانه

٣٩٨ - ٠٠ قضيب بماء وحديد لما ملك عمرو بن هند بعد أبيه المنذر ابن امرىء القيس استعمل إخوته من امه المنذر ومالكا وقابوسا وقطع عمرو بن أمامة أخاه من أبيه فلحق باليمامة فاستجد ملكها فأنجده بمراد فسيرهم حتى نزل واديا اسمه قضيب فتلاوموا بينهم وقالوا تركتم أموالكم ودياركم وعشائركم وتبعتم هذا الأنكد فنمارض منهم هبيرة بن عبد يغوث وشرب ماء الرفة فاصفر لونه فبعث إليه عمرو بن أمامة طبيبا فشرب ماء

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٣٦٤/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٨٠/٢

المغرة فلما دخل عليه الطبيب جعل يمجه فكشح بطنه فسمى المكشوح ثم أخبر عمروا بمرضه فلما اطمأن عمرو سار إليه وثأر به من تلك الليلة ولم يشعر به حتى أحاطوا به وقد أعرس بجارية من مراد وسمعت أم ولده الغسانية بجلبة الخيل فقالت ذلك ويروى لقد سال قضيب حديدا وجاءتك مراد وفودا فقال لها أنت غيرى تغرة وهى التى تغلى من الغية ى كأنها قدر فتمثل بكلمتيهما ثم قام عمرو بسيفه فكشفهم ولحقوا ببلادهم يضرب." (١)

"٧٥٠ - كلفتنى بيض السمائم هى جمع سمامة وهى طائر كالخطاف لا يقدر لها على بيض

٧٥١ - كلفتنى مخ البعوض قال ابن أحمر

(الرجز)

(كلفتنى مخ البعوض فقد ... أقصرت لا نجح ولا عذر)

تضرب ثلاثتها فى تكليف ما لا يطاق

٧٥٢ - كل اداة الخبز عندى غيره أصله أن رجلا استضافه قوم فطرح الرحا على نطع وسوى قطبها وأطبقها فتعجبوا من حضور آلته ثم أخذ يديرها لغير شيء فقالوا له ما تصنع فقال ذلك يضرب عند إعواز الشيء

٧٥٣ - ٠٠ ازب نفور كان عند زهير بن جذيمة العبسى ثأر لخالد بن جعفر ابن كلاب فكان زهير يوما فى هله ومعه أخوه أسيد وكان أزب فرأى." (٢)

"٨١٢ - لامدن غضنك أى لأطيلن عناءك قال رؤبة

(الرجز)

(أريت إن سقنا سياقا حسنا ... يمد من آباطهن الغضنا)

(أنازل أنت فخابز لنا ...)

٨١٣ - لامر ما حز قصير انفه وهو قصير بن سعد آخذ ثأر جذيمة قال المتلمس

(الطويل)

(ومن حذر الأيام ما حز أنفه ... قصير ورام الموت بالسيف بيهس)

٨١٤ - ٠٠ ما يسود من يسود قال

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١١٤/٢

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢٢٣/٢

(الوافر)

(عزمت على إقامة ذى صباح ... لأمر ما يسود من يسود)

٨١٥ - لامك الحلق ولعينك العبر الحق اسم من حلق الشعر يضرب فى دعاء السوء." [١]

"٨٦٦ - لا تبطر صاحبك ذرعه انتصب ذرعه على البدل أى لا تدهش طاقة صاحبك والمعنى لا تكلفه ما لا يطيق يضرب فى النهى عن التثقيل على الناس

٨٦٧ - لا تبق إلا على نفسك يضرب فى توعد الرجل صاحبه أى اجهد جهدك

٨٦٨ - لا تبل فى قليب شربت منه يضرب فى النهى عن ذم المنعم

٨٦٩ - لا تجعل حاجتى منك بظهر أى لا تجعلها خلفك فتنساها

٨٧٠ - شما لك جردبانا هو من قوله

(الوافر)

(إذا ما كنت فى قوم شهادى ... فلا تجعل شمالك جردبانا)

هو الذى يستر الطعام لئلا يراه الناس يقال جردب على الطعام يضرب فى الشره

٨٧١ - لا تحبق فى هذا الامر عناق حولية من الحبق وهو الضراط يضرب للأمر الذى لا يكون له تغيير ولا يدرك به ثأر ومنه ما يحكى عن عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضى الله عنه ففقئت عينه يوم الجمل." [٢]

"٩٦٢ - لا ينتصف حليم من جهول يضرب فى غلبة ذى الجهل ذا العقل يعجزه مسافهته

٩٦٣ - لا ينتطح فيها عنزان يضرب للأمر الذى لا غير له ولا يدرك به ثأر

٩٦٤ - لا ينفعك من جار سوء توق

٩٦٥ - ٠٠ من ردى حذار

٩٦٦ - لا ينفعك من زاد تبقى أى إن بقيته فسد وتغير يضرب فى الحض على الجود

اللام مع الباء

٩٦٧ - لبث قليلا يلحق الحلائب قال الأصمعى حلائب الرجل أنصاره من بنى عمه خاصة قال

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢/٢٤٠

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢/٢٥٣

(الطويل)

(ونحن غداة الحرب لما دعوتنا ... منعناك إذ ثابت عليك الحلائب)." (١)

"(الرجز)

(هذا أحق منزل بالترك ... الذئب يعوى والغراب يبكى)

قال شمر أنشدنيه أعرابى نميرى فقلت له أى منزل هذا فقال مغيث ما وإن ماءه ملح ولا مرتع حوله

١٤١٥ – هذا اوان الشد فاشتدى زيم هو اسم فرس أى هذا وقت العدو فاستفرغى جهدك يضرب فى الأمر بالجد والانكماش وقد تمثل به الحجاج حين ازعج الناس لقتال الخوارج

١٤١٦ – التصافى لا تصافى المشجب هو خشبات موثقة تنصب فتنشر عليها الثياب وأصله أن رجلين من هذيل أسرا وهما مطلوبان بدم فقال اكبرهما أنا الثأر المنيم فاتركوا هذا الغر البرى وقال الشاب بل أنا مقتبل الشباب فما تريدون من هذا الشيخ الفانى فقيل لهما ذلك يضرب فى التصافى بين الأخلاء

١٤١٧ – برض من عد البرض الماء القليل والعد الدائم الذى." (٢)

"المبلولة بالبر. وهي أم من أمهات الآثام نثور غير نزور ولادة بنات كلهن نثور، فعليك أن تمحض منها التوبة. وتذكر ما جرى بين ثور وتوبه حين استعر بينهما اللحاء وجرد العوفي للخفاجي العصا على اللحاء. فثار عليه بفظاظته وعنفه، وجرحه تحت البيضة بجرزه على انفه واستجر بذلك على حلمة ثديه تحت مرفع ترسه رشقة خفاجية أتت على نفسه، ثم ركب السليل سليل بن أبي سمعان، الفتى السياف الطعان، وهو يمسح بحوافر خيله نجدا بعد غور. طلابا لثأر أبيه ثور، حتى أصاب ببيت هند من كبد المضجع. ما أصاب ابن الحمير من سوء المصرع لا تملك لأخيك نصرا عند الاستنصار.." (٣)

"قيس فأثأره المنصور بصره وقال لا يعز ملك فيه مثل هذا ثم قتله فلما حمل رأسه إليه قال للحرسي أترى إلى طينة رأسه ما اعظمها فقال الحرسي طينة أمانه أعظم من طينة رأسه. قوله لم تجد لم تسمح بالبكاء وجمود قليلة الدمع يقال عين جامدة وجمود وسنة جماد قليلة القطر وعشية بدل من قوله يوم واسط وأسماء الزمان تضاف إلى الأفعال وهو تحديد وتوقيت ومعنى قيام النائحات تهيؤها للنوح كما تقول قامت السوق

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢/٢٧٧

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٢/٣٨٥

(٣) مقامات الزمخشري الزمخشري ص/٢٤٧

والجيوب جمع جيب والفعل منه جبت القميص إذا قورت جيبه وجيبته إذا عملت له جيبا وقال سلمت جبت القميص وجبته وأنشد لأبي حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع:

رمته أناة من ربيعة عامر ... نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

فجاء كخوط البان لا متتابع ... ولكن بسيما ذي وقار وميسم

فقلن لها سرا فديناك لا يرح ... صحيحا وإلآ تقتليه فألمي

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين كف ومعصم

وقالت فلما أفرغت في فؤاده ... وعينيه منها السحر قلن له قم

فود بجدع الأنف لو أن صحبه ... تنادوا وقالوا في المناخ له نم

قوله رمته أي رمته بنظرها إليه والأناة المرأة التي فيها فتور عند القيام وأصلها ونأة من الونى وهو الفتور والكسل والواو المفتوحة لم تزل منها الهمزة إلا في أحرف يسيرة هذا أحدها وقد يجوز أن تكون أناة من التأني وهو التمكث وربيعة بن عامر بن صعصعة أخو نمير ووصفها برقاد الضحى لأنها مكفية مكرمة تخدم ولا تخدم والخوط الغصن والبان شجر شبه به الشباب الناعم وخص البان لأن قضبانه أحسن القضبان في الطول والاستواء والمتتايع الذي يتهافت على أمر ليس بالحميد وموضع كخوط نصب على الحال ولا متتايع ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال لا هو متتايع ولكن استدراك بعد نفي أي جاء غير متتايع ولكن بهذه السيما وهي العلامة والمسيم الحسن وأثر الجمال يقول نحل لما رمته فصار كأنه خوط بان قضافة ونـ؏افة ومع ذلك كان وقورا موسوما بالحسن والجمال. وقلن لها أي قالت النسوة التي حوالي هذه المرأة لها وقوله سرا يجوز أن يكون مصدرا في موضع الأمر كأنه قال ساريه مسارة فوقع السر موقع المسارة فيكون على هذا لا يرح جواب الأمر الذي دل عليه سرا ويجوز أن يكون سرا مصدرا في موضع الحال ويكون لا." (١)

"أرق الشعر فغير صحيح وأخبرني ابن أيوب بإسناده عن ابن الكلبي أنه قال إنما سمي مهلهلا ببيت قاله وهو:

لما توقل في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا

وكان مهلهل جاهليا. قال أبو محمد " حفص زبيل من جلود " لم يسم الرجل حفصا بالزبيل وإنما سمى باسم الأسد لأنه يدعى حفصا كما يسمى أسدا وبه كني عمر رضي الله عنه قال ثعلب ومدح رجل رجلا فقال "

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٩٤

وإن حفصا كحفص الضيغم العادي " قال أراد كحفص فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويقال لولد الأسد حفص. الأخطل سمي بذلك من قولك خطل في كلامه يخطل خطلا إذا كان مضطرب الكلام مفوها لا من الخطل الذي هو استرخاء الأذن كما ذكر أبو محمد. وقريش قيل سميت قريشا لتقرشها أي لتجمعها إلى مكة من حواليها حين غلب عليها قصي ابن كلاب وقيل سميت قريشا لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع والقرش الكسب وروى عن ابن عباس أنه قال قريش دابة تسكن البحر وأنشد في ذلك:

وقريش هي التي تسكن البح ر بها سميت قريش قريشا

العاتكة التي قد عتك بها الطيب وقال قوم العاتكة من النساء الطاهرة وقد حكى عتك عليهم بالسيف إذا حمل عليهم وعتك في أمره إذا جد فيمكن أن يكون اشتقاق عاتكة من هذا كله. رؤبة في الكلام خمسة أشياء أخبرنا ابن بندار عن محمد بن عبد الواحد عن أبي سعيد عن ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال الأصمعي أخبرني يونس قال كنت في حلقة أبي عمرو بن العلاء فجاء شبيل بن عزرة الضبعي فتزحزح له أبو عمرو وألقى له لبد بغلته فجلس فقال ألا تعجبون من رؤيتكم هذا سألته عن اشتقاق أسمع لم يدر ما هو قال يونس فما تمالكت إذ ذكر رؤبة أن قمت فجلست بين يديه فقلت لعلك تظن أن معد بن عدنان كان أفصح من رؤبة أنا غلام رؤبة ما الروبة والروبة والروبة والروبة والرؤبة قال ثم فسره لنا يونس فقال الروبة الحاجة يقال قمت بروبة أهلي أي بحاجتهم والروبة حمام الفحل يقال أعرني روبة فحلك أي جمامه." (١)

"جلود سود يقول كأنه قد ألبس سراويل من الارندج لسواد قوائمه والناعجات البقر لبياضهن والملاء جمع ملاءة وهي الريطة وقال

فهن يعكفن به إذا حجا ... عكف النبيط يلعبون الفنزجا

يوم خراج يخرج السمرجا يعكفن أي يقبلن عليه والعكف إقبالك على الشيء لا تصرف عنه وجهك وحجا وقف يقول هذا البقر يقبلن على الثور إذا وقف لا يصرفن وجوههن عنه والنبيط النبط وقال ابن الأعرابي الفنزج لعب النبيط إذا بطروا وقال الأصمعي الفنزج النزوان. وقال:

مياحة تميع مشيا رهوجا ... تدافع السيل إذا تعمجا

يصف امرأة والمياحة التي تختال في مشيتها وتتثنى والرهوج السهل من المشي والتعمج التلوي يقول هي تتلوى وتتثنى كما يتلوى السيل ونصب مشيا على المصدر لأن يمتج بمعنى تمشي مشيا سهلا مثل تدافع السيل متلويا.

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/١٢٨

وقال:

وصاح خاشى شرها وهجهجا ... وكان ما اهتض الجحاف بهرجا

يصف حربا يقول صاح من خشي هذه الحرب جنبا وفرقا وقوله هجهجا أي زجر واهتض كسر والجحاف والتجاحف في القتال تناول القوم بعضهم بعضا بالسيوف والعصي يقول كان ما كسرت المجاحفة في الحرب من القتل وغيره بهرجا أي باطلا لا يثأر من قتل.

وأنشد للنابغة الذبياني ويروى لأوس بن حجر:

هل تبلغينهم حرف مصرمة ... أجد الفقار وإدلاج وتهجير

قد عربت نصف حول أشهرا جددا ... يسفى على رحلها بالحيرة المور

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها ... من الفصافص بالنمي سفسير

الحرف الناقة الضامر شبهت بحرف الكتابة وقيل شبهت بحرف الجبل وقيل سميت حرفا لانحرافها من السمن إلى الهزال والمصرمة التي لا لبن بها وإذا لم يكن بها لبن كان أقوى لها وإلا جد الموثوقة الخلق والفقار خرز الظهر الواحدة فقارة والأدلاج سير الليل والتهجير سير نصف النهار وعريت تركت من الركوب ويروى." (١)

"فنظرت والكناس بيت الوحشي وسمي كناسا لأنه يكنس الرمل حتى يصل إلى برد الثرى وجمعه كنس وكنس والسبات جمع سبة وهي البرهة من الدهر ويروى ذكرك أحيانا.

وأنشد أبو محمد:

لعمرك أن المس من أم جابر ... الي وإن باشرتها لبغيض

المباشرة الصاق البشرة وهي ظاهر الجلد بالبشرة والمباشرة يكنى بها عن النكاح والمس اللمس باليدين ويكنى به أيضا عن النكاح والبيت يحتمل المعنيين. قال أبو محمد في عن مكان على وأنشد لذي الإصبع بيتا قبله:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب ... عني ولا انت دياني فتخزوني

حيث في موضع نصب يريد أضرب من رأسك ذلك الموضع وكانوا يقولون أن المقتول إذا لم يدرك بثأره خرج من رأسه هامة تقول اسقوني اسقوني فإذا قتل قاتله أمسكت وقيل معناه ألا تدع شتمي أضربك على هامتك حيث تعطش والعرب تقول العطش في الرأس قال قد علمت إني مروى هامها وقوله لاه ابن عمك فحذف

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٤٩

لام الجر ولام التعريف وابن عمك مبتدأ ولله خبره والكلام تعجب وتفخيم ولا أفضلت في حسب أي لم تفضلني في حسب فتستطيل علي ويقال أفضل عليه إذا ناله من فضله وأحسن إليه وأفضل من كذا ترك منه شيئا وأفضل عنه أتى بفضل دونه وذاهبا عنه وإنما قيل هذا لأن عن لما عدا الشيء منصرفا عنه وقوله ولا أنت دياني فتخزوني أي ولا أنت مالك أمري فتسوسني يقال دنته أي ملكته وخزوته سسته وقهرته وروى أحمد بن عبيد لاه ابن عمك على الخفض وقال هو قسم المعنى ورب ابن عمك وقوله لا أفضلت جواب القسم. وأنشد لقيس بن الخطيم:

صبحناهم الآطام حول مزاحم ... قوانس أولى بيضنا كالكواكب

لو أنك تلقي حنظلا فوق بيضنا ... تدحرج عن ذي سامه المتقارب." (١)

"ثؤرة وهي الثأر أي آملون أن يثأر بمن قتلت الخوارج من المسلمسن وآل صعفوق من الخوارج وأشياعهم أتباعهم ويقال لبني صعفوق الصعافقة وصعفوق لا ينصرف لأنه أعجمي وقد تكلمت به العرب مفتوح الأول. قال أبو محمد قال سيبويه قد جاء فعلاء بفتح العين في الأسماء دون الصفات قالوا قرماء وجنفاء وهما مكانان وأنشد:

رحلت إليك من جنفاء حتى ... أنخت فناء بيتك بالمطالي

وأنشد: كأن حوافر النحام لما تروح صحبتي أصلا محار

على قر ماء عالية شواه ... كأن بياض غرته خمار

المطالي قال أبو علي واحدها مطلاء زعموا قال وهذا في الأماكن مثل قولهم محلال والمطالي إلى جنب النباج وقال غيره إنما أراد المطلاء فجمعها بما حولها وهو واد في بلاد بني أبي بكر بن كلاب. وقول الآخر كأن حوافر النحام هو سليك بن السلكة السعدى والنحام اسم فرسه وكان فرسه مات في هذا الموضع وانتفخ فشخصت قوائمه أي ارتفعت فشبهها بالمحار وهي الصدف وشبه غرته بالخمار ويروى عالية شواه وهما مبتدأ وخبر ويروى عاليه شواه وشواه قوائمه.

قال أبو محمد وقال سيبويه قد جاء فعلاء في حرف واحد وهو صفة قالوا للأمة ثأداء بتسكين الهمزة وثأداء بفتحها وأنشد للكميت:

وما كنا بني ثأداء لما ... شفينا بالأسنة كل وتر

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٦٥

أي لم نكن هجناء أولاد أماء وأولاد الإماء يعيرون أمهاتهم يقول لو كنا بني أماء لما شفينا نفوسنا ولا أدركنا ثأرنا من أعدائنا والوتر الذحل.

قال أبو محمد قال سيبويه وهبلع وهو صفة قال وأنشد غيره:

فشحا جحا فله جراف هبلع

البيت لجرير وأوله:

وضع الخزير فقيل أين مجاشع ... فشحا جحا فله جراف هبلع

الخزير أن يقطع اللحم صغارا وتغلى بماء كثير فإذا نضج ذر عليه." (١)

"إذا طلب العلياء لم يهنه الكرى ... وإن طلب الأعداء لم ينهه الزجر

ثغور العدا إن رمتموهن كالفلا ... وكل فلاة رمتم منعها ثغر

ومن بديع القلب، ونوعه الغريب الصعب أن يقرأ الكلام من آخره كما يقرأ من أوله، كقوله عز وجل: (كل في فلك) وكقولهم: سر فلا كبا بك الفرس. وقد جاء ذلك منظوما قال:

بلغت بلاغتنا مدى ... دم أنت غالب تغلب

ومثله قول الآخر:

أراهن ناد منه ليس لهو ... وهل ليلهن مدان نهارا

وقول الآخر:

قال بكر للمرادي ... دارم للركب لاق

وذكر أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري من هذا الباب: لم أخامل. كبر رجاء أجر ربك. سكت كل من نم لك تكس.

ومن المنظوم:

أس أرملا إذا عرا ... وارع إذا المرء أسا

أسند أخا نباهة ... ابن إخاء دنسا

اسل جناب غاشم ... مشاغب إن جلسا

وقال محمد يصف سماطا:

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٩٤

سمت السوام به الحمام كأنما ... أخذت بشأن من ذوي الشنآن

وتبعتها ذات الجناح كأنما ... فعلت جناحا ةبل في الطيران

حتى غدا حمل السماء ونسرها ... حذرين مما حل بالحملان

نار بأرجاء المدينة سقطها ... مزر ببيت النار في أرجان

فلو المجوس تجوس حول ديارنا ... أمت لديك عبادة النيران

وقال:

فلا دولة إلا إليك نزاعها ... وما زال يطوى عن سواك لها كشح

إذا خيف أن تشتد شوكة مارق ... فلا رأي إلا ما رأى السيف والرمح

وقال حسان بن المصيصي:

ملك يظل ثرانا عنده قبلا ... فذو الغواية منا مثل عابدنا

نسقى ونسجد إجلالا لهيبته ... فنحن نشرب خسرا في مساجدنا

وقال:

مليك إن دعته الحرب يوما ... لما تعنو لهيبته الأسود

قسا قلبا وسن عليه درعا ... فباطنه وظاهره حديد

وقال مسعود بن محسن:

مليك تحلم الآمال فيما ... حواه من الطريف أو التلاد

وتزدحم المطامع في نداه ... لأن عليه أرزاق العباد

وقد أحسن الآخر في قوله:

إن غاض صوب الحيا فاضت أنامله ... جودا وروضت الدنيا مكارمه

يصرف الأمر في الآفاق خاتمه ... ويصبح الدهر طوعا وهو خادمه

وقال مسعود أيضا:

وإنا إذا الأرواح ذابت مخافة ... متحنا بأشطان الرماح وكاياها

متى ما أردنا أن يذاق حديدنا ... خلقنا بحد المشرفية أفواها

وهذا من باب قول ابن نباتة:

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم ... عيونا لها وقع السيوف حواجب

ومسعود هذا مقل في شعره، محسن مطرب بغزله مفتن فمن ذلك قوله:

غزال يكون الفهد طوع يمينه ... ولم نر ظبيا قط مستخدما فهدا

ومن أعجب الأشياء أن بات آمنا ... من **الثأر** فينا وهو يقتلنا عمدا

وقوله:

حوراء تقتل من رمته بطرفها ... فكأن سهم لحاظها مسموم

وتصيب أسهمها وليس يرى دم ... فالقتل منها ظاهر مكتوم

وتكاد تسكر بالحديث لأنه ... عصرت بحيث يمر فيه كروم

وقال محمد بن عيسى:

وضحت به العليا فمنهج قصدها ... منه إلى ظهر المجرة مهيع

يندى عليك وأنت منه خائف ... وكذاك لج البحر مغن مفزع

وهذا من قول الآخر: هو البحر فيه الغنى والغرق على أن محمد بن عيسى قد ذكر هذا المعنى في موضع آخر، واحتاط للمدوح، فقال وأحسن:

براحته بحر محيط مسخر ... يفاد الغنى فيه ولا يذعر الركب

والذي دعاه إلى البيت العيني قوله بعده:

فأشد ما تلقاه عند ليانه ... وكذا الأرق من الحسام الأقطع

وقال:

تخللت حتى غابة الأسد الورد ... وأنزلت حتى ساكن الأبلق الفرد

وجردت دون الدين سيفك فانثنى ... من النصر في حلي من الدين في غمد

لقد ضم أمر الملك حتى كأنه ... نطاق بخصر أو سوار على زند

يغيثك في محل يغيثك في ردى ... يروعك في روع، يروقك في برد

جمال وإجمال وسبق وصولة ... كشمس الضحى، كالمزن، كالبرق، كالرعد

ومثل هذا التركيب، وعلى حكمه في الترتيب، قول محمد بن أبي سعيد:

جاور عليا ولا تحفل بحادثة ... إذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل." (١)

"وتماثلت شرفاته وصحونه ... في الحسن بين مخرم ومرخم

وأول هذه الأبيات:

هذه منازل من هويت فيمم ... وارتع وسح بربعها ديم الدم

عجنا فمن صب بصب دموعه ... ذرب ومن متعمل متعلم

غراء يجحد لحظها بسقامه ... قتلى فتخبر عن دمي بالعندم

شعل الهوى طرفي وقلبي إذ بدت ... يوم النوى بتأمل وتألم

منها:

من كل طلق الوجه إن شهد الوغى ... لقي العدى بتهجم وتجهم

ولمجبر أحد شعراء مجلس مولانا – خلد الله سلطانه _في وصف فوارة في المباني الشريفة على ما أوجبه تخيله، واقتضاه توهمه وتمثله؛ لأنه أدركها بنظره، ولا أجال فيها حاسة بصره:

وفوارة يستمد السحا ... ب من فضل أخلافها المحتلب

رأت جمرة القيظ محمرة ... لها شرر كرجوم الشهب

فظلت بها الأرض تسقي السما ... ء خوفا على الجو أن يلتهب

وهذا من قول الآخر في وصفها: أمطرت الأرض بها السماء ومن المستحسن في ذلك ما أتى به علي بن الجهم في قوله:

وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أسبلت ... على الأرض من صوب مدرارها

والذي صنعه الشعراء في هذا الباب هو مستقر في الخزائن المعمورة مغن عن التوسع فيه؛ لاسيما وهذه الخدمة لمحة، والذي أورد فيها على وجه الإشارة.." (٢)

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/١٥

(٢) الأفضليات علي بن منجب ص/٢١

"وعلماء الشعر يجعلونه من أعلى المدح، ويفسرونه بأنها أرادت أن يجذب ويتعلق به في الحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله.

والمملوك يقول إنه يحتمل أن يكون هجاء لو بدل على أنه مهتضم قليل العشيرة، فإذا مزقت ثيابه لم يقدر على الانتصار لذله، فيخلد إلى الحشمة والحياء، فيخال سقيما. فهذا من المدح الذي أحاله النقد إلى الذم.

ومثله قول زهير:

على مكثريهم حق من يعتريه ... وعند المقلين السماحة والبذل

وهذا مما اتفق المتقدمون على تفضيله، وأجمعوا على استحسانه وتقديمه، وقد خالفهم أحد المتأخرين، فقال: إنه – وإن قصد مدح سادة من الناس – فقد ذمهم بأنواع الذم. فأول ذلك إخباره أن فيهم مكثرين ومقلين، فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقلهم الأموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا الذي قال فيهم حسان:

الملحقين فقيرهم بغنيهم ... والمشفقين على الفقير المرمل

ثم فيه أن المكثرين ضيعوا القريب، ورعوا حق الغريب، وصلة الرحم أولى ما بدئ به. ومنها أن المكثرين ليس يسمحون بأكثر من الاستحقاق في قوله: من يعتريهم، ومن أعطى الحق فإنما أنصف ولم يتفضل بما وراء الإنصاف، والزيادة على الإنصاف أمدح. ثم أخبر أن المقلين – على قصور أيديهم – أكرم طباعا من مكثريهم على قدرتهم في قوله:

وعند المقلين السماحة والبذل

فالبذل مع الإقلال مدح عظيم وإيثار، والسماحة إعطاء غير اللازم، فمدح بشعره هذا من لا يحظى منه بطائل، وذم الذين يرجو منهم جزيل النائل، فأبان عن الغلط في الاختيار فقد أخرجه النقد من المدح إلى الذم.

وهذا لا يجوز التمثل به في أيام مولانا – خلد الله ملكه – لأن مكارمه لم تجعل للفقير على الأنام معاجا، وفواضله لم تغادر في لازمان مقلا ولا محتاجا. وضد ذلك مما أخرجه التأول من الذم إلى المدح قول المتنبي:

أيقنت أن سعيدا طالب بدمي ... لما بصرت به بالرمح معتقلا

وهو مما لم يتعرض لتفسيره ابن جني، وقد جعله قوم من سقطاته؛ لأنه تمنى أن يشفع الممدوح له بقوله قبل هذا البيت:

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي ... إلى التي تركتني في الهوى مثلا

وقالوا: والشفاعة سؤال ورغبة، فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب وإلا رجع إلى القهر. والمملوك يقول: إنه جعل الممدح على غاية الجمال لاسيما إذا اعتقل رمحا؛ إذ من الناس من يتضاعف حسنه في زي مخصوص، فيقول: إن هذه المعشوقة قد سفكت دمي بامتناعها علي مع غرامي بها، وإنني لما رأيت الممدوح على هذه الهيئة التي زاد بها جماله؛ أيقنت أنها تهواه، ويمتنع عليها لعفافه، فتلقى منه مثل ما لقيت منها، فيكون ذلك كأنه طلب بدمي وأخذ بثأري. ولا خلاف أن الإنسان قد يحسن على هيئة ما. فأما المعجزة التي خص الله بها مولانا فنحن نذكرها شكرا على ما منحنا من حسن نظره وأولانا؛ وذاك أنه في كل الهيئات على القضية التي ترتفع عن قضايا البشر، ويتقيد عندها مطلق اللحظة وحاسة البصر، فإن استوى على دست العظمة، واستقر على سرير المملكة رأيت الشمس والمشتري قد امتزجا واتحدا، وشاهدت ما افرده الله تعالى به مما لم يعطه أحدا، فحظه من الشمس عموم نورها واتساعه، ومن المشتري أفعاله الجميلة وطباعه، ومن مجموعهما معنى أحدثه التركيب، تتفرع شعوبه ولا تنحصر أنواعه، وإن شرع في تدبير عبيده ورعيته، ونظر في أمر سلطانه ومصالح دولته، فقد أوفى على البدر ليلة كماله وتمه، وزرى على عطارد بفضله الباهر وعلمه، وجعل الحق مضمونا في قضائه العادل وحكمه وإن تجلى في آلة الحرب، وظهر للذب، وتفريج الكرب؛ لم ترتب باجتماع الزهرة والمريخ متباريين في خدمته، ولم تشك أنهما متنافسان على ما يحظى بحضرته؛ لأن أحدهما تقرب إليه بحسن صورته وهيئته، والآخر توسل عنده بنفاذه ومضائه وهيبته. وهذه منقبة يشهد بها ما حازه من الآيات وحواه، ومعجزة لم ينلها سلطان غيره ولا خص بها ملك سواه.

مما مدح به مهيار وهو إذا أنشد مفردا احتمل الهجاء:

كأن ما قد حل من ماله ... وطاب، محظور عليه حرام

فإذا أنشد الذي قبله خلص للمدح وهو:

وجاد حتى لم يدع فضلة ... تليه للبحر ولا للغمام

فما قول الآخر:

كأني إذ دعوت بني حنيف ... دعوت بدعوتي لهم الجبالا." (١)

"وهذا عكس ما اتفق لأبي تمام مع الكميت، لأنه أخذ معنى نصف بيت من شعره، فأورده في بيتين.

قال أبو تمام:

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٢٨

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

والذي للكميت:

ولو لم تغب شمس النهار لملت

وللمعري:

السمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابه

والعضب لا يشفي امرأ من ثأره ... إلا بفقد نجاده وقرابه

ولابن حيوس: كالمسك يزداد قدرا حين يغترب فأما قول مهيار:

ما اجتزن بالآذان كن مفاتحا ... وعلى قلوب عداكم أقفالا

فكل من بيتي حبيب وابن حيوس أصنع منه؛ وذلك أنهما جعلا الأقفال للشيء الذي كانت عليه مفاتيح، ومهيار جعل المفاتيح والأقفال لغيرين. ووصف ابن حيوس السيوف بأنها مفاتح البلاد أوقع موصف مهيار الأبيات بأنها مفاتح الآذان. وقد ذكر أبو تمام المفتاح في غير موضع من شعره، فمن ذلك قوله:

للجود باب في ا الأنام ولم تزل ... مذ كنت مفتاحا لذاك الباب

وقد قال بعض المعترضين عليه: أتى إلى ممدوحه نجعله مفتاحا، فهلا قال كما قال ابن الرومي:

قبل أنامله فلسن أناملا ... لكنهن مفاتح الأرزاق

فقيل له: لا تعجبن من هذا؛ فقد جعل ربه كذلك بقوله:

والله مفتاح باب المقفل الأشب

وعلى ذكر الأقفال وفتحها فقد أحسن الناشئ في قوله يصف اليويو:

مملك لنفوس الطير ينسفها ... نسفا فيقبض أجساما وأرواحا

كأنما أقفلت بالأهب أنفسها ... فكان بالكف للأقفال فتاحا

وقال ابن حيوس متصرفا في المعنى المقدم ذكره:

وبهم زلزلت بمن قارعوا الأر ... ض وهم أمنها من الزلزال

وكرره فقال:

تتزلزل الدنيا إذا غضبوا فإن ... بلغوا الرضى أمنت من الزلزال

وقال فيما يقارب هذا المعنى:

ثغور العدى إن رمتموهن كالفلا ... وكل فلاة رمتم منعها ثغر

وقال:

أخفت الآمنين سطى فلما ... عفوت غدوت أمن الخائفينا

ولأبي نصر المنازي:

لقد عرض الحمام لنا بسجع ... إذا أصغى له ركب تلاحى

شجى قلب الخلي فقال: غنى ... وبرح بالشجي فقال: ناحا

ومن مليح ما في هذه الأبيات:

ضعيف الصبر فيك وإن تقاوى ... وسكران الفؤاد وإن تصاحى

كذاك بنو الهوى سكرى صحاة ... كأحداق المها مرضى صحاحا

فأما قول ابن الرومي:

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن شيئا واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

فليس من هذا الباب إلا أن فيه نوعا من مجانسته، وضربا من مناسبته، وهو من بديع ما ابتكره، وغريب ما اخترعه.

وكذلك قوله في وصف القوس:

تودد حتى لم أجد متوددا ... وأمللت أقلامي عتابا مرددا

كأني استدني بك ابن حنية ... إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله أيضا فيها:

تشكي المحب وتلقى الدهر شاكية ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقد أحسن ابن حيوس في قوله:

أرى كل معوج المودة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوما

حتى الناس من قبل القسي لتقتنى ... وثقف منآد القنا ليحطما

على أن صدر البيت الثاني مأخوذ من قول كشاجم في وصفها: قد قومت للرمي بالتعويج إلا أنه أحكم الأخذ

والتركيب، وتصرف التصرف البديع الغريب، وقد اقتضت الأبيات في القوس ذكر الحكاية العجيبة في إتقان الصناعة في الرماية عنها، وهي أن راميين عرض لهما أسد، فقال أحدهما للآخر: اكفني عينه اليمنى أكفك اليسرى، فرمياه عن يد، فأعمياه وسلما.

ولبعض الأندلسيين:

تقوس بعد طول العمر ظهري ... وداستني الليالي أي دوس

فأمشي والعصا تمشي أمامي ... كأن قوامها وتر لقوسي

وعلى ذكر التشبيه فمن غريبه قول الآخر:

وألزمته ألحاظ طرف يحبه ... فليس بمرتد ولا بمغمض

إلى أن ثنت عيني الشمول كأنني ... ألاحظه سكرا بأجفان مبغض

من المدح الذي قلت أمثاله، وعزت أشباهه، وعدمت له النظائر، وعقمت عنه الخواطر قول حسن بن عبد الصمد:

سبقت مكارمه مواعده فلم ... يوسم بإنجاز ولا بمطال

وقاله:." (١)

"وأترك الغيث في غمدي وأنتجع

وقال:

ترك الحوادث معلما عن ثأره ... فجرت دماء الخطب في مأثوره

ورأى الزمان يحيد عن تأميره ... فسقي سهام المجد من تامور

وله أول خطبة نكاحية: "الحمد لله الذي أمن من الحيرة، وجعل الحلال جادعا أنف الغيرة". وقال أبو الفضل بن العميد من كتاب إلى من زوج أمه: "الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة، وهدانا لستر العورة، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ومنع من عضل الأمهات كما منع من وأد البنات".

وفي كل شيء استحسنوا اللطف وحنوا إلى الصغر، إلا في السرة والضرة، الخطوط خلفاء الألسنة، وخطباء العقول، والمداد ماء القريحة، والطرس ستر الصناعة وعرض العمل.

وقال في حمام من أبيات:

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٣٠

انعم أبا عامر بلذته ... واعجب لأمرين فيه قد جمعا

نيرانه من زنادكم قدحت ... وماؤه من بنانكم نبعا

وقال يهنئ بعيد وافق فصح النصارى:." (١)

"وكان كسرى عهد إلى وهرز فقال: إذا ظفرت بالحبشة فاجمع وجوه أهل اليمن، وسلهم عن سيف، فإن كان ابن ملوكها كما زعم، فتوجه بهذا التاج وملكه عليهم، وإن كان كاذبا فاقتله واكتب إلى لأكتب إليك برأيي، فلما تمكن فى البلد جمع أبناء الملوك ورؤساء اليمن، وقال لهم: كيف سيف فيكم؟ فقالوا: ملكنا وابن أملاكنا، أدرك بثأرنا، فتوجه وملكه، وكتب إلى كسرى بذلك، فأقر/وهرز ومن معه باليمن، فهم الأبناء (١) إلى اليوم.

وقوله: «أبعدت قلقالا» القلقال: سرعة الحركة، ورجل قلقل: خفيف، وبعير قلاقل: سريع، وليس فى الكلام فعلال إلا من المضاعف (٢)، نحو الخضخاض، وهو ضرب من القطران، والجثجاث، وهو نبت، ومن الصفات الحسحاس، وهو من الرجال: السخى المطعم، والقسقاس: الدليل الهادى.

وقوله: «حتى أتى ببنى الأحرار» سميت فارس: الأحرار، لأنهم خلصوا من سمرة العرب وشقرة الروم وسواد الحبشة، وكل خالص فهو حر، وطين حر:

ل ا رمل (٣) فيه.

والمرازبة: واحدهم مرزبان، وهو العظيم من الفرس، قال سويد بن أبى كاهل اليشكرى:

ومنا بريد إذ تحدى جموعكم ... فلم تقربوه، المرزبان المسور (٤)

---

(١) الأبناء: هم الفرس الذين سكنوا اليمن.

(٢) ويكون الحرفان الأخيران منه بمنزلة الأولين. انظر الاستدراك على كتاب سيبويه ص ١٧٢.

(٣) فسر السهيلى «الأحرار» تفسيرا يتفق مع مدلول الكلمة فى أيامنا هذه، قال: «وقوله لفارس: الأحرار؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا، من عهد جيومرث (وهو آدم عند الفرس) فى زعمهم، إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم، فكانوا أحرارا لذلك». الروض

---

(١) المختار من شعر شعراء الأندلس علي بن منجب ص/٦١

الأنف ١/ ٥٥.

(٤) يأتى تخريجه قريبا.." (١)

"قصر أصلها طول، بضم العين، واسم الفاعل منها طويل، ومن الأولى طائل، يقال: طاولنى فطلته، أى غلبته فى الطول، وقال: فليس تنالها، ولم يقل:

فليست، لأنه أضمر فى «ليس» الشأن.

وقيل: بل شبه «ليس» بما، فأخلاها من ضمير، كما قالوا: «ليس الطيب إلا المسك (١)».

ويقال: قست الشىء بالشىء: أى قدرته به، وقوله: «قست شعرك وشعره» تحتمل الواو أن تكون عاطفة، وأن تكون بمعنى مع، وأن تكون بمعنى الباء، كما قالوا: اشتريت الحملان: حملا ودرهما، يريدون بدرهم (٢).

والبطل: الشجاع، وألزموه فى الجمع مثال أفعال، كما قالوا فى الاسم: أرسان [وأقلاب (٣)] وأقلام وأقتاب، فلم يجاوزوا ذلك، ومصدره البطولة والبطالة، وفعله بطل، مثل ظرف، واشتقاقه فيما زعموا من البطلان، قالوا: لأنه الذى تبطل عنده الدماء (٤).

/والجحجاح: السيد، وقياس جمعه: جحاجيح، ويحذفون الياء ويعوضون

---

(١) هذا من شواهد النحو النثرية السيارة. راجع الكتاب ١/ ١٤٧، والمجلس الأول من مجالس العلماء للزجاجى، وفيه قصة الشاهد وتخريجه. وانظر أيضا كتاب الشعر ص ٧.

(٢) إلا أنك لما عطفته على المنصوب انتصب بالعطف عليه. راجع الأزهية ص ٢٤٢، وتمثيله بالرفع. وانظر الكتاب ١/ ٣٩٣، وكتاب الشعر ص ٢٤٦،٢٥٠، وهو فى المغنى ص ٣٩٧، بالنصب «بعت الشاء شاة ودرهما».

(٣) زيادة من هـ. وهو جمع «قلب» بضم القاف وسكون اللام، وهو لب النخلة وشحمها. ويبقى أن هذا المثال دخيل على سائر ما أورده المصنف من أمثلة مفرد هذا الجمع، فكل ما ذكره من وزن «فعل» بفتح الفاء والعين.

(٤) تمام هذا التفسير: «فلا يدرك عنده ثأر» كما فى اللسان (بطل)، وقيل سمى بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته، أو لبطلان العظائم به، كما قال الفيومى فى المصباح. وأفاد ابن فارس أن مادة (بطل) ترجع إلى أصل

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢٦٥/١

واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه. قال: «والبطل الشجاع، قال أصحاب هذا القياس: سمى بذلك لأنه يعرض نفسه للمتالف، وهو صحيح». المقاييس ١/ ٢٥٨.." (١)

"والحرض: الذى أذابه الحزن أو العشق، قال الشاعر (١):

إنى امرؤ لج بى حب فأحرضني ... حتى بليت وحتى شفنى السقم

وقد حذفت اللام من جواب القسم، كما حذفت «لا» وذلك من جواب:

﴿والشمس وضحاها﴾ (٢) وهو قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وكذلك حذفها الشاعر من قوله:

وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرغ وإن أخاكم لم يثأر (٣)

أراد: لأثأرن.

وقوله: «فرغ»، يقال فيه: ذهب دم فلان فرغا، أى باطلا لم يطلب (٤) [به].

وقد جاء حذف النون وإبقاء اللام فى قراءة ابن كثير: «لأقسم بيوم»

---

(١) هو العرجى، كما فى مجاز القرآن ١/ ٣١٧، وهو فى ديوانه ص ٥، وتخريجه فى حواشى المجاز. وما ذكره ابن الشجرى فى تفسير «الحرض» هو من كلام أبي عبيدة. وراجع زاد المسير ٤/ ٢٧٣.

(٢) سورة والشمس ١،٩، وتقدم ذكر هذا الحذف فى المجلس الثانى والأربعين.

(٣) البيت لعامر بن الطفيل، من قصيدة دالية فى ديوانه ص ٥٦، وقافيته: «لم يقصد» وهى كذلك فى الأصمعيات ص ٢١٦، والمفضليات ص ٣٦٤، وشرح الحماسة ص ٥٥٨، والبيت بروايتنا فى كتاب الشعر ص ٥٣، وفى حواشيه التخريج. وأعاده ابن الشجرى فى المجلس السابع والستين. وقتيل مرة: هو أخوه حنظلة بن الطفيل. و «قتيل» يروى بالحركات الثلاث: أما الخفض فعلى أن الواو للقسم، وعليه استشهاد النحويين هنا. وأما النصب فعلى أن الواو عاطفة على محل «مالك» المجرور بالباء الزائدة، فى قوله: ولأثأرن بمالك وبمالك وأما الرفع فعلى الابتداء، وأثأرن: خبره، والعائد محذوف، أى أثأرن به، أو أثأرنه. وقوله: «فرغ» شرحه المصنف. وروى «فرع» بفتح الفاء وسكون الراء، بعدها عين مهملة، أى أنه رأس عال فى الشرف. وقوله فى

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣٠٢/١

الرواية الأخرى: «لم يقصد» أى لم يقتل، يقال: أقصدت الرجل: إذا قتلته.
(٤) ليس فى هـ.." (١)

"ومثل ذلك فى ارتكاب اللبس، أنك تقول: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن (١)»، فتكسر الباء إذا أردت أن تنهاه عن أكل هذا وشرب هذا، على كل حال، فإن أردت أن تنهاه عن الجمع بينهما فتحت آخر «تشرب» فلو حركوا المجزوم للقاء الساكن بالفتح وقع لبس بين هذين النهيين، فلما خشوا اللبس فى هذا ونحوه حركوا المجزوم بحركة لا تعرب بها الأفعال، ثم حملوا ما سكونه وقف على ما سكونه جزم.

فإن قيل: لم كسروا المجزوم والموقوف لما وقعا فى القوافى المطلقة، كقوله (٢):

وكم دهمتنى من خطوب ملمة ... صبرت عليها ثم لم أتخشع

فأدركت ثأرى والذى قد فعلتم ... قلائد فى أعناقكم لم تقطع

وكقول عدى بن زيد (٣):

إذا أنت لم تنفع صديقك جاهدا ... ولم تنك بالبوسى عدوك فابعد

إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلع ... وقل مثل ما قالوا ولا تتزيد (٤)

فعن ذلك جوابان، أحدهما: أنهم لما اضطروا إلى تحريك المجروم لإطلاق القافية، لم يخل أن يحرك بالكسرة أو بإحدى أختيها، فلم يجز أن يحرك بالضمة ولا الفتحة؛ كراهة أن يلتبس بالمرفوع أو المنصوب، فلما وجب تحريكه بالكسر، حملوا عليه ما سكونه الوقف.

---

(١) سبق تخريجه فى المجلس الرابع والأربعين.

(٢) الأحوص. ديوانه ص ١٥٤، ببعض اختلاف فى الرواية لم يمس موضع الشاهد، وتخريجه فى ص ٢٦٠،٣٠٧،٣٠٨.

(٣) ديوانه ص ١٠٥.

(٤) يروى: «ولا تتزند» بالنون. قال ابن قتيبة: «ولا تتزند لا تغضب، يقال للرجل إذا كان سريع الغضب:

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/١٤١

إنه لمزند ومتزند أيضا، وروى المفضل: «ولا تتزيد» أى لا تزد على ما قالوا» المعانى الكبير ص ١٢٦٢، ونوادر أبى زيد ص ٥٧٦، وجمهرة أشعار العرب ص ٥١٠، وسيشرح ابن الشجرى غريب هذا البيت.." [١]

"ابن كثير: «لأقسم/بيوم القيامة» فإن اللام يجوز أن تكون التى تصحبها إحدى النونين فى أكثر الأمر، وقد حكى ذلك سيبويه (١) وأجازه، وكما لم تلحق النون مع الفعل الذى للآتى، كذلك لم تلحق اللام مع النون فى نحو قول الشاعر:

وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرغ وإن أخاهم لم يثأر (٢)

ويجوز أن تكون اللام لحقت فعل الحال، فإذا كان للحال لم تتبعه النون؛ لأن هذه النون التى تلحق الفعل فى أكثر الأمر، إنما هى للفصل بين فعل الحال والفعل الآتى، وزعموا أن الحسن قرأ: «لأقسم» وقرأ ﴿ولا أقسم﴾ وأنه قال:

أقسم الله بالأولى، ولم يقسم بالثانية، قال أبو علي: وقد حكى ذلك عن ابن أبى إسحاق. انتهى كلامه (٣).

وأقول: إن كون «أقسم» فى قراءة ابن كثير للحال أولى من كونه للاستقبال؛ لأنه إذا أريد أقسم بيوم القيامة الآن، فهو أولى من أن يراد أقسم بيوم القيامة فيما يستقبل من الزمان، فكأنه قيل: سأقسم بيوم القيامة.

ومثل ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ (٤) قال الزجاج:

المعنى: أقسم بهذا البلد، و «لا» دخلت توكيدا، كما قال: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ قال: وقرئت: «لأقسم بهذا البلد»، تكون اللام لام القسم، قال:

وهذه القراءة قليلة بعيدة؛ لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيدا، ولا يجوز: لأضرب زيدا، تريد الحال. انتهى كلامه (٥).

وقوله هذا يقوى ما ذكرته من حمل ﴿أقسم﴾ فى قراءة ابن كثير، على أنه

---

(١) راجع الكتاب ٣/ ٦٦،٤/ ٢١٧، وكتاب الشعر ص ٥٥.

(٢) فرغت منه فى المجلس المذكور.

(٣) وانظر المحتسب ٢/ ٣٤١.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/٣٧٦

(٤) أول سورة البلد.

(٥) معانى القرآن ٥/ ٣٢٧، وانظر أيضا ٢٥١.." (١)

"فعل حال لا مستقبل. وقال: المراد بالبلد مكة، وبوالد وما ولد: آدم وذريته.

وقال من ضعف قراءة ابن كثير: فى قراءة ابن كثير نظر؛ لأن ألف (١) ﴿أقسم﴾ ثابتة فى الإمام، يعنى المصحف الأقدم.

وأقول: إنه ليست «لا» فى قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ (٢) وقوله: ﴿فلا أقسم/برب المشارق والمغارب﴾ (٣) ونحو ذلك بمنزلتها فى قوله:

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ كما زعم بعض النحويين؛ لأنها ليست فى أول السورة، فمجيئها بعد الفاء، والفاء عاطفة جملة على جملة، يخرجها عن كونها بمنزلتها فى ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فهى إذا زائدة للتوكيد، وسنذكر وجوه «لا» بعد تفسير غريب قول الشاعر:

ما مع أنك يوم الورد ذو جزر ... ضخم الدسيعة بالسلمين وكار

الجزر: جمع جزرة، وهى الشاة المذبوحة (٤).

والدسيعة هاهنا: الجفنة، والدسيعة فى غير هذا: العطية الضخمة، والدسيعة أيضا: مركب العنق فى الكاهل، وهو أعلى الظهر.

والسلم: الدلو، ووكار: عداء.

وقول الآخر:

وقتيل مرة أثأرن فإنه. . . فرغ.

أراد: فإن دمه فرغ، يقال: ذهب دم فلان فرغا، أى باطلا لم يطلب به.

وأقول: إن «لا» تنقسم فى تصاريفها عملا ومعنى إلى ضروب، أحدها: أن تكون تبرئة، وذلك إذا ركبتها مع النكرة، فتناولت نفى الجنس، فى نحو: لا مال

---

(١) هكذا فى النسختين. والمراد ألف «لا أقسم».

(٢) سورة الواقعة ٧٥، وحكى الزركشى هذا السياق عن ابن الشجرى. البرهان ٤/ ١٥٩.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٥٢٦/٢

(٣) سورة المعارج ٤٠.

(٤) هنا حاشية بهامش الأصل، ذكرتها فى حواشى المجلس الرابع والأربعين.." [1]

"وأقول: إن قولهم: «لا نولك أن تفعل كذا» لما كان «نولك» بمعنى الفعل الذى هو ينبغى، لم يكرروه وإن كان معرفة، كما لم يكرروا الفعل فى:

لا ينبغى لك أن تفعل، وكذلك كل فعل تنفيه لا يلزم تكريره، كقولك: لا يخرج زيد اليوم، وكقوله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾ (١) و ﴿قل لا أسئلكم عليه أجرا﴾ (٢).

وقوله: كما حمل يذر على يدع لاتفاقهما فى المعنى، أراد: أن يدع أصله يودع، مكسور الدال، فحذفوا واوه لوقوعها بين ياء وكسرة، كما حذفوها فى يعد، فصار فى التقدير: يدع مثل يعد، ثم فتحوا عينه التى هى الدال؛ لأن لامه وهى العين، حرف حلقي، ومتى كانت لام الفعل أو عينه حرفا من حروف الحلق، وهى الغين والخاء والعين والحاء والهمزة والهاء، فإنه يجيء فى الأغلب على فعل يفعل، بفتح العين فى الماضى والمستقبل، كقولهم: صنع يصنع ومنع يمنع ورفع يرفع وجبه يجبه وسلخ يسلخ وسلح يسلح، فهذا مثال ما لامه حرف حلق.

وأما مثال ما عينه الحلقي، فنحو: شغل يشغل وفعل يفعل ومحق يمحق وثأر يثأر/وبهر يبهر وفغرفاه يفغره.

وإذا عرفت هذا ولم تجد فى «يذر» حرفا حلقيا يستحق به أن تفتح عينه، وكان قياسه يذر، بكسر الذال، علمت أن ذاله فتحت حملا على دال «يدع» لاتفاقهما فى المعنى (٣).

ومثل تكرير المعرفة فى قولهم: لا زيد عندى ولا عمرو، تكرير النكرة إذا فصل بينها وبين «لا» فوجب رفعها فى نحو: لا فى الدار رجل ولا امرأة، كما جاء فى التنزيل ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ (٤) وذلك أن التكرير لا يلزم إذا ركبت

---

(١) سورة النساء ١٤٨.

(٢) سورة الأنعام ٩٠، والشورى ٢٣.

(٣) راجع المجلس الرابع والأربعين.

(٤) سورة الصافات ٤٧.." [2]

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٥٢٧/٢

(٢) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٥٣٢/٢

"عادى \البسيط\القطامى \١/ ٢٠٠
أسداد\البسيط\فارعة بنت شداد. وقيل غيرها\١/ ٣٧٧
أنجاد\البسيط\فارعة بنت شداد. وقيل غيرها\١/ ٣٧٧
تقد\البسيط\الفرزدق \٢/ ٨٢
لمحدود\البسيط\الجموح أو راشد بن عبد ربه \٢/ ٥١٠
الجيد\البسيط\الشماخ \١/ ٦٠
حماد\الوافر\المتلمس \٢/ ٣٥٧
زياد ١٠ أبيات \الوافر\قيس بن زهير العبسى \١/ ١٢٦،١٢٧ ٣٢٨
البلاد\الوافر\عبد الله بن الزبير. أو فضالة بن شريك \١/ ٣٦٥
العباد\الوافر\المتنبى \٢/ ٣٣
بالجواد\الوافر\المتنبى \٣/ ٥٠
أعادى \الوافر\المتنبى \٣/ ٢٥١
فساد\الوافر\المتنبى \٣/ ٢٥١
زناد\الوافر\المتنبى \٣/ ٢٥١
الجواد\الوافر\المتنبى \٣/ ٢٦٤
رماد-دمان فى الوافر
العبيد\الوافر\عمر بن ألاه \١/ ١٤٩
تزيد\الوافر\عمر بن ألاه \١/ ١٤٩
الجنود\الوافر\عمر بن ألاه \١/ ١٤٩
ضرغد\الكامل \عامر بن الطفيل \٢/ ٥٧٣
المتعمد\الكامل \عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل \٣/ ١٤٧
المقصد\الكامل \مهيار الديلمي \٢/ ٣٢

يهتدي \الكامل \ابن أحمر\٢/ ١٠٩

\لم يقصد-لم يثأر في الكامل." (١)

"زور\الوافر\عمر بن إلاه \١/ ١٤٤

للهجير\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

منير\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

نقير\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

نظير\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

وخيرى \الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

الدهور\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

الصدور\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

العثور\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

سرور\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

مسير\الوافر\المتنبي \٣/ ٢٥٣،٢٥٤

الذعر\الكامل \زهير\٢/ ٣٥٤

ما يدرى \الكامل \المسيب بن علس \٢/ ٤٧٣ - ٣/ ١٢

الجزر\الكامل \خرنق بنت هفان \٢/ ١٠٢ - ٣/ ٧٧

الأزر\الكامل \خرنق بنت هفان \٢/ ١٠٢ - ٣/ ٧٧

لم يثأر\الكامل \عامر بن الطفيل \٢/ ١٤١،٥٢٦، ٥٢٧

الأعفر\الكامل \أبو كبير الهذلى \١/ ١٧٧

فجار\الكامل \النابغة\٢/ ٣٥٧

بدار\الكامل \مؤرج السلمى \٢/ ٢٣٦

الأقدار\الكامل \-\٢/ ٣٤٦

الثر\الهزج \ابن ضبة\١/ ١٢٢

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/٣٧٦

الرير\الرجز\-\١/ ١٨٣

شعرى \الرجز\أبو النجم العجلى \ ١/ ٣٧٣

حذار\الرجز\أبو النجم العجلى \ ٢/ ٣٥٢

نظار\الرجز\العجاج \ ٢/ ٣٥٢

الدار\الرجز\-\٢/ ٥٧٧

باتر\الرجز\-\٢/ ٤٣٧ - ٣/ ٢٠٥." (١)

"تربص فإن تقو المروراة منهم ... وداراتها لا تقو منهم إذا نخل

الدارات: جمع دارة. يقال: دار، ودارة؛ ومنزل، ومنزلة؛ ومكان، ومكانة.

فإن يقويا منهم فإن محجرا ... وجزع الحسا منهم إذا قلما يخلو

محجر: جبل. والجزع: منعطف الوادي. وهو الضوج والثنى.

بلاد بها ناد متهم وألفتهم ... فإن أوحشت منهم فإنهم بسل

بسل: حرام. أي لا يطمع فيهم، يعني أنهم أشداء.

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم ... طوال الرماح لا قصار ولا عزل

العزل: الذين لا سلاح معهم.

بخيل عليها جنة عبقرية ... جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

عبقر: أرض معروفة بالجن، أي خليقون أن ينالوا عدوهم ويعلوا عليه.

عليها أسود ضاريات لبوسهم ... سوابغ بيض ما تخرقها النبل

وإن يقتلوا فيشتفي بدمائهم ... وكانوا قديما من مناياهم القتل

فيشتفي بدمائهم: أي هم أشراف إذا قتلوا رأى قاتلوهم أنهم أدركوا **بثأرهم**.

وإن لقحت حرب عوان مضرة ... ضروس تهر الناس أنيابها عصل

لقحت: أي هاجت. والحرب العوان: التي كانت قبلها حرب. والضروس. العضوض. وأنيابها عصل، ضربه مثلا. والبعير إذا أسن اعوج نابه.

يقول: هذه حرب قديمة قد أسنت.

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٣/٣٨٥

قضاعية أو أختها مضرية ... يحرق في حافاتها الحطب الجزل

يعني أن حرب قضاعة ومضر منكرة.

يكونوا على ما كان منهم إزاءها ... وإن أهلك المال الجماعات والأزل

روى الأصمعي: تجدهم على ما خيلت هم إزاءها.

والأزل: الضيق. يقال أزلوا مالهم. إذا حبسوه. يحبسون مالهم من خوف العدو فلا يسرحونه.." (١)

"وعظموا ذلك النطع ورصعوه بالجوهر وصار علم ملوكهم الأكبر الذي يتبركون به في حروبهم ويسمونه درفش كابيان.

«٥١» - ويقال [١] لا ينبغي للرجل ذي المروءة الفاضلة أن يرى إلا في موضعين ولا يليق به غيرهما: إما مع الملوك مكرما، وإما مع النساك متبتلا.

«٥٢» - وممن حركته همته حتى نال أمنيته على بعد منالها المختار بن أبي عبيد الثقفي، قال بن العرق [٢] : رأيت المختار مشتور العين، قلت: من فعل بك هذا، قطع الله يده؟ فقال: ابن الفاعلة عبيد الله بن زياد، والله لأقطعن أنامله وأباجله، ولأقتلن بالحسين عدد من قتل بيحيي بن زكريا عليهما السلام. وحبس في فتنة يزيد فلما هلك اجتمعت الشيعة لإخراجه، فاستأناهم حتى أخرجه عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وهما على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير وكفلاه وحلفاه ألا يخرج ما دام لهما سلطان، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة، ومماليكه ذكرهم وأنثاهم [٣] أحرار، فلما عزلا عن الكوفة وبعث ابن الزبير عليها عبد الله بن مطيع أظهر أمره حينئذ، وبلغ من الثأر ما هو مشهور. وكان يقول: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم باليمين، أما يميني بالله فانه ينبغي لي إذا حلفت على يمين ثم رأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفر عن يميني، وأما

---

[١] م: وقال.

[٢] م: قال ابن العريق وقيل ابن العرق.

[٣] م: ذكورهم وإناثهم.." (٢)

---

(١) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ابن الشجري ١٤/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٤/٢

"«١٤٥» - وقال بيهس نعامة حيث قتل قتلة إخوته: [من الرجز]

شفيت يا مازن حر صدري ... أدركت ثأري ونقضت وتري

كيف رأيتم طلبي وصبري ... السيف عزي والاله ظهري

«١٤٦» - أنشد زيد بن علي وقد نهض من عند هشام بن عبد الملك مغضبا لكلام مما دار بينهما: [من الخفيف]

من أحب الحياة أصبح في قي ... د من الذل ضيق الحلقات

ثم خرج فكان من أمره ما كان.

«١٤٧» وفد يحيى بن عروة بن الزبير على عبد الملك، فذكر حاجبه عبد الله بن الزبير فنال منه، فضرب يحيى وجهه حتى أدمى أنفه، فقال له عبد الملك: من فعل [١] بك؟ قال: يحيى، قال: أدخله، وكان متكئا فجلس وقال: ما حملك على ما صنعت بحاجبي؟ قال: يا أمير المؤمنين عمي عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا، والله إن كان ليوصي أهل ناحيته أن لا يسمعوها قذعا، وإن كان ليقول لها: من سب أهلك فسبي أهله، أنا

[١] فعل: سقطت من ر.." (١)

"«٣٥٣» - خرج زياد الأعجم إلى المهلب ومدحه وهو بخراسان [١] ، فأمر له بجائزة، وأقام عنده أياما، قال: فإنه لعشية يشرب مع حبيب بن المهلب في دار فيها دلبة وفيها حمامة، فسجعت الحمامة فقال زياد: [من الوافر]

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي ألا تضاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فاما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب: يا غلام هلم القوس، فأتي به، فنزع لها بسهم فقتلها، فوثب زياد فدخل على المهلب، فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فقال المهلب: علي بأبي بسطام فأتي بحبيب، فقال: أعط أبا أمامة دية جاره ألف

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٧٦

دينار، فقال: أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب، فقال أعطه كما آمرك، فأعطاه، فأنشأ زياد يقول: [من الطويل]

فلله [٢] عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها قرم العراق المهلب

قضى ألف دينار لجار أجرته ... من الطير حضان على السقب ينعب

رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والشمس تغرب

فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب [٣]

قال: فإنه لبعد هذا يشرب مع حبيب، وفي قلب حبيب عليه الألف،

---

[١] م: وهو بخراسان ومدحه.

[٢] م: ولله.

[٣] في الأصول: بل من الجار اقرب.." (١)

"أيهم؟ فسكت. قال: لعلك من بني معاوية؟ قال: نعم، قال: فمن أي ولده؟ فأمسك، قال: لعلك من ولد يزيد، قال: نعم، قال بئس الاختيار اخترت لنفسك من قصدك بلدا ولايته لآل أبي طالب، وعندك ثأرهم في سيدهم، وقد كانت لك مندوحة عنهم في الشام والعراق إلى من يتوالى جدك ويحب برك، فإن كنت جئت على جهل [١] بهذا [٢] منك فما يكون بعد جهلك شيء، وإن كنت جئت لغيره فقد خاطرت بنفسك، قال: فنظر إليه العلويون نظرا شديدا، فصاح بهم محمد وقال: كفوا، كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثأرا بالحسين بن علي، وأي جرم لهذا؟ إن الله جل وعز قد حرم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، والله لا يعرض له أحد إلا أقدته منه؛ واسمعوا حديثا أحدثكم به يكون لكم قدوة فيما تستأنفون، حدثني أبي عن أبيه قال:

عرض على المنصور سنة حج جوهر فاخر فعرفه وقال: هذا جوهر كان لهشام بن عبد الملك وهو هذا بعينه وقد بلغني [٣] خبره عند محمد ابنه، وما بقي منهم أحد غيره، ثم قال للربيع: إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلق الأبواب كلها ووكل بها ثقاتك من الشيعة فأقفلها وافتح للناس بابا

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٦٠/٢

واحدا وقف عليه، فلا يخرج أحد إلا من عرفته. فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره به وتبين محمد بن هشام القصة، فعلم أنه هو المطلوب وأنه مأخوذ، فتحير، وأقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على تفئة ذلك فرآه متحيرا وهو لا يعرفه، فقال له: يا هذا أراك متحيرا فمن أنت، ولك أمان الله وأنت في ذمتي حتى أتخلص بك، فقال: أنا محمد ابن هشام بن عبد الملك، فمن أنت؟ قال: أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين، فقال عند ذلك: أحتسب نفسي إذن، قال: لا بأس عليك يا ابن

---

[١] م: جئت جاهلا.

[٢] م: بهذا المكان.

[٣] ر ع: وهذا بعينه قد بلغني.." (١)

"عم، فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك إدراك ثأره، وأنا الآن بخلاصك أولى مني بإسلامي إياك، ولكن تعذرني في مكروه أتناولك به وقبيح [١] أخاطبك به يكون [٢] فيه خلاصك، قال: أنت وذاك، فطرح رداءه على رأسه ووجهه، ولببه وأقبل يجره، فلما وقعت عين الربيع عليه لطمه لطمات وجاء به إلى الربيع وقال له: يا أبا الفضل إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جماله ذاهبا وراجعا، وقد هرب مني في هذا الوقت وأكرى بعض القواد الخراسانية، ولي عليه بينة فتضم إلي حرسيين يصيران به معي إلى القاضي ويمنعان الخراساني من إعزازه، فضم إليه حرسيين وقال امضيا معه، فلما بعد عن المسجد قال له: يا خبيث تؤدي إلي حقي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال للحرسيين: انصرفا، فانصرفا وأطلقه، فقبل محمد بن هشام رأسه وقال: بأبي أنت وأمي: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، ثم أخرج جوهرا له قدر وقال: تشرفني بقبول هذا؟ قال: يا ابن عم إنا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة، وقد تركت لك أعظم من ذلك، تركت لك دم زيد بن علي، فانصرف راشدا ووار شخصك حتى يخرج هذا الرجل فإنه مجد في طلبك، فمضى وتوارى.

ثم أمر للداعي الأموي بمثل ما أمر به لسائر بني عبد مناف، وضم إليه جماعة من مواليه، وأمرهم أن يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتابه بسلامته، فقام الأموي فقبل رأسه، ومضى معه القوم حتى وصل إلى مأمنه، وجاءوه بكتابه من الري.

«٥١٤» - ومن الحقد البليغ ما فعله عبد الله بن الزبير بأخيه عمرو، وكان

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٢/٢

---

[١] م: ومكروه.

[٢] م: ويكون.." (١)

"«٩٩٤» - مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له: غدني فقال: ما يحضرني غداء، قال: فاسقني سويقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذا، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني؟ قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال: اطل وجهك بدبس ثم تحول إلى الشمس فاقعد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه.

قال أبو عمرو بن الغلاء: فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق.

«٩٩٥» - قال محمد بن سعد الكراني: كنا في حلقة التوزي، فلما انفضت قلنا: انهضوا بنا إلى محمد بن يسير، فصرنا إليه فلم يكن عنده إلا شاة وبقية خبز له أيام، فقدم ذلك لنا فقلنا: هذا جود الأذواء، أي هو من اليمن فقال: [من البسيط]

ماذا علي إذا ضيف تأوبني ... ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي

جهد المقل إذا أعطاك مصطبرا ... ومكثر من غنى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوال وإما حسن مردود

فقمنا إلى بيته غصبا فأكلنا من جلة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا الباقي، فكتب إلى والي البصرة عمر بن حفص هزار مرد: [من المديد]

يا أبا حفص بحرمتنا ... غبت عنها [١] حين تنتهك

خذ لنا ثأرا لجلتنا ... فبك الأوتار تدرك

لهف نفسي حين تطرحها ... بين أيدي القوم تفترك [٢]

---

[١] الأغاني: عن نفسا.

[٢] الأغاني: تبترك.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٢١٣

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٣٨٦

"ولكن صعلوكا صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك إن يلق الكريهة يلقها ... حميدا وإن يستغن يوما فأجدر

«١٠٩٩» - وقال عمرو بن كلثوم: [من الطويل]

معاذ الاله أن تنوح نساؤنا ... على هالك أو أن نضج من القتل

قراع السيوف بالسيوف أحلنا ... بأرض براح ذي أراك وذي أثل

«١١٠٠» - وقال عبد الله [١] بن سبرة: [من الطويل]

وإني إذا ضن الأمير باذنه ... على الإذن من نفسي إذا شئت قادر

«١١٠١» - وقال تأبط شرا: [من الطويل]

قليل غرار النوم أكبر همه ... دم الثأر أو يلقى كميا مقنعا

يماصعه كل يشجع قومه ... وما ضربه هام العدى ليشجعا

قليل ادخار الزاد إلا تعلة ... فقد نشز الشرسوف والتصق المعا

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

وإني وإن عمرت أعلم أنني ... سألقى سنان الموت يبرق أصلعا

ومن يغز بالأعداء لا بد أنه ... سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

---

[١] م ح: عبدة.." (١)

"الأشر، وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر [١] ؛ ثم نزل.

«١١٦

- قال المفضل الضبي: خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فلما صار [٢] بالمربد وقف على دار [٣] سليمان بن علي، فأخرج له صبيان من ولده فضمهما إليه وقال: هؤلاء والله منا ونحن منهم، إلا أن آباءهما فعلوا بنا وصنعوا، وذكر كلاما يعتد عليهم فيه بالإساءة، ثم توجه لوجهه وتمثل:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٣١/٢

[من المنسرح]

مهلا بني عمنا ظلامتنا ... إن بنا سورة من القلق

لمثلكم تحمل السيوف ولا ... تغمز أحسابنا من الرفق

إني لأنمي إذا انتميت إلى ... عز عزيز ومعشر صدق

بيض سباط كأن أعينهم ... تكحل يوم الهياج بالزرق

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات، فلمن هي؟ قال: لضرار بن الخطاب، قالها في يوم جزع [٤] الخندق في اجتماع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وتمثل بها علي عليه السلام يوم صفين، والحسين بن علي عليهما السلام يوم قتل، وزيد بن علي، ولحق القوم ثم مضى [٥] إلى باخمرى، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد فتمثل: [من الكامل]

نبئت أن بني ربيعة أجمعوا ... أمرا خلا لهم ليقتل خالدا

إن تقتلوني لا تصب أرماحكم ... ثأري ويسعى القوم سعيا جاهدا

---

[١] م: الهرم.

[٢] م: صرنا.

[٣] الأغاني: رأس.

[٤] جزع: سقطت من الأغاني.

[٥] ثم مضى: سقطت من م.." (١)

"كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان بمسكن [١] .

(٦) عبيد الله بن ظبيان قاتل مصعب: بطل فتاك مقدام [٢] .

(٧) عمير بن الحباب السلمي فارس الإسلام: قتلته بنو تغلب بجانب الثرثار في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس، وفي ذلك يقول الأخطل:

[من الطويل]

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٤٦٤

وفيه قال للجحاف السلمي: [من الطويل]

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فحمي الجحاف وجمع جمعا فأغار على بني تغلب بالبشر، وهو ماء لهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون النساء، فقال الأخطل: [من الطويل]

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول

فإن لم تغيرها قريش بحملها ... يكن عن قريش مستراد ومرحل

(٨) شعيب بن مليل [٣] التغلبي: قتله عمير بن الحباب يوم قتل عمير وقطعت رجله، فقاتل وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت قيس ونحن نعلم ... أن الفتى يفتك وهو أجذم

ولما رآه عمير صريعا قال: من سره أن ينظر إلى الأسد معقورا [٤] فلينظر إلى شعيب [٥] .

---

[١] زيادة: سنة إحدى وسبعين.

[٢] زيادة: قتل مصعبا وأتى عبد الملك فسجد فهم أن يفتك به، وهم دفعة أخرى أن يفتك بالحجاج وهو في سلطانه، فأحس الحجاج فخدعه وأطعمه في الري فثنى عزمه وفل غربه.

[٣] ح: مالك.

[٤] م ح: صريعا.

[٥] جاء بعده في هامش ح: المختار بن أبي عبيد الثقفي صاحب الثأر قتله مصعب بن الزبير في قصر الكوفة وهو في مائة رجل، فقال لأصحابه اخرجوا إلى عدوكم فما بكم من قلة، فذلوا واستسلموا فقتلهم مصعب وأصحابه، وخرج هو في بضعة عشر فارسا فقاتل حتى قتل.." (١)

"(٩) إبراهيم بن مالك بن الحارث: وهو ابن الأشتر الآخذ بثأر الحسين ابن علي، لقي عبيد الله بن زياد في أربعة آلاف رجل، وعبيد الله في سبعين ألفا، فقتله بيده، وهزم جيشه، وحارب مع مصعب حتى لم يبق سواهما، وبذل له الأمان والولاية على أي بلد شاء فلزم الوفاء لمصعب، وقتل أمامه يوم مسكن.

(١٠) مسلمة بن عبد الملك بن مروان: فحل بني أمية وفارسها وقريعها ووالي حروبها، مات حتف أنفه، جلس

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٨٥/٢

يقضي بمصر بين الناس فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت [١] . ما رأيت أقل حياء من هذا قط، فكشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات، فقال لها: هل ترين أثر هذا الطعن؟ والله لو أخرت رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن، وما منعني من تأخيرها الا الحياء، وانت تنحليني قلته.

(١١) أحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي [٢] .

(١٢) عبيد الله بن الحر الجعفي: شاعر شجاع فاتك، كان لا يعطي الأمراء طاعة، له وقائع ءظيمة هائلة، قتل وقد تفرق أصحابه في بعث وبقي في عشرة، صرعه أبو كدينة الباهلي، ثم إنه ألقى نفسه في سفينة ليعبر الفرات فعالجه الملاح فاتحدا فغرقا جميعا.

(١٣) جحدر بن ربيعة العكلي: لص فاتك شاعر أعيا الحجاج حتى احتال له فحصل عليه وحبسه، ثم اصطاد سبعا ضاريا وجعله في حفيرة وألقى جحدرا عليه مقيدا وبيده سيف، فقتل الأسد وقال: [من الرجز]

---

[١] الحكاية عن مسلمة مما نقله صاحب المستطرف: ١: ٢٢٤.

[٢] زاد في هامش ح: له وقائع مشهورة في الخوارج، قتل في بعضها ولده فقتل في وجهه ذلك منهم تسعين رجلا، وانفرد يوما من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا من مذكوريهم وشجعانهم، وفي يده عمود، فجعل لا يضرب رجلا إلا صرعه.." (١)

"(١٧) وشبيب الخارجي الذي غرق في الفرات وكان أصحابه لا يبلغون ألفا، نذرت امرأته غزالة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في إحداهما البقرة وفي الثانية آل عمران، فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع، ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها، والحجاج بالكوفة في خمسين ألفا.

(١٨) ومنهم قطري بن الفجاءة [المازني] : قتل في بعض الوقائع بين الخوارج والمهلب، وكان قطري رأس الخوارج، وخاطبوه بامرة المؤمنين وعظموه وبجلوه، ويكنى أبا نعامة، وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها [١] .

١٢١٠- الدولة الهاشمية: الطبقة الثالثة:

(١) معن بن زائدة الشيباني: قتلته الخوارج بسجستان في أيام المهدي.

(٢) يزيد بن مزيد الشيباني [٢] .

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٨٦/٢

(٣) الوليد بن طريف الشيباني الخارجي: قتله يزيد بن مزيد، وخرجت أخته لتثأر به فضرب يزيد قطاة فرسها وقال: اغربي فقد فضحت العشيرة.

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن: قتل بباخمرى في الوقعة بينه وبين عيسى بن موسى، والمنصور وراءه، وأتاه سهم غرب بعد أن ظفر وكسر الجيش.

(٥) عمر بن حفص هزارمرد، وهو حفص بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب، قيل إنه كان يتصيد فتبع حمار وحش، وما زال يركض إلى أن حاذاه، فجمع جراميزه ووثب من الفرس فصار على ظهره، وما زال يحز عنقه بسيف أو سكين في يده حتى قتله.

(٦) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي: فارس بطل شاعر مغن نديم جامع لما تفرق في غيره، طعن فارسين رديفين فأنفذهما، وقتل قرقورا

---

[١] زاد هنا بهامش ح: قتل بطبرستان.

[٢] زاد هنا بهامش ح: مات ببرذعة وكان فارس بني العباس ووالي غزواتهم.." (١)

"إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم وورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلوات المكتوبة كما تلعن الكفرة، فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضلكم وأشدنا بذكركم، فاتخذت ذلك حجة علينا، وظننت انا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم، وابتلي ابوك بالدماء. [١]

ولقد علمت ان مآثرنا في الجاهلية من سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم، كانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه.

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته واحد حي إلا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب. وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث. ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسان جفان عتبة وشيبة، فأذهب عنهما العار والشنار. ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم [ثم] فدى عقيلا يوم بدر، فقد مناكم في

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٤٨٨

الكفر وفديناكم [في الاسلام] من الأسر، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم حيث لم تضعوا انفسكم؛ [والسلام] .

١١٠٤- قالوا: قدم الزبير بن عبد المطلب من إحدى الرحلتين، فبينا رأسه في حجر وليدة له وهي تدري لمته إذ قالت: ألم يرعك الخبر؟ قال: وما ذاك؟

قالت: زعم سعيد بن العاص أنه ليس لأبطحي أن يعتم يوم عمته، فقال: والله لقد كان عندي ذا حجى، وقد فاض عندي القطر. وانتزع لمته من يدها وقال:

علي بعمامتي الطولى، فأتي بها فلاثها على رأسه وألقى صنيفتها قدامه وخلفه حتى لطما قدمه وعقبه، وقال علي بفرسي، فأتي بها واستوى على ظهرها، ومر

---

[١] م: بالدنيا.." (١)

"٢١١- شتم رجل الأرضة فقال له بكر بن عبد الله المزني: مه فهي التي أكلت الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ... الآية.

«٢١٢» - وقال السري يمدح مزينا: [من المتقارب]

له راحة سيرها راحة ... تمر على الرأس مر النسيم

إذا لمع البرق في كفه ... أفاض على الرأس ماء النعيم

٢١٣- وقال آخر يمدح ابن حائك: [من المنسرح]

يا ابن الذي قد زكت صنائعه ... في كل مصر بذاك منعوت

لولا مساعي أبيك يرحمه ال ... له لكنا كصاحب الحوت

«٢١٤» - وقال عتبة الأعور في ابن حجام: [من المنسرح]

أبوك أوهى النجاد عاتقه ... كم من كمي دمى ومن بطل

يأخذ من ماله ومن دمه ... لم يمس من ثأره على وجل

«٢١٥» - ركب غيلان بن حرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بن كريز فمرا على نهر عبد الله الذي يشق

---

(١) التذكرة ا لحمدونية ابن حمدون ٤١٨/٣

البصرة، فقال عبد الله: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر!! قال غيلان: أصلح الله الأمير، يتعلم صبيانهم فيه العوم، وهو لسقائهم ومسيل مياههم، وتأتيهم فيه ميرتهم. ثم مر غيلان بعد ذلك وهو يساير زيادا،." (١)

"بفكري، ولا خطر بعد انقضائه على بالي [١] .

«٣٤١» - لما ركب المأمون إلى المطبق لقتل ابن عائشة، لقيه العباس بن الحسن العلوي عائدا، فقال له: الله الله يا أمير المؤمنين في الدماء التي لا بقية معها ولا عقوبة بعدها؛ والبس رداء العفو الذي ألبسك الله تعالى إياه، وجملك به، وأسعدك باستعماله، فإن الملك إذا قتل أغري بالقتل حتى يصير عادة من عاداته، ولذة من لذاته، فقال: والله يا أبا الفضل لو سمعت هذا منك قبل قتلي لابن عائشة ما كنت قتلته.

[إبراهيم بن المهدي والمأمون]

«٣٤٢» - لما دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون عند الظفر به سلم عليه وقال له: يا أمير المؤمنين، ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مد له في الأناة حسن عنده الذنب، وقد جعلك الله فوق كل ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك؛ فقال المأمون: يا إبراهيم إني شاورت العباس ابني، و أبا أسحاق أخي، في أمرك فأشارا علي بقتلك، إلا أنني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حرمتك.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد نصح المشير بما جرت به العادة في السياسة وحياطة

---

[١] م: على فكري؛ ب: ولا خطر ببالي بعد انقضائه؛ الأغاني: ولا أخطرته بعد انقضائه على ذكري.." (٢)

"الناس، قال: فجيء بابراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا كلأك ولا رعاك يا إبراهيم، فقال له: على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو. فإن عاقبت فبحقك، وإن تعف فبفضلك.

قال: فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال: إن هذين أشارا علي بقتلك؛ فإذا المعتصم والعباس بن المأمون، فقال له:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٧٩/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١١٧/٤

يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والرياسة فقد أشارا به عليك، وما غشاك إذ كان مني ما كان، ولكن الله تعالى عودك من العفو عادة جريت عليها، دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله يا أمير المؤمنين.

فتبسم المأمون ثم قال لثمامة: إن من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه. أطلقوا عن عمي قيوده وردوه إلي مكرما. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى الأنس وارجع إلى المنادمة، فلن ترى أبدا مني إلا ما تحب.

«٣٧١» - وحدث محمد بن الفضل الهاشمي قال: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول وقال: هو صديقك فخذه إليك، فقال: وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخط عليه؟! أما إني وإن كنت صديقا له لا أمتنع من قول الحق فيه. قال له: قل فإنك غير متهم، فقال- وهو يريد التسلق على العفو عنه- : إن قتلته، فقد قتل الملوك قبلك أقل جرما منه، وإن عفوت عنه." (١)

"«٥٥٥» - وقال عبد الرحمن بن دارة الفزاري: [من الطويل]

يا راكبا إما عرضت فبلغن ... مغلغلة عني القبائل من عكل

لئن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء [١] للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا ... عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

«٥٥٦» - وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط: [من الوافر]

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فإنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى ... تهدر في دمشق ولا تريم

فإنك والكتاب إلى علي ... كدابغة وقد حلم الأديم

لك الويلات أوردنا عليه ... وخير الطالبي الترة الغشوم

فلو كنت القتيل وكان حيا ... لشمر لا ألف ولا سؤوم

«٥٥٧» - لما انحازت إياد إلى الفرات مجفلين من كسرى بعث إليهم جيشا فبيتت إياد ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات الغربي، فلم يفلت منهم إلا القليل، وجمعوا جماجمهم وأجسامهم فكانت كالتل العظيم، وكان إلى جانبهم دير فسمي دير الجماجم. وبلغ كسرى الخبر فبعث مالك بن حارثة أحد بني كعب بن زهير بن

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٢٧/٤

جشم في أربعين ألفا من الأساورة، فكتب إليهم لقيط بن يعمر الإيادي ينذرهم ويحرضهم: [من البسيط]
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا

---

[١] نساء: سقطت من م.." (١)

"«٦٣٩» - والمقدم في ذلك قول امرىء القيس، وليس إخلاقه بتداول الألسن بمانعه من هذه الرتبة: [من الطويل]

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أبطلا ظبي وساقا نعامة ... وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

«٦٤٠» - وقال بشر بن أبي خازم الأسدي يصف جملة خيل: [من الوافر]

متى ما أدع في أسد تجبني ... على خيل مسومة صيام
تراها نحو داعيها سراعا ... كما انسل الفريد من النظام

«٦٤١» - وقال الأسعر بن أبي حمران الجعفي: [من الكامل]

باعوا جوادهم لتسمن أمهم ... ولكي يعود على فراشهم فتى
لكن قعيدة بيتنا مجفوة ... باد جناجن صدرها ولها غنى [١]
تقفى بغيبة أهلها وثابة ... أو جرشع عبل المحازم والشوى [٢]
ولقد علمت على تجشمي الردى ... أن الحصون الخيل لا مدر القرى
راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأى [٣]

---

[١] الجناجن: عظام الصدر؛ ولها غنى: أي عندها ما يكفيها من طعام.

[٢] تقفى: تؤثر؛ الجرشع: المنتفخ الجنبين؛ الشوى: الأطراف؛ ب م: تقفى بعيشه.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٠٠/٥

[٣] البصيرة: الدم، أي نسوا الثأر؛ العتد: الفرس التام الخلق؛ الوأى: الطويل (وفي شرح هذا البيت اجتهادات كثيرة) .." (١)

"على مصر، فقال بعد أن حمد الله تعالى:

ألا إن مصر أصبحت قد فتحت «١» ، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد أصيب «٢» ، رحمه الله وعند الله نحتسبه، أما والله إن كان لمن ينتظر «٣» القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدي المؤمن. إني والله لا ألوم نفسي في تقصير ولا عجز؛ إني بمقاساة الحرب جد عالم خبير، وإني لأتقدم «٤» في الأمر فأعرف وجه الحزم، وأقوم فيه بالرأي المصيب معلنا، وأناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لي قولا، ولا تطيعون لي أمرا، حتى تصير الأمور إلى عواقب الفساد «٥» ، وأنتم لا تدرك بكم الأوتار، ولا يشفى بكم الغليل. دعوتكم إلى غياث إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر «٦» ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد عدو ولا احتساب أجر «٧» ، وخرج جيل «٨» ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

٦١٥- خطب الحسن بن علي عليهما السلام بعد وفاة أبيه فقال:

أما والله م ا ثنانا عن قتال أهل الشام شدة ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسبقت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع. وكنتم في مبتداكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم ودنياكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا، فصرتم الآن كأنكم علينا، ثم أصبحتم بعد ذلك تعدون قتيلين: قتيلا بصفين تبكون عليه وقتيلا بالنهروان تطلبون بثأره. فأما الباكي فخاذل، وأما." (٢)

"يا أهل الختر والخذل والختل، ألا فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم

(النحل: ٩٢) . ألا وهل فيكم إلا الصلف والشنف وملق الإماء وغمز الأعداء؟ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة أو كقصعة «١» على ملحودة؟ ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم: أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون «٢» .

أتبكون؟ إي والله، فابكوا، فإنكم والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فقد فزتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا. وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٤٢/٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٤٦/٦

الجنة، ومنار محجتكم ومدرة حجتكم، ومفزع نازلتكم؟ فتعسا ونكسا، لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة. لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا

(مريم: ٨٩- ٩٠) . أتدرون أي كبد «٣» لرسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم بها شوهاء خرقاء طلاع «٤» الأرض والسماء. أفعجبتم أن قطرت دما؟ ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون

(فصلت: ١٦) . فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفزه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثأر. كلا إن ربك لنا ولهم ولكم بالمرصاد.

ثم ولت عنهم فتركت الناس حيارى وقد ردوا أيديهم إلى أفواههم. ورأيت شيخا كبيرا من بني جعفر وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول بصوت حزين: [من الطويل]." (١)

"«٣٢٣» - ويقولون: «الطعن أظأر» ، يضرب للبخيل يعطي عن ضرورة، يقول: إذا خاف أن يطعنه عطفه ذلك عليه فجاد بماله خوفا منه.

«٣٢٤» - ويقولون: «الخلة تدعو إلى السلة» ، أي الحاجة تدعو إلى السرقة.

«٣٢٥» - ويقولون: «لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ولكل صارم نبوة» .

«٣٢٦» - ويقولون: «ترك الذنب أيسر من الاعتذار» .

«٣٢٧» - ومن أمثالهم: «حياك من لا خلا فوه» ، وأصله أن رجلا سلم عليه وهو يأكل فلم يرد السلام، فلما فرغ قال هذه المقالة أي كنت مشغولا.

«٣٢٨» - ومن أمثالهم في الضرورة: «بيتي يبخل لا أنا» .

«٣٢٩» - «شغلت شعابي جدواي» .

«٣٣٠» - «بالساعد تبطش الكف في الضرورة» ، هذا المثل يضرب أيضا في قلة الأعوان.

«٣٣١» - ومن الاعذار قول قصير بن سعد لعمرو بن عدي حين أمره أن يطلب ثأر خاله جذيمة من الزباء،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦/٢٦٥

«افعل كذا وخلاك ذم» . قال الشاعر:

[من الطويل]." (١)

"ممزق مرجانة، وأم زياد الذي شدخ رؤوسكم سمية، وأم الشعبي من جلولاء، وأم خالد بن عبد الله الذي غمركم نواله سبية من الروم، وأم وكيع ابن الدورقية الذي أدرك ثأركم سبية من دورق، وأم عبد الله بن خازم الذي أباد غابركم بخراسان سبية، فأيتهن تعيب لا أم لك؟ ثم قام الغلام فما أبقى في الحلقة إلا ضاحكا أو شامتا.

٨٣٢- وروي عن رجل من قريش، قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوما: من أخوالك؟ قلت: أمي فتاة، فكأني نقصت من عينه، وأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر، فلما خرج من عنده قلت: من هذا يا عم؟ قال: سبحان الله، أتجهل هذا من قومك؟ هذا سالم بن عبد الله بن عمر، قلت: فمن أمه؟ قال: فتاة؛ ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق فجلس إليه فنهض، فقلت: من هذا يا عم؟ قال: أتجهل من أهلك مثله؟ ما أعجب هذا! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر، قلت: فمن أمه؟

قال: فتاة؛ قال: فأمهلت حتى جاء علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فسلم عليه ثم نهض، فقلت له: يا عم، من هذا؟ قال: هذا الذي لا يسع مسلما أن يجهله، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قلت: فمن أمه؟

قال: فتاة؛ قال: فقلت يا عم رأيتني نقصت في عينك لما علمت أني لأم ولد، أما لي في هؤلاء أسوة؟ قال: فجللت في عينه جدا.

«٨٣٣» - وتزوج علي بن الحسين أمة له أعتقها، فلامه عبد الملك بن مروان وكتب إليه: أما بعد فإنه بلغني أنك أعتقت أمتك وتزوجتها، وقد كان لك في أكفائك من قريش ما تستكرم به في الصهر، وتستنجب به في الولد، فلم تنظر لنفسك ولا لولدك ونكحت في اللؤم. فكتب إليه علي: أما بعد، فإني أعتقتها بكتاب الله عز وجل وارتجعتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه والله ما فوق رسول." (٢)

"ابنه بعث مولاة له لتأتيه بخبرها قبل أن يدخل بها. فأتتها فلم تأذن لها وكلمتها فأحفظتها فهشمت أنفها. فرجعت إليه فأخبرته، فغضب من ذلك، فلما دخل عليها قال: ما أردت إلى عجوزنا هذه؟ قالت:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٧٢/٧

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٧٩/٧

أردت والله إن كان خيرا أن تكون أول من لقي بهجته، وإن كان شرا أن تكون أحق من ستره.

«٩١١» - أرسل مسلمة بن عبد الملك إلى هند بنت المهلب يخطبها على نفسه، فقالت لرسوله: والله لو أحيا من قتل من أهل بيتي وموالي ما طابت نفسي بتزويجه، بل كيف يأمنني على نفسه وأنا أذكر ما كان منه، وثاري عنده؟

لقد كان صاحبك يوصف بغير هذا في رأيه.

«٩١٢» - قال بعضهم: رأيت بالمدينة امرأة بين عينيها سجادة وعليها ثياب معصفرة، فقلت لها: ما أبعد زيك من سمتك؟ فقالت بصوت نشيط:

[من الطويل]

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني جانب ونصيب

ولست أبالي من رماني بريبة ... إذا كنت عند الله غير مريب

«٩١٣» - قال بعضهم: خرجت في حاجة فلما كنت بالسيالة، وقفت على باب إبراهيم بن هرمة، فصحت: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنته، قالت: خرج آنفا؛ قلت: هل من قرى فإني مقو [١] من الزاد؟ قالت: لا والله، قلت: فأين قول أبيك: [من المنسرح]

لا أمتع العود بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل

---

[١] م: مقفر.." (١)

"«١١٤٢» - وقال الأحنف: الشريف من عدت سقطاته. قال النابغة:

«أي الرجال المهذب» . وقالوا: كل صارم ينبو، وكل جواد يكبو. ومنه قول الآخر: [من الطويل]

«هو السيف إلا أن للسيف نبوة»

١١٤٣- وكان الأحنف حليما سيدا، يضرب به المثل، وقد عدت له سقطات. فمن ذلك أنه نظر إلى خيل لبني مازن وقال: هذه خيل ما أدركت بالثار ولا نقضت الأوتار؛ فقال له سعيد بن العلقم المازني: أما يوم قتلت أباك فقد أدركت بثأرها. فقال الأحنف: لشيء ما قيل: دع الكلام حذر الجواب.

وكانت بنو مازن قتلت أبا الأحنف في الجاهلية.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٩٩/٧

«١١٤٤» - ومن سقطاته أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلا يسفهه، فقال:

يا أبا بحر من كان أبوك في قومه؟ قال: كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانية ففطن أنه من قبل عمرو، فقال: ما كان مال أبيك؟ قال:

كانت له صرمة [١] يمنح منها ويقري ولم يكن أهتم سلاحا.

«١١٤٥» - ولما خرج الأحنف مع مصعب أرسل إليه بمائة [٢] ألف درهم، ولم يرسل إلى زبراء جاريته بشيء، فجاءت حتى تقدمت بين يدي الأحنف ثم أرسلت عينيها، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما لي لا أبكي عليك إذا [٣] لم تبك

---

[١] الصرمة: القطيع من الإبل.

[٢] نثر: بثلاثين.

[٣] م: إذ.." (١)

"إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت ... حليلته وازداد حرا عجانها

«١٢٥٢» - وطء المقاليت: المقلات التي لا يعيش لها ولد، يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا عاش أولادها. قال بشر بن أبي خازم:

[من الطويل]

تظل مقاليت النساء يطأنه ... يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

«١٢٥٣» - الهامة: زعموا أن الإنسان إذا قتل ولم يطلب بثأره خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح على قبره: أسقوني! إلى أن يدرك ثأره، وذلك قول ذي الإصبع: [من البسيط]

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث [١] تقول الهامة اسقوني

«١٢٥٤» - الصفر: زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شرسوفه الصفر، وهي حية تكون في البطن، وذلك قول أعشى باهلة، ويروى لأخت المنتشر الباهلي: [من البسيط]

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

«١٢٥٥» - تثنية الضربة: زعموا أن الحية تموت من أول ضربة فإذا ثنيت عاشت، قال تأبط شرا: [من

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٦٤/٧

الوافر]

فقالت عد رويدك قلت إني ... على أمثالها ثبت الجنان

---

[١] نثر والنهاية: حتى.." (١)

"قيس نحو قومه وهو يقول [١] : [من الطويل]

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وباتت فأمست [٢] لا ينال لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ... ولا جارة أفضت إلي حياءها

سرها، ويروى حباءها، يقول: أخبرتني بما تكتم وتسر.

إذا ما اصطبحت أربعا خط [٣] مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح [٤] رشاءها

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ [٥] جعلت إزاءها

ويروى ورثت عديا.

ضربت بذي الزرين ربقة مالك ... وأبت بنفس قد أصبت شفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

الشعاع بالفتح المنتشر.

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائما من دونها [٦] ما وراءها

يهون علي أن يروع جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وشاركني [٧] فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها

وكانت شجى في النفس ما لم أبؤ بها ... فأبت ونفسي قد أصبت دواءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب ب‍ها إلا كشفت غطاءها

---

[١] ديوان قيس: ٣.

[٢] ديوانه: فأمسى.

[٣] حط: بالحاء المهملة وبالخاء.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٣٦/٧

[٤] الديوان: السخاء.

[٥] في رواية:، وصابة أشياخ.

[٦] الديوان: من خلفها.

[٧] في رواية: وسامحني، وساعدني.." (١)

"متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وإني لدى الحرب العوان موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها

لقد جربت منا لدى كل مأقط ... دحي إذا ما الحرب ألقت رداءها

ونلقحها مبسورة ضرزنية ... بأسيافنا حتى نذل إباءها

مبسورة: مستكرهة، ضرزنية: شديدة.

وإنا منعنا من بعاث نساءنا ... وما منعت م المخزيات نساءها

وأدرك قيس بن الخطيم الإسلام، وخرج مع قوم من الأنصار إلى مكة بعد العقبة الأولى، فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا قيسا إلى الإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال له قيس: والله إن حسبك لكريم، وإن وجهك لحسن، وللذي أنت عليه خير من الذي أنا عليه، أفرأيت إن أنا بايعتك أيحل لي الزنا؟

قال: لا، قال: أفيحل لي الهجاء؟ قال: لا، قال: أفيحل لي القتل؟ قال: لا، قال: ففي نفسي من هذه الخصال شيء، فأنا أرجع إلى بلدي فأقضي أربي، فإذا قدمت اتبعتك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فإن لي إليك حاجة، قال قيس: هي لك، قال: إن امرأتك حواء بنت يزيد مسلمة فلا تؤذها ولا تحل بينها وبين الإسلام، قال: ذلك لك، وما علمت بذلك. وهي أخت رافع بن يزيد الأشهلي، وهو ممن شهد بدرا. ثم رجعوا إلى المدينة وقد فشا الإسلام في الأوس والخزرج، ودخل بعضهم في كفة بعض بعد الحرب المتصلة بينهم. وكان قيس من ذوي البلاء فيها.

فاجتمع ناس [١] من بني سلمة فيهم رجل من بني مازن بن النجار، فقالوا: قد علمتم ما صنعت بكم الأوس يوم بعاث، وقيس بن الخطيم فتى الأوس وشاعرها فتهيأوا لقتله، فإنا إن قتلناه أدركنا ثأرنا. فاجتمع ملأهم على ذلك، وسألوا عنه

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧٩/٧

[١] في اغتيال قيس بن الخطيم انظر أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ٢: ٢٧٤.." (١)

"فقالوا: إنه يخرج في كل عشية فيأخذ على بني حارثة حتى يأتي ماله بالشوط.

فخرجوا حتى جاؤوا محيصة وحويصة والأحوص من بني مسعود، وكانت بنو سلمة أخوالهم، فمتوا إليهم بالخؤولة وذكروهم إخراج بني عبد الأشهل إياهم إلى خيبر وما صنعوا بهم في تلك الحروب. وقالوا لهم: إن قيس بن الخطيم يمر على أطمكم كل عشية، وقد أردنا قتله، فإن رأيتم أن تتركونا حتى نكمن له فيكم. فأذنوا لهم في ذلك، فكمنوا له في رأس أطمهم. فلما كان من العشي أقبل يمشي في ثوبين له مورسين، حتى إذا جاء الأطم رموه، فوقعت في صدره ثلاثة أسهم، فصاح صيحة سمعها بنو ظفر. فأقبلوا يسعون إليه فقالوا: ما لك؟ قال: قتلني بنو حارثة بأيدي بني سلمة. فخرجوا يحملونه حتى جاؤوا به منزله. فلما رأته امرأته خرجت تصيح وتولول، قالت: فنظر إلي نظرا علمت أنه لو عاش لقتلني، لا والله ما رأى عندي رجلا قط إلا أنه قد كان يأتي بالأسير فيأمرني فأده نه وأرجله ثم يقوم إليه فيضرب عنقه. فمكث قيس أياما، ويخرج [١] رجل من قومه حتى أتى بني مازن بن النجار وهم في مجلسهم، فقال: أين ابن أبي صعصعة؟ قالوا: في منزله، فخرج حتى أتاه، فقال: يا عم أخل، فخلا معه في بيت في داره، فحدثه شيئا ثم وثب عليه فضرب عنقه، ثم اشتمل على رأسه فخرج وأجاف الباب عليه. فلما طلع على بني مازن خشي أن ينذروا به فيطلبوه، فقال: قوموا إلى سيدكم يا بني مازن فإنه يدعوكم، فوثبوا وقالوا: هذا أمر حدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورفع الآخر جراميزه حتى انتهى إلى قيس وهو بآخر رمق، فقال: يا قيس قد ثأرت بك. قال: عضضت أير أبيك إن كنت عدوت أبا صعصعة، قال: فإني لم أعده. وأخرج له رأسه فلم يلبث قيس أن مات.

وقال قيس حين رمي وجاءت رزاح من بني ظفر لينظروا إليه، وكان بينه وبينهم شر فقال [٢] : [من السريع]

---

[١] م: وخرج.

[٢] ديوان قيس: ١٤٨.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٨٠/٧

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٨١/٧

"وأعطته ميراثه من إخوته. فقال: يا حبذا التراث لولا الذلة، فذهبت مثلا. فقال الناس: أحبت أم بيهس بيهسا، فقال بيهس: ثكل أرأمها ولدا، فذهبت مثلا، فأتى على ذلك ما شاء الله. ثم إنه مر على نسوة في قومه وهن يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها إلى زوجها، وهو من بعض من قتل إخوته. فكشف ثوبه عن استه وغطى رأسه، فقلن: ويلك! أي شيء تصنع؟ فقال: البس لكل حالة لبوسها، إما نعيمها وإما بوسها. فأتى على ذلك ما شاء الله لكنه جعل يتتبع قتلة إخوته ويتقاصهم حتى قتل منهم ناسا وقال في ذلك: [من الرجز]

يا لها نفسا أنى لها ... المطعم والسلامه

قد قتل القوم إخوتها ... فبكل واد زقاء هامه

فلأطرقن قوما وهم نيام ... فلأبركن بركة النعامه

قابض رجل وباسط أخرى ... والسيف أقدمه أمامه

وهذا الشعر مزحوف في أصل النسخة، قال: فسمي بيهس نعامة بقوله:

فلأبركن بركة النعامة. قال: ثم إنه أخبر أن أناسا من أشجع يشربون في غار.

فانطلق بخال له يقال له أبو حشر وقال له: هل لك في غار فيه ظباء؟ قال: نعم، فانطلق حتى قام على فم الغار، ثم دفع أبا حشر فيه، وقال ضربا أبا حشر. فقال بعض القوم: إن أبا حشر لبطل، فقال أبو حشر: مكره أخوك لا بطل، فأرسلها مثلا. وقتل القوم.

قوله: البس لكل حالة لبوسها، إما نعيمها وإما بوسها: يقول: أنتم مسرورون بعرسكم وأنا مهتوك الستر موتور، فأبدي عن دبري حتى أدرك **بثأري**.

١٣٥٢- وفعل أبو جندب أخو أبي خراش الهذلي مثل ذلك. قتل جيران له كانوا في جواره، فأتى مكة فجعل يطوف بالبيت مكشوف الدبر، فقيل له: ما هذا؟ قال: إني موتور ولا ينبغي لمثلي أن يطوف البيت إلا هكذا حتى يدرك **بثأره**.

فأتى بالخلعاء فأغار بهم على الذين فعلوا بجيرانه ما فعلوا حتى انتقم منهم.." (١)

"إن هذا لأهل أن يتبع وأن ينصر. وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلي من قبلك قوما يفهموننا الذي جئت به وتدعونا إليه.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٨٩/٧

وأما عمرو بن أمية فإنه لما عاد من المعركة لقي رجلين من بني عامر معهما عقد وجوار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم بذلك عمرو. فنزلا معه في ظل فسألهما: من أنتما؟ فقالا: من بني عامر؛ فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أن قد أصاب ثأره من بني عامر، فلما قدم عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال له: لقد قتلت اثنين لأدينهما، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها.

وقيل لعامر بن الطفيل: إنك إن أتيت محمدا صلى الله عليه وسلم أمنك على ما صنعت، فأقبل هو وأربد وكان من شأنهما ما تقدم ذكره.

منافرة عامر وعلقمة

. «١٣٥٧» من أخبار العرب المشهورة المنافرة بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. وقد أكثرت الرواة فيها وأطالت، فأتيت منها بأخصر ما يكون ويمكن، وحذفت الفضول.

كان عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة حتى كان قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال له: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإن ذكر نسبا عظم عنده به حتى وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له، فقال له: أنت ابن عم عامر، فغضب علقمة وقال: أراني لا أعرف إلا بعامر، وكان ذلك مما أوغر صدره ودعاه إلى المنافرة. وغزا عامر بن مالك ملاعب الأسنة اليمن بقبائل من بني عامر، فرجع وقد ظفر وملأ يده، فلما صاروا إلى مأمنهم وأرادوا أن يتفرقوا إلى محالهم خطبهم عامر فقال: إن الله قد أثرى عددكم وكثر أموالكم وقد ظفرتم، ومن الناس البغي." (١)

"الأمثال، وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيول، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم الفضة والذهب، وحجارة جبالهم الجزع، ومطاياهم التي تبلغ على مثلها السفر ويقطع بمثلها البلد القفر. وأما دينها وشريعتها فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهرا حراما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه- وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك دمه- فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله. وأما وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومىء الإيماءة فهي عقدة لا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٩/٧

عودا من الأرض فيكون رهنا في يده، فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم يبلغه أن رجلا استجار به، وعسى أن يكون نائيا عن داره، فيصاب فلا يرضى حتى تفنى القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما يخفر من جواره، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث عن غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله. وأما قولك أيها الملك إنهم يئدون أولادهم من الحاجة فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج. وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم، مع أنها أكثر البهائم شحوما، وأطيبها لحوما، وأرقها ألبانا، وأقلها غائلة، وأحلاها مضغة، وأنه لا شيء من اللحم يعالج بما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه. وأما تحاربهم وقتل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من أنفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف، وإنه إنما تكون المملكة العظيمة لأهل بيت واحد يعرف فضله على سائرهم، فيلقون إليه أمورهم وينقادون إليه بأزمتهم. فأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف. فأما اليمن التي وصفها الملك فإنما أتى الملك إليها." (١)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٠٧/٧

قصير والزباء ٣٨٨

بيهس المعروف بنعامة ٣٨٨

خبر طرفة والمتلمس والصحيفة ٣٩٠

أخبار العرب في الجهد والجوع ٣٩٤

خبر عامر بن الطفيل واربد ٣٩٥

خبر يوم بئر معونة ٣٩٦

منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ٣٩٩

خبر النعمان ووفود العرب معه على كسرى ٤٠٤.." (١)

"مكتوب على بعضها «أمرني ربي» ، وعلى بعضها «نهاني ربي» . فإذا أراد الرجل سفرا وأمرا يهتم به ضرب بتلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني ربي» مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربي» لم يمض في أمره.

وكان لهم قدح آخر مكتوب عليه «متربص» . ولما اراد امرؤ القيس بن حجر غزو بني أسد ليطلب ثأر أبيه فيهم، نزل بتبالة وبها صنم يسمى ذا الخلصة تستقسم العرب عنده بالسهام. فاستقسم امرؤ القيس فخرج الناهي فرده، ثم عاد فاستقسم فخرج الناهي فأعاده، ثم استقسم فخرج الناهي، فضرب بالسهام وجه ذي الخلصة وقال: عضضت بأير ابيك! لو أبوك قتل ما نهيتني؛ ومضى لوجهه، فأوقع ببني أسد. فلم يستقسم بعد عند ذي الخلصة حتى جاء الإسلام. فهدمه جرير بن عبد الله البجلي.

[الكهانة]

«٥» - وأما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الإسلام، فلم يسمع فيه بكاهن، وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها. وأخبار كهنة العرب عجيبة إن كانت صحيحة. فمن ذلك خبر سطيح حين ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره- على ما يزعمون- ما جاء لأجله وبتأويله. والخبر: لما كانت ليلة ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس، ولم تكن خمدت قبل ذلك ألف عام، وغيضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعا، ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازبته.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٢٧/٧

فلبس تاجه وقعد على سريره، وجمعهم فأخبرهم بالذي جمعهم له.

فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار، فازداد غما إلى غمه، فسأل الموبذان، وكان أعلمهم في أنفسهم، فقال: حادث يكون من ناحية العرب.." (١)

"فاندفع عمرو الغزال يغني في شعر محمد بن أمية: [من السريع]

ما تم لي يوم سرور بمن ... أهواه مذ كنت إلى الليل

أغبط ما كنا بما نلته ... منه أتتني الرسل بالويل

قال: فتطير إبراهيم ووضع القدح من يده وقال: أعوذ بالله من شر ما قلت! فو الله ما سكنت- وأخذنا نتلافى إبراهيم- حتى دخل علينا حاجبه يعدو، فقال له: ما الخبر؟ قال: خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين حتى دخل على جعفر بن يحيى، فلم يلبث أن خرج ورأسه بين يديه، وقبض على أبيه وإخوته وأهله. فقال إبراهيم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ارفع يا غلام. فرفع ما كان بين أيدينا وتفرقنا، ثم ما رأيت عمرا بعدها في داره.

٣١- كان عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثقيل الرجل لا يقدم على أحد من أهل بيته إلا مات. فقدم على أخيه سليمان بن علي بالبصرة فمات فصلى عليه. ثم رحل فقدم البصرة بعد مدة محمد بن سليمان صحيح فاضطرب فقال:

لأمر م‍ا قدم عمي؛ فاعتل واشتد جزعه ثم عوفي، فتصدق بمائة ألف دينار. ولما مات عبد الصمد قال الرشيد: الحمد لله الذي مات عنوان الموت! لا يحمل عمي غيري. فكان أحد حملته إلى حفرته.

وروي أن جعفر بن سليمان مات حين قدم عليه عبد الصمد، وإن عبد الصمد عمي في ذلك الوقت، فقال إسماعيل بن جعفر: أخذنا بعض **ثأرنا**.

«٣٢» - قال البحتري: أنشدت شيئا من شعري أبا تمام فتمثل ببيت أوس بن حجر: [من الطويل]

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تبين منا حد آخر مقرم

ثم قال: نعيت إلي نفسي فقلت: أعيذك بالله من هذا القول. فقال: إن عمري." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٠/٨

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٥/٨

"والأمور وإن كانت مقدرة، فمن تقدير الله عز وجل. أكثر ما جربناه أن يكون المحتال أقرب إلى المأثور، وأبعد من المحذور، من المفرط في الأمور، والمستسلم للخطوب، المؤخر لاستعمال الحزم.

٦٦١- على أن الخليل بن أحمد قال: من استعمل الحزم وقت الاستغناء عنه استغنى عن الاحتيال في وقت الحاجة إليه.

الأخبار في الحيل

«٦٦٢» - كان سعد القرظ زنجيا عبدا لعمار بن ياسر. وكان على نخلة يجتني منها، فسمع الزنج يتكلمون فيما بينهم، فأذن فاجتمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فقال: ما حملك على الأذان؟ قال: خفت عليك، فأذنت ليجتمع أصحابك. فأمره بعد ذلك بالأذان، فكان مؤذنا.

«٦٦٣» - لما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز، قال أبرويز للداخل عليه ليقتله:

إني أدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي. قال: ما هو؟ قال: الصندوق الفلاني. فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وإذا فيه رقعة وفي الرقعة حق، وعلى الحق مكتوب: فيه حب من أخذ منه واحدة افتض عشر أبكار، وكان أمره في الباه كذا وكذا. فأخذ شيرويه منه حبة كان هلاكه فيها. فكان أول ميت أخذ ثأره من قاتله.

«٦٦٤» - كان الحارث بن مارية الغساني الملك مكرما لزهير بن جناب الكلبي ينادمه ويحادثه، فقدم على الملك رجلان من بني نهد بن زيد يقال لهما: سهل وحزن ابنا رزاح، وكان عندهما حديث من أحاديث العرب،." (١)

"فاجتباهما الملك ونزلا منه بالمكان الأثير، فحسدهما زهير بن جناب فقال:

أيها الملك، هما والله عين لذي القرنين عليك- يعني المنذر الأكبر جد النعمان بن المنذر- وهما يكتبان إليه بعورتك وخلل ما يريان منك. قال:

كلا. فلم يزل زهير به حتى أوغر صدره. وكان إذا ركب بعث إليهما ببعيرين يركبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة، فعرفا الشر فلم يركب أحدهما وتوقف، فقال له الآخر: [من الطويل]

فإلا تجللها يعالوك فوقها ... وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه

فركبها مع أخيه ومضى بهما فقتلا، ثم إن الملك بحث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلا، فشتم زهيرا وطرده،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٣/٨

فانصرف إلى بلاد قومه. وقدم رزاح أبو الغلامين إلى الملك، وكان شيخا مجربا عالما، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنيه.

وبلغ زهيرا مكانه، فدعا ابنا له يقال له عامر، وكان من فتيان العرب لسانا وبيانا، فقال له: إن رزاحا قدم على الملك، فالحق به، فاحتل في أن تكفينيه.

وقال: إذممني عند الملك ونل مني، وأثر به آثارا. فخرج الغلام حتى قدم الشام فتلطف في الدخول على الملك حتى وصل إليه، وأعجبه ما رأى منه، فقال له:

من أنت؟ فقال: أنا عامر بن زهير بن جناب. قال: فلا حياك الله ولا حيا أباك الغادر الكذوب الساعي. فقال الغلام: نعم، فلا حياه الله، أنظر أيها الملك ما صنع بظهري، وأراه آثار الضرب. فقبل ذلك منه وأدخله في ندمائه. فبينا هو يوما يحدثه إذ قال: أيها الملك لست أدع أن أقول الحق، وقد والله نصحك أبي، ثم أنشأ يقول: [من الوافر]

فيا لك نصحة لما تذقها ... أراها نصحة ذهبت ضلالا

ثم تركه أياما وقال له بعد ذلك: ما تقول أيها الملك في حية قد قطعت ذنبها وبقي رأسها؟ قال: ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع. قال: أبيت اللعن! فو الله ما قدم رزاح إلا ليثأر بهما. فقال له: وما آية ذلك؟ قال: اسقه الخمر." (١)

"ثم ابعث عليه عينا يأتيك بخبره. فلما انتشى صرفه إلى قبته ومعه بنت له، وبعث عليه عيونا. فلما دخل قبته قامت بنته تسانده فقال: [من الوافر]

دعيني من سنادك إن حزنا ... وسهلا ليس بعدهما رقود

ولا تسليني عن شبليك ماذا ... أصابهما إذا اهترش الأسود

فإني لو ثأرت المرء حزنا ... وسهلا قد بدا لك ما أريد

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا، فأمر بقتل النهدي، ورد زهيرا إلى موضعه.

«٦٦٥» - خرج عمرو بن العاص بن وائل السهمي وعمارة بن الوليد المخزومي، أخو خالد بن الوليد في تجارة إلى النجاشي بأرض الحبشة، وكان عمارة ذا محادثة للنساء. فلما ركبا في السفينة- ومع عمرو امرأته- أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو: قبليني، فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك، فقبلته

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٤/٨

وحذر عمرو. وراودها عمارة عن نفسها، فامتنعت. ثم إن عمرا جلس إلى ناحية السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر. فلما وقع سبح حتى أخذ بالقلس ونجا. فقال له عمارة: أما والله يا عمرو، لو علمت أنك تحسن السباحة ما فعلت، فاضطغنها عمرو؛ ومضيا في وجههما حتى قدما أرض اليمن. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص: أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وسائر بني مخزوم، وخشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد. فمضى العاص بن وائل في رجال من قومه منهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، وهما غير مأمونين على أنفسهما، ولا ندري ما يكون، وإني أبرأ إليكم من عمرو ومن جريرته وقد." (١)

"تبوك وسمعته يقول: هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي، وهذه الشيماء بنت بقيلة على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فقلت: [يا رسول الله] ، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها بما تصف، فهي لي، فقال: هي لك. ثم كانت الردة فدخلناها، فكان أول من لقينا الشيماء كما قال صلى الله عليه وسلم على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا خالد بالبينة، فشهد لي محمد بن سلمة ومحمد بن بشير الأنصاري، فدفعها إلي؛ وجاء أخوها عبد المسيح فقال لي: بعنيها، فقلت: لا أنقصها والله من عشر مئات شيئا، فأعطاني ألف درهم، فقال لي: لو قلت مائة ألف لدفعتها إليك، فقلت: ما كنت أحسب عددا أكثر من عشر مئات.

«٣٧٣» - قال شيبة بن [عثمان بن] طلحة: ما كان أحد أبغض إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وكيف لا يكون ذلك وقد قتل منا ثمانية، كل منهم يحمل اللواء. فلما فتح مكة أيست مما كنت أتمناه من قتله، وقلت في نفسي: قد دخلت العرب في دينه فمتى أدرك ثأري منه؟ فلما اجتمعت هوازن لحنين قصدتهم لأجد منهم غرة فأقتله، ودبرت في نفسي كيف أصنع؛ فلما انهزم الناس وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النفر الذين بقوا معه، جئت من ورائه، ورفعت السيف حتى إذا كدت أحطه غشي فؤادي فلم أطق ذلك [وعرفت أنه] ممنوع.

وروي أنه قال: فرفع لي شواظ من نار حتى كاد أن يمحشني، ثم التفت إلي وقال لي: أدن يا شيب فقاتل، ووضع يده في صدري، فصار أحب الناس إلي، وتقدمت فقاتلت بين يديه، ولو عرض لي أبي لقتلته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انقضى القتال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٥/٨

الذي أراد الله بك خير مما أردته بنفسك، وحدثني بجميع ما زورته في نفسي، فقلت: ما اطلع على هذا أحد إلا الله، وأسلمت.." (١)

"لن يبلغ المجد أقوام، وإن كرموا ... حتى يذلوا، وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، نادى مناديه أين عمرو بن جرموز، وهو الذي قتل أباه، فقيل له: أيها الأمير إنه قد باعد في الأرض فقال: أفظن الجاهل أنني أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنا وليأخذ عطاءه مسلما، فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر، لبعض الشعراء: [الكامل]

أو كما طن الذباب طردته ... إن الذباب إذن علي كريم

ولآخر في معناه: [المتقارب]

فكن كيف شئت وقل ما تشاء ... وارعد يمينا وابرق شمالا

نجا لؤمك منجا الذباب ... حمته مقاديره أن ينالا

آخر في المعنى: [الكامل]

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه ... عرض غررت به وأنت ذليل

وقال بعض الحكماء: احتمال السفيه أيسر من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته، وقال لقيط بن زرارة: [الطويل]

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ... ترقون مني ما استطعتم وأعتق

أعدكم أني بأحسن شيمة ... تصير وأني بالفواحش أحدق

وإنك قد سابتني فقهرتني=هنيئا مريئا أنت بالفحش أحدق فيل للإسكندر: إن فلانا وفلانا ينتقصانك، ويسبانك، فلو عاقبتهما فقال: هما بعد العقوبة أعذر في تنقيصي وسبي، فكان ذلك سبب تآلفهما، قال علي عليه السلام لعامر بن مرة الزهري: من أحمق الناس؟ قال: من ظن أنه أعقلهم، قال: صدقت، فمن أعقلهم؟

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٦١/٩

قال: من لم يتجاوز الصمت في عقوبة.
وقد قال بعض الحكماء: من لم يغضب عندما يغضب الجاهل كان ذلك من ذل نفسه وقلة حميته، وإنما المحمود من لا ينفد غضبه، ولا يسترسل معه لأن حد الحلم ضبط [٦٧] النفس عن هيجان الغضب، ولهذا قالت الحكماء: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد إلا في العسرة، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا الحليم إلا في الغضب، لشاعر في المعنى: [البسيط]

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه ... لايعرف الحلم إلا ساعة الغضب
وقد أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الطويل]

فلا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوة أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولم يذكر قوله، بل صوته، ومن فقد الغضب من نفسه، فقد فقد من فضائلها الشجاعة، والحمية، والغيرة، والألفة، والدفاع، والأخذ **بالثأر**، والانتصار، وقد قال المنصور: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة، يقال من رد غضبه، فقد هد من أغضه فسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن ما تكرهه ممن فوقها.
فالغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه لح والحزن بخلاف ذلك، ولهذا يقتل الحزن، ولا يقتل الغضب لكمون الحزن وبروز الغضب، وصار الحادث عن الغضب السطوة، والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن السقم، والمرض لكمونه. لابن دريد: [الطويل]

إذا أمن الجهال أمرك مرة ... فعرضك للجهال غنم من الغنم
فعم عليه الحلم والجهل، والقه ... بمنزلة بين العداوة والسلم
إذا أنت جازيت السفيه، كما جزى ... فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
ولا تغصبن عرض الشفيه وداره ... بحلم فإن أعيا عليك فالصرم
فيرجوك تارات ويخشاك تارة ... وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فإن لم تجد عليه فاستعن ... عليه بجهال فذاك من العزم

في التوراة مكتوب: "يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق" وقيل: من ذكر قدرة الله عليه لم يستعمل قدرته في ظلم العباد، قال عبد الله بن مسلم بن محارب للرشيد: يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدرك منك على عقابي، لما عفوت عني فتركه وعفى عنه، بعض الأدباء قال: إياك وعزة [٦٨] الغضب، فإلها تق! ى بك إلى ذل العذر، أجمع رجل لعمر بن عبد العزيز كلاما.." (١)

"ولم يلبث شاور أن مات قتيلا بعد قدوم الغز بثمانية عشر يوما وهذه السنوات التي وزر فيها شاور وزارته الثانية كثيرة الوقائع والنوازل زفيها ما هو عليه أكثر مما هو له وربما شرحت من ذلك في مواضعه من هذا المجموع ما يشهد النظم بصحة دعواه، وصدق نجواه، فمن ذلك أن طيا ولده قتل في يوم الجمعة الثامن وعشرين من شهر رمضان وأدرك ثأره في يوم الجمعة الثامن وعشرين من جمادى الآخرة فيكون بينهما تسعة أشهر وقلت في ذلك من قصيدة: [كامل]

ونزعت ملكك من رجال نازعوا ... فيه وكنت به أحق وأقعدا

جذبوا رداءك غاصبين فلم تزل ... حتى كسوت القوم أردية الردى

وبردت قلبك من حرارة حرقة ... أمرت نسيم الليل أن لا يبردا

تأريخ دين نلته في مثله ... يوما بيوم عبرة لمن اعتدى

حملت به الأيام تسعة أشهر=حتى جعلن له جمادى مولدا." (٢)

"فمنها بنو رزيك حين أزلتهم ... وحمر المنايا في يديهم وسودها

ومنهن صنع الله عندك في بني ... سوار وما جرت عليها حقودها

ومنها رجوع الغز عن مصر بعد ما ... أبيح بهم أغوارها ونجودها

ومنهن أنا ما رأينا وزارة ... لغيرك عادت بعد ما صد جيدها

ومن أخرى: [بسيط]

أثني عليه ولولا الفضل قال لنا ... كفأ فإني بمدح السيف أقتنع

في كل يوم له نصر ومعجزة ... يقتضها سيفه بكرا ويقترع

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٣٤

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٨١

لله درك موتورا أقض به ... دست وسرج وأجفان ومضطجع

ما غبت إلا يسيرا ثم لحت لنا ... والثأر مستدرك والملك مرتجع

قضية لم ينل منها ابن ذي يزن ... إلا كما نلت والآثار تتبع

فافخر على الحي من قيس ومن يمن ... أبا شجاع فليس الحق يندفع

واسمع مديحي ولا تسمع سواه فما ... يشك فضلك أن الناس لي تبع." (١)

"مائة دينار وأمر لي بمائة كبش بيعت مائة وعشرين فقلت أشكره على ذلك منها في ذكر وزارته: [كامل]

فنصرت في الأولى برعب زلزل الأ ... قدام وهي شديدة الإقدام

ونصرت في الأخرى بضرب صادق ... أضحى يطير به غراب الهام

أدركت ثأرا وارتجعت وزارة ... نزعا بسيفك من يدي ضرغام

منها بعد أبيات:

هذي وقائعك اختصرت حديثها ... حذرا عليها من قصور كلامي

وإذا أردت على الحقيقة شرحها ... فاسئل مضارب سيفك الصمام

فلقد روينا عن حسامك بعض ما ... يروى ويحفظ ألسن الأيام

فاسمع غرائب من مدائحك التي ... تثني السيوف على الأقلام

آنستني بالقرب منك تكرما ... فتغاير السادات في إكرامي

ورفعتني حتى توهم جاهل ... بالحال أني من ذوي الأرحام

وحملت عني ثقل دين فادح ... لولا عظيم نداك رض عظامي

ولقد سلكت من السماح طريقة ... مهجورة ليست بذات زحام." (٢)

"تبسم في ليل الشباب مشيب ... فأصبح برد الهم وهو قشيب

وأنكرت ما قد كنتما تعرفانه ... وقد يحضر الرشد الفتى ويغيب

ومن شارف الخمسين يوما فإنه ... وإن عاش بين الأهل فهو غريب

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٨٥

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٨٩

ومنها رضيت رضى القلوب عن أخذ ثأره=ولي غضب في النائبات أديب

دعوتكم أن تنصفوا من نفوسكم ... فهل منكم عند الدعاء مجيب

وإلا فما عندي سوى الصبر قدرة ... ألا إن نصر الصابرين قريب

وغضيت من زهر الدموع طوالعا ... لها في غروب المقلتين غروب

ومنها

طلعت طلوع الشمس والبدر غائب ... فعفى طلوع ما خباه مغيب

وأقبلت الدنيا إليك تنصلا ... تقبل أذيال الثرى وتتوب

ومنها وقد جمعت فيك السيادة كلها=وغصنك من ماء الشباب رطيب." (١)

"بالعادل ابن الصالح انتظمت فهل ... وصى سليمانا بها داوود

أغنى عن التقليد نص إمامة ... والنص يبطل عنده التقليد

لا شيء من حل وعقد في الورى ... إلا إلى تدبيره مردود

ملك أغاث المسلمين وحاطهم ... منه وجود في الزمان وجود

ورث الكفالة عن أب لم يفترق ... في عصره نصر ولا تأييد

قسما بمجد أبي شجاع أنه ... قسم كما لا ينكران شديد

لقد استقل أبو شجاع بالتي ... أثقالها للمحاملين تؤود

ومنها:

يهنئ أمير المؤمنين قيامه ... في ثأركم ووفاؤه المحمود

لم ترض بالأمر الذي رضيت به ... في الملك أطراف طغت وعبيد

شقيوا بيوم الصالح الهادي كما ... شقيت بصالح النبي ثمود

وتمزقوا بيد الإمام فعالك ... ذاق الردى ومصفد وطريد

رعت الخلافة حق أروع لم يزل ... يحمى العدى عن عزها ويود

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/١٦٦

٦٢ – وقال يمدحه أيضا [كامل]

عادت عليك أهلة الأعياد ... ببلوغ آمال ونيل مراد." (١)

"أدرك الثأر من عداه بعزم ... لم يكن في النشاط منه فتور

واستقامت بنصره وهداه ... حجة الله واستمر المرير

١٠١ – وقال يمدح المظفر أخا الملك الصالح [رجز]

يا ضبية الرمل التي ... أنستها وتنفر

لام عليك عذلى ... لو شاهدوك عذروا

ومنها:

واشكر أبا النجم الذي ... إحسانه لا يكفر

بدر بن رزيك الذي ... أدنى نداه البدر

ذو غرة تزهو بها ... تيجانه والمغفر

ومنها:

قلت لمن كان معي ... اكشف لنا ما الخبر

فقال لي منتهرا ... اسكت لفيك الحجر

يجوز أن يخفى السهى ... فكيف يخفى القمر." (٢)

"وتنوفة بالجيش ضاق مجالها ... فالذئب فيها والقنا لا يعسل

غادرت يوم عداك فيها أيوما ... وتركتهم والليل فيها أليل

ورميتهم بالجرد وهي أجادل ... منقضة من فوقهم أو جندل

وتوهموا لمع الحديد ولونه ... روضا بوارقه تجود وتهطل

فإذا اخضرار الروض درع سابل ... والغصن رمح والمهند جدول

وغدا أخوك الفتح يقسم لا نجوا ... بك لا فعلت وباب مصر مقفل

صدقت نعتك في الكمال بأربع ... شرف الفعال بها يتم ويكمل

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/١٩٩

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٢٢٧

بأس ومعروف تنازع فيهما ... قلم تقلبه يدان ومنصل

لك في رقاب الشاكرين صنائع ... ووقائع بالناكثين تنكل

فلقد أخذتم ثأركم من عصبة ... تفصيل جملة فعلهم لا يجمل

لم يجعلوا مهر الوزارة غير ما ... ساقوا لها من عذرة لا تجهل

إن سميت ذات الحليل فإنها ... لمجدل بالرمل منكم مرمل

ولئن توارت بالحجاب وأعرضت ... عنكم فخاطرها إليكم مقبل

أمهلتموها حمل تسعة أشهر ... وهي العقيم لغيركم لا تحمل

رجعت إليكم وهي ذات طهارة ... وسليلها فتح أغر محجل

وعضلتموها عند خطبة غيركم ... حتى انجلت وهي المهم المعضل

أنقذتموها من أناملهم وقد ... قبضت عليها كفهم والأنمل." (١)

"عنفت أجفاني فقام بعذرها ... وجد يبيح ودائع الأجفان

ومنها:

ياصاحبي وفي مجانبة الهوى ... رأى الرشاد فما الذي تريان

بي ما يذود عن التسبب أوله ... ويزيل أيسره جنون جناني

قبضت على كف الصبابة سلوة ... تنهى النهى عن طاعة العصيان

أمسى وقلبي بين صبر خاذل ... وتجلد قاص وهم دان

قد سهلت حزن الكلام لنادب ... آل الرسول نواعب الأحزان

فابذل مشايعة اللسان ونصره ... إن فات نصر مهند وسنان

واجعل حديث بني الوصي وظلمهم ... تشبيب شكوى الدهر والخذلان

غصبت أمية إرث آل محمد ... سفها وشنت غارة الشنآن

وغدت تخالف في الخلافة أهلها ... وتقابل البرهان بالبهتان

لم تقتنع أحلامها بركوبها ... ظهر النفاق وغارب العدوان

وقعودهم في رتبة نبوية ... لم يبنها لهم أبو سفيان

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٣٢١

حتى أضافوا بعد ذلك أنهم ... أخذوا بثأر الكفر في الإيمان

فأتى زياد في القبيح زيادة ... تركت يزيد يزيد في النقصان." (١)

"وعلى قوله " ٤٦،١٢٣٧ " وكان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب.

ش: الذي كان يفعل ذلك هو سمك بن حرب، وأما شعبة، فلم يسمع له شعر، قال أبو الحسن، هو سمك بغير شك.

وعلى قوله " ٣٦،١٢٣٧ " وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته.

ط: في كتاب البيان: قيل " ١٧ ألف " لبزرجمهر: أي شيء أستر للعى؟ قال عقل، قالوا: فان لم يكن له عقل؟ قال: فمال يستره، قالوا: فان لم يكن له مال؟ قال: فاخوان يعبرون عنه: قالوا: فان لم يكن له إخوان يعبرون عنه؟ قال: فيكون ذاعي وصمت، وقالوا: فان لم يكن ذا صمت قال: فموت " مريح " خير له من أن يكون في " دار " الحياة.

****

الباب الخامس

وعلى قوله " ٤٦،١٢٣٧ " أزد شير.

ش: تفسيره بالفارسية: أزد: الخبز وشير: اللين وحكاء الجرجاني بالراء.

وقوله " ٤٧،١٣ " ذوو يسر.

"؟ " اليسر المجتمعون في الميسر والأيسار جمع اليسر وأحدهم ياسر واليسر " بسكون السين " واليسر بضم السين " اللين والانقياد.

وقوله " ٤٢،٢٤ " عناغنيت بذات الرمث من.

ش: إنما أراد أنا فأبدل من الهمزة عينا.

وقوله " ٤٨،٢٥ " خبر ثناء بني عمرو فانهم.

ش: " خبر بالخاء معجمة.

ط: معجمة، وغير عجمة.

وقوله " ٤٢،٢٦ " المكعبر.

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٣٦٣

ش: قال أبو جعفر بن النحاس: المفضل يكسر باء المكعبر، والأصمعي يفتحها، وفي بعض نسخ الكامل عن أبي الحسن: حفظى المكعبر ط: سمى مكعبر لقوله " الرجز ".

وأنا كالضرغامة الغضنفر ... لو أتعدى رجلا لم أسير

منه سوى كعبرة أو كهبر.

وقوله " ٤٨،٢٧ " المخبرون.

ط: يرويه بفتح الباء.

ش: بكسرها.

وعلى قوله " ٤٨،٢٧ " أسرة مازن.

ش: أسرة مالك.

وعلى قوله " " ٤٩،٢٨، " في اللهو أن لا أحبه.

ط: قال قوم: لا زائدة، أراد: أن أحبه " ١٧ب " وهو قول أبي عبيدة.

ويروي نية قذف وقذف. وعلى قوله " ٤٩،٢٩، " الحرب.

ط: الحرب: السلط، وحريبة الرجل ماله.

وقوله " ٤٩٨،٢٩ " لا ينام من أثار.

ش: أثار هاهنا بمعنى طلب، لا بمعنى أدرك.

وعلى قول الشاعر " ٣٩،٢١٠ " لعلك لست بالثأر المنيم.

ش: يقال للرجل: لست بالثأر المنيم أي إذا قتل استرتح أهله، وناموا وقال أبو جندب الهذلي: " الوافر ":

دعوا حولي نفائقة ثم قالوا ... لعلك لست باثأر المنيم

أي الذي فيه وفاء طلبته.

ط: ووقع في بعض النسخ: لا ينام من الثأر، وألفت عليه بيتا " الطويل ":

فقتلا بتقيتل وضربا بضربكم ... جزاء لعطاش لا ينام من الثأر

أنشده أبن الأعرابي في نوادره " الطويل ":

فقتلا بقتلانا وجز بجزنا ... جزاء لعطاش لا يموت من أثار

وقال معناه: لا يموت ذكره.

وعلى قوله " ٥٩،٢١٠ " يتهكم.
ط: المتهكم المستهزئ.
ش: والأشهر في كلامهم أن التهكم بمعنى الغضب، لا بمعنى الاستهزاء.
وقوله " ٤٩،٢١٠ " ويوما توافينا بوجه مقسم.
هذا البيت لعلباء بن أرقم العجلي وقبله: " الطويل ":
ألا تلكم عرسى تصد بوجهها ... وتزعم في جاراتها أن من ظلك
أبونا ولم أظلم بشيء علمته ... سوى ما أبانت في القذال من القدم
كذا ذكره أبن النحاس في المفضليات. وفي كتاب سبيزيه أنه لأبن صلايم اليشكري
وقوله " ٥٠،٢١٣، " يأتي لها من أيمن وأشمل.
ط: هذا البيت لأبي النجم وبعده:
وهي جبال الفرقدين تعتلى
" ١٨ ألف " يصف راعيا وإبلا
وعلى قوله " ٥٠،٢١٥ " إذا ما هبطن الأرض
ط: حدث الزبير قال حديثا أبو إسحاق بن أيوب بن سلمة عن أيوب بن سلمة قال: اعتمرت في رجب سنة خمس ومائة فصادفني أبن ميادة بمكة، وقدمها معتمرا فأصابنا مطر شديد تهدمت فيه البيوت، وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلى أبن ميادة الغد من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قوم من قومي، وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث، فيقولون: صعق فلان " و " انهدم منزل فلان، فقال أبن ميادة: هذا الغيث، لا الغيث، قلت فما الغيث عندك فقال: " الطويل ":
سحائب لا من صيف ذي صواعق ... ولا محرقات، ماؤهن حميم
فما هبطن الأرض قدمات عودها ... بكين بها حتى يعيش هشيم
وعلى قوله " ٥٠،١١٥، " تكفى الفصيل أكله من ثن.
ش: إنما هو اللقوح لأن قبله " الزجر "
يا أيها الفصيل ذا المعنى ... إنك ريان فصمت عنى." (١)

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/٨٠

"لما توعر في الكراع هجينهم ... هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

واسمه امرؤ القيس بن ربيعة بم مرة بن الحارث بن زهير بن جشم التغلبي.

وقوله " ٣٠٧،٥٦٨ " يقول كنت في حومة القتال.

ط: ذكر غيره أن مهلهلا لما انصرف من يوم قضة، جعل النساء والصبيان يألونه عن آبائهم، ومن حضر الحرب من آلهم وقرابتهم، فقال هذين البيتين، وكانت مدة الحرب بين بكر وتغلب أربعين عاما، كانت فيها خمس وقعات مزاحفة، وما سواهن فغارات، " ١٠٠:ألف " يومان لتغلب، وهما يوم زاردات ويم القصيبات ثم يومان لبكر، يوم الجنو، ويم قضة، وهو يوم التحاليق، ويوم تكافأ فيه الفريقان، وهو يوم عنيزة، وهو أول أيامهم، ثم بعده يوم واردات، ثم بعده يوم الجنو، ثم يوم القصيبات ثم يوم قضة، حكى ابن دريد قضة بالتشديد..

وقوله " ٣٠٧،٥٦٨ " ويروى عن رجل من بني اسد.

ش: هو عبد الله بن السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد، وابن ابنته فاطمة، وأما المطلق لها على المنصة فهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان والمعروف أن المصعب دخل في المقام بها، لا في ليلة أخرى.

وقوله " ٣٠٧،٥٦٩ " فصاحت به من ورائه: وحرباه!

ط: ذكر أبو على الحاتمي أنه لما مات حرب بن أمية، وكان سيد مكة، نديه النوادب، فقالوا: واحرباه و " هو " أول ما قيلت فيه، ثم كثر استعمال الناس لها، فقالوا: واحرباه غيروه على عاداتهم فيما يكثر استعماله على الألسنة، وقيل ايضا فيه أنه على وجهة فيه واحرباه من ذهاب المال.

وقوله " ٣٠٨،٥٧٠ " وقال رجل يعاتب رجلا.

ط: المعاتب بهذا الشعر حوشب بن زيد بن رويم الشيباني وكان أوبوه زيد قتل في حرب الخوارج، فدعا ابنه حوشيا لينصره، ففر عنه وعن أمه، وذكر أبو العباس هذا الحبر بعد هذا في أخبار الخوارج وأنشد بيته.

وقوله " ٣٠٨،٥٧٠ " وقل بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير.

ط: هذا غلط بين، لأن بلالا لم يدرك عبد الله بن الزبير، وكيف يجتمع هذا مع كونه " ١٠٠:ب " ابنا لموهوبة الحجاج كما تقدم، لأن يعطى انم ولادة بلال كانت بعد موت ابن الزبير، وذلك أن الحجاج إنما ولي العراق في سنة خمس وسبعين وقتل ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين.

وقوله " ٣٠٩،١٤٠،٥٧٢ "كما قال: مسحسحة تنفى الحصى عن طريقها.

ط: قال أبو محمد: هو لآبي ذؤيب الهذلي وتمامة " الطويل ":

" يطير أحشاء الرعيب انثراها

قال أبو الحسن: ومسحسحة يعنى مقشرة عن وجه الأرض.

ط: هذا غلط من أبي الحسن: إنما المسحسحة التي تصب الدم صبا كثيرا قبل سح المطر، وبناه على مسحسحة للمبالغة كما يقال: كف وكفكف، ولو أراد القاشرة لوجه الأرض على ما توهم لقال: ساحية لأنه من سحوت الطين وسحيته، ومنه اشتقاق المسحاة، وقد نبه عليه على بن حمزة في هذا الموضع، وتوهم أنه من كلام أبي العباس وإنما هو من كلام الأخفش.

وقوله " ٣٠٩،٥٧٢ " ومستنة كاستنان الحروف.

ط: الأستنان أن تذهب الدابة على وجهها موجا ونشاطا.

وقول الشاعر " ٣٠٩،٥٧٣ " ولا تهين الكريم.

ط: هو للأضبط بن قريع السعدي.

وقول الشاعر " ٣٠٩،٥٧٣ " وبادر بمعروف إذا كنت قادرا.

ط: قال أبو علي البغدادي: يقال أعقب هذا هذا إذا ذهب الأول فلم يبق منه شيء ورجع الآخر مكانه، وقد يقال: عقب هذا إذا جاء بعده، وقد بقى من الأول شيء.

وقوله " ٣٠٩،١١٠،٥٧٥ " وقال جرير: وإني لا ستحيي أخي ن أرى له.

ط: ذكر أن سبب قول جرير هذا الشعر، أن جد جرير، قسم ناله على ولده، فسأله جرير أن " ١٠١:ألف " يلحقه بهم، فلم يفعل، فأنشد قبل هذا البيت.

" الطويل ":

وقائلة والمدمع يحدر كحلها ... أبعد جرير تكرمون المواليا

فأنت اب إلى ما لم تكن لي حاجة ... فان عرضت فأني لا اباليا

ومثله على بن حمزة بقول الآخر " الطويل ":

ولست بهياب لمن لا يعابني ... ولست ارى للمرء مالا يرى ليا

قال: وهذا بمذهب الكرام أشبه من الذي قال أبو العباس: أذاء حق، وهذا دفع نفس، مع أنه أراد جرير وقصده، ولأنشد ابن الأعرابي البيت الذي أنشده أبو العباس لجرير في " نوادره " وذكر أنه لرجل من بني ربيعة

بن مالك، يقال له سيار بن هبيرة يقوله لإخوته وأنشد قبله " الطويل ":

أرى أخوى اليوم شحا كلاهما ... على ومما أن يقول الدواهيا." (١)

"وقد قام قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن االفبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم منها واحتجوا بقول لبيد: " البسيط "

زالنيب، إن تعر مني رمة خلقا ... بعد الممات فاني كنت أثئر

وقيل عن الإبل أنفس أموالهم، فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة.

وقوله " ٧٦٩،٥٨٢٤ ":

" فنعم الفتى أهدى نبيشة بره ".

ط: ويروى: " ونعم الفتى أدى ابن صريمة برة " وهو نبيشة بعينه، ومعنى أدى بره: دفع سلاحه إلى ورثته.

وقوله " ٧٦٩،٨٢٤٥ " وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي

" ١٧٩:ب " "؟ " ليس إهبان خزاعيا، إنما هو من أسلم، أخي خزاعة وهو إهبان بن كعب، وأمه غادية، عرف بها، إلا أن أسلم، معدود في خزاعة، ودليل قتله، قول أخي ربيعة في البيت الواقع، في بطن هذه الورقة الباب الموفى خمسين

وقوله " ٧٧٠،٨٢٤٧ " ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعزوا عن مشائبكم بي.

ط: إنما لفظ الحديث في الموطأ: اتعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي.

وقوله " ٧٧١،٨٢٤٩ " وقال " أبو " عبد الرحمن العتبي، يرثى علي بن سهل:

ش: هو محمد بن عبد الله، من ولد عتبة بن أبي سفيان، وكان شاعرا مجيدا وكان مستهترا بالشرب.

وقوله " ٧٧١،٨٢٤٩ ".

يا خير إخوانه وأعطفهم ش: يا خير إخوانه مردود عند البصريين، وذلك أن أفعل بعض ما أضيف إليه، فيلزم على هذا أن يكون أخا نفسه، وأجازه الكوفيون، وقد جاء في شعر العرب في ذيل الأمالي للقالي، وشاع في أشعار المحدثين وكلام الناس.

قال أبو محمد البطليوسي: لا يجوز زيد خير إخوانه لما ذكر فوق هذا، ولكنه قد قال زياد بن زيد الحارثي: " الطويل "

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/١٤١

لم أر قوما خير قومهم ... أقل به منا على قومهم فخرا
وقول الشاعر " ٧٧٣،٨٢٥٢ ".
رب مغروس يعاش به.
ط: أنشد الجاحظ هذين البيتين لسليمان بن الوليد أخي صريع الغواني وكان أعمى.
وقوله " ٧٧٣،٨٢٥٢ " وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثى زوجها.
ش: هي لبانة بنت على المهدي، ترثى زوجها محمد الأمين.
وقول الشاعر " ٧٧٦،٨٢٥٥ " " البسيط ":
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت ... خدا كريما عليه قارن جسد
ش: القارت: الدم اللازم يقرت قروتا، وقال أبو الحسن نحوه، وهو في الأصل.
" ١٨٠:ألف " وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٨ " ومنهم أبو الهيثم بن التيهان.
ش: اسم ابن الهيثم مالك، وأخوه عبيد، بدريان.
وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٩ " وكانت " له " مشهرة.
ش: المشهرة عصابة حمراء، كان يتعصب بها في الحرب، من السيرة.
وقوله " ٧٧٧،٨٢٥٩ " عبد الله بن الطفيل الأزدي ثم الدوسي.
ط: إنما ذو النور الطفيل بن عمرو، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم اليمامة، وله ابن يقال له عمرو، استشهد يوم اليرموك.
وقوله " ٧٧٧،٨٢٦٠ " وكان قبل يدعى ذا الشمالين.
ش: المشهور، والأصح، أن ذا اليدين، غير ذي الشمالين، وان ذا اليدين، الراوى للسهو في صلاة الظهر، سلمى، يسمى الخزباق، وأما ذو الشمالين، فهو أسلمى كما ذكر، واسمه عمير بن غبشان، وهو حليف بني زهرة، واسم غبشان الحارث.
وقوله " ٧٧٨،٨٢٦٠ " ثم قال: إني لأنسى أو أنسى لأستن.
ش: ليست هذه الزيادة في قصة ذي اليدين، وإن كان مالك قد رواها في موطئه مفردة، وهي مما لا يوجد عند غيره فيما ذكر.
وقوله " ٧٧٨،٨٢٦١ " واهتز لموته عرش الله.

ش: الصحيح في هذا في أمر سعد بن معاذ، المعروف، عند العلماء **بالآثار**، أن العرش اهتز لموته، وفي بعض الروايات: عرش الرحمن، أسنده جابر، وأنس، وفي حديث حابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن سعدا تحرك له العرش، وفتحت لو أبواب السماء.

وقوله " ٧٧٨،٨٢٦١ " وكبر عليه تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب.

ش: إنما روى تحديد العدد في الصلاة على حمزة، فذكر في بعض الروايات أنه صلى عليه مع سائر شهداء أحد، سبع صلوات في سبع جماعات، كلما صلى على جماعة حمزة فيهم، ورفعن، وأبقى حمزة، وشم من تراب قبره ريح المسك.." (١)

"العرب، فهو سهل عليها وبطبيعة منها؛ وكل شيء تقوله العجم، فهو تكلف واستكراه.

وللعرب البديهة في الرأي والقول خاصة، ولهم الكنى مع أسماء خاصة، وهي من التعظيم؛ وقد زعم قوم من الفرس: أن فيهم الكنى، واحتجوا بقول عدي ابن زيد.

أين كسرى كسرى الملوك أبوسا ... سان أم أين قبله سابور

وليس كذلك، إنما كناه عدي بن زيد على عادته، حين أراد تعظيمه، إن صحت الكنية في هذا البيت.

فأما عمرو بن العلاء، ويونس النحوي، وأبو عبيدة، فرووا جميعا أن عديا قال:

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر ... وان، أم أين قبله سابور

فأخطأ الرواية، وقيل ذلك عنه من لا علم له، وليس في الأرض أعجمي له كنية إلا أن تسكنيه العرب.

وليس في الناس أشد عجبا بالخيل من العرب، ولا أصنع لها، وأكثر لها ارتباطا، ولا أشد لها **إيثارا**، ولا أهجا لمن لا يتخذها، أو لمن اتخذها وأهانها، وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها ولم يهنها، ولذلك أضيفت الخيل إليهم بكل لسان، حتى قالوا جميعا: هذا فرس عربي، ولم يقولوا: هذى فرس هندي، ولا رومي، ولا فارسي، فحصنوها تحصين الحرم، وصانوها صون الأعراض، ليبتذلوها يوم الروع وليدركوا عليها **الثأر**.

وكانوا يؤثرونها على أنفسهم وأولادهم، ويصبرون على مؤونتها في الجدب والأزل، ويغتبقون الماء القراح، ويؤثرونها بالحليب، لأنها كانت حصونهم." (٢)

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/٢٠٣

(٢) الحور العين الحميري، نشوان ص/٢١٩

"ذهب، فقطعت رواهشه، قال عدي بن زيد:

فقدمت الأديم لراهشيه ... وألفى قولها كذبا ومينا

وكان قيل لها: احتفظي بدمه، فإن أصابته الأرض منه قطرة طلب بثأره؛ فقطرت قطرة من الدم إلى الأرض، فقالت: لا تضيعوا دم الملك: فقال جذيمة: دعوا دما ضيعه أهله، فأرسلها مثلا، ومات.

ونجا قصير بن سعد على العصا، فصار إلى عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وهو ابن أخت جذيمة؛ فقال له قصير: ألا تطلب بثأر خالك؟ فقال عمرو: وكيف أقدر على الزباء، وهي أمنع من عقاب الجو؟ فأرسلها مثلا. فقال له قصير: اجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه، ودعني وإياها؛ ففعل عمرو ذلك، ولحق قصير بالزباء، وقال لها: لقيت ذلك من أجلك! قالت: وكيف ذلك؟ قال: إن عمرا قال إني أشرت على خاله بالخروج، حتى فعلت به ما فعلت؛ ثم أحسن خدمتها، وأظهر لها النصيحة، حتى حسنت منزلته عندها، ورغبها في التجارة، فبعثت معه عيرا إلى العراق، فصار قصير إلى عمرو مستخفيا، فأخذ منه مالا وزاده على مالها، واشترى لها طرفا من طرف العراق، ورجع إليها، فأراها تلك التجارة والأرباح، فسرت به، ثم كر كرة أخرى فأضعف لها المال، فلما كان في الكرة الثالثة، اتخذ جواليق من المسوح وجعل ربطها من أسافلها إلى داخل وأدخل في كل جولق رجلا بسلاحه وواحد الجوالق جولق بضم الجيم وهو اللبيد أيضا، ومنه اشتق اسم لبيد الشاعر. وأقبل إليها، فجعل يسير الليل ويكمن النهار، وأخذ عمرا معه، وكانت الزباء قد صور لها صورة عمرو قائما وقاعدا وراكبا، وكانت قد اتخذت نفقا قد أجرت عليه الفرات، من قصرها إلى قصر." (١)

"لأن المعنى تم دون هاتين الكلمتين فلما جاء بهما تم البيت وزاد في التشبيه زيادة بينة.

ومنه قول آخر:

من لك يوما بأخيك كله.

ومنه أيضا:

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته ... فما ليل مظلوم كريم بنائم

فقوله كريم تتميم، لأن اللئيم يغضى عن العار، وينام عن الثأر.

ومنه قول الآخر:

ومقام العزيز في بلد الذ ... ل إذا أمكن الرحيل محال

---

(١) الحور العين الحميري، نشوان ص/٣٠٢

فقوله: إذا أمكن تتميم.

ومنه:

وإن صخرا لتأتم العفاة به ... كأنه علم في رأسه نار

باب

الاحتراس

اعلم أن الاحتراس هو أن يكون على الشاعر طعن، فيحترس منه؛ كما قال تعالى: " ولن ينفعكم اليوم، إذ ظلمتم، أنكم في العذاب مشتركون ". لأن الاشتراك في المصيبة يخفف منها، ويسلي عنها. فأعلمهم تعالى أنه أول ما يعاقبهم به أنه لا يلهمهم التأسي، ولا يقضي عليهم بالتسلي. نعوذ بالله من عقابه، ونسأله من ثواب.

ومن الاحتراس قوله تعالى: " فأتوا حرثكم أنى شئتم ". لما كانت أنى تحتمل معنيين: مهنى كيف، ومعنى أين، احترس الباري سبحانه بقوله: حرثكم؛ لأن الموضع المكروه ليس بحرث، والحرث موضع الزرع. ذكره الجبائي في تفسيره.

وأنشدوا للخنساء:." (١)

"حضرت جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان أخت جساس بن مرة - قاتل كليب، وهي امرأة كليب بن ربيعة - مأتم زوجها كليب، فأخرجتها أخته، وقالت لها: اخرجي يا هذه عن مأتمنا، فأنت أخت واترنا، وشقيقته، فلما خرجت لقيها أبوها مرة، فقال: ما وراءك يا جليلة؟ قالت: ثكل الأبد، وقلة العدد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد. فقال لها: أويكف ذلك كرم الصفح، وإغلاء الديات؟ فقالت: أمنية مخدوع ورب الكعبة، أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها؟! ثم قالت جليلة في ذلك:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتا عما انجلت أو تنجلي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٥٥

هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول

خصني يوم كليب بلظى ... من ورائي، ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليوميه كمن ... إنما يبكي ليوم قد خلى

يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل مثكلي

إنني قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لي

عن إسماعيل بن محمد بن أبي محمد، قال: قلت لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق. كل شعرك حسن عجيب، وقد مرت بي منذ أيام لك أبيات استحسنتها جدا، وقال: إنها معادة من أنصاف أوائلها على أواخرها، كأنها رسالة، لو كتبها إنسان إلى صديق له كان حسنا. فدع ما يكون من شعر، فقال: وما هي؟ فأنشدته:

المرء في مآخير مدته ... كالثوب يخلق بعد جدته

وحياته نفس يعد له ... ووفاته استكمال عدته

ومصيره من بعد أنسته ... بالناس، ظلمة بيت وحدته

من مات مال ذوو مودته ... عنه، وحالوا عن مودته

عجبا لمحتجب يضيع ما ... يحتاج فيه ليوم رقدته

أزف الرحيل ونحن في لعب ... لا نستعد له بعدته

ولقلما تبقي الخطوب على ... أشر الشباب وحر وقدته

عن هشام بن عروة قال: قال ابن عمر بن الخطاب لعمر رضي الله عنهما: اخطب على ابنة نعيم النحام - رحمه الله - فقال: ليس بفاعل؛ إن له ابن أخ يتيم في حجره، وإنه لن يعدوه بها، فقال ابن عمر لأبيه: إيذن لي في ذلك، فأنا أكلمه، قال: فخرج حتى كلمه، فقال: يا ابن أخي والله لأبوك خير من أبيها، وأنت خير منها، ولكن لي ابن أخ يتيم في حجري قد زوجته إياها، وأصدقتها عنه من مالي عشرة آلاف درهم، ولست بالذي أنفض لحوم الناس وأترك لحمي تربا، ثم تمثل بشعر قاله خالد بن واثلة الليثي:

ولست ببان لامرئ سمك بيته ... وأترك بيتي خاليا بخمالي

جعلت بناتي في موالي قصرة ... وما راعني ذو سورة وجمال

رأيت الألى يأتون للنصر دعوتي ... موالي والأقصين غير موال

فصل آخر في ذكر البيت

مما ينسب إلى المجنون قيس بن الملوح:

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وهجرانه مني إليه ذنوب

هجرتك إشفاقا، وزرتك خائفا ... وفيك على الدهر منك رقيب

أرى أهلك الأدنين صاروا لنا عدى ... وأنت لنا سلم وفيك حبيب

سأستعتب الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور في الزمان تئوب

فكم من بعيد الدار ساعفه الهوى ... ومنقطع الأسباب وهو قريب!

ومما ينسب إليه أيضا:

لعمرك إن البيت بالظاهر الذي ... مررت فلم ألمم به لي شائق

وإن مروري لا أكلم أهله ... أشد من الموت الذي أنا ذائق

وبالجرع من أعلى الجنينة منزل ... فسيح شحا صدري به متضايق

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أن يقولوا: إنني لك عاشق

أجل صدق الواشون أنت حبيبة ... إلي، وإن لم تصف منك الخلائق

كأن على أنيابها الخمر شابها ... بماء الندى من آخر الليل غابق

وما ذقته إلا بعيني تفرسا ... كما شيم من أعلى السحابة بارق

وقال آخر:

ألا أيها البيتان بالأجرع الذي ... بأسفل مفضاه غضى وكثيب

هجرتكما هجر البغيض، وفيكما ... من الناس إنسان إلي حبيب

وقال آخر:." (١)

"وذكر العتبي أن الشعر للحارث بن الحارث، أحد بني عامر بن صعصعة، وكان له نديمان: أحدهما من بني أسد، والآخر من بني حنيفة، فمات أحدهما، فكانا يشربان ويصبان على قبره، ويقول أحدهما:

لا تصرد هامة عن شربها ... واسقه الراح وإن كان قبر

كان حرا فهوى فيمن هوى ... كل عود ذي شعوب ينكسر

ثم مات الآخر، فكان الثالث يشرب عند قبريهما، وينشد:

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٩٢

خليلي هبا طال ما قد رقدتما ... أجدكما ما تقضيان كراكما؟

الأبيات وقال أعرابي:

ألا يا دهر أفرش عن شريدي ... فقد أدركت مني ما تريد

[أفرش] أي كف:

ذهبت بسالم، وأبي سنان ... فما للرزء بعدهما مزيد

تصيب أقاربي، وتحيد عني ... ومن حولي التخوف والوعيد

ومن تكن المنية غيبته ... فسوف على تفيئته تعود

[تفيئته] : هكذا رأيتها بخط الوزير أبي القاسم بن المغربي، وكنت أظنها "بقيته".

كان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم - لما من عليه المتوكل، وأخرجه من الحبس سلمه إلى الفتح بن خاقان، وضمنه إياه ألا يفارق "سر من رأى" فكان مقيما بها يلتمس الرجوع إلى الحجاز، فلا يقدر، وكان مألفا لسراة الناس، ووجوه أهل البلد، وكان كثير الأنس بسعيد بن حميد، لا يكاد يفارقه، وفي سعيد يقول محمد بن صالح:

أصاحب من صاحبت ثمت أنثني ... إليك

أبا عثمان

عطشان صاديا

أبى القلب لم ينقع بهم وهو حائم ... إليك، وإن كانوا الفروع العواليا

وإنا إذا جئناك لم نبغ مشربا ... سواك، وروينا العظام البواليا

فتوفى محمد بن صالح ... رحمه الله

بسر من رأى، فجزع عليه سيعد، وقال يرثيه:

بأي يد أسطو على الدهر بعدما ... أبان يدي عضب الذبابين قاضب

وهاض جناحي حادث جل خطبه ... فسدت على الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب

لعمري لقد غال التجلد أننا ... فقدناك فقد الغيث، والعام جادب

وما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو بالثأر طالب

لعمري لئن كان الردى بك فاتني ... فكل امرئ يوما إلى الله ذاهب
لقد أخذت مني النوائب حقها ... فما تركت حقا على النوائب
ولا تركتني أرهب الدهر بعد ... لقد كل عني بابه والمخالف
سقى جدثا أمسى الكريم ابن صالح ... يحل به دان من المزن ساكب

لما ظهر عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي، الملقب بطالب الحق، واستولى على صنعاء، وكثير من بلاد اليمن، جهز أبا حمزة في جيش من الإباضية فيهم أبرهة بن الصباح، وبلج بن عقبة، فاستولى على المدينة ومكة، فجهز إليه مروان بن محمد عبد الله بن عطية، فلقيه أبو حمزة بوادي العفرة، فقتل أبا حمزة من معه، واستولى عبد الله بن عطية على عسكرهم، وحاز غنائمهم، وبلغ ذلك عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق، وهو بصنعاء، فسار يريد عبد الله بن عطية وبلغ مسيره ابن عطية، فسار إليه، فالتقى العسكران فظفر به عبد الله بن عطية وقتل عبد الله بن يحيى الكندي، ومعظم جمعه، وتفرق من سلم منهم من القتل في البلاد، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد، فقال عمرو بن الحصين العنبري يرثي عبد الله بن يحيى، وأبا حمزة، وأبرهة، وبلجا، وغيرهم ممن قتل من الإباضية:

هبت قبيل تبلج الفجر ... هند تقول
ودمعها يجري

إذ أبصرت عيني وأدمعها ... ينهل واكفها على نحري:
أنى عراك، وكنت عهدي لا ... سرب الدموع، وكنت ذا صبر
أقذى بعينك ما يفارقها ... أم عائر، أم مالها تذري؟!
أم ذكر إخوان فجعت بهم ... سلكوا سبيلهم على خبر
فأجبتها: من ذكر مصرعهم ... لا غيره، عبراتها تجري
في فتية صبروا نفوسهم ... للمشرفية والقنا السمر
تالله ألقى الدهر مثلهم ... حتى أكون رهينة القبر

أوفى بذمتهم إذا عقدوا وأعف عند العسر واليسر

متأهلون لكل صالحة ... ناهون من لاموا عن النكر

صمت إذا احتضروا مجالسهم ... أذن لقول جليسهم، وقر." (١)

"عن الحسن بن خضر قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفت رجال من بني أمية، وكان فيمن اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك، حتى أخذ له داود بن العباس أمانا، وكان إبراهيم رجلا عالما حدثا «١» ، فخص بأبي العباس، فقال له يوما: حدثني عن ما مر بك في اختفائك؟ قال: كنت- يا أمير المؤمنين- مختفيا بالحيرة، في منزل شارع عن الصحراء «٢» ، فبينا أنا على ظهر بيت اذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي «٣» أنها تريدني، فخرجت من الدار متنكرا، حتى أتيت الكوفة، ولا أعرف بها أحدا أختفي عنده، فبقيت متلددا «٤» ، فإذا بباب كبير ورحبة واسعة، فدخلت فيها، فإذا رجل وسيم الهيئة على فرس قد دخل الرحبة، ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه، فقال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فقلت: رجل مختف يخاف على دمه، استجار بمنزلك. فأدخلى منزله، ثم صيرني في حجرة تلي حرمه «٥» ، وكنت عنده فيما أحب من مطعم ومشرب وملبس، ولا يسألني عن شيء من حالي، إلا أنه يركب في كل يوم ركبة. فقلت له يوما:

أراك تدمن الركوب، ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا، وقد بلغني أنه مختف، وأنا أطلبه لادرك منه ثأري! فكثر- والله- تعجبني، إذ ساقني القدر إلى حتفي، في منزل من طلب دمي! وكرهت الحياة. فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه؟ فخبرني. فعرفت أن." (٢)

"الخبر صحيح، وأنا قتلت أباه صبرا. فقلت: يا هذا، قد وجب علي حقك، ومن حقك علي أن أدلك على خصمك، وأقرب عليك الخطوة. قال: وما ذاك؟

قلت: أنا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ بثأرك! فقال: إني أحسبك رجلا قد مضه «١» الاختفاء، فأحب الموت. فقلت: بل الحق ما قلت لك، أنا قتلته يوم كذا وكذا، بسبب كذا وكذا. فلما عرف صدقي اربد «٢» وجهه واحمرت عيناه، وأطرق مليا، ثم قال: أما أنت فستلقى أبي فيأخذ بثأره منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي، فاخرج عني، فلست آمن نفسي عليك! وأعطاني ألف دينار. فأخذتها وخرجت من عنده. فهذا

---

(١) ا لمنازل والديار أسامة بن منقذ ص/١٠٦

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/١٢٨

أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.

قال القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي «٣»." (١)

"وقال اللحياني: ويقال للحية أيضا: «أشجع» .

و «الزميع» الشجاع الذي يزمع بالأمر ثم لا ينثني، وهم «الزمعاء» والمصدر «الزماع» .

ويقال: «شجاع باسل» وهو: عبوس في غضب. و «استبسل فلان للموت» أي: وطن نفسه عليه واستسلم للقتل، قال الله تعالى: أبسلوا [٦:

٧٠]

أي: أسلموا بذنوبهم. وكل من خذل وأسلم فقد «أبسل» .

ثم رجل «بطل» وهو: الرجل الذي يبطل الأشياء»

والدماء، ولا يدرك عنده ثأر.

ثم رجل «بهمة» «٢» وهو الذي لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه وتيقظه.

ثم رجل «حلبس» «٣» قال الكسائي: «هو الذي يلازم قرنه فلا يفارقه» .

وقال الهنائي: «الحلبس» و «الحبلبس» «٤» هو: الحريص الملازم.

ورجل «أليس» قال الهنائي: «الأليس» الشجاع، وجمعه «ليس» «٥» و «الأليس» : الذي لا يبرح متهللا «٦» .." (٢)

"فقتل عبد الله، وبذل قاتلوه الدية لعمرو، فجنح إلى ذلك، فقالت أخته تحرضه على الطلب بدم أخيه «١» :

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه: لا تعقلوا لهم دمي «٢»

ولا نقبلوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم «٣»

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم «٤»

ولا تشربوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم «٥»

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمر وغير شبر لمطعم؟!

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/١٢٩

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/١٦٦

فحرك هذا الشعر عمرا، وطلب بثأر أخيه، وتقدم في الحروب والشجاعة، حتى كان منه ما كان.

والسليك بن السلكة «٦» القائل:

قرب النحام مني يا غلام ... واطرح السرج عليه واللجام «٧»

أعلم الفتيان: أني خائض ... غمرة الموت، فمن شاء أقام." (١)

"على أخباره، وعالم بأسراره، يجعله عدوا، إن علم خيرا أخفاه، وإن توهم شرا أفشاه، فهو قذاة في عينه، لا يطرف عنها، وشجى في حلقه، ما يتسوغ معه، فليته إذ لم يكرم مثواه، كف عنه أذاه، فإنما دار المرء دنياه.

أو لم يسمع قول الشاعر؟:

ونكرم جارنا حتى ترانا ... كأن لجارنا فضلا علينا

عن الوليد بن هشام قال: وفد زياد الأعجم على حبيب بن المهلب، وهو بخراسان، فبينا هو وحبيب ذات عشية يشربان، إذ سمع زياد حمامة تغني على شجرة كانت في دار حبيب بن المهلب، فقال:

تغني أنت في ذممي وجاري ... بأن لا يذعروك ولن تضاري «١»

إذا غنيتني وطربت يوما ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... بقتلهم لأنك في جواري

فأخذ حبيب سهما فرماها فأنفذها. فقال زياد: يا حبيب، قتلت جاري، بيني وبينك المهلب. فاختصما إلى المهلب، فقال المهلب: زياد لا يروع جاره، قد لزمتك الدية، ألف دينار! فقال حبيب: إنما كنت ألعب، فقال المهلب:

أبو أمامة لا يروع جاره، ادفعها إليه!! فدفع إليه ألف دينار. فقال زياد:

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب

قضى ألف دينارا لجار أجرته ... من الطير حضان على البيض ينعب

رماه حبيب بن المهلب رمية ... فأنفذه بالسهم والشمس تغرب." (٢)

"ويتوغر عليكم ما كان سهلا، فأما قولكم: إني أصبت السلطان بسببكم-:

فقد علمتم- يا آل العاص- أن عثمان قتل وأنا غائب وأنتم حضور، فما كان فيكم من مد ذراعا، ولا اشال

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/١٨٢

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٢٦٤

«١» باعا، أسلمتموه «٢» للحتوف، وغمدتم بعده السيوف، فما نصرتموه ولا منعتموه بأكثر من الكلام، وكان سبب ما ألب عليه الناس «٣» وأجلبوا ما كان من **إيثاره** إياكم بالفيء والقسم، وفي ذلك قطعت أوداجه، وسفك دمه على أثباجه «٤» ، واستحلت حرمته، ونكثت بيعته، فما شببتم نارا، ولا طلبتم **ثأرا**، حتى كنت أنا المطالب **بالثأر**، والمثكل للأمهات، ولقد منيت في الطلب بدمه بحرب امريء لا يغيض بحره، ولا يذل نحره، من إن قرعته لم يفزع «٥» ، وإن أطمعته لم يطمع: من لا تخور قناته، ولا تصدع صفاته «٦» : من لا يطعن في قرابته وفهمه وعلمه وسابقته ومبين بلائه «٧» . وإني كالحية الصماء لا يبل سليمها «٨» ، ولا ينام كليمها، وإني للمرء إن همزت كسرت، وإن كويت أنضجت، فمن شاء فليشاور، ومن شاء فليؤامر، مع أنهم لو عاينوا من يوم الهرير «٩» ما عاينت، أو ولوا." (١)

"الجائر خير من ذي الجاه المعروف عنده، والعقم خير من الولد الأحمق.

عض رجل سفيه رأس ذيوجانس، ثم انهزم، فعدا تلاميذه في طلبه فأعجزهم، فانصرفوا مغضبين، فلما سكنوا قال لهم: ما دعاكم إلى طلب الهارب؟

قالوا: لنقتص لك منه «١» ، قال: أرأيتم لو أن بغلا رمحني لكنتم «٢» رامحيه؟! قالوا: لا «٣» ، قال: ولو أن كلبا عضني لكنتم عاضيه؟!! قالوا: لا، قال: فهذا بمنزلتهما، فدعوا أخلاق البهائم والتشبه بفعلها، واعمروا الحكمة بالوقار، وأطفئوا نار الغيظ بالكظم، واغلبوا الإساءة بالإحسان، واستبدلوا بطلب **الثأر** العفو-: إن أردتم استكمال الحكمة بالقول والفعل.

وقال ثاليس «٤» : الأشراف الأغنياء الأنفس.

وقال ذنون «٥» المشاء: إن الجد لم يهب المال للأغنياء، بل أقرضهم إياها «٦» .

وقال أفلاطن الفيلسوف- وسئل: أي حين لا تفسد الفلسفة؟! قال:-

لا تترقب ما لم يأت ولا تأس على ما فات «٧» .

وقال فيلس الأثيني «٨» : كما أن البحر يكون هادئا إذا لم تموجه الرياح." (٢)

"فلولا قريش ملكها ما تعرضت ... لي الجن بله الإنس قد علمت قدري

وما ابن مراس حين جئت مطردا ... بذي علة دوني ولا حاقد الصدر

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٣٩٤

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٤٤٦

عشية أعطاني سلاحي وناقتي ... وسيفي جدا من فضل ذي نائل غمر

خليلي الفتى العكلي لم أر مثله ... تحلب كفاه الندى شائع القدر

كأن سهيلا ناره حين أوقدت ... بعلياء لا تخفى على أحد يسري

وتيهاء مكسال إذا الليل جنها ... تزمل فيها المدلجون على حذر

بعيدة عين الماء تركض بالضحى ... كركضك بالخيل المقربة الشقر

فلاة يخاف الركب أن ينطقوا بها ... حذار الردى فيها مهولة قفر

سريع بها قول الضعيف ألا اسقني ... إذا خب رقراق الضحى خبب المهر

سمت لي بالبين اليماني صبابة ... وأنت بعيد قد نأيت عن المصر

أتيح لذي بث طريد تعوده ... هموم إذا ما بات طارقها يسري

بنجران يقري الهم كل غريبة ... بعيدة شأو الكلم باقية الأثر

يمثلها ذو حاجة عرضت له ... كئيب يؤسى بين قرنة والفهر

فقال وما يرجو إلى الأهل ردة ... ولا أن يرى تلك البلاد يد الدهر

لعمرك أني يوم نعف سويقة ... لمعترف بالبين محتسب الصبر

غداة جرت طير الفراق وأنبأت ... بنأي طويل من سليمى وبالهجر

ومرت فلم يزجر لها الطير عائف ... تمر لها من دون أطلالها تجري

سنيحا وشر الطير ما كان سانحا ... بشؤمى يديه والشواحج في الفجر

فما أنس مل أشياء لا أنس طائعا ... وإن أشقذتني الحرب إلا على ذكر

عيوف الذي قالت تعز وقد رأت ... عصى البين شقت واختلافا من النجر

عليك السلام فارتحل غير باعد ... وما البعد إلا في التنائي وفي الهجر

وعفت لجفن العين جائل عبرة ... كما ارفض نجم من جمان ومن شذر

تهلل منها واكف مطرت به ... جموم بملء الشأن مائحة القطر

وقالت تعلم أن عندي معشرا ... يرونك ثأرا أو قريبا من الثأر

فقلت لها إني ستبلغ مدتي ... إلى قدر ما بعده لي من قدر

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بأعلى بلي ذي السلام وذي السدر

وهل أهبطن روض القطا غير خائف ... وهل أصبحن الدهر وسط بني صخر
وهل أسمعن يوما بكاء حمامة ... تنادي حماما في ذرى تنضب خضر
وهل أرين يوما جيادي أقودها ... بذات الشقوق أو بأنقائها العفر
وهل تقطعن الخرق بي عيدهية ... نجاة من العيدي تمرح للزجر
طوت لقحا مثل السرار وبشرت ... بأصهب خطار كخافية النسر
هبوع إذا ما الريم لاذ من اللظى ... بأول فيء واستكن من الهجر
وباشر معمور الكناس بكفه ... إلى أن يكون الظل أقصر من شبر
وقد ضمرت حتى كأن وضينها ... وشاح عروس جال منها على خصر
حديثة عهد بالصعوبة ديثت ... ببعض الركوب لا عوان ولا بكر
تخال بها غب السرى عجرفية ... على ما لقين من كلال ومن حسر
ولو مر ميل بعد ميل وأصبحت ... عتاق المطايا قد تعادين بالفتر
وهل أرين بين الحفيرة والحمى ... حمى النير أو يوما بأكثبة الشعر
جميع بني عمي الكرام وإخوتي ... وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر
أخلاي لم يشمت بنا ذو شناءة ... ولم تضطرب مني الكشوح على غمر
ولا منهم حتى دعتنا غواتنا ... إلى غاية كانت بأمثالنا تزري
أتيناهم إذ أسلمتهم حلومهم ... فكنا سواء في الملامة والعذر
فلأيا بلأي ما نزعتا وقبله ... مددنا عنان الغي متسقا يجري
فكنا لأقوام عظات وقطعت ... وسائل قربى من حميم ومن صهر
لحى الله من يلحى على الحلم بعدما ... دعتنا رجال للفخار وللعقر
وجاؤوا جميعا حاشدين نفيرهم ... إلى غاية ما بعدها ثم من أمر." (١)

"ولو يدعني باسمي كررت عليهم ... خيول كرام الضرب أكثرها الوجي
ولا غرو إلا قول سلمى ظعينتي ... أما أنت يا ابن الحر بالمتحرج
دع القوم لا تقتلهم وانج سالما ... وشمر هداك الله بالخيل واخرج

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٠٩

وإني لأرجو يا ابنة الخير أن أرى ... على خير أحوال المؤمل فارتجي
ألا حبذا قولي لأحمر طيىء ... ولابن خليد قد دنا الصبح فادلج
وقولي لذا أقضم وقولي لذا ارتحل ... وقولي لذا من بعدها ذاك أسرج
وسيري بفتيان كرام أحبهم ... مغذا وضوء الصبح لم يتبلج
يطيعون متلافا مفيدا معذلا ... به يرتجي عفو الغنى كل مرتجي
وقال عبيد الله بن الحر أيضا في حبس مصعب:
من مبلغ الفتيان أن أخاهم ... أتى دونه باب منيع وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها ... إذا قام غنته كبول تجاوبه
على الساق فوق الكعب أسود صامت ... شديد يداني خطوه ويقاربه
وما ذاك من جرم أكون اجترمته ... ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه
وقد كان في الأرض العريضة مسلك ... وأي امرء أعيت عليه مذاهبه
دعاني إليه مصعب فأجبته ... نهاري وليلي كله أنا دائبه
أروح وأغدو دائما وكأنما ... أبادر غنما في الحياة أناهبه
فكان حبائي إذ أنخت ببابه ... حجول وأحراس وصعب مراتبه
فإني لم أنكث لهم عهد بيعة ... ولم آت أمرا محدثا أنا راهبه
فأني لكم مثلي يذبب عنكم ... إذا الصف دارت للقراع كتائبه
وإني من قوم سيذكر فيهم ... بلائي إذا ما غص بالماء شاربه
كأن عبيد الله لم يمس ليلة ... موطنة تحت السروج جنائبه
ولم يدع فتيانا كأن وجوههم ... مصابيح في داج توارت كواكبه
لعمرك إني بعد عهدي ونصرتي ... لكالسيف فلت بعد حد مضاربه
وقد علم المختار أني له شجى ... إذا صد عنه كل قرن يكالبه
أكر عليه الخيل تدمى نحورها ... أطاعنه طورا وطورا أضاربه
فكم من صريع قد تركت بمعزل ... عكوفا عليه طيره وثعالبه
وحصن منيع قد صبحت بغارة ... وأهل نعيم يضرب الطبل لاعبه

وقال أيضا وهو في السجن:

لنعم ابن أخت القوم يسجن مصعب ... لطارق ليل خائف ولنازل

ونعم الفتى يا ابن الزبير سجنتم ... إذا قلقت يوما ضفور الرحائل

فلو مت في قومي ولم آت عجزة ... يضعفني فيها امرؤ غير عادل

لأكرم بها من ميتة إن لقيتها ... أطاعن فيها كل خرق منازل

وما كنت أخشى أن أراني مقيدا ... على غير جرم وسط بكر بن وائل

وألفيتني يا ابن الزبير كأنما ... رميت بسهم من سهامك ناصل

فإن أنفلت لا تجمع الشمس بيننا ... ولا الليل إلا في القنا والقنابل

متى أدع فتيان الصعاليك يركبوا ... ظماء الفصوص نائمات الأباجل

تشبهها الطير السراع إذا اغتدت ... بفرسانها في السبسب المتماحل

تطير مع الأيدي إذا ارتفعت لها ... شمائلها ألحقنها بالمساحل

يقود رعان الخيل بي وبصحبتي ... كميت الأعالي بربري الأسافل

علينا دلاص من تراث محرق ... وترك جلا عنها مداس الصياقل

ومطردات من رماح ردينة ... وأتراس جون علقت بالشمائل

فلو شئت لم تسجن صديقا ولم تهب ... إليك بصقعاء المناكب بازل

من الجرب يمريها ودرتها دم ... إذا أمتريت أخلافها بالمناصل

أنا ابن أبي قيس فإن كنت سائلا ... بقيس تجدهم ذروة في القبائل

ألم تر قيسا قيس عيلان برقعت ... لحاها وباعت نبلها بالمغازل

ومازلت أرجو الأزد حتى رأيتها ... تقصر عن بنيانها المتطاول

ومقتل مسعود ولم يثأروا به ... وصارت سيوف الأزد مثل المناجل

وما خير عقل أورث الأزد ذلة ... تسب به أحياؤهم في المحافل." (١)

"فقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١١٧

فقلت كذاك الحب قد يحمل الفتى ... على الهول حتى يستقاد فينحر

فو الله ما أدري أتعجيل راحة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الحب والهوى ... إليك وما نفس من الناس يشعر

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر

فأنت أبا الخطاب غير منازع ... علي أمير ما مكثت مؤمر

فبت قرير العين أعطيت حاجتي ... أقبل فاها في الخلاء فأكثر

فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ... نقي الثنايا ذو غروب مؤشر

يرف إذا تفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور

أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني إلا مناد تحملوا ... وقد شق معروف من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تئور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فأما أفوتهم ... وأما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيق كما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر

فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... وما بي من أن تعلما متأخر

لعلهما أن تبغيا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تدني عبرة تتحدر

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفي ... ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... أما تتقي الأعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر
إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تبصر
على أنني قد قلت يا نعم قولة ... لها والعتاق الأرحبية تزجر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ... اللذيذ ورياها الذي أتذكر
فقمت إلى حرف تخون نيها ... سرى الليل حتى لحمها يتحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بلية لوح أو شجار ومؤسر
وماء بموماة قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث بها الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوت كأنه ... على شرف الأرجاء خام منشر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فطافت به مغلاة أرض تخالها ... إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصا على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للورد لولا زمامها ... وجذبي لها كانت مرارا تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها معصر
قصرت لها من جانب الحوض منشأ ... صغيرا كقيد الشبر أو هو أصغر
إذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قدى الكف مسأر
ولا دلو إلا القعب كان رشاءه ... إلى الماء نسع والجديل المظفر." (١)

"يقول لي الأصحاب هل أنت لاحق ... بأهلك إن الزاهرية لاهيا
لحقت وأصحابي على كل حرة ... وخود تباري الأحبشي المكاريا
ترامين بالأجواز في كل صفصف ... وأدنين من خلج البرين الذفاريا
إذا بلغت رحلي رجيع أملها ... نزولي بالموماة ثم ارتحاليا

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٥١

مخففة يسري على الهول ركبها ... عجالا بها ما ينظرون التواليا
تخال بها ميت الشخاص كأنه ... قذى غرق يضحي به الماء طافيا
يشق على ذي الحلم أن يتبع الهوى ... ويزجر من أدناه أن ليس لا قيا
وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريع إذا لم أرض داري احتماليا
وإني لأستحييك والخرق بيننا ... من الأرض أن تلقى أخا لي قاليا
وقائلة والدمع يحدر كحلها ... أبعد جرير تكرمون المواليا
فردي جمال الحي ثم تحملي ... فما لك فيهم من مقام ولا ليا
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت فإنني لا أبا ليا
بأي نجاد تحمل السيف بعدما ... قطعت قوى من محمل كان باقيا
بأي سنان تطعن القوم بعدما ... نزعت سنانا من قناتك ماضيا
ألم أك نارا يصطليها عدوكم ... وحرزا لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه ... وقابض شر عنكم بشماليا
ألا لا تخافا نبوتي في ملمة ... وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
إذا سركم أن تمسحوا وجه سابق ... جواد فمدوا وابسطوا من عنانيا
أنا ابن صريحي خندف غير دعوة ... تكون مكان القلب منها مكانيا
وليس لسيفي في العظام بقية ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا
جريء الجنان لا أهال من الردى ... إذا ما جعلت السيف من عن شماليا
أبالموت خشتني قيون مجاشع ... وما زلت مجنيا علي وجانيا
وما مسحت عند الحفاظ مجاشع ... كريما ولا من غاية المجد دانيا
دعوا المجد إلا أن تسوقوا كزومكم ... وقينا عراقيا وقينا يمانيا
تراغيتم يوم الزبير كأنكم ... ضباع بذي قار تمنى الأمانيا
وقال جرير يجيب الفرزدق:
لمن الديار كأنها لم تحلل ... بين الكناس وبين طلح الأعزل
ولقد أرى بك والجديد إلى بلى ... موت الهوى وشفاء عين المجتلي

نظرت إليك بمثل عيني مغزل ... قطعت حبالتها بأعلى يليل

وإذا التمست نوالها بخلت به ... وإذا عرضت بودها لم تبخل

ولقد ذكرتك والمطي خواضع ... وكأنهن قطا فلاة مجهل

يسقين بالأدمى فراخ تنوفة ... زغبا حواجبهن حمر الحوصل

يا أم ناجية السلام عليكم ... قبل الرواح وقبل لوم العذل

وإذا غدوت فباكرتك تحية ... سبقت سروح الشاحجات الحجل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

أو كنت أرهب وشك بين عاجل ... لقنعت أو لسألت ما لم أسأل

أعددت للشعراء سما ناقعا ... فسقيت آخرهم بكأس الأول

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا ... وبنى بناءك بالحضض الأسفل

بيتا يحمم قينكم بفنائه ... دنسا مقاعده خبيث المدخل

ولقد بنيت أذل بيت يبتنى ... فهدمت بيتكم بمثلي يذبل

إني بنى لي في المكارم أولي ... ونفخت كيرك في الزمان الأول

أعيتك مأثرة القيون مجاشع ... فانظر لعلك تدعي من نهشل

وامدح سراة بني فقيم إنهم ... قتلوا أباك وثأره لم يقتل

ودع البراجم إن شربك فيهم ... مر عواقبه كطعم الحنظل

إني انصببت من السماء عليكم ... حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

من بعد صكي للبعيث كأنه ... خرب تنفج من حذار الأجدل

ولقد وسمتك يا بعيث بميسمي ... وضغا الفرزدق تحت حد الكلكل." (١)

"ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأقوام

ضربت معارفها الروامس بعدنا ... وسجال كل مجلجل سجام

ولقد أراك وأنت جامعة الهوى ... نثني بعهدك خير دار مقام

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٨١

فإذا وقفت على المنازل باللوى ... فاضت دموعي غير ذات سجام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لوصلت ذاك فكان غير رمام
إني أواصل من أردت وصاله ... بحبال لا صلف ولا لوام
ولقد أراني والجديد إلى بلى ... في فتية طرف الحديث كرام
طلبوا الحمول على خواضع كالبرى ... يحملن كل معذل بسام
لولا مراقبة العيون أريننا ... مقل المها وسوالف الأرآم
ونظرن حين سمعن رجع تحيتي ... نظر الجياد سمعن صوت لجام
كذب العواذل لو رأين مناخنا ... بحزيز رامة والمطي سوام
والعيس جائلة الغروض كأنها ... بقر جوافل أو رعيل نعام
نصي القلوص بكل خرق مهمه ... عمق الفجاج مخرج بقتام
يدمى على خدم السريح أظلها ... والمرو من وهج الظهيرة حام
بات الوساد على ذراع شملة ... وثنى أشاجعه بفضل زمام
إن ابن آكلة النخالة قد جنى ... حربا عليه ثقيلة الأجرام
خلق الفرزدق سوءة في مالك ... ولخلف ضبة كان شر غلام
مهلا فرزدق إن قومك فيهم ... خور القلوب وخفة الأحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم ... والنازلون بشر دار مقام
لو غيركم علق الزبير وحبله ... أدى الجوار إلى بني العوام
كان العنان على أبيك محرما ... والكير كان عليه غير حرام
عمدا أعرف بالهوان مجاشعا ... إن اللئام علي غير كرام
تلقى الضفنة من بنات مجاشع ... تهذي استها بطوارق الأحلام
وقال جرير يجيب الفرزدق ويجمع معه البعيث والأخطل:
زار الفرزدق أهل الحجاز ... فلم يحظ فيهم ولم يحمد

وأخزيت قومك عند الحطيم ... وبين البقيعين والغرقد

وجدنا الفرزدق بالموسمين ... خبيث المداخل والمشهد

نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... بحقك تنفى عن المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا ضللت ولم تهتد

وقد أجلوا حين حل العذاب ... ثلاث ليال إلى الموعد

وشبهت نفسك حوق الحمار ... خبيث الأواري والمرود

وجدنا جبيرا أبا غالب ... بعيد القرابة من معبد

أتجعل ذاك الكير من مالك ... وأين سهيل من الفرقد

وعرق الفرزدق شر العروق ... خبيث الثرى كابي الأزند

وأوصى جبير إلى غالب ... وصية ذي الرحم المجهد

فقال ارفقن بلي الكتيف ... وحك المشاعب بالمبرد

وجعثن حط بها المنقري ... كرجع يد الفالج الأحرد

تثاءب من طول ما أبركت ... تثاؤب ذي الرقية الأدرد

فهلا ثأرت ببنت القيون ... وتترك شوقا إلى مهدد

وهلا ثأرت بحل النطاق ... ودق الخلاخل والمعضد

فأصبحت تفقر آثارهم ... ضحى مشية الجاذف الأعقد

كليلا وجدتم بني منقر ... سلاح قتيلكم المسند

تقول نوار فضحت القيون ... فليت الفرزدق لم يولد

وفات الفرزدق بالكلبتين ... وعدل من الحمم الأسود

فرقع لجدك أكياره ... وأصلح متاعك لا يفسد

وأدن العلاة وأدن القدوم ... ووسع لكيرك في المقعد

قرنت البعيث إلى ذي الصليب ... مع القين في المرس المحصد

وقد قرنوا حين جد الرهان ... بسام إلى الأمد الأبعد

يقطع بالجري أنفاسهم ... بثني العنان ولم يجهد." (١)

"فإنا أناس نحب الوفاء ... حذار الأحاديث في المشهد

ولا نحتبي عند عقد الجوار ... بغير النجاد ولا نرتدي

شددتم حباكم على غدرة ... بجيشان والسيف لم يغمد

فلما احتبيت وأنت الذليل ... قعدت على است لدى قعدد

فبعدا لقوم أجاروا الزبير ... وأما الزبير فلم يبعد

أعبت فوارس يوم الغبيط ... وأيام بشر بني مرثد

ويوما ببلقاء يا ابن القيون ... شهدنا الطعان ولم تشهد

فصبحن أبجر والحوفزان ... بورد مشيح على الذود

ويوم البحيرين ألحقننا ... لهن أخاديد في القردد

نعض السيوف بهام الملوك ... ونشفي الطماح من الأصيد

وقال جرير للفرزدق لما تزوج حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان أبوها نصرانيا، وأراد الفرزدق أن يغيظ النوار بنت عين بن صنيعة بن ناجية بن عقال وكان الفرزدق تزوجها أعني النوار فأخبرت النوار جريرا بذلك وشكت الفرزدق إليه، فقال: أنا أكفيكه وقال:

لست بمعطي الحكم من شف منصب ... ولا عن بنات الحنظلين راغب

أراهن ماء المزن يشفى به الصدى ... وكانت ملاحا غيرهن المشارب

لقد كنت أهلا أن تسوق دياتكم ... إلى آل زيق أن يعيبك عائب

وما عدلت ذات الصليب ظعينة ... عتيبة والردفان منها وحاجب

ألا ربما لم نعط زيقا بحكمه ... وأدى إلينا الحكم والغل لازب

حوينا أبا زيق وزيقا وعمه ... وجدة زيق قد حوتها المقانب

ألم تعرفوا يا آل زيق فوارسي ... إذا اغبر من كر الطراد الحواجب

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٨٤

حوت هانئا يوم الغبيطين خيلنا ... وأدركن بسطاما وهن شوازب

صبحناهم جردا كأن غبارها ... شآبيب صيف يزدهين حاصب

بكل رديني يطارد متنه ... كما اختب سيد بالمراضين لاغب

جزى الله زيقا وابن زيق ملامة ... على أنني في ود شيبان راغب

أأهديت يا زيق بن زيق غريبة ... إلى شر من تهدى إليه الغرائب

فأمثل ما في صهركم أن صهركم ... مجيد لكم لي الكتيف وشاعب

عرفناك من حوق الحمار لخبثة ... وكان لضمات من القين غالب

بني مالك أدوا إلى القين حقه ... وللقين حق في الفرزدق واجب

أثائرة حدراء من جر بالنقا ... وهل في بني حدراء للوتر طالب

أتثأر بسطاما إذا ابتلت استها ... وقد بولت في مسمعيه الثعالب

ذكرت بنات الشمس والشمس لم تلد ... وأيهات من حوق الحمار الكواكب

ولو كنت حرا كان عشر سياقة ... إلى آل زيق والوصيف المقارب

وقال يجيب الفرزدق:

أقمنا وربتنا الديار ولا أرى ... كمربعنا بين الحنيين مربعا

ألا حب بالوادي الذي ربما نرى ... به من جميع الحي مرأى ومسمعا

ألا لا تلوما القلب أن يتخشعا ... فقد هاجت الأحزان قلبا مفزعا

وجودا لهند بالكرامة منكما ... وما شئتما أن تمنعا بعد فامنعا

وما حفلت هند تعرض حاجتي ... ولا نوم عيني الغشاش المروعا

بنفسي من جار على غربة النوى ... أراد بسلمانين بينا فودعا

كأن غماما في الخدور التي غدت ... دنا ثم هزته الصبا فترفعا

فليت ركاب الحي يوم تحملوا ... بحومانة الدراج أصبحن ظلعا

بني مالك إن الفرزدق لم يزل ... فلو المخازي مذ لدن أن تيفعا

رميت ابن ذي الكيرين حتى تركته ... قعود القوافي ذا علوب موقعا

وفقأت عيني غالب عند كيره ... وأقلعت عن أنف الفرزدق أجدعا

مددت له الغايات حتى نخسته ... جريح الذنابى قانيء السن مقطعا

ضغا قردكم لما اختطفت فؤاده ... ولابن وثيل كان خدك أضرعا." (١)

"وإنك قد أعطيت نصرا على العدا ... ولقيت صبرا واحتساب المجاهد

إذا جمع الأعداء أمر مكيدة ... لغدر كفاك الله كيد المكايد

وإنا لنرجو أن ترافق عصبة ... يكونون للفردوس أول وارد

تمكنت من حيي معد من الذرى ... وفي اليمن الأعلى كريم الموالد

وما زلت تسمو للمكارم والعلا ... وتعمر عزا مستنير الموارد

إذ عد أيام المكارم فافتخر ... بأيامك الشم الطوال السواعد

وكم لك من بان رفيع بناؤه ... وفي آل صعب من خطيب ووافد

يسرك أيام المحصب ذكرهم ... ويوم مقام الهدي ذات القلائد

بنيت المنار المستنير على الهدى ... فأصبحت نورا ضوؤه غير خامد

بنيت بناء لم ير الناس مثله ... يكاد يوازى سوره بالفراقد

وأعطيت ما أعيي القرون التي مضت ... فنحمد مولانا ولي المحامد

لقد كان في أنهار دجلة نعمة ... وحظوة جد للخليفة صاعد

عطاء الذي أعطى الخليفة ملكه ... ويكفيه تزفار النفوس الحواسد

فإن الذي أنفقت حزما وقوة ... تجيء بأضعاف من الربح زائد

جرت لك أنهار بيمن وأسعد ... إلى زينة في صحصحان الأجالد

ينبتن أعنابا ونخلا مباركا ... وحبا حصيدا من كريم الحصائد

إذا ما بعثنا رائدا يطلب الندى ... أتانا بحمد الله أحمد رائد

فهل لك في عان وليس بشاكر ... فتطلقه من طول عض الحدائد

يعود وكان الحنث منه طبيعة ... وإن قال إني معتب غير عائد

فلا تقبلوا ضرب الفرزدق إنه ... هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد

ندمت وما تغني الندامة بعدما ... تطوحت من صك البزاة الصوائد

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٨٥

فكيف نجاة للفرزدق بعدما ... ضغا وهو في أشداق أغلب حارد

يلوي استه مما يخاف ولم يزل ... به الحين حتى صار في كف صائد

بني مالك إن الفرزدق لم يزل ... كسوبا لعار المخزيات الخوالد

وإنا وجدنا إذ وفدنا عليكم ... صدور القنا والخيل أنجح وافد

ألم تر يربوعا إذا ما ذكرتها ... وأيامها شدوا متون القصائد

فمن لك إن عددت مثل فوارسي ... حووا حكما والحضرمي بن خالد

وقال جرير يمدح هلال بن أحوز المازني، ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ويهجو الفرزدق وبني طهية:

أمن ربع دار هم أن يتغيرا ... تراوحه الأرواح والقطر أعصرا

وكنا عهدنا الدار والدار مرة ... هي الدار إذ حلت بها أم يعمرا

ذكرنا بها عهدا على الهجر والبلى ... ولا بد للمشعوف أن يتذكرا

أجن الهوى ما أنس لا أنس موقفا ... عشية جرعاء الصريف ومنظرا

تباعد أهل الوصل مذ حل أهلنا ... بقو وحلت بطن غول فعرعرا

عشية تسبي القلب من غير ريبة ... إذا سفرت عن واضح اللون أزهرا

أتى دون هذا النوم هم فأسهرا ... أراعي نجوما تاليات وغورا

أقول لها من ليلة ليس طولها ... كطول الليالي ليت صبحك نورا

حذارا على نفس ابن أحوز إنه ... جلا كل وجه من معد فأسفرا

أخاف عليه أنه قد شفى جوى ... وأبلى بلاء ذا حجول مشهرا

ألا رب سامي الطرف من آل مازن ... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أتنسون شدات بن أحوز معلما ... إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

فأدرك ثأر المسمعين بسيفه ... وأغضب في يوم الخيار فنكرا

جعلت بقبر للخيار ومالك ... وقبر عدي في المقابر أقبرا

شفيت من الآثار خولة بعدما ... دعت لهفها واستعجلت أن تخمرا

وغرقت حيتان المزون وقد رأوا ... تميما وعزا مناكب مدسرا

فلم تبق منهم راية يرفعونها ... ولم تبق من آل المهلب عسكرا." (١)

"نور أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدي

يا رب فاجمعنا معا ونبينا ... في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس واكتبها لنا ... يا ذا الجلال وذا العلى والسؤدد

والله أسمع ما حييت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد

ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سودا وجوههم كلون الإثمد

ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم تجحد

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

فرحت نصارى يثرب ويهودها ... لما توارى في الضريح الملحد

وقال حسان يرثي حمزة بن عبد المطلب: السريع

هل تعرف الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل

بين السراديح فأدمانة ... فمدفع الروحاء في حائل

سألتها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدر ما مرجوعة السائل

دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل

المالئ الشيزى إذا أعصفت ... غبراء في ذي السنة الماحل

التارك القرن لدى قرنه ... يعثر في ذي الخرص الذابل

واللابس الخيل إذا أحجمت ... كالليث في غاباته الباسل

أبيض في الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل

ما لشهيد بين أرحامكم ... شلت يدا وحشي من قاتل

إن امرءا غودر في ألة ... مطرورة مارنة العامل

أظلمت الأرض لفقدانه ... واسود نور القمر الناصل

صلى عليك الله في جنة ... عالية مكرمة الداخل

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٩٦

كنا نرى حمزة حرزا لنا ... من كل أمر نائب نازل

وكان في الإسلام ذا تدرإ ... لم يك بالواني ولا الخاذل

لا تفرحي يا هند واستحلبي ... دمعا وأذري عبرة الثاكل

وابكي على عتبة إذ قطه ... بالسيف تحت الرهج الجائل

إذ خر في مشيخة منكم ... من كل عات قلبه جاهل

أرداهم حمزة في أسرة ... يمشون تحت الحلق الذابل

غداة جبريل وزير له ... نعم وزير الفارس الحامل

قيس بن الخطيم

وقال قيس بن الخطيم بن عبد بن عمرو بن سوادة بن ظفر الأنصاري: الطويل

تذكر ليلى حسنها وصفاءها ... وبانت فأمسى ما ينال لقاءها

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة ... ولا جارة أفضت إلي خباءها

إذا ما اصطبحت أربعا خط مئزري ... وأتبعت دلوي في السماح رشاءها

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت إزاءها

ضربت بذي الزرين ربقة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائما من دونها ما وراءها

يهون علي أن ترد جراحه ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها

وكنت امرءا لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها

وإني في الحراب الضروس موكل ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها

إذا سقمت نفسي إلى ذي عداوة ... فإني بنصل السيف باغ دواءها

متى يأت هذا الموت لم تلق حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وكانت شجا في الحلق ما لم أبؤ بها ... فأبت بنفس قد أصبت دواءها

وقد جربت منا لدى كل مأقط ... دحي إذا ما الحرب ألقت رداءها

وإنا إذا ما ممترو الحرب بلحوا ... نقيم بآساد العرين لواءها
ونلحقها مبسورة ضيزنية ... بأسيافنا حتى نذل إباءها
وإنا منعنا في بعاث نساءنا ... وما منعت مل مخزيات نساءها
وقال قيس:
أجد بعمرة غنيانها ... فتهجر أم شأننا شأنها." (١)
"لم يدركوها وألهتهم أناتهم ... حتى أتى دونها سلمان أو أقر
فأصبحت في بني شيبان مسلحة ... يعيرهم بعضهم بعضا وتؤتجر
حتى أتيتكم من بعد مخلفها ... بعد السفاد وحبلاهن تنتظر
جزت نواصيها بيض غطارفة ... من وائل أن نعمى سيبهم درر
بكر وتغلب ساموك التي جعلت ... لون التراب على خديك يا كفر
الواهبون لكم أطهار نسوتكم ... لم يجزها منكم نعمى ولا أثر
يا بن المراغة لم تفخر بمفخرة ... بعد الرداف من المسبية العقر
أنا ابن جلهم يا ابن الأخبثن أبا ... وابن جساس وتيم حين أفتخر
المصدري الأمر قد أعيت مصادره ... والمطعمي الشحم حتى يرسل المطر
وقادة اليمن والمجسور أثرهم ... يوم المهمة والجلى إذا جسروا
والوالدين ملوكا كنت تعبدهم ... من قبل سجحة في عليائك السخر
والمانعين بإذن الله محمية ... بني تمميم ونار الحرب تستعر
قدنا تميما لأيام الكلاب معا ... فاستعثروا جد أقوام وما عثروا
ويوم تيمن نحن الناحرون بها ... جبار مذحج والجبار ينتحر
هلا سألت بنا حسان يوم كبا ... والرمح يخلجه والخد منعفر
وإذ أغار شميط نحو نسوتنا ... غرنا عليهن إنا معشر غير
ذدنا الخميس ولم نفعل كفعلكم ... بالضرب شذبت الهامات والقصر
فأصبحوا بين مقتول ومؤتسر ... شدت يداه إلى الليتين تؤتسر

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٨٠

ويوم سخبان أبرمنا بواحدة ... للناس أمرهم والأمر منتشر

ويوم دجلة أكداس يجرعها ... كأس الفطيمة فيها الصاب والمقر

ويوم سعد وصحنى قرقرى لحقت ... منا فوارس لا ميل ولا ضجر

يوم اعتنقنا سويدا والقنا قصد ... والخيل تعدو عليها عثير كدر

ولم تزل كمكان النجم نسوتنا ... إذ مردفاتك تسبى ما لها مهر

نغزو فنسبي ولا تسبى حلائلنا ... إن القتال لتيم طائر أمر

إنا لبطن حصان غير ضائعة ... يا بن التي حملته وهي تمتذر

لم يخزنا موقف كنا نقوم به ... ولا يجير علينا ثأرنا الغير

ما نالنا الضيم إنا معشر شمس ... من دون أحسابنا والموت محتضر

وإن نبعتنا صلب مكاسرها ... فلا نخور إذا ما خارت العشر

أخطار صدق إذا قمنا نقوم بها ... وابن الأتان جرير ماله خطر

دع الرباب وسعدا لست نائلها ... هيهات هيهات منك الشمس والقمر

هم أسرع الناس إدراكا إذا طلبوا ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

مدوا بسيل أتي لست حابسه ... وليس سيلهم يلفى إذا زخروا

كانوا قديما أشد الناس معتمدا ... في الأولين وفي الخلف الذي غبروا

ولو يشاؤون ماتت من مخافتهم ... أدنى الأسود وأقصاهم إذا زأروا

كانوا إذا الأمر أعيتكم مصادره ... يكفونه وإذا ما هبتم جسروا

قد علمت يومها هذا بنو الخطفى ... إني مرافعتي فوق الذي قدروا

سيعلمون إذا ما قيل أيهما ... يا بن المراغة إني سوف أنتصر

وصرح الأمر عن بيض مشهرة ... مني سوابق في أعناقها البشر

بالنصر والله لم ينصر بني الخطفى ... والمؤمنون إذا ما استنصروا نصروا

ما زال حين جرير عن بني الخطفى ... يغشى بني الخطفى موج وما مهروا

حتى التقى ساحل التيار فوقهم ... لا بحر إلا لغاشي موجه جزر

أمسى كفرعون إذا يقتاد شيعته ... يرجو الجسور فما كروا وما جسروا

فما حمى ناكح الموتى بني الخطفى ... حتى يفرعهم مني الذي حذروا." (١)

"وذد عن حماه ما عقدت حباله ... بحبلك واستره بما لك من ستر

وخالي ابن جواس سعى سعي ماجد ... فأدى إلى حيي قضاعة من بكر

لعمري لقد أعطى ابن ضمرة ماله ... رفاقا من الآفاق مختلفي النجر

قرى مائة أحمى لها ونفوسها ... على حين لا يعطي الكريم ولا يقري

ألا إن قومي راكزون رماحهم ... بما بين فلج والمدينة من ثغر

يذودون كلبا بالرماح وطيئا ... وتغلب والصيد النواظر من بكر

ألا إن قومي لا يجن بيوتهم ... مضيق من الوادي إلى جبل وعر

ونحن منعنا بالتناضب قومنا ... وبتنا على نار تحرق كالفجر

تضيء على القوم الكرام وجوههم ... طوال الهوادي من وارد ومن شقر

نقائذ أمثال القنا أعوجية ... وجردا تداوى بالغريض وبالنقر

نعودها الأقدام في كل غمرة ... وكرا بأيد لا قصار ولا عسر

ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم تكن نار قيام على الجمر

صبرنا له حتى يريح وإنما ... تفرج أيام الكريهة بالصبر

كأن رماح القوم في غمراته ... نواشط فراط نواضح في بئر

ونحن فلينا لابن طيبة رأسه ... على مفرق الغالي بأبيض ذي أثر

ونحن خضبنا للخطيم قميصه ... بدامية نجلاء من واضح النحر

وحي سليط قد صبحنا ووائلا ... صبوح منايا غير ماء ولا خمر

وليلة زيد الخيل نالت جيادنا ... مناها وحظا من أسارى ومن ثأر

ونحن ثأرنا من سمي ورهطه ... وظبيان ما في حي ظبيان من وتر

وقاظ ابن ذي الجدين وسط بيوتنا ... وكرشاء في الأغلال والحلق السمر

ونحن حبسنا الخيل أن يتأوبوا ... على شجعات والجياد بنا تجري

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٣٢٤

حبسناهم حتى أقروا بحكمنا ... وأدي أثقال الخميس إلى صخر

أبي فارس الجونين قد تعلمونه ... ويوم خفاف سار في لجب مجر

ونحن رأينا بين عمرو ومالك ... كما شد أعضاد المهيضة بالجبر

مئين ثلاثا بعدما انشقت العصا ... وقد أسلم الجاني وأتعب ذو الوفر

ولما رأى الساعون زلخا مزلة ... وسد الثنايا غير مطلع وعر

نهضنا بأثقال المئين فأصبحت ... عشيرتنا ما من خبال ولا كسر

بعرج يصم الراعيين حنينه ... ويجهد يوم الورد ثائبة الجفر

ومنا الذي أدى من الملك مازنا ... جميعا فنجاها من القتل والأسر

ونحن حوينا بالقنا يوم عانط ... طريفا ومولاها طريف بني عمرو

ومولى تداركناه من سوء صرعة ... وقد قذفته الحرب في لجج خضر

كما انتاش مغمورا من الموت سابح ... بأسباب صدق لا ضعاف ولا بتر

لنا هضبة صماء من صلب مالك ... وأسد فراء لا توزع بالزجر

إذا نهشل ثابت إلي فما بنا ... إلى أحد إلا إلى الله من فقر

يعارض أرواح الشتآن جابر ... إذا أقبلت من نحو حوران أو مصر

وقد علمت جمخ القبائل أنني ... إذا ما رميت القوم أسمع ذا الوقر

برجم قواف تخرج الخبء في الصفا ... وتنزل بيضات الأنوق من الوكر

وقال نهشل يرثي كثير بن الصلت الكندي، وكتبتها لجودتها، وهي قطعة ولم أدخلها في القصائد لأن شرطي القصائد:

حلفت فلم افجر بحيث ترقرقت ... دماء الهدايا من منى وثبير

لنعم الفتى عالى بنو الصلت نعشه ... وأكفانه يخفقن فوق سرير

كأنك يا بن الصلت لم تحم مجحرا ... مضافا ولم تجبر فناء فقير

ولم تقض حاجات الوفود ولم تقل ... لبيض مصاليت ارحلوا بهجير

رأى في المطايا ذات أشعب تامك ... فكاست برجل في المناخ عقير

فظلت عتاق الطير تعفو مناخة ... على سقط من لحمها وبقير." (١)

"أناب ابن البلدي في وزارته بوزر دمه، وتوصل في قطع يده وقدمه، وذلك في آخر سنة خمس وستين وخمس مئة. ولم يمض شهران حتى انقضت أيام المستنجد، وفتك بالوزير المتبلد، ولم يتم **ثأره**، حتى ظهرت في تبديل الدولة **آثاره**.

ومن نظمه السلس، وهو أرق من النفس، ويغنى به:

يا ناجيا من عذاب قلبي ... وسالما من رسيس وجدي

لا تقرب إلى ثيابي ... فإن داء الغرام يعدي

تزعم أن الفؤاد عندي ... لو كنت عندي لكان عندي

قد غير الدهر كل شيء ... سوى جفاكم وحسن عهدي

وله:

أعيذكم من لوعتي وشجوني ... ونار أسى بين الضلوع دفين

وبرح جوى لم يبق مني بقية ... سوى حركات تارة وسكون

سهرنا بنعمان ونمتم ببابل ... فيا لعيون ما وفت لعيون!

أكاذب سمعي عن أحاديث غدركم ... وأعرفها عن صحة ويقين

ألا مخبر عني قلوبا أبية ... يقول لها: كم ذي القساوة؟ ليني!." (٢)

"وربما قلت للواشي إلي بكم ... هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

صلوا وصدوا وجوروا واعدلوا وقفوا ... عما أحب فعندي بعد محتمل

مهما فعلتم فمحمول ومغتفر ... وما أمرتم فمسموع وممتثل

قال: فأجابت والدتي عنها بقصيدة منها:

لولا الأماني والتسويف والأمل ... ما كان يكنفي سهل ولا جبل

وكلما اشتد بي نار تعذبني ... فليس إلا دموع العين تنهمل

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٣٥٠

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق جـ ١ العماد الأصبهاني ص/١٨٦

وقد تعللت أسبابا لرؤيتكم ... فكيف بي وبكم إن فاتت العلل

أهذي بكم حسب ما أحيا فإن حضرت ... مني الوفاة وأوفى دوني الأجل

ناديت لا تأخذوا ثأري بهم هبة ... يا غاية السؤل قد ضاقت بي الحيل

لأظهرن هوى قد كنت أكتمه ... فليس لي في هوى أمثالكم خجل." (١)

"مأخوذ من قول ابن المعتز:

ومشمولة قد طال بالنقص حينما ... حكت نار إبراهيم في اللون والبرد

حططنا الى خمارها بعد هجعة ... رحال مطايا لم تزل نوقها تحدي

وأحسن ما قيل في الفوارة قول علي بن الجهم:

وفوارة ثأرها في السماء ... فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب مدرارها

وذكر مؤلف كتاب قلائد العقيان المعتصم بن صمادح، فأكثر له الممادح، وذكر أن دولته كانت منبعا للجود، ومطلعا للسعود، ومشرعا للوفود، ووصفه برواج بضائع الرجاء في سوقه، وإنارة مطالع الفضلاء بشروقه، واتساق نظام نفائس الأفاضل، واتساع مجالي مجالس الأماثل، وتحلي الساعات بمذاكرة الفضل، وتخلي الأوقات عن مساورة الجهل، وكان متنقلا من مدارسة الى مؤانسة، ومن مذاكرة الى معاشرة، وهو من مغنى أدب، الى مثوى طرب، لم يزاحم مليكا على ملكه، ولم ينظر إلا في إجراء فلكه، وإرساء فلكه، حتى قصد، وبالنوائب أرصد، ونوزل وقوتل، وطالت عليه الطوائل، وغالته الغوائل فقضى نحبه، وما قضى حبه، وفاضت نفسه مضضا، وزاده إحداق الأعداء به على مرضه مرضا.

وقال وهو متوجع مضطجع، وقد علا منهم الصوت: نغص علينا كل شيء حتى الموت، ورمق بطرفه الكليل، حظية له قد أخذت في البكاء والعويل، فقال:

ترفق بدمعك لا تفنه ... فبين يديك بكاء طويل." (٢)

"هل أنت منجزة بالوصل ميعادي؟ ... أم أنت مشمتة بالهجر حسادي؟

سألت طيفك إلماما، فضن به، ... ولو ألم، لأروى غلة الصادي

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٦٨٦

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس ج ٢ العماد الأصبهاني ص/٨٦

يا ظبية الحي، ما جيدي بمنعطف ... إلى سواك، ولا حبلي بمنقاد
لولا هواك، لما استلمعت بارقة ... ولا سألت حمام الدوح إسعادي
ولا وقفت على الوادي أسائله ... بالدمع، إلا رثى لي ذلك الوادي
رحلتم، وفؤادي في رحالكم ... موزع بين اتهام وإنجاد
والله، لو لم تصيدوا يوم كاظمة ... قلبي، لما علقتني كف مصطاد
إن تأسروا، فذوو عز ومقدرة ... أو تطلقوا، فذوو من وإرفاد
لا توهنوا زجرة الحادي بعيسكم ... فما الفجيعة إلا زجرة الحادي
إذا سمحتم بتقريبي، ولم تصلوا ... حبلي، فسيان تقريبي وإبعادي
وله:
فاق الكرام، وأعطى غير مكترثبالمال إعطاء لا وان، ولا برم
تكرموا، وهمى معروفه كرما، ... وما التكرم في الإنسان كالكرم
سمت به ذرا العلياء همته ... والمجد أرفعه ما شيد بالهمم
إذا الصفاح نبت عن قطع نائبة ... سطا فقلم ظفر الخطب بالقلم
وله:
ببابك يغلق باب الرجاء ... وينكسر البال أي انكسار
حجاب يعط حجاب القلوب ... وستر يمزق ستر اصطباري
ولده أحمد بن علي بن دواس القنا لقيته ب واسط.
وله، أيضا، شعر صالح حسن.
وسمعته كثيرا ينشد قصائده في الأكابر. وما اتفق لي إثبات شيء من شعره، لوثوقي بالزمان وامتداده، وأني ب واسط، ولا يفوت ذلك؛ ولم أدر أن الليالي في قصد المرء وتعويق مراده.
وهو، إلى الآن – وهو سنة تسع وخمسين وخمس مئة – حي ب الكوفة.
وسمعت له هذين البيتين في الخمر:
أدر علي مداما، كلما مزجت ... صاغ المزاج لها تاجا من الشهب
حمراء، بي شغف منها؛ لأن لها ... روحا من الطيب في جسم من الذهب

شمس الرؤساء أبو الفرج بن الدهان الواسطي

مهياري النظم رقيقه، جليل المعنى دقيقه.

لما انحدرت، في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، إلى معاملة ديوانيات واسط، كان حيا، وتوفي بعد ذلك بسنيات.

وأنشدت له من قصيدة، يغنى بها:

عاد عيد الهوى بقلبي، فأبدى ... زفرات، تعيي الحليم الجلدا

ما يريد الهوى؟ كأن له عن ... د فؤادي المشوم ثأرا وحقدا

أحمد الصد بالوصال، ولولا ... لذة الوصل ما حمدت الصدا

يا طليق الفؤاد، حاجة مأسو ... ر أبى من وثاقه أن يفدى

أين أيامنا ب سلع؟ أعاد ال ... له أيامنا ب سلع وردا

يا لها نفحة ب ذي البان يزدا ... د فؤادي لبردها الدهر وقدا

وليال بجو ضارج صير ... ن لحزني أيامي البيض ربدا

لا عدا الغيث من تهامة ربعا ... هام قلبي به غراما ووجدا

أتمنى نجدا، ومن أين تعطي ... ني الليالي بأرض نعمان نجدا؟

حبذا رفقتي بوادي الأثيلا ... ت، وأظعانهم مع الليل تحدى

ومناخا ب الأبرقين توسد ... ت بجراته، فأحسست بردا

وثرى، نالت المناسم، عفر ... ت عليه في ساعة البين خدا

وكأنا لما عقدنا يمينا، ورهنا رهائنا لن تردا

كان رهني قلبي لديهم على الود مقيما، ورهنهم طيف سعدى

يا لواتي دين الغرام، أما آ ... ن لديني عليكم أن يؤدى؟." (١)

"ما صاح فيها على أوتاره قمر ... إلا وغناه قمري وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أنامل الريح لولا أنها زور

ومنها:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ١٣٠/١

هم عارضوني على حبي لعارضه ... ومن أحب عذارا فهو معذور

ومن أخرى:

وكم ليلة قد لاح من صدغه الدجى ... ومن كأسه الجوزا ومن فمه الفجر

وكم أخذت أوتاره الثأر من دمي ... سحيرا، فقال الناس هذا هو السحر

يشاركني حذقا فمن عنده الغنا ... إذا ما تنادمنا ومن عندي الشعر

وقوله:

قوموا انظروا واعذروا يا غافلين إلى ... بدر تبادر من أفلاك ازرار

على قضيب أراك في كثيب نقا ... تهزه خطرات ذات أخطار

ما رامت الروم، والأتراك ما تركت ... أدق من خصره في عقد زنار

الماء والنار في خديه قد جمعا ... جل المؤلف بين الماء والنار

وقد بدت شعرات في عوارضه ... كأنهن ليال فوق أسحار

وقوله في العذار:

دب العذار بخده فتعذرا ... من بعد ما قد كان بدرا نيرا

وتناقصت أحواله فكأنه الحبال يمشي في المعاش إلى ورا

وقوله:

قالوا بدا في خده الشعر ... وأنت لا عقل ولا صبر

واسود خداه، فقلت اقصروا ... لولا الدجى ما حسن البدر

وقوله:

أدر يا طلعة البدر ... علينا أنجم الخمر

وقطع ليلنا بالكأ ... س حتى مطلع الفجر

على فتانة العينين والخدين والثغر

لنا في وجهها قمر ... ومن نغماتها قمري

كذا فليشرب الصهبا ... ء مثلي يا ذوي الشعر

كذا في ليلة الجمعة بل في ليلة القدر

مع الفتيان في الحانا ... ت بين الطبل والزمر
بحيث ابن ملكداد ... وحيث ابن أبي الدر
حريفان حرافان ... بلا قدر ولا قدر
وله:
نديمي داو بالخمر الخمارا ... أدر كأسي يمينا أو يسارا
مشعشعة إذا ما صفقوها ... بماء خلتها نورا ونارا
لها من مولدي موسى وعيسى ... شراب لليهود وللنصارى
ومسمعة إذا ما شئت غنت ... ألا حي المنازل والديارا
بدت بدرا وماجت دعص رمل ... وماست بانة وشدت هزارا
إذا غازلتها أو غازلتني ... تأملت الفرزدق والنوارا
ويوم غدت تعيرني بشيبي ... وقد رأت السكينة والوقارا
وما في الشيب عند الناس عيب ... إذا ما عاد ليلهم نهارا
ولكن في الشباب خزعبلات ... لمن يهوى العذارى لا العذارا
وقوله في مدح بني السلار:
لا تلمني على الدموع الجواري ... فهي عوني على فراق الجوار
كم لئيم يلذ بالعيش صفوا ... وكريم يغص بالأكدار
لا يفي الوصل بالصدود خليلي كما الخمر لا يفي بالخمار
فاسقنيها لعلها تصرف الهم على طيب نغمة الأوتار
خندريسا كأنها في دجى الليل بأيدي السقاة شمس النهار
إنما العيش في رياض دمشق ... بين أقمارها وبين القماري
مثلما قد خلعت أثواب مدحي ... باختياري على بني بختيار
معشر كالغيوث في حلبة السلم وفي الحرب كالليوث الضواري
بقلوب كأنها من جمال ... وأكف كأنها من بحار

وكأن الإله، جلن براهم ... من فخار، والناس من فخار

وقوله في ملك النحاة وكان يذكر مصر:." (١)

"كلما هب عليهن الهواء أمالهن كالشارب الثمل، وأدنى بعضهن إلى بعض للضم والقبل، وعطف على كل قضيب قضيبا، كما اعتنق محب حبيبا. والورق قد أخفين بأوراقهن بديع ألوانهن، وهتكن أستارهن بفنون ألحانهن في أفنانهن، ينحن ويبحن، ويغنين ويغردن، ويصدحن تارة ويسبحن، ويعجمن طورا ويفصحن، كأنهن قينات حجبتهن ستور، أو قينات ضمتهن خدور، يتزاورن بلا رسل، ويتواصلن عن غير ملل، قد أمن المغيب، واطرحن الكاشح والرقيب، وسكن أطيب منزل، ووردن أعذب منهل. وهنالك نهر، كأن حصاه الدر والجوهر، وتراه المسك الأذفر، وماءه من نهر الكوثر، المدخر ليوم المحشر، مغدودق المشارع، سهل الشرائع. فبتنا بها ليلتنا، ونلنا أمنيتنا. فلما تبلد وجه الصباح، نادى منادي الراح: حي على الاصطباح. فقلنا ما قصدنا إلا الصيد، ولا كرامة ولا كيد. ونهضنا إلى خيولنا فركبناها، وإلى آلات القنص فاشتملناها، وإلى الجوارح فجردناها، وإلى المناهل فوردناها. فرأينا صيدا تحار لكثرته الأفكار، وتقصر عن إدراكه الأبصار. فمن أرانب وغزلان، وحبارج وكروان، وحجل ودراج، وطير مما قد هاج، وهي في عدد الرمل والنجوم. فجعل كل صنف من الجوارح جزء مقسوم، فأفردنا الكلاب للأرانب والفهود للظباء، والبزاة للحجل، والشواهين لطير الماء. وسرنا صفا، كأننا نحاول زحفا. والظباء في مرابضها نائمات، وعما يراد بها غافلات، في بلهنية من العيش ودعة، وخصب في المرعى وسعة، قد أمنت البوائق، ونسيت العوائق. والأرانب في مجاثمها لبود، تحسبها أيقاظا وهي رقود. والحجل قد فارق ثبجه، وضيع مدخله ومخرجه، منتصبا على الإكام، لا يفتر عن الكلام، كأنه وامق مستهام، أو طافح خبلته مدام، في غفلة من فتكات القدر، وأمنة من آفات الغير. والدراج قد أخذ في الصياح، لما أحس تبسم الصباح، والبوزجات تجاوبه بالنباح، كأنما الدراج يدعوها إليه، أو كأن الكلاب تطلب ثأرا لديه. وطير الماء في ذلك النهر العجاج، المتلاطم الأمواج، قد شرع في الازدواج، يطرب مع إلفه ويمرح، ويختال عجبا به ويسبح، قد اتخذ الماء معقلا يحميه، ولا يعلم أن حتفه فيه.

فما كان إلا عن قليل، ولا سرنا إلا جزءا من ميل، حتى نفرت الظباء من مرابضها وكنسبها، مستبدلة منا وحشة بعد أنسها. فمن غزالة تزجي خشفها، وتتشوف حذرا عليه وتقلب طرفها، وتود لو تحفظه وتقيه، وبروحها من البلاد تفديه. ومن فحل قد طار روقاه، واشتد أزره وقواه، وقد تقدم على السرب، كأنه طالب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أ خرى العماد الأصبهاني ٢/٢٦٢

للحرب، غير محتفل بنا يمشي الهوينا ويرعى، ويلتفت تارة إلينا ويسعى، قد اعتمد على السبق في الإباق، وأمن من وشك الطلب واللحاق. ومن ظبيات يرتعن ويلعبن، ويجئن ويذهبن، غافلات عما يراد بهن، غير حافلات بما أتى إليهن.

فعمدنا إلى الفهود، وهن خلف الرجال قيام وقعود، فما منها فهد إلا وقد سمي باسم، ووسم بوسم، فاستدعينا طريفا، وكان خفيفا ذفيفا، إذا عدا سبق وميض البرق المتألق، وإذا نزا كان كالسيل المتدفق.

كأن الريح حين يلوح سرب ... أعارته معاجلة الهبوب

يغير فيجعل النائي قريبا ... ويسلب مهجة الظبي الربيب

تلاحظ منه حين يجول جسما ... تدرع حاليا حب القلوب

وجاء الفهاد بفهد نبيل، عريض طويل، صغير الراس، قوي الأساس، يقظ الحواس، صعب المراس، شرس الأخلاق، أهرت الأشداق، قد لبس حلة الأرقم، واقتبس خلة الضيغم، فأخذ جله وبرقعه، ولوهدة من الأرض أودعه، فانساب انسياب الصل مسرعا، وجد لما وجحد إلى مراده مشرعا، وهو يتستر استتار المريب، ويتبع الجري بالتقريب، وكلما حان من السرب التفات، وقف حتى يظن أنه نبات. فلم يزل على كلتا حالتيه، حتى دنا منه وشد عليه، ودخل في جمعه ففرقه، وعمد إلى شمله فمزقه، فطلب كل طريق النجاة، رغبة في الحياة، فما شاف، إلى الأخشاف، ولم يكن إلا أسرع من أن يرد الناظر طرفا، حتى جعل إهاب الفحل ظرفا. فجاء الفهاد إليه، ونزل عليه، وذبح ما صاده، وناوله فؤاده، وقال: ما تقولون في الشبعة، والعمل بمقتضى الصنعة، فقد أحسن الطريف، وصدر منه الفعل الظريف، ولم يبق عليه للذم مكان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. فقلنا: الرأي ما تراه، فدونك وإياه.." (١)

"كان في زمن بني كلاب، وسمعت أنه توفي في سنة ثمانين وأربعمائة، وكان مغفلا، ولكنه كان ببديهته على الأدباء مفضلا، ومن جملة بديهته أن معز الدولة الكلابي صاحب حلب عبر في جيشه بالمعرة، وابن النوت واقف في حقل له فخاف على زرعه فتلقاه ووقف في طريقه وأنشده:

الشمس تشرق من خلال الموكب ... أم بدر تم طالع في غيهب

هذا معز الدولة الملك الذي ... عقد اللواء له بأعلى كوكب

في البحر أعهد مركبا من تحتنا ... وأراه بحرا فوق هذا المركب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٠٤/٢

فقال له معز الدولة: تمن، فقال: أتمنى أن لا يجول عسكرك في زرعي، فحماه له.

وجلس معز الدولة على قويق، زمان المد وخيم به وذكر ابن النوت وبديهته فنفذ في طلبه فأحضر على البريد فلما رآه على شاطئ النهر قال بديها:

رأيت قويقا إذ تجاوز حده ... له زجل في جريه وضجيج

وكان ثمال جالسا بشفيره ... فشبهته بحرا لديه خليج

فقال له معز الدولة: قد زعم الشعراء الحلبيون أن هذا ليس بشعرك، وكان فيهم ابن سنان الخفاجي، فإن قلت بديهة أعطيتك جائزتهم كلهم، ثم نظر إلى غرابين على نشز فقال: قل فيهما: فقال:

يا غرابين أنتما سبب البي ... ن فكيف اجتمعتما في مكان

إنما قد وقفتما في خلو ... لفراق الأحباب تشتوران

فاحذرا أن تفرقا بين إلفي ... ن فما تدريان ما تلقيان

وقال وقد عبر على دار قديمة تنقض وأحجارها تقلع والمعاول فيها تعمل:

عبرت بربع من سياث فراعني ... به زجل الأحجار تحت المعاول

تناولها عبل الذراع كأنما ... رمى الدهر فيما بينها حرب وائل

فقلت له: شلت يمينك، خلها ... لمعتبر أو زاهد أو مسائل

منازل قوم حدثتنا حديثهم ... ولم أر أحلى من حديث المنازل

وقال أبو الرضا ابن النوت:

نسري فيبدو من نعال جيادنا ... قبس يضيء الليل وهو بهيم

فكأن مبيض النعال أهلة ... وكأن محمر الشرار رجوم

وكتب إلي القاضي أبو اليسر الكاتب من شعر ابن النوت قصيدة في مرثية أبي العلاء المعري منها:

سمر الرماح وبيض الهند تشتور ... في أخذ ثأرك والأقدار تعتذر

والدهر فاقد أهل العلم قاطبة ... فإنهم بك في ذا القبر قد قبروا

فهل ترى بك دار العلم عالمة ... أن قد تزعزع منها الحجر والحجر

العلم بعدك غمد فات منصله ... والفهم بعدك قوس ما لها وتر

أبو العلاء بن أبي الندى

بن عمرو المعري
وقيل ابن جعفر اشتغل صغيرا بالفقه، وكان في الذكاء عديم الشبه، وهو في المدرسة الحنفية النورية بحلب عند العلاء الغزنوي، سمح البديهة والروية، صحيح الروي، شاعر فقيه مجيد، وحيد فريد، غدر به عمره، وطوي نشره، وغيض فيضه قبره، ونضب عند تموج عبابه بحره، وذلك في سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وله حدود خمس وعشرين سنة، ولو عاش لكان آية، فلم يبق في علم من العلوم غاية، أنشدني له أبو غانم بن عبد الواحد بن حياة المعري من قصيدة له في الأمير السيد بهاء الدين الشريف:

من أين كان لكن يا حدق المها ... علم بنفث السحر في عقد النهى
أم من أعار البان في مهج الورى ... فتكا فأصبح بالقنا متشبها
من كل مياد القوام منعم ... يختال في سكر الشباب ويزدهى
واهي الجفون فلو تكفل جفنه ... فعل الصوارم لاستقل وما وهى
يبدو بوجه كلما قابلته ... أهدى إليك من المحاسن أوجها
كالفضة البيضاء إلا أنه يلقاك من ذهب الحياء مموها." (١)

"تدحى بأيدي الخيل هامات العدى ... فكأنهن لواعب بالميسر
في كل يوم يسترون عجاجة ... قصرت لحاظ الطير دون المنسر
قد عودت ري الأسنة، كلما ... شكت الغليل، من النجيع المهدر
صارت مشارعها متون سلاهب ... لحق الأياطل كالسعالى، ضمر
من كل يعبوب سما بتليله ... عنق كجذع من أراك موبر
مستلحق أولى الطرائد، صارع ... للقرن في قتم الغبار الأكدر
ينثال في طلب العدو كما أتى ... سند بمهوى سيله المتحدر
وصوارم بتر المضارب لم تقع ... إلا على ترب الجبين معفر
من كل أبيض ناطق في هامة ... تحكي خطيبا فوق صهوة منبر
يكسو أديم الأرض صبغة عندم ... لم تبد إلا عن دم مثعنجر
يبري أكفا ثم يتبع أذرعا ... تحكي أنابيب القنا المتكسر

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٧٨/٢

أيظن جند الشرك عزمك مغفلا ... حز الطلى منهم وقطع الأبهر

لتساورنهم بها ملمومة ... بالأسد تذأى في قنا وسنور

فلتنسفنهم سطاك بعاصف ... يجتث أصل المشركين بصرصر

وليجلبن ذوي القسي أعدها ... للشرك كل مباسل متنمر

يقذفن في مهج الطغاة طوائرا ... بمثال أجنحة الجراد الطير

حتى تغيب حجول خيلك في الوغى ... مما تخوض من النجيع الأحمر

تدبير معتزم طلوب ثأره ... بسيوفه طلب الهزبر القسور

يا منفد الأموال لا مستبقيا ... لسوى مساع كالنجوم النير

عجبا لكفك كيف لا يخضر ما ... تحوي عليه من الأصم الأسمر

كشفت تجاربك الزمان فعلمت ... أهل التجارب كيف حلب الأشطر

ودعت شهرا أنت في هذا الورى ... بعلو قدرك مثله في الأشهر

تقضي فروض الصوم أكرم صائم ... وأهل عيد الفطر أكرم مفطر

لا تعدم الأعياد إن ألبستها ... ببقائك الممدود أحسن منظر

فإذا سلمت فكل عيد عندنا ... موف على عيد أغر مشهر

دامت لك النعماء موصول بها ... توفيق منصور اللواء مظفر

وأنشدني الأديب أبو محمد بن عتيق المصري الشاعر قدم من اليمن العراق وأقام بها، قال أنشدني ابن العلاني:

وذي هيف راق العيون انثناؤه ... بقد كريان من البان مورق

كتبت إليه هل: تروم زيارتي ... فوقع: لا، خوف الرقيب المصدق

فأيقنت من لا بالعناق تفاؤلا ... كما اعتنقت لا ثم لم تتفرق

من قصيدة لأبي الحسن علي بن العلاني يمدح بها الأفضل ابن أمير الجيوش أولها:

سل الربع عن أحبابنا أين يمموا ... لئن ظعنوا عنه فبالقلب خيموا

من مديحها:

ليزدد علوا ملك مصر فإنها ... به حرم الله العزيز المحرم

فمكة مصر، والحجيج وفوده ... ويمناه ركن البيت، والنيل زمزم

صفاتك مل الخافقين فمنجد ... يسير بها في كل فج ومتهم

وشاكر ما تولي مقر بعجزه ... ولو أنه في كل عضو له فم

وله:

عجبت لوخط الشيب عاذلة رأت ... شعرا تلفع بالبياض سواده

لا تعجبي ما شاب منه فوده ... إلا لهم شاب منه فؤاده

وله:

ألم تعطف على النضو الطريح ... وطول تأوه القلب القريح." (١)

"وبعد موته استقلت السيدة أروى بدولة آل الصليحي، فتحصنت بما تملك من معاقل، وتولت ما كانت تحكم من حصون، وأقامت لها وزراء وعمالا، واستطاعت ان تطيل حكم الصليحيين أربعين سنة بعد أن كاد يضعف أمرهم، كما استطاعت خلال حياتها الطويلة التي امتدت ٨٨ سنة أن تربط بتاريخ حياتها تاريخ حياة اليمن فقد تزوجت المكرم أحمد كما رأيت وكانت وراء الأحداث الكبيرة في حياته لأنها أعملت الحيلة في قتل سعيد الأحول وأسر امرأته أم المعارك بلوغ المرام ٢٦ وبذلك ثأرت لأبيه الداعي علي الذي قتله سعيد ولأمه أسماء بنت شهاب، ثم تزوجت بالأوحد سبأ. وكانت تحكم اليمن من وراء حجاب، ترفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن فيخطب أولا للمستنصر الفاطمي ثم للصليحي ثم للحرة فيقال: اللهم أدم أيام الحرة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين..

ثم انفردت بالحكم بين السنتين ٤٩٢ و٥٣٢ فلما ماتت انقضى حكم الصليحيين في اليمن وآل أكثر ملكهم الى بني زريع.

وهي السيدة أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى وموسى أحد إخوة الداعي الصليحي الأول علي، ومنهم عبد الله، وإبراهيم.

لها في اليمن مآثر منها الجناح الشرقي بجامع صنعاء، وجامع ذي جبلة الكبير الذي دفنت فيه.

والصليحي نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز كما في بلوغ المرام، ولكن ابن خلكان يقول لا أعرف هذه النسبة إلى أي شيء هي والظاهر أنها إلى رجل.

وهنالك كثير من الخلافات والروايات حول تحديد بعض السنوات تجاوزنا عنه.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٣٨١

وفيات الأعيان - الأعلام - بلوغ المرام - طبقات فقهاء اليمن - تأريخ المستبصر - شذرات الذهب - المقتطف من تاريخ اليمن -.

أبو عبد الله الحسين بن علي القمي

ابن القم

مولده بزبيد، المعروف بابن القم من أهل اليمن، من شعراء العصر الأقرب عصره متقدم، وكان معاصر ابن سنان الخفاجي أو بعده بقريب، وكان الأمير المفضل نجم الدين أبو محمد ابن مصال ينشدني شعره ونحن على الخيل سائرون إلى بعلبك تحت رايات الملك الناصر صلاح الدين يوسف في آخر شعبان سنة سبعين فذكر أن ابن القم سمع بيتا لابن سنان الخفاجي قد ابتكر معناه، وقد أحسن صياغة مغزاه، وهو:

طويت إليك الباخلين كأنني ... سريت إلى شمس الضحى في الغياهب

وقيل هذا البيت لابن سنان الخفاجي من جملة قصيدته:

وفيكم روى الناس المديح ومنكم ... تعلم فيه القوم بذل الرغائب

فدعني وصدق القول فيك لعله ... يكفر من تلك القوافي الكواذب

وما كنت لما أعرض البحر زاخرا ... أقلب طرفي في جهام السحائب

فقال من قصيدة يذكر فيها أنه مدح الممدوح فأجاز شعره، وأجازه وفره:

ولما مدحت الهبرزي ابن أحمد ... أجاز وكافاني على المدح بالمدح

فعوض عن شعري بشعر وزاد في ... عطاه فهذا رأس مالي وذا ربحي

لفظت ملوك الأرض حتى رأيته ... فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح

ولم يقصر في هذا المعنى لم يبلغ رتبة ابن سنان فيه.

ومما أنشدنيه أيضا له من قصيدة مطلعها:

سرى طيف سعدى بعدما هجع الركب ... ونجم الثريا قد تضمنه الغرب

وليس الردى ما تفعل البيض والقنا ... ولكنه ما يفعل الصد والحب

يكلفني العذال حب سواكم ... وسلوتكم حتى كأن الهوى غصب

ومنها في المخلص وقد أحسن:

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة ال ... عذول ولا كف ابن أحمد والجدب

كريم إذا جادت فواصل كفه ... تيقنت أن البخل ما تفعل السحب

ومنها:

أجار فلا خوف وأحيا فلا ردى ... وجاد فلا فقر ورام فلا صعب

ويثني على قصاده فكأنه ... يجاد بما يجدي ويحبي بما يحبو

ومنها وقد أحسن أيضا:

كتبت إليه والمفاوز بيننا ... فكان جوابي جود كفيه لا الكتب." (١)

"فصلت عنه في أخريات النهار، وقد ظهر في أطراف الجدران لفرق فراق الشمس اصفرار، فلما ذهب ذهب الأصيل بنار الشفق، ولبست المشارق السواد لما تم في المغارب على الشمس من الغرق، وأقبلت مواكب الكواكب في طلب **الثأر**، كدراهم **النثار**، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت في الأشجان بالأزهار في الأشجار، وتكلف القمر الموافقة فظهر على وجهه الكلف، ومرت به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسدا فأعرب عن غدر الخلف بالسلف، وظهر الوجوم في وجوه النجوم، وعيل صبر النسرين فواحد طائر يحوم، وآخر واقع لا يقوم، ولم تزل متلاحقة متسابقة لتقفو الأثر وتسمع الخبر، إلى أن بدا سوسن الفجر ولاح، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح، وكاد ثعلبه يأكل عنقود الثريا، وبرزت الغزالة من أس الكناس طلقة المحيا، وتراءت الوجوه، وزال ما زال بغيبتها من المكروه، وأخذت النجوم بالحظ من الطرب، بمقدار ما قدمته من الحض في الطلب، وانخرطت في سلوك شعاعها نظاما، وزاد خوفها منها على رجائها فيها فذابت إكبارا لها وإعظاما.

ومن صدر مكاتبة:

لم يزل العبد لما عرض من إعراض المجلس لا زالت أوامره نافذه، والآمال بكعبة كرمه لائذة، ويده العالية بزمام الزمان آخذة، وكتبه الكرائم لعزائم كتائب الإسلام شاحذة وحدث من هجره له، وظهر من قلة احتفاله به، وخاض فيه المعارف من تغيره عليه، وتناقله الوشاة من أمر صده عنه، وتقارضه الشامت من سوء رأيه فيه، ذا زفرات سوام تتضرم، وعبرات هوام تتصرم، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عيا فيتذمم بالصمت عن أن يتحرر ويتحرم، وأفكار تتنزه عن إساءة الظن بمودته فما يتكدر حتى يتكرم، فكم تناول القلب جلده فجلده بالقلق لما تجاوز حده وحده، وأجرى من سوابق دموعه عسكرا فجرى فشق خده وخده، وأوجده

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٥١٨

السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسوده، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وعده وإخلاقه وده ووده، حتى جنى ورد ورود كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره، ورفع ناظره بقدومه عليه على كافة أمثاله وأنظاره، فعلم أن علم المودة قد رفع، وموصول حبل الجفوة قد قطع، وكاد القلب يخرج لمصافحته لو استطاع نفاذا، واجتمعت فيه أماني النفس فاتخذته دون جميع الملاذ ملاذا، وتناوله بيد الإجلال، وقصه بيد الإدلال، الذي أباح له الإخلاد إلى الإحلال، فوجده منظوما على خط كالكؤوس المرصعة، لما لاح مداده مداما ونقطه حببان وألفاظ تبيح للمناظر طلبا، وتتيح للخواطر طربا، ومعان ما حلت في ميدان البيان حتى جلت فحسب الأفكار بها حسبا، وتعريضات لو كان التصريح فضة لكانت ذهبا، أو كان شررا لكانت لهبا، ومنن ما لاحت سحائبها حتى وكفت، وأياد ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت، فرفع إلى السماء يديه وهي قبلة الدعاء، وعفر في الأرض خديه وهو جهد الضعفاء.

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام:

إلام يصير القلب للخطب منبرا ... ويصبر للجلى وإن كان منبرا

وكيف يلام الصب في صب دمعه ... عقيقا على مصفر خديه أحمرا

وقد وقد البرح المبرح في الحشا ... فراع دخان الوجد في الوجه منظرا

وزادت دواعي الشوق إذ زالت القوى ... فأصبح معروف التجلد منكرا

فلو شام طرف الشام برق تنفسي ... لتذكار من فيه إذن لتفطرا

على أن من أمسى رفيق تفرق ... ومن قصد الأشعار في الشوق قصرا

وبعد فما ضاق الصدر، وضاع الصبر، وضعف الجلد، وتضاعف الكمد، وادلهم ليل الهم بفراق الحضرة السامية حتى طلبع بدر كتابها فاهتدت ضوال الأفكار الشاردة، ولمع شهاب خطابها فاحترقت شياطين الظنون الماردة، ولله الحمد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها، والرغبة في تقوية أسباب استتباب نعمتها وتعجيل إيابها، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره، بتلك الأعمال من الأعمال الصالحة وتؤثره.

ومنها:." (١)

"ويوم بعثتها شعث النواصي ... تسيل بهن أفواه الشعاب

لقيت هجيره والخيل تردى ... ولا ظل سوى ظل العقاب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٦٥٣/٢

أثرت الليل في رهج المذاكي ... وأطلعت النجوم من الحراب

مواقف لم تزل فيهن أمضى ... من الهندي زل عن القراب

وله من أخرى:

تجاوز العتب حد السخط والغضب ... وأورث القلب صدعا غير منشعب

إن كان ذنب فإني منه معتذر ... يكبو الجواد وينبو السيف ذو الشطب

أو كان ذا منك تاديبا على زلل ... مني فحسبك قد أسرفت في أدبي

هل عهد وصلك مردود لعاهده ... يا هاجري شهوة من غير ما سبب

ومنها:

أو لا وعيش مضت منا بشاشته ... لمحا وسالف عيش غير مؤتشب

ومبسم كأقاح الروض بان به ... فضل الرضاب على الصهباء والضرب

ومستدير وشاح جال في هيف ... حيث التقى خيرزان الخصر بالكثب

ما إن أذنت إلى الواشي كما أذنت ... فاعجب له اليوم لم يظفر ولم يخب

لم يبق عندي اصطبار أستعين به ... على تمادي صدود منك برح بي

بيني وبين صروف الدهر معتبة ... وليس عتبي على الأيام بالعجب

إن سركم مس من نوائبه ... إني إذن لقرير العين بالنوب

ومنها:

إن كنت أضمرت غدرا في الوفاء لكم ... فلا وصلت بآمالي إلى أربي

وخانني عنك شاهنشاه ما وعدت ... به صنائعه من أشرف الرتب

ومنها:

تجلو عليك التهاني كل شاكرة ... يدا سبقت إليها عزمة الطلب

كالماء رقتها والخمر نشوتها ... فابن الغمامة فيها وابنة العنب

وقال فيه:

خاطر بها فالجد مصحوب ... واسر فظهر الغيب مركوب

واطلب عناق العز تحت الظبا ... فالعز محبوب ومطلوب

واصحب إلى العلياء سمر القنا ... ما صحبتهن أنابيب

ليس يروض الصعب من درعه ... محقبة والسيف مقروب

ولا يخوض الغمرات الفتى ... وطرفه في الحي مجنوب

وثق بما تملي عليك المنى ... فالنجح مرجو ومرقوب

ولا تقل يا بعدها غاية ... ففي المقادير أعاجيب

لا تبعد العلياء عن طالب ... له من الأفضل تقريب

وقال فيه:

إذا ما ابتدوا شدوا حبي الحلم للندى ... وإن ركبوا سدوا القنا بالمراكب

كفيلون في دار الضحى لصريخة ... بوجه نهار بالعجاجة شاحب

هم سطروا بالبيض والسمر ذكرهم ... فأصبح عنوان العلا والمناقب

صدور رماح لم ترد حومة الوغى ... فتصدر إلا عن صدور الكتائب

ومنها:

إذا شهد الجلى أضاءت برأيه ... دجنة خطب مدلهم الجوانب

وقال أيضا:

بادر بإحسانك الليالي ... فإن من شأنها البتاتا

كم شمل ملك عدت عليه ... فصيرت جمعه شتاتا

وفركت قبل من عظيم ... فطلقت غيرها ثلاثا

وقال من قصيدة:

وكم للحب مثلي من صريع ... بحد البيض والسمر الملاح

وأغيد من ظباء الحسن حيا ... بورد أو تبسم عن أقاحي

شربنا من شمائله شمولا ... لنشوان التثني وهو صاح

لقلبي الثأر فيه عند عيني ... فبعض جوارحي أدمى جراحي." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦٥٨

"القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين

ابن الحباب الأغلبي السعدي النميمي

جليس صاحب مصر، فضله مشهور، وشعره مأثور، وقد كان أوحد عصره في مصره نظما ونثرا، وترسلا وشعرا، ومات بها في سنة إحدى وستين، وقد أناف على السبعين. ومن شعره:

لا تعجبي من صده ونفاره ... لولا المشيب لكنت من زواره

لم تترك الستون إذ نزلت به ... من عهد صبوته سوى تذكاره

وله:

حيي بتفاحة مخضبة ... من ففني حبه وتيمني

فقلت ما إن رأيت مشبهها ... فاحمر من خجلة فكذبني

ومن شعره:

وسما يكف الحافظ ... المنصور عنا المحل كفا

آواهم كرما وصا ... ن حريمهم فعفا وعفا

وأنشدني له الأمير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها:

ومن عجب أن السيوف لديهم ... تحيض دماء والسيوف ذكور

وأعجب من ذا أنها في أكفهم ... تأجج نارا والأكف بحور

وأنشدني له الشريف إدريس الإدريسي قصيدة سيرها إلى الصالح بن رزيك قبل وزارته يحرضه على إدراك ثأر الظافر، وكان عباس وزيرهم قتله وقتل أخويه يوسف وجبريل، يقول فيها:

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم ... وما لهم من منعة وزياد

فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ... ومصرعهم لم تكتحل برقاد

تدارك من الإيمان قبل دثوره ... حشاشة نفس آذنت بنفاد

فمزق جموع المارقين فإنها ... بقايا زروع آذنت بحصاد

وله فيه من أخرى في هذه الحادثة:

ولما ترامى البربري بجهله ... إلى فتكة ما رامها قط رائم

ركبت إليه متن عزمتك التي ... بأمثالها تلقى الخطوب العظائم

وقدت له الجرد الخفاف كأنما ... قوائمها عند الطراد قوادم

وتنصل منها والعجاج خضابها ... هواد لأركان البلاد هوادم

تجافت عن الماء القراح فريها ... دماء العدا فهي الصوادي الصوادم

وقمت بحق الطالبيين طالبا ... وغيرك يغضي دونه ويسالم

أعدت إليهم ملكهم بعد ما لوى ... به غاصب حق الأمانة ظالم

فما غالب إلا بنصرك غالب ... وما هاشم إلا بسيفك هاشم

فأدرك بثأر الدين منه ولم تزل ... عن الحق بالبيض الرقاق تخاصم

وأنشدني الأمير العضد مرهف للجليس يخاطب الرشيد بن الزبير في معنى نكبة خاله الموفق:

تسمع مقالي يا ابن الرشيد ... فأنت حقيق بأن تسمعه

بلينا بذي نشب سائل ... قليل الجدا في أوان الدعه

إذا ناله الخير لم نرجه ... وإن صفعوه صفعنا معه

وأنشدني بعض فضلاء مصر لابن الحباب:

سيوفك لا يفل لها غرار ... فنوم المارقين بها غرار

يجردها إذا أحرجت سخط ... على قوم ويغمدها اغتفار

طريدك لا يفوتك منه ثار ... وخصمك لا يقال له عثار

وفيما نلته من كل باغ ... لمن ناواك لو عقل اعتبار

فمر يا صالح الأملاك فينا ... بما تختاره، فلك الخيار

فقد شفعت إلى ما تبتغيه ... لك الأقدار والفلك المدار

ولو نوت النجوم له خلافا ... هوت في الجو يذروها انتثار

ومنها:

عدلت وقد قسمت وكم ملوك ... أرادوا العدل في قسم فجاروا

ففي يد جاحد الإحسان غل ... وفي يد حامد النعمى سوار

لقد طمحت بطرخان أمان ... له ولمثله فيها بوار." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦٧٩

"وأورده ابن الزبير في كتاب الجنان، وذكر من شعره قوله:
طرقتني تلوم لما رأت في ... طلب الرزق للتذلل زهدي
هبك أني أرضى لنفسي بالكد ... ية يا هذه فممن أكدي
وقوله في الخمر:
عذراء تفتر عن در على ذهب ... إذا صببت بها ماء على لهب
وافى إليها سنان الماء يطعنها ... فاستلأمت زردا من فضة الحبب
وقوله:
أيا ليلة زار فيها الحبيب ... ولم يك ذا موعد ينتظر
وخاض إلي سواد الدجى ... فيا ليت كان سواد البصر
وطابت ولكن ذممنا بها ... على طيب رياه نشر الشجر
وبتنا من الوصل في حلة ... مطرزة بالتقى والخفر
وعقلي بها نهب سكر المدام ... وسكر الرضاب وسكر الحور
وقد أخجل البدر بدر الجبين ... وتاه على الليل ليل الشعر
وأعدى نحولي جسم الهواء ... وأعداه منه نسيم عطر
فمني معتبر العاشقين ... ومن حسن معناه إحدى العبر
ومن سقمي وسنا وجهه ... أريه السها ويريني القمر
وقوله:
أيها اللائم في الح ... ب لحاك الله حسبي
لست أعصي أبدا في ... طاعة العذال قلبي
وقوله في العذار:
وغزال خلعت قلبي عليه ... فهو باد لأعين النظار
قد أرانا بنفسج الشعر بدرا ... طالعا من منابت الجلنار
وقدت نار خده فسواد ... الشعر فيه دخان تلك النار
وله

يفتر ذ١اك الثغر عن ريقه ... در حباب فوق جريال

ونون مسك الصدغ قد أعجمت ... بنقطة من عنبر الخال

وقوله:

وغزال أبدى لنا الله من بس ... تان خديه في الحياة الجنانا

قد أرانا قدا وخدا وصدغا ... وعذارا وناظرا فتانا

غصنا يحمل البنفسج والنر ... جس والجلنار والريحانا

وله في غلام لبس في عاشوراء ثوب صوف:

أيا شادنا قد لاح في زي ناسك ... فباح بمكنون الهوى كل ماسك

رويدك قد أعجزت ما يعجز الظبا ... وأضرمت نيران الجوى المتدارك

أنحن فتكنا بابن بنت محمد ... فتثأر منا بالجفون الفواتك

وقوله في المجون:

لي شادن هو أدنى ... إلي مذ كان مني

فقد تعجلت قبل الممات ... جنة عدن

به تعففت عما ... يصم بالعذل أذني

لأنه صان عرضي ... عن أن ألوط وأزني

وزادني فيه حبا ... وصف يطابق فني

لم يتسع خرقه لي ... كلا ولا ضاق عني

فحلقة الظهر منه ... صيغت لإصبع بطني

وقوله في مثل ذلك:

كثيب رمل فوقه صعدة ... من فوقها بدر تمام أطل

إن كان من سواك لا عابثا ... فأنت مخلوق لذاك العمل

ولم يكن ردفك دعص النقا ... إلا لأن تركز فيه الأسل

وقوله:

زمان يخلط في فعله ... كأن به سكرة العاشق

وخلق إذا ما تأملتهم ... جحدت بهم حكمة الخالق

وقوله:

عدا طوره حمقا وادعى ... فخارا وقد جحدته المعالي

وقال ألم أبلغ الفرقدين ... فقلت بلى بقرون طوال

وقوله في أبخر:." (١)

"أنت كالموت تدرك الناس طرا ... مثلما يدرك الصباح المساء

كيف يرجو من قد أخفت نجاء ... منك هيهات أين منك النجاء

وقوله في لثغة اللسان:

وشادن في لسانه عقد ... حلت عقودي وأوهنت جلدي

عابوه جهلا بها فقلت لهم ... أما سمعتم بالنفث في العقد

وقوله:

أقبل الصبح وصاح الديكه ... فاسقنيها قهوة منسفكه

قهوة لو ذاقها ذو نسك ... لزم الفتك وخلى نسكه

فأهن دنياك تعززك ولا ... تترك المال كمن قد تركه

واغتنم عمرك فيها طائرا ... قبل أن تحصل وسط الشبكه

وقوله:

انظر الى الماء حاملا لهبا ... واعجب لنار تضيء في ماء

وقوله:

شربت درياقة لل ... هموم إذ لبستني

دبت بجسمي فأردت ... هومه وشفتني

قتلتها بمزاج ... وبعد ذا قتلتني

كأنها طلبتني ... بالثأر إذ صرعتني

وقوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٧٧٢

تنبه أيها الرجل النؤوم ... فقد نجمت بعارضك النجوم

وقد أبدى ضياء الصبح عما ... أجن ظلامه الليل البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب.

فلا تغررك يا مغرور دنيا ... غرور لا يدوم به نعيم

ولا تخبط بمعوج غموض ... فقد وضح الطريق المستقيم

أبو عبد الله

محمد بن الحسن ابن الطوبي

ذكر أنه كان صاحب ديوان الرسائل والإنشاء، ومن ذوي الفضائل البلغاء، طبيبا، مترسلا، شاعرا، وأورد من نظمه كل مليح الحوك صحيح السبك، فمن ذلك قوله في الغزل:

يا قاسي القلب ألا رحمة ... تنالني من قلبك القاسي

جسمك من ماء فما لي أرى ... قلبك جلمودا على الناس

أخاف من لين ومن نعمة ... عليك من ترديد أنفاسي

سبحان من صاغك دون الورى ... بدا على غصن من الآس

وقوله:

أي ورد يلوح من وجنتيه ... طار مني الفؤاد شوقا إليه

فإذا رمت أجتنيه ثناني ... عنه وقع السيوف من مقلتيه

وقوله في العذار:

انظر الى حسن وحسن عذاره ... لترى محاسن تسحر الأبصارا

فإذا رأيت عذاره في خده ... أبصرت ذا ليلا وذاك نهارا

وقوله في العذار:

قام عذري بعذاري ... ه فما أعظم كربي

قلت لما أن تبدى ... نبته: سبحان ربي

أحرقت فضة خدي ... ك لكي تحرق قلبي

وقوله في غلام عرضت له بفيه حرارة:

قالوا بفيك حرارة ... فعجبت كيف يكون ذاكا

ورضاب ريقك مطفئ ... نيران أقوام سواكا

يقع لي أن المعنى حسن، ولكن اللفظ مضطرب.

وقوله في المعنى وهو أجود سبكا:

شكا لحرارة في فيه أعيت ... معالجة فبات لها كئيبا

وكيف يصح ذا تفديه نفسي ... وبرد رضابه يطفي اللهيبا

وقوله:

ما لامني قط فيه ... إلا الذي لا يراه

حتى يراه فيضحي ... مشاركي في هواه

وقوله:

بخدك آس وتفاحة ... وعينك نرجسة ذابله

وريقك من طيبه قهوة ... فوجهك لي دعوة كامله

وقوله:

ومسقمي من طرفه ... بما به من سقم

أوما لتقبيل يدي ... فقلت ما ذنب فمي

وقوله:

قسم الحسن على الخل ... ق ولكن ما أقله

فهو في الأمة تفصي ... ل وفي وجهك جمله

وقوله في غلام ناوله حصرما:

أتعبت قلبي بالصدو ... د وليس أي أس من وصالك

فخذ الدليل فقد زجر ... ت لما أؤمل من نوالك

ناولتني من حصرم ... فرجوت نقلك عن فعالك

إذ كان يحمض أولا ... وتراه يحلو بعد ذلك

وقوله:

يا سميي وحبيبي ... نحن في أمر عجيب." (١)

"كرامة، الممدوح، هو: كرامة بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد صاحب القلعة، وما سمع في الفوارة أحسن من قول علي بن الجهم:

وفوارة ثأرها في السما ... فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أسبلت ... الى الأرض من صوب مدرارها

وله:

أخي كم تجمعنا مرارا وضمنا ... على الناس شمل بعد أن يتصدعا

فإن كان من فعل الليالي ودأبها ... فلا تأس إن فرقت أن نتجمعا

وله:

إياك من حتف يسيم بطرة ... من حاسر في حسنه مستلئم

فمصارع العشاق بين جفونه ... انظر تجد في خده أثر الدم

علي بن اسماعيل القلعي المعروف ب

الطميش

من الواردين على مصر من أهل العصر، وله حين قتل ابن الأفضل أبو علي بعد حبسه المدعو الحافظ وإلقائه في نفوس شيعته بذور الحفائظ وإقصابه مياجهم في مغائظ المفائظ واستيلائه على المملكة سنة يدعو الى القائم المنتظر، ونقش اسمه على الذهب الأحمر، ثم احتيل عليه فاغتيل وحان القبيل فكان القتيل، وأعيد الحافظ بعد ضياعه، وأذن ذلك بتأهيل رباعه، وتطويل باعه. فنظم الطميش فيه قصيدة منها - وقال ابن الزبير هي منسوبة إليه مما ادعاها -:

ولا بد من عزم يخيل أنني ... قدحت على الظلماء من ندزه فجرا

يجوب ظلاما كالظليم إذا سرى ... إذا جن جون كان بيضته البدرا

وليل صحبت السيف يرعد حده ... وقد شاب فيه مفرق الصعدة السمرا

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٨١٣/٢

حملت به درعي وسيفي وإنما ... حملت غدير الماء والغصن والنهرا

وأشقر ورد اللون لولا انتسابه ... الى البرق سيرا خلته المسك والهجرا

الى أن بدا وجه الصباح كأنه ... لحافظ دين الله آيته الكبرى

أستغفر الله من ذلك، فإنه لم يكن حافظا، وإنما كان مضيعا. ومنها:

وقد كان دين الله بالأمس عابسا ... لجراه حتى لاح في وجهه بشرا

وكان عليا حين كان الذي طغى ... معاوية والحارثي له عمرا

والحارثي كان من أعوانه. أخذه من ابن شرف حيث يقول:

مالي يعاقبني الزمان وليس لي ... ذنب كأني عمرو المضروب

ما كان أولاني بحكم المبتدا ... في النحو لو أن الزمان أديب

وله من قصيدة أخرى تجري مجرى الأولى:

زار الحبيب فلم يزرني غيهب ... إني وقد لبس الذوائب غيهبا

وكأنها الظلماء قد جعلت على ... بحر ... من السحائب طحلبا

حكمت على دمه سيوف بروقه ... أن لا يصان وأن يراق ويسكبا

يستقبل الروضات ماء جاريا ... فيعود درا في الغصون مركبا

ومنها في المديح:

...... برعي الكلا ... حتى تراه بالدماء مخضبا

وتعاف ورد الماء حتى تشتكي ... وجناته بدم الأعادي طحلبا

من قصيدة منسوبة إليه:

... لكم ودا ودمتم على الجفا ... ويزداد حبا كلما زدتم قلى

ولو كان سقما في الهوى من رضاكم ... لما اخترت عنه ما بقيت تنقلا

وزنت مماتي بالبقا عند غيركم ... فألفيت موتي عندكم لي أفضلا

الفقيه أبو محمد عبد الله بن سلامة

أصله من بجاية، ومقامه بالإسكندرية، ثم مصر، والصعيد، والريف، وهو القائل:

لي حرمة الضيف لو كنتم ذوي كرم ... وحرمة الجار لو كنتم ذوي حسب

لكنكم يا بني اللخناء ليس لكم ... فضل ولا أنتم من طينة العرب
كم لا أزال على حال أساء بها ... منكم وأغضي على الفحشاء والريب
لأتركن لكم أرضا بكم عرفت ... فأخبث البوم يأوي أخبث الخرب
وما مقامي بأرض تسكنون بها ... مني يطيب ولكن حرفة الأدب

علي بن يقظان السبتي." (١)

"عذيري من ساحر بيان، وناثر جمان، ومظاهر إبداع وإحسان، ما كفاه أن اعتام الجواهر اعتياما، وجلاها في أبهج مطالعها نثرا ونظاما، حتى حشر الكواكب والافلاك، وجلبها نحوي كتائب من هنا وهناك، وقدما حمل لواء النباهة، وأعجز دواء البداهة، فكيف بمن نكل حتى عن الروية، ورفض الخطابة رفضا غير ذي مثنوية، وليس الغمر كالنزر، رويدك أبا النصر، فما سميت فتحا لتفتح علينا أبواب المعجزات، ولا مليت سروا لترتقي عنا إلى الأنجم الزاهرات، فتأتي بها قبيلا، وتريد منا أن نسومها كما سمتها قودا وتذليلا، وأنى لنا أن نساجل احتكاما، أو نباسل اقداما، من أقدم حتى على القمرين، وتحكم حتى في انتقال الفرقدين، وقص قوادم النسرين. ثم ورد المجرة وقد تسلسلت غدرانها، وتفتح في حافاتها أقحوانها، وهناك اعتقد التنجيم، وأحمد المراد الكريم، حتى إذا رفع قبابه، ومد ما أحب أطنابه، سئم الدهناء، وصمم المضاء، فاقتحم على العذراء رواقها، وفصم عن الجوزاء نطاقها، وتغلغل في تلك الارجاء، واستباح ما شاء أن يستبيحه من نجوم السماء، ثم ما أقنعه أن بهر بإدلا له، حتى ذعرها بجياد أقواله، وغمرها باطراد سلساله، فله ثم خيل وسيل، لأجلهما شمر عن سوق التوأمين ذيل، وتعلق برجل السفينة سهيل، هنالك سلم المسالم، وأسلم المعارض والمقاوم، فما الأسد وإن لبس الزبرة يلبا، واتخذ الهلال مخلبا، وإنما انتهض تحت صبا أعنته، وقبض على شبا أسنته، وما الشجاع وإن هال مقتحما، وفغر عن الدواهي فما، وقد أطرق مما رآه، وما وجد مساغا يأباه. وما الرامي وقد أقعص عن مرامه، ووجئت لبته بسهامه، أو السماك وقد قطر دفينا، وغودر بذابله طعينا، وما الفوارس وقد جللت سربتها عجاجة، ومسخت حليتها زجاجة، وكذلك قطب زحل، واضطرب المريخ في نار وجده واشتعل، ووجل المشتري فامتقع لونه وضياؤه، وشعشع بالصفرة بياضه ولألاؤه، وتاهت الزهرة بين دل الجم ال، وذل الاستبسال، فلذلك ما تتقدم آونة وتتأخر، وتغيب تارة ثم تظهر، وأما عطارد فلاذ بكناسه، ورد بضاعته في أكياسه،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٨٨٦

وتحجبت الشمس بالغمام، واعتصم بمغربه قمر التمام. هذه حال النجوم معك، فكيف بمن يتعاطى أن يشرع في قول مشرعك، أو يطلع من ثنية فضل مطلعك.

ومنها في وداعه: فخذ السانح من عفوي، وتجاوز لمقتي وصفوي، ثم متعني بفكري فقد رجع فليلا، ودع لي ذهني عسى أن يتودع قليلا، وإني وقد أضله من بينك الشغل الشاغل، وردعه من قربك الظل الزائل، ولا أنس بعدك إلا في تخيل معاهدك، وتذكر مصادرك النبيلة ومواردك، فسر في أمن السلامة محافظا، وتوجه في ضمن الكرامة مشاهدا بالأوهام ملاحظا، رعاك الله في حلك ومرتحلك، وقدمت على السني من متمناك والمرضي من أملك، بمن الله وفضله.

وكتب إليهما الفقيه الحافظ أبو الفضل ابن عياض في ذلك: قد وقفت – أعزكما الله – على بدائعكما الغريبة، ومنازعكما البعيدة القريبة، ورأيت ترقيكما من الزهر إلى الزهر، وتنقلكما من الدراري بعد الدر، فأبحتما حمى النجوم، وقذفتماها من ثواقب افهامكما بالرجوم، وتركتماها بعد الطلاقة ذات وجوم، فحللتما بسيطها غارة شعواء، لها عوت أكلب العواء، هناك افترست الفوارس، ولم تغن عن السماك الداعس، وغودرت النثرة نثارا، وأغشى لألأوها نقعا مثارا، كأن لكما عندها ثأرا، وأشعرت الشعريان ذعرا، وقطعت إحداهما أواصر الأخرى، فأخذت بالحزم منها العبور، وبدرت خيلكما وسيلكما بالعبور، وحذرت اللحاق عن أن تعوق، عن منحنى العيوق. فخلفت أختها تندب الوفاء، وتجهد جهدها في الاختفاء، وكأن الثريا حين ثر تم بقطينها، اتقتكم بيمينها، فجذذتم بنانها، وبذلتم للخضيب أمانها، فعندها استسهل سهيل الفرار، فأبعد بيمينه القرار، وولى الدبران إثره مدبرا، فذكر البعاد فوقف متحيرا، وعادت العوائد بعراقها وشامها، وألقت الجوزاء الأمان بنطاقها ونظامها، فمهلا أعزكما الله سكنا الدهماء، فقد ذعرتما حتى نجوم السماء، فغادرتماها بين برق وفرق، وغرق أو حرق، فزحزحا في مجدكما قليلا، واجعلا بعدكما للناس إلى البيان سبيلا، فقد أخذتما بآفاق المعالي والبدائع، لكما قمراها والنجوم الطوالع.

فكتب أبو محمد ابن القاسم إليه مراجعا عنها:." (١)

"ورب فتى تراع الأسد منه ... يقنص قلبه الرشأ المروع

وقوله:

لهواك في قلبي كريقك في فمي ... غيري يقول: الحب مر المطعم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٩٠٨

فأدر علي بمقلتيك كؤوسه ... حتى يدب خماره في أعظمي

إن التلذذ في هواك تلذذ ... لو كان أقتل من ذعاف الأرقم

أحبب بحب لا يثير ملامة ... ملئت بمؤلمه عيون اللوم

شغل النواظر والقلوب ولم يدع ... من لم يسمه من الأنام بميسم

ومن العجائب شغل شيء واحد ... في الحال أمكنه ولم يتقسم

وأقام أزمنة وليس بجوهر ... وجرى وليس بمائع مجرى الدم

يا أيها القمر الذي إنسانه ... يرمي أناسا للعيون بأسهم

لم أبد حبك غير أن جوانحي ... فاضت به فيض الإناء المفعم

لا ذنب لي، علم الذي أسررته ... نظرا ولم أرمق ولم أتكلم

وأمرت بالشكوى إليك وإنما ... ينمي إلى الإنسان ما لم يعلم

ولربما لم تشكني فأماتني ... يأسي فذربي تحت أمر مبهم

وتلافني قبل التلاف فإنني ... من حمير وسيأخذونك في دمي

الطاعنين بكل أسمر داعس ... والضاربين بكل أبيض مخذم

والواردين الصادرين إذا الوغى ... لفحت بجمرتها وجوه الحوم

ولعلهم تسمو بهم هماتهم ... أن يدركوا في الظبي ثأر الضيغم

وزاره نفر من إخوانه فقال فيهم عند تلقيهم بإحسانه:

أهلا وسهلا بكم من سادة نجب ... كالذبل السمر أو كالأنجم الشهب

أجملتم وتفضلتم بزورتكم ... وليس ينكر فضل من ذوي الحسب

أضاء منزلنا من نور أوجهكم ... وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

الأديب أبو جعفر الأعمى التطيلي

وصفه بالفهم الفائض، والذهن الدراك لخفيات الغوامض، والبصيرة بأسرار المعاني بعين الإطلاع، والفكرة المستخرجة من معادن الفوائد فرائد الجواهر بيد الاضطلاع. إن فقد المرئيات لفقد ناظره، فقد أبصر مغيبات النكت بناظر خاطره، لم يفز حيا نجحه بالهطول، ولم تعز حياته بالطول، وقد أثبت له كل ما يعجب ويطرب، ويحظى به المستحلي له المستعذب. فمن ذلك قصيدة رثى بها بعض أعيان إشبيلية وقد اغتيل، ولم ير بعده

إلا على عويله التعويل، فإنه كان له مفتقدا، وفي فضله معتقدا، وهي من سياراته التي بها الآفاق طنت، وارتاحت أسماع الرفاق إليها وحنت:

خذا حدثاني عن فل وفلان ... لعل يرى باق على الحدثان
وعن دول جسن الديار وأهلها ... فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن خرمي مصر الغداة أمتعا ... بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن مخلتي حلوان كيف تناءتا ... ولم تطويا كشحا على شنآن
وطال ثواء الفرقدي بغبطة ... أما علما أن سوف يفترقان
وزايل بين الشعريين تصرف ... من الدهر لا وان ولا متوان
وإن تذهب الشعرى العبور لشأنها ... فإن الغظميضا في بقية شان
وجن سهيل بالثرايا جنونه ... ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور القضاء وعدله ... شآمية ألوت بدين يمان
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة ... على طمع خلاة للدبران
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة ... بيوم ثناء غال كل تداني
وكانا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك واللوى ... وما كان في أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها أسى ... يهيجه قبر بكل مكان
ومال على عبس وذبيان ميلة ... فأودى بمجني عليه وجان
فعوجا على جفر الهباءة عوجة ... لضيعة أعلاق هناك ثماني." (١)

"يا وانيا يأسى على ما فاته ... إن الونى طرف من التضييع
ومداجيا تخذ الخديعة جنة ... ألا أنفت لرأيك المخدوع
دافع بعزمك أبو بجهدك إنها ... عزمات حكم ليس بالمدفوع
وانظر بعينك أو بقلبك هل ترى ... إلا صريعا أو مثال صريع
أبني عبيد الله أين سراتكم ... من عاثر بعنانه المخلوع

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٩٣٩/٢

دهر كأن صروفه قد جمعت ... من نثر منتظم وشت جميع

يهن البقيع وليته لم يهنه ... قبر غدا شرفا بكل بقيع

ومنها:

وإذا عجبت من الزمان بحادث ... فلتابع يبكي على متبوع

وإذا اعتبرت العمر فهو ظلامة ... والموت منها موضع التوقيع

وله في المعنى:

السوم حين لففت المجد في كفن ... نفسي الفداء على أن لات حين فدا

يا حسرة ملأت بين الضلوع جوى ... ما ضر لاعجها أن لا يكون ردى

في ذمة الله قبر ما مررت به ... إلا اختبلت أسى أن لم أمت كمدا

أودى الزمان وكيف اسطاعه بفتى ... قد طال ما راح في أتباعه وغدا

ملء القلوب جلالا والعيون سنا ... والحرب بأسا وأكناف الندي ندى

من لا يقدم في غير العلى قدما ... ولا يمد لغير المكرمات يدا

كأنه كان ثأرا بات يطلبه ... حتى رآه فلم يعدل به أحدا

يا يوم منعي عبيد الله أي جوي ... بين الجوانح يأبى أن يجيب ندا

وأي غرب مصاب لا يكفكفه ... دمعي الهتون ولا أنفاسي الصعدا

ولا البلابل من مثنى وواحدة ... باتت تسل سيوفا أو تسن مدى

ولا الهموم وقد أعيت طوارقها ... كأنما بتن لي أو للدجى رصدا

قل للدجى وقد التفت غياهبها ... فلو تصوب فيها الماء ما اطردا

إن الشهاب الذي كنا نجوب به ... أجوازها قد خبا في الترب أو خمدا

لهفي ولهف المعالي جار بي وبها ... صرف الردى وأرانا أية قصدا

يا صاحبي ولا يحبسكما ظمأ ... طال الحيام وهذي أدمعي فردا

وحدثاني عن العليا وقد رزئت ... مسنونها اللدن أو مصقولها الفردا

واه لها وترته ثم قد علمت ... أن لا تنال به عقلا ولا قودا

هل نافع والأماني كلها خدع ... قولي له اليوم: لا تبعد وقد بعدا

وهل تذمم هذا الرزء من قلق ... قام المصاب به أضعاف ما قعدا

أما ويوم عبيد الله وهو أسى ... لقد تخير منا الموت وانتقدا

يا ماجدا أنجز العلياء موعده ... اليوم أنجز فيك الموت ما وعدا

إن الفؤاد الذي ما زلت تعمره ... قد ريع بعدك حتى صار مفتأدا

سل المنايا على علم وتجربة ... في أي شيء بغى الإنسان أو حسد

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا ... أن سوف تقتلهم لذاتها بددا

تبادروها وقد آدتهم فشلا ... وكاثروها وقد أحصتهم عددا

قل للمحدث عن لقمان أو لبد ... لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا

ولا الذي همه البنيان يرفعه ... إن الردى لم يغادر في الشرى أسدا

ما لابن آدم لا تفنى مطالبه ... يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

وله يتغزل:

بحياة عصياني عليك عواذلي ... إن كانت القربات مما تنفع

هل تذكرين لياليا بتنا بها ... لا أنت باخلة ولا أنا أقنع

وله:

هو الهوى وقديما كنت أحذره ... والسقم مورده والموت مصدره

يا لوعة رجلا من نظرة أمل ... الآن أعرف رشدا كنت أنكره

جد من الشوق كان الهزل أوله ... أقل شيء إذا فكرت أكثره." (١)

"(إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب)

(فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب)

(مكارم لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب)

(ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٩٤١

(ولكنه صوب العقول إذا انجلت ... سحائب منه أعقبت بسحائب)." (١)

"المعروف بالشامي، وكان بين الأخوين تباعد مفرط، والبيت الذي عرض فيه قوله:

وليس كمن إذا ماسيل عرفا ... يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام في إحدى عينيه نكتة بياض كجد أبيه هشام بن عبد الملك. ثم اتفق لأبي المخشي أن مدح هشاما ووفد عليه على ماردة، وهو يومئذ يتولى حربها لأبيه، فلما مثل بين يديه قال له: يا عاصم، إن النساء اللاتي هجوتهن لمعاداة أولادهن وهتكت أستارهن، قد دعون عليك، فاستجاب الله لهن، فبعث عليك مني من يدرك منك ثأرهن وينتقم لهن. ثم أمر به فقطع لسانه، ثم نبت بعد ذلك وتكلم به. وكان أبو المخشي هذا يسكن بوادي شوس، وكان بين وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة، فاجتمعا يوما للمناقضة فيه، فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه إلى النصرانية لأجل أن آباءه كانوا نصارى بقوله:

أقلفتك التي قطعت بشوش ... دعتك إلى هجائي وانتقالي!

الانتقال: الشم، فقال أبو المخشي مسرعا:

سألت وعند أمك من ختاني ... جواب كان يغني عن سؤالي

فقطعه.

وعلى ذكر أبي المخشي وقطع لسانه، كان مالك رضوان الله عليه يفتي فيمن قطع لسان رجل عمدا بقطع لسانه من غير انتظار - ثم رجع لما انتهت إليه قصة أبي المخشي، وأنه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة وأنه تكلم به، فقال: ينتظر سنة، فقد ثبت عندي أن رجلا بالأندلس نبت لسانه بعد أن قطع في نحو هذه المدة.

ونقلت من خط الفقيه أبي محمد عبد الخالق المسكي

قال بشار لعنان:

عنان يا منيتي ويا سكني ... أما تريني أجول في سكككك

حرمت منك الوفا معذبتي ... فعجلي بالسجل من صككك

---

(١) الحماسة المغربية الجراوي ٣٣٣/١

إني ورب السماء مجتهد ... في حل ما قد عقدت من تككك

فقالت مجاوية له:

لم يبق مما تقول قافية ... يقولها قائل سوى عككك

فقال:

بلى وإن شئت قلت فيشلة ... تسكن الهائجات من حككك

قال علي بن ظافر: عنا لم يدركها بشار، وإنما كان يشاغبها أبو نواس، ولهما في مثل هذا أخبار كثيرة وهذه القافية مما يعايا به.." (١)

"– الغريب صن استر ولا تذله تبتذله وأذاله أهانه والإذالة الإهانة يقال أذال فرسه وغلامه إذا أهانهما فى الحديث " نهى عن إذالة الخيل " وهو امتهانها بالعمل والحمل عليها وفى المثل أخيل من مذالة وهى الأمة لأنها تهان وهى تتبختر والجماجم جمع جمجمة وهى قحف الرأس المعنى قال ابن جنى صنه فإنه بد يدرك الثأر وتحمى به الذمار قال ابن فورجة كيف أمن أن يقول ما أذلته إلا لإدراك الثأر وإحماء الذمار وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبي الطيب وإنما المعنى أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك فقال صن سيفك وإنما يريد أغمده

٣١ – الغريب النجيع الدم المعنى يريد أن الدم الجامد عليه عليه صار كالغمد فهو مجرد وهو مغمد وهذا من قول البحترى

(سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ... محمرة فكأنهم لم يسلبوا)

ومن قول الآخر

(وفرقت بين ابنى هشيم بطعنة ... لها عائد يكسو السليب إزارا)

٣٢ – الإعراب ريان فى رواية النصب حال ١ العامل فيه ييس واللام فى لجرى جواب لو ومن رفع ريان كان خبر ابتداء محذوف المعنى يقول سيفك ريان فلوقاء الذى سقيته لجرى منه بحر ذو زبد يريد قد أكثرت به القتل

٣٣ – الغريب المنية من أسماء الموت لأنها مقدرة وجمعها المنايا وشفرته حده المعنى يقول لم تشارك المنية سيفه

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢٢

فى سفك دماء إلا استعانت بسيفه وكان كاليد للمنايا واستعار للمنية والسيف اليد لأن بها يحصل العمل من كل أحد وقال أبو الفتح يعنى أن لسيفه الأمر العظيم الأظهر الأقوى على القتل." (١)

"– الغريب ذرب حاد والحفافان الجانبان المعنى أى لهذا الكلب كل ناب حاد على جانبى حنك كالمبرد للطرائق التى فيها

١١ – الغريب الثأر دم القتيل يقال ثأر فلان أباه إذا أخذ بدمه المعنى هو كطالب الثأر من غير حقد أى بغض وضغن يطلب ثأرا من الصيد ولم يكن عليه ضغن وقوله

(ولا يدى ...)

أى لم يطالب بدية ولا تجب عليه دية

١٣ – المعنى قال أبو الفتح يطلب من هذه الخشفان فوضع الخشف مكان الخشفان وهو ولد الظبية

١٥ – المعنى يقول ثار الخشف من مكان أخضر أى نبات أخضر وشبهه فى خضرته بالشعر أول ما يبدو فى خد أمرد

١٧ – المعنى يقول كأنه محير لا يهتدى إلا لحتفه وهو هلاكه فكأنه يطلب حتفه لسرعته إليه ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيه وقال الواحدى إنه لما يئس من الفوت مد يديه لاطئا بالأرض." (٢)

"المعنى يريد أن سيف الدولة خضب لحاهم بدمائهم غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه وقال أبو الفتح الناصل المضروب بالنصل يريد إذا ضرب إنسانا بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة أي أن هذا الفتى لا يقصد بخضابه التزيين وإنما يقصد به الإهلاك فليس يحفل إذا أهلك النفس بما أخطأ في خضابه من الشعر وهو من قول طرفة

(حسام إذا ما قمت منتضيا له ... كفى العود منه البدء ليس بمعضد)

٢٨ – المعنى يقول هو مستغن بقوته عمن ينصره فلا يستغيث إلى ناصر ولا يستكين من خذل خاذل لأنه وحده يغني عن جيش بشجاعته

٢٩ – الغريب الوزع الكف والطرف الفرس الكريم والهائل الأمر العظيم المعنى يقول لا يكف فرسه عن مقدم

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣٣٧/١

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٤/٢

أو إقدام يعني أنه لا يخاف شيئا لجراءته وإقدامه ولا يهوله شئ فيرد طرفه عنه وقد جانس بين الطرف والطرف
٣٠ – الغريب التبل الثأر والترة ولم يشأه لم يفته والماطل الذي يمطل بالدين ولم يس ه ل عليه أن يؤديه المعنى يقول إذا طلب ثأرا لم يفته وإن كان ممتنعا أمره متعذرا موضعه وقوله وإن كان دينا ضربه مثلا والمعنى أنه يدرك الثأر وإن بعد العهد
٣١ – الغريب أتاكم بمعنى جاءكم وهو مقصور والممدود بمعنى أعطاكم وقرأ أبو عمرو ولا تفرحوا بما أتاكم بالقصر لأنه أراد جاءكم المعنى أنه يريد الاستهزاء بهم والتوبيخ لهم والمعنى خذوا ما جاءكم به من ضمان أبي وائل فالغنيمة فيما عجل لكم وما تأخر لعله لا يصل إليكم والمعنى يريد ما جاءكم به من هذه الوقعة." (١)

"– الغريب درب القلة موضع ببلاد الروم والكمد الحزن المعنى يقول لقيت بهذا الموضع الفجر لقية على حال من البهجة وسبيل من الغبطة شفت حزني بتطاول الليل وأظهرتني عليه بالخروج عنه وهو كالقتيل الذي نقضت مدته وسقطت عمن يحذره مؤنته قال أبو الفتح سألته عن معناه فقال وافينا القلة وقت السحر فكأني لقيت بها الفجر ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلا وشننا الغارات وغنمنا وشفيت كمدى لانحسار الليل عني والليل قتيل في ذلك الموضع فكأن النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فكشفه بقوله

(ولما رأيت الصبح قد سل سيفه ... وولى انهزاما ليله وكواكبه)

(ولاح احمرار قلت قد ذبح الدجى ... وهذا دم قد ضمخ الأرض ساكبه)

الإعراب نصب يوما عطفا على معمول لقيت المعنى يخاطب محبوبته ويقول لقيت بهذا الموضع يوما على هذه الليلة تناهت بهجته وراق منظره حتى كأن حسنه ء لامة توجهينها وكأن الشمس فيه رسول منك وقال أبو الفتح لما ثار الغبار ستر الشمس فكأنها رسول من محبوبته مستخف وهذا المعنى من أحسن الكلام قال وفي معناه قول الآخر

(إذا طلعت شمس النهار فإنها ... أمارة تسليمي عليك فسلمي)

١٢ – الغريب آثار افتعل من الثأر وأصله الهمز والذحول جمع ذحل وهو الحقد والعداوة المعنى قال الواحدي

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢٨/٣

قال ابن جني لولا سيف الدولة ما وصلت إلى درب القلة حتى شفيت نفسي من الليل بملاقاة الفجر قال ابن فورجة هذه الأبيات من محاسن هذه القصيدة وإذا توبع فيها أبو الفتح ضاعت وبطلت أفترى أبا الطيب لولا سيف الدولة لما أصبح ليله ولما لقى الفجر ولو لم يصل إلى درب القلة لما شفي عشقه فأي قائدة للعاشق في الوصول إلى درب القلة وقد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيبا بتقريظ وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى وأراد بقوله واللي‍ل فيه قتيل." (١)

"– الغريب الطوائل الأحقاد واحدها طائلة وبينهم طائلة أي عداوة وترة المعنى يقول رجا الروم من سيف الدولة في إجابته إلى الصلح الذي رغبوه ممن يرجى بمسئلته نوافل الخير وترتهن بطاعته ضروب الفضل ولا يرجو من عصاه أن يدال عليه فيأخذه بعداوته ويظفر بادراك ترته لأن سعادته تمنع منه وإقباله ييئس الأعداء منه والمعنى أنهم رجوا عفو من كل الفواضل عنده ولا يرجى أنه يدرك لديه ثأر والمعنى يقول إن كان خوف القتل ساق الروم متخيرين لما رغبوه من السلم فقد فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة وأبدوه من الخضوع والاستكانة ما هو كالقتل في شدته ولا يفعل القتل أكثر منه في حقيقته ثم فسر ذلك بقوله البيت بعده

٢٠ – المعنى يقول أبدوا من مخافتك ما يزيد على القتل وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل وفي المثل الحذر أشد من الوقيعة

٢١ – الغريب الجداول جمع جدول وهو النهر الصغير المعنى يقول أرى كل ملك مصيره إلى الخضوع لك وغاية أمله أن يعتلق بك فلا ملك إلا هو واقع تحت ملكك ولا رئيس إلا وهو متصرف على حسب أمرك كأنك في مصير الملوك وتزاحمها لديك البحر الذي إليه تئول الجداول الجارية وفيه مستقر الأنهار السائلة

٢٢ – الغريب السحائب جمع سحابة والطل المطر الضعيف والوابل المطر الكثير المعنى يقول أنت والمتشبهون بك من الملوك إذا ساجلوك في جودك وتشبهوا بك في فعلك فأمطروا وأمطرت وفعلوا وفعلت فطل عطائك يستغرق وابلهم والمعنى كثيرهم قليل بالإضافة إليك

٢٣ – الإعراب رفع كريم على حذف المبتدأ يريد أنت كريم الغريب لقحت الحرب اشتدت واللاقح من النوق التي بدأ الجمل بها." (٢)

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٩٨/٣

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١١٦/٣

"وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى ويصحح هذا قوله فإذا قست والمعنى أن الموت وإن كان لا بد منه ولا مخلص لأحد عنه فقد متعك بالإكرام عليك وأبقى لك أحب الشخصين إليك
١٣ - الغريب أغدرن مثل غادرن وهو الإبقاء والترك وسرى أذهب وسلى أي عزى المعنى يقول مخاطبا له إذا تأملت تبينت أن حظك في هذه القسمة أو في وأكمل وجدك أعلى وأفضل لأن المنون التي قاسمك لا مدفع لها وقد آثرتك بالحظ الأوفر واقتصرت على المفقود الأصغر وهذا الكلام على تجوز الشعراء وتزيدهم
١٤ - المعنى يقول لقد شغلت المنايا بما تواصله في أعدائك من القتل وما توجبه عليهم من الهلاك في الحرب فكيف تطلب المنايا شغلا بغيرهم يشير إلى أن الموت من أعوانه إلى أعدائه فكيف يتخطى إلى ذي قرابته وخالف مراده في أهل عنايته
١٥ - الغريب انتاشه من صرعة إذا نعشه المعنى يقول كم نصرت أسيرا من الزمان بسيفك فاستنقذته من الأسر وكم من مقل عديم نصرته بنوالك وجبرته على كره الزمان
١٦ - الإعراب الضمير في رآه للدهر وهي من رؤية القلب كما يقول الأعمى رأيت زيدا ذا مال أي علمته وعدها فيه ضمير للدهر والمفعول لأفعال سيف الدولة الغريب صال وثب واستطال صولا وصولة وفي المثل رب قول أشد من صول والمصاولة المواثبة والتبل الحقد والعداوة والختل افتراس الشيء على خديعة وحين غفلة المعنى يقول عد الدهر فعلك نصرة عليه ومراغمة له فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك حقدا لأنه قد حقد عليك مما فعلته من فك الأسارى وإعناء المقلين والمعنى أن الدهر عد فعلك نصرة عليه فصال على أختك مخاتلا غير مجاهر ومخادعا غير مكاثر فرأى نفسه مدركا منك ثأرا طلبه ومجازيا بضغن اعتقده." (١)

"ومن روى فيشفع بالرفع عطفه على قوله يرى ومن نصبه جعله جوابا للتمني كقراءة حفص عن عاصم لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع بالنصب الغريب الشفاعة السؤال لصاحب الأمر في عفو وغيره تقول تشفعت إليه في زيد فشفعني فيه تشفيعا واستشفعته إلى فلان سألته أن يشفع لي إليه المعنى يقول لعل الأمير الممدوح إذا رأى ذلي وضعفي في الهوى يشفع لي إلى من أحبها يضرب في المثل في العشق لتواصلي بشفاعته قال الواحدي هو من قول أبي نواس
(سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد ... هواها لعل الفضل يجمع بيننا)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٢٧/٣

وقول أبي نواس احسن من قول المتنبي لأن الجمع يمكن بان يعطيه ما يتوصل به إلى محبوبته والشفاعة تكون باللسان وذلك نوع قيادة على أني سمعت العروضي يقول سمعت الشعراني يقول لم أسمع أبا الطيب ينشده إلا فيشفعني من قولهم كان وترا فشفعته بآخر وإلى آخر فيكون كقول أبي نواس

٩ – الغريب الاعتقال أن يحمل الرمح بين ساقه وركابه المعنى يقول علمت وتيقنت أن الممدوح يطلب بدمى إن سفكته الحبيبه ويأخذ منها ثاري وذلك أني رأيته قد اعتقل رمحه عندما توجه لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه قال الواحدي هو من قول المؤمل

(لما رمت مهجتي قالت لجارتها ... إني قتلت قتيلا ما له خطر)

(قتلت شاعر هذا الحي من مضر ... والله ما ترضى به مضر)

١٠ – الغريب يروي فضل نائله وهو العطاء وزحل نجم من النجوم السيارة وهو أبعدها عن الأرض وسمى زحلا لأنه زحل وتنحي وهو معدول عن زاحل كعمر عن عامر المعنى يقول علمت أنني فهو معطوف على قوله أن سعيدا أي وأنني غير قادر على إحصاء فضله وفضل أبيه أو فضل عطائه وإني أنال زحلا دون نيلي لوصفه وهذا من المبالغة

١١ – الإعراب رفع قيل على حذف الابتداء أي هو قيل وقال قوم هو بدل من قوله طالب خبر أن في البيت الأول ومثواه مبتدأ خبره بمنبج ونائله." (١)

"– الإعراب اللاء قال أبو الفتح يجوز أن يكون نعتا للظباء ولا يمتنع أن يكون محمولا على قوله من كل تابعة لأن كل قد دلت على معنى الجمع فإذا حمله على الظباء كان في موضع خفض لأنه نعت وإذا حمله على كل فهو بدل معرفة من نكرة قال ولو أمكنه أن يقدم بمهجتي على الجبان لكن أوجه والباء متعلقة بأفتك وأفعل إذا كان لتفضيل لا يعمل شيئا وهذا البيت مثل قولك مررت بالذين أحبهم فلان إلي فالوجه تقديم إلى على فلان لئلا يفصل بينه وبين أحب وقال الخطيب الباء متصلة في المعنى بأفتكها إلا أنه لا يمكن تعلقها به لأنه قد اخبر عنه بقوله الجبان ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل عليه أفتكها فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان فتكت بمهجتي الغريب اللاء جمع في المؤنث كالذين

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٦٦/٣

في المذكر وقد اختلف القراء في يائها فقرأ قنبل عن ابن كثير وقالون عن نافع بالهمز من غير ياء وقرأ ورش بياء مختلسة بدلا من الهمز وإذا وقف صيرها ياء ساكنة وقرا البزي وأبو عمرو بن العلاء بياء ساكنة بدلا من الهمزة في الحالين وقرأ الباقون بالهمز وياء بعدها في الحالين والفاتك الجريء والجمع الفتاك والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل فيشد عليه فيقتله وفيه ثلاث لغات فتك بفتح الفاء وضمها مع سكون التاء فيهما وبكسر الفاء مع سكون التاء والجبان خلاف الشجاع المعنى يقول أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هي النافرة التي أنا مغرم بها والبخيلة منهن بالوصل أحبهن قربا إلي

٦ - الغريب نوافر جمع نافرة وأراد بها البعيدة وأصل النفور الخروج إلى طلب الشيء والختل الخدع وختلة وخاتلة أي خدعة والتخاتل التخادع المعنى يقول ترميننا بلحاظهن وهن بعيدات عنا لا يقصدننا وتخدعننا بحسنهن وهن غافلات لا يعلمن ذلك

٧ - الغريب المها بقر الوحش تشبه النساء بهن لسواد أعينهن والحبائل جمع حبالة الضائد المعنى يقول نحن نصيد بقر الوحش وهؤلاء المشبهات لبقر الوحش كافأننا وأخذن بثأرهن في صيدنا لمشابهن فصدننا بأعينهن من غير حبائل في التراب." (١)

"لقبرها على عادة العرب في الدعاء للقبور سقيا السماء وقال الواحدي بعد ما نقل هذا تركت الحرب وجدا بموتها واشتغلت بالدعاء لها وفيه نظر إلى قول الآخر

(وبرغمي أصبحت أمنحك الود ... وأهدي إليك صوب الغمام)

١٧ - المعنى يقول كنت قبل موتها أستعظم فراقها فصارت حادثة الفراق صغيرة عند موتها وكانت قبله عظيمة فصار موتها أعظم من فراقها

١٨ - الغريب هبيني اجعليني والعرب تقول وهبني الله فداءك أي جعلني والثار الذحل وثأرت القتيل بالقتيل ثأرا وثؤورة أي قتلت قاتله قال

(شفيت به نفسي وأدركت ثوتي ... بني مالك هل كنت في ثؤرتي نكسا)

والثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره المعنى يقول اجعليني واحسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو أنهم قتلوك فكيف آخذ ثأرك من هذه العلة وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣/٢٥١

(ولم يغن عنك الموت يا حمز إذ أتى ... رجال بأيديهم سيوف قواضب)

وأحسن فيه أبو الحسن التهامي

(لو كنت تمنع خاض نحوك فتية ... منا بحار عوامل وشفار)

١٩ - المعنى يقول الأعمى تنسد المسالك عليه والدنيا لم تنسد علي لضيقها بل هي واسعة ولكني كالأعمى لفقدك فالمسالك علي منسدة

٢٠ - الإعراب تقول أكب زيد على الأمر وكبه الله لوجهه ومنه قوله تعالى ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه﴾ وفي حديث معاذ وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم بفتح الياء من الثلاثي والذي أراد اللذين فحذف النون لطول الاسم وقال قوم بلى هي لغة في تثنية اللذ بحذف الياء فإنه يقال اللذا والذي وأنشدوا عليه قول الأخطل

(أبني كليب إن عمى اللذا ... كسرا القيود وفككا الأغلالا)." (١)

"- المعنى قال ابن القطاع هذا البيت من معانيه الغامضة وذلك أنه في مدح سيف الدولة وظاهره هجاء محض لأنه يقول شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه وهذا غاية الهجو لأن العرب مدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم وقد قال إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان فحذف الجار وقد قيل فيه إن معناه إذا الرماح شغلن مهجة ثائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة بالدفاع عن الإخوان فالأول يكونا لضمير فيه لسيف الدولة والثاني يكون شغلته صفة لثائر وهذا إن سلم من الهجاء صح به المعنى فإن الكلام يحتمل من الحذف ما لا يحتمله والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله عن بمعنى الباء فيكون المعنى شغلت سيف الدومة مهجته بإخوانه وهو مثل قوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أي بالهوى وهذا البيت يدل على علم المتنبي وفصاحته واتساعه في لسان العرب ولو لم يكن له إلا هذا البيت لكفاه وقال الواحدي المعنى شغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم فعلى هذا يكون الضمير للروم ولا يكون لسيف الدولة فيه شيء وإنما يصف هزيمتهم فيقول إذا تناوشت الرماح لطلب ثأر شغلت كل واحد من عسكر الروم صيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه

٤٠ - الغريب عاق منع والعواد المعاودة والقواضب السيوف جمع قاضب وقضيب ويجمع أيضا على قضب

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٠٦/٤

وهو القطاع والعاني الأسير وقوم عناة ونسوة عوان المعنى يقول هيهات لهم العودة تمنعهم منها سيوف قواطع كثرت بها القتلى وقل الأسير لأنه المسلمين لم يأسروا بل قتلوا من وجدوا فهم يرون القتل أبلغ من الأسر

٤١ – الإعراب عطف مهذبا على قواضب الغريب المهذب الطاهر من العيب ويريد به سيف الدولة والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة والرحمن أبلغ وأعظم مبالغة من الرحيم والرحيم ألطف وأسماه الله تعالى كلها قد طرأ فيها الاشتراك اللفظي إلا الله والرحمن قد سمى به مسيلمة الكذاب فكانوا يقولون رحمن اليمامة المعنى يريد أنهم يمنعهم من العودة مهذب يأمر المنايا فيهم بما يريد فتطيعه في طاعة الله تعالى

٤٢ – الغريب المسنة الدانية من الأرض أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه." (١)

"الأعمش وعيسى بن عمرو قولوا للناس حسني بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة أي حسني القول وكذلك أتى في شعر الحكمي

(كأن صغرى وكبرى من فقاقعها ... حصباء در على أرض من الذهب)

أراد صغرى وكبرى فقاقعها على إسقاط حرف الجر المعنى يقول الخيل في مطاردة الفرسان بعضها مطرودة وبعضها طاردة في لعبهم بالرماح تجر الطويلة منها والقصيرة

٢٠ – الغريب يعجبها أي يعجب فرسانها قتل الكماة وهم الشجعان الذين اكتموا في الأسلحة وأنظره إذا أخره وأمهله ومنه قراءة حمزة أنظرونا نقتبس من نوركم بقطع الألف وكسر الظاء أي أمهلوا علينا المعنى يعجب فرسان الخيل قتلهم الكماة ولا يلبثون أن يقتلوا بعدهم لكثرة المعاودة وفشو الحرب في طلب الثأر وقال أبو الفتح يعجب خيلنا قتل الكماة كما يعجب فرسانها ألا تراه يقول في موضع آخر

(تحمى السيوف على أعدائه معه ... كأنهن بنوه أو غشائره)

فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمي فالحيوان الذي يعرف كثيرا من أغراض صاحبه أحرى لأنه معلم مؤدب وقال في قوله ولا ينظرها الدهر أنه إذا قتل الفارس عفرت بعده فرسه قال زياد الأعجم

(وإذا مررت بقبره فاعقر له ... كوم الهجان وكل طرف سابح)

ورد عليه ابن فورجة هذا القول وقال ليس هو بشيء يريد بقتلاها من قتله يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين والمعنى أن أصحابها يهلكونها بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلوهم فلا بقاء لها بعدهم

٢١ – الإعراب قاطبة حال ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف الغريب قاطبة جميعا من قطبت الشيء

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٨٣/٤

بالشيء إذا جعلتهما جميعا المعنى يقول قد رأيت جميع الملوك حتى رأيت مولاها

٢٢ - المعنى رأيت الملوك بأجمعهم وسرت حتى رأيت أعظمهم الذي يحي من شاء منهم ويميت من شاء ومناياهم بكفه يقول يصرفها فيهم كيف يشاء." (١)

"ثم ختم كتابه بعد سنة بقول الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام (١) عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (٢)

٢١٦ - الخنساء:

وما كر إلا كان أول طاعن ... وما أبصرته الخيل إلا اقشعرت

فيدرك ثأرا وهو لم تخطه القنا ... فمثل أخي يوما به العين قرت (٣)

ولست أرزى بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت

٢١٧ - وقال عبد العزيز بن مسلم العقيلي: مررت بقبر أبي محجن (٤) بأرمينية (٥) تحت شجرات من كرم، فذكرت أبياته، وعجبت من الاتفاق في

---

٤ - الأدب والأخبار من كتبه «الكامل». و «التعازي والمراثي» الذي قال في مقدمته: «دعانا إلى تأليف هذا الكتاب، واجتلاب محاسن من تكلم في أسباب الموت من المواعظ والتعازي والمراثي. . . مصابنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه وهو أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق». المراثي والتعازي صفحة (١).

(١) في الأصل: أنتم سلام والتصحيح من الديوان صفحة (٢١٤).

(٢) البيت للبيد بن ربيعة العامري من قصيدة خاطب فيها ابنتيه لما حضرته الوفاة، ومطلعها:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

٢١٦ - الديوان صفحة (١٨) من قصيدة مطلعها:

لهفي على صخر فإني أرى له ... نوافل من معروفه قد تولت

(٣) في الديوان: وهو لم يخطه الغنى.

٢١٧ - الخبر بنحوه في الأغاني ١٩/ ١٣، والاستيعاب.٤/ ١٧٥٠.

(٤) أبو محجن الثقفي فارس شاعر من الأبطال جلده عمر في الخمر مرات، ونفاه إلى جزيرة في البحر، فهرب

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٤/٢٧٤

ولحق بسعد وهو يحارب الفرس فحبسه، توفي بأذربيجان أو جرجان سنة (٣٠) للهجرة. خزانة الأدب ٨/ ٤٠٥.

(٥) في مصادر ترجمته لم يذكر بأنه دفن بأرمينية.." (١)

"ومن قبله ما قد أصيب نبينا ... أبو القاسم النور المبين بقاسم (١)

وقال علي في التعازي لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

٢٨٩ - أبو عبادة البحتري يخاطب محمد بن يوسف الثغري (٢):

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك ... من الحدث المشكو والنازل المشكي (٣)

وما هذه الأيام إلا منازل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك

وقد هذبتك الحادثات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أما في رسول الله يوسف أسوة ... لمثلك محبوسا على الظلم والإفك (٤)

أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

٢٩٠ - وقيل إن الإسكندر أصيب بمصيبة فحضره أرسطاطاليس معزيا، فقال له: أيها الملك، لم آتك معزيا لكن متعلما الصبر منك لعلمي أن الصبر على الملمات فضيلة، وطبيعتك منافية لكل رذيلة، فكيف تحض على عادتك، وتعلم سنتك؟.

---

(١) في الأصل: ومن قبلنا.

٨٩٢ - ديوان البحتري ٣/ ١٥٦٧.

(٢) محمد بن يوسف الثغري الطائي من قادة الجيوش عند المعتصم، وكانت أول هزيمة لأصحاب بابك على يده، عقدت له ولاية إرمينية وأذربيجان، ألحق هزائم عدة بالروم، توفي فجأة سنة (٢٣٦) وغلبت عليه نسبة الثغري لأن معظم حياته قضاها في ثغور الإسلام مجاهدا. جو القصيدة: قال التنوخي في الفرج بعد الشدة ٢/ ١٦: طولب أبو سعيد الثغري بمال بعد غزواته المشهورة، وسلم إلى أبي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه، فجعل يعذبه، فشق ذلك على المسلمين، وقالوا: يأخذ بثأر النصرانية. فقال البحتري -قصائد، فقرئ

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٨٤

هذا الشعر على المتوكل، فأمر بإطلاق أبي سعيد وتوليته.

(٣) في الديوان الحادث.

(٤) في الأصل: محبوس.." (١)

"عاقبت وجدت مثلك قد عاقب مثله كثيرا، وإن عفوت لم تجد مثلك عفا عن مثله. فعفا عنه، وأمر بإطلاقه.

٣٦٣ - وقيل: لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رؤوس الأشهاد، فأمر بإحضاره من محبسه فجيء به يحجل في قيوده، حتى وقف على طرف الإيوان، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال المأمون: لا سلم الله عليك، ولا رعاك ولا كلأك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف. وقد أصبح ذنبي فوق كل ذي ذنب، كما أن عفوك فوق كل ذي عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف (١) فبفضلك. قال: فأطرق المأمون مليا، ثم رفع رأسه وقال: إن هذين أشارا علي بقتلك وإذا المعتصم والعباس بن المأمون (٢). فقال: يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به، وما غشاك إذ كان مني ما كان، ولكن الله عز وجل عودك من العفو عادة جريت عليها، دافعا مما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسم المأمون، وأقبل على ثمامة وقال: إن من الكلام ما يفوق الدر، ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي حديده وردوه

---

٩ - وكان كاتبا شديدا فصيحا لبيبا بصيرا بالأمور، استوزره المأمون، توفي سنة (٢١٠) الفخري: ٢٠٠. وقول أحمد بن محمد في الأغاني ١٠/ ١١٨، ووفيات الأعيان ١/ ٤١.

٣٦٣ - الأغاني ١٠/ ١١٦، الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٤٢، والخبر بنحوه في العقد الفريد ٢/ ١٤٨.

(١) في الأصل: تعفو.

(٢) العباس بن المأمون بن الرشيد، أمير عباسي، ولاه أبوه الجزيرة والثغور، لما ولي المعتصم امتنع كثير من القواد من مبايعته ونادوا باسم العباس بن المأمون، فدعاه المعتصم إليه وأخذ البيعة فسكن الناس، وأقام إلى أن خرج

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/١١٨

المعتصم إلى الثغور فاتفق مع بعض القواد على قتل المعتصم، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة (٢٢٣) الأعلام.." (١)

"أين الوفاء الذي أصفوا شرائعه ... فلم يرد أحد منها على كدر

كانوا رواسي أرض الله منذ نأوا ... عنها استطارت بمن فيه ولم تقر

كانوا مصابيحها فيها فمنذ خبوا ... هوى الخليقة يالله في شرر

كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع ... منه بأحلام عاد في خطا الخطر

ويل امه من طلوب الثأر مدركة ... منهم بأسد سواهم في الوغى صبر

من لي ومن لهم إن أظلمت نوب ... ولم يكن ليلها يفضي إلى سحر

من لي ومن لهم إن عطلت سنن ... وأخفيت ألسن الآثار والسير

من لي ومن لهم إن أطبقت محن ... ولم يكن وردها يدعو إلى صدر

على الفضائل إلا الصبر بعدهم ... سلام مرتقب للأجر منتظر

يرجو عسى، وله في أختها أمل ... والدهر ذو عقب شتى وذو غير

قرطت آذان من فيها بفاضحة ... على الحسان حصا الياقوت والدرر

سيارة في أقاصي الأرض قاطعة ... شقاشقا هدرت في البدو والحضر

مطاعة الأمر في الألباب قاضية ... من المسامع ما لم يقض من وطر." (٢)

"وأنشدونا له أيضا:

قالوا به صفرة عابت محاسنه ... فقلت ما ذاك من داء به نزلا

عيناه تطلب من ثأر بما قتلت ... فليس تلقاه إلا خائفا وجلا

وأنشدونا للفقيه الأجل المؤرخ صاحب الرحلة المذكورة، والتصانيف المشهورة، أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، القاضي بمدينة بلنسية:

إن الذي أصبحت طوع يمينه ... إن لم يكن قمرا فليس بدونه

ذلي له في الحب من سلطانه ... وسقام جسمي من سقام جفونه

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/١٤٦

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٣٣

وممن اشتهر عندنا بالشعر والأدب، ونظم منه مثل. الدرر وصاغ سبيه الذهب، إلا أنه أفرط في الإقذاع في الهجو فهجر لهذا السبب:

أبو بكر يحيي بن سهل اليكي

ويكة بياء مثناة باثنتين من أسفل: حصن في جوف مدينة مرسية، على خمسة وأربعين ميلا منها، وتشتبه ببكة، بالباء بواحدة من أسفل. وهي على مقربة من جزيرة طريف على ساحل البحر الملح، رأيتها غير مرة.." (١)

"صحبته زمانا طويلا، واستفدت منه أدبا جليلا. واستجزته في جميع تصانيف

أسلافه وتصانيفه، وجميع شعره ونثره وتواليفه.

ومن شعره:

وموسدين على الأكف خدودهم ... قد غالهم نوم الصباح وغالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم كيف تطلب ثأرها ... إني أملت إناءها فأمالني

ومن شعره:

رمت كبدي أخت السماك فأقصدت ... ألا بأبي رام يصيب ولا يخطشي

قريبة ما بين الخلاخل إن مشت ... بعيدة ما بين القلادة والقرط

نعمت بها حتى أتيحت لنا النوى ... كذا شيم الأيام تأخذ ما تعطي

سألته رحمه الله عن مولده فقال: ولدت سنة سبع وخمسمائة. وبلغتني وفاته آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة." (٢)

"وإعجامه بالضرب والطعن، فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام، وهذا مقصد في حل الأبيات الشعرية حسن، فإن استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه، وقد نبهت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب.

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار، وهو:

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/١٣٢

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٢٠٧

وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبها، ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبها، ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة، وأنه ذو شعب أربع والتربيع نحس في حكم النجامة «١» وكيف ترجو بكفرها ظهورا ولها منه معنى الاختفاء وللإسلام معنى السلامة؛ ولما التقى الجمعان اصطفقت يمين وشمال، وزحفت جبال إلى جبال، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تفي بالآجال، وأقدمت الخيل إقدام فرسانها، وأظلم النقع فلا تبصر إلا بآذانها، ونالت النحور ثأرها من كعوب الرماح، واشتكت الأسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح، واستؤصلت شجرة ال كافرين بالقطع لا بالجداد، وحال حد السيف دون حديد الأصفاد، ونقلوا إلى جهنم يصلونها وبئس المهاد، وانقلب المسلمون وقد ملئوا الأغماد نصرا، والصحائف أجرا، والأيدي وقرأ، والقلوب جذلا والألسنة شكرا، وكان ذلك اليوم في الأيام علما، وفي الأقسام قسما، ولم يره الزمان منسوبا إليه إلا راجع شبابا بعد أن ناهز هرما.

في هذا الفصل شيء من معاني الشعر، وذلك من قول أبي الطيب المتنبي «٢» :." (١)

"على قبره، حتى جاء أهله وأخذوه، فقال النابغة في ذلك «١» :

حباء شقيق فوق أحجار قبره ... وما كان يحبى قبله قبر وافد

وهذا بيت من جملة أبيات، فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى؟.

وكذلك ورد قول أخت جساس زوجة كليب؛ فإنه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء إليها وندبنه، فتحدث بعضهم إلى بعض، وقلن: هذه ليست ثاكلة، وإنما هي شامتة؛ فإن أخاها هو القاتل، فنم ذلك إليها، فقالت:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي

إن أختا لامرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي «٢»

جل عندي فعل جساس فوا ... حسرتا عم انجلت أو تنجلي

فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فقئت عين سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٠٥/١

هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل مثكلي." (١)

"خوارا، وأن زئيرهم قد انقلب خوارا؛ أذعنت أيديهم باستسلامها، وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها، وبالبلد عن النفوس وحمامها، فأبى السيف أن يترك رقابا تغذي بأكلها، ويحل من عشقها على مداومة وصلها، وذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزاع هذا البلد قسرا، وفتك بمن كان به من المسلمين غدرا، وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه، وتتجمل في الدنيا بزينة أثوابه، والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه، وإن تطاولت أمداد السنين على قدمه، فيا بعد عهد هذا الثأر من ثائره، ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره، ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذوو الرأي بقبول الفدية المبذولة، وألا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة، فإن النقد إذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار، واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار، وهؤلاء إذا رأوا عين القتل تجردوا للقتال، وركبوا الأهوال للنجاة من الأهوال، ومن يدع إلى خطة رشد فليقبلها، ومن أنشط له عقل الأمور فلا يعقلها، وعلى كل حال فإن الفدية للمسلمين أرغب، وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب، هذا، وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس، ومن حرمته عند الله مما طلعت عليه الشمس، ولا يوازى فتحه عنوة أن يتعدى إليهم أضراره، ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره، فرأى الخادم عند ذلك أن الرأي مشترك، وأن له معتركا كما أن السيف له معترك، وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها، فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم، وتشيل نعامتهم، ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار، واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار، وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته بقتله، أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله، وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها، وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها، ولقد كان يوم التسليم عريض الفخار، زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار، واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار، وزاده فخرا إلى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوي الذي كان في تلك الأرض موعده ومن صخرتها مصعده، وذلك هو الإسراء

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٣٠٨/١

الذي ركب إليه ظهر البراق، واستفتح له أبواب السبع الطباق، ولقي فيه الأنبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملقى بخير لاق، وبركة ذلك اليوم سرت إلى هذا." (١)

"ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحا، وهو:

"أصدر هذا الكتاب، والفتح غض طري لم تنصل حمرة يومه، ولا أغمدت سيوف قومه، فسطوره متربة بمثار عجاجه، ممتلئة بخط ضربه وإعجام زجاجه١.

وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام٢:

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة ... ضربا وطعنا يقات الهام والصلفا٣

كتابة ما تني مقروءة أبدا ... وما خططت بها لاما ولا ألفا

إلا أن أبا تمام مثل آثار الضرب والطعان في الوجوه بالكتابة، وأنا مثلت الكتابة وإعجامه بالضرب والطعن، فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام:

وهذا مقصد في حل الأبيات الشعرية حسن، فإن استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه، وقد نبهت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب.

ومن ذلك ما ذكرته في فصل كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار، وهو:

"وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبها، ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبها، ولم تعلم أن الله كتب عليه الهو١ن بعد تلك الكرامة، وأنه ذو شعب أربع، والتربيع نحس في حكم النجامة٤، وكيف ترجو بكفرها ظهورا ولها منه معنى الاختفاء، وللإسلام معنى السلامة، ولما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال، وزحفت جبال إلى جبال، وكثرت النفوس على المنايا حتى كادت لا تفي بالآجال، وأقدمت الخيل إقدام فرسانها، وأظلم النقع فلا تبصر إلا بآذانها، ونالت النحور ثأرها من كعوب الرماح، واشتكت الأسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح، واستؤصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد، وحال حد السيف دون حديد الأصفاد، ونقلوا إلى

---

١ الزجاج بكسر الزاي جمع زج بضمها: الحديدة في أسفل الرمح.

٢ ديوان أبي تمام ٢٠٣.

٣ المشق مد الحروف، والصلف جمع صليف، وهو عرض العنق.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٣٣/٢

٤ أراد بها صناعة التنجيم، قال ابن أبي الحديد: إن لفظة "النجامة" رديئة مستغفلة على أنا لا نعرف صحتها وجوازها، ولا سمعناها اسما للتنجيم ولا مصدرا –انظر الفلك الدائر على المثل السائر ٤٠.." (١)

"هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول

يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل مثكلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت، فكيف امرأة، وهي حزينة في شرح تلك الحال المشار إليها.

واعلم أنه قد يستخرج من المعنى الذي ليس بمبتدع معنى مبتدع.

فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج في الفهد:

تنافس الليل فيه والنهار معا ... فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعاني الغريبة، ولكنه تشبيه حسن واقع في موقعه.

وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له: ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا، فقال:

ونقطته حباء كي يسالمها ... على المنايا نعاج الرمل بالحدق

وهذا معنى غريب، لم أسمع بمثله في مقصده الذي قصد من أجله.

وقليلا ما يقع هذا في الكلام المنظوم والمنثور، وهو موضع ينبغي أن توضع اليد عليه، ويتنبه له.

وكذلك فلتكن سياقة ما جرى هذا المجرى.

وقد جاءني شيء من ذلك في الكلام المنثور.

فمن ذلك ما ذكرته في وصف نساء حسان، وهو:

"أقبلت ربائب الكناس، في محضر اللباس، فقيل: إنما يخترن الخضرة من الألوان ليصح تشبيههن بالأغصان".." (٢)

"فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ... وصارت لهم أشباحهم كالغوارب١

يصرف مسراها جذيل مشارق ... إذا آبه هم عذيق مغارب٢

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/١١٤

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/١٤

يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر ... وبالعرمس الوجناء غرة آئب٣

كأن بها ضغنا على كل جانب ... من الأرض أو شوقا إلى كل جانب٤

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد ... تقطع ما بيني وبين النوائب٥

هنالك تلقى الجود من حيث قطعت ... تمائمه والمجد مرخى الذوائب٦

ألا ترى أنه قال في الأول: "يصرف مسراها" مخاطبة للغائب، ثم قال بعد ذلك: "إذا العيس لاقت بي" مخاطبا نفسه، وهي هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة للممدوح، والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشرا لها بالبعد عن المكروه، والقرب من المحبوب، ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولا به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره، وهو أيضا خطاب لحاضر، فقال: "هنالك نلقى الجود"، والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شهده، كأنه يصف له جود الممدوح، وما لاقاه منه، إشادة بذكره، وتنويها باسمه، وحملا لغيره على قصده، وفي صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة، وهي قوله: "حيث قطعت تمائمه" ما يقتضي له الرجوع إلى خطاب الحاضر، والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألف الجود، ومنشؤه ووطنه، وقد يراد به

---

١ رواية الديوان "لها" موضع "لهم"، والغوارب الكواهل.

٢ الجذيل تصغير جذل، وهو عود ينصب للجربي لتحتك به، ومنه "أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب" على سبيل الافتخار، أبه أتاه ليلا، والعذيق تصغير عذق، وهو الفرع من النخلة.

٣ الكعاب بارزة النهد، الرود اللينة، الثائر طالب الثأر، العرمس الناقة الشديدة، الوجناء عظيمة الوجنتين.

٤ رواية الديوان "كأن به" موضع "كأن بها".

٥ العبس: الإبل البيض بشقرة.

٦ رواية الديوان:

هنالك تلقى المجد حيث تقطعت ... تمائمه والجود مرخى الذوائب

والتمائم: خرزات تعلق في عنق الصبي لدفع العين عنه، والمفرد تميمة.." (١)

"وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التي هي الفوز الأكبر، وقرنها بإدناء مضاجعهم من الأرض المقدسة، التي هي أرض المحشر، فما يسرهم أن يعودوا إلى الدنيا إلا للاستزادة من ثواب الجهاد، وأيسر ذلك أن أرواحهم

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٤١/٢

في حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة إلى يوم المعاد.

ولما رأى الكفار أن صليبهم قد صار خوارا، وأن زئيرهم قد انقلب خوارا، أذعنت أيديهم باستسلامها، وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها، وبالبلد عن النفوس وحمامها، فأبى السيف أن يترك رقابا تغذي بأكلها، ويحل من عشقها على مداومة وصلها.

وذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزاع هذا البلد قسرا، وفتك بمن كان به من المسلمين غدرا، وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه، وتتجمل في الدنيا بزينة أثوابه، والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه، وإن تطاولت أمداد السنين على قدمه، فيا بعد عهد هذا الثأر من ثائره، ويا طيب خبره عند سامعه، وحسن أثره عند ناظره.

ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذوو الرأي بقبول الفدية المبذولة، وألا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة، فإن النقد١ إذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار، واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار، وهؤلاء إذا رأوا عين القتل تجردوا للقتال، وركبوا الأهوال للنجاة من الأهوال، ومن يدع إلى خطة رشد فليقبلها، ومن أنشط له عقل الأمور فلا يعقلها، وعلى كل حال فإن الفدية للمسلمين أرغب، وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب.

هذا، وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس، ومن حرمته

---

١ النقد بالتحريك جنس من الغنم.." (١)

"لو حاكمتك فطالبتك بذحلها ... شهدت عليك ثعالب ونسور١

فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى، وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه، فأغرب وأبدع وحاز الإحسان بجملته، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره.

فمما جاء منه قوله:

تفدى أتم الطير عمرا سلاحه ... نسور الملا أحداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب ... وقد خلقت أسيافه والقوائم٢

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٩٦

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره، فقال:

سحاب من العقبان ترجف تحتها ... سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه٣

وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب.

---

١ من قصيدته في مدح منصور بن يزيد "الديوان ٢٢٠" بالديوان "ملاحم ونسور" ذحلها: ثأرها.

٢ من مدحة لسيف الدولة بقصيدته التي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

"الديوان ٤/ ١٢٢" أحداثها والقشاعم: صغارها وكبارها. القوائم: مقابض السيوف.

٣ من قصيدته في مدح سيف الدولة "الديوان ٤/ ٥٥" ورواية الديوان "يزحف تحتها".." (١)

"باب العنوان

وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أبو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة، وقصص سالفة، كقول أبي نواس بسيط

يا هاشم بن خديج ليس فخركم ... بقتل صهر رسول الله بالسدد

أدرجتم في إهاب العير جثته ... لبئس ما قدمت أيدكم لغد

إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت ... حجرا بدارة ملحوب بنو أسد

ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم ... قتل الكلاب لقد أبرحت بالولد

ورب كندية قالت لجارتها ... والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية ... عن ثأره وصفات النؤي والوتد

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بعدة عنوانات: منها قصة قتل محمد بن أبي بكر، وقتل حجر أبي امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند." (٢)

"وسمي حرف الروي رويا لأنه من الرواء وهو الحبل الذي يشد على الأحمال والماع ليضمها. وروى في كلامهم للضم والجمع والاتصال، وكذلك حرف الروي، تنضم وتجتمع إليه جميع حروف البيت. فالقوافي على

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣/٢٨٣

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٥٥٣

ذلك خواتيم على عنوان الشعر جامعة لأطراف معانيه، قابضة على أزمة مهاريه.

٨ – وأما الألقاب، فإنها تنقسم الى أقسام ولكل قسم منها باب، فمنها:

باب الإشارة

والإشارة من محاسن البديع، ومعناه اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة وإن كان بأدنى لمح يستدل على ما أضمر من طويل الشرح كقول امرئ القيس:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كز ولا وان

تأمل ما تحت لفظة أفانين، وما اقترن بها من جميع أصناف الجودة، ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر معايب الخيل.

وقال زهير:

فلو أني لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفيل

فهذا لفظ قليل يدل على معنى كثير. وكما قال بعض الأعراب:

جعلت يدي وشاحا له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

قوله: جعلت يدي وشاحا له، إشارة بديعة الى المعانقة بغير لفظها وهي دالة عليها.

وقال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل

أشار بذلك الى دقة الخصر والرشاقة والهيف لأن حركة الوشح تدل على ذلك. فأما الخلاخل والأسورة والبرى، فإنها توصف بالصمت والخرس. وفي البيت إشارة أخرى الى شدة الحركة وهي قوله، كما استعان بريح عشرق زجل، وذلك أن العشرق وهو شجر شديد الحركة في ضعف النسيم، فكيف إذا استعان بريح.

وقالت الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

إشارة حسنة الى وقت الغارة، ووقت الميسر وإطعام الضيف.

وقال القحيف:

أتاني بالعقيق دعاء كعب ... فحن النبع والأسل النهال

إشارة حسنة الى إغاثته بالجيش. وقال آخر:

وزيد ميت كمد الحبارى ... لأن ظعنت سكينة والرباب

إشارة حسنة الى شدة الهم وذلك أن الطير تجتمع في مواضع بعيدة من الأناسي فتطرح ريشها هناك وفيها الحبارى، ثم ترتعي الى أن ينبت ريشها، فإذا نبت ريش تلك الطير كلها تخلف الحبارى عنها لأن ريشها بطيء الطلوع فينهض جميع الطير وتبقى الحبارى فيموت أكثرها كمدا.

وأنشد ابن الأعرابي:

مشينا فسوينا القبور بعاقل ... فقد حسنت بعد القبوح قبورها

أي قتلنا بقتلانا فاستوى عدد قتلانا وقتلاهم. وهذه إشارة عجيبة لطيفة الى أخذ الثأر. وفي هذا الباب سعة وجهدنا أن نختصر.

وقريب من معنى الإشارة وإن تغايرت العبارة:

باب الكناية

وربما سماها قوم التتبيع لأن الشاعر يقول معنى ويأتي بلفظ تابع له، فإذا دل التابع أبان عن المتبوع. فمن ذلك قوله تعالى: (وبلغت القلوب الحناجر) ، كناية عن شدة الأمر والحرب، ومعنى ذلك أن القلوب ارتفعت عن مواضعها فنفرت كأنها تريد الخروج عن الأجسام مفارقة لها. وقوله تعالى: (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) . في ضمن هذا الكلام كناية عن الشرب ولم يذكر لدلالة الأكل عليه، وكناية عن النجو والبول لأن من أكل احتاج أن يشرب، ومن أكل وشرب احتاج أن ينجو ويبول.

وأنشد المبرد:

تقول وقد أبدى البكاء بعينه ... ندوبا: ألا داويت عينك بالكحل

فقد رأيت الكحل يشغل قدره ... من العين قدرا لم يكن عنك في شغل

كناية عن أنه لا يحب أن يشغل عينه عن النظر إليها، لأن الزمان الذي يذهب في الاشتغال بالكحل لم يكن قبل الكحل مشغولا بغير النظر إليها فهو يكره أن لا يكون على ما كان عليه من تلك الحال.

وقال بلعاء بن قيس الكناني:

معي كل مسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى في أخمص الرجل ظالع

كناية عن الترف والنعمة. وقال المنهال:." (١)

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٨

"ومما يجوز للشاعر المولد استعماله عند الضرورة في شعره الخرم، بخاء معجمة وراء غير معجمة، وهو حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت، والوتد المجموع حرفان متحركان بعدهما ساكن مثل: غزا، رمى، ولا يدخل الخرم على بيت أوله سبب أو فاصلة، وأكثر ما يجيء في أول البيت من القصيدة وربما جاء في غيره من الأبيات. قال الشاعر:

كنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... ليالي لاقينا جذام وحميرا

أراد أن يقول: وكنا فحذف الواو. وقال الآخر:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء

وأكثر ما يحذف للخرم حروف العطف مثل الواو وأخواتها وإن كان الخرم يجيء بغير ذلك. وقد أجاز بعض العروضيين الخرم في أول النصف الثاني من البيت وشبهه بأول البيت وأنشد عليه قول امرئ القيس:

وعين لها حدرة بدرة ... شقت مآقيها من أخر

أراد أن يقول: وشقت. وأنشدوا في خرم أول البيت وفي أول النصف الثاني منه، وهو غير مستحسن ولا ينبغي العمل به، قول الشاعر:

أبدلني بتيم اللات ربي ... حنظلة الذي أحيا تميما

أراد أن يقول: وأبدلني بحنظلة فحذف الواو من أول النصف الأول، والباء من أول النصف الثاني.

وحديث أبي تمام مع أبي سعيد المكفوف، لما عرضت عليه قصيدته البائية التي مدح بها عبد الله بن طاهر، وإنكاره الخرم في أول البيت منها معروف لأن العلماء بالشعر لا يستحسنونه وإن كان مجوزا مستعملا وهو قوله:

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزما فقدما أدرك الثأر طالبه

وأما الخزم بخاء معجمة وبراء معجمة فما يجوز للشاعر المولد استعماله ولا يسوغ له تعاطيه أبدا، وهو زيادة كلمة يأتون بها في أوائل الأبيات يعتد بها في المعنى ولا يعتد بها في الوزن، وإذا أريد تقطيع البيت حذفت تلك الكلمة الزائدة وهي تستعمل في جميع البحور كما قال الشاعر:

أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا

والبيت من الهزج ولا يستقيم إلا بإسقاط أشدد. وقال الآخر:

المسيب بن شريك اليوم عالم من العلماء

لا يستقيم تقطيعه حتى يحذف من أوله المسيب.
وربما كان الخزم في أول البيت حرفا أو حرفين كما قال الكندي:
وكأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل
ألا ترى أن الوزن لا يستقيم حتى تسقط الواو، وعلى ذلك يروى. والأصل في الرواية الصحيحة ثبوت الواو، وكذلك أنشده العروضيون واحتجوا به. وقد جاء من طريق الشذوذ الخزم في نصف البيت كقول الشاعر:
يا نفس أكلا واضطجا ... عا يا نفس لست بخالدة
والبيت من مجزوء الكامل متفاعلن أربع مرات ولا يصح إلا بإسقاط يا من نصف البيت ويجتزأ بحرف النداء في أول البيت فاعرف ذلك. وقد جوزوا أن تحذف من القافية الياء في مثل قول الشاعر:
وقبيل من لكيز شاهد ... رهط مرجوم ورهط ابن المعل
وهو يريد المعلى. وقد جوزوا أيضا تخفيف المشدد في مثل قول الشاعر:
دعوت قومي ودعوت معشري ... حتى إذا ما لم أجد غير الشر
كنت امرءا من مالك بن جعفر
فخفف الراء من الشر. وقال المبرد: لم يرد الشر وإنما أراد السري بسين غير معجمة وهو اسم رجل شبه بالسري وهو نهر فحذف إحدى الياءين فبقي السري فخفف الياء.
فهذه نبذة في هذا الفصل يستغنى بها عن غيرها، ولمعة يكتفى بها عن سواها، فرب قبس أغنى عن مصباح، وغلس اجتزئ به عن صباح.
الفصل الثالث
في فضله ومنافعه وتأثيره في القلوب ومواقعه." (١)
"وشكا إليه الناس الجدب فاستسقى لهم فسقوا، فلما كان الجمعة الثانية جاءه رجل يسعى فقال: يا رسول الله تهدمت الدور وسقطت الجدر، فتبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا من قوله، وقال: أيكم يروي كلمة عمي أبي طالب؟ فقام أبو بكر فقال: أنا يا رسول الله، قال: أنشد، فأنشده:
كذبتم وبيت الله يبزى محمد ... ولما نصرع حوله ونقاتل
فلما انتهى الى قوله:

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٥١

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... غياث اليتامى عصمة للأرامل

فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهلل وجهه. ولما قتل هشام بن الوليد بن المغيرة أبا أزيهر الدوسي بذي المجاز، وكانت في هشام عجلة، اجتمع الناس وتهيئوا للقتال، فجاء أبو سفيان فقال: ما أسرع الناس الى دماء هذا الحي من قريش! وقال لأصحابه: لا تشاغلوا بالحرب بينكم عن حرب محمد، يريد النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله لحسان بن ثابت: حرض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال حسان من أبيات:

كساك هشام بن الوليد ثيابه ... فأبل وأخلف مثلها جددا بعد

قضى وطرا منه فأصبح ماجدا ... وأصبحت رخوا ما تخب وما تغدو

فما منع العير الضروط ذماره ... وما منعت مخزاة والدها هند

فلو أن أشياخا ببدر تشاهدوا ... لبل نعال القوم معتبط ورد

وإنما أراد صلى الله عليه وسلم أن ينتخي أبو سفيان ويهزه الشعر على عادة العرب فيتشاغل عن حربه بحرب بني مخزوم ويقع الخلاف بينهم فيقوى أمره صلى الله عليه وسلم ويضعفون عنه في عادة العرب في الحمية. ألا ترى أن جساس بن مرة قتل كليب وائل في غرة بناقة جار خالته لأبيات قالتها وهي:

لعمر أبي لو كنت في دار منقر ... لما ضيم سعد وهو جار أبياتي

ولكنني أصبحت في دار غربة ... متى يغد فيها الذئب يغد على شاتي

فيا سعد لا يغررك قومي وارتحل ... فإنك في حي عن الجار أموات

ودونك أذوادي فسقها فإنني ... لخائفة أن يغدروا ببنياتي

فلما سمع جساس الأبيات حركته وهزته وأغضبته وقال أقلي عليك أيتها العجوز فلأقتلن بناقة جارك أعظم فحل للعرب، فظنته يقتل بعض إبل كليب، فخرج من وقته فطعن كليبا فقتله. ولكن أبا سفيان لما سمع أبيات حسان، وكان خبيثا ترك حرب مخزوم خوفا مما حسبه النبي صلى الله عليه وسلم وحاوله.

وقالت صفية بنت عبد المطلب تحض أبا سفيان على أخذ ثأر أبي أزيهر من بني مخزوم، وتعرض له بالنار التي أوقدت له بالغدر، وذلك أن العرب كانت إذا غدر الرجل أوقدوا له نارا على جبل، وقيل: هذه غدرة فلان، فلما قتل أبو أزيهر وهو صهر أبي سفيان فلم يأخذ بثأره أوقدت النار على أبي قبيس بالموسم وقيل: هذه غدرة أبي سفيان، وهي أبيات منها:

ألا أبلغ بني عمي رسولا ... ففيم الكيد فينا والأمار

وسائل في جموع بني علي ... إذا كثر التناشد والفخار

تريد بني علي بن بكر بن كنانة، منها:

ونحن الغافرون إذا قدرنا ... وفينا عند غدوتنا انتصار

ولم نبدأ لذي رحم عقوقا ... ولم توقد لنا بالغدر نار

فلم يحركه ذلك لما كان في نفسه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أن معاوية قال لعروة بن الزبير: أتنشد قول جدتك صفية:

خالجت آباد الدهور عليكم ... وأسماء لم تشعر بذلك أيم

فلو كان زيرا مشركا لعذرته ... ولكنه قد يزعم الناس مسلم." (١)

"وخرج الجحاف الى قومه وقال لهم: إن عبد الملك قد ولاني بلاد بني تغلب. وزور كتابا، وحشا جربا ترابا، وزعم أنه مال، ورحل بهم متأهبين فلما أشرف على بلاد بني تغلب خبرهم بحقيقة الأمر وأنشدهم بيت الأخطل وقال: إنما غضبت لكم فاثأروا بقومكم. فشدوا على بني تغلب بالبشر ليلا وهم غارون غافلون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب الأخطل من ليلته مستغيثا بعبد الملك فلما دخل عليه أنشده:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... الى الله منها المشتكى والمعول

فإلا تغيرها قريش بملكها ... يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال له عبد الملك: الى أين يا بن اللخناء؟ فقال: الى النار يا أمير المؤمنين، فقال: والله لو قلت غيرها قطعت لسانك. ثم إن الجحاف لقي الأخطل بعد ذلك فقال:

أبا مالك هل لمتني إذا حضضتني ... على القتل أم هل لامني لك لائم

فهذا ما استجلبه الأخطل على قومه وجناه عليهم بكلمة ما كان أغناه عنها و أقدره على تركها. ومن كان عنده من القوة أن يحرض بما حرض به ما كان يليق أن يكون عنده من الخور ما يوجب قوله: لقد أوقع الجحاف ... البيت.

ولما أنشد جرير عبد الملك قوله:

أتصحو أم فؤادك غير صاح

قال له: بل فؤادك يا بن اللخناء. فلما بلغ قوله:

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٥٦

تشكت أم حرزة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوي لقاح

قال له: لا أروى الله عيمتها ثم أخرجه خائبا، وكان سببه ما بدأ به.

وينبغي للشاعر ألا يسيء أدبه في خطاب الممدوح ويتجنب ما تسبق إليه الظنة في مثل قول أبي نواس:

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد ... هواها لعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل: ويلك أما وجدت غيري يجمع بينكما؟، فقال: يا مولاي إنما وجمع تفضل لا جمع توصل. ولعمري إن له وجها يعلل به، ولقد كان عن التهمة فيه غنيا. وتبعه فيه أبو الطيب فجعل مكان الجمع الشفاعة. والجمع قد يكون بصلات الممدوح، والشفاعة فلا تؤول بذلك، ففسد عليه المعنى بلفظة الشفاعة.

ومدح جرير بشر بن مروان بقصيدة منها:

يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلا غضبت لنا وأنت أمير

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير؟

فقال له بشر: قبحك الله يا بن المراغة، أما وجدت رسولا غيري؟! وقد أخذ بلال على ذي الرمة كلمة هي دون هذا المأخذ لما أنشده:

سمعت: الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

تناخي عند خير فتى يمان ... إذا النكباء ناوحت الشمالا

صيدح اسم ناقته. فقال بلال: يا غلام مر لها بالقت والنوى يريد أن ذا الرمة لا يحسن المدح. وأقول: إنه لم ينصف ذا الرمة في ذلك؛ لأن الكلام يحتمل أنه أراد: فقلت لصاحب صيدح، ويريد نفسه، كما قال الحارثي:

وقفت على الديار فكلمتني ... فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحب القلوص وعنى نفسه قال الله تعالى: (واسأل القرية) أي أهل القرية. وإذا كان هذا التأويل ممكنا فلا نقص على ذي الرمة بإنكار بلال.

ولقائل أن يقول: فهلا اعتذر ذو الرمة عن نفسه وقد قابله بلال برده؟ والجواب عن ذلك أن الحاكي لم يقل: إن ذا الرمة ما اعتذر عن نفسه ولا منع من ذلك، وإنما كان قصده حكاية قول بلال. ويجوز أن يكون ذو الرمة قد اعتذر الى بلال بذلك أو بغيره وافلج بحجته. ويمكن أنه لم يفهم مقصد بلال بالقت والنوى حتى يجيب عنه، لأنه بدوي لا يعرف لحن كلام الحضريين. والمقصود أنه لم يكن جاهلا مقدار ما ذكرناه، ولا هو

ببعيد عنه. وأما قوله: سمعت الناس برفع سين الناس فإنه رفع على الحكاية، أي سمعت قائلا يقول: الناس ينتجعون، كما قال الآخر:." (١)

"١٥٧ - وقال سالم بن داراة أموي الشعر

(أيا راكبا إما عرضت فبلغا ... على نأيهم مني القبائل من عكل)

(فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل)

(وجرد تعاطي بالكماة كأنها ... تلاحظ من غيظ بأعينها القبل)

(عليها رجال جالدوا يوم منعج ... ذوى التاج ضربوا الملوك على وهل)

(بضرب يزيل الهام عن سكناته ... وطعن كأفواه المفرجة الهزل)

(وكنا حسبنا فقعسا قبل هذه ... أذل على وقع الهوان من النعل)

(فقد نظرت نحو السماء وسلمت ... على الناس واعتاضت بخصب من المحل)

(فان انتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل)

(وبيعوا الردينيات بالحلى واقعدوا ... عن الحرب واعتاضوا المغازل بالنبل)

١٥٨ - وقال آخر

(خذوا القوم أن أعطاكم القوم عقلكم ... وكونوا كمن سيم النوال فأربعا)." (٢)

"(والعطيات خساس بيننا ... وسواء قبر مثر ومقل)

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٨١

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٧٤/١

(ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل)

(حين زرنا بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل)

(فقتلنا النصف من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل)

٢١٤ - وقال خفاف بن ندبة جاهلي
(فإن تك خيلي قد أصيبت صميمها ... فعمدا على عين تيممت مالكا)

(وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو **لأثأر** هالكا)

(لدن ذر قرن الشمس حتى رأيتهم ... سراعا على خيل تؤم المسالكا)

(تيممت كبش القوم لما عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا)

(وجادت له مني يميني بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا)

(وقلت له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا)

(فخر صريعا وانتقذنا جواده ... وحالف بعد الأهل صما دكا دكا)." (١)
"(وكالسيف إن لاينته لان متنه ... وحداه إن خاشنته خشنان)

٨٨ - وقال يحيى بن زياد الحارثي
(تخالهم للحلم صما عن الخنا ... وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر)

(ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة ... وعند المنايا كالليوث الخوادر)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١/١٠١

(لهم ذل إنصاف ولين تواضع ... به لهم ذلت رقاب المعاشر)

(كأن بهم وصما يخافون عيبه ... وما وصمهم إلا اتقاء المعاير)

٨٩ - وقال آخر

(فتى لا تراه الدهر إلا مشمرا ... ليدرك ثأرا أو ليرغم لوما)

(تبسمت الآمال عن طيب ذكره ... وإن كان يبكيها إذا ما تجهما)

٩٠ - وقال ذو الرمة

(أنت الربيع إذا ما لم يكن مطر ... والسائس الحازم المعفول ما أمرا)." (١)

"٤٤ - وقالت الخنساء بنت الشريد مخضرمة

(تعرقني الدهر نهسا وحزا ... وأوجعني الدهر قرعا وغمزا)

٤٥ - وقالت ترثي أخاها صخرا

(يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار)

٤٦ - وقالت أيضا

(ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي)

٤٧ - وقالت أيضا

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

(فيدرك ثأرا وهو لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١٥٢/١

(فلست أرزي بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت)

٤٨ - وقالت أيضا

(أبعد ابن عمرو من ألا الشريد ... حلت به الأرض أثقالها)." (١)

"١٣٦ - وقال عدى بن الرقاع وتروى لنصيب بن رباح

(ونبه شوقى بعدما كنت نائما ... هتوف الضحى مشغوفة بالترنم)

(بكت شجوها تحت الدجى فتساجمت ... إليها غروب الدمع من كل مسجم)

(فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم)

(ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم)

١٣٧ - وقال زياد الأعجم

(تغنى أنت فى ذممى وعهدى ... وذمة والدى أن لا تضارى)

(وبيتك فأصلحيه ولا تخافى ... على زغب مصعرة صغار)

(فانك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتى وذكرت دارى)

(وإما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك فى جوارى)." (٢)

"(كل نهد أقب معتدل الخلق ... أمين القوى عتيق النجار)

(ماج منه الجران واشتد علبا ... واه واحدودبا دوين العذار)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢١٨/١

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١٤٢/٢

(مجفر الجنب مكرب الرسغ داني ... الأجذ مستعرضا لكر مغار)

(طال هاديه والذراعان ... والأضلاع منه فتم في إجفار)

(ثم طالت وأيدت فخذاه ... فهو ثقف الوثوب ثبتت الخبار)

(وقصير الكراع والظهر والساق ... قصير العسيب والصلب وارى)

(وحديد الفؤاد والطرف والعرقوب ... والسمع حدة في وقار)

(ورحيب الفروج والجلد والشدقين ... قدام منخر كالوجار)

(والعريض الوظيف والجنب والأوراك ... والجبهة العريض الفقار)

(وهو صافة الأديم والعين والحافر ... غمر المطال والإحضار)

(فبهذا نفوت من يطلب **الثأر** ... لدينا ولا نفات **بثار**)

٩ - قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

(وقد أغتدى والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل)

١٠ - وقال أيضا وتروى لربيعة بن جشم من بنى نمرابن قاسط رواية عن أبى عمرو بن العلاء البصرى

(وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر)." (١)

"(الجازئ) (٦٠) ، بالهمز: فرس الحارث بن كعب بن عمرو.

(جناح غراب) (٦١) : فرس مذكور، قال الشاعر: أعاذل ما يدريك عل منيتي يزحزحها عني جناح غرابي

يقول: أقاتل عليه فأنجو.

(جلوى) (٦٢) ، بفتح الجيم: فرس كانت لبني تغلب، وهي أم داحس.

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢/٣٢٥

و (جلوى) (٦٣) : فرس أخرى لخفاف بن ندبة، قال فيها: (٦٤) وقفت لهم جلوى وقد خام صحبتي لأبني مجدا أو لأثأر هالكا ويروى: علوى، بالعين والغين.

(الجناح) (٦٥) : اسم فرس عكاشة بن محصن الصحابي، رضي الله عنه. جلوى (٦٦) : بنت الحرون، فرس قتيبة (٦٧) ، قال فيها فضالة بن عبد الله الغنوي: خرجت سواسية معا وأمامها جلوى تطير كما يطير السوذق [٩ ب]

(جهنام) (٦٨) : فرس قيس بن حسان بن عمرو بن

---

(٦٠) ابن الأعرابي ٩١، المخصص ٦ / ١٩٧ وهو بلا همز فيهما.

(٦١) أغفلته كتب الخيل.

(٦٢) ابن الكلبي ٢٤، المخصص ٦ / ١٩٥.

(٦٣) المخصص ٦ / ١٩٨.

(٦٤) شعره: ١٣.

(٦٥) السيرة النبوية ٢ / ٢٨٤، ابن الأعرابي ٥٣، المخصص ٦ / ١٩٤.

(٦٦) ابن الكلبي ١٢٠، الغندجاني ٦٣ وفيه بيت فضالة. والسوذق: الصقر.

(٦٧) وهو قتيبة بن مسلم.

(٦٨) الغندجاني ٦٣ وفيه البيت، القاموس ٤ / ٩ (جهنام) .." (١)

"(الخنساء) (١٣١) : فرس عميرة بن طارق [اليربوعي] ، قال: كررت به الخنساء أثأر توبة

(الدال)

(دعلج) (١٣٢) : فرس عامر بن الطفيل، قال (١٣٣) : [١٥ أ] أكر عليهم دعلجا ولبانة إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحما

(الديناري) (١٣٤) : فرس بكر بن وائل، وهو ابن

(الهجيس) : فرس بني تغلب، ابن

(زاد الركب) فرس الأزد، الذي دفعه إليهم سليمان ابن داود صلى الله عليهما.

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل الصاحبي التاجي ص/٢٩

(درهم) (١٣٥) : فرس خداش بن زهير العامري، قال، وذكر ضيفا طرقه: وأقفيته دون العيال لحافنا وبات أنيسيه بجير ودرهم بجير: ابنه، ودرهم: فرسه. وقدم خبر

(بات) على اسمها. وقال خداش بن زهير أيضا: فقلت لعبد الله حين رأيتهم لك الويل قرب لي الحسام ودرهم

(الدموك) (١٣٦) : فرس، قال الراجز:

---

(١٣١) الغندجاني ٩١، التاج (خنس) وعجز البيت فيهما: (أوائله مما عملت ويعلم) .

(١٣٢) شرح ديوان الحماسة (ت) ١٥٣، (م) ١ / ١٥٥، عقد لأجياد ,٣٤١

(٣٣١) ديوانه ١٣٤.

(١٣٤) ابن الكلبي ١٥، ابن الأعرابي ٥٠، الأنوار ١ / ٢٧٠.

(١٣٥) الغندجاني ٩٨ وفيه بينا خداش، القاموس ٤ / ١١ (درهم) .

(١٣٦) الغندجاني ٩٧، القاموس ٣ / ٣٠ (دمك) وفيهما: فرس عقبة بن سنان. والرجز في الصحاح (دمك) . والدموك: السريعة.." (١)

"(سوادة) (٢١١) : بنت سواد بن القسامي، أم سبل.

(سمحة) (٢١٢) : فرس جزء بن خالد، قال: أعددت سمحة وهي مقربة تقفى وتبتدر الأصاغر سورها تقفي: تؤثر بالقفي، وهو الطعام، تؤثر به رب المنزل أو الضيف. [٢١ ب]

(سواد) : ابن القسامي.

(السميدع) (٢١٤) : فرس مشهور.

(السبل) (٢١٥) : فرس مرثد بن أبي مرثد، أصابه صاحب الغراف، لما أخذ منه الغراف يوم بدر، عن ابن هشام (٢١٦) .

(الشين)

(الشيماء) (٢١٧) : ويقال لها الشماء، فرس معاوية بن عمرو بن الشريد. كانت غرأء، ولما ركبها أخوه صخر ليدرك بثأر أخيه في بني مرة بن ذبيان، قال: إني أخاف أن يعرف القوم غرة الشيماء فيتأهبوا، قال: فجم غرتها، فلما أشرف على أداني الحي رأوها. قالت فتاة لأبيها: هذه والله الشيماء يا أبة فنظر فقال: الشيماء

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل الصاحبي التاجي ص/٣٩

غرأء وهذه بهيم، فلم يشعروا إلا والخيل معهم.

(الشقراء) (٢١٨) : فرس زهير بن جذيمة. عن ابن الأعرابي (٢١٩) .

---

(٢١١) ابن الكلبي ٥١.

(٢١٢) الغندجاني ١٢٥ بضم السين.

(٢١٣) ابن الكبلبي ٤٣.

(٢١٤) ابن الكلبي ١٣٠ وهو بالذال في القاموس ٣ / ٤٠ (السميذع) : للبراء وفي ابن الأعرابي ٦٥: إن السميدع رجل وليس فرسا.

(٢١٥) فضل الخيل ١٦٧.

(٢١٦) السيرة النبوية ١ / ٦٦٦.

(٢١٧) هي السمى في الكامل ١٢٢١ والزاهر ٢ / ٣٤٨ وفيهما الخبر مفصلا. وقد أغفلتها كتب الخيل.

(٢١٨) الغندجاني ١٣٦، العمدة ٢ / ٢٣٥، القاموس ٢ / ٦ (شقر) .

(٢١٩) في كتابه النوادر كما أشار الغندجاني.." (١)

"ومن مثل حسن في الحروب ومثله ... لإنكار ضيم أو لخصم يحاوله

فأتي في هذا البيت بالوصف من جهة العقل والشجاعة، فاستوفى ضروب الممادح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة. وزاد ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال أخي ثقة، فوصفه بالوفاء، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا.

وقد يتفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها، وكل داخل في جملتها، مثل أن يذكروا ثقافة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وهي من أقسام العقل، وكذكركم القناعة وقلة الشره وطهارة الإزار وغير ذلك وهي من أقسام العفة، وكذكركم الحماية والأخذ بالثأر والدفاع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الأقران والمهابة والسر في المهامة والقفار الموحشة وما شاكل ذلك وهي من أقسام الشجاعة، وكذكركم السماحة والتغابن والانظلام والتبرع بالنائل والإجابة للسائل وقرى الأضياف وما جانس هذه الأشياء وهي من أقسام العدل.

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل الصاحبي التاجي ص/٥٠

فأما تركيب بعضها مع بعض فيحدث منها ستة أقسام: يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالوعود، وعن تركيب العقل مع السخاء البر والإنجاز للموعد وما أشبه ذلك، وعن تركيب العقل والعفة التنزه والرغبة عن المساوي والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك، وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف والإخلاف وما جانس ذلك، وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش والغيرة على الحرم، وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت **والإيثار** على النفس وما أشبه ذلك".

قال: "وكل واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين".

٧- إضاءة: وإذ قد حكينا كلام أبي الفرج قدامة فلنتبع ذلك بإشارة إلى بيان قوله: "إن كل واحد من هذه الفضائل وسط بين طرفين مذمومين". فأقول: إن الفعل العائد بمنفعة ما إنما يحمد ما لم يعد الإفراط فيه بمضرة وما لم يكن من القلة والتقصير بحيث لا يغني، فإذا وقع وسطا بين هذين الطرفين كان محمودا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "خير الأمور أوساطها". ألا ترى أن الكرم إذا أفرط عد سرفا وتبذيرا، والإقدام إذا أفرط فهجم بصاحبه على المتالف في كل حين وموطن عد ذلك تهورا وهوجا، وإذا وقع التقصير عن الإقدام والبذل بالجملة أو وقع من ذلك ما لا اعتداد به عد ذلك بخلا وجبنا. وقد تكون قلة الشيء بحيث لا يوجب عليه حمدا ولا ذما.

٨- تنوير: وجميع تلك الأفعال ونقائصها إنما تعد فضائل أو رذائل فيستوجب عليها الثناء عليها الثناء المطلق أو الذم المطلق، ويعتقد في صاحبها أنه خير أو شرير، إذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادة لا يفارقها إلى ما ناقضها. فإن وقع الفعل المسمى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحق أن يسمى فاضلا ولا أن يثنى عليه الثناء المطلق. وعلى هذا يجب أيضا أن يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمى رذيلة، فاعلم ذلك.

٩- إضاءة: وكان أبو الفرج قدامة يذهب إلى أن المدح بالحسن والجمال والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة، ويخطئ من يمدح بهذا ويذم بذلك. ويستدل بانكار عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرقيات: (المنسرح -ق- المتراكب)

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

وقد رد عليه هذا الآمدي، وتابعه الخفاجي في الرد عليه. فقال: "إن كان قدامة يعتقد أن ذلك ليس بفضيلة، لما كان الإنسان قد خلق عليه، فهذا حكم الفضائل النفسانية. فإن الكريم قد خلق كريما والشجاع شجاعا.

فكما لا يقدر القبيح الوجه أن يستبدل صورة غير صورته، فكذلك الجاهل لا يقدر أن يستفيد عقلا فوق عقله"..." (١)

"إبن قلاقس:

نقل فادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه ابدا لأول منزل

عبد الله الحزامي المصري:

إن شئت تنظرني وتنظر حالتي ... قابل إذا هب النسيم قبولا

فتراه مثل رده ولطافة ... ولأجل قلبك لا أقول عليلا

فهو الرسول إليك نبي ليتني ... كنت أتحدث مع الرسول سبيلا

صدح الدين الصفدي:

أفدي حبيبا له في كل جارحة ... مني جراح سيف اللحظ والمقل

تقول وجنته من تحت شامته ... لي أسوة بإنحطاط الشمس عن زحل

لسان الدمشقي الخضيرة:

إذا أيقنت من خل ودادا ... فزره ولا تخف منه الملالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ... ولا تك في محبة هلالا

إبن هاني:

لا تلمني عاذلي حين ترى ... وه من أهوم فلومي مستحيل

لو رأى وجه حبيبي عاذلي ... لتفارقنا على وجه جميل

إبن عبدون:

قالوا إصطبر أيها المضني فقلت لهم ... كيف إصطباري وقد ضاقت بي الحيل

الصبر لا شك محمود ع،اقبه ... وإنما خيفتي أن يسبق الأجل

أمريء القيس:

ولما رأتني في السباق تعطفت ... علي وعندي من تعطفها شغل

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٥٣

أتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصلي حين لا ينفع الوصل

إبن زيدون:

لو هـ صفرة شانت محاسنه ... فقلت ما ذاك من غيب به نزولا

عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت ... فلست تلقاه إلا خائفا جلا

عنترة العبسي:

وكان قلبي معي ما إخترت غيركم ... ولا رضيت سواكم في الهوى بدلا

لكنه راغب في من يعذبه ... فليس يقبل لا لوما ولا عذلا

الأمير منجك:

لما صفت مرأة وجهك أيقنت ... عيناي أني عدت فيك خيالا

وظننت أهدابي بوجهك عارضا ... وحسبت إنساني بخدك خالا

إبن قلاقس:

لو كان لي من أحب عواذل ... لسعيت في تشتيتهم وتوصلي

لكن حبوبي تعشق نفسه ... وغدا العذول فما تكون تحيلي

الحاجري:

بروحي ومالي ذلك الرشأ الذي ... غدا مسكه فوق السوالف سائلا

دري خد أني أجن بحبه ... فأظهر لي قبل الجنون سلاسل

عمر إن الوسودي:

وأمر ما لاقيت من ألم الهوى ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالميس في البيداء يقتلها الظمأ ... والماء فوق ظهورها محمول

صلاح الدين الصفدي:

يا آمري بالبعد عمن شنى ... سقما وفي فيه شفاء غليلي

من يستطيع الصبر أو يرضى به ... عن مثل ذاك المرشف المعسول

ولآخر في زنجي:

يكون اخال في وجه قبيح ... فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف بلام مشغوف على من ... يراها كلها في العين خالا

ولله در من قال:

يا رب إن العيون السود قاتلتي إن عاشقها ما زال مقتولا

إني تعشقتها عمدا على خطر ... ليقضي الله أمرا كان مفعولا

عمر بن الفارض:

نشرت في موكب العشاق أعلامي ... وكان فلبي بلى في الحب أعلامي

وسرت فيه ولم أبرح بدولته ... حتى وجدت ملوك العشق خدامي

ولم أزل منذ أخذ العهد في قدمي ... لكعبة الحسن تجريدي وإحرامي

وقد رماني هواكم في الغرام إلى ... مقام حب شريف شامخ سام

جهلت أهلي فيه أهل نسبته ... وهم أعز أخلائي وألوامي

قضيت فيه إلى حين إنقضى أجلبي ... شهري ودهري وساعاتي وأعوامي

ظن العذول بأن العذل يوقفني ... نام العذول وشوقي زائد نامي

إن عام إنسان عيني في مدامعه ... فقد أمد فإحسان وإنعام

يا سائقا عيس أحبابي على مهل ... وسر رويدا فقلبي بين آلام

سلكت كل مقام في محبتكم ... وما تركت مقاما قط قدامي." (١)

"إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أبو نواس أحسن رعاية حيث يقول:

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

ومثل الأول قول ذي الرمة:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين وصليك جازر

فإنه لولا هذا الشعر لما ذكر اسمه، ولا عرف رسمه، ولا فاز له قدح، ولا أشرق له صبح، ولكن سار بهذا الشعر صيته، وعلا صوته، وحي ذكره وإن تقادم موته، وقد كان الأجواد يتغايرون على بنات الأفكار كتغايرهم على البنات الأبكار.

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٨٧

كما حكي أن أبا دلف العجلي كان يساير أخاه فبصرت بهما امرأتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه علي بن جبلة الطوسي:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قالت: نعم فبكى أبو دلف، فقال أخوه: مم تبكي، قال: كوني لم أجاز عليا على شعره، قال: أولم تعطه مائة ألف درهم، قال: بلى ولكني والله نادم إذ لم أجعلها دنانير. أخذتها أنا فقلت:

إنما الدنيا ابن نصر ... ونداه والعطاء

فإذا ولى ابن نصر ... فعلى الدنيا العفاء

وقد كررها ابن جبلة، فقال:

إنما الدنيا حميد ... وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد ... فعلى الدنيا السلام

ووفد عليه أبو تمام ومدحه بقصيدته التي أولها:

على مثلها من أرسم وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

إذا افتخرت يوما هذيل بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى يقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

مناقب لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

فطرب لها وأحسن صلته، وقال: أنشدني قصيدتك الرائية التي ترثي بها محمد بن حميد فأنشده:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

هذا البيت مأخوذ من النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سرة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبق منهن كوكب

وأخذه النابغة من بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند:

تكاد تميد الأرض بالناس إن رأوا ... لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت ... على كل شمس والملوك كواكب

وقال نصيب:

هو البدر والناس الكواكب حوله ... وهل تشبه البدر المضيء الكواكب

ومثله لصفية الباهلية:

أخنى على واحدي ريب الزمان ولا ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... هو الدجى فهوى من بيننا القمر

نعود إلى خبر أبي دلف، قال: فبكى، وقال: والله وددت أنها في، فقال أبو تمام: بل يطيل الله عمر الأمير، فقال: فإنه لم يمت من قيل فيه مثل هذا الشعر.

فانظر إلى هذه الأنفس الكريمة التي ترغب في الذكر الجميل فتختار الحمام وتصبو إلى ابتناء المجد فتهجر في تحصيله الراحة والمنام.

ولو تصدى متصد لذكر هذا النمط فحسب، لملأ به بطون الدفاتر، واستنفد به أنفاس المحابر، وعطر الآفاق منه بما هو أضوع من أنفاس المجامر. وقد سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، الشعر وأنشد في مجلسه وأجاز عليه، وقصة كعب بن زهير وقصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول." (١)

"ما كنت في الأيام إلا خلسة ... سمحت بها الأيام سمحة غادر

وقال:

جسد ناحل وقلب قريح ... ودموع على الخدود تسيح

وحبيب جم التجني ولكن ... كل ما يصنع المليح مليح

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٢

يا غزالا له الحشاشة مرعى ... لا خزام بالرقمتين وشيح

رق لي من لواعج وغرام ... أنا منها ميت وأنت المسيح

قد كتمت الهوى بجهدي وإن دا ... م علي الهوى فسوف أبوح

وقال، وهما من محاسن شعره:

قلت لمحبوبي وقد مر بي ... محبوبه كالقمر الساري

هذا الذي يأخذ لي طرفه ... من طرفه الفتان **بالثأر**

وقال في قريب منها:

ولما ابتلى بالحب رق لحالتي ... وما كان لولا الحب ممن يرق لي

أحب الذي هام الحبيب بحبه ... ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وقال:

بدا فأرانا الظبي والغصن والبدرا ... فتبا لقلب لا يبيت به مغرى

نبي جمال كل ما فيه معجز ... من الحسن لكن وجهه الآية الكبرى

أقام بلال الخال من فوق خده ... يراقب من لألاء غرته الفجرا

من الترك لم يترك لقلبي تجلدا ... فتور بجفنيه المراض ولا صبرا

أغالط أخواني إذا ذكروا له ... حديثا كأني لا أحب له ذكرا

وأصغي إذا جاؤوا بغير حديثه ... بسمعي ولكني أذوب به فكرا

أعاذل هل أبصرت من قبل خده ... وعارضه نارا حوت جنة خضرا

أرى العدل موصوفا بكسرى فلم ترى ... ظلمت بأجفان شهدت بها كسرا

البيت الخامس من قول القائل:

أدنو من الرقباء لا من حبهم ... وأصد عنه وليس من بغضائه

ومثله:

فصافحت من لاقيت في البيت غيره ... وكان الهوى مني لمن لم أصافح

وقال، وهي من رقيق الشعر:

شرخ الشباب بحبكم قضيته ... والقلب من ولهي بكم أبليته

وأنا الذي لو مر بي من أرضكم ... داع وكنت بحفرتي لبيته
قالوا حبيبك بالتجني مسرف ... قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كلفي عليه تخلصا ... لا والذي بطحاء مكة بيته
وقال:
نعمت بكم والدهر في غفلاته ... زمانا وشملي آمن من شتاته
ولم أدر ما الأحزان حتى بعدتم ... فقلبي موقوف على حسراته
أأحبابنا بالجزع هل تسمح النوى ... بيوم يكون القرب من حسناته
لقد حكمت فينا الليالي بفرقة ... سلا بعدها المشتاق طيب حياته
يقر بعيني أن يهب نسيمكم ... فأنشق روح القرب من نفحاته
وقال:
إذا بعدت ليلى وشط مزارها ... فلا نار إلا زفرتي واستعارها
ومن لي أن أمسي وأرضي أرضها ... عنادا لواشيها وداري دارها
ويا ليتني جاوزت أرضا تحلها ... فأحظى بما يحظى من القرب جارها
أشبهها بالبدر والغصن والنقا ... وما هي إلا ظبية ونفارها
ولو أن نارا بالمحصب أوقدت ... وليلى بنجد قلت هاتيك نارها
وكيف تفيق النفس من سكرة الهوى ... وأنت حمياها ومنك خمارها
أيا ليل قد أتلفت نفسي ترفقي ... على أن قبل النفس فيك افتخارها
ألا لا أراني الله يا ليل ذا حشى ... يقر من البلوى عليك قرارها." (١)

"فلما شرف بإشاراته النطاف، وأطرف بتنبيهاته اللطاف، وأفاد أسماعنا وفاد، وأستاد عقائل انتقادنا وساد، أفرغ لديه من الولاء أصفاه، وأحضر إليه من الحباء أضفاه واعتبرت حروفهما اعتبار إتقان، فكانتا كفرسي رهان، ما نقص حرف ولا زاد، ولا أخطأ المراد، فقالوا له: إنك ومستحق التبجيل والتمجيد، لكالأنفحة في التحليل والتجميد، فحين حقق إقبالهم عليه، وتحقق انثيالهم لنصاعة صناعتيه، قال لهم – وقد تأثفوه واستوكفوه، وفاض بالدرر فوه –: يا مطارف الهوف وصياصي الملهوف، اخلعوا الخز، واترعوا البز،

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٣٩

وارفعوا العز والبز فمن عز بز فأحضروا لحكمه المحضير، واستحضروا له النضير، وشكروا لفظه المشتار، وجاءوا إليه بما أشار ليشتار فبادر إلى إنهائه، وغادر كلا بإهابه والتهابه، وانثنى يستصحب الحق، وامتطى الطرف الأحق وانتهز الفرصة بسكر موات، وأحرز من العسجد جذر تسع مئات، قال القاسم بن جريال: وكنت حين كفت خروق أطماره، وانكفت إلى شموس المجلس وأقماره، أمعن لمعرفته، لأعرف نكرة نكره من معرفته، إلى أن ظهرت ظواهر ألفاظه، واستظهرت جواهر استيقاظه فعلمت أنه أبو المصري، غواص اللآلئ، وقناص أبناء الليالي، فهممت عند ذلك بمجازاته، واسترجاع إجازاته، لأرحض عني الونيم، وأنتهب النهد والنيم وأدرك منه الثأر المنيم، بيد أني كرهت انطفاء ضوء قمر قدره، والانكفاء لاسترداد ما وقع في قدره، وعفت انتشار فواحشه في الأحشاء، وادكرت ما ورد في إفشاء الفحشاء، ولما حصل على زيينه وحوصل لحواصل بيته، وتوشح بوشاح النجاح، وترنح ترنح الجحفل الجحجاح ملت إلى إيثاره، وتتبع آثاره، وجعلت أنحوه كاللص المحصور، والصل المصحور بعد أن هوى هوي الصقور، بين القصور، وصافحت أكف لحاظنا يد قفائه الممدود المقصور، فحين قرب من عرينه، وكاد ينقلب إلى قرينه، نظر إلى نظر الصيد، أو الموالي بالغصب إلى العبيد، وأقبل يتمزع من الحرد، ويتوقع فري إفساد ذلك البرد، وجعل يتعامس علي، ويثب ويثيب أبي وثاب إلي فقلت له أقسم بمن خصك بخصال القليب إنك لصاحب يوم القليب، فقهقه لارتحال قوافيه، وعجاج سوافيه، واختصرت على تلافيه لما تلافيه فقال لي: يا بن جريال، لا تقنط لدفع ما هر، ولو اسمهر، ولا تسخط لشرب ما أمر، وقد مر، فأعرفك السليم السليم، الشارب بيد الحميم الحميم، فقلت له: انتصف من اعترف بما اقترف، عفا الله عما سلف، فأغمد لصحفي النصال، وضارع القصال، وقصد الانفصال، ومال لجذم الصخب وصال، وأنشد بعدما سكنت ألوية بطشه وعصائبه، وبركت ركائب طيشه ونجائبه: البسيط

واحفظ وصية من أوصاك معترفا ... أن الزمان جزيلات عجائبه

لا تفرحن بما أوتيت من نعم ... فربما عاد في الموهوب واهبه

واصبر إذا نزلت كرها نوازله ... إن الصبور عزيز عز جانبه

واركب مع العفو طرفا لا يعارضه ... يوما عثار فإن الحر راكبه

والبس ثياب الحجى والحلم مدرعا ... درعا تجول على العليا مساحبه

وخذ من الورد ما يكفيك من ظمإ ... وخل بعدك كي تصفو مشاربه

وارحل إذا كنت في الأقوام مطرحا ... واترك حجاك بلا شوق يجاذبه

وعد نفسك عن باب اللئيم فما ... يدنو إليك بما ترضاه حاجبه

واخفض عدوك لا تنصب مصادره ... لا انجر جازمه، واعتل ناصبه

قال: فلما فرغ من مفيدته المزهرة، وخريدته الخيرة المبهرة، قبض يدي قبض الباز وتملق تملق الخازباز، ثم إنه اعتذر لفراقي، وابتدر إلى عناقي وأمطر حي شؤونه، وأظهر خبي شجونه، بعد أن تململ تململ الحبر، وتذلل تذلل الجبر، ومسخ صورة الغدر، ونسخ سورة الغضب، من مصحف الصدر.

المقامة الثالثة اللاذقية." (١)

"قال الراوي: فلما ارتاح الأمير، وفاح من روض ألفاظه العبير، وقرع لعظم بثه الناب وفار من فار إفصاحه الإناب وقال لها: إيها عجوز، إن صدر منك بعد اليوم ما لا يجوز، أذيقك السياط، وأسمع الثقلين منك بعد العياط، فمثله يحرم ملاله، ولا يجزم وصاله، ويغتنم حياله ولا تصرم حباله، فقالت: أسبل الله سناء سيادة الأمير، وكحل عين معدلته بميل صحة التدبير، ونزه أذن إنصافه الخطير، أن تنبو عن سماع حديثي الوارف التكدير، فقال لها: إن كان لك مقال فصرحيه وإن كان يشوبه صخب نصب فسرحيه، قال: فتمايحت بعد كشف الوجاح، وإلقاء الوشاح، تمايح الممراح، بالوجه الوقاح وقالت: تالله لقد صدق فيما رواه، ونطق حقا بما استخرج من زندة زبده وأوراه، فسبب سبب نشوزي عليه، وجلب لجب مخالفتي إليه، إنه سافر عني سفرة مديدة الشقة، شديدة المشقة، حتى ظننت به أنواع الظنون، وقلت: قد اقتنص بمخالب المنون، وعندما عفت عرى إسباله وهوت ذرى أشباله، وأدبر إقبال وجوده، وأقبل إدبار موجوده، وتبرقعت عوارف حيلته، وتبلقعت حظائر حيلته، ولم يبق عليه سوى ابيضاض رثمه، وانعقاد رتمه، قدم من سفرته بانثلام رياس سعده وشفرته، وقد استولد أمة سوداء، تستولد بجسد ضجيعها الداء، تكلفه فوق وسعه، وتشنفه بشنوف شسعه ولم تزل بعدما اسود وأساد، وساود سواد عراره فساد، تطرق بالبنات، وتعامله معاملة العناة، وأطرق له بالبنين، وأكرمه على ممر السنين، فحين اعتاض عني، من تعنفه وتعني، قلبت له مجني، وسكبت لوصله كأس التجني، ولما دارت على ذلك السنون، وشاهد سوء سفهه المسنون، وعشت بمراح مرحهما والأعطان يد حيل حبائل الشيطان، **وثار** بينهما الضباب، وطار حلو محافظتهما والحباب وغار ضحضاح حبهما والحباب، وعار بين مصاحبتهما الحباب والأحباب، عطف إلي، وتعطف لانعطافه علي، وحين ضمنا الفراش، ونشأ إلى فراشه الفراش نسي ذلك الاجتثاث، وطالبني بما تطالب الذكور الإناث، فقلت له: إن جللتك **بدثاري**، أو مكنتك

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/٨

من استدثاري، قبل مطالبتك بثأري، مع عدم دثاري المنوط بالنقاط نثاري فعلى امتطاء الساحج، إلى بيت الله المعظم المعارج، فانتهرني وقهرني، وأجبرني وجبرني، فحينثت في يميني، وأصماني الندم الذي ما زال يصميني، ولم يغادر الدهر لنا سوى بازل، نقضي عليه حق كل نازل، فرحلنا فرحين بهجر المقام، مرحين بلقاء حجر المقام فأرملنا من القوت، وتنبل البعير لحالك حظنا الممقوت، فأتحفني بهذا الوصب والشقاء، وأنحفني بعرق قربة قهره والسقاء، وها أنا قد ألفيت أليتي ضيفن ضيف قضيتي، وابتداء اليمين في المشتاة، عند انقطاع حلب الشاة، وقد استمر الضيفن مع الضيف للصيف، فأدرأ فادح جزع الجزع والخيف بالخيف، ثم إنها جادت بدمعها المسكوب وأجادت بسحها المستحسن الأسكوب، وقالت: المتقارب.

خطوب الدهور كذا تمتحن ... كرام الأصول بهذي المحن

فعرفي يضوع على سحقها ... وعرفي جميل وعرفي حسن

فهذا القليل بذاك الجزيل ... وهذا الهزال بذاك السمن

وهذا الكهام بذاك الحسام ... وهذا القنوت بذاك العلن." (١)

"ظهر المظاهرة بسوى سواه، فهو الذي أطلع سهى التنبه لمن سها، وزها ثمر اتحاده وانتهى، ونهى عن مجانبة النهي وانتهى: الكامل: هر المظاهرة بسوى سواه، فهو الذي أطلع سهى التنبه لمن سها، وزها ثمر اتحاده وانتهى، ونهى عن مجانبة النهي وانتهى: الكامل:

وهو الذي ذرأ الخطوب فأحجمت ... من بعد إقدام علي ونهنها

وهو الذي أهدى الهدوء لخاطري ... من بعد ما رقد الدنو ونبها

خل به قمر الأخوة ما بدا ... من قبح خسف خيانة متشوها

قال: ثم لم يزل مدة حل بطاني، يطمعني في مقاطعة أعطاني، ويصرفني مذ حللت أشطاني، عن مراجعة أوطاني، فبينما أنا أفكر في نشد جناح ضوء الضواحي، وأخطر في مسارح الأقاحي مراحي، إذ سحب طرف مطرفي في مساحب طرق طرفي طفل أسرع من الجريباء وألطف من الجارية الجرباء وقال لي: أرى قد ضعف سبب انسيابك في إحضار إنسابك، وانقطع صب صيب إرزامك عن جوازل ألزامك فما هذا الفتور، وقد تناقص قرار قلبك المبتور، وما هذا الانفساح، وقد تقاصرت خطى صبرك الفساح، قال القاسم بن جريال: فلما سمعت قعقعة تلك الصواقع، وامتقعت ببرقان ذاك القول الفاقع حسستها منحسة انسجمت من معين أبي

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/١٧

نصر اللعين، فقلت له: أراك هجت ما بي بجر جلبابي، واتهمت بالي، بما لم يؤذن به بلال بالي، فار حتى من سكر هذا المدام، وأطلعني على طليعة إكام هذا الكلام، فقال: اعلم أن خليلك الخطيب، ومن سكب من صفاتك القرقف القطيب، أرسلني أمس عند الأثارب، إلى بعض أرباب المراتب، برقعة رقعت من حالك ما انخرق، وبرقعت برق إملاقك بعد ما برق، فنشرتها لأنظر سطورها، وما الذي أودع مسطورها، فإذا فيها: الطويل:

يقبل كفا عودت بثلاثة ... بجود، وتقبيل وحتف للإثم

فلا زال خافيها ثمالا لمدقع ... ولا أنفك ضاحيها محلا للإثم

وينهي إلى نبله الواضح الآثار، ونبله الصالح الأثار لا برح محفوفا بالأبصار، مصحوبا بصوارم الأنصار عريا عن العار، مليا من الغار أن أخاه عازم على السفار، مجرد عضب عزمه الماضي الشفار، لإحضار أشباله الصغار. حذرا أن تنوشهم صعاد الصغار، لننفق بقية الأعمار، في مناسمة الأغمار، فلا خير في شيم الغرار، لشم العرار، وترك العمار، لقطع الغمار، ومعلوم أنه باع عروضه على التجار، والبناء والنجار، والنساج والقصار، والطوال والقصار، وأصحاب الشرار، إلى غاية هذا السرار، والمستمد من إحسانه الدرار، العاري عن الذرار، وكفه الواكف الأسرار، المطفئ أشعة الأشرار، أن يتطول مع النصار، بمائة من النضار، إلى أيام اليسار، وانسجام مسيل يسره والبسار، لا زلت قانص التيار، قابض البتار، دائرا بصحاف قدرك الأعشار، على ذوى المذلة والإعسار، والسلام، قال القاسم بن جريال: فهرولت إلى الكن، لأعرف حقيقة الأمر المستكن، فألفيت الخطيب قد طار بأجنحة اغتياله، وأوقعني في حبالة احتياله، وقد أرسل إلي أصيحاب المناصب، من حسن صيبه الواصب، عشرا من الرقاع، على نمط هذه الأسجاع، وقد فرس من أموالها ما فرس، والتمس بها ما بها التمس، والجلاوزة تخرق مسايل سم الحنق القاتل، وتحرق على حداد النيوب القواتل، فجعلت أتوارى بوهاد القردود، وأظهر ظهور الخفدود إلى أن نسيت زهو العيشة الزاهرة، وأنسيت مهو الشبيبة الباهرة، ورحلت عن الساهرة، رحيل الوسن عن مقلتي الساهرة.

المقامة العشرون العانية." (١)

"ومولاك، مولاك الذي إن دعوته ... أجابك طوعا والدماء تصبب

فلا تخذل المولى، وإن كان ظالما ... فإن به تثأى الأمور وترأب

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/٤٨

قال أبو كدام التيمي:

لله تيم أي رمح طراد ... لاقى الحمام به وفصل جلاد

ومحش حرب مقدم متعرض ... للموت غير معرد حياد

كالليث لا يثنيه عن إقدامه ... خوف الردى وقعاقع الإيعاد

مذل بمهجته إذا ما كذتب ... خوف المنية نجدة الأنجاد

ساقيته كأس الردى بأسنة ... ذلق مؤللة الشفار حداد

فكأنما كانت يدي من حتفه ... لما انثنيت بها على ميعاد

قال شبيل الغزاري، وحاربه بنو أخيه فقتلهم:

أيا لهفي على من كنت أدعو ... فيكفيني وساعده الشديد

وما عن ذلة غلبوا ولكن ... كذاك الأسد تفرسها الأسود

قال قطري بن الفجاءة المازني:

ألا أيها الباغي البراز تقربن ... أساقك بالموت الذعاف المقشبا

فما في تساقي الموت في الحرب سبة ... على شاربيه فاسقني منه واشربا

قال وداك بن نميل المازني:

نفسي فداء لبني مازن ... من شمس في الحرب أبطال

هيم إلى الموت إذا خيروا ... بين تباعات وتقتال

حموا حماهم وسما بينهم ... في باذخات الشرف العالي

قال أوس بن ثعلبة:

جذام حبل الهوى ماض إذا جعلت ... هواجس الهم بعد النوم تعتكر

وما تجهمني ليل ولا بلد ... ولا تكاءدني عن حاجتي سفر

قال سوار:

أجنوب إنك لو رأيت فوارسي ... بالسيف حين تبادر الأشرار

سعة الطريق مخافة أن يؤسروا ... والخيل تتبعهم، وهم فرار

يدعون سوارا إذا احمر القنا ... ولكل يوم كريهة سوار

قال أبو حزابة، أو ابن حزابة التيمي:

مشمر للمنايا شوه إذا ... ما ألوغد أسبل ثوبيه على القدم

خاض الردى في العدى قدما بمنصله ... والخيل تعلك ثني الموت باللجم

وهم مئون ألوفا، وهو في نفر ... شم العرانين ضرابين للبهم

قال آخر:

فيا عجل عجل القاتلين بذحلهم ... غريبا لدينا من قبائل يحصب

جنيتم وجرتم إذ أخذتم بحقكم ... غريبا زعمتم مرملا غير م ذنب

فلم تدركوا ثأرا ولم تذهبوا بما ... فعلتم بني عجل إلى وجه مذهب

وما قتل جان غائب عن نصيره ... لطالب أوتار بمسلك مطلب

ولكنكم خفتم أسنة مازن ... فنكبتم عنها إلى غير منكب

وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ... وعلم بيان المرء عند المجرب

قال رجل من بني نمير:

أنا ابن الرابعين من آل عمرو ... وفرسان المنابر من جناب

نعرض للسيوف إذا التقينا ... وجوها لا تعرض للسباب

فآبائي سراة بني نمير ... وأخوالي سراة بني كلاب

قال الهذلول بن كعب الغنوي:

تقول، وصكت نحرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجلي وتبيني ... بلائي إذا ألتفت علي الفوارس

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وغني لأشري الحمد أبغي رباحه ... وأترك قرني وهو خزيان ناعس

وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري ... خلوف المنايا حين فر المغامس

وأقري الهموم الطارقات حزامة ... إذا كثرت للطارقات الوساوس

ق ا ل قبيضة بن جابر النصراني الجرمي:

لنا الحصنان من أجأ وسلمى ... وشرقياهما غير انتحال

وتيماء التي من عهد عاد ... حميناها بأطراف القوالي

وعاجمت الأمور وعاجمتني ... كأني كنت في الأمم الخوالي

قال سالم بن وابصة:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... إن التخلق يأتي دونه الخلق

وموقف مثل حد السيف قمت به ... أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زلقت، ولا أبليت فاحشة ... إذا الرجال على أمثالها زلقوا

قال عامر بن الطفيل:

قضى الله في بعض المكاره للفتى ... برشد وفي بعض الهوى ما يحاذر

ألم تعلمي أني إذا الألف قادني ... إلى الجور لا أنقاد والألف جائر." (١)

"اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك علي دونك فاحتكم علي حكم الصبي على أهله وهذا مثل تضربه العرب في التزام ما يحكم به عليها وذلك أن الصبي إذا كان عزيزا في أهله حمله الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب مرامه فهم أبدا يسعون في تحصيل أغراضه وآرابه ليظفروا برضاه ويقدموه على أترابه وكان حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك أنه نزل بفنائه جراد فغدا أهل الحي إليه ليدفعوه عنهم فمنعهم منه وقال لهم ما تريدون منه قالوا نريد قتله فإنه نزل بجوارك فقال أما إذ سميتموه جاري فوالله لا تصلون إليه أبدا وطردهم عنه وكان ثور بن شحمة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بأرضه ولا تضار وحكى أن زيادا الأعجم وفد على المهلب فأكرمه وأنزله على أبيه فجلسا يوما يشربان في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد فقال له حبيب إنها فاقدة ألف كنت أراه معها فقال زياد هو اشد لشوقها ثم أنشد

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي أن لا تضاري

وعشك أصلحيه ولا تخافي ... على زغب مصغرة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فأما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام هلم القوس فجاء بها فنزع لها بسهم فأصابها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري وشكاه إلى المهلب فغضب على حبيب وقال أما علمت أن جار

---

(١) التذكرة السعدية في الأشعار العربية محمد بن عبد الرحمن العبيدي ص/٨

أبي لبابة جاري وذمته ذمتي والله لألزمنك دية الحرو أخذ له من ماله ألف دينار فقال فيه من أبيات ذكر القصة فيها جاء منها قوله

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب

قضى ألف دينار لجار أجرته ... من الطير إذ يبكي شجاه ويندب

ولما ولي صالح بن علي مصر من قبل ابن أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح بفلسطين مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مصر." (١)

"عنه سبيله واجعلني في القد مكانه ففعل وبعث إلى قومه فأتوه بما فدى به نفسه وذكر إن بني كلب بن وبرة أغاروا على حي من أحياء العرب فقتلوا منهم عشرة أنفس غيلة فاستنجدوا عليهم وقالوا أما الثأر وأما الديات فسألوهم المهلة في ذلك إلى أجل فأجابوا فخرج بنو كلب يسألون قبائل العرب المعونة حتى قدموا أرض تميم فقروا ماء ماء وحيا حيا فلم يجدوا أحدا يدفع عنهم ولا يعينهم وكانوا زهاء مائة نفس فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارة بن عدي فسألوه ذلك فقال قولوا شعرا وخذوها فلم يكن فيهم من يقول شعرا فتركوه ومضوا فأتوا على بني مجاشع فمروا بواد قد امتلأ إبلا وبه صعصعة جد الفرزدق وهو بفناء إبل له فسألوه القرى فقال لكم البذل قبل القرى ما الذي جئتم فيه فأخبروه بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أنزلهم وأضافهم فقالوا أرشدك الله من سيد أرحتنا من طول التعب ولو عرفناك لقصدناك وصعصعة هذا أول من ترك وأد البنات وفداهن بماله وكفت العرب عن وأدهن من بعد ومما يمتزج بما ذكرناه امتزاج اللبن بالماء القراح ويتعلق به تعلق الأنامل بالراح ما حكاه الجهشياري في كتاب الوزراء إنه لما تفرق الأمر عن مروان بن محمد الجعدي طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد الله بن المقفع ففاجأه الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشى عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع ما يكره فقال لهم تثبتوا فإن في عبد الحميد علامات يعرف بها فأرسلوا إلى مرسلكم من يستوصفها منه فأينا وجدتموها فيه فخذوه ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات اشتمل عليها بدنه فأخذ وحمل إلى أبي العباس السفاح فولي عقوبته عبد الجبار بن عبد الرحمن فكان يحمي له طشتا ويضعه على رأسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير ذلك وأنا ذاكره فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وقريب من هذه الحكاية ما حكاه صاحب المستجاد قال لما أحرق جامع مصر ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٣٦

لهم خانا كانوا يبيعون فيه الزيت فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت في يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت في حجر رجل رقعة فيها القتل فلما قرأها بكى وقال والله لولا." (١)

"كانت عادته يشرب فيها ودلتهم على مكان ينقبونه يصلون منه إليه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس ضوضاء فقالوا لزوجته ما هذا قالت نزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا مظهرين شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب وقتلوا خلقا ممن كان معه ورجع العمال إلى أعمالهم وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن عمر أتانا الخبر من السماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قتل فيها فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من أهل بيت مبارك قيل من هو قال فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مدة العنسي من أولها إلى آخرها ثلاثة أشهر وممن امتطى مطا هذا الغرر فرمته الأيام من تغيظها بالشرر المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان قد جمع ليطلب ثأر الحسين عليه الرحمة والرضوان وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار رافضيا في ظاهره ثم تنبأ وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا إلى العراق فقاتل المختار فقتله وقتل معه خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين وتنبأ أبو الحسين المتنبي في بادية السماوة ونواحيها وتبعه من فيها من كلب وغيرها فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيد فقاتله وأسره وشرد من كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد أن يتلف فسئل فيه فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الاسلام وأن لا يعود إلى مثله وتنبأ حائك بالكوفة وأحل الخمر فقال رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى لا يبرئ الأكمه والأبرص فأتى به وإلى الكوفة فاستتابه فأبى أن يتوب ويرجع فأتته أمه تبكي فقال لها تنحى ربط على قلبك كما ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه فسأله أن يرجع فقال له تنح يا آزر فأمر الوالي

بقتله فقتل وصلب وظهر في أيام أبي مسلم نها فرند المجوسي وكان قد غاب عن أهله سبع سنين في الصين فأصاب من طرفها قميصا تحويه قبضة الرجل فجاء مختفيا فظهر في ناووس تجاور بلده وادعى إنه كان مرفوعا في السماء وإنه نبي فضل به خلق كثير وجاء بسبع صلوات وحرم الميتة وتزويج الأم والأخت وبنات العم وبنات

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٠

الأخ وهذا مما يخالف دين المجوسية وفرض عليهم السبع في الأموال وحظر أن يتجاوز بالمهر أربعمائة درهم فاجتمع موابذة المجوس إلى أبي مسلم وقالوا هذا أفسد علينا ديننا ودينكم فأنفذ إليه أبو مسلم من أخذه وقتله وصلبه وادعى رجل النبوة في زمن خالد ابن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال يقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر وتلا السورة إلى آخرها وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ولا تطع كل ساحر فضربت رقبته وصلب فمر به خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال إنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود فقتل وصلب وظهر في أيام أبي مسلم بها فرند المجوسي وكان قد غاب عن أهله سبع سنين في الصين فأصاب من طرفها قميصا تحويه قبضة الرجل فجاء مختفيا فظهر." (١)

"وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتحرجون فيها من القتال. وكانت قبائل منهم يستبيحونها فإذا قاتلوا فى شهر حرام، حرموا مكانه شهرا من أشهر الحل، ويقولون نسئ الشهر.

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) أن أول من نسأ الشهور على العرب، وأحل منها ما أحل، وحرم ما حرم، القلمس.

وهو حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

ثم قام بعده ولده عباد، ثم قام بعد عباد ابنه قلع، ثم قام بعد قلع ابنه أمية، ثم قام بعد أمية ابنه عوف، ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة، وعليه ظهر الإسلام.

فكانت العرب إذا فرغت من حجها، اجتمعت عليه بمنى، فقام فيها على جمل، وقال بأعلى صوته: «اللهم إنى لا أخاف ولا [١] أعاف، ولا مرد لما قضيت! اللهم إنى أحللت شهر كذا (ويذكر شهرا من الأشهر الحرم، وقع اتفاقهم على شن الغارات فيه) وأنسأته إلى العام القابل (أى أخرت تحريمه) وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواقى!» وكانوا يحلون ما أحل، ويحرمون ما حرم.

وفى ذلك يقول عمرو بن قيس بن جذل الطعان، من أبيات يفتخر:

ألسنا الناسئين على معد ... شهور الحل، نجعلها حراما؟

وحكى السهيلى فى كتابه المترجم «بالروض الأنف» أن نسيء العرب كان على ضربين: أحدهما تأخير المحرم إلى صفر لحاجاتهم إلى شن الغارات وطلب الثأر، والثانى تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية.

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٢٧١

فكانوا يؤخرونه فى كل عام

---

[١] فى اللسان: «أنا الذى لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لى قضاء» .." (١)

"كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكنى؟ ... وكل ما فيه يحكينى وأحكيه!

فناره كلهيب النار فى كبدى! ... وماؤه كتوالى عبرتى فيه!

وقال آخر:

نورز الناس ونورز ... ت، ولكن بدموعى!

وذكت نارهم، والن ... ار ما بين ضلوعى!

٢- وأما المهرجان، فوقوعه فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان، وفى السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس.

وهذا الأوان وسط زمان الخريف، وفيه يقول بعض الشعراء:

أحب المهرجان لأن فيه ... سرورا للملوك ذوى السناء،

وبابا للمصير إلى أوان ... تفتح فيه أبواب السماء.

وهو ستة أيام. ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر. قال المسعودى:

وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم، أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم.

وكان لهم ملك يسمى مهر، يسير فيهم بالعنف والعسف. فمات فى نصف الشهر الذى يسمونه مهرماه، فسمى ذلك اليوم مهرجان. وتفسيره «نفس مهر ذهبت» وهذه لغة الفرس الأول. وزعم آخرون أن «مهر» بالفارسية حفاظ و «جان» الروح.

وقد نظم عبيد الله بن عبد الله بن ظاهر ذلك، فقال:

إذا ما تحقق بالمهرجا ... ن من ليس يعرف معناه، غاظا.

ومعناه أن غلب الفرس فيه ... فسموه للروح حقا حفاظا.

ويقال إنه إنما عمل فى عهد أفريدون الملك، وأن معنى هذا الاسم «إدراك **الثأر**» .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٦٦/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٧/١

"وسبب اتخاذهم له، أن بيوراسف (وهو الضحاك) ، ويقال له أزدهاق ذو الحيتين والأفواه الثلاثة، والأعين الستة، الداهى الخبيث المتمرد، لما قتل جمشاد، وملك بعده، غير دين المجوسية. وجاء إبليس فى صورة خادم، فقبل منكبيه، فنبت فيهما حيتان، فكان يطعمهما أدمغة الناس. فأجحف ذلك بالرعية، فخرج رجل بأصبهان، يقال له كابى، ويقال فيه كابيان. ودعا الناس إلى قتاله، فاجتمع له خلق كثير.

فشخص الضحاك لقتاله، فهاب كثرة جمعه وفر منهم. فاجتمع الناس على كابى ليملكوه عليهم، فأبى ذلك وقال: ما أنا من أهل الملك، وأخرج صبيا من ولد جمشاد، يسمى أفريدون وملكه، فأطاعه الناس فيه وملكوه عليهم.

وخرج أفريدون فى طلب الضحاك ليأخذ ثأر جده فظفر به، وجعل ذلك اليوم عيدا، وسماه المهرجان. ويقال إن المهرجان هو اليوم الذى عقد فيه التاج على رأس- أردشير بن بابك، أول ملوك الفرس الساسانية.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز:

أخا الفرس إن الفرس تعلم إنه ... لأطيب من نيروزها مهرجانها:

لإدبار أيام يغم هواؤها ... وإقبال أيام يسر زمانها.

وكان مذهب الفرس فيه أن يدهن ملوكهم بدهن البان تبركا، وكذلك عوامهم، وأن يلبس القصب والوشى، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس وحجلتها الدائرة عليها، ويكون أول من يدخل عليه الموبذان بطبق فيه أترجة، وقطعة سكر، ونبق، وسفر جل، وعناب، وتفاح، وعنقود عنب أبيض، وسبع طاقات آس قد زمزم علمها.." (١)

"وقال العسكرى من أبيات:

ومن براغيث تنفى النوم عن بصرى ... كأن جفنى عن عينى قصيران

يطلبن منى ثأرا لست أعرفه ... إلا عداوة سودان لبيضان

وقال أبو [الحسن أحمد بن «١»] أيوب البصرى المعروف بالناهى:

لا أعذل الليل فى تطاوله ... لو كان يدرى ما نحن فيه نقص

لى فى البراغيث والبعوض إذا ... يلحفنا حندس الظلام قصص

إذا تغنى بعوضه طربا ... ساعد برغوثه الغنا فرقص

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٨/١

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانى:

بات البراغيث فى الفراش معى ... تقسمنى قسمة المواريث

أكلننى بعد ما شربن دمى ... فمن مغيثى من البراغيث

وقال أيضا فيها:

إن البراغيث إذا ساورت ... من كنها ترقص أو تقرص

وكلما غنت بعوض لها ... فهى على شرب دمى أحرص

تقفز من ثم إلى هاهنا ... كأنها زنجية ترقص

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدينورى:

وحمش القوائم حدب الظهور ... طرقن فراشى على غرة

وينقطننى بخراطيمهن ... كنقط المصاحف بالحمرة

وقال ابن المعتز:

وبراغيث إن ظفرن بجسمى ... خلت فى كل موضع منه خالا." (١)

"العزلة فلا يجد له إلا فى قنن الجبال الشواهق مزارا؛ قد شابت نواصى الليالى وهو لم يشب، ومضت الدهور وهو من الحوادث فى معقل أشب.

مليك طيور الأرض شرقا ومغربا ... وفى الأفق الأعلى له أخوان

له حال فتاك وحلية ناسك ... وإسراع مقدام وفترة وان

فدنا من مطاره، وتوخى ببندقه عنقه فوقع فى منقاره؛ فكأنما هد منه صخرا، أو هدم بناء مشمخرا؛ ونظر إلى رفيقه، مبشرا له بما امتاز به عن فريقه.

وإذا به قد أظلته «عقاب» كاسر، كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر؛ إن حطت فسحاب انكشف، وإن قامت «١» فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف؛ بعيدة ما بين المناكب، إذا أقلعت لجت فى علو كأنما تحاول ثأرا عند بعض الكواكب.

ترى الطير والوحش فى كفها ... ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها ... إذا طلعت ما تسمت غزاله

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٠٤/١٠

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها، ورماها بأول بـنـدقة فما أخطأ قادمة جناحها؛ فأهوت كعود صرع، أو طود صدع؛ قد ذهب باسها، وتذهب بدمها لباسها؛ وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه، ويستنزل الأعصم «٢» من عقابه؛ فحملها بجناحها المهيض «٣» ، ورفعها بعد الترفع فى أوج جوها من الحضيض؛ ونزلا إلى الرفقه، جذلين بربح الصفقه.." (١)

"وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يطلب بثأره ودمه ويدعيه عليه.

قالوا: فجاء أولياء القتيل إلى موسى- عليه السلام- وأتوه بأناس وادعوا عليهم القتل، وسألوه القصاص؛ فسألهم موسى عن ذلك، فجحدوا، فاشتبه أمر القتيل على موسى- عليه السلام- ووقع بينهم خلاف.

قال الكلبى: وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة، فسألوا موسى- عليه السلام- أن يدعو الله ليبين لهم ذلك؛ فسأل موسى- عليه السلام- ربه عز وجل؛ فأمرهم بذبح بقرة؛ فقال لهم موسى ما أخبر الله تعالى به فى قوله: وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

. أى تستهزئ بنا حين نسألك عن القتيل وتأمرنا بذبح البقرة؛ وإنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين فى الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه. قال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

، أى من المستهزئين بالمؤمنين؛ فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل، سألوه الوصف، فذلك قوله تعالى: قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي.

قال: ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم؛ وإنما كان تشديدهم تقديرا من الله- عز وجل- وحكمة.

قال: ومعنى ادع لنا ربك

. أى سل؛ وهكذا فى مصحف عبد الله:

«سل لنا ربك يبين لنا ما هى وما سنها» . قال موسى: إنه- يعنى الله عز وجل- يقول: إنها بقرة لا فارض ولا بكر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٣٩/١٠

: لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك

أى نصف بين السنين.." (١)

"إنى قد فجعت بموت ابنى بعدك، فعظمت فيه مصيبتى، واشتد لفقده بلائى، وليس لى ولد غيره، فارحمنى وادع ربك- جل جلاله- فيحيى لى ابنى، ويجبر مصيبتى، وإنى قد تركته مسجى لم أدفنه، وإنى قد أخفيت مكانه. فقال لها إلياس: ليس هذا مما أمرت به، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرنى به ربى، ولم يأمرنى بهذا. فجزعت المرأة وتضرعت، فعطف الله سبحانه وتعالى قلب إلياس عليها، فقال لها: ومتى مات ابنك؟ قالت: منذ سبعة أيام. فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما، فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس. فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وعاد إلى موضعه. والله أعلم.

ذكر دعاء إلياس على قومه، وما حل بهم من القحط وخبر اليسع حين اتبع إلياس

قال: ولما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء.

فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود: يا إلياس، ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه! ألست أمينى على وحيي، وحجتى فى أرضى، وصفوتى من خلقى! فسلنى أعطك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم. قال: تميتنى فتلحقنى بآبائى، فإنى قد مللت بنى إسرائيل وملونى، وأبغضتهم فيك وأبغضونى. فأوحى الله تعالى إليه: يا إلياس، ما هذا باليوم الذى أعرى منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك إن كنتم صبرتم قليلا، ولكن تسألنى فأعطيك.

قال إلياس: فإن لم تمتنى يا إلهى فأعطنى ثأرى من بنى إسرائيل. قال الله تعالى:." (٢)

"فلبث طالوت زمنا يريد قتل داود، فعزم على أن يأتيه ويغتاله فى داره، فأخبر بذلك بنت طالوت رجل يقال له: ذو العينين، فقالت لداود: إنك مقتول الليلة؛ قال: ومن يقتلنى؟ قالت: أبى، وأخبرته الخبر وقالت: لا عليك أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك. فأخذ داود زق خمر فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير ودخل طالوت نصف الليل، فعمد إليه فضربه ضربة بالسيف فسالت الخمر، فلما وجد ريحها قال: رحم الله داود، ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يصنع شيئا، فقال:

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٨/١٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤/١٤

إن رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ألا يدعنى حتى يطلب منى ثأره؛ فاشتد حجابه وحراسه وأغلق دونه الأبواب، فأتاه داود ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله الحجاب عنه وفتح له الأبواب، ودخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج. فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها، فقال: رحم الله داود فهو خير منى، ظفرت به فقصدت قتله، وظفر بى فكف عنى، لو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما أنا بالذى آمنه. فلما كانت الليلة القابلة أتاه ثانيا، وأعمى الله الحجاب، فدخل وهو نائم، فأخذ إبريق طالوت الذى كان يتوضأ به وكوزه الذى يشرب منه، وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى؛ فلما أصبح ورأى ذلك نصب على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم ركب طالوت يوما فوجد داود يمشى فى البرية فقال: اليوم أقتل داود، وكان داود إذا فر لم يدرك، فركض داود حتى دخل غارا، فأمر الله العنكبوت أن تنسج، فنسجت عليه بيتا، وجاء طالوت إلى الغار فنظر الى بيت العنكبوت فقال: لو كان هاهنا لخرق بيت العنكبوت، فتركه ومضى، وانطلق داود إلى الجبل ومعه المتعبدون، فجعل يتعبد فيه.." (١)

"وجلست دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنت الى الناس ووضعت عنهم خراج سنة، وقام عليها أيمين يطلب بثأر خاله انداخس، واستنصر بملك العمالقة «١» فوجه معه قائدا من قواده فى جيش كثيف، فأخرجت اليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش، وجعل سحرة الفريقين يظهرون التخاييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التى تقرع الأسماع وتؤلمها، فأقاموا مدة يتكافئون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير، ثم انهزم أصحاب دليفة الى منف وسار أصحاب أيمين فى آثارهم، ومضت دليفة فى جمع من جيوشها الى ناحية الصعيد فنزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وخلى أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم، واستنجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمين حتى أزالوهم عن منف، وكانوا قد ظفروا بها وعاثوا فيها، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا الى ناحية الحوف، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سفر السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسمة بينهم فأجاب كل منهما الى الصلح، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأيمين وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها فى الناس، وكان بعضهم قد لامها فى الصلح، فرجعت الى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥١/١٤

أيمين عليها وهزمها الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة، فلما رأت ذلك سمت نفسها فهلكت. وملك بعدها أيمين؛ فتجبر وقتل خلقا كثيرا ممن كان حاربه. وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن." (١)

"المذلة. ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه فقتل عميه اللذين قتلا أباه، وأدرك ثأره وانصرف الى بلاده.

ثم نشأ فراسياب «١» بن ترك من ولد طوخ بن أفريذون وإليه ينسب الترك، فحارب منوجهر وحاصره بطبرستان «٢» ، ثم اصطلحا وضربا بينهما حدا لا يجاوزه واحد منهما، وهو نهر بلخ، فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوجهر. وكان لمنوجهر هذا خطب تدل على سداد رأيه، ووفور عقله، وجودة فهمه؛ قد ذكرنا بعضها فى الباب الرابع «٣» من القسم الخامس من الفن الثانى فى وصايا الملوك. قال: وفى أيام منوجهر ظهر موسى بن عمران عليه السلام.

قال: ولما مات منوجهر تغلب فراسياب على إقليم بابل اثنتى عشرة سنة، وأكثر الفساد، وخرب البلاد، وطم الأنهار ودفن القنى، فقحط الناس الى أن ظهر زوبن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان.

وملك زوبن طهماسب وقيل فيه: زاغ، وقيل فيه: زاب، وقيل: راسب، وهو من أولاد منوجهر، وبينه وبين منوجهر عدة آباء. قال: ولما ملك ابتدأ فى عمارة ما خربه فراسياب، وأمر ببناء ما هدم من الحصون، وحفر الأنهار والقنى، حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه، ووضع عن الناس الخراج." (٢)

"أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب ونقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب نقضها، يكون ذلك عارا عليه ومنقصة، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على الهرب منه، فكتب الى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه، وعرفه أنه آثر اللحاق به فأجابه الى ذلك. وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران. فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وانصرف من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه. قال: ولما وصل سياوخش الى فراسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته، وهى أم كيخسرو الذى ملك الفرس. ولم يزل على إكرامه الى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وجميل تلطفه ما أشفق منه وخشى على ملكه لميل الناس إليه فقتله. وكانت ابنة الملك قد اشتملت من سياوخش على حمل، فقصد أن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٣/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٤٩/١٥

يسقطه وتحيلوا فى ذلك فلم تسقط؛ ثم جاء قيران، وهو الذى كان السفير فى الصلح بين الترك وسياوخش، وأنكر ما كان من فعل الملك وحذره عاقبة الغدر والطلب بالثأر، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده الى أن تضع وقال: اذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله؛ فأجابه الملك الى ذلك وسلم إليه ابنته، فكانت عنده الى أن وضعت كيخسرو؛ فلما وضعته امتنع قيران من قتله وستر أمره، فكان عند قيران حتى بلغ، ثم احتال جده كيقابوس الى أن أخرجه هو وأمه من بلاد الترك.

قال أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه فى كتابه المترجم بتجارب الأمم: وللفرس فى أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها: أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك فى خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة: من الصعود الى السماء، وبناء مدينة كنكر بأسوار من ذهب وفضة." (١)

"الحرب معه، ثم أقبل فراسياب فى جمع عظيم من الأتراك والتقى هو وكيخسرو ونشبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض، فكانت الدائرة على الترك، وانهزم فراسياب وكثر القتل فى أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به واستوثق منه بالحديد ووبخه على ما كان منه من قتل سياوخش، فلم يكن له حجة، فذبحه ثم انصرف. وقد غنم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بثأره.

قال: ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد فى الملك وتنسك، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التخلى والأنفراد وترك الملك؛ فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل، فأبى عليهم. فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب فى الملك من يراه له أهلا، فأشار بيده إلى لهراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته، فقبل لهراسف ذلك وأقبل الناس عليه. وفقد كيخسرو. فمنهم من يقول: إنه غاب للتنسك، وبعضهم يقول غير ذلك، إلا أنه لم تعلم جهة وفاته. قال: وكان ملكه ستين سنة. قال: وفى أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام.

ثم ملك بعده لهراسف «١» ؛ وقيل فيه بهراسف بن تنوفى بن كيمش وهو ابن أخى كيقابوس ويلقب بكى لهراسف. قال: ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكللا بالجوهر للجلوس عليه، وبنيت له بأرض خراسان مدينة، وسماها بلخ الحسناء.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/١٥٢

قال: وهو أول من دون الدواوين، وقوى ملكه بانتخاب الجنود، وعمر الأرض.

وكانت شوكة الأتراك اشتدت فى زمانه، فنزل بلخ لمقاتلتهم، ووجه بختنصر." (١)

"الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمرو افتتحها عنوة وأسرف فى القتل وخرب المدينة وهدمها فسميت شمركند، وعربت بعد ذلك فقالوا: سمرقند. ومعنى شمركند، أى خربها شمر. وفيه يقول دعبل بن على يفتخر باليمن من قصيدة:

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو ... وباب الشاش «١» كانوا كاتبينا

وهم سموا بشمر سمرقندا ... وهم غرسوا هناك التبتينا

قال: ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار، فآحتال وزير له بأن جدع أنفه وأتى الى شمر، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر مراحل، ومت إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر وخالف رأيه، فسأله شمر عن الطريق والماء، فقال له: بينك وبين الماء ثلاث مراحل، فتزود لثلاثة أيام، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات هو وأصحابه عطشا.

قال ابن قتيبة: وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة. وقال المسعودى: ثلاثا وخمسين سنة.

ثم ملك بعده ابنه أبو مالك بن شمر، قال: وتأهب للأخذ بثأر أبيه فبلغه أن بالمغرب واديا من الزبرجد، فحمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات فى طريقه.

ثم ملك بعده ابنه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر. قال: وطلب ثأر جده وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها، ثم أتى الصين وأخرب مدينتها وابتنى هناك." (٢)

"فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

قال: ولما قتل صهبان بن محرث ملك بعده الصباح بن أبرهة بن الصباح.

قال: وكان نجدا جلدا، فسار الى معد فى مئتى ألف يطلب ثأر صهبان. قال:

وتجمعت معد ورئيسهم كليب أيضا، وكانت الحرب بينهم بموضع يسمى الكلاب، فآنهزمت اليمن. وهذان اليومان من مفاخر نزار على اليمن، وامتنعت معد بعد ذلك على اليمن حتى قتل كليب بن ربيعة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/١٥٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٢٩٥

قال: ولما مات الصباح ملك بعده ابن عم له فاسق، وقيل: إن الذى ملك لخنيعة ذو شناتر، قال: ولم يكن من أهل بيت الملك، فأغرى بحب الأحداث من أبناء الملوك، فكان يطالبهم بما يطالب به النسوان، وكان لا يسمع بأحد من فتيان العرب وأولاد الملوك حسن الصورة إلا استدعاه وطالبه بهذا الفعل القبيح، ولم يزل على هذه الطريقة المذمومة حتى نشأ غلام من أبناء ملوك حمير اسمه زرعة ابن كعب ويدعى ذانواس؛ سمى بذلك لأنه كان له ذؤابتان تنوسان على عاتقه، وكان وضيئا، فاستدعاه لمثل ما كان يدعو اليه غيره، فجعل تحت إخمصه سكينا، فلما خلا به الملك واثبه ذونواس فقتله ثم حز رأسه، وكان له كوة يشرف منها على عبيده إذا قضى حاجته من الغلام الذى يكون عنده ويضع مسواكا فى فيه، فلما قتله ذو نواس جعل السواك فى فيه، وجعل رأسه فى تلك الكوة التى كان يشرف منها على عبيده، ثم خرج على العبيد فقالوا [له «١»] : ذو نواس، أرطب أم يباس؟.

فقال لهم: سل نخماس، استرطبان ذو نواس. استرطبان لا باس «٢» . وتفسير ذلك:." (١)

"فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهما، ففرحا به وأقبلا على خاله- وقد كان جعل الجعائل لمن يأتيه به- فلما أتياه به قال جذيمة لهما: لكما حكمكما. فقالا:

منادمتك. فكانا كما اختارا، وسار بهما المثل. ويقال: إنهما نادماه أربعين سنة، فما أعادا عليه حديثا مما حدثاه به مرة أخرى، بل كانا يحدثانه بحديث جديد لم يسمعه منهما قبل.

وعمرو هذا هو الذى أخذ بثأر خاله جذيمة من الزباء وقتلها. وذلك أن قصير ابن سعد كان من غلمان جذيمة قال لعمرو: اضرب ظهرى واقطع أرنبة أنفى واتركنى والزباء، فإنى سأحتال لك عليها، ففعل به ذلك، ففر قصير إلى الزباء وصار فى جملة رجالها وأراها النصح والاجتهاد فى حوائجها، وأنه غاش لعمرو ابن عدى؛ وجعل يتجر لها ويذهب لعمرو فى السر فيعطيه الأموال فيأتيها بها، كأن ذلك من اجتهاده وحذقه فى التجارة حتى اطمأنت له؛ فذهب إلى عمرو وأخذه وأخذ معه ألفى رجل وجعلهم فى جوالق على ألف جمل، ومعهم دروعهم وسيوفهم وجاء بهم على طريق يقال له الغوير «١» ، ولم يكن يسلكه قبل ذلك، فلما قرب من حصنها تقدم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بمال صامت، فأشرفت من أعلى قصرها تنظر إلى الجمال، فرأتها وكأنها تنزع أرجلها من أوحال لثقل ما عليها، فقالت: «عسى الغوير أبؤسا» . فذهبت مثلا. ثم قالت:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٠٣

ما للمطايا مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا «٢» باردا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا." (١)

"قال: وكان عدى بن أوس بن مرينا داهية أريبا، وكان يوصى الأسود ابن المنذر ويقول: قد عرفت أنى لك راج، وأن طلبتى اليك ورغبتى أن تخالف عدى بن زيد فيما يشير به عليك، فإنه والله لا ينصح لك أبدا، فلم يلتفت الأسود الى قوله. فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلا رجلا، وكسرى يرى رجالا قلما رأى مثلهم، فإذا سألهم هل تكفوني العرب قالوا: نكفيك العرب كلها إلا النعمان. فلما دخل النعمان عليه رأى رجلا دميما قصيرا أحمر الشعر فكلمه وقال: هل تستطيع أن تكفيني العرب؟ قال نعم، قال: فكيف تصنع بإخوتك؟ قال: أيها الملك إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم أعجز، فملكه وكساه وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم. فلما خرج وملك على العرب قال عدى ابن أوس بن مرينا للأسود بن المنذر: دونك فإنك خالفت الرأى.

قال: ثم إن عدى بن زيد صنع طعاما فى بيعة وأرسل الى ابن أوس أن ائتنى مع من أحببت فإن لى حاجة. فأتاه فى أناس فتغدوا فى البيعة، فقال عدى بن زيد لعدى بن أوس: يا عدى إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، إنى عرفت أن صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبى النعمان، فلا تلمنى على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد على شيئا لو قدرت عليه ركبته، وأحب أن تعطينى من نفسك ما أعطيك من نفسى، فإن نصيبى من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك. فقام عدى بن زيد الى البيعة وحلف ألا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا، ولا يروى عنه خيرا، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه ألا يزال يهجوه أبدا ويبغيه الغوائل ما بقى. وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة، وافترق العديان على وحشة، فقال عدى بن أوس للأسود: إن لم تظفر أفلا تعجز أن تطلب بثأرك من هذا المعدى الذى عمل بك ما عمل؟ فقد كنت أخبرتك." (٢)

"وما ذاك؟ قالت: أرى شجرا، من ورائه بشرا، وإنى لا أرى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا أو يخصف نعلا، فكذبوها وغفلوا عن أخذ أهبة الحرب حتى صبحتهم حمير. ففى ذلك تقول زرقاء اليمامة:

خذوا لهم حذركم يا قوم ينفعكم ... فليس ما قد أراه اليوم يحتقر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٧/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢٣/١٥

إنى أرى شجرا من خلفه بشر ... فكيف تجتمع الأشجار والبشر

صفوا الطوائف منكم قبل داهية ... من الأمور التى يخشى وتنتظر

إنى أرى رجلا فى كفه كتف ... أو يختصف النعل خصفا ليس يعتذر «١»

ثوروا بأجمعكم فى وجه أولهم ... فإن ذلك منكم- فاعلموا- ظفر

وغوروا كل ماء دون منزلهم ... فليس من دونه «٢» نحس ولا ضرر

أو عاجلوا القوم عند الليل إن رقدوا ... ولا تخافوا «٣» لها حربا وإن كثروا

فلما كان حسان على مسيرة ليلة عبأ جيشه ثم صبحهم فاستباح اليمامة قتلا وسبيا، وهرب الأسود حتى نزل بطيىء فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه. وقبيلته فى طيىء مذكورة. ثم إن حسانا أمر باليمامة فنزع عينيها فإذا فى داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك فقالت: حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الإثمد فثبت لى بصرى. وقيل: إنها أول من اكتحل بالإثمد؛ فأمر بها فصلبت على باب جو.

وقيل: سمى جو باليمامة من ذلك الوقت. وفى ذلك يقول رياح بن مرة لما أخذ **بثأره**:." (١)

"وفيها يقول النمر بن تولب:

وفتاتهم عنز غداة تبينت ... من بعد مرأى فى الفضاء ومسمع

قالت أرى رجلا يقلب نعله ... تقليب ذى وصل له ومشسع

ورأت مقدمة الخميس ودونها ... ركض الجياد إلى الصباح يتبع

ذكر حروب قيس فى الجاهلية يوم منعج لغنى على عبس

يوم منعج «١» . هو يوم الردهة «٢» وفيه قتل شأس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى؛ قتله رياح بن الأشل «٣» الغنوى. وذلك أن شأسا أقبل من عند النعمان بن المنذر وقد أجزل حباءه. وكان من حبائه قطيفة حمراء ذات هدب «٤» وطيب؛ فورد منعجا- وهو ماء لغنى- فأناخ راحلته إلى جانب الردهة وعليها خباء لرياح بن الأشل، وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر إليه، وهو كالثور الأبيض، فانتزعه رياح بسهم فقتله، وضم متاعه ونحر ناقته وأكلها وغيب أثره. وفقد شأس بن زهير، حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٢/١٥

قد باعتها امرأة رياح، فعلموا أن رياحا صاحب ثأرهم، فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا قودا أو دية، مع الحصين بن زهير ابن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة. فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح: انج، لعلنا." (١)

"نصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بدية «١»] . فخرج رياح رديفا «٢» لرجل من بني كلاب، وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم؛ فمر صرد «٣» على رءوسهما فصرصر، فما راعهما إلا خيل بني عبس، فقال الكلابي لرياح: انحدر من خلفي والتمس نفقا فى الأرض فإني شاغل القوم عنك، فانحدر رياح من عجز الجمل حتى أتى ضفة «٤» فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب وولج فيه، ومضى صاحبه، فسألوه فقال: هذه غنى جامعة، وقد استمكنتم منهم، فصدقوه وخلوا سبيله، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا: من الذى كان خلفك؟ فقال: لا كذب! رياح بن الأشل، وهو فى أولئك الصعدات «٥» . فقال الحصينان لمن معهما: قد مكننا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا فيه أحد، فوقفوا عنهما، ومضيا فجعلا يريغان رياحا بين الصعدات، فقال لهما: هذا غزالكما الذى تريغانه، فابتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده «٦» ، فطعنه الآخر فأخطأه، ومرت به الفرس، فاستدبره رياح بسهم فقتله ثم أتى قومه. ففى ذلك يقول الكميت بن زيد الأسدى، وكانت له أمان من غنى:

أنا ابن غنى والداى كلاهما ... لأمين منهم فى الفروع وفى الأصل." (٢)

"يوم الرقم لغطفان على بني عامر

غزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم «١» - وهو ماء لبنى مرة- وعلى بنى عامر: عامر بن الطفيل- ويقال يزيد بن الصعق- فركب عتبة بن حصين فى بنى فزارة، ويزيد بن سنان فى بنى مرة- ويقال الحارث بن عوف- فانهزمت بنو عامر، فزعمت غطفان أنهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع، كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم، فقتلوهم أجمعين.

وانهزم الحكم بن الطفيل فى نفر من أصحابه، فيهم خوات بن كعب حتى انتهوا إلى ماء يقال له: المرورات، فقطع العطش أعناقهم فماتوا، وخنق الحكم ابن الطفيل نفسه مخافة المثلة، فقال فى ذلك عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ... ومقتلهم تحت الوغى كان أعذرا «٢»

يوم النتاءة «٣» لعبس على بن عامر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٤/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٥/١٥

يقال: خرجت بنو عامر تريد أن تدرك **بثأرها** يوم الرقم، فهجموا على عبس بالنتاءة وقد أنذروا بهم، فالتقوا، وكان على بني عامر: عامر بن الطفيل، وعلى بنى عبس: الربيع بن زياد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت بنو عامر، وقتل منهم هزار بن مرة، قتله الأحنف بن مالك، ونهشل بن عبيدة بن جعفر، قتله أبو زغبة ابن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة.." (١)

"معاوية، وكانت الدهر تنطف ماء ودهنا وإن لم تدهن- فلما كان بعد [حين «١»] تهيأ معاوية ليغزو هاشما، فنهاه أخوه صخر، فأبى وغزاهم يوم حوزة، فرآه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية، وكان هاشم ناقها من مرض أصابه، فقال لأخيه دريد بن حرملة: إن هذا إن رآنى لم آمن أن يشد على، وأنا حديث عهد بشكية، فاستطرد له [دونى «٢»] حتى تجعله بيني وبينك، ففعل، فحمل عليه معاوية وأردفه «٣» هاشم، فاختلفا طعنتين فأردى «٤» معاوية هاشما عن فرسه الشماء، وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية، وكر عليه دريد وظنه قد أردى هاشما، فضرب معاوية بالسيف فقتله، وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزارى [فقتله «٥»] .

قال: وغارت الشماء فرس هاشم حتى دخلت فى جيش بنى سليم فأخذوها وظنوا أنها فرس الفزارى الذى قتله خفاف، ورجع الجيش، فلما دنوا من صخر أخى معاوية قال لهم: ما صنع معاوية؟ قالوا قتل! قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قتلنا صاحبها! قال: إذا قد أدركتم **ثأركم**، هذه فرس هاشم بن حرملة.

قال: فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام، فأتى بنى مرة، فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا، وهاشم مريض من الطعنة التى طعنه معاوية، فقال: من قتل أخى؟ فسكتوا، فقال: لمن هذه الفرس التى تحتى؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلم أبا حسان إلى من يخبرك! قال: من قتل أخى؟ فقال [هاشم «٦»] : إذا أصبتنى أو دريدا فقد أصبت **ثأرك**! فقال: هل كفنتموه؟ قال: نعم، فى بردين: أحدهما بخمس وعشرين بكرة." (٢)

"وأروه قبره، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال: كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزعى، فو الله ما بت منذ عقلت إلا واترا أو موتورا، وطالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية، فما ذقت طعم نوم بعده.

يوم حوزة الثانى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٦٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٦٦

قال: ثم غزاهم [صخر] فلما دنا منهم مضى على الشماء، وكانت غراء محجلة، فسود غرتها وتحجيلها، فلما رأته بنت لهاشم قالت لعمها دريد: أين الشماء؟ قال: هى فى بنى سليم. قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فقال: هذه بهيم «١» والشماء غراء محجلة، ثم اضطجع فلم يشعر حتى طعنه صخر، قال: فثاروا وتناذروا، وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها، وعارض دونه أبو شجرة بن عبد العزى، وكانت أمه خنساء أخت صخر، وصخر خاله، فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه، فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية: قتلنى الله إن برحت من مكانى حتى أثأر به! فشد على مالك سيد بنى شمخ فقتله، وقال صخر فى قتله دريدا:

ولقد دفعت إلى دريد طعنة ... نجلاء تزغل «٢» مثل غط المنخر

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة: وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج منتجعا فلقيه عمرو بن قيس الجشمى، فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وألت نفس إن وأل «٣» ، فلما دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفه فقتله.." (١)

"ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية، ولم يعقر على قبر أحد غيره، وقتلته بنو سليم يوم الكديد، ولم يحضر يوم الكديد أحد من بنى الشريد.

يوم فزارة لكنانة على سليم

قال أبو عبيدة: لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة ورجعوا، أقاموا ما شاء الله، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد- واسم الشريد عمرو، وكانت بنو سليم قد توجوا مالكا وأمروه عليهم- فغزا بنى كنانة، فأغار على بنى فراس ببزرة «١» ، ورئيس بنى فراس عبد الله بن جذل، فدعا عبد الله إلى البراز، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد، فقال له عبد الله: من أنت؟ قال: أنا هند بن خالد، قال عبد الله؛ أخوك أسن منك، يريد مالك ابن خالد، فرجع فأخبر أخاه، فبرز له، فشد عبد الله على مالك بن خالد فقتله، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر، فشد عليه عبد الله أيضا فقتله، فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر، فتجالدا طعنتين، فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا.

يوم الفيفاء «٢» لسليم على كنانة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٦٧

قال أبو عبيدة: ثم إن بنى الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من كنانة، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على." (١)

"بنى فراس، فقتل منهم نفرا؛ منهم: عاصم بن المعلى، ونضلة، والمعارك، وعمرو ابن مالك، وحصن، وشريح؛ وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة، فقال عباس بن مرداس فى ذلك:

ألا أبلغن عنى ابن جدل ورهطه ... فكيف طلبناكم بكرز ومالك

غداة فجعناكم بحصن وبابنه ... وبابن المعلى عاصم والمعارك

ثمانية منهم ثأرناهم به ... جميعا وما كانوا بواء «١» بمالك

نذيقكم- والموت يبنى سرادقا ... عليكم- شباحد السيوف البواتك

تلوح بأيدينا كما لاح بارق ... تلألأ فى داج من الليل حالك

ذكر حرب قيس وتميم يوم السؤبان «٢» لبنى عامر على بنى تميم

قال أبو عبيدة: أغارت بنو عامر على بنى تميم وضبة فاقتتلوا، ورئيس ضبة حسان بن وبرة، وهو أخو النعمان بن المنذر لأمه، فأسره يزيد بن الصعق، وانهزمت تميم؛ فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده، فشد على ضرار بن." (٢)

"فلو نبش المقابر عن كليب ... لأخبر بالذنائب أى زير

وإنى قد تركت بواردات «١» ... بجيرا فى دم مثل العبير «٢»

هتكت به بيوت بنى عباد ... وبعض القتل أشفى للصدور

على أن ليس عدلا من كليب ... اذا برزت مخبأة الخدور

وقال المهلهل أيضا وقد أشرف فى الدماء:

أكثرت قتل بنى بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكى لهم أحد

آليت بالله لا أرضى بقتلهم ... حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

أبهرج: أى أدعهم بهرجا، لا يقتل بهم قتيل، ولا تؤخذ بهم دية.

وقال أيضا:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٧٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٧٥

قتلوا كليبا ثم قالوا أربعوا ... كذبوا ورب الحل والإحرام

حتى تبيد قبيلة وقبيلة ... ويعض كل مثقف بالهام

ويقمن ربات الخدور حواسرا ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام

حتى يعض الشيخ بعد حميمه ... مما يرى ندما على الإبهام

يوم قضة

قال: ثم إن المهلهل أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر وقع، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليبا، وكان الحارث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب، حتى قتل ابنه بجير بن الحارث بن عباد، فلما بلغه قتله قال: نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل، وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر." (١)

"أن جعل له من فدائه جعلا، فتركه الأهتم عند امرأته العبشمية، فأعجبها جماله وكمال خلقته، وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا، فقالت له: من أنت؟ قال:

أنا سيد القوم، فضحكت وقالت: قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا، ففى ذلك يقول عبد يغوث:

وتضحك منى شيخة عبشمية ... كأن لم ترى «١» قبلى أسيرا يمانيا

فآجتمعت الرباب الى الأهتم وقالت: ثأرنا عندك، وقد قتل مصاد والنعمان فأخرجه إلينا، فأبى الأهتم أن يخرجه إليهم، فكاد أن يكون بين الحيين: الرباب وسعد، فتنة حتى أقبل قيس بن عاص المنقرى فقال: أيؤتى قطع حلف الرباب من قبلنا؟ فضرب فاه بقوس فهتمه، فسمى الأهتم، فقال الأهتم: إنما دفعه إلى عصمة ابن أبير، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلى، فليجئ فيأخذه، فأتوا عصمة فقالوا:

يا عصمة، قتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد، وثأرنا أسيرك، فما كان ينبغى لك أن تستحييه! فقال: إنى ممعل وقد أصبت الغنى، ولا تطيب نفسى على أسيرى، فاشتراه بنو جساس بمائة بعير، فدفعه إليهم، فخشوا أن يهجوهم، فشدوا على لسانه نسعة، فقال: إنكم قاتلى لا محالة، فدعونى أذم أصحابى وأنوح على نفسى! فقالوا: إنك شاعر ونخاف أن تهجونا، فعقد لهم ألا يفعل، فأطلقوا لسانه، فقال قصيدته التى أولها:." (٢)

"حدثنى عمى أحمد بن حبيش بن عبد العزيز، قال: حدثنى أبى عفير، قال:

حدثنى أبى زرعة بن سيف بن ذى يزن، قال: لما ظهر سيف بن ذى يزن على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٤٠٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٤١١

الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، وأتاه وفد قريش، منهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله ابن جدعان، وأسد بن عبد العزى، ووهب بن عبد مناف، وقصى بن عبد الدار، فدخل عليه آذنه وهو فى قصر يقال له غمدان، والملك مضمخ بالعبير، وعليه بردان أخضران، مرتد بأحدهما متزر بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك، فأخبر بمكانهم فأذن لهم، فدخلوا عليه، فدنا منه عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام، فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك، فقال:

إن الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا منيعا، وأنبتك نباتا طابت أرومته، وعظمت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، فى أطيب موضع وأكرم معدن؛ وأنت- أبيت اللعن- ملك العرب الذى عليه الاعتماد، ومعقلها الذى تلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يهلك ذكر «١» من أنت خلفه، ولن يخمل ذكر من أنت سلفه، نحن أهل حرم الله وسدنة بيت الله، أشخصنا إليك الذى أبهجنا من كشفك الكرب الذى فدحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة.

قال له الملك: من أنت «٢» أيها المتكلم؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أخينا؟ قال: نعم، قال: ادنه، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال:." (١)

"وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وإن من اعتبط «١» مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به، إلا أن يرضى ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم [إلا «٢»] القيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإن مرده إلى الله وإلى محمد [صلى الله عليه وسلم «٣»] وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم؛ إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ «٤» إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف، [و إن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف «٥»] ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٨/١٦

جفنة بطن من بنى ثعلبة [كأنفسهم «٦»] وإن لبنى الشطنة مثل ما ليهود بنى عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة «٧» يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من قتل فبنفسه [فتك، وأهل بيته «٨»] إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا «٩» ، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، [وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ." (١)

"(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين «١»)

إلى قوله: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون «٢»)

وذلك لعبادة بن الصامت.

قال محمد بن سعد: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سلاحهم «٣»] ثلاث قسى، منها: الكتوم، كسرت بأحد، والروحاء، والبيضاء، وأخذ درعين:

الصغدية، وأخرى فضة؛ وأخذ ثلاثة أسياف: سيف قلعى «٤» ، وسيف يقال له:

بتار؛ وسيف آخر؛ وثلاثة أرماح، ووجد فى حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصياغة، فأخذ صلى الله عليه وسلم صفية «٥» والخمس، وفض «٦» أربعة أخماس على أصحابه، وكان الذى تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة.

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه.." (٢)

"الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس فى أهلى. فقال أبوسفيان:

ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا؛ ثم قتله نسطاس.

وأما خبيب بن عدى فروى عن ماوية «١» مولاة حجر بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٥٠/١٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٠/١٧

خبيب قد حبس فى بيتى، فلقد اطلعت عليه يوما وإن فى يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل، قالت: وقال لى حين حضره القتل: ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل؛ فأعطيت غلاما من الحى الموسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل؛ قالت:

فو الله ما هو إلا أن قد ولى الغلام بها إليه؛ فقلت: ما صنعت! أصاب والله الرجل ثأره بقتل «٢» هذا الغلام، فيكون رجلا برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك، ما خافت أمك غدرتى حتى بعثك بهذه الحديدة! ثم خلى سبيله «٣» .

ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع «٤» ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع ركعتين. [فركع «٥» ركعتين] أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة. فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبته، فلما أوثقوه، قال:." (١)

"ثم قال للعباس بن عبد المطلب: ناولنى حصيات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، وقال: «انهزموا ورب الكعبة» وقذف الله فى قلوبهم الرعب، وانهزموا لا يلوى أحد منهم على أحد.

قال محمد بن إسحاق: لما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة مكة الهزيمة، تكلم رجال بما فى أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه فى كنانته، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! فو الله لأن يربنى «١» رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن؛ وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة: اليوم أدرك ثأرى من محمد- وكان أبوه قتل يوم أحد- اليوم أقتل محمدا. قال: فبادرت لأقتله، فأقبل شيء حتى غشى فؤادى، فلم أطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع منى.

وفى رواية أخرى، قال شيبة بن عثمان: استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة. فأطلع الله رسوله على ما فى نفسى، فالتفت إلى وضرب فى صدرى وقال: «أعيذك بالله يا شيبة» ، فأرعدت فرائصى، فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعى وبصرى فقلت:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٥/١٧

أشهد أنك رسول الله، وأن الله أطلعك على ما فى نفسى.
وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال: إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة «٢» بغلته البيضاء وقد شجرتها «٣» بها، وكنت امرأ جسيما شديد الصوت،." (١)
"ذكر مسير خالد الى البطاح ومقتل مالك بن نويرة
قال أبو جعفر رحمه الله: لما [١] انصرفت سجاح إلى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة، وندم وتحير فى أمره، وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا، فرجعا رجوعا حسنا؛ [ولم يتجبرا] [٢] ، وأخرجا الصدقات واستقبلا بها خالد بن الوليد، فقال خالد: ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم؟ فقالا: ثأركنا نطلبه فى بنى ضبة، فسار خالد يريد البطاح دون الحزن، وعليها مالك بن نويرة، وقد ترددت الأنصار على خالد، وتخلفت عنه. وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا، إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا؛ فقال خالد:
إن يك عهد اليكم هذا، فقد عهد إلى أن أمضى، وأنا الأمير، وإلى تنتهى الأخبار، ولو أنه لم يأتنى له كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة فكنت إن أعلمته فاتتنى لم أعلمه حتى أنتهزها، وكذا لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ثم نعمل به، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا، وأنا قاصد له ومن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان، ولست أكرهكم.

[١] تاريخ الطبرى ٣: ٢٧٦ وما بعدها.
[٢] زيادة من الطبرى.." (٢)

"وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذى ضرب بالمدينة، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ تزيد عدتهم على أربعين ألف مقاتل. وعجل شرحبيل بن حسنة، وبادر بالقتال قبل وصول خالد كما فعل عكرمة، فنكب كما نكب، فلما قدم خالد لامه، وسار خالد حتى إذا أطل على بنى حنيفة أسند خيولا لعقة والهذيل وزياد، وقد كانوا أقاموا على خرج أخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سجاح، وإنما أسند خالد تلك الخيول مخافة أن يأتوه من خلفه، وأمد أبو بكر رضى الله عنه خالدا

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢٩/١٧
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٢/١٩

بسليط بن عمرو بن عبد شمس العامرى القرشى ليكون ردءا له من أن يأتيه أحد من خلفه؛ فخرج. فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التى انتابت تلك البلاد قد فرقوا فهربوا، فكان منهم قريبا لهم، وأما مسيلمة فإنه لما بلغه دنو خالد بن الوليد منه عسكر بعقرباء، واستنفر الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفى اليمامى– وكان رئيسا من رؤساء بنى حنيفة– فى سرية يطلب بثأر له فى بنى عامر وبنى تميم، فلما كان خالد من عسكر مسيلمة على ليلة، إذا مجاعة وأصحابه وقد غلبهم الكرى– وكانوا راجعين من بلاد بنى غامر– فعرسوا دون ثنية اليمامة، فوجدوهم نياما وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم، ولا يشعرون بقرب الجيش منهم، فأنبهوهم، وقالوا: من أنتم؟ قالوا: مجاعة، وهذه حنيفة، فأوثقوهم، وأقاموا إلى أن جاءهم خالد فأتوه بهم، فظن أنهم جاءوه." (١)

"ليستقبلوه، فقال: متى سمعتم بنا؟ قالوا: ما شعرنا بك، إنما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بنى عامر وتميم، فأمر بهم أن يقتلوا، فقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غدا خيرا أو شرا فاستبق هذا، ولا تقتله– يريدون مجاعة– فقتلهم كلهم دونه، وكانوا ثلاثة وعشرين راكبا– وقيل: أربعين. وقيل: ستين– وصبر مجاعة، وسار إلى اليمامة، فخرج مسيلمة وبنو حنيفة، فنزلوا بعقرباء، وهى طرف اليمامة؛ دون الأموال، وريف اليمامة وراء ظهورهم.

وقال شرحبيل بن مسيلمة [١] : يا بنى حنيفة، اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستردف النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم.

فالتقوا بعقرباء واقتتلوا، وكانت راية المهاجرين يومئذ مع سالم مولى أبى حذيفة. وقيل: بل كانت مع زيد بن الخطاب، فلما قتل أخذها سالم، فقالوا له: تخشى علينا من نفسك شيئا؟

فقال: بئس حامل القرآن إنا إذا! وكانت راية الأنصار مع ثابت ابن قيس بن شماس، وكانت العرب على راياتها، وسجاعة فى الأسر مع أم تميم زوجة خالد فى فسطاطها، واقتتل الناس أشد قتال، ولم يلق المسلمون حربا مثلها، فانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى خالد، فزال عن الفسطاط، ووصلوا إليه وقطعوه، ودخل أناس من بنى حنيفة على أم تميم، فأرادوا قتلها، فمنعها مجاعة. وقال: أنا لها جار، فنعمت الحرة! فدفعهم عنها.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩/٩٠

[١] ص: «مسلمة» .." (١)

"وقال المتنبي:

ومن كلما جردتها من ثيابها، ... كساها ثيابا غيرها الشعر الوحف.

وقال أيضا:

دعت خلاخيلها ذوائبها، ... فجئن من فرقها إلى القدم.

وقال في أخرى:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... فى ليلة، فأرت ليالى أربعا.

واستقبلت قمر السماء بوجهها، ... فأرتنى القمرين في وقت معا.

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز:

سقتنى في ليل شبيه بشعرها ... شبيهة خديها بغير رقيب.

فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى، ... وشمسين من خمر وخد حبيب.

وقال ابن المعتز:

فلما أن قضت وطرا وهمت ... على عجل بأخذ للرداء،

رأت شخص الرقيب على تدان ... فأسبلت الظلام على الضياء.

وغاب الصبح منها تحت ليل، ... وظل الماء يقطر فوق ماء.

وقال ابن لنكك:

هل طالب ثأر من قد أهدرت دمه ... بيض، عليهن نذر قتل من عشقا؟

من العقائل ما يخطرن عن عرض ... إلا أرينك في قد قنا ونقا.

رواعف بخدود زانها سبج ... قد زرفن [١] الحسن في أصداغه ا حلقا.

[١] زرفن صدغيه جعلهما كالزرفين وهو حلقة الباب.." (٢)

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩١/١٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٢

"الشام. قالوا: إن كان عثمان بعثك فحى هلا بك [١] ، وإن كان بعثك غيره فارجع. قال: أو ما سمعتم بالذى كان؟ قالوا: بلى ...

فرجع إلى على.

وأما عمارة فلما بلغ زبالة [٢] لقيه طليحة بن خويلد، وكان قد خرج يطلب بثأر عثمان، فقال له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا، فإن أبيت ضربت عنقك ... فرجع إلى على.

وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيله [٣] لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد. قالوا امض. فمضى حتى دخل [مصر] [٤] ، فافترق أهل مصر فرقا: فرقة دخلت فى الجماعة فكانوا معه، وفرقة اعتزلت بخرنبا، [٥] وقالوا: «إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جديلتنا [٦] حتى نحرك [٧]

---

[١] حى هلا: كلمة تقال عند الدعاء إل الشيء، والإقبال عليه، أى: أنك حينئذ أهل لهذا.

[٢] زبالة: قرية بطريق مكة من الكوفة، وكانت بها أسواق.

[٣] أيله: مدينة معروفه على خليج العقبة، وكانت مقصودة، لمن كانوا يقدمون من الحجاز إلى الفسطاط بطريق البر.

[٤] كذا فى النسخة (ن) وتاريخ ابن الأثير، وسقطت هذه الكلمة من (ك) .

[٥] جاء فى هامش النسخة (ص ما نصه: «خرنبا» بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة، بعدها ألف» ، وهو تابع لابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ١٠٥ حيث ذكر هذا الضبط، ولكن المحققين لا يصححون هذا، بل يرون أنها» «خربتا» بفتح الخاء أو كسرها مع كسر الراء وسكون الباء قبل التاء المثناه الفوفية، وكذلك تكررت فى مواضع من الجزء الأول من النجوم الزاهرة، وقال ياقوت فى معجم البلدان: « «خزنبا: قال نصر: موضع من أرض مصر، لأهلها حديث فى قصة على ومحمد بن أبى بكر، وهو خطأ، وقد سألت عنه أهل مصر فلم يعرفوا إلا خربتا» ، وقال فى موضع آخر: «خربتا» : هكذا ضبط فى كتاب ابن عبد الحكم، وقد ضبط الحازمى بالنون ثم الباء، هو خطأ» . والمعروف الآن أن «خربتا» قرية تابعة لمحافظة «البحيرة» وأنها بكسر الخاء والباء مع سكون الراء.

[٦] الجديلة: الحال والطريقة.

[٧] نحرك: نصاب السيوف، وهذه الكلمة جاءت فى النسخة (ن) ، وفى (ك) «تخزك." (١)

"على أسفل الطومار. وأوصاه بما يقول، وأعاد رسول على معه، فقدما المدينة فى شهر ربيع الأول، ودخل العبسى كما أمره معاوية، والناس تنظر إلى الطومار، حتى دفعه إلى على، ففضه، فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، إن الرسل لا تقتل: قال تركت قوما لا يرضون إلا بالقود [١] . قال: ممن؟

قال «من خيط رقبتك! وتركت ستين ألف شيخ يبكى تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق!» قال: «أمنى يطلبون دم عثمان؟ ألست موتورا بترة [٢] عثمان؟ اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان! نجا- والله- قتلة عثمان إلا أن يشاء الله فإنه إذا أراد أمرا أصابه! اخرج.» قال وأنا آمن؟ قال: وأنت آمن. فخرج العبسى، فقالوا [٣] : «هذا الكلب رسول الكلب! اقتلوه!» فنادى: يا آل مضر. يا آل قيس، الخيل والنبل، وبالله أقسم ليردنها عليكم أربعة آلاف خصى! فانظروا كم الفحول والركاب؟» وتعاووا [٤] عليه، فمنعته مضر، وجعلوا يقولون له: «اسكت» فيقول: «لا والله، والله لا يفلح هؤلاء أبدا، أتاهم ما يوعدون، لقد حل بهم ما يحذرون، انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم [٥] .

---

[١] القود: القصاص.

[٢] جاء عند ابن جرير وابن الأثير: كترة» والترة: الثأر والظلم فيه، والموتور: المصاب بقتل حميمه ولم يدرك ثأره.

[٣] القائلون هم السبئية كما جاء عند ابن جرير وابن الأثير.

[٤] تعاووا (بالعين أو بالغين) أى: تجمعوا وتعاونوا.

[٥] فى القرآن الكريم: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والمراد بالريح الدولة والقوة.." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥/٢٠

"فإن أصلح الله الأمر كان الذى أردنا، وإلا دفعنا [عن هذا الأمر] [١] بجهدنا، حتى يقضى الله ما أراد» . فأجابتهم إلى ذلك.

ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم، فأبى، وقال: «أنا رجل من أهل المدينة، أفعل ما يفعلون» . فتركوه.

وكان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مع عائشة على قصد المدينة، فلما تغير رأيها إلى البصرة تركن [٢] ذلك. وأجابتها حفصة على المسير معها، فمنعها أخوها عبد الله [٣] .

وجهزهم يعلى بن منية بستمائة ألف وستمائة بعير، وجهزهم ابن عامر بمال كثير.

ونادى مناديها: «إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المحلين [٤] والطلب بثأر عثمان وليس له مركب ولا جهاز فليأت» . فحملوا ستمائة على ستمائة بعير، وساروا فى ألف- وقيل فى تسعمائة- من أهل المدينة ومكة، وتلاحقت بهم الناس، فكانوا فى ثلاثة آلاف رجل.

وأعان يعلى بن منية الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين

---

[١] الزيادة من تاريخ الطبرى.

[٢] كذا جاء عند الطبرى وابن الأثير، وفى المخطوطة «تركوا» .

[٣] عبد الله بن عمر بن الخطاب أخو أم المؤمنين حفصة لأبيها وأمها، كما سبق فى هذا الكتاب ج ١٨ ص- ١٧٦.

[٤] كذا جاء عند ابن جرير وابن الأثير، و «المحلون» يراد بهم هنا: الذين أحلوا ما حرم الله وانتهكوا حرماته، وهذا يناسب ما سبق قريبا من قول عائشة «سفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام» ، وفى المخطوطة «المخلين» بالخاء المعجمة، والمعنى عليه غير بعيد.." (١)

"عبد الله بن الزبير) . وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن [١] بن عتاب بن أسيد حتى قتل.

ولما انتهوا إلى ذات عرق لقى سعيد [٢] بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه [٣] فقال: أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم؟ (يعنى عائشة وطلحة والزبير) اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم! فقالوا: نسير فعلنا نقتل قتلة عثمان ... فخلا سعيد ابن العاص بطلحة والزبير، فقال: اصدقانى إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ قالا: نجعله لأحدنا أينا اختاره الناس. قال: بل تجعلونه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٩/٢٠

ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم! قال: فلا أرانى أسعى إلا لإخراجها من بنى عبد مناف [٤] فرجع، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد [٥] ، فقال المغيرة بن شعبة: «الرأى ما قال سعيد، من كان ها هنا من ثقيف فليرجع» ، ورجع.

ومضى القوم، ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان، وكان دليلهم رجلا من عرينة، وهو الذى ابتيع منه الجمل (على أحد الأقوال) ، قال العرنى: فسرت معهم، فلا أمر على واد إلا

---

[١] هو من الأمويين، صحابى أو تابعى، انظر الإصابة ج ٣ ص ٧٢ وشرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة ج ٣ ص ٤١.

[٢] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى.

[٣] بنى أمية.

[٤] قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٢ «طلحة من تيم بن مرة والزبير من أسد بن عبد العزى بن قصى، وليس أحد منها من بنى عبد مناف» .

[٥] عبد الله بن خالد أموى، وهو ابن عم عبد الرحمن بن عتاب الذى سبق ذكره قريبا.." (١)

"إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع [١] القبائل غزوا حرم رسول الله عليه الصلاة والسلام وأحدثوا فيه الأحداث [٢] ، وآووا فيه المحدثين [٣] ، فاستوجبوا لعنة الله ولعنة الرسول، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلاتره [٤] ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا فى دار قوم كارهين لمقامهم ضارين مضرين [٥] غير نافعين ولا منتفعين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذه القصة» وقرأت: لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس

[٦] [ثم قالت [٧] :] «نهض [٨] فى

---

[١] النزاع من القبائل: جمع «النازع» وهو الغريب الذى نزع عن أهله وعشيرته أى: بعد وغاب.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١/٢٠

[٢] الأحداث: جمع حدث، وهو: الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف فى السنة، كما ذكره صاحب النهاية «فى حديث المدينة: من أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا» .

[٣] آووا المحدثين: نصروا الجانين أو أجاروهم من خصومهم وحالوا بينهم وبين أن يقتص منهم.

[٤] الترة: **الثأر**.

[٥] قد جاء اللفظان بمعنى واحد، وقد يكون المراد ب «مضرين» : الذين يكرهون غيرهم على الأمور التى يريدونها.

[٦] من الآية ١١٤ من سورة النساء.

[٧] زيادة يقتضيها المقام.

[٨] عند الطبرى: «نهض» .." (١)

"ونجدهم فجرة غدرة كذبه، وهم يحاولون غير ما يظهرون، فلما قدروا على المكاثرة كاثروه، فاقتحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام، والبلد الحرام، بلاترة [١] ولا عذر، ألا إن فيما ينبغى- لا ينبغى لكم غيره- أخذ قتلة عثمان، وإقامة كتاب الله، ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم

(الآية [٢]) .

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين: فقالت فرقة:

صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف، وقالت فرقة خلاف ذلك.

فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا [٣] ، فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف، حتى وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين، وبقى أصحاب عثمان على حالهم، يتدافعون حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة [٤] .

وأقبل حكيم بن جبلة، وهو على خيل ابن حنيف، فأنشب القتال، فأشرع أصحاب عائشة رماحهم، وأمسكوا ليمسك [٥] ، فلم ينته ولم ينثن، وأصحاب عائشة كافون [إلا ما دافعوا عن أنفسهم [٦]] ثم اقتتلوا على فم السكة، وأشرف أهل الدور ممن كان له فى أحد

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٣٣

[١] الترة: **الثأر**.

[٢] من الآية ٢٣ من سورة آل عمران.

[٣] أرهجوا: **أثاروا** الغبار.

[٤] وبقى بعضهم مع عثمان بن حنيف على فم السكة، كما ذكره ابن جرير ج ٣ ص ٤٨٢.

[٥] هذا هو المناسب للفعلين بعده، وعبارة ابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ١٠٩ «وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه» . وفى المخطوطة وتاريخ ابن جرير: «ليمسكوا» .

[٦] الزيادة من تاريخ ابن جرير.." (١)

"أم مخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح فو الله لئن عرفناه ليصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح [١] . قالا:

قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن! قال:

«قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم! قتلتم ستمائة رجل فغضبت لهم ستة آلاف واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فارس، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلو عليكم فالذى حذرتم وقويتم [٢] به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون [٣] ، وإن أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير!» قالت عائشة فما تقول أنت قال «أقول إن هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلا خير وتباشير رحمة ودرك **بثأر**، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا **الثأر** [٤] ، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خيركما كنتم، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا وإياكم، وايم الله إنى لأقول هذا القول وأدعوكم إليه وإنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل

---

[١] كذا جاء فى النسخة (ن) وجاء فى (ك) : «لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح» .

[٢] كذا جاء فى المخطوطة والكامل، وعند ابن جرير: «قربتم» ، وتأتى بمعنى «طلبتم» .

[٣] قال ابن كثير فى البداية والنهاية ج ص ٢٣٧: يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ولكنه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٦/٢٠

يترتب عليه مفسدة هى أربى منها.

[٤] هكذا جاء فى رواية ابن جرير ج ٣ ص ٥٠٣، وجاء فى المخطوطة: «المال»." (١)

"ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه فقال: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة»

. وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله فقال: زعم بعض أهل العلم أن عليا رضى الله عنه دعاه يوم الجمل، فذكره أشياء من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله، على نحو ما صنع الزبير واعتزل فى بعض الصفوف، فرمي بسهم، فقطع من رجله عرق النسا، فلم يزل دمه ينزف حتى مات [١] . ويقال: إن السهم أصاب ثغرة نحره، وإن الذى رماه مروان بن الحكم وقال: لا أطلب بثأرى بعد اليوم. وذلك أن طلحة- فيما زعموا- كان ممن حاصر عثمان واشتد عليه. قال ابن عبد البر: ولا يختلف العلماء [٢] فى أن مروان بن الحكم قتل طلحة يومئذ [٣] ، واستدل على ذلك بأخبار [رواها من قول مروان تدل على أنه قاتله] [٤] .

قال: وقد روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال:

والله إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة و الزبير ممن قال الله

---

[١] ذكر أبو عمر ابن عبد البر قول الأحنف: لما التقوا كان أول قتيل طلحة بن عبد الله

[٢] فى الاستيعاب لابن عبد البر: «ولا يختلف العلماء الثقات» .

[٣] زاد ابن عبد البر «وكان فى حزبه» ، وقال فى موضع آخر كان مروان مع طلحة يوم الجمل، فلما اشتبكت الحرب قال مروان: لا أطلب بثأرى بعد اليوم. ثم رماه بسهم..... الخ.

[٤] ثبتت هذه الجملة فى النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .." (٢)

"لصاحبكم فإنا لا نراها، لأن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد عليه ذلك، فليدفع إلينا قتلة صاحبنا لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال شبث بن ربعى: يا معاوية أيسرك أن تقتل عمارا؟ قال «وما يمنعنى من ذلك؟ والله لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان [١] !» فقال شبث: «والذى لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تندر الهام [٢] عن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٥/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٧/٢٠

الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك!» فقال معاوية: «لو كان كذلك لكانت عليك أضيق!» . وتفرق القوم.

وبعث معاوية إلى زياد بن خصفة، فخلا به، وقال له: «يا أخا ربيعة، إن عليا قطع أرحامنا، وقتل إمامنا، وآوى قتلة صاحبنا، وإني أسألك النصر عليه بعشيرتك، ثم لك عهد الله وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت [٣] أى المصرين أحببت» . فقال زياد: «أما بعد، فإني على بينة من ربى، وبما [٤] أنعم الله على فلن أكون ظهيرا [٥] للمجرمين!» وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص: ليس نكلم رجلا منهم فيجيب إلى خير، ما قلوبهم إلا كقلب واحد!.

---

[١] فى رواية ابن أبي الحديد: «كنت أقتله بنائل مولى عثمان» .

[٢] تندر الهام: تسقط الرءوس.

[٣] ظهرت: غلبت.

[٤] كذا جاء فى تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٣ ووقعة صفين ص ٢٢٤، وقد جاء فى القرآن الكريم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين

وجاء فى المخطوطة: «وما» .

[٥] ظهيرا: عونا.." (١)

"إليه بعضم وذهب البعض، فنادى: «أيها الناس، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أخلصوا إلى مذحجا [١] » فأقبلت مذحج إليه، فقال لهم: «ما أرضيتم ربكم، ولا نصحتم له فى عدوكم، وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب [٢] ، وأصحاب الغارات، وفتيان الصياح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماوهم، وما تفعلون [٣] هذا اليوم فإنه مأثور عنكم بعده، فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصادقين، والذى نفسى بيده ما من هؤلاء- وأشار إلى أهل الشام- رجل على مثل جناح بعوضة من محمد [٤] ، اجلوا سواد وجهى يرجع فيه دمه، عليكم بهذا السواد الأعظم، فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه!» . قالوا: تجدنا [٥] حيث أحببت. فقصد نحو عظمهم مما يلى الميمنة يزحف إليهم ويردهم.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٣/٢٠

واستقبله شباب من همدان، وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ، وكانوا صبروا فى الميمنة حتى أصبب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيسا: كان أولهم ذؤيب بن [٦] شريح، ثم

---

[١] كان الأشتر ينتسب إلى مذحج، ويقول فى رجزه فى حرب صفين:

إنى أنا الأشتر معروف الشتر ... إنى أنا الأفعى العراقى الذكر

لست ربيعيا ولست من مضر ... لكننى من مذحج الشم الترر

[٢] جاء فى رواية ابن جرير: «الحروب» .

[٣] جاء فى رواية ابن جرير «تفعلوا» فتكون (ما) قبلها شرطية جازمة.

[٤] هكذا جاء فى المخطوطة كما فى تاريخ ابن جرير. وجاء فى الكامل لابن الأثير «من دين» وعند ابن أبى الحديد ج ١ ص ٤٨٧: «من دين الله» .

[٥] عند ابن أبى الحديد: «خذبنا» .

[٦] كذا جاء فى المخطوطة كالكامل، وعند الطبرى وابن أبى الحديد: «كريب» .." (١)

"فرجع إلى على، فبعث خليد بن قرة اليربوعى، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو.

وحج بالناس فى هذه السنة عبيد الله بن عباس [١] رضى الله عنهما.

سنة ثمان وثلاثين

فى هذه السنة ملك عمرو بن العاص مصر، وقتل محمد بن أبى بكر على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى أخبار معاوية.

ذكر خبر عبد الله بن الحضرمى حين بعثه معاوية إلى البصرة وما كان من أمره إلى أن قتل

وفى هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبى بكر بعث معاوية عبد الله ابن عمرو الحضرمى إلى البصرة، وقال له: إن جل أهلها يرون رأينا فى عثمان، وقد قتلوا فى الطلب بدمه، فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم، وينهض بهم فى الطلب بثأرهم ودم إمامهم، فانزل فى مضرو تودد للأزد فإنهم كلهم معك، وادع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم؛ لأنهم ترابية [٢] كلهم وأحذرهم.

فسار ابن الحضرمى حتى قدم البصرة، وكان ابن عباس قد خرج إلى على بالكوفة، واستخلف زياد ابن أبيه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٨/٢٠

على البصرة، فنزل ابن الحضرمى فى بنى تميم، فأتاه العثمانية وحضره غيرهم، فخطبهم وقال: «إن إمامكم إمام الهدى قتل مظلوما، قتله على فطلبتم بدمه، فجزاكم الله خيرا» .

---

[١] قال ابن الأثير فى الكامل؛ «وكان عامل على على اليمن» .

[٢] أى من شيعة «أبى تراب» وتلك كنية على رضى الله عنه.." (١)

"وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. وقيل: فى شهر ربيع الآخر. وقيل: فى جمادى الأولى فى النصف منه.

وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية؛ لأنه لما راسله معاوية فى تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامه بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم فى مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره، وأما الباقى فخاذل، وأما الباكى فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفه، فإذا أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا» . فناداه الناس من كل جانب:

البقية البقية، فأمضى [١] الصلح.

فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال: «أيها الناس، إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل بيت نبيكم عليه الصلاة والسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير» وكرر ذلك حتى ما بقى فى المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه، وأرسل إلى معاوية وسلم إليه الأمر.

فكانت خلافة الحسن على قول من يقول [«سلم الأمر فى ربيع

---

[١] فى الكامل ج ٣ ص ٢٠٤ «وأمض الصلح» .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩٨/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢٨/٢٠

"عدوه وأنا أسير إليه، فخرج معه ألفان. فقال له على رضى الله عنه:
سر فو الله ما أظنك تدركهم حتى ينقضى أمرهم، فسار بهم خمسا.
ثم قدم الحجاج بن غزية من مصر فأخبره بالخبر، وأتاه عبد الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام وكان عينه هناك فأخبره أن البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور أهل الشام بقتله، فقال على؛ أما إن حزننا عليه بقدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافا:
وأرسل إلى الجيش فأعادهم.
وقام فى الناس خطيبا فقال: «ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجا، ألا وإن محمد بن أبى بكر استشهد، فعند الله نحتسبه، أما والله إنه كان– ما علمت– لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن، والله لا ألوم نفسى على تقصير، وإنى بمقاساة الحرب لجد خبير، وإنى لأقدم على الأمر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم يا لرأى المصيب، وأستصرخكم معلنا، وأناديكم نداء المستغيث، فلا تسمعون لى قولا، ولا تطيعون لى أمرا، حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا تنقض بكم الأوتار، ودعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة، فتجرجرتم جرجرة [١] الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية فى جهاد العدو، ولا اكتساب

---

[١] الجرجرة: صوت يردده البعير فى حنجرته، والمراد الضجة والصياح.." (١)

"ليزيد خطب أهل الشام وقال: «يا أهل الشام، إنى قد كبر سنى وقرب أجلى، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاما لكم، وإنما أنا رجل منكم، فارتؤا رأيكم» . فأصفقوا [١] واجتمعوا. وقالوا: رضينا عبد الرحمن ابن خالد. فشق ذلك على معاوية وأسرها فى نفسه، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيبا عنده مكينا أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات. ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفيا، هو وغلام له، فرصدا ذلك اليهودى، فخرج ليلا من عند معاوية، ومعه قوم، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر.
وقد قيل [١] إن الذى قتل ابن أثال أو اليهودى خالد بن المهاجر بن خالد، وأن عروة بن الزبير، كان يعيره

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٢٥٢

بترك الطلب بثأر عمه، فخرج خالد ونافع مولاه من المدينة حتى أتيا دمشق، فرصد الطبيب ليلا عند مسجد دمشق، وكان يسمر عند معاوية، فلما انتهى إليهما ومعه قوم من حشم معاوية، حملا عليهم، فانفرجوا، وضرب خالد بن المهاجر اليهودى فقتله، ثم انصرف إلى المدينة، وقال لعروة بن الزبير:

قضى لابن سيف الله بالحق سيفه ... وعرى من حمل الذحول [٢] رواحله

سل ابن أثال هل ثأرت ابن خالد؟ ... فهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله؟

---

[١] انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٤٣٦- ٤٣٧.

[٢] الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر، يقول تعرت رواحله من الثأر إذا أخذت به.... هذا وفى الاستيعاب بيت بين البيتين وهو:

فإن كان حقا فهو حق أصابه ... وإن كان ظنا فهو بالظن فاعله.." (١)

"فى حرمة قريش [١] ، أنشدك الله فى حرمة العرب، فو الله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعد أحدا أبدا، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبنى أمية!» فأبى إلا أن يمضى.

فلما نزل بزرود [٢] أتاه الخبر بقتل مسلم ابن عقيل وهانئ ابن عروة، فاسترجع [٣] مرارا، فقال له عبد الله بن سليم والمذرى ابن المشمعل الأسديان، وكانا قد لحقاه حين قضيا حجهما: «ننشدك الله فى نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك!» فوثب بنو عقيل فقالوا لا: والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا. فقال الحسين رضى الله عنه: لا خير فى العيش بعد هؤلاء، فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. فانتظر الحسين حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء. فاستقوا فأكثروا، ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة [٤] .

وقيل: كان الحسين لا يمر بماء إلا اتبعه أهل ذلك الماء، حتى انتهى إلى زبالة، فأتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٨/٢٠

[١] كذا جاء فى الأصل مثل الكامل، وجاء فى تاريخ الطبرى: «رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

[٢] قال ياقوت: «لعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفه» .

[٣] استرجع: قال «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

[٤] زبالة: موضع معروف بطريق مكة من الكوفة.." (١)

"ودخل عبد الملك على عمرو بن سعيد فأخبره بقتل الحسين، فقال: ناد بقتله، ففعل، قال عبد الملك: فلم أسمع واعية [١] قط مثل واعية نساء بنى هاشم فى دورهن على الحسين! فلما سمع عمرو بن سعيد أصواتهن ضحك وقال: واعية بواعية عثمان [٢] وأنشد بيت عمرو بن معدى كرب:

عجت نساء بنى زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب [٣]

(والأرنب: يوم كان لبنى زبيد على بنى زياد من بنى الحارث بن كعب) ثم صعد عمرو المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين.

---

[١] الواعية: الصراخ على الميت ونعيه.

[٢] ذكر الميدانى فى مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٧٩ أن عمرو بن سعيد تمثل بالمثل «يوم بيوم الحفض المجور» أى يوم بيوم عثمان، كما تمثل بالبيت «عجت نساء ... » ثم ذكر أصل هذا المثل، وكذلك ذكر الأصل القالى فى أماليه ج ٢ ص ١٩٢.

[٣] كان من خبر هذا الشعر أن تبيلتى «جرم» و «نهد» كانتا مجاورتين ل- بنى «الحارث» ، فقتلت جرم رجلا من أشراف بنى الحارث يقال له «معاذ بن زيد» ، فارتحن الجرميون إلى «بنى زبيد» رهط عمرو بن معد يكرب، فخرجت بنو الحارث يطلبون بثأرهم ومعهم بنو نهد، فجعل عمرو وما أمام بنى نهد: وجعل نفسه وقومه أمام بنى الحارث، ولكن جرما انهزمت سريعا: فكان ذلك سببا فى كسر بنى زبيد فى ذلك اليوم، ثم إن عمرا غزا بنى الحارث فأصاب فيهم واثتصف منهم، فقال:

لما رأونى فى الكتيفة مقبلا ... وسط الكتيبة مثل ضؤ الكوكب

واستيقنوا منا بوقع صادق ... هربوا وليس أوان ساعة مهرب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٤١٤

عجت نساء بنى زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ويذكر بعض الرواة رواية أخرى: أن البيت لرجل من بنى أسد؛ ولفظه:

عجت نساء بنى زبيد عجة ... الخ، ومن المؤلفين من خلط بين الروايتين. وقد ذكر القالى فى اماليه ج ١ ص ١٢٦ أن مثل هذا البيت قول الشاعر:

رفعنا الخموش عن وجوه نسائنا ... إلى نسوة منهم فأبدين مجلدا

وذكر القالى أن «الأرنب» موضع، وكذلك تبع صاحب اللسان والتاج من نقل عن القالى ولم يسلم ذلك له، ولم تذكره كتب البلدان والمعروف أن أرنب انتفجت فى ذلك اليوم فتفاءلوا بالظفر: فظفروا: فسمى «يوم الأرنب» والعرب تتيمن بالأرنب إذا انتفجت.." (١)

"من عشاريات الخدمة، ودخل فيه إلى خليج القاهرة، وأدخل من باب البستان المعروف بالكافورى، فى ليلة الاثنين التاسع من الشهر، وسلك به إلى القصر الغربى إلى أن وصل إلى القصر الشرقى، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن حدث من عباس وابنه ما حدث، من قبل الظافر وإخوته وابن أخيه، على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى أخبارهم فى كتابنا هذا، فلما نهض الصالح بن رزيك فى الطلب بثأرهم، وولى الوزارة، لم يقدم شيئا على الشروع فى بناء المشهد بالقصر، فى الموضع المعروف بقبة الخراج من دهاليز باب الديلم وكمل المشهد، فلما كان فى ليلة يسفر صباحها عن تاسع المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة، خرج ابن رزيك من داره راجلا إلى الايوان، فأخرج الرأس فحمله خاشعا مستكينا إلى أن أحله بالضريح، ومدحه الشعراء، فمن ذلك قول أحدهم:

أدركت من عباس ثأرا دونه ... ما أدرك السفاح من مروان

وحقرت ما فخر ابن ذى يزن به ... لما أقر الملك فى غمدان

وجمعت أشلاء الحسين وقد غدت ... بددا فأضحت فى أعز مكان

وعرفت للعضو الشريف محله ... وجليل موضعه من الرحمن

أكرمت مثواه لديك وقبل فى ... آل الطريد غدا بدار هوان

وقضيت حق المصطفى فى حمله ... وحظيت من ذى العرش بالرضوان

ونصبته للمسلمين تزوره ... مهج إليه شديدة الهيمان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٧٣/٢٠

أسكنته فى خير مأوى خطه ... أبناؤه فى سالف الأزمان

ولو استطعت جعلت قلبك لحده ... فى موضع التوحيد والإيمان." (١)

"يده فدخل عليه فقتل مظلوما، فأنا أرجو له الجنة، وأما هذا فبسط.

يده فقاتل حتى قتل، فلا أدرى علام هو فى ذلك؟ فالمصيبة به أعظم منها على فى هذا! وقتل أيضا يزيد بن عبد الله بن زمعة.

وانتهى القتل يومئذ فيما ذكروا إلى ثلاثمائة، كلهم من أبناء المهاجرين والأنصار. ومنهم جماعة ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغت قتلى قريش يومئذ نحو مائة، وقتلى الأنصار والحلفاء والموالى نحو مائتين.

وقيل: إن يزيد بن معاوية لما بلغه ما كان من خبر هذه الوقعة قال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من عتبة إن لم أثئر [١] ... من بنى أحمد ما كان فعل

هكذا حكى [٢] عن بعض المؤرخين. والذى أعتقده أن هذه الأبيات مفتعلة عنه ومنسوبة [٣] إليه، فإنها لا تصدر إلا ممن نزع ربقة [٤] الإسلام من عنقة. والله أعلم.

---

[١] أثأر: أدرك الثأر.

[٢] كذا جاء فى النسخة (ك) ، وجاء فى النسخة (ن) : «نقل» .

[٣] لأنه أوصى بعلى بن الحسين خيرا، ولأنه حارب قريشا فى من حارب بالمدينة، ولأن البيت الأول من هذه الأبيات من قصيدة معروفة لعبد الله بن الزبعرى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى قالها فى وقعة أحد قبل أن يسلم، وقد عارضه حصان بن ثابت بقصيدة قال فيها:

ذهبت بابن الزبعرى وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

ثم أسلم ابن الزبعرى فى فتح مكة واعتذر فى شعر منه قوله:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٤٧٩

يا رسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

[٤] الربقة: العروة فى الحبل.." (١)

"وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن: أيها القوم، ولوا عليكم رجلا منكم، فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها» .

فقام رفاعة بن شداد فقال: «أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول، وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب إلى قولك، وقلت:

ولوا أمركم رجلا تفزعون إليه وتحفون برايته، وقد رأينا مثل الذى رأيت، فإن تكن أنت دلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا مستنصحا وفى جماعتنا محبا، وإن رأيت ورأى ذلك أصحابنا ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه» ..

وتكلم عبد الله بن وأل وعبد الله بن سعد بنحو ذلك، وأثنيا على سليمان والمسيب، فقال المسيب: قد أصبتم فولوا أمركم سليمان بن صرد.

فتكلم سليمان بن صرد بكلام كثير؟؟؟ حضهم فيه على القي ام وطلب ثأر الحسين وقتل قتلته أو القتل دون ذلك.

وكتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم هو ومن معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك.

وكتب سليمان أيضا إلى المثنى فأجابه: إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذى ضربت.." (٢)

"قال وكان أول ما ابتدءوا به أمرهم بعد قتل الحسين فى سنة إحدى وستين، فما زالوا فى جمع آلة الحرب ودعاء الناس، فى السر إلى أن هلك يزيد بن معاوية فى سنة أربع وستين، فجاء إلى سليمان أصحابه فقالوا: قد مات هذا الطاغية، والأمر ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة- ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ثم ندعو الناس إلى أهل هذا البيت [١] . فقال لهم سليمان: «لا تعجلوا، إنى قد نظرت فيما ذكرتم، فرأيت قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب، ومتى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٤٩٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٥٢٩

علموا ذلك كانوا أشد عليكم، ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزرا لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا إلى أمركم» ؛ ففعلوا فاستجاب لهم ناس كثير.

ثم إن أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير، فلما مضت ستة أشهر من وفاة يزيد قدم المختار بن أبى عبيد إلى الكوفة فى النصف من شهر رمضان، وقدم عبد الله بن زيد الخطمى الأنصارى أميرا على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير لثمان خلون [٢] من شهر رمضان، وقدم إبراهيم بن محمد بن طلحة معه على الخراج.

فأخذ المختار بن أبي عبيد يدعو الناس إلى قتال قتلة حسين ويقول:

---

[١] زاد ابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ٣٣٤ قولهم: «المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم» .

[٢] فى الكامل «بقين» .." (١)

"خرجنا، إنما خرجنا لنطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم.

فلما عزم على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل: إنى قد رأيت رأيا، إن يكن صوابا فالله الموفق، وإن؟؟؟ يكن ليس بصواب فالرأى ما تراه، إنا خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلته كلهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد ورءوس الأرباع والقبائل، فأين تذهب من ههنا وتدع الأوتار [١] . فقال أصحابه: هذا هو الرأى.

فقال سليمان: أنا لا أرى ذلك، إن الذى قتله وعبأ الجنود إليه وقال: «لا أمان له عندى دون أن يستسلم فأمضى فيه حكمى» هذا الفاسق ابن الفاسق، عبيد الله بن زياد، فسيروا على بركة الله إليه، فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون منه، ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم فى عافيته،؟؟؟ فينظرون إلى كل من شرك فى دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلين، وما عند الله خير للأبرار، فاستخيروا الله وسيروا.

وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد، فأتياه فى أشراف أهل الكوفة، ولم يصحبهم من له شرك فى دم الحسين خوفا منهم، فلما أتياه قال له عبد الله بن يزيد:

إن المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يغشه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا فى أنفسكم،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٥٣٠

[١] الأوتار: جمع وتر، بمعنى ثأر." (١)

"إن سليمان إنما خرج يريد قتال عدوكم، والمختار يريد أن يثب عليكم فى مصركم، فأتوه، وأخذوه بغتة، وحملوه إلى السجن، فكان يقول فى السجن: أماورب البحار، والنخيل والأشجار، والمهامه، والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، ومهند بتار، وجموع «١» الأنصار، وليسوا بميل أغمار، ولا بعزل «٢» أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأبت شعب صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت بثأر النبيين، لم يكبر علي زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى.

وقيل فى خروج المختار إلى الكوفة غير ما تقدم، وهو أنه قال لعبد الله بن الزبير وهو عنده: إنى لأعلم قوما لو أن لهم رجلا له علم بما يأتى ويذر لاستخرج لك منهم جندا يقاتل بهم أهل الشام. قال: من هؤلاء؟ قال: شيعة علي [رضى الله عنه] «٣» بالكوفة، قال: فكن أنت ذلك الرجل؛ فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها يبكى على الحسين ويذكر مصابه حتى ألفه الناس وأحبوه، فنقلوه إلى وسط الكوفة، وأتاه منهم بشر كثير.

[والله أعلم «٤»] .." (٢)

"ذكر وثوب المختار بالكوفة

كان وثوب المختار بالكوفة فى رابع عشر شهر ربيع الأول سنة [٦٦ هـ] ست وستين، وكان سبب ذلك أنه لما قتل سليمان بن صرد قدم من بقى من أصحابه إلى الكوفة، وكان المختار محبوسا كما ذكرنا، فكتب إليهم من السجن يثنى عليهم، ويمنيهم الظفر، ويعرفهم أن محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية أمره بطلب الثأر، فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى، وسعد بن حذيفة بن اليمان، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شميط «١» ، وعبد الله بن شداد البجلى، وعبد الله بن كامل.

فلما قرءوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون: إننا بحيث يسرك، فإن شئت أن نأتيك ونخرجك «٢» من الحبس فعلنا، فقال:

إنى أخرج فى أيامى هذه. وكان المختار قد أرسل إلى عبد الله ابن عمر يقول: إنى حبست مظلوما، وطلب [منه] «٣» أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة.

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٣٤/٢٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١/٢١

فكتب ابن عمر إليهما فى أمره، فشفعاه فيه، وأخرجاه من السجن، وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة، ولا يخرج عليهما مادام لهما سلطان، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة، ومماليكه أحرار.." (١)

"فرجع عباد وأخبر مصعبا، فقال: ارجع فاحمل عليهم، فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه، وحمل المهلب على ابن كامل حملة بعد أخرى، فهزمهم، وثبت ابن كامل ساعة فى رجال من همدان، ثم انصرف، وحمل الناس جميعا على ابن شميط، فقاتل حتى قتل، وانهزم أصحابه، وبعث مصعب عبادا على الخيل، وقال له: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه، وسرح محمد بن الأشعث فى خيل عظيمة من أهل الكوفة، وقال: دونكم ثأركم فكانوا [حيث انهزموا] «١» .

أشد على المنهزمين من أهل البصرة، فلم يدركوا منهزما إلا قتلوه، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل.

ثم أقبل مصعب حتى قطع من تلقاء واسط، [القصب] «٢» ، ولم تكن [واسط] «٣» بنيت بعد، فأخذ فى كسكر، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء فى السفن، فأخذوا فى نهر خرشاذ «٤» ، ثم خرجوا إلى نهر قوسان، ثم خرجوا إلى نهر الفرات، وأتى المختار خبر الهزيمة والقتلى «٥» ، فقال: ما من الموت بد، وما من ميتة أموتها أحب إلى من أن أموت مثل موتة ابن شميط.

ولما بلغه أن مصعبا قد أقبل إليه فى البر والبحر سار حتى نزل السيلحين «٦» ، ونظر إلى مجتمع الأنهار، نهر الخريرة «٧» ، ونهر." (٢)

"ابن ناشب، شفع فيه بعض من معه فأطلقه، والآخر جيهان ابن مشجعة الضبى، وكان قد منع القوم من قتل محمد عبد الله، ورمى نفسه عليه، فأبوا، فتركه لذلك، والآخر رجل من بنى سعد من تميم، وهو الذى رد الناس عن ابن خازم يوم لحقوه، وقال:

انصرفوا عن فارس مضر.

قال: ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبى، واعتمد على رمحه، فوثب الخندق، ثم أقبل إلى ابن خازم يحجل فى قيوده؛ فقال له ابن خازم: كيف شكرك إن أطلقتك وأطعمتك ميسان؟ قال: لو لم تصنع بى إلا حقن دمى لشكرتك، فلم يمكنه ابنه موسى من إطلاقه، فقال له أبوه: ويحك، تقتل مثل زهير، من لقتال عدو

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٦/٢١

المسلمين، من «١» لنساء العرب؟ فقال: والله لو شركت فى دم أخى لقتلتك، فأمر بقتله، فقال زهير: [إن] «٢» لى حاجة، لا تقتلنى وتخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام، فقد نهيتهم عما صنعوا، وأمرتهم أن يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين، وايم الله لو فعلوا لذعروا «٣» بنيك هذا. وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية.

وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير.." (١)

"لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لحسان صدعا بيننا متنائيا

فلم ترمني نبوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبي ورائيا «١»

عشية أدعو «٢» بالقران فلا أرى ... من الناس إلا من على ولاليا

أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيامي وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنحط «٣» الخيل بالقنا ... ويثأر من نسوان كلب نسائيا

فأجابه جواس بن القعطل «٤» :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... على زفرداء «٥» من الداء باقيا

مقيما ثوى بين الضلوع محله ... وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

تبكى على قتلى سليم وعامر ... وذبيان معذورا وتبكى البواكيا

دعا بسلاح «٦» ثم أحجم إذرأى ... سيوف جناب والطوال المذايا

عليها كأسد الغاب فتيان نجدة ... إذا أشرعوا نحو الطعان العواليا." (٢)

"وأمر بعمرو فصرع، وجلس على صدره فذبحه، وهو يقول «١» :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى ... أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض عبد الملك برعدة «٢» ، فحمل عن صدره، ووضع على سريره.

ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان ومواليهم، فقاتلوهم، وجاء عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى، فدفع إليه الرأس فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان، فأخذ المال فى البدر، فجعل يلقيها إلى الناس، فلما رأى الناس الرأس والأموال انتهبوا وتفرقوا.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٦/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩٣/٢١

ثم أمر عبد الملك بعد ذلك بتلك الأموال فجبيت حتى عادت إلى بيت المال.

قال: وأخرج عبد الملك سريره إلى المسجد، وخرج، فجلس عليه، وفقد الوليد ابنه، فقال: والله، لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم، فأتاه إبراهيم بن عربى الكنانى، فقال: الوليد عندى وقد جرح، وليس عليه بأس.

وأتى عبد الملك بيحيي بن سعيد فأمر أن يقتل؛ فقام إليه عبد العزيز ابن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، أتراك قاتل بنى أمية فى يوم واحد، فأمر بيحيي فحبس، وأراد قتل عنبسه بن سعيد، فشفع فيه عبد العزيز أيضا، وشفع فى عامر بن الأسود الكلبي، وأمر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا؛ ثم خرجوا مع عمهم يحيي، فألحقهم بمصعب. ثم بعث عبد الملك إلى امرأة عمرو الكلبية:." (١)

"وقيس عيلان حتى أقبلوا «١» رقصا ... فبايعوا لك قسرا بعد ما قهروا

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم ... وقيس عيلان من أخلاقها الضجر «٢»

وكان مقتل عمير بن الحباب فى سنة [٧٠ هـ] سبعين [كما تقدم] «٣» .

ذكر الحرب بعد مقتل عمير بن الحباب السلمى

قال: ولما قتل عمير أتى ابنه تميم زفر بن الحارث، فسأله الطلب بثأره، فامتنع فقال له ابنه الهذيل بن زفر: والله لئن ظفرت بهم تغلب إن ذلك لعار عليك، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم إن ذلك لأشد، فاستخلف زفر على قرقيسياء أخاه أوس بن الحارث ووجه زفر خيلا إلى بنى فدوكس «٤» ، وهم بطن من تغلب، فقتل رجالهم، واستبيحت الأموال [والنساء] «٥» حتى لم يبق منهم غير امرأة واحدة استجارت، فأجارها يزيد بن حمران، ووجه ابنه الهذيل فى جيش إلى بنى كعب بن زهير، فقتل فيهم قتلا ذريعا، وبعث أيضا مسلم بن ربيعة العقيلى إلى قوم من تغلب وقد اجتمعوا «٦» بالعقيق من أرض الموصل، فلما أحسوا به ارتحلوا يريدون عبور دجلة، فلما صاروا بالكحيل وهو من أرض الموصل فى جانب دجلة." (٢)

"وفيها توفى محمد بن على بن أبى طالب [رضى الله عنهما] «١» ، وهو ابن الحنفية، ومات جماعة من الصحابة رضى الله [تعالى] «٢» عنهم [أجمعين] «٣» .

سنة (٨١ هـ) احدى وثمانين:

ذكر مقتل بحير بن ورقاء

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٠٤/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١٦/٢١

[بشر القاتل بالقتل لأنه كان سببا وباعثا لقتل بكير بن وساج] «٤» فى هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمى. وكان سبب قتله أنه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما كان تميميا- قال عثمان بن رجاء ابن جابر أحد بنى «٥» عوف بن سعد من الأبناء، والأبناء عدة بطون من تميم، يحرض «٦» بعض آل بكير من الأبناء على الطلب بثأره «٧» :

العمرى لقد أغضيت عينا على القذى ... وبت بطينا من رحيق مروق «٨»

وخليت «٩» ثأرا طل واخترت نومة ... ومن شرب «١٠» الصهباء بالوتر يسبق

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة ... تركت بحيرا فى دم مترقرق." (١)

"ما أدركت بثأرك، وقتلت نفسك، وما على بحير بأس! فقال:

لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا. ولقد وجدت ريح بطنه فى يدى.

فحبسه المهلب، ومات بحير من الغد، فقال صعصعة: اصنعوا الآن ما شئتم، أليس قد خلت خدور «١» نساء بنى عوف، وأدركت بثأرى. والله لقد أمكننى منه [ما صنعت] «٢» خاليا غير مرة، فكرهت أن أقتله سرا.

فقال المهلب: ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت من هذا، وأمر بقتله، فقتل.

وقيل: إنه بعثه إلى بحير قبل أن يموت فقتله، وغضبت عوف والأبناء وقالوا: علام قتل صاحبنا، وإنما أخذ بثأره، فنازعتهم مقاعس والبطون، وكلهم بطون من تميم، حتى خاف الناس أن يعظم الأمر، فقال أهل الحجا: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بحير [بواء] «٣» ببكير، فودوا صعصعة، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة «٤» :

لله در فتى تجاوز همه ... دون العراق «٥» مفاوزا وبحورا

ما زال يدئب «٦» نفسه وركابه ... حتى تناول فى الحزون «٧» بحيرا." (٢)

"السند على جبل، فحاصرهم شهورا فصالحوه، وسار إلى السكة «١» ففتحها، ثم قطع نهر بياس «٢» إلى الملتان، فقاتله أهلها وانهزموا، فحصرهم، وجاء إنسان فدله على قطع الماء الذى يدخل المدينة، فقطعه فعطشوا وألقوا بأيديهم، ونزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد، وهم ستة آلاف، وأصابوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢٩/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٢/٢١

ذهبا كثيرا، فجمع فى بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع يلقى إليه من كوة فى وسطه، فسميت الملتان فرج بيت الذهب، والفرج: الثغر، وكان بد الملتان تهدى إليه الأموال من كل مكان ويحج «٣» إليه من البلاد، ويحلقون عنده رءوسهم ولحاهم، ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبى عليه الصلاة والسلام.

وعظمت فتوحاته، فنظر الحجاج فى النفقة على ذلك الثغر، فكانت ستين ألف ألف درهم، ونظر إلى» الذى حمل إليه منه فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف، فقال: ربحنا ستين ألف ألف، وأدركنا ثأرنا ورأس داهر.

قال: واستمر محمد بن القاسم بالهند إلى أن مات الحجاج فى سنة [٩٥ هـ] خمس وتسعين، فأتاه الخبر وهو بالملتان فرجع إلى الرور والبغرور «٥» ، فأعطى الناس، ووجه إلى البيلمان «٦»." (١)

"قال: أنا فيما ترى من الضيق، وقد ضجرت منه، وخراسان شاغرة فهل من حيلة؟ قال: نعم، سرحنى إلى أمير المؤمنين.

فكتب يزيد إلى سليمان وأعلمه بحال العراق، وأثنى على ابن الأهتم وذكر علمه بها، وسيره على البريد؛ فأتى ابن الأهتم سليمان فقال له:

إن يزيد كتب إلى يذكر علمك بالعراق، فكيف «١» علمك بخراسان؟

قال: أنا أعلم الناس بها، ولدت بها ونشأت، ولى بها وبأهلها خبر.

قال: فأشر على برجل أوليه خراسان. قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يريد، فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه، فسمى رجلا من قريش، فقال: ليس من رجال خراسان. قال: فعبد الملك بن المهلب.

فقال: لا يصلح، فإنه يضيق عن هذا، وليس له مكر أبيه ولا شجاعته «٢» ، حتى ذكر رجالا، وكان آخر من ذكر وكيع ابن أبى سود، فقال: يا أمير المؤمنين، وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام، وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندى يدا من وكيع، لقد أدرك بثأرى وشفانى من عدوى، ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا، والنصيحة له تلزمنى، إن وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة، خامل فى الجماعة، نابه «٣» فى الفتنة.

قال: فمن لها ويحك! قال: رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٠٧/٢١

قال: فمن هو؟ قال: لا أذكره حتى يضمن لى أمير المؤمنين ستر ذلك، وأن يجيرنى منه إن علم. قال: نعم، قال: يزيد بن المهلب.." (١)

"ذكر دخول أبي حمزة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

قال: ودخل أبو حمزة المدينة فى ثالث [عشر] «١» صفر، ومضى عبد الواحد إلى الشام.

ولما دخل أبو حمزة رقى المنبر فخطب، وقال: يأهل المدينة، مررت زمان الأحول- يعنى هشام بن عبد الملك- وقد أصاب ثماركم عاهة، فكتبتم إليه تسألونه أن يضع عنكم خرصكم «٢» . ففعل فزاد الغنى غنى والفقير فقرا، فقلتم له: جزاك الله خيرا، فلا جزاكم الله خيرا، ولا جزاه. واعلموا يأهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا أشرا ولا بطرا، ولا عبثا ولا لدولة [ملك] «٣» نريد أن نخوض فيه «٤» ولا لثأر قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط- ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعى الله، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض؛ فأقبلنا من قبائل شتى، ونحن قليلون مستضعفون فى الأرض.

فآوانا وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخوانا.

ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بنى مروان، فشتان- لعمر الله- ما بين الغى والرشد. ثم أقبلوا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه،." (٢)

"محمد بن على كتابا، ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها، وذلك فى سنة مائة من الهجرة.

[في سنة اربع ومائة من الهجرة]

ذكر مولد أبي العباس السفاح

قال: كان عبد الملك بن مروان قد منع محمد بن على أباه من زواج أمه، وهى ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان «١» الحارثى، ثم منعه الوليد وسليمان بعده لأنهم كانوا يرون أن ملكهم يزول على يد رجل من بنى العباس يقال له ابن الحارثية، فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكى محمد بن على ذلك، وسأله ألا يمنعه من زواجها وكانت بنت خاله، فقال له عمر:

تزوج من شئت فتزوجها، فولدت له أبا العباس السفاح فى شهر ربيع الآخر سنة أربع ومائة، ووصل إلى أبيه

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٥/٢١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٣٣/٢١

محمد بن على أبو محمد الصادق من خراسان فى عدة من أصحابه، فأخرج إليهم أبا العباس فى خرقة وله خمسة عشر يوما، وقال لهم هذا صاحبكم الذى يتم الأمر على يديه، فقبلوا أطرافه، وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم.

وفى سنة خمس ومائة:

قدم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن، فلما عزل الجنيد قدم بكير إلى الكوفة، ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب، فلقى أبا عكرمة الصادق، وميسرة، ومحمد بن خنيس، وسالم الأعين، وأبا يحيي مولى بنى مسلمة، فذكروا له أمر دعوة بنى هاشم فقبل ذلك، وأنفق ما معه عليهم ودخل إلى محمد بن على، فأقامه مقامه.

وفى سنة سبع ومائة.

وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة ومحمد بن خنيس." (١)

"بمصر. ولما وصل الرأس الى السفاح كان بالكوفة، فلما رآه سجد ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذى أظهرنى عليك، وأظفرنى بك، ولم يبق ثأرى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين، ثم تمثل:

لو يشربون دمى لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

قال: ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التى فيها حرم مروان، وكان قد وكل بهن خادما له، وأمره أن يقتلهن بعده، فأخذه عامر وأخذهن، وهن نساء مروان وبناته، فسيرهن إلى صالح بن على، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت: يا عم أمير المؤمنين، حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك، فليسعنا من عفوك ما وسعكم من جورنا، قال: إذن لا أستبقى منكن واحدة، ألم يقتل أبوك ابن أخى إبراهيم؟! ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين وصلبه فى الكوفة؟! ألم يقتل الوليد بن يزيد- يحيى بن زيد وصلبه بخراسان؟! ألم يقتل ابن زياد الدعى مسلم بن عقيل؟! ألم يقتل يزيد بن معاوية- الحسين بن على وأهل بيته؟! ألم يخرج إليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا فوقفهن موقف السبي؟! ألم يحمل إليه رأس الحسين وقد فرغ دماغه؟! فما الذى يحملنى على الإبقاء عليكن؟! قالت: فليسعنا عفوكم، أما هذا فنعم، وإن أحببت زوجتك ابنى الفضل، فقالت: بل تحملنا إلى حران، فحملهن إليها.

ذكر من قتل من بنى أمية بعد مقتل مروان بن محمد

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢/١٢

قال: دخل سديف مولى للسفاح عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه السفاح، فقال سديف:

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا." (١)

"من أصحابهما صبرا، وصلب ابن عائشة- وهو أول عباسى صلب فى الإسلام، ثم أنزل وكفن وصلى عليه ودفن بمقابر قريش.

ذكر ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدى

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر أخذ إبراهيم بن المهدى، وهو متنقب فى زى امرأة بين امرأتين، أخذه حارس أسود ليلا وقال له ولهن:

أين تردن فى هذا الوقت؟! فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان فى يده، فاستراب منه الحارس ورفعهن إلى صاحب المسلحة «١» ، فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن، فامتنع إبراهيم فجذبه فبدت لحيته، فدفعه إلى صاحب الجسر فعرفه، فذهب به إلى باب المأمون وأعلمه به، فأمره بالاحتفاظ به إلى باكر النهار، فلما كان الغد أقعد إبراهيم فى دار المأمون. والمقنعة فى عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس، ويعلموا كيف أخذ، ثم حوله إلى أحمد بن أبى خالد فحبسه عنده، ثم شفع فيه الحسن بن سهل- وقيل ابنته بوران لما بنى بها المأمون. وقيل إن إبراهيم لما أخذ حمل إلى دار أبى إسحاق المعتصم، وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديفا لفرج «٢» التركى، فلما دخل على المأمون قال له: هيه يا إبراهيم، فقال: يا أمير المؤمنين ولى الثأر محكم فى القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الأغترار- بما مد له من أسباب الشقاء- أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك، فقال: بل أعفو يا إبراهيم، فكبر وسجد. وقيل بل كتب إبراهيم هذا الكلام إلى المأمون وهو مختف، فوقع المأمون فى رقعته:

القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل، وهو أكبر ما نسأله «٣» ، فامتدحه إبراهيم بن المهدى بقصيدته التى هى:." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٩/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١٥/٢٢

"ما إن عصيتك والغواة تقودنى «١» ... أسبابها إلا بنية طائع

حتى إذا علقت «٢» حبائل شقوتى ... بردى إلى حفر المهالك هائع

لم أدر أن لمثل جرمى غافرا ... فوقفت أنظر «٣» أى حتف مصارعى «٤»

رد الحياة على بعد ذهابها ... ورع الإمام القادر «٥» المتواضع

ومنها:

كم من يد لك لم «٦» تحدثنى بها ... نفسى إذا آلت إلى مطامعى

أسديتها عفوا إلى هنيئة ... وشكرت مصطنعا لأكرم صانع

إن الذى قسم الخلافة حازها ... من صلب آدم فى الإمام «٧» السابع

جمع القلوب عليك جامع أمرها ... وحوى رداؤك كل خير جامع

قال: فلما أنشدها قال المأمون: أقول كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين «٨» .

وروى أبو الفرج الأصفهانى بسنده عن محمد بن عمرو الأنبارى قال «٩» : لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدى أحب أن يوبخه على رءوس الناس، فجيء بإبراهيم يحجل فى قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا كلأك ولا رعاك يا إبراهيم، فقال له: على رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولى ثأرى، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الأغترار فى الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبى فوق." (١)

"وأراد ابن حمدان الخروج من الدار فتعلق به القاهر وقال:

أنا فى ذمامك فقال: والله لا أسلمك أبدا! وأخذ بيده وقال: قم بنا نخرج جميعا، وأدعو أصحابى وعشيرتى فيقاتلون دونك! فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقة ومعهما فائق المعروف بوجه القصعة، فأشرف القاهر من سطح فرأى كثرة الجمع، فنزل هو وابن حمدان وفائق فقال ابن حمدان للقاهر: قف حتى أعود إليك! ونزع سواده وثيابه وأخذ جبة صوف لغلام هناك فلبسها ومشى نحو باب النوبى «١» فرآه مغلقا والناس حوله. فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة، وأمر من معه من الخدم بقتلهما أخذا بثأر المقتدر وما صنعا به، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح «٢» ، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده فقاتلهم فقتلوه، وهرب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢/٢١٧

القاهر إلى آخر البستان واختفى.

وأما الرجالة فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال: ما الذى تريدون؟ قالوا: نريد المقتدر! فأمر/ بتسليمه إليهم فامتنع المقتدر من ذلك وخاف أن تكون حيلة، فحمل وأخرج إليهم فحملوه على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة. فلما حصل فى الصحن التسعينى اطمأن وجلس وسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل إنهما حيان فامنهما بخطه، وأمر خادما بالسرعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على أبى الهيجاء حادث، فمضى بالخط إليه فلقيه خادم." (١)

"القنطرة ليفتحه على سكر، فمنعه الحرس فعاد. فلما صحا من سكره خاف فهرب إلى طليطلة واجتمع إليه كثير ممن يريد الخلاف والثمر فعاجله عبد الرحمن بإنفاذ الجيوش، فحصره فى مكان كان قد تحصن به، فطلب السلمى البراز فبرز إليه عبد أسود فاختلفا ضربتين فوقعا صريعين وماتا جميعا.

وفى سنة ثلاث وستين ومائة أظهر الأمير عبد الرحمن النجهز إلى الخروج لقصد الشام لطلب الثأر من بنى العباس فعصى عليه سليمان بن يقظان والحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى بسرقسطة «١» واشتد أمرهما فرجع عن ذلك وترك ما كان أظهره منه.

وفى سنة خمس وستين ومائة غدر الحسين بن يحيى بسرقسطة ونكث، فسير إليه عبد الرحمن غالب بن تمام بن علقمة فى جند كثيف فاقتتلوا، فأسر جماعة من أصحاب الحسين فيهم ابنه عيسى، فسيرهم إلى عبد الرحمن/ فقتلهم، وأقام غالب بن تمام بن علقمة يحاصر الحسين. ثم سار عبد الرحمن فى سنة ست وستين إلى سرقسطة فحصرها وضايقها ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقا، فملكها عنوة وقتل الحسين أقبح قتلة، ونفى أهل سرقسطة منها ليمين كانت تقدمت منه، ثم ردهم إليها.." (٢)

"فعزم زهير بن قيس على قتال البربر فخالفه بعض أصحابه «١» ففارق القيروان، وسار إلى برقة وأقام بها. وتبعه أكثر الناس. وأما كسيلة فاجتمع إليه جمع كبير «٢» فقصد القيروان وبها أصحاب الأثقال والذرارى من المسلمين. فطلبوا الأمان من كسيلة فأمنهم.

ودخل القيروان واستولى على إفريقية. وأقام بها إلى أن قوى أمر عبد الملك بن مروان. فذكر عنده أمر القيروان ومن بها من المسلمين.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٦/٢٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٨/٢٣

فأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إليها، ليستنقذها من يد كسيلة.

فاستعمل عليها زهير بن قيس «٣» .

ذكر ولاية زهير بن قيس البلوى وقتل كسيلة البربرى

قال: ولما أشير على عبد الملك بن مروان بإرسال الجيش إلى إفريقية، قال: «لا يصلح للطلب بثأر عقبة بن نافع من المشركين إلا من هو مثله فى دين الله عز وجل» . فاتفق رأيهم على زهير بن قيس، وقالوا: «هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وأولاهم بطلب ثأره» . وكان زهير ببرقة مرابطا منذ قفل من إفريقية. فكتب إليه عبد الملك بالخروج على أعنة الخيل إلى إفريقية. فكتب إليه زهير يستمده بالرجال والأموال. فوجه إليه بالأموال ووجوه أهل الشام.." (١)

"فلما التقيا، قال حبيب لعمه إلياس: «لم نقتل موالينا وصنائعنا بيننا وهم لنا حصن؟ ولكن ابرز أنت وأنا، فأينا قتل صاحبه استراح منه: إن قتلتنى ألحقتنى بأبى، وإن قتلتك أدركت ثأرى منك» . فارتاب إلياس ساعة. فنادى الناس: «قد أنصفك فلاتجبن، فإن ذلك سبة «١» عليك وعلى ولدك من بعدك» . فخرج كل منهما إلى صاحبه والتقيا ساعة. فضرب إلياس حبيبا فأعمل السيف فى ثيابه ودرعه ووصل إلى جسمه «٢» . فعطف حبيب عليه وضربه بالسيف ضربة سقط بها عن فرسه إلى الأرض. فألقى حبيب نفسه عليه فحز رأسه ثم أمر برفعه على رمح. وهرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه إلى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة «٣» ودخل حبيب القيروان وبين يديه رأس إلياس، ورأس محمد بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع عم أبيه، ورأس محمد بن المغيرة بن عبد الرحمن القرشى. وجاءه محمد بن عمرو بن مصعب الفزارى وهو زوج عمة أبيه مهنئا له، فضرب عنقه. وكان ذلك كله فى شهر رجب سنة ثمان وثلاثين ومائة.

قال: ولما وصل عبد الوارث بن حبيب ومن معه إلى ورفجومة نزلوا على عاصم بن جميل الورفجومى. فكتب إليه حبيب يأمره أن يوجه بهم إليه، فلم يفعل، فنهد «٤» إليه حبيب. ولقيه عاصم واقتتلوا فانهزم حبيب. وكان قد استخلف على القيروان أبا كريب جميل بن." (٢)

"الجواب إليه، وإلى النوشرى يؤمر فيه أن يبعث إليه بكل من تخلف عنه. ففعل النوشرى ورد غلمانه وأصحابه إليه.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٢٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٠/٢٤

وسار زيادة الله حتى وصل إلى الرقة. وكتب إلى ابن الفرات الوزير أن يستأذن له المقتدر بالله فى الدخول إلى الحضرة. فأتاه كتاب يؤمر فيه بالإقامة فى الرقة حتى يأتيه رأى المقتدر. فأقام بها سنة فتفرق عنه رجاله وتشتت أمره. وباع عليه قاضى الرقة بعض خصيانه، وذلك أنه كان معه خصيان لهم وضاءة وجمال. فلما أقام بالرقة أدمن شرب الخمر وسماع الملاهى. فاحتسب عليه محتسب عند القاضى، وأقام بينة شهدت عليه أنه يفجر بأولئك الصقالبة. فباعهم عليه.

وتلطف زيادة الله فى الدخول على المقتدر بالله فلم يؤذن له. وصرفه إلى النوشرى وابن بسطام بمصر. وكتب المقتدر إليهما بتقويته بالرجال وأن يعطى من خراج مصر ما يقيم أود عسكره حتى يعود إلى المغرب ويطلب بثأره ويسترجع دولته.

فلما وصل إلى مصر شقها متقلدا بسيفين. فأخرجه النوشرى إلى ظاهرها «١» وقال له: «تكون متبرزا حتى تأتيك الرجال والأموال» .

وجعل يمطله ويسوف به ويتحفه بالهدايا والخمور. فأقام على اتباع شهواته والانهماك على لذاته حتى أنفق ما كان معه وباع السلاح والعدة.

ثم اعتل فيقال إن بعض عبيده سمه فى طعام فسقط. شعر لحيته." (١)

"وكان شهما شجاعا كريما حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة ذكيا حسن الشعر. فمن شعره ما قاله وقد وقع «١» حرب بين طائفتين من العرب، وهما عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه، وكان صلحهم مما يضر بتميم وبلاده، فقال أبياتا يحرض فيها على الطلب بدم المقتول، وهى:

متى كانت دماؤكم تطل ... أما فيكم بثأر مستقل

أغانم ثم سالم إن فشلتم ... فما كانت أوائلكم تذل

ونمتم عن طلاب الثأر حتى ... كأن العز فيكم مضمحل

وما كسرتم فيه العوالى ... ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميرا من بنى عدى. فقامت الحرب بينهم واشتد القتال، وكثرت القتلى بينهم حتى أخرجوا بنى عدى من إفريقية، وبلغ تميم فيهم ما يريد. وكان يوقع بالشعر الحروب بين العرب فبلغ «٢» بلسانه ما لم يبلغه»

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٢/٢٤

بسنانه.

ومن أخباره فى رعيته وشفقته عليهم ما حكى أنه اشترى «٤» جارية بثمن كثير. فبلغه أن مولاها الذى باعها ذهب عقله وأسف." (١)

"الحمام صحبته أن يكتب بخطه: «إننا لما وصلنا إلى قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية. فسألناهم عن الأسطول المخذول، فذكروا أنه أقلع إلى القسطنطينية» . وأطلق الحمام فوصل إلى المهدية فسر الأمير والناس، وأراد جرجى بذلك أن يصل بغتة.

ثم سار الأصطول من قوصرة فوصل إلى المهدية فى ثانى صفر «١» فأرسل مقدم الأسطول إلى الحسن يقول: «إنا لم نأت إلا طلبا بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها «٢» . (وكان قد أخرج منها وبينه وبين الفرنج مودة ومصالحة) . وأما أنت فبيننا وبينك عهود ومواثيق إلى مدة، ونريد منك عهودا ومواثيق إلى مدة. ونريد منك عسكرا يكون معنا» .

فجمع الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم. فقالوا:

«نقاتل عدونا فإن بلدنا حصين «٣» » . فقال: «نخشى أن ينزلوا إلى البر، ويحصرونا برا وبحرا، وتنقطع الميرة عنا وليس عندنا ما يقوم بنا شهرا واحدا. وأنا أرى سلامة المسلمين من القتل والأسر خيرا من الملك. وقد طلب منى عسكرا إلى قابس، فإن فعلت فما يحل إعانة الكفار على المسلمين، وإن امتنعت يقول: انتقض ما بيننا من الصلح. وليس لنا بقتاله طاقة. والرأى عندى أن نخرج بالأهل والولد، ونترك البلد. فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا» . وأمر فى الحال بالرحيل وأخذ معه ما خف حمله." (٢)

"ثم خرجتم على بنى أمية، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء، وحملوكم بلا وطاء فى المحامل، كالسبى المجلوب إلى الشام، حتى خرجنا عليهم وطلبنا بثأركم، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم، وسنينا سلفكم وفضلناه فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له، على حمزة والعباس وجعفر، وليس ذلك كما ظننت، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين، متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل، وابتلى أبوك بالقتال والحرب، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٦/٢٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٨/٢٤

عليهم «١» وذكرناهم فضله، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه. ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزم، فصارت للعباس من بين إخوته، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام، ولقد قحط أهل المدينة، فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا، حتى نعشهم «٢» الله وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وسلم غيره، فكانت وراثته من عمومته، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم، فلم ينله إلا ولده، فالسقاية سقايته، وميراث النبى صلى الله عليه وسلم له، والخلافة في." (١)

"ولده، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام- فى دنيا ولا آخرة- إلا والعباس وارثه ومورثه. أما ما ذكرت من بدر فإن الاسلام جاء، والعباس يمون أبا طالب وعياله، وينفق عليهم للأزمة التى أصابته، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا، وللحسا جفان عتبة وشيبة، ولكنه كان من المطعمين، فأذهب عنكم العار والسبة، وكفاكم النفقة والمؤونة، ثم فدا عقيلا يوم بدر، فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر، وفديناكم وحزنا عليكم مكارم الآباء، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدركوا لأنفسكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

وكان محمد قد استعمل الحسن «١» بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على مكة، والقاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى ابن عبد الله على الشام، فأما الحسن والقاسم فسارا إلى مكة، فخرج إليها السرى بن عبد الله، عامل المنصور على مكة، فلقيهما ببطن أذاخر فهزماه، ودخل الحسن «٢» مكة وأقام بها يسيرا، فأتاه كتاب محمد بن عبد الله يأمره بالمسير إليه فيمن معه، ويخبره بمسير عيسى ابن موسى إليه ليحاربه، فسار إليه من مكة هو والقاسم، فبلغه بنواحى قديد قتل محمد، فهرب هو وأصحابه وتفرقوا، فلحق الحسن بإبراهيم فأقام عنده حتى قتل إبراهيم، واختفى القاسم بالمدينة." (٢)

"محمد فكتب إليه يطلب المسالمة، فأجابه إلى ذلك على مال يؤديه إليه، فحمل إليه مائتى ألف درهم فأنفذها إلى صاحب الزنج، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وأعماله.

وفيها كانت وقعة للزنج انهزموا فيها، وكان سببها أن محمد بن عبيد الله كتب إلى على بن أبان بعد الصلح يسأله المعونة على طائفة من الأكراد، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم، فكتب على إلى صاحبه يستأذنه،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٧/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٨/٢٥

فكتب إليه أن: وجه إليه جيشا وأقم أنت، ولا تنفذ حتى تستوثق منه بالرهن، ولا تأمن غدره والطلب بثأره، فكتب على إلى محمد يطلب منه اليمين والرهائن، فبذل له اليمين ومطله بالرهائن، فلحرص على على الغنائم أنفذ إليه جيشا، فسير محمد معهم طائفة من أصحابه إلى الأكراد، فخرج إليهم الأكراد فقاتلوهم ونشبت الحرب، فتخلى أصحاب محمد عن الزنج فانهزموا، وقتلت الأكراد منهم خلقا كثيرا، وكان محمد قد أعد لهم من يتعرض لهم إذا انهزموا، فأوقعوا بهم وسلبوهم وأخذوا دوابهم، ورجعوا بأسوأ حال، فكتب على إلى صاحب الزنج يعرفه فقال: ضيعت أمرى في ترك الرهائن، وكتب إلى محمد يتهدده فخاف محمد، وكتب يخضع ويذل ورد بعض الدواب، وقال: إننى كبست من كانت عندهم، وخلصت هذه منهم، فأظهر صاحب الزنج الغضب عليه، فأرسل محمد إلى بهبوذ ومحمد بن يحيى الكرمانى، وكان أقرب الناس إلى على، فضمن لهما ما لا إن أصلحا له عليا وصاحبه ففعلا ذلك، وأجابهما صاحب الزنج بالرضا عن محمد، على أن يخطب له على منابر بلاده، فأعلما محمدا ذلك فأجابهما إلى جميع ما طلبا، وجعل." (١)

"ابن أبان إلى ذلك دون نقل طعام كان هناك، فأجابه يعقوب إلى ما طلب ونقل الطعام، وترك العلف بالأهواز وكف بعضهم عن بعض.

ذكر وفاة يعقوب بن الليث وولاية أخيه عمرو

كانت وفاته في تاسع عشر شوال سنة خمس وستين ومائتين بجنديسابور من كور الأهواز، وكانت علته القولنج فأمره الأطباء بالاحتقان بالدواء، فامتنع واختار الموت على ذلك، وكان المعتمد على الله قد أنفذ إليه رسولا وكتابا يستميله ويسترضيه، وقلده أعمال فارس، فوصل الرسول ويعقوب مريض فجلس له، وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار وبصلا، وأحضر الرسول وسمع رسالته وقال له: قل للخليفة إننى عليل، فإن مت فقد استرحت منك واسترحت منى، وإن عوفيت فليس بينى وبينك إلا هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتعقرنى «١» فأعود إلى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول، فلم يلبث يعقوب أن مات.

وكان الحسن بن زيد العلوى- صاحب طبرستان- يسمى يعقوب السندان لثباته، وكان يعقوب قد افتتح الرخج وقتل ملكها البتبر «٢» وكان هذا الملك يحمل على سرير من ذهب يحمله اثنا عشر رجلا، وابتنى بيتا على جبل عال سماه مكة، وكان يدعى الإلهية فقتله." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٩/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٨٥/٢٥

"شأنه بمصاهرته وعلت همته، فجمع جموعا كثيرة، وسار إلى غزنة ليملكها، وأظهر الخدمة والزيارة لبهرام شاه وهو يريد المكر فعلم به بهرام شاه، فقبض عليه وسجنه ثم قتله، فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الأخذ **بثأره** لتمكن الدولة الغزنويه، ثم ملك بعد محمد أخوه سام بن الحسين، فمات بالجدرى، وملك بعده أخوه سورى ابن الحسين بلاد الغور، وقوى أمره، وتمكن في مملكته، فجمع العساكر، وسار إلى غزنة طالبا **لثأر** أخيه محمد، فلما وصل إليها وملكها في جمادى «١» الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فارقها بهرام شاه إلى بلاد الهند، وجمع جموعا كثيرة، وعاد إلى غزنة، وكان عسكر غزنة الذين أقاموا مع سورى قلوبهم مع بهرام شاه، فلما التقوا انضم عسكر غزنة إلى بهرام، وسلموا إليه سورى وذلك فى المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فصلبه بهرام شاه، وكان سورى هذا من الملوك الأجواد الكرام، حتى إنه كان يرمى الدراهم بالمقاليع ليتوصل بذلك إلى راحة الفقراء، ثم ملك بعده أخوه الحسين ابن الحسين هذا بلاد الغور ومدينتها فيروزكوه «٢» ، فسار في سنة خمس وأربعين إلى مدينة هراة وحصرها، وكان أهلها قد كاتبوه، وطلبوه ليسلموها له هربا من ظلم الأتراك، فلما حاصرها امتنع أهلها عليه ثلاثة أيام، ثم سلموها له، فدخلها، وأظهر طاعة السلطان سنجر ابن ملكشاه السلجقى.." (١)

"وركب الديلم، وأخذوا السلاح، فقتل بعض قواد الأتراك، فطلب الأتراك **بثأر** صاحبهم، وقتلوا من الديلم قائدا، وخرجوا ظاهر البلد، واجتهد بختيار في تسكين الفتنة، فعجز عن ذلك، فجمع الديلم، واستشارهم فيما يفعله، وكان أذنا، فأشاروا عليه بقبض رؤساء الأتراك، فأحضر أزاذرويه، وكاتبه سهل بن بشر، وسباشى الخوارزمى، وبكتيجور، وكان حموا لسبكتكين، فقيدهم، وأطلق أيدى الديلم في الأتراك، فنهبوا أموالهم ودوابهم، وقتل بينهم قتلى، فهرب الأتراك، وأخذ بختيار أقطاع سبكتكين، وأمر فنودى في البصرة بإباحة دم الأتراك. والله أعلم بالصواب.

ذكر حيلة لبختيار عادت عليه

كان بختيار قد واطأ والدته، وإخوته»

أنه إذا كتب إليهم بالقبض على الأتراك يظهرون أن بختيارا قد مات، ويجلسون للعزاء، فإذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه. فلما قبض على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور بذلك، فعندها أوقفوا الصراخ في داره، وأشاعوا موته ظنا منهم أن سبكتكين يحضر إلى عندهم ساعة يصل إليه الخبر، فلما سمع الصراخ أرسل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٨/٢٦

يتعرف الخبر، فأعلموه، فأرسل «٢» يسأل عن الذى أخبرهم، وكيف أتاهم الخبر، فلم يجد نقلا يثق القلب به، فارتاب لذلك، ثم وصلت رسل الأتراك بما جرى." (١)

"بخارى أعمل الحيلة في الظفر بهم؛ فراسل يوسف بن موسى بن سلجق وهو ابن عم طغرلبك، واستماله، وطلب منه الحضور عنده، فأتاه، ففوض إليه على تكين التقدم على جميع الأتراك الذين في ولايته، وأقطعه إقطاعا كبيرا، ولقبه بالأمير اينانج بيغو «١» وقصد بذلك أن يعينه على أولاد عمه وأن يأخذ بعضهم ببعض، فعلم يوسف مراده، فلم يطعه في ذلك، فلما رأى أن مكيدته لم تؤثر، ولا يبلغ بها غرضا، أمر بقتله، فقتله ألب قرا، أحد أمراء على تكين، فعظم ذلك على طغرلبك، وداوود وعشائره، فلبسوا ثياب الحداد، وجمعا من الأتراك ما قدرا على جمعه؛ لطلب ثأر ابن عمهم، وجمع على تكين جيوشه، والتقوا، واقتتلوا، فانهزم عسكر على تكين. «٢» ،

وذلك في سنة عشرين وأربعمائة، ثم قصدا ألب قرا قاتل يوسف بن عمهما، فقتلاه في سنة إحدى وعشرين، وأوقعا بطائفة من عسكر على تكين، فقتلا منهم نحو ألف رجل، فجمع على تكين عساكره، ومن حمل السلاح من أصحابه، وتبعهم خلق كثير من أهل البلاد، وقصدوا السلجقية من كل جانب، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، وسبوا كثيرا من نسائهم، فألجأتهم الضرورة إلى العبور إلى خراسان، فلما عبروا جيحون، كتب إليهم خوارزم شاه هارون بن التونتاش «٣» ، يستدعيهم إليه؛ ليكونوا يدا واحدة، فساروا إليه، واجتمعوا بظاهر خوارزم، فى سنة ست وعشرين وأربعمائة، واطمأنوا." (٢)

"فى خمسين ألفا. فجهز إليه عمه بعض الأمراء فكبسه وهزمه ونهب سواده، فسار إلى أصفهان على ما ذكرناه فى أخباره وخطب للسلطان تاج الدولة ببغداد.

ذكر قتل تاج الدولة تتش

قال: ولما هزم بركياروق سار من موضع الوقعة إلى همذان، ثم سار إلى الرى وكاتب الأمراء الذين بأصفهان يدعوهم إلى طاعته، ويبذل لهم الأموال الكثيرة. وكان بركياروق مريضا بالجدرى، فأجابوه يعدونه أنهم ينحازون إليه، وهم ينتظرون ما يكون من صاحبهم. فلما عوفى بركياروق أرسلوا إلى تتش أنه ليس لك عندنا إلا السيف، وخرجوا له والتقوا بموضع قريب من الرى، وقد كثرت جموع بركياروق، فانهزم أصحاب تتش وثبت هو فى القلب

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩٩/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٧٢/٢٦

فقتله أصحاب قسيم الدولة بثأر صاحبهم، والله أعلم.

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما تتش

قال: كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان. وكتب إليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يأمره بالمسير إلى بغداد، وأن يقيم بدار المملكة. فسار فى عدد كثير منهم إيلغازى بن أرتق، والأمير وثاب بن محمود بن صالح ابن مرداس وغيرهما. فلما قارب هيت جاءه الخبر بقتل أبيه، فعاد إلى حلب ومعه والدته فملكها، وكان بها أبو القاسم بن على." (١)

"ذكر ملك عماد الدين بعلبك

وفى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية ملك [عماد الدين] زنكى مدينة بعلبك وهى لصاحب دمشق. وسبب ذلك أن شهاب الدين محمود صاحب دمشق قتله غلمانه فى هذه السنة كما ذكرنا، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد. وكانت والدة محمود زوجة عماد الدين بحلب، فوجدت لذلك وجدا عظيما وحزنت حزنا شديدا وكتبت إلى أتابك زنكى وهو بالجزيرة تعرفه بالحادثة وتطلب أن يقصد دمشق ويطلب ثأر ولدها. فبادر إلى ذلك ولم يتوقف وعبر الفرات عازما على قصد دمشق. فبلغ ذلك صاحبها فاحتاط واستعد، وسار عماد الدين إلى بعلبك فوصل إليها فى العشرين من ذى القعدة، وضيق على أهلها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقا ترمى ليلا ونهارا. فأشرف أهلها على الهلاك، فطلبوا الأمان فأمنهم وتسلم المدينة. وبقيت القلعة وبها جماعة من شجعان الأتراك، فلما أيسوا من نصرة معين الدين أتابك صاحب دمشق- وكانت بعلبك له- فطلبوا الأمان، فأمنهم وتسلم القلعة منهم. ثم غدر بهم وصلبهم ولم ينج منهم إلا القليل. فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وحذروه ونفروا منه.

قال: ولما فتح بعلبك كان لمعين الدين بها جارية وكان يهواها، فأخذها زنكى وسيرها إلى حلب، فلم تزل بها إلى أن قتل زنكى، فسيرها نور الدين إلى معين الدين، فكانت أعظم أسباب المودة بينهما. قال:." (٢)

"ذكر فتح صافيثا وعريمة

وفى سنة اثنتين وستين وخمسماية جمع نور الدين العساكر وسار إليه أخوه قطب الدين من الموصل واجتمعا على حمص، فدخل بالعساكر إلى بلاد الفرنج بالساحل واجتاز على حصن الأكراد «١» ، فأغاروا ونهبوا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٩/٢٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٧/٢٧

وسبوا. وقصدوا عرقة «٢» فنازلوها وحصروها، وحصروا حلبة وأخذوها وخربوها. وسارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب، وفتحوا العريمة، وصافيثا، وعادوا إلى حمص فصاموا بها شهر رمضان، وكان الفرنج فى سنة ثمان وأربعين قد كبسوا عسكر نور الدين بالبقيعة على حين غفلة من العسكر، فنالوا من المسلمين منالا عظيما، فجعل نور الدين فى مقابلة ذلك فتح حارم وبانياس والمنيطرة وصافيثا وعريمة وتخريب بلادهم، وأدرك ثأره عن غير بعد.

ثم سار بعد شهر رمضان إلى بانياس، وقصد العبور إلى بيروت، فجرى بين العسكر اختلاف أوجب رجوعه. وأعطى قطب الدين فى هذه السنة الرقة، وأعاده إلى بلده. هذا ما فتحه رحمه الله من بلاد الفرنج، فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية.." (١)

"ثأر ابنه. واتفق اختلاف المسلمين، ومفارقة العساكر الخلجية صحبة سيف الدين بغراق وأعظم ملك ومظفر ملك للسلطان جلال الدين بسبب ما وقع منهم عند قسم الغنيمة على ما بيناه فى أخبار جلال الدين.

واجتهد جلال الدين فى ردهم فعجز، ودهمه وصول جنكزخان، ففارق غزنة وتوجه صوب السند، فأدركه جنكزخان قبل عبوره ماء السند فاضطر جلال الدين إلى القتال فكان من أمره وانهزامه وعبوره إلى بلاد الهند ما قدمناه فى أخباره. ولما فارق جلال الدين البلاد رجع جنكزخان إلى غزنة فملكها من غير مدافع ولا ممانع لخلوها من العساكر فقتل التتار أهلها ونهبوا الأموال وسبوا الحريم وألحقوها بخراسان ...

ذكر ملكهم مدينة خوارزم

قال شهاب الدين المنشى: كان حصار خوارزم فى ذى القعدة سنة عشرين وستماية، واستيلاؤهم عليها فى صفر. قال: لما انفصل جلال الدين وإخوته عن خوارزم كما ذكرناه فى أخباره، وافى التتار تخومها، وأقاموا بالبعد منها حتى تكاملت عدتهم وآلات الحصار.

ثم تقدموا إليها. فأول من وصل إليها منهم باجى ملك «١» فى عسكر كثيف ثم بعده أوكتاى «٢» بن جنكزخان وهو الذى انتهت إليه." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٩/٢٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢٩/٢٧

"البحر إلى نحو بيروت، فأوقعت بمراكب الفرنج. وجهز سرية إلى جهة الشوبك «١» فعاثوا فى تلك النواحى، وعادوا سالمين بالغنائم والأسرى.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين قبض الصالح ابن رزيك على الأمير ناصر الدولة ياقوت وأولاده واعتقلهم؛ وسبب ذلك أنه بلغه أنه كاتب أخت الظافر وقصد القيام على الصالح، وكان واليا عاملا على الأعمال القوصية، وهو بالقاهرة. ولم يزل فى حبسه إلى أن توفى فى شهر رجب سنة ثلاث وخمسين.

وفى سنة أربع وخمسين ثار على الصالح طرخان بن سليط بن طريف، متولى الإسكندرية، وجمع جموعا من العربان وغيرها؛ وتقدم بها لحربه؛ فندب الصالح إليه الأمير عز الدين حسام بن فضة بعسكر، فالتقوا واقتتلوا، فهزم حسام جيوشه وظفر به؛ فاعتقله الصالح.

فلما كان فى المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه إسماعيل طلبا لثأره، وتلقب بالملك الهادى؛ فندب الصالح [٩٦] إليه الجيوش. فـربما هجمت عليه هرب وأتى الجيزة، واستتر عند بعض العربان. فلما كان فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر هرب طرخان من الاعتقال هو والموكل به، فقبض عليه فى السادس من الشهر وصلب على باب زويلة، ورمى بالنشاب، ثم مسك أخوه إسماعيل وصلب إلى جانبه بعد ضرب عنقه «٢»

.

وفى سنة أربع وخمسين بنى الصالح حصنا من اللبن على مدينة بلبيس «٣» .." (١)

"بأموالهم وأهليهم، اجتمع بها منهم عالم كثير لا يحصون، وأموال كثيرة، ثم إن الرهبان والقسوس لبسوا السواد وأظهروا الحزن على خروج البيت المقدس عنهم، وتابعهم جماعة من المشهورين.

فأخذهم البطرك «١» ودخل بهم إلى بلاد الفرنج يطوفها بهم ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم، ويحثونهم على الأخذ بثأر البيت المقدس.

وصوروا صورة المسيح عليه السلام وصورة رجل أعرابى والعربى يضربه بين جماعة، وقالوا: هذا المسيح يضربه محمد نبى المسلمين، وقد جرحه وقتله «٢» .

فعظم ذلك على الفرنج وحشدوا، حتى النساء، فإنهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأقران. ومن لم يستطع أن يخرج استأجر عنه أو يعطيهم مالا. فاجتمع لهم من الرجال والأموال مالا يحصى كثرة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢١/٢٨

واجتمعوا بصور والبحر يمدهم بالأموال والأقوات والعدد والذخائر، فضاقت عليهم مدينة صور، باطنها وظاهرها؛ فأرادوا قصد صيدا، فكان من ردهم ما ذكرناه.

فاتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها؛ فساروا إليها بفارسهم وراجلهم، ولزموا البحر فى مسيرهم، لا يفارقونه فى السهل والوعر، ومراكبهم تسايرهم وفيها السلاح والذخائر. فكان رحيلهم من مدينة صور فى ثانى شهر رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ونزولهم." (١)

"ابن القاضى الأعز خلف- أدام الله سعادته، وقرن بالتأييد بدأه وإعادته- ممن سلكت به التجربة حزنا وسهلا «١» ، وراض جامح الأمور ناشئا وكهلا، وتمت كلمات تفضيله بفضائله صدقا وعدلا، وجددت له مساعيه الحميدة ملابس ثناء لا تبلى. وأجلى من أبكار معانيه بدورا لا تعرف أفولا ولا كسوفا، واستل من آرائه شعلا، فلو طبعت لكانت سيوفا. واتسق نظام بلاغته، فكأنه نظام فريد. واستعيدت ألفاظه فما أخلقها العود على المستعيد.

وحلى بدرر مساعيه جيدا من الملك عاطلا، وعاد ربع المكارم بمناقبه عامرا آهلا.

رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى، الملكى المنصورى النورى- شرفه الله وأعلاه، وأنفذه وأمضاه- أن يفوض إليه أمر الوزارة، لما علم فيه من السودد الذى اقتاد به صعب المكارم والمفاخر، التى حاز منها ما لم يحزه الأوائل، وإن جاء فى الزمن الآخر. والفضائل التى فاز منها بقصب السبق، والأحكام التى تحلى فيها بدرر الأناة والرفق. والسياسة التى سلك بها نهج السبيل إلى الحق. والمعالى التى أبدى فى كسبها ما أبداه، من ثغره الضاحك ووجهه الطلق. والنزاهة التى أهلته لأشرف المناصب، وقضت له بسلامة العواقب، والصنايع التى غذت معارفه عند مناكرة النوائب، والمكارم التى لحت فى العلو، فكأنها تحاول أخذ ثأر من الكواكب." (٢)

"وهممنا بالقيام، فأمرنا بالجلوس، فجلسنا. وما ترك عنده إلا من يثق به من خواصه. وقال للمنجم: اضرب الرمل. ففعل. وحدثه بأشياء كثيرة، مما كان فى نفسه.

وكان آخر ما قال له: اضرب وانظر من يملك بعد أستاذى، ومن يكسر التتار؟ فضرب، وحسب حسابا طويلا، وبقى يفكر ويعد أصابعه.

وقال: قد طلع معى خمس حروف بغير نقط، وأبوه أيضا خمس حروف بغير نقط. وأنت اسمك ثلاث حروف،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤١٦/٢٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٦٣/٢٩

وابن السلطان كذلك. فقال له: لم لا تقول: محمود بن ممدود؟ فقال المنجم: لا يقع غير هذا الاسم. فقال قطز: أنا محمود بن ممدود. وأنا أكسر التتار، وآخذ بثأر خالى خوارزم شاه.

ثم استكتمنا هذا الأمر. وأنعم على المنجم بثلاثمائة درهم، وصرفه.

وحكى عن المولى المرحوم تاج الدين أحمد بن الأثير– رحمه الله تعالى– ما معناه:

أن الملك صلاح الدين يوسف صاحب الشام– رحمه الله تعالى– لما كان على برزة «١» ، فى أواخر سنة سبع وخمسين وستمائة– وصل إليه قصاد «٢» من الديار المصرية، بكتب، تتضمن أن قطز قد تسلطن وملك الديار المصرية، وقبض على الملك المنصور بن أستاذه الملك المعز. قال القاضى تاج الدين: فطلبنى السلطان– رحمه الله– فقرأت عليه الكتب.." (١)

"طويلة؛ وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبة وتنقض على الطير فتأكلها، فجاعت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرب: لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم: خالد بن صفوان، فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا.

قال عترة بن الأخرس الطائى في مرثية خالد بن زيد

لقد حلقت بالجود عنقاء كاسر ... كفتخاء دمخ حلقت بالحزور

فما إن لها بيض فيعرف بيضها ... ولا شبه طير منجد أو مغور

وقولهم: «حتام تكرع ولا تنقع» كرع إذا تناول الماء بفيه من موضعه:

يضرب للحريص في جمع الشيء.

وقولهم: «حسبك من إنضاجه أن تقتله» : يضرب لطالب الثأر فيقول:

لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال: لا تعد، حسبك أن تدرك ثأرك وطربتك:

ويضرب لمتجاوز الحد.

حرف الخاء

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٩/ ٤٨١

قولهم: «خير حالبيك تنطحين» : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة، ومثله:

خير إناءيك تكفئين.." (١)

"ذبح الظبي: كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا، فاذا بلغت ضن بها، وعمد الى الظباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر؛ قال الشاعر

عنتا باطلا وزورا كما يعتر ... عن حجرة الربيض الظباء

ومنها: حبس البلايا:

كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره، ويعكسون رأسها الى ذنبها، ويغطون رأسها بولية وهى البردعة، فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك، ليركبها صاحبها في المعاد، ليحشر عليها، فلا يحتاج أن يمشى؛ قال أبو زبيد

كالبلايا رءوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود

ومنها: خروج الهامة: زعموا أن الإنسان اذا قتل، ولم يطالب بثاره، خرج من رأسه طائر يسمى: الهامة، وصاح على قبره: اسقونى! اسقونى! الى أن يطلب بثأره؛ قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى ... أضربك حتى تقول الهامة: اسقونى

ومنها: إغلاق الظهر:

كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة، عمد الى البعير الذى أمات به، فأغلق ظهره لئلا يركب، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره، وإغلاق ظهره أن ينزع سناسن فقرته ويعقر سنامه.

ومنها: التعمية والتفقئة:

وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل يقول: إن ذلك يدفع عنها العين والغارة؛ قال الشاعر

وهبتها وأنت ذو امتنان ... تفقأ فيها أعين البعران

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعمية.." (٢)

"ومنها: بكاء المقتول:

كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يدرك بثأره، واذا أدرك بثأره بكينه؛ قال شاعر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٨/٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢١/٣

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا ينبنه ... يلطمن حر الوجه بالأسحار
ومنها: رمى السن في الشمس:
يقولون: إن الغلام اذا ثغر، فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال: أبدليني أحسن منها، أمن على أسنانه العوج، والفلج، والثعل؛ قال طرفة
بدلته الشمس من منبته ... بردا أبيض مصقول الأشر
ومنها: خضاب النحر:
كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له؛ قال الشاعر
كأن دماء العاديات بنحره ... عصارة حناء بشيب مرجل
ومنها: التصفيق:
كانوا اذا ضل الرجل منهم في الفلاة، قلب ثيابه، وحبس ناقته، وصاح في أذنها كأنه يومىء الى إنسان، وصفق بيديه: الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، الى الى، عجل؛ ثم يحرك الناقة فيهتدى؛ قال الشاعر
وأذن بالتصفيق من ساء ظنه ... فلم يدر من أى اليدين جوابها
يعنى: يسوء ظنه بنفسه اذا ضل.
ومنها: جز النواصى.
كانوا اذا أسروا رجلا، ومنوا عليه فأطلقوه، جزوا ناصيته ووضعوها في الكنانة؛ قال الحطيئة." (١)
"أجرت إلى البحر بحرا من دمائهم ... فراح كالراح «١» إذ غرقاه كالحبب «٢»
وذاب من حرها عنهم حديدهم ... فقيدتهم «٣» به ذعرا يد الرهب «٤»
تحكمت فسطت فيهم قواضيها ... قتلا وعفت لحاويها عن السلب
كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلت ... حواسه فغدا كالمنزل الخرب
كأنه وسنان الرمح يطلبه ... برج هوى ووراه كوكب الذنب
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الوثب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٢/٣

ما بعد عكا، وقد لانت عريكتها ... لديك شيء تلاقيه «٥» على تعب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدت إليك نواصيها بلا نصب
كم قد دعت، وهى فى أسر العدا زمنا ... صيد الملوك فلم تسمع «٦» ولم تجب «٧»
لبيتها «٨» يا صلاح الدين معتقدا ... بأن ظن صلاح الدين لم يخب
أسلت فيها كما سالت دماؤهم ... من قبل إحرازها بحرا من الذهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت ... منه لعمر «٩» طواه الله فى الكتب." (١)

"وكانت هذه القلعة المذكورة للثغور الإسلامية بمنزلة الشجى فى الحلق «١» ، والغلة فى الصدر، والخسوف الطارئ على طلعة البدر. لا تخلو من غل تضمره، فى لين تظهره، وغدر تستره، فى عذر توردە وتصدره. وقد سكن أهلها إلى مخادعة الجار، وموادعة التتار، وممالاتهم على الإسلام بالنفس والمال، ومساواتهم لهم حتى فى الزى والحال. يمدونهم بالهدايا والألطاف، ويدلونهم على عورات الأطراف. وهم يتقون بمسالمة الأيام، ويدعون أن قلعتهم لم تزل من الحوادث فى زمام، ويغترون بها. ولولا السطوات الشريفة، لحق بمثلها أن يغتر.

ويسكنون إلى حصانتها كلما أو مض فى حلك «٢» السحب برق ثغرها المفتر.

وهو حصن صاعد منحدر، بارزه مستدير، لا يطأ إليه السالك إلا على المحاجر، ولا تنظره العيون حتى تبلغ «٣» القلوب الحناجر، كأنه فى ضمائر الجبال حب يقتل وهو كامن، ويجرف الظاهر وهو باطن. قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها. ومدت عليه الغمائم أطنابها ومضاربها. وقد تنافست فيه الرواسى الرواسخ فأخفاه بعضها عن بعض وتقاسمته العناصر فهو للنكاية والرفعة والثبات ومجاورة الفرات مشترك بين النار والهواء والماء والأرض. وقد امتدت الفرات من شرقيها كالسيف فى كف طالب ثأر، واكتنفها من جهة الغرب نهر آخر استدار نحوها كالسور وانعطف معها كالسوار. وفى قنة «٤» قلتها جبل يرد الطرف وهو كليل." (٢)

"واستمر به السير إلى أن وصل إلى القاهرة ليلا. فبات بزاوية «١» الشيخ جمال الدين ابن الظاهرى، ولم ينم فى معظم الليل. وركب بكرة النهار من الزاوية، وجاء إلى داره، وهو على حاله وهيئته. وحضر للسلام عليه القضاة وأعيان الدولة ونظارها. فعاملهم بما كان يعاملهم به من الكبر، وعدم القيام لأكابرهم. ثم استشار

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠٦/٣١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٤/٣١

بعض الناس فيما يفعل. فأشار بعضهم عليه، بالاختفاء إلى أن تسكن هذه الفتنة، وتستقر القاعدة، فقال هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا.

فكيف نختاره لأنفسنا. واستمر على ذلك خمسة أيام.

وكانت رسالة دور السلطان الملك الأشرف قد خرجت إلى الأمير زين الدين كتبغا، مضمونها الشفاعة فى أمره، وأنه لا يؤذى. وذكروه بمحبة السلطان له. وأنهم إنما قاموا فى طلب ثار السلطان، وقتل أعدائه. و [أما] «٢» هذا فهو أخلص أولياء السلطان بخدمته، وأدومهم على طاعته- هذا اللفظ أو معناه-.

فسكن أمره فى هذه الأيام الخمسة الماضية. فغضب الأمير علم الدين الشجاعى، واجتمع بالأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة وغيره من أكابر الأمراء.

وقال: هذا الصاحب هو الذى أوقع بين السلطان ومماليكه وأمرائه ونائبه. وإنما قتل السلطان بسبب هذا، فاتبع رأيه فيه.." (١)

"كان أباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والشقاق «١» ، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق. ولم يزل ملك ماردين ورعيته «٢» منقذين «٣» ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم، متولين كبر مكرهم، والله تعالى يقول: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)

«٤» .

«وحيث جعلتم هذا ذنبا، موجبا للحمية الجاهلية، وحاملا على الانتصار، الذى زعمتم أن همتكم به ملية، فقد كان [هذا «٥»] القصد، الذى ادعيتموه «٦» ، يتم «٧» بالانتقام من أهل تلك الأطراف، التى أوجب ذلك فعلها، والاقتصار على أخذ الثأر ممن ثار اتباعا لقوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)

«٨» ، لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفقة، على اختلاف الأديان وتطأوا «٩» البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس، الذى هو ثانى بيت الله الحرام، وشقيق مسجد رسول الله، عليه الصلاة والسلام. وإن احتججتم أن زمام الغارة «١٠» بيدنا «١١» ، وسبب تعديهم من سنتنا. فقد أو ضحنا الجواب عن ذلك، وأن عدم الصلح والموادعة، أوجب سلوك هذه المسالك» .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٧٢/٣١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٣٢/٣١

"وأجناده نحمده على ما وهبنا من نصره، ونشكره على نعمه التى خولنا منها بأسا أذاق العدو وبال أمره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع منار هذا الدين، وتضاعف أجر المجاهدين الذين [١٠] أضحوا فى درج المتقين مرتقين، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه وضروع الكفر حوافل، وربوع البغى أواهل. فلم يزل يجرد الصفاح من مقرها، ويطلق جياد الغرم فى مجراها وصعاد الحزم فى بحرها، إلى أن أخمد نار الشرك والنفاق، وظهرت معجزاته بإطفاء نار فارس بالعراق، صلى الله عليه وعلى آله الذين جردوا بين يديه سيوف الحتوف، فاستغلقت الأعمار، وهاجروا إليه ونصروه فسموا المهاجرين والأنصار، وبعد: فإن الوقائع التى عظمت آثارها فى الآفاق، وحفظت بها دماء المسلمين من أن تراق، وبقى بها الملك والممالك، وأشرق بها سواد الخطب الحالك، وسطرها الله تعالى فى صحائف مولانا السلطان الملك الناصر، وآتاه فيها من الملك ما لم يبلغه أحد، فأورثه به ظفرا مخلدا لا يفنى وإن طال المدار والأمد، وأشبه فى ثباته ووثباته بها أباه رضى الله عنه، والشبل فى المخبر مثل الأسد، واستقر بها الملك فى مهاد السكون بعد القلق، وتبدلت بها الملة الإسلامية الأمن بعد الفرق، وأضحى بها وجه الإسلام سافرا بعد تقطيبه، وطلع بها بدر السرور كاملا بعد مغيبه، وعمت الأيام إحسانا من الملك وحسنى وعلم المؤمنين بها تحقيق قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

[١] حقها [٢] أن يسطر فيها ما يعمر ربوع السرور ويؤنس معاهده، ويقف عليه الغائب فيكون كمن شاهده ويذيع أنباء هذه النصرة فى الأقطار، ويتحقق أهل الإسلام أن لهم ملكا يناضل عن دين الله بالسمر الطوال والبيض القصار، وسلطانا ما أغمد سيفه فى جفنه إلا ليستجم لأخذ الثأر ممن ثار.

[١] سورة النور آية ٥٥.

[٢] زيادة يقتضيها السياق.." (١)

"الله أكبر جاء النصر والظفر ... والحمد لله، هذا كنت أنتظر

وأبرز القدر المحتوم بارئه ... سبحانه بيديه النفع والضرر

وهون الصعب بالفتح المبين لكم ... رب يهون عليه المقفل العسر

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٣٤

ولم تزل شرعة الإسلام ظاهرة ... أجزم به فبهذا صحح الخبر

أين النجوم وتأثير القران وما ... تخرصوا فيه من إفك وما زجروا

قد دبر الله أمرا غير أمرهم ... وخاب ما زخرفوا فينا وما هجروا

وأقبل العسكر المنصور يقدمه ... من الملائك جند ليس تنحصر

وقد أحفوا به والأرض من زجل [١] ... ترتج إن سبحوا لله أو ذكروا

كنانة الله مصر جندها ثبتت ... لا ريب فيه وجند الله تنتصر

ثاروا سراعا إلى إدراك ثأرهم ... وهجروا فى طلاب المجد وابتكروا

وأسهروا أعينا فى الله ما رقدت ... أكرم بقوم إذا نام الورى سهروا

لله كم دينوا فى نصر دينهموا ... وأنفقوا فى سبيل الله ما ادخروا

صانوا الجياد وسنوا كل ذى شطب [٢] ... وجددت للقسى النبل والوتر

حماهم الله كم حاموا وكم منعوا ... وكم أغاثوا وكم آووا وكم نصروا

وخلفوا خلفهم لذات أنفسهم ... وهاجروا ولذيذ العيش قد هجروا

وأوجفوا نفرا بالخيل ملجمة ... وبالركاب وما [٣] ملوا ولا فتروا

حتى أتوا جلقا [٤] فى يوم ملحمة ... فيه الأسود أسود الغاب تهتصر

---

[١] فى ص، وف «رجل» والمثبت من المرجع السابق.

[٢] ذو شطب: يعنى السيف. (لسان العرب) .

[٣] كذا فى ص، وف. وفى كنز الدرر «ولا» .

[٤] جلق: لفظ أعجمى، يطلق على كورة الغوطة كلها، وقيل يطلق على دمشق، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٦: ١٥٤) .." (١)

"إن تتركوهم فإن القوم ما تركوا ... يوما عليكم ولا أبقوا ولم يذروا

أما رأيتم وعاينتم وقد فعلوا ... فى الصالحية ما لا تفعل التتر

اشفوا صدوركم إن كنتم غيرا ... على نسائكم يا قوم وادكروا [١]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥١/٣٢

كم من عجوز ومن شيخ ومكتهل ... ومن فتاة نماها الحسن والخفر

بيضاء خرعوبة [٢] بكر محجبة ... لا الشمس تنظرها صونا ولا القمر

وذات بعل مخباة مخدرة ... من دونها تضرب الأستار قد أسروا

ومطفل أثكلوا وجدا بمخولها [٣] ... وحامل أجهضت خوفا وقد ذكروا

ومربع أقفروا من بعد ساكنه ... وعقد شمل نظيم جامع نثروا [٥٨]

وكم أراقوا وكم ساقوا وكم هتكوا ... وكم تملوا بما نالوا وكم فجروا

وحرقوا فى نواحيها فواحربا ... وخربوا الشامخ العالى وكم دثروا

وجامع التوبة [٤] المحروق مهجته ... يشير لا توبة للقوم إن ظفروا

إشارة تترك الأنفاس صاعدة ... لها الدموع من الآماق تنحدر

لهم حزازات فى قلبي مخباة ... تكاد من حرها الأكباد تنفطر

فما يثبطكم [٥] عن أخذ ثأركم ... هبوا سراعا وخافوا اللوم يا غير

وفوهم الحرب إنصافا ومعدلة ... وحرروا نوب الأيام واعتبروا

---

[١] ادكروا: أى تذكروا واتعظوا (لسان العرب) .

[٢] الخرعوبة: الشابة الحسنة الخلق، الرخصة البيضاء الجسيمة (محيط المحيط) .

[٣] كذا فى ص، وف. وفى كنز الدرر «بواحدها» .

[٤] جامع التوبة: ويقع بالعقيبة، أنشأه الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن أيوب فى سنة ٦٣٢ هـ، وكان يعرف قديما بخان الزنجارى، وكان به كل مكروه من القيان وغيره (الدارس فى تاريخ المدارس ٢: ٤٢٦) .

[٥] كذا فى ص، وف. وفى كنز الدرر «فما قعادكم عن أخذ ثأركم» .." (١)

"الله بن أبي العلاء ومنهم أخوهم الشيخ أبو عامر خالد أمير جيش رنده [١] ومنهم الشيخ العارف أبو مسعود محمد بن الثابتي ومنهم أمير جيش الخضرا، الشيخ المرابط أبو عطية مناف بن ثابت المغراوى وأمير لوشه الشيخ أبو المكارم ريان بن عبد المؤمن ولكل واحد من هؤلاء أولاد وأتباع، وأمر مطاع، وخرج مع هؤلاء

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٤/٣٢

الفرسان جماعة رجال أنجاد نحو خمسة آلاف رجل من أهل أغرناطة وسلكوا مع الشيخ أبي سعيد طريق الجبل لكونه أمنع، وأوصاهم، أن يكونوا بموضع عينه لهم ووصل فرسان المسلمين الثالثة من النهار إلى قرب الجيش فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من إقدامهم عليهم مع قلتهم بالنسبة إلى كثرة الفرنج، وخرج إليهم وزير ملك الفرنج، فقال ما هذا الذى فعلتموه، وكيف أتيتم والملك فى يوم عيده؟ فارجعوا وابقوا على أنفسكم فإنه إن علم بكم ركب لقتالكم ولا ملجا لكم منه فعند ذلك حصل للشيخ أبي سعيد حال أخرجه عن عقله فنزل عن فرسه باكيا متضرعا إلى الله تعالى، وارتفعت أصوات المسلمين بالدعاء لهم ثم أتاهم من كان قد بقى بأغرناطة من فرسان المسلمين يتبعون آثارهم فحرض الشيخ أبو سعيد المسلمين على قتال عدوهم، وصلى ودعا وبينما هو فى صلاته ركب العدو بجملتهم وحملوا على المسلمين- ولم يعلموا برجال المسلمين التى وصلت من أغرناطة فنزلوا بجهة العلياء من المنزلة الخالية، وقصدوا المسلمين فلم ترعهم كثرتهم واستمر الشيخ أبو سعيد فى صلاته حتى أكملها، ووقف المسلمون ينتظرون ركوبه، ولما رأى العدو ثباتهم توقفوا وتهيئوا وخرج من الفريقين فرسان يحركون القتال فاستشهد أمير رندة فاجتهد أقرباؤه فى أخذ ثأره وأمر الشيخ أصحابه أن يقصدوا طرف المحلة ففعلوا فأفادهم ذلك، ومال الروم [١٣٢] إلى جهة المحلة بجملتهم، فألقى الله الرعب فى قلوبهم فانهزموا أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف الإسلامية فما زال المسلمون يقتلونهم من الساعة السابعة إلى الغروب، ولما أظلم الليل أخذ

---

[١] رندة: من مدن تاكورنا بالأندلس، وهى مدينة قديمة بها آثار كثيرة، وتقع على نهر ينسب إليها (الروض المعطار ٧٩) .." (١)

"ذكر الفتنة بمكة شرفها الله تعالى

/ (٢٧٥) وفى هذه السنة فى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة وقعت الفتنة بمكة- شرفها الله تعالى- وسبب ذلك: أن الحاج لما قضوا مناسك الحج توجه بعضهم عائدا إلى الديار المصرية، منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى، ومن صحبه فى يوم الأربعاء ثانى عشر الشهر، وتأخر أمير الركب، وهو الأمير سيف الدين خاص ترك الجمدار الناصرى، والأمير سيف الدين الدمر أمير جاندار، والأمير شهاب الدين أحمد، ومن معهم من بقية الحاج، لصلاة الجمعة بمكة، فلما كان الخطيب على المنبر تعبث بعض عبيد الأشراف ببعض حاج العراق،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٣/٣٢

الذين حضروا فى الركب العراقى، وتخطفوا شيئا من أموالهم [١] ، والشريف عطيفة بن أبى نمى أمير مكة جالس إلى جانب أمير الركب، فاستصرخ الناس، واستغاثوا بالأمير سيف الدين الدمر أمير جاندار، فنهض وتقدم لمنعهم، وتقدمه ولده [خليل] وضرب بعض العبيد، فطعن بحربة، فمات، فاحتد والده، وبادر لطلب ثأره، فقتل أيضا بحربة، وقتل معه أحد أولاد الأمير ركن الدين بيبرس التاجى- متولى القاهرة كان- فوثب الأمير عطيفة، وجرد سيفه، وتوجه نحو العبيد ليردهم، فلم يصنع شيئا، وظهر من ذلك أن إثارة هذه الفتنة كان برأيه وأمره، وذكر أن الذى قتل الدمر هو مبارك بن عطيفة، وثارت الفتنة، فعجل الخطيب الصلاة، وخرج الناس من المسجد الحرام إلى رحالهم وخيامهم، واستحل/ (٢٧٦) الحرم فى هذا اليوم، وتلطف أمير الركب فى الخروج بالناس إلى خيامهم، ووقف فى وجوه القوم من الأشراف والعبيد، فمنعهم من التعرض إلى الحاج، ومن غريب ما وقع فى هذه القضية أنه شاع بالقاهرة المعزية الخبر بقتل الدمر فى يوم مقتله وهو يوم الجمعة المذكور، [وسمعت أنا بعض الناس يتحدث بذلك بعد صلاة العصر من يوم الجمعة المذكور] [٢] ورددت القول على ناقله،

---

[١] فى السلوك (٣٢٣/٢ و ٣٢٤) أن ذلك كان بتدبير من الملك الناصر مع الشريف عطيفة، وكان الغرض منه التحيل على قتل أمير الركب العراقى المعروف بمحمد الحجيج، وأصله من أهل تبريز، وكان يتقرب من أولاد جوبان، وبلغ عند أبى سعيد منزلة كبيرة، وكان رسوله إلى الملك الناصر غير مرة وكان الناصر يعجب به إلى أن بلغه أنه ذكره فى مجلس أبى سعيد بما لا يحب، فأسرها فى نفسه إلى أن كانت هذه السنة وعرف الناصر أن المذكور هو أمير الركب العراقى، فكتب إلى الشريف عطيفة سرا أن يتحيل فى قتله، فاستجاب لأمر السلطان، وكانت هذه الفتنة التى لم تؤد إلى هدفها، فقد نجا أمير الركب العراقى.

[٢] ما بين القوسين زيادة من نسخة «أ» ص ٢٧٦.." (١)

"وكان الركب العراقى قد حضر فى هذه السنة إلى مكة شرفها الله تعالى وأحضر متوليه المندوب من جهة الملك أبى سعيد بن خربندا معه فيلا صغيرا، وشهد به الموقف بعرفة، فتطاير الناس، وتشاءموا بمقدمه، وقال بعضهم: «هذا عام الفيل» فوقع ما وقع، فلما رجعوا به، وقربوا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وانتهوا إلى الفرش [١] الصغير قبل البيداء الذى ينزل منها إلى ذى الحليفة، وقف الفيل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٢/٣٣

وتقهقر، وكلما أرادوه على التقدم تأخر، فضربه الموكلون به، وبقى يرجع إلى ورائه القهقرى، فلم يزل على ذلك إلى أن سقط على الأرض ميتا، وذلك فى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة، ويقال: أنه صرف على كلفة هذا الفيل منذ جهز من [العراق] [٢] إلى أن مات زيادة على ثلاثين ألف درهم، وما علم مقصد الملك أبى سعيد فى إرساله إلى مكة شرفها الله تعالى [٣] / (٢٧٧) .

ذكر متجددات كانت بدمشق المحروسة فى سنة ثلاثين وسبعمائة مما نقلته من تاريخى البرزالى، والجزرى

فى هذه السنة فى مستهل شهر ربيع الأول حضر نائب السلطنة/ بالشام [٤] [الأمير سيف الدين تنكز إلى الجامع الأموى بدمشق وصحبته قاضى القضاة علم الدين الشافعى، وشاهد الجامع، فاقتضت الآراء أن ينقض الرخام القائم بالجدار القبلى من الجهة الشرقية ومحراب الصحابة، وأن يجدد بشبه]

---

[١] الضبط من: مراصد الاطلاع ١٠٢٧/٣ قال: وهو واد بين غميس الحمائم وملل، وفرش وصخيرات الثمام منازل نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى بدر.

[٢] فى ك من الحجاز، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من «أ» ص ٢٧٦ والسلوك (٣٢٥/٢) وقد أورد المقريزى فيه هذا الخبر بعبارة أوضح مما ذكره النويرى هنا.

[٣] ورد هذا الخبر موجزا فى النجوم (٢٨٢/٩ و ٢٨٣) وفيه زيادة على ما أورده النويرى هنا والمقريزى فى السلوك هى: «أن الملك الناصر لما أخبر بما وقع جهز إلى مكة عسكرا كثيفا، وعليه عدة من الأمراء فتوجهوا وأخذوا بثأر الدمر وابنه، وقتلوا جماعة كثيرة من العبيد وغيرهم، وأسرفوا فى ذلك، وتشتت أشراف مكة والعبيد عن أوطانهم وأخذت أموالهم، وحكمت الترك مكة من تلك السنة إلى يومنا هذا (٨٧٤ هـ) ، وزالت منها سطوة أشراف الرافضة والعبيد إلى يومنا هذا.

[٤] ما بعد الحاصرة زيادة من نسخة أ، تقع فى الصفحات من (٢٧٧ إلى السطر العاشر من ص ٢٨٤) منها ولم نجد ما يقابلها فى نسخة ك، وقد رأينا إثباتها لورود ما اشتملت عليه فى السلوك والنجوم ضمن حوادث هذه السنة، ولاشتمالها على وفيات أوردها ابن العماد فى الشذرات ج ٦ فى هذه السنة أيضا.." (١)

"ومما وصفت به زقاق الخمر؛

فمن ذلك قول الأخطل:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٣/٣٣

أناخوا فجروا شاصيات «١» كأنها ... رجال من السودان لم يتسربلوا

وقال أبو الهندى وأجاد في شعره:

أتلف المال وما جمعته ... طلب اللذات من ماء العنب

واستباء الزق من حانوتها ... شائل الرجلين معضوب «٢» الذنب

كلما كب لشرب خلته ... حبشيا قطعت منه الركب

وقال ابن المعتز:

وتراها وهى صرعى ... فرغا بين الندامى

مثل أبطال حروب ... قتلوا فيها كراما

وقال العلوى الأصفهانى:

عجبت من حبشى لا حراك به ... لا يدرك الثأر إلا وهو مذبوح

طورا يرى وهو بين الشرب مضطجع ... رخو الصفاق «٣» وطورا وهو مشبوح

ومما وصفت به الأباريق

؛ فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل:

كأن أباريق الشمول عشية ... إوز بأعلى الطف عوج الحناجر

وقال آخر:

يا رب مجلس فتية نادمتهم ... من عبد شمس في ذرى العلياء

وكأنما إبريقهم من حسنه ... ظبي على شرف أمام ظباء

وقال ابن المعتز:

وكأن إبريق المدام لديهم ... ظبي على شرف أناف مدلها." (١)

"وأجرى عليهم رزقا وكسوة وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجالسه، وأمر معبدا أن يطارحه فلم ينشب أن مهر. فخرج مالك يوما فسمع امرأة تنوح على زيادة الذى قتله هدبة بن خشرم- والشعر لأخى زيادة-:

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذى تراب وجندل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٣/٤

أذكر بالبقيا على من أصابني ... وذلك أني جاهد غير مؤتلى «١»

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

وإلا أنل ثأرى من اليوم أو غد ... بني عمنا فالدهر ذو متطول

أنختم علينا كلكل الحرب «٢» مرة ... فنحن منيخوها «٣» عليكم بكلكل

فغنى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه. ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعت غناء في شعر سمعت أهل المدينة ينشدونه وقد أعجبني، فإن أذن الأمير غنيته. قال:

هات؛ فغنى اللحن الذى نحا فيه نحو معبد؛ فطرب حمزة وقال: أحسنت يا غلام، هذا الغناء غناء معبد بطريقته. قال: لا تعجل أيها الأمير واسمع مني شيئا ليس من غناء معهد ولا طريقته؛ فغناه اللحن الذى تشبه فيه بنوح المرأة. فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار. ودخل معبد فرأى حلة حمزة على مالك فأنكرها. وعلم حمزة بذلك فأخبر معبدا بالسبب، وأمر مالكا فغناه الصوتين. فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه." (١)

"ضاقت على الأرض في ... ك وضقت بالإخوان ذرعا

ورعيت فيك النجم يا ... من كان يحفظني ويرعى

أبكيك بالشعر الذى ... قد رق حتى صار دمعا

وقال تاج الملوك بن أيوب يرثي أخاه:

لو كان يشفي الدمع غلة واجد ... لشفى غليلي فيض دمعي الهامر

هيهات لا برد الغليل وقد ثوى ... من كان من عددي وخير ذخائري

يا للرجال لنكبة قد أذهبت ... جلد الجليد وحسن صبر الصابر

طرقت فتى الملك المعظم فانثنى ... من بعد بهجته كربع داثر

ومنها:

جبل هوى فارتجت الدنيا له ... فكأنما ركبت جناحي طائر

ومنها:

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤/٢٩٠

من للنوائب يوم تفترس الورى ... قسرا بأنياب لها وأظافر

أضحى وحيدا فى التراب كأنه ... ما سار بين مواكب وعساكر

قد كان لا تعصى البرية أمره ... فانقاد ممتثلا لأمر الآمر

مولاى دعوة واله غادرته ... وقفا على نوب الزمان الغادر

هل من سبيل للزيارة عندها ... هيهات حال الموت دون الزائر

لو كان خصمك غير حادثة الردى ... لرددته بذوابل وبواتر

أو كان يدرك ثأر من أودى به ... ريب المنون لكنت أول ثائر

لكنه الموت الذى قهر الورى ... من حيث لا تثنيه قدرة قادر

وقال كمال الدين بن النبيه يرثى الأمير على ابن الخليفة الناصر لدين الله:

الناس للموت كخيل الطراد ... فالسابق السابق منها الجواد." (١)

"جيشا يأخذ به ثأر أبيه من بنى أسد. وإشارته إلى الصحة لقول امرئ القيس فى قصيدته السينية:

وبدلت قرحا داميا بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ... ليلبسنى من دائه ما تلبسا

و «الطماح» رجل من بنى أسد أرسله قيصر إلى امرئ القيس بحلة مسمومة، فلما لبسها تقطع ومات بأنقرة.

وإشارته إلى أسد لأن بنى أسد كانوا قتلوا حجر ابن الحارث يوم ماقط.

ودوخت آل ذبيان وإخوتهم ... عبسا وعضت بنى بدر على النهر

أشار إلى ما كان بين عبس وذبيان من الحروب بسبب داحس والغبراء.

وسير ذلك فى وقائع العرب إن شاء الله تعالى.

وألحقت بعدى بالعراق على ... يد ابنه أحمر العينين والشعر

أراد عدى بن أيوب بن زيد مناة بن تميم الشاعر. وأحمر العينين والشعر هو النعمان بن المنذر. وكان عدى هذا ترجمانا لأبرويز وكاتبه بالعربية، فلما مات قابوس بن المنذر تلطف عدى وتحيل على أبرويز حتى ولى النعمان إمرة العرب وقدمه على إخوته وكان أدمهم، ثم اتهمه النعمان أنه وشى به فاحتال عليه حتى ظفر به وحبسه ثم قتله بالعراق؛ فتلطف ابنه زيد بن عدى وتوصل حتى خدم أبرويز على عادة أبيه، وأوقع بين أبرويز

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٤/٥

والنعمان حتى قتله أبرويز، على ما يرد إن شاء الله تعالى فى التاريخ. والله أعلم.

وأشرفت بخبيب فوق فارعة ... وألصقت طلحة الفياض بالعفر

أشار إلى خبيب بن عدى الأنصارى وهو بدرى وأسر فى السرية التى خرج فيها مرثد بن أبى مرثد فانطلق به المشركون إلى مكة واشتراه حجر بن إهاب التميمى." (١)

"لو بعين فقئت [١] عين سوى ... أختها وانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تفتلى [٢]

إننى قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لى

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتى جميعا من عل

ورمانى فقده [٣] من كثب ... رمية المصمى به المستأصل

هدم البيت الذى استحدثته ... وبدا [٤] فى هدم بيتى الأول

يا نسائى دونكن اليوم قد ... خصنى الدهر برزء معضل

مسنى فقد كليب بلظى ... من ورائى ولظى مستقبلى

ليس من يبكى ليومين كمن ... إنما يبكى ليوم ينجلى

درك الثائر شافيه وفى [٥] ... دركى ثارى ثكل المثكل

ليته كان دمى فاحتلبوا ... دررا منه دما من أكحلى

ولما مات معاوية بن أبى سفيان اجتمع الناس بباب يزيد فلم يقدروا على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبد الله بن همام فقال: يا أمير المؤمنين، أجزل الله أجرك على الرزية. وبارك لك فى العطية، وأعانك على الرعية؛ فقد رزئت عظيما، وأعطيت جسيما؛ فآشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزيت؛ فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله؛ ففارقت جليلا، وأعطيت جزيلا؛ إذ قضى معاوية نحبه؛ ووليت الرياسة، وأعطيت السياسة؛ فأورده الله موارد السرور، ووفقك فى جميع الأمور:

---

[١] فى رواية أخرى أشار اليها هامش الأصل: «فديت عين سوى» .

[٢] افتلى الصغير: رباه.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥/١٩٣

[٣] فى رواية أشير اليها فى هامش الأصل: «ورمانى قتله ... » .

[٤] فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٣٨٩ طبع أوربا) : «واثنى فى هدم ... » .

[٥] فى الكامل لابن الأثير: «يشتفى المدرك بالثأر وفى ... » .." (١)

"فى الحبس ممن يؤمن شره غيرهما فليفرج عنه ودعهما فى موضعهما، فإنه من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما فى فعلهما.

وكتب رجل إلى المأمون- وكان قد طال حبسه-: أغفلت يا أمير المؤمنين أمرى، وتناسيت ذكرى، ولم تتأمل حجتى وعذرى، وقد مل من صبرى الصبر، ومسنى فى حبسك الضر. فأجابه المأمون: ركوبك مطية الجهل، صيرك أهلا للقتل، وبغيك على وعلى نفسك نقلك من سعة الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء، ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك، على قدر صبرك على كثير جناياتك؛ فإن حصل فى نفسك كف عن معصيتى، وعزم على طاعتى، وندم على مخالفتى، فلن تعدم مع ذلك جميلا من بيتى [١] والسلام.

وقيل لأعرابى: أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك؟ قال:

بل يسرنى أن أدرك الثار وأدخل النار. قال البحترى:

تذم الفتاة الرؤد شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

ويقال: إنما هو مالك وسيفك، فازرع بملك من شكرك، واحصد بسيفك من كفرك. قال الشاعر:

قط العدا قط اليراعة وانتهز ... بظبا السيوف سوائم الأضغان

إن البيادق إن توسع خطوها ... أخذت إليك مآخذ الفرزان

وقالوا: العفو يفسد من اللئيم، بقدر ما يصلح من الكريم. وقال معاوية ابن يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبة حلم قط؟ قال: ما حلمت عن لئيم وإن كان وليا إلا أعقبنى ندما على ما فعلت. قال بعض الشعراء:

متى تضع الكرامة من لئيم ... فإنك قد أسأت إلى الكرامه

---

[١] كذا فى الأصل ولعله: «برى» .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١٨/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٧/٦

"ويصعد حتى يظن الحسود ... بأن له حاجة فى السماء

وكقوله أيضا:

مكارم لجت فى علو كأنما ... تحاول ثأرا «١» عند بعض الكواكب

ولذلك يستعيرون اسم شيء لشيء من نحو شمس أو بدر أو أسد ويبلغون الى حيث يعتقد أنه ليس هناك استعارة، كقول ابن العميد:

قامت تظللنى من الشمس ... نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب ... شمس تظللنى من الشمس

وكقول آخر:

أيا شمعا يضيء بلا انطفاء ... ويا بدرا يلوح بلا محاق

فأنت البدر ما معنى انتقاصي؟ ... وأنت الشمع ما معنى احتراقى «٢» ؟

[«٣» فلولا أنه أنسى نفسه أن هاهنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى، ومدار هذا النوع على التعجب]

وقد يجئ على عكسه، كقول الشاعر «٤» :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر.

فصل فى أقسام الاستعارة

قال: وهى على نوعين:

الأول أن تعتمد نفس التشبيه،

وهو أن يشترك شيئان فى وصف وأحدهما أنقص من الآخر، فتعطى الناقص اسم الزائد مبالغة فى تحقق ذلك الوصف له." (١)

"[لأن «١»] قتل الجميع يدل على الوهن والقلة فكمله بأخذهم للثأر، وكمل حسنه بقوله:

«حيث كان» فإنه أبلغ فى الشجاعة؛ ومن ذلك فى النسيب قول كثير:

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضى لها

لأن قوله: «عند موفق» تكميل للمعنى، إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقا؛ ومنه قول المتنبى:

أشد من الرياح الهوج بطشا ... وأسرع فى الندى منها هبوبا.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٦/٧

وأما المناسبة–

فهى على ضربين: مناسبة فى المعنى، ومناسبة فى الألفاظ فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، كقوله تعالى: أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون

فقال تعالى فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعية: أولم يهد لهم

، وقال بعد ذكر الموعظة: أفلا يسمعون

وقال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية: أولم يروا*

وقال بعد الموعظة:

أفلا يبصرون.

ومن أمثلة المناسبة المعنوية قول المتنبى:

على سابح موج المنايا بنحره ... غداة كأن النبل فى صدره وبل

فإن بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا صار البيت به متلاحما؛ وقول ابن رشيق:

أصح وأقوى ما رويناه فى الندى ... من الخبر المأثور منذ قديم." (١)

"يا هاشم بن حديج ليس فخركمو ... بقتل صهر رسول الله بالسدد

أدرجتمو فى إهاب العير جثته ... لبئس ما قدمت أيديكمو لغد

إن تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت ... حجرا بدارة ملحوب «١» بنو أسد

ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم ... قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد

ورب كندية قالت لجارتها ... والدمع ينهل من مثنى «٢» ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية ... عن ثأره وصفات النؤى والوتد

فقد أتى أبو نواس فى هذه الأبيات بعدة عنوانات: منها قصة قتل محمد بن أبى بكر، وقتل حجر أبى امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجو من أراد هجوه، وعير «٣» المهجو بما أشار اليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته؛ ومثل ذلك قول أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٨/٧

رفدوك فى يوم الكلاب «٤» وشققوا ... فيه المزاد بجحفل غلاب «٥»

وهمو بعين أباغ «٦» راشوا للعدا ... سهميك عند الحارث الحراب." (١)

"وبلقيس «١» غايرت الزباء «٢» عليك؛ وأن مالك «٣» بن نويرة إنما ردف لك؛ وعروة «٤» بن جعفر إنما رحل إليك؛ وكليب «٥» بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك؛ وجساسا «٦» إنما قتله بأنفتك؛ ومهلهلا «٧» إنما طلب ثأره بهمتك؛ والسموءل «٨» إنما وفى عن عهدك." (٢)

"هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب، وجثماني بمكة موثق

وإما لإغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة١، كقوله٢:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل

وقوله٣:

قومي هم قتلوا "أميم" أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

وأما لتضمنها٤ لشأن المضاف إليه كقولك: "عبدي حضر" فتعظم شأنك، أو لشأن المضاف كقولك: "عبد الخليفة ركب"

---

١ المتعذر مثل اجتمع أهل الحق على كذا. والمرجوح أو المتعسر مثل أهل البلد في رفاهية.

٢ البيت لمروان بن أبي حفصة الشاعر يمدح معن بن زائدة الشيباني، وبنو مطر قومه بطن من شيبان. خفان: مأسدة قرب الكوفة.. الأشبل جمع شبل وهو ولد الأسد. والشاهد في قوله: بنو مطر فالإضافة هنا تغني عن التفصيل وتعداد أسمائهم.

٣ هو الحارث بن وعلة الجرمي، وهو شاعر جاهلي غير الحارث بن وعلة الشيباني. وأميم منادى وهي التي كانت تحضه على الأخذ بثأر أخيه من قومه. و الشاهد في الإضافة هنا قوله "قومي"، لإغنائها عن تفصيل مرجوح.

٤ أي الإضافة.." (٣)

---

(١) نهاية الأرب في فنون ا لأدب النويري ١٦٧/٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٧٤/٧

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٣٤/٢

"ولحاق وفراق» . وقال فى كلام آخر «فأطفئوا ما كمن فى قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد ثأر الجاهلية، واعتمدوا وضع التذلل على رؤسكم، وإلقاء التعذر تحت أقدامكم، وخلع التكبر عن أعناقكم، واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم، إبليس وجنوده، فإن له من كل أمة جنودا وأعوانا، ورجلا وفرسانا» ومن خبر كلامه ومارس أسلوبه ونظامه، تحقق لا محالة أنه قمر البلاغة المتوسط فى هالتها، والطراز الباهى فى أكم غلالتها.

النوع الرابع فيما ورد من التشبيه فى كلام البلغاء

فمن ذلك كلام قبيصة بن نعيم، لما قدم على امرىء القيس فى أشياخ من بنى أسد، يسألونه العفو عن دم أبيه حجر، فقال له قبيصة: إنك فى المحل والقدر من المعرفة بتصريف الدهر، وما تحدثه أيامه، وتتنقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ، ولا تبصير من مجرب، ولك من سؤدد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك فى العرب، محتمل يحتمل ما حمل من إقالة العثرة، ورجوع عن الهفوة، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك، فوجدت عندك من فضيلة الرأى، وبصيرة الفهم، وكرم الصفح، ما يطول رغباتها ويستغرق طلباتها، وقد كان الذى كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيئته نزارا واليمن، ولم يخصص بذلك كندة دوننا، للشرف البارع كان الحجر، ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده، لما بخلت كرائمنا به على مثله، ولكنه مضى به سبيل لا ترجع أخراه على أولاه، ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث، إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بنسعه، تذهب مع شفرات حسامك قصرته، فنقول، رجل امتحن بهلك عزيز، فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام. أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها، فهى ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها، وإما أن توادعنا إلى أن تضع الحوامل فنسدل الأزر، ونعقد الخمر فوق الرايات، قال فبكى امرؤ القيس ساعة، ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أنه لا كفء لحجر فى دم، وإنى لن أعتاض به جملا ولا ناقة، فأكتسب بذلك سبة الأبد، وفت العضد، وأما النظرة فقد." (١)

"والاستغراب من ابن الأثير، حيث أورد فى كتابه المثل طرفا وعجائب وحكايات فى المنظوم والمنثور عن أهل البلاغة، وحكى عن نفسه ما كان منه من التقليدات والكتب، والرسائل والتهانى والتعازى حتى ملأ كتابه مما كان منه من ذلك، وأعجب بحاله وأمره فيما هنالك غاية الإعجاب، وما درى أن الإعجاب ضد الصواب،

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ١٧٢/١

وأغفل على كثرة ما نقل كلام أمير المؤمنين فى الخطب والرسائل، والكتب الوجيزة، ومعانى التوحيد التى أشار إليها، ودقائق البلاغة، وأسرار الحكم فى طويل الكلام وقصيره، مع أنه لا غاية فى البلاغة إلا وقد بلغها، ولا نهاية إلا وقد تجاوزها، ولقد كان الاقتصار على كلام أمير المؤمنين فيه شفاء كل علة، وبلال كل غلة، وما أحقه بكلام أبى الطيب المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ... فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

الضرب الخامس فيما ورد من التعريضات الشعرية

فمن ذلك ما قاله الشميذر الحارثى:

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما ... دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فليس قصده مما قال الأبيات الشعرية، ولكنه قصد تعريفهم بما كان جرى فى ذلك الموضع من الظهور عليهم والقتل لأشرافهم، فذكر الشعر، وجعله تعريضا، أى لا تفخروا بعد تلك الوقعة، ومن ذلك ما قاله امرؤ القيس:

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أى إذلال

فهذا جعله للتعريض عن الجماع، وقد عده بعض علماء البيان كالفاغى والعسكرى، من الكناية، وهو محتمل لهما جميعا، ولأجل تقاربهما تكاد أن تختلط أمثلة أحدهما بالآخر كما سنذكر التفرقة بينهما بمعونة الله تعالى، ومن التعريض الرائق ما قاله نصر بن سيار فى شحذ عزائم بنى أمية بإدراك الثأر، والانتقام لمن أرادهم:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالزندين تورى ... وإن الحرب أولها كلام

أقول من التعجب ليت شعرى ... أأيقاظ أمية أم نيام

فإن هبوا فذاك بقاء ملك ... وإن رقدوا فإنى لا ألام." (١)

"ولم تكن العرب تعد المال في الجاهلية إلا الخيل والإبل، وكان للخيل عندها مزية على الإبل، فلم تكن تعدل بها غيرها، ولا ترى القوة والعز والمنعة بسواها، لأن بها كانوا يدافعوا عن غيرها مما يملكون، ويمنعون حريمهم، ويحمون من وراء حوزتهم وبيضتهم، ويغاورون أعداءهم ويطلبون ثأرهم، وينالون بها المغانم، فكان حبهم لها، وعظم موقعها عندهم، على حسب حاجتهم إليها، وغنائهم عنها، وما يتعرفون من بركتها ويمنها؛ إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأكرم أمته بما هداهم له من دينه، وأمتن عليهم به

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ١/١٩٩

منه، فاختار لنبيه عليه الصلاة والسلام إعداد الخيل وارتباطها لجهاد عدوه؛ فقال سبحانه:) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم (. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية:) وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (قال: الجن؛ ولن يخبل الشيطان إلى إنسان في داره فرس عتيق.

فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل وارتبطها وأحبها، وحض المسلمين على ارتباطها، وأعلمهم ما لهم في ذلك من المثوبة والأجر، فسارعوا إلى ذلك وازدادوا حرصا عليها وفي إمساكها، رغبة في الأجر والتماس البركة والخير في العاجل والآجل، في اقتنائها وتثميرها واستبطانها، وتنافسوا فيها، وغالوا، لما جعل الله فيها من أنواع البركات وجماع الخيرات.

قيل: ومن فضائل الخيل أنها أصبر البهائم وأشدها شدة، وأخف الدواب كلها مئوية في العلف والمشرب عند ضيق الأمر في ذلك، إذ كان يكفيها في السرايا والمفاوز والأسفار القليل منه، ثم قسنا عليها في شدتها: فوجدنا أشد البهائم وأقواها على الأحمال الثقال الإبل، فأصبنا البعير البازل الشديد أكثر ما يحمل ألف رطل، فإذا حمل هذا المقدار لم ينهض إلا بعد الجهد والحيلة، ورأيناه لا يجري بـحمله؛ وكذلك سائر البهائم التي توصف بالشدة لا تجري بأحمالها. ووجدنا ما يوصف من الوحش بشدة العدو لو حمل ثقيلا لم يؤد عشر جريه؛ فوقفنا على أن الفرس يحمل من فارسه وآلته وسلاحه وتجفافه وزاده وعلفه، وعلم إن كان في يد صاحبه في يوم ريح، زهاء ألف رطل، ويجري به يوما جريدا لا يكاد يمل ولا يخوى بجوع ولا عطش؛ فعلمنا أنه لا شيء من البهائم أشد ولا أصبر ولا أجود ولا أفضل ولا أكرم ولا أقوى من الخيل.

وأنزل الله عز وجل في ارتباط والاتفاق عليها آيتين من القران العظيم، قوله تعالى:) من ذا الذي يقرض الله قرضنا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (، وقوله سبحانه:) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (. قال أبو أمامة، وأبو الدرداء، ومكحول، والأوزاعي، ورباح ابن يزيد: هم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله.

وعن ابن عباس:) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية (: قال: نزلت في علف الخيل.

وروى أن أبا ذر أشار إلى بعض خيل كانت في الجبانة وقال: أصحاب هؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية وكان أبو هريرة إذا مر بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مر بفرس أعجف سكت.

الباب الثالث

حفظ الخيل

وصونها والوصية بها

أعلم أن الأمم الماضية لم تزل تكثر من الاعتناء بالخيل والتشريف لها، والثقة بها، والتعويل عليها في حروبها، والافتخار بربطها؛ وإن كانت العرب زادت في فضلها ومزيتها ما فاتوا به الأمم، فلم تكن في الجاهلية ولا في الإسلام تصون شيئا من أموالها كصيانتها ولا تكرمه ككرامتها، لما كان لهم فيها من التباهي والتفاخر، والتنافس والتكاثر، والقوة والمنعة، والعز والرفعة.." (١)

"وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرغب العرب في الخيل وأصونهم لها، وأشدهم إكراما وعجبا بها، حتى إنه كان ليأنس بصهيلها، ويفضلها على الرجال فيما يسهمه لها ويراهن عليها، وينهي عن استنتاج كرائمها من حمار أو هجين لا يشبه أصله أصولها، غيرة منه عليها، وإشفاقا من فساد أنسالها، وقد كان عليه الصلاة والسلام وصي بها، وعوتب على اشتغاله في وقت من الأوقات عن تفقدها. جاء عن إسماعيل بن رافع:) إن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ذات يوم فقام إلى فرسه فمسح عنقه ووجهه بطرف ردائه أو بكم قميصه، فقيل له: يا رسول الله! صنعت اليوم ما نراك صنعته؟ فقال: إني بت الليلة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل (.

وعن عائشة رضي الله عنها:) إنها خرجت ذات غداة، والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح فرسه بثوبه، فقالت: يا رسول الله! بثوبك؟ فقال: ما يدريك؟ لعل جبريل قد عاتبني فيه الليلة؛ قالت: فولني علفه، فقال له ا: لقد أردت أن تذهبي بالأجر كله! أخبرني أن ربي يكتب لي بكل حبة حسنة (.

قيل:) وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة) تبوك (إذ قام إلى فرسه الظرب فعلق عليه شعره، وجعل يمسح ظهره بردائه، فقيل: يا رسول الله! أتسمح ظهره برادئك؟ قال: نعم، وما يدريكم؟ لعل جبريل أمرني بذلك، مع أني قد بت الليلة وأن الملائكة تعاتبني في حس الخيل ومسحها، وقال: أخبرني خليلي جبريل أنه يكتب لي بكل حبة أوفيتها إياه حسنه، وأن ربي يحط عني بها سيئة؛ وما من امرئ من المسلمين يرتبط فرسا في سبيل الله فيوفيه عليقه يلتمس له قوة إلا كتب الله له بكل حبة حسنة، وحط عنه بها سيئة (.

وعن محمد بن عقبة عن أبيه عن جده قال: أتينا تميما الداري وهو يعالج عليق فرسه بيده، فقلنا له: يا أبا رقية! أما لك من يكفيك هذا؟ قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:) من ارتبط

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ابن هذيل ص/٦

فرسا في سبيل الله فعالج عليقه بيده كان له بكل حبة حسنة (.

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:) من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله، وإن أهانه أهانه الله (.

وعن مجاهد قال:) أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسانا ضرب فرسه، فقال: هذه مع تلك؟ لتمسك النار، فكلم فيه، فقال: لا: إلا أن يقاتل في سبيل الله؛ فجعل الرجل يحمل عليه ويقول: أشهدوا! أشهدوا! .)

وكانت العرب لقدر الخيل عندها وإعزازها إياها تقتص من لطمه الفرس وتعير بذلك، وتطلب الثأر فيه كما تطلبه في أنفسها؛ ولا تلطم بلطمة البعير؛ ذكر ذلك حماد الراوية عن سماك بن حرب، قال الجراح الهمداني في ذلك:

ونهدة يلطم الجاني بلطمتها ... كأنها ظل برد بين أرماح

ونهى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ركض الخيل إلا في حق. وعن الوضين بن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:) لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها (. وقال صلى الله عليه وسلم:) ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأعجازها، أو قال: أكفالها، وقلدوها، ولا تقلدوها الأوتار (. وكانوا يقلدون الخيل أوتار القسى لئلا تصيبها العين، فنهاهم عليه السلام عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من قضاء الله شيئا. وقيل نهاهم عن ذلك خوفا على الخيل من الاختناق. وقيل الأوتار الذحول، وهي الدماء: أي لا تطلبوا عليها الذحول التي وترتم بها في الجاهلية. والقول الأول أصح.

وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:) لا تهلبوا أذناب الخيل، ولا تجزوا أعرفها ونواصيها، ودفاؤها في أعرافها، وأذنابها مذابها (.

وقال صلى الله عليه وسلم:) لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فأن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجاتكم (.

وقال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:) أكرموا الخيل وجللوها (.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن خصاء الخيل.." (١)

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ابن هذيل ص/٧

"و) العطاس (فرس عبد الله بن عبد المدن. و) العصا (فرس جذيمة ابن مالك الأزدي، ملك الحيرة في أول الزمان، قبل بني المنذر بدهر، وهو جذيمة الأبرش الذي قتلته الزباء، ونجا قصير على فرسه) العصا (فأخذ بثأره بعد ذلك، وقتل الزباء في حديث طويل.

و) الضبيب (فرس حسان بن حنظلة الكندي؛ وكان شهد مع كسرى يوم النهروان، ويوم التقى كسرى وبهرام، فهزم كسرى، فخرج هاربا وأدركه حسان بن حنظلة، وقد قام بكسرى برذونه، فنزل حسان عن فرسه الضبيب، فركبه كسرى ونجا، فقال حسان في ذلك:

تلافيت كسرى أن يضام ولم أكن ... لأتركه في الخيل يعثر راجلا

بذلت له صدر الضبيب وقد بدت ... مسومة من خيل ترك وكابلا

ثم ظهر كسرى فقتل بهرام، فاما استقر به ملكه أتاه حسان بن حنظلة، فأقام ببابه لا يصل إليه، فلما طال به الأمر أتى الحاجب فقال: إنك قد أطلت حجابي، وأنا أعظم الناس يدا عند كسرى، فأعلمه مكاني، فأعلمه مكانه، فإذن له فقال: من أنت؟ وما يدك هذه؟ قال: أنا الذي حملتك على فرسي يوم النهروان، وقد قام بن برذونك! قال كسرى: أف لك! لقد ذكرتني أخبث يوم مر بي قط! أخرجوا هذا الكلب! فأخرجوه.. حتى إذا تجلت عن كسرى الهموم ندم واستحى، فأكرمه وأحسن جائزته، وأقطعه) طسوج (، وهي من الكوفة على فراسخ.

و) البريت (فرس ابن قبيصة الطائي.) حومل (فرس حارثة بن أنس. بن الحارث. و) اليحموم (فرس النعمان بن المنذر ملك العرب، وكان) اليحموم (من رباط غطفان. و) القريط (و) نحلة (و) شاهر (أفراس لكندة (.

و) خصاف (فرس مالك بن عمرو ابن المنذر بن الحارث بن مارية ذات القرطين المعلقين بالكعبة.

وكان مالك بن عمرو جبانا فأذاق إذا شهد الحرب كان منها مدى النبل، إذ جاءه سهم يوما، فوقع عند يد فرسه، فقال: إن كاد هذا السهم أن يصيبني، فاهتز السهم وكثر اهتزازه وهو ينظر إليه، فنزل فحفر عنه، فإذا السهم قد أصاب يربوعا في نفقه. فلم يخطئ جمجمته فقتله. فركب مالك بن عمرو، فقال) ما المرء في شيء ولا اليربوع (. فذهبت مثلا. ثم قال: أراني أفر بأجلي، وقد دخل السهم على اليربوع حين وفى أجله، ولم يغن عنه شيئا تحرزه، ما أموت ولا أقتل إلا بأجلي، فحمل فخرق الصف مقبلا ومدبرا، فكان بعد ذلك من اشد قومه. فقال في ذلك شاعر من غسان:

إذا وجه الدهر السهام إلى امرئ ... أصاب ولا يشوي ويمم قاصدا

ورب خصاف قد أفاتت سهامه ... وأي امرئ يبقى على الدهر خالدا

و) الضبيح (فرس خوات بن جبير الأنصاري. و) الورهاء (فرس فتادة الكندي. و) كنزة (فرس المنذر بن شماس الجذامي. و) اليسير (فرس أبي النضير السعدي. و) الهداج (فرس الريب ابن الشريق السعدي. و) الجون (فرس الحارث بن أبي شمر الغساني. قال فيه علقمة حين أسر أخاه شأسا قصدته التي أولها: طحا بك قلب في الحسان طروب يقول فيها بعد:

فأقسم لولا فارس الجون منهم ... لآبوا خزايا، والإي اب حبيب

تقدمه حتى تغيب حجوله ... وأنت لبيض الدراعين ضروب

و) العارم (فرس المنذر بن الأعلم الخولاني. و) العرن (فرس عمير بن جبل البجلي. و) نصاب (فرس الأحوص بن ثعلبة الكلبي. وابنتها) وريعة (وهبها الأحوص لمالك بن نويرة. و) موكل (و) القراع (فرسا ربيعة بن غزالة اليشكري. و) الغزالة (فرس محلم ابن الأرقم. و) صعدة (فرس ذؤيب بن هلال الخزاعي.

و) النعامة (فرس قراص الأزدي. و) ذو الريش (فرس السمح ابن هند الخولاني، و) الطيار (فرس أبي ريسان الخولاني. و) الجناح (فرس محمد بن مسلمة الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. و) المعلي (فرس الأسعر بن) أبي (حمران الجعفي. و) بهرام (فرس النعمان) بن عقبة (العتكي. و) صهبي (فرس النمر بن تولب العكلي. وفيها يقول:

أتذهب باطلا عدوات صهبي ... وركض الخيل تختلج اختلاجا؟." (١)

"أقول: ما أدري ما معنى هذا. فإن الماء إذا انحرف عن مكان، إنما ينحرف باستفال الموضع الذي انحرف إليه عن الموضع الذي انحرف عنه. إما بأخدود يحفر، أو بتهدم من نفس الأرض. وحينئذ يرجع الماء القهقرى وينعطف عن المرتفع، وينحدر إلى المنخفض. هذا الذي يفهم من لفظة انحرف الماء. ومتى كان الأمر كذلك فلا يعود الماء إليه، اللهم إلا أن يدعي أن مدد الماء يقوى دفعه فيزيد إلى أن يعلو المنخفض، ولم يجد له حيزا يشغله غير ذلك الذي انحرف عنه. وهذا غير مفهوم من مجرد كلامه.

ولو قال: فإن الغيث إن أقلع صوبه عن مكان، فلا بد وأن يعود في وقت إلى ذلك المكان. أو فإن الماء إذا جفا موضع جريته في وقت، فلا بد أن ينعطف على ذلك المكان. أو إذا قطعت سقياه عن مكان أو ما ناسب ذلك، غير لفظة انحرف.

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ابن هذيل ص/٣٧

وما أحلى قول القاضي الفاضل: وقد يعود الماء إلى مشرعه، والكوكب إلى مطلعه.

وما أحسن قول القائل في معنى قول ابن الأثير:

سأصبر صبر الحر من غير قدرة ... على الصبر لكن من طريق التجمل

لعلك يوما أن تردك رحمة ... علي فتلقاني بوجه التفضل

مناقشة مثال آخر لابن الأثير

قال: ومن ذلك ما ذكرته في وصف الخمر وهو: الخمر لا تفي لذة إسكارها بتنعيص خمارها، فهي خرقاء البنان، بذيئة اللسان، وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والأديان. وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها، ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤوس بجناية أقدامها. وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف، لأنه قال:

ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت ... زمنا تداس بأرجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت ... منهم فصاحت فيهم بالثار

أقول: أما إضافة البنان واللسان والعقل والدين إلى الخمر، فإنه من الغريب وأغرب من ذلك أن جعل للرؤوس أقداما، وأغرب من هذين كونه يدعي أن كلامه ألطف وأحسن وأغرب من قول الشاعر، والفرق مثل الصباح ظاهر. وكأنه أراد أن يد معاقرها خرقاء، ولسانه بذيء، وعقله ودينه ناقصان ولو نسب ذلك إلى الندمان في ذم الخمر لكان قادحا فيها. وإنما إضافة الجوارح والعقل والدين إليها فغير جائز إلا بتأويل بعيد إلى الغاية.

وما أحسن قول أبي تمام:

خرقاء يلعب بالعقول حبابها ... كتلاعب الأفعال بالأسماء

وقول القائل:

وصف المدامة شاربوها أنها ... تحوي السرور وتطرد الهما

صدقوا هفت بعقولهم وبدينهم ... أرأيت عادم دين مغتما

وقول ابن سناء الملك:

عروسكم يا أيها الشرب طالق ... وإن فتنت من حسنها كل مجتلي

دفعت لها مالي وعقلي معجلا ... فقالت وجنات النعيم مؤجلي

قيل: إن سليمان بن عبد الملك ناول نصيبا قدحا. فقال. يا أمير المؤمنين، إنما وصلت إليك بعقلي فإن رأيت

أن لا تفرق بين عقلي وبيني فعلت وقول السراج الوراق.

شؤم أم الخبائث الخمر شوم ... جاوز الحد فاستمع ما يعد

فلها في الدنان حبس وللرا ... ووق صلب وللمعاقر جلد

وأما قوله: **فاستثأرت** من الرؤوس بجناية أقدامها. الضمير لا يخلو: إما أن يعود إليها أو إلى الرؤوس وكلاهما غير جائز.

وما أحسن قول ابن زهر إلا شبيلي:

وموسدين على الأكف خدودهم ... قد غالهم في السكر ما قد غالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالني

والكأس تعلم كيف تأخذ **ثارها** ... إني أملت إناءها فأمالني

وقال أبو تمام من قصيدة:

إذا اليد نالتها بوتر توقرت ... على ضغنها حتى استقادت من الرجل

وتصرع ساقيها بإنصاف شربها ... وصرعهم بالجور في صورة العدل

وأما قوله: وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والأديان. ما أحسن ما استعمل المتنبي هذا في وصف الدنيا فقال:

شيم الغانيات فيها فما أد ... ري لذا أنث اسمها الناس أم لا." (١)

"وقوله: كتاب كريمي من حيث نسبته إليه، كليمي من حيث نسبته إلى اليد لبيضاء من يديه، مسيحي من حيث أن أحيي موات الأنس، محمدي من حيث كاد يكون بما نفثه في روعي روح القدس، فلا عدمت مخاطبته التي تخلع على الأيام يوم العيد، وعلى الليالي ليلة العرس. فأبقاه الله للسان العربي فلولاه كان مزويا لا مرويا، مدحورا لا مدخورا، ولولاه لحالت أحرفه عن حالاتها، وأبت الفصاحة أن تكون قوائم الأحرف من آلاتها. فكانت تقعد ألفه القائمة، وتموت باؤه النائمة، ويزيد حني ظهر داله حتى يلحق بالرغام خدها ويغض، وحتى تدرد أسنان سنه فلا يبقى لها ناجذ عليه تعض.

وقوله: وقف عليه والشكر عن المنعم به غير واقف بل وقف، واستمطر منه صوب الغمام فما انقطع له ولا كف وكف، ورأى بنيان تبيان لو رأته المجارون لأتي بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف، فلله هو من بليغ

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٢٢

إن قال فالقول عنده أكثر يوم البين من ماء الطرف، وإن رام القول غيره فهو أقل عنده يوم الحسين من ماء الطف.

وقوله في جواب كتاب للشيخ تاج الدين الكندي: وظننته وحقق الله فيه الظن وقد ارتقى الأسباب وأخذ اللفظ من القطر والقرطاس من السحاب، وآمنت بصحة رقيه، وتبينت التقاطه للنجوم حين أوردها في بارع اللفظ ونقيه، وقلت للجماعة: كلام التاج تاج الكلام، والملك في كندة وكانت أقلامها سيوفا وسيوفها الآن أقلام.

وقوله: فوقفت منه على ظرف الظرف، وتحفة الطرف، وكدت أعبده منه على حرف، وكل حرف ذلك الحرف. ولولا إشفاقي أن يفطن الدهر لمكانه من قلبي، وخوفي أن أعرفه بحسنته منه فأغريه منها برفع أوزار حربي، لقلت قولا يغض الأولين والآخرين من هذه الصناعة، وأنفذت فيهم سهاما لا تحمي شاعرا منها صخرة وجه ولا كاتبا درع دراعة. وما هي إلا آيات كل واحدة أكبر من أختها، وفكر مرزوقة في أيام الجمعة كلها إذا أتت الفكر أرزاقها يوم سبتها.

وقوله: كتب كريمة كادت ألفاظها تتبسم، ومعانيها تتكلم، وكادت حروفها تكون أناسي لعين المسار، وكادت سطورها تجلي عرائس وعليها من الشكل حلي ومن النقط نثار.

وقوله: كتاب سني المعاني سيني القوافي، وحق سينه أن يخلص لها الإقبال، والسين تصحب الفعل فتخلصه للاستقبال، وهذا أفق لامطار فيه إلا للعقاب وابنه، وبحر لا سبح فيه إلا لمن يخرج الدر من فيه ويدخل البحر في ردنه، وما عنيت ها هنا بالبحر إلا يده الكريمة فأما البحر فلم أعنه.

وقوله: كتب المجلس روح الله قلبه، وأتاح قربه، ولا برحت أقلامه سلاح أوليائه على الزمن إذا خافوا حربه، تؤنس راجيها، وتؤيس مجاريها، ويخصب بها السمع، ويتظاهر بها النفع، لولا أنها تغير علينا شيمنا فتخلق فيها الحسد، وتشد أيدينا إذا تعاطينا المجاراة بحبل من مسد.

وقوله: وسيدنا ما بعد بيانه بيان، وبين فكيه سيف وبين فكي كل إنسان لسان، فقولي يا أقلامه فقد خرست في الغمود المناصل، وتبختري يا تغلب ابنة وائل فقد أعطي من البلغاء التقدمة وهم صارغون، وأفلح المعترف بفضله وقد علم أنه لا يفلح الكافرون.

وقوله: ووقف على الميمية فأطاف به منها الطوفان، وحياة منها الروح والريحان، وهي مما أملاه ملك إن كان يملي الأشعار شيطان، وعجبت لاطراد تلك القوافي، ورأيت الشعراء أتت بما ألفت في ضيق الأودية وخاطره

وقلمه أتيا بما ألقيا في الفيافي، وكل بيت منها بديوان، كما أن قائلها إنسان يفدى بألف إنسان، كما أن قلمه قصير فما جدع أنفه إلا ليأخذ ثأر القلم من السنان.
قلت: وعلى ذكر الفيافي في قول القاضي الفاضل، وما ركبه في هذه السجعة من الجناس المليح، فكنت كتبت إلى شيخنا الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس أبياتا، وأجابني عنها بنظم ونثر. من جملة النثر: بل ذلك السحر الحلال الشافي، بل تلك القوى في القوافي، بل تلك المقاصد التي أقصدت المنى في المنافي.
فكتبت الجواب إليه ومنه: وع كف منه على كعبة البلاغة، فيا حسن ما نشر في استلامي وطوى في طوافي، وأراد طائر القلب أن ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم، وظهر الخوى في الخوافي. رجع إلى كلام الفاضل.." (١)

"كل عامر وغامر، وائتمر الجم من دعوة الحق إلى أمر آمر. وآتى الناس من الفجوج العميقة رجالا، وعلى كل ضامر، وكاثرت الرياض أزهار البطاح لونا وعدا، وسدت الحشود مسالك الطرق العريضة سدا ومد بحرها الزاخر مدا، فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا. وهذه المدينة هي الأم الولود، والجنة التي في النار لسكانها الخلود، وكرسي الملك، ومجنبته الوسطى من ذلك السلك، باءت بالمزايا العديدة ونجحت، وعند الوزان بغيرها من أمات البلاد رجحت، غاب الأسود وجحر الحيات السود، ومنصب التماثيل الهائلة، ومعلق النواقيس الصايلة. وأدنينا إليها المراحل، وعينا ببحار المحلات المستقلات منها على الساحل. ولما اكتسبنا جوارها، وكدنا نلتمح نارها، تحركنا، ووشاح الأفق المرقوم بزهر النجوم، قد دار دايره، والليل من خوف الصباح [على سرحه المستباح] قد شابت غدايره، والنسر يرفرف باليمن طايره، والسماك والرماح يثأر بعز الإسلام ثائره، والنعايم راعدة [فرائص] الجسد من خوف الأسد، والقوس يرسل سهم السعادة، بوتر العادة، إلى أهداب النعم المعادة، والجوزاء عابرة نهر المجرة، والزهرة تغار من الشعرى، العبور بالضرة، وعطارد يسدي في حبل الحروب على البلد المحروب ويلحم، ويناظر أشكالها الهندمية فيفحم، والأحمر يبهر، والعلم [الأبيض يفري وينهر] والمشتري يبدي في فضل الجهاد ويعيد، ويزاحم في الحلقات على ما للسعادة من الصفات ويزيد، وزحل عن الطالع منزحل، وفي زلق السقوط وحل، والبدر يطارح حجر المنجنيق كيف يهوى إلى النيق، ومطلع الشمس يرقب، وجدار الأفق يكاد بالعيون عنها يرقب." (٢)

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٢٨

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٩٣/١

"ووصلت الأخبار بما جرت به الحادثة من دخول عدو قبرس مدينة الإسكندرية، ثم رجع المسلمون إليها، وتدارك السلطان بمصر أمرها، ورام أخذ الثأر من العدو، وأنشأ الأساطيل، صدرت مخاطبة السلطان بالأندلس رضي الله عنه من إملائي ما نصه، وتوجه الرسل بذلك إلى بابه

الأبواب الشريفة التي تعنو لعزة قدرها الأبواب، ويعتزي إلى نسب عدلها الحكمة والصواب، وتناديها الأقطار البعيدة مفتخرة بولائها، واصلة السبب بعلائها، فيصدر بما يشفي الجوى منها الجواب. فإذا حسن مناب عن أئمة الهدى، وسباق المدى، كان منها عن عمومة النبوة النواب، وإذا أضفت على العفاة بغيرها أثواب الصلاة، ضفت منها على الكعبة المقدسة الأثواب، أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير، الظاهر الطاهر، الأوحد الأسعد، الأصعد الأمجد الأعلى، العادل، العامل العالم الفاضل الكامل، [سلطان العدل، وحيد الفضل] ، جمال الإسلام، علم الأعلام، فخر هذه الأيام، ملك البرين والبحرين، مؤمل الأمصار [والأقطار] ، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتطار، الملك المنصور، أبو الفتوح شعبان، ابن الأمير الرفيع المجادة، الكريم البنوة والولادة، الطاهر الظاهر، الكبير الشهير، المعظم الممجد الأسمى، الموقر." (١)

"الصادقين، [حيث الإغارة لعدو الإسلام تتقي، ولاثنية إلا لابتغاء ما لدين الله ترتقي] ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، وحور الجنان قد زينت أترابها بدار العرب الذين قارعوا باب الفتح، وفازوا بجزيل المنح، وخلدوا الآثار، وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخذوا الثأر، وأمنوا من لفح جهنم بما علا وجوههم في ذلك الغبار. فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، ونهب بكم إلى إحدى الحسنيين، والصبح غير خاف عند ذي عينين، والفضل الجاهز لإحدى المنزلتين، فإنكم إذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه، وفضلا ارتديتموه، فائدته عليكم مقصورة، وقضيته فيكم محصورة، وإذا أقمتم الجهاد، جلبتم إلى حسناتكم عملا غريبا، واستأنفتم سعيا من الله قريبا، وتعددت المنفعة إلى ألوف من النفوس المستشعرة لباس البؤس، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطلنا، وأعنة الإدلال أرسلنا. هذا لو قدمتهم على ه ذا الوطن، وفضلكم غفل من الاشتهار، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار، ولقاؤكم أشهى الآمال، وآثر الأوطار، فإن قوى عزمكم، والله يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه؛ فالبلاد بلادكم، وما فيها طريفكم وتلادكم، وكهولها أخوانكم، وأحداثها أولادكم، ونرجو أن تجدوا بذكركم الله في رباها حلاوة

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١/٢٩٥

زائدة، ولا تعدموا فيها من روح الله فائدة، وتتكيف نفسكم فيها تكييفات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك. حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتخلفوا." (١)

"الرفيعة، من عدد الإيمان، ومن له بذاته وسلفه علو الشان، وسمو المكان، والحسب الوثيق البنيان، ولبيته الكريم من نجد حق السابقة في ولاية هذه الأوطان، والمدافعة عن حوزة الملك، وحمى السلطان، إن فوخر، فاصدعوا بالمفاخر المعلومة، ومتوا إلى ملك المغرب ببنوة العمومة، وتزينوا من خيلاء العز بالتيجان المنظومة، فهم سيوف الدين، وأبطال الميادين، وأسود العرين، ونجوم سماء بني مرين. وكان سلفه الكريم رضي الله عنه يستضيء من رأيه بالشهاب الثاقب، ويحله من بساط تقريبه أعلى المراتب، ويستوضح كنه جميع المذاهب، ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو المكاذب، ويرى أن عز دولته وسيف صولته، وذخيرة فخره، وسياج أمره، جدد له هذه الرتب تجديدا صير الغاية منها ابتدا، واستأنف به أعلا، ولم يدخر به حظوة، ولا اعتنا. وحين صير الله إليه ملك المولى أبيه بمظاهرته ورأيه، وقلده قلادة الملك الأصيل وراثة آبائه، وحمد سعيه بعد أن سبق الألوف إلى الأخذ بثأره، وعاجلت البطشة الكبرى يد ابتداره، وأردى بنفسه الشقى الذي سعى في تبديد الإسلام وإطفاء أنواره، على تعدد خلصان الملك يومئذ، وتوفر أنصاره، فاستقر الملك في قراره، وانسحب الستر على محله. وامتد ظل الحفظ على داره. عرف وسيلة هذا المقام الذي قامه، والوفا الذي رفع أعلامه، فألقى إليه في مهم الأمور بالمقاليد، وألزمه ملازمة الحضور مجلسه السعيد، وشد يد الاغتباط على قربه مستمنحا منه بالرأي السديد، ومستندا من وده إلى الركن الشديد، وأقامه بهذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه، فهو فيهم يعسوب الكتيبة، ووسطى العقد الفريد، وفذلكة الحساب، وبيت القصيد، فدواره منهم للشريد مأوى الطريف والتليد، والكفيل بالحسنى والمزيد. يقف ببابه أمراؤهم، ويركض خلفه كبراؤهم، مجددا من ذلك ما عقده سلفه من تقديمه، وأوجبه مزية حديثة وقديمة. فهو شيخ الغزاة على اختلاف." (٢)

"ينوب عن أنس العز، فيحسن المناب، ويحمى خوزة المجد فيصون الجناب، وثبت له الضرائر النابتة فيرفع بالعذر ما ناب، ولا زالت منابر بلاغته للكرامات العمرية مظهرا ومناسك مبراته لحاج الحمد والشكر حجا ومعتمرا، ولا برحت أقلامه تأسو الكلام، وتنصر الأخ كان الظالم على تأويله أو الظلوم، وتنشر العلوم والحلوم، وفقت من المراجعة الوزارية بخط اليد البيضاء، المستمدة من جيب الحلم والإغضاء، المقلمة الظفر مع المضاء،

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١/٥١١

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٦٥

الصادعة بحجة سر الاختيار والارتضاء في غيب القضاء، ساكبة غمام الرحمات على الرمضاء، فقلت اللهم بارك لذي الخلق الحسن فيما وهبت، وأمتعهم منها بما قضيت وما كتبت، فنعمت الحضة الصادر بها منشور أمرك لزيدك وعمرك، صفة أنبيائك، وأجياد عقود ثنائك، وإمارات اختصاصك، في عالم الغيب واعتنائك. ما الذي اشتمل عليه ذلك المكتوب، والعلم الموهوب، من أسرار وخلق أبرار، وأحلا غطى على أمرار، وتنبيه بحكم انجرار، واعتدال دار فلكه على قطب دار قرار. فلله تلك الذات العمرية، ما ألطف شمائلها، وأورف خصائلها، لعمري إن السعد لمتوليها، ومظهر ثأرها بفضل الله ومعليها، زادها الله من فضله أضعافا، ولا قطع عنها إسعادا وإسعافا، وجعل سنان نصرها رعافا، وقوى ضدها موتا زعافا، وشيمة مجدها عدلا وإنصافا، وتخلقا بالجميل واتصافا، غير أن النفس كالصبي والغلام الغبي، إذا تسومح في زجره وأدبه، جرى من التمادي على مذهبه، فشرهها كثير، ولجاجها لنكير الحق مثير. جعلنا الله ممن شد خطامها، وأحكم عن رضاع ثدي العوائد فطامها، طمحت للمراجعة في عنان الهور، ومشت قطوفا بين مهاوي العور، فقلت وبماذا يجيب من انقطع، وكيف بلبل الشك والحق قد سطع، إذ كان خيالك لليلى الأخيلية، فقد قطع حجاج الحجة لسانه، بأن أفاض عليه إحسانه، وإن كان." (١)

"ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

وقال آخر:

ما أحسن العفو من القادر ... لا سيما عن غير ذي ناصر

يا غاية القصد وأقصى المنى ... وخير مرعى مقلة الناظر

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي ... فما له غيرك من غافر

أعوذ بالود الذي بيننا ... أن تفسد الأول بالآخر

كان أبو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله إلى منزله برفق فلما أفاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب إلى المأمون أبياتا منها.

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٦١/٢

سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما ... كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما أن كنت عند خليفة ... وفي مجلس ما أن يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة سر إلينا فقد عفونا عنك فلا عتب عليك وبساط النبيذ يطوي معه أخذه الشاعر فقال:

إنما مجلس الشراب بساط ... فإذا ما انقضى طوينا بساطه

وقال ابن سنا الملك: وما ذلك الحبيب فإنه حضر متفضلا وجاء متذللا لا متدللا واستجار بحرم الحرمة وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بأن الإدلال دلاه بغرور وأوقعه في أمور وأخرجه من الظمات إلى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل أمره وثنى عنان القلب إليه حسن تثنيه وأذهبت حلاوة جني ريقه مرارة تجنيه.

وذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسته بألف شفيع

وقال الآخر:

وزعمت بأني ظالم فهجرتني ... ورميت في قلبي بسهم نافذ

فنعم ظلمتك فاعذري وتجاوزي ... هذا مقام المستجير العائذ

وقال ابن زيدون:

يا قمرا مطلعه المغرب ... قد ضاق بي في حبك المذهب

ألزمتني الذنب الذي جئته ... صدقت فاصفح إنني المذنب

فإن من أغرب ما مر بي ... أن عذابي فيك مستعذب

وقال آخر:

وما قابلت عفوك باعتذار ... ولكني أقول كما تقول

سأطرق باب عفوك باعتذار ... ويحكم بيننا الخلق الجمول

الباب السادس عشر

إغاثة العاشق المسكين

إذا وصلت العظم السكين

أقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة وأغزرهم مروة وأرقهم قلبا وأحسنهم مربى ممن أصبح بين المحبين قديم هجر وهجرة وأمس له بكؤس المحبة ألف سكرة لا جرم أنه أعان ذوي المحبة ووازن بنفسه من في قلبه من

الغرام مثقال حبة فسعى في إصلاح حاله وساواه بنفسه وماله والله القائل في هذا المعنى.

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا أو معينا أو عاذرا أو عذولا فإن كنت خاليا من ذلك كله.

أعني بأطماع كذوب على النوى إذا لم تقاتل يا جبان فشجع قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة مالك والهل القائل في ذلك:

لو تعلم الناس من شوقي ومن كافي ... ما بت أعلمه استسقوا بميعاد

واستشفعوا لي إلى ألفي بأجمعهم ... وجاء عائدهم في ذي قواد

ومن أعجب ما سمعته في إغاثة العاشق والأخذ بثأره وما حكاه الجاحظ قال بلغني أن عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله. وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له سلوة غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالي الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال أني سمعت الله يقول: " ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " أفلا أحيي الناس جميعا.

وحكى الخرائطي أنه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام إليها يوما.

ولقد رأيتك في المنام كأنما ... عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا ... بتنا جميعا في فراش واحد

فطفقت نومي كله متراقدا ... لأراك في نومي ولست براقدا

فأجابته الجارية:." (١)

"وقال ابن منقذ:

يا ظالما يعرض عني إذا ... دعوت غضبان على ظالمي

أظنه أنت وإلا فلم ... تخشى دعائي دون ذا العالم

يا رب لا تسمعه فيه وإن ... كان دعاء المغرم الهائم

وقال الآخر:

قلت لمحبوبي وقد مر بي ... محبوبه كالقمر الساري

هذا الذي يأخذ لي طرفه ... من طرفك الوسنان بالثأر

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٥٩

وقال الآخر:

ولما بدا لي أنه غير زائري ... وإن هواه ليس عني بمنجلي

تمنيت أن يهوى سواي لعله ... يقاسي مرارات الهوى فيرق لي

الباب العشرون

الخضوع وانسكاب الدموع

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوبا على مسكوب فبات وهو من جريانه كالرمح كما قيل انبوب على انبوب ولا إذا تمادى الهجر أو كان عليه بعض حجر هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر وينشد إذا عزم الخليط على السفر:

ومفارق سكن القلوب ... فلا خلت منه الربوع

بعث الرسول وقال لي ... وأنا السميع له المطيع

بالله قل لي ما جرى ... بعدي فقلت له الدموع

وقال الآخر:

قال لي من أحببت والبين قد جد ... وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت ابكي عليك طول الطريق

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله:

؟؟؟؟؟؟؟؟ قد استخدمت بالافكار سرى ... وما أطلقت لي بالوصل أجره

ولم أرني على الايام إلا ... عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بادمعي في الشمس عصره وقوله أيضا وهو من نثره الذي أصبح بين النجوم نثره فيصير حتى تنجلي هذه الغمرة وتقلع سحائب هذه السكرة وتجف مناديل الجفون فإنها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفي هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر:

لا تسلني عن اول العشق اني ... أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك أرد ... ت غرامي بمستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله:

أتراها لكثرة العشاق ... يحسب الدمع خلقه في المآق

وقوله أيضا:

لاتعذل المشتاق في أشواقه ... حتى يكون حشاك في أحشائه

ان الفتيل مضرجا بدموعه ... مثل الفتيل مضرجا بدمائه

وقوله أيضا:

وهبت السلو لمن لامني ... وبت من الشوق في شاغل

كأن الجفون على مقلتي ... ثياب شققن على ثاكل

وقول الآخر:

شقت عليه يد الأسى ... ثوب الدموع إلى الذيول

وقال الآخر في الخضوع وانسكاب الدموع:

ولم أنس لا أنسى ذاك الخضوع ... وفيض الدموع وغمز اليد

وخدي مضاف إلى خدها ... قياما إلى الصبح لم نرقد

وقال إبراهيم بن المعمار:

وبي غضبان لا يرضيه إلا ... دموع ساكبات مستمرة

فما عطفت معاطفه بوصل ... وفي عيني بعد الهجر قطرة

وقال الآخر:

وقائلة ما بال عينيك مذ رأت ... محاسن هذا الشخص أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بنظر طلعة ... فحق لها من فيض أدمعها غسل

وقال السري الرفاء:

بروحي من رد التحية ضاحكا ... فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي

وحالت دموع العين بيني وبينه ... كأن دموع العين تعشقه معي

وقال ابن وكيع:

وسحاب إذا همي الماء فيه ... ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر إلا ... ظل يذكي على القلوب الحريقا

وقلت من قصيدة حجازية:

خليلي روض الرقمتين طرازه ... إذا لمع البرق الحجازي مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي إذا همت ... فما كل برق لاح للعين خلب
وقلت من أخرى حجازية:
تزني جفني القريح على الخدين قد وكفا ... فحسبه ما جرى من أدمعي وكفا
إن عز نظم دموعي حين أنثر ... فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا." (١)

"نفسه، من الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة، ولم يل الخلافة من بني العباس من هو أكبر سنا. قال صاحب رأس مال النديم: إنه لم يتقلد الخلافة من أبوه حي، سوء الطائع لله والصديق رضي الله تعالى عنه، وكلاهما إسمه أبو بكر. وهو السادس، فخلع كما سيأتي إن شاء الله تعالى وذلك إذا لم يعد ابن المعتز وإن عد فالمطيع هو السادس، وقد خلع نفسه لما حصل له من الفالج، ولما ولي، أعني الطائع خلع على سبكتكين التركي، وولاه ما وراء بابه.

وفي أيام الطائع استولى الملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، على بغداد وملكها، فخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية، وتوجه وطوقه وسوره. وعقد له لواءين، وولاه ما وراء بابه.

وتسلم عضد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقية «١» وزير عز الدولة وصلبه، فرثاه أبو الحسن بن الأنباري «٢» بمرثيه لم يسمع في مصلوب مثلها فلنأت بها وهي هذه «٣» :

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك إذ أقاموا ... وفود نداك أيام الصلات «٤»
كانك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدكها إليهم بالهبات «٥»
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واسعاضوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات «٦»
وتوقد حولك النيران قدما ... كذلك كنت أيام الحياة «٧»
ركبت مطية من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٦٨

وتلك قضية فيها تأس ... تباعد عنك تعيير العداة «٨»
ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاشتثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجيرنا من صرف دهر ... فعاد مطالبا لك بالترات «٩»
وصير دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي ... حقيق بالدموع الجاريات «١٠»." (١)
"تعالى: وتحمل أثقالكم إلى بلد

الآية. والجمل البختي رجل أعجمي. ومن رأى جملا يصول عليه فإنه يخاصم سفيها. ومن قاد جملا بخاطمه، فإنه يهدي رجلا ضالا ومن أكل رأس جمل، اغتاب رجلا رئيسا. ومن رأى جمالا عربا، ولي على قوم من الأعراب. ومن رأى جملين يقتتلان، فإنهما ملكان. ومن رأى أنه يجر جملا فإنه يقهر عدوا. وقال ارطاميدورس: رؤية الجمل تدل على مجاديف السفينة وعلى سرعة سيرها والجمال تدل على أقوام جهال، لا معرفة لهم ولا رأي.

والغالب عليهم الذلة ومن رأى أنه سقط من ظهر جمل خشي عليه الفقر. ومن رأى أنه رمحه جمل مرض. والقطار من الجمال إذا كان يتلو بعضها بعضا أمطار لأن المطر يتلو بعضه بعضا، وهي تحمل الأثقال كما تحمل السحب الأمطار. وإذا ذبحت الجمال ولم يكن في ذلك المكان رجل فتاك فإنها دعوة لكرام. ومن رأى كأنه صار جملا فإنه يحمل أثقالا من تبعات الناس. والبخت سفر بعيد لراكبها بلا عناء. وربما دل الجمل على المسكن، وعلى السفينة، لأنه من سفن البر. وربما دل على الموت، لأنه يظعن بالأحباب إلى الأمكنة البعيدة. وربما دل على الزوجة ويدل الجمل على الحقد وأخذ الثأر ولو بعد حين. وربما دل على الرجل الصبور. وربما دل على البطء في الأحوال لمن يريد الاستعجال. وربما دل الجمل على الجمال، لأنه مشتق من لفظها. وللآية وتدل رؤيا الجمال على الجان، لأنها خلقت من أعين الجان. وتدل الجمال على الأرزاق والفوائد لامتهانها وملكها قال ابن المقري: ورؤية الجمال البخت تدل على الأجلاء من الناس وأرباب الأسفار كالتجار في البر والبحر. وربما دلت على الأعجام والغرباء. وربما تدل رؤيتها على الهموم والأنكاد والسبي وسلب المال. والله

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٣٦/١

سبحانه وتعالى أعلم.

جمل البحر

: سمكة طولها ثلاثون ذراعا كذا قاله ابن سيده. وللعجاج «١» فيه رجز حسن، قاله الجاحظ في كتاب البيان والتبيين. وفي حديث أبي ع‍بيدة رضي الله تعالى عنه أنه أذن في أكل جمل البحر، وهو سمك شبيه بالجمل.

جمل الماء:

البجع وهو الحوصل وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة.

جمل اليهود:

الحرباء وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة.

الجمعليلة:

بفتح الجيم والميم الضبع وسيأتي إن شاء الله في باب الضاد المعجمة.

جميل وجميل:

طائر جاء مصغرا والجمع جملان مثل كعيب وكعبان قال سيبويه: وهو البلبل.

الجنبر:

كمقعد فرخ الحبارى مثل به سيبويه وفسره السيرافي كذا قاله ابن سيده.

الجندب:

ضرب من الجراد، وقيل: ذكر الجراد مثلث الدال. والجمع جنادب. قال سيبويه: نونه زائدة. وقال الجاحظ: إنه يحفر بذراعيه ويغوص في الطين وفي الأرض إذا اشتد الحر وربما يطير في شدة الحر أيضا. وفي الحديث «٢» «إن مثل ما بعثني الله تعالى به كمثل رجل أوقد نارا." (١)

"الطريق، وكان لها أخ في الحبس فقالت: أتريد قتل أخي قال: لا ما أقتله. قالت: فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي، فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر فقال له: قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلا، وأتركك وأنت صاحبه لا والله. فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين. وأمره معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله، وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢٩١/١

وقال غيره: بل وضعه حيا في جيفة حمار وأحرقه بالنار، وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل، وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرقه الله بالنار! فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا فقالت: بنار الدنيا. وقد تقدم هذا في باب الجيم في الكلام على لفظ الجمل ودفن في الموضع الذي قتل فيه. فلما كان بعد سنة من دفنه، أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة. ويقال إن الرأس في القبلة. قال: وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن خديج. ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه مسالم، ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة، وقالت: هكذا قد شوي أخوك فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت. وقالت هند بنت شمر الحضرمية: رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن خديج وتقول: بك أدركت ثأري ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دما. ووجد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجدا عظيما وقال كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا ولبني أخا. وذلك لأن عليا كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم. وذكر الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردي وغيره أن سفيان بن سعيد الثوري أكل ليلة زائدا على عادته فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، ثم قام حتى أصبح. قال: وكان فتى يجالس الثوري ولا يتكلم فأحب أن يعرف نطقه فقال: يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيول سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة فقال الفتى: يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم. وقال سفيان بن عيينة:

دعانا سفيان الثوري ليلة فقدم لنا تمرا ولبنا خائرا فلما توسط الأكل قال: قوموا فلنصل ركعتين شكرا لله تعالى فقال ابن وكيع، وكان حاضرا: لو قدم لنا شيئا من اللوزينج، لقال: قوموا فلنصل التراويح فتبسم سفيان. وقال سفيان الثوري ما استودعت قلبي شيئا قط فخانني. وقال له رجل: أوصني فقال: اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها، وللآخرة بقدر مقامك فيها، والسلام. وقال له رجل: إني أريد الحج، فقال: لا تصحب من يتكرم عليك فإنك إن ساويته في النفقة أضر بك، وإن تفضل عليك استذلك. ودخل الثوري على المهدي يوما فسلم عليه تسليم العامة، ولم يسلم بالخلافة، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق، وقال: يا سفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ وقد قدرنا عليك الآن! أما تخشى أن نحكم فيك الآن بهوانا؟ فقال سفيان:

أن تحكم في بحكم الآن، يحكم فيك ملك عادل قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن اضرب عنقه. فقال له." (١)

"رجاله، فثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانحلال والانخرام. ثم إنه جهز ثيابا وسأل عن خياط حاذق، فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله، فأمر بإحضاره وكان أطروشا، وكان عنده وديعة لصاحب البلد، فوقع في نفسه أنه سعى به إليه، وأنه طلب بسبب الوديعة، فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى أثني عشر صندوقا لا يدري ما فيها، فتعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من يحمل الصناديق، فوجد فيها أموالا وثيابا تجمل كثيرة، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته، توفي عماد الدولة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ولم يعقب.

الحكم:

يحرم أكل الحيات لضررها. وكذا يحرم أكل الترياق المعمول من لحومها. وقال البيهقي: كره أكله ابن سيرين، قال أحمد: ولهذا كرهه الإمام الشافعي، فقال: لا يجوز أكل الترياق المعمول من لحم الحيات، إلا أن يكون بحال الضرورة، بحيث يجوز له أكل الميتة وأما السمك الذي في البحر على شكله ا فحلال، كما تقدم. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات أمر ندب.

روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى، وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفا، فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية فقال: اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال صلى الله عليه وسلم: «وقاها الله شركم كما وقاكم شرها «١» .

وعداوة الحية للإنسان معروفة قال الله تعالى: اهبطوا بعضكم لبعض عدو*

«٢» قال الجمهور الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس.

وروى قتادة: رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما سالمناهن منذ عاديناهن» «٣» .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: من تركهن فليس منا. وقالت عائشة رضي الله عنها: من ترك حية خشية من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وفي سنن البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: ق ا ل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق» «٤» . وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من قتل حية فكأنما

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/٣٥٠

قتل رجلا مشركا بالله، ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا» «٥» . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «إن الحيات مسخت كما مسخت القردة من بني إسرائيل» «٦» . وكذا رواه الطبراني عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا رواه ابن حبان.

وأما الحيات التي في البيوت، فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن بالمدينة جناقد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة أيام» «٧» . وحمل بعض العلماء ذلك على المدينة وحدها.

والصحيح أنه عام في كل بلدة لا تقتل حتى تنذر. روى مسلم ومالك في أواخر الموطأ وغيرهما، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال: دخلت على أبي سعيد الخدري في بيته، فوجدته يصلي، فجلست أنتظر فراغه فسمعت حركة تحت سرير في ناحية البيت فالتفت، فإذا حية فوثبت." (١)

"منثورا، فإنه يبشر بغلام، إن كان له امرأة حامل، فإن لم يكن له حامل، فإنه يملك غلاما لقوله تعالى: ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون

«١» . ومن رأى أنه يقلع لؤلؤا ويبيعه، فإنه ينسى القرآن، فإن باعه من غير قلع، فإنه يثبت عملا في الناس. ومن رأى أنه ينثر لؤلؤا فيلقطه الناس، فإنه يعظ الناس وينفعهم وعظه، ومن رأى بيده لؤلؤة يبشر بولد ذكر، فإن لم يكن له حامل، اشترى جارية، وإن كان أعزب، تزوج. ومن رأى أنه استخرج من بحر لؤلؤا كثيرا، يكال ويوزن بالقبان، فإنه ينال مالا كثيرا من رجل ينسب إلى البحر. وقال جاماسب: من رأى أنه يعد لؤلؤا نال مشقة، ومن أعطي اللؤلؤ نال رياسة، ومن رأى اللؤلؤ فإنه ينال سرورا. والعقد من اللؤلؤ يدل على امرأة ذات حسن وجمال وقد يكون العقد من اللؤلؤ عقد نكاح.

الخواص

: قال القزويني: الصدف ينفع وجع النقرس والمفاصل ضمادا، وإذا سحق بالخل قطع الرعاف، ولحمه ينفع من عضة الكلب، ومحرقه يجلو الأسنان استياكا. وفي الأكحال ينفع من قروح العين، وإذا طلي به موضع الشعر الزائد في الجفن، بعد نتفه، منع نباته. وينفع من حرق النار وإذا شد منه قطعة صافية على صبي، نبتت أسنانه بلا وجع اهـ.

وقال غيره: الصدف الذي يتدور في جوفه حيوان وله غطاء على رأسه، يشبه الحجر، إذا سحق وذر على وجه النائم ثبت ولم يتحرك زمانا طويلا، وهو أسلم من البنج، ومما يحبس الرعاف أن يؤخذ الصدف، ويسحق

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٩٧/١

مع جاوشير، ويعمل منه ضماد ويجعل على الأنف.

وأما رؤيته في المنام

فمن رأى بيده صدفا فإنه يصدف عن شيء عزم عليه ويبطله خيرا كان أو شرا.

الصدى:

طائر معروف، تقول العرب إنه يخلق من رأس المقتول، يصيح في هامة المقتول، إذا لم يؤخذ بثأره، يقول: اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله، ولذلك قيل له: صاد والصادي العطشان، والصدى ذكر البوم والجمع أصداء، ويقال له: ابن الجبل، وابن طود، وبنات رضوى. وقال العديس العبدي: الصدى الطائر الذي يصر بالليل ويقفز قفزا، ويطفر والناس يرونه، الجندب، وإنما هو الصدى فأما الجندب فإنه أصغر من الصدى، والصدى صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه. وقد تقدم في بابي الباء الموحدة والزاي قول «٢» صاحب ليلى الأخيلية:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح «٣»

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

والصدى هو الصوت الذي يجيبك من الجبال وغيرها. ولأبي المحاسن بن الشواء «٤» في شخص لا." (١)

"ومما يحكى من محاسن القاضي محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة، ووفاته سنة ثلاثين وثلاثمائة أن العباس بن المعلى الكاتب، كتب إليه: ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية، فولدت ولدا، جسمه للبشر ووجهه للبقر، وقد قبض عليهما فما يرى القاضي فيهما؟

فكتب الجواب بديها: هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود فإنهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الرأس مع الرجل ويسحبا على الأرض، وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام.

فائدة أخرى

: نقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي رحمهما الله تعالى، أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فأجاب مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر كلامه.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٨١

قلت: وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا، وهو أنه قال: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا، له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل. وإنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، «كأنما على رؤوسهم الطير» «١» من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين.

فائدة أخرى

: روي أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له، سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحوله إلى قرية أخرى، فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب بثأره، وجاء بناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام فادعى عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك، فدعا الله، فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة.

وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح، وله طفل له عجلة، فأتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل. فصارت العجلة في الغيضة عوانا، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن، وكان بارا بأمه، كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثا، وينام ثلثا، ويجلس عند رأس أمه ثلثا، وكان إذا أصبح، انطلق فاحتطب على ظهره، وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي أمه ثلثه. فقالت أمه له يوما: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا وكذا، فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك. وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها.." (١)

"قال: فمم حنيت؟ قال: من طول العبادة. قال: فما هذه الحبة في فيك؟ قال: أعددتها للصائمين. فلما أمسى تناول الحبة فوقع الفخ في عنقه فخنقه. فقال العصفور: إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في العباد اليوم. وفيه أيضا عن الحسن، أن لقمان قال لابنه: يا بني حملت الجندل والحديد، وكل حمل ثقيل فلا أجد شيئا أثقل من الجار السوء، وذقت المرار كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر، يا بني لا ترسل رسولا جاهلا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/١٥٤

فإن لم تجد حكيما، فكن رسول نفسك. يا بني إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، وعما قليل يقلي صاحبه. يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تأكل شبعا على شبع، فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله. يا بني لا تكن حلوا فتبلع، ولا مرا فتلفظ.

ورأيت في بعض المجاميع عن الحسن، أن لقمان قال لابنه: يا بني اعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك، أو راهب منك، فأما الراهب منك الخائف فأدن مجلسه وتهلل في وجهه، وإياك والغمز من ورائه، وأما الراغب فيك فاظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له، وأبدأه بالنوال قبل السؤال، فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعفي ما تعطيه. وأنشدوا على هذا:

إذا أعطيتني بسؤال وجهي ... فقد أعطيتني وأخذت مني

يا بني ابسط حملك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وصل أقاربك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك، لم تعبهم ولم يعيبوك اهـ.

وقد أذكرني هذا، ما حكاه بعض أشياخي أن الاسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق فعاد رسوله برسالة، شك الاسكندر في حرف منها، فقال له الاسكندر: ويحك إن الملوك لا يخاف عليها إلا إذا مالت بطانتها، وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ، بينة العبارة، غير أن فيها حرفا ينقصها، فعلى يقين أنت منه أم شاك فيه؟ فقال الرسول: على يقين. فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظها حرفا حرفا، وتعاد إلى الملك مع رسول آخر، فتقرأ عليه وتترجم له. فلما قرىء الكتاب على الملك، مر بذلك الحرف فأنكره، فقال للمترجم: ضع يدك على هذا الحرف، فوضعها وأمر أن يقطع ذلك الحرف، فقطع من الكتاب، وكتب إلى الاسكندر رأس المملكة صحة فطنة الملك، ورأس الملك صدق لهجة رسوله، إذا كان عن لسانه ينطق، وإلى اذنه يؤدي وقد قطعت ما لم يكن من كلامي، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا. فلما جاء الرسول بهذا إلى الاسكندر، دعا الرسول الأول، وقال له: ما حملك على كلمة أردت بها الفساد بين ملكين؟

فأقر الرسول أن ذلك لتقصير رآه من الموجه إليه، فقال له الاسكندر: ما أراك سعيت إلا لنفسك لا لنا، فلما فاتك ما أملت، جعلت لك ثأرا في الأنفس الخطيرة الرفيعة. ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه. وقال يحيى بن خالد بن برمك: ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال: الهدية والرسول والكتاب.

وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلا ينشد:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصه." (١)

"الأمثال

: قالوا: «أمنع من عقاب الجو» «١» . قاله عمرو بن عدي لقصير بن سعد في قصة الزباء المشهورة. وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته:

واخترم الوضاح من دون التي ... أملها سيف الحمام المنتضى

وقد سما عمرو إلى أوتاره ... فاحتط منها كل عالي المنتهى

فاستنزل الزباء قسرا وهي من ... عقاب لوح الجو أعلى منتهى

جعلها لا متناعها بمنزلة لوح الجو، واللوح الهواء بين السماء والأرض. والجو أيضا ما بينهما.

والقصة في ذلك ما ذكره الأخباريون: ابن هشام وابن الجوزي وغيرهم، قالوا وقد دخل كلام بعضهم في بعض: إن جذيمة الأبرش، كان ملكا على الحيرة، وما حولها من السواد، ملك ستين سنة، وكان شديد السلطان قد خافه القريب، وهابه البعيد، وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه، وأول من نصب المجانيق في الحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق. فغزا مليح بن البراء، وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله «٢» :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ ... دجلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون وباد ... الملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد بنته الزباء، فلحقت بالروم.

وكانت الزباء عاقلة أديبة عربية اللسان، حسنة البيان شديدة السلطان، كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي: ولم يكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارعة وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لذلك. قال: وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى ابن مريم عليهما السلام، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال، وبذلت الأموال، وعادت إلى ديار أبيها ومملكته، فأزالت جذيمة عنها وابتنت على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين في شرقي الفرات وغربيه، وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات، فكانت إذا رهقتها

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٦٢/٢

الأعداء أوت إليه وتحصنت. وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول.

وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم في ذلك، فسكت القوم وتكلم قصير، وكان ابن عمه، وكان عاقلا لبيبا، وكان خازنه، وصاحب أمره، وعميد دولته، فقال: أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثأر، والدم لا ينام وإنما هي تاركتك رهبة وحذرا، والحقد دفين، في سويداء القلب له كمون، ككمون النار في الحجر، إذ قدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الاكفا متسع، ولهن فيه منتفع، ولقد رفع الله قدرك عن الطمع." (١)

"فيض» «١» ، فأرسلتها مثلا فلما قضى أمرت به فدفن.

وأما عمرو فكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفي من خاله الأثر، فخرج ذات يوم، فإذا فارس قد أقبل، تهوي به الفرس هوي الريح، فقال عمرو بن عدي: أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالبهيمة «لأمر ما جاءت العصا» ، فأرسلها مثلا، فأشرف قصير فقال: ما وراءك؟ قال: سعى القدر بالملك إلى حتفه، على الرغم من أنفي وأنفه. ثم قال لعمرو بن عدي: أطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأنى يطلب من الزباء وهي «أمنع من عقاب الجو» «٢» فأرسلها مثلا. فقال له قصير: قد علمت نصحي لخالك، وكأن الأجل طالبه، وأنا والله لا أنام عن الطلب بدمه، ما لاح نجم أو طلعت شمس، أو أدرك به ثأرا، أو تخترم نفسي فأعذر. ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه. وقال ابن هشام: إن قصيرا قال لعمرو: اجدع أنفي واقطع آذاني، واضرب ظهري حتى يؤثر فيه، ودعني وإياها، ففعل به عمرو ذرك. وذكر الاخباريون أن عمرا أبى عليه ففعل هو بنفسه ذلك، فقيل: «لأمر ما جدع قصير أنفه» «٣» .

قال ابن الجوزي: ثم إن قصيرا لحق بالزباء هاربا من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير ابن عم جذيمة، وخازنه وصاحب أمره، قد أتاك هاربا، فأذنت له وقالت: ما الذي جاء بك إلينا يا قصير، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام، لقد أتيت فيما يأتي فيه مثلي إلى مثلك، ولقد كان دم الملك، يعني أباها، يطلب جذيمة حتى أدركه، وقد جئتك مستجيرا من عمرو بن عدي، فإنه اتهمني بخاله لمشورتي عليه في المسير، إليك فجدع أنفي، وأخذ مالي، وجلد ظهري، وقطع آذاني، وحال بيني وبين أهلي، وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي، فهربت منه إليك، وأنا مستجير بك، ومستند إلى كنف عزك. فقالت له: أهلا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٧٩/٢

وسهلا، لك حق الجوار، وذمة المستجير.
وأمرت به فأنزل، وأجرت له النفقات ووصلته وكسته وأخدمته، وزادت في إكرامه. فأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه، وهو يطلب الحيل عليها، وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به، فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوما: إن لي في العراق مالا كثيرا، وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، فإذا أذنتني في الخروج إلى العراق، وأعطيتني شيئا أتعلل به في التجارة، واجعله سببا إلى الوصول إلى مالي، أتيتك بما قدرت عليه من ذلك. فأذنت له وأعطته مالا فقدم به إلى العراق، وأخذ مالا جزيلا، ثم رجع إلى الزباء، وقد استصحب من ظرائف العراق ولطائفها وزادها مالا كثيرا إلى مالها.
قال: فلما قدم عليها، أعجبها ذلك وأبهجها وعظمت منزلته عندها، ثم إنه عاد إلى العراق ثانية، وقدم عليها بأكثر من النوبة الأولى، وزادها أضعافا من الجوهر والخز والبز والقز والديباج، فازداد مكانه منها، وعظمت منزلته عندها، ورغبتها فيه ولم يزل قصير يتلطف في الحيلة، حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات، والطريق إليه. ثم خرج ثالثة، فقدم بأكثر من المرتين الأوليين ظرائف ولطائف، فبلغ مكانة عظيمة منها، حتى إنها كانت تستعين به في مهماتها." (١)

"زحل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم: «صدق» . قال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة ... حمراء يصبح لونها يتورد

فقال صلى الله عليه وسلم: «صدق» . قال:

تأبى فما تطلع لنا في رسلها ... إلا معذبة وإلا تجلد

فقال صلى الله عليه وسلم: «صدق» . قال السهيلي، في التعريف والاعلام، في قوله «١» تعالى: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
الآية. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنها نزلت في بلعام بن باعورا، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي.
وكان قد قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية، وكان يعلم أنه سيبعث نبي من العرب فطمع أن يكون هو، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر. وهو أول من كتب باسمك اللهم، ومنه

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٨٢/٢

تعلمت قريش، فكانت تكتب به في الجاهلية.

ولتعلم أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودي، وذلك أن أمية كان مصحوبا تبدو له الجن، فخرج في عير من قريش، فمرت بهم حية فقتلوها، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها، وقالت: قتلتم فلانا! ثم ضربت الأرض بقضيب، فنفرت الإبل فلم يقدروا عليها، إلا بعد عناء شديد، فلما جمعوها، جاءت فضربت ثانية فنفرت، فلم يقدروا عليها إلا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة فنفرتها، فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشا وعناء، وهم في مفازة لا ماء فيها. فقالوا لأمية: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها. ثم ذهب حتى جاوز كثيبا، فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه حتى أتى على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه، وكان الشيخ جنيا، فقال: اذهب فإن جاءتكم فقولوا: باسمك اللهم سبعا. فرجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة فأخبرهم بذلك فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك، فقالت: تبا لكم من علمكم هذا؟ ثم ذهبت. وأخذوا إبلهم وكان فيهم حرب بن أمية بن عبد شمس، جد معاوية بن أبي سفيان، فقتله الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة وقالوا «٢» فيه:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبي الصلت هذا، وأخبرت عنه بخبر، ذكره عبد الرزاق في تفسيره. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في هذا الكتاب، في باب النون، في الكلام على النسر ما يوافق ذلك.

الحكم

: يحرم أكل الغراب الأبقع الفاسق، وأما الأسود الكبير وهو الجبلي، فهو حرام." (١)

"لأجله سمي صدى، وهو العطش.

ويجوز أن يراعى الاشتقاق على أن يكون قد اشتق من الهيام بضم الهاء، وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى، ومنه قوله تعالى: فشاربون شرب الهيم

«١» وهو جمع أهيم كأحمر، والهيم الإبل التي أصابها الهيام، يقال: جمل أهيم وناقة هيماء وإبل هيم، قال الشاعر:

بي اليأس أو داء الهيام أصابني ... فإياك عني لا يكن بك ما بيا

وقال لبيد «٢» :

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٤٣

أجزت على معارفها بشعب ... وأطلاح عن المهري هيم

وقيل: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل، ويحتمل أنه إنما سمي هامة باسم رأسه تشبيها بهامة الإنسان وهي رأسه قال الشاعر:

ونضرب بالسيوف رؤوس قوم ... أزلنا هامهن عن الصدور

وعلى هذا يكون التجوز حاصلا من الجانبين، وهذا قد وجد في كلام بعضهم الإيماء إليه، وسمي بعضهم الهامة بالمصاص، لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها، وإنما سموا بعض هذه الطيور بومة، لأنها تصيح بهذا الحرف، وبعضها يصيح بقاف وو ا و وقاف، فيسمونها قوقة وأم قويق، وكل هذا من جنس الهوام.

وروى «٣» مسلم وغيره، عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا صفر ولا هامة» . وفيه تأويلان: أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة، وهي هذا الطائر المعروف من طير الليل كما تقدم. وقيل: هو البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم قالوا: نعت إليه نفسه أو بعض أهله، وهذا تفسير الإمام مالك بن أنس رحمه الله، والثاني أن العرب، كانت تعتقد أن روح القتيل، الذي لم يؤخذ **بثأره**، تصير هامة، فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني من دم قاتلي! فإذا أخذ **بثأره** طارت.

قال لبيد «٤» :

فليس الناس بعدك في نفير ... وما هم غير أصداء وهام

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه تصير هامة، ويسمونها الصدى، وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور، ويجوز أن يكون المراد النوعين، وأنه عليه الصلاة والسلام نهى عنهما جميعا.

ر وى أبو نعيم، في الحلية عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: كنت عند كعب." (١)

"رجع: خرج الخطيب الحافظ أبو بكر في تاريخه قال لما بنى المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البحتري وهب بن وهب فقال له هل تروي في هذا شيئا؟ قال نعم حدثني جعفر بن محمد عن ابنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خير صحونكم ما سافرت فيه أبصاركم".

وقال المأمون يوما لجلسائه أتدرون من أهنى الناس عيشا، فقالوا أمير المؤمنين فال لا قالوا فأمير المؤمنين أعلم، فقال أهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه.

قال سلمة الأحمر دخلت على الرشيد فيقصره الذي بناه فقلت:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٥١٠

أما بيوتك في الدنيا فواسعة ... فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل يبكي وقيل: أن خالد بن الوليد رضي الله عنه شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه، فقال: ارفع البناء وسل الله السعة.

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فإن الهمة في السعة.

سئل بـعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت.

وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة: سعة الصحن، وخرير الماء، وشيء من الخضرة.

(يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية: الطعام الطيب، والماء البارد، والثوب اللين، والفراش الوطي، والدار الواسعة، والمرأة الموافقة، والخادم الفارة، والقدرة على الأخوان بالإحسان.

وكان يقال جنة الرجل داره.

وذكر الأحنف الدور فقال: ليكن أول ما يشترى وآخر ما يباع.

وقال يحيى لبعضهم ما السرور فقال: دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد:

ومن المروة للفتى ... ما عاش دار فآخره

فما قنع من الدنيا بها ... واعمل لدار الآخرة

وكان يقال: دار الرجل عيشه.

قال السلامي في كتابه نتف الطرف الدور للناس الأعشة للطير والأوجرة للوحش والحجرة للحشرات فدار الرجل حال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولا شيء أصعب على الناس من الخروج من ديارهم.

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ وقال أحد الأشراف لابنه: يا نبي أحسن أثرك في هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر:

ليس الفتى بالذي لا يستضاء به ... ولا يكون له في الأرض آثار

ولا تنس قول الآخر

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومن أحسن ما قيل في بناء الملوك قول علي بن الجمهم المتوفي سنة تسع وأربعين ومائتين:

وما زلت أسمع أن الملو ... ك تبني على قدر أخطارها

فلما رأيت بناء الإما ... م رأيت الخلافة في دارها

حكي أن أبا العيناء دخل على المتوكل فيقصره فقال له: كيف ترى دارنا هذه؟ فقال الناس بنوا دورهم في الدنيا وأنت بنيت لدنيا في دارك.

أخذه اليزيدي فقال:

لما بنا الناس في دنياك دورهم ... بنيت في دارك الغراء دنياها

فلو رضيت مكان البسط أعيننا ... لم يبق عين لنا إلا فرشناها

الباب الثالث

في اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق، وقيل لبعضهم أين معك في القرآن الجار قبل الدار، فقال قوله تعالى: ﴿رب ابن لي عندك بيتا في الجنة﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: "من أشراط الساعة سوء الجار نعوذ بالله من ثلاث هن القوافر: إمام السوء إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر، ومن جار السوء إن رأى حسنا ستره وإن رأى قبيحا أذاعه، ومن سوء امرأة إن غبت عنها خانتك وإن دخلت عليها لسنتك.

حكي: أبو السعادات بن الشجري (مولده سنة خمسين وأربعمائة وفاته اثنتين وأربعين وخمسمائة) في شرح الحماسة أن العباس بن الفرج الرياشي قال وفد زياد الأعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما يشربان ذات عشية إذ سمع صوت زياد صوت حمامة تغني على شجرة في دار حبيب فقال:

تغني أنت في ذممي وعهدي ... بأن لا يذعروك ولا تضاري

إذا غنيتني وشربت كأسا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإما يقتلوك طلبت ثأرا ... لأنك في حماي وفي جواري." (١)

"اكترى نحوي حمالا ليحمل له زيرا فلما وصل إلى البيت وفيه بركة قال له النحوي اقفزن، فقفز فوقع فانكسر الزير، فقال ما هذا؟ قال جانب البركة ساكن والنون في اقفزن ساكنة فتحرك الزير بينهما بالكسر، فقال أحسنت ما أنت إلا عالم بيض الله وجهك.

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣

وقال الشريف العقيلي:

وبركة قد افادنا عجبا ... ما ماج من مائها وما انسكبا

من حول فوارة مركبة ... قد انحنى ظهر مائها تعبا

وقال شمس الدين الطيب أحمد بن أبي المحاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين وستمائة ووفاته سنة سبع عشرة وسبعمائة بطرابلس) :

النهر وافى شاهرا سيفه ... ولمعه يختلس الأعينا

فماجت البركة من خوفه ... وارتعدت وادرعت جوشنا

وقال مجير الدين ابن تميم مضمنا:

لو كنت إذ أبصرتها فوارة ... للشمس من أمواجها لألاء

رأيت أعجب ما يرى من بركة ... سال النضار بها وقام الماء

وله مضمنا:

لقد نزهت عيني أنابيب بركة ... تقابلني أمواجها بالعجائب

أنابيب زادت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

وله:

يا حسن نوفرة بدت في بركة ... أبدا يفيض الماء فيها ديدنا

ما إن بدت إلا وظللت مفكرا ... في قدنوفر راح ينبت سوسنا

وقال الوجيه المناوي:

فوارة تشبه في شكلها ... سبيكة من فضة خالصه

تلهيك بالحسن فقد أصبحت ... جارية ملهية راقصة

وقد عكس بعضهم هذا فقال:

وقينة ملهية قد غدت ... تستوقف السامع والرائي

جارية راقصة أشبهت ... في وصفها فوارة الماء

وقال ابن حجاج (توفي سنة إحدىوتسعين وثلاثمائة) :

صنعت في دارك فوارة ... أغرقت في الرض بها الأنجما

فاض على نجم السهى ماؤها ... فأصبحت أرضت تسقي السما

وقال ابن تميم في بركة بشاذروان:

ألا رب يوم قد تقضي ببركة ... اقمت بها فيما جرى متحيرا

بعيني رأيت الماء فيها وقد جرى ... على رأسه من ساهق فتكسرا

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي:

مذهب شاذرواننا ال ... عالي المقام والرتب

نال الغنى الماء به ... حين مشى على الذهب

وقال فيه:

لحسن شاذرواننا ... كل القلوب تعشق

من أجل ذا الماء له ... قلب به معلق

ومن كملام سيدي تقي الدين أبي بكر بن حجة في الفوارة كأنها سنان تطعن في صدر الظما، أو شجرة كدنا أنها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السما، أو معترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لأجل ذلك فوق قناته راية بيضاء، أو عمود وفاء أشارت الناسي إليه بالأصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى قلنا إن إكليل الجوزاء له من جملة الودائع، أو أبيض طائرا علا حتى قلنا أنه يلتقط حباب النجوم الثواقب، أو شجاع ذو همة عالية تحاول ثأرا عند بعض الكواكب.

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة:

وشاذروان ماء بات يجري ... كعين الصب روع يوم بين

إذا ما قيل جد بالماء سريعا ... يقول نعم على رأسي وعيني

وقال شيخنا الشيخ زين الدين بن العجمي (توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة) :

تسلسل مائي وهو لا شك مطلق ... وصح حقيقاحين قالوا تكسرا

وفي قلب مائي للقلوب مسرة ... وقالوا سيجري بالهنا وكذا جرا

قلت: وقد تصرفت الفضلاء متأخر والعصر في هذه اللفظة أعنى وكذا جرى تصرفات حسنة فمنهم القاضي صلاح الدين الصفدي فقال:

أملت أن تتعطفوا بوصالكم ... فرأيت من هجرانكم ما لا يرى

وعلمت يوم فراقكم لا بد أن ... يجري له دمعي دما كذا جرى

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلي فقال:

رب نسيم قد سرى ... يحدو سحابا ممطرا

أذياله بليلة ... تخبرنا بما جرى

وقال أيضا:

حديث عذار الحب في خده جرى ... كمسك على الورد الجنى تسطرا

فقبلته حتى محوت رسومه ... كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي:

لم يبك حين بكيت من ... هجرانه متحسرا

لكن حكى لك خده ال ... مصقول صورة ما جرى

وقال:

كابرت عدل صبوتي ... في الدمع حين تحدرا

قالوا بكيت صبابة ... فأجبت هذا ما جرى." (١)

"كرهت جداولها حوافز خيلهم ... فتسابقت هربا كخيل رهان

خافت خدود الأرض من أفعالهم ... فتمثلت بعوارض الريحان

أذكيت نار الصدر يا ورقاؤها ... وتأثرت بلواعج الأشجان

تبكي على غصن وأندب قامة ... فجميعنا نبكي على الأغصان

واحسرتاه على دمشق وقولها ... سبحان من بالمغل قد أبلان

عاداني الدهر الخئون بمغله ... والعجم منه وقبلهم غازاني

فعساك تأخذ ثأرها من مغلهم ... بالحل ثالث سبعة وثمان

لو عاينت عيناك جامع تنكز ... والبركتين بحسنها الفتان

وتعطش المرحين من أورادها ... وتهدم المحراب والإيوان

لأتت جفونك بالدموع ملونا ... دمعا حكى اللؤلؤ على المرجان

---

(١) مطالع البدور و م نازل السرور الغزولي ص/١٦

قطرات جفن ترجمت عن حرقتي ... فكائهن قلائد العقبان
أبني أمية أين عين وليدكم ... والمغل تفتل في ذرى الأركان
شربوا الخمور بصحنه حتى انتشوا ... ألقوا عرابدهم على النسوان
لم يرحموا طفلا بكى فقلوبهم ... في الفتك صخر لا أبو سفيان
قصوا جناح النسر بعد نهوضه ... يا ليته لو فاز بالطيران
ألواحه أجرت دموعي أسطرا ... كتبت على اللوحين من أجفاني
إن أنكروا يوم الحساب فعالهم ... فشهيدنا عثمان ذو القرآن
لهفي على كتب العلوم ودرسها ... صارت معانيها بغير بيان
أعروسنا لك أسوة بحماتنا ... في ذا المصاب فأنتما أختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها ... فاستبدلت من غرها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم ... فكأنها الأفلاك في الدوران
شتتهم أيدي سبايا دهرنا ... وتلوت آي الجمع بالفرقان
حزني على الشهباء قبل حماتنا ... هو أول وهي المحل الثاني
لا تدع الأحزان يا شقراءنا ... السبق للشهباء في الأحزان
رتعت كلاب المغل في غزلانها ... وتحكمت في الحور والولدان
لهفي على تلك الشعور وطولها ... جرت بها الأعناق كالارسان
لهفي عليك محاسنا لهفي علي ... ك عرائسا لهفي عليك مغاني
لهفي عليك منازلا ومنازها ... ومقام فردوس وباب جنان
إن قال لحظي ةال سيفي ضارب ... أو قال طرفي قال حد سنان
أدمشق آهاتي عليك كثيرة ... كالدمع في جفن الكئيب العاني
حسراتها لا تنقضي من خاطري ... هي شغل أفكاري ونصب عياني
لي انه لي حرقة لي لهفة ... لي حسرة لي لوعة وكفاني
أمنازل الأحباب كيف تبدلت ... تلك الربى بمقاتل الفرسان
إن لم أسل ماء العيون مجاريا ... ماء الغمام بها فما أجفاني

لا تنه جفن الصب في جريانه ... دعني وشانك يا غمام وشأني
العين والإنسان قد فقدا معا ... لأبكيك يا عيني ويا إنساني
لم ادر من أبكي وأندب حسرة ... للقصر للشرفين للميدان
للجبهة الغراء أم خلخالها ... للمزة الفيحاء أم للوان
لا يحجر المشتاق عن تذكارها ... يا حاجري بالظلم والعدوان
شوق بها قلبي أقل لك منشدا ... لك أن تشوقني إلى الأوطان
وإذا أتيت بما جرى في ربعها ... فعلي أن ابكي بدمع قاني
ما كان أهنى العيش في ساحاتها ... والدار داري والزمان زماني
أسفي على أيامه، لا تنقضي ... ما كان أهناها وما أهناني
أيام لا ماء السرور مكدر ... أرعى نضير العيش بل يرعاني
ولقد وقفت على ربوع حبائبي ... فندبتهن نوادب الأحزان
ولقد وقفت على الديار مناديا ... بلسان مغترب وعبرة عاني
يا دار أين حبائبي أجابتني ... عنها الحريق بألسن النيران
حكم القضا فيهم ونفذ حكمه ... فتشتتوا فرقا بكل مكان
يا رب لم شتاتهم بمحمد ... سر الوجود وبهجة الأكوان
إن لم نلذ في أمرنا بجنانه ... فبمن يلوذ ويستجير الجاني
أترى الإله مؤيدا سلطاننا ... حتى أقول وعشت بالسلطان
يا رب فعل الذنب أصل بلائنا ... فاصفح وجد للذنب بالغفران
واغسل بماء إلا من وجه رجائنا ... واصرف بفضلك حاضر الطغيان
واجمع على جسماننا أرواحها ... يا جامع الأرواح بالجسمان." (١)

"كريم نفضت الناس لما لقيته ... كأنهم ما جف من زاد قادم
وكاد سروري لا يقي بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم
وقوله:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣٠٦

وشامخ من الجبال أقود

فرد كيافوخ البعير الأصيد

يسار من مضيقه والجلمد

في مثل متنث المسد المعقد

زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

بكل مسقي الدماء أسود

معاود مقود مقلد

كطالب الثأر وإن لم يحقد

يقتل ما يقتله ولا يدي

فثار من أخضر ممطور ندي

كأنه بدز عذار الأمرد." (١)

"لو عند ذلك هايجته منية ... برح الخفاء وضم سرح السارح

يزيد المهلبي:

جاءت منيته والعين هاجعة ... هلا أتته المنايا والقنا قصد

أبو الطيب:

أتته المنايا في طريق خفية ... على كل سمع حوله وعيان

ولو سلكت طرق السلاح لردها ... بطول يمين واتساع جنان

ومقلوب هذا قول الآخر:

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت ... تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

ومثله لأبي الطيب:

ما زلت تدفع كل أمر فادح ... حتى أتى الأمر الذي لا يدفع

وظللت تنظر لا رماحك شرع ... فيما عراك ولا سيوفك قطع

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/١٣٥

وهو مثل قول عمران بن حطان؛ على أنه كثير مبتذل:

ولم يغن عنه الموت يا حمز إذ أتىرجال بأيديهم سيوف قواضب

ومن هذا المعنى قول الآخر:

أخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب

ومثله لأبي الطيب:

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى." (١)

"فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك، فقال له الإسكندر: «فأراك قد سعيت لنفسك لا لنا! فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه فجعلت ذلك ثأرا توقعه في الأنفس الخطيرة الرفيعة! ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه» . وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يوقعه بين الملكين من العداوة ويثير من الإحن وضغائن الصدور.

وقد كان أردشير بن بابك يقول: «كم من دم سفكه الرسول بغير حله! وكم من جيوش هزمت وقتل أكثرها! وكم حرمة انتهكت! وكم مال نهب وعقد نقض بخيانة الرسل وأكاذيب ما يأتون به!» .

الأمر السابع نظره في أمر أبراج الحمام ومتعلقاته

سيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائلي يحمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان؛ منها برج بقلعة الجبل «١» ، وأبراج بطريق الشام بمدينة بلبيس «٢» ، وأبراج بطريق الإسكندرية.

وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص، «٣» ، ومنها إلى أسوان وعيذاب «٤» ما يقطع «٥» ذلك الآن. وحمام كل برج ينقل منه في كل يوم إلى البرج الذي يليه." (٢)

"أوسط بني هاشم نسبا، وخيرهم أما وأبا، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا، وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا، وأصلا وفصلا. فخرت على إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده؛ فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غدا! وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد، ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن. ثم ابنه محمد بن

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٣٩١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥٣/١

علي خير من أبيك وجدته أم ولد. ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد. ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه، ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشأم. ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أديار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فمنعناهم وكفرناهم، وبينا فضله وأشدنا بذكره، فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت أنا بما ذكرنا من فضل علي قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين سلما منهم وابتلي أبوك بالكرماء. ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم، وولاية زمزم؛ وكانت للعباس دون إخوته فنازع فيها أبوك إلى عمر فقضى لنا عمر بها. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا إلا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب؛ فطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها إلا ولده. فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا العباس أخرج إلى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يتجشمان جفان عتبة وشيبة، فأذهب عنهما العار والشنار. ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم. ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم في الكفر، وفديناكم من الأسر، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وحزنا شرف الآباء،." (١)

"وأدركنا بثأركم إذ عجزتم عنه، ووضعناكم حيث لم تضعوا أنفسكم والسلام.

ومن مكاتبات ملوك الفرس «١» البلغاء ما كتب به ارسطو طاليس إلى الاسكندر: إنه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها، وتظفر بالمحبة منها؛ فإن طلبك ذلك بإحسانك، هو أدوم بقاء منه باعتسافك بعنفك. واعلم أنه إنما تملك الأبدان، فاجمع إليها القلوب بالمحبة. واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل؛ فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل.

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه: ليكن من تختاره لولايتك رجلا كان في وضيعة فرفعته، وذا شرف كان مهملا فاصطنعته.

ولا تجعله امرا أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا أحدا ممن يقع بقلبك أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته؛ وإياك

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٨١/١

أن تستعمله ضريعا، غمرا، كثيرا إعجابه بنفسه، قليلا تجربته في غيره، ولا كبيرا مدبرا، قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه.

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه أيضا: إن كلمة منك تسفك دما، وأخرى تحقن دما، وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه، وإن رضاك بركة مفيدة على من رضيت عنه، وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يخطىء، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يخف، فإن الملوك تعاقب جرما، وتعفو حلما.

ومما كتب به أردشير إلى رعيته: من أردشير المؤيد، ملك الملوك، وارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البيضة، والكتاب الذين هم زين المملكة، وذوي الحروب الذين هم عمدة البلد. السلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله سالمين، وقد وضعنا عن." (١)

"ومن ذلك ما ذكرته في المفاخرة بين السيف والقلم في الكلام على لسان القلم، وهو: «أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، وكريمها المبجل، وعالمها المهذب» . فالقرينة الأولى فيها مثلان، وأول من قالهما الحباب بن المنذر الأنصاري يوم السقيفة، حين اجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة، يوم مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وقال الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، إلى أن كان من كلامه هذان المثلان. والجذيل تصغير جذل، واحد الأجذال؛ وهي أصول الشجر العظام؛ وكانت العرب إذا جربت الإبل نصبت لها جذلا في باطن الوادي تحتك فيه، فلذلك قال جذيلها المحكك، أراد أنه يستشفى برأيه، كما تستشفي الإبل بالحك في ذلك الجذل؛ والعذق بفتح العين النخلة بحملها؛ وكان من عادتهم أن النخلة الكريمة يبنى حولها بناء يمنعها من السقوط؛ فذلك هو الترجيب؛ أراد أنه كريم في قومه عزيز عليهم. وما ذكرته في المفاخرة بين السيف والقلم أيضا على لسان السيف وهو: «فالشمس من شعاعي في خجل، والليل من ضوئي في وجل؛ وما أسرعت في طلب ثأر إلا قيل فات ما ذبح، وسبق السيف العذل» . ففي القرينة الأخيرة مثلان أحدهما «فات ما ذبح» وهو مثل يضرب لمن طلب الشيء بعد فواته، وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابي بازيا، فأعجبه فأرسل في طلبه قاصدا، فأتى الأعرابي ولم يكن عنده ما يضيفه به، فذبح البازي وطبخه وقدمه إليه، غير عالم بقصده، فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابي أمر البازي وما كان من طلب الملك له، فقال «فات ما ذبح» إنك أتيتني ولم يكن عندي ما

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/٢٨٢

أضيفك به، فذبحت البازي وطبخته، وهو الذي قدمته إليك. والمثل الثاني «سبق السيف العذل» وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره.

ومما حل من الأمثال الواردة نظما، واستعمل في النثر، قول القاضي شهاب الدين بن فضل الله في «التعريف» في وصية أمير مكة المعظمة أيضا." (١)

"بالحجاز) «١» وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر بن كلاب، وبني دارم، وبني ماوية، وبني معبد بن زرارة، وبني تميم؛ وانهزمت فيه بنو تميم ومن معهم، وأسر معبد بن زرارة؛ وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكه فلم يقدر، وعذبوا معبدا حتى مات. ويوم شعب جبلة، وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف «٢» . وكان من شأنه أنه لما انقضت وقعة رحرحان المتقدمة، ومضى لها سنة، وذاك في العام «٣» الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استنجد لقيط بن زرارة التميمي بني ذبيان لثأر أخيه فأنجدته، وتجمعت بنو تميم غير بني سعد، وخرجت معه بنو أسد، وسار بهم لقيط إلى بني عامر وبني عبس في طلب ثأر أخيه معبد، فأدخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم في شعب جبلة، فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جمائع لقيط وقتلوا لقيطا، وأسروا أخاه حاجب بن زرارة، وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما؛ وقتل أيضا من بني ذبيان وبني تميم ومن بني أسد جماعة مستكثرة؛ وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم. ويوم ذي قار، وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهدا، وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقيل عام بدر.

وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فحبسه فهلك في الحبس؛ وكان النعمان قد أودع حلقته (وهي السلاح والدروع) عند هانيء بن مسعود البكري «٤» ، فأرسل أبرويز يطلبها من هانيء، فقال هذه أمانة، والحر لا يسلم أمانته؛ وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي، فاستشار أبرويز إياسا، فقال إياس: المصلحة التغافل عن هانيء بن مسعود حتى يطمئن ونتبعه." (٢)

"خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا

«١» .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/٣٥٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١/٤٤٨

ومنها حبس البلايا؛ كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ويقبلون برأسها إلى ورائها ويغطون رأسها بولية «٢» وهي البرذعة فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها قال أبو زبيد: «٣» .

كالبلايا رؤوسها في الولايا ... ما نحات السموم حر الخدود

ومنها الهامة- كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح: اسقوني اسقوني حتى يطالب بثأره؛ قال ذو الأصبع: «٤» .

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني «٥»

ومنها تأخير البكاء على المقتول للأخذ بثأره- كان النساء لا يبكين المقتول منهم حتى يؤخذ بثأره، فإذا أخذ به بكينه حينئذ، قال الشاعر:

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن حر الوجه بالأسحار

ومنها تصفيق الضال- كان الرجل منهم إذا ضل في الفلاة، قلب ثيابه وحبس ناقته وصاح في أذنها كأنه يومىء إلى إنسان وصفق بيديه قائلا: الوحا." (١)

"ركزت، وكسرى حمل غاشيتك «١» ، وقيصر رعى ماشيتك والإسكندر قتل دارا في طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك، والضحاك استدعى مسالمتك وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك، وشيرين قد نافست بوران «٢» فيك، وبلقيس غايرت الزباء عليك، وأن مالك بن نويرة إنما أردف لك، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك، وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك، وجساسا إنما قتله بأنفتك، ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك، والسموءل إنما وفي عن عهدك، والأحنف إنما اجتبى في بردك، وحاتما إنما جاد بوفرك، ولقي الأضياف ببشرك، وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك، والسليك بن السلكة إنما عدا على رجليك، وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك، وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك، وسحبان وائل إنما تكلم بلسانك، وعمرو بن الأهتم إنما سحر ببيانك، وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك، والحمالات في دماء عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك، وأن احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان عن إشارتك، وجوابه لعمر، وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك، وأن الحجاج

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٦١/١

تقلد ولاية العراق بجدك، وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك، والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك، وأفسد ذات بينهم بكيدك، وأن هرمس أعطى بيلينوس «٣» ما أخذ منك، وأفلاطون أورد على أرسطا طاليس ما حدث عنك، وبطليموس سوى الإصطرلاب بتدبيرك، وصور الكرة على تقديرك، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع." (١)

"النائية خضوعا فتتخذ كتب رسائلها على المفارق بعد اللثم تيجانا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي سن المعروف وندب إليه، وأكرم رسول جعل خير بطانتي الملك التي تأمره بالخير وتحثه عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا في السير سبيله واتبعوا في السيرة سننه واقتفوا فيه سننه، واتبعوا في المعروف آثاره فتلا عليهم تالي الإخلاص: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

«١» ، صلاة تتناقل على مر الزمان أخبارها، ويتصدى لروايتها من الأمة على تمادي الدهر أحبارها، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد، فإن رياسة أهل الدول تتفاوت باعتبار قرب الرئيس من ملكه في مخاطبته ومناجاته، واعتماد تصرفه في أمور دولته وتنفيذ مهماته، والاستناد على رأيه في جليل خطوبه وعظيم ملماته:

فعال تمادت في العلو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

ولا خفاء أن صاحب ديوان الإنشاء من هذه الرتبة بالمحل الأرفع، والمنزلة التي لا تدافع ولا تدفع، والمقام الذي تفرد بصدارته فكان كالمصدر لا يثنى ولا يجمع؛ إذ هو كليم الملك ونجيه، ومقرب حضرته وحظيه، بل عميد المملكة وعمادها، وركنها الأعظم وسنادها، حامي حومتها وسدادها، وعقدها المتسق ونظامها، ورأس ذروتها العلياء وسنامها، وجهينة خبرها، وحقيبة وردها وصدرها، ومبلغ أنبائها وسفيرها، وزند رأيها الموري ومشيرها.

فحيهلا بالمكرمات وبالعلى ... وحيهلا بالفضل والسؤدد المحض

هذا، وهو الواسطة بين الملك ورعيته، والمتكفل لقصيهم بدرك قصده وبلوغ بغيته، والمسعد للمظلوم من عزائم توقيعاته بما يقضي بنصرته؛." (٢)

"صخرا، أو هدم به بناء مشمخرا؛ ونظر إلى رفيقه، مبشرا له بما امتاز به عن فريقه.

وإذا به قد أظلته عقاب كاسر، كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر؛ إن حطت فسحاب انكشف، وإن

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٢٨/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٢٥/١٤

أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف «١» ، بعيدة ما بين المناكب:

إذا أقلعت لجت علوا كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب «٢»

يرى الطير والوحش في كفها ... ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها ... إذا طلعت ما تسمت غزاله!

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها، ورماها بأول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها؛ فأهوت كعود صرع، أو طود صدع؛ قد ذهب باسها، وتذهب بدمها لباسها؛ وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه، ويستنزل الأعصم من عقابه، فحملها بجناحها المهيض، ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض، ونزل إلى الرفقة، جذلا بربح الصفقة.

فوجد التاسع قد مر به كركي طويل الشفار، سريع النفار، شهي الفراق، كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق؛ لقوادمه في الجو حفيف، ولأديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف؛ تحن إلى صوته الجوارح، وتعجب من قوته الرياح البوارح؛ له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت ضماد، أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد؛ ذو منقار كسنان، وعنق كعنان؛ كأنما ينوس، على عودين من آبنوس:." (١)

"صلاح الدين الأيوبي، بفتح القدس الشريف وإنقاذه من يد الكفر، في آخر شعبان سنة ٥٨٣ هـ، من إنشاء القاضي الفاضل. ٨/٢٨٤

نسخة مكاتبة بالاعتذار عن السلطان في هزيمة. ٨/٢٩٦

نسخة مكاتبة بالاعتذار عن السلطان في هزيمة، من إنشاء أحمد بن سعيد. ٨/٢٩٩

نسخة مكاتبة فيمن هزم هو وجيشه، تتضمن إقامة عذره ووصف اجتهاده، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي. ٨/٣٠٠

كتاب من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي على لسان المهزوم، يتضمن الاعتذار ويصف الاحتفال بأخذ الثأر. ٨/٣٠٢

نسخة مكاتبة بمعنى توبيخ المهزوم والتهكم به، كتبها الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر إلى البولس بيمند ملك الفرنج المستولي على طرابلس من الشام وانطاكية من بلاد العواصم. ٨/٣٠٤

نسخة كتاب بمعنى توبيخ المهزوم، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي. ٨/٣٠٧

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤/٣٣٧

نسخة كتاب عن الأمير أبي عبد الله بن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس، في موضوع أوامر ونواهي تتعلق بأمور السلطنة، من إنشاء أبي عبد الله بن الجنان. ٣١٣/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في الركوب في غرة السنة. ٣١٩/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب أول شهر رمضان، من إنشاء ابن الصيرفي. ٣٢٠/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الأولى من شهر رمضان، من إنشاء ابن الصيرفي. ٣٢١/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الثانية من شهر رمضان من إنشاء ابن الصيرفي. ٣٢٢/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الثالثة من شهر رمضان، من انشاء ابن الصيرفي. ٣٢٣/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد الفطر، من إنشاء ابن الصيرفي. ٣٢٤/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد الفطر، عن الحافظ لدين الله الفاطمي سنة ٥٣١ هـ. ٣٢٦/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد النحر، من إنشاء ابن الصيرفي. ٣٢٨/٨

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد النحر، من إنشاء ابن قادوس. ٣٣٠/٨." (١)

"الضرب الثاني الصفات الخارجة عن الجسد، وهي على ثلاثة أقسام أيضا

القسم الأول ما يشترك فيه الرجال والنساء

وهو يرجع إلى أصلين: العقل والعفة؛ ويدخل تحت كل من هذين الأصلين عدة من أوصاف المدح. فأما العقل فيدخل تحته العلم؛ وصفاته:

المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع «١» بالحجة، والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجري هذا المجرى. ولا يخفى أن هذه الأوصاف مطلوبة في الرجال والنساء جميعا وإن كان أكثرها بالرجال أليق. وأما العفة فيدخل تحتها: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما لا يستغني عنه رجل ولا امرأة، وإذا ركب العقل مع العفة حدث عنهما صفات أخرى مما يتمدح به: كالنزاهة، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، ونحو ذلك مما ينخرط في هذا السلك.

القسم الثاني ما يختص به الرجال دون النساء

وهو يرجع إلى أصلين أيضا؛ وهما العدل والشجاعة، ويدخل تحت كل من الأصلين عدة أوصاف من أوصاف المدح؛ فيدخل تحت العدل السماحة، والتبرع بالنائل، وإجابة السائل، وقرى الضيف، وما شابه ذلك. ويدخل

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٣/١٥

تحت الشجاعة عدة أوصاف كالحماية والدفاع، والأخذ **بالثأر**، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران، والسير في المهامه «٢» الموحشة، وما أشبه ذلك؛ وإذا ركب العقل مع." (١)

"ينام الأرنب إلا مفتوح العين. ومن طبعها أنها تطأ الأرض بباطن كفها لتعفي أثرها، إلا أن الكلب الماهر يدرك أثر قوائمها.

ومن شأنها: ألا تأوي إلى ساحل البحر، وإذا طردت لجأت إلى الجبال واشتد عدوها فيها؛ والأنثى لا تسمن؛ وهي عند العرب مما يحيض؛ وتسفد وهي حبلى؛ وتلد الأول والثاني على ما في بطنها.

السابع «الذئاب» -

جمع ذئب؛ وهو حيوان في صورة الكلب في لونه بلق «١» ؛ بكمودة «٢» ؛ والذئبة أجرأ من الذئب وأشد عدوا؛ وأسنانه عظم مخلوق في فكيه ليست مغروسة فيهما كسائر الحيوان.

قال ابن السندي: وأخبرني أبو بكر الدقيشي أن هذه الخلقة في أسنان الضبع أيضا. والذئب صاحب خلوة وانفراد، ومتى رأى الإنسان قبل أن يراه أخفى صوته؛ وإن رآه جزع منه اجترأ عليه وساوره. وإذا تسافد هو وأنثاه التحما التحاما شديدا حتى يقال: إنه إذا هجم عليهما داخل في هذه الحالة قتلهما كيف شاء، ولذلك يبعدان في هذه الحال إلى مكان لا يريان فيه. وإذا تهارش ذئبان فأدمى أحدهما الآخر عدا الذي أدمى على المدمى فقتله خوفا من أخذ **الثأر**؛ وإذا عجز الذئب عن الدفع عوى فاجتمع إليه الذئاب نصرة له؛ وإذا لقي الفارس والأرض مثلوجة خمش الثلج بيديه ورمى به في وجه الفارس ليدهشه ثم يعقر دابته فيتمكن منه؛ ومتى وطيء الفرس أثر الذئب رعد وخرج الدخان من جسده كله، ولذلك قل من يطرد من الفرسان ولا يتفطن لوطء أثره. ويصاد بالكلاب وغيرها؛ وقد تقدم أن السوداني ضرى ذئبا حتى اصطاد له الظباء.

الثامن «الثعالب

- جمع ثعلب؛ وهو حيوان معروف، موصوف بكثرة الروغان في عدوه وبالحيل حتى إنه يتماوت عند رؤية الغراب فينزل عليه الغراب." (٢)

"فمات في النصف من هذا الشهر، وهو مهرماه، فسمي ذلك اليوم مهرجان، وتفسيره نفس مهر ذهبت، والفرس تقدم في لغتها ما تؤخره العرب في كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهي الفارسية الأولى وزعم

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٣/٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٠/٢

آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح، وفي ذلك يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر «١» :

إذا ما تحقق بالمهرجان ... من ليس يعرف معناه غاظا

ومعناه أن غلب الفرس فيه ... فسموه للروح فيه حفاظا

ويقال: إنما ظهر في عهد افريدون الملك، ومعنى هذا الاسم إدراك **الثأر**؛ وذلك أن افريدون أخذ **بثأر** جده جم شاد من الضحاك، فإنه كان أفسد دين المجوسية وخرج على جم شاد فأخذ منه الملك وقتله؛ فلما غلبه افريدون قتله بجبل دنباوند «٢» وأعاد المجوسية إلى ما كانت، فاتخذ الفرس يوم قتله عيدا، وسموه مهرجان، والمهر الوفاء، وجان سلطان، وكان معناه سلطان الوفاء.

وزعم بعض الفرس أن الضحاك «٣» هو النمرود وافريدون «٤» هو إبراهيم عليه السلام، بلغتهم.

ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس اردشير بن بابك «٥» ، أول ملوك الفرس الساسانية، وكان مذهب الفرس في المهرجان أن يدهن." (١)

"فملك بعده (زينون قيصر) وقيل اسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاي، وكان يعقوبيا فأقام سبع عشرة سنة وهلك.

فملك بعده (نشطاش قيصر) لثمانمائة وثلاث سنين للإسكندر، فأقام سبعا وعشرين سنة، وكان يعقوبيا وسكن حماة من الشام، وأمر أن تشاد وتحصن فبنيت في سنتين، وأمر بقتل كل امرأة قارئة كاتبة، وهلك.

فملك بعده (يشطيانش قيصر) لثمانمائة وثلاثين للإسكندر، وكان ملكيا فأقام تسع سنين، وقيل سبع سنين، ويقال إنه كان معه شريك في ملكه يقال له يشطيان، وهلك.

فملك بعده (يشطيانش قيصر) لثمانمائة وأربعين للإسكندر، وكان ملكيا وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله، وقيل كان شريكه فأقام أربعين سنة، وقيل ثلاثا وثلاثين سنة، وأمر بأن يتخذ عيد الميلاد في الرابع والعشرين من كانون، والغطاس في ست منه، وكانا قبل ذلك جميعا في سادسه، وكانت كنيسة بيت لحم بالقدس صغيرة فزاد فيها ووسعها حتى صارت على ما هي عليه ال آن. وفي أيامه كان المجمع الخامس للنصارى بالقسطنطينية وهلك.

فملك بعده (يوشطونش قيصر) لثمانمائة وثمانين سنة للإسكندر في زمن كسرى أنوشروان فأقام ثلاث عشرة سنة، وقيل إحدى عشرة سنة، وهلك.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٤٤٩

فملك بعده (طباريش قيصر) لثمانمائة وثنتين وتسعين للإسكندر فأقام ثلاث سنين، وقيل أربع سنين، وهلك. فملك بعده (موريكش قيصر) لثمانمائة وخمس وتسعين للإسكندر، فأقام عشرين سنة، وكان حسن السيرة، ووثب عليه بعض مماليكه فقتله.

وملك بعده (قوقاص قيصر) قريب موريكش الملك قبله، وكان هو الذي بعث مملوكه على قتله. وفي أيامه ثار كسرى أبرويز على بلاد الروم، وملك الشام ومصر. فأقاما في ملكة الفرس عشر سنين، وحاصر القسطنطينية طلبا لثأر." (١)

"ويقع التعدد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة، وغالب ما يكون ثلاث مرات، وربما وقع التحميد في أول الكتاب وآخره.

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كتب بها عن المعتصم «١» إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأفشين على بابك «٢» ملك الروم، وهي:

أما بعد، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه، والعصمة لأوليائه، والعز لمن نصره، والفلج لمن أطاعه، والحق لمن عرف حقه، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه، ورغب عن ربوبيته، وابتغى إلها غيره. لا إله إلا هو وحده لا شريك له. يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفوض أمره إلا إليه؛ ولا يرجو الخير إلا من عنده، والمزيد إلا من سعة فضله، ولا يستعين في أحواله كلها إلا به. ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وصفوته من عباده، الذي ارتضاه لنبوته، وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته، فأرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. والحمد لله الذي توجه لأمير المؤمنين بصنعه، فيسر له أمره، وصدق له ظنه، وأنجح له طلبته «٣» ، وأنفذ له حيلته، وبلغ له محبته، وأدرك المسلمون بثأرهم على يده، وقتل عدوهم، وأسكن روعتهم، ورحم فاقتهم، وآنس." (٢)

"به المناصل، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار، وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار، فنيلوا بثأر من السلاح ونالوه أيضا بثار] «١» ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين «٢» ، وكم أنجم رماح «٣» تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين، وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم «٤» إلى أجل فاختلسه، وفغرت تلك القوس فاها فإذا

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٧٣/٥
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٨٧/٦

فوها قد نهش القرن على بعد المسافة فافترسه «٥» ، وكان اليوم مشهودا، وكانت الملائكة شهودا، وكان الكفر «٦» مفقودا، والإسلام مولودا، وجعل الله ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا، وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه، وآكد وصله بالدين وعلائقه، وهو صليب الصلبوت، وقائد أهل الجبروت، وما «٧» دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهائمهم يبسط لهم باعه، ويحرضهم «٨» وكان مد اليدين في هذه الدفعة وداعة، لا جرم أنهم تهافت «٩» على نارهم فراشهم، وتجمع «١٠» في ظل ظلامه خشاشهم، فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد «١١» وأوثقه،." (١)

"الهوادي والأكفال، وكان إلى غزو مدينة جيان «١» الاحتفال، قدنا إليها الجرد تلاعب الظلال نشاطا، والأبطال تقتحم الأخطار رضا بما عند الله واغتباطا، والمهندة الزرق تسبق إلى الرقاب استلالا واختراطا، والردينية «٢» السمر تسترط حياة النفوس استراطا، وأزحنا العلل عمن أراد جهادا منجيا غباره من دخان جهنم ورباطا، ونادينا الجهاد الجهاد، يا أمة الجهاد، راية النبي الهاد، الجنة الجنة تحت ظلال السيوف الحداد، فهز النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر، وأتمر الجم من دعوة الحق إلى أمر آمر، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كل ضامر، وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدا، وسدت الحشود مسالك الطريق العريضة سدا، ومد بحرها الزاخر مدا، فلا يجد لها الناظر ولا المناظر حدا.

وهذه المدينة هي الأم الولود، والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود، وكرسي الملك ومجنبته الوسطى من الممالك باءت بالمزايا العديدة ونجحت، وعند الوزان بغيرها من أمات البلدان رجحت، غاب الأسود، وجحر الحيات السود، ومنصب التماثيل الهائلة، ومعلق النواقيس الصائلة.

وأدنينا إليها المراحل، وعينا لتجار المحلات المستقلات منها الساحل، ولما أكثبنا جوارها، وكدنا نلمح نارها، تحركنا ووشاح الأفق المرقوم؛ بزهر النجوم، قد دار دائره، والليل من خوف الصباح، على سرحه المستباح، قد شابت غدائره، والنسر يرفرف باليمن طائره، والسماك الرامح يثأر ثغر الإسلام ثائره، والنعائم راعدة فرائص الجسد، من خوف الأسد، والقوس يرسل سهم السعادة، بوتر العادة، إلى أهداف النعم المعادة، والجوزاء عابرة نهر المجره،." (٢)

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٩٥/٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٥٠/٦

"[قل للفرنسيس إذا جئته ... مقال صدق من قؤول نصوح «١»

أتيت مصرا تبتغي ملكها ... تحسب «٢» أن الزمر يا طبل ريح

وكل أصحابك أودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح «٣»

خمسين ألفا لا ترى منهم ... غير قتيل أو أسير جريح «٤»

وفقك الله لأمثالها ... لعل عيسى منكم يستريح

آجرك الله على ما جرى ... أفنيت عباد يسوع المسيح «٥»

فقل «٦» لهم إن أضمروا عودة ... لأخذ ثأر أو لقصد صحيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد «٧» باق والطواشي صبيح]

«٨»

المقصد الثالث (في المكاتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي)

والمكاتب بهذا الجانب منهم ملكان:." (١)

"اللغة من أسماء الأضداد، يقع على الشيء الجليل وعلى الشيء الحقير، كأنه يقول: أنا كنت أرجوك للأمور العظام لتنصرني فيها فخذلتني في هذا الأمر الخسيس، وهو الأخذ بثأر حجاج بلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك، فخاب ظني فيما كنت أرجوه فيك، وأؤمله منك، وأشار بقوله لا يتأول إلى أنه لا يحمل الجلل في قول الطغرائي «١» على الشيء الجليل كما قال الصلاح «٢» الصفدي في شرح اللامية، بل على الأمر الخسيس؛ لأنه هو اللائق بالمقام.

وأعلم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء واحتدام قريحة من الذي يقع منه الرمز، وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك [المعامي] كما يقع في الألغاز والأحاجي للملغز، والمتصدي لحل ألغازه والجواب عنه، والله تعالى هو الهادي إلى سبيل الصواب.." (٢)

"وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا، إذ استأذن عليهم أشعب الطفيلي، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى آخر الطعام، فاجعلوا كبار الحوت في صحفة ناحية، ويأكل معنا الصغار ففعلوا، وأذن له فدخل، فقالوا له: كيف رأيك في الحيتان يا أبا أشعب؟ قال: والله إن لي عليها

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٨/٤٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩/٢٥٠

حنقا شديدا، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان، قال له القوم: دونك فخذ بثأر أبيك، فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلي الصحفة التي فيها الحيتان الكبار، وقال: أتدرون ما تقول هذه الحوتة؟ قالوا: لا ندري، قال: تقول: إنها لم تحضر موت أبي ولا أدركته؛ لأنها أصغر سنا من ذلك، ولكن عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أكلت أباك.

وخطر طفيلي على قوم يأكلون، وقد أغلقوا الباب دونه، فطلع عليهم من الجدار، وقال: منعتمونا من الأرض، جئناكم من السماء.

ودخل طفيلي من المدينة على الفضل بن يحيى، وبيده تفاحة، فألقاها إليه، وقال: حياك الله يا مدني، فلزمها وأكلها، فقال له الفضل: ويحك أتأكل التحيات؟ قال: إي والله والزاكيات الطيبات.

وقيل لبسرة الأحول: كم تأكل كل يوم؟ قال: من مالي أو من مال غيري؟ قيل: من مالك، قال: مكوك، قيل: ومن مال غيرك؟ قال: أخبز وأطرح.

وقال أبو القيظان: كان هلال بن أشقر التميمي أكولا، فيزعمون أنه أكل جملا، وأكلت امرأته فصيلا، فلما أراد أن ينام لم يصل إليها، فقالت له: كيف تصل إلي، وبيني وبينك جملان؟ وحكى أبو الخطاب قال: كان عندنا رجل أحدب، فسقط في بئر، فسقطت حدبته، فصار بأدرة، فدخل الناس عليه يهنئونه، فقال: الذي جاء شر من الذي ذهب.

وقال أبو حاتم: رمى رجل أعور بنشابة، فأصابت عينه الصحيحة، فقال: أمسينا، وأمسى الملك لله.

وقال الزبير بن بكار: جاءت امرأة إلى أبي تستعديه على زوجها، وتزعم أنه يصيب جاريتها، فأمر به فأحضر، فسأله عما ادعت، فقال: أصلح الله الأمير، هي سوداء وخادمها سوداء، وفي بصري ضعف، ويضرب الليل برواقة، فآخذ ما دنا مني.

وخطب رجل خطبة نكاح، وأعرابي حاضر، فقال: الحمد لله، أحمده، وأستعينه وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، فقال له الأعرابي: لا تقم الصلاة؛ فإني على غير وضوء.

وقال العوام بن حوشب: قال لي عيسى بن موسى: من أرضعتك؟ قلت: ما أرضعتني سوى أمي، قال: قد علمت أن ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمه.

وكان رجل مخنث، قد تنسك، وتشبه بالحسن البصري، فشهد جنازة ووقف على القبر، وإلى جانبه رجل

ظريف، فضحك، فقال له المخنث: ما أعددت لهذه الحفرة أبا فلان؟ قال: أمك ندفنها فيها الساعة.

ودخل أعرابي الحمام فخرج منه ريح، فقال له نبطي: جبحان الله، فقال له الأعرابي: يا ابن اللخناء، ريحي أفصح من تسبيحك.

وفي كتاب ابن الهندي أن ناسكا كانت له جرة بسمن، فعلقها في سرير، ففكر يوما، وهو مضطجع على السرير وبيده العكاز، فقال: أبيع الجرة بخمسة دراهم، فأشتري خمسة أعناز، فأولدهن في كل سنة مرتين حتى تبلغ ثمانين، فأبيعها، وأشتري بكل عشرة بقرة، ثم ينمى المال بيدي، فأشتري العبيد والإماء، ويولد لي ولد فأؤدبه، فإن عصاني ضربته لهذه العصا، وأشار بالعصا فأصاب الجرة فتكسرت، وانصب السمن على رأسه.

الباب الثالث في المضحكات الشعرية

ودخل يحيى بن أكثم على المأمون، وعنده عبادة يتجارى معه في مسائل الفقه والفرائض، فقال: يا أمير المؤمنين، لي عند القاضي حاجة، قال: وما هي؟ قال: يعلمني فرائض الصلب؛ فإني ما رأيت أعلم بها منه، فضحك المأمون وقال: انظر في حاجة عبادة، فقال: يا أمير المؤمنين، قد كبر عن التعليم، وقد قال الشاعر:

فإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

ولكن يبعث إلي بولده أعلمه فرائض الصلب خاصة، قال له المأمون: كيف رأيت الجواب يا عبادة.

وكان الربيع واليا باليمامة، فأتى بكلب قد عقر كلبا، فقاد له منه، فقال الشاعر:

شهدت بأن الله حق لقاؤه ... وأن الربيع العامري ربيع

أقبلت، والوطء خفي، كما ... ينساب من مكمنه الأرقم." (١)

"وكان ابن الرومي الشاعر كثير التطير، فقرع البحتري يوما عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال البحتري: سخط الحي القيوم، والمهل والغسلين والزقوم، يأخذ جميع الردم، وكل بلاء كان أو يكون إلى يوم الدين، فأغلق ابن الرومي بابه ولزم داره، فسأل عنه الموفق، فقيل له: في سجن البحتري وحده القصة.

وقيل لأبي أيوب صاحب المنصور: إنا نراك إذا دعاك أمير المؤمنين يتغير وجهك، ويضطرب حالك، فقال: مثلي معكم كباز قال لديك: ما رأيت أشر منك، تكون عند قوم من صغرك إلى كبرك، يطعمونك ويسقونك. فإذا أرادوا في وقت من الأوقات ينتقلون من دار إلى دار، وطلبوا أن ينقلوك معهم لم تمكنهم من نفسك إلا

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٣٧

بعد جهد شديد، وأنا يرسلونني في الصحارى التي فيها ربيت والمواضع التي فيها نشأت، فأرجع إليهم، وأصيد طعمهم ولا أحتاج إليهم، قال له الديك: أنت لم تر قط بازا في سفود، وأنا قد رأيت عشرين ديكا في سفود مرارا كثيرة.

وحكى بعضهم قال: كانت أعرابية تحاجي الرجال، فلا يكاد أحد يغلبها، فأتاها جني في صورة إنسان، فقال لها: أحاجيك؟ قالت: قل، قال: كاد العروس أن يكون أميرا، قال: كاد، قالت: كاد المنتعل يكون راكبا، قال: كاد، قالت: كاد النعام يكون طائرا، قال: كاد، قالت: كاد الفقر يكون كفرا، قال: كاد، قالت: كاد المريب يقول خذوني، ثم أمسك، فقالت له: جاوبتك، فأين جوابي؟ فقال لها: قولي، فقالت: عجبت، قال: عجبت للسبخة كيف لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، فقالت: عجبت، قال: عجبت للحصى، كيف لا يكبر صغيره، ولا يهرم كبيره، فقالت: عجيب، قال: عجبت لحفرة بين فخذيك، كيف لا يدرك قعرها، ولا يمل حفرها، قال: فخجلت من جوابه، ولم تعد إلى ما كانت عليه.

ودخل سارق دار تاجر، وكان التاجر غائبا، واستخفى، ثم دخل آخر واستخفى، ولا يعلم الأول بالثاني، فلما جن الليل خرج السارق الأول، فذبح الخادم، ودخل على المرأة، وقال لها: هات ما عندك، فأحضرت له جميع مالها وحليها وحلفت له أن ذلك جميع ما على ملكها، فأراد ذبحها، فقالت: ولأي شيء تفعل هذا؟ وقد أعطيتك جميع ما عندي، فقال لها: لا يؤكل مال حي، وعزم على قتلها فبكت وخضعت، فأشفق عليها السارق الثاني، وخرج عليه بسرعة، فقتله، فدهشت منه، فقال لها: لا خوف عليك، والله، لا آخذ لك شيئا، فناوليني فأسا أو مسحاة، فناولته، فحفر في الدار، ودفن السارق والخادم، وأراد الخروج، فرغبت إليه في معرفة موضعه، فعرفها لما جاء زوجها عرفته بما كان في غيبته، فمضى إليه وقاسمه ماله، وكان صديقه إلى الموت.

وحكى الحسن بن خضر عن أبيه قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس، اختفى رجل من بني أمية يقال له: إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك حتى أخذ له أمان من بني العباس، فقال له أبو العباس يوما: حدثني عما مر بك في اختفائك، فقال: كنت يا أمير المؤمنين متخفيا بالحيرة في منزل على الصحراء، فبينا أنا ذات يوم على باب بيتي، إذ نظرت إلى أعلام سود، قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في نفسي أنها تريدني، فخرجت متنكرا، حتى دخلت الكوفة، ولا أعرف بها أحدا، فبقيت متحيرا، فإذا أنا بباب ورحبة واسعة، فدخلت الرحبة فجلست فيها فإذا رجل وسيم الوجه، حسن الهيئة على فرس، فدخل ومعه جماعة من أصحابه وأتباعه، فقال: من أنت وما حاجتك؟ فقلت: رجل يخاف على دمه، واستجار بمنزلك، قال: فصيرني في

حجرة تلي حرمه، فمكثت عنده حولا كاملا في كل ما أحببت من مطعوم ومشروب وملبوس، لا يسألني عن شيء من مال ويركب في كل يوم، فقلت له يوما: أراك تدمن الركوب، ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا، وقد بلغني عنه أنه مختف، فأنا أطلبه، فقلت: يا هذا، قد وجب حقك علي، ومن حقك أن أقرب عليك الخطوة، قال: وما ذلك؟ قال: أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ **بثأرك**، فأطرق مليا، ثم قال: أما أنت فستلقى أبي، فيأخذ بحقه منك، وأما أنا فغير مخفر ذمني، فاخرج عني؛ فلست آمن نفسي عليك، فأعطاني ألف دينار، فلم أقبلها منه، وخرجت عنه، فهذا أكرم رجل رأيت.." (١)

"واشتقاق المزنم، وهو المستلحق في قوم ليس منهم، وأما قوله تعالى: " عتل بعد ذلك زنيم " أي لئيم، وكأنهم ألحقوا الزجل بالموشح من طريق إعراب بعضه وألحقوا بالموشح الزجل لما أظهروا اللحن في بعض ألفاظه، فمن الموشحات المزنمة التي نظمها ابن غزلة المغربي المشار إليه الموشحة التي قتل بسببها لأنه شبب فيها بذكر أخت عبد المؤمن الأموي، ولم يكتم غرامه وهيمانه بها، بل صرح بالاجتماع بها، والواقعة مشهورة، وكانت هي أيضا جميلة الخلق فصيحة اللسان تنظم الأزجال الرائعة الفايقة ومطلع الموشح قوله:

من يصيد صيدا فليكن كما صيدي ... صيدي الغزالة من مراتع الأسد

كيف لا أصول ... واقتنصت وحشيه

ظبية تجول ... في ردا وسوسيه

صاغها الجليل ... فهي شبه حوريه

تنثني رويدا إذ تميس في البردي ... تعجن الغلاله والردى مع النهدي

رب ذات ليله ... زرتها وقد نامت

والرقيب في غفله ... والنجوم قد مالت

رمت منها قبله ... عند ضمها قالت

قرقر واهدا لا تكون متعدي ... تكسر النباله وتفرط العقدي

فهذا البيت أكثر ألفاظه زجلية ملحونة، وجل قصده في ذلك عذوبة الألفاظ ورشاقتها.

وقيل: إنه لما أخرجه الملك للقتل نظر إلى الناس وارتجل بيتا في الوزن والقافية يستنجد به عشيرته لأخذ **ثأره**. وهو:

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٩٨

خدها الأسيل ... بدت منه أنوار

طرفها الكحيل ... سل منه بتار

ها أنا القتيل ... فهل يؤخذ **الثار**

قد أسرت عبدا ولم أك بالعبدي ... مت لا محالة فاطلبوا دمي بعدي

ومن نظمها فيه الزجل المشهور الذي مطلعه:

مشى السهر حيرانحتى رأى إنسانعيني وقف

ومن الأزجال التي زنم فيها ابن قزمان، وأعرب في بعض ألفاظها وهو الناهي عن ذلك قوله في بيت من زجل مطلعه:

شرب الخمر المحتسب وزنا ... قاضي المسلمين أت هو السبب

سيدي ليش جعلت ذا محتسب

ومحكم في أمر أهل الأدب

وهو زاني زنيم كثير الزنا

الإمام لم يكفه فتح الياء وتحريكها من الاسم المنقوص الذي هو القاضي حتى فتح أيضا نون المسلمين. وفتح نون الجمع من أكبر علائم الإعراب، وبدون فتحها يخطئ الوزن ولفظه. وهو أيضا مقبول في الزجل.

وله فتح الياء في غير المنقوص أيضا وهو من علائم الإعراب، وذلك في مثل ياء المتكلم، والياء في لفظه هي وغيرها كقوله في زجل مطلعه هذا:

قلبي يا عيد فيما يسرني جيت ... أو تجدد علي ما قد نسيت

فيقول في خرجة بيت منه:

إذا انقطع زماني الأطول ... وعليه الثنا يكون ما بقيت

فقد فتح ياء المتكلم في زماني الأطول ولولا ذلك لفسد الوزن.

وقال في تحريك هي:

الجنة لو عطيتهي الراحوعشق الملاح

فإذا أسكن في لفظة هي فسد الوزن.

وأزجال ابن قزمان، ومدغليس، وابن عمير، والشاطبي، وابن حسون أئمة هذا الفن كلها مشحونة من ذلك،

ولولا خشية الإطالة لأوردت لهم كثيرا من العيوب، وكيف يجوز لهم ذلك وقد قال ابن قزمان، وهو الإمام المخترع في خطبة ديوانه لما قال:

وجردت فني من الإعراب ... كما يجرد السيف من القراب

فمن دخل علي من هذا الباب ... فقد أخطأ وما أصاب

قال بعض زجالة المغرب: المصنف رحمه الله تعالى قال ذلك نهيا عن تقصد الإعراب وتتبعه والاستكثار منه لئلا يغلب على معظم أزجالهم التزنيم، بدليل قوله، سيما أن قصد ولو نهى عنه مطلقا، أو عن اليسير منه ثم استعمله هو وقومه يصدق عليه قول القائل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وإنما أراد بذلك الغالب، والعلماء يطلقون على الغالب حكم الكل مجازا.." (١)

"ومما وقع منه قول العرجي للتدله في الحب:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع، أعني تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير، وتوبيخ وتقرير وغير ذلك، إذا عرفت ذلك، فإني أوردت هنا ما استظرفته في هذا الباب، ولم أحتج فيه إلى التنبيه.

وأظرف ما سمعته في هذا الباب قول عبد المحسن الصوري:

بالذي ألهم تعذي ... بي ثناياك العذابا

والذي صير حظي ... منك هجرا واجتنابا

والذي ألبس خدي ... ك من الورد نقابا

ما الذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا

ومثله:

دعوه ونجدا إنها شأن نفسه ... ولو أن نجدا تلعة ما تعداها ١

وهبكم منعتم أن يراها بعينه ... فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبي:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

---

(١) بلوغ الأمل في فن الزجل الحموي، ابن حجة ص/٢

وقول الفاضل:

فإذا قلت أين داري وقالوا ... هي هذي أقول أين زماني

وقال ابن الفارض:

أوميض برق بال أبيرق لاحا ... أم في ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت ... ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبني قول الشيخ علاء الدين الوداعي:

ترى يا جيرة الرمل ... يعود بقربكم شملي٢

وهل تقتص أيدينا ... من الهجران للوصل٣

وهل ينسخ لقياكم ... حديث الكتب والرسل٤

---

١ التلعة: الأرض المرتفعة.

٢ الشمل: المجتمع، والمتفرق من الأقرباء والأنبياء.

٣ تقتص: تثأر. وتقاصص.

٤ ينسخ: يلغي، أو يغير، ومنه قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ البقرة، ٢/ ١٠٦.." (١)

"واحد، وهذا هو الغاية القوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به. وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن، فإنهم ولاة هذا الشأن، لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف، ولا يرتبكون من فنون البديع إلا ما خلا من التعسف. فمن ذلك قول الفرزدق، وأجاد إلى الغاية:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب١

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار من كل جانب٢

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد حضرت أيديهم نار غالب

ومثله قول أبي نواس:

تقول التي من بيتها خف محملي ... يعز علينا أن نراك تسير

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢٧٩/١

ما دون مصر للغنى متطلب ... بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى في إثرهن عبير٣

دعيني أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله في الحسن قوله:

وإذا جلست إلى المدام وشربه ... فاجعل حديثك كله في الكاس٤

وإذا نزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس

وإذا أردت مديح قوم لم تمن ... في مدحهم فامدح بني العباس٥

أقول: إن هذه الطريق التي مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين، ممن أوردت نظمه في هذا الباب، وهي حسن التخلص بيت واحد باستطراد رشيق، ينتقل الشاعر به من الشطر الأول إلى الشطر الثاني، فاتت فحولا من الشعراء كالبحتري وأبي تمام في غالب القصائد، على أنهما المقدمان في هذا الشأن.

وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان في بيت واحد، يثب الشاعر من شطره الأول إلى الثاني وثبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه في هذا الفن. وإذا لم يكن التخلص

---

١ الترة: الثأر.

٢ يخبطون: يسيرون على غير هدى، الأكوار: جمع مفرده الكورة وهي الناحية والمكان.

٣ البوادر: أوائل الدموع.

٤ الشرب: الذين يشربون الخمر.

٥ مان: يمين والأمر من، والمصدر المين وهو الكذب والنفاق.." (١)

"ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه ... مضمونها مالت له الأغصان١

ومن لطائفه التي سبقه السراج إليها واستعملها ابن تميم أحسن منه:

أراق دمي بسيف اللحظ ظلما ... وها أثر الدماء بوجنتيه

فلما خاف من طلبي لثأري ... أدار عذاره زردا عليه

وقال في غلام وقاد:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٠٣/١

لاموا على الوقاد في حبه ... وحبه باللوم يزداد

لو لم يكن في حسنه كوكبا ... ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر، فسح الله في أجله، هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم، فقال في وقاد أيضا:

أحبب بوقاد كنجم طالع ... أنزلته برضا الغرام فؤادي

وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلي ... إن ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله:

بنده الأزرق لما ... شده من قد سباني

جدول فوق كثيب ... دار يسقي غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله في وكيل بدار القاضي بدمشق المحروسة:

لا تقرب الشرع إذا لم تكن ... تخبره فهو دقيق جليل

ووكل العز الذي وجهه ... على نجاح الأمر أقوى دليل٢

ولا تمل عنه إلى غيره ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت:

لاقى فلان اليوم ما ساءه ... وأفرغ الصك عليه وكيل٣

وذاق من كف الوكيل العمى ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

١ الهزار: البلبل.

٢ العز: العزيز الكريم القوي.

٣ الصك: الوثيقة التي تثبت ملكية منقولة أو غير منقولة.." (١)

"ويعجبني قوله من قصيدة ورى في بيتها الأول باسمه فقال:

قد أنحلتني الغوادي غير راحمة ... ومحقتني الليالي بعد إبدار١

فكم أواري غراما من جوى وأسى ... زناده تحت أثناء الحشا واري

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٨٢/٢

جيراننا كنتم بالرقمتين فمذ ... بعدتم صار بعدكم جاري

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال:

بروحي جيرة أبقوا دموعي ... وقد رحلوا بقلبي واصطباري

كأنا للمجاورة اقتسمنا ... فقلبي جارهم والدمع جاري

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة، في الخمرة، ولم يخرج عما نحن فيه من التورية، فقال:

سارت لتقتص من قوم فما ربحت ... في حث كأس على الأوتار دوار٢

فالقوم من بعد قتلاها وما ظلمت ... وإنما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا أخذ القاضي أمين الدين الحمصي وكان كاتب السر الشريف بالشام المحروس، فقال:

وقوس حاجبه يصمي٣ كأن له ... مطالبات على قلبي بأوتار

ويطربني قوله من قصيدة:

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فأتبعته قلبا مطيعا على الغضى ... وخليت لي جفنا على السفح أطوعا٤

ومن لطائفه الغريبة:

رفقا بصب مغرم ... أبليته صدا وهجرا

وافاك سائل دمعه ... فرددته في الحال نهراه

هذا النهر ورد منه المتأخرون قاطبة، ولولا طول الشرح لذكرت ذلك، ومن لطائفه قوله:

---

١ الغوادي: جمع غادة وهي الحسناء. محقتني: جعلتني في المحاق، بلا ضوء.

٢ اقتص: قاصص ثأرا وثأر. الأوتار: في الإنسان العروق والشرايين.

٣ يصمي: يصيب ويردي.

٤ الغضى: الرغم وشجر.

٥ وافى المكان: وصل إليه.." (١)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٩٢/٢

"ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي ونكته الغريبة قوله:

قال لي العاذل المفند فيها ... يوم وافت فسلمت مختاله١

قم بنا ندعي النبوة في العشـ ... ـق فقد سلمت علينا الغزاله

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

يا غزالا أهدى السلام إلى المغـ ... ـرم لا تنكرن حالا لديه

كيف لا يدعي النبوة في العشـ ... ـق وقد سلم الغزال عليه

وأخذه الشيخ صفي الدين الحلي، فقال في ثلاثة أبيات تركيبها ضعيف:

تنبأ فيك قلبي واسترابت ... قلوب صدهم عنه ضلال٢

وردهم الهوى أن يؤمنوا بي ... وقالوا إن معجزه مجال

فمذ سلمت سلمت البرايا ... إلي وقيل كلمه الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعي أيضا ونكته الغريبة، قوله على لسان صديق اسمه عمرو قد هام بمليح في إحدى أذنيه لؤلؤة:

كم قلت لما مر بي ... مقرطق يحكي القمر

هذا أبو لؤلؤة ... منه خذوا ثأر عمر٣

ومن لطائفه أيضا في مليح اسمه سعد:

إذا ما كان قتلي يا حياتي ... مرادك من يردك أو يصد

ففوق سهم طرفك نحو قلبي ... فداك أبي وأم وارم سعد

ومن لطائفه أيضا في مليح بدوي:

أقبل من حيه وحيا ... فأشرقت سائر النواحي

فقلت يا وجه من بني من ... فقال لي من بني صباح

---

١ العاذل: اللائم. المفند: الضعيف الرأي. مختالة: متبخترة في مشيها، متكبرة.

٢ استراب: شك.

٣ أبو لؤلؤة: غلام فارسي طعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فكانت الطعنة سببا لوفاته.." (١)

"أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال:

وأغيد كل شيء فيه يعجبني ... كأنما هو مخلوق على شرطي١

أجفانه الود ما تخطي إذا رشقت ... سهامها وسهام الليل لا تخطي

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيدة:

أهل نجد هل تنجدون محبا ... صاده بالغوير ظبي ملول٢

كم دماء مطلولة في هواه ... وبها روض خده مطلول٣

وحديث عن السقام صحيح ... قد رواه عن طرفه مكحول٤

وقال وقد عينه الوزير، لرحبة مالك بن طوق:

حاشاك أن تختار لي رحبة ... لست إليها الدهر بالسالك

لأنها نار تلظى أما ... ترونها تعزى إلى مالك

ومن نكته التي ما حام فكر غيره عليها قوله:

وفي أسانيد الأراك حافظ ... للعهد يروي صبره عن علقمة

وكلما ناحت به حمامة ... روى حديث دمعه عن عكرمة

التورية في علقمة وفي عكرمة أيضا فإنه اسم للحمامة.

ومثله في الغرابة أيضا قوله وقد توجه من دمشق إلى البلقاء، لزيارة صاحب له يلقب بالشمس، فلما وصل إلى البلقاء وجده قد توجه إلى حسبان، فكتب إليه.

أتيت إلى البلقاء أبغي لقاءكم ... فلم أركم فازداد شوقي وأشجاني

فقالت لي الأقوام من أنت قاصد ... لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان٥

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعي. ومن غرائب نكته البديعة في باب التورية، وأبدت سمو رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١١٦/٢

١ الأغيد: الناعم المتثني.

٢ الملول: الذي لا يثبت على حب شيء.

٣ المطلول: المهدور الدم دون الأخذ بثأره، والذي أصابه الطل وهو الندى.

٤ مكحول: أحد رواة الحديث النبوي الشريف، والذي وضع الكحل في عينيه.

٥ حسبان اسم بلد، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ .." (١)

"ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله:

قالوا غدا تندم عن لثمه ... في خده إذ يغلب السكر

فقال لي مبسمه دعهم ... اليوم خمر وغدا أمر ١

وقال:

جلا ثغرا وأطلع لي ثنايا ... يسوق بها المحب إلى المنايا

وأنشد ثغره يبغي افتخارا ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التي تطفل الناس عليها بعده قوله:

إن تاه ثغر الأقاحي إذ تشبهه ... لله حبك واستولى به الطرب

فقل له عندما يحكيه مبتسما ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب٢

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله:

وناطقة بالروح عن أمر ربها ... تعبر عما عندها وتترجم

سكتنا وقالت للقلوب فأطربت ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدي قوله:

ملكت كتابا أخلق الدهر رسمه ... وما أحد في دهره بمخلد

إذا عاينت كتبي الجديدة جلده ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال:

قل للرقيب يسترح من عذلي ... ما أصبح المعشوق عندي مشتهى

وارتد قلبي عن سيوف لحظه ... وكل شيء بلغ الحد انتهى

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٢٠/٢

وقال مضمنا ومكتفيا:

رشفت ريقك حلوا ... فلم يكن لي صبر

وسوف أحظى بوصل ... وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي:

وعلق يرى للترك فيه تحمس ... يقود عليه أحدب ويعاشره٣

إذا جاءه اللوطي يطلب وصله ... ثنى طرفه نحو الحسام يشاوره

---

١ اليوم خمر وغدا أمر: قالها امرؤ القيس عندما بلغه مقتل والده وقد كان خليا لا هم له يشرب الخمر ويلهو، فصار مهتما بالثأر لأبيه.

٢ حكيت: شابهت. الشنب: بياض الأسنان ورقتها.

٣ العلق: الصعلوك من الناس، أو المخنث المتشبه بالنساء. يقود عليه: يجلب له الزبائن وهي القوادة أي القيادة إلى الفحش. يعاشره: يجامعه، يلوطه.." (١)

"ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

قفي تغرمي الأولى من اللحظ مهجتي ... بثانية والمتلف الشيء غارمه١

المعنى أن النظرة الأولى أتلفت مهجتي، فلزم غرمها بنظرة ثانية؛ لأنه من أتلف شيئا حكم عليه بغرمه، ولكن في التركيب قلق وعقادة.

"ومنه": قول شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي رحمه الله تعالى:

طلبت زكاة الحسن منها فجاوبت ... إليك فهذا ليس تدركه مني

علي ديون للعيون فلا ترم ... زكاة فإن الدين يسقطها عني

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل:

يا سيدي إن جرى من مدمعي دمي ... للعين والقلب مسفوح ومسفوك

لا تخش من قود يقتص منك به ... فالعين جارية والقلب مملوك٢

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٢/٣٣١

ومن الاقتباسات في علم المنطق، قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني:

للمنطقيين أشتكي أبدا ... عين رقيب فليته هجعا

صادرها من أحبه فأبى ... أن نختلي ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت ... مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الأبيات في غاية الحسن، ولكن أورد بعضهم إيرادا وقال: ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية، والمراد في مثل هذا أن يتعجب مما خرج عن القواعد، وهذه القضية موجودة مستعملة، وذلك قولهم: العدد إما زوج وإما فرد، فهذه القضية مانعة الجمع فإن الزوجية والفردية لا يجتمعان، ومانعة الخلو فإن العدد لا يخلو من أحدهما، فلا معنى للتعجب.

ومنه قول بعضهم:

مقدمات الرقيب كيف غدت ... عند لقاء الحبيب متصلة

تمنعنا الجمع والخلو معا ... وإنما ذاك حكم منفصله

---

١ غارم: كافل ضامن. والمتلف: المفسد.

٢ القود: الثأر، والقصاص.." (١)

"في أرض منيعة ذات أشجار ملفتة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الحجر يملكه ثعلب اسمه مفوض وأنه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت في طلب الثأر خير من الحياة في العار والرأي عندي أن تنطلق معي إلى مأواك الذي أخذ منك غصبا حتى أنظر إليه فلعلي أهتدي إلى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا إلى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معي فبت الليلة عندي لأنظر ليلتي هذه فيما يسنح من الرأي والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر في حيلة اغتصابه ونفي مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم أني رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فأصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر في هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لأن لي نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض ما قاله

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٤٧٤/٢

ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه قال له أني أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك فنجعل الحزمتين في بابه نضرم النار فإن خرجت الحية احترقت وإن لزمت." (١)

"الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالمغني وأنفلت عني، فأخبرها بالحال فأخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليلا وطلعت إلى وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت لابأس عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت إني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فانج لنفسك فسالتها المهلة إلى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت إلى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت إلا إبراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزي الذي أنا فيه إلى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني إليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين، إن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فإن تأخذ فبحقك وإن تعف فبفضلك ثم أنشدت:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بحلمك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

فرفع إلي رأسه فبدرته وقلت:." (٢)

"لقد ظهر من مروؤتك ما يوجب المبالغة في إكرامك وسلم إليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل في تلك النعمة إلى أن مات.

ومما يضارع ذلك أنه لما أفضت الخلفة إلى بني العباس اختفت رجال بني أمية ومهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان إبراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل بشارع على الصحراء

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١/١٧٨

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١/٢٠٩

فبينما أنا على ظهر البيت إذ نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا أختفي عند فبقيت في حيرة فإذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي إلا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففيم ذلك قال إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لأدرك منه **ثأري** فكثر." (١)

"والله تعجبي وقلت القدر ساقني إلى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن أسمه واسم أبيه فأخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا وجب علي حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقرب إليك الخطوة قال وما ذاك قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ **بثأرك** فقال إني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاؤ فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه واطرق مليا ثم قال: أما أنت فستلقى أبي عند حكم عدل فيأخذ **بثأره** وأما أنا فغير مخفر ذمتي فأخرج عني فلست آمن عليك من نفسي وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين.

ومن لطائف ما نقلته من المستجاد حدث أبو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة ابن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج إلى أخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليه فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت ثم أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة." (٢)

"وأرادت أن توقعه كما أوقعها، فقالت له: هل تحسن شيئا من العروض؟ قال: نعم. قالت قطع لي:

حولوا عنا كنيستكم ... يا بني حمالة الحطب

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢١٢/١

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢١٣/١

فقطعه، فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والألف مع بقية الحروف فضحكت عليه، وأضحكت أصحابه، فقال: ويحك لم تبرحي حتى أخذت ثأرك.

وحكي إن شاعرا كان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لامحالة، فقال له يا هذا: أنا أعلم أن المنية قد حضرت، ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أمض إلى داري وقف بالباب وقل: «ألا أيها البنتان إن أباكما» . فقال: سمعا وطاعة، ثم إنه قتله، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره، ووقف بالباب وقال: ألا أيها البنتان إن أباكما. وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل: ألا أيها البنتان إن أباكما. أجابتا بفم واحد: قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما- ثم تعلقتا بالرجل، ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله «١» ، والله أعلم.

وقيل: بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي، فقال لها تنحي عن الطريق، فقالت له: ويحك ومن تكون؟ قال: أنا كثير عزة «٢» . قالت: قبحك الله، وهل مثلك يتنحى له عن الطريق، قال: ولم؟ قالت: ألست القائل:

وما روضة بالحسن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها «٣»

بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها «٤»

ويحك يا هذا! لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها، لم لا قلت مثل سيدك أمرىء القيس:

وكنت إذا ما جئت بالليل طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا. وقيل: أتى الحجاج بامرأة من الخوارج، فقال لأصحابه: ما تقولون فيها؟ قالوا: عاجلها بالقتل أيها الأمير. فقالت الخارجية «٥» : لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك يا حجاج. قال: ومن هو صاحبي؟ قالت: فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا: أرجه وأخاه.

وأتي بأخرى من الخوارج، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه، فقيل لها: الأمير بكلمك، وأنت لا تنظرين إليه، فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

وحكى ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة درهم، وأن فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم، فأدى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها، فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه

وقال: أيها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين، فهاب الناس أن يكلموه، فقامت امرأة في يدها طول، فقالت له: كيف يحل لك هذا، والله تعالى يقول: وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا

«٦» فقال عمر رضي الله عنه: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وقيل: جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، فقال لها: نعم الرجل زوجك، وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا، فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه، فقال له: كما فهمت كلامها احكم بينهما، فقال كعب: علي بزوجها، فأحضر، فقال له: إن هذه المرأة تشكوك، قال:

أفي أمر طعام أم شراب؟ قال: بل في أمر مباعدتك إياها عن فراشك، فأنشدت المرأة تقول:

يا أيها القاضي الحكيم أنشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجده

نهاره وليله لا يرقده ... فلست في أمر النساء أحمده." (١)

"أنه لما خرج عمه إبراهيم المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون، وكان المأمون إذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى إبراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم إلى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا «١» لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب «٢» مع نسوة، فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال المأمون: لا سلم الله عليك ولا قرب دارك، استغواك «٣» الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام «٤» . فقال له إبراهيم: مهلا يا أمير المؤمنين فإن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى، ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن أخذت فبحقك وإن عفوت فبفضلك، والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الأبيات:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بعفوك عنه

إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٦٦

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال: يا إبراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم ما تحاول وأكثر مما تأمل، ولقد حبب إلي العفو حتى خفت أن لا أؤجر عليه، لا تثريب «٥» عليك اليوم. ثم أمر بفك قيوده وإدخاله الحمام وإزالة شعثه «٦» وخلع عليه ورد أمواله جميعها إليه فقال فيه مخاطبا:

رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

فإن جحدتك ما أوليت من كرم ... إني لباللؤم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يأمره أن يبعث إليه برأس عباد بن أسلم البكري، فقال له عباد: أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني، فو الله إني لأعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري. فرق لهن واستحضرهن وإذا واحدة منهن كالبدر، فقال له الحجاج: ما أنت منه؟

قالت: أنا بنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت:

أحجاج إما أن تمن بتركه ... علينا وإما أن تقتلنا معا

أحجاج لا تفجع به إن قتلته ... ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا

أحجاج لا تترك عليه بناته ... وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة.

ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير»

فاستأذن لي عليه، فاستأذن، فأذن له عمر فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب فو الله ما تعطينا الجزل «٨» ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ١٩٩

»٩« وإن هذا من الجاهلين فو الله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله تعالى.

وحكي أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع، تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد

حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل." (١)

"قال: عدوي، قيل: كيف ذلك؟ قال: لأنه إذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن. وقيل: كونوا من المرء الدغل «١» أخوف من الكاشح «٢» المعلن، فإن مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن. وقالوا: إياك أن تعادي من إذا شاء طرح ثيابه، ودخل مع الملك في لحافه.

وقال أبو العتاهية:

تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسنا فزده

ستلقي من عدوك كل كيد ... إذا كان العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب، فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس بن كليب، فلما كبر وشب قال:

أصاب أبي خالي وما أنا بالذي ... أميل وأمري بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة ... إذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك:

يا للرجال لقلب ماله جلد «٣» ... كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال:

ألم تربي ثأرت أبي كليبا ... وقد يرجى المرشح للدخول

غسلت العار عن جسم ابن بكر ... بجساس بن مرة ذي البتول

بيت:

سن العداوة آباء لنا سلفوا ... فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال: دار عدوك لأحد أمرين: إما لصداقة تؤمنك، أو لفرصة تمكنك.

وكتب سويد إلى مصعب:

فبلغ مصعبا عني رسولي ... وهل تلقى النصيح بكل واد

تعلم أن أكثر من تناجي ... وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٠٤

ويقال: فلان كثير المراق مر المذاق. وقال الحجاج لخارجي: والله إني لأبغضك، قال: أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه. ولما أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته، فأنكروا عليه، وقال بعضهم: إن أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت، فقال: إن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، وكانت أم قباذ تركية، وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم، فقيل: هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك، فقال: إن قصره من رجليه ولا يكاد يرى إلا جالسا أو راكبا، فلا يستبين ذلك فيه. فقيل: هو بغيض في الناس، فقال: أواه هدك ابني هرمز، فقد قيل: إذا كان في الإنسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة إلى الناس فلا خير فيه، وإذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه:

ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بغض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل:

وعين البغض تبرز كل عيب ... وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبي حيان قال: قال لقمان: نقلت الصخور وحملت الحديد، فلم أر شيئا أثقل من الدين، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان، فلم أر شيئا ألذ من العافية. وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الأعداء خصوصا إذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد. اللهم إنا نعوذ بك من تتابع الإثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم.

وقيل لأيوب عليه السلام: أي شيء كان عليك في بلائك أشد؟ قال: شماتة الأعداء.

وأنشد الجاحظ:

تقول العاذلات تسل عنها ... وداو عليل قلبك بالسلو «٤»." (١)

"سنين أسلمته إلى المؤدب، فحفظه القرآن، فتلاه، وعلمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده، فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس «١» وتمرس «٢» ولبس السلاح ومشى بين بويتات الحي الخيلاء، فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام، وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه، فاتفق أن نزلنا بمنهل «٣» من المناهل بين أحياء العرب، فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم، وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة شغلته عن الخروج، حتى إذا أمعن القوم، ولم يبق في الحي

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٢٠

غيره، ونحن آمنون وادعون، ما هو إلا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو، فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها، وهو يسألني عن الصوت، وأنا أستر عنه الخبر إشفاقا عليه وضنا به، حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات «٤» رمى **دثاره** «٥» **وثار** كما يثور الأسد، وأمر بإسراج فرسه، ولبس لأمة حربه، وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم، فطعن أدناهم منه فرمى به، ولحق أبعدهم منه فقتله، فانصرفت وجوه الفرسان، فرأوه صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه، فأقبل يؤم البيوت. ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة، حتى إذا مدهم وراءه وامتدوا في أثره عطف عليهم، ففرق شملهم وشتت جمعهم، وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق، ومرق كما يمرق السهم، وناداهم: خلوا عن المال، فو الله لا رجعت إلا به، أو لأهلكن دونه، فانصرفت إليه الأقران، وتمايلت نحوه الفرسان، وتميزت له الفتيان، وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة، وعطفوا عليه بالأعنة، فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الإبل، وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها، ولا كتيبة إلا مزقها حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه، ثم ساق المال، وأقبل به، فكبر القوم عند رؤيته، وفرح الناس بسلامته، فو الله ما رأينا قط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيان الحي هذه الأبيات:

تأملن فعلي هل رأيتن مثله ... إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب «٦»

وضاقت عليه الأرض حتى كأنه ... من الخوف مسلوب العزيمة والقلب

ألم أعط كلا حقه ونصيبه ... من السمهري اللدن والمرهف العضب «٧»

أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك ... سليل المعالي والمكارم والسيب «٨»

أبى لي أن أعطي الظلامة مرهف ... وطرف قوي الظهر والجوف والجنب

وعزم صحيح لو ضربت بحده ال ... جبال الرواسي لانحططن إلى الترب

وعرض نقي أتقي أن أعيبه ... وبيت شريف في ذرى ثعلب الغلب

فإن لم أقاتل دونكن وأحتمي ... لكن وأحميكن بالطعن والضرب

فلا صدق اللاتي مشين إلى أبي ... يهنينه بالفارس البطل الندب «٩»

وقال الشاعر:

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم ... في الحادثات إذا دجون نجوم «١٠»

منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات رجوم «١١»

وقال آخر:

فوارس قوالون للخيل أقدمي ... وليس على غير الرؤوس مجال

بأيديهم سمر العوالي كأنما ... تشيب على أطرافهن ذبال

وقال آخر:

قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم ... شمسا وخلت وجوههم أقمارا." (١)

"فلا يتخذ منهن حر قعيدة ... فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس، فأرسله يوما يشتري له عنبا وتينا، فأبطأ عليه حتى عيل صبره، ثم جاء بأحدهما فضربه وقال: ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، فمرض الرجل، فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب، فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر، فسأله عنه فقال:

أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة، فجئتك بالطبيب، فإن شفاك الله تعالى، وإلا حفر لك هذا قبرك، فهذا طبيب وهذا حفار.

وقيل: كان عمرو الأعجمي يلي حكم السند، فكتب إلى موسى الهادي: إن رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب ابن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه، فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها، فأجابته، فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم، فإذا هو على صدر مولاته، فعمد إليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه، ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه إلى أن برىء من علته، فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله، وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر، فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال، فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى إلى أن دخل مولاه، فرفع رأسه فرآه في شاهق مع الغلام فقال: ويلك عرضت ابني للموت، قال: أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما، فقال: الله الله يا ولدي في تربيتي لك، قال: دع هذا عنك، فو الله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها في شربة ماء، فجعل يكرر عليه ويتضرع له، وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود إليه، فيدليهما من ذلك الشاهق، فقال: أبوهما: ويلك، فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أمرت، ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه، فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٣٤

من ذلك الشاهق فتقطعا، وقال: إن جبك لنفسك ثأري، وقتل أولادك زيادة فيه، فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي، فكتب موسى لصاحب السند عمرو الأعجمي بقتل الغلام، وقال: ما سمعت بمثل هذا قط، وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود، فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم. وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت إلى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك إليه أنكره، كأن لم ير منك شيئا، وكلما أحسنت إليه تمرد، وإن أسأت إليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا. وما أحسن ما قيل:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا «١»

وقيل: إن العبد إذا شبع فسق، وإن جاع سرق. وكان جدي لأمي يقول: شر المال تربية العبيد، والمولدون منهم ألأم من الزنوج وأردأ، لأن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه. ويقال في المولد: بغل لأنه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا، وبالعكس فلا تثق بمولد لأنه قل أن يكون فيه خير وإن كان فذاك نادر والنادر لا حكم له، وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا، وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها، فمن ذلك قوله تعالى: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ١٠٣

«٢» .

قال أهل اللغة: البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان الأخير ذكرا بحروا أذنها أي شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى. وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث. وأما الوصيلة ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم. وأما الحام، فالذكر من الإبل، كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل." (١)

"ونستنصرها فتنصرنا. فقال: أعطوني منها صنما أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٢٨

وقيل: إن أول ما كانت عبادة الأحجار في بني إسماعيل، وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد، وما من أحد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة، ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين إسماعيل، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال. وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل، وأيضا اتخذوا أسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون. وكان أساف ونائلة رجلا وامرأة، فوقع أساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين.

واتخذ أهل كل دار في دراهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب، وكان ذلك آخر ما يصنع إذا توجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله.

واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى، وكان حجابها بني شيبة. وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان حجابها بني مغيث من ثقيف. وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم.

وأما يغوث ويعوق ونسر، فقيل إنهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا، فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه إذا نظروه، فكرهوا ذلك، فقال: اجعلوه في مؤخر المسجد، ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص. ثم مات آخر، ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم، فصورهم هناك، وأقام من بعدهم على ذلك إلى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله، فقالوا له: من نعبد؟ قال: آلهتكم المصورة في مصلاكم فعبدوها إلى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام، فنهاهم عن عبادتها، فقالوا: كما أخبر الله عنهم: لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا

«١» الآية.

ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا، فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها.

وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام، فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا، ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها. وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم. وقال الواقدي:

كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر، والله تعالى أعلم أي ذلك كان.

ذكر أوابدهم:

الرتم: شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصنا منه، فإذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال: قد خانتني امرأتي، وإن وجده على حالته قال: لم تخني.

الرئيمة: ناقة كانت العرب إذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت. يزعمون أنه إذا بعث من قبره ركبها.

التعمية والتفقئة: كان الرجل إذا بلغت إبله ألفا قلع عين الفحل. يقولون إن ذلك يدفع عنها العين، فإذا ازدادت على الألف فقأ عينه الأخرى.

العرداء: يصيب الإبل شبه الجرب، كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العر.

ضرب الثور عن البقر، كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور، يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب.

الهامة: كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة، فلا يزال يصيح على قبره: «اسقوني» إلى أن يؤخذ بثأره.

وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها، فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسه.

وقالوا: إن الميت لا يوجد فيه الدم وإنما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة، لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة، فإذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة. وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل، ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ." (١)

"على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم:

سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الإسلام، والعرب ترى صحة أمر الهام، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام» .

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٣٠

وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ، ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى، ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت. والصفر زعموا أن الإنسان إذا جاع عض على شر سرفه الصفر وهي حية تكون في البطن. تثنية الضربة:

زعموا أن الحية تموت في أول ضربة، فإذا ثنيت عاشت.

الغيلان والتغول للعرب:

في الغيلان والتغول أخبار وأقاويل، يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم، وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤوم وأنه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش، وطلب القفار، وهو يشبه الإنسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار «١» في أوقات الخلوات وفي الليل.

وحكي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رآه في سفره إلى الشام فضربه بالسيف. وقال الجاحظ: الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف، وقالوا: إنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى. وأما القطرب في قولهم، فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه، وربما أنه يلحق الإنسان فينكحه، فيدود دبره فيموت. وربما نزا على الإنسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها:

أمنكوح هو أو مذعور؟ فإن كان قد نكحه أيسوا منه، وإن كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه، وإذا رآه الإنسان وقع مغشيا عليه، ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه «٢» .

ذكر الهواتف:

أما الهواتف: فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي.

ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف:

ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال: خرجنا حجاجا، فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه:

ليت شعري هل بغت علي. فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق، فأجابه صوت في الظلام: نعم نعم مع حجية. وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كية. فسكت الرجل، فلما سرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال: دخل جيراني يسلمون علي فإذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية، فقلت لأهلي من هذا؟ قالت: رجل كان

ألطف جيراننا بنا، فجزاه الله خيرا، فسألتها عن اسمه، فقالت حجية، فقلت: إلحقي بأهلك.

وأما بكاء المقتول، فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فإذا أخذ بثأره بكينه.

وأما رمي السن، فكانوا يزعمون أن الغلام إذا ثغر، فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وإبهامه، وقال: أبدليني بأحسن منها، فإنه يأمن من على أسنانه العوج والفلج.

وأما خضاب النحر، فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد، فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة.

وأما نصب الراية: فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها.

وأما جز النواصي «٣» : فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه، وأطلقوه جزوا ناصيته.

وأما الالتفات: فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره، فإن التفت تطيروا له.

وكانوا يقولون: من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر، وذلك أن الجن تهرب من الأرانب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن.

ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما.

ويزعمون أن الرجل إذا قدم قرية، فخاف وباءها، فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها.

ويزعمون أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الأبكار فتفتضهن.." (١)

"واحدة افتض عشرة أبكار. وكان لشيرويه غرام في الباه، فتناول منه حبة فهلك من ساعته، فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله.

ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء، فقال له الرشيد: لم تخلفت؟ فقال: عاقني عائق، فقال: اقرأوا عليه كتاب البيعة، فقال يا أمير المؤمنين: هذه البيعة في عنقي إلى قيام الساعة، فلم يفهم الرشيد ما أراد، وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر، وما أراد الرجل إلا قيامه من المجلس.

وقال المغيرة بن شعبة: لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب، فإني ذكرت امرأة منهم لأتزوجها، فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها، فقلت: ولم؟ قال:

رأيت رجلا يقبلها، فاعرض عنها، فتزوجها الفتى، فلمته، وقلت ألم تخبرني أنك رأيت رجلا يقبلها؟ قال: نعم رأيت أباها يقبلها. وأتى رجل إلى الأحنف، فلطمه، فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: جعل لي جعل على

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٣١

أن ألطم سيد بني تميم، فقال: لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيدهم، فمضى إليه، فلطمه، فقطعت يده.

وقال الشعبي: وجهني عبد الملك إلى ملك الروم، فقال لي: من أهل بيت الخلافة أنت؟ قلت: لا، ولكني رجل من العرب، فكتب إلى عبد الملك رقعة ودفعها إلي، فلما قرأها عبد الملك قال لي: أتدري ما فيها؟

قلت: لا، قال فيها: «العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره» . قال: أتدري ما أراد بهذا؟ قلت: لا، قال: حسدني عليك، فأراد أن أقتلك، فقلت: إنما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يترك شيئا إلا سألني عنه، وأنا أجيبه، فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي.

فقال: لله أبوه ما عدا ما في نفسي.

ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة، وكان شابا ظريفا غزلا، بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا، فثقل على بشر مرافقته، فذكر ذلك لندمائه، فتوصل بعض ندمائه إلى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية، فكتب على حائط قريب في مجلسه هذه الأبيات:

يا روح من لبنيات وأرملة ... إذا نعاك لأهل المغرب الناعي

إن ابن مروان قد حانت منيته ... فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة، فلما وصل إلى عبد الملك أخبره بذلك، فاستلقى على قفاه من شدة الضحك، قال: ثقلت على بشر وأصحابه، فاحتالوا لك.

ومن الحيل الطريفة:

ما حكي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية، وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي، وكان أول من أسلم في تلك الأيام وشهد خيبر، فقال يا رسول الله: إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة، فأذن لي يا رسول الله في العود إلى مكة عسى أسبق خبر إسلامي إليهم، فإني أخاف إن علموا بإسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة، فأذن لي لعلي أخلصه، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أحتاج إلى أن أقول، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل، وأنت في حل، قال الحجاج: فخرجت، فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الأخبار، وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار إلى خيبر، فلما أبصروني قالوا: هذا لعمر الله عنده الخبر، أخبرنا يا حجاج، فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار إلى

خيبر، قال: قلت إنه سار إلى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فأحدقوا حول ناقتي يقولون إيه يا حجاج؟ قال: فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وأسر محمد وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال:

فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم.

قال: فقلت: أعينوني على جمع مالي من غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر، فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هن ا ك، فقاموا معي، فجمعوا لي مالي كأحسن ما أحب، فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل علي حتى وقف إلى جانبي، وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟

قال: فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر؟

فقال: نعم والله قال: قلت: استأخر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت على الخروج، لقيت العباس، فقلت له: احفظ علي حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى أن يتبعوني، فاكتم علي ثلاثة أيام، ثم قل ما شئت. قال: لك علي ذلك. قال:

قلت والله ما تركت ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية، وقد افتتح خيبر، وغنم ما فيها، وصارت له ولأصحابه. قال: أحق ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت أي." (١)

"وقيل لأعرابي: ما بلغ من حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها رائحة المسك.

وقيل: رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها، فوثب عليه وآذاه، ثم إن شبيبا أتى مكة وجميل فيها، فقيل لجميل دونك شبيبا، فخذ بثأرك منه فقال:

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الأخفش الحداد يقول:

مطارق الشوق منها في الحشى أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ... ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر «١»

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٤٢

وفي الجليس الأنيس لأبي العالية الشامي قال: سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ فقال: هو سوانح تسنح للمرء، فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه، وقال ثمامة: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، و أعطي عنان طاعتها وقوة تصريفها، توارى عن الأبصار مدخله، وخفي في القلوب مسلكه.

وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان بن عمرو ومن معه: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم، فهل فيكم عاشق؟ قال: لا.

قال: اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان، ويفتح جبلة البليد، والبخيل، ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، وتشريف الهمة.

وقال المجنون:

قالت جننت على ذكري فقلت لها ... الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين: إن بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسيء الأدب، فغمه ذلك، فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه، فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوما، فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا إلى الرجاء في فلاحه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان، فعشقها، فغلبت عليه، فهو لا يهدأ إلا بها ولا يتشاغل إلا بها، فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه، ثم دعا بأبي الجارية، فقال له: إني مسر إليك سرا، فلا يعدوك، فضمن له ستره، فأعلمه ان ابنه قد عشق ابنته، وانه يريد أن ينكحها أياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها، وتقع عينه عليها، فإذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره، فإن استعلمها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك، ثم لتعلمني خبرها وخبره، ولا تطلعهما على ما أسره إليك، فقبل أبوها ذلك منه، ثم قال للمؤدب، والموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة، ففعل ذلك، وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجني عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصوجان حتى مهر في ذلك.

ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء، وما أشبه ذلك. فسر الملك بذلك، وأمر له بما طلب، ثم دعا مؤدبه، فقال له:

إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من خبر هذه المرأة لا يدري به، فتقدم إليه وأمره أن يرفع أمرها إلي ويسألني أن أزوجه إياها، ففعل المؤدب ذلك، فرفع الفتى ذلك لأبيه، فدعا بأبيها وزوجه إياها وأمر بتعجيلها إليه، وقال:

إذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك، فلما اجتمعا صار إليه، فقال: يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها إياك، وليست في خبائك، فإني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك، ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها، ورفع منزلته لصيانة سره، وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به.." (١)

"أذود الهوى عني وقلبي يطيعه ... فما حيلتي يا جمل والقلب خاذلي

وأحمل في حبيك ما لا أطيقه ... وما فزت يوما في رضاك بطائل

ومن حكمت فيه الغواني فانه ... جدير بحكم جائر غير عادل

ومن ثأره عند الذوائب والطلى ... فلا يرتجي نصر الظبا والذوابل

ومن راح في أسر اللواحظ لم يزل ... طليق جفون بالدموع الهوامل

ولا تحسبي يا جمل أني عاشق ... يزول غرامي فيكم بالتواصل

ولكنني أزداد بالقرب والنوى ... هياما وداء الحب ليس بزائل

حرام على قلبي السلو لأنني ... أراه بعيدا عن يد المتناول

وبيت كثير قل من يهتدي به ... وغير عجيب أن يفوه بباطل [١]

أيعشق من ملك الهوى رق عاشق ... مشاع لأدواء الغرام القواتل

لسهد ووجد واكتئاب ولوعة ... وفرط أسى باد وتعنيف عاذل

لقد فاز من حاز الغرام فؤاده ... لقد حاز أسمى رتبة للفضائل [٢]

وما العيش إلا صبوة وصبابة ... ومنزلة العشاق أسمى المنازل [٣]

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٠٥

فلما نفثت في من سحر لفظها الحلال، وملكت لبي بحلاوة/ المقال، جاريتها في الكلام، وناضلتها بما فضل في كنانة فكري من السهام. ثم قلت: قد كان ذلك أيام شبابي، ونشأتي في صهباء التصابي، والآن فقد نهاني رقيب المشيب عن مواصلة الحبيب، أما رأت عيناك يقق لمتي [٤] ، وضعف حركاتي وقوتي، وفتور بوادر همتي، أما سمعت أذناك بديع نسيبي في وصف مشيبي: [الطويل]

كبرت ولم أشعر وشابت مفارقي ... وفارقت لذاتي وهن عجائز

ولانت قناتي بعد طول صلابة ... وليس لها يوما سوى الدهر غامز

فلو قيل لي يا شيخ قلت لعله ... سواي الذي يدعى وقلبي قافز

وكم رضت خيلا للأماني سوابقا ... لها من تصاريف التصابي مهامز

وجلت بميدان الشباب إلى مدى ... له الشيب عن نهج الغواية حاجز

---

[١] ش، ل: يقتدي به.

[٢] ش، ط: ربقة للفضائل، وصدر هذا البيت والذي يليه مطموسان ببقعة حبر في ط.

[٣] هذه الصفحة في نسخة ع جاءت متأخرة في غير موضعه، وضعت في ص ٣٧ ب من تسلسل الأصل.

[٤] يقق اللمة: بياض الشعر.." (١)

"لله لص جريء القلب محتنك ... مجرب العزم قتال مع السحر

أبصرته فكأن الموت صورته ... في كفه خنجر أمضى من القدر

ومد نحوي يدا كانت براحتها ... تفيض نفسي من خوف ومن حذر

ومكن النصل من نحري وقال ألا ... ألق الثياب ولا تقدم على الخطر

فقلت دونك عني إنني رجل ... شيخ فقيه وقاض من بني عمر

يرى الورى كلهم فضلي ويرفعني ... علمي ويشهد لي في البدو والحضر [١]

أما تخاف أما تخشى الإله بأن ... يراك من حيث لا يرضاك فاقتصر [٢]

فقال لي بلسان ناطق ذرب ... كأنما قد ما يلقيه من حجر

أما تراني فتى لصا تعوذ بي ... من قد رآني من أنثى ومن ذكر

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٥٣

آوي القفار وأحميها ويؤنسني ... سيفي وترسي وقلب محضر المرر

تنبو المضاجع عن جنبي لتحملني ... نفسي عن الكر بين الورد والصدر

سل إن جهلت مكان الليل عن خبري ... يخبرك إن شئت أو لا فاقتحم أثري

أنا الذي أسبق الأقدار في مهل ... مني وأكحل جفن العين بالسهر

ولا أنام على ثأر يؤرقني ... من الملوك ولا ثاري على القسر [٣]

ما كنت أحسب أني قبل ذاك أرى ... ليثا يحل لنا في صورة البشر

فلو أبو هاشم والشافعي وأبو ... حنيفة وابن جهم المجبر القدري

ومالك مقلتهم عينه لقضى ... على ثيابهم في مجلس النظر

أو لو تأبط أو لو أن عروة أو ... عمرو بن معدي أو ذا النابل النمر [٤]

لقيتهم ولظى الهيجاء مسعرة ... ترمي رحاها حماة البأس بالشرر

لأوردهم ظباه موردا كدرا ... مرا وكيف لهم بالمورد الكدر

فمن عذيري مما قد بليت به ... في صبح يوم بدا عن حية ذكر

فقال له القوم: ما يقول القاضي في هذا الرجل؟ فقال: ما أقول في رجل تفصح شمائله عن أبوته، وتنطق مخايله عن مروء ته، هو من قبلي في أوسع عذر، وأفسح أجر، فاني لا

---

[١] في ب، ل: في العدو والحضر. وهو تحريف.

[٢] في ب، ل: لا يراك فاقتصر. وهو تحريف.

[٣] في ب، ل: على القمر.

[٤] يشير إلى لصوص العرب وفرسانهم وصعاليكهم: تأبط شرا، وعروة بن الورد، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وغيرهم.." (١)

"قيل لأعرابي: أيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثأرا؟ قال: بل يسرني أن أدرك الثأر وأنفي عني العار، وأدخل مع فرعون النار. يقال: الموت في طلب الثار خير من الممات في عار. قيل لسقراط: لم لم تذكر في شريعتك عقوبة من قتل أخاه؟ فقال: لا أعلم أن هذا شيء يكون.

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٤٤٤

استعرض الإسكندر جنده، فتقدم إليه رجل على فرس أعرج فأمر بإسقاطه، فضحك الرجل، فاستعظم ضحكه في ذلك المقام، فقال له: ما أضحك وقد أسقطتك؟ قال: التعجب منك. قال: كيف؟ قال: تحتك آلة الهرب وتحتي آلة الثبات ثم تسقطني؟ فأعجب بقوله وأثبته. قسم معن بن زائدة «١» سلاحا في جيشه، فدفع إلى رجل سيفا رديئا، فقال: أصلح الله الأمير أعطني غيره، قال: فخذه فإنه مأمور، قال: هو مما أمر أن لا يقطع أبدا. فضحك وأعطاه غيره. عرض عمرو بن ليث «٢» عسكره، فمر به رجل على فرس أعجف فقال:

لعن الله هؤلاء، يأخذون المال ويسمنون أكفال «٣» نسائهم. فقال: أيها الأمير لو نظرت إلى كفل امرأتي لرأيته أهزل من كفل دابتي. فضحك وأمر له بمال وقال:

خذه وسمن به كفل دابتك وامرأتك.

وقع في بعض العساكر هيج فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب دهشا فقال: هب جبهتك عرضت، ناصيتك كيف طالت؟. نظر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يمينا وشمالا، فقعد في موضع الهدف وقال: لم أر موضعا أسلم من هذا. قال المنصور لبعض الخوارج بعد الأخذ: عرفني من أشد أصحابي إقداما؟ فقال: لا أعرفهم بوجوههم فإني لم أر إلا قفاهم. اجتاز." (١)

"يتنقل في أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم وذؤبانهم والعرب تطلق على اللصوص الذؤبان تشبيها بالذئاب وكان يغير بهم وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالأوا على قتله فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال ضيعني صغيرا وحملني ثقل الثأر كبيرا اليوم خمر وغدا أمر فأرسلها مثلا وقيل بل قال اليوم قحاف وغدا نقاف والقحاف من القحف وهو شدة الشرب والنقاف من نقف الهام إذا قطعها

ثم إنه جمع جمعا من بني بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب وخرج يريد بني أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه إليهم فارتحلوا وتبعهم امرؤ القيس فأوقع ببني كنانة وكانوا بني أسد قد لجأوا إليهم ثم ارتحلوا عنهم فقتلهم قتلا ذريعا وأقبل أصحابه يقولون يا لثارات الهمام فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بثأرك وإنما ثأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع القتل عنهم وقال

(ألا لهف نفسي إثر قوم ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا)

(وقاهم جدهم ببني علي ... وبالأشقين ما كان العقاب)

(وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب) // الوافر //

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٩٥

وقيل إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع ببني كنانة وقالوا له أوقعت بقوم برآء وظلمتهم فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاولة حمير واسمه قرمل فاستجاشه." (١)

"(تنبأ عجبا بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعره لتألها) // الطويل //

وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيي

(لابن يحيي مآثر ... بلغت بي إلى السها)

(جاد شعري بجوده ... واللها تفتح اللها) // من مجزوء الخفيف //

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق

ورثاه أيضا محمد بن عبد الله الكاتب النصيبي بقصيدة يستجيش فيها عضد الدولة على مدحضي قدمه ومريقي دمه فمنها

(قرت عيون الأعادي يوم مصرعه ... وطالما سخنت فيه من الحسد) // البسيط //

ومنها

(أبا شجاع فتى الهيجا وفارسها ... ومشتري الشكر بالإنفاق والصفد)

(هذي بنو أسد جاءت بمؤيدة ... صماء نائحة هدت ذرى أحد)

(سطت على المتنبي من فوارسها ... سبعون جاءته في موج من الزرد)

(حتى أتت وهو في أمن وفي دعة ... يسير في ستة إن تحص لم تزد)

(كرت عليه سراعا غير وانية ... فغادرته قرين الترب والثأد)

(من بعد ما أعملت فيهم أسنته

طءنا يفرق بين الروح والجسد)

(فاطلب بثأر فتى ما زلت تعضده ... لله درك من كهف ومن عضد)." (٢)

"٥ - (وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر)

البيت من الرجز ولا يعرف قائله ويقال أنه من شعر الجن قالوه في حرب بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حية منهم قتلها القفل الذي كان فيه ودفن ببادية بعيدة وكان حرب المذكور مصافيا لمرداس السلمي أبي العباس

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١١/١

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٢/١

الصحابي فقتلهما الجن جميعا وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها والعرب في أشعارها
ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخواته مر بالقرية وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام فقال له مرداس بن أبي عامر أما ترى هذا الموضع قال بلى فما له قال نعم المزدرع هو فهل لك أن تكون شريكي فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك قال نعم فأضرما النار في الغيضة فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها فقال مرداس في ذلك

(إني انتخبت لها حربا وإخوته ... إني بحبل وثيق العهد دساس)

(إني أقوم قبل الأمر حجته ... كيما يقال ولي الأمر مرداس) // البسيط //

قال فسمعوا هاتفا يقول لما احترقت الغيضة

(ويل لحرب فارسا ... مطاعنا مخالسا)

(ويل لحرب فارسا ... إذ لبسوا القوانسا)

(لنقتلن بقتله ... جحاجحا عنابسا) // من مجزوء الرجز //

ولم يلبث حرب ابن أمية ومرداس أن ماتا فأما مرداس فدفن بالقرية ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن عمرو السلمي ثم الظفري فقال في ذلك عباس بن مرداس." (١)

"على كثير مما في أيديهم وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها وكانت عاقلة أريبة فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه إلى ذلك وقيل هو الذي بعث إليها يخطبها فكتبت إليه إني فاعلة ومثلك يرغب فيه فإذا شئت فاشخص إلي فشاور وزراءه فكل أشار عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد فإنه قال له أيها الملك لا تفعل فإن هذه خديعة ومكر فعصاه وأجابها إلى ما سألت فقال قصير عند ذلك لا يطاع لقصير رأى وقيل أمر فأرسلها مثلا ولم يكن قصيرا ولكن كان اسما له ثم إنه قال له أيها الملك أما إذ عصيتني فإذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فإن ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني وإن رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فإني معرض لك العصا وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركبها وانج فلما أقبل جيش٥١ حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا فنظر جذيمة إلى قصير على

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٤/١

العصا وقد حال دونه السراب فقال ما ذل من جرت به العصا فأرسلها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى يا جذيمة فقال بل متاع أمة بظراء فقالت إنه ليس من عدم المواسي ولا من قلة الأواسي ولكنها شيمة ما أقاسي وأمرت فأجلس على نطع ثم أمرت برواهشه فقطعت وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فإنه إن أصاب الأرض قطرة من دمه طلب بثأره فقطرت قطرة من دمه في الأرض فقالت." (١)

"لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعواد ما ضيعه أهله فلم يزل الدم يسيل إلى أن مات

ثم إن قصيرا أتى عمرا ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر وحرضه على أخذ الثأر واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه ولحق بالزباء وزعم أن عمرا فعل به ذلك وأنه اتهمه بممالأته لها على خاله ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتي إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشتري به ما تطلبه ويأتي إليها به إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمرا فانتخب من عسكره فرسانا وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلا وعرف أنه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم وقال هذه العير تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول

(ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلا يحملن أم حديدا)

(أم صرفانا باردا شديدا ... أم الرجال جثما قعودا) // الرجز //

فلما توافت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها إذا خشيت خرجت منه فأقبلت لتخرج من السرب فاتاها عمرو فجعلت تمص خاتما وفيه سم وتقول بيدي لا بيد عمرو وفارقت الدنيا والراهشان عرقان في باطن الذراعين

والشاهد فيه التطويل وهو أن يكون اللفظ زائدا على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه." (٢)

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣١٣/١

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣١٤/١

"(فإن تسأليني هل صبرت فإنني ... صبور على ريب الزمان أريب)

(كأني وقد أدنوا إلى شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب)

(أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما أقام عسيب) // الطويل //

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب وهو جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة المنورة

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضجر منها زمانا وبعث إلى ربيعة الأسدي الذي طعنه إنك أخذت خلقا من درعي بسنانك فقال له ربيعة اطلبها في جوفك فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه فملته امرأته وكان يكرمها ويعينها على أهله فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها أيباع هذا الكفل فقالت عما قليل وصخر يسمع ذلك فقال لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته إليه فإذا هو لا يقله فعندها أنشد الأبيات السابقة ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا وكان صخر قد أخذ بثأره وقتل قاتله

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب عرفت ذلك لها فقالت هند بل أنا أعظم العرب مصيبة فأمرت بهودجها قسوم براية أيضا وشهدت الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيه العرب فقالت." (١)

"ولبعضهم

(والثريا كأنها رأس طرف ... أدهم زين باللجام المحلى) // الخفيف //

ومثله قول ابن المعتز

(ألا فاسقنيها والظلام مقوض ... ونجم الدجى في لجة الليل يركض)

(كأن الثريا في أواخر ليلها ... مفتح نور أو لجام مفضض) // الطويل //

واالاطلاع على تفنن الأدباء في أوصاف الثريا يغتفر الإطالة هنا

وأبو قيس لم يقع لي إلى الآن اسمه والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل ينتهي نسبه للأوس وهو شاعر من شعراء الجاهلية وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس رضي الله عنه واستشهد يوم القادسية وكان يزيد بن

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٥١/١

مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس السلمي الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم فطلب **بثأره** هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيس ابن عمه ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت المذكور

(أقيس إن هلكت وأنت حي ... فلا تعدم مواصلة الفقير) // الوافر //

وقال هشام الكلبي كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بغاث إلى." (١)

"فكدت ولم أملك إليها صبابة ... أهيم وفاض الدمع مني على النحر

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر

تجود علينا بالحديث وتارة ... تجود علينا بالرضاب من الثغر

فليت إلهي قد قضى ذاك مرة ... فيعلم ربي عند ذلك ما شكري

ولو سألت مني حياتي بذلتها ... وجدت بها إن كان ذلك من أمري

فلما سمعها عمر أعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

ومنها:

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رعيان ونوم سمر

فحييت إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكتوم التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك أذهنا عليك ألم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدرى التعجيل حاجة ... أتى بك أم قد نام ما كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما عين من الناس تنظر

فيا لك من ملقى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكاء المسك منها مفلج ... رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرق إذا تفتر عنه كأنه ... حصا برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى زرنب وسط الخميلة جؤذر

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٢٥/٢

فلما تولى الليل إلا أقبله ... وكادت توالى نجمه تتغور

أشارت بأن القوم قد كان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزوز

فما راعني إلا مناد برحلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم ... وإيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فأما أفوتهم ... وأما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيق لما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر

إذا كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا ... وما لي عما يعلما متأخر

لعلهما أن ينعتا لك حيلة ... وأن يرحبا صدرا بما كنت أحصر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلى عليك الخطب فالأمر أيسر

يقوم فيمشي بيننا متسترا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أنخنا ساحة الحي قلن لي ... ألم تتق الأعداء والليل مقمر

وقلنا أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تنتهي أو ترعوي أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الأزرق واتفق أهل ذلك العصر على أنه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبي ربيعة، وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون في عينيته أشعر وجميل في لاميته والذي يظهر أن جميلا أشعر مطلقا عند التأمل، ومن أشعار جميل أيضا قوله:

ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ودهرا تولى يا بثين يعود

فنبقى كما كنا نكون وأنتم ... صديق وإذ ما تبدلين زهيد

وما أنس ما الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نحوي أمصر تريد

ولا قولها لولا العيون التي ترى ... أتيتك فاعذرني فدتك جدود

خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر ... ودمعي بما أخفى الفؤاد شهيد

ألا قد أرى الله لا رب غيره ... إذا الدار شطت بيننا سنرود

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابت ويزيد

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به ... مع الناس قالت ذاك منك بعيد

فما ذكر الخلان إلا ذكرتها ... ولا البخل إلا قلت سوف تجود

فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد." (١)

"عن الحركة عميت، وجعل يومي قبل يومك فيه أي جعل يومي الذي أدخل الجنة: قبل يومك الذي تدخل فيه النار، وأما قوله: يسرني ما يسرك، فإن العافية تسره كما تسر الكافر.

وحكي أن رجلا كان شاعرا وكان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم من الأيام، وإذا بعدوه إلى جانبه، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة، فقال له: يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني امض إذا إلى داري وقف بالباب وقل: إلا أيها البنتان إن أباكما وكانت للشاعر ابنتان، فلما سمعتا قول الرجل:

ألا أيها البنتان إن أباكما قالتا ... قتيل خذا **بالثأر** ممن أتاكما

ثم تعلقتا بالرجل. وحملتاه إلى الحاكم، ثم طلبتا أباهما، فاستقره فاقر فأمر بقتله وقتل بأبيهما.

وقال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على قومك، إذ سموك جارية؟ فقال: وما أهونك على قومك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب قال: اسكت، لا أم لك، قال: أم ولدتني، أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وإنك لا تملكنا قهرا ولا تهلكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فرغت إلى غير ذلك فإنا قد تركنا ورائنا لك رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية: لا كثر الله مثلك في الناس يا جارية، قال: قل معروفا فإن شر الدعاء محيط بأهله.

ومن حكايات الفصحاء ما حكي أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال: أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه؟ وله علي ما يتمناه، فقام إليه سويد بن غفلة فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، قال هات، قال: أولها: أنف، بطن، ترقوة، ثغر، جمجمة، حلق، خد، دماغ، ذكر، رقبة، زند، ساق، شفة، صدر، ضلع، طحال، ظهر، عين، غبغبة، فم، قفا، كف، لسان، منخر، نغنوغ وجه، هامة، يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين.

فقال: بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقول في جسد الإنسان مرتين فضحك عبد الملك

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٣٠

وقال لسويد: أما سمعت ما قال، قال: نعم أنا أقولها ثلاثا: فقال له: لك ما تتمنى، فقال: أنف أسنان أذن، بطن بصر بز، ترقوة تمرة تينة، ثغر ثنايا ثدي، جمجمة جنب جبهة، حلق حنك حاجب، خد خنصر خاصرة، دبر دماغ دردر، ذكر ذقن ذراع، رقبة رأس ركبة، زند زردمة زب، فضحك عبد الملك من قوله. ثم قال سويد: ساق سرة سبابة، شفة شعر شارب، صدر صدغ صلعة، ضلع ضفير ضرس، طحال طرة طرف، ظهر ظفر ظنبوب، عين عنق عاتق، غبغب غلصمة غنة، فم فك فؤاد، قلب قدم قفا، كف كتف كعب، لسان لحية لوح، مرفق منكب منخر، نغنوغ ناب نن، هامة هيف هيئة، وجه وجنة ورك، يمين يسار يافوخ.

ثم نهض مسرعا وقبل الأرض بين يدي عبد الملك، فقالوا: والله ما نزيد عليها أعطوه ما تمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ بالإحسان إليه.

قال رجل لصاحب منزل: أصلح خشب هذا السقف فإنه يقرقع، قال: لا تخف فإنه يسبح قال: أخاف أن تدركه رقة قلب فيسجد.." (١)

"عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزدني بها علما

أتاها كتابي بعد يأس وترحة نزحة ... فماتت سرورا بي فمت بها هما

حرام على قلبي السرور فإنني ... أعد الذي ماتت به بعدها سما

تعجب من خطي ولفظي كأنها ... ترى بحروف السطر أغربة عصما

وتلثمه حتى أصار مداده ... محاجر عينيها وأنيابها سحما

رقى دمعها الجاري وجفت جفونها ... وفارق حبي قلبها بعدما أدمى

ولم يسلها إلا المنايا وإنما ... أشد من السقم الذي أذهب السقما

طلبت لها حظا ففاتت وفاتني ... وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

فأصبحت أستسقي الغمام لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغا والقنا الصما

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العظما

هبيني أخذت الثار فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى

وما انسدت الدنيا علي لضيقها ... ولكن طرفا لا أراك به أعمى

فيا أسفي أن لا أكب مقبلا ... لرأسك والصدر الذي ملئا حزما

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٨٤/١

وأن لا ألاقي روحك الطيب الذي ... كأن ذكي المسك كان له جسما ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

لئن لذ يوم الشامتين بيومها ... فقد ولدت مني لآنافهم رغما

تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما

ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة ... ولا واجدا إلا لمكرمة طعما

يقولون لي ما أنت في كل بلدة ... ما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى

كان بينهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به القشما

وعاجلة جاعلة يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما

وإني من قوم كأن نفوسهم ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ... ويا نفس زيدي في كرائمها قدما." (١)

"والرند، وأقشع الشؤبوب، وركد ما كان يظن به الهبوب، فالقلم دفين لا يحشر، وميت لا ينشر، وبالطبع قد نكص القهقرى، وقل منزله أن يدعى له النقرى، فها هو لا يملك مبيتا، ولا يجد لقلمه تثبيتا، وأنت - أبقاك الله عز وجل - بمقتبل الآداب، طائر ميعة (١) الشباب، وأين سن السمو من سن الانحطاط، ووقت الكسل من وقت النشاط، وقد راجعتك لا داخلا في حلبتك، بل قاضيا حق رغبتك، والله تعالى يجعلك بوسيلة العلم مترقيا، وبجنة الطاعة متوقيا، ولهناء الأنفس مستقبلا ومتلقيا، بمنه، والسلام، انتهى.

وكتب رحمه الله (٢) إلى سلطان إفريقية الوارث ملك بني عبد المؤمن بتلك النواحي، المستولي على البلدان والضواحي، وقد كان لأهل الأندلس أمل في أخذه بثأرهم، وضم انتثارهم، ما صورته:

شاقه غب الخيال الوارد ... بارق هاج غرام الهاجد

صدقا وعد (٣) التلاقي ثمما ... طرقا إلا بخلف الواعد

وكلا الزورين من طيف ومن ... وافد تحت الدياجي وارد

لم يكن بعد السرى مستمتع ... فيه للرائي ولا للرائد

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٨٦/١

وشديد بث قلب هائم ... يشتكيه عند ربع هامد

بالأمير المرتضى عز الهدى ... وثنى عطف الملي الواجد

وبه أصحب ما كان يرى ... حاملا أنف الأبي الشارد

إنما (٤) الفخر لمولانا أبي ... زكرياء بن عبد الواحد

ملك لولا حلاه الغر لم ... يجر بالحمد لسان الحامد (٥)

---

(١) في الأصول: هيعة.

(٢) أورد ستة من الأبيات في المقتطفات: (الورقة: ٨٢) .

(٣) في الأصول: صدق وعد؛ صدق الوعد؛ صدى عند.

(٤) ط: أيها.

(٥) هذا البيت والذي بعده سقطا من ط.." (١)

"فلما بلغه الخبر اضطرب، وثار عليه أهل قرطبة، ونقضوا طاعته، وخرج فحاصرهم فدافعوه، ولحق بإشبيلية فمنعوه، وكان بها ابنه فأخرجوه إليه، وضبطوا بلدهم، واستبد ابن عباد بملكها، ولحق المأمون بشريش، ورجع عنه البربر إلى يحيى المعتلي ابن أخيه، فبايعوه سنة خمس عشرة، وزحف إلى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند إخيه إدريس بمالقة إلى أن هلك بمحبسه سنة سبع وعشرين، وقيل: إنه خنق كم سيأتي، واستقل المعتلي بالأمر، واعتقل ابني (١) عمه القاسم.

وكان المستكفي من الأمويين استولى على قرطبة في هذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية، ثم خلع أهل قرطبة المستكفي الأموي سنة ست عشرة، وصاروا إلى طاعة المعتلي، واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله، ثم نقضوا سنة سبع عشرة، وصرفوا عاملهم، وبايعوا للمعتد الأموي أخي المرتضى، وبقي المعتلي يردد لحصارهم العساكر إلى أن اتفقت الكلمة على إسلام الحصون و المدائن له، فعلا سلطانه، واشتد أمره إلى أن هلك سنة تسع وعشرين، اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر بإشبيلية، فاستدعى أصحابه أخاه إدريس ابن علي [بن حمود] من سبتة وملكوه، ولقبوه المتأيد، وبايعته رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء، وبعث عساكره لحرب أبي القاسم إسماعيل ابن عباد والد المعتضد بن عباد، فجاءوه برأسهبعد حروب، وهلك ليومين بعد ذلك سنة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٠٨/١

إحدى وثلاثين، وبويع ابنه يحيى، ولم يتم له أمر، وبويع حسن المستنصر بن المعتلي، وفر يحيى إلى قمارش (٢) فهلك بها سنة أربع وثلاثين، ويقال: إنه قتله نجا، وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه إدريس، ثأرت منه بأخيها، وكان إدريس بن يحيى المعتلي معتقلا بمالقة فأخرج بعد خطوب وبويع بها، فأطاعته غرناطة وقرمونة، ولقب العالي، وهو الممدوح بالقصيدة

---

(١) في الأصول: بني.

(٢) قمارش (Comares) .." (١)

"وعادت إلى الفرقة بعض الشيء، ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب منها ما حصل بن عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك (١) بفحص غرناطة، وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين، فهزمهم عبد المؤمن، وقتلهم أبرح قتل، واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش.

[غزوة الأرك]

وولي الأمر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف، وأجاز إلى الأندلس، وكانت له مواقف في جهاد العدو، وولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت، وكانت له في النصارى بالأندلس نكاية كبيرة، ومن أعظمها غزوة الأرك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد، والأرك: موضع بنواحي بطليوس، وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وغنم المسلمون ما عظم قدره، وكان عدة من قتل من الفرنج - فيما قيل - مائة ألف وستة وأربعين ألفا، وعدة الأسارى ثلاثين ألفا، وعدة الخيام مائة ألف وستة وخمسين ألف خيمة، والخيل ثماني ألفا، والبغال مائة ألف، والحمير أربعمائة ألف، جاء بها الكفر لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم، وأما الجواهر والأموال فلا تحصى، وبيع الأسير بدرهم، والسيف بنصف درهم، والفرس بخمسة دراهم، والحمار بدرهم، وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع، ونجا الفنش ملك النصارى إلى طليطلة في أسوأ حال، فحلق رأسه ولحيته، ونكس صليبه، وآلى أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النساء، ولا يركب فرسا ولا دابة، حتى يأخذ بالثأر، وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد، ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه إلى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها، ولم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٣٢/١

(١) ق ك ط: همشكه.." (١)

"[الفتنة البربرية والنزاع بين الحموديين والأمويين]

ومن الأسباب في سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها في دخولهم مع سليمان المستعين الأموي حين استولى على قرطبة في دولته التي افتتحت بالقهر وسفك الدماء، وكان من أمراء البربر المعارضين لسليمان علي بن حمود من بني علي بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم أجمعين - وجده إدريس هرب من هرون الرشيد إلى البربر، فتبربر ولده، وبنى ابنه إدريس مدينة فاس، وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم، ووقف على أن دولة بني أمية تنقرض بالأندلس على يد علوي أول اسمه عين، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من أكبر أمرائهم علي بن حمود، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس إليه أن الدولة صائرة إليك، وقال له: إن خاطري يحدثني أن هذا الرجل يقتلني، يعني سليمان، فإن فعل فخذ بثأري، وكان هذا الأمر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الإمامة، وحمله على الأخذ بثأر هشام المؤيد، فكان المؤيد أحد من أخذ بثأره بعد موته.

وتولى بعد ذلك علي بن حمود (١) ، وبويع بقرطبة في قصرها في اليوم الذي قتل فيه سليمان المستعين (٢) ، وأخذ الناس بالإرهاب والسطوة، وأذل رؤوس البربر، وبرقت للعدل في أيامه بارقة خلب لم تكد تقد حتى خبت، وجلس للمظالم، وقدمت له جماعة من البربر في إجرام فضرب رقابهم، وأهلهم وعشائرهم ينظرون، وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وأمامه حمل عنب، فاستوقفه وقال له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته كما يأخذ الناس، فأمر بضرب عنقه، ووضع رأسه وسط الحمل، وطيف به في البلد،

(١) انظر تفصيل الخبر عن ولاية علي بن حمود في الذخيرة ١/١: ٧٩ نقلا عن ابن حيان، وهذا الذي أورده المقري تلخيص لما جاء هنالك.

(٢) وبويع ... المستعين: سقطت هذه العبارة من ق.." (٢)

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٤٣/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٨٢/١

"بعزمة شيحان الفؤاد مصمم ... يقوم به أقصى الوجود ويقعد

مشيئته ما شاءه الله، إنه ... إذا هم فالحكم الإلهي يسعد

كتائبه مشفوعة بملائك ... ترادفها في كل حال وترفد

وما ذاك إلا نية خلصت له ... فليس له فيما سوى الله مقصد

إذا خطبت راياته وسط محفل ... ترى قمم الأعداء في الترب تسجد

وإن نطقت بالفصل فيهم سيوفه ... أقر بأمر الله من كان يجحد

معيد علوم الدين بعد ارتفاعها ... ومبدي علوم لم تكن قبل تعهد

وباسط أنوار الهداية في الورى ... وقد ضم قرص الشمس في الغرب ملحد

وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها ... يغان بأكنان الضلال ويغمد

فما زال يجلو عن مطالعها الصدا ... ويبرزها بيضاء والجو أسود

جزى الله عن هذا الأنام خليفة ... به شربوا ماء الحياة فخلدوا

وحياه ما دامت محاسن ذكره ... على مدرج الأيام تتلى وتنشد

بمصحف عثمان الشهيد وجمعه ... تبين أن الحق بالحق يعضد

تحامته أيدي الرزم بعد انتسافه ... وقد كاد ولولا سعده يتبدد

فما هو إلا ان تمرس صارخ ... بدعوته العليا فصين المبدد

وجاء ولي الثأر يرغب نصره ... فلباه منه عزمه المتجرد

رأى أثر المسفوح في صفحاته ... فقام لأخذ الثأر منه مؤيد

وشبهه بالبدر وقت خسوفه ... فلله تشبيه له الشرع يشهد

زمان ارتفاع العلم كان خسوفه ... وقد عاد بالمهدي والعود أحمد

أتتك أمير المؤمنين ألوكة ... من الحرم الأقصى لأمرك تمهد

سيوف بني عيلان قامت شهيرة ... لدعوتك العلياء تهدي وترشد

وطافت ببيت الله فاشتد شوقه ... إليك ولبى منه حجر ومسجد

وحج إليك الركن والمرو والصفا ... فأنت لذاك الحج حج ومقصد." (١)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦١٠/١

"باتت له النوائب بمرصاد، ورمته بسهام ذات إقصاد [وضيم من عهد الأحص إلى ذات الإصاد] (١)

فقال (٢) :

الهوى في طلوع تلك النجوم ... والمنى في هبوب ذاك النسيم

سرنا عيشنا الرقيق الحواشي ... لو يدوم السرور للمستديم

وطر ما انقضى إلى أن تقضى ... زمن ما ذمامه بالذميم

أيها المؤذني بظلم الليالي ... ليس يومي بواحد من ظلوم

ما ترى البدر إن تأملت والشم ... س هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيم وقال الفتح أيضا في شأن ابن زيدون، ما صورته (٣) :

ولما تعذر انفكاكه (٤) ، وعفر فرقده وسماكه، وعادته الأوهام والفكر، وخانه من أبي الحزم الصارم الذكر، قال يصف ما بين مسراته وكروبه، ويذكر بعد طلوع أمله (٥) من غروبه، ويبكي لما هو فيه من التعذير، ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير، ويتعزى بإنحاء (٦) الدهر على الأحرار، وإلحاحه على التمام بالسرار، ويخاطب ولادة بوفاء عهده، ويقيم لها البراهين على أرقه وسهده (٧) :

---

(١) ما بين معقفين زيادة ليست في ق ك؛ والذي ضيم في الأحص وذات الأصاد هم بنو مرة أولا ثم ثأروا بقتل كليب.

(٢) ديوان ابن زيدون: ٢٧٨.

(٣) القلائد: ٧٦.

(٤) القلائد: فكاكه.

(٥) ك: سعده.

(٦) ك: باخناه.

(٧) القلائد: ٧٧ وديوان ابن زيدون: ٢٥٠.." (١)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٣٠/١

"فلا زلت يا خير الكرام مهنأ ... فعيشي منه الموت أشهى وأطيب

وصانك من قد صنت في حقه دمي ... وغيرك ن ثوب المروءة يسلب ولم يزل الوزير - لا أزال الله عنه رضاه - يحمي جانبي، إلى أن أصابتني فيه العين، فأصابه الحين، فقلت في ذلك:

وطيب نفسي أنه مات عندما ... تناهى ولم يشمت به كل حاسد

ويحكم فيه كل من كان حاكما ... عليه ويعطي الثأر كل معاند وقلت أرثيه:

بكت لك حتى الهاطلات السواكب ... وشقت جيوبا فيك حتى السحائب

فكيف بمن دافعت عنه ومن به ... أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب

ألا فانظروا دمعي فأكثره دم ... ولا تذهبوا عني فإني ذاهب

وقولوا لمن قد ظل يندب بعده ... وفاؤك لو قامت عليك النوادب (١)

لعمرك ما في الأرض واف بذمة ... أيصمت إدريس ومثلي يخاطب

دعوتك يا من لا أقوم بشكره ... فهل أنت لي بعد الدعاء مجاوب

أيا سيدا قد حال بيني وبينه ... تراب حوت ذكراك منه الترائب

لمن أشتكي إن جار بعدك ظالم ... علي وإن نابت جنابي النوائب

لمن أرتجي (٢) عند الأمير بمنطق ... تحف به حولي المنى والمواهب وهي طويلة، ومنها قبيل الختم:

وقد كنت أختار الترحل قبل أن ... يصيبك سهم للمنية صائب

ولكن قضاء الله من ذا يرده ... فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

---

(١) دوزي: النوائب.

(٢) دوزي: أشتكي.." (١)

"[قلعة بني سعيد]

والقلعة التي كان بها بنو سعيد تعرف بهم فيقال لها: قلعة بني سعيد، وكانت تعرف قبل بقلعة أسطلير، وهو عين لها، وقال الملاحي في تاريخه: إنها تعرف بقلعة يحصب، قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس، وبها كما مر صنف الحجاري كتاب " المسهب " لصاحبها عبد الملك بن سعيد.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٢/٢٨٠

وفي بني سعيد يقول الحجازي:

قوم لهم في فخرهم ... شرف الحديث مع القديم

ورثوا الندى والبأس وال ... عليا كريما عن كريم

من كل وضاح به ... يجلى دجى الليل البهيم [أولية بني سعيد]

وكان أول من دخل الأندلس (١) من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعد بن عمار، وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه، وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الأندلس آخر دولة بني أمية بالمشرق كتب إليه أن يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للأندلس، وكان إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق، وإنما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه، وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) قارن بما ورد في المغرب ٢: ١٦١.." (١)

"إذا ما غضبنا في رضا المجد غضبة ... لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة ... نزيد غدة الكر في الموت رغبة ...

وإنا لقوم لا نرى الموت سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول وكتب الشيخ محب الدين الحموي في ترجمة الشيخ

(١) إسماعيل النابلسي شيخ الإسلام من مصر (٢) :

لواء التهاني بالمسرة يخفق ... وشمس المعالي في سما الفضل تشرق

وسعد وإقبال ومجد مخيم ... وأيام عز بالوفا تتخلق

فيا أيها المولى الذي جل قدره ... ويا أيها الحبر اللبيب المدقق

أرى الشام مذ فارقتها زال نورها ... وثوب بهاها والنضارة يخلق

إذا غاب عنها غب عنها جمالها ... ونفس بدون الروح لا تتحقق

وإن عدت فيها عاد كمالها ... وصار عليها من بهائك رونق

فيا ساكني وادي دمشق مزاركم ... بعيد وباب الوصل دوني مغلق

وليس على هذا النوى لي طاقة ... فهل من قيود البين والبعد أطلق

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/ ٣٣٠

وإني إلى أخباركم متشوف ... وإني إلى لقياكم متشوق

أود إذا هب النسيم لنحوكم ... بأني في أذياله أتعلق

وأصبو لذكراكم إذا هبت الصبا ... لعلي من أخباركم أتنشق

(١) ق: ترجمة للشيخ، وسقطت " في " من ق ج.

(٢) هو إسماعيل بن أحمد ابن الحاج إبراهيم النابلسي (٩٣٧ - ٩٩٣) شيخ الإسلام، وصاحب الفتاوي وصدر دمشق في عصره (انظر ترجمته في الكواكب السائرة ٣: ١٣٠) . وأما محب الدين الحموي فهو محمد بن تقي الدين أبي بكر ابن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق المحبي (٩٥١ - ١٠٦١) ، وهو صاحب تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات المعروف بشواهد الكشاف وغيره من المؤلفات (خلاصة الأثر ٣: ٣٢٢) .." (١)

"لبلج وقد مات عمه كلثوم في ذلك الوقت، فأسرعوا إلى إجابته، وكانت أمنيتهم، فأحسن إليهم، وأسبغ النعم عليهم، وشرط عليهم أن يأخذ منهم رهائن، فإذا فرغوا له من البربر جهزهم (١) إلى إفريقية، وخرجوا له عن أندلسه، فرضوا بذلك، وعاهدوه عليه، فقدم عليهم وعلى جنده ابنيه قطنا وامية، والبربر في جموع لايحصيها غير رازقها، فاقتتلوا قتالا صعب فيه المقام، إلى أن كانت الدائرة على البربر، فقتلتهم العرب بأقطار الأندلس حتى ألحقوا فلهم بالثغور، وخفوا عن العيون، فكر الشاميون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم، فاشتدت شوكتهم، وثابت همتهم، وبطروا، ونسوا العهود، وطالبهم ابن قطن بالخروج عن الأندلس إلى إفريقية، فتعالوا عليه، وذكروا صنيعه بهم أيام انحصارهم في سبتة، وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة، فخلعوه، وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر، وتبعه جند ابن قطن، وحملوا عليه في قتل ابن قطن، فأبى فثارت اليمانية وقالوا: قد حميت لمضرك، والله لا نطيعك، فلما خاف تفرق الكلمة أمر بابن قطن فأخرج إليهم وهو شيخ كبير كفرخ نعامة قد حضر وقعة الحرة مع أهل اليمامة، فجعلوا يسبونه، ويقولون له: أفلت من سيوفنا يوم الحرة، ثم طالبتنا بتلك الترة فعرضتنا لأكل الكلاب والجلود وحبستنا بسبتة محبس الضنك حتى أمتنا جوعا، فقتلوه وصلبوه كما تقدم، وكان أمية وقطن ابناه عندما خلع قد هربا، وحشدا لطلب الثأر، واجتمع عليهما العرب الأقدمون والبربر، وصار معهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري كبير الجند، وكان في

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٩٩/٢

أصحاب بلج، فلما صنع بابن عمه عبد الملك ماصنع فارقه، فانحاز فيمن يطلب ثأره، وانضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي صاحب أربونة، وكان فارس الأندلس في وقته، فأقبلوا نحو بلج في مائة ألف أو يزيدون، وبلج قد استعد

---

(١) ق: هزمهم؛ وانظر أخبار مجموعة: ٣٩.." (١)

"لهم في مقدار اثني عشر ألفا سوى عبيد له كثيرة وأتباع من البلديين، فاقتتلوا، وصبر أهل الشام صبرا لم يصبر مثله أحد قط، وقال عبد الرحمن بن علقمة اللخمي: أروني بلجا، فو الله لأقتلنه أو لأموتن دونه، فأشاروا إليه نحوه، فحمل بأهل الثغر حملة انفرج لها الشاميون، والراية في يده، فضربه عبد الرحمن ضربتين مات منهما بعد ذلك في أيام قلائل، ثم إن البلديين انهزموا بعد ذلك هزيمة قبيحة، واتبعهم الشاميون يقتلون ويأسرون، فكان عسكرا منصورا مقتولا أميره، وكان هلاك بلج في شوال سنة أربع وعشرين ومائة، وكانت مدته أحد عشر شهرا، وسريره قرطبة، والعرب الشاميون الداخلون معه إلى الأندلس يعرفون عند أهل الأندلس بالشاميين، والذين كانوا في الأندلس قبل دخوله يشهرون بالبلديين.

ولما هلك بلج قدم الشاميون عليهم بالأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي، وقد كان عندهم عهد الخليفة هشام بذلك، فسار فيهم بأحسن سيرة، ثم إن أهل الأندلس الأقدمين من العرب والبربر سموا بعد الوقعة لطلب الثأر، فآل أمره معهم إلى أن حصروه بمدينة ماردة، وهم لا يشكون في الظفر، إلى أن حضر عيد تشاغلوا به، فأبصر ثعلبة منهم غرة وانتشارا وأشرا بكثرة العدد والاستيلاء، فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون، فهزمهم هزيمة قبيحة، وأفشى فيهم القتل، وأسر منهم ألف رجل، وسبى ذريتهم وعيالهم، وأقبل إلى قرطبة من سبيهم بعشرة آلاف أو يزيدون، حتى نزل بظاهر قرطبة يوم خميس وهو يريد أن يحمل الأسارى على السيف بعد صلاة الجمعة. وأصبح الناس منتظرين لقتل الأسارى، فإذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب، فنظروا فإذا أبو الخطار قد أقبل واليا على الأندلس، وهو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي. وذكر ابن حيان أنه قدم واليا من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية، والخليفة حينئذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في رجب سنة خمس وعشرين ومائة، بعد عشرة أشهر وليها ثعلبة بن سلامة، قال: وكان." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢١/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٢/٣

"فارقتكما عليه لرأيت أن لا أقصر حتى ألقاكما لئلا أغركما من نفسي، فإني أعلمكما أن أول سيف يسل عليه سيفي، فبارك الله لكما في رأيكما، فقالا له: ما لنا رأي إلا رأيك، ولا مذهب لنا عنك. ثم انصرفا عنه على أن يعينهما في أمره إن طلب غير السلطان، وانصرفا عنه إلى إلبيرة عازمين على التصميم في أمره، ويئسا من مضر وربيعة، ورجعا إلى اليمانية، وأخذا في تهييج أحقاد أهل اليمن على مضر، فوجداهم قوما قد وغرت صدورهم عليهم، يتمنون شيئا يجدون به السبيل إلى إدراك ثأرهم، واغتنما بعد يوسف صاحب الأندلس في الثغر، وغيبة الصميل، فابتاعا مركبا ووجها فيه أحد عشر رجلا منهم مع بدر الرسول، وفيهم تمام بن علقمة وغيره، وكان عبد الرحمن قد وجه خاتمه إلى مواليه، فكتبوا تحت ختمه إلى من يرجونه في طلب الأمر، فبثوا من ذلك في الجهات مادب به أمرهم، ولما وجه أبو عثمان المركب المذكور مع شيعته ألفوه بشط مغيلة من بلاد البربر، وهو يصلي، وكان قد اشتد قلقه وانتظاره لبدر رسوله، فبشره بدر بتمكن الأمر، وخرج إليه تمام مكثرا لتبشيره، فقال له عبد الرحمن: ما اسمك قال: تمام، قال: وما كنيتك قال: أبو غالب، فقال: الله أكبر! الآن تم أمرنا وغلبنا بحول الله تعالى وقوته، وأدنى منزلة أبي غالب لما ملك، ولم يزل حاجبه حتى مات عبد الرحمن. وبادر عبد الرحمن بالدخول إلى المركب، فلما هم بذلك أقبل البربر فتعرضوا دونه، ففرقت فيهم من مال كان مع تمام صلات على أقدارهم، حتى لم يبق أحد حتى أرضاه، فلما صار عبد الرحمن بداخل المركب أقبل عات منهم لم يكن أخذ شيئا فتعلق بحبل الهودج يعقل المركب، فحول رجل اسمه شاكر يده بالسيف، فقطع يد البربري، وأعانتهم الريح على التوجه بمركبهم، حتى حلوا بساحل إلبيرة في جهة المنكب، وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٨، فأقبل إليه نقيباه أبو عثمان وصهره أبو خالد، فنقلاه إلى." (١)

"قتل يوسف أدخل ابن معاوية على الصميل من خنقه، فأصبح ميتا، فدخل على مشيخة المضرية في السجن، فوجدوه ميتا وبين يديه كأس ونقل، كأنه بغت على شرابه، فقالوا: والله إنا لنعلم يا أبا جوشن أنك ما شربتها ولكن سقيتها.

ومما ظهر من بطش الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه بإحدى دعائم دولته رئيس اليمانية أبي الصباح يحيى (١) ، وكان قد ولاه إشبيلية وفي نفسه منه ما أوجب فتكه به. ومن ذلك النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي إذ ثار بباجة، وكان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس، فدخل في ناس قليلين، فأرسى بناحية باجة، ودعا أهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير، إلى أن لقيه عبد الرحمن

---

(١) نفح ا الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٣١

بجهة إشبيلية فهزمه، وجيء به وبأعلام أصحابه، فقطع يديه ورجليه، ثم ضرب عنقه وأعناقهم، وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم، وأودعت جوالقا محصنا، ومعها اللواء الأسود، وأنفذ بالجوالق تاجرا من ثقاته، وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم، ففعل، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج، فوضعه على باب سرادقه، فلما كشفه ونظر إليه سقط في يده، واستدعى عبد الرحمن وقال: عرضنا هذا البائس - يعني العلاء - للحتف، ما في هذا الشيطان مطمع، فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه.

ولما أوقع عبد الرحمن باليمانة الذين خرجوا في طلب ثأر رئيسهم أبي الصباح اليحصبي وأكثر القتل فيهم، استوحش من العرب قاطبة، وعلم أنهم علي دغل وحقد، فانحرف عنهم إلى اتخاذ المماليك، فوضع يده في الابتياع، فابتاع موالي الناس بكل ناحية، واعتضد أيضا بالبرابر، ووجه عنهم إلى بر العدوة فاحسن لمن وفد عليه إحسانا رغب من خلفه في المتابعة، قال ابن

---

(١) ق والمقتطفات: ابن يحيى.." (١)

"وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وأبي نضرة الغفاري (١) وعقبة بن عامر الجهني وعوف ابن مالك الأشجعي، ومعاوية ابن حديج ومسلمة بن مخلد وأبي رهم، ذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وسماه ابن بشكوال في الداخلين الأندلس من التابعين، وروى ذلك عن الحميدي، قاله ابن الأبار؛ وقال ابن يونس: وآخر من حدث عنه بمصر حرملة بن عمران.

٤٥ - ومن الداخلين إلى الأندلس من المشرق عبد الله بن سعد ابن عمار ابن ياسر (٢) ، رضي الله تعالى عنه، وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه، وأخبر أن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كتب له أن يدافع عبد الرحمن المرواني الداخل للأندلس، وكان المذكور إذ ذاك أميرا على اليمانية من جند دمشق، وإنما ركن إليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبين بني أمية من الثأر بسبب قتل عمار بصفين، وكان عمار رضي الله تعالى عنه من شيعة علي، كرم الله وجهه.

وهذا عبد الله بن سعد هو جد بني سعيد أصحاب القلعة الذين منهم عدة رؤساء وأمراء وكتاب وشعراء، ومنهم صاحب " المغرب " وغير واحد ممن عرفنا به في هذا الكتاب، ومن مشاهيرهم أبو بكر محمد بن سعيد ابن خلف ابن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين، قال: وهو القائل يفتخر (٣) :

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٦/٣

إن لم أكن للعلاء أهلا ... بما تراه فمن يكون

فكل ما أبتغيه دوني ... ولي على همتي ديون

ومن يرم ما يقل عنه ... فذاك من فعله جنون

---

(١) التكملة: أبي بصرة؛ وذكر صاحب الأغاني أن أبا بصرة الغفاري المحدث هو والد عزة صاحبة كثير؛ قال: واسمه صميل بن وقاص (٩: ٢٤) .

(٢) انظر ما تقدم: ج ٢: ٣٣٠.

(٣) مرت هذه الأبيات والتي تليها؛ ج ٢: ص ٣٣١ من هذا الكتاب.." (١)

"فالتفت إلى ابنه الواثق يحيى ولي عهده وقال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمه إليك وافعل معه ما تقتضيه وصيتي به، ونبهني إليه كل وقت، فأقام نديما لولي العهد المذكور.

وله فيهما الموشحات المشهورة، كقوله (١) :

كم في قدود البان ... تحت اللمم من أقمر عواطي

بأنمل وبنان ... مثل العنم لم تنبري للعاطي ٢٠٥ - ولما بلغ المعتصم أن خلف بن فرج السميسر هجاه احتال في طلبه حتى حصل في قبضته، ثم قال له: أنشدني ما قلت في، فقال له: وحق من حصلني في يدك ما قلت شرا فيك، وإنما قلت:

رأيت آدم في نومي فقلت له: ... أبا البرية إن الناس قد حكموا

أن البرابر نسل منك، قال: إذن ... حواء طالقة إن كان ما زعموا فنذر ابن بلقين صاحب غرناطة دمي، فخرجت هاربا إلى بلادك فوضع علي من أشاع ما بلغك عني لتقتلني أنت فيدرك ثأره بك، ويكون الإثم عليك، فقال: وما قلت فيه خاصة مضافا إلى ما قلته في عامة قومه فقال: لما رأيته مشغوفا بتشييد قلعته التي فيها بغرناطة قلت:

يبني على نفسه سفاها ... كأنه دودة الحرير فقال له المعتصم: لقد أحسنت في الإساءة إليه، فاختر: هل أحسن إليك وأخلي سبيلك أم أجيرك منه فارتجل:

خيرني المعتصم ... وهو بقصدي أعلم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٦١

(١) انظر هذه الموشحة في دار الطراز: ٦٠.." (١)

"تنفس بالحمى مطلول أرض (١) ... فأودع نشره نشرا شمالا فصبحت العيون إلي كسلى تجرر فيه أردانا خضالا

أقول وقد شممت الترب مسكا بنفحتها يمينا أوشمالا

نسيم جاء يبعث منك طيبا ويشكو من محبتك اعتلالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر، وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر، أخرجه من بلده ونفاه، وطمس رسم فسقه وعفاه، فأقلع إلى المشرق وهو جار، فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار (٢) ، نشأت له ريح صرفته عن وجهته، إلى فقد مهجته، فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة إماحته، وأخذ ثأر الدين منه وإراحته، ثم آثر صفحه، وأخمد ذلك الجمر ولفحه، وأقام أياما ريحا علها تزجيه، ويستهديها لتخلصه وتنجيه، وفي أثناء بلوته، لم يتجاسر أحد على إتيانه من إخوته، فقال يخاطبهم:

أحبتنا الألى عتبوا علينا فأقصرنا وقد أزف الوداع

لقد كنتم لنا جذلا وأنسا فهل في العيش بعدكم انتفاع

أقول وقد صدرنا بعد يوم أشوق ب ا لسفينة أم نزاع

إذا طارت بنا حامت عليكم كأن قلوبنا فيها شراع

وله يتغزل:

بني العرب الصميم ألا رعيتم مآثركم بآثار السماح

رفعتم ناركم فعشا إليها بوهن فارس الحي الوقاح

فهل في القعب فضل تنضحوه به من محض ألبان اللقاح

لعل الرسل شابته الثنايا بشهد من ندى نور الأقاح

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤١٢/٣

(١) م: روض.

(٢) المطمح: جوار.." (١)

"معصفر الحسن للأبصار ناصعه كأنه فضة شيبت بعقيان

نبئت عنه بأنباء إذا نفحت تعطلت نفحات المسك والبان

قامت عليه براهين تصدقها كالشكل قام عليه كل برهان

قد زادها ابن عبيد الله من وضح ما زادت الشمس نور الفجر للرائي

بالله بلغه تسليمي إذا بلغت تلك الركاب وعجل غير ليان

وليت أني لو شاهدت أنسكما على كؤوس وطاسات وكيزان

فألفظ الكلم المنثور بينكما كأنما هو من در ومرجان

لله درك يا ذا الخطتين لقد خططت بالمدح فيه كل ديوان

كلاكما البحر في جود وفي كرم أو الغاماة تقي كل ظمآن

إن كان فارس هيجاء ومعترك فأنت فارس إفصاح وتبيان

فاذكر أبا نصر المعمور منزله بالرفد ما شئت من مثنى ووحدان

قصائدا لأخي ود وإن نزحت بك الركاب إلى أقصى خراسان

٣ - ترجمة عبد المعطي من المطمح

وقال في ترجمة الأديب أبي بكر عبد المعطي (١) : بيت شعر ونباهة، وأبو بكر ممن انتبه خاطره للبدائع أي انتباهه، وله أدب باهر، ونظم كما سفرت أزاهر، وقد أثبت له جمالا، يبلغ آمالا، فمن ذلك قوله، وقد اجتمنا في ليلة لم يضرب لها وعد، ولم يعزب عنها سعد، وهو قعدي، وقد شب عن طوق الأنس في الندي، وما قال خالي عمرو ولا عدي (٢) ، والكهولة قد قبضته، وأقعدته عن ذلك وما أنهضته:

---

(١) المطمح: ٩٦.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٣٠/٤

(٢) في الأصول والمطمح: وما قال خلا عمرو ولا عدا؛ والإشارة هنا إلى المثل " شب عمرو عن الطوق " وهو عمرو بن عدي، الذي ثأر لجذيمة.." (١)

"ملك يروعك في حلى ريعانه راقت برونقه صفات زمانه

وأين هذا من أمداحه في المعتمد

وتذكرت هنا من أحوال الداني أنه دخل على ابن عمار في مجلس، فأراد أن يندر به وقال له: اجلس ياداني، بغير ألف، فقال له: نعم يا ابن عمار، بغير ميم، وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والأخذ بالثأرفي المزاح.

ونظيره – وإن كان من باب آخر – أن المعتمد مر مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية، فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط، فكشفت وجهها، وتكلمت بكلام لايقتضيه الحياء، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون به الجبس والجيارين الصانعين للجير، بإشبيلية، فالتفت المعتمد إلى موضع الجيارين، وقال: يا ابن عمار الجيارين، ففهم مراده، وقال في الحال: يا مولاي والجباسين، فلم يفهم الحاضرون المراد، وتحيروا، فسألوا ابن عمار، فقال له المعتمد: لاتبعها منهم إلا غالية، وتفسيرها أن ابن عباد صحف " الحيا زين " بقوله الجيارين إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت، فقال له والجباسين وتصحيفه " والخناشين " أي: هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها، وهذا شأو لا يلحق.

ومن أخبار المعتمد أنه جلس يوما والبزاة تعرض عليه، فاستحث الشعراء في وصفها، فصنع ابن وهبون بديها:

للصيد قبلك سنة مأثورة لكنها بك أبدع الأشياء

تمضي البزاة وكلما أمضيتها عاطيتها بخواطر الشعراء

فاستحسنهما، وأسنى جائزته.

وذكر ابن بسام أن أبا العرب الصقلي حضر مجلس المعتمد يوما وقد حمل إليه حمولة وافرة من قراريط الفضة، فأمر له بسكين منها، وكان بين يديه تماثيل." (٢)

"وتجهيزا لمن يصل من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود، فهذا أمر ضروري التدبير سروري التثمير، لأن النفوس تمل وثير المهاد، فكيف ملازمة صهوات الجياد، وتسأم من مجالسة الشرب، فكيف بممارسة الحرب، وتعرض عن دوام اللذة، فكيف بمباشرة المنايا الفذة، وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم، وساق

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٣٤/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٦٠/٤

هدي هديته إليكم، لعله يكون سببا إلى ارتجاع ما شرد، وحسما لها الطاغية الذي مرد، وردا لهذا التنازل الذي قدم ورد الصبر لما ورد، فعادة الألطاف الإلهية بكم معروفة، وعزماتكم إلى جهات الجهاد مصرفة، وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق، وجبل يعصم من سهم يمر من قسي الكفار ويمرق.

وأما ما منحتموه من الخيل العتاق، والملابس التي تطلع بدور الوجوه مشارق الأطواق، والأموال زكت عند الله تعالى ونمت على الإنفاق، فعلى الله عز وجل خلفها، ولكم في منازل الدنيا والآخرة شرفها، وإليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها، وإذا وصل وفدكم الحاج، وأنار له بوجه إقبالنا عليهم ليلهم الداج، كانوا مقيمين تحت ظل إكرامنا، وشمول إسعافنا لهم وإنعامنا، يتخولون تحفا أنتم سببها، ويتناولون طرفا في كؤوس الاعتناء بهم تنضد حببها، وإذا كان أوان الرحيل إلى الحج فسحنا لهم الطريق، وسهلنا لهم الرفيق، وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى، وسولهم ممن إذا زاروا حجرته الشريفة حازوا الراحة من العنا، وفازوا بالغنى، وإذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم مشقة ذلك الدرب، ويخيل إليهم أن لا مسافة لمسافر بين الشرق والغرب، وغمرناهم بالإحسان في العود إليكم، وأمرناهم بما ينهونه شفاها لديكم، وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم، وتوفر لأخذ الثأر حماتكم، وتخصكم بتأييد تنزلون روضة الأنضر، وتجنون به النصر اليانع من ورق الحديد الأخضر، وتتحفكم بسعد لا يبلى قشيبه، وعز لا يمحو شبابه مشيبه، وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم، وتفاوحكم أنفاسها المعنبرة وتنافحكم، بمنه وكرمه؛ انتهى.." (١)

"قالوا لملكهم وهو من ذرية أذفونش: كيف يرضى الملك بهذا الأمر ونحن نقاتل بنفوسنا وأموالنا فأخذ عليهم العهد بذلك، وجمع عشرين ألفا من أهل البلاد، وجهز في البحر ستة عشر ألفا، وشرط عليهم حمل السلاح، وفي سنة ست وعشرين وستمائة اشتهر أمر هذه الغزوة فاستعد لها الوالي، وميز نيفا على ألف فارس من فرسان الحضر والرعية مثلهم، ومن الرجالة ثمانية عشر ألفا، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة، ومن سوء الاتفاق أن الوالي أمر صاحب شرطته أن يأتيه بأربعة من كبراء المصر، فساقهم وضرب أعناقهم، وكان فيهم ابنا خاله، وخالهما أبو حفص ابن سيري ذو المكانة الوجيهة، فاجتمعت الرعية إلى ابن سيري، فأخبره بما نزل، وعزوه فيمن قتل وقالوا: هذا أمر لا يطاق، ونحن كل يوم إلى الموت نساق، وعاهدوه على طلب الثأر، وأصبح الوالي يوم الجمعة منتصف شوال، والناس من خوفه في أهوال، ومن أمر العدو في إهمال، فأمر صاحب شرطته بإحضار خمسين من أهل الوجاهة والنعمة فأحضرهم، وإذا بفارس على هيئة النذير دخل إلى

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٩٨/٤

الوالي، وأخبره بأن الروم قد أقبلت، وأنه عد فوق الأربعين من القلوع، وما فرغ من إعلامه حتى ورد آخر من جانب آخر وقال: إن أسطول العدو قد تظاهر، وقال: إنه عد سبعين شراعا، فصح الأمر عنده، فسمح لهم بالصفح والعفو، وعرفهم بخبر العدو، وأمرهم بالتجهز، فخرجوا إلى دورهم، كأنما نشروا من قبورهم، ثم ورد الخبر بأن العدو قرب من البلد، فإنهم عدوا مائة وخمسين قلعا، ولما عبر وقصد المرسى أخرج الوالي جماعة تمنعهم النزول، فباتوا على المرسى في الرجل والخيل، وفي الثامن عشر من شوال وهو يوم الاثنين وقع المصاف، وانهزم المسلمون، وارتحل النصارى إلى المدينة، ونزلوا منها على الحريبة الحزينة من جهة باب الكحل، ولم يزل الأمر في شدة وقد أشرفوا على أخذ البلد، ولما رأى ابن سيري (١) أن العدو قد استولى على البلد خرج

---

١) ق: ابن شيري.." (١)

"فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وأعمالها وما انضاف إليها، فحمل على قلبه فمرض ومات، وشرع السلطان يوسف في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج، فاتسعت مملكته في الأندلس، وأغارت سراياه على طليطلة إذ هي قاعدة ملكهم، ثم إنه حاصرها فاجتمعت الفرنج عليه، واشتد الغلاء في عسكره، فرحل عنها وعاد إلى حضرة ملكه مراكش المحروسة.

قصيدة في استنهاض الحفصي بعد سقوط بلنسية

ولم يزل أهل الأندلس بعد ظهور النصارى - دمرهم الله تعالى - على كثير منها يستنهضون عزائم الملوك والسوقة لأخذ الثأر، بالنظم والنثار، فلم ينفعهم ذلك حتى اتسع الخرق، وأعضل الداء أهل الغرب والشرق، فمن القصائد الموجهة في ذلك قول بعضهم لما أخذت بلنسية يخاطب إفريقية أبا زكريا ابن عبد الواحد بن أبي حفص:

نادتك أندلس فلب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

صرخت بدعوتك العلية فاحبها من عاطفتك ما يقي حوباءها

واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها تردد على أعقابها أرزاءها

هي دارك القصوى أوت لإيالة ضمنت لها مع نصرها إيواءها

وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى سبل الضراعة يسلكون سواءها

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/٤٧٠

خلعت قلوبهم هناك عزاءها لما رأت أبصارهم ما سواها
دفعوا لأبكار الخطوب وعونها فهم الغداة يصابرون عناءها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت سراءها وقضتهم ضراءها
تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا لم يضمن الفتح القريب بقاءها
رش أيها المولى الرحيم جناها واعقد بأرشية النجاة رشاءها." (١)
"وكانت دار إيمان وعلم معالمها التي طمست تنير
فعادت دار كفر مصطفاة قد اضطربت بأهليها الأمور
مساجدها كنائس، أي قلب على هذا يقر ولا يطير
فيا أسفاه يا أسفاه حزنا يكرر ما تكررت الدهور
وينشر كل حسن ليس يطوى إلى يوم يكون به النشور
أديلت قاصرات الطرف كانت مصونات مساكنها القصور
وأدركها فتور في انتظار لسرب في لواحظه فتور
وكان بنا وبالقينات (١) أولى ... لو انضمت على الكل القبور لقد سخنت بحالتهن عين وكيف يصح مغلوب قرير
لئن غبنا عن الإخوان إنا بأحزان وأشجان حضور
نذور كان للأيام فيهم بمهلكهم فقد وفت النذور
فإن قلنا العقوبة أدركتهم وجاءهم من الله النكير
فإنا مثلهم وأشد منهم نجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن أن يحل بنا انتقام وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار إليه فيسهل الأمر العسير
ولكن جرأة في عقر دار كذلك يفعل الكلب العقور
يزول الستر عن قوم إذا ما على العصيان أرخيت الستور
يطول علي ليلي، رب خطب يطول لهوله الليل القصير

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٧٩/٤

خذوا ثأر الديانة وانصروها فقد حامت على القتلى النسور

ولا تهنوا وسلوا كل عضب تهاب مضاربا له النحور

وموتوا كلكم فالموت أولى بكم من أن تجاروا أو تجوروا

أصبرا بعد سبي وامتحان يلام عليها القلب الصبور

---

(١) ص: وبالفتيات.." (١)

"غريب يرجي منك ما أنت أهله ... فإن كنت تبغي الفجر قد جاءك الفجر

ففز يا أمير المؤمنين ببيعة ... موثقة قد حل عروتها الغدر

ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بيا لمرين جاءه العز والنصر

وخذ يا إمام الحق بالحق ثأره ... ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر

وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم ... بحق فما زيد يرجى ولا عمرو

فإن قيل مال، مالك الدثر وافر ... وإن قيل جيش، عندك العسكر المجر

يكف بك العادي، ويحيا بك الهدى ... ويبني بك الإسلام ما هدم الكفر

أعده إلى أوطانه عنك راضيا ... وطوقه نعماك التي ما لها حصر

وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها ... فقد صدهم عنه التغلب والقهر

وهم يرقبون الفعل منك وصفقة ... تحاولها يمناك ما بعدها خسر

مرامك سهل لا يؤودك كلفة ... سوى عرض ما إن له في العلا خطر

وما العمر إلا زينة مستعارة ... ترد، ولكن الثناء هو العمر

ومن با ع ما يفنى بباق مخلد ... فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر

ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى (١) ... جياد المذاكي والمحجلة الغر

وراد وشقر واضحات شياتها ... فأجسامها تبر وأرجلها در

وشهب إذا ما ضمرت يوم غارة ... مطهمة غارت بها الأنجم الزهر

وأسد رجال من مرين مخيفة ... عمائمها بيض وآسالها سمر

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/ ٤٨٤

عليها من الماذي كل مفاضة ... تدافع في أعطافها اللجج الخضر

هم القوم إن هبوا لكشف ملمة ... فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر

إذا سئلوا أعطوا، وإن نوزعوا سطوا ... وإن واعدوا وفوا، وإن عاهدوا بروا

وإن مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم ... نشاوى تمشت في معاطفهم خمر

وإن سمعوا العوراء فروا بأنفس ... حرام على هاماتها في الوغى الفر

---

(١) اللمحة: العلى.." (١)

"هو الموت عم فما للعدا ... يسرون بي حين ذقت الردى

ومن فاته اليوم يأتي غدا ... سيبلى الجديد إذا ما المدى تتابع آحاده والسبوت ...

أخي توخ طريق النجاة ... وقدم لنفسك قبل الممات

وشمر بجد لما هو آت ... ولا تغترر بسراب الحياة فإنك عما قريب تموت ... وقد ذكرني قوله رحمه الله تعالى " فمن كان يفرح منهم له - إلى آخره " قول بعض العلماء الشاميين:

يا ضاحكا بمن استقل غباره ... سيثور عن قدميك ذاك العثير

لا فارس بجنودها منعت حمى ... كسرى، ولا للروم خلد قيصر

جدد مضت عاد عليه وجرهم ... وتلاه كهلان وعقب حمير

وسطا بغسان الملوك وكندة ... فلها دماء عنده لا تثأر

لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا ... ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا [فصل في الاعتبار لابن دحية]

وما أحسن قول أبي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته (١) : وأخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان، وقاسيت من الغربة أصناف الألوان، ومررت على مدائن كسرى أنوشروان، وزرت بها قبر صاحب النبي، صلى الله عليه وسلم، الزاهد العابد المعمر سلمان، وأعملت بها السير والإغذاذ، إلى مدينة بغذاذ، فنظرت إليها معالم وربوعا، وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا، وأنا ابدي في ندائهم وأعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، وأسأل عن الخلفاء الماضين وأنشد، ولسان الحال يجاوبني وينشد:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٨٨

(١) انظر كتاب النبراس: ١٦٨.." (١)

"أما هذه الأشجار تحمل أكلها ... وتسقط منه كل ما طاب وانتهى [نكبة أبي جعفر ابن عطية]

وحكى غير واحد من مؤرخي الأندلس أن الكاتب الشهير الوزير أبا جعفر ابن عطية القضاعي (١) لما تغير له عبد المؤمن وتذاكر مع بعض من أهل العلم أبيات ابن عمار السابقة، قال: ما كان المعتمد إلا قاسي القلب حيث لم تعطفه هذه الأبيات إلى العفو، ووقع لابن عطية المذكور مثل قضية ابن عمار، واستعطف فما نفع ذلك وقتل رحمه الله تعالى، ولنلم بذلك فنقول:

كان أبو جعفر هذا من أهل مراكش، وأصله القديم من طرطوشة، ثم بعد من دانية، وهو ممن كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين أمير لمتونة، وعن ابنيه تاشفين وإسحاق، ثم استخلصه لنفسه سالب ملكهم عبد المؤمن بن علي، وأسند إليه وزارته، فنهض بأعبائها، وتحبب إلى الناس بإجمال السعي والإحسان فعمت صنائعه، وفشا معروفه، وكان محمود السيرة، مبخت المحاولات، ناجح المساعي، سعيد المآخذ، ميسر المآرب، وكانت وزارته زينا للوقت، وكمالا للدولة، وفي أيام توجهه للأندلس وجد حساده السبيل إلى التدبير عليه والسعي به، حتى أوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه، فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومي، وانبرى لمطالبة ابن عطية، وجد في التماس عوراته، وتشنيع سقطاته، وطرحت بمجلس السلطان أبياتا منها:

قل للإمام أطال الله مدته ... قولا تبين لذي لب حقائقه

إن الزراجين (٢) قوم قد وترتهم ... وطالب الثأر لم تؤمن بوائقه

(١) انظر الخبر عن أبي جعفر ابن عطية في المعجب: ٢٦٧ والإحاطة ١: ١٣٢ (ط. السلفية) وقد نقل المقري ما جاء في المصدر الثاني، حتى آخر رسالة ابن عطية؛ وإعتاب الكتاب: ٢٢٥.

(٢) الزراجين: لقب أطلقه الموحدون على الملثمين تشبيها لهم بطائر أسود البطن أبيض الريش يقال له الزرجان (نظم الجمان: ٨٥).." (٢)

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/١١٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/١٨٣

"صدق الله وهو للصدق أهل ... وتعالى ربي وكان جليلا

رب عجل شهادة لي بقتل ... في الذي قد أحب قتلا جميلا ومنه: العبدري: قتل الحسين دعا إلى حرب، وأخذ بثأره كذاب ثقيف، ونوه باسمه أعداء ملة جده بنو عبيد ليقتص من قضية بمثلها، فيقرأ الفهم سورة تلك الصورة، ويتهجى اللبيب حروف تلك الحروب، فيعلم أن الكل آلات مستعملات، حسبما اقتضاه العلم القديم.

ومنه (١) : أبو العباس الأبياني: ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، اتزع لا تتسع.

ومنه: كانت سكينة بني إسرائيل في التابوت، فغلبوا عليها، وسكينة هذه الأمة في القلوب، فغلبوا بها، استحفظوا كتابهم فحرفوا من أحكامه ووصفه، وحفظ كتابنا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومنه: في الصحيح: كان أبو ذر يقسم قسما أن " هذان خصمان اختصموا في ربهم " نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد، قلت: ففي الآية شهادة من الله تعالى لعلي بالجنة والشهادة، أما الجنة فبنصها، وأما الشهادة فلأنه وصاحبيه استشهدوا (٢) ، وخصمهم قتلوا، فهي رادة على الخوارج قطعا.

ومنه: جاز أبو بكر ابن نافع بالكرخ أيام الديلم وقوة الرفض، فقالت له امرأة: سيدي أبا بكر، فقال: لبيك يا عائشة، فقال له: متى كان اسمي عائشة فقال أيقتلونني وتخلصين

وفي آخر هذا الكتاب ما صورته: فهذه جملة تراجم، وفيها مقنع لمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة، وكان الفراغ من جمعها في آخر

---

(١) ق: قال.

(٢) ق ص: فلأن صاحبيه استشهدا.." (١)

"والزهر ما أهداه غصن براعتي ... والمسك ما أبداه نقس كتابي

فالمجد يمنع أن يزاحم موردي ... والعزم يأبى أن يضام جنابي

فإذا بلوت صنيعة جازيتها ... بجميل شكري أوجزيل ثوابي

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٣٠٩

وإذا عقدت مودة أجريتها ... مجرى طعامي من دمي وشرابي

وإذا طلبت من الفراقد والسها ... ثأرا فأوشك أن أنال طلابي وفاته - توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ودفن بجبانة باب إلبيرة، تجاوز الله تعالى عنه؛ انتهى.

رجع إلى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى:

٧١ - فمن ذلك قوله في الروضة في ترجمة ضخام الغصون من شجرة السر المصون ما صورته: وهي أفاءت الظل الظليل، وزانت المرأى الجميل، وتكلفت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكفيل، وتتعدد إلى غصون المحبوبات، وأقسام موضوعاتها المكتوبات، وغصن المحبين، أصنافهم المرتبين، وغصن علامات المحبة، وشواهد النفوس الصبة، وغصن الأخبار المنقولة، عن ذوي النفوس المصقولة، وعند تعين هذه الأغصان المقسومة، كمل شكل الشجرة المرسومة، والسرحة الموصوفة الموسومة، ففاءت الظلال، وكرمت الخلال، فحيي من تفرد وتوحد، واستظل من استهدى واسترشد، ووقف الهائم فخطب وأنشد (١) :

يا سرحة الحي يا مطول ... شرح الذي بيننا يطول

عندي مقال فهل مقام ... تصغين فيه لما أقول

ولي ديون عليك حلت ... لو أنه ينفع الحلول

---

(١) أورد منها بيتين في النفح ٣: ٥٠٦ ونسبهما لابن براق.." (١)

"وصار يصرف أغراضه، ويظهر أحقاده، بين إفصاح بما كان الإعجام خيرا من إلقائه، وإن عمر المسكين المستضعف لا حاجة في طول بقائه، إلى مجاهرة عهد منه أيام شبيبته نقيضها، وانعكس في شاخته تصريحها المنغص وتعريضها، لا يريح نفسه من جهد، ولا يقف من اللجلجة عند حد، وقد كان ثقل سمعه فساءت إجابته، وطغت أخلاقه فسئم الناس وساطته، وربما استحلف فلم يكن بين اللازمة واللازمة إلا الحنث عن قصد وغير قصد، ودعا على نفسه وأبنائه بإنجاز وعد، وأن يقيض الله له ولهم قاتل عمد، فسبحان القاهر فوق عباده، الرحيم بهذا الشخص وبالأموات من شيعته وأولاده، فاستمر على ذلك إلى إحدى الليالي، فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدومه، تلقاه - زعموا - عند الدخول عليه، وهو بالمصحف رافع يديه (١) ، فجدلته السيوف، وتناولته الحتوف، فقضي عليه، وعلى من وجد من خدامه وابنيه، كل ذلك بمرأى

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦/٢٦٨

عين من أهله وبناته، ولم يتقوا الله فيه حق تقاته، فكانت أنكى الفجائع، وأفظع الوقائع، وساءت القالة، وعظم المصاب، وكل شيء إلى أجل نافذ وكتاب. انتهى كلام ابن الأحمر في مقدمة كتابه (٢) .

وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك، وقتله على الوجه الذي يعلم منه أن ثأر لسان الدين ابن الخطيب لديه لا يترك، بل قتلته أفظع من قتلة لسان الدين، لأن هذا قتل بين عياله وأهله، وقتل معه ابناه ومن وجد من خدمه، ولسان الدين رحمه الله تعالى خنق بمفرده، وعند الله تجتمع الخصوم، وهو العفو الغفور. وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبعمائة، ولم أقف من أمره على غير ما تقدم.

---

(١) ق: رافعا به.

(٢) سمى هذا الكتاب " البقية والمدرك من شعر ابن زمرك ".." (١)

"ومقارعة الأبطال ولاقح من لقحت الناقة لقحا من باب تعب فهي لاقح مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحا أحبلها كذا في المصباح وقوله وذو النبوان في شرح نوادر أبي زيد وذو النبوان لم يعرفه أبو زيد والنبوان بفتح النون والباء الموحدة اسم ماء بنجد لبني أسد وقيل لبني السيد من ضبة كذا في معجم البلدان لياقوت الحموي ويقال له نبوان أيضا بلا

لام قال أبو صخر الهذلي (الكامل)

(ولها بذي نبوان منزله ... قفر سوى الأرواح والرهم)

أي لها بأراضي نبوان منزلة والمراد ب ذي النبوان هنا رجل وهو إما صاحب هذا الماء أو لأنه دفن في ارضها والتصدع التشقق يقال صدعته صدعا من باب نفع شققته وصدعت القوم صدعا فتصدعوا فرقتهم فتفرقوا والمراد به هنا الحفر والنبش أي هلا تمنيت الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان فحفرت له قبرا وواريته فيه وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الأخذ بثأره وقوله يأتك حيا دارم فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب جزم يأت في جواب شرط مقدر أي إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعه ودارم أبو قبيلتين من تميم وطهية حي من تميم سموا باسم أمهم وهي طهية بنت عبد شمس ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وهي أم أبي سود وعوف بن مالك بن حنظلة والنسبة إليها طهوي بسكون الهاء وبعضهم يفتحها على القياس وأقرع بالقاف تام يقال

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧/١٧٠

ألف أقرع ودرهم أقرع ومائة قرعاء وقوله فيستخرج اليربوع أخ الفاء للسببية ويستخرج منصوب بأن مضمرة وجوبا وهو مبني للمفعول ويجوز بالبناء." (١)

"(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

فلما بلغ ذلك حجرا دعا مولى له يقال له ربيعة فقال له اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه فذبح جؤذرا فأتاه بعينيه فندم حجر على ذلك فقال أبيت اللعن إني لم أقتله قال فائتني به فانطلق فإذا هو قد قال شعرا في رأس جبل وهو قوله (الطويل)

(فلا تسلميني يا ربيع لهذه ... وكنت أراني قبلها بك واثقا)

فرده إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ثم إنه قال (الطويل)

(إلا عم صباحا أيها الطلل البالي)

فبلغ ذلك أباه فطرده كذا قال ابن قتيبة وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة في طريق الشام عند مسيره إلى قيصر بعد قتل أبيه ولعله شعر آخر ثم قال ابن قتيبة فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون فقال (الرجز)

(تطاول الليل علينا دمون ... دمون إنا معشر يمانون)

(وإننا لأهلنا محبون)

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر ثم آلى لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يثأر بأبيه فلما كان الليل لاح له برق فقال (المتقارب)

(أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى جبل)

(بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل)." (٢)

"قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت ومثلهما من الإسلاميين الكميت والطرماح وكان سبب نزول آل عدي بن زيد الحيرة أن جدة أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم فأصاب دما في قومه فهرب إلى أوس بن قلام أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأكرمه وابتاع له موضع دار هـ بثلاثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٩/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٣٢/١

مائتي أوقية ذهبا وأعطاه مائتين من الإبل برعاتها وفرسا وقينة واتصل بملوك الحيرة فعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب فلم يكن منهم ملك يملك إلا ولولد أيوب منه جوائز ثم إن زيدا بن أيوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمادا فخرج زيد بن أيوب يوما يوما للصيد فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر فاغتال زيدا وهرب ومكث حماد في أخواله حتى أيفع وعلمته أمه الكتابة فكأن أول من كتب من بني أيوب فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر فلبث كاتبا له حتى ولد له ولد فسماه زيدا باسم أبيه وكان لحماد صديق من دهاقين الفرس اسمه فرخ ماهان فلما حضرت الوفاة حمادا أوصى بابنه زيد إلى الدهقان وكان من المرازبة فأخذه إليه وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان وعلمه الدهقان الفارسية وكان لبيبا فأشار الدهقان إلى كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه فولاه وبقي زمانا ثم إن النعمان النصري هلك فاختلف أهل." (١)

"لسانه ويقال شاة خطلاء إذا كانت طويلة الأذنين والسراة الأشراف وقوله وليسوا بالوفاء إلخ أي سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضي وإن لم يوفوا بعرضي ولا يدانوه والحمالة بالفتح تحمل الدية والجرثومة التراب المجتمع تجمعه الريح في أصول الشجر فيتلبد حتى يصير كأنه خلقة والزمع جمع زمعة بالتحريك وهي هنة زائدة في قوائم الشاة وقول النابغة جحفلة الأتان بدل من قوله لبيدأ وهو بتقديم الجيم على المهملة والأتان الحمارة وهي كلمة ذم وأزجى ساق

(تتمة)

المشهور في رواية هذا البيت

(فساغ لي الشراب وكنت قبلا ... أكاد أغص بالماء الحميم)

قال العيني قائله عبد الله بن يعرب بن معاوية بن عبادة بن البكاء بن عامر وكان له ثأر فأدركه فأنشده انتهى

ورواه الثعالبي والزمخشري

(أكاد أغص بالماء الفرات)

ولعله من شعر آخر وكذلك ما رواه أبو حيان في تذكرته عن الكسائي

(أكاد أغص بالماء المعين)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٨٢/١

لكنه رواه عنه وكنت قبل بالرفع والتنوين ثم قال قال الفراء هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين في ضرورة الشعر كما قال." (١)

"(وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح)

وقد قال قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت كما كانوا يذبحون للأصنام.

وقيل: إنما كانوا يفعلونه لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم فيها.

وقيل: إن الإبل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة. انتهى.

وزياد الأعجم هو من شعراء الدولة الأموية أبو أمامة زياد بن سلمى مولى عبد القيس أحد بني عامر. كان ينزل إصطخر وكانت فيه لكنة فلذلك قيل له الأعجم. قاله ابن قتيبة في كتاب الشعراء.

وقيل: كانت في لسانه عجمة ولأجلها قيل له: الأعجم.

وقيل: لأن مولده ومنشأه كان بفارس. وكان جزل الشعر وحسن الألفاظ

على لكنته في لسانه.

روي أنه دعا غلاما له ليرسله في حاجة فأبطأ عليه فلما جاءه قال له: منذ دأوتك إلى أن قلت لبي ما كنت تصنأ يريد: منذ دعوتك إلى أن قلت لبيك ما كنت تصنع قال ابن قتيبة: هم الفرزدق بهجاء عبد القيس فبعث إليه زياد: لا تعجل حتى أهدي لك هدية. فانتظرها زمانا ثم بعث إليه:

(فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مصحا أراه في أديم الفرزدق)

(وما تركوا عظما يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق)

(سأكسر ما أبقوه لي من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتقي)

...." (٢)

"(وإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق)

وفي الأغاني: كان المهلب بن أبي صفرة بخراسان فخرج إليه زياد ومدحه فأمر له بجائزة وأقام أياما فبينما هو يشرب مع حبيب بن المهلب في دار

له فيها دالية عليها حمامة إذ سجعت الحمامة فقال:

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٢٩/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧/١٠

(تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي من أن تضاري)

(فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري)

(وإما يقتلوك طلبت ثأرا ... يباء به لأنك في جواري)

فقال حبيب: يا غلام هات القوس. فقال له زياد: وما تصنع بها قال: أرمي جارتك هذه.)

قال: والله لئن رميتها لأستعدين الأمير عليك فأتي بالقوس فنزع لها سهما فقتلها فدخل زياد على المهلب فحدثه الحديث فقال المهلب: علي به.

فأتي بحبيب فقال: أعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار. فقال: أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب فقال: أعطه كما أمرتك. فأعطاه وشرب معه مرة ثانية فعربد عليه حبيب وقد كان مضطغنا عليه فشق قباء ديباج كان عليه فقال: ...." (١)

"والمنتفي والمتبري سواء.

وبهثة هو ابن حرب بن وهب بن جلي بن أحمس ابن ضبيعة بن ربيعة بن نزار. وإن كنت أينما أي: حيث ما كنت.

وقوله: جعلت لهم فوق العرانين يقول: هجوتهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم للأنف. والأجذم: المقطوع إحدى يديه يقول: لو هجوت قومي كنت كمن قطع بيده يده الأخرى. والزنيم: الملصق بالقوم وليس منهم. والإجرار: أن يشق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه. انتهى.

وبقي أبيات من أبيات القصيدة لا حاجة لنا بها.

وأنشد بعده

(الشاهد الثاني عشر بعد الثمانمائة)

(وقتيل مرة أثأرن فإنه ... فرغ وإن أخاهم لم يقصد)

على أنه قد يخلو المضارع عن اللام استغناء بالنون كما هنا والأكثر لأثأرن بهما جميعا.

وهذا كقول ابن مالك في التسهيل: وإن كان أول الجملة مضارعا مثبتا مستقبلا غير مقارن حرف تنفيس ولا مقدم معموله لم تغنه اللام غالبا عن نون التوكيد. وقد يستغنى بها عن اللام. انتهى.." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/١٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦٠/١٠

"وذهب ابن عصفور في كتاب الضرائر إلى أن حذف اللام ضرورة. وتبعه ابن هشام في المغني فقال: حذف لام لأفعلن يختص بالضرورة. وأنشد البيت.

وهذا مذهب البصريين والأول مذهب الكوفيين كما بينه الشارح المحقق.

والبيت من قصيدة لعامر بن الطفيل العامري تقدم شرح أبيات من أولها في الشاهد الثامن والستين بعد المائة.

وقبل هذا البيت:

(**ولأثأرن** بمالك وبمالك ... وأخي المروراة الذي لم يسند)

وقوله: **ولأثأرن** اللام في جواب قسم مقدر أي: والله **لأثأرن** أي: لآخذن **بثأرهم** وأقتلن بهم من بني مرة من عوف الذبياني.

والثأر بالهمزة ويخفف: الذحل يقال: **ثأرت** القتيل **وثأرت** به من باب نفع إذا قتلت قاتله.

والمروراة بفتح الميم والرائين المهملتين وسكون الواو بينهما: أجبل لأشجع بن ريث بن غطفان.

وأراد بأخي المروراة الحكم بن الطفيل العامري وهو أخو عامر بن الطفيل خنق نفسه تحت شجرة بالمروراة خوفا من الأسر كما يأتي بيانه.

وقول: الذي لم يسند أي: لم يدفن بل أكلته السباع والطيور.

وقوله: وقتيل مرة **أثارن** ... إلخ قال ابن الأنباري في شرح المفضليات: رواه الضبي: بخفض أما الأول فعلى أن الواو للقسم وقتيل مقسم به وأراد به أخاه الحكم بن الطفيل وأعاده مبهما تفخيما له.

ومرة: أبو قبيلة وهو مرة بن عوف بن." (١)

"سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

وقول بن الملا في شرح المغني: مرة: قبيلة من قريش كلام من لم يصل إلى العنقود. **وأثارن** جواب) القسم ومفعول أثرن محذوف والتقدير: **أثارنه** أو **أثارن** به. وعلى هذا يكون الاستشهاد. وإن كانت الواو للعطف على مالك فأثرن تأكيد لقوله: **لأثارن**.

-

وأما النصب فعلى العطف على محل مالك **وأثارن** تأكيدا لذلك وقيل مفعول بفعل يفسره أثرن. ولا يجوز أن يكون مفعولا له لأن المؤكد لا يتقدم عليه معموله.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦١/١٠

وأما الرفع فعلى الابتداء وجملة: أثأرن خبره والعائد محذوف أي: أثأرن به أو أثأرنه.

والتأكيد على هذا شاذ. والضمير في فإنه راجع لقتيل.

وفرغ بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بعدها معجمة: الهدر يقال: ذهب دم فلان فرغا وهدرا إذا لم يقتل قاتله.

وقال ابن الأنباري: روى فرع أيضا أي: بفتح الفاء والعين المهملة وهو الرأس العالي في الشرف وضمير ارجع في أخاهم لمرة باعتبار كونه حيا وأراد بأخيهم سنان بن أبي حارثة المري أو الحارث بن عوف فان أحدهما كان رئيس بني مرة.

قال ابن الأنباري: وقوله: لم يقصد: لم يقتل يقال: أقصد الرجل إذا قتلته.." (١)

"وروى بدله في مغني اللبيب وغيره: لم يثأر وهو خطأ معنى وقافية.

وهذا الشعر قاله عامر بن الطفيل بعد يوم الرقم بفتح الراء والقاف وهو ماء لبني مرة وهو يوم كان لغطفان على بني عامر.

-

قال ابن الأنباري: أغار بنو عامر على غطفان بالرقم فلقوا غلمة من أشجع بن ريث بن غطفان فقتلوهم ثم استبطن عامر بن الطفيل بني عامر في الوادي فأغاروا على بني فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان فأصاب بني سفيان بن غراب ابن ظالم بن فزارة وأتى الصريخ بني فزارة فركبوا هم وبنو مرة بن عوف وعلى بني فزارة عيينة بن حصن وعلى بني مرة سنان بن أبي حارثة ويقال الحارث بن عوف.

فانهزمت بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وأقبل عامر بن الطفيل منهزما حتى دخل بيت أسماء بنت قدامة الفزاري وهي حديثة عهد بعرس وزوجها شبث بن حوط الفزاري ومضت بنو جعفر فدخلوا في شعاب لا يدرون ما هي فلما انتهوا إلى أقصى الوادي لم يجدوا منفذا وأقبلت غطفان حتى وقفوا على فم الوادي فقال لهم عيينه: قفوا فإن القوم منصرفون إليكم.)

فلما لم يجدوا منفذا انصرفوا فقال بعضهم لبعض: إنه لن ينجيكم اليوم إلا الصدق فارموهم بنواصي الخيل. ففعلوا فقتل يومئذ من بني جعفر: كنانة والحارث ابنا عبيدة بن مالك بن جعفر وقيس بن الطفيل بن مالك.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/٦٢

فلما خرجت بنو جعفر من الشعب خرج عامر من بيت أسماء فرجع زوجها فقال: أصنع بك عامر شيئا قالت: إي والله لقد فقل ولو كنت أنت لنكحك عامر فمر جبار بن." (١)

"وأنشد بعده

(الشاهد الثالث عشر بعد الثمانمائة)

(تألى ابن أوس حلفة ليردني ... إلى نسوة كأنهن مفائد)

على أنه استغنى بلام التوكيد عن النون. وهذا ظاهر.

وروي أيضا بكسر اللام وفتح الدال على نصب الفعل بأن مضمرة على أنها لام كي.

-

وذكر سيبويه أن لام القسم يلزمها إحدى النونين.

وقال أيضا: وقد تحذف النون في الشعر. وقد جاء أعجب من هذا وأبعد في الاستعمال وحذف اللام وإثبات النون.

قال: وقتيل مرة أثأرن ... ... البيت فأما من روى بكسر اللام فالمعنى: حلف لهذا الأمر.

وجواب القسم يكون محذوفا مقدرا ويستدل عليه بما ذكره.

وقال بعض المتقدمين: تقول حلف ليفعلن فإذا حذفت النون كسرت اللام وأعملتها إعمال لام كي والموضع موضع القسم والمعنى معناه.

وقيل: مثل تألى ليردني: أراد ليفعل كذا كأن الفعل دل على المصدر. واللام مع الاسم المجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ كأنه قال: إرادتي كذا انتهى.

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية الكلام على هذا في نون التوكيد.." (٢)

"وقال ابن عصفور: صب هو الجواب والواو زائدة لضرورة الشعر.

هذا. والبيتان من قصيدة للأخطل التغلبي النصراني والراوية من ديوانه: أمال عليهم تغلب بنة وائل

(بني عمر لم تثأروا بأخيكم ... ولكن رضيتم باللقاح وبالجزر)

(إذا عطفت وسط البيوت احتلبتم ... لها لبنا محضا أمر من الصبر)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦٣/١٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦٥/١٠

ولما رأى الرحمن أن ليس فيهم ... . . إلى آخر البيتين

(فسيروا إلى أهل الحجاز فأننا ... نفيناكم عن منبت القمح والتمر)

وقوله: لم تثأروا بأخيكم أي: لم تأخذوا بثأره. يقول: رضيتم بأن تغيروا على المال وتدعو القتال إذ أصبتم الغنائم. واللقاح: جمع لقحة بكسر اللام فيهما وهي الناقة ذات لبن. هذا قول ثعلب.

وقال غيره: جمع لقوح مثل قلوص وقلاص وهي الناقة نتجت إلى ثلاثة أشهر وتسمى بعدها لبونا.

والجزر بضم فسكون والأصل بضمتين: جمع جزور والجزور من الإبل خاصة تقع على الذكر والأنثى وقيل الناقة التي تنحر.

وقوله: إذا عطفت بالبناء للمفعول أي: أميلت. والصبر: الدواء المر بكسر الباء في الأشهر وسكون الباء للتخفيف لغة قليلة. ومنهم من قال: لم يسمع تخفيفه في السعة.

وحكى ابن السيد في مثلث اللغة جواز التخفيف كما في نظائره بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها. وإنما جعل اللبن أمر من الصبر لأنهم يشربونه مع الحزن على أخيهم ولا قدرة لهم بأخذ ثأره.)." (١)

"لا مطعن فيه. والكمأة: الشجعان جمع كمي بوزن فعيل. قال صاحب الأغاني: أي: كأن ألوانهم ألوان النمر: سواد وبياض من السلاح.

والجدث: بفتح الجيم والدال: القبر. والمسهكة بفتح الميم والهاء وسكون السين المهملة بينهما: ممر الريح.

وإنما رثاه بهذه القصيدة مع أنه لم يكن من قومه لما رواه صاحب الأغاني قال: تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو وتواثقا: إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده وإن قتل أن يطلب بثأره فقتل معاوية بن عمرو وقتله هاشم بن حرملة المري فرثاه دريد بهذه القصيدة.

ودريد: مصغر أدرد يقال: رجل أدرد وامرأة درداء وهو الذي كبر حتى سقطت أسنانه فصار يعض على درده. ومنه أبو الدرداء. والصمة بكسر الصاد وتشديد الميم معناه الشجاع.

قال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين: عاش دريد بن الصمة الجشمي نحوا من مائتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الإسلام ولم يسلم وقتل يوم حنين كافرا.

وقال صاحب الأغاني: دريد بن الصمة اسمه معاوية بن الحارث بن بكر

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٥/١١

ابن علقمة ابن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان ودريد بن الصمة فارس شجاع شاعر فحل.)

وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزوا وأبعدهم أثرا وأكثرهم ظفرا وأيمنهم نقيبة عند العرب وأشعرهم.

وقال أبو عبيدة: كان دريد سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مضفرا ميمون النقيبة غزا نحو مائة غزاة وما أخفق في واحدة منها وأدرك الإسلام ولم يسلم وخرج مع قومه في يوم حنين مظاهرا للمشركين ولا فضل فيه للحرب وإنما أخرجوه." (١)

"ثم الكرى والغمض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ثم الهجود والهجوع وهو النوم الغرق.

وسمعان بفتح السين. موضع. وبارحا بالموحدة والمهملة: فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحا: إذا زال من مكانه. وطوال الليالي بفتح الطاء بمعنى الطول بضمهما وهو منصوب على الظرفية يقال: لا أكلمه طوال الدهر وطول الدهر وهما بمعنى يريد إنني مقيم أبدا. وأو بمعنى إلى أو بمعنى إلا ويجيب منصوب بأن بعدها.

والصدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت في قبره ومنه قول النمر بن تولب الصحابي رضي الله عنه:

(أعاذل إن يصبح صداي بقفرة ... بعيدا نآني صاحبي وقريبي))

(ترى أن ما أبقيت لم أك ربه ... وأن الذي أنفقت كان نصيبي)

وله معان أخر: أحدهما ذكر البوم ثانيهما: حشوة الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية: أن الرجل كان عندهم إذا قتل فلم يدرك به **الثأر** أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره: اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر. قال:

(ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني)

ثالثهما ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتسع من الأرض أو بقرب جبل. رابعها: بمعنى العطش مصدر صدى يصدى. والصدأ بالهمزة: صدأ الحديد وما أشبهه كذا في الكامل." (٢)

"وأنشد بعده وهو

الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س:

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١١/١١٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/٨٤

(يا لبكر أنشروا لي كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار)

وهذا المعنى هو الجيد ومأخذه من هذا البيت واضح لا خفاء به ولا معنى للاستغاثة فيه كما حققه الشارح.

وفيه مخالفة لسيبويه في جعلها للاستغاثة.

وحملها النحاس على الاستهزاء فقال: إنما يدعوهم ليهزأ بهم ألا تراه قال: أنشروا لي كليبا.

وقال الأعلم: والمستغاث من أجله في البيت هو المستغاث به والمعنى: يا لبكر أدعوكم لأنفسكم مطالبا لكم في إنشار كليب وإحيائه وهذا منه استطالة ووعيد وكانوا قد قتلوا كليبا أخاه في أمر البسوس.

وكأن الشارح انتزع ما قاله من هنا. والله أعلم.

وهذا البيت لمهلهل: أخي كليب أول أبيات ثلاثة قالها بعد أن أخذ بثأر أخيه كليب ثانيهما:." (١)

"ضربت صدرها إلي وقالت: يا عدي لقد وقتك الأواقي ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات. وقال الغزل وعني بالنسيب في شعره. ويقال سمي مهلهلا بقوله: هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا قال ابن سلام: زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعي في قوله بأكثر من فعله. وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك.

والمهلهل: أخو كليب الذي هاج بمقتله حرب البسوس وهي

حرب بكر وتغلب ابني وائل.

وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه في العقد الفريد والأصبهاني في الأغاني. وقد تداخل كلام كل منهما في كلام الآخر.

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: ما اجتمعت معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهو عامر وربيعة وكليب. فالأول عامر بن الظرب ابن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث. وهو قائد معد يوم." (٢)

"بن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل فذهبت مثلا. فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت: قد فني قومك فأرسل بجبيرا بن أخيه إلى مهلهل وقال له: قل له: إني قد اعتزلت قومي لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/١٦٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/١٦٥

وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك. فأتى بجبير إليه فقتله مهلهل كما تقدم شرحه عند الكلام)
على قوله:
(من صد عن نيرانها ... فأنا ابن قيس لا براح)
وهو الشاهد الحادي والثمانون فبعد ذلك نهض الحارث للحرب فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب وكان أول يوم شهده الحارث بن عباد يوم فضة وهو يوم تحلاق اللمم وفيه أسر الحارث بن عباد مهلهلا وهو لا يعرفه
واسمه عدي بن ربيعة فقال له: دلني على عدي وأخلي عنك فقال له: عليك العهد بذلك إن دللتك عليه قال: نعم قال: فأنا عدي فجز ناصيته وتركه. وقال فيه:
(لهف نفسي على عدي ولم أع ... رف عديا إذ أمكنتني اليدان)
وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما جحدر بن ضبيعة.
ثم إن مهلهلا فارق قومه ولم يزل مقيما في أخواله بني يشكر ضجرا من الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي وهو جد امرئ القيس بن حجر في الصلح بينهم والتمليك عليهم وقد كانوا قالوا: إن سفهاءنا غلبوا علينا وأكل القوي منا الضعيف فالرأي أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ منا القوي ويرد الظالم ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه." (١)
"يروى أن قيسا هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبيك وإن كنت قد)
أخرتني.
(جزى الله قومي بالكلاب ملامة ... صريحهم والآخرين المواليا)
الصريح: الخالص والمحض. والمواليا: الحلفاء المنضمين إليهم والكلاب: بضم الكاف: اسم موضع الوقعة.
(ولو شئت نجتني من الخيل نهدة ... ترى خلفها الحو الجياد تواليا)
النهدة: المرتفعة وكل ما ارتفع يقال له نهد. والحو من الخيل: التي تضرب إلى خضرة والحوة: الخضرة قال الأصمعي: وإنما خص الحو لأنه
يقال: إنها أصبر الخيل وأخفها عظاما إذا عرقت لكثرة الجري. وتواليا: جمع تالية أي: إن فرسي لخفتها تسبق الحو فهي تتلو فرسي.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/١٧٢

(ولكنني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا)

الذمار: ما يجب على الرجل حفظه: من منعه جارا أو طلبه ثأرا. وقوله: وكان الرماح

(أقول وقد شدوا لساني بنسعة: ... أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا)

النسعة بكسر النون: سير منسوج. وفيه قولان: الأول أن هذا مثل وذهب إليه شراح أبيات الشعراء والقالي في أماليه وحكاه ابن الأنباري في شرح المفضليات وقال: لأن اللسان لا يشد بنسعة وإنما أراد: افعلوا بي خيرا لينطلق لساني بشكركم وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود لا أقدر على مدحكم.

والثاني أنهم شدوه بنسعة حقيقية وإليه ذهب الجاحظ في البيان." (١)

"بفعلة.

وروي: ولم يفزع بيوت بالبناء للمفعول. قال الخطيب: أي: لم يفزع أهل بيوت ثم حذف يقول: شد على عدوه وحده فقتله ولم يفزع العامة بطلب واحد أي: لم يستعن عليه بأحد وإنما قصد الثأر. وقيل: معناه أي: لم يعلموا به. وروي: ولم ينظر بيوتا أي: لم يؤخر أهل بيت ورد بن حابس في قتله لكنه عجل فقتل هذا الرجل.

يقال: أنظرته بالألف أي: أخرته. وروي أيضا: ولم ينظر من نظرت الرجل. أي: انتظرته.

وقوله: لدى حيث الخ أي: حيث كان شدة الأمر يعني موضع الحرب وأم قشعم هي الحرب ويقال: هي المنية. والمعنى أن حصينا شد على الرجل العبسي فقتله بعد الصلح وحيث حطت رحلها الحرب ووضعت أوزارها وسكنت. ويقال: هو دعاء على حصين أي: عدا على الرجل بعد الصلح وخالف الجماعة فصيره الله إلى هذه الشدة ويكون معنى ألقت رحلها على هذا ثبتت وتمكنت.

وقيل: أم قشعم: كنية العنكبوت وقيل: كنية الضبع. والمعنى: فشد على

صاحب ث أره بمضيعة من الأرض وقال صعوداء في شرحه: وقال قوم: أم قشعم: أم حصين هذا الذي شد أي: فلم يفزع البيوت التي بحضرة بيت أمه والرحل: ما يستصحبه المسافر من المتاع

(لدى أسد شاكي السلاح مقاذف ... له لبد أظفاره لم تقلم)

لدى: متعلقة بقوله ألقت رحلها وهذا البيت من أبيات تلخيص المعاني وغيره على أن التجريد والترشيح قد يجتمعان: فإن شاكي السلاح تجريد لأنه وصف بما يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع وما بعده ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقي قال الأعلم والخطيب: أراد بقوله لدى أسد الجيش

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢/١٩٩

وحمل لفظ البيت على الأسد وقال)

الزوزني: البيت." (١)

"قال ابن جني في إعراب الحماسة: يروى مبثوثا ومبثوث: فمن نصب فلأنه صفة نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها ومن رفع رفع بالابتداء وجعل شجاع وعقرب بدلا من مبثوث. فإن قلت: فهلا قال: وفي الأرض مبثوثون أو مبثوثان قلت: فيه جوابان: أحدهما أنه لم يرد بشجاع وعقرب الاثنان الشافعان للواحد وإنما أريد به الأعداء الذين بعضهم شجعان وبعضهم عقارب أي: أعداء في خبثهما ونكرهما فلما لم يرد حقيقة التثنية وإنما أراد الأعداء ذهب به مذهب الجنس. .

والوجه الآخر: أن يكون أراد: وفي الأرض مبثوثا شجاع أي: شجاع مبثوث فلما قدمه عليه نصبه حالا منه ثم عطف عقرب على الضمير في مبثوثا. وكذلك إذا رفعت تعطف عقرب على الضمير في مبثوث فإذا سلكت هذه الطريق سقطت عنك كلفة الاعتذار من ترك التثنية.

انتهى ملخصا.

(فلا تأخذوا عقلا من القوم إنني ... أرى العار يبقى والمعاقل تذهب)

(كأنك لم تسبق من الدهر ليلة ... إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب)

لك في المعاقل الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على العار. يقول: لا ترغبوا في قبول الدية فإنه عار والعار يبقى أثره والأموال تفنى.

والمعاقل: جمع المعقلة والمعقلة بضم القاف وكسرها والميم فيهما مفتوحة. والعقل: الدية)

وأصله الإبل كانت تعقل بفناء ولي المقتول وهو مصدر وصف به. وحكى الأصمعي: صار دمه معقلة على قومه أي: صاروا يدونه. وقوله: كأنك لم تسبق الخ يقول: من أدرك ما طلبه من الثأر." (٢)

"فلأبغينكم قنا وعوارضا هذا التفات من الغيبة إلى التكلم. خاطب بني فزارة.

(بالخيل تعثر في القصيد كأنها ... حدأ تتابع في الطريق الأقصد)

القصيد: كسر القنا جمع قصيدة. والحدأ كعنب: جمع حدأ كعنبة وهي طائر معروف.)

(في ناشيء من عامر ومجرب ... ماض إذا سقط العنان من اليد)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٦/٣

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣١/٣

لم يرو هذا البيت أيضا صاحب المفضليات. قال شارح الديوان: الناشيء الحدث حين نشأ.
وقول سقط العنان أي لشدة الجهر

(**ولأثأرن** بمالك وبمالك ... وأخي المرواة الذي لم يسند)

معطوف على قوله فلا يغنيكم يقول لأدركن **بثأر** مالك ومالك أي: لأقتلن بهما. والمرورات بالفتح: موضع بظهر الكوفة وقال البكري في المعجم: هو جبل لأشجع. وقوله: لم يسند أي: لم يدفن ولكن ترك للسباع تأكله.

قتيل يروى بالحركات الثلاث: بالجر عطفا على ما قبله أو الواو للقسم وبالرفع على المبتدأ والخبر **أثأرن** وبالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل عليه **أثأرن**. وليس مفعول **أثأرن** المذكور لأن الفعل المؤكد لا يتقدم معموله عليه. ومرة: قبيلة. **وأثأرن** توكيده يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى." (١)

"في أدوات القسم وفرغ روي بكسر الفاء والغين المعجمة بمعنى الهدر وروي بفتحها مع العين المهملة. أراد أنه رأس عال في الشرف. ولم يقصد: لم يقتل يقال: أقصدت الرجل: إذا قتلته. يقول: قتيل بن مرة صار دمه هدرا فلا بد من أخذ **ثأره** منهم فإن أخا بني مرة لم يقتل إلى الآن فلا بد من قتلهم وأخذ **الثأر** منهم.

وبقية الأبيات لا حاجة لنا بها. وعامر بن الطفيل هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. وهو ابن عم لبيد الصحابي. وكنية عامر في الحرب أبو عقيل وفي السلم أبو علي. وكانت أصيبت إحدى عينيه في بعض الحروب.

قال ابن الأنباري في شرح المفضليات: كان عامر من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة وأبعدها اسما حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل فإن ذكر نسبا عظم عنده حتى وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له. فقال: ابن عم عامر بن الطفيل فغضب علقمة وكان ذلك مما أوغر صدره وهيجه إلى أن دعاه إلى المنافرة. وكان عمرو بن معد يكرب وهو فارس اليمن يقول: ما أبالي أي ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ما لم يلقني دونها عبداها أو حراها ويعني بالحرين: عامر بن الطفيل وعتيبة ابن الحارث)

بن شهاب اليربوعي وعنى بالعبدين: عنترة العبسي والسليك بن السلكة.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧٩/٣

قال الأثرم: ويقال: كانت المنافرة أن علقمة بن علاثة شرب الخمر فضربه عمر الحد فلحق بالروم فارتد فلما دخل على ملك الروم قال: انتسب.." (١)

"في معجم البلدان: قال أبو عبيد: الرهوة: الجوبه تكون في محلة القوم يسيل إليها ماء المطر.

وقال أبو سعيد: الرهو: ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله قال: ولا رهوة شبه تل يكون في متون الأرض على رؤوس الجبال ومساقط الطيور والصقور والعقبان. ورهوة طريق بالطائف وقيل هو جبل في شعر خفاف بن ندبة وقيل عقبة في مكان يعرف. وقال الأصمعي: رهوة في وثاويا خبر قوله: تمس وهو متعلق برهوة يقال ثوى بالمكان وفيه: إذا أقام. وأنيسك مبتدأ وأصداء خبره والجملة حال من ضمير صاويا. وجملة تصيح صفة لأصداء ولا يضر إضافته)

إلى المعرف باللام لأن اللام للجنس ومدخلها قريب من النكرة. والأنيس: المؤانس وفعله أنست به إنسا من باب علم وفي لغة من باب ضرب والأنس بالضم اسم منه واستأنست به وتأنست به: إذا سكن القلب ولم ينفر كذا في المصباح: والأصداء: جمع صدى بالقصر وهو ذكر البوم وهو يسكن في القبور وقال الأعلم: هو طائر يقال له الهامة يزعم الأعراب أنه يخرج من رأس القتيل إذا لم يدرك **بثأره** فيقول: اسقوني اسقوني حتى يؤخذ **بثأره**. وهذا مثل وإنما يراد به تحريض ولي المقتول على طلب دمه. فجعله جهلة العرب حقيقة. انتهى.

وقوله: على الكره مني متعلق بقوله: أكفكف يقال: كفكفت الدمع والرجل: إذا كففته ومنعته.

والعبرة بالفتح: الدمعة وفعله عبرت عينه كفرحت والسرب بفتح السين وسكون الراء المهملتين: الطريق." (٢)

"والأسلت لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عمارة بن مرة بن مالك بن الأوس. . وهو شاعر من شعراء الجاهلية. وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها يوم بعاث وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد.

وأسلم عقبة بن أبي قيس واستشهد يوم القادسية. وكان يزيد بن مرداس السلمي قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم فطلبه **بثأره** هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد بن مرداس فقتله بقيس وهو ابن عمه ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت:

(أقيس إن هلكت وانت حي ... فلا تعدم مواصلة الفقير)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨٠/٣

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣١٦/٣

وقال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث إلى أبي قيس بن الأسلت فقام في حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له فأهوى إليها

بيده فدفعته وأنكرته فقال: أنا أبو قيس فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال في ذلك أبو قيس الـقصيدة التي أولها:

(قالت ولم تقصد لقيل الخنى ... مهلا فقد أبلغت أسماعي)

(استنكرت لونا له شاحبا ... والحرب غول ذات أوجاع)

...." (١)

"وخفاف: جمع خفيف ككرام جمع كريم. والحلوم: جمع حلم بالكسر وهو الأناة أراد وقوله: ولم يود من كنت الخ أودى فلان أي: هلك فهو مود. ودرم بفتح الدال وكسر الراء قال في الصحاح: اسم رجل من بني شيبان قتل فلم يدرك بثأره وقال المؤرخ: فقد كما فقد الفارظ العنزي.

وفي ديوان الأعشى: إنه درم من دب بن مرة بن ذهل بن شيبان كان النعمان يطلبه فظفروا به فمات في أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان فقيل أودى درم فذهبت مثلا.

وروي: كما قيل في الحي أودى درم قال العسكري في التصحيف: اجتمع رواة بغداد على أن درم مفتوح الدال مكسور الراء إلآ ابن الرومي الشاعر فإنه ذكر أن روايته درم بكسر الدال وفتح الراء وكان يغزوه إلى محمد بن حبيب. وإنما احتاج إلى أن يجعله هكذا في

شعر له هربا من التوجيه فقد كان ابتداء قصيدته:." (٢)

"أفيضا دما إن الرزايا لها قيم فبناها على فتح ما قبل الروي ثم قال: فطاحت جبارا مثل صاحبها درم وأنشدها علي هكذا فأنكر ذلك عليه أبو العباس ثعلب. ودرم هذا مشهور عند النسابين وهو درم دب بن مرة بن ذهل بن شيبان. إنما قالوا: أودى درم لأنه قتل فلم يود ولم يثأر به وقال قائل: أودى درم فضرب مثلا. وقوله: أرانا سواء الخ أي: نرى أنسفنا مثل الأيتام سواء. وقد يتم بالكسر ييتم بالفتح يتما بالضم والفتح وسكون التاء فيهما. واخترتهم الدهر وتخرمهم: أي اقتطعهم واستأصلهم.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤١٠/٣

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٤٩/٤

ونخترم بضم النون.

وقوله: فلا رمت الخ رام من مكانه يريم: إذا برح وزال. ونرانا بضم النون من الرؤية بمعنى الظن. ونجفى بضم النون من الجفوة أي: نعامل بها.)." (١)

"صاحب ذحل ودمنة يطلبها في طيئ وقدم على مقدمته رجلا يقال له: الحريز بن يزيد بن حمل من الضباب **وثارت** قيس تطلب **الثأر** من طيئ.

قال معدان: وكنت في اثني عشر ألفا فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبال

الحديد وعسكر لا يرى طرفاه فرفع طيئ النار على أجأ فاجتمعوا فنحروا الجزر وعملوا من جلودها درقا وطعموا من لحومها.

فقلت: يا بني خيبري ويا معشر طيئ هو والله يومكم لبقاء الدهر أو لهلاك فإذا وقع النبل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين فصاففناهم فرموا بالنبل ثم شددنا عليهم شدة رجل واحد فما كان إلا سيف أو سيفان حتى قتل الحريز وسرحان مولى قيس.

واستحر القتل في قيس لأنهم حاموا عن الحريز وكان يلي المعادن فقتل من قيس ثلثمائة وانهزموا أقبح هزيمة وأسوأها فأتيت بأمية أسيرا فخليت سبيله وأتيت بجارية له فألحقتها به إلى المدينة وناديت أن لا يتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح وإن الكتاب الذي كتبه مروان لفي أيدينا ما نحسن أن نقرأه وجدناه في متاعه حتى قرأه بعض فتياني فإذا فيه: اقتل واسب.

وبالله لو كنت علمت ما في الكتاب ما أفلت منهم صبي فكتب صاحب المدينة إلى مروان يخبره بما صنعت طيئ من قتل الحريز وسرحان وأسر أمية وقتل ابنه وما لقيت قيس ومن أجاب دعوته. فوجه مروان من عنده ابن رباح الغساني في عشرة آلاف فكتب ابن هبيرة إلى مروان بقتل ابن ضبارة وفصول قحطبة متوجها من الري.)

فقال: ما تصنع." (٢)

"وقلاب بضم القاف وتخفيف اللام وآخره باء موحدة قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: هو جبل من محلة بني أسد على ليلة. وفي عقبة قلاب قتلت بنو أسد بشر بن عمرو زوج خرنق وابنها منه علقمة

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤/٤٥٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥/٣٢

بن بشر فقالت: الوافر

(منت لهم بوائلة المنايا ... بحرف قلاب للحين المسوق))

ثم إن بني ضبيعة أصابوا بني أسد بهرشى وأدركوا بثأرهم فقال وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد: الطويل انتهى.

ومنت أصله منيت أي: قدرت المنايا لهم فحذفت الباء.

وهو آخر بيت من أبيات وهي:

(لا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق)

(وبعد الخير علقمة بن بشر ... إذا ما الموت كان لدى الحلوق)

(ومال بنو ضبيعة بعد بشر ... كما مال الجذوع من الحريق)

(فكم بقلاب من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق)." (١)

"(ولقد علمت بأنها إذ علقت ... سمة الذليل بكل أنف مغضب)

(والخيل تعدو بالكماة كأنها ... أسد الغياطل من فوارس تغلب)

وقوله: وتركن عمك من غني الخ غني: قبيلة. قال شارح ديوانه

السكري: هذا مثل يقول: لا شيء بأيديهم كأنهم تمسكوا بحوض صغير قد ذهب ماءه. وإزاء الحوض: موضع مصب الدلو في مقدمه فيوضع هناك جحر يصب عليه الماء أو عباءة لئلا يثور الطين فيفسد الماء ويكدر.

وقوله: وتركن فل بني سليم الفل بالفتح: المنهزمون. وسليم بالتصغير. وضبينة بفتح المعجمة وكسر الموحدة وقبل الهاء نون هي أم سعد مناة بن غامد بن الأزد غلبت على نسب ولدها.

قاله السكري.

وقوله: ألقوا البرين الخ ألقوا: أمر من الإلقاء. والبرين: جمع برة بضم الموحدة وهي ما يخزم به الأنف. وبني سليم: منادى. وذلك أن امرأة من سليم خزمت أنفها لما قتل عمير بن الحباب وحلفت أن لا تنزعها حتى تدرك بثأره.

والغياطل: جمع غيطل وهو الشجر الكثير الملتف. وتغلب: قبيلة الأخطل. افتخر بفوارس)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٤/٥

قومه.

وترجمته تقدمت في الشاهد الثامن والسبعين.." (١)

"(فبت قرير العين أعطيت حاجتي ... أقبل فاها في الخلاء فأكثر))

(فيا لك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلي قبل ذلك يقصر)

(ويالك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدر)

(يمج ذكي المسك منها مفلج ... نقي الثنايا ذو غروب مؤشر)

(يرف إذا تفتر عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منور)

(وترنو بعينيها إلي كما رنا ... إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر)

(أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور)

(فما راعني إلا مناد تحملوا ... وقد شق معروف من الصبح أشقر)

(فلما رأت من قد تنور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر)

(فقلت: أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف **ثأرا** **فيثأر)**

(فقالت أتحقيق لما قال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر)

(فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر)

(أقص على أختي بدء حديثنا ... وما بي من أن تعلما متأخر)

(لعلهما أن تبغيا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر)

(فقامت كئيبا ليس في وجهها دم ... من الحزن تذري عبرة تتحدر)

...." (٢)

"على أن الإشارة فيه من باب عظمة المشار إليه أي: أنا ذلك الفارس الذي سمعت به. نزل بعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة. وكذا القول في قوله عز وجل: آلم ذلك الكتاب.

وقال المبرد في الكامل نقلا عن ابن عباس وتبعه ابن الأنباري في مسائل الخلاف قالا: قد يأتي اسم الإشارة البعيد بمعنى القريب كما يكون ذلك بمعنى هذا. قال تعالى: آلم ذلك الكتاب.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٠٢/٥

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣١٩/٥

وقال خفاف بن ندبة.

تأمل خفافا إنني أنا ذلكا أي: هذا. وأقره أبو الوليد القرشي في شرح الكامل وقال: وأقرب متأولا من ذا وذاك في قول خفاف وأولى بالتأويل أن يريد أي: أنا خفاف فكنى عنه بقوله أنا ذلك كما يقول لك القائل: أنت زيد فتقول له: أنا ذلك الذي تريد. انتهى.

والبيت من أبيات لخفاف بن ندبة الصحابي وهي:

(فإن تك خيلي قد أصيب عميدها ... فإني على عمد تيممت هالكا)

(نصبت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجدا أو لأثأر هالكا)

(لدن ذر قرن الشمس حتى رأيتهم ... سراعا على خيل تؤم المسالكا)

(فلما رأيت القوم لا ود بينهم ... شريجين شتى منهم ومواشكا)

(تيممت كبش القوم لما رأيته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا)

...." (١)

"(فجادت له يمنى يدي بطعنة ... كست متنتيه أسود اللون حالكا)

(أنا الفارس الحامي حقيقة والدي ... به تدرك الأوتار قدما كذلكا)

قوله: إن تك خيلي الخ أراد بالخيل هنا الفرسان. والعميد: السيد الذي يعمد أي: يقصد أي: إن قتل سيد الفرسان. وروى: صميمها والصميم: الشريف والخالص.

وأراد بهذا السيد الذي قتل ابن عمه وهو معاوية بن عمرو بن الشريد وهو أخو صخر والخنساء الصحابية الشاعرة. وتيممت: قصدت. ومالك هو ابن حمار. وهو سيد بني شمخ بن فزارة.)

وكان من خبره أن خفاف بن ندبة غزا مع معاوية بن عمرو مرة وفزارة فعمد ابنا حرملة: دريد وهاشم المريان عمد معاوية فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه في عضده وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا فلما تنادوا:

قتل معاوية قال خفاف: قتلني الله إن برحت مكاني حتى أثأر به فحمل على مالك المذكور فطعنه فقتله. وإنما تيممه لأنه عدل معاوية.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٣٩/٥

وقوله: نصبت لہ علوى الخ ويروى: وقفت له علوى وهو بفتح المهملة وسكون اللام وبالقصر: اسم فرس خفاف أورده القالي في." (١)

"المقصور والممدود.

وخام بالخاء المعجمة بمعنى ارتد. يقال: أخام الرجل يده عن الطعام إذا رفع يده عنه.

والصحبة: مصدر صحبه يصحبه. وأراد به الأصحاب. والمجد: الشرف. **وأثأر** هالكا أي: آخذ **بثأر** هالك يعني معاوية.

وقوله: لدن ذر قرن الخ يقال: ذر قرن الشمس ذرورا بالذال المعجمة من باب قعد: طلعت. وقرنها: أول ما يظهر منها. ولدن: ظرف لقوله نصبت له علوى.

وقوله: شريجين: مثنى شريج بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وآخره جيم حال من القوم أي: صنفين. وشتى ومواشكا: يدل من شريجين. وشتى: جمع شتيت كجرحى جمع جريح.

ومواشك: اسم فاعل بمعنى مسرع. يعني رأيت القوم قسمين: فريق منهم رجع وتشتت عن معاوية قبل قتله كما يأتي في خبر مقتله وفريق هارب مسرع بعد قتله.

وقوله: تيممت كبش الخ هو جواب لما. وكبش القوم: رئيسهم وسيدهم. وإنما جانب الشباب ولم يقتل منهم لأنهم ليسوا بكفء لمعاوية. والصعالك: جمع صعلوك والقياس الصعاليك وهم الفقراء.

وقوله: فجادت له أي: لمالك. والمتنة: مثل المتن كما جاء به في البيت بعده.

قال ابن فارس: المتنان: مكتنفا الصلب من العصب واللحم. ومتنت الرجل متنا

من بابي وضر وقتل إذا ضربت متنه. وأراد بأسود اللون الدم. والحالك: الشديد السواد.." (٢)

"وقوله: وقلت له الخ معطوف على جادت والعاطف هو الواو لا الفاء كما في الشرح. والضمير لمالك وجملة والرمح يأطر متنه: حال من الهاء وجملة تأمل خفافا مقول القول. ويأطر: يحنو ويثني. يقال: أطره أطرا من باب ضرب إذا عطفه ومنه إطار المنخل. ومتنه مفعول يأطر أي:)

يعطف ظهر مالك.

وتأمل فعل أمر خطاب لمالك من تأملت الشيء إذا تدبرته وهو إعادتك النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تعرفه.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥/٤٤٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥/٤٤١

وخفاف بضم الخاء المعجمة وفاءين كغراب: اسم الشاعر.

وإنما قال له ذلك ليعرفه أنه هو الذي قتله.

روى الأخفش في شرح ديوان الخنساء أن خفافا لما قال له ذلك قال مالك: أنت ابن ندبة يريد أنت ابن جارية سوداء يعيره بذلك.

وقوله: إنني أنا ذلك استئناف بياني كأنه قال له: هل أنت مما يتأمل إنما أنت ابن ندبة فقال له: إنني أنا ذلك الشجاع الذي سمعت به. وأنا إما تأكيد للياء كما تقدم وجهه في الشرح في بابه وإما مبتدأ خبره لك والجملة خبر إنني والألف في ذلك للإطلاق وكذلك في جميع هذه القوافي.

وقوله: أنا الفارس الخ استئناف نحوي وهو ابتداء كلام لا علاقة له بما قبله معنى ابتدأ به وحقيقة والده هنا: أخذ ثأر ابن أخيه لأنه يحق على والده أن يأخذ ثأر معاوية. قال عامر بن الطفيل قاتله الله: الطويل

(لقد علمت عليا هوازن أنني ... أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر)." (١)

"وجعفر هذا أبو جده لأنه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وقوله: به تدرك الأوتار الخ أي: إنما تدرك الأوتار بالحمي بالدال عليه الحامي لا بغيره. أو الضمير راجع للحامي يقال: حميت المكان من الناس حميا من باب رمى وحمية بالكسر إذا منعته عنهم. والحماية اسم منه. وتدرك بالبناء للمفعول. والأوتار: جمع وتر بالكسر وهو الثأر والذحل أي: الحقد.

وقوله: قدما كذلك أي: كذلك تدرك الأوتار قدما بكسر القاف. قال صاحب الصحاح: يقال قدما كان كذا وكذا وهو اسم من القدم جعل اسما من أسماء الزمان.

وروى صاحب الأغاني كذا:

(أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... به أدرك الأبطال قدما لذلكا)

وزاد بعده وهو:

(وإن ينج منها هاشم فبطعنة ... كسته نجيعا من دم الجوف صائكا))

وخفاف بن ندبة هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريج بن رياح ابن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة.." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٤٢/٥

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٤٣/٥

"وقال آخرون: بل دريد أخو هاشم.

قال: وشد خفاف بن ندبة على مالك بن حمار سيد بني شمخ بن فزارة فقتله.

ولما دخل الشهر الحرام من السنة المقبلة خرج صخر أخو معاوية حتى أتى بني مرة فوقف على ابني حرملة فإذا أحدهما به طعنة في عضده زعم خفاف في شعره أنه هاشم.

فقال صخر: أيكما قتل أخي معاوية فسكتا فلم يحيرا إليه شيئا. ثم قال الصحيح للجريح: ما لك لا تجيبه فقال: وقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي

وشد أخي عليه فقتله فأينا قتلت أدركت ثأرك إلا أنا لم نسلب أخاك.

قال: فما فعلت فرسه السماء قال: ها هي تلك خذها. فأخذها فرجع فلما كان في العام المقبل غزاهم صخر وهو على فرسه السماء فقال: أخاف أن يعرفوني ويعرفوا غرة السماء فيتأهبوا. فحمم غرتها.

فلما أشرف على الحي رأوها فقالت فتاة منهم: هذه والله السماء فنظر هاشم فقال: السماء غراء وهذه بهيم فلم يشعروا إلا والخيل عليهم فاقتتلوا فقتل صخر دريدا وأصاب)

بني مرة فقال: الكامل

(ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس المدبر)

(ولقد دفعت إلى دريد طعنة ... نجلاء تزغل مثل عط المنحر)

تزغل: تخرج الدم قطعا قطعا. قال: والزغلة: الدفعة الواحدة من الدم والبول.." (١)

"قال الزمخشري في المفصل: أي: كانت تلك الفعلة كافية لي وقاطة لثأري أي: قاطعة له. أشار إلى أن اسم كان ضمير الفعلة المفهومة من قتلت سراتهم. وقطاط مبنية على الكسر في محل نصب خبر كان. قال ابن يعيش في شرحه: وقطاط معدول عن قاطة أي: كافية يقال: قطاط بمعنى حسبي من قولهم: قطك درهم أي: حسبك مأخوذ من القط وهو القطع كأن الكفاية قطعت عن الاستمرار. انتهى.

وفراطهم بكسر الفاء أي: إمهالي إياهم فهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف. قال صدر الأفاضل: أي: أطلت إمهالهم والتأني بهم. والصواب: فراطكم وسراتكم بالخطاب كما سيأتي. قال ابن السيرافي في شرح أبيات الغريب المصنف: الفراط هو التقدم. يقول: سبقت إليكم بالتهدد والوعيد لتخرجوا من حقي. والسراة بالفتح قال أهل اللغة قاطبة: هو جمع سري بمعنى الشريف. ويرد عليهم أن فعيلا لا يجمع على فعلة بالتحريك

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥/٤٤٨

لهذا قال الشارح المحقق في شرح الشافية: الظاهر أنه اسم جمع لا جمع. وذهب السهيلي في الروض الأنف إلى أنه مفرد لا جمع ولا اسم جمع قال: لا ينبغي أن يقال في سراة القوم إنه جمع سري لا على القياس ولا على غير القياس إنما هو مثل كاهل القوم وسنامهم. والعجب كيف خفي هذا على النحويين حتى قلد الخالف منهم السالف فقالوا: سراة جمع سري. ويا سبحان الله كيف يكون جمعا له وهم يقولون: جمع سراة سروات مثل قطاة وقطوات. يقال: هؤلاء من سروات الناس كما تقول: من رؤوسهم. ولو كان السراة جمعا ما جمع لأنه على وزن الفعلة ومثل هذا البناء)." (١)

"في الحماسة: قال التبريزي: إنما تكلمت به على أنه إخبار عما فعله عبد الله وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر. وقولها: أن لا تخلوا من التخلية. وهذه رواية القالي. ورواية الحماسة: لا تعقلوا لهم دمي. يقال: علقت فلانا إذا أعطيت ديته. والمراد: لا تأخذوا بدل دمي عقلا. ورواه ابن الأعرابي: أن لا يغلوا لهم)

دمي بالمثناة التحتية والغين المعجمة وقال: الإغلال عند العرب: ترك القصاب بعض اللحم في الإهاب. والغلول: الخيانة في المغنم. والإفال: جمع أفيل وهو الصغير من الإبل وكذا الأبكر وهو جمع بكر. قال التبريزي: فإن قيل: لما ذكر الإفال والأبكر وما يؤدي إلى الديات لا يكون منهما قلت: أراد تحقير الديات كما يقال في الرجل إذا أراد تحقير أمر خلعة فاز بها إنسان إنما أعطي فلان خرقا وإن كانت فاخرة. وقولها: وأترك في بيت إلخ صعدة مخلاف من مخاليف اليمن أي: ناحية منها. وإنما جعلت قبره مظلما لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره فإن أهدر دمه أو قبلت ديته يبقى قبره مظلما. وقولها: وهل بطن عمرو إلخ تزهيد في الدية كما روي في الخبر: هل بطن ابن آدم إلا شبر في شبر لما أريد تزهيده في الدنيا. وقولها: أتديتمو أي: قبلتمو الدية وهو افتعلتم يقال: وديته فاتدى. وقولها: فمشوا إلخ أي: امشوا.

وضعف الفعل للتكثير. ومن روى بضم الميم فمعناه امسحوا بالمشوش بفتح الميم وهو منديل يمسح به الدسم. والمعنى: إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام. ووصف النعام بالمصلم تصغيرا لها وإن كانت خلقة. يقول:." (٢)

"هذا كلامه.

وحذفت منه ما لا حاجة لنا إليه. وأجاب ابن بري: إن قولك ده اسم من أسماء الفعل ليس بصحيح على

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦/٣٥٣

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦/٣٥٨

مذهب الجماعة ومن له حذق في هذه الصناعة. والصحيح أنها اسم الفاعل من دهي فهو داه وده والمصدر منه الدهي والدهاء. فيكون المراد بده فطن لأن الدهاء الفطنة وجودة الذهن فكأنه قال: إلا أكن دهيا أي: فطنا فلا أدهى أبدا أي: فلا أفطن. فهذا أصله ثم أجريت هذه اللفظة مثلا إلى أن صارت يعبر بها عن كل فعل تغتنم الفرصة في فعله. مثل ذلك أن يقول الإنسان لصاحبه وقد أمكنته الفرصة في طلب **ثأر**: إلا ده فلا ده أي: إلا تطلب الآن **ثأرا** فلا تطلبه أبدا وهذا الرجز لرؤبة. وقبله:

(فاليوم قد نهنهني تنهنهي ... وأول حلم ليس بالمسفه)

وقول: إلا ده فلا ده

ومعناه: إن لا تفلح اليوم فلا تفلح أبدا أي: إن لا تنته اليوم فلا تنته أبدا هذا معنى ده في هذا المثل. وأما إعرابه فإنه في موضع نصب على خبر كان المحذوفة تقديره: إلا أكن دهيا فلا أدهى. وإنما أسكن الياء وكان حقها أن تكون منصوبة من قبل أن الأمثال تنزل منزلة المنظوم.

وهذه الياء قد حسن إسكانها في الشعر وهو عندهم من الضرورات المستحسنة كقول الشاعر:." (١)

"وقوله: فشد إلخ أي: حمل حصين على ذلك الرجل العبسي فقتله ولم تفزع بيوت كثيرة أي: لم يعلم أكثر قومه بفعله وأراد بالبيوت أحياء وقبائل. يقول: لو علموا بفعله لفزعوا أي: لأغاثوا الرجل العبسي ولم يدعوا حصينا يقتله. وإنما أراد زهير بقوله هذا أن لا يفسدوا صلحهم بفعله.

وقوله: حيث ألقت رحلها أي: حيث كان شدة الأمر يعني موضع الحرب. وأم قشعم: كنية الحرب ويقال: كنية المنية.

والمعنى: أن حصينا شد على الرجل العبسي فقتله بعد الصلح وحين حطمت رحلها الرحب ووضعت أوزارها وسكنت. ويقال: هو دعاء على حصين أي: عدا على الرجل العبسي بعد الصلح وخالف الجماعة فصيره الله إلى هذه الشدة ويكون معنى ألقت رحلها على هذا: ثبتت وتمكنت.

هذا كلام الأعلم في شرح الأشعار الستة. وتفزع على روايته بالبناء للفاعل.

وقال التبريزي في شرح المعلقة: معناه شد على عدوه وحده فقتله ولم تفزع العامة بطلب واحد)

وإنما قصد **الثأر** أي: لم يستعن على قتله بأحد.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٩٦/٦

ونقل صعوداء في شرح ديوان زهير عن قوم: أن أم قشعم على هذه الرواية هي أم حصين أي: فلم تفزع البيوت التي بحضرة بيت أمه لأنه أخذ **ثأره**. ف لدى على قول الأعلم ظرف متعلق بشد وعلى." (١)

"(وبعض الداء ملتمس شفاه ... وداء النوك ليس له شفاء)

قال صاحب الأغاني: قيس بن الخطيم هذا هو صاحب المنافسات مع حسان ابن ثابت.)

وذلك أن حسانا كان يذكر ليلى بنت الخطيم أخت قيس في شعره وكان قيس يذكر في شعره امرأته عمرة كما ذكرها في مطلع قصيدة البيت الشاهد.

وحكى المفضل قال: لما هدأت حرب الأوس والخزرج تذكرت الخزرج قيس ابن الخطيم ونكايته فيهم فتواعدوا إلى قتله فخرج عشية من منزله يريد مالا له الشوط حتى مر بأطم بني حارثة فرمي منهم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤوه وحملوه إلى منزله فلم يروا له كفئا إلا أبا صعصعة بن زيد بن عوف من بني النجار.

فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه واشتمل على رأسه وأتى به قيسا وهو بآخر رمق فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركت **بثأرك**. فقال: عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة فقال: هو أبو صعصعة. وأراه الرأس فلم يلبث أن مات على كفره قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة.

وأما الأخنس بن شهاب فقد قال ابن الأنباري في شرح المفضليات: هو الأخنس بن شهاب بن ثمامة بن أرقم بن حزابة بن الحارث بن نمير بن أسامة بن

بكر بن معاوية بن غنم بن تغلب.

والأخنس شاعر جاهلي قبل الإسلام بدهر. انتهى.

وأما رقيم أخو بني الصادرة المحاربي فالظاهر أنه شاعر إسلامي." (٢)

"مرارا فلم أجده فيها. وتجنحون: تميلون. والسلم بكسر السين وفتحها: الصلح.

وثئرت بالبناء للمفعول. وقتلاكم: نائب الفاعل من **ثأرت** القتيل: طلبت دمه وقتلت قاتله.

والثأر مهموز. والهيجاء: الحرب. وتضطرم: تلتهب. والجملتان حالان من الواو في تجنحون.

وأتعجب من العيني في قوله: الشاهد في كي فإنه بمعنى كيف وهو اسم لا شك فيه ككيف لدخول حرف

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٥/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٧/٧

الجار عليه. انتهى.

وأنشد بعده

٣ - (الشاهد السادس عشر بعد الخمسمائة)

الرمل

(يا أبا الأسود لم أسلمتني ... لهموم طارقات وذكر)

على أن لم مركبة من اللام وما الاستفهامية فلما جرت باللام حذفت الألف وسكنت الميم كما أن كم مركبة من الكاف وما الاستفهامية.

وهذا قول الفراء في تفسيره أورده في شرح لكن من قوله تعالى: ولكن الناس أنفسهم يظلمون من سورة يونس قال: ونرى أن قول العرب: كم مالك أنها ما وصلت من أولها بالكاف ثم إن الكلام كثر بكم حتى حذفت الألف من آخرها وسكنت ميمها كما قالوا: لم قلت ذاك ومعناه: لم قلت ذاك ولما قلت ذاك كما قال الشاعر:." (١)

"وعير الفرزدق كفهم عن باهلة حين لم يثأروا به فقال: الطويل

(إذا عامر خصيي عفاق تقلدت ... بأعناقها واللؤم تحت العمائم)

وقال غيره: الوافر

(فلو كان البكاء يرد شيئا ... بكيت على بجير أو عفاق))

وهذا من شواهد النحويين أورده أبو علي في المسائل المنثورة وقال: على المرأين بدل من قوله: على بجير.

أورده صاحب اللباب على أن أو بمعنى الواو في قوله: أو عفاق ولولا أنها بمعنى الواو لقيل على المرء. والمشهد: مصدر شهدت المجلس أي: حضرته. وهوت قال صاحب المصباح: هوى يهوي من باب ضرب أيضا هويا بضم الهاء لا غير إذا ارتفع.

قال الشاعر: الكامل يهوي مخارمها هوي الأجدل وهوت العقاب تهوي هويا بفتح الهاء وضمها: انقضت على صيد أو غيره ما لم ترغه فإذا أراغته قيل: أهوت له بالألف. والإراغة: ذهاب الصيد هكذا وهكذا وهي تتبعه. وهوى يهوي من باب ضرب أيضا هويا بضم." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠٨/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٣١/٧

"الغليل: شدة العطش. والأوام: حر تجده في أجوافها. وأنشد أيضا: الطويل ستعلم إن متنا صدى أينا الصدي صدى أي: عطشا. والمعنى: إن لا تدع شتمي اضربك على هامتك حيث تعطش. ويقال: إن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح: اسقوني اسقوني وأنشد في ذلك: الوافر

(فإن تك هامة بهراة تزقو ... فقد أزقيت بالمروين هاما)

انتهى.

قال الشريف الرضي في أماليه بعد نقل هذا: وهذا باطل لا أصل له. ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب.)

وقوله: لاه ابن عمك إلخ أصله: لله ابن عمك فحذف لام الجر مع لام التعريف وبقي عمله شذوذا وهو خبر مقدم وابن عمك: مبتدأ مؤخر واللام المحذوفة للتعجب.

ونقل الشريف المرتضى عن ابن دريد أنه قال: أقسم وأراد: لله ابن عمك فتكون اللام للقسم وجملة: لا أفضلت جوابه.

وهذا غير صحيح لأنه يبقى قوله ابن عمك ضائعا.

وقال ابن هشام في المغني أصله لله در ابن عمك. وهذا تكلف لأنه إجحاف مستغنى عنه يجعل اللام للتعجب ويكون جملة: لا أفضلت إلخ." (١)

"الضيم من قومهم وأمرهم بقتالهم حتى يعطوهم حقهم.

ومعنى ألم تر: ألم تعلم. يقول: الإنسان مرتهن بأجل فإما أن يموت حتف أنفه فيدفن وإما أن يقتل في معركة فيترك لعوافي الطير والسباع. وهو جمع عافية وهو كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر. والرمس: الدفن. وقوله: فلا تقبلن ضيما إلخ الضيم: الظلم والهضم. وميتة: فعلة من الموت تكون للحال والهيئة أي: لا تقبل الضيم مخافة حالة من حالات الموت ونوع من أنواعه.

وميتة مرجع الضمير في بها أي: مت بتلك الميتة حرا لم يستعبدك الحر. وجلدك أملس: نقي من العار سليم من العيب.

يريد أن الموت نازل بك على كل حال فلا تتحمل العار خوفا منه.

وقوله: فمن طلب الأوتار من للتعليل وما إما زائدة وإما مصدرية. والأوتار: جمع وتر بفتح الواو وكسرها: الثأر

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٨٧/٧

والذحل. وحز بالحاء المهملة والزاء المعجمة: ماض من حززت الخشبة حزا من باب قتل: فرضتها. والحز: الفرض. وأنفه مفعوله وقصير فاعله. وصرع مبالغة صرعته صرعا من باب نفع إذا قتلته. والقوم فاعله ورهطه مفعوله. والرهط: ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وقيل: من سبعة إلى عشرة. وما دون السبعة إلا ثلاثة نفر.)

وقال أبو زيد: الرهط والنفر: ما دون العشرة من الرجال. وقال ثعلب: الرهط والنفر والقوم." (١)

"وأما بيهس الذي يلقب نعامة فهو رجل من بني فزارة وكان يحمق فقتل له سبعة إخوة فجعل)

يلبس القميص مكان السراويل والسراويل مكان القميص فإذا سئل عن ذلك قال: الرجز فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته.

وقوله: البس لكل حالة إلخ قال الزمخشري في أمثاله: قاله بيهس حين شق قميصه فغطى به رأسه وكشف استه بعد قتل إخوته. وإنما أراد أنه افتضح بقتلهم وإنه إن لم يثأر بهم فهو كالمقنع رأسه واسته مكشوفة. يضرب في تلقي كل حال بما يليق بها. انتهى.

وقد أورده في الكشاف عند قوله تعالى: وعلمناه صنعة لبوس على أن أصل لبوس اللباس بمعنى ما يلبس.

وقد أخطأ خضر الموصلي في شرح شواهد التفسيرين في نسبته إلى بيهس ابن صهيب القضاعي وهو شاعر إسلامي في الدولة المروانية وقد ترجمه الأصبهاني في الأغاني بحكايات ونقلها خضر منها ونسبها إلى قائل البيت. وقد حصل له اشتباه من اتفاق الاسمين.

وقائل البيت جاهلي وقد ضرب به المثل في الجاهلية." (٢)

"وقال أبو عبيد: المدركون الثأر في الجاهلية ثلاثة: بيهس وقصير وسيف ابن ذي يزن.

وبيهس صاحب البيت كما في الجمهرة هو بيهس بن خلف بن هلال بن غراب بن ظالم بن فزارة بن ذبيان. فهو عدناني وذاك قحطاني.

قال ابن الكلبي في الجمهرة: بيهس وإخوته التسعة منهم: نفر وربيع وحصين بنو خلف كانوا والمشهور أنهم سبعة.

وهذه قصته من مجمع الأمثال للميداني قال: بيهس الفزاري الملقب بنعامة كان سابع سبعة إخوة فأغار عليهم

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧/٢٩٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧/٢٩٦

ناس من أشجع بينهم وبينهم حرب وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فأرادوا قتله ثم قالوا: وما تريدون من قتل هذا يحسب عليكم برجل ولا خير فيه. فتركوه فقال: دعوني أتوصل معكم.

فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزورا في يوم شديد الحر فقالوا: ظللوا لحمكم لا يفسد. فقال بيهس: لكن بالأثلات لحما لا يظلل يريد إخوته فذهبت مثلا.

فلما قال ذلك قالوا: إنه لمنكر وهموا أن يقتلوه ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون فقال أحدهم: ما أطيب يومنا وأخصبه." (١)

"فقال بيهس: لكن على بلدح قوم عجفى. فأرسلها مثلا.)

ثم انشعب طريقهم فأتى أمه فأخبرها الخبر قالت: فما جاءني بك من بين إخوتك فقال بيهس: لو خيرت لاخترت. فذهبت مثلا.

ثم إن أمه عطفت عليه ورقت فقال الناس: لقد أحبت أم بيهس بيهسا. فقال: ثكل أرأمها ولدا أي: أعطفها على ولد. فأرسلها مثلا.

ثم إن أمه جعلت تعطيه ثياب إخوته فيلبسها فيقول: يا حبذا التراث لولا الذلة. فأرسلها مثلا.

ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى رأسه فقلن: ويلك ما تصنع يا بيهس فقال: البس لكل حالة. . البيت. فأرسلها مثلا.

ثم أمر نساء من بني كنانة وغيرها فصنعن له طعاما فجعل يأكل ويقول: حبذا كثرة الأيدي في غير طعام. فأرسلها مثلا فقالت أمه: لا يطلب هذا بثأر فقال: لا تأمن الأحمق وفي يده سكين. فأرسلها مثلا.

ثم إنه أخبر أن أناسا من أشجع في غار يشربون فيه فانطلق بخال له يقال له أبو حنش فقال له: هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها ويروى: هل لك في غنيمة باردة. فأرسلها مثلا.

فانطلق بيهس." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٩٧/٧

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٩٨/٧

"(أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور)

(فقلت: أباديهم فإما أفوتهم ... وإما ينال السيف ثأرا فيثأر)

(فقالت: أتحقيقا لما قال اكشح ... علينا وتصديقا لما كان يؤثر)

(فإن كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر)

(أقص على أختي بدء حديثنا ... ومالي من أن تعلما متأخر)

(لعلهما أن تبغيا لك مخرجا ... وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر)

(فقالت لأختيها: أعينا على فتى ... أتى زائرا والأمر للأمر يقدر)

(فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا: ... أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر)

(يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يبصر)

(فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر)

التوالي: التتابع. وتتغور: تغور فتذهب وهو مأخوذ من الغور. والهبوب: الانتباه يقال: هب من نومه إذا استيقظ. وعزور بفتح العين المهملة وسكون الزاي المعجمة بعدها واو." (١)

"وهو من أبيات تسعة لسعد بن ناشب المازني أوردها أبو تمام في أوائل الحماسة وهي:

(سأغسل عني العار بالسيف جالبا ... علي قضاء الله ما كان جالبا)

(وأذهل عن داري وأجعل هدمها ... لعرضي من باقي المذمة حاجبا)

(ويصغر في عيني تلادي إذا انثنت ... يميني بإدراك الذي كنت طالبا)

(فإن تهدموا بالغدر داري فإنها ... تراث كريم لا يبالي العواقبا)

(أخو غمرات لا يريد على الذي ... يهم به من مفظع الأمر صاحبا)

(إذا هم لم تردع عزيمة همه ... ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا)

(إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا)

(ولم يستشر في أمره غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا)

قال شراح الحماسة: سبب هذه الأبيات أنه كان أصاب دما فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة وحرقها. وقيل: إن الحجاج هو الذي هدم داره.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٧/٣٩٨

وقال ابن هشام في شرح الشواهد: ويقال إنه قتل له حميم وإنه أوعده بهدم داره إن طالب **بثأره**.
وقوله: سأغسل عني العار إلخ. قال التبريزي: أصل القضاء الحتم ثم يتوسع فيه فيقال: قضي قضاؤك أي: فرغ من أمرك. فاستعمل في معنى الفراغ من الشيء.
ويروى: قضاء الله بالرفع والنصب. فإذا." (١)

"ويروى: أعلى منتهى أي: أعلى ما ينتهى إليه. قيل: قد غلط فيه لأن العرب لا تقف بالتنوين ومنتمى: هنا منصوب على التمييز والوقف فيه عند سيبويه على الألف المبدلة من التنوين.
وقد حقق الشارح المحقق في باب الوقف من شرح الشافية أن هذا ليس مذهب سيبويه وأن هذه اللام لام الكلمة لا الألف المبدلة من نون التنوين.
وقسرا: قهرا إما مفعول مطلق وإما حال. أي: فاستنزل الزباء كارهة.
يريد أن عمرا أخذ **ثأره** منها فقتلها وإنما قدر عليها بإعانة قصير بن سعد من أصحاب جذيمة فإنه قال لعمرو بن عدي بعد قتل جذيمة: ألا تطلب **بثأر** خالك فقال: وكيف أقدر على الزباء وهي أمنع من عقاب لوح الجو فأرسلها مثلا. فقال له قصير: اطلب الأمر وخلاك ذم فذهبت مثلا أيضا.
ثم إن قصيرا جدع أنفه وقطع أذنه بنفسه وفيه قيل: لأمر ما جدع قصير أنفه. ثم لحق بالزباء زاعما أن عمرو بن عدي صنع به ذلك وأنه لجأ إليها هاربا منه ولم يزل يتلطف بها بطريق التجارة وكسب الأموال إلى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه.
فلما كان في السفرة الثالثة اتخذ جوالقات كجوالق المال وجعل ربطها من داخل الجوالق في أسفله وأدخل فيها الرجال بالأسلحة وأخذ عمرو بن عدي معه وقد كان قصير وصف لعمرو شأن النفق ووصف له الزباء فلما دخلت الجمال المدينة جاء عمرو بن عدي على فرسه فدخل الحصن بعقب الإبل وبركت الإبل وحل الرجال الجوالقات." (٢)

"أبى الله أن أسمو بأمي والأب فلا شاهد فيه على ما ذكره ابن هشام. واللام في الأب عوض عن المضاف إليه أي: بأمي وأبي.
وأورد المصراع أبو العباس المبرد في الكامل في أبيات ثلاثة كذا:

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٤١/٨
(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٧٥/٨

(إني وإن كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب)

(فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب)

(ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب)

(تقول ابنة العمري ما لك بعدما ... أراك صحيحا كالسليم المعذب)

(فقلت لها: همي الذي تعلمينه ... من الثأر في حيي زبيد وأرحب)

(إن اغزو زبيدا أغز قوما أعزة ... مركبهم في الحي خير مركب)

(وإن أغز حيي خثعم فدماؤهم ... شفاء وخير الثأر للمتأوب)

(فما أدرك الأوتار مثل محقق ... بأجرد طاو كالعسيب المشذب)

(وأسمر خطي وأبيض باتر ... وزغف دلاص كالغدير المثوب)

(سلاح امرىء قد يعلم الناس أنه ... طلوب لثارات الرجال مطلب)

فإني وإن كنت ... ... إلى آخر الأبيات الثلاثة.

قال الأخفش: السليم: الملدوغ وقيل له: سليم تفاؤلا له بالسلامة. وزبيد وأرحب: قبيلتان من اليمن. والثأر: ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة.

والمتأوب: الذي يأتيك لطلب ثأره عندك." (١)

"بالعصا فسموا عبيد العصا أي: يعطون على الضرب والهوان. وأراد بالأسد الباسل أباه. والفئام بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة: الجماعة.

وأبير: أفني. ومالك هو ابن أسد. وأراد بمن يشرف من كاهل علباء بن الحارث من بني كاهل بن أسد.

وقوله: يقذف أي: يرمى بعضهم على بعض إذا قتلوا. والمسنونة: المحددة. والشائل: الساقط.

وقوله: حلت لي الخمر إلخ قال السعدي في مساوي الخمر. إنما قال هذا لأنه لم يكن حضر قتل أبيه وكان أبوه أقصاه لأنه كره منه قول الشعر وإنما جاءه الأعور العجلي بخبره وهو يشرب فقال: ضيعني صغيرا وحملني ثقل الثأر كبيرا. اليوم خمر وغدا أمر. لا صحو اليوم ولا سكر غدا.

ثم شرب سبعا ثم لما صحا حلف أن لا يغسل رأسه ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره).

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤٥/٨

فذلك قوله: حلت لي الخمر. وهذا معنى ما زالت العرب تطرقه.

قال الشنفرى يرثي خاله تأبط شرا ويذكر إدراكه ثأره من قصيدة له: المديد

(فادركنا الثأر فيهم ولما ... ينج من لحيان إلا الأقل)

وافهم أنهم إنما حرموا الخمر على أنفسهم في مدة طلبهم لأنها مشغلة لهم عن كريم الأخلاق والإقبال على الشهرة. اه.." (١)

"الاجتماع مع محبوبه فكان الاجتماع معه مخرجا عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بثأرهم.

ويحتمل أيضا أن يريد بحلت: نزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال فكأنه وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وأنها تكاملت

بحلول الخمر التي فيها جماع اللذات.

وهذا الوجه وإن لم يشر إليه فالقول يحتمله: ولا مانع من أن يكون مرادا. وقد قيل إنه أراد: إذا استحللنا الخمر سكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام. والوجوه المقتدمة أشبه)

وأقرب إلى الصواب. اه.

وقوله: فاليوم أشرب إلخ غير: حال من ضمير أشرب. والمستحقب: المكتسب وأصله من استحقب: أي وضع في الحقيبة وهي خرج يربط بالسرج خلف الراكب.

وإثما: مفعول مستحقب. كأن شربها بعد وفاء النذر لا إثم فيه بزعمه. وواغل معطوف على مستحقب والواغل: الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى إليه وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول. ومعناه أنه وغل في القوم وليس منهم.

وأنشد بعده

(الشاهد الخامس والثلاثون بعد الستمائة)." (٢)

"كان أبو دواد الإيادي في الجاهلية جاور الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمسوا ابن أبي دواد فقتلوه فقال الحارث بن همام: لا يبق في الحي صبي إلا غرق في

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٥٦/٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٥٨/٨

الغدير فودي ابن أبي دواد تسع ديات أو عشرا.

ويعسلن من العسلان وهو اهتزاز الذي يعدو. والحدأ: جمع حدأة كعنب جمع عنبة: طائر معروف. ويلملم ونضاد: جبلان.

وقول الربيع بن زياد: يقول: من شمت من الأعداء بمقتل مالك فليعلم أنا قد أدركنا ثأره. وكانت العرب لا تندب قتلاها حتى تدرك ثأرها. وكان قيس قتل ابن حذيفة كما تقدم فقتل حذيفة مالكا أخا قيس.

والمراد: فليحضر ساحتنا في أول النهار ليعلم أن ما كان محرما من البكاء قد حل ويجد النساء مكشوفات الرؤوس يندبنه.)

وروي:

(يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالأسحار)

وروي أيضا: قد قمن قبل تبلج الأسحار وروي أيضا: بالصبح قبل تبلج الأسحار قال ابن نباتة في سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: لبعض الأدباء

اعتراض في قوله: بالصبح قبل تبلج الأسحار." (١)

"بالكسر: فصل الفعل وتركه بيوم بين فعل يومين. ومنه حمى الغب إذا أتت يوما وتركت يوما. والظاهرة: البارزة غير مختفية وقيل الظاهرة التي تشرب كل يوم.

(فواثقها بالله حين تراضيا ... فكانت تديه المال غبا وظاهره)

وقوله: تذكر فاعله ضمير الحليف. وأنى بمعنى كيف. والجنة بضم الجيم: الوقاية. والواتر: الذي عنده الثأر من الوتر بفتح الواو عند قوم وكسرها عند آخرين وهو الذحل والثأر.

وقوله: فلما رأى فاعله ضمير الحليف. وقوله: أكب هو جواب لما. يقال: أكب على كذا أي: لازمه. ويحد: مضارع أحده أي: جعله حديدا قاطعا.

والغراب بضم المعجمة: رأس الفأس القائم ولها رأسان. فالرأس العريض يقال له: قدوم والآخر يقال له غراب.

قال صاحب الصحاح: الذكر من الحديد: خلاف الأنيث. وسيف ذكر ومذكر بفتح الكاف المشدودة أي: ذو ماء.

وقال أبو عبيد: هي سيوف شفراتها حديد ذكر ومتونها أنيث. قال: ويقول: الناس إنها من عمل الجن. انتهى.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٧١/٨

والذكر هو الفولاذ والصلب. والأنيث هو الحديد المعروف. والمعاول: جمع معول بكسر الميم وفتح الواو وهي الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. والباترة: القاطعة. والذحل بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة: الثأر والحقد. وكانت أي: الحية.." (١)

"فعل الإنشاء إلا إلى منشئه وهو المتكلم كبعت واشتريت وأقسمت وقبلت وحررتك. وأيضا فمن المعلوم أن زيدا لم يترج وإنما المترجي المتكلم.

وإن قدرته خبرا كما في البيت والآية فليس المعنى على الإخبار ولهذا لا يصح تصديق قائله ولا تكذيبه.

فإن قلت: يخلص من هذا الإشكال أنهم نصوا على أن كان وما أشبهها أفعال جارية مجرى الأدوات فلا يلزم فيها حكم سائر الأفعال.

قلت: قد اعترفوا مع ذلك بأنها مسندة إذ لا ينفك الفعل المركب عن الإسناد إلا إن كان زائدا أو مؤكدا على خلف في هذين أيضا. وقالوا: إن كان مسندة إلى مضمون الجملة.

وقد بينا أن الفعل الإنشائي لا يمكن إسناده لغير المتكلم. وإنما الذي يخلص من الإشكال أن يدعى أنها هنا حرف بمنزلة لعل كما قال سيبويه والسيرافي بحرفيتها في نحو: عسى وعساك وعساه.

وقد ذهب أبو كبر وجماعة إلى أنها حرف دائما. وإذا حملناها على الحرفية زال الإشكال إذ الجملة ال إنشائية حينئذ اسمية لا فعلية كما تقول: لعل زيدا يقوم. فاعرف الحق ودع التقليد واستفت نفسك وإن أفناك الناس.

هذا كلام ابن هشام وهو خلاف مسلك الشارح المحقق.)

وقال ابن هشام في شرح المثل: إن عسى للإشفاق والغوير: ماء لكلب

معروف. قال ابن الكلبي. وهو في الأصل مصغر غور أو غار. والأبؤس: جمع بؤس وهو الشدة.

وأصل المثل أن الزباء لما قتلت جذيمة جاء قصير إلى عمرو بن عدين فقال: ألا تأخذ ثأر خالك فقال:." (٢)

"منهم. والحاشية: صغار الإبل ورذالها. والنواضح: جمع ناضح وهي الإبل التي يستسقى عليها الماء جعلت كأنها تنضح الزرع والنخل. وطراد وما عطف عليه بدل من نصيب يقول: إنهم لا يقدمون على القوم يعني: بلغ من جبنهم أن لا يتعرضوا للرعاة إلا سرقة يسرقون النواضح ويطردون الحواشي فيرضون بذلك من طلب الثأر فبئس العوض ذلك من دم أخويهم يهزأ بهم.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤١٧/٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣١٩/٩

وهذا تعريض بمن وجب عليه طلب الدم فاقتصر على الغارة وسرقة الإبل. وفيه بعث على طلب الدم. وأكد ذلك بقوله: وما زال من قتلى رزاح ... . إلخ وهو براء مفتوحة وزاي وحاء مهملة: قبيلة من خولان. وقتلى: جمع قتيل.

وعالج بالجيم: موضع بالبادية فيه رمل. والدم الناقع بالنون والقاف قيل: الثابت وقيل: الطري. والدم الجاسد بالجيم قيل: القديم وقيل: اليابس. والماصح بالصاد المهملة من مصح كمنع مصوحا: ذهب وانقطع.

يقول: لا يزال من مقتولي هذه القبيلة بهذا المكان دم طري ويابس غير زائل. يعني: أن دماءهم باقية بحالها ما لم يثاروا بها لأن غسل تلك الدماء إنما يكون بما يصب من دماء أعداءهم. ولم يكتف بهذا الإغراء حتى قال: دعا الطير ... . إلخ

يقول: دعا دواعي دمائهم طيور الأماكن البعيدة والجبال المطلة حتى أتت سباعهم وطيورها وقعت عليها تأكل منها.

ومهراقة: الهاء ضمير الدم يعني: أنه مصبوب في موضعه لم يزل ولم يحل. قال الطبرسي: ويجوز أن يريد بالمهراق الموضع المصبوب فيه الدم. وفيه حث على طلب الثأر.

وضرية: اسم بلاد تشتمل على بلاد سميت باسم ضرية بنت ربيعة بن نزار كما قيل للماء الذي بين." (١)

"البصرة ومكة الحوءب كجعفر بالحاء المهملة سمي بالحوءب بنت كلب بن وبرة.

وقوله: عسى طيئ ... إلخ قال المرزوقي: عسى لفظة وضعت للترجي والتأميل إلا أنها تؤذن بأن الفعل مستقبل مطموع فيه. ووضع السين بدل أن في خبر عسى لاشتراكهما في الدلالة على الاستقبال مع أن السين أشهر فيها.

ومعنى عسى طيئ: لعل البطن المغلوب من هذه القبيلة في القتال ينتصف من البطن الغالب منها فيه.

وقوله: بعد هذه إشارة إلى الحالة الحاضرة بالتذكير الجامعة لكل ما ذكره.)

والغلات: جمع غلة بالضم: حرارة الجوف. والمعنى: المرجو من أولياء الدم أن يطلبوا الثأر في المستقبل وإن كانوا أخروه إلى هذه الغاية فتسكن نفوس وتبرد قلوب.

وكانت القبيلتان معا من طيئ لأن طيئا قبائل يكون أبدا بينهم قتال. وطيئ بالهمزة على وزن السيد وقد تحذف الهمزة فيبقى كحي.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤٢/٩

والكلى: جمع كلية أو كلوة. والجوانح: الضلوع جمع جانحة. قال بعضهم: الغلة إنما تكون في القلب ولكنه أراد المبالغة أي: تجاوز القلب والكبد إلى الكلية.

وقال الخوارزمي: إن سئل أي غلة للكلى حتى أضيفت إليها أجيب بأن المزاج عند ورود الهموم والأحزان عليه مما ينفعل ويسخن فإذا سخن المزاج حمي البول واحتد والبول ممره على الكلى فكأنه قال: ستطفئ الغلل التي يظهر أثرها في البول. هذا كلامه.." (١)

"التقدير: أودى نعلاي. وقال ابن الحاجب: الباء للتعدية. وتقدم شرحهما مفصلا.)

ومن ذلك قول النمر بن تولب: الكامل

(ظهرت ندامته وهان بسخطه ... شيئا على مربوعها وعذارها)

التقدير: هان سخطه. قال ابن عصفور: وبالجملة لا تنقاس زيادة الباء في سعة الكلام إلا في خبر ما وخبر ليس وفاعل كفى ومفعوله وفاعل أفعل بمعنى ما أفعله. وما عدا هذا المواضع لا تزاد فيه الباء إلا في ضرورة شعر أو شاذ من الكلام يحفظ ولا يقاس عليه. انتهى.

ولقد أجاد ابن هشام في المغني في تحرير زيادة الباء.

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس قالها بعد أن ذهب إلى الروم مستنجدا بقيصر للأخذ بثأر أبيه. وأولها:

(سما لك شوق بعدما كان أقصرا ... وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا

)

إلى أن قال: قوله: سما لك ... إلخ سما: علا وارتفع. وأقصر: كف. وحلت: نزلت. وبطن ظبي: موضع ويقال: ماء من مياه كلب. وعرعر: واد.." (٢)

"وقال معاوية لابنه يزيد وهو ابن تسع سنين: في أي سورة أنت يا بني؟ وكان في سورة القتال، فكره أن يذكرها فقال: أنا في السورة التي تلي:) إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا (يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: هذه السورة تليها سورتان، وهي بينهما، ففي أيتهما أنت؟ قال: في السورة التي فيها:) والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم (فتمثل معاوية حينئذ بقول

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤٣/٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب ل سان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٢٥/٩

الشاعر:

ملوك وأبناء الملوك وسادة ... تفلق عنها بيضة الطائر الصقر

متى تلق منهم ناشئا في شبابه ... تجده على آثار والده يجري

ولما أصاب أهل البوادي القحط أيام هشام بن عبد الملك وفدت عليه رؤساء القبائل وفيهم صبي صغير في رأسه ذؤابة، وعليه بردة يمنية فأنكر هشام حضوره وقال للحاجب: ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان، فقال الصبي: يا أمير المؤمنين إن دخولي لم ينقصك، ولكن شرفني، وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه، وإن الكلام نشر والسكوت طي لا يعرف إلا بنشره، فأعجب هشاما كلامه " فقال له: " انشر لا أم لك فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث، فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم، وفي يدكم نصول أموال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا، وأمر بمائة ألف درهم " ففرقت في البادية وأمر للغلام بمائة ألف درهم " فقال: اردها في جائزة العرب، فما لي بها حاجة في خاصة نفسي دون سائر المسلمين، فكان في هذه أعجب.

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جاءته الوفود، فحين دخل عليه وفد أهل الحجاز أراد غلام منهم أن يتكلم فقال له عمر: يا غلام، يتكلم من هو أسن منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا، وقلبا حافظا، فقد أجاد " له " الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان هنا من هو أحق بمجلسك منك، فقال له: صدقت فتكلم، فهذا هو السحر الحلال، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة، لم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأنا قد أمنا في أيامك ما خفناه، وأدركنا ما طلبناه، وفي رواية: أما الرغبة فقد أوصلها لنا فضلك، وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك، فتهلل وجه عمر عند ثناء الغلام عليه، وسأل عن سن الغلام فقيل: عشر سنين ثم كأن عمر خاف العجب فأقبل على الغلام وقال: عظنا يرحمك الله: فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فأجهل الناس مضن ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، وإن قوما خدعهم الثناء، وغرهم الشكر، فزلت أقدامهم فهووا في النار، أعاذك الله يا أمير المؤمنين أن تكون منهم، وألحقك بصالح سلف هذه الأمة، فجعل عمر يبكي حتى خيف عليه.

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال له معاوية: ما الشيء الملفف في البجاد؟ قال: السخينة يا أمير

المؤمنين، أشار معاوية إلى قول الشاعر يهجو بني تميم بحب الطعام:

إذا ما مات ميت من ... وسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بلحم أو ... أو الشيء الملفف في البجاد

وأصل ذلك أن عمرو بن هند لما حلف ليحرقن من بني تميم مائة في ثأره أخذهم فجعل يلقيهم في النار، حتى بقي له واحد من العدة، فإذا برجل تميمي من البراجم قد ذهب في حاجة فشم روائح المحترقين فقال: هذا شواء اتخذه الملك، فمال إليه، فلما وقف عليه قال له: من أنت؟ قال: برجمي، فقال الملك: " إن الشقي وافد البراجم " وأمر به فقذف في النار تكميلا للعدد، فمن ذلك عيرت العرب تميما بحب الطعام، وقال الشاعر:

ألا أبلغ لديك بني تميم ... بآية ما يحبون الطعاما

وأشار الأحنف بذكر السخينة، وهي حساء رقيق كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون به.." (١)

"هذا لص طرد إبلا فتوخى أي قصد بها مجرى سهيل، وهو اليمن، وترك الشام وأعلامه أي جباله خلفه تطول وتقصر في السراب فلما رأى أن النطاف أي المياه تعذرت في طريقه رأى أن ذا الكلبين أي سيفه، والكلبان مسماران في قائمه، لا يتعذر فينحر ويفتظ الكرش فيشرب ما فيه: وقول الآخر:

إنا وجدنا طرد الهوامل ... خيرا من التأنان والمسائل

وعدة العام وعام قابل ... ملقوحة في بطن ناب حامل

يقول: إن سرقة الإبل الهوامل " أي " التي لا راعي معها خير لنا من الأنين والتشكي وسؤال الناس، فهذا يردنا، وهذا بالعطاء في العام أو القابل جنينا في بطن أمه.

وقول الآخر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذا عوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

درى الله إني للأنيس لمبغض ... ويقليه مني شاهد وضمير

وإني لأستحيي من الله أن أرى ... أطوف بحبل ليس فيه بعير

وأن أسأل المرء اللئيم بعيره ... وبعران ربي في البلاد كثير

هذا لص يستوحش من الناس لئلا يقبض، ثم زعم أنه يستحيي أن يأتي بحبل يسأل من يعطيه بعيرا فيربطه به، وأن يسأل البخلاء وإبل الله كثيرة يسرقها.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١١٤

وقول الآخر:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى ... عيالك قد أمسوا مراميل جوعا

البارح الريح الشديدة تهب في القيظ، فهو يطلبها فإذا سرق الإبل عفت أثره فلا يدرك، وجعل عياله عيالا للريح لأنه يعولها به.

ومثله قول الآخر:

جزى الجوزاء عنا الله خيرا ... فقد أغنت عن الحبل الجذيم

أي أغنتنا بريحها فنأخذ ما شئنا ولا ندرك ولم نحتج إلى حبل جذيم أي مقطوع نأتي به صاحبا يعطينا فيه بعيرا.

وقول الآخر:

ألا يا جارتا بأباض إني ... رأيت الريح خيرا منك جارا

تغذينا إذا هبت علينا ... وتملأ وجه ناظركم غبارا

أباض كغراب قرية باليمامة ويقال: لم ير أطول من نخيلها فيقول هذا اللص لجاريته بها: إن الريح خير منكما، وذلك أنه يسرق التمر فإذا هبت الريح أسقطته له، وأعمت أربابه، فلا يرونه حتى يقضي منه أربه.

وقول الآخر:

خليلي لا تستعجلا وتبينا ... بوادي حبوني هل لهن زوال

ولا تيأسا من رحمة الله وادعوا ... بوادي حبونى أن تهب شمال

أي فتعفي الأثر وتعمي عيون الرعاة فيأخذوا حاجتهم.

وفي " الأيام والليالي " قول الآخر:

مطايا يقربن البعيد وإن نأى ... وينقلن أشلاء الكريم إلى القبر

" وقبله:

سرينا وأدلجنا وصارت ركابنا ... تمر بنا في غير بر ولا بحر

وما هي إلا ليلة ثم يومها ... وحول إلى حول وشهر إلى شهر

وينكحن أزواج الغيور عدوه ... ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر "

وقول الآخر:

سبع رواحل ما ينخن من الوجى ... شوم تشاف بسبعة زهر

متواصلات لا الدءوب يملها ... باق تعاقبها مدى الدهر

سبع أي ليال، شوم أي سود، وسبعة زهر أي أيام.

وفي التعبير على أخذ الدية وترك القيام بالثأر قول الآخر:

غدا ورداؤه لهق حجير ... ورحت أجر ثوبي أرجوان

كلانا اختار فانظر كيف تبقى ... أحاديث الرجال على الزمان

أي غدا حجير يعني أخاه، ورداؤه لهق أي أبيض لم يقتل قاتليه، ورحت أنا بثوب أرجوان أي أحمر لقيامي بالثأر.

وقول الآخر:

إذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أو دعا

أي إذا تركت ثأرك في أبيك وأخذت الإبل فمتى صببت لبنا من الشكوة فهو دم أبيك تشربه.

وقول الآخر:

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ... ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح

الوضح اللبن وعقوا رموا بسهم يقال له العقيقة، وكانوا إذا كان لهم ثأر وجنحوا إلى الصلح يأخذون سهما فيقولون: بيننا وبين إلهنا علامة، وهي أن نرمي هذا السهم، فإن رجع مضرجا بالدم فهو يأمرنا " بالقيام بالثأر، وإن رجع نقيا فهو يأمرنا " بأخذ الدية، ثم يرمون به إلى السماء، ولا يرجع أبدا إلا نقيا فعيرهم الشاعر بفعل ذلك.

وفي ضد ذلك قول الآخر:

يطأ الطريق بيوتهم بعياله ... والنار تحجب والوجوه تذال

لا يشربون دماءهم بأكفهم ... إن الدماء الغاليات تكال." (١)

"يقول: إنهم كرام مقار فهم ينزلون على الطريق لأبناء السبيل، وهم عيال الطريق، وذلك في حال الشدة، حيث تحجب النار لئلا يراها الطارق، وتذال الوجوه أي امتهان، ثم أخبر أنهم لا يأخذون الدية فيشربون الألبان عوض دمائهم، فإن الدماء الغالية على أهلها تكال أي تجازى كيل الصاع بالصاع ولا تذهب هدرا بالديات.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١١٦

وقول الآخر:

ألا لله ما مردى حروب ... حواه بين حضنيه الظليم

وقد قامت عليه مها رماح ... حواسر ما تنام ولا تنيم

الظليم القبر المحفور في غير موضع الحفر، فهو مظلوم أي فهذا الفتى قد حواه القبر وقامت عليه النساء حواسر يندبنه، وشبههن في صفائهن أو في سعة عيونهن بمها رماح، ورماح كغراب موضع، والعرب ما يندبون القتيل حتى يؤخذ **بثأره**، فالندب كناية عن ذلك.

ومثله قول قيس بن زهير:

من كان مسرورا بقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... بالليل قبل تبلج الأسحار

أي فيعلم أنا قد **ثأرنا** به.

وفي الشيب والكبر " قوله ":

ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشعش في وكريه جاشت له نفسي

النسر الشيب وابن دأية الغراب وهو الشاب وعزه غلبه.

وقول الآخر:

أعار أبو زيد يميني سلاحه ... وحد سلاح الدهر للصخر كالم

وكنت إذا ما الكلب أنكر أهله ... أفدى وحين الكلب جذلان نائم

أبو زيد كنية الكبر، ويحتمل الدهر، وسلاحه العصا، وإنكار الكلب أهله عند لبس السلاح فيفدى لإقدامه على الحرب وهو شاب، ووقت نوم الكلب وجذله أن تموت الماشية من الهزال فيشبع منها، ولهذا قالوا في المثل السائر: نعم كلب ببؤس أهله.

وقول الآخر:

أبا مالك إن الغواني هجرنني ... أبا مالك إني أظنك دائبا

أبو مالك هو الكبر لأنه يملك صاحبه.

وقول الآخر:

بئس قرينا لامرئ سالك ... أم عبيد وأبو مالك

أم عبيد الصحراء، وأبو مالك الكبر.

وأما الألغاز ففي الدرهم قوله:

ومعشوق يرقص كل يوم ... ترى في وجهه أبدا كلاما

إذا فارقته أجداك خيرا ... ولا يجدي عليك إذا أقاما

وفي القلم قول الآخر:

عجبت لذي سنين في الماء نبته ... له أثر في كل مصر ومعمر

وقول الآخر:

وبيت بعلياء الفلاة بنيته ... بأسمر مشقوق الخياشم يرعف

يصف بيت شعر عمله في الصحراء وكتبه بالقلم.

" وقال آخر:

وما ميت ذو طعم عند رأسه ... متى ذاق من ذاك الطعام تكلما

فلا هو في الأحياء حي فيتقى ... ولا هو في الأموات ميت فيرحما

غيره:

ما رأت عيني عجيبا ... كيراعي في الدواة

غائصا يستخرج الدر ... ببحر الظلمات "

وفي الهلال قول الآخر:

ومولود شهر كان فيه شبابه ... وفي شهره أودى وأدركه الكبر

غيره:

فما وليد ربا في غير مولده ... وعاد فيه قديم السن قد نحلا

وفيه وزيادة:

ألا رب مولود وليس له أب ... وذي ولد لم يلده أبوان

وذي شامة سوداء في حر وجهه ... مجللة لا تنقضي لأوان

ويكمل في خمس وتسع شبابه ... ويهرم في سبع معا وثمان "

وفي مصراعي الباب قول الآخر:

عجبت لمحرومين من كل لذة ... يبيتان طول الليل يعتنقان

إذا أمسيا كانا على الناس مرصدا ... وعند طلوع الشمس يفترقان

ولقي عبيد الأبرص أمرأ القيس فقال له: ألا أساجلك؟ فقال: بلى، فقال عبيد:

ما حية ميتة أحيت بموتها ... درداء ما أنبتت نابا وأضراسا

فقال أمرؤ القيس:

تلك الشعيرة تحنى في سنابلها ... فأضعفت بعد نبت الزرع أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة ... ما يستطيع لهن الناس إمساسا

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمان هيجها ... بث النطاف بماء المزن أنفاسا

فقال عبيد:

ما قاطعات بلادا لا أنيس بها ... إذا ابتكرن سرى كنسن أكناسا

فقال امرؤ القيس:

تلك الرياح إذا هبت عواصفها ... كفى بأذيالها للتراب كناسا

وقال عبيد:

ما ذات حكم بلا سمع ولا بصر ... ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس:." (١)

"وآخرين معملي المطي ... من بين كوفي ومن بصري

ومن تهامي ومن نجدي ... ما فيهم من ليس بالمرضي

فقام بضربها فصاحت فأجتمع الناس فقال لهم: لولا أني قمت أضربها لعدت علي أهل عرفات ومنى.

وكان بشار إذا أعوزنه القافية أو المعنى يدخل في شعره أشياء لا حقيقة لها تكميلا لشعره، فمن ذلك أنه أنشد شعرا فقال فيه:

غني للغريض يا ابن قنان

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١١٧

فقيل له: من ابن قنان هذا؟ فإنا لا نعرفه في المغنين، فقال: وما عليكم منه؟ ألكم قبله دين تطالبونه به؟ أو ثأر تريدون أن تدركوه منه؟ أو كفلت لكم به فإذا غاب طلبتموني؟ فقالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، ولكنا أردنا أن نعرفه، فقال: هذا رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي، فقالوا له: إلى متى؟ فقال من يوم ولد إلى يوم يموت، فتفرقوا عنه متضاحكين.

وقال بعضهم: شربنا يوما عند عبد الصمد بن علي عم المنصور، وكان يغنينا الدارمي المكي، وكان حلو ظريفا، فنعس عبد الصمد وعطس الدارمي عطسة هائلة فوثب عبد الصمد مرعوبا وغضب غضبا شديدا وقال: يا ابن الفاعلة، إنما أردت أن تفزعني، قال: لا والله ولكن هذا عطاسي، فقال: والله لأقبنك أو تأتيني ببينة على ذلك، ووكل به غلمانه، فخرج ولا يدري أين يذهب، فلقيه رجل يعرفه من أهل مكة، فسأله عن أمره فأخبره فقال له: أنا أشهد لك، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له: بم تشهد لهذا؟ فقال: رأيته عطس عطسة سقط منها ضرسه، وتطاير نصف لحيته، فضحك عبد الصمد وقال: خلوا سبيله.

وقال الماوردي: كنت بمجلس درسي بالبصرة فدخل علي شيخ مسن قد ناهز الثمانين أو جاوزها وقال لي: قصدتك بمسألة اخترتك لها فقلت: وما هي؟ وظننت أنه يسأل عن حادثة نزلت به، فقال: أخبرني عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو، فان هذين لعظيم شأنهما لا يسأل عنها إلا علماء الدين، فعجبت وعجب من في مجلسي من سؤاله وبادر إليه واحد منهم بالإنكار والاستخفاف. فكففتهم، وقلت: هذا لا يقتنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله، فأقبلت عليه وقلت: يا هذا إن النجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما أخبرناك بالطالع، فقال جزاك الله خيرا، وانصرف مسرورا، فلما كان بعد أيام عاد إلي وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما.

وكان المأمون يوما جالسا مع ندمائه مشرفا على دجلة يتذاكرون أخبار الناس، فقال المأمون: ما طالت لحية إنسان إلا نقص من عقله بقدر ذلك، فلم يسلم له أصحابه ذلك، فبينما هم في ذلك رأوا رجلا كبير اللحية حسن الهيئة والثياب، فقال المأمون: علي به، فلما وقف بين يديه سلم، فأجلسه المأمون، وقال له: ما أسمك؟ قال: أبو حمدونة، فقال: وما كنيتك؟ قال: علوبة، فضحك المأمون وأقبل على جلسائه فغمزهم عليه، ثم قال: ما صنعتك قال: فقيه أجيد الشرح للمسائل، فقال: نسأل عن مسألة، فقال: سل عما بدا لك، قال: فما تقول فيمن أشترى شاة فلما قبضها خرجت من أستها بعرة ففقأت عين رجل، على من تجب دية العين؟ على البائع أم على المشتري؟ فنكت بإصبعه الأرض طويلا ثم قال: دية العين على البائع قال: ولم؟ قال: لأنه باع

ولم يشترط أن في أستها منجنيقا، فضحك المأمون ومن معه، ثم أنشأ يقول:

ما أحد طلت له لحية ... فزادت اللحية في هيئته

إلا وما نقص من عقله ... أكثر مما زاد في لحيته

ويؤيد هذا ما روي أن معاوية كان مع أصحابه فمر بهم رجل طويل اللحية فقال معاوية: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول اللحية، فقال عمرو بن العاصي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اعتبروا عقل الرجل في ثلاث: طول لحيته، وكنيته، ونقش خاتمه "، فلما جاءهم الرجل قال معاوية: ما نقش خاتمك:) وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد (. قال: وما كنيتك؟ قال: أبو الكوكب الدري، فقال معاوية: كمل الرجل. ولهذا قال عليه السلام: " من سعادة المرء خفة لحيته ".

وروي أن أعرابيين اختصما إلى شيخ حيهما، فقال أحدهما للآخر: إنك والله ما تحفظ آية من كتاب الله، فقال الآخر: والله إني لقارئ، فقال له الشيخ: اقرأ علي، فقال كأنه يقرأ:

علق القلب ربابا ... بعدما شابت وشابا." (١)

"إن دين الحب فرض ... لا ترى فيه ارتيابا

فقال الشيخ لخصمه: والله لقد قرأها كما أنزلت، فقال خصمه: والله يا سيدي ما تعلمها إلا البارحة.

ويشبه هذا ما ذكر أن رجلا سمع رجلا ينشد:

فلا تقبل لغانية يمينا ... ولو حلفت برب العالمينا

فقال: أشكل علي موضعها في) إنا فتحنا لك فتحا مبينا (.

وذكر أن أعرابيا تقدم إلى القاضي سوار في أمر فلم يجد عنده ما يحب، فاجتهد فلم يظفر بحاجته، قال: فقال الأعرابي وفي يده عصا:

رأيت رؤيا ثم عبرتها ... وكنت للأحلام عبارا

بأنني أخبط في ليلتي ... كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا حتى منع منه قال: فما عاقبة سوار.

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال له الضيف: يا راعي الغنم، فأومأ الحطيئة بعصاه وقال: عجراء من سلم، فقال الرجل: إني ضيف فقال: للضيفان أعددتها.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٢٢

وروي أن ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصة، وللموالي عامة، فأما العجم فهم عبيدك، والأمر إليك.

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره، وإذا هو خاضب فقال: إنك من لحيتك في مئونة فقال: أجل، ولذلك أقول:

لها درهم للدهن في كل جمعة ... وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يريد بن مزيد ... لصوت في حافاتها الجلمان

ونظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة أي الشحم يعني سمينا فقال: يا هذا، إني لأرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك.

ويروى أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى اللائي يكن مع الرجال

فقال: يا فساق، أردت صفيحة ماضية فقالت:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى صلعاء مشرفة القذال

فقال: يا فجار، أردت بيضة حضينة فقالت:

أهمام بن مرة حن قلبي ... إلى أير أسد به مبالي

وكان بشار يقول: لم تقل امرأة شعر قط إلا تبين فيه الضعف، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك كان لها أربع خصى.

وقال المبرد: حدثني شيخ من الأزد عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له: ألا تدعو لأمك فقال: إنها تميمية. وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه، فعوتب فقال: هذه ضعيفة وأبي يحتال لنفسه.

وقال بعض المحدثين:

ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ... ولا أترك الأسرار تغلي على قلبي

وإن أحق الناس بالسخف لامرؤ ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

وقال الآخر:

وأمنع جارتي من كل خير ... وأمشي بالنميمة بين صحبي "

ورأى طفيلي رجلا اشترى سمكا كثيرا مطبوخا، وحمله على رأس أمه له إلى داره، فتبعه، فلما رأى الرجل الطفيلي بادر فأدخل الأمة ودخل وأغلق الباب، فتسور الطفيلي فأشرف عليهم، فقال له الرجل: أما تتقي الله تطلع على محارم الناس؟ فقال:) لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (فضحك الرجل وقال له: انزل إلى الباب يفتح لك، فنزل، فعمد الرجل إلى كبار السمك فجعلها في زاوية البيت وترك الصغار، فلما دخل الطفيلي ورآها علم القصة، فأجال بصره في البيت فرأى الإناء في زاوية البيت مغطى، فعلم أن حاجته فيه، فجعل يأخذ من تلك الصغار السمكة فيقطع رأسها " بعنف " ويقربه من أذنه ويصغي إليه ثم يطرحه، فقال له الرجل: ما هذا الذي تصنع؟ فقال له: اعلم أن أبي كان يسافر في البحر، فغرق وأكلته الحيتان، فقلت: اليوم أدرك ثاري، فإذا بهذه الحيتان تقول لي: إنا عند غرق أبيك لم نكن خلقنا بعد، وإن التي أكلت لحم أبيك في الإناء الذي في زاوية البيت، فضحك الرجل واستظرفه، وآتاه بالإناء الذي فيه الكبار، فأكل حتى قضى حاجته.

" وأتى طفيلي وليمة فاقتحم وأخذ مجلسه مع الناس، فأنكر عليه صاحب الدار وقال: لو صبرت حتى يؤذن لك لكان أحسن لأدبك فقال: إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها، والموائد ليؤكل عليها، والشحنة قطيعة، وإطراحها صلة، وجاء في الآثار: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، ثم اجمع فيها خلالا، أحصل مجالسا، وآكل موانسا، وأبسط رب الدار وإن كان عابسا، وأنشد:." (١)

"الأمور مخلوجة وليست بسلكى.

الأمور جمع أمر، وهو الشأن والحال والشيء الواقع: والخلج: الجذب والنزع؛ والمخلوجة: المجذوبة؛ والمخلوجة أيضا: الطعنة المعوجة عن يكين وشمال؛ والسلكى، بضم الأول وألف مقصورة: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه. قال امرؤ القيس:

مطغنهم يلكى ومخلوجة ... كرك لأيمن على نابل

ثم إنهم جعلوها في الأمور، وجعلوا المخلوجة والسلكى مثلا في الأمور باعتبار اعوجاجها واستقامتها قالوا: الأمور مخلوجة وليست بسلكى، أي هي معوجة وليست بمستقيمة، وأصله في الطعن. قيل: وأول من نطق بهذا المثل الحارث بن عباد، وذلك أن جساس بن مرة لما قتل كليبا على ما سيأتي خبره، قام مهلهل بن ربيعة بثأر أخيه كليب، وكان ممن قتل بجير بن الحارث المذكور أو أخيه في قصة ستأتي.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١٢٣

وفيه يقول مهلهل:

وإني قد تركت بواردات ... بجيرا في دم مثل العبير

هتكت به بيوت بني عباد ... وبعض الشر أشفى للصدور

فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير قال: نعم القتيل قتيل أصلح الله به بين بني وائل وباء بكليب! فقيل له: إن مهلهلا لما قتله قال له: بؤبشسع نعل كليب! فعند ذلك غضب الحارث وقال: الأمور مخلوجة وليست بسلكى، وقال:

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

قربا مربط النعامة مني ... إن بيع الكرام بالشسع غال." (١)

"ووطفاء وجرداء وكذا أزب وزباء وهذا أمر واضح. وأما قوله: إن الأزب لم يستعمل اسما فغير بين فإن الأزب من أسماء الشياطين. وفي حديث العقبة هو شيطان اسمه أزب العقبة. والزباء اسم لبلد على الفرات ولفرس الأصيدف الطائي ولماء لبني سليط وآخر لطهية ولعين باليمامة. والزباء أيضا اسم من أسماء الأست، والدهية الشديدة. فلم يصح قوله إنه لم يستعمل اسما. ولم يمتنع أن يكون اسما للملكة المذكورة وإن كان وصفها في أصله بل لو لم يكن اسما في غيرها لم يمتنع أن يكون اسما فيها على أنه ليس اسما لها بادئ بدء. وإنما لقبت به لكثرة شعرها كما قلنا أولا فغلب عليها. واسمها فارعة وقيل نائلة وقيل ميسور. وأما البيت الذي استشهد به، فليس وحده بناهض في الاحتجاج لصحة قصر الممدود. والمعروف عند اللغويين إن الزباء بالمد كما نطق به الإمام أبو بكر بن دريد في مقصورته حيث قال:

فاستنزل الزباء قسرا وهي من ... عقاب لوح الجو أعلى منتهى

وهو الموافق للقياس. ومد المقصور أضعف من قصر الممدود. ثم إن الزباء جمعت الأموال والأجناد وتوقفت وكانت نبيلة علقلة. فعادت إلى دياره أبيها وأزالت جذيمة عنها وملكت. فكانت تعد من ملوك الطوائف وحرمت الرجال على نفسها فهي بتول. وكان بينها وبين جذيمة مهادنة بعد حروب جرت. فلما همت بالقيام بثأر أبيها أرسلت إليه تخطبه على نفسها وترغبه في أن يتصل ملكه بملكها، فأحب ذلك. وقيل هو الذي حدثته نفسه بخطبتها فشاور خاصته فوافقوه كلهم إلا قصيرا. وهو قصير بكسر الصاد أبن سعد وكان عاقلا نبيلا وهو أبن عم جذيمة وصاحب أمره وعهده. قالوا ولم يكن قصيرا وإنما سمي به فقط. قال له: أبيت اللعن

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٨٢/١

أيها الملك! إن الزباء حرمت الرجال فهي بتول عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام؛ وإنما هي تاركتك رهبة وحذارا والحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أورى إن تركته توارى وللملك في بنات الملوك متسع. وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيما هو دونك وعظم الرب شأنك فما أحد فوقك. فقال جذيمة: يا قصير الرأي ما رأيت ولكن النفس تواقة وإلى ما تحب مشتاقة ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولا وزر! ثم وجه جذيمة إليها خاطبا وأمره أن يظهر لها." (١)

"قال له: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو عليها! فأنك من ذلك. وقيل إنه عرضها له فشغل عنها، فركبها قصير فنجا. فلما نظر إليه جذيمة وهو عليها ينقطع دونه السراب

قال: ما ذل من جرت به العصا! فأرسلها مثلا. ويروى إنه قال، حين نظر إليه على ظهرها: ويل أمه حزما على ظهر العصا! فأرسلها مثلا. ثم سارت الجيوش بجذيمة، فتطلعت عليه الزباء من قصرها فقالت: ما احسنك من عروس تجلى علي وتزف إلي! حتى دخلوا به عليها في قصرها وحولها جواريها. وكانت قد ربت شعر عانتها سنة وضفرته. فلما دخل عليها تكشفت له فقالت: أشوار عروس ترى؟ فقال: بل شوار أمة بظراء. فقالت: أما إنه ليس من عدم المواسي، ولا من قلة الأواسي، ولكنه شيمة ما أقاسي فأمرت به فأجلس على نطع وقطعت رواهشه. ويروى في طست من ذهب تفاؤلا أن يذهب دمه هدرا. وكان قد قيل لها: تحفظي بدمه، فإنه إن وقعت قطرة منه على الأرض طلبت بثأره. فلما ضعفت يده سقطت، فقطر منه في غير الطست شيء، فقالت: لا تضيعوا دم الملك! فقال: دعوا دما ضيعه أهله! ومات. وقيل إنه قد قال: لا يحزنكم دم أراقه أهله! فقالت: والله ما وفى دمك، ولا شفى قتلك، ولكنه غيض من فيض فأرسلها مثلا. فلما قضى أمرت به فدفن. وكان عمرو بن عدي يخرج إلى ظهر الحيرة يستشرف خبر خاله. فبينما هو ذات يوم ينظر إذ رأى العصا تهوي بقصير، فقال عمرو: أما الفرس ففرس جذيمة، وأما الراكب فكالبهية، لأمر جاءت العصا. فأرسلها مثلا. فإذا هو بقصير قد اقبل، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: سعى القدر بالملك إلى حتفه، على." (٢)

"الرغم من انفي وانفه! وسيأتي تتمة القصة بعد هذا في خير قصير حيث قام بثأر جذيمة إن شاء الله تعالى. وفي تقل جذيمة قال الشاعر:

وقددت الأديم لراهشيه ... وألفي قولها كذبا ومينا

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٨٩/١

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٩١/١

وقال سويد بن أبي كاهل:

وأبو ملك الملك الذي ... قتلته بنت عمرو بالخذع

أبطأ من غراب نوح.

زعموا أن نبي الله نوح عليه السلام بعث الغراب لينظر له هل غرقت البلاد ويأتيه بخبرها. فذهب فوجد جيفة طافية على وجه الماء، فأشتغل بها وبقي ولم يأته بالخبر. فدعا عليه فغلت رجلاه وخاف من الناس. وأعلم أن البطء ثلاثي ورباعي: يقال بطؤ بضم الطاء، وبطئا وبطاء بالكسر، وأبطأ: ضد أسرع. ويقال: هو أبطأ منه. وهو إن كان صوغه من الثلاثي فمقيس اتفاقا؛ وإن كان من الرباعي فهو جائز أيضا عند سيبويه في هذا الوزن.

أبطأ من فند.

البطء: مر. وفند بكسر الفاء وسكون النون بعدها دال مهملة: اسم رجل. وهو مولى لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، بعثته يأتيها بنار. فلما خرج وجد قوما يريدون مصر، فصحبهم وأقام بمصر سنة، ثم رجع فأتاها بالنار؛ وجاء يشتد فعثر وتبدد الجمر فقال: تعست العجلة! فضرب به المثل في البطء.

البطنة، تذهب الفطنة.

هذا من الأمثال الحكيمة. والبطنة بالكسر: امتلاء البطن طعاما. والفطنة بكسر الفاء: الذكاء والحذق. يقال: فطن إليه، وفطن له، بضم الطاء وكسرها وفتحها، يفطن بالضم والفتح فطنا وفطانة. وفي الأثر يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: " ما احل الله حلالا أبغض من بطن يملأ طعاما ". وقال عليه الصلاة والسلام: " ما ملأ أبن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب أبن آدم أكل أو لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس ". وعن عمر رضي الله عنه: أيها الناس، إياكم والبطنة، فأنها." (١)

"باتت المرأة بليلة حرة.

أي إذا لم يقدر الزوج على افتضاضها ليلة هدائها. ويقال ليلة حرة بالوصف وهي أول ليلة من الشهر. قال النابغة:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٩٢/١

شمس موانع كل ليلة حرة ... يخلفن ظن الفاحش المغيار

باتت بليلة شيباء.

يقال: ليلة شيباء بالإضافة وليلة الشيباء وهي آخر ليلة من الشهر. ويقال ذلك إذا غلبت على نفسها عكس الذي قبله.

باتت بليلة أنقد.

الأنقد بالدال المهملة على مثل أحمر: القنقذ وهو يبيت الليل كله لا ينام، فيقال لمن بات غير نائم: بات بليل أنقد. وذكر في الصحاح أن لفظ أنقد معروفة كأسامة للأسد. وجوز غيره أن تدخل عليه الألف واللام.

بيدي لا بيد عمرو.

قالته الزباء الملكة السابق ذكرها. وعمرو هذا هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جذيمة. وسبب ذلك أن الزباء لما قتلت جذيمة كما مر رجع قصير إلى عمرو بن عدي فقال له: قم بثأر خالك من الزباء! فقال عمرو: كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو؟ فأرسلها مثلا. فقال قصير: اطلب الأثر وخلاك ذم! فذهبت مثلا. فقال له إني والله لا أنام على طلب دمه ما لاح نجم أو طلعت شمس حتى أدركه أو تخترم نفسي دونه! ثم قال قصير لعمرو: اجدع أنفي، واقطع أذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه، وخلني وإياها! ففعل عمرو ذلك. وقيل إن عمرا أبى عليه ففعل هو ذلك بنفسه فقالت العرب: لأمر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا.

قال المتلمس:

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

ثم إن قصيرا ذهب فلحق الزباء فقالت له: ما أتى بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال لها: يا ابنة الملوك العظام قد كان دم الملك يعني أباها يطلب جذيمة حتى أدركه؛ وقد أتيتك فيما فيه مثلي مثلك مستجيرا من عمرو،." (١)

"وقال الآخر:

شهدنا وجربنا أمورا كثيرة ... فلا تهملوا نصح الصديق المجرب

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١/٢٠٨

وقال أحد القدماء:

صاح أبصرت أو سمعت بارع ... رد في ضرع ما قرأ في الحلاب؟

وقال الآخر:

صروف الليالي أحوجتنا إليهم ... كما أحتاج صياد إلى صحبة الكلب

وقال أبو العلاء المعري:

وسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابه

والغضب لا يشفي أمرءا من ثأره ... إلا يفقد نجاده وقرابه

والله يرعى سرح كل فضيلة ... حتى يروحه إلى أربابه

وقال أيضا:

وهجيرة كالهجر عودي منبر ... للظهر إلا إنه لم يخطب

فكأنه رام الكلام فيسمه ... عي فأسعده لسان الجندب

وقال الآخر:

وما رحم الأهلين إن سالموا العدى ... بمجدية إلا مضاعفة الكرب

ولكن أخو المرء الذي إذا دعا ... أجابوا بما يرضيه في السلم والحرب

وقال الآخر:

ما المرء أخوك أم لم تلفه وزرا ... عند الكريهة معوانا على النوب

وأعلم أن لفظ الأخ فيه لغات كثيرة: يقال أخ، وهي اللغة المشهورة، وأخو بسكون الخاء على مثال فرو، وهو الواقع في البيت المذكور ويقال في الجمع اخوة وأخون، وهذا الثاني هو الواقع في البيت الثاني من البيتين قبل هذا، وحذفت نونه للإضافة إلى المرء، وليس مفردا بدليل الإخبار عنه بالذين.." (١)

"من مثله يمشي النساء حواسرا ... وتقوم معولة مع الأسحار

أبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجوا النساء عواقب الأطهار؟

ما أن أرى في قتله لذوي النهى ... إلا المطي تشد والاكوار

ومجنبات ما يذقن عذوقة ... يقذفن بالمهرات والامهار

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢٦٠/١

ومسارعا صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طلب الموجوه يقار

من كل سرور بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسر يندبنه ... قد قمن قبل تبلج الأسحار

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار

قوله: حار أراد يا حارث قوله: ترجوا النساء عواقب الأطهار يريد إن النساء لا يأتين بمثله وفي عروض هذا البيت عيب القطع وهو لا يجوز إلا مع التصريع. والمنجبات: خيل يركبون الإبل فيقودونها هي لا يركبونها إلى موضع الغارة لتجم. ويقال ما ذقت عذوفا بالذال المعجمة وتهمل في لغة ربيعة وبالفاء أي شيء. ويقال عذوقا وعذوقة فإن كانت الرواية بغير هاء التأنيث ففي هذا العروض أيضا عيب السابق. والمساعر جمع مسعر وهو الذي يسعر الحرب. قوله: قد قمن قبل تبلج الأسحار هكذا في الرواية. والجملة حال أي بجد النساء عند وصوله يندبنه وقد كن قمن إلى ذلك من الليل قبل تبلج الأسحار واستمررن على البكاء إلى وقت مجيئه. ويروى: يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار. وقالوا يعني بالصبح هنا الحق والأمر الجلي وليس بظرف. ولا بد فيه مع ذلك من التقدير الذي في الرواية الأولى. ويصح إن يكون الصبح أطلق على آخر الليل لقربه منه مجازا أو يكون على بابه. وقوله قبل تبلج الأسحار معمول لفعل مقدر كما في الرواية الأولى أو معمول ليندبه. ويكون بالصبح معمولا لحواسر على الألف والنشر مع تكلف. وأفاد بالبيتين انهم أدركوا **ثأرهم** لأن القتيل عند العرب لا يبكى حتى يؤخذ **بثأره**. وقال قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر وهو أول من رثى مقتوله:." (١)

"حتى دخل على أمه فقالت له: أين اخوتك؟ قال: قتلوا. فقالت: وما الذي أتى بك دونهم؟ فقال لها: لو خيرتك القوم لاخترت! فأرسلها مثلا. وكانت تبغضه لكثرة شره، وتحب اخوته. فلما فقدتهم أحبته ورئمته. فقال حينئذ: ثكل أرأمها ولدا، أي عطفها على هذا الولد – يعني نفسه – ولا رققها عليه ولا آلفها إياه إلا ثكلها أولادها الباقين، وفقدها أولادها المحبوبين. ومضرب المثل من هذا المعنى ظاهر. ثم جمعت له أمه تراث اخوته وأعطته إياه. فجعل يدير فيه وكان يقول: يا حبذا التراث لولا الذلة! فسارت مثلا. وصنع بعض أهل الحواء عرسا وحضره صبيان الحي، فلما رآهم بيهس يلعبون تجرد عن ثيابه وجعل يرقص معهم. فأتته أمه فقال له: ما هذا يا بيهس؟ فقال:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣٢١/١

البس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها!

فذهبت مثلا. فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له إذ ألجأه الحر إلى غار يستظل فيه. فرأى قتلة اخوته وهم عشرة قد عقلوا إبلهم على طرف الغار وقالوا. فخلى غنمه وبادر إلى الحي فأخذ سلاحه وأتى خالا له يقال له أبو حنش وكان جبانا. فقال له: أبا حنش هل لك في ظباء تصطادهن ألجئهن الحر إلى عار؟ قال: نعم. فتنكب قوسك وحيهلا ورائي! فأقبل به حتى هجم على فم الغار. وخاف بيهس أن يهرب خاله، فصاح على القوم حتى ثاروا. فتقدم بيهس وتبعه خاله علما منه إنه غير ناج إن فر وقتلا القوم ورجعا بسلاحهم إلى الحي، وقد ثأر بيهس باخوته. فكان من لقي خاله يقول له: ما اشجعك أبا حنش! فيقول له: مكره أخاك لا بطل! فذهبت مثلا. ويقال إن مدركي الأوتار في الجاهلية ثلاثة: قيصر بن سعد – تقدم أمره – وسيف بن ذي يزن الحميري – وسنذكره – وبيهس هذا. قال الشاعر:

من يطلب الأوتار ما أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

وإنما لقب بنعامة لطول رجليه فرأته أمه يوما فقالت: نعامة والله! فقال: نعامة عرفتني، نسأها الله! أي أخر في أجلها. وقيل لصممه، وكان أصم أصلع، والعرب، والعرب." (١)

"وقول الآخر:

فكأن الليل حين لوى ... هاربا والصبح قد لاحا

كلة سوداء احرقها ... عامد أوقد مصباحا

وقول الآخر:

سرى والصبح تحت الليل باد ... كطرف أبلق تحت الجلال

بكأس من زجاج فيه أسد ... فرائسهن الباب الرجال

وقول الآخر:

وفتيان سروا والليل داج ... وضوء الصبح مهتم الطلوع

كأن بزاتهم أمراء جيش ... على أكتافهم صدأ الدروع

وقال الآخر:

لفتاة تسرنا في المثاني ... وعجوز تسرنا في المزاج

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٧/٢

أخذت من رؤوس قوم كرام ... ثأرها بين أرجل الأعلاج

ومثله قول أبي بكر بن زهير:

وموسدين على الأكتاف خدودهم ... قد غالهم ضوء الصباح وغالني

ما زلت اسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت ونالهم ما نالي

وخمر تحسن كيف تأخذ ثأرها: ... إني أملت إناءها فأمالني

وقال الآخر:

ولرب حان قد أدرت بديره ... خمر الصبا مزجت بصفو خموره

في فتية جعلوا الزقاق وكاءهم ... متضارعين تخشعا لكثيره

يهدي إلينا الراح كل مصفق ... كالخشف خفرة التماح خفيره

وإلى علي بطرفه وبكفه ... فأمال من رأسي لعب كبيره

وترنم الناقوس عند صلاتهم ... ففتحت من عيني لرجع هديره

والشعر في أوصاف الخمر كثيرة وأكثره يتنزه عن ذكره وسيأتي كثير منه.

وقال أبو الفرج جعفر اليماني:." (١)

"الحمى أضرعتني للنوم.

هذا المثل كالذي قبله في المعنى، وهو هو بعينه. وأول من قاله قرين بن مصاد الكلبي. وكان لصا مبيرا حتى إنه كان يقال له الذئب لشدة لصوصيته. وكان له أخوان: مرارة ومرة؛ وإن مرارة خرج يتصيد الأروى في جبل يقال له أبلق، فأختطفه الجن. فانطلق مرة أخوه بأثره حتى إذا كان بذلك المكان اختطف أيضا. وكان قرين غائبا فلما قدم وعلم بأمر أخويه أقسم لا يشرب خمرا ولا يمس رأسه غسلا حتى يطلب أخويه. فتكتب قوسه وانطلق إلى ذلك المكان. فمكث فيه سبعة أيام لا ينام ولا يرى شيئا حتى كان اليوم الثامن، فإذا هو بظليم فرماه وأصابه، واستقبل الظليم حتى صار في أسفل الجبل. فلما وجبت الشمس بصر بشخص قام على صخرة ينادي:

يا أيها الرامي الظليم الأسود ... تبت مراميك ولما ترشد!

فأجابه قرين:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٧٨/٢

يا أيها الهاتف فوق الصخرة ... كم عبرة هجيتها وعبرة

بقتلكم مرارة ومرة ... فرقت جمعا وتركت صخرة!

فذهب الجني وتوارى عنه هونا من الليل. فأصابت قرينا حمى فغلبته عينه فنام. فأتاه الجني فاحتمله وقال: ما أنامك، وقد كنت حذرا؟ فقال قرين: الحمى أضرعتني للنوم. ثم أنطلق به حتى أتى حاضر الجن. فلما كان في وجه الصبح، خلى سبيله، فقال قرين عند ذلك:

ألا من بلغ فتيان قومي ... بما لاقيت بعدهم جميعا؟

غزوت الجن أطالبهم **بثأري** ... لأسقيهم به سما نقيعا

فيرض لي ظليم بعد سبع ... فأرميه فأتركه صريعا

وكنت إذا القروم تعاورني ... جريء الصدر معتز منيعا

بنى لي معشري وجدود صدق ... بذروة شامخ بيتا منيعا

وعزا سامعا ثبت الرواسي ... ترى شم الجبال خضوعا." (١)

"غفلت ثم أتت تطلبه ... فإذا هي بعظام ودما

الأطوام بوزن صبور البقرة والبرزغ ولدها والتضييع معروف. وهذا المثل من كلام جذيمة الأبرش المتقدم ذكره. وكانت الزباء لما احتالت على قتلته كما مر قيل لها: احتفظي بدمه فإنه إن يضع وتقع منه قطرة بالأرض طلبت **بثأره**. فلما قبضت على جذيمة وأجلس على النطع وجعل الخدم يقطعن رواشيه قالت الزباء: لا تضيعن دم الملك! فقال جذيمة: دعوا دما ضيعه أهله! والمعنى: اتركوا دما أراقه أهله! أي مستحقوه وهم الزباء أي فلا يهولنكم ضياعه ولا يهمكم حفظه ولا تتخوفوا إذا ضاع أن تطالبوا به لأنكم لم تريقوه ظلما. وهذا كما في الرواية الآخرى: لا يحزنك دم أرقه أهله! يخاطب الزباء. وتقدمت القصة مستوفاة. وجذيمة يحتمل أن يكون في هذه الرواية عبر بتضييع الدم عن إراقته مجازا ليشاكل لفظ الزباء؛ ويحتمل أن يريد معناه لصحته في المعنى؛ وقد يكون جذيمة أراد أهله هو وأنهم ضيعوا دمه فيقول: إن دما جمعه وواليه ز خانه ناصره وحاميه جدير أن يحتفظ عليه وأن يضيع ولا يلتفت إليه.

دعوا دعوة كوكبية.

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٤١/٢

الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى دعا له وعليه يدعو دعاء والمرة منه دعوة. والكوكبية: قرية كان أهلها ظلمهم عامل فدعوا عليه دعوة فمات عقبها فضرب المثل بذلك.

ومما يشبه هذا ما حكاه صاحب المدخل أن قرية من أعمال السودان كان أهلها إذا ولى عليهم سلطان عاملا فانبسط عليهم دعوا فهلك. فلما أعيا السلطان أمرهم وتحير قام إليه بعض الحاضرين فقال: أنا ألي عليهم! فولاه السلطان بعد أن عرفه بكنه الأمر. فذهب ذلك الوالي فغصب ملحا واستصحبه معه ولم يكن في بلد السودان الملح. فلما بلغ موضع عمله قعد في المسجد ولم يصعد إلى موضع الأمير. فقالوا له: ألا تصعد إلى موضعك؟ فقال: إنما جئت على أن أكون واحدا منكم وأباشركم ولا أصدر إلا عن." (١)

"وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه: كان والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها. ويروى إن من رأى عمر أبن الخطاب علم أنه خلق غناء للاسلام. كان والله أحوذيا. . الخ

الدم لا ينام.

هذا المثل من كلام قصير بن سعد لجذامة حيث شاورهم على الخروج إلى الزباء فقال له قصير: إن الزباء قتلت أباها والدم لا ينام وتقدم ذلك مشروحا. والمراد أن من كان له قبلك ثأر وثبت له عندك دم لا يغفل عنك وعن أخذ ثأره منك ليلا ولا نهارا ولا يكن منه سلم صحيح ولا مصافحة خالصة أبدا.

دهدرين، سعد القين.

دهدرين بضم الدالين وفتح الراء المشددة، وقد اختلف فيه: فقيل هو اسم مبنى بصيغة المثنى؛ وقيل هو تثنية دهدر وهو الباطل. ويقال أيضا دهدن بالنون على وزنه. قال الراجز:

لأجعلن لابنه عمرو فنا ... حتى يعود مهرها دهدنا

وهو في هذا المثل منصوب بفعل مضمر وسعد منادى وهو قين كان ادعى أن اسمه سعد زمانا ثم تبين كذبه والقين وصف له فقيل له ذلك أي جمعت كذبا إلى كذب يا سعد الحداد! وقيل إن دهدرين اسم فعل مبني بمعنى بطل كما بني شتان وهيهان وسعد فاعله والقين وصف له. والمعنى: بطل سعد القين. والمراد بطلان استعماله لتشاغل الناس عنه بالقحط. وحذف تنوين سعد في هذا الوجه تخفيفا لكثرة الاستعمال نحو: ولا

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣٩/٢٢

ذاكر الله إلا قليلا. وقيل إن دهدرين موضعه رفع على الابتداء كأنه قيل: كلامك باطل أو فعلك باطل. وكذلك سعد أي أنت سعد القين أي مثله. وقيل إنه مركب وأصله ده أمر من الدهاء وكان الأصل دهى ثم قلب فقيل داه بجعل اللام موضع العين كما قيل: لا ع ولائع ودرين من قولك: در الشيء إذا تتابع. والمعنى: بالغ في الكذب يا سعد! وقد قيل إنه حداد عجمي يدور في اليمن. وكان إذا كسد في مخلاف قال بالفارسية: ده بدرود أي بالوداع." (١)

"فقال طريف: دون ما ناجتك به نفسك مقارعة أبطال، وحياض أهوال، وحفز إعجال، يمنع معه تطأ من الإمهال! فقال الملك: أيها عنكما، فما رأيت كاليوم نقال رجلين لم يقصبا ولم يثلبا، ولم يلصوا ولم يقفوا! انتهى.

قوله: مقاول، والمقاول: الملوك دون الملك الأعظم؛ وكذا الأقيال والأقوال. وقال امرؤ القيس:

وماذا عليه إن ذكرت أوانسا ... كغزلان رمل في محاريب أقوال؟

وتشاولا: تضاربا؛ وعاث السيف: افسد: ونزف: سال دمه حتى ضعف. والهجين من الناس: الذي أبوه عربي وأمه غير عربية؛ والمقرف عكسه؛ والصريح: الخالص الطرفين، والرباء: زيادة العقل: الدية وأرهقه: كلفته، وفاد: مات. قال لبيد:

رعى خزرات المكل عشرين حجة ... وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وفت: أوهى وأضعف، **وأثارنا**: افتعلنا، من **الثأر**، والخطل: الخطأ، والقذع: الكلام القبيح، والبذج: الخروف، الفارسي معرب، وأنطوا: أعطوا. قال الأعشى:

جياد في الصيف في نعمة ... تصان الجلال وتنطى الشعيرا

واجتفؤوا: صرعوا، يقال: جفاه إذا صرعه، والخشل مسكنا ومحركا شجر المقل الواحد خشلة، والقل: القلة والذل: الذلة، والنزوالن: الوثوب: والتترع: التسرع إلى الشر، يقال: تترع تترعا إذا كان سريعا إلى الشر، وطمحة السيل: دفعته، والذرب: الحدة، والأظل: اسفل خف البعير، والعجب: أصل الذنب، وهصته: كسرته؛ وأوهطته: صرعته؛ وتربع: تكف وترفق، كما مر، والظلع: الغمز؛ والضحل: الماء القليل، والضيض: القرار الأسفل، والروامس: الرياح، ترمس، أي تدفن. والحفر: الدفع. وقول الملك: يقصبا، أي يشتما، والقصب: القطع ويلصوا: يقذا، يقال: لصا إليه إذا أنضم إليه لريبة، ولصا المرأة يلصوها: قذفها، ويقفوا: يرميا بالقبيح،

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٢٤٣

قفوته أقفوه: رميته بالقبيح أو قذفته.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الأحياء إن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الش ام وقرائها، فجعل يسألهم، وكلهم عامراص الشعبي، فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده فيه علما. ثم أقبل على الحسن البصري، فسأله." (١)

"وكان لها أبن، وناقة يقال لها سراب بفصيلها. فدخلت سراب حمى كليب، فوجدها فيه وقد كسرت بيض حمر قد أجارها. فرماها بسهم فأصاب ضرعها. ويقال إنه سأل عن الناقة فقيل له إنها لخالة جساس، فقال: أو يبلغ من قدره إن يجير دون إذني؟ وكان لا يجير أحد إلا بإذن كليب. فقال: يا غلام، ارم ضرعها! فرماه بسهم وقتل فصيلها، ونفى ابل جساس عن المياه وطردها على شبيث والاحص، وهما ماءان، حتى بلغ غدير الذئاب، فجاء جساس فقال: نفيت عن المياه مالي حتى تهلكه! فقال كليب: أنا للمياه شاغلون فقال استحللت تلك الإبل! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه. فلما أحس بالموت قال: يا جساس، اسقني ماء! فقال: تجاوزت شبيبا والأحص! وآحتز رأسه وجاء مسرعا. فقالت أخته لأبيه: إن جساس جاء خارجة ركبتها. فقال: والله وا خرجتا إلا لأمر! فلما بلغه قال: ما وراءك؟ قال: طعنت طعنت لتشغلن شيوخ وائل رقصا! قال: فتلت كليبا؟ قال: نعم! قال: وددت انك وأخوتك متم قبل هذا! ما بنا إلا أن تتشاءمنا وائل! ثم لقيه أخوه نضلة فقال:

وإني قد جنيت عليك حربا ... تغيض الشيخ بالماء القراح

فأجابه نضلة:

فإن تك قد جنيت علي حربا ... فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا، أخا كليب، وعاهده إلا يكتمه شيئا. فجاءته أمه له وعنده مهلهل، فأسرت إليه الخبر. فقال الملهل: ما قالت؟ فلم يخبره، فذكر العهد فقال أخبرت أن جساسا قتل أخاك كليبا. فقال: أست أخيك أضيق من ذلك! فقال مهلهل في ثأر أخيه، واجتمعت أشراف تغلي وأتوا مرة فتكلموا في القصاص من جساس وإخوانه. فذهب مرة إلى الدية فغضبت تغلب ووقعت الحرب بينهم أربعين سنه حتى ضربت بها العرب المثل الشؤم والشدة. وهي التي يقال لها حرب البسوس. ومن جملة ما وقع بينهم خمس وقائع

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٤٧/٣

عظام، أولاها يوم عنيزة، وهو المذكور في قصيدة مهلهل الرائية المشهورة، حيث قال:
كأنا غدوة وبني أبينا ... ببطن عنيزة رحيا مدير." (١)

"حسن التخلص - هو الموضع الثاني من المواضع الأربعة التي نبه مشايخ البديع على وجوب التأنق فيها، وهو عبارة عن أن ينتقل المتكلم مما ابتدأ به الكلام من غزل، أو نسيب، أو فخر، أو وصف، أو غير ذلك إلى المقصود؛ على وجه سهل برابطة ملائمة؛ وجهة جامعة مقبولة يختلس به المقصود اختلاسا رشيقا، بحيث لا يتفطن السامع للانتقال من المعنى الأول إلا وقد رسخت ألفاظ المعنى الثاني في السمع، وقر معناه في القلب لشدة الالتئام بينهما، وأحسنه ما كان في بيت واحد، وما كان من الغزل إلى المدح، وإنما كان هذا الموضع من المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها، لأن السامع مترقب للانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع، وأعان على إصغاء ما بعده، وإلا فبالعكس، وقد تقدم الفرق بين التخلص والاستطراد في نوع الاستطراد.

ثم التخلص إنما اعتنى به المولدون ثم المتأخرون فلهجوا به كثيرا لما فيه من البراعة والدلالة على قوة عارضة الشاعر وملكته، وأما المتقدمون من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين فهو عزيز في كلامهم، نزر الوجود وإن وقع منهم فإنما يقع على سبيل الندرة، ومذهبهم في الانتقال إلى المدح الذي جروا عليه في غالب مدائحهم إنما هو الاقتضاب الآتي بيانه: فمن المخالص الواردة في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى، وهو من بديع التخلص:

إن البخيل ملوم حيث كان ول ... كن الجواد على علاته هرم

قال ابن حجة: انظر إلى هذا العربي القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد، وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتوا به، وعلى كل تقدير فمن كلام العرب استنبط كل فن، فإنهم ولاة هذا الشأن، لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف؛ ولا يرتكبون من فنون البديع إلا ما خلا من التعسف. انتهى.

ومها قول حسان بن ثابت في التخلص من الغزل إلى الحماسة:

قولي لطرفك أن يكف عن الحشا ... سطوات نيران الهوى ثم اهجري
وانهي جمالك أن ينال مقاتلي ... فينال قومك سطوة من معشري
إني من القوم الذين جيادهم ... طلعت على كسرى بريح صرصر

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢٠٦/٣

غير أن هذا المعنى معيب عند سماسرة الأدب الناسلين إليه من كل حدث فإن المتغزل لا يليق به الافتخار على محبوبته، ولا أخذ الثار منها، فإن دم المحب هدر.

وهذا كما عيب على الفرزدق قوله:

يا أخت ناجية بن سامة إنني ... أخشى عليك بني إن نذروا دمي

قالوا: ما للمتغزل وذكر الثأر؟.

وقول ربيعة بن مقروم أحد بني ضبة، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، يمدح مسعود بن سالم، وهو حسن التخلص أيضا:

وجسرة أجد قدمى مناسمها ... أعملتها بي حتى تقطع البيدا

كلفتها فرأت حتما تكلفها ... ظهيرة كأجيج النار صيخودا

في مهمة قذف يخشى الهلاك به ... أصداؤه لا تني بالليل تغريدا

لما تشكت إلي الأين قلت لها ... لا تستريحين ما لم ألق مسعودا

ومن المخالص الواردة في كلام الإسلاميين قول الفرزدق وهو أحسن مخلص سمع لإسلامي:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

وقول المغيرة بن حبناء – بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وبعد النون ألف ممدودة – وهي أمه – على ما في القاموس – لا أبوه كما زعم صاحب الأغاني، والحبناء الضخمة البطن، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، يمدح المهلب بن أبي صفرة:

حال الشجا دون طعم العيش والسهر ... واعتاد عينك من إدمانها الدرر

واستحقبتك أمور كنت تكرهها ... لو كان ينفع منها النأي والحذر

وفي الموارد للأقوام مهلكة ... إذا الموارد لم يعلم لها صدر

أمسى العباد بشر لا غياث لهم ... إلا المهلب بعد الله والمطر

كلاهما طيب ترجى نوافله ... مبارك سيبه يرجى وينتظر

ومن محاسن مخالص المولدين قول أبي قابوس الحميري في يحيى البرمكي:

أجدك ما تدرين أن رب ليلة ... كأن دجاها من قرونك ينشر

لهوت بها حتى تجلت بغرة ... كغرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول مسلم بن الوليد:." (١)

"ذلك التصحيف والتحريف: فقال: يا مولاي حاشا أن أهجو قومي الذين منهم حسبت، إليهم نسبت. وبهم يشد أزري، ويستقيم أمري. قال: فما أنت وعرب القفار، وما عندك لهم من الآثار؟ قال: عندي ما أحببت، فلا تسأل عن شيء إلا أجبت. قال: هل تعرف مشاهير العرب الذين ترسل بهم الأمثال؟ قال: اللهم نعم، وأنشد في الحال:

من أشهر الأمثال في القبائل ... عزة ذي الحمى كليب وائل

وطلب الثأر إلى المهلهل ... ينسب كالوفاء للسموأل." (٢)

"أتذهب كلب لم تنله رماحنا ... وتترك قتلى راهط هي ما هيا

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط ... لحسان صدعا بيننا متنائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتثأر من نسوان كلب نسائيا

وقال آخر:

فوارس قوالون للخيل: أقدمي ... وليس على غير الرؤوس مجال

بأيديهم سمر العوالي، كأنما ... تشب على أطرافهن ذبال." (٣)

"وعادة أهل ذلك الصقع أنهم لا يكادون يجتمعون في محل إلا ويتنازعون كاس البحث والمناظرة. ويخوضون في أمور الدنيا والآخرة. فإن أثبت أحد شيئا نفاه الآخر. وإن استحسنه استهجنه وزعم أنه من المنكر. فيتحزب القوم أحزابا قددا. ويمتلئ المكان صخبا وإددا. وربما انتهى البحث إلى التفاخر بالنسب، والتكاثر بالحسب. فيقول أحدهم مثلا لقرينه: أترد علي وأبي نديم الأمير وأكيله وشريبه وجليسه وأنيسه وخصيصه ونجيه. لا يقضي ليلة من الليالي إلا ويستدعي به لمسارته. ولا يحكم بشيء إلا بعد مشاورته. وقد عرف أهلي من قديم الزمان بأنهم سفراء البلاد، ونواميس الأمجاد. وما أحد من الناس ماجدهم ولا شارفهم

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٢٩

(٢) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/٩٠

(٣) حماسة القرشي عباس القرشي ص/١٣٦

ولا كاثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم إلا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا وربما أعملت بعد ذلك الهراوات. وقامت مقام البينات. فيتنمر منهم من لم يكن ويربد من سكر، ومن لم يسكر. فينتهي الأمر إلى أمير الصقع. فيبعث عليهم مصادرين ذوي صقع. وويل لمن يكون قد ذكر اسم الأمير وقت الجدال. فإن عفوه حينئذ من المحال. فأما في الحوادث العظيمة فإن المتعدي إذا فر من القصاص أخذ بذنبه أحد أهله أو جيرانه أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجره وأحرق منزله. غير أن زمرتنا هذه لم تكن تتعدى حد الجدال إلى القتال. فإن الفارياق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فيصل. فمن هذه الحثيثة كثر الوفود عليهما. وكثيرا ما بات عندهما أصحاب العيال والراح عليهم دائرة. والأغاني متواترة. والوجوه ناظرة والعمائم متطايرة. فكان ذلك داعيا إلى خصام النساء مع بعولتهن. ومن طبع النساء عموما إنهن إذا علمن أحدا يعوق أزواجهن عنهن أضمون أن يتقربن إلى ذلك العائق ببعض حيلهن. فإن كان ممن يعشقن صفقن له حالا على المقايضة والمبادلة أخذا بثأرهن. فجعلهن من كل عضو منه بعلا. ومن كل شعره خلا. وإن كان ممن تبذأه العين رمينه بداهية وتحيلهن في خلاص بعولتهن منه ورد بضاعتهن إليهن. غير إن نساء تلك البلاد لا يخاصمن بعولتهن وهن مضمرات خيانتهم أو مستحلات استبدالهم. فإنهن ربين على محبة آبائهن وعلى طاعة بعولتهن. وما خصامهن لهم الأعتاب. وكن في العتاب من لذة ولم يسمع عن واحدة منهن إلى الآن إنها خاصمت زوجها لدى حاكم شرعي أو أمير أو مطران. مع أن كثيرا من هؤلاء الأصناف الثلاثة يتمنون ذلك في بعض الأحوال أما للافتخار بأجراء العدل والأنصاف في رعيتهم أو لعلة أخرى.

ومن طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب إلى الرجال لا عن فجور فترى المرأة منهن متزوجة كانت أو ثيبة تجلس إلى جانب الرجل وتأخذه بيده وتلقي يدها على كتفه وتسند رأسها على صدره وتبسم له وتؤانسه في الحديث. وتتحفه ببعض ما تصل إليه يدها. كل ذلك عن صفاء نية وخلوص مودة. وأحسن ما يرى فيهن البلاهة والغرية فإنهما في النساء من النكر والدهاء. هذا إذا كان في غير ما يشين العرض وينتهك الحرمة. فأما في وقت الجد فلا تصح البلاهة. هذا ولما كان من دأبهن أن يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن أثداءهن من صغرهن بشيء أكثرهن هضلا أي ذوات أثداء طويلة. وأكثرهن يعتقد أن في طول رضاع الولد زيادة صحة له. فمنهن من ترضع ولدها عامين تامين. ومنهن من تزيد على ذلك أما محبتهن لأولادهن ورفقهن بهم وشوقهن إليهم فيجل عن الوصف. وأعرف كثيرا من البنات كن يبكين يوم زواجهن على فراق آبائهن وأمهاتهن وأخواتهن كما يبكي غيرهن في المأتم أو أشد.

فأما ما يقال من أن البعولة يأكلون وحدهم دون نسائهم فكلام لا أصل له. وإنما يكون ذلك إذا كان عند الرجل ضيف غريب حتى لو أراد حينئذ أن تقعد امرأته مع الضيف لتأكل معه لأبت ورأت أن ذلك يكون استخفافا بها وانتهاكا لحرمتها. وفي الجملة فإنهن لا يعبن بشيء إلا بالجهل وهن في ذلك معذورات. فأما الجاهلات من الإفرنج فإنهن يضفن إلى الجهل مكرا وخبثا. وناهيك بذلك من سبه. وإني ليحزنني جدا أن أسمع إن هؤلاء المحبوبات قد مللن من هذه الفضائل وتخلقن بأخلاق أخرى. فيجب علي والحالة هذه أن أغير ما وصفتهن به من المحامد أو أن آذن للقارئ في أن يكتب على الحاشية كذب كذب كذب أو هذين البيتين:
إن النساء حيثما كن سوى ... يملن من حيث أتاهن الهوى." (١)

"قلت أوجزي فقد قلقت وفرقت وعرقت. قالت أعلم إن بعض النساء لا يتحرجن من وصال غير بعولتهن لسببين. الأول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم. فإنهم يعودونهن أولا على ما يعجزون عن أدائه إليهن آخرا. ولا يخفي أن من النساء المدقم وهي التي تلتهم كل شيء. ومنهن الشفيرة وهي القانعة من البعال بأيسره. ومنهن الضامد وهي التي تتخذ خليلين. ومنهن المطماع وهي التي تطمع ولا تمكن. ومنهن المريم وهي التي تحب الرجال ولا تفجر وهو خلقي. قال فقلت اللهم أمين. قالت واللاعة وهي التي تغازلك ولا تمكنك. والسبب الثاني لاستطلاع أحوال الرجال واختبار الأبتع وغير الأبتع منهم لمجرد العلم كيلا يفوتهن حال من أحوالهم. ومنهن من تعتقد أن زوجها يخونها عند كل فرصة تسنح له. لما تقرر في عقول النساء إن الرجال لا شغل لهم إلا مغازلتهن ومباغمتهن. فهي على هذا لا تجد سبيلا للشطح إلا وتزف فيه. اعتقادا إنها أخذت بثأرها جزما أي قبل وقته الموقوت. ومع ذلك فلا يحلن عن محبة بعولتهن. بل ربما كان ذلك الشطح أدعى لزيادة حبهن لهم. قلت لا متعني الله بحب ناشئ عن مد قميه ولا ضمد. ولكن كيف يكون هذا التخليط أدعى إلى زيادة الحب والمرأة إذا ذاقت البكبك والعجارم والعجارم والقازح والكباس لم تقتنع بعد ذلك بزوجها حالة كونه لا يحول عن الصفة التي فطر عليها. وكذا الرجل أيضا إذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعضوض والأكبس فإنه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة. فضحكت وقالوا كانت هذه الصفات لازمة للمرأة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها في أفراد قليلة من النساء. فإن معظمهن على خلاف ذلك. فأما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو أن الزوج لطول الفته بزوجته وضراوته عليها وحالة كون مس أحدهما الآخر لا يحدث في جسم الماس والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخية. يمكن له معها المماتنة والإمعان

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢٤

والوقوف بخلاف الغريب فإنه لشدة همه ودهشته أو لفرط مرواحة المرأة إياه على العمل. أو لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته الصفتان المذكورتان. فاللذة معه جلها ناشئ عن التصور. أي عن تصور كونه غير زوجها. كما أن نغصها مع زوجها جله ناشئ عن تصور كونه غير غريب. وإلا فالواقع أن اللذة في الحلال أقوى. غير أن التصور له موقع يقرب من الفعل. وبيانه لو اعتقدت رجل مثلا أن امرأة غير امرأته تبيت معه ثم باتت معه امرأته بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عم. لوجد امرأته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التي تصورها في غيرها. وكذا شأن المرأة. فبناء على ما تقدم من اعتقاد المرأة بأن جميع ما في الكون من الحسن والزينة والبهيجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما. غير إنه إذا كان لها خاص قريبا منها تناولت ذلك الخاص متناول العام. حتى أنه كثيرا ما يخطئ فكرها واحدا منهم بخصوصه. فيتجاذبه اثنان أو ثلاثة حتى تذهل عن الشاغل والأشغل. وهو في الواقع تحوف من اللذة كمن يريد ان يشرب من ثلاث قلل يضعها على فيه في وقت واحد. قلت كلامك هذا ينظر إلى قول الشاعر:." (١)

"وهي إني لما كنت في هذه السنة بمدينة لندرة وشاعت أراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت قصيدة في مدح مولانا المعظم وسلطاننا المفخم السلطان عبد المجيد أدام الله نصره وخلد مجده وفخره وقدمتها لجناب سفيره المكرم الأمير موسورس فبعث بها جناب فخر الوزراء سيدي رشيد باشا بلغه الله ما شاء فلم تمض أيام حتى بعث المشار إليه الأمير السفير يخبره بأنه قدم القصيدة للحضرة السلطانية في وقت رضى وقبول ووقعت لديها موقعا حسنا. وإنه صدر الأمر العالي بتوظيفي في ديوان الترجمة السلطاني. فكان هذا الخبر عندي أسر ما طرق مسمعي. فينبغي لي الآن إن أتأهب للسفر لا تشرف بهذه الوظيفة. ولكن أعلم أيها القارئ العزيز إنه لما كان همي وقصارى مرامي كله إنجاز طبع هذا الكتاب قبل سفري إلى القسطنطينية وكان مكثي في لندرة موجبا لتأخيره. لأن أجزاءه المطبوعة كانت ترسل إلي فيها لأصححها آخر مرة من قبل الطبع. أشار إلي الخواجا رافائيل كحلا الذي ولي طبع الكتاب بنفقته إن أسافر إلى باريس تعجيلا لطبعه فأجبت إلى ذلك. وكان وقتئذ في مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة. فالتمست من صاحبي الخواجا نينه الذي قدم مع الخواجا ميخائيل مخلع في مصلحة متجريه بأن يراقب وقت سفر السفينة ويخبرني بذلك لئلا تفوتني فرصة السفر معها. وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات ومآرب في باريس

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢١٨

جلها بامرأته فوكل بشرائها بعض معارفه هناك. حتى إذا اشتراها له أوعز إليه في أن يسلمها لي وكتب إلي كتابا يقول فيه أن السفينة لا تلبث أن تسافر فالأولى سرعة رجوعك إلى لندرة. فصدقت قوله وأقبلت أسعى إلى لندرة وأنا موجس أن تكون السفينة قد سافرت دوني. وتركت التصليح على عهده الخواجا رافائيل الموما إليه. فلما وصلت إلى لندرة تبين لي أن نصح صاحبي لم يكن مقصودا به حاجة حضوري ولكن إحضار حاجته معي ليتوفر عليه بذلك جعلها ومكسها ولتتزين بها زوجته قبل انقضاء أوانها. فإن السفينة بقيت في المرسى مدة طويلة لتصليح آلاتها على علم من ناصحي. فكان قدومي إلى لندرة هذه المرة الثانية سببا في تأخير الطبع أيضا لأجل لزوم إرسال الصحائف إلي لأنظرها قبل الطبع كما سبقت الإشارة إليه. ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا. غير أني أحمد الله تعالى على إنه لم يعرض له من الأمور النسائية إلا ما أوجب تأخير طبعه فقط دون أبطاله ونسخه بالكلية. فقد طالما أشفقت عليه من ذلك كما أن الفارياق يشفق على فساد ترجمته من أمثال هذه العوارض. وهذه القضية مصداق على ما قالته الفارياقية في الفصل التاسع من الكتاب الرابع من أنه قد يجتمع اثنان في زواج أو في شركة أو غير ذلك ويكون قد تقرر في بال أحدهما إن له منة على صاحبه. فمتى وردت على سمعك يا صاحبي نصيحة من أحد فأنشر طيها وأسبر غورها لتعلم هل الغرض منها نفعك خاصة أو نفع ناصحك وحده أو نفعكما معا. ولكن لا تبتدئ بنصيحتي هذه فإني لم أقصد بها إلا مجرد نفعك فقط. وأعلم يا فارياق إنه قبل تشرف قصائدك وأبياتك بإدماجها في هذا الكتاب يجب علي أن أشرفه والقارئين أيضا بالقصيدة المشار إليها وهي:

الحق يعلو والصلاح يعمر ... والزور يمحق والفساد يدمر
والبغي مصرعه ذميم لم يزل ... آتيه عرضة كل سوء يثبر
والوغد تبطره من النعم التي ... يغنى بها الحر الكريم ويشكر
طغت الطغاة الروس لما غرهم ... في الأرض كثر سوادهم وتجبروا
كادوا ويرجع كيدهم في نحرهم ... فطلاهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نهى تنهاهم ... الظالمون القاسطون الفجر
نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم ... لؤما وللعدوان بغيا اضمروا
حتى أرى بعض المآثر رأسهم ... بخس الحقوق وساء من يستأثر
أيظن أن الدولة العليا السويد ... وإنه هو بطرس المتأخر

كلا ليرتدعن ثم ليعلمن ... أن ربها من يبتغيها **يثأر**

يا م سلمون تثبتوا أن جاءكم ... نبأ عن الروس العدى وتبصروا

لا يغررنكم كثير جموعهم ... فالحق ليس يضيره المستكثر

يا مؤمنون هو الجهاد فبادروا ... متطوعين إليه حتى تؤجروا

هذا جهاد الله يحمي عرضكم ... فاسخوا عليه بكل علق يدخر." (١)

"قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا في الحب شيمته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

واسترجعت سألت عني فقيل لها ... ما فيه من رمق دقت يدا بيد

واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

هم يحسدوني على موتي فوا أسفي ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد

لمحيي الدين بن قرناص

أراق دمي بسيف اللحظ ظلما ... وها أثر الدماء بوجنتيه

فلما خاف من طلبي **لثأري** ... أدار عذاره زردا عليه

لبعضهم

ورأيته في الطرس يكتب مرة ... غلطا ويمحو خطه برضابه

فوددت لو أني أكون صحيفة ... ووددت أن لا يهتدي لصوابه

لابن الشاه

قالت أسود عارضاك بشعر ... وبه تقبح الوجوه الحسان

قلت أشعلت في فؤادي نارا ... فعلى وجنتي منه دخان

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢٧٧

لمروان بن أبي حفصة

ولما التقينا للوداع ودمعها ... ودمعي يفيضان الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعي ... عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا
لآخر

أرمى بأسهم مقلتيه أم رنا ... وثنى القلوب إلى هواه أم انثنى." (١)
"يؤازي الجبال الراسيات وقارنا ... وتبنى على هام المجرة دارنا
ويؤمن من صرف الزمان جوارنا ... وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل
ولما حللنا الشأم تمت أموره ... لنا
وحبانا ملكه وأميره
وبالنيزب الأعلى الذي عز طوره ... لنا
جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل
يريك الثريا من خلال شعابه ... وتحدق شهب الأفق حول هضابه
ويعثر خطو السحب دون ارتكابه ... رسا أصله تحت الثرى وسما به
إلى النجم فرع لا ينال طويل
وقصر على الشقراء قد فاض نهره ... وفاق على فخر الكواكب فخره
وقد شاع ما بين البرية شكره ... هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره
يعز على من رامه ويطول
إذا ما غضبنا في رضى المجد غضبة ... لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة
نزيد غداة الكر في الموت رغبة ... وإنا لقوم لا نرى القتل سبة

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار شاكر شقير البتلوني ص/١٨

إذا ما رأته عامر وسلول

أبادت ملاقاة الحروب رجالنا ... وعاش الأعادي حين ملوا قتالنا

لأنا إذا رام العداة نزالنا ... يقرب حب الموت آجالنا لنا

وتكرهه آجالهم فتطول

فمنا معيد الليث في قبض كفه ... ومورده في أسره كأس حتفه." (١)

"أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات

وكنت تجير من صرف الليالي ... فصار مطالبا لك بالترات

وصير دهرك الإحسان فيه ... إلينا من عظيم السيئات

وكنت لمعشر سعدا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات

غليل باطن لك في فؤادي ... يخفف بالدموع الجاريات

ولو أني قدرت على قيام ... بفرضك والحقوق الواجبات

ملأت الأرض من مظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات

ولكني أصبر عنك نفسي ... مخافة أن أعد من الجناة

وما لك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات

عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غواد رائحات

للقاضي حمزة بن أبي حصين في مخلص الدولة الكناني

ألا كل حي مقصدات مقاتله ... وآجل ما يخشى من الدهر عاجله

وهل يفرح الناجي السليم وهذه ... حبول الردى قدامه وحبائله

لعمر الفتى إن السلامة سلم ... إلى الحين والمغرور بالعيش آمله

فيسلب أثواب الحياة معارها ... ويقضي غريم الدين من هو ماطله

مضى قيصر لم تغن عنه قصوره ... وجدل كسرى ما حمته مجادله

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار شاكر شقير البتلوني ص/٧٢

وما صد هلكا عن سليمان ملكه ... ولا منعت منه أباه سرابله
ولم يبق إلا من يروح ويغتدي ... على سفر ينأى عن الأهل قافله
وما نفس الإنسان إلا خزامة ... بأيدي المنايا والليالي مراحله." (١)

"وروي: "الطيرة شرك"، قال الترمذي: "هي سوء الظن بالله والهرب من قضائه، لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب مؤثر في حصول المكروه، ومن اعتقد أن غير الله تعالى يضر أو ينفع، فقد أشرك" زاد يحيى القطان عن شعبة: "وما منا إلا من يعتريه الوهم قهرا، ولكن الله يهديه بالتوكل". ومن لطيف ما حكي، أنه عرض على أبي مسلم الخراساني فرس لم ير مثله، فقال: "لماذا يصلح هذا الجواد؟ قالوا: للغزو في سبيل الله؛ فقال: لا. قالوا: يطلب عليه العدو، فقال: لا. قالوا: فلماذا يصلح أصلح الله الأمير؟ فقال: ليركبه الرجل ويفر من المرأة السوء والجار السوء". وقيل: من سعادة المرء: امرأة حسناء ودار قوراء، وفرس مربوطة بالفناء.

الفصل الرابع فيما ورد من النهي عن أكل لحومها وإخصائها وجز نواصيها وأذنابها

قال تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة". وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الخيل"، أي: وإن كان حلالا لئلا يقل نسلها، فتفقد آلة في الجهاد، وقد خصها الله بسهمين من الغنيمة دون غيرها لفضلها. ونهى صلى الله عليه وسلم عن إخصائها. فقد ورد عن عمرو بن العاص قال: "أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا من حدس "حي من اليمن" فأعطاه رجلا من الأنصار وقال: إذا نزلت فانزل قريبا مني فإني أتسار إلى صهيله. ففقده ليلة، فسأل عنه، فقال: يا رسول الله خصيناه، فقال مثلت به – يقولها ثلاثا –، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة أعرافها وأدفاؤها، وأذنابها مذابها التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين".

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إخصاء الخيل"، أي: إن لم تخف منه العض أو سوء الخلق، كما بينه الفقهاء. وعن مكحول: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جز أذناب الخيل وأعراف٥ا ونواصيها وقال: إنما أذنابها مذابها وأعرافها أدفاؤها وأما نواصيها ففيها الخيل". وعن أنس بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم: "لا تهلبوا أذناب الخبل، ولا تجزوا أعرافها ونواصيها" وقال:

---

(١) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار شاكر شقير البتلوني ص/١٠١

"البركة في نواصيها، ودفاؤها في أعرافها، وأذنابها مذابها". وعن الشعبي قال: "قرأت كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله على الكوفة سعد بن أبي وقاص ينهى حذف أذناب الخيل وأعرافها وإخصائها ويأمر أن يجري من رأس المئتين، وهو أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة 'لاف ذراع، والبريد ثلاثة فراسخ، وأول من جز ناصية فرسه وذنبها الحارس بن عباد يوم تحلاق اللمم في أيام حرب البسوس، وذلك أنه لما سمع بقتل ولده بجير دعا بفرسه النعامة فجيء بها فجز ناصيتها وذنبها ونادى في قومه، وأنشد قصيدته التي مطلعها:

كل شيء مصيره للزوال ... غير ربي وصالح الأعمال

ومنها:

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

فاتخذت العرب ذلك سنة، إذا أرادوا إدراك **الثأر**، فعلوا ذلك بخيلهم. فلما بلغ المهلهل فعل الحارث، دعا بفرسه المشهر وفعل به ما فعله الحارث بالنعامة وقال قصيدته التي مطلعها: هل عرفت الغداة من أطلال ... رهن ريح وديمة مهطال

ومنها:

قربا مربط المشهر مني ... لكليب الذي أشاب قذالي

تتمة قي سقوط الزكاة عنها

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لكم عن صدقة الخيل". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من الخيل صدقة". وعن سلمان بن يسار "أن أهل الشام قالوا لأبي عبيدة: خذ من خيلنا صدقة فأبى، ثم كتب إلى عمر فأبى فكلموه أيضا فكتب إلى عمر فكتب إليه: إن أحبوا فخذها منهم واردها". أي: على فقرائهم لقوله تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة" فهي زينة الله التي أخرج لعباده، فالحيوان الذي له الكر والفر أنفع حيوان في الجهاد في سبيل الله فالأغلب أنه لله، وما كان لله فليس فيه حق الله، وأما إذا كانت سائمة ففيها الزكاة. روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في الخيل السائمة في كل فرس دينار".

الباب الثاني في بيان أنواعها وفضل الذكر منها على الأنثى وفيه خمسة فصول." (١)

"ثم قال قيس لحذيفة أعطني سبقي فأعطاه السبق، ثم إن جماعة من قوم حذيفة ندموه على ذلك، ونهاه آخرون وقالوا إن قيسا لم يسبق إلى مكرمة، وإنما سبقت دابة فأبى، وبعث ندبة ابن حذيفة إلى قيس يطلب منه السبق فقال قيس: هذا سبقي فكيف أعطيكم إياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس، وأغلظ فطعنه قيس برمح فدق صلبه. فاجتمع الحيان وأدوا دية المقتول فأخذها حذيفة دفعا للشر. ثم إن قومه ندموه، فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن معه من قومه ورحل، وقامت الحروب بين الحيين إلى أن قتل مالك أخو قيس، وكان الربيع بن زياد معتزل الحرب، فلما بمقتل ابن أخيه شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد:

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه ... يطلمن أوجههن باحار

قد كئن يخبئن الوجوه تسترا ... فالآن حين بدون للنظار

يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... يرجو النساء عواقب الأطهار

ومن عادة العرب أنها لا تندب القتيل حتى يؤخذ بثأره، ثم توالت الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة، وسئم قيس من القتال، فذهب إلى أخواله بعد أن مات الربيع وأكل بعض القوم بعضا، فقام في الصلح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريان، وحملا لحملات واجتهدا في إصلاح ذات البين، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

والعسجدي فرس لبني أسد من نتاج الديناري بن الهميسع بن زاد الراكب، وأما الآن، فإنهم ينسبون الفحل لأمه. ومن الخيل المشهورة، خيل مشايخ بني ظافر، قبيلة بين بغداد والبصرة، والعرب يضنون ببيعها، لأن عادة العرب في بيع إناث الخيل مختلفة. فمنهم نصف فرسه ويسقط حقه من الانتفاع بركوبها بتسليم رسنها إلى المشتري في مقابلة علفها، ويكون للبائع في أولادها النصف، فإذا أنتجت أنثى ورضعت مدة يوم كان المشتري مخيرا في ربط إحداهما وتفويض الأخرى على البائع. وإن أنتجت مهرا، يكون الربع منه لرابطه في مقابلة علفه

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/

وتربيته. هذا إذا لم يكن بينهما شرط، وإلا فالشرط هو المعتبر، ويسمون هذا البيع هجريا ومنهم من يبيع فرسه بشرط أن يكون له الأولى مما تتنجه من الإناث، أو الثانية أو الأولى والثانية، فإذا ولدت أولا أنثى أشهد المشتري عند نتاجها، بأن هذه المهرة للبائع، ثم يرضعها مئة يوم ويسلمها له، إن علم محله وإلا فيبقيها عنده، فإن حضر البائع قبل بلوغها سن الركوب يطلب منه ثمن علفها وأجرة تربيتها من حين تمام مدة رضاعها ويسلمها له. وإن جاء بعد ركوبها كان للمشتري منها الربع مقابلة علفها وتربيتها، وكذا يعامل في الثانية والثالثة. هذا إذا لم يكن بينهما شرط، وإلا فالشرط أملك. ويسمون البيع بيع المثاني، ومنهم من يبيع فرسه بيعا باتا، وهو نادر، ويسمون هذا البيع قلاطا.

ومن الخيل المشهورة أيضا خيل بجبل أوراس بين تونس وقسنطينة. وفي السقراطية أن الصحابة رضي الله عنهم، لما فتحوا إفريقيا فضلوا تلك الخيل على خيل الشام.

الباب السادس في تقفيزها وأطوارها وخدمتها والإنفاق عليها وتأديبها وكيفية تضميرها وعلاجها. وفيه ستة فصول

الفصل الأول في التقفيز

ينبغي أن يكون في فصل الربيع لتكون ولادة الفرس فيه، لأن المولود في الشتاء لا ينجح، ويختلف وقته باختلاف الأقاليم. ففي الإقليم الحار تقفز في شباط، وفي المتوسط في نيسان، وفي البارد في أيار، ليأكل الفلو القصيل، ويكون قوي البنية صحيح البدن.

وفي دمشق يقفزون الخيل مرتين في السنة، أولاهما في الربيع والثانية في الخريف عند قطف الزيتون، ولذا يسمونه الزيتوني، لإدراك نبات الفصة والبيقية عند نتاج الفلو فيتغذى منهما.

وينبغي أن تكون الفرس عند النزو في أرض منحدرة، ليتمكن منها الفحل، وأن يجعل قبل وجهها غزال ليأتي الفلو مشابها له في الخلقة، وأن يغسل ذكر الفحل وفرج الأنثى بعد النزو بماء بارد وتسير سيرا عنيفا كيلا تلقي ماء الفحل من رحمها وتلتزم الراحة ولا تطعم الخضرة ولا تسمع صهيل فحل، إلى أحد وعشرين يوما. فإن انكمش الفرج وسال منه شبه المني ونفرت من الفحل فقد علقت، وإلا أنزي عليها الفحل مرة أخرى.." (١)

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٦٣

"أنه يرسم صورة غير الصورة التي تتلجلج في نفسه، أو أنه لغوي يفر من ضعف أسلوبه، وفساد نظمه إلى أكمة من الألفاظ الغريبة والتراكيب المستوعرة يكمن وراءها، أو ناقل يتخذ الكتابة حقيبة يحشوها بالمسائل العلمية أو الوقائع التاريخية حشوا، أو مترجم ينقل عن اللغة الأعجمية التي يعرفها آراء علمائها وخيالات شعرائها، وكأنما هو صاحبها، أو شعرت أنه قد مر بخاطره، وهو ينطق بكلمته أن يكون بليغا فيها أو مبدعا ليعجب الناس منها، كان لكل حظه مني أن أعرف له قدره في العلم، ومنزلته من الذكاء والفهم، إن أحسن فيما يقول، ولكنني لا أعده كاتبا ولا شاعرا؛ لذلك كان أغزل الغزل عندي غزل العاشقين، وأفضل الرثاء رثاء الثاكلين، وأشرف المدح مدح الشاكرين، وخير العظات عظات المخلصين، وأجمل البكاء بكاء المنكوبين، وأحسن الهجاء هجاء الصادقين، وأبرع الوصف وصف الرائين المشاهدين.

ولا أدري ما الذي كان يعجبني في مطالعاتي من شعر الهموم والأحزان، ومواقف البؤس والشقاء وقصص المحزونين والمنكوبين خاصة، فقد كان يعجبني كل العجب ويبكيني أحر البكاء، وأشجاه شقاء المهلهل في الطلب بثأر أخيه، وشقاء." (١)

"امرئ القيس في الطلب بثأر أبيه، وبكاء جليلة أخت جساس على زوجها وأخيها، وبكاء عدي بن زيد على نفسه في سجن النعمان، وبكاء متمم بن نويرة على أخيه مالك حتى دمعت عينه العوراء، وبكاء ليلى بنت طريف على أخيها الوليد، وهيام أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس في المواقف والمواسم تنشد طفليها الذبيحين، وبكاء الشريف على المناذرة في خرائب الحيرة، وبكاء أبي عبادة على الأكاسرة في خرائب المدائن، وبكاء الرضى على بني هاشم، وبكاء العبلي على بني أمية، وبكاء الرقاشي على بني برمك، وذل أبي فراس في أسره، والمعتمد بن عباد في سجنه، وبكاء الوزير ابن زيدون على نفسه مرة وعلى ولادة أخرى، وبكاء ابن مناذر على عبد المجيد، والبحتري على المتوكل، وابن اللبانة على ابن عباد، والتيمي على يزيد بن مزيد، ومروان بن حفصة على معن بن زائدة، وجنون المجنون بليلاه وجلوسه في جنبات الحي منفردا عاريا مذهوب اللب مشترك العقل يهذي، ويخطط في الأرض ويلعب بالتراب، ثم هيامه بعد ذلك مع الوحش في البرية لا يأكل إلا ما ينبت فيها من بقل، ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، وراحته إلى الطريق يصدع مع مصعديه، وينحدر مع منحدريه، حتى هلك في أرض مقشعرة." (٢)

---

(١) النظرات المنفلوطي ١/١٦

(٢) النظرات المنفلوطي ١/١٧

"فيها الذئاب الغبراء، والنمور الرقطاء، ومن ملعب تصيد فيه الظباء الأسود إلى غاب تصيد فيه الأسود الظباء، وأنشأ في كبرى ساحاته، وأوسع باحاته، صهريجا من المرمر مستديران يضم بين حاشيته فوارة ينفر منها الماء صعدا كأنه سيف مجرد، أو سهم مسدد، فيخيل إلى الرائي أن الأرض تثأر لنفسها من السماء، وتتقاضاها ما أراقت منها من الدماء، تلك تقاتلها بالرجوم والشهب، وهذه تحاربها بالسهام والقضب، وغرس حول دائرة الصهريج دوائر من شجرات، مؤتلفات ومختلفات، وأغصان، صنوان وغير صنوان، إذا رنحتها نسائم الأسحار، رقصت فوق بساط الأزهار، وتحت ظلال الأثمار، فغنت على رقصها الأطيار، غناء الأغاريد لا غناء الأوتار، وادخر فيه لنعيمه وبلهنيته١ ما شاء الله أن يدخر من نضائد٢ ومقاعد، ووسائد ومساند، وفرش وعرش، وكلل٣ وحجل٤، وتماثيل وتهاويل٥، وصحاف من ذهب، كاللهب، وأكواب من بلور، كالنور، وأقفاص للحمائم وال نسور، ومقاصير للسباع والنمور،

---

١ بلهنية العيش رخاؤه.

٢ النضائد جمع نضيدة وهي الوسادة.

٣ جمع كلة بالكسر وهي الستر الرقيق.

٤ جمع حجلة بفتحات وهي ستر العروس في جوف البيت.

٥ التهاويل النقوش والصور؛ لأنها تهول من ينظر إليها.." (١)

"وأنت تعلم أن دينا خرافيا خير من لا دين، أولت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أولوا الملك والشيطان والجنة والنار، وبينت لهم حكم العبادات وأسرارها، وسفهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها، فتركوها جملة واحدة، وقلت لهم: إن الولي إله باطل، والله إله حق، فأنكروا الألوهية حقها وباطلها، فتهلل وجه الشيخ وقال له: ما زلت يا قاسم في أخراك، مثل في دنياك، لا تضطرب في حجة، ولا تنام عن ثأر، يا قاسم لا تحمل هما، ولا تخش شرا، وثق أن الله سيحاسبنا على نياتنا وسرائرنا، ويعفو عن هفواتنا وسقطاتنا، إنا ما أردنا إلا الخير لأمتنا، وما قدرنا لها في مستقبلها إلا ما تحتمله عقولنا، فإن كذبت فراستنا أو أخطأ تقديرنا فذلك؛ لأن المستقبل بيد الله.

وما وصلا من حديثهما إلى هذا الحد حتى تركا مكانهما وذهبا لشأنهما، فقلت لصاحبي: هل لك أن تريني

---

(١) النظرات المنفلوطي ١٢٠/١

الميزان والصراط والجنة والنار فإنني ما زلت في شوق إلى رؤية تلك الأشياء، ورؤية مواقعها منذ رأيتها في "خريطة الآخرة" التي رسمها الشعراني في بعض كتبه؟ قال: أما الميزان فتقدير الأعمال والموازنة بين الحسنات." (١)

"لصديقه، بل الزوج لزوجه، وتلطف بها جهدك، وروح عن نفسها ما يساورها من الكروب والأحزان، وقل لها: لا تجزعي ولا تحزني، فإنما أنا بصرك الذي به تبصرين، ويدك التي بها تبطشين.

أعيذك أيها الإنسان بالله ورحمته، والعهد وذمامه، أن تجعل لهذا الخاطر السيئ خاطر الطلاق أو الفراق سبيلا إلى نفسك، فإنها لم تسئ إليك فتسيء إليها، ولم تنقض عهدك فتنقض عهدها، فإن كنت لا بد ثائرا لنفسك **فاثأر** لها من القدر إن استطعت إلى ذلك سبيلا.

إن عجزا من الرجل وضعفا أن يغضب فيمد يده بالعقوبة إلى غير من أذنب إليه، ويعتدي على من لم يعتد عليه.

إن لم يكن احتفاظك بزوجك وإبقاؤك عليها عدلا يسألك الله عنه، فليكن إحسانا تحاسبك الإنسانية عليه.

إنك خسرت بصرها ولكن سترىح قلبها، وحسب الإنسان من لذة العيش وهنائه في هذه الحياة قلب يخفق بحبه، ولسان يهتف بذكره.

إنها أسعدتك برهة من الزمان، فليخفق قلبك حنانا عليها بقدر ما خفق سرورا بها.." (٢)

"**يثأر** لنفسه مني؛ لأني لم أسئ إلى أحد سواه.

الشعب: لا، لا، ليس فينا واحد من هؤلاء.

بروتس: إذن أنا لم أسئ إلى أحد منكم.

وما وصل بروتس من حديثه إلى هذا الحد حتى دخل أنطونيوس صديق قيصر ورأس الناقمين على قتلته والطالبين **بثأره** هو وآخرون، ومعهم جثة قيصر لتأبينه في هذا المجمع الحاشد، فاستأنف بروتس الكلام وقال:

بروتس: ها هي جثة قيصر وها هو صديقه أنطونيوس قد جاء ليؤبنه فاستمعوا له، واعلموا أن قيصر المذنب غير قيصر الماجد، وقد سمعتم ما قيل عن الأول فاسمعوا ما قيل عن الثاني، واسمحوا لي أن أقول كلمة أختم بها خطابي.

---

(١) النظرات المنفلوطي ١٦٩/١

(٢) النظرات المنفلوطي ٧٤/٢

أيها الرومانيون، إن الخنجر الذي ذبحت به قيصر في سبيل روما لا يزال باقيا عندي لذبح بروتس في سبيل قيصر إذا أرادت روما ذلك.

تأثير الخطبة:

الشعب: ليحي بروتس.

أحد الناس: أنا أقترح أن نحمله على الأكف والرءوس إلى بيته.." (١)

"بينها وبين ابنتها، قال: يا سيدي، ما زالت الفتاة منذ فارقت أمها تبكي عليها بكاء مرا، وتهتف باسمها في يقظتها ونومها حتى سقطت مريضة لا ينفعها طب ولا ينجع فيها دواء، فلما رأيت أنها وصلت إلى الحالة التي تراها جئت بها إلى أمها، أرجو أن تجد بين ذراعيها شفاء من دائها، قلت: ذلك موكول إلى القضاء ولا يعلم الغيب إلا الله، ثم تقدمت نحو الفتاة فرأيتها تجود بنفسها فاحتملتها برفق حتى وضعتها بين ذراعي أمها، فما هو إلا أن هتفت الفتاة بأمها والأم بفتاتها حتى فاضت نفساهما معا، كأنما كانتا من الردى على ميعاد.

الآن وقد عدت من دفن الشهيدتين وجلست لكتابة هذه السطور، أشعر أني لا أكاد أمسك قلمي من الاضطراب، ولا مدمعي عن الانفجار حزنا على تلك البائسة المسكينة، لا بل حزنا على جميع البائسات من النساء اللواتي يقتلهن الرجال كل يوم صبرا من حيث لا يجدن راحما يأخذ بأيديهن، ولا ثائرا **يثأر** لهن.." (٢)

"الشاة ومواء الهرة وخوار الثور وحنين النيب١ بكاء بغير دموع وشكوى بغير لسان، وربما كان يكتم ذلك الذبيح في نفسه من الوجد والبرحاء ما لو استطاع أن يبين عنه لأبكى العيون دماء، وفجر الصخر عيونا.

ثم رفع رأسه إلي وقال: أما سمعت الدجاجات يقلن لك شيئا عندما أردت ذبحهن؟ قلت: لا يا مولاي ومتى قلن للناس شيئا فيقلن لي، فنظر إلي نظرة شزراء لا أنسى سهمها الواقع في قلبي ما حييت ثم قال: أما لو أن الله منح ذابح الدجاجة من نور البصيرة ما منحه من نور البصر لسمعها تقول له:

مهلا رويدا أيها القاتل السفاك، لا تدن مني ولا تمدد يدك إلي، فلا شأن لك معي ولا ترة٢ لك عندي.

---

(١) النظرات المنفلوطي ١١٤/٢

(٢) النظرات المنفلوطي ٢٠٦/٢

أنا صاحبة الحق المطلق في حياتي وأنا لا أريد أن أموت ولا رغبة لي في فراق الحياة؛ لأن ورائي أفراخا صغارا هن إلى حياتي أحوج منك إلى مماتي، وليس من الرأي أن أكل أمرهن إليك من بعدي؛ لأنك شره طماع، لا يشبع بطنك ولا تهدأ مديتك.

أنت لا تملك أن تعطيني الحياة فلا تملك أن تسلبني إياها

---

١ النيب جمع ناب، وهي الناقة المسنة.

٢ الترة: **الثأر**." (١)

"ورأيته يضم إلى كنفه كثيرا من أصدقائه الذين نبا بهم الدهر بعد سقوط دولة عبد الحميد، وتنكر لهم الناس جميعا خصوصا أولئك الذين كانوا يزدلفون إليهم أيام إقبالهم، ويمسحون وجوههم على أعتاب قصورهم، وكان يلاقي في سبيل ذلك من عتب العاتبين عليه ولوم اللائمين له ما لا يستطاع احتماله، فلم يبال بشيء من ذلك.

ورأيت كثيرا من أعدائه الذين كانوا في بعض أيام حياتهم حربا عليه وشقاء له يعودون إلى حظيرته واحدا بعد واحد يستغفرونه فيجلس إليهم، ويتحدث معهم حديث المودة والإخاء كأنما كانوا معه على ميعاد.

وما رأيته في يوم من أيام حياته حاقدا ولا واجدا، ولا منتقما ولا طالبا **بثأر** ولا ذائدا عن نفسه إلا في الساعة التي يعلم فيها أن قد جد الجد، وأن قد أصبح عرضه وشرفه على خطر، ولم أر سائلا دخل إليه يشكو حاجة من الحاج صادقا كان فيها أم كاذبا، ويسأله المعونة عليها من ماله أو جاهه إلا أعانه عليها ما وجد إلى ذلك سبيلا، رحمة وإشفاقا، لا رياء ونفاقا، وكان يرى الرأي ويرى الناس جميعا غيره فلا يثنيه عنه ثان حتى ينحدر ستر الغيب عن وجه المستقبل، فإذا هو مصيب وإذا الناس جميعا مخطئون.

ففي سبيل الله يا علي ما فقدنا بفقدك، وفي ذمة الله وجواره." (٢)

"ويطيرون بأجنحة سرورهم وحبورهم في كل جو وافق، لا يخالط نفسهم هم واحد.

ولكن هل أنت على ذلك شقي؟ وهل هم على ذلك سعداء؟

لا، لقد كان لهم أمنية؛ أن تغيب عنهم فيغيب عنهم اسمك وذكرك، وضوضاؤك وجلبتك، ولكن شيئا من

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣٠١/٢

(٢) النظرات المنفلوطي ٥٦/٣

ذلك لم يكن، فالنفوس ثائرة، والقلوب واجدة، والهتاف باسمك يملأ الآفاق والأجواء، والدعاء **بثأرك** يلاحقهم في كل مكان يسيرون فيه، وعيون الحقد والبغضاء تضرب حولهم نطاقا ناريا لا سبيل لهم إلى التفلت منه والخروج من دائرته، فأنت الحر الطليق، وهم الأسراء المسجونون، ولكنهم يتجلدون ويصابرون.

أنت تعيش من فضيلتك وشرفك، ومن رضاك عن نفسك واغتباطك بأداء واجبك، ومن راحة ضميرك واستقراره، وهدوء نفسك وسكونها، في أرحب من رقعة الأرض وأفسح من ديباجة السماء، وهم يعيشون من وخزات ضمائرهم، وقلق نفوسهم، ووساوس صدورهم، وخوفهم على تلك اللقيمات الملفوظات التي هي كل ما ظفروا به من حياتهم أن تهب عليها عاصفة من العواصف، فتطير بها وتطير بهم معها، ومن شبحك الهائل المخيف الذي لا يفارق مضاجعهم، ولا يبرح يقظتهم ومنامهم." (١)

"قطرات من بين شقيه سالت ... فأسالت من الدما أنهارا

كان غصنا فصار عودا ولكن ... لم يزل بعد يحمل الأثمارا

كان يستمطر السماء فحال الـ ... ـأمر فاستمطر العقول الغزارا

يسعد الناس باليراع ويلقى ... ربه ذلة به وصغارا

وا شقاء الأديب هل وتر١ الدهـ ... ـر فلا زال طالبا منه **ثارا**

أرفيق المحراث يحيا سعيدا ... ورفيق اليراع يقضي افتقارا

ما جنى ذلك الشقاء ولكن ... قد أراد القضاء أمرا فصارا

ليس للنسر من جناح إذا لم ... يجد النسر في الفضاء مطارا

---

١ وتره: أصابه **بثأر**، يقول: كأن الدهر موتور لذلك الأديب، فهو يطالبه **بالثأر**.." (٢)

"كرنيل الفرنسوي من تعريبه ورواية البخيل ورواية المهدي ورواية الرجاء بعد اليأس ورواية **أثارت** العرب.

وكان شعره أجود من نثره حذا فيه حذو الشعراء العصريين. من ذلك قصيدته في ذم القمار التي رويناها سابقا في المشرق (٧ (١٩٠٤) : ٦٧٣) . ومن شعره الطيب في وصف السكك الحديدية وقطراتها:

تخل عن التشبيب بالبيض والسمر ... ودع عنك تشبيه المحاسن بالبدرش

---

(١) النظرات المنفلوطي ٢٧٠/٣

(٢) النظرات المنفلوطي ٢٨٢/٣

وعج بي إلى طرق الحديد ووصفها ال ... جديد ودع ما مر من قدم الدهر
ففيها يروق الوصف وهو حقائق ... وفيها يحق النعت لا مذهب الشعر
وعنها يصح القول أن قيل بارق ... يشق الفلا لا عن جواد ولا مهر
فطير بلا جنح وطود بلا بقا ... وبرق بلا جو وهاد بلا فكر
بلى هي طير والبخار جناحه ... وطود إذا شبهت بالطود ما يسري
وبرق ولكن الدخان سحابه ... وهاد له لب توقد عن جمر
يسير فما يدري لسرعة سيره ... أتجري لديه الأرض أم فوقها يجري
وللريح حوليه حفيف كأنه ... حفيف جناح الصقر حن إلى الوكر
إذا سار ثارت فوقه راية من الد م ... خان لتنبي انه ملك القفر
تمزقها الأرياح حنقا كأنها ... تحاول في تمزيقها الأخذ بالثأر
لعمرك ما هذا بهادي البلاد بل ... هو القائد الهادي إلى العز والنصر

وأحسن من ذلك قصيدته الغراء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رزى الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لا سيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد أن اتقدت أسلاك آلتها الكهربائية وامتد إليهم لهيب النار:

سوق بر تباع فيها اللهى بي ... عا ويشرى الثواب فيها شراء
زينتها بيض الأيادي وأيدي م ... البيض من محسن ومن حسناء
أنفس تبتغي السماء فما أمسي ... ن إلا وقد بلغن السماء
أدركت ما تروم من جنة م ... الخلد وكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيما يؤدي ... لنعيم أبناءه الشهداء
أو رأى محسنا يجود على ... الناس فيلفي نار الحريق جزاء
أترى كان ذاك مطهر من ما ... توا فيمحو عن النفوس الخطاء." (١)

"تاجر ومستودع عنده

وهو مثل من أخذ بثأره بمثل ما ثئر به ١٢٩ زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر. وأنه أراد الخروج يوما إلى بعض

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٢٨٨/١

الوجوه ابتغاء الرزق. وكان عنده مئة من حديدا. فأودعها رجلا من إخوانه وذهب في وجهه. ثم قدم بعد ذلك بمدة. فجاء والتمس الحديد. فقال له صاحبه: قد أكلته الجرذان. فقال: قد سمعت أنه لا شيء أقطع من أنيابها للحديد. ففرح الرجل بتصديقه ما قال وادعى. ثم إن التاجر خرج فلقي ولدا للرجل. فأخذه وذهب به إلى منزله. فجاء الرجل من الغد. فقال: هل عندك علم بابني. قال: لما خرجت من عندك بالأمس رأيت بازيا قد اختطف صبيا. فلعله ابنك. فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم: هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان. فقال: نعم إن أرضا تأكل جرذانها مئة من حديد ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة. قال الرجل: أكلت حديدك وهذا ثمنه. فاردد علي ابني.

براعة وقرود

وهو مثل من لا يتعظ بكلام غيره فيغامر بنفسه فيعطب ١٣٠ زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكانا في جبل. فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا فلم يجدوا. فرأوا يراعة تطير كأنها شرارة نار فظنوها نارا. فجمعوا حطبا كثيرا وألقوه عليها.." (١)

"بأيديهما الشمع فوقفت حول السفرة فقال للوزير: اعتبر خطأ وضعت مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا. فسكت عنه الوزير وقال: أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة. فقال: ذلك لك. فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال: التمس لي فأرا واربطه في خيط وجني به. فأتاه به الغلام فعقده في سبنيته وطرحه في كمه. ثم راح من الغد إلى الملك فلما حضرت سفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها فحل الوزير الفأر من سبنيته ثم ألقاه إليها. فاستبقت السنانير إليه ورمت بالشمع حتى كاد البيت يضطرم نارا. فقال الوزير: كيف رأيت غلبة الطبع على الأدب ورجوع الفرع إلى أصله. قال: صدقت. ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه. فإنما مدار كل شيء على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه. (لابن عبد ربه)

المستخبر عن وفاة أبيه

٣٤٧ بينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا. إذ استأذن عليهم أشعب. فقال أحدهم إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام. فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية ويأكل معنا الصغر.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٨٩/٢

ففعلوا وأذن له. فقالوا له كيف رأيك في الحيتان. فقال إن لي عليها لحردا شديدا وحنقا لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له فدونك خذ بثأر أبيك. فجلس ومديده إلى حوت منها صغير. ثم وضعه عند أذنه وقد نظر إلى." (١)

"أكتبيان أغسطس ابن أخيه. وكان للشيوخ نائب بناحية الشرق يقال له فمفيوس. فلما بلغه ذلك زحف بعساكره إليه. فخرج إليه يولس فهزمه (٤٨) ثم رجع إلى رومة وشعر الوزراء أنه يروم الاستبداد عليهم فقتلوه (٤٤) . فزحف أكتبيان أبن أخيه من الأندلس فأخذ بثأره وملك برومة (٤٢) . ثم عصى أنطونيوس على أغسطس وانهزم إلى مصر بسبب عشقه قلاوفطرا. فخرج أغسطس في السنة الثانية عشرة من ملكه من رومة بعساكر عظيمة في البر والبحر وسار إلى الديار المصرية وأسر ولدي قلاوفطرا المسمى أحدهما شمسا والآخر قمرا وقتلهما. ولما سمع أنطونيوس وقلاوفطرا بقتل الولدين وكانا محاصرين في بعض الحصون شربا سما وماتا (٣٠) . ولما ملك أغسطس ديار مصر والشام دخل بنو إسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت طاعة البطالسة فولى أغسطس ببيت المقدس على اليهود واليا منهم وكان يلقب بهيرودس. وفي أيام أغسطس ولد المسيح لثنتين وأربعين من ملكه (لابن العميد بتصرف)

دولة القياصرة بني أغسطس (١٤-٦٩) .

٤٤٦ ثم ولي من بعد أغسطس طباريوش قيصر وكان جائرا واستولى على النواحي. على عهده كان شأن المسيح وبغى اليهود عليه وأقام الحواريون من بعده واليهود يحبسونهم ويضطهدونهم. ثم افترقوا في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله. ومات طباريوش." (٢)

"وأكرمه وقال له: الزم مجلسي فذات يوم قال له أبو العباس السفاح: يا إبراهيم حدثني عما مر بك في استخفائك من العدو. فقال سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين. كنت مختفيا في الحيرة بمنزل في شارع على الصحراء فبينما كنت يوما على ظهر ذلك البيت إذ بصرت بإعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة. فتخيلت أنها تريدني فخرجت مسرعا من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة وأنا لا اعرف أحدا اختفى عنده فبقيت في حيرة فنظرت وإذا أنا بباب كبير واسع الرحبة فدخلت فيه فرأيت رجلا وسيما حسن الهيئة مقبلا على الرحبة

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٠٩/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٩٧/٢

ومعه أتباعه فنزل عن فرسه والتفت فراني فقال لي: من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وجاء يستجير في منزلك فأدخلني منزله وصيرني في حجرة تلي حرمة وكنت عنده في كل ما أحبه من طعام وشراب ولباس وهو لا يسألني عن شيء من حالي. إلا أنه كان يركب في كل يوم من الفجر ويمضي ولا يرجع إلا قريب الظهر فقلت له يوما أراك تدمن الركوب كل يوم ففي م ذلك فقال لي: عن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك كان قد قتل أبي ظلما وقد بلغني أنه مختف في الحيرة فأنا أطلبه يوميا لعلي أجده وأدرك منه **ثأري** قال: فلما سمعت ذلك يا أمير المؤمنين كثر تعجبي وقلت في نفسي إن القدر ساقني إلى حتفي في منزل من يطلب دمي فوالله يا أمير المؤمنين إني كرهت الحياة: ثم إني سألت الرجل." (١)

"عن أبيه فأخبرني فعلمت في كلامه حق وأني أنا الذي قتل أباه. فقلت له: يا هذا إنه قد وجب على حقك ولمعروفك لي يلزمني أن أدلك على خصمك الذي قتل أباك وأقرب عليك الخطوة. فقال: وما ذاك فقلت له: أنا إبراهيم بن عبد الملك وأنا قاتل أبيك فخذ **بثارك**. فتبسم مني وقال: هل أضجرك الاختفاء والبعد عن منزلك واهلك فأحببت الموت. فقلت: لا والله ولكني أقول لك الحق وإني قتلته في يوم كذا من اجل كذا. فلما سمع الرجل كلامي هذا وعلم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه ثم فكر طويلا والتفت إلي وقال: أنا أنت فسوف تلقى أبي عند حاكم عادل فيأخذ **بثأره** منك وأما أنا فلا احفر ذمتي ولكني أريد أن تخرج عني فإني لست آمن عليك من نفسي. ثم إنه أعطاني ألف دينار فأبيت أخذها وانصرفت عنه. فهذا يا أمير المؤمنين أكرم رجل رأيته وسمعت عنه في عمري بعد أمير المؤمنين (للاتليدي)

جودة معن بن زائدة

٣١٢ حكي عن معن بن زائدة أن شاعرا من الشعراء قصده فأقام مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك. فلما أعياه الأمر سأل بعض خدمه وقال له: أرجوك إذا دخل الأمير إلى البستان أن تعرفني. فلما دخل معن إلى بستانه ليتنزه جاء الخادم وأخبر الشاعر فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها في الماء الجاري إلى داخل." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢١٠/٣

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢١١/٣

"قبائل العرب وكان به برص فأكبرته العرب على أن تنعته به إعظاما فسمته جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح. واستولى على السواد ما بين الحيرة والأنبار وسائر القرى المجاورة لبادية العرب وكان يجبي أموالها. وغزا طسما وجديسا في منازلها من اليمامة. وفيه قال الشاعر:

أضحى جذيمة في الأنبار منزلة ... قد حاز ما جمعت في عصرها عاد

فطال ملكه إلى أن أدرك ملك سابور بن أشك. وكان جذيمة ملك معد وبعض اليمن وغزا في آخر عمره الشام فقتل عمرو بن حسان ابن أذين والد الزباء ملكة الطوائف فانطوت له الزباء على طلب الثأر حتى قتلته. وكان ملك جذيمة نحو ستين سنة بالتقريب (لحمزة الاصفهاني) .

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فورث الملك من بعده ابن أخيه عمر بن عدي (٢٦٨) وأمه رقاش وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب. وأول ملك يعده الحيريون في كتبهم من ملوك عرب العراق وملوك العراق إليه ينتسبون وهم عمرو بطلب الثأر من الزباء بخاله جذيمة. فلما أحست الزباء بنيته تحصنت في معقل فصارت أمنع من عقاب فعمد عمر إلى قصير وزيره فجدع انفه بمواطأة منه على ذلك فلحق بالزباء يشكوها ما أصابه من عمر وانه اتهمه بمداخلة الزباء في أمر خاله جذيمة فقال: وما رأيت بعد ما فعل بي أنكى له من أن يكون معك. فأكرمته وقربته حتى إذا رضي منها من الوثوق بع غرها واسلم حصنها إلى عمرو. فلحمها." (١)

"وما البر إلا مضمرات من التقى ... وما المال إلا عاريات ودائع

أليس ورائي إن تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت ... أدب كأني كلما قمت راكع

فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه ... تقادم عهد اليقين والنصل قاطع

فلا تبعدن إن المنية موعد ... علينا فدان للطلوع وطالع

أعاذل ما يدريك إلا تظنيا ... إذا رحل الفتيان من هو راجع

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى ... وأي كريم لم تصبه القوارع

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣٠٥/٣

لما توفي محمد بن صالح قال سعيد بن حميد يرثيه:

بأي يد أسطو على الدهر بعدما ... أبان يدي غضب الذبابين قاضب

وهاض جناحي حادث جل خطبه ... وسدت عن الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا سر منها جانب ساء جانب

لعمري لقد غال التجلد أننا ... فقدناك فقد الغيث والعام جادب

فما أعرف الأيام إلا ذميمة ... ولا الدهر إلا وهو **بالثأر** طالب

ولا لي من الإخوان إلا مكاشر ... فوجه له راض ووجه مغاضب

فقدت فتى قد كان للأرض زينة ... كما زينت وجه السماء الكواكب

لعمري لئن كان الردى بك فاتني ... وكل امرئ يوما إلى الله ذاهب

لقد أخذت مني النوائب حكمها ... فما تركت حقا علي النوائب

ولا تركتني أرهب الدهر بعده ... لقد كل عني نابه والمخالب." (١)

"عيانا. فحملوني بالزي الذي أنا فيه إلى المأمون. فعقد مجلسا عاما وأدخلني إليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة. فقال: لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك. فقلت له: مهلا يا أمير المؤمنين إن ولي **الثأر** محكم بالقصاص ولكن العفو أقرب للتقوى. وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب. فإن تقتل فبعدلك وإن تعف فمن فضلك. ثم أنشدت:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بحلمك عنه

إن لم أكن عند فعلي ... من الكرام فكنه

قال: فرفع المأمون رأسه ونظر فبدرته قائلا:

أتيت ذنبا عظيما ... وأنت للعفو أهل

فإن عفوت فمن ... وإن قتلت فعدل

فرق لي المأمون فرأيت وجهه قد هش واستروحت روائح الرحمة من شمائله. ثم أقبل على العباس وأخيه أبي إسحاق وجميع من حضر من خاصته وقال لهم: ماذا ترون في أمره فكل أشار بقتلي إلا أنهم اختلفوا في القتلة.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٤٧

فقال المأمون لأحمد بن أبي خ الد: ما تقول يا أحمد. فقال: يا أمير المؤمنين إن قتلته فقد وجدنا مثلك قد قتل مثله. وإن عفوت عنه لم نجد مثلك قد عفا عن مثله. فنكس المأمون رأسه مطرقا إلى الأرض ساعة. ثم رفعه وأنشد:." (١)

"العرب. ولما جنه الليل رأى برقا فقال:

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل

ثم ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب فسألهم النصر على بني أسد. وبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجأوا إلى بني كنانة. فنهض إليهم وبنو أسد جامون على الماء فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم. وحجز الليل بينهم وهربت بني أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوه وقالوا له: قد أصبت **ثأرك**. فقال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى ولكنك رجل مشؤوم. وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير. ثم خرج فظفر ببني أسد (قالوا) وألح المنذر في طلب امرئ القيس وأمده أنوشروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه. وتفرق حمير ومن كان معه عنه فنجا في عصبة من بني آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني حنظلة ومع امرئ القيس أدراع يتوارثونها ملكا عن ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار. فأسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرئ." (٢)

"ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة. والصين المنحفة. والترك المشوهة. والروم المقشرة. وأما (أنسابها وأحسابها) فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها وآخرها. حتى أن أحدهم يسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه. وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فأبا. أحاطوا بذلك أحسابهم. وحفظوا به أنسابهم. فلا يدخل رجل في غير قومه. ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي إلى غير أبيه. وأما (سخاؤها) فإن أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة أو الناب. عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٤١/٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٨٤/٤

فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالشربة. فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر. وأما (حكمة ألسنتهم) فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء. ولباسهم أفضل اللباس. ومعادنهم الذهب والفضة. وحجارة جبالهم الجزع. ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفن ولا يقطع بمثلها بلد قفر. وأما (دينها وشريعتها) فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا. ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم.

فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه." (١)

"أموركم إليه. وإن هلكت قبل وصولي إليه فاحلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله.

خطبة أبي حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس: خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردت المرتاب. قال أوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بسنته وصلة الرحم وتعظيم ما صغرت الجبابرة في حق الله. وتصغير ما عظمت من الباطل وإماتة ما أحيوا من الجور. وإحياء ما أماتوا من الحقوق. وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته فالطاعة للعباد من أهل طاعة الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ندعو إلى سنة الله والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها. إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لعبا. ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منا. ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادعاء في الدين وعمل بالهوى وعطلت الأحكام وقتل القائم بالقسط وعنف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. فأجبنا داعي الله (الآية) فأقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الأرض. فآوانا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا بنعمته إخوانا وعلى الدين أعوانا. يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر. إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١١١/٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥٠/٦

"وكيف التقى مثوى من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تمنع

ولما انقضت أيامه انقضت العلى ... وأضحى به أنف الندى وهو أجدع

وراح عدو الدين جذلان ينتحي ... أماني كانت من حشاه تقطع

وكان حميد معقلا ركعت به ... قواعد ما كانت على الضيم تركع

وكنت أراه كالرزايا رزئتها ... ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع

لقد أدركت فينا المنايا بثأرها ... وحلت بخطب وهيه ليس يرفع

نعاء حميدا للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرماح وتوزع

وللمرهق المكروب ضاقت بأمره ... فلم يدر في حوملتها كيف يصنع

وللبيض خلتها البعول ولم يدع ... لها غيره داعي الصباح المفزع

كأن حميدا لم يقد جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تروع

ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحى ... مراحا ولم يرجع بها وهي ظلع

رواجع يحملن النهاب ولم تكن ... كتائبه إلا على النهب ترجع

هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها ال ... مريع وحاميها الكمي المشيع

وسيف أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع

فأقنعه من ملكه ورباعه ... ونائله قفر من الأرض بلقع

على أي شجو تشتكي النفس بعده ... إلى شجوه أو يذخر الدمع مدمع

ألم تر أن الشمس حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفع

وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها=وأجدب مرعاها الذي كان يمرع

وقد كانت الدنيا به مطمئنة ... فقد جعلت أوتادها تتقلع." (١)

"بمملكته من كل جهة وهو ينتصف منها ويستولي على بلادهم. ودفن في الرقة فولي أمر الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود. وكان أخوه الأكبر نورد الدين محمود بالشام وله حلب وحماة. فسار إلى سنجار وملكها ولم يحاققه أخوه قطب الدين ثم اصطلحا وأعاد نور الدين سنجار إلى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام له وديار الجزيرة لأخيه. فلما قتل الأتابك زنكي طمع جوسلين أن يسترد الرها وكان

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٢٠/٦

مقيما في ولايته في تل باشر فراسل أهل الرها وعامتهم من الأرمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فأجابوه وأوعدوه ليوم عينوه فسار في عسكره وملك البلد. فزحف إليهم نور الدين واقتحم البلد واستباح أهله.

زحفة الفرنج الثانية إلى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

ولما استولى المسلمون على الرها أخذ ظل الفرنج بالتقلص في المشرق فذهب القسوس والرهبان إلى بلاد النصرانية من الروم والفرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على إنطاكية وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس. فتألبت أمم الفرنج من كل ناحية وسيروا مددا لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشام بين عدوهم. فسار في سنة ٥٤٣ هجري ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كوتراد) مع الأمراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الإسلام لا يشكون في الغلب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عددهم وأموالهم فتجمعوا بالقسطنطينية وساروا إلى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينية فلما وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين ممتثلين أمرهم. فجدوا بالمسير إلى دمشق فحاصروها فقام معين الدولة أنزفي مدافعتهم المقام المحمود. ثم قاتلهم الفرنج فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصابرة. فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الأخضر فبعص معين الدين إلى سيف الدين عازي بن زنكي يدعوه إلى نصرة المسلمين. فجمع عساكره وسار إلى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعض معين الدولة إلى طائفتي الفرنج من سكان الشام والواردين مع الألمان يتهددهم بتسليم البلد إلى صاحب الموصل. فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طعمة. فاجتمعوا إلى ملك الألمان وخوفوه من صاحب الموصل وقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع إلى بلاده على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ هجري جمع نور الدين محمود عسكره وسار إلى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب. وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر جمع كثير. وكان في جملتهم سلاحدار نورد الدين فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره إلى الملك مسود بن قلج أرسلان صاحب قونية واقصرا وقال له: هذا سلاح دار زوج

ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه. فلما علم نور الدين الحال عظم عليه أعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثأره.." (١)

"إن نصرانية كلب المنتمية إلى قضاعة مما لا يختلف فيه اثنان (راجع الصفحة ١٣٧ و١٣٨ من كتابنا) ولم نذكر من هذه القبيلة غير زهير بن جناب الكلبي القضاعي (ص٢٠٥ ٢١٠ من شعراء النصرانية) ، ولاه أبرهة على بكر وتغلب (ص٢٠٦ وذلك بسبب نصرانيته ونصرانية بكر وتغلب وكذا يقال عن دخوله على ملوك غسان وبني لخم، وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص٢١٥) "أن زهير بن جناب كان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم تجتمع في غيره من أهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم ووافدهم إلى الملوك وطبيبهم (والطب في ذلك الزمان شرف) وجارى قومه إلى كاهنهم وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم" ثم يورد وصاته لبنيه يحرضهم فيها على الثقة بالله.

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدمنا فيه الدلائل على نصرانية الشعراء المذكورين في كتابنا وبه أيضا نجاز كتاب "تاريخ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية"، ونكرر ما قلنا سابقا أننا (أولا) ذكرنا من شعراء الجاهلية الذين صرح الكتبة بدينهم النصراني، (ثانيا) حققنا نصرانية كثيرين منهم بنصرانية قبائلهم وبخلو شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وبإشاراتهم إلى دين النصارى وكل ذلك لا يمكن تعليله بين عرب الجاهلية إلا بنفوذ النصرانية، (ثالثا) أخذنا اسم النصرانية بمعناه الواسع سواء كان الشعراء من تبعته المستقيمي الإيمان أو من شيعه الضالة كالاريوسية والنسطورية واليعقوبية، (رابعا) لسنا لندعي أن هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانية لاسيما في أمر الطلاق وفي غزواتهم وأخذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانية، وغنما تبعوا في ذلك سنن عرب البادية واقتفوا آثارهم وتقلدوا عاداتهم، والعادة كما يعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها، (خامسا) وأن وجد أحد في بعض أقوالنا شططا فمعاذ الله أن نكابر الحق أن بينه لنا أرباب الفضل والعلم، وليس الكمال إلا لله.

ملحوظات شتى

على كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (الصفحة ٣ السطر ٣ "قبل عشرين السنة") ظهر كتاب شعراء النصرانية سنة ١٨٩٠.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣١٧/٦

(ص٢٩ س١٨) ومن أعلام الأمكنة الدالة على نفوذ الرومان بين العرب ما دعاه ياقوت (١: ٩٣٥) بثمد الروم بين الشام والمدينة.

(ص٣٢ س٢٥ نصرانية فيلبوس العربي) يضاف إلى ما ورد هناك في نصرانيته نقود طبعت باسمه مع رموز نصرانية كصورة الطوفان وفلك نوح والحمامة والغراب.

وكذلك يشهد على نصرانيته القديس ايرونيموس (De Viris Illustribus, n ٥٤) .

(ص٣٤ س١ الكتابات النصرانية في حوران) يتراوح زمن هذه الكتابات بين القرن الثاني للمسيح والقرن الرابع.

(ص٣٦ س١ ملوك غسان النصارى) ، النابغة في لاميته يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر بقوله:

فآب مصلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

قال أبو عبيدة "مصلوه" يعني أصحاب الصلاة وهم الرهبان وأهل الدين منهم (- س١١ دير بصرى) قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٤٧) "بهذا الدير كان بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - " وقال سابقا (ص٦٤٥) أن "دير بحيرا هو دير الباعقى قبلي بصري من أرض حوران"، وبقيت النصرانية في هذا الدير بعد الإسلام وذكر ياقوت أن المازني وجد في دير بصرى رهبانا من العرب المنتصرين من بني صادر قال عنهم "وهم أفصح من رأيت" وذكر منهم أمة شاعرة.

(- س١٢ الرهبان في بادية الشام) ذكر سوزومان في تاريخه (ك١ ف١٣) أنه كان بين تلامذة القديس أنطونيوس الكبير كثيرون من أهل سورية وعربية " Plurimos auditores habuit ex Syria et Arabia".

(ص٣٧ س٢١ نصارى العرب المحاربون مع الرومان ضد المسلمين) قال ياقوت (١: ٩٢٨) أن غسان وتنوخ لحقوا بهرقل فحاربهم ميسرة بن مسروق، وقال في م١دة معان من نواحي بلقاء: "بعث النبي جيشا إلى موتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ورواحة.. وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي ألف".

De Goeje; Mem. D Hist, Hist, et de Geogrm ٢ ed, ١٩١٠; Trois Chefs mu Suimans ..Furent tues et la victoire resta aux Chretins" (١)

"يريد ابن وصي النبي، وفي مادة (وصى) من اللسان: ((أنما أراد ابن وصي النبي وابن ابن عمه، وهو الحسن بن علي، أو الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأقام الوصي مقامها، ألا ترى أن عليا رضي الله عنه لم

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو ص/٢٠٤

يكن في سجن عارم ولا سجن قط. قال ابن سيده: أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي علي الفارسي، والأشهر أن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم، والقصيدة في شعر كثير مشهورة، والممدوح بها محمد ابن الحنفية)) انتهى.

(ومنه) قول دريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله:

فإن تعقب الأيام والدهر فاعلموا ... بني قارب أنا غضاب بمعبد

وأن كان عبد الله خلى مكانه ... فما كان طياشا ولا رعش اليد

أراد بمعبد: عبد الله، وقد صرح به في البيت الثاني. والأقرب عد هذا من الخطأ اللفظي، أي بتحريف عبد بمعبد، وسهله له رجوع كلا اللفظين إلى معنى العبودة.

(ومنه) قول الآخر:

أرض تخيرها الطيب مقيلها ... كعب بن مامة وابن أم دواد

قال البغدادي في الخزانة: ((هو أبو دواد الشاعر، واسمه جارية، والتقدير ابن أم أبي دواد فحذف الأب)) .

(ومنه) ما ذكره السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه فقال: ((وأما ما لا يجوز في الشعر ولا في الكلام، فالغلط الذي يغلطه الشاعر في اسم أو غيره مما يظن أن الأمر فيه على ما قاله، كقوله:

والشيخ عثمان أبو عفان

فظن أن عثمان يكنى أبو عفان، لأن اسم أبيه عفان، وإنما هو أبو عمرو فهذا مما لا يجوز)) .

(ومنه) قول لبيد يرثي عمه عامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة:

قوما تنوحان مع الأنواح ... وأبنا ملاعب الرماح

وقوله فيه:

لو أن حيا مدرك الفلاح ... أدركه ملاعب الرماح

فاضطرته القافية إلى تلقيبه بلقب غيره، لأن ملاعب الرماح هو عامر بن الطفيل. هذا على ما جاء في موارد البصائر ومادتي (رمح) و (لعب) من اللسان. وجاء في مادة (رمح) من القاموس: ((وملاعب الرماح: عامر

بن مالك بن جعفر، والمعروف ملاعب الأسنة، وجعله لبيد رماحا للقافية)) إلا أنه اقتصر فيه على المشهور في مادة (لعب) .

(ومنه) قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فذكره أنه أخطأ في قوله كأحمر عاد، وهو أحمر ثمود، وقال بعض أهل اللغة: العرب تسمى ثمود: عادا الآخرة، وتسمى قوم هود: عادا الأولى، فقول زهير صحيح.

(ومنه) قول النمر بن تولب:

هلا سألت بعادياء وبيته ... والخل والخمر التي لم تمنع

وفتاتهم عنز عشية أبصرت ... من بعد مرأى في القضاء ومسمع

قالت أرى رجلا يقلب نعله ... أصلا وجو آمن لم يفزع

وعنز (بفتح فسكون) : اسم زرقاء اليمامة، وكانت على ما زعموا تبصر من مسيرة ثلاثة أيام، وهي من جديس، فجعلها الشاعر من بيت (عادياء) وهو أبو السموءل الأزدي الغساني، فأخطأ في وضعه اسما موضع آخر.

وقال بعضهم: أراد بعادياء: عادا، والعرب تقول: لكل شيء قديم عادي.

ق ر نا: وعلى هذا القول فهو من الخطأ اللفظي بتحريف عاد بعادياء. والأقرب في الاعتذار عنه قول ابن حبيب في شرحه لديوانه: ((نسب عنزا إلى بيت عادياء، وليست منهم، وإنما كان شيئا في أول الدهر فنسبه إلى بعضهم، كما قال زهير كأحمر عاد وإنما كان في ثمود)) .

(ومنه) قول البحتري من المولدين:

هم ثأروا الأخدود ليلة أغرقت ... رماحهم في لجة البحر تبعا

قال أبو العلاء المعري في عبث الوليد: ((الذي غرق من ملوك اليمن في البحر لما أرهقته الحبشة هو ذو نواس

الحميري، ولم يكن يقال له تبع إلا أن هذا يحتمله الشعر على أن يجعل كل ملك للعرب تبعا، كما جعلوا كل ملك للروم قيصر، وكل ملك من ملوك الحيرة النعمان)) .." (١)

"غير أن هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل إلى عهدنا عهد الاشتراكية العلمية إلا ثورات هي مهما كانت فإنها أشبه شيء بجموح الحيوان إذ يحمي أنفه فيجمح ثم يسترسل في جماحه ثم يشتد حتى يعتز صاحبه على رأسه ويملك نفسه منه، ثم ماذا؟ ثم يسكن مكرها بعد أن جمح راضيا، فإن لم يسكنه الألم من صاحبه أسكنه التعب من نفيه، لا يكون بالتخلص من إنسان بعينه.

ومن هذا يا بني ترى أن الإنسان لا يعيش فردا ولكنه حين يموت يموت فردا، فإذا رأيت فقيرا منبوذا من الاجتماع منفردا عنه، لا يساهمه في علمه وعيشه، بل كأنه يعيش في بقعة مجهولة من الحياة، فاعلم أن إهمال ذلك الفقير إنما هو نوع من القتل الاجتماعي.

ههنا قاتل ومقتول: لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسه ولا قتل بيده، أما المقتول فإنه لم يقتل في إثم اجترحه ولا هو جنى على نفسه الضعف الذي أرهقه وبلغ منه حتى جعل إهمال القوي إياه كأنه حكم عليه بالقتل، فترى على من تكون هذه التبعة، وهي بالتحقيق ليست على القوي لقوته ولا على الضعيف لضعفه؟ هناك اثنان: رجل في الماء وآخر على الشاطئ، فأما الذي في الماء فليس بينه وبين الموت غرقا إلا نفس واحد مبتل ينسل بالماء من حلقه إلى رئتيه وهو يرى بعينه الموت دائبا في حفر قبره المائي، فليس الموج الذي يتكفأ به ويتناثر من حوليه إلا ما تثيره يد جبار الموت من غبار ذلك القبر وتحثوه في وجهه بنزق وغضب، بعيد عن الأحياء حتى بعد عن أن يكون له قبر بينهم ولا صلة بينه وبين الحياة الأرضية إلا نظرات ذلك الرجل القوي الذي يتراءى في عين الغريق كأنه صخرة راسية على الشاطئ لها قوة وليس لها إرادة، ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الأرض تحت قدميه ويحس القوة من يده وعضلاته، يشعر أيضا من بمعنى من الصلابة في قلبه وقد جاء إلى الشاطئ ليتنفس من تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون أرواحا للأمواج تبعث فيها حركة الحياة. ما له ولهذا المنظر؟ سواد يطفو على الماء كأنه هنة من المتاع الخلق أو حذاء قديم أو ريش تحسر عن طائره، أو رأس رجل يغرق، وما دفعه بيده إلى الماء فيكون حقا عليه أن يستنقذه، ولا كان الغوص من صناعته فيعتمل في إخراجه ليخرج معه أجر عمله، وهو قوي ولكنه قوي لنفسه لا للضعفاء، وقد جاء ليروح عن نفسه، وإنقاذ الغريق عمل آخر، وربما أنشبه في حلق الموت ... أخذ فيما جاء له وما زال

---

(١) أوهام شعراء العرب في المعاني أحمد تيمور باشا ص/٢٥

يموج في جلده ويتنفس ملء صدره من الهواء ومن زفرات الإنسانية التي تنشق لها غيظا، ومن لعنات ذلك الغريق الذي بدأت حياته تذوب كما ينماث في الماء حتى آن له أن ينصرف وترك الرجل يغرق وهو يقول: لا بأس أن ينقص عدد أهل الأرض واحدا فهم كثير!....

ترى على من تكون هذه التبعة أيضا؟ إذا أردتم أن تعرفوا ذلك فإنكم تستطيعون أن تحققوه بدون أن تكونوا شرطة أو قضاة أو أهل قانون أو رجال فلسفة، ولكن بأن تكونوا من ذوي الإنسانية فقط، فإن الإنسانية لا ترى في الأرض إلا الضمائر، وما هذه الأجسام إلا أدوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير، فالرجل قد مضى بريء اليد، بريء القوة، بريء العقل، إذ هو لم يقتل، ولم يجن على القتيل، ولم يحتل لقتله، ولكن الإنسانية حين تنادي الضمائر بأوصافها فتقول: أيها الطيب، وأيها الكريم، وأيها الشقي السافل، تصيح بضمير هذا الرجل قائلة: أيها القاتل! ...

إذا لم يقر الأغنياء لأنفسهم بالضمائر ولم يلحقوا بها التبعات التي تناسبها فهل هم في ذلك إلا كالمجانين لا تقر لهم الشرائع بالعقول وتخيلهم من تبعة ما يجنون على العقلاء لأنهم مجانين؟....وكيف ترى ذلك الغني الفظ الذي يهر في وجوه الفقراء ويزمجر عليهم كأنه ينبحهم بلغة من لغة الكلاب ... ولا يفتأ يقذفهم بالألفاظ الجاسية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة ... وإذا أعطاهم فإنما يعطيهم بقضية فارغة ... وهو لا يوقر أبدا إلا من فوقه، كأنه لا يرى في الدنيا كلها أسفل من نفسه ... ولا يبالي إلا بمن يطمع فيه كأنه جالس في (مكتب أحد المخدمين) ..وقد تساوي في الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهره وباطنه كأن ضميره لبسه مقلوبا ... وصار أمر رضاه وغضبه وإحساسه وحيائه موقوفا على ما يكون من أمر المعاملات، كأن أخلاقه ليست في نفسه ولكنها في أيدي الناس، فليس مثل الغني الدنيء رجلا عاقلا؟." (١)

"الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف، وهاشم هذا هو الجد الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ذلك قبل الهجرة بمائة سنة على الأكثر، وهو العهد الذي نبغ فيه عدي بن ربيعة التغلبي الملقب بالمهلهل، خال امرئ القيس، وقال الأصمعي: إنه أول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر، تقول: ولعل هذه الكلمة هي التي قام بها على قبر أخيه كليب ومطلعها:

أهاج قذاة عيني الادكار

---

(١) المساكين الرافعي ، مصطفى صادق ص/١٣

وإذا كان الشعر العربي طبيعيا كما أسلفنا، فإن العوامل في نموه لا بد أن تكون طبيعية، وعلى ذلك فنحن نرجح ما قالوه من أن عديا هذا هو أول من قصد القصائد وذكر الوقائع في شعره؛ لأنه كان غزلا على همته، زير نساء على شجاعته، وكان أخوه كليب بن وائل الفارس المشهور أحد الثلاثة الذين اجتمعت عليهم معد، وهم عامر بن الظرب، وربيعة بن الحارث وكليب هذا "ص٢٣٧ ج١: ابن الأثير"، فلما قتل في الخبر المعروف، وكان قتله سبب الأيام بين بكر وتغلب، سير فيه عدي قصائد عدة، أرق بها الشعر وهلهله؛ وبهذا السبب لزمه لقب المهلهل، فكان طبيعيا بعد أن كان أخوه يعيره بأنه زير نساء، أن يعلن همته في القيام بثأره وحميته لذلك، وأن يشير بهذه الفجيعة ليعرف العرب منزلته من أخيه في الهمة، ومنزلة أخيه من نفسه في الحمية والجاهلية؛ وسنأتي على وصف هذه المراثي في ترجمته.

فكان الشعر قبل مهلهل رجزا وقطعا، فقصده مهلهل، ثم جاء امرؤ القيس فافتن به، وطل الرجز على قصره بمقدار ما تمتح الدلاء، أو يتنفس المنشد في الحداء، حتى كان الأغلب العجلي وهو على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فطوله شيئا يسيرا وجعله كالقصيد، وجاء بعده العجاج وهو وابنه رؤبة أشهر أهل الرجز، ففعل به ما فعل امرؤ القيس بالشعر بعد المهلهل.." (١)

"إلا عرضا يحمي بالسيف أو عرضا يسلب بالسيف، وجعلها ذلك منهم بمنزلة الذاكرة من وقائع التاريخ، فهي التي تذكرهم الثأر وأيام الدم، وهي التي لا تنسى شيئا مما هيأتها له الطبيعة الاجتماعية في أرضها وقومها، فإن كانت لم تعش إلا في ظلال السيوف، وإن كانت أما لم تلد إلا قاتلا أو مقتولا، فهي في الأولى يتصل بها تاريخ القتلى من أهلها، وفي الثانية تتصل هي بتاريخ القتلى من ذويها؛ فمن ثم انصرفت عن الشعر إلا في أخص شئونها، وشغلت من الخيال بإحساسها الذي لا هم لها إلا أن تستمده من الحادثات لتوقع منه حادثات مثلها، سيئة بسيئة، فهي بعيدة عن القول بمقدار قربها من العمل.

ولذلك بنيت المرأة العربية على أخلاق شديدة، لمكان الطباع والعادات والحوادث التي أنشأتها [وانحدرت] فيها وجرت عليها، فجاءت في مثل تركيب الصحراء إن يكن فيها ساعات ندية من الليل وضوئه ونسجه وأحلامه، ففيها نهار يصب النار على [الأحياء] ملء أقطار السموات، كأنه لم يقسم لها إلا شدة الحب وشدة البغض، تجري فيهما على أسباب وعلل مذ صارت جزءا من طبيعتها الثانية فتستفرغ فيهما كل وسائلها وتبلغ بهما ما بلغت قواها، فتنتهي إلى خلقين ثابتين: شدة الجزع، وشدة الصبر؛ وكل ذلك مما لا يترك للشعر في

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٩/٣

طبعها إلا مكانا محدودا في معان محدودة.

وسبب رابع في قلة الشاعرات عند العرب، وهو أن كل قبيلة إنما تعتد الشاعر لسانها السياسي، وتعده للخصومة في تاريخها والنضح عن أحسابها، وتنال به ما ينال الأسد من أنيابه، فهو منهم إن أرادوه كان المعنى المتوحش في المعنى الإنساني، وإن أرادوه [لأفئدتهم] كان المعنى الإنساني في المعاني الوحشية ولذلك يسمون الشعراء "أظفار العشيرة" والمرأة لا تصلح ظفرا ولا نابا، ولا تحسن أن تمضغ لحوم الأعداء في هجائها، ولا أن تأتي بالكلام الذي تترقرق فيه دماؤهم، ثم هي نفسها [جزء] تقع عليه الخصومة بينهم، وفيها أكثر المعاني التي يستبون بها، بل هي أم هذه المعاني.... ثم كانت [طبيعة جنسهم] أن ينشئوها في الحلية لا في الخصام، وأن يجعلوها فاكهة العيش لا ثمره المر، وكل هذه حدود تتراجع فيها حدا وراء حد، والشعراء منطلقون من جميعها*.

والعرب لا يرون كل من تقول الشعر شاعرة؛ إذ كان ذلك طبيعيا فيهم وإنما الشأن فيمن تتخطى حدود الحجاب الطبيعي وتكثر من القول وتتصرف في فنونه ومعانيه بما يتعدد من حوادثها ومصائبها؛ فتلك هي الشاعرة عندهم لا غيرها، وبذلك جرت لهم العادة في السماع والرواية، إذ المصائب تجعل المرأة في [جو] الرجل أو قريبة منه، بما تضيف إليها من الشعور وبما تبعثها عليه من العمل، ثم هي في تلك الحال إنما تدون لهم بعض التاريخ وتزيدهم لسانا في رواية المفاخر، ومن هذه الجهة تشبه الشعراء، فيتناشدون شعرها ويستمعون إليها، وتنبغ بالمصائب ثم تكون ندرتها فيهم نبوغا آخر، وقلما

---

* قلت: بخط المؤلف في بعض الصفحات من الأصل قرأت العبارة التالية، فرأيت إثباتها هنا.

"..... ثم إن هذه اللغة في العربية فحولة في أكثر ألفاظها وأساليبها، لا تلائم أنوثة النساء، فهذا سبب آخر في اقتصارهن على الرقيق المأنوس مما يجري في المعاني الرقيقة ولا يصلح لغيرها كالرثاء والغزل ونحوهما ... ".." (١)

"تقدمت المرأة عندهم في باب من أبواب الكلام أو العمل إلا كانت غريبة نادرة، وهي سنة طبيعية في التاريخ انتفعت بها النساء الشاعرات إلى يومنا هذا؛ فإن الشيء الغريب لو لم تكن له قيمة لكفى بغرابته قيمة فيه.

وكان نساء العرب يقلن الشعر في معان متقاربة يرجع [أكثرها] إلى إحساس المرأة وحسن تصريفه بين عقلها

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٤٥/٣

ولسانها؛ ولم يكن لهن من معاني الشعر غير الرثاء وبعض الغزل، وشعر ترقيص الأطفال، وشعر التحضيض يثرن به نخوة الرجال ويحضضنهم على طلب الثأر والثبات والاستماتة في الحرب؛ وقد تجعل المرأة جسمها قصيدة مع شعرها في التحضيض، كالذي فعلته ابنتا الفند الزماني، فقد قالوا إنه لما اشتدت الوغى يوم التحالق وخاف بنو بكر من الفرار، عمدت إحداهما إلى أثوابها فألقتها عنها وأقبلت عارية مجردة وجعلت تحض الناس وترتجز، وفعلت أختها مثل ذلك، فتحمس القوم ووثبوا يقاتلون قتالا منكرا؛ فهذه مادة من شعر النساء لا يستطيعها أبلغ الشعراء من الرجال.

والرجز الذي ارتجزت به إحدى هاتين هو الرجز المشهور:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

وهذه الأبيات تروى أيضا لهند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان، فقد كانت ترتجز بها في وقعة أحد وخلفها النساء يضربن بالدفوف، وهند هذه هي التي شقت بطن حمزة لما قتل، وقد كان أسدا من أسود الله على قومها، فاستخرجت كبده فلاكتها في فمها فلم تطق إساغتها فلفظتها، وهذا من شر ما يعرف عن امرأة، وليس يشبهه إلا من فعلته ريحانة أخت عمرو بن معديكرب الفارس المشهور؛ وأم دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد بني جشم، فإنه لما قتل ابنها عبد الله بن الصمة لم تزل تعير أخاه دريدا وتحضه، حتى نفر في طلب الثأر من غطفان، فغزاهم وقتل منهم قوما، ثم أسر قاتل أخيه وأتى به إلى [فناء] أمه فقتله تحت عينيها، فأحضرت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها إلى أن انقطع منه شيء وهي لا تشعر لغلبة الفرح عليها؛ ومع هذا الظمأ إلى الدم لا يروى لريحانة شعر في ابنها، ولا هي معدودة في الشواعر، وإنما رثته أختها كبشة بنت معديكرب، فأجزأت الخالة عن الأم؛ ومن أعجب ما يروى عن شاعرة، خبر عجوز تسمى خويلة، وكان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم بنو إخوة وبنو أخوات، طرقتهم بنو واهن وبنو ناغب فقتلوا منهم ثلاثين، فوقفت خويلة على مصارعهم ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها [ونظمت] منها قلادة وألقتها في عنقها وخرجت حتى لحقت بابن أختها تستنفره للثأر في شعر جاف [مقتضب] كخناصر قتلاها، رواه القالي في أماليه "ص١٢٧ ج١".

ومن أعجب شعر النساء القديم في الجاهلية الأبيات المشهورة المروية لليلى بنت لكيز الملقبة بالعفيفة، وهي التي تصف فيها ابتذال الأعداء لعفافها بهذا البيت النادر:

قيدوني غللوني ضربوا ... ملمس العفة مني بالعصا

وقولها "ملمس العفة" من الكلام الذي لا يفنى التعجب من بلاغته ومن حسن التعبير فيه؛ وكذلك أبيات جليلة أخت جساس، وكان أخوها قتل زوجها كليبا بن ربيعة؛ فلما اجتمع النساء يندبنه." (١)

"أخرجنها وحسبنها شامتة؛ لأنها أخت القاتل، فبلغ ذلك إليها فقالت أبياتا من أعجب الشعر:

جل عندي فعل جساس، فوا ... حسرتا مما انجلى أو ينجلي!

فعل جساس على وجدي به ... قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فقئت عين سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول

يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل مثكلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي١

قال صاحب المثل السائر: وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدودون لاستعظمت، فكيف بها من امرأة!

ولا يهولنك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعرا، فعمود الشعر عندهن الرثاء، وليس لهن إلا المقاطيع والأبيات القليلة، ولم تبن منهن إلا الخنساء وليلى [الأخيلية] ؛ وما شعرت الخنساء حتى كثرت مصائبها؛ وكانت قبل ذلك كغيرها من النساء: تقول البيتين والثلاثة، حتى قتل أخوها صخر [....] به من كان مثله، فأجادت وأطالت؛ لأنها أصبحت مصروفة الهم إلى نوع من الحب في نوع من الشعر؛ وسمت همتها إلى أن صارت تعاظم العرب في مصيبتها بأبيها وأخويها صخر ومعاوية؛ فصارت تشهد المواسم وقد سومت هودجها براية وتقول: أنا أعظم العرب مصيبة! وتبكي أهلها وتنشد مراثيهم فدارت أشعارها على الألسنة؛ وقد قلدتها في هذا الصنيع هند بنت عتبة، فإنه لما قتل أبوها وعمها وأخوها، وبلغها ما تفعل الخنساء في الموسم وتسويمها هودجها ومعاظمتها العرب بمصيبتها، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة! وأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وجعلت تسأل عن الخنساء فدلت عليها، وجعلت كل منهما تعاظم الأخرى وتنشد مراثي أهلها. فلو كان يعرف عندهم أشعر من هاتين لسموهن.

وقد استفحلت الخنساء في رثاء أخيها صخر، وكان أخاها لأبيها ولكنه كان أحب إليها من معاوية وهو لأبيها وأمها.

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٤٦/٣

غير أن المصائب لا تجعل غير الشاعرة شاعرة، ولا بد من تركيب ملائم في بعض الناس لتلقي مادة الشعر عن الروح والقلب والطبيعة، ولم يأت في شعر النساء [خاصة] أفحل ولا أجزل من شعر الخنساء، كأن فقد رجالها جعلها رجلا.

وكثير من أشعار النساء يضعه الرواة ويهيئون له أخبارا يجري فيها ذلك الشعر، ولكن ما تقوله المرأة في لوعتها لا يحسن الرجل أن يقول مثله مهما تكلف لذلك ولبسه على تصنع؛ وبهذا تستطيع

---

١ كناية عن الموت.." (١)

"في ذلك قصيدة واحدة، قال ابن الكلبي: لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة:

أرث جديد الحبل من أم معبد ... بعافية وأخلفت كل موعد

وقال ابن رشيق: "وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته، وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء: تركت كذا أو كبرت عن كذا وشغلت عن كذا، وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء، وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة في أكثر شعره، فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ثم عطف وقال:

فدع ذا ولكن علقت حبل عاشق ... . "الأبيات"

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف على تقدمه في الصناعة "ص١٢١ و١٢٢ ج٢: العمدة".

ومما حدث بعد الإسلام في طرق الرثاء الجمع بين التعزية والتهنئة، وهو مخصوص بالخلفاء في تعزية من يلي عهد أبيه منهم، وكان أول ذلك حين مات معاوية وقدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته، حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي فأنشده "ج١: البيان" ففتح للناس بعده باب القول، وقد روى ابن رشيق هذه الأبيات في العمدة "ص١٢٤ ج٢" ووطأ لها بسجعات نسبها للسلولي، والصحيح أن الشعر وحده، أما السجع فهو لعطاء بن أبي صيفي الثقفي، وهو من الخطباء الذين فتح لهم الكلام بذلك الشعر "ج١: البيان".

ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أو يعزونه؟ فأقبل غيلان ابن مسلمة الثقفي، فسلم عليه ثم خطب معزيا ومهنئا. وكذلك لما توفي المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٤٧/٣

المهدي فسلم ونحا هذا المنحى، وقد روى كلامهما الجاحظ في الجزء الأول من "البيان".

والذي ابتدأ بالإجادة في هذه الطريقة من الشعراء أبو نواس في قصيدته النونية التي يعزي بها الفضل بن الربيع عن الرشيد ويهنيه بالأمين، يقول منها:

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

ثم اتبعه أبو تمام في قصيدته التي أولها:

ما للدموع تروم كل مرام

يقولها للواثق بعد موت المعتصم، وقد صرف الكلام فيها كيف شاء وأطنب كما أراد، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من الشعراء؛ وليس في المتأخرين من يؤم في هذه الطريقة غير جمال الدين بن نباتة المصري -من شعراء القرن السابع- فإنه جاء في قصيدته الميمية التي عزى فيها عبد الملك المؤيد صاحب حماه وهنأ ولده الأفضل، بما يعد من عجائب الصناعة؛ لأنه استطرد في القصيدة على طولها بالجمع بين التهنئة والتعزية إلى آخرها، وهي مشهورة، مطلعها:

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء خاصة، حتى قيل فيه إنه نواحة ندابة؛ وكذلك عبد." (١)

"الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه. ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن فقال: ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر! ثم شرب سبعا، فلما صحا آلى أن لا يأكل لحما، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره، وفي "الأغاني" رواية أخرى عن سيبويه عن الخليل بن أحمد "ص٧٥ ج٨".

ثم إنه نهد إلى بني أسد فقاتلهم، وكان أدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش، فكثرت الجرحى والقتلى، وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلب -وهم الذين كانوا معه- أبوا أن يتبعوهم وقالوا له: لقد أصبت ثأرك، قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحدا. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشئوم، وانصرفوا عنه، فمضى هاربا لوجهه، حتى أمده مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وتبعه شذاذ من العرب، واستأجر رجالا من القبائل ثم خرج فظفر ببني أسد، وألح المنذر في

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٧٣/٣

طلب امرئ القيس ووجه إليه الجيوش فتفرق من كان معه ونجا في عصبته، فكان ينزل على بعض العرب ويرحل حتى قدم على السموأل فعرف له حقه، فكان عنده ما شاء الله، ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، فاستنجد له رجلا فلما انتهى إلى قيصر –ذكر مؤرخو الروم أنه القيصر يوستينيانس، وقال بعضهم إن امرأ القيس قدم عليه في القسطنطينية فقلده إمرة فلسطين، إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادة ملكه، فضجر وقفل راجعا، ثم أصابه مرضى كالجدري في طريقه كان سبب موته– قبله وأكرمه وضم إليه جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك، فلما فصل من عنده [وشى به] الطماح، وهو رجل من بني أسد كان امرؤ القيس قد قتل أخا له. "ص٧٣ ج٨: الأغاني".

ثم دفن في سفح جبل يقال له عسيب ببلدة تدعى أنقرة، وقيل: إن ذلك سنة ٥٣٨ للميلاد، أي: سنة ٨٤ قبل الهجرة، وقيل: سنة ٥٦٥م، ووفيات الجاهلية لا يعتمد فيها على نصوص التاريخ إلا الذين تكون أدمغتهم مجلدات من التاريخ القديم.." (١)

"قال أبو هاشم: ولكن هؤلاء الأطفال مساكين، ولا ذنب لهم.

قال الحوذي: نعم لا ذنب لهم، غير أنهم هم في أنفسهم ذنوب؛ إن كل واحد من هؤلاء إن هو إلا جريمة تثبت امتداد الإثم والشر في الدنيا؛ ولدتهم أمهاتهم لغية١.

فقطع صاحبه عليه وقال: هل ولدتهم إلا كما تلد سائر الأمهات أولادهن؟

قال: نعم، إنه عمل واحد، غير أن أحواله في الجهتين مختلفة لا تتكافأ؛ وهل تستوي حال من يشتري المتاع، ومن يسرق المتاع؟

ههنا باعث من الشهوة قد عجز أن يسمو سموه –وما سموه إلا الزواج– فتسفل وانحط، ورجع فسقا، وعاد أوله على آخره. كان أوله جرما فلا يزال إلى آخره جرما، ولا يزال أبدا يعود أوله على آخره؛ فلما حملت المرأة وفاءت إلى أمرها، وذهب عنها جنون الرجل والرجل معا؛ انطوت للرجال على الثأر والحقد والضغينة؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الشرور أيضا.

والأمهات يعددن لأجنتهن الثياب والأكسية قبل أن يولدوا، ويهيئن لهم بالفكر آمالا وأحلاما في الحياة، فيكسبنهم في بطونهن شعور الفرح والابتهاج، وارتقاب الحياة الهنيئة، والرغبة في السمو بها؛ ولكن أمهات هؤلاء يعددن لهم الشوارع والأزقة منذ البدء، ولا تترقب إحداهن طول أشهر حملها أن يجيئها الوليد، بل أن

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٢٧/٣

يتركها حيا أو مقتولا؛ فيورثنهم بذلك وهم أجنة شعور اللهفة والحسرة والبغض والمقت، ويطبعنهم على فكرة الخطيئة والرغبة في القتل، فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الرذائل أيضا.

وتظل الفاسقة مدة حملها تسعة أشهر في إحساس خائف، مترقب، منفرد بنفسه، منعزل عن الإنسانية، ناقم، متبرم، متستر، منافق؛ فلو كان السفيح من أبوين كريمين لجاء ثعبانا آدميا فيه سمه من هذا الإحساس العنيف. ومتى ألقت الفاسقة ذا بطنها٢ قطعته لتوه من روابط أهله وزمنه وتاريخه ورمت به ليموت؛ فإن هلك فقد هلك، وإن عاش لمثل هذه الحياة فهو موت آخر شر من ذلك؛ ومهما يتوله الناس والمحسنون، فلا يزال أوله يعود على آخره؛ مما في دمه

---

١ ولدته لغية أي: من سفاح، وضده: لرشده بفتح الراء.

٢ أي: وضعت وولدت، وهو تعبير عربي بليغ.." (١)

"تدريب (٢)

ما الذي اخل بفصاحة الكلمات فيما يأتي؟

(١) لم يلقها إى بشكه باسل ... يخشى الحوادث حازم مستعدد (١)

(٢) وأصبح مبيض الضريب كأنه ... على سروات البيت قطن مندف (٢)

(٣) فأيقنت أنى عند ذلك ثائر ... غداتئذ أو هالك في الهوالك (٣)

(٤) وملمومة سيفية ربعية ... يصيح الحصا فيها صياح اللقائق (٤)

(٥) والقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني ذو العياب المحمل (٥)

(٦) ليس التعلل بالآمال من أربى ... ولا القنوع بضنك العيش من شيمي (٦)

---

(١) الشكة: الخصلة، الباسل، الشجا..

(٢) قائلة الفرزدق. الضريب الشبيه والمثيل، سروات البيت، أعاليه، مندف مندوف: من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف.

(٣) الثائر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره.

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢٧٧/١

(٤) قائلة المتنبي، ملمومة، كتيبة مجتمعة، سيفية، نسبة لسيف الدولة، ربعية نسبة إلى ربيعة: قبيلته، اللقالق، جمع لقلقة وهي صوت اللقل١ق (طائرا) أو هي كل صوت في اضطراب وحركة.

(٥) قائله امرؤ القيس، الغبيطن الأرض المطمئنة، وقبل الواسعة المستوبة يرتفع طرفاها، البعاع. ثقل السحاب من المطر: يقال مع السحاب بيع بعا وبعاعا، إذا ألح بمكان، والقى عليه بعاعه أي ثقله، العياب جمع عيبة وهي ما يجعل فيه الثياب، يقال جعل الرجل خير متاعه في عيبته، والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليماني رجلا - وبفتحها على جعله جملا - والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل في ذلك الموضع، وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله..

(٦) القنوع، المسئلة، يقال قنع قنوعا، إذا سأل - والمراد القناعة.." (١)

"تدريب

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

(١) قال تعالى «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»

(٢) نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٣) وعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام

الرقم ... الجملة ... نوعها ... ما تفيده ... الايضاح

(١) ... يمحو الله ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... محو بعض الخلائق وافناؤها واثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد.

وعنده أم الكتاب ... أم الكتاب اللوح المحفوظ

(٢) ... اسمية ... الدوام ... والقرينة الاسناد إلى الله

نروح، ونغدو تساقط ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... القرينة قوله وحاجة من عاش

(٣) ... تساقط ... مضارعية ... الاستمرار التجددي ... القرينة حاية وهي الحزن والاسى

وذكرهم لي سقام ... اسمية ... الاستمرار والدوام

يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه - أمن الحلال أم مِن الحرام.

(٢) أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٣١

الرقم ... الجملة ... نوعها ... ما تفيده ... الايضاح

(١) ... يأتي ... مضارعية ... التجدد

(٢) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى، لعله يهتدي إلى معرفتي، لتأخذ بثأرها مني، وتنكل بي لأني طالما أوقعت بها، وأذقتها صنوف المذلة والهوان.

وعكاظ: سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلا، ولتصريف المتاجر نهارا.." (١)

"المبحث الثاني عشر في المجاز المركب (١) بالاستعارة التمثيلية

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد – وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه – ويسمى بالاستعارة التمثيلية (٢) وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة، نحو: الصيف ضيعت اللبن – يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه (٣) فيه، ونحو: (إني أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى) يصرب لمن يتردد

---

(١) المجاز المركب: هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي (تشبيه التمثيل) .

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة، للاشارة إلى عظم ش أنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا – إذ الاستعارة التمثيلية مبينة على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منزعة من متعدد – لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات – ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء.

(٣) أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه – فطلقها وتزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل – واجراء الاستعارة في المثل الأول، أن يقال: شبهت هيئة من فرط في أمر زمن امكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت إليه، تطلب منه اللبن شتاء، بجامع التفريط في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية واجراء الاستعارة في المثل الثاني، أن يقال: شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٦٨

يفعله وألا يفعله بهيئة من يتردد في الدخول، فتارة يقدم رجله، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل الثالث، شبهت هيئة من يظلم من وجهين، بهيئة رجل باع آخر تمرا رديئا وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل الرابع: شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده – بهيئة الرجل المسمى (قصيرا) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمة) من (الزباء) بجامع الاحتيال في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل الخامس، أن يقال شبهت هيئة رجل كريم الأصل عزيز النفس، الذي لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم، بهيئة المرأة التي تفضل جوعا على إجارتها للارضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

واجراء الاستعارة في المثل السادس، شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة، بجامع العجز في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به، للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية. واجراء الاستعارة في المثل السابع، شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام، مع سحرة فرعون، بجامع حسم النزاع في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية، واجراء الاستعارة في المثل الثامن، شبهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق، بهيئة المرأة المسماة «جذام» بجامع الصدق في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.." (١)

"إذا حركته هزة المجد غيرت ... عطاياه أسماء الأماني الكواذب

تكاد مغانيه تهش عراصها ... فتركب من شوق إلى كل راكب

إذا ما غدا أغدى كريمة ماله ... هديا ولو زفت لألأم خاطب

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل ... كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من منور تفتحه الصبا ... بياض العطايا في سواد المطالب

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٢٧٥

إذا ألجمت يوما لجيم وحولها ... بنو الحصن نجل المحصنات النجائب
فإن المنايا والصوارم والقنا ... أقاربهم في الروع دون الأقارب
جحافل لا يتركن ذا جبرية ... سليما ولا يحربن من لن يحارب
يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب
إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا ... صدور العوالي في صدور الكتائب
إذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى تقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب
معال تمادت في العلو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب
وقد علم الافشين وهو الذي به ... يصان رداء الملك عن كل جاذب
بأنك لما استخدل النصر واكتسى ... أهابي تسقى في وجوه التجارب
تجللته بالرأي حتى أريته ... به ملء عينيه مكان العواقب
بأرشق إذ سالت عليهم غمامة ... جرت بالعوالي والعتاق الشوازب
سللت لهم سيفين رأيا ومنصلا ... وكل كنجم في الدجنة ثاقب
وكنت متى تهزز لخطب تغشه ... ضرائب أمضى من رقاق المضارب
فذكرك في قلب الخليفة بعدها ... خليفتك المقفى بأعلى المراتب
فإن تنس يذكر أو يقل فيك حاسد ... يغل قوله أو تنأ دار صاقب
فأنت لديه حاضر غير حاضر ... بذكر وعنه غائب غير غائب
فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت ... سحائب منه أعقبت بسحائب
اقول لأصحابي هو القاسم الذي ... به شرح الجود التباس المذاهب
وإني لأرجو عاجلا أن تردني ... مواهبه بحرا ترجى مواهبي
وقال يمدح عمر بن طوق التغلبي

أحسن بأيام العقيق وأطيب ... والعيش في أظلاهن المعجب

ومصيفهن المستظل بظله ... سرب المها وربيعهن الصيب
أصل كبرد العصب نيط إلى ضحى ... عبق بريحان الرياض مطيب
وظلالهن المشرقات بخرد ... بيض كواعب غامضات الأكعب
وأغن من دعج الظباء مريب ... بدلن منه أغن غير مربب
لله ليلتنا وكانت ليلة ... ذخرت لنا بين اللوى فالعليب
مالت وقد أعلقت كفي كفها ... حلا وما كل الحلال بطيب
فنعمت في شمس إذا حجبت بدت ... من نورها فكأنها لم تحجب
وإذا دنت خلت الظباء ولدنها ... ربعية واسترضعت في الربرب
إنسية إن حصلت أنسابها ... جنية الأبوين ما لم تنسب
قد قلت للزباء لما أصبحت ... في حد ناب للزمان ومخلب
لمدينة عجماء قد أمسى البلى ... فيها خطيبا باللسان المعرب
فكأنما سكن الفناء عراصها ... أوصال فيها الدهر صولة مغضب
لكن بنو طوق وطوق قبلهم ... شادوا المعاري بالثناء الأغلب
فستخرب الدنيا وأبنية العلى ... وقبابها جدد بهم لم تخرب
رفعت بأيام الطعان وأغشيت ... رقراق الون بالسماحة مذهب
يا طالبا مسعاتهم لتنالها ... هيهات منك غبار ذاك الموكب
أنت المعنى بالغواني تبتغي ... أقصى مودتها برأس أشيب
وطئ الخطوب وكف من غلوائها ... عمر بن طوق نجم أهل المغرب
ملتف أعراق الوشيج إذا انتمى ... يوم الفخار ثري ترب المنصب
في معدن الشرف الذي من حليه ... سبكت مكارم تغلب ابنة تغلب
قد قلت في غسق الدجى لعصابة ... طلبت أبا حفص: مناخ الأركب
الكوكب الجشمي نصب عيونكم ... فاستوضحوا بضياء ذاك الكزكب." (١)

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٧

"لا يظهر العجز منا دون نيل منى ... ولو رأينا المنايا في أمانينا

ما أعوزتنا فرامين نصول بها ... إلا جعلنا مواضينا فرامين

إذا جرينا إلى سبق العلى طلقا ... إن لم نكن سبقا كنا مصلينا

نغشى الخطوب بأيدينا فندفعها ... وإن دهتنا دفعناها بأيدينا

ملك إذا فوقت نبل العدو لنا ... رمت عزائمه من بات يرمينا

عزائم كالنجوم الشهب ثاقبة ... ما زال يحرق فيهن الشياطينا

أعطى فلا جوده قد كان عن غلط ... منه ولا أجره قد كان ممنونا

وكم عدو لا أمسى بسطوته ... يبدي الخضوع لنا ختلا وتسكينا

كالصل يظهر لينا عند ملمسه ... حتى يصادف في الأعضاء تمكينا

يطوي لنا الغدر في نصح يشير به ... ويمزج السم في شهد ويسقينا

وقد نغض ونغضي عن قبائحه ... ولم يكن ذاك عجزا عن تقاصينا

لكن تركناه إذا بتنا على ثقة ... أن الأمير يكافيه فيكفينا

وقال مسمطا قصيدة السمؤال بن عادياء في الحماسة:

قبيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه ... وطول الفلا رحب لديه وعرضه

ولم يبدل سربال الدجى فيه كضه ... إذا المرء لمك يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

إذا المرء لم يحجب عن العين نومها ... ويغلي من النفس النفسية سومها

أضيع ولم تأمن معاليه لومها ... وإن هو لم يجمل على النفس ضيمها

فليس إلى حسن الثناء سبيل

وعصبة غدر أرغمتها جدودنا ... وباتت ومنها ضدنا وحسودنا

إذا عجزت عن فعل كيد يكيدينا ... تعيرنا أنا قليل عديدنا

فقلت لها إن الكرام قليل

رفعنا على هام السماك محلنا ... فلا ملك إلا تفيأ ظلنا

فقد خاف جيش الأكثرين أقلنا ... وما قل من كانت بقاياه مثلنا

شباب تسامى للعلى وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا ... وتبنى على هام المجرة دارنا

ويأمن من صرف الحوادث جارنا ... وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الأكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره ... لنا وحبانا ملكه وأميره

وبالنيرب الأعلى الذي عزطوره ... ںنا جبل يحتله من نجيره

منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلايا شعابه ... وتحدق شهب الأرض حول هضابه

ويعثر خطو السحب دون ارتكابه ... رسا أصله تحت الثرى وسما به

إلى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قدفاض نهره ... وفاق على فخر الكواكب فخره

وقد شاع ما بين البرية شكره ... هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره

يعز على من رامه ويطول

إذا ما غضبنا في رضى المجد غضبة ... لندرك ثأرا أو لنبلغ رتبة

نزيد غداة الكر في الموت رغبة ... وإنا لقوم لا نرى القتل سبة

إذا ما رأته عامر وسلول

أبادت ملاقاة الحروب رجالنا ... وعاش الأعادي حين ملوا قتالنا

لانا إذا رام العداة نزالنا ... يقرب حب الموت آجالنا لنا

وتكرهه آجالهمخ فتطول

فمنا معيد الليث في فيض كفه ... ومورده في أسره كاس حتفه

ومنا مبيد الألف في يوم زحفه ... وما مات منا سيد حتف أنفه

ولا طل يوما حيث كان قتيل

إذا خاف ضيما جارنا وجليسا ... فمن دونه أموالنا ورؤوسنا

وإن أججت نار الوقائع شوسنا ... تسيل على حد الظبات نفوسنا

وليست على غير الظبات تسيل

جنى نفعنا الأعداء طورا وضرنا ... فما كان أحلانا لهم وأمرنا

ومذ خطبوا يوما صفانا وبرنا ... صفونا فإنكدر واخلص سرنا

اناث اطابت حملنا وفحول

لقد وفرت العلياء في المجد قسطنا ... وما خالفت في منشأ الأصل شرطنا

فمذ حاولت في ساحة العز هبطنا ... علونا إلى خير الظهور وحطنا

لوقت إلى خير البطون نزول ... تقر لنا الأعداء عند انتسابنا

وتخشى خطوب الدهر فصل خطابنا

لقد بلغت أيدي العلى في انتخابنا ... فنحن كماء المزن مافي نصابنا

كهام ولا فينا يعد بخيل

نغيث بني الدنيا ونحمل هولهم ... كما يومنا في العز يعدل حولهم." (١)

"فاجمع همومك في هم تؤيده ... بالعزم إن هموم الغل شذان

واقصد بودك خلا ليس من ضلع ... عوجاء فيها بوشك الزيغ إيذان

ومن قوله:

لا تكثرن ملامة العشاق ... فكفاهم بالوجد والأشواق

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف كان غير مطاق

أتلومهم للنفع أم لتزيدهم ... باللوم إقلاقا على إقلاق

ما للذي أضحى يلوم أخا هوى ... أمسى صريع مواقع الأحداق

أنى يعنف كل معنوف به ... يثني يديه على حشا خفاق

تهدي الحمامة والغراب لقلبه ... شجوا بساق تارة وبغاق

ويشوقه برق السحاب وإنما ... يعني ببرق المبسم البراق

متصعدا زفراته متحدرا ... عبراته أبدا قريح مآقي

لم يسق فوه من الثغور شفاءه ... فلوجنتيه من المدامع ساق

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٧٩

يبكي الشجي بدمعة مهراقة ... بل بالدماء على دم مهراق

تضحي أحبته تولى سفحه ... عند الفراق وعند كل تلاق

يجزونه طول الجفاء بأنه ... لم يخل من شغف مدر فراق

شهد الوفاء وكل شيء صادق ... إن الجزاء هناك غير وفاق

أصغت إلى العشاق أذني مرة ... ومن الجميل تعاطف العشاق

فشكى الشجي من الخلي ملامة ... وشكى الوفي تلون الذواق

فدع المحب من الملامة إنها ... بئس الدواء لموجع مقلاق

لا تطفئن جوى بلوم إنه ... كالريح تغري النار بالإحراق

وأرى رقى العذال غير نوافع ... لا سيما لمتيم مشتاق

ما للمحب إذا تفاقم داؤه ... غير الحبيب يزوره من راق

أخذ الإله لنا بثأر قلوبنا ... من مفعمات للبريز رشاق

رقت مياه وجوههن لناظر ... وقلوبهن عليه غير رقاق

يهززن أغصان تباعد بالجنى ... وتروق بالأثمار والإيراق

ومن البلية منظر ذو فتنة ... نائي المنافع شاغف الأنياق

ومن العجائب إن سمحنا للهوى ... بدمائنا وبخلنا بالأرياق

مزن يمطن الري عن أفواهنا ... ويجدن للأبصار بالإبراق

صيد حرمناه على إغراقنا ... في النزع والحرمان في الإغراق

ومن قوله في شكوى الحال والزمان، واستعطاف بعض الإخوان:

دع اللوم إن اللوم عون النوائب ... ولا تتجاوز فيه حد المتاعب

فما كل من حط الرحال بمخفق ... ولا كل من شد الرحال بكاسب

وفي الشعر كيس والنفوس نفائس ... وليس بكيس بيعها بالرغائب

وما زال مأمول البقاء مفضلا ... على الملك والأرباح دون الحرائب

حضضت على حطبي لناري فلا تدع ... لك الخير تحذيري شرور المحاطب

وأنكرت إشفاقي وليس بمانعي ... ظلابي أن أبقى طلاب المكاسب

ومن يلق ما لاقيت في كل مجتنى ... من الشوك يزهد في الثمار الأطايب
أذاقتني الأسفار ما كر الغنى ... إلي وأغراني برفض المطالب
فأصبحت في أزهد زاهد ... وإن كنت في الإثراء أرغب راغب
حريصا جبانا أشتهي ثم أنتهي ... بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب
ومن راح ذا حرص وجبن فإنه ... يرى المدح عارا قبل بذل المثاوب
تنازعني رغب ورهب كلاهما ... قوي وأعيان اطلاع المغايب
فقدمت رجلا رغبة في رغيبة ... وأخرت رجلا رهبة للمعاطب
أخاف على نفسي وأرجو مفازه ا ... وأستار غيب الله دون العواقب
ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ... ومن أين والغايات بعد المذاهب
ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة ... رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب
وصبري على الإقتار أيسر محملا ... علي من التغرير بعد التجارب
لقيت من البر التباريح بعدما ... لقيت من الحر بعد التجارب
سقيت على ري به مطرة ... شغفت لبغضيها بحب المجادب
ولم أسقها بل سقاها لمكيدتي ... تحامق دهر جد بي كالملاعب
إلى الله أشكو سخف دهري فإنه ... يعابثني مذ كنت غير مطايبي
أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت ... برحيلي أتاها بالغيوث السواكب
سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلة ... تمايل صاحيها تمايل شارب
لتعويق سيري أو حوض مطيتي ... وإخصاب مزرو عن المجد ناكب." (١)

"هل العسر كل العسر مبق عزيمة ... ألا إنما حيث اليسار العزائم
تناولت عني بعد طول عناية ... وقد نهست مني الخطوب الأوازم
متى تنظر الدنيا غلي بنظرة ... عينك نحوي أيها المتناوم
هنالك أغدو والسرور محالف ... بنيات قلبي والزمان مسالم
ألا إن ثلما ف السماح عقوبتي ... كأني نظير أو كفى مقاوم

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٦٧

أقلني عثار الظن فيك فلم تزل ... تقيل التي فيها تحز الحلاقم

وأنت الفتى كل الفتى في فعاله ... إذا ما وهبت الحق والحق قائم

وأكرم بخصم باع بالطول حقه ... وآثر حق المجد وهو مخاصم

بحق الوزير ابن الوزير وعيشه ... تأمل مليا هل العفو نادم؟

وإني لأعفو عن رجال وأتقى ... رجالا وأدري أي قرن أصادم

فإن سد باب العذر فيما نقمته ... هواك فلي بالرأي فيه مخارم

ستعلم ما قدري إذا رقد الهوى ... فإن الهوى يقظان والرأي نائم

وما زالت الأشباه وهي كثيرة ... مجاهل فيها للبصير معالم

وأني شكور للأيادي التي غدت ... لها في رقاب العالمين خواتم

ومن قوله في ترك أتكال المرء على نسبه:

وما الحسب الموروث لا در دره ... بمحتسب إلا بآخر مكتب

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبه ... من المثمرات اعتده الناس في الخطب

وأنت لعمري شعبه من ذوي العلى ... فلا ترض أن تعتد من أوضع الشعب

وللمجد قوم ساوروه بأنفس ... كرام ولم يرضوا بأم ولا أب

فلا تتكل إلا على ما فعلته ... ولا تحسبن المجد يورث بالنسب

فليس يسود المرء إلا بنفسه ... وإن عد آباء كراما ذوي حسب

ومن قوله في الشيب وفقد الشباب:

كفى بالشيب من ناه مطاع ... على كره ومن داع مجاب

حططت إلى النهى رحيلي وكلت ... مطية باطلي بعد الهياب

وقلت مساما للشيب أهلا ... بهادي المخطئين إلى الصواب

إلى أن قال:

سقى عهد الشبيبة كل غيث ... أغر مجلجل داني الرباب

ليالي لم أقل سقيا لعهد ... ولم أرغب إلى سقيا سحاب

يذكرني الشباب هوان عتبي ... وصد الغانيات لدى عتابي

يذكرني الشباب سهام حتف ... يصبن مقاتلي دون الإهاب

رمت قلبي بهن فأقصدته ... طلوع النبل من خلل النقاب

فراحت وهي في بال رخي ... ورحت بلوعة مثل الشهاب

وكل مبارز بالشيب قرنا ... فمسبي لعمرك غير ساب

ولو شهد الشباب إذا لراحت ... وإن بها وعيشك ضعف ما بي

فيا غوثا هناك بقيد ثأري ... إذا ما الثأر فات يد الطلاب

فكم ثأر تلاقت لي يداه ... ولو من بين أطراف الحراب

يذكرني الشباب جنان عدن ... على جنبات أنهار العذاب

تفيء ظلها نفحات ريح ... تهز متون أغصان رطاب

إذا ماست ذوائبها تداعت ... بواكي الطير فيها بانتحاب

يذكرني الشباب وميض برق ... وسجع حمامة وحنين ناب

فيا أسفا ويا جزعا عليه ... ويا حزنا إلى يوم الحساب

أأفجع بالشباب ولا أعزى ... لقد غفل المعزي عن مصابي

تفرقنا على كره جميعا ... ولم يك عن قلى طول اصطحاب

وكانت أيكتي ليد اجتناء ... فعادت بعده ليد احتطاب

أيا برد الشباب لكنت عندي ... من الحسنات والقسم الراغب

بليت على الزمان وكل برد ... فبين بلى وبين يد استلاب

وعز علي أن تبلى وأبقى ... ولكن الحوادث لا تحابي

لبستك برهة لبس ابتذال ... على علمي بفضلك في الثياب

ولو ملكت صونك فاعلمنه ... لصنتك في الحريز من العياب

ومن قوله في الاستقلال من صحبة الناس:

عدوك من صديقك مستفادا ... فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه ... يحول من الطعام أو الشراب

إذا انقلب الصديق غدا عدوا ... مبينا والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت ... مصاحبة الكثير من الصواب

ولكن قل ما استكثرت إلا ... سقطت على ذئاب في ثياب

فدع عنك الكثير فكم كثير ... يعاف وكم قليل مستصاب." (١)

"فخيل لي أن السماوات أطبقت ... علي وأبصرت الكواكب في الظهر

وقمت كجدي ند من يد ذابح ... وقد بلغت سكينة ثغرة النحر

يطوحني نزف الدماء كأنني ... نزيف طلا مالت به نشوة الخمر

فمن لامرئ لا يلبس الوشي قد غدا ... وراح موشى الجيب بالنقط الحمر

ووافيت بيتي ما رآني امرؤ ولم ... يقل أو هذا جاء من ملتقى الكر؟

فها هو قد أبقى بوجهي علامة ... كما اعترضت في الطرس إعرابه الكسر

فإن يحم شيئا من محياي أثرها ... بمقدار أخذ المحو من صفحة البدر

فلا غرو بالبيض الرقاق إذا لها ... على العنق ما لاحت به سمة الأثر

وقل بعد هذا للبسيطية أفخري ... على سائر الشجعان بالفتكة البكر

وقل للظبا مهلا إليك عن الطلى ... وللسمر لا تهزن يوما إلى صدر

فلو هم غير الحوت بي لتواثبت ... رجال يخوضون الحمام إلى نصري

فأما إذا ما عز ذاك ولم يكن ... لإدراك ثأري منه ما مد في عمري

فلست بمولى الشعر إن لم أزجه ... بكـل شرود الذكر أعدى من العمر

أمر على الأجفان من حادث العمى ... وأبلى على الآذان من عارض الوقر

يخاف على من يركب البحر شرها ... وليس بمأمون على سالك البر

تجوس خلال البحر تطفح تارة ... وترسو رسو الغيض في طلب الدر

تناول منه ما تغالى بسبحة ... وتدرك دون القمر بتدر القعر

لعمر أبي الخطي إن بات ثأره ... لدى غير كفء وهو نادرة العصر

فثأر علي بات عند ملجم ... وأعقبه ثأر الحسين لدى شمر

شعر

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٧١

ماجد بن هاشم قال مؤلف (السلافة) : لما عرضت القصيدة السابقة على الشريف ماجد بن هاشم البحراني، كتب عليها مقرظا بقوله: أجلت رائد النظر في ألفاظها ومعانيها، وأحللت صاعد الفكر في أركانها ومبانيها، فوجدتها قرة في عين الإبداع، ومسرة في قلب الاختراع، والحق أحق بالأتباع، فالحمد لله على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها، وإزالة وحشتها بإيناسها.

كتب إلى أهله يتشوق إليهم، وهو محبوس بشيراز قوله

سلام ينادي جوكم ويراوحه ... ونشر ثناء تنتحيكم روائحه
ولا زال مرفوع الثناء يؤمكم ... على كاهل البرق الشمالي صالحه
أأحبابنا والمرء يا ربما دعا=أخا النأي إن ضاقت عليه منادحه
هل الدهر مدنيني إليكم فمبرد ... لهيب اشتياق يرمض القلب لافحه؟
ومجمع دمع كلما هتفت به ... دواعي هواكم قرح الجفن سافحه
كفى حزنا أني بشيراز مفرد ... أباكر ما يضني الحشا وأرواحه
وفرط هموم لو تضفن يذبلا ... تضاءل واستعملت عليه أبطاحه
وشوقا لو استجل سناه أخو الدجى ... لأغناه عن ضوء المصابيح قادحه
غدا وهو عنوان الحوادث فاستوى ... لديه به خافي البداد وواضحه
وأشياء ضاق النظم عنها وبعضها ... يلوذ بظل الاستقالة جارحه
أحن فلا ألقى سوى هاتف الضحى ... يطارحني شكوى النوى وأطارحه
يقطع أناء النهار بنوحه ... إلى أن يرى وجه الظلام يصافحه
وإن له بعد الهدو لعولة ... وأجزى وأشجى النوح مالح نائحه
شكى وحشتي سجن ونأي فأجرشت ... له رقة مما يجن جوارحه
يكاد إذا هز الجناح فخانه ... تغص بترجيع الحنين جوانحه
خلا أنه ذو رفقة فمتى دعا ... تجبه على قرب المكان صوادحه
وإني إذا ما اشتقتكم حال دونكم ... ودوني غيلان الفلا وصحاصحه
وملتطم الأمواج ما عبثت به ... يد الريح إلا وامتطى النجم طافحه

على أنه في السجن أرغد عيشة ... ولا يستوي داني القرين ونازحه
يشن علي البعد غارات جوره ... وتهتف بي من كل فج صوائحه
له الغلب فليثن الأعنة مبقيا ... علي فما عندي جنود تكافحه
ولا المفرد العاني يهز رماحه ... لطعن ولا تنضى لضرب صفائحه
سقى جد حفص البيض سحا ولو سما ... لها الدمع أغناها عن الغيث راشحه
ولا زال خفاق النسيم إذا سرى ... عليلا يماسي جوها ويصابحه
بلاد أقام القلب فيها ولم يزل ... وإن طمحت بالجسم عنها طوامحه." (١)

"ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر، إذا غيرها من لأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور. وأما أحسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والتك المشوهة والروم المقسرة.

وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى أن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من العرب إلا ويسمى آباءه أبا فأبا حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ولا يدعي إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها فإن أذناهم رجلا الذي تكون عند البكرة والنا عليها بلاغة في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتري بالشربة فيعقرها وله ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنة وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات وما ليس لشيء من ألسنة الأجناس، ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعدنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها لأنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما وبلجا محرما

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٢١

وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وه قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى.." (١)

"إذا قست أبيات الرجال بيتنا ... وجدت له فضلا على من يفاخر

فمن قال كلا أو أتانا بخطة ... ينافرنا يوما فنحن نخاطر

تعالوا فغدوا يعلم الناس أينا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام لابن قيس فقال: قد علمت العرب أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يحول، فقيل له ولم يا أخا شيبان، قال لأنا أدرهم للثأر وأضربهم لملك الجبار وأقوالهم للحق وألدهم للخصم.

ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري بسطام أحق بفضلها ... وأول بينت العز عز القبائل

فسائل أبيت اللعن عن عز قومها ... إذا جد يوم الفخر كل مناضل

فيخبرك الأقوام عنها فإنها ... وقائع جد لا ملاعب هازل

ألسنا أعز الناس قوما وأسرة ... وأضربهم للكبش يوم التخاذل

وقائع عز كلها ربعية ... تذل لهم فيها رقاب المحافل

إذا ذكرتم ينكر الناس فلها ... وعاذ بها من شرها كل قائل

وإنا ملوك الناس في كل بلدة ... إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال: قد علمت العرب أن فرع دعامتها وقادة زحفها.

فقيل له لم ذلك يا أخا بني تميم. قال لأنا أكثر عديدا وأنجبهم طريدا وليدا وأعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء خندف أننا ... لنا العز قدما في الخطوب الأوائل

وأنا كرام أهل مجد وثروة ... وعز قديم ليس بالمتضائل

فكم فيهم من سيد وابن سيد ... أغر نجيب ذي فعال ونائل." (٢)

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٢٦/١

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٣٦/١

"فسائل أبيت اللعن عنا فإننا ... دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات وأثبتهم في النائبات، فقيل له لم ذاك يا أخا بني سعد، قال لأنا أدركهم للثأر وأمنعهم للجار لا نتكل إذا حملنا ولا نرام إذا حللنا.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخندف أننا ... وجل تميم والجموع التي ترى

بأنا ليوث البأس في كل مأزق ... إذا جز بالبيض الجماجم والطلى

وأنا إذا داع دعانا لنجدة ... أجبنا سراعا في العلائم من دعا

فهيهات قد أعيا الجميع فعالهم ... وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه.

وأعظم صلاتهم أجمعين وردهم إلى أقوام معظمين.

"مناظرات المهدي لأهل بيته ومشاروته لهم في حر خراسان"

هذا ما ترجع فيه المهدي ووزراءه وما دار بينهم من تحبير الرأي في حرب خراسان أيان تحاملت عليهم العمال وأعنفت فحملت۰م الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا ببعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال والتووا بما عليهم الخراج وحمل المهدي مات يجب من مصلحتهم ويكره من عينهم على أن أقال عثرتهم اغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو وأخذا بالحجة ورفا بالسياسة ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقا بمدار سلطانه وبصيرا بأهل زمانه باسطا للمعدلة ف رعيته تسكن إلى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه فإذا وقعت الأقضية اللازم والحقوق الواجبة فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة أثرة للحق وقياما بالعدل وأخذا بالحزم فدعا أهل خراسان الاغترار بحمله والثقة." (١)

"بالخداع "والحرب خدعة" وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بدعة أما تشهد العوالم من هيبتي حيارى (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) [الحج: ٢] فكم أرقت ملوكا أكاسرة وأرقت دماء أسود كاسرة وكم أرويت نار الوغى تحت العجاج وقد ازورت اللحاظ واغبرت الفجاج فأنا البطل الذي لا يصطلى بناره ولا يأخذ منه الموتور بثأره وافتخارك علي بالصلاة الوسطى ليس إنصافا منك ولا قسطا وهب أنك انفردت بتلك

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٣٧/١

الصلاة الجليلة فأين أنت مما أوتيته من الصلات الجزيلة أما كان افتراض الصلاة في ليلة العروج فما بالك تدعي الارتقاء إلى هذه البروج.

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ... ولو قام في تصديقها ألف شاهد

وأما افتخارك علي بشهر رمضان وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن فهل صح لك صيامه إلا بي بدأ وختاما وقد تميزت عليك بفضيلة إحيائه تهجدا وقياما على أني محل النية "ونية المرء خير من عمله" لأنها بمثابة الروح له وبها يحظى الراجي ببلوغ أمله هذا وإني أتكفل للصائم بمد يد الراحة ووافر الأجر حتى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وكيف تفتخر بالكتاب المنزه في مزاياه عن المشاركة والله تعالى يقول فيه: (إنآ أنزلناه في ليلة مباركة) [الدخان: ٣] وهل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين أم على جناح جنحك أسرى بنور طلعة الكونين ثم عرج به عليه الصلاة والسلام إلى منزلة قاب قوسين وهل في تجليات أسحارك يقول الرب هل من سائل فيناجيه العبد متضرعا إليه بقلب خاشع ودمع سائل ومما اختصصت به من الفضائل أنه في دولتي سيد الأوائل والأواخر وناهيك بليالي شهر الله رجب وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت آمنة سيد العجم والعرب." (١)

""ووصف المفضل الضبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب"

روى المفضل الضبي قال نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنت مشغوفا بسماع أخبار العرب وجمعها فأخذت أجول بين خيامهم وأتحسس من أحوالهم وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع ويترشفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بني وأي بني) وهو يبتسم في وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يحير جوابا ولا يبدي خطابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلمت فرد علي السلام ووقفت أنظر إلى المرأة والغلام فقلت لي يا حضري ما حاجتك قلت الاستكثار ما أسمع والاستمتاع بما أرى فابتسمت وقالت يا هذا إن شئت سقت إليك ما هو أحسن مما رأيت فقلت هاتي حفظك الله قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربي بيننا كأنه شبل وكنت أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى إذا ما تمت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب سنين أسلمته

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢٦٧/١

إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشي الخيلاء بين بيوتات الحي وأصغي إلى أصوات ذوي الحاجات فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجله أحرسه من العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهلا من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وعكة شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثوارا لا زوارا فما كان إلا هنيهة حتى أحرزوا." (١)

"وكلام العرب بمراتبه: العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعاشية والدينية، وتلك الأحوال تتمثل في "أغراض اللغة، ومعانيها، وعباراتها".

أغراض اللغة في الجاهلية

١ كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية، ووصف مرافقها من حل وترحال، وانتجاع كلأ. واستدرار غيث. واستنتاج حيوان.

٢ وفي غثارة المنازعات والمشاحنات، وما يتبعها من الحض على إدراك الثأر. والتفاخر بالانتصار، والتباهي بكرم الأصل والنجار.

٣ شرح حال المشاهدات والكيفيات والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك.

معاني اللغة في الجاهلية

تجمل معاني اللغة (١) في قصر معاني المفردات على ما تقتضيه البداوة والفطرة الغضة الخالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم (٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم عن (الإنشاء) إما في التعقل المستنبط من الحس والمشاهدة أو الطبيعة أو التجربة أو الوجدان. من غير مبالغة ولا إغراق. وإما في التخيل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادي.

عبارة اللغة في الجاهلية

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١/٣٧٤

تلخص أحوال العبارة في الجاهلية فيما يأتي: ١ استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية. أو معان مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي قد يصبح بعد قليل وضعا جديدا.." (١)

"نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد، وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان فمقته أبوه ولما لم ينجح فيه القول طرده عنه وأقصاه، حتى جاء نبأ ثوران بني أسد على أبيه وقتلهم له. لأنه كان يعسف في حكمه لهم، فقال (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليو مخمر، وغدا أمر) وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرا ثم اشتدت به علة لأنه كان يعسف في حكمه لهم، فقال (ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليو مخمر، وغدا أمر) وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في إدراك ثأره فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيرا ثم اشتدت به علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن.

شعره: يعتبر امرؤ القيس راس فحول شعراء الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الديار، وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد وترقيق النسيب، وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة، وتنويع التشبيه.

وقد يفحش في تشبيه بالنساء وتحدثه عنهن، ويشم من شعره رائحة النبل وتلمح فيه شارات السيادة والملك: من ذلك قوله:

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله:

وظل طهارة اللحم مابين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل

ولو أن ماأسعى لأدتنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما اسعاى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وشعره وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة الألفاظ وتجهم المعاني، تراه أحيانا يخطر في حلل

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١٥/٢

من حسن الديباجة، وبديع المعنى، ودقة النسيب ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ: مما كان منه لخلفه أجمل مثال في محاكاته.." (١)

"وليأتين عليك يوما مرة ... يبكي عليك معنفا لا تسمع

فلئن بهم فجع الزمان وريبه ... أني بأهل مودتي لمفجع

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال أبو الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قتل وصلب وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى لو كان هو المصلوب وقيلت فيه.

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيام الصلات

كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدهما إليهم بالهبات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الوفاة

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

لعظمك في النفوس تبيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقاب

وتوقد حولك النيران ليلا ... كذلك كنت أيام الحياة

ركبت مطية من قبل زيد ... علاها في السنين الماضيات

وتلك قضية فيها تاس ... تباعد عنك تعيير العداة

ولم أر قبل جذعك قط جذعا ... تمكن من عناق المكرمات

أسأت إلى النوائب فاستثارت ... فأنت قتيل ثأر النائبات." (٢)

"* وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما

٢٤١* ٦* ولو قتل الهجر المحبين كلهم

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة ا العرب أحمد الهاشمي ٣٠/٢

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٨٩/٢

* مضى بلد باق أجدت له صرما

٢٤١* ٧* عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا

* فلما دهتني لم تزدني بها علما

٢٤١* ٨* منافعها ما ضر في نفع غيرها

* تغذى وتروى أن تجوع وأن تظما

٢٤١* ٩* أتاها كتابي بعد يأس وترحة

* فماتت سرورا بي فمت بها غما

٢٤١* ١٠* حرام على قلبي السرور فإنني

* أعد الذي ماتت به بعدها سما

٢٤١* ١١* تعجب من لفظي وخطي كأنما

* ترى بحروف السطر أغربة عصما

٢٤١* ١٢* وتلثمه حتى أصار مداده

* محاجر عينيها وأنيابها سحما

٢٤١* ١٣* رقا دمعها الجاري وجفت جفونها

* وفارق حبي قلبها بعدما أدمى

٢٤١* ١٤* ولم يسلها إلا المنايا وإنما

* أشد من السقم الذي أذهب السقما

٢٤١* ١٥* طلبت لها حظا ففاتت وفاتني

* وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما

٢٤١* ١٦* فأصبحت أستسقي الغمام لقبرها

* وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

٢٤١* ١٧* وكنت قبيل الموت أستعظم النوى

* فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

٢٤١* ١٨* هبيني أخذت الثأر فيك من العدى

* فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى

٢٤١* ١٩* وما انسدت الدنيا علي لضيقها

* ولكن طرفا لا أراك به أعمى

٢٤١* ٢٠* فوا أسفا ألا أكب مقبلا

* لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما

٢٤١* ٢١* وألا ألاقي روحك الطيب الذي

*كأن ذكي المسك كان له جسما

٢٤١* ٢٢* ولو لم تكوني بنت أكرم والد

* لكان أباك الضخم كونك لي أما

٢٤١* ٢٣* لئن لذ يوم الشامتين بيومها

* لقد ولدت مني لأنفهم رغما." (١)

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ص/٢٣٥